أيسر التفاسير

لكلام العليّ الكبير

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الأول

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة
طبعة مزيدة ومنقحة ومصححة وبهامشها
نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثالثة
مصححة ومنقحة
وبهامشها
نهر الخير على أيسر التفاسير

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى الساعة. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أمّا بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﴿ﷺ﴾ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد أيضاً فهذا تفسير موجز لكتاب الله تعالى القرآن الكريم وضعته مراعياً فيه حاجة المسلمين اليوم إلى فهم كلام الله تعالى الذى هو مصدر شريعتهم، وسبيل هدايتهم وهو عصمتهم من الأهواء وشفاؤهم من الأدواء، قال تعالى ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ وقال تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾. وقال تعالى ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾. ومراعياً فيه أيضا رغبة المسلمين اليوم فى دراسة كتاب الله وفهمه والعمل به، وهى رغبة لم تكن لهم منذ قرون عدة حيث كان القرآن يقرأ على الأموات دون الأحياء ويُعتبر تفسيره خطيئة من الخطايا وذنبا من الذنوب، إذ ساد بين المسلمين القول: بأن تفسير القرآن: صوابه خطأ وخطأه كفر، فلذا القارىء يقرأ: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾، والناس حول ضريح الولى المدفون في ناحية المسجد يدعونه بأعلى

أصواتهم: يا سيدى يا سيدى كذا وكذا ولا يجرؤ أحد أن يقول: يا إخواننا لا تدعوا السيد فإن الله تعالى يقول: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ ويقرأ القارىء ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. ويسمعه من يسمعه، ولا يخطر على باله أن الآية تصرح بكفر من لم يحكم بما أنزل الله، وأن أكثر المسلمين مورَّطون فى هذا الكفر حيث تركوا تحكيم الشريعة الاسلامية الى تحكيم القوانين الملفقة من قوانين الشرق والغرب وهكذا كان يقرأ القرآن على أمـوات الأحياء وأحياء الأموات فلا يرى له أثر فى الحياة.

هذا ونظراً لليقظة الاسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى المـراد من كلام الله، وبـين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم. تُبَيَّنُ فيه العقيدة السلفية المنجيّة، والأحكام الفقهية الضرورية. مع تربية ملكة التقوى فى النفـوس، بتحبيب الفضـائـل وتبغيض الرذائل، والحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم. مع التجمل بالأخلاق القرآنية والتحلى بالآداب الربانية. وقد هممت بالقيام بهذا المتعين عدة مرات فى ظرف سنوات، وكثيرا ما يطلب منى مستمعوا دروسي فى التفسير فى المسجد النبوى أن لو وضعت تفسيرا للمسلمين سهل العبارة قريب الاشارة يساعد على فهم كلام الله تعالى، وكنت أعد أحياناً وأتهرب أحياناً أخرى، حتى ختمت التفسير ثلاث مرات وقاربت الرابعة، وأنا بين الخوف والرجاء وشاء الله تعالى أن أجلس فى أواخر محرم عام ١٤٠٦ هـ، الى فضيلة الدكتور عبدالله بن صالح العبيد رئيس الجـامعـة الاسـلامية ويُلهم أن يقـول لى: لو أنك وضعت تفسيراً على غرار الجلالين يحل محله فى المعاهد ودور الحديث تلتزم فيه العقيدة السلفية التى خلا منها تفسير الجلالين فضـرّ كثيرا بقدرما نفع، وصادف فى النفس رغبتها فأجبته بأن سأفعل ان شاء الله تعالى. وبهذا الوعد تعينت واستعنت الله تعالى وشرعت وفى أوائل رجب من العام نفسه تم تأليف المجلد الأول الحاوى لثلث القرآن الكريم وفى أول رمضان كان المجلد الأول قد طبع والحمد لله، وواصلت التأليف والله أسأل أن يتم فى أقرب وقت، وأن يتقبله منى وهو منه وله، فينتفع به كل مسلم يقرأه بنيّة معرفة مراد الله تعالى

من كلامه ليعرف ربّه معرفة تكسبه خشيته ومحبته ويعرف محابه تعالى ليتقرب بفعلها إليه ، ويعرف مساخطه ليتجنبها خوفا مما لديه .

هذا وإن مميزات هذا التفسير التى بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين فهي :

١ ـ الوسطيّة بين الاختصار المخل ، والتطويل الممل .

٢ ـ اتباع منهج السلف فى العقائد والأسماء والصفات .

٣ ـ الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة فى الأحكام الفقهية .

٤ـ اخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها. إلا ما لابد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث . . وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج .

٥ ـ إغفال الخلافات التفسيرية .

٦ ـ الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين فى معنى الآية ، وقد لا آخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية .

٧ ـ إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية .

٨ ـ عدم التعرض للقراءات الا نادراً جداً للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك وبالنسبة للأحاديث فقد اقتصرت على الصحيح والحسن منها دون غيرهما ، ولذا لم أعزها إلى مصادرها إلا نادراً

٩ ـ خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وان كثرت والالتزام بالمعنى الراجح والذى عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح . حتى إن القارىء لا يفهم ان هناك معنىً غير الذى فهم من كلام ربه تعالى ، وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر اسلامى موحد صائب سليم .

١٠ ـ التزمت فى هذا التفسير بالخطة التى مثلتها هذه المميزات رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقاً وعملاً لا هم لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به ، والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وقضاء وحكمًا ، فلذا لخليته من كل ما من شأنه أن يشتت الذهن ، أو يصرف عن العمل الى القول والجدل .

ولـذا فقـد جعلت الكتـاب دروسـاً منـظمة متسقة فقد أجعل الآية الواحدة درساً فأشرح كلماتها، ثم أبين معناها، ثم أذكر هدايتها المقصودة منها للاعتقاد والعمل.

وقد أجعل الآيتين درساً، والثلاث آيات والأربع والخمس ولا أزيد على الخمس إلا نادراً، وذلك طلبا لوحدة الموضوع وارتباط المعنى به.

وقـد جعلت الآيات مشكـولة على قراءة حفص وبخط المصحف وإنى أطالب المسلم أن يقرأ أولاً الآيات حتى يحفظها، فإذا حفظها درس كلماتها حتى يفهمها، ثم يدرس معناها حتى يعيه، ثم يقرأ هداياتها للعمل بها. فيجمع بين حفظ كتاب الله تعـالى وفهمـه والعمـل به، وبذلك يسود ويكمل ويسعد إن شاء الله تعالى. وقد جاء في الحـديث[1] «أن الله تعـالى يرفـع بهذا الكتـاب أقـوامـاً، ويضـع آخـرين» فمن قرأه بحسن نيّة فحفظه وفهمه وعمل به وعلمه فقد يدعى فى السماء عظيمًا، وفى الحديث الصحيح «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». اللهم اجعلنى وسائر المؤمنين ممن يفوزون بهذه الخيرية فيتعلمون كتابك ويعملون به ويعلمونه يا حيُّ يا قيوم.

وأخيراً أطالب كل مؤمن ومؤمنة يقرأ تفسيرى هذا المسمى: بأيسر التفاسير لكلام الله العلى الكبير أن يستغفر لي ويترحم عليَّ هذا حقى عليه اللهم وفقه لأدائه واغفر لى وله وارحمنى وإياه وسائر المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبـه أجمعين.

وكتبه الراجى عفو ربه ورضوانه أبوبكر جـابر الجزائري

المدينة المنورة ١٧ رمضان ١٤٠٦هـ

---

(١) رواه مسلم.

[تنبيه]

مراجـع هذا التفسير أربعـة وهى: جامـع البيان فى تفسير القـرآن لابن جرير الطبري، تفسير الجـلالين المحلى والسيوطى، تفسير المراغى، تيسير الكريم الرحمن لعبدالرحمن بن ناصر السعدى رحمهم الله أجمعين وجمعنا معهم فى جنات النعيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، والصلاة والسلام على محمد خير الأنام، وآله الأماجد وصحبه الكرام، وبعد: فإنه نظراً إلى حاجة طلبة العلم إلى المزيد من المعرفة وكان **«أيسر التفاسير»** قد وُضِعَ وضعاً خاصاً، إذ الباعث عليه كان تقريب معاني كتاب الله تعالى إلى أفهام عامة المسلمين، وتجلية الأحكام الشرعية لهم ليعبدوا ربهم باعتقاد الحق، وبالعمل بما شُرع دون ما ابتُدع مُزكِّين نفوسهم بذلك مكملين آدابهم مهذبين أخلاقهم بما أودع الله جل جلاله كتابه من مناهج التربية الروحية والأخلاقية والآداب النفسية، وهو ما صرحت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. إذ لم يقل الله تعالى - فيما عَلِمْنا - في كتاب من كتبه **﴿تبياناً لكل شيء﴾** إلَّا في القرآن الكريم، ومرة أخرى أقول: إنه نظراً إلى حاجة طلبة العلم إلى المزيد من المعرفة وضعتُ هذه الحاشية التي هي أشبَهُ بتعليق على **«أيسر التفاسير»** وأسميتها **(نهر الخير)** أودعت فيها مع مراعاة الاختصار بعض ما يرغب طالب العلم في معرفته والحصول عليه من **شاهد لغة، أو بيان، أو أثر جميل، أو مستند حديث جليل، أو كشف عن وجهٍ لآية ذات وجوه، أو الوقوف على سر من أسرار القرآن أو عجيبة من عجائب القرآن**، التي لا تنقضي بمرور الزمان، ولا تنتهي بتعاقب الملوان. وأهم من ذلك تصويب رأي، أو تصحيح خطأ وقعا في التفسير، مع إزالة إبهام، أو إضافة بعض الأحكام.

والله تعالى أسأل أن يكون عملي فيه صالحاً، ولوجهه تعالى خالصاً، وأن ينفع بنهر الخير كما نفع بأيسر التفاسير إنه بر رحيم وعلى كل شيء قدير.

أبو بكر جابر الجزائري

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

وهـي مكية وآياتها[1] سـبع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

شـرح الكلمـات :

التفســير[2] : لغة الشرح والبيان. واصطلاحاً : شرح كلام الله ليُفهم مُرادُهُ تعالى منه فيطاع في أمره ونهيه، ويؤخذ بهدايته وارشاده. ويُعتبر بقصصه، ويتعظ بمواعظه.

الســـورة : السورة[3] قطعة من كتاب الله تشتمل على ثلاث آيات فأكثر. وسور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة أطولها «البقرة»[4] وأقصرها «الكوثر».

الفاتحـــة : فاتحة كل شيء بدايته. وفاتحة القرآن الكريم الحمد لله رب العالمين

---

(١) الآية: في اللغة العلامة. ومنه قول الشاعر:
توهمت ايات لها فعرفتها ... لستة أعوام وإذا العام سابع.

(٢) مصدر فسر تفسيراً وفعله المجدّد فسر كنصرَ فَسْراً إذا أبان الكلام وكشف معناه.

(٣) لفظ السورة مشتق إمّا من سور البلد لارتفاعها وعلو شأنها أو من سور الشراب وهي البقية إذ هي بقية من كتاب الله تعالى أي قطعة منه. وكونها مشتقة من الرفعة وعلو الشأن أولى، ويشهد لذلك قول الشاعر:
ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

(٤) أطول آية في القرآن، آية الدَّين في آخر البقرة، وأقصر آية فيه مدهامتان، من سورة الرحمن.

ولذا سميت الفاتحة. ولها أسماء[(١)] كثيرة منها أم القرآن. والسبع[(٢)] المثانى. وأم الكتاب[(٣)]، والصلاة*.

مكيـــة : المكىّ من السور: ما نزل بمكة، والمدنىّ منه ما نزل بالمدينة. والسور المكية غالبها يدور على بيان العقيدة وتقريرها والاحتجاج بها وضرب المثل لبيانها وتثبيتها. وأعظم أركان العقيدة: توحيد الله تعالى في عبادته، وإثبات نبوة رسول الله ﷺ، وتقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة. والسور المدنية يكثر فيها التشريع وبيان الأحكام من حلال وحرام.

: الآيات: جمع آية وهى لغةً: العلامة. وفى القرآن: جملةٌ من كلام الله تعالى تحمل الهدى للناس بدلالتها على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه، وعلى نبوة محمد ﷺ ورسالته. وآيات القرآن الكريم سِتُّ آلاف ومائتا آية وزيادة.[(٤)] وآيات الفاتحة سبع[(٥)] بدون البسملة

الاستعاذة[(٦)]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

شرح الكلمات

الاستعاذة : قول العبد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

أعوذ : أستجير وأتحصن

بالله : بربّ كل شىء والقادر على كل شىء والعليم بكل شىء وإله الأولين والآخرين.

(١) بلغ بها صاحب الاتقان، نيّفاً وعشرين اسما، ولم يرد في السنة من ذلك سوى أربع: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، وأم الكتاب.

(٢) سميت بالسبع المثاني لأنها تثني أي تكرّر في كل ركعة من الصلاة.

(٣) سميت بأم الكتاب لاشتمالها على أصول ما جاء في القرآن من العقائد والعبادات والشرائع والقصص.

(٤) الزيادة تتراوح ما بين أربع آيات إلى أربعين آية على خلاف بين القراء.

(٥) وقيل البسملة هي الآية السابعة، وإليه ذهب الشافعي فأوجب قراءتها في الصلاة وعلى القول الراجح بأن البسملة ليست آية، فالآية السابقة هي: (غير المغضوب عليهم ولا الضالّين) ويكون (صراط الذين أنعمت عليهم) الآية السادسة.

(٦) العياذ بالله تعالى يكون للاستجارة بالله من المكروه، واللّياذ بالله تعالى يكون لطلب المحبوب يشهد لهذا قول الشاعر:

يامن ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره

* لقول النبي ﷺ عن ربه: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدي ما سأل فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي... الحديث رواه النسائي وغيره

الشيطان : إبليس لعنه الله

الرجيم : المرجوم المبعد المطرود من كل رحمة وخير.

معنى الاستعاذة :

أستجير وأتحصن بالله ربى من الشيطان الرجيم أن يلبّس علّى قراءتى . أوْ يضلّنى فأهلك وأشقى .

حكم الاستعاذة :

يسن[1] لكل من يريد قراءة شىء من القرآن سورة فأكثر أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ . كما يستحب لمن غضب ، أو خطر بباله خاطر سوء أن يستعيذ كذلك .

البَسْمَلة

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح الكلمات :

البسملة : قول العبد : بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم : لفظ جُعل علامة على مُسَمًّى يعرف به ويتميّز عن غيره .

الله[2] : إسم علم على ذات الربّ تبارك وتعالى يُعرف به .

الرحمن* : اسم من أسماء الله تعالى مشتق من الرحمة دال على كثرتها فيه تعالى .

الرحيم : إسم وصفة لله تعالى مشتق من الرحمة ومعناه ذو الرحمة بعباده المفيضها عليهم في الدنيا والآخرة .

معنى البسملة :

ابتدىء[3] قراءتى متبركا باسم الله الرحمن الرحيم مستعينا به عز وجل .

---

(١) لقول الله تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ من سورة النحل .

(٢) اسم لم يُسمّ به غير الله تعالى ، وهل هو جامد أو مشتق من ألِهَ يأله إلهة ، وألوهة إذا عبد ، فالإله بمعنى المألوه أي المعبود ، فلفظ إله اسم جنس يطلق على كل معبود بباطل كسائر الألهة أو بحق كالله جلّ جلاله .

(٣) يقدر متعلق الجار والمجرور بحسب المقام فالقارىء يقول : أبتدئى قراءتي والكاتب يقول أبتدىء كتابتي ، والآكل يقول : أبتدىء أكلي وهكذا .

* روي أن عيسى عليه السلام قال : الرحمن رحمان الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة وأعم منه قول النبي ﷺ : رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما .

حكم البسملة :

مشروع للعبد مطلوبٌ منه أن يُبَسْمِل عند قراءة كل سورة من كتاب الله تعالى الا عند قراءة سورة التوبة فإنه لا يبسمل وان كان فى الصلاة المفروضة يبسمل سراً إن كانت الصلاة جهرية.

ويسن للعبد أن يقول باسم الله(١). عند الأكل والشرب، ولبس الثوب. وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند الركوب. وعند كل أمر(٢) ذى بال.

كما يجب عليه أن يقول بسم الله والله أكبر عند الذبح والنحر.

(١) الحَمْدُ(٣) لله رب العَالمِينَ

شرح الكلمات :

الحمد : الوصف بالجميل، والثناء به على المحمود ذى الفضائل والفواضل، كالمدح(٤) والشكر(٥)

لله : اللام حرف جر ومعناها الاستحقاق أى أن الله مستحق لجميع المحامد والله علم على ذات الرب تبارك وتعالى.

الرب : السيد المالك المصلح المعبود(٦) بحق جل جلاله.

العالمين : جمع عالم وهو كل ما سوى الله تعالى، كعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الانس وعالم الحيوان، وعالم النبات.

---

(١) لحديث: سمّ الله وكل بيمينك، وهو في الصحيح.

(٢) لحديث: كل أمر ذي بال لا يبدىء فيه ببسم الله فهو أبتروالحديث وإن كان ضعيفاً فإن العمل بهلما في معناه من أحاديث صحاح.

(٣) الحمدلله أعظم سورة في القرآن لحديث البخاري عن أبي سعيد بن المعلى أن النبي ﷺ قال له: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، وقوله له ما أنزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا في القرآن مثلها.

(٤) هناك فرق بين المدح والحمد، فالحمد يكون على الجميل الاختياري كما يحمد الله تعالى على لطفه ورحمته وإحسانه وأما المدح ؛ فإنه يكون على الاختياري والاضطراري كما يمدح الإنسان على جمال وجهه وهو ليس فعله وعلى إحسانه الذي هو عمله الاختياري والثناء المدح وتكراره مرة بعد مرة.

(٥) الشكر: الثناء باللّسان على المنعم بما أولى من النعم، فهو أخص من الحمد موردا إذ مورده النعمة فقط وأعمّ متعلقاً إذ متعلقه القلب واللّسان والجوارح لقول القائل:

أفادتك النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد يعم المدح والشكر لحديث: الحمد رأس الشكر.

(٦) مما شِهد لاطلاق لفظ الرّب على المعبود قول الشاعر:

أربٌ يبول الثعلبان برأسه ... لقد هان من بالت عليه الثعالب

معنى الآية :

يخبر تعالى أن جميع أنواع المحامد من صفات الجلال والكمال هي له وحده دون من سواه ؛ إذ هو رب كل شيء وخالقه ومالكه.
وأن علينا[1] أن نحمده ونثني عليه بذلك.

(٢) الرحمن الرحيم

تقدم شرح هاتين الكلمتين في البسملة. وأنهما اسمان وصف بهما اسم الجلالة «الله» في قوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ثناءً على الله تعالى لاستحقاقه الحمد كلّه.

(٣) مَالِكِ[2] يَوْمِ الدِّينِ

شرح الكلمات :

مَالِك : المالك : صاحب الملك المتصرف كيف يشاء

مَلِك : الملك ذو السلطان الآمر الناهي المعطي المانع بلا ممانع ولا منازع

يومَ الدين : يوم الجزاء[3] وهو يوم القيامة حيث يجزي الله كل نفس ما كسبت

معنى الآية :

تمجيد لله تعالى بأنه المالك لكل ما في يوم القيامة حيث لا تملك نفس لنفس شيئا والملكُ الذي لا مَلِكَ يوم القيامة سواه.

---

(١) لأن اللفظ خبر ومعناه الانشاء أي قولوا : الحمد لله.

(٢) قرأ حفص مالك باسم الفاعل، وقرأ نافع ملك بدون ألف وهما قراءتان سبعيتان والله حقا هو الملك المالك.

(٣) صح تفسير يوم الدين بيوم الحساب عن السلف من أصحاب رسول الله ﷺ، ولما كان الحساب غايته الجزاء صح اطلاق لفظ الجزاء على يوم الدين، إذ يقال دانه يدينه بكذا دَينا ودينا إذا حاسبه وجزاه، وفي الحديث الكيّس من دان نفسه أي : حاسبها، وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. رواه أحمد والترمذي وغيرهما وهو صحيح.

هداية الآيات :

في هذه الآيات الثلاث من الهداية ما يلي :

١ـ أن الله تعالى يحب[1] الحمد فلذا حمد تعالى نفسه وأمر عباده به .

٢ـ أن المدح يكون لمقتضٍ . وإلا فهو باطل وزور فالله تعالى لما حمد نفسه ذكر مقتضى الحمد وهو كونه ربّ العالمين والرحمن الرحيم مالك يوم الدين .

(٤) إياك[2] نعبد وإياك نستعين

شرح الكلمات :

إيــــاك : ضمير نصب يخاطب به الواحد

نعبـــد[3] : نطيع مع غاية الذل لك والتعظيم والحب

نســتعين : نطلب عونك لنا على طاعتك[4]

معنى الآيـة :

علّمنا الله تعالى كيف نتوسل إليه في قبول دعائنا فقال احمدوا الله واثنوا عليه ومجدوه ، والتزموا له بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به وتستعينوه ولا تستعينوا بغيره .

هدايـة الآيـة :

من هداية هذه الآيـة ما يلي :

١ـ آداب الدعاء[5] حيث يقدم السائل بين يدى دعائه حمد الله والثناء عليه وتمجيده . وزادت

---

(١) قال رسول الله ﷺ ما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى حتى إنه حمد نفسه ، ولفظ البخاري ، لا أحد أغير من الله ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه وقال ﷺ : ما أنعم الله على عبده بنعمة فقال : الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ . رواه البيهقي عن أنس بسند حسن .

(٢) العدول عن نعبدك ونستعينك إلى ايّاك نعبد وإيّاك نستعين لإفادة الاختصاص والحصر، وفي إياك نعبد وايّاك نستعين نكتة بلاغية وهي : الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهي من المحسنات البديعية .

(٣) نعبد مضارع عبده إذا أطاعه متذللا له خوفا منه وطمعا فيما عنده فأحبه لذلك غاية الحب وعظمه غاية التعظيم وهكذا تكون عبادة المؤمن لربّه تعالى .

(٤) وعلى كل ما يهم العبد من أمور دينه ودنياه .

(٥) روى أبو داود والترمذي ، والنسائي أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : عجل هذا ، ثم دعاه فقال له أو لغيره ، إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد مما شاء .

السنة الصلاة على النبىّ ﴿ﷺ﴾، ثم يسأل حاجته فإنه يستجاب[1] له.

٢ـ أن لا يعبد غير ربه وأن لا يستعينه إلّا هو سبحانه وتعالى.

(٥) اهْـدِنا[2] الـصِّـرَاطَ الُمـسْتَقِيمَ

شـرح الكلمـات :

إهـــدنا : أرشدنا وأدم هدايتـنا

الصـــراط : الطريق الموصل إلى رضاك وجنّتـك وهو الإسلام لك

المســتقيم : الذى لا ميل فيه عن الحق ولا زيغ عن الهدى

معنى الآية :

بتعليم من الله تعالى يقول العبد فى جملة إخوانه المؤمنين سائلا ربّه بعد أن توسل إليه بحمده والثناء عليه وتمجيده، ومعاهدته أن لا يَعْبدَ هو واخوانه المؤمنون إلا هو، وان لا يستعينوا إلا به. يسألونه أن يُديم هدايتهم[3] للإسلام حتى لا ينقطعوا عنه.

مـن هداية الآيـة :

الترغيب فى دعاء الله والتضـرع إليه وفى الحديث الدعاء[4] هو العبادة.

(٦) صِـرَاطَ الـذينَ أنْعَمتَ عَلَيهِم

شـرح الكلمات :

الصـــراط : تقـدم بيانه.

الذين أنعمت عليهم: هـم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون[5]، وكل من أنعم الله

---

(١) روى أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إمّا أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الأخرى، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا: إذا نكثر، قال: الله أكثر.

(٢) فعل الهداية يستعمل يتعدى بنفسه وبحرف الجر فمن الأول قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم ومن الثاني قوله تعالى: فاهدوهم إلى صراط الجحيم.

(٣) الهداية نوعان: هداية بيان وإرشاد، وهذه تطلب من ذوي العلم، فهم يبينون للسائل طرق الخير ويرشدونه إليها. ،هداية توفيق إلى اعتقاد الحق ولزمه في الاعتقاد والقول والعمل، وهذه لا تطلب إلا من الله تعالى ومنها هذه الدعوة: اهدنا الصراط المستقيم ويشهد للهداية الأولى وهي هداية البيان قوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾. ويشهد للثانية قوله تعالى: ﴿إنّك لا تهدي من أحببت﴾. فأثبت لنبيه هداية البيان ونفى عنه هداية التوفيق وهي الهداية القلبية الباطنة.

(٤) رواه أصحاب السنن، وصححه الترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٥) ورد هذا البيان في قولـه تعـالى من سورة النسـاء ﴿ومن يطعْ الرسول فأولائك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا).

عليهم بالإيمان به تعالى ومعرفته، ومعرفة محابه، ومساخطه، والتوفيق لفعل المحاب وترك المكاره.

معنـى الآيـة :

لما سأل المؤمن له ولاخوانه الهداية الى الصراط المستقيم، وكان الصراط مجملاً بيّنه بقوله صراط الذين أنعمت عليهم وهو المنهج القويم المفضى بالعبد إلى رضوان الله تعالى والجنة وهو الاسلام القائم على الإيمان والعلم والعمل مع اجتناب الشرك(١) والمعاصى.

هدايـة الآية :

من هداية الآية ما يلي :

١ـ الاعتراف بالنعمـة

٢ـ طلـب حسـن القدوة

(٧) غير المَغْضُوبِ عَلَيـهِمْ ولاَ الضَّـالِّينَ

شــرح الكلمـات :

غيــر : لفظ يستثنى(٢) به كـإلاّ.

المغضوب عليهم : من غضب الله تعالى عليهم لكفرهم وافسادهم فى الأرض كاليهود.

الضـاليـن من اخطأوا طريق الحق فعبدوا(٣) الله بما لم يشرعه كالنصارى.

---

(١) الشرك: عبادة غير الله مع الله تعالى أو اعتقاد ربوبية أو ألهية كائن من كان مع الله تعالى ولو لم يعبده إشراك المخلوق في صفات الخالق الذاتية أو الفعلية.

(٢) لفظ غير مفرد مضاف دائما لفظا أو معنى وإدخال أل عليه خطأ وأصله الوصف ويستثنى به.

(٣) الضلال والانحراف والبعد عن إلهدى المطلوب وهو في الشرع نوعان: ضلال في الاعتقاد، وضلال في العمل فالضلال في الاعتقاد: هو كل اعتقاد مخالف كلاً أو بعضاً للمعتقد الإسلامي الذي بينه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ والضلال في العمل: هو عبادة الله تعالى بغير ما شرع والتقرب إليه عزّ وجل بما لم يشرعه قربة، ولا ينجو من هذا الضلال إلاّ من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

معنى الآيــة :

لما سأل المؤمن ربّـه الصراط المستقيم وبينه بأنه صراط من أنعم عليهم بنعمة الإيمان[1] والعلم والعمل. ومبالغة فى طلب الهداية الى الحق، وخوفاً من الغواية استثنى كلاً من طريق المغضوب عليهم، والضالين.

هداية الآيـة :

من هداية الآية:

الترغيب فى سلوك سبيل الصالحين، والترهيب من سلوك سبيل الغاوين.

[تنبيه أول]: كلمة آمين ليست من الفاتحة. ويستحب أن يقولها الإمام إذا قرأ الفاتحة يمد بها صوته ويقولها المأموم، والمنفرد كذلك لقول الرسول ﷺ إذا أمن الإمام فأمنوا. أي قولوا آمين بمعنى اللهم استجب دعاءنا، ويستحب الجهر بها؛ لحديث ابن ماجة: كان النبي ﷺ إذا قال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرتج بها المسجد.

[تنبيه ثان]: قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة من الصلاة، أمَّا المنفرد والإمام فلا خلاف في ذلك، وأمَّا المأموم فإن الجمهور من الفقهاء على أنه يسن له قراءتها في السريَّة دون الجهـرية لحديث: من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة ويكون مخصصاً لعموم حديث: لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب.

(١) لفظ النعمة اسم جنس تحته أربعة أنواع: الأولى: نعمة الإيمان بالله وبما أوجب الإيمان به الثانية: نعمة معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، والثالثة: نعمة معرفة محابه ومكارهه. والرابعة: نعمة التوفيق لفعل المحاب وترك المكاره.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا أمّن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنوبه.

سُورَةُ البَقَرَة [1]

مدنية وآياتها مائتان وست أو سبع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ [2] بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

(١) الٓمٓ

شرح الكلمة :

الٓمٓ : هذه من الحروف المقطعة تكتب الٓمٓ. وتقرأ هكذا: أَلِفْ لام مِّيمْ. والسور المفتتحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة أولها البقرة هذه وآخرها القلم «نٓ» ومنها الأحادية مثل صٓ. وقٓ، ونٓ، ومنها الثنائية مثل طه، ويسٓ، وحمٓ، ومنها الثلاثية والرباعية والخماسية ولم يثبت فى تفسيرها عن النبى ﷺ شيء وكونها من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه أقرب إلى الصواب ولذا يقال

---

(١) ورد وصح في فضل سورة البقرة قوله ﷺ: «اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» أي السحرة. وروى الترمذي وصححه أنّ النبي ﷺ بعث بعثاً وهم ذوو عدد وقدّم عليهم أحدثهم سنا لحفظه سورة البقرة وقال له: «اذهب فأنت أميرهم» وروي أيضاً أن النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة».

(٢) قرأ نافع يؤمنون بتخفيف الهمزة جمعاً وإفراداً في كامل القرآن وقرأها حفص مهموزة في كل القرآن.

فيها: الٓـمٓ : الله أعلم[1] بمراده بذلك.

وقد استخرج منها بعض أهل العلم فائدتين: الأولى أنه لما كان المشركون يمنعون سماع [2] القرآن مخافة أن يؤثر فى نفوس السامعين كان النطق بهذه الحروف حـمٓ. طسٓ. ق. كٓهيعٓصٓ وهـو منـطق غريب عنهم يستميلهم إلى سماع القـرآن فيسمعون فيتأثرون وينجذبون فيؤمنون ويسمعون وكفى بهذه الفائدة من فائدة. والثانية لما انكر المشركون كون القرآن كلام الله أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ كانت هذه الحروف بمثابة المتحدِّى لهم كأنها تقول لهم: ان هذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف فألفوا انتم مثله. ويشهد بهذه الفائدة ذكر لفظ القرآن بعدها غالباً نحو ﴿الٓـمٓ ذلك الكتاب﴾. ﴿الٓـرٓ تلك آيات الكتاب﴾، ﴿طـسٓ تلك آيات القرآن﴾، كأنها تقول: إنه من مثل هذه الحروف تألف القرآن فألفوا أنتم نظيره فإن عجزتم فسلموا أنه كلام الله ووحيه وآمنوا به تفلحوا.

ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)

شـرح الكلمات:

ذلـــك : هذا، وانما عُدل عن لفظ هذاإلى ذلك. لما تفيده الإشارة بلام البعد[3] من علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن.

الكتـاب[4] : القرآن الكريم الذى يقرأه رسول الله ﷺ على الناس.

لا ريـــب[5] : لاشك فى أنه وحى الله وكلامه أوحاه الى رسوله.

---

(١) روي عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، وعن عامر الشعبي وسفيان الثوري أنهم قالوا: الحروف المقطعة هي سرّ الله في القرآن ولله في كل كتاب من كتبه سر. فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه. فلا ينبغي أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها.

(٢) دليله قوله تعالى من سورة فصلت: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾.

(٣) اسم الإشارة هو (ذا) وهو للقريب ويقال (ذاك) للمتوسط البعد و(ذلك) للبعيد.

(٤) يطلـق لفظ الكتاب على الفرض نحو ﴿كتب عليكم الصيام﴾ أي فرض. وعلـى العقد بين العبد وسيِّده نحو ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ وعلى القدر نحو ﴿كتاب الله﴾ أي قدره وقضاؤه. ويصح في إعراب الكتاب أن يكون بدلاً من اسم الإشارة ويصح أن يكون خبراً له.

(٥) وريب الدهر صروفه وخطوبه، وأصل الرّيب قلق النفس لحديث الصحيح: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة».

فيه هدىً[1] : دلالةٌ على الطريق الموصل الى السعادة والكمال فى الدارين.
للمتقيـن[2] المتقين أي عذاب الله بطاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

معنى الآية :

يخبر تعالى أن ما أنزله على عبده ورسوله من قرآن يمثل كتاباً فخمًا عظيمًا لا يحتمل الشك ولا يتطرق إليه احتمال كونه غير وحى الله وكتابه بحال، وذلك لإعجازه، وما يحمله من هدى ونور لأهل الايمان والتقوى يهتدون بهما الى سبل السلام والسعادة والكمال.

هدايـة الآيــة :

من هداية الآيـة :

١ـ تقوية الإيمان بالله تعالى وكتابه ورسوله، الحث على طلب الهداية من الكتاب الكريم.

٢ـ بيان فضيلة التقوى وأهلها.

الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون
والذين يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون.
أولئك على هدىً من ربهم، واولئك هم المفلحون.

شــرح الجمل :

يؤمنون بالغيب : يصدقون تصديقاً جازماً بكل ما هو غيب[3] لا يدرك بالحواس كالربّ تبارك وتعالى ذاتاً وصفاتٍ والملائكة والبعث، والجنة ونعيمها والنار وعذابها.

ويقيمون[4] الصلاة[5] : يُديمـون أداء الصلوات الخمس فى أوقـاتهـا مع مراعـاة شرائطها وأركانها وسننها ونوافلها الراتبة وغيرها.

---

(١) الهدى مصدر هدى يهدي وهو مذكر نحو هذا هدىً وهو من أسماء النهار. وهو على وزن السُّرى والبُكى واللّقى من لقي الشيء يلقاه لُقىٍ.

(٢) المتقي اسم فاعل من اتقى، الذي أصله وَقى إذا حفظ. واتقى بزيادة تاء الافتعال لاتخاذ وقاية تقيه وأبدلت واو وقى في اتقى تاء وزيدت فيها همزة الوصل وتاء الافتعال فصارت اتقى أي طلب الوقاية والحفظ مما يخاف ويكره.

(٣) الغيب مصدر غاب يغيب غيباً وغيبة إذا لم يظهر فلم يُرى للعيان ومعناه محصَّل في الصدور. والإيمان. بالغيب مفتاح كل التقوى وكل خير.

(٤) إقام الصلاة جعلها قائمة أي مؤداة لا تسقط ولا تُهمل. نحو ﴿أقيموا الدين﴾ أي أظهروه بالعمل به والدعوة إليه، والصلاة عمود الدين فمن أقامها أقام الدين ومن أقعدها فلم يقمها فقد ترك الدين وأهمله.

(٥) الصلاة اسم جامد وزنها فعلة ولذا يجمع على صوات بفتح الفاء والعين واللام بمعنى الدعاء يقال: صلى إذا دعا وهي

وبما رزقناهم ينفقون[1] : من بعض ما آتاهم الله من مال ينفقون وذلك باخراجهم لزكـاة أمـوالهم وبانفاقهم على أنفسهم وأزواجهم وأولادهم ووالديهم وتصدقهم على الفقراء والمساكين.

يؤمنون بما أنزل إليك : يصـدقـون بالـوحى الـذى أنزل إليك ايها الرسول وهو الكتاب والسنة

وما أنزل من قبلك : ويصـدقـون بما أنزل الله تعالى من كتب على الرسل من قبلك كالتوراة والانجيل والزبور.

وبالآخرة هم يوقنون[2] : وبالحياة فى الدار الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب هم عالمون متيقنون لا يشكون فى شيء من ذلك ولا يرتابون لكامل إيمانهم وعظم اتقائهم.

أولئك على هدى من ربهم : الإشارة الى أصحاب الصفات الخمس السابقة والإخبار عنهم بأنهم بما هداهم الله تعـالى إليه من الايمان وصـالـح الأعمال هم متمكنون[3] من الاستقامة على منهج الله المفضي بهم إلى الفلاح.

واولئك هم المفلحون : الإشارة الى أصحاب الهداية[4] الكاملة والاخبار عنهم بأنهم هم المفلحـون[5] الجديرون بالفوز الذى هو دخول الجنة بعد النجاة من النار.

في الشرع عبادة ذات ركوع وسجود وتكبير وتلاوة وتسبيح تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم.

(١) الرزق هو: كل ما أوجده الله تعالى في الدنيا للإنسان من صنوف الأموال وضروب المأكولات والمشروبات والملبوسات والمركوبات والمساكن، والمراد بالرزق في الآية: المال صامتاً كان أو ناطقاً.

(٢) اليقين: اسم فاعل من يقن الأمر وضح وثبت والمراد به: العلم الحاصل عن نظر وتفكر الموجب لعدم الشكّ واضطراب النفس.

(٣) دلّ على التمكّن من الاستقامة حرف «على» في قولهم على هدى من ربهم فإنها للاستعلاء إذ الراكب على الفرس متمكن منها يصرفها كيف يشاء لعلوه عليها.

(٤) وهم المتقون أصحاب الصفات الخمس التي هي الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وانفاق مما رزقهم الله، والإيمان بما أنزل على محمد ﷺ وبما أنزل على من قبله والإيمان بالآخرة.

(٥) الفلاح: مشتق من فلح الأرض إذا شقها إذ الفلح الشق والقطع كما قال الشاعر:
إنّ الحديد بالحديد يفلح. أي يشقّ ويقطع. ومنه الفلّاح وهو الرجل يشق الأرض بالمحراث وعليه فالمفلح من شق طريقه بين صفوف أهل الموقف ودخل الجنّة، ويطلق الفلاح على الفوز وهو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب قال الشاعر:

لو كان حي مدرك الفلاح ... أدركه ملاعب الرّماح • • • أي فاز به.

معنى الآيات :

ذكر تعالى فى هذه الآيات الثلاث صفات المتقين من الإيمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة، والايمان بما أنزل الله من كتب والايمان بالدار الآخرة وأخبر عنهم بأنهم لذلك هم على أتم هداية من ربهم، وانهم هم الفائزون فى الدنيا بالطهر والطمأنينة وفى الآخرة بدخول الجنة بعد النجاة من النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

دعوة المؤمنين وترغيبهم فى الاتصاف بصفات أهل الهداية والفلاح، ليسلكوا سلوكهم فيهتدوا ويفلحوا فى دنياهم وأخراهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

شـرح الكلمات :

كفـــروا : الكفـر: لُغة التغطية والجحود، وشرعاً التكذيب[1] بالله وبما جاءت به رسلُه عنه كلا أو بعضا.

ســـــــواء[2] : بمعنى مُسْتَوٍ انذارهم وعدمه، إذ لا فائدة منه لحكم الله بعدم هدايتهم.

أأنذرتهم : الإنذار: التخويف بعاقبة الكفر والظلم والفساد.

(١) وقد يطلق الكفر على جحود النعمة والإحسان، ومن ذلك قوله ﷺ (يكفُرن العشير والإحسان) لما قال: «رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء فقيل له بم يارسول الله؟ قال: يكفرن، قيل يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير -أي الزوج- ويكفر الإحسان.

(٢) سواء عليهم: هذا خَبر إنّ الذين كفروا. وسواء اسم مصدر إذ فعله استوى والمصدر الاستواء واسم المصدر سواء، ولذا فهو بمعنى مستو أي: استوى انذارهم وعدمه في أنهم لا يؤمنون، وهذا من العام الخاص، إذ ما كل الكافرين لا يؤمنون وإنّما من كتبت عليهم الشقوة أزلاً كأبي لهب وأبي جهل وعقبة والعاصي والنضر وغيرهم.

ختم الله[1] طبع إذ الختم والطبع واحد وهو وضع الخاتم أو الطابع على الظرف حتى لا يعلم ما فيه، ولا يتوصل إليه فيبدل أو يغير.

الغشاوة : الغطاء يغشّى به ما يراد منع وصول شيء إليه.

العذاب : الألم يزيل عذوبة الحياة ولذتها.

مناسبة الآيتين لما قبلهما ومعناهما :

لما ذكر أهل الإيمان والتقوى والهداية والفلاح ذكر بعدهم أهل الكفر[2] والضلال والخسران فقال: [إن الذين كفروا] إلخ فأخبر بعدم استعدادهم للإيمان حتى استوى إنذارهم[3] وعدمه وذلك لمضى سنة الله فيهم بالطبع على قلوبهم حتى لا تفقه، وعلى آذانهم[4] حتى لا تسمع، وَيَجعلِ الغشاوة على أعينهم حتى لا تبصر، وذلك نتيجة مكابرتهم وعنادهم وإصرارهم على الكفر. وبذلك استوجبوا العذاب العظيم فحكم به عليهم. وهذا حكم الله تعالى فى أهل العناد والمكابرة والإصرار فى كل زمان ومكان.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ بيان سنة الله تعالى فى أهل العناد والمكابرة والإصرار بأن يحرمهم الله تعالى الهداية وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا.

٢ـ التحذير من الإصرار على الكفر والظلم والفساد الموجب للعذاب العظيم.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

---

(١) الختم حقيقته السّدّ على الإناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه والخاتم هو ما سُدّ وأُغلق به.

(٢) قطعت جملة إن الذين كفروا ولم تعطف على السابق لكمال الانقطاع بينهما وهو التضاد إذ الأولى في ذكر الهداية والمهتدين، وهذه في ذكر الكفر والكافرين.

(٣) قد يقال: ما دام قد علم الله تعالى أن بعضا لا يؤمنون فلِمَ ينذرون؟ إذ إنذارهم مع العلم بأنه لا ينفعهم، تكليف بالمحال. والجواب: أن دعوة النبي ﷺ لكل أحد وهو ﷺ لم يعلم مَنْ كتب الله تعالى عليه الشقاء ممن كتب له السعادة فلذا هو يدعو وينذر ومَنْ كان من أهل السعادة أجاب الدعوة ومَنْ لم يكن من أهلها رفضها ولم يجب.

(٤) تقديم السمع على البصر في عدّة آيات من القرآن يفيد أن حاسة السمع أنفع من حاسة البصر وهو كذلك والعقل أعظم من ذلك.

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

شـرح الكلمات :

ومن الناس[١] : من بعض الناس[٢]

من يقول آمنا بالله[٣] : صدقنا بالله ربًا و إلـهاً لا إله غيره ولا رب سواه .

وباليوم الآخـر : صدقنا بالبعث والجزاء يوم القيامة .

يخـادعـون[٤] **الله** : بإظهارهم الإيمان واخفائهم الكفر.

وما يخدعون الا أنفسهم[٥] : إذ عاقبة خداعهم تعود عليهم لا على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين .

وما يشـعرون : لايعلمون أن عاقبة خداعهم عائدة عليهم .

فى قلوبهم مرض : فى قلوبهم شك ونفاق والم الخوف من افتضاح أمرهم والضرب على أيديهم .

فزادهم الله مرضا : شكاً ونفاقاً والماً وخوفاً حسب سنة الله فى أن السيئة لا تعقب إلّا سيئة .

عـذاب أليم موجع شديد الوقع على النفس .

مناسبة الآية لما قبلها وبيان معناها :

لما ذكر تعالى المؤمنين الكاملين في ايمانهم وذكر مقابلهم وهم الكافرون البالغون فى الكفر

(١) ومن الناس خبر والمبتدأمن يقول والسر فى تقديم الخبر هنا هو إخفاء المخبر عنه؛ لأنه ذو صفات ذميمة، وأفعال شنيعة نحو قول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا بما هو مؤذن بالتعجب من حالهم أيضاً.

(٢) لفظ الناس مشتق من ناس ينوس إذا تحرك كذا قيل وهل هو من النسيان أو الأنس الكل محتمل لأن آدم نسي ولأنه حصل له الأنس بحوّاء.

(٣) أي اعتقدنا على علم أنّ الله لا إله إلا هو ولا رب سواه، إذ الإيمان التصديق الجازم بوجود الله تعالى ربا وإلها موصوفا بالكمال منزها عن كل نقصان، والتصديق بكل ما أمر الله تعالى بالإيمان به من الملائكة والكتب، والرسل والبعث والقدر.

(٤) وإن قيل: ما وجه مخادعتهم لله تعالى والمؤمنين بإظهارهم الإيمان والإسلام تمويها في نظرهم على الله، إذ لم يعرفوا جلاله وكماله وعلى المؤمنين ظنا منهم أنهم لا يعلمون ما يخفون في نفوسهم من الكفر والعداء. وأما مخادعة الله لهم فهي علمه تعالى بما يبطنون من الكفر والشرّ وعدم فضيحتهم بذلك فلم يكشف أسرارهم ولم يذكرهم في وحيه بأسمائهم. ومخادعة المؤمنين لهم هي علمهم بنفاقهم وعدم مؤاخذتهم به ونسبتهم إليه. هذا ولو قلنا أنّ صيغة المفاعلة هنا ليست على بابها فهي بمعنى خدع يخدع وذلك نحو عاقبت اللص وعالجت المريض فلم نحتج إلى ما ذكرنا والله أعلم.

(٥) قرأ نافع والجمهور وما يخادعون بألف بعد الخاء وقرأ حفص يخدعون بسكون الخاء.

منتهاه ذكر المنافقين وهم المؤمنون فى الظاهر الكافرون فى الباطن، وهم شر من الكافرين البالغين فى الكفر أشده.

أخبر تعالى أن فريقاً من الناس وهم المنافقون[1] يدعون الايمان بألسنتهم ويضمرون الكفر فى قلوبهم. يخادعون[2] الله والمؤمنين بهذا النفاق. ولما كانت عاقبة خداعهم عائدة عليهم. كانوا بذلك خادعين أنفسهم لا غيرهم ولكنهم لا يعلمون ذلك ولا يدرون به.

كما أخبر تعالى أن فى قلوبهم مرضا وهو الشك والنفاق والخوف، وأنه زادهم مرضا عقوبة لهم فى الدنيا وتوعدهم بالعذاب الأليم فى الآخرة بسبب كذبهم وكفرهم.

هدايـة الآيات :

من هداية الآيات:

التحـذير من الكذب والنفاق والخداع، وأن عاقبة الخداع تعود على صاحبها كما أن السيئة لا يتولد عنها إلا سيئة مثلها.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

شـرح الكلمـات :

الفساد فى الارض : الكفر وارتكاب المعاصى فيها

الإصلاح فى الأرض : يكون بالإيمان الصحيح والعمل الصالح، وترك الشرك والمعاصى.

لا يشعرون : لا يدرون ولا يعلمـون.

السـفهاء : جمع سفيه : خفيف العقل لا يحسن التصرف والتدبير.

---

(١) المنافق كل من يظهر الإيمان ويبطن الكفر والمذكورون كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة بعضهم من الأوس والخزرج وبعضهم من اليهود ورأس منافقي المشركين عبدالله بن أبيّ بن سلول ولم يُقْبَضْ رسول الله ﷺ حتى أسلم مَنْ أسلم وهلك مَن هلك إلاّ ما كان من عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أوقد نار الفتنة بالتعاون مع المجوس.

(٢) الخدع أصله الإخفاء والفساد ومنه مخدع البيت الذي تخفى فيه الأشياء والخادع والمخادع بمعنى واحد وهو أن يظهر بقوله أو فعله أنه يريد النفع وهو يريد الضر، وهو حرام إلا في الحرب فإنه جائز.

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم إذا[1] قال لهم أحد المؤمنين لا تفسدوا[2] فى الأرض بالنفاق وموالاة اليهود والكافرين ردوا عليه قائلين: إنما نحن[3] مصلحون فى زعمهم فأبطل الله تعالى هذا الزعم وقرر أنهم هم وحدهم المفسدون لا من عرضوا بهم من المؤمنين، إلا أنهم لا يعلمون ذلك لاستيلاء الكفر على قلوبهم. كما أخبر تعالى عنهم بأنهم إذا قال لهم أحد المؤمنين أصدقوا فى ايمانكم وآمنوا إيمان فلان وفلان مثل عبدالله بن سلام ردوا قائلين: أنؤمن[4] إيمان السفهاء الذين لا رشد لهم ولا بصيرة[5] فرد الله تعالى عليهم دعواهم وأثبت السفه لهم ونفاه عن المؤمنين الصادقين ووصفهم بالجهل وعدم العلم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ ذم الادعاء الكاذب وهو لا يكون غالباً إلا من صفات المنافقين.

٢ـ الإصلاح فى الأرض يكون بالعمل بطاعة الله ورسوله، والافساد فيها يكون بمعصية الله ورسوله ﷺ

٣ـ العاملون بالفساد فى الأرض يبررون دائما إفسادهم بأنه إصلاح وليس بإفساد.

وَإِذَا لَقُواْ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

---

(١) أصل الإفساد: جعل منفعة الشيء مضرّة كإفساد الطعام ونحوه بما يلقى فيه.

(٢) إذا: هنا ليست شرطية بل لمطلق الظرفية.

(٣) قولهم: إنما نحن مصلحون لاذمّ فيه وإنما جاءه الذمّ من كونهم مفسدين وادعوا أنهم مصلحون.

(٤) الاستفهام هنا انكاري أي: إذا دعوا إلى الإيمان أنكروا دعوة من دعاهم طاعنين في إيمان المؤمنين إذ نسبوهم الى السّفه، وهو خفّة العقل، وقلّة إدراك الأمور مبادىء وعواقب.

(٥) أي: بقوله: ألا إنهم هم السفهاء، فبرأ المؤمنين من هذا العيب ووصم به المنافقين وهم أهله حقاً فإنه لا سفه أكبر من الكفر بالحق والإيمان بالباطل.

شـرح الكلمات

لَـقُوا [١] : اللقاء : والملاقاة : المواجهة وجهاً لوجه .

آمنـوا : الايمان الشرعى : التصديق بالله وبكل ما جاء به رسول الله عن الله ، وأهله هم المؤمنون بحق

خلـوا : الخلُو بالشيئ[٢]ء: الانفـراد به .

شياطينـهـمْ[٣] : الشيطان كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من انسان أو جان والمراد بهم هنا رؤساؤهم فى الشر والفساد .

مستهزئون[٤] : الاستهزاء : الاستخفاف والاستسخار بالمرء

الطغيـان : مجاوزة الحد فى الأمر والاسراف فيه .

الْعَمَـه[٥] : للقلب كالعمى للبصر : عدم الرؤية وما ينتج عنه من الحيرة والضلال

اشـتروا[٦] : استبدلوا بالهدى الضلالة اى تركوا الإيمان وأخذوا الكفر .

تجارتهـم : التجارة : دفع رأس مال لشراء ما يربح إذا باعه ، والمنافقون هنا دفعوا رأس مالهم وهو الإيمان لشراء الكفر آملين أن يربحوا عزاً وغنى فى الدنيا فخسروا ولم يربحوا إذ ذُلوا وعذبوا وافتقروا بكفرهم .

المهتـدى : السـالـك سبيلاً قاصدة تصل به إلى ما يريده فى أقرب وقت وبلا عناء والضال خلاف المهتدى وهو السالك سبيلا غير قاصدة فلا تصل به الى مراده حتى يهلك قبل الوصول .

---

(١) أصل لقوا: لقيوا نقلت الضمة إلى القاف ، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين إذ فعله لقي كرضي .
(٢) عُدي فعل خلَوا بـ إلى ولم يعدّ بالباء ، إذ يقال خلا بكذا لأن خلوا هنا بمعنى ذهبوا وانصرفوا .
(٣) فسّر بعضهم الشياطين بالكهان وبشياطين الجنّ ، والصحيح أنهم رؤساؤهم في الكفر والشرّ والفساد من منافقي اليهود وغيرهم .
(٤) أي : مكذبون بما ندعى إليه ساخرون من أهله .
(٥) العمه : انطماس البصيرة والتحيّر في الرأي وفعله عَمِه فهو عامه وأعمه .
(٦) الاشتراء : افتعال من شري يشري بمعنى باع . إذ فعل شري يكون بمعنى باع وبمعنى اشترى فاشترى كابتاع كلاهما مطاوع فعله شرى أو باع ، إذ كلّ من البائع والمشتري أخذ شيئاً وأعطى آخر .

معـنى الآيـات :

مازالت الآيات تخبـرُ عن المنافقين وتصف أحوالهم إذ أخبر تعالى عنهم في الآية الأولى (١٤) أنهم لنفاقهم وخبثهم إذا لقوا الذين آمنوا فى مكان ما أخبروهم بأنهم مؤمنون بالله والرسول وما جاء به من الدين، وإذا انفردوا برؤسائهم فى الفتنة والضلالة فلاموهم عما ادّعـوه من الإيمان قالوا لهم إنا معكم على دينكم وَمَا آمنا أبداً. وإنما أظهرنا الإيمان استهزاءً وسخرية بمحمد وأصحابه.

كما أخـبر فى الآية الثـانية (١٥) أنه تعالى يستهزىء بهم معاملة لهم بالمثل جزاء وفاقاً ويزيدهم[1] حسب سنته فى أن السيئة تلد سيئة فى طغيانهم لتزداد حيرتهم واضطراب نفوسهم وضلال عقولهم. كما أخبر فى الآية (١٦) أن أولئك البعداء فى الضلال قد استبدلوا الايمان بالكفر والإخلاص بالنفاق فلذلك لا تربح تجارتهم[2] ولا يهتدون الى سبيل ربح أو نُجْح محال.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ التنـديد بالمنـافقين والتحذير من سلوكهم في مُلاَقَاتِهِمْ هذا بوجه وهذا بوجه آخر وفى الحديث: شراركم ذو الوجهين[3]

٢ـ إن من الناس[4] شياطين يدعون الى الكفر والمعاصى[5]، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

٣ـ بيان نقم الله، وانزالها بأعدائه عز وجل.

---

(١) تفسير لقوله تعالى ويمدهم إذ المدّ الزيادة يقال مدّه بكذا إذا زاده وقيل يستعمل أمدّ في الخير نحو: نمددكم بأموال وبنين، ويستعمل مدّ في الشر كما في الآية: ويمدّهم في طغيانهم يعمهون.

(٢) اسناد الربح إلى التجارة لكونها سبباً للربح، وإلاّ فالربح للتاجر لا للتجارة، وهذا الاستعمال معروف في اللغة نحو قول الشاعر:

نهارك هائم وليلك نائم   كذلك في الدنيا تعيش البهائم

إذ أسند الهيام إلى النهار والنوم إلى الليل.

(٣) رواه البخاري، ومسلم والشاهد منه في قوله ﷺ: «وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

(٤) شيطان الإنس كشيطان الجن، إذ كل من بَعُدَ في الشرّ وتوغل فيه وأصبح لا يروم الخير ولا يحبه فهو شيطان يستعاذ بالله منه.

(٥) المعاصي: جمع معصية وهو ترك ما أوجب الله ورسوله القيام به أو فعل ما حرّم الله ورسوله فعله، سواء في ذلك الاعتقاد، والقول، والعمل إذ الواجبات والمنهيات تكون في الاعتقاد والقول والعمل.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

شـرح الكلمـات :

مثلهم[١] : صفتهم[٢] وحالهم.

استوقد : أوقـد نـاراً

صمٌ، بكم عـميٌ : لا يسمعون ولا ينطقـون ولا يبـصرون.

الصيِّب : المطـر.

الظلمات : ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر.

الرعـد : الصوت القاصف يُسمع[٣] حال تراكم السحاب ونزول المطر.

البـرق : ما يلمع من نور حال تراكم السحاب ونزول المطر.

الصواعـق : جمع صاعقة: نار هائلة تنزل اثناء قصف الرعد ولمعان البرق يصيب الله تعالى بها من يشاء.

---

(١) قوله تعالى : مثلهم الآيات تضمّن مثلين : ناريا وهو المثل الأول ومائياً وهو المثل الثاني والمثلان واقعان من السياق الأول موقع البيان والتقرير، والفذلكة ولذا لم تعطف جملة مَثَلُهم لكمال الاتصال بينها وبين الجمل السابقة

(٢) القول السائر: مثل : أحشفا وسوء كيله؟ والصيف ضيّعتِ اللبن

ويعرّف المثل بأنه قول شبه مضربه بمورده، ومضربه هو الحال المشبه ومورده هو الحال المشبّه بها.

(٣) ظاهرة الرعد والبرق يفسرها علماء الطبيعة بأنه نتيجة اتحاد كهرباء السحاب الموجبة بالسالبة.

حَذَرَ المـوت : توقيـا للموت

محيــط : المحيط المكتنف للشيء من جميع جهاته .

يكــاد : يقـــرب .

يخطــف : يأخــذه بســرعة .

أبصـارهـم : جمـع بصر وهو العين المبصـرة .

معنى الآيـات :

مثل[(١)] هؤلاء المنافقين فيما يظهرون من الايمان مع ما هم مبطنون من الكفر كمثل[(٢)] من أوقد ناراً للاستضاءة بها فلما اضاءت لهم ما حولهم وانتفعوا بها أدنى انتفاع ذهب الله بنورهم[(٣)] وتـركهم فى ظلمات لا يبصرون. لأنهم بإيمانهم الظاهر صانوا دماءهم وأموالهم ونساءهم وذراريهم من القتل والسبي وبما يضمرون من الكفر اذا ماتوا عليه يدخلون النار فيخسرون كل شىء حتى أنفسهم هذا المثل تضمنته الآية الأولى (١٧) وأما الآية الثانية (١٨) فهى إخبار عن أولئك[(٤)] المنافقين بأنهم قد فقدوا كل استعداد للاهتداء فلا آذانهم تسمع صوت الحق ولا ألسنتهم تنـطق به ولا أعينهم تبصر آثاره وذلك لتوغلهم فى الفساد فلذا هم لا يرجعون عن الكفر إلى الايمان بحال من الأحوال. واما الآية الثالثة والرابعة (١٩) (٢٠) فهما تتضمنان مثلا آخر لهؤلاء المنافقين. وصورة المثل العجيبة والمنطبقة على حالهم هى مَطر[(٥)]

---

(١) المثَل: متحرك الوسط الأصل فيه أنه النّظير والمشابه وفيه لغات وهي:

المِثل بكسر الميم والمثِيل بفتح الميم وكسر المثلثة وإشباعها. ونظير المثل الشبه والبديل ففي كل واحد ثلاث لغات ولا نظير لها في اللغة، يقال: شَبَه وشِبْه وشَبيه وبَدَل وبِدْل وبَدِيل.

(٢) قوله: الذي استوقد ناراً. مفرد وقوله: ذهب الله بنورهم جمع فهل الذي هنا بمعنى الذين على حدّ قول القائل:

وإن الذي حانت دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

من الجائز أن يكون الذي بمعنى الذين لوروده في فصيح اللغة، وهو من باب الالتفات لا غير.

(٣) عدل عن لفظ· ذهب الله بنارهم. إلى قوله نورهم إشارة إلى أنّ الإسلام نور يهدي لا نار تحرق.

(٤) يرى ابن كثير أن هؤلاء المنافقين كانوا قد آمنوا ثم بعد إيمانهم كفروا في الباطن مظهرين الإيمان في الظاهر، ويرى ابن جرير خلاف ذلك وهو: أنهم ما آمنوا ثم كفروا، وإنّما آمنوا في الظاهر لا غير، واحتج عليه ابن كثير بقول الله تعالىٰ في سورة المنافقين: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا..﴾ الآيات.

(٥) هو الصيّب في قوله ﴿أو كصيّب﴾، وأصل صيّب صيوب قلبت فيه الواو ياء وأدغمت في الياء نظيره سيد وميّت لأن الفعل ساد يسود، ومات يموت فسيد أصلها سيود، وميّت أصلها ميوت وقلبت الواو ياء وأدغمت واو في قوله ﴿أو كصيّب﴾ هي بمعنى الواو.

غزير فى ظلمات مصحوب برعد قاصف وبرق خاطف وهم فى وسطه مذعورون خائفون يسدون آذانهم بأنامل أصابعهم حتى لا يسمعوا صوت الصواعق حذراً أن تنخلع قلوبهم فيموتوا، ولم يجدوا مفرا ولا مهرباً لأن الله تعالى محيط بهم هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن البرق لشدته وسرعته يكاد يخطف أبصارهم فيعمون، فإذا أضاء لهم البرق الطريق مشوا فى ضوئه واذا انقطع ضوء البرق وقفوا حيارى خائفين، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم لأنه تعالى على كل شىء قدير هذه حال اولئك المنافقين والقرآن ينزل بذكر الكفر وهو ظلمات وبذكر الوعيد وهو كالصواعق والرعد وبالحجج والبينات وهى كالبرق فى قوة الاضاءة، وهم خائفون أن ينزل القرآن بكشفهم وازاحة الستار عنهم فيؤخذوا ، فإذا نزل بآية لا تشير إليهم ولا تتعرض بهم مشوا فى إيمانهم الظاهر. وإذا نزل بآيات فيها التنديد بباطلهم وما هم عليه وقفوا حائرين لا يتقدمون ولا يتأخرون ولو شاء الله أخذ أسماعهم وأبصارهم لفعل لأنهم لذلك أهل وهو على كل شىء قدير.[1]

هداية الآيـات :

من هداية هذه الآيات ما يلى :

١ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعانى إلى الأذهان.

٢ـ خيبة سعى أهل الباطل وسوء عاقبة أمرهم.

٣ـ القرآن تحيا به القلوب كما تحيا الأرض بماء المطر.

٤ـ شر الكفار المنافقون.

يَـٰٓأَيُّهَا[2] ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟[3] رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ

---

(١) القدير والقادر والمقتدر بمعنى واحد إلاّ أن القدير أبلغ لأنه من أمثلة المبالغة وقدرة الله تتعلق بالممكنات القابلة للوجود والعدم، فلا يقولنّ قائل: هل يقدر الله على خلق ذاتٍ كذاته سبحانه وتعالى؟

(٢) يا: حرف نداء للبعيد وينادى بها القريب تعظيماً له نحو يا الله يا رب وهو تعالى أقرب من حبل الوريد. أي: صلة للتوصل بها لنداء ما فيه أل نحو أيّها النّاس. ها: حرف تنبيه أقحمت بين (أي) والمنادى.

(٣) أصل العبادة: الخضوع والتذلل، مشتق من قولهم طريق مُعبّد إذا كان موطوءًا بالأقدام وهي في الشرع: طاعة الله ورسوله بالإيمان وفعل الأمر واجتناب النهي مع غاية الحب والتعظيم لهما والتذلل لله وحده.

وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ[1] ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ[2] لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا[3] وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

الناس : لفظ جمع لا مفرد له من لفظه، واحده إنسان.

اعبدوا : أطيعوا بالإيمان والامتثال للأمر والنهى مع غاية الحب لله والتعظيم.

ربكم : خالقكم ومالك أمركم وإلهكم الحق.

خلقكم : أوجدكم من العدم بتقدير عظيم.

تتقون : تتخذون وقاية تحفظكم من عذاب الله، وذلك بالإيمان والعمل الصالح بعد ترك الشرك والمعاصى.

فراشا : وطاء للجلوس عليها والنوم فوقها.

بناءً : مَبْنِيّة كقبة فوقكم.

الثمرات : جمع ثمرة[4] وهو ما تخرجه الأرض من حبوب وخضر وتخرجه الأشجار من فواكه

رزقا لكم : قوتا لكم تقتاتون به فتحفظ حياتكم إلى أجلها.

---

(١) لعل: هنا على بابها وهو الترجي والتوقع ولكن بالنظر إلى الناس لا إلى الله تعالى فالناس هم الذين يرجون حصول النجاة لهم، ويتوقعونه بعبادتهم لربهم تعالى وقد تكون لعلّ بمعنى كي التعليلية أي: اعبدوا ربكم كي تدفعوا عذابه ويشهد له قول الشاعر:

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا   نكفّ ووثقتم لنا كل موثق

إذ المعنى كفوا لنكفّ.

(٢) جعل هنا بمعنى صَيَّر لأنه ناصب لمفعولين هما الأرض فراشاً، ويكون فعل جعل بمعنى خلق نحو: ما جعل الله من بحيرة.

(٣) وتجمع الثمرة على ثمر كشجر، وثمار وثُمر كخُشُب.

(٤) أنداداً جمع ندّ بكسر النّون بمعنى الكفء والمثيل، والمراد به هنا الشريك لله في عبادته، لقول الرسول ﷺ: في الصحيح وقد سأله ابن مسعود عن أعظم الذنب: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، وقوله ﷺ: للذي قال: ما شاء الله وشئت. «أجعلتني لله ندا، قل ما شاء الله وحده». رواه النسائي وغيره. والنّدّ بفتح النون عود يتطيب به وندّ البعير إذا هرب وفر، وندد بفلان تشهره وتسمع به.

أنـــداداً : جمع ندّ: النظير والمثيل تعبدونه دون الله أو مع الله تضادون به الرب تبارك وتعالى.

المناسبة ومعنى الآيتين :

وَجْه المناسبة أنه تعالى لما ذكر المؤمنين المفلحين، والكافرين الخاسرين ذكر المنافقين وهم بين المؤمنين الصادقين والكافرين الخاسرين ثم على طريقة الالتفات نادى الجميع بعنوان الناس ليكون نداء عاما للبشرية جمعاء فى كل مكان وزمان وأمرهم بعبادته ليقوا أنفسهم من الخسران. معرفاً لهم نفسه ليعرفوه بصفات الجلال والكمال فيكون ذلك أدعىٰ لاستجابتهم له فيعبدونه عبادة تنجيهم من عذابه وتكسبهم رضاه وجنته، وختم نداءه لهم بتنبيههم عن اتخاذ شركاء له يعبدونهم معه مع علمهم[1] أنهم لا يستحقون العبادة لعجزهم عن نفعهم أو ضرهم.

هدايـة الآيتين :

من هدايـة الآيتين :

١ـ وجوب عبادة الله تعالى، اذ هى[2] علة الحياة كلها.

٢ـ وجوب معرفة[3] الله تعالى بأسمائه وصفاته.

٣ـ تحريم الشرك صغيره وكبيره ظاهره وخفيه.

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا[4] شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ

---

(١) أثبت لهم العلم الخاص بهم وهو علمهم بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت. إذا كانوا يعلمون ذلك ويعترفون به كما أنه لما عرّفهم بنفسه في السياق إذ قال: ﴿الذي خلقكم والذين من قبلكم... الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾ الخ فلما عرفوا نهاهم عن اتخاذهم أندادا له يعبدونهم معه، والحال أنهم يعلمون أنه وحده المستحق للعبادة.

(٢) لما روي عنه ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي»، أي لعبادته تعالى، وفي القرآن الكريم: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

(٣) إذ معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته يتوقف عليها خشيته ومحبته لقوله تعالى: ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب عقلاً وشرعاً.

(٤) أي ادعوهم لأمرين: الأول ليعينوكم على الإتيان بالمطلوب. والثاني ليحضروا اتيانكم ويشاهدوه فيشهدون لكم بذلك.

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

الـريـب : الشك مع اضطراب النفس وقلقها

عبـدنا(1) : محمـد ﷺ.

من مثلـه : مثل القرآن ومثل محمد فى أمّيته.

شهداءكم : أنصاركم. وآلهتكم التى تدعون انها تشهد لكم عند الله وتشفع.

وقودها : ما تتقد به وتشتعل وهو الكفار والأصنام المعبودة مع الله عز وجل.

أعـدت : هيئت وأحضرت.

الكافرين : الجاحدين لحق الله تعالى فى العبادة له وحده المكذبين برسوله وشرعه.

مناسبة الآية ومعناها :

لما قرر تعالى فى الآية السابقة أصل الدين وهو التوحيد الذى هو عبادة الله تعالى وحده قرر في هذه الآية أصل الدين الثانى وهو نبوة رسوله محمد ﷺ وذلك من طريق برهانى وهو ان كنتم فى شك من القرآن الذى أنزلناه على عبدنا رسولنا محمد فاتوا بسورة من مثل سوره أو من رجل أمى مثل عبدنا فى أميته فإن لم تأتوا لعجزكم فقوا أنفسكم من النار بالايمان بالوحى الإلهى وعبادة الله تعالى بما شرع فيه.

هداية الآية :

من هداية الآية :

١- تقرير نبوة رسول الله ﷺ بإثبات نزول القرآن عليه.

٢- تأكد عجز البشر عن الاتيان بسورة مثل سور القرآن الكريم لمرور ألف سنة وأربعمائة

---

(١) اسم العبد مأخوذ من التعبد والتذلل: لأن المملوك يذلله مالكه بالخدمة ويعبده بكثرة استخدامه. ولمّا كانت عبادة الله أشرف الخصال كان التسمي بها أشرف الأسماء، فلذا سمى الله تعالى رسوله محمداً عبداً كما في هذه الآية وآية الإسراء وأنشدوا لهذا قول الشاعر:

يا قومي قلبي عند زهراء ... يعرفه السامع والرائي
لا تدعني إلا بياعبدها ... لأنه أشرف أسمائي

وست سنين والتحدى قائم ولم يأتوا بسورة مثل سور القرآن لقوله تعالى «ولن تفعلوا».

٣ـ النار تتقى بالايمان والعمل الصالح وفى الحديث الصحيح، «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[١].

وَبَشِّرِ[٢] ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

شـرح الكلمات :

بشـــر[٣] : التبشير: الإخبار السَّار وذلك يكون بالمحبوب للنفس.

تجرى من تحتها : تجرى الأنهار من خلال أشجارها وقصورها والأنهار هى أنهار الماء وأنهار اللبن وأنهارالخمر وأنهار العسل[٤].

وأتوا به متشابهاً : أعطوا الثمار وقدم لهم يشبه بعضه بعضاً فى اللون مختلف فى الطعم.

مطـهّـــرة : من دم الحيض[٥] والنفاس وسائر المعائب والنقائص

خالـــدون : باقون فيها لا يخرجون منها أبداً.

المناسبة والمعنى :

لما ذكر تعالى النار وأهلها ناسب أن يذكر الجنة وأهلها ليتم الترهيب والترغيب وهما أداة الهداية والإصلاح.

فى هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى رسوله أن يبشر المؤمنين المستقيمين بما رزقهم من جنات تجرى من تحتها الأنهار[٦] لهم فيها أزواج مطهرات نقيات من كل أذى وقذر وهم فيها

---

(١) رواه البخاري.
(٢) هذا من باب ذكر الترغيب بعد الترهيب وعطفه عليه، فقد أنذر الكافرين وواعد المؤمنين ليكون ذلك مثبطاً عن الأعمال الفاسدة منشطاً على الأعمال الصالحة.
(٣) ويطلق لفظ التبشير على الخبر المحزن غير السار تهكمّا بصاحبه نحو قوله تعالى: ﴿فبشِّرهم بعذاب أليم﴾.
(٤) المذكورة في آية سورة القتال.
(٥) وكذا البول والغائط.
(٦) أي من تحت أشجارها، وإن لم يجر للأشجار ذكر لأن الجنّات دالة عليها.

خالدون. كما أخبر عنهم بأنهم إذا قدم لهم أنواع الثمار المختلفة قالوا هذا الذى رزقنا مثله فى الدنيا. كما أخبر تعالى أنهم اوتوه متشابها فى اللون غير متشابه فى الطعم زيادة فى حسنه وكماله. وعظيم الالتذاذ به.

هداية الآية :

من هداية الآية :

١- فضل الايمان والعمل الصالح إذ بهما[(١)] كان النعيم المذكور فى الآية لأصحابهما.

٢- تشويق المؤمنين الى دار السلام[(٢)] وما فيها من نعيم مقيم ليزدادوا رغبة فيها وعملا لها. بفعل الخيرات وترك المنكرات.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ (٢٦) ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٢٧)

شرح الكلمات :

لا يستحيى[(٣)] : لا يمنعه الحياء[(٤)] من ضرب الأمثال وإن صغرت كالبعوضة أو أصغر منها كجناحها

---

(١) بعد فضل الله تعالى ورحمته.

(٢) سميت دار السلام: لسلامتها من وجود المنغصات فيها، إذ لا مرض ولا هرم ولا ألم ولا تعب بها أبداً.

(٣) لا يستحيي: بياءين، ويستحي بياء واحدة هما قراءتان سبعيتان، والأخيرة على لغة تميم، واسم الفاعل من الأولى مستحيي، ومن الثانية مستح.

(٤) الحياء: تغيّر وانكسار يعتري الإنسان عند الخوف مما يعاب به أو يذم، والله يوصف بالحياء على الوجه اللائق به فصفة الحياء عنده تعالى لا تشبه صفات المحدثين كسائر صفاته سبحانه وتعالى والاستحياء والحياء بمعنى واحد، وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي يقول الرسول ﷺ: «إن الله حيي كريم يستحي أن يرفع إليه العبد يديه فيردهما صفرا». فقد أثبت صفة الحياء لله عز وجل وهو قطعاً حياء واستحياء لا يشبه حياء واستحياء البشر بحال من الأحوال.

أن يضرب مثلاً : أن يجعل شيئا مثلا لآخر يكشف عن صفته وحاله فى القبح أو الحسن

ما بعوضة : ما نكرة بمعنى شىء أيّ شىء كان يجعله مثلاً ، أو زائدة . وبعوضة المفعول الثانى . والبعوضة واحدة البعوض وهو صغار البق .

الحق : الواجب الثبوت الذى يحيل العقل عدم وجوده

الفاسقون : الفسق الخروج عن الطاعة ، والفاسقون : هم التاركون لأمر الله تعالى بالايمان والعمل الصالح ، وبترك الشرك والمعاصى .

ينقضون : النقض الحلّ بعد الإبرام .

عهد الله : ما عهد به إلى الناس من الايمان والطاعة له ولرسوله

من بعد ميثاقه : من بعد إبرامه وتوثيقه بالحلف أو الإشهاد عليه .

يقطعون ما أمر الله به أن يوصل : من إدامة الإيمان والتوحيد والطاعة وصلة الأرحام .

يفسدون في الأرض : الإفساد فى الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصى .

الخاسرون : الكاملون فى الخسران بحيث يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة .

سبب النزول والمعانى

لما ضرب الله تعالى المثلين السابقين النارى والمائى[١] قال المنافقون : الله أعلى وأجل أن يضرب هذا المثل فانزل الله تعالى رداً عليهم قوله ﴿إن الله لا يستحى﴾ الآية .

فأخبر تعالى أنه لا يمنعه الاستحياء ان يجعل مثلا بعوضة[٢] فما دونها[٣] فضلا عما هو أكبر[٤] وان الناس حيال ما يضرب الله من أمثال قسمان مؤمنون فيعلمون أنه الحق من ربهم . وكافرون : فينكرونها ويقولون كالمعترضين : ماذا أراد الله بهذا مثلا !؟ .

كما أخبر تعالى أن ما يضرب من مثل يهدى به كثيراً من الناس ويضل به كثيرا ، وانه لا يضل به إلا الفاسقين الذين وصفهم بقوله : ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه

---

(١) أورده ابن جرير وارتضاه .

(٢) في قوله ما بعوضة إعرابات كثيرة لا طائل تحتها فنصب بعوضة على أنها بدل من ما النكرة التي هي في محل نصب بفعل يضرب بمعنى يجعل . ورفع بعوضة على أنها خبر ، والمبتدأ هو ما على أنها موصولة والتقدير : الذي هو بعوضة .

(٣) كالذرّة .

(٤) كالفراشة والجرادة .

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض﴾. وحكم عليهم بالخسران التام يوم القيامة فقال: ﴿أولئك هم الخاسرون﴾

هداية الآية

من هداية الآيتين ما يلي:

١ـ أن الحياء لا ينبغى أن يمنع من فعل المعروف وقوله والأمر به.

٢ـ يستحسن ضرب الأمثال لتقريب المعانى الى الأذهان.

٣ـ اذا أنزل الله خيراً من هدى وغيره يزداد به المؤمنون هدى وخيراً، ويزداد به الكافرون ضلالاً وشرا، وذلك لاستعداد الفريقين النفسى المختلف.[١]

٤ـ التحذير من الفسق[٢] وما يستتبعه من نقض العهد، وقطع الخير، ومنع المعروف.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات:

كيف[٣] تكفرون بالله: الاستفهام هنا للتعجب مع التقريع والتوبيخ، لعدم وجود مقتض للكفر.

وكنتم أمواتا فأحياكم: هذا برهان على بطلان كفرهم، إذ كيف يكفر العبد ربه وهو الذى خلقه بعد أن لم يك شيئا.

---

(١) إذا المؤمنون مستعدون للخير والكافرون مستعدون للشرّ.

(٢) الفسق: الخروج عن طاعة الله ورسوله، فإن كان الخروج على الطاعة في أصول الدين فصاحبه كافر، وإن كان في الفروع فلا يكفر صاحبه، ولا يقال: الفاسق إلاّ للذي أكثر من الفسق فأصبح الفسق وصفا لازماً له لا ينفك عنه لكثرته منه وتوغله فيه.

(٣) اسم استفهام مبني على الفتح يسأل به عن الحال ويضمّن معنى التعجب كما هنا، إذ كيف يصح من العاقل أن ينكر خالقه وهو يعرف أنه مخلوق إذ كان عدماً فأوجده.

ثم يميتكم ثم يحييكم : إن إماتة الحى واحياء الميت كلاهما دال على وجود الرب تعالى وقدرته .

ثم إليه ترجعـــون : يريد بعد الحياة الثانية وهو البعث الآخر.

خلق لكم[1] ما في الأرض جميعا : أى أوجد ما أوجده من خيرات الأرض كل ذلك لأجلكم كي تنتفعوا به فى حياتكم

ثم استوى[2] الى السمـاء : علا وارتفع قهراً لها فكونها سبع سماوات .

فســـواهــن : أتمّ خلقهن سبع سماوات تامات .

وهو[3] بكل شىء عليم : إخبار بإحاطة علمه تعالى بكل شىء، وتدليل على قدرته وعلمه ووجوب عبادته .

معنى الآيتين :

ما زال الخطاب مع الكافرين الذين سبق وصفهم بأخس الصفات وأسوأ الأحوال حيث قال لهم على طريقة الالتفات موبخاً مقرعاً: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ الآية .

وذكـر من أدلـة وُجوده وكرمه. ما يصبح الكفر به من أقبح الأمور وصاحبه من احط الخلائق وأسوأهم حالا ومآلا . فمن أدلة وجوده الاحياء بعد الموت والإماتة بعد الإحياء ومن أدلـة كرمه وقدرته أن خلق الناس فى الأرض جميعا لتوقف حياتهم عليه وخلق السموات السبع، وهو مع ذلك كله علمه محيط بكل شىء سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

هدايـة الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ـ إنكار الكفر بالله تعالى .

٢ـ إقامة البرهان على وجود الله وقدرته ورحمته

---

(١) لحديث: يا ابن ادم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي : أي : من أجل أن تذكرني وتشكرني فعلّة الحياة كلها ذكر الله تعالى وشكره.

(٢) ذهب ابن كثير إلى أن استوى هنا مضمّن معنى قصد لتعديته بإلى إذ يقال استوى على كذا إذا كان بمعنى العلو والارتفاع، واستوى إلى كذا إذا قصده، ويكون المعنى ثمّ قصد إلى السماء أي السموات فخلقهن سبع سموات، ولفظ السماء اسم جنس تحته أفراد لذا قال فسوّاهن بالجمع.

(٣) قرىء في السبع بفتح الهاء من فهو، وقرىء بإسكانها وهذا عام في كل لفظ إذا تقدمه واو أو فاء عطف. أدخلت عليه اللام نحو: فهو كذا وهذا التسكين للتخفيف.

٣- حلّية كل[1] ما فى الأرض من مطاعم ومشارب وملابس ومراكب الا ما حرمه الدليل الخاص من الكتاب أو السنة لقوله: ﴿خلق[2] لكم ما في الأرض جميعا﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟[3] أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٣٠

شرح الكلمات:

الملائكة : جمع مَلأك ويخفف فيقال مَلَك وهم خلق من عالم الغيب أخبر النبى ﷺ ان الله تعالى خلقهم من نور.[4]

الخليفة[5] : من يخلف غيره، والمراد به هنا آدم عليه السلام.

يفسد فيها : الافساد فى الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصى.

يسفك[6] : يسيل الدماء بالقَتْلِ وَالجَرْح.

نسبح بحمدك : نقول سبحان الله وبحمده. والتسبيح: التنزيه عما لا يليق بالله تعالى.

ونقدس لك : فننزهك عما لا يليق بك. والتقديس: التطهير والبعد عما لا ينبغى. واللام فى لك زائدة لتقوية المعنى إذ فعل قدس يتعدى بنفسه يقال قدّسه.

---

(١) ذهب بعضهم إلى أن الأصل في الأشياء الحظر حتى يأتي دليل الإباحة لأن المملوكات لا تحل إلّا بإذن مالكها فهذا مذهب ثان حسن ذكره.

(٢) أي خلق لكم ما في الأرض جميعاً من أجل أن تتقووا به على طاعته لا على معصيته.

(٣) المفروض أن يقترن (قالوا) بالفاء ولكن نظراً إلى أسلوب الحوار لم يقترن بها كما في قوله: ﴿قالوا سبحانك﴾.

(٤) خلق الملائكة من النور صح عن النبي ﷺ في صحيح مسلم.

(٥) استدل بهذه الآية على وجوب نصب خليفة للمسلمين يحكمهم بشريعة ربهم عزّ وجلّ.

(٦) السفك: الصبّ يقال سفك الدم إذا صبّه كما يقال سفحه، والسفاك والسفاح بمعنى إلّا أن السفاح قد يراد به كثير الكلام، وسفك الدمع كذلك، والدم المسفوح، المصبوب.

معنى الآيـة

يأمر تعالى رسوله أن يذكر قوله للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة يخلفه فى إجراء أحكامه فى الأرض، وان الملائكة تساءلت[1] متخوفة من أن يكون هذا الخليفة ممن يسفك الدماء ويفسد فى الأرض بالكفر والمعاصى قياساً على خلق من الجن حصل منهم ما تخوفوه. فأعلمهم ربهم أنه يعلم من الحِكم والمصالح مالا يعلمون.

والمراد من هذا التذكير: المزيد من ذكر الأدلة الدالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة للايمان به تعالى ولعبادته دون غيره.

هدايـة الآية

من هداية الآيـة :

١ـ سؤال من لا يعلم غيره ممن يعلم.

٢ـ عدم انتهار السائل وإجابته أو صرفه بلطف.

٣ـ معرفة بدء الخلق.

٤ـ شرف آدم وفضله.

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

---

(١) إذ هو سُؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك وليس هو من باب الاعتراض على الله ابداً.

شرح الكلمات :

آدم [1] : نبيّ الله أبو البشر عليه السلام .

الأسماء : أسماء الأجناس كلها كالماء والنبات والحيوان والانسان .

عرضهم : عرض المسميات أمامهم ، ولما كان بينهم العقلاء غلب جانبهم ، وإلا لقال عرضها

أنبئونى : أخبرونى .

هؤلاء : المعروضين عليهم من سائر المخلوقات .

سبحانك [2] : تنزيها لك وتقديساً .

غيب السموات : ما غاب عن الأنظار فى السموات والأرض .

تبدون : تظهرون من قولهم ﴿أتجعل فيها من يُفسد فيها﴾ الآية .

تكتمون : تبطنون وتخفون يريد ما أضمره إبليس من مخالفة أمر الله تعالى وعدم طاعته .

الحكيم [3] : الحكيم الذى يضع كل شىء فى موضعه ، ولا يفعل ولا يترك الا لحكمة .

معنى الآيات :

يخبر تعالى فى معرض مظاهر قدرته وعلمه وحكمته الموجبة لعبادته دون سواه أنه علم آدم اسماء الموجودات [4] كلها ، ثم عرض الموجودات على الملائكة وقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن

---

(١) هل آدم مشتق من الأدمة التي هي حمرة تضرب إلى بياض ، أو هو اسم جامد أعجمي كآزر ، وعابر ذهب إلى كل وجه قوم .

(٢) سبحان : اسم مصدر فعله سبّح مضعفاً . واختص بتنزيه الله تعالى فكان بذلك اسم تسبيح كالعلم عليه .

(٣) الحكيم : ذو الحكمة ، وهو الذي لا يصدر عنه قول ولا فعل خال من حكمة اقتضته . والحكيم مشتق من أحكم الشيء إذا أتقنه وخلّصه من الخلل والفساد ، ومنه حكمة الدّابة وهي حديدة تجعل في فمها تمنعها من اختلاف سيرها ويقال : أحكم فلانا أي أمنعه من فعل كذا ومنه قول الشاعر :

أبني حنيفة احكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

(٤) ليس فى المسألة ما يدعو الى الاستغراب أو الإنكار إذ كتاب المقادير فيه أسماء الموجودات كلها ، وكذا سائر صفاتها وأحوالها ، والعرض التلفازى اليوم يسهل على المرء إدراك كيفية عرض الله تعالى الموجودات امام الملائكة . وذكر آدم لاسمائها كما علمها بتعليم الله تعالى له .

كنتم صادقـين فى دعوى أنكم أكرم المخلوقات وأعلمهم فعجزوا وأَعْلَنُوا اعْتِرَافَهُم بذلك وقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ثم قال تعالى لآدم أنبئهم بأسماء تلك المخلوقات المعروضة فأنبأهم بأسمائهم واحداً واحداً حتى القصعة والقُصَيْعة . . وهنا ظهر شرف آدم عليهم، وَعَتَبَ عليهم ربهم بقوله: ﴿ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾.

هداية الآيـات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان قدرة الله تعالى حيث علم آدم أسماء المخلوقات كلها فعلمها.

٢ـ شرف العلم وفضل العالم[(١)] على الجاهل.

٣ـ فضيلة الاعتراف[(٢)] بالعجز والقصور.

٤ـ جواز العتاب على من ادعى دعوى هو غير متأهل لها.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ[(٣)] ﴿٣٤﴾

شـرح الكلمات :

اســـجدوا: السجود[(٤)] هو وضع الجبهة والأنف على الأرض، وقد يكون بانحناء الرأس دون وضعه على الأرض لكن مع تذلل وخضوع.

إبليـــس : قيل كان اسمه الحارث ولما تكبر عن طاعة الله أبلسه الله أى أيأسه من كل خير ومسخه شيطاناً

أبـــــى : امتنع ورفض السجود لآدم.

---

(١) يشهد لهذا حديث أبي داود إذ فيه: وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم.

(٢) دل على هذا قولهم: لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا ولذا قال العلماء: الواجب على من سئل على ما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما أبردها على الكبد!! فقيل له: وما ذاك؟ فقال: أن يسأل الرجل عمّا لا يعلم فيقول: الله أعلم.

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره: أن السجود الذي أُمرت به الملائكة هو أن يسجدوا لله تعالى مستقبلين وجه آدم وعليه فهو كصلاتنا خلف المقام، الصلاة لله والاستقبال للمقام.

(٤) أجمع أهل الإسلام قاطبة أن السجود لا يكون إلاّ لله تعالى. وفي الحديث: لا ينبغي أن يسجد لأحد إلاّ لله ربّ العالمين.

استـــكبر : تعاظم فى نفسه فمنعه الاستكبار[1] والحسد من الطاعة بالسجود لآدم .

الكافريـــن : جمع كافر. من كذب بالله تعالى أو كذب بشىء من آياته أوبواحد من رسله أو أنكر طاعته .

معنى الآية :

يذكّر تعالى عبادَه بعلمه وحكمته وإفضاله عليهم بقوله : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . .﴾ سجود تحية وإكرام فسجدوا إلا إبليس تعاظم فى نفسه وامتنع عن السجود الذى هو طاعـة الله ، وتحية آدم . تكبراً وحسداً لآدم فى شرفه فكان بامتناعه عن طاعة الله من الكافرين الفاسقين عن أمر الله،الأمر الذى استوجب ابلاسه[2] وطرده .

هـداية الآيـة :

من هداية الآية :

١ـ التذكير بإفضال الله الأمر الذى يوجب الشكر ويرغب فيه .

٢ـ التحذير من الكبر والحسد حيث كانا سبب ابلاس الشيطان،وامتناع اليهود من قبول الاسلام .

٣ـ تقرير عداوة ابليس ، والتنبيه الى انه عدوّ يجب عداوته أبداً .

٤ـ التنبيه الى أن من المعاصى ما يكون[3] كفراً أو يقود الى الكفر .

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ[4] أَنتَ وَزَوْجُكَ[5] ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾

---

(٥) الاستكبار: طلب الكِبْر في النفس وتصوره فيها وفي صحيح مسلم : (إنّ الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) .

(١) الإبلاس: الإيئاس من كل خير، وإبلاس إبليس كان عقوبة له على كفره وكبره وحسده، وكان قبل إبلاسه يقال له: عزازيل وبالعربية الحارث .

(٢) كترك الصلاة وقتل المؤمن لقول الرسول ﷺ : «من ترك الصلاة فقد كفر» وقوله «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وقوله «لا ترتدوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» . والكفر كفران : كفر مخرج من الملة وكفر نعمة لا يخرج منها ولكن صاحبه إن لم يتب منه وتقبل توبته يدخل النار به .

(٣) قال: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ بعد طرد إبليس منها والمراد من السكن الإسكان وهو الإقامة الطويلة لا السكون النفسي ، وهدوء البال وإن كان لازما للإقامة الطيبة ولفظ السكن مشعر بعدم الإقامة الدائمة ، لأن من سكن دارا لابد وأن يرحل منها يوماً من الأيام .

(٤) لفظ الزوج يطلق على كل من الرجل وامرأته ، لأن كل واحد منهما صيّر الثاني زوجاً له ، ويقال للمرأة زوجة بالتاء كما في قول الرسول ﷺ : «يافلان هذه زوجتي فلانة» وذلك أمنا من اللّبس ، وغلّط الفرزدق في قوله :

وإنّ الذي يسعى ليفسد زوجتي   كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

ولا معنى لتغليطه وقد صح الحديث بلفظ زوجة .

حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا[1] فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ[2] وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

شـــرح الكلمـــات :

رغــــداً : العيش الهنيّ الواسع يقال له الرَّغد.

الشجــــــرة : شجرة من أشجار الجنة وجائز أن تكون كرماً أو تيناً أو غيرهما ومادام الله تعالى لم يعين نوعها فلا ينبغي السؤال عنها.

الظالميــــن : لأنفسهما بارتكاب ما نهى الله تعالى عنه.

فأزلهمــــــا : أوقعهما في الزلل، وهو مخالفتهما لنهى الله تعالى لهما عن الأكل من الشجرة

مســــتقــر : المستقر: مكان الاستقرار والاقامة.

إلى حــــين : الحين: الوقت مطلقا قد يقصر أو يطول والمراد به نهاية الحياة.

فتلقى[3] آدم : أخذ آدم ما ألقى الله تعالى إليه من كلمات التوبة.

كلمـــــات : هى قوله تعالى: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

فتاب عليــــه : وفقه للتوبة فتاب[4] وقبل توبته، لأنه تعالى تواب رحيم.

---

(١) عن هنا هي كما في قوله تعالى: ﴿لا عن موعدة﴾ بمعنى بسببها أي أوقعهما في الزلل بسبب الأكل من الشجرة التي زينها لهما فضمير عنها عائد إلى الشجرة.

(٢) جملة: (بعضكم لبعض عدو) تصح أن تكون حالاً من ضمير (اهبطوا) ويصح أن تكون مستأنفة استئنافاً ابتدائياً.

(٣) لفظ (فتلقى) مشعر بالإكرام، والمسرة كقوله تعالى ﴿تتلّقاهم الملائكة﴾.

(٤) يتساءل البعض: هل آدم ارتكب بأكله من الشجرة كبيرة، وهل يجوز في حق الأنبياء ارتكاب الكبائر؟؟
والجواب: أن آدم ما نبىء إلا بعد أن هبط إلى الأرض، إذ هي دار التكليف أماوهو في السماء فما كان قد نبىء بعد وأكله من الشجرة لم يترتب عليه عقاب أكثر من الخروج من الجنة لأنها ليست دار إقامة لمن يخالف فيها أمر الله تعالى، أما الأنبياء فلا يجوز في حقهم ارتكاب الكبائر ولا الصغائر لعصمة الله تعالى لهم لأنهم محل أسوة لغيرهم.

معنى الآيات :

فى الآية الأولى (٣٥) يخبر تعالى عن إكرامه لآدم وزوجه حواء حيث أباح لهما جنته يسكنانها ويأكلان من نعيمها ما شاءا إلا شجرة واحدة فقد نهاهما عن قربها[1] والأكل من ثمرها حتى لا يكونا من الظالمين.

وفى الآية الثانية (٣٦) اخبر تعالى أن الشيطان أوقع آدم وزوجه فى الخطيئة حيث زين لهما الأكل من الشجرة فأكلا منها فبدت لهما سَوْءَاتُهُما فلم يصبحا أهلا للبقاء فى الجنة فأهبطا الى الأرض مع عدوهما إبليس ليعيشوا بها بعضهم لبعض عدو إلى نهاية الحياة.

وفى الآية الثالثة (٣٧) يخبر تعالى أن آدم تلقى كلمات التوبة من ربه تعالى وهى : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ فقالاها توبة فتاب الله عليهما وهو التواب الرحيم.

هداية الآية :

من هداية الآية :

١ـ كرامة آدم وذريته على ربهم تعالى.

٢ـ شؤم المعصية وآثارها فى تحويل النعمة إلى نقمة.

٣ـ عداوة الشيطان للإنسان ووجوب معرفة ذلك لاتقاء وسوسته.

٤ـ وجوب التوبة[2] من الذنب وهى الاستغفار بعد الاعتراف بالذنب وتركه والندم على فعله.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

---

(١) إذا كان الفعل قرب يقرب بالفتح فمعناه التلبّس بالفعل، وإذا كان قرُب بضمّ الرّاء فمعناه الدنوّ من الشيء. هكذا يرى بعضهم.

(٢) التوبة: هي الرجوع من المخالفة إلى المتابعة أي من المعصية إلى الطاعة هذا حدّها لغة. أمّا شرعا: فهي كما نُصّ في الفائدة الرابعة من هذا التفسير.

شـــرح الكلمـات :

اهبطوا منها جميعا : إنزلوا من الجنة[1] الى الأرض لتعيشوا فيها متعادين.[2]

فإما يأتينكم[3] منى هدى : إن يجئكم من ربكـم هدىً: شرع ضمنه كِتابٌ وبينه رسولٌ.

فمن اتبع هـــداى : أخذ[4] بشرعي فلم يخالفه ولم يحد عنه.

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون : جواب شرط فمن اتبـع هداى، ومعنـاه إتباع الهدى يفضي بالعبد الى ان لا يخاف ولا يحزن لا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

كفروا وكذبوا : كفروا: جحدوا شرع الله، وكذبوا رسوله

أصحاب النار : أهلها الذين لا يفارقونها بحيث لا يخرجون منها

معنى الآيتين :

يخبر تعالى أنه أمر آدم وحواء[5] وإبليس بالهبوط إلى الأرض بعد أن وسوس الشيطان لهما فأكلا من الشجرة، وأعلمهم أنه إن أتاهم منه هدى فاتبعوه ولم يحيدوا عنه يأمنوا ويسعدوا فلن يخافوا ولن يحزنوا، وتوعد من كفر به وكذب رسوله فلم يؤمن ولم يعمل صالحاً بالخلود[6] فى النار.

هدايـة الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ـ المعصية تسبب الشقاء والحرمان.

---

(١) ذهب المعتزلة ـ أذهب الله ريحهم ـ إلى أن الجنة التي هبط منها آدم وحواء كانت بستاناً في الأرض في مرتفع منها، وهو قول باطل لا يسمع له ولا يلتفت إليه، إذ كل سياق القرآن دال على أنها الجنة دار النعيم لأولياء الله في الآخرة.

(٢) أي: أبليس وذريته، وآدم وذريته، وكان هذا قبل أن يوجد لكل منهما ذرية ثم أوجدت كما أخبر تعالى وكانت العداوة على أشدها.

(٣) فإمّا: أصلها فإن ما، فإن شرطية وأدخلت عليها ما الزائدة لتقوية الكلام وأدغمت فيها نون إن فصارت إمّا.

(٤) هذا عام في كل أجيال بني آدم فمن جاءه هدى الله بواسطة نبي وكتاب الله فأخذ به واتبعه نجا مما يصيب غيره من الخوف والحزن في الدنيا والآخرة معاً.

(٥) حواء: لم تذكر باسمها في القرآن وإنما ذكرت بعنوان الزوج، ولكن ذكرت في السنة الصحيحة، أنها خلقت من ضلع آدم عليه السلام، والسرّ في عدم ذكرها باسمها: أنّ المروءة تأبى على صاحبها ذكر المرأة باسمها فلذا تذكر النساء تابعات لخطاب الرجال.

(٦) روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أقوام أصابتهم النار بخطاياهم فأصابتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة» ومعناه يخرجون من النار بالشفاعة لهم.

٢ـ العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يسبب الأمن والإسعاد،والإعراض عنهما يسبب الخوف والحزن والشقاء والحرمان .

٣ـ الكفر والتكذيب جزاء صاحبهما الخلود فى النار.

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ
أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي
ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ
وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

شـرح الكلمـات :

بنو[(١)] إسرائيل : اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وبنوه هم اليهود، لأنهم يعودون فى أصولهم الى أولاد يعقوب الأثنى عشر.[(٢)]

النعمـــــة : النعمة هنا اسم جنس بمعنى النعم، ونعم الله تعالى على بنى اسرائيل كثيرة[(٣)] ستمر أفرادها فى الآيات القرآنية الآتية .

أوفوا بعهــدى : الوفاء بالعهد اتمامه وعهد الله عليهم أن يبينّوا أمر محمد ﷺ ويؤمنوا به.

أوف بعهدكــم : أتم لكم عهدكم بإدخالكم الجنة بعد إكرامكم فى الدنيا وعزكم فيها .

وإياى فارهبون : اخشونى ولا تخشــوا غيرى .

آمنوا بما أنزلت : القرآن الكريـــم

ولا تشتروا[(٤)] بآياتى : لا تعتاضوا عن بيان الحق فى أمر محمد ﷺ .

---

(١) بنو جمع ابن وقيل عن الولد ابن من البناء، لأنه مسند إليه موضوع عليه. واسرا: عبد وئيل: الله وقرىء اسرائين بالنون وهي لغة مشهورة.

(٢) هم يوسف عليه السلام واخوته يهوذا، وبن يامين وغيرهما.

(٣) منها انجاؤهم من فرعون، وتحررهم من سلطانه ، ومنها إهلاك عدوهم، وانزال المنّ والسلوى عليهم.

(٤) الاشتراء هنا: بمعنى الاستبدال، ولذا جاز دخول الباء على غير المشترى به وهو الثمن، إذ الأصل أن تدخل الباء على المشترى به. فتقول، اشتريت الثوب بدرهم.

ثمـناً قليــلا : متاع الحياة الدنيا.

وإياى فاتقــون : واتقونى وحدى فى كتمانكم الحق وجحدكم نبوة نبيي محمد ﷺ أن أنزل بكم نقمتي.

ولا تلبسوا الحق بالباطل : أى لا تخلطوا الحق بالباطل حتى يعلم فيعمل به، وذلك قولهم: محمد نبيّ ولكن مبعوث إلى العرب لا إلى بنى إسرائيل.

واركعوا مع الراكعين : الركوع الشرعى: انحناء الظهر فى امتداد واعتدال مع وضع الكفين على الركبتين والمراد به هنا: الخضوع[1] لله والإسلام له عز وجل.

مناسبة الآيات ومعناها :

لما كان السياق في الآيات السابقة في شأن آدم وتكريمه، وسجود الملائكة له وامتناع إبليس لكِبْره. وحسده وكان هذا معلوماً لليهود لأنهم أهل كتاب ناسب أن يخاطب الله تعالى بني إسرائيل مذكراً إياهم بما يجب عليهم من الإيمان والاستقامة. فناداهم بعنوان بُنوتهم لإسرائيل عليه السلام فأمرهم ونهاهم، أمرهم بذكر نعمته عليهم ليشكروه تعالى بطاعته فيؤمنوا برسوله محمد ﷺ وما جاء به من الهدى وأمرهم بالوفاء بما أخذ عليهم من عهد لينجز لهم ما وعدهم، وأمرهم أن يرهبوه[2] ولايرهبوا غيره من خلقه وأمرهم أن يؤمنوا بالقرآن الكريم، وان لا يكونوا أول من يكفر[3] به. ونهاهم عن الاعتياض عن بيان الحق في أمر الإيمان برسوله محمد ﷺ ثمناً قليلا من متاع الحياة الدنيا وأمرهم بتقواه فى ذلك وحذرهم ان هم كتموا الحق ان ينزل بهم عذابه. ونهاهم عن خلط الحق بالباطل دفعاً للحق وبعدا عنه حتى لا يؤمنوا برسوله محمد ﷺ وأمرهم بإقام[4] الصلاة وايتاء الزكاة والاذعان لله تعالى بقبول الاسلام والدخول فيه كسائر المسلمين.

---

(١) وجائز أن يراد به الصلاة مع المصلين وهم الرسول وأصحابه إذ الخطاب ليهود المدينة بصورة خاصة، ولا منافاة بين ما شرحت به الآية، وبين ما ذكر هنا تعليقاً، إذ الإسلام لله يستلزم الصلاة وفي اللغة دليل تأكيد صلاة الجماعة.

(٢) الرهب، والرهبة الخوف، ويجوز في الرهب اسكان الهاء وفتحها.

(٣) هذه الجملة تأكيد لجملة وآمنوا بما أنزلت.. أي: آمنوا بما أنزلت أي، من القرآن بمعنى لا تكونوا أول من يكفر به منكم يا بني اسرائيل، إذ العرب سبق أن كفروا بالقرآن قبلهم فأوّل كافر به أي منهم وهو اليهود.

(٤) أمرهم بإقام الصلاة وايتاء الزكاة بعد الإيمان كقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة..» الحديث. ومعنى الخطاب أنه أمرهم بالدخول في الإسلام والخروج من اليهودية الباطلة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ وجوب ذكر النعم لشكر الله تعالى عليها.

٢ـ وجوب الوفاء بالعهد لاسيما ما عاهد عليه العبد ربه تعالى

٣ـ وجوب بيان الحق وحُرمة كتمانه.

٤ـ حرمة خلط[1] الحق بالباطل تضليلا للناس وصرفهم عنه كقول اليهود: محمد نبيّ ولكن للعرب خاصة حتى لايؤمن به يهود.

۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

شـرح الكلمات :

البـــر : البر لفظ جامع لكل خير. والمراد هنا: الايمان بمحمد ﷺ والدخول في الاسلام

النســيان : مقابل الذكر، وهو هنا الترك.

تلاوة الكتاب : قراءته، والكتاب هنا التوراه التى بأيدى اليهود

العقـــل : قوة باطنية يميز بها المرء بين النافع والضار، والصالح والفاسد

الاستعانــة : طلب العون للقدرة على القول والعمل

الصبـــر[2] : حبس النفس على ما تكره

الخشـــوع : حضور القلب وسكون الجوارح، والمراد هنا الخضوع لله والطاعة لأمره ونهيه.

---

(١) مأخوذ من قوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل)؛ إذ اللَّبس الخلط بين المتشابهات في الصفات يقال في الامر لُبْسَة: أي اشتباه، فلبس الحق بالباطل ترويج الباطل في صورة الحق ليقبل ويضل به الناس.

(٢) مواطن الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة فلا تفارق، وصبر عن المعصية فلا ترتكب، وصبر على المصائب فلا يجزع منها ولا يتسخط، ولكن يصبر، ويسترجع أي: يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

يظنـــون : يوقـــنـــون[1].

ملاقـوا ربهم : بالموت، راجعون إليه يوم القيامة.

معنى الآيتين :

ينعى الحق تبـارك وتعالى فى الآية الأولى (٤٤) على علماء بنى اسرائيل أمرهم بعض العرب بالإيمان بالاسلام ونبيه، ويتركون أنفسهم فلا يأمرونها بذلك والحال أنهم يقرأون التـوراة، وفيها بعث النبى محمد والأمر بالإيمان به واتباعه ويقرعهم موبخاً لهم بقوله : أفلا تعقلون، إذ العاقل يسبق الى الخير ثم يدعو إليه.

وفى الآيتين الثانية والثالثة (٤٥-٤٦) يرشد الله تعالى بنى اسرائيل الى الاستعانة بالصبر والصلاة حتى يقدروا على مواجهة الحقيقة والتصريح بها وهى الإيمان بمحمد والدخول فى دينه، ثم يعلمهم أن هذه المواجهة صعبة شاقة[2] على النفس لا يقدر عليها الا المخبتون لربهم الموقنون بلقاء الله، والرجوع إليه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ قبح[3] سلوك من يأمر غيره بالخير ولا يفعله.

٢ـ السيئة قبيحة وكونها من[4] عالم أشد قبحا.

٣ـ مشروعية الاستعانة على صعاب الأمور وشاقها بالصبر والصلاة، إذْ كان النبى ﷺ إذا حز به أمر فزع[5] الى الصلاة.

---

(١) يطلق الظن ويراد به اليقين، لا الظن المقابل للشكّ، أفاده ابن جرير في تفسيره وأورد أنّ الظن من أسماء الأضداد فيطلق على الشك واليقين كإطلاق السدفة على الضياء والظلمة معاً.

(٢) الجمهور على تفسير الضمير في ﴿وإنها لكبيرة﴾ بالصلاة وخالفتهم في ذلك لوجود من قال: إنّها ما أمروا به ونهوا عنه وهو أعم من الصلاة

(٣) ورد الوعيد الشديد فيمن يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويرتكبه من ذلك قول الرسول ﷺ «مررت ليلة أُسري بي على أناس تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء خطباء أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم» رواه أحمد. ومثله كثير في السنن والصحاح، إلا أن أهل العلم من السلف قالوا: لا يمنع العالم من أن يأمر بالمعروف، وإن كان لا يأتيه ومن أن ينهي عن منكر وإن كان يأتيه، وهو حق إذ لا يسلم من الذنب إلاّ المعصوم».

(٤) لأن من يعلم ليس كمن لا يعلم.

(٥) رواه أحمد وأبو داود

٤ـ فضلية الخشوع لله والتطامن لـه، وذكر الموت، والرجوع إلى الله تعالى للحساب والجزاء.

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

شـرح الكلمـــات :

يا بنى اسرائيل : تقدم شرح هذه الجملة

فضلتكم على العالمين[١] : آتاهم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت غيرهم من الناس وذلك على عهد موسى عليه السلام وفى أزمنة صلاحهم واستقامتهم.

اتقوا يومـــاً : المراد باليوم يوم القيامة بدليل ما وصف به. واتقاؤه هو اتقاء ما يقع فيه من الاهوال والعذاب. وذلك بالايمان والعمل[٢] الصالح.

لا تجزى نفـس : لا تغنى نفس عن نفس أخرى أى غنىً. ما دامت كافرة.[٣]

ولا يقبل منها شفاعة[٥] : هذه النفس الكافرة اذ هى التى لا تنفعها شفاعة الشافعين

ولا يؤخذ منها عدل : على فرض أنها تقدَّمت بِعَدْلٍ وهو الفداء فإنه لا يؤخذ منها

ولا هم ينصبرون : بدفع الـعـذاب عنهـم

معنى الآيتين :

ينادى الله سبحانه وتعالى بنى إسرائيل مطالباً إياهم بذكر نعمه عليهم ليشكروها بالإيمان برسوله محمد ﷺ وقبول ما جاء به من الدين الحق وهو الإسلام، محذراً إياهم من عذاب يوم القيامة، آمراً لهم باتقائه بالايمان وصالح الأعمال. لأنه يوم عظيم لا تقبل فيه شفاعة

---

(١) المراد بالعالمين: عالموا زمانهم.

(٢) وترك الشرك، والمعاصي.

(٣) لأنّ أهل الإيمان والتوحيد وإن دخلوا النار يخرجون منها بشفاعة شافع أو بإيمانهم. بخلاف من مات كافراً أو مشركا.

(٤) الشفاعة: ضم جاه إلى جاه ليحصل النفع للمشفوع له. والشفعة: ضمّ مِلك إلى مِلك، والشفع: الزوج مقابل الوتر. ولا تقبل شفاعة أحد يوم القيامة إلاّ بشرطين اثنين. الأول: أن يكون الشافع قد أذن الله تعالى له. في الشفاعة. والثاني: أن يكون المشفوع له ممن رضي الله قوله وعمله وهو المؤمن الموحد.

لِكَافِرٍ، ولا يؤخذ منه عدل أي فداء، ولا ينصره بدفع العذاب عَنْهُ أحد.

هدايـة الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ـ وجوب ذكر النعم لتشكر[1] بحمد الله وطاعته.

٢ـ وجوب اتقاء عذاب يوم القيامة بالايمان والعمل الصالح بعد ترك الشرك والمعاصى

٣ـ تقرير أن الشفاعة لا تكون لنفس كافرة. وأنّ الفداء يوم القيامة لا يقبل[2] أبدا

وَإِذْ[3] نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

شـرح الكلمـات :

النجـــاة : الخلاص من الهلكة، كالخلاص من الغرق. والخلاص من العذاب.

آل فرعـــون : أتباع فرعون[4]. وفرعون[5] ملك مصر على عهد موسى عليه السلام

يسومونكم سوء العذاب : يبغونكم سوء العذاب وهو أشده وأفظعه ويذيقونكم إياه

---

(١) شكر الله على نِعَمِهِ يكون بالاعتراف بالنعمة وحمدا لله تعالى عليها، وصرفها فيما فيه رضاه سبحانه وتعالى.

(٢) لقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به﴾.

(٣) إذ ظرفية ويقدر لها العامل وهو اذكروا إذ نجيناكم. اذكروا إذ فرقنا بكم البحر.. الخ.

(٤) ممن هم على دين الباطل، من الأقباط المصريين وسواء كانوا أقارب له أم أباعد ويشهد له حديث: «آل محمد كل تقي».

(٥) قيل إن فرعون مصر اسمه الوليد بن مصعب بن الرّيّان.

يستحيون(١) **نساءكم** : يتركون ذبح البنات ليكبرن للخدمة، ويذبحون الأولاد خوفاً منهم إذا كبروا

بلاء(٢) **عظيم** : ابتلاء وامتحان شديد لا يطاق

فرقنا(٣) **بكم البحر**(٤) : صيرناه فرقتين، وما بينها يَبس لا ماء فيه لتسلكوه فتنجوا والبحر هو بحر القلزم (الأحمر)

اتخذتم العجل : عجل من ذهب صاغه لهم السامرى ودعاهم الى عبادته فعبده أكثرهم، وذلك فى غيبة موسى عنهم

الشكر : اظهار النعمة بالاعتراف بها وحمد الله تعالى عليها وصرفها فى مرضاته

الكتاب والفرقان(٥) : الكتاب: التوراه، والفرقان: المعجزات التى فرق الله تعالى بها بين الحق والباطل

تهتدون : إلى معرفة الحق فى كل شئونكم من أمور الدين والدنيا.

معنى الآيات :

تضمنت هذه الآيات الخمس أربع نعم عظمى انعم الله تعالى بها على بنى اسرائيل وهى التى امرهم بذكرها ليشكروه عليها بالايمان برسوله محمد ﷺ ودينه الاسلام.

فالنعمة الأولى : انجاؤهم من فرعون وآله بتخليصهم من حكمهم الظالم وما كانوا يصبونه عليهم من ألوان العذاب، من ذلك: ذبح الذكور من أولادهم وترك البنات لاستخدامهن فى المنازل كرقيقات.

---

(١) وقيل يكشفون عن حياء المرأة أي: فرجها لينظروا هل هى حبلى أو لا؟ ليتمكنوا من قتل الذكور وإبقاء الإناث.
(٢) البلاء يكون بالخير والشر قال تعالى ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ الآية. وهو هنا كذلك فقد ابتلى بنو اسرائيل بالشر من قتل واستعباد وبالخير من انجائهم وإهلاك اعدائهم.
(٣) الفرق: الفصل بين الأشياء كالفصل بين الحق والباطل والفصل بين المجتمعين من كل شيء والباء في فرقنا بكم البحر للملابسة.
(٤) البحر: الماء الملح، والبلدة أيضاً، ومن الخيل الواسع الجري فقد قال ﷺ في فرس أبي طلحة (وإن وجدناه لبحراً) يعني واسع الجري.
(٥) الفرقان: لفظ عام يطلق على كل ما يفرق به بين الحق والباطل كالمعجزات والآيات والعلوم الصحيحة.

والثانيـة : فلق البحر لهم وإغراق عدوهم بعد نجاتهم وهم ينظرون.[1]

والثالثـة : عفوه تعالى عن أكبر زلة زلوها وجريمة اقترفوها وهى اتخاذهم عجلاً[2] صناعياً الهاً وعبادتهم له. فعفا تعالى عنهم ولم يؤاخذهم بالعذاب لعلة أن يشكروه تعالى بعبادته وحده دون سواه.

والرابعـة : ما أكرم به نبيهم موسى عليه السلام من التوراة التى فيها الهدى والنور والمعجـزات التى أبطلت باطل فرعون، وأحقت دعوة الحق التى جاء بها موسى عليه السلام.

هذه النعم هى محتوى الآيات الخمس، ومعرفتها معرفة لمعانى الآيات فى الجملة اللهم الا جملة [وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم] فى الآية الأولى فانها: اخبار بأن الذى حصل لبنى اسرائيل من عذاب على أيدى فرعون وملئه انما كان امتحاناً من الله واختباراً عظيما لهم. كما أن الآية الثالثة فيها ذكر مواعدة الله تعالى لموسى بعد نجاة[3] بنى اسرائيل أربعين ليلة وهى القعدة وعشر الحجة ليعطيه التوراه يحكم[4] بها بنى اسرائيل فحدث فى غيابه ان جمع السـامرى حلى نساء بني إسرائيل وصنع منه عجلاً ودعاهم الى عبادته فعبدوه فاستوجبوا العذاب إلا أن الله منّ عليهم بالعفو ليشكروه.

هدايـة الآيـات :

من هداية هذه الآيات :

١ـ ذكر النعم يحمل[5] على شكرها، والشكر هو الغاية من ذكر النعمة.

٢ـ أن الله تعالى يبتلى عباده لحكم عالية فلا يجوز الاعتراض على الله تعالى فيما يبتلى به عباده

٣ـ الشرك ظلم[6] لأنه وضع العبادة فى غير موضعها.

(١) جملة: ﴿وأنتم تنظرون﴾ في الآيات حالية وإن قيل الذين تمّ لهم هذا الانعام هم من كانوا مع موسى عليه السلام فكيف يخاطب به يهود اليوم فالجواب: أنّ النعم على السلف نعم على الخلف.

(٢) القوم الذين مروا بهم فوجدوهم عاكفين على أصنام لهم هم قوم من الكنعانيين وهم الفينيقيون سكان سواحل بلاد الشام إذ كانوا يعبدون عجلا مقدّساً لهم.

(٣) كان يوم نجاة بني اسرائيل يوم عاشوراء المحرم لما في البخاري وغيره من أنّ النبي ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا: يوم صالح أنجى الله تعالى فيه بني اسرائيل. فصامه. رسول الله ﷺ وأمر بصيامه وقال: «نحن أحق بموسى منهم» أو كما قال.

(٤) ومما يؤسف ويحزن أن المسلمين لما ابتلاهم الله باستعمار النصارى لهم كانوا كلما استقل شعب أو إقليم طلب قانون الكافرين فحكم به المسلمين، وبنوا اسرائيل لما استقلوا على يد موسى ذهب يأتيهم بقانون الربّ ليحكمهم به.

(٥) ولذا كان مبدأ الشكر: الاعتراف بالنعمة أوّلا، وهو ذكرها بالقلب، واللسان.

(٦) قال تعالى: ﴿وإنّ الشرك لظلم عظيم﴾.

٤- إرسال الرسل وإنزال الكتب الحكمة فيهما هداية الناس إلى معرفة ربهم وطريقة التقرب إليه ليعبدوه فيكملوا ويسعدوا فى الحياتين.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ[1] يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

شـرح الكلـمات

ظلم النفس[2] : تدسيتها بسّيئة الجريمة

باتخاذكم العجل : بجعلكم العجل الذى صاغه السامرى من حلّى نسائكم إلـهاً عبدتموه

البارىء : الخالق عز وجل

فاقتلوا انفسكم[3] : أمرهم أن يقتل من لم يعبد العجل من[4] عَبدَه منهم وجعل ذلك توبتهم ففعلوا فتاب عليهم بقبول توبتهم

نرى الله جهـرة[5] : نراه عياناً

---

(١) لفظ القوم يراد به الرجال دون النساء كما في قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم.. ولا نساء من نساء﴾ وكقول زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وقد يطلق على الرجال والنساء نحو قوله تعالى ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ الآية.

(٢) أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومرتكب الذنب بدل أن يزكي نفسه بعمل صالح دسَّاها بعمل سيىء فكان بذلك واضعاً شيئاً في غير موضعه، إذ المطلوب من العبد تزكية نفسه لتتأهل للكمال والإسعاد، لا تدسيتها لتخيب وتخسر.

(٣) قال بعضهم: قتل النفس هنا تذليلها بالطاعات وكفّها عن الشهوات وليس بصحيح.

(٤) قتل بعضهم بعضاً كان عقوبة لمن عبدوا العجل، ولمن لم يعبدوه، لأنهم ما غيّروا المنكر وقد رأوه.

(٥) أصل الجهر: الظهور ومنه قرأ جهراً أي أظهر القراءة، وجهرة مصدر جهر، وقرىء بفتح الهاء واسكانها نحو زهَرة، وزهْرة ومعناه علانية أو عيانا.

الصاعقـــــة	:	نار محرقة كالتى تكون مع السحب والأمطار والرعود
بعثناكـــــم	:	أحييناكـم[1] بعد موتكم
الغمــــام	:	سحاب رقيـق أبيض
المن والسلوى	:	المنّ: مادة لزجة حلوه كالعسل[2] والسلوى: طائر يقال له السُّمانى
الطيبـــات	:	الحـــلال

المناسبة ومعنى الآيات :

لما ذكّر الله تعالى اليهود بما أنعم على أسلافهم مطالباً إياهم بشكرها فيؤمنوا برسوله. ذكـرهم هنا ببعض ذنوب اسلافهم ليتعظوا فيؤمنوا فذكرهم بحادثة اتخاذهم العجل إلهاً وعبـادتهم له. وذلك بعد نجاتهم من آل فرعون وذهاب موسى لمناجاة الله تعالى، وتركه هارون خليفة له فيهم، فصنع السامرى لهم عجلاً من ذهب وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه فأطاعه أكثرهم وعبدوا العجل فكانوا مرتدين بذلك فجعل الله توبتهم من ردتهم ان يقتل من لم يعبد العجل من عبده فقتلوا منهم سبعين الفاً فكان ذلك توبتهم فتاب الله عليهم انه هو التواب الرحيم كما ذكرهم بحادثة أخرى وهى انه لما عبدوا العجل وكانت ردة اختار موسى بامر الله تعالى منهم سبعين رجلاً من خيارهم ممن لم يتورطوا فى جريمة عبادة العجل، وذهب بهم الى جبل الطور ليعتذروا الى ربهم سبحانه وتعالى من عبادة إخوانهم العجل فلما وصلوا قالوا لموسى اطلب لنا ربك أن يُسمعنا كلامه فأسمعهم قوله: إنى أنا الله لا إله إلا أنا أخرجتكم من أرض مصر بيدٍ شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى. ولما أعلمهم موسى بأن الله تعالى جعل توبتهم بقتلهم أنفسهم، قالوا: لن نؤمن لك أى لن نتابعك على قولك فيما ذكرت من توبتنا بقتل بعضنا بعضا حتى نرى الله جهرة وكان هذا منهم ذنباً عظيماً لتكذيبهم رسولهم فغضب الله عليهم فأنزل عليهم صاعقة فأهلكتهم فماتوا واحدا واحدا وهم ينظرون ثم أحياهم تعالى بعد يوم وليلة، وذلك ليشكروه بعبادته وحده دون سواه كما ذكـرهم بنعمة أخرى وهى اكرامه لهم وانعامه عليهم بتظليل الغمام عليهم، وإنزال المنّ

(١) إحياؤهم بعد موتهم دليل على البعث الآخر، إذ كان موتهم بإخراج أرواحهم ولم يكن مجرّد همود كما قيل.
(٢) وفي الحديث الذي رواه مسلم: الكمأة من المنّ الذي أنزل الله على بني اسرائيل وماؤها شفاء للعين.

والسلوى[١] أيام حادثة التيه فى صحراء سيناء وفى قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم﴾ إشارة الى ان محنة التيه كانت عقوبة لهم على تركهم الجهاد وجرأتهم على نبيّهم اذ قالوا له: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾. وما ظلمهم[٢] فى محنة التيه، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم.

هداية الآيـات :

من هداية الآيات :

١ـ عبادة المؤمن غير الله وهو يعلم أنها عبادة لغير الله تعالى تعتبر ردة منه[٣] وشركاً.

٢ـ مشروعية قتال المرتدين، وفى الحديث: «من بدّل دينه فاقتلوه»، ولكن بعد استتابته.

٣ـ علة الحياة كلها شكر الله تعالى[٤] بعبادته وحده.

٤ـ الحلال، من المطاعم والمشارب وغيرها، ما احله الله والحرام ما حرمه الله عز وجل.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ[٥] فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا

---

(١) السلوى: اسم جنس جمعي واحده: سلواة، وقيل لا واحد له، وهو طائر بريّ لذيذ اللّحم سهل الصيد تسوقه لهم ريح الجنوب كلّ مساء ويُسمى أيضاً: السماني كحبارى

(٢) في قوله تعالى: ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ تقديم المفعول وهو أنفسهم على الفاعل وهو الضمير في يظلمون لإفادة القصر، وهو قصر ظلمهم على أنفسهم حيث لم يتجاوز إلى غيرهم لا موسى ولا ربّه تعالى.

(٣) بدليل أمر الله بني اسرائيل بأن يقتل من لم يعبد العجل من عبده لأنه في حكم المرتد، والمرتد يقتل لحديث الصحيح: «مَنْ بدَّل دينه فاقتلوه».

(٤) دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ثم بعثناكم﴾ أي أحييناكم بعد موتكم لعلكم تشكرون، وأصرح منه قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ والعبادة هي الشكر.

(٥) ذهب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب تفسير «التحرير والتنوير» إلى أن القائل لبني اسرائيل: ﴿ادخلوا هذه القرية..﴾ الآية هو موسى عليه السلام وأنّ هذا الأمر كان في بداية أمرهم لمّا خرجوا من مصر، وأنّ الذين ظلموا منهم هم عشرة رجال مِنْ اثنى عشر بعث بهم موسى عليه السلام جواسيس يكتشفون أمر العدو ويقدّرون قوته قبل إعلان الحرب عليهم فرجعوا وهم يهوّلون من شأن العدو وقوته وينشرون الفزع والرعب في بني اسرائيل ما عدا اثنين منهم وهما: يوشع بن نون قريب موسى، وطالب بن بقته الذين ذكرا في سورة المائدة: ﴿قال رجلان..﴾ الآية وخالف في هذا جمهور المفسرين وادعى الغلط لهم، وما حمله على ذلك سوى أن السياق ما زال مع موسى وقومه مع أن الله تعالى لم يذكر موسى بل قال: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ والرسول ﷺ في حديث البخاري قال: (قيل لبني اسرائيل) ولم يقل: قال موسى لبني اسرائيل ونص الحديث: «قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجّدا قولوا حطة يغفر لكم خطاياكم فبدّلوا وقالوا: حطة حبّة في شعرة) والآمر لهم حقيقة. هو الله تعالى على لسان يوشع، إذ هو الذي قاد الحملة ونصره الله، ودخل بيت المقدس، وأحاديث الرسول ﷺ شاهدة.

غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

القرية[1] : مدينة القدس.

رغداً : عيشاً واسعاً هنيئاً

سجداً : رُكّعاً[2] متطامنين لله خاضعين شكراً لله على نجاتهم من التيه.

حِطّة : حِطّة[3]: فِعْلَةٌ مثل ردة وحدة من رددت وحددت، أمرهم أن يقولوا حِطة بمعنى احطط عنا خطايانا ورفع (حِطةٌ)[4] على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: دخولنا الباب سجداً حِطةٌ لذنوبنا.

نغفر : نمحو ونستر.

خطاياكم : الخطايا جمع خطيئة[5]: الذنب يقترفه العبد.

فبدل : غيّروا[6] القول الذى قيل لهم قولوه وهو حِطة فقالوا: حبة فى شعيرة.[7]

رجزاً[8] : وباء الطاعون.

يفسقون : يخرجون عن طاعة الله ورسله إليهم.

معنى الآيتين :

تضمنت الآية الأولى (٥٨) تذكير اليهود بحادثة عظيمة حدثت لأسلافهم تجلت فيها

---

(١) سميت المدينة قرية: من التقري الذي هو التجمع مأخوذ من قريت الماء في الحوض إذا جمعته ومنه قِرى الضيف: وهو ما يجمع له من طعام وشراب، وفراش.

(٢) لأنّ السجود الذي هو وضع الجبهة على الأرض متعذر المشي معه فلذا فُسِّر السجود بانحناء الركوع في تطامن وخضوع.

(٣) يوجد باب حِطّة اليوم في المسجد الأقصى.

(٤) وقرىء حطةً بالنصب على تقدير احطط عنا ذنوبنا حِطّة.

(٥) المفروض أن تجمع خطيئة على خطائئى نحو حميلة وحمائل، ولكنهم استثقلوا الجمع بين همزتين فقلبوا الهمزة الأولى ياء والثانية ألفاً فصارت خطايا.

(٦) من هذا أخذ حرمة تبديل لفظ تعبّدنا الله به بلفظ آخر ولو أدّى معناه مثل: الله أكبر في افتتاح الصلاة، والسلام عليكم في الخروج منها. وما لم يتعبّدنا الله بلفظ يجوز للعالم تبديله وذلك كرواية الحديث بالمعنى للعالم دون الجاهل، وعليه جمهور الأمّة.

(٧) و(في شعرة) كنّوا بهذا عن كون فتحهم البلاد، ودخولهم إياها من المحال كالذي يحاول ربط حبّة في شعرة.

(٨) والرِّجس: بالسين عذاب فيه نتن وعفونة وقذر.

نعمة الله على بنى اسرائيل وهى حال تستوجب الشكر، وذلك أنهم لما انتهت مدة التيه وكان قد مات كل من موسى وهارون وخلفهما فى بنى اسرائيل فتى موسى يوشع بن نون وغزا بهم العمالقة وفتح الله تعالى عليهم بلاد القدس أمرهم الله تعالى أمر إكرام وإنعام فقال ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً. واشكروا لى هذا الإنعام بان تدخلوا باب المدينة راكعين متطامنين قائلين. دخولنا الباب سجداً حطةٌ لذنُوبنا التى اقترفناها بنكولنا عن الجهـاد على عهد موسى وهارون. نثبكم بمغفرة ذنوبكم ونزيد المحسنين منكم ثواباً كما تضمنت الآية الثانية (٥٩) حادثة أخرى تجلت فيها حقيقة سوء طباع اليهود وكثرة رعوناتهم وذلـك بتغييرهـم الفعل الذى أمروا به والقول الذى قيل لهم فدخلوا الباب زاحفين على أستاههم قائلين: حبه فى شعيرة!! ومن ثم انتقم الله منهم فأنزل على الظالمين منهم طاعوناً أفنى منهم خلقاً كثيراً جزاء فسقهم عن أمر الله عز وجل. وكان فيما ذكر عظة لليهود لو كانوا يتعظون.

هداية الآيتيـن :

من هداية الآيتين :

١ـ تذكير الأبناء بأيام[١] الآباء للعظة والاعتبار.

٢ـ ترك الجهاد إذا وجب يسبب[٢] للامة الذل والخسران.

٣ـ التحذير من عاقبة الظلم والفسق والتمرد على أوامر الشارع.

٤ـ حرمة[٣] تأويل النصوص الشرعية للخروج بها عن مراد الشارع منها.

٥ـ فضيلة الاحسان[٤] فى القول والعمل.

---

(١) المراد بالأيام: ما وقع فيها من خير وغيره ثمرة كسبهم ونتاج أعمالهم بالطاعة لله تعالى، أو المعصية له عزّ وجلّ.

(٢) يشهد له حديث أبي داود وأحمد إذ فيه وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم.

(٣) كتأويل الروافض لفظ بقرة بعائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ وكتأويل بعض المعاصرين أن ربا البنوك ليس هو ربا الجاهلية الحرام.

(٤) المحسن: من صح عقد توحيده، وأحسن سياسة نفسه، وأقبل على أداء فرضه، وكفى المسلمين شرّه. هكذا عرّفه بعضهم، وأقرب من هذا، المحسن: من راقب الله تعالى في نياته، ومعتقداته، وأقواله، وأفعاله فأحسن في ذلك كله ولم يسيء فيه وبذل المعروف للناس، ولم يسيء إليهم، وحسب الإحسان فضيلة أنّ الله يحب المحسنين، ومن أحبه الله أسعده وما أشقاه.

وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

استسقى : طلب لهم من الله تعالى السقيا أى الماء للشرب وغيره

بعصاك الحجر : عصا موسى التى كانت معه منذ خرج من بلاد مدين . وهل هى من شجر الجنة هبط بها آدم كذا قيل والله أعلم . والحجر هو حجر مربع الشكل من نوع الكذَّان رخو كالمدر . وهل هو الذى فر بثوب موسى فى حادثة[1] معروفة كذا قيل او هو حجر من سائر الأحجار؟[2] الله أعلم .

---

(١) هذه الحادثة كما هي في الصحيح : أن موسى عليه السلام اتهمه قوم : بالأدرة : (انتفاخ في إحدى الخصيتين) . فأراد الله تعالى أن يبرئه منها ، فدخل موسى البحر يغتسل ، ووضع ثوبه على حجر ففرَّ الحجر بالثوب فلحقه موسى فمرّ به ببني اسرائيل حتى علموا أن تهمتهم باطلة .

(٢) كون ال في الحجر لبيان الجنس وأن أي حجر يضربه موسى يتفجر منه الماء أظهر في المعجزة وأدلّ على قدرة الله تعالى .

فانفجــــرت : الانفجار: الانفلاق فانفجرت: انفلقت من العصا العيون

مشـــربـهم : موضــع شـربهم.

رزق اللـــه : ما رزق الله به العباد من سائر الأغذيـة

ولا تعثـــوا : العَثَيّ والعِثِيّ: أكبر الفساد وفعله عِثي كرضي يعثي كيرضي وعثا يعثو كعدا يعدو.

مفســـدين : الافساد: العمل بغير طاعة الله ورسوله فى كل مجالات الحياة.

البقـــــل : وجمعه البقول سائر أنواع الخضر كالجزر والخردل والبطاطس ونحوها.

القثـــــاء : الخيار والقتـه ونحوهمـا.

الفُـــــوم : الفوم: الحِنطة وقيل الثوم لذكر البصل[1] بعده.

اتسـتبدلـــون : الاستبدال ترك شيء وأخذ آخر بدلا عنه.

ادنـــى : اقل صلاحاً وخيريه ومنافع كاستبدال المن والسلوى بالفوم والبقل

مصـــــراً : مدينة من[2] المدن قيل لهم هذا وهم فى التيه كالتعجيز لهم والتحدى لأنهم نكلوا عن قتال الجبارين فاصيبوا بالتيه وحرموا خيرات مدينة القدس وفلسطين.

ضربت عليهم الذلة : احاطت بهم ولازمتهم الذلة وهى الصغار والاحتقار.

والمســـكنة : والمسكنة وهى الفقر والمهانة

باءوا بغضـــب : رجعوا من طول عملهم وكثرة كسبهم بغضب الله وسخطه عليهم وبئس ما رجعوا به.

ذلك بأنهـــم : ذلك اشارة الى ما أصابهم[3] من الذلة والمسكنة والغضب وبأنهم أى بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وعصيانهم، فالباء سببية.

الاعتـــداء : مجاوزة الحق الى الباطل، والمعروف إلى المنكر. والعدل الى الظلم.

---

(١) لأن ابدال التاء فاءً شائع.

(٢) هذا بناءً على صرف مصر إذ هو منون منصوب، ولو أريد به مصر التي خرجوا منها لقرىء مصر ممنوعا من الصرف للعلمية والتأنيث.

(٣) هذا عام في اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية، ومن قبلهم، ومن يأتي بعدهم، لأنّ التعليل كان بكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء، والكلّ موافق راض بهذه الجرائم، وعصيانهم واعتداؤهم ملازم لهم ما فارقهم إلى اليوم.

معنى الآيتيــن :

يُذكرّ الله تعالى اليهود المعاصرين لنزول القرآن بالمدينة النبوية بأياديه في أسلافهم وأيامه عز وجل فيهم وفى الآية الأولى رقم (٦٠) ذكرهم بأنهم لما عطشوا فى التيه استسقى[١] موسى ربه فسقاهم بأمر خارق للعادة ليكون لهم ذلك آية ليلزموا الايمان والطاعة وهو أن يضرب موسى عليه السلام بعصاه الحجر[٢] فيتفجر الماء منه من اثنى عشر موضعاً كل موضع يمثل عيناً يشرب منها سبط[٣] من أسباطهم الاثنى عشر حتى لا يتزاحموا فيتضرروا أكرمهم الله بهذه النعمة، ونهاهم عن الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي.

وفى الآية الثانية (٦١) ذكرهم بسوء أخلاق كانت فى سلفهم منها عدم الصبر، والتعنت وسوء التدبير والجهالة بالخير، والرعونة وغيرها. وهذا ظاهر فى قولهم يا موسى بدل يا نبى الله او رسول الله لن نصبر على طعام واحد. وقولهم أدع لنا ربك بدل ادع الله تعالى لنا أو ادع لنا ربنا عز وجل. وفى مللهم اللحم والعسل وطلبهم الفوم والبصل بدلا عنهما وفى قول موسى عليه السلام أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير[٤] ما يقرر ذلك كما ذكرهم بالعاقبة المرة التي كانت لهم نتيجة كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء، واعتدائهم وعصيانهم، وهى أن ضرب[٥] الله تعالى عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم.

كل هذا وغيره مما ذكرّ الله تعالى اليهود به فى كتابه من أجل أن يذكروا فيتعظوا ويشكروا فيؤمنوا بنبيه محمد ﷺ ويدخلوا فى دينه فيكملوا ويسعدوا بعد ان ينجوا مما حاق بهم من الذلة والمسكنة والغضب فى الدنيا، ومن عذاب النار يوم القيامة.

هدايـة الآيتين :

من هداية الآيتيــن :

١ـ استحسان الوعظ والتذكير بنعم الله تعالى ونقمه فى الناس.

---

(١) في الآية مشروعية الاستسقاء وهو سنّة مؤكدة في الإسلام، فقد استسقى النبي ﷺ وسقى الله الأمة بدعائه غير مرّة.
(٢) انفجار الماء من الحجر معجزة عظيمة، وانفجار الماء من بين أصابع النبي محمد ﷺ معجزة أعظم لأن انفجار الماء من الأحجار معهود معروف ولكن من أصابع هي لحم ودم غير معهود قط.
(٣) السبط في بني اسرائيل كالقبيلة عند العرب.
(٤) في قوله ﴿أتستبدلون﴾ الخ انكار عليهم وتوبيخ لهم.
(٥) إحاطة الذل والمسكنة بهم ذكر في آية آل عمران مقيداً بما لم يكن لهم حبل من الله وهو الدخول في الإسلام، وحبل من الناس وهو حماية دولة قوية لهم كبريطانيا أولاً وأمريكا ثانياً

٢ـ مطالبة ذى النعمة بشكرها،[١] وذلك بطاعة الله تعالى بفعل أوامره. وترك نواهيه.

٣ـ ذم الأخلاق السيئة و التنديد بأهلها للعظة والاعتبار.

٤ـ التنديد بكبائر الذنوب كالكفر وقتل النفس بغير الحق لا سيما قتل الأنبياء أو خلفائهم وهم العلماء الآمرون بالعدل فى الأمة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

شـــرح الكلمـــات :

الذين آمنـــوا[٢] : هم المسلمون آمنوا بالله ووحدوه وآمنوا برسوله واتبعوه.

الذين هـــادوا : هم اليهود سُموا يهوداً[٣] لقولهم: انا هدنا اليك اى تبنا ورجعنا.

النصــــارى : الصليبيون سموا نصارى إما لأنهم يتناصرون أو لنزول مريم بولدها عيسى قرية الناصرة، والواحد نصران[٤] أو نصرانى وهو الشائع على الألسنة.

الـصـابئـــون : امة كانت بالموصل يقولون لا إله إلا الله. ويقرأون الزبور. ليسوا يهودا ولا نصارى واحدهم صابيء[٥]، ولذا كانت قريش تقول لمن قال لا إله الا الله صابيء أى مائل عن دين آبائه الى دين جديد وحّدَ فيه الله تعالى.

---

(١) كما قيل: من لم يشكر النعم تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيّدها بعقالها.

(٢) يرى بعض المفسرين أن المراد (بالذين امنوا: المنافقون، والصحيح ما ذكرناه وهم المسلمون وسموا بالمؤمنين لصحة إيمانهم والفائدة من ذكرهم هي: ليعلم اليهود وغيرهم أن النسب والانتساب إلى الدين لا يؤهل للسعادة في الدار الآخرة، وإنما يؤهل الإيمان الصحيح، والعمل الصالح، إذ بهما تزكوا النفس وتطهر فتتأهل لجوار الله تعالى في الملكوت الأعلى.

(٣) أو نسبة إلى يهودا وهو أكبر أولاد يعقوب عليه السلام.

(٤) نصران على وزن سكران والجمع نصارى كسكارى.

(٥) قرىء بالتخفيف: الصابين وهى قراءة ورش عن نافع.

مناسبة الآية ومعناها :

لما كانت الآية في سياق دعوة اليهود إلى الاسلام ناسب أن يعلموا أن النِّسَب لا قيمة لها وانما العبرة بالإيمان الصحيح والعمل الصالح المزكى للروح البشرية والمطهر لها فلذا المسلمون واليهود والنصارى والصابئون[1] وغيرهم كالمجوس وسائر أهل الأديان من آمن منهم بالله واليوم الآخر حق الإيمان وعمل صالحاً مما شرع الله تعالى من عبادات فلا خوف عليهم بعد توبتهم ولا حزن ينتابهم عند موتهم من أجل ما تركوا من الدنياءإذ الآخرة خير وأبقى .

والإيمان الصحيح لا يتم لأحد إلا بالايمان بالنبى الخاتم محمد ﷺ والعمل الصالح لا يكون إلا بما جاء به النبى الخاتم فى كتابه وما أوحى إليه ، إذ بشريعته نسخ الله سائر الشرائع قبله وبالنسخ بطل مفعولها فهى لا تزكى النفس ولا تطهرها . والسعادة الأخروية متوقفة على زكاة النفس[2] وطهارتها .

هدايــة الآيـة :

من هداية الآيـة :

١ـ العبرة بالحقائق لا بالألفاظ فالمنافق إذا قال هو مؤمن أو مسلم ، ولم يؤمن بقلبه ولم يسلم بجوارحه لا تغنى النسبة عنه شيئاً ، واليهودى والنصرانى والصابىء وكل ذى دين نسبته إلى دين قد نسخ وبطل العمل بما فيه فأصبح لا يزكى النفس ، هذه النسبة لا تنفعه ، وانما الذى ينفع الايمان الصحيح والعمل الصالح .

٢ـ أهل الإيمان الصحيح والاستقامة على شرع الله الحق مبشرون بنفي الخوف عنهم والحزن وإذا انتفى الخوف حصل الأمن واذا انتفى الحزن حصل السرور والفرح وتلك السعادة .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم

---

(١) عامة أهل العلم على أن الصابئة ليسوا أهل كتاب فلا تُنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم لأنهم وثنيون ولا كتاب لهم على الصحيح .

(٢) لقوله تعالى : ﴿قد أفلح من زكّاها﴾ .

(٣) مأخوذ من وثق الشيء بالحبل إذا شدّه به تقوية له .

بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ(1) لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ
بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ(2) اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا(3) قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا(4) نَكَالًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

الميثاق : العهد المؤكد باليمين.

الطور : جبل أو هو الجبل الذى ناجى الله تعالى عليه موسى عليه السلام

بقوة : بجد وحزم وعزم

توليتم : رجعتم عما التزمتم القيام به من العمل بما فى التوراة

اعتدوا فى السبت : تجاوزوا الحدَّ فيه حيث حرم عليهم الصيد فيه فصادوا

قردة : القردة جمع قرد حيوان معروف مسخ الله تعالى المعتدين فى السبت على نحوه

---

(١) أي اذكروا ما تضمنه الكتاب الذي هو التوراة، اذكروا حفظاً لشرائعه وأحكامه وعملا به، واذكروا وعد الله تعالى فيه ووعيده رجاء أن تحصل لكم التقوى فتنجوا من الخسران.

(٢) من فضل الله تعالى عليهم أنه لم يعاجلهم بالعقوبة جزاء توليهم عن الطاعة، وإعراضهم عنها بعد أخذ الميثاق عليهم ومن رحمته أنه أرسل فيهم الرسل فلم تنقطع سلسلتهم إلى عيسى بن مريم عليه السلام.

(٣) الأمر هنا: كوني لا شرعي إذ لا طاقة لهم على التحول إلى قردة، وانّما تحولوا بأمره الإرادي الكوني الذي لا يَتَخَلَّفُ فيه مراده عزّ وجل.

(٤) الضمير في قوله ﴿فجعلناها﴾ يعود إلى العقوبة التي هي مسخهم قردة.

خاسئين : مبعدين عن الخير ذليلين مهانين.
نكالاً : عقوبة شديدة تمنع من رآها أو علمها من فعل ما كانت سبباً فيه.
لما بين يديها وما خلفها : لما بين يدى العقوبة من الناس، ولمن يأتى بعدهم.
وموعظة للمتقين[1] : يتعظون[2] بها فلا يقدمون على معاصى الله عز وجل.

معنى الآيات:

يذكر الحق عز وجل اليهود بما كان لاسلافهم من أحداث لعلهم يعتبرون فيذكرهم بحادثة امتناعهم من تحمل العمل بالتوراة وإصرارهم على ذلك حتى رفع الله تعالى فوقهم جبلاً فأصبح كالظلة فوق رؤسهم حينئذ أذعنوا غير أنهم تراجعوا بعد ذلك ولم يفوا بما التزموا به فاستوجبوا الخسران لولا رحمة الله بهم.

كما يذكرهم بجريمة كانت لبعض أسلافهم وهى أنه تعالى حرم عليهم الصيد يوم السبت فاحتالت طائفة منهم على الشرع واصطادوا فنكل الله تعالى بهم فمسخهم[3] قردة، وجعلهم عظة وعبرة للمعتبرين.[4]

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق.
٢ـ يجب أخذ أحكام الشرع بحزم، وذكرها وعدم نسيانها أو تناسيها.
٣ـ لا تتم التقوى لعبد إلا إذا أخذ أحكام الشرع بحزم وعزم.
٤ـ حرمة[5] الاحتيال لإباحة المحرّم وسوء عاقبة المحتالين المعتدين.

---

(١) خص المتقين بالموعظة لأنهم أحياء القلوب وذوو بصائر نيّرة، فيشاهدون آثار المعاصي في أصحابها فيتقونها ويبتعدون عنها.
(٢) يمتنعون من فعل الذنب الذي كان سببا في العقوبة.
(٣) جرت سنة الله فيمن يمسخهم أنهم لا يعيشون ثلاثاً حتى يهلكوا ولم يبق منهم أحد، كذا صح عن ابن عباس رضي الله عنه.
(٤) هم أهل البصائر من أهل الإيمان والتقوى إذ هم أرباب العقول، والعاقل من اعتبر بغيره.
(٥) روى أحمد بسند جيّد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل».

وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ[1] ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

شرح الكلمات :

البقرة : واحدة البقر والذكر ثور والانثى بقرة

الذبح : قطع الودجين والمارن.

الهزؤ : السخرية واللعب.

الجاهل[2] : الذى يقول او يفعل مالا ينبغى قوله أو فعله.

---

(١) استعاذ موسى بالله أن يكون من الجاهلين، إذا الهزؤ والسخرية، من أفعال أهل الجهل فكان قول موسى هذا وصماً لهم بالجهل وفساد العقل. وسوء الأخلاق.

(٢) الجاهل الذي جهل الأمر فقال أو عمل فيه بدون علم فأفسد وأساء.

الفــارض[١]: المسنة، والبكر الصغيرة التى لم تلد بعد. والعوان: النَّصَفُ وسط بين المسنة والصغيرة.

فاقـــع : يقال: أصفر فاقع شديدة الصفرة كأحمر قانىءوأبيـض ناصع.[٢]

الذلــول : الرَّيِّضة التى زالت صعوبتها فاصبحت سهلة منقادة.

تثير الأرض: تقلبها بالمحراث فيثور غبارها بمعنى أنها لم تستعمل فى الحرث ولا فى سقاية الزرع أى لم يُسن عليها، وذلك لصغرها.

مسـلّمة : سليمة من العيوب كالعور والعرج.[٣]

لاشية فيها : الشية العلامة أى لا يوجد فيها لون غير لونها[٤] من سواد أو بياض.

معنى الآيـات :

واذكر يا رسولنا لهؤلاء اليهود عيباً آخر من عيوب أسلافهم الذين يَعْتَزُّونَ بهم وهو سوء سلوكهم مع أنبيائهم فيكون توبيخاً لهم لعلهم يرجعون عن غيهم فيؤمنوا بك وبما جئت به من الهدى ودين الحق. اذكر لهم قصة الرجل الذى قتله ابن أخيه استعجالا لإرثه ثم ألقاه تعمية فى حى غير الحى الذى هو منه، ولما اختلفوا فى القاتل قالوا نذهب الى موسى يدعو لنا ربه ليبين لنا من هو القاتل فجاءوه فقال لهم ان الله تعالى يأمركم ان تذبحوا بقرة من أجل ان يضربـوا القتيل بجـزء منها فينطق مبيناً من قتله فلما قال لهم ذلك قالوا أتتخذنا هزؤاً فوصفوا نبى الله بالسخرية واللعب وهذا ذنب قبيح وما زالوا يسألونه عن البقرة ويتشددون حتى شدد الله تعالى عليهم الأمر الذى كادوا معه لا يذبحون مع أنهم لو تناولوا بقرة من عرض الشارع وذبحوها لكفتهم[٥]. ولكن شددوا فشدد الله عليهم فعثروا على البقرة المطلوبة بعد جهد جهيد وغالى فيها صاحبها فباعها منهم بملء جلدها ذهباً.

---

(١) الفارض: المسنّه التي فرضت سنها فقطعته، لأن الفرض لغة القطع.

(٢) هذه الألفاظ يؤتي بها لتأكيد الوصف فيقال: أخضر مدهام وأورق خطباني «الخطباني نبت».

(٣) استدل الجمهور بهذه الصفات المذكورة للبقرة على جواز بيع السلَم في الحيوان كما استدلوا بقول الرسول ﷺ في الصحيح: «لا تنعت المرأة المرأة لزوجها، كأنّه ينظر إليها، وخالف أبو حنيفة وقال بعدم صحة السلم في الحيوان.

(٤) لأن الشية مأخوذة من وشي الثوب إذا نسج على لونين، ولذا قيل النمام واش لأنه لوّن الكلام بألوان من كذبه وباطله.

(٥) نقل ابن كثير عن ابن جرير الرواية التالية: إنما آمروا بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا، شدّد الله عليهم، وأيم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر.

هدايـة الآيـات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان ما كان عليه قوم موسى من بنى اسرائيل من العجرفة وسوء الأخلاق ليتجنب مثلها المسلمون .

٢ـ حرمة الاعتراض على الشارع ووجوب تسليم أمره أو نهيه ولو لم تعرف فائدة الأمر والنهى وعلتها .

٣ـ الندب الى الأخذ بالمتيسر وكراهة(١) التشدد فى الأمور .

٤ـ بيان فائدة الاستثناء بقول إن شاء الله ، إذ لو لم يقل اليهود ان شاء(٢) الله لمهتدون ما كانوا ليهتدوا إلى معرفة البقرة المطلوبة .

٥ـ ينبغي تحاشي الكلمات التى قد يفهم منها انتقاص الأنبياء مثل قولهم الآن جئت بالحق ، اذ مفهومه أنه ما جاءهم بالحق إلا فى هذه المرة من عدة مرات سبقت !!

وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي(٣) اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ(٤) أَشَدُّ قَسْوَةً(٥) ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ

---

(١) وشاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيحين : «يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا» وقوله ﷺ لأصحابه «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» رواه الترمذي .

(٢) يشهد لصحة هذا أن نبي الله سليمان لما لم يستثن لم تلد له امرأة من المائة إلاّ واحدة ، وجاءت به نصف ولد وقال رسول الله ﷺ «لو استثنى لكان دركاً لحاجته» كما في البخاري .

(٣) لما كانت عقيدة البعث والجزاء ذات تأثير كبير في إصلاح الإنسان خلقاً وسلوكاً ذكرها تعالى في أثناء سياق القصة مع أن اليهود يؤمنون بالبعث الآخر .

(٤) أو: بمعنى الواو وليست لشك وقد تكون بمعنى بل وشاهد الأول قول الشاعر: أتى الخلافة أو كانت له قدراً بمعنى وكانت وشاهد الثاني : ﴿فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ الآية أي : بل يزيدون لاستحالة الشك على الله تعالى .

(٥) القسوة في عرف اللّغة : اليبس والصلابة ، ووصفت قلوب اليهود بذلك لأنها خالية من اللّطف والرحمة . .

مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

شــرح الكلـمات :

نفســـاً : نفس الرجل الذى قتله وارثه استعجالا للإرث .

ادارأتم فيهـا : تدافعتم أمر قتلها كل قبيل يقول قتلها القبيل الآخر.

مـا تكتمـــون : من أمر القاتل ستراً عليه دفعاً للعقوبة والفضيحة .

ببعضـــــهـــا : ببعض أجزاء البقرة كلسانها أو رجلها مثلا .

معنى الآيـات :

يقول تعالى لليهود موبخاً لهم اذكروا إذ قتل أحد أسلافكم قريبه ليرثه فاختصم فى شأن القتل كل جماعة تنفي أن يكون القاتل منها ، والحال أن الله تعالى مظهر ما تكتمونه لا محالة إحقاقاً للحق وفضيحة للقاتلين فأمركم أن تضربوا القتيل ببعض أجزاء البقرة فيحيا ويخبر عن قاتله ففعلتم وأحيا الله القتيل وأخبر بقاتله[1] فقتل به فأراكم الله تعالى بهذه القصة آية من آياتـه الدالة على حلمه وعلمه وقدرته وكان المفروض أن تعقلوا عن الله آياته فتكملوا فى إيمانكم وأخـلاقكم وطـاعتكم ، ولكن بدل هذا قست قلوبكم وتحجرت وأصبحت أشد قساوة من الحجارة فهى لا ترق ولا تلين ولا تخشع على عكس الحجارة إذ منها ما تتفجر منه العيون ، ومنها ما يلين فيهبط من خشية الله كما اندك جبل الطور لما تجلى له الرب تعالى ، وكما اضطرب أُحُد تحت قدمى رسول الله ﷺ وأصحابه . ثم توعدكم الرب تعالى بأنه ليس بغافل عما تعملون من الذنوب والآثام وسيجزيكم به جزاء عادلا إن لم تتوبوا إليه وتنيبوا .

هدايــة الآيـات :

من هدايـة الآيـات :

١ـ صدق نبوة الرسول محمد ﷺ وتقريرها أمام اليهود إذ يخبرهم بأمور جرت لأسلافهم لم

---

(١) في هذه الآية شاهد لمالك في أن الجريح إذا أخبر عن جرحه . ومات أنّ اخباره يعد لَوَثاً وتجري في الحادث القسامة وخالف الجمهور وقالوا : اخبار القتيل لا يكفي في وجود اللوث المقتضي للقسامة ولرأي مالك شاهد من السنة وهي الجارية التي رضّ رأسها كما في البخاري .

يكن يعلمها غيرهم وذلك إقامة للحجة عليهم .

٢ـ الكشف عن نفسيات اليهود وانهم يتوارثون الرعونات والمكر والخداع .

٣ـ اليهود من أقسى البشر قلوباً الى اليوم ، اذ كل عام يرمون البشرية بقاصمة الظهر وهم ضاحكون .

٤ـ من علامات الشقاء قساوة القلوب ، وفى الحديث : «من لا يرحم لا يرحم»*.

أَفَتَطْمَعُونَ(١) أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ(٢)
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾
أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

افتطمعون : الهمزة للانكار الاستبعادى، والطمع تعلق النفس بالشىء رغبة فيه

يؤمنوا لكم : يُتابعونكم على دينكم (الإسلام) .

كلام الله(٣) : فى كتبه كالتوراة والإنجيل والقرآن

يحرفونه(٤) : التحريف الميل بالكلام على وجه لا يدل على معناه كما قالوا فى نعت

---

(١) الطمع كالرجاء، وهو ترقب شيء محبوب وضدها اليأس.

(٢) أي : فهموه فهماً جلياً واضحاً ومع هذا يجافونه على بصيرة.

(٣) ويدخل في الجملة: الذين سمعوا كلام الله مع موسى عليه السلام في جبل الطور وهم السبعون الذين اختارهم موسى وخرج بهم إلى الطور طلبا لتوبتهم.

(٤) التحريف: مصدر حرف الشيء إذا مال به إلى الحرف الذي هو الطرف والبعد عن وسط الجادّة.

* متفق عليه

الرسول ﷺ فى التوراة: اكحل العينين ربعة جعد الشعر حسن الوجه قالوا: طويل أزرق العينين سبط الشعر.

اذا لقوا الذين آمنوا : إذا لقي منافقوا اليهود المؤمنين قالوا آمنا بنبيكم ودينكم

أتحدثونهم : الهمزة للاستفهام الانكارى، وتحديثهم إخبار المؤمنين بنعوت النبى فى التوراة

بما فتح الله عليكم : إذا خلا منافقوا اليهود برؤسائهم أنكروا عليهم اخبارهم المؤمنين بنعوت النبى ﷺ فى التوراة، وهو مما فتح[1] الله به عليهم ولم يعلمه غيرهم.

ليحاجوكم به : يقولون لهم لا تخبروا المؤمنين بما خصكم الله به من العلم حتى لا يحتجوا عليكم به فيغلبوكم وتقوم الحجة عليكم فيعذبكم الله.[2]

أميون : الأمي: المنسوب إلى أمه كأنه ما زال فى حجر أمه لم يفارقه فلذا هو لم يتعلم الكتابة والقراءة.[3]

أماني : الأمانى جمع أمنية وهى إمّا ما يتمناه المرء فى نفسه من شىء يريد الحصول عليه، وإما القراءة من تمنى الكتاب اذا قرأه.[4]

معنى الآيات:

ينكر تعالى على المؤمنين طمعهم فى إيمان اليهود لهم بنبيهم ودينهم، ويذكر وجه استبعاده بما عرف به اليهود سلفاً وخلفاً من الغش والاحتيال بتحريف الكلام وتبديله تعمية وتضليلا حتى لا يُهتدىٰ الى وجه الحق فيه ومن كان هذا حاله يبعد جداُ تخلصه من النفاق والكذب وكتمان الحق ﴿وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ وهم كاذبون واذا خلا بعضهم ببعض أنكروا

(١) من الجائز أن يكون معنى بما فتح الله به عليهم أي: قضى وحكم من انزال المصائب بهم والكوارث بأسلافهم وهي كثيرة لأن فتح تكون بمعنى حكم ومنه قوله تعالى: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ أي: أحكم.

(٢) هذا الكلام جارٍ على عقيدة اليهود في تشبيههم الرب تعالى بحكام البشر في رواج الحيل عليه، وإمكان مغالطته وأنه تعالى يوجد الشيء ثم يندم ويأسف كما هو صريح في التوراة فلذا أنكروا على بعضهم إخبار المؤمنين بصدق النبوة المحمدية مخافة أن يحتجوا عليهم يوم القيامة بذلك.

(٣) وجائز أن يكون منسوبا إلى الأمة فيكون بمعنى العامي المنسوب إلى العامة.

(٤) وشاهده قول الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

تمنى كتاب الله أوّل ليله وآخره لاقى حِمام المقادر

أي: قرأ القرآن في أوّل الليل الذي قتل فيه رضي الله عنه

على أنفسهم ما فَاه به بعضهم للمسلمين من صدق نبوة الرسول وصحة دينه متعللين بأن مثل هذا الاعتراف يؤدى الى احتجاج المسلمين به عليهم وغلبهم فى الحجة وسبحان الله كيف فسد ذوق القوم وساء فهمهم حتى ظنوا ان ما يخفونه يمكن اخفاؤه على الله قال تعالى فى التنديد بهذا الموقف الشائن ﴿أو لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾؟

ومن جَهْلِ بعضهم بما فى التوراة وعدم العلم بما فيها من الحق والهدى والنور ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيَّ﴾ أى إلَّا مُجرَّد قراءة فقط أما إدراك المعانى الموجبة لمعرفة الحق والإيمان به واتباعه فليس لهم فيها نصيب، وما يقولونه ويتفوهون به لم يعد الخرص والظن الكاذب.

هدايـة الآيـات :

من هدايـة الآيـات :

١ـ أن ابعد الناس عن قبول الحق والاذعان له اليهود.

٢ـ قبح إنكار الحق بعد معرفته.

٣ـ قبح الجهل بالله وبصفاته العلا وأسمائه الحسنى.

٤ـ ما كل من يقرأ الكتاب يفهم معانيه فضلا عن معرفة حِكمه وأسراره وواقع أكثر المسلمين اليوم شاهد على هذا فإن حفظة القرآن منهم من لا يعرفون معانيه فضلا عن غير الحافظين له.

فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ
فَوَيۡلٞ(١) لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ(٢) وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فويل لهم﴾ الخ بيان سبب عذابهم وهو كذبهم على الله بكتابة شيء، ونسبته إلى الله تعالى كما هو أكلهم الحرام الذي كسبوه بالكتابة الباطلة.

(٢) قوله بأيديهم. هو نحو نظرته بعيني، وقلته بلساني تأكيد لاغير.

أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

ويـــــل : الويل[1]: كلمة تقال لمن وقع فى هلكة أو عذاب .

الكتـــاب : ما يكتبه علماء اليهود من أباطيل وينسبونه الى الله تعالى ليتوصلوا به الى أغراض دنية من متاع الدنيا القليل .

من عند الله : ينسبون ما كتبوه بأيديهم الى التوراه بوصفها[2] كتاب الله ووحيه الى موسى عليه السلام .

يكســبون : الكسب يكون فى الخير، وهو هنا فى الشر فيكون من باب التهكم بهم .

أياماً معدودة : أربعين[3] يوماً وهذا من كذبهم وتضليلهم للعوام منهم ليصرفوهم عن الاسلام .

أتخذتم عند الله عهدا : الهمزة للاستفهام الانكارى، والعهد: الوعد المؤكد .

سـيّئة : هذه سيئة الكفر والكذب على الله تعالى .

أحاطـت به[4] : الإحاطة بالشيء: الالتفاف به والدوران عليه .

---

(١) الويل مصدر أمات العرب فعله، ومؤنثه الويلة، والجمع الويلات وإعرابه إن افرد ولم يضف الرفع بالابتداء وخبره المجرور بحرف الجر، وإن أضيف إلى ضمير نصب نحو: ويلك لا تفعل كذا، وإن أضيف إلى ظاهر رفع الابتداء نحو ويل أمه . مسعر حرب الحديث. . .

(٢) من المعلوم أن التوراه قد أخذت من اليهود في حملة بختنصر وفي حملةالقائدالروماني ولذا ضاع أكثرها وزيد فيها ونقص منها بحيث ما أصبحت صالحة لهداية البشرية، ومن هنا أصبح علماؤهم يكتبون الكلمات وينسبونها إلى التوراة التي هي كتاب الله في الأصل، ويزعمون أن ما كتبوه هو من كلام الله .

(٣) ذكر ابن كثير في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودة﴾ أن عكرمة قال: (خاصمت اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: لن ندخل النار إلاّ أربعين ليلة وسيخلفنا فيها آخرون يعنون محمداً وأصحابه فقال رسول الله ﷺ بيده على رؤوسهم: بل أنتم خالدون مخلّدون لا يخلفنكم فيها أحد فأنزل الله عز وجل ﴿وقالوا لن تمسنا النار . . ﴾الآية .

(٤) بيّن هذا رسول الله ﷺ بقوله: فى رواية أحمد فقال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه .

خطيئتـــه : الخطيئة واحدة الخطايا وهى الذنوب عامة .
الخلـــود : البقاء الدائم الذى لا تحول معه ولا ارتحال .

معنى الآيـات :

يتوعد الرب تبارك وتعالى بالعذاب الأليم أولئك المضللين من اليهود الذين يحرفون كلام الله ، ويكتبون أموراً من الباطل وينسبونها الى الله تعالى ليتوصلوا بها الى أغراض دنيوية سافلة .

وينكر عليهم تبجحهم الفارغ بأنهم لا يعذبون بالنار مهما كانت ذنوبهم ما داموا على ملة اليهود إلا أربعين يوما ثم يخرجون ، وجائز أن يتم هذا لو كان هناك عهد من الله تعالى قطعه لهم به ولكن أين العهد؟ إنما هو الادعاء الكاذب فقط ثم يقرر العليم الحكيم سبحانه وتعالى حكمه فى مصير الإنسان بدخول النار أو الجنة ذلك الحكم القائم على العدل والرحمة البعيد عن التأثـر بالأنساب والأحساب فيقول بلى ، ليس الأمر كما تدعون ، وإنما هى الخطايا والحسنات فمن كسب سيئة وأحاطتْ[(١)] به خطيئاته[(٢)] فخَبّثتْ نفسَه ولوّثتها فهذا لا يُلائم خبث نفسه إلا النار ، ومن آمن وعمل صالحاً فزكى بالإيمان والعمل الصالح نفسه وطهرها فإنه لا يلائم طهـارةَ روحـه وزكاة نفسه إلا الجنة دار النعيم . أما الحسب والنسب والادعاءات الكاذبة فلا تأثير لها البتة .

هداية الآيـات :

من هداية الآيـات :

١ـ التحذير الشديد من الفتاوى الباطلة التى تحرم ما أحل الله أو تحلل ما حرم ليتوصل بها صاحبها الى غرض دنيوي كمال ، أوحظوة لدى ذى سلطان .

٢ـ إبطال الإنتفاع بالنّسب والإنتساب ، وتقرير أن سعادة الإنسان كشقائه مردهما في السعادة إلى الإيمان والعمل الصالح . وفي الشقاوة إلى الشرك والمعاصي .

٣ـ التنبيه على خَطَرِ الذنوب صغيرها وكبيرها ، وإلى العمل على تكفيرها بالتوبة والعمل الصالح قبل أن تحوط بالنفس فتحجبها عن التوبة والعياذ بالله .

---

(١) دلّ هذا على أنّ المعلق على شرطين لايتم بأقلهما وهو كقوله ﷺ للذي قال له : قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك قال : قل آمنت بالله ثم استقم حديث حسن ذكره النووي في الأربعين

(٢) قرأ نافع خطيئاته بالجمع وقرأ حفص خطيئته بالإفراد .

وَٱلَّذِينَ[1] ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذۡ
أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ[2] إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ[3]
إِحۡسَانٗا وَذِي[4] ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ
لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا[5] مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾
وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمۡ[6] هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ
وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ
إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ
بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ

---

(١) قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا..﴾ الخ بعد ذكر النار وأهلها من باب ذكر الترغيب بعد الترهيب كما هي سنة القرآن الكريم.

(٢) قوله: ﴿لاتعبدون.. الخ﴾ تفسير لمضمون الميثاق والجملة خبرية لفظاً، انشائية معنى، إذ هي في معنى اعبدوا الله وحده، وأحسنوا بالوالدين. وقولوا للناس حسنا الخ.

(٣) الوَالدان: الأم والأب يقال للأم والد ووالدة فلذا ثُنى على الوالدين، أو هو من باب التغليب كالعمرين في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٤) ذي: بمعنى صاحب.

(٥) فيه انصاف واحتراز حيث استثنى مَنْ لم يَتَوَلَّ عَما التزم به من بنود العهد وإن كان قليلاً.

(٦) اعرب (أنتم) خبر مقدّم وهؤلاء مبتدأ مؤخر وتقتلون حال. واعرب أيضاً (أنتم) مبتدأ وهؤلاء منادى والخبر تقتلون: أي: ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون. وفيه معنى التعجب من حالهم والانكار عليهم.

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ[1] ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

الميثــاق : العهد[2] المؤكد باليمين.

حســناً : حسن القـول: الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر والمخاطبة باللين، والكلم الطيب الخالي من البذاءة والفحش.

توليـــتم : رجعتم عما التزمتم به مصممين على أن لا تتوبوا.

ســفك الدماء[3] : إراقتها وصبها بالقتل والجراحات.

تظـاهــرون : قرىء تـظّاهرون، وتظاهرون بتاء واحدة ومعناه تتعاونون.

بالإثـم والعدوان : الإثم: الضار الموجب للعقوبة، والعدوان الظلم.

أســـارى : جمـع أسير: من أخذ في الحـرب.

الخـــزي : الذل والمهانـــة.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في تذكير اليهود[4] بما كان لأسلافهم من خير وغيره والمراد هدايتهم لو كانـوا يهتدون، فقد ذكرهم في الآية (٨٣) بما أخذ الله تعالى عليهم في التوراة من عهود ومواثيق على أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا في عبادته سواه. وأن يحسنوا للوالدين ولذى

(١) أي: باعوا آخرتهم بدنياهم فخسروا خسرانا عظيماً لحقارة الدنيا، وعظم الآخرة، والاشتراء في الآية بمعنى الاستبدال، استبدلوا الآخرة فلم يعملوا لها بالدنيا حيث قصروا أعمالهم على تحصيلها.

(٢) هذا الميثاق تضمنه الوصايا العشر المنزلة على موسى عليه السلام أو على الأقل بعضه والبعض الآخر تضمنه ما أخذ عليهم عند رفع الطور عليهم لما رفضوا الالتزام بما في التوراة.

(٣) قوله تعالى في الآية ﴿تسفكون دماءكم﴾ وقوله ﴿تقتلون أنفسكم﴾ ليس معناه أن أحدهم يقتل نفسه ويسفك أي يسيل دمه، وإنما لا يسفك بعضكم دم بعض، ولا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أمة واحدة.

(٤) هم يهود المدينة، وهم ثلاث طوائف بنو قينقاع وبنو النضير، وقريظة.

القـربى واليتـامى والمسـاكين وأن يقولوا للناس الحسن من القول ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وندّد بصنيعهم حيث نقض هذا العهد والميثاق أكثرهم ولم يفوا به وفي الآية الثانية (٨٤) ذكرهم بميثاق خاص أخذه عليهم في التوراة أيضاً وهو الإسرائيلي لايقتل الإسرائيلي ولا يخرجه من داره بغياً وعدواناً عليه، وإذا وقع في الأسر وجب فكاكه بكل وسيلة ولا يجوز تركه أسيرا بحال، أخذ عليهم بهذا ميثاقاً غليظاً وأقروا به وشهدوا عليه وفي الآية الثالثة (٨٥) وبّخهم على عدم وفائهم بما التزموا به حيث صار اليهودي يقتل[1] اليهودي ويخرجه من داره بغياً وعدواناً عليه. وفي نفس الوقت إن أتاهم يهودي أسيراً[2] فَدَوهُ بالغالي والرخيص، فندد الله تعالى بصنيعهم هذا الذي هو إهمال واجب وقيامٌ بآخر تبعاً لأهوائهم فكانوا كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ومن هنا توعدهم بخزي الدنيا وعذاب الآخرة. وفي الآية الرابعة (٨٦) أخبر أنهم بصنيعهم ذلك اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فكان جزاؤهم عذاب الآخرة حيث لا يخفف عنهم ولا ينصرون فيه بدفعه عنهم.

هدايـة الآيات :

من هدايـة الآيات :

١ـ مشروعية تذكير الناس ووعظهم بما يكون سبباً لهدايتهم.

٢ـ وجوب عبادة الله وتوحيده فيها.

٣ـ وجوب الإحسان إلى الوالدين ولذوي القربى واليتامى[3] والمساكين.

٤ـ وجوب معاملة الناس بحسن[4] الأدب.

---

(١) حصل لهم هذا بالمدينة النبوية وذلك أن سكان المدينة كانوا يتألفون من قبيلتين الأوس والخزرج، وقبائل اليهود الثلاث، وكانت الحروب تندلع بينهم لأتفه الأسباب وكان بنو قينقاع وبنو النضير حلفا للخزرج وبنو قريضة حلفا للأوس، فإذا اندلعت الحرب بين الأوس والخزرج قاتل اليهود مع حلفائهم وبذلك يقتل اليهودي أخاه ويسفك دمه وإذا انتهت الحرب فادوا أسراهم طاعة لله تعالى إذ أوجب ذلك عليهم.

(٢) الأسِر: مأخوذ من الاسار وهو القِدّ الذي يشدّ به المحمل فيسمى أخيذ الحرب أسيراً، لأنّه يشد وثاقه، وجمعه أسرى وأسارى كَسَكْرَىٰ وسُكَارَىٰ، ثم سمي كل أخيذ في الحرب أسيراً.

(٣) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار الراوي بالسبابة والوسطى أي: من أصابعه كما روي أيضاً عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله».

(٤) بأن يكون اللفظ طيباً والوجه منبسطاً.

٥ـ تعرض أمة الإسلام لخزي الدنيا وعذاب الآخرة بتطبيقها بعض أحكام الشريعة وإهمالها البعض الآخر.

٦ـ كفر من يتخير أحكام الشرع فيعمل ما يوافق مصالحه وهواه، ويهمل مالا يوافق.

٧ـ كفر من لا يقيم دين الله إعراضاً عنه وعدم مبالاة به.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى(1) ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا(2) جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ(3) أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾

---

(١) عيسى : مُعَرَّب يسوع أو يشوع لأن عيسى أخف منهما.

(٢) قوله تعالى : ﴿أفكلما جاءكم. . .﴾ الخ إيحاء باللوم والعتاب بل هو تقريع وتوبيخ لليهود على تمردهم على رسلهم بتكذيب البعض وقتل البعض اتباعاً لأهوائهم وأغراضهم الدنية.

(٣) تهوى مضارع هوى بكسر الواو إذا أحب ومنه حديث البخاري والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك أي حبك والقائلة عائشة رضي الله عنها ويجمع الهوى على أهواء.

شـرح الكلمـات :

موســـى : موسـى بن عمران نبي مرسل إلى بني إسرائيل.

الكتـــاب : التـــوراة.

قـفّيـنــا : أرسلناهم يَقْـفُو بعضهم بعضاً أي واحداً بعدَ واحد.

الـرســل : جمع رسول: ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

البينـــات : المعجزات وآيات الله في الإنجيل.

روح[1] الـقـدس : جبريل عليه السـلام.

غـلـــفٌ : عليها غلاف يمنعها من الفهم لما تدعونا إليه، أو هي أوعية للعلم فلا نحتاج معها إلى أن نتعلم عنك.

كتاب من عند الله : القــرآن الكريـم.

يستفتحـون[2] : يطلبـون الفتح أي النصر.

بئســما : بـئـس كلمة ذمّ، ضدها نِعْمَ فإنها للمدح.

بغيـــاً[3] : حســداً وظلمـاً.

باءوا بغـضـب[4] : رجعوا والغضب ضـد الرضا، ومن غضب الله عليه أبعده ومن رضي عنه قربه وأدناه.

مـهـيـن : عذاب فيه إهانة وصغار وذل للمعذب به.

معنـى الآيـات :

مازال السياق الكريم في ذكر إنعام الله تعالى على بني إسرائيل، وذكر معايبهم وبيان مثالبهم لعل ذكر الإنعام يحملهم على الشكر فيؤمنوا، وذكر المعايب يحملهم على الإصلاح والتوبة فيتوبوا ويصلحوا ففي الآية (٨٧) يذكر تعالى منته بإعطاء موسى التوراة وإرسال

---

(١) الروح: جوهر نوراني لطيف لا يدرك بالحواس فيطلق على نفس الإنسان دون أنفس الحيوانات، ويطلق على جبريل عليه السـلام وعلى ملك عظيم من الملائكة، والقدس مصدر أو اسم مصدر بمعنى النزاهة، والطهارة، والمقدس معناه المطهّر المنزّه عما لا يليق به.

(٢) وذلك بأيمانهم واتباعهم للنبي المنتظر إلاّ أنهم لما جاءهم كفروا به، وهذه طبيعتهم كما قيل: شنشنة أعرفها من أخزم.

(٣) مفعول لأجله علّة لكفرهم.

(٤) هل تعدد الغضب لتعدد كفرهم بما أمروا بالإيمان به إذ كفروا بعيسى فباءوا بغضب وكفروا بمحمد ﷺ فباءوا بغضب آخر أو هو شدّة الحال عليهم لكثرة كفرهم وفسقهم؟

الرسل بعده بعضهم على أثر بعض، وبإعطاء عيسى البينات وتأييده بروح القدس جبريل عليه السلام ومع هذا فإنهم لم يستقيموا بل كانوا يقتلون الأنبياء ويكذبونهم فوبخهم الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿أفكلما جاءكم[1] رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾. وفي الآية الثانية (٨٨) يذكر تعالى تبجحهم بالعلم واستغناءهم به، ويبطل دعواهم ويثبت علة ذلك وهي أن الله لعنهم بكفرهم فلذا هم لا يؤمنون وفي الآية الثالثة (٨٩) يذكر تعالى كفرهم بالقرآن ونبيّه بعد أن كانوا قبل بعثة النبي ﷺ يقولون للعرب إن نبياً قد أظل زمانه وسوف نؤمن به ونقاتلكم معه وننتصر[2] عليكم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله[3] عليهم لأنهم كافرون. وفي الآية الرابعة (٨٩) يقبّح الله تعالى سلوكهم حيث باعوا أنفسهم رخيصة، باعوها بالكفر فلم يؤمنوا بالقرآن ونبيّه حسداً[4] أن يكون في العرب نبي يوحى إليه ورسول يطاع ويتبع، فرجعوا من طول رحلتهم في الضلال بغضب عظيم سببه كفرهم بعيسى، وبغضب عظيم سببه كفرهم بمحمد ﷺ ومع الغضب العذاب المهين في الدنيا والآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ واجب النعمة الشكر، وواجب الذنب التوبة.

٢ـ قبح رد الحق لعدم موافقته لهوى النفس. ٣ـ فظاعة جريمة القتل والتكذيب بالحق.

٤ـ سوء عاقبة التبجح بالعلم وإدعاء عدم الحاجة إلى المزيد منه.

٥ـ ذم الحسد وأنه أخو البغي وعاقبتهما الحرمان والخراب.

٦ـ شر ما يخاف منه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى.

---

(١) الجمهور من النحاة على أن همزة الاستفهام في ﴿أفكلما جاءكم﴾ ونحوها مقدمة من تأخير إذ موقعها بعد الفاء العاطفة ولما كان حرف الاستفهام وخاصة الهمزة له الصدارة، قدمت الهمزة على الفاء العاطفة فقال ﴿أفكلّما﴾ وخلاف الجمهور يرى أن الهمزة داخلة على محذوف يقدر بحسب المقام.

(٢) هذا معنى قوله تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾.

(٣) لم يقل الله تعالى فلعنة الله عليهم وإنما قال فلعنة الله على الكافرين إشارة إلى سبب اللعنة وهو الكفر لا الجنس أو العِرق وليعم كلّ كافر أيضاً.

(٤) سمي الحسد بغياً وظلما، لأن البغي والظلم بمعنى، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، والحاسد متمنٍّ زوال النعمة عن المحسود، وهو في هذا الحال ظالم متعد لأنه لا يناله من زوالها نفع ولا من بقائها ضرر.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ(١) وَهُوَ ٱلْحَقُّ(٢) مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ(٣) أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم(٤) بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟(٥) ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

بما أنزل الله : من القرآن.

بما أنزل علينا : التوراة.

وهو الحق مصدقاً : القرآن الكريم مقرر لأصول الأديان الإلهية كالتوحيد والنبوات والبعث والجزاء في الدار الآخرة.

البينات : المعجزات.

---

(١) أي: بما سواه وهو القرآن الكريم دلّ عليه السياق.
(٢) جملة ﴿وهو الحق﴾ حالية و﴿مصدقا﴾ حال مؤكدة ويصح أن تكون حال مؤسسة.
(٣) الإتيان بالمضارع في ﴿تقتلون﴾ مع أن القتل قد مضى لقصد استحضار الحالة الفظيعة كما فيه إشارة إلى استعدادهم لفعل تلك الفعلة الشنيعة وهي قتل الأنبياء والعلماء.
(٤) فإن قيل لقد سبق مثل هذا القصص فما الفائدة من إعادته هنا؟ الجواب: أنه ذكر فيه ما لم يذكر هناك وهو قوله ﴿واسمعوا...﴾ الخ.
(٥) قوله: ﴿واسمعوا﴾ ليس المراد السماع بالحاسة، وإنما المراد الطاعة والامتثال كقول المرء: فلان لا يسمع كلامي، فإنّ معناه لا يمتثل أمري ولا يطيعني. كما أن قوله: ﴿وعصينا﴾ ليس معناه النّطق بلفظ عصينا وإنما معناه أنهم لم يمتثلوا الأمر الصادر إليهم.

اتخذتم العجل : يريد إلهـاً عبدتموه في غيبة موسى عليه السـلام.

وأشربوا في قلوبهم العجل : أي حب العجل الذي عبدوه بدعوة السامري لهم بذلك.

معنـى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في بني إسرائيل وتقريعهم على سوء أفعالهم ففي الآية الأولى (٩١) يخبر تعالى أن اليهود إذا دعوا إلى الإيمان بالقرآن يدّعون أنهم في غير حاجة إلى إيمان جديد بحجة أنهم مؤمنون من قبل بما أنزل الله تعالى في التوراة وبهذا يكفرون بغير التوراة وهو القرآن مع أن القرآن حق والدليل أنه مصدق لما معهم من حق في التوراة ثم أمر الله رسوله أن يبطل دعواهم موبخاً إياهم بقوله: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ إذ قتل الأنبياء يتنافى مع الإيمان تمام المنافاة.

وفي الآية الثالثة (٩٣) يذكّر تعالى اليهود بما أخذه على أسلافهم من عهد وميثاق بالعمل بما جاء في التوراة عندما رفع الطور فوق رؤوسهم تهديداً لهم غير أنهم لم يفوا بما عاهدوا عليه كأنهم قالوا سمعنا وعصينا، فعبدوا العجل وأشربوا حبه في قلوبهم بسبب كفرهم ثم أمر رسوله ﷺ أن يقبّح ما ادّعوه من أن إيمانهم هو الذي أمرهم بقتل الأنبياء وعبادة العجل، والتمرد والعصيان.

هدايـة الأيـات :

من هدايـة الآيـات :

١ـ مشروعية توبيخ أهل الجرائم على جرائمهم إذا أظهروها.

٢ـ جرأة اليهود على قتل الأنبياء والمصلحين من الناس.

٣ـ وجوب أخذ أمور الشرع بالحزم والعزم والقوة.

٤ـ الإيمان الحق لا يأمر صاحبه إلا بالمعروف، والإيمان الباطل المزيف يأمر صاحبه بالمنكر.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ[1] ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن

(١) هذه الآية تحمل الرد على مزاعم أخرى لليهود وهي دعواهم أنهم أولياء الله وأن الجنة لهم دون غيرهم ولذا فهم في غير حاجة إلى دين جديد كالإسلام الذي جاء به محمد ﷺ فأمر الله رسوله أن يباهلهم فطلب منهم أن يتمنوا الموت وسألوه فنكلوا ولم يباهلوا وظهر بذلك كذبهم وتمّت فضيحتهم.

دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَن كَانَ عَدُوًّا[1] لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ[2]
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

شرح الكلمات :

الدار الآخرة : المراد منها نعيمها وما أعد الله تعالى فيها لأوليائه.

خالصة : خاصة لا يدخلها أحد سواكم.

تمنوا الموت : تمنّوه في نفوسكم واطلبوه بألسنتكم فإن من كانت له الدار الآخرة لا خير له في بقائه في الدنيا.

إن كنتم صادقين : أي في دعوى أن نعيم الآخرة خاص بكم لا يشارككم فيه غيركم.

حياة : التنكير فيها لتعم كل حياة ولو كانت ذميمة.

يودّ : يحب

---

(١) روى الترمذي في سبب نزول ﴿مَنْ كان عدوا لجبريل. . .﴾ الخ أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: إنّه ليس نبي من الأنبياء إلّا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربّه بالرسالة وبالوحي فمن صاحبك حتى نتابعك؟ قال جبريل. قالوا: ذلك الذي ينزل بالحرب وبالقتال ذلك عدونا لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالقطر والرحمة تابعناك فأنزل الله الآية إلى قوله ﴿للكافرين﴾.

(٢) ذكر جبريل وميكائيل بعد ذكرهم في عموم الملائكة دليل على شرفهما وعلو مقامهما.

الذين أشركوا : هم غير أهل الكتاب من سائر الكفار.

بمزحزحه : بمبعده من العذاب.

أن يعمر : تعميره ألف سنة.

جبريل : روح القدس الموكل بالوحي يتنزل به على رسول الله ﷺ.

نزّله على قلبك : نزل جبريل القرآن على قلب رسول الله ﷺ.

مصدقاً لما بين يديه : القرآن مصدق لما في الكتب السابقة من نعت الرسول ﷺ والبشارة به ومن التوحيد ووجوب الاسلام لله تعالى.

ميكال : ميكال وميكائيل: ملك من أعاظم الملائكة وقيل معناه عبيد الله.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فى الرد على اليهود وإبطال ججهم الواهية ففي الآية الأولى (٩٤) أمر الله تعالى الرسول ﷺ أن يقول لهم مباهلاً إياهم: إن كانت الدار الآخرة خالصة لكم لا يدخل الجنة معكم احد فتمنوا الموت لتدخلوا الجنة وتستريحوا من عناء الدنيا ومكابدة العيش فيها فإن لم تتمنوا ظهر كذبكم وثبت كفركم وأنكم أصحاب النار، وفعلاً ما تمنوا الموت ولو تمنوه لماتوا عن آخرهم.

وفي الآية الثانية (٩٥) أخبر تعالى أن اليهود لن يتمنوا الموت أبداً وذلك بسبب ما قدموه من الذنوب والخطايا العظام الموجبة لهم عذاب النار بأنهم مجرمون ظلمة والله عليم بالظالمين وسيجزيهم بظلمهم إنه حكيم عليم.

وفي الآية الثالثة (٩٦) يخبر الله تعالى أن اليهود أحرص الناس على الحياة حتى من المشركين الذين يود الواحد منهم أن يعيش ألف سنة، فكيف يتمنون الموت إذاً وهم على هذا الحال من الحرص على الحياة، وذلك لعلمهم بسوء مصيرهم إن هم ماتوا. كما يخبر تعالى أن الكافر لا ينجيه من العذاب طول العمر ولو عاش أكثر من ألف سنة، ثم هدد الله تعالى اليهود وتوعدهم بقوله ﴿والله بصير بما يعملون﴾ من الشر والفساد وسيجزيهم به.

(١) في جبريل وميكائيل لغات عدة، أشهرها جبريل وجبرائيل وجبرين ـ بالنون ـ وميكائيل، وميكال وميكئل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل: عبدالله، وميكائيل، عبيد الله.

وفي الآية الرابعة (٩٧) يأمر تعالى رسوله أن يرد على اليهود قولهم: لو كان الملك الذى يأتيك بالوحي ميكائيل لآمنا بك، ولكن لما كان جبريل فجبريل عدونا لأنه ينزل بالعذاب، بقوله: ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ فليمت غيظاً وحنقاً فإن جبريل هو الذي ينزل بالقرآن بإذن ربه على قلب رسوله مصدقاً ـ القرآن ـ لما سبقه من الكتب وهدى يهتدى به وبشرى يبشر به المؤمنون الصالحون.

وفي الآية الخامسة (٩٨) يخبر تعالى أن من يعاديه عز وجل ويعادي أولياءه(١) من الملائكة والرسل وبخاصة جبريل فإنه كافر، والله عدو له ولسائر الكافرين.

هدايـة الآيـات :

من هدايـة الآيـات :

١ـ صحة الإسلام، وبطلان اليهودية، وذلك لفشل اليهود في المباهلة بتمني الموت.

٢ـ المؤمن الصالح يفضل الموت على الحياة لما يرجوه من الراحة والسعادة بعد الموت.

٣ـ صدق القرآن فيما أخبر به عن اليهود من حرصهم على الحياة ولو كانت رخيصة ذميمة إذ هذا أمر مشاهد منهم إلى اليوم.

٤ـ عداوة الله تعـالى للكافرين. ولذا وجب على المؤمن معاداة أهل الكفر لمعاداتهم لله، ومعاداة الله تعالى لهم.

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ(٢)
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ(٣) ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

(١) في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.

(٢) ذكر الطبري أن قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات...﴾ إلى قوله ﴿الفاسقون﴾ نزل ردًّا على ابن صوريًا اليهودي حيث قال للرسول ﷺ: ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية بيّنة فنتبعك بها.

(٣) كابن صوريًا وأضرابه ممّن تعمدوا الخروج عن منهج الحق وهم يعلمون.

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ[1] فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

شرح الكلمات :

آيات بينات : هي آيات القرآن الكريم الواضحة فيما تدل عليه من معان.

يكفر بها : يجحد بكونها كتاب الله ووحيه الى رسوله محمد ﷺ.

الفاسقون : الخارجون عما يجب أن يكونوا عليه من الإيمان بالله والإسلام له ظاهراً وباطناً.

أو كلما عاهدوا : الهمزة للإستفهام الإنكاري والواو عاطفة على تقديره أكفروا بالقرآن ونبيه وكلما عاهدوا الخ . .

العهد : الوعد الملزم.

نبذه : طرحه وألقاه غير آبه به ولا ملتفت إليه.

رسول : التنكير للتعظيم والرسول هو محمد ﷺ، ومن قبله عيسى عليه السلام.

لما معهم : من نعتِ الرسول ﷺ وتقرير نبوته، وسائر أصول الدين في التوراة.

كتاب الله : التوراة[2] لدلالتها على نبوة النبي محمد ﷺ وصحة دينه الإسلام.

وراء ظهورهم: أي أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه لمنافاته لما هم معروفون عليه من الكفر بالنبي محمد ﷺ كأنهم لا يعلمون مع أنهم يعلمون حق العلم.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير نبوة رسول الله ﷺ وعموم رسالته والرد على اليهود وإظهار

---

(١) النبذ: الطرح والالقاء، ولذا سمي اللقيط منبوذاً، وسمي النبيذ نبيذاً لأنّه طرح التمر والزبيب في الماء وعليه قول الشاعر:
نظرت إلى عنوانه فنبذته   كنبذك نعلا من نعالكا

(٢) وجائز أن يكون القرآن الكريم، فقد نبذوه أيضاً بعد علمهم بأنه الحق مصدقاً لما معهم.

ما هم عليه من الفسق والكفر والظلم ففي الآية الأولى (٩٩) يرد تعالى على قول ابن صوريا اليهودي للرسول ﷺ ما جئتنا بشيء بقوله: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ كالأعور بن صوريا اليهودي وفي الآية الثانية (١٠٠) ينكر الحق سبحانه وتعالى على اليهود كفرهم ونبذهم للعهود والمواثيق وليسجل عليهم عدم إيمان أكثرهم بقوله: ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾. وفي الآية الثالثة (١٠١) ينعى البارىء عز وجل على علماء اليهود نبذهم للتوراة لما رأوا فيها من تقرير نبوة محمد ﷺ وإثباتها فقال: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ[١] فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم[٢] كأنهم لا يعلمون﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الفسق العام ينتج الكفر، إن العبد إذا فسق[٣] وواصل الفسق عن أوامر الله ورسوله سيؤدي به ذلك إلى أن ينكر ما حرم الله وما أوجب فيكفر لذلك والعياذ بالله.

٢ـ اليهود لا يلتزمون بوعد ولا يفون بعهد، فيجب أن لا يوثق في عهودهم أبداً.

٣ـ التوراة أحد كتب الله عز وجل المنزلة أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران عليه السلام.

٤ـ قبح جريمة من تنكّر للحق بعد معرفته، ويصبح وكأنه جاهل به.

وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟[٤] ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ

---

(١) قال السدي في تفسير هذه الآية: لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف، وسحر هاروت وماروت فلم توافق القرآن. فهذا معنى: ﴿ولمّا جاءهم...﴾ الخ.

(٢) الظهور: جمع ظهر ويجمع على ظهران يقال لمن أعرض عن شيء رماه وراء ظهره.

(٣) الفسق: مشتق من فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها، وبه سميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها على أهل الدّار.

(٤) اشتهر بين علماء السلف أن ما تتلوه الشياطين على عهد ملك سليمان كان سببه أن مردة من الشياطين كتبوا كتاباً ضمنوه الكثير من ضروب السحر والشعوذة والأباطيل ونسبوه إلى كاتب سليمان وهو آصف ودفنوه تحت كرسي سليمان حين ابتلى بنزع ملكه ولما مات سليمان أخرج الكتاب شياطين الجن بالتعاون مع شياطين الإنس وأعلنوا في الناس أن سليمان كان ساحراً وما غلب الجن والإنس إلاّ بالسحر فصدقهم أناس وكذّب آخرون ولما بُعث محمد ﷺ وكفر به اليهود وتنكروا للتوراة لاتفاقها مع القرآن أنزل الله تعالى قوله: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ فبرأ سليمان وكفّر اليهود.

سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ(1) وَمَآ أُنزِلَ عَلَى(2) ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾

شرح الكلمات :

ما تتلوا الشياطين : الذي تتبعه وتقول به الشياطين من كلمات السحر.

على ملك سليمان : على عهد ملك سليمان ووقت حكمه.

الشياطين : جمع شيطان وهو من خبث وتمرد ولم يبق فيه قابلية للخير.

---

(١) قيل: السحر مشتق من قولهم سحرت الصبي إذا خدعته أو عللته بشيء ومنه قول الشاعر:
أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
يريد أن الناس مسرعون إلى الموت وهم مخدوعون بالطعام وبالشراب.
(٢) لم يكن انزالاً بمعنى الوحي الإلهي ولكن كان إلهاما لهما فبرعا فيه وتفوقا على غيرهما.

السـحـر [١] : هو كل ما لطف مأخـذه وخفي سببه مما له تأثير على أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم.

هاروت وماروت : ملكان وجدا للفتنــة.

فلا تكفــر : لا تتعلمْ منا السحر لتضر به فتكفرْ بذلك.

بين المرء وزوجه : بين الرجـل وامـرأته.

اشـتراه : اشترى السحر بتعلمه والعمل به.

الخـلاق : النصيب[٢] والحـظ.

ما شـروا : ما باعـوا به أنفسـهم.

لمثوبــة : ثـواب وجــزاء.

معنى الآيتين :

مازال السياق الكريم في بيان ما عليه اليهود من الشر والفساد ففي الآية الأولى (١٠٢) يخبر تعالى أن اليهود لما نبذوا التوراة لتقريرها بنبوة محمد ﷺ وتأكيدها لصحة دينه اتبعوا الأباطيل والترهات التي جمعها شياطين الإنس والجن في صورة رُقىً وعزائم وكانوا يحدثون بها، ويدّعون أنها من عهد سليمان بن داود عليهما السلام وأنها هي التى كان سليمان يحكم بها الإنس والجن، ولازم هذا أن سليمان لم يكن رسولاً ولا نبياً وإنما كان ساحراً كافراً فلذا نفى الله تعالى عنه ذلك بقوله: ﴿وما كفر سليمان﴾ وأثبته للشياطين فقال: ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾. كما يعلمونهم ما أُلهِمَهُ الملكان هاروت وماروت[٣] ببابل العراق من ضروب السحر وفنونه وهنا أخبرنا تعالى عن ملكي الفتنة أنهما يقولان لمن جاءهما يريد تعلم السحر: إنما نحن فتنة فلا تكفر بتعلمك السحر وهذا القول منهما يفهم منه

---

(١) حصر بعضهم أصول السحر في ثلاثة هي:

١ـ زجر النفوس بمقدمات توهيمية وارهابية بما اعتاده الساحر من التأثير النفساني في نفس المسحور الضعيف روحا المستعد لقبول التأثير ويشهد لهذا قوله تعالى ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾

٢ـ استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من حيوان ومعادن كالزئبق وسائر العقاقير المؤثرة ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إنّما صنعوا كيد ساحر﴾.

٣ـ الشعوذة باستخدام خفايا الحركة والسرعة حين يخيّل أنّ الجماد يتحرك. ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ الآية.

(٢) الحظ والنصيب من الخير خاصة لقوله ﷺ: «إنّما يلبس هذا من لا خلاق له».

(٣) الملكان وهما هاروت وماروت ذكر قصّتهما علماء السلف ورواها مثل أحمد وعبدالرزاق وابن أبي حاتم وابن جرير وخلق كثير ولم يصحّ فيها حديث عن النبي ﷺ ولكنها مروية عن ابن عمر، وابن عباس وعلي رضي الله عنهم ولعلها مروية عن كعب الأحبار، وفي الآيات عبارة وإشارة ولا مانعا شرعا ولا عقلا من هذه القصة، ومفادها أن الملائكة انكروا على بني آدم=

بوضوح أن أقوال الساحر وأعماله التي يؤثر بها على الناس منها ما هو كفر في حكم الله وشرعه قطعاً.

كما أخبر تعالى في هذه الآية أن ما يتعلمه الناس من الملكين إنما يتعلمونه ليفرقوا بين الرجل وامرأته، وأن ما يحدث به من ضرر هو حاصل بإذن الله تعالى حسب سننه في الأسباب والمسببات، ولو شاء الله أن يوجد مانعاً يمنع من حصول الأمر بالضرر لفعل وهو على كل شيء قدير. فبهذا متعلموا السحر بسائر أنواعه إنما هم يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم. وفي آخر الآية يقرر تعالى علم اليهود بكفر الساحر ومتعلم السحر ومتعاطيه حيث أخبر تعالى أنهم لا نصيب لهم في الآخرة من النعيم المقيم فيها فلذا هم كفار قطعاً.

وأخيراً يقبح تعالى ما باع به اليهود أنفسهم، ويسجل عليهم الجهل بنفي العلم إذ قال تعالى: ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾.

وفي الآية الثانية (١٠٣) يفتح تعالى على اليهود باب التوبة فيعرض عليهم الإيمان والتقوى فيقول: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ـ الاعراض عن الكتاب والسنة لتحريمهما الشر والفساد والظلم يفتح أمام المعرضين أبواب الباطل من القوانين الوضعية، والبدع الدينية، والضلالات العقلية قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل (سبيل السّعادة والكمال) ويحسبون أنهم مهتدون﴾.

٢ـ كفر[1] الساحر وحرمة تعلم السحر، وحرمة استعماله.

= ما يرتكبون من الذنوب والمعاصي ويعجبون من ذلك فأمرهم تعالى أن يختاروا ملكين منهم ويركب فيهم غرائز بني آدم ويكلفهم وينزلهم إلى الأرض يعبدون الله كبني آدم ثم ينظرون هل يعصون الله أو لايعصونه فلمانزلا إلى الأرض ارتكبا كبائر الذنوب فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فجعلا في بابل يعلمان الناس السحر فإذا أتاهما من يريد ذلك نصحا له بأن تعلم السحر كفر فإذا أصرّ وجّهاه إلى شيطان فأتاه فعلمه كيفية السحر وما يصل إليها إلا بعد أن يكفر أفظع أنواع الكفر.

(١) اختلف هل للسحر حقيقة أو هو مجرد خداع لا أصل له. أهل السنة والجماعة أنّ له حقيقة وهو أنواع عديدة وحكمه أن من تعاطاه إذا أضرّ به فأفسد عقلا أو عضوا أو قتل فإنه يقتل بذلك وإلاّ فإنه يعزر حتى يتوب منه، ويشهد لمذهب الجمهور أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم وأنزل الله تعالى سورة الفلق فرقاه بها جبريل فشفي وقال: إن الله شفاني. والحديث في البخاري وغيره.

٣ـ الله تعالى خالق الخير والضَّيْر ولا ضرر ولا نفع إلا بإذنه[1] فيجب الرجوع إليه في جلب النفع، ودفع الضر بدعائه والضراعة إليه.

٤ـ العلم المبهم كالظَّن الذي لا يقين معه لايغير من نفسية صاحبه شيئاً فلا يحمله على فعل خير ولا على ترك شر بخلاف الرسوخ في العلم فإن صاحبه يكون لديه من صادق الرغبة وعظيم الرهبة ما يدفعه إلى الإيمان والتقوى ويجنبه الشرك والمعاصي. وهذا ظاهر في نفي الله تعالى العلم عن اليهود فى هاتين الآيتين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

شرح الكلمات :

راعنا : أمهلنا وانظرنا حتى نعى ما تقول.

انظرنا : أمهلنا حتى نفهم ما تقول ونحفظ.

الكافرين : الجاحدين المكذبين لله ورسوله المستهزئين بهما أو بأحدهما.

أليم : كثير الألم شديد الإيجاع.

من أهل الكتاب ولا المشركين : اليهود والنصارى والوثنيين من العرب وغيرهم.

من خير من ربكم : من الوحي الإلهي المشتمل على التشريع المتضمن لكل أنواع الهداية وطرق الإسعاد والإكمال في الدارين.

---

(١) ذكر القرطبي أن ابن بطال قال: في كتاب وهب بن منبّه أن يأخذ المسحور سبع ورقات من سدر أخضر فيدقّها بين حجرين ثم يخلطها بالماء ويقرأ عليها آية الكرسي ثم يحسو منها ثلاث حسيات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما ألم إن شاء الله تعالى.

الفضـــــل : ما كان من الخير غير محتاج إليه صاحبه، والله عز وجل هو صاحب الفضل إذ كل ما يمن به ويعطيه عباده من الخير هو في غنى عنه ولا حاجة به إليه أبداً.

معنى الآيتين :

أما الآية الأولى (١٠٤) فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يُراعوا[1] الأدبْ في مخاطبة نبيّهم ﷺ تجنباً للكلمات المشبوهة ككلمة راعنا، إذ قد تكون من الرعونة، ولما تدل عليه صيغة المفاعلة إذ كأنهم يقولون راعنا نُرَاعِكَ، وهذا لا يليق أن يخاطب به الرسول ﷺ.

وأرشدهم تعالى إلى كلمة سليمة من كل شبهة تنافي الأدب وهي انظرنا[2]،وأمرهم أن يسمعوا لنبيّهم إذا خاطبهم حتى لا يضطروا إلى مراجعته ؛ إذ الاسْتِهْزَاءُ بالرسول والسخرية منه ومخاطبته بما يفهم الاستخفاف بحقه وعلوّ شأنه وعظيم منزلته كفر بواح.

وفي الآية الثانية (١٠٥) أخبر تعالى عباده المؤمنين بأن الكافرين من أهل الكتاب ومن غيرهم من المشركين الوثنيين لا يحبون أن يُنزل عليكم من خير من ربكم وسواء كان قرآناً يحمل أسمى الآداب وأعظم الشرائع وأهدى سبل السعادة والكمال، أو كان غير ذلك من سائر أنواع الخيرات، وذلك حسداً منهم للمؤمنين كما أخبرهم أنه تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده فحسد الكافرين لكم لا يمنع فضل الله عليكم ورحمته بكم متى أرادكم بذلك.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١- وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ في مخاطبته بعدم استعمال أي لفظة قد تفهم غير الإجلال والإكبار له ﷺ.

٢- وجوب السماع لرسول الله بامتثال أمره واجتناب نهيه، وعند مخاطبته لمن أكرمهم الله تعالى بمعايشته والوجود معه.

---

(١) سبب نزول هذه الآية: ﴿يا أيها الذين . . .﴾ الخ أن اليهود استغلوا كلمة راعنا وصاروا يقولونها لرسول الله ﷺ وهم ينوون بها سبّ رسول الله ﷺ لوجود كلمة في العبرية مثلها ومعناه السبّ والشتم كالرعونة فأنزل الله هذه الآية أرشد فيها المسلمين إلى ترك كلمة راعنا وابدالها بانظرنا فانقطع الطريق عن اليهود لعنهم الله.

(٢) معنى انظرنا: هو معنى راعنا ولكن لما استعملها اليهود وصاروا ينوون بها سب النبي ﷺ لأنها عندهم من الرعونة لذلك أرشد الله المسلمين إلى كلمة انظر.

٣ـ التحذير[١] من الكافرين كتابيين أو مشركين لأنهم أعداء حسدة للمؤمنين فلا يحل الركون إليهم والإطمئنان إلى أقوالهم وأفعالهم، إذ الريبة لا تفارقهم.

۞ مَا نَنسَخْ[٢] مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن[٣] دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ[٤] أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

شـرح الكلمـات:

نـنسـخ: نبـدّل أو نزيـل.

مـن آيـة: من آيات القـرآن: جملة كلمات تحمـل معنى صحيحاً كالتحريم أو التحليل، أو الإباحة.

ننسـهـا: نمـحها من قلب النبـي ﷺ.

ألـم تعلـم: الاستـفهام للتقـرير.

ولـيّ: حـافظ يحفظكـم بتولي أموركم.

---

(١) في هذه الآية ارشاد المسلمين إلى عدم مشابهة الكافرين في القول والعمل وحتى في الزي واللباس ويشهد لهذا رواية أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبّه بقوم فهو منهم».

(٢) معرفة الناسخ والمنسوخ ضرورية للعالم. يُروى أن عليا رضي الله عنه أرسل إلى رجلٍ كان يخوف الناس في المسجد فجاءه فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، قال: فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه. وعن ابن عباس مثله وقال له: هلكت وأهلكت.

(٣) مِنْ لابتداء الغاية والثانية وهي ﴿مِنْ وليٍّ ولا نصير﴾ صلة.

(٤) أم هنا: هي المنقطعة بمعنى: بل الإضرابية.

نصـــــــير : ناصر يدفع عنـكم المكـــروه.

أم تريـــدون : بل أتريدون، إذ أم هنا للإضراب الانتقالي فهي بمعنى بل والهمزة، وما سئله موسىٰ هو قول بني إسرائيل له : (أرنا الله جهرة).

ســواء الســبيل : وسط الطريق الآمن من الخروج عن الطريق.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى راداً على الطاعِنين فى تشريعه الحكيم الذين قالوا إن محمداً يأمر أصحابه[1] اليوم بأمر وينهى عنه غداً أنه تعالى ما ينسخ من آية تحمل حكمًا شاقاً على المسلمين إلى حكم أخف كنسخ الثبوت لعشرة في قتال الكافرين إلى الثبوت إلى إثنين. أو حكمًا خفيفاً إلى شاق زيادة في الأجر كنسخ يوم عاشوراء بصيام رمضان، أو حكمًا خفيفاً إلى حكم خفيف مثله كنسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، أو حكمًا إلى غير حكم آخر كنسخ صدقة من أراد أن يناجى رسول الله ﷺ فإن الحكم رفع ولم يشرع حكم آخر بدلاً عنه، أو نسخ الآية بإزالتها من التلاوة ويبقىٰ حكمها كآية الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله فقد نسخ اللفظ من التلاوة وبقي الحكم. أو بنسخ الآية وحكمها. وهذا معنى قوله أو ننسها وهي قراءة نافع، فقد ثبت أن قرآناً نزل وقرأه رسول الله ﷺ وبعض أصحابه ثم نسخه الله تعالى لفظاً ومعنى فمحاه من القلوب بالمرة فلم يقدر على قراءته أحد. وهذا مظهر من مظاهر القدرة الإلهية الدال عليه قوله: ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾، وهو أيضاً مظهر من مظاهـر التصرف الحكيم الـدال عليه قولـه: ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ فهو تعالى يتصرف فينسخ ويبقي ويأتي بخير مما نسخ أو بمثله بحسب حاجة الأمة ومتطلبات حياتها الروحية والمادية. فسبحانه من إله قدير حكيم: ينسي ما يشاء وينسخ ما يريد.

أما قوله تعالى في آية (١٠٨): ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم[2]﴾، فهو توبيخ لمن طالب

---

(١) في الكلام إشارة إلى سبب نزول هذه الآيات والمراد بالذين قالوا إن محمداً. . الخ هم اليهود، واليهود ينفون وجود النسخ في الشرائع وهم مخطئون في ذلك خطأً كبيراً، إذ قد أباح الله تعالى لآدم أن يُنكح بناته بنيه فترة من الزمن ثمّ نسخ ذلك، وأباح لنوح أكل سائر الحيوان بعد نزوله من السفينة ثم نسخ ذلك. كما أوحي الله إلى ابراهيم أن يذبح ولده ثم نسخ ذلك إذ فداه بذبح عظيم قبل الذبح وهذا نسخ للأمر قبل فعله.

(٢) قوله تعالى: ﴿كما سئل موسى من قبل. . .﴾ معنى سؤال بني اسرائيل موسى بأن يريهم الله جهرة أي مواجهة بعد أن سمعوا كلامه، كما سألوه غير هذا تعنتًا وجهلا بمقام الرسول موسى عليه السلام ولذا حذّر الله المؤمنين من مثل هذه المواقف القبيحة.

الرسول ﷺ بأمور ليس في مكنته، وإعلام بأن من يجري على أسلوب التعنت وسوء الأدب مع الرسول ﷺ قد يصاب بزيغ القلب فيكفر، دلّ على هذا قوله تعالى: ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾.

هداية الآيـات:

من هداية الآيـات:

١- ثبوت النسخ في القرآن الكريم، كما هو ثابت في السنة، وهما أصل التشريع ولا نسخ في قياس ولا إجماع.

٢- رأفة الله تعالى بالمؤمنين في نسخ الأحكام وتبديلها بما هو نافع لهم في دنياهم وآخرتهم.

٣- وجوب التسليم لله والرضا بأحكامه، وعدم الاعتراض عليه تعالى.

٤- ذم التنطع في الدين وطرح الأسئلة المحرجة[1] والتحذير من ذلك.

وَدَّ كَثِيرٌ[2] مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا[3]
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم[4] مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟[5]
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
(١٠٩) وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم

---

(١) روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «هلك المتنطعون» وفسر بالمتعنتين في السؤال عن عويص المسائل التي يندر وقوعها.

(٢) مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما ظاهرة، وهي أنه لما حذّر تعالى المؤمنين من مسلك اليهود مع أنبيائهم في الأسئلة المحرجة المتعنتة أعلمهم أن اعداءهم من اليهود يودون لهم الكفر بعد إيمانهم حسداً لهم وعلى رأس هؤلاء كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وغيرهم كما أن ابن أبيّ وجماعة من سكان المدينة كانوا يعملون جاهدين على صرف من آمن عن إيمانه ولما لم يحن الوقت للقتال أمرهم تعالى بالصفح والعفو والاعداد حتى يأتي الأمر بالقتال.

(٣) الحسد ثلاثة أنواع: وهي تمني زوال نعمة عمن هي به، وتمني زوالها ولو لم تحصل لمتمنيها وهذا شرّ وأقبح من الأول وهما محرمان لما فيهما من تسفيه المنعم عز وجل إذ الحاسد معترض على قسمة الله وعطائه عباده ما شاء. وتمني حصول نعمة كالتي حصلت لغيره وهذا مباح وليس حراماً ويشهد له حديث الصحيح: «لا حسد إلا في اثنتين» الحديث ويسمى غبطة.

(٤) جملة: ﴿من عند أنفسهم﴾ تأكيد لمضمون التي قبلها. ومنه قوله تعالى: ﴿يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون بأفواههم﴾.

(٥) فاعفوا: أصلها فاعفووا، حذفت الضمّة للثقل، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين فصارت فاعفوا.

مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

شـرح الكلمـات :

ودّ : أحـبّ.

أهـل الكتاب : اليهود والنصارى.

حسـداً : الحسد تمني زوال النعمة على من هي به.

تبين لهم الحق : عرفوا أن محمداً رسول الله وأنَّ دينه هو الدين الحق.

فاعفـوا واصفحوا : لا تؤاخذوهم ولا تلوموهم، إذ العفو ترك العقاب والصفح الإعراض عن المذنب.

حتي يأتي الله بأمره : أي الإذن بقتالهم والمراد بهم يهود المدينة وهم بنو قينقاع وبنو النضير، وبنو قريظـة.

وأقيموا الصلاة : إقامة الصلاة أداؤها في أوقاتها مستوفاة الشروط والأركان والسنن.

وآتوا الزكـاة : أعطوا زكاة أموالكم وافعلوا كل ما من شأنه يزكي أنفسكم من الطاعات.

معنى الآيتين :

في الآية الأولى (١٠٩) يخبر تعـالى المؤمنين بنفسيّة كثير من أهل الكتاب وهي الرغبة الملحة في أن يتخلى المسلمون عن دينهم الحق ليصبحوا كافرين ومنشأ هذه الرغبة الحسد النـاجم عن نفـسية لا ترغـب أن ترى المسـلمين يعيشـون في نور الإيمـان بدل ظلمـات الكـفر، وبعـد أن أعلم عباده المؤمنين بما يضمر لهم أعداؤهم، أمرهم بالعفو[١] والصفح لأن الوقت لم يحن بعد لقتالهم فإذا حان الوقت قاتلوهم وشفوا منهم صدورهم.

وفي الآية الثانية (١١٠) أمر الله تعالى المؤمنين بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل[٢] الخيرات

---

(١) هذا العفو والصفح نسخ بالإذن بقتال اليهود وإجلائهم وبقي العفو على المسلم والصفح عنه إذا أساء إلى أخيه المسلم لجهالة به فإنه محمود قال تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾. وقال رسوله: «منَ غفر غُفر له».

(٢) فعل الخيرات هنا مستفاد من قوله تعالى في الآية: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾.

تهذيباً لأخلاقهم وتزكية لنفوسهم وواعدهم بحسن العاقبة بقوله: ﴿إن الله[1] بما تعملون بصير﴾.

هدايـة الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ـ اليهود والنصارى يعلمون أن الإسلام حق وأن المسلمين على حق فحملهم ذلك على حسدهم ثم عداوتهم، والعمل على تكفيرهم.. وهذه النفسية ما زالت طابع أهل الكتاب إزاء المسلمين إلى اليوم.

٢ـ في الظرف الذي لم يكن مواتياً للجهاد على المسلمين أن يشتغلوا فيه بالإعداد للجهاد، وذلك بتهذيب الأخلاق والأرواح وتزكية النفوس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات إبقاء على طاقاتهم الروحية والبدنية إلى حين يؤذن لهم بالجهاد.

٣ـ تقوية الشعور[2] بمراقبة الله تعالى ليحسن العبد نيته وعمله.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ[3] إِن كُنتُمْ
صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

---

(١) مثل هذه الجملة المذيّل بها الكلام تكون للترغيب كما هنا وتكون للترهيب أي تصلح للوعد والوعيد.

(٢) هذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾.

(٣) في الآية دليل على بطلان التقليد وهو قبول قول الغير بلا دليل، وفي الآية أن من ادعى شيئا نفيا أو إثباتا يطالب بالدليل بطلت دعواه.

شـرح الكلمـات :

الجنـــــة : دار النعيم وتسمى دار السلام وهي فوق السماء السابعة.

هـــوداً [1] : يـــهوداً.

نصــــارى : صليبين مسيحيين.

أمانيـــهم [2] : جمع أمنية ما يتمناه المرء بدون ما يعمل للفوز به، فيكون غروراً.

البرهـــان : الحجة الواضحـة.

بلـــــى : حرف إجابة يأتي بعد نفي مقرون باستفهام [3] غالباً نحو قوله تعالى: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾؟ بلى أي هو أحكم الحاكمين، ولما ادعى اليهود والنصارىٰ أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً قال تعالى: بلىٰ أي ليس الأمر كما تزعمون فلا يدخل الجنة يهودي ولا نصراني ولكن يدخلها من أسلم وجهه لله وهو محسن أي عبد آمن فصدق وعمل صالحاً فأحسن.

ليست على شـيء: أي من الديـن الحق.

يتلون الكتاب : أي التـوراة والإنجيل.

الذين من قبلهم : هذا اللفظ صادق على مشركي العرب، وعلى غيرهم من أمم جاهلة سبقت.

سبب نزول الآيتين ومعناهما:

لما جاء وفد نصارىٰ نجران إلى المدينة التقى باليهود في مجلس النبي ﷺ ولعدائهم السابق تَمَارَوْا فادعت اليهود أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً، وادعت النصارىٰ أن الجنة لا يدخلها إلا من كان نصرانياً فرد الله تعالى عليهم وأبطل دعواهم حيث طالبهم بالبرهان عليها فلم يقدروا وأثبت تعالى دخول الجنة لمن زكىٰ نفسه بالإيمان الصحيح والعمل الصالح

---

(١) هورجمع هائد أي: متبع اليهودية ومثله عوذ جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الظباء والإبل والخيل.

(٢) ما تمناه اليهود وأشير إليه هنا بقوله: ﴿تلك أمانيُّهم﴾ هوأن لاينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفارا، وأن يدخلوا الجنة وحدهم دون غيرهم.

(٣) ومن غير الغالب قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلىٰ﴾ فقد أجيب بها ولم يتقدمها نفي مقرون باستفهام، ومنه هذه الآية: ﴿بلى من أسلم وجهه﴾.

فقال: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ يريد قلبه وجوارحه[1] فآمن ووحد وعمل صالحاً فأحسن فهذا الذي يدخل الجنة وهي أجره على إيمانه وصالح أعماله، فلا هو يخاف ولا يحزن.

هذا معنى الآيتين الأولى (١١١) والثانية (١١٢) وأما الآية الثالثة (١١٣) فقد سجلت كفر كل من اليهود والنصارىٰ، بشهادتهم علىٰ بعضهم بعضاً فقد كفّر اليهود النصارىٰ بقولهم: إنهم ليسوا على شيء من الدين الحق الذي يعتد به ويؤبه له، وكفّر النصارىٰ اليهود بقولهم: ليست اليهود على شيء مع أنهم يقرأون التوراة والإنجيل فلذا كان تكفيرهم لبعضهم البعض حقاً وصدقاً. ثم أخبر تعالى أن ما وقع فيه اليهود والنصارىٰ وهم أهل كتاب من الكفر والضلال قد وقع فيه أمم قبلهم دون علم منهم وذلك لجهلهم، وأخبر تعالى أنه سيحكم بينهم يوم القيامة ويجزيهم بكفرهم وضلالهم.

هداية الآيـــات:

من هداية الآيـــات:

١ـ إبطال تأثير النّسب[2] في السعادة والشقاء، وتقرير أن السعادة بدخول الجنة مردها إلى تزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح، وإن الشقاوة بدخول النار مردها إلى الشرك، وارتكاب الذنوب. فلا نسبة إلى يهودية أو نصرانية أو غيرهما تُغني عن صاحبها، وإنما المغني بعد فضل الله ورحمته الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.

٢ـ كفر اليهود والنصارىٰ وهو شر كفر لأنه كان على علم.

٣ـ الإسلام الصحيح القائم على أسسه الثلاثة الإيمان والإسلام والإحسان هو سبيل[3] النجاة من النار والفوز بالجنة.

---

(١) أي ذاته إذ طاعة الله تعالى تكون بها قلبا وجوارح، ومن إطلاق الوجه على الذات قول الشنفرى:

إذا قطعوا رأسي وفي الرأس أكثري   وغودر عند الملتقى ثمّ سائري

قوله وفي الرأس أكثري فيه تفضيل الرأس الذي هو بمعنى الوجه على سائر الجسد لأفضليته فكذلك إطلاق الوجه في الآية وإرادة الذات، لأنّ الوجه أشرف الذات.

(٢) ويشهد لهذا قول الرسول ﷺ في صحيح مسلم: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» الحديث.

(٣) هذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن. .﴾ الآية.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

شـرح الكلمات :

ومن أظلم : الاستفهام للإنكار والنفي، والظلم وضع الشيء في غير محله مطلقاً.

سعى[1] في خرابها : عمل في هدمها وتخريبها حقيقة أو بمنع الصلاة فيها وصرف الناس عن التعبد فيها إذْ هذا من خرابها أيضاً.

الخـــزي : الذل والهوان.[2]

فثم وجه الله : هناك الله تعالى إذ الله عز وجل محيط بخلقه فحيثما اتجه العبد شرقاً أو غرباً شمالاً أو جنوباً وجد الله تعالى، إذ الكائنات كلها بين يديه وكيف لايكون ذلك وقد أخبر عن نفسه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، فليس هناك جهة تخلو من علم الله تعالى وإحاطته بها وقدرته عليها. ويقرر هذا قوله: ﴿إن الله واسع عليم﴾، إنه واسع الذات والعلم والفضل والجود والكرم عليم بكل شيء لأنه محيط بكل شيء.

شـرح الآيتين :

ففي الآية الأولى (١١٤) ينفي تعالى أن يكون هناك من هو أكثر ظلماً ممن منع مساجد[3] الله تعالى أن يعبد الله تعالى فيها، لأن العبادة هي علة الحياة فمن منعها كان كمن أفسد

---

(١) أصل السعي: المشي ومنه السعي بين الصفا والمروة وهو المشي بينهما ثم أطلق على التسبب مطلقا يقال: سعى فلان في مصلحتك وسعي فلان في الإفساد بين فلان وفلان

(٢) وقد نال صناديد قريش حيث أذلّهم الله وأخزاهم يوم الفتح على يد رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

(٣) المساجد: جمع مسجد بكسر الجيم على غير قياس إذ فعل بالفتح يفعل بالضم الاسم منه كالمصدر مفعل بالفتح ونظير المسجد المطلع والمشرق والمسكن والمرفق والمسجَد بالفتح جبهة المرء وأعضاء سجوده السبعة.

الحياة كلها وعطلها، وفي نفس الوقت ينكر تعالى هذا الظلم على فاعليه وسواء كانوا قريشاً بصدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام، أو فلطيوس ملك الروم الذى خرّب المسجد الأقصى[1] أو غيرهم ممن فعلوا هذا الفعل أو من سيفعلونه مستقبلاً، ولذا ضمن تعالى قوله ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، أمر المسلمين بجهاد الكافرين وقتالهم حتى يسلموا أو تكسر شوكتهم فيذلوا ويهونوا.

وفى الآية الثانية (١١٥) يخبر تعالى راداً على اليهود الذين انتقدوا أمر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، مؤذناً بجواز صلاة من جهل القبلة أو خفيت عليه إلى أي جهة كانت فأخبر تعالى أن له المشرق والمغرب[2] خَلقاً وملكاً وتصرفاً، يوجه عباده إلى الوجهة التي يشاؤها شرقاً أو غرباً جنوباً أو شمالاً، فلا اعتراض عليه ولا إنكار وأنّ الله تعالى محيط بالكائنات فحيثما توجه العبد فى صلاته فهو متوجه إلى الله تعالى، إلا أنه تعالى أمر بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة فمن عرف جهتها لا يجوز له أن يتجه إلا إليها.

هدايـة الآيـات:

من هداية الآيـات:

١ـ عظم جريمة من يتعرض للمساجد بأي أذىً[3] أو إفساد.

٢ـ وجوب حماية المساجد من دخول الكافرين إلا أن يدخلوها بإذن المسلمين وهم أذلاء صاغرون.

٣ـ صحة صلاة النافلة على المركوب في[4] السفر إلى القبلة وإلى غيرها.

٤ـ وجوب استقبال القبلة إلا عند العجز[5] فيسقط هذا الواجب.

٥ـ العلم بإحاطة الله تعالى بالعوالم كلها قدرة وعلما فلا يخفىٰ عليه من أمر العوالم شيء ولا يعجزه آخر.

---

(١) وقد خرّب بيت المقدس أيضاً بختنصر اليهودي البابلي قبل النصارى.

(٢) بناء على كروية الأرض فإن الأرض كلها مشرق ومغرب إذ كل مكان تشرق فيه هو مكان تغرب فيه.

(٣) من عظم ذنب من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه أخذ المالكية أن المرأة الصرورة التي تحج الفرض لا تمنع من الحج وإن لم يكن معها محرم، وعدّوا منعها من أداء الفريضة من الصدّ عن المسجد الحرام.

(٤) إذا صحّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يصلي النافلة على راحلته حيثما اتجهت به القبلة وإلى غيرها.

(٥) للعجز صور منها: أن يكون مريضاً لا يقدر على التحول، ومنها أن يكون خائفاً ومنها أن يكون مقاتلاً أو هارباً ومنها أن يكون جاهلاً بها فطلبها ولم يعرف فصلى حيث ترجح القبلة وإن لم يصبها.

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا[1] سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (117) وَقَالَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا[2] يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ
قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119)

شرح الكلمات :

سبحانه : تنزه وتقدس عن كل نقص ومنه أن يكون له ولد.

قانتون : خاضعون مطيعون تجري عليهم أقداره وتنفذ فيهم أحكامه.

بديع السموات : مبدعها أي موجدها على غير مثال سابق.

قضى أمراً : حكم بإيجاده.

أو تأتينا آية : كآيات موسى وعيسى فى العصا وإحياء الموتى.

ولا تسأل : قرىء بالتاء للمجهول، ولا نافية والفعل مرفوع وقرىء بالبناء للمعلوم ولا ناهية والفعل مجزوم.

الجحيم : دركة من دركات النار وهي أشدها عذاباً.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر أباطيل الكافرين من أهل الكتاب والمشركين والرد عليها بما يظهر زيفها ويبطلها نهائياً ففي الآيتين الأولى (١١٦) والثانية (١١٧) يذكر تعالى قول

---

(١) الضمير المرفوع في: ﴿قالوا﴾ عائد إلى الفِرَق الثلاث وهم أهل الكتاب ومشركوا العرب.
(٢) لولا: بمعنى لعلّ التحضيضية.

أهل الكتاب والمشركين في أن الله اتخذ ولداً إذ قالت اليهود العزيرابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال بعض مشركي العرب الملائكة بنات الله، ذكر تعالى قولهم اتخذ الله ولداً ثم نزّه[1] نفسه عن هذا القول الباطل والفرية الممقوتة[2]، وذكر الأدلة المنطقية العقلية على بطلان الدعوى.

فأولاً: ملكية الله تعالى لما في السموات والأرض، وخضوع[3] كل من فيهما لحكمه وتصريفه وتدبيره يتنافى عقلاً مع اتخاذ ولد منهم.

ثانياً: قدرة الله تعالى المتجلية في إبداعه السموات والأرض وفي قوله للشيء كن فيكون يتنافى معها احتياجه إلى الولد[4]، وهو مالك كل شيء وربّ كل شيء وفي الآية الثالثة (١١٨) يرد تعالى على قولة المشركين الجاهلين: ﴿لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ حيث اقترحوا ذلك ليؤمنوا ويوحدوا فأخبر تعالى أن مثل هذا الطلب طلبه مَنْ قَبْلَهُم فتشابهت قلوبهم في الظلمة والإنتكاس، فقد قال اليهود لموسى أرنا الله جهرة، أما رؤية الله وتكليمه إياهم فغير ممكن في هذه الحياة حياة الامتحان والتكليف ولذا لم يجب إليه أحداً من قبلهم ولا من بعدهم، وأما الآيات فما أنزل الله تعالى وَبَيَّنَهُ في كتابه من الآيات الدالة على الإيمان بالله ووجوب عبادته وتوحيده فيها، وعلى صدق نبيه في رسالته ووجوب الإيمان به واتباعه كاف ومغنٍ عن أية آية مادية يريدونها، ولكن القوم لكفرهم وعنادهم لم يروا في آيات القرآن ما يهديهم وذلك لعدم إيقانهم، والآيات يراها وينتفع بها الموقنون لا الشاكون المكذبون.

وفي الآية الرابعة (١١٩) يخفف تعالى على نبيه هَمّ مطالبة المشركين بالآيات بأنه غير مكلف بهداية أحد ولا ملزم بإيمان آخر، ولا هو مسئول[5] يوم القيامة عمن يدخل النار من الناس، إذ مهمته محصورة في التبشير[6] والإنذار تبشير من آمن وعمل صالحاً بالفوز بالجنة

---

(١) وذلك بقوله ﴿سبحانه﴾ مصدر معناه التبرئة والتنزيه والمحاشاة.

(٢) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأمّا شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا).

(٣) الخضوع هنا تفسير للقنوت، والقنوت يكون بمعنى الطاعة في ذلة وانكسار وخشوع كما هو في هذا السياق ويكون بمعنى السكوت كما في الصلاة كقوله تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ أي لا تتكلموا في صلاتكم.

(٤) من الأدلة العقلية على إبطال فرية اتخاذ الله تعالى الولد: أن الولدية تقتضي التجانس، والله تعالى ليس كمثله شيء، وهو لا يجانسه شيء ثم الولد يتنافى مع الرق والملك والله له ملك السموات والأرض فكيف يكون الرقيق ولداً؟!

(٥) قرأ نافع وحده ﴿ولا تسأل﴾ بفتح التاء وسكون اللام في قوله: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ياليت شعري ما فعل أبواي فأنزل الله تعالى هذه الآية.

(٦) البشير كالنذير فعلهما بشر وأنذر واسم الفاعل: مبشر ومنذر، ونقل إلى بشير ونذير للمبالغة في الفعل.

والنجاة من النار، وإنذار من كفر وعمل سوءاً بدخول النار والعذاب الدائم فيها.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- حرمة نسبة أي شيء إلى الله تعالى بدون دليل من الوحي الإلهي إذ أنكر تعالى نسبة الولد إليه أنكره على أهل الكتاب والمشركين معا.

٢- تشابه قلوب أهل الباطل في كل زمان ومكان لاستجابتهم للشيطان وطاعتهم له.

٣- لا ينتفع بالآيات إلا أهل اليقين لصحة عقولهم وسلامة قلوبهم.

٤- على المؤمن أن يدعو إلى الله تعالى، وليس عليه أن يهدى، إذ الهداية بيد الله، وأما الدعوة فهي في قدرة الإنسان، وهو مكلّف بها.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ[1] قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ[2] مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

شرح الكلمات:

ملتهم: دينهم الذي هم عليه من يهودية ونصرانية.

قل ان الهدى هدى الله: الهدى ما أنزل به كتابه وبعث به رسوله وهو الإسلام، لا ما ابتدعه اليهود والنصارى من بدعة اليهودية والنصرانية.

---

(١) ملتهم: بمعنى مللهم إذ لكل كافر ملة، ومن هنا ذهب الجمهور إلى أن الكفر ملة واحدة، وذهب أحمد في رواية له ومالك إلى أن الكفر ملل، ولذا فلا يرثُ اليهودي النصراني، ولا النصراني اليهودي ولا المجوسي إذ لكلٍّ ملّة وقال رسول الله ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين» ويبقى معنى الكفر ملة واحدة أي: ليس فيه فاضل، ومفضول.

(٢) روي أن أحمد استدل على كفر من قال بخلق القرآن بهذه الآية: ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ وهو القرآن فمن قال بخلق القرآن قال بخلق علم الله تعالى وهو كفر صريح.

من ولي ولا نصير : الولي من يتولاك ويكفيك أمرك والنصير من ينصرك ويدفع عنك الأذى.

يتلونه حق[1] تلاوته : لا يحرفون كلمه عن مواضعه ولا يكتمون الحق الذي جاء فيه من نعت الرسول محمد ﷺ وغيره.

أولئك هم الخاسرون : المشار إليهم كفار أهل الكتاب والخسران خسران الدنيا والآخرة.

معنى الآيتين :

مازال السياق في أهل الكتاب يكشف عوارهم ويدعوهم إلى الهدى لو كانوا يهتدون ففي الآية الأولى (١٢٠) يخبر تعالى رسوله وأمته تابعة له أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم الباطلة وهي اليهودية أو النصرانية، وفي هذا نهى عن اتباعهم ثم أمره أن يخبرهم أن الهدى هدى[2] الله الذي هو الإسلام وليس اليهودية ولا النصرانية إذ هما بدعتان من وضع أرباب الأهواء والأطماع الماديّة.

ثم يحذر الله رسوله وأمته من اتباع اليهود والنصارى بعد الـذي جـاءهم مـن العـلم والنعمة التي أتمها عليهم وهي الإسلام فيقول: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾.

وفي الآية الثانية (١٢١) يخبر تعالى أن الذين آتاهم الله الكتاب التوراة والإنجيل فكانوا يتلونـه حق تلاوته فلا يحرفون ولا يكتمون هؤلاء يؤمنون بالكتاب حق الإيمان أما الذين يحرفـون كلام الله ويكتمـون ما جاء فيه من نعـوت النبي ﷺ فهؤلاء لا يؤمنون به وهم الخاسرون دون غيرهم، ومن آمن[3] من أهل الكتاب بكتابه وتلاه حق تلاوته سوف يؤمن بالنبي الأمي ويدخل في دينه قطعاً.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيتين :

١ـ لا يحصل المسلم على رضا اليهود والنصارى إلا بالكفر بالإسلام واتباع دينهم الباطل

(١) هم أصحاب رسول الله ﷺ، وتابعوهم بإحسان كان أحدهم إذا مرّ باية رحمة سألها الله تعالى وإذا مرّ باية عذاب تعوذ بالله من العذاب.

(٢) إن ما يهدي إليه الرّب تعالى عباده المؤمنين بمعنى ما يوفقهم إليه من الإسلام ظاهرا وباطناً، فيعملون بطاعته وطاعة رسوله في المنشط والمكره ذلك هو هدي الله المبعد عن الضلال والموصل إلى دار السلام.

(٣) كعبدالله بن سلام ومن آمن على عهد رسول الله من أحبار أهل الكتاب.

وهذا ما لا يكون للمسلم أبداً فلذا طلب رضا اليهود والنصارى محرم لا يحل أبداً.

٢ـ لا دين(١) حق إلا الإسلام فلا ينبغي أن يلتفت إلى غيره بالمرة.

٣ـ من يوالي اليهود والنصارى باتباعهم على باطلهم يفقد ولاية الله تعالى ويحرم نصرته.

٤ـ طريق الهداية في تلاوة كتاب الله حق تلاوته بأن يجوده قراءة ويتدبّره هداية ويؤمن بحكمه ومتشابهه، ويحلل حلاله ويحرم حرامه، ويقيم حدوده كما يقيم حروفه.

يَٰبَنِيٓ(٢) إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ
أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا
لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ(٣) مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

شرح الكلمات:

إسرائيل	: لقب يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام.
وبنو إسرائيل	: هم اليهود.
العالمين	: البشر الذين كانوا في زمانهم مطلقاً.
لا تجزي	: لا تقضي ولا تغني.
العدل	: الفداء.
شفاعة	: وساطة أحد.

---

(١) يشهد لهذا قوله ﷺ في الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار».

(٢) هذا النداء الثالث الذي نادى الله تعالى به بني اسرائيل يأمرهم بذكر نعمه ليشكروها بالإيمان برسوله والدخول في دين الإسلام، لكن حالهم كما قال القائل:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

(٣) يلاحظ تقدم الشفاعة في النداء الثاني على أخذ العدل وتأخير الشفاعة في هذا النداء وتقديم العدل وما هو إلاّ تفنن في الأسلوب إذهاباً للسآمة. وهذا شأن الكلام البليغ.

معنـى الآيتيـن :

يعظ الرحمن عز وجل اليهود فيناديهم[1] بأشرف ألقابهم ويأمرهم بذكر نعمه تعالى عليهم وهي كثيرة، ويأمرهم أن يذكروا تفضيله تعالى لهم على عالمي زمانهم والمراد من ذكر النعم شكرها فهو تعالى في الحقيقة يأمرهم بشكر نعمه وذلك بالإيمان به وبرسوله والدخول في دينه الحق (الإسلام).

كما يأمرهم باتقاء عذاب يوم القيامة حيث لا تغني نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها فداء ولا تنفعهـا شفـاعة وهذه هي نفس الكافر والمشرك حيث لا شفاعة تنال الكافر أو المشرك، ولا يوجد لهم ناصر ينصرهم فيدفع عنهم العذاب إذاتقاء عذاب يوم القيامة يكون بالإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح، بعد التخلي عن الكفر والمعاصي.

هداية الآيتين :

١ـ وجوب ذكر نعم الله على العبد ليجد بذلك دافعاً نفسياً لشكرها، إذ غاية الذكر هي الشكر.

٢ـ وجوب اتقاء عذاب يوم القيامة بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والعصيان.

٣ـ استحالة الفداء يوم القيامة، وتعذر وجود شافع يشفع لمن مات على الشرك لا بإخراجه من النار، ولا بتخفيف العذاب عنه.

۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ[2] رَبُّهُۥ[3] بِكَلِمَـٰتٍ[4]

---

(١) بهذا النداء ختم الحجاج مع اليهود في هذه السورة، فلم يَجْرِلَهم ذكر بعد فكان من براعة المقطع. ذَكر هذا صاحب التحرير والتنوير، وليس صحيحا بل الصحيح أن ختم الحجاج مع اليهود انتهى عند قوله تعالى: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ الآية (١٤٩).

(٢) أبرهم بالسريانية والعبرية أيضاً معناه أبٌ رحيم، ولرحمته جعله الله تعالى كافلا لأطفال المؤمنين في الجنة إلى يوم القيامة إذ صحّ الحديث بذلك.

(٣) ذكر الربوبية هنا تشريف لابراهيم عليه السلام وإيذان بأن ابتلاءه كان تربية له وإعداداً له لأمر خطير.

(٤) الكلمات: جمع كلمة، وهي اللفظ المفرد وتطلق على الكلام أيضاً والمراد بها هنا كلمات تحمل الأوامر التكليفية ومن أبرزها ما يلي: كسر الأصنام، والهجرة، وذبح اسماعيل، وبناء البيت العتيق، والختان، والصلاة، والزكاة، وخصال الفطرة، والصدق، والصبر، وبالجملة فقد نهض ابراهيم بكل ما عهد إليه ربّه بالقيام به من الشرائع فلذا أكرمه بالإمامة وشرّفه بها.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

شرح الكلمات :

ابتلى : اختبر بتكليفه بأمور شاقة عليه.

بكلمات : متضمنة أوامر ونواهي.

أتمهن : قام بهن وأداهن على أكمل الوجوه وأتمها.

إماماً : قدوة صالحة يقتدى به في الخير والكمال.

الظالمين : الكافرين والمشركين والفاسقين المعتدين على الناس.

معنى الآية الكريمة :

بعد ذلك الحجاج الطويل الذي عاشه رسول الله مع طائفتي أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذا المشركين في الآيات السابقة لهذه الآية أمر تعالى رسوله أن يذكر ابتلاءه تعالى لنبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بما كلف به من أوامر ونواهي فقام بها خير قيام فأنعم عليه بأكبر إنعام وهو أنه جعله إماماً للناس، ومن أبرز تلك التكاليف وقوفه في وجه الوثنيين، وتحطيم أوثانهم، والهجرة من ديارهم والهم بذبح ولده إسماعيل قرباناً لله، وبناء البيت، وحجه والدعوة إليه مما استحق به الإمامة للناس كافة وفي هذا تبكيت للفرق الثلاثة العرب المشركين واليهود والنصارى إذ كلهم يدعي انتماءه لإبراهيم والعيش على ملته فها هو ذا إبراهيم موحد وهم مشركون، عادل وهم ظالمون، مُتَّبِعٌ للوحي الإلهي وهم به كافرون ولصاحبه مكذبون وفي الآية بيان رغبة إبراهيم في أن تكون الإمامة فى ذريته وهي رغبة صالحة فجعلها الله تعالى في ذريته[٢] كما رغب واستثنى تعالى الظالمين فإنهم لا يستحقونها فهي لا تكون إلا في أهل الخير والعدل والرحمة لا تكون في الجبابرة القساة ولا الظالمين العتاة.

---

(١) الذرية: مأخوذ من ذرأ الله الخلق ذرءاً أي: خلقهم والجمع ذراري.

(٢) قال تعالى: ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾. الآية من سورة العنكبوت.

(١)

هداية الآيـــة

من هدايـة الآية :

١ـ الإمامة لا تنال إلا بصحة اليقين والصبر[1] على سلوك سبيل المهتدين .

٢ـ مشروعية ولاية العهد، بشرط أن لا يعهد إلا إلىٰ من كان على غاية من الإيمان والعلم والعمل والعدل والصبر.

٣ـ القيام بالتكاليف الشرعية قولاً وعملاً[2] يؤهل لأن يكون صاحبه قدوة صالحة للناس .

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً[3] لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

شـرح الكلمـات :

البيـــت : الكعبة التي هي البيت الحرام بمكة المكرمة .

مثابـــة : مرجعاً يثوب إليه العُمّار والحجاج .

أمنـــاً : مكاناً آمناً يأمن فيه كل من دخله .

مقام ابراهيم : الحجر الذي كان قد قام عليه ابراهيم أيام كان يبني البيت وذلك أنه لما ارتفع البناء احتاج إبراهيم إلى حجر عال يرقى عليه ليواصل بناء الجدران فجيء بهذا الحجر فقام عليه فسمي مقام إبراهيم .

---

(١) شاهد هذا في كتاب الله تعالى إذ قال عز وجل : ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآيتنا يوقنون﴾ السجدة . ولذا قيل : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

(٢) هذا مستفاد من قوله تعالى : ﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً﴾ .

(٣) مثابة أصل ثاب مصدر وثاب يثوب مثابا ، وزيدت فيه التاء للمبالغة كما زيدت في كلمة علامة ونسّابة ويشهد لهذا قول الشاعر:

جعل البيت مثاباً لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر

مصــــــلىٰ : مكان يصلى فيه أو عنده أو إليه.

عهـــدنا : وصينا وأمـرنا.

تطهير البيت : تنزيهه عن الأقذار الحسية كالدماء والأبـوال ومعنوية كالشرك والبدع والمفاسـد.

اضطـــره : ألجئه مكرها إلى العذاب.

معنى الآيـتين :

ما زال السياق في تذكير المشركين وأهل الكتاب معاً بأبي الأنبياء وإمام الموحدين إبراهيم عليه السلام، ومآثره الطيبة الحميدة، ومواقفه الإيمانية العظيمة ليتجلى بذلك بطلان دعوى كل من أهـل الكتـاب والمشركين في انتسابهم إلى إبراهيم كذباً وزوراً إذ هو موحد وهم مشركون وهو مؤمن وهم كافرون فقال تعالى لنبيه ﷺ : اذكر لهم كيف جعلنا البيت مثابة للناس[1] يثوبون إليه في كل زمان حجاجاً وعماراً، وأمناً دائماً من دخله أمن على نفسه وماله وعرضه. وقلنا لمن حجوا البيت أو اعتمروا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فكان مِن سنةِ مَنْ طاف بالبيت أن يصلى خلف المقام ركعتين، كما أوصينا[2] من قبلُ إبراهيمَ وولدَهَ إسماعيلَ بتـطهـير البيت من كل رجس معنـوياً كالأصنام وعبادة غير الله تعالى أو حسياً كالأقذار والأوساخ من دم أو بول حتى يتمكن الطائفون والعاكفون[3] والمصلون من أداء هذه العبادات بلا أي أذىً يلحقهم أو يضايقهم.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٢٥) أما الآية الثانية (١٢٦) فقد تضمنت أمر الله تعالى لرسوله أن يذكر دعوة إبراهيم ربَّه بأن يجعل مكة بلداً آمناً[4] من دخله يأمن فيه[5] على نفسه وماله وعرضه، وأن يرزق أهله وسكانه المؤمنين من الثمرات وأن الله قد استجاب لإبراهيم دعوته إلا أن الكـافـرين لا يحرمون الرزق في الدنيا ولكن يحرمون الجنة في الدار الآخرة حيث

---

(١) فقد أخبر النبي ﷺ أن موسى عليه السلام حج البيت وأن هودا حجه من قبل وكذا سائر الأنبياء والمرسلين.

(٢) الآية وعهدنا: إلّا أن الوعد المؤكد وقوعه يصير عهداً، فإن عدي بإلى صار وصية، فلذا فسّرنا العهد هنا بالوصية.

(٣) العكوف: ملازمة المسجد للصلاة والعبادة، والعاكفون الملازمون للمسجد الحرام من ساكن مكة وغريب.

(٤) الجمهور على أن الحدود تقام على أصحابها في الحرم، وخالف أبو حنيفة في هذا، وقول الجمهور أصح وعليه العمل فقد روى البخاري أن عمرو بن سعيد قال: إن الحرم لا يعيذ عاصيا، ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة

(٥) هل كانت مكة حراما قبل دعوة ابراهيم أو بعد دعوته خلاف ويشهد لكونها ما كانت حراما قول النبي ﷺ إن ابراهيم حرّم مكة ودعا لأهلها.. الحديث في مسلم.

يلجئهم تعالى مضطراً لهم إلى عذاب النار الغليظ وبئس هذا المصير الذي يصيرون إليه ـ وهو النار ـ من مصير.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيتين :

١ـ منة الله تعالى بجعل البيت مثابة للناس وأمناً توجب حمد الله على كل مؤمن .

٢ـ سنة صلاة ركعتين خلف المقام لمن[١] طاف بالبيت .

٣ـ وجوب حماية البيت والمسجد الحرام من أي ضرر يلحق من يوجد فيه من طائف وعاكف وقائم وراكع وساجد .

٤ـ بركة دعوة إبراهيم لأهل مكة، واستجابة الله تعالى له دعوته فلله الحمد والمنة .

٥ـ الكافر لا يحرم الرزق لكفره[٢] بل له الحق في الحياة إلا أن يحارب فيقتل أو يسلم .

٦ـ مصير من مات كافراً إلى النار، لا محالة، والموت في الحرم لا يغني عن الكافر شيئاً .

وَإِذْ يَرْفَعُ[٣] إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ[٤] رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ[٥] لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

---

(١) روى البخاري عن عمر رضي الله عنه أنه قال: وافقت ربي في ثلاث: قلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت: ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ الآية.

(٢) هذا مستفاد من قول الله تعالى: ﴿ومن كفر فأمتعه قليلا . .﴾ الخ، إذ ابراهيم عليه السلام سأل الرزق للمؤمنين لاغير نظراً إلى أن الله تعالى ردّ طلبه في سؤاله الإمامة لكافة ذريته إذ قال: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ فمن هنا استثنى ابراهيم غير المؤمنين فأعلمه الله أن الغذاء حق الحيّ مؤمنا كان أو كافرا.

(٣) الاتيان بالمضارع هنا مع أن السياق في أمور مضت من أجل استحضار الحالة كأنّها مشاهدة وذلك إبرازا لمواقف إمام الموحدين ابراهيم المشرفة ترغيبا في الاقتداء به.

(٤) إسماعيل هو الولد البكر لابراهيم، وأمّه هاجر الجارية المصرية ومعنى إسماعيل: (سمع الله).

(٥) هذا كسؤال المسلم في صلاته ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي أدم هدايتنا واحفظ سيرنا عليه حتى نفوز برضاك والجنة فكذلك سؤال إبراهيم ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ أي أدم لنا إسلامنا واحفظه علينا حتى لا نتركه لأنّه علّة وجودنا وغاية أملنا في الحياة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٢٩﴾

شرح الكلمات :

وإذ : ظرف لما مضى من الزمان ويعلق بمحذوف تقديره أذكر وقت كذا وكذا.

القواعد : جمع قاعدة ما يبنى على الجدار من أساس ونحوه.

البيت : الكعبة حماها الله وطهرها.

إنك أنت السميع العليم : هذه الجملة وسيلة توسل بها إبراهيم وولده لقبول دعائهما.

مسلمين : منقادين لك خاضعين لأمرك ونهيك راضين بحكمك عابدين لك.

أرنا مناسكنا : علمنا كيف نحج بيتك، تنسكاً وتعبداً لك.

تب علينا : وفقنا للتوبة إذا زَلَلْنا واقْبَلْها منا.

وابعث فيهم رسولاً : هذا الدعاء استجابهُ الله، ومحمد ﷺ هو ما طلباه.

الكتاب : القرآن.

الحكمة : السنة وأسرار الشرع والإصابة في الأمور كلها.

يزكيهم : يطهر أرواحهم ويكمل عقولهم، ويهذب أخلاقهم بما يعلمهم من الكتاب والحكمة، وما بينه لهم من ضروب الطاعات.

العزيز الحكيم : العزيز الغالب الذي لا يغلب. الحكيم في صنعه وتدبيره بوضع كل شيء في موضعه.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر مآثر إبراهيم عليه السلام المنبئة عن مكانته السامية في كمال الإيمان والطاعة، وعظيم الرغبة في الخير والرحمة فقد تضمنت الآيات الثلاث ذكر إبراهيم وإسماعيل وهما يبنيان البيت برفع قواعده وهما يدعوان الله تعالى بأن يتقبل[1] منهما عملهما متوسلين إليه بأسمائه وصفاته ﴿إنك أنت السميع العليم﴾.

(١) هذه من كمال الحال إذ هو في حال البناء، والتعب، والعرق ويسأل أن يتقبل منه عمله. هذا شأن أهل الكمال من الرجال قال تعالى عنهم: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ الآية.

كما يسألانه عز وجل أن يجعلهما مسلمين له وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له مؤمنة به موحدة له ومنقادة لأمره ونهيه مطيعة، وأن يعلمهما مناسك[٢] حج بيته العتيق ليحجاه على علم ويتوب عليهما، كما سألاه عز وجل أن يبعث في ذريتهما رسولاً منهم يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بالإيمان وصالح الأعمال، وجميل الخلال وطيب الخصال.

وقد استجاب الله تعالى دعاءهما فبعث في ذريتهما من أولاد إسماعيل إمام المسلمين وقائد الغر المحجلين نبينا محمداً ﷺ وقد قرر هذا ﷺ بقوله: «أنا[٣] دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى... عليهم جميعاً السلام».

هدايـة الآيــات

من هداية الآيات:

١- فضل الإسـهام بالنفس في بناء المسـاجد[٤].

٢- المؤمن البصير في دينه يفعل الخير وهو خائف أن لا يقبل منه فيسأل الله تعالى ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته أن يتقبله منه.

٣- مشروعية سؤال الله للنفس وللذرية الثبات على الإسلام حتى الموت عليه.

٤- وجوب تعلم مناسك الحج والعمرة على من أراد أن يحج أو يعتمر.

٥- وجوب طلب تزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح، وتهذيب الأخلاق بالعلم والحكمة.

٦- مشروعية التوسل إلى الله تعالى في قبول الدعاء وذلك بأسمائه تعالى وصفاته لا بحق فلان وجاه فلان كما هو شأن المبتدعة والضلال ففي هذه الآيات الثلاث توسل إبراهيم وإسماعيل بالجمل التالية:

١- ﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾.

---

(١) هي أمّة الإسلام التي أنشأها بعون الله تعالى محمد الذي بعثه الله رسولا في ذرية اسماعيل للعالمين.

(٢) النسك في اللغة الغسل بالماء، يقال نسك ثوبه إذا غسله، وهو في الشرع اسم للعبادة، لأن العبادة تطهّر النفس وتزكيها، يقال: رجل ناسك ومتنسك إذا لازم العبادة يغسل بها نفسه لتطهر وتزكو فيفلح بذلك ويفوز. ومناسك الحج هي العبادات المشروعة فيه من إحرام وطواف وذبح الهدي وغير ذلك.

(٣) رواه أحمد بلفظ: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمجندل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك. دعوة ابراهيم، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين.

(٤) وفي الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله له قصراً في الجنة».

٢- ﴿ إنك أنت التواب الرحيم ﴾.

٣- ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾.

وَمَن يَرْغَبُ [١] عَن
مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ [٢] فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ [٣] بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ [٤] كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

شـرح الكلمـات :

ومن يرغب عن ملة ابراهيم : الرغبة عن الشيء عدم حبه وترك طلبه وملة إبراهيم هي عبادة الله وحده بما شرع لعباده.

---

(١) الاستفهام للنفي والإنكار، وملّة ابراهيم هي عبادة الله وحده لاشريك له بما شرع الله تعالى لعباده من أنواع العبادات في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ.

(٢) الإصطفاء مأخوذ من الصفوة وهو تخير الأصفى أي الأكثر صفاء، واصطفى: قلبت فيه التاء طاءً لتناسبها مع الصاد في الاطباق إذ الأصل: اصتفى أي: طلب الصفوة.

(٣) وصى وأوصى بمعنى عهد إليه بكذا، والموصى به هنا هو كلمة ﴿أسلمت لرب العالمين﴾ وذلك بعبادته وحده بما شرع بعد خلع الأنداد. وذي هي ملّة ابراهيم.

(٤) أم بمعنى: بل والهمزة هي التي للاستفهام الإنكاري وتقدير الكلام: بل أكنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت فوصّى بنيه. يوبّخهم على كذبهم وينكر عليهم.

إلا من سفه نفسه[1]	: لا يرغب عن ملة إبراهيم التي هي دين الإسلام إلا عبد جهل قدر نفسه فأذلها وأهانها بترك سبيل عزها وكمالها وإسعادها وهي الإسلام.
اصطفيناه	: اخترناه لرسالتنا والبلاغ عنا، ومن ثم رفعنا شأنه وأعلينا مقامه.
أسلم	: انقد لأمرنا ونهينا فاعبُدْنا وحدنا ولا تلتفتْ إلى غيرنا.
اصطفى لكم الدين	: اختار لكم الدين الإسلامي ورضيه لكم فلا تموتنّ[2] إلا وأنتم مسلمون.
يعقوب	: هو اسرائيل بن اسحق بن إبراهيم وبنوه هم يوسف وإخوته.
أمة خلت	: جماعة أمرها واحد. خلت: مضت إلى الدار الآخرة.
لها ما كسبت	: أجر ما كسبته من الخير.
ولكم ما كسبتم	: من خير[3] أو غيره.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة مواقف إبراهيم السليمة الصحيحة عقيدة وإخلاصاً وعملاً صالحاً وصدقاً ووفاءً فوضح بذلك ما كان عليه إبراهيم من الدين الصحيح قال تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ تلك الملة الحنيفية الواضحة السهلة. اللهم لا أحد يرغب عنها إلا عبد جهل قدر نفسه، ولم يعرف لها حقها في الطهارة والصفاء والإكمال والإسعاد وضمن هذا الخبر ذكر تعالى إنعامه على إبراهيم وما تفضل به عليه من الإصطفاء في الدنيا والإسعاد في الآخرة في جملة الصالحين.

وفي الآية الثانية (١٣١) يذكر تعالى أن ذاك إلا اصطفاء تم لإبراهيم عند استجابته لأمر ربه بالإسلام حيث أسلم ولم يتردد. وفي الآية الثالثة (١٣٢) يذكر تعالى إقامة الحجة على

---

(١) سفه نفسه: استخفّ بقدرها جهلا به. ولذا نَصب نفسَه لتضمُّن سفه معنى جهل.

(٢) في قوله: ﴿فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾ إيجاز بليغ إذ معناه إلزموا الإسلام ودوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا. وجملة ﴿وأنتم مسلمون﴾ في محل نصب على الحال، والمعنى مطيعون خاضعون.

(٣) في معنى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ومعنى ﴿ولا تكسب كل نفس إلاّ ما عليها﴾.

المشركين وأهل الكتاب معاً إذ ملة الإسلام القائمة على التوحيد وصى بها إبراهيم بنيه، كما وصى بها يعقوب بنيه وقال لهم: لا تموتن إلا على الإسلام فأين الوثنية العربية واليهودية والنصرانية من ملة إبراهيم، ألا فليثب العقلاء إلى رشدهم.

وفي الآية الرابعة (١٣٣) يوبخ تعالى اليهود القائلين كذباً وزوراً للنبي ﷺ: ألست تعلم أن يعقوب وصى بَنيه باليهودية فقال تعالى: ﴿أم كنتم شهداء﴾ أي أكنتم حاضرين لما حضر يعقـوب المـوت فقال لبنيه مستفهمًا إياهم: ما تعبدون من بعدي؟ فأجابوه بلسان واحد: ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم[١] وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً[٢] ونحن له مسلمون﴾ فإن قالوا كنا حاضرين فقد كذبوا وبهتوا ولعنوا وإن قالوا لم نحضر بطلت دعواهم أن يعقوب وصى بنيه باليهودية، وثبت أنه وصاهم بالإسلام لا باليهودية.

وفي الآية الأخيرة (١٣٤) ينهي تعالى جدل اليهود الفارغ فيقول لهم: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ - يعني إبراهيم وأولاده - لها ما كسبت من الإيمان وصالح الأعمال، ولكم أنتم معشر يهود ما اكتسبتم من الكفر والمعاصي وسوف لا تسألون يوم القيامة عن أعمال غيركم وإنما تسألون عن أعمالكم وتجزون بها، فاتركوا الجدل وأقبلوا على ما ينفعكم في آخرتكم وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح، ولا يتم لكم هذا إلا بالإسلام فأسلموا.

هدايـة الآيـات

من هدايـة الآيـات:

١- لا يرغب عن الإسلام بتركه أو طلب غيره من الأديان إلا سفيه لا يعرف قدر نفسه.

٢- الإسلام دين البشرية[٣] جمعاء، وما عداه فهي أديان مبتدعة باطلة.

٣- استحباب الوصية للمريض يوصي فيها بنيه وسائر أفراد أسرته بالإسلام حتى الموت عليه.

٤- كذب اليهود وبهتانهم وصدق من قال: اليهود قوم بهت.

---

(١) فيه إطلاق لفظ الأب على العمّ لأن اسماعيل عم ليعقوب وليس بأب له، وفيه إطلاق الأب على الجد أيضاً ومِنْ هنا ذهب مَنْ ذهب إلى أن الجد كالأب يحجب الأخوة عن الأرث لأنّ الأب يحجب الأخوة حجب اسقاط.

(٢) أي نوحّده بالألوهية أي: العبادة ولا نشرك به في عبادته سواه.

(٣) الإسلام هو ملّة سائر الأنبياء، وإن تنوعت أنواع التكليف عندهم، واختلفت مناهج العمل بينهم، إذ الإسلام هو انقياد لله وخضوع ولذا قال الرسول ﷺ: «نحن معشر الأنبياء أولاد عَلات ديننا واحد».

٥ـ يحسن بالمرء ترك الإعتزاز بشرف وصلاح الماضين(١)، والإقبال على نفسه بتزكيتها وتطهيرها.
٦ـ سنة الله في الخلق أن المرء يجزى بعمله، ولا يسأل عن عمل غيره.
٧ـ يطلق لفظ الأب على العم تغليباً وتعظيمًا.

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟(٢) هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْنَا(٣) وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ(٥) بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

شـرح الكلمـات :

تهتـــدوا : تصيبوا طريق الحق.

---

(١) وفي الحديث الصحيح «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» وفي هذا المعنى قال الشاعر الحكيم
لا تقل أصلي وفصلي يا فتى   إنما أصل الفتى ما قد حصل
(٢) ذكر ابن كثير عن ابن اسحاق أن عبدالله بن صوريًا الأعور اليهودي قال لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلّا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ الآية.
(٣) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا. . .».
(٤) الأسباط: أولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر ولدا، يوسف وبنيامين وهوذا ولكل واحد منهم أُمّة من الناس. الواحد سبط والجمع أسباط والسبط في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد اسماعيل عليه السلام وسموا الأسباط من السَّبط وهو التتابع لأنهم متتابعون.
(٥) أي: لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كصنيع اليهود والنصارى.

ملة إبراهيـم : دين إبراهيم الذي كان عليه.

حنيفـاً[1] : مستقيمًا على دين الله تعالى موحداً فيه لا يشرك بالله شيئاً.

ما أوتي موسى : التـوراة.

وما أوتي عيسى : الإنجيـل

في شـقاق : خلاف وفراق وعداء لك وحرب عليك.

صبغـة الله : دينه الذي طهرنا به ظاهراً وباطناً فظهرت آثاره علينا كما يظهر أثر الصبغ على الثوب المصبوغ.

معنى الآيـات :

مازال السياق في حجاج أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام فقد قال اليهود للرسول ﷺ وأصحـابـه. كونـوا يهوداً تهتدوا إلى الحق، وقالت النصارى من وفد نجران كذلك كونوا نصارى تهتدوا فحكى الله تعالى قولهم، وعلم رسوله أن يقول لهم لا نتبع يهودية ولا نصرانية بل نتبع دين إبراهيم الحنيف المفضي بصاحبه إلى السعادة والكمال.

وفي الآية الثانية (١٣٦) أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين أن يعلنوا في وضوح عن عقيدتهم الحقة وهي الإيمان بالله وما أنزل من القرآن، وما أنزل على الأنبياء كافة، وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل خاصة، مع عدم التفرقة بين رسول ورسول والإسلام الظاهر والباطن لله رب العالمين.

وفي الآية الثـالثة (١٣٧) يقول تعالى لرسوله والمؤمنين إن آمن اليهود والنصارى إيماناً صحيحاً كإيمانكم[2] فقد اهتدوا، وإن أبوا فتولوا وأعرضوا فأمرهم لا يعدو شقاقاً وحرباً لله ورسـولـه، والله تعـالى سيكفيكهم بما يشاء وهو السميع لأقوالهم الباطلة العليم بأعمالهم الفـاسدة، وقد أنجز[3] تعالى وعده لرسوله فأخرج اليهود من المدينة بل ومن الحجاز مع ما

---

(١) أصل الحنف: الميل ومنه قولهم رجل أحنف أي مائل القدمين إلى بعضهما بعضاً قالت أم الأحنف: والله لولا الحنف برجله ما كان في فتيانكم من مثله ولمّا مال إبراهيم عن أديان الشرك إلى دين التوحيد قيل فيه حنيف وصار بمعنى مستقيم. إذَ هو على منهج الحق وغيره على الباطل.

(٢) الآية: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به..﴾ وكان ابن عباس يقرأها: ﴿فإن آمنوا بالذي آمنتم به﴾ وهو تفسير لا قراءة، وعليه فمثل: زائدة نظيرها، ليس كمثله شيء أي ليس كهو شيء.

(٣) نعم أنجز الله تعالى وعده لرسوله فكفاه اليهود الذين وطّنوا العزم على قتله ﷺ فحاولوا وخابوا ولم يقدروا إذ كفاه الله تعالى إياهم.

جللهم به من الخزي والعار.

وفي الآية الرابعة (١٣٨) يقول تعالى لرسوله والمؤمنين رداً على اليهود والنصارى قولوا لهم: نتبع[1] صبغة الله التي صبغنا بها وفطرته التي فطرنا عليها وهي الإسلام، ونحن له تعالى عابدون.

هدايـة الآيـات

من هدايـة الآيـات:

١ـ لا هداية إلا في الإسلام ولا سعادة ولا كمال إلا بالإسلام.

٢ـ الكفر برسول، كفر بكل الرسل فقد كفر اليهود بعيسى، وكفر النصارى بمحمد ﷺ فأصبحوا بذلك كافرين، وآمن المسلمون بكل الرسل فأصبحوا بذلك مؤمنين.

٣ـ لا يزال اليهود والنصارى في عداء للإسلام وحرب على المسلمين، والمسلمون يكفيهم الله تعالى شرهم إذا هم استقاموا على الإسلام عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وحكماً.

٤ـ الواجب على من دخل في الإسلام أن يغتسل غسلاً[2] كغسل الجنابة إذ هذا من صبغة الله تعالى، لا المعمودية النصرانية التي هي غمس المولود يوم السابع من ولادته في ماء يقال له المعمودي وإدعاء انه طهر بذلك ولا يحتاج إلى الختان.

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

---

(١) الصّبغ: الشيء يصبغ به فالصبغ بدون تاء كالقشر فزيدت فيه التاء فقيل صبغة كقشرة، وهي في الآية منصوبة «صبغة» إمّا أنها بدل من ملّة المنصوبة بتقدير: نتبع ملّة، وإمّا أنها على المفعولية المطلقة أي صبغنا صبغة الله نحو وعد الله حقاً، وفي هذا ردّ على اليهود والنصارى إذ اليهود نشأت فيهم الصبغة إذ كان الكاهن يغتسل كل عام ليكفّر خطايا بني اسرائيل في يوم عيد معلوم لهم والنصارى ما زالوا يُعّمدون أطفالهم يوم السابع فيغمسونهم في الماء هذه صبغة اليهود والنصارى، أمّا صبغة المسلمين فهي اتباع ملة ابراهيم عليه السلام وشتان ما بينهما

(٢) تعميد النصارى لأطفالهم وهو صبغهم بالماء كالثوب يصبغ بلون من الألوان فهم يرون أن الولد لما يصبغ بالماء أصبح نصرانيا لا يفارقه.

وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ(١)
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً(٢) عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

شرح الكلمات :

أتحاجوننا في الله(٣) : أتجادلوننا في دينه والإيمان به وبرسوله، والإستفهام للإنكار.

له مخلصون(٤) : مخلصون العبادة له، لا نشرك غيره فيها، وأنتم مشركون.

شهادة عنده من الله : المراد بهذه الشهادة ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان بالنبي محمد ﷺ عند ظهوره.

الغافل : من لا يتفطن للأمور لعدم مبالاته بها.

معنى الآيات :

يأمر تعالى رسوله أن ينكر على أهل الكتاب جدالهم في الله تعالى إذ ادعوا أنهم أولى بالله من الرسول والمؤمنين وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، فعلّم الله رسوله كيف يرد عليهم منكراً عليهم دعواهم الباطلة. كما أفحمهم وقطع حجتهم في دعواهم أن إبراهيم والأنبياء بعده كانوا هوداً أو نصارى(٥)، إذ قال له قل لهم: ﴿أأنتم أعلم أم الله؟﴾ فإن قالوا نحن أعلم، كفروا وإن قالوا الله أعلم انقطعوا لأن الله تعالى أخبر أنهم ما كانوا أبداً يهوداً ولا نصارى، ولكن كانوا مسلمين، ثم هددهم تعالى بجريمتهم الكبرى وهي كتمانهم الحق وجحودهم

---

(١) الاستفهام للتقرير والتوبيخ.

(٢) قال ابن كثير عن الحسن البصري: إن أهل الكتاب كانوا يقرأون في كتاب الله الذي آتاهم: إن الدين الإسلام وإن محمداً رسول الله وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا بُرآء من اليهودية والنصرانية فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك.

(٣) والاستفهام أيضاً للتعجب من حالهم وللتوبيخ لهم على سوء سلوكهم، ومعنى في الله أي في دينه وولايته ونسخ شرائعه السابقة بالإسلام وكفر من لم يؤمن بمحمد ﷺ ودينه الذي هو الإسلام.

(٤) الإخلاص: تخليص العبادة من الالتفات إلى غير الله تعالى. وعرفه الجنيد فقال: الإخلاص سرٌ بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

نعوت الرسول والأمر بالإيمان به عند ظهوره فقال ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله، وما الله بغافل عما تعملون.

ثم أعاد لهم ما أدبهم به في الآيات السابقة مبالغة في تأديبهم وإصلاحهم لو كانوا أهلاً لذلك فأعلمهم أن التمسح بأعتاب الماضين والتشبث بالنسب الفارغة إلى الأولين غير مجد لهم ولا نافع فليقبلوا على إنقاذ أنفسهم من الجهل والكفر بالإيمان والإسلام والإحسان، أما من مضوا فهم أمة قد أفضوا إلى ما كسبوا وسيجزون به، وأنتم لكم ما كسبتم وستجزون به، ولا تجزون بعمل غيركم ولا تسألون عنه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ فضيلة الإخلاص وهو عدم الإلتفات إلى غير الله تعالى عند القيام بالعبادات.

٢ـ كل امرىء يجزى بعمله، وغير مسئول عن عمل غيره، إلا إذا كان سبباً فيه.

٣ـ اليهودية والنصرانية[1] بدعة ابتدعها اليهود والنصارى.

٤ـ تفاوت الظلم بحسب الآثار المترتبة عليه.

٥ـ حرمة[2] كتمان الشهادة لا سيما شهادة من الله تعالى.

٦ـ عدم الاتكال على حَسَبِ الآباء والأجداد، ووجوب الإقبال على النفس لتزكيتها وتطهيرها بالإيمان الصحيح والعمل الصالح.

---

(١) قال تعالى: ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلما﴾ آل عمران.

(٢) إذ قال تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ البقرة.

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ(١) مِنَ ٱلنَّاسِ(٢) مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ(٣) ٱلَّتِى كَانُواْ
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

شـــرح الكلمـــات :

السفهاء : جمع سفيه وهو من به ضعف عقلي لتقليده وإعراضه عن النظر نجم عنه فساد خُلُقٍ وسوء سلوك.

ماولاّهـم : ماصرفهم عن استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة بمكة.

القبلة : الجهة التي يستقبلها المرء وتكون قبالته في صلاته.

أمةً وسطاً وسط كل شيء خياره، والمراد منه أن أمة محمد ﷺ خير الأمم وأعدلها.

ينقلب على عقبيه : يرجع إلى الكفر بعد الإيمان.

لكبيرةً : شاقة على النفس صعبة لاتطاق إلا بجهد كبير وهي التحويلة من قبلة مألوفة إلى قبلة حديثة.

---

(١) هذا إخبار بما سيقوله السفهاء من المنافقين واليهود والمشركين قبل أن يقولوه وفائدته أولا : تقرير النبوة المحمدية إذ هذا إخبار بالغيب فكان كما أخبر، وثانيا: توطين نفس الرسول ﷺ والمؤمنين به حتى لا يضرّهم عند سماعه من السفهاء، لأن مفاجأة المكروه أليمة شديدة، فإن ذهبت المفاجأة هان الأمر، وخف الألم وهذا من باب (قبل الرمي يراش السهم) ومناسبة الآيات لما قبلها استمرار الحجاج إلاّ أنه كان في الأصول وأصبح في الفروع.

(٢) ﴿من الناس﴾ في محل نصب على الحال وأل فيه للجنس ليدخل في اللفظ كل سفيه.

(٣) هي بيت المقدس، ومن جملة ما قالوه سفها واستهزاء التبس عليه أمره وتحير: قد اشتاق محمد إلى مولده.

إيمانكم : صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس قبل التحول إلى الكعبة.
رؤوف رحيم : يدفع الضرر عنكم ويفيض الإحسان عليكم.

معنى الآيتين :

يخبر الله تعالى بأمر يعلمه قبل وقوعه، وحكمة الإخبار به قبل وقوعه تخفيف أثره على نفوس المؤمنين إذ يفقد نقدهُم المرير عنصر المفاجأة فيه فلا تضطرب له نفوس المؤمنين.

فقال تعالى : ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهُّم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟﴾ وحصل هذا لما حوّل الله تعالى رسوله والمؤمنين من استقبال بيت المقدس[1] في الصلاة إلى الكعبة تحقيقاً لرغبة رسول الله ﷺ في ذلك ولعلة الاختبار[2] التي تضمنتها الآية التالية فأخبر تعالى بما سيقوله السفهاء من اليهود والمنافقين والمشركين وعلّم المؤمنين كيف يردون على السفهاء، فقال: قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فلا اعتراض عليه يوجه عباده حيث يشاء، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وفي الآية الثانية (١٤٣) يقول تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ خياراً عدولاً[3] أي كما هديناكم إلى أفضل قبلة وهي الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام جعلناكم خير أمة وأعدلها فأهلناكم بذلك للشهادة على الأمم يوم القيامة إذا أنكروا أن رسلهم قد بلغتهم رسالات ربهم، وأنتم لذلك لا تشهد عليكم الأمم ولكن يشهد عليكم رسولكم وفي هذا من التكريم والإنعام ما الله به عليم[4]، ثم ذكر تعالى العلة في تحويل القبلة فقال: ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ﴾ فثبت على إيمانه وطاعته وانقياده لله ولرسوله ممن يؤثر فيه نقد السفهاء فتضطرب نفسه ويجاري السفهاء فيهلك بالردة معهم. ثم أخبر تعالى أن هذه التحويلة من بيت المقدس إلى الكعبة شاقة على النفس إلا على الذين هداهم الله

---

(١) إذ صلى المؤمنون قرابة سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس من قبل تحويل الله تعالى القبلة بهذه الآيات التي نزلت في شأنها. وروى مالك أن تحويل القبلة كان قبل غزوة بدر بشهرين.

(٢) الاختبار في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلاّ لنعلم مَنْ يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾.

(٣) في هذه الآية دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكم به لعدالة الأمة بشهادة ربّها فإذا أجمعت على أمر وجب الحكم به وفي أي عصر من العصور إلى قيام الساعة.

(٤) ومن هذا التكريم أنهم إذا شهدوا على أحدهم بالخير وجبت له الجنة لحديث الصحيح: «مرّت جنازة فأثنى عليها خير فقال رسول الله ﷺ: «وجبت وجبت وجبت» الحديث. فسئل فقال: «من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض».

إلى معرفته ومعرفة محابه ومكارهه فهم لذلك لايجدون أي صعوبة في الانتقال من طاعة إلى طاعة ومن قبلة إلى قبلة ، مادام ربهم قد أحب ذلك وأمر به .

وأخيراً طمأنهم تعالى على أجور صلاتهم التي صلوها إلى بيت[1] المقدس وهي صلاة قرابة سبعة عشر شهراً بأنه لايُضيعها لهم بل يجزيهم بها كاملة سواء من مات منهم وهو يصلي إلى بيت المقدس أو من حَييَ حَتَّى صلى إلى الكعبة وهذا مظهر من مظاهر رأفته تعالى بعباده ورحمته .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين:

١ ـ جواز النسخ في الإسلام فهذا نسخ إلى بدل من الصلاة إلى بيت المقدس إلى الصلاة إلى الكعبة في مكة المكرمة .

٢ ـ الأراجيف وافتعال الأزمات وتهويل الأمور شأن الكفار إزاء المسلمين طوال الحياة فعلى المؤمنين أن يثبتوا ولا يتزعزعوا حتى يَظْهَر الباطلُ وَيَنْكَشِفَ الزيفُ وتنتهَي الفتنة .

٣ ـ أفضلية أمة الإسلام على سائر الأمم لكونها أمة الوسط والوسطية شعارها .

٤ ـ جَوَازُ امْتِحَانِ المؤمن وجريانه عليه .

٥ ـ صحة صلاة من صلى إلى غير القبلة وهو لا يعلم ذلك وله أجرها وليس عليه اعادتها ولو صلى شهوراً إلى غير القبلة ما دام قد اجتهد في معرفة القبلة ثم صلى إلى حيث أدّاه اجتهاده .

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ[2] وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ[3] شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ

---

(١) ورد في الصحيح عن البراء قال: مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس فقال الناس ما حالهم في ذلك فأنزل الله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ ورواه الترمذي عن ابن عباس وصححه.

(٢) روى البخاري في سبب نزول هذه الآية أن البراء قال صلينا مع رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة بستة عشر شهرا نحو بيت المقدس ثمّ علم الله هوى نبيّه (أي حبه) فنزلت: ﴿قد نرى تقلّب وجهك في السماء﴾ الآية.

(٣) تحويل وجهك: أي تحويل وجهك ونظرك بعينك إلى السماء تطلعاً إلى نزول الوحي بذلك لا سيما وقد نزلت الآيات الأولى: ﴿سيقول﴾ الآية، إذ هي موحية بذلك.

ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ[1] شَطْرَهُۥ ۗ[2] وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ
ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ[3] وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

شرح الكلمات :

تقلب وجهك في السماء : ترديده بالنظر إليها مرة بعد أخرى انتظاراً لنزول الوحي .

فلنولينك قبلة ترضاها : فلنحولنك إلى القبلة التي تحبها وهي الكعبة .

فول وجهك شطر المسجد : حوّل وجهك جهة المسجد الحرام بمكة .

الحرام : بمعنى المحرم لا يُسفك فيه دم ولا يقتل فيه أحد .

الشطر : هنا الجهة واستقبال الجهة يحصل به استقبال بعض البيت في المسجد الحرام ، لأن الشطر لغة : النصف أو الجزء مطلقاً .

أنه الحق من ربهم : أي تحول القِبلة جاء منصوصاً عليه في الكتب السابقة .

---

(١) اختلف في أوّل صلاةٍ صلاها رسول الله ﷺ والمؤمنون إلى الكعبة ، فقيل الظهر وقيل العصر ، ولم يرجح أحد القولين ، وقيل كانت صلاة الظهر في مسجد بني سلمة المعروف بمسجد القبلتين حتى صلوا بعض الصلاة إلى بيت المقدس وبعضها إلى الكعبة فسمي لذلك مسجد القبلتين .

(٢) اختلف في : هل الغائب عن البيت الحرام يصلي إلى عين الكعبة أو إلى جهتها . الصواب أنه يصلى إلى جهة الكعبة ناويا استقبال البيت ، لأن استقبال عين الكعبة متعذر على غير الموجود في المسجد الحرام ، أمّا مَنْ في المسجد الحرام فلا تصح صلاته إن لم يستقبل عين الكعبة .

(٣) جمع القبلة : قبل بكسر القاف وفتح الباء وهو جمع تكسير ، وتجمع جمع سلامة على قِبلات بكسر القاف والباء ، ويجوز فتح الباء كما يجوز إسكانها أيضاً .

آيـــة : حجة وبرهان.

يعرفونه : الضمـير عائـد إلى رسول الله ﷺ أي يعلمون أنه نبي الله ورسوله لما في كتبهم من صفاته الواضحة القطعية.

من الممترين : الشاكين والامتراء : الشك وعدم التصديق.

معنى الآيـات :

يعلم الله تعالى رسوله أنه كان يراه وهو يقلِّب وجهه في السماء انتظاراً لوحي يؤمر فيه باستقبال الكعبة بدل بيت المقدس لرغبته في مخالفة اليهود وحبه لقبلة أبيه إبراهيم إذ هي أول قبلة وأفضلها فبناء على ذلك ﴿فولِ وجهك شطر المسجد الحرام﴾، وبهذا الأمر الإلهي تحولت القبلة وروي أنـه كان يصـلي الظهر في مسجد بني سلمة المعروف الآن بمسجد القبلتين فصلى الرسول والمؤمنون وراءه ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة، وكيلا تكـونَ القبلةُ خاصــة بمن كان بالمـدينــة قال تعـالى: ﴿وحيث ما كنتم﴾ أي في نواحي البـلاد وأقـطار الأرض ﴿فـولـوا وجـوهكم شطره﴾ أي شطر المسجـد الحـرام كمـا أخبـر تعـالى في هذه الآية أن علمـاء أهـل الكتـاب يعرفون أن تحول القبلة حق وأنه بأمر الله تعالى وما أحدثوه من التشويش والتشويه إزاء تحول القبلة فقد علمه وسيجزيهم به إذ لم يكن تعالى بغافل عما يعملونه.

وفي الآية الثـانية (١٤٥) يخبر تعـالى بحقيقـة ثابتة وهي أن النبي ﷺ لو أتى[٢] اليهود والنصـارى بكل آية تدل على صدقه وأحقية القبلة إلى الكعبة ما كانوا ليتابعوه على ذلك ويصلوا إلى قبلته كما أن النصارى لم يكونوا ليصلوا إلى بيت المقدس قبلة اليهود، ولا اليهود ليصلوا إلى مطلع الشمس قبلة النصارى، كما أن النبي ﷺ والمؤمنين لم يكونوا أبداً ليتابعوا أهل الكتاب على قبلتهم بعد أن هداهم الله إلى أفضل قبلة وأحبها إليهم. وأخيراً يحذر الله رسوله أن يتبع أهواء اليهود فيوافقهم على بدعهم وضلالاتهم بعد الذي أعطاه من العلم وهداه إليه من الحق، وحاشاه ﷺ أن يفعل ولو فعل لكان من الظالمين.

---

(١) الشطر لغة: النصف ومنه الحديث: «الطهور شطر الإيمان» والشاطر من الناس من أخذ في نحو غير الاستواء، وهو الذي أعيا أهله خبثا، وهو مَنْ بعد عن طاعة الله ورسوله أيضاً.

(٢) قلت في التفسير: لو أتى اليهود الخ : لأن لئن في الآية بمعنى لو، لأنها أجيبت بجواب لو، وهو المضي والوقوع إذ قال تعالى: ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ فقوله: ﴿ما تبعوا﴾ جواب لئِن والمفروض فيها أن يجاب بالمضارع.

وفي الآية الثالثة (١٤٦) يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون أن الرسول حق وأن ما جاء به هو الحق معرفةً تامةً كمعرفتهم لأبنائهم، ولكن فريقاً كبيراً منهم يكتمون الحق وهم يعلمون أنه الحق، وفي الآية الرابعة (١٤٧) يخبر تعالى رسوله بأن ما هو عليه من الدين الحق هو الحق الوارد إليه من ربه فلا ينبغي أن يكون من الشاكين[١] بحال من الأحوال.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب استقبال القبلة في الصلاة وفي أي مكان كان المصلي عليه أن يتجه[٢] إلى جهة مكة.

٢ ـ كفر كثير من أهل الكتاب كان على علم ايثاراً للدنيا على الآخرة.

٣ ـ حرمة موافقة المسلمين أهل الكتاب على بدعة من بدعهم الدينية مهما كانت.

٤ ـ علماء أهل الكتاب المعاصرون للنبي ﷺ يعرفون أنه النبي المبشر به وأنه النبي الخاتم واعرضوا عن الايمان به وعن متابعته إيثاراً للدنيا على الآخرة.

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ[٣] هُوَ مُوَلِّيهَا
فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ[٤] ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا

---

(١) هذا تفسير قوله تعالى: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ يقال امترى. فلان في كذا إذا اعتراه اليقين مرة والشك مَرة أخرى فدافع أحدهما بالآخر ومنه الإمتراء، لأن كل واحد يشك في قول صاحبه والامتراء الشك.

(٢) روي عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال: «البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي».

(٣) الوجهة: من المواجهة وهي والجهة والوجه كلها بمعنى واحد، ومفعول مولّيها محذوف أي وجهه، أو يكون موليها بمعنى متوليها وحينئذ فلا حذف ولا تقدير.

(٤) اختلف في الجهة التي كان الرسول ﷺ يستقبلها في مكة قبل الهجرة، والراجح أنّه كان يجعل الكعبة أمامه وهو متجه إلى الشام، بمعنى أنه يصلي بين الركنين اليمانيين ولما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس حتى حول إلى الكعبة، وهل كان استقباله بيت المقدس باجتهاد منه أو بوحي، الظاهر أنّه باجتهاد منه ﷺ.

ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ[1]
شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ
شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ
تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا[2] فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ
يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ[3]
أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

شرح الكلمات :

ولكلٍ وجهة هو موليها : التنوين في(كلٍ) دال على محذوف ، هو لكل أهل ملة كالإسلام ، واليهودية والنصرانية قبلة يولون وجوههم لها في صلاتهم .

الخيرات : البر والطاعة لله ورسوله .

الحجة : الدليل القوي الذي يظهر به صاحبه على من يخاصمه .

نعمتي : نعم الله كثيرة وأعظمها نعمة الاسلام وإتمامها بمواصلة التشريع والعمل به إلى نهاية الكمال ، وكان ذلك في حجة الوداع بعرفات حيث نزلت آية : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ .

---

(١) قال ابن كثير والقرطبي قبله استدل مالك بقول الله تعالى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أنّ المصلي ينظر أمامه لا إلى موضع سجوده كما هو مذهب الجمهور، أبي حنيفة والشافعي وأحمد والذي أراه يحقق المطلوب من الآية هو أن ينظر المصلي أولا أمامه امتثالا لأمر الله تعالى ثم بعد ذلك ينظر إلى موضع سجوده.

(٢) الكاف في محل نصب على النعت لمصدر محذوف تقديره ولأتم نعمتي عليكم إتماماً مثل ما أرسلنا وهو تشبيه نعمة استقلالكم في القبلة باستقلالكم في الرسالة.

(٣) أصل الذكر يكون بالقلب، ولما كان القلب باطنا جعل اللفظ باللسان دليلاً عليه، فأصبح الذكر يطلق على ذكر اللسان وإن كان المطلوب هما معاً أي ذكر القلب واللسان والجملة أمر وجواب فاذكروني أمرٌ، وأذكركم جواب وجزاء، وذكر الله للعبد أعظم، وقد ورد في فضل الذكر الكثير من الأحاديث منها: حديث ابن ماجه ونصّه : «أنّ رجلاً قال يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأنبئني منها بشيء أتشبث| به قال: لا يزال لسانك رطباً بذكر الله».

رســــولاً : هو محمد ﷺ والتنكير فيه للتعظيم.
يزكيــكم : يطهركم من الذنوب والأخلاق السيئة والملكات الرديئة.
الحـــكمة : السنة وهي كل قول صالح لا ينتهي صلاحه ونفعه بمرور الزمن.
الشـــكر : إظهار النعمة بصرفها[1] فيما من أجله وهبها الله تعالى لعباده.
والكفـــر : جحد النعمة وإخفاؤها وصرفها في غير ما يحب الله تعالى.

معنى الآيـات :

بعد تقرير تلك الحقيقة التي تضمنتها آية ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب ﴾ إلخ . . . . وهي أن النبي ﷺ لو أتى أهل الكتاب بكل آية تدل على صدقه في أمر القبلة ماتبعوا قبلته، وماهو بتابع قبلتهم، ومابعضهم بتابع قبلة بعض فلا اليهود يستقبلون مطلع الشمس ولا النصارى يستقبلون بيت المقدس. أخبر تعالى أن لكل أمة قبلة مولية وجهها إليها في صلاتها، فاتركوا أيها المسلمون أهل تلك الملل الضالة وسابقوا في الخيرات ونافسوا في الصالحات شكراً لربكم على نعمة هدايته لكم لقبلة أبيكم إبراهيم فإنه تعالى جامعكم ليوم القيامة وسائلكم ومجازيكم بأعمالكم إنه على كل شيء قدير، هذا ثم أمر الله رسوله أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام حيثما كان في الحضر كان أو في السفر وأعلمه أن تحوله إلى الكعبة حقٌ ثابت من ربه تعالى فلا يتردد فيه.

هذا ماتضمنته الآيتان (١٤٨) و(١٤٩) وأما الآية (١٥٠) فإنه تعالى أمر رسوله والمؤمنين بأن يولوا وجوههم شطر المسجد[2] الحرام حيثما كانوا وأينما وجدوا ويثبتوا على ذلك حتى لايكون لأعدائهم من اليهود والمشركين حجة، إذ يقول اليهود: ينكرون ديننا ويستقبلون قبلتنا، ويقول المشركون: يدعون أنهم على ملة ابراهيم ويخالفون قبلته. هذا بالنسبة للمعتدلين منهم أما الظالمون والمكابرون فإنهم لا سبيل إلى اقناعهم إذ قالوا بالفعل: ماتحول إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين آبائه ويوشك أن يرجع إليه، فمثل هؤلاء لا يبالى بهم و لايلتفت إليهم كما قال تعالى: ﴿ إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم[3] واخشوني ﴾. فاثبتوا على قبلتكم الحق

(١) ورد أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة أحبّ أن يرى أثرها عليه.
(٢) قد ورد في الآيات الأمر بتولية الرسول والمؤمنين وجوههم شطر المسجد الحرام ثلاث مرات وهو تكرار تطلبه المقام فكان من مقتضيات الحال التي يوجبها الكلام البليغ الرفيع ومن مقتضيات الحال إسكات السفهاء وقطع الطريق عليهم ورفع معنويات المؤمنين حيث تأثر بعضهم بما أثاره اليهود والمنافقون والمشركون حول تحويل القبلة.
(٣) الخشية مرادفة للخوف، والخوف هو فزع في القلب تخف له الأعضاء، ولخفة الأعضاء به سمي خوفاً.

لأتم نعمتي عليكم بهدايتكم إلى أحسن الشرائع وأقومها، ولأهيئكم لكل خير وكمال مثل ما أنعمت عليكم بإرسال رسولي، يزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمـونـه من أمـور الدين والدنيا معاً وفي الآية الأخيرة (١٥٢) أمر تعالى المؤمنين بذكره وشكـره، ونهاهم عن نسيانـه وكفره، فقال تعالى: ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ لما في ذكره بأسمائه وصفاته ووعده ووعيده من موجبات محبته ورضاه ولما في شكره بإقامة الصلاة وأداء سائر العبادات من مقتضيات رحمته وفضله ولما في نسيانه وكفرانه من التعرض لغضبه وشديد عقابه وأليم عذابه.

هدايـة الآيــات

من هدايـة الآيــات:

١ ـ الاعراض عن جدل المعاندين، والاقبال على الطاعات تنافساً فيها وتسابقاً إليها إذ هو أنفع وأجدى من الجدل والخصومات مع من لايرجى رجوعه إلى الحق.

٢ ـ وجوب استقبال القبلة في الصلاة وسواء كان في السفر أو في الحضر إلا أن المسافر يجوز أن يصلي النافلة حيث توجهت دابته أو طيارته أو سيارته إلى القبلة وإلى غيرها.

٣ ـ حرمة(١) خشية الناس ووجوب خشية الله تعالى.

٤ ـ وجوب شكر الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة.

٥ ـ وجوب(٢) تعلم العلم الضروري ليتمكن العبد من عبادة الله عبادة تزكي نفسه.

٦ ـ وجوب(٣) ذكر الله بالتهليل والتكبير والتسبيح ووجوب شكره بطاعته.

٧ ـ حرمة نسيان ذكر الله، وكفران نعمه بترك شكرها.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

(١) ورد في الصحيح أن الله تعالى يقول: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، والمراد من الملأ الخير الملائكة وورد: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه. وقال معاذ بن جبل ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل.

(٢) في هذا إبطال للتقية التي جعلها الروافض من أصول دينهم.

(٣) شاهده من السنة قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وهو حديث صحيح الإسناد.

(٤) شاهده من القرآن: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ الأحزاب.

وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ(١) مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ(٢) ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

شـــرح الكلمـات

الاســـتعانة : طلب المعونة والقدرة على القول أو العمل.

الصـــبر : حمل النفس على المكروه وتوطينها على احتمال المكاره.

الشـــعور : الاحساس بالشيء المفضي إلى العلم به.

الابتـــلاء : الاختبار والامتحان لإظهار ما عليه الممتحن من قوة أو ضعف.

الأمـــوال : جمع مال وقد يكون ناطقاً وهـو المواشي ويكون صامتاً وهو النقدان وغيرهما

المصـــيبة : ما يصيب العبد من ضرر في نفسه أو أهله أو ماله.

الصـــلوات : جمع صلاة وهي من الله تعالى هنا المغفرة لعطف الرحمة عليها.

ورحـــمة : الرحمة الإنعام وهو جلب ما يسر ودفع مايضر، وأعظم ذلك دخول الجنة بعد النجاة من النار.

المهـتدون : **إلى طريق السعادة والكمال بإيمانهم وابتلاء الله تعالى لهم وصبرهم على ذلك.**

معنى الآيـات :

نادى الـرب تعـالى عبـاده المؤمنين وهـم أهل ملة الإسلام المسلمون ليرشدهم إلى

(١) لفظ شيء يدل على تهوين الفاجعة الدال عليها الخوف والجوع وما بعدهما كما يدل أيضاً على أن ما يبتليهم به من ذلك هو هيّن فلا يقاس بما يصيب به أهل عداوته من أهل الشرك والكفر والفسق إذا أخذهم بذنوبهم.

(٢) أسند التبشير إلى الرسول ﷺ لأنه متأهل له بالرسالة فغيره لا يملكه، وقد لا يصدق فيه، كما أن اللفظ دال على سمو مقامه ﷺ.

مايكون عوناً لهم على الثبات على قبلتهم التي إختارها لهم، وعلى ذكر ربهم وشكره وعدم نسيانه وكفره فقال: ﴿ياأيها الذين آمنوا استعينوا﴾ أي على ما طلب منكم من الثبات والذكر والشكر، وترك النسيان والكفر بالصبر الذي هو توطين النفس وحملها على أمر الله تعالى به وبإقام الصلاة، وأعلمهم أنه مع الصابرين يمدهم بالعون والقوة، فإذا صبروا نالهم عون الله تعالى وتقويته وهذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٣) أما الآية الثانية (١٥٤) فقد تضمنت نهيه تعالى لهم أن يقولوا معتقدين إن من قتل في سبيل الله ميت إذ هو حي في البرزخ وليس بميت بل هو حي يرزق في الجنة كما قال رسول الله ﷺ: «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش». (رواه مسلم). فلذا لا يقال لمن قتل في سبيل الله مات[١] ولكن استشهد وهو شهيد وحيّ عند ربه حياة لا نحسها ولا نشعر بها لمفارقتها للحياة في هذه الدار. وأما الآية الثالثة (١٥٥) فإنه يقسم[٢] تعالى لعباده المؤمنين على أنه يبتليهم بشيء من الخوف بواسطة اعدائه واعدائهم وهم الكفار عندما يشنون الحروب عليهم وبالجوع لحصار العدو ولغيره من الأسباب، وبنقص الأموال كموت الماشية للحرب والقحط، وبالأنفس كموت الرجال، وبفساد الثمار بالجوائح، كل ذلك لإظهار من يصبر على إيمانه وطاعة ربه بامتثال أمره واجتناب نهيه ومن لا يصبر فيحرم ولاية الله وأجره، ثم أمر رسوله بأن يبشر الصابرين، وبين في الآية الرابعة (١٥٦) حال الصابرين وهي أنهم إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله، فله أن يصيبنا بما شاء لأنَّا ملكه وعبيده، وإنا إليه راجعون بالموت فلا جزع إذاً ولكن تسليم لحكمه[٤] ورضاً بقضائه وقدره، وفي الآية الخامسة (١٥٧) أخبر تعالى مبشراً أولئك الصابرين بمغفرة ذنوبهم وبرحمة من ربهم، وإنهم المهتدون إلى سعادتهم وكمالهم، فقال: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾.

---

(١) لا يقال لمن قتل في سبيل الله مات، بمعنى انقطعت عنه الحياة والشهيد لم يمت وإنّما انتقل من حياة ناقصة إلى حياة كاملة دائمة، كما أن لفظ الموت مفزع للإنسان فإذا دارت المعركة وسقط الشهداء، وقيل مات فلان وفلان يؤثر ذلك في نفس من سمع كلمة الموت ولذا لا يقال مات ولكن استشهد.

(٢) دلّ على القسم: اللاّم في قوله: ﴿ولنبلونكم﴾ إذ هي موطئة للقسم كأنما قال: وعزتي وجلالي لنبلونكم الخ..

(٣) من فسّر الخوف بالخوف من الله والجوع بالصيام، ونقص من الأموال بالزكاة لم يخطىء ولكن ما فسّرت به الآية هو الصواب الحق الذي عليه أئمة التفسير.

(٤) روى أحمد والترمذي عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلاّ جدّد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ ـ فضيلة الصبر والأمر به والاستعانة بالصبر والصلاة على المصائب والتكاليف وفي الحديث كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

٢ ـ فضل الشهداء على غيرهم بحياتهم عند ربهم حياة أكمل من حياة غيرهم في الجنة .

٣ ـ قد يبتلى المؤمن بالمصائب في النفس والأهل والمال ليصبر فترتفع درجته ويعلو مقامه عند ربه .

٤ ـ فضيلة الاسترجاع عند المصيبة وهو قول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وفي الصحيح يقـول ﷺ : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها » . (رواه مسلم)

۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ[1] مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

شـرح الكلمـات :

الصفا والمروة[2] : جبل مقابل البيت في الجهة الشرقية الجنوبية ، والمروة جبل آخر مقابل الصفا من الجهة الشمالية والمسافة بينهما قرابة (٧٦٠) ذراعاً .

شعائر الله : أعلام دينه جمع شعيرة وهي العلامة على عبادة الله تعالى فالسعي بين الصفا والمروة شعيرة لأنه دال على طاعة الله تعالى .

الحـج : زيارة بيت الله تعالى لأداء عبادات معينة تسمى نسكاً .

---

(١) أخرج البخاري عن عاصم بن سليمان قال سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة فقال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله عز وجل : ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ .

(٢) الصفا : لغة جمع صفاة وتجمع على صفي ، وأصفاء مثل أرجاء : الحجارة الملساء الصلبة البيضاء والمروة واحدة المرو وهي الحجارة الصغار التي فيها لين .

(٣) الحج لغة : القصد ، والعمرة : الزيارة ، وشاهد الحج القصد قول الشاعر :

فاشهد من عوف حلولا كثيرة ... يحجّون سبَّ الزبرقان المعصفرا

الحلول : الجماعة الكثيرة ويحجون بمعنى يقصدون

العـــمرة : زيارة بيت الله تعالى للطواف به والسعي بين الصفا والمروة والتحلل بحلق شعر الرأس أو تقصيره.

الجناح : الاثم ومايترتب على المخالفة بترك الواجب أو بفعل المنهي عنه.

يطوّف . : يسعى بينهما ذاهباً جائياً.

خـــيراً : الخير اسم لكل مايجلب المسرة، ويدفع المضرة والمراد به هنا العمل الصالح.

معنى الآية الكـريمة :

يخبر تعالى مقرراً فرضـية[1] السعي بين الصفا والمروة، ودافعاً ماتوهمه بعض المؤمنين من وجود إثم في السعي بينهما نظراً إلى أنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له إسافٌ، وآخر على المروة يقال له نائلة يتمسح بهما من يسعى بين الصفا والمروة فقال تعالى : إن الصفا والمـروة يعني السعي بينهمـا من شعـائـر الله أي عبـادة من عباداته إذ تعبد بالسعي بينهما نبيه ابراهيم وولده إسماعيل والمسلمون من ذريتهما. فمن حج البيت لأداء فريضة الحج أو اعتمر لأداء واجب العمرة فليسع بينهما أداءً لركن الحج والعمرة ولا إثم عليه في كون المشركين كانوا يسعون بينهما لأجـل الصنمين : اساف ونائلة.

ثم أخبر تعالى واعداً عباده المؤمنين أن من يتطوع منهم بفعل خير من الخيرات يجزه به ويثبه عليه، لأنه تعالى يشكر لعباده المؤمنين أعمالهم الصالحة ويثيبهم عليها لعلمه بتلك الأعمال ونيات أصحابها، هذا معنى قوله تعالى : ﴿ فمن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ﴾.

هداية الآيـة الكريمـة

من هدايـة هذه الآيـة :

١ ـ وجوب السعي بين الصفا والمروة[2] لكل من طاف بالبيت حاجاً أو معتمراً، وقد قال رسول الله ﷺ : «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي».[3] (رواه الدارقطني ولم يعل) وسعى

(١) السعي ركن الحج عند مالك، وأحمد والشافعي ولم يره ركنا أبو حنيفة، وما ذهب إليه الجمهور هو الذي يؤخذ به لحديث: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي» وكتب بمعنى فرض لغة وشرعاً.

(٢) من ترك السعي وسافر، يعود إليه محرما فيطوف بالبيت ويسعى بحكم أنه فرض وركن، ومن قال بوجوبه دون ركنيته يجزئه ذبح شاة.

(٣) وفي الصحيح أن النبي ﷺ خرج من باب الصفا بعد أن طاف بالبيت وهو يقول: إن الصفا والمروة من شعائر الله ثم قال: أبدأ بما بدأ الله به: فدل هذا على وجوب البدء في السعي بالصفا قبل المروة، ودل فعله ﷺ على أن السعي سبعة أشواط لا ينقص ولا يزيد.

ﷺ في عمراته كلها وفي حجه كذلك.

٢ ـ لا حرج في الصلاة في كنيسةٍ حولت مسجداً، ولا يضر كونها كانت معبداً للكفار.

٣ ـ الـترغيب في فعـل الخيرات من غير الواجبات، وذلك من سائر النوافل كالطواف والصلاة والصيام والصدقات والرباط والجهاد.

إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟(١) وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾

شـرح الكلمـات:

يكتمون(٢) : يخفون ويغطون حتى لا يظهر الشيء المكتوم ولا يعرف فيؤخذ به.

البينات : جمع بينة وهي مايثبت به شيء المراد إثباته، والمراد به هنا مايثبت نبوة محمد ﷺ من نعوت وصفات جاءت في كتاب أهل الكتاب.

الهـــدى : مايدل على المطلب الصحيح ويساعد على الوصول إليه والمراد به هنا ما جاء به رسول الله من الدين الصحيح المفضي بالآخذ به إلى الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) تابوا: أي رجعوا إلى الإيمان والدخول في الإسلام، وأصلحوا: أي ما أفسدوه من عقائد الناس، وأخلاقهم وأرواحهم، وبينوا: أي ما كتموه من العلم الواجب بيانه والمحرَّم كتمانه.

(٢) الكتمان يكون بإلغاء الحفظ المقرر، وإلغاء التدريس والتعليم للواجب بيانه وتعليمه والدعوة إليه.

في الكـتـاب : التوراة والانجيل.

اللعـــنة : الطرد والبعد من كل خير ورحمـة.

اللاعنـــون : من يصدر عنهم اللعن كالملائكة والمؤمنين.

أصـــلحوا : ما أفسدوه من عقائد الناس وأمور دينهم بإظهار ما كتموه والايمان بما كذبوا به وأنكروه.

ولا هـم ينظرون : أي بأن يمهلوا ليعتذروا، كقوله تعالى: ولا يؤذن لهم فيعتذرون

معنى الآيات:

عاد السياق بعد الاجابة عن تحرج بعض المسلمين من السعي بين الصفا والمروة عاد إلى التنديد بجرائم علماء أهل الكتاب، ودعوتهم إلى التوبة بإظهار الحق والايمان به فأخبر تعالى أن الذين يكتمون ما أنزله[1] من البينات والهدى في التوراة والانجيل من صفات الرسول محمد ﷺ والأمر بالايمان به وبما جاء به من الدين، هؤلاء البعداء يلعنهم الله تعالى وتلعنهم الملائكـة والمؤمنـون.[2] هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٩) وفي الآية التي بعدها (١٦٠) استثنى تعالى من المبعدين من رحمته من تاب من أولئك الكاتمين للحق بعدما عرفوه فبينوا وأصلحوا فهؤلاء يتوب عليهم ويرحمهم وهو التواب الرحيم.

وفي الآية الثالثة (١٦١) والرابعة (١٦٢) أخبر تعالى أن الذين كفروا من أهل الكتاب وغيرهم بنبيه ودينه ولم يتوبوا فماتوا على كفرهم أن عليهم[3] لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولذا فهم مطرودون مبعدون من الرحمة الإلهية وهي الجنة خالدون في جهنم لا يخفف عنهم عذابها، ولا يمهلون فيعتذرون.

(١) الآية عامة في كل من كتم علما واجب البيان ويعم العلم المنصوص والمستنبط وما لم يكن واجب البيان فلا يدخل صاحبه في هذا الوعيد، إذ مِنَ العلم مالا يجوز بيانه لحديث: «حدّث الناس بما يفهمون، أتحبّون أن يكذَّب الله ورسوله»، وحديث الصحيح: «أفلا أخبر الناس؟ قال: لا إذاً فيتكلوا».

(٢) أخرج ابن ماجه بسند حسن أنّ النبي ﷺ قال في اللاعنون: «دواب الأرض، ولذا فاللفظ عام يشمل كل من يتأتى منه اللّعن، ويدخل الملائكة والمؤمنون دخولاً أولياً.

(٣) هل يجوز لعن المؤمن العاصي المعين؟ لا يجوز لعـن المؤمـن العاصـي المعين وذلك لحديث الصحيح «لاتكونوا عون الشيطان على أخيكم»، إذ لعنوا مؤمنا حال إقامة الحد عليه حدّ شرب الخمر.

هداية الآيات

من هداية الآيات

١ ـ حرمة كتمان العلم وفي الحديث الصحيح «من كتم علمًا ألجمه الله بلجام من نار».
وقال أبو هريرة رضي الله عنه في ظروف معينة: (لولا آية من كتاب الله ماحدثتكم حديثاً) وتلا ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات﴾ إلخ...

٢ ـ يشترط لتوبة من أفسد في ظلمه وجهله اصلاح ما أفسد ببيان ما حرف أو بدل وغير، وإظهار ماكتم، وأداء ما أخذه بغير الحق.

٣ ـ من كفر ومات على كفره من سائر الناس يلقى في جهنم بعد موته خالداً في العذاب مخلداً لا يخفف عنه ولا ينظر فيعتذر، ولا يفتر عنه العذاب فيستريح.

٤ ـ جواز لعن[1] المجاهـرين بالمعاصي كشراب الخمر والمرابين، والمتشبهين من الرجال بالنساء ومن النساء بالرجال.

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾
إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

شـرح الكلمـات:

الإلـــــه : المعبود بحق أو بباطل[3]، والله سبحانه وتعالى هو الإله الحق المعبود بحق.

---

(١) فإن قيل: ما كل الناس يلعنونهم فالجواب: إمّا أن يكون من باب تغليب الأكثر على الأقل وإمّا أن يكون يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾.
(٢) لكن لا على سبيل التعيين، وإنّما على العموم كلعن الله آكل الربا مثلاً.
(٣) لم يرد في القرآن لفظ الإله إلاّ لله سبحانه وتعالى وأما إله بالتنكير فكثير.

وإلهكم إله واحد : في ذاته وصفاته، وفي ربوبيته فلا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون والحياة إلا هو وفي ألوهيته أي في عبادته فلا معبود بحق سواه.

اختلاف الليل والنهار : بوجود أحدهما وغياب الثاني لمنافع العباد بحيث لا يكون النهار دائماً ولا الليل دائماً.

وبث فيها من كل دابة : وفرق في الأرض ونشر فيها من سائر أنواع الدواب.

تصريف الرياح : باختلاف مهابها مرة صبا ومرة دبور ومرة شمالية ومرة غربية أو مرة ملقحة ومرة عقيم.

معنى الآيتيـن:

لما أوجب الله على العلماء بيان العلم والهدى وحرم كتمانهما أخبر أنه الإله الواحد الرحمن الرحيم وأن هذا أول ما على العلماء أن يبينوه للناس وهو توحيده تعالى في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته، ولما سمع بعض المشركين تقرير هذه الحقيقة: وإلهكم إله واحد قالوا: هل من دليل - يريدون على أنه لا إله إلا الله[1] - فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ إلى قوله ﴿ يعقلون ﴾ مشتملة على ستّ آيات كونية كل آية برهان ساطع ودليل قاطع على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي كلها موجبة لعبادته وحده دون من سواه.

الأولى : خلق السموات[2] والأرض وهو خلق عظيم لايتأتي إلا للقادر الذي لايعجزه شيء.

الثانية : اختلاف الليل والنهار بتعاقبهما وطول هذا وقصر ذاك.

الثالثة : جريان الفلك[3] - السفن - في البحر على ضخامتها وكبرها وهي تحمل مئات الأطنان من الأرزاق ومايتنفع به الناس في حياتهم.

الرابعة : إنزاله تعالى المطر من السماء لحياة الأرض بالنباتات والزروع بعد جدبها وموتها.

---

(١) جملة لا إله إلا الله أوّلها كفر وآخرها إيمان، لأن أوّلها نفي لكل إله وآخرها إثبات الألوهية لله سبحانه وتعالى وحده دون سواه.

(٢) جمع لفظ السموات لأنها أجسام متباينة وأفرد لفظ الأرض لأنها نوع واحد من تراب طبقة فوق أخرى.

(٣) في الآية دليل على جواز ركوب البحر للجهاد والحج والتجارة إلّا في حالة غلبة الهلاك الطارىء فإنه لا يجوز، وحديث أم حرام في الموطأ وغيره دليل على الجواز للنساء كالرجال.

الخامسـة : تصريف الرياح(1) حارة وباردة ملقحة وغير ملقحة، شرقية وغربية وشمالية وجنوبية بحسب حاجة الناس وما تطلبه حياتهم.

السادسة : السحاب(2) المسخر بين السماء والأرض تكوينه وسوقه من بلد إلى آخر ليمطر هنا ولا يمطر هناك حسب إرادة العزيز الحكيم.

ففي هذه الآيات الست أكبر برهان وأقوى دليل على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته وهو لذلك رب العالمين وإله الأولين والآخرين ولا رب غيره ولا إله سواه. إلا أن الذي يجد هذه الأدلة ويراها ماثلة في الآيات المذكورة هو العاقل أما من لا عقل له لأنه عطل عقله فلم يستعمله في التفكير والفهم والإدراك، واستعمل بدل العقل الهوى فإنه أعمى لا يبصر شيئاً وأصم لا يسمع شيئاً، وأحمق لا يعقل شيئاً، والعياذ بالله.

هـداية الآيتين

من هدايـة الآيتين :

١ ـ لا إله إلا الله فلا تصح العبادة لغير الله تعالى، لأنه لا إله حق(3) إلا هو.

٢ ـ الآيات الكونية في السموات والأرض تثبت وجود الله تعالى رباً وإلهاً موصوفاً بكل كمال منزهاً عن كل نقصان.

٣ ـ الآيات التنزيلية القرآنية(4) تثبت وجود الله رباً وإلهاً وتثبت النبوة المحمدية وتقرر رسالته ﷺ.

٤ ـ الانتفاع بالآيات مطلقاً ـ آيات الكتاب أو آيات الكون ـ خاص بمن يستعملون عقولهم دون أهوائهم.

وَمِنَ

ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ

(1) نهى رسول الله ﷺ عن سبّ الريح، فقد روى ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الريح فإنها من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله من خيرها وتعوّذوا بالله من شرها».

(2) سمي السحاب سحاباً لأنه يسحب من موضع إلى آخر أي من بلد إلى بلد آخر.

(3) في بعض تلبية الرسول ﷺ: «لبيك إله الحق لبيك».

(4) الآيات الكونية هي المنسوبة إلى الكون الذي هو الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، وذلك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات والآيات التنزيلية هي المنسوبة إلى القرآن المنزل من الله على رسول الله ﷺ.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

شـرح الكلمات:

أنداداً : جمع ند وهو المثل والنظير والمراد بالأنداد هنا الشركاء يعبدونها بحبها والتقرب إليها بأنواع العبادات كالدعاء والنذر لها والحلف بها.

التبرؤ : التنصل من الشيء والتباعد عنه لكرهه.

الذين اتُّبعوا : المعبودون والرؤساء المضلون.

الذين اتَّبعوا : المشركون والمقلدون لرؤسائهم في الضلال.

الأسباب : جمع سبب وهي لغة الحبل ثم استعمل في كل مايربط بين شيئين وفي كل ما يتوصل به إلى مقصد وغرض خاص.

كرَّة : رجعة وعودة إلى الحياة الدنيا.

الحسرات : جمع حسرة وهي الندم الشديد الذي يكاد يحسر صاحبه فيقعد به عن الحركة والعمل.

معنى الآيـات:

لما تقرر في الآيتين السابقتين بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة أن إله الناس أي ربهم ومعبودهم واحد وهو الله جل جلاله وعظم سلطانه أخبر تعالى أن مع هذا البيان والوضوح

يوجد ناس يتخذون من دون[1] الله آلهة أصناماً ورؤساء يحبونهم[2] كحبهم[3] لله تعالى أي يسوون[4] بين حبهم وحب الله تعالى، والمؤمنون أشد منهم حباً لله تعالى، كما أخبر تعالى أنه لو يرى المشركون عند معاينتهم العذاب يوم القيامة لرأوا أمراً فظيعاً يعجز الوصف عنه، ولعلموا أن القـوة لله وأن الله شديد العـذاب إذ تبرأ المتبعون وهم الرؤساء الظلمة دعاة الشرك والضلالة من متبوعيهم الجهلة المقلّدين وعاينوا[5] العذاب أمامهم وتقطعت تلك الروابط التي كانت تربط بينهم، وتمنى التابعون العودة إلى الحياة الدنيا لينتقموا من رؤسائهم في الضلالة فيتبرءوا منهم في الدنيا كما تبرءوا هم منهم في الآخرة، وكما أراهم الله تعالى العذاب فعاينوه، يريهم أعمالهم القبيحة من الشرك والمعاصي فتعظم حسرتهم ويشتد كربهم ويدخلون بها النار فلا يخرجون منها أبداً.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيـات:

١ ـ وجوب حب الله وحبّ[6] كل مايُحبّ الله عز وجل بحبه تعالى.

٢ ـ من الشرك الحب[7] مع الله تعالى، ومن التوحيد الحب بحب الله عز وجل.

٣ ـ يوم القيامة تنحل جميع الروابط من صداقة ونسب ولم تبق إلا رابطة الإيمان والأخوة فيه.

٤ ـ تبرؤ[8] رؤساء الشرك والضلال ودعاة الشر والفساد ممن أطاعوهم في الدنيا واتبعوهم على الظلم والشر والفساد، وليس بنافعهم ذلك شيئاً.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ[9] كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟

---

(١) دون: تكون بمعنى غير وسوى، ولا يطَّرد، إذ أصلها أنها ظرف مكان نحو جلست دونك، وتكون بمعنى الرديء تقول: هذا التمر دون.

(٢) فالآية الكريمة تعني المشركين عبدة الأوثان ورؤساء أهل الكتاب لقوله يحبونهم وهي عامة في كل من يحب غير الله تعالى من مخلوقاته كحب الله تعالى، إذ الحب إمّا أن يكون لله وإلاّ فهو شرك في حب الله تعالى.

(٣) وذلك لأنهم كانوا يدعون الله في الشدّة، ويعظمون حرمات الحرم، والأشهر الحرم فلذا هم يحبون الله تعالى ولكن يحبون آلهتهم ورؤساءهم أكثر من حب الله تعالى لجهلهم به سبحانه وتعالى.

(٤) لحديث ابن مسعود في الصحيح: «قلت أي الذنب أعظم يا رسول الله؟ قال: أن تجعل لله نِداً وهو خلقك».

(٥) معاينة العذاب تكون عند الموت وعند العرض والمساءلة يوم القيامة.

(٦) للحديث الصحيح: «أحبوا الله لما يغذوكم من النعم، وأحبوني بحب الله».

(٧) الحبّ: حبان حبّ عبادة وهذا لا يكون إلا لله تعالى، وحب غريزة كحب الطعام والشراب وسائر الملاذ، فهذا يجب القصد فيه وعدم الإفراط فقط، وخير الحب ما كان لأجل الله تعالى.

(٨) وشواهد هذا في غير آية من القرآن كقوله تعالى: ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾.

(٩) قيل: هذه الآية نزلت في ثقيف، وخزاعة وبني مدلج إذ حرّموا من الأنعام ما حرّموا وعلى كلٍّ فهي عامة في كل من حرّم غير ما حرّم الله تعالى.

خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ[1] وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

شــرح الكلمات :

الحــلال : ما انحلت عقدة الحظر عنه وهو ما أذن الله تعالى فيه.

الطـيب : ما كان طاهراً غير نجس، ولا مستقذر تعافه النفوس.

خـطوات الشيطان الخطوات جمع خطوة وهي المسافة بين قدمي الماشي والمراد بها هنا مسالك الشيطان وطرقه المفضية بالعبد إلى تحريم ما أحل الله وتحليل ماحرم.

عدو مبين : عداوته بينة وكيف وهو الذي أخرج أبوينا آدم وحواء من الجنة وأكثر الشرور والمفاسد في الدنيا إنما هي بوسواسه وإغوائه.

الســوء[2] : كل ما يسوء النفس ويصيبها بالحزن والغم ويدخل فيها سائر الذنوب.

الفحشـاء[3] : كل خصلة قبيحة كالزنا واللواط والبخل وسائر المعاصي ذات القبح الشديد.

ألفيـنا : وجدنا.

معنى الآيــات :

بعد ذلك العرض لأحوال أهل الشرك والمعاصي والنهاية المرة التي انتهوا إليها وهي الخلود في عذاب النار نادى الرب ذو الرحمة الواسعة البشرية جمعاء[4] ﴿ يأيها الناس كلوا مما في

---

(١) لفظ الفحشاء لم يطلق في القرآن إلا على فاحشة الزنا واللواط اللهم إلا في آية واحدة وهي ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ فإن الفحشاء هنا بمعنى البخل بمنع الزكاة.

(٢) قيل: السوء مالا حدّ فيه من الذنوب، والفحشاء ما فيه حدّ.

(٣) أصل الفحشاء: قبح المنظر وعليه قول الشاعر:

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش

ثم توسع فيه فأصبح يطلق على ما قبح من المعاني.

(٤) انه وإن كان سبب نزول الآية خاصاً فإن معناها عام، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الأرض ﴾[1]، وهو عطاؤه وإفضاله، حلالاً طيباً حيث أذن لهم فيه، وأما ما لم يأذن لهم فيه فإنه لا خير لهم في أكله لما فيه من الأذى لأبدانهم وأرواحهم معاً، ثم نهاهم عن اتباع آثار عدوه وعدوهم فإنهم إن اتبعوا خطواته قادهم إلى حيث شقاؤهم وهلاكهم، وأعلمهم وهو ربهم أن الشيطان لا يأمرهم إلا بما يضر أبدانهم وأرواحهم و السوء وهو كل مايسوء النفس والفحشاء وهي أقبح الأفعال وأردى الأخلاق وأفظع من ذلك أن يأمرهم بأن يكذبوا على الله فيقولوا عليه مالا يعلمون فيحرمون ويحللون ويشرعون باسم الله، والله في ذلك بريء وهذه قاصمة الظهر والعياذ بالله تعالى، حتى إذا أعرضوا عن إرشاد ربهم واتبعوا خطوات الشيطان عدوهم ففعلوا السوء وارتكبوا الفواحش وحللوا وحرموا وشرعوا ما لم يأذن به الله ربهم، وقال لهم رسول الله اتبعوا ما أنزل الله قالوا لا، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، ياسبحان الله يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان باطلاً، وضلالاً، أيقلدون[2] أباءهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من أمور الشرع والدين، ولا يهتدون إلى ما فيه الصلاح والخير.

هداية الآيــات

من هداية الآيـات

١ ـ وجوب طلب الحلال والاقتصار على العيش منه ولو كان ضيقاً قليلاً.

٢ ـ الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله تعالى فلا يستقل العقل بشيء من ذلك.

٣ ـ حرمة اتباع مسالك الشيطان وهي كل معتقد أو قول أو عمل نهى الله تعالى عنه.

٤ ـ وجوب الابتعاد عن كل سوء وفحش لأنهما مما يأمر بهما الشيطان.

٥ ـ حرمة تقليد من لا علم له ولا بصيرة في الدين.

٦ ـ جواز اتباع أهل العلم و الأخذ بأقوالهم وآرائهم المستقاة من الوحي الإلهي الكتاب والسنة.

---

(١) يصح إعراب ﴿حلالاً طيبا﴾ على أنهما حالان من ﴿ما في الأرض﴾ ويصح أيكون طيبا صفة لحلال كما يصح أن يكون حلالاً مفعولاً لكلوا.

(٢) استدل بهذه الآية على حرمة التقليد في العقائد مطلقاً أما في الفروع فهو أهون، والتقليد هو قبول الحكم بلا دليل ولا حجّة.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
(١٧١)

شـرح الكلمات :

مـثل : المثل الصفة والحال.

ينعق : يصيح والاسم النعيق(١) وهو الصياح ورفع الصوت.

الدعـاء : طلب القريب كدعاء المؤمن ربه يارب. يارب.

النداء(٢) : طلب البعيد كأذان الصـلاة.

الصـم : جمع أصم فاقد حاسة السمع فهو لا يسمع.

البكـم : جمع أبكم فاقد حاسة النطق فهو لاينطق.

لا يعقلـون : لايدركون معنى الكلام ولا يميزون بين الأشياء لتعطل آلة الإدراك عندهم وهي العقل.

معنى الآيـة الكريمة :

لما نددت الآية قبل هذه (١٧٠) بالتقليد والمقلدين الذي يعطلون حواسهم ومداركهم ويفعلون ما يقول لهم رؤساؤهم ويطبقون ما يأمرونهم به مسلمين به لا يعرفون لم فعلوا ولم تركوا جاءت هذه الآية بصورة عجيبة ومثل غريب للذين يعطلون قواهم العقلية ويكتفون بالتبعية في كل شيء حتى أصبحوا كالشياه من الغنم يسوقها راعيها حيث شاء فإذا نعق بها داعياً لها أجابته ولو كان دعاؤه إياها لِذبحها، وكذا إذا ناداها بأن كانت بعيدة أجابته وهي لا تدري لم نوديت إذ هي لا تسمع ولا تفهم إلا مجرد الصوت الذي ألفته بالتقليد(٣) الطويل والاتباع بدون دليل.

---

(١) النعيق: دعاء الراعي، وتصويته بالغنم، وعليه قول الشاعر:
فانعق بضأنك يا جرير فإنما ... منتك نفسك في الخلاء ضلالا

(٢) وفي الحديث: «إنّ بلالا أندى صوتا».

(٣) وهناك معنى آخر للآية قاله الطبري وهو أن المراد مثل الكافرين في دعائهم آلهتهم كمثل الذي ينعق بشيء بعيد فهو لا يسمع من أجل البعد فليس للناعق من ذلك إلاّ النداء الذي يُتعبه وينصبه وما فسّرناه به أصحّ وأمثل.

فقال تعالى: ﴿ ومثل الذين كفروا ﴾ في جمودهم وتقليد ابائهم في الشرك والضلال كمثل غَنَم[1] ينعق بها راعيها الأمين عليها فهو إذا صاح فيها داعياً لها أو منادياً لها سمعت الصوت وأجابت ولكن لاتدري لماذا دعيت ولا لماذا نوديت لفقدها العقل. وهذا المثل صالح لكل من يدعو أهل الكفر والضلال إلى الإيمان والهداية فهو مع من يدعوهم من الكفرة والمقلدين والضلال الجامدين كمثل الذي ينعق إلخ . . . . . .

هدايـة الآيـة

من هدايـة الآيـة الكريمة:

١ ـ تسلية الدعاة إلى الله تعالى عندما يواجهون المقلدة من أهل الشرك والضلال.

٢ ـ حرمة التقليد لأهل الأهواء والبدع.

٣ ـ وجوب طلب العلم والمعرفة حتى لا يفعل المؤمن ولا يترك إلا على علم بما فعل وبما ترك.

٤ ـ لا يتابع إلا أهل العلم والبصيرة في الدين، لأن اتباع الجهال يعتبر تقليداً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ[2] مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ
وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ[3] وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

---

(١) يقال: نعق الغراب، ونغق بالغين ونعب، نعق إذا صوّت من غير أن يمد عنقه ويحركها، ونغق بمعناه فإذا مدّ عنقه وحرّكها ثم صاح قيل فيه نعب.

(٢) أخرج مسلم قول النبي ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيّب لا يقبل إلّا طيبا، وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم، وقال: يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم. . الآية. ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء يا رب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك؟!».

(٣) الميت والميتة بتسكين الياء هو ما مات قطعا وانتهت حياته، والميّت، والميّتة بتشديد الياء هو ما لم يمت بعد ولكنه آيل أمره إلى الموت، هكذا يرى أرباب اللغة واستشهدوا بقول الله تعالى لرسوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وهذا دليل إطلاق ميّت بالتشديد على من لم يمت بعد كما استشهدوا بقول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت إنّما الميت ميّت الأحياء

شـــرح الكلمات :

الطيبات	: جمع طيب وهو الحلال .
واشكروا لله	: اعترفوا بنعم الله عليكم واحمدوه عليها واصرفوها في مرضاته .
إن كنتم إياه تعبدون	: إن كنتم مطيعين لله منقادين لأمره ونهيه .
حــرم	: حظر ومنع .
الميتة	: ما مات من الحيوان حتف أنفه بدون ذكاة .
الــدم	: المسفوح السائل، لا المختلط باللحم .
الخـنزير	: حيوان خبيث معروف بأكل العذرة ولا يغار على أنثاه .
وما أهل به لغير الله	: الإهلال : رفع الصوت باسم من تذبح له من الآلهة .
اضـطر	: ألجىء وأكره بحكم الضرر الذي لحقه من الجوع أو الضرب .
غير باغ ولا عاد	: الباغي الظالم الطالب لما لا يحل له والعادي المعتدي المجاوز لما له إلى ما ليس له .
الإثم	: أثر المعصية على النفس بالظلمة والتدسية .

معنى الآيتين الكريمتين

بعد أن بينت الآية السابقة (١٧١) حال الكفرة المقلدة لآبائهم في الشرك وتحريم ما أحل الله من الأنعام حيث سيبوا للآلهة السوائب، وحموا لها الحامات ، وبحروا لها البحائر، نادى الجبار عز وجل عباده المؤمنين: يا أيها الذين آمنوا بالله رباً وإلهاً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ربكم ما أنعم به عليكم من حلالات اللحوم، ولا تحرموها كما حرمها مقلدة المشركين،[1] فإنه تعالى لم يحرم عليكم إلا أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغيره تعالى. ومع هذا من ألجأته الضرورة فخاف على نفسه الهلاك فأكل فلا إثم عليه على شرط أن لا يكون في سفره باغياً على المسلمين ولا عاديا بقطع الطريق عليهم وذلك لأن الله غفور لأوليائه التائبين إليه رحيم بهم لا يتركهم في ضيق ولا حرج .

---

(١) لمّا أباح تعالى لعباده المؤمنين الحلال الطيب وهو كثير لم يعدّده لكثرته، وعدّد الحرام لقلته فذكر الميتة والدم الخ كما فعل النبي ﷺ لما سئل عما يلبس المحرم فعدل عن بيان المباح لكثرته وذكر المحرّم لقلته فقال: لا يلبس القميص ولا السراويل.. الخ. وهذا من الايجاز البليغ.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ الندب إلى أكل الطيبات من رزق الله تعالى في غير إسراف.

٢ ـ وجوب شكر الله تعالى بالاعتراف بالنعمة له وحمده عليها وعدم صرفها في معاصيه.

٣ ـ حرمة أكل الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله تعالى.(١)

٤ ـ جواز الأكل من المذكورات عند الضرورة(٢) وهي خوف الهلاك مع مراعاة الاستثناء في الآية.

٥ ـ أذن النبي ﷺ في أكل السمك والجراد(٣) وهو من الميتة، وحرّم أكل كل ذي ناب(٤) من السباع وذي مخلب من الطيور.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ
أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ(٥) ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ
بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾

---

(١) هذه أصول المحرّمات الأربعة، وأما المختنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب فهي متفرّعة عن تلك الأصول وهي مذكورة في أوّل المائدة.

(٢) مَنْ وجد طعاماً لا تقطع فيه اليد يأكله ولا يأكل من الميتة لأذن النبي ﷺ للمحتاج أن يأكل من الثمر المعلق فقال: «من أصاب منه مِنْ ذي حاجة بغية غير متخذ خبنة فلا شيء عليه» وقوله منه: أي من الثمر المعلق، إذ سئل عنه فقال.. الخ.

(٣) للحديث الصحيح أحل لنا ميتتان: الحوت والجراد، ودمان: الكبد والطحال.

(٤) لحديث الصحيح: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور».

(٥) إشارة إلى الحكم عليهم بأنهم من أهل الخلود في النار، كما هو صالح أن يكون إشارة إلى ما تقدم من الوعيد، والمعنى متقارب.

شــرح الكلمـات :

يكتــمون	: يجحدون ويخفون .
ما أنزل الله من الكتاب	: الكتـاب التوراة وما أنزل الله فيه صفة النبي محمد ﷺ والأمر بالإيمان به .
لا يكلمهم الله[١]	: لسخطه عليهم ولعنه لهم .
و لا يزكيهم	: لا يطهرهم من ذنوبهم لعدم رضـاه عنهم .
الضــلالة	: العماية المانعة من الهداية إلى المطلوب .
الشــقاق	: التنازع والعداء حتى يكون صاحبه في شق ومنازعه في آخر
بعيـــد	: يصعب انهاؤه والوفاق بعده .

معنىٰ الآيــات :

هذه الآيات الثـلاث نزلت قطعـاً في أحبار[٢] أهل الكتاب تندد بصنيعهم وتريهم جزاء كتمانهم الحق وبيعهم العلم الذي أخذ عليهم أن يبينوه بعرض خسيس[٣] من الدنيا يجحدون أمر النبي ﷺ ودينه إرضاء للعوام حتى لايقطعوا هداياهم ومساعدتهم المالية ، وحتى يبقى لهم السلطان الروحي عليهم فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنلاً قليلاً ﴾ وأخبر تعالىٰ أن ما يأكلونه من رشوة في بطونهم إنما هو النار إذ هو مسببها ومع النار غضب الجبار فلا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .

كما أخبر تعالى عنهم في الآية (١٧٥) أنهم وهـم البعداء اشتروا الضلالة بالهدى أي الكفر بالايمان ، والعذاب بالمغفرة أي النار بالجنة ، فما أجرأ هؤلاء على معاصي الله ، وعلى التقحم في النار فلذا قال تعالى فما أصبرهم[٤] على النار. وكل هذا الذي تم مما توعد الله به هؤلاء

---

(١) لا يكلمهم كلام تشريف وتكريم كما يكلّم أولياءه الصالحين. أمّا ما كان من كلام إهانة وتحقير نحو: ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ فلا يدخل في هذا النفي . والله أعلم .

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في أحبار اليهود، كانوا يصيبون من سفلتهم هدايا، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث من غيرهم غيّروا صفته وقالوا : هذا نعت النبي الذي يخرج آخر الزمان حتى لا يتبعوا محمداً ﷺ .

(٣) هو الرشوة التي يأخذها القاضي والمفتي والعياذ بالله .

(٤) هذا تعجيب للمؤمنين من حالهم .

الكفرة، لأن الله نزّل الكتاب بالحق مبيناً فيه سبيل الهداية وما يحقق لسالكيه من النعيم المقيم ومبيناً سبيل الغواية وما يفضي بسالكيه إلى غضب الله وأليم عذابه.

وفي الآية الآخيرة (١٧٦) أخبر تعالى أن الذين اختلفوا في الكتاب التوراة والانجيل وهم اليهـود والنصارى[١] لفي عداء واختلاف بينهم بعيد، وصدق الله فمازال اليهود والنصارى مختلفين متعادين إلى اليوم، ثمرة اختلافهم في الحق الذي أنزله الله وأمرهم بالأخذ به فتركوه وأخذوا بالباطل فأثمر لهم الشقاق البعيد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة كتمان الحق[٢]، لا سيما إذا كان للحصول على منافع دنيوية مالاً أو رياسة.

٢ ـ تحذير علماء الإسـلام من سلوك مسلك علماء أهل الكتاب بكتمانهم الحق[٣] وافتاء الناس بالباطل للحصول على منافع مادية معينة.

٣ ـ التحذير من الاختلاف في القرآن الكريم لما يفضي إليه من العداء والشقاق البعيد بين المسلمين.

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ

---

(١) ويدخل في هذا مشركو العرب فقد اختلفوا في القرآن فقالوا: شعر، وقالوا سحر، وقالوا: أساطير.

(٢) يدخل فيه كتمان الشهادة الذي حرّمه الله تعالى بقوله: ﴿ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾.

(٣) يشهد له حديث «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار».

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١)(١٧٧)

شـرح الكلمـات:

البـر	: اسمٌ جامع لكل خير وطاعة لله ورسوله محمد ﷺ.
ولكن البر من آمن بالله	: البر الحق برُّ من آمن بالله واليوم الآخر إلى آخر الصفات.
وأتى المال على حبه	: أعطى المال(٢) حيث تعين اعطاؤه مع شدة حبه(٣) له فآثر ما يحب الله على ما يحب
ذوي القربى	: أصحاب القرابات ، الأقرب فالأقرب.
اليتامى	: جمع يتيم وهو من مات والده وهو لم يبلغ الحنث.
المساكين	: جمع مسكين، فقير معدم أسكنته الحاجة فلم يقدر على التصرف.
ابن السبيل	: المسافر البعيد الدار المنقطع عن أهله وماله.
السائلين	: جمع سائل: الفقير المحتاج الذي أذن له في السؤال لدفع غائلة الحاجة عن نفسه.
في الرقاب	: الرقاب جمع رقبة والإنفاق منها معناه في عتقها.
البأساء والضراء	: البأساء : شدة البؤس من الفقر، والضراء: شدة الضر أو المرض.
وحين البأس	: عند القتال واشتداده في سبيل الله تعالى.
أولئك الذين صدقوا(٤)	: أي في دعواهم الايمان والبر والبرور

معنى الآية الكريمة:

في الآيات الثلاث السابقة لهذه الآية ندد الله تبارك وتعالى بأحبار أهل الكتاب وذكر ما توعدهم به من غضبه وأليم عقابه يوم القيامة كما تضمن ذلك تخويف علماء الإسلام من أن

---

(١) نصب: ﴿والصابرين﴾ على المدح إذ هو معطوف على ﴿والموفون﴾ وهو مرفوع، ونظيره قوله تعالى: ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ والنصب على المدح شائع في كلام العرب وهو إشارة وتنبيه على فضيلة الصبر ومزيّته وقرىء ﴿والصابرون﴾ بالرفع على الأصل.

(٢) فيه دليل على أن في المال حقاً غير الزكاة وشاهده قوله ﷺ «إنّ في المال حقا سوى الزكاة». رواه ابن ماجه والترمذي.

(٣) ويصح أن يكون على حب الله لا على شيء آخر، أي أعطى المال مَنْ أعطاهم لأجل حب الله عز وجل.

(٤) ورد في فضل الصدق قوله ﷺ «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإنّ البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا». في الصحيح.

يكتموا العلم على الناس طلباً لحظوظ الدنيا الفانية، وفي هذه الآية رد الله تعالى على أهل الكتاب أيضاً تبجحهم بالقبلة وادّعاء هم الايمان والكمال فيه لمجرد أنهم يصلون إلى قبلتهم بيت المقدس بالمغرب أو طلوع الشمس بالمشرق إذ الأولى قبلة اليهود والثانية قبلة النصارى فقال تعالى: ليسَ البرّ(١) كل البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، وفي هذا تنبيه عظيم للمسلم الذي يقصر إسلامه على الصلاة ولا يبالي بعدها ما ترك من واجبات وما ارتكب من منهيات، بين تعالى لهم البار الحق في دعوى الايمان والإسلام والاحسان فقال: ﴿ولكن البر﴾(٢) أي ذا البر أو البار بحق هو ﴿من آمن بالله﴾ وذكر أركان الإيمان إلا السادس منها (القضاء والقدر)، ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ وهما من أعظم أركان الاسلام، وأنفق المال في سبيل الله مع حبه له وضنّه به ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فهو ينفق ماله على من لايرجو منه جزاءً ولا مدحاً ولا ثناء كالمساكين وأبناء السبيل والسائلين من ذوي الخصاصة والمسغبة، وفي تحرير الأرقاء وفكاك الأسرى وأقام الصلاة أدامها وعلى الوجه الأكمل في أدائها وأتى الزكاة المستحقين لها، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من أعظم قواعد الاسلام، وذكر من صفاتهم الوفاء بالعهود والصبر في أصعب الظروف وأشد الأحوال، فقال تعالى: ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس﴾ وهذا هو مبدأ الإحسان وهو مراقبة الله تعالى والنظر إليه وهو يزاولِ عبادته، ومن هنا قرر تعالى أن هؤلاء هم الصادقون في دعوى الايمان والاسلام وهم المتقون بحق غضب الله وأليم عذابه، جعلنا الله منهم، فقال تعالى مشيراً لهم بلام البعد وكان الخطاب لبعد مكانتهم وارتفاع درجاتهم ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١ ـ الاكتفاء ببعض أمور الدين دون القيام ببعض لايعتبر صاحبه(٤) مؤمناً ولا ناجياً.

---

(١) قرأ حفص: ﴿البرّ﴾ بالنصب على أنه خبر ليس مقدما والاسم أن وما دخلت عليه والتقدير: تولية وجوهكم، وقرأ غيره ﴿البرُّ﴾ مرفوعا على أنه الاسم والخبر: أن وما دخلت عليه.

(٢) وقيل هو على حذف مضاف أي: ولكن البِرّ برّ من آمن على حد ﴿واسأل القرية﴾ أي أهل القرية، وما أوّلناه به أقرب وأيسر.

(٣) هذه الآية: ﴿ليس البرّ﴾ الخ آية عظيمة تضمنت قواعد الشرع وأمهات الأحكام لم تتضمن آية غيرها ما تضمنته هي، إذ تضمنت أركان الإيمان وقاعدتي الإسلام الصلاة والزكاة، والجهاد والصبر، والوفاء، والتقوى والانفاق العام والخاص.

(٤) شاهده من القرآن في قوله تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض..﴾ الآية.

٢ ـ أركان الايمان[1] هي المذكورة في هذه الآية، والمراد بالكتاب[2] في الآية الكتب.

٣ ـ بيان وجوه الانفاق المرجو ثوابه يوم القيامة وهو ذوي القربى إلخ . . .

٤ ـ بيان عظم شأن الصلاة والزكاة.

٥ ـ وجوب الوفاء بالعهود.

٦ ـ وجوب الصبر وخاصة عند القتال.

٧ ـ التقوى هي ملاك الأمر، والغاية التي ما بعدها للعاملين غاية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ
بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

شرح الكلمات:

كتب[3] عليكم القصاص[4] : كتب فرض والقصاص: إذا لم يرض ولي الدم بالدية ولم يعف.

في القتلى : الفاء سببية أي بسبب القتل والقتلى جمع قتيل وهو الذي أزهقت روحه فمات بأي آلة.

---

(١) أركان الإيمان ستة جاءت في حديث جبريل الذي رواه مسلم وهي: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ولم يذكر القدر في الآية لأن الكتاب دال عليه.

(٢) ٔن ال: التي في الكتاب للجنس، والجنس تحته أفراد كالإنسان أفراده كثيرون، والكتب المطلوب الإيمان بها هي كل ما أنزل من كتاب وأعظمها القرآن، والتوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم عليه السلام.

(٣) قيل كتب هنا: هو إخبار عما كتب في اللّوح المحفوظ وسبق به القضاء ولا منافاة بين ما شرع وفرض علينا في القرآن والسنة، وما كتب في كتاب المقادير إذ الكل سبق به علم الله وأراده فكان كما أراد.

(٤) القصاص: مأخوذ من قصّ الأثر إذا تتبعه ومنه القاص لأنّه يتتبع الأخبار والآثار والقاتل كأنه سلك طريقاً فقص أثره فيها ومشى على سبيله في ذلك.

الحــــر	: الحر خلاف العبد[1] والعبد هو الرقيق المملوك.
فمن عفى له من أخيه شيء	: فمن تنازل له ولي الدم عن القود إلى الدية أو العفو.
فاتباع بمعروف	: فالواجب أن تكون مطالبة الدية بالمعروف بالرفق واللين.
وأداء إليه بإحسان	: وأن يكون أداء الدية بإحسان خالياً من المماطلة والنقص.
ذلك تخفيف من ربكم	: أي ذلك الحكم العادل الرحيم وهو جواز أخذ الدية بدلاً من القصاص تخفيف عنكم من ربكم إذ كان في شرع من قبلكم القصاص فقط أو الدية فقط، وأنتم مخيرون بين العفو والدية والقصاص.
فمن اعتدى بعد ذلك	: يريد من أخذ الدية ثم قَتَل[2] فإنه يتعين قتله لا غير.
القصاص	: المساواة في القتل والجراحات وفي آلة القتل أيضاً.
حياة	: إبقاء شامل عميم، إذ من يريد أن يقتل يذكر أنه سيقتل فيترك القتـل فيحيا، ويحيا من أراد قتله، ويحيا بحياتهما خلق كثير، وعدد كبير.
أولى الألباب	: أصحـاب العقول الراجحة، واحد الألباب: لبٌّ وهو في الانسان العقل.
لعلكم تتقون	: ليعـدكم بهذا التشريع الحكيم لاتقاء ما يضر ولا يسر في الدنيا والآخرة.

معنى الآية الكريمة:

هذه الآية نزلت في حيين من العرب كان أحد الحيين يرى أنه أشرف من الآخر فلذا يقتل الحر بالعبد، والرجل بالمرأة تطاولا وكبرياء فحدث بين الحيين قتل وهم في الاسلام فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية تبطل ذحْل[3] الجاهلية وتقرر مبدأ العدل

---

(١) ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد مخالفاً للجمهور لعموم آية المائدة: (النفس بالنفس).

(٢) اختلف فيمن قتل بعد أخذ الدية فقال مالك والشافعي وكثير من العلماء هو كمن قتل ابتداء إن شاء الوليّ قتله وإن شاء عفا عنه وعذابه في الآخرة، وقال آخرون عذابه أن يقتل ولا يمكن الحاكم الولي من العفو. وقال عمر بن عبدالعزيز أمره إلى الإمام.

(٣) ذحل الجاهلية: ثأر الجاهلية وعاداتها قال رسول الله ﷺ: «إن من أعتى الناس على الله يوم القيامة ثلاثة، رجل قتل غير قاتله، ورجل قتل في الحرم، ورجل أخذ بذحول الجاهلية».

والمساواة في الاسلام فقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾، فلا يقتل بالرجل رجلان، ولا بالمرأة رجل ولا امرأتان ولا بالعبد حر ولا عبدان.(١)(٢)

فمن تنازل له أخوه(٣) وهو ولي الدم عن القصاص إلى الدية أو العفو مطلقاً فليتبع ذلك ولا يقل لا أقبل إلا القصاص بل عليه أن يقبل ما عفا عنه أخوه له من قصاص أو دية أو عفو، وليطلب ولي الدم الدية بالرفق والأدب، وليؤد القاتل الدية بإحسان بحيث لا يماطل ولا ينقص منه شيئاً.

ثم ذكر تعالى منّته على المسلمين حيث وسع عليهم في هذه المسألة فجعل ولي الدم مخيراً بين ثلاثة العفو أو الدية أو القود (القصاص) في حين أن اليهود كان مفروضا عليهم القصاص فقط، والنصارى الدية فقط وأخبر تعالى بحكم أخير في هذه القضية وهو أن من أخذ الدية وعفا عن القتل ثم تراجع وقتل فقال: ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾. واختلف في هذا العذاب الأليم هل هو عذاب الدنيا بالقتل، أو هو عذاب الآخرة، ومن هنا قال مالك والشافعي حكم هذا المعتدي كحكم القاتل ابتداء إن عفي عنه قبل، وإن طولب بالقود أو الدية أعطى، وقال آخرون ترد منه الدية ويترك لأمر الله، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله يرد أمره إلى الإمام يحكم فيه بما يحقق المصلحة العامة ثم أخبر تعالى: أن في القصاص الذي شرع لنا وكتبه علينا مع التخفيف حياةً عظيمةً لما فيه من الكف عن إزهاق الأرواح وسفك الدماء فقال تعالى: ﴿ ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب لعلكم تتقون ﴾.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١ ـ حكم القصاص في الإسلام وهو المساواة والمماثلة فيقتل الرجل بالرجل(٤) والمرأة بالمرأة

---

(١) الجمهور على أن الجماعة تقتل بالواحد، وذلك إذا باشروا القتل فقتلوا لقول عمر رضي الله عنه في قتل غلام قتله سبعة فقتلهم وقال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم ولم يخالفه أحد فكان إجماعاً.

(٢) ذهب بعض إلى أن الرجل لا يقتل بالمرأة وخالفهم الجمهور لآية المائدة: ﴿وكتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس﴾ الآية.

(٣) أخوه: أي في الإسلام إذ لا يقتل المسلم بالذمي لقول الرسول ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر» وهو مذهب الجمهور وذلك لعدم تكافؤ الدمين.

(٤) اختلف في هل يقتل الرجل بولده فذهب الجمهور إلى عدم قتله به وذهب مالك إلى أنه إذا أضجعه وقتله يقتل به وإذا رماه بحجر أو بعصا أو بأي سبب فيه شبهة أنه لم يرد قتله فلا يقتل به لحديث «إدرأوا الحدود بالشبهات».

والمرأة بالرجل والرجل بالمرأة ويقتل القاتل بما قَتَلَ به مماثلة لحديث: «المرء مقتول بما قتل به».

ولما كان العبد مقوماً بالمال فإنه لايقتل به الحر بل يدفع إلى سيده مال.وبهذا حكم الصحابة والتابعون وعليه الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وخالف أبو حنيفة فرأى القود فيقتل الحر بالعبد أخذاً بظاهر هذه الآية.

٢ ـ محاسن الشرع الإسلامي ومافيه من اليسر والرحمة حيث أجاز العفو[١] والدية بدل القصاص.

٣ ـ بلاغة القرآن الكريم، إذ كان حكماء العرب في الجاهلية يقولون: القتل أنفى للقتل، فقال القرآن: ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾. فلم يذكر لفظ القتل بالمرة فنفاه لفظاً وواقعاً.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ[٢] إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ[٣] إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

شرح الكلمات:

كُتِبَ : فرض وأثبت.

خيراً : مالاً نقداً أو عرضاً أو عقاراً.

الوصية : الوصية ما يوصى به من مال وغيره.

(١) اختلف في أخذ الدية من قاتل العمد فقال الجمهور: وليّ الدم يخير بين أخذ الدية والقصاص ولا خيار للقاتل، فلو قال: اقتصّوا مني ليس له ذلك بل هو لوليّ الدم لأنّه مخيّر بين ثلاثة.

(٢) هذه الآية: ﴿كتب عليكم﴾ الخ تسمى آية الوصية وذكّر الفعل والوصية مؤنثة لأحد أمرين الأول: الفصل بين الفعل والفاعل، والثاني: مالا فرج له يذكر ويؤنث.

(٣) المراد من الموت هنا: أسبابه، إذ العرب إذا احضر السبب كنّت به عن المسبب، قال جرير في مهاجاته الفرزدق:

أنا الموت الذي حدّثت عنه فليس لهاربٍ مني نجاء

فكنّى بنفسه عن الموت، إذ هو سبب مجيئه في نظره وزعمه.

المعـــروف : ما تعارف عليه الناس كثيرا أو قليلاً بحيث لا يزيد على الثلث.
التبـديل : التغيير للشيء بآخر.
جنفاً أو إثمًا : الجنف : الميل عن الحق خطأً، والإثم تعمد الخروج عن الحق والعدل.

معنى الآيات:

بمناسبة ذكر آية القصاص وفيها أن القاتل عرضة للقتل والمفروض فيه أن يوصي في ماله قبـل قتله، ذكر تعالى آية الوصية هنا فقال تعالى: كتب عليكم أيها المسلمون إذا حضر أحدكم الموت إن ترك مالاً الوصية[1] أي الإيصاء للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ثم نسـخ الله تعـالى هذا الحكم بآية المـواريث[2] ، ويقول رسول الله ﷺ «فلا وصية لوارث»[3] ونسخ الوجوب وبقي الاستحباب ولكن لغير الوالدين والأقربين الوارثين إلا أن يجيز ذلك الورثة وأن تكون الوصية ثلثاً فأقل فإن زادت وأجازها الورثة جازت لحديث ابن عباس عند الدارقطني لا تجوز الوصية لوارث إلا أن يشاء الورثة، ودليل استحباب الوصية حديث سعد في الصحيح حيث أذن له الرسول في الوصية بالثلث، وقد تكون الوصية واجبة على المسلم وذلـك إن ترك ديوناً لازمة، وحقوقا واجبة في ذمته فيجب أن يوصي بقضائها واقتضائها بعد موته لحديث ابن عمر في الصحيح « ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده »، هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٨٠) وأما الآية الثانية[4] (١٨١) فيقول تعالى لعباده المؤمنين فمن بدل إيصاء مؤمن أوصى به بأن زاد فيه أو نقص أو غيره أو بدل نوعاً بآخر فلا إثم على الموصي ولكن الإثم على من بدل وغيّر، وختم هذا الحكم بقوله أن الله سميع عليم تهديداً ووعيداً لمن يقدم على تغيير الوصايا لغرض فاسد وهوى سيء وفي الآية الأخيرة (١٨٢) أخبر تعالى أن من خاف[5] من موصٍ جنفاً أو ميلاً عن الحق والعدل فجار في وصيته بدون تعمد الجور ولكن خطأً أو خاف إثمًا على الموصى حيث جار

(١) ﴿إن ترك خيراً﴾: هذا شرط وجوابه الوصية إلّا أن الشائع أنّ جواب الشرط يكون مقروناً بالفاء وسقطت هنا جوازا كما في قول الشاعر:

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

أي فالله يشكرها.
(٢) آية المواريث في النساء وهي: ﴿يوصيكم الله في أولادكم. . .﴾ إلى آخر الآيات إلى حليم.
(٣) نص الحديث: «إنّ الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» رواه أصحاب السنن وغيرهم وهو صحيح الإسناد.
(٤) هي قوله تعالى: ﴿فمن خاف﴾ الخ. . والخطاب لسائر المسلمين، والإجماع على أنّ للموصى أن يغيّر في وصيته ويرجع فيما شاء منها إلّا ما كان من تدبير العبد فإنه لا يرجع فيه.
(٥) الخوف هنا: بمعنى الظنّ والتوقع، وقرىء مُوَصٍ، من وصّى المضاعف، أما موصٍ فهو مِنْ أوصى فهو موصٍ.

وتعـدى على علم في وصيتـه فأصلح[1] بينهم أي بين الموصي والموصى لهم فلا إثم عليه في إصلاح الخطأ وتصويب الخطأ والغلط، وختم هذا الحكم بقوله: ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ وعداً بالمغفرة والرحمة لمن أخطأ غير عامد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ نسخ الوصية للوارثين مطلقاً إلا بإجازة[2] الورثة.

٢ ـ استحباب[3] الوصية بالمال لمن ترك مالاً كثيراً يوصي به في وجوه البر والخير.

٣ ـ تأكد الوصيّة حضر[4] الموت أو لم يحضر لمن له أو عليه حقوق خشية أن يموت فتضيع الحقوق فيأثم بإضاعتها.

٤ ـ حرمة تبديل[5] الوصية وتغييرها إلى غير الصالح.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ
لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ
لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

شرح الكلمات:

كُتِبَ : فرض وأثبت.

---

(١) منْ أوصى بما لا يجوز الانتفاع به أو تناوله واستعماله كمن أوصى بخمر أو بناء قبّة على ميّت أو إحياء بدعة مولد ونحوه فإنه يجوز تبديله بما هو جائز ولا يصح إمضاؤه.

(٢) للحديث الصحيح: «فلا وصية لوارث».

(٣) لحديث سعد في الصحيح.

(٤) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيح.

(٥) يجوز تبديل الوصية إذا كان فيها جور أو محرّم لقوله تعالى: ﴿فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه﴾.

الصيام : لغة الامساك والمراد به هنا الامتناع عن الأكل والشرب وغشيان النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس[1].

أياماً معدودات : تسعة وعشرون أو ثلاثون يوماً بحسب شهر رمضان.

فعدة من أيام أخر : فعلى من أفطر لعذر المرض أو السفر فعليه صيام أيام أخر بعدد الأيام التي أفطر فيها.

يطيقونه : أي يتحملونه بمشقة لكبر سن أو مرض لا يرجى برؤه.

فدية طعام مسكين : قالـوا وجب على من أفـطر لعذر مما ذكر أن يطعم على كل يوم مسكيناً، ولا قضاء عليه.

فمن تطوع خيراً : أي زاد على المدين[2] أو أطعم أكثر من مسكين فهو خير له.

وأن تصوموا خير لكم : الصيام على من يطيقه ولو بمشقة خير من الافطار مع الطعام.

معنى الآيتين :

لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وأصبحت دار إسلام أخذ التشريع ينزل ويتوالى ففي الآيات السابقة كان حكم القصاص والوصية ومراقبة الله في ذلك، وكان من أعظم مايكون في المؤمن من ملكة التقوى الصيام فأنزل الله تعالى فرض الصيام في السنة الثانية للهجرة فناداهم بعنوان الايمان يا أيها الذين آمنوا وأعلمهم أنه كتب عليهم الصيام كما كتبه على الذين من قبلهم من الأمم السابقة فقال: ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم. . . ﴾ وعلل ذلـك بقوله: لعلكم تتقون أي ليعدكم به للتقوى التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، لما في الصيام من مراقبة الله تعالى، وقوله: ﴿أياماً معدودات﴾ ذكره ليهوّن به عليهم كلفة الصوم ومشقته، إذ لم يجعله شهوراً ولا أعواماً. وزاد في التخفيف أن أذن للمـريض والمسافر أن يفطر ويقضي بعد الصحة أو العودة من السفر فقال لهم: ﴿ فمن كان منكم مريضا أو على[3] سفر[4] فعدة من أيام أخر. ﴾ كما أن غير المريض والمسافر إذا

---

(١) أي بنيّة امتثال أمر الله تعالى به أو بنيّة التقرب إليه عزّ وجل.

(٢) هل الواجب مدّ أو مدّان خلاف، فمن الفقهاء مَنْ يرى مُدّين ومنهم من يرى مُداً واحداً والمدّ الحفنة بحفنة الرجل المعتدل بين القصر والطول.

(٣) أي في حالة سفر فلذا فلا ينبغي لمن عزم على السفر أن يفطر حتى يغادر بلده المقيم به شأن الصيام كشأن الصلاة فلا يقصر حتى يغادر مباني البلد.

(٤) أي فالواجب صيام عدّة مِنْ أيام أُخر.

كان يطيق الصيام بمشقة وكلفة شديدة له أن يفطر ويطعم على كل يوم مسكيناً وأعلمهم أن الصيام في هذه الحال خير. ثم نسخ هذا الحكم الأخير بقوله في الآية الآتية: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ وقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ يريد: تعلمون فوائد الصوم الدنيوية والأخروية وهي كثيرة أجلها مغفرة الذنوب وذهاب الأمراض.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ فرضية الصيام وهو شهر رمضان.

٢ ـ الصيام يربي ملكة التقوى في المؤمن.

٣ ـ الصيام يغفر الذنوب لحديث: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

٤ ـ رخصة الإفطار للمريض[(١)] والمسافر.

٥ ـ المرأة الحامل أو المرضع دل قوله وعلى الذين يطيقونه أنه يجوز لهما الإفطار مع القضاء وكذا الشيخ الكبير فإنه يفطر ولا يقضي والمريض مرضاً لا يرجى برؤه كذلك. إلا أن عليهما أن يطعما عن كل يوم مسكيناً بإعطائه حفنتي طعام كما أن المرأة الحامل والمرضع إذا خافت على حملها أو طفلها أو على نفسها أن عليها أن تطعم مع كل صوم تصومه قضاء مسكيناً.

٦ ـ في الصيام فوائد دينية واجتماعية عظيمة أُشير إليها بلفظ إن كنتم تعلمون.

من هذه الفوائد:

١ ـ يعود الصائم الخشية من الله تعالى في السر والعلن.

٢ ـ كسر حدة الشهوة ولذا أرشد العازب[(٢)] إلى الصوم.

٣ ـ يربي الشفقة والرحمة في النفس.

٤ ـ فيه المساواة بين الأغنياء والفقراء والأشراف[(٣)] والأوضاع.

---

(١) المريض له حالتان. الأولى: أن يكون مرضه شديداً فهذا يجب عليه أن يفطر والثانية: أن يكون مرضه غير شديد فيستحب له الفطر.

(٢) لحديث: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أي خصاء».

(٣) الأشراف جمع شريف: والأوضاع جمع وضيع وهو الدنيء.

٥ ـ تعويد الأمة النظام والوحدة والوئام.

٦ ـ يذهب المواد المترسبة في البدن وبذلك تتحسن[١] صحة الصائم.

شَهْرُ[٢] رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ[٣] ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

شرح الكلمات:

شهر رمضان : هو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية، ولفظ الشهر مأخوذ من الشهرة، ورمضان مأخوذ من رمض الصائم إذا حرّ جوفه من العطش.[٤]

الذي أنزل فيه القرآن : هذه آية فضله على غيره من سائر الشهور حيث أنزل فيه القرآن وذلك في ليلة القدر منه لآية ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وآية ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل نجمًا بعد نجم، وابتدىء نزوله على رسول الله ﷺ في رمضان أيضاً.

---

(١) لحديث: «صوموا تصحوا، وسافروا تغنموا».

(٢) قُرِىء (شهرَ) بالنصب فيكون بدلا من قوله: ﴿أياماً معدودات﴾ وقرىء بالرفع فيكون مبتدأ والخبر، فمن شهد منكم الشهر. وقد يكون المبتدأ محذوفاً تقديره هي أي: الأيام المعدودات.

(٣) قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمّ عليكم فأكملوا عدّة شعبان ثلاثين يوماً» أوضح طريق للصوم والإفطار وبه العمل والحمد لله.

(٤) والرمضاء: شدّة الحرّ، ويشهد لذلك حديث مسلم: «صلاة الأوّابين إذا رَمِضت الفصال» أي اشتد الحجر في الأرض فلم يَقْوَ الفصيل على الوقوف على الأرض بأخفافه فيبرك.

هدى للناس	: هادياً للناس إلى ما فيه كمالهم وسعادتهم في الدارين.
وبينات من الهدى والفرقان	: البينـات جمع بينة والهدى الارشاد، والمراد أن القرآن نزل هادياً للنـاس ومبينـاً لهم سبيل الهـدى موضحاً طريق الفوز والنجاة فارقاً لهم بين الحق والباطل في كل شؤون الحياة.
شهد الشهر(١)	: حضر الإعلان عن رؤيته.(٢)
فعدة من أيام أخر	: فعليه القضاء بعدد الأيام التي أفطرها مريضاً أو مسافراً.
ولتكملوا العدة	: وجب القضاء من أجل إكمال عدة الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين يوماً.
ولتكبروا الله على ما هداكم	: وذلك عند إتمام صيام رمضان من رؤية الهلال إلى العودة من صلاة العيد والتكبير مشروع وفيه أجر كبير، وصفته المشهورة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.
ولعلكم تشكرون	: فرض عليكم الصوم وندبكم إلى التكبير لتكونوا بذلك من الشاكرين لله تعالى على نعمه لأن الشكر(٣) هو الطاعة.

معنى الآية الكريمة:

لما ذكر تعالى أنه كتب على أمة الإسلام الصيام في الآية السابقة وأنه أيام معدودات بيّن في هذه الآية أن المراد من الأيام المعدودات أيام شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن هادياً وموضحاً طرق الهداية، وفارقاً به بين الحق والباطل، فقال تعالى ﴿شهر رمضان(٤) الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر﴾ يريد شهر رمضان ومعنى شهد كان حاضراً غير مسافر لما أعلن عن رؤية هلال رمضان، فليصمه على سبيل الوجوب إن كان مكلفاً. ثم ذكر عذر المرض والسفر، وأن على من أفطر بهما قضاء ما

---

(١) اختلف في قبول شهادة الواحد في هلال رمضان، والذي عليه الأكثر وهو الأحوط للدين أنّ الواحد إذا كان عدلا تقبل شهادته، هذا في الصيام أما في الإفطار وهو رؤية هلال شوّال فلابد مِنَ شاهدين اثنين.

(٢) إذا أسلم الكافر ليلا وبلغ الصبي وجب عليهما الصيام من الغد، أما إذا أسلم الكافر وبلغ الغلام في نهار رمضان فإنه يستحب لهما الإمساك ولا يجب.

(٣) يشهد له قوله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح وهو العمل قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجّبا

(٤) يجمع رمضان على رمضانات، وأرمضاء ويجوز أن يقال شهر رمضان ورمضان بدون شهر لحديث: «إذا كان رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة».

أفطر بعدده وأخبر تعالى أنه يريد بالإذن في الإفطار للمريض والمسافر اليسر بالأمة ولا يريد بها العسر فله الحمد وله المنة فقال تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾

ثم علل تعالى للقضاء بقوله ولتكملوا العدة أي عدة أيام رمضان هذا أولاً وثانياً لتكبروا الله على ما هداكم عندماتكملون الصيام برؤية هلال شوال وأخيراً ليعدكم بالصيام والذكر للشكر وقال عز وجل ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾.

هداية الآيـة

من هداية الآيـة:

١ ـ فضل[1] شهر رمضان وفضل القرآن.

٢ ـ وجوب صيام رمضان على المكلفين والمكلف هو المسلم العاقل البالغ مع سلامة المرأة من دمي الحيض والنفاس.

٣ ـ الرخصة للمريض الذي يخاف تأخر برئه أو زيادة مرضه، والمسافر مسافة قصر.[2]

٤ ـ وجوب القضاء على من أفطر لعذر.[3]

٥ ـ يسر الشريعة الإسلامية وخلوها من العسر[4] والحرج.

٦ ـ مشروعية التكبير ليلة العيد ويومه وهذا التكبير جزء لشكر نعمة الهداية إلى الإسلام.

٧ ـ الطاعات هي الشكر فمن لم يطع الله ورسوله لم يكن شاكراً فيعد مع الشاكرين.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

---

(١) يكفي في بيان فضل رمضان قول النبي ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» رواه مسلم، وقوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، في الصحيح.

(٢) أوسط ما قيل في مسافة القصر أنها أربعة بُرُد، وهي ثمانية وأربعون ميلا، والميل ألفا ذراع عند أهل الأندلس وهو يعادل الكيلو متر المعروف الآن.

(٣) لقوله تعالى: ﴿فعدّة من أيام أُخر﴾ أي فعليه قضاء أيام أُخر بعدد ما أفطر.

(٤) لقوله تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وقول الرسول ﷺ: «دين الله يسر» وقوله لأصحابه: «يسروا ولا تعسِّروا، وبشروا ولا تنفروا» في الصحيح.

شـرح الكلمات :

الداعي : السائل ربه حاجته .

فليستجيبوا لي : أي يجيبوا ندائي إذا دعوتهم لطاعتي وطاعة رسولي بفعل المأمور وترك المنهى والتقرب إلّي بفعل القرب وترك مايوجب السخط .

يرشدون : بكـمال القـوتـين العلمية والعملية إذ الـرشـد هو العلم بمحـاب الله ومسـاخطه ، وفعل المحاب وترك المساخط ، ومن لا علم له ولا عمل فهو السفيه الغاوي والضال الهالك .

معنى الآية الكريمة :

ورد أن جماعة من الصحابة سألوا النبي قائلين : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى قوله : ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع[١]﴾ الآية ، ومعنى المناجاة المكالمة بخفض الصوت ، والمناداة برفع الصوت ، وإجابة الله دعوة عبده قبول طلبه وإعطاؤه مطلوبه.[٢] وما على العباد إلا أن يستجيبوا لربهم بالايمان به وبطاعته في أمره ونهيه وبذلك يتم رشدهم ويتأهلون للكمال والإسعاد في الدارين الدنيا والآخرة .

هداية الآية

من هداية الآية :

١ ـ قرب الله تعالى من عباده إذ العوالم كلها في قبضته وتحت سلطانه ولا يبعد عن الله شيء من خلقه إذ ما من كائن إلا والله يراه ويسمعه ويقدر عليه ، وهذه حقيقة القرب .

٢ ـ كراهية رفع[٣] الصوت بالعبادات إلا ماكان في التلبية والأذان[٤] والاقامة .

٣ ـ وجوب الاستجابة لله تعالى بالإيمان وصالح الأعمال .

٤ ـ الرشد في طاعة الله والغيّ والسفه في معصيته تعالى .

---

(١) دلّ على فضل الدعاء أن النبي ﷺ أطلق عليه لفظ العبادة فقال : «الدعاء هو العبادة» رواه أبو داود ، ومما يحرم الإجابة : أكل الحرام ، والاستعجال ، وأن يقول دعوت فلم يستجب لي ، ذلك لحديث مسلم .

(٢) على الداعي أن يعزم في دعوته ولا يقل : اللهم أعطني كذا إن شئت ، فقد قال رسول الله ﷺ في حديث البخاري «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، ولا يقولن اللهم إن شئت فاعطني فإنه لامستكره له» .

(٣) يستحب الإسرار بالدعاء لقوله تعالى : ﴿وزكريا إذ نادى ربه نداءً خفياً﴾ .

(٤) من الأوقات التي يرجى فيها استجابة الدعاء : ما بين الأذان والإقامة ، والسحر ، ووقت الفطر ، وحال السفر ، والمرض وفي السجود ودبر الصلوات ، وعند اشتداد الكرب من ظلم وغيره ، فقد ورد من الأحاديث والآثار ما يصدّق هذا ويؤكده .

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

شرح الكلمات :

ليلة الصيام[١] : الليلة التي يصبح العبد بعدها صائماً.

الرفث : الجماع.

لباس لكم : كناية عن اختلاط بعضكم ببعض كاختلاط الثوب بالبدن.

تختانون أنفسكم : بتعريضها للعقاب، ونقصان حظها من الثواب بالجماع ليلة الصيام قبل أن يحل الله لكم ذلك

باشروهن : جامعوهن، أباح لهم ذلك ليلاً.

وابتغوا ماكتب الله لكم : اطلبوا بالجماع الولد إن كان قد كتب لكم[٢]، ولا يكن الجماع لمجرد الشهوة.

الخيط الأبيض : الفجر الكاذب وهو بياض[٣] يلوح في الأفق كذنب السرحان[٤].

---

(١) روي في سبب نزول هذه الآية: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ الآية أن عمر رضي الله عنه بعدما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله، ثم جاء إلى النبي ﷺ وشكا إليه ما حدث له من وقاع أهله ليلاً فأنزل الله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث﴾ الآية.

(٢) ويحتمل اللفظ معاني أخرى مثل: ما أبيح لكم، وليلة القدر، والرخصة، والتوسعة.

(٣) لحديث مسلم: «لايغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وأشار بيديه يعني معترضا».

(٤) السرحان: الذئب.

الخيط الأسود : سواد يأتي بعد البياض الأول فينسخه تماماً.
الفجر : انتشار الضوء أفقياً ينسخ سواد الخيط الأسود ويعم الضياء الأفق كله.
عاكفون في المساجد[1] : منقطعون إلى العبادة في المسجد تقرّباً إلى الله تعالى.
حدود الله : جمع حد وهو ما شرع الله تعالى من الطاعات فعلاً أو تركاً.
كذلك يبين الله آياته : أي كما بين أحكام الصيام يبين أحكام سائر العبادات من أفعال وتروك ليهيئهم للتقوى التي هي السبب المورث للجنة.

معنى الآية الكريمة:

كان في بداية فرض الصيام أن من نام بالليل لم يأكل ولم يشرب ولم يقرب امرأته حتى الليلة الآتية. كأن الصيام يبتدىء من النوم لا من طلوع الفجر، ثم إن ناساً أتوا نساءهم وأخبروا بذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة تبيح لهم الأكل والشرب والجماع طوال الليل إلى طلوع الفجر، فقال تعالى: ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ أي الاختلاط بهن إذ لا غنى للرجل عن امرأته ولا للمرأة عن زوجها ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾. يسترها وتستره كالثوب يستر الجسم، وأعلمهم أنه تعالى علم منهم مافعلوه من إتيان نسائهم ليلاً بعد النوم قبل أن ينزل حكم الله فيه بالإباحة أو المنع فكان ذلك منهم خيانة لأنفسهم فقال تعالى: ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم﴾. وأعلن لهم عن الإباحة بقوله: ﴿ فالآن باشروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾. يريد من الولد[2]، لأن الجماع لايكون لمجرد قضاء الشهوة بل للإنجاب والولد. وحدد لهم الظرف الذي يصومون فيه وهو النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فقال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود[3] من الفجر. ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ وحرم على المعتكفين في المساجد مباشرة نسائهم فلا يحل للرجل وهو

---

(١) الاعتكاف ملازمة المسجد للعبادة وهو من سنن الإسلام فقد اعتكف رسول الله ﷺ ويستحب أن يكون في العشر الأواخر من رمضان، وأقله يوم وليلة ولا يصح إلاّ في المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة ويفسده الجماع ويجب قضاؤه على من أفسده بجماع أهله.

(٢) تقدم ما يحتمله اللفظ من غير الولد في رقم (٢) من هذا التعليق.

(٣) فلذا قيل الفجر: فجران، كاذب وصادق وقد بيّنها الرسول ﷺ في حديث مسلم الآنف الذكر تحت رقم (٣).

معتكف أن يخرج من المسجد ويغشى امرأته وإن فعل أثم وفسد اعتكافه ووجب عليه قضاؤه . قال تعالى: ﴿ ولا تباشروهن[1] وأنتم عاكفون في المساجد﴾ وأخبرهم أن ما بيّنه لهم من الـواجبات والمحرمات هي حدوده تعالى فلا يحل القرب منها ولا تعديها فقال عز وجل: ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ ثم قال: ﴿ كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ فامتنّ تعالى على المسلمين بهذه النعمة وهي بيان الشرائع والأحكام والحدود بما يوحيه إلى رسوله من الكتاب والسنة ليعد بذلك المؤمنين للتقوى، إذ لا يمكن أن تكون تقوى ما لم تكن شرائع تتبع وحدود تحترم. وقد فعل فله الحمد وله المنة.

هـداية الآيـة

من هـداية الآيـة:

١ ـ إباحة الأكل والشرب والجماع في ليال الصيام من غروب الشمس[2] إلى طلوع الفجر.

٢ ـ بيان ظرف الصيام وهو من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

٣ ـ بيان مايمسك عنه الصائم وهو الأكل والشرب والجماع.

٤ ـ مشروعية الإعتكاف وخاصة في رمضان، وأن المعتكف لا يحل له مخالطة امرأته وهو معتكف حتى تنتهي مدة اعتكافه التي عزم أن يعتكفها.

٥ ـ استعمال الكناية بدل التصريح فيما يستحى من ذكره، حيث كنى بالمباشرة عن الوطء.

٦ ـ حرمة انتهاك حرمات الشرع وتعدي حدوده.

٧ ـ بيان الغاية من إنزال الشرائع ووضع الحدود وهي تقوى الله عز وجل.

٨ ـ ثبت بالسنة: سنة[3] السحور واستحباب تأخيره ما لم يخش طلوع الفجر، واستحباب تعجيل الفطر.[4]

وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ

---

(١) المباشرة كناية عن الجماع إذ البشرة تمس البشرة فيه.

(٢) يحرم الوصال وهو صيام يومين فأكثر بلا إفطار لقول الرسول ﷺ «إياكم والوصال إياكم الوصال يحذِّر منه» أخرجه البخاري.

(٣) لحديث مسلم: «إنّ فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور».

(٤) لحديث: «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخّروا السحور» رواه أحمد.

أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

شـرح الكلمات :

الباطل : خلاف الحق.[1]

تدلوا : الإدلاء بالشيء إلقاؤه،[2] والمـراد هنـا إعطاء القضاة والحكام الرشوة ليحكموا لهم بالباطل حتى يتوصلوا إلى أموال غيرهم.

فريقاً : أي طائفة وقطعة من المال.

بالإثم : المراد به هنا بالرشوة وشهادة الزور، واليمين الفاجرة أي الحلف بالكذب ليقضي القاضي لكم بالباطل في صورة حق.

معنى الآية الكريمة :

لما أخبر تعالى في الآية السابقة أنه يبيّن للناس[3] أحكام دينه ليتقوه بفعل المأمور وترك المنهي بيّن في هذه الآية حكم أكل أموال المسلمين بالباطل، وأنه حرام فلا يحل لمسلم أن يأكل مال أخيه بغير طيب نفس منه. وذكر نوعاً هو شر أنواع أكل المال بالباطل، وهو دفع الرشوة إلى القضاة والحاكمين ليحكموا لهم بغير الحق فيورطوا القضاة في الحكم بغير الحق ويأكلوا أموال إخوانهم بشهادة الزور واليمين الغموس الفاجرة وهي التي يحلف فيها المرء كاذباً.

وقال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وانتم تعلمون ﴾ أي وأنتم تعلمون حرمة ذلك.

هداية الآيـة

من هداية الآيـة

١ ـ حرمة أكل مال المسلم بغير حق سواء كان بسرقة أو بغصب أو غش، أو احتيال ومغالطة.

---

(١) الباطل لغة: الذاهب الزّائل.

(٢) يقال: أدلى دلوه في البئر إذا ألقاها فيها ليخرج الماء، والحبل الذي يلقى بالدلو يقال له الرشاء، ومنه أخذ اسم الرشوة، فالراشي يعطي الرشوة ليستخلص الحكم له.

(٣) إنّ هذه الآية وإن نزلت في سبب خاص: وهو تخاصم عبدان بن أشوع الحضرمي مع امرؤ القيس الكندي، إذ ادعى الأول مالاً على الثاني، فأنكر وأراد أن يحلف، فنزلت فإنها عامة في أمة الإسلام قاطبة، فلا يحل أكل مال امرىء مسلم بغير حق، فيدخل فيه القمار، والخداع، والغصوب، وجحد الحقوق وكذا ما حرّمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، وذلك كمهر البغي، وحلوان الكاهن، وأثمان بيع الخمر وغيرها.

٢ ـ حرمة الرشوة تدفع للحاكم ليحكم[1] بغير الحق.

٣ ـ مال الكافر غير المحارب كمال المسلم في الحرمة إلا أن مال المسلم اشد حرمة لحديث «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه، وماله»[2]. ولقوله تعالى في هذه الآية ﴿ ولا تأكلوا أموالكم ﴾ وهو يخاطب المسلمين.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ[3] عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ[4] لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ[5] ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

شـرح الكلمات:

الأهلة: جمع هلال وهو القمر في بداية ظهوره في الثلاثة الأيام الأولى من الشهر لأن الناس إذا رأوه رفعوا أصواتهم الهلال الهلال.

المواقيت: جمع ميقات: الوقت المحدد المعلوم للناس.

إتيان البيوت من ظهورها: أن يتسور الجدار ويدخل البيت تحاشياً أن يدخل من الباب.

ولكن البرّ من اتقى: الـبر الموصل إلى رضوان الله برّ عبد اتقى الله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه فليس البر دخول البيوت من ظهورها.

الفـلاح: الفوز وهو النجاة من النار ودخول الجنة.

---

(١) حكم الحاكم لا يحل الحرام سواء كان أموالاً أو فروجاً لهذه الآية ولقول الرسول ﷺ في الصحيحين عن أم سلمة أنّ النبي ﷺ قال: «ألا إنّما أنا بشر وإنّما يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنّما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها».

(٢) رواه مسلم.

(٣) حقيقة السؤال هي: طلب أحد من آخر بذل شيء أو اخباراً عن شيء فإن كان طلب شيء تعدى الفعل بنفسه نحو سأله مالاً وإن كان اخباراً عن شيء تعدى بعن نحو سأله عن كذا.

(٤) الوقت والميقات بمعنى واحد إلّا أن الميقات أخص من الوقت فإنه عامّ.

(٥) ذكر الحج خصوصا لأنه يفوت بفوات وقته إذا تقدّم أو تأخر، إذ الحج يوم واحد وهو تاسع الحِجة ومكان واحد وهو عرفة لحديث: «الحج عرفة».

معنى الآية الكريمة :

روي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم سألوا رسول الله ﷺ قائلين: ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد حتىٰ يعظم ويصبح بدراً، ثم لا يزال ينقص حتىٰ يعود كما كان أول بدئه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ يسألونك عن الأهلة﴾ وأمر رسوله ﷺ أن يقول لهم: هي مواقيت للناس وعلّة بدءها صغيرة ثم تتكامل ثم تنقص حتى المحاق هي أن يعرف الناس بها مواقيتهم التي يؤقتونها لأعمالهم[1] فبوجود القمر على هذه الأحوال تعرف عدة النساء ونعرف الشهور فنعرف رمضان[2] ونعرف شهر الحج ووقته، كما نعرف آجال العقود في البيع والإيجار، وسداد الديون وما إلى ذلك. وكان الأنصار في الجاهلية إذا أحرم أحدهم بحج أو عمرة وخرج من بيته وأراد أن يدخل لغرض خاص لا يدخل من الباب حتى لا يظله نجف الباب فيتسور الجدار ويدخل من ظهر البيت لا من بابه وكانوا يرون هذا طاعة وبراً فأبطل الله تعالى هذا التعبد الجاهلي بقوله عز وجل: ﴿وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر﴾ . بر أهل التقوى والصلاح. وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها فقال: ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها﴾، وأمرهم بتقواه عز وجل ليفلحوا في الدنيا والآخرة. فقال ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾.

هـداية الآية الكريمة

من هداية الآية :

١ ـ أن يسأل المرء عما ينفعه ويترك السؤال[3] عما لا يعنيه.

٢ ـ فائدة الشهور القمرية عظيمة إذ بها تعرف كثير من العبادات.

٣ ـ حرمة الابتداع في الدين[4] ولو كان برغبة في طاعة الله تعالى وحصول الأجر.

٤ ـ الأمر بالتقوى المفضية إلى فلاح العبد ونجاته في الدارين.

---

(١) من ذلك بيوع الآجال وبيع السَّلَم فلابد من تحديد الوقت بعام معيّن أو شهر معيّن.

(٢) لحديث عبدالرزاق والحاكم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «جعل الله الأهِلّة مواقيت للناس فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمّ عليكم فعدّوا ثلاثين يوماً». فإن غُمّ في أول رمضان عددنا شعبان ثلاثين يوماً وإن غُمّ في آخر رمضان عددنا رمضان ثلاثين يوماً.

(٣) وشاهده من السنة قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه».

(٤) قال القرطبي في تفسير هذه الآية: بيان أنّ ما لم يشرعهُ الله قربة ولا ندب إليه لا يصير قربة يتقرَّب بها إلى الله تعالى واستشهد بحديث أبي اسرائيل إذ نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلّم ويصوم فقال النبي ﷺ: «مُروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه» فأبطل ما لم يكن قربة وصحّح ما هو قربة.

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾
وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ[١] وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

شرح الكلمات :

سبيل الله : الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإسلام والمراد إعلاء كلمة الله[٢]

الذين يقاتلونكم : المشركون الذين يبدؤونكم بالقتال.

ولا تعتدوا[٣] : لا تجاوزوا الحد فتقتلوا النساء والأطفال ومن اعتزل القتال.

ثقفتموهم : تمكنتم من قتالهم.

الفتنة : الشرك[٤]

المسجد الحرام : المراد به مكة والحرم من حولها.

ويكون الدين لله : بأن لم يبق من يعبد غير الله تعالى.

فلا عدوان : أي لا إعتداء بالقتل والمحاربة إلا على الظالمين. أما من أسلم فلا يقاتل.

معنى الآيات :

هذه الآيات الثلاث: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ من أوائل مانزل في شأن قتال المشركين

---

(١) يقال رجل ثَقْف لَقْف إذا كان محكما لما يتناوله والمراد: اقتلوهم حيث تمكنتم من ذلك غالبين لهم قاهرين.

(٢) لقوله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» في الصحيح.

(٣) يدخل في هذا النهي كلّ محرم كالميتة وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لحديث الصحيح «اغزوا في سبيل الله قاتلوا مَنْ كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع».

(٤) ويصح تفسير الآية بأن الفتنة التي حملوكم عليها وراموا رجوعكم بها إلى الكفر أشدّ من القتل أي من قتل المؤمن.

وهي متضمنة الأذن لرسول الله ﷺ والمؤمنين بقتال من يقاتلهم والكف عمن يكف عنهم، وقـال تعـالى، وقـاتلوا في سبيل الله أي في سبيل إعـلاء كلمـة الله ليعبد وحده. الذين يقـاتلونكم، واقتلوهم حيث تمكنتم منهم، وأخـرجـوهم من ديارهم كما أخـرجـوكم أيها المهاجرون من دياركم، ولا تتحرجوا من القتل، فإن فتنتهم للمؤمنين لحملهم على الكفر بالاضطهاد والتعذيب أشد من القتل. ﴿ولا تقاتلوهم[1] عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ فلا تكونوا البادئين فإن قاتلوكم فاقتلوهم. كذلك القتل والإخراج الواقع منكم لهم يكون جزاء كل كافر يعتدي ويظلم. فإن انتهوا عن الشرك والكفر وأسلموا فإن الله يغفر لهم ويرحمهم لأن الله تعالى غفور رحيم.

أما الآية الرابعة (١٩٣) وهي قوله تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ فهي مقررة لحكم سابقاتها إذ فيها الأمر بقتال المشركين الذين قاتلوهم قتالاً يستمر حتى لا يبقى في مكة من يضطهد في دينه ويفتن فيه ويكون الدين كله لله فلا يعبد غيره، وقوله فإن انتهوا من الشرك بأن أسلموا ووحدوا فكفوا عنهم ولا تقاتلوهم، إذ لا عدوان [2] إلا على الظالمين وهم بعد إسلامهم ما أصبحوا ظالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب قتال من يقاتل المسلمين، والكف عمن يكف عن قتالهم وهذا قبل نسخ هذه الآية.

٢ ـ حرمة الاعتداء في القتال بقتل الأطفال والشيوخ والنساء إلا أن يقاتلن.

٣ ـ حرمة القتال عند المسجد الحرام أي مكة والحرم إلا أن يبدأ العدو بالقتال فيه فيقاتل.

٤ ـ الإسلام يجب ما قبله لقوله تعالى: ﴿ فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ﴾.

٥ ـ وجوب الجهاد وهو فرض كفاية ما وجد مؤمن يضطهد لإسلامه أو يفتن في دينه.

---

(١) القول بأن هذه الآية محكمة أصح لأن دلالتها على ذلك واضحة وهو أن لايقاتل في الحرم المكي وأن لا يبدأ به فإذا بدأ المشركون بقتال المؤمنين قاتلهم المؤمنون فيه ويشهد لهذا حديث ابن عباس في الصحيح: «إنّ هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام لحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة». الحديث.

(٢) قتال من قاتل المسلمين لا يسمى عدوانا إلا من باب المشاكلة نحو: ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾ إذ الأولى حقاً سيئة أما الثانية فإنها قصاص عادل وسميت سيئة مشاكلة في اللّفظ.

الشهر الحرام

بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ (1) فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ (2) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

شــرح الكلمات :

الشهر الحرام : الشهر المحرم القتال فيه والأشهر الحرم أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة هي القعدة والحجة ومحرم والرابع الفرد رجب.

الحرمات : جمع حرمة كالشهر الحرام، والبلد الحرام، والإحرام.

إن الله مع المتقين : المتقون هم المؤمنون الذين يتقون معاصي الله تعالى ومخالفة سننه في الحياة وكونه تعالى معهم : يسددهم ويعينهم وينصرهم.

التهلكة : الهلكة والهلاك مثلها.

الاحســان : اتقان الطاعة وتخليصها من شوائب الشرك، وفعل الخير (3) أيضاً.

معنـى الآيتين :

الآية الأولى (١٩٤) في سياق ما قبلها تشجع المؤمنين المعتدى عليهم على قتال أعدائهم وتعلمهم أن من قاتلهم في الشهر الحرام فليقاتلوه في الشهر الحرام، ومن قاتلهم في الحرم فليقاتلوه في الحرم، ومن قاتلهم وهم محرمون فليقاتلوه وهو محرم، وهكذا الحرمات قصاص

---

(١) الحرمات جمع حرمة كظلمات جمع ظلمة، والحرمة ما مُنع العبد من انتهاكه والقصاص بمعنى المساواة هذه الآية لاخلاف بين العلماء في أنها أصل المماثلة في القصاص، فمن جرح جرح بمثل ما جرح ومن قتل يقتل بمثل ما قتل به، اللهم إلاّ من قتل بزنى أو لواط فهذا قطعاً لا مماثلة فيه ولكن يقتل بالسيف.

(٢) لهذه الآية نظيرها وهو قوله تعالى : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عاقبتم به﴾ وقوله ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ وهي بالنسبة إلى الأمة قد نسخت بآيات الجهاد، أمّا بالنسبة للأفراد فالجمهور على أن الفرد لا يعاقب بنفسه ولكن بواسطة الحاكم، ولكن يرى بعضهم كالإمام الشافعي : أنّ الفرد إذا لم يتوصّل إلى أخذ حقه إلاّ بالمعاقبة فلينظر إذا كان يمكنه أن يأخذ بقدر ما أخذ منه مساواة بلا زيادة فلا بأس أن يأخذ بشرط أن يأمن من نسبته إلى السرقة حتى لا يتعرض إلى إقامة الحدّ عليه.

(٣) فعل الخير يشمل مواصاة الفقراء والمساكين وصلة ذوي الأرحام كما يشمل عدم الإساءة إلى المسيء بالعفو والصفح عنه فهو باب واسع.

بينهم ومساواة. ومن اعتدى عليهم فليعتدوا عليه بمثل اعتدائه عليهم، وأمرهم بتقواه عز وجل وأعلمهم أنه معهم ماتقوه بالتسديد والعون والنصر.

وأما الآية[1] (١٩٥) فقد أمرهم بإنفاق المال للجهاد لإعداد العدة وتسيير السرايا والمقاتلين ونهاهم أن يتركوا الإنفاق في سبيل الله الذي هو الجهاد فإنهم متى تركوا الإنفاق والجهاد كانوا كمن ألقى بيده في الهلاك، وذلك أن العدو المتربص بهم إذا رآهم قعدوا عن الجهاد غزاهم وقـاتلهم وانتصر عليهم فهلكوا. كما أمرهم بالإحسان في أعمالهم كافة وإحسان الأعمال إتقانها وتجويدها، وتنقيتها من الخلل والفساد، وواعدهم إن هم أحسنوا أعمالهم بتأييدهم ونصرهم فقال تعالى: ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ ومن أحبه الله أكرمه ونصره وما أهانه ولا خذله.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ احترام الشهر الحرام وسائر الحرمات.

٢ ـ جواز المقاصة والمجازاة لمن اعتدى بحيث يعامل بما عامل به سواء بسواء.

٣ ـ رد الإعتداء والنيل من المعتدي الظالم البادي[2] بالظلم والإعتداء.

٤ ـ معيّة الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى والإحسان.

٥ ـ فضيلة الإحسان لحب الله تعالى للمحسنين.

وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ[3] لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ

---

(١) روي أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: هذه الآية نزلت فينا معاشر الأنصار، وذلك أنّه لما نصر الله رسوله وأظهر دينه قلنا: هَلُمّ نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله عز وجل: ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ الآية والإلقاء باليد في التهلكة أن نقيم في أموالنا.

(٢) هذا ليس على بابه وإنّما هو في المعتدي الكافر أمّا المسلم فإنّ العفو عنه محمود ومطلوب أيضاً قال تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ وقال رسوله ﷺ: «أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك».

(٣) الآية دليل على مشروعية العمرة وهي كذلك سنة واجبة، اما الحج فقد فرض بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، وبالسنة في حديث ابن عمر: «بني الإسلام على خمس إذ فيه (حج البيت)» والإجماع أيضاً.

ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ
فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

شرح الكلمات :

وأتموا الحج والعمرة لله: فإتمامهما[١] أن يحرم بهما من الميقات وأن يأتي بأركانهما وواجباتهما على الوجه المطلوب من الشارع، وأن يخلص فيهما لله تعالى.

فإن أحصرتم : الحصر والإحصار[٢] أن يعجز الحاج أو المعتمر عن إتمام حجه أو عمرته إما بعدو يصده عن دخول مكة أو مرض شديد لا يقدر معه على مواصلة السير إلى مكة[٣].

فما استيسر من الهدي : أي فالواجب على من أحصر ماتيسر له من الهدي شاة أو بقرة أو بعير.

ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله : لا يتحلل المحصر من إحرامه حتى يذبح ماتيسر له من الهدى فإن ذبح تحلل بحلق رأسه.

ففدية : فالواجب هو فدية من صيام أو صدقة أو نسك.

فمن تمتع بالعمرة إلى الحج : فمن أحرم بعمرة في أشهر الحج و تحلل وبقي في مكة ينتظر الحج وحج فعلاً فالواجب ما استيسر من الهدي.

---

(١) ومن اتمامهما أن يخرج لهما لا لتجارة ولا غيرها فيخرج لهما لا لغيرهما كما قال علي رضي الله عنه أن تحرم بهما من دويرة أهلك، والحج تمامه عرفة والعمرة السعي بعد الطواف والحلق أو التقصير.

(٢) ذهب مالك والشافعي إلى أن المحصر بمرض لا يحلّ له أن يتحلّل بل عليه أن يبقى على إحرامه حتى يطوف ولو بعد عام، وذهب غيرهما إلى أن المريض الشديد المرض حكمه حكم المحصر بالعدو ينحر ويتحلّل، وإن كان الحج فرضاً عليه القضاء، وإن كان نفلاً فلا قضاء عليه.

(٣) هذا إذا لم يشترط عند إحرامه، أمّا إذا اشترط بقوله عند إحرامه: مَحِليٍّ حيث تحبسني فإنّه يتحلّل ولا شيء عليه، إلاّ ما كان من مالك فإنه لا يرى الاشتراط وهو محجوج بحديث ضباعة: «حجي واشترطي».

فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام : فمن تمتع بالعمرة ولم يجد هدياً لعجزه عنه فالواجب صيام عشرة أيام ثلاثة في مكة وسبعة في بلده.

ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام : أي ما وجب من الهدي أو الصيام عند العجز وهو لغير أهل الحرم أما سكان مكة والحرم[1] حولها وهم أهل الحرم فلا يجب عليهم شيء إن تمتعوا.

معنى الآية الكريمة:

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يتموا الحج والعمرة له سبحانه وتعالى فيأتوا بها على الوجه المطلوب وأن يريدوا بهما الله تعالى، ويخبرهم أنهم إذا أحصروا فلم يتمكنوا من إتمامهما فالواجب عليهم أن يذبحوا أو ينحروا ما تيسر لهم فإذا ذبحوا أو نحروا حلوا من إحرامهم، وذلك بحلق شعر رؤوسهم أو تقصيره، كما أعلمهم أن من كان منهم مريضاً أو به أذىً من رأسه واضطر إلى حلق شعر رأسه أو لبس ثوب أو تغطية رأس فالواجب بعد أن يفعل ذلك فدية وهي واحد من ثلاثة على التخيير: صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين حفنتان[2] من طعام، أو ذبح شاة. كما أعلمهم أن من تمتع بالعمرة إلى الحج ولم يكن من سكان الحرم أن عليه مااستيسر من الهدي شاة أو بقرة أو بعير فإن لم يجد ذلك صام ثلاثة أيام في الحج من أول شهر الحجة إلى يوم التاسع منه وسبعة أيام إذا رجع إلى بلاده. وأمرهم بتقواه عز وجل وهي امتثال أوامره والأخذ بتشريعه وحذرهم من إهمال أمره والإستخفاف بشرعه فقال: و﴿اتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب﴾.

هداية الآية

من هداية الآية:

١ ـ وجوب إتمام الحج والعمرة لمن شرع فيهما بالإحرام من الميقات، وإن كان الحج[3] تطوعاً والعمرة غير واجبة.

---

(١) المكي وساكن الحرم إن حُصرا بمرض لا يحل لهما التحلّل بذبح الهدي بل عليهما أن يُحملا على نعش ويوقف بهما بعرفة ويطاف بهما وهما على النعش.

(٢) ويجزيء اليوم كيلو رز أو برّ أو تمر لكل مسكين ولا يجوز إلقاء ذلك لحَمَام الحرم كما يفعل الجهّال.

(٣) لقول الله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ فمن شرع في عبادة يجب أن يتمها.

٢ ـ بيان حكم الإحصـار وهـو ذبـح شاة من مكـان الإحصار ثم التحلل بالحلق أو التقصير، ثم القضاء من قابل إن تيسر ذلك للعبد، لأن الرسول ﷺ قضى هو وأصحابه العمرة التي صدوا فيها عن المسجد الحرام عام الحديبية.

٣ ـ بيان فدية الأذى وهي أن من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام بأن حلق أو لبس مخيطاً أو غطى رأسه لعذر وجب عليه فدية وهي صيام أو إطعام أو ذبح شاة.

٤ ـ بيان حكم التمتع(٢) مفصلا وهو أن من كان من غير سكان مكة والحرم حولها إذا أحرم بعمرة في أشهر الحج وتحلل منها وبقى في مكة في حج عامه أن عليه ذبح(٣) شاة فإن عجز صام ثلاثة أيام في مكة وسبعة في بلاده.

٥ ـ الأمر بالتقوى وهى طاعة الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه، والتحذير من (تركها لما يترتب عليه من العقاب الشديد)

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ(٤) ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ

(١) الواجب على المحصر أن يذبح هديه في الحرم وإن عجز ذبحه في مكان الإحصار، وإن عجز ذبحه حيث أمكنه وإن لم يجده لفقر صام عشرة أيام بدله، والواجب أن لا يتحلّل إلا بعد نحر الهدي إن كان ذلك في مقدوره، هذا أوسط المذاهب في هذه المسألة الشائكة الكثيرة الآراء.

(٢) لا خلاف في جواز الإحرام بأي نسك من أنواع النسك الثلاثة إلاّ أنّ الإفراد لمن يعتمر في غير أشهر الحج ويحج من عامه أفضلها.

(٣) شاة الإحصار أولاً لابد وأن تكون سليمة كشاة الأضحية في سنّها وسلامتها من العور والعرج والهزال والمرض.

(٤) روى البخاري عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزوّدون ويقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وتزوّدوا . . . ﴾ الآية، والزّاد: التمر والسويق يومئذٍ وهو ما يحتاجه الحاج من سائر أنواع الزّاد.

لِمَنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

شــرح الكلمات :

أشهر معلومات : هي شوال والقعدة وعشر[1] ليال من الحجة هذه هي الأشهر التي يحرم فيها بالحج .

فرض : نوى الحج وأحرم[2] به .

فلا رفث : الرفث الجماع ومقدماته .

ولا فسـوق : الفسق والفسوق الخروج من طاعة الله بترك واجب أو فعل حرام .

الجـدال : المخاصمة والمنازعة .

الجنـاح : الإثـم

تبتغوا فضلاً : تطلبوا ربحاً في التجارة من الحج .

أفضتم من عرافات : الإفاضة من عرفات تكون بعد الوقوف بعرفة يوم الحج وذلك بعد غروب الشمس من يوم التاسع من شهر الحجة .

المشـعر الحرام : مزدلفة وذكر الله تعالى عندها صلاة المغرب والعشاء جمعاً بها وصلاة الصبح .

معنى الآيات :

مازال السياق في بيان أحكام الحج والعمرة فأخبر تعالى أن الحج له أشهر[3] معلومة وهي شوال والقعدة وعشر ليال من الحجة فلا يحرم بالحج إلا فيها . وأن من أحرم بالحج يجب عليه أن يتجنب الرفث والفسق[4] والجدال[5] حتى لا يفسد حجه أو ينقص أجره ، وانتدب الحاج

---

(١) لو أحرم ليلة العاشر وهي ليلة العيد ووصل إلى عرفة ووقف بها قبل طلوع الفجر صحّ حجّه .

(٢) يكره أن يحرم المسلم بالحج قبل أشهره ، ولو أحرم صحّ إحرامه وعليه المضي فيه والأفضل له أن يتحلّل بعمرة وإن بقي على إفراده كره له ذلك وصحّ منه ، هذا أرجح المذاهب في هذه المسألة .

(٣) لم يذكر أشهر الحج في الآية بالتعيين وذلك للعلم بها ولبيان الرسول ﷺ لها ، وقال أشهر وهي شهران وعشر ليالٍ من باب التغليب .

(٤) إنّه بتجنب هذه الثلاثة يكون حجّه مبرورا لقول الرسول ﷺ في صحيح مسلم : «من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ، والحجّ المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة» .

قالت العلماء : الحج المبرور هو الذي لم يعص الله تعالى فيه وحُف بفعل الخيرات .

(٥) الجدال : مأخوذ من الجدل الذي هو الفتل للحبل ونحوه فالمجادل يريد أن يفتل رأي مَنْ يجادله أي يثنيه عنه ويردّه عليه .

إلى فعل الخير من صدقة وغيرها فقال: ﴿ وماتفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ ولازمه أنه يثيب عليه ويجـزي به. وأمـر الحجـاج أن يتـزودوا لسفرهم في الحج بطعام وشراب يكفون به وجوههم عن السؤال فقال: وتزوّدوا، وأرشد إلى خير الزاد وهو التقوى، ومن التقوى عدم سؤال الناس أموالهم والعبد غير محتاج وأمرهم بتقواه عز وجل، أي بالخوف منه حتى لا يعصوه في أمره ونهيه فقال: ﴿ واتقون ياأولى الألباب ﴾، والله أحق أن يتقى لأنه الواحد القهار، ثم أباح لهم الاتجار أثناء وجودهم في مكة ومنىٰ فقال: ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ يريد رزقاً حلالاً بطريق التجارة المباحة، ثم أمرهم بذكر الله تعالى في مزدلفـة بصلاة المغرب والعشاء والصبح فيها وذلك بعد إفاضتهم من عرفة بعد غروب الشمس فقال عز من قائل: ﴿ فإذا أفضتم من[1] عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ ثم ذكرهم بنعمة هدايته لهم بعد الضلال الذي كانوا فيه وانتدبهم إلى شكره وذلك بالإكثار من ذكـره فقـال تعالى: ﴿ واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الظالمين﴾. ثم أمرهم بالمساواةفي الوقوف بعرفة والإفاضة منها فليقفوا كلهم بعرفات، وليفيضوا جميعاً منها فقال عز وجل ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾، وذلك أن الحمس [2] كانوا يفيضون من أدنى عرفات حتى ينجوا من الزحمة ويسلموا من الحطمة. وأخيرا أمرهم باستغفار الله أي طلب المغفرة منه ووعدهم بالمغفرة بقوله: ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة الرفث والفسوق والجدال في الاحرام.

٢ ـ استحباب فعل الخيرات للحاج أثناء حجه ليعظم أجره ويبر حجه.

٣ ـ إباحة الاتجار والعمل للحاج طلبا للرزق على أن لا يحج لأجل ذلك.

٤ ـ وجوب[3] المبيت بمزدلفة لذكر الله تعالى.

---

(١) الإجماع على أنّ من وقف بعرفة يومها قبل الزوال وخرج منها قبل الزوال أنّه ما حجّ، أمّا مَنْ وقف بعد الزوال وخرج قبل غروب الشمس فالجمهور على صحة حَجه وعليه ذبح شاة وقال مالك يبطل حجّه. والله أعلم.

(٢) الحمس: جمع أحمسٍ مَنْ هو أشدّ تحمُسا وحماسة لحماية الحرم وهم قريش ومَنْ يَمت إليهم بنسب وكانوا يقولون: نحن أهل الله في بلدته، وقطان بيته.

(٣) القول بركنية المبيت بمزدلفة قول شاذ لا يلتفت إليه، وأمّا الوجوب فمتأكد للآية والحديث، والخروج منها بعد النزول بها بعد نصف الليل للعجزة والضعفة جائز بإذن الرسول ﷺ كما هو ثابت في السنن.

٥ ـ وجوب شكر الله تعالى بذكره وطاعته على هدايته وإنعامه.

٦ ـ وجوب المساواة في أداء مناسك الحج بين سائر الحجاج فلا يتميز بعضهم عن بعض في أي شعيرة من شعائر الحج.

٧ ـ الترغيب في الاستغفار والاكثار منه.(١)

(٢)
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾
۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى
يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

شـرح الكلمات :

قضيتم : أديتم وفرغتم منها.

المناسك : جمع منسك وهي عبادات الحج المختلفة.

الخـلاق : الحظ والنصيب.

---

(١) يسن الاستغفار ثلاثاً بعد كل صلاة فريضة لما صحّ عنه ﷺ أنه كان إذا سلم من صلاته قال: استغفر الله ثلاثاً. وسيّد الاستغفار هو: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت.

(٢) الكاف: في محل نصب أي ذكرا كذكركم فهي بمعنى مثل، وأو هنا للاضراب الانتقالي أي بل اذكروه ذكراً أشدّ من ذكركم آباءكم.

(٣) روي عن علي رضي الله عنه أنّه كان يقول حسنة الدنيا المرأة الصالحة وحسنة الآخرة الحور العين وقد لا يصح هذا عن عليّ، وما فسّرنا به أعم وأشمل وأعظم.

حســـنة : حسنة الدنيا كل ما يسر ولا يضر من زوجة صالحة وولد صالح ورزق حلال وحسنة الاخرة النجاة من النار ودخول الجنان.

قنـا : احفظنا ونجنا من عذاب النار.

نصـيب. : حظ وقسط من أعمالهم الصالحة ودعائهم الصالح.

الأيام المعدودات[1] : أيام التشريق الثلاثة بعد يوم العيد.

تعجل في يومين : رمىٰ يوم الأول والثاني وسافر.

ومن تأخـــر : رمىٰ الأيام الثلاثة كلها.

فلا إثم : أي لا ذنب في التعجل ولا في التأخر.

لمن اتقىٰ : للذي اتقىٰ ربّه بعدم ترك واجب أوجبه أو فعل حرام حرمه.

تحشـرون : تجمعون للحساب والجزاء يوم القيامة.

معنىٰ الآيـــات :

بهذه الآيات الأربع انتهىٰ الكلام على أحكام الحج ففي الآية الأولىٰ: (٢٠٠) يرشد تعالى المؤمنين إذا فرغوا من مناسكهم بأن رموا جمرة العقبة ونحروا وطافوا طواف الافاضة واستقروا بمنىٰ للراحة والاستجمام أن يكثروا من ذكر الله تعالى عند رمى الجمرات، وعند الخروج من الصلوات ذكراً مبالغاً في الكثرة منه على النحو الذي كانوا في الجاهلية يذكرون فيه مفاخر آبائهم[2] وأحساب أجدادهم. وبين تعالى حالهم وهي أن منهم من همه الدنيا فهو لايسأل الله تعالى إلا مايهمه منها، وهذا كان عليه أكثر الحجاج في الجاهلية، وأن منهم من يسأل الله تعالى خير الدنيا والآخرة وهم المؤمنون الموحدون فيقولون: ﴿ ربنا آتنا في[3] الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾، وهذا متضمن تعليم المؤمنين وإرشادهم إلى هذا الـدعـاء الجـامع والقصد الصالح النافع فلله الحمد والمنة وفي الآية (٢٠٢) يخبر تعالى أن لأهل الدعاء الصالح وهم المؤمنون الموحدون نصيباً من الأجر على أعمالهم التي كسبوها في الدنيا،

(١) روي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأيام المعدودات أيام التشريق، والأيام المعلومات أيام العشر من أول الحجة.

(٢) قال أهل العلم إن عادة العرب في الجاهلية أنهم إذا قضوا حجهم وقفوا عند الجمرات يفاخرون بآبائهم حتى إنّ الرجل ليقول اللهم إنّ أبي كان عظيم القبة عظيم الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما أعطيته، فلا يذكر غير أبيه.

(٣) هذه الآية من جوامع الدعاء التي عمت الدنيا والآخرة وفي الصحيحين أنّ أنس بن مالك: قال كان أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ يقول: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾.

وهو تعالى سريع الحساب فيعجل لهم تقديم الثواب وهو الجنة وفي الآية (٢٠٣) يأمر تعالى عباده الحجاج المؤمنين بذكره تعالى في أيام التشريق عند رمي الجمار وبعد الصلوات الخمس قائلين الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ثلاث مرات إلى عصر اليوم الثالث في أيام التشريق[١] ثم أخبرهم الله تعالى بأنه لا حرج على من تعجل السفر إلى أهله بعد رمي اليوم الثاني، كما لا حرج على من تأخر فرمى اليوم الثالث فقال تعالى: ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم[٢] عليه ومن تأخر فلا إثم عليه ﴾ فالأمر على التخيير وقيد نفي الإثم بتقواه عز وجل فمن ترك واجباً أو فعل محرماً فإن عليه إثم معصيته ولا يطهره منها إلا التوبة فنفي الإثم مقيد بالتعجل وعدمه فقط. فكان قوله تعالى لمن اتقىٰ قيداً جميلاً، ولذا أمرهم بتقواه عز وجل، ونبههم إلى مصيرهم الحتمي وهو الوقوف بين يديه سبحانه وتعالى فليستعدوا لذلك بذكره وشكره والحرص على طاعته.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب الذكر بمنى عند رمي الجمرات إذ يكبر مع كل حصاة قائلاً الله أكبر.

٢ ـ فضيلة الذكر[٣] والرغبة فيه لأنه من محاب الله تعالى

٣ ـ فضيلة سؤال الله تعالى الخيرين وعدم الاقتصار على أحدهما، وشره الاقتصار على طلب الدنيا وحطامها.

٤ ـ فضيلة دعاء ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾. فهي جامعة للخيرين معاً، فكان النبي ﷺ إذا طاف بالبيت يختم بها كل شوط.

٥ ـ وجوب المبيت ثلاث ليالي بمنى ووجوب رمي الجمرات إذ بها يتأتى ذكر الله في الأيام المعدودات وهي أيام التشريق.

٦ ـ الرخصة في التعجل لمن رمى اليوم الثاني.

٧ ـ الأمر بتقوى الله وذكر الحشر والحساب والجزاء إذ هذا الذكر يساعد على تقوى الله عز وجل.

(١) لقد رخص لمن لم يجد الهدي أن يصوم أيام التشريق بلا خلاف.

(٢) قيل إن هذا التخيير ونفي الاثم على المتعجل والمتاخر لأجل الحاج المتقي لأنه حذر متحرز من كل ما يريبه فرفع الإثم حتى لا يبقى في نفسه ما يؤلمه من التقديم والتأخير وهو وجه حسن للآية.

(٣) روى أحمد أن النبي ﷺ قال أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله وروى مسلم أيضاً عنه ﷺ لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله

وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ
بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ
رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

شـرح الكلمات :

يعجبك[1] : يروق لك وتستحسنه .

في الدنيـا : إذا تحدث في أمور الدنيا .

ألد الخصـام[2] : قوي الخصومة شديدها لذلاقة لسانه .

تولى : رجع وانصرف ، أو كانت له ولاية .

الحرث والنسل : الحرث : الزرع ، والنسل : الحيوان .

أخذته العزة بالاثم[3] : أخذته الحميّة والأنف بذنوبه فهو لايتقي الله .

يشري نفسه : يبيع نفسه لله تعالى بالجهاد في سبيله بنفسه وماله .

معنى الآيات :

يخبر تعـالى رسـوله والمؤمنين عن حال المنافقين ، والمؤمنين الصادقين فقال تعالى مخاطبا الرسول ﷺ : ومن الناس رجل منافق يحسن القول وإذا قال يعجبك قوله لما عليه من طلاء

(١) الإعجاب : إيجاد العجب في النفس ، والعجب انفعال يعرض للنفس عند مشاهدة أمر غير مألوف خفي السبب .
(٢) الألد : لغة الأعوج والمنافق في حال خصومته يكذب ويزوّر عن الحق ولا يستقيم وفي الحديث : «إذا خاصم فجر» .
(٣) الأخذ : أخذ الشيء باليد ويطلق ويراد به الاستيلاء على الشيء نحو ﴿خذوهم واحصروهم﴾ وأخذته الحمّى والعزّة : حالة نفسية يرى صاحبها أنه لايمانع فيما يفعل ويريد ، وبالاثم : الباء للمصاحبة أي أخذته العزّة مصاحبة للإثم كائنة معه وهو احتراز من العزّة المصاحبة لما هو محمود من الفعال كالغضب لله تعالى .

ورونق وذلك إذا تكلم في أمور الحياة الدنيا بخلاف أمور الآخرة فإنه يجهلها وليس له دافع ليقول فيها لأنه كافر، وعندما يحدث يشهد الله أنه يعتقد مايقول فيقول للرسول ﷺ يعلم الله أني مؤمن وأني احبك، ويشهد الله أني كذا. . . وإذا قام من مجلسك وانصرف عنك ﴿سعى[1] في الأرض﴾ أي مشى فيها بالفساد ليهلك الحرث والنسل بارتكاب عظائم الجرائم فيمنع المطر وَتيبس المحاصيل الزراعية وتمحل الأرض وتموت البهائم وينقطع النسل وعمله هذا مبغـوض لله تعـالى فلا يحبه ولا يحب فاعله. كما أخبر تعالى أن هذا المنافق إذا أمر بمعروف أو نهي عن منكر فقيل له اتق الله لا تفعل كذا او اترك كذا تأخذه الأنفة والحمية بسبب ذنوبه التي هو متلبس بها فلا يتقي الله ولا يتوب إليه فيكفيه جزاء على نفاقه وشره وفساده جهنم يمتهدها فراشا لا يبرح منها أبداً ولبئس المهاد جهنم.

كما يخبر تعالى عن المؤمن الصادق فيقول من الناس رجل مؤمن صادق الإيمان باع نفسه وماله لله تعالى طلبا لمرضاته والحياة في جواره في الجنة دار السلام فقال تعالى ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد ﴾ رحيم بهم.

قيل أن الرجل المنافق الذي تضمنت الحديث عنه الآيات الثلاثة الأولى هو الأخنس[2] بن شريق، وأن الرجل المؤمن الذي تضمنت الحديث عنه الآية الرابعة (٢٠٧) هو صهيب بن سنان الرومي أبو يحيى إذ المشركون لما علموا به أنه سيهاجر إلى المدينة ليلحق بالرسول ﷺ وأصحابه قالوا لن تذهب بنفسك ومالك لمحمد فلن نسمح لك بالهجرة إلا إذا أعطيتنا مالك كله فاعطاهم كل مايملك وهاجر فلما وصل المدينة ورآه رسول الله ﷺ قال له: ربح البيع أبا يحيى ربح البيع. والآيات وإن نزلت في شأن الأخنس وصهيب فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصـوص السبب فالأخنس مثل سوء لكل من يتصف بصفاته، وصهيب مثل الخير والكمال لكل من يتصف بصفاته.

---

(١) السعي: المشي الحثيث ويطلق على الكسب والعمل، قال تعالى: ﴿من أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾.

(٢) إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقد روى ابن كثير عن نوف البكالي قوله: إني لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل، قوم يحتالون على الدنيا ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرّ من الصبر يلبسون للناس مسوك الضأن وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى: عَلَيَّ يجترؤون وبي يغترون حلفت بنفسي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيران وذكر: ﴿ومن الناس. . .﴾ الآية.

هدايـة الآيـات

من هدايـة الآيـات :

١ ـ التحذير من الاغترار بفصاحة[1] وبيان الرجل إذا لم يكن من أهل الإيمان والإخلاص.

٢ ـ شر الناس من يفسد في الأرض بارتكاب الجرائم مما يسبب فساداً وهلاكا للناس والمواشي.

٣ ـ قول الرجل يعلم الله، ويشهد الله يعتبر يميناً فليحذر المؤمن أن يقول ذلك وهو يعلم من نفسه أنه كاذب.

٤ ـ إذا قيل للمؤمن اتق الله يجب عليه أن لا يغضب أو يكره من أمره بالتقوى بل عليه أن يعترف بذنبه ويستغفر الله تعالى ويقلع عن المعصية فورا.

٥ ـ الترغيب في الجهاد بالنفس[2] والمال وجواز أن يخرج المسلم من كل ماله في سبيل الله تعالى ولا يعد ذلك اسرافاً ولا تبذيراً إذ الإسراف والتبذير في الإنفاق في المعاصي والذنوب.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟
فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ
إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

شـرح الكلمـات :

السـلم : الإسلام[3]

---

(١) يشهد له حديث الرسول ﷺ: «إنّ من الشعر لحكمة وإنّ من البيان لسحراً».

(٢) تأوّل عمر وعلي وابن عباس هذه الآية: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ فيمن يأمر أحدا بمعروف وينهاه عن منكر فتأخذه العزّة بالإثم فيقاتل الواعظ له فيبيع لله الواعظ نفسه ويقاتله.

(٣) روي أن حذيفة بن اليمان قال في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، والحج سهم، والعمرة سهم، والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم وقد خاب من لا سهم له في الإسلام.

كـافـة : جميعاً لا يتخلف عن الدخول في الإسلام[2] أحد، ولا يترك من شرائعه ولا من أحكامه شيء.

خطوات الشيطان : مسالكه في الدعوة إلى الباطل وتزيين الشر والقبيح.

فإن زللتم : وقعتم في الزلل[3] وهو الفسق والمعاصي.

البينات : الحجج والبراهين.

هل ينظرون : ماينظرون : الاستفهام للنفي

الظلل : جمع ظلة ما يظلل من سحاب أو شجر ونحوهما.

الغمام : السحاب الرقيق الأبيض.

معنى الآيتيـــن

ينادي الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين آمراً إيَّاهم بالدخول في الإسلام دخولاً شموليا بحيث لا يتخيرون بين شرائعه وأحكامه ما وافق مصالحهم وأهواءهم قبلوه وعملوا به، وما لم يوافق ردوه أو تركوه وأهملوه، وإنما عليهم أن يقبلوا شرائع الإسلام وأحكامه كافة، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان في تحسين القبيح وتزيين المنكر، إذ هو الذي زين لبعض مؤمني أهل الكتاب تعظيم السبت وتحريم أكل لحم الإبل بحجة أن هذا من دين الله الذي كان عليه صلحاء بني اسرائيل فنزلت هذه الآية فيهم تأمرهم وتأمر سائر المؤمنين بقبول كافة شرائع الإسلام وأحكامه، وتحذرهم من عاقبة اتباع الشيطان فإنها الهلاك التام وهو مايريده الشيطان بحكم عداوته للإنسان. هذا ماتضمنته الآية (٢٠٨) أما الآية الثانية (٢٠٩) فقد تضمنت أعظم تهديد وأشد وعيد لمن أزله الشيطان فقبل بعض شرائع الإسلام ولم يقبل البعض الآخر وقد عرف أن الإسلام حق، وشرائعه أحق فقال تعالى ﴿ فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات﴾ يحملها كتاب الله القرآن ويبينها رسول الله محمد ﷺ فإن الله سينتقم

---

(١) كافة: اسم يفيد الاحاطة بأجزاء ما وصف به فقوله تعالى: ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾ أي حتى لا يبقى مشروع ما يعمل به أولا يبقى فرد لا يدخل فيه.

(٢) اختلف في تحديد معنى السلم في الآية، والراجح أنها بمعنى الإسلام ويكون الخطاب معنياً به بعض مَنْ آمن مِنْ أهل الكتاب وبقي متمسكا ببعض شرائع التوراة كتحريم يوم السبت، وتحريم شرب لبن الإبل، أمِروا بالدخول في الإسلام كافة: أي بقبول شرائعه كلها وترك شرائع غيره وتكون بمعنى الصلح وترك الحرب والتهارج ويكون الخطاب للمسلمين عامة بترك التهارج بينهم والتقاتل.

(٣) أصل الزلل: الزلق وهو اضطراب القدم وتحركها في الموضع المراد إثباتها فيه والمراد هنا عدم الثبات على طاعة الله ورسوله بفعل الأمر وترك النهي بتزيين الشيطان ذلك للعبد حتى يقع في الضرر.

منكم لأنه تعالى غالب على أمره حكيم في تدبيره وإنجاز وعده ووعيده وأما الآية الثالثة (٢١٠) فقد تضمنت حث المتباطئين على الدخول في الإسلام إذ لا عذر لهم في ذلك حيث قامت الحجة وظهرت ولاحت المحجة فقال تعالى: ﴿ هل ينظرون﴾ أي ما ينظرون[1] ﴿إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ وعند ذلك يؤمنون ومثل هذا الإيمان الاضطراري لا ينفع حيث يكون العذاب لزاماً. بقضاء الله العادل، قال تعالى ﴿ وقضي الأمر﴾ أي إذا جاء الله تعالى لفصل القضاء وانتهى الأمر إليه فحكم وانتهى كل شيء فعلى أولئك المتباطئين المترددين في الدخول في الإسلام المعبر عنه بالسّلم لأن الدخول فيه حقاً سِلم، والخروج منه أو عدم الدخول فيه حقا حرب عليهم أن يدخلوا في الإسلام ألا إلى الإسلام يا عباد الله! فإن السلم خير من الحرب!

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ - وجوب[2] قبول شرائع الإسلام كافة وحرمة التخير فيها.

٢ - ما من مستحل حراماً، أو تارك واجبا إلا وهو متبع للشيطان في ذلك.

٣ - وجوب توقع العقوبة عند ظهور المعاصي العظام لئلا يكون أمن من مكر[3] الله.

٤ - إثبات صفة المجيء للرب تعالى: لفصل القضاء يوم القيامة.

٥ - حرمة التسويف والمماطلة في التوبة.

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

---

(١) الكلام صالح لأن يعود إلى من يعجب قوله ويقبح عمله في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله. . .﴾ الآية وصالح لأن يعود إلى المترددين من أهل الكتاب بعدم خلوصهم في الإسلام كله، وصالح لأن يكون عائداً إلى كل متردد في الإسلام غير صادق في الدخول فيه إلى يوم القيامة وهذا من إعجاز القرآن وكونه كتاب هداية للناس كافة وفي كل زمان ومكان.

(٢) شاهده قوله تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ الآية.

(٣) إذ حصول الأمن لازمه الاستمرار على المعاصي وعدم التوبة والله يقول: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.

شرح الكلمات :

سـل : إسأل: سقطت منه الهمزتان للتخفيف.

بني إسرائيل : ذريّة يعقوب بن اسحق بن إبراهيم واسرائيل لقب يعقوب.

آيــة : خارقـة للعادة كعصا موسى تدل على أن من أعطاه الله تلك الآيات هو رسول الله حقاً. وآيات بني إسرائيل التي آتاهم الله تعالى منها فلق البحر لهم، وإنزال المن والسلوىٰ في التيه عليهم.

نعمـة الله[1] : ما يهبه لعبده من خير يجلب له المسرة وَيدفع عنه المضرة ونعم الله كثيرة.

يســخرون : يحتقرون ويستهزئون.

معنى الآيتين :

يأمر الله تعالى رسوله أن يسأل بني إسرائيل عن الآيات الكثيرة التي آتاهم الله، وكيف كفروا بها فلم تنفعهم شيئاً، والمراد تسليته ﷺ من الألم النفسي الذي يحصل له من عدم إيمان أهل الكتاب والمشركين به وبما جاء به من الهدى وضمن ذلك تقريع اليهود وتأنيبهم على كفرهم بآيات الله وإصرارهم على عدم الدخول في الإسلام. ثم أخبر تعالى أن من يبدل نعمة الله التي هي الإسلام بالكفر به وبنبيّه محمد ﷺ فإن عقوبة الله تعالى تنزل به لا محالة في الدنيا أو في الآخرة لأن الله شديد العقاب[2].

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢١١) وأما الآية الثانية (٢١٢) فقد أخبر تعالى أن الشيطان زين للذين كفروا بالله ورسوله وشرائعه الحياة الدنيا فرغبوا فيها وعملوا لها وأصبحوا لم يروا غيرها ولذلك سخروا من المؤمنين الزاهدين فيها لعلمهم بزوالها وقلة نفعها فلم يكرسوا كل جهدهم لجمعها والحصول عليها بل أقبلوا على طاعة ربهم وأنفقوا ما في أيديهم في سبيل الله طلباً لرضاه. كما أخبر أن المؤمنين المتقين سيجازيهم يوم القيامة خير الجزاء وأوفره فيسكنهم دار السلام في عليين، ويُخزي أعداءهم الساخرين منهم وبهينهم فيسكنهم الدرك الأسفل من النار.

(١) فسرت نعمة الله هنا: بالإسلام وهو كذلك فإن الإسلام أكبر نعمة لما يجلبه من السعادة والكمال وما يدفعه من العذاب والعقاب في الدارين.

(٢) جملة: ﴿إنّ الله شديد العقـاب﴾ خبرية متضمنة للوعيد ذُيِّل بها الكلام، والعقاب من العقب كأنّ المعاقب يمشي بالمجازاة في آثار عقبه ليجزيه به.

وهو تعالى المتفضل ذو الإحسان إذا رزق يرزق بغير حساب[1] وذلك لواسع فضله وعظيم ماعنده.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ التحذير من كفر النعم لما يترتب على ذلك من أليم العذاب وشديد العقاب،ومن أَجَلِّ النعم نعمة الإسلام فمن كفر به وأعرض عنه فقد تعرض لأشد العقوبات وأقساها وما حلّ ببني إسرائيل من ألوان الهون والدون دهراً طويلاً شاهد قوي وما حل بالمسلمين يوم أعرضوا عن الإسلام واستبدلوا به الخرافات ثم القوانين الوضعية شاهد أكبر أيضاً.

٢ ـ التحذير من زينة الحياة الدنيا والرغبة فيها والجمع لها ونسيان الدار الآخرة وترك العمل لها. فإن أبناء الدنيا اليوم يسخرون من أبناء الآخرة، ولكن أبناء الآخرة أهل الإيمان والتقوى سيكونون يوم القيامة فوقهم درجات إذ هم في أعالي الجنان والآخرون في أسافل النيران.

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

(١) الآية: ترغيب في طلب فضل الله تعالى وفي الحديث الصحيح: «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك» وقال تعالى ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ وفي الصحيح أيضاً: «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت وما لبست فأبليت، وما تصدقت بأبقيت» وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس.

شـرح الكلمات :

كان الناس[1] أمة واحدة : كانوا قبل وجود الشرك فيهم أمة[2] واحدة على الإسلام والتوحيد وذلك قبل قوم نوح .

النبيّون : جمع نبيّ والمـراد بهم الرسل إذ كل نبي[3] رسول بدليل رسالتهم القائمة على البشارة والنذارة والمستمدة من كتب الله تعالى المنزلة عليهم .

الكتاب : اسم جنس يدخل فيه كل الكتب الإلهية .

أوتوه : أعطوه .

البينات الحجج والبراهين تحملها الرسل إليهم وتورثها فيهم شرائع وأحكاماً وهدايات عامة .

بغياً[4] : البغي الظلم والحسـد .

الصراط المستقيم : الإسلام المفضي بصاحبه إلى السعادة والكمال في الحياتين .

معنى الآية الكريمة :

يخبر تعالى أن الناس[5] كانوا مابين آدم ونوح عليهما السلام في فترة طويلة أمةً واحدة على دين الإسلام لم يعبد بينهم إلا الله تعالى حتى زيّن الشيطان لبعضهم عبادة غير الله تعالى فكان الشرك والضلال فبعث الله تعالى لهدايتهم نوحاً عليه السلام فاختلفوا إلى مؤمن وكافر وموحّد ومشرك ، وتوالت الرسل تحمل كتب الله تعالى المتضمنة الحكم الفصل في كل ما يختلفون فيه . ثم أخبر تعالى عن سنته في الناس وهي أن الذين يختلفون في الكتاب أي فيما

---

(١) أي الذين كانوا على الدين الحق وهم عشرة قرون من آدم إلى أن حدث فيهم الشرك فبعث الله تعالى فيهم عبده الشكور نوحاً عليه السلام .

(٢) لفظ الأمة مأخوذ من أممت كذا إذا قصدته فسميت الجماعة مقصدهم واحد أمة وقد يطلق على الواحد أمّة إذا كان مقصده واحداً على خلاف غيره ومنه قول الرسول ﷺ في قس بن ساعدة «يحشر يوم القيامة أمّة وحده» .

(٣) عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر هذا قول جمهور أهل السنة والجماعة . والرسل المذكورون بالاسم العلم في القرآن خمسة وعشرون رسولاً وأوّل الأنبياء آدم وأوّل الرسل نوح ، وخاتم الرسل والأنبياء محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

(٤) منصوب على المفعول لأجله أي : لم يختلفوا إلا للبغي الذي هو الظلم الذي صار طبعا لهم لكثرة ممارستهم له والحسد الذي ملأ قلوبهم فأكلها أو كاد والعياذ بالله .

(٥) لفظ الناس : اسم جمع ليس له مفرد من لفظه وإنّما واحده من غير لفظه وهو إنسان و«ال» فيه للاستغراق أي جميع أفراده أي : البشر كلهم .

يحويه من الشرائع والأحكام هم الذين سبق أن أوتوه وجاءتهم البينات فهؤلاء يحملهم الحسد وحب الرئاسة، والإبقاء على مصالحهم على عدم قبول ما جاء به الكتاب، واليهود هم المثل لهذه السنة فإنهم أوتوا التوارة فيها حكم الله تعالى وجاءتهم البينات على أيدي العديدين من أنبيائهم ورسلهم واختلفوا في كثير من الشرائع والأحكام وكان الحامل لهم على ذلك البغي والحسد والعياذ بالله.

وهدى الله تعالى أمة محمد ﷺ لما اختلف فيه أهل الكتابين اليهود والنصارى فقال تعالى ﴿ فهدى الله الذين آمنوا[1] ﴾ لما اختلف فيه أولئك المختلفون من الحق هداهم بإذنه ولطفه وتوفيقه فله الحمد وله المنة. ومن ذلك الحق الذي اختلف فيه أهل الكتاب من قبلنا وهدانا الله تعالى إليه :

١ ـ الإيمان بعيسى عبد الله ورسوله حيث كفر به اليهود وكذبوه واتهموه بالسحر وحاولوا قتله؟ وألّهَهُ النصارى، وجعلوه إلهاً مع الله، وقالوا فيه إنه ابن الله. تعالى الله عن الصاحبة والولد.

٢ ـ يوم الجمعة وهو أفضل الأيام أخذ اليهود السبت والنصارى الأحد وهدى الله تعالى إليه أمة الإسلام.

٣ ـ القبلة قبلة أبي الأنبياء ابراهيم استقبل اليهود بيت المقدس واستقبل النصارى مطلع الشمس وهدى الله أمة الإسلام إلى استقبال البيت العتيق قبلة ابراهيم عليه السلام. والله يهدي من شاء إلى صراط مستقيم.

هداية الآيـة :

من هداية الآية :

١ ـ الأصل هوالتوحيد والشرك طارىء على البشرية.

---

(١) أي من أمة محمد ﷺ وهم المسلمون هداهم للإيمان بكل الكتب وسائر الرسل ونجاهم مما اختلف فيه من قبلهم، والحمد لله.

(٢) الإذن : الخطاب بإباحة الشيء وهو مشتق من فعل أذن إذا أصغى أذنه يستمع إلى كلام من يكلّمه ثم أطلق على الخطاب بالإباحة مطلقاً.

٢ ـ الأصل في مهمة الرسل البشارة[١] لمن آمن واتقى؟ والنذارة لمن كفر وفجر، وقد يشرع لهم قتال من يقاتلهم فيقاتلونه كما شرع ذلك لرسول الله ﷺ.

٣ ـ من علامات خذلان الأمة وتعرضها للخسار والدمار أن تختلف في كتابها ودينها فيحرفون كلام الله ويبدلون شرائعه طلبا للرئاسة وجريا وراء الأهواء والعصبيّات، وهذا الذي تعانى منه أمة الإسلام اليوم وقبل اليوم، وكان سبب دمار بني إسرائيل.

٤ ـ أمة الإسلام التي تعيش على الكتاب والسنة عقيدة وعبادة وقضاء هي المعنية بقوله تعالى: ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق[٢] بإذنه ﴾.

٥ ـ الهداية بيد الله فليطلب العبد دائما الهداية من الله تعالى بسؤاله المتكرر أن يهديه دائما إلى الحق[٣].

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ[٤] وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾

شـــرح الكلمـات :

أم حسبتم : أظننتم ـ أم هي المنقطعة فتفسر ببل والهمزة، والاستفهام انكاري ينكر عليهم ظنهم هذا لأنه غير واقع موقعه.

لمـا : بمعنى لم النافية

مثـل : صفة وحال الذين من قبلكم.

---

(١) البشارة: الإعلام بخير حصل أو سيحصل للمبشر به، والنذارة إعلام بشر أو ضر حصل أو سيحصل لمن أنذر به، والبشارة وعد والنذارة وعيد.

(٢) في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «اللهم ربّ جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» والتوسل بهذا الدعاء نافع للخروج من ظلمة الاختلاف.

(٣) ومن الدعاء المأثور في ذلك: «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إماماً».

(٤) في الآية إشارة إلى مثل قول القائل: على قدر أهل العزم تأتي العزائم، ومن طلب العلى سهر الليالي، ومن يخطب الحسناء فلا يغله المهر.

البأســـاء والضراء : البأساء: الشدة، من الحاجة وغيرها والضراء: المرض والجراحات والقتل.

متى نصـر الله : الاستفهام للإستبطاء.

معنى الآية الكريمة

ينكر تعالى على المؤمنين[1] وهم في أيام شدة ولأواء ظنهم أنهم يدخلون الجنة بدون امتحان وابتلاء في النفس والمال بل وأن يصيبهم ما أصاب غيرهم من البأساء[2] والضراء والزلزال وهو الاضطراب والقلق من الأهوال حتى يقول الرسول والمؤمنون معه ـ استبطاءاً للنصر الذي وُعدوا به: متى نصر الله؟ فيجيبهم ربهم تعالى بقوله: ﴿ ألا إن نصرَ[3] الله قريبٌ ﴾.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية

١ ـ الابتلاء بالتكاليف الشرعية، وفيها الجهاد بالنفس والمال ضروري لدخول الجنة.

٢ ـ الترغيب في الإتساء بالصالحين والاقتداء بهم في العمل والصبر.

٣ ـ جواز الأعراض البشرية على الرسل كالقلق والاستبطاء للوعد الإلهي انتظاراً له.

٤ ـ بيان ما أصاب الرسول ﷺ وأصحابه من شدة وبلاء أيام الجهاد وحصار المشركين لهم.

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

---

(١) ما من شك في أن المؤمنين وعلى رأسهم قائدهم وإمامهم ورسولهم محمد ﷺ قد مستهم البأساء والضرّاء في ظروف مختلفة منها هجرتهم وحروبهم في بدر واحد والخندق وغيرها والآية تعني كلّ ذلك وهو من مقتضيات النزول لهذه الآية.

(٢) وعن السلف تفسير البأساء بالفقر والضرّاء بالنقم والزلازل بالخوف من الأعداء إذ الخوف يحدث اضطراب النفس وحركة الأعضاء.

(٣) وفي هذا المعنى حديث أبي رزين: «عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثه فينظر إليهم قانطين فيظلّ يضحك يعلم أنّ فَرَجهم قريب وحديث الصحيح: «والله ليُتِمَنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلاّ الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون».

شـرح الكلمـات :

من خير : من مال إذ المال يطلق عليه لفظ الخير.

الأقربين : كالأخوة والأخوات وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم والأخوال والخالات وأولادهم.

وما تفعلوا من خير(1) : ما: شرطية ومن: بيانية والخير هنا لسائرأنواع البر والإحسان.

فإن الله به عليم : الجملة علّة لجواب الشرط المحذوف والمقدر يثبكم عليه.

معنى الآية الكريمة

سأل عمرو بن الجموح وكان ذا مال سأل(2) رسول الله ﷺ ماذا ينفق وعلى من ينفق فنزلت الآية جوابا لسؤاله فبينت أن ماينفق هو المال وسائر الخيرات وأن الأحق بالإنفاق عليهم هم الوالدان(3) والأقربون، واليتامى والمساكين وأبناء السبيل. وأعلمهم تعالى أن ما يفعله العبد من خير يعلمه الله تعالى ويجزي به فرغب بذلك في فعل الخير مطلقا.

هدايـة الآيـة الكريمة :

من هداية الآية :

١ ـ سؤال من لايعلم حتى يعلم وهذا طريق العلم، ولذا قالوا: (السؤال نصف العلم).

٢ ـ أفضلية الإنفاق على المذكورين(4) في الآية إن كان المنفق غنيّاً وهم فقراء محتاجون

٣ ـ الترغيب في فعل الخير والوعد من الله تعالى بالجزاء الأوفى عليه

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟

---

(١) الآية في نفقة التطوع وقوله ﴿من خير﴾ إشارة إلى أنّ ما ينفق يجب أن يكون طيباً لا خبيثاً إذ لفظ الخير يدل على ذلك ويرمز له: ﴿من خير﴾.

(٢) وقيل الآية نزلت فيمن سألوا من المسلمين عن الوجوه التي ينفقون فيها فأجابهم الله تعالى مبينا لهم ذلك، وما ذهبنا إليه من أنّ السائل عمرو بن الجموح وسؤاله عما ينفق مِنْ أنواع المال وفيم ينفق أولى وألصق.

(٣) لحديث الصحيح في بيان مَنْ أحق بالإنفاق عليه: «أمّك وأباك. وأختك وأخاك ثمّ أدناك أدناك» أي الأقرب إليك فالأقرب.

(٤) روي أنّ ميمون بن مهران تلا هذه الآية: ﴿يسألونك ماذا ينفقون..﴾ الآية وقال: هذه مواضع النفقة ما ذكر فيها طبلا ولا مزماراً ولا تصاوير الخشب ولا كسوة الحيطان.

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

شـــرح الكلمـات :

كُتِب : فرض فرضا مؤكداً حتى لكأنه مكتوب كتابة .

القتال : قتال الكافرين بجهادهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية .

كُـرهٌ : مكروه في نفوسكم طبعاً .

عسـى : هذا الفعل معناه الترجي والتوقع أعني أن ما دخلت عليه مرجو الحصول متوقع لا على سبيل الجزم ، إلاّ أنها إن كانت من الله تعالى تفيد اليقين .

معنى الآية الكريمة :

يخبر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بأنه فرض عليهم قتال[(١)] المشركين والكافرين وهو يعلم أنه مكـروه لهم بطبعهم لما فيه من الآلام والأتعـاب وإضـاعـة المـال والنفس ، وأخبرهم أن مايكرهونه قد يكون خيراً ، وأن مايحبونه قد يكون شرًّا ،[(٢)] ومن ذلك الجهاد فإنه مكروه لهم وهو خير لهم لما فيه من عزتهم ونصرتهم ونصره دينهم مع حسن الثواب وعظم الجزاء في الدار الآخرة كما أن ترك الجهاد محبوب لهم وهو شرّ لهم لأنه يشجع عدوهم على قتالهم واستباحة بيضتهم ، وانتهاك حرمات دينهم مع سوء الجزاء في الدار الآخرة . وهذا الذي أخبرهم تعالى به من حبهم لأشياء وهي شرّ لهم وكراهيتهم لأشياء وهي خير لهم هو كما أخبر لعلم الله به قبل خلقه ، والله يعلم وهم لا يعلمون فيجب التسليم لله تعالى في أمره وشرعه مع حب ما أمر به وما شرعه واعتقاد أنه خير لا شر فيه .

---

(١) قرئت الآية : ﴿كتب عليكم القتل﴾ وقراءة القتال أشهر وأظهر والفرق بين القتل والقتال ظاهر ، وجاء كلا اللفظين في قول عمرو بن ربيعة :

كتب القتل والقتال علينا   وعلى الغانيات جرّ الذيول

(٢) قال القرطبي : كما اتّفق في بلاد الأندلس تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار فاستولى العدو على البلاد وأسر وقتل وسبى واسترقّ فإنا لله وإنا إليه راجعون ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته ، وأنشد لأبي سعيد الضرير قوله شاهدا لمعنى الآية الكريمة :

رُبَّ أمر تتقيه   جرّ أمرا ترتضيه
خفي المحبوب منه   وبدا المكروه فيه

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية :

١ ـ وجوب الجهاد على أمة الإسلام ما بقيت فتنة في الأرض وشرك فيها.

٢ ـ جهل الإنسان بالعواقب يجعله يحب المكروه، ويكره المحبوب.

٣ ـ أوامر الله كلها خير، ونواهيه(١) كلها شرّ. فلذا يجب فعل أوامره واجتناب نواهيه.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ
ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

شـرح الكلمـات

الحرام قتال فيه : أي المحرم. قتال بدل اشتمال من الحرام، إذ السؤال عن القتال في الشهر الحرام (رجب).

كبير : أي ذنبٌ عظيم

صد عن سبيل الله : صرف عن دين الله.

(١) المراد بالأوامر ما أمر الله تعالى به في كتابه وعلى لسان رسوله من المعتقدات والعبادات والأحكام ومن النواهي مانهى الله عنه في كتابه وعلى لسان رسوله من الاعتقادات الباطلة والعبادات المبتدعة والأحكام الفاسدة.

وكفر به : كفر بالله تعالى

المسجد الحرام : مكة والمسجد الحرام فيها

أهــله : النبي ﷺ والمهاجرون.

أكــبر : أعظم وزراً.

الفتنة : الشرك واضطهاد المؤمنين ليكفروا.

حبطت أعمالهم[1] : بطل أجرها فلا يثابون عليها لردتهم.

هاجروا : تركوا ديارهم خوف الفتنة والاضطهاد في ذات الله.

معنى الآيتين :

لما أخـبر تعالى أنه كتب على المؤمنين القتال ارسل النبي ﷺ سرية بقيادة عبد الله بن جحش إلى بطن نخلة يتعرف على أحوال الكفار. فشاء الله تعالى أن يلقى عبد الله ورجاله عيراً لقريش فقاتلوهم فقتلوا منهم رجلا يدعى عمرو بن الحضرمي وأسروا اثنين واخذوا العير وقفلوا راجعين وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الثانية وهي أول ليلة من رجب. فثـارت ثائـرة قريش وقـالـت: محمـد يحل الشهـر الحرام بالقتال فيه، ورَدَّد صوتَها اليهود والمنافقون بالمدينة حتى أن الرسول ﷺ وقف العير والأسيرين ولم يقض فيهما بشيء، وتعرض عبد الله بن جحش ورفاقه لنقد ولوم عظيمين من أكثر الناس، ومازال الأمر كذلك حتى أنزل الله تعالى هاتين الآيتين ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه[2]﴾ أي عن القتال فيه، اجبهم يارسولنا وقل لهم القتال فيه وزر كبير بيد أن الصد عن دين الله والكفر به تعالى وكذا الصد عن المسجد الحرام، وإخراج الرسول منه والمؤمنين وهم أهله وولاته بحق أعظم وزراً في حكم الله تعالى، كما أن شرك المشركين في الحرم وفتنة المؤمنين فيه لإرجاعهم عن دينهم الحق إلى الكفر بشتى أنواع التعذيب أعظم من القتل في الشهر الحرام. مضافاً إلى كل هذا عزمهم على قتال المؤمنين إلى أن يردوهم عن دينهم إن استطاعوا. ثم أخبر تعالى المؤمنين محذراً إياهم من الارتداد مهما كان العذاب أن من يرتد عن دينه ولم يتب بأن مات كافراً فإن

---

(١) إن وافاهم الموت على ذلك أما إن تابوا وماتوا على الإسلام ففي إثابتهم على أعمالهم قبل الردة خلاف انظره على الصفحة التالية تحت رقم (١).

(٢) هذا كان قبيل نسخ حرمة القتال في الشهر الحرام.

أعماله الصالحة كلها تبطل[1] ويصبح من أهل النار الخالدين فيها أبداً. هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (٢١٨) إن الذين آمنوا والذين هاجروا[2] فقد نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه طمأنهم الله تعالى على أنهم غير آثمين لقتالهم في الشهر الحرام كما شنع عليه الناس بذلك، وانهم يرجون رحمة الله أى الجنة وأنه تعالى غفور لذنوبهم رحيم بهم، وذلك لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم في سبيل الله، وقال تعالى فيهم: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون[3] رحمة الله والله غفور رحيم ﴾.

هدايـة الآيتين

من هدايـة الآيتين :

١ ـ حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام.

٢ ـ نسخ القتال في الشهر الحرام بدليل قتال الرسول ﷺ هوازن وثقيف في شوال وأول القعدة وهما في الأشهر الحرم.

٣ ـ الكشف عن نفسيّة الكافرين وهي عزمهم الدائم على قتال المسلمين إلى أن يردوهم عن الإسلام ويخرجوهم منه.

٤ ـ الردة محبطة[4] للعمل فإن تاب المرتد[5] يستأنف العمل من جديد، وإن مات قبل التوبة فهو من أهل النار الخالدين فيها أبداً.

٥ ـ بيان فضل الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله.

---

(١) على هذا مالك وأبو حنيفة خلافاً للشافعي إذ يرى رحمه الله تعالى أن من ارتد ثم تاب يعود إليه كل عمل صالح عمله قبل الردة فلا يعيد الحج إذا حج، والراجح ما قرّرناه في التفسير إذ أقل ما يقال عليه إعادة الحج طمعاً في مغفرة ذنوبه وعدم مؤاخذته أمّا مَنْ مات كافراً فالاجماع على خلوده في النار، ودليل الجمهور قوله تعالى ﴿لإن أشركت ليحبطن عملك﴾ الآية وحمله الشافعي على أنه مطلق مقيّد بآية الموت على الكفر فما دام لم يمت كافرا فإن أعماله قبل الردّة لا تبطل والله أعلم.

(٢) نقل فعل هجر الشيء إذا تركه إلى هاجر، وهي صيغة المفاعلة، إمّا أنه للمبالغة في الترك كما قيل عافاك الله والمعافي واحد وهو الله تعالى، وإمّا لأنه ترك شيئا عن عداوة ولا تكون إلاّ بين اثنين فقيل هاجر، والمكان المهاجر منه يقال له مهاجر.

(٣) الرجاء: ترقب الخير مع تغليب ظن حصوله.

(٤) اختلف في المرتد هل يستتاب أو يقتل بالردة فوراً والجمهور على أنه يستتاب أولاً فإن أصر قُتِلَ ومالك يرى أنّ من سبّ النبي ﷺ لا يستتاب ويقتل واستشهد بالمرأة التي قتلت خادمها لسبِّ النبي ﷺ وأخبرت الرسول ﷺ فلم ينكر عليها وكذلك الزنديق يقتل ولا يستتاب.

(٥) الأصل في قتل المرتد حديث الصحيح: «من بدّل دينه فاقتلوه» واختلف في قتل المرأة إذا ارتدّت الجمهور أنها لا تقتل لنهي النبي ﷺ عن قتل النساء والأطفال في الحرب.

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ
وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

شــرح الكلمـات :

الخمــر(١) : كل ما خامر العقل وغطاه فأصبح شاربه لايميز ولا يعقل، ويطلق لفظ الخمر على عصير العنب أو التمر أو الشعير وغيرها.

الميسر(٢) : القمار وسمي ميسراً لأن صاحبه ينال المال بيسر وسهولة.

الإثــم(٣) : كل ضار فاسد يضر بالنفس أو العقل أو البدن أو المال أو العرض.

المنافع(٤) : جمع منفعة وهي مايسّر ولا يضر من سائر الأقوال والأفعال والموادّ.

العـفو : العفو هنا: مافضل وزاد عن حاجة الإنسان من المال.

تتفكرون : فتعرفون ماينفع في كل منهما فتعملون لدنياكم مايصلحها، وتعملون لآخرتكم مايسعدكم فيها، وينجيكم من عذابها.

تخالطونهم: تخلطون مالهم مع مالكم ليكون سواء.

لأعنتكم : العنت المشقة الشديدة يقال أعنته إذا كلّفه مشقة شديدة.

---

(١) الخمر: مأخوذ من خمرَّ الشيء إذا ستره وغطاه، ومنه خمار المرأة الذي يغطي رأسها وفي الحديث «خمّروا الإناء» أي غطوه والخمر تطلق أساساً على ماء العنب إذا غلي أو طبخ ثمّ أطلقت على كل ما خمر العقل وغطاه مِنْ سائر المسكرات.

(٢) الميسر مأخوذ من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه يقال يسر لي كذا إذا وجب ـ والمضارع ييسر يَسَراً وميسراً وهو القمار وسواء كان بالأزلام أو النرد أو الكعاب أو الجوز أو الكيرم.

(٣) والخمر كلها إثم إذ ما فيها كلّه ضرر وقد سمّاها العرب الاثم قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضل عقلي   كذاك الإثم يذهب بالعقول

(٤) والنفع الذي هو الربح إذ كانوا يشترونها من الشام بالرخص ويبيعونها بالغلاء في ديارهم كان في الجاهلية أمّا بعد ما حرّمها الله تعالى وحرّم بيعها فلم يبق فيها نفع البتة.

معنى الآيتين :

كان العـرب في الجـاهلية يشربـون الخمور ويقامرون وجاء الإسلام فبدأ دعوتهم إلى التوحيد والإيمان بالبعث الآخر إذ هما الباعث القوي على الاستقامة في الحياة، ولما هاجر الرسول ﷺ والعديد من أصحابه وأصبحت المدينة تمثل مجتمعاً إسلامياً وأخذت الأحكام تنزل شيئاً فشيئاً فحدث يوماً أن صلى أحد الصحابة بجماعة وهو ثملان فخلط في القراءة فنزلت آية النساء ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ فكانوا لايشربونها إلا في أوقات معينة وهنا كثرت التساؤلات حول شرب الخمر فنزلت هذه الآية ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾ فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿ قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ فترك الكثير[1] كلًّا من شرب الخمر ولعب القمار لهذه الآية. وبقي آخرون فكان عمر يتطلع إلى منعهما منعاً باتاً ويقول: (اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً) فاستجاب الله تعالى له ونزلت آية المائدة: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ﴾ إلى قوله ﴿ فهل انتم منتهون ﴾ فقال عمر: (انتهينا ربنا) وبذلك حرمت الخمر وحرم الميسر تحريمًا قطعياً كاملاً ووضـع الـرسول ﷺ حدّ الخمر وهو الجلد. وحذر من شربها وسماها أم الخبائث وقال: « مدمن الخمر لا يكلمه الله يوم القيامة ولا يزكيه في ثلاثة نفر وهم العاقّ لوالديه، ومسبل إزاره، ومدمن شرب الخمر».

وقوله تعالى: ﴿فيهما إثم كبير[2] ومنافع للناس ﴾ فهو كما قال تعالى فقد بيّن في سورة المائدة منشـأ الإثم وهو أنهما يسببان العداوة والبغضاء بين المسلمين ويصدان عن ذكر الله وعن الصلاة وأي إثم أكبر في زرع العداوة والبغضاء بين أفراد المسلمين، والإعراض عن ذكر الله وتضييع الصلاة حقاً إن فيهما لإثمًا كبيراً، وأما المنافع فهي إلى جانب هذا الإثم قليلة ومنها الربح في تجارة الخمر وصنعها، وماتكسب شاربها من النشوة والفرح والسخاء والشجاعة، وأما الميسر فمن منافعه الحصول على المال بلا كد ولا تعب وانتفاع بعض الفقراء به إذ كانوا يقامرون على الجزور من الإبل ثم يذبح ويعطى للفقراء والمساكين.

---

(١) يري كثير من المفسرين أنّ آية البقرة هذه نزلت قبل آية النساء وما رجحته في التفسير أولى، لأنّ آية البقرة تعتبر محرّمة للخمر والميسر بخلاف آية النساء.

(٢) لما كان تحريم الخمر تدريجياً كان من الحكمة ذكر ما كانوا يرونه من المنافع في الاتجار بها وشربها وكذا منافع الميسر إذ كانوا يعطون مايَرْبَحُونهُ للفقراء، وحسبهم وهم المؤمنون صرفاً لهم عن الخمر والميسر قوله: ﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ وإذا زادت المضرة على المنفعة بطل العمل عقلا وشرعا.

أما قوله تعالى في الآية ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ﴾ فهو سؤال نشأ عن استجابتهم لقول الله تعالى: ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ﴾ فأرادوا أن يعرفوا الجزء الذي ينفقونه من أموالهم في سبيل الله فأجابهم الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿قل العفو﴾ أي مازاد على حاجتكم وفضل عن نفقتكم على أنفسكم. ومن هنا قال الرسول ﷺ «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىً» رواه البخاري. وقوله ﴿وكذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ أي مثل هذا البيان يبين الله لكم الشرائع والأحكام والحلال والحرام ليعدكم بذلك إلى التفكير الواعي البصير في أمر الدنيا والآخرة فتعملون لدنياكم على حسب حاجتكم إليها وتعملون لآخرتكم التي مردكم إليها وبقاؤكم فيها على حسب ذلك.

وهذا ماتضمنته الآية الأولى (٢١٩) أما الآية الثانية (٢٢٠) ﴿ يسألونك عن اليتامى﴾ الآية فإنه لما نزل قوله تعالى من سورة النساء ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ خاف المؤمنون والمؤمنات من هذا الوعيد الشديد وفصل من كان في بيته يتيم يكفله فصل طعامه عن طعامه وشرابه عن شرابه وحصل بذلك عنت ومشقة كبيرة وتساءلوا عن المخرج فنزلت هذه الآية وبينت لهم أن المقصود هو إصلاح مال اليتامى وليس هو فصله أو خلطه فقال تعالى: ﴿قل إصلاح لهم. . . . ﴾ مع الخلط خير من الفصل مع عدم الإصلاح ودفع الحرج في الخلط فقال: ﴿ وإن تخالطوهم فإخوانكم[1]، والأخ يخالط أخاه في ماله، وأعلمهم أنه تعالى يعلم المفسد لمال اليتيم من المصلح له ليكونوا دائمًا على حذر، وكل هذا حماية لمال اليتيم الذي فقد والده. ثم زاد الله في منته عليهم يرفع الحرج في المخالطة فقال تعالى ﴿ ولو شاء الله لأعنتكم[2] ﴾ أي أبقاكم في المشقة المترتبة على فصل أموالكم عن أموال يتاماكم وقوله إن الله عزيز أي غالب على مايريده حكيم فيما يفعله ويقضي به.

(١) ﴿فإخوانكم﴾ الفاء واقعة في جواب إن الشرطية، وإخوانكم خبر والمبتدأ محذوف تقديره فهم إخوانكم.
(٢) مفعول المشيئة محذوف كما هو الغالب فيه والتقدير: ولو شاء الله عنتكم لأعنتكم أي كلّفكم ما فيه العنت والمشقة ولكنه لم يفعل رحمة بكم ولطفا بحالكم.

هدايـة الآيتين :

من هدايـة الآيتين :

١ ـ حرمة الخمر[1] والميسر حيث نسخت هذه الآية بآية المائدة لقوله تعالى فيها فاجتنبوه وقوله فهل أنتم منتهون .

٢ ـ بيان أفضل صدقة التطوع وهي ماكانت عن ظهر غنىً وهو[2] العفو في هذه الآية .

٣ ـ استحباب التفكر في أمر الدنيا والآخرة لإعطاء الأولى بقدر فنائها والآخرة بحسب بقائها .

٤ ـ جواز خلط مال اليتيم بمال كافله إذا كان أربح له وأوفر وهو معنى الإصلاح في الآية .

٥ ـ حرمة مال اليتيم ، والتحذير من المساس به وخلطه إذا كان يسبب نقصاً فيه أو إفساداً

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

شـرح الكلمات :

ولا تَنْكِحوا : لا تتزوجـوا .

الأمـة : خلاف الحرة .

ولو أعجبتكم : أي أعجبكم حسنها وجمالها .

يدعون إلى النار : بحالهم ومقالهم وأفعالهم .

آياتـه : أحكام دينه ومسائل شرعه .

---

(١) إن كل مسكر داخل في اسم الخمر وقليله ككثيره في الحرمة سواء بإجماع الأمة، وكل أنواع الميسر ولو اختلفت المسميات كاليناصيب وغيرها محرّمة .

(٢) شاهده حديث مسلم : «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا أي تصدق به على الفقراء والمساكين» .

معنى الآية الكريمة :

ينهى الله تعالى المؤمنين أن يتزوجوا المشركات إلا أن يؤمنّ بالله ورسوله، فإن آمنّ جاز نكاحهن، وأعلمهم منفراً من نكاح المشركات مرغباً في نكاح المؤمنات فقال: ولأمة مؤمنة فضلا عن حرة خير من حرة مشركة، ولو أعجبتكم المشركة لحسنها وجمالها، كما نهاهم محرماً عليهم أن يزوجوا المؤمنات بالمشركين حتى يؤمنوا فإن آمنوا جاز لهم أن ينكحوهم بناتهم ونساءهم فقال تعالى: ﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ وقال منفراً مرغباً ولعبد مؤمن خير من حرٍ مشرك ولو أعجبهم المشرك لشرفه أو ماله أوسلطانه، وعلل لذلك بقوله. أولئك أي المشركـات والمشركـون يدعون إلى النار فمخالطتهم مضرة ومفسدة لا سيما بالتزوج منهم، والله عز وجل يدعو إلى الجنة بالإيمان والعمل الصالح، وإلى المغفرة بالتوبة الصادقة فاستجيبـوا له وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه. كما أنه تعالى يبّين آياته للناس ليعدهم للتذكر والاتعاظ فيقبلون على طاعته الموصلة إلى رضاه والجنة، ويبعدون عن معصيته المؤدية إلى سخطه والنار.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية :

١ ـ حرمة نكاح المشركات، أما الكتابيات فقد أباحهن الله تعالى بآية المائدة إذ قال: ﴿ والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب[١] من قبلكم ﴾.

٢ ـ حرمة نكاح المؤمنة الكافر مطلقاً[٢] مشركاً كان أو كتابياً.

٣ ـ شرط الولاية في نكاح المرأة لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين فهو هنا يخاطب أولياء النساء المؤمنات، ولذا لا يصح نكاح إلا بولي[٣].

٤ ـ التنفير من مخالطة المشركين والترغيب في البعد عنهم لأنهم يدعون إلى الكفر بحالهم ومقالهم وأعمالهم، وبذلك هم يدعون إلى النار.

---

(١) الخلاف في حرمة نكاح الكتابيات ضئيل ولا وزن له، وإن كان عدم التزوج بهن أفضل وأسلم وهذا في الذميات أما الحربيات فلا يجوز نكاحهن وعلى هذا مالك وقد سئل ابن عباس عن نكاح الحربية الكتابية فقال: لا تحل.

(٢) شاهده من القرآن قوله تعالى: ﴿لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلون لهن﴾ الممتحنة.

(٣) لحديث: «لا نكاح إلا بولي» وحديث أبي داود «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليّها فنكاحها باطل باطل باطل» وهو حديث صحيح. والولي عصبة المرأة الأقرب فالأقرب فإن لم يكونوا فالسلطان ولي مَنْ لا ولي لها. ومن أركان النكاح الإشهاد عليه بشاهدين فأكثر وعليه الجمهور.

٥ ـ وجوب موالاة أهل الإيمان ومعاداة أهل الكفر والضلال لأن الأولين يدعون إلى الجنة والآخرين يدعون إلى النار.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

شرح الكلمات:

المحيض[1] : مكان الحيض وزمنه والحيض دم يخرج من رحم المرأة إذا خلا من الجنين.

أذىً : ضرر يضر المجامع في أيامه.

فاعتزلوا النساء في المحيض : اتركوا جماعهن[2] أيام الحيض.

ولا تقربوهن حتى يطهرن : أي لا تجامعوهن حتى ينقطع دم[3] حيضهن.

فإذا تطهرن : أي إذا انقطع دم حيضهن واغتسلن منه.

---

(١) يطلق على الحيض أيضاً لأنه مصدر حاضت المرأة حيضاً ومحاضاً ومحيضاً فهي حائض وقد يقال حائضة وعليه قول الشاعر: كحائضة يزنى بها غير طاهر. والحيضة المرّة الواحدة والحِيضة بكسر الحاء الاسم والحِيضة أيضاً الخرقة تستثفر بها الحائض قالت عائشة ياليتني كنت حيضةً ملقاة واشتقاق الكلمة من السيلان ومنه الحوض لأنّ الماء يسيل إليه.

(٢) الجمهور على أنّ من وطيء امرأته في الحيض لا كفارة عليه، وإنما عليه التوبة والاستغفار، وضعّفوا حديث «الكفارة بنصف دينار أو دينار» لاضطرابه وبه قال أحمد وعمل به.

(٣) أجمع العلماء على أنّ للمرأة ثلاثة أحكام في رؤيتها الدم السائل من فرجها فإن كان أسود خاثراً تعلوه حمرة فذلك الحيض ويحرم عليها الصوم والصلاة ويحرم وطؤها، وتقضي الصوم ولا تقضي الصلاة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وأكثر الحيض خمسة عشر يوماً وأقله لا حدّ له على الصحيح وأقل الطهر أيضاً خمسة عشر يوماً ليكمل الشهر حيضاً وطهراً، وإن كان الدم زائداً على مدّة الحيض فهو الاستحاضة وتصلي معه وتصوم وتوطأ أيضاً. والحكم الثالث: دم النفاس وأكثره أربعون يوماً وأقله يوم وليلة وحكمه حكم الحيض.

فأتوهن من حيث أمركم الله [1] : أي جامعوهن في قبلهن، وهن طاهرات متطهرات.

نساؤكم حرث لكم : يريد مكان إنجاب الأولاد فشبه النساء بالحرث لأن الأرض إذا حرثت أنبتت الزرع، والمرأة إذا وطئت أنبتت الولد بإذن الله تعالى.

فأتوا حرثكم أنى شئتم : إذن بجماع لمرأة مقبلة أو مدبرة إذا كان ذلك في القبل الذي هو منبت الزرع، وهي طاهرة من الحيض والنفاس.

وقدموا لأنفسكم : يريد الأعمال الصالحة ومنها إرادة تحصين النفس والزوجة بالجماع وإرادة انجاب الأولاد الصالحين الذين يوحدون الله ويدعون لوالديهم طوال حياتهم.

معنى الآيتين :

يخبر تعالى رسوله بأن بعض المؤمنين سألوه[2] عن المحيض هل تساكن المرأة معه وتؤاكل وتشارب أو تهجر بالكلية حتى تطهر إذ كان هذا من عادة أهل الجاهلية، وأمره أن يقول لهم الحيض أذى يضر بالرجل المواقع فيه، وعليه فليعتزلوا النساء الحيض في الجماع فقط لا في المعاشرة والمآكلة والمشاربة، وإنما في الجماع فقط أيام سيلان الدم بل لابأس بمباشرة الحائض في غير مابين السرة والركبة للحديث الصحيح في هذا كما أكد هذا المنع بقوله لهم : ولا تقربوهن[3] أي لا تجامعوهن حتى يطهرن بإنقطاع دمهن والاغتسال بعده لقوله فإذا تطهرن أي اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله باتيانهن وهو القبل لا الدبر فإنه محرم وأعلمهم تعالى أنه يحب التوابين من الذنوب المتطهرين من النجاسات والأقذار فليتوبوا وليتطهروا ليفوزوا بحب مولاهم عز وجل هذا معنى الآية الأولى: (٢٢٢) أما الآية الثانية (٢٢٣) وهي قوله تعالى: ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ فهي تضمنت جواب سؤال وهو هل يجوز جماع المرأة مدبرة بأن يأتيها الرجل من ورائها إذ حصل هذا السؤال من بعضهم فعلاً فأخبر تعالى

---

(١) هل الزوجة الكتابية يجبرها زوجها أن تغتسل من الحيض والنفاس؟ أرى أن يأمرها مرغِّباً لها في ذلك وليس عليه إجبارها لأنّه لا إكراه في الدين. وهي غير متعبدة به.

(٢) روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ الآية.

(٣) إذا قيل لا تقرَب بفتح الراء معناه لا تتلبّس بالشيء، وإن قيل: لا تقرُب بضم الراء فمعناه: لا تدنُ ولذا جاز للزوج أن يقرب من زوجته الحائض أو النفساء ويباشرها في غير الفرج.

أنه لامانع من ذلك إذا كان في القبل وكانت المرأة طاهرة من دمي الحيض والنفاس، وسمّى المرأة حرثاً لأن رحمها ينبت فيه الولد كما ينبت الزرع في الأرض الطيبة ومادام الأمر كذلك فليأت الرجل امرأته كما شاء مقبلة أو مدبرة إذ المقصود حاصل وهو الإحصان وطلب الولد.

فقوله تعالى أنّى شئتم يريد على أي حال من إقبال أو إدبار شئتم شرط أن يكون ذلك في القبل لا الدبر[1]. ثم وعظ تعالى عباده بقوله: وقدّموا لأنفسكم من الخير ماينفعكم في آخرتكم واعلموا أنكم ملاقوا الله تعالى فلا تغفلوا عن ذكره وطاعته إذ هذا هو الزاد الذي ينفعكم يوم تقفون بين يدي ربكم. وأخيراً أمر رسوله أن يبشر المؤمنين بخير الدنيا والآخرة وسعادتهما من كان إيمانه صحيحاً مثمراً التقوى والعمل الصالح.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ ـ حرمة الجماع أثناء الحيض والنفاس لما فيه من الضرر، ولقوله تعالى: ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾.

٢ ـ حرمة وطء المرأة إذا انقطع دم حيضها أو نفاسها ولم تغتسل، لقوله تعالى: ﴿ فإذا تطهرن فأتوهن ﴾.

٣ ـ حرمة[2] نكاح المرأة في دبرها لقوله تعالى: ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ وهو القبل.

٤ ـ وجوب التطهير من الذنوب بالتوبة، والتطهير من الأقذار والنجاسات بالماء.

٥ ـ وجوب تقديم ما أمكن من العمل الصالح ليكون زاد المسلم إلى الدار الآخرة لقوله تعالى: ﴿ وقدموا لأنفسكم ﴾.

٦ ـ وجوب تقوى الله تعالى بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر.

٧ ـ بشرى الله تعالى على لسان رسوله ﷺ لكل مؤمن[3] ومؤمنة.

---

(١) وذلك لتحريم وطيء المرأة في دبرها للآية الكريمة وللأحاديث الصحاح وما أكثرها ومنها قوله ﷺ: «أيها الناس إنّ الله لايستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن» وقوله ﷺ: «من أتى امرأة في دبرها لم ينظر الله إليه يوم القيامة» وورد: تلك اللّوطية الصغرى.

(٢) تقدّمت الأحاديث المحرمة لنكاح المرأة في دبرها ذات رقم (١) في هذه الصفحة.

(٣) أي صادق الإيمان كما تقدم وعلامة صدقه أن يحركه للعمل الصالح ويحمله على ترك الشرك والمعاصى.

وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ[1] عُرْضَةً[2] لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن[3] تَبَرُّوا۟
وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾
لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟
ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

شرح الكلمات :

العرضة : مايوضع مانعاً من شيء، واليمين يحلفها المؤمن أن لا يفعل خيراً.

الأيمان : جمع يمين نحو والله لا أفعل كذا أو والله لأفعلنّ كذا.

البُرور : الطاعة وفعل البر.

اللغو : الباطل، وما لا خير فيه. ولغو اليمين أن يحلف العبد على الشيء يظنه كذا فيتبين خلافه، أو ما يجري على لسانه من أيمان من غير إرادة الحلف.

كسبت قلوبكم : ما تعمّد القلب وقصد اليمين لأجله لفعله حتماً أو منعه.

يؤلون : الإيلاء[4]: الحلف على عدم وطء الزوجة.

التربص : الانتظار والتمهل.

فاءوا : رجعوا إلى وطء نسائهم بعد الامتناع عنه باليمين.

الطـلاق : فك رابطة الزوجية وحلها بقوله هي طالق أو مطلقة أو طلقتك.

---

(١) قيل نزلت الآية في أبي بكر الصديق لما حلف أن لا ينفق على ابن خالته مسطح لأنه خاض في الإفك وقيل نزلت في عبدالله بن رواحة حين حلف أن لا يكلِّم ختنه بشير بن النعمان.

(٢) العرضة ما ينصب في الطريق مانعاً فيعترض طريق السائرين وأصبح يطلق على كل ما يوضع أمّام الناس يقال: فلان أصبح عرضة للناس أي يقعون فيه ويقال: المرأة عرضة للنكاح أي إذا بلغت فهي أمام أنظار الرجال.

(٣) ﴿أن تبرُّوا﴾ أصلها أن لا تبرّوا فحذفت لا كما حذفت في ﴿يبيّن الله لكم أن تضلّوا﴾ أي أن لا تضلّوا وحذفها للتخفيف ولظهور المعنى المراد.

(٤) يقال آلى يؤلي إيلاء، وائتلي يأتلي ائتلاء، وتألّى تألياً إذا حلف على كذا، والإيلاء جائز لتأديب الأزواج ولكن لايصل إلى أربعة أشهر فقد آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً تأديباً لهن.

معنى الآيات:

ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يجعلوا الحلف به مانعاً من فعل الخير وذلك كأن يحلف العبد أن لا يتصدق على فلان أو أن لايكلم فلاناً أو أن لا يصلح بين اثنين فقال تعالى ولاتجعلوا الله يريد الحلف به عرضة لأيمانكم(١) أي مانعاً لكم من فعل خير أو ترك إثم أو اصلاح بين الناس. وأخبرهم أنه سميع لأقوالهم عليم بنياتهم وأفعالهم فليتقوه عز وجل.

ثم أخبرهم أنه تعالى لايؤاخذهم باللغو(٢) في أيمانهم وهو أن يحلف الرجل على الشيء يظنه كذا فيظهر على خلاف ماظن، أو أن يجري على لسانه ما لا يقصده من الحلف كقوله لا، والله، بلى والله فهذا مما عفا الله عنه لعباده فلا إثم فيه ولا كفارة تجب فيه. لكن يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم من الإثم وذلـك كأن يحلف المـرء كاذباً ليأخذ حق أخيه المسلم بيمينه الكاذبة فهذه هي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار وهذه لاتنفع فيهـا الكفارة الموضوعة لمن حلف على أن لايفعل أو يفعل ثم حنث، وإنما على صاحب اليمين الغموس التوبة بتكذيب نفسه والاعتراف بذنبه ورد الحق الذي أخذه بيمينه الفاجرة إلى صاحبه وبذلك يغفر الله تعالى له ويرحمه، والله غفور رحيم.

وبمناسبة ذكر اليمين ذكر تعالى حكم من يولي من امرأته أي يحلف أن لايطأها فأخبر تعالى أن على المولي تربص أربعة أشهر فإن فاء إلى امرأته أي رجع إلى وطئها فبها ونعمت، وعليه أن يكفر عن يمينه، وإن لم يفيء إلى وطئها وأصرّ على ذلك فإن على القاضي أن يوقفه أمامه ويطالبه بالفيء فإن أبى طلقها عليه.

قال الله تعالى ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم ﴾ يغفر لهم ماارتكبوه من الذنب في حق نسائهم ويرحمهم لتوبتهم.

وإن عزموا الطلاق(٣) بأن أبوا أن يفيئوا طلقوا، والله سميع لأقوالهم عليم بما في قلوبهم. فليحذروه بعدم فعل ما يكره، وترك فعل مايحب.

---

(١) الأيمان جمع يمين وهي الحلف، وسمي الحلف يميناً أخذا من اليمين لأن عادة العرب إذا حلف أحدهم للآخر وضع يده اليمنى على يده اليمنى ويقال أعطاه يميناً إذا حلف له مؤكداً حلفه بوضع يده اليمني على يد صاحبه اليمنى.

(٢) اللّغو: مصدر لغا يلغوا لغواً. إذا قال كلاماً خطأً وباطلاً، ولذا المؤمنون إذا سمعوا اللّغو أعرضوا ولم يلتفتوا إليه ولم يأبهوا له. ﴿والذين هم عن اللّغو معرضون﴾.

(٣) عزم الطلاق: هو التصميم عليه فإن لم يفيئوا فقد وجب عليهم الطلاق وعليه فالمولى بين خيري النظرين وهما الفيء أو الطلاق.

هداية الآيـات :

١ ـ كراهية منع الخير بسبب اليمين وعليه فمن حلف أن لايفعل خيراً فليكفر عن يمينه وليفعل الخير لحديث الصحيح «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير».

٢ ـ لغو اليمين معفو عنها ولها صورتان الأولى أن يجري على لسانه لفظ اليمين وهو لايريد أن يحلف نحو لا والله، وبلى والله، والثانية أن يحلف على شيء يظنه كذا فيتبين خلافه، مثل أن يقول والله مافي جيبي درهم ولا دينار وهو ظان أو جازم أنه ليس في جيبه شيء من ذلك، ثم يجده فهذه صورة لغو اليمين.

٣ ـ اليمـين المؤاخـذ عليهـا العبد هي أن يحلف متعمداً الكذب قاصداً له من أجل الحصـول على منفعـة دنيوية وهي المقصـودة بقـوله تعالى: ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ وتسمى باليمين الغموس، واليمين الفاجرة.

٤ ـ اليمين التي تجب فيها الكفارة هي التي يحلف فيها العبد أن يفعل كذا ويعجز فلا يفعل أو يحلف أن لا يفعل كذا ثم يضطر ويفعل، ولم يقل أثناء حلفه إن شاء الله، والكفارة مبيّنة في آية المائدة وهي إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم أو تحرير رقبة فإن لم يجد صام ثلاثة أيام.

٥ ـ بيان حكم الإيلاء وهو أن يحلف الرجل أن لايطأ امرأته مدة فإن كانت أقل من[(١)] أربعة أشهـر فله أن لايحنث نفسه ويستمر ممتنعا عن الوطء، إلى أن تنتهي مدة الحلف إلا أن الأفضل أن يطأ ويكفر عن[(٢)] يمينه، وإن كانت أكثر من أربعة أشهر فإن عليه أن يفيء إلى زوجته أو تطلق عليه وإن كان ساخطا غير راض.

وَٱلۡمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ[(٣)]

---

(١) ما السرّ في الأربعة أشهر؟ يبدو أنها ثلث السنة والثلث كثير كما في حديث سعد في الوصية ويؤيد هذا ما أجراه عمر رضي الله عنه من سؤال النساء عن مدى صبر المرأة على زوجها فقلن شهران ويقل صبرها في ثلاثة أشهر وينفد في أربعة أشهر. فأمر قُواد الأجناد أن لا يمسكوا الرجل في الغزو أكثر من أربعة أشهر.

(٢) لقول الرسول ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير».

(٣) ﴿والمطلقات﴾ الجملة خبرية ومعناها الإنشاء وهو الأمر بالتربص ثلاثة قروء وهذا خاص بالحرائر أمّا الإماء فيتربصن قرأين لا غير ثبت هذا بالسنة الصحيحة وهو قوله ﷺ «طلاق الأمة تطليقتان وقرءها حيضتان».

بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ
أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

شــرح الكلمـات :

المطلقات : جمع مطلقة وهي المرأة تسوء عشرتها فيطلقها زوجها أو القاضي .

يتربصن : ينتظرن .

قـروء : القرء إما مدة الطهر، أو مدة الحيض .

ما خلق الله في أرحامهن : من الأجنّة فلا يحل للمطلقة أن تكتم ذلك .

وبعولتهن : أزواجهن واحد البعولة : بَعْلٌ كفحل ونخل .

بردهن في ذلك : أي في مدة التربص والانتظار .

ولهن مثل الذي عليهن : يريد على الزوجة حقوق لزوجها، ولها حقوق على زوجها .

وللرجال عليهن درجة : هي درجة القوامة (١) أن الرجل شرعا هو القيم على المرأة .

معنى الآية الكريمة :

بمناسبة طلاق المؤلى إن أصر على عدم الفيئة ذكر تعالى في هذه الآية والمطلقات (٢)﴾ الخ أن على المطلقة التي تحيض أن تنتظر فلا تتعرض للزواج (٣) مدة ثلاثة أقراء فإن انتهت المدة ولم يراجعها زوجها فلها أن تتزوج وهذا الانتظار يسمى عدة وهي واجبة مفروضة عليها لحق زوجهـا، إذ له الحق أن يراجعها (٤) فيها وهذا معنى قوله تعالى في الآية : ﴿وبعولتهن أحق

---

(١) لفظ الدرجة دال على علو المنزلة وهو كذلك، وهو ظاهر في أنه يحميها، ويصونها وينفق عليها وتجبْ طاعته عليها كما أن هناك فضلا في الخلق والخلق والكسب والعمل كالجهاد وشهود الجمعة والجماعات .

(٢) المطلقات : جنس يشمل كل مطلقة ويخرج من لا تحيض لصغر سن أو كبر بدليل الكتاب من سورة الطلاق .

(٣) القرء : لفظ مشترك بين الحيض والطهر، ولذا ذهب مالك إلى أن القرء الطهر فجعل العدّة ثلاثة أطهار ورجحه قوله تعالى : ﴿فطلقوهن لعدّتهن﴾ وهو أوّل الطهر، وذهب غيره إلى أنّ القرء الحيض، والكلّ جائز وواسع والحمد لله، إلاّ أن الاعتداد بالأطهار أرفق بالمطلّقة إذ تكون المدّة أقصر لأنها تطلق في طهر لم يجامعها فيه الزوج فيبقى عليها طهران فقط .

(٤) جعل الله تعالى مدّة العدّة رحمة بالزوجين إذ قد تحدث لها ندامة فيتراجعان بلا كلفة قال تعالى من سورة الطلاق : ﴿لاتدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ أي المراجعة، وللرجعية النفقة على الزوج لأنها محبوسة من أجله ولا يجوز له أن يستمتع بها لا بالنظر ولا غيره ولو وطئها بدون نيّة مراجعة أثم ولا حدّ عليه للشبهة .

بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً﴾.

كما أن على المطلقة أن لاتكتم الحيض بأن تقول: ماحضت إلا حيضة أو حيضتين وهي حاضت ثلاثا تريد بذلك الرجعة لزوجها، ولا تقول حضت ثلاثا وهي لم تحض من أجل أن لا ترجع إلى زوجها، ولا تكتم الحمل كذلك حتى إذا تزوجت من آخر تنسب إليه الولد وهو ليس بولده وهذا من كبائر الذنوب. ولذا قال تعالى ولا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن، يريد من حيض وحمل إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وقوله تعالى: ﴿ وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ﴾ يريد والزوج أحق بزوجته المطلقة مادامت في عدتها وعلى شرط أن لا يريد بإرجاعها المضارة بها بل لابد وأن يريد برجعتها الإصلاح وطيب العشرة بينهما وهذا ظاهر قوله تعالى: ﴿إن أرادوا إصلاحاً ﴾، وعلى المطلقة أن تنوي برجوعها إلى زوجها الإصلاح أيضا.

ثم أخبر تعالى أن للزوجة من الحقوق على زوجها، مثل ما للزوج عليها من حقوق فقال تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ وأخبر أن للرجل على المرأة درجة لم ترقها المرأة ولم تكن لها وهي القيوميّة المفهومة من قوله تعالى من سورة النساء: ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ وختمت الآية بجملة ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ إشعاراً بوجوب تنفيذ هذه التعاليم لعزة الله تعالى وحكمته فإن الغالب يجب أن يطاع والحكيم يجب أن يسلم له في شرعه لأنه صالح نافع غير ضار.

هداية الآية

من هداية الآية:

١ ـ بيان عدة المطلقة إذا كانت تحيض وهو التربص ثلاثة حيض أو أطهار.

٢ ـ حرمة كتمان المطلقة حيضا أو حملا خلقه الله تعالى في رحمها، ولأي غرض كان.

٣ ـ أحقية الزوج بالرجعة من مطلقته إذا لم تنقض عدتها[(١)]، حتى قيل الرجيعة زوجة بدليل أنها لو ماتت يرثها زوجها ولو مات ترثه. وأنه لا يحل أن تخطب أو تتزوج مادامت في عدتها.

٤ ـ اثبات حقوق كل من الزوجين[(٢)] على صاحبه.

---

(١) معنى أحق في قوله: ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ أن المطلقة لها حق أن لا ترجع والزوج له حق أن يراجعها متى شاء فكان هناك حقان أقواهما حق الزوج. أو يقال اسم التفضيل هنا ليس على بابه، والأول أظهر لقول الرسول ﷺ: ﴿الأيم أحق بنفسها من وليّها﴾.

(٢) من الحقوق المتبادلة بين الزوجين أن يتزيّن كل منهما لصاحبه بما يكون زينة عرفية لهما مما هو مباح.

٥ ـ تقرير سيادة الرجل على المرأة لما وهبه الله من ميزات الرجولة المفقودة في المرأة.[1]

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ[2] فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

شــرح الكلمـات:

الطلاق[3] : الاسم من طلّق وهو أن يقول الرجل لزوجته أنت طالق أو طلقتك.

مرتان[4] : يطلقها، ثم يردها، ثم يطلقها ثم يردها. أي يملك الزوج الإرجاع في طلقتين أما إن طلق الثالثة فلا يملك ذلك ولاترجع حتى تنكح زوجا غيره.

فإن خفتم ألا يقيما حدود الله : حسن العشرة فإن خافت المرأة أو خاف الزوج أن لا يؤدي حقوق الزوجية جاز الفداء وهو دفع مال للزوج ليخلي سبيل المرأة تذهب حيث شاءت، ويسمى هذا خلعاً.

حدود الله : ما يجب أن ينتهي إليه العبد من طاعة الله ولا يتجاوزه.

---

(١) تقدم ذكر بعضها في الصفحة قبل ذي تحت رقم (٤).

(٢) كان الطلاق في الجاهلية وبرهة من الزمن في الإسلام ليس له حد فقد يطلق الرجل امرأته عشرات المرات حتى إن رجلا قال لامرأته لا آويك ولا أدعك تحلين قالت وكيف؟ قال: أطلقك فإذا دنا مضي عدتك راجعتك، فشكت ذلك إلى عائشة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿الطلاق مرتان..﴾ الخ.

(٣) الطلاق شرعاً: هو حل العصمة المنعقدة بين الزوجين بألفاظ مخصوصة منها أنت طالق، والطلاق مباح لرفع الضرر عن أحد الزوجين أو عن كليهما.

(٤) روى الدارقطني عن أنس أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾ فلِمَ صار ثلاثاً؟ قال: ﴿إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ هي الثالثة.

الظالم : المتجاوز لما حدَّ الله تعالى، والظلم وضع الشىء في غير موضعه.

معنى الآية الكريمة

مازال السياق في بيان أحكام الطلاق فيقرر تعالى في هذه الآية أن الطلاق الذي يملك الزوج الرجعة فيه هو طلقتان أولى، وثانية فقط، ومن هنا فمن طلق الثانية فهو بين خيارين إما أن يمسك زوجته بمعروف، أو يطلقها بإحسان فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره هذا معنى قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف﴾ أي بحسن العشرة وهو أداء ما للزوج من حقوق، أو تسريح أي تطليق بإحسان بأن يعطيها باقي صداقها إن كان، ويمتعها بشىء من المال ولا يذكرها بسوء.

وقوله تعالى ﴿ولا يحل لكم[1] أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا﴾: حرم تعالى على الزوج أن يأخذ من مهر زوجته شيئا بدون رضاها، إلا في حال واحدة وهي إذا كرهت المرأة الزوج ولم تطق البقاء معه وهو غير ظالم لها في هذه الحال يجوز أن تعطي الزوج مالاً ويطلقها ويسمى هذا خلعاً[2] وهو حلال على الزوج غير الظالم، وهذا معنى ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله﴾ وهي هنا المعاشرة الحسنة فلا جناح أى لا إثم فيما فدت[3] به نفسها فلها أن تعطي المال للزوج وله أن يأخذه منها مقابل تركها وحل عصمة الزوجية بينهما.

وقوله تعالى: ﴿تلك حدود الله﴾[4] يريد أحكام شرعه فلا يحل تجاوز الحلال إلى الحرام، ولا تجاوز الإحسان إلى الإساءة، ولا المعروف إلى المنكر ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه عرضها للعذاب، وماينبغي له ذلك.

---

(١) الخطاب هنا للأزواج وفي قوله ﴿فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله﴾ للحكام وولاة الأمور.

(٢) لا خلاف في أنّ المخالع منها بائنة لا يملك الزوج رجعتها في العدّة وهل يعتبر الخلع طلاقا أو فسخاً. الراجح أنّه طلاق فتعتد المخالع منها عدة الطلاق ثلاثة قروء.

(٣) أما ما كان من الفدية مثل المهر أو أقل فلا خلاف فيه أي في جوازه، وأما ما كان أكثر من المهر ففيه خلاف والراجح على أنه جائز ولكنه منافٍ لمكارم الأخلاق.

(٤) القصر في جملة ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ قصر حقيقي إذ كل ظالم متعد لحدود الله.

هداية الآية

من هداية الآية :

١ ـ حرمة الطلاق الثلاث[1] بلفظ واحد ، لأن الله تعالى قال الطلاق مرتان.

٢ ـ المطلقة ثلاث طلقات لا تحل لزوجها حتى تنكح زوجا غيره[2] ويطلقها أو يموت عنها.

٣ ـ مشروعية الخلع وهو أن تكره المرأة البقاء مع زوجها فتخلع نفسها منه بمال تعطيه إياه عوضا عما أنفق عليها في الزواج بها.

٤ ـ وجوب الوقوف عند حدود الله وحرمة تعديها.

٥ ـ تحريم الظلم وهو ثلاثة أنواع : ظلم الشرك وهذا لا يغفر للعبد إلا بالتوبة منه وظلم العبد لأخيه الإنسان وهذا لابد من التحلل منه ،وظلم العبد لنفسه بتعدّي حد من حدود الله وهذا أمره إلى الله إن شاء غفره وإن شاء واخذ به

فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

شـــرح الكلمـات

فإن طلقها فلا تحل له : الطَّلقة الثالثة فلا تحل له إلا بعد ان تنكح زوجا غيره

فلا جناح عليهما : أي لا إثم ولا حرج عليهما في الزواج من جديد

أن يتراجعا : ان يرجع كل منهما لصاحبه بعقد جديد وبشرط أن يظنا إقامة حدود الله فيهما، وإلا فلا يجوز نكاحهما.

معنى الآية الكريمة :

يقول تعالى مبيناً حكم من طلق امرأته الطلقة الثالثة : فإن طلقها فلا تحلُّ له حتى تنكح زوجاً غيره، ويكون النكاح صحيحا ويبني بها الزوج الثاني لحديث «حتى تذوقي عسيلته

---

(١) وهو الطلاق البدعي والجمهور على أنه يقع ثلاثا وخلاف الجمهور يقولون طلاق بدعي ويقع واحدة ودليلهم الاية : ﴿الطلاق مرتان﴾ ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ والطلاق بلفظ الثلاث ليس فيه مرتان ولا اقراء فلذا هو بدعي ولا تبين المطلقة به بل هي مطلقة واحدة لا غير.

(٢) لايحل لامرئ أن يتزوج مطلقة ثلاثاً ليحلها لزوجها للعن الرسول ﷺ من يفعل ذلك في قوله «لعن الله المحلل والمحلل له» وسماه بالتيس المستعار.

ويذوق عسيلتك»، فإن طلقها الثاني بعد البناء والخلوة والوطء أو مات عنها جاز لها أن تعود إلى الأول إن رغب هو في ذلك وعلما من أنفسهما أنهما يقيمان حدود الله فيهما بإعطاء كل واحد حقوق صاحبه[(١)] مع حسن العشرة وإلا فلا مراجعة تحل لهما. ولذا قال تعالى إن ظنا أن يقيما حدود الله ثم نوّه الله تعالى بشأن تلك الحدود فقال: ﴿ وتلك حدود الله ﴾ وهي شرائعه، يبينها سبحانه وتعالى لقوم يعلمون[(٢)]، إذ العالمون بها هم الذين يقفون عندها ولا يتعدونها فيسلمون من وصمة الظلم وعقوبة الظالمين.

هداية الآيــة

من هداية الآية

١ ـ المطلقة ثلاثا لا تحل لمطلقها[(٣)] إلا بشرطين الأول أن تنكح زوجا غيره نكاحاً صحيحاً ويبني بها ويطأها والثاني أن يغلب على ظن كل منهما أن العشرة بينهما تطيب وأن لا يتكرر ذلك الاعتداء الذي أدى إلى الطلاق ثلاث مرات.

٢ ـ موت الزوج الثاني كطلاقه تصح معه الرجعة إلى الزوج الأول بشرطه.

٣ ـ إن تزوجت المطلقة ثلاثا بنيّة التمرد على الزوج حتى يطلقها لتعود إلى الأول فلا يحلّها هذا النكاح لأجل التحليل، لأن الرسول ﷺ أبطله وقال: «لعن الله المحلل والمحلل له» ويسمّى بالتيس المستعار، ذاك الذي يتزوج المطلقة ثلاثا بقصد أن يحلها للأول.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

---

(١) ذهب بعض الفقهاء إلى أنه ليس على الزوجة عمل لزوجها ولا حق له عليها إلاّ في الاستمتاع بها وهو قول واه يرده ما كان عليه بنات رسول الله ﷺ وأزواجه وأزواج أصحابه، إذ كن يطحنّ ويغسلن ويطبخن ويقمن بعمل المنزل ويؤمرن بذلك بل ويضربن إن قصّرن فيه.

(٢) أي الذين يفهمون الأحكام فهما يهيئهم للعمل بها وبإدراك مصالحها فلا يتحيلون في فهمها ليتركوا العمل بها.

(٣) اختلف فيمن طلقت طلقة أو طلقتين ثم تزوجت ومات زوجها وطلقها ورجعت إلى زوجها الأوّل فهل النكاح الجديد يهدم السابق أو تبقى على ما كانت عليه؟ الجمهور على أنها تبقى على ما كانت عليه من طلقة أو طلقتين.

شـــرح الكلمـات:

أجلهن : أجل المطلقة مقاربة[1] انتهاء ايام عدتها

أو سرحوهن : تسريح المطلقة تركها بلا مراجعة لها حتى تنقضي عدتها وتبين من زوجها.

ضراراً : مضارة لها وإضراراً بها.

لتعتدوا : لتتجاوزوا حد الإحسان إلى الإساءة.

هزواً[2] : لعباً بها بعدم التزامكم بتطبيق أحكامها.

نعمة الله : هنا هي الإسلام.

الحكمة[3] : السنة النبوية.

يعظكم به : بالذي أنزله من أحكام الحلال والحرام؛ لتشكروه تعالى بطاعته.

معنى الآية الكريمة

مازال السياق في بيان أحكام الطلاق والخلع والرجعة ففي هذه الآية يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا طلق أحدهم امرأته وقاربت نهاية عدتها أن يراجعها فيمسكها[4] بمعروف، والمعروف هو حسن عشرتها أو يتركها حتى تنقضي عدتها ويسرحها بمعروف فيعطيها كامل حقوقها ولا يذكرها إلا بخير ويتركها تذهب حيث شاءت. وحرم على أحدهم أن يراجع امرأته من أجل أن يضرّ بها فلا هو يحسن إليها ولا يطلقها فتستريح منه، فقال تعالى: ﴿ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا﴾ يريد عليهن حتى تضطر المرأة المظلومة إلى المخالعة فتفدي نفسها منه بمال وأخبر تعالى: أن من يفعل هذا الإضرار فقد عرض نفسه للعذاب الأخروي.

كما نهى تعالى المؤمنين عن التلاعب بالأحكام الشرعية، وذلك بإهمالها وعدم تنفيذها فقال تعالى: ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً[5]﴾، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم حيث منَّ

---

(١) بالإجماع أن المراد من بلوغ الأجل هنا مقاربة بلوغه لأنّه إذا بلغ الأجل لا خيار له في الإمساك.

(٢) لا خلاف بين أهل العلم أنّ من طلق هازلا أنّ الطلاق يلزمه لحديث أبي داود أنّ النبي ﷺ قال: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة».

(٣) الحكمة هي السنة المبيّنة على لسان رسول الله ﷺ مراد الله فيما لا نصّ عليه من الكتاب.

(٤) قال أهل العلم: إنّ من الإمساك بالمعروف أنّ الزوج إذا لم يجد ما ينفق على زوجته يطلقها فإن لم يطلقها خرج عن حدّ المعروف.

(٥) روي عن أبي الدرداء أنه قال: كان الرجل في الجاهلية يطلّق ويقول إنّما طلّقت وأنا لاعب وينكح ويعتق ويقول كنت لاعبا فنزلت هذه الآية: ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزوا﴾.

عليهم بالإسلام دين الرحمة والعدالة والإحسان وذلك ليشكروه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

كما عليهم أن يذكروا نعمة الله عليهم زيادة على الإسلام وهي نعمة انزال الكتاب. والحكمـة ليعـظهم بذلـك فيأمـرهم بما فيه سعـادتهم وكمالهم، وينهاهم عما فيه شقاؤهم وخسرانهم: ثم أمرهم بتقواه عز وجل، فقال ﴿واتقوا الله﴾ وأعلمهم أنه أحق أن يُتقى لأنه بكل شيء عليم لا يخفى عليه من أمرهم شيء فيلحذروا أن يراهم على معصيته مجانبين لطاعته.

هداية الآية

من هداية الآية:

١ ـ لا يحل للمطلق أن يراجع امرأته من أجل أن يضرّ بها ويظلمها حتى تخالعه بمال.

٢ ـ حرمة التلاعب بالأحكام الشرعية بعدم مراعاتها، وتنفيذها.

٣ ـ وجوب ذكر نعمة الله على العبد وذلك بذكرها باللسان، والاعتراف[1] بها في الجنان.

٤ ـ وجوب تقوى الله تعالى في السر والعلن.

٥ ـ مراقبة الله تعالى في سائر شؤون الحياة لأنه بكل شيء عليم.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ[2] يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

شـــرح الكلمـات:

بلغن أجلـهن : أى انتهت[3] عدتهن.

(١) وصرفها فيما يرضي المنعم عزّ وجلّ وذلك باستعمال القوى الفعلية والبدنية في طاعة الله تعالى، وانفاق المال فيما يجب أن ينفق فيه.

(٢) ﴿ذلك يوعظ به﴾ الإشارة فيه إلى حكم العضل المحرّم والمخاطب به سائر المسلمين ولم يقل ذلكم إذ الأصل هو الإشارة إلى المذكور وهو مفرد ولو قال ذلكم جاز.

(٣) بلوغ الأجل في هذه الآية هو نهايته وليس كالآية السابقة إذ بلوغ الأجل فيها المراد قرب نهايته إذ لو بلغ الأجل نهايته ما صحّت مراجعتها.

فلا تعضلوهن : أي لا تمنعوهن من التزوج مرة أخرى بالعودة إلى الرجل الذي طلقها ولم يراجعها حتى انقضت عدتها.

إذا تراضوا بينهم بالمعروف : إذا رضى الزوج المطلق أن يردها إليه ورضيت هي بذلك.

ذلك يوعظ به : أي النهي عن العضل يُكلف به أهل الإيمان إذ هم القادرون على الطاعة.

ذلكم أزكى لكم : أى ترك العضل خير لكم من العضل وأطهر لقلوبكم؛ إذ العضل قد يسبب ارتكاب الفاحشة.

معنى الآية الكريمة:

ينهى الله تعالى أولياء أمور النساء أن يمنعوا المطلقة طلقة أو طلقتين فقط من أن تعود إلى زوجها الذي طلقها وبانت منه بانقضاء عدتها، إذا رضيت هي بالزواج منه مرة أخرى ورضي هو به وعزما على المعاشرة الحسنة بالمعروف وكانت هذه الآية استجابة لأخت معقل بن يسار رضي الله عنه حيث أرادت أن ترجع إلى زوجها[1] الذي طلقها وبانت منه بانقضاء العدة فمنعها أخوها معقل.

وقوله تعالى: ﴿ذلكم يوعظ به﴾ أي هذا النهي عن العضل يوجه إلى أهل الإيمان بالله واليوم الآخر فهم الأحياء الذين يستجيبون لله ورسوله إذا أمروا أو نهوا.

وأخيراً أخبرهم تعالى أن عدم منع المطلقة من العودة إلى زوجها خير لهم، حالا ومآلا وأطهر لقلوبهم ومجتمعهم. وأعلمهم أنه يعلم عواقب الأمور وهم لا يعلمون فيجب التسليم بقبول شرعه، والانصياع لأمره ونهيه. فقال تعالى: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾

هداية الآية

من هداية الآية:

١ - حرمة العضل أي منع المطلقة أن ترجع إلى من طلقها.

٢ - وجوب[2] الولاية على المرأة، لأن الخطاب في الآية كان للأولياء «ولا تعضلوهن».

---

(١) اسم هذا الزوج (أبو البداح) وكان قد طلق أخت معقل بن يسار ورغب في العودة إليها بنكاح جديد بعد انقضاء عدتها فأبى معقل وقال لها: وجهي من وجهك حرام إن تزوّجتيه فنزلت هذه الآية ﴿وإذا طلقتم...﴾ الخ.

(٢) دليله أن أخت معقل كانت ثيبة ومنعها أخوها من الزواج بمن طلّقها وراجعها ثم طلقها مرّة ثانية وانقضت عدتها ولمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لمعقل: «إن كنت مؤمنا فلا تمنع أختك من أبي البداح» فقال آمنت بالله وردّها إلى أبي البداح فهذا دليل على شرطية الولي في النكاح البكر والثيب سواء.

٣ ـ المواعظ تنفع أهل الإيمان لحياة قلوبهم.

٤ ـ في امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه الخير كله، والطهر جميعه.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ(١) بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

شرح الكلمات:

حولين : عامين.

وعلى المولود له : أي على الأب

بالمعروف : بحسب حاله يساراً و إعساراً.

وسعها : طاقتها وما تقدر عليه.

لا تضار والدة بولدها(٢) : أي لا يحل أن تؤذى أم الولد بمنعها من إرضاع ولدها، أو بمنعها الأجرة على إرضاعه هذا في حال طلاقها، أو موت زوجها.

---

(١) قوله تعالى ﴿كسوتهن﴾ إمّا أن يكون المراد به المرضع غير المطلقة فهي التي يجب لها الكسوة أمّا المرضع بأجرة فلا كسوة لها وإنما لها ثمن الإرضاع، أو يكون ذكر الكسوة من باب مكارم الأخلاق إذ ذو الخلق الكريم يكرم مرضعة ولده بالكسوة وغيرها.

(٢) في الآية دليل على أن الأم أحق بالحضانة إذا طلقت أو مات الوالد ولا خلاف في ذلك ما لم تتزوج فإنّ حضانتها تسقط بذلك لقول الرسول ﷺ لمن شكت إليه: «أنت أحقّ به ما لم تنكحي» واختلف في مدّة الحضانة، فمالك يرى أنها إلى بلوغ الغلام وتزوّج الجارية، ورأى الشافعي أنها إلى ثمان سنوات ثم يخيّر الولد بين أبيه وأمه فأيهما اختار له ذلك والبنت كذلك فقد صحّ أنّ النبي ﷺ خيّر الولد بين أبيه وأمه.

ولا مولود له : أي ولا يضار الوالد[1] كذلك بأن يجبر على ارضاع الولد من أمه المطلقة أو يطالب بأجرة لايطيقها.

وعلى الوارث : الوارث هو الرضيع[2] نفسه إن كان له مال وإلا فعلى من يكفله من عصبته.

فصـــالا : فطاماً للولد قبل نهاية العامين.

معنى الآية الكريمة :

بمناسبة بيان أحكام الطلاق وقد تطلق المرأة أحيانا وهي حامل ذكر تعالى أحكام الرضاع وقال تعالى: ﴿ والوالدات[3] يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ أي على الأم المطلقة أن ترضع ولدها حولين كاملين إن أرادت هي وأب الرضيع إتمام الرضاعة، وأن على المولود له وهو الأب ان كان موجوداً نفقة المرضعة طعاما وشرابا وكسوة بالمعروف بحسب حال الوالد من الغنى والفقر، إذ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها من قدرة.

ثم نبّه تعالى على أنه لا يجوز أن تؤذى الوالدة بسبب ولدها بأن تمنع من إرضاع ولدها أو تكره على ارضاعه وهي لا تريد ذلك، أو تحرم النفقة مقابل الإرضاع أو يضيق عليها فيها كما لايجوز أن يضار أي يؤذى المولود له وهو الأب: بأن يجبر على إرضاع ولده من أمه وقد طلقها ولا أن يطالب بنفقة باهظة لا يقدر عليها. وعلى الوارث وهو الرضيع نفسه إن كان له مال. فإن لم يكن له مال فعلى عصبته الذكور الأقرب فالأقرب أى عليهم أجرة الإرضاع فإن لم يكن للولد مال وليس له عصبة وجب على الأم أن ترضعه مجاناً لأنها أقرب الناس إليه ثم ذكر تعالى رخصتين في الارضاع الأولى إن أراد الأبوان فطام الولد قبل عامين فإن لهما ذلك بعد التشاور في ذلك وتقدير مصلحة الولد من هذا الفطام المبكر. فقال تعالى: ﴿ وإن

---

(١) وفي الحديث الصحيح: «لا ضرر ولا ضرار» ومن هنا رؤي في الحضانة جانب الولد فينظر فيمن يقدر على حفظه وتربيته، ولما كانت الأم أرحم به وأحنى عليه أعطيته ما لم تتزوج وتشغل عنه فإن تزوجت فأمها وهي جدته وأما أم أبيه فخالته أحق به منها، والعبرة بمن يكون أرحم وأحفظ بالولد.

(٢) الجمهور على أن المراد بالوارث، ورثة الرضيع إذا هلك من نساء ورجال ذكره القرطبي في تفسيره وقال غيره إن الوارث هو الرضيع إذا مات والده وترك مالاً. أجرة المرضع من ماله فإن كان لامال له فمن مال ورثته هو ولا تضار هي في واجب نفقتها ولا الوالد أو وارثه في أدائها وما فسرنا به الآية واضح ومستقيم والحمد لله رب العالمين.

(٣) ﴿والوالدات﴾ مبتدأ وجملة يرضعن الخبر، فالجملة خبرية ومعناها الإنشاء إذ ما تضمنته الجملة هو إرشاد من الله تعالى للمؤمنين في طريقة إرضاع أولادهم.

ارادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾ أي لا تضييق ولا حرج. والثانية إن أراد المولود له أن يسترضع لولده من مرضعا غير أمه فله ذلك إن طابت به نفس الأم قال تعالى: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم﴾بشرط أن يسلم الأجرة[(١)] المتفق عليها بالمعروف بلا إجحاف ولا مماطلة، وأخيراً وعظ الله كلاً من المُرْضِع والمُرْضَع له بتقواه في هذه الحدود التي وضعها لهما، وأعلمهم أنه بما يعملون بصير فليحذروا مخالفة أمره، وارتكاب نهيه. فسبحانه من إلهٍ عظيمٍ برٍ رحيم.

هداية الآية

من هداية الآية:

١ ـ وجوب إرضاع الأم ولدها الرضعة الأولى «اللِّبا» إن كانت مطلقة وسائر الرضاع إن كانت غير مطلقة.

٢ ـ بيان الحد الأعلى للرضاع وهو عامان تامان[(٢)]. ولذا فالزيادة عليهما غير معتبرة شرعاً.

٣ ـ جواز أخذ الأجرة على الإرضاع.

٤ ـ وجوب نفقة الأقارب على بعضهم في حال الفقر.

٥ ـ جواز ارضاع الوالد ولده من مرضع[(٣)] غير والدته.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ

---

(١) المراد من الأجرة هي تلك التي وجبت للمطلقة بإرضاعها ولدها قبل أخذ الوالد له ليرضعه عند غيرها إن لم يكن قد سلمها لها أيام إرضاعها للولد.

(٢) لحديث: «لا رضاع بعد فصال ولا يتم بعد احتلام» رواه أبو داود الطيالسي عن جابر ذكره ابن كثير. وحديث ابن عباس عند البخاري: «لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين» ولذا فما كان من رضاع بعد الحولين فلا يحرم بدلالة هذا الحديث الصحيح.

(٣) إن كان في ذلك مصلحة للرضيع أو لعجز الوالدة عنه.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

شـــرح الكلمـات :

يتوفون : يوفيهم الله تعالى ما كتب لهم من العمر فيموتون.

ويذرون أزواجا : يتركون زوجات لهم.

يتربصن بأنفسهن : ينتظرن حتى انقضاء عدتهن وهي أربعة أشهر وعشر ليال.

بلغن أجلهن : بلغن انتهاء العدة.

لا جناح عليكم : لا حرج عليكم أيها الأولياء فيما فعلن في أنفسهن من مس الطيب والتجمل والتعرض للخطاب.

لا جناح عليكم : لا اثم عليكم في التعريض دون التصريح بالخطبة، كما لا إثم في اضمار الرغبة في النفس.

حتى يبلغ الكتاب أجله : أي حتى تنتهى العدة.

معنى الآيتين :

مازال السياق في بيان أحكام الطلاق والعدد والنفقات ففي هذه الآية (٢٣٤) أن على من مات[١] عليها زوجها أن تنتظر أربعة أشهر وعشر ليال إن كانت حرة أو نصف المدة إن كانت أمة فلا تتجمل ولا تمس طيباً ولا تتعرض للخطاب بحال حتى تنقضي عدتها المذكورة في الآية إلا أن تكون حاملا فإن عدتها تنقضي[٢] بوضع حملها لقوله تعالى من سورة الطلاق: ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ فإذا بلغت أ جلها أي انتهت المدة التي هي

---

(١) من مات زوجها أو طلقها في غيبته عنها هل تعتد من يوم الطلاق أو الوفاة أو من يوم يأتيها الخبر بذلك؟ الجمهور وهو الراجح أنها تعتد من يوم الوفاة أو الطلاق وعليه فلو مات زوجها أو طلقها ولم يلقها حتى انتهت مدة العدة فلا عدّة عليها بعد.

(٢) يرى بعض السلف أن تعتد المتوفى عنها زوجها بأقصى الأجلين أي بأطولهما فإن كانت مدّة الحمل أكثر من أربعة أشهر وعشرا اعتدت به وإلّا اعتدت بوضع الحمل وما عليه الجمهور أولى وهو وضع الحمل.

محدة فيها فلا جناح على ذوي زوجها المتوفى ولا على ذويها هي فيما تفعل بنفسها من ترك الإحداد[1] والتعرض للخطاب للتزوج هذا معنى قوله تعالى: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ﴾ أي بما هو مباح لهن ووعظهم في ختام الآية بقوله ﴿ والله بما تعملون خبير﴾ فاحذروه فلا تعملون إلا ما أذن فيه لكم.

أما الآية الثانية (٢٣٥) فقد تضمنت تحريم خطبة المرأة المعتدة من طلاق أو وفاة فلا يحل خطبتها لما في ذلك من الضرر؟ إذ قد تحمل هذه الخطبة من رجل مرغوب فيه لماله أو دينه أو نسبه أن تدعى المرأة انقضاء عدتها وهي لم تنقض، وقد تفوت على زوجها المطلق لها فرصة المراجعة وهذا كله ضرر محرم. كما تضمنت الآية في صدرها رفع الحرج أى الإثم في التعريض بالخطبة دون اللفظ الصريح المحرم فقال تعالى: ﴿ ولا جناح عليكم ﴾ أيها المسلمون فيما عرضتم من خطبة النساء المعتدات نحو قوله: إني راغب في الزواج، أو إذا انقضت عدتك تشاورنيني إن أردت الزواج. كما تضمنت الكشف عن نفسية الرجل إذ قال تعالى: ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ مبدين رغبتكم في الزواج منهن فرخص لكم في التعريض دون التصريح، ولكن لا تواعدوهن سراً هذ اللفظ هو الدال على تحريم خطبة المعتدة من وفاة أو من طلاق بائن، أما الطلاق الرجعي فلا يصح الخطبة فيه تعريضاً ولا تصريحاً لأنها في حكم الزوجة، وقوله إلا أن تقولوا قولا معروفا هو الإذن بالتعريض.

كما تضمنت هذه الآية حرمة عقد النكاح على المعتدة حتى تنتهي عدتها إذ قال تعالى: ﴿ولا تعزموا عقدة[2] النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾، والمراد من الكتاب المدة التي كتب الله على المعتدة أن تتربص فيها. وختمت الآية بوعظ الله تعالى المؤمنين حيث أمرهم أن يعلموا أن الله يعلم ما في أنفسهم ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم وتصرفاتهم فليحذروه غاية الحذر فلا يخالفوه في أمره ولا في نهيه. كما أعلمهم أنه تعالى غفور لمن تاب منهم بعد الذنب حليم عليهم لا يعاجلهم بالعقوبة ليتمكنوا من التوبة.

---

(١) الإحداد واجب على المتوفى عنها زوجها فقط لحديث الصحيح: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميّت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا» والإحداد هو ترك أنواع الزينة حتى الكحل والخضاب وعليها لزوم البيت ليلا وعدم التعرض للخطّاب.

(٢) أي لا تعقدوا على المعتدة حتى تنقضي عدتها يقال عزم كذا وعزم على كذا بمعنى واحد.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ بيان عدة الوفاة وهي أربعة أشهر وعشر ليال،[1] وبينت السنّة أن عدة الأمة على النصف.

٢ ـ وجوب الإحداد على المتوفى عنها زوجها وهو عدم التزيّن ومس الطيب وعدم التعرض للخطاب وملازمة المنزل الذي توفى عنها زوجها وهي فيه فلا تخرج منه إلا لضرورة قصوى.

٣ ـ حرمة خطبة المعتدة، وجواز التعريض لها بلفظ غير صريح.

٤ ـ حرمة عقد النكاح على معتدة قبل انقضاء عدتها وهذا من باب أولى مادام الخطبة محرمة ومن عقد على امرأة قبل انقضاء عدتها يفرق بينهما ولا تحل له بعد عقوبة لهما.[2]

٥ ـ وجوب مراقبة الله تعالى في السر والعلن واتقاء الأسباب المفضية بالعبد إلى فعل محرم.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ[3] إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ[4] مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَٰعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ[5] مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا

---

(١) قيل الحكمة في العشر ليال بعد الأربعة أشهر أنها التي ينفخ فيها الروح في الجنين لحديث: «إنّ أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة» الحديث. فثلاثة أربعينات بأربعة أشهر وفي العشر بعد ينفخ فيه الروح. والحديث هو حديث ابن مسعود في مسلم.

(٢) هذا مذهب مالك، أما الجمهور فإنه يفارقها فإذا انتهت عدتها له أن يخطبها ويتزوجها، ولا فرق في هذا بين عدّة الوفاة أو الطلاق غير الرجعي.

(٣) هذا استئناف بياني كأنّ سائلا سأل عن جواز الطلاق قبل البناء وعدمه فأجاب تعالى بقوله ﴿لا جناح عليكم﴾ الآية مبيّنا الجواز وحكم المهر للمطلقة قبل البناء.

(٤) المطلقات أربع: مطلقة قبل البناء ولم يسم لها مهر فلها المتعة ولا عدّة عليها، ومطلقة قبل البناء وسمي لها مهر فلها نصفه إلّا أن يعفو، ومطلقة بعد البناء لها ما سمي من المهر، وعليها العدّة، ومطلقة بعد البناء ولم يسم لها مهر فلها مهر مثيلاتها.

(٥) أو هنا بمعنى الواو أي ولم تفرضوا.

(٦) النصف: فيه لغات، كسر النون، وضمّها، ونصيف بفتح النون وإشباع الصاد والنصيف أيضاً قناع المرأة.

ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ
وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾
حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ
فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾

شرح الكلمـات :

الجنـــاح : الإثم المترتب على المعصيّة.

ما لم تمســوهن : ما لم تجامعوهنّ

أو تفرضوا : تُقدّروا لهن[1] مهرا

الموسـع قدره : ذو الوسع في المال، وقَدَرُه : ما يقدر عليه ويستطيعه.

المقـــتر : الضيّق العيش.

الذي بيده عقدة النكاح : هو الـزوج

ولا تنسوا الفضل بينكم : أي المودة والإحســان

حافظوا على الصلوات : بأدائها في أوقاتها في جماعة مع استيفاء شروطها واركانها وسننها.

الصـلاة الوسطى : صلاة العصر، أو الصبـح فتجب المحافظة على كل الصلوات وخـاصـة العصر والصبح لقـول الرسول ﷺ «من صلى البردين ـ العصر والصبح ـ دخل الجنة».

قانتــين : خاشعين ساكنين.[2]

فرجـــالا : مشاة على أرجلكم أو ركبانا على الدواب وغيرها مما يركب.

---

(١) اختلف فيمن مات زوجها قبل البناء بها ولم يسمِّ لها صداق هل لها مثل صداق مثيلاتها أو لا صداق لها؟ ولكن لها الميراث وعليهاالعدّة فمن قال بالقياس قال لا صداق لها ومن أخذ بحديث بِروع الذي رواه الترمذي وصححه قال: لها مهر المثل وترث وتعتد، وبروع امرأة مات زوجها قبل البناء بها ولم يسم لها مهراً فقضى رسول الله ﷺ لها بمهر المثل والميراث والعدّة.

(٢) الخشوع في الصلاة مستلزم لترك الكلام فيها وكيف وقد سلّم ابن مسعود على رسول الله ﷺ وهو في صلاته فلم يرد عليه ثمّ اعتذر له بقوله: «إنّ في الصلاة لشغلا» أي عن الكلام.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في بيان أحكام الطلاق وما يتعلق به ففي هذه الآية (٢٣٦) : يخبر تعالى عباده المؤمنين أنه لا إثم ولا حرج عليهم إن هم طلقوا أزواجهم قبل البناء بهن، وقبل أن يَسَموا لهن مهوراً أيضا وفي هذين الحالين يجب عليهم أن يمتعوهن[١] بأن يعطوا المطلقة قبل البناء ولم تكن قد أعطيت مهراً ولا سمى لها فيعرف مقداره في هذه الحال وقد تكون نادرة يجب على الزوج المطلق جَبراً لخاطرها أن يعطيها مالاً على قدر غناه وفقره تتمتع به أياما عوضا عما فاتها من التمتع بالزواج، فقال تعالى: ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾.

وأما الآية الثانية (٢٣٧) فإنه تعالى يُخبر أن من طلق امرأته قبل البناء بها وقد سمى لها صداقا قل أو كثر فإنَّ عليه أن يعطيها وجوباً نصفه إلا أن تعفو عنه المطلقة فلا تأخذه تكرماً، أو يعفـو المـطلِّق تكـرمـا فلا يأخـذ منه شيئا فيعطيها إياه كاملاً فقال عز وجل: ﴿ وإن طلقتمـوهن من قبـل أن تمسـوهن وقـد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ ـ أي فالواجب نصف مافرضتم ـ إلا أن يعفون ـ المطلقات ـ أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وهو الزوج. ثم بعد تقرير هذا الحكم العادل الرحيم دعا تعالى الطرفين[٢] إلى العفو، وأن من عفا منهما كان أقرب إلى التقوى فقال عز وجل: ﴿ وَأَن تعفوا أقرب للتقوى﴾ ونهاهم مع هذا عن عدم نسيان المودة والإحسان بينهما فقال: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير﴾.

وأما الآية الثانية (٢٣٨) فإنه تعالى يرشد عباده المؤمنين إلى ما يساعدهم على الالتزام بهذه الـواجبـات الشرعية والآداب الإسـلامية الرفيعة وهو المحافظة على إقامة الصلوات الخمس عامـة والصـلاة الوسطى خاصة فقال تعالى: ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾، وكانوا قبلها يتكلمون في الصلاة فمنعهم من ذلك بقوله: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ أى ساكـنـين خاشعـين. وإن حصـل خوف لا يتمكنون معه من أداء الصلاة على الوجه

---

(١) المتعة واجبة للمطلقة قبل البناء ولم يكن سمي لها مهر، ومستحبة لغيرها هذا أشهر المذاهب وأقربها من الحق، ومقدار المتعة موكول إلى المطلق فليمتع بحسب حاله غنىً وفقراً هذا في غير المطلقة قبل البناء ولم يسم لها مهر لأنَّ متعتها واجبة إذ ليس لها غيرها فقد يتولى القاضي بيان مقدارها.

(٢) وإن كان الخطاب صالحاً لكلٍ من الزوج والزوجة إلاّ أن العفو من الزوج أولى لأن الطلاق كان منه ولو كانت هي سببه لكان عفوها هي أولى ولعلّ هذا سرّ قوله: ﴿أقرب للتقوى﴾.

المطلوب من السكون والخشوع فليؤدوها وهم مشاة على أرجلهم أو راكبون على خيولهم، حتى إذا زال الخوف وحصل الأمن فليصلوا على الهيئة التي كانوا يصلون عليها من سكون وسكوت وخشوع فقال تعالى ﴿فإن خفتم فرجالا أو ركباناً فإذا أمنتم فاذكروا الله[1] كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ يريد الله تعالى بالذكر هنا إقام الصلاة أولا، ثم الذكر العام مذكراً إياهم بنعمة العلم مطالباً إياهم بشكرها وهو أن يؤدوا الصلاة على أكمل وجوهها وأتمها لأنها المساعد على سائر الطاعات وحسبها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. هذا ما تضمنته الآية الرابعة (٢٣٩).

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان حكم المطلقة قبل البناء وقبل تسمية المهر، وأن لها المتعة فقط بحسب حال المطلق من غنى وفقر.

٢ - بيان حكم المطلقة قبل البناء وقد سمى لها صداق فإن لها نصفه وجوباً إلا أن تتنازل عنه برضاها فلها ذلك كما أن الزوج المطلق إذا تنازل عن النصف وأعطاها المسمّى كاملا فله ذلك.

٣ - الدعوة إلى إبقاء المودة والفضل والإحسان بين الأسرتين أسرة المرأة المطلقة وأسرة الزوج المطلق، حتى لا يكون الطلاق سبباً في العداوات والتقاطع.

٤ - وجوب المحافظة على الصلوات الخمس وبخاصة صلاة العصر[2] وصلاة الصبح «الصلاة الوسطى»[3].

٥ - منع الكلام في الصلاة لغير إصلاحها.

٦ - وجوب الخشوع في الصلاة.

---

(١) ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله﴾ أي أقيموا الصلاة كما أمركم فأتموا ركوعها وسجودها وقيامها وجلوسها كما تفعلون ذلك في حال الأمن وعدم الخوف.

(٢) اختلف في بيان الصلاة الوسطى بلغ الخلاف عشرة أقوال حتى عدت كل صلاة الصلاة الوسطى حتى يتم المحافظة على الصلوات الخمس كلها، وأقوى الأقوال أنها الصبح أو العصر، ورجّح مالك الصبح ورجّح غيره العصر، والسنة الصحيحة شاهدة لمن قال انها العصر وذلك لحديث الصحيح: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر».

(٣) الوسطى مؤنث الأوسط ووسط الشيء خيره وأعدله وفي هذا المعنى قال الشاعر يمدح رسول الله ﷺ

يا أوسط الناس طراً في مفاخرهم وأكرم الناس أمّاً برّةً وأبا

وأفردت الصلاة الوسطى بالذكر تشريفاً لها.

٧ ـ بيان صلاة الخائف من عدو وغيره وأنه يجوز له أن يصلي وهو ماش أو راكب.

٨ ـ الأمر بملازمة ذكر الله، والشكر على نعمه وبخاصة نعمة العلم بالإسلام.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا[1] إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[2] ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

شـــرح الكلمـات :

الحول : العام.

فإن خرجن : من بيت الزوج المتوفي قبل نهاية السنة.

متاع بالمعروف : أي متعة لا مبالغة فيها، ولا تقصير.

حقـــاً : متعيناً على المطلقين الأتقياء.

معنى الآيـــات :

مازال السياق في بيان حقوق النساء المطلقات والمتوفى عنهن ففي هذه الآية (٢٤٠) يخبر تعالى أن الذين يتوفون من المؤمنين ويتركون أزواجاً فإن لهن من الله تعالى وصيّة على ورثة الزوج المتوفى أن ينفذوها وهي أن يسمحوا لزوجة المتوفى عنها أن تبقى معهم في البيت تأكل وتشرب إلى نهاية السنة بما فيها مدة العدة وهي أربعة أشهر وعشر ليال إلا إذا رغبت في الخـروج بعـد انقضاء العدة فلها ذلك، هذا معنى قوله تعالى: ﴿ والذين يتوفون[3] منكم

(١) المراد بالمتاع هنا هو السكنى في بيت زوجها المتوفى عنها إن كان له سكنى يملكها.

(٢) في قوله تعالى﴿والله عزيز حكيم﴾ إشارة إلى وجوب تنفيذ وصية الله تعالى لأنه غالب على أمره قاهر لعباده فكيف يخرجون عن طاعته، وحكيم والحكيم لا يعترض عليه بل يسلّم الأمر إليه رزقنا الله طاعته بالإسلام إليه ظاهراً وباطناً.

(٣) اختلف في توجيه هذه الآية فمن قائل بنسخها وأن الناسخ لها الآية التي قبلها: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا، ومن قائل نسختها آية المواريث، إذ المتوفى عنها إن لم يكن للزوج ولد الربع من التركة، ومن قائل وهو مجاهد ورجّحه ابن جرير الطبري بعدم النسخ وأنّه رحمة بالمؤمنة المتوفى عنها زوجها إذا أتمت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا يسمح لها بالبقاء في بيت زوجها الهالك إلى نهاية السنة وهذا حسب اختيارها ورغبتها فكانت هذه الوصية وصية رحمة مندوباً إليها وهذا الذي رجّحته في تفسير الآية فَلْيُتأمل.

ويذرون أزوجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم ﴾ وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن تقدم معناه، وهو أن للمعتدة إذا انقضت عدتها أن تتزين وتمس الطيب وتتعرض للخطاب لتتزوج. وما ختمت به الآية والله عزيز حكيم إشارة إلى أن هذه الوصية قد شرعها عزيز حكيم فهي متعيّنة التحقيق والتنفيذ.

وأما الآية الثانية (٢٤١) ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ﴾ ففيها حكم آخر وهو أن المطلقة المبني بها على مطلقها أن يمتعها بشيء من المال كثياب أو دابة أو خادمة، وعليه فالمطلقة قبل البناء وقبل تسمية المهر لها المتعة واجبة لها إذ ليس لها سواها والمطلقة قبل البناء وقد سمى لها المهر فإن لها نصف المهر لا غير، والمطلقة بعد البناء وهي هذه المقصودة في هذه الآية لها متعة بالمعروف سواء قيل بالوجوب أو الاستحباب[(١)] لأنها لها المهر كَاملاً.

وَقوله تعالى في الآية الثالثة (٢٤٢) ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ معناه كهـذا التبين لأحكام الطلاق والخُلْع والرضاع والعدد والمتع يبين تعالى لنا آياته المتضمنة أحكام شرعه لنعقلها ونعمل بها فنكمل عليها ونسعد في الحياتين الدنيا والآخرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الإبقاء على المعتدة عدة وفاة في بيت الهالك سنة إن طابت نفسها بذلك وذلك بعد انقضاء العدة الواجبة فالزائد وهو سبعة أشهر وعشرون يوماً جاء في هذه الوصية إلا أن جمهور أهل العلم يقولون بنسخ هذه الوصيّة، وعدم القول بالنسخ أولى، لأختلافهم في الناسخ لها.[(٢)]

٢ ـ حق[(٣)] المطلقة المدخول بها في المتعة بالمعروف.

٣ ـ منة الله على هذه الأمة ببيان الأحكام لها لتسعد بها وتكمل عليها، فلله الحمد والشكر.

---

(١) تقدّم مثل هذا البيان في الآيات السابقة تحت رقم صفحة ٢٢٧ من نهر الخير.
(٢) رجّح هذا القول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ومال إليه تلميذه ابن القيّم ولم يفصح عنه.
(٣) أي تقرير حق المتعة للمدخول بها على سبيل السنيّة والاستحباب كما تقدم في النهر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا[1] ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

شــرح الكلمـات:

ألم تــر : ألم يَنته إلى علمك . . . فالرؤية قلبية والإستفهام للتعجيب.

ألـوف : جَمْع ألف، وهي صيغة كثرة فهم إذاً عشرات الألوف.

في سبيل الله : الطريق الموصل إلى مرضاته وهو طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه ومن ذلك جهاد الكفار والظالمين حتى لا تكون فتنة.

يقرض الله : يقتطع شيئا من ماله وينفقه في الجهاد لشراء السلاح وتسيير المجاهدين.

يقبض ويبسط : يضيق ويبسط يوسع، يقبض ابتلاءً، ويبسُط امتحاناً.

معنى الآيات:

يخاطب الله تعالى رسوله ﷺ فيقول ألم ينته إلى علمك قصة لذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف وهم أهل مدينة من مدن[2] بني إسرائيل أصابها الله تعالى بمرض[3] الطاعون ففـروا هاربـين من المـوت فأمـاتهم الله عن آخـرهم ثم أحياهم بدعوة نبيهم حِزقيل عليه السلام، فهل أنجاهم فرارهم من الموت، فكذلك من يفر من القتال هل ينجيه فراره من

---

(١) هذا الامر أمر تكويني لا شرعي تعبّدي.
(٢) ذكر القرطبي أن اسم هذه القرية «داوردان» وهي من نواحي شرق واسط بينهما فرسخ (معجم ياقوت).
(٣) روى الترمذي وصححه أنّ النبي ﷺ ذكر الطاعون فقال: «بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بني اسرائيل فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها» قلت هذا ما يعرف الآن بالحجر الصحي.

الموت؟ والجواب لا، وإذاً فلم الفرار من الجهاد إذا تعيّن؟ وفي تأديب تلك الجماعة بإماتتها ثم بإحيائها فضل من الله عليها عظيم، ولكن أكثر الناس لا يشكرون. وإذاً فقاتلوا أيها المسلمون في سبيل الله[1] ولا تتأخروا متى دعيتم إلى الجهاد بالنفس والمال، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وأعمالكم فاحذروه، ثم فتح تعالى باب الاكتتاب المالي للجهاد فقال ﴿من ذا الذي[2] يقرض الله قرضا حسنا﴾ لا شائبة شرك فيه لأحد والنفس طيبة به فإن الله تعالى يضاعفه له أضعافا كثيرة الدرهم بسبعمائة درهم فأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل إعلاء كلمة الله، ولا تخافوا الفقر فإن ربكم يقبض ويبسط: يضيق على العبد ابتلاء ويوسع امتحانا، فمنعكم الإنفاق في سبيل الله لا يغير من تدبير الله شيئا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ إذا نزل الوباء ببلد لا يجوز الخروج فراراً منه، بهذا ثبتت السنة.

٢ ـ وجوب ذكر النعم وشكرها.

٣ ـ وجوب القتال في سبيل الله إذا تعين.

٤ ـ فضل الإنفاق في سبيل الله.

٥ ـ بيان الحكمة في تضييق الله على العبد رزقه، وتوسيعه، وهو الابتلاء لأجل الصبر والامتحان لأجل الشكر، فيالخيبة من لم يصبر، عند التضييق عليه، ولم يشكر عند التوسعة له.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا

(١) القتال في سبيل الله هو ما كان لإعلاء كلمة الله تعالى.
(٢) الاستفهام هنا للتحضيض والتهييج على الإنفاق في سبيل الله.

مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكًاۚ
قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ
مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةً مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ
عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ
يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

شــرح الكلمات :

المـــلأ : أشراف الناس من أهل الحل والعقد بينهم إذا نظر المرء إليهم ملأوا عينه رواءً وقلبه هيبة .

عســى : كلمة توقع وترجٍّ .

كتب : فرض ولزم

ملكا : يسوسهم في السلم والحرب .

أنى يكون : الاستفهام للإنكار بمعنى كيف يكون له الملك .

اصطفاه : فضله عليكم واختاره لكم .

بسطة في الجسم : أى طولا زائداً يعلو به من عداه .

معنى الآيات :

لقد فرض الله تعالى على المؤمنين القتال ، ودارت رحى المعارك بداية من معركة بدر وكان لابـد من المـال والرجال الأبطال الشجعان ، فاقتضى هذا الموقف شحذ الهمم وإلهاب المشاعر لتقوى الجماعة المسلمة بالمدينة على مواجهة حرب العرب والعجم معاً ، ومن هنا لمطاردة الجبن والبخل وهما من شر الصفات في الرجال ذكر تعالى حادثة الفارين من الموت

التاركين ديارهم لغيرهم كيف أماتهم الله ولم ينجيهم فرارهم، ثم أحياهم ليكون ذلك عبرة لهم ولغيرهم فالفرار من الموت لا يجدي وإنما يجدي الصبر والصمود حتى النصر، ثم أمر تعالى المؤمنين بعد أن أخذ ذلك المنظر من نفوسهم مأخذه فقال: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾، ولما كان المال المقدم في القتال فتح الله لهم اكتتابا ماليّاً وضاعف لهم الربح في القرض بشرط خلوصه وطيب النفس به، ثم قدم لهم هذا العرض التفصيلي لحادثة أخرى تحمل في ثناياها العظات والعبر لمن هو في موقف المسلمين الذين يحاربهم الأبيض والأحمر وبلا هوادة وعلى طول الزمن فقال تعالى: وهو يخاطبهم في شخص نبيهم ﷺ: ﴿ ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيٍّ[1] لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ﴾ يريد ألم ينته إلى علمـك بإخبـارنـا إيّاك قول أشراف بني إسرائيل - بعـد وفـاة موسى - لنبي لهم ابعث لنا ملكاً[2] نقاتل في سبيل الله فنطرد أعداءنا من بلادنا ونسترد سيادتنا ونحكم شريعة ربّنا. ونظراً إلى ضعفهم الروحي والبدني والمالي تخوف النبي أن لايكونوا صادقين فيما طالبوه به فقـال: ﴿ هل عسيتم[3] إن كتب عليكم القتال ﴾ بتعيين الملك القائد أن لا تقاتلوا!؟ فدفعتهم الحميّة فقـالـوا: ومـالنا ألا نقاتل في سبيل الله والحال أنّا قد أخرجنا من[4] ديارنا وأبنائنا، وذلك أن العدوّ وهم البابليون لما غزوا فلسطين بعد أن فسق بنوا إسرائيل فتبرجت نسـاؤهم واستبـاحوا الزنى والربا وعطلوا الكتاب وأعرضوا عن هدى أنبيائهم فسلط الله عليهم هذا العدو الجبار فشردهم فأصبحوا لاجئين.

وما كان من نبي الله شمويل إلا أن بعث من تلك الجماعات الميتة موتا معنوياً رجلا منهم هو طالـوت وقـادهم فلما دنوا من المعركة جبنوا وتولى اكثرهم[5] منهزمين قبل القتال، وصدق نبيهم في فراسته إذ قال لهم ﴿ فهل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ﴾.

---

(١) هو شمويل بن بال بن علقمة هكذا ذكره القرطبي في تفسيره، ويقال فيه: شمعون أيضاً ويعرف بابن العجوز لأنّ أمّه كانت عجوزا فسألت الله الولد فوهبها إياه بعد عقم وكبر سنّ.

(٢) ﴿ابعث لنا ملكاً نقاتل. .﴾ فيه دليل على أنّ الجهاد لإعلاء كلمة الله لابد له من إمام تجتمع عليه كلمة الأمّة، وأيّما جهاد يخلو من إمامة شرعية يقاتل تحت رايتها فعاقبته خسر، وشاهد هذا حال المسلمين اليوم فقد قاتلوا الاستعمار تحت شعار الأحزاب فلما انتصروا خسروا كل شيء حتى دينهم.

(٣) عسِيتم: بكسر السين وعَسَيتم بفتح السين وهما قراءتان سبعيتان الأولى لنافع والثانية لحفص

(٤) إن الخروج من الوطن صعب على النفوس البشرية وهذا رسول الله ﷺ عند خروجه من مكة قال: «إني أعلم أنك أحب البلاد إلى الله ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت» ويقول: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أكثر».

(٥) ولذا نهى رسول الله ﷺ أمّته عن تمني لقاء العدو فقال: «لاتتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا».

هذا ما تضمنتـه الآية الأولى (٢٤٦) من هذا القصص أمَّا الآية الثانية (٢٤٧) فقد تضمنت اعتراض ملإ بني اسرائيل على تعيين طالوت ملكاً عليهم بحجة أنه فقير من أسرة غير شريفة، وأنهم أحق بهذا المنصب منه، ورد عليهم نبيّهم حجتهم الباطلة بقوله: ﴿ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم[1] والجسم، والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾. كان هذا رد شمويل على قول الملأ: ﴿ أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه[2] ولم يؤت سعة من المال ﴾. وكأنهم لما دمغتهم الحجة وهي أن الله تعالى قد اختار طالوت وفضله عليهم بهذا الاختيار وأهله للولاية بما أعطاه وزاده من العلم وقوة الجسم، والقيادات القتـالية تعتمـد على غزارة العلم وقوة البدن بسلامة الحواس وشجاعة العقل والقلب أقـول كأنهم لما بطل اعتراضهم ورضوا بطالوت طالبوا على عادة بني إسرائيل في التعنت طالبوا بآية تدل على أن الله حقاً اختاره لقيادتهم فقال لهم الخ وهي الآية (٢٤٨) الآتية.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

شـرح الكلمـات :

نبيّهم : شمويل.

آية ملكه : علامة أن الله تعالى ملكه عليكم.

التابوت : صُندوق خشبي فيه بقية من آثار آل موسى وآل هارون.

سكينة : طمأنينة القلب وهدوء نفسي.

---

(١) في تقديم العلم على الجسم إشارة إلى أنّ إمامة الجاهل وقيادته لا خير فيها، والمراد من العلم علم الشرائع وهي تتناول السلم والحرب فلذا هو كامل الأهلية وحسبه اصطفاء الله تعالى واختياره له.

(٢) لأن الملك في سبط يهوذا والنبوة في بني لاوي، وطالوت من سبط بنيامين فما هو من سبط الملك ولا في بني لاوي أهل النبوة.

بقية : بقية الشيء ما تبقى منه بعد ذهاب أكثره وهي هنا رضاض من الألواح التي تكسرت، وعصا موسى وشيء من آثار أنبيائهم.

تحمله الملائكة : من أرض العمالقة فتضعه بين يدي بني اسرائيل في مخيماتهم.

إن في ذلك لآية لكم : أي في إتيان التابوت الذي أخذه العدو بالقوة منكم في رده إليكم علامة قوية على اختيار الله تعالى لطالوت ملكاً عليكم.

معنى الآية الكريمة

قد أصبح بشرح الكلمات معنى الآية واضحاً وخلاصته أن شمويل النبي أعلمهم أن آية تمليك الله تعالى لطالوت عليهم أن يأتيهم التابوت المغصوب منهم وهو رَمز تجمعهم واتحادهم ومصدر استمداد قوة معنوياتهم لما حواه من آثار آل موسى وآل هارون كرضاض الألواح وعصا موسى ونعله وعمامة هارون وشيء من المن الذي كان ينزل عليهم في التيه. فكان هذا التابوت بمثابة الراية يقاتلون تحتها فإنهم إذا خرجوا لقتال حملوه معهم إلى داخل المعركة ولايزالون يقاتلون مابقي التابوت بأيديهم لم يغلبهم عليه عدوهم، ومن هنا وهم يتحفزون للقتال جعل الله تعالى لهم إتيان[1] التابوت آية على تمليك طالوت عليهم وفي نفس الوقت يحملونـه معهم في قتالهم فتسكن[2] به قلوبهم وتهدأ نفوسهم فيقاتلون وينتصرون بإذن الله تعـالى.(أمـا كيفية حمل الملائكة للتابوت فإن الأخبار تقول إن العمالقة تشائموا بالتابوت عندهم إذ ابتلوا بمرض البواسير وبآفات زراعية وغيرها ففكروا في أن يردوا هذا التابوت لبني إسرائيل وساق الله أقداراً لأقدار، فجعلوه في عربة يجرها بقرتان أو فرسان ووجهوها إلى جهة منـازل بني اسرائيل فمشت العـربـة فساقتها[3] الملائكة حتى وصلت بها إلى منازل بني

(١) نسبة الإتيان إلى التابوت أسلوب عربي نحو (عزم الأمر). و(جدار يريد أن ينقضّ) وال في التابوت للعهد فهو معروف لهم معهود عندهم، وقيل طوله ثلاثة أذرع وعرضه ذراعان وهو من خشب تعمل منه الأمشاط يقال له الشمشار وعليه صفائح الذهب.

(٢) السكينة قال فيهامجاهد إنها حيوان كالهرّ له جناحان وذنب ولعينيه شعاع إلى آخر ماقال والصحيح ما في التفسير ويؤيده قول ابن عطية إذ قال: والصحيح أنّ التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى إلا أنه صحّ عن نبينا ﷺ أنّ السكينة تكون مَلَكاً كما في حديث مسلم إذ كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فغشيته سحابه فجعلت تدور وتدنو وجعل الفرس ينفر منها فلما أصبح أخبر الرسول ﷺ بذلك فقال: «تلك السكينة نزلت للقرآن» وتكون السكينة بمعناها وهو السكون كما في حديث مسلم: «إلاّ نزلت عليهم السكينة، وحفّتهم الملائكة..» الحديث.

(٣) هكذا تقول الروايات على أن حمل الملائكة كان يدفع العربة والسير بها إلى ديار بني اسرائيل ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أن الملائكة أخذت التابوت وحملته إلى بني اسرائيل وهو الظاهر.

إسرائيل)فكانت آية وأعظم آية وقبل بنو إسرائيل بقيادة طالوت، وبسم الله تعالى قادهم وفي الآية التالية (٢٤٩) بيان السير إلى ساحات القتال.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي[1] وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ[2] أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

شرح الكلمات:

فصل طالوت[3] : انفصل من الديار وخرج يريد العدو.

بالجنود[4] : العسكر وتعداده ـ كما قيل: سبعون ألف مقاتل.

مبتليكم بنهر : مختبركم بنهر جار لعله هو نهر الأردن الآن.

ومن لم يطعمه : لم يشرب منه.

غرفة[5] : الغرفة بالفتح المرة وبالضم الاسم من الاغتراف

الذين آمنوا معه : هم الذين لم يشربوا من النهر، أما من شرب فقد كفر وأشرك.

---

(١) أي ليس من أصحابي في هذه الحرب ولا من جندي الذين أقاتل بهم ولم يرد خروجه من الإيمان وهو كقول الرسول ﷺ: «من غش فليس منا» «ومن رغب عن سنتي فليس مني» فإنه لا يعني كفره.

(٢) الظنّ هنا بمعنى اليقين أو يكون الظن على بابه وليس هو في لقاء الله تعالى وإنّما هو في الموت في هذه الحرب هل يقتلون فيلاقون الله أو لم يقتلوا.

(٣) هل كان طالوت نبيًّا؟ يستدل على نبوته بقوله تعالى: ﴿إنّ الله اصطفاه عليكم﴾ وبقوله: ﴿إنّ الله مبتليكم بنهر﴾ والله أعلم وعلى كل فهو عبد صالح.

(٤) لفظ الجند وجمعه جنود وأجناد مشتق من الجند الذي هو غليظ الأرض، إذ الجنود يعتصم بعضهم ببعض فيقوون ويغلظون على عدوهم.

(٥) الغرفة بالضمّة اسم لما يغرف كالأكله اسم لما يؤكل، والغرفة أيضاً البناء العالي والجمع غرف.

أنهم مُلَاقوُ اللهِ : أي يوم القيامة فهم يؤمنون بالبعث الآخر

كم من فئة : كم للتكثير والفـئة : الجماعة يفيء بعضها إلى بعض .

والله مع الصابرين : يسددهم ويعينهم وينصرهم .

معنى الآية :

إنه لما خرج طالوت بالجيش أخبرهم أن الله تعالى مختبرهم في سيرهم هذا إلى قتال عدوهم بنهر ينتهون إليه وهم في حرّ شديد وعطش شديد ، ولم يأذن لهم في الشرب منه إلا ما كان من غرفة واحدة فمن أطاع ولم يشرب فهو المؤمن ومن عَصَى وشرب غير المأذون به فهو الكافر. ولما وصلوا إلى النهر شربوا منه يكرعون كالبهائم إلا قليلاً منهم. وواصل طالوت السير فجاوز النهر هو ومن معه ، ولما كانوا على مقربة من جيش العدو وكان قرابة مائة ألف قال الكافرون والمنافقون : ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ فأعلنوا انهزامهم ، وانصرفوا فارين ، وقال المؤمنون الصادقون وهم الذين قال الله فيهم ﴿ وقال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ كانت هذه الآية في بيان سير طالوت إلى العدو وفي الآيتين التاليتين (٢٥٠) و(٢٥١) بيان المعركة وما انتهت إليه من نصر حاسم للمؤمنين الصادقين قال تعالى :

وَلَمَّا بَرَزُوا۟[1] لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ[2] أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم[3] بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم

---

(١) البراز: المكان الفسيح في الأرض المتسع منها والمتبرّز الذاهب في البراز وكانوا يخرجون لقضاء الحاجة في البراز فأطلق لفظ البراز على ما يحل فيه وهو العذرة .

(٢) فيه مشروعية الدعاء في مثل هذا الموقف وقد دعا رسول الله ﷺ في بدر حتى سقط رداؤه وكان إذا لاقى العدو قال اللهم بك أصول وبك أجول» ويقول «اللهم إني أعوذ بك من شرورهم وأجعلك في نحورهم» وعلم أصحابه ذلك .

(٣) الهزم : الكسر ومنه قولهم سقاء متهزم إذا انثنى بعضه على بعض مع الجفاف وقيل في زمزم هزمة جبريل أي هزمها جبريل برجله فتكسرت الأرض وخرج الماء .

بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

شرح الكلمات:

برزوا لجالوت : ظهروا في ميدان المعركة وجالوت قائد قوات العمالقة.

أفرغ علينا صبرا : أصبب الصبر في قلوبنا صبًّا حتى تمتلىء فلم يبق للخوف والجزع موضع.

وثبت أقدامنا : في أرض المعركة حتى لا ننهزم وذلك بتقوية قلوبنا والشد من عزائمنا.

داود : هو نبي الله ورسوله داود، وكان يومئذ غير نبي[1] ولا رسول في جيش طالوت.

وآتاه الله الملك والحكمة : كان ذلك بعد موت شمويل النبي وموت طالوت الملك.

وعلّمه مما يشاء : فعلمه صنعة الدروع، وفهم منطق الطير هو وولده سليمان عليهما السلام.

لفسدت الأرض : وذلك بغلبة أهل الشرك على أهل التوحيد، وأهل الكفر على أهل الإيمان.

معنى الآيات:

لما التقى الجيشان جيش الإيمان وجيش الكفر طالب جالوت بالمبارزة فخرج[2] له داود من جيش طالوت فقتله والتحم الجيشان فنصر الله جيش طالوت وكان عدد أفراده ثلثمائة وأربعة عشر مقاتلا لا غير لقول الرسول ﷺ لأهل بدر « إنكم على عدة أصحاب طالوت » وكانوا ثلثمائة وأربعة عشر رجلا فهزم الله جيش الباطل على كثرته ونصر جيش الحق على قلته. وهنا ظهر كوكب داود في الأفق بقتله رأس الشر جالوت فمن الله عليه بالنبوة والملك بعد موت

---

(١) أي لم ينبأ بعد ولم يرسل إذ الرسل ينبأون ويرسلون غالباً في سنّ الأربعين.

(٢) لم يقصَّ الله تعالى علينا شيئا عن كيفية قتل داود لجالوت لعدم الفائدة الكبيرة منها وخلاصتها كما يلي: كان والد داود في جيش طالوت وله ستة أبناء معه واسمه إيشا وكان داود أصغرهم وكان يرعى الغنم وكان لنبيهم درع وأوحى الله أنّ من استوت عليه درعك هو الذي يقاتل جالوت فاستوت على داود وقبل البراز قال طالوت: مَنْ قتل جالوت أشاطره ملكي وأزوجه ابنتي وكان داود قد مرّ بحجر فناداه أن خذني ياداود وقاتل بي فجعله في مخلاته واحتفظ به فلما برز لجالوت جعل الحجر في مقلاعه وكان راميا فرمى جالوت فقتله. وهذه بداية أمره عليه السلام.

كل من النبي شمويل والملك طالوت قال تعالى: ﴿ وقتل داود جالوت وآتاه الملك والحكمة[1] وعلمه مما يشاء ﴾.

وختم الله القصة ذات العبر والعظات العظيمة بقوله: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ بالجهاد والقتال[2]، لاستولى أهل الكفر وأفسدوا الأرض بالظلم والشرك والمعاصي، ولكن الله تعـالى بتـدبـيره الحكيم يسلط بعضاً على بعض، ويدفع بعضا ببعض منّة منه وفضلا. كما قال عز وجل ﴿ ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾.

ثم التفت إلى رسوله محمد ﷺ وقال له: تقريراً لنبوته وعلو مكانته تلك آيات الله التي تقدمت في هذا السياق نتلوها عليك بالحق، وإنك لمن المرسلين ﷺ .

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الجهاد الشرعي يشترط له الإمام المبايع بيعة شرعية.

٢ ـ يشترط للولاية الكفاءة وأهم خصائصها العلم، وسلامة العقل والبدن.

٣ ـ جواز التبرك بآثار الأنبياء كعمامة النبي أو ثوبه أو نعله مثلا.

٤ ـ جواز اختبار أفراد الجيش لمعرفة مدى استعدادهم للقتال والصبر عليه.

٥ ـ فضيلة الإيمان بلقاء الله، وفضيلة الصبر على طاعة الله خاصة في معارك الجهاد في سبيل الله.

٦ ـ بيان الحكمـة في مشروعية الجهـاد، وهي دفـع أهل الكفر والظلم بأهل الإيمان والعدل، لتنتظم الحياة ويعمر الكون.

---

(١) فسّر ابن كثير الحكمة بالنبوّة لقرَينة الملك، إذ جعله الله تعالى ملكاً نبياً كولده سليمان عليهما السلام.

(٢) وفي صحيح الحديث: «وهل تنصرون وترزقون إلّا بضعفائكم» وفيه معنى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ الآية واورد ابن كثير أحاديث في هذا المعنى وضعَفها.

* في قول طالوت في رقم (١) من قتل جالوت أشركه في ملكي وأزوجه ابنتي موجود نظيره في الإسلام إذ للإمام أن يقول: مَنْ جاءني برأس فلان فله كذا ومَنْ دخل حصن كذا فله كذا وكذا.

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟
مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٥٤) ﴾ (١)

شـرح الكلمـات :

تلك الرسل : أولئك الرسل الذين قص الله تعالى على رسوله بعضاً منهم وأخبره أنه منهم في قوله ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ في الآية قبل هذه.

من كـلّم الله : كموسـى عليـه السلام.

ورفع بعضهم درجات : وهو محمد ﷺ (٢) حيث فضله تفضيلاً على سائر الرسل.

البيـــنات : المعجزات الدالة على صدق عيسى في نبوته ورسالته.

روح القدس : جبريل عليه السـلام كان يقف دائـمًا إلى جانب عيسى يسـدده ويقويه إلى أن رفعه الله تعالى إليه.

اقتتـــــلوا : قتل بعضهم بعضـا.

أنفقوا مما رزقناكم : النفقة الواجبة وهي الزكاة، ونفقة التطوع المستحبة.

---

(١) روى أحمد عن أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ قائلا: أي الأنبياء كان أول؟ قال «آدم قلت رسول ونبي كان؟ قال نعم نبيٌّ مكلّم قلت يارسول الله كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيرا».

(٢) شاهده قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ومع هذا زيادة في كماله قال: «لا تفضلوني على موسى». وقال على يونس بن متى: «فصلى الله عليه ما أرفع مقامه».

لا بيـع فيه[1] : لا يشتري أحد نفسه بمال يدفعه فداءً لنفسه من العذاب.

ولا خُلـــة : أي صداقة تنفع صاحبها.

ولا شَـفاعــة : تقبل إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.

والكافــرون . : بمنع الزكاة والحقوق الواجبة لله تعالى ولعباده هم الظالمون.

معنى الآيتيـن :

بعد أن قص الله تبارك وتعالى على رسوله قصة ملأ بني إسرائيل في طلبهم نبيهم شمويل بأن يعين لهم ملكاً يقودهم إلى الجهاد، وكانت القصة تحمل في ثناياها أحداثا من غير الممكن أن يعلمها أمـيّ مثل محمد ﷺ بدون ما يتلقّاها وحياً يوحيه الله تعالى إليه وختم القصة بتقرير نبوته ورسالته بقوله: ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ أخبر تعالى أن أولئك الرسل فضل بعضهم على بعض، منهم من فضله بتكليمه كموسى عليه السلام ومنهم من فضله بالخلّة كإبراهيم عليه السلام ومنهم من رفعه إليه وأدناه وناجاه وهو محمد ﷺ ومنهم من آتاه الملك والحكمة[2] وعلمه صنعة الدروع كداود عليه السلام، ومنهم من آتاه الملك والحكمة وسخر له الجن وعلمه منطق الطير كسليمان عليه السلام، ومنهم من آتاه البينات وأيده بروح القدس وهو عيسى عليه السلام. فقال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض[3]، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ كنبينا محمد ﷺ إذ فضله بعموم رسالته وبختم النبوات بنبوته، وبتفضيل أمته، وبإدخاله الجنة في حياته قبل مماته وبتكليمه ومناجاته مع ما خصه من الشفاعة يوم القيامة. ثم أخبر تعالى أنه لو يشاء هداية الناس لهداهم فلم يختلفوا بعد رسلهم ولم يقتتلوا من بعد ما جاءتهم البينات وذلك لعظيم قدرته، وحرّية إرادته فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. هذا بعض ما أفادته الآية الأولى (٢٥٣) أما الآية الثانية (٢٥٤) فقد نادى الله تعالى عباده المؤمنين وأمرهم بالانفاق في سبيل الله تقرّباً إليه وتزوداً للقائه قبل يوم القيامة حيث لا

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لا بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة﴾ بالنصب من غير تنوين. وأنشد حسان وهو شاهد هذه القراءة:

ألا طعان ولا فرسان عادية ... الا تجشؤكم عند التنانير

يهجو ناساً فيصفهم بالقعود عن القتال وملازمة التنور للطعام.

(٢) الحكمة هنا هي النبوة كما تقدم عن ابن كثير في «نهر الخير».

(٣) هل يجوز للمسلم أن يقول مثلا موسى أفضل من هارون أو إبراهيم أفضل من عيسى مثلا؟ الجواب لا لقوله ﷺ «لا تخيّروا بين الأنبياء ولا تفضلوا بين أنبياء الله» أي لا تقولوا فلان خير من فلان، ولا فلان أفضل من فلان إذ نحن لا نقدر على التفضيل وإنما يقدر عليه الله وحده إذ هو الذي يهب ما يشاء لمن يشاء.

فداء ببيع وشراء، ولا صداقة تجدي ولا شفاعة تنفع، والكافرون بنعم الله وشرائعه هم الظالمون المستوجبون[1] للعذاب والحرمان والخسران.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ تفاضل الرسل فيما بينهم بحسب جهادهم وصبرهم وما أهلهم الله تعالى له من الكمال.

٢ـ صفة الكلام لله تعالى حيث كـلّم موسى في الطور، وكلم محمداً في الملكوت الأعلى.

٣ـ الكفر والإيمان والهداية والضلال، والحرب والسلم كل ذلك تبع لمشيئته تعالى وحكمته.

٤ـ ذم الاختلاف في الدين وأنه مصدر شقاء وعذاب.

٥ـ وجوب الانفاق في سبيل الله مما رزق الله تعالى عبده.

٦ـ التحذير من الغفلة والأخذ بأسباب النجاة يوم القيامة حيث لا فداء ولا خلّة تنفع ولا شفاعة ومن أقوى الأسباب الإيمان والعمل الصالح وإنفاق المال تقرباً إلى الله تعالى في الجهاد وغيره.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ[2]

ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا

فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا

شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا

وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

(١) قال القرطبي عند هذه الآية: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ أي فكافحوهم بالقتال بالأنفس وانفاق المال قال: وقال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال: الكافرون هم الظالمون ولم يقل الظالمون هم الكافرون.

(٢) صحّ أنّ النبي ﷺ قال: «يا أبا المنذر ـ أبي بن كعب ـ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم. فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم يا أبا المنذر» وروى أحمد أن آية الكرسي تعدل ربع القرآن وأنّ الزلزلة والكافرون والنصر كل واحدة تعدل ربع القرآن وأنّ الصمد تعدل ثلث القرآن».

شـرح الكلـمات :

اللــــه : عَلَـمٌ على ذات الرب تبارك وتعالى.

لا إله إلا هو: الإله المعبود، ولا معبود بحق إلا الله، إذ هو الخالق الرزاق المدبر بيده كل شيء وإليه مصير كل شيء، وما عداه من الآلهة فعبادتها بدون حق فهي باطلة.

الحــــيّ[١] : ذو الحياة العظيمة التي لا تكون لغيره تعالى وهي مستلزمة للقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام.

القيــــوم[٢] : القائم بتدبير الملكوت كله علويه وسفليّه، القائم على كل نفس بما كسبت.

السِّــــنة : النعاس يسبق النوم.

كرســــيّه : الكرسي: موضع القدمين، ولا يعلم كنهه إلا الله تعالى.

يــــؤوده : يثقـله ويشق عليه.

معنى الآية الكريمة :

لما أخبر تعالى عن يوم القيامة وأنه يوم لا بيع فيه ولا شفاعة وأن الكافرين هم الظالمون، أخبر عن جلاله وكماله وعظيم سلطانه وأنه هو المعبود بحق وأن عبادته هي التي تنجي من أهوال يوم القيامة فقال: ﴿الله لا إله إلا هو﴾[٣]: أي أنه الله المعبود بحق ولا معبود بحق سواه. ﴿الحي القيوم﴾ الـدائم الحياة التي لم تسبق بموت ولم يطرأ عليها موت. القيوم: العظيم القيّومية على كل شيء، لولا قيّوميّته على الخلائق ما استقام من أمر العوالم شيء: ﴿لا تأخـذه سنـة ولا نوم﴾[٤]: إذ النعاس والنوم من صفات النقص وهو تعالى ذو الكمال المطلق. وهذه الجملة برهان على الجملة قبلها، إذ من ينعس وينام لا يتأتى له القيومية على

---

(١) الحي: أصلها الحيي الحذر فحذفت كسرة الياء الأولى فسكنت وأدغمت في الثانية فصارت الحي والقيوم أصلها القيووم فقلبت الواو الأولى ياءً وادغمت في الياء فصارت القيوم.

(٢) روى الترمذي وقال حديث حسن صحيح: «إن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين: ﴿الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم﴾ و﴿ألم الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم﴾ إن فيهما اسم الله الأعظم». ورواه أبو داود أيضاً.

(٣) هذه آية الكرسي قال فيها رسول الله ﷺ: «من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلاّ أن يموت» رواه النسائي وغيره.

(٤) ورد في الصحيح عن أبي موسى قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: إنّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار وحجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

الخلائق ولا يسعها حفظاً ورزقاً وتدبيراً. ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾: خلقاً وملكاً وتصرفاً، ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾: ينفي تعالى وهو الذي له ما في السموات وما في الأرض ينفي أن يشفع عنده في الدنيا أو في الآخرة أحد كائن من كان بدون أن يأذن له في الشفـاعـة. ﴿يعلم ما بين أيديهم ومـا خلفهم﴾[1]: لكمال عجزهم. ﴿وسع كرسيه[2] السموات والأرض﴾: لكمال ذاته. ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾: ولا يثقله أو يشق عليه حفظ السموات والأرض وما فيهما وما بينهما. ﴿وهو العلي العظيم﴾: العلي الذي ليس فوقه شيء القاهر الذي لا يغلبه شيء، العظيم الذي كل شيء أمام عظمته صغير حقير.

هداية الآية الكريمة

من هداية هذه الآية:

١ـ أنها أعظم آية في كتاب الله تعالى اشتملت على ثمانية عشر إسمًا لله تعالى ما بين ظاهر ومضمر، وكلماتها خمسون كلمة وجملها عشر جمل كلها ناطقة بربوبيته تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته الدالة على كمال ذاته وعلمه وقدرته وعظيم سلطانه.

٢ـ تستحب قراءتها بعد الصلاة المكتوبة، وعند النوم، وفي البيوت لطرد الشيطان.

لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ
مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾
ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

---

(١) هذا كناية عن إحاطة علم الله بكل شيء إذ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وهو بكل شيء عليم وأما الخلق فإنهم لا يعلمون إلاّ ما شاء أن يعلمهم إيّاه.

(٢) أورد ابن كثير عن أبن عباس رضي الله عنهما قوله: «الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره» رواه الحاكم موقوفاً وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

شـرح الكلـمات :

لا إكراه في الدين : لا يكره المرء على الدخول في الدين[1]، وإنما يعتنقه بإرادته واختياره.

الرشـــد[2] : الهدى الموصل إلى الإسعاد والإكمال.

الـــغـــي : الضلال المفضي بالعبد إلى الشقاء والخسران.

الطاغـــوت[3] : كل ما صرف عن عبادة الله تعالى من إنسان أو شيطان أو غيرهما.

العروة الوثقى[4] : لا إله إلا الله محمد رسول الله.

لا انفصام لها : لا تنفك ولا تنحل بحال من الأحوال.

الله وليّ الذين آمنوا: مُتوليهم بحفظه ونصره وتوفيقه.

الظلمـــات : ظلمات الجهل والكـفـر.

النـــور : نور الإيمان والعلم.

أولياؤهم الطاغوت : المتولون لهم الشياطين الذين زينوا لهم عبادة الأوثان فأخرجوهم من الإيمان إلى الكفر ومن العلم إلى الجهل.

معنى الآيتيـن :

يخبر الله تعالى بعد ذكر صفات جلاله وكماله في آية الكرسي أنه لا إكراه في دينه، وذلك حين أراد بعض الأنصار إكراه من تهوّد أو تنصّر من أولادهم على الدخول في دين الإسلام، ولذا فإن أهل الكتابين ومن شابههم تؤخذ منهم الجزية ويقرون على دينهم فلا يخرجون منه إلا باختيارهم وإرادتهم الحرة، أما الوثنيّون والذين لا دين لهم سوى الشرك والكفر فيقاتلون حتى يدخلوا في الإسلام انقاذاً لهم من الجهل والكفر وما لازمهم من الضلال والشقاء.

ثم أخبر تعالى أنه بإنزال كتابه وبعثه رسوله ونصر أوليائه قد تبين الهدى من الضلال والحق من الباطل، وعليه فمن يكفر بالطاغوت وهو الشيطان الذي زين عبادة الأصنام ويؤمن بالله فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد استمسك[5] من الدين بأمتن عروة وأوثقها، ومن يصرّ على الكفر بالله والإيمان بالطاغوت فقد تمسك بأوهى من خيط العنكبوت. و الله

(١) الإكراه: الحمل على فعل المكروه، والدين هنا: الإسلام وجملة (لا إكراه) خبر بمعنى الإنشاء.
(٢) يقال رَشَد يَرشُد رُشدا، ورشد يرشِد رَشَداً إذا بلغ ما يجب، وغوى ضدّه، والغي مصدر من غوى يغوي إذ ضلّ في معتقد أو رأي.
(٣) كان العرب في الجاهلية يسمون الصنم المعبود الطاغية، وفي الحديث: «كانوا يهلون لمناة الطاغية».
(٤) الوثقى: مؤنث الأوثق وجمع الوثقى الوُثق مثل: الفضلى والفضل.
(٥) السين والتاء في (استمسك) للتأكيد كما في استجاب بمعنى أجاب.

سميع لأقوال عباده عليم بنياتهم وخفيات أعمالهم وسيجزي كلًّا بكسبه. ثم أخبر تعالى أنه ولي عباده المؤمنين فهو يخرجهم من ظلمات(١) الكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان فَيكْملُون وَيسْعدُون، وأن الكافرين أولياؤهم الطاغوت من شياطين الجن والإنس الذين حسنوا لهم الباطل والشرور، وزيّنوا لهم الكفر والفسوق والعصيان، فأخرجوهم بذلك من النور إلى الظلمات فأهّلوهم لدخول النار فكانوا أصحابها الخالدين فيها.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ لا يُكره أهل الكتابين ومن في حُكمهم كالمجوس والصابئة على الدخول في الإسلام إلا باختيارهم وتقبل منهم الجزية فيُقَرّوْن على دينهم.(٢)

٢ـ الإسلام كلّه رشد،(٣) وما عداه ضلال وباطل.

٣ـ التخلي عن الرّذائل مقدّم على التحلي بالفضائل.

٤ـ معنى لا إله إلا الله، وهي الإيمان بالله والكفر بالطاغوت.

٥ـ ولاية الله تعالى تُنَال بالإيمان والتقوى.

٦ـ نُصْرة الله تعالى ورعايته لأوليائه دون أعدائه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

(١) وحّد تعالى لفظ النور وجمع لفظ الظلمة، لأنّ الحق واحد، والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة.

(٢) هل هذه الآية: ﴿لا إكراه في الدين﴾ منسوخة بآية السيف؟ الراجح أنها محكمة غير منسوخة هل تؤخذ الجزية من غير أهل الكتاب ومن لهم شبهة كتاب؟ أما كفار قريش، الإجماع على أن لا تؤخذ منهم الجزية. ومن عداهم مذهب مالك يرى أخذ الجزية منهم والإبقاء عليهم ولعلّ هذا إن دعت الضرورة إلى ذلك، وما ذكرته في التفسير أصح المذاهب وأعدلها.

(٣) جاء في صحيح البخاري ما ملخصه: أن عبدالله بن سلام رأى رؤيا كأنه في دوحة خضراء وفي وسطها عمود حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء عروة الحديث وفسر له النبي ﷺ: الروضة بالإسلام والعمود عمود الإسلام، والعروة هي العروة الوثقى أي أنت على الإسلام حتى تموت فكان مبشراً بالجنة رضي الله عنه.

شـرح الكلمات :

ألـم تــر : ألم ينته إلى علمك يا رسولنا، والاستفهام يفيد التعجب من الطاغية المحاج لإبراهيم.

حـــاج : جادل ومارى وخاصـم.

فــي ربّه : في شأن ربه من وجوده تعالى وربوبيته وألوهيته للخلق كلهم.

آتاه الله الملك [1] : أعطاه الحكم والسيادة على أهل بلاده وديار قومه.

إبراهيـــم : هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان هذا الحِجاج قبل هجرة إبراهيم إلى أرض الشام.

فبُهِتَ الذي كفر : انقطع عن الحجّة متحيِّراً مدهوشاً ذاك الطاغية الكافر وهو النمرود البابلي.

معنى الآية الكريمة :

لما ذكر الله تعالى ولايته لأوليائه وأنه مؤيدهم وناصرهم ومخرجهم من الظلمات إلى النور ذكر مثالاً لذلك وهو محاجة النمرود[2] البابلي لإبراهيم عليه السلام فقال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أي ألم ينته إلى علمك حجاج ذاك الطاغية الذي بطرته نعمة الملك الذي آتيناه امتحاناً له فكفر وادعى الربوبية وحاج خليلنا فبينا إنه لأمر عجب. إذ قال له إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، وأنت لا تحيي ولا تميت فقال أنا أحيي[3] وأميت، فرد عليه إبراهيم حجته قائلا: ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها أنت من المغرب فاندهش وتحير وانقطع وأيد الله وليه إبراهيم فانتصر[4]، فهذا مثال لإخراج الله تعالى أولياءه من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

(١) إذ هو ملك بابل وقيل إنّه أحد الأربعة الذين ملكوا المعمورة وهم مسلمان، وكافران، فالمسلمان سليمان، وذو القرنين عليهما السلام والكافران: النمرود، وبختنصر عليهما لعائن الرحمن.

(٢) يقال له النمرود بن كوئتن بن كنعان بن سام بن نوح عليه السلام، وفي الآية دليل على جواز إطلاق اسم الملك على الحاكم الكافر ولمّا حارب الله تعالى أهلكه مع جيشه بالبعوض إذا فتح الله عليهم بابا من البعوض فأكلت الجيش فلم تتركه إلّا عظاما وأمّا النمرود فقد دخلت بعوضة في دماغه فصار يضرب على دماغه حتى هلك بذلك.

(٣) يريد أنّه يحيى من أراد حياته ويميت من أراد موته وهذا مجرّد تمويه وسفسطة فلذا عدل إبراهيم عنها وألزمه الحجة إن كان صادقا في دعواه بالإتيان بالشمس من المغرب كما يأتي بها الله من المشرق.

(٤) يذكر أهل التفسير هنا أن ابراهيم ذهب يمتار من عند الملك كغيره فجادله الملك ومنعه الميرة فعاد بلاشيء وفي اثناء طريقـه وجد رملا أحمر فملأ منه غرارتين حتى لا يفاجىء أهله بالخيبة ولمّا وصل ونام قامت زوجته سارة ففتحت الغرارة فوجدتها دقيقاً من أجود الدقيق الحُوَّارى.

هدايـة الآية

من هداية الآيـة :

١- النعم تبطر صاحبها إذا حرم ولاية الله تعالى .

٢- نصرة الله لأوليائه وإلهامهم الحجة لخصم أعدائهم .

٣- إذا ظلم العبد ووالى الظلم حتى أصبح وصفاً له يحرم هداية الله تعالى فلا يهتدي أبداً .

٤- جواز المجادلة و المناظرة في إثبات العقيدة الصحيحة السليمة .

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

شـرح الكلمـات :

قـــريـة[١] : مدينة لم يذكر الله تعالى اسمها فلا يبحث عنها لعدم جدوى معرفتها .

خـــاويـة : فارغة من سكانها ساقطة عروشها[٢] على مبانيها وجدرانها .

أنـــى يحيي : كيـف يحيـي[٣] .

---

(١) سميت القرية قرية : لاجتماع الناس فيها ، مأخوذ من قريت الماء إذا جمعته ، وهي في القرآن ، المدينة الكبيرة ، والمراد بها هنا بيت المقدس ، وقد خرّبها الطاغية بختنصر ثمّ بعد سبعين سنة أعيد بناؤها كما كانت .

(٢) العريش : سقف البيت وجمعه عروش وهو كل ما يهيأ ليظل أو يكن من ينزل تحته ، ومنه عريش الدالية أي شجرة العنب إذ يعرش لها عريش تمد عليه أغصانها لتتدلى منه عناقيدها .

(٣) اختلف فيمن هو المار على القرية هل هو عزير أو إرميا أو الخضر ، وأرجح الأقوال أنّه عزير ، وما دام الله ورسوله لم يذكرا اسمه فلا داعي إلى ذكره ، والتعرف إليه ولذا لم أذكره في التفسير .

بعد موتهــا : بعد خوائها وسقوطها على عروشـها

لبثـــت : مكثت وأقمت .

لم يتسنــه[1] : لم يتغير بمر السنين عليه .

آيـــــة : علامة على قدرة الله على بعث الناس أحياء يوم القيامة .

ننشـــزهـا : في قراءة ورش ننشرها بمعنى نحييها بعد موتها . وننشزها نرفعها ونجمعها لتكون حماراً كما كانت .

معنى الآيــة :

هذا مثل آخر معطوف على الأول الذي تجلت فيه على حقيقتها ولاية الله لإبراهيم حيث أيده بالحجة القاطعة ونصره على عدوه النمرود قال تعالى : ﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية﴾ فارغـة من سكانها ساقطة سقوفها على مبانيها فقال المارّ بها مُستبعداً حياتها مرة ثانية : كيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها؟ فأماته الله مائة عام ثم أحياه ، وسأله : كم لبثت؟ قال : حسب عادة من نام في يوم واستيقظ فيه فإنه يرى أنه نام يوماً أو بعض يوم . فأجابه مُصَوِّباً له فهمه : بل لبثت مائة عام ، ولكي تقتنع بما أخبرت به فانظر إلى طعامك وكان سلة من تين،وشرابك وكان عصيراً من عنب فإنه لم يتغير طعمه ولا لونه وقد مر عليه قرن من الزمن ، وانظر إلى حمارك فإنه هلك بمرور الزمن ولم يبق منه إلا عظامه تلوح بيضاء فهـذا دليل قاطع على موته وفنائه لمرور مائة سنة عليه ، وانظر إلى العظام كيف نجمعها ونكسوها لحمًا فإذا هي حمارك الذي كنت تركبه من مائة سنة ونمت وتركته إلى جانبك يرتع ، وتجلت قدرة الله تعالى في عدم تغير الذي جرت العادة أنه يتغير في ظرف يوم واحد وهو سلة التين وشراب العصير . وفي تغير الذي جرت العادة أنه لا يتغير إلا في عشرات الأعوام ، وهو الحمار . كما هي ظاهرة في موت صاحبها وحياته بعد لبثه على وجه الأرض ميتاً لم يعثر عليه أحد طيلة مائة عام . وقال له الرب تبارك وتعالى بعد أن وقفه على مظاهر قدرته فعلنا هذا بك لنريك قدرتنا[2] على إحياء القرية متى أردنا إحياءها ولنجعلك في قصتك هذه آية للناس ،

---

(١) مشتق من السنة لأنّ مرّ السنين يوجب التغيّر فتسنّه تغير بمر السنين عليه مثل تحجر الطين صار حجرا بمرور الأيام أو الساعات عليه .

(٢) قوله تعالى : ﴿ولنجعلك﴾ قيل الواو مقحمة ، والأصل لنجعلك ، وعلى أصالة الواو وعدم إقحامها يكون المعنى ، أريناك ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك آية للناس فالواوعاطفة إذاً وهو وظيفتها أي العطف .

تهديهم إلى الإيمان بنا وتوحيدنا في عبادتنا وقدرتنا على البعث الآخر الذي لا ريب فيه لتجزى كل نفس بما كسبت.

وأخيراً لما لاحت أنوار ولاية الله في قلب هذا العبد المؤمن الذي أثار تعجبه خراب القرية فاستبعد حياتها قال: أعلم[(١)] أن الله على كل شيء قدير، فهذا مصداق قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات[(٢)] إلى النور﴾.

هداية الآيـة

من هداية الآيـة:

١ـ جواز طروء استبعاد ما يؤمن به العبد أنه حق وكائن، كما استبعد هذا المؤمن المار بالقرية حياة القرية مرة أخرى بعد ما شاهد من خرابها وخوائها.

٢ـ عظيم قدرة الله تعالى بحيث لا يعجزه تعالى شيء وهو على كل شيء قدير.

٣ـ ثبوت البعث الآخر وتقريره.

٤ـ ولاية الله تعالى للعبد المؤمن التقي تجلت في إذهاب الظلمة التي ظهرت على قلب المؤمن باستبعاده قدرة الله على إحياء القرية، فأراه الله تعالى من مظاهر قدرته ما صرح به في قوله: ﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

---

(١) وقرىء اِعْلَمْ، والقائل له حينئذ الله تبارك وتعالى أو مَلَك من ملائكته، أو هو خاطب نفسه قائلا لها إعلمى يا نفسي هذا العلم اليقيني الذي ما كنت تعلمينه.

(٢) لمّا قرّر تعالى ولايته لَلذين آمنوا وأنّه يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم ذكر لذلك ثلاثة أحداث تجلى في كل واحد منها مصداق ما أخبر به، فالأول محاجة النمرود لإبراهيم واعطاؤه تعالى نور العلم الذي أسكت به المجادل الكافر النمرود. والثاني استبعاد عزير إحياء الله مدينة القدس بعد تدميرهاوتخريبهافأراه الله من آياته ما أذهب عنه ما وجده في نفسه من استبعاد حياة تلك المدينة، والثالث طلب إبراهيم ربّه أن يريه كيف يحيى الموتى وقد أراه ذلك فأذهب به ما وجده إبراهيم من التطلع إلى معرفة ذلك.

شـــرح الكلمــات :

إبراهيـم : هو خليل الرحمن أبو الأنبياء عليه السلام .

يطمئن قلبي : يسكن ويهدأ من التطلع والتشوق إلى الكيفيّة .

فصرهنّ[1] إليك: أملهن واضممهن إليك وقطعهن أجزاء .

ســـعيا : مشـياً سريعــاً وطيرانا .

عـــزيز : غالب لا يمتنع عنه ولامنه شيء أراده بحال من الأحوال .

حكـــيم : لا يخلُق عبثا ولا يوجد لغير حكمة ، ولا يضع شيئا في غير موضعه اللائق به .

معنى الآية الكريمة :

هذا مثل ثالث يوجه الى الرسول والمؤمنين حيث تتجلّى لهم ولايته تعالى لعباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى مجرّد ظلمة باستبعاد شيء عن قدرة الله تعالى ، أو تطلع الى كيفيّة إيجاد شيء ومعرفة صورته . فقال تعالى : اذكروا ﴿إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي[2] الموتى﴾ . سأل إبراهيم ربّه أن يريه طريقة الإحياء كيف تتم هل هي جارية على نواميس معيّنة أم هي مجرد قدرة يقول صاحبها للشيء كن فيكون ، فسأله ربه وهو عليم به أتقول الذي تقول ولم تؤمن؟ قال إبراهيم : بلى أنا مؤمن بأنك على كل شيء قدير، ولكن أريد أن أرى صورة لذلك يطمئن لها قلبي ويسكن من التطلع والتشوق إلى معرفة المجهول لدي . فأمره تعالى إجابة له لأنه وليّه فلم يشأ أن يتركه يتطلع إلى كيفيّة إحياء ربه الموتى ، أمره بأخذ أربعة طيور[3] وذبحها وتقطيعها أجزاء وخلطها مع بعضها بعضا ثم وضعها على أربعة جبال[4] على كل جبل ربع الأجزاء المخلوطة ، ففعل ، ثم أخذ برأس كل طير على حِدَةٍ

---

(١) فسَّر (صرهن) بأملهن وقطعهن كما في التفسير، والكل صحيح إذ إما لتهن أوّلا ثم تقطيعهنّ وشاهد أملهن في قول العرب رجل أصور إذا كان مائل العنق وامرأة صوراء والجمع صور كسوداء وسود وعليه قول الشاعر:

الله يعلم أنا في تلفتنا يومِ الفراق إلى جيراننا صور، وشاهد قطعهن قوله صار الشيء يصوره إذا قطعه ومنه قول الشاعر:

بنهضي وقد كاد ارتقائي يصورها

(٢) هذا السؤال والله ما كان عن شك من ابراهيم أبداً وكيف وقد قال رسول الله ﷺ نحن أحق بالشك من إبراهيم ، أي لو شك ابراهيم لكنّا نحن أحرى بذلك لضعفنا ولكن ما شكّ ابراهيم ، وكل ما طلبه زيادة اليقين برؤية كيفية الاحياء كيف تتم ، فسلام على إبراهيم الخليل وعلى محمد في العالمين .

(٣) يروى عن ابن عباس وبعض علماء السلف أنها كانت حمامة وديكاً وغراباً وطاووسا وليس في معرفتها كبير فائدة فلذا لم أذكرها في التفسير.

(٤) الجبل قطعة عظيمة من الأرض أرسى الله تعالى بها الأرض حتى لا تضطرب وتتحرك ومنافعها كثيرة منها أنّ بعض الناس يتخذونها حصونا مانعة من وصول العدو إليهم قال السموأل :

لنا جبل يحتله من نجيرة منيع يرد الطرف وهو كليل

وهو أحِد جبال طيء شمال الحجاز.

ودعاه فاجتمعت اجزاؤه المفرقة المختلطة بأجزاء غيره وجاءه يسعى فقدم له رأسه فالتصق به وطار في السماء وإبراهيم ينظر ويشاهد مظاهر قدرة ربّه العزيز الحكيم. سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه.

هدايـة الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١ـ غريزة[1] الإنسان في حب معرفة المجهول والتطلع إليه.

٢ـ ولاية الله تعالى لإبراهيم حيث أراه من آياته ما اطمأن به قلبه وسكنت له نفسه.

٣ـ ثبوت[2] عقيدة الحياة الثانية ببعث الخلائق أحياء للحساب والجزاء.

٤ـ زيادة الإيمان واليقين كلما نظر العبد إلى آيات الله الكونية، أو قرأ وتدبر آيات الله القرآنية.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

---

(١) قالت العلماء من غرائز الإنسان التي جبل عليها حبه معرفة المجهول والآية أكبر شاهد إذ الخليل أحب أن يعرف كيفية إحياء الموتى.

(٢) إذ رؤية ابراهيم لكيفية إحياء الله تعالى الموتى من الطير أكبر دليل على قدرة الله تعالى على إحياء العباد يوم القيامة، ومن هداية هذه الآية إراءه المشركين المنكرين للبعث الآخر هذه الحادثة العجيبة كأنهم يشاهدونها فتقوم بذلك الحجة عليهم وعلى كل منكر للبعث والحياة الآخرة.

شـرح الكلمـات :

مثل الذين ينفقون[١] : صفتهم المستحسنة العجيبة .

سـبيل الله : كل ما يوصل إلى مرضاة الله تعالى من الإيمان وصالح الأعمال .

يضـــاعف : يزيد ويكثر حتى يكون الشيء أضعاف ما كان .

منّاً ولا أذى : المنّ[٢] : ذكر الصدقة وتعدادها على من تُصُدّق بها عليه على وجه التفضل عليه . والأذى : التطاول على المتصدق عليه وإذلاله بالكلمة النابيه أو التي تمس كرامته وتحط من شرفه .

قول معروف : كلام طيب يقال للسائل المحتاج نحو: الله يرزقنا وإياكم ، الله كريم . الله يفتح علينا وعليك .

ومغفـــرة : ستر على الفقير بعدم إظهار فقره، والعفو عن سوء خلقه إن كان كذلك .

غـني : غنـيٌ ذاتي لا يفتقر معه إلى شيء أبداً .

حليــــم : لا يعاجل بالعقوبة بل يعفو ويصفح .

معنى الآيـات :

يخبر تعالى مرغبا في الجهاد بالمال لتقدمه على الجهاد بالنفس لأن العدة أولا والرجال ثانياً، أن مثل ما ينفقه المؤمن في سبيل الله وهو هنا الجهاد، في نمائه وبركته وتضاعفه، كمثل حبة[٣] برّ بذرت في أرض طيبة فأنبتت سبع[٤] سنابل في كل سنبلة مائة حبة فأثمرت الحبة الواحدة سبعمائة حبة، وهكـذا الدرهم الواحد ينفقه المؤمن في سبيل الله يضاعف إلى سبعمائة

---

(١) ذكر القرطبي أنه روي أن هذه الآية ﴿مثل الذين ينفقون﴾ نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف، إذ عثمان جهّز جيش العسرة في غزوة تبوك وعبدالرحمن خرج بنصف ماله وهو أربعة آلاف فدعا له الرسول ﷺ بقوله : «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت» .

(٢) المنّ من كبائر الذنوب إذ صاحبه أحد ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (في صحيح مسلم) والمنّان هو الذي لا يعطي شيئا إلاّ منّه .

(٣) الحب : اسم جنس لكلِ ما يزرعه الإنسان ويقتاته وأكثر ما يراد بالحب البرّ ومنه قول المتلمس

آليت حبّ الفراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس

والحِبّة بكسر الحاء بذور البقول مما ليس بقوت وفي حديث الشفاعة : «فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل» وحبّة القلب سويداؤه والحُبُّ معروف ضدّ الكره .

(٤) في الآية : دليل على مشروعية الزراعة ، وهي واجب كفائي وورد فيها : «التمسوا الرزق في خبايا الأرض» رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها .

ضعف، وقد يضاعف إلى أكثر لقوله تعالى: ﴿والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٦١) وأما الآية الثانية (٢٦٢) فهي تحمل بشرى الله تعالى للمنفقين في سبيله الذين لا يتبعون ما أنفقوه منّاً به ولا أذى لمن أنفقوه عليه بأن لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من حياتهم ولا هم يحزنون على ما يتركون وراءهم ويخلفون. وهذه هي السعادة حيث خلت حياتهم من الخوف والحزن وحل محلها الأمن والسرور. وأخيرا الآية الثالثة (٢٦٣) وهي ﴿قول معروف....﴾ فإن الله تعالى يخبر بأن الكلمة الطيبة تقال للفقير ينشرح لها صدره وتطيب لها نفسه خير من مال يعطاه صدقة عليه يهان به ويذل فيشعر بمرارة الفقر أكثر، وألم الحاجة أشد، ومغفرة وستر لحالته وعدم فضيحتة أو عفو عن سوء خلقه كإلحاحه في المسألة، خير أيضاً من صدقة يفضح[1] به ويعاتب ويشنع عليه بها. وقوله في آخر الآية: ﴿ والله غني حليم﴾ أي مستغن عن الخلق حليم لا يعاجل بالعقوبة من يخالف أمره.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ فضل النفقة في الجهاد وأنها أفضل النفقات.

٢ـ فضل الصدقات وعواقبها الحميدة.

٣ـ حرمة المن بالصدقة وفي الحديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة...» وذكر من بينهم المنان.

٤ـ الرد الجميل على الفقير إذا لم يوجد ما يعطاه، وكذا العفو عن سوء القول منه ومن غيره خير من الصدقة يتبعها أذى وفي الحديث: «الكلمة الطيبة صدقة».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ
صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ

(١) وصحّ عنه ﷺ قوله: «الكلمة الطيبة صدقة» وقوله: ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا عاقّ لوالديه ولا منان».

تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

شـرح الكلمـات :

إبطـال الصدقة[1] : الحرمان من ثوابها

المـن[2] والأذى : تقدم معناهما.

رئاء النـاس : مراءاة لهم ليكسب محمدتهم، أو يدفع مذمتهم.

صفـــوان[3] : حجـر أمـلس.

وابـــل[4] : مطـر شديد.

صـــلداً : أملس ليس عليه شيء من التراب.

لا يقـــدرون : يعجزون عن الانتفاع بشيء من صدقاتهم الباطلة.

معنى الآيـة :

بعد أن رغّب تعالى في الصدقات ونبّه إلى ما يبطل أجرها وهو المنّ والأذى نادى عباده المؤمنين فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا. . .﴾ ناهياً عن إفساد صدقاتهم وإبطال ثوابها فقال: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ مشبهاً حال إبطال الصدقات بحال صدقات المرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر في بطلانها فقال: ﴿كالذي ينفق[5] ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم[6] الآخر﴾ وضرب مثلاً لبطلان صدقات من يتبع صدقاته منّا أو أذى أو يرائي بها الناس أو هو كافر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فقال: ﴿مثله كمثل صفوان عليه تراب﴾

---

(١) قالت العلماء: إن الصدقة إلتي يعلم الله من صاحبها أنّه يمنّ أو يؤذي بها فإنها لا تقبل، وهو كما قالوا لأنّ الله تعالى قال: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾ وإبطالها هو عدم قبولها وإذا لم تقبل فلا يعطى صاحبها ثوابا عليها وهو معنى: لا تقبل.

(٢) يقال طعم الآلاء أحلى من المنّ، وهو أمرّ من الآلاء عند المنّ. الآلاء الأوّل: النعم. والثاني شجر مُرّ الورق. والمنّ الأول شيء يشبه العسل، والثاني تذكير المنعم عليه بالنعمة.

(٣) الصفوان: واحده صفوانة.

(٤) يقال: وبلت السماء تَبِلُ والأرض موبولة ومنه قوله تعالى: ﴿فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾ أي شديداً.

(٥) إنّ الكافر قد يعطي المال ولكن ليراه الناس فيمدحوه ويشكروه وهذا عمل أهل الجاهلية الماضية والحاضرة أيضاً.

(٦) أي إنفاقاً كإنفاق الذي ينفق ماله رئاء الناس طَلَباً لمحمدتهم أو خوفاً من مَذَمَّتهم.

أي حجر أملس عليه تراب،[1] ﴿فأصابه وابل فتركه صلدا﴾ أي نزل عليه مطر شديد فأزال التراب عنه فتركه أملس عارياً ليس عليه شيء، فكذلك تذهب الصدقات الباطلة ولم يبق منها لصاحبها شيء ينتفع به يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ أي مما تصـدقوا به، ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾[2] إلى ما يسعدهم ويكملهم لأجل كفرانهم به تعالى.

هداية الآية

من هداية الآية :

١ـ حرمة المن والأذى في الصدقات وفسادها بها.

٢ـ بطلان صدقة المان والمؤذي والمرائي بها.

٣ـ حرمة الرياء وهي من الشرك لحديث: «إياكم والرياء فإنه الشرك الأصغر».

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

(١) التراب على الصفوان عندما يراه الفلاح يعجبه لنعومة التربة وصفائها فيبذر فيه رجاء أن يحصد ولكن إذا نزل عليه المطر الشديد مسحه وذهب به وبالبذر معه فيصاب صاحبه بخيبة الأمل فكذلك المنفق رئاء الناس.

(٢) هذه الجملة ذيّل بها الكلام لتحمل تحذيراً شديدا للمؤمنين أن يسلكوا مسالك الكافرين في إنفاقهم وأعمالهم فإنها باطلة خاسرة.

شـــرح الكلمـات :

المثـــــل : الصفة المستملحة المستغربة.

ابتغاء مرضاة الله : طلبا لرضا الله تعالى.

تثبيـــتاً (١) : تحقيقاً وتيقُّناً بمثوبة الله تعالى لهم على إنفاقهم في سبيله.

جنّة بربوة (٢) : بستان كثير الأشجار بمكان مرتفع.

ضــعفين : مضاعفاً مرتين، أوضعفي ما يثمر غيرها.

الوابـــل : المطر الغزير الشديد.

الطـــلّ : المطر الخفيف.

إعصـــــار : ريح عاصـف فيها سموم.

معنى الآيتيـن :

لما ذكر الله تعالى خيبة المنفقين أموالهم رياء الناس محذراً المؤمنين من ذلك ذكر تعالى مرغباً في النفقة التي يريد بها العبد رضا الله وما عنده من الثواب الأخروي فقال ضاربا لذلك مثـلاً: ﴿ومثـل الـذين ينفقـون أمـوالهم ابتغـاء مرضـاة الله﴾ أي طلبـاً لمـرضـاتـه ﴿وتثبيتـاً من أنفسهم﴾ أي تحققا وتيقناً منهم بأن الله تعالى سيثيبهم عليها مثلهم في الحصول على ما أمّلوا من رضا الله وعظيم الأجر كمثل جنّة بمكان مرتفع عالٍ أصابها مطر غزير فأعطت ثمرها ضعفي ما يعطيه غيرها من البساتين ولما كانت هذه الجنة بمكان عال مرتفع فإنها إن لم يصبها المطر الغزير فإن الندى والمطر اللين الخفيف كافٍ في سقيها وريها حتى تؤتي ثمارها مضاعفاً مرتين، وختم تعالى هذا الكلام الشريف بقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فواعد به المنفقين ابتغاء مرضاته وتثبيتاً من أنفسهم بعظم الأجر وحسن المثوبة، وأوعد به المنفقين الذين يتبعون ما أنفقوا بالمن والأذى والمنفقين رياء الناس بالخيبة والخسران.

كان هذا معنى الآية الأولى (٢٦٥) وأما الآية الثانية (٢٦٦) فإنه تعالى يسائل عباده تربية

---

(١) لقد اختلف في معنى ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ ورجح ما فسّرناه به في التفسير وهناك معنى آخر لطيف وهو وتثبيتا لأنفسهم على الإيمان وأفعال البرّ لأن الحسنة تلد الحسنة فهم ينفقون أموالهم طلبا لرضوان الله وترويضا منهم لأنفسهم على فعل الخير والإحسان.

(٢) الربْوة: مثلثة الراء: المكان المرتفع.

لهم وتهذيباً لأخلاقهم وسمواً بهم إلى مدارج الكمال الروحي فيقول: ﴿أيود أحدكم﴾[1] أي أيحب أحدكم أيها المنفقون في غير مرضاة الله تعالى أن يكون له جنّة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار وله فيها من كل الثمرات والحال أنه قد تقدمت به السن وأصبح شيخاً كبيراً، ومع هذا العجز فإن له ذريّة صغاراً لا يقـدرون على الكسب وجلب عيشهم بأنفسهم، وأصاب ذلك البستان الذي هو مصدر عيش الوالد وأولاده أصابه ريح عاتية تحمل حرارة السموم[2] فأتت على ذلك البستان فأحرقته، كيف يكون حال الرجل[3] الكبير وأولاده؟ هكذا الذي ينفق أمواله رئاء الناس يخسرها كلها في وقت هو أحوج إليها من الرجل العجوز وأطفاله الصغار، وذلك يوم[4] القيامة وأخيراً يمتن تعالى على عباده بما يبين لهم من الآيات في العقائد والعبادات والمعاملات والآداب ليتفكروا فيها فيهتدوا على ضوئها الى كمالهم وسعادتهم فقال تعالى: ﴿كذلك﴾ أي كذلك التبيين ﴿يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾[5].

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ استحسان ضرب الأمثال تقريباً للمعاني الى الأذهان لينتفع بها.

٢ـ مضاعفة أجر الصدقة الخالية من المن والأذى ومراءاة الناس.

٣ـ بطلان صدقات المان والمؤذي والمرائي وعدم الانتفاع بشيء منها.

٤ـ وجوب التفكر في آيات الله لاسيما تلك التي تحمل بيان العقائد والأحكام والآداب والأخلاق.

---

(١) الودّ: حبّ الشّيء مع تمنيه

(٢) ولذا قال ﷺ: «أبردوا بصلاتكم في الحرّ فإن شدة الحر من فيح جهنم» رواه البخاري وغيره.

(٣) روى الحاكم وذكره ابن كثير أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول: «اللهم اجعل أوسع رزقك عَلَيّ عند كبر سنّي وانقضاء عمري».

(٤) روى البخاري أن عمر رضي الله عنه سأل يوما أصحاب رسول الله عن هذه الآية: ﴿أيودّ أحدكم﴾ فقالوا: الله أعلم فقال قولو نعم أولا نعلم فقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك فقال: ضربت مثلا لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

(٥) أي في زوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقائها، وهذا لا يتنافى مع ما فسّرنا به الآية. في التفسير.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

شـرح الكلمـات :

من طيبات ما كسبتم	: من جيّد أموالكم وأصلحهـا .
ومما أخرجنا لكم من الأرض	: من الحبوب وأنواع الثمار.
ولا تيمموا الخبيث	: لا تقصدوا الرديء تنفقون منه .
إلا أن تُغْمِضُوا فيه[1]	: إلا أن تغضـوا أبصـاركم عن النـظر في رداءته فتأخذونه بتساهل منكم وتسامح .
حميـــد	: محمـود في الأرض والسـماء في الأولى والأخرى لما أفاض ويفيض من النعم على خلقه .
يعدكـم الفقر	: يخوفكم من الفقر ليمنعكم من الإنفاق في سبيل الله .
ويأمركم بالفحشاء	: يدعوكم إلى ارتكاب الفواحش ومنها البخل والشح .
الحكمـــة	: فهم أسرار الشرع ، وحفظ الكتاب والسنّة .
أولوا الألباب	: أصحاب العقول الراجحة المفكرة فيما ينفع أصحابها .

(١) يقال أغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز، وما في التفسير فهو مأخوذ من تغميض العين لعدم رؤية العيب والرداءة، وقراءة الجمهور تشهد للمعنيين التجاوز، وتغميض العين.

معنى الآيات :

بعـدمـا رغب تعـالى عبـاده المؤمنين في الانفاق في سبيله في الآية السّابقة ناداهم هنا بعنوان الإيمان وأمرهم بإخراج زكاة أموالهم من جيد ما يكسبون فقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا[1] انفقوا من طيبات ما كسبتم[2] ، ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ يريد الحبوب والثمار كما أن ما يكسبونه يشمل النقدين والماشية من إبل وبقر وغنم،ونهاهم عن التصدق بالرّديء من أموالهم فقال : ﴿ولا تيمّموا[3] الخبيث[4] منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ يريد لا ينبغي لكم أن تنفقوا الرديء وأنتم لو اعطّيتموه في حق لكم ما كنتم لتقبلوه لولا أنكم تغمضون وتتساهلون في قبـولـه ، وهـذا منه تعالى تأديب لهم وتربية . وأعلمهم أخيراً أنه تعالى غنيٌ عن خلقه ونفقاتهم فلم يأمرهم بالزكاة والصدقات لحاجة به ، وإنما أمرهم بذلك لإكمالهم وإسعادهم ، وأنه تعالى حميد محمود بماله من إنعام على سائر خلقه كان هذا معنى الآية (٢٦٧) أما الآية (٢٦٨) فإنه تعالى يحذّر عباده من الشيطان ووساوسه فأخبرهم أن الشيطان يعدهم الفقر[5] أي يخوفهم منه حتى لا يزكوا ولا يتصدقوا ويأمرهم بالفحشاء فينفقون أموالهم في الشر والفساد ويبخلون بها في الخير،والصالح العام أما هو تعالى فإنه بأمره إياهم بالإنفاق يعدهم مغفرة ذنوبهم لأن الصدقة تكفر الخطيئة ، وفضلا منه وهو الرزق الواسع الحسن ، وهو الواسع الفضل العليم بالخلق . فاستجيبوا أيها المؤمنون لنداء الله تعالى ، وأعرضوا عن نداء الشيطان فإنه عدوكم لا يعدكم إلا بالشر،ولا يأمركم إلا بالسوء والباطل ، كان هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٢٦٩) فإن الله تعالى يرغّب في تعلُّم العلم النافع،العلم الذي يحمل على العمل الصالح ، ولا يكون ذلك إلا علم الكتاب والسنة حفظاً وفهمًا وفقهاً فيهما فقال

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ﴿الشيطان يعدكم. . .﴾ الخ اثنتان من الله تعالى و اثنتان من الشيطان . ويفسّره حديث الترمذي إذ فيه قوله ﷺ : «إن للشيطان لمّة بابـن آدم وللملك لمة ، فأمّا لمة الشيطان فإيعاد بالشرّ وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنّه من الله ، ومن وجدالأخرىفليتعوذ بالله من الشيطان ثمّ قرأ: ﴿الشيطان. .﴾ الآية .

(٢) الآية في الزكاة قطعا، والنهي عن الانفاق من الرديء يشمل الزكاة . والتطوع معاً .

(٣) روى الحاكم وصححه على شرط الشيخين في سبب نزول هذه الآية عن البراء قال: هذه الآية نزلت فينا، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فيسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لايرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشيص فيعلقه فنزلت: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ الآية .

(٤) أي من الخبيث الذي هو الرِدِيء.

(٥) تفتح فاء الفقر، وتضم كالضَعف والضُعف.

تعالى: ﴿يؤتى﴾ أي هو تعالى ﴿الحكمة[1] من يشاء﴾ ممن طلبها وتعرض لها راغباً فيها سائلا الله تعالى أن يعلمه، وأخبر أخيراً أن من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً[2] فليطلب العاقل الحكمة قبل طلب الدنيا هذه تذكرة ﴿وما يذّكر إلا أولوا الألباب﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب الزكاة في المال الصامت من ذهب وفضة وما يقوّم مقامهما من العمل وفي الناطق من الإبل والبقر والغنم إذ الكل داخل في قوله: ﴿ما كسبتم﴾ وهذا بشرط الحول[3] وبلوغ النصاب.

٢- وجوب الزكاة في الحرث: الحبوب والثمار وذلك فيما بلغ نصابا، وكذا في المعادن إذ يشملها لفظ الخارج من الأرض.

٣- قبح الإنفاق من الرديء وترك الجيد.

٤- التحذير من الشيطان ووجوب مجاهدته بالإعراض عن وساوسه ومخالفة أوامره.

٥- إجابة نداء الله والعمل بإرشاده.

٦- فضل العلم على المال.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ[4] ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ

---

(١) الحكمة: النبوة والقرآن والإصابة في الأمور بوضع كل شيء في موضعه فأعلى الحكمة النبوة ثم القرآن والسنة. وفي الصحيح: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها» واللفظ يشمل القرآن والسنة.

(٢) أصل الحكمة: إحكام الشيء وإتقانه وعليه فحفظ القرآن والسنة وفهمهما والعمل بهما هو الحكمة وفي الصحيح: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» وورد: رأس الحكمة مخافة الله.

(٣) الحول: هو مرور سنة كاملة على زكاة النقدين والعمل وعَروض التجارة، والنصاب في الحبوب والثمار خمسة أوسق لحديث الصحيح: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة والوسق ستون صاعاً، والصاع أربعة أمداد. وفي النقدين: الذهب عشرون ديناراً ما يعادل ٧٠ غراماً وفي الفضة مائتا درهم: ما يعادل ٤٦٠ غراماً، وفي الغنم أربعون شاة، وفي البقر ثلاثون بقرة، وفي الإبل خمس منها.

(٤) قوله تعالى: ﴿فنعمّا هي﴾ ثناء على إبداء الصدقة وقوله: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء﴾ حكم على أنّ الإخفاء خير من الإبداء، قال أحد الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره. قال دعبل الخزاعي:

إذا انتقموا أعلنوا أمرهم   وإن أنعموا أنعموا باكتتام

فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

شـرح الكلمـات :

من نفقة : يريد قليلة أو كثيرة من الجيد أو الرديء.

مـن نـذر : النذر[١] التزام المؤمن بما لم يلزمه به الشارع، كأن يقول: لله عليّ أن أتصدق بألف؛ أو أصوم شهراً أو أصلي كذا ركعة أو يقول: إن حصل[٢] لي كذا من الخير أفعل كذا من الطاعات.

إن تبدو الصدقات : أي تظـهروها.

فنعمـا هي : فنعم تلك الصدقة التي أظهرتموها ليُقْتَدى بكم فيها.

ويكفر عنكم من سيئاتكم : يكفر بمعنى يسترها ولا يطالب بها، ومن للتبعيض إذ حقوق العباد لا تكفرها الصدقة.

معنى الآية الكريمة :

بعدما دعا تعالى عباده إلى الإنفاق في الآية السابقة أخبر تعالى أنه يعلم ما ينفقه عباده فإن كان المُنْفَق جيداً صالحاً يعلمه ويجزي به وإن كان خبيثاً رديئاً يعلمه ويجزي به وقال تعالى مخاطبا عباده المؤمنين: ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه[٣]﴾ فما كان مبتغىً به وجه الله ومن جيد المال فسوف يكفر به السيئات ويرفع به الدرجات، وما كان رديئاً ونذراً لغير الله تعالى فإن أهله ظالمون وسيجزون أجر نفقاتهم ونذورهم لغير الله ولا يجدون من يثيبهم على شيء منها لأنهم ظالمون فيها حيث وضعوها في غير موضعها، ﴿وما للظالمين من أنصار﴾. هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٧٠).

---

(١) مما يجب علمه أنّه شاع في العامة بين المسلمين النذر للأولياء والصالحين وهو محرّم قطعاً إذ هو من شرك العبادة فبعضهم يقول يا سيدي فلان إن قضي الله حاجتي فعلت لك كذا، وآخر يقول: إن حصل لي كذا ذبحت لك أو جدّدت بناء قبّتك أو أنرت ضريحك، فيجب أن يُنهىٰ عن هذا كله ويعلم من يفعله أنه أشرك بعبادة ربّه.

(٢) النذر المشروط مكروه لقول الرسول ﷺ: «النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من مال البخيل». أو كما قال ﷺ. أمّا النذر المطلق فهو قربة من أفضل القرب، وفي التفسير بيان لكلّ من المطلق والمشروط فانظره.

(٣) في الآية إيجاز بليغ إذ التقدير وما أنفقتم من نفقة فإنّ الله يعلمها أو نذرتم من نذر فإنّ الله يعلمه فحذف من الأول لدلالة الأخير عليه تجنبا للتكرار المنافي لبلاغة الكلام.

أما الآية الثانية (٢٧١) فقد أعلم تعالى عباده المؤمنين أن ما ينفقونه لوجهه ومن طيب أموالهم علناً وجهرة هو مال رابح،ونفقة مقبولة،يثاب عليها صاحبها،إلا أنّ ما يكون من تلك النفقات سراً ويوضع في أيدي الفقراء يكون خيراً لصاحبه لبعده من شائبة الرياء، ولإكرام الفقراء،وعدم تعريضهم لمذلة التصدق عليهم وأنه تعالى يكفّر عن المنفقين سيئاتهم بصدقاتهم، وأخبر أنه عليم بأعمالهم فكان هذا تطميناً لهم على الحصول على أجور صدقاتهم، وسائر أعمالهم الصالحة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ الترغيب في الصدقات ولو قلّت والتحذير من الرياء فيها وإخراجها من رديء الأموال.

٢ـ جواز إظهار الصدقة[1] عند سلامتها من الرياء.

٣ـ فضل صدقة السّر وعظم أجرها، وفي الحديث الصحيح: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». ذكر من السبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلۡفُقَرَآءِ[2] ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) صدقة التطوع الإسرار بها أفضل ففي الحديث: «صدقة السرّ تطفىء غضب الرّبّ عزّ وجلّ» وفي الصحيح: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل قلبه معلّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجل ذكَر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ربّ العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» والصدقة الواجبة وهي الزكاة إعلانها أفضل من إسرارها. هذا ومرد القضية إلى حال المتصدق والمتصدق عليه فإن كان المتصدق بإعلانه يتبعه غيره ويكون كمن سنّ سنّة حسنة فالإعلان أفضل وإن كان المتصدق عليه يخجل ويستحي من الصدقة عليه فالإسرار له أفضل من غيره.

(٢) من قال بوجوب صدقة الفطر منع إعطاءها لفقراء أهل الذمّة ومن قال بسنيتها دون وجوبها قال يجوز، والصحيح أنها حق لفقراء المسلمين لانشغالهم بصلاة العيد وبالعبادة في رمضان، وأهل الذمة يعملون الليل والنهار.

لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ[1] يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

شرح الكلمات :

هداهم : هدايتهم إلى الإيمان وصالح الأعمال.

من خير : من مال.

فلأنفسكم : ثوابه العاجل بالبركة وحسن الذكر والآجل يوم القيامة عائد على أنفسكم.

يوف إليكم : يرد أجره كاملا لا ينقص منه شيء.

احصروا : حبسوا ومنعوا من التصرف لأنهم هاجروا من بلادهم.

ضربا في الأرض : أي سيراً فيها لطلب الرزق بالتجارة وغيرها لحصار العدو لهم.

بسيماهم : علامات حاجتهم من رثاثة الثياب وصفرة الوجه.

من التعفف : ترك سؤال الناس، والكف عنه.

إلحافا[2] : إلحاحا وهو ملازمة السائل من يسأله حتى يعطيه.

معنى الآيات :

لما أمر تعالى بالصدقات ورغب فيها وسألها غير المؤمنين من الكفار واليهود فتحرج الرسول

---

(١) قيل نزلت في علي إذ كان له أربعة دراهم فانفقها على ما ذكر في الآية، والآية عامة في المنفقين من غير تبذير ولا تقتير وفي كل حالة تتطلب الانفاق سواء بالليل أو بالنهار سراً أو علانيّة.

(٢) الإلحاح والإلحاف، والإحفاء مصادر ألحّ في السؤال والحف وأحفى والإلحاف مشتق من اللحاف لأنّه يشتمل على الملتحق به كذلك الإلحاف في السؤال لأن الملحف يأتي أمام المسؤول ويأتي عن يمينه عن شماله يسأله لا يفارقه حتى يعطيه أو يمنعه.

والمؤمنون من التصدق على الكافرين فأذهب الله تعالى عنهم هذا الحرج وأذن لهم بالتصدق على غير المؤمنين والمراد من الصدقة صدقة التطوع لا الواجبة وهي الزكاة فقال تعالى مخاطبا رسوله وأمته تابعة له: ﴿ليس عليك هداهم﴾ لم يوكل إليك أمر هدايتهم لعجزك عن ذلك وإنما الموكل إليك بيان الطريق لا غير وقد فعلت فلا عليك أن لا يهتدوا، ولو شاء الله هدايتهم لهداهم، وما تنفقوا من مال تثابوا عليه،سواء كان على مؤمن أو كافر إذا أردتم به وجه الله وابتغاء مرضاته، وأكّد تعالى هذا الوعد الكريم بقوله: ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ والحال أنكم لا تظلمون بنقص ما أنفقتم ولو كان النقص قليلا. كان هذا معنى الآية الأولى (٢٧٢) أما الآية الثانية وهي: ﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله. . . ﴾ فقد بين تعالى فيها أفضل جهة ينفق فيها المال ويتصدق به عليها وهي فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وأحصروا في المدينة بجوار رسول الله ﷺ لا يستطيعون ضرباً في الأرض للتجارة ولا للعمل، ووصفهم تعالى بصفات يعرفهم بها رسوله والمؤمنون ولولا تلك الصفات لحسبهم لعفتهم وشرف نفوسهم الجاهلُ بهم أغنياء غَيْرَ محتاجين فقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم﴾ لا يسألون[1] الناس مجرد[2] سؤال فضلا عن أن يُلِحُّوا ويُلْحِفُوا. ثم في نهاية الآية أعاد تعالى وعده الكريم بالمجازاة على ما يُنْفَقُ في سبيله فقال: ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ ولازمه أن يثيبكم عليه أحسن ثواب فأبشروا واطمئنوا.

وأما الآية الثالثة (٢٧٤) فهي آخر آيات الدعوة إلى الانفاق جاءت تحمل أعظم بشر للمنفقين في كل أحوالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية بأن أجر نفقاتهم مدخر لهم عند ربهم يتسلمونه يوم يلقونه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والبرزخ والآخرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ جواز التصدق على الكافر المحتاج بصدقة التطوع لا الزكاة فإنها حق[3] المؤمنين.

(١) متى تحل المسألة؟ قال أحمد: إذا لم يكن للمرء ما يغديه ويعشيه جاز له السؤال، وقال: لا يسأل الرجل لغيره، ولكن يقول لغيره تصدقوا لقوله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا».

(٢) أي لا يسألون بإلحاح ولا بدونه فهم لا يسألون غيرهم البتة.

(٣) شاهده قوله ﷺ: «أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم» وشاهده في الصحيح «خذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم».

٢ـ ثواب الصدقة عائد على المتصدق لا على المتصدق عليه فلذا لا يضر إن كان كافراً.

٣ـ وجوب الإخلاص في الصدقة أي يجب أن يراد بها وجه الله تعالى لا غير.

٤ـ تفاضل أجر الصدقة بحسب فضل وحاجة المتصدق عليه.

٥ـ فضيلة التعفف وهو ترك السؤال مع الاحتياج[1]، وذم الإلحاح في الطلب من غير الله تعالى أما الله عز وجل فإنه يحب الملحين في دعائه.

٦ـ جواز التصدق بالليل والنهار وفي السر والعلن إذ الكل يثيب الله تعالى عليه ما دام قد أريد به وجهه لا وجه سواه.

٧ـ بشرى الله تعالى للمؤمنين المنفقين بادخار أجرهم عنده تعالى ونفي الخوف والحزن عنهم مطلقا.

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ
مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

(١) من أعطي شيئا من غير طلب ولا تشوف جاز له أخذه لحديث الصحيح: «أنّ النبي ﷺ أعطى عمر مالاً فقال عمر أعطه أفقر إليه مني فقال ﷺ خذه وما جاءك من هذا المال وأنت غَيْر مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك».

شرح الكلمات :

يأكلون الربا[(١)] : يأخذونه ويتصرفون فيه بالأكل في بطونهم، وبغير الأكل والربا هنا ربا النسيئة وحقيقته أن يكون لك على المرء دين فإذا حل أجله ولم يقدر على تسديده تقول له: أخر وزد فتؤخره أجلا وتزيد في رأس المال قدراً معيناً، هذا هو ربا الجاهلية والعمل به اليوم في البنوك الربوية فيسلفون المرء مبلغاً الى أجل ويزيدون قدراً آخر نحو العشر أو أكثر أو أقل والربا حرام بالكتاب والسنة والإجماع وسواء كان ربا فضل[(٢)] أو ربا نسيئة.

لا يقومون : من قبورهم يوم القيامة.

يتخبطه[(٣)] **الشيطان** : يضربه الشيطان ضرباً غير منتظم.

من المس[(٤)] : المس الجنون، يقال: بفلان مسّ من جنون.

موعظة : أمر أو نهي بترك الربا.

فله ما سلف : ليس عليه أن يرد الأموال التي سبقت توبته.

يمحق الله الربا : أي يذهبه شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى منه شيء كمحاق القمر آخر الشهر.

ويربي الصدقات : يبارك في المال الذي أخرجت منه،ويزيد فيه،ويضاعف أجرها أضعافاً كثيرة.

كفار أثيم : الكفار: شديد الكفر، يكفر بكل حق وعدل وخير، أثيم: منغمس في الذنوب لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا ارتكبها.

---

(١) الربا: لغة الزيادة وشاهده الحديث: «والله ما أخذنا من لقمة إلاّ ربا مَنْ تحتها» أي الطعام وعبّر عن الأخذ بالأكل لأن الأخذ يراد للأكل غالباً، وكل حرام قد يطلق عليه الربا تجوّزاً.

(٢) ربا الفضل بيانه في حديث مسلم: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبرّ بالبرّ والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يداً بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي سواء» وقال ﷺ في حديث آخر: «فإذا اختلفت الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد».

(٣) يقال خبطه وتخبطه كملكه وتملّكه، وعبده وتعبّده، والتخبط: الضرب في غير استواء ومنه قولهم خبط عشواء.

(٤) أصل المسّ: اللّمس باليد، ومَنْ مسّه الشيطان اختلط عقله وأصبح يصيح بسبب مس الشيطان له فيقال: فلان يصرَع من الجنّ أي من مسّ الجنّ له، والشيطان من الجنّ، فالمرابي يقوم يوم القيامة مِنْ قَبره كالمجنون أي الذي به مسّ الجن يصرع صرعه.

معنى الآيتين :

لما حث الله على الصـدقات وواعد عليها بعظيم الأجر ومضاعفة الثواب ذكر المرابين الذين يضاعفون مكاسبهم المالية بالربا وهم بذلك يسدّون طرق البر،ويصدون عن سبيل المعروف فبدل أن ينموا أموالهم بالصدقات نموها بالربويات، فذكر تعالى حالهم عند القيام من قبورهم وهم يقومون، ويقعدون،ويغفون ويُصرعون[1]، حالهم حال من يصرع في الدنيا بمس الجنـون، علامـة يعـرفـون بها يوم القيامة كما يعرفون بانتفاخ بطونهم وكأنها خيمة مضروبة بين أيديهم.قال تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾،وذكر تعالى سبب هذه النقمة عليهم فقال ﴿ذلك﴾ أي أصابهم ذلك الخزي والعذاب بأنهم ردّوا علينا حكمنا بتحريم الربا وقالوا انما البيع مثل الربا، إذ الربا الزيادة في نهاية الأجل، والبيع في أوله، ورد تعالى عليهم فقال: ﴿واحل الله البيع[2] وحرم الربا﴾ فما دام قد حرم الربا فلا معنى للاعتراض، ونسوا أن الزيادة في البيع هي في قيمة سلعة تغلو وترخص،وهي جارية على قانون الإذن في التجارة، وأما الزيادة في آخر البيع فهي زيادة في الوقت فقط. ثم قال تعالى مبّيناً لعباده سبيل النجاة محذراً من طريق الهلاك: ﴿فمن جاءه موعظة من ربّه﴾ وهي تحريمه تعالى للربا ونهيه عنه فانتهى عنه فله ما سلف قبل معرفته للتحريم،أو قبل توبته منه، وأمرُه بعد ذلك إلى الله إن شاء ثبته على التوبة فنجاه، وإن شاء خذلـه لسـوء عمله،وفساد نيّته فأهلكه وأرداه وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ومن عاد فأولئك أصحـاب النـار هم فيهـا خالدون﴾. أخبر تعالى أنه بعدله يمحق[3] الربا، وبفضله يربي الصـدقـات، وأنـه لا يحب كل كفـار لشرع الله وحدوده،أثيم بغشيانه الذنوب وارتكابه المعـاصي. كان هذا معنى الآية الأولى (٢٧٥) أما الآية الثانية (٢٧٦) فهي وعد رباني صادق وبشرى الهية سارة لكل من آمن وعمل صالحاً وأقام الصلاة على الوجه الذي تقام به وآتى الزكاة بأنّ له أجره وافٍ عند ربّه يتسلمه يوم الحاجة إليه في عرصات القيامة وأنه لا يخاف مما يستقبله فى الحياة الدنيا والآخرة ولا يحزن أيضاً في الدنيا ولا في الآخرة.

(١) قال ابن عطية: وأمّا ألفاظ الآية فيحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المجنون لأن الطمع والرغبة تستفزّه حتى تضطرب أعضاؤه كما يقوم المسرع في مشيه يخلط في هيئة حركاته حتى يقال: قد جنّ هذا، ولكن ما جاءت به قراءة ابن مسعود إذ كان يقرأ لايقومون يوم القيامة مع تظافر أقوال المفسرين يضعف هذا التأويل.

(٢) في هذا دليل على أنه لا قياس مع النص، فالمشركون قاسوا الربا على البيع فأبطل الله قياسهم لأنّ الربا حرام فلا يقاس على البيع الحلال.

(٣) روى ابن مسعود أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ الربا وإن كثر فعاقبته إلى قل» أي إلى قلة ونقصان.

هـداية الآيتين

من هداية الآيتيـن :

١ـ بيان عقوبة آكل الربا يوم القيامة لاستباحتهم الربا وأكلهم له وعدم التوبة منه.

٢ـ تحريم الربا وكل مال حرام لما جاء في الآية من الوعيد الشديد.

٣ـ صفة الحب لله تعالى وأنه تعالى يحب أولياءه وهم أهل الإيمان به وطاعته ويكره أعداءه وهم أهل الكفر به ومعاصيه من أكل الربا وغيره من كبائر الذنوب.

٤ـ حلية البيع إن تم على شروطه المبيّنة في كتب الفقه.

٥ـ من تاب من الربا تقبل توبته، ويحل له ما أفاده منه قبل التوبة بشرط سيأتي في الآيات بعد هذه.

٦ـ وعيد الله تعالى بمحق الربا ووعده بإرباء[1] الصدقة.

٧ـ بشرى الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح مع إقامتهم للصلاة وإيتائهم للزكاة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ
فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

شـرح الكلمـات :

اتقـوا الله : خافوا عقابه بطاعته بأن تجعلوا طاعته وقاية تقيكم غضبه وعقابه.

(١) شاهده من الكتاب: ﴿يمحق الله الرِّبا ويربي الصدقات﴾ ومن السنة قوله ﷺ: «إن الرِّبا وإن كثر فعاقبته إلى قلّ» وقوله: «إن العبد إذا تصدّق من طيّب يقبلها الله منه فيأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم مهره أوفصيله، وإنّ الرجل ليتصدق باللّقمة فتربو في يد الله أو قال في كفّ الله حتى تكون مثل أُحُد فتصدَّقوا».

وذروا ما بقي من الربا : اتركوا ما بقي عندكم من المعاملات الربويّة .
فأذنـوا بحرب : اعلموا بحرب من الله ورسوله واحملوا سلاحكم ولا ينفعكم[1] سلاح فإنكم المهزومون الهالكون .
فلكم رؤوس أموالكم : بعـد التوبة مالكم إلا رأس المال الذي عند المدين لكم فخذوه واتركوا زيادة الربا .
العـسـرة : الشدة والضائقة المالية .
فنظـرة إلى ميسـرة : أي انتظار للمدين إلى أن ييسر الله عليه فيعطيكم رأس مالكم الذي أخذه منكم .
وأن تصـدقـوا : وأن تتصدقوا على المعسر بترك ما لكم عليه فذلك خير لكم .

معنى الآيـات :

بمناسبة ذكر عقوبة آكلي الربا في الآيات السابقة نادى الله تعالى عباده المؤمنين آمراً إياهم بتقواه تعالى، وذلك بطاعته وترك معصيته، وبالتخلي عما بقي عند بعضهم من المعاملات الربويّة مذكراً إياهم بايمانهم إذ من شأن المؤمن الاستجابة لنداء ربه وفعل ما يأمره به وترك ما ينهـاه عنه فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾، ثم هدد المتباطئين بقوله: فإن لم تفعلوا فاعلموا بحرب[2] قاسية ضروس من الله ورسوله، ثم بيّن لهم طريق التوبة وسبيل الخلاص من محنة الربا وفتنته بقوله: وإن تبتم بترك الربا فلكم رؤوس[3] أموالكم لا غير لا تظلمون بأخذ زيادة، ولا تظلمون بنقص من رأس مالكم. وإن وجد مدين لكم في حالة إعسار فالواجب انتظاره إلى ميسرته[4]، وشيء آخر وهو خير لكم أن تتصدقوا بالتنازل عن ديونكم كلّها تطهيراً لأموالكم التي لامسها الربا وتزكية لأنفسكم من آثاره السيئة. ثم ذكر تعالى سائر عباده بيوم القيامةوما فيه من أهوال ومواقف

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: من كان مقيما على الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع وإلاّ ضرب عنقه.

(٢) حرمة الربا مجمع عليها، والأحاديث الواردة في تحريمه كثيرة جدّا، أذكر منها حديث مسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات»، وذكر منها «أكل الربا» وحديث أبي داود: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه».

(٣) استدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كلّ ما طرأ على البيع قبل القبض مما يوجب تحريم العقد أبطل العقد.

(٤) ورد في فضل إنظار المعسر أحاديث منها: «مَنْ أنظر معسراً كان له بكلّ يوم صدقة» وقوله «مَنْ سرّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه».

صَعِبة حيث يتم الحساب الدقيق وتجزى فيه كل نفس مؤمنة أو كافرة بارة أو فاجرة ما كسبته من خير وشر وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم أو زيادة سيئاتهم فقال تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ وهذا التوجيه الذي حملته هذه الآية ذات الرقم (٢٨٠) آخر توجيه تلقته البشرية من ربها تعالى إذ هذه آخر ما نزل من السماء على رسول الله ﷺ.

هدايـة الآيـات

من هدايـة الآيات :

١ـ وجوب التوبة من الربا ومن كل المعاصي.

٢ـ المصر على المعاملات الربوية يجب على الحاكم أن يحاربه[1] بالضرب على يديه حتى يترك الربا.

٣ـ من تاب من الربا لا يظلم بالأخذ من رأس ماله بل يعطاه وافيا كاملاً إلا أن يتصدق بالتنازل عن ديونه الربوية فذلك خير له حالاً ومـآلا.

٤ـ وجوب ذكر الدار الآخرة والاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح وترك الربا والمعاصي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ[2] ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ[3] إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ

---

(١) قال ابن خويز منداد: ولو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالاً له كانوا مرتدين والحكم فيهم كالحكم في أهل الردّة، وإن لم يكن ذلك منهم استحلالا، للإمام محاربتهم، ألا ترى أنّ الله تعالى قد أذن في ذلك فقال: ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في السلم خاصة يعني أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها وهي عامة في كل الديون بلا خلاف.

(٣) رفع بلفظ (بِدَين) الاشتراك إذ التداين معناه دان بعضهم بعضا إذا جزاه بعمله ومنه قولهم دناهم كما دانوا فلمّا قال بدين رفع المعنى العام وأصبح خاصاً بالتداين المالي.

أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

شرح الكلمات :

تداينتم[١] : داين بعضكم بعضا في شراء أو بيع أو سَلَم أو قرض.

إلى أجل مسمى[٢] : وقت محدد بالأيام أو الشهور أو الأعوام.

بالعدل : بلا زيادة ولا نقصان ولا غش أو احتيال بل بالحق والإنصاف.

ولا يأب : لا يمتنع الذي يحسن الكتابة أن يكتب.

وليملل الذي عليه الحق : لأن إملاءه اعتراف منه وإقرار بالذي عليه من الحق.

ولا يبخس منه شيئا : لا ينقص من الدين الذي عليه شيء ولو قل كفلس وليذكره كله.

---

(١) تداين: تفاعل من الدَّين يقال: داينت الرجل، عاملته بدين معطياً أو آخذا كما بايعته إذا بعته أو باعك.

(٢) ذكر الأجل المسمى يجعل الآية في بيع السلم لحديث الصحيح: «من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم» والسلم والسلف واحد. ويقال له بيع المحاويج.

سفيهاً أو ضعيفاً : السفيه: الذي لا يحسن التصرفات المالية، والضعيف: العاجز عن الإملاء كالأخرس،أو الشيخ الهرم.

وليّه : من يلي أمره ويتولى شؤونه لعجزه وقصوره.

من رجالكم : أي المسلمين الأحرار دون العبيد والكفار.

أن تضل إحداهما : تنسى أو تخطىء لقصر إدراكها.

ولا تسأموا : لا تضجروا أو تملّوا من الكتابة ولو كان الدين صغيراً مبلغه.

أقسط عند الله : أعدل في حكم الله وشرعه.

وأقوم للشهادة : أثبت لها وأكثر تقريراً لأن الكتابة لا تنسى والشهادة تنسى أو يموت الشاهد أو يغيب.

وأدنى أن لا ترتابوا(١) : أقرب أن لا تشكّوا بخلاف الشهادة بدون كتابة.

تديرونها بينكم : أي تتعاطونها، البائع يعطي البضاعة والمشتري يعطي النقود فلا حاجة إلى كتابتها ولا حرج أو إثم يترتب عليها.

وأشهدوا إذا تبايعتم : إذا باع أحدٌ أحداً داراً أو بستاناً أو حيواناً يشهد على ذلك البيع.

ولا يضار كاتب ولا شهيد: بأن يكلف مالا يقدر عليه بأن يُدْعى ليشهد في مكان بعيد يشق عليه أو يطلب إليه أن يكتب زوراً أو يشهد به.

فسوق بكم : أي خروج عن طاعة ربكم لاحق بكم إثمه وعليكم تبعته يوم القيامة.

اتقوا الله : في أوامره فافعلوها، وفي نواهيه فاتركوها، وكما علمكم هذا يعلمكم كل ما تحتاجون فاحمدوه بألسنتكم واشكروه بأعمالكم، وسيجزيكم بها وهو بكل شيء عليم.

---

(١) روى أبو داود والترمذي أنّ أوّل من جحد آدم، إذ أراه الله تعالى ذريته فرأى رجلاً أزهر ساطع النور فسأل الله تعالى فقال إنه داود فقال ربِّ كم عُمره قال ستّون قال فزده من عمري أربعين ليكمل له مائة فزاده، وكان عمر آدم ألف سنة وكتب الله ذلك في كتاب ولمّا عاش آدم وحضرته الوفاة قال ربِّ بقي من عمري أربعون سنة فقال الله تعالى: ألم تكن قد وهبتها لولدك داود فجحد آدم فأخرج الكتاب وقد شهد عليه الملائكة إلّا أن الله تعالى وفّى لآدم ألف سنة ولداود مائة. (نقلناه بالمعنى).

معنى الآية الكريـمة :

لما حث تعـالى على الصـدقات،وحرم الربا،ودعا إلى العفو على المعسر،والتصدّق عليه بإسقاط الدين الأمر الذي قد يتبادر الى الذهن أنّ المال لا شأن له ولا قيمة في الحياة فجاءت هذه الآية ، آية الدين الكريمة لتعطي للمال حقّه،وترفع من شأنه فإنه قوام الحياة فقررت واجب الحفاظ عليه،وذلك بكتابة الديون،والإشهاد عليها بمن ترضى عدالتهم،وكون الشهود رجلين مسلمين حرّين،فإن انعدم رجل من الاثنين قامت إمرأتان[1] مقامه ، واستحث[2] الله تعالى من يحسن الكتابة أن يكتب إذا كان في سعة من أمره ، وحرم على الشهود إذا ما دُعوا لأداء الشهادة أن يتخلّوْا عنها ، وحرم على المتداينين أن لا يكتبوا ديونهم ولو كانت صغيرة قليلة فقال تعالى : ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله﴾ ورخص تعالى رحمةً منه في عدم كتابة التجارة الحاضرة التي يدفع فيها السلعة في المجلس،ويقبض الثمن فيه فقال : ﴿إلا أن تكـون تجارةٌ حاضرةٌ تُديرُونها بينكم فليس عليكم جُناح ألاّ تكتبوها . .﴾ وأمر بالإشهـاد على البيع فقـال : ﴿وأشهـدوا إذا تبايعتم . .﴾ ونهى عن الإضرار بالكاتب،أو الشهيد،بأن يلزم الكاتب أن يكتب إذا كان في شغله ، أو الشاهد بأن يطلب منه أن يشهد وهو كذلك في شغله ، أو أن يُدعى الى مسافات بعيدة تشقّ عليه إذ أمره تطوع،وفعل خيرٍ لا غير فليطلب كاتب وشاهد غيرهما إذا تعذر ذلك منهما لانشغالهما . وحذّر من كتمان الشهادة أو الحيف والجَوْر في الكتابة،والإضرار بالكاتب والشهيد فقال : ﴿وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم . .﴾ وأكّـد ذلـك بأمـره بتقـواه فقال : ﴿واتقوا الله . .﴾ بامتثال أمره،ونهيه لتَكْمُلُوا وتسعدوا وكما علمكم هذا العلم النافع ما زال يعلمكم وهو بكل شيء عليم . هذا معنى الآية الكريمة : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه . . .﴾

هداية الآية

من هداية الآية :

١ـ وجوب كتابة الديون سواءٌ كانت بيعاً،أو شراء،أو سلفاً،أو قرضاً هذا ما قرره ابن جرير،

---

(١) الجمهور على أن اليمين تقوم مقام شاهد أي ان انعدم الشاهد الثاني قضي القاضي بالشاهد واليمين التي يحلفها المطالب بالبيّنة ومن هنا إن وجد من الشهود امرأتان فقط اعتبرتا شاهدا وزيدت اليمين وقضى القاضي بذلك ، وهذا في الأموال خاصة .

(٢) نعم إذا كان في سعة من أمره فليكتب على سبيل الندب ، وإن لم يوجد غيره وجب عليه أن يكتب وفي قوله : ﴿كما علمّه الله فليكتب﴾ أمر له أن يكتب الوثائق على طريقتها فلا يبدّل ولا يغيّر وفيه تذكير له بالنعمة إذ كان لايعرف الكتابة فعلمه الله إذاً فليشكر لله هذه النعمة بالكتابة لمن طلبها منه .

ورد القول بالإرشاد والندب.[1]

٢- رعاية النعمة بشكرها لقوله تعالى للكاتب: كما علمه الله فليكتب إذ علمه الكتابة وحرم غيره منها.

٣- جواز النيابة في الإملاء لعجز عنه،وعدم قدرة عليه.

٤- وجوب العدل والإنصاف في كل شيء لا سيما في كتابة الديون المستحقة المؤجلة.

٥- وجوب الإشهاد على الكتابة لتأكّدها به،وعدم نسيان قدْر الدّين وأجله.

٦- شهود[2] المال لا يَقِلُّون عن رجلين عدلين من الأحرار[3] المسلمين لا غير، والمرأتان المسلمتان اللتان فرض شهادتهما تقومان مقام الرجل الواحد.

٧- الحرص على كتابة الديون والعزم على ذلك ولو كان الدين صغيراً تافهاً.

٨- الرخصة في عدم كتابة التجارة الحاضرة السلعة والثمن المدارة بين البائع والمشتري.

٩- وجوب الإشهاد على بيع العقارات والمزارع والمصانع مما هو ذو بال.

١٠- حرمة الإضرار بالكاتب[4] والشهيد.

١١- تقوى الله تعالى تسبب العلم،وتُكْسِب المعرفة[5] بإذن الله تعالى.

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

(١)الأقرب إلى الصواب أن بعض الأمور تجب فيها الكتابة كبيع الدور والمزارع وغيرها وبعضها لا تجب وإنما تندب الكتابة لا غير.

(٢) كون الشهود لا يقلّون عن اثنين هذا عام في كل شهادة إلاّ شهادة الزنى فإنهم لا يقلون عن أربعة أبداً.

(٣) اختلف في شهادة العبيد والصبيان والجمهور على عدم جواز شهادتهم إلاّ في الأمور التافهة فلا بأس بذلك.

(٤) قوله تعالى: ﴿إذا ما دُعوا﴾ دلّ على أنّ الشهود يأتون الحاكم ليشهدوا، ودلّ على أن مَنْ لم يُدْعَ ليس عليه أن يشهد، ولكن ورد في السنة الترغيب في أداء الشهادة ولو لم يُدع إليها المسلم لاسيما إذا توقف على شهادته إثبات حق من الحقوق فقد قال رسول الله ﷺ «خير الشهود الذي يأتي بشهادة قبل أن يسألها» رواه الأئمة.

(٥) قوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ هو وعد منه تعالى بأن يجعل للمتقي نوراً في قلبه يفهم به ما يلقى إليه ويفرِّق بين الحق والباطل يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ الأنفال.

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

شرح الكلمات :

السفر : الخروج من الدار والبلد ظاهراً بعيداً بمسافة أربعة برد فأكثر.

ولم تجدوا كاتبا : من يكتب لكم ، أو لم تجدوا أدوات الكتابة من دواة وقلم .

فرهان مقبوضة : فاعتاضوا عن الكتابة الرهن فليضع المدين رهناً لدى الدائن .

فإن أمن بعضكم بعضا : فلا حاجة الى الرهن .

فليؤد المؤتمن أمانته : أي فليعط الدين الذي أوتمن عليه حيث تعذّرت الكتابة ولم يأخذ دائنه منه رهناً على دينه .

آثم قلبه : لأن الكتمان من عمل القلب فنسب الإثم الى القلب .

وإن تبدوا : تظهروا .

معنى الآيتين :

لما أمر تعالى بالاشهاد والكتابة في البيوع والسَّلَم والقروض في الآيات السّابقة أمر هنا ـ عند تعذّر الكتابة لعدم وجود كاتب،أو أدوات الكتابة وذلك في السفر ـ أمر بالاستعاضة عن الكتابة بالرهن وذلك بأن يضع المدين رهناً لدى دائنه عوضا عن الكتابة يستوثق به دينه هذا في حال عدم ائتمانه،والخوف منه ، وأمّا إن أمن بعضهم بعضا فلا بأس بعدم الارتهان فقال تعالى : ﴿وإن كنتم[1] على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة[2] . .﴾ والرهان جمع رهن[3]. وقال ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً فلم تأخذوا رهاناً فليؤد الذي أوتمن أمانته وليتق الله ربه﴾ في ذلك. ثم

---

(١) الرهن جائز بالكتاب وهذه الآية نصّ في الرهن في السفر وأمّا في الحضر فهو جائز بالسنة واجماع الأمّة فقد ثبت في الصحيحين أنّ النبي ﷺ اشترى من يهودي طعاماً فطلب اليهودي رهناً فرهنه درعه ﷺ فمات ودرعه مرهونة في ثلاثين صاعاً من شعير.

(٢) قوله ﴿مقبوضة﴾ دلّ على اشتراط القبض ولو بالوكالة ولو أن عدلا من الناس وضع الرهن تحت يده جاز إذ هو معنى القبض، ويجوز رهن ما في الذمّة كأن يرهن المدين ديناً له ثابتا في ذمة مالي معترف غير منكر لأن الاستيثاق يحصل بذلك.

(٣) أصل الرهن الدوام ، وشرعا : حبس عين في دَين لاستيفاء الدَين من العين أو من منافعها إذا عجز المدين عن التسديد، ويجمع الرهن على رهان ، ورُهُن.

نهى تعالى نهياً جازماً الشهودَ عن كِتْمان شهادتهم فقال: ﴿ولا تكتموا الشهادة..﴾ وبيّن تعالى عِظَم هذا الذنب فقال: ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه[1]..﴾ وأعلم أنه عليم بما يعملونه فيجازيهم بعلمه،وهو تهديد ووعيد منه سبحانه وتعالى لكاتمي الشهادة والقائلين بالزور فيها. هذا معنى الآية الأولى (٢٨٢) أما الآية الثانية (٢٨٣) فإنه تعالى قد أخبر بأن له جميع ما في السموات،وجميع ما في الأرض خلْقًا ومِلْكا وتصرفا،وبناءً على ذلك فإنّ من يبدي ما في نفسه من خير أو شر أو يخفه يحاسب به، ثم هو تعالى بعد الحساب يغفر لمن يشاء من أهل الإيمان والتقـوى، ويعذب من يشاء من أهل الشرك والمعاصي، له كامل التصرف، لأنّ الجميع خلقه وملكه وعبيده.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ جواز أخذ الرهن في السفر والحضر توثيقا من الدائن لدينه.

٢ـ جواز ترك أخذ الرهن[2] إن حصل الأمن من سداد الدين وعدم الخوف منه.

٣ـ حرمة كتمان الشهادة والقول بالزور فيها وأن ذلك من أكبر الكبائر كما في الصحيح.

٤ـ محاسبة العبد بما يخفي في نفسه من الشك والشرك والنفاق وغير ذلك من بغض أولياء الله وحب لأعدائه، ومؤاخذته بذلك، والعفو عن الهمّ بالخطيئة والذنب دون الشك والشرك والحب والبغض من المؤمن الصادق الإيمان للحديث الصحيح الذي أخرجه الستة: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل».

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ[3] بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا

---

(١) القول محذوف أي يقولون: لا نفرِّق، وهذا الحذف للقول شائع نحو ﴿الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ أي يقولون سلام عليكم، ، ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ أي يقولون ربّنا الخ.

(٢) إذا كان الرهن دابّةً تركب أو شاة تحلب أو داراً تسكن أو نخلاً بتمر فعلى المرتهن نفقة علف الدّابة والشاة، مقابل الركوب واللبن، وإن سكن الدار دفع أجرتها، وإن جزّ التمر أخذه بثمنه لحديث: «لا تغلق الرهن الصاحبه غنمه وعليه غرمه».

(٣) قال العلماء: اثم القلب: سبب مسخه.

وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

شرح الكلمات :

آمـــن : صدق جازما بصحة الخبر ولم يتردد أو يشك فيه قط.

الرســـول : نبينا محمد ﷺ.

كـــلّ : كل من الرسول والمؤمنين.

لا نفرق بين أحد من رُسْله(١) : نؤمن بهم جميعاً ولانكون كاليهود والنصارى نؤمن ببعض، ونكفر ببعض.

سمـــعنا : سَماعَ فهمٍ واستجابة وطاعة.

المصـــير : المرجع أي رجوعنا إليك يا ربنا فاغفر لنا.

لا يكلف الله نفسا(٢) : التكليف الإلزام مما فيه كلفة ومشقة تحتمل.

إلا وســـعها(٣) : إلا ما تتسع لها طاقتها ويكون في قدرتها.

لها ما كســبت : من الخيـــر.

وعليها ما اكتسبت : مـن الشـــر.

---

(١) قرىء ﴿ورُسْلْه﴾ بإسكان اللاّم تخفيفاً وهو شائع في تخفيف الساكن بالفتح نحو عُنْق.

(٢) روى القرطبي عن أبى هريرة أنّه قال: ما وددت أن أحدا ولدتني أمّه إلاّ جعفر بن أبي طالب، فإني تبعته يوماً وأنا جائع فلما بلغ منزلـه فلـم يجـد فيـه سـوى نحي سمن قد بقي فيه أثارة فشقه بين أيدينا فجعلنا نلعق ما فيه من السمن والرُّب وهو يقول: ما كلف الله نفسا فوق طاقتها: ولا تجود يد إلاّ بما تجد الرُّب بضم الراء ما يطبخ من التمر.

(٣) وسواس الصدر مما لا طاقة للعبد بدفعه بحال وقد سئل عنه النبي ﷺ فقال ما رواه مسلم عن علقمة بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة قال: «تلك صريح الإيمان».

لا تؤاخـــذنا	: لا تعاقبـــنا.
إن نســـينا	: فتركنا ما أمرتنا به أو فعلنا ما نهيتنا عنه نسياناً منا غير عمد.
أو أخطـأنا	: فعلنا غير ما أمرتنا خطأ منا بدون إرادة فعل منا له ولا عزيمة.
إصـــراً [1]	: تكليفا شاقا يثقل علينا ويأسرنا فيحبسنا عن العمل.
مـــولانا	: مالكنا وسيدنا ومتولي أمرنا لا مولى لنا سواك.

معنى الآيتين :

ورد أنه لما نزلت الآية (٢٨٤) ﴿لله ما في السموات . . ﴾ وفيها ﴿ . . . وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله . . ﴾ اضطربت لها نفوس المؤمنين، وقالوا من ينجو منا إذا كنا نؤاخذ بما يُخفى في أنفسنا من الهم والوسواس وحديث النفس فأمرهم الرسول ﷺ بالرضا بحكم الله تعالى والتسليم به فقال لهم : قولوا سمعنا وأطعنا ولا تكونوا كاليهود : ﴿قالوا سمعنا وعصينا . . . ﴾ فلما قالوها صادقين أنزل الله تعالى هاتين الآيتين : ﴿آمن الرسول . . . ﴾ [2] فأخبر عن ايمانهم مقروناً بإيمان نبيهم تكريما لهم وتطمينا فقال : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله . . ﴾ وأخبر عنهم بقولهم الذي كان سبب استجابة الله تعالى لهم فقال عنهم : ﴿ . . . وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ وأخبرهم تعالى أنه لرحمته بهم وحكمته في تصرفه في خلقه لا يكلف نفساً إلا ما تتسع لطاقتها وتقدر على فعله، وإن لها ما كسبت من الخير فتجزى به خيراً وعليها ما اكتسبت من الشر فتجزى به شرّاً إلا أن يعفو عنها ويغفر لها فقال : ﴿لا يكلف [3] الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . . ﴾ وعلمهم كيف يدعونه ليقول لهم قد فعلت، كما صح به الخبر فقال قولوا : ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ [4] وفعلا

(١) الإصر : الأمر الغليظ الصعب أو هو الذنب الذي ليس فيه توبة ولا كفّارة ويطلق الإصر على العهد ومنه : ﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أي عهدي وميثاقي، لأن الإصر يطلق على الحبل الذي تربط الأحمال ونحوها.

(٢) روى مسلم عن ابن عباس لما نزلت : ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم . . . ﴾ الآية قال : «دخل قلوبهم منها شيء فقال النبي ﷺ «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال فألقى الله في قلوبهم الإيمان فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل قوله : ﴿لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها﴾ الآية.

(٣) ورد في فضل خاتمة البقرة أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ «أُوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهنّ نبي قبلي».

قد عفا عنهم في النسيان والخطأ وخفف عنهم في التشريع فما جعل عليهم في الدين من حرج، وعفا عنهم وغفر لهم ورحمهم ونصرهم على الكافرين بالحجة والبيان وفي المعارك بالسيف والسنان فله الحمد والمنة وهو الكبير المتعال.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ تقرير أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.

٢ـ وجوب الإيمان بكافة الرسل وحرمة الإيمان ببعض وترك البعض وهو كفر والعياذ بالله تعالى.

٣ـ وجوب طاعة الله ورسوله والتسليم والرضا بما شرع الله ورسوله وحرمة رد شيء من ذلك.

٤ـ رفع الحرج[١] عن هذه الأمة رحمة بها.

٥ـ عدم المؤاخذة بالنسيان[٢] أو الخطأ فمن نسي وأكل أو شرب وهو صائم فلا إثم عليه أو أخطأ فقتل فلا إثم عليه.

٦ـ العفو عن حديث النفس[٣] لنزول الآية فيه ما لم يتكلم المؤمن أو يعمل.

٧ـ تعليم هذا الدعاء واستحباب الدعاء به إئتساءً بالرسول ﷺ وأصحابه وقد ورد من قرأ هاتين الآيتين[٤] عند النوم كفتاه ﴿آمن الرسول..﴾ السورة.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مدنية

وآياتها مائتا آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ[٥]

---

(١) شاهده قوله تعالى من سورة الحج: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.

(٢) حديث: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» أي رفع اثمه. أما أحكامه ففيها تفصيل: فالغرامات لا تسقط فمن كسر آنية خطأ أو نسيانا يغرمها لصاحبها، ومن نسي صلاة مفروضة قضاها، ومن قتل خطأ دفع الدية ويسقط القصاص بالخطأ كما يسقط الكفر بالنطق خطأ وسهوا.

(٣) شاهده حديث: «إنّ الله تجاوز عن أُمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل» رواه الجماعة.

(٤) لحديث مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» أي من قيام الليل لحديث: «من قرأها بعد العشاء مرتين أجزأتاه من قيام الليل، وكفتاه من شرّ الشيطان فلا يكون له عليه سلطان».

(٥) صدر هذه السورة إلى ثلاث وثمانين آية نزلت في وفد نجران سنة تسع من الهجرة.

بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ
شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ
فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

آلـم : تقدم الكلام على مثله من سورة البقرة فليرجع إليه هناك .

اللـه : المعبود بحق[١].

لا إله إلا هو : لا معبود بحق سواه .

الحيّ : ذو الحياة المستلزمة للارادة والعلم والسمع والبصر والقدرة .

القيّوم : القيِّم على كل مخلوقاته بالتربية والرعاية والحفظ .

الكتاب : القرآن .

بالحق : متلبِّساً به إذ كل ما فيه حق وصدق لا باطل فيه بأي وجه من الوجوه .

مصدقاً لما بين يديه[٢] : من الكتب السابقة لا يخالفها ولا يبطلها لأن مصدر الجميع واحد هو الله تعالى .

التوراة[٣] : كتاب موسى عليه السلام ومعناه بالعبرية الشريعة .[٤]

---

(١) الله : اسم علم على ذات الربّ تبارك وتعالى ومعناه : الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه ولذا فسَّرناه في التفسير بأنه المعبود الحق لكونه الإله الحق الذي لا يعبد بحق غيره .

(٢) معنى بين يديه أنها تقدمته في النزول فكانت كأنها أمامه وهو وراءها وهو معنى بين يديه .

(٣) اختلف في لفظ التوراة هل هو مشتق من ورى الزند إذا أوقد به النار فهي لنور الهداية فيها سميت التوراة أو هي معربَة عن كلمة (طورا) العبرية ومعنى طورا، الهدى، وعلى كل حال فهذا علم لاينفع وجهالة لا تضر .

(٤) وهي عند اليهود: خمسة أسفار: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشتراع .

الإنجيـل[1] : كتاب عيسى عليه السلام ومعناه باليونانية: التعليم الجديد. (٢)

الفرقـان[3] : ما فرق الله به بين الحق والبـاطـل من الحجـج القرآنية والمعجزات الإلهية والعقول النيّرة البشرية التي لم يغلب عليها التقليد والجمود والهوى.

يصوركم في الأرحام : التصوير إيجاد الصورة للشيء لم تكن له من قبل، والأرحام جمع رحم: مستودع الجنين.

معـنى الآيـات :

أخرج ابن جرير الطبري بأسانيد صحيحة أن وفد نجران[4] والمكون من ستين راكبا فيهم أشرافهم وأهل الحلّ والعَقْد منهم، وفدوا على رسول الله ﷺ يحاجّونه في أمر المسيح عليه السلام ويريدون أن يثبتوا الهيّته بالادعاء الباطل فأنزل الله تعالى نيِّفاً وثمانين آية من فاتحة السورة آلم إلى ما يقارب الثمانين. وذلك رداً لباطلهم، وإقامة للحجة عليهم، وسيلاحظ هذا المتدبر للآيات ويراه واضحاً جلياً في السياق القرآني في هذه الآيات.

فقد قال تعالى آلم، الله لا[5] إله إلا هو فأخبر أنه تعالى لا معبود بحق إلا هو،فأبطل عبادة المسيح عليه السلام وعبادة كل معبود سوى الله تعالى من سائر المعبودات، وقال الحيّ القيوم فذكر برهان استحقاقه للعبادة دون غيره وهو كونه تعالى حيّاً أزلاً وأبداً وكل حيّ غيره مسبوق بالعدم ويلحقه الفناء،فلذا لا يستحق الألوهية إلا هو عز وجل والمسيح عليه السلام مسبوق بالعدم ويلحقه الفناء فكيف يكون إلهاً؟ وقال تعالى القيوم أى القائم على كل الخلق بالتربية والرعاية والحفظ والتدبير والرزق، وما عداه فليس له ذلك بل هو مربوب مرزوق فكيف يكون إلهاً مع الله؟ ودليل ذلك أنه نزل عليك الكتاب: القرآن بالحق مصحوباً به ليس فيه

---

(١) الانجيل قيل معناه الأصل إذ هو أصل العلوم والحكم وجمعه أناجيل وجمع التوراة: توارٍ.

(٢) ويطلق الإنجيل على أربعة كتب: انجيل يوحنا، ومرقس، ولوقا، وبرنابا.

(٣) وفسّر الفرقان بالقرآن وهو حق لقوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ وسمي فرقاناً لأنه فرّق بين الحق والباطل.

(٤) كان مجيء هذا الوفد في السنة الثانية من الهجرة وليس سنة تسع التي هي عام الوفود ولذا كان أوّل السورة متقدما في النزول عن آخرها إذ آخرها كان في غزوة أحد، وكانت في السنة الثالثة.

(٥) قوله: ﴿الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم﴾ هذه الجملة مع جملة: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم﴾ قيل ان فيهما اسم الله الأعظم.

من الباطل شيء فآياته كلها مثبتة للألوهية لله نافية لها عما سواه، فكيف يكون المسيح إلهاً مع الله أو يكون هو الله، أو ابن الله كما يزعم نصارى نجران وغيرهم من نصارى اليونان والرومان وغيرهم نزله مصدقا لما بين يديه من الكتب التى سبقته لا يخالفها ولا يتناقض معها فدل ذلك أنه وحى الله، وأنزل من قبله التوراة والإنجيل هدىً للناس وأنزل الفرقان[1] ففرق به بين الحق والباطل فى كل ما يلبس أمره على الناس فتبين أن الرب الخالق الرازق المدبر للحياة المحيى المميت الحى الذى لا يموت هو الإله الحق وما عداه مربوب مخلوق لا حق له في الألوهية والعبادة وإن شفىٰ مريضاً أو أنطق أبكم أو أحيا ميتاً بإذن الله تعالى فإن ذلك لا يؤهله لأن يكون إلهاً مع الله كعيسى بن مريم عليه السلام فإن ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء بعض الموتى كان بقدرة الله وإذنه بذلك لعيسى وإلا لما قدر على شيء من ذلك شأنه شأن عباد الله تعالى، ولما رد الوفد ما حاجهم به الرسول وأقام به الحجة عليهم تأكد بذلك كفرهم فتوعدهم الرب تعالى بقوله: ﴿إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب[2] شديد، والله عزيز ذو انتقام﴾ وهذاوعيد شديد لكل من كذب بآيات الله وجحد بالحق الذى تحمّله من توحيد الله تعالى ووجوب طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وقال تعالى: ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ فلو كان هناك من يستحق الألوهية معه لعلمه وأخبر عنه، كما قرر بهذه الجملة أن عزته تعالى لا ترام وأنه على الانتقام من أهل الكفر به لقدير. وذكر دليلاً آخر على بطلان ألوهية المسيح فقال: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾[3] وعيسى عليه السلام قد صُوِّر فى رحم مريم فهو قطعاً ممن صور الله تعالى فكيف يكون إذاً إلهاً مع الله أو إبناً لله كما يزعم النصارى؟ وهنا قرر الحقيقة فقال: ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ فالعزّة التى لا ترام والحكمة التى لا تخطىء هما مقتضيات ألوهيته الحقة التى لا يجادل فيها إلا مكابر ولا يجاحد فيها إلا معاند كوفد نصارى نجران ومَنْ على شاكلتهم من أهل الكفر والعناد.

---

(١) الفرقان وإن أطلق على القرآن لكونه فرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد فإنه يطلق على كل ما يفرق بين الهدى والضلال كالمعجزات، وما يحصل للمؤمن المتقي من نور يفرّق بين الضار والنافع، والخطأ والصواب.

(٢) التنوين في عذاب: للتفخيم، والشديد هو الذي لا يقادر قدره.

(٣) أي من حسن وقبح وسواد وبياض وطول وقصر، وعاهة وسلامة وسعادة وشقاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير ألوهية الله تعالى بالبراهين ونفي الألوهية[1] عن غيره من سائر خلقه.

٢ـ ثبوت رسالة النبي محمد ﷺ بإنزال الله تعالى الكتاب عليه.

٣ـ إقامة الله تعالى الحجة على عباده بإنزال كتبه والفرقان فيها ببيان الحق والباطل في كل شؤون الحياة.

٤ـ بطلان ألوهية المسيح لأنه مخلوق مصور في الأرحام كغيره صوره الله تعالى على ما شاء فكيف يكون بعد ذلك إلها مع الله[2] أو ابناً له تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

هُوَ
ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ[3] عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ
وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ
مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ
وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ
ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾

---

(١) أي بالبراهين كذلك.
(٢) ضلال النصارى أعظم ضلال وأسوأه ، إذ كيف يعقل أن يكون عيسى إلها وقد قتل وصلب في اعتقادهم، وكيف يكون إلها وهو ابن امرأة اسمها مريم وهم يعترفون بذلك فسبحان الله أين تذهب عقول العقلاء؟
(٣) أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ تلا : ﴿هو الذي أنزل عليك﴾ إلى ﴿أولوا الألباب﴾ ثم قال: «إذا رأيتم الذين يبتغون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم.

شرح الكلمات :

محكمات[1] : الظاهرة الدلالة البيّنة المعنى التي لا تحتمل إلا معنى واحداً، وذلك كآيات الأحكام من حلال وحرام وحدود، وعبادات، وعبر وعظات.

متشابهات : غير ظاهرة الدلالة محتملة لمعان يصعب على غير الراسخين في العلم القول فيها وهي كفواتح السور، وكأمور الغيب.[2] ومثل قول الله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿ ..... وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.. ﴾[3] وكقوله تعالى: ﴿.. إن الحكم إلا لله، ..﴾[4].

في قلوبهم زيغ : الزيغ: الميل عن الحق بسبب شبهة أو شهوة أو فتنة.

ابتغاء الفتنة : أي طلباً لفتنة المؤمنين في دينهم ومعتقداتهم.

ابتغاء تأويله : طلباً لتأويله ليوافق معتقداتهم الفاسدة.

وما يعلم تأويله إلا الله : وما يعلم ما يؤول إليه أمر المتشابه إلا الله منزله.

الراسخون في العلم[5] : هم أهل العلم اليقيني في نفوسهم الذين رسخت أقدامهم في معرفة الحق فلا يزلّون ولا يَشْتَطّون في شبهة أو باطل.

كلٌّ من عند ربنا : أي المحكم والمتشابه فنؤمن به جميعاً.

أولوا الألباب : أصحاب العقول الراجحة والفهوم السليمة.

ربنا لا تزغ قلوبنا[6] : أي لا تُمل قلوبنا عن الحق بعدما هديتنا إليه وعرّفتنا به فعرفناه.

هب لنا من لدنك : أعطنا من عندك رحمة.

---

(١) قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما المحكمات أي في القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، و المتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه.

(٢) قال بعضهم وذلك مثل وقت قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج والدجال ونزول عيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور.

(٣) سورة النساء (١٧١).

(٤) سورة الأنعام (٥٧).

(٥) روي أن النبي ﷺ سئل عن الراسخين في العلم فقال: «هو مَنْ برّت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه».

(٦) سئلت أم سلمة رضي الله عنها في حديث حسن رواه الترمذي عن ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ عندها فقالت: «كان أكثر دعائه: يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك».

معنى الآيات :

ما زال تعالى يقرر ربوبيته وألوهيته ونبوّة رسوله ويبطل دعوى نصارى نجران في ألوهية المسيح عليه السلام فيقول: هو أي الله الحي القيوم الذي أنزل عليك الكتاب، أي القرآن، منه آيات محكمات، لا نسخ فيها ولا خفاء في معناها ولا غموض في دلالتها على ما نزلت فيه وهذه معظم آي الكتاب وهي أمّه وأصله، ومنه آيات أخر متشابهات وهي قليلة والحكمة من إنزالها كذلك الامتحان والاختبار كالامتحان بالحلال والحرام، وبأمور الغيب ليثبت على الهداية والإيمان من شاء الله هدايته، ويزيغ في إيمانه ويضل عن سبيله من شاء الله تعالى ضلاله وعدم هدايته. فقال تعالى: ﴿فأمّا الذين في قلوبهم زَيْغ . .﴾ أي ميل عن الحق ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ للخروج به عن طريق الحق وهداية الخلق كما فعل النصارى حيث ادعوا أن الله ثالث ثلاثة لأنه يقول نخلق ونحيي، ونميت وهذا كلام جماعة فأكثر، وكما قالوا في قوله تعالى في شأن عيسى: ﴿. . وروح منه . .﴾[1] أنه جزء منه متحد به وكما قال الخوارج في قوله تعالى ﴿. . إن الحكم إلا لله . .﴾[2] فلا يجوز لأحد أن يحكم في شيء وكفروا عليًا وخرجوا عنه لتحكيمه[3] أبا موسى الأشعري في حقيقة الخلاف بين على ومعاوية وهكذا يقع أهل الزيغ في الضلال حيث يتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم فيظهر لهم معناه ويفهمون مراد الله تعالى منه. وأخبر تعالى أنه لا يعلم تأويله إلا هو سبحانه وتعالى. وأن الراسخين[4] في العلم يُفَوِّضون أمره إلى الله منزله فيقولون: ﴿. . آمنا به[5] كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[6]، ويسألون ربهم الثبات

---

(١) سورة النساء (١٧١).

(٢) سورة الأنعام (٥٧).

(٣) روي أن أبا أمامة رضي الله عنه مرّ برؤوس منصوبة عند باب مسجد دمشق فسأل عنها فقيل إنها رؤوس خوارج جيء بها من العراق فقال: أولئك كلاب النار ثلاثاً شر قتلى تحت ظل السماء طوبى لمن قتلهم ثلاثاً ثم بكى، فقيل ما يبكيك فقال رحمة بهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام فخرجوا منه ثم قرأ: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ إلى ﴿أولوا الألباب﴾.

(٤) روي أن ابن عباس رضي الله عنه قال: التفسير على أربعة أنحاء: تفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلّا الله. كما يروى هذا عن عائشة وغيرها.

(٥) الجمهور على أنّ الوقف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلّا الله﴾ ومن هنا قالوا: لا يعلم المتشابه إلّا الله، وهو مما استأثر به دون عباده، ومن قال: إنّ قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم﴾ معطوف على قوله ﴿وما يعلم تأويله إلّا الله﴾ قالوا: إنّ الراسخين في العلم قد يعلمون بعض المتشابه دون البعض ويدلّ عليه قولهم ﴿كلّ من عند ربّنا﴾ أي ما علمناه وما لم نعلمه، وروَوا أنّ ابن عباس قال أنا ممن يعلم تأويله.

(٦) هذه الجملة ليست من كلام الراسخين ولكنها من كلام الله تعالى فهي تذييل للكلام السابق سيقت للثناء عليهم.

على الحق فيقولون: ﴿. . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة . .﴾ ترحمنا بها في دنيانا وأخرانا إنك أنت وحدك الوهاب، لا إله غيرك ولا ربّ سواك، ويقررون مبدأ المعاد والدار الآخرة فيقولون سائلين ضارعين ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ لمحـاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم فاغفر لنا وارحمنا يومئذ حيث آمنا بك وبرسولك وبكتابك محكم آيه ومتشابهه، إنك لا تخلف الميعاد.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١ـ في كتاب الله المحكم والمتشابه، فالمحكم يجب الإيمان به والعمل بمقتضاه، والمتشابه يجب الإيمان به ويفوض أمر تأويله إلى الله منزله ويقال: ﴿. . آمنا به كلّ من عند ربّنا . .﴾.

٢ـ أهل الزيغ الذين يتبعون ما تشابه[1] يجب هجرانهم والإعراض عنهم لأنهم مبتدعة وأهل أهواء.

٣ـ استحباب الدعاء بطلب النجاة عند ظهور الزّيغ ورؤية الفتن[2] والضلال.

٤ـ تقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ
وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ

---

(١) قال أهل العلم: التشابه يكون حقيقياً وإضافيا فالحقيقي لا سبيل إلى فهم معناه وهو المراد من الآية ﴿لا يعلم تأويله إلا الله﴾ والإضافي: ما اشتبه معناه لاحتياجه إلى طلب دليل آخر، فإذا طلبه العالم وجده وهو كثير. منه قوله تعالى: ﴿إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ فهذا يبين معناه: ﴿وإني لغفّار لمن تاب﴾.

(٢) روي أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أيام حروب الردّة كان يصلي المغرب فيقرأ بالفاتحة وسورة من قصار المفصل وفي الركعة الثالثة يقرأ بأم القرآن ويقرأ قوله تعالى سرًا: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب﴾ يقنت بها. كما روي عن عائشة أنها قالت: إنّ رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إله إلاّ أنت سبحانك استغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علما، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ(١) رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي
الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

شـرح الكلمـات :

إن الذين كفروا : هم وفد نجران ويهود المدينة والمشركون والمنافقون.

لن تغني عنهم : لن تجزي عنهم ولن تقيهم عذاب الله إذا حلّ بهم.

وقود النـار : الوقود ما توقد به النار من حطب أو فحم حجري أو غاز.

كدأب آل فرعون : كعادتهم وسنتهم في كفرهم وتكذيبهم وما حل بهم من عذاب في الدنيا والآخرة.

قل للذين كفروا(٢) : هم يهود المدينة بنو قَيْنُقَاع.

آية في فئتين(٣) : علامة واضحة والفئتان: المسلمون وقريش إلتقتا في بدر.

يؤيد بنـصره : يُقـوّى.

عبرة لأولي الأبصار: العبرة العظة وما يَعْبُر به ذو البصيرة مواضع الخطر فينجو.

معنـى الآيات :

لما أصرّ وفد نجران على الكفر والتكذيب واتباع المتشابه من آي الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل من الحق والخروج عنه. توعّد الرب تعالى جنس الكافرين من نصارى ويهود وعرب وعجم فقال ﴿إن الذين كفروا..﴾ بالحق لما جاءهم وعرفوه معرفة لا لبس فيها ولا

(١) الضمير عائد على المسلمين على أسلوب الالتفات، والأصل ترونهم مثليكم، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على المشركين، ولكن الصواب أنّه عائد على المؤمنين، لأنّ الله تعالى قلّل المشركين في أعين المؤمنين ليقدموا على قتالهم.

(٢) استئناف ابتدائي للانتقال من النذارة إلى التهديد حيث تطلب المقام ذلك إذ تبجّح اليهود وتطاولوا على رسول الله ﷺ مخوفين له بكلامهم السخيف.

(٣) الفئة: الجماعة من الناس وسميت فئة لأنه يفاء إليها أي يرجع إليها في وقت اشتداد الحرب.

غموض ولكن منعهم من قبوله الحفاظ على المناصب والمنافع هؤلاء جميعهم سيعذبهم الله تعالى في نار جهنم ولن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا، واعلم أنهم وقود النار، التي مهدوا لها بكفرهم وبئس المهاد مهدوه لأنفسهم. ثم أخبر تعالى أنهم في كفرهم وعنادهم حتى يأتيهم العذاب كدأب وعادة آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم التيْ كذبت رسلها كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح حتى أخذهم الله بالعذاب في الدنيا بالهلاك والدمار، وفي الآخرة بعذاب النار وبئس المهاد، وكان ذلك بذنوبهم لا بظلم الله تعالى ثم أمر الله تعالى رسوله محمد ﷺ أن يقول ليهود المدينة الذين قالوا للرسول لا يغرنك أنك قاتلت من لا يحسن الحرب فانتصرت عليهم يريدون قريشاً في موقعة بدر، إنك إن قابلتنا ستعلم أنا نحن الناس، لما قالوا قولتهم هذه يهددون بها رسول الله ﷺ والمسلمين أمره أن يقول لهم[(١)]﴿ستغلبون﴾ يريد في المعركة وتنهزمون وتموتون، وبعد موتكم تحشرون إلى جهنم وبئس المهاد جهنم مهدتموها لأنفسكم بكفركم وعنادكم وجحودكم للحق بعد معرفته. وفَتح أعينهم على حقيقة لو تأملوها لما تورطوا في حرب الرسول حتى هزمهم وقتل من قتل منهم وأجلى من أجلاهم. وهي أن المسلمين الذين قاتلوا المشركين في بدر وانتصروا عليهم كانوا أقلّ عدد وأنقص عدة، ومع ذلك انتصروا لأنهم يقاتلون في سبيل الله والكافرون يقاتلون في سبيل الطاغوت والشرك والظلم والطغيان ونصر الله الفئة القليلة المسلمة[(٢)] وهزم الفئة الكافرة الكثيرة فلو اعتبر اليهود بهذه الحقيقة لما تورطوا في حرب مع الرسول ﷺ أبداً. ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهي البصائر. فقال تعالى لهم: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا﴾ - في بدر - فئة - جماعة - تقاتل في سبيل الله - إعلاء لكلمته - وأخرى فئة كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت ﴿يرونهم[(٣)] مثليهم

(١) فعلا فقد جمعهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم وقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم».

(٢) إذ كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، وكان عدد المشركين رابيا على التسعمائة مقاتل.

(٣) رأى المسلمون الكافرين مثليهم أي مثلي عدد المسلمين وهذا معنى التقليل إذ الكافرون تسعمائة فرأوهم ستمائة وهو التقليل المذكور.

رَأْيَ العين﴾ لقربهم منهم . ومع هذا نصر الله الأقلية المسلمة وهزم الأكثرية الكافرة ، وذلك لأن الله تعالى يؤيد بنصره من يشاء ، فأيد أولياءه وهزم أعداءه ، وإن في هذه الحادثة لعبرة وعظة ومتفكر ولكن لمن كان ذا بصيرة ، أما من لا بصيرة له فإنه لا يرى شيئاً حتى يقع في الهاوية قال تعالى : ﴿إن في ذلك﴾ المذكور لهم : ﴿ . . لعبرة لأولى الأبصار﴾ .

هداية الآيــات

من هداية الآيـات :

١ـ الكفر مورِّث لعذاب يوم القيامة والكافر معذَّب قطعاً .

٢ـ الأموال والأولاد والرجال والعتاد مهما كثروا لن يغنوا من بأس الله شيئاً إذا أراده بالكافرين في الدنيا والآخرة .

٣ـ الذنوب بريد العذاب[١] العاجل والآجل .

٤ـ ذم الفخر والتعالي وسوء عاقبتهما .

٥ـ العاقل من اعتبر بغيره ، ولا عبرة لغير أولى الأبصار أى البصائر .

٦ـ صدق خبر القرآن فى ما أخبر به اليهود من هزيمتهم ، فكان هذا دليل صدق على أن القرآن وحى الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الاسلام دين الله الحق .

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ
وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

شــرح الكلـمات :

زيّن للناس[٢] حب الشهوات : جعل حبها مستحسناً فى نفوسهم لا يرون فيه قبحا ولا دمامة .

---

(١) شاهده من كتاب الله تعالى : ﴿من يعمل سوءِ يجز به﴾ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ .

(٢) روى البخاري أن عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية : ﴿زيّن للناس حب. . .﴾ الخ قال : الآن يا رب حين زينتها لنا فأنزل الله تعالى : ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم. . .﴾ الآية .

الشهوات (1) : جمع شهوة بمعنى المشتهى طبعاً وغريزة كالطعام والشراب اللذيذين.

القناطير المقنطرة : القنطار الف ومائة أوقية فضة والمقنطرة الكثيرة بعضها فوق بعض.

الخيل المسومة (2) : ذات السمات الحسان والمعدة للركوب عليها للغزو والجهاد.

الانعام : الابل والبقر والغنم وهى الماشية.

الحرث (3) : الزروع والحقول وسائر النباتات النافعة.

ذلك متاع الحياة الدنيا : أي ذلك المذكور من النساء والبنين الخ متاع الحياة الدنيا يريد يستمتع به فيها ويموت صاحبها ويتركها.

معنى الآية الكريمة :

لما ذكر تعالى عناد من كفر من النصارى، واليهود، والمشركين، وجحودهم، وكفرهم، ذكر علة الكفر وبين سببه ألا وهو ما زينه تعالى لبنى البشر عامة ليفتنهم فيه ويمتحنهم به وهو حب الشهوات أى المشتهيات بالطبع البشرى من النساء (4) والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وهو كل ما يحرث من سائر الحبوب والنباتات الغذائية والعطرية وغيرها. هذا الذى جعل تلك الجماعات ترفض الحق وتدفعه لأنه يحول بينهم وبين هذه المشتهيات غالباً فلا يحصلون عليها، ولم يعلموا انها مجرد متاع زائل فلا يبيعوا بها الجنة دار الخلد والسلام ولذا قال تعالى ذلك اى ما ذكر من أصناف المحبوبات متاع الحياة الدنيا لاغير اما الآخرة فلا ينفع فيها شيء من ذلك بل لا ينفع فيها الا الزهد فيه والإعراض عنه إلا ما لابد منه لِلْبُلْغَةِ بِهِ إلى عمل الدار الآخرة وهو الإيمان وصالح الأعمال، والتخلى عن الكفر والشرك وسائر الذنوب والمعاصى.

---

(1) في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» ومعناه أن الجنة لا تنال إلا بقطع مغاور المكاره والصبر عليها، وانّ النار لا ينجي منها إلاّ ترك الشهوات وفطام النفس عنها.

(2) ما ذكرناه مأخوذ من السومة وهي السمة أي العلامة وقدتكون المسومة مأخوذ من السوم وهي الرعي في المرعى يقال أسام الماشية إذا رعى بها في المرعى. والخيل مؤنثة.

(3) الحرث مصدر أطلق علي المحروثات نفسها من المزارع والحدائق.

(4) روى الشيخان عنه ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء» وفي حديث آخر: «اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإنّ أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء» رواه مسلم.

وختم تعالى الآية بقوله مرغبا فى العمل للدار الآخرة داعيا عباده الى الزهد فى المتاع الفانى لتتعلق قلوبهم بالنعيم الباقى فقال: ﴿والله عنده حسن المآب﴾، أي المرجع الحسن، والنزل الكريم والجوار الطيب السعيد.

هداية الآية

من هداية الآية :

١- يزين الله تعالى بمعنى يجعل الشىء زَيْناً محبوباً للناس للابتلاء والاختبار قال تعالى: ﴿انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾[1] ويزين الشيطان للاضلال والاغواء، فالله يزين الزين ويقبح القبيح، والشيطان يزين القبيح، ويقبح الزين. فانظر الفرق وتأمل.

٢- المزينات فى هذه الآية من تزيين الله تعالى للابتلاء، وكلها زينة فى الواقع وليس فيها قبيح إلا إذا طلبت من غير حلّها وأخذت بشَره ونهم فأفسدت أخلاق آخذها أو طغت عليه محبتها فأنسته لقاء الله وما عنده فهلك بها كاليهود والنصارى والمشركين.

٣- كل ما في الدنيا مجرد متاع والمتاع دائما قليل وزائل فعلى العاقل ان ينظر اليه كما هو فلا يطلبه بما يَحْرِمُه حسنَ المآب[2] عند الله. اللهم لا تحرمنا حسن مآبك يا الله يا رحمن يا رحيم.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

---

(١) سورة الكهف (٧).

(٢) المآب: المرجع يقال: آب يؤوب إيابا إذا رجع ومنه قول امرىء القيس:

وقد طوفت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

والمراد المآب: ما أعده الله تعالى لأوليائه من النعيم المقيم في دار السلام.

شرح الكلمات :

أؤنبئكم[1] : أخبركم بنبأ عظيم لأن النبأ لا يكون إلا بالأمر العظيم.

بخير من ذلكم : أي المذكور فى الآية السابقة من النساء والبنين الخ.

اتقوا : خافوا ربهم فتركوا الشرك به ومعصيته ومعصية رسوله.

من تحتها الأنهار : من خلال قصورها وأشجارها أنهار[2] الماء، وأنهار اللبن وأنهار العسل وأنهار الخمر.

خالدين فيها أبدا : مقيمين فيها اقامة لا يرحلون بعدها أبدا.

أزواج مطهرة : زوجات هى الحور العين نقيات من دم الحيض والبول وكلّ أذى وقذر.

الصابرين : على الطاعات لايفارقونها وعلى المكروه لا يتسخطون، وعن المعاصى لا يقارفونها.

الصادقين : فى إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم.

القانتين : العابدين المحسنين الداعين الضارعين.

والمنفقين : المؤدين الزكاة والمتصدقين بفضول أموالهم.

المستغفرين[3] **بالأسحار** : السائلين ربهم المغفرة فى آخر الليل وقت السحور.

معنى الآيات :

لما بيّن تعالى ما زينه للناس من حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة إلى آخر ما ذكر تعالى، وبين أن حسن المآب عنده سبحانه وتعالى فلْيُطْلَبْ منه بالايمان والصالحات أمر رسوله أن يقول للناس كافة اؤنبئكم بخير من ذلكم المذكور لكم. وبينه بقوله: ﴿للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها

---

(١) يصح أن يكون منتهى الاستفهام قوله تعالى: ﴿من ذلكم﴾ و﴿للذين اتقوا﴾ خبر مقدم، وجنات: المبتدأ، ويصح أن يكون منتهى الاستفهام ﴿عند ربهم﴾ وجنات: خبر، والمبتدأ محذوف.

(٢) شاهد هذا في قوله تعالى من سورة محمد ﷺ: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسنٍ وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى﴾.

(٣) المختار من ألفاظ الاستغفار ما رواه البخاري: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شرّ ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت» وقول العبد: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك عملت سوءًا وظلمت ونفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وأزواج مطهرة ورضوان من الله . . . ﴾ وهو رضاه عز وجل عنهم وهو أكبر من النعيم المذكور[1] قبله قال تعالى فى آية أخرى[2]: ﴿ورضوان من الله أكبر. . .﴾

ثم أخبر تعالى أنه بصير بعباده يعلم المؤمن الصادق والمنافق الكاذب، والعامل المحسن والعـامل المسيىء وسيجزى كلا بعدله وفضله، ثم ذكر صفات المتقين التي ورثوا بها ما وصف من النعيم فقال: ﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾ فذكر صفة الايمان والخشية والضراعة والدعاء لهم ثم ذكر باقى الصفات الكمالية فقال: ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾، يتهجدون آخر الليل وقبيل طلوع الفجر يكثرون من الاستغفار وهو طلب المغفرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا مهما كان.

٢ـ نعيم الآخرة خاصّ بالمتقين الأبرار، ونعيم الدنيا غالباً ما يكون للفجّار.

٣ـ التقوى وهى ترك الشرك والمعاصى هى العامل الوراثي لدار السلام.

٤ـ استحباب الضراعة والدعاء والاستغفار فى آخر الليل.[3]

٥ـ الصفات المذكورة لأهل التقوى هنا كلها واجبة فى الجملة لايحِلّ ان لا يتصف بها مؤمن ولا مؤمنة فى الحياة.

شَهِدَ[4] ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ[5] قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ

---

(١) هي قوله تعالى من سورة التوبة: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾.

(٢) أخرج مسلم عنه ﷺ «انّ أهل الجنة إذا دخلوها يقول الله تعالى لهم: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

(٣) شاهده ما رواه الأئمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأوّل فيقـول أنـا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر» رواه مسلم.

(٤) روى الكلبي ونقل ذلك القرطبي فقال: «لما ظهر رسول الله ﷺ قدم عليه حبران من أحبار الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه. ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلّما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة والنعت فقالا له: أنت محمد؟ قال نعم قالا وأنت أحمد؟ قال نعم. قالا نسألك عن شهادة فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدّقناك فقال لهما رسول الله ﷺ اسألاني فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله فأنزل الله تعالى على نبيه: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ الآية.

(٥) في عطف شهادة أولي العلم على شهادة الله تعالى شرف كبير لأولي العلم، وفي الحديث: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء»، «العلماء أمناء الله على خلقه».

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ[1] عِندَ
ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ
ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

شهد : أخبر عن علم بحضوره الأمر المشهود به .

لا إله إلا هو : لا معبود بحق فى الأرض ولا في السماء إلا الله تبارك وتعالى .

أولو العلم : أصحاب العلم الصحيح المطابق للواقع وهم الأنبياء والعلماء .

القسط : العدل في الحكم والقول والعمل .

العزيز الحكيم : الغالب ذو العزة التي لا تغلب، الحكيم في كل خلقه وفعله وسائر تصرفاته .

الدين : ما يدان لله تعالى به أي يطاع فيه ويخضع له به من الشرائع والعبادات .

الإسلام[2] : الإنقياد لله بالطاعة والخلوص من الشرك والمراد به هنا ملة الإسلام .

بغياً : ظلما وحسداً .

حاجوك : جادلوك وخاصموك بحجج باطلة واهية .

---

(١) ﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾ صيغة حصر أي حصر المسند إليه الذي هو الدين في المسند الذي هو الإسلام أي لا دين إلا الإسلام وقد أكّد هذا الحصر أيضاً بحرف التوكيد إنّ، والمعنى : إنّ الدين الصحيح هو الإسلام لا غيره.

(٢) حقيقة الإسلام الشرعية : أنه اعتقاد الحق والنطق به، والعمل بموجبه عبادة وخلقا وحكما حتى تكون حياة المسلم كلها وفق مراد الله تعالى منه وما دعاه إليه وخلقه من أجله.

أسلمت وجهي لله : أخلصت كل أعمالي القلبية والبدنية لله وحده لا شريك له.
ومن اتبعن : كذلك اخلصوا لله كل أعمالهم له وحده لا شريك له.
أوتوا الكتاب : اليهود والنصارى.
الأميين : العرب المشركين سُمُّوا بالأميين لِقِلة مَنْ يقرأ ويكتب فيهم.
أأسلمتم : الهمزة الأولى للإستفهام والمراد به الأمر أي أسلموا خيراً لكم لظهور الحق وانبلاج نوره بينكم بواسطة كتاب الله ورسوله ﷺ.
فإن أسلموا : فإن أجابوك وأسلموا فقد اهتدوا إلى سبيل النجاة.
وإن تولوا : أدبروا عن الحق بعد رؤيته وأعرضوا عنه بعد معرفته فلا يضرك أمرهم إذ ما عليك الا البلاغ وقد بلّغت.

معنى الآيات :

يخبر الجبار عز وجل أنه[1] شهد أنه لا إله إلا هو وأن الملائكة وأولى العلم يشهدون كذلك شهادة علم وحق قامت على مبدأ الحضور الذاتي والفعلي وأنه تعالى قائم في الملكوت كله، علويّه وسفليّه، بالعدل، فلا رب غيره ولا إله سواه، العزيز في ملكه وخلقه الحكيم في تدبيره وتصريفه فلا يضع شيئاً في غير موضعه اللائق به. فرد بهذه الشهادة على باطل نصارى نجران، ومكر اليهود، وشرك العرب، وأبطل كلّ باطلهم سبحانه وتعالى، ثم أخبر أيضاً أن الدين الحق الذي لا يقبل تعالى ديناً سواه، هو الاسلام، القائم على مبدأ الانقياد الكامل لله تعالى بالطاعة، والخلوص التامّ من سائر أنواع الشرك فقال: ﴿إن الدين عند الله﴾ في حكمه وقضائه الإسلام، وما عداه فلا يقبله ولا يرضاه.[2] ثم أخبر تعالى عن حال نصارى نجران، المجادلين لرسوله، في شأن تأليه عيسى بالباطل فقال ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ يريد أن خلاف أهل الكتاب لم يكن عن جهل منهم بالحق ومعرفته[3] ولكن كان عن علم حقيقي وإنما حملهم على الخلاف المسبب للفتن

---

(١) ورد أن من قال عند تلاوة هذه الآية: ﴿شهد الله﴾ الخ وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ـ يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول عزّ وجل: عبدي عهد إلّي وأنا أحق من وفى بالعهد، أدخلوا عبدي الجنة».

(٢) روى مسلم أنّ النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بما أرسلت به إلّا كان من أهل النار».

(٣) يشهد لهذه الحقيقة ما رواه البخاري «إن غلاما يهودياً كان يضع للنبي ﷺ وضوءه ويناوله نعله فمرض فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قائم عند رأسه فقال له النبي ﷺ يا فلان قل لا إله إلّا الله فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه: أطع أبا القاسم فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أخرجه بي من النار».

والحروب وضياع الدين البغي والحسد إذ كل فرقة تريد الرئاسة والسلطة الدينية والدنيوية لها دون غيرها، وبذلك يفسد أمر الدين والدنيا، وهذه سنة بشرية تورط فيها المسلمون[1] بعد القرون المفضلة أيضاً، والتاريخ شاهد. ثم قال تعالى ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ يتوعد تعالى ويهدد كل من يكفر بآياته الحاملة لشرائعه فيجحدها ويعرض عنها فإنه تعالى يحصي عليه ذنوب كفره وسيآت عصيانه ويحاسبه بها ويجزيه وإنه لسريع الحساب لأنه لا يشغله شيء عن آخر ولا يعييه إحصاء ولا عدد ثم يلتفت بالخطاب إلى رسوله قائلا له فإن حاجوك يريد وفد نجران النصراني فاختصر الحجاج معهم بإظهار موقفك المؤيس لهم داعياً إياهم إلى الإسلام الذي عرفوه وأنكروه حفاظاً على الرئاسة والمنافع بينهم فقل لهم: ﴿أسلمت وجهي لله ومن اتبعن﴾ أيضاً أسلم وجهه لله فليس فينا شيء لغير الله وقلوبنا وأعمالنا وحياتنا كلها لله فأسلموا[2] أنتم يا أهل الكتاب ويا أميّون ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ وإن تولوا وأعرضوا فلا يضرك إعراضهم، إذ ما كلفت إلا البلاغ وقد بلغت، أما الحساب والجزاء فهو إلى الله تعالى البصير بأعمال عباده العليم بنياتهم وسوف يجزيهم بعلمه ويقضى بينهم بحكمه وهو العزيز الحكيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ اعتبار الشهادة والأخذ بها إن كانت قائمة على العلم وكان الشاهد أهلاً لذلك بأن كان مسلماً عدلاً.

٢ـ شهادة الله أعظم شهادة تثبت بها الشرائع والأحكام وتليها شهادة الملائكة وأولي العلم.

٣ـ بطلان كل دين بعد الإسلام وكل ملة غير ملته لشهادة الله تعالى بذلك وقوله: ﴿.. ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (٨٥) من هذه السورة والآتي تفسيرها إن شاء الله تعالى.

٤ـ الخلاف بين أهل العلم والدين يتم عندما يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة فيتورطون في

---

(١) وما زال المسلمون متفرّقين إلى اليوم بل تفرقهم اليوم أسوأ من الأوّل ودولهم دويلات وشريعتهم التي يسوسون بها الأمة المسلمة شرائع.

(٢) روى محمد بن اسحق أن وفد نجران لما دخلوا مسجد رسول الله ﷺ تكلم منهم السيد والعاقب فقال لهما رسول الله ﷺ: «أسلِما» قالا: قد أسلمنا قبلك فرد عليهم رسول الله ﷺ قائلا: كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب».

المطاعم والمشارب، ويتشوقون إلى الكراسى والمناصب، ويرغبون فى الشرف يومئذ يختلفون بغياً بينهم وحسداً لبعضهم بعضاً.

٥ـ من أسلم قلبه لله وجوارحه وأصبح وقفاً في حياته على الله فقد اهتدى إلى سبيل النجاة والسلام.

٦ـ من علق قلبه بالحياة الدنيا وأعرض عما يصرفه عنها من العبادات ضل في حياته وسعيه وحسابه على الله وسيلقى جزاءه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

يكفرون	: يجحدون ويكذّبون.
النبيين	: جمع نبي وهو ذكر من بني آدم أوحي إليه الله تعالى.
القسط	: العدل والحق والخير والمعروف.
بشرهم بعذاب أليم	: أخبرهم إخباراً يظهر أثره على بشرة وجوههم ألماً وحسرة.
حبِطت أعمالهم	: بطَلت وذهبت،لم يجنوا منها شيئاً ينفعهم، ويهلكون بذلك ويعدمون الناصر لهم لأن الله خذلهم وأراد إهلاكم وعذابهم في جهنم.

معنى الآيتين :

ما زال السياق في هَتْك أستار الكفرة من أهل الكتابين اليهود والنصارى فذكر تعالى هنا ان الذين يكفرون[1] بآيات الله وهي حججه وأعلام دينه، وما بعث بها رسله، ويقتلون مع

(١) جيىء بالأفعال المضارعة في صلات الذين يكفرون يقتلون النبيين ويقتلون الخ ،لاجل استحضار الحالة الفظيعة من جهة، ومن جهة أخرى كشف عن نيات اليهود فإنهم ما زالوا مصرّين على قتل الأنبياء، وكيف وقد حاولوا قتل النبي ﷺ غير مرّة.

ذلك النبيين بغير حق[1] ولا موجب للقتل، ويقتلون الذين يأمرونهم[2] بالعدل من أتباع الأنبياء المؤمنين الصالحين، هذه جرائم بعض أهل الكتاب فبشرهم بعذاب أليم، ثم أخبر أن أولئك البعداء في مهاوي الشر والفساد والظلم والعناد حبطت أعمالهم في الدنيا فلا يجنون منها عاقبة حسنة ولا مدحاً ولا ثناءً بل سُجلت لهم بها عليهم لعنات في الحياة والممات، والآخرة كذلك وليس لهم فيها من ناصرين ينصرونهم فيخلصونهم من عذاب الله وهيهات هيهات أن يوجد من دون الله ولي أو نصير.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- الكفر والظلم من موجبات هلاك الدنيا ولزوم عذاب الآخرة.

٢- قتل الآمرين بالمعروف[3] والناهين عن المنكر كقتل الأنبياء في عِظَم الجُرْم.

٣- الشرك محبط للأعمال مفسد لها في الدنيا والآخرة.

٤- من خذله الله تعالى لا ينصره أحد، ومن ينصره الله لا يغلبه أحد.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ

(١) بغير حق: حال مؤكدة إذ لا يقع قتل نبي إلاّ بغير حق فقتلهم الأنبياء متأكد وهو قبيح وكونه بغير حق هو أشد قبحاً، والآية تشنيع لأفعالهم القبيحة.

(٢) روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن أبي عبيدة رضي الله عنه «قال: قلت يا رسول الله أيُّ الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيًا أو رجلاً أمر بمعروف ونهى عن منكر ثمّ قرأ الآية: ﴿إنّ الذين يكفرون﴾ الخ ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًا أوّل النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلا من عبّاد بني اسرائيل فأمروا مَنْ قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله تعالى».

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره الرواية التالية: كل بلدة يكون فيها أربعة فأهلها معصومون من البلاء إمام عادل لا يظلم، وعالم على سبيل الهدى، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرصون على طلب العلم والقرآن ونساؤهم مستورات لا يتبرّجن تبرج الجاهلية الأولى وأخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم من قبلكم قلنا يارسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رُذالتكم الرذالة كالحثالة ومعناه فيمن لا خير فيهم.

لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات:

أوتوا نصيبا من الكتاب : اعطوا حظا وقِسْطا من التوراة.

يدعون : يُطْلَبُ[1] إليهم أن يتحاكموا فيما اختلفوا فيه من الحق إلى كتابهم الذي يؤمنون به وهو التوراة فيأبون ويعرضون.

يتولى : يرجع وهو مصمم على عدم العودة إلى الحق.

اياما معدودات : هذا قول اليهود ويعنون بالأيام الأربعين يوماً تلك التي عبدوا فيها العجل بعد غياب موسى عليه السلام عنهم.

يفترون : يكذبون.

ليوم لا ريب فيه : هو يوم القيامة.

ما كسبت : ما عملت من خير أو شر.

لا يظلمون : بأن يعذبوا بدون المقتضي لعذابهم من الشرك والكفر والمعاصي.

معنى الآيات:

مازال السياق فى فضح أهل الكتاب بذكر ذنوبهم وجرائمهم فيقول تعالى لرسوله حاملاً له على التعجب من حال اليهود ألم تر يا رسولنا الى الذين أُوتوا نصيباً[2] من الكتاب أى ألم ينته إلى علمك أمرهم حيث يدعون إلى التحاكم[3] الى كتاب الله تعالى فيما انكروه[4] واختلفوا فيه من صفاتك وشأن نبُوَّتك ورسالتك، ثم يتولى عدد منهم وهم مصممون على عدم العودة وطلب الحق والإقرار به. إنها حال تدعو الى التعجب حقاً، وصارفهم عن قبول الحق

---

(١) قال ابن عباس: هذه الآية نزلت بسبب أنّ رسول الله ﷺ دخل على يهود في بيت المدراس فدعاهم إلى الاسلام فقالوا له على أيّ دين أنت؟ فقال على ملّة ابراهيم، فقالوا إنّ ابراهيم كان يهوديا فقال النبي ﷺ هلّموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبوا عليه فنزلت هذه الآية.

(٢) التنكير للتقليل وليس للتعظيم لأنّ السياق في ذمّهم وتقبيح سلوكهم.

(٣) الآية دليل على وجوب من دعي إلى التحاكم إلى شرع الله أن يجيب إلى ذلك ولا يمتنع وإلاّ يقدح في إيمانه.

(٤) أي من كون ابراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا، حيث زعموا أنه كان يهوديا كما تقدّم في بيان سبب نزول الآية: ﴿ألم تر إلى الذين...﴾.

ومراجعته هو اعتقادهم الفاسد بأن النار لا تمسهم إذا ألقوا فيها إلا مدة أربعين يوما وهي المدة التى عبد فيها أسلافهم العجل يوم غاب موسى عنهم لمناجاته ربه تعالى في جبل الطور. وهذه الدعوى باطلة لا أساس لها من الصحة بل يُخلدون في النار لا بعبادة أسلافهم العجل أربعين يوماً بل بكفرهم وظلمهم وجحودهم وعنادهم، ويبين تعالى الحقيقة لرسوله والمؤمنين وهي أن هذه الدعوى اليهودية ما هى إلا فرية[1] افتراها علماؤهم ليهوّنوا عليهم ارتكاب الجرائم وغشيان عظائم الذنوب. كما حصل للمسلمين فى القرون المظلمة من تاريخ الإسلام حيث أصبح مشايخ التصوف يُدَجّلون على المريدين بأنهم سيستغفرون لهم ويغفر لهم. ثم قال تعالى مستعظمًا حالهم مهوّلاً موقفهم: فكيف[2] أي حالهم. إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وهو يوم القيامة كيف تكون حالهم انها حال يعجز الوصف عنها، ﴿ووفيت كل نفس ما كسبت﴾ من خير أو شر وهم لايظلمون بنقص حسناتهم إن كانت لهم حسنات، ولا بالزيادة فى سيئآتهم وما لهم إلا السّيئات.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ من الإعراض عن الدين والكفر به رفض التحاكم إليه قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسلميا﴾. سورة النساء/٦٥.

٢ـ أفسد شيء للأديان بعقائدها وشرائعها وعباداتها الافتراء فيها والإبتداع عليها والقول فيها بغير علم.

٣ـ مضرّة الإغترار بما يقوله بعض المفسرين والمحشين على الكتب الدينية من الحكايات والأباطيل بحجة الترغيب أو الترهيب فيغتر بها الناس فيضلوا ويهلكوا.

٤ـ فضيلة ذكر أهوال يوم القيامة وما يلاقى فيها أهل الظلم والشر والفساد وفي القرآن ﴿إنا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ سورة ص/٤٦.

---

(١) ومن جملة افتراءاتهم قولهم إنّ الله وعد يعقوب أن لا يعذب أبناءه.
(٢) هذا خطاب للنبي ﷺ وأمته على جهة التوقيف والتعجب.

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ
مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ
فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ
وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

اللهم : يا الله حذف حرف النداء «يا» وعوّض عنه الميم المشدّدة وهو خاصّ بنداء الله تعالى.

مالك : المالك: الحاكم المتصرّف يفعل في الملك ما يشاء ويحكم ما يريد لعظم سلطانه وقوة إرادته.

الملك : المملوك: والمقصود به ما سوى المالك عز وجل، من سائر الكائنات.

تؤتي الملك : السلطان والتصرف في بعض الملكوت.

تولج الليل في النهار : تدخل الليل في النهار فلا يبقى ليل، وتولج النهار في الليل فلا يبقى نهار

تخرج الحي من الميت : أي تخرج جسمًا حياً من جسم ميت في المحسوسات كالدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، ومن المعنويات تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن.

بغير حساب[1] : بغير عدد ولا حد لواسع فضله وغناه عما سواه.

(١) الرزق هو كل ما ينتفع به الإنسان فيطلق على الطعام على اختلافه من حبّ وتمر ولحم وعلى كل ما يحتاج إليه الإنسان في حفظ بنيته صالحة للعبادة.

معنى الآيتين :

من المناسبات التى قيلت في نزول هاتين الآيتين: أن الرسول ﷺ لما أخبر أصحابه أن ملك أمته سيبلغ كذا وكذا فى أحاديث صحاح سخر اليهود والمنافقون من إخبار الرسول بذلك مستبعدين لهغاية البعد لجهلهم وكفرهم فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين ضمن الرد على نصارى نجران فأمره أن يقول: ﴿اللهم[1] مالك الملك تؤت الملك من تشاء. .﴾ الخ. . أمره أن يقول ذلك ليعطيه ماوعده به من إتساع ملك أمته حتى يشمل ملك فارس والروم، وليرد على ضلال النصارى فى تأليه عيسى عليه السلام، إذ المعبود بحق المستحق للعبادة والتأليه دون سواه مَنْ هو مالك الملك كله، ويتصرف فيه وحده يؤتي منه ما يشاء لمن يشاء، وينزع ممن أعطاهم ما شاء ومتى شاء لا يحول دون تصرفه حائل، ولا يقف دون إعطائه أو نزعه واقف. يعز الذليل متى شاء ويذل العزيز متى شاء، بيده الخير[2] لا بيد غيره يُفِيضه على من يشاء، ويمنعه عـمّـن يشاء وهو على كل شيء قدير. يولج النهار فى الليل فلا يبقى نهار، ويولج الليل في النهار فلا يبقى ليل، مظهر من مظاهر القدرة الموجبة لألوهيته وطاعته ومحبته، ويدخل ساعات من الليل فى النهار فيقصر الليل ويطول النهار، ويدخل ساعات من النهار في الليل فيطول، مظهر من مظاهر الحكمة والقدرة والرحمة، يخرج الحي من الميت الانسان من النطفة والنبتة من الحبة ويخرج الميت من الحي النطفة من الإنسان الحي، والبيضة من الدجاجة، والكافر الميت من المؤمن الحي ، والعكس كذلك ، هذه مظاهر ربوبيته المستلزمة لألوهيته فتقرر أنه الإله الحق، لا رب غيره ولا إله سواه، وبذلك تأكد أمران: الأول: أن الله قادر على اعطاء رسوله ما وعده لأمته ، وقد فعل، والثاني: أن عيسى لم يكن إلا عبدا مربوباً لله بالعبودية وشرفه بالرسالة وأيده بالمعجزات.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- فضل الدعاء[3] بهاتين الآيتين بأن يقرأهما العبد ثم يقول: (رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما

---

(١) ذكر القرطبي أن النضر بن شميل قال: من قال اللّهم فقد دعا الله تعالى بجميع أسمائه كلها، وقال الحسن البصري: اللهم: تجمع الدعاء.

(٢) والشرّ بيده أيضاً وحذف لتطلب المقام ذلك نحو: ﴿سرابيل تقيكم الحرّ﴾ أي والبرد.

(٣) أخرج أبو نعيم في الحلية أن معاذا حبس يوماً عن صلاة الجمعة مع رسول الله ﷺ فسأله عما حبسه فقال كان عليّ دين=

تعطي منهما من تشاء، وتمنع من تشاء اقض عنى ديني، فإنه يقضى بإذن الله تعالى ويعطى إن سأل حاجة له من حوائج الدنيا والآخرة.

٢ـ استجابة الله تعالى لرسوله ﷺ وإنجازه ما وعده في أمته.[1]

٣ـ بطلان ألوهية عيسى عليه السلام وثبوت عبوديته ورسالته وكرامته.

﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

شرح الكلمات:

لا يتخذ : لا يجعل.

أولياء : جمع وليّ يتولّونهم بالنصر والمحبة والتأييد.

فليس من الله في شيء[2] : أي بريء الله تعالى منه، ومن برىء الله منه هلك.

= ليحنّا اليهودي فوقف عند بابي يرصدني فقال له النبي ﷺ اتحبّ أن يقضى عنك ربّك؟ قال: قلت نعم قال اقرأ كل يوم ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ إلى قوله ﴿بغير حساب﴾ ثمّ قل رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطي منها من تشاء وتمنع من تشاء اقض عني ديني. فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً لأدّاه عنك».

(١) إذ لم يقبض الرسول ﷺ حتى دانت الجزيرة كلها بالإسلام ولم يمض ربع قرن حتى بلغ ملك أمّته من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، ومن جملة ذلك دولة فارس والروم.

(٢) هذا نحو: ﴿واسأل القرية﴾ أي أهل القرية على حذف مضاف كذلك: ﴿فليس من الله في شيء﴾ أي ليس في ولاية الله وحزبه في شيء.

تقــاة[1] : وقاية باللسان وهي الكلمة الملينة للجانب، المبعدة للبغضاء.

محــضراً : حاضراً يوم القيامة.

أمداً بعيـداً : مدىً وغاية بعيدة.

ويحذركم الله نفسه : أي يخوفكم عقابه إن عصيتموه.

معنى الآيات :

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي أعواناً وانصاراً يبـادلونهم المحبة والمناصرة على إخوانهم المؤمنين، وأعلمهم تعالى أن من يفعل ذلك فقد برىء الله تعالى منه وذلك لكفره وردّته حيث والى أعداء الله وعادى أولياءه، فقال تعالى ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون[2] المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ أي برىء الله تعالى منه وانقطعت صلته وانبتّ حبل الولاية بينه وبين الله تعالى، وياهلاكه ثم رخص تعالى للمؤمنين المستضعفين الذين يعيشون تحت سلطان الكافرين في أن يعطوهم حلاوة لسانهم دون قلوبهم وأعمالهم[3] فيتقون بذلك شرهم وأذاهم، وذلك بكلمة المصانعة والمجاملة قال تعالى: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة. . .﴾ ولما كان أمر البراء والولاء ذا خطر عظيم قال تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي في أن تتخذوا أعداءه أولياء ضد اوليائه وأخبرهم أن المصير إليه لا إلى غيره فليحذر العصاة من وقوفهم بين يدي الله فقال: ﴿وإلى الله المصير﴾.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٨) وأما الآية الثانية (٢٩) فقد أمر تعالى رسوله ﷺ ان يقول للناس مؤمنهم وكافرهم ﴿. . ان تخفوا ما في صدوركم. .﴾ من حب أو بغض، من رضىً أو سخط فلا تنطقوا به ولا تظهروه بحال من الأحوال،أوأنتظهروه بقول أو عمل أو حال فإنه تعالى يعلمه ويعلم ما في السموات وما في الأرض، ويحاسب به ويجزى عليه وهو

---

(١) قال ابن عباس: التقاة هي أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يقتل ولا يأتي مأثما، وقرىء ﴿إلاّ أن تتقوا منهم تقية﴾ وقالوا في التقية: أن يكون المؤمن في دار الكفار قائما بينهم فله أن يداريهم بلسانه إذا كان خائفا على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان. وأصل تقاة: وقية على وزن فعلة كتؤدة فقلبت الواو تاء وقلبت الياء ألفاً فصارت تقاة.

(٢) ﴿من دون المؤمنين﴾ حرف الجر ﴿مِنْ﴾ لتأكيد الظرفية وهو تقييد للنهي في الظاهر فيكون المنهي عنه اتخاذ الكافرين أولياء دون المؤمنين، وهو المراد من الآية ولذلك صور منها: أن يتخذ المسلم أو المسلمون جماعة الكفر أولياء لهم ميلاً إلى كفرهم ومناوأة للمسلمين وهذه كفر بلا خلاف، ومنها أن يُوالي الكفار لأجل الإضرار بالمسلمين وهذه كالأولى، ومنها ما أذن فيها وهي التقية.

(٣) روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «إنّا لنكشر في أقوام وقلوبنا تلعنهم» يريد المنافقين. والتكشير كالابتسام إلاّ أنه متكلف فيه.

على كل شيء قدير. ألا فليراقب الله العاقل وليتقه، فلا يقدم على معاصيه، وخاصة موالاة أعدائه على أوليائه. وأما الآية الثالثة (٣٠) ﴿يوم تجد كل نفس..﴾ ففيها يذكر تعالى عباده بيوم القيامة ليقصروا عن الشر ويرعَوُوا من الظلم والفساد فيقول أذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً أي حاضراً تجزى به، وما عملت من سوء وشر حاضراً أيضاً ويسوءها مرآه فتود بكل قلبها لو ان بينها وبينه غاية من المسافة لا تدرك وينهي تعالى تذكيره وإرشاده سبحانه وتعالى بقوله ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ مؤكداً التحذير الأول به، ويختم الآية بقوله والله رؤوف بالعباد، ونعم ما ختم به إذ لولاه لطارت قلوب العالمين فزعاً وخوفاً فذو الرأفة بعباده لايؤْاس من رحمته.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ حرمة موالاة الكافرين[(١)] مطلقاً.

٢ـ موالاة الكافرين على المؤمنين ردة وكفر وبراءة من الله تعالى.

٣ـ جواز التقيّة في حال ضعف المؤمنين وقوة الكافرين.

٤ـ وجوب الحذر من عذاب الله تعالى وذلك بطاعته تعالى.

٥ـ خطورة الموقف يوم القيامة ووجوب الاستعداد له بالإيمان والتقوى.

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

شـرح الكلـمات :

تحبون الله : لكمال ذاته وإنعامه عليكم.

---

(١) أي وإن لم يكن فيها ضرر للمسلمين، وما أذن فيه للتقية فإنه مؤقت ولا يجوز الاستمرار فيه إلاّ حال العجز عن الهجرة خشية ان يولد للمسلم أولاد فيوالون الكافرين وهم لا يعلمون أنّ ما كان عليه آباؤهم كان تقية لا غير.

يحببكم الله : لطاعتكم إيّاه وطهارة أرواحكم بتقواه.

يغفر لكم ذنوبكم : يسترها عليكم ولا يؤاخذكم بها.

فإن تولوا : أعرضوا عن الإيمان والطاعة.

معنى الآيتين:

لما ادعى وفد نصارى نجران أن تعظيمهم المسيح وتقديسهم له ولأمه إنما هو من باب طلب حبّ[1] الله تعالى بحب ما يحب وتعظيم ما يعظم أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ في هذه الآية أن يقول لهم: إن كنتم تحبون الله تعالى ليحبكم فاتبعوني على ما جئت به من التوحيد والعبادة يحببكم الله تعالى، ويغفر لكم ذنوبكم أيضاً وهو الغفور الرحيم. وبهذا أبطل دعواهم في أنهم ما ألّهوا المسيح عليه السلام الا طلباً لحب الله تعالى والحصول عليه. وأرشدهم إلى أمثل طريق للحصول على حبّ[2] الله تعالى وهو متابعة الرسول على ما جاء به من الإيمان والتوحيد والعبادة المزكية للروح المورثة لحب الله تعالى وهذا ما تضمنته الآية الأولى (٣١). وأما الآية الثانية (٣٢) فقد أمر تعالى رسوله أن يأمر وفد نصارى نجران وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين بطاعته وطاعة رسوله إذ هما طريق الكمال والإسعاد في الدنيا والآخرة. فإن أبوا وأعرضوا أو تولوا فقد باءوا بغضب الله وسخطه عليهم لأنهم كافرون والله لا يحب الكافرين هذا معنى قوله تعالى ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ محبة العبد للرب تعالى واجب وإيمان لقول الرسول ﷺ: «أحبوا الله تعالى لما يغذوكم به من النعم وأحبوني بحبّ[3] الله تعالى». وقوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله

---

(١) الحُبُّ: المحبة، والحِبّ بالكسر كالحُبّ، والحِبُّ أيضاً المحبوب، ومنه الأثر: أسامة حِبّ رسول الله ﷺ وابن حبه: أي زيد مولى رسول الله ﷺ وورد حبه يحب ولم يأت اسم الفاعل منه حابّ كما لم يأت اسم المفعول مِن أحبّ محِبّ وإنما أتى محبوب.

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ الله إذا أحبّ عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إنّ الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض».

(٣) الحبّ: الميل إلى ما في إدراكه لذة روحية كحب الله ورسوله وحب ما يحب الله ورسوله ويستلزم الحب طاعة المحبوب قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إنّ المحب لمن يحب مطيع

أحب إليه مما سواهما».

٢ـ محبة الله تعالى للعبد هي غاية ما يسعى إليه أولوا العلم في الحياة.

٣ـ طريق الحصول على محبّة الله تعالى للعبد هو اتباع النبي محمد ﷺ بالإيمان بما جاء به واتباع شرعه وطاعته في المَنْشَط والمكره، للآية ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ إذ ليس الشأن أن يُحِبَّ العبد، وإنما الشأن أن يُحَبّ!

٤ـ دعوى محبة الله ورسوله مع مخالفة أمرهما ونهيهما دعوى باطلة وصاحبها خاسر لا محالة.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ[1] وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ
مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ
وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا
زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ
قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات:

اصطفى آدم : اختار، وآدم هو أبو البشر عليه السلام.

---

(١) اصطفاء آدم كان بالوحي إليه وبإكرامه له بأن خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته واصطفاء نوح بإرساله وجعله أبا للبشر بعد الطوفان وبإطالة عمره وإهلاك الظالمين بدعوته وآل إبراهيم بأن جعل النبوة بعد إبراهيم فيهم وختمهم بمحمد فخرهم وسيد أوّلهم وآخرهم. واصطفى آل عمران ومنهم: حنّة ومريم، وعيسى اصطفاهم بكمالات لم تكن لأحد في أيامهم سواهم.

آل إبراهيم : آل الرجل أهله وأتباعه على دينه الحق.

عمـــران : رجل صالح من صلحاء بنى إسرائيل فى عهدهم الأخير هو زوج حنّة وأبومريم عليهم السلام.

العالمين : هم الناس المعاصرون لهم.

إمرأة عمران : حَنَّة[1]

نذرت لك ما في بطني : ألزمت نفسها أن تجعله لله يعبده ويخدم بيته الذي هو بيت المقدس.

محــرّراً[2] : خالصاً لا شركة فيه لأحد غير الله بحيث لا تنتفع به أبداً.

مــريم : خادمة الـرب تعالى.

أعيذها بـك : احصّنها واحفظها بجنابك من الشيطان.

وكفلها زكـريا : زكريا أبو يحيى عليهما السلام وكانت امرأته أختاً لحنّة.

المحـــراب : مقصورة ملاصقة للمسجد.

أنّى لك هذا؟ : من أين لك هذا، أي من أين جاءك.

معنى الآيات :

لما ادعى نصارى وفد نجران ما ادعوه فى المسيح عليه السلام من تأليهه وتأليه أمّه أنزل الله تعالى هذه الآيات يبيّن فيها مبدأ أمر عيسى وأمه وحقيقة أمرهما فأخبر تعالى أنه اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران اصطفاهم لدينه واختارهم لعبادته ففضلهم بذلك على الناس وأخبر أنهم ذرّيّة[3] بعضهم من بعض لم تختلف عقائدهم، ولم تتباين فضائلهم وكمالاتهم الروحيّة وذلك لحفظ الله تعالى لهم وعنايته بهم. وأخبر تعالى أنه سميع عليم أي سميع لقول إمرأة عمران عليم بحالها لما قالت: ﴿. . رب إنى نذرت لك ما في بطني محرراً. . ﴾، وذلك أنها كانت لا تلد فرأت فى حديقة منزلها طائراً يطعم أفراخه فحنّت إلى الولد وسألت ربها أن يرزقها ولداً وتجعله له يعبده ويخدم بيته فاستجاب الله تعالى لها فحملت ومات زوجها وهى

(١) هي حنّة بنت ما قودا مات زوجها وهي حبلى.
(٢) أي خالصا لعبادة الله لا تبقي به أنسالها ولا خدمة.
(٣) ذرية: منصوب على الحال في الآية الكريمة، ولفظ الذرية يطلق على الواحد وعلى الجمع ويطلق على الولد والوالد، وهو مشتق من الذرء الذي هو الخلق فذرأ بمعنى خلق.

حبلى وقالت ما قص الله تعالى عنها في قوله: ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت[1] لك ما في بطني محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم﴾ وحان وقت الولادة فولدت ولكن انثى لا ذكراً فتحسرت لذلك، وقالت: ﴿رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت﴾ وكيف لا يعلم وهو الخلاق العليم. وقالت: ﴿. . وليس الذكر كالأنثى . .﴾ في باب الخدمة في بيت المقدس فلذا هي آسفة جداً، وأسمت مولودتها مريم أي خادمة الله، وسألت ربها أن يحفظها وذريتها من الشيطان الرجيم واستجاب الله تعالى لها فحفظها وحفظ[2] ولدها عيسى عليه السلام فلم يقربه شيطان قط. وتقبل[3] الله تعالى ما نذرته له وهو مريم فأنبتها نباتاً حسناً فكانت تنمو نماء عجيباً على خلاف المواليد، وكفلها زكريا فتربت في بيت خالتها وذلك أن حنة لما وضعتها أرضعتها ولفّتها فى قِماطها وبعثت بها الى صلحاء بنى إسرائيل يسندونها إلى من يرون تربيتها في بيته، لأن أمها نذرتها لله تعالى فلا يصح منها أن تبقيها في بيتها ووالدها مات أيضا، فأحب كل واحد أن يكفلها فكفلها زكريا وأصبحت في بيت خالتها[4] بتدبير الله تعالى لها، ولما كبرت أدخلها المحراب لتتعبد فيه، وكان يأتيها بطعامها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف فيعجب لذلك ويسألها قائلا: ﴿يا مريم أنى لك هذا؟﴾ فتجيبه قائلة ﴿هو من عند[5] الله﴾ وتعلل لذلك فتقول: ﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان إفضال الله تعالى وإنعامه على من يشاء.

٢ـ بيان أن عيسى عليه السلام ليس بابن الله ولا هو الله، ولا ثالث ثلاثة بل هو عبد الله ورسوله أمه مريم، وجدته حنّة، وجدّه عمران من بيت شرف وصلاح في بني اسرائيل.

٣ـ استجابة الله تعالى لدعاء أوليائه كما استجاب لحنّة ورزقها الولد وأعاذ بنتها وولدها من الشيطان الرجيم.

---

(١) جرياً على سنتهم في نذر أولادهم الذكور لخدمة بيت المقدس.

(٢) أخرج مسلم عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال «ما من مولود يولد إلاّ نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلاّ ابن مريم وأمّه» ثم قال أبو هريرة اقرؤا إن شئتم ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرّجيم﴾.

(٣) أي رضيها منها وقبلها كالشيء يهدى للكريم فيقبله ويثيب عليه.

(٤) روي عن ابن عباس أن زكريا استأجر لها ظِئراً فأرضعتها حولين كاملين.

(٥) تريد أنّه يحصل لها بغير طريقة الأسباب المعروفة وإنّما يوضع بين يديها كرامة لها والله هو الرازق لها سبحانه وتعالى.

٤ـ مشروعية النذر[1] لله تعالى وهو التزام المؤمن الطاعة تقرباً إلى الله تعالى.

٥ـ بيان فضل الذّكر على الأنثى في باب النهوض بالأعمال والواجبات.

٦ـ جواز التحسّر والتأسف لما يفوت العبد من الخير الذى كان يأمله.

٧ـ ثبوت كرامات الأولياء كما تم لمريم في محرابها.

٨ـ تقرير نبوة محمد ﷺ إذ مثل هذه القصص لا يتأتّى لأميّ أن يقصه إلا أن يكون رسولاً يوحى إليه. ولهذا ختمه بقوله ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك﴾.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ
يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر
رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

هنالك : ثمّ عندما[2] رأى كرامة الله لمريم عليها السلام.

زكريا : أحد أنبياء بني إسرائيل ورسلهم.

هب لي : أعطني.

---

(١) ذكر القرطبي أنّ ولداً قال لأمه يا أمّه ذريني لله أتعبد له وأتعلم العلم له فقالت نعم فسار يتعبد ويطلب العلم فلما كمل في علمه وحاله أتاها فطرق الباب فقالت مَنْ؟ فقال ابنك فلان، فقالت: قد تركتك لله فلا نعود فيك.

(٢) أي في ذلك المكان وهو المحراب تنبّه إلى الدعاء لما شاهد من خوارق العادات فدعا طالباً الولد فاستجاب الله تعالى له، ولا يقال كيف يأخذ الرسول على مَنْ دونه ومن امرأة بالذات؟ فإن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها، وأهل الكمال من الناس يعتبرون دائماً بما يرون ويسمعون.

من لدنـك : مـن عنـدك.

ذريـة طيبة : أولاداً أطهاراً صالحين.

بكلمة من الله : هى عيسى عليه السلام، لأنه كان بكلمة الله تعالى «كُن».

وسيداً[1] وحصوراً[2] : شريفاً ذا عِلْم وحلم، ولا رغبة له في النساء لقلة مائه.

غــلام : ولـد ذكـر.

عاقــر[3] : عقيم لا تلد لعُقْمها وعُقْرها.

آيــة : علامة استدل بها على بداية الحمل لأشكر نعمتك.

إلا رمزاً : إلا إشارة بالرأس أو باليد يفهم منها ما يفهم من الكلام.

الإبكــار : أول النهار، والعشي آخره.

معنى الآيـات :

لما شاهد زكريا من كرامات الله لمريم أنها تُؤْتَى بفاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ذكر أن الله تعالى قد يعطي ما شاء لمن يشاء على غير نظام السنن الكونيّة فكبر سِنّـه وعُقم امرأته لا يمنعان أن يعْطيه الله تعالى ولداً، فسأل ربّه الولد فاستجاب[4] له ربّه فبشرته الملائكة بالولد وهو قائم يصلي في محرابه قائلة إن الله يبشرك بولد اسمه يحيى[5] مصدّقاً بكلمة من الله يريد أنه يصدق بعيسى بن مريم ويكون على نهجه، لأن عيسى هو الكلمة إذ كان بقول الله تعالى له «كُن» فكان، ووصفه بأنّه سيد ذو علم وحِلم وتقىً وحصور لا يأتي[6] النساء، ونبيٌّ من الصالحين. فلما سمع البشارة من الملائكة جاءه الشيطان وقال له: إن الذي سمعته من البشرى هو من الشيطان ولو كان من الرحمن لأوحاه إليك وحياً، وهنا أراد زكريا أن يتثبت من الخبر فقال: ﴿ربِّ أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتى

---

(١) السيد في عرف الشرع: من يقوم بإصلاح حال الناس في دنياهم وأخراهم معاً وشاهده قوله ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وقوله في الحسن: «إن ابني هذا سيِّد».

(٢) قال المفسرون في الحصور أقوالاً كثيرة أمثلها أنه كان معصوما من الفواحش والقاذورات وغير مانعه ذلك من تزويج النساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، إذ يفهم من دعاء زكريا المتقدم أنه يكون له أولاد طيبون صالحون.

(٣) مأخوذ من عقرت المرأة رحمها أي قطعتها فلم تحبل ولم تلد وهو وصف خاص بالنساء فلذا يقال عاقر ولا يلبس، إذ لا يوجد في الرجال عاقر حتى يفرق بينهما بالتاء.

(٤) الفاء في قوله تعالى: ﴿فنادته الملائكة﴾ هي للترتيب أي فور دعائه استجاب الله تعالى له وفيها معنى السببية أيضاً: أي بسبب دعائه أعطاه والله على ما يشاء قدير.

(٥) يحيى: معرب يوحنا بالعبرانية نطق بها العرب على صيغة المضارع.

(٦) هذا قول الجمهور وقد تقدّم في النهر ما هو أمثل ما قيل في الحصور مراعاة لكمال الأنبياء وعلو مقاماتهم.

عاقر؟﴾ فأوحى إليه: أن هذا فعل الله والله يفعل ما يشاء. وهنا قال زكريا رب اجعل لي آية يريد علامة يستدل بها على وجود الحمل ليستقبل النعمة بالشكر فأجابه ربه قائلا: ﴿آيتك: أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام﴾ يريد أنك تصبح وأنت عاجز عن الكلام لمدة ثلاثة أيام، فلا تقدر أن تخاطب أحداً إلا بالإشارة وهي الرمز فيفهم عنك، وأمره تعالى أن يقابل هذا الإنعام بالشكر التام فقال له ﴿واذكر[1] ربك كثيراً وسبّح﴾ يريد صلِّ بالعشي آخر النهار والإبكار أوله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- الاعتبار بالغير، إذ زكريا دعا بالولد لما رأى كرامة الله تعالى لمريم.

٢- مشروعية الدعاء وكونه سراً أقرب إلى الإجابة، وكونه في الصلاة كذلك.

٣- جواز تلبيس إبليس على المؤمن، ولكن الله تعالى يذهب كيده ووسوسته.

٤- جواز سؤال الولد الصالح.

٥- كرامات الله تعالى لأوليائه - باستجابة دعاءهم.

٦- فضل الإكثار من الذكر، وفضيلة صلاتى الصبح والعصر وفي الحديث: «من صلى البردين دخل الجنة».

وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

---

(١) روي عن كعب القرظي قوله: لو رُخّص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا إذ جعل له آية الولد له ألاّ يكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزا ولم يعفه من الذكر بل أمره بقوله: ﴿واذكر ربّك كثيراً وسبّح بالعشي والإبكار﴾ ولرخص للرجل في الحرب إذ قال تعالى: ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾.

شرح الكلمات :

واذ قالت الملائكة : أذكر لوفد نصارى نجران ما قالت الملائكة فإن ذلك دليل على صحة نبوّتك، وصدقك فى أمر التوحيد، وعدم ألوهية عيسى.

اصطفاك : اختارك لعبادته وحسن طاعته.

وطهّرك : من الذنوب وسائر النقائص المخلة بالولاية لله تعالى.

واصطفاك على نساء العالمين[1] : أي فضلك على نساء العالمين بما أهّلك له من كرامة ولادة عيسى من غير أب.

اقنتي[2] : أطيعي ربك واقنتي له واخشعي.

واركعي مع الراكعين : اشهدى صلاة الجماعة في بيت المقدس.

ذلك من انباء الغيب : أي ماذكرت من قصة مريم وزكريا من أخبار الغيب.

لديهم : عندهم وبينهم.

إذ يُلْقون أقلامهم[3] : جمع قلم وهو ما يكتب به وإلقاؤها لأجل الاقتراع بها على كفالة مريم.

يختصمون : فى شأن كفالة مريم عليها وعليهم السلام.

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه اذكر لوفد نجران الذين يحاجونك فى ألوهية المسيح إذ قالت الملائكة مخاطبة مريم أم المسيح بما أهّلها الله تعالى له وأكرمها به من اصطفاء[4] الله تعالى لها لتكون من صالحى عباده، وتطهيره إياها من سائر الذنوب والنقائص والعيوب مفضلا لها على نساء عالمها حيث برأها وأكرمها وأظهر آية قدرته فيها فولدت عيسى بكلمة الله وليس على سنته

(١) قيل في سبب لقبها بالصدّيقة أنها لم تسأل الآية عندما بشرت بالولد كما سألها زكريا عليه السلام، وأثنى عليها تعالى بقوله: ﴿وصدّقت بكلمات ربها وكانت من القانتين﴾.

(٢) روي عن الأوزاعي أنّه قال: لمّا أمر تعالى مريم بالقنوت قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها، وسالت دَماً وقيحاً.

(٣) ألقوها في نهر الأردن وهو نهر جار وأفادت هذه الآية مشروعية القرعة وأنها وإن كانت في شرع مَنْ قبلنا إلاّ أنها شرعت لنا على لسان رسول الله ﷺ إذ كان ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها وكذا حديث: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأوّل ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه إلاّ استهموا».

(٤) اختلف في نبوة النساء ورجح كثيرون نبوة مريم لخطاب الملائكة لها واخبارهم باصطفاء الله تعالى لها وهذا يرجح نبوتها. أما الرسالة فلا لأن الرسالة تتطلب الاتصال بالرجال وهذا يتنافى مع كمال النساء وما خلقسن له من الستر والحجاب.

تعالى فى تناسل البشر من ذكر وأنثى ، وأمرها بمواصلة الطاعة والاخبات والخشوع لله تعالى فقال : ﴿يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقتنى لربك واسجدي[1] واركعى مع الراكعين[2]﴾ ، وخص الصلاة بالذكر لأهميتها وذكرها بأعظم أركانها وهو السجود والركوع وفى بيت المقدس مع الراكعين .

هذا معنى الآيتين الأولى (٤٢) والثانية (٤٣). أما الآية الثالثة (٤٤) فقد خاطب الرب تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ مُشيراً إلى ما سبق في هذا القصص المتعلق بآل عمران حنة ومريم وزكريا ويحيى ومريم أخيراً بأنه كله من انباء الغيب واخباره يوحيه تعالى إليه فهو بذلك نبيّه ورسوله ، وما جاء به من الدين هو الحق ، وما عداه فهو باطل ، وبذلك تقرر مبدأ التوحيد ، وأنه لا إله إلا الله ، وبطل باطل أهل الكتاب فلا عزير ابن الله ، ولا المسيح بن الله ، ولا هو إله مع الله ، وإنما هو عبدالله ورسول الله . ثم تقريراً لمبدأ الوحي وتأكيداً لقال تعالى لرسوله أيضاً ، وما كنت لديهم أي عند علماء بني اسرائيل وصلحائهم وفي حضرتهم ، وهم يقترعون على النذيرة «مريم» من يكفلها فرموا بأقلامهم في النهر فمن وقف قلمه في الماء كان كافلها بإذن الله فألقوا أقلامهم تلك الأقلام التي كانت تكتب الحق والهدى لا الباطل والضلال كما هي أغلب أقلام أرباب الصحف والمجلات اليوم فوقف قلم زكريا ففاز بكفالتها[3] بإذن الله تعالى وقد تقدم قول الله تعالى فكفلها زكريا ، بهذا قامت الحجة على أهل الكتاب وغيرهم بأنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الدين الحق هو الاسلام . وما عداه فباطل وضلال!

هداية الآيـات :

من هداية الآيات :

١ـ فضل مريم عليها السلام وأنها وليّة صديقة وقد أخبر النبي ﷺ أنها من كمّل النساء ففي

---

(١) قدم السجود على الركوع في الذكر وإن كان مؤخراً في الفعل لأنه ألصق بالشكر والمقام مقام شكر.

(٢) فيه دليل على صلاة المرأة في الجماعة وقد سن ذلك رسول الله ﷺ في مثل قوله : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» وإن كان قوله ﴿واركعي مع الراكعين﴾ لا يستلزم الصلاة في جماعة إذ هو أمر بالركوع فقد تركع وحدها أو مع غيرها.

(٣) قال القرطبي دلت هذه الآية : ﴿فكفلها زكريا﴾ على أنّ الخالة أحق بالحضانة من سائر القرابات ما عدا الجدة ، وقد قضى رسول الله ﷺ في ابنة حمزة «أمة الله» لجعفر لأنّ خالتها كانت تحته . وقال ﷺ : «إنّما الخالة بمنزلة الأمّ».

الصحيح «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء[1] إلا آسية إمرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

٢ـ أهل القرب من الله هم أهل طاعته القانتون له.

٣ـ الصلاة سلم العروج الى الملكوت الأعلى.

٤ـ ثبوت الوحي المحمدي وتقريره.

٥ـ مشروعية الاقتراع عند الاختلاف وهذه وإن كانت في شرع من قبلنا إلا أنها مقررة في شرعنا والحمد لله.

إِذْ قَالَتِ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ
عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾
وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ[2] أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات:

يبشرك: يخبرك بخبر سار مفرح لك.

بكلمة منه[3]: هو المسيح عليه السلام وسمي كلمة لأنه كان بكلمة الله تعالى ﴿كن﴾.

المسيح[4]: لقب عيسى عليه السلام ومن معانيه الصديق.

الوجيه: ذو الجاه والقدر والشرف بين الناس.

---

(١) وفي رواية أخرى: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ».

(٢) ذهب القرطبي إلى أنّ كلمة ربّ تعني سيدي أي جبريل، وهو خطأ واضح بل المراد به الربّ تبارك وتعالى فهي تخاطب ربّها طالبة معرفة سبب الولد إذ الأسباب المعتادة لم تكن فكيف يكون الولد.

(٣) المراد بكلمةٍ هو كلمة التكوين ووصف عيسى بكلمة مرادٌ به كلمة خاصة وهي كلمة ﴿كُنْ﴾.

(٤) اختلف في سبب تلقيب عيسى بالمسيح، والمشهور أنه لقب تشريف كالفاروق مثلاً أو الملك أو الصديق، وأمّا عيسى فهو معرب أيشوع ومعناه السيد، وهل المسيح مشتق من المسح؟ وهل هو بمعنى الماسح أو الممسوح خلاف.

في المهد : المهد مضجع الصبي وهو رضيع.

وكهلاً : الكهولة سنّ ما بين الشباب والشيخوخة.

ولم يمسسنى بشر : تريد لم يقربها ذكر لا للوقاع ولا لغيره، وذلك لعقمها وبعدها عن الرجال للأجانب.

قضى أمراً : إرادة وحكم بوجوده.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في حِجَاج وفد نصارى نجران إذ قال الله تعالى لرسوله واذكر[1] لهم إذ قالت الملائكة يا مريم ﴿إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ الآية، حيث أخبرتها الملائكة أي جبريل عليه السلام بأن الله تعالى يبشرها بولد يكون بكلمة الله تعالى اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وأنه ذو جاه وشرف في الدنيا وفي الآخرة ومن المقربين، وأنه يكلم الناس وهو في مهده وقت رضاعه، كما يكلمهم في شبابه وكهولته[2]، وأنه من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله تعالى وحقوق عباده وافية غير منقوصة/فردت مريم قائلة: ﴿رب أنّى يكون لي ولد﴾ أي كيف يكون لي ولد ولم يَغْشَنى بشر بجماع وسنة الله في خلق الولد الغشيان فأجابها جبريل قائلا: الأمر هكذا سيخلق الله تعالى منك ولداً من غير أب، وهو سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء وإذا حكم بوجود شيء من غير ذوات الأسباب فإنما يقول له كن فهو يكون كما قضى الله تعالى وأراد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان شرف مريم وكرامتها على ربها إذ كلمها جبريل وبشرها بعد أن تمثل لها بشراً.

٢- بيان شرف عيسى عليه السلام ووجاهته في الدنيا والآخرة وأنه من المقربين والصالحين.

٣- تكلم عيسى في المهد[3] آية من آيات الله تعالى حيث لم تجر العادة أن الرضيع يتكلم في زمان رضاعه.

---

(١) إذ الظرفية هنابدل مِنْ نظيراتها السابقة وهي معمولة لفعل محذوف أي اذكر.

(٢) ذكر الكهولة هنا تطمين لأمه أنّه لا يموت صغيرا وتكليمه في الكهولة يكون بعد نزوله من السماء لأنّه عليه السلام رفع مع نهاية سنّ الشباب وهو ثلاثة وثلاثون سنة لا غير.

(٣) لقد تكلم في المهد غير واحد، منهم شاهد يوسف، وصاحب جريج وكلام عيسى في المهد هو قوله: ﴿إني عبدالله آتاني الكتاب﴾ الآية في سورة مريم.

٤ـ جواز طلب الإستفسار عما يكون مخالفاً للعادة[١] لمعرفة سرّ ذلك أو علته أو حكمته.

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ
أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ
وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات:

الكتاب : الخط والكتابة.

الحكمة : العلم الصحيح والإصابة في الأمور وفهم أسرار التشريع الإلهي.

ورسولاً : أي وابعثه رسولاً.

آية : علامة دالة على رسالته وصدق نبوته.

أخلق لكم : أي أصور لكم، لا الخلق الذي هو الإنشاء والاختراع إذ ذاك لله تعالى.

كهيئة الطير[٢] : كصورة الطير.

---

(١) هذا من قولها ﴿ربّ أنى يكون لي ولد﴾ الآية.

(٢) قيل اليهود هم الذين طلبوا أن يخلق لهم خفاشاً لأنّه أعجب من سائر الخلق ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور وله لبن يرضع به أولاده ويضحك كما يضحك الإنسان ويحيض كما تحيض المرأة ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنّما يبصر في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة.

الأكمــه : الـذي ولد أعمـى .
الأبـرص : ذو البرص وهو مرض عَياء عجز عنه الطب القديم والحديث، والبرص بياض يصيب الجلد البشري .
تدّخــرون : تحبسونه وتخفونه عن أطفالكمْ من الطعام وغيره .
لما بين يدي : من قبلــي .
إن الله ربي وربكم : إلهي وإلهكـم فاعبدوه .

معنـى الآيـات :

مازال السياق في بيان حقيقة عيسى عليه السلام، وأنه عبدالله ورسوله وليس بابن الله ولا بإله مع الله فأخبر تعالى أنه يخلقه بكلمة كن ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وقد فعل، وأنه يبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل وقد فعل فأخبرهم عيسى أنه قد جاءهم بآية من ربهم تدل على صدق رسالته وهذه الآية[1] هي أنه يخلق لهم من الطين على صورة الطير وينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، وأنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله وفعلاً كان يمسح على ذي العاهة المستعصاة كالبرص فيبرأ صاحبها فوراً، وطلبوا منه أن يحي لهم سام بن نوح[2] فأحياه بإذن الله، وأنه يخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون فما يخطىء أبداً، ثم قال لهم: إن في ذلك المذكور لآية لكم دالة على صدقي إن كنتم مؤمنين فآمنوا بي ولا تكـذبـونى وقد جئتكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة، ولأحل لكم بعض الذي حرّم[3] عليكم، وفي ذلكم خير لكم ورحمة فآمنوا بي، فكذبوه فقال لهم: اتقوا الله واطيعوني تنجوا وتسعدوا وأعلمهم أخيراً أن الله تعالى هو ربّه وربهم وأن عليهم أن يعبدوه ليكملوا ويسعدوا وأن عبادة الله تعالى وحده وبما شرع هي الصراط المستقيم المفضي بالسالكين إلى الكمال والإسعاد في الحياتين.

---

(١) قوله تعالى ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ وحّد آية وهي آيات لأنها جنس كنعمة بمعنى جنس النعم والمراد من الآية ما تقدم في قوله ﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم اني أخلق لكم من الطير﴾ الخ .

(٢) روي أنه أحيا لهم أربعة وهم سام بن نوح، والعاذر وكان صديقاً له . وابن العجوز وابنة العاشر.

(٣) هو ما حرّمه الله عليهم على عهد موسى من أكل الشحوم ونحوها، أمّا ما كان محرّما أصلاً لضرورة فلا يحله لهم وذلك كالسرقة والقتل والزنا والربا فإنه لا يحله لهم أبداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ شرف الكتابة وفضلها
٢ـ فضل الحكمة(١) وهي الفقه في أسرار الشرع والإصابة في الأمور.
٣ـ الغيب لله ، ويعلم أنبياءه منه ما يشاء .
٤ـ ثبوت معجزات عيسى عليه السلام .
٥ـ لا إله إلا الله ، ومحمد رسول الله ، وعيسى كلمة الله وروح منه ورسول إلى بني اسرائيل .
٦ـ الأمر بالتقوى وطاعة الرسول لتوقف السعادة والكمال عليهما .

۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾
رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ
ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ
فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا
لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) يكفي الحكمة شرفاً وفضلا قول الله تعالى : «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا» وقول الرسول «ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

أحسّ[1] منهم الكفر : علم منهم الكفر به وبما جاء به، وهمهم بأذيته.

الحواريون[2] : جمع حواري، والمراد بهم أصفياؤه وأصحابه.

مسلمون : منقادون لأمر الله ورسوله مطيعون.

الشاهدين : الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، ويعبدونه بما يجب أن يعبد به.

مكروا : دبروا القتل للمسيح عليه السلام.

ومكر الله : دبر تعالى لإنجائه وخيَّبهم فيما عزموا عليه.

خير الماكرين : أحسن المدبرين لإنقاذ أوليائه وإهلاك أعدائه.

متوفيك : متمم لك ما كتبت لك من أيام بقائك مع قومك.

ورافعك إلّي : إلى جواري في الملكوت الأعلى.

ومطهرك : منزهك ومبعدك من رجسهم وكفرهم.

ذلك نتلوه عليك : ذلك المذكور من أمر عيسى نقرؤه عليك من جملة آيات القرآن الحكيم.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحِجّاج مع وفد نصارى نجران فذكر تعالى من شأنه أنه لما علم عيسى بكفر قومه وهمّهم بقتله غيلة استصرخ المؤمنين قائلا: ﴿من أنصاري[3] إلى الله﴾ فأجابه الحواريون وهم أصفياؤه وأحباؤه قائلين: ﴿نحن أنصار الله﴾ آمنا بالله واشهد يا روح الله بأنّا مسلمون ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول[4] فاكتبنا مع الشاهدين﴾ لك بالوحدانية

---

(١) أحس بالشيء: عرفه وعلمه بواسطة الحاسة والحواس: السمع والبصر واللّسان واليدان والشم، والإحساس: العلم بالشيء، والحسّ: القتل يقال حسّه إذا قتله.

(٢) كانوا اثنى عشر رجلا، وسمي الناصر للنبي حواريا لبياض قلبه وصفاء روحه، وفي الحديث «لكلّ نبي حواري وحواريّ الزبير» والحَور لغة البياض، والحُواري الخبز الأبيض.

(٣) هل (إلى) هنا بمعنى مع أي مَنْ أنصاري مع الله ونظيره ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ أي مع أموالكم أو هي على بابها، ويكون الكلام «مَنْ أنصاري» في الطريق إلى الله؟

(٤) أي عيسى عليه السلام.

ولرسلك بالرسالة. قال تعالى ونفذ اليهود مكرهم في محاصرتهم منزل عيسى ليأخذوه ويصلبوه، ومكر الله تعالى وهو خير الماكرين إذ قال لعبده ورسوله عيسى إني متوفيك أي قابضك ورافعك إلى جواري فقبضه تعالى فأخرجه من رَوزنَة(١) المنزل ورفعه(٢) إليه وألقى الشبه على رئيس شرطة المهاجمين فظنوه هو المسيح فقتلوه وصلبوه فسبحان المدبر الحكيم، وهكذا ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين(٣)﴾ وقوله له ومطهرك من الذين كفروا يريد منزهه من تهم اليهود الباطلة إذ قالوا ساحر وابن زنى، ومبعده من ساحة مجتمعهم الذي تعفن بكفرهم والخبث والشر والفساد وواعده بأنه سيجعل الذين اتبعوه فيما جاء به من الإيمان والاسلام والإحسان فوق الذين كفروا بذلك إلى يوم القيامة وقد أنجز الله تعالى وعده فأعز أهل الإسلام ونصرهم، وأذل اليهود والكفار وأخزاهم. كما واعده أيضاً أن يرد الجميع إليه يوم القيامة ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا من الإيمان والكفر، والصلاح والفساد ويجزي كل فريق بما كسب من خير أو شر فقال: ﴿ ثم إلّي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً ﴾ في الدنيا بالقتل والسباء والذلة والمسكنة، وفي الآخرة بعذاب النار، ومالهم من ناصرين يخلصونهم من عذابنا، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجور إيمانهم وصالح أعمالهم في الدنيا نصراً وتمكيناً وفي الآخرة جنّات ونعيمًا، والله عز وجل لا يحب الظالمين فكيف يظلم عباده إذ جازاهم بأعمالهم؟ إنه لا يظلم أحداً من عباده مؤمنهم وكافرهم مثقال ذرة بل يجزي بعدله ويرحم بفضله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ قيام الحجّة على نصارى نجران إذ أخبرهم الرسول ﷺ بالوحي فقرّر به بطلان ألوهية عيسى عليه السلام بذكر أوصافه وأحواله مع قومه، وكرامة الله تعالى له، ولأتباعه معه ومن بعده في الدنيا والآخرة.

---

(١) الروزنة: الكوة في السقف أو الجدار.

(٢) لم أر داعيا إلى استشكال الكثيرين رفع عيسى حيًا إلى الملكوت الأعلى وإبقاءه هناك إلى أن ينزله في آخر أيام هذه الدنيا حيث صرّح رسول الله ﷺ بنزول عيسى بما لا مجال للشكّ فيه، إنّ السنن الكونية خلقها الله تعالى فهو قدير على تبديل ما شاء منها أليس الله على كلّ شيء قديراً؟ بلى فلِمَ إذاً يرتبك المؤمنون في شأن رفع عيسى حياً وإبقائه في دار السلام حيّاً حتى ينزل في آخر الدنيا؟

(٣) ورد أنّ النبي ﷺ كان يقول في دعائه «اللهم امكر لي ولا تمكر علي» ومما يجب أن يعلم أنّ أفعال الله لا تشبه أفعال العباد لأنّ ذاته لا تشبه ذواتهم.

٢- الإسلام دين الأنبياء وسائر الأمم البشرية ولا دين[١] حق غيره فكل دين غيره باطل.

٣- تقرير حديث الرسول ﷺ في أن لكل نبيّ حواريين[٢] وأنصاراً.

٤- فضل أهل لا إله إلا الله إذ هم الشاهدون بالحق والناطقون به.

٥- تقرير قبض الله تعالى لعيسى ورفعه إليه حياً. ونزوله في آخر الدنيا ليحكم زمناً ثم يموت الموتة التي كتب الله على كل إنسان، فلم يجمع الله تعالى له بين موتتين. هذا دليل أنه رفع إلى السماء حيّاً لا ميّتاً.

٦- صادق وعد الله تعالى بعزة أهل الإسلام، وذلة اليهود على مدى الحياة.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات:

المثل[٣] : الصفة المستغربة البديعة.

الحق من ربك : أي ما قصصناه عليك في شأن عيسى[٤] هو الحق الثابت من ربك.

---

(١) تقدم شاهده في قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

(٢) تقدّم الحديث آنفا وهو حديث صحيح.

(٣) المماثلة الحاصلة بين آدم وعيسى عليهما السلام في شيء واحد وهو: أن كُلّا منهما خلق من غير أب وخلق بكلمة التكوين وهي كُنْ.

(٤) وهو أن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام فنفخ في كُم درع مريم فسرت النفخة فيها فحملت بعيسى وولدته في ساعة من نهار وتكلم بعد وضعها له وطمأن والدته وأرشدها إلى ما تقوله لمن يتصدى لها يعيبها. وحاصله أنه كان بكلمة التكوين وهي كن كما كان آدم بها فلا أب له ولا أمّ.

المترين : الشاكين، إذ الامتراء: الشك.

حاجك : جادلك بالحجج.

نبتهل : نلتعن أي نلعن الكاذب منا.

القصص الحق : ما قصه الله تعالى هو القصص الحق الثابت الذى لا شك فيه.

المفسدون : الذين يعملون بمعاصي الله تعالى في الأرض من الشرك وكبائر الذنوب.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير عبوديّة عيسى ورسالته دون ربوبيّته وألوهيته، فقد روي أن وفد نجران قالوا للرسول ﷺ فيما قالوا: كل آدمي له أبٌ فما شأن عيسى لا أب له؟ فأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن﴾ فإذا هو كائن فأيّ داع لاتخاذ عيسى إلهاً، ألكونه خلقه الله من غير أب فآدم كذلك خلق بدون أب ولا أم، وإنما كان بكلمة الله، فكذلك عيسى خُلق بكلمة الله التي هي «كُنْ» فكان، هذا هو الحق الثابت من الله تعالى في شأن عيسى عليه السلام فلا تكونن من الشاكين فيه، وحاشاه ﷺ أن يشك.[1] ولما أكثروا عليه ﷺ من التردد والمجادلة أرشده ربه تعالى إلى طريق التخلص منهم وهو المباهلة بأن يجتمعوا ويقول كل فريق: اللهم العن الكاذب منا، ومن كان كاذباً منهم يهلك على الفور فقال له ربّه تعالى: ﴿فإن حاجوك فقل: تعالوا . .﴾ (هلموا) ندعِ أبناءنا[2] وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وخرج في الغد رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم[3] أجمعين إلا أن النصارى عرفوا الحق وخافوا إن لاعنوا هلكوا فهربوا[4] من الملاعنة، ودعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فأبوا ورضوا بالكفر إبقاء على زعامتهم ودنياهم ورضوا بالمصالحة فالتزموا بأداء الجزية للمسلمين والبقاء على دينهم الباطل. ثم قال تعالى ﴿إن هذا لهو القصص[5] الحق﴾ بالذي قصصناه عليك في شأن عيسى عليه السلام، وإنه عبدالله ورسوله وكلمته

---

(١) إنّ الخطاب وإن كان موجها إلى النبي ﷺ فإن المراد غيره من سائر الناس الذين يتأتىّ لهم الشك أمّا هو فإنه المعصوم مما هو أقل من الشك الذي هو كفر.

(٢) في هذا دليل على أن أبناء البنات يطلق عليهم أبناء ويسمون بذلك.

(٣) أنه قال لهم أي لعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين «إن أنا دعوت فأمنوا» أي قولوا بعدي آمين.

(٤) في هروب نصارى نجران (وهم علماء) من الملاعنة دليل قاطع على أنّ محمداً ﷺ رسول الله وأنّ دينه هو الدين الحق وما عداه باطل.

(٥) القصص اسم لما يقصّ وهو الإخبار بما فيه طول وتفصيل، مشتق من قص الأثر إذا تتبعه.

ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنه لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا هو تعالى، وإن الله هو العزيز الغالب الذي لا يمانع في شيء أراده، الحكيم في خلقه وتدبيره ثم توعد نصارى نجران وغيرهم من أهل الفساد في الأرض بأنه عليم بهم وسوف يحل نقمته بهم، وينزل لعنته عليهم وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- ولاية الله تعالى لرسوله بإرشاده إلى الطريقة التي أنهى بها جدال النصارى الذي آلمه وأتعبه.

٢- مشروعية المباهلة غير أنها تكون في الصالحين الذين يستجاب لهم.

٣- تقرير ألوهية الله تعالى دون سواه وبطلان دعوى النصارى في تأليه عيسى عليه السلام.

٤- تهديد الله تعالى لأهل الفساد في الأرض وهم الذين يعملون بالشرك والمعاصي.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ
حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

شـرح الكلمـات :

أهـل الكتاب : اليهود والنصارى لأن اليهود عندهم التوراة والنصارى عندهم الإنجيل.

إلى كلمة سواء[1] : الكلمة السَّواء هي العادلة وهي أن نعبد الله وحده لا شريك له ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.

أربابـاً[2] : الأرباب جمع ربّ وهو المألوه المطاع بغير طاعة الله تعالى.

فإن تولـوا : أعرضـوا عن التوحيد.

اشـهدوا : اعلموا علم رؤية ومشاهدة بأنا مسلمون.

تحاجّـون : تجادلون بحُجج[3] باطلة.

يهودياً ولا نصرانياً : لم يكن إبراهيم على ملة اليهود، ولا على ملة النصارى.

كان حنيفاً مسلمًا : مائلاً عن الملل الباطلة إلى ملة الحق وهي الإسلام.

أولى الناس بإبراهيم : أحق بالنسبة إلى إبراهيم وموالاته الذين اتبعوه على التوحيد.

والله ولي المؤمنين : متولي أمرهم وناصرهم.

معنى الآيـات :

مازال السياق في إبطال باطل أهل الكتابين إذ قال تعالى لرسوله قل لهم يا أهل الكتاب من يهود ونصارى تعالوا ارتفعوا من وهدة الباطل التي أنتم واقعون فيها الى كلمة سواء كلمة عدل نصف بيننا وهي أن نعبد الله وحده لا نشرك به سواه وأن لا يتخذ بعضنا بعضاً[4] أرباباً من دون الله فيفرض طاعته على غيره[5] ويلزمه بالسجود له تعظيمًا وتقديساً فإن أبوا عليك ذلك

---

(١) كلمة سُوىً، وسوى، وسواء، بمعنى واحد إلاّ أنّ السين إذا فتحت مدّت.

(٢) نظيرها قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحلله، وسجدوا لهم أيضاً.

(٣) المجادلة بالتي هي أحسن والقائمة على أساس العلم الصحيح ممدوحة غير مذمومة وهذه صورة لها: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله: إنّ امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال رسول الله ﷺ: «هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما لونها؟ قال حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال نعم، قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعَلَّ عِرقاً نزعه. فقال رسول الله ﷺ لعلّ عرقاً نزعه».

(٤) وقد راسل النبي ﷺ ملوك الروم بمضمون هذه الآية إذ كتب إلى هرقل قائلا: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أمّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك اثم الأريسيين (الأكّارين) (وهم الفلاحون) ﴿ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ إلى قوله ﴿مسلمون﴾ رواه مسلم».

(٥) وذلك بأن يحرم عليه ما أحلّ الله ويحل له ما حرّم الله ويلزمه بقبول ذلك والإذعان له.

وتـولـوا عنه فقولوا أيها المؤمنون: اشهدوا أيها المتولون عن الحق بأنا مسلمون. وفي هذا تعريض بل تصريح بأن غيرهم ليسوا مسلمين.

هذا معنى الآية الأولى (٦٤) أما الآية الثانية (٦٥) فيأمر تعالى رسوله أيضاً أن يقول للمتولين عن الحق يا أهل الكتاب لم تحاجون في شأن إبراهيم وتدّعي كل طائفة منكم أن إبراهيم كان على دينها مع أن اليهودية ما كانت إلا بعد نزول التوراة، والنصرانية ما كانت إلا بعد نزول الإنجيل، وإبراهيم كان قبل نزول الكتابين بمئات السنين، مالكم تقولون بما لايقبل ولا يعقل أفلا تعقلون؟ ثم وبخهم بما هم أهله قائلا لهم: اسمعوا يا هؤلاء أنتم جادلتم فيما لكم به علم فى شأن دينكم وكتابكم فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم في شأن إبراهيم وملته الحنيفية التي قامت على مبدأ التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، والله يعلم من شأن إبراهيم ودينه مالا تعلمون أنتم فليس من حقكم القول فيما لا تعلمونه. ثم أكْذبهم بعد أن وبخهم فقال ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً وإنما كان حنيفاً موّحداً مطيعاً لربه مسلمًا له ولم يكن من المشركين. وبعد أن وبخ تعالى المجادلين لرسوله وكذبهم في دعواهم أن إبراهيم على دينهم قرر حقيقة كبرى ينبغي أن يعلموها ويقرّوا بها وهي أن أحقّ[1] الناس بالنسبة الى إبراهيم والانتماء اليه هم الذين اتبعوه على ملة التوحيد وعبادة الله تعالى بما شرع وهذا النبي الكريم العظيم محمد ﷺ والذين آمنوا معه واتبعوا الهدى الذي جاء به، والله تعالى وليّ المؤمنين، وعدو الكافرين والمشركين.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١- لا يَصْلُح حال البشرية ولا يستقيم أمرها إلا إذا أخذت بمبدأ: الكلمة السواء وهي أن تعبد ربها وحده لا تشرك به سواه، وأن لا يعلو بعضها على بعض تحت أيّ قانون أو شعار.

٢- حجيّة التـاريخ وبيان الحاجة إليه، إذ رد الله تعالى على أهل الكتاب في دعواهم أن إبراهيم كان على دينهم بأن التوراة والإنجيل لم ينزلا الا بعد وفاته فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً.

---

(١) روي أنّ ابن عباس قال: قال رؤساء اليهود والله يا محمد لقد علمت أنّا أولى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك فإنّه كان يهوديًا وما بك إلّا الحسد فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ما كان إبراهيم يهودياً﴾ إلى قوله ﴿ والله ولي المؤمنين﴾.

٣ـ ذم من يجادل[1] فيما لا علم له به، ولا شأن له فيه.

٤ـ اليهودية كالنصرانية لم تكن دين الله تعالى، وإنما هما بدعتان لا غير.

٥ـ المؤمنون بعضهم أولياء بعض وإن تناءت ديارهم وتباعدت أقطارهم والله ولي المؤمنين.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

شرح الكلمات:

ودت طائفة[2] : أحبَّت فرقةٌ وهم الأحبار والرؤساء فيهم.

لو يضلونكم[3] : أي تمنَّوا إيقاعكم في الضلال لتشقوا وتهلكوا مثلهم.

وما يشعرون : أي وما يدرُون ولا يعلمون بأنهم بمحاولة إضلال المؤمنين إنما هم يضلون أنفسهم حيث يتوغلون في الشر فيضاعف لهم العذاب.

لبس الحق بالباطل : خلطه به كأنما كسا الباطل ثوب الحق وكسا الحق ثوب الباطل حتى لا يُعرف فيؤخذ به، ويهتدى عليه.

معنى الآيات:

يخبر تعالى عباده المؤمنين أن فرقة من أهل الكتاب تمنّت لو توقعكم في الضلال لتهلكوا والغالب أن هذه الطائفة تكون في رؤسائهم من أحبار وقسس وإن كان أغلب اليهود

(١) قال القرطبي: نزلت هذه الآية في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر حين دعاهم يهود من بني النضير وقريضة وبني قينقاع إلى دينهم. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٢) الإضلال: يكون بمعنى الهلاك كما هو هنا وعليه قول الشاعر:

كنت القذى في موج أكدر مزبدٍ قذف الأتيُّ به فضلّ ضلالا

أي هلك هلاكاً. والأتيُّ: السيل يأتي من حيث لا يعلم.

(٣) تقدّم أنهم من يهود المدينة وأنّ العبرة بعموم اللفظ لذا فإن هذا النوع ما زال إلى اليوم يود إضلال المسلمين.

والنصارى يودون إضلال المسلمين حسداً لهم على الحق الذي هم عليه، وأخبر تعالى أنهم بتمنيهم هلاك المسلمين إنما يهلكون أنفسهم وما يدرون ذلك ولا يعلمون به وقال عز وجل: ﴿وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون﴾

هذا معنى الآية (٦٩) أما الآية (٧٠) فقد نادى الرب تعالى أهل الكتاب ليوبخهم وينعي عليهم ضلالهم فقال: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون[١] بآيات الله﴾ أي لم تجحدون الآيات التي بها نعت الرسول وصفته لله في التوراة والإنجيل والحال أنكم تشهدون أنها صفات الرسول ونعوته وأنها منطبقة عليه؟ أليس هذا قبحاً منكم وشراً تعود عاقبته عليكم؟ وفي الآية (٧١) وبخهم أيضاً على خلطهم الحق بالباطل حتى لا يعرف ويؤخذ به ويهتدى عليه فقال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب[٢] لم تلبسون الحق بالباطل﴾ وشنع عليهم بكتمانهم الحق الذي هو نبوة الرسول محمد ﷺ المبيّنة في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم فقال: ﴿وتكتمون الحق وأنتم تشهدون﴾ أنه الحق من الله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان رغبة كثير من اليهود والنصارى في إضلال المسلمين وإهلاكهم.

٢- عاقبة الشر والفساد تعود على صاحبها في نهاية الأمر.

٣- قبح من يكتم الحق وهو يعرفه.

٤- حرمة التدليس والتلبيس في كل شيء لا سيما في دين الله تعالى لابعاد الناس عنه.

٥- حرمة كتمان الحق في الشهادة وغيرها.

وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟
بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ

---

(١) الاستفهام انكاري والآيات هي المشتملة على صفات الرسول محمد ﷺ ونعوته ومن الآيات المعجزات التي تجلت على يد النبي محمد ﷺ.

(٢) إعادة النداء مرة ثانية ﴿يا أهل الكتاب﴾ لأجل توبيخهم وتسجيل باطلهم عليهم.

ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ
عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

وجه النهار[1] وآخره : أوله وهو الصباح وآخره وهو المساء.

ولا تؤمنوا[2] إلا لمن تبع دينكم : أي لا تصدقوا إلا من كان على ملتكم.

الهدى هدى الله : البيان الحق والتوفيق الكامل بيان الله وهداه لا ما يخلط اليهود ويلبسون تضليلاً للناس.

أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم : أن يعطى أحد نبوة ودينا وفضلا.

أو يحاجوكم عند ربكم : يخاصموكم يوم القيامة عند ربكم.

قل إن الفضل بيد الله : قل إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام بيد الله لا بيد غيره.

والله واسع عليم : ذو سعة بفضله، عليم بمن يستحق فضله فيمُن عليه.

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن كيد اليهود ومكرهم بالمسلمين فيقول: ﴿وقالت[3] طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ وذلك أن كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف عليهما لعائن الله قالا لبعض إخوانهم صلوا مع المسلمين صلاة الصبح إلى الكعبة، وصلوا العصر الى الصخرة بيت المقدس فإن قيل لكم لم عدلتم

---

(١) سمي أول النهار وجهاً: لأنه أحسنه وأوّل ما يواجه ومنه قال الشاعر:

وتضيء في وجه النهار منيرة ... كجمانة البحرية سل نظامها

(٢) هذا نهي من يهود خيبر إلى إخوانهم من يهود المدينة.

(٣) عطف على ودّت طائفة فالطائفة الأولى ودّت إضلال المسلمين جَهراً وعلناً وهذه حاولته بالخداع والتضليل بأساليب المكر والاحتيال.

عن الكعبة بعدما صليتم إليها؟ قولوا لهم قد تبيّن أن الحق هو استقبال الصخرة لا الكعبة. هذا معنى قوله تعالى فيهم ﴿وقالت طائفة[1] من أهل الكتاب آمنوا[2] بالذي أنزل على الذين آمنوا﴾ يعني في شأن القبلة، ﴿وجه النهار﴾ أي صباحاً، ﴿واكفروا آخره﴾ أي واجحدوا به مساءً، ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي إلى استقبال الصخرة بدلاً عن الكعبة، والغرض هو بلبلة أفكار المسلمين وإدخال الشك عليهم[3] وقوله تعالى عنهم: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ يريد أنهم قالوا لبعضهم بعضاً لا تصدقوا أحداً إلا من تبع دينكم من أهل ملتكم وهذا صرف من رؤسائهم لليهود عن الإسلام وقبوله، أي لا تصدقوا المسلمين فيما يقولون لكم، وهنا رد تعالى عليهم بقوله قل يا رسولنا إن الهدى هدى الله، لا ما يحتكره اليهود من الضلال ويزعمون أنه الحق والهدى وهو البدعة اليهودية وقوله تعالى: ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أو يحاجوكم عند ربكم﴾. هو قول اليهود معطوف على قولهم: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ أما قوله تعالى ﴿قل إن الهدى...﴾ فهو كلام معترض بين كلام اليهود قدم تعجيلاً للرد عليهم، ومعنى قولهم : ﴿أن يؤتى أحد..﴾ الخ. أي كراهة أن يعترف من قبلكم بأن محمداً نبيّ حق وأن دينه حق فيتابعه اليهود والمشركون عليه فيسلمون، أو على الأقل يثبت المسلمون عليه، ونحن نريد زلزلتهم وتشكيكهم حتى يعودوا الى دين آبائهم، أو يحاجوكم عند ربكم يوم القيامة وتكون لهم الحجة عليكم إن أنتم اعترفتم لهم اليوم بأن نبيهم حق ودينهم حق، فلذا واصلوا الإصرار أنه لا دين حق إلا اليهودية وأن ما عداها باطل. وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم مبكّتاً لهم: ﴿إن الفضل بيد الله﴾، لا بيد اليهود ﴿يؤتيه﴾ أي الفضل الذى هو النبوة والهدى والتوفيق وما يتبع ذلك من خير الدنيا والآخرة، ﴿من يشاء﴾ من عباده ويحرمه من يشاء، وهو الواسع الفضل العليم بمن يستأهله ويحق له ﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

---

(١) الطائفة: الجماعة وسميت بها لأنها يسوى بها حلقة يطاف حولها.

(٢) ولا مانع أن يكون مراداً من الآية أنهم قالوا لسفلتهم أظهروا الإيمان بمحمد ودينه في أوّل النهار ثم اكفروا به آخره فإنكم إن فعلتم ذلك ارتاب من يتبعه في دينه فيرجع عن دينه إلى دينكم. إلاّ أنّ ما فسرنا به الآية أظهر.

(٣) وهذا لا يمنع أن يكون قولهم: ﴿آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾ اظهاراً منهم للدخول في الإسلام، والاعتراف به في أول النهار، مكراً وخديعة، فإذا ولى النهار أظهروا رجوعهم عنه ليظن من رآهم أنهم يريدون الحق ولذلك أسلموا، فلما تبين لهم بطلان الاسلام، وعدم صحته رجعوا عنه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تسجيل المكر والخداع على اليهود وأنه صفة من صفاتهم اللازمة لهم إلى يوم القيامة .

٢ـ الكشف عن التعصب اليهودي وأساليب التمويه والتضليل، والإعلام العالمي اليوم مظهر من مظاهر التضليل اليهودي .

٣ـ سذاجة اليهود المتناهية في فهم مسائل الدين والاعتقاد توارثوها الى اليوم ، وإلا فأي مؤمن بالله واليوم الآخر يقول: لا تعترفوا للمسلمين بأنهم على حق حتى لا يحتجوا عليكم باعترافكم يوم القيامة؟ .

إن الله تعالى يعلم أن اليهود يجحدون الاسلام وهو الحق ويكفرون به وهو الحق من ربهم وسيعذبهم في نار جهنم يخلدون فيها، فكونهم لا يصرحون للمسلمين بأنهم على حق وهم يعلمون أنهم على الحق في دينهم ينجيهم هذا من عذاب الله على كفرهم بالإسلام؟ اللهم لا . فما معنى قولهم لا تعترفوا بالإسلام حتى لا يحتج عليكم المسلمون باعترافكم يوم القيامة؟؟ إنه الجهل والسذاجة في الفهم . وسبحان الله ماذا في الخلق من عجائب!!

۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ
يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا
مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا
خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

شـــرح الكلمـات :

إن تأمنـه : ائتمنه على كذا وضعه عنده أمانة وأمنه عليه فلم يخفه.

قنطـار : وزن معروف والمراد هنا أنه من ذهب بدليل الدينار.

إلا مادمت عليه قائمًا : أي ملازماً له تطالبه[1] به ليل نهار.

الأمّـيين : العـرب المشـركين.

سـبيل : أي لا يؤاخذنا الله إن نحن أكلنا أموالهم لأنهم مشركون.

بـلى : أي ليس الأمر كما يقول يهود من أنه ليس عليهم حرج ولا إثم في أكل أموال العرب المشركين بل عليهم الإثم والمؤاخذة[2].

لا خلاق لهم : أي لاحظ ولا نصيب لهم في خيرات الآخرة ونعيم الجنان.

لا يزكيـهم : لا يطهرهم من ذنوبهم ولا يكفرها عنهم.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكـريم في هتك أستار أهل الكتاب وبيان نفسيّاتهم المريضة وصفاتهم الذميمة ففي هذه الآية (٧٥) يخبر تعالى أن فى اليهود من إن أمنته على أكبرمال أداه إليك وافياً كاملاً، ومنهم من إذا أمنته على دينار فأقل خانك فيه وأنكره عليك فلا يؤديه إليك إلا بمقاضاتك له وملازمتك إياه.. فقال تعالى في خطاب رسوله: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده[3] إليك إلا ما دمت عليه قائمًا﴾ ويعلل الرب تعالى سلوكهم هذا بأنهم يقولون ﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾ أي لا حرج علينا ولا إثم في أكل أموال العرب لأنهم مشركون فلا نؤاخذ بأكل أموالهم وكذّبهم الله تعالى في هذه الدعوة الباطلة فقال تعالى: ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أي أنه كذب على الله ولكن يكذبون ليسوِّغوا كذبهم وخيانتهم.

وفي الآية الثانية (٧٦) يقول تعالى: ﴿بلى﴾ أي ليس الأمر كما يدعون بل عليهم الإثم

---

(١) استدل أبو حنيفة بقوله تعالى: ﴿إلاّ ما دمت عليه قائما﴾ على جواز ملازمة الغريم، ولَمْ يرضَهُ العلماء واستدل بعض العلماء على حبس المدين بهذه الآية.

(٢) قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إنا نصيب في العمد من أموال أهل الذمّة الدجاجة والشاة ونقول ليس علينا في ذلك بأس فقال له: هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لا تحل لكم أموالهم إلاّ عن طيب أنفسهم.

(٣) ما دام في أهل الكتاب الأمين والخائن والتمييز بينهم متعذر إذاً تعيّن اجتنابهم جميعاً.

والحرج والمؤاخذة، وإنما لا إثم ولا حرج ولا مؤاخذة على من أوفى بعهد الله تعالى فآمن برسوله وبما جاء به، واتقى الشرك والمعاصي فهذا الذي يحبه الله فلا يعذبه لأنه عز وجل يحب المتقين. وأما الآية الأخيرة (٧٧) فيتوعد الرب تعالى بأشد أنواع العقوبات أولئك الذين يعاهدون ويخونون ويحلفون ويكذبون من أجل حطام الدنيا ومتاعها القليل فيقول ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم[١] ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي لا حظ ولا نصيب لهم في نعيم الدار الآخرة ولا يكلمهم تشريفاً لهم وإكراماً، ولا يزكيهم بالثناء عليهم ولا بتطهيرهم من ذنوبهم، ولهم عذاب مؤلم في دار الشقاء وهو عذاب دائم مقيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ يجب أن لا يُغْتَرّ باليهود ولا يوثق فيهم لما عرفوا به من الخيانة .

٢ـ من كذب على الله أحرى به أن يكذب على الناس .

٣ـ بيان اعتقاد اليهود في أن البشرية غير اليهود نجس وأن أموالهم وأعراضهم مباحة لليهود حلال لهم؛ لأنهم المؤمنون في نظرهم وغيرهم الكفار.

٤ـ عظم ذنب من يخون عهده من أجل المال، وكذا من يحلف كاذباً لأجل المال قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين يستحق بها مالاً وهو فيها فاجر لقي[٢] الله وهو عليه غضبان» .

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾

شرح الكلمات :

وإن منهم لفريقاً : طائفة من اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بالمدينة النبويّة .

---

(١) أخرج أهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قال قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع حق امرء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان» .

(٢) رواه أحمد وله شواهد في الصحاح، وروى الأئمة عنه ﷺ قوله: «مَنْ اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنّة فقال له رجل وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك» .

يلوون[1] ألسنتهم : يحرفون ألسنتهم بالكلام كأنهم يقرأون الكتاب.

وما هو من الكتاب : وليس هو من الكتاب.

ويقولون على الله الكذب : أي يكذبون على الله لأغراض ماديّة.

معنى الآية :

ما زال السياق في اليهود وبيان فضائحهم فأخبر تعالى أن طائفة منهم يلوون ألسنتهم بمعنى يحرفون نطقهم بالكلام تمويهاً على السامعين كأنهم يقرأون التوراة وما أنزل الله فيها، وليس هو من الكتاب المنزل في شيء بل هو الكذب البَحْت، ويقولون لكم إنه من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب لأجل الحفاظ على الحطام الخسيس والرئاسة الكاذبة.

هداية الآية

من هداية الآية :

١- بيان مكر اليهود وتضليلهم للناس وخداعهم لهم باسم الدين والعلم.

٢- جرأة اليهود على الكذب على الناس وعلى الله مع علمهم بأنهم يكذبون وهو قبح أشدّ وظلم أعظم.

٣- التحذير للمسلم من سلوك اليهود في التضليل والقول على الله والرسول لأجل الأغراض الدنيويّة الفاسدة.

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

---

(١) قرىء: يلوّون على التكثير، والمعنى يحرفون الكلم عن القصد، وأصل اللّي الميل، يقال لوى رأسه إذا أماله ومنه قوله تعالى: ﴿ليًّا بألسنتهم﴾ أي ميلا عن الحق، واللّي: المطل أيضاً لحديث: «ليّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته» في الصحيح.

شـرح الكلمـات :

ما كان لبشر[1] : لم يكن من شأن الإنسان الذى يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة.[2]

الكتاب والحكم والنبوة : الكتاب : وحي الله المكتوب والحكم : بمعنى الحكمة وهي الفقه في أسرار الشرع ، والنُّبوة: ما يشرِّف الله تعالى به عبده من إنبائه بالغيب وتكليمه بالوحي .

ربانيين[3] : جمع ربّانى : من ينسب إلى الربّ لكثرة عبادته وغزارة علمه ، أو إلى الربان وهو الذي يربّ الناس فيصلح أمورهم ويقوم عليها.

أربـابـاً : جمع ربّ بمعنى السيد المعبود.

أيأمركم بالكفر : الإستفهام للإنكار، والكفر هنا الردة عن الإسلام.

معنى الآيتين :

ما زال السياق فى الرد على أهل الكتاب وفي هذه الآية (٧٩) الرد على وفد نصارى نجران خاصة وهم الذين يؤلهون المسيح عليه السلام . قال تعالى: ليس من شأن أي إنسان يعطيه الله الكتاب أي ينزل عليه كتاباً ويعطيه الحكم فيه وهو الفهم والفقه في أسراره ويشرفه بالنبوة فيوحى اليه ، ويجعله فى زمرة أنبيائه ، ثم هو[4] يدعو الناس الى عبادة نفسه فيقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله . إن هذا ما كان ولن يكون أبداً. ولا مما هو متصور الوقوع أيضا فما لكم أنتم يا معشر النصارى تعتقدون هذا في المسيح عليه السلام؟ إن مَنْ أوتي مثل هذا الكمال لا يقول للناس كونوا عباداً لى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين تصلحون الناس وتهدونهم الى ربهم ليكملوا بطاعته ويسعدوا عليها، وذلك بتعليمهم الكتاب وتدريسه ودراسته .

هذا معنى الآية (٧٩) أما الآية (٨٠) فإن الله تعالى يخبر عن رسوله محمد ﷺ أنه لا يأمر الناس بعبادة غير ربّه تعالى سواء كان ذلك الغير ملكاً مكرماً أو نبيّاً مرسلا ، وينكر على من

---

(١) لفظ البشر: يطلق على الواحد والجمع لأنه كالمصدر والمراد به هنا عيسى عليه السلام.

(٢) أي لا يجتمع لنبي إتيان النبوة مع قوله كونوا عباداً لي من دون الله ، وإنّما الذي يجتمع له مع إتيان النبوة هو قوله: ﴿كونوا ربّانيين﴾ الخ.

(٣) الربّاني والجمع ربّانيين مشتق من ربّه يربّه فهو ربان له إذا دبره وأصلحه.

(٤) قالت اليهود يوما لرسول الله ﷺ: أتريد أن نتخذك يا محمد ربّاً؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوّة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾ الآية.

نسبوا ذلك إليه ﷺ فيقول: ﴿أيأمركم[1] بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ فهذا لا يصح منه ولا يصدر عنه بحال.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ لم يكن من الممكن لمن آتاه الله الكتاب والحكمة وشرفه بالنبوة أن يدعو الناس لعبادة نفسه فضلاً عن عبادة غيره.

٢ـ سادات الناس هم الربانيون الذين يربون الناس بالعلم والحكمة فيصلحونهم ويهدونهم.

٣ـ عظماء الناس[2] من يعلمون الناس الخير ويهدونهم إليه.

٤ـ السجود لغير الله تعالى كفر لما ورد أن الآية نزلت رداً على من أرادوا أن يسجدوا لرسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾؟!

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ
قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

الميثاق : العهد المؤكد باليمين.

---

(١) الاستفهام انكاري وفيه معنى التعجب، إذ ليس من شأن النبي ﷺ أن يتخذ الناس عباداً يتأله لهم، ومن هنا قال ﷺ: «لا يقولون أحدُكم عبدي وأمتى وليقل فتاي وفتاتي، ولا يقل أحدكم ربي وليقل سيّدي».

(٢) روى ابن عبد البر عن علي رض الله عنه قوله: من علم وعمل وعلّم دُعي في ملكوت السموات عظيماً، وهو مروي عن عيسى عليه السلام.

لما[1] آتيتكم[2]	: مهما آتيتكم .
لتؤمنـنّ[3]	: لتصدقن برسالته .
أأقــررتم	: الهمزة الأولى للاستفهام التقريري وأقررتم بمعنى اعترفتم .
إصــري	: عهدي وميثـاقي .
فمن تولى	: رجع عما اعترف به وأقـرّ.
الفاسقـون	: الخارجون عن طاعة الله ورسوله .
أفغير دين الله يبغون	: الاستفهام للإنكار، ويبغون بمعنى يطلبون .
وله أسـلم	: انقاد وخضع لمجاري أقدار الله وأحكامه عليه .

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الرد على نصارى نجران فيقول تعالى لرسوله أذكر لهم ما أخذ الله على النّبيين وأممهم من ميثاق أنه مهما آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءهم رسول مصدق لما معهم من النور والهدى ليؤمننّ به ولينصرنه على أعدائه ومناوئيه من أهل الكفر وأنه تعالى قررهم فأقـروا واعـترفـوا ثم استشهدهم على ذلك فشهدوا وشهد تعالى فقال: ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ ثم أكد تعالى ذلك مرة أخرى بأن من يعرض عن هذا الميثاق ولم يف به يعتبر فاسقاً ويلقى جزاء الفاسقين فقال تعالى: ﴿فمن تولى[4] بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ .

وقـد نقض هذا الميثاق كلٌّ من اليهود والنصارى، إذ لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وبما جاء به وقد أخذ عليهم الميثـاق بالإيمان به ، وبنصره ، فكفروا به ، وخذلوه ، فكانوا بذلك الفاسقين المستوجبين لعذاب الله .

---

(١) قرأ نافع ﴿لما آتيناكم﴾ بنون العظمة وقرأ حفص ﴿لما آتيتكم﴾ بتاء المتكلم، وصيغة الميثاق هي ﴿لما آتيتكم﴾ إلى قوله ﴿ولتنصرنّه﴾ .

(٢) قرأ أهل الكوفة ﴿لما آتيتكم﴾ بكسر لام لِما أي: لأجل ما آتيتكم من كتاب الخ، وتكون ﴿ما﴾ موصولة بمعنى الذي أي للذي آتيتكم. الخ .

(٣) روى ابن كثير عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قالا: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلاّ أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليصُرُنّه، وهذا غير مناف لما قال قتادة وغيره أنّ الله أخذ من النبيين ميثاقهم أن يصدِّق بعضهم بعضاً .

(٤) التولي والفسق مستحيل في حق أنبياء الله ورسله، ولذا فالمأخوذ عليهم العهد والميثاق هم أتباع الأنبياء والرسل، وإنما قال ميثاق النبيين لأنهم هم المبلغون أممهم بما أخذ عليهم ويوضح هذا قوله ﴿فاشهدوا﴾ أي على أممكم .

ثم وبخ تعالى أهل الكتاب قائلا: ﴿أفغير دين الله[1] - يريد الاسلام - يبغون﴾ أي يطلبون، ولله أسلم أي انقاد وخضع من في السموات من الملائكة والأرض من سائر المخلوقات الأرضية طوعاً أو كرهاً[2]: طائعين أو مكرهين وفوق هذا أنّكم ترجعون إليه فيحاسبكم، ويجزيكم بأعمالكم.

هذا ما تضمنته الآية الأخيرة (٨٣) إذ قال تعالى ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان سنة الله تعالى في الأنبياء السابقين وهي أن يؤمن بعضهم ببعض وينصر بعضهم بعضاً.

٢- كفر أهل الكتاب وفسقهم بنقضهم الميثاق وتوليهم عن الإسلام وإعراضهم عنه بعد كفرهم بالنبيّ محمد ﷺ وقد أخذ عليهم الميثاق بأن يؤمنوا به ويتبعوه.

٣- بيان عظم شأن العهود والمواثيق عند الله تعالى.

٤- الإنكار على مَنْ يُعْرِض عن دين الله الإسلام. مع أن الكون كلّه خاضع منقاد لأمر الله ومجاري أقداره مسلم له.

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

(١) الاستفهام للتقريع والتوبيخ، روي عن الكلبي أنّ كعب بن الأشرف اليهودي وأصحابه اختصموا مع النصارى إلى النبي ﷺ فقالوا أيّنا أحق بدين إبراهيم؟ فقال ﷺ كلا الفريقين بريء من دينه فقالوا: ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزل قوله تعالى ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ الآية.

(٢) طوعا وكرها: مصدران في موضع الحال أي طائعين ومكرهين، إذ كل مخلوق منقاد مستسلم لما جبله الله عليه وقضاه وقدره له لا يخرج عنه بحال.

شـرح الكلمـات :

الأسـباط : جمع سِبْط والسِّبط الحفيد، والمراد بالأسباط هنا أولاد يعقوب الإثنا عشر والأسباط في اليهود كالقبائل فى العرب.

يبْتغ : يطلب ويريد ديناً غير الدين الإسلامي.

الخـاسـرين : الهالكين بالخلد في نار جهنم والذين خسروا كل شيء حتى أنفسهم.

معنى الآيتين :

مازال السياق في حجاج أهل الكتاب فبعد أن وبخهم تعالى بقوله في الآيات السابقة أفغير دين الله تبتغون يا معشر اليهود والنصارى؟ فإن قالوا: نعم فقل أنت[1] يا رسولنا آمنا بالله وما أنزل علينا من وحيٍ وشرع وآمنا بما أنزل على إبراهيم خليل الرحمن وما أنزل على ولديه اسماعيل واسحق،وما أنزل على يعقوب واولاده الاسباط، وآمنا بما أوتي موسى من التوراة وعيسى من الإنجيل، وما أوتى النبيّون من ربهم لا نفرق بين أحد من أنبيائه بل نؤمن بهم وبما جاءوا به فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما هي حالكم يا معشر اليهود والنصارى. ونحن لله تعالى مسلمون أي منقادون مطيعون لا نعبده بغير ما شرع ولا نعبد معه سواه. هذا معنى الآية الأولى (٨٤).أما الآية الثانية (٨٥) فإن الله تعالى يقرر أن كل دين غير الاسلام باطل، وان من يطلب ديناً غير الاسلام لن يقبل منه بحال ويخسر في الآخرة خسراناً كبيراً فقال تعالى: ﴿ومن[2] يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك هو الخسران المبين.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ لا يصح إيمان عبد يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض، كما لا يصح ايمان عبد يؤمن ببعض ما أنزل الله تعالى على رسله ويكفر ببعض.

---

(١) في الآية تعليم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين عقيدة الإيمان الصحيحة التي أحبها الله لهم ليكملوا بها ويسعدوا عليها بإذن الله تعالى:

(٢) روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «تجيىء الأعمال يوم القيامة فتجيىء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة فيقول إنك على خير وتجيىء الصدقة فتقول يا رب أنا الصدقة فيقول إنك على خير.

ثم يجيىء الصيام فيقول يارب أنا الصيام فيقول إنك على خير ثم تجيىء الأعمال كل ذلك ويقول الله تعالى إنك على خير ثم يجيىء الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى إنك على خير اليوم بك آخذ وبك اعطي، قال الله تعالى في كتابه ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ تفرّد به أحمد.

٢ـ الإسلام: هو الإنقياد والخضوع لله تعالى وهو يتنافى مع التخيير بين رسل الله ووحيه اليهم.

٣ـ بطلان سائر الأديان والملل سوى الدين الإسلامي وملة محمد ﷺ

كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟
أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات:

كيف يهدى الله قوما : الاستفهام هنا للاستبعاد[1]، والهداية الخروج من الضلال.

البينات : الحجج من معجزات الرسل وآيات القرآن المبيّنة للحق فى المعتقد والعمل.

الظالمين : المتجاوزين الحد في الظلم المسرفين فيه حتى أصبح الظلم وصفاً لازماً لهم.

لعنة الله : طرد الله لهم من كل خير، ولعنة الملائكة والناس دعاؤهم عليهم بذلك.

ولا هم ينظرون : ولا هم يمهلون من أَنْظَره إذا أمهله ولم يعجّل بعذابه.

أصلحوا : أصلحوا ما أفسدوه من أنفسهم ومن غيرهم.

(١) الاستفهام للنفي والاستبعاد إذ هو بمعنى لا يهدي الله قوماً .. إلخ ومنه قول الشاعر:
كيف نومي على الفراش ولما   يشمل القوم غارة شعواء

معنى الآيـات :

مازال السياق في أهـل الكتـاب[1] وإن تناولت غيرهم ممن ارتد عن الإسلام من بعض الأنصار ثم عاد إلى الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ففي كل هؤلاء يقول تعالى: ﴿كيف يهدى الله قومـاً كفـروا بعـد إيمانهم﴾ فقد كفر اليهود بعيسى عليه السلام، وشهدوا أن الرسول محمداً حق وجاءتهم الحجج والبراهين على صدق نبوته وصحة ما جاء به من الدين الحق، والله حسب سنته في خلقه لا يهدي من أسرف في الظلم وتجاوز الحد فيه فأصبح الـظلم طبعاً من طباعه فلهذا كانت هداية من هذه حاله مستبعدة للغاية، وإن لم تكن مستحيلة ثم أخـبر تعـالى عنهم متوعداً لهم فقال: ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ ﴿خالدين فيها﴾ أي في تلك اللعنة الموجبة لهم عذاب النار ﴿لا يخفف عنهم العـذاب ولا هم ينـظرون﴾ أي ولا يمهلون ليعتـذروا، أولا يخففـعنهم العذاب. ثم لما لم تكن توبتهم مستحيلة ولأن الله تعالى يحب توبة عباده ويقبلها منهم قال تعـالى فاتحاً باب رحمته لعباده مهما كانت ذنوبهم ﴿إلا الذين تابوا[2] من بعد ذلك﴾ الكفر والظلم، ﴿وأصلحوا﴾ نفوسهم بالإيمان وصالح الأعمال ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فكان هذا كالوعد منه سبحانه وتعالى بأن يغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم بدخول الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ التوغل في الشر والفساد أو الظلم والكفر قد يمنع[3] العبد من التوبة. ولذا وجب على العبد إذا أذنب ذنباً أن يتوب منه فوراً، ولا يواصله مصراً عليه خشية ان يحال بينه وبين التوبة.

٢ـ التوبة مقبولة متى قامت على أسسها واستوفت شروطها ومن ذلك الإقلاع عن الذنب فوراً، والندم على ارتكابه، والاستغفار والعزم على عدم العودة إلى الذنب الذي تاب منه، وإصلاح ما أفسده مما يمكن إصلاحه.

---

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ الآية نزلت في رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثمّ راسل قومه: ليسألوا له رسول الله ﷺ هل له توبة فجاء قومه وسألوا له فأنزل الله هذه الآية ﴿كيف يهدي الله قوما﴾ إلى ﴿غفور رحيم﴾ والآية تتناول اليهود من باب أولى وتنطبق عليهم تماماً فتشمل من تاب منهم ومن لم يتب على حدٍّ سواء.

(٢) روى ابن كثير والقرطبي أن الحارث بن سويد أخا الجلاس بن سويد الأنصاري قد ارتد بعد اسلامه مع اثني عشر رجلا والتحقوا بمكة ثم تاب الحارث فأسلم وحسن إسلامه.

(٣) أورد هنا القرطبي سؤالاً وهو: أن ظاهر الآية ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ دال على أنّ من كفر بعد اسلامه لا يهده الله وكثيراً من الظالمين تابوا من الظلم؟ وأجاب بقوله إنّ معنى لا يهديهم ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم ولا يقبلون على الإسلام فأمّا إن أسلموا وتابوا فقد وفقهم الله لذلك والله أعلم. هـ كلامه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

شـرح الكلمات :

الكـفر : الجحود لله تعالى والتكذيب لرسوله وما جاء به من الدين والشرع.

بعد إيمانهم : اي ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر.

الضالــون : المخطئون طريق الهدى.

ملء الأرض : ما يملأها من الذهب.

ولو افتدى به : ولو قدمه فداء لنفسه من النار ما قبل منه.

معنى الآيتين :

ما زال السياق في أهل الكتاب وهو هنا في اليهود خاصة إذ أخبر تعالى عنهم[1] أنهم كفروا بعد إيمانهم كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة. ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والقرآن فلن تقبل توبتهم إلا إذا تابوا بالإيمان بمحمد ﷺ والقرآن لكنهم مصرون على الكفر بهما فكيف تقبل توبتهم إذاً مع اصرارهم على الكفر، ولذا أخبر تعالى أنهم هم الضالون البالغون أبعد الحدود في الضلال ومن كانت هذه حاله فلا يتوب ولا تقبل توبته، ثم قرر مصيرهم بقوله عز وجل: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً﴾ يريد يوم القيامة مع أنه لا مال يومئذ ولكن من باب الفرض والتقدير لا غير. فلو أن لأحـدهم ملء الأرض ذهباً وقبل منه فداء لنفسه من عذاب الله لافتدى، ولكن

---

(١) أورد القرطبي إشكالاً عن قوله تعالى: ﴿لن تقبل توبتهم﴾ مع العلم أن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر كما صح في الخبر وكيف وهو القائل: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾ وذكر ثلاثة أجوبة الأوّل: أنه لا يقبل توبتهم عند الموت كما هو نصّ الآية ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن...﴾. الثاني: أنها لا تقبل توبتهم التي كانت قبل كفرهم إن الكفر محبط للعمل. والثالث: أنها لا تقبل وهم مصرون على الكفر. قلت وهذا أمثلها وهو ما ذكرته في تفسير الآية. والله أعلم.

هيهات هيهات[1] إنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولكن من جاء ربّه بقلب سليم من الشرك والشك وسائر أمراض القلوب نجا من النار ودخل الجنة بإذن الله تعالى.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ سنة الله فيمن توغل في الكفر أو الظلم أو الفسق وبلغ حداً بعيداً أنه لا يتوب.

٢ـ اليأس من نجاة من مات كافراً يوم القيامة.

٣ـ لا فدية تقبل يوم القيامة من أحد ولا فداء لأحد فيه.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾

شرح الكلمات :

لن تنالوا : لن تحصلوا عليه وتظفروا به.

البِرّ : كلمة جامعة لكل خير، والمراد به هنا ثوابه وهو الجنة.

تنفقوا : تتصدقوا.

مما تحبون : من المال الذي تحبونه لأنفسكم وهو أفضل أموالكم عندكم.

من شيء : يريد قَلَّ أو كثر.

فإن الله به عليم : لازمه أنه يجزيكم به بحسب كثرته أو قلته.

معنى الآية الكريمة :

يخبر تعالى عباده المؤمنين الراغبين في بره[2] تعالى وإفضاله بأن ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة بأنهم لن يظفروا بمطلوبهم من برّ ربهم حتى ينفقوا من أطيب أموالهم وأنفسها عندهم وأحبّها إليهم. ثم أخبرهم مطمئناً لهم على إنفاقهم أفضلِ أموالهم بأن ما ينفقونه من قليل

---

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم فيقال له كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك فلم تفعل».

(٢) يطلق لفظ البرّ على العمل الصالح أو هو جماعهُ وثوابه وفي الصحيح يقول الرسول ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البرّ وإنّ البرّ يهدي إلى الجنة ولايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإنّ الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

أو كثير نفيس أو خسيس هو به عليم وسيجزيهم به، وبهذا حبّب إليهم الإنفاق ورغبهم فيه فجاء أبوطلحة رضى الله عنه يقول يا رسول الله ان الله تعالى يقول: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[1]، وإن من أحب أموالي إلَيّ بيرحا (حديقة) فاجعلها حيث أراك الله يا رسول الله، فقال له ﷺ مال رابح أو رائج اجعلها في أقربائك فجعلها في أقربائه حسان بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين.

هداية الآيـة

من هداية الآية:

١ـ البر وهو فعل الخير يهدي إلى الجنّة.

٢ـ لن يبلغ العبد برّ الله وما عنده من نعيم الآخرة حتى ينفق من أحب أمواله اليه.

٣ـ لا يضيع المعروف عند الله تعالى قل أو كثر طالما أريد به وجهه تعالى.

---

(١) لما نزلت هذه الآية ﴿لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ بادر الأصحاب رضوان الله عليهم بالتصدق بأحب أموالهم إليهم فاعتق عمر جارية له من أحب الجواري إليه، وأعتق ولده مولاه نافعا وتصدق زيد بن حارثة بفرس له كانت أحب ما يملك وتصدق أبو طلحة ببستانه (بيرحا) فدل هذا على فقه الصحابة ومدى استجابتهم لما هو خير عند الله وأعظم أجراً فرضي الله عنهم وأرضاهم ولا حرمنا حبّهم وجوارهم.

۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ

ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى

بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ

إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ

مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

الطعام[1] : اسم لكل ما يطعم من أنواع المأكولات.

حِل : الحِل: الحلال، وسمي حلالاً لانحلال عقدة الحظر عنه.

بني إسرائيل : أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل المنحدرون من أبنائه الأثني عشر إلى يومنا هذا.

حرّم : حظر ومنع.

التوراة : كتاب أنزل على موسى عليه السلام وهو من ذريّة إسرائيل.

فاتلوها : اقرأوها على رؤوس الملأ لتتبين صحة دعواكم من بطلانها.

افترى الكذب[2] : اختلقه وزوره وقاله.

ملة إبراهيم : دينه وهي عبادة الله تعالى بها شرع، ونبذ الشرك والبدع.

حنيفاً[3] : مائلا عن الشرك إلى التوحيد.

---

(١) الطعام (ال) للجنس ولفظ للتنصيص على العموم.

(٢) الافتراء كالاختلاق سواء والافتراء مأخوذ من الفري وهو قطع الجلد قطعاً ليصلح به قربة وحذاء ونحوهما.

(٣) حنيفاً: منصوب على الحال وصاحبها ابراهيم المجرور بالإضافة.

بيكـــــة : مكـــــة .

للعالمـــين : للناس أجمعين .

مقـام إبراهيم[1] : آية من الآيات وهـو الحجـر الـذي قام عليه أثنـاء بناء البيت فارتسمت قدماه وهو صخر فكان هذا آية .

من دخـلـه : الحرم الذى حول البيت بحدوده المعروفة .

آمـنـاً : لا يخاف على نفس ولا مال ولا عرض .

الحـج : قصد البيت للطواف به وأداء بقية المناسك .

ســبيلاً : طريقاً والمراد القدرة على السير إلى البيت والقيام بالمناسك .

معنى الآيات :

مازال السياق في الحجاج مع أهل الكتاب فقد قال يهود للنبي ﷺ كيف تدعى أنك على دين إبراهيم، وتأكل ما هو محرم فى دينه من لحوم الإبل وألبانها فرد الله تعالى على هذا الزعم الكـاذب بقوله: كل الطعام كان حِلًّا أي حلالاً لبني إسرائيل وهم ذرية يعقوب الملقب بإسرائيل، ولم يكن هنــاك شيء محرم عليهم في دين إبـراهيم اللهم إلا ما حرم اسرئيل «يعقوب» على نفسه خاصة وهو لحوم الإبل وألبانها لنذر نذره وهو أنه مرض[2] مرضاً آلمه فنذر[3] لله تعالى إن شفاه تَرْكَ أحب الطعام والشراب إليه، وكانت لحوم الإبل وألبانها من أحب الأطعمة والأشربة إليه فتركها لله تعالى، هذا معنى قوله تعالى: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾ من قبل أن تنزل التوراة، إذ التوراة نزلت على موسى بعد إبراهيم ويعقوب بقرون عدة، فكيف تدعون أن إبراهيم كان لا يأكل لحوم الإبل ولايشرب ألبانها فأتوا بالتوراة فاقرؤوها فسوف تجدون أن ما حرم الله تعالى على اليهود إنما كان لظلمهم واعتـدائهم فحرم عليهم أنواعاً من الأطعمة، وذلك بعد إبراهيم ويعقوب

---

(١) مقام ابراهيم: من جملة الآيات إذ أثر قدمي إبراهيم باقية على المقام الذي هو صخرة وفيه قال أبو طالب:

وموطىء ابراهيم في الصخر رطبة   على قدميه حافيا غير ناعل

وأمر تعالى بالصلاة خلفه في قوله: ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ فمن طاف بالبيت يختم طوافه بصلاة ركعتين خلفه.

(٢) أكثر الروايات على أن مرض يعقوب كان بعرق النساء، وأنّ ما نذره من ترك أحب الطعام والشراب إليه كان باجتهاد منه وليس شرعاً عنده إذ هو من المباح وللعبد أن يترك مباحاً متى شاء لاسيما إن تركه لله تقرّباً إليه وتوسلاً لقضاء حاجته كشفاء من مرض مثلا.

(٣) روى ابن ماجه في سننه أن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿شفاء عرق النساء إلية شاة (عربية) تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم يشرب على الرّيق في كل يوم جزء، قال أنس فوصفته لأكثر من مائة فبرأ فإذن الله تعالى﴾.

بقرون طويلة. قال تعالى في سورة النساء: ﴿فبظلم من الذين هادوا (اليهود) حرمنا عليهم طيبات أُحِلَّت لهم﴾ وقال في سورة الأنعام: ﴿وعلى الذين هادو حرمنا كل ذي ظفر[١]، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها﴾ الآية.

ولما طُولبوا بالإتيان بالتوراة وقراءتها بهتوا ولم يفعلوا فقامت الحجة لرسول الله ﷺ عليهم. وقوله تعالى: فمن افترى على الله الكذب بعد قيام الحجة بأن الله تعالى لم يحرم على إبراهيم ولا على بني إسرائيل شيئاً من الطعام والشراب إلا بعد نزول التوراة باستثناء ما حرم إسرائيل على نفسه من لحمان الإبل وألبانها، فأولئك هم الظالمون بكذبهم على الله تعالى وعلى الناس. ومن هنا أمر الله تعالى رسوله أن يقول: صدق الله فيما أخبر به رسوله ويخبره به وهو الحق من الله، إذا فاتبعوا يا معشر اليهود ملة إبراهيم الحنيف الذي لم يكن أبداً من المشركين.

هذا ما تضمنته الآيات الثلاث: ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ وأما قوله تعالى: ﴿إن أول بيت[٢] وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾ فإنه متضمن الرّد[٣] على اليهود الذين قالوا إن بيت المقدس هي أول قبلة شرع للناس استقبالها فَلِمَ يعدل محمد وأصحابه عنها إلى استقبال الكعبة؟ وهي متأخرة الوجود فأخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس هو الكعبة لا بيت المقدس وأنه جعله مباركاً يدوم بدوام الدنيا والبركة لا تفارقه فكل من يلتمسها بزيارته وحجه والطواف به يجدها ويحظى بها، كما جعله هدى لِلعالمين فالمؤمنون يأتون حجاجاً وعماراً فتحصل لهم بذلك أنواع من الهداية، والمصلون في مشارق الأرض ومغاربها يستقبلونه في صلاتهم، وفي ذلك من الهداية للحصول على الثواب وذكر الله والتقرب إليه أكبر هداية وقوله تعالى فيه آيات بينات يريد: في المسجد الحرام دلائل واضحات منها مقام إبراهيم وهو الحجر الذي كان يقوم عليه أثناء بناء البيت حيث بقي أثر قدميه عليه مع أنه صخرة من الصخور ومنها زمزم والحِجْر والصفا والمروة وسائر المشاعر كلها آيات ومنها الأمن التام لمن دخله فلا

---

(١) راجع تفسير هذه الآية في موضعها من سورة الأنعام.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال: «المسجد الحرام قلت ثم أيّ قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال، أربعون عاما ثم جعلت الأرض لك مسجداً فحيثما أدركتك الصلاة فصل».

(٣) ذكر القرطبي عن مجاهد قوله تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنها مهاجر الأنبياء في الأرض المقدسة، وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿إنّ أول بيت وضع للناس﴾ الآية.

يخاف غير الله تعالى. قال تعالى: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾[1] ثم هذا الأمن له والعرب يعيشون في جاهلية جهلاء وفوضى لا حد لها، ولكن الله جعل في قلوبهم حرمة الحرم وقدسيته ووجوب أمن كل من يدخله ليحجه أو يعتمره، وقوله تعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[2]، لمَّا ذكر تعالى البيت الحرام وما فيه من بركات وهدايات وآيات ألزم عباده المؤمنين به وبرسوله بحجه ليحصل لهم الخير والبركة والهداية، ففرضه بصيغة ولله على الناس وهي أبلغ صيغ الإيجاب، واستثنى العاجزين عن حجه واعتماره بسبب مرض أو خوف أو قلة نفقة للركوب والإنفاق على النفس والأهل أيام السفر.

وقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ فإنه خبر منه تعالى بأن من كفر بالله ورسوله وحج بيته بعد ما ذكر من الآيات والدلائل الواضحات فإنه لا يضر إلا نفّسه أما الله تعالى فلا يضره شيء وكيف وهو القاهر فوق عباده والغنى عنهم أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- ثبوت النسخ في الشرائع الإلهية، إذ حرم الله تعالى على اليهود بعض ما كان حِلاً لهم.

٢- إبطال دعوى اليهود أن إبراهيم كان محرماً عليه لحوم الإبل وألبانها.

٣- تقرير النبوة المحمدية بتحدي اليهود وعجزهم عن دفع الحق الذي جاء به محمد ﷺ.

٤- البيت الحرام كان قبل بيت المقدس.وأن البيت الحرام أول بيت وضع للتعبد بالطواف به.

٥- مشروعية طلب البركة بزيارة البيت وحجه والطواف به والتعبد حوله.

٦- وجوب الحج على الفور[3] لمن لم يكن له مانع يمنعه من ذلك.

٧- الإشارة إلى كفر من يترك الحج وهو قادر عليه، ولا مانع يمنعه منه غير[4] عدم المبالاة.

---

(١) صورة اللفظ خبر ومعناه الإنشاء أي الأمر بمعنى: فمن دخله فأمنوه هكذا قال بعضهم. ولا منافاة بين القولين فإن الحرم كان آمنا في عهد الجاهلية قرونا بما ألقى الله في قلوب العرب من حرمة الحرم، إنّ بيت المقدس تسلط عليه الجبابرة فخرّبوه غير مرّة ومكة ردّ الله الطغاة عنها.

(٢) تواردت طرق حديث أن النبي ﷺ سئل عن السبيل في قوله تعالى: ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ فقال: «الزاد والراحلة» وهو كذلك.

(٣) مما يدل على فورية الحج إذا توفرت النفقة وأمن الطريق وزالت الموانع قوله ﷺ «تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» رواه أحمد، فما دمنا مأمورين بالتعجل كان الفور ألزم والتراخي أبعد، والله أعلم وأعزّ وأحكم.

(٤) الإجماع على أنّ الحج مرّة واحدة في العمر لقوله ﷺ: «لا، ولو قلت نعم لوجبت» إذ سأل سائل قائلاً: أفي كل عام يارسول الله. وذلك لمّا نزلت: ﴿ولله على الناس حج البيت...﴾ ومما يؤكد فرضيته وهي مؤكدة بخطاب الله تعالى: أن عمر رضي الله عنه قال: مَنْ أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانيا. قال ابن كثير اسناده صحيح.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

الكفر : الجحود.

آيات الله : ما أنزل تعالى من الحجج والبينات في القرآن المقررة لنبوّة محمد ﷺ وما أنزله تعالى في التوراة والإنجيل من صفات النبي ﷺ ونعوته الموجبة للإيمان به واتباعه على دين الحق الذي جاء به وهو الإسلام.

شهيد على ما تعملون(١) : عليم به مطلع عليه، وما يعملونه هو الكفر والشر والفساد.

تصدون عن سبيل الله(٢) : تصرفون الناس ممن آمن منكم ومن العرب عن الإسلام الذي هو سبيل الله تعالى المفضي بأهله إلى سعادة الدارين.

تبغونها عوجاً(٣) : تطلبون لها العِوج حتى تخرجوا بها عن الحق والهدى فيضل سالكها وذلك بالتحريف والتضليل.

وأنتم شهداء : بعلمكم بأن الإسلام حق، وأن ما تبغونه له من الإضلال لأهله والتضليل هو كفر وباطل.

معنى الآيتين :

بعد أن دحض الله تعالى شبه أهل الكتاب وأبطلها في الآيات السابقة أمر تعالى رسوله

---

(١) هذا دال على أن أهل الكتاب يؤمنون بعموم علم الله وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلهذا كان توبيخهم أشدّ.

(٢) قرىء تصدون من صَدّ إذ يقال صدّه، وأصده عن كذا صرفه عنه.

(٣) أصلها تبغون لها فحذفت اللام نحو (كالوهم) أي كالوا لهم.

أن يقـول لهم موبخاً مسجلاً عليهم الكفر يا أهل الكتاب لم تكفرون بحجج الله تعالى وبراهينه المثبتة لنبوة نبيّه محمد ﷺ ودينه الإسلام تلك الحجج والبراهين التي جاء بها القرآن والتوراة والإنجيل معاً؟ والله جل جلاله مطلع على كفركم عليم به، أما تخافون عقابه أما تخشون عذابه؟.

كما أمر تعالى رسوله أيضاً أن يقول لهم مؤنباً موبخاً لهم على صرفهم المؤمنين عن الإسلام بأنواع الحيل والتضليل: يا أهل الكتاب[1] أي يا أهل العلم الأول لم تصرفون المؤمنين عن الإسلام الذي هو سبيل الله بما تثيرونه بينهم من الشكوك والأوهام تطلبون للإسلام العوج لينصرف المؤمنون عنه، مع علمكم التام بصحة الإسلام وصدق نبيّه محمد عليه الصلاة والسلام أما تخافون الله، أما تخشونه تعالى وهو مطلع على سوء تدبيركم غير غافل عن مكركم وغشكم وخداعكم.

هدايـة الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ شدة قبح كفر وظلم من كان عالماً من أهل الكتاب بالحق ثم كفره وجحده بغياً وحسداً.

٢ـ حرمة صرف الناس عن الحق والمعروف بأنواع الحيل وضروب الكذب والخداع.

٣ـ علم الله تعالى بكل أعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم بها فضلاً منه وعدلاً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ
فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

---

(١) أخرج ابن اسحق في سبب نزول هذه الآية: ﴿يا أهل الكتاب...﴾ أن شماس بن قيس اليهودي رأى جماعة من المسلمين من الأوس والخزرج بادياً عليهم الوئام (المحبة) فغاظه ذلك فأمر أحد اليهود أن يجلس بينهم ويذكرهم بحرب بعاث وفَعَل فحدث نزاع بينهم أدى بهم إلى الخروج الى الحَرَّة للتقاتل وفعلا خرجوا وسمع بذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم وهدأهم بقوله: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» وما زال يعظهم حتى ألقوا السلاح وتعانقوا وهم يبكون، وعرفوا أنها مكرة يهود وخدعتهم عليهم لعائن الله، وأنزل تعالى هذه الآية والتي قبلها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٠٣﴾

شرح الكلمات :

فريقاً : طائفة[1] من الحاقدين على الإسلام العاملين على الكيد له والمكر به وبأهله.

يردوكم : يرجعوكم إلى الكفر بعد إيمانكم.

وكيف تكفرون : الاستفهام للإنكار والتعجب من كفرهم بعد إيمانهم.

آيات الله : آيات القرآن الكريم.

يعتصم : يتمسك بشدة.

حق تقاته : باستفراغ الوسع في إمتثال أمره، واجتناب نهيه، وتقاته[2] هي تقواه.

حبل الله : كتابه القرآن ودينه الإسلام، لأن الكتاب والدين هما الصلة التي تربط المسلم بربه، وكل ما يربط ويشد شيئاً بآخر هو سبب وحبل.

ألف بين قلوبكم : جمعها على أخوة الإيمان ووحد بينها بعد الاختلاف والنفرة.

شفا حفرة : شفا الحفرة حافتها وطرفها بحيث لو غفل الواقف عليها وقع فيها.

---

(١) قالوا هم شاس اليهودي وأصحابه الذين أثاروا الفتنة بين الأوس والخزرج ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فطاعة أعداء الإسلام من اليهود والنصارى كانت وما زالت سبب دمار أمة الإسلام.

(٢) التقاة اسم مصدر اتقى يتقي اتقاءً وأصلها وقية فتحرك حرف العلّة فانفتح ما قبله فقلب واواً فصارة وقاة، وأبدلت الواو تاء فصارت تقاة.

أنقذكم منها : بهدايتكم إلى الإسلام وبذلك أنجاكم من النار.

معنى الآيات :

بعد أن وبخ تعالى اليهود على خداعهم ومكرهم وتضليلهم للمؤمنين وتوعدهم على ذلك، نادى المؤمنين محذراً إياهم من الوقوع في شباك المضللين من اليهود فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ وذلك أن نفراً من الأوس والخزرج كانوا جالسين في مجلس يسودهم الود والتصافي ببركة الإسلام الذي هداهم الله تعالى إليه فمرّ بهم شاس بن قيس اليهودي فآلمه ذلك التصافي والتحابب وأحزنه بعد أن كان اليهود يعيشون في منجاة من الخوف من جيرانهم الأوس والخزرج لما كان بينهم من الدمار والخراب فأمر شاس شاباً أن يذكرهم بيوم بعاث فذكروه وتناشدوا الشعر فثارت الحميّة القبلية بينهم فتسابوا وتشاتموا حتى هموا بالقتال فأتاهم الرسول ﷺ وذكرهم بالله تعالى وبمقامه بينهم فهدأوا، وذهب الشر ونزلت هذه الآيات: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ فحذرهم من مكر أهل المكر من اليهود والنصارى، وأنكر عليهم ما حدث منهم حاملا لهم على التعجب من حالهم لو كفروا بعد إيمانهم فقال عز وجل: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله صباح مساء في الصلوات وغيرها، وفيكم رسوله[1] هادياً ومبشراً ونذيراً وأرشدهم إلى الاعتصام بدين الله وبشر المعتصمين بالهداية إلى طريق السعادة والكمال فقال: ومن يعتصم بالله أي بكتابه وسنة نبيّه فقد هدي إلى صراط مستقيم ثم كرر تعالى نداءه[2] لهم بعنوان الإيمان تذكيراً لهم به وأمرهم بأن يبذلوا وسعهم في تقوى الله عز وجل وذلك بطاعته كامل الطاعة بامتثال أمره واجتناب نهيه حاضاً لهم على الثبات على دين الله حتى يموتوا عليه فلا يبدلوا ولا يغيروا فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته[3] ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ وأمرهم بالتمسك بالإسلام عقيدة وشريعة ونهاهم عن التفرق والاختلاف وأرشدهم إلى ذكر نعمته تعالى عليهم بالألفة

---

(١) عصمة هذه الأمة من الذنوب والسقوط في هذين الأمرين: الكتاب والسنة فمهما تمسكت أمة الإسلام بهما فإنها لا تضل ولا تسقط ولو كادها أهل الأرض أجمعون ومهما أعرضت عنهما سقطت وهانت ولو دَعَمَها أهل الأرض أجمعون.

(٢) من مظاهر إكرام الله تعالى للمؤمنين أن ناداهم مباشرة بيا أيها الذين آمنوا بخلاف أهل الكتاب فإنه أمر رسوله أن يناديهم إشعاراً لهم بعدم رضاه عنهم وغضبه عليهم.

(٣) روى أن تقوى الله حق تقاته: تتمثل في أن يُطاع تعالى ولا يُعصى ويُشكر ولا يُكفر ويُذكر ولا يُنسى، وخصصتها آية التغابن ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ إذ لا تكليف مع العجز عن القيام به.

والمحبة التي كانت ثمرة هدايتهم للإيمان والإسلام، بعد أن كانوا أعداء متناحرين مختلفين فألّف بين قلوبهم فأصبحـوا بها إخواناً متحابين متعاونين، كما كانوا قبل نعمة الهداية إلى الإيمان على شفـا جهنم لو مات أحـدهم يومئذ لوقع فيها خالداً أبداً، وكما أنعم عليهم وأنقذهم من النار ما زال يبين لهم الآيات الدالة على طريق الهداية الداعية إليه ليثبتهم على الهداية ويكملهم فيها فقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا[1] واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته[2] لعلكم تهتدون﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ طاعة كثير من علماء اليهود والنصارى بالأخذ بنصائحهم وتوجيهاتهم وما يشيرون به على المسلم تؤدي بالمسلم إلى الكفر شعر بذلك أم لم يشعر فلذا وجب الحذر كل الحذر منهم.

٢ـ العصمة في التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن تمسك بهما لم يضل.

٣ـ الأخذ بالإسلام جملة والتمسك به عقيدة وشريعة أمان من الزيغ والضلال وأخيراً من الهلاك والخسران.

٤ـ وجوب التمسك بشدة بالدين الإسلامي وحرمة[3] الفرقة والاختلاف فيه.

٥ـ وجوب ذكر النعم لأجل شكر الله تعالى عليها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

٦ـ القيام على الشرك والمعاصي وقوف على شفير جهنم فمن مات على ذلك وقع في جهنم حتماً بقضاء الله وحكمه.

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا

---

(١) في الآية حرمة التفرق في الدين ومنه التفرق في الحكم، فكلاهما محرّم لما يفضي بالمتفرقين إلى الهلاك والخسران. عَرَف هذا أعداء الإسلام فعملوا على تفرقة أمّة الإسلام، وفرقوها مذاهب وطوائف ثمّ دويلات وحكومات ثم أذلوها وأهانوها.

(٢) وهذه نعمة أخرى: مواصلة إنزال القرآن بالأحكام والشرائع والآداب والمواعظ والعبر ليتم لهم كمالهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة فلله الحمد والمنّة.

(٣) في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا مَنْ ولاّه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات :

الأمة	: أفراد من البشر أو غيرهم تربطهم رابطة جنس أو لغة أو دين ويكون أمرهم واحداً والمراد بالأمة هنا المجاهدون وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
الخير	: الإسلام وكل ما ينفع الإنسان في حياته الأولى والآخرة من الإيمان والعمل الصالح .
المعروف	: المعروف كل ما عرفه الشرع فأمر به لنفعه وصلاحه للفرد أو الجماعة .
المنكر	: ضد المعروف، وهو ما نهى عنه الشرع لضرر وإفساد، للفرد أو الجماعة .
الذين تفرقوا	: هم أهل الكتاب من اليهود[1] والنصارى .
يوم تبيض وجوه[2]	: هذا يوم القيامة .
ففي رحمة الله	: رحمة الله هنا : الجنّة جعلنا الله تعالى من أهلها، آمين .

(١) وقيل هم الحرورية وقيل المبتدعة من هذه الأمة وكونهم اليهود والنصارى هذا الراجح والحق وعليه جمهور المفسرين .
(٢) تبيض وجوه المؤمنين المتقين ، وتسود وجوه الكافرين والمبتدعين من أصحاب الأهواء .

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق: هذه آياتنا نقرأها عليك متلبسة بالحق، لا باطل فيها أبداً.

وإلى الله ترجع الأمور : إلى الله تصير الأمور فيقضي فيها بما يشاء ويحكم ما يريد فضلاً وعدلاً.

معنى الآيـات :

بعـدما أمر الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين بتقواه والتمسك بدينه ونهاهم عن الفرقة والاختـلاف وحضهم على ذكر نعمه ليشكروها بطاعته أمرهم في هذه الآية (١٠٤) بأن يوجدوا من أنفسهم جماعة تدعو إلى الإسلام وذلك بعرضه على الأمم والشعوب ودعوتهم إلى الدخول فيه، كما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في ديار الإسلام وبين أهله فقال تعالى مخاطباً إياهم: ولتكن منكم[(١)] أي يجب أن تكون منكم طائفة يدعون إلى الخير أي الإسلام، ويأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وبشرهم بأن الأمة التي تنهض بهذا الواجب هي الفائزة بسعادة الدنيا والآخرة فقال: فأولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة من العار والنار، وبدخول الجنة مع الأبرار.

وفي الآيات (١٠٥) (١٠٦) (١٠٧) نهاهم أن يسلكوا طريق أهل الكتاب في التفرق في السياسة والاختلاف في الدين فيهلكوا هلاكهم فقال تعالى: مخاطباً إياهم: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾ فلا ينبغي أن يكون العلم والمعرفة بشرائـع الله سبباً في الفـرقـة والخـلاف[(٢)]، وهما أداة الوحدة والائتلاف، وأعلمهم بجزاء المختلفين من أهل الكتاب ليعتبروا فلا يختلفوا ولا يتفرقوا فقال تعالى: وأولئك لهم عذاب عظيم لا يقادر قدره ولا يعرف مداه، وأخبرهم عن موعد حلول هذا العذاب العظيم بهم وأنه يوم القيامة حينما تبيض وجوه المؤمنين المؤتلفين القائمين على الكتاب والسنة، وتسود وجـوه الكافرين المختلفين القائمين على البدع والأهواء، فقال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه[(٣)]

---

(١) مِنْ للتبعيض وعليه فسرنا الآية وقلنا بوجود طائفة لا كل الأمّة إذ لابد من العلم لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والعلم لا يتوفر لكل فرد أبداً ولذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية.

(٢) نهاهم تعالى عن التفرق والاختلاف وقد وقع ما نهاهم عنه وثبت ما أخبر به رسول الله ﷺ فقد قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح وفعلا فقد وجدت ست فرق وهي: الحرورية ـ والقدرية ـ والجهمية ـ والمرجئة ـ والرافضة ـ والجبرية. انقسمت كل فرقة من هذه إلى اثنتى عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلّا أهل السنة والجماعة.

(٣) روى ابن القاسم عن مالك في العتبية أنه قال ما آية في كتاب الله أشدّ على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية: ﴿يوم تبيّض وجوه وتسود وجوه..﴾ قال مالك: انما هذه الآية لأهل القبلة بدليل قوله تعالى: ﴿أكفرتم بعد إيمانكم...﴾.

وتسود وجوه﴾ وبيّن جزاء الفريقين فقال: فأما الذين اسودت وجوههم من سوء ما عاينوه من أهوال الموقف وما أيقنوا أنهم صائرون إليه من عذاب النار فيقال لهم تقريعاً وتوبيخاً: أكفرتم بعد إيمانكم؟ إذ هذه وجوه من تلك حالهم، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بالله وشرائعه.

وأما الذين ابيضت وجوههم فلم يطل فى الهول موقفهم حتى يدخلوا جنة ربهم قال تعالى: ﴿ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾.

وفي الآية (١٠٨) شرف الله تعالى نبيّه محمداً ﷺ بخطابه والوحي إليه فقال: ﴿تلك آيات الله نتلوها[(١)] عليك بالحق﴾ أي هذه الآيات المتضمنة للهدى والخير نقرأها عليك بالحق الثابت الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه فبلغها عنا وادع بها إلينا فمن استجاب لك نجا ومن أعرض هلك، وماالله يريد ظلمًا للعالمين. فلا يعذب إلا بعد الإعلام والإنذار.

وفي الآية الأخيرة (١٠٩) يخبر تعالى أنه له ملك السموات والأرض خلقاً وتصرفاً وتدبيراً، وأن مصير الأمور إليه وسيجزى المحسن بالحسنى والمسيء بالسُّوأى.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيـات:

١ـ وجوب وجود طائفة من أمة الإسلام تدعو الأمم والشعوب إلى الإسلام وتعرضه عليهم وتقاتلهم إن قاتلوها عليه، ووجوب وجود هيآت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مدن وقرى المسلمين.

٢ـ حرمة الفرقة بين المسلمين والاختلاف في دين الله.

٣ـ أهل البدع والأهواء يعرفون في عرصات القيامة باسوداد وجوههم.

٤ـ أهل السنة والجماعة[(٢)] وهم الذين يعيشون عقيدة وعبادة على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه يعرفون يوم العرض بابيضاض وجوههم.

---

(١) التلاوة؛ كالقراءة إلا أن القراءة عادة تكون لكلام مكتوب وأما التلاوة فهي مجرد حكاية كلام لإرادة تبليغه بلفظه.

(٢) افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الملة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة في الجنة وقيل من هم يارسول الله فقال هم الذين يكونون على ما أنا عليه وأصحابي.

٥ـ كرامة الرسول على ربّه وتقرير نبوّته. وشرف من آمن به واتبع ما جاء به.
٦ـ مرد الأمور إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة فيجب على عقلاء العباد أن يتخذوا لهم عند الله عهداً بالإيمان به وتوحيده في عبادته بتحقيق لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ
وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

شرح الكلمات :

كنتم خير أمة : وُجدتم أفضل وأبرك أمة وجدت على الأرض.

أخرجت للناس : أظهرت وأبرزت لهداية الناس ونفعهم.

أذىً : الأذى الضرر اليسير.

يولوكم الأدبار : ينهزمون فيفرون من المعركة موليكم أدبارهم أي ظهورهم.

ضربت عليهم الذلة : أحاطت بهم المذلة ولصقت بهم حتى لا تفارقهم.

وباءوا بغضب : رجعوا من رحلتهم الطويلة في الكفر وعمل الشر بغضب الله.

ذلك بأنهم.. الخ : ذلك: إشارة إلى ما لصق بهم من الذلة والمسكنة وما عادوا به من غضب الله تعالى وما تبعه من عذاب. (فالباء) في بأنهم

سببية أي بسبب فعلهم كذا وكذا والمسكنة هي ذلة الفاقة والفقر .

يعتـدون : الاعتداء مجاوزة الحد في الظلم والشر والفساد.

معنى الآيات :

لما أمر الله تعالى المؤمنين بتقواه والاعتصام بحبله فامتثلوا وأمرهم بتكوين جماعة منهم يدعون إلى الإسلام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فامتثلوا ذكرهم بخير عظيم فقال لهم: ﴿كنتم خير أمـة أخرجت للناس﴾ كما قال لهم رسول الله ﷺ: «كنتم خير الناس للناس. . » ووصفهم بما كانوا به خير أمة فقال تأمرون بالمعروف وهو الإسلام وشرائع الهدى التي جاء بها نبيّه ﷺ وتنهون عن المنكر وهو الكفر والشرك وكبائر الإثم والفواحش، وتؤمنون بالله. وبما يتضمنه الإيمان بالله من الإيمان بكل ما أمر تعالى بالإيمان به من الملائكة والكتب والرسل والبعث الآخر والقدر. ثم دعا تعالى أهل الكتاب الى الإيمان الصحيح المنجي من عذاب الله فقال عز وجل، ولو آمن أهل الكتاب بالنبي محمد وما جاء به من الإسلام لكان خيراً لهم من دعوى الإيمان الكـاذبـة التي يدعـونها. وأخبر تعالى عنهم بأن منهم المؤمنين الصادقين في إيمانهم كعبد الله بن سلام وأخيه، وثعلبة بن سعيد وأخيه، وأكثرهم الفاسقون الذين لم يعملوا بما جاء في كتابهم من العقائد والشرائع من ذلك أمر الله تعالى بالإيمان بالنبي الأميّ واتباعه على ما يجيء به من الاسلام ثم أخبر المسلمين أن فساق أهل الكتاب لن يضروهم إلا أذىً يسيراً كإسماعهم الباطل وقولهم الكذب. وأنهم لو قاتلوهم ينهزمون أمامهم موليهم ظهورهم فارّين من القتال ثم لا ينصرون على المسلمين في أي قتال يقع بين الجانبين.

كما أخبر تعالى في الآية (١١٢) أنه تعالى ضرب عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا وفي أيّ البلاد وجدوا لن تفارقهم الذلة والمسكنة في حال من الأحوال إلا في حال دخولهم في الإسلام وهو حبل[(١)] الله، أو معاهدة وارتباط بدولة قوية وذلك هو حبل[(٢)] الناس. كما أخبر تعالى عنهم

---

(١) هذه الآية مخصصة لعموم آية الأعراف ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ إلا في حال إسلامهم أو ارتباطهم بمعادة دولة قوية كما هي الحال اليوم.

(٢) الحبل مستعار هنا للعهد أي المعاهدة التي تربطهم بدولة قوية كبريطانيا وأمريكا الآن.

أنهم رجعوا من عنادهم وكفرهم بغضب من الله، وما يستتبعه من عذاب في الدنيا بحالة الفاقة والفقر المعبر عنها بالمسكنة، وفي الآخرة بعذاب جهنم كما ذكر تعالى علة عقوبتهم وأنها الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بغير حق وعصيانهم المستمر واعتداؤهم الذي لا ينقطع فقال تعالى ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إثبات خيرية أمة الإسلام وفي الحديث: «أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»[(١)].

٢ـ بيان علة خيرية أمة الإسلام[(٢)] وهي الإيمان بالله والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ـ وعد الله تعالى لأمة الإسلام ـ ما تمسكت به ـ بالنصر على اليهود في أي قتال يقع بينهم.

٤ـ صدق القرآن في إخباره عن اليهود بلزوم الذلة والمسكنة لهم أينما كانوا.

٥ـ بيان جرائم اليهود التي كانت سبباً في ذلتهم ومسكنتهم وهي الكفر المستمر، وقتل الأنبياء بغير حق والعصيان والاعتداء على حدود الشرع.

۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءًۗ
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ

---

(١) ومن هنا فعصر الصحابة أفضل ممن بعدهم وذلك لتحقق الصفات التي كانت بها الخيرية ويشهد لهذا الحديث الصحيح: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) فالخيرية العامة لهذه الأمة لا جدال فيها والخيرية الخاصة فهي تتوفر لأهل الصفات الثلاث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان التام في كل زمان ومكان.

(٢) يوضح هذا قول عمر في حجه وقد رأى في الناس دعة فقال بعد أن قرأ هذه الآية ﴿كنت خير أمة أخرجت للناس﴾. من سره أن يكون في هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها

فِي ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :

ليسوا سواء : غير متساوين .

أمة قائمة : جماعة قائمة ثابتة على الإيمان والعمل الصالح .

يتلون آيات الله : يقرأون القرآن .

آناء الليل : ساعات الليل جمع إنىً وإنىً .

وهم يسجدون : يصلون

يسارعون في الخيرات : يبتدرونها خشية الفوات .

فلن يكفروه : فلن يجحدوه بل يعترف لهم به ويجزون به وافياً .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى حال أهل الكتاب وأنهم فريقان مؤمن صالح ، وكافر فاسد. ذكر هنا في هذه الآيات الثلاث: (١١٣، ١١٤، ١١٥) أن أهل الكتاب ليسوا سواء[١] أي غير متساوين في الحال، وأثنى على أهل الصلاح منهم فقال جل ذكره ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة﴾[٢] أي على الإيمان الحق والدين الصحيح وهم الذين أسلموا. يتلون آيات الله يقرأونها في صلاتهم آناء الليل أي ساعات الليل في صلاة العشاء وقيام الليل وهم يسجدون وهذا ثناء عليهم بالسجود إذ هو أعظم مظاهر الخضوع لله تعالى كما أثنى تعالى عليهم بالإيمان الصادق والأمر بالمعروف وهو الدعوة إلى عبادة الله تعالى بعد الإيمان به والإسلام الظاهر والباطن له. وينهون عن المنكر وهو الشرك بعبادة الله تعالى والكفر به وبرسوله فقال عز وجل: ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات﴾ أي يبادرون إليها قبل فواتها والخيرات هي كل قول وعمل صالح من سائر القربات. وشهد

(١) يرى بعضهم أن الكلام تم عند قوله: ﴿ليسوا سواء﴾ أي ليس المسلمون وأهل الكتاب سواء ثم استأنف فقال: ﴿مِنْ أهل الكتاب﴾ الخ، وما ذكرته في التفسير أصح وأوضح .

(٢) المراد بهم: عبدالله بن سلام، وأخوه وعمته سَعْيَة أو سنعة بن غريض، وثعلبة ابن سعية وأسد القرظي، وغيرهم ممن أسلموا وحسن إسلامهم، في دنيا الإسلام والمسلمين إلى اليوم .

تعالى لهم بالصلاح فقال: ﴿وأولئك من الصالحين﴾.

وأخيراً في الآية الأخيرة (١١٥) أن ما يفعلونه من الصالحات وما يأتونه من الخيرات لن يجحدوه بل يعترف لهم به ويجزون عليه أتم الجزاء، لأنهم متقون والله عليم بالمتقين فلن يضيع أجرهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ فضل الثبات على الحق والقيام على الطاعات.

٢ـ فضل تلاوة القرآن الكريم في صلاة الليل.

٣ـ فضل الإيمان والدعوة إلى الإسلام.

٤ـ فضل المسابقة في الخيرات والمبادرة إلى الصالحات.

٥ـ فضيلة الكتابي إذا أسلم وحسن إسلامه، وفي الصحيحين يقول الرسول ﷺ «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران» الحديث..

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ(١) لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

شرح الكلمات :

كفــروا : كذبوا بالله ورسوله وشرعه ودينه..

لن تغني عنهم : لن تجزى عنهم يوم القيامة أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا، إذ لا مال يومئذ ينفع، ولا بنون.

(١) ﴿إنّ الذين كفروا﴾ اسم إنّ والخبر: ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا﴾.

مثـــــل : أي صفة وحال ما ينفقونه لإبطال دعوة الإسلام، أو للتصدق به.

الصـــــرّ[1] : الريح الباردة الشديدة البرد التي تقتل الزرع وتفسده.

الحـــــرث : مـا تحرث له الأرض وهو الزرع.

ظلموا أنفسـهم : حيث دنسوها بالشرك والمعاصي فعرضوها للهلاك والخسار.

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى حال مؤمني أهل الكتاب وأثنى عليهم بما وهبهم من صفات الكمال ذكر هنا في هاتين الآيتين ما توعد به أهل الكفر من الكتابيين وغيرهم من المشركين على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب ليهتدي من هيأه الله تعالى للهداية فقال: إن الذين كفروا أي كذبوا الله ورسوله فلم يؤمنوا ولم يوحّدوا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم[2] أي في الدنيا والأخرة مما أراد الله تعالى بهم شيئاً من الإغناء، لأن الله تعالى غالب على أمره عزيز ذو انتقام، وقوله تعالى: ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. فيه بيان حكم الله تعالى فيهم وهو أن أولئك البعداء في الكفر والضلال المتوغلين في الشر والفساد هم أصحاب النار الذين يعيشون فيها لا يفارقونها أبداً ولن تغني عنهم أموالهم التي كانوا يفاخرون بها، ولا أولادهم الذين كانوا يعتزون بهم ويستنصرون، إذ يوم القيامة لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم: سليم من الشك والشرك والكبر والعجب والنفاق.

هذا ما تضمنته الآية: (١١٦) أما الآية (١١٧) فقد ضرب تعالى فيها مثلاً لبطلان نفقات الكفار والمشركين وأعمالهم التي يرون أنها نافعة لهم في الدنيا والآخرة ضرب لها مثلاً: ريحاً باردة شديدة البرودة أصابت زرع أناس كاد يُحصد وهم به فرحون وفيه مؤملون فأفسدته تلك الريح وقضت عليه نهائياً فلم ينتفعوابشيء منه، قال تعالى في هذا المثل: مثل ما ينفقون - أي أولئك الكفار في هذه الحياة الدنيا أي مما يرونه نافعاً لهم من بعض أنواع البر. كمثل ريح فيها صرّ[3] أي برد شديد أصابت - أي تلك الريح الباردة حرث قوم أي زرعهم النابت

---

(١) الصر: مأخوذ من الصرير الذي هو الصوت وفي الحديث: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجراد الذي قتله الصرّ» أي البرد الشديد.

(٢) كرّر حرف النفي ﴿ولا أولادهم﴾ لتأكيد عدم إغناء الأولاد عنهم شيئاً مع أن العرف أن الأولاد يذبون عن أبائهم ويدفعون عنهم.

(٣) ﴿فيها صرّ﴾ هذا التعبير أفاد شدّة برد هذه الريح إذ جعل الصرّ مظروفاً فيها.

فأهلكته أي أفسدته. فحرموا من حرثهم ما كانوا يؤملون، وما ظلمهم[1] حيث أرسل عليهم الريح فأهلكت زرعهم، إذ لم يفعل الله تعالى هذا بهم إلا لأنهم ظلموا بالكفر والشرك والفساد فجزاهم الله بالحرمان وبذلك كانوا هم الظالمين لأنفسهم. قال تعالى: ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ لن يغني عن المرء مال ولا ولد متى ظلم وتعرض لنقمة الله تعالى.

٢ـ أهل الكفر هم أهل النار وخلودهم فيها محكوم به مقدّر عليهم لا نجاة منه.

٣ـ بطلان العمل الصالح بالشرك والموت على الكفر.

٤ـ استحسان ضرب الأمثال في الكلام لتقريب المعاني إلى الأذهان.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ
مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ
بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

---

(١) نفى تعالى عن نفسه ظلم هؤلاء المنفقين في الباطل والشر والفساد، فلم يجنوا خيراً من إنفاقهم وأثبت الظلم منهم لأنفسهم لسوء إنفاقهم وفساده.

شرح الكلمات :

بطانة : بطانة الرجل[1] الذين يطلعهم على باطن[2] أمره الذي يخفيه على الناس للمصلحة.

من دونكم : من غيركم أي من غير المسلمين كالكفار وأهل الكتاب.

لا يألونكم : لا يقصرون في إفساد الأمور عليكم.

خبالاً[3] : فساداً في أمور دينكم ودنياكم.

ودوا ما عنتم : أحبوا عنتكم أي مشقتكم.

بدت البغضاء : ظهرت شدة بغضهم لكم.

أولاء : هؤلاء حذفت منه هاء التنبيه لوجودها في ها أنتم قبلها.

بالكتاب كله : أي بالكتب الإلهية كلها.

عضوا عليكم الانامل من الغيظ : من شدة الغيظ عليكم، لأن المغتاظ إذا اشتد به الغيظ يعض أصبعه على عادة البشر، والغيظ: شدة الغضب.

حسنة : ما يحسن من أنواع الخير كالنصر والتأييد والقوة والخير.

سيئة : ما يسوءكم كالهزيمة أو الموت أو المجاعة.

كيدهم : مكرهم بكم وتبييت الشر لكم.

بما يعملون محيط : علمًا به وقدرة عليه، إذ هم واقعون تحت قهره وعظيم سلطانه.

معنى الآيات :

لما أخبر تعالى عن مصير الكافرين في الآخرة، وأن ذلك المصير المظلم كان نتيجة كفرهم وظلمهم حذر المؤمنين من موالاتهم دون المؤمنين وخاصة أولئك الذين يحملون في صدورهم الغيظ والبغضاء للمسلمين الذين لا يقصرون في العمل على إفساد أحوال المسلمين والذين

---

(١) أصل البطانة: بطانة الثوب شبه بها بطانة الرجل ووليجته وهم مَنْ يطلعهم على أسراره ثقة فيهم، ومثل البطانة: الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد وفي الحديث «الأنصار شعار والناس دثار».

(٢) روى البخاري تعليقاً أنّ النبي ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلّا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله».

(٣) الخبال: الخبل وهو الفساد وفي الحديث: «من أصيب بدم أو خبل» أي جرح يفسد العضو ويقال: رجل خبل، وخبله الحبّ: أفسده.

يسوءهم أن يروا المسلمين متآلفين متحابين أقوياء ظاهرين منصورين على أهل الشرك والكفر، ويسرهم أيضا أن يروا المسلمين مختلفين أو ضعفاء منكسرين مغلوبين. فقال تعالى ـ وقوله الحق ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً. ﴿لا تتخذوا بطانة﴾ أي أفراداً من دونكم[1] أي من غير أهل دينكم، كاليهود والنصارى والمنافقين والمشركين تستشيرونهم وتطلعونهم على أسراركم وبواطن أموركم، ووصفهم تعالى تعريفاً بهم فقال: ﴿لا يألونكم[2] خبالاً﴾ يعني لا يقصرون في إفساد أموركم الدينية والدنيوية.

﴿ودوا ما عنتم﴾ أي أحبوا عنتكم ومشقتكم، فلذا هم لا يشيرون عليكم إلا بما يفسد عليكم أموركم ويسبب لكم الكوارث والمصائب في حياتكم وقوله تعالى ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾ وصف آخر مشخص لهؤلاء الأعداء المحرم اتخاذهم بطانة، ألا وهو ظهور البغضاء من أفواههم[3] بما تنطق به ألسنتهم من كلمات الكفر والعداء للإسلام وأهله، وما يخفونه من ذلك في صدورهم[4] هو أكبر مما يتفلت من ألسنتهم. ويؤكد عز وجل تحذيره للمؤمنين فيقول: ﴿قد بينّا لكم الآيات﴾ المتضمنة لبيان أعدائكم وأحوالهم وصفاتهم لتعتبروا ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أي الخطاب وما يتلى عليكم ويقال لكم. ثم يقول تعالى معلمًا محذراً ها أنتم أيها المسلمون تحبونهم ولا يحبونكم. قد علم الله أن من بين المؤمنين من يحب بعض الكافرين لعلاقة الإحسان الظاهرة بينهم فأخبر تعالى عن هؤلاء كما أن رحمة المؤمن وشفقته قد تتعدى حتى لأعدائه فلذا ذكر تعالى هذا وأخبر به وهو الحق، وقال: ﴿تؤمنون بالكتاب كله﴾ أي وهم لا يؤمنون بكتابكم فانظروا إلى الفرق بينكم وبينهم فكيف إذاً تتخذونهم بطانة تفضون إليهم بأسراركم. وأخبر تعالى عن المنافقين أنهم إذا لقوا المؤمنين قالوا إنا مؤمنون وإذا انفردوا عنهم وخلوا بأنفسهم ذكروهم وتغيظوا عليهم حتى يعضوا

---

(١) قيل لعمر رضي الله عنه إنّ ها هنا رجلا من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين. وجاء أبو موسى الأشعري بحسّاب نصارى لعمر فانتهره وقال: لا تدنهم، وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله.

(٢) هذه الجملة وإن كانت صفة لكلمة بطانة، فهي في معنى العلّة للنهي السابق.

(٣) خصت الأفواه بالذكر دون الألسن: إشارة إلى أنهم يتشدّقون بالكلام إيهاماً وتضليلاً.

(٤) استدل أهل العلم بهذه الآية على أنّ شهادة العدو لا تصح على عدوه وكيف به إذا كان كافراً؟.

أطراف أصابعهم[١] من شدة الغيظ. فقال تعالى ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل[٢] من الغيظ﴾ وهنا أمر رسوله أن يدعو عليهم بالهلاك فقال له: قل يا رسولنا لهم ﴿موتوا بغيظكم، إن الله عليم بذات الصدور﴾ فلذا أخبر عنهم كاشفاً الغطاء عما تكنه نفوسهم ويخفونه في صدورهم.

هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١١٨) والثانية (١١٩) وأما الآية الثالثة (١٢٠) فقد تضمنت أيضا بيان صفة نفسيّة للكافرين المنهى عن اتخاذهم بطانة وهو استياؤهم وتألمهم لما يرونه من حسن حال المسلمين كإئتلافهم واجتماع كلمتهم ونصرهم وعزتهم وقوتهم وسعة رزقهم، كما هو أيضاً فرحهم وسرورهم بما قد يشاهدونه من خلاف بين المسلمين أو وقوع هزيمة لجيش من جيوشهم، أو تغير حال عليهم بما يضر ولا يسر وهذه نهاية العداوة وشدة البغضاء فهل مثل هؤلاء يتخذون أولياء؟ اللهم لا. فقال تعالى: ﴿إن تمسسكم[٣] حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾. ولما وصف تعالى هؤلاء الكفرة بصفات مهيلة مخيفة قال لعباده المؤمنين مبعداً الخوف عنهم: وإن تصبروا على ما يصيبكم وتتقوا الله تعالى في أمره ونهيه وفي سننه في خلقه لا يضركم[٤] كيدهم شيئاً، لأن الله تعالى وليكم مطلع على تحركاتهم وسائر تصرفاتهم وَسَيُحْبِطُهَا كلها، دل على هذا المعنى قوله في الجملة التذيلية ﴿إن الله بما يعملون محيط﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة اتخاذ مستشارين وأصدقاء من أهل الكفر عامّة وحرمة إطلاعهم على أسرار الدولة الإسلامية، والأمور التي يخفيها المسلمون على أعدائهم لما في ذلك من الضرر الكبير.

٢ـ بيان رحمة المؤمنين وفضلهم على الكافرين.

٣ـ بيان نفسيات الكافرين وما يحملونه من إرادة الشر والفساد للمسلمين.

٤ـ الوقاية من كيد الكفار ومكرهم تكمن في الصبر والتجلد وعدم إظهار الخوف للكافرين

---

(١) العض: مصدر عضّ يعضّ عضّاً وعضيضا إذا أخذ الشيء بأسنانه والعُض بضم العين علف الدواب.
(٢) الأنامل: جمع أنملة وهي طرف الأصبع الأعلى.
(٣) هذا من شدة حسدهم للمسلمين ولقد أحسن من قال: كل العداوة قد تُرجى إفاقتها ٭ إلاّ عداوة من عاداك من حَسَد
(٤) قرىء ﴿لايضركم﴾ مِنْ ضاره يضيره ضيراً، ومنه قوله تعالى: ﴿لا ضير﴾ والضير والضرر بمعنى واحد.

ثم تقوى الله تعالى بإقامة دينه ولزوم شرعه والتوكل عليه، والأخذ بسننه في القوة والنصر.

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾
إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

شرح الكلمات:

وإذ غدوت : أي واذكر إذ غدوت، والغدوّ: الذهاب أول النهار.

من أهلك : أهل الرجل زوجه وأولاده. ومن لابتداء الغاية إذ خرج ﷺ صباح السبت من بيته إلى أحد حيث نزل المشركون به يوم الأربعاء.(١)

تبوّىء المؤمنين : تنزل المجاهدين الأماكن التي رأيتها صالحة للنزول فيها من ساحة المعركة.

هَمَّتْ : حدثت نفسها بالرجوع إلى المدينة وتوجّهت إرادتها إلى ذلك.

طائفتان : هما بنو سلمة، وبنو حارثة من الأنصار.

تفشلا : تضعفا وتعودا إلى ديارهما تاركين الرسول ومن معه يخوضون المعركة وحدهم.

والله وليهما : متولي أمرهما وناصرهما ولذا عصمهما من ترك السير إلى المعركة.

ببدر : بدر اسم رجل وسمي المكان به لأنه كان له فيه ماء وهو الآن قرية تبعد عن المدينة النبويّة بنحو من مائة وخمسين ميلاً «كيلومتر»

وأنتم أذلة : لقلة عَددكم وعُدَدِكُمْ وتفوّق العدو عليكم.

(١) الموافق للثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة «وقد رأى النبي ﷺ رؤيا فرأى أنّ في سيفه ثلمة، وأن بقراً له تذبح وأنه أدخل يده في درع حصينة، فتأولها أنّ نفراً من أصحابه يُقتلون وأنّ رجلاً من أهل بيته يصاب، وأنّ الدرع الحصينة المدينة». أخرجه مسلم.

معنى الآيـات :

لما حذر الله تعالى المؤمنين من اتخاذ بطانة من أهل الكفر والنفاق، وأخبرهم أنهم متى صبروا واتقوا لا يضرهم كيد أعدائهم شيئاً ذكرهم بموقفين أحدهما لم يصبروا فيه ولم يتقوا فأصابتهم الهزيمة وهو غزوة أحد، والثاني صبروا فيه واتقوا فانتصروا وهزموا عدوهم وهو غزوة بدر، فقال تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال﴾ أي اذكر يا رسولنا لهم غدوّك صباحاً من بيتك الى ساحة المعركة بأحد، تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال أي تنزلهم الأماكن الصالحة للقتال الملائمة لخوض المعركة، والله سميع لكل الأقوال التي دارت بينكم في شأن الخروج إلى العدو، أو عدمه وقتاله داخل المدينة[1] عليم بنياتكم وأعمالكم ومن ذلك هَمَّ بني سلمة وبني حارثة بالرجوع من الطريق لولا أن الله سلم فعصمهما من الرجوع لأنه وليهما. هذا معنى قوله تعالى: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ أي تجبْنا وتُحْجمَا عن ملاقاة العدو، والله وليهما فعصمهما من ذنب[2] الرجوع وترك الرسول ﷺ يخوض المعركة بدون جناحيها وهما بنو حارثة وبنو سلمة ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فتوكلت الطائفتان على الله وواصلتا سيرهما مع رسول الله ﷺ فسلمهما الله من شر ذنب وأقبحه. والحمد لله.

هذا موقف والمقصود منه التذكير بعدم الصبر وترك التقوى فيه حيث أصاب المؤمنين فيه شر هزيمـة واستشهـد من الأنصـار سبعون ومن المهاجرين أربعة وشج[3] رأس النبي ﷺ وكسرت رباعيته واستشهد عمه حمزة[4] رضي الله عنه.

والموقف الثاني هو غزوة بدر حيث صبر فيها المؤمنون واتقوا أسباب الهزيمة فنصرهم الله وأنجز لهم ما وعدهم لأنهم صبروا واتقوا، فقتلوا سبعين رجلاً وأسروا سبعين وغنموا غنائم طائلة قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر[5] وأنتم أذلة﴾ فاتقوا الله بالعمل بطاعته، ومن ذلك

---

(١) خرج الرسول ﷺ بألف رجل من المدينة وفي أثناء مسيره رجع ابن أُبيّ بثلثمائة رجع غاضباً إذ كان يرى عدم قتال العدو خارج المدينة فلم يُطع في ذلك فغضب، ورجوعه هو الذي سبَّبَ الهمّ بالرجوع لبني حارثة وبني سلمة.

(٢) روى البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال: فينا نزلت: ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليّهما﴾ قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة، وما أحبّ أنها لم تنزل لقول الله عز وجل: ﴿والله وليّهما﴾.

(٣) الذي رمى رسول الله ﷺ فشج وجهه هو ابن قميئة أقماه الله ولعنه، والذي أدمى شفة رسول الله ﷺ وكسر رباعيته هو عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص.

(٤) وقتل حمزة وحشيٌ، كانت تحرّضه على قتل حمزة هند بنت عتبة وتقول له: ؟ إيهاً أبا دسمة اشف واستشف.

(٥) كانت غزوة بدر في السـابع عشر من رمضان يوم جمعة وكان جيش العدو بها ما بين التسعمائة إلى الألف، وجيش المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا، وغزوة بدر أوّل غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

ترك اتخاذ بطانة من اعدائكم لتكونوا بذلك شاكرين نعم الله عليكم فيزيدكم، فذكر تعالى في هذا الموقف النصر لأنه خير، فقال ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ ولم يقل في الموقف الأول ولقد هزمكم الله بأحد وأنتم أعزة، لأنه تعالى حَيِي كريم فاكتفى بتذكيرهم بالغزوة فقط وهم يذكرون هزيمتهم فيها ويعلمون أسبابها وهي عدم الطاعة وقلة الصبر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ فضيلة الصبر والتقوى وأنهما عدة الجهاد في الحياة.

٢ـ استحسان التذكير بالنعم والنقم للعبرة والاتعاظ.

٣ـ ولاية الله تعالى للعبد تقيه مصارع السوء، وتجنبه الأخطار.

٤ـ تقوى الله تعالى بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه هي الشكر الواجب على العبد.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا
ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾

شرح الكلمات :

ألن يكفيكم : الاستفهام انكاري[1] أي ينكر عدم الكفاية. ومعنى يكفيكم يسد حاجتكم.

---

(١) ذهب بعض إلى أنّ الاستفهام هنا تقريري لأنّه مجاب بـ بَلَى، وجائز أن يكون للاستفهام معنيان في آن واحد لدلالة اللفظ عليهما معاً فتأمّل!!

أن يمدكـــم : أي بالملائكة عوناً لكم على قتال أعدائكم المتفوقين عليكم بالعدد والعتاد.

الملائكـة : واحـدهم ملاك وهم عبـاد الله مكـرمون مخلقون من نور لا يعصون الله ما أمرهم.

بلـــى : حرف إجابة أي يكفيكم.

من فورهم[1] هذا : أي من وَجْهِهِم في وقتهم هذا.

مســـومين : معلمين بعلامات تعرفونهم بها.

إلا بشرى لكـم : البشرى: الخبر السار الذي يتهلل له الوجه بالبشر والطلاقة.

ولتطمئن به قلوبكم : اطمئنان القلوب سكونها وذهاب الخوف والقلق عنها.

ليقطع طرفـاً : الطرف الطائفة، يريد ليهلك من جيش العدو طائفة.

أو يكبتــهم : أي يخزيهم ويذلهم.

فينقلبوا خائبين : يرجعوا إلى ديارهم خائبين لم يحرزوا النصر الذي أمّلوه.

معنـى الآيـات :

ما زال السياق في تذكـير الرسول ﷺ والمؤمنين بما تم لهم من النصر في موقف الصبر والتقوى في بدر فقال: ﴿إذ تقول للمؤمنين[2]﴾ عندما بلغهم وهم حول المعركة أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين برجاله يقاتلون معهم فشق ذلك على أصحابك فقلت: ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ بلى: أي يكفيكم. ﴿إن تصـبروا وتتقوا ويأتوكم[3] من فورهم هذا﴾ أي من وجههم ووقتهم هذا ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ بعلامات وإشارات خاصة بهم، ولما انهزم كرز قبل تحركه وقعد عن إمداد قريش بالمقاتلين لم يمد الله تعالى رسوله والمؤمنين بما ذكر من الملائكة فلم يزدهم على الألف الأولى التي أمدهم بها لما استغاثوه في أول المعركة جاء ذلك في سورة

---

(١) الفور: مصدر فارت القدر فوراً واستعير للأولية مع السرعة في الحال بدون بطء أو تأخر أو تراخ.

(٢) ذهب بعض المفسرين كمجاهد وعكرمة وغيرهما أن قوله تعالى: ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ الخ كان يوم أحد فهو وعد لهم بالمدد المذكور من الملائكة على شرط الصبر والتقوى فلما لم يصبروا ولم يتقوا كما هو معلوم لم يمدهم بالعدد المذكور من الملائكة، وما ذهبنا إليه في التفسير أقرب إلى الواقع والله أعلم.

(٣) أي المشركون من أصحاب كرز.

الأنفال في قوله تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة﴾ فهذه الألف هي التي نزلت فعلاً وقاتلت مع المؤمنين وشوهد ذلك وعلم به يقيناً، أما الوعد بالإمداد الأخير فلم يتم لأنه كان مشروطاً بإمداد كرز لقريش فلما لم يمدهم، لم يمد الله تعالى المؤمنين، فقال تعالى ﴿وما جعله الله﴾ أي الامداد المذكور ﴿إلا بشرى للمؤمنين﴾ تطمئن به قلوبهم وتسكن له نفوسهم فيزول القلق والاضطراب الناتج عن الخوف من إمداد كرز المشركين بالمقاتلين، ولذا قال تعالى ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾[1] العزيز أي الغالب، الحكيم الذي يضع النصر في موضعه فيعطيه مستحقه من أهل الصبر والتقوى ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا﴾ وقد فعل فأهلك من المشركين سبعين، أو يكبتهم أي يخزيهم ويذلهم إذ أُسِرَ منهم سبعون ﴿وانقلبوا خائبين﴾ لم يحققوا النصر الذي أرادوه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان سبب هزيمة المسلمين في أحد وهو عدم صبرهم وإخلالهم بمبدأ التقوى إذ عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ ونزلوا من الجبل يجرون وراء الغنيمة هذا على تفسير أن الوعد بالثلاثة آلاف وبالخمسة كان بأحد[2]، وكان الوعد مشروطاً بالصبر والتقوى فلما لم يصبروا ولم يتقوا لم يمدهم بالملائكة الذين ذكر لهم.

٢ـ النصر وإن كانت له عوامله من كثرة العدد وقوة العدة فإنه بيد الله تعالى فقد ينصر الضعيف ويخذل القوى، فلذا وجب تحقيق ولاية الله تعالى أولاً قبل إعداد العدد. وتحقيق الولاية يكون بالإيمان والصبر والطاعة التامة لله ولرسوله ثم التوكل على الله عز وجل.

٣ـ ثبوت قتال الملائكة مع أصحاب رسول الله ﷺ في بدر قتالاً حقيقياً، لأنهم نزلوا في صورة بشر يقاتلون على خيول، وعليهم شاراتهم وعلاماتهم. ولا يقولنّ قائل[3]: الملك الواحد يقدر على أن يهزم ملايين البشر، فكيف يعقل اشتراك ألف ملك في قتال المشركين وهم لا يزيدون عن الألف رجل، وذلك أن الله تعالى أنزلهم في صورة بشر[4] فأصبحت صورتهم وقوتهم قوة

---

(١) الحكيم: الذي يضع الأشياء في مواضعها ويفعل دائما على ما تقتضيه الحكمة في سائر أفعاله.

(٢) وهو الراجح من قولي المفسرين كابن جرير وغيره.

(٣) قاله الأصمّ كأنه فعلا أصم فلم يسمع كلام الله تعالى، واسم هذا الأصمّ أبو بكر وهو من أهل الاعتزال، وإذا فلا غرابة في انكاره.

(٤) يدل لذلك قوله تعالى: ﴿مسومين﴾ فالمسوّم ذو السمة أي العلامة، وذلك أنّ البطل المقاتل يجعل على رأسه أو على رأس فرسه ريشاً ملوّناً يرمز به إلى أنه لا يخاف أن يعرفه عدوّه حتى لا يسدّد إليه سهامه.

البشر، ويدل على ذلك ويشهد له أنّ ملك الموت لما جاء موسى في صورة رجل يريد أن يقبض روحه ضربه موسى عليه السلام ففقأ عينه، وعاد إلى ربّهِ تعالى ولم يقبض روح موسى عليهما معاً السلام. من رواية البخاري.

لَيْسَ لَكَ
مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

شرح الكلمات :

الأمر : الشأن والمراد هنا توبة الله على الكافرين أو تعذيبهم.

شيء : شيء نكرة متوغلة في الإيهام. وأصل الشيء: ما يعلم ويخبر به.

أو : هنا بمعنى حتى أي فاصْبِرْ حتى يتوب عليهم أو يعذبهم.

لله ما في السموات... : أي ملكاً وخلقاً وعبيداً يتصرف كيف يشاء ويحكم كما يريد.

لا تأكلوا الربا : لا مفهوم للأكل بل كل تصرف بالربا حرام سواء كان أكلاً أو شرباً أو لباساً.

الربا[1] : لغة: الزيادة، وفي الشرع نوعان: ربا فضل وربا نسيئة ربا الفضل: يكون في الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح فإذا بيع الجنس بمثله يحرم الفضل أي الزيادة ويحرم التأخير،

(١) ربا البنوك اليوم شرّ من ربا الجاهلية هو أن يبيع الرجل أخاه شيئاً إلى أجل فإذا حلّ الأجل ولم يجد سداداً قال له أخرّ وزد، أمّا ربا البنوك فإنه يبيعه نقداً بنقد إلى أجل بزيادة فورية يسجلها عليه.

وربا النسيئة : هو أن يكون على المرء دين الى أجل فيحل الأجل ولم يجد سدادا لدينه فيقول له أخرني وزد في الدين.

أضعافاً مضاعفة : لا مفهوم لهذا لأنه خرج مخرج الغالب، إذ الدرهم الواحد حرام كالألف، وإنما كانوا في الجاهلية يؤخرون الدين ويزيدون مقابل التأخير حتى يتضاعف الدين فيصبح أضعافاً كثيرة.

تفلحـــون : تنجون من العذاب وتظفرون بالنعيم المقيم في الجنة.

أعـدت للكافرين : هيئت وأحضرت للمكذبين لله ورسوله ﷺ.

لعلكم ترحمـون : لترحموا فلا تُعذَّبوا بما صدر منكم من ذنب المعصية.

معنى الآيـات :

[١] صح أن النبي ﷺ كان قد دعا على أفراد من المشركين بالعذاب، وقال يوم أحد لما شج رأسه وكسرت رباعيته: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم؟» فأنزل الله تعالى عليه قوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أي فاصبر حتى يتوب[٢] الله تعالى عليهم أو يعذبهم بظلمهم فإنهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الأرض ملكاً وخلقاً يتصرف كيف يشاء ويحكم ما يريد فإن عذب فبعدله وإن رحم فبفضله، وهو الغفور لمن تاب الرحيم بمن أناب.

هذا ما تضمنته الأيتان الأولى (١٢٨) والثانية (١٢٩) وأما الآية الثالثة (١٣٠) فإن الله تعالى نادى عباده المؤمنين بعد أن خرجوا من الجاهلية ودخلوا في الإسلام بأن يتركوا أكل الربا وكل تعامل به فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ﴿لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾ إذ كان الرجل يكون عليه دين ويحل أجله ولم يجد ما يسدد به فيأتي إلى دائنه ويقول أخِّر ديني[٣] وزد عليّ وهكذا للمرة الثانية والثالثة حتى يصبح الدين بعدما كان عشراً عشرين وثلاثين. وهذا معنى قوله أضعافاً مضاعفة، ثم أمرهم بتقواه عز وجل

---

(١) رواه مسلم وهذا نص الحديث: «لما كسرت رباعية الرسول ﷺ وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته (سنّه الأمامية) وهو يدعوهم إلى الله تعالى فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية.

(٢) لما نزلت الآية وفيها ﴿أو يتوب عليهم﴾ وهي تحمل إطماعه ﷺ في إسلامهم قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» روى مسلم عن ابن مسعود قوله: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: ربِّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

(٣) هذا إن كان الطالب التاجر المدين أمّا إن كان المطالب هو الدائن فإنه يقول له: أتقضي أم تُربي؟.

وواعدهم بالفلاح فقال عز وجل ﴿واتقوا الله لعلكم تفحلون﴾ أي كي تفلحوا بالنجاة من العذاب والحصول على الثواب وهو الجنة.

وفي الآية الرابعة (١٣١) أمرهم تعالى باتقاء النار التي أعدها للكافرين فهي مهيئة محضرة لهم؛ واتقاؤه يكون بطاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ فقال عز وجل: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾[١]، أي المكذبين بالله ورسوله فلذا لم يعملوا بطاعتهما لأن التكذيب مانع من الطاعة، وفي الآية الأخيرة (١٣٢) أمرهم تعالى بطاعته وطاعة رسوله ووعدهم على ذلك بالرحمة في الدنيا والآخرة وكأنه يشير[٢] إلى الذين عصوا رسول الله في أحد وهم الرماة الذين تخلوا عن مراكزهم الدفاعية فتسبب عن ذلك هزيمة المؤمنين أسوأ هزيمة فقال تعالى: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ أي كي يرحمكم فيتوب عليكم ويغفر لكم ويدخلكم دار السلام والنعيم المقيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ استقلال الرّب تعالى بالأمر كله فليس لأحد من خلقه تصرف في شيء إلا ما أذن فيه للعبد.

٢ـ الظلم مستوجب للعذاب ما لم يتدارك الرب العبد بتوبة فيتوب ويغفر له ويعفو عنه.

٣ـ حرمة أكل الربا مطلقاً مضاعفاً كان أو غير مضاعف.

٤ـ بيان ربا الجاهلية إذ هو هذا الذي نهى الله تعالى عنه بقوله: ﴿لا تأكلوا الربا﴾.

٥ـ وجوب التقوى لمن أراد الفلاح في الدنيا والآخرة.

٦ـ وجوب اتقاء النار ولو بشق تمرة.[٣]

٧ـ وجوب طاعة الله ورسوله للحصول على الرحمة الإلهية وهي العفو والمغفرة ودخول الجنة.

---

(١) في الآية إشارة واضحة إلى أنّ مستحل الربا يكفر به ويستحق عذاب النار.

(٢) وعليه فآية تحريم الربا هي معترضة في سياق الحديث عن غزوة بدر وأحد، وفي هذا الاعتراض جماله وحسن وقعه في النفوس ومن فوائده دفع السآمة عن السامع إذا استمر الكلام في موضوع واحد.

(٣) حديث «اتقوا النار ولو بشق تمرة» رواه البخاري في صحيحه ورواه غيره.

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا
فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ
لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ
مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ
مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦

شرح الكلمات :

وسارعوا(1)	: المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه بدون توانٍ ولا تراخ.
إلى مغفرة	: المغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها. والمراد هنا: المسارعة إلى التوبة بترك الذنوب، وكثرة الاستغفار وفي الحديث: «ما من رجل يذنب ذنبا ثم يتوضأ ثم يصلي ويستغفر الله إلا غفر له»(2).
وجنة	: الجنة دار النعيم فوق السموات، والمسارعة إليها تكون بالإكثار من الصالحات.
أُعِدَّتْ	: هُيِّئَتْ وأحضرت فهي موجودة الآن مهيّأة.
للمتقين	: المتقون هم الذين اتقوا الله تعالى فلم يعصوه بترك واجب ولا

---

(1) قُرىء في السبع ﴿سارعوا﴾ بدون واو وهي قراءة ورش عن نافع.
(2) أخرجه الطبراني عن علي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

بفعل محرم، وإن حدث منهم ذنب تابوا منه فوراً.

في السراء والضراء[1] : السراء الحال المسرة وهي اليسر والغنى والضراء الحال المضرة وهي الفقر.

والكاظمين الغيظ[2] : كظم الغيظ: حبسه، والغيظ ألم نفسي يحدث إذا أوذي المرء في بدنه أو عرضه أو ماله، وحبس الغيظ: عدم إظهاره على الجوارح بسب أوضرب ونحوهما للتشفي والانتقام.

والعافين عن الناس : العفو عدم المؤاخذة للمسيء مع القدرة على ذلك.

يحب المحسنين : المحسنون هم الذين يبّرون ولا يسيئون في قول أو عمل.

فاحشة : الفاحشة: الفعلة القبيحة الشديدة القبح كالزنىٰ وكبائر الذنوب.

أوظلموا أنفسهم : بترك واجب أو فعل محرم فدنسوها بذلك فكان هذا ظلمًا لها.

ولم يصرّوا[3] : أي يسارعون إلى التوبة، لأن الإصرار هو الشد على الشيء والربط عليه مأخوذ من الصر، والصرة معروفة.

وهم يعلمون : أي أنهم مخالفون للشرع بتركهم ما أوجب، أو بفعلهم ما حرم.

ونعم أجر العاملين : الذي هو الجنة.

معنى الآيات :

لما نادى الله تعالى المؤمنين ناهياً لهم عن أكل الربا آمراً لهم بتقواه عز وجل، وباتقاء النار وذلك بترك الربا وترك سائر المعاصي الموجبة لعذاب الله تعالى ودعاهم إلى طاعته وطاعة رسوله كي يرحموا في دنياهم وأخراهم. أمرهم في الآية الأولى (١٣٣) بالمسارعة إلى شيئين

---

(١) قيل في السراء والضرّاء: الرخاء والشدة، وقيل في السرّاء العرس والولائم، والضرّاء النوائب والمآتم وما فسرنا به الآية أعمّ وأحسن.

(٢) يقول كضمت السقاء: أي ملأته وسددت عليه والكضامة: مايسدّ به السقاء.

(٣) ذكر القرطبي هنا مسألة من وطن نفسه على فعل ذنب فإنه يؤاخذ به ولو لم يفعله لعجز قام به وهو مصرّ على فعله واستشهد بقوله تعالى: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ يعني أصحاب الجنة الذين عزموا على قطع ثمارها دون إعطاء المساكين منها كما استشهد بحديث: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقتال والمقتول في النار» وكلامه في الجملة صحيح ولكن مَن ترك ما أصرّ عليه خوفاً من الله تعالى سيكتب له حسنة لحديث: «من هَمّ بسيئة فلم يعملها كتبت له عند الله حسنة».

الأول مغفرة ذنوبهم وذلك بالتوبة النصوح، والثاني دخول الجنة التي وصفها لهم، وقال تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها[1] السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ أي أحضرت وهيئت للمتقين والمسارعة إلى الجنة هي المسارعة إلى موجبات دخولها وهي الإيمان والعمل الصالح إذ بهما تزكوا الروح وتطيب فتكون أهلاً لدخول الجنة.

هذا ما تضمنته الآية الأولى وأما الآيتان الثانية (١٣٤) والثالثة (١٣٥) فقد تضمنتا صفات المتقين الذين أعدت لهم الجنة دار السلام فقوله تعالى: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ هذا وصف لهم بكثرة الانفاق في سبيل الله، وفي كل أحايينهم من غنىً وفقر وعسر ويسر وقوله: ﴿والكاظمين[2] الغيظ﴾ وصف لهم بالحلم والكرم النفسي وقوله: ﴿والعافين عن[3] الناس﴾ وصف لهم بالصفح والتجاوز عن زلات الآخرين تكرماً، وفعلهم هذا إحسان ظاهر ومن هنا بشروا بحب الله تعالى لهم فقال تعالى ﴿والله يحب المحسنين﴾ كما هو تشجيع على الإحسان وملازمته في القول والعمل وقوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ وصف لهم بملازمة ذكر الله وعدم الغفلة، ولذا إذا فعلوا فاحشة ذنباً كبيراً أو ظلموا أنفسهم بذنب[4] دون الفاحش ذكروا وعيد الله تعالى ونهيه عما فعلوا فبادروا الى التوبة وهى الاقلاع عن الذنب والندم عن الفعل والعزم على عدم العودة إليه، واستغفار الله تعالى منه. وقوله تعالى ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون[5]﴾ وصف لهم بعدم الإصرار أى المواظبة على الذنب وعدم تركه وهم يعلمون أنه ذنب ناتج عن تركهم لواجب، أو فعلهم لحرام، وأما الآية الرابعة (١٣٦) فقد تضمنت بيان جزائهم على إيمانهم وتقواهم وما اتصفوا به من كمالات نفسية، وطهارة روحية الا وهو مغفرة ذنوبهم كل ذنوبهم.

---

(١) ذكر العرض ولم يذكر الطول لأنّ الطول لا يدل على العرض أمّا العرض فإنه يدل على الطول، فطول كل شيء بحسب عرضه، وعرض السموات معناه كعرض السموات فلو أخذت السموات، سماء بعد سماء، والأرضون وألصقت ببعضها كان عرض الجنّة كذلك هذا الذي عليه أهل التفسير من السلف، قال الزهري أمّا طولها فلا يعلمه إلّا الله.

(٢) ورد في كظم الغيظ أحاديث منها: «ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

(٣) ورد في فضل العفو أحاديث كثيرة منها: «من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه» رواه الحاكم وصححه.. ومنها قوله ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً بعفو إلّا عزاً ومن تواضع لله رفعه الله».

(٤) في الصحيحين: قال عثمان أنّه توضأ لهم وضوء النبي ﷺ ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٥) أي أنّ مَن تاب تاب الله عليه هكذا روي عن مجاهد ولا يتنافي مع ما فسرنا به الآية وورد «ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة».

وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها. ومدح المنان عز وجل ما جازاهم به من المغفرة والخلود فى الجنة ذات النعيم المقيم فقال: ﴿ونعم أجر العاملين﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب تعجيل التوبة وعدم التسويف فيها لقوله تعالى: ﴿سارعوا﴾.

٢ـ سعة الجنة[1]، وانها مخلوقة الآن لقوله تعالى: ﴿أُعدت﴾.

٣ـ المتقون هم أهل الجنة وورثتها بحق.

٤ـ فضل استمرار الانفاق في سبيل الله، ولو بالقليل.

٥ـ فضيلة خلة كظم الغيظ بترك المبادرة الى التشفى والانتقام.

٦ـ فضل العفو عن الناس مطلقامؤمنهم وكافرهم بارهم وفاجرهم.

٧ـ فضيلة الاستغفار وترك الإصرار على المعصية للآية وللحديث: «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة». رواه الترمذى وابوداود. وحسنه ابن كثير.

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾

(١) روى أن النبي ﷺ سئل: ما دامت الجنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فأجاب قائلا: سبحان الله، فأين اللّيل إذا جاء النهار؟ قال حيث شاء الله تعالى، قال وكذلك النار تكون حيث شاء الله تعالى». رواه البزار مرفوعاً، وما دل عليه الكتاب والسنة أنّ الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن، وأن النار في أسفل سافلين، ولا منافاة بينهما أبداً.

شرح الكلمات :

قد خلت : خلت : مضت.

سنن[1] : جمع سنة وهي السيرة والطريقة التي يكون عليها الفرد أوالجماعة، وسنن الله تعالى في خلقه قانونه الماضى فى الخلق.

فسيروا في الأرض : الأمر للارشاد، للوقوف على ديار الهالكين الغابرين لتعتبروا.

عاقبة المكذبين : عاقبة أمرهم وهي ما حل بهم من الدمار والخسار كعاد وثمود.

هذا بيان للناس : أي ما ذكر في الآيات بيان للناس به يتبينون الهدى من الضلال وما لازمهما من الفلاح، والخسران.

موعظة : الموعظة الحال التى يتعظ بها المؤمن فيسلك سبيل النجاة.

ولا تهنوا : لا تضعفوا.

قرح : القرح: أثر السلاح فى الجسم كالجرح، وتضم القاف فيكون بمعنى الألم.

الأيام[2] : جمع يوم والليالى معها والمراد بها ما يجريه الله من تصاريف الحياة من خير وغيره وإعزاز وإذلال.

شهداء[3] : جمع شهيد وهو المقتول فى سبيل الله وشاهد وهو من يشهد على غيره.

ليمحص : ليخلص المؤمنين من أدران المخالفات وأوضار الذنوب.

ويمحق : يمحو[4] ويذهب آثار الكفر والكافرين.

معنى الآيات :

لما حدث ما حدث من انكسار المؤمنين بسبب عدم الصبر، والطاعة اللازمة للقيادة ذكر تعالى تلك الأحداث مقرونة بفقهها لتبقى هدى وموعظة للمتقين من المؤمنين وبدأها بقوله :

---

(١) السُنَّة: الطريق المستقيم يقال فلان على السنة أي على طريق الاستواء لا يميل إلى شيء من الأهواء وكل من يعمل بسنة رسول الله ﷺ فهو على الطريق المستقيم الذي لا يميل بصاحبه إلى الأهواء والمبتدعات.

(٢) تداولها بين الناس: فرحٌ وغمٌ وصحةٌ وسقمٌ وفقرٌ وانتصارٌ وانكسارٌ والدولة: الكرة ومنه قول الشاعر:

فيوم لنا ويوم علينا   ويوماً نُساء ويوماً نُسر

(٣) سمي القتيل في سبيل الله شهيداً لأنه الحاضر للجنة ومشهود له بها، ومن فضل الشهيد أن لا يجد من ألم القتل إلا كما يجده الإنسان في القرحة لا غير.

(٤) قال ابن كثير في ﴿ويمحق الكافرين﴾ أي فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا ويكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم، ومحقهم وفنائهم.

﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض[1] فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ فأخبر تعالى المؤمنين بأن سننه قد مضت فيمن قبلهم من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فقد أرسل الله تعالى اليهم رسله فكذبوهم فأمضى تعالى سننه فيهم فأهلك المكذبين وانجى المؤمنين بعد ما نالهم من أذى أقوامهم المكذبين، وستمضي سنته اليوم كذلك، فينجيكم وينصركم ويهلك المكذبين أعداءكم. وإن ارتبتم فسيروا في الأرض وقفوا على آثار الهالكين، وانظروا كيف كانت عاقبتهم، ثم قال تعالى: هذا الذى ذكرت في هذه الآيات بيان للناس يتبينون به الحق من الباطل والهدى من الضلال، وهدى يهتدون به إلى سبيل السلام وموعظة يتعظ بها المتقون لاستعدادهم بإيمانهم وتقواهم للاتعاظ فيطيعون الله ورسوله فينجون ويفلحون هذا ما تضمّنته الآيتان الأولى (١٣٧) والثانية (١٣٨) وأما الآيتان الثالثة (١٣٩) و الرابعة (١٤٠) فقد تضمنتا تعزية الرب تعالى للمؤمنين فيما أصابهم يوم أحد إذ قال تعالى مخاطباً لهم ﴿ولا تهنوا﴾ أي لا تضعفوا فتقعدوا عن الجهاد والعمل، ولا تحزنوا على ما فاتكم من رجالكم، وأنتم الأعلون أي الغالبون لأعدائكم المنتصرون عليهم، وذلك فيما مضى وفيما هو آتٍ مستقبلا بشرط إيمانكم وتقواكم واعلموا أنه إن يمسسكم قَرْح بموت أو جراحات لا ينبغى أن يكون ذلك موهناً لكم قاعداً بكم عن مواصلة الجهاد فإن عدوكم قد مسّه قَرْح مثله وذلك في معركة بدر، والحرب سِجَال يومٌ لكم ويومٌ عليكم وهى سنة من سنن ربكم في الحياة. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ ثم بعد هذا العزاء الكريم الحكيم ذكر تعالى لهم علّة هذا الحدث الجَلَل والسر فيه وقال: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾ أي ليظهر بهذا الحادث المؤلم إيمان المؤمنين وفعلا فالمنافقون رجعوا من الطريق بزعامة رئيسهم المنافق الأكبر عبدالله بن أبي بن سلول، والمؤمنون واصلوا سيرهم وخاضوا معركتهم فظهر إيمانهم واتخذ الله منهم شهداء وكانوا نحواً من سبعين شهيداً منهم أربعة من المهاجرين وعلى رأسهم حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ ومصعب بن عمير،[2] والباقون من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين. وقوله تعالى: ﴿وليمحص[3] الله الذين آمنوا﴾ أي أوجد هذا الذى أوجده فى أحد من جهاد وانكسار تخليصا

---

(١) أي بأقدامكم أو بأفهامكم وعقولكم.

(٢) وعبدالله بن جحش ابن عمة رسول الله ﷺ وعثمان بن شمّاس.

(٣) أصل التمحيص: تخليص الشيء من كل عيب، يقال محّصت الذهب إذا أزلت خبثه.

للمؤمنين من ذنوبهم وتطهيراً لهم ليصفوا الصفاء الكامل،ويمحق الكافرين بإذهابهم وإنهاء وجودهم.

إن هذا الدرس نفع المؤمنين فيما بعد فلم يخرجوا عن طاعة نبيهم، وبذلك توالت انتصاراتهم حتى أذهبوا ريح الكفر والكافرين من كل أرض[1] الجزيرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ عاقبة المكذبين بدعوة الحق الخسار والوبال.

٢ـ في آي القرآن الهدي والبيان والمواعظ لمن كان من أهل الإيمان والتقوى.

٣ـ أهل الإيمان هم الأعلون في الدنيا والآخرة.

٤ـ الحياة دول وتارات فليقابلها المؤمن بالشكر والصبر.

٥ـ الفتن تمحص الرجال، وتودي بحياة العاجزين الجزعين.

أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن
قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ
ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ

---

(١) وخارج الجزيرة فالفتوحات التي فتحها أصحاب رسول الله ﷺ في الغرب والشرق لم يفتحها غيرهم ممن جاء بعدهم من التابعين ولا من غيرهم وهو إنجاز وعد الله تعالى في قوله: ﴿وأنتم الأعلون﴾ أي الغالبون القاهرون.

ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۖ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ
مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

شـرح الكلمـات :

أم حسبتم : بل أظننتم فلا ينبغي أن تظنوا هذا الظن فالإستفهام إنكاري .

ولما يعلم : ولم يبتلكم بالجهاد حتى يعلم علم ظهور[1] من يجاهد منكم ممن لا يجاهد كما هو عالم به في باطن الأمر وخفيّه .

خلت من قبله : أي مضت من قبله الرسل بلغوا رسالتهم وماتوا .

أفإن مات[2] أو قتل : ينكر تعالى على من قال عندما أشيع أن النبي قُتل (هيا بنا نرجع الى دين قومنا ، فالإستفهام منصبّ على قوله ﴿انقلبتم على أعقابكم . .﴾ لا على فإن مات أو قتل، وإن دخل عليها .

انقلبتم على أعقابكم : رجعتم عن الإسلام إلى الكفر .

كتاباً مؤجـلاً[3] : كتب تعالى آجال الناس مؤقتة بمواقيتها فلا تتقدم ولا تتأخر .

ثواب الدنيـا : الثواب : الجزاء على النية والعمل معاً، وثواب الدنيا الرزق وثواب الآخرة الجنة .

الشـاكرين : الـذين ثبتـوا على إسلامهم فاعتبر ثباتهم شكراً لله ، وما يجزيهم به هو الجنة ذات النعيم المقيم ، وذلك بعد موتهم .

---

(١) أي علم شهادة حتى يقع عليه الجزاء بحسب الظاهر المشاهد للناس.

(٢) مات رسول الله ﷺ يوم الاثنين في وقت دخوله المدينة مهاجرا وذلك ضُحىً حين اشتدّ الضحاء، ودفن يوم الثلاثاء أول ليلة الأربعاء. قال أنس: لمّا كان اليوم الذي دخل فيه الرسول ﷺ المدينة أضاء منها كلّ شيء، ولمّا كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلّ شيء وما نفضنا أيدينا من دفن الرسول ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.

(٣) ﴿كتاباً﴾ منصوب على المصدر، أي كتب ذلك كتاباً، ومؤجلا نعت.

معنى الآيات :

ما زال السياق متعلقاً بغزوة أحد فأنكر تعالى على المؤمنين ظنهم أنهم بمجرد ايمانهم يدخلون الجنة بدون أن يبتلوا بالجهاد والشدائد تمحيصاً لهم وإظهاراً للصادقين منهم في دعوى الإيمان والكاذبين فيها، كما يظهر الصابرين الثابتين والجزعين المرتدين فقال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ ثم عابهم تعالى على قلة صبرهم وانهزامهم في المعركة مذكراً إياهم بتمنيات الذين لم يحضروا وقعة بدر، وفاتهم فيها ما حازه من حضرها من الأجر والغنمية بأنهم إذا قُدّر لهم قتال في يوم ما من الأيام يبلون فيه البلاء الحسن فلما قدر تعالى ذلك لهم في وقعة أحد جزعوا وما صبروا وفروا منهزمين فقال تعالى: ﴿ولقد كنتم تمنونّ الموت[1] من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ أي فلم انهزمتم وما وفيتم ما واعدتم أنفسكم به؟ هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١٤٢) والثانية (١٤٣) وأما الآية الثالثة (١٤٤) فقد تضمنت عتاباً شديداً لأصحاب رسول الله ﷺ عندما اشتدت المعركة وحمي وطيسها واستحر القتل في المؤمنين نتيجة خلو ظهورهم من الرماة الذين كانوا يحمونهم من ورائهم وضرب ابن قميئة ـ أقمأه الله ـ رسول الله ﷺ بحجر في وجهه فشجه وكسر رباعيته، وأعلن أنه قتل محمداً فانكشف المسلمون وانهزموا، وقال من قال منهم لم نقاتل وقد مات رسول الله، وقال بعض المنافقين نبعث إلى ابن أبي رئيس المنافقين يأتي يأخذ لنا الأمان من أبي سفيان، ونعود إلى دين قومنا!! فقال تعالى: ﴿وما محمد[2] إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ وما دام رسولاً كغيره من الرسل، وقد مات الرسل قبله فلم ينكر موته ،أويندهش له إذاً؟ بعد تقرير هذه الحقيقة العلمية الثابتة أنكر تعالى بشدة على أولئك الذين سمعوا صرخة إبليس في المعركة (قتل محمد) ففروا هاربين إلى المدينة، ومنهم من أعلن ردته في صراحة وهم المنافقون فقال تعالى: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ فعاتبهم

(١) وكان منهم من وفى بما وعد وقاتل حتى استشهد وهو أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك فإنّه لما رأى المسلمين قد انكشفوا قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء وباشر القتال وهو يقول إني لأجد ريح الجنة ولما قتل وجد به أكثر من ثمانين ضربة وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

(٢) لمّا قُبض ﷺ قام عمر في الناس وقال: إنّ الرسول لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل أقوام، وكان في دهشة عظيمة حتى جاء أبو بكر من العوالي فدخل على رسول الله ﷺ وهو مسجىً فكشف الغطاء عن وجهه وقبّله بين عينيه ثمّ خرج فسمع ما قال عمر فرقي المنبر وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت وقرأ: ﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية، فرجع عمر إلى رشده واعترف بموت نبيه وبكاه.

منكراً على المنهزمين والمرتدين من المنافقين ردتهم، وأعلمهم أن ارتداد من ارتد أو يرتد لن يضر الله تعالى شيئاً فالله غنيّ عن إيمانهم ونصرهم، وأنه تعالى سيجزي الثابتين على إيمانهم وطاعة ربهم ورسوله ﷺ وسيجزيهم دنيا وآخرة بأعظم الأجور وأحسن المثوبات.

هذا ما تضمنته الآية الثالثة أما الآية الرابعة (١٤٥) فقد تضمنت حقيقتين علميتين:

الأولى: أن موت الإنسان متوقف حصوله على إذن الله خالقه ومالكه فلا يموت أحد بدون علم الله تعالى بذلك فلم يكن لملك الموت أن يقبض روح إنسان قبل إذن الله تعالى له بذلك، وشيء آخر وهو أن موت كل إنسان قد ضبط تاريخ وفاته باللحظة فضلاً عن اليوم والساعة، وذلك في كتاب[1] خاص فليس من الممكن أن يتقدم أجل إنسان أو يتأخر بحال من الأحوال، هذه حقيقة يجب أن تعلم، من قول الله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾.

والثانية: أن من دخل المعركة يقاتل باسم الله فإن كان يريد بقتاله ثواب الدنيا فالله عز وجل يؤتيه من الدنيا ما قدره له، وليس له من ثواب الآخرة شيء، وإن كان يريد ثواب الآخرة لا غير فالله عز وجل يعطيه في الدنيا ما كتب له ويعطيه ثواب الآخرة وهو الجنة وما فيها من نعيم مقيم وأن الله تعالى سيجزي الشاكرين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. هذه الحقيقة التي تضمنـها قولة تعالى: ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الله الشاكرين﴾.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ الابتلاء بالتكاليف الشرعية الصعبة منها والسهلة من ضروريات الإيمان.

٢ـ تقرير رسالة النبي محمد ﷺ وبشريته المفضلة، ومَوْتَتِهِ[2] المؤلمة لكل مؤمن.[3]

---

(١) هو كتاب المقادير: اللّوح المحفوظ.

(٢) رثت صفية عمّة رسول الله ﷺ نبي الله بأبيات دلت على مدى ما أصاب المؤمنين من حزن وألم بفراق نبيهم نذكر منها ثلاث أبيات وهي:

أفاطم صلى الله ربّ محمد … على حَدَثٍ أمسىٰ بيثرب ثاويا

فدىً لرسول الله أمّي وخالتي … وعمي وابائي ونفسي وماليا

فلو أنّ ربّ الناس أبقى نبيّنا … سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

(٣) إن قيل لِمَ تأخر دفن النبي ﷺ يومين وهو القائل: «عجلوا دفن جيفتكم ولا تؤخروها» والجواب: كان ذلك لأمور: أولاً: اختلافهم في المكان الذي يدفنونه فيه حتى أخبرهم الصديق بأنه ﷺ قال: «ما دفن نبي إلاّ حيث يموت» ثانيا: اختلافهم في تعيين الخليفة للأهمية.

٣ـ الجهاد وخوض المعارك لا يقدم أجل العبد، والفرار من الجهاد لا يؤخره أيضاً.

٤ـ ثواب الأعمال موقوف على نية العاملين وحسن قصدهم.

٥ـ فضيلة الشكر بالثبات على الإيمان والطاعة لله ورسوله في الأمر والنهي.

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ
وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ
إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

شرح الكلمات:

وكأيّن من نبي[1] : كثير من الأنبياء. وتفسر كأين بكم وتكون حيئذ للتكثير.

ربيّون[2] : ربانيون علماء وصلحاء وأتقياء عابدون.

فما وهنوا لما أصابهم : ما ضعفوا عن القتال ولا انهزموا لأجل ما أصابهم من قتل وجراحات.

وما استكانوا : ما خضعوا ولا ذلوا لعدوهم.

الإسراف : مجاوزة الحد في الأمور ذات الحدود التي ينبغي أن يوقف عندها.

فآتاهم الله ثواب الدنيا : أعطاهم الله تعالى ثواب الدنيا النصر والغنيمة.

المحسنين : الذين يحسنون نياتهم فيخصلون أعمالهم لله، ويحسنون أعمالهم فيأتون بها موافقة لما شرعت عليه في كيفياتها وأعدادها وأوقاتها.

---

(١) قال الخليل (وكأين) أصلها أي دخلت عليها كاف التشبيه وبنيت معها فصارت مثل كم للدلالة على التكثير وفيها لغات منها: كائن وقرأ بها ابن كثير، وكئن وقرأ بها بن محيصن وكأيّن وبها قرأ الجمهور.

(٢) في الرِّبيين ثلاث لغات: كسر الراء، وضمها، وفتحها وهم الجماعة الكثيرة، والواحد ربّي بكسر الراء وضمها أيضاً وما ذكرناه في التفسير هو الحق.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث عن أحداث غزوة أحد فذكر تعالى هنا ما هو فى تمام عتابه للمؤمنين في الآيات السابقة عن عدم صبرهم وانهزامهم وتخليهم عن نبيهم في وسط المعركة وحده حتى ناداهم : إلّي عباد الله إلّي عبادالله فثاب إليه رجال. فقال تعالى مخبراً بما يكون عظة للمؤمنين وعبرة لهم : ﴿وكأيّن من نبي﴾ أي وكم من نبي من الأنبياء السابقين قاتل معه جموع كثيرة من العلماء والاتقياء والصالحين فما وهنوا أي ما ضعفوا ولا ذلوا لعدوهم ولا خضعوا له كما همّ بعضكم أن يفعل أيها المؤمنون، فصبروا على القتال مع انبيائهم متحملين آلام القتل والجرح فأحبهم ربهم تعالى لذلك لأنه يحب الصابرين.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٤٦) ونصها : ﴿وكأيّن من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم، وما ضعفوا وما استكانوا[(١)] والله يحب الصابرين﴾ وأما الآية الثانية فأخبر تعالى فيها عن موقف أولئك الربيين وحالهم اثناء الجهاد في سبيله تعالى فقال: ﴿وما كان قولهم إلا ان قالـوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا[(٢)] فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾. ولازم هذا كأنه تعالى يقول للمؤمنين لم لا تكونوا انتم مثلهم وتقولوا قولتهم الحسنة الكريمة وهى الضراعة لله تعالى بدعائه واستغفاره لذنوبهم الصغيرة والكبيرة والتى كثيراً ما تكون سبباً للهزائم والانتكاسات كما حصل لكم أيها المؤمنون فلم يكن لأولئك الربانيين من قول سوى قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فسألوا الله مغفرة ذنوبهم وتثبيت أقدامهم فى أرض المعركة حتى لا يتزلزلوا فينهزموا والنصرة على القوم الكافرين أعداء الله وأعدائهم فاستجاب لهم ربهم فأعطاهم ما سألـوا وهـو ثواب الدنيا بالنصر والتمكين وحسن ثواب الآخرة وهى رضوانه الذى أحله عليهم وهم فى الجنة دار المتقين والأبرار هذا ما دلت عليه الآية الأخيرة (١٤٨) ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن[(٣)] ثواب الآخرة، والله يحب المحسنين﴾.

---

(١) استكان: مشتق من السكون لأنّ الذليل العاجز يسكن لمن خضع له ولا يتحرك ليدفع عنه الأذى وما ناله من عدّوه الغالب له.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفرلي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني» وهو دعاء تواضع منه عظيم.

(٣) في حسن الثواب والمحسنين جناس تام والجملة تذيلية تحمل البشرى للقوم المحسنين في قتالهم ولقاء أعدائهم مع إحسانهم في عبادة ربهم وسواء منها القلبية والبدنية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ الترغيب في الائتساء[1] بالصالحين في إيمانهم وجهادهم وصبرهم وحسن أقوالهم.

٢ـ فضيلة الصبر والإحسان، لحب الله تعالى الصابرين والمحسنين.

٣ـ فضيلة الاشتغال بالذكر[2] والدعاء عند المصائب والشدائد بدل التأوهات وإبداء التحسرات والتمنيات، وشر من ذلك التسخط والتضجر والبكاء والعويل.

٤ـ كرم الله تعالى المتجلي في استجابة دعاء عباده الصابرين المحسنين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾

شــرح الكلمـات :

إن تطيعوا الذين كفروا : المراد من طاعة الكافرين قبول قولهم والأخذ بارشاداتهم.

يردوكم على أعقابكم : يرجعوكم الى الكفر بعد الإيمان.

خاســـرين : فاقدين لكل خير في الدنيا، ولأنفسكم واهليكم يوم القيامة.

---

(١) شاهده أنّ الله تعالى جعل لنا رسوله بعد أن كمّله وعصمه جعله لنا أسوة يأتسي بفعاله وأخلافه وأحواله المؤمنون المتقون والعالمون الصابرون.

(٢) شاهده ما صح عنه ﷺ أنّه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، والصلاة أكبر مظهر لذكر الله تعالى، ومن الذكر المشروع عند المصائب قول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

بل الله مولاكم : بل اطيعوا الله ربكم ووليكم ومولاكم فإنه خير من يطاع واحق من يطاع.

الرّعب : شدة الخوف من توقع الهزيمة والمكروه.

مأواهم : مقر إيوائهم ونزولهم.

مثوى : المثوى مكان الثوى وهو الإقامة والاستقرار.

الظالمين : المشركين الذين اطاعوا غير الله تعالى وعبدوا سواه.

معنى الآيات :

مازال السياق في احداث غزوة أحد فقد روى[1] أن بعض المنافقين لما رأى هزيمة المؤمنين فى أحد قال في المؤمنين ارجعوا الى دينكم وإخوانكم ولو كان محمد نبياً لما قتل إلى آخر ما من شأنه أن يقال في تلك الساعة الصعبة من الاقتراحات التي قد كشف عنها هذا النداء الإلهي للمؤمنين وهو يحذرهم من طاعة الكافرين بقوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم[2] على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ فلا شك أن الكافرين قد طالبوا المؤمنين بطاعتهم بتنفيذ بعض الاقتراحات التى ظاهرها النصح وباطنها الغش والخديعة، فنهاهم الله تعالى عن طاعتهم في ذلك وهذا النهي وإن نزل فى حالة خاصة فإنه عام في المسلمين على مدى الحياة فلا يحل طاعة الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم وفى كل ما يأمرون به أو يقترحونه، ومن أطاعهم ردّوه عن دينه إلى دينهم فينقلب: يرجع خاسراً في دنياه وآخرته، والعياذ بالله هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٤٩) وأما الآية الثانية (١٥٠) فقد تضمنت الأمر بطاعته تعالى، إذ هو أولى بذلك لأنه ربهم ووليهم ومولاهم فهو أحق بطاعتهم من الكافرين فقال تعالى: ﴿بل الله مولاكم[3]﴾ فاطيعوه، ولا تطيعوا اعداءه وان اردتم أن تطلبوا النصر بطاعة الكافرين فان الله تعالى خير الناصرين فاطلبوا النصر منه بطاعته فإنه ينصركم وفي الآية الثالثة (١٥١) لما امتثل المؤمنون أمر ربهم فلم يطيعوا

---

(١) لفظ الكافرين شامل لكل ما أولت الآية به من المشركين والمنافقين واليهود، وهذا أمر لا ينكر فإنّ طاعة الكافرين لا تفضي بمن أطاعهم إلا إلى الخيبة والخسران في الدّارين.

(٢) وجه المناسبة هو أنه لمّا أمر تعالى المؤمنين بالاقتداء بالصالحين من أتباع الأنبياء، وذلك بالصبر والاحتساب، حذّرهم في هذه الآيات من اتباع الكافرين وقبول ما يطلبون ويقترحونه عليهم فإنه مفض بهم إلى الكفر أولاً ثم إلى الإثم والخسران ثانيا

(٣) قرىء بنصب اسم الجلالة ويكون معمولا لفعل مقدّر وتقديره: بل أطيعواً الله مولاكم فهو أحق بطاعتكم من الكافرين والمنافقين وفي هذا ردّ على مَنْ قال ساعة الهزيمة: لو كلمنا ابن أبي يأخذ لنا أمناً من أبي سفيان.

الكافرين وعدهم ربهم سبحانه وتعالى بأنه سيلقي في قلوب الكافرين الرعب[١] وهو الخوف والفزع والهلع حتى تتمكنوا من قتالهم والتغلب عليهم وذلك هو النصر المنشود منكم، وعلل تعالى فعله ذلك بالكافرين بأنهم اشركوا به تعالى آلهة عبدوها معه لم ينزل بعبادتها حجة ولا سلطاناً وقال تعالى: ﴿سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأخيراً مأواهم النار اى محل اقامتهم النار، وذم تعالى الإقامة فى النار فقال ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين، يريد النار بئس المقام للظالمين وهم المشركون[٢].

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تحرم طاعة الكافرين فى حال الاختيار[٣].

٢ـ بيان السر فى تحريم طاعة الكافرين وهو أنه يترتب عليها الردة والعياذ بالله.

٣ـ بيان قاعدة من طلب النصر من غير الله أذله الله.

٤ـ وعد الله المؤمنين بنصرهم بعد القاء الرعب في قلوب أعدائهم، إذ هم أبوسفيان بالعودة الى المدينة بعد إنصرافه من أحدليقضىَ عمن بقى فى المدينة من الرجال كذا سولت له نفسه، ثم ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فعدل عن الموضوع بتدبير الله تعالى.

٥ـ بطلان كل دعوى ما لم يكن لأصحابها حجة وهي المعبر عنها بالسلطان في الآية إذ الحجة[٤] يثبت بها الحق ويناله صاحبه بواسطتها.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم

---

(١) الرعب بإسكان العين وطمسها الخوف الذي يملأ النفس خوفاً، لأنّ مادة الرّعب مأخوذة من الماء، يقال سيل راعب يملأ الوادي، وكانت هذه الآية ردّاً على أبي سفيان لمّا فكر في العودة إلى المدينة بعد انصرافه من أحد إلّا أنّ الله تعالى هزمه بما ألقى في نفسه من الرّعب فعاد إلى مكة، كما هي بشرى للمؤمنين متى أطاعوا ربهم وثبتهم فإنه يلقى الرعب في قلوب أعدائهم قال رسول الله ﷺ: «نُصرت بالرّعب مسيرة شهر».

(٢) لقوله تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ والكافرون مشركون بلا شكٍّ.

(٣) أمّا في حال الإكراه فإنّ مَنْ لم يطق العذاب يرخص له في إعطائهم ما طلبوا منه على شرط أن يكون كارها بقلبه ساخطاً في نفسه غير راضٍ عنهم ولا عن صنيعهم وذلك للآية: ﴿إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾.

(٤) السلطان: الحجّة لأنّ الحق يؤخذ بالحجة ويؤخذ بالسلطان، وهل السلطان مأخوذ من السليط وهو ما يضاء به السراج، وهو دهن السمسم، وسمي الحاكم سلطاناً للاستضاءة به في إظهار الحق وقمع الباطل؟ نعم وجائز.

مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
(١٥٢) ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ
غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣)

شرح الكلمات :

صدقكم الله وعده(١) : أنجزكم ما وعدكم على لسان رسوله بقوله للرماة اثبتوا اماكنكم فإنا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم.

تحسونهم : تقتلونهم إذ الحس القتل يقال حسه اذا قتله فابطل حسّه.

بإذنه : بإذنه لكم في قتالهم وبإعانته لكم على ذلك.

فشلتم : ضعفتم وجبنتم عن القتال

تصعدون(٢) : تذهبون في الأرض فارين من المعركة يقال أصعد إذا ذهب فى صعيد الأرض.

ولا تلوون على أحد : لاتلوون رؤوسكم على احد تلتفتون إليه.

والرسول يدعوكم فى اخراكم : أي يناديكم من خلفكم الّي عباد الله ارجعوا الّي عباد الله ارجعوا.

---

(١) صدق الوعد: تحقيقه والوفاء به لأنّ الصدق هو مطابقة الخبر للواقع، وهذا الوعد كان لهم على لسان رسول الله ﷺ إذ أخبرهم به وهو يهيىء صفوفهم للقتال.

(٢) صعد يصعد إذا طلع المنبر أو سطحاً وأصعد يصعد إصعاداً إذا سار في بطن الأرض أو الوادي جرياً على صعيد الأرض فكان الإصعاد إبعاداً في الأرض.

فأثابكم غما بغم[1] : جزاكم على معصيتكم وفراركم غمًا على غم. والغم الم النفس وضيق الصدر.

ما فاتكم : من الغنائم.

ولا ما أصابكم : من الموت والجراحات والآلام والاتعاب.

معنى الآيتين :

مازال السياق في أحداث احد فقد تقدم فى السياق قريبا نهى الله تعالى المؤمنين عن طاعة الكافرين فى كل ما يقترحون، ويشيرون به عليهم. ووعدهم بأنه سيلقى الرعب فى قلوب الكافرين وقد فعل فله الحمد حيث عزم ابوسفيان على أن يرجع الى المدينة ليقتل من بها ويستأصل شأفتهم فأنزل الله تعالى في قلبه وقلوب اتباعه الرعب فعدلوا عن غزو المدينة مرة ثانية وذهبوا الى مكة. ورجع الرسول والمؤمنون من حمراء الأسد ولم يلقوا أبا سفيان وجيشه. وفى هاتين الآيتين يخبرهم تعالى بمنته عليهم حيث انجزهم ما وعدهم من النصر فقال تعالى: ﴿ولقد صدقكم[2] الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾، وذلك أن الرسول ﷺ لما بوأ الرماة مقاعدهم. وكانوا ثلاثين راميا وجعل عليهم عبدالله بن جبير أمرهم بأن لا يبرحوا أماكنهم كيفما كانت الحال وقال لهم: إنا لا نزال غالبين ما بقيتم فى أماكنكم ترمون العدو فتحمون ظهورنا بذلك، وفعلاً دارت المعركة وانجز الله تعالى لهم وعده ففر المشركون امامهم تاركين كل شيء هاربين بأنفسهم والمؤمنون يحسونهم حسًّا أي يقتلونهم قتلا بإذن الله وتأييده لهم ولما رأى الرماة هزيمة المشركين والمؤمنون يجمعون الغنائم قالوا: ما قيمة بقائنا هنا والناس يغنمون فهيا بنا ننزل الى ساحة المعركة لنغنم، فذكرهم عبدالله بن جبير قائدهم بأمر رسول الله ﷺ فتأولوه ونزلوا الى ساحة المعركة يطلبون الغنائم، وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد فلما رأى الرماة أَخْلَوْا مراكزهم الا قليلا منهم كرَّ بخيله عليهم فاحتل اماكنهم وقتل من بقى فيها، ورمى المسلمين من ظهورهم فتضعضعوا لذلك فعاد المشركون اليهم ووقعوا بين الرماة الناقمين والمقاتلين الهائجين فوقعت الكارثة فقتل سبعون من المؤمنين ومن

---

(١) الباء قد تكون هنا للمصاحبة أي أصابكم غماً مصحوباً بغم، والغم الأوّل: القتل والجراح، والثاني الإرجاف بقتل الرسول ﷺ، ولا بأس أن يكون الغمّ الأوّل هو الذي أغموا به الرسول بمخالفتهم إيّاه وأصابهم غم الهزيمة.

(٢) في هذه الآية عود إلى التسلية على ما أصابهم، وإظهار لاستمرار عناية الله تعالى بهم.

بينهم حمزة عم الرسول ﷺ وجرح رسول الله فى وجهه وكسرت رباعيته وصاح الشيطان قائلا ان محمداً قد مات وفر المؤمنون من ميدان المعركة الا قليلا منهم وفى هذا يقول تعالى: ﴿حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر﴾[1]، يريد تنازع الرماة مع قائدهم عبدالله بن جبير حيث نهاهم عن ترك مقاعدهم وذكرهم بأمر رسول الله فنازعوه فى فهمه وخالفوا الأمر ونزلوا، وكان ذلك بعد أن رأوا إخوانهم قد انتصروا واعداءهم قد انهزموا،[2] وهو معنى قوله تعالى: ﴿وعصيتم بعـدما أراكم ما تحبون﴾ أي من النصر. ﴿منكم من يريد[3] الدنيا﴾ وهم الذين نزلوا الى الميدان يجمعون الغنائم، ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ وهم عبدالله بن جبير والذين صبروا معه فى مراكزهم حتى استشهدوا فيها وقوله تعالى ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ وذلك اخبار عن ترك القتـال لما أصابهم من الضعف حينما رأوا أنفسهم محصورين بين رماة المشركين ومقـاتليهم فأصعدوا فى الوادي هاربين بأنفسهم، وحصل هذا بعلم الله تعالى وتدبيره، والحكمة فيه أشار إليها تعالى بقوله ﴿ليبتليكم﴾ أي يختبركم فيرى المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، والصابر من الجزع، وقوله تعالى ﴿ولقد عفا عنكم﴾ يريد انه لوشاء يؤاخذهم بمعصيتهم امر رسولهم فسلط عليهم المشركين فقتلوهم أجمعين ولم يُبقوامنهم أحداً إذ تمكنوا منهم تماما ولكن الله سلم. هذا معنى ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٢) أما الآية الثانية (١٥٣) فهى تصور الحال التى كان عليها المؤمنـون بعد حصول الانكسار والهزيمة[4] فيقول تعالى ﴿إذ تصعدون﴾ أى عفا عنكم فى الوقت الذى فررتم مصعدين فى الأودية هاربين من المعركة والرسول يدعوكم من ورائكم الّى عباد الله ارجعوا، وأنتم فارون لا تلوون على أحد، أي لا تلتفتوا اليه. وقوله تعالى: ﴿فأثابكم غمًّا بغم﴾ يريد جزاكم على معصيتكم غمًّا والغم ألم النفس لضيق الصدر وصعوبة

---

(١) ال في الأمر: نائبة عن المضاف، إذ التقدير: في أمركم وشأنكم.

(٢) نعم انهزم المشركون في أوّل المعركة حتى شوهدت نساؤهم مشمرات عن سوقهن هاربات في أعلى الجبل خوفاً من الأسر ومن بينهن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان.

(٣) إرادة الدنيا وحدها غير معصية، ولكن ما ترتب عنها من ترك طاعة رسول الله ﷺ، فطالب الدنيا اليوم إذا طلبها من حلّها ولم يخلّ طلبه بواجب، ولم يحمله على فعل حرام، لا يأثم ولا يلام.

(٤) لما تمت الهزيمة جلس رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه على صخرة من سفح أحد، فجاء أبو سفيان فارتفع على نشز من الأرض وقال: أفي القوم محمد؟ فقال لهم رسول الله ﷺ لا تجيبوه ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال النبي ﷺ لا تجيبوه ثم قال: أفي القوم عمر؟ فقال النبي ﷺ لا تجيبوه، ثم التفت إلى أصحابه وقال أما هؤلاء فقد قتلوا، فقال له عمر كذبت يا عدو الله فقد أبقى لك الله من يخزيك به، فقال أعل هبل مرّتين، فأجابوه بأمر رسول الله ﷺ قائلين: الله أعلى وأجل، فقال: لنا العزى ولا عزى لكم، فقالوا بأمر رسول الله ﷺ الله مولانا ولا مولى لكم.

الحـال. وقوله بغم أى على غم، وسبب الغم الأول فوات النصر والغنيمة والثانى القتل والجراحات وخاصة جراحات نبيّهم، وإذاعة قتله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾ أي ما أصابكم بالغم الثانى الذى هو خبر قتل الرسول ﷺ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا على ما أصابكم من القتل والجراحات فأنساكم الغم الثانى ما غمكم به الغم الأول الذى هو فوات النصر والغنيمة. وقوله ﴿والله خبير بما تعملون﴾ يخبرهم تعالى انه بكل ما حصل منهم من معصية وتنازع وفرار، وترك للنبى ﷺ فى المعركة وحده وانهزامهم وحزنهم خبير مطلع عليه عليم به وسيجزى به المحسن بإحسانه والمسيىء بإساءته او يعفو عنه، والله عفو كريم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ مخالفة القيادة الرشيدة والتنازع فى حال الحرب يسبب الهزيمة المنكرة.(١)

٢ـ معصية الله ورسوله والاختلافات بين أفراد الأمة تعقب آثاراً سيئة أخفها عقوبة الدنيا بالهزائم وذهاب الدولة والسلطان.(٢)

٣ـ ما من مصيبة تصيب العبد الا وعند الله ما هو أعظم منها فلذا يجب حمد الله تعالى على أنها لم تكن أعظم.

٤ـ ظاهر هزيمة أحد النقمة وباطنها النعمة، وبيان ذلك أَنْ عَلِمَ المؤمنون ان النصر والهزيمة يتمان حسب سنن إلهية فما أصبحوا بعد هذه الحادثة المؤلمة يغفلون تلك السنن أو يهملونها.

٥ـ بيان حقيقة كبرى وهى ان معصية الرسول ﷺ مرة واحدة وفي شيء واحد ترتب عليها آلام وجراحات وقتل وهزائم وفوات خير كبير وكثير فكيف بالذين يعصون رسول الله طوال حياتهم وفى كل أوامره ونواهيه وهم يضحكون ولا يبكون، وآمنون غير خائفين.(٣)

---

(١) الخلاف كلّه شر ولكنه في ساحة الحرب أشد ولهذا قال تعالى: ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾ إلى أن قال: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ الآية من سورة الأنفال.

(٢) شاهد هذا حال المسلمين اليوم وقبل اليوم انهم بعد أن عصوا الله ورسوله بالإعراض عن شرع الله وإهمال أحكامه، والتعصب للمذاهب والرضا بالانقسام والخلاف، حل بهم ما حَلّ من الذل والهون والدّون.

(٣) هذه حال أكثر المسلمين اليوم ومنذ قرون عدّة ولا حول ولا قوة إلّا بالله، وكذا لم يبرحوا أذلّاء تابعين للكافرين لا يستقلون في عمل أو تدبير.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

شرح الكلمات :

أمنة نعاسا (1) : الأمنة: الأمن، والنعاس: استرخاء يصيب الجسم قبل النوم.

يغشى (2) **طائفة منكم** : يُصيب المؤمنين ليستريحوا ولا يصيب المنافقين.

أهمتهم (3) **أنفسهم** : أي لا يفكرون إلا في نجاة أنفسهم غير مكترثين بما أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه.

ظن الجاهلية : هو اعتقادهم (4) ان النبيّ قتل أو أنه لا ينصر.

هل لنا من الأمر : أي ما لنا من الأمر من شيء.

---

(1) الأمنة هي الأمن وقيل إنّ الأمنة تكون عند الخوف، والأمن يكون مع الخوف وعدمه، وقرىء الأمْنة بإسكان الميم.
(2) قرىء يغشى بالياء وهو عائد إلى النعاس، وقرىء تغشى بالتاء ويعود على الأمنة.
(3) من أفراد هذه الطائفة معتب بن قشير، وأصحابه خرجوا طمعاً للغنيمة لا غير.
(4) قال ابن عباس: هو تكذيبهم بالقدر.

ما لا يبدون لك : أي مالا يظهرون لك.

لبرز الذين : لخرجوا من المدينة ظاهرين ليلقوا مصارعهم هناك.

كتب عليهم القتل : يريد كتب في كتاب المقادير أي اللوح المحفوظ.

مضاجعهم : جمع مضجع وهو مكان النوم والاضطجاع والمراد المكان الذي صرعوا فيه قتلى.

ليبتلي[1] : ليختبر.

وليمحص : التمحيص: التمييز وهو إظهار شيء من شيء كإظهار الإيمان من النفاق، والحب من الكره.

استزلهم الشيطان : أوقعهم فى الزلل وهو الخطيئة والتي كانت الفرار من الجهاد.

معنى الآيتين :

مازال السياق فى الحديث عن غزوة أحد فأخبر تعالى في الآية الأولى (١٥٣) عن أمور عظام الأول أنه تعالى بعد الغم الذى أصاب به المؤمنين أنزل على أهل اليقين خاصة أمناً كاملا فذهب الخوف عنهم حتى أن أحدهم[2] لينام والسيف في يده فيسقط من يده ثم يتناوله قال تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أَمَنَةً نعاساً يغشى طائفة منكم﴾ والثانى ان أهل الشك والنفاق حرمهم الله تعالى من تلك الأمنة فما زال الخوف يقطع قلوبهم والغم يُسَيْطر على نفوسهم وهم لا يفكرون إلا فى أنفسهم كيف ينجون من الموت وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿وطائفة قد أهمتهم[3] أنفسهم﴾ والثالث ان الله تعالى قد كشف عن سرائرهم فقال يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، والمراد من ظنهم بالله غير الحق ظن المشركين أنهم يعتقدون أن الاسلام باطل وأن محمداً ليس رسولاً، وان المؤمنين سينهزمون ويموتون وينتهى الاسلام ومن يدعو إليه. والرابع أن الله تعالى قد كشف سرهم فقال عنهم: ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء[4]﴾ هذا القول قالوه سراً فيما بينهم، ومعناه ليس لنا من الأمر من شيء

(١) أي ليعاملهم معاملة المختبر لهم وليصبح ما كان غيباً لله مشاهدة لهم.

(٢) قال أبو طلحة والزبير وأنس غشينا النعاس حتى إن السيف ليسقط من يد أحدنا فيتناوله من الأرض.

(٣) حدثتهم أنفسهم بما يدخل الهمّ عليهم وهو تكذيبهم بالقدر، والحرص على نجاتهم وحزنهم على ما فاتهم من الغنيمة وهذه كلها موجبات الهمّ والغمّ.

(٤) هذه الجملة بدل اشتمال من جملة: ﴿يظنون بالله غير الحق﴾ لأنّ ظنهم مشتمل على قولهم: ﴿هل لنا من الأمر من شيء﴾ أي ليس لنا من الأمر من شيء. وهذا القول قاله ابن أبيّ لما سمع باستشهاد من استشهد من الخزرج.

ولو كان لنا ما خرجنا ولا قاتلنا ولا أصابنا الذي أصابنا .فأطلعه الله تعالى على سرهم وقال له: رد عليهم بقولك: إن الأمر كله لله. ثم هتك تعالى مرة أخرى سترهم وكشف سرهم فقال: يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك أي يخفون فى أنفسهم من الكفر والبغض والعداء لك ولأصحابك مالا يظهرونه لك. والرابع لما تحدث المنافقون[١] فى سرهم وقالوالوكان لنامن الأمر من شيء ما قتلنا ها هنا: يريدون لو كان الأمر بأيديهم ما خرجوا لقتال المشركين لأنهم إخوانهم فى الشرك والكفر، ولا قتلوا مع من قتل فى أحد فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقــولـه: قل لو كنتم في بيوتكم بالمـدينـة لبرز أي ظهـر الـذين كتب عليهم القتـل الى مضاجعهـم وصرعوا فيها وماتوا، لأن ما قدره الله نافذ على كل حال، ولا حذر مع[٢] القدر. ولا بد أن يتم خروجكم الى أحد بتدبير الله تعالى ليبتلى الله أي يمتحن ما في صدوركم ويميز ما في قلوبكم فيظهر ما كان غيباً لا يعلمه إلا هو الى عالم المشاهدة ليعلمه ويراه على حقيقته رسوله والمؤمنون، وهذا لعلم الله تعالى بذات الصدور. هذا معنى قوله تعالى: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الـذين كتب عليهم القتـل الى مضـاجعهم، وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾.

هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (١٥٤) فقد تضمنت إخبار الله تعالى عن حقيقة واحدة ينبغي أن تعلم وهي أن الذين فرّوا من المعركة لما اشتد القتال وعظم الكرب الشيطان هو الذي أوقعهم في هذه الزلة وهي توليّهم عن القتال بسبب[٣] بعض الذنوب كانت لهم، ولذا عفا الله عنهم ولم يؤاخذهم بهذه الزلة، وذلك لأن الله غفور حليم فلذا يمهل عبده حتي يتوب فيتوب عليه ويغفر له ولو لم يكن حليما لكان يؤاخذ لأول الذنب والزلة فلا يمكن أحداً من التوبة والنجاة. هذا معنى قوله تعالى: ﴿إن الذين تولوا منكم﴾ أي عن القتال، يوم التقى الجمعـان أي جمع المؤمنين وجمع الكافرين بأحد. إنما استزلهم[٤] الشيطان ببعض ما

(١) تقدم آنفاً أنّ هذا قاله رئيس المنافقين ابن أبيّ وقد عاد من الطريق مع ثلثمائة رجل ممن استجابوا لدعوته المثبطة عن القتال، ولا مانع أن يقوله غير واحد من المنافقين وهو كذلك..

(٢) أي بنافع ولكن طلب الحذر من جملة الأسباب المطلوب اتخاذها طاعة لله تعالى والله يقول: ﴿خذوا حذركم﴾ وإنما لما يقع ما قدره الله تعالى ولم ينفع في رده حذر وجب الرضا به والتسليم لله في اجرائه على مقتضى مراده، وعليه فلا أسف ولا حزن ولا سخط إذ ما قضاه الله هو الخير والخير كلّه.

(٣) في هذه الآية بيان لسبب الهزيمة الخفي، وهو مخالفة أمر الرسول ﷺ حيث تركوا مواقعهم ونزلوا لطلب الغنيمة والمراد إلقاء تبعة الهزيمة عليهم إذ هم السبب فيها.

(٤) استزلهم: أي أزلهم بمعنى جعلهم زالين، والزلل، وإن كان معناه انزلاق القدم، وسقوط صاحبها فإنّ معناها هنا الوقوع في الزّلة التي هي الخطيئة والسين والتاء في استزلهم للتأكيد مثل استفاد كذا، واستنشق الماء أو الهواء، ﴿واستغنى الله﴾.

كسبوا، ولقد عفا الله عنهم فلم يؤاخذهم إن الله غفور حليم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ إكرام الله تعالى لأوليائه بالأمان الذى أنزله في قلوبهم.

٢ـ إهانة الله تعالى لأعدائه بحرمانهم مما أكرم به اولياءه وهم فى مكان واحد.

٣ـ تقرير مبدأ القضاء والقدر، وأن من كتب موته فى مكان لا بد وأن يموت فيه.

٤ـ أفعال الله تعالى لا تخلو أبداً من حكم عالية فيجب التسليم لله تعالى والرضا بأفعاله في خلقه.

٥ـ الذنب يولد الذنب، والسيئة تتولد عنها سيئة أخرى فلذا وجبت التوبة من الذنب فوراً.

يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا
قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾
وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

شرح الكلمات :

آمنوا : صدقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من وعد ووعيد.

إخوانهم : هذه أخوة العقيدة لا أخوة النسب وهى هنا أخوة النفاق.

ضربوا فى الأرض : ضربوا فى الأرض بأقدامهم مسافرين[1] للتجارة غالبا.

---

(١) وقد يكون السفر لمصالح المسلمين.

غـــزى[1] : جمع غازٍ وهو من يخرج لقتال ونحوه من شؤون الحرب.
الحســرة[2] : أَلَم يأخذ بخناق النفس بسبب فوت مرغوب أو فقد محبوب.

معنى الآيات :

ما زال السياق فى أحداث غزوة أحد ونتائجها المختلفة ففي هذه الآية (١٥٦) ينادى الله المؤمنين الصادقين في إيمانهم بالله ورسوله ووعد الله تعالى ووعيده يناديهم[3] لينهاهم عن الاتصاف بصفات الكافرين النفسية ومن ذلك قول الكافرين لإخوانهم فى الكفر إذا هم ضربوا فى الأرض لتجارة أو لغزو فمات من مات منهم أو قتل من قتل بقضاء الله وقدره، لو كانوا عندنا أى ما فارقونا وبقوا في ديارنا ما ماتوا وما قتلوا وهذا دال على نفسية الجهل ومرض الكفر، وحسب سنة الله تعالى فإن هذا القول منهم يتولد، لهم عنه بإذنه تعالى غم نفسي وحسرات قلبية تمزقهم وقد تودى بحياتهم، وما درى أولئك الكفرة الجهال أن الله يحيي ويميت، فلا السفر ولا القتال يميتان، ولا القعود في البيت جبناً وخوراً يحيى هذا معنى قوله تعالى في هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم، والله يحيى ويميت﴾ وقوله تعالى في ختام هذه الآية: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيه وعد للمؤمنين إن انتهوا عما نهاهم عنه في الآية ووعيد ان لم ينتهوا فيجزيهم بالخير خيراً، وبالشر إن لم يعف شراً. أما الآية الثانية (١٥٧) فإن الله تعالى يبشر عباده المؤمنين مخبراً إياهم بأنهم إن قتلوا في سبيل الله أو ماتوا فيه يغفر لهم ويرحمهم وذلك خير مما يجمع الكفار من حطام الدنيا ذلك الجمع للحطام الذي جعلهم يجبنون عن القتال والخروج فى سبيل الله فقال تعالى: ﴿ولئن قتلتم[4] في سبيل الله أو متم[5] لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾[6] وفي الآية الثالثة (١٥٨) يؤكد تلك الخيرية التى تضمنتها الآية السابقة فيقول: ﴿ولئن متم أو قتلتم﴾

---

(١) الغزو: قصد الشيء، والمغزى: المقصد، والمغزية: المرأة التي غزا زوجها، والنسبة إلى الغزو غزويّ.
(٢) والحسرة: شدة الأسف أي الحزن.
(٣) في نداء الله المؤمنين بعنوان الإيمان وهي صفة جامعة لهم فيه تلطف بعد تقريع فريق منهم وهم الذين تولوا عن القتال يوم التقى الجمعان.
(٤) اللام موطئة للقسم أي مؤذنة بأن قبلها قسماً مقدّراً، واللام في ﴿المغفرة﴾ هي في جواب القسم الذي هو المغفرة
(٥) أهل الحجاز يقولون مِتم بكسر الميم نحو نمتم من نام ومات وغيرهم يقولون مُتم بضم الميم في متم ونمتم نحو كنتم وقلتم.
(٦) قرىء ﴿تجمعون﴾ بالتاء أي أنتم أيها المؤمنون ﴿ويجمعون﴾ بالياء أي الكافرون والمنافقون.

في سبيلنا ﴿لإلى الله تحشرون﴾[1] حتما، وثم يتم لكم جزاؤنا على استشهادكم وموتكم في سبيلنا، ولنعم ما تجزون به فى جوارنا الكريم.

هداية الآيات :

١ـ حرمة التشبه بالكفار ظاهراً وباطناً.

٢ـ الندم يولد الحسرات والحسرة غم وكرب عظيمان، والمؤمن يدفع ذلك بذكره القضاء والقدر فلا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما آتاه من حطام الدنيا.

٣ـ موتة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها.

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾

شرح الآيتين :

لنت لهم : كنت رفيقا بهم تعاملهم بالرفق واللطف.

فظا : خشنا فى معاملتك شرسا فى اخلاقك وحاشاه ﷺ.[2]

انفضوا : تفرقوا وذهبوا تاركينك وشأنك.

فاعف عنهم : يريد إن زلوا أو أساءوا.

وشاورهم فى الأمر : اطلب مشورتهم في الأمر ذى الأهمية كمسائل الحرب والسلم.

---

(١) فيه وعظ وعظهم الله به حيث أعلمهم أنهم سواء ما توا حتف أنوفهم أو قتلوا فإنّ رجوعهم إلى الله وسيجزيهم على قتالهم وموتهم في سبيل الله.

(٢) ومن صفاته ﷺ في التوراة كما في رواية البخاري أنه ﷺ ليس بفظٍ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، والغليظ القلب: من قلت شفقته وعزت رحمته كما قال الشاعر:

يُبكى علينا ولا نبكي على أحد   لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

معنى الآيتين :

ما زال السياق فى الآداب والنتائج المترتبة على غزوة أحد ففي هذه الآية (١٥٩) يخبر تعالى عما وهب رسوله من الكمال الخلقى الذى هو قوام الأمر فيقول: ﴿فبما[1] رحمة من الله﴾ أي فبرحمة[1] من عندنا رحمناهم بها لنت[2] لهم، ﴿ولو كنت فظاً﴾ أي قاسيا جافاً جافيا قاسى القلب غليظه ﴿لانفضوا من[3] حولك﴾ أي تفرقوا عنك، وحرموا بذلك سعادة الدارين. وبناء على هذا فاعف[4] عن مسيئهم، واستغفر لمذنبهم، وشاور ذوى الرأى منهم، وإذا بدا لك رأي راجح المصلحة فاعزم على تنفيذه متوكلا على ربك فإنه يحب المتوكلين، والتوكل الإقدام على فعل ما أمر الله تعالى به أو أذن فيه بعد إحضار الأسباب الضرورية له. وعدم التفكير فيما يترتب عليه بل يفوض أمر النتائج إليه تعالى.

هذا ما تضمنته الآية الأولى اما الآية الثانية (١٦٠) فقد تضمنت حقيقة كبرى يجب العلم بها والعمل دائما بمقتضاها وهى أن النصر بيد الله، والخذلان كذلك فلا يطلب نصر إلا منه تعالى، ولا يرهب خذلان الا منه عز وجل، وطلب نصره هو إنفاذ أمره بعد إعداد الأسباب اللازمة له، وتحاشي خذلانه تعالى يكون بطاعته والتوكل عليه هذا ما دل عليه قوله تعالى في هذه الآية ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده، وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- كمال رسول الله ﷺ الخلقى.

٢- فضل الصحابة رضوان الله عليهم وكرامتهم على ربهم سبحانه وتعالى.

٣- تقرير مبدأ المشورة بين[5] الحاكم وأهل الحل والعقد في الأمة.

---

(١) الميم صلة أي مزيدة لتوكيد الكلام وتقويته نحو قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ وقوله: ﴿عمّا قليل ليصبحُن نادمين﴾ وجند ما هنالك

(٢) وذلك لأنّه ﷺ لم يعنّف الذين تولوا يوم أحد بل رفق بهم، فأخبر تعالى أنّ ذلك كان بتوفيق منه عزّ وجلّ لرسوله.

(٣) قيل يمنعهم الحياء والاحتشام والهيبة من القرب منك بعد ما كان من توليهم وهذا شأن أصحاب رسول الله ﷺ.

(٤) هذا الترتيب مقصود فأوّلاً يعفو عنهم لما كان بينه وبينهم، وثانيا: يستغفر الله لهم لما كان بينهم وبين ربهم من تبعات، وبعد هذا الإعداد يصبحون أهلاً للمشروة فيشاورهم.

(٥) الاستشارة مأخوذة من شرت الدابة إذا علمت خبرها كجري ونحوه، ويقال للموضع الذي تركض فيه المشوار. قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. وقد قيل: ما ندم من استشار. ومن أعجب برأيه ضلّ، وقال رسول الله ﷺ: «ما ندم من استشار ولا خاب من استخار ولا عال من اقتصد».

٤ـ فضل العزيمة[1] الصادقة مقرونة بالتوكل على الله تعالى.

٥ـ طلب النصر من غير الله خذلان، والمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله الله عز وجل.

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

شـرح الكلمات:

أن يغـلَّ : أي يأخذ من الغنيمة خفية، إذ الغلُّ والغلول بمعنى السرقة من الغنائم قبل قسمتها.

تـوفـى : تجزى ما كسبته في الدنيا وافياً تاماً يوم القيامة.

رضـوان الله : المراد به ما يوجب رضوانه من الإيمان والصدق والجهاد.

وسـخط الله : غضبه الشديد على الفاسقين عن أمره المؤذين لرسوله ﷺ.

---

(١) من الحزم المشورة، والحزم: جودة النظر في الأمر وتنقيحه، والحذر من الخطأ فيه والعزم: قصد الإمضاء فيما حزم فيه، ومن مظاهر الحزم والعزم للرسول ﷺ أنه استشار أصحابه في الخروج إلى قتال المشركين خارج المدينة أو البقاء فيها والقتال داخلها ورأى عدم الخروج أصلح ورأى أكثر الأصحاب الخروج فوافقهم فدخل بيته فلبس آلات حربه وخرج فلما رأو كذلك تراجعوا واعتذروا، ولكنه أبى أن يتراجع فتجلّى حزمه وعزمه، وقال: «لاينبغي لنبي لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه».

مَـــنَّ : أنعـم وتفضـل.

رسولا من أنفسهم : هو محمد صلى الله عليه وسلم.

يزكيـهم : بما يرشدهم إليه من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والآداب العالية.

الحكمـة : كل قول صالـح نافع أبداً ومنه السنة النبوية.

معـنى الآيـات :

الغل والغلول[1] والاغلال بمعنى واحد وهو أخذ المرء شيئاً من الغنائم قبل قسمتها وما دام السياق في غزوة أحـد فالمناسبة قائمة بين الآيات السابقة وهذه، ففي الآية الأولى (١٦١) ينفى تعالى أن يكون من شأن الأنبياء أو مما يتأتى صدوره عنهم الإغلال وضمن تلك أن أتباع الأنبياء يحرم عليهم أن يغلوا، ولذا قرىء في السبع أن يُغَل بضم[2] الياء وفتح الغين أي يفعله اتباعه بأخذهم من الغنائم بدون إذنه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وما كان لنبيّ أن يغل﴾ ثم ذكر تعالى جزاء وعقوبةمن يفعل وقال: ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾ فأخبرهم تعالى أن من أغل شيئاً يأت به يوم القيامة يحمله حتى البقرة والشاة كما يُبِينَ ذلك في الحديث[3]، ثم يحاسب عليه كغيره ويجزى به، كما تجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر ولا تظلم نفس شيئاً لغنى الرب تعالى عن الظلم وعدله. هذا مضمون الآية الأولى أما الثانية (١٦٢) ينفي تعالى أن تكون حال المتبع لرضوان الله تعالى بالإيمان به ورسوله وطاعتهما بفعل الأمر واجتناب النهى، كحال المتبع لسخط الله تعالى بتكذيبه تعالى وتكذيب رسوله ومعصيتهما بترك الواجبات وفعل المحرمات فكانت جهنم مأواه، وبئس المصير جهنم. هذا معنى قوله تعالى ﴿أفمن اتبع رضوان الله، كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ ثم ذكر تعالى أن كلاً من

---

(١) سمي الغلول غلولاً: لأنّ الأيدي فيها مغلولة أي ممنوعة كانّ فيها غلاّ وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه.

(٢) فتح الياء قراءة حفص وهي ردّ على من تصور أنّ النبي في إمكانه أن يأخذ شيئا من الغنيمة قبل قسمتها فأخبر تعالى أنه من غير الممكن أن يغل النبي لعصمة الله تعالى لأنبيائه، وقراءة الضمّ قراءة نافع وهي تحرّم على أتباع النبي الغلول بصيغة بليغة إذ تجعل غلولهم من قبيل المتعذّر الذي لا يحدث.

(٣) في صحيح مسلم أنّ أبا هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره ثم قال: «لا ألفيَن أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك.. ثم ذكر الفرس والشاة والنفس والرقاع».

أهل الرضوان، وأصحاب السخط متفاوتون في درجاتهم[1] عند الله، بحسب أثر أعمالهم في نفوسهم قوة وضعفاً فقال: ﴿هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾، فدل ذلك على عدالة العليم الحكيم. هذا ما دلت عليه الآية (١٦٣) أما الآية الأخيرة (١٦٤) فقد تضمنت امتنان الله تعالى على المؤمنين من العرب ببعثه رسوله فيهم، يتلو عليهم آيات الله فيؤمنون ويكملون في إيمانهم ويزكيهم من أوضار الشرك وظلمة الكفر بما يهديهم به، ويدعوهم إليه من الإيمان وصالح الأعمال وفاضل الأخلاق وسامى الآداب، ويعلمهم الكتاب المتضمن للشرائع والهدايات والحكمة التى هى فهم أسرار الكتاب، والسنة، وتتجلى هذه النعمة أكثر لمن يذكر حال العرب في جاهليتهم قبل هذه النعمة العظيمة عليهم هذا معنى قوله تعالى في الآية الأخيرة: ﴿لقد منّ[2] الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم[3] يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تحريم[4] الغلول[5] وأنه من كبائر الذنوب.

٢ـ طلب رضوان الله واجب، وتجنب سخطه واجب كذلك، والأول يكون بالإيمان وصالح الأعمال والثاني يكون بالشرك والمعاصى.

٣ـ الاسلام أكبر نعمة وأجلها على المسلمين فيجب شكرها بالعمل به والتقيد بشرائعه وأحكامه.

٤ـ فضل العلم بالكتاب والسنة.

---

(١) المشهور أنّ أهل النار في دركات متفاوتة كما أنّ أهل الجنة في درجات متفاوتة فالدرجة ما أريد بها الارتفاع والدركة ما أريد بها السفول والهبوط.

(٢) مَنّ هنا بمعنى أسدى النعمة للمؤمنين ببعثة الرسول فيهم وليس هو من النمّ المذموم الذي هو تعداد النعمة إلاّ أن الله تعالى له أن يمنّ وهو أمنّ مِنْ كل مَنْ مَنّ وأعطى.

(٣) قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذه للعرب خاصة: إذ فهمت من كلمة ﴿من أنفسهم﴾ أنها تعني من جنسهم العربي، وبعضهم يرى العموم فيها لكل مؤمن ومؤمنة، وهو كذلك إذ هو بشر مثلهم.

(٤) شاهده قوله ﷺ في الذي غلّ الشملة يوم خيبر: «والذي نفسي بيده إنّ الشملة التي أخذ يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً» ولمّا سمع هذا الوعيد أحد الأصحاب جاء بشراك أو شراكين إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «شراك أو شراكين من نار» رواه مالك في الموطأ.

(٥) الإجماع على أنّ الغال لا تقطع يده ولكن يعزر، والغلول لا يكون إلاّ في الغنائم وسمى الرسول ﷺ هدايا العمال غلولا ويفضحون بها يوم القيامة لحديث مسلم في قصة ابن اللتبية.

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾
وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ
يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ
فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ
وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ
الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

شرح الكلمات :

المصيبة : إحدى المصائب: ما يصيب الإنسان من سوء وأسوأها مصيبة الموت.

مثليها : ضعفيها اذ قتلوا في بدر سبعين من المشركين وأسروا سبعين.(1)

أنى هذا؟ : أي من أين أتانا هذا الذي أتانا من القتل والهزيمة.

فبإذن الله : أي بإرداته تعالى وتقديره بربط المسببات بأسبابها.

نافقوا : أظهروا من الإيمان مالا يبطنون من الكفر.

أو ادفعوا : أي ادفعوا العدو عن دياركم وأهليكم وأولادكم، ان لم تريدوا ثواب الآخرة.

ادرأوا : أي إدفعوا.

إن كنتم صادقين : في دفع المكروه بالحذر.

---

(١) اعتبر الأسير قتيلا لأن الآسر له يملك قتله متى شاء، فلذا قال تعالى: ﴿قد أصبتم مثليها﴾.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في أحداث غزوة أحد ففي الآية الأولى: ينكر الله تعالى على المؤمنين قولهم بعد أن أصابتهم مصيبة القتل والجراحات والهزيمة: ﴿أنى هذا﴾[1] أي من أي وجه جاءت هذه المصيبة ونحن مسلمون ونقاتل في سبيل الله ومع رسوله؟[2] فقال تعالى: ﴿أولما أصابتكم مصيبة﴾ بأحد قد أصبتم مثليها ببدر لأن ما قتل من المؤمنين بأحد كان سبعين، وما قتل من المشركين ببدر كان سبعين قتيلا وسبعين أسيراً، وأمر رسوله ﷺ أن يُجيبهم: قل هو من عنـد أنفسكم، وذلـك بمعصيتكم لرسول الله حيث خالف الرماة أمره، وبعدم صبركم إذ فررتم من المعركة تاركين القتال. وقوله ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ إشعار بأن الله تعـالى أصـابهم بما أصابهم به عقوبة لهم حيث لم يطيعوا رسوله ولم يصبروا على قتال أعدائه. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٦٥) أما الآيات الثلاث بعدها فقوله تعالى: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين﴾ يخبر تعالى المؤمنين أن ما أصابهم يوم أحد عند التقاء جمع المؤمنين وجمع المشركين في ساحة المعركة كان بقضاء الله وتدبيره، وعلته إظهار المؤمنين على صورتهم الباطنية الحقة وانهم صادقون في إيمانهم، ولذا قال تعالى وليعلم المؤمنين علم انكشاف وظهور كما هو معلوم له في الغيب وباطن الأمور هذا أولا وثانيا ليعلم الذين نافقوا فأظهروا الإيمان والولاء لله ولرسوله والمؤمنين ثم أبطنوا الكفر والعداء لله ورسوله والمؤمنين فقال عنهم في الآيتين الثالثة (١٦٧) والرابعة (١٦٨) ﴿وليعلم الذين نافقوا﴾ وهم عبدالله بن ابى بن سلول رئيس المنافقين وعصابته الذين رجعوا من الطريق قبل الوصول إلى ساحة المعركة، وقد قال لهم عبدالله بن حرام والد جابر تعالوا قاتلوا في سبيل الله رجاء ثواب الآخرة، وان لم تريدوا ثواب الآخرة فادفعوا عن أنفسكم واهليكم معرة جيش غاز يريد قتلكم إذ وقوفكم معنا يكثر سوادنا ويدفع عنا خطر العدو الداهم فأجابوا قائلين: لو نعلم قتالا سيتم لاتبعناكم، فأخبر تعالى عنهم بأنهم في هذه الحال ﴿هم للكفر أقرب منهم للإيمان﴾ إذ يقـولـون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ﴿والله أعلم بما يكتمون﴾ حتى من أنفسهم يعلم أنهم يكتمون عداوة الله ورسوله والمؤمنين وارادة السوء بالمؤمنين، وأن قلوبهم

---

(١) أنّى هذا: جملة أسمية فأنّى بمعنى أين وهو الخبر مقدم، وهذا مبتدأ مؤخر.

(٢) الاستفهام هنا للإنكار والتعجب لأنّ قولهم ﴿أنى هذا﴾ مما ينكر ويتعجب منه وذلك أن سبب المصيبة غير خاف ولا غامض فهو ظاهر مكشوف، وهو عصيانهم للقيادة بمخالفة أمرها، ولما: اسم زمان مضمن معنى الشرط وقلتم: هو الجزاء.

مع الكافرين الغازين. ثم أخبر تعالى عنهم أنهم قعدوا عن الجهاد في أحد وقالوا لإخوانهم في النفاق ـ وهم في مجالسهم الخاصة ـ :ـ لو أنهم قعدوا فلم يخرجوا كما لم نخرج نحن ما قتلوا. فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم قائلا: ﴿فادرءوا﴾[1] أي ادفعوا عن أنفسكم الموت إذا حضر أجلكم إن كنتم صادقين في دعواكم أنهم لو قعدوا ما قتلوا.

من هداية الآيات:

١ـ المصائب[2] ثمرة الذنوب.

٢ـ كل الأحداث التي تتم في العالم سبق بها علم الله، ولا تحدث إلا بإذنه.

٣ـ قد يقول المرء قولا أو يظن ظنا يصبح به على حافة هاوية الكفر.

٤ـ الحذر لا يدفع[3] القدر.

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ
بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟
بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

شرح الكلمات:

ولا تحسبن : ولا تظنن.

قتلوا : استشهدوا.

أحياء : يحسون ويتنعمون في نعيم الجنة بالطعام والشراب.

---

(١) هذا ردٌ على ابن أبيّ كبير المنافقين وسيدهم الذي قال: لو أطاعونا ما قُتلوا.

(٢) قال تعالى من سورة الشورى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ أي من الذنوب والمعاصي.

(٣) ومع أنه لا يدفع القدر فإنّ استعماله واجب لقوله تعالى ﴿خذوا حذركم﴾.

فرحـــــين : مســــرورين.
لا خوف عليهم : لما وجدوا من الأمن التـام عند ربهم.
ولا هم يحزنون : على ما خلفوا وراءهم في الدنيا لما نالهم من كرامة في الجنة.
يستبشرون : يفرحـــون
وفضـــل : وزيــادة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة أحد فقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ولا تحسبن﴾[1] أي لا تظنن الـذين استشهدوا من المؤمنين في أحد وغيرها أمواتا لا يحسون ولا يتنعمون بطيب الرزق ولذيذ العيش بل هم أحياء عند ربهم يرزقون أرواحهم في حواصل طير خضر يأكلون من ثمار الجنة ويأوون إلى قناديل معلقة بالعرش. إنهم فرحون بما أكرمهم[2] الله تعالى به، ويستبشرون بإخوانهم المؤمنين الذين خلفوهم في الدنيا على الإيمان والجهاد بأنهم إذا لحقوا بهم لم يخافوا ولم يحزنوا لأجل ما يصيرون إليه من نعيم الجنة وكرامة الله تعالى لهم فيها. إن الشهداء جميعا مستبشرون فرحون بما ينعم[3] الله عليهم ويزيدهم وبأنه تعالى لا يضيع أجر المؤمنين شهداء وغير شهداء بل يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ الشهداء أحياء والمؤمنون أحياء في الجنة غير أن حياة الشهداء أكمل.
٢ـ الشهداء[4] يستبشرون بالمؤمنين الذين خلفوهم على الإيمان والجهاد بأنهم اذا لحقوا بهم نالهم من الكرامة والنعيم ما نالهم هم قبلهم.

(١) روى أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقامهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله سبحانه: أنا ابلغهم عنكم فأنزل الله ﴿ولا تحسبن﴾ الآية».

(٢)مما ورد في فضل الشهيد أنّ الله تعالى يغفر له كل ذنب أذنبه إلاّ الدين لقوله ﷺ : «القتيل في سبيل الله يكفر كل شيء إلاّ الدين كذلك قال لي جبريل عليه السلام آنفا». قال العلماء: الدّين يشمل كل الحقوق المتعلقة بالذمة.

(٣) روى الترمذي وصححه أنّ النبي ﷺ قال: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجه من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه».

(٤) الإجماع على أن شهيد المعركة بين الكفار والمسلمين أنه لايغسل ولا يصلى عليه لحديث البخاري. «وادفنوهم بدمائهم» يعني شهداء أحد ولم يغسلهم والعلة في عدم غسلهم أن دماءهم تأتي يوم القيامة كريح المسك.

٣ـ لا خوف ينال المؤمن الصالح إذا مات ولا حزن يصيبه.

ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ
أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ
فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾
فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ
رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

شرح الكلمات :

استجابوا[1] : اجابوا الدعوة وقبلوا الأمر.

القرح[2] : ألم الجراحات.

أحسنوا : أعمالهم واقوالهم أتوا بها وفق الشرع واحسنوا الى غيرهم.

اتقوا : ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه فيما أمرهم به أو نهاهم عنه.

جمعوا لكم : جمعوا الجيوش لقتالكم.

حسبنا الله : يكفينا الله ما أرادونا به من الأذى.

ونعم الوكيل : نعم الوكيل الله نوكل إليه أمورنا ونفوضها اليه.

انقلبوا : رجعوا من حمراء الأسد الى المدينة.

اولياء الشيطان : أهل طاعته والاستجابة اليه فيما يدعوهم إليه من الشر والفساد.

---

(١) قيل إن هذه الآية: ﴿الذين استجابوا..﴾ الخ نزلت في رجلين من بني الأشهل كانا مثخنين بالجراح وخرجا إلى حمراء الأسد مع رسول الله ﷺ يتوكأ أحدهما على صاحبه.

(٢) أخرج أصحاب الصحاح عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت له كان أبواك من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح، وتعني بأبويه الزبير، وأبا بكر الصديق رضي الله عنهما.

معنى الآيــات :

مازال السياق فى أحداث غزوة أحد وما لابسها من أمور وأحوال والآيات الأربع كلها في المؤمنين الذين حضروا غزوة أحد يوم السبت وخرجوا فى طلب أبى سفيان يوم الأحد وعلى رأسهم نبيهم محمد ﷺ، وذلك أن النبي ﷺ رأى أن يرفع معنويات أصحابه الذين كُلِموا وهزموا يوم السبت بأحد، وأن يرهب أعداءهُ فأمر مؤذناً يؤذن بالخروج فى طلب أبى سفيان وجيشه، فاستجاب المؤمنون وخرجوا وإن منهم للمكلوم المجروح، وإن أخوين جريحين كان أحدهما يحمل أخاه على ظهره فاذا تعب وضعه فمشى قليلا، ثم حمله حتى انتهى رسول الله ﷺ وأصحابه إلى حمراء الأسد، وألقى الله تعالى الرعب في قلب أبى سفيان فارتحل هارباً الى مكة، وقد حدث هنا أن معبداً الخزاعى[1] مر بمعسكر أبي سفيان فسأله عن الرسول فأخبره أنه خرج فى طلبكم وخرج معه جيش كبير وكلهم تغيظ عليكم، أنصح لك أن ترحل فهرب برجاله خوفاً من رسول الله ﷺ وأصحابه، فأقام الرسول ﷺ بحمراء الأسد برجاله كذا ليلة ثم عادوا لم يمسسهم سوء وفيهم نزلت هذه الآيات الأربع وهذا نصها:

الآية (١٧٢) ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾ يريد فى أحد واستجابوا: لبوا نداء الرسول ﷺ وخرجوا معه فى ملاحقة أبى سفيان، ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ ولكل من أحسن واتقى أجر عظيم، ألا وهو الجنة الآية الثانية (١٧٣) ﴿الذين قال لهم الناس[2] إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾. المراد من الناس القائلين هم نفر من عبدالقيس مروا بأبي سفيان وهو عازم على العودة الى المدينة لتصفية المؤمنين بها فى نظره فقال له أبو سفيان أخبر محمداً وأصحابه أنى ندمت على تركهم أحياء بعدما انتصرت عليهم وإنى جامع جيوشي وقادم عليهم، والمراد من الناس الذين جمعوا هم أبوسفيان فلما بلغ هذا الخبر الرسول ﷺ وأصحابه زادهم[3] إيماناً فوق إيمانهم بنصر الله تعالى وولايته لهم، وقالوا : حسبنا الله أي يكفينا الله شرهم، ونعم الوكيل الذى يكفينا ما أهمنا

---

(١) لأنّ خزاعة كانت حلفاء لرسول الله ﷺ وعيبة نصحه أي موضع سرّه.

(٢) روى البخاري عن ابن عباس أنّه قال في قوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ إلى ﴿ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم الخليل عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم.

(٣) الذي زادهم إيمانا هو قول الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم، وهل الإيمان يزيد وينقص؟ الخلاف قديم في هذه القضية. والقول الذي تشهد له نصوص الكتاب والسنة هو أنّ الإيمان يقوى ويضعف فإذا قوي زاد عمل المؤمن في الطاعات بفعل الحسنات وترك السيئات وإذا ضعف قلّ عمله الصالح وزاد عمله الطالح فيستدل على الإيمان قوة وضعفاً بمتعلّقه وهو الطاعة والمعصية.

ونفوض أمرنا إلى الله. الآية الثالثة (١٧٤) ﴿فانقلبوا﴾ أي رجعوا من حمراء الأسد لأن أباسفيان القى الله الرُّعْب في قلبه فانهزم وهرب، رجعوا مع نبيهم سالمين فى نعمة الإيمان والاسلام والنصر، ﴿وفضل﴾ حيث أصابوا تجارة في طريق عودتهم ﴿لم يمسسهم سوءٌ﴾ أى أذى، ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ بالاستجابة لما دعاهم الله ورسوله وهو الخروج في سبيل الله لملاحقة أبي سفيان وجيشه. وقوله تعالى: ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ وما أفاضه على رسوله كاف فى التدليل عليه الآية الرابعة (١٧٥) ﴿إنَّما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه[1] فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين﴾، وذلك أن وفد عبدالقيس آجره أبوسفيان بكذا حمل من زبيب إن هو خوف المؤمنين منه فبعثه كأنه (طابور) يخذل له المؤمنين إلا أن المؤمنين عرفوا أنها مكيدة وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزلت الآية: ﴿إنما ذلكم الشيطان﴾ الناطق على لسان النفر من عبدالقيس يخوف المؤمنين من أوليائه أبى سفيان وجمعه، فلا تخافوهم فنهاهم عن الخوف منهم وأمرهم أن يخافوه[2] تعالى فلا يجبُنُوا ويخرجوا الى قتال أبى سفيان وكذلك فعلوا لأنهم المؤمنون بحق رضى الله عنهم أجمعين.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيات

١ـ فضل الإحسان والتقوى وأنهما مفتاح كل خير.

٢ـ فضل أصحاب رسول الله على غيرهم، وكرامتهم على ربهم.

٣ـ فضل كلمة «حسبنا الله ونعم الوكيل»[3] قالها رسول الله وقالها ابراهيم من قبل فصلى الله عليهما وسلم.

٤ـ بيان أن الشيطان يخوف[4] المؤمنين من أوليائه، فعلى المؤمنين أن لا يخافوا غير ربهم تعالى فى الحياة، فيطيعونه ويعبدونه ويتوكلون عليه، وهو حسبهم ونعم الوكيل لهم.

---

(١) معنى يخوف أولياءه أنه يخوف المؤمنين بأوليائه وهم المشركون وذلك على لسان نعيم بن مسعود الذي آجره أبو سفيان ليخوف المؤمنين بعزم أبي سفيان على الكرّة عليهم لاستئصالهم وإبادتهم.

(٢) الخوف من الله تعالى أمر الله به وهو واجب على كل مؤمن وحقيقته: أن يترك العبد ما يخاف أن يعذب عليه وقيل ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه وإنما مَنْ يترك ما يخاف أن يعذَّب به.

(٣) الوكيل: فعيل بمعنى مفعول أي: الموكول إليه الأمر.

(٤) الشيطان يكون من الجنّ ومن الإنس فإن كان من الجنّ فتخويفه يكون بواسطة الوساوس، وإن كان من شياطين الإنس فتخويفه يكون بالكلام الشفوي الذي ظاهره النصح وباطنه الخداع والغش.

وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ
شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟
ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾

شرح الكلمات :

الحزن : غمّ يصيب النفس لرؤية أو سماع ما يسوءه ويكرهه

الكفر : الكفر تكذيب الله تعالى ورسوله فيما جاء به الرسول وأخبر به.

يسارعون : يبادرون.

حظا : نصيباً.

اشتروا الكفر : اعتاضوا الكفر عن الايمان.

نملى لهم : الإملاء: الإمهال والارخاء بعدم البطش بهم وترك الضرب على أيديهم بكفرهم.

إثْماً : الإثم: كل ضار قبيحٍ ورأسه: الكفر والشرك.

معنى الآيات :

مازال السياق فى أحداث غزوة أحد ففي هذه الآيات الثلاث ـ وقد كشفت الأحداث عن أمور خطيرة حيث ظهر النفاق مكشوفا لا ستار عليه، وحصل من ذلك ألم شديد لرسول الله ﷺ والمؤمنين ـ يخاطب الله تعالى رسوله قائلا له: لا يحزنك[1] مسارعة هؤلاء المنافقين[2] فى

(١) قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الراء من أحزن يحزن في كل القرآن، إلاّ قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ وقرأ الجمهور يحزنك بفتح الياء وضم الزاي.

(٢) قيل في هؤلاء المسارعين في الكفر إنهم المنافقون وقيل هم كفار قريش وقيل هم اليهود، واللفظ يشمل كل ذلك إذ الفئات الثلاث كلها كانت تسارع في الكفر بنصرته والعمل فيه وبه.

الكفر، وقال فى الكفر ولم يقل الى الكفر إشارة إلى أنهم ما خرجوا منه لأن اسلامهم كان نفاقا فقط، ﴿إنهم لن يضروا الله شيئا﴾، والله يريد أن لايجعل لهم نصيباً من نعيم الآخرة فلذا تركهم فى كفرهم كلما خرجوا منه عادوا إليه، وحكم عليهمّ بالعذاب العظيم فقال: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٧٦). أما الآية الثانية (١٧٧) فقد تضمنت حكم الله تعالى على الذين يرتدون بعد إيمانهم فيبيعون الإيمان بالكفر، ويشترون الضلالة بالهدى حكم عليهم بأنهم لن يضروا الله شيئا من الضرر[١]، ولهم عذاب أليم فقال تعالى: ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا[٢] ولهم عذاب أليم﴾ والعذاب الأليم هو عذاب النار إذ لا آلم ولا أشد إيجاعاً منه.

وأمـا الآية الثالثة (١٧٨) فقد تضمنت بطلان حسبان الكافرين أن الله تعالى عندما يمهلهم ويَمُدّ فى أعمارهم ولم يعاجلهم بالعذاب أن ذلك خيرٌ لهم، لا، بل هو شر لهم، إذ كلما تأخروا يوما اكتسبوا فيه إثمًا فبقدر ما تطول حياتهم يعظم ذنبهم وتكثر آثامهم، وحيئنذ يوبقون ويهلكون هلاكاً لا نظير له قال تعالى: ﴿ولا يحسبنّ[٣] الذين كفروا أنّما نملى لهم خير لأنفسهم، إنما نملى لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين﴾ أي ذو إهانة، لأنهم كانوا ذوى كبر وعلو في الأرض وفساد، فلذا ناسب أن يكون فى عذابهم اهاناتٌ لهم.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات:

١ـ لا ينبغي للمؤمن أن يُحزنه كفر كافرٍ ولا فسق فاسق، لأن ذلك لا يضر الله تعالى شيئاً، وسيجزى الله الكافر والفاسق بعدله.

٢ـ لا ينبغي للعبد أن يغره إمهال الله له، وعليه أن يبادر بالتوبة من كل ذنب إذ ليس هناك إهمال وإنما هو إمهال.

٣ـ الموت للعبد[٤] خير من الحياة، لأنه إذا كان صالحاً فالآخرة خير له من الدنيا وإن كان غير

---

(١) ﴿لن يضروا الله شيئا﴾ من الضرر لا في ذاته ولا في دينه ولا في ملكه وسلطانه ولا رسوله، وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم: «ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضرونى ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني».

(٢) كرّر لفظ ﴿لن تضروا الله شيئا﴾ لأجل التأكيد والتقرير حتى ييأس المنافقون والكافرون من إلحاق أي ضرر برسول الله ﷺ ويدعوته وشيئا: منصوب على المصدرية أي: لن يضروا الله ضرراً قليلاً ولا كثيراً.

(٣) فُسر الإملاء بطول العمر ورغد العيش، وهو كذلك مع إضافة عدم معاجلتهم بالعقوبة انظاراً لهم لا إهمالا.

(٤) شاهده قول ابن مسعود رضي الله عنه ما مِنْ أحد برٍّ ولا فاجر إلاّ والموت خير له لأنّه إن كان برّاً فقد قال الله تعالى: ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ وإن كان فاجراً فقد قال تعالى: ﴿إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ وروي مثله عن ابن عباس أخرجه رزين.

ذلك حتى لا يزداد اثما فيوبق بكثرة ذنوبه .

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

شرح الكلمات :

لیذر : لیترك :

يميز : يميز ويبين .

الخبيث : من خبثت نفسه بالشرك والمعاصى .

الطيب : من طهرت نفسه بالإيمان والعمل الصالح .

الغيب : ما غاب فلم يدرك بالحواس .

يجتبي : يختار ويصطفي .

يبخلون[1] : يمنعون ويضنون .

يطوقون به : يجعل طوقا فى عنق أحدهم .

معنى الآيتين :

مازال السياق فى أحداث وقعة أحد، وما لازمها من ظروف وأحوال فاخبر تعالى في هذه الآية (١٧٩) انه ليس من شأنه تعالى أن يترك المؤمنين على ما هم عليه فيهم المؤمن الصادق

(١) البخل بضم الباء واسكان الخاء، والبخل بفتح الباء والخاء معاً هو أن يمنع الإنسان الحق الواجب عليه من زكاة أو ضيافة أو إطعام جائع، وستر عارٍ ولم يوجد من يقوم به سواه ومالا فلا يقال فيه بخيل شرعاً.

في إيمانه، والكاذب فيه وهو المنافق. بل لابد من الابتلاء بالتكاليف الشاقة منها كالجهاد والهجرة والصلاة والزكاة، وغير الشاقة من سائر العبادات حتى يميز المؤمن الصادق وهو الطيب الروح، من المؤمن الكاذب وهو المنافق الخبيث الروح، قال تعالى ﴿ما كان الله ليذر[1] المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ وذلك أن الله لم يكن من سنته في خلقه أن يطلعهم على الغيب فيميزُ المؤمن من المنافق، والبار من الفاجر، وانما يبتلي بالتكاليف ويظهر بها المؤمن من الكافر والصالح من الفاسد. إلا أنه تعالى قد يجتبي من رسله من يشاء فيطلعه على الغيب، ويظهره على مواطن الأمور وبناء على[2] هذا فآمنوا بالله ورسوله حق الإيمان، فإنكم إن آمنتم صادق الإيمان واتقيتم معاصي الرحمان كان لكم بذلك أعظم الأجور وهو الجنة دار الحبور والسرور هذا ما دلت عليه الآية (١٧٩) أما الآية الثانية (١٨٠) فإن الله تعالى يخبر عن خطا البخلاء الذين يملكون والمال ويبخلون به فيقول: ولايحسبنَّ أي ولا يظنن الذين يبخلون بما آتاهم الله من المال الذى تفضل الله به عليهم أن بخلهم به خير لأنفسهم كما يظنون بل هو أى البخل شرٌّ لهم، وذلك لسببين الأول ما يلحقهم فى الدنيا من معرة البخل وآثاره السئية على النفس، والثانى أن الله تعالى سيعذبهم به بحيث يجعله طوقاً من نار في أعناقهم، أو بصورة ثعبان فيطوقهم[3]، ويقول لصاحبه: «أنا مالك أنا كنزك» كما جاء في الحديث. فعلى من يظن هذا الظن الباطل ان يعدل عنه، ويعلم أن الخير فى الإنفاق لا فى البخل. وأن ما يبخل به هو مال الله، وسيرثه، ولم يجن البخلاءإلا المعرة فى الدنيا والعذاب في الآخرة. قال تعالى: ﴿ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾، فاتقوه فيما آتاكم فآتوا زكاته وتطوعوا بالفضل فإن ذلك خير لكم. والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

---

(١) روي أن الآية نزلت إجابة لمن طالبوا بعلامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق، فأجابهم الله تعالى بأنه ليس من شأنه أن يترك المؤمنين على ما هم عليه في اختلاطهم مع المنافقين حتى ينزلِ من الشرائع والتكاليف ما يميز بفعله وتركه المؤمن من المنافق.

(٢) إذ العبرة ليست بمعرفة الغيب وإنما العبرة بالنجاة من النار والفوز بالجنة وعليه فاعرضوا عن المطالبة بمعرفة الغيب وأقبلوا على ما يحقق لكم نجاتكم وسعادتكم.

(٣) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا هذه الآية: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون. . .﴾ الآية

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ من حِكم التكليف اظهار المؤمن الصادق من المؤمن الكاذب .

٢ـ استئثار الرب تعالى بعلم الغيب دون خلقه الا ما يطلع عليه رسله لحكمة اقتضت ذلك .

٣ـ ثمن الجنة الإيمان والتقوى .

٤ـ البخل بالمال شر لصاحبه، وليس بخير له كما يظن البخلاء .

٥ـ من أوتي مالاً ومنع حق الله فيه عذب به يوم القيامة دلت على ذلك هذه الآية وآية التوبة[1] وحديث البخارى: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه ـ أى شدقيه ـ يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا الآية ﴿ولا يحسبن الذين . . . ﴾ الآية» .

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (١٨١) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٨٣)
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ (١٨٤)﴾

---

(١) هي قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾.

شرح الكلمات :

عذاب الحريق[1]	: هو عذاب النار المحرقة تحرق أجسادهم .
ذلك بما قدمت أيديهم	: أي ذلك العذاب بسبب ما قدمته أيديكم من الجرائم .
عهد الينا	: أمرنا ووصانا فى كتابنا (التوراة) .
ان لا نؤمن لرسول	: أي لا نتابعه ، على ما جاء به ولا نصدقه في نبوته .
بقربان تأكله النار	: القربان : ما يتقرب به الى الله تعالى من حيوان وغيره يوضع في مكان فتنزل عليه نار بيضاء من السماء فتحرقه .
البينات	: الآيات والمعجزات .
وبالذى قلتم	: أي من القربان .
فلم قتلتموهم	: الاستفهام للتوبيخ ، وممن قتلوا من الأنبياء زكريا ويحيى عليهما السلام .
الزبر	: جمع زبور وهو الكتاب كصحف ابراهيم .
الكتاب المنير	: الواضح البين كالتوراة والزبور والإنجيل .

معنى الآيات :

لما نزل قول الله تعالى : ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له﴾ ودخل أبوبكر الصديق رضى الله عنه بيت (المدراس)[2] واليهود به وهم يستمعون لأكبر علمائهم وأجل أحبارهم فنحاص فدعاه أبوبكر الى الإسلام ، فقال فنحاص : إن رباً يستقرض نحن أغنى منه! ينهانا صاحبك عن الربا ويقبله فغضب أبوبكر رضي الله عنه وضرب اليهودى فجاء الى رسول الله ﷺ فشكا أبابكر فسأل الرسول أبابكر قائلا : «ما حملك على ما صنعت»؟ فقال إنه قال : إن الله فقير ونحن أغنياء فأنكر اليهودى فأنزل الله تعالى الآية ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم[3] الأنبياء بغير حق﴾ ، أي نكتبه أيضا ، ونقول لهم : ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ ، وقولنا ذلك بسبب ما

---

(١) الحريق : اسم للملتهبة من النار، إذ النار تشمل الملتهبة وغير الملتهبة .

(٢) بيت المعلم من بنى اسرائيل .

(٣) إنَّ من نزلت فيهم الآية لم يقتلوا الأنبياء، وإنما قتلهم سلفهم، ولكن برضاهم عن أسلافهم وما صنعوا كان حكمهم حكم مَنْ قتل لأنّ الرضا بالمعصية . روي أن رجلاً حسَّن قتل عثمان عند الشعبي فقال له الشعبي شركت في دمه فجعل الرضا بالقتل قتلا .

قدمته أيديكم من الشر والفساد، وأن الله ليس بظلام للعبيد، فلم يكن جزاؤكم مجافيا للعدل ولا مباعدا له أبداً لتنزه الرب تعالى عن الظلم لعباده هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٨١) ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ والآية الثانية (١٨٢) ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ وأما الآية الثالثة (١٨٣) وهى قوله تعالى: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾؟ فقد تضمنت دعوى يهودية كاذبة باطلة لا صحة لها البتة، والرد عليها فالدعوى هى قولهم إنّ الله[1] قد أمرنا موصياً لنا أن لا نؤمن لرسول فنصدقه ونتابعه على ما جاء به، حتى يأتينا بقربان تأكله النار، يريدون صدقة من حيوان أو غيره توضع أمامهم فتنزل عليها نار من السماء فتحرقها فذلك آية نبوته، وأنت يا محمد ما اتيتنا بذلك فلا نؤمن بك ولا نتابعك على دينك، وأما الرد فهو قول الله تعالى لرسوله ﷺ قل يا رسولنا: ﴿قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات﴾ وهى المعجزات، ﴿وبالذى قلتم﴾ وهو قربان تأكله النار فلم قتلتموهم، إذ قتلوا زكريا ويحيى وحاولوا قتل عيسى، إن كنتم صادقين فى دعواكم؟ وأما الآية الرابعة (١٨٤) فانها تحمل العزاء لرسول الله ﷺ إذ يقول له ربه تعالى: ﴿فإن كذبوك﴾ فلم يؤمنوا بك، فلا تحزن ولا تأسى لأنك لست وحدك الذى كُذبت، فقد كذبت رسل كثر كرام، جاءوا أقوامهم بالبينات أي المعجزات، وبالزبر، والكتاب المنير كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وكذبتهم أممهم كما كذبك هؤلاء اليهود والمشركون معهم فاصبر ولا تحزن.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ كفر اليهود وسوء أدبهم مع الله تعالى ومع أنبيائهم ومع الناس أجمعين.

٢ـ تقرير جريمة قتل اليهود للأنبياء وهى من أبشع الجرائم.

---

(١) روى القرطبي عن الكلبي أنّ هذه الآية نزلت ردّاً على كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وفنحاص بن عزريا أتوا النبي ﷺ فقالوا له: أتزعم أنّ الله أرسلك إلينا وأنه أنزل علينا كتاباً عهد إلينا فيه أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإن جئتنا به صدّقناك. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٣ـ بيان كذب اليهود فى دعواهم أن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا بالرسول حتى[1] يأتيهم بقربان تأكله النار.

٤ـ تعزية الرسول ﷺ وحمله على الصبر والثبات أمام ترهات اليهود وأباطيلهم.

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ
وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ
إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ
وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

شرح الكلمات :

ذائقة الموت[2] : أي ذائقة موت جسدها أما هي فانها لا تموت.

توفون : تعطون جزاء أعمالكم خيراً أو شراً وافية لا نقص فيها.

زحزح : نجّي وأبعد.

فاز : نجا من مرهوبه وهو النار، وظفر بمرغوبه وهو الجنة.

متاع الغرور[3] : المتاع كل ما يستمتع به، والغرور: الخداع، فشبهت الدنيا بمتاع خادع غارٍّ صاحبه، لا يلبث أن يضمحل ويذهب.

---

(١) وإن صحت دعواهم في التوراة فإن فيها استثناء عيسى ومحمد ﷺ أو هي منسوخة في الإنجيل، ولكن ما ردّ الله تعالى به عليهم لا يتطلب مزيد حجج فإنه قاطع مفحم مسكت ونصّ التوراة تمامه: «حتى يأتيكما المسيح ومحمد فإذا أتياكما فآمنوا بهما من غير قربان».

(٢) قرىء ذائقة الموت بالإضافة، وذائقة الموت بدونها، والأولى قراءة العامة، وهذا مما لا محيص للإنسان عنه، قال أميّة بن الصلت: من لم يمت عبطة يمت هرماً للموت كأس والمرأ ذائقها
ومعنى عبطة: شاباً وللموت علامات من أبرزها عرق الجبين، وفي الحديث: «المؤمن يموت بعرق الجبين» فإذا شوهدت لقن الميت لقوله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله».

(٣) يوضح معنى متاع الغرور: قوله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلّا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليمّ فلينظر بم ترجع إليه» والغرور مصدر أضيف إليه المتاع، فالمتاع ما يتمتع به ثم يضمحل وكونه للغرور زاد في التحذير منه فلذا قال فيها قتادة: الدنيا متاع متروك يوشك أن تضمحل بأهلها.

لتبلُوُنَّ فى أموالكم
وأنفسكم : لَتُخْتَبَرُنَّ في أموالكم بأداء الحقوق الواجبة فيها، أو بذهابها وأنفسكم بالتكاليف الشاقة كالجهاد والحج ، او المرض والموت.

اوتوا الكتـاب : اليهود والنصـارى.

الذين اشـركوا : العـــرب.

فان ذلك من عزم الأمور : يريد أن الصبر والتقوى من الأمور الواجبة التى هى عزائم وليس فيها رخص ولا ترخيص بحال من الأحوال.

معنى الآيات :

ما زال السياق فى تعزية الرسول ﷺ وأصحابه لقد جاء في الآية السابقة تسلية الرسول ﷺ عما آلمه من تكذيب اليهود والمشركين له، وفي هذه الآية أعظم تسلية وعزاء، إذ أخبر تعالى فيها بأن كل نفس مهما علت أو سفلت ذائقة الموت[1] لا محالة، وإن الدنيا ليست دار جزاء وإنما هى دار كسب وعمل، ولذا قد يجرم فيها المجرمون ويظلم الظالمون، ولا ينالهم مكروه، وقد يحسن فيها المحسنون ويصلح المصلحون ولا ينالهم محبوب، وفى هذا تسلية عظيمة وأخرى: العلم بأن الحياة الدنيا بكل ما فيها لاتعدو كونها متاع الغرور، أي متاع زائل غار ببهرجه، وجمال منظره، ثم لا يلبث ان يذهب ويزول. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٨٥) أما الآية الثانية (١٨٦) ففيها يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بأنهم لا محالة مختبرون في أمـوالهم وفي أنفسهم.في أموالهم بالجوائح، وبالواجبات، وفي أنفسهم بالمرض والموت والتكـاليف الشـاقـة كالجهاد والحج والصيام، وانهم لا بد وأن يسمعوا من أهل الكتاب والمشركين أذىً كبيراً كما قال فنحاص: الله فقير ونحن[2] أغنياء أو كما قال النصارى : المسيح ابن الله، وكما قال المشركون: اللات والعزى ومناة آلهة مع الله.ثم حثهم تعالى على الصبر

---

(١) من أحكام الاحتضار تلقين لا إله إلا الله وقراءة يس لتخفيف سكرات الموت لقوله ﷺ: «ما من ميت يقرأ عنده يس إلاّ هون عليه» وحديث أبي داود «اقرأوا يس على موتاكم» ومن أحكام الموت تغميض العينين وغسله وكفنه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين وتعجيل دفنه والإسراع في المشي به لحديث: «أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك غير ذلك فشر تضعونه عن رقابكم».

(٢) قال ابن أبي لرسول الله ﷺ ارجع إلى رحلك لا تؤذنا في مجالسنا، وكان كعب بن الأشرف ينظم القصائد يسب فيها المسلمين ويؤلب فيها عليهم الكافرين، بل كان يتشبب بنساء المؤمنين، ولذا أذن الرسول في اغتياله فقتله غيلة محمد بن مسلمة وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

والتقوى فقال وإن تصبروا وتتقوا فإن صبركم وتقواكم مما أوجب الله تعالى عليكم وليس هو من باب الندب والاستحباب بل هو من باب الفرض والوجوب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ ليست الدار الدنيا بدار جزاء وانما هى دار عمل.

٢ـ تعريف الفوز الحق وهو الزحزحة عن النار ودخول الجنة.

٣ـ بيان حقيقة هذه الحياة وأنها كمتاع خادع لا يلبث ان يتلاشى ويضمحل.

٤ـ الابتلاء ضرورى فيجب الصبر والتقوى فإنها من عزائم الأمور لا من رخصها.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ(1) لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

شـرح الكلمـات :

الميــثاق : العهد المؤكد باليمين.

اوتوا الكتـاب : اليهود والنصـارى.

الكتمـــان : إخفاء الشيء وجحوده حتى لا يرى ولا يعلم.

فنبذوه وراء ظهورهم : ألقوه وطرحوه ولم يلتفتوا إليه وهو ما أخذ عليهم العهد والميثاق فيه من الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به مِنَ الإِسْلَام.

---

(١) الضمير عائد إلى الكتاب أي أقسم عليكم بجلالي وكمالي لَتُظهِرنُّ جميع مافي الكتاب من الأحكام والأخبار ومنها نعوت النبي محمد ﷺ وصفاته.

واشتروا به ثمنا قليلا : اعتاضوا عنه حطام الدنيا ومتاعها الزائل اذ كتموه، ابقاء على منافعهم الدنيوية.

ان يحمدوا بما لم يفعلوا : أي يثنى عليهم ويذكروا بخير وهم لم يفعلوا ما يوجب لهم ذلك.

بمفازة من العذاب : بمنجاة من العذاب فى الدنيا، ولهم فى الآخرة عذاب أليم.

معنى الآيات :

مازال السياق في اليهود فيقول تعالى لنبيه، واذكر لهم إذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى أخذ على علمائهم العهد المؤكد بأن يبينوا للناس نعوت النبي ﷺ في كتابهم، وأن يؤمنوا به ويتابعوه على ما جاء به من الهدى ودين الحق وهو الإسلام، ولكنهم كتموه ونبذوه وراء ظهورهم فلم يلتفتوا إليه واستبدلوا بذلك ثمناً قليلاً وهو الجاه والمنصب والمال قال تعالى: ﴿واشتروا به ثمنا قليلاً﴾ وذم الله تعالى ذلك الثمن القليل فقال فبئس ما يشترون هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٨٧) وأما الآية الثانية (١٨٨) ﴿ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾. فإن الله تعالى يقول لرسوله ﷺ لا تحسبن يا رسولنا الذين يفرحون بما اتوا[1] من الشر والفساد بتحريف كلامنا وتبديل اوامرنا وتغيير شرائعنا وهم مع ذلك يحبون أن يحمدهم الناس أي يشكروهم ويثنوا عليهم، ما لم يفعلوا من الخير والإصلاح إذ عملهم كان العكس وهو الشر والفساد فهؤلاء من اليهود ولا تحسبنهم بمفازة أي بمنجاة من العذاب، ولهم عذاب أليم يوم القيامة. وأما الآية الثالثة (١٨٩) فقد أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض، وأنه على كل شيء قدير فدلل بذلك على قدرته على البطش بالقوم والانتقام منهم، وانه منجز وعيده لهم وهو عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة فقال: ﴿ولله ملك السموات والأرض، والله على كل شيء قدير﴾.

---

(١) روى البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري أن رجالاً من المنافقين كانوا إذا خرج الرسول ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا وحلفوا وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الآية، وروي في سبب نزولها الخبر الآتي: إن مروان بعث بأحد رجاله إلى ابن عباس يسأله قائلا: لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل معذّباً لنعذبَنّ أجمعين؟ فقال ابن عباس مالكم وهذه إنّما نزلت هذه في أهل الكتاب ثمّ تلا الآية: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق﴾ إلى قوله ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ أخذ الله الميثاق على علماء أهل الكتاب ببيان الحق يتناول علماء[1] الإسلام فإن عليهم أن يبثوا الحق ويجهروا به، ويحرم عليهم كتمانه[2] أو تأويله ارضاء للناس ليحوزوا على مكسب دنيوي مالاً أو جاهاً أو سلطاناً.

٢ـ لا يجوز للمسلم ان يحب أن يحمد بما لم يفعل من الخير والمعروف، بل من الكمال أن لا يرغب المسلم في مدح الناس وثنائهم وهو فاعل لما يستوجب ذلك فكيف بمن لم يفعل ثم يحب أن يحمد. بل بمن يفعل الشر والفساد ويحب ان يحمد عليه بالتصفيق[3] له وكلمة يحيى فلان. . . .

٣ـ ملك الله تعالى لكل شيء وقدرته على كل شيء توجب الخوف منه والرغبة إليه وأكثر الناس عن هذا غافلون، وبه جاهلون.

إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ

---

(١) قال محمد بن كعب: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه ولا لجاهل أن يسكت على جهله قال الله تعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ الآية. وقال: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وقال علي رضي الله عنه: ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلّموا.

(٢) شاهده ما جاء من طرق متعددة عنه ﷺ أنه قال: «من سُئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» وشاهده أيضاً: حديث البخاري: «من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة».

(٣) هذه حال الكثير من زعماء أمّة الإسلام في عصور انحطاطها وفساد عقائدها وأخلاقها وانحراف سلوكها نتيجة كيد المجوس لها واليهود والنصارى كذلك.

ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾
فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

شرح الكلمات :

في خلق السموات والأرض : أي في وجودهما من العدم.

واختلاف الليل والنهار : تعاقبهما هذا يجيء وذاك يذهب، هذا مظلم وذاك مضيء.

لآيات : دلائل واضحة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته.

لأولي الألباب : أصحاب العقول التى تُدرك بها الأشياء وتفهم بها الأدلة

ربّنا : يقولون: ربنا الخ..

باطلا : لا لشيء مقصود منه، وإنما هو من باب اللعب.

سبحانك[1] : تنزيها لك عن العبث واللعب، وعن الشريك والولد.

فقنا عذاب النار : أجرنا واحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا للأعمال الصالحة وتجنيبنا الأعمال الفاسدة الموجبة لعذاب النار.

أخزيته : أذللته وأشقيته.

---

(١) روي أنّ النبي ﷺ سُئل عن معنى سبحان الله فقال: «تنزيه الله عن السوء»

كفــر عنا	: استر وامح .
الأبـــرار	: جمع برّ أو بار وهم المتمسكون بالشريعة .
على رسـلك	: على ألسنة رسلك من النصر والتأييد .
الميــعاد	: الوعـــد .
هاجــروا	: تركوا بلادهم وديارهم وأموالهم وأهليهم فراراً بدينهم .
أوذوا فى سبيلى	: آذاهم المشركون من اجل الإيمان بى ورسولى وطاعتنا .
ثوابا من عند الله	: أي أجراً جزاء كائناً من عند الله ، وهو الجنات بعد تكفير السيئات .

معنـى الآيات :

لما قال اليهود تلك المقالة السيئة : ان الله تعالى فقير ونحن أغنياء ، وحرفوا الكتاب وبدلوا وغيروا ويحبون ان يحمدوا على باطلهم كانت مواقفهم هذه دالة على عمى في بصائرهم ، وضلال فى عقولهم ، فذكر تعالى من الآيات الكونيّة ما يدل على غناه ، وافتقار عباده إليه ، كما يدل على ربوبيته على خلقه ، وتدبيره لحياتهم وتصرفه في أمورهم ، وانه ربهم لا رب لهم غيره وإلههم الذي لا إله لهم سواه إلا أن هذا لا يدركه الا أرباب العقول الحصيفة والبصائر النيرة فقال تعالى : ﴿ان في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾[1] نعم ان في ايجاد السموات والأرض من العدم وفي اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والظلام والضياء ، والتعاقب بذهاب هذا ومجيء ذاك دلائل واضحات على غنى الله وافتقار عباده وبراهين ساطعة على ربوبيته لخلقه . والوهيته لهم . هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٩٠) وأما الآيات الأربع بعدها فقد تضمنت وصفاً لأولى الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض فيهتدون الى معرفة الربّ تعالى فيذكرونه ويشكرونه . فقال تعالى عنهم : ﴿الـذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم﴾[2] وهذا شامل لحالهم فى الصلاة[3]

(١) صحّ أنّ النبي ﷺ كان إذا قام من الليل قرأ هذه الآيات العشر فلذا استحب لمن قام من ليله ليتجهد أن يقرأها ويتفكر فيها وورد عن عثمان : من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة .

(٢) شاهد هذا قول عائشة في الصحيح : «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» ومن الأدب أن يستثني من هذا العموم حالة التبّول وقضاء الحاجة في الكُنُف .

(٣) لحديث عمران بن حصين رضي الله عنهما إذ قال كان بي البواسير فسألت رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال : «صلِّ قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب» رواه الأئمة وفي مسلم : «أن النبي ﷺ صلى النافلة قاعدا وذلك قبل موته بعام» .

وخارج الصلاة. وقال عنهم: ﴿ويتفكرون[1] في خلق السموات والأرض﴾، أي في إيجادهما وتكوينهما وإبداعهما، وعظيم خلقهما، وما أودع فيهما من مخلوقات. فلا يلبثون أن يقولوا: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ أي لا لحكمة مقصودة ولا لهدف مطلوب، بل خلقته بالحق وحاشاك ان تكون من اللاعبين العابثين سبحانك تنزيها لك عن العبث واللعب بل خلقت ما خلقت لحكم عالية خلقته لأجل أن تذكر وتشكر، فتكرم الشاكرين الذاكرين، فى دار كرامتك وتهين الكافرين في دار عذابك، ولذا قالوا: في الآية (١٩٢) ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته، وما للظالمين من أنصار﴾. والظالمون هم الكافرون، ولذا يعدمون النصير ويخزون بالعذاب المهين، وقال عنهم في الآية (١٩٣) ﴿ربنا اننا سمعنامنادياًينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا﴾، والمنادى هو القرآن الكريم والرسول[2] ﷺ وتوسلوا بإيمانهم لربهم طالبين أشرف المطالب واسماها مغفرة ذنوبهم ووفاتهم مع الأبرار فقالوا ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئآتنا وتوفنا مع الأبرار[3]﴾ وهو ما جاء في الآية (١٩٣) وأما الآية الخامسة (١٩٤) فقد سألوا ربهم أن يعطيهم ما وعدهم على ألسنة رسله من النصر والتمكين في الأرض، هذا في الدنيا، وأن لا يُخزيهم يوم القيامة بتعذيبهم في النار، فقالوا: ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾، أي وعدك الحق وفي الآية السادسة (١٩٥) ذكر تعالى استجابته لهم فقال لهم: ﴿إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ بل أجازى الكل بعمله لا أنقصه له ذكراً كان أو أنثى لأن بعضكم من بعض الذكر من الأنثى والانثى من الذكر فلا معنى للتفرقة بينكم، وذكر تعالى بعض أعمالهم الصالحة التى استوجبوا بها هذا الإنعام فقال: ﴿فالذين هاجروا، واخرجوا من ديارهم، وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا﴾، وواعدهم قائلا: ﴿لأكفرن عنهم سيئآتهم ولأدخلنهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار﴾، وكان ذلك ثوابا منه تعالى على أعمالهم الصالحة، والله عنده حسن الثواب، فليَرْغَب إليه، وليَطمَع فيه، فإنه البر الرحيم.

---

(١) الفكرة: تردد القلب في الشيء، والتفكر ممدوح ما كان في خلق السموات والأرض وفي أحوال القيامة والمعاد والجزاء والدار الآخرة وورد النهي عن التفكر في ذات الله، إذ قال ﷺ: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره».

(٢) أي محمد ﷺ قاله ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين، وقال قتادة وغيره هو القرآن، والكلّ صحيح، والرسول نادى والقرآن نادى إلى اليوم.

(٣) لِمَ ما قالوا وتوفنا أبراراً؟ إنهم هضما لأنفسهم وتواضعاً لربهم وإعلاناً عن رغبتهم في الالتحاق بربهم حبّاً في لقائه والحياة إلى جواره في الملكوت الأعلى مع النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب التفكر في خلق السموات والأرض للحصول على المزيد من الإيمان والإيقان .

٢ـ استحباب تلاوة هذه الآيات : إن في خلق السموات الى آخر السورة وذلك عند القيام للتهجد آخر الليل لثبوت ذلك فى الصحيح[١] عنه ﷺ .

٣ـ استحباب ذكر الله فى كل[٢] حال من قيام أو قعود أو اضطجاع .

٤ـ استحباب التعوذ من النار بل وجوبه ولومرة فى العمر .

٥ـ مشروعية التوسل الى الله تعالى بالإيمان وصالح الأعمال.

٦ـ فضل الهجرة والجهاد في سبيل الله .

٧ـ المساواة بين المؤمنين والمؤمنات في العمل والجزاء .

٨ـ استحباب الوفاة بين الأبرار وهم أهل الطاعة لله ولرسوله والصدق فيها وذلك بالحياة معهم والعيش بينهم لتكون الوفاة بإذن الله معهم .

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) روى الشيخان عن ابن عباس أنه نام ليلة عند خالته ميمونة قال فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر في السماء فقال: إنّ في خلق السموات الآيات، ثم قام فتوضأ واستنّ ثمّ صلى إحدى عشرة ركعة ثم أذّن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح».

(٢) شاهده حديث عائشة الصحيح «أن النبي ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه».

سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟
وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

شـرح الكلمـات :

لا يغرنـك : لا يكن منك اغترار، المخاطب الرسول ﷺ والمراد أصحابه واتباعه.

تقلب الذين كفروا فى البلاد : تصرفهم فيها بالتجارة والزراعة والأموال والمآكل والمشارب.

متـاع قليل : تصرفهم ذلك هو متاع قليل يتمتعون به أعواماً وينتهى.

ماواهم جهنم : مآلهم بعد التمتع القليل الى جهنم يأوون اليها فيخلدون فيها أبداً.

نزلاً من عند الله : النُّزُل: ما يعد للضيف من قرى: طعام وشراب وفراش.

الأبـــرار : جمع بار وهو المطيع لله ولرسوله الصادق فى طاعته.

وما أنزل اليكم : القرآن والسنة، وما أنزل اليهم التوراة والإنجيل.

خاشعين لله : مطيعين مخبتين له عز وجل.

لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا: لا يجحدون أحكام الله وما أمر ببيانه للناس مقابل منافع تحصل لهم.

اصبروا وصابروا (١) : الصبر حبس النفس على طاعة الله ورسوله، والمصابرة: الثبات والصمود أمام العدو.

ورابطـــوا : المرابطة: لزوم الثغور منعاً للعدو من التسرب الى ديار المسلمين.

تفلحـــون : تفوزون بالظفر المرغوب، والسلامة من المرهوب فى الدنيا والآخرة.

---

(١) الصبر المأمور به له مواطن ثلاثة: وهي صبر على الطاعات وصبر دون المعاصي وصبر على البلاء فلا جزع ولا تسخط ولكن رضاً وتسليم.

معنى الآيات :

ينهى الله تبارك وتعالى دعاة الحق من هذه الأمة فى شخصية نبيهم ﷺ أن يَغُرَّهُمْ[1] اى يخدعهم ما يتصرف فيه أهل الكفر والشرك والفساد من مكاسب وأرباح وما يتمتعون به من مطاعم ومشارب ومراكب، فيظنوا أنهم على هدىً أو أن الله تعالى راضٍ عنهم وغير ساخط عليهم، لا، لا، إنما هو متاع في الدنيا قليل، ثم يردون الى أسوأ مأوى وشر قرار إنه جهنم التى طالما مهدوا لدخولها بالشرك والمعاصى، وبئس المهاد مهدوه لأنفسهم الخلود فى جهنم. هذا معنى الآيتين الاولى والثانية وهما قوله تعالى: ﴿لا يغرنك تقلب[2] الذين كفروا فى البلاد. متاع قليل، ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد﴾، أما الآية الثالثة (١٩٨)، وهى قوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله، وما عند الله خير[3] للأبرار﴾ فإنها قد تضمنت استدراكاً حسناً وهو لما ذكر في الآية قبلها مآل الكافرين وهو شر مآل جهنم وبئس المهاد، ذكر في هذه الآية مآلُ المؤمنين وهو خير مآل: ﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نُزُلاً من عند الله﴾، وما عند الله تعالى من النعيم المقيم فى دار السلام خير لأهل الإيمان والتقوى من الدنيا وما فيها فلا يضرهم ان يكونوا فقراء، معسرين، وأهل الكفر أغنياء موسرين أما الآية الرابعة (١٩٩) وهى قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب[4] لمن يؤمن بالله﴾ الآية فانها تضمنت الرد الإلهى على بعض المنافقين الذين انكروا على رسول الله ﷺ والمؤمنين صلاتهم على النجاشى بعد موته، إذ قال بعضهم انظروا الى محمد وأصحابه يصلون على علج مات في غير ديارهم وعلى غير ملتهم، وهم يريدون بهذا الطعن على رسول الله ﷺ والمؤمنين فرد الله تعالى عليهم بقوله: وإن من أهل الكتاب أي اليهود والنصارى لمن يؤمن بالله، وما أنزل اليكم أيها المؤمنون، وما أنزل

---

(١) أي خير مما يتقلب فيه الكفار من متاع الدنيا في الدنيا.

(٢) روي في سبب نزول هذه الآية أن بعضاً من المسلمين قالوا: هؤلاء الكفار لهم تجائر وأموال واضطراب في البلاد، وقد هلكنا نحن من الجوع فنزلت الآية.

(٣) الغرّ والغرور هو الإطماع في أمر محبوب على نية عدم وقوعه لمن يطمع به ويغرر، وهو أيضاً إظهار الأمر المضرّ في صورة النافع، وهو مشتق من الغرّة وهي الغفلة يقال: رجل غِرّ إذا كان ينخدع لمن يخدعه، وفي الحديث: «المؤمن غِرّ كريم».

(٤) ثبت في الصحيحين أنّ النجاشي لما مات نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه، وقال إنّ أخاً لكم بالحبشة قد مات فصلّوا عليه فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه. وروى غير واحد عن أنس بن مالك أنه قال لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأخيكم. فقال بعض الناس يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة فنزلت: ﴿وإن من أهل الكتاب...﴾ الآية.

اليهم في التوراة والانجيل خاشعين لله، أي خاضعين له عابدين، لايشترون بآيات الله ثمناً قليلاً كسائر اليهود والنصارى حيث يحرفون كلام الله ويبدلونه ويخفون منه ما يجب ان يظهروه ويبينوه حفاظا على منصب أو سمعة أو منفعة مادية، أما هؤلاء وهم عبدالله بن سلام من اليهود وأصحمة النجاشى من النصارى، وكل من أسلم من أهل الكتاب فإنهم المؤمنون حقاً المستحقون للتكريم والإنعام قال تعالى فيهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم يوفيهم إياه يوم القيامة إنَ الله سريع الحساب، إذ يتم حساب الخلائق كلهم فى مثل نصف يوم من أيام الدنيا.

هذا ما تضمنته الآية الرابعة (١٩٩) أما الآية الخامسة والأخيرة (٢٠٠) وهى قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا[1] ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ فإنها تضمنت دعوة كريمة ونصيحة غالية ثمينة للامة الرحيمة بأن تصبر على الطاعات وعلى الشدائد والملمات فتصابر اعداءها حتى يُستلِموا او يُسَلموا القياد لها. وترابط بخيولها وآلات حربها في حدودها وثغورها مرهبة عدوها حتى لا يطمع فى غزوها ودخول ديارها. ولتتق الله تقوى تكون سبباً فى فوزها وفلاحها بهذه الرحمة الربانية.ختمت سورة آل عمران المباركة ذات الحكم والأحكام وتليها سورة النساء.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١- تنبيه المؤمنـين وتحذيرهم من الاغترار بما يكون عليه الكافرون من سعة الرزق وهناءة العيش فإن ذلك لم يكن عن رضى الله تعالى عنهم، وإنما هو متاع في الدنيا حصل لهم بحسب سنة الله تعالى في الكسب والعمل ينتج لصاحبه بحسب كده وحسن تصرفه.

٢- ما أعد لأهل الإيمان والتقوى وهم الأبرار من نعيم مقيم فى جوار ربهم خير من الدنيا وما فيها.

٣- شرف مؤمنى أهـل الكتـاب وبشارة القرآن لهم بالجنة وعلى رأسهم عبدالله بن سلام وأصحمة النجاشى.

---

(١) المصابرة: هي الصبر في وجه العدو الصابر، ومن هنا كانت المصابرة أشد من الصبر لأنها صبر في وجه عدو صابر فأيهما لم يثبت على صبره هلك، وأصبح النجاح لأطولهما صبراً قال رفر بن الحارث في اعتذاره عن الانهزام

سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

٤ـ وجوب الصبر والمصابرة والتقوى والمرابطة[1] للحصول على الفلاح الذى هو الفوز المرغوب والسلامة من المرهوب في الدنيا والآخرة.

سُورَةُ النِّسَاءِ

مدنيـــة[2]

وآياتهـا ١٧٦ آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

شـرح الكلمـات :

النـاس	: البشر، واحد الناس من غير لفظه وهو إنسان.
اتقوا ربكم	: خافوه ان يعذبكم فامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه.
من نفس واحدة[3]	: هـى آدم عليه السلام.
وخلق منها زوجها	: خلق حواء من آدم من ضلعه[4].
وبـــث	: نشروفرق فى الأرض من آدم وزوجه رجالا ونساء كثراً.
تسـاءلون به	: كقول الرجل لأخيه أسألك بالله أن تفعل لى كذا.
والأرحـــام	: الأرحام جمع رحم، والمراد من اتقاء الأرحام صلتها وعدم قطعها.
رقيبـــاً	: الرقيب: الحفيظ العليم.

(١) المرابطة مصدر رابط رباطاً إذا حبس نفسه في ثغر من ثغور المسلمين يحرسها من مداهمة العدو الكافر لها، وفضل الرباط عظيم ووردت فيه أحاديث كثيرة نكتفي منها بما يلي حديث البخاري: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» وحديث مسلم: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه» وإن مات مرابطاً جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتّان.

(٢) الآية: إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» فإنها مكية فإنها نزلت يوم الفتح بمكة في شأن عثمان بن طلحة الحجبي.

(٣) لفظ النفس مؤنث قال تعالى: ﴿قد أفلح مَنْ ذكاها﴾ أي النفس ولذا وصفت هنا بواحدة لا بواحد.

(٤) قال قتادة: خلقت حواء من قصيراء آدم وفي الحديث: «خلقت المرأة من ضلع...».

معنى الآيه الكريمة :

ينادى الرب تبارك وتعالى عباده بلفظ عام يشمل مؤمنهم وكافرهم : يا أيها الناس ويأمرهم بتقواه عز وجل وهى اتقاء عذابه في الدنيا والآخرة بالإسلام التام إليه ظاهراً وباطناً . واصفا نفسه تعالى بأنه ربهم الذي خلقهم من نفس واحدة وهى آدم الذي خلقه من طين، وخلق من تلك النفس زوجها وهي حواء[1]، وأنه تعالى بث منهما أى نشر منهما في الأرض رجالاً كثيرا ونساء كذلك ثم كرر الأمر بالتقوى إذ هى ملاك الأمر فلا كمال ولا سعادة بدون الالتزام بها قائلا واتقوا الله[2] الذى تساءلون به والأرحام[3]، أي اتقوا الله ربكم الذي آمنت به قلوبكم فكنتم إذا أراد أحدكم من أخيه شيئاً قال له أسألك بالله إلا اعطيتنى كذا . . واتقوا الأرحام[4] ان تقطعوها فإن في قطعها فساداً كبيراً وخللاً عظيما يصيب حياتكم فيفسدها عليكم، وتوعدهم تعالى ان لم يمتثلوا أمره بتقواه ولم يصلوا أرحامهم بقوله إن الله كان عليكم رقيباً مراعيا لأعمالكم محصياً لها حافظاً يجزيكم بها ألا أيها الناس فاتقوه .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١ـ فضل هذه الآية إذ كان النبي ﷺ إذا خطب في حاجة تلا آية آل عمران ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ . وتلا هذه الآية، ثم آية الأحزاب ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيمًا﴾ ثم يقول أما بعد ويذكر حاجته .

٢ـ أهمية الأمر بتقوى الله تعالى اذ كررت في آية واحدة مرتين في أولها وفي آخرها .

٣ـ وجوب صلة الأرحام وحرمة قطعها .

٤ـ مراعاة الأخوة البشرية بين الناس واعتبارها في المعاملات .

---

(١) الفصيح هو لفظ زوج ولذا لم يرد في القرآن بالتاء قط، وتساهل فيه الفقهاء لأجل التفرقة بين الرجل والمرأة ولهذا يقولون : للزوج كذا وللزوجة كذا .

(٢) الاتيان باسم الجلالة هنا ﴿واتقوا الله﴾ بدل اتقوا ربكم من أجل تربية المهابة في نفس السامعين لأنّ المقام مقام تشريع فلابد من إعداد النفوس لقبوله والنهوض به .

(٣) الأرحام : معطوف على اسم الجلالة منصوب أي اتقوا الله أن تعصوه والأرحام أن تقطعوها، وقرىء الأرحام بالجر عطفاً على الضمير في به وهو قبيح إذ لا يعطف على الضمير المجرور إلاّ إذا أعيد حرف الجرّ إلا ما كان من ضرورة الشعر كقول القائل :

فاليوم قرّبت تهجونا وتشتمنا   فاذهب فما بك والأيام من عجب

وعظم القبح لأنّ في ذلك حلف بالرحم والحلف بغير الله حرام .

(٤) الأرحام : اسم لكل الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره، وصلة الرحم واجبة إجماعاً وفي الحديث : «صلي أمك» أمرٌ لأسماء وأمها كانت يومئذ كافرة وقال ﷺ : «من ملك ذا رحم محرم فقد عتق عليه» .

وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ
وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟
مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟
فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟
ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

اليتامى : جمع يتيم ذكراً كان أو أنثى وهو من مات والده وهو غير بالغ الحلم.

ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب : الخبيث الحرام والطيب الحلال والمراد بها هنا الرديء والجيد.

حوباً كبيراً : الحوب الاثم الكبير العظيم.

ان لا تقسطوا(١) : ان لا تعدلوا.

مثنى وثلاث ورباع : أي اثنتين أو ثلاث، أو أربع إذ لا تحل الزيادة على الأربع.(٢)

ادنى ان لاتعولوا : أقرب ان لا تجوروا بترك العدل بين الزوجات.

صدقاتهن نحلة(٣) : جمع صدقة وهي الصداق والمهر، ونحلة بمعنى فريضة واجبة.

هنيئاً : الهنيء: ما يستلذ به عند أكله.

مريئاً : المريء: ما تحسن عاقبته بأن لا يعقب آثاراً سيئة.

(١) روى مسلم عن عائشة في قوله تعالى ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا﴾ إلى ﴿ورباع﴾ قالت لعروة يا بن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا ويبلغوا بهن سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم الحديث.

(٢) استنبط من إباحة أربع أن الزوج عليه أن يبيت مع زوجته ليلة من أربع ولا يجوز التقصير في ذلك إلاّ برضاها.

(٣) وبنو تميم يقولون: صُدقة بضمِّ الصاد والجمع صُدقات، والنحلة بكسر النون وضمها أصلها العطاء يقال نحلهُ كذا أعطاه، فالصداق عطية من الله للمرأة، وما دام عطية الله فهي إذاً فريضة واجبة.

معنى الآيات :

لما أمر تعالى بصلة الأرحام وحرم قطعها في الآية السابقة أمر في هذه الآية أوصياء اليتامى ان يعطوا اليتامى[1] أموالهم إذا هم بلغوا سن الرشد وآنسوا منهم الرشد فقال تعالى وآتوا اليتامى أموالهم. ونهاهم محرماً عليهم أن يستبدلوا أموال اليتامى الجيدة بأموالهم الرديئة فقال تعالى: ولا تتبدلوا الخبيث أي الرديء من أموالكم بالطيب من أموالهم، لما في ذلك من أذية اليتيم في ماله، ونهاهم أيضا أن يأكلوا أموال يتاماهم مخلوطة مع أموالهم لما في ذلك من أكل مال اليتيم بغير حق فقال تعالى: ولا تأكلوا أموالهم[2] إلى أموالكم، وعلل ذلك بأنه إثم عظيم فقال عز وجل: إنه ـ أي الأكل ـ كان حوباً كبيراً. والحوب الإثم. هذا معنى الآية الأولى (٢) ﴿وآتوا اليتامى[3] أموالهم، ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم إنه كان حوباً[4] كبيراً﴾ وأما الآية الثانية (٣) فقد أرشد الله تعالى أولياء اليتيمات ان هم خافوا ان لا يعدلوا معهن[5] إذا تزوج أحدهم وليته أرشدهم الى أن يتزوجوا ما طاب لهم من النساء غير ولياتهم مثنى، وثلاث ورباع[6]. يريد اثنتين اثنتين أو ثلاث ثلاث أو أربع أربع كل بحسب قدرتـه، فهذا خير من الزواج بالولية فيهضم حقها وحقها آكد لقرابتها. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾. وقوله ﴿فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ يريد تعالى وإن خاف المؤمن ألا يعدل بين زوجاته لضعفه فليكتف بواحدة ولا يزد عليها غيرها أو يتسرّى بمملوكته إن كان له مملوكة فإن هذا أقرب الى أن لا يجور المؤمن ويظلم نساءه. هذا معنى قوله تعالى ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة، أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ان لا تعولوا. وفي الآية الرابعة والأخيرة يأمر تعالى المؤمنين بأن يعطوا النساء مهورهن فريضة منه تعالى فرضها على

---

(١) هذا باعتبار ما كانوا عليه أمّا اليوم فليسوا يتامى إذ لا يُتم مع البلوغ.

(٢) قيل إلى هنا بمعنى مع وهو سائغ إلاّ أنها على بابها أولى والتقدير: ولا تأكلوا أموالهم مضافة إلى أموالكم.

(٣) أي اعطوا يقال: آتاه كذا أعطاه إياه والإيتاء مصدر الاعطاء، ويقال لفلان أتو أي عطاء ويقال أتوت الرجل آتوه إتاوة وهي الرشوة، ولايتاء اليتامى أموالهم صورتان الأولى: غذاؤهم وكساؤهم ما داموا تحت الولاية، والثانية: دفع أموالهم إليهم وذلك عند البلوغ والرشد.

(٤) الحوب: الإثم وفيه لغات: الحُوب بضم الحاء، والحوب بفتحها، والحيابة والحاب أيضاً وهو مصدر كالقال من قال قولا وقالاً، ويكون الحُوب بالضم بمعنى الوحشة ومنه قوله ﷺ لأبي أيوب: «إنّ طلاق أم أيوب لحوب» والحوبة الإثم ومنه: اللهم اغفر حوبتي والحوبة الحاجة ومنه: إليك أرفع حوبتي، أي: حاجتي هذا في الدعاء.

(٥) الإجماع على أنّ المراد من قوله تعالى: ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ أن ينكح الرجل اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً على التخيير وليس معناه الجمع بين تسع نساء ومَنْ فعل وهو عالم يُحدّ بالرجم، وإن كان جاهلاً يحد بالجلد.

الرجل لامرأته، فلا يحل له ولا لغيره أن يأخذ منها شيئاً إلا برضىٰ الزوجة فإن هى رضيت فلا حرج فى الأكل من الصداق لقوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئا.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١ـ كل مال حرام فهو خبيث وكل حلال فهو طيب.

٢ـ لا يحل للرجل ان يستبدل جيدا من مال يتيمه بمال رديء من ماله كأن يأخذ شاة سمينة ويعطيه هزيلة أو يأخذ تمراً جيداً ويعطيه رديئاً خسيساً.

٣ـ لا يحل خلط مال اليتيم مع مال الوصي ويؤكلان جميعا لما في ذلك من أكل مال اليتيم ظلما.

٤ـ جواز نكاح أكثر من واحدة إلى أربع مع الأمن من الحيف والجور.

٥ـ وجوب مهور النساء وحرمة الأكل منها بغير طيب نفس صاحبة المهر وسواء في ذلك الزوج وهو المقصود في الآية أو الأب والأقارب.

وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ
قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟
ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟
إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ
غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

شـرح الكلمـات :

لا تؤتـوا[(١)] : لاتعطـوا.

---

(١) في الآية دليل على مشروعية الحجر على السفيه، وسواء كان السفه لصغر أو لخفة عقل أو عدم رشد.

السـفهاء : جمع سفيه وهو من لا يحسن التصرف في المال.

قيـامـاً[1] : القيام: ما يقوم به الشيء فالأموال جعلها الله تعالى قياما أي تقوم عليها معايش الناس ومصالحهم الدنيوية والدينية أيضاً.

قولا معروفـاً : أي قولاً تطيب[2] به نفسه فلا يغضب ولايحزن.

وابتلوا اليتامى : أي اختبروهم كي تعرفوا هل اصبحوا يحسنون التصرف في المال.

بلغوا النكـاح : أي سن الزواج وهي البلوغ.

آنسـتم : أبصرتم الرشد في تصرفاتهم[3].

إسرافاً وبداراً : الإسراف الإنفاق في غير الحاجة الضرورية، والبدار: المبادرة والمسارعة إلى الأكل منه قبل أن ينقل إلى اليتيم بعد رشده.

فليستعفف : أي يعف بمعنى يكف عن الأكل من مال يتيمه.

فليأكل بالمعروف : أي بقدر الحاجة الضرورية.

وكفى بالله حسيبا : شاهداً لقرينة فأشهدوا عليهم.

معنى الآيتين :

مازال السياق الكريم في إرشاد الله تعالى عباده المؤمنين الى ما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا، ونجاتهم وفلاحهم في الآخرة فقال تعالى في الآية الأولى (٥) ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم[4] فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً، فنهاهم تعالى أن يعطوا أموالهم التى هى قوام معاشهم السفهاء من امرأة وولد أو رجل قام به وصف السفه وهو قلة البصيرة بالأمور المالية، والجهل بطرق التصرف الناجحة مخافة أن ينفقوها في غير وجوهها أو يفسدوها بأي نوع من الإفساد، كالإسراف ونحوه، وأمرهم أن يرزقوهم فيها ويكسوهم، وقال فيها ولم يقل منها إشارة الى أن المال ينبغى أن ينمى في تجارة أو صناعة أو

---

(١) قياماً: أصلها قواما فكسر ما قبل الواو فقلبت ألفا قياما وقواما بمعنى واحد والقيام والقوام ما يقيم غيره، فالأموال بها يتقوم المعاش، ولذا قيل: الأموال قوام الأعمال.

(٢) كقوله لولد: مالي إليك صائر، وكأن يدعو لهم: (بارك الله فيكم) أو يقول: هذا مالكم احفظه لكم لتأخذوه يوم ترشدون.

(٣) دفع مال اليتيم إليه يتمّ بشرطين: الرشد والبلوغ فإن وجد أحدهما دون الآخر فلا يتم تسليم المال.

(٤) في هذه الآية دليل على مشروعية الوصاية والولاية والكفالة على الأيتام وبها دليل على وجوب النفقة على الزوجة والأولاد، وفي الصحيح: «أفضل الصدقة ما ترك غنىً، واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول» وهم الزوجة والولد والعبد.

زراعة فيبقى رأس المال والأكل يكون من الربح فقط كما أمرهم ان يقولوا لسفائهم الذين منعوهم المال أن يقولوا لهم قولاً معروفاً كالعدة الحسنة والكلمة الطيبة، هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الثانية (٦) فقد أمرهم تعالى باختبار[1] اليتامى إذا بلغوا سن الرشد أو ناهزوا البلوغ[2] بأن يعطوهم شيئاً من المال ويطلبوا منهم أن يبيعوا أو يشتروا فاذا وجدوا منهم حسن تصرف دفعوا اليهم أموالهم وأشهدوا عليهم، حتى لا يقول أحدهم في يوم من الأيام ما أعطيتني مالى، وكفى بالله حسيبا أي شاهداً ورقيباً حفيظاً. ونهاهم عز وجل أن يأكلوا أموال اليتامى إسرافاً وبداراً أن يكبروا ويريد لا تأكلوا أموال يتاماكم أيها الولاة والأوصياء[3] بطريق الإسراف وهو الانفاق الزائد على قدر الحاجة، والمبادرة هى المسارعة قبل أن يرشد السفيه وينقل إليه المال. ثم أرشدهم الى أقوم الطرق وأسدها في ذلك فقال ومن كان منكم غنيا فليكفّ عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئاً، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف وذلك بان يستقرض منه ثم يرده اليه بعد الميسرة، وإن كان الولى فقيراً جاز له أن يعمل بأجر كسائر العمال، وان كان غنياً فليعمل مجاناً احتساباً وأجره على الله والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ مشروعية الحجر على السفيه لمصلحته.

٢ـ استحباب تنمية الأموال في الأوجه الحلال لقرينة ﴿وارزقوهم فيها﴾.

٣ـ وجوب اختبار السفيه قبل دفع ماله إليه، إذ لا يدفع إليه المال الا بعد وجود الرشد.

٤ـ وجـوب الإشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه ورشده.

٥ـ حرمة أكل مال اليتيم والسفيه مطلقا.

٦ـ الوالى على اليتيم ان كان غنياً فلا يأكل من مال اليتيم شيئاً، وإن كان فقيراً استقرض ورد عند الوجد واليسار، وان كان مال اليتيم يحتاج إلى أجير للعمل فيه جاز للولى ان يعمل بأجرة المثل.

---

(١) هذه الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه، وذلك أنّ رفاعة توفي وترك ابنه وهو صغير فأتى عم ثابت إلى النبي ﷺ فقال: إنّ ابن أخي في حجري فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

(٢) يعرف البلوغ بالاحتلام وانبات شعر العانة أو ببلوغ ثمانية عشر سنة. هذا للغلام، أما الجارية فتزيد بعلامة أخرى هي الحيض والحمل.

(٣) العاجز عن الوصاية لجهل أو عدم قدرته أو ضعف إرادته ينبغي له أن لا يلي مال يتيم أو قاصر لقول الرسول ﷺ لأبي ذر «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرنّ على اثنين ولا تلينّ مال يتيم» رواه مسلم.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا
خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

نصيب : الحظ المقدر[1] في كتاب الله .

الوالدان : الأب والأم .

الأقربون : جمع قريب وهو هنا الوارث بنسب أو مصاهرة أو ولاء .

نصيبا مفروضا : قدراً واجباً لازماً .

أولوا القربى : أصحاب القرابات الذين لا يرثون لبعدهم عن عمودى النسب .

فارزقوهم منه : أعطوهم شيئا يرزقونه .

قولا معروفا : لا إهانة فيه ولا عتاب ، ولا تأفيف .

الخشية : الخوف فى موضع الأمن .

قولا سديداً : عدلا[2] صائبا .

ظلما : بغير حق يخول لهم أكل مال اليتيم .

(١) هذا النصيب الذي أوجبه الله للورثة مجمل وسيأتي تفصيله في آية : ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ الآية .
(٢) القول السديد : هو كقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقّاص ، وقد مرض مرضاً شديداً فعاده رسول الله ﷺ فيه فقال سعد يا رسول الله : إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال : لا . قال فشطره؟ قال : لا . قال : فالثلث؟ قال : الثلث والثلث كثير ثم قال رسول الله ﷺ : إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» .

وسيصلون سعيرا : سيدخلون سعيراً ناراً مستعرة يشوون فيها ويحرقون بها.

معنى الآيـات :

لقد كان أهل الجاهلية لا يُورِّثون النساء ولا الأطفال بحجة أن الطفل كالمرأة لا تركب فرساً ولا تحمل كلاً ولا تنكى عدواً، يَكسِبُ[1] ولا تكسب، وحدث أن امرأة يقال لها أم كُحَّة ماتْ زوجها وترك لها بنتين فمنعهما أخو الهالك من الإرث فشكت ام كحة الى[2] رسول الله ﷺ فنـزلت هذه الآية الكريمة: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان ، والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾ ومن ثم اصبحت المرأة كالطفل الصغير يرثان كالرجال، وقوله تعالى: مما قل منه اى من المال المتروك او كثر حال كون ذلك نصيباً مفروضاً لا بد من اعطائه الوارث ذكراً كان أو أنثى صغيرا أو كبيراً. والمراد من الوالدين الأب والأم، والأقربون[3] كالأبناء والإخوان والبنات والاخوات، والزوج والزوجات هذا ما تضمَّنته[4] الآية الأولى (٧) وأما الآية الثانية (٨) فقد تضمنت فضيلة جميلة غفل عنها المؤمنون وهى أن من البر والصلة والمعـروف إذا هلك هالك، وقدمت تركته للقسمة بين الورثة، وحضر قريب غير وارث لحجبه أو بعده أو حضر يتيم أو مسكين من المعروف ان يعطوا شيئاً من تلك التركة قبل قسمتها وان تعذر العطاء لأن الورثة يتامى أو غير عقلاء يصرف أولئك الراغبون من قريب ويتيم ومسكين بكلمةٍ طيبة كاعتذار جميل تطيب به نفوسهم هذا ما تضمنته الآية الثانية وهى قوله تعالى: ﴿وإذا حضرَ[5] القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ ـ أي من المال ـ المتروك وقولوا لهم قولا معروفا إن تعذر إعطاؤهم لمانع يتم أو عقل. أما الآية الثالثة

---

(١) يكسب أي الرجل ولا تكسب أي المرأة.

(٢) فقال ﷺ: «انصرفا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن» فأنزل الله تعالى هذه الآية ردّاً عليهم وإبطالاً لقولهم وتصرّفهم الجاهلي، إذ المفروض أن الصغير والمرأة أولى بالإرث لحاجتهما وخوفهما.

(٣) لفظ الأقربون مجمل ومن هنا أرسل النبي ﷺ إلى سويد وعرفجة «ألاّ يفرقا من مال أوس شيئا فإن الله جعل لبناته نصيباً ولم يبيّن كم هو حتى أنظر ما ينزل ربّنا فنزلت: ﴿يوصيكم الله﴾ الآية فأرسل إليهما: أن اعطيا أم محة الثُمن مما ترك أوس. ولبناته الثلثين ولكما بقية المال».

(٤) قوله تعالى: ﴿مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾ اختلف أهل العلم في الشيء يتركه المورث وهو لا يقبل القسمة كالدَّار الصغيرة، والجوهرة الواحدة، وما إلى ذلك. فذهب بعض إلى أنه لابد من القسمة، وذهب آخرون ـ وهو الحق إن شاء الله تعالى ـ أنّ مالا يقبل القسمة لفساده يباع ويقسم ثمنه على الورثة ولا شفعة فيه لأنّــه لاتتــأتىّ فيـه الحدود والشفعة فيما يقسم وتـوقـع فيه الحـدود، وهذا ليس كذلك لتعذّر قسمته، ويشهد لهذا الرَأي حديث الدارقطني ونصه: لا تعضية (أي لا تفرقه) على أهل الميراث إلاّ ما حمل القسم فقرر ﷺ أن مالا يقبل القسم لا يجـوز تعضيتـه اي تفريقـه على الورثة لأنه يفسد بالقسمة فتعيّن أن يباع ويقسم ثمنه.

(٥) الجمهور على أن هذه الآية منسوخة بآية ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ الآية وقال ابن عباس إنها محكمة، وعلى أنها غير منسوخة شرحناها في التفسير فليتأمّل.

وهي قوله تعالى: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً﴾ فقد تضمنت إرشاد الله تعالى للمؤمن الذى يحضر مريضا على فراش الموت بأن لا يسمح له ان يحيف في الوصية بأن يوصى لوارث أو يوصى بأكثر من الثلث او يذكر دينا ليس عليه وإنما يريد حرمان الورثة. فقال تعالى آمراً عباده المؤمنين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم أىْ من بعد موتهم، ذرية ضعافاً خافوا عليهم. أي فليخشوا هذه الحال على أولاد غيرهم ممن حضروا وفاته. كما يخشونها على أولادهم. إذاً فعليهم أن يتقوا الله في أولاد غيرهم. وليقولوا لمن حضروا وفاته ووصيته قولا سديداً: صائباً لا حيف فيه ولا جور معه. هذا ما تضمنته الآية الثالثة (٩) أما الآية الرابعة (١٠) فقد تضمنت وعيدا شديداً لمن يأكـل مال اليتيم ظلما إذ قال تعالى فيها: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى[١] ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصْلون[٢] سعيرا﴾. والمراد من الظلم انهم أكلوها بغير حق اباح لهم ذلك كأجرة عمل ونحوه، ومعنى يأكلون في بطونهم ناراً انهم يأكلون النار يوم القيامة فقوله إنما يأكلون في بطونهم ناراً هو باعتبار ما يؤول إليه أمر أكلهم اليوم، والعياذ بالله من نار السعير.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيـات:

١ـ تقرير مبدأ التوارث في الإسلام.

٢ـ استحباب إعطاء من حضر قسمة التركة من قريب أو يتيم ومسكين وإن تعذر إعطاؤهم صُرفوا بالكلمة الطيبة، وفي الحديث الكلمة الطيبة صدقة.

٣ـ وجوب النصح والإرشاد للمحتضر حتى لا يجور في وصيته عند موته.

٤ـ على من يخاف على أطفاله بعد موته أن يحسن الى أطفال غيره فإن الله تعالى يكفيه فيهم.

٥ـ حرمة أكل مال اليتامى ظلمًا، والوعيد الشديد فيه.

---

(١) الآية دليل على أن أكل مال اليتيم بدون حق من كبائر الذنوب بل هو من الموبقات السبع لحديث الصحيح: «اجتنبوا السبع الموبقات. .» وذكر الشرك وعقوق الوالدين والربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

(٢) قرأ أبو حيوة: ﴿وسيصلون﴾ بضم الياء وتشديد اللام من التصلية التي هي كثرة الفعل مرّة بعد أخرى ومنه: ﴿ثمّ الجحيم صلوه﴾ أي مرة بعد مرة وعليه قول الشاعر:

وقد تصليت حرّ حربهم   كما تصلى المقرور من قرتين

يريد أنه اكتوى بنار حربهم مرّة بعد مرّة كما يفعل من به البرد الشديد فإنه يستدفىء مرّة بعد مرّة.

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ
فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ
فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا
ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي
بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ
نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

يوصيكم : يعهد إليكم.

في أولادكم : في شأن أولادكم والولد يطلق على الذكر والأنثى.

حظ : الحظ الحصة أو النصيب.

نساء : بنات كبيرات أو صغيرات.

ثلثا ما ترك : الثلث واحد من ثلاثة، والثلثان اثنان من ثلاثة.

السدس : واحد من ستة.

ان كان له ولد : ذكراً كان أو أنثى، او كان له وَلَدُ وَلَدٍ أيضا ذكراً أو أنثى فالحكم واحد.

فإن كان له اخوة : اثنان فأكثر.

من بعد وصية : أي يَخْرُجُ الدين(١) ثم الوصية ويقسم الباقى على الورثة.

لا تدرون : لا تعلمون.

فريضة(٢) : فرض الله ذلك عليكم فريضة

---

(١) يرى الإمام الشافعي أن من مات وعليه زكاة أو حج الفرض أيخرج ذلك من ماله قبل قسمة التركة وقال مالك إن أوصى به تنفذ وصيته، وإن لم يوص فالمال للورثة وهو أمره إلى الله تعالى.
(٢) الفرائض ست وهي النصف، والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس.

عليما حكيمـا : عليما بخلقه وما يصلح لهم، حكيما في تصرفه في شؤون خلقه وتدبيره لهم.

معنى الآيـة الكريمة :

هذه الآية الكريمة (١١) ﴿يوصيكم[١] الله في أولادكم[٢] للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ الخ والتي بعدها (١٢) وهي قوله تعالى ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾ إلخ نزلت لتفصيل حكم الآية (٧) والتي تضمنت شرعية التوارث بين الأقارب المسلمين، فالآية الأولى (١١) يسن تعـالى فيها توارث الأبناء مع الآباء فقال تعالى ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ أي في شأن أولادكم ﴿للذكر مثل حظ الانثتين﴾ يريد إذا مات الرجل وترك أولاداً ذكورا وإناثا فإن التركة تقسم على أساس أن للذكر مثلَ نصيب الأنثيين فلو ترك ولداً وبنتا وثلاثة دنانير فإن الـولـد يأخـذ دينـارين والبنت تأخـذ دينـارفـا. وإن ترك بنـات اثنين أو أكثـر ولم يترك معهن ذكراً فإن للبنتين فأكثر الثلثين والباقى للعصبة إذ قال تعالى ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾. وإن ترك بنتاً واحدة فإن لها النصف والباقى للعصبة وهو معنى قوله تعالى ﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾، وإن كان الميت قد ترك أبويه أي أمه وأباه وترك أولاداً ذكوراً أو إناثاً فان لكل واحد من أبويه السدس والباقى للأولاد، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد﴾، يريد ذكراً كان أو أنثى[٣]. فإن لم يكن للهالك وُلِدٌ ولاَوَلَدْوَلَدٍ فلأمه الثلث[٤] وان كان له أخوة اثنان فأكثر فلأمه السدس[٥]، هذا معنى قوله تعالى: ﴿فإن كان له اخوة فلأمه السدس﴾. أي تسقط من الثلث[٦] الى السدس وهذا

---

(١) هذه الآية مبينة لما أجمل في آية: ﴿للرجال نصيب..﴾ وتسمى آية المواريث وهي من أعظم الآيات قدراً لأن علم الفرائض يعتبر ثلث العلم لقوله ﷺ في رواية أبي داود وغيره العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة». ومعنى محكمة: غير منسوخة، ومعنى قائمة ثابتة صحيحة، ومعنى عادلة: لم يخرج بها عن مراد الله تعالى منها، وذلك بإعطاء الوارث ما كتب الله له.

(٢) خرج من لفظ الأولاد: الكافر لأنه لا حق له في الإرث لأنّ الكفر مانع وذلك لقول ﷺ: لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» كما خرج ميراث النبي ﷺ لقوله: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

(٣) إن كان الولد خنثى فإنه يُوَرَّث من حيث يبول، إن بال من حيث يبول الرجال يُورَّث إرث الذكر وإن بال من حيث تبول النساء يورَّث ارث النساء، وإن أشكل ذلك يعطى نصف ميراث ذكر ونصف ميراث أنثى على هذا الجمهور.

(٤) هناك ما يُعرف بالثلث الباقي وهو أن تهلك هالكة وتترك زوجها وأبويها. فللزوج النصف والباقي ثلثه للأم والثلثان للأب، قرر هذا ابن عباس وزيد بن ثابت، وقرره كافة الأصحاب وعليه الأئمة، وحتى لا تأخذ المرأة أكثر من الرجل.

(٥) قيل في سرّ حجب الإخوة لأمهم من الثلث إلى السدس أنّ والدهم هوالذي يلي نكاحهم،وهو الذي ينفق عليهم دون أمهم وهو رأي حسن.

(٦) الجدّة ترث السدس ولا ترث الثلث كما ترثه الأمّ إجماعاً.

يسمى بالحجب فحجبها إخوة ابنها الميت من الثلث الى السدس. وقوله تعالى ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ يريد أن قسمة التركة على النحو الذى بين تعالى يكون بعد قضاء دين الميت واخراج ما أوصى به ان كان الثلث فأقل وهو معنى قوله تعالى ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾. وقوله تعالى ﴿آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم أقرب لكم نفعاً﴾ معناه نفذوا هذه الوصية المفروضة كما علمكم الله ولا تحاولوا ان تفضلوا أحداًعلى أحد فإن هؤلاء الوارثين آباؤكم وأبناؤكم ولا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً في الدنيا والآخرة، ولذا فاقسموا التركة كما علمكم بلا محاباة فان الله تعالى هو القاسم والمعطى عليم بخلقه وبما ينفعهم أو يضرهم حكيم في تدبيره لشؤونهم فليفوض الأمر إليه، وليرض بقسمته فإنها قسمة عليم حكيم.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١ـ ان الله تعالى تولى قسمة التركات بنفسه فلا يحل لأحد أن يغير منها شيئاً.

٢ـ الاثنان يعتبران جمعا.

٣ـ ولد الولد(١) حكمه حكم الولد نفسه في الحجب.

٤ـ الأب عاصب فقد يأخذ فرضه مع أصحاب الفرائض وما بقى يرثه بالتعصيب لقوله ﷺ ألحقوا الفرائض بأهلها فما ابقت الفرائض فالأولى رجل ذكر.

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ

---

(١) لفظ الولد يشمل المولود فعلا والجنين في بطن أمه دنياً أو بعيداً، من الذكور أو الإناث على حدٍّ سواء.

مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾

شـرح الكلمـات :

ازواجــكم : الأزواج هنا الزوجات.

ولــــد : المراد هنا بالولد ابن الصلب ذكراً كان أو أنثى وولد الولد مثله.

الربــع : واحد من أربعة.

كَـلاَلَـة[1] : الكلالة أن يهلك هالك ولا يترك ولداً ولا والداً ويرثه إخوته لأمه.

له أخ[2] **أو أخت** : أى من الأم.

غير مضـار : بهما - أي الوصية والدين - احداً من الورثة.

حليـــم : لا يعاجل بالعقوبة على المعصية.

معنى الآية الكريمة :

كانت الآية قبـل هذه في بيان الوراثة بالنسب وجاءت هذه في بيان الوراثة بالمصاهرة والوارثون بالمصاهرة الزوج والزوجات قال تعالى: ولكم نصف ما ترك أزواجكم فمن ماتت وتـركت مالاً ولم تترك وَلَـداً ولا وَلَـدَ ولـدٍ ذكـراً كان أو أنثى فإن لزوجها من تركتها النصف، وإن تركت ولداً او ولد ولد ذكراً كان أو أنثى فإن لزوجها من تركتها الربع لا غير لقول الله تعالى ﴿فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن﴾. وهذا من بعد سداد الدين ان كان على الهالكة دين، وبعد اخراج الوصية إن أوصت الهالكة بشيء، لقوله تعالى ﴿من بعد وصية يوصين

---

(١) من يكلّله النسب إذا أحاط به وبه سمي الإكليل لاحاطته بالرأس وسمي القرابة كلالة لإحاطتهم بالميت من جوانبه وليسوا منه ولا هو منهم.

(٢) أخ: أصله أخو بدليل تثنيته على أخوين نصباً وجراً وأخوان رفعاً.

بها أو دين﴾. هذا ميراث الزوج أما ميراث الزوجة من زوجها فهو الربع إن لم يترك الزوج ولداً ولا ولد ولد ذكراً كان أو أنثى فان ترك ولداًأوولد ولد فللزوجة الثمن، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ولهن الربع مما تركتكم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾. هذا وان كان للزوج الهالك زوجتان أو أكثر فإنهن يشتركن في الربع بالتساوي إن لم يكن للهالك ولد، وان كان له ولد فلهن الثمن يشتركن فيه بالتسـاوى وقـوله تعالى وان كان رجلٌ يورث كلالة أو امرأة اى تورث كلالة أيضاً، والموروث كلالة وهو من ليس له والد ولا ولد، وإنما يرثه إخوته لأمه كما في هذه الآية أو إخوته لأبيه وأمه كما في آية الكلالة في آخر هذه السورة، فإن كان له أخ من أمه فله السدس وكذا إن كانت له أخت فلها السدس، وإن كانوا اثنين فأكثر فلهم الثلث[1] لقوله تعالى: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة، ولَه أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس، فإن كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد[2] وصيّة يُوصى بها او دين غير مضار،[3] بأن يوصى بأكثر من الثلث، أو يقر بدين وليس عليه دين وانما حسدا للورثة أو بغضا لهم لا غير، فإن تبين ذلك فلا تنفذ الوصية ولا يسدد الدين وتقسم التركة كلها على الورثة، وقوله تعالى: وصّية من الله أى وصاكم أيها المؤمنون بهذا وصيّة فهى جديرة بالاحترام والامتثال. والله عليم بنياتكم وأحـوالكم ومـا يضركم وما ينفعكم فسلموا له قسمته واطيعوه فيها وهو حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا يغركم حلمه ان بطشه شديد وعذابه أليم.

هداية الآية

من هداية الآيـة :

١ـ بيان ميراث الزوج من زوجته، والزوجة والزوجات من زوجهن.

٢ـ بيان ميراث الكلالة وهو من لايترك والداً ولا ولداً فيرثه إخوته[4] فقط يحوطون به إحاطة

---

(١) وهنا ما يعرف بالحجرية أو الحمارية أو المشتركة وهي أن تموت امرأة وتترك زوجها وأمها وإخوة لأمها وأخاً لأبيها وأمها، فللزوج النصف وللأم السدس والباقي للإخوة لأم، ولا شيء للأخ لأب أو لهما معاً. وسميت بالحمارية، لأنهم لمّا منعوا قالوا للقاضي بينهم: هب أبانا حماراً أليست أمنا واحدة، وقالوا: هب أبانا حجراً أليست أمنا واحدة وطالبوا بتشريكهم في الإرث فسميت المشتركة.

(٢) ذكرت الوصية قبل الدَّين والإجماع على تقديم الدَّين على الوصية لحكم رسول الله ﷺ بذلك وقيل في السرّ في ذلك أن تقديم الوصية في اللفظ كان بسبب أنه لا يوجد من يطالب بها فقد تنسى، وأمّا الدَّين فأهله يطالبون به فلا ينسى ولا يترك.

(٣) مضارّ: اسم فاعل أي مضارر فأدغمت الراء في الراء فصارت مضارّ. أي حال كون الموصي غير مريد الإضرار بالورثة.

(٤) أي لأمه ولهذا خالف اخوة الأم الورثة في ثلاث مسائل: الأولى أنهم يرثون مع من يدلون به وهو أمهم والثانية إن ذكورهم وإناثهم في الميراث سواء والثالة أنهم لا يرثون إلاّ إذا كان ميتهم يورث كلالة.

الإكليل بالرأس فلذا سُمِيّت الكلالة .
٣ـ إهمال الوصيّة أو الدين ان علم إن الغرض منها الإضرار بالورثة فقط .
٤ـ عظم شأن المواريث فيجب معرفة ذلك وتنفيذه كما وصى الله تعالى .

تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

شـرح الكلمـات :

تلك حدودُ[1] الله : تلك اسم إشـارة أشـير به الى سائر ما تقدم من أحكام النكاح وكفالة اليتامى وتحريم أكل مال اليتيم ، وقسمة التركات . وحدود الله هى ما حده لنا وبينه من طاعته وحرم علينا الخروج عنه والتعدى له .

الفوز العظيم : هو النجاة من النار ودخول الجنة .

العذاب المهين : ما كان فيه اهانة للمعذب بالتقريع والتوبيخ ونحو ذلك .

معـنى الآيـتين :

لما بين تعالى ما شاء من احكام الشرع وحدود الدين أشار الى ذلك بقوله : تلك[2] حدود الله قد بينتها لكم وأمرتكم بالتزامها ، ومن يطع الله ورسوله فيها وفى غيرها من الشرائع والأحكام فجزاؤه أنه يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ، أنهار العسل واللبن والخمر والماء ، وهذا هو الفوز العظيم حيث نجاه من النار وأدخله الجنة يخلد فيها أبدا . ومن يعص الله تعالى ورسوله بتعد تلك الحدود وغيرها من الشرائع والأحكام ومات على ذلك فجزاؤه أن

(١) الحدود جمع حد وهو ظرف مكان يميزّ عن مكان آخر يمنع تجاوزه هذا هو الحد لغة وشرعاً : ما منع الله تجاوزه مما أحل إلى ما حرّم ، فأحكام الشرع هي حدوده .
(٢) يرى بعضهم أنّ الإشارة لأقرب مذكور وهو قسمة المواريث ، وما فسرنا به أولى لأنّه أعم يشمل كل ما تقدّم من أحكام الشريعة .

يدخله ناراً يخلد فيها[1] وله عذاب مهين. والعياذ بالله من عذابه وشر عقابه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ بيان حرمة تعدي حدود الله تعالى.

٢ـ بيان ثواب طاعة الله ورسوله وهو الخلود فى الجنة.

٣ـ بيان جزاء معصية الله ورسوله وهو الخلود فى[2] النار والعذاب المهين فيها.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ
عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي
ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا
(١٥) وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا
وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا
(١٦) إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا (١٧) وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا (١٨)

---

(١) إن أريد بالعصيان هنا الكفر فالخلود على بابه، وإن أريد به الكبائر فالخلود مستعار لمدّة ما كقولنا خلد الله ملكك وكقول زهير: ولا أرى خالداً إلاّ الجبال الرّواسيا.

(٢) هذا الخلود لمن كانت معصيته مكفرة له أمّا من لم يكفر بمعصيته فإنه لا يخلد في النار بل يخرج منها بإيمانه كما بيّنت ذلك السنة الصحيحة.

شــرح الكلمـات :

اللاتـى[1] : جمع التى اسم موصول للمؤنث المفرد واللاتى للجمع المؤنث.

الفاحشـة[2] : المراد بها هنا الزنى .

من نسائكم : المحصــنات[3]

ســبيلا : طريقا للخروج من سجن البيوت .

يأتيانهــا : الضمير عائد إلى الفاحشة المتقدم ذكرها.

فأعرضوا عنهما : اتركوا أذيتهما بعد أن ظهرت توبتهما.

التــوبـة : أصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على فعل القبيح .

السـوء : كل ما أساء إلى النفس والمراد به هنا السيئات .

بجهالـة : لا مع العمد والإصرار وعدم المبالاة.

اعتدنــا : أعددنا وهيأنا.

أليــما : موجعاً شديد الإيجاع .

معنى الآيــات :

لما ذكـر تعالى بحدوده وذكر جزاء متعديها، ذكر هنا معصية من معاصيه وهى فاحشة الزنى ، ووضع لها حداً وهى الحبس فى البيوت حتى الموت او الى ان ينزل حكما آخر يخرجهن من الحبس وهذا بالنسبة الى المحصنات. فقال تعالى ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهـدوا عليهن اربعـة منكم[4]﴾ أى من المسلمـين يشهـدون بأن فلانـة زنت بفـلان

(١) ومثل اللاتي: اللائي وجمع اللاتي: اللواتي وجمع اللائي اللوائي.

(٢) سمي الزنا فاحشة: لأنه تجاوز الحد في الفساد، إذ به يفسد الخلق والعِرض والنسب والدين والمجتمع وكفى بهذا فساداً عظيماً.

(٣) النساء: اسم جمع واحده من غير لفظه «امرأة» والمحصنات جمع محصنة وهي التي تزوجت زواجاً شرعياً، وسواء بقيت عليه أو تأيمت بموت أو طلاق.

(٤) منكم: أي من المسلمين إذ لابد من أربعة شهود من المسلمين يشهدون بأنهم رأوا الفرج في الفرج مثل الميل في المكحلة لحديث أبي داود عن جابر قال: «جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا فقال رسول الله ﷺ ائتوني بأعلم رجل منكم فأتوه بابني صوريا فنشدهما كيف تجدان أمر هذين في التوراة قالا نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما، قال: فما يمنعكما أن ترجموهما؟ قالا: ذهب سلطاننا فكرهنا القتل، فدعا الرسول ﷺ الشهود فحضروا وشهدوا فأمر برجمهما فرجما».

فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن[1] الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . أما غير المحصنات وهن الأبكـار فقـد قال تعـالى فى شأنهن ، واللذان يأتيانها منكم فآذوهـا أى بالضرب الخفيف والتقريع والعتاب ، مع الحبس للنساء أما الرجال فلا يحبسون وانما يكتفى بأذاهم الى ان يتـوبوا ويصلحوا فحينئذ يعفى عنهم ويكف عن أذيتهم هذا معنى قوله تعالى ﴿واللذان[2] يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما﴾ .

ولم يمض على هذين الحدين الا القليل من الزمن حتى أنجز الرحمن ما وعد وجعل لهن سبيلاً فقد صح أنه ﷺ كان جالساً بين أصحابه حتى أنزل الله تعالى عليه الحكم النهائى فى جريمة الزنى فقال ﷺ : خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام . والمراد من الثيب بالثيب اى إذا زنى ثيب بثيب وكذا البكر بالبكر . وبهذا اوقف الحد الأول فى النساء والرجال معاً ومضى الثانى أما جلد البكريـن فقد نزل فيه آية النور: ﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ ، وأما رجم المحصنين فقد مضت فيه السنة فقد رجم ماعز ، والغامدية بأمر رسول الله ﷺ وهو حد قائم الى يوم القيامة . هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٥) والثانية (١٦) وأما الآيتان بعدهما وهما (١٧) (١٨) فقد أخبر تعالى أن الذين يستحقون التوبة وثبتت لهم من الله تعالى هم المذنبون الذين يرتكبون المعصية بسبب جهالة منهم ، ثم يتوبون من قريب لا يسوفون التوبة ولا يؤخرونها أما الذين يجترحون السيآت مع علم منهم وإصرار ، ولا يتوبون إثر غشيان الذنب فلا توبة تضمن لهم فقد يموتون بلا توبة شأنهم شأن الذين يعملون السيئآت ولا يتوبون حتى إذا مرض احدهم وظهرت عليه علامات الموت وأيقن انه ميت لا محالة قال انه تائب كشأن الكافرين اذا تابوا عند معاينة[3] الموت فلا تقبل

---

(١) يتوفاهن : يتقاضاهن ، يقال توفى فلان حقه من فلان بمعنى استوفاه أي أخذه كاملا لم يبق منه شيئاً ولمّا كان العمر أيّاماً تمر يوماً بعد يوم حتى ينقضي العمر ويموت الإنسان قيل في الموت الوفاة ويقال توفى فلان لأنّ أيامه أخذت يوماً فيوماً حتى انقضت على طريقة تسديد الدّين جزءاً فجزءاً حتى كمل قال الشاعر:

إذ ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيى لا يملّ التقاضيا

(٢) المراد من هذاأنّ الإمساك للمرأة الزانية دون الرجل لأن الرجل يعمل فلا يحبس فلذا غلب جانب النساء في قوله ﴿واللاتي يأتين الفاحشة . .﴾ وغلّب الرجل على المرأة في قوله : ﴿واللّذان يأتيانها منكم﴾ لأن الأذى صالح للمرأة والرجل معاً وهو عبارة عن السبّ والجفاء والتوبيخ باللّسان لاغير.

(٣) وعليه فقوله تعالى : ﴿ولا الذين يموتون وهم كفّار﴾ ليس على ظاهره ، وإنّما معاه يشرفون على الموت ومن أشرف على الموت ، وحضره فحكمه حكم من مات وهو سائغ في اللّغة .

منهم توبة أبداً. هذا معنى الآيتين الكريمتين الأولى ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم﴾ أي يقبل توبتهم لأنه عليم بضعف عباده حكيم يضع كل شيء في موضعه اللائق به ومن ذلك قبول توبة من عصوه بجهالة لا بعناد ومكابرة وتحد، ثم تابوا من قريب لم يطيلوا مدة[1] المعاصي والثانية ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾، كما هي ليست للذين يعيشون على الكفر فإذا جاء أحدهم الموت قال تبت كفرعون فإنه لما عاين الموت بالغرق قال آمنت انه لا إله الا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فرد الله تعالى عليه: ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾. وقوله تعالى ﴿أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما﴾ إشارة الى كل من مات على غير توبة بارتكابه كبائر الذنوب، أو بكفر وشرك، الا أن المؤمن الموحد يخرج من النار بإيمانه، والكافر يخلد فيها. نعوذ بالله من النار وحال أهلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ عظم قبح فاحشة الزنى.

٢ـ بيان حد الزنى قبل نسخه بآية سورة النور، وحكم الرسول ﷺ فى رجم المحصن والمحصنة.

٣ـ التوبة التى تفضل الله بها هي ما كان صاحبها أتى ما أتى من الذنوب بجهالة لا بعلم وإصرار ثم تاب من قريب زمن.

٤ـ الذين يسوفون التوبة ويؤخرونها يخشى عليهم أن لا يتوبوا حتى يدركهم الموت وهم على ذلك فيكونون من أهل النار، وقد يتوب أحدهم، لكن بندرة وقلة وتقبل توبته اذا لم يعاين امارات الموت لقول الرسول ﷺ «ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» رواه الترمذى وأحمد وغيرهما واسناده حسن.

٥ـ لا تقبل توبة من حشرجت نفسه وظهرت عليه علامات الموت، وكذا الكافر من باب أولى لا تقبل له توبة بالإيمان اذا عاين علامات الموت كما لم تقبل توبة فرعون.

(١) لأنّ سنة الله تعالى أنّ المرء إذا ادمن على معصية بطول فعلها يشربها قلبه فتحسن في نظره وتجمل في طبعه، فلا يقوى على تركها، وليس أدلّ على ذلك من فاحشة اللواط، فهي من أقبح الفواحش ومع هذا مَنْ زينت له لا يقدر على تركها.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ
مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾
وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

كرهـــا : بدون رضاهن.

العضـــل : المنع بشدة كأنه امساك بالعضلات أو من العضلات.

ببعض ما آتيتموهن : أى من المهور.

الفاحشـــة : الخصلة القبيحة الشديدة القبح كالزنى.

مبيّنـــة[1] : ظاهرة واضحة ليست مجرد تهمة أو مقالة سوء.

المـــعروف[2] : ما عرفه الشرع واجبا أو مندوبا أو مباحا.

قنطـــارا : اى من الذهب أو الفضة مهرا وصداقا.

---

(١) قرئت مبيَّنة بفتح الياء وقرئت بكسرها مبيِّنة وقرأ ابن عباس مبينة بكسر الباء اسم فاعل من أبان يبين فهو مبين وهي مبينة والمعنى واحد.

(٢) من المعاشرة بالمعروف: أن لا يعبِّس في وجهها بغير ذنب وأن يكون منطلقاً في القول، لا فظاً ولا غليظاً، ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها.

بهتانا وإثـما : أى كذبا وافتراء، واثما حراما لا شك فى حرمته لأنه ظلم.

افضى بعضكم الى بعض : اى خلص الزوج الى عورة زوجته والزوجة كذلك.

ميثاقا غليظاً : هو العقد وقول الزوج: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

معنى الآيـات :

تضمنت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾[1] ابطال ما كان شائعا بين الناس قبل الاسلام من الظلم اللاحق بالنساء فقد كان الرجل إذا مات والده على زوجته ورثها أكبر اولاده من غيرها فان شاء زوجها وأخذ مهرها وان شاء استبقاها حتى تعطيه ما يطلب منها من مال فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها﴾، فبطل ذلك الحكم الجاهلى بهذه الآية الكريمة وأصبحت المرأة إذا مات زوجها اعتدت فى بيت زوجها فاذا انقضت عدتها ذهبت حيث شاءت ولها مالها وما ورثته من زوجهـا أيضا وقوله تعالى: ﴿ولا تعضلوهن[2] لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفـاحشـة مبيّنـة﴾. فهذا حكم آخر وهو أنه يحرم على الزوج إذا كره[3] زوجته أن يضايقها ويضارها حتى تفتدى منه ببعض مهرها، اذ من معانى العضل المضايقة والمضارة، هذا ما لم ترتكب الزوجة فاحشة الزنى، او تترفع عن الزوج وتتمرد عليه وتبخسه حقه فى الطاعة والمعاشرة بالمعروف أما إن أتت بفاحشة مبينة لاشك فيها او نشزت نشوزاً بينا فحيئنذ للزوج أن يضايقها حتى تفتدى منه بمهرها او بأكثر حتى يطلقها، وذلك لقوله تعالى: ﴿إلا ان يأتين بفاحشة مبينة﴾، ثم أمر تعالى عباده المؤمنين بمعاشرة الزوجات بالمعروف وهو العدل والاحسان، فقال: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾، وان فرض ان أحدا منكم كره زوجته وهى لم تأت بفاحشة مبينة فليصبر عليها ولا يطلقها فلعل الله تعالى يجعل فى بقائها فى عصمته خيراً كثيرا له نتيجة الصبر عليها وتقوى الله تعالى فيها وفى غيرها، فقد يرزق منها ولدا ينفعه، وقد يذهب من نفسه ذلك الكره ويحل محله الحب والمودة. والمراد أن الله تعالى ارشد المؤمن

---

(١) روى البخاري في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاء زوّجوها وإن لم يشاؤوا لم يزوّجوها فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم. . .﴾ الخ.

(٢) جائز أن يكون فعل ﴿وتعضلوهن﴾ في محل نصب على تقدير ولا أن تعضلوهن، كما هي قراءة ابن مسعود وجائز أن يكون في محل جزم على أنّ لا: ناهية.

(٣) كرها لدمامة أو سوء خلق أو سلاطة لسان فليصبر على ذلك فإنّ الرسول ﷺ قال: « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر» رواه مسلم.

ان كره زوجته ان يصبر ولا يطلق لما فى ذلك من العاقبة الحسنة، لأن الطلاق بغير موجب غير صالح ولا مرغوب للشارع وكم من أمر يكرهه العبد ويصبر عليه فيجعل الله تعالى فيه الخير الكثير. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٩) أما الآيتان بعدها فقد تضمنتا: تحريم أخذ شىء من مهر المرأة إذا طلقها الزوج لا لاتيانها بفاحشة ولا لنشوزها، ولكن لرغبة منه فى طلاقها ليتزوج غيرها فى هذه الحال لا يحل له أن يضارها لتفتدى منه بشىء ولو قل، ولو كان قد أمهرها قنطاراً فلا يحل أن يأخذ منه فلسا فضلا عن دينار أو درهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً[1] فلا تأخذوا منه شيئا﴾، أتأخذونه بهتاناً أى ظلما بغير حق وكذباً وافتراء وإثما مبينا أى ذنبا عظيما، ثم قال تعالى منكراً على من يفعل ذلك: وكيف تأخذونه أى بأى وجه يحل لكم ذلك، والحال أنه قد افضى[2] بعضم إلى بعض أى بالجماع، اذ ما استحل الزوج فرجها الا بذلك المهر فكيف اذا يسترده أو شيئا منه بهتانا وإثما مبينا، فقال تعالى: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض﴾؟ وقوله تعالى وأخذن منكم ميثاقا غليظا يعنى عقد النكاح فهو عهد مؤكد يقول الزوج نكحتها على مبدأ: إمساك بمعروف أو تسريح باحسان، فأين التسريح بإحسان إذا كان يضايقها حتى تتنازل له عن مهرها أو عن شيء منه، هذا ما أنكره تعالى بقوله وكيف تأخذونه إذ هو استفهام إنكارى.[3]

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ إبطال قانون الجاهلية القائم على ان ابن الزوج يرث امرأة أبيه.

٢ـ حرمة العضل من أجل الافتداء بالمهر وغيره.

٣ـ الترغيب فى الصبر.

---

(١) روى أصحاب السنن وصححه الترمذي أن عمر بن الخطاب كان يخطب فقال ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت يا عمر: أيعطينا الله وتحرمنا، أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا﴾؟ قال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

(٢) اختلف في الإفضاء الذي يجب به المهر قال عمر: إن أغلق باباً وأرخى ستراً ورأى عورة فقد وجب الصداق وعليها العدّة ولها الميراث وهو قول فصل، أمّا الإفضاء الذي تحل به المطلقة ثلاثاً فلابد من الوطء لحديث: «حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» والإفضاء في هذه الآية الجماع أيضاً قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) نعم إنكاري وفيه معنى التعجب أيضاً لأنه أمر مستنكر ومتعجب منه لفظاعته وخروجه عن اللّياقة والأدب.

٤ـ جواز أخذ الفدية من الزوجة بالمهر أو أكثر أو أقل إن هى أتت بفاحشة ظاهرة لا شك فيها كالزنى أو النشوز.

٥ـ جواز غلاء المهر فقد يبلغ القنطار (١) غير أن التيسير فيه أكثر بركة.

٦ـ وجوب مراعاة العهود والوفاء بها.

وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ
مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم : لا تتزوجوا امرأة الأب أو الجد.

إلا ما قد سلف : إلا ما قد مضى قبل هذا التحريم.

---

(١) لا خلاف في أنّ أكثر الصداق لا حدّ له وإنّما الخلاف في أقله، والذي عليه أكثر أهل العلم أنّه لا يقل عن ربع دينار أو ما يعادله دراهم قياساً على ما تقطع فيه يد السارق، لأنّ الفرج محرّم كاليد.

إنه كان فاحشـة : أي زواج نساء الآباء فاحشة شديدة القبح .

مقتــا[1] : ممقوتاً مبغوضا للشارع ولكل ذى فطرة سليمة .

وساء سـبيلا : أي قبح نكاح أزواج الآباء طريقا يسلك .

أمهاتكــم : جمع[2] أم فالأم محرمة ومثلها الجدة وإن علت .

وربائبـــكم : الربائب جمع ربيبة هى بنت الزوجة .

وحلائل ابنائكم : الحلائل[3] جمع حليلة وهى امرأة الابن من الصلب .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم فى بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالارث والنكاح وعشرة النساء . وفي هاتين الآيتين ذكر تعالى محرمات النكاح من النسب، والرضاع والمصاهرة فبدأ بتحريم امرأة الأب وان علا فقال: ﴿ولا تنكحوا[4] ما نكح آباؤكم﴾، ولم يقل من ليشمل التحريم منكوحة الأب والطريقة التى كانت متبعة عندهم فى الجاهلية . ولذا قال الا ما قد سلف فى الجاهلية فانه معفو عنه بالاسلام بعد التخلى عنه وعدم المقام عليه، وبهذه اللفظ حرمت امرأة الأب والجد على الابن وابن الابن ولو لم يدخل بها الأب ثم ذكر محرمات النسب فذكر الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الأخ، وبنات الأخت فهؤلاء سبع محرمـات من النسب[5] قال تعـالى: ﴿حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت﴾ ثم ذكر المحرمات بالرضاع فقال ﴿وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وإخـواتكم من الـرضـاعة﴾ فمن رضع من امرأة خمس[6] رضعات وهو فى سن الحولين تحرم عليه ويحرم عليه امهاتها وبناتها واخواتها وكذا بنات زوجها واخواته وامهاته حتى

---

(١) سئل ابن الأعرابي عن نكاح المقت فقال هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه، إذا طلقها أو مات عنها ويقال لمن تزوّج أمرأة أبيه: الضيزن.

(٢) الصواب جمع أمّهة، إذ الأم تجمع على أمات وقلّ من يقول به، والآية نصّ في تحريم كل انثى لها على الرجل ولادة فتدخل الأم فيه وأمّها وجدّاتها.

(٣) سميت امرأة الابن حليلة لأنها تحلّ معه حيث حلّ فهي فعيلة بمعنى فاعلة، وقيل سميت حليلة لأنها محلّلة له.

(٤) روي أن أبا قيس توفى وكان من صالحي الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت له: إنّي أعُدّك ولداً ولكني آتي رسول الله ﷺ فأستأمره فأتته فأخبرته فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء..﴾.

(٥) وحرّم بالسنة المتواترة الجمع بين المرأة وعمتها. والمرأة وخالتها.

(٦) خالف مالك رحمه الله تعالى ومَنْ وافقه فقالوا: لا فرق بين قليل الرضاع وكثيره، إذا وصل اللّبن إلى الأمعاء ولو مصّة واحدة مع أنّ الرسول ﷺ قال: «لا تحرم المصة ولا المصتان» رواه مسلم.

قيل يحرم[1] من الـرضاعة ما يحرم من النسب، ثم ذكر تعالى المحرمات بالمصاهرة فقال: وامهات نسائكم فأم امرأة الرجل محرمة عليه بمجرد ان يعقد على بنتها تصبح أمها حراما. وقال وربائبكم التى فى حجوركم فالربيبة هى بنت الزوجة اذا نكح الرجل امرأة وبنى بها لا يحل له الزواج من ابنتها أما إذا عقد فقط ولم يبن فان البنت تحل له لقوله: من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم أى لا إثم ولا حرج.[2]

ومن المحرمات بالمصاهرة امرأة الابن بنى بها ام لم يبن لقوله تعالى: وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم أى ليس ابناً بالتبنى، اما الإبن من الرضاع فزوجته كزوجة الابن من الصلب، لأن اللبن الذى تغذى به هو السبب فكان اذاً كالولد للصلب، ومن المحرمات بالمصـاهرة أيضا أخت الزوجة فمن تزوج امرأة لا يحل له أن يتزوج أختها حتى تموت او يفارقها وتنتهى عدتها لقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف فى الجاهلية فانه عفو بشرط عدم الإقامة عليه.

هداية الآيتين

من هداية الآيـتين :

١ـ تحريم مناكح الجاهلية الا ما وافق الإسلام منها، وخاصة أزواج الآباء فزوجة الأب محرمة على الابن ولو لم يدخل بها الأب وطلقها او مات عنها.

٢ـ بيان المحرمات من النسب وهن سبع الأمهات والبنات والاخوات، والعمات والخالات وبنات الأخ وبنت الأخت.

٣ـ بيان المحرمات من الرضاع وهن المحرمات من النسب فالرضيع يحرم عليه[3] امه المرضع له وبناتها وأخواتها وعماته وخالاته، وبنات أخيه وبنات أخته.

٤ـ بيان المحرمات من المصاهرة وهن سبع أيضا: زوجة الأب بنى بها أو لم يبن، أم امرأته بنى بابنتها أو لم يبن، وبنت امرأته وهى الربيبة اذا دخل بأمها، وامرأة الولد من الصلب

---

(١) القائل هو الرسول ﷺ والحديث متفق عليه.

(٢) ولحديث الصحيحين: «إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها دخل بالبنت أو لم يدخل، وإذا تزوّج الأم فلم يدخل بها ثم طلقها فإن شاء تزوج البنت».

(٣) هذا إذا كان الرضاع في الحولين أمّا بعدهما فلا يحرم إجماعاً.

بنى بها الولد أو لم يبن[1]، وكذا ابنه من الرضاع[2]، وأخت امرأته ما دامت اختها تحته لم يفارقها بطلاق أو وفاة. والمحصنات[3] من النساء أى المتزوجات قبل طلاقهن أو وفاة أزواجهن وانقضاء عددهن.

---

(١) حكى القرطبي الإجماع على أنّ الرجل إذا وطيء امرأة بنكاح فاسد أنها تحرم على أبيه وعلى ابنه وعلى أجداده وأحفاده.
(٢) فى عد المحصنات من المحرمات بالصهر تجوزاً.
(٣) لحديث: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» وهو دليل الجمهور على أنّ امرأة الابن من الرضاع تحرم كما تحرم امرأة الابن من الصلب.

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟
بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ
مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا (٢٤) وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ
ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ
بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ
ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
(٢٥) ﴾

شرح الكلمات :

المحصنات	: جمع محصنة [1] والمراد بها هنا المتزوجة .
إلا ما ملكت أيمانكم	: المملوكة بالسبي والشراء ونحوهما .
ما وراء ذلكم	: أي ما عداه أي ما عدا ما حرم عليكم .
غير مسافحين	: المسافح : الزاني ، لأن السفاح هو الزنى .

---

(١) وسميت المتزوجة محصنة : لأن الرجل أي الزوج قد أحصنها أي حفظها باستقلاله بها عن غيره

أجورهن فريضة : مهورهن نحلة .
طولاً [1] : سعة وقدرة على المهر.
المحصنات : العفيفات .
أجورهن : مهورهن .
ولا متخذات أخدان : الخدين الخليل الذي يفجر بالمرأة سراً تحت شعار الصداقة .
فإذا أحصن : بأن أسلمن أو تزوجن إذ الإحصان يكون بهما .
العنت : العنت الضرر في الدين والبدن .

معنى الآيتين :

مازال السياق في بيان ما يحرم من النكاح ومايجوز ففي الآية الأولى (٢٤) عطف تعالى على المحرمات في المصاهرة المرأة المتزوجة فقال ﴿والمحصنات﴾ أي ذوات الأزواج فلا يحل نكاحهن إلا بعد مفارقة الزوج بطلاق أو وفاة، وبعد انقضاء العدة أيضاً واستثنى تعالى من المتزوجات المملوكة باليمين وهي المرأة تسبى في الحرب الشرعية وهي الجهاد في سبيل الله فهذه من الجائز أن يكون زوجها لم يمت في الحرب وبما أن صلتها قد انقطعت بدارالحرب وبزوجها و أهلها وأصبحت مملوكة أذن الله تعالى رحمة بها في نكاحها ممن ملكها من المؤمنين . ولـذا ورد أن الآية نزلت في سبايا أوطاس وهي وقعة كانت بعد موقعة حنين فسبى فيها المسلمون النساء و الذراري ، فتحرّج المؤمنون في غشيان أولئك النسوة ومنهن المتزوجات فأذن لهم في غشيانهنّ بعد أن تسلم إحداهن وتستبرأ بحيضة ، أما قبل إسلامها فلا تحل لأنها مشركة ، هذا معنى قوله تعالى ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ وقوله : ﴿كتاب الله عليكم﴾ يريد ما حرمه تعالى من المناكح قد كتبه على المسلمين كتاباً وفرضه فرضاً لايجوز إهماله أو التهاون به. فكتابَ الله منصوب على المصدرية.[2]
وقوله تعالى : ﴿ وأحل[3] لكم ماوراء ذلكم[4] ﴾ أي ما بعد الذي حرمه من المحرمات بالنسب

---

(١) الطَّول : مصدر طال يطول طولاً بمعنى قدر على التناول من بُعدٍ ولذا فُسِّر بالقدرة على المهر.
(٢) ويجوز الرفع نحو هذا كتاب الله وفرضه.
(٣) قرىء أحل بالبناء للمفعول وأحلَّ للبناء للفاعل.
(٤) لابد من مراعاة ما حرّم بالسنة وهو الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، ولا التفات إلى مذهب الخوارج إذ يبيحون ذلك كما يبيحون الجمع بين الاختين، وعلّة المنع هي : أنّ الجمع يسبب قطيعة الرحم.

وبالرضاع وبالمصاهرة على شرط أن لايزيد المرء على أربع كما هو ظاهر قوله تعالى في أول السورة ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾: وقوله تعالى ﴿ أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ﴾ أي لا حرج عليكم أن تطلبوا بأموالكم من النساء غير ما حرّم عليكم فتتزوجوا ماطاب لكم حال كونكم محصنين غير مسافحين، وذلك بأن يتم النكاح بشروطه من الولي والصداق والصيغة والشهود، إذ أن نكاحاً يتم بغير هذه الشروط فهو السفاح أي الزنى وقوله تعالى ﴿ فما استمتعتم[1] به منهن فآتـوهن أجـورهن فريضة ﴾ يريد تعالى: أيما رجل تزوج امرأة فأفضى إليها أي وطئها إلا وجب لها المهر كاملاً، أما التي لم يتم الاستمتاع بها بأن طلقها قبل البناء فليس لها إلا نصف المهر المسمى، وإن لم يكن قد سمى لها فليس لها إلا المتعة، فالمراد من قوله ﴿فما استمتعتم به منهن[2]﴾ أي بنيتم بهن ودخلتم عليهن. وقوله تعالى: ﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ يريد إذا أعطى الرجل زوجته ما استحل به فرجها وهو المهر كاملاً فليس عليهما بعد ذلك من حرج في أن تسقط المرأة من مهرها لزوجها، أو تؤجله أو تهبه كله له أو بعضه إذ ذاك لها وهي صاحبته كما تقدم ﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ [النساء / ٤]

وقوله تعالى: ﴿ إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ المراد منه إفهام المؤمنين بأن الله تعالى عليم بأحوالهم حكيم في تشريعه لهم فليأخذوا بشرعه ورخصه وعزائمه فإنه مراعى فيه الرحمة والعدل، ولنعم تشريع يقوم على أساس الرحمة والعدل.

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٤) أما الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً . . .[3] ﴾ فقد تضمنت بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين إذ رخص لمن لم يستطع نكاح الحرائر لقلة ذات يده، مع خوفه العنت الذي هو الضرر في دينه بالزنى، أو في بدنه

---

(١) استدل الروافض بهذه الآية: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ الخ على جواز نكاح المتعة وهو استدلال فاسد وباطل ويكفي في بطلانه إجماع أهل السنة والجماعة على بطلانه وأنه زنىً إلاّ أنه لا يقام على صاحبه حدّ الرجم للشبهة والرسول ﷺ يقول: «ادرأوا الحدود بالشبهات» ونكاح المتعة رخص فيه الرسول ﷺ مرّة ثم أعلن عن حرمته، أعلن ذلك في حجة الوداع ليعلم كل إنسان ذلك، ومن الأدلة على حرمة المتعة، أنّ المتمتع بها لا ترث والزوجة الشرعية ترث الربع والثمن.

(٢) الاستمتاع: التلذذ والأجور: هي المهور، وسمي المهر أجراً لأنه أجر الاستمتاع وهذا دليل على أنه في مقابلة البُضع، إذ كل ما يقابل المنفعة يسمى أجراً.

(٣) اختلف في تحديد معنى الطّول، وأرجح الأقوال أنه سعة المال، وعليه فلا يباح نكاح الأمة إلاّ بشرطين: عدم السعة في المال، وخوف العنت، فلا يصح نكاح الأمة إلاّ باجتماعهما، ومن كانت تحته حرّة لايجوز أن ينكح عليها أمة، لأنّ الحرّة تدفع العنت عنه، وحكي الإجماع على أنّ من كانت لهُ أمة لايحل له أن يتزوجها بل يطأها بملك اليمين وذلك لتعارض حق الملك مع حق الزوجية.

بإقامة الحد عليه رخص له أن يتزوج المملوكة بشرط أن تكون مؤمنة، وأن يتزوجها بإذن[1] مالكها وأن يؤتيها صداقها وأن يتم ذلك على مبدأ الإحصان الذي هو الزواج بشروطه لا السفاح، الذي هو الزنى العلني المشار إليه بكلمة ﴿غير مسافحات﴾، ولا الخفيّ المشار إليه بكلمة ﴿ولا متخذات أخدان﴾ أي أخلاء هذا معنى قوله تعالى ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾ أي قدرة مالية أن ينكح المحصنات أي العفائف من ﴿فتياتكم المؤمنات﴾ أي من إمائكم المؤمنات لا الكافرات بحسب الظاهر أما الباطن فعلمه إلى الله ولذا قال: ﴿ والله أعلم بإيمانكم ﴾ وقوله ﴿بعضكم من بعض﴾ فيه تطييب لنفس المؤمن إذا تزوج للضرورة الأمـة فإن الإيمان أذهب الفوارق بين المؤمنين وقوله: ﴿ فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ﴾ فيه بيان للشروط التي لا بد منها وقد ذكرناها آنفاً.

وقوله تعالى: ﴿فإذا أحصن﴾ ـ أي الإماء ـ بالزواج وبالإسلام ﴿ فإن أتين بفاحشة ﴾ أي زنـين فعليهن حد هو نصف ما على المحصنات من العذاب وهو جلد خمسين جلدة وتغريب ستة أشهر، لأن الحرة إن زنت[2] وهي بكر تجلد مائة وتغرب سنة. أما الرجم والذي هو الموت فإنه لاينصف فلذا فهم المؤمنون في تنصيف العذاب أنه الجلد لا الرجم وهو إجماع لاخلاف فيه وقوله: ﴿ ذلك لمن خشي العنت منكم ﴾ يريد أبحت لكم ذلك لمن خاف على نفسـه الـزنى إذا لم يقـدر على الـزواج من الحـرة لفقـره واحتياجـه وقوله تعالى: ﴿ وأن تصـبروا. . . . . ﴾ أي على العـزوبيَّة خير لكم من نكـاح الإمـاء. وقوله ﴿ والله غفور رحيم ﴾ أي غفـور للتـائبـين رحيم بالمؤمنين ولذا رخَّص لهم في نكاح الإماء عند خوف العنت، وأرشدهم إلى ماهو خير منه وهو الصبر[3] فلله الحمد وله المِنَّة.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ ـ تحريم المرأة المتزوجة حتى يفارقها زوجها بطلاق أو موت وحتى تنقضي عدتها.

---

(١) وأجمعوا على أنّه لا يجوز للمملوك أن يتزوج بغير إذن سيده، وإن تزوّج فسخ زواجه وهل عليه الحدّ؟ خلاف.

(٢) دليل حد الأمة إن زنت قوله ﷺ: (إذا زنت أمة أحدكم فليحدها الحد).

وقال علي في خطبته أيها الناس: أقيموا على أرقائكم الحدّ من أحصن منهن ومن لم يحصن الحديث رواه مسلم.

(٣) قال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت أو قال فساد البيت)

٢ ـ جواز نكاح المملوكة باليمين وإن كان زوجها حيّاً في دار الحرب إذا أسلمت، لأن الإسلام فصل بينهما.

٣ ـ وجوب المهور، وجواز إعطاء المرأة من مهرها لزوجها شيئاً.

٤ ـ جواز التزوج من المملوكات لمن خاف العنت وهو عادم للقدرة على الزواج من الحرائر.

٥ ـ وجوب إقامة الحد على من زنت من الإماء إن احصنّ بالزواج والإسلام.

٦ ـ الصبر على العزوبة خير من[1] الزواج بالإماء لإرشاد الله تعالى إلى ذلك.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

شرح الكلمات:

يريد الله ليبين لكم[2] : يريد الله أن يبيّن لكم بما حرم عليكم وأحل لكم مايكملكم ويسعدكم في دنياكم وأخراكم.

سنن الذين من قبلكم[3] : طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء والصالحين لتنهجوا نهجهم فتطهروا وتكملوا وتفلحوا مثلهم.

ويتوب عليكم : يرجع بكم عما كنتم عليه من ضلال الجاهلية إلى هداية الإسلام.

الذين يتبعون الشهوات[4] : من اليهود والنصارى والمجوس والزناة.

(١) يشهد لذلك قول عمر رضي الله عنه: أيما رجل تزوج أمة فقد أرق نصفه يعني يصير ولده رقيقا فالصبر على عدم التزوج بالإماء أفضل لكي لا يرق الولد.

(٢) الأصل يريد أن يُبيِّن لكم فحذفت أن ودخلت اللام على الفعل والتقدير يريد الله البيان لكم والهدى والتوبة فاللام إذن لتوكيد معنى الفعل ومثلها في قوله ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ في آية وفي آية أخرى ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾ قال النحاس سمى بعضهم هذه اللام لام (أن).

(٣) فيكون معنى هذه الآية كما في قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً﴾.

(٤) أي تغلبهم شهواتهم على مخالفة شرع الله لعباده من أمور الدين التي عليها مدار سعادة الإسنان وكماله.

أن تميلوا ميلاً عظيمًا : تحيدوا عن طريق الطهـر والصفـاء إلى طريق الخبث والكـدر بارتكاب المحرمات من المناكح وغيرها فتبتعدوا عن الرشد بعداً عظيمًا.

وخلق الإنسان ضعيفاً : لا يصبر عن النساء، فلذا رخّص تعالى لهم في الزواج من الفتيات.

معنى الآيات:

لما حرم تعالى ما حرم من المناكح وأباح ما أباح منها علل لذلك بقوله ﴿يريد الله﴾[1] أي بما شرع ليبيّن ما هو نافع لكم مما هو ضار بكم فتأخذوا النافع وتتركوا الضار، كما يريد أن يهديكم طرائق الصـالحـين من قبلكم من أنبياء ومؤمنين صالحين لتسلكوها فتكلموا وتسعدوا في الحياتين، كما يريد بما بين لكم أن ﴿يتوب عليكم﴾ أي يرجع بكم من ضلال الجاهلية إلى هداية الإسلام فتعيشوا على الطهر والصلاح، وهو تعالى عليم بما ينفعكم ويضركم حكيم في تدبيره لكم فاشكروه بلزوم طاعته، والبعد عن معصيته.

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٦) أما الآية الثانية (٢٧) فقد تضمنت الإخبار بأن الله تعالى يريد بما بيّنه من الحلال والحرام في المناكح وغيرها أن يرجع بالمؤمنين من حياة الخبث والفسـاد التي كانوا يعيشونها قبل الإسلام إلى حياة الطهر والصلاح في ظل تشريع عادل رحيم. وأنَّ الذين يتّبعون الشهوات من الزناة واليهود والنصارى وسائر المنحرفين عن سنن الهدى فإنهم يريدون من المؤمنين أن ينحرفوا مثلهم فينغمسوا في الملاذ والشهوات البهيمية حتى يصبحوا مثلهم لا فضل لهم عليهم، وحينئذ لا حق لهم في قيادتهم أو هدايتهم.

هذا معنى الآية الثانية أما الثالثة (٢٨) فقد أخبر تعالى أنه بإباحته للمؤمنين العاجزين عن نكاح الحرائر نكاح الفتيات المؤمنات يريد بذلك التخفيف والتيسير[2] عن المؤمنين رحمة بهم وشفقة عليهم لما يعلم تعالى من ضعف الإنسان وعدم صبره عن النساء بما غرز فيه من غريزة

---

(١) سيقت هذه الآية تذييلا لما سبقها لغرض استئناس المسلمين واستنزال نفوسهم إلى امتثال أوامر الله تعالى المتقدمة في أوّل السورة وهي أحكام النكاح والإرث والمعاشرة.

(٢) شاهده الكتاب في قوله تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ومن السنة قوله ﷺ: «إنّ هذا الدين يسر ولن يشادّ هذا الدين أحد إلّا غلبه» وقوله لمعاذ وأبي موسى: «يسرا ولا تعسرا» وبذا كان التيسير من أصول الشريعة الإسلامية، ويشهد لهذا وجود الرخص في مسائل الدين.

الميل إلى أنثاه لحفظ النوع ولحكم عالية وقال تعالى: ﴿ يريد الله أن يخفف[1] عنكم وخُلِقَ الإنسان ضعيفاً[2] ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ منّة الله تعالى علينا في تعليله الأحكام لنا لتطمئن نفوسنا ويأتي العمل بانشراح صدر وطيب خاطر.

٢ ـ منة الله تعالى على المؤمنين بهدايتهم إلى طرق الصالحين وسبيل المفلحين ممن كانوا قبلهم.

٣ ـ منته تعالى في تطهير المؤمنين من الأخباث وضلال الجاهليات.

٤ـ الكشف عن نفسية الإنسان، إذ الزناة يرغبون في كون الناس كلهم زناه والمنحرفون يودون أن ينحرف الناس مثلهم، وهكذا كل منغمس في خبث أو شر أو فساد يود أن يكون كل الناس مثله، كما أن الطاهر الصالح يود أن يطهر ويصلح كل الناس.

٥ ـ ضعف الإنسان أمام غرائزه لا سيما غريزة الجنس.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا
وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

---

(١) أي في جميع الأحكام وبخاصة في نكاح الإماء لما علم من ضعف الإنسان في أمر النساء.

(٢) معنى ضعيفا: أنّ هواه يستميله وشهوته وغضبه يستخفانه، وهذا أشد الضعف ولذا احتاج إلى التخفيف فخفف الله عنه. والحمد لله.

شــرح الكلمـات:

آمنوا : صدقوا الله والرسول.

بالباطل : بغير حق يبيح أكلها.

تجـارة[1] : بيعاً وشراءً فيحل لصاحب البضاعة أن يأخذ النقود ويحل لصاحب النقود أخذ البضاعة، إذاً لا باطل.

تقتلوا أنفسكم : أي تزهقوا أرواح بعضكم بعضاً.

عدواناً وظلماً : اعتداء يكون فيه ظالماً.

نصليه ناراً : ندخله نار جهنم يحترق فيها.

معنى الآيتين:

مازال السياق في بيان ما يحل وما يحرم من الأموال والأعراض والأنفس ففي هذه الآية (٢٩) ينادي الله تعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان فيقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وينهاهم عن أكل أموالهم بينهم بالباطل بالسرقة أو الغش أو القمار أو الربا وما إلى ذلك من وجوه التحريم[2] العديدة فيقول: ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾، أي بغير عوض مباح، أو طيب نفس، ثم يستثنى ما كان حاصـلا عن تجارة قائمة على مبدأ التراضي بين البيعين لحديث «إنما البيع عن تراض» و«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» فقال تعالى: ﴿ إلا أن تكون تجارة عن تراض[3] منكم ﴾ فلا بأس بأكله فإنه حلال لكم. هذا ماتضمنته هذه الآية كما قد تضمنت حرمة قتل المؤمنين لبعضهم بعضاً فقال تعالى: ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ والنهي شامل لقتل الإنسان نفسه وقتله أخاه المسلم لأن المسلمين كجسم واحد فالذي يقتل مسلماً منهم كأنما قتل نفسه. وعلل تعالى هذا التحريم لنا فقال إن الله كان بكم رحيماً، فلذا حرّم عليكم قتل بعضكم بعضاً.

---

(١) كل معاوضة في مباح فهي تجارة حتى إنّ الله تعالى سمى ثمن طاعته وطاعة رسوله تجارة في قوله تعالى ﴿هل أدلكم على تجارة. . .﴾ الآية.

(٢) كبيع العربون بأن يقول لأخيه خذ هذه العشرة دنانير إن أتيتك بالسلعة وإلاّ فهي لك، هذا بيع باطل لأنه لاحق له في أخذ العربون، إن عجز أخوه في تقديم السلعة له.

(٣) لم يختلف في بيع الخيار وذلك بأن يقول المسلم لأخيه بعني كذا أو بعتك كذا أو اعطني مهلة يوم أو يومين أفكر فيها، فهذا البيع جائز إن تم وإن لم يتم واختلف في معنى قول الرسول ﷺ «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا» هل التفرق بالأبدان أو بالكلام والصحيح أنه بالأبدان فلكلّ منهما الفسخ والإمضاء ما داما في المجلس فإن تفرقا مضى البيع.

هذا ماتضمنتـه الآية الأولى (٢٩) أما الآية الثانية (٣٠) فقد تضمنت وعيداً شديداً بالإصلاء بالنار والإحراق فيها كل من يقتل مؤمناً عدواناً وظلماً أي بالعمد[(١)] والإصرار والظلم المحض، فقال تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي القتل ﴿عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً، وكان ذلك﴾ أي الإصلاء والاحراق في النار ﴿على الله يسيراً﴾ لكمال قدرته تعالى فالمتوعد بهذا العذاب إذا لا يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه بحال من الأحوال.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ ـ حرمة مال المسلم، وكل مال حرام وسواء حازه بسرقة أو غش أو قمار أو ربا.

٢ ـ إباحة التجارة والترغيب[(٢)] فيها والرد على جهلة المتصوفة الذين يمنعون الكسب بحجة التوكل.

٣ ـ تقرير مبدأ «إنما البيع عن تراض، والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا».

٤ ـ حرمة قتل المسلم نفسه أو غيره من المسلمين لأنهم أمة واحدة.

٥ ـ الوعيد الشديد لقاتل النفس[(٣)] عدواناً وظلماً بالإصلاء بالنار.

٦ ـ إن كان القتل غير عدوان بأن كان خطأً، أو كان غير ظلم بأن كان عمداً ولكن بحق كقتل من قتل والده أو ابنه أو أخاه فلا يستوجب هذا الوعيد الشديد.

إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

شـرح الكلمـات:

أن تجتنبوا : تتبعدوا لأن الاجتناب ترك الشيء عن جنب بعيداً عنه لايقبل عليه ولا يقربه.

---

(١) أي لم يكن سهواً منه ولا خطأً وهو معنى ﴿عدوانا﴾ ولا بحق كقصاص وهو معنى ﴿ظلما﴾.

(٢) يكفي في الرد عليهم ثناء الرسول ﷺ على التاجر الأمين في قوله: «التاجر الصدوق الأمين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة» إلاّ أنّه يحرم على التاجر أن يروّج سلعته بالأيمان الكاذبة، كما يكره له أن يصلي على النبي عند عرض سلعته كقوله: صلى الله على محمد ما أجود هذا كما يكره له أن تشغله التجارة عن صلاة الجماعة.

(٣) ورد الوعيد الشديد في قاتل نفسه من ذلك قوله ﷺ: «من قتل نفسه بشيء عذّب به يوم القيامة» رواه الجماعة. وقوله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلّدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بسم، فسمه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً، ومن تردّى من جبل فقتل نفسه فهو مترد في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً».

كبائر ماتنهون عنه : الكبائر: ضد الصغائر، والكبيرة تعرف بالحد لا بالعد فالكبيرة ماتوعد الله ورسوله عليها، أو لعن الله ورسوله فاعلها أو شرع لها حدّ يقام على صاحبها، وقد جاء في الحديث الصحيح بيان العديد من الكبائر، وعلى المؤمن أن يعلم ذلك ليجتنبه.

نكــــفر : نغطي ونستر فلا نطالب بها ولا نؤاخذ عليها.

مدخلاً كريمًا : المدخل الكريم هنا: الجنة دار المتقين.

معنىٰ الآية الكريمة:

يتفضل الجبار جل جلاله وعظم إنعامه وسلطانه فيمن على المؤمنين من هذه الأمة المسلمة بأن وعدها وعد الصدق بأن من اجتنب منها كبائر الذنوب كفر عنه صغائرها وأدخله الجنة دار السلام وخلع عليه حلل الرضوان فقال تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾[1] ما أنهاكم عنه أنا ورسولي ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ التي هي دون الكبائر[2] وهي الصغائر، ﴿وندخلكم مدخلاً كريمًا﴾ الذي هو الجنة ولله الحمد والمنة. لهذا كانت هذه الآية من مبشرات القرآن لهذه الأمة.

هداية الآيــة:

من هداية الآية:

١ ـ وجوب الابتعاد عن سائر الكبائر، والصبر على ذلك حتى الموت.

٢ ـ الذنوب قسمان كبائر وصغائر ولذا وجب العلم بها لاجتناب كبائرها وصغائرها ما أمكن ذلك، ومن زل فليتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.[3]

٣ ـ الجنــة لا يدخلها إلا ذوو النفوس الزكية الطاهرة باجتنابهم المدنسات لها من كبائر الذنوب والآثام والفواحش.[4]

---

(١) اجتناب الكبائر إن كان المراد به كبائر الذنوب فلابد من ضميمة أداء الفرائض فإن اجتناب الكبائر مع تضييع الفرائض غير مجدٍ، وإن أريد باجتناب الكبائر تحاشي ترك الفرائض والاحتماء من فعل الكبائر فذاك، ويشهد لهذا حديث الصحيح: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

(٢) اختلف في تحديد الكبيرة وفي عددها أمّا العدد فقد قيل لابن عباس الكبائر سبع؟ قال: هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع وقد ورد النص في بعضها كحديث مسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات» فعد منها ستاً وفي أحاديث صحاح أخرى ذكر عدداً آخر، والذي عليه أهل العلم أنها لا تُعد ولكن تحدّ كما في التفسير، وأمّا الصغيرة فهي نسبية فالنظرة إلى اللّمسة صغيرة، واللّمسة إلى القبلة صغيرة وهكذا.

(٣) شاهده في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: غير أنّه لا كبيرة مع استغفار،ولا صغيرة مع إصرار بعد قوله هي إلى السبعمائة أقرب

(٤) أهل الكبائر الذين ماتوا يزاولونها ولم يغفر لهم ويشفع لهم فإنهم يطهّرون وتزكوا نفوسهم بعذاب النار ثمّ يغسلون أيضا في نهر عند باب الجنة، يقال له نهر الحيوان، فيدخلون الجنة بنفوس زكية، وأرواح طاهرة نقيّة.

وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ
وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ
وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

شـــرح الكلمـات:

ولا تتمنوا : التمني: التشهي والرغبة في حصول الشيء، وأداته: ليت، ولو، فإن كان مع زوال المرغوب فيه عن شخص ليحصل للمتمني فهو الحسد.

ما فضل الله بعضكم : أي مافضل الله به أحداً منكم فأعطاه علمًا أو مالاً أو جاهاً أو سلطاناً.

نصيب مما اكتسبوا : أي حصة وحظ من الثواب والعقاب بحسب الطاعة والمعصية.

موالي : الموالي من يلون التركة ويرثون الميت من أقارب.

عقدت إيمانكم : أي حالفتموهم وتآخيتم معهم مؤكدين ذلك بالمصافحة واليمين.

فآتوهم نصيبهم : من الرفادة والوصيّة والنصرة لأنهم ليسوا ورثة.

معنى الآيتين:

صح أو لم يصح أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال فإن الله سميع عليم، والذين يتمنون[1] حسداً وغير حسد ما أكثرهم ومن هنا نهى

---

(١) التمني: نوع إرادة يتعلق بالمستقبل، وعلى خلافه التلهف لأنه يتعلق بالماضي، وسرّ النهي عنه أنّ فيه تعلق البال بالمتمنى ونسيان الأجل، ولذا حرم التمني الذي هو الحسد، وهو نوعان: تمني زوال النعمة عن غيره لتحصل له، وتمنى زوال النعمة عن غيره ولو لم تحصل له وهو شرّ الحسد، وهل الغبطة من الحسد؟ والجواب لا والغبطة هي أن يرى العبد نعمة علم أو مال لأحد فيغتبط ويسأل الله تعالى أن يكون له ذلك العلم ليعلمه ويعمل به، أو يكون له ذلك المال ليتصدق به فهذه الغبطة محمودة لحديث البخاري: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل أتاه الله مالا فلسطه على هلكته في الحق فيقول الرجل لو أنّ لي مثل ما لفلان لعملت مثله فهما في الأجر سواء».

الله تعالى في هذه الآية الكريمة (٣٢) عباده المؤمنين عن تمني ما فضل الله تعالى به بعضهم على بعض فأعطى هذا وحرم ذاك لحكم اقتضت ذلك، ومن أظهرها الابتلاء بالشكر والصبر، فقال تعالى: ﴿ولاتتمنوا ما فضل الله به﴾ ـ من علم أو مال. أو صحة أو جاه أو سلطان ـ ﴿بعضكم على بعض﴾ وأخبر تعالى أن سنته في الثواب والعقاب الكسب والعمل فليعمل من أراد الأجر والمثوبة بموجبات ذلك من الإيمان والعمل الصالح، ولا يتمنى ذلك تمنياً، وليكف عن الشرك والمعاصي من خاف العذاب والحرمان ولا يتمنى النجاة تمنياً كما على من أراد المال والجاه فليعمل له بسننه المنوطة به ولا يتمنى فقط فإن التمنى كما قيل بضائع النوكىٰ أي الحمقى، فلذا قال تعالى ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾، فرد القضية إلى سنته فيها وهي كسب الإنسان. كقوله تعالى: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ثم بين تعالى سنة أخرى في الحصول على المرغوب وهي دعاء الله تعالى فقال ﴿ واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليما ﴾ فمن سأل ربّـه وألـح[(١)] عليه موقناً بالاجابة أعطاه فيوفقه للإتيان بالأسباب، ويصرف عنه الموانع، ويعطيه بغير سبب إن شاء، وهو على كل شىء قدير، بل ومن الأسباب المشروعة الدعاء والإخلاص فيه.

هذا ماتضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (٣٣) فإن الله تعالى يخبر مقرراً حكمًا شرعياً[(٢)] قد تقدم في السياق وهو أن لكل من الرجال والنساء ورثة يرثونه إذا مات فقال ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ أي أقارب يرثونه إذا مات، وذلك من النساء والرجال أما الذين هم موالي بالحلف أو الإخاء فقط أي ليسوا من أولي الأرحام فالواجب إعطاؤهم نصيبهم من النصرة والرفادة. والوصية لهم بشىء إذ لاحظ لهم في الإرث لقوله تعالى: ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ ، ولما كان توزيع المال وقسمته تتشوق له النفوس وقد يقع فيه حيف أو ظلم أخبر تعالى أنه على كل شىء شهيد فلا يخفى عليه من أمر الناس شىء فليتق ولا يُعص.

---

(١) لحديث الترمذي وغيره قال ﷺ: «سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج» أي من الله تعالى وهو تعلق القلب بالربّ تعالى.

(٢) هذه الآية ناسخة لكل من الإرث بالتحالف والمؤاخاة وهي كقوله تعالى: ﴿وأولوا الأراحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ وأمّـا التحـالف وهو المقصود بقوله تعالى ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ فقد كان الرجل في الجاهلية يقول لمن أراد محالفته: دمي، دمك، وهدمي هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك، وسلمي سلمك وترثني وأرثك، وأمّا المؤاخاة فقد كانت بين المهـاجرين والأنصار بأمر رسول الله ﷺ فتوارثوا بها حتى نسخت بهذه الآية وآية الأنفال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾.

فقال: ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ لا يخفى عليه من أمركم شيء فاتقوه وأطيعوه ولا تعصوه.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ - قبح التمني وترك العمل.

٢ - حرمة الحسـد.

٣ - فضل الدعاء وأنه من الأسباب التي يحصل بها المراد.

٤ - تقرير مبدأ التوارث في الإسلام.

٥ - من عاقد أحداً على حلف أو آخى أحداً وجب عليه أن يعطيه حق النصرة والمساعدة وله أن يوصي له بما دون الثلث[1]، أما الإرث فلا حق له لنسخ ذلك.

٦ - وجوب مراقبة الله تعالى، لأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء شهيد.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

---

(١) يدخل في هذا المتبني فإن لمن تبنّاه بمعنى ربّاه أن يوصي له بما دون الثلث أمّا أن ينسبه إليه فلا لأنه محرّم بالكتاب والسنة

شــرح الكلمـات:

قوامون : جمع قوام[1]: وهو من يقوم على الشيء رعاية وحماية وإصلاحاً.

بما فضل الله بعضهم : بأن جعل الرجل أكمل في عقله ودينه وبدنه فصلح للقوامة.

وبما أنفقوا من أموالهم[2] : وهذا عامل آخر مما ثبتت به القوامة للرجال على النساء فإن الرجل بدفعه المهر وبقيامه بالنفقة على المرأة كان أحق بالقوامة التي هي الرئاسة.

الصالحات[3] : جمع صالحة: وهي المؤدية لحقوق الله تعالى وحقوق زوجها.

قانتات : مطيعات لله ولأزواجهن.

حافظات للغيب : حافظات لفروجهن وأموال أزواجهن.

نشوزهن : النشوز: الترفع عن الزوج وعدم طاعته.

فعظوهن : بالترغيب في الطاعة والتنفير من المعصية.

فلا تبغوا عليهن سبيلاً : أي لا تطلبوا لهن طريقاً تتوصلون به إلى ضربهن بعد أن أطعنكم.

شقاق بينهما : الشقاق: المنازعة والخصومة حتى يصبح كل واحد في شق مقابل.

حكمًا : الحكم: الحاكم، والمحكم في القضايا للنظر والحكم فيها.

معنى الآيتين:

يروى في سبب نزول هذه الآية أن سعد[4] بن الربيع رضي الله عنه أغضبته امرأته فلطمها فشكاه وليها إلى رسول الله ﷺ كأنه يريدالقصاص فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم ﴾. فقال وليّ المرأة أردنا أمراً وأراد الله غيره، وما أراده الله خير. ورضي بحكم الله تعالى وهو أن الرجل

---

(١) قوّام ومثله قيّام وقيّوم وقيّم كلها بمعنى واحد مشتقة من القيام، لأن من شأن مَنْ يهتم بالشيء وتدبيره أن يقف عليه ويقوم
(٢) أخذ من هذه الجملة الفقهاء أنّ من عجز عن النفقة كان للزوجة فسخ النكاح لانعدام القوامة لها التي بها استحق الرجل العصمة، وخالف أبو حنيفة فلم يَرَ الطلاق بالاعسار.
(٣) أثنى رسول الله ﷺ على هؤلاء الصالحات بقوله: «خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿حافظات للغيب..﴾.
(٤) ذكر في سبب نزولها عدّة أسباب، وما ذكرناه أولى بالصحة والقبول.

مادام قواماً على المرأة يرعاها ويربيها ويصلحها بما أوتي من عقل أكمل من عقلها، وعلم أغزر من علمها غالباً وبُعد نظر في مبادىء الأمور ونهاياتها أبعد من نظرها يضاف إلى ذلك أنه دفع مهراً لم تدفعه، والتزم بنفقات لم تلتزم هي بشيء منها فلما وجبت له الرئاسة عليها وهي رئاسة شرعية كان له الحق أن يضربها بما لا يشين جارحة أو يكسر عضواً فيكون ضربه لها كضرب المؤدب لمن يؤدبه ويربيه وبعد تقرير هذا السلطان للزوج على زوجته أمر الله تعالى بإكرام المرأة والإحسان إليها والرفق بها لضعفها وأثنى عليها فقال: ﴿فالصَّالحاتُ﴾ ، وهن: اللائي يؤدين حقـوق الله تعـالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وحقوق أزواجهن من الطاعة والتقدير والاحترام ﴿قَانِتَات ﴾ : أي مطيعات لله تعالى، وللزوج، ﴿حافِظاتٌ للغَيْب﴾ أي حافظاتٌ مالَ الزوج وعرضه لحديث ؛ «وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»[(١)] ﴿بما حَفِظَ الله﴾ أي بحفظ الله تعالى لها وإعانته لها إذ لو وكلت إلى نفسها لاتستطيع حفظ شيء وإنْ قَل. وفي سياق الكلام مايشير إلى محذوف يفهم ضمناً وذلك أن الثناء عليهن من قبل الله تعالى يستوجب من الرجل إكرام المرأة الصالحة والإحسان إليها والرفق بها لضعفها، وهذا ما ذكرته أولاً نبهت عليه هنا ليعلم أنه من دلالة الآية الكريمة، وقد ذكره غير واحد من السلف.

وقوله تعالى: ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم، فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾. فإنه تعالى يرشد الأزواج إلى كيفية علاج الزوجة إذا نشزت أي ترفعت على زوجها ولم تؤدي إليه حقوقه الواجبة له بمقتضى العقد بينهما، فيقـول ﴿والـلائي تخـافـون نشـوزهن﴾ أي ترفُعهن بمـا ظهر لكم من علامات ودلائل كأن يأمرها فلا تطيع ويدعوها فلا تجيب وينهاها فلا تنتهي، فاسلكوا معهن السبيل الآتي: ﴿فعظوهن﴾ أولاً، والوعظ تذكيرها بما للزوج عليها من حق يجب أداؤه، ومايترتب على إضاعته من سخط الله تعـالى وعـذابـه، وبما قد ينجم من إهمالها في ضربها أو طلاقها فالوعظ ترغيب بأجر الصالحات القانتات، وترهيب من عقوبة المفسدات العاصيات فإن نفع الوعظ فيها وإلا فالثانية وهي أن يهجرها[(٢)] الزوج في الفراش فلا يكلمها وهو نائم معها على فراش واحد وقد

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي، وقد تقدم في النهر آنفاً وهو حديث صحيح.

(٢) هذا الهجر في الفراش شهر فلا يزيد عليه كما فعل النبي ﷺ حين أسر إلى حفصة فافشته لعائشة، ولا يكون كالإيلاء أربعة أشهر.

أعطاها ظهره فلا يكلمها ولا يجامعها وليصبر على ذلك حتى تؤوب إلى طاعته وطاعة الله ربهما معاً وإن أصرت ولم يجد معها الهجران في الفراش، فالثالثة وهي أن يضربها[1] ضرباً غير مبرح لايشين جارحة ولا يكسر[2] عضواً. وأخيراً فإن هي أطاعت زوجها فلا يحل بعد ذلك أن يطلب الزوج طريقاً إلى أذيّتها لا بضرب ولا بهجران لقوله تعالى: ﴿ فإن أطعنكم ﴾ أي الأزواج ﴿ فلا تبغـوا ﴾ أي تطلبـوا ﴿ عليهن سبيلاً ﴾ لأذيتهنّ باختلاق الأسباب وإيجاد العلل والمبررات لأذيتهنّ. وقوله تعالى: ﴿ إن الله كان علياً كبيراً ﴾ تذييل للكلام بما يشعر من أراد أن يعلو[3] على غيره بما أوتي من قدرة بأن الله أعلى منه وأكبر فليخش الله وليترك من علوه وكبريائه.

هذا ما تضمنتـه هذه الآية العظيمة (٣٤) أما الآية الثانية (٣٥) فقد تضمنت حكماً جتماعياً آخر وهو إن حصل شقاق بين زوج وامرأته فأصبح الرجل في شق والمرأة في شق آخر فلا تلاقي بينهما ولا وفاق ولا وئام وذلك لصعوبة الحال فالطريق إلى حل هذا المشكل ما أرشد الله تعالى إليه، وهو أن يبعث ولي الزوجة حكماً من قبله، ويبعث ولي الزوج حكماً من قبله، أو يبعث الـزوج نفسه حكماً وتبعث الزوجة أيضا حكما من قبلها ، أو يبعث القـاضي كذلك الكل جائز لقوله تعالى: ﴿فابعثوا﴾ وهو يخاطب المسلمين على شرط أن يكـون الحكم عدلا عالماً بصـيرا حتى يمكنه الحكم والقضاء بالعدل. فيدرس الحكمان القضية أولا مع طرفي النزاع ويتعرفان إلى أسباب الشقاق وبما في نفس الزوجين من رضى وحب، وكراهية وسخط ثم يجتمعان على اصلاح ذات البين فإن أمكن ذلك فيها وإلا فرقا بينهما برضا الزوجين. مع العلم أنهما إذا ثبت لهما ظلم أحدهما فإن عليهما أن يطالبا برفع الظلم فإن كان الزوج هو الظالم فليرفع ظلمه وليؤد ما وجب عليه، وإن كانت المرأة هي الظالمة فإنها ترفع ظلمها أو تفدي نفسها بمال فيخالعها به زوجها هذا معنى قوله تعالى ﴿وإن

---

(١) لم يصرح الله تعالى بالضرب في كتابه إلاّ في الحدود وهنا في ضرب الناشز، وهذا دليل على أنّ عصيان الزوجة لزوجها حرام ويشهد لهذا حديث: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح» رواه مسلم.

(٢) لحديث مسلم في خطبة حجة الوداع إذ فيه: ﴿واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾.

(٣) روى أبو داود والنسائي وابن ماجه أنّه لمّا قال الرسول ﷺ: « لا تضربوا إماء الله فجاء عمر وقال يا رسول الله ذئرت النساء على أزواجهن فرخص ﷺ في ضربهن فأطاف بآل رسول الله نساء كثير يشتكين أزواجهن فقال رسول الله ﷺ: «لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ليس أولائك بخياركم» ومعنى: ذئرت النساء: أي نشزت وتغير خلقهن، أو نشزن واجترأن والاجتراء هنا أولى بالمعنى.

خفتم شقاق بينهما﴾، والخوف هنا بمعنى التوقع الأكيد بما ظهر من علامات ولاح من دلائل فيعالج الموقف قبل التأزم الشديد ﴿فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها﴾، لأنهما أعرف بحال الزوجين من غيرهما وقوله تعالى ﴿إن يريدا إصلاحاً﴾ فإنه يعني الحكمين، ﴿يوفق الله بينهما﴾ أي إن كان قصدهما الإصلاح والجمع بين الزوجين وإزالة الشقاق والخلاف بينهما فإن الله تعالى يعينهما على مهمتها ويبارك في مسعاهما ويكلله بالنجاح. وقوله تعالى: ﴿إن الله كان عليما خبيرا﴾. ذكر تعليلاً لما واعد به تعالى من التوفيق بين الحكمين، إذ لو لم يكن عليمًا خبيراً ما عرف نيات الحكمين وما يجرى في صدورهما من إرادة الإصلاح أو الإفساد.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ تقرير مبدأ القيومية للرجال على النساء وبخاصة الزوج على زوجته.

٢ ـ وجوب إكرام الصالحات والإحسان إليهن.

٣ ـ بيان علاج مشكلة نشوز(١) الزوجة وذلك بوعظها أولاً ثم هجرانها في الفراش ثانيا، ثم بضربها ثالثا.

٤ ـ لا يحل اختلاق الأسباب وإيجاد مبررات لأذية المرأة بضرب وبغيره.

٥ ـ مشروعية التحكيم في الشقاق بين الزوجين وبيان ذلك.

۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ
ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ

---

(١) النشوز: العصيان، مأخوذ من النشز وهو ما ارتفع من الأرض، ويقال نشز الرجل ينشز إذا كان قاعدا فنهض قائما ومنه قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا﴾ أي ارتفعوا وقوموا، فنشوز المرأة ترفعها عن طاعة الزوج.

ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾
وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟
مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

شـــرح الكلمـات

اعبدوا الله[1] : الخطاب للمؤمنين ومعنى اعبدوا: أطيعوه في أمره ونهيه مع غاية الذل والحب والتعظيم له عز وجل.

لا تشركوا به[2] **شيئاً** : أي لا تعبدوا معه غيره بأي نوع من أنواع العبادات التي تعبد الله تعالى بها عباده من دعاء وخشية وذبح ونذر وركوع وسجود وغيرها.

ذوي القربى : أصحاب القرابات.

وابن السبيل : المسافر استضاف أو لم يستضف.

والجار ذي القربى[3] : أي القريب لنسب أو مصاهرة.

الجار الجنب : أي الأجنبي مؤمناً كان أو كافراً.

الصاحب بالجنب : الزوجة، والصديق الملازم كالتلميذ والرفيق في السفر.

وماملكت أيمانكم : من الأرقاء العبيد فتيان وفتيات.

مختال فخور : الاختيال: الزهو في المشي، والفخر والافتخار بالحسب والنسب والمال بتعداد ذلك وذكره.

(١) هذه الآية محكمة اجماعاً لا نسخ فيها البتة وتسمى آية الحقوق العشرة.

(٢) الشرك ثلاثة أنواع: شرك في ربوبية الله تعالى للعالمين، وشرك في أسمائه تعالى وصفاته وشرك في عبادته تعالى، والشرك بأنواعه الثلاثة من الذنب الذي لا يغفر لصاحبه إلّا بالتوبة الصادقة منه، ومن شرك العبادة: الرياء.

(٣) قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إنّ لي جارين فإلى أيهما أهدى؟ فقال: «إلى أقربهما منك بابا» والجيران الثلاثة: جار له ثلاثة حقوق، وجار له حقان وجار له حق واحد، فالجار الذي له ثلاثة حقوق: فالجار المسلم القريب، حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، والجار الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، والجار الذي له حق واحد هو الكافر له حق الجوار.

يبخلون : يمنعون الواجب بذله من المعروف مطلقا.

ويكتمون : يجحدون ما أعطاهم الله من علم ومال تفضلا منه عليهم.

قريناً : القرين: الملازم الذي لا يفارق صاحبه كأنه مشدود معه بقرن أي بحبل.

وماذا عليهم(١) : أي أي شيء يضرهم أو ينالهم بمكروه إذا هُمْ آمنوا؟

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في هداية المؤمنين، وبيان الأحكام الشرعية لهم ليعملوا بها فيكملوا ويسعدوا ففي الآية الأولى (٣٦) يأمر تعالى المؤمنين بعبادته وتوحيده(٢) فيها وبالإحسان(٣) إلى الوالدين وذلك بطاعتهم في المعروف وإسداء الجميل لهم، ودفع الأذى عنهم، وكذا الأقرباء، واليتامى، والمساكين، والجيران(٤) مطلقا أقرباء أو أجانب، والصاحب الملازم الذي لا يفارق كالزوجة والمرافق في السفر والعمل والتلمذة والطلب ونحو ذلك من الملازمة التي لاتفارق إلا نادراً إذ الكل يصدق عليه لفظ الصاحب بالجنب. وكذا ابن السبيل وما ملكت اليمين من أمة أو عبد والمذكورون الإحسان إليهم آكد وإلا فالإحسان معروف يبذل لكل الناس كما قال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾، وقال ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ وقوله تعالى: ﴿ إن الله لا يحب من كان مختالا فخور﴾ دال على أن منع الإحسان الذي هو كف الأذى وبذل المعروف ناتج عن خلق البخل والكبر وهما من شر الأخلاق هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٦).

وأما الآية الثانية (٣٧) وقد تضمنت بمناسبة ذم البخل والكبر التنديد ببخل بعض أهل الكتاب وكتمانهم الحق وهو ناتج عن بخلهم أيضا وقال تعالى: ﴿ الذين(٥) يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ أي من مال وعلم وقد كتموا نُعوت النبي

---

(١) الاستفهام هنا انكاري توبيخي.

(٢) التوحيد: ضد الشرك وقد ورد في الشرك ـ تحذيراً منه ـ أحاديث صحاح منها حديث مسلم: «يقول الرسول ﷺ قال الله تبارك وتعالى، أنا أغنى الشركاء عن الشرك مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

(٣) قرن تعالى في غير آية عبادته بالإحسان إلى الوالدين نظراً إلى أنّ الله تعالى خلق ورزق فهو أحق بالطاعة، وأنّ الوالدين تكوّن الولد منهما ورباه في صغره فكانت المنّة لهما بعد الله تعالى.

(٤) صحّ في الإحسان إلى الجار العديد من الأحاديث منها: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» ومنها: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» ومنها: «والله لا يؤمن فقيل مَنْ؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه».

(٥) البخل المذموم شرعا: هو الامتناع من أداء الحقوق الواجبة، والشح: بخل مع حرص وهو شرّ من مجرّد البخل.

ﷺ وصفاته الدالة عليه في التوراة والإنجيل، وبخلوا بأموالهم وأمروا بالبخل بها، إذ كانوا يقولون للأنصار لا تنفقوا أموالكم على محمد فإنا نخشى عليكم الفقر، وخبر الموصول الذين محذوف تقديره هم الكافرون حقاً دلَّ عليه قوله: ﴿ وأعتدنا[1] للكافرين عذاباً مهيناً ﴾. هذا ما جاء في هذه الآية الثانية.

أما الآيتان الثالثة (٣٨) والرابعة (٣٩) فإن الأولى منهما قد تضمنت بيان حال أناسٍ آخرين غير اليهود وهم المنافقون فقال تعالى: ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ﴾ أي مراءاة لهم ليتقوا بذلك المذمة ويحصلوا على المحمدة. ﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾. لأنهم كفار مشركون وَإنما أظهروا الإسلام تقية فقط ولذا كان إنفاقهم رياء لا غير. وقوله: ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾ أي بئس القرين له الشيطان وهذه الجملة: ﴿ ومن يكن الشيطان. . . ﴾ دالة على خبر الموصول المحذوف اكتفى بها عن ذكره كما في الموصول الأول وَ قد يقدر بمثل: الشيطان[2] قرينهم هو الذي زين لهم الكفر بالله واليوم الآخر.

هذا ماتضمنته الآية الثانية (٣٩) وهي قوله تعالى ﴿ وماذا عليهم[3] لو آمنوا بالله واليوم الآخر. وأنفقوا مما رزقهم الله؟؟ ﴾ فقد تضمنت الإنكار والتوبيخ لأولئك المنافقين الذين ينفقون رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر بسبب فتنة الشيطان لهم وملازمته إياهم، فقال تعالى ﴿وماذا عليهم﴾ أي أي شيء يضرهم أو أي أذى يلحقهم في العاجل أو الآجل، لو صدقوا الله ورسوله وانفقوا في سبيل الله مما رزقهم الله، وفي الخطاب دعوة ربانية لهم لتصحيح إيمانهم واستقامتهم بالخروج من دائرة النفاق التي أوقعهم فيها القرين عليه لعائن الله، فلذا لم يذكر تعالى وعيداً لهم، وإنما قال ﴿وكان الله بهم عليماً، ﴾ وفي هذه تخويف لهم من سوء حالهم إذا استمروا على نفاقهم فإن علم الله بهم يستوجب الضرب على أيديهم إن لم يتوبوا.

---

(١) أصل ﴿اعتدنا﴾: أعددنا، أبدلت الدال الأولى تاء لثقل الدالين عند فك الإدغام، أمّا مع الإدغام فلا ابدال نحو: أعدّ، ومنه العتاد الحربي: وهو عدّة السِّلاح.

(٢) أو فقرينهم الشيطان.

(٣) ماذا: اسم استفهام بمعنى: أي شيء، ويجوز أن تكون ما: مبتدأ، وذا خبره. وهو بمعنى: الذي.

هداية الآيات

من هداية الآيات

١ ـ تقرير عشرة حقوق والأمر بأدائها فورا وهي عبادة الله وحده والاحسان بالوالدين، وإلى كل المذكورين[١] في الآية الأولى.

٢ ـ ذم الاختيال[٢] الناجم عن الكبر وذم الفخر وبيان كره الله تعالى لهما.

٣ ـ حرمة البخل[٣] والأمر به وحرمة كتمان العلم وخاصة الشرعي منه.

٤ ـ حرمة الرياء وذم صاحبها.

٥ ـ ذم قرناء السوء لما يأمرون به ويدعون إليه قرناءهم حتى قيل:

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينة   فكل قرين بالمقارن يقتدى.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ[٤] ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات:

الظلم : وضع شيء في غير موضعه.

---

(١) أخص المملوك بذكر ما ورد فيه ففي مسلم يقول ﷺ: «للمملوك طعامه وشرابه وكسوته، ولا يكلّف من العمل مالا يطيق» وقال: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي بل ليقل فتاي وفتاتي» وفى هذا مراعاة لجانب التوحيد، ومراعاة لشعور المملوك حتى لا يرى أنه مهان مستضعف. وقال ﷺ في فضل العبد الصالح للعبد المملوك المصلح.

(٢) الاختيال من أكبر الذنوب، وفي الحديث الصحيح: «إنَ الله لا ينظر إلى من جرّ ثوبه خيلاء».

(٣) شاهده قوله ﷺ: «وأيّ داء أدوأ من البخل» وقال: «إيّاكم والشحّ فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا» وفي رواية «حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم».

(٤) نصب ﴿مثقال﴾ على المفعولية المطلقة إذ التقدير: «لا يظلمون ظماً مقدّراً بمثقال ذرة والمثقال: ما يظهر به الثقل فهو كاسم الآلة (مفعال) والمراد به: المقدار، والذرّة بيضة النملة.

مثقال ذرة : المثقال: الوزن مأخوذ من الثقل فكل مايوزن فيه ثقل، والذرة أصغر حجم في الكون حتى قيل إنه الهباء أو رأس النملة.

الحسـنة : الفعلة الجميلة من المعروف.

يضاعفها : يريد فيها ضعفها.

من لدنه : من عنده.

أجرا عظيما : جزاء كبيرا وثواباً عظيما

الشهيد : الشاهد على الشيء لعلمه به

يـــود : يحب

تسوى بهم الأرض : يكونون تراباً مثلها.

ولا يكتمون الله حديثا : أي لا يخفون كلاماً.

معنى الآيـات:

لما أمر تعالى في الآيات السابقة بعبادته والإحسان إلى من ذكر من عباده. وأمر بالانفاق في سبيله، وندد بالبخل والكبر والفخر، وكتمان العلم، وكان هذا يتطلب الجزاء بحسبه خيراً أو شراً ذكر في هذه الآية (٤٠) ﴿إن الله لا يظلم[١] مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيمًا﴾، ذكر عدله في المجازاة ورحمته، فأخبر أنه عند الحساب لا يظلم عبده وزن ذرة وهي أصغر شيء وذلك بأن لا ينقص من حسناته حسنة، ولا يزيد في سَيِّئَاتِهِ سيئة، وان توجد لدى مؤمن حسنة واحدة يضاعفها بأضعاف يعلمها هو ويعط من عنده بدون مقابل أجراً عظيما لايقادر قدره فلله الحمد والمنة هذا ماتضمنته الآية الأولى (٤٠) أما الآية الثانية (٤١) فإنه تعالى لما ذكر الجزاء والحساب الدال عليه السياق ذكر مايدل على هول يوم الحساب وفظاعة الأمر فيه، فخاطب رسوله ﷺ قائلا: ﴿فكيف[٢] إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً؟﴾ ومعنى الآية الكريمة فكيف تكون حال أهل الكفر والشر والفساد إذا جاء الله تعالى بشهيد من كل أمة ليشهد[٣] عليها فيما أطاعت وفيما عصت

(١) روي عن ابن مسعود وابن عباس أنّ هذه الآية إحدى آيات هي خير مما طلعت عليه الشمس، ووجه ذلك في حديث الشفاعة في صحيح مسلم إذ فيه: «ثم يقول لهم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيرا ثم يقولون ربّنا لم نذر فيها ـ أي النار ـ خيرا».

(٢) كيف: فتحت فاؤها لالتقاء الساكنين إذ المفروض فيها أنها ساكنة وهي هنا في محل نصب إذ التقدير: تكون حالهم كيف؟

(٣) هو رسولها الذي أرسل إليها.

ليتم الحساب بحسب البينات والشهود والجزاء بحسب الكفر والإيمان والمعاصي والطاعات، وجئنا بك أيها الرسول الخليل ﷺ شهيداً على هؤلاء أي على أمته ﷺ من آمن به ومن كفر إذ يشهد أنه بلغ رسالته وأدى أمانته ﷺ. هذا ماتضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٤٢) فإنه تعالى لما ذكر ما يدل على هول يوم القيامة في الآية (٤١) ذكر مثلا لذلك الهول وهو أن الذين كفروا يودون وقد عصوا الرسول لويسوون بالأرض فيكونون تراباً حتى لا يحاسبوا ولا يجزوا بجهنم. وأنهم في ذلـك اليوم لا يكتمـون الله كلامـا؛ إذ جوارحهم تنطق فتشهد عليهم. قال تعالى ﴿يومئذ﴾ أي يوم يؤتى من كل أمة بشهيد ﴿يود الذين كفروا لو تسوى[1] بهم الأرض﴾ فيكـونون تراباً مثلها.[2] مرادهم أن يسووا هم بالأرض فيكونون ترابا وخرج الكلام على معنى أدخلت رأسي في القلنسوة والأصل أدخلت القلنسوة في رأسي وقوله ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ اخبار عن عجزهم عن كتمان شيء عن الله تعالى لأن جوارحهم تشهد عليهم بعد أن يختم على أفواههم، كما قال تعالى من سورة يس ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ بيان عدالة الله تعالى ورحمته ومزيد فضله.

٢ ـ بيان هول يوم القيامة حتى إن الكافر ليود أن لو سويت به الأرض فكان تراباً.

٣ ـ معرفة رسول الله ﷺ بآثار الشهادة على العبد يوم القيامة إذ أخبر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال له رسول الله ﷺ يوماً « إقرأ عليَّ القرآن فقلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقـال: أحب أن أسمعه من غيري قال: فقرأت ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ حتى وصلت هذه الآية ﴿ فكيف[3] إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ الآية وإذا عينا رسول الله ﷺ تذرفان الدموع[4] وهو يقول: حسبك أي كفاك ماقرأت عليّ ».

(١) قرئت ﴿تسّوّى﴾ بتشديد كل من السين والواو مع فتح التاء في السبع، وقرئت أيضاً ﴿تسوى﴾ بفتح التاء وتخفيف السين، وتشديد الواو، وبضمّ التاء وتشديد الواو.

(٢) أي تمنوا لو انفتحت لهم الأرض فساخوا فيها، فتكون الباء بمعنى على، أي لو تسوى عليهم أي تنشق فتسوّى عليهم.

(٣) الاستفهام للتعجب من حال الناس في عرصات القيامة، وقد جيء بالشهود، وأزلفت الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين.

(٤) إنّ بكاء الرسول ﷺ هنا لسببين: الأول: المسرة التي نالته بتشريف الله تعالى له في هذا المشهد العظيم حيث يؤتى به شهيداً على أمته، لا يعرف عدد أفرادها إلاّ الله خالقها، ويدخل الجنة بشهادته عدد لا يحصى، والثاني: الأسى والأسف الذي يلحقه من رؤيته أعداداً هائلة من أمته يدخلون النار بشهادته عليهم، والبكاء يكون للمسرة والحزن معاً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

شرح الكلمــات :

لا تقربوا : لاتدنوا كناية عن الدخول فيها، أو لا تدنوا من مساجدها.

سكارى : جمع كسران وهو من شرب مسكراً فستر عقله وغطاه.

تعلموا ما تقولون : لزوال السكـر عنكم ببعد شربه عن وقت الصلاة وهذا كان قبل تحريم الخمر وسائر المسكرات.

ولا جنباً(١) : الجنب: من به جنابة وللجنابة سببان جماع، أو احتلام.

عابري سبيل(٢) : مارين بالمسجد مروراً بدون جلوس فيه.

الغائط : المكان المنخفض للتغوط: أي التبرز فيه.

لامستم النساء : جامعتموهن.

فتيمموا صعيداً طيباً : اقصدوا تراباً طاهراً.

عفواً غفوراً : عفواً: لا يؤاخذ على كل ذنب، غفوراً: كثير المغفرة لذنوب عباده التائبين إليه.

معنى الآية الكريمة:

لا شك أن لهذه الآية سبباً نزلت بمقتضاه وهو أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

(١) ﴿ولا جنباً﴾ هذا معطوف على محل جملة ﴿حتى تعلموا﴾ أي لا تصلوا وقد أجنبتم، لفظ الجنب لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع لأنه على وزن المصدر كالقرب والبعد يقال: هو جنب وهي جنب، وهم جنب وهن جنب بلا فرق.

(٢) يقال: عبرت الطريق: إذا قطعته من جانب إلى جانب آخر، وعبرت النهر كذلك، والمعبر: ما يعبر عليه من سفينة ونحوها، وناقة عبر أسفار: لا يزال يسافر عليها ويقطع بها الفلاة والهاجرة لسرعة مشيها.

حسب رواية الترمذي أقام مأدبة لبعض الأصحاب فأكلوا وشربوا وحضرت الصلاة فقاموا لها وتقدم أحدهم يصلي بهم فقرأ بسورة الكافرون وكان ثملان فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، وهذا باطل وواصل قراءته بحذف حروف النفي فنزلت[1] ﴿ يا أيها الذين آمنوا . . . . ﴾ أي يامن صدقتم بالله ورسوله، ﴿ لا تقربوا الصلاة﴾ أي لا تدخلوا فيها، والحال أنكم سكارى من الخمر إذ كانت يومئذ حلالاً غير حرام، حتى تكون عقولكم تامة تميزون بها الخطأ من الصواب فتعلموا ماتقولون في صلاتكم. ولا تقربوا مساجد الصلاة للجلوس فيها وأنتم جنب حتى تغتسلوا اللهم إلا من كان منكم عابر سبيل، إذ كانت طرق بعضهم إلى منازلهم على المسجد النبوي. ﴿وإن كنتم مرضى﴾ بجراحات يضرها الماء أو مرضى مرضاً لا تقدرون معه على استعمال الماء للوضوء أو الغسل، أو كنتم ﴿على[2] سفر أو جَاءَ أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء﴾ بمضاجعتهن أو مسستموهن بقصد الشهوة ﴿فلم تجدوا ماءً﴾ تغتسلون به إن كنتم جنباً أو تتوضأون به إن كنتم محدثين حدثاً أصغر ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ أي اقصدوا تراباً طاهراً ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ مرة واحدة فإن ذلك مجزيء لكم عن الغسل والوضوء فإن صح المريض أو وُجد الماء فاغتسلوا أو توضأوا ولا تيمموا لا نتفاء الرخصة بزوال المرض أو وجود الماء. وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ إن الله كان عفواً غفورا ﴾ يخبر تعالى عن كماله المطلق فيصف نفسه بالعفو عن عباده المؤمنين إذا خالفوا أمره، وبالمغفرة لذنوبهم إذا هم تابوا إليه، ولذا هو عز وجل لم يؤاخذهم لما صلّوا وهم سكارى لم يعرفوا مايقولون، وغفر لهم وأنزل هذا القرآن تعليماً لهم وهداية لهم.

هداية الآية الكريمة:

من هداية الآية الكريمة:

١ ـ تقرير مبدأ النسخ للأحكام الشرعية في القرآن والسنة.

٢ ـ حرمة مكث[3] الجنب في المسجد، وجواز العبور والاجتياز بدون مكث.

---

(١) روى أبو داود في سننه أنه لما نزلت آية البقرة: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ قال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافيا، ولما نزلت هذه الآية من النساء قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافيا، ولما نزلت آية المائدة ﴿فهل أنتم منتهون﴾ قال: انتهينا يا ربّنا.

(٢) هل السفر مبيح للتيمم وإن وجد الماء؟ الجواب: لا، وإنما ذكر السفر لأن الغالب فيه أن لا يوجد ماء، أمّا الحضر فالماء فيه قلّما ينقطع ولا يوجد.

(٣) يحرم قراءة القرآن على الجنب لحديث ابن ماجه وغيره «لا يقرأ الجنب والحائض شيئا من القرآن» وحديث الدارقطني «كان رسول الله ﷺ لا يحجبه عن قراءة القرآن شيء إلاّ أن يكون جنباً».

٣ ـ وجوب الغسل على الجنب وهو من قامت به جنابة بأن احتلم فرأى الماء أو جامع أهله فأولج ذكره(١) في فرج امرأته ولو لم ينزل ماءً.

وكيفية الغسل : أن يغسل كفيه قائلاً: بسم الله ناوياً رفع الحدث الأكبر ثم يستنجي فيغسـل فَرْجَيْهِ وما حولهما، ثم يتوضأ فيغسل كفيه ثلاثاً، ثم يتمضمض ويستنشق الماء، ويستثره ثلاثاً، ثم يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه وأذنيه مرة واحدة ثم يغسل رجليه إلى الكعبين ثم يغمس كفيه في الماء ثم يخلل أصول شعر رأسه، ثم يحثو الماء على رأسـه يغسله بكـل حثوة، ثم يفيض الماء على شقه الأيمن يَغْسِلُه، ثم على شقه الأيسر يَغْسِلُه. من أعلاه إلى أسفله، ويتعهد بالماء إبطيه وكل مكان من جسمه ينبو عنه الماء كالسرة وتحت الركبتين(٢).

٤ ـ إذا لم يجد المرء التراب لمطر ونحوه تيمم بكل أجزاء الأرض(٣) من رمل وسبخة وحجارة والتيمم هو أن يضرب بكفه الأرض ثم يمسح وجهه وكفيه بهما لحديث عمار رضي الله عنه في الصحيح.

٥ ـ بيان عفو الله وغفرانه لعدم مؤاخذة من صلوا وهم سكارى.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ
ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ

---

(١) لحديث مسلم: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ومسّ الختان الختان فقد وجب الغسل» أمّا حديث مسلم: إنّما الماء من الماء» فمنسوخ بالحديث المذكور أعلاه، وعلى هذا جماهير الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة.

(٢) لحديث: «تحت كل شعرة جنابة اغسلوا الشعر وانقوا البشرة» قال ابن عيينة: المراد وأنقوا البشرة: غسل الفرجين وتنظيفهما.

(٣) الإجمـاع على جواز التيمم بالتراب المنبت الطاهر، غير المنقول ولا المغصوب، والإجماع على عدم الجواز على الذهب، والفضة والياقوت، والزمرد، والأطعمة كالخبز واللحم وغيرهما وكذا النجاسات واختلف في غير ما ذكر كالحجارة والسبخة، والرمل وما إلى ذلك.

وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

ألم تر	: ألم تبصر أي بقلبك أي تعلم .
نصيباً	: حظاً وقسطاً .
يشترون الضلالة	: أي الكفر بالايمان .
الأعداء	: جمع عدو وهو من يقف بعيداً عنك يود ضرك ويكره نفعك .
هادوا	: أي اليهود قيل لهم ذلك لقولهم : ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي تبنا ورجعنا .
يحرفون	: التحريف : الميل بالكلام عن معناه إلى معنى باطل للتضليل
الكلم	: الكلام وهو كلام الله تعالى في التوراة .
واسمع غير مسمع	: أي اسمع ماتقول لا أسمعك الله . وهذا كفر منهم صريح .
وطعناً في الدين	: سبهم للرسول ﷺ هو الطعن الأعظم في الدين .
وانظرنا	: وأمهلنا حتى نسمع فنفهم .
أقوم	: أعدل وأصوب .
لعنهم الله بكفرهم	: طردهم من رحمته وأبعدهم من هداه بسبب كفرهم برسول الله ﷺ .

معنى الآيات :

روي أن هذه الآيات نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت أحد عظماء اليهود بالمدينة ، كان إذا كلم رسول ﷺ لَوَى لسانه وقال راعنا سمعك يامحمد حتى نفهمك ، ثم طعن في الاسلام وعابه فأنزل الله تعالى هذه الآيات الثلاث إلى قوله ﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً ، ﴾ وهذا شرحها : قوله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون[1] الضلالة ويريدون أن**

---

(١) جملة : ﴿يشترون﴾ في محل نصب حالية ، وهي بضميمة جملة﴿أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ فيكون مثار العجب في نفس السامع ، لأنّ اشتراء العالم الضلالة أمر عجب بلا شك .

تضلوا السبيل ﴾ أي ألم ينته إلى علمك وإلى علم أصحابك مايحملكم على التعجب: العلم بالذين أتوا نصيباً من الكتاب وهم رفاعة بن زيد وإخوانه من اليهود، أعطوا حظاً من التوراة فعرفوا صحة الدين الإسلامي، وصدق نبيه ﷺ ﴿يشترون الضلالة﴾ وهو الكفر يشترونها بالايمان، حيث جحـدوا نعوت النبي وصفاته في التوراة للإبقاء على مركزهم بين قومهم يسودون ويتفضلون، ويريدون مع ذلك أن تضلوا أيها المؤمنون السبيل سبيل الحق والرشد وهـو الإيمان بالله ورسوله والعمل بطاعتهما للإسعاد والإكمال. ﴿والله أعلم[1] بأعدائكم﴾ الذين يودون ضركم ولا يودون نفعكم، ولذا أخبركم بهم لتعرفوهم وتجتنبوهم فتنجوا من مكرهم وتضليلهم. ﴿وكفى بالله ولياً﴾ لكم تعتمدون عليه وتفوضون أموركم إليه ﴿ وكفى بالله نصيراً ﴾ ينصركم عليهم وعلى غيرهم فاعبدوه وتوكلوا عليه. ﴿من[2] الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ أي هم من اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، والكلام هو كلام الله تعالى في التوراة وتحريفه بالميل به عن القصد، أو بتبديله وتغييره تضليلاً للناس وإبعاداً لهم عن الحق المطلوب منهم الإيمانُ به والنطقُ والعمل به. ويقولون للنبي ﷺ كفراً وعناداً ﴿ سمعنا وعصينا[3]، واسمع غير مسمع[4] ﴾ أي لا أسمعك الله ﴿وراعنا﴾ وهي كلمة ظاهرهـا أنها من المراعاة وباطنها الطعن في رسول الله ﷺ إذ اليهود يعدونها من الرعونة يقولونها لرسول الله ﷺ سباً وشتماً له قبحهم الله ولعنهم وقطع دابرهم وقوله تعالى: ﴿ لياً بألسنتهم وطعنـاً في الدين ﴾ أي يلوون ألسنتهم بالكلمة التي يسبون بها حتى لا تظهر عليهم، ويطعنون بها رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ﴾ أي انتظرنا بدل راعنا لكان خيراً لهم وأقوم أي أعدل وأكثر لياقة وأدباً ولكن لا يقولون هذا لأن الله تعالى لعنهم وحرمهم من كل توفيق بسبب كفرهم ومكرهم فهم لايؤمنون إلا قليلاً. أي إيماناً لا ينفعهم لقلته فهو لا يصلح أخلاقهم ولا يطهر نفوسهم ولايهيئهم للكمال في الدنيا ولا في الآخرة.

---

(١) جملة اعتراضية وهي تحمل التعريض بأنّ إرادة اليهود تضليل المسلمين ناجمة عن عداوة وحسد للمسلمين.

(٢) ﴿من الذين هادوا﴾ خبر لمبدأ محذوف تقديره: من الذين هادوا جماعة يحرفوه الكلم عن مواضعه ومِنْ تبعيضية.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما إنّهم كانوا يقولون: سمعنا قولك، وعصينا أمرك.

(٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ مرادهم من قولهم: ﴿واسمع غير مسمع﴾ اسمع لا سمعت.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان مكر اليهود بالمؤمنين بالعمل على إضلالهم في عهد النبوة وإلى اليوم.

٢ - في كفاية الله للمؤمنين ونصرته مايغنيهم أن يطلبوا ذلك من أحد غير ربهم عز وجل.

٣ - الكشف عن سوء نيات وأعمال اليهود إزاء رسول الله ﷺ.

٤ - الإيمان[1] القليل لا يجدي صاحبه ولا ينفعه بحال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧)﴾

شــرح الكلمـات:

أوتوا الكتاب	: اليهود والنصارى، والمراد بهم هنا اليهود لا غير.
بما نزلنا مصدقاً	: القرآن.
نطمس وجوها	: نذهب آثارها بطمس الأعين وإذهاب أحداقها.
فنردها على أدبارها	: نجعل الوجه قفا، والقفا وجهاً.
كما لعنا أصحاب السبت	: لعنهم مسخهم قردة خزياً لهم وعذاباً مهيناً.
وكان أمر الله مفعولاً	: أمر الله: مأموره كائن لا محالة لأنه تعالى لا يعجزه شيء.

معنى الآية الكريمة:

مازال السياق في اليهود المجاورين للرسول ﷺ بالمدينة ففي هذه الآية ناداهم[2] الله تبارك

---

(١) شاهده قوله تعالى: ﴿فلا يؤمنون إلّا قليلا﴾ هذا يصح إن كانت الجملة دالّة على شيء من الإيمان أمّا على رأي من يرى أنّ الكلام دالّ على نفي الإيمان بالكليّة فلا دليل في الآية على أنّ قليل الإيمان لا ينفع.

(٢) قال القرطبي قال ابن اسحق: كلّم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود منهم عبدالله بن صوريا وكعب بن أسد وقال لم: «يا معشر يهود: اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أنّ الذي جئتكم به الحق. قالوا ما نعرف ذاك يا محمد» وجحدوا ما عرفوا وأصرّوا على الكفر فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب﴾.

وتعالى بعنوان العلم والمعرفة وهو نسبتهم إلى الكتاب الذي هو التوراة آمراً إياهم بالإيمان بكتابه أي بالقرآن الكريم وبمن أنزله عليه محمد ﷺ إذ الإيمان بالمنزّل إيمان بالمنزَل عليه ضمناً. فقال: ﴿آمنوا﴾ بالفرقان المصدق لما معكم من أصول الدين ونعوت الرسول والأمر بالإيمان به ونصرته خفّوا إلى الإيمان واتركوا التردد من قبل أن يحل بكم ما حل ببعض أسلافكم حيث مسخوا قردة وخنازير ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً[1]﴾ فنذهب حدقة أعينها وشاخص أنوفها ونُغلق أفواهها فتصبح الوجوه أقفاء، والأقفاء وجوهاً يمشون القهقراء وهو معنى قوله: ﴿ فنردها على أدبارها، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ﴾ أي الذين اعتدوا منكم في السبت حيث صادوا فيه وهو محرم عليهم فمسخهم قردة خاسئين. ﴿وكان أمر الله﴾ أي مأموره ﴿مفعولاً﴾ ناجزاً، لايتخلف ولا يتأخر لأن الله تعالى لا يعجزه شىء وهو على كل شيء قدير.

هداية الآية

من هداية الآية

١ ـ المفروض أن ذا العلم يكون أقرب إلى الهداية، ولكن من سبقت شقوته لما يعلم الله تعالى من اختياره الشر والإصرار عليه لا ينفعه العلم، ولا يهتدي به هؤلاء اليهود الذين دعاهم الله تعالى إلى الإيمان فلم يؤمنوا.

٢ ـ وجوب تعجيل التوبة قبل نزول العذاب وحلول ما لا يحب الإنسان من عذاب ونكال.

٣ ـ قد يكون المسخ في الوجوه بمسخ الأفكار والعقول فتفسد حياة المرء وتسوء وهذا الذي حصل ليهود المدينة. فنقضوا عهودهم فهلك من هلك منهم وأجلى من أجلى نتيجة إصرارهم على الكفر وعداء الرسول ﷺ والمؤمنين.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ[2] وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(١) قال مالك رحمه الله تعالى كان أول إسلام كعب الأحبار أنه مر برجل من الليل وهو يقرأ هذه الآية: ﴿يا أهل الكتاب. . .﴾ الخ فوضع كفيه على وجهه ورجع القهقرى إلى بيته، فأسلم مكانه، وقال: والله لقد خفت ألا ابلغ بيتي حتى يطمس وجهي.

(٢) روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما في القرآن آية أحبّ إليّ من هذه الاية ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ قال: هذا حديث حسن غريب.

شــرح الكلمــات :

لا يغفر : لا يمحو ولا يترك المؤاخذة

أن يشرك به : أي يعبد معه غيره تأليهاً له بحبه وتعظيمه وتقديم القرابين له، وصرف العبادات له كدعائه والاستعانة به والذبح والنذر له.

ويغفر ما دون ذلك : أي ما دون الشرك والكفـر من سائر الذنوب والمعاصي التي ليست شركاً ولا كفراً.

لمن يشاء : أي لمن يشاء المغفرة له من سائر المذنبين بغير الشرك والكفر.

افترى إثمًا عظيمًا : افـترى: اختلق وكـذب كذباً بنسبته العبادة إلى غير الرب تعالى، والإثم: الذنب العظيم الكبير.

معنى الآية الكريمة :

يروى أنه لما نزل قول الله تعالى من سورة الزمر ﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ قام رجل فقال والشرك يانبي الله؟ فكره ذلك رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك[(١)] به، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ فأخبر تعالى عن نفسه بأنه لا يغفر الذنب المعروف بالشرك والكفر، وأما سائر الذنوب كبيرها وصغيرها فتحت المشيئة إن شاء غفرها لمرتكبها فلم يعذبه بها، وإن شاء آخذه بها وعذبه، وأن من يشرك به تعالى فقد اختلق الكذب العظيم إذ عبد من لايستحق العبادة وأله من لا حق له في التأليه فلذا هو قائل بالزور وعامل بالباطل، ومن هنا كان ذنبه عظيمًا.

هداية الآية الكريمة :

من هداية الآية :

١ ـ عظم ذنب[(٢)] الشرك و الكفر وأن كل الذنوب دونها.

٢ ـ الشرك ذنب[(٣)] لا يغفر لمن مات بدون توبة منه.

---

(١) ومع ظهور سبب النزول فإنّ الآية تحمل تهديداً ووعيداً للناس شديدين، يفهم ذلك من حرف التعليل، وهو ﴿إنّ الله﴾ كأنّه يقول: يا أيها الناس ادخلوا في الإسلام: إنّ الله لا يغفر أن يشرك به.

(٢) وجه عظم ذنب الشرك يدرك بما يلي: أوّلاً: أنّه ذنب لا يغفر إلّا لمن تاب منه، ثانيا: أنّه محبط للعمل مهما كثر وعظم لقوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين﴾.

(٣) يعرف الشرك: بأنه عبادة غير الله مع الله، ومن أنواع العبادة التعظيم، والرغبة والرهبة، والدعاء، والذبح والنذر، والركوع والسجود، والصيام والحلف، وهو من التعظيم.

٣ ـ سائر الذنوب دون الشرك والكفر لا ييأس فاعلها من مغفرة الله تعالى له وإنما يخاف.

٤ ـ الشرك زور وفاعله قائل بالزور فاعلٌ به.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم[1] ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

شــرح الكلمـات:

تزكية النفس : تبرئتها من الذنوب والآثام.

يزكي من يشاء : يطهر من الذنوب من يشاء من عباده بتوفيقه للعمل بما يزكي النفس، وإعانته عليه.

الفتيل : الخيط الأبيض يكون في وسط النواة، أو مايفتله المرء بأصبعيه من الوسخ في كفه أو جسمه وهو أقل الأشياء وأتفهها.

الكــذب : عدم مطابقة الخبر للواقع.

معنى الآيتين:

عاد السياق إلى الحديث عن أهل الكتاب فقال تعالى لرسوله والمؤمنين: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ وهو أمر يحمل على العجب والاستغراب إذ المفروض أن المرء لا يزكي نفسه حتى يزكيه غيره فاليهود والنصارى قالوا ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾. وقالوا: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وقالت اليهود لن تمسنا النار[2] إلا أياماً معدودات﴾ إلى غير ذلك من الدعاوي الباطلة ولما أنكر تعالى عليهم هذا الباطل الذي يعيشون عليه فعاقهم عن الإيمان والدخول في الإسلام وأخبر تعالى أنه عز وجل هو الذي يزكي من يشاء من عباده وذلك بتوفيقه إلى الإيمان وصالح الأعمال التي تزكو عليها النفس البشرية فقال تعالى: ﴿بل الله يزكي من يشاء، ولا يظلمون فتيلاً﴾ أي أقل قليل فلا يزاد

---

(١) لا خلاف في أنّ المراد بالذين يشركون أنفسهم في هذه الآية هم اليهود.

(٢) ومن جملة أقوالهم في تزكية نفوسهم بأفواههم قولهم: (لا ذنب لنا، وما فعلناه نهاراً يغفر لنا ليلا، وما فعلناه ليلاً يغفر لنا نهاراً، وقولهم نحن كالأطفال في عدم الذنوب، وثناء بعضهم على بعض.

في ذنوب العبد ولا ينقص من حسناته . ثم أمر الله تعالى رسوله أن يتعجب من حال هؤلاء اليهود والنصارى وهم يكذبون على الله تعالى، ويختلقون الكذب بتلك الدعاوي التي تقدمت آنفاً . وكفى بالكذب إثماً مبيناً . يغمس صاحبه في النار.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ - حرمة تزكية المرء نفسه[(١)] بلسانه والتفاخر بذلك إما طلباً للرئاسة ، وإما تخلياً عن العبادة والطاعة بحجة أنه في غير حاجة إلى ذلك لطهارته ورضى الله تعالى عنه .

٢ - الله يزكي عبده بالثناء عليه في الملأ الأعلى، ويزكيه بتوفيقه وإيمانه للعمل بما يزكي من صلاة وصدقات وسائر الطاعات المشروعة لتزكية النفس البشرية وتطهيرها .

٣ - عدالة الحساب والجزاء يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ ولا يظلمون فتيلاً ﴾ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ[(٢)] إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

(١) روى مسلم عن عمر بن عطاء قال سميت ابنتي برّة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة إنّ رسول الله ﷺ نهى عن هذا الإسم وسميت برّة فقال رسول الله ﷺ «أتزكون أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا بم نسميها؟ فقال سمّوها زينب» قال الدارقطني فدل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الإنسان نفسه ويجري هذا المجرى ما قد كثر في هذه الديار المصرية من نعت أنفسهم بالنعوت التي تقتضي التزكية، كزكي الدين ومحي الدين، وما أشبه ذلك لكن لمّا كثرت قبائح المسلمين بهذه الأسماء ظهر تخلف هذه النعوت عن أصلها فصارت لا تفيد شيئا.

(٢) آل إبراهيم : هم ذريته من أولاد وأحفاد وما تناسل منهم كداود وسليمان ومَن بعدهم .

فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

شـــرح الكلمـات:

الجبت والطاغوت : الجبت[1] : اسم لكل ما عبد من دون الله وكذا الطاغوت سواء كانا صنمين أو رجلين.

أهدى سبيلاً : أكثر هداية في حياتها وسلوكها.

نقـــيراً : النقير: ثغرة في ظهر النواة يضرب بها المثل في صغرها.

الحســـد : تمني زوال النعمة عن الغير والحرص على ذلك.

الحكـــمة : الســـداد في القول والعمل مع الفقه في أسرار التشريع الإلهي.

معنى الآيات:

روى أن جماعـة من اليهـود منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ذهبوا إلى مكة يحزبون الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ فلما نزلوا مكة قالت قريش: نسألهم فإنهم أهل كتاب عن ديننا ودين محمد أيها خير؟ فسألوهم فقالوا لهم دينكم خير من دين محمد وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله تعالى هذه الآيات إلى قوله ﴿عظيما﴾. وهذا شرحها: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت[2] والطاغوت﴾ الم ينته إلى علمك أيها الرسول أن الذين أوتوا حظا من العلم بالتوارة يصدقون بصحة عبادة الجبت والطاغوت ويقرون عليها ويحكمون بأفضلية عبادتها على عبادة الله تعالى ﴿ويقولون للذين كفروا﴾ وهم مشركوا قريش: دينكم خير من دين محمد وأنتم أهدى طريقا في حياتكم الدينية والاجتماعية ألم يك موقف هؤلاء اليهـود مثـار الدهشة والاستغراب والتعجب أَهْل عِلْمٍ ومعرفة بالدين الحق يقرون الباطل ويصدقون به؟ ﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ أولئك الهابطون في حمأة الرذيلة البعيدون في أغوار الكفر والشر والفساد لعنهم الله فأبعدهم عن ساحة الخير والهدى، ﴿ومن

(١) وقيل الجبت: الساحر بلغة الحبشة، والطاغوت الكاهن عن ابن عباس، وأبي جبير وأبي العالية، وقال عمر رضي الله عنه: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان، وقال مالك الطاغوت ما عبد من دون الله وقيل هما كل ما عبد من دون الله أو مطاع في معصية الله وهذا حسن وهو ما ذكرناه في التفسير.

(٢) أخرج أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «الطرق، والطيرة، والعيافة من الجبت» والمراد من الطرق: الخط بخطّ في الأرض للبحث عن معرفة ما يحدث للإنسان، والعيافة: زجر الطير للتشاؤم والتيمّن والطيرة: التطيّر، وأصل الجبت: الجبس وهو مالا خير فيه.

يلعن الله فلن تجد له﴾ يارسـولنـا ﴿نصيرا﴾ ينصره من الخذلان الذي وقع فيه والهزيمة الروحية التي حلت به فأصبح وهوالعالم يبارك الشرك ويفضله على التوحيد

ثم قال تعالى في الآية (٥٣) ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذاً[1] لا يؤتون الناس نقيراً ﴾. أي ليس لهم نصيب من الملك كما يدعون فالاستفهام للانكار عليهم دعوة أن الملك يؤول إليهم، وهم لشدة بخلهم لو آل الملك لهم لما أعطوا أحداً أحقر الأشياء وأتفهها ولو مقدار نقرة نواة وهذا ذم لهم بالبخل بعد ذمهم بلازم الجهل وهو تفضيلهم الشرك على التوحيد.

وقوله تعالى: ﴿ أم يحسدون[2] الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيمًا﴾ أم بمعنى بل كسابقتها للاضراب ـ الانتقالي من حال سيئة إلى أخـرى، والهمـزة للإنكار ينكر تعالى عليهم حسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين على النبوة والدولة، وهو المراد من الناس وقوله تعالى﴿فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب ﴾ كصحف ابراهيم والتوراة والزبور والانجيل«والحكمة»التي هي السنة التي كانت لأولئك الأنبياء يتلقونها وحياً من الله تعالى وكلها علم نافع وحكم صائب سديد والملك العظيم هو ما كان لدواد وسليمان عليهما السلام كل هذا يعرفه اليهود فلم لايحسدون من كان لهم ويحسدون محمداً والمسلمين والمراد من السياق ذم اليهود بالحسد كما سبق ذمهم بالبخل والجهل مع العلم.

وقوله تعالى في الآية (٥٥) ﴿ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ﴾ يريد أن من اليهود المعاهدين للنبي ﷺ من آمن بالنبي محمد ورسالته، وهم القليل، ﴿ومنهم من صد عنه﴾ أي انصرف وصرف الناس عنه وهم الأكثرون ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾ لمن كفر حسداً وصد عن سبيل الله بخـلا ومكـراً، أي حسبه جهنم ذات السعير جزاءً له على الكفر والحسد والبخل. والعياذ بالله تعالى.

---

(١) إذاً: هنا ملغاة فلم تنصب المضارع بعدها وذلك لدخول فاء العطف عليها ولو نصب وكان في غير القرآن بها لجاز النصب، قال سيبويه: (إذاً) في عوامل الأفعال بمنزلة ظنّ في عوامل الأسماء، أي تلغي ولا تعمل إذا لم يكن الكلام معتمداً عليها.

(٢) الحسد: كبيرة من كبائر الذنوب لأنّه اعتراض على الله فيما قسمه بين عباده وورد فيه أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب قيل فيه: إنه أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي الله به في الأرض، إذ حسد إبليس آدم في السماء وحسد قابيل هابيل في الأرض.

(٣) وجائز أن يكون الضمير عائداً إلى إبراهيم عليه السلام أو إلى الكتاب وما ذكرناه في التفسير هو الحق.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيـات :

١ ـ وجوب الكفر بالجبت والطاغوت .

٢ ـ بيان مكر اليهود وغشهم وأنهم لايتورعون عن الغش والكذب والتضليل .

٣ ـ ذم الحسد والبخل.

٤ ـ إيمان بعض اليهود بالإسلام ، وكفر أكثرهم مع علمهم بصحة الإسلام ووجوب الإيمان به والدخول فيه .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا
لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

شــرح الكلمـات :

نصليهم ناراً [١] : ندخلهم ناراً يحترقون بها .

نضجت جلودهم [٢] : اشتوت فتهرت وتساقطت .

ليذوقوا العذاب : ليستمر لهم العذاب مؤلماً .

عزيزا حكيما : غالبا ، يعذب من يستحق العذاب .

تجري من تحتها الأنهار : تجري من خلال اشجارها وقصورها الأنهار.

مطهرة : من الأذى والقذى مطلقا

ظلا ظليلا [٣] : الظل الظليل : الوارف الدائم لا حر فيه ولا برد به .

---

(١) يقال : صلاه يصليه صليا ، وأصلاه إصلاء : أي اللحم إذا شواه على النار ، ويقال فلان نضج الرأي أي محكه .
(٢) يقال : نضج الشواء إذا بلغ حدّ الشي .
(٣) صفة مؤكدة ، كيوم أيوم ، وليل أليل ، والظليل : هو السجسج الذي لا حرّ فيه ولا قرّ .

معنى الآيتين:

على ذكر الإيمان والكفر في الآية السابقة ذكر تعالى في هاتين الآيتين الوعيد والوعد الوعيد لأهل الكفر والوعد لأهل الإيمان فقال تعالى: ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً﴾ يريد يدخلهم نار جهنم يحترقون فيها ويصطلون بها ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ تهرت وسقطت بدلهم[1] الله تعالى فوراً جلوداً غيرها ليتجدد ذوقهم للعذاب وإحساسهم به، وقوله تعالى ﴿إن الله كان عزيزاً حكيما﴾ تذييل المقصود منه إنفاذ الوعيد فيهم، لأن العزيز الغالب لا يعجز عن إنفاذ ماتوعد به أعداءه، كما أن الحكيم في تدبيره يعذب أهل الكفر به والخروج عن طاعته هذا ماتضمنته الآية الأولى (٥٦) من وعيد لأهل الكفر.

وأما الآية الثانية (٥٧) فقد تضمنت البشرى السارة لأهل الإيمان وصالح الأعمال، مع اجتناب الشرك والمعاصي فقال تعالى: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي بعد تركهم الشرك والمعاصي ﴿ سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين[2] فيها وأزواج مطهرة ﴾ يريد نساء من الحور العين مطهرات من كل مايؤذي أو يُخل بحسنهن وجمالهن نقيات من البول والغائط ودم الحيض. وقوله تعالى: ﴿وندخلهم ظلا ظليلا ﴾ وارفا كنيناً يقيهم الحر والبرد وحدث يوما رسول الله ﷺ عن الجنة فقال: «في الجنة شجرة تسمى[3] شجرة الخلد يسير الراكب في ظلها مائة سنة ما يقطع ظلها».

هداية الآيتين

من هـداية الآيتين :

١ ـ الكفر والمعاصي موجبات[4] للعذاب الأخروي.

٢ ـ بيان الحكمة في تبديل الجلود لأهل النار وهي أن يدوم إحساسهم بالعذاب.

٣ ـ الإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي موجبات للنعيم الأخروى.

---

(١) روي أنّ جلودهم تبدّل في الساعة مائة مرة، وروي آن هذه الآية تليت عند عمر رضي الله عنه فقال عمر، للقارىء: أعـدها، فأعادها عليه وعنده كعب فقال: يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير لها فذكر له أنه تبدّل في الساعة الواحدة مائة وعشرين مرّة.

(٢) ذكر هذا الخلود إعظاماً للمنة و﴿خالدين﴾ منصوب على الحال المقدرة أي حال كونهم خلودهم مقدراً فيها قبل دخولهم إيّاها.

(٣) ذكره ابن كثير عن تفسير هذه الآية.

(٤) وذلك لأنّ الكفر والشرك والمعاصي التي هي ترك الواجبات وفعل المحرّمات تدنس النفس فلا تصبح أهلًا لدخول الجنة لقوله تعالى: ﴿قد أفلح مَنْ زكّاها وقد خاب مَنْ دسّاها﴾.

٤ ـ الجنة دار النعيم خالية من كدرات الصفو والسعادة فيها.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

شـــرح الكلمـات:

أن تؤدوا الأمانات(١) : أداء الأمانة: تسليمها إلى المؤتمن، والأمانات جمع أمانة وهي مايؤتمن عليه المرء من قول أو عمل أو متاع

العـــدل(٢) : ضد الجور والانحراف بنقص أو زيادة.

نعمـا يعظكم : نعم شيء يعظكم أي يأمركم به أداء الأمانات والحكم بالعدل.

وأولي الأمر منكم : أولوا الأمر: هم الأمراء والعلماء من المسلمين.

تنازعتم في شـيء : اختلفتم فيه كل فريق يريد أن ينتزع الشيء من يد الفريق الآخر

ردوه إلى الله والرسول : أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأحسن تأويلا : أحسن عاقبة، لأن تأويل الشيء مايؤول إليه في آخر الأمر.

معنى الآيتين :

روي أن الآية الأولى: ﴿ إن الله يأمركم(٣) أن تؤدوا(٤) الأمانات ﴾ نزلت في شأن عثمان بن

(١) الإجماع على وجوب رد الأمانات لأصحابها كفّاراً أو مؤمنين فجّاراً أو أبراراً.
(٢) العدل: وسط بين طرفين فإن مال لأحد الجانبين فقد جار وظلم ولم يعدل.
(٣) إنّ هنا لمجرد الاهتمام بالخبر، إذ مثل هذا الخبر لا يتطرق إليه الشك حتى يؤكّد لإزالته لأنه إخبار عن ايجاد شيء لا عن وجوده. فهو خبر كالإنشاء.
(٤) الأداء: مصدر أدّى المخفف المستغنى عنه بالمضعَّف، أدّى يؤدي تأدية، إذا أوصل الشيء إلى طلبه ويتجوَّز فيه فيطلق على الاعتراف بالشيء والوفاء به وذلك كقول الحق، وتبليغ العلم الشرعي، والمراد به هنا إيصال الشيء إلى صاحبه.

طلحة الحجبي[1] حيث كان مفتاح الكعبة عنده بوصفه سادناً[2] فطلبه رسول الله ﷺ منه صبيحة يوم الفتح فصلى في البيت ركعتين وخرج فقال العباس رضي الله عنه اعطينيه يارسول الله ليجمع بين السقاية والسدانة فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها فقرأ رسول الله ﷺ الآية على النـاس ودعـا بعثمان بن طلحة وأعطاه المفتاح. غير أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذا فالآية في كل أمانة فعلى كل مؤتمن على شيء أن يحفظه ويرعاه حتى يؤديه[3] إلى صاحبه والآية تتناول حكام المسلمين أولا بقرينة ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ الذي هو القسط وضد الجور ومعناه إيصال الحقوق إلى مستحقيها من أفراد الرعايا. وقوله تعالى: ﴿ إن الله نعما يعظكم[4] به ﴾ يريد أن أمره تعالى أمة الإسلام حكاما ومحكومين بأداء الأمانات والحكم بالعدل هو شيء حسن، وهو كذلك إذ قوام الحياة الكريمة هو النهوض بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقوله تعالى: ﴿ إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ فيه الحث على المأمور به بإيجاد ملكة مراقبة الله تعالى في النفس، فإن من ذكر أن الله تعالى يسمع أقواله ويبصر أعماله استقام في قوله فلم يكذب وفي عمله فلم يفرط. هذا ما دلت عليه الآية الأولى(٥٨)،

أما الآية الثانية (٥٩)، فإن الله تعالى لما أمر ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانات التي هي حقوق الرعية، وبالحكم بينهم بالعدل أمر المؤمنين المولي عليهم بطاعته وطاعة رسوله أولاً ثم بطاعة ولاة الأمور ثانيا فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾، والطاعة لأولى الأمر مُقيدة بما كان معروفاً للشرع أما في غير المعروف فلا طاعة في الاختيار لحديث: «إنما الطاعة في المعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». وقوله تعالى: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول﴾ فهو خطاب عام للولاة[5] والرعية فمتى حصل خلاف في أمر من أمور الدين والدنيا وجب رد ذلك إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فبِمَا حكما فيه وجب قبوله حلواً كان أو مراً، وقوله تعالى: ﴿ إن كنتم تؤمنون

---

(١) المؤتمن إذا لم يفرّط وضاعت الأمانة منه فلا ضمان عليه إجماعاً لقوله ﷺ: «لا ضمان على مؤتمن» رواه الدارقطني، والعارية مؤداه أيضاً لحديث خطبة الوداع: «العارية مؤداة، والمنحة مردودة والدين مقضي، والزعيم غارم» أي ضامن.

(٢) أصل نعّما: نعم، وكتبت معها ما بعد كسر عين نعم وتسكين ميمها وادغامها في ما هي إما موصولة أو نكرة موصوفة أو نكرة تامة، وأما الجملة بعد نعمّا فهى تجري بحسب ما يناسب معنى (ما).

(٣) الحجبي، نسبة إلى حجابة البيت على غير قياس.

(٤) السادن: الخادم للبيت وتسمى هذه المهنة: السدانة.

(٥) وذلك يستلزم الردّ إلى العلماء الفقهاء، إذ هم الذين يعرفون الأحكام ويحسنون استنباطها من الكتاب والسنة.

بالله واليوم الآخر ﴾ فيه أن الإيمان يستلزم الإذعان لقضاء الله ورسوله، وهو يفيد أن رد الأمور المتنازع فيها إلى غير الشرع قادح في إيمان المؤمن وقوله: ﴿ ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾، يريد ذلك الرد والرجوع بالمسائل والقضايا المختلف فيها إلى الكتاب والسنة هو خير حالاً ومآلا، لما فيه من قطع النزاع والسير بالأمة متحدة متحابة متعاونة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ وجوب رد الأمانات بعد المحافظة عليها.

٢ ـ وجوب العدل في الحكم وحرمة الحيف والجور فيه.

٣ ـ وجوب طاعة الله وطاعة الرسول وولاة المسلمين من حكام وعلماء فقهاء[1]، لأن طاعة الرسول من طاعة الله، وطاعة الوالي من طاعة الرسول ﷺ لحديث: «[2]من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقط أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أمري فقد عصاني»[3].

٤ ـ وجوب رد المتنازع فيه عقيدة أو عبادة أو قضاء إلى الكتاب والسنة ووجوب الرضا بقضائهما.

٥ ـ العاقبة الحميدة والحال الحسنة السعيدة في رد أمة الإسلام ماتتنازع فيه إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ

(١) قال سهل بن عبدالله : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فإن عظّموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم وان استخفوا بهذين فسدت دنياهم وأخراهم.

(٢) رواه الشيخان وكذا حديث: «إنّما الطاعة في المعروف» الخ.

(٣) روي في الصحيح أنّ عبدالله بن حذافة الأنصاري البدري وكان به دعابة بعثه رسول الله ﷺ على سرّية فأمرهم يوماً أن يجمعوا حطباً ويوقدوا ناراً ففعلوا ثم أمرهم أن يدخلوها محتجاً عليهم «بقوله ﷺ من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني» فلم يستجيبوا له وقالوا له إنّما آمنا وأسلمنا لننجو من النار فكيف نعذب أنفسنا بها وذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إنّما الطاعة في المعروف».

ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ(١) إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

شــرح الكلمـات :

يزعمــون : يقولون كاذبين.

بما أنزل إليك : القرآن، وما أنزل من قبلك: التوراة

الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة والمراد به هنا كعب بن الأشرف اليهودي أو كاهن من كهان العرب.

المنافقــين : جمع منافق: وهو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان خوفا من المسلمين.

يصــدون : يعرضون عنك ويصرفون غيرهم كذلك

مصيبة : عقوبة بسبب كفرهم ونفاقهم

إن يريدون : أي مايريدون

إلا احسانا : أي صلحاً بين المتخاصمين

وتوفيقا : جمعا وتأليفا بين المختلفين

فأعرض عنهم(٢) : أي اصفح عنهم فلا تؤاخذهم

وعظهم : مرهم بما ينبغي لهم ويجب عليهم

قولا بليغا : كلاما قويا يبلغ شغاف قلوبهم لبلاغته وفصاحته.

---

(١) فكيف: خبر مبتدأ محذوف تقديره: حالهم كيف تكون حين تصيبهم مصيبة أي تكون عجباً لفرط حزنهم وبكائهم، وندمهم.

(٢) الإعراض: عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه مشتق من العُرض بضم العين وهو الجانب، ولعلّه مأخوذ من اعرض في الشيء إذا دخل فيه كأصبح في الصباح، فأعرض فلان عن فلان أي تنحى عنه جانبا أو أعطاه عرضه مدبراً عنه.

معنى الآيـات:

روي أن منافقاً ويهوديا[1] اختلفا في شيء فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد ﷺ لعلمه أنه يحكم بالعدل ولا يأخذ رشوة، وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي فتحاكما إلى رسول الله ﷺ فقضى لليهودي فنزلت[2] فيهما هذه الآية: ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنـوا بما أنـزل إليك﴾ والمـراد بهذا المنـافق، ﴿ومـا أنزل من قبلك﴾ والمراد به اليهودي والاستفهام للتعجب ألم ينته إلى علمك موقف هذين الرجلين ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ «كعب[3] بن الأشرف»، أو الكاهن الجهني، وقد أمرهم الله أن يكفروا به ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ حيث زين لهم التحاكم عند الكاهن أو كعب اليهودي.

﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾ ليحكم بينكم رأيت ياللعجب المنافقين يعرضون عنك اعراضا هاربين من حكمك غير راضين بالتحاكم إليك لكفرهم بك وتكـذيبهم لك ﴿فكيف إذا أصـابتهم مصيبة﴾ وحلت بهم قارعة بسبب ذنوبهم أيبقون معرضين عنك؟ أم ماذا؟ ﴿ثم جاءوك يحلفون بالله﴾ قائلين،[4] ماأردنا إلا الإحسان في عملنا ذلك والتوفيق بين المتخاصمين. هذا مادلت عليه الآيات الثلاث، وأما الرابعة وهي قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغـا ﴾ فإن الله تعـالى يشـير إليهم بأولئـك لبعدهم في الخسة والانحطاط فيقول ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ أي من النفاق والزيغ فهم عرضة للنقمة وسوء العذاب، ﴿فأعرض عنهم﴾ فلا تؤاخذهم،[5] ﴿وعظهم﴾ آمراً إياهم بتقوى الله والإسلام له ظاهـراً وبـاطنـاً مخوفـا إياهم من عاقبـة سوء أفعـالهم بترك التحاكم إليك وتحاكمهم إلى الطاغوت، وقل لهم في خاصة أنفسهم قولا بليغاً ينفذ إلى قلوبهم فيحركها ويذهب عنها غفلتها علهم يرجعون.

---

(١) صيغ الجمع الواردة في الآية مثل: ﴿يريدون أن يتحاكموا﴾ تشير إلى كثرة المنافقين، ومن أمثال اليهودي والمنافق صاحبي القصة التي نزلت الآية فيها.

(٢) روي أنّ المنافق لم يرض بحكم رسول الله ﷺ وذهب باليهودي إلى أبي بكر فحكم بحكم رسول الله ﷺ فلم يرض المنافق فذهب بخصمه اليهودي إلى عمر فذكر له اليهودي القصة فقال عمر للمنافق وهو يشير أكذا هو؟ قال: نعم. قال: رويدكما حتى أخرج إليكما، فدخل وأخذ السيف ثم ضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي على من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله، وهرب اليهودي، ونزلت هذه الآية وقال رسول الله ﷺ لعمر: أنت الفاروق.

(٣) قيل فيه طاغوت لأنه ذو طغيان زائد في الظلم والشرّ والفساد.

(٤) هؤلاء هم قوم القتيل المنافق جاءوا يطالبون بدية أخيهم في النفاق، وقالوا الكثير أكثر مما ذكر في الآية وكل أقوالهم باطلة أملاها النفاق ولذا أمر الرسول بالاعراض عنهم.

(٥) أي لا تؤاخذهم فيما يبطنونه من الكفر ما داموا لم يظهروه علناً.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيـات :

١ ـ حرمة التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذا وُجد عالم بهما.

٢ ـ وجوب الكفر بالطاغوت أيا كان نوعه.

٣ ـ وجوب الدعوة إلى التحاكم إلى الكتاب والسنة ووجوب قبولها.

٤ ـ استحباب الإعراض عن ذوي الجهالات، ووعظهم بالقول البليغ الذي يصل إلى قلوبهم فيهزها.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

شــرح الكلمـات :

بإذن الله : إذن الله : إعلامه بالشيء وأمره به.

ظلموا أنفسهم : بالتحاكم إلى الطاغوت وتركهم التحاكم إلى رسول الله ﷺ.

استغفروا الله : طلبوا منه أن يغفر لهم بلفظ اللهم اغفر لنا، أو استغفروا الله.

يحكموك : يجعلونك حكما بينهم ويفوضون الأمر إليك.

فيما شجر بينهم(١) : أي اختلفوا فيه لاختلاط وجه الحق والصواب فيه بالخطأ والباطل.

حرجا : تضيقاً وتحرجاً.

مما قضيت : حكمت فيه.

ويسلموا : أي يذعنوا لقبول حكمك ويسلمون به تسليماً تاماً.

---

(١) شجر: اختلط واختلف، ومنه سمي الشجر شجراً لاختلاط أغصانه قال طرفة:

وهم الحكام أرباب الهدى   وسعاة الناس في الأمر الشجر

معنى الآيتين :

بعـد تقـرير خطأ وضـلال من أرادا أن يتحاكما إلى الطاغوت كعب بن الأشرف اليهودي وهما اليهودي والمنافق في الآيات السابقة أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ما أرسلَ رسُولاً[1] مِن رسله المئـات إلا وأمـر المـرسـل إليهم بطاعتـه واتبـاعـه والتحاكم إليه وتحكيمه في كل ما يختلفون فيه وذلك أمره وقضاؤه وتقديره فما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن كما أخبر تعالى أن أولئك الظالمين لأنفسهم بتحـاكمهم[2] إلى الـطاغـوت وصـدودهم عن التحـاكم إليك أيهـا الـرسول لَوْ جاءوك متنصلين من خطيئتهم مستغفـرين الله من ذنـوبهم واستغفرت لهم أنت أيها الرسول أي سألت الله تعالى لهم المغفرة لو حصل منهم هذا لدل ذلك على توبتهم وتاب الله تعالى عليهم فوجدوه عز وجل ﴿توابا رحيمًا﴾. هذا معنى الآية (٦٤) ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما.

وأما الآية الثانية (٦٥) ﴿ فلا وربك لا يؤمنون[3] حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ فإن الله تعالى يقول ﴿فلا﴾ أي ليس الأمر كما يزعمون ، ثم يقسم تعالى فيقول ﴿وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾ أيها الرسول أي يطلبون حكمك فيما اختلفوا فيه واختلط عليهم من أمورهم ثم بعد حكمك لايجدون في صدورهم أدنى شك في صحة حكمك وعدالته ، وفي التسليم له والرضا به وهو معنى الحرج المتبقي في قوله ، ﴿ ثم لايجدون في صدورهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ وجوب طاعة الرسول ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه .

٢ ـ بطلان من يزعم أن في الآية دليلا على جواز طلب الاستغفار[4] من الرسول ﷺ لأن

---

(١) مِنْ في الآية : ﴿وما أرسلنا مِنْ رسول﴾ مزيدة لتقوية الكلام وإفادة العموم .

(٢) تقدم أن الخطاب بصيغة الجمع وإن كان المتحاكمان اثنين فقط فإنّ الحكم عام فيهم وفي غيرهم فكل من يصدر عنه هذا النوع من الذنب فتوبته هي ما ذكر تعالى في هذه الآية .

(٣) قيل إن هذه الآية : ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ نزلت في الزبير والأنصاري في قضية سقي البستان إذ اختلفا وأتيا رسول الله ﷺ فقال ﷺ للزبير: «اسق يا زبير أرضك ثم أرسل الماء إلى أرض جارك» أي الأوّل فقال الأنصاري: أراك تحابي ابن عمتك ، فتلوّن وجه رسول الله ﷺ وقال للزبير: «اسق ثمّ احبس الماء حتى يبلغ الجدر» فنزلت الآية . والحديث في صحيح البخاري .

(٤) وذلك أنه لو كان كل مذنب لا يغفر له إلاّ إذا أتى الرسول ﷺ واستغفر له لما تاب أحد وللزم أن يبقى الرسول حياً ليستغفر للمذنبين بمثل هذا الذنب ، ولا قائل بها ولا يعقل ولم يشرع أبداً وكل حكاية ذكرت في هذه المسألة فهي باطلة .

قوله تعالى ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك ﴾ الآية نزلت في الرجلين الذين أرادا التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي وإعراضهم عن رسول الله ﷺ فاشترط لتوبتهم إتيانهم لرسول الله ﷺ واستغفارهم الله تعالى، واستغفار الرسول لهم، وبذلك تقبل توبتهم، وإلا فلا توبة لهم أما من عداهما فتوبته لا تتوقف على اتيانهم لرسول الله ولا لاستغفاره لهم وهذا محل إجماع بين المسلمين.

٣ ـ كل ذنب كبر أو صغر يعتبر ظلمًا للنفس وتجب التوبة منه بالاستغفار والندم والعزم على عدم مراجعته بحال من الأحوال.

٤ ـ وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة وحرمة التحاكم إلى غيرهما.

٥ ـ وجوب الرضا[1] بحكم الله ورسوله والتسليم به.

وَلَوْ[2] أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ[3] أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ[4] أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

---

(١) قضى أهل العلم أنّ السيل إذا كان بسبب مطر فإنّ الأعلى يقدّم على الأسفل، فيسقى مَنْ وصل إليه السيل حتى يبلغ الماء الكعبين في أرضه ثم يرسل السيل كلّه إلى من تحته فيسقي ثم يرسل إلى من تحته وهكذا وهو قول المالكية مأخوذ من حكم رسول الله ﷺ فى قضية الزبير والانصاري وهو الحق.

(٢) لو: حرف امتناع لامتناع أي امتناع شيء لامتناع غيره، إذا امتنع القتل لامتناع الكتب به.

(٣) روي أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿ولو أنّا كتبنا﴾.. قال أبو بكر الصديق: لو أمرنا لفعلنا فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنّ من أمتي رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرّواسي».

(٤) (حسُن) مضمّن معنى التعجب فهو كنعم للمدح، أي مدح الحسن فيهم، وأولئك: فاعله، ورفيقا: منصوب على التمييز.

شــرح الكلمـات :

كتبنا عليهم	: فرضنا عليهم وأوجبنا
أن اقتلوا أنفسكم	: أي قتل أنفسهم
مافعلوه إلا قليلٌ[1] منهم	: أي ما فعل القتل إلا قليل منهم.
مايوعظون به	: أي مايؤمرون به وينهون عنه
وأشد تثبيتا	: أي للإيمان في قلوبهم
الصديقين	: جمع صديق: وهو من غلب عليه الصدق في أقواله وأحواله لكثرة مايصدق ويتحرى الصدق.
والشهداء	: جمع شهيد: من مات في المعركة ومثله من شهد بصحة الإسلام بالحجة والبرهان.
والصالحون	: جمع صالح : من أدى حقوق الله تعالى وأدى حقوق العباد، وصلحت نفسه وصلح عمله وغلب صلاحه على فساده.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن أولئِكَ النفرِ الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فقال تعالى: ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم﴾ أي بقتل بعضكم بعضا كما حصل ذلك لبني إسرائيل لما فعلوا كما أنا لو كتبنا عليهم أن يخرجوا من ديارهم مهاجرين في سبيلنا ﴿مافعلوه إلا قليل﴾ منهم. ثم قال تعالى داعيا لهم مرغبا لهم في الهداية: ﴿ولو أنهم فعلوا مايوعظون به﴾ أي مايذكرون به ترغيبا وترهيبا من أوامر الله تعالى لهم بالطاعة والتسليم لكان ذلك خيراً في الحال والمآل، ﴿وأشد تثبيتا﴾ للإيمان في قلوبهم وللطاعة على جوارحهم، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والحسنة تنتج حسنة، والسيئة تتولد عنها سيئة. ويقول تعالى: ﴿ وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيما ﴾ يريد لو أنهم استجابوا لنا وفعلوا ماأمرناهم به من الطاعات، وتركوا مانهيناهم عنه من المعاصي لأعطيناهم من لدنا أجراً عظيمًا يوم يلقوننا ولهديناهم في الدنيا ﴿صراطاً مستقيمًا﴾ الا وهو الإسلام الذي هو طريق الكمال والإسعاد في الحياتين وهدايتهم إليه هي توفيقهم للسير فيه

(١) قرىء: إلاّ قليلا بالنصب، وإلاّ قليل بالرفع، وقراءة الرفع مراعى فيها اللّفظ وهو أولى، لذا هي أكثر وأشهر.

وعدم الخروج عنه. هذا ما دلت عليه الآيات (٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨).

أما الآية (٦٩) وهي قوله تعالى: ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء[١] والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾فقد روى ابن جرير في تفسيره أنها نزلت حين قال بعض[٢] الصحابة يارسول الله ماينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإنك إذا فارقتنا رفعت فوقنا فلم نرك فأنزل الله تعالى: ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك ﴾ الآية. وما أنعم الله تعالى عليه هو الإيمان بالله تعالى ومعرفته عز وجل ومعرفة محابه ومساخطه والتوفيق لفعل المحاب وترك المساخط هذا في الدنيا، وأما ما أنعم به عليهم في الآخرة فهو الجوار الكريم في دار النعيم. والصديقين هم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بكل ماجاء به رسول الله ﷺ وأخبر به والشهداء جمع شهيد وهو من قتل في سبيل الله والصالحون جمع صالح وهو من أدى حقوق الله تعالى وحقوق عباده كاملة غير منقوصة وقوله تعالى: ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾[٣] يريد وحسن أولئك رفقاء في الجنة يستمتعون برؤيتهم والحضور في مجالسهم، لأنهم ينزلون إليهم، ثم يعودون إلى منازلهم العالية ودرجاتهم الرفيعة. وقوله تعالى: ﴿ ذلك[٤] الفضل من الله﴾ يريد أن ذلك الإلتقاء مع من ذكر تم لهم بفضل الله تعالى، لا بطاعتهم. وقوله ﴿وكفى بالله عليما﴾ أي بأهل طاعته وأهل معصيته وبطاعة المطيعين ومعصية العاصين، ولذلك يتم الجزاء عادلاً رحيما.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ ـ قد يكلف الله تعالى بالشاق للامتحان والابتلاء كقتل النفس والهجرة من البلد ولكن لا يكلف بما لا يطاق.

٢ ـ الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعصيات.

---

(١) في هذه الآية إشارة أصرح من عبارة على خلافة أبي بكر لرسول الله ﷺ، إذ ذكر تعالى الأنبياء ثم ثنى بالصديقين، وقد أجمع المسلمون على تسمية أبي بكر بالصديق كما أجمعوا على تسمية محمد ﷺ بالنبي، فدلّ على تعيين خلافة أبي بكر إذا لم يقدّم عليه أحد في الذكر سوى الأنبياء.

(٢) من بين القائلين ثوبان مولى رسول الله ﷺ وعبد الله بن زيد بن عبد ربّه الذي أُري الأذان في المنام.

(٣) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبيّ يمرض إلاّ خُير بين الدنيا والآخرة» ولما كان في مرضه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم» الآية فعلمت أنّه خيّر وكان يقول: «اللهم الرفيق الأعلى» وهو يعاني سكرات الموت فصلى الله عليه وسلم.

(٤) في قوله تعالى: ﴿ذلك الفضل من الله﴾ ردّ على المعتزلة إذ قالوا: إنما ينال العبد ما يناله بعمله، والله قد ردّ ذلك الإكرام والإنعام لفضله وهو كذلك عقلا وشرعاً ويلزم اعتقاداً.

٣ ـ الطاعات تثمر قوة الإيمان وتؤهل لدخول الجنان.

٤ ـ مواكبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة ثمرة من ثمار طاعة الله والرسول ﷺ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات:

خذوا حذركم : الحِذْر والحَذَر: الاحتراس والاستعداد لدفع المكروه بحسبه.

فانفروا ثبات[1] : النفور: الخروج في اندفاع وانزعاج، والثبات: جمع ثبة وهي الجماعة.

ليبطّئن[2] : أي يتباطأ في الخروج فلا يخرج.

مصيبة : قتل أو جراحات وهزيمة.

شهيداً : أي حاضراً الغزوة معهم.

فضل : نصر وغنيمة.

مودة : صحبة ومعرفة مستلزمة للمودة.[3]

فوزا عظيماً : نجاة من معرة التخلف عن الجهاد، والظفر بالسلامة والغنيمة.

---

(١) أصل ثبة: ثُبية أو ثبوة بالباء والواو، وقد تصغر على ثبية، وهل اشتقاقها من ثبة الحوض أي محل اجتماع الماء فيه، لأن الثبة: الجماعة، وثاب الماء يثوب إذا اجتمع.

(٢) حمل مجاهد وقتادة وابن جريج الآية على المنافقين وحملها بعضهم على ضعفة الإيمان، وحملها على الجميع أقرب إلى الصحة والصواب، والله أعلم.

(٣) إن كان الصاحب من ضعفة الإيمان فهو كذلك، وإن كان منافقاً فإنّ المودّة هنا بمعنى مجرّد الصحبة لا غير، لأنّ المنافق لا يحب المؤمن إلّا نادراً.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم[1] فانفروا ثبات أو انفروا جميعا[2] ﴾ ينادي الله تعالى عباده المؤمنين وهم في فترة يستعدون فيها لفتح مكة وإدخالها في حضيرة الإسلام خذوا الأهبة والاستعداد حتى لاتلاقوا عدوكم وأنتم ضعفاء، قوته أشد من قوتكم ﴿فانفروا ثبات﴾ عصابة بعد عصابة وجماعة بعد أخرى ﴿أو انفروا جميعا﴾ بقيادتكم المحمدية وذلك بحسب مايتطلبه الموقف وتراه القيادة[3] ثم أخبرهم وهو العليم أن منهم أي من عدادهم وأفراد مواطينهم لمن والله ليبطئن عن الخروج إلى الجهاد نفسه وغيره معاً لأنه لايريد لكم نصراً لأنه منـافق كافـر البـاطن وإن كان مسلم الـظاهر ويكشف عن حال هذا النوع من الرجال الرخيص فيقول: ﴿ فإن أصابتكم ﴾ أيها المؤمنون الصادقون ﴿مصيبة﴾ قتل أو جراح أو هزيمـة قال في فرح بها أصابكم وما نجامنه: لقد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم حاضراً فيصبني ما أصابهم، ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ أي نصر وغنيمة ﴿ليقولن كأن لم يكن بينكم وبينه مودة﴾أي معرفة ولا صلة ياليتني متمنياً حاسداً ـ كنت معهم في الغزاة ﴿فأفوز فوزا عظيما﴾ بالنجاة من معرة التخلف والظفر بالغنائم والعودة سالماً.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب أخذ الأهبة والاستعداد التامة لأمة الإسلام في السلم والحرب سواء.

٢ ـ وجوب وجود خبرة عسكرية كاملة وقيادة رشيدة مؤمنة حكيمة عليمة.

٣ ـ وجود منهزمين روحياً مبطئين حسدة بين المسلمين وهم ضعاف الإيمان فلا يؤبه لهم ولا يلتفت إليهم.

---

(١) أخذ الحذر: هو توقي المكروه بالأسباب الممكنة المشروعة وجملة: ﴿فانفروا ثبات﴾ الخ تفريع بذكر بعض أسباب توقي المحذور.

(٢) أخذ الحذر واجب لأنه سبب شرعه الله تعالى لتوقي المكروه ولكنه لا يمنع المقدور، وأخطأت القدرية إذا قالوا: الحذر يردّ القدر، ولولا أنه كذلك ما أمروا به، وهو خطأ اعتقادي فالأسباب تؤتى طاعة لله تعالى وأمّا دفع المقدور أي ما قدره الله على الإنسان فلابد من وقوعه، وفائدة الأخذ بالأسباب إبعاد الخوف عن النفس وحصول شعور بالفوز والنجاة.

(٣) هل هذه الآية، وهي متقدمة في النزول على آية التوبة: ﴿انفروا خفافاً وثقالا﴾ منسوخة بها؟ والجواب أن فرض الجهاد على الكفاية ولذا فلا نسخ، وإنّما هذه في حال وتلك في أخرى وهي: أن يرى الإمام النفير العام لا غير.

۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ
يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ
ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

سبيل الله : الطريق الموصلة إلى إعلاء كلمة الله تعالى بأن يعبد وحده، ولا يضطهد مسلم في دينه، ولا من أجل دينه.

يشرون : يبيعون، إذ يطلق الشراء على البيع أيضا.

المستضعفين : المستضعف الذي قام به عجز فاستضعفه غيره فآذاه لضعفه.

القرية : القرية في عرف القرآن المدينة الكبيرة والجامعة والمراد بها هنا مكة المكرمة.

في سبيل الطاغوت : أي في نصرة الشرك ومساندة الظلم والعدوان، ونشر الفساد.

معنى الآيتين :

بعد ما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم وهو الأهبة للقتال أمرهم أن يقاتلوا فقال: ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ أي يبيعون الدنيا ليفوزوا بالآخرة وهم المؤمنون حقاً فيقدمون أموالهم وأرواحهم طلبا للفوز بالدار الآخرة تقاتلون من لايؤمن بالله ولا بلقائه بعد أن يدعوه إلى الإيمان بربه والتوبة إليه، ثم أخبرهم

أن من يقاتل استجابة لأمره تعالى فيُقتل أي يستشهد أو يغلب العدو وينتصر على كلا الحالين فسوف يؤتيه[1] الله تعالى أجراً عظيمًا وهو النجاة من النار ودخول الجنة. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٧٤).

أمـا الآية الثـانية (٧٥) فإن الله تعالى بعدما أمر عباده بالجهاد استحثهم على المبادرة وخوض المعركة بقوله: ﴿ ومالكم لا تقاتلون[2] في سبيل الله ﴾ ليعبد وحده ويعز أولياؤه ﴿ و المستضعفين[3] من الرجال والنساء والولدان ﴾ الذين يضطهدون من قبل المشركين ويعذبون من أجل دينهم حتى صرخوا وجأروا بالدعاء إلى ربهم قائلين: ﴿ ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك وليا ﴾ يلي أمرنا ويكفينا ما أهمنا، ﴿ واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ ينصرنا على أعدائنا أي شيء يمنعكم أيها المؤمنون من قتال في سبيل الله، ليُعبد وحده، وليتخلص[4] المستضعفون من فتنة المشركين لهم من أجل دينهم؟

ثم في الآية الثالثة (٧٥) اخبر تعالى عباده المؤمنين حاضا لهم على جهاد أعدائه وأعدائهم بقوله: ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ﴾ لأنهم يؤمنون به وبوعده ووعـيده ﴿ والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ وهو الكفر[5] والظلم لأنهم لايؤمنون بالله تعالى ولا بما عنده من نعيم، ولابما لديه من عذاب ونكال ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ وهم الكفار، ولا ترهبوهم ﴿إن كيد الشيطان كان﴾ ومازال ﴿ضعيفا﴾، فلا يثبت هو وأولياؤه من الكفرة، أمام جيش الإيمان أولياء الرحمن.

---

(١) ظاهر الآية التسوية بين مَنْ قُتل شهيداً وبين مَنْ انتصر ورجع بنفسه وهناك حديثان أحدهما يقتضي التسوية وآخر ينفيها فالأول حديث أبي هريرة: «تضمن الله لمن خرج في سبيله لايخرجه إلّا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسولي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر وغنيمة» رواه مسلم. والثاني: «ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلّا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم» والجمع بينهما أنّ من غزى ناويا الأجر والغنيمة ثم غنم وسلم نقص آجره في الآخرة، فلم تكن درجته كالذي استشهد ولم يغنم ولا كالذي نوى الأجر دون الغنيمة أيضاً، والسبب الفارق هو اشتراك النية وعدم خلوصها.

(٢) الاستفهام انكاري أي ينكر عليهم قعودهم عن القتال في سبيل الله أي لانقاذ المؤمنين من فتنة المشركين وانقاذ أولادهم من أن يشبوا ويكبروا على أحوال الكفر جاهلين بالإيمان والإسلام.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أنا وأمي من المستضعفين، وفي رواية البخاري قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله أنا من الولدان وأمي من النساء وكان النبي ﷺ يقنت لهم فيقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين».

(٤) الإجمـاع على وجوب تخليص الأسرى من المسلمين بالقتال أو بالمال، ولا يحل تركهم تحت الكافر يضطهدهم ويعذبهم من أجل دينهم، وفي الحديث الصحيح: «فكوا العاني» وهو الأسير، وسمي العاني: لما يعانيه من آلام وأتعاب، والمسلمون اليوم أسرى تحت اليهود في فلسطين والمسلمون تاركون لهم غير مهتمين بهم وهو ذنب عظيم.

(٥) يطلق الطاغوت على ما عبد من دون الله، ويطلق على من دعا إلى عبادة غير الله كالشيطان وغيره من الجنّ والإنس الذين يدعون إلى عبادة الأصنام والأشخاص وغيرها، وفي هذه الآية يناسب أن يكون الطاغوت هو الشيطان لقوله بعد أولياء الشيطان.. وإطلاقنا الطاغوت على الكفر والظلم مراعاة لحال الناس فإنّ أكثرهم يقاتل نصرة للكفر الذي هو عليه أولإبقاء ظلمه واستعلائه في الأرض.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ فرضية القتال في سبيل الله ولأجل انقاذ المستضعفين من المؤمنين نصرة للحق وإبطالاً للباطل.

٢ ـ المقاتل في سبيل الله باع دنياه واعتاض عنها الآخرة، ولنعم البيع.

٣ ـ المجاهد يؤوب بأعظم صفقة سواء قتل، أو انتصر وغلب وهي الجنة.

٤ ـ لايمنع المؤمنين من الجهاد خوف أعدائهم، لأن قوتهم من قوة الشيطان وكيد الشيطان ضعيف.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن
سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

شـرح الكلمـات :

كفوا أيديكم : أي عن القتال وذلك قبل أن يفرض.

كتب عليهم القتال : فرض عليهم

يخشـون : يخافون

لولا أخرتنا : هلاَّ أخرتنا.[1]

فتيلا : الفتيل خيط يكون في وسط النواة.

بروج مشيدة : حصون مشيدة بالشيد وهو الجص.

من حسنة : الحسنة ما سرّ، والسيئة ما ضرّ.

معنى الآيات :

روى أن بعضا من أصحاب الرسول ﷺ طالبوا بالإذن لهم بالقتال ولم يؤذن لهم لعدم توفر أسباب القتال فكانوا يؤمرون بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ريثما يأذن الله تعالى لرسوله بقتال المشركين ولما شرع القتال جبن فريق منهم عن القتال وقالوا ﴿لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ متعللين[2] بعلل واهية فأنزل الله تعالى فيهم هاتين الآيتين (٧٧) و(٧٨) ﴿ ألم تر إلى الـذين قيل لهم كفـوا أيديكم﴾أي عن القتـال ﴿وأقيمـوا الصـلاة وآتـوا الـزكـاة﴾ ريثما يأذن الله بالقتـال عندما تتوفر إمكانياته ، فلما فرض القتال ونزل قوله تعالى: ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ جبنوا ولم يخرجوا للقتال، وقالوا ﴿لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ يريدون أن يدافعوا الأيام حتى يموتوا ولم يلقوا عدواً خوراً وجبناً فأمر تعالى الرسول أن يقول لهم : ﴿ متاع الدنيا[3] قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾ فعيشكم في الدنيا مهما طابت لكم الحياة هو قليل ﴿ والآخرة خير لمن اتقى ﴾ الله بفعل أمره وترك نهيه بعد الإيمان به وبرسوله، وسوف تحاسبون على أعمالكم وتجزون بها ﴿ ولا تظلمون فتيلا ﴾ لا بنقص حسنة ولا بزيادة سيئة هذا ماتضمنته الآية الأولى .

أما الثانية فقد قال تعالى لهم ولغيرهم ممن يخشون القتال ويجبنون عن الخروج للجهاد: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾ إذ الموت طالبكم ولا بد أن يدرككم كما قال تعالى لأمثالهم ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾، ولو دخلتم حصونا[4] ما فيها كوة ولا نافذة

---

(١) المراد من التأخير إلى أجل قريب هو أن يتم استعدادهم للقتال بتوفر المال والرجال، والعتاد لا إلى أجل الموت فإنّه غير وارد في قولهم هذا ولا معنى له، وهل قولهم كان في أنفسهم أو صرحوا به؟ كلاهما وارد وجائز الوقوع.

(٢) اختلف هل هذه الآية نزلت في المؤمنين أو المنافقين والصواب؛ أنها نزلت في بعض المؤمنين ممن ضعف إيمانهم،أما كونها نزلت في اليهود فلا معنى له، وكونها شملت المنافقين فهذا حق بدليل سياق الآيات.

(٣) يبيّن قلة متاع الدنيا قوله ﷺ: «مثلي ومثل الدنيا كراكب قال قيلولة تحت شجرة ثم راح وتركها».

(٤) تفسير لقوله تعالى: ﴿قل لو كنتم في بروج مشيّدة﴾ إذ البرج البناء المرتفع، والقصر العظيم، قال طرفة يصف ناقة:

كأنها برج رومي يكففها   بانٍ بشيد وآجرٍ وأحجار

وفي الآية ردّ على القدرية القائلين المقتول لو لم يقتله القاتل عاش.

فإن الموت يدخلها عليكم ويقبض أرواحكم ولما ذكر تعالى جبنهم وخوفهم ذكر تعالى سوء فهمهم وفساد ذوقهم فقال: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ يعني أنه إذا أصابهم خير من غنيمة أو خصب ورخاء ﴿قالوا هذه من عند الله لا شكراً لله وإنما لايريدون أن ينسبوا إلى رسول الله شيئا من خير كان ببركته وحسن قيادته، وإن تصبهم سيئة فقر أو مرض أو هزيمة يقولون هذه من عندك[1] أي أنت السبب فيها. قال تعالى لرسوله قل لهم ﴿كل من عند الله﴾ الحسنة والسيئة هو الخالق والواضع السنن لوجودها وحصولها. ثم عابهم في نفسياتهم الهابطة فقال: ﴿فمال لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ هذا مادلت عليه الآية الثانية.

أما الثالثة والأخيرة في هذا السياق وهي قوله تعالى: ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله، ومـا أصابك[2] من سيئة فمن نفسك[3] ﴾ الآية فإن الله تعالى يخاطب رسوله ﷺ فيخبره بأن الحسنة من الله تعالى إذ هو الآمر بقولها أو فعلها وموجد أسبابها والموفق للحصول عليها، أما السيئة فمن النفس إذ هي التي تأمر بها، وتباشرها مخالفة فيها أمر الله أو نهيه، فلذا لا يصح نسبتها إلى الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿ وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً ﴾ يُسلي به رسوله عما يلاقيه من أذى الناس ومايصادفه من سوء أخلاق بعضهم كالذين ينسبون إليه السيئة تطيراً به فيخبره بأن مهمته أداء الرسالة وقد أداها والله شاهد على ذلك ويجزيك عليه بما أنت أهله وسيجزي من رد رسالتك وخرج عن طاعتك وكفى بالله شهيدا .

هداية الآية :

من هداية الآيات :

١ ـ قبح الاستعجال والجبن وسوء عاقبتهما.

٢ ـ الآخرة خير لمن اتقى من الدنيا.[4]

---

(١) لقد شارك يهود في هذا القول فقد روي أنهم لما نزل الرسول ﷺ المدينة مهاجرا قالوا: مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه!!

(٢) إنّ الخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو عام في كل إنسان لاسيما المؤمن أو هو من باب إيَّاك أعني. واسمعي يا جارة، وكون لفظه خاصا بالرسول ﷺ ومعناه عام هو الصحيح.

(٣) زاد بعضهم جملة: وأنا كتبتها عليك وهي ليست قرآنا إجماعاً، وإنما هي تفسير من بعض الصحابة ولا التفات لمن طعن في القرآن بمثل هذه الزيادة التفسيرية.

(٤) وما أحسن ما قيل في معنى الآية شعراً:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له ... من الله في دار المقام نصيب
فإن تعجب الدنيا رجالاً فإنها ... متاع قليل والزوال قريب

٣ ـ لا مفر من الموت ولا مهرب منه بحال[١] من الأحوال.

٤ ـ الخير والشر كلاهما بتقدير الله تعالى.

٥ ـ الحسنة من الله والسيئة من النفس إذ الحسنة أمر الله بأسبابها بعد أن أوجدها وأعان عليها، وأبعد الموانع عنها والسيئة من النفس لأن الله نهى عنها وتوعد على فعلها، ولم يوفق إليها ولم يعن عليها فهي من النفس[٢] لا من الله تعالى.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ
عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ
مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟
فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ
أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى
ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

شـرح الكلمـات:

حفيظا : تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها.

طـاعة : أي أمرنا طاعة لك.

برزوا : خرجوا.

---

(١) قال زهير بن أبي سلمى:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السماء بسلّم

(٢) قال قتادة رواية: لا يصيب رجلا خدش عود ولاعثرة قدم ولا اختلاج عرق إلّا بذنب. وما يعفو الله عنه أكثر. وفي الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن همّ ولا حزن ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلّا كفر الله عنه بها من خطاياه» فهو دال على حديث قتادة الضعيف.

أفلا يتدبـــرون : تدبر القرآن قراءة الآية أو الآيات وإعادتها المرة بعد المرة ليفقه مراد الله تعالى منها.

إذاعوا به : افشوه معلنينه للناس

يستنبطونه : يستخرجون معناه الصحيح.

معنى الآيات :

في قوله تعالى : ﴿ ومن يطع الرسول ﴾[1] إنذار إلى الناس كافة في أن من لم يطع الرسول محمداً ﷺ ما أطاع الله تعالى، إن أمر الرسول من أمر الله ونهيه من نهي الله تعالى فلا عذر لأحد في عدم طاعة الرسول ﷺ. وقوله تعالى: ﴿ ومن تولى ﴾ أي عن طاعتك فيما تأمر به وتنهى عنه فدعه ولا تلتفت إليه إذ لم نرسلك لتحصي عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتجزيهم بها إن عليك إلا البلاغ وقد بلغت فأعذرت. وقوله تعالى ﴿ويقولون طاعة﴾ أي ويقول أولئك المنافقون المتطيرون بك السَّيئو الفهم لما تقول: طاعة أي أمرنا طاعة لك أي ليس لنا ما نقول إذا قلت ولا ما نأمر به إذا أمرت فنحن مطيعون لك ﴿فإذا برزوا﴾ أي خرجوا من مجلسك بدل طائفة منهم غير الذي تقول واعتزموه دون الذي وافقوا عليه أمامك وفي مجلسك والله تعالى يكتب بواسطة ملائكته الكرام الكاتبين مايبيتونه[2] من الشر والباطل. وعليه ﴿فأعرض عنهم وتوكل على الله﴾ ولا تبال بهم ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ فهو حسبك وكافيك مايبيتونه من الشر لك.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٨٢) ﴿ أفلا يتدبرون[3] القرآن ﴾ يؤنبهم بإعراضهم وجهلهم وسوء فهمهم إذ لو تدبروا القرآن وهو يُتلى عليهم وسمعوه صباح مساء لعرفوا أن الرسول حق وأن ما جاء به حق فآمنوا وأسلموا وحسن إسلامهم، وانتهى نفاقهم الذي أفسد قلوبهم وعفن آراءهم، إن تدبر القرآن بالتأمل فيه وتكرار آياته مرة بعد أخرى يهدي إلى معرفة الحق

---

(١) مصداقه في صحيح مسلم قوله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني».

(٢) بيتوا زوروا وبدلوا إذ التبييت هو تدبر الأمر بالليل حيث اتساع الوقت والفراغ من العمل وقلة العيون وبيتوا العدو آتوه ليلا قال الشاعر:

أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

(٣) في هذه الآية: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ مع آية سورة القتال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ دليل على وجوب تدبر القرآن لفهم معانيه، لاعتقاد الحق والعمل به، وفيه ردٌّ على مَن زعم أنه لايأخذ من القرآن إلّا ما ثبت عن النبي ﷺ تفسيره، ودليل على وجوب النظر والاستدلال وابطال التقليد.

من الباطل وأقرب مايفهمونه لو تدبروا أن القرآن كلام الله تعالى وليس كلام بشر، إذ لو كان كلام بشر لوجد فيه التناقض والإختلاف والتضاد، ولكنه كلام خالق البشر، فلذا هو متسق الكلم متآلِف الألفاظ والمعاني محكم الآى هادٍ إلى الإسعاد والكمال، فهو بذلك كلام الله حقاً ومن شرف بإنزاله عليه رسول حق ولا معنى أبداً للكفر بعد هذا والإصرار عليه، ومنافقة المسلمين فيه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً ﴾.

وقوله: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ وهي الآية الرابعة (٨٣) فإن الله تعالى يخبر عن أولئك المرضى بمرض النفاق ناعياً عليهم ارجافهم وهزائمهم المعنوية فيقول ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف﴾ أي إذا وصل من سرايا الجهاد خبر بنصر أو هزيمة سارعوا بإفشائه وإذاعته، وذلك عائد إلى مرض قلوبهم لأن الخبر وأطلق عليه لفظ الأمر لأن حالة الحرب غير حالة السلم إذا كان بالنصر المعبر عنه بالأمن فهم يعلنونه حسداً أو طمعاً، وإذا كان بالهزيمة المعبر عنها بالخوف يعلنونه فزعاً وخوفا لأنهم جبناء كما تقدم وصفهم، قال تعالى في تعليمهم وتعليم غيرهم ما ينبغي أن يكون عليه المجاهدون في حال الحرب . ﴿ولو ردوه إلى الرسول﴾ القائد الأعلى، ﴿وإلى أولي الأمر منهم ﴾ وهم أمراء السرايا المجاهدة ﴿لعلمه الذين يستنبطون منهم﴾(١) أي لاستخرجوا سر الخَبَرِ وعرفوا مايترتب عليه فإن كان نافعاً أذاعوه، وإن كان ضارا أخوفه . ثم قال تعالى: ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أيها المؤمنون ﴿لاتبعتم الشيطان﴾(٢) في قبول تلك الإشاعات المغرضة والإذاعات المثبطة ﴿إلا قليلا﴾ منكم من ذوى الآراء الصائبة والحصافة العقلية إذ مثلهم لاتثيرهم الدعاوي، ولا تغيرهم الأراجيف، ككبار الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب طاعة الرسول ﷺ فإنه لايطاع لذاته وإنما يطاع لذات الله عز وجل.

---

(١) الاستنباط مأخوذ من استنبط الماء: إذا استخرجه من الأرض، والنبط: الماء المستنبط أوّل ما يخرج من ماء البئر أول ما يحفر، وسمي النبط نبطاً لأنهم يستخرجون ما في الأرض، والاستنباط لغة: الاستخراج، وفي هذه الآية دليل على الاجتهاد.

(٢) ما فسرنا به الآية أصح مما فسرت به ولا التفات إلى ما أورد القرطبي من آراء عدّة لا طائل تحتها.

٢ ـ وجوب تدبر القرآن لتقوية الإيمان.[١]

٣ ـ آية أن القرآن وحي الله وكلامه سلامته من التناقض والتضاد في الألفاظ والمعاني.

٤ ـ تقرير مبدأ أن أخبار الحرب لاتذاع إلا من قبل القيادة العليا حتى لا يقع الاضطراب في صفوف المجاهدين والأمة كذلك.

٥ ـ أكثر الناس يتأثرون بما يسمعون إلا القليل من ذوي الحصافة العقلية والوعي السياسي.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا
وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ
نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ
بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾

شــرح الكلمـات :

حرض المؤمنين : حثهم على الجهاد وحرضهم على القتال.

بأس الذين كفروا : قوتهم الحربية.

وأشد تنكيلاً : أقوى تنكيلاً والتنكيل: ضرب الظالم بقوة حتى يكون عبرة لمثله فينكل عن الظلم.

الشفاعة[٢] : الوساطة في الخير أو في الشر فإن كانت في الخير فهي الحسنة وإن كانت في الشر فهي السيئة.

---

(١) واستنباط الأحكام واستخراج أنواع الهدايات فيه إذ هو كتاب هداية للمؤمنين به يهتدون إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة.

(٢) الشفاعة من الشفع وهو الزوج ضد الفرد، وسميت شفاعة لأنّ الشفيع يصير مع المشفوع له شفعاً أي, زوجا، والشفعة ضم ملك إلى ملك.

كفل منها : نصيب منها.
مقيتاً[1] : مقتدراً عليه وشاهداً عليه حافظاً له.
بتحية : تحية الإسلام هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أو ردوها : أي يقول وعليكم السلام.
حسيباً : محاسباً على العمل مجازياً به خيراً كان أو شراً.

معنى الآيات :

مازال السياق في السياسة الحربية ففي هذه الآية ﴿ فقاتل[2] في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين ﴾ يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقاتل المشركين لأجل إعلاء كلمة الله تعالى بأن يعبد وحده وينتهي إضطهاد المشركين للمؤمنين وهو المراد من قوله ﴿ في سبيل الله ﴾ وقوله ﴿ لا تكلف إلا نفسك[3] ﴾ أي لا يكلفك ربك إلا نفسك وحدها، أما من عداك فليس عليك تكليفه بالقتال، ولكن حرض المؤمنين على القتال معك فحثهم على ذلك ورغبهم فيه. وقوله: ﴿ عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ وهذا وعد من الله تعالى بأن يكف بأس الذين كفروا فيسلط عليهم رسوله والمؤمنين فيبددوا قوتهم ويهزموهم فلا يبقى لهم بأس ولا قوة وقد فعل[4] وله الحمد والمنة وهو تعالى ﴿أشد بأساً﴾ من كل ذي بأس ﴿وأشد تنكيلاً﴾ من غيره بالظالمين من أعدائه.

هذا مادلت عليه الآية (٨٤) أما الآية (٨٥) وهي قوله تعالى ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ فهو إخبار منه تعالى بأن من يشفع شفاعة حسنة بأن يضم صوته مع مطالب بحق أو يضم نفسه إلى سريّة تقاتل في سبيل الله، أو يتوسط لأحد في قضاء حاجته فإن للشافع

---

(١) شاهده قول الزبير بن عبد المطلب:

وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مُقيتا

أي: مقتدرا.

(٢) هذه الفاء هي الفصيحة والتقدير: إذا كان الأمر كما علمت من وجود المثبطين والخائفين والمرجفين، فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلّا نفسك.

(٣) في الآية دليل على شجاعة الرسول ﷺ الخارقة للعادة إذ كلّفه الله به على انفراد وأمره بتحريض المؤمنين على القتال، ومعنى هذا أنّه أمره بالجهاد ولو كان وحده ولذا قال ﷺ: «والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي» أي: حتى أموت، وتحريض المؤمنين هو أمرهم بالقتال وحثهم عليه لا على سبيل الإلزام كما ألزم به هو ﷺ.

(٤) فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى دانت الجزيرة كلها بالإسلام، ولم يمض أكثر من ربع قرن حتى دخلت دولتا الفرس والروم في الإسلام لأنّ (عسى) من الله تعالى تفيد وجوب الوقوع.

قسطاً من الأجر والمثوبة كما أن ﴿من يشفع شفاعة سيئة﴾ بأن يؤيد باطلاً أو يتوسط في فعل شر أو ترك معروف يكون عليه نصيب من الوزر، لأن الله تعالى على كل شيء مقتدر وحفيظ عليم. هذا مادلت عليه الآية المذكورة.

أما الآية الأخيرة (٨٦) فإن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بأن يردوا تحية من يحييهم بأحسن منها فإن لم يكن بأحسن فبالمثل، فمن قال: السلام عليكم فليقل الراد وعليكم السلام ورحمة الله، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله فليرد عليه وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وقوله تعالى: ﴿ إن الله كان على كل شيء حسيباً ﴾[1] فيه تطمين للمؤمنين على أن الله تعالى يثيبهم على إحسانهم ويجزيهم به.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان شجاعة النبي ﷺ بدليل أنه كلف بالقتال وحده وفعل.

٢ ـ ليس من حق الحاكم أن يجند المواطنين تجنيداً إجبارياً، وإنما عليه أن يحضهم على التجنيد ويرغبهم فيه بوسائل الترغيب.

٣ ـ فضل الشفاعة في الخير، وقبح الشفاعة في الشر.[2]

٤ ـ تأكيد سنة التحية، ووجوب ردّها بأحسن أو بمثل.[3]

٥ ـ تقرير ما جاء في السنة بأن السلام عليكم: يعطى عليها المسلم عشر حسنات ورحمة الله: عشر حسنات. وبركاته: عشر كذلك.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ

(١) حسيب هنا: بمعنى محاسب وحفيظ فلا يضيع حسنات العبد.

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا» وليقض الله على لسان نبيه ما أحب.

(٣) في الآية سنية إلقاء السلام ووجوب ردّه وقد بينت السنة أنّ القليل يسلم على الكثير، والقائم على القاعد، والراكب على الماشي، وأنّ الردّ يكون بزيادة ورحمة الله وبركاته، وأنه لايسلم على المرأة الصغيرة خشية الفتنة، وأنّ المصلي إن سُلّم عليه رد السلام بالإشارة إن شاء.

أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ
تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ
مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ
ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

شرح الكلمات :

لا إله إلا هو(١) : لا معبود بحق إلا هو.

فئتين(٢) : جماعتين الواحدة فئة أي جماعة .

أركسهم : الارتكاس : التحول من حال حسنة إلى حال سيئة كالكفر بعد الإيمان أو الغدر بعد الأمان وهو المراد هنا .

سبيلاً : أي طريقاً إلى هدايتهم .

---

(١) اسم الجلالة ﴿الله﴾ مبتدأ و﴿لا إله إلا الله﴾ جملة معترضة، وجملة القسم واقعة موقع الخبر.
(٢) الفئة : الطائفة ، اشتق لفظها من الفيء الذي هو الرجوع ، إذ أفرادها يرجع بعضهم إلى بعض وأصلها فيء فحذفت الياء من وسطها لكثرة الاستعمال فصارت : فئة بعد زيادة هاء التأنيث عوضاً عن الياء المحذوفة.

وَلِيّاً ولا نصيراً : الولي: من يلي أمرك، والنصير: من ينصرك على عدوك.

يصلون : أي يتصلون بهم بموجب عقد معاهدة بينهم.

ميثاق : عهد.

حصرت صدورهم : ضاقت.

السـلم : الاستسلام والانقياد.

الفتنـة : الشرك.

ثقفتموهم : وجدتموهم متمكنين منهم.

سلطاناً مبيناً : حجة بينة على جواز قتالهم.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى الآيات قبل هذه أنه تعالى المقيت والحسيب أي القادر على الحساب والجزاء أخبر عز وجل أنه الله الذي لا إله إلا هو أي المعبود دون سواه لربوبيته على خلقه إن الإله الحق ما كان رباً خالقاً رازقاً مدبراً بيده كل شىء وإليه مصير كل شيء وأنه جامع[1] الناس ليوم لاريب في إتيانه وهو يوم القيامة.

هذا ما دلت عليه الآية الكريمة ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ ولما كان هذا خبراً يتضمن وعداً ووعيداً أكد تعالى إنجازه فقال: ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ اللهم إنه لا أحد أصدق منك.

أما الآيات الأربع الباقية وهي (٨٨) و(٨٩) و(٩٠) و (٩١) فقد نزلت لسبب معين وتعالج مسائل حربية معنية أما السبب الذي نزلت فيه فهو اختلاف المؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ في طائفة من المنافقين أظهروا الإسلام وهم ضليعون في موالاة الكافرين، وقد يكونون في مكة،[2] وقد يكونون في المدينة فرأى بعض الأصحاب أن من الحزم الضرب على أيديهم وإنهاء نفاقهم، ورأى آخرون تركهم والصبر عليهم ماداموا يدعون الإيمان لعلهم

---

(١) قوله تعالى: ﴿ليجمعنكم﴾ جواب قسم، وهذا الجمع دلالة اللفظ أنه في القبور تحت الأرض ليبعثهم يوم القيامة وقد تكون (إلى) صلة ويكون الجمع هو جمع يوم القيامة.

(٢) السياق الكريم صالح لأن تكون الفئتان المختلف فيهما من مكة أو من المدينة وقد ورد في الصحيح اختلاف المؤمنين في ابن أبي ومن وافقه ورجع من أحد دون قتال حتى قال الرسول ﷺ «انها طيبة وإنها تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد» كما ورد في غير الصحيح أنّ جماعة في مكة تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين وأبوا أن يهاجروا، فاختلف في شأنهم المؤمنون، ولا مانع من أن تعنى الآيات منافقي المدينة، ومنافقي مكة، إذ الخلاف وقع في كلّ من منافقي مكة ومنافقي المدينة، ويرجح هذا الرأي صحة الخبر الأول وذكر الهجرة في الثاني.

بمرور الأيام يتوبون، فلما اختلفوا واشتد الخلاف في شأنهم أنزل الله تعالى هذه الآيات فقال: ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم[1] بما كسبوا أتريدون[2] أن تهدوا من أضل الله، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً ﴾ ومعنى الآية أي شيء صيركم في شأن المنافقين فئتين؟ والله تعالى قد أركسهم في الكفر بسبب ماكسبوه من الذنوب العظام. أتريدون أيها المسلمون أن تهدوا من أضل الله، وهل يقدر أحد على هداية من أضله الله؟ وكيف، ومن يضلل الله حسب سنته في إضلال البشر لايوجد له هادٍ، ولا سبيل لهدايته بحال من الأحوال.

ثم أخبر تعالى عن نفسيّة أولئك المنافقين المختلف فيهم فقال وهي الآية الثالثة (٨٩) ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ أي أحبوا من قلوبهم كفركم لتكونوا مثلهم وفيه لازم وهو انتهاء الإسلام، وظهور الكفر وانتصاره.

ومن هنا قال تعالى محرما موالاتهم إلى أن يهاجروافقال: ﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء ﴾ تعولون عليهم في نصرتكم على إخوانهم في الكفر. وظاهر هذا السياق أن هؤلاء المنافقين هم بمكة وهو كذلك. وقوله تعالى ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾[3]، لأن الهجرة إلى المدينة تقطع صلاتهم بدار الكفر فيفتر عزمهم ويراجعوا الصدق في إيمانهم فيؤمنوا فإن هاجروا ثم تولوا عن الإيمان الصحيح إلى النفاق والكفر فأعلنوا الحرب عليهم ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ﴾ لأنهم بارتكاسهم لاخير فيهم ولا يعول عليهم.

ثم في الآية (٩٠) استثنى لهم الرب تعالى صنفين من المنافقين المذكورين فلا يأخذونهم أسرى ولا يقاتلونهم، الصنف الأول الذين ذكرهم تعالى بقوله ﴿ إلا الذين يصلون ﴾ أي يلجأون ﴿إلى قوم بينكم وبينهم[4] ميثاق ﴾ فبحكم استجارتهم بهم طالبين الأمان منهم فأمنوهم أنتم حتى لاتنقضوا عهدكم. والصنف الثاني قوم ضاقت صدورهم بقتالكم،

---

(١) جملة: ﴿والله أركسهم﴾ حالية.
(٢) الاستفهام انكاري وهو دال على جملة محذوفة تقديرها: انهم قد أضلهم الله.
(٣) الهجرة: هجرتان هي لمنافقي المدينة: الخروج إلى الغزو مع رسول الله ﷺ، وهجرة لمنافقي مكة وهي إلى المدينة للاقامة بها، والهجرة أنواع، منها ترك المعاصي لحديث: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ورسوله» ومنها هجرة الفساق وأهل البدع ليتوبوا من ذنوبهم.
(٤) قد اختلف في هؤلاء الذين بينهم وبين المؤمنين ميثاق، وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا طائل تحت معرفتهم الآن، إذ العبرة أنّ في الآية دليل على جواز الموادعة بين أهل الحرب والمسلمين للضرورة.

وقتال قومهم فهؤلاء الذين لم يستسيغوا قتالكم ولا قتال قومهم إن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فلا تأخذوهم ولا تقتلوهم واصبروا عليهم، إذ لو شاء الله تعالى لسلطهم عليكم فلقاتلوكم هذا الصنف هو المعني بقوله تعالى: ﴿ أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ﴾ فما دام الله تعالى قد كفهم عنكم فكفوا أنتم عنهم. هذا معنى قوله تعالى: ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ﴾. أي المسالمة والمهادنة ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً[1] ﴾. لأخذهم وقتالهم. هذا وهناك صنف آخر ذكر تعالى حكم معاملته في الآية الخامسة والأخيرة وهي قوله تعالى: (٩١) ﴿ستجدون قوماً آخرين[2]﴾ غير الصنفين السابقين ﴿يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾[3] فهم إذاً يلعبون على الحبلين كما يقال ﴿كلما ردوا إلى الفتنة﴾ أي إلى الشرك ﴿أركسوا فيها﴾ أي وقعوا فيها منتكسين إذ هم منافقون إذا كانوا معكم عبدوا الله وحده وإذا كانوا مع قومهم عبدوا الأوثان لمجرد دعوة يدعونها يلبون فيرتدون إلى الشرك، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ﴾ أي إن لم يعتزلوا قتالكم ويلقوا إليكم السلام وهو الإذعان والإنقياد لكم، ويكفوا أيديهم فعلاً عن قتالكم ﴿ فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾ أي حجة واضحة على جواز أخذهم وقتلهم حيثما تمكنتم منهم وعلى أي حال. هذا مادلت عليه الآيات الخمس مع العلم أن الكف عن قتال المشركين قد نسخ بآيات براءة إلا أن لإمام المسلمين أن يأخذ بهذا النظام عند الحاجة إليه فإنه نظام رباني ما أخذ به أحد وخاب أو خسر، ولكن خارج جزيرة العرب إذ لا ينبغي أن يجتمع فيها دينان.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيـات

١ - وجوب توحيد الله تعالى في عبادته.

٢ - الإيمان بالبعث والجزاء.

---

(١) ﴿سبيلا﴾: أي إذنا بقتالهم بعد أن أمركم بقتال غيرهم حيث وجدوهم

(٢) ﴿ستجدون﴾ الوجدان هنا بمعنى الاطلاع والعثور أي: ستطلعون على قوم آخرين وصفهم كذا أو كذا.

(٣) أي لا هم لهم إلّا حظوظ أنفسهم، ولا سعي لهم إلّا في خويصيتهم فهم يظهرون المودة للمسلمين ليأمنوهم ويظهروها لقومهم ليأمنوا أيضاً، قيل هم غطفان، وبنو أسد قبل أن يحسن إسلامهم وبنو عبد الدار بمكة أيضاً إذ كانوا يأتون المدينة مظهرين الإسلام ثم إذا عادوا إلى مكة عبدوا الأصنام.

٣ ـ خطة حكيمة لمعاملة المنافقين بحسب الظروف والأحوال.

٤ ـ تقرير النسخ في القرآن.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

شـرح الكلمات :

إلا خطأً : أي إلا قتلاً خطأً وهو أن لا يتعمد قتله كأن يرمي صيداً فيصيب إنساناً.

رقبة : أي مملوك عبداً كان أو أمة.[1]

مسلمة : مؤداة وافية.[2]

إلا أن يصدقوا : أي يتصدقوا بها على القاتل فلا يطالبوا بها ولا يأخذوها منه.

---

(١) لابد أن تكون الرقبة مؤمنة، وهل يجب أن تكون بالغة؟ إذ الإيمان يتم بالبلوغ، والذي عليه مالك أنها تجزىء إذا كانت سليمة الأعضاء ولو لم تكن بالغة وهو الراجح.

(٢) لقد بيّنت السنة أن دية الخطأ على العاقلة، ولا خلاف فيها.

ميثاق : عهد مؤكد بالأيمان.

متعمداً : مريداً قتله وهو ظالم له.

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة قتال المنافقين متى يجوز ومتى لا يجوز ناسب ذكر قتل المؤمن الصادق في إيمانه خطأ وعمداً وبيان حكم ذلك فذكر تعالى في الآية الأولى (٩٢) أنه لا ينبغي[1] لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا في حال الخطأ أما في حال العمد فلا يكون ذلك منه ولا يتأتى له وهو مؤمن لأن الإيمان نور يكشف عن مدى قبح جريمة قتل المؤمن وما وراءها من غضب الله تعالى وعذابه فلا يقدم على ذلك اللهم إلا في حال الخطأ فهذا وارد وواقع، وحكم من قتل خطأ أن يعتق رقبة ذكراً كانت أو أنثى مؤمنة وأن يدفع الديّة لأولياء القتيل إلا أن يتصدقوا بها فلا يطالبوا بها ولا يقبلونها والدية مائة[2] من الإبل، أو ألف دينار ذهب، أو إثنا عشر ألف درهم فضة. هذا معنى قوله تعالى: ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً[3] إلا خطأً، ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة[4] إلى أهله إلا أن يصدقوا ﴾ فإن كان القتيل مؤمناً ولكن من قوم هم عدو للمسلمين محاربين فالواجب على القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير، إذ لا تعطى الدية لعدو يستعين بها على حرب المسلمين وإن كان القتيل من قوم كافرين وهو مؤمن أو كافر ولكن بيننا وبين قومه معاهدة، على القاتل تحرير رقبة ودية مسلمة إلى أهله، فمن لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين فذلك توبته لقوله تعالى: ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة[5] من الله وكان الله عليماً حكيماً ﴾عليماً بما يحقق المصلحة لعباده

---

(١) فالنفي في قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا. . ﴾ ليس نفي الفعل حتى يقال: ما نفاه الله لا يجوز وجوده، وإنّما هو نفي الحال والشأن لا الفعل فليتأمل.

(٢) ومن الغنم ألف شاة، وهل الإبل تخمّس خلاف، ومذهب الشافعي ومالك أنها تخمس، فعشرون حقة، وعشرون جذعة، وعشرون بنات مخاض، وعشرون بنات لبون، وعشرون بنو لبون ذكور، وتغلّظ دية شبه العمد، بأن يكون أربعون منها في بطونها أولادها، وشبه العمد ما كان بأداة لا تقتل عادة كالعصا ونحوها لحديث: «ألا إنّ دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل منها أربعون في بطونها أولادها».

(٣) قيل نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة إذ قتل الحارث بن زيد العامري لإحنة كانت بينهما، وكان الحارث قد أسلم ولم يعلم عياش بإسلامه فكان قتله خطأً وقوله تعالى: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ أي: فعليه تحرير رقبة.

(٤) أكثر أهل العلم أنّ دية المرأة على نصف دية الرجل وأنّ دية الجنين إذا سقط حياً دية كاملة وإذا سقط ميتا فديته غرّة عبد أو أمة، ومعنى غرّة أي أن يكون أبيض لا أسود، فيقوم العبد وتعطى قيمته دية.

(٥) ﴿توبة﴾: منصوب على المصدر أي تاب الله عليه توبة، أي مشروعية الكفارة في قتل الخطأ كانت توبة من الله على العبد القاتل خطأً، وعلّة الكفارة أنه لم يتحرّز ولم يتحفظ فلذا وقع منه القتل فكان لابد من مكفّر لما لحقه من الاثم بالتفريط، أمّا القاتل عمداً فلا كفارة تجزئه، وهل له من توبة؟ عليه أن يتوب، ومن توبته أن يعتق أو يتصدق ويصوم رجاء أن يتوب الله عليه.

حكيمًا في تشريعه فلا يشرع إلا ماكان نافعاً غير ضار، ومحققاً للخير في الحال والمآل.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (٩٣) فإنها بنيت حكم من قتل مؤمناً عمداً عدواناً، وهو أن الكفارة لا تغني عنه شيئاً لما قضى الله تعالى له باللعن والخلود في جهنم إذ قال تعالى: ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيمًا ﴾ إلا أن الدية أو القصاص لازمان ما لم يعف أولياء الدم فإن عفوا عن القصاص ورضوا بالدية أعطوها وإن طالبوا بالقصاص اقتصوا إذ هذا حقهم وأما حق الله تعالى فإن القتيل عبده خلقه ليعبده فمن قتله فالله تعالى رب العبد خصمه وقد توعده بأشد العقوبات وأفظعها، والعياذ بالله تعالى وذلك حقه قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيمًا ﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ بيان أن المؤمن الحق لايقع منه القتل العمد للمؤمن.

٢ ـ بيان جزاء القتل الخطأ وهو تحرير رقبة ودية مسلمة إلى أهله.

٣ ـ إذا كان القتيل مؤمناً وكان من قوم كافرين محاربين فالجزاء تحرير رقبة ولا دية.

٤ ـ إذا كان القتيل من قوم بين المسلمين وبينهم مثياق فالواجب الدية وتحرير رقبة.

٥ ـ من لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين.[1]

٦ ـ القتل العمد العدوان يجب له أحد شيئين القصاص أو الدية حسب رغبة أولياء الدم وإن عفوا فلهم ذلك وأجرهم على الله تعالى، وعذاب الآخرة وعيد إن شاء الله أنجزه وإن شاء عفا عنه.

يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ
لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ

---

(١) يسقط التتابع بالمرض والحيض لا بالسفر، ومعنى التتابع: أن لا يستأنف مَن أفطر لمرض، وإنّما يبني على ما صامه، ويواصل حتى يكمل الشهرين.

عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

شـــرح الكلمـات :

إذا ضربتم : خرجتم تضربون الأرض بأرجلكم غزاة ومسافرين.

فتبينوا : فتثبتوا حتى لاتقتلوا مسلمًا تحسبونه كافراً.

السلم : الإستسلام والانقياد.

تبتغون : تطلبون.

منّ الله عليكم : بالهداية فاهتديتم وأصبحتم مسلمين.

معنى الآية الكريمة :

روي أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا فلقوا رجلاً يسوق غنمًا من بني سليم فلما رآهم سلم عليهم قائلاً السلام عليكم فقالوا له ماقلتها إلا تقيّة لتحفظ نفسك ومالك وقتلوه فنزلت هذه الآية ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله ﴾ يريد خرجتم مسافرين للغزو والجهاد ﴿فتبّينوا﴾ ممن تلقونهم في طريقكم هل هم مسلمون فتكفوا عنهم أو كافرين فتقاتلوهم، ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ أعلن إسلامه لكم بالشهادة أو بالسلام ﴿لست مؤمناً﴾ فتكذبونه في دعواه الإسلام لتنالوا منه: ﴿تبتغون﴾ بذلك ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ أي متاعها الزائل فإن كان قصدكم الغنيمة فإن عند الله مغانم كثيرة فأطيعوه وأخلصوا له النية والعمل يرزقكم ويغنمكم خير ماتأملون وترجون وقوله ﴿كذلك كنتم من قبل﴾ أي مثل هذا الرجل الذي قتلتموه رغبة في غنمه كنتم تستخفون بإيمانكم خوفاً من قومكم ﴿فمن الله عليكم﴾ بأن أظهر دينه ونصركم فلم تعودوا تخفون دينكم. وعليه فتبينوا

---

(١) السِلم: بكسر السين، والسَّلَم بفتح السين واللام، والسلام: واحد والسلم بالكسر هنا أولى لأنّه بمعنى الانقياد والطاعة.
(٢) روى أنّ النبي ﷺ حمل ديته إلى أهله وردّ غنمه، وهو كذلك.
(٣) سمي متاع الدنيا عَرَضاً: لأنّه عارض زائل، ويطلق العرض بفتح الراء على الدراهم والدنانير وباسكان الراء على المتاع من أثاث وغيره فلذا كل عرض بإسكان الراء عرَض بفتحها ولا ينعكس وفي الحديث الصحيح: «ليس الغنى عن كثرة العرض إنّما الغنى غنى النفس» رواه مسلم.

مستقبلاً، ولا تقتلوا أحداً حتى تتأكدوا من كفره وقوله: ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ تذييل يحمل الوعد والوعيد، الوعد لمن أطاع والوعيد لمن عصى إذ لازم كونه تعالى خبيراً بالأعمال أنه يحاسب عليه ويجزي بها، وهو على كلِّ شيء قدير.

هداية الآية

من هداية الآية:

١ ـ مشروعية السير في سبيل الله غزوا وجهاداً.

٢ ـ وجوب التثبت والتبين في الأمور التي يترتب على الخطأ فيها ضرر بالغ.

٣ ـ ذم الرغبة في الدنيا لاسيما إذا كانت تتعارض مع التقوى.

٤ ـ الإتعاظ بحال الغير والاعتبار بالأحداث المماثلة.

لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

شرح الكلمات:

أولوا الضرر : هم العميان والعرج والمرضى.

درجة : منزلة عالية في الجنة.

الحسنى : الجنة.

---

(١) لأن قتل النفس عظيم، ولذا لمّا أخبر الرسول ﷺ بمن قتل مَن قال لا إله إلا الله ظاناً أنّه قالها تقية قال: «هلّا شققت عن قلبه» قالها ثلاثا، ولذا لو أنّ كافرا صلى معنا ولم يقل: لا إله إلا الله لم نقتله حتى نطلب إليه قولها فإن قالها وإلا قتل حينئذ هذا الكافر المحارب لا المعاهد والمستأمن.

(٢) بل فضيلة السير في سبيل الله سواء للجهاد أو لطلب علم أو صلة رحم أو حج أو عمرة أو إبلاغ دعوة وتعليم علم أو زيارة مؤمن لما ورد في ذلك من الأجر العظيم.

معنى الآيتين :

روي أن ابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية بهذه الصيغة ﴿ لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . . . ﴾ الآية. أتى النبي ﷺ فقال: كيف وأنا أعمى يارسول الله فما برح حتى نزلت ﴿ غير أولي الضرر ﴾[1] فأدخلت بين جملتي ﴿ لايستوي القاعدون من المؤمنين ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ ومعنى الآية: إن الله تعالى ينفي أن يستوي في الأجر والمنزلة عنده تعالى من يجاهد بماله ونفسه ومن لايجاهد بخلاً بماله. وضناً بنفسه، واستثنى تعالى أولي الأعذار من مرض ونحوه فإن لهم أجر المجاهدين وإن لم يجاهدوا لحسن نياتهم، وعدم استطاعتهم فلذا قال ﴿ وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ التي هي الجنة، وقوله: ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ أي فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين لعذر درجة، وإن كان الجميع لهم الجنة وهي الحسنى. وقوله تعالى: ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين﴾ لغير عذر ﴿أجراً عظيماً﴾ وهو الدرجات[2] العالية مع المغفرة والرحمة، وذلك لأن الله تعالى كان أزلاً وأبداً غفوراً رحيما، ولذا غفر لهم ورحمهم، اللهم اغفر لنا وارحمنا معهم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ بيان فضل المجاهدين على غيرهم من المؤمنين الذين لا يجاهدون.

٢ ـ أصحاب الأعذار الشرعية ينالون أجر المجاهدين إن كانت لهم رغبة في الجهاد ولم يقدروا عليه لما قام بهم من[3] أعذار وللمجاهدين فعلاً درجة تخصهم دون ذوي الأعذار.

---

(١) قرىء ﴿غيرُ﴾ بالرفع على أنه نعت لـ ﴿قاعدون﴾ وقرىء بالنصب على الاستثناء ويصح أيضاً على الحال.

(٢) روي في الصحاح أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وقال ﷺ: «من رمى بسهم فله أجره درجة فقال رجل يارسول الله وما الدرجة؟: قال: أما إنها ليست بعتبة بابك، ما بين الدرجتين مائة عام».

(٣) روى البخاري تعليقا وغير واحد أنّ النبي ﷺ وقد قفل عائدا من إحدى غزواته قال: إنّ بالمدينة رجالا ما قطعتم واديا، ولا سرتم مسيرا إلاّ كانوا معكم أولائك قوم حبسهم العذر».

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ
وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾

شــرح الكلمــات:

توفاهم : تقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

ظالمي أنفسهم[(١)] : بتركهم الهجرة وقد وجبت عليهم.

فيم كنتم : في أي شيء كنتم من دينكم؟

مصيراً : مأوى ومسكناً.

حــيلة : قدرة على التحول.

مراغماً : مكاناً وداراً لهجرته يرغم ويذل به من كان يؤذيه في داره.

وســـعة : في رزقه.

وقع أجره على الله : وجب أجره في هجرته على الله تعالى.

معنى الآيات :

لما كانت الهجرة من آثار الجهاد ناسب ذكر القاعدين عنها لضرورة ولغير ضرورة فذكر

(١) ظلم النفس: أن يفعل العبد فعلا يؤول إلى مضرته فهو بذلك ظالم لنفسه، والمراد به هنا ترك الهجرة إذ يترتب عليها ترك العبادة فتخبث النفس وذلك ظلم لها.

تعـالى في هذه الآيات الهجرة وأحكامها فقال تعالى: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾[1] حيث تركوا الهجرة ومكثوا في دار الهوان يضطهدهم العدو ويمنعهم من دينهم ويحـول بينهم وبـين عبـادة ربهم. هؤلاء الظالمون لأنفسهم تقول لهم الملائكة عند قبض أرواحهم ﴿فيم كنتم﴾؟[2] تسألهم هذا السؤال لأن أرواحهم مدساة مظلمة لأنها لم تزك على الصـالحـات، فيقولون معتذرين: ﴿كنا مستضعفين في الأرض﴾ فلم نتمكن من تطهير أرواحنا بالإيمان وصالح الأعمال، فترد عليهم الملائكة قولهم: ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ وتعبدوا ربكم؟ ثم يعلن الله تعالى عن الحكم فيهم بقوله: فأولئك البعداء ﴿مأواهم جهنم﴾ وساءت جهنم مصيراً يصيرون إليه ومأوى ينزلون فيه. ثم استثنى تعالى أصحاب الأعذار كما استثناهم في القعود عن الجهاد في الآيات قبل هذه فقال عز من قائل: ﴿ إلا المستضعفـين[3] من الـرجـال والنساء والولدان﴾، واستضعاف الرجال يكون بالعلل[4] والنساء والولدان بالضعف الملازم لهم، هؤلاء الذين لا يستطيعون حيلة أي لا قدرة لهم على التحول والإنتقال لضعفهم، ﴿ولا يهتدون سبيلاً﴾ إلى دار الهجرة لعدم خبرتهم بالدروب والمسـالـك فطمعهم تعالى ورجاهم بقوله: ﴿فأولئك﴾ المذكورون ﴿عسى الله أن يعفوا عنهم﴾ فلا يؤاخذهم ويغفر لهم بعض ماقصروا فيه ويرحمهم لضعفهم وكان الله غفوراً رحيمًا.

هذا مادلت عليه الآيات الثلاث.

أما الآية الرابعة (١٠٠) فقد أخبر تعالى فيها أن من يهاجر في سبيله تعالى لا في سبيل دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها يجد بإذن الله تعالى في الأرض مذهباً يذهب إليه وداراً ينزل بها ورزقـاً واسعاً يراغم به عدوه الذي اضطهده حتى هاجر من بلاده، فقال تعالى: ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغمًا كثيراً وسعة ﴾ ثم أخبر تعالى أن من خرج مهاجراً

---

(١) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على محمد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل فأنزل الله تعالى: ﴿إنّ الذين تتوفاهم الملائكة. . ﴾ الآية.

(٢) الاستفهام للتوبيخ والتقريع.

(٣) قال ابن عباس: كنت أنا وأمي من عنى الله بهذه الآيةوأم ابن عباس هي: لبابة وتكنى: أم الفضل وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنهما.

(٤) وهي الزمانة، وتكون بالعرج والعمى والشلل ونحوهما.

في سبيل الله أي لأجل عبادته ونصرة دينه ثم مات في طريق هجرته وإن لم يصل إلى دار الهجرة فقد وجب أجره على الله تعالى وسيوفاه كاملاً غير منقوص، ويغفر الله تعالى له ما كان من تقصير سابق ويرحمه فيدخله جنته. إذ قال تعالى: ﴿ ومن يخرج من[1] بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيمًا﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب الهجرة[2] عندما يحال بين المؤمن وعبادة ربه تعالى إذ لم يخلق إلا لها.

٢ ـ ترك الهجرة كبيرة من كبائر الذنوب يستوجب صاحبها دخول النار.

٣ ـ أصحاب الأعذار كما سقط عنهم واجب الجهاد يسقط عنهم واجب الهجرة.

٤ ـ فضل الهجرة في سبيل الله تعالى

٥ ـ من مات في طريق هجرته أعطى أجر المهاجر كاملاً غير منقوص وهو الجنة.

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾
وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟
فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ ضمرة بن جندب خرج إلى رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ومن يخرج من بيته..﴾ الخ.

(٢) الهجرة: هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام وهي فريضة من فرائض الإسلام، وهي هجر متعددة منها الهجرة من بلاد البدعة، قال مالك: لا يحل لمؤمن أن يقيم بأرض يسب فيها السلف الصالح. ومنها الخروج من أرض غلب عليها الحرام، إذ طلب الحلال فريضة، ومنها أن يؤذى المسلم في دينه أو عرضه أو ماله، ومنها الخوف من المرض ما لم يكن طاعونا، فإنّه يحرم الفرار منه، ومنها أن لا يكون في بلدة من يعرف أحكام الشريعة فيها جر لطلب ذلك.

كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ
وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ
فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

ضربتم في الأرض : أي مسافرين مسافة قصر وهي أربعة برد أي ثمانية وأربعون ميلاً .

أن تقصروا من الصلاة : بأن تصلوا الظهرين ركعتين ركعتين، والعشاء ركعتين لطولها .

إن خفتم أن يفتنكم : هذا خرج مخرج الغالب، فليس الخوف بشرط في القصر وإنما الشرط السفر.(1)

حذرهم : الحيطة والأهبة لما عسى أن يحدث من العدو.

وأسلحتكم : جمع سلاح ما يقاتل به من أنواع الأسلحة .

لاجناح عليكم : أي لاتضييق عليكم و لا حرج في وضع الأسلحة للضرورة

(١) من أحكام صلاة السفر: أنّ المسافر لا يشرع في التقصير حتى يتجاوز مباني المدينة التي يسكنها وأنّ المسافر إذا صلى وراء مقيم يتمّ معه، وأنّ المسافر إذا أمّ غيره قصر والمقيم يتم، وأنّه يشرع له الجمع بين الظهرين والعشائين تقديماً أو تأخيرا .

قضيتم الصــلاة : أديتموها وفرغتم منها.

فإذا اطمأننتم : أي ذهب الخوف فحصلت الطمأنينة بالأمن.

كتاباً موقوتا : فرضاً ذات وقت معين تؤدىٰ فيه لا تتقدمه ولا تتأخر عنه.

ولا تهنوا : أي لا تضعفوا.

تألمون : تتألمون.

معنى الآيـات :

بمناسبة الهجرة والسفر من لوازمها ذكر تعالى رخصة قصر الصلاة في السفر وذلك بتقصير الـرباعية إلى ركعتين فقال تعالى: ﴿ وإذا ضربتم في الأرض ﴾ أي سرتم فيها مسافرين[(١)] ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أي حرج وإثم في ﴿ أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ وبينت السنة أن المسافر يقصر ولو أمن فهذا القيد غالبي فقط، وقال تعالى: ﴿ إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً ﴾ تذييل أريد به تقرير عداوة الكفار للمؤمنين فلذا شرع لهم هذه الرخصة.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠١) أمـا الآيتـان بعـدهـا فقد بيّنت صلاة الخوف وصورتها: أن ينقسم الجيش قسمين قسم يقف تجاه العدو وقسم يصلي مع القائد ركعة، ويقف الإمام مكانه فيتمون لأنفسهم ركعة، ويسلمون ويقفون وجاه العدو، ويأتي القسم الذي كان واقفاً تجاه العدو فيصلي بهم الإمام القائد ركعة ويسلم ويتمون لأنفسهم ركعة ويسلمون، وفي كلا الحالين هم آخذون أسلحتهم لا يضعونها على الأرض خشية أن يميل عليهم العدو وهم عزل فيكبدهم خسائر فادحة هذا معنى قوله تعالى: ﴿ وإذا كنت[(٢)] فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من

---

(١) اختلف في المسافة التي تقصر فيها الصلاة، والجمهور على أنّها أربعة برد، واختلفوا في مسافة الميل الذي هو جزء البريد، فالذي رجّحه علماء المالكية هو: أنّ الميل: ألفا ذراع وعليه فمسافة القصر ثمانية وأربعون ميلا أي كيلو متر وهذا قول وسط بين قول من قال لا يقصر في أقل من سبعين ميلا، وبين من قال كل سفر تقصر فيه الصلاة طال أو قصر ولو كان ثلاثة أميال.

(٢) شذ أبو يوسف الحنفي فقال: صلاة الخوف لا تصلى إلاّ مع رسول الله ﷺ ناظراً إلى قوله تعالى ﴿وإذا كنت فيهم﴾ وعليه ما لم يكن فيهم رسـول الله ﷺ فلا تصلى صلاة الخوف، وردّ هذا علماء السلف والخلف وقالوا بمشروعية صلاة الخوف، ما وجد خوف.

ورائكم ﴾ يريد الطائفة الواقعة تجاه العدو لتحميهم منه ﴿ ولتأتِ طائفة أخرى لم يصلوا[1] فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم[2] فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ سيق هذا الكلام لبيان علة الصلاة طائفة بعد أخرى والأمر بالأخذ بالحذر وحمل الأسلحة في الصلاة، ومن هنا رخص تعالى لهم إن كانوا مرضى وبهم جراحات أو كان هناك مطر فيشق عليهم حمل السلاح أن يضعوا أسلحتهم فقال عز وجل: ﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم[3] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ تذييل لكلام محذوف دل عليه السياق قد يكون تقديره فإن الكفار فجرة لا يؤمن جانبهم ولذا أعد الله لهم عذاباً مهيناً، وإنما وضع الظاهر مكان المضمر إشارة إلى علة الشر والفساد التي هي الكفر.

وقوله تعالى في آية (١٠٣) ﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله[4] قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾ فإنه تعالى يأمر المؤمنين بذكره في كل الأحيان لاسيما في وقت لقاء العدو لما في ذلك من القوة الروحية التي تقهر القوى المادية وتهزمها فلا يكتفي المجاهدون بذكر الله في الصلاة فقط بل إذا قضوا الصلاة لا يتركون ذكر الله في كل حال وقوله تعالى: ﴿ فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ﴾ يريد إذا ذهب الخوف وحل الأمن واطمأنت النفوس أقيموا الصلاة بحدودها وشرائطها وأركانها تامة كاملة، لا تخفيف فيها كما كانت في حال الخوف إذ قد تصلي ركعة واحدة وقد تصلى إيماءً وإشارة فقط وذلك إذا التحم المجاهدون بأعدائهم. وقوله: ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ تعليل للأمر بإقام الصلاة فأخبر أن الصلاة مفروضة على المؤمنين وأنها موقوتة بأوقات لا تؤدى إلا فيها.

وقوله تعالى في آية (١٠٤) ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾ أي لا تضعفوا في طلب العدو

---

(١) قد اختلفت الروايات في صلاة الخوف، واختلف لذلك العلماء، إذ صلى النبي ﷺ صلاة الخوف أربعاً وعشرين مرّة، قال الإمام أحمد، وهو إمام أهل الحديث: لا علم أنه روي في صلاة الخوف إلّا حديث صحيح ثابت وكلها صحاح ثابتة، فعلى أيّ حديث صلى منها المصلي صلاة الخوف أجزأه إن شاء الله، وذهب مالك إلى حديث سهل بن أبي حثمه، وهو الذي ذكرته في التفسير فهو واضح سهل.

(٢) الأمتعة: جمع متاع كالأثاث، والعروض وماله علاقة بالسلاح في حالة الحرب.

(٣) في طلب الحذر تشريع للأمّة بأن تأخذ بأسباب النصر ولا تهملها بحال، فإنّ الله تعالى ربط المسبّبات بأسبابها فمن طلب النصر عليه بإعداد ما يمكنه من العدد والعتاد.

(٤) يرى جمهور المفسرين أنّ هذا الذكر المطلوب يكون بعد صلاة الخوف كقوله تعالى: ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ تقوية للقلوب وتوسلا لحصول النصر على العدو المرهوب.

لإنزال الهزيمة به. ولا تتعللوا في عدم طلبهم بأنكم تألمون لجراحاتكم ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ﴾ من النصر والمثوبة العظيمة ﴿ مالا يرجون ﴾ فأنتم أحق بالصبر والجلد والمطالبة بقتالهم حتى النصر عليهم وقوله تعالى ﴿وكان الله عليمًا حكيمًا﴾ فيه تشجيع للمؤمنين على مواصلة الجهاد، لأن علمهم بأن الله تعالى عليم بأحوالهم والظروف الملابسة لهم وحكيم في شرعه بالأمر والنهي لهم يطمئنهم على حسن العافية لهم بالنصر على أعدائهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية صلاة القصر وهي رخصة[(١)] أكدها رسول الله ﷺ بقوله وعمله فأصبحت سنة مؤكدة لا ينبغي تركها.

٢ ـ مشروعية صلاة الخوف وبيان كيفيتها.

٣ ـ تأكد صلاة الجماعة بحيث لا تترك حتى في ساعة الخوف والقتال.

٤ ـ استحباب ذكر الله تعالى بعد الصلاة وعلى كل حال من قيام وقعود واضطجاع.

٥ ـ تقرير فرضية الصلاة ووجوب أدائها في أوقاتها الموقوتة لها.

٦ ـ حرمة الوهن والضعف إزاء حرب العدو والاستعانة على قتاله بذكر الله ورجائه.

إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ

---

(١) كونها رخصة دلّ عليه قوله تعالى: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ كما دلّ عليه قوله ﷺ لعمر رضي الله عنه «تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» هذا، وقد اختلف العلماء، اختلافاً كبيراً هل القصر واجب أم سنة؟ فمن قال بالوجوب. استدل بحديث عائشة: «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين» ومن قال بالسنية وهم الجمهور، ووهنوا حديثها لمخالفتها له حيث كانت تتم في السفر، وذهب بعضهم إلى أن المسافر مخير بين القصر والإتمام والراجح أنها سنة مؤكدة وذلك لكون النبي ﷺ ما ترك القصر في أسفاره أبدا.

مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾

شــرح الكلمـات :

بما أراك الله : أي بما علمكه بواسطة الوحي.

خصيمـاً : أي مخاصماً بالغاً في الخصومة مبلغاً عظيماً.

تجادل : تخاصم.

يختانون أنفسهم : يحاولون خيانة أنفسهم.

يستخفون : يطلبون إخفاء أنفسهم عن الناس.

وهو معهم : بعلمه تعالى وقدرته.

يبيتون : يدبرون الأمر في خفاء ومكر وخديعة.

وكيـلا : الوكيل من ينوب عن آخر في تحقيق غرض من الأغراض.

معنى الآيات :

روي أن هذه الآيات نزلت في طعمة بن أبيرق وإخوته[1] وكان قد سرق درعاً من دار جارٍ له يقال له قتادة وودعها عند يهودي يقال له يزيد بن السمين، ولما اتهم طعمة وخاف هو وإخوته المعرة رموا بها اليهودي وقالوا هو السارق، وأتوا رسول الله ﷺ وحلفوا على براءة أخيهم فصدقهم رسول الله ﷺ وهم بقطع يد اليهودي لشهادة بني أبيرق عليه وإذا بالآيات تنزل ببراءة اليهودي وإدانة طعمة، ولما افتضح طعمة وكان منافقاً أعلن عن ردته وهرب إلى مكة المكرمة ونقب جدار منزل ليسرق فسقط عليه الجدار فمات تحته كافراً.. وهذا تفسير لآيات قولـه تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب ﴾ أي القرآن، أيها الرسول ﴿لتحكم بين[2]

---

(١) هم ثلاثة أنفار بشر وبشير، ومبشر يقال لهم بنو أبيرق.

(٢) يشهد لهذا قوله ﷺ في الصحيح : «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فإنّما أقتطع له قطعة من نار».

النـاس بمـا أراك الله﴾[1] أي بمـا أعلمـك وعـرفـك به لا بمجـرد رأي رآه غيرك من الخـائنين وعاتبه ربه تعالى بقوله ﴿ ولا تكن للخائنين خصيمًا ﴾ أي مجادلاً عنهم، فوصم تعالى بني أبـيرق بالخيانة، لأنهم خانوا أنفسهم بدفعهم التهمة عنهم بأيمانهم الكاذبة. ﴿ واستغفر[2] الله ﴾ من أجل ما هممت به من عقوبة اليهودي، ﴿ إن الله كان غفوراً رحيمًا ﴾ فيغفر لك ما هممت به ويرحمك ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ حيث اتهموا اليهودي كذباً وزوراً، ﴿ إن الله لا يحب من كان خوانـاً أثيمًا ﴾ كطعمـة بن أبـيرق ﴿ يستخفـون[3] من الناس ﴾ حياء منهم، ﴿ ولا يستخفون من الله ﴾ ولا يستحيون منه، وهو تعالى معهم في الوقت الذي كانوا يدبرون كيف يخرجون من التهمة بإلصاقها باليهودي البرىء، وعزموا أن يحلفـوا على براءة أخيهم وإتهـام اليهودي هذا القول مما لا يرضاه الله تعالى. . وقوله عز وجل : ﴿ وكان الله بما يعملون محيطاً ﴾ فما قام به طعمة من سرقة الدرع ووضعها لدى اليهودي ثم اتهامهم اليهودي، وحلفهم على براءة أخيهم كل ذلك جرى تحت علم الله تعالى والله به محيط، فسبحانه من إله عليم عظيم. وقوله تعالى: ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ أي ياهؤلاء ﴿جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ﴾ هذا الخطاب موجه إلى الذين وقفوا إلى جنب بني أبيرق يدفعون عنهم التهمة فعاتبهم الله تعـالى بقـولـه : ﴿هاأنتم هؤلاء جادلتهم عنهم﴾، اليوم في هذه الحياة الدنيا لتدفعوا عنهم تهمة السرقة ﴿ فمن[4] يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ﴾ يتولى الدفاع عنهم في يوم لا تملك فيه نفس لنفس شيئاً والأمر كله لله فتضمنت الآية تقريعاً شديداً حتى لا يقف أحد بعد موقفاً مخزياً كهذا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ لايجوز الحكم بغير ما أنزل الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

٢ ـ لا يجوز الوقوف إلى جنب الخونة الظالمين نصرة لهم.

---

(١) ﴿بما أراك الله﴾ معناه على قوانين الشرع إمّا بوحي ونص أو بنظر جار على سنن الوحي.

(٢) فيه إرشاد للأمة وتعليم لها إذ الرسول ﷺ لم يقارف ذنبا وكل ما في الأمر أنّه همّ على ظنّ منه ودفع الله عنه ما همّ به بنزول الآية، أو استغفاره لما همّ به هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

(٣) أي يستترون.

(٤) الاستفهام هنا للانكار، والتوبيخ، والتقريع.

٣ ـ وجوب الاستغفار من الذنب كبيراً كان أو صغيراً.

٤ ـ وجوب بغض الخوّان الأثيم أيّاً كان.

٥ ـ استحباب الوعظ والتذكير بأحوال يوم القيامة.

وَمَن يَعْمَلْ
سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

شــرح الكلمـات :

سوءاً : السوء: مايسيء إلى النفس أو إلى الغير.

أو يظلم نفسه : ظلم النفس: بغشيان الذنوب وارتكاب الخطايا.

إثمًا : الإثم: ما كان ضاراً بالنفس فاسداً.

بريئاً : البريء: من لم يجن جناية قد اتهم بها.

احتمل بهتاناً : تحمل بهتاناً: وهو الكذب المحير لمن رمي به.

الكتاب والحكمة : الكتاب: القرآن والحكمة السنة.

معنى الآيات :

هذا السياق معطوف على سابقه في حادثة طعمة بن أبيرق وهو يحمل الرحمة الإلهية لأولئك الذين تورطوا في الوقوف إلى جنب الخائن ابن أبيرق فأخبرهم تعالى أن من يعمل

سوءاً يؤذي به غيره أو يظلم نفسه بارتكاب ذنب من الذنوب ثم يتوب إلى الله تعالى باستغفاره والإنابة إليه يتب الله تعالى عليه ويقبل توبته وهو معنى قوله تعالى في الآية (١١٠) ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر[1] الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ يغفر له ويرحمه.

قوله تعالى ﴿ من يكسب إثماً ﴾ أي ذنباً من الذنوب صغيرها وكبيرها ﴿ فإنما يكسبه على نفسه ﴾ إذ هي التي تتدسّى به وتؤاخذ بمقتضاه إن لم يغفر لها. ولا يؤاخذ به غيرها وكان الله عليماً أي بذنوب عبــاده حكيماً أي في مجازاتهم بذنــوبهم فلا يؤاخـذ نفسـاً بما اكتسبت ويترك نفسـاً قد اكتسبت (١١٢) يخبر تعالى أن من يرتكب خطيئة ضد أحد، أو يكسب إثماً ويرمي به أحداً بريئاً منه قد تحمل تبعة عظيمة قد تصليه نار جهنم وهو معنى قوله: ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم[2] به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾.

وفي الآية (١١٣) يواجه الله تعالى رسوله بالخطاب ممتناً عليه بما حباه به من الفضل والرحمة فيقول: ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلوك ومايضلون إلا أنفسهم ومايضرونك من شيء ﴾، والمراد بالطائفة التي ذكر الله تعالى هم بنو أبيرق أخوة طعمة وقوله ﴿ ومايضلون إلا أنفسهم[3] ﴾، فهو كما قال عز وجل ضلالهم عائد عليهم أما الرسول فلن يضره ذلك وقوله تعالى: ﴿ وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ امتنان من الله تعالى على رسوله بأنه أنزل عليه القرآن أعظم الكتب وأهداها وعلمه الحكمة وهي ما كشف له من أسرار الكتاب الكريم، وما أوحي إليه من العلوم والمعارف التي كلها نور وهدى مبين، وعلمه من المعارف الربانية ما لم يكن يعلم قبل ذلك وبهذا كان فضله على رسوله عظيماً فلله الحمد والمنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير مبدأ التوبة تجب ما قبلها، ومن تاب تاب الله عليه.

٢ ـ عظم ذنب من يكذب على البرءاء، ويتهم الأمناء بالخيانة.

---

(١) المراد بالاستغفار: التوبة وطلب العفو من الله تعالى عمّا مضى من الذنوب قبل التوبة.

(٢) أي ينسبه إليه.

(٣) إذ نتائج الضلال وعوائده وهي الخسران عائدة عليهم لا على الرسول ﷺ.

٣ ـ تأثير الكلام على النفوس حتى أن الرسول ﷺ كاد يضلله بنو أبيرق فيبرىء الخائن ويدين البرىء إلا أن الله عصمه.

٤ ـ عاقبة الظلم عائدة على الظالم.

۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

شـــرح الكلمـات :

نجواهم[(١)] : النجـوى: المسـارة بالكـلام، ونجواهم: أحاديثهم التي يسرها بعضهم إلى بعض.

أو بمعروف[(٢)] : المعروف: ماعرفه الشرع فأباحه، أو استحبه أو أوجبه.

ابتغاء مرضاة الله : أي طلباً لمرضاة الله أي للحصول على رضا الله عز وجل.

نؤتيه : نعطيه والأجر العظيم: الجنة ومافيها من نعيم مقيم.

يشاقق الرسول : يحاده ويقاطعه ويعاديه. كمن يقف في شق، والآخر في شق.

ويتبع غير سبيل المؤمنين : أي يخرج عن إجماع المسلمين.

نوله ماتولى : نخـذلـه فنتركه وماتولاه من الباطل والشر والضلال حتى يهلك فيه.

---

(١) النجوى: مشتقة من نجوت الشيء أنجوه إذا خلّصته وأفردته، والنجوى من الأرض: ما ارتفع منها دون ما حواليه، ومن ناجى احداً فقد خلصه وأفرده له، وتسمى الجماعة نجوى نحو هم عَذْلٌ قال تعالى: ﴿وإذ هم نجوى﴾.

(٢) المعروف: لفظ يعمّ جميع ألفاظ البرّ أمر الله تعالى به في كتابه فقال: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ أي المعروف: قال الحطيئة:

مَنْ يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

ونصله نار جهنم : أي ندخله النار ونحرقه فيها.

معنى الآيتين :

مازال السياق في بني أبيرق ففي الآية الأولى (١١٤) يخبر تعالى أنه لاخير في كثير من أولئك المتناجين ولا في نجواهم لنفاقهم وسوء طواياهم اللهم إلا في نجوى أمر أصحابها بصدقة تعطى لمحتاج إليها من المسلمين، أو معروف[١] استحبه الشارع أو أوجبه من البر والإحسان أو إصلاح بين الناس للإبقاء على الألفة والمودة بين المسلمين. ثم أخبر تعالى أن من يفعل ذلك المذكور من الصدقة والمعروف والإصلاح[٢] بين الناس طلباً لمرضاة الله تعالى فسوف يثيبه بأحسن الثواب ألا وهو الجنة دار السلام إذ لا أجر أعظم من أجر يكون الجنة.

هذا مادلت عليه الآية الأولى أما الثانية (١١٥) فإن الله تعالى يتوعد أمثال طعمة بن أبيرق فيقول جل ذكره: ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ أي يخالفه ويعاديه ﴿من بعد ماتبين له الهدى﴾ أي من بعد ماعرف أنه رسول الله حقاً جاء بالهدى ودين الحق، ثم هو مع معاداته للرسول يخرج من جماعة المسلمين ويتبع غير سبيلهم[٣] هذا الشقي الخاسر ﴿نوله ماتولى﴾ أي نتركه لكفره وضلاله خذلاناً له في الدنيا ثم نصله نار جهنم يحترق فيها، وبئس المصير جهنم يصير إليها المرء ويخلد فيها.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ حرمة تناجي إثنين دون الثالث لثبوت ذلك في السنة.

٢ ـ الاجتماعات السرية لا خير فيها إلا اجتماعاً كان لجمع صدقة، أو لأمر بمعروف أو إصلاح بين متنازعين من المسلمين مختلفين.

٣ ـ حرمة الخروج عن أهل السنة والجماعة، واتباع الفرق الضالة التي لا تمثل الإسلام إلا في دوائر ضيقة كالروافض ونحوهم..

---

(١) قيل لحكيم ما أعظم المصائب؟ قال: أن تقدر على المعروف فلا تصنعه حتى يفوت، وقال في هذا المعنى الشاعر:

إذا هبّت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها فما تدري السكون متى يكون

(٢) ورد في إصلاح ذات البين الكثير من الأحاديث منها قوله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين» رواه الترمذي وصححه وقال: «ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا».

(٣) هذه الآية هي دليل حرمة الخروج على جماعة المسلمين، روي أنّ الشافعي طلب دليلا على صحة الإجماع فقرأ القرآن مرّات حتى عثر على هذه الآية وقرّر أنها دليل الإجماع. وهو كذلك.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا
﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ
مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا
مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

شــرح الكلمـات :

أن يشرك به : أن يعبد معه غيره من مخلوقاته بأي عبادة كانت.

إن يدعون : أي مايدعون.

إلا إناثاً : جمع أنثى لأن الآلهة مؤنثة، أو أمواتاً لأن الميت يطلق عليه لفظ أنثى بجامع عدم النفع.

مريداً : بمعنى مارد على الشر والإغواء للفساد.

نصيباً مفروضاً : حظاً معيناً. أو حصة معلومة.

فليبتكن [1] : فليقطعن.

خلق الله : مخلوق الله أي ماخلقه الله تعالى.

الشيطان : الخبيث الماكر الداعي إلى الشر سواء كان جنياً أو إنسياً.

---

(١) البتك: القطع، يقال: سيف باتك.

يمنيهم : يجعلهم يتمنون كذا وكذا ليلهيهم عن العمل الصالح .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك[1] به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ إخبار منه تعالى عن طعمة بن أبيرق بأنه لايغفر له وذلك لموته على الشرك ، أما إخوته الذين لم يموتوا مشركين فإن أمرهم إلى الله تعالى إن شاء غفر لهم وإن شاء آخذهم كسائر مرتكبي الذنوب غير الشرك والكفر. وقوله تعالى ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ أي ضل عن طريق النجاة والسعادة ببعده عن الحق بعداً كبيراً وذلك بإشراكه بربه تعالى غيره من مخلوقاته .

وقوله تعالى ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً﴾ . هذا بيان لقبح الشرك وسوء حال أهله فأخبر تعالى أن المشركين مايعبدون إلا أمواتاً لايسمعون ولا يبصرون ولاينطقون ولا يعقلون . إذ أوثانهم ميتة وكل ميت فهو مؤنث زيادة على أن أسماءها مؤنثة كاللات والعزى ومناة ونائلة ، كما هم في واقع الأمر يدعون شيطاناً مريداً إذ هو الذي دعاهم إلى عبادة الأصنام فعبدوها فهم إذاً عابدون للشيطان في باطن الأمر لا الأوثان ، ولذا قال تعالى : ﴿ وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً[2] ﴾ لعنه الله وأبلسه عند إبائه السجود لآدم ، ﴿ وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً[3] ﴾ أي عدداً كبيراً منهم يعبدونني ولا يعبدونك وهم معلومون معروفون بمعصيتهم إياك ، وطاعتهم لي . وواصل العدو تبجحه قائلا : ﴿ ولأضلنهم ﴾ يريد عن طريق الهدى ﴿ ولأمنينهم ﴾ يريد أعوقهم عن طاعتك بالأماني الكاذبة بأنهم لا يلقون عذاباً أو أنه سيغفر لهم . ﴿ ولآمرنهم ﴾ فيطيعوني ﴿فليبتكن آذان الأنعام[4]﴾ أي ليجعلون لآلهتهم نصيباً مما رزقتهم ويعلمونها بقطع آذانها لتعرف أنها للآلهة كالبحائر والسوائب التي يجعلونها للآلهة ، ﴿ولآمرنهم﴾ أيضاً فيطيعونني فيغيرون خلق الله بالبدع

(١) في هذه الآية ردّ على الخوارج الذين يكفرون بالذنب دون الشرك ويوجبون الخلود في النار لمن مات على كبيرة قال علي رضي الله عنه : ما في القرآن آية أحبّ إلّي من هذه : ﴿إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ رواه الترمذي .

(٢) أطلق الدعاء وأريد به العبادة ، وهو إطلاق شائع في القرآن الكريم لأن الدعاء هو العبادة إذ طاعتهم للشيطان عبادة في حدّ ذاتها إذ المطاع في معصية الله معبود قال تعالى : ﴿واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ أي آلهة وذلك لمّا أطاعوهم في معصية الله تعالى .

(٣) قيل كان نصيبه من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين لحديث مسلم : «أبعث بعث النار فيقول وما بعث النار؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» المخاطب آدم عليه السلام .

(٤) أجاز الجمهور خصاء الغنم لفائدة اللحم ، وحرّموا خصاء غيرها ، وخاصة الآدمي ، وأجازوا الوسم في غير الوجه للحيوان ليعرف به وهو كذلك ، أمّا الوشم فحرام للأحاديث الصحاح فيه .

والشرك، والمعاصي كالوشم والخصي. هذا ما قاله الشيطان ذكره تعالى لنا فله الحمد. ثم قال تعالى ﴿ ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ﴾ لأن من والى الشيطان عادى الرحمن ومن عادى الرحمن تم له والله أعظم الخسران يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ يعـدهم ويمنيهم ﴾ فيعـوقهم عن طلب النجاة والسعادة ﴿ وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ إذ هو لا يملك من الأمر شيئاً فكيف يحقق لهم نجاة أو سعادة إذاً ؟

وهذا حكم الله تعالى يعلن في صراحة ووضوح فليسمعوه : ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً ﴾ أي معدلاً أو مهرباً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ سائر الذنوب كبائرها وصغائرها قد يغفرهاالله تعالى لمن شاء إلا الشرك فلا يغفر لصاحبه.

٢ ـ عبدة الأصنام والأوهام والشهوات والأهواء هم في الباطن عبدة الشيطان إذ هو الذي أمرهم فأطاعوه.

٣ ـ من مظاهر طاعة الشيطان المعاصي كبيرها وصغيرها إذ هو الذي أمر بها وأطيع فيها.

٤ ـ حرمة الوشم والوسم والخصاء إلا ما أذن فيه الشارع.[1]

٥ ـ سلاح الشيطان العدة الكاذبة والأمنية الباطلة، والزينة الخادعة.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٢٢)

شـــرح الكلمـات :

آمنوا : صدقوا بالله ورسوله.[2]

وعملوا الصالحات : الطاعات إذ كل طاعة لله ورسوله هي عمل صالح.

(١) أذن الشارع في وسم الماشية ولكن في غير الوجه كما أذن وخصي الغنم ضأناً أو ماعزاً لمصلحة إصلاح لحومها

(٢) وصدّقوا بكل ما أخبر الله به ورسوله في شأن الغيب كالملائكة والبعث والجزاء في الدار الآخرة.

قيلاً[1] : أي قولاً.

معنى الآية الكريمة :

لما بين تعالى جزاء الشرك والمشركين عبدة الشيطان بين في[2] هذه الآية جزاء التوحيد والموحدين عبيد الرحمن عز وجل، وأنه تعالى سيدخلهم بعد موتهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار وأن خلودهم مقدر فيها بإذن الله ربهم فلا يخرجون منها أبداً وعدهم ربهم بهذا وعد الصدق، وليس هناك من هو أصدق وعداً ولا قولا من الله تعالى.

هداية الآية

من هداية الآية

١ - الإيمان الصادق والعمل الصحيح الصالح هما مفتاح الجنة وسبب[3] دخولها.

٢ - صِدْق وَعْدِ الله تعالى، وصِدق قوله عز وجل.

٣ - وجوب صِدق الوعد من العبد لأن خلف الوعد من النفاق لحديث[4] « وإذا واعد أخلف ».

٤ - وجوب صدق القول والحديث لأن الكذب من النفاق لحديث وإذا حدث كذب.

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ

---

(١) القيل، والقول، والقال: بمعنى واحد.

(٢) هذا من منهج القرآن الخاصّ به وهو الجمع بين الترهيب والترغيب لأنّه كتاب هداية وتربية فلذا يجمع بين الوعد والوعيد وذكر الشيء وضدّه.

(٣) لأنّه بالإيمان والعمل الصالح تزكو النفس البشرية وتطهر، وإذا زكت وطهرت تأهلت لدخول الجنة، إذ هي دار الأبرار ودار المتقين.

(٤) رواه البخاري وغيره «آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا واعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

شـرح الكلمـات :

أمانيكم : جمع أمنية : وهي ما يقدره المرء في نفسه ويشتهيه مما يتعذر غالباً تحقيقه.

أهل الكتاب : اليهود والنصارى.

سوءاً : كل ما يسيء من الذنوب والخطايا.

وليـاً : يتولى أمره فيدفع عنه المكروه.

نقيراً : النقير: نقرة في ظهر النواة.

ملة إبراهيم : عبادة الله وحده لا شريك له بها شرعه الله تعالى.

خليلاً : الخليل: المحب الذي تخلل حبه مسالك النفس فهو أكبر من الحبيب.

محيطـاً : علما وقدرة إذ الكون كله تحت قهره ومدار بقدرته وعلمه.

معنى الآيات :

روي أن هذه الآية نزلت(١) لما تلاحى مسلم ويهودي وتفاخرا فزعم اليهودي أن نبيهم وكتابهم ودينهم وجد قبل كتاب ونبي المسلمين ودينهم فهم أفضل، ورد عليه المسلم بما هو الحق فحكم الله تعالى بينهما بقوله: ﴿ليس بأمانيكم﴾ أيها المسلمون ﴿ولا أماني أهل الكتاب﴾ من يهود ونصارى أي ليس الأمر والشأن بالأماني العذاب، وإنما الأمر والشأن في هذه القضية أنه سنة الله تعالى في تأثير الكسب الإرادي على النفس بالتزكية أو التدسية فمن عمل(٢) سوءاً من الشرك والمعاصي، كمن عمل صالحاً من التوحيد والطاعات يجز بحسبه

---

(١) روي أيضاً عن قتادة أنه قال: تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب فقال اهل الكتاب: نبيّنا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أحق بالله منكم، وقال المؤمنون: نبيّنا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على سائر الكتب فنزلت. . ولا تعارض بين الرأيين.

(٢) هذه الآية عامة في الكافر والمؤمن ويؤكد عمومها رواية مسلم «أن النبي ﷺ لمّا نزلت وبلغت من المسلمين مبلغاً قال: قاربوا وسدّدوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها» ويفسرها لنا أيضاً قوله ﷺ في رواية أحمد لأبي بكر وقد قال لمّا نزلت: كيف الفلاح يا رسول الله بعد هذه الآية؟ فكل سوء عملناه جزينا به: غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ قال بلى قال فهو مما تجزون».

فالسوء يخبث النفس فيحرمها من مجاورة الأبرار والتوحيد والعمل الصالح يزكيها فيؤهلها لمجاورة الأبرار، ويبعدها عن مجاورة الفجار. وقوله تعالى: ﴿ ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ لأن سنن الله كأحكامه لا يقدر أحد على تغييرها أو تبديلها بل تمضي كما هي فلا ينفع صاحب السوء أحد، ولا يضر صاحب الحسنات آخر. وقوله تعالى: ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ فإنه تقرير لسنته تعالى في تأثير الكسب على النفس والجزاء بحسب حال النفس زكاة وطهراً وتدسية وخبثاً، فإنه من يعمل الصالحات وهو مؤمن تطهر نفسه ذكراً كان أو أنثى ويتأهل بذلك لدخول الجنة، ولايظلم مقدار نقير فضلاً عما هو أكثر وأكبر وقوله تعالى: ﴿ ومن[1] أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ إشادة منه تعالى وتفضيل للدين الإسلامي على سائر الأديان إذ هو قائم على أساس إسلام الوجه[2] لله وكل الجوارح تابعة له تدور في فلك طاعة الله تعالى مع الإحسان الكامل وهو إتقان العبادة وأداؤها على نحو ماشرعها الله تعالى واتباع ملة إبراهيم بعبادة الله تعالى وحده والكفر بما سواه من سائر الآلهة. وقوله ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلاً ﴾ فيه زيادة تقرير فضل الإسلام الذي هو دين إبراهيم الذي اتخذه ربه خليلاً وقوله تعالى: ﴿ ولله مافي السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً ﴾ زيادة على أنه إخبار بسعة ملك الله تعالى وسعة علمه وقدرته وفضله فإنه رفع لما قد يتوهم من خلة إبراهيم أن الله تعالى مفتقر إلى إبراهيم أو له حاجة إليه، فأخبر تعالى أن له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وإبراهيم في جملة ذلك فكيف يفتقر إليه أو يحتاج إلى مثله وهو رب كل شيء وملكه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ ما عند الله لا ينال بالتمنى ولكن بالإيمان والعمل الصالح أو التقوى والصبر والإحسان.

٢ ـ الجزاء أثر طبيعي للعمل وهو معنى ﴿ من يعمل سوء يجز به ﴾، ومن يعمل من

---

(١) الاستفهام انكاري أي: ينكر أن يوجد من هو أحسن دينا منه.

(٢) أفادت هذه الآية حكماً عظيماً، وهو أنه لا يصح عمل بدونه أبداً، وهو الإخلاص والمتابعة، وهو أن يكون العمل خالصاً لله، وأن يكون صوابا، أي وفق ما شرع الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ.

الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة﴾

٣ ـ فضل الإسلام على سائر الأديان.

٤ ـ شرف إبراهيم عليه السلام باتخاذه ربه[1] خليلاً.

٥ ـ غنى الله تعالى عن سائر مخلوقاته، وافتقار سائر مخلوقاته إليه عز وجل.

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ
بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾
وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ
ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ
بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا
مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

---

(١) وقد شرف بالخلّة محمد ﷺ ففي الصحيحين أنه ﷺ خطبهم آخر خطبة فقال: «أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر ابن أبي قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله».

شـــرح الكلمـات :

يستفتونك[1]	: يطلبون منك الفتيا في شأن النساء وميراثهن .
وما يتلى عليكم	: يقرأ عليكم في القرآن .
ما كتب لهن	: مافرض لهن من المهور والميراث .
بالقسط	: بالعدل
نشوزاً	: ترفعاً وعدم طاعة .
وأحضرت الأنفس الشح	: جبلت النفوس على الشح فلا يفارقها أبداً .
فتذروها كالمعلقة	: فتتركوها كالمعلقة ماهي بالمزوجة ولا المطلقة .
من سعته	: من رزقه الواسع .
وكان الله واسعاً حكيما	: واسع الفضل حكيمًا يعطي فضله حسب علمه وحكمته .

معنى الآيات :

هذه الآيات الأربع كل آية منها تحمل حكمًا شرعياً خاصا فالأولى (١٢٧) نزلت إجابة لتساؤلات من بعض الأصحاب حول حقوق النساء مالهن وما عليهن لأن العرف الذي كان سائداً في الجاهلية كان يمنع النساء والأطفال من الميراث بالمرة وكان اليتامى لا يراعى لهم جانب ولا يحفظ لهم حق كامل فلذا نزلت الآيات الأولى من هذه السورة وقررت حق المرأة والطفل في الإرث وحضت على المحافظة على مال اليتامى وكثرت التساؤلات لعل قرآناً ينزل إجابة لهم حيث اضطربت نفوسهم لما نزل فنزلت هذه الآية الكريمة تردهم إلى ما في أول السورة وأنه الحكم النهائي في القضية فلا مراجعة بعد هذه، فقال تعالى وهو يخاطب نبيه ﷺ ﴿ ويستفتونك في النساء ﴾ أي ومازلوا يستفتونك في النساء، أي في شأن مالهن وما عليهن من حقوق كالإرث والمهر وما إلى ذلك. قل لهم أيها الرسول ﴿الله يفتيكم فيهن﴾ وقد أفتاكم فيهن وبين لكم مالهن وما عليهن. وقوله تعالى: ﴿ ومايتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء التي لا تؤتونهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكحوهن ﴾ أي وما يتلى عليكم في يتامى النساء في أول السورة كافٍ لكم لا تحتاجون معه إلى من يفتيكم أيضاً إذ بين لكم أن من كانت تحته يتيمة دميمة لا يرغب في نكاحها فليعطها مالها وليزوجها غيره وليتزوج هو من

---

(١) روى أشهب عن مالك أنّ النبي ﷺ: كان يُسأل فلا يجيب حتى ينزل عليه الوحي .

شاء، ولا يحل له أن يحبسها في بيته لأجل مالها، وإن كانت جميلة وأراد أن يتزوجها فليعطها مهر مثيلاتها ولا يبخسها من مهرها شيئاً. وقوله ﴿ والمستضعفين من الولدان ﴾ أي وقد أفتـاكم بمايتـلى عليكم من الآيات في أول السورة في المستضعفين من الولدان حيث قد أعطاهم حقهم وافياً في آية ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ الآية.

فلم هذه المراجعات والاستفتاءات ؟؟ وقوله تعالى ﴿ وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ أي وما تلى عليكم في أول السورة كان آمراً إياكم بالقسط لليتامى والعدل في أموالهم فارجعوا إليه في قولـه: ﴿ وآتـوا اليتـامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً ﴾ وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ حث لهم على فعل الخير بالإحسان إلى الضعيفين المرأة واليتيم زيادة على توفيتهما حقوقهما وعدم المساس بهما. هذا مادلت عليه الآية الكريمة ﴿ ويستفتونك . . . . . ﴾ إلخ.

أما الآية الثانية (١٢٨) ﴿ وإن امرأة خافت[١] من بعلها نشوزاً أو إعراضاً[٢] فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً ﴾ فقد تضمنت حكمًا عادلاً رحيمًا وإرشاداً ربانيا سديداً وهو أن الزوجة إذا توقعت من زوجها نشوزاً أي ترفعاً عليها أو إعراضاً عنها، وذلك لكبر سنها أو لقلة جمالها وقد تزوج عليها غيرها في هذا الحال في الإمكان أن تجري مع زوجها صلحاً يحفظ لها بقاءها في بيتها عزيزة محترمة فتتنازل له عن بعض حقها في الفراش وعن بعض ما كان واجبـاً لها وهـذا خير لها من الفـراق. ولـذا قال تعـالى ﴿ والصلح خير ﴾ وقـولـه تعالى ﴿ واحضرت الأنفس الشح[٣] ﴾ يريد أن الشح ملازم للنفس البشرية لايفارقها والمرأة كالرجل في هذا إلا أن المرأة أضن وأشح بنصيبها في الفراش وبباقي حقوقها من زوجها. إذاً فليراع الزوج هذا ولذا قال تعالى ﴿ وإن تحسنوا ﴾ أيها الأزواج إلى نسائكم ﴿وتتقوا﴾ الله تعالى

(١) خافت: أي توقعت وليس بمعنى تيقنت.

(٢) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضاً﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول له أجعلك من شأني في حل فنزلت هذه الآية.
كما روي أنّ الآية نزلت في سودة أم المؤمنين لما أسنت أراد رسول الله ﷺ أن يطلقها فآثرت الكون معه فقالت له: امسكني واجعل يومي لعائشة ففعل ﷺ وماتت وهي من أزواجه» رواه الترمذي. قالوا في الفرق بين النشوز والإعراض : أنّ النشوز هو التباعد عنها، وأن الإعراض ألّا يكلمها ولا يأنس بها.

(٣) الشح: هو البخل ومنه الحديث: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى» غير أنّ الشح يطلق على حرص النفس على الحقوق وقلة التسامح فيها.

فيهن فلا تحرموهن مالهن من حق في الفراش وغيره فإن الله تعالى يجزيكم بالإحسان إحساناً وبالخير خيراً فإنه تعالى ﴿بما تعملون خبير﴾ .

هذا مادلت عليه الآية (١٢٨) وأمـا الآية الثـالثـة (١٢٩) وهي قولـه تعالى : ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم[١] فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيمًا ﴾ فقد تضمنت حقيقة كبرى وهي عجز الزوج عن العدل بين زوجاته اللائي في عصمته فمهما حرص على العدل وتوخاه فإنه لن يصل إلى منتهاه أبداً والمراد بالعدل هنا في الحب والجماع . أما في القسمة والكساء والغذاء والعشرة بالمعروف فهذا مستطاع له ، ولما علم تعالى هذا من عبده رخص له في ذلك ولم يؤاخذه بميلة النفس كما قال رسول الله ﷺ « اللهم هذا قسمي[٢] فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » والمحرم على الزوج هو الميل[٣] الكامل إلى إحدى زوجاته عن باقيهن ، لأن ذلك يؤدي أن تبقى المؤمنة في وضع لا هي متزوجة تتمتع بالحقوق الزوجية ولا هي مطلقة يمكنها أن تتزوج من رجل آخر تسعـد بحقـوقهـا معه وهذا معنى قوله تعالى ﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وإن تصلحوا ﴾ أي أيها الأزواج في أعمالكم وفي القسم بين زوجاتكم وتتقوا الله تعالى في ذلك فلا تميلوا كل الميل ، ولا تجوروا فيما تطيقون العدل فيه فإنه تعالى يغفر لكم ماعجزتم عن القيام به لضعفكم ويرحمكم في دنياكم وأخراكم لأن الله تعالى كان ومازال غفوراً للتائبين رحيمًا بالمؤمنين .

هذا مادلت عليه الآية الثالثة أما الآية الرابعة (١٣٠) وهي قوله تعالى : ﴿ وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته[٤] وكان الله واسعاً حكيما ﴾ فإن الله تعالى يعد الزوجين الذين لم يوفقا للإصلاح بينهما لشح كل منهما بماله وعدم التنازل عن شيء من ذلك يعدهما ربهما إن هم تفرقا بالمعروف أن يغني كلا منهما من سعته وهو الواسع الحكيم فالمرأة يرزقها زوجاً خيراً من زوجها الذي فارقته ، والرجل يرزقه كذلك امرأة خيراً ممن فارقها لتعذر الصلح بينهما .

---

(١) هذا دال على أنّ المحبة أمر قهرى يعجز الإنسان عن جلبها كما يعجز عن دفعهاوإن كانت لها أسباب لا يملك الإنسان توفيرها فلذا عفي عن هذا الحب القهري وجودا وعدماً .

(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح ، ورواه غيره ، والمراد بقوله : «فيما تملك ولا أملك» القلب لأنّ القلوب بيد الله يقلبها كيف شاء .

(٣) ورد في ذنب الميلُ إلى إحدى الزوجات وعيد شديد وذلك فيما رواه أحمد وأصحاب السنن عن النبي ﷺ : «من كانت له امرأتان فمال إلى احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيّه ساقط» .

(٤) هناك إشارة إلى أنّ هذا الوعد الإلهي مشروط بمحاولة الصلح أوّلا فإن لم يتم وتفرقا على طاعة الله تعالى أنجز الله تعالى لهما ما وعد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير مبدأ إرث النساء والأطفال، والمحافظة على مال اليتامى وحرمة أكلها.

٢ ـ استحباب الصلح بين الزوجين عند تعذر البقاء مع بعضهما إلا به.

٣ ـ تعذر العدل بين الزوجين في الحب والوطء استلزم عدم المؤاخذة به واكتفى الشارع بالعدل في الفراش والطعام والشراب والكسوة والمعاشرة بالمعروف.

٤ ـ الترغيب في الإصلاح والتقوى وفعل الخيرات.

٥ ـ الفرقة بين الزوجين إن كانت على مبدأ الإصلاح والتقوى أعقبت خيراً عاجلاً أو آجلاً.

وَلِلَّهِ مَا فِى[1]
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ
ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

---

(١) إن قيل ما وجه تكرار جملة: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ ثلاث مرات فالجواب: أنه تعالى لما ذكر أن الزوجين إذا تفرّقا بعد مصالحة وعلى تقوى، يغنيهما الله، برهن على ذلك بأن له ما في السموات وما في الأرض، ومن كان كذلك فهو قادر على إغنائهما، ولما وصى عباده بتقواه، وهي طاعته بفعل الأمر وترك النهي أعلم أنّه قادر على عقوبة من عصاه، وأنّه لم يوص بالتقوى لحاجة به إنّه يملك ما في السموات وما في الأرض ومن كان كذلك فلا حاجة به إلى أحد، ولمّا ذكر غناه وحمده دلّل عليهما بأن له ما في السموات وما في الأرض وأنه الحفيظ لعباده المدبر لهم.

شـــرح الكلمـات :

ولله ما في السموات ومافي الأرض : أي خلقاً وملكاً وتصرفاً وتدبيراً.

وصينا : عهدنا إليهم بذلك أي بالتقوى.

أوتوا الكتاب : اليهود والنصارى.

الوكيل : من يفوض إليه الأمر كله ويقوم بتدبيره على أحسن الوجوه.

ثواب الدنيا : جزاء العمل لها.

ثواب الآخرة : جزاء العمل لها وهو الجنة.

سميعا بصيراً : سميعاً: لأقوال العباد بصيراً: بأعمالهم وسيجزيهم بها خيراً أو شراً.

معنى الآيتين :

لما وعد تبارك وتعالى كلا من الزوجين المتفرقين بالإغناء عن صاحبه ذكر أنه يملك مافي السموات وما في الأرض ولذا فهو قادر على اغنائهما لسعة ملكه وعظيم فضله، ثم واجه بالخطاب الكريم الأمة جمعاء ومن بينها بني أبيرق فقال ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ يريد من اليهود والنصارى وغيرهم أوصاهم بتقواه عز وجل فلا يقدموا على مشاقته ولا يخرجوا عن طاعته بترك ماأوجب أو بفعل ماحرم، ثم أعلمهم أنهم وإن كفروا كما كفر طعمة وارتد فإن ذلك غير ضائره شيئاً، لأنه ذو الغنى والحمد، وكيف وله جميع مافي السموات وما في الأرض من كائنات ومخلوقات وهو ربها ومالكها والمتصرف فيها.

هذا ماتضمنته الآية الأولى (١٣١) أما الآية الثانية (١٣٢) فقد كرر تعالى فيها الإعلان عن استحقاقه الحمد والغنى وذلك لملكه جميع مافي السموات وما في الأرض ولقيوميته عليهما وكفى به تعالى حافظاً ووكيلاً. وفي الآية الثالثة (١٣٣) يخبر تعالى أنه قادر على إذهاب كافة الجنس البشري واستبداله بغيره وهو على كل ذلك قدير، فقال تعالى : ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس[١] ويأت بآخرين﴾ وذلك لعظيم قدرته وكفاية وكالته. وفي الآية الرابعة والأخيرة في هذا السياق (١٣٤) يقول تعالى مرغباً عباده فيما عنده من خير الدنيا والآخرة من كان يريد

---

(١) الآية تحمل تخويفاً أيّما تخويف لكل من يقصّر في واجبه من أمير ومأمور وعالم، وجاهل، وغني، وفقير، إذ لكل واجبات يجب أن يقوم بها كلٌ بحسب ما طولب به وفرض عليه فالأمير عليه العدل والعالم أن يعلم والجاهل أن يتعلم وهكذا.

بعمله ثواب الـدنيا[1] ﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ فلم يقصر العبد عمله على ثواب الدنيا، وهو يعلم أن ثواب الآخرة عند الله أيضاً فليطلب الثوابين معاً من الله تعالى، وذلك بالإيمان والتقـوى والإحسـان، وسيجـزيه تعـالى بعمله ولا ينقصه له وذلك لعلمه تعالى وقدرته، ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾[2]، ومن كان كذلك فلا يخاف معه ضياع الأعمال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الوصية بالتقوى، وذلك بترك الشرك والمعاصي بعد الإيمان وعمل الصالحات.

٢ ـ غنى الله تعالى عن سائر خلقه.

٣ ـ قدرة الله تعالى على إذهاب الناس كلهم والإتيان بغيرهم.

٤ ـ وجوب الإخلاص في العمل لله تعالى وحرمة طلب الآخرة بطلب الدنيا.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن
تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ

---

(١) في هذه الآية إرشاد عظيم للعباد، لقد علم تعالى أنّ الإنسان بحكم وجوده في هذه الحياة ورغبته في السعادة فيها هو يعمل لها جهده غافلا عن الحياة الآخرة التي هي أعظم لبقائها وكبر شأنها فلفت نظره إليها معلما إياه أنّه لديه تعالى ثواب كل من الحياتين فليطلب ذلك منه بالإيمان به وطاعته كما طلب الدنيا بالأعمال الموصلة إلى تحقيق السعادة فيها، وفوق ذلك أنّ ثواب العملين بيده تعالى لا بيد غيره.

(٢) هذا التذييل يربي ملكة مراقبة الله تعالى إذ مَنْ علم أنّ الله سميع لأقواله عليم بأعماله راقبه واتقاه.

ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾

شــرح الكلمـات :

قوامين : جمع قوام : وهو كثير القيام بالعدل.

بالقسط : بالعدل وهو الاستقامة والتسوية بين الخصوم.

شهداء : جمع شهيد : بمعنى شاهد.

الهوى : ميل النفس إلى الشيء ورغبتها فيه.

تلووا : أي ألسنتكم باللفظ تحريفاً له حتى لاتتم الشهادة على وجهها.

تعرضوا : تتركوا الشهادة أو بعض كلماتها ليبطل الحكم.

معنى الآيات :

قوله تعالى في هذه الآية (١٣٥) ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ﴾ أي بالعدل ﴿ شهداء لله ﴾ إذْ بشهادتكم ينتقل الحق من شخص إلى آخر حيث أقامكم الله ربكم شهداء له في الأرض تؤدى بواسطتكم الحقوق إلى أهلها، وَبناء على هذا فأقيموا الشهادة لله ولو شهادتكم على أنفسكم[١] أو والديكم أو أقرب الناس إليكم وسواء كان المشهود عليه غنياً أو فقيراً فلا يحملنكم غنى الغني ولا فقر الفقير على تحريف الشهادة أو كتمانها، فالله تعالى ربهما أولى بهما وهو يعطي ويمنع بشهادتكم فأقيموها وحسبكم ذلك واعلموا أنكم إن تلووا[٢] ألسنتكم بالشهادة تحريفاً لها وخروجاً بها عن أداء مايترتب عليها أو تعرضوا عنها فتتركوها أو تتركوا بعض كلماتها فيفسد معناها ويبطل مفعولها فإن الله بعملكم ذلك وبغيره خبير وسوف يجزيكم به فيعاقبكم في الدنيا أو في الآخرة ألا فاحذروا.

هذه الآية الكريمة يدخل فيها دخولا أولياً من شهدوا لأبناء أبيرق بالإسلام والصلاح كما هي

(١) القاعدة العامة منذ عهد بعيد أنّ القريب لا يشهد لقريبه ولكن يشهد عليه فلا يشهد الأب لابنه ولا الابن لأبيه، لوجود تهمة المحاباة للقرابة وكذا لا يجوز شهادة عدو على عدُوه وهذا مذهب عامة الفقهاء، وحتى الخادم في البيت لا يجوز شهادته لأهل البيت إذ قد يحابيهم لمنفعته.

(٢) وفسّر ابن عباس ﴿تلووا﴾ بقوله هو في الخصمين يجلسان بين يدي القاضي فيكون ليّ القاضي وإعراضه لأحدهما على الآخر، فاللّي على هذا هو مطل الكلام وجره يفوت فصل القضاء وإنفاذه للذي يميل القاضي عليه. ويشهد لهذا الحديث: «ليّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته ولا تنافي بين تفسير ابن عباس وما ذكرناه في التفسير.

خطاب للمؤمنين إلى يوم القيامة وهي أعظم آية في هذا الباب فليتق الله المؤمنون في شهاداتهم.

أما الآية الثانية (١٣٦) ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ﴾ فهي في خطاب أهل الكتاب خاصة وفي سائر المؤمنين عامة فالمؤمنون تدعوهم إلى تقوية إيمانهم ليبلغوا فيه مستوى اليقين، أما أهل الكتاب فهي دعوة لهم للإيمان الصحيح، لأن إيمانهم الذي هم عليه غير سليم فلذا دعوا إلى الإيمان الصحيح فقيل لهم ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ محمد ﴿والكتاب الذي نزل على رسوله﴾ وهو القرآن الكريم، ﴿والكتاب الذيأنزل من قبل﴾ وهو التوراة والإنجيل، لأن اليهود لايؤمنون بالإنجيل، ثم أخبرهم محذراً لهم أن ﴿من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل﴾ طريق الهدى والسعادة ﴿ضلالاً بعيداً﴾ لا ترجى هدايته، وعليه فسوف يهلك ويخسر خسراناً أبدياً.

ثم أخبرهم تعالى في الآية بعد هذه (١٣٧) مقرراً الحكم بالخسران الذي تضمنته الآية قبلها فقال عز وجل: ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا[(١)] ﴾ بمحمد ﷺ وكتابه وبما جاء به ﴿لم يكن الله﴾ أي لم يكن في سنة الله أن يغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ينجون به ويسعدون فيه ألا فليحذر اليهود والنصارى هذا وليذكروه، وإلا فالخلود في نار جهنم لازم لهم ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب العدل في القضاء والشهادة.

٢ ـ حرمة شهادة الزور وحرمة التخلي[(٢)] عن الشهادة لمن تعينت عليه.

٣ ـ وجوب الاستمرار على الإيمان وتقويته حتى الموت عليه.

٤ ـ بيان أركان الإيمان وهي الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.[(٣)]

---

(١) في هذه الآية أنّ الكافر إذا آمن غفر له كفره وإذا ارتد يؤاخذ بكفره الأوّل والأخير سواء، وشاهده حديث مسلم: إذ قال أناس يارسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «أمّا مَنْ أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء ـ كفر ـ أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام». وفي رواية: «ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر».

(٢) شاهـده من السنة قوله ﷺ في الصحيح: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: الشرك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور وما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» أو كما قال.

(٣) وبقي ركن وهو القضاء والقدر جاء ذكره في قوله تعالى من سورة القمر: ﴿إنّا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

٥ ـ المرتد يستتاب ثلاثة أيام وإلا قتل كفراً أخذاً من قوله : ﴿ ثم آمنوا ثم كفروا ﴾ .

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾
ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ
نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

شـرح الكلمـات :

بشر المنافقين : البشـارة: الخبر الذي تتأثر به بشرة من يلقى عليه خيراً كان أو شراً.
والمنافق: من يبطن الكفر ويظهر الإيمان تقيّة ليحفظ دمه وماله.

أولياء : يوالونهم محبة ونصرة لهم على المؤمنين.

العزة : الغلبة والمنعة.

يستهزأ بها : يذكونها استخفافاً بها وإنكاراً وجحوداً لها.

يخوضوا : يتكلموا في موضوع آخر من موضوعات الكلام.

مثلهم : أي في الكفر والإثم.

يتربصون بكم : ينتظرون متى يحصل لكم إنهزام أو إنكسار: فيعلنون عن كفرهم.

نصيب : أي من النصر وعبر عنه بالنصيب القليل لأن انتصارهم على المؤمنين نادر.

نستحوذ عليكم : أي نستول عليكم ونمنعكم من المؤمنين إن قاتلوكم

سـبيلا : أي طريقاً إلى إذلالهم واستعبادهم والتسلط عليهم.

معنى الآيات :

قولـه تعالى: ﴿وبشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما﴾ يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يخبر المنافقين بلفظ البشارة لأن المخبر به يسوء وجوهم وهو العذاب الأليم وقد يكون في الدنيا بالذل والمهانة والقتل، وأما في الآخرة فهو أسوأ العذاب وأشده وهو لازم لهم لخبث نفوسهم وظلمة أرواحهم، ثم وصفهم تعالى بأخس صفاتهم وشرها فقال: ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء[1] من دون المؤمنين ﴾ فيعطون محبتهم ونصرتهم وولاءهم للكافرين، ويمنعون ذلك المؤمنين وذلك لأن قلوبهم كافرة آثمة لم يدخلها إيمان ولم يُنرها عمل الإسلام، ثم وبخهم تعالى ناعيا عليهم جهلهم فقال: ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ أي يطلبون العزة أي المنعة والغلبة من الكافرين أجهلوا أم عموا فلم يعرفوا ﴿أن العزة لله جميعا﴾ فمن أعزه الله عز ومن أذله ذل والعزة تُطلب بالإيمان وصالح الأعمال لا بالكفر والشر والفساد. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٣٨) والثانية (١٣٩).

أما الآية الرابعة (١٤٠) فإن الله تعالى يؤدب المؤمنين فيذكرهم بما أنزل عليهم في سورة الأنعام حيث نهاهم عن مجالسة أهل الباطل إذا خاضوا في الطعن في آيات الله ودينه فقال تعالى: ﴿ وإذا رأيت الذين يخضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخضوا في حديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ هذا الأدب أخذ الله تعالى به رسوله والمؤمنين، وهم في مكة قبل الهجرة، لأن سورة الأنعام مكية ولما هاجروا إلى المدينة، وبدأ النفاق وأصبح للمنافقين مجالس خاصة ينتقدون فيها المؤمنين ويخوضون فيها في آيات الله تعالى استهزاء وسخرية ذكر الله تعالى المؤمنين بما أنزل عليهم في مكة فقال: ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات[2] الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم[3] حتى

---

(١) في الآية دليل على حرمة موالاة الكافرين، وأنها من صفات المنافقين، ومن مظاهر الموالاة المحرّمة الاستعانة بهم على أمور الدين، وعلى أذيّة المسلمين، وفي الحديث أنّ النبي ﷺ لحق به مشرك ليقاتل معه فقال له: «ارجع فإنا لا نستعين بمشرك» في الصحيح.

(٢) أوقع السماع على الآيات، والمراد سماع الكفر، والاستهزاء بها كما يقال سمعت فلاناً يلام أي سمعت اللوم فيه.

(٣) قوله في أي في غيره الكفر والاستهزاء بالآيات.

يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذاً﴾ أي إذا رضيتم بالجلوس معهم وهم يخوضون في آيات الله ﴿مثلهم﴾ في الإثم والجريمة[1] والجزاء أيضاً، ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ فهل ترضون أن تكونوا معهم في جهنم، وإن قلتم لا إذا فلا تجالسوهم. ثم ذكر تعالى وصفا آخر للمنافقين يحمل التنفير منهم والكراهية والبغض لهم فقال: ﴿الذين يتربصون بكم﴾ أي ينتظرون بكم الدوائر ويتحينون الفرص ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ أي نصر وغنيمة قالوا: ﴿ألم نكن معكم﴾ فأشركونا في الغنيمة، ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ في النصر قالوا لهم ﴿ألم نستحوذ[2] عليكم﴾ أي نستول عليكم ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ أن يقاتلوكم، فأعطونا مما غنمتم، وهكذا المنافقون يمسكون العصا من الوسط فأي جانب غلب كانوا معه. ألا لعنة الله على المنافقين وما على المؤمنين إلا الصبر لأن مشكلة المنافقين عويصة الحل فالله يحكم بينهم يوم القيامة. أما الكافرون الظاهرون فلن يجعل الله تعالى لهم على المؤمنين سبيلا لا لاستئصالهم وإبادتهم، ولا لاذلالهم والتسلط عليهم ماداموا مؤمنين صادقين في إيمانهم[3]. وهذا ما ختم الله تعالى به الآية الكريمة إذ قال: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

٢ ـ الباعث للناس على اتخاذ الكافرين أولياء هو الرغبة في العزة ورفع المذلة وهذا باطل فالعزة لله ولا تطلب إلا منه تعالى بالإيمان واتباع منهجه.

٣ ـ حرمة مجالسة أهل الباطل إذا كانوا يخضون في آيات الله نقداً واستهزاء وسخرية.

٤ ـ الرضا بالكفر كفر، والرضا بالإثم إثم.

٥ ـ تكفل الله تعالى بعزة المؤمنين الصادقين ومنعتهم فلا يسلط عليهم أعداءه

---

(١) في الآية دليل على حرمة الجلوس في مجالس المعاصي، وغشيان الذنوب إلاّ أن ينكر ذلك على أصحابها، لأنّ الرضا بالمعصية معصية بل الرضا بالكفر كفر بالإجماع ويدخل في هذا مجالس أرباب الأهواء، وأصحاب البدع، والآية محكمة لا نسخ فيها.

(٢) أصل الاستحواذ: الحوط، يقال حاذه يحوذه حوذاً إذ احاطه فمعنى استحوذ أحاط واستولى وغلب.

(٣) يشهد لهذا حديث مسلم قوله ﷺ: «إنّي سألت ربي ألاّ يهلكها ـ أي أمته ـ بسنة عامة وألاّ يسلط عليهم عدوّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضا» وهو معنى قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾.

فيستأصلونهم، أو يذلونهم ويتحكمون فيهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

شـرح الكلمـات:

يخادعون الله : بإظهارهم مايحب وهو الإيمان والطاعات، وإخفائهم الكفر والمعاصي.

وهو خادعهـم : بالسَّتر عليهم وعدم فضيحتهم، وبعدم إنزال العقوبة بهم.

يـراءون : أي يظهرون الطاعات للمؤمنين كأنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين.

مذبذبين : أي يترددون بين المؤمنين والكافرين فأى جانبٍ عز كانوا معه.

معنى الآيتين:

يخبر تعـالى أن المنـافقين في سلوكهم الخاص يخادعون الله تعالى بإظهارهم الإيمان به وبرسوله وهم غير مؤمنين إذ الخداع أن تري من تخادعه مايحبه منك وتستر عليه مايكرهه والله تعالى عاملهم بالمثل فهو تعالى أراهم مايحبونه وستر عليهم مايكرهونه منه وهو العذاب(١) المعد لهم عاجلا أو آجلاً، كما أخبر عنهم أنهم إذا قاموا إلى أداء الصلاة قاموا كسالى(٢) متباطئين لأنهم لا يؤمنـون بالثـواب الأخـروى فلذا هم يراءون بالأعـمال الصـالحـة المؤمنين حتى لايتهمونهم بالكفر، كما أنهم لا يذكرون الله تعالى إلا ذكراً قليلا في الصلاة(٣) وخارج الصلاة،

---

(١) قال الحسن البصري في الآية: يعطي كل انسان من مؤمن ومنافق نوراً يوم القيامة فيفرح المنافقون ويظنون أنهم قد نجوا فإذا جاءوا إلى الصراط طفىء نور كل منافق، فسرّ به قوله تعالى: ﴿وهو خادعهم﴾ وماذكرناه في التفسير أولى وإن كان هذا حاصل لقوله تعالى: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾.

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيح: «إن أثقل صلاة على المنافقين العتمة ـ العشاء ـ والصبح لأنّ الصلاتين تقعان في الظلام، ولأنّ العتمة يكون المرأ فيها تعباً مرهقاً من أعمال النهار، وأمّا الصبح فإنّ غلبة النوم أشد على العبد، ولولا الخوف من النسيف ما شهدوا الصلاتين.

(٣) روى مالك في الموطأ أنّ النبي ﷺ قال: «تلك صلاة المنافقين ـ ثلاثا ـ يجلس أحدهم يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان أو على قرني شيطان قامفنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلاّ قليلا» وقال ﷺ: «لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود» صححه الترمذي.

وذلـك لعـدم إيمانهم بالله تعالى وعدم حبهم له كما أخبر عنهم بأنهم مذبذبون بين الكفر والإيمان والمؤمنـين والكافرين فلا إلى الإيمان والمؤمنين يسكنون ، ولا إلى الكفر والمنافقين يسكنون فهم في تردد و حسرة دائمون، وهذه حال من يضله الله فإن من يضلل الله لايوجد لهدايته سبيل".

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ بيان صفات المنافقين.[1]   ٢ ـ قبح الرياء وذم المرائين.

٣ ـ ذم ترك الذكر والتقليل منه لأمر الله تعالى بالإكثار منه في قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾.

٤ ـ ذم الحيرة والتردد في الأمور كلها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ
أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

شـرح الكلمـات :

سلطانا مبينا : حجة واضحة لتعذيبكم.

---

(١) في صحيح مسلم وصف لحال المنافقين في تذبذبهم وحيرتهم إذ قال ﷺ : «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة ـ المترددة بين قطيعين من الغنم ـ بين الغنمين تعير إلى هذه مرّة وإلى هذه أخرى.

الدرك الأسفل : الدرك : كالطابق، والدركة كالدرجة.
وأصلحــوا : ما كانوا قد أفسدوه من العقائد والأعمال.
واعتصــموا بالله : تمسكوا بدينه وتوكلوا عليه.
وأخلصوا دينهم لله : تخلوا عن النفاق والشرك.

معنى الآيات :

مازال السياق في إرشاد الله تعالى المؤمنين إلى مايعزهم ويكملهم ويسعدهم ففي هذه الآية (١٤٤) ينـاديهم تعالى بعنوان الإيمان وهو الروح الذي به الحياة وينهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فيقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ ومعنى اتخاذهم أولياء موادتهم ومناصرتهم والثقة فيهم والركون إليهم والتعاون معهم، ولما كان الأمر ذا خطورة كاملة عليهم هددهم تعالى بقوله : ﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانـا مبينـا[١]﴾ فيتخـلى عنكم ويسلط عليكم أعداءه الكـافرين فيستأصلوكم، أو يقهروكم ويستذلوكم ويتحكموا فيكم. ثم حذرهم من النفاق أن يتسرب إلى قلوبهم فأسمعهم حكمه العادل في المنافقين الذين هم رؤوس الفتنة بينهم فقال: ﴿ إن المنـافقـين في الدرك[٢] الأسفل من النار﴾، فأسفل طبقة في جهنم هي مأوى المنافقين يوم[٣] القيامة، ولن يوجد لهم ولي ولا نصير أبداً ثم رحمة بعباده تبارك وتعالى يفتح باب التوبة للمنـافقـين على مصراعيه ويقول لهم ﴿إلا الذين تابوا﴾ إلى ربهم فآمنوا به وبرسوله حق الإيمان ﴿وأصلحـوا﴾ أعـمالهم ﴿واعتصـموا بالله﴾ ونفضوا أيديهم من أيدي الكافرين، ﴿وأخلصـوا دينهم لله﴾ فلم يبقوا يراءون أحداً بأعمالهم. فأولئك الذين ارتفعوا إلى هذا المستوى من الكمال هم مع المؤمنين جزاؤهم واحد، وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً وهو كرامة الدنيا وسعادة الآخرة .

---

(١) قال القرطبي في تفسيره: ﴿سلطانا مبينا﴾ أي في تعذيبه إياكم بإقامة الحجة عليكم إذ قد نهاكم.
(٢) الدرك بالإسكان والفتح، والنار سبع دركات، يقال فيما تعالى وارتفع: درجة، وفيما سفل ونزل: دركة والدركات هي كالتالي: جهنّم ثمّ لظى ثمّ الحطمة ثمّ السعير ثمّ سقر ثمّ الجحيم ثمّ الهاوية، وقد تسمى جميعها باسم الطبقة الأولى: جهنّم.
(٣) روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون، ومَنْ كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون، تصديق ذلك في كتاب الله تعالى. قال تعالى: ﴿إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ وقال في أصحاب المائدة: ﴿فإني أعذّبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ وقال في آل فرعون: ﴿أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب﴾.

وأخيراً في الآية (١٤٧) يقرر تعالى غناه عن خلقه وتنزهه عن الرغبة في حب الإنتقام فإن عبده مهما جنى وأساء، وكفر وظلم إذا تاب وأصلح فآمن وشكر. لا يعذبه أدنى عذاب إذ لا حاجة إلى تعذيب عباده فقال عز وجل وهو يخاطب عباده ﴿ مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم، وكان الله شاكراً عليما ﴾ لا يضيع المعروف عنده. لقد شكر لبغي[1] سقيها كلباً عطشان فغفر لها وأدخلها الجنة.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ ـ حرمة اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

٢ ـ إذا عصى المؤمنون ربهم فاتخذوا الكافرين أولياء سلط الله عليهم أعداءهم فساموهم الخسف.

٣ ـ التوبة تجب ماقبلها حتى إن التائب من ذنبه كمن لاذنب له ومهما كان الذنب الذي غشيه.

٤ ـ لا يعذب الله تعالى المؤمن الشاكر لا في الدنيا ولا في الآخرة فالإيمان والشكر أمان الإنسان.

(١) هذا مقتبس من حديث الصحيحين ونصه: روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (بينمارجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ بهذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له) والشاهد في فضل الشكر والإيمان.

﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾

شـرح الكلمـات :

السـوء[1] : ما يسوء إلى من قيل فيه أو فعل به.

سميعاً عليمًا : سميعاً للأقوال عليمًا بالأعمال.

إن تبدوا : تظهروا ولا تخفوا.

تعفوا عن سوء : أي لا تؤاخذوا به.

معنى الآيتين :

يخبر تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء، ولازم هذا أن عباده المؤمنين يجب أن يكرهوا ما يكره ربهم ويحبوا ما يحب وهذا شرط الولاية وهي الموافقة وعدم المخالفة، ولما حرم تعالى على عباده الجهـر بالسوء بأبلغ عبارة وأجمل أسلوب، استثنى المظلوم فإن له أن يجهر[2] بمظلمته لدى الحاكم ليرفع عنه الظلم فقال تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من[3] القول إلا من[4] ظلم وكان الله-(ومازال)- سميعا عليما﴾ ألا فليتق فلا يعصى بفعل السوء ولا بقوله. ثم انتدب عباده المؤمنين الى فعل الخير في السر أو العلن، وإلى العفو عن صاحب السوء فقال: ﴿إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن[5] سوء فإن الله كان عفواً قديراً﴾ فسيكسب فاعل الخير خيراً أبداه أو أخفاه وسيعفو عن صاحب العفو حينما تزل قدمه فيجني بيده أو بلسانه ما يستوجب به المؤاخذة فيشكر الله تعالى له عفوه السابق فيعفو عنه ﴿وكان الله عفواً قديراً﴾.

---

(١) كالسَّبِّ، والشتم، والغيبة، والنميمة، والدعاء بالشرّ والفاظ البذاءة وكلمات الفحش.

(٢) روى ابن جرير عن مجاهد أنّ رجلاً استضاف قوماً فلم يضيفوه ـ أي طلب منهم أن يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت هذه الآية: ﴿لا يحبّ..﴾ الخ ودلّت على أنّ إطعام الضيف وإيوائه ليلة واجب لقوله ﷺ: «ليلة الضيف واجبة» رواه أحمد.

(٣) ﴿من القول﴾: في محل نصب على الحال.

(٤) في الآية دليل على جواز الدعاء على الظالم ممن ظلمه وجواز ردّ الشتم والسبّ بمثله إلاّ أنّ ترك ذلك أفضل.

(٥) شاهده من السنة قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «ما نقص مال من صدقة ولا زاد الله عبداً بعفوٍ إلاّ عزًّا، ومن تواضع لله رفعه».

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ حرمة الجهر بالسوء والسر به كذلك فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن ينطق بما يسوء الى القلوب والنفوس إلا في حالة الشكوى وإظهار الظلم لا غير.

٢ـ استحباب فعل الخير وسره كجهره لا ينقص أجره بالجهر ولا يزيد بالسر.

٣ـ استحباب العفو عن المؤمن إذا بدا منه سوء، ومن يعف يعف الله عنه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ
أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ
حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ
يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ (1)

شـرح الكلمـات :

ورســله : الرسل جمع رسول وهم جَم غفير قيل عددهم ثلثمائة وأربعة عشر رسولاً (2)

ســبيلاً : أي طريقاً بين الكفر والإيمان، وليس ثم إلا طريق واحد وهو الإيمان أو الكفر فمن آمن بكل الرسل فهو المؤمن، ومن آمن بالبعض وكفر بالبعض فهو الكافر كمن لم يؤمن بأحد منهم.

---

(١) المناسبة بين هذه الآيات، وما سبقها ينظر إليها من حيث أنّ القرآن كتاب هداية للبشرية فلذا لمّا ذكر حال المنافقين مبيّنا لهم طريق توبتهم إن أرادوا ذلك ذكر بعد بيان حكم حرمة النطق بالسوء سِراً وجهراً إلّا مارخص فيه، ذكر حال اليهود والنصارى مبيّنا كفرهم وما أعدّ لهم من العذاب إن أصرّوا على كفرهم وضلالهم.

(٢) جاء ذكر هذا العدد في حديث أبي ذر الغفاري إذ قال فيه: «قلت يا رسول الله كم كانت الأنبياء وكم كان المرسلون؟ قال: كانت الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر» والحديث ضعيف، ولمّا لم يوجد غيره قال به أهل العلم قديما وحديثاً.

ولم يفرقوا : كما فرق اليهود فآمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد ﷺ وكما فرق النصارى آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد ﷺ فهم لذلك كفار.

أجـورهم : أجر إيمانهم برسل الله وعملهم الصالح وهو الجنة دار النعيم.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى مقرراً حكمه على اليهود والنصارى بالكفر الحق الذي لا مرية فيه فيقول إن الذين يكفرون بالله ورسله(1) ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك أي بين الكفر بالبعض والإيمان بالبعض سبيلاً أي طريقاً يتوصلون به الى مذهب باطل فاسد وهو التخيّر بين رسل الله فمن شاءوا الإيمان به آمنوا، ومن لم يشاءوا الإيمان به كفروا به ولم يؤمنوا وبهذا كفروا كفراً لا ريب فيه، ولهم بذلك العذاب المهين الذي يهانون به ويذلون جزاء كبريائهم وسوء فعالهم قال تعالى ﴿أولئك هم الكـافـرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾(2) فسجل عليهم الكفر ثلاث مرات فالمرة الأولى بقوله ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله﴾ والثانية بقوله ﴿أولئك هم الكافرون حقاً﴾ والثالثة بقوله ﴿واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ حيث لم يقل واعتدنا لهم فأظهر في موضع الإضمار لتسجيل الكفر عليهم وللإشارة الى علة الحكم وهي الكفر.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥١) أما الآية الثانية وهى قوله تعالى ﴿والذين آمنوا(3) بالله ورسله﴾ فإنها مقابلة في ألفاظها ومدلولها للآية قبلها فالأولى تضمنت الحكم بالكفر على اليهود والنصارى، وبالعذاب المهين لهم والثانية تضمنت الحكم بإيمان المسلمين وبالنعيم المقيم لهم وهـو ماوعدهم به ربهم بقوله ﴿أولئك سوف نؤتيهم أجورهم، وكان الله غفوراً رحيما﴾. فغفر لهم ذنوبهم ورحمهم بأن أدخلهم دار كرامته في جملة أوليائه.

---

(١) نسبهم تعالى إلى الكفر به لأنّ إيمانهم بالله تعالى باطل وذلك أنّ اليهود يصفون الله تعالى بصفات المحدثين ونسبوا إليه الولد وكثير من صفات تنزه الله عنها، وأنّ النصارى يكفيهم كفراً قولهم إنّ الله ثالث ثلاثة وهو الكفر بعينه، وحسبهم بعد ذلك كفرهم بمحمد وبما جاء به.

(٢) تُوعدوا بالعذاب المهين مقابل ما كانوا يرتكبونه من إهانة المؤمنين وإذلالهم، والجزاء من جنس العمل و﴿حقاً﴾ في الآية منصوب على المصدرية، أي حقه لهم أيّها السامع حقاً.

(٣) هذا أسلوب القرآن الكريم فإنّه بعد أن ذكر الكافرين حقاً وبيّن جزاءهم، ذكر المؤمنين حقاً وبيّن جزاءهم، وهذا اسلوب الترغيب والترهيب الذي عليه مدار الهداية والإصلاح بإذن الله تعالى.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ تقرير كفر اليهود والنصارى لفساد عقائدهم وبطلان أعمالهم.

٢ـ كفر من كذب بالله ورسوله ولو فى شىء واحد مما وجب الإيمان به.

٣ـ بطلان إيمان من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض.

٤ـ صحة الدين الإسلامي وبطلان اليهودية[1] والنصرانية حيث اوعد تعالى اليهود والنصارى بالعذاب المهين، ووعد المؤمنين بتوفية أجورهم والمغفرة والرحمة لهم.

يَسْـَٔلُكَ
أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟
مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

شـرح الكلمـات :

جهـرة	: عيانا نشاهده ونراه بأبصارنا.
الصـاعقة	: صوت حاد ورجفة عنيفة صعقوا بها.
بظلمهـــم	: بسبب ظلمهم بطلبهم ما لا ينبغي.
اتخذوا العجل	: أي الهـاً فعبدوه.
فعفونا عن ذلك	: أي لم يؤاخذهم به.
سلطاناً مبيناً	: حجة واضحة وقدرة كاملة قهر بها أعداءه.

(١) وسائر الأديان كالمجوسية والصابئة، وغيرهما من سائر الملل والنحل إذ لا دين حق إلاّ الإسلام قال تعالى: ﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾.

ورفعنا فوقهم الطور : أي جبل الطور بسيناء.
ادخلوا الباب سجداً : أي راكعين متواضعين خاشعين لله شكراً لنعمه عليهم.
لا تعـدوا[1] : لا تعتدوا أي لا تتجاوزوا ما حد لكم فيه من ترك العمل الى العمل فيه.
ميثاقا غليظا : عهداً مؤكداً بالأيمان.

معنى الآيتين :

لما نعى الربّ تعالى على أهل الكتاب قولهم نؤمن ببعض الرسل ونكفر ببعض حيث آمن اليهود بموسى وكفروا بعيسى وآمن النصارى بعيسى وكفروا بمحمد ﷺ كما كفر به اليهود أيضاً ذكر تعالى لرسوله أن اليهود إذا سألوك أن تنزل عليهم[2] كتاباً من السماء فلا تعجب من قولهم ولا تحفل به إن هذه سنتهم وهذا دأبهم، فإنهم قد سألوا موسى قبلك أعظم من هذا فقالوا له أرنا الله جهرة فأغضبوا الله تعالى فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون واتخذوا العجل إلهاً يعبدونه في غياب موسى عليهم، وكان ذلك منهم بعد مشاهداتهم البيّنات حيث فلق الله لهم البحر وأنجاهم وأغرق عدوهم ومع هذا فقد عفا الله عنهم، وآتى نبيهم سلطانا مبيناً، ولم يؤثر ذلك فى طباعهم هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٣) وهى قوله تعالى ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة[3] فأخذتهم الصاعقة بظلمهم[4] ثم اتخذوا[5] العجل من بعد ما جاءتهم البيّنات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾. أما الآية الثانية (١٥٤) فقد أخبر تعالى أنه رفع فوقهم الطور تهديداً لهم ووعيداً وذلك لما امتنعوا ان يتعهدوا بالعمل بما في التوراة، فلما رفع الجبل فوقهم خافوا فتعهدوا معطين بذلك ميثاقاً غير أنهم نقضوه كما سيأتي الإخبار بذلك. هذا

---

(١) قرأ ورش ﴿لا تعدّوا﴾ بتشديد الدّال وهو من إدغام التاء في الدّال لتقاربها في المخرج والأصل لا تعتدوا من الاعتداء الذي هو العدوان.

(٢) ذكر القرطبي بغير إسناد أن اليهود سألت النبي ﷺ أن يصعد إلى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتاباً مكتوباً فيما يدّعيه على صدقه دفعة واحدة، كما أتى موسى بالألواح تعنّتاً منهم فأنزل الله تعالى الآية.

(٣) ﴿جهرة﴾ نعت لمصدر محذوف تقديره: رؤية جهرة، ويصح أن يكون حالاً أي مجاهرة بلاحجاب ساتر.

(٤) ﴿بظلمهم﴾ الباء سببية أي: سبب ظلمهم، وليس المراد من ظلمهم طلب رؤية الله تعالى إذ هذا طلبه موسى أيضاً، ولكن ظلمهم: كونهم اشترطوا لإيمانهم بموسى حتى يريهم الله جهرة.

(٥) العطف بثم هنا هو للتراخي الرتبي لا لإفادة الترتيب الزمني، إذ اتخاذهم العجل كان قبل طلبهم رؤية الله جهرة، إذ المراد من البينات التي جاءتهم: انفلاق البحر، وقبله آية العصا وغيرها من التسع آيات التي آتى الله موسى عليه السلام.

معنى قوله تعالى ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾، وقوله تعالى ﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً . .﴾ كان هذا عندما دخل يوشع بن نون فتى موسى مدينة القدس فاتحاً اوحى الله تعالى إليه أن يأمر بني إسرائيل ان يدخلوا باب المدينة خاضعين متطامنين شكراً لله تعالى على نعمة الفتح فبدل أن يطيعوا ويدخلوا الباب راكعين متطامنين دخلوه زحفاً على استاههم مكراً وعناداً والعياذ بالله. وقوله: ﴿. . وقلنا لهم لا تعدوا في السبت﴾ أي ونهيناهم عن الصيد في السبت فتعدوا نهينا وصادوا عصيانا وتمرداً، وقوله تعالى ﴿. . وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ أي على أن يعملوا بما شرعنا لهم تحليلا وتحريما في التوراة، ومع هذا فقد عصوا وتمردوا وفسقوا، إذاً فلا غرابة في سؤالهم إياك على رسالتك وليؤمنوا بك أن تنزل عليهم كتاباً من السماء. هذا معنى قوله تعالى في الآية (١٥٤) ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً، وقلنا لهم لا تعدوا في السبت. .﴾ أي لاتتجاوزوا ما أحللنا لكم إلى ما حرمنا عليكم ﴿. . . وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً. . .﴾[1]

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ تعنت أهل الكتاب ازاء الدعوة الإسلامية وكفرهم بها على علم انها دعوة حق.

٢ـ بيان قبائح اليهود وخبثهم الملازم لهم طوال حياتهم.

٣ـ نقض اليهود للعهود والمواثيق اصبح طبعا لهم لا يفارقهم أبداً ولذا وجب عدم الثقة في عهودهم ومواثيقهم.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) كل ما ذكر في هذه الآيات هو تسلية للنبي ﷺ وتخفيفاً على نفسه مما يلاقي من تعنت اليهود، وصلفهم، وقساوة قلوبهم ومعاملتهم.

ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

شرح الكلمات :

فبما نقضهم : الباء سببية أي فبسبب نقضهم ميثاقهم، والنقض: الحل بعد الإبرام.

بغير حق : أي بدون موجب لقتلهم، ولا موجب لقتل الأنبياء قط.

غلف[1] : جمع اغلف وهو ما عليه غلاف يمنعه من وصول المعرفة والعلم إليه.

بهتاناً عظيما : البهتان الكذب الذي يحير من قيل فيه والمراد هنا رميهم لها بالزنى.

وما صلبوه : أي لم يصلبوه، والصلب شده على خشبة وقتله عليها.

وان من أهل الكتاب : أي وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن عند حضور الموت أن عيسى عبد الله ورسوله فما هو ابن زنى ولا ساحر كما يقول اليهود، ولا هو الله ولا ابن الله كما يقول النصارى.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن اليهود وبيان الجرائم التي كانت سبباً في لعنهم وذلهم، وغضب الله تعالى عليهم، وهذا تعداد تلك الجرائم الواردة في الآيات الثلاث الأولى في هذا السياق وهى (١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧).

---

(١) ﴿غُلف﴾ قد يكون جمع غلاف ومعناه حينئذ أن قلوبهم أوعية للعلم فلا حاجة بهم إلى علم سوى ما عندهم، ولا منافاة بين المعنيين في النهر، وأيسر التفاسير.

١ـ نقضهم العهود والمواثيق وخاصة عهدهم بالعمل بها في التوراة.

٢ـ كفرهم بآيات الله والمنزلة على عبدالله عيسى ورسوله والمنزلة على محمد ﷺ.

٣ـ قتلهم الأنبياء كزكريا ويحيى وغيرهم وهو كثير في عهود متباينة.

٤ـ قولهم قلوبنا غلف حتى لا يقبلوا دعوة الإسلام، وما أراد الرسول إعلامهم به وكذبهم الله تعالى في هذه الدعوى، وأخبر أن لا أغطية على قلوبهم، ولكن طبع الله تعالى عليها بسبب ذنوبهم فران عليها الران فمنعها من قبول الحق اعتقاداً وقولا وعملا هذا ما تضمنته الآية الأولى وهى قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم..﴾ (والباء سببية والميم صلة والأصل فبنقضهم أي بسبب نقضهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم، ﴿فلا يؤمنون الا قليلا﴾ أي إيماناً قليلا كإيمانهم بموسى وهرون والتوراة والزبور مثلا.

٥ـ كفرهم أي بعيسى ومحمد ﷺ أيضـا.

٦ـ قولهم على مريم بهتاناً عظيمًا[1] حيث رموها بالفاحشة وقالوا عيسى ابن زنى لعنهم الله.

٧ـ قولهم متبجحين متفاخرين أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وهو رسول الله، وأكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله ﴿.. وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم..﴾ أى برجل آخر ظنوه انه هو فصلبوه وقتلوه، وأما المسيح فقد رفعه الله تعالى إليه وهو عنده في السماء كما قال تعالى في الآية (١٥٨) ﴿بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيمًا﴾ أي غالباً على أمره حكيما في فعله وتدبيره.

وأما قوله تعالى: ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً﴾، هذا إخبار من الله تعالى بحقيقة أخرى وهى أن الذين طوقوا منزل المسيح وهجموا عليه ليلقوا عليه القبض من أجل أن يقتلوه هؤلاء اختلفوا[2] فى هل الرجل الذي ألقي عليه شبه عيسى هو عيسى أو غيره إنهم لم يجزموا أبداً بأن من ألقوا عليه القبض وأخرجوه فصلبوه وقتلوه هو المسيح عليه السلام، ولذا قال تعالى ﴿.. وما قتلوه يقيناً[3] بل رفعه الله

(١) البهتان العظيم الذي قالوه على مريم هو رميهم لها بالزنى مع يوسف بن النجار وهو عبد صالح.

(٢) ذكر القرطبي للاختلاف عدّة وجوه كلها سائغة وما ذكرناه في التفسير أولى. ومِن بين الوجوه قولهم: إن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟

(٣) ما زال الخلاف قائما إلى اليوم، فالجمهور منهم يقولون: صُلب عيسى وقُتل وبعد ثلاثة أيام رفع، وخلاف الجمهور يقولون: لم يصلب عيسى ولم يقتل.

اليه وكان الله عزيزا حكيما﴾[1].

أما الآية الأخيرة في هذا السياق (١٥٩) فإن الله تعالى أخبر أنه مامن يهودي ولا نصراني يحضره الموت ويكون فى انقطاع عن الدنيا إلا آمن بأن عيسى عبد الله ورسوله، وليس هو ابن زنى ولا ساحر كما يعتقد اليهود، ولا هو الله ولا ابن الله كما يعتقد النصارى، ولكن هذا الإيمان لا ينفع صاحبه لأنه حصل عند معاينة الموت قال تعالى ﴿. . وليست التوبة للذين يعملون السيئآت حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن. . ﴾. هذا ما دلت عليه الآية الكريمة: ﴿وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ أي يشهد على كفرهم به وبما جاءهم به، ووصاهم عليه من الإيمان بمحمد ﷺ ودين الحق الذي جاء به.

هدايــة الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان جرائـم اليهود.

٢ـ بطلان اعتقاد النصارى في أن عيسى صلب وقتل، أما اليهود فإنهم وان لم يقتلوا عيسى فهم مؤاخذون على قصدهم حيث صلبوا وقتلوا من ظنوه أنه عيسى عليه السلام.

٣ـ تقرير رفع عيسى عليه السلام الى السماء ونزوله فى آخر أيام الدنيا.

٤ـ الإيمان كالتوبة عند معاينة ملك الموت لا تنفع ولا تقبل وجودها كعدمها.

فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

---

(١) عزّة الله يتنافى معها تسلط اليهود على عبده ورسوله عيسى وقتلهم له، وحكمته تتجلّى في رفعه إليه وإنزاله آخر أيام الدنيا.

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

شرح الكلمات :

فبظلم : الباء سببية أي فبسبب ظلمهم.

هادوا : اليهود إذ قالوا: انا هدنا إليك.

طيبات أحلت لهم : هي كل ذِى ظفر وشحوم البقر والغنم.

اخذهم الربا : قبوله والتعامل به وأكله.

الراسخون في العلم : أصحاب القدم الثابتة في معرفة الله وشرائعه ممن علومهم راسخة في نفوسهم ليست ظنيات بل هي يقيينات.

معنى الآيات :

ما زال السياق في اليهود من أهل الكتاب يبين جرائمهم ويكشف الستار عن عظائم ذنوبهم ففي الآية الأولى (١٦٠) سجل عليهم الظلم العظيم والذي به استوجبوا عقاب الله تعالى حيث حرم عليهم طيبات كثيرة كانت حلالا لهم، كما سجل عليهم أقبح الجرائم وهى صدهم أنفسهم وصد غيرهم عن سبيل الله تعالى، وذلك بجحودهم الحق وتحريفهم كلام الله، وقبولهم الرشوة في إبطال الأحكام الشرعية. هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الثانية (١٦١) فقد تضمنت تسجيل جرائم أخرى على اليهود وهى أولا استباحتهم للربا[1] وهو حرام وقد نهوا عنه وثانيا أكلهم أموال الناس بالباطل كالرشوة والفتاوى الباطلة التي كانوا يأكلون بها. وأما قوله تعالى في ختام الآية: ﴿. . . واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾ فهو زيادة على ما عاقبهم به في الدنيا أعد لمن كفر منهم ومات على كفره عذاباً أليمًا موجعا يعذبون به يوم القيامة. وأما الآية الثالثة (١٦٢) فقد نزلت في عبدالله بن سلام وبعض العلماء من يهود المدينة فذكر تعالى كالاستثناء من أولئك الموصوفين بأقبح الصفات وهى صفات جرائم

(١) أورد القرطبي هنا سؤالاً وهو مع علمنا أن اليهود يأكلون الربا والسحت وجميع ما حرّم الله تعالى فهل يجوز لنا التعامل معهم؟ وأجاب بالجواز استدلالا بقول الله تعالى: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ وبتعامل الرسول ﷺ معهم فقد رهن درعه عند يهودي.

اكتسبوها، وعظائم من الذنوب اقترفوها لجهلهم وعمى بصائرهم. ان الراسخين[1] في العلم الثابتين فيه الذين علومهم الشرعية يقينية لا ظنية هؤلاء شأنهم فى النجاة من العذاب والفوز بالنعيم فى دار السلام شأن المؤمنين من هذه الأمة يؤمنون بما أنزل إليك أيها الرسول وما أنزل من قبلك وخـاصـة المقمـين[2] الصلاة وكذا المؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر هؤلاء جميعا وعدهم الله تعالى بالأجر العظيم الذى لا يقادر قدره ولا يعرف كنهه فقال تعالى: ﴿أولئك سنؤتيهم أجراً عظيمًا﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ المعاصى تورث الحرمان من خير الدنيا والآخرة.

٢ـ حرمة الصد عن الإسلام ولو بالسلوك الشائن والمعاملة الباطلة.

٣ـ حرمة الربا وانه موجب للعقوبة في الدنيا والآخرة.

٤ـ حرمة أكل أموال الناس بالباطل كالسرقة والغش والرشوة.

٥ـ من أهل الكتاب صلحاء ربانيون وذلك كعبدالله بن سلام وآخرين.

٦ـ الرسوخ في العلم يأمن صاحبه الزلات والوقوع في المهلكات.

٧ـ فضل إقام الصلاة لِنَصْبِ والمقيمى الصلاة في الآية على المدح والتخصيص.

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ

---

(١) روي أنه لما نزلت آية: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرّمنا..﴾ الآية قالت يهود منكرة ما أخبر به تعالى عنهم: إن هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل وأنت تحلها ولم تكن حرمت بظلمنا، فنزل: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك﴾ وهم عبدالله بن سلام وأحبار اليهود المسلمون.

(٢) قرأه الجمهور بنصب المقيمين على المدح أي: وأمدح المقيمين أو أعني المقيمين، والنصب على المدح جائز في كلام فصحاء العرب، وبُلغائهم ومن ذلك قول شاعرهم:

وكل قوم أطاعوا أمر سيّدهم إلاّ نُميراً أطاعت أمر غاويها

مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات :

إنا اوحينا اليك [1]	: الوحي [2] : الإعلام السريع الخفى، ووحي الله تعالى الى أنبيائه إعلامهم بما يريد أن يعلمهم به من أمور الدين وغيره.
الأسباط	: أولاد يعقوب عليهم السلام.
زبوراً [3]	: الزبور أحد الكتب الإلهية أنزله على نبيه دواد عليه السلام.
قد قصصناهم عليك	: ورد منهم في سورة الأنعام ثمانية عشر رسولا وسبعة ذكروا في سور أخرى وهم محمد ﷺ وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وإدريس وآدم
حجة	: عذر يعتذرون به الى ربهم عز وجل.

معنى الآيات :

روى أن اليهود لما سمعوا ما أنزل الله تعالى فيهم فى الآية السابقة أنكروا أن يكون هذا وحيا وقالوا لم يوح الله تعالى الى غير موسى فرد الله تعالى قولهم بقوله: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح [4] والنبيين من بعده..﴾ فذكر عدداً من الأنبياء، ثم قال ورسلا: أي وأرسلنا رسلاً قدقصصناهم عليك من قبل أي قص عليه اسماءهم وبعض [5] ما جرى لهم مع أممهم وهم

(١) هذه التوكيد بأنّ تطلبه إنكار اليهود الوحي إلى نبينا ﷺ كما تطلبه الاهتمام بهذا الخبر العظيم.

(٢) الوحي: مصدر وحى يحي وحياً، كرمى يرمي رمياً، إليه بكذا أعلمه. وأوحى يوحي إيحاءً إليه بكذا أعلمه به بطريق خفي.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وآتينا داود زبورا﴾ وهي جملة معطوفة على جملة ﴿إنا أوحينا إليك﴾ إشارة إلى أنّ الزّبور كتاب، وهو كذلك، إذ هو أحد الكتب الأربعة، ولو لم يرد ذلك، لعطف اسمه على مَنْ سبقه فقط كأن يقول وهارون وسليمان وداود.

(٤) قدم نوح في الذكر باعتباره أوّل رسول حارب الشرك، إذ لم يظهر الشرك على عهد من سبقه كإدريس وشيت من قبله، فلما ظهر الشرك أرسل الله تعالى نوحاً عليه السلام، وهو نوح بن لمك ابن متوشلخ بن أخنوخ.

(٥) قوله: ﴿قصصناهم عليك من قبل﴾ يعني في القرآن الكريم وهم هود وصالح، وشعيب ويحيى وإلياس، واليسع ولوط.

يبلغـون دعوة ربهم، وأرسل رسلا لم يقصصهم عليه، وفوق ذلك أنه كلم موسى تكليما فأسمعه كلاماً بلا واسطة، فكيف ينكر اليهود ذلك ويزعمون أنه ما أنزل الله على بشرٍ من شيء وقد ارسلهم تعالى رسلا مبشرين من آمن وعمل صالحا بالجنة، ومنذرين من كفر واشرك وعمل سوءً بالنار وما فعل ذلك الا لقطع حجة الناس يوم القيامة حتى لا يقولوا ربنا ما ارسلت الينا رسولاً هذا معنى قوله تعالى ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. . ﴾ أي بعد ارسالهم، ﴿وكان الله عزيزا﴾ غالبا لا يمانع في شيء اراده ﴿حكيما﴾ في أفعاله وتدبيره، هذا بعض ما تضمنته الآيات الثلاث (١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥) أمـا الآية الـرابعة (١٦٦) وهي قوله تعالى: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾.

فقد روي أن يهوداً جمعهم النبي ﷺ وابلغهم أنه رسول الله صدقا وحقا ودعاهم إلى الإيمان به وبما جاء به من الدين الحق فقالوا: من يشهد لك بالرسالة إذ كانت الأنبياء توجد في وقت واحد فيشهد بعضهم لبعض، وأنت من يشهد لك فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لكن[1] الله يشهد بما أنزل اليك. . . ﴾ يريد إنزال الكتاب إليك شهادة منه لك بالنبوة والرسالة، أنزله بعلمه بأنك أهل للاصطفاء والإرسال، وبكل ما تحتاج إليه البشرية في اكمالها واسعادها إذ حوى أعظم تشريع تعجز البشرية لو اجتمعت ان تأتى بمثله، أليس هذا كافيا في الشهادة لك بالنبوة والرسالة، بلى، والملائكة أيضاً يشهدون ﴿. وكفى بالله شهيداً﴾ فلا تطلب شهادة بعد شهادته تعالى لو كانوا يعقلون.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير مبدأ الوحى الإلهي.

٢ـ أول الرسل[2] نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ.

---

(١) توضيح هذا الاستدراك الذي هو رفع ما يتوهّم ثبوته او نفيه هو إذا رفض اليهود الشهادة لك بالرسالة وطالبوا بمن يشهد لك فالله يشهد لك بما أنزله إليك والملائكة يشهدون كذلك.

(٢) ذكر صاحب تفسير التحرير والتنوير الإمـام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية تاريخ المذكورين من الرسل نقلا عن أهل الكتاب قطعاً فللاطلاع لاغير نذكر ذلك كما ذكره وأمّا علم صحته فهو إلى الله تعالى لا غير: نوح عليه السلام ولد سنة ٣٩٧٤ قبل الهجرة النبوية، وابراهيم توفي ببلدة الخليل سنة ٢٧١٩ قبل الهجرة، وإسماعيل توفي بمكة سنة ٢٦٨٦ قبل الهجرة تقريبا، واسحاق بن ابراهيم توفي سنة ٢٦١٣ قبل الهجرة، ويعقوب اسرائيل توفي سنة ٢٥٨٦ قبل الهجرة، وعيسى بن مريم ولد سنة ٦٢٢ قبل الهجرة ورفع إلى السماء قبلها سنة ٥٨٩، وأيوب كان بعد إبراهيم وقبل موسى، في القرن الخامس عشر قبل المسيح، وهارون توفي سنة ١٩٧٢ قبل الهجرة وداود توفي سنة ١٦٢٦ قبل الهجرة وسليمان توفي سنة ١٥٩٧ قبل الهجرة.

٣- إثبات صفة الكلام لله تعالى.

٤- بيان الحكمة في ارسال الرسل وهي قطع الحجة على الناس يوم القيامة.

٥- شهادة الرب تبارك وتعالى والملائكة بنبوة خاتم الأنبياء ورسالته ﷺ.

٦- ما حواه القرآن من تشريع وما ضمه بين دفتيه من معارف وعلوم أكبر شهادة للنبي محمد ﷺ بالنبوة والرسالة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

شـرح الكلمـات:

كفروا وصـدوا : كفروا: جحدوا بنبوة محمد ﷺ وصدوا: صرفوا الناس عن الإيمان به ﷺ بما يبذرون من بذور الشك.

كفروا وظلموا : جحدوا نبوة محمد ﷺ وظلموا ببقائهم على جحودهم بغياً منهم وحسداً للعرب أن يكون فيهم رسول يخرجهم من الظلمات الى النور.

الرســول : هو محمد ﷺ الكامل في رسالته الصادق في دعوته.

فآمنوا خيرا لكم : أي يكون إيمانكم خيراً لكم.

معنـى الآيات:

بعـد أن أقـام الله تعالى الحجة على رسالة نبيه محمد ﷺ بشهادته له بالرسالة وشهادة ملائكته، وشهادة القرآن لما فيه من العلوم والمعارف الإلهية بعد هذا أخبر تعالى أن الذين

كفروا وصدوا عن سبيل الله[1] وهم اليهود[2] قد ضلوا ضلالاً بعيداً قد يتعذر معه الرجوع إلى الحق، وهذا ما تضمنته الآية الأولى (١٦٧) كما أخبر في الآية الثانية (١٦٨) أن الذين كفروا وظلموا وهم أيضاً اليهود لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً اللهم إلا طريق جهنم وهذا قائم على سنته في خلقه وهي أن المرء إذا كفر كفر عناد وجحود وأضاف إلى الكفر الظلم لم يبق له أي استعداد لقبول الهداية الإلهية، لم يبق له من طريق يرجى له سلوكه إلا طريق جهنم يخلد فيها خلوداً أبدياً، وقوله تعالى: ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ في ختام الآية يقرر فيه أن دخول أصحاب هذه الصفات من اليهود جهنم وخلودهم فيها ليس بالأمر الصعب على الله المتعذر عليه فعله بل هو من السهل اليسير أما الآية الأخيرة (١٧٠) فهي تتضمن إعلاناً إلهياً موجهاً إلى الناس كافة مشركين وأهل كتاب ﴿. . . يا أيها الناس قد جاءكم الرسول[3] . . .﴾ الكامل الخاتم جاءكم بالدين الحق من ربكم فآمنوا به خيراً لكم، وإن أبيتم وأعرضتم ايثاراً للشر على الخير والضلال على الهدى فاعلموا أن لله ما في السموات[4] والأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً وسيجزيكم بما اخترتم من الكفر والضلال جهنم وساءت مصيراً فإنه عليم بمن استجاب لندائه فآمن وأطاع، وبمن أعرض فكفر وعصى حكيم في وضع الجزاء في موضعه اللائق به. فلا يجزي المحسن بالسوء، ولا المسيء بالإحسان.

هداية الآيــات

من هداية الآيات :

١ـ شر الكفر ما كان مع الصد عن سبيل الله والظلم وهذا كفر اليهود والعياذ بالله تعالى.

٢ـ سنة الله تعالى في أن العبد إذا أبعد في الضلال، وتوغل في الشر والفساد يتعذر عليه التوبة فيموت على ذلك فيهلك.

---

(١) صدّوا عن سبيل الله بقولهم إنّا لا نجد صفة محمد في كتابنا وإنما النبوة في ولد هارون، وداود، وأنّ في التوراة أن شرع موسى لا ينسخ.

(٢) اللفظ يتناول اليهود أولا، ويعم كل من كفر بالله ورسوله وصد عن سبيله الذي هو الإسلام.

(٣) التعريف في الرسول للعهد إذ هو معهود بين المخاطبين معروف لهم وكونه للعهد لا ينافي ما ذكر في التفسير من أنّه الكامل في رسالته كأنه فرد فيها لا نظير له.

(٤) إنه لم يدعكم إلى الايمان لحاجة به، إنّه عزيز إنّه سبحانه وتعالى يملك الكائنات كلها حيها وميتها ظاهرها وباطنها ويتصرّف فيها كما يشاء وهو الغني الحميد.

٣- الرسالة المحمدية عامة لسائر الناس أبيضهم وأصفرهم.
٤- إثبات صفتي العلم والحكمة لله تعالى. وبموجبهما يتم الجزاء العادل الرحيم.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ
وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ
وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ
اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

شرح الكلمات :

يا أهل الكتاب : المراد بهم[1] هنا النصارى.

لا تغلوا في[2] دينكم : الغلو: تجاوز الحد للشيء فعيسى عليه السلام عبدالله ورسوله فغلوا فيه فقالوا هو الله.

---

(١) النصارى غلوا في عيسى فتجاوزوا حد الإفراط حيث ألهوه أي جعلوه إلها وعبدوه واليهود غلوا في التفريط في عيسى إذ قالوا: ساحر، وابن زنى والعياذ بالله.

(٢) الغلو: مشتق من غلوة السهم وهي منتهى اندفاعه، ويطلق الغلو في الشرع على الزيادة على المطلوب في الاعتقاد والقول والعمل.

المسـيح : هو عيسى عليه السلام ولقب بالمسيح لأنه ممسوح من الذنوب أي لا ذنب له قط.

كلمته ألقاها : أي قول الله تعالى له ﴿كـن﴾ فكان ـ ألقاها إلى مريم: أوصلها لها وأبلغها إياها وهي قول الملائكة لها إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم.

وروح منه : أي عيسى كان بنفخة جبريل روح الله في كم درعها.

وكيـلاً : حفيظاً وشاهداً عليمًا.

لن يستنكف : لا يرفض عبوديته لله تعالى أنفة وكبراً.

ويسـتكبر : يرى نفسه كبيرة فوق ما طلب منه أن يقوله أو يفعله إعجاباً وغروراً.

ولياً ولا نصيراً : أي لا يجدون يوم القيامة ولياً يتولى الدفاع عنهم ولا نصيراً ينصرهم حتى لايدخلوا النار ويعذبوا فيها.

معنى الآيـات :

ما زال السياق مع أهـل الكتـاب ففي الآية الأولى (١٧١) نادى الرب تبارك وتعالى النصارى بلقب الكتاب الذي هو الإنجيل ونهاهم عن الغلوّ في دينهم من التنطع والتكلف كالترهب واعتزال النساء وما إلى ذلك من البدع التي حمل عليها الغلوّ، كما نهاهم عن قولهم على الله تبارك وتعالى غير الحق، وذلك بنسبة الولد إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وأخبرهم بأن عيسى لم يكن[1] أبداً غير رسول الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم[2] حيث بعث إليها جبريل فبشرها بأن الله تعالى قد يهبها غلاماً زكياً، ونفخ وهو روح الله في كم درعها فكان عيسى بكلمة التكوين وهي ﴿كن﴾ وبسبب تلك النفخة من روح الله جبريل عليه السلام فلم يكن عيسى الله ولا ابن الله فارجعوا الى الحق وآمنوا بالله ورسله جبريل وعيسى ومحمد ﷺ، ولا تقولوا زوراً وباطلا: الله ثالث ثلاثة آلهة.[3] انتهوا عن هذا القول الكذب يكن

---

(١) لأنّ إنّما أداة قصر، فمن هنا قصر عيسى عليه السلام على ثلاث صفات، وهي الرسالة، والكلمة، والروح، أي هو لم يكن غير رسول الله، وكلمته وروح منه، والقصر إضافي كما هو ظاهر.

(٢) لم يذكر الله تعالى امرأة في القرآن باسمها العَلَم سوى مريم إذ ذكرها في القرآن في نحو من ثلاثين موضعاً، وسر هذا أنّ العرب يتحاشون أن يذكروا أسماء نسائهم، إنّما يكنون عنهن بالعرس والأهل والعائلة وأمّا الإماء فيذكرونهن بأسمائهن لذا ذكر تعالى مريم وهي أمته باسمها العلم ثلاثين مرّة.

(٣) قال ابن عبـاس رضي الله عنهما: المراد من التثليث: الله تعالى وصاحبته وابنه، والأقانيم عند بعضهم هي الأب، والابن، وروح القدس، وعند بعضهم هو الوجود، والحياة، والعلم.

انتهاؤكم خيراً لكم حالاً ومآلاً، إنما الله سبحانه وتعالى إله واحد لا شريك له ولا ند ولا ولد. سبحانه تنزه وعلا وجل وعظم أن يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، ولم يكن ذا حاجة وله ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وحكماً وتدبيراً، وكفى به سبحانه وتعالى وكيلاً شاهداً عليماً فحسبكم الله تعالى رباً وإلهاً فإنه يكفيكم كل ما يهمكم فلا تلتفتون إلى غيره ولا تطلبون سواه.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٧١) وأما الآيتان الثانية (١٧٢) والثالثة (١٧٣) فقد أخبر تعالى أن عبده ورسوله المسيح عليه السلام لن يستنكف أبداً أن يعبد الله وينسب إليه بعنوان العبودية فيقال عبدالله ورسوله، حتى الملائكة المقربون منهم فضلاً عن غيرهم لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى وعن لقب العبودية فهم عباد الله وملائكته، ثم توعد تعالى كل من يستنكف عن عبادته ويستكبر عنها من سائر الناس بأنه سيحشرهم جميعاً ويحاسبهم على أعمالهم فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات آمنوا بألوهيّته تعالى وحده وعبدوه وحده بما شرع لهم من أنواع العبادات وهى الأعمال الصالحة فهؤلاء يوفيهم أجورهم كاملة ويزيدهم من فضله الحسنة بعشر أمثالها وقد يضاعف الى سبعمائة ضعف. وأما الذين استنكفوا واستكبروا أي حملتهم الأنفة والكبر على عدم قبول الحق والرجوع اليه فأصروا على الاعتقاد الباطل والعمل الفاسد فيعذبهم تعالى عذاباً أليماً أي موجعاً ولا يجدون لهم من دونه ولياً ولا ناصراً فينتهي أمرهم إلى عذاب الخلد جزاء بما كانوا يعملون.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ حرمة الغلو في الدين إذ هي من الأسباب الموجبة للابتداع[1] والضلال.

٢ـ حرمة القول على الله تعالى بدون علم مطلقاً والقول عليه بغير الحق بصورة خاصة.

٣ـ بيان المعتقد الحق في عيسى[2] عليه السلام، وأنه عبد الله ورسوله كان بكلمة الله ونفخة

---

(١) قال مطرف بن عبيد الله: والعدل حسنة بين سيئتين، الأولى الإفراط، والثانية التفريط، فالغلو إفراط، والتقصير تفريط، وكلاهما مذموم قال الشاعر:

وأوفِ ولا تستوف حقك كله وسامح فلم يستوف قط كريم
ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

(٢) ذكر القرطبي عند تفسير هذه الآية قصة طويلة في سبب فساد دين المسيح عليه السلام، وأنّ الذي أفسده هو بولس اليهودي ولعلنا نذكرها في تفسير آية المائدة: ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ إن شاء الله تعالى.

جبريل عليه السلام.[1]

٤ـ حرمة الاستنكاف عن الحق والاستكبار عن قبوله.

٥ـ بيان الجزاء الأخروي وهو إما نعيم وإما جحيم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ
فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

شــرح الكلمــات :

برهــــان : البرهان: الحجة والمراد به هنا محمد ﷺ.[2]

نوراً مبيناً : هو القرآن الكريم.

واعتصموا : أي تمسكوا بالقرآن وبما يحمله من الشرائع.

في رحمة منه : الجنـــــة

صراطــــاً : طريقاً يفضى بهم الى جوار ربهم في دار الكرامة.

معنى الآيــتين :

ينادي الرب تبارك وتعالى سائر الناس مشركين ويهود ونصارى مخبراً إياهم قاطعاً للحجة[3] عليهم بأنه أرسل إليهم رسوله محمد ﷺ وهو البرهان الساطع والدليل القاطع على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته ووجوب الإيمان به وبرسله ولزوم عبادته بطاعته وطاعة رسوله وأنه أنزل عليه كتابه شافياً كافياً هادياً نوراً مبيّناً يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجه من الظلمات إلى النور. بهذا قد أعذر الله تعالى إلى الناس كافة وقطع عليهم كل معذرة

---

(١) قال أُبي بن كعب رضي الله عنه: خلق الله أرواح بني آدم لمّا أخذ عليهم الميثاق ثمّ ردها إلى صلب آدم، وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام، فلما أراد خلقه أرسل ملك الروح إلى مريم فكان منه عيسى فلذا قال: ﴿وروح منه﴾ هذا الأثر أحسن ما يقال في قوله تعالى ﴿وروح منه﴾.

(٢) هذا الذي قرّره ابن جرير، وأنّ البرهان في هذه الآية هو النبي محمد ﷺ.

(٣) هذا النداء وما بعده كالفذلكة لما تقدم من دعوة أهل الكتابين إلى الدخول في الإسلام لإقامة الحجة على الجميع إذ وجه تعالى نداءه العام لكل البشر وهو يتناول أهل الكتابين والمشركين وغيرهم لإقامة الحجة على الجميع.

وحجة ثم هم صنفان مؤمن وكافر فالذين آمنوا بالله رباً وإلها وبرسوله نبياً ورسولاً واعتصموا بالقرآن فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وصدقوا أنباءه والتزموا آدابه فهؤلاء سيدخلهم في رحمة(١) منه وفضل وذلك بأن ينجيهم من النار ويدخلهم الجنان وذلك هو الفوز العظيم كما قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز. وأما الذين كفروا به وبرسوله وكتابه فمصيرهم معروف وجزاءهم معلوم فلا حاجة الى ذكره: إنه الحرمان والخسران.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ الدعوة الاسلامية دعوة عامة فهي للأبيض والأصفر على حد سواء.

٢ـ إطلاق لفظ البرهان على النبيّ محمد ﷺ لأنه بأميته وكماله الذي لا مطمع لبشريّ أن يساميه فيه برهان على وجود الله وعلمه ورحمته.

٣ـ القرآن نور لما يحصل به من الإهتداء إلى سبيل النجاة وطرق السعادة والكمال.

٤ـ ثمن السعادة ودخول الجنة الإيمان بالله ورسوله ولقائه والعمل الصالح وهو التمسك بالكتاب والسنة المعبر عنه بالاعتصام.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

شرح الكلمات:

يستفتونك(٢) : يطلبون فتياك في كذا.

---

(١) الرحمة: الجنة بعد النجاة من النار، والفضل: ما ينعم به عليهم في دار السلام، وأعظمه النظر إلى وجهه الكريم وقوله تعالى: ﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيما﴾ أي يهديهم إلى ما يصل بهم إلى رضاه، وجواره، وهو الإسلام، وذلك بأن يثبتهم عليه حتى الموت.

(٢) روي أن هذه الآية وتسمى آية الكلالة نزلت في آخر ما نزل، وسبب نزولها أن جابر بن عبدالله مرض فعاده رسول الله ﷺ مع أبي بكر فأغمي على عبد الله فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صب عليه من فضل وضوئه فأفاق فقال يا رسول الله كيف أقضي في مالي وكان له تسع أخوات فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت هذه الآية.

يفتيكم : يبيّن لكم ما أشكل عليكم من أمر الكلالة.

الكلالة : أن يهلك الرجل ولا يترك ولداً ولا ولد ولد وإنما يترك أخا أو أختاً.

الحظ : النصيب.

أن تضلوا : كيلا تضلوا أي تخطئوا في قسمة التركة.

معنى الآية الكريمة :

هذه الآية تسمى آية الكلالة،[١] وآيات المواريث أربع الأولى في شأن الولد والوالد ﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين[٢]﴾ والثانية في شأن الزوج والزوجة ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾ الخ . . وفي شأن الإخوة لأم ﴿وإن كان رجل يورث كلالة او امرأة وله أخ أو أخت﴾ الخ . . وهاتان الآيتان تقدمتا في أول سورة النساء، والثالثة هي هذه ﴿يستفتونك﴾ الخ. وهى في شأن ميراث الاخوة والأخوات عند موت أحدهم ولم يترك ولداً ولا ولد ولد . . وهو معنى الكلالة والرابعة فى آخر سورة الانفال وهي في شأن ذوى الأرحام وهى قوله تعالى : ﴿ وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾.

وهذه الآية نزلت عند سؤال بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الكلالة فقال تعالى يسألونك أيها الرسول عن الكلالة قل للسائلين الله يفتيكم في الكلالة وهذه فتواه : إن هلك امرؤ ذكراً كان أو أنثى وليس له ولد ولاولد ولد وله أخت شقيقة أو لأب فلها نصف ما ترك، وهو يرثها أيضاً إن لم يكن لها ولد ولا ولد ولد. فإن كانتا اثنتين فلهماالثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً أي ذكوراً وإناثاً فللذكر مثل حظ الانثيين وبعد أن بيّن تعالى كيف يورث من مات كلالة قال مبيّناً حكمة هذا البيان : ﴿يبين الله لكم أن تضلوا[٣]﴾ أي كيلا تضلوا في قسمة التركات فتخطئوا الحق وتجوروا في قسمة أموالكم. ﴿والله بكل شيء عليم[٤]﴾ فلا

(١) وتسمى آية الصيف لأنها نزلت في زمن الصيف، وقال عمر رضي الله عنه إني والله لا أدع شيئاً أهمّ إليّ من أمر الكلالة وقد سألت رسول الله عنها فما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيها حتى طعن في جنبي أو صدري وقال: «ياعمر ألا تكفيك آية الصيف».

(٢) الجمهور ما عدا ابن عباس والظاهرية على أنّ الأخوات عصبة مع البنات فلو هلك هالك وترك أختا له وبنتا، فإنّ المال بينهما نصفين وإن ترك ثلاثاً فالمال بينهن أثلاثاً وهكذا الأخوات عصبة مع البنات قضى بهذا معاذ رضي الله عنه.

(٣) بعضهم يقدّر كراهة أن تضلوا، ولمّا كان الحذف لازماً للتخفيف فتقدير كيلا أفضل من لفظ الكراهة، وهو ما ذكرته في التفسير ولم أذكر غيره.

(٤) من جملة الأشياء العليم بها أحوالكم وما تتطلبه حياتكم في الدنيا والآخرة، وهذا يقتضي الثقة والطمأنينة فيما شرع لكم وتنفيذه في إخلاص وحسن أداء.

يجهل شيئا ولا يخفى عليه آخر وكيف وقد أحاط بكل شيء علما سبحانه لا إله غيره ولارب سواه.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١ـ جواز سؤال[1] من لا يعلم من يعلم للحصول على العلم المطلوب له.

٢ـ اثبات وجود الله تعالى عليمًا قديراً سميعاً بصيراً وتقرير نبوة محمد ﷺ إذ سؤال الأصحاب واجابة الرب تعالى بواسطة وحيه المنزل على رسوله يقرر ذلك ويثبته.

٣ـ بيان قسمة تركة من يورث كلالة من رجل أو امرأة فالأخت الواحدة لها من أخيها نصف ما ترك، والاختان لهما الثلثان، والاخوة مع الأخوات للذكر مثل حظ الأنثيين والاخ يرث أخته إن لم يكن لها ولد ولا ولد ولد، والإخوة والأخوات يرثون أختهم للذكر مثل حظ الأنثيين إذا لم تترك ولداً ولا ولد ولد.

سُورَةُ المَائِدَة[2]

مدنيّة

وآياتها مائة وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ

(١) بل الواجب أن يسأل كل من لا يعلم حتى يعلم لقول الله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

(٢) سورة المائدة من آخر ما نزل من السور في القرآن، وأحكامها كلها محكمة ما عدا قوله تعالى: ﴿ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد...﴾ الآية، وهو قول الشعبي رحمه الله تعالى، وفيها أحكام لم توجد في غيرها من السور، من ذلك حكم المنخنقة وما بعدها، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب، والوضوء وحكم السرقة.

ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟
عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

شرح الكلمات :

أوفوا بالعقود : العقود: هي العهود التي بين العبد والرب تعالى وبين العبد وأخيه والوفاء بها: عدم نكثها والاخلال بمقتضاها.

بهيمة الانعام(١) : هي الإبل والبقر والغنم.

وأنتم حرم : أي محرمون بحج أو عمرة.

شعائر الله : جمع شعيرة وهي هنا مناسك الحج والعمرة، وسائر اعلام دين الله تعالى.

الشهر الحرام : رجب وهو شهر مضر الذي كانت تعظمه.

الهـدى : ما يُهدى للبيت والحرم من بهيمة الأنعام.

القلائـد : جمع قلادة ما يقلد الهدى، وما يتقلده الرجل من لحاء شجر الحرم ليأمن.

آمين البيت الحرام : قاصديه يطلبون ربح تجارة أو رضوان الله تعالى.

وإذا حللتم(٢) : أي من إحرامكـم.

ولا يجرمنكم شنآن قوم : أي لا يحملنكم بغضاء قوم أن تعتدوا عليهم.

أن صدوكـم : أي لأجل أن صدوكم.

البر والتقـوى : البر: كل طاعة لله ورسوله والتقوى: فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى عنه الله ورسوله.

---

(١) سميت البهيمة بهيمة: لابهامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها ومنه باب مبهم أي مغلق، وليل بهيم لا يميّز ما فيه من الظلام، وقولهم في الشجاع من الرجال: بهمة لأنّه لا يدرى من أين يؤتى.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ الإجماع على أن الأمر هنا للإباحة وليس للوجوب، وهذه قاعدة أصولية: كل أمر بعد حظر فهو للإباحة.

الإثم والعدوان : الإثم: سائر الذنوب، والعدوان: الظلم وتجاوز الحدود.
شديد العقاب : أي عقابه شديد لا يطاق ولا يحتمل.

معنى الآيتين :

ينادى الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان فيقول يا أيها الذين آمنوا أي يا من آمنتم بي وبرسولي ووعدي ووعيدى أوفوا بالعقود[١] فلا تحلوها وبالعهود فلا تنكثوها، فلا تتركوا واجباً ولا ترتكبوا منهياً، ولا تحرموا حلالاً ولا تحلو حراماً أحللت لكم بهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والغنم الا ما يتلى عليكم وهي الآتية في آية ﴿حرمت عليكم الميتة والدم...[٢]﴾ فلا تحرموها وحرمت عليكم الصيد وأنتم حرم[٣] فلا تحلوه. وسلموا الأمر لي فلا تنازعوا فيها أحل وأحرم فإني أحكم ما أريد. هذا ما تضمنته الآية الأولى ﴿يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد[٤]﴾.

أما الآية الثانية فقد تضمنت أحكاما بعضها نُسخ العمل به وبعضها محكم يعمل به الى يوم الدين فمن المحكم والواجب العمل به تحريم شعائر الله وهي أعلام دينه من سائر ما فرض وأوجب، ونهى وحرم. فلا تستحل بترك واجب، ولا بفعل محرم، ومن ذلك مناسك الحج والعمرة. ومن المنسوخ الشهر الحرام فإن القتال كان محرماً في الأشهر الحرم ثم نسخ بقول الله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية، ومن المنسوخ أيضاً هدي المشركين وقلائدهم والمشركون أنفسهم فلا يسمح لهم بدخول الحرم ولا يقبل منهم هدى، ولا يجيرهم من القتل تقليد أنفسهم بلحاء شجر الحرم ولو تقلدوا شجر الحرم كله. هذا معنى قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلو شعائر الله، ولا الشهر الحرام ولا الهدى[٥] ولا القلائد[٦] ولا آمين

---

(١) قال الحسن: يعني عقود الدين، وهي ما عقده المرء على نفسه من بيع وشراء وإجارة وكراء ومناكحة وطلاق، ومزارعة ومصالحة، وتمليك وتخيير، وعتق وتدبير، وكذلك ما عاهد عليه الله تعالى من نذر وسائر التكاليف الشرعية وما خرج من عقد على شريعة الله رد وحل ولا وفاء فيه.

(٢) وما حرّم بالسنة وهو كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور لثبوت ذلك في الصحاح.

(٣) أمّا إذا حلّوا من إحرامهم فالصيد حلال كما هو في غير الإحرام إلّا ما كان من صيد الحرم فإنّه حرام في الإحرام والإحلال.

(٤) هذه الجملة تقتضي تسليم الأمر لله فلا اعتراض عليه فيما يحل ويحّرم وهو كذلك.

(٥) الهدي: ما يهدى إلى الحرم ومن خصائصه أنه يشعر وذلك بجرح سنامه من الجهة اليمنى حتى يسيل الدم، وبذلك يعلم أنه هدي، وقال بالإشعار كافة الفقهاء إلّا أبا حنفية ولاموه وعنّفوا عليه لتركه السنة الصحيحة في الإشعار.

(٦) يحرم بيع الهدي إذا أشعر وقلد لأنّه أصبح كالوقف لله تعالى، ومعنى التقليد أن يوضع في عنقه قلادة يعلم بها أنه هدي وهذا يكون في الغنم لأنها لاتشعر.

البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا﴾. والمراد بالفضل الرزق بالتجارة في الحج، والمراد يالرضوان ما كان المشركون يطلبونه بحجهم من رضى الله ليبارك لهم في أرزاقهم ويحفظهم في حياتهم.

وقوله تعالى ﴿وإذا حللتم فاصطادوا . . ﴾ خطاب للمؤمنين أذن لهم فى الاصطياد الذي كان محرماً وهم محرمون إذن لهم فيه بعد تحللهم من إحرامهم. وقوله تعالى ﴿ . . ولا يجرمنكم شنآن قوم . . ﴾ أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا. ينهى عباده المؤمنين أن يحملهم بغض قوم صدوهم يوم الحديبية عن دخول المسجد الحرام أن يعتدوا عليهم بغير ما أذن الله تعالى لهم فيه وهو قتالهم إن قاتلوا وتركهم إن تركوا. ثم أمرهم تعالى بالتعاون على البر والتقوى، أي على أداء الواجبات والفضائل، وترك المحرمات والرذائل، ونهاهم عن التعاون عن ضدها فقال عز وجل: ﴿وتعاونوا على البر(١) والتقوى ولا تعاونوا على الإثم(٢) والعدوان﴾. ولما كانت التقوى تعم الدين كله فعلاً وتركاً أمرهم بها، فقال واتقوا الله بالإيمان به ورسوله وبطاعتهما في الفعل والترك، وحذرهم من إهمال أمره بقوله ﴿إن الله شديد العقاب﴾ فاحذروه بلزوم التقوى.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ وجوب الوفاء بالعهود التي بين الله تعالى وبين العبد والمحافظة على العقود التي بين العبد وأخيه العبد لشمول الآية ذلك.

٢ـ إباحة أكل لحوم الإبل والبقر والغنم إلا الميتة منها.

٣ـ تحريم الصيد في حال الإحرام وحليته بعد التحلل من الإحرام وهو صيد البر لا البحر(٣).

٤ـ وجوب إحترام شعائر الدين كلها أداء لما وجب أداؤه، وتركا لما وجب تركه.

٥ـ حرمة الاعتداء مطلقا حتى على الكافر.

٦ـ وجوب التعاون بين المؤمنين على إقامة الدين، وحرمة تعاونهم على المساس به.

---

(١) في البر وهو فعل الخير رضا الناس، وفي التقوى رضا الله، ومَنْ جمع بين رضا الناس ورضا الله، فقد جمع الخير كله وتمت سعادته في دنياه وآخرته.

(٢) أي ولا تعاونوا على فعل الاثم من سائر كبائر الذنوب والفواحش ولا على الظلم والاعتداء إذ كلاهما مما حرّم الله تعالى.

(٣) لأن صيد البحر حلال في الإحرام وغيره لقوله تعالى: ﴿وأحلّ لكم صيد البحر ما دمتم حرماً﴾ الآية من آخر هذه السورة.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟
بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

الميتة : ما مات من بهيمة الأنعام حتف أنفه أي بدون تذكية.(١)

وما أهل لغير الله به : أي ما ذكر عليه اسم غير اسم الله تعالى مثل المسيح، أو الولي، أو صنم.

المنخنقة : أي بحبل ونحوه فماتت.

الموقوذة(٢) : أي المضروبة بعصا أو حجر فماتت به.

المتردّية : الساقطة من عال إلى أسفل مثل السطح والجدار والجبل فماتت.

النطيحة(٣) : ما ماتت بسبب نطح أختها لها بقرونها أو رأسها.

وما أكل السبع : أي ما أكلها الذئب وغيره من الحيوانات المفترسة.

إلا ما ذكيتم(٤) : أي أدركتم فيه الروح مستقرة فذكيتموه(٥) بذبحة أو نحره.

وما ذبح على النصب : أي ما ذبح على الأصنام المنصوبة التي تمثل إلهاً أو زعيماً أو عظيماً، ومثلها ما ذبح على أضرحة الأولياء وقبورهم وعلى الجان.

---

(١) ومن غيرها من مأكول اللّحم كالضباء والأرانب، وأنواع الصيد باستثناء ما ذكر عليه اسم الله حال صيده فإنّ ما مات منه يؤكل ولو لم يذكّ ولا يقال فيه ميتة.

(٢) يقال وقذه يقذه وقذاً: إذا ضربه بحجر ونحوها، والوقذ: شدة الضرب.

(٣) فهي فعيلة بمعنى مفعولة، فالنطيحة هي المنطوحة.

(٤) الاستثناء متصل وهو راجع على كل ما أدرك ذكاته من المذكورات وفيه حياة ولا التفات إلى الخلاف في هذه المسألة.

(٥) ما ذبح من قفاه لا يؤكل إجماعاً واختلف فيما إذا رفع المذكي يده قبل إنهاء الذكاة ثمّ ردّها فوراً، الصحيح أنها تؤكل، ولا خلاف في جواز أكل البعير إذا ند أو وقع في بئر فإنه كيفما ذكي جاز أكله للحديث الصحيح.

وان تستقسموا : أي وحرم عليكم ما تحصلونه عليه بالاستقسام بالأزلام ومثله ما يأخذه صاحب الكهانة والشواقة وقرعة الأنبياء، والحروز الباطلة التي فيها طلاسم وأسماء الجن والعفاريت.

ذلكم فسق : أي ما ذكر من أكل الميتة إلى الاستقسام بالأزلام خروج عن طاعة الله تعالى ومعصية له سبحانه وتعالى.

فمن اضطر : أي من ألجأته ضرورة الجوع فخاف على نفسه الموت فلا بأس أن يأكل مما ذكر.

في مخمصة : المخمصة شدة الجوع حتى يضمر البطن لقلة الغذاء به.

غير متجانف : غير مائل لإثم يريد غير راغب في المعصية بأكل ما أكل من الميتة وذلك بأن يأكل أكثر مما يسد به رمقه ويدفع به غائلة الجوع المهلك.

معنى الآية الكريمة :

هذه الآية الكريمة هي تفسير وتفصيل لقوله تعالى في الآية الأولى من هذه السورة وهو قوله: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ حيث ذكر في هذه الآية سائر المحرمات من اللحوم وهي عشر كما يلي:

الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح على النصب.[1]

وقوله تعالى: ﴿إلا ما ذكيتم﴾[2] يريد ما أدركتم فيه الروح مستقرة. بحيث إذا ذبحتموه اضطرب للذبح وركض برجليه فإن هذا علامة أنه كان حياً وأنه مات بالذبح.[3]

وقوله ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ يريد ولا يحل لكم الاستسقام بالأزلام، ولا أكل ما يعطى عليها وحقيقتها أنهم كانوا في الجاهلية يضعون القداح المعبر عنها بالأزلام جمع زلم وهو رمح صغير لازج له ولا ريش فيه، يضعونها في خريطة كالكيس، وقد كتب على واحد أمرني

---

(١) ما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به هما كشيء واحد إلا أن ما أهلّ لغير الله به غالباً يكون مذبوحاً لغير الأصنام كالأنبياء، والأولياء.

(٢) الذكاة في لغة العرب: الذبح، فقوله تعالى: ﴿إلّا ما ذكّيتم﴾ أي ذبحتم مع ذكْر اسم الله عليها، وفي الحديث: «ذكاة الجنين ذكاة أمه»، والذكاء: سرعة الفطنة، والتذكية مأخوذة من التطيّب، فذكّاها: بمعنى طيّبها بالذبح، ومنه: رائحة ذكية أي طيبة.

(٣) والذكاة تقع بكل حادٍ ينهر الدم ويفري الأوداج، ما عدا العظم والسن لقوله ﷺ: «ليس السّنّ والظفر» لأنّ السنّ عظم، والظفر مُدى الحبشة.

ربي وآخر نهاني ثم يجيلها المستقسم بها في الخريطة ويخرج زلماً منها فإن وجده مكتوباً عليه أمرني ربي مضى في عمله سفراً أو زواجاً، أو بيعاً أو شراء، وإن وجده مكتوباً عليه نهاني ربي ترك ما عزم على فعله فجاء الإسلام فحرم الاستسقام بالأزلام(1)، وسنَّ الاستخارة وهي أن يصلي المؤمن ركعتين من غير الفريضة ويقول: اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقـدرتـك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به، ويسمي حاجته. ويفعل أو يترك ما عزم عليه، والذي يأتيه هو الخير بإذن الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ذلكم فسق﴾ يريد ما ذكرت لكم مما حرمت عليكم إتيانه هو الفسق فاتركوه.

وقوله تعالى: ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون﴾ يخبر تعالى عباده المؤمنين أن الكافرين من المشركين وغيرهم قد يئسوا مِنْ أن يردوكم عن دينكم كما كان ذلك قبل فتح مكة ودخول ثقيف وهوازن في الإسلام، وظهوركم عليهم في كل معركة دارت بينكم وبينهم إذاً فلا تخشوهم بعد الآن أن يتمكنوا من قهركم وردكم إلى الكفر واخشوني أنا بدلهم وذلك بطاعتي وطاعة رسولي ولزوم حدودي والأخذ بسنتي في كوني حتى لا تتعرضوا لنقمتي بسلب عطائي فإن نصرتي لأهل طاعتي وإذلالي لأهل معصيتى.

وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾(2) فهو إخبار منه تعالى لعباده المؤمنين بما هو إنعام عليهم منه وامتنان فأولا: إكمال الدين(3) بجميع عقائده وعباداته وأحكامه وآدابه حتى قيل أن هذه الآية نزلت عشية يوم عرفة عام

---

(١) هي ثلاثة أزلام كتب على أحدها: أمرني ربي وعلى الثاني: نهاني ربي والثالث مهمل لم يكتب عليه شيء ويجعلها في خريطته فإذا خرج أمرني مَضى في عمله وإذا خرج نهاني ترك ما أراد فعله، وإذا خرج المهمل أعاد الضرب في الخريطة، وهناك نوعان من الاستقسام غير ما ذكرنا.

(٢) هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾ نزلت بعرفة يوم الجمعة في حجّة الوداع بعد العصر والرسول ﷺ على ناقته العضباء كما هو واضح في رواية مسلم في صحيحه.

(٣) ووجه إكمال الدين أنه كان قبل الهجرة مقصوراً على الشهادتين، والصلاة، ولمّا هاجر ﷺ إلى المدينة أخذ التشريع ينزل يوما بعد يوم حتى كمل وأعلن عنه الربّ تعالى في حجّة الوداع بقوله: ﴿اليوم أكملت..﴾ الخ.

حجة الوداع، ولم يعش بعدها رسول الله ﷺ إلا احدى وثمانين ليلة ثم توفاه الله تعالى وثانياً: إتمام نعمته تعالى عليهم فآمنهم بعد الخوف وقواهم بعد ضعف، ونصرهم وأعزهم بعد قهر وذل وسودهم وفتح البلاد لهم وأظهر دينهم وأبعد الكفر والكفار عنهم، فعلمهم بعد جهل وهداهم بعد ضلال فهذه من النعمة التي أتمها عليهم وثالثاً رضاه بالإسلام ديناً لهم حيث بعث رسوله به وأنزل كتابه فيه فبين عقائده وشرائعه فأبعدهم عن الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية، وأغناهم عنها بما رضيه لهم ألا وهو الإسلام القائم على الاستسلام لله تعالى ظاهراً وباطناً وذلك سلم العروج الى الكمالات ومرقى كل الفواضل والفضائل والسعادات فلله الحمد وله المنة.

وقوله تعالى: ﴿فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ يريد تعالى من اضطر أي ألجأته الضرورة وهي شدة الجوع وهي المخمصة[1] والمسغبة إلى أكل ما حرمت عليكم من الميتة وأنواعها فأكل فلا إثم عليه فإني غفور لعبادي المؤمنين رحيم بهم إلا أن يكون قد أكل من الميتة وأنواعها متعمداً المعصية مائلاً إليها غير مبال بتحريمي لها فذاك الذي عصاني وتعرض لنقمتي وعذابي فإن تاب فإني غفور رحيم، وإن أصر فإن عذابي أليم شديد.

هداية الآية

من هداية الآية:

١ـ حرمة الميتة وما ذكر معها وهي عشر من المحرمات.

٢ـ حرمة الاستقسام بالأزلام ومثلها قرعة الأنبياء وخط الرمل والكهانة وما أشبه ذلك.

٣ـ حرمة الذبح على القبور والقباب والنصب التذكارية وهي من الشرك.

٤ـ جواز أكل ما أدركه المسلم حياً من الحيوان المأكول فذكّاه وإن كان قد جرح أو كسر أو أشرف على الموت بأي سبب مميت.[2]

---

(١) المخمصة لغة: الجوع، وخلاء البطن من الطعام، والخمص: ضمور البطن، ومنه الحديث «إنّ الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» وفي الحديث أيضاً: «خماص البطون خفاف الظهور» والخميصة: ثوب، وجمعها خمائص: ثياب خز وصوف: وفي الحديث «تعس عبد الخميصة».

(٢) من آداب التذكية: الرّفق بالحيوان، احداد الشفرة، أن يوجهها إلى القبلة، تركها حتى تبرد قبل أن يشرع في سلخها، إحضار نيّة الإباحة قبل الشروع في الذبح، والاعتراف بالمنّة لله حيث سخّر لنا هذا الحيوان ولو شاء لسلّطه علينا، وأباح لنا ما لو شاء لحرمه علينا، وكل هذه الآداب جاءت في قوله ﷺ: «إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح» الحديث.

٥ـ وجوب خشية الله تعالى وحرمة خشية الكفار.

٦ـ حرمة الابتداع في الدين وحرمة التشريع المنافي للشرع الإسلامي.

٧ـ جواز أكل الميتة للمضطر وهو من لحقه ضرر من شدة الجوع فخاف على نفسه الهلاك على شرط أن لا يكون قاصداً المعصية مائلاً إلى الإثم.

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

الطيبات : ما أذن الله تعالى في أكله وأباحه لعباده المؤمنين.

الجوارح : جمع جارحة بمعنى كاسبة تجرح بمعنى تكسب.

مكلبين[1] : أي مرسلين الجارحة على الصيد سواء كانت الجارحة كلباً أو طيراً[2]

طعام الذين أوتوا الكتاب : ذبائح اليهود والنصارى.

المحصنات : جمع محصنة وهي العفيفة الحرة من النساء.

---

(١) المكلّب: هو معلم الكلاب، ومدربها على الصيد، ويقال للصائد مكلب، وعليه فقوله: ﴿مكلبين﴾ يكون بمعنى صائدين.

(٢) يكتفى في الطير بأن تطيع إذا أمرت، إذ هي دون الكلاب في الاستعداد للفهم والاستجابة ومثلها سباع الوحوش فإنها دون الكلاب أيضاً إلا أنّ الجمهور يشترط فيها ما يشترط في الكلاب.

أجورهن : مهورهن وصدقاتهن.
غير مسافحين : غير مجاهرين بالزنى.
أخـدان : جمع خدن وهو الخليل والصاحب السريّ.
ومن يكفر بالايمان : أي يرتدعن الإيمان فالباء بمعنى عن إذ يقال ارتد عن كذا...
حبـط عمله : بطل كل ما قدمه من الصالحات فلا يثاب عليه.

معنى الآيتين :

ورد أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فاستأذن فأذن له النبي ﷺ فأبى أن يدخل لوجود كلب صغير في البيت فقال: (إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب) فأمر النبي بعدها بقتل الكلاب فقتلت ثم جاء بعضهم يسأل عما يحل لهم من أمة الكلاب فأنزل الله تعالى هذه الآية: [1] ﴿يسألونك ماذا أحل لهم؟ قل أحل لكم الطيبات﴾ وهي كل ما لذ وطاب مما أباحه الله تعالى ولم ينه عنه، وأحل لكم كذلك صيد ما علمتم من الجوارح وهي الكلاب الخاصة بالاصطياد والفهود والنمور والطيور كالصقور ونحوها. مكلبين أي مرسلين لها على الصيد لتمسكه لكم، ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾. أي تؤدبون تلك الجوارح بالأدب الذي أدبكم الله تعالى به، وحد الجارحة المؤدبة أنها إذا اشليت أي أرسلت على الصيد ذهبت إليه وإذا زُجرت انزجرت وإذا دعيت أجابت. وقوله تعالى: ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم[2] واذكروا اسم الله عليه﴾ يفيد شرطين لحلية الصيد زيادة على كون الجارحة معلمة وهما أولاً أن يذكر اسم الله عند إرسال الجارحة بأن يقول: بسم الله هاته مثلا، والثاني[3] أن لا تأكل الجارحة منه فإن أكلت منه فقد أمسكت لنفسها ولم تمسك لمن أرسلها، اللهم إلا إذا أدركت حية لم تمت

---

(١) ذكر القرطبي أنّ الآية: ﴿يسألونك...﴾ نزلت بسبب عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه الرسول ﷺ: زيد الخير، إذ قالا: يارسول الله إنّا قوم نصيد بالكلاب، والبزاة، وإنّ الكلاب تأخذ البقر والحمر، والظباء، فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته، وقد حرّم الله الميتة فماذا يحل لنا؟ فنزلت الآية: ﴿يسألونك..﴾ الخ، ولا منافاة بين ما ذكر في التفسير وبين هذا، إذ يسأل السائل فيقرأ عليه الرسول الآية فيرى أنها نزلت فيه.

(٢) ﴿ما أمسكن عليكم﴾ على هنا بمعنى اللام، أي مما أمسكن لكم ولأجلكم كقولهم: سجن على كذا، وضرب الصبي على قوله كذا.

(٣) ذكر القرطبي الإجماع على أنّ الكلب إذا لم يكن أسود، وعلّمه مسلم فيشلي إذا أشلى، ويجيب إذا دعي وينزجر بعد ظفره بالصيد إذا زجر وأن يكون لا يأكل من صيده الذي صاده وأثر فيه بجرح أو تنييب وصاد به مسلم وذكر اسم الله عند إرساله أنّ صيده صحيح. هذه الشروط داخلة في الشرطين اللذين ذكرتهما الآية كما في التفسير إلاّ اشتراط أن لا يكون الكلب أسود. وهذا الشرط فيه خلاف.

ثم ذكيت فعند ذلك تحل بالتذكية لا بالاصطياد،[1] وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله ان الله سريع الحساب﴾ وعيد لمن لم يتق الله في أكل ما حرم أكله من الميتة وأنواعها، ومن صيد صاده غير معلّم من الجوارح، أو صاده معلم ولكنه أكل منه فمات قبل التذكية. فلتتق عقوبة الله في ذلك فإن الله سريع الحساب.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤) أما الآية الثانية (٥) وهي قوله تعالى: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ أي في هذا اليوم الذي أكمل الله تعالى لكم فيه الدين أحل لكم ما سألتم عنه وهو سائر الطيبات وكذا طعام الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى خاصة فطعامهم أي ذبائحهم حل لكم، وطعامكم حل لهم أي لا بأس أن تطعموهم من طعامكم فإن ذلك جائز لكم ولهم. وأحل لكم أيضاً نكاح المحصنات أي العفائف من المؤمنات، والمحصنات من نساء الذين أتوا الكتاب من قبلكم وهن العفائف من اليهوديات والنصرانيات، على شرط إتيانهن أجورهن أي مهورهن حال كونكم محصنين أي عاقدين عليهن عقدة النكاح المتوقفة على المهر والولي والشهود وصيغة الإيجاب والقبول، لا مسافحين بإعطاء المرأة أجرة وطئها فقط بدون عقد مستوف لشروطه، ولا متخذي أخدان أيضاً بأن تنكحوهن سراً بحكم الصحبة والصداقة والمحبة إذ ذاك هو الزنى فلا يحل بأجرةٍ ولا بغير بأجرةٍ وقوله تعالى: ﴿ومن يكفر بالإيمان[2] فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ فيه إشارة إلى أن استباحة المحرمات والجرأة على ذلك قد تؤدي إلى الكفر، ومن يكفر بعد إيمانه فقد حبط عمله أي بطل ثواب ما عمله في إسلامه، حتى ولو راجع الإسلام فليس له إلا ما عمله بعد رجوعه إلى الإسلام، وإن مات قبل العودة إلى الإسلام فهو قطعاً في الآخرة من الخاسرين بإلقائهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ مشروعية سؤال من لا يعلم عما ينبغي له أن يعلمه.

٢ـ حلية الصيد إن توفرت شروطه وهي أن يكون الجارح معلمًا وأن يذكر اسم الله تعالى عند

---

(١) قوله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل» دالّ على أنّ الصائد يتعيّن عليه أن يقصد عند إرسال الكلب والطير، التذكية والإباحة، إذ الأعمال بالنيات ولكل امريء ما نوى.

(٢) لفظ الإيمان: مصدر آمن يؤمن إيماناً، أطلق وأريد به الإسلام، لأنّ الإسلام والإيمان متلازمان، ما أسلم مَنْ لم يؤمن وما آمن مَنْ لم يسلم ومعنى الآية: ﴿ومَنْ يرتد عن الإسلام...﴾ الخ.

إرساله وأن لا يأكل منه الجارح، ويجوز أكل ما صيد برصاص أو بآلة حادة[1] بشرط ذكر اسم الله عند رميه ولو وجد ميتاً فلم يذك.

٣- إباحةُ طعام وذبائح أهل الكتاب.

٤- إباحة نكاح الكتابيات بشرط أن تكون حرة عفيفة[2] وأن يعقد عليها العقد الشرعي وهو القائم على الولي والشهود والمهر والصيغة بأن يقول الخاطب لمن يخطبه من ولي ووكيل زوجني فلانه فيقول له قد زوجتكها.

٥- حرمة نكاح المتعة ونكاح الخلة والصحبة الخاصة.

٦- المعاصي قد تقود إلى الكفر.

٧- المرتد عن الإسلام يحبط عمله فلو راجع الإسلام لا يثاب على ما فعله قبل الردة وإن مات قبل العودة إلى الإسلام خسر نفسه وأهله يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦

---

(١) لفظ: حادّة احتراز من غير الحادة كالعصا وعرض المعراض والحجر ونحوها لحديث: «إذا ضربت بالمعراض فخرق فكله وإن أصابه بعرض فإنه وقيذ فلا تأكله، إذ المعراض سهم بلا ريش غليظ الوسط يصيب بحدّه وعرضه معاً، فإن أصاب بحدّه جاز أكل ما أصابه، وإن أصاب بعرضه فهو كالموقوذة فلا يؤكل.

(٢) لأنّ الأمة الكافرة لا تحل للمؤمن لقول الله تعالى: ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ أي لا الكافرات، الآية من سورة النساء.

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾

شرح الكلمات :

إذا قمتم إلى الصلاة : أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون[1] أي على غير وضوء.

فاغسلوا وجوهكم : أي بعد غسل الكفين ثلاثاً والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ثلاثاً ثلاثاً لبيان رسول[2] الله ﷺ ذلك.

وارجلكم إلى الكعبين : أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين إلا أن يكون عليها خف ساتر فإنه يجوز المسح عليه دون حاجة إلى نزعه وغسل الرجلين، وذلك إن لبسه بعد وضوء ولم يمض على لبسه أكثر من يوم وليلة إن كان مقيماً، أو ثلاثة أيام إن كان مسافراً بهذا جاءت السنة.[3]

وإن كنتم جنباً : الجنب من قامت به جنابة وهي شيئآن: غياب رأس الذكر في الفرج، وخروج المنى بلذة في نوم أو يقظة.

فاطهروا : يعني فاغتسلوا، والغسل هو غسل سائر الجسد بالماء.

الغائط : كناية عن الخارج من أحد السبيلين من عذرة أو فساء أو ضراط، أو بول أو مذى.

او لامستم النساء : ملامسة النساء كناية عن الجماع، كما أن من لامس امرأة ليتلذذ بها

---

(١) إنّ خلافاً طويلاً عريضاً في تأويل هذه الآية وهو يدور على هل الوضوء واجب لكل صلاة أو هو مستحب أو واجب على المحدث لا غير ومستحب لغيره، وهل في الآية تقديم وتأخير؟ والذي عليه جمهور الأمّة أن الوضوء واجب على المحدث لا غير ومستحب لغيره وأنّ تأويل الآية هو كما في التفسير، ومما تنبغي الإشارة إليه أن الوضوء والغسل والتيمم كلها كانت مشروعة قبل نزول هذه الآية، إذ ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بغير وضوء، ومشروعية التيمم نزلت في غزوة المريسيع، وكانت سنة خمس أو ست من الهجرة، وعليه فالآية شملت الطهارة بأنواعها مؤكدة لها لتبقى خالدة تتلى في كتاب الله يتعبّد بتلاوتها ويعمل بمضمونها علما وعملا إذ سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن كما تقدّم.

(٢) ورد هذا في حديث عثمان في الصحيح إذ فيه: «ثم تمضمض، واستنشق، واستنثر».

(٣) لحديث مسلم عن علي رضي الله عنه أنه قال: «جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم» يعني في المسح على الخفين.

أو لامسها لغير قصد اللذة ووجد اللذة فقد انتقض وضوءه ومن هذا مس الفرج باليد لأنه مظنة اللذة لذا قال الرسول ﷺ «من أفضى منكم بيده إلى فرجه فليتوضأ».

فتيمموا صعيداً : اقصدوا تراباً أو حجراً أو رملاً أو سبخة مما صعد على وجه الأرض.

الحــرج : المشقة والعسر والضيق.

ميثاقــه : أي ميثاق الله تعالى وهو عهده المؤكد والمراد به هنا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إذ بها وجب الالتزام بسائر التكاليف الشرعية.

معنى الآيتين :

نادى الرب تعالى عباده المؤمنين به وبرسوله ووعده ووعيده ليأمرهم بالطهارة إذا هم أرادوا الصلاة وهي مناجاة العبد لربه لحديث المصلي يناجي[1] ربه، وبين لهم الطهارة الصغرى منها وهي الوضوء، والكبرى وهي الغسل، وبين لهم ما ينوب عنهما إذا تعذر وجود الماء الذي به الطهارة أو عجزوا عن استعماله: فقال تعالى: [2] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾ وحد الوجه طولاً من منبت الشعر أعلى الجبهة إلى منتهى الذقن أسفل الوجه وحده عرضاً من وتد الأذن اليمنى إلى وتد الأذن اليسرى ﴿وأيديكم الى المرافق﴾ فيشمل الغسل الكفين والذراعين إلى بداية العضدين فيدخل في الغسل المرفقان ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ واللفظ محتمل للكل والبعض والسنة بينت أن الماسح يقبل بيديه ويدبر بهما فيمسح جميع رأسه وهو أكمل وذلك ببلل يكون في كفيه، كما بينت السنة مسح الأذنين ظاهراً وباطناً بعد مسح الرأس ﴿وأرجلكم الى الكعبين﴾ أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين وهما العظمان الناتئان عند بداية الساق، وبينت السنة رخصة المسح[3] على الخفين بدلاً من غسل الرجلين، كما بينت غسل الكفين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار، وكون

---

(١) نص الحديث: «إذا كان أحدكم في الصلاة فإنه يناجي ربّه» وفي رواية البخاري: «إذا كان أحدكم في الصلاة فإنّ ربّه بينه وبين القبلة».

(٢) وكل ما ذكر في التفسير من صفة الوضوء والغسل، والتيمم هو ثابت في الصحاح والسّنن، وليس فيه ما هو ضعيف قط.

(٣) وضلت الرافضة فأخذوا بقراءة ﴿وأرجلكم﴾ بالكسر، فمسحوا أرجلهم في كل وضوء وتركوا غسل الرجلين أبداً، والحامل لهم على ذلك أن رؤساءهم زينوا لهم ذلك وأوجبوه عليهم لعلّة أن يبقوا بعيدين عن الإسلام والمسلمين ليستغلوهم مادياً، وليعدّوهم لقتال المسلمين لإعادة دولة المجوس التي يحلمون بها، وأمّا أهل السنة والجماعة فإنهم عملوا بكتاب ربّهم وسنّة نبيهم فغسلوا أرجلهم، لأنّ نبيهم لم يسمح رجليه بدون خف قط، ومسحوا على الخفين كما مسح نبيهم **فأخذوا بالقراءتين معاً**

الغسل ثلاثاً ثلاثاً على وجه الاستحباب، وقول بسم الله عند الشروع أي البدء في الوضوء.

كما بينت السنة وجوب الترتيب بين الأعضاء المغسولة الأول فالأول، ووجوب الفور بحيث لا يفصل بزمن بين أعضاء الوضوء حال غسلها بل يفعلها في وقت واحد إن أمكن ذلك وأكدت وجوب النية حتى لكأنه شرط في صحة الوضوء.[1]

وقال تعالى: ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾[2] أي وإن أصابت أحدكم جنابة وهي الجماع والاحتلام فمن جامع زوجته فأولج ذكره في فرجها ولو لم ينزل أي لم يخرج منه المنيّ فقد أجنب كما أن من احتلم فخرج منه منيّ فقد أجنب بل لكل من خرج منه منيّ بلذة في نوم أو يقظة فقد أجنب وانقطاع دم حيض المرأة ودم نفاسها كالجنابة يجب منه الغسل، وقوله ﴿فاطهروا﴾ يريد فاغتسلوا وقد بينت السنة كيفية الغسل وهي أن ينوي المرء رفع الحدث الأكبر بقلبه ويغسل كفيه قائلاً بسم الله ويغسل فرجيه وما حولها، ثم يتوضأ الوضوء الأصغر المعروف، ثم يخلل أصول شعر رأسه ببلل يديه، ثم يغسل رأسه[3] ثلاث مرات، ثم يقبض الماء على شق جسده الأيمن كله من أعلاه إلى أسفله، ثم الأيسر، ويتعاهد الأماكن التي قد ينبو عنها الماء فلا يمسها كالسرة وتحت الإبطين، والرفقين وهما أصل الفخذين، وقوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء﴾ ذكر تعالى في هذه الجملة الكريمة نواقض الوضوء وموجب الانتقال منه إلى التيمم فقال: ﴿وإن كنتم مرضى﴾ فالمريض قد يعجز عن الوضوء لضعف جسمه بعدم القدرة على التحرك، وقد تكون به جراحات أو دماميل يتعذر معها استعمال الماء حيث يزداد المرض بمس الماء، وقوله ﴿أو على سفر﴾ إذ السفر مظنة عدم وجود الماء هذه موجبات الانتقال من الوضوء إلى التيمم، وقوله عز وجل: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط[4] أو لامستم النساء﴾.

---

(١) بعض الفقهاء يعدون النيّة فرضاً من فروض الوضوء، وبعضهم يعدها شرطاً، وما دام المشروط يتوقف على شرطه صحة وبطلانا، والفرض إذا ترك بطل الوضوء فإنّه خلاف لفظي لا غير.

(٢) ﴿فاطهروا﴾ أصلها فتطهروا فادغمت التاء في الطاء لاتحاد مخرجيهما، ومعنى: اطهروا اغتسلوا، وفي الحديث الصحيح: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور..».

(٣) مع أذنيه ظاهراً وباطناً.

(٤) أصل الغائط أنه المكان المنخفض، ولمّا كان من يريد قضاء حاجته يأتي المكان المنخفض ليستتر عن أعين الناس، أطلق لفظ الغائط على ما يحل فيه من بول وعذرة.

ذكر في الجملة الأولى نواقض الوضوء إجمالاً وهو الخارج من السبيلين من عذرة وفساء وضراط وبول ومذي كنى عنه بقوله: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ وهو مكان التغوط والتبول وذكر موجب الغسل وهو الجماع وكنىّ عنه بالملامسة تعليمًا لعباده المؤمنين الآداب الرفيعة في مخاطباتهم، وقوله: ﴿فلم تجدوا ماء﴾ للوضوء أو الغسل بعد أن طلبتموه فلم تجدوه فتيمموا، اقصدوا من أم الشيء إذا قصده صعيداً طيباً يريد ما صعد على وجه الأرض من أجزائها كالتراب والرمل والسبخة والحجارة وقوله: ﴿طيباً﴾ يريد به طاهراً من النجاسة والقذر، وقوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ بين فيه كيفية التيمم، وهي أن يقصد المرء التراب الطاهر وإن تعذر ذلك فما تيسر له من أجزاء الأرض فيضرب بكفيه الأرض فيمسح بهما وجهه وكفيه ظاهراً وباطناً مرة واحدة وقوله منه أي من ذلك الصعيد وبهذا بين تعالى كيفية التيمم وهي التي علمها رسول الله ﷺ عمار بن ياسر[1] رضي الله عنه وقوله تعالى: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ يخبر تعالى أنه يأمرنا بالطهارة بقسميها الصغرى وهي الوضوء والكبرى وهي الغسل، وما ينوب عنهما عند العجز وهو التيمم، ما يريد بذلك إيقاعنا في الضيق والعنت، ولكنه تعالى يريد بذلك تطهيرنا من الأحداث والذنوب، لأن الوضوء كفارة لذنب المتوضىء كما جاء بيانه في السنة[2] وهو قوله: ﴿ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم﴾ بهدايتكم إلى الإسلام وتعليمكم شرائعه فيعدكم بذلك لشكره وهو طاعته بالعمل بما جاء به الإسلام من الأعمال الباطنة والظاهرة وهو معنى قوله ﴿لعلكم تشكرون﴾.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦) أما الآية الأخيرة (٧) وهي قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا واطعنا، واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور﴾ فإنه تعالى يأمر عباده المؤمنين أن يذكروا نعمته عليهم بهدايتهم إلى الإيمان ليشكروه بالإسلام، كما يذكروا ميثاقه الذي واثقهم به وهو العهد الذي قطعه المؤمن على نفسه لربه تعالى بالتزامه بطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ عندما تعهد أن لا إله إلا الله وأن

---

(١) إذ قال له: «إنما يكفيك أن تقول هكذا ثمّ ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه» متفق عليه، وورد أنّه يضرب الأرض فيمسح وجهه ثمّ يكررها مرة أخرى فيمسح كفيه. وورد عن ابن عمر مسحهما إلى المرفقين.

(٢) ورد في فضل الوضوء أحاديث صحيحة كثيرة منها: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه» ومنها: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يرفع طرفه إلى السماء ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين إلاّ فتحت له أبواب الجنة الثمانية.

محمداً رسول الله. وأما قوله: ﴿إذ قلتم سمعنا واطعنا﴾ قد قالها الصحابة بلسان القال عندما بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وقد قالها كل مسلم بلسان الحال لما شهد لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة. وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أمر بالتقوى التي هي لزوم الشريعة والقيام بها عقيدة وعبادة وقضاء وأدباً وقوله: ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ يذكر لهم بعلم الله تعالى بخفايا أمورهم حتى يراقبوه ويخشوه في السر والعلن وهذا من باب تربية الله تعالى لعباده المؤمنين لإكمالهم وإسعادهم فله الحمد وله المنة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ الأمر بالطهارة (١) وبيان كيفية الوضوء وكيفية الغسل، وكيفية التيمم (٢).

٢ـ بيان الأعذار الناقلة للمؤمن من الوضوء إلى التيمم.

٣ـ بيان موجبات الوضوء والغسل.

٤ـ الشكر هو علة الإنعام.

٥ـ ذكر العهود يساعد على التزامها والمحافظة عليها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ

---

(١) في الحديث الصحيح: «الطهور شطر الإيمان» رواه مسلم.

(٢) وكيفية المسح على الخفين هي أن يبل يده بالماء ثمّ يمسح ظاهر رجله اليمنى ثمّ يمسح ظاهر اليسرى، دون باطنها لحديث علي: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه» ويشترط في المسح أن يلبس خفيه على طهارة.

ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

قوامين لله : جمع قوام وهو كثير القيام لله تعالى بحقوقه وما وجب له تعالى، وبحقوق الغير أيضاً لا يفرط في شيء من ذلك.

شهداء بالقسط : جمع شهيد بمعنى شاهد والقسط العدل.

ولا يجرمنكم : أي لا يحملنكم.

شنآن : بغض وعداوة.

العدل : خلاف الجور، وهو المساواة بلا حيف ولا جور.

هو أقرب للتقوى : أي العدل أقرب للتقوى من الجور.

همّ قوم : أرادوا وعزموا على إنفاذ إرادتهم والقوم هم يهود بني النضير.

يبسطوا إليكم إيديهم : أي ليقتلوا نبيكم ﷺ.

فكف أيديهم : لم يمكنهم مما أرادوه من قتل النبي ﷺ.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم[1] ففي الآية (٨) أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا قوامين لله تعالى بسائر حقوقه عليهم من الطاعات، وأن يكونوا شهداء بالعدل لا يحيفون ولا يجورون في شيء سواء كان المشهود عليه ولياً أو عدواً، ونهاهم أن يحملهم بغض قوم أو عداوتهم على ترك العدل وقد أمروا به، ثم أمرهم بالعدل وأعلمهم أن أهل العدل هم أقرب الناس إلى التقوى[2]، لأن من كانت ملكة العدل

---

(١) لمّا ذكرهم تعالى في الآيات السابقة بنعمه العظيمة طلب إليهم في هذه الآية أن يشكروا تلك النعم وذلك بالوفاء له بالعهد فقال لهم: «كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط».
(٢) المراد من التقوى: التقوى الكاملة التامة التي هي ملاك الأمر إذ بها تتحقق لهم ولاية ربّهم ما داموا مؤمنين متقين.

صفة له كان أقدر على أداء الحقوق والواجبات، وعلى ترك الظلم واجتناب المنهيات ثم أمرهم بالتقوى مؤكداً شأنها لأنها ملاك الأمر، وأعلمهم بأنه خبير بما يعملون لتزداد ملكة مراقبة الله تعالى في نفوسهم فيفوزون بالعدل والتقوى معاً هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨) أما الآية (٩) فقد تضمنت بشرى سارة[١] لهم وهي أن ربهم قد وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالمغفرة لذنوبهم والأجر العظيم لهم وهو الجنة، وقلت بشرى سارة لهم، لأنهم هم أهل الإيمان وصالح الأعمال رضي الله عنهم وارضاهم، أما الآية الثالثة (١٠) فقد تضمنت وعيداً شديداً للكافرين المكذبين بآيات الله وحججه التي أرسل بها رسله وأيدهم بها، ولازم لكذبهم وكفرهم خبث أرواحهم ولذا فهم لا يلائمهم إلا عذاب النار فكانوا بذلك أصاب الجحيم[٢] الذين لا يفارقونها أبداً، وأما الآية الرابعة (١١) فقد ذكرهم تعالى بنعمة عظيمة من نعمه، هي نجاة نبيهم محمد ﷺ من قتل أعدائه وأعدائهم وهم اليهود إذ ورد في سبب نزول هذه الآية ما خلاصته:

أن أولياء العامريين الذين قتلا خطأ من قبل مسلم حيث ظنهما كافرين فقتلهما جاءوا يطالبون بدية قتيليهم فخرج رسول الله ﷺ ومعه الخلفاء الراشدون الأربعة وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين خرجوا إلى بني النظير يطالبونهم بتحمل شيء من هذه الدية بموجب عقد المعاهدة إذ من جملة موادها تحمل أحد الطرفين معونة الطرف الآخر في مثل هذه الحالة المالية فلما وصلوا إلى ديارهم شرق المدينة استقبلوا رسول الله ﷺ بالحفاوة والتكريم وأجلسوه مكانا لائقاً تحت جدار منزل من منازلهم وأفهموه أنهم يعدون الطعام والنقود، وقد خلوا ببعضهم وتآمروا على قتله ﷺ وقالوا فرصة متاحة فلا نفوتها أبداً وأمروا أحدهم أن يطلق من سطح المنزل حجر رحى كبيرة على رأس النبي ﷺ فتقتله، وما زالوا يدبرون مكيدتهم حتى أوحى الله إلى رسوله بالمآمرة الدنيئة فقام ﷺ وتبعه أصحابه ودخلوا إلى المدينة وفاتت فرصة اليهود واستوجبوا بذلك اللعن وإلغاء المعاهدة وإجلاءهم من المدينة، وقصتهم في سورة الحشر، والمقصود من هذا بيان المرادامن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين

---

(١) لقوله تعالى: ﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

(٢) في الآية قصر ادعائي وهو قوله تعالى: ﴿أولائك أصحاب الجحيم﴾ أي لا غيرهم كأنهم المتأهلون للعذاب والخلود فيه، دون غيرهم، وذلك لعظم جرمهم بالكفر والتكذيب.

آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم إيديهم[1]﴾ أي بالقتل للنبي ﷺ ﴿فكف أيديهم عنكم﴾ حيث أوحى إلى رسوله ما دبره اليهود فانصرف وتركهم لم يظفروا بما أرادوا وهو معنى ﴿فكف أيديهم[2] عنكم﴾.

ثم أمر الله تعالى المؤمنين بتقواه إذ هي سلم كمالهم وسبيل نجاحهم وهي عبارة عن امتثال أمره وأمر رسوله واجتناب نهيهما وأرشدهم إلى التوكل عليه تعالى في جميع أمورهم بقوله ﴿وعلى[3] الله فليتوكل المؤمنون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب القيام بحق الله تعالى على العبد وهو ذكره وشكره بطاعته.

٢ـ وجوب العدل في الحكم والقول والشهادة والفعل ومع الولي والعدو سواء.

٣ـ تأكيد الأمر بتقوى الله عز وجل.

٤ـ الترغيب والترهيب بذكر الوعد والوعيد كما في الآيتين (٩) و (١٠).

٥ـ وجوب ذكر النعمة حتى يؤدى شكرها.

٦ـ وجوب التوكل على الله تعالى والمضي في أداء ما أوجب الله تعالى.

۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ

---

(١) ولهذا الحادثة نظيراتها فقد تعددت مؤامرات اليهود، والمشركين على النبي ﷺ والمؤمنين ففي الحديبية حصل مثل هذا وحادثة غورث ودعثور كذلك إذ الكل همّوا فيها ببسط ايديهم بالأذى ولكنّ الله كفّ أيديهم فله الحمد وله المنّة.

(٢) كف اليد: كناية عن عدم القتل، والقتال، وبسطها كناية عن السوء والأذى الحاصل بها.

(٣) في الآية قصر حقيقي، وهو أن التوكل لا يكون إلّا على الله إذ لا كافي إلا هو سبحانه وتعالى.

جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

الميثاق : العهد المؤكد بالأيمان.

بنو إسرائيل : اليهود.

نقيباً[1] : نقيب القوم: من ينقب عنهم ويبحث عن شؤونهم ويتولى أمورهم.

وعزرتموهم[2] : أي نصرتموهم ودافعتم عنهم معظمين لهم.

وأقرضتم الله : أي أنفقتم في سبيله ترجون الجزاء منه تعالى على نفقاتكم في سبيله.

لأكفرن عنكم سيئاتكم : أسترها ولم أوآخذكم بها.

فقد ضل سواء السبيل : أخطأ طريق الهدى الذي يفلح سالكه بالفوز بالمحبوب والنجاة من المرهوب.

معنى الآية الكريمة :

لما طالب تعالى المؤمنين بالوفاء بعهودهم والالتزام بمواثيقهم ذكرهم في هذه الآية بما أخذ على بني إسرائيل من ميثاق فنقضوه فاستوجبوا خزي الدنيا وعذاب الآخرة ليكون هذا عبرة للمؤمنين حتى لا ينكثوا عهدهم ولا ينقضوا ميثاقهم كما هو إبطال لاستعظام من استعظم غدر اليهود وهمهم بقتل النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾ وهو قوله إني معكم الآتي، ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً[3]..﴾ أي من كل قبيلة من قبائلهم الاثني عشرة قبيلة نقيباً يرعاهم ويفتش على أحوالهم كرئيس فيهم، وهم الذين بعثهم موسى عليه

---

(١) النقب والنُقب بفتح القاف وضمها: الطريق في الجبل، والنقيب: الأمين على القوم، وجمعه نقباء، وهو من ينقب عن أمور القوم ومصالحهم ليرعاها لهم، وقالوا: النقيب أكبر من العريف، وفي البخاري: «ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم».

(٢) التعزير: التعظيم، والتوقير والنصرة والدفاع عن المعزّر. والتعزير في الشرع: الضرب دون الحدّ لردّ المخالف إلى الحق وسبيل الرشاد.

(٣) من بين النقباء الاثنى عشر: يوشع، وكالب، وهما رجلان صالحان، والباقون هلكوا فلا خير فيهم.

السلام إلى فلسطين ليتعرفوا على أحوال الكنعانيين[1] قبل قتالهم. وقال الله تعالى ﴿إني معكم﴾ وهذا بند الميثاق ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾ أي وعزتي وجلالي﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي﴾ صدقتموهم فيما جاءوكم به ﴿وعزرتموهم﴾ بنصرتهم وتعظيمهم، ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ أي زيادة على الزكاة الواجبة والعامة في الإنفاق وفي تزكية النفس بالإيمان وصالح الأعمال ﴿لأكفرن عنكم[2] سيئاتكم﴾ بإذهاب آثارها من نفوسكم حتى تطيب وتطهر ﴿ولأدخلنكم﴾ بعد ذلك التطهير ﴿جنات تجري من تحتها﴾ أي من تحت أشجارها وقصورها﴿الأنهار﴾ هذا جزاء الوفاء بالميثاق ﴿فمن كفر﴾ فنقض وأهمل ما فيه فكفر بعده ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أي أخطأ طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، أي خرج عن الطريق المفضي بسالكه إلى النجاة والسعادة.

هداية الآيـة

من هداية الآية

١ـ الحث على الوفاء بالالتزامات الشرعية.

٢ـ إبطال استغراب واستعظام من يستغرب من اليهود مكرهم ونقضهم وخبثهم ويستعظم ذلك منهم.

٣ـ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله تعبد الله بها[3] من قبل هذه الأمة.

٤ـ وجوب تعظيم[4] الرسول ﷺ ونصرته في أمته ودينه.

---

(١) في الآية دليل على قبول خبر الواحد فيما يحتاج إليه من الاطلاع على حاجة من الحاجات الدينية والدنيوية، وفيها دليل على اتخاذ العَين: أي الجاسوس، وقد بعث رسول الله ﷺ بسبسبة عينا في غزوة بدر بعثه لتقصي أخبار أبي سفيان. رواه مسلم.

(٢) هذا جواب القسم في قوله: ﴿لئن أقمتم الصلاة...﴾ الخ وأمّا قوله تعالى: ﴿إنّي معكم﴾ فهو اخبار بوعد الله تعالى لبني اسرائيل، وهي معيّة نصرة، وتأييد إن هم وفّوا لله بما أخذ عليهم من عهد وميثاق وجملة: ﴿لئن أقمتم﴾ جملة مستأنفة، ولا علاقة لها بجملة الوعد: ﴿إني معكم﴾.

(٣) ليس هذا من خصائص أمة الإسلام لأنّ هذه العبادات شرعت لإسعاد، وإكمال الإنسان فلذا هي مشروعة لكل الأمم، لتوقف الكمال والسعادة على مثلها من مزكيات النفوس ومهذبات الأخلاق.

(٤) لأنّ مقام الرسل شريف، وكيف وهم رسل الله تعالى، ثمّ لولا وجوب ذلك لهم مع وجوب محبّتهم لما أطاعهم مَنْ بعثوا فيهم، وأرسلوا إليهم.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا
ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾
وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ
فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

نقض الميثاق : حله بعدم الالتزام بما تضمنه من أمر ونهي.

لعنّاهم : طردناهم من موجبات الرحمة ومقتضيات العز والكمال.

يحرفون الكلم : يبدلون الكلام ويؤولون معانيه لأغراض فاسدة، والكلم من الكلام.

ونسو حظاً مما ذكروا : تركوا قسطاً كبيراً مما ذكرهم الله تعالى به أي أمرهم به في كتابهم.

خائنة : خيانة أو طائفة خائنة منهم.

فاعف عنهم واصفح : أي لا تؤاخذهم واصرف وجهك عنهم محسناً إليهم بذلك.

إنا نصارى : أي ابتدعوا بدعة النصرانية فقالوا إنا نصارى.

أغرينا بينهم العداوة : الإغراء: التحريش والمراد أوجدنا لهم أسباب الفرقة والخلاف إلى يوم القيامة بتدبيرنا الخاص فهم أعداء لبعضهم البعض أبداً.

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في بيان خبث اليهود وغدرهم فقد أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة

(١٣) أن اليهود الذين أخذ الله ميثاقهم على عهد موسى عليه السلام بأن يعملوا بما في التوراة وأن يقاتلوا الكنعانيين ويخرجوهم من أرض القدس وبعث منهم أثني عشر نقيباً قد نكثوا عهدهم ونقضوا ميثاقهم، وإنه لذلك لعنهم وجعل قلوبهم قاسية فهم يحرفون الكلم عن مواضعه فقال تعالى: ﴿فبما نقضهم﴾[١] أي فبنقضهم ميثاقهم الذي أخذ عليهم بأن يعملوا بما في التوراة ويطيعوا رسولهم ﴿لعناهم﴾ أي أبعدناهم من دائرة الرحمة وأفناء الخير والسلام ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾[٢] شديدة غليظة لا ترق لموعظة، ولا تلين لقبول هدى ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ فيقدمون ويأخرون ويحذفون بعض الكلام ويؤولون معانيه لتوافق أهواءهم، ومن ذلك تأويلهم الآيات الدالة على نبوة كل من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم في التوراة ﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ وتركوا كثيراً مما أمروا به من الشرائع والأحكام معرضين عنها متناسين لها كأنهم لم يؤمروا بها، فهل يستغرب ممن كان هذا حالهم الغدر والنقض والخيانة، ولا تزال يا رسولنا ﴿تطلع على خائنة منهم﴾[٣] أي على طائفة خائنة منهم كخيانة بني النضير ﴿إلا قليلا منهم﴾ فإنهم لا يخونون كعبد الله بن سلام وغيره، وبناء على هذا ﴿فاعف عنهم﴾[٤] فلا تؤاخذهم بالقتل، ﴿واصفح﴾ عنهم فلا تتعرض لمكروههم فأحسن إليهم بذلك ﴿إن الله يحب المحسنين﴾.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٣) أما الآية الثانية (١٤) في هذا السياق فقد أخبر تعالى عن النصارى[٥] وأن حالهم كحال اليهود لا تختلف كثيراً عنهم فقد أخذنا ميثاقهم على الإيمان بي وبرسلي وبالعمل بشرعي فتركوا متناسين كثيراً مما أخذ عليهم العهد والميثاق فيه، فكان أن أغرينا بينهم[٦] العداوة والبغضاء كثمرة لنقضهم الميثاق فتعصبت كل طائفة لرأيها فثارت

---

(١) الباء في قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم﴾ زائدة لتقوية الكلام وتأكيده، ولفت النظر إليه ليتأمل وتفهم معانيه.

(٢) قرئت: (قسيّة) يقال عام قسيّ: أي شديد لا مطر فيه، فالمادة مأخوذة من الشدة والقساوة.

(٣) لفظ خائنة: صالح لأن يكون صفة لطائفة محذوفة، كما في التفسير، وجائز أن تكون خائنة بمعنى خيانة كقولهم في القيلولة قائلة، والخيانة هي المعصية يحدثونها كالكذب، والفجور، وأصل الخيانة: عدم الوفاء بالعهد.

(٤) هذا حمل له ﷺ على مكارم الأخلاق لأنّ أذاهم كان منصباً عليه ﷺ فأمره بعدم مقابلة الأذى بالأذى بل بالعفو والصفح ليعظم مقامه أمامهم ويكبر في أعينهم.

(٥) التعبير بلفظ النصارى فيه إشارتان مهمتان. الأولى: أنّ النصرانية بدعة ابتدعوها وليست مما شرع الله تعالى فهو ينفي عنهم ذلك، والثانية: بما أنهم راعوا في هذه البدعة نصرة الدين والحق وأهله أخذا من قول عيسى: ﴿مَنْ أنصاري إلى الله؟﴾ فقال الحواريون: ﴿نحن أنصار الله﴾ إذاً لِمَ لاتنصرون الحق وهو الإسلام وأهله وهم المسلمون؟.

(٦) من الجائز أن يقال: أغرينا بينهم العداوة والبغضاء هو عائد على اليهود والنصارى لأنّ العداوة بينهم ثابتة إلّا أنّ السياق هو في النصارى فطوائفهم متعددة ومتعادية متباغضة كما أخبر تعالى. والفرق بين العداوة والبغضاء أنّ العداوة من العدوان فقد ينتج عنها أذى بالضرب أو القتل. وأمّا البغضاء فهي من البغض القلبي فلا يتوقع من صحابها أذىً.

بينهم الخصومات وكثر الجدل فنشأ عن ذلك العداوات والبغضاء وستستمر إلى يوم القيامة، وسوف ينبئهم الله تعالى بما كانوا يصنعون من الباطل والشر والفساد ويجازيهم به الجزاء الموافق لخبث أرواحهم وسوء أعمالهم فإن ربك عزيز حكيم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ حرمة نقض المواثيق ونكث العهود ولا سيما ما كان بين العبد وربه.

٢ـ الخيانة وصف لازم لأكثر اليهود فقل من سلم منهم من هذا الوصف.

٣ـ استحباب العفو عند القدرة، وهو من خلال الصالحين.

٤ـ حال النصارى[1] لا تختلف كثيراً عن حال اليهود كأنهم شربوا من ماء واحد. وعليه فلا يستغرب منهم الشر ولا يؤمنون على سر فهم في عداوة الإسلام والحرب عليه متعاونون متواصون.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ

شرح الكلمات :

أهل الكتاب[2] : هنا هم اليهود والنصارى معاً.

---

(١) جائز أن يكون النصارى: جمع نصراني منسوب إلى النصر كماقالوا شعراني، ولحياني منسوى إلى الشعر، واللّحية.
(٢) الكتاب اسم جنس يصدق على الواحد والاثنين والأكثر، والمراد بأهل الكتاب، اليهود والنصارى، ونداؤه لهم بعنوان الكتاب فيه معنى العيب عليهم سلوكهم الشائن وانحرافهم الخطير حيث بعدوا عن كلّ خير.

قد جاءكم رسولنا : محمد صلى الله عليه وسلم.

تخفون من الكتاب : الكتاب التوراة والإنجيل، وما يخفونه صفات النبي محمد ﷺ وبعض الأحكام، المخالفين لها يجحدونها خوف المعرة كالرجم مثلاً.

ويعفو عن كثير[1] : لا يذكرها لكم لعدم الفائدة من ذكرها.

نور وكتاب مبين : النور محمد ﷺ، والكتاب القرآن الكريم.

إلى صراط مستقيم : الإسلام وهو الدين الحق الذي لا نجاة إلا به. والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

معنى الآيتين :

ما زال السياق في أهل الكتاب فبعد أن بين تعالى باطلهم وما هم عليه من شر وسوء دعاهم وهو ربهم وأرحم بهم من أنفسهم إلى سبيل نجاتهم وكمالهم دعاهم إلى الإيمان برسوله وكتابه ذلك الرسول الذي ما اتبعه أحد وندم وخزى والكتاب الذي ما ائتم به أحد وضل أو شقي، فقال: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ أي محمد ﷺ ﴿يبين لكم﴾ بوحينا ﴿كثيراً﴾ من مسائل الشرع والدين التي تخفونها خشية الفضيحة لأنها حق جحدتموه وذلك كنعوت النبي الأمي وصفاته حتى لايؤمن به الناس، وكحكم الرجم في التوراة وما إلى ذلك. ﴿ويعفو﴾ يترك كثيراً لم يذكر لعدم الداعى إلى ذكره يا أهل الكتاب ﴿قد جاءكم من الله﴾ ربكم ﴿نور﴾ هو رسولنا محمد[2] ﷺ ﴿وكتاب مبين﴾ وهو القرآن إذ بين كل شيء من أمور الدين والدنيا وكل ما تتوقف سعادة الإنسان وكماله عليه دنيا وأخرى ﴿يهدي به الله﴾ تعالى ﴿من اتبع رضوانه﴾ وذلك بالرغبة الصادقة في الحصول على رضا الله عز وجل بواسطة فعل محابه وترك مساخطه عن كل معتقد وقول وعمل يهديه به ﴿سبل السلام﴾ أي طرق السعادة والكمال، ﴿ويخرجهم﴾ أي المتبعين رضوان الله ﴿من الظلمات﴾ وهي ظلمات الكفر والشرك والشك، إلى نور الإيمان الصحيح والعبادة الصحيحة المزكية للنفس المهذبة للشعور بتوفيقه وعونه تعالى ويهديهم أي أولئك الراغبين حقاً في رضا الله ﴿يهديهم الى صراط

---

(١) ﴿يعفو﴾ معناه يعرض ولا يظهر، يقال: عفا الرسم إذا لم يظهر فعفا عن كذا: أعرض عنه ولم يظهره.

(٢) واللفظ صالح لأن يكون المراد بالنور الإسلام، فالنبي ﷺ نور والإسلام نور إذ كل منهما يهدي إلى دار السلام في الآخرة وإلى الطهر والصفاء والسعادة والكمال في دار الدنيا.

مستقيم﴾ لا يضلون معه ولا يشقون أبداً وهو دينه الحق الإسلام الذي لا يقبل ديناً غيره،[1] والذي ما اهتدى من جانبه ولا سعد ولا كمل من تركه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ نصح الله تعالى لأهل الكتاب بدعوتهم إلى سبل السلام بالدخول في الإسلام.

٢ـ بيان جحود اليهود والنصارى لكثير من الأحكام الشرعية ودلائل النبوة المحمدية مكراً وحسداً حتى لا يؤمن الناس بالإسلام ويدخلوا فيه.

٣ـ اتباع السنة المحمدية يهدي صاحبه الى سعادته وكماله.

٤ـ القرآن حجة على الناس كافة لبيانه الحق في كل شيء.

٥ـ طالب رضا الله[2] بصدق يفوز بكل خير وينجو من كل ضير.

لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ
ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ
أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ

---

(١) شاهده قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

(٢) لأنّه يطلبه من طريق الإسلام، والإسلام قائد أهله إلى النجاة من كلّ مرهوب وإلى الفوز بكلّ محبوب مرغوب.

رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

لقد كفر الذين : لأنهم جحدوا الحق وقالوا كذباً الله هو المسيح بن مريم.

المسيح : لقب لعيسى بن مريم عبدالله ورسوله عليه السلام.

مريم : بنت عمران من صلحاء بني إسرائيل والدة عيسى عليه السلام.

يهلك : يميت ويبيد.

قدير : قادر على إيجاد وإعدام كل شيء أراد إيجاده أو إعدامه.

الأحباء : واحده حبيب كما أن الأبناء واحده ابن.

على فترة : الفترة زمن انقطاع الوحي لعدم إرسال الله تعالى رسولا.

بشير ونذير : البشير: المبشر بالخير، والنذير: المنذر من الشر وهو رسول الله ﷺ يبشر المؤمنين وينذر الكافرين.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن أهل الكتاب ففي الآية الأولى (١٧) أخبر تعالى مؤكداً الخبر بالقسم المحذوف الدالة عليه اللام الواقعة في جواب القسم فقال: ﴿لقد كفر[1] الذين قالوا ان الله هو[2] المسيح ابن مريم﴾ ووجه كفرهم أنهم جعلوا المخلوق المربوب هو الله الخالق الرب لكل شيء وهو كفر من أقبح أنواع الكفر، وهذا وإن لم يكن قول أكثر النصارى فإنهم بانتمائهم إلى النصرانية وقولهم بها وانخراطهم في سلك مبادئها وتعاليمها يؤاخذون به، لأن الرضا بالكفر كفر.

(١) المراد من ذكر هذا الخبر: ﴿لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح بن مريم﴾ هو بيان كفرهم بهذه المقالة، لا أنّه تقرير لضلالهم ونقضهم الميثاق.

(٢) هذا عائد إلى قول بعضهم: إن المسيح لاهوت ناسوت أي: إله وإنسان، وهو خلط وخبط لا نظير لهما، وأشهر طوائفهم وهم اليعقوبية والملكائية، والنسطورية ينكرون أن يكون الله هو المسيح، ولكن يقولون: إنّ عيسى ابن الله، وإنه إله وهو كذب صريح وكفر بواح.

وقوله تعالى: ﴿قل فمن[1] يملك من الله شيئاً﴾ يعلم رسوله كيف يحتج على أهل هذا الباطل فيقول له: قل لهم ﴿من يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه عليهما السلام ﴿ومن في الأرض جميعا﴾ والجواب قطعاً لا أحد، إذاً فكيف يكون عبدالله هو الله أو إلهاً مع الله؟ أليس هذا هو الضلال بعينه وذهاب العقول بكماله؟ ثم أخبر تعالى أنه له ﴿ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ خلقاً وتصرفاً، وأنه ﴿يخلق ما يشاء﴾ خلقه بلا حجر عليه ولا حظر وهو على كل شيء قدير خلق آدم من تراب بلا أب ولا أم، وخلق حواء من آدم، وخلق عيسى من مريم بلا أب، ويخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير فكون المسيح عليه السلام خلقه بكلمة كن بلا أب لا تستلزم عقلاً ولا شرعاً أن يكون هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة مع الله كما هي عقيدة أكثر النصارى، والعجب من إصرارهم على هذا الباطل، هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (١٨) فقد تضمنت بيان ضلال اليهود والنصارى معاً وهو دعواهم أنهم ﴿أبناء الله[2] واحباؤه﴾ إذ قال تعالى عنهم ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن[3] ابناء الله وأحباؤه﴾ وهو تبجح وسفه وضلال فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقوله: قل لهم يا رسولنا ﴿فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ فهل الأب يعذب أبناءه والحبيب يعذب محبيه، وأنتم تقولون نعذب في النار أربعين يوماً بسبب خطيئة عبادة أسلافهم العجل أربعين يوماً كما جاء ذلك في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ والحقيقة أن هذا القول منكم من جملة الترهات والأباطيل التي تعيشون عليها، وأما أنتم فإنكم بشر ممن خلق الله فنسبتكم إليه تعالى نسبة مخلوق إلى خالق وعبد إلى مالك من آمن منكم وعمل صالحاً غفر له وأكرمه، ومن كفر منكم وعمل سوءً عذبه كما هي سنته في سائر عباده، ولا اعتراض عليه فإن له ملك السموات والأرض وما بينهما وأنتم من جملة مملوكيه، واليه المصير فسوف ترجعون إليه ويجزيكم بوصفكم إنه حكيم عليم.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (١٩) فقد تضمنت إقامة الحجة على أهل

---

(١) الفاء: للعطف على جملة محذوفة متضمنة كذبهم في قولهم، والتقدير: قل كذبتم فمن يملك... الخ.

(٢) التعبير بالأبوة والبنوة المنسوبة إلى الله تعالى تفيض بها التوراة والانجيل وهو من التحريف الذي حصل لكتابيهم، وأمّا قول من قال: هذه الأبوة والبنوة كانت تعني التشريف فاغتر بها المتأخرون واعتقدوا حقيقتها، هذا القول فيه مجازفة لا تقبل.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما خوّف رسول الله ﷺ قوماً من اليهود بالعقاب فقالوا: لا نخاف فإننا أبناء الله وأحبّاؤه فنزلت هذه الآية.

الكتاب فقد ناداهم الرب تبارك وتعالى بقوله يا أهل الكتاب وأعلمهم أنه قد جاءهم رسوله محمد ﷺ يبين لهم الطريق المنجي والمسعد في وقت واحد على حين فترة[1] من الرسل إذ انقطع الوحي منذ رفع عيسى إلى السماء وقد مضى على ذلك قرابة خمسمائة وسبعين سنة أرسلنا رسولنا إليكم حتى لا تقولوا معتذرين عن شرككم وكفركم وشركم وفسادكم: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾[2] فها هو ذا البشير محمد[3] ﷺ قد جاءكم[4] فآمنوا به واتبعوه تنجوا وتسعدوا، وإلا فالعذاب لازم لكم والله على تعذيبكم قدير كما هو على كل شيء قدير.

هدايـــة الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ كفر من ينسب إلى الله تعالى ما هو منزه عنه من سائر النقائص.

٢ـ بطلان دعوى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه بالدليل العقلي.

٣ـ نسبة المخلوقات لله تعالى لا تتجاوز كونها مخلوقة له مملوكة يتصرف فيها كما شاء ويحكم فيها بما يريد.

٤ـ قطع عذر أهل الكتاب بإرسال الرسول محمد ﷺ على حين فترة من الرسل.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ

---

(١) الفترة مشتقة من فتر عن عمله يفتر فتوراً إذا سكن، والأصل في الانقطاع عمّا كان عليه من الجد في العمل، والمراد بها في الشرع: هي انقطاع ما بين الرسولين.

(٢) ﴿من بشير ولا نذير﴾ من زائدة، وزيادتها لغرض المبالغة في نفي المجيء، وتنكير بشير ونذير للتقليل أي: ما جاءنا أقل بشير وأقلّ نذير.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة، وعقبة بن وهب قالوا لليهود: يا معشر يهود اتقوا الله فإنكم والله لتعلمون أن محمداً رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه بصفته فقالوا: ما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بعد من بشير ولا نذير فنزلت هذه الآية.

(٤) قوله تعالى: ﴿فقد جاءكم بشير...﴾ الآية الفاء هي الفاء الفصيحة، فقد أفصحت عن محذوف ما بعدها يكون علّة له، وتقديره هنا: لا تعتذروا فقد جاءكم... الخ.

فَيَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا
فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ
فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

نعمة الله عليكم[1] : منها نجاتهم من فرعون وملائه.

إذ جعل فيكم أنبياء[2] : منهم موسى وهرون عليهما السلام.

وجعلكم ملوكاً : أي مالكين أمر أنفسكم بعد الاستعباد الفرعوني لكم.

العالمين : المعاصرين لهم والسابقين لهم.

المقدسة التي كتب : المطهرة التي فرض الله عليكم دخولها والسكن فيها بعد طرد الكفار منها.

ولا ترتدوا على أدباركم : أي ترجعوا منهزمين إلى الوراء.

قوماً جبارين : عظام الأجسام أقوياء الأبدان يجبرون على طاعتهم من شاءوا.

يخافون : مخالفة أمر الله تعالى ومعصية رسوله.

أنعم الله عليهما : أي بنعمة العصمة حيث لم يفشوا سر ما شاهدوه لما دخلوا أرض الجبارين لكشف أحوال العدو بها، وهما يوشع وكالب من النقباء الاثني عشر.

معنى الآيات :

مازال السياق مع أهل الكتاب وهو هنا في اليهود خاصة إذ قال الله تعالى لرسوله محمد

---

(١) النعمة: اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد كقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فهو دال على العدد الذي لا يحصى.

(٢) أنبياء: جمع نبي ولم يصرف لأنّ فيه ألف التأنيث الممدودة.

ﷺ واذكـر[1] ﴿إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء﴾ كموسى وهرون عليهما السلام ﴿وجعلكم ملوكاً[2]﴾ تملكون أنفسكم لا سلطان لأمة عليكم إلا سلطان ربكم عز وجل[3] ﴿ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾ السكن فيهـا والاستقـرار بها فافتحـوا باب المدينة وباغتوا العدو فإنكم تغلبون ﴿ولا ترتدوا على أدباركم﴾ أي ولا ترجعوا إلى الوراء منهزمين فتنقلبوا بذلك خاسرين، لا أمر الله بالجهاد أطعتم، ولا المـدينـة المقـدسـة دخلتم وسكنتم، واسمـع يا رسـولنا جواب القوم ليزول استعظامك بكفرهم بك وهمهم بقتلك، ولتعلم أنهم قوم بهت سفلة لا خير فيهم، إذ قالوا في جوابهم لنبيهم موسى عليه السلام: ﴿يا موسى إن فيها قوماً جبارين[4] وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾!! وكان سبب هذه الهزيمة الروحية ما أذاعه النقباء من أخبار مهيلة مخيفة تصف العمالقة الكنعانيين بصفات لا تكاد تتصور في العقول اللهم إلا اثنين منهم وهما يوشع بن نون، وكالب بن يوحنا وهما اللذان قال تعالى عنهما: ﴿قال رجلان من الذين يخافون﴾ أي أمر الله تعالى ﴿أنعم الله عليهما﴾ فعصمهما من إفشاء سر ما رأو من قوة الكنعانيين إلا لموسى عليه السلام قالا للقوم ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ أي باب المـدينـة ﴿فـإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ وذلك لعنصر المباغتة وهو عنصر مهم في الحروب، ﴿وعلى الله فتوكلوا﴾ وهاجموا القوم واقتحموا عليهم المدينة ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بما أوجب الله عليكم من جهاد وكتب لكم من الاستقرار بهذه البلاد والعيش بها، لأنها أرض[5] القدس والطهر. هذا ما تضمنته الآيات الأربع، وسنسمع رد اليهود على الرجلين في الآيات التالية.

---

(١) في هذه الآيات تسلية لرسول الله ﷺ عما يلاقي من عنت وعناد يهود المدينة إذا أعلمه بما لاقى موسى منهم من غلظة وجفاء وتعنت وعناد.

(٢) روي عن الحسن وزيد بن أسلم: أن من كانت له دار وزوجة وخادم فهو ملك، وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص كما في صحيح مسلم: إذ سأله رجل قائلا: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال نعم، قال ألك منزل تسكنه؟ قال نعم قال: فأنت من الأغنياء قال: فإنّ لي خادماً قال: فأنت ملك.

(٣) سقطت هذه الآية من التفسير: ﴿وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾ وهو قول موسى لقومه، وما آتاهم منه: المنّ والسلوى والغمام وكون الأنبياء في بني اسرائيل في هذا المذكور تبدو الخصوصية المذكورة في قوله: ﴿ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾.

(٤) ﴿جبّارين﴾: أي عظام الأجسام طوالها والجبّار من الناس: المتعظم الممتنع من الذل والفقر أو هو من يجبر الناس على مراده لقوته عليهم وقهره لهم، وذكر القرطبي هنا حديثا مسهبا عن عوج بن عناق وهو حديث خرافة لما فيه من التهاويل الباطلة.

(٥) هي أرض فلسطين الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط وبين نهر الأردن والبحر الميت، فتنتهي إلى حماة شمالا وغزة وحرون جنوبا (نقلا عن التنوير).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تسلية الرسول ﷺ بإعلامه تعالى بخبث اليهود وشدة ضعفهم ومرض قلوبهم .

٢ـ فضح اليهود بكشف الآيات عن مخازيهم مع أنبيائهم .

٣ـ بيان الأثر السيء الذي تركه إذاعة النقباء للأخبار الكاذبة المهولة ، وقد استعملت ألمانيا النازية هذا الأسلوب ونجحت نجاحاً كبيراً حيث اجتاحت نصف أوربا في مدة قصيرة جداً .

٤ـ بيان سنة الله تعالى من أنه لا يخلو زمان ولا مكان من عبد صالح تقوم به الحجة على الناس .

٥ـ فائدة عنصر المباغتة في الحرب وأنه عنصر فعال في كسب الانتصار.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

شرح الكلمات :

لن ندخلها : أي المدينة[(١)] التي أمروا بمهاجمة أهلها والدخول عليهم فيها .

الفاسقين : أي عن أمر الله ورسوله بتركهم الجهاد جبناً وخوفاً .

محرمة عليهم : أي تحريمًا كونيا قضائياً لا شرعياً تعبدياً .

يتيهون في الأرض : أي في أرض سينا متحيرين فيها لا يدرون أين يذهبون مدة أربعين سنة .

فلا تأس : أي لا تحزن ولا تأسف .

(١) إليا أو أريحا لاتعدو واحدة منهما عند أكثر المفسرين والمؤرخين.

معنى الآيات :

هذا هو جواب القوم على طلب الرجلين الصالحين باقتحام المدينة على العدو، إذ قالوا بكل وقاحة ودناء وخسة: ﴿يا موسى إنا لن ندخلها..﴾ أي المدينة ﴿...أبداً ما داموا فيهـا..﴾ أي ما دام أهلها فيها يدافعون عنها ولو لم يدافعوا،[1] ﴿..فاذهب أنت وربك[2] فقاتلا..﴾ أهل المدينة أما نحن فهاهنا قاعدون. أي تمرد وعصيان أكثر من هذا؟ وأي جبن وخـور أعـظم من هذا؟ وأي سوء أدب أحط من هذا؟ وهنا قال موسى متبرئاً من القوم الفاسقين: رب أي يا رب ﴿إني لا أملك[3] إلا نفسي وأخي..﴾ يريد هارون ﴿..فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ فطلب بهذا البراءة منهم[4] ومن صنيعهم، إذ قد استوجبوا العذاب قطعاً، فأجابه ربه تعالى بقوله في الآية الثالثة (٢٦) ﴿فإنها محرمة عليهم..﴾ أي الأرض المقدسة أربعين سنة لا يدخلونها وفعلاً ما دخلوها إلا بعد مضي الفترة المذكورة (أربعين سنة) وكيف كانوا فيها؟ يتيهون[5] في أرض سينا متحيرين في سيرهم لا يدرون أين يذهبون ولا من أين يأتون، وعليه فلا تحزن يا رسولنا ولا تأسف على القوم الفاسقين إذ هذا جزاؤهم من العذاب عُـجِّـل لهم فليذوقوه!!.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان جبن اليهود، وسوء أدبهم مع ربهم وأنبيائهم.

٢ـ وجوب البراءة من أهل الفسق ببغض عملهم وتركهم لنقمة الله تعالى تنزل بهم.

٣ـ حرمة الحزن والتأسف على الفاسقين والظالمين إذا حلت بهم العقوبة الإلهية جزاء فسقهم وظلمهم لأنفسهم ولغيرهم.

---

(١) هذا الجبن والخور الذي أصاب القوم سببه: ما أذاعه النقباء فيهم ما عدا يوشع وكالب من أنّ العمالقة قوم جبّارون أجسامهم كذا وكذا في طولها وعرضها وقوتهم كذا وكذا...

(٢) هذه العبارة تدّل على جهل القوم بالله تعالى وبما يجب له من التعظيم والوقار وهي كلمة كفر إن لم يعُذر صاحبها بجهل بالله تعالى وصفاته.

(٣) ليس معنى الملك أنّه يملكه كعبد لا! إنه أخوه فكيف يملكه وإنّما مراده: إني لا أملك إلاّ نفسي وأخي لا يملك إلاّ نفسه أيضاً لا قدرة لي ولا له على بني اسرائيل.

(٤) أراد مفاصلتهم لما ظهر منهم من التمرّد، والعصيان والبعد عنهم حتى لا يصيبهما ما يصيبهم من العقاب.

(٥) التيه في اللغة: الحيرة يقال: تاه يتيه تيها: إذا تحيّر، والأرض التيهاء: التي لا يهتدي فيها وتاه المرء في الأرض ذهب فيها متحيّراً لا يدري أين يذهب أو يجيء.

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا
فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ
مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ
لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي
سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا
ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

واتل عليهم : وأقرأ على اليهود الذين هموا بقتلك وقتل أصحابك.

نبأ ابني آدم : خبر ابني آدم هابيل وقابيل.

قرباناً : القربان ما يتقرب[1] به الى الله تعالى كالصلاة والصدقات.

بسطت إلي يدك : مددت إلّي يدك.

أن تبوء بإثمي وإثمك : ترجع إلى الله يوم القيامة بإثم قتلك إياي، وإثمك في معاصيك.

فطوعت له نفسه : شجعته على القتل وزينته له حتى فعله.

غـراباً : طائراً أسود معروف يضرب به المثل فى السواد.[2]

---

(١) قيل كان قربان قابيل حزمة من سنبل لأنّه صاحب زرع واختارها من أردأ زرعه حيث إنّه وجد فيها سنبلة طيبة ففركها وأكلها، وأمّا قربان هابيل فكان كبشاً لأنّه صاحب غنم واختاره من أجود غنمه.

(٢) يقال: أسود غريب وقال الشاعر: حتى إذا شاب الغراب أتيت أهلي.

يواري سوءة أخيه : يستر بالتراب جسد أخيه، وقيل فيه سوءة، لأن النظر إلى الميت تكرهه النفوس، والسوءة: ما يكره النظر إليها.

معنى الآيات :

مازال السياق القرآني الكريم في الحديث عن يهود بني النضير الذين هموا بقتل النبي ﷺ وأصحابه فالله تعالى يقول لرسوله واقرأ عليهم قصة ابني آدم هابيل وقابيل ليعلموا بذلك عاقبة جريمة القتل الذي هموا به، توبيخاً لهم، وإظهاراً لموقفك الشريف منهم حيث عفوت عنهم فلم تقتلهم بعد تمكنك منهم، وكنت معهم كخير ابني آدم، ﴿.. إذ قربا قرباناً..﴾[1]، أي قرب كل منهما قرباناً لله تعالى فتقبل الله قربان[2] أحدهما لأنه كان من أحسن ماله وكانت نفسه به طيبة، ﴿ولم يتقبل من الآخر﴾ وهو قابيل لأنه كان من أردأ ماله، ونفسه به متعلقة، فقال لأخيه هابيل لأقتلنك حسداً له - كما حسدتك اليهود وحسدوا قومك في نبوتك ورسالتك - فقال له أخوه إن عدم قبول قربانك عائدٌ إلى نفسك لا إلى غيرك إنما يتقبل الله من المتقين[3] للشرك فلو اتقيت الشرك لتقبل منك قربانك لأن الله تعالى لا يتقبل إلا ما كان خالصاً له، وأنت أشركت نفسك وهواك في قربانك، فلم يتقبل منك. ووالله قسماً به ﴿لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾، وعلل ذلك بقوله: ﴿.. إني أخاف الله رب العالمين﴾، أي أن ألقاه بدم أرقته ظلماً. وان أبيت إلا قتلي فإني لا أقتلك لأني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أي ترجع إلى ربنا يوم القيامة بإثم قتلك إياي، وإثمك الذي قارفته في حياتك كلها، فتكون بسبب ذلك من أصحاب النار الخالدين فيها الذين لا يفارقونها أبداً قال تعالى ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾، ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ أي شجعته عليه وزينته له فقتله ﴿فأصبح من الخاسرين[4]﴾ النادمين لأنه لم يدر ما يصنع به

---

(١) القربان: اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد، إذ لكلٍّ منهما قربان وليس قربانا واحداً اشتركا فيه.

(٢) إن قيل كيف عرف القبول من عدمه؟ فالجواب: إنّ سنّة الله تعالى فيمن سبق أنّ من قرّب لله تعالى قربانا فقبله أرسل عليه ناراً من السماء فأحرقته ومن لم يتقبله لم يفعل به ذلك، ويشهد له حديث الصحيح في غنائم بني اسرائيل إذ كانت محرّمة عليهم ولم تحل إلاّ لأمة الإسلام، إذ أخبر النبي ﷺ أنّ ناراً تنزل من السماء على الغنائم فتحرقها.

(٣) فيه دلالة على أن قابيل لم يكن تقياً، وقابيل في لغة بني اسرائيل بالنون: قابين وكذا هابيل وقوله: ﴿إنّما يتقبل الله..﴾ الخ مسبوق بكلام دلّ عليه السياق وهو مثل قوله: لم تقتلني وأنا لم أجن شيئا ولا ذنب لي في قبول الله قرباني وكونه تقبل مني لا يستوجب قتلي إنّما يتقبل الله من المتقين.

(٤) لما كان أول من سن القتل فإنه لا تقتل نفس ظلماً إلاّ وعليه كفل منها لقوله ﷺ «لا تقتل نفس ظُلماً إلاّ كان على ابن آدم كفل من دمها لأنه أول من سن القتل» وفي الحديث الآخر: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

فكان يحمله على عاتقه ويمشي به حتى عفن، وعندئذ بعث الله غراباً يبحث في الأرض أي ينبش الأرض برجليه ومنقاره وينشر التراب على ميت معه حتى واراه: أي بعث الله الغراب ليريه كيف يواري أي يستر سوءة أخيه أي جيفته، فلما رأى قابيل ما صنع الغراب بأخيه الغراب الميت قال متندماً متحسراً يا ويلتا أي يا ويلتي احضري فهذا أوان حضورك، ثم وبخ نفسه قائلاً: ﴿أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي﴾، كما وارى الغراب سوءة أخيه، وأصبح من النادمين على حمله أو على قتله وعدم دفنه ومجرد الندم لا يكون توبة مع أن توبة القاتل عمداً لا تنجيه من النار.

هـداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ مشروعية التقرب الى الله تعالى بما يجب أن يتقرب به إليه تعالى.

٢ـ عظم جريمة الحسد وما يترتب عليها من الآثار السيئة.

٣ـ قبول الأعمال الصالحة يتوقف على الإخلاص فيها لله تعالى.

٤ـ بيان أول من سن جريمة القتل وهو قابيل ولذا ورد: ما من نفس تقتل نفساً ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل «نصيب» ذلك بأنه أول من سن القتل.

٥ـ مشروعية الدفن(١) وبيان زمنه.

٦ـ خير ابني آدم المقتول ظلماً وشرهما القاتل ظلماً.(٢)

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ

(١) يستحب توسعة القبر لقوله ﷺ: «احفروا وأوسعوا واحسنوا اللحد» واللّحد أفضل من الشق لقوله ﷺ: «اللحد لنا والشق لغيرنا» ويستحب لمن يضع الميت في قبره أن يقول بسم الله وعلى ملة رسول الله لمن حضر الدفن أن يحثو على القبر من قبل رأسه ثلاثاً.

(٢) وإن قيل ما تصنع بحديث الصحيح: «إذا التلقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار»؟ قلت: هذا الحديث فيمن يقاتل في غير حق استوجب القتل والقتال، أمّا من ظُلم فدافع عن نفسه فقُتل فهو شهيد بنص الحديث الصحيح، وكذا من بغى على المسلمين فقتاله واجب ومن قاتله فهو مجاهد ومن قتل فهو شهيد.

جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

من أجل ذلك[1]	: أي بسبب ذلك القتل
كتبنا	: أوحينا.
أو فساد في الأرض	: بحربه لله ورسوله والمؤمنين.
ومن أحياها	: قدر على قتلها وهي مستوجبة له فتركها.
بالبينات	: الآيات الواضحات حاملة للشرائع والدلائل.
لمسرفون	: مكثرون من المعاصي والذنوب.

معنى الآية الكريمة :

يقول تعالى: إنه من أجل قبح جريمة القتل وما يترتب عليها من مفاسد ومضار لا يقادر قدرها أوجبنا على بني إسرائيل لكثرة ما شاع بينهم من القتل وسفك الدماء فقد قتلوا الأنبياء والآمرين بالقسط من الناس لأجل هذه الضراوة على القتل فقد قتلوا رسولين زكريا ويحيى وهموا بقتل كل من المرسلين العظيمين عيسى ومحمد ﷺ من أجل ذلك شددنا[2] عليهم في العقوبة إذ من قتل منهم نفساً بغير نفس أي ظلماً وعدواناً ، أو قتلها بغير فساد قامت به في الأرض وهو حرب الله ورسوله والمؤمنين فكأنما قتل الناس جميعاً بمعنى يعذب عذاب قتل الناس جميعاً يوم القيامة ومن أحياها بأن استوجبت القتل فعفا عنها وتركها لله إبقاء عليها فكأنما أحيا الناس[3] جميعاً يعني يُعطى أجر من أحيا الناس[4] جميعاً كل هذا شرعه الله تعالى لهم تنفيراً

---

(١) قوله: ﴿من أجل ذلك﴾ تعليل لقوله ﴿كتبنا﴾ ومن ابتدائية، والأجل: الجراء والسبب وهو مصدر أجل يأجل ويأجل بمعنى: جنى واكتسب فلذا هو يقال في الخير كما يقال في الشرِّ تقول: أكرمته لأجل علمه، كما تقول: أهنته لأجل فسقه. أمّا الجراء في قولك فعلت كذا من جراء كذا فهو مأخوذ من جرّ إذا سبب تقول: فعلي كذا جرّ لي كذا أي سببه.

(٢) خصّ بني اسرائيل بهذا دون من سبقهم من الأمم تغليظاً عليهم لجرئتهم على القتل علّهم يكفّون من سفك الدماء، إذ قتلوا حتى الأنبياء والآمرين بالقسط من الناس.

(٣) كأنّ: للتشبيه ومن هنا يكون معنى الكلام كتبنا مشابهة قتل نفس بغير نفس.. الخ بقتل الناس أجمعين أي في عظم الجرم، ومشابهة من أحيى الناس جميعا في عظم الأجر.

(٤) من أحياها: معناه من استنقذها من الموت بأن عفا عنها بعد تعيّن القصاص عليها أو دافع عنها حتى أنقذها ممن أراد قتلها لأنّ الإحياء بعد الموت ليس في مقدور الإنسان وإنّما قد يهمّ المرء بالقتل ويعفو فيكون كمن أحياها.

لهم من القتل الذي أصروا عليه، وترغيباً لهم في العفو الذي جافوه وبعدوا عنه فلم يعرفوه وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءتهم[1] رسلهم بالبينات﴾ يخبر تعالى عن حالهم مسلياً رسوله محمداً عما يحمله من همّ منهم وهم الذين تآمروا على قتله أن الشر الذي لازم اليهود والفساد الذي أصبح وصفاً لازماً لهم وخاصة المؤامرات بالقتل وإيقاد نار الحروب لم يكن عن جهل وعدم معرفة منهم لا أبداً بل جاءتهم رسلهم بالآيات البينات والشرائع القويمة والآداب الرفيعة ولكنهم قوم بهت متمردون على الشرائع مسرفون في الشر والفساد ولذا فإن كثيراً منهم والله لمسرفون في الشر والفساد، وبنهاية هذه الآية ومن قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم ان يبسطوا إليكم أيدهم..﴾ وهي الآية (١١) انتهى الحديث عن اليهود المتعلق بحادثة همهم بقتل الرسول ﷺ وأصحابه وقد ذكر تسلية لرسول الله وأصحابه، كما هو تسلية لكل مؤمن يتعرض لمكر اليهود عليهم لعائن الله.

هداية الآيــة

من هداية الآيـة:

١- تأديب الرب تعالى لبني إسرائيل ومع الأسف لم ينتفعوا به.

٢- فساد بني إسرائيل لم ينشأ عن الجهل وقلة العلم بل كان اتباعاً للأهواء وجريا وراء عارض الدنيا. فلذا غضب[2] الله عليهم ولعنهم لأنهم عالمون.

٣- بالرغم من تضعيف جزاء الجريمة على اليهود، ومضاعفة أجر الحسنة لهم فإنهم أكثر الناس اسرافاً في الشر والفساد في الأرض.

إِنَّمَا

جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ

فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

---

(١) هذه الجملة تذييل لما سبق من حكم الله تعالى فيهم حيث شرع لهم وأعلمهم بأنّ من يقتل نفساً ظلماً وعدواناً يعتبر شرعاً كأنما قتل الناس جميعا ذكر فيه أنّه لا عذر لهم فيما عوقبوا به إذ لم يكونوا جاهلين لمجيئهم رسلهم بالآيات البيّنات تحمل الشرائع والهدايات ومع هذا فإنّ كثيرا منهم مسرفون في المعاصي والجرائم العظام كالقتل في الأرض.

(٢) شاهده من القرآن: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ من الممتحنة. و﴿غير المغضوب عليهم﴾ من الفاتحة.

وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

شـرح الكلـمات :

يحاربون الله ورسوله : بالخروج عن طاعتهما وحمل السلاح على المؤمنين وقتلهم وسلب أموالهم والاعتداء على حرماتهم.

ويسعون في الأرض فساداً : بإخافة الناس وقطع طرقهم وسلب أموالهم والاعتداء على أعراضهم.

أو يصلبــوا : يشدون على أعواد الخشب ويقتلون، أو بعد أن يقتلوا.

من خــلاف : بأن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، والعكس.

أو ينفوا من الأرض : أي من أرض الإسلام.

خزي في الدنيا : ذل ومهانـــة.

عذاب عظيـم : عـذاب جهنـم.

أن تقدروا عليهم : أي تتمكنوا منهم بأن فروا بعيداً ثم جاءوا مسلمين.

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى ما أوجبه على اليهود من شدة العقوبة وعلى جريمة القتل والفساد في الأرض كَسْراً لِحِدةِ جُرءتهم على القتل والفساد ذكر هنا حكم وجزاء من يحارب المسلمين ويسعى بالفساد في ديارهم فقال تعالى: ﴿إنما جزاء الذين[1] يحاربون الله ورسوله﴾ بالكفر[2] بعد الإيمان

---

(١) الجمهور على أنّ سبب نزول هذه الآية: ﴿إنما جزاء...﴾ الخ هو: العرنيون الذين نزلوا المدينة وادعوا أنهم اجتووها.. أي أمرضهم مُناخها ـ فأمر لهم الرسول ﷺ بلقاح وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فخرجوا خارج المدينة، ولما شفوا وصحوا قتلوا الراعي ومثّلوا به وذهبوا بالإبل فلحقتهم خيل المسلمين فردّتهم ونزلت هذه الآية ببيان حكم الله فيهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فبقي هذا تشريعاً يطبّق على مثلهم إلى يوم القيامة.

(٢) لأن العرنيين وكانوا سبعة ثلاثة من عُكل وأربعة من عرينة كفروا بعد إيمانهم الذي أظهروا بالمدينه ثمّ ادعوا أنهم استوخموا المدينة فساعدهم الرسول ﷺ رحمة منه بما يشفيهم فلَمّا شفوا وصحوا كفروا وقتلوا الراعي وساقوا الإبل، والآية عامة في المرتد وغيره والحكم ما بيّن الله تعالى في هذه الآية لا غيره وصيغة الحصر في إنّما ظاهرة.

والقتل والسلب بعد الأمان، ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ بتخويف المسلمين، وقطع طرقهم وأخذ أموالهم، والاعتداء على حرماتهم وأعراضهم، هو ما أذكره لكم لا غيره فاعلموه أنه ﴿أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾ ومعنى يقتلوا: يقتلون واحداً بعد واحد نكاية لهم وإرهاباً وتعزيراً لغيرهم، ومعنى يصلبوا بعد ما يقتل الواحد منهم يشد على خشبة مدة ثلاثة أيام ومعنى ينفوا من الأرض يخرجوا من دار الإسلام، أو الى مكان ناءٍ كجزيرة في بحر أو يحبسوا حتى ينجو المسلمون من شرهم وأذاهم، ويكون ذلك الجزاء المذكور خزياً وذلاً لهم[1] في الدنيا ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو عذاب النار، وقوله تعالى: ﴿إلا الذين تابو من قبل أن تقدروا عليهم﴾ فهذا استثناء متصل من أولئك المحاربين بأن من عجزنا عنه فلم نتمكن من القبض عليه، وبعد فترة جاءنا تائباً فإن حكمه يختلف عمن قبله، وقوله تعالى: ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ يحمل إشارة واضحة إلى تخفيف الحكم عليه، وذلك فإن كان كافراً وأسلم فإن الإسلام يجب ما قبله فيسقط عنه كل ما ذكر في الآية من عقوبات . . وإن كان مسلمًا فيسقط الصلب ويجب عليه، رد المال الذي أخذه إن بقي في يده، وإن قتل أو فجر وطالب بإقامة الحد عليه أقيم عليه الحد، وإلا ترك لله والله غفور رحيم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ بيان حكم الحرابة وحقيقتها[2]: خروج جماعة اثنان فأكثر ويكون بأيديها سلاح ولهم شوكة، خروجهم إلى الصحراء بعيداً عن المدن والقرى، يشنون هجمات على المسلمين فيقتلون ويسلبون ويعتدون على الأعراض، هذه هي الحرابة وأهلها يقال لهم المحاربون وحكمهم ما ذكر تعالى في الآية الأولى (٣٣).

---

(١) إن كان المحاربون مسلمين فالخزي لهم هو نزول العقوبة بهم في الدنيا من القتل والصلب والنفي وفي الآخرة ينجون من عذابها إن تابوا قبل موتهم، وإن كان المحاربون كافرين فالخزي عذاب الدنيا والعذاب العظيم لهم في الآخرة، وفرّقنا بين المسلمين والكافرين لأنّ المسلمين إقامة الحد عليهم يكفّر ذنب الجريمة للحديث الصحيح في البيعة: «فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفّارة له ومن أصاب منها شيئا فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له» فقوله: ﴿فهو كفارة له﴾ دليل على سقوط عذاب الآخرة بالحدّ.

(٢) الجمهور على أن اللّصّ كالمحارب يناشد بالله تعالى أن يكفّ وينصرف وإن أبي يقاتل ويقتل ومن قتله اللّصّ فهو في الجنة وإن قتل اللّصّ فهو في النار لحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: أرأيت يا رسول الله إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله. قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد. قال: فإن قتلته؟ قال: هو في النار».

٢ـ الإمام مخير في إنزال العقوبة التي يرى أنها مناسبة لاستتباب الأمن، إن قلنا أو في الآية للتخيير[1]، وإلا فمن قتل وأخذ المال وأخاف الناس قتل وصلب، ومن قتل ولم يأخذ مالاً قتل، ومن قتل وأخذ مالاً قطعت[2] يده ورجله من خلاف فتقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ومن لم يقتل ولم يأخذ مالاً ينفى[3].

٣ـ من تاب من المحاربين قبل التمكن منه يعفا عنه إلا أن يكون بيده مال سلبه فإنه يرده على ذويه أو يطلب بنفسه إقامة الحد عليه فيجاب لذلك.

٤ـ عظم عفو الله ورحمته بعباده لمغفرته لمن تاب ورحمته له.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ
لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾
يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات:

اتقوا الله : خافوا عذابه فامتثلوا أمره وأمر رسوله واجتنبوا نهيهما.

وابتغوا : إطلبوا.

---

(١) هذا مذهب الجمهور من الأئمة، وهو أرفق وأصلح وأكثر تمثيلاً للآية وانسجاماً معها

(٢) مذهب الجمهور وهو الحق: لا تقطع يد المحارب إلاّ في مال تقطع فيه يد السارق وهو زنة ربع دينار ذهب فأكثر.

(٣) إن تعذّر النفي فالسجن يقوم مقامه إذ هو نفي من ظاهر الأرض إلى باطنها كما قال الشاعر:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا
إذا جاءنا السجّان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

الوسـيلة[1] : تقربوا إليه بفعل محابه وترك مساخطه تظفروا بالقرب[2] منه.
وجاهدوا في سبيله: أنفسكم بحملها على أن تتعلم وتعمل وتعلِم، وأَعْدَاءَهُ بدعوتهم إلى الإسلام وقتالهم على ذلك.
تُفْلِحُـون : تنجون من النار وتدخلون الجنة.
عذاب مقيم : دائم لا يبرح ولا يزول.

معنى الآيتين:

ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين به وبرسوله ووعده ووعيده ليرشدهم إلى ما ينجيهم من العذاب فيجتنبوه، وإلى ما يدنيهم من الرحمة فيعملوه فيقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه[3] الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ ومعنى اتقوا الله خافوا عذابه فأطيعوه بفعل أوامره وأوامر رسوله واجتناب نواهيهما فإن عذاب الله لا يتقى إلا بالتقوى. ومعنى ﴿ابتغوا إليه الوسيلة﴾ اطلبوا إليه القربة، أي تقربوا إليه بفعل ما يحب وترك ما يكره تفوزوا بالقرب منه. ومعنى ﴿جاهدوا في سبيله﴾ جاهدوا أنفسكم في طاعته والشيطان في معصيته، والكفار في الإسلام إليه والدخول في دينه باذلين كل ما في وسعكم من جهد وطاقة. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٥) أما الآية الثانية (٣٦) وهي قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه. الخ﴾ فإنها علة لما دعت إليه الآية الأولى من الأمر بالتقوى وطلب القرب من الله تعالى وذلك بالإيمان وصالح الأعمال، لأن العذاب الذي أمروا باتقائه بالتقوى عذاب لا يطاق أبداً ناهيكم أن الذين كفروا ﴿لو أن لهم ما في الأرض[4] جميعاً﴾ من مال صامت وناطق ﴿ومثله معه﴾ وقبل منهم

---

(١) الوسيلة لغة: القربة والجمع قُرَب، وهي فعيلة بمعنى مفعولة أي متقرَّب بها، من توسل إلى فلان: تقرّب إليه بكذا، وشاهده من قول العرب قول عنترة:

إنّ الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلي وتخضبي

والوسيلة تجمع على وسائل، ومنه قول القائل:

إذا غفل الواشون عُدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل

(٢) فكلّ قربة هي وسيلة تقرّب من رضا الله والزلفى إليه، وعليه فكلّ الأعمال الصالحة هي وسيلة، وفي الحديث الصحيح: «ما تقرّب إليّ عبد بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه».

(٣) تقديم الجار والمجرور على المفعول المطلوب في قوله تعالى: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ مؤذن بتوحيد الله تعالى بالعبادات التي يتقرّب بها إليه فلا يصح صرف شيء منها إلى غيره مهما كان.

(٤) أي لو ثبت لهم ما في الأرض ومثله معه أيضاً لأجل الافتداء به لا لأجل أن يكنزوه أو ينفقوه في وجوه الإنفاق المحبوبة لهم، لافتدوا به، ولكن أنى يكون لهم ذلك.

فداء لأنفسهم من ذلك العذاب لقدموه سخية به نفوسهم، إنه عذاب أليم موجع أشد الوجع ومؤلم أشد الألم إنهم يتمنون بكل قلوبهم أن يخرجوا من النار ﴿وما هم[1] بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ دائم لا يبرح ولا يزول.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب تقوى الله عز وجل وطلب القربة إليه والجهاد في سبيله.

٢ـ مشروعية التوسل إلى الله تعالى بالإيمان[2] وصالح الأعمال.

٣ـ عظم عذاب يوم القيامة وشدته غير المتناهية.

٤ـ لا فدية يوم القيامة ولا شفاعة تنفع الكافر فيخرج بها من النار.

٥ـ حسن التعليل للأمر والنهي بما يشجع على الامتثال والترك.

وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

السارق : الذي أخذ مالاً من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر.

السارقة : التي أخذت مالاً من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر.

---

(١) ذكر القرطبي أن يزيد الفقير قال: قيل لجابر بن عبدالله رضي الله عنهما إنكم يا أصحاب محمد تقولون إن قوماً يخرجون من النار، والله تعالى يقول: ﴿وما هم بخارجين منها﴾ فقال جابر: إنكم تجعلون العامّ خاصاً والخاص عاما إنما هذه في الكفار خاصة فقرأت الآية كلها من أولها إلى آخرها فإذا هي في الكفار خاصة.

(٢) لذا وجب معرفة محابّ الله تعالى ومكارهه من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال والصفات ليتوسل بها إلى الله تعالى فعلا وتركا للحصول على رضاه والفوز بالجنة والنجاة من النار.

فاقطعوا أيديهما	: أي اقطعوا من سرق منهما يده من الكوع.
نكــالاً	: عقوبة من[1] الله تجعل غيره ينكل أن يسرق.
عـزيز حكيـم	: عزيز: غالب لا يحال بينه وبين مراده، حكيم: في تدبيره وقضائه.
بعـد ظلمـه	: بعد ظلمه لنفسه بمعصية الله تعالى بأخذ أموال الناس.
وأصلـــح	: أي نفسه بتزكيتها بالتوبة والعمل الصالح.
فإن الله يتوب عليه	: أي يقبل توبته، ويغفر له ويرحمه إن شاء.
له ملك السموات والأرض	: خلقاً وملكاً وتدبيراً.
يعذب من يشاء	: أي تعذيبه لأنه مات عاصياً لأمره كافراً بحقه.
ويغفر لمن يشاء	: ممن تاب من ذنبه وأناب إليه سبحانه وتعالى.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى مقرراً حكماً من[2] أحكام شرعه وهو أن الذي يسرق مالاً يقدر بربع دينار فأكثر من حرز[3] مثله خفية وهو عاقل بالغ، ورفع إلى الحاكم، والسارقة كذلك فالحكم أن تقطع يد السارق اليمنى من الكـوع وكذا يد السارقة مجازاة لهما على ظلمهما بالاعتداء على أموال غيرهما، ﴿نكالاً من الله﴾ أي عقوبة من الله تعالى لهما تجعل غيرهما لا يقدم على أخذ أموال النـاس بطريق السرقـة المحرمة، ﴿والله عزيز حكيم﴾ غالب على أمره حكيم في قضائه وحكمه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿والسارق[4] والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا﴾[5] من الإثم ﴿نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٩) ﴿فمن تاب من بعد ظلمه﴾ أي تاب من السرقة بعد

---

(١) هل يكون غرم مع القطع؟ مالك يرى إن وجد المال عنده أخذ وإن كان موسراً أخذ من ماله وإن معسراً يكتفى بالقطع وهذا أرحم وأحكم، وتعلّق يد السارق في عنقه لحديث الترمذي وأبي داود والنسائي.

(٢) لمّا ذكر تعالى حكم المحاربين ذكر حكم السارق والسارقة وما ذكر بينهما من دعوة المؤمنين إلى التقوى والتقرّب إلى الله تعالى للحصول على رضاه هو من باب تنويع الأسلوب وتلوين الكلام إذهاباً للسآمة والملل عن القارىء والسامع.

(٣) السارق عند العرب: هو من جاء مستترا إلى حرز فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب فإن تمنّع بما أخذ فهو غاصب.

(٤) قرىء والسارق: بالنصب على تقدير: اقطعوا السارق والسارقة وقرىء بالرفع وهو أشهر والاعراب فيما فرض عليكم السارق والسارقة فاقطعوا وأحسن من أن يكون السارق والسارقة مبتدأ وجملة فاقطعوا الخبر.

(٥) أوّل سارق قطعت يده في الإسلام هو الخيار بن عدي بن نوفل بن عبدمناف وأوّل سارقة في الإسلام هي مرّة بنت سفيان المخزومية.

أن ظلم نفسه بذلك ﴿وأصلح﴾ نفسه بالتوبة ومن ذلك رد المال المسروق ﴿فإن الله يتوب عليه﴾ لأنه تعالى غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، وقوله تعالى في الآية الثالثة (٤٠) ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ يخاطب تعالى رسوله وكل من هو أهل للتلقي والفهم من الله تعالى فيقول مقرراً المخاطب ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ والجواب بلى، وإذاً فالحكم له تعالى لا ينازع فيه فلذا هو يعذب ويقطع يد السارق والسارقة ويغفر لمن تاب من السرقة وأصلح. وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان حكم حد السرقة وهو قطع يد السارق[1] والسارقة.

٢ـ بيان أن التائب من السراق إذا أصلح يتوب الله عليه أي يقبل توبته.

٣ـ إذا لم يرفع السارق إلى الحاكم تصح توبته ولو لم تقطع يده، وإن رفع فلا توبة له إلا بالقطع فإذا قطعت يده خرج من ذنبه كأن لم يذنب.

٤ـ وجوب التسليم لقضاء الله تعالى والرضا بحكمه لأنه عزيز حكيم.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ

---

(١) الإجماع على أنّ الوالد لا تقطع يده إذا سرق مال ولده لقوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك» واختلف في العكس، والراجح أنه لا قطع عليه، وهل تقطع اليد في السفر، وفي دار الحرب خلاف، مالك يرى إقامة الحدود في دار الحرب، واليد تقطع من الرسغ، والرجل من المفصل ولا قطع على الصبي والمجنون، والعبد إن سرق من مال سيّده، ولا السيّد من مال عبده.

وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾
سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ
ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ
وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

لا يحزنك : الحزن ألم نفس يسببه خوف فوات محبوب.

يسارعون في الكفر : بمعنى يسرعون فيه إذ ما خرجوا منه كلما سنحت فرصة للكفر أظهروه.

قالوا آمنا بأفواههم : هؤلاء هم المنافقون.

ومن الذين هادوا : أي اليهود.

سماعون للكذب : أي كثيروا الاستماع للكذب.

يحرفون الكلم : يبدلون الكلام ويغيرونه ليوافق أهواءهم.

إذا أوتيتم هذا : أي أعطيتم.

فتنته : أي ضلاله لما سبق له من موجبات الضلال

أن يطهر قلوبهم : من الكفر والنفاق.

خزي : ذل.

أكالون للسحت : كثيروا الأكل للحرام كالرشوة والربا.

أو أعرض عنهم : أي لا تحكم بينهم.

بالقسط : أي بالعدل.

وما أولئك بالمؤمنين : أي صدقاً وحقاً وإن ادعوه نطقاً.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يا أيها الرسول[1] لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر..﴾ إلى قوله ﴿.. عذاب عظيم﴾ في نهاية الآية نزل تسلية لرسول الله ﷺ وتخفيفاً مما كان يجده ﷺ من ألم نفسي من جراء ما يسمع ويرى من المنافقين واليهود فناداه ربه تعالى بعنوان الرسالة التي كذب بها المنافقون واليهود معاً: ﴿يا أيها الرسول﴾ الحق، لينهاه عن الحزن الذي يضاعف ألمه: ﴿لا يحزنك﴾ حال الذين ﴿يسارعون في الكفر﴾ بتكذيبك فإنهم ما خرجوا من الكفر بل هم فيه منغمسون فإذا سمعت منهم قول الكفر لا تحفل به حتى لا يسبب لك حزناً في نفسك. ﴿من الذين[2] قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا﴾ أي لا يحزنك كذلك حال اليهود الذين يكذبون بنبؤتك ويجحدون رسالتك، ﴿سماعون للكذب﴾ سماعون ليهود آخرين لم يأتوك كيهود خيبر وفدك أي كثيروا السمع للكذب الذي يقوله أحبارهم لما فيه من الإساءة إليك سماعون لأهل قوم آخرين ينقلون إليهم أخبارك كوسائط وهم لم يأتوك وهم يهود خيبر إذ أوعزوا إليهم أن يسألوا لهم النبي ﷺ عن حد الزنى ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾، أي يغيرون حكم الله الذي تضمنه الكلام، يقولون لهم إن أفتاكم في الزانين المحصنين بالجلد والتحميم بالفحم فاقبلوا ذلك وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا قبول ذلك. هذا معنى قوله تعالى في هذه الآية ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولوّن إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾ وقال تعالى لرسوله، ﴿ومن يرد الله

---

(١) هو النبي محمد ﷺ خاطبه ربّه بعنوان الرسالة تشريفاً له وتعظيماً وإشعاراً له بعدم داعي الحزن إذ مَنْ كان في مقامه لا يحزن مهما كانت المصائب، والآية نزلت في حادثة زنى اليهوديين إذ روي في الصحيحين أنّ جابراً قال: زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن سلوا محمداً عن ذلك فإن أمركم بالجلد فخذوه وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه فسألوه فدعا ابن صوريا وكان عالمهم وكان أعور فقال له رسول الله ﷺ: «أنشدك الله كيف تجدون حدّ الزنى في كتابكم؟ فقال ابن صوريا فأمّا إذ ناشدتني الله فإنا نجد في التوراة أنّ النظرة زنية، والاعتناق زنية، والقبلة زنية فإن شهد أربعة بأنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فقد وجب الرجم فقال النبي ﷺ هو ذاك».

(٢) مِنْ: بيانية أي بيّنت أن المسارعين في الكفر هم من المنافقين واليهود.

فتنته﴾ أي إضلاله عن الحق لما اقترف من عظائم الذنوب وكبائر الآثام ﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾ إذا أراد الله إضلاله إذاً فلا يحزنك مسارعتهم في الكفر، ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ من الحسد والشرك والنفاق لسوابق الشر التي كانت لهم فحالت دون قبول الإيمان والحق، ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ أي ذل وعار، ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ جزاء كفرهم وبغيهم. هذا ما دلت عليه الآية (٤١) أما الآية الثانية (٤٢) فقد تضمنت وصف أولئك اليهود بصفة كثرة استماع الكذب مضافاً إليه كثرة أكلهم للسحت وهو المال الحرام أشد حرمة كالرشوة والربا[١]، فقال تعالى عنهم ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت[٢] فإن جاءوك . .﴾ أي للتحاكم عندك فأنت مخير بين أن تحكم بينهم بحكم الله[٣]. أو تعرض عنهم وتتركهم لأحبارهم يحكمون بينهم كما شاءوا وإن تعرض عنهم فلم تحكم بينهم لن يضروك شيئاً أي من الضرر ولو قل، لأن الله تعالى وليك وناصرك، وإن حكمت بينهم فاحكم بينهم بالقسط أي بالعدل، لأن الله تبارك وتعالى يحب ذلك فافعله لأجله إنه يحب القسط والمقسطين، وقوله تعالى في الآية الثالثة (٤٣) ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾. أي إنه مما يتعجب منه أن يحكموك فتحكم بينهم برجم الزناة، وعندهم التوراة فيها نفس الحكم فرفضوه معرضين عنه اتّباعاً لأهوائهم، ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ لا بك ولا بحكمك ولا بحكم التوراة.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ استحباب ترك الحزن باجتناب أسبابه ومثيراته.

٢ـ حرمة سماع الكذب لغير حاجة تدعو إلى ذلك.

٣ـ حرمة تحريف الكلام وتشويهه للإفساد.

---

(١) الرشوة مشتقة من الرشا الذي هو الحبل الذي يستخرج به الماء من البئر بضميمة الدلو وعليه فكل مال أعطى لحاكم ليأخذ به الراشي حق امرىء فهو رشوة وسحت محرّمان بلا خلاف، وكذا ما يدفعه الواسطة لحاكم ليسقط عنه حقاً وجب عليه فهو رشوة. أمّا ما كان ليدفع به عن نفسه أو ماله أو عرضه أو دينه فلا يحرم وليس هو من الرشوة، قال السمرقندي الفقيه وبهذا نأخذ.

(٢) أصل السحت: الهلاك والشدّة قال تعالى: ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ وقال الفرزدق:

وعضّ زمانٍ يا ابنَ مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتاً أو مجلّف

وسمي المال الحرام كالربا، والرشوة سحتاً لأنّه يسحت الطاعات ويبطل ثوابها ويسحت البركة ويزيلها.

(٣) يرى مالك والشافعي أن اليهود إذا رفعوا للإمام قضية دم أو مال أو عرض حكم بينهم بما أنزل الله، وإن كان ما رفعوه لا يتعلق بالمال أو الدم أو العرض تركهم معرضاً عنهم، وأبو حنيفة يرى الحكم بينهم مطلقاً.

٤ـ الحاكم المسلم مخير في الحكم بين أهل الكتاب إن شاء حكم بينهم وإن شاء أحالهم على علمائهم.

٥ـ وجوب العدل في الحكم ولو كان المحكوم عليه غير مسلم.

٦ـ تقرير كفر[1] اليهود وعدم إيمانهم.

إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ
هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ
ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ
وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ
بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ
قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن
لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾
وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ

---

(١) قالت العلماء: إنّ مَنْ طلب غير حكم الله تعالى من حيث لم يرضَ به فهو كافر وهذه حالة اليهود، وحال أكثر المسلمين اليوم حيث لم يرضوا بحكم الله تعالى وحكموا شرائع الباطل، وقوانين الكفر.

أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

التوراة : كتاب موسى عليه السلام.

هدى ونور : الهدى: ما يوصل إلى المقصود والنور: ما يهدى السائر إلى غرضه.

هادوا : اليهود.

الربانيون : جمع رباني: العالم المربي الحكيم.

الأحبار[1] : جمع حبر: العالم من أهل الكتاب.

وكتبنا : فرضنا عليهم وأوجبنا.

قصاص : مساواة.

وقفينا : أتبعناهم بعيسى بن مريم.

الفاسقون : الخارجون عن طاعة الله ورسله.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث على بني إسرائيل إذ قال تعالى مخبراً عما آتى بني إسرائيل ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ هدى من كل ضلالة ونور مبين للأحكام مُخرج من ظلمات الجهل ﴿يحكم بها النبيون﴾ من بني إسرائيل النبيون الذين أسلموا لله قلوبهم ووجوههم فانقادوا لله ظاهراً وباطناً، ﴿للذين هادوا﴾[2]، ويحكم بها الربانيون من أهل العلم والحكمة من بني إسرائيل ﴿بما استحفظوا﴾ بسبب استحفاظ الله تعالى إياهم كتابه التوراة فلا يبدلونه ولا يغيرون فيه، ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ بأحقيته وسلامته من النقص والزيادة بخلافكم أيها اليهود فقد حرفتم الكلم عن مواضعه وتركتم الحكم به فما لكم؟ فأظهروا الحق من نعت محمد ﷺ والأمر بالإيمان به، ومن ثبوت الرجم وإنفاذه في الزناة ولا تخشوا

---

(١) قالوا: الحَبر بالفتح العالم لتحبير الكلام والعلم وتحسينه.

(٢) قد تكون اللام هنا بمعنى على أي: على الذين هادوا، وقد تكون على بابها ويكون لفظ عليهم محذوفاً أي: يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا وعليهم فحذف (عليهم).

الناس في ذلك واخشوا الله تعالى فهو أحق أن يخشى، ولاتشتروا بآيات الله التي هي أحكامه فتعطلوها مقابل ثمن قليل تأخذونه ممن تجاملونهم وتداهنونهم على حساب دين الله وكتابه. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1] فكيف ترضون بالكفر بدل الأيمان.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٤) أما الآية الثانية (٤٥) ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس..﴾[2] فقد أخبر تعالى أنه فرض على بني إسرائيل في التوراة القود في النفس والقصاص في الجراحات فالنفس تقتل بالنفس، العين تفقأ بالعين[3] والأنف يجدع بالأنف، والأذن[4] تقطع بالأذن والسن تكسر إن كسرت[5] بالسن، وتقلع به إن قلع، والجروح[6] بمثلها قصاص ومساواة وأخبر تعالى أن من تصدق على الجاني بالعفو عنه وعدم المؤاخذة فإن ذلك يكون كفارة لذنوبه،[7] وإن لم يتصدق عليه واقتص منه يكون ذلك كفارة لجنايته بشرط وذلك بأن يقدم نفسه للقصاص تائباً أي نادماً على فعله مستغفراً ربه. وقوله تعالى في ختام الآية: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾، وذلك بأن قتل غير القاتل أو قتل بالواحد اثنين أوفقأ بالعين عينين كما كان بنوالنضير يعاملون به قريظة بدعوى الشرف عليهم. هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (٤٦) وهي قوله تعالى: ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم﴾ فقد أخبر تعالى أنه أتبع أولئك الأنبياء السابقين من بني إسرائيل عيسى بن مريم عليه السلام أي أرسله بعدهم مباشرة ﴿مصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ لم ينكرها أو يتجاهلها، ﴿وآتيناه الإنجيل﴾، أي وأعطيناه الإنجيل وحياً أوحيناه إليه وهو كتاب مقدس أنزله الله تعالى عليه فيه أي في الإنجيل هدى من الضلال ونور لبيان الأحكام من الحلال

---

(١) القول الذي لا خلاف فيه هو أنّ المسلم لايكفر لمجرّد عدم حكمه بما أنزل الله تعالى. وإنّما يفسق ويصبح في عداد الفاسقين من أمّة الإسلام أمّا الكفر فلا يكفر ولا يكفّر إلّا بشرط أن ينكر هداية القرآن وصلاحيته ويعرض عنه مستخفاً به مفضلا عليه غيره.

(٢) الذي عليه أكثر الفقهاء أنّ المسلم لايقتل بالذميّ لقول الرسول ﷺ «المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يدّ على من سواهم ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده» رواه أبو داود والترمذي.

(٣) لا خلاف أنّ في العينين دية وفي العين الواحدة نصف دية، وفي عين الأعور دية كاملة وفي الأنف إذا جدع الدية كاملة.

(٤) الدية في ذهاب السمع أمّا مع بقاء السمع ففيه حكومة.

(٥) في السنّ خمس من الإبل للحديث الصحيح في ذلك.

(٦) وفي الشفتين الدية وفي الواحدة نصف الدية وفي اللسان إذا قطع الدية.

(٧) اختلف في دية المرأة الأكثرون على أنّ أصبعها كأصبع الرجل وسنّها كسّنه وموضحتها كموضحته ومنقلتها كمنقلته فإذا بلغت ثلث الدية كانت على النصف من دية الرجل، وقالت طائفة: دية المرأة فيما ذكر على النصف من دية الرجل.

والحرام، ﴿ومصدقاً﴾ أي الإنجيل لما قبله من التوراة أي مقرراً أحكامها مثبتاً لها إلا ما نسخه الله تعالى منها بالإنجيل، ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾ أي يجد فيه أهل التقوى الهداية الكافية للسير في طريقهم الى الله تعالى والموعظة التامة للاتعاظ بها في الحياة. هذا ما دلت عليه الآية الثالثة أما الآية (٤٧) وهي قوله تعالى: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ أي وقلنا ليحكم أهل الإنجيل يريد وأمرنا أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه من الأحكام، وأخبرناهم أن من ﴿لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ عن أمره الخارجون عن طاعته وقد يكون الفسق ظلمًا وكفراً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب خشية الله بأداء ما أوجب وترك ما حرم.

٢ـ كفر من جحد أحكام الله فعطلها أو تلاعب بها فحكم بالبعض دون البعض.

٣ـ وجوب[(١)] القود في النفس والقصاص في الجراحات لأن ما كتب على بني إسرائيل كتب على هذه الأمة.

٤ـ من الظلم أن يعتدى في القصاص بأن يقتل بالواحد اثنان أو يقتل غير القاتل أو يفقأ بالعين الواحدة عينان مثلا وهو كفر مع الاستحلال وظلم في نفس الوقت.

٥ـ مشروعية القصاص في الإنجيل وإلزام أهله بتطبيقه وتقرير فسقهم إن عطلوا تلك الأحكام وهم مؤمنون بها.

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ

(١) إلاّ أن يرضى المظلوم بالدية فإنّه يعطاها على نحو ما تقدم آنفاً.

ءَاتَىٰكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ
بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

الكتاب : القرآن الكريم.

من الكتاب : اسم جنس بمعنى الكتب السابقة قبله كالتوراة والإنجيل.

مهيمناً عليه : حاكما عليه أي محققاً للحق الذي فيه، مبطلاً للباطل الذي الْتَصق به.

شرعة ومنهاجاً(1) : شريعة تعملون بها وسبيلاً تسلكونه لسعادتكم وكمالكم من سنن الهدى.

أمة واحدة : لا اختلاف بينكم في عقيدة ولا في عبادة ولا قضاء.

فاستبقوا : أي بادروا فعل الخيرات ليفوز السابقون.

أن يفتنوك : يضلوك عن الحق.

فإن تولوا : أعرضوا عن قبول الحق الذي دعوتهم إليه وأردت حكمهم به.

حكم الجاهلية : هو ما عليه أهل الجاهلية من الأحكام القبلية التي لا تقوم على وحي الله تعالى وإنما على الآراء والأهواء.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى إنزاله التوراة وأن فيها الهدى والنور وذكر الإنجيل وأنه أيضاً فيه الهدى والنور ناسب ذكر القرآن الكريم فقال: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾ أي القرآن ﴿بالحق﴾ متلبساً به لا يفارقه الحق والصدق لخلوه من الزيادة والنقصان حال كونه ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ من

---

(1) أصل الشريعة في اللغة: الطريقة التي يتوصل بها إلى الماء وهي هنا: ما شرع الله لعباده من الدين الشامل للعقائد، والعبادات والأحكام القضائية.

الكتب السابقة، ومهيمناً[1] عليها حفيظاً حاكماً فالحق ما أحقه منها والباطل ما أبطله منها. وعليه ﴿فاحكم﴾ يا رسولنا بين اليهود والمتحاكمين إليك ﴿بما أنزل الله﴾ إليك بقتل القاتل ورجم الزاني لا كما يريد اليهود ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ في ذلك وَتَتْرُكَ ما جاءك من الحق، واعلم أنا جعلنا لكل أمة شرعة ومنهاجاً أي شرعاً وسبيلاً خاصاً يسلكونه في إسعادهم وإكمالهم، ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على شريعة واحدة لا تختلف في قضاياها وأحكامها لفعل، ولكن نوع الشرائع فأوجب وأحل ونهى وحرم في شريعة ولم يفعل ذلك في شريعة أخرى من أجل أن يبتليكم فيما أعطاكم وأنزل عليكم ليتبين المطيع من العاصي والمهتدي من الضال، وعليه فَهَلُمَّ[2] ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي بادروا الأعمال الصالحة وليجتهد كل واحد أن يكون سابقاً، فإن مرجعكم إليه تعالى ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾، ثم يجزيكم الخير بمثله والشر إن شاء كذلك. هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (٤٩) فقد أمر الله تعالى فيها رسوله ونهاه وحذره وأعلمه ونده بأعدائه أمره أن يحكم بين من يتحاكمون إليه بما أنزل عليه من القرآن فقال: ﴿وأن احكم[3] بينهم بما أنزل الله﴾ ونهاه أن يتبع أهواء اليهود فقال: ﴿ولاتتبع أهواءهم﴾ وحذره من أن يتبع بعض آرئهم فيترك بعض ما أنزل عليه ولا يعمل به ويعمل بما اقترحوه عليه فقال: ﴿واحذرهم[4] أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ وأعلمه أن اليهود إن تولوا أي أعرضوا عن قبول حكمه وهو الحكم الحق العادل فإنما يريد الله تعالى أن ينزل بهم عقوبة نتيجة ما قارفوا من الذنوب وما ارتكبوا من الخطايا فقال: ﴿فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم[5] ببعض ذنوبهم﴾. ونده بأعدائه حيث أخبر أن أكثرهم فاسقون أي عصاة خارجون عن طاعة الله تعالى ورسله فقال: ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾. فسلاه بذلك وهون عليه ما قد يجده

---

(١) فسر مهيمنا: بعال، مرتفع عليه وبمؤتمن عليه ويعود اللّفظان إلى ما فسرناه به لأنّ المرتفع العالي هو الحاكم، والمؤتمن هو الحافظ.

(٢) فيه دليل على تقديم الواجبات وعدم تأخيرها لا سيّما الصلوات الخمس وخالف أبو حنيفة في الصلاة والآية حجة عليه.

(٣) هل هذه الآية ناسخة للتخيير السابق؟ أو لا نسخ ويقدر بعدها جملة ـ إن شئت ـ لتقدم ذكر التخيير وما تقدم من توجيه في آية ﴿فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ يحدد معنى هذه الآية.

(٤) روى ابن اسحاق عن ابن عباس أن قوماً من الأحبار اجتمعوا منهم ابن صوريا الأعور وكعب وشاس وقالوا: اذهبوا بنا إلى محمد لعلّنا نفتنه عن دينه فإنّما هو بشر فأتوه وقالوا: قد عرفت يا محمد أنّا أحبار اليهود وإن اتبعناك لم يخالفنا أحد من اليهود وإنّ بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم حتى نؤمن بك فأبى رسول الله ﷺ ونزلت هذه الآية.

(٥) وقد أصابهم فأجلوا من الحجاز وقُتل بنو قريضة وضربت عليهم الجزية في ديار الإسلام.

من ألم تمرد اليهود والمنافقين وإعراضهم عن الحق الذي جاءهم به ودعاهم إليه . هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٠) فقد أنكر تعالى فيها على اليهود طلبهم حكم أهل الجاهلية حيث لا وحي ولا تشريع إلهي وإنما العادات والأهواء والشهوات معرضين عن حكم الكتاب والسنة حيث العدل والرحمة فقال تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون[1]﴾. ثم أخبر تعالى نافياً أن يكون هناك حكم أعدل أو أرحم من حكم الله تعالى للمؤمنين به الموقنين بعدله تعالى ورحمته فقال: ﴿ومن أحسن[2] من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾؟.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ وجوب الحكم وفي كل القضايا بالكتاب والسنة.

٢ـ لا يجوز تحكيم أية شريعة أو قانون غير الوحي الإلهي الكتاب والسنة.

٣ـ التحذير من اتباع أهواء الناس خشية الإضلال عن الحق.

٤ـ بيان الحكمة من اختلاف الشرائع وهو الابتلاء.

٥ـ أكثر المصائب في الدنيا ناتجة عن بعض الذنوب.

٦ـ حكم الشريعة الإسلامية أحسن الأحكام عدلاً ورحمة.

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾

(١) ﴿أفحكم﴾ منصوب بيبغون أي: أيبغون حكم الجاهلية، إذ أهل الجاهلية من العرب يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع، واليهود يقيمون الحدود على الضعفاء والفقراء دون الأقوياء والأغنياء.

(٢) الاستفهام إنكاري أي: ينكر أن يكون هناك حكم أحسن من حكم الله تعالى.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ
إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

آمنوا : صدقوا بالله ورسوله ووعد الله ووعيده .

أولياء : لكم توالونهم بالنصرة والمحبة .

بعضهم أولياء بعض : أي اليهودي ولي أخيه اليهودي ، والنصراني ولي أخيه النصراني .

الظالمين : الذين يوالون أعداء الله ورسوله ويتركون موالاة الله ورسوله والمؤمنين .

مرض : نفاق وشك وشرك .

يسارعون فيهم : أي في البقاء على موالاتهم أي موالاة اليهود والنصارى .

دائرة[1] : تدور علينا من جدب ، أو انتهاء أمر الإسلام .

بالفتح : نصر المؤمنين على الكافرين والقضاء لهم بذلك كفتح مكة .

جهد أيمانهم[2] : أقصاها وأبلغها .

حبطت أعمالهم : بطلت وفسدت فلم ينتفعوا منها بشيء لأنها ما كانت لله تعالى .

معنى الآيات :

ورد في سبب نزول هذه الآية أن عبادة بن الصامت الأنصاري ، وعبدالله بن أبي كان لكل منهما حلفاء من يهود المدينة ، ولما انتصر رسول الله ﷺ والمؤمنون في بدر اغتاظ اليهود وأعلنوا سوء نياتهم فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفائه ورضي بموالاة الله ورسوله والمؤمنين وأبى ابن أبي ذلك وقال بعض ما جاء في هذه الآيات فأنزل الله تعالى قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ أي لكم من دون المؤمنين وقوله تعالى ﴿بعضهم

---

(١) الدائرة : اسم فاعل من دار يدور فهو دائر إذا عكس سيره فالدائرة : تغيّر الحال ، وغلبت في الخير والشرّ أي : من خير إلى شر ، ودوائر الدهر : نوبه ودُوله .

(٢) حقيقة الجهد : التعب والمشقة ، ومنتهى الطاقة ، والمراد به في الآية آكد الأيمان وأغلظها ، وفعل الجهد : جَهَد كمنع يجهد كيمنع جهدا كمنعاً .

أولياء بعض﴾ تعليل لتحريم موالاتهم،[1] لأن اليهودي ولي لليهودي والنصراني ولي للنصراني على المسلمين فكيف تجوز إذاً موالاتهم، وكيف يصدقون أيضاً فيها فهل من المعقول أن يحبك النصراني ويكره أخاه، وهل ينصرك على أخيه؟ وقوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم﴾ أي أيها المؤمنون ﴿فإنه منهم﴾[2]، لأنه بحكم موالاتهم سيكون حرباً على الله ورسوله والمؤمنين وبذلك يصبح منهم قطعاً وقوله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ جملة تعليلية تفيد أن من والى اليهود والنصارى من المؤمنين أصبح مثلهم فيحرم هداية الله تعالى لأن الله لا يهدي القوم الظالمين، والظلم وضع الشيء في غير محله وهذا الموالي لليهود والنصارى قد يظلم بوضع الموالاة في غير محلها حيث عادى الله ورسوله والمؤمنين ووالى اليهود والنصارى أعداء الله ورسوله والمؤمنين. هذاما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (٥٢) فقد تضمنت بعض ما قال ابن أبي مبرراً به موقفه المخزي وهو الإبقاء على موالاته لليهود إذ قال تعالى لرسوله وهو يخبره بحالهم: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ كابن أبي والمرض مرض النفاق ﴿يسارعون فيهم﴾ أي في موالاتهم ولم يقل يسارعون إليهم لأنهم ما خرجوا من دائرة موالاتهم حتى يعودوا إليها بل هم في داخلها يسارعون، يقولون كالمعتذرين ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ من تقلب الأحوال فنجد أنفسنا مع أحلافنا ننتفع بهم. وقوله تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ وعسى من الله تفيد تحقيق الوقوع فهي بشرى لرسول الله والمؤمنين يقرب النصر والفتح[3] ﴿أو أمر من عنده[4] فيصبحوا﴾ أي أولئك الموالون لليهود ﴿على ما أسروا في أنفسهم﴾ من النفاق وبغض المؤمنين وحب الكافرين ﴿نادمين﴾ حيث لا ينفعهم ندم. هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٣) وهي قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ عندما يأتي الله بالفتح أوأمرمن عنده فيه نصرة المؤمنين وهزيمة الكافرين، ويصبح المنافقون نادمين يقول المؤمنون مشيرين إلى المنافقين: ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله﴾ أغلظ الأيمان ﴿إنهم لمعكم حبطت أعمالهم﴾ لأنها لم تكن لله ﴿فأصبحوا خاسرين﴾.

---

(١) المـوالاة حقيقتهـا: المـودة والنصرة، فمن والى اليهود والنصارى فأحبّهم ونصرهم على المسلمين لازمه أنّه أبغض المؤمنين وخذلهم وبهذا يصبح كافراً.

(٢) هذا الحكم باقٍ إلى يوم القيامة وهو: حرمة موالاة الكافرين ومَنْ والاهم تُحرم موالاته كما تحرم موالاتهم ووجبت له النار كما وجبت لهم.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أتى الله بالفتح فقتلت مقاتلة بني قريظة وسبيت ذراريهم وأجلى بنو النضير.

(٤) فسَّر الحسنُ قوله تعالى: ﴿أو أمر من عنده﴾ بأنه إظهار أمر المنافقين والإخبار بأسمائهم والأمر بقتلهم، وهو تفسير عظيم عليه نور.

هداية الآيـات :

من هداية الآيات :

١ـ حرمة موالاة اليهود والنصارى[1] وسائر الكافرين.

٢ـ موالاة الكافر على المؤمن تعتبر ردة عن الإسلام.

٣ـ موالاة الكافرين ناجمة عن ضعف الإيمان فلذا تؤدي إلى الكفر.

٤ـ عاقبة النفاق سيئة ونهاية الكفر مريرة.

يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

شـرح الكلمـات :

مـن يرتد[2] : أي يرجع إلى الكفر بعد إيمانه.

أذلة على المؤمنين : أرقاء عليهم رحماء بهم.

أعزة على الكافرين[3] : أشـداء غـلاظ عليهم.

لومة لائـم : عـذل عـاذل.

حزب الله : أنصار الله تعالى.

---

(١) لا يُعدُّ موالاة استعمال اليهودي أو النصراني في عمل تجاري أو عمراني أو مهني إذا دعت الحاجة إليه، ولا يصح استبطانهم ولا الاستعانة بهم في الجهاد.

(٢) قرىء: ﴿يرتدد﴾ بالفك وهي قراءة أهل المدينة والشام.

(٣) قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيّد للعبد وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته.

معنى الآيـات :

هذه الآية الكريمة (٥٤) ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ تضمنت خبراً من أخبار الغيب التي يخبر بها القرآن فتتم طبق ما أخبر به فتكون آية أنه كلام الله حقاً وأن المنزل على رسوله صدقا فقد أخبر تعالى أن من يرتد من المؤمنين سوف يأتي الله عز وجل بخير منه ممن يحبون الله ويحبهم الله تعالى رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لوم من يلوم، ولا عتاب من يعتب عليهم. وما إن مات الرسول ﷺ حتى ارتد فئات[١] من أجلاف الأعراب ومنعوا الزكاة وقاتلهم أبوبكر الصديق مع الصحابة رضوان الله عليهم حتى أخضعوهم للإسلام وحسن إسلامهم فكان أبوبكر وأصحابه ممن وصف الله تعالى يحبون الله ويحبهم الله يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم، وقد روي بل وصح أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية وتلاها ﷺ وأبو موسى الأشعري أمامه فأشار إليه وقال قوم هذا، وفعلاً بعد وفاة الرسول جاء الأشعريون وظهرت الآية وتمت المعجزة وصدق الله العظيم. وقوله تعالى: ﴿ذلك فضل الله﴾ الإشارة إلى ما أولى[٢] أولئك المؤمنين من أبي بكـر الصديق والصحابة والأشعريين من تلك الصفات الجليلة من حب الله والرقة على المؤمنين والشدة على الكافرين، والجهاد في سبيل الله، وقوله تعالى: ﴿والله واسع عليم﴾ أي واسع الفضل عليم بمن يستحقه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية[٣] (٥٥) فقد تضمنت طمأنة الرب تعالى لعبادة بن الصامت وعبدالله بن سلام ومن تبرأ من حلف اليهود ووالى الله ورسوله فأخبرهم تعالى أنه هو وليهم ورسوله والذين آمنوا ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون[٤]﴾ أي خاشعون متطامنون وأما ولاية اليهود والنصارى فلا خير لهم فيها وهم منها براء فقصرهم تعالى على ولايته وولاية رسوله والمؤمنين الصادقين وفي الآية الثالثة أخبرهم تعالى أن من يتول الله ورسوله والذين آمنوا ينصره الله ويكفه ما يهمه، لأنه أصبح من حزب الله، وحزب الله أي أولياؤه وأنصاره هم الغالبون هذا ما دلت عليه الآية الكريمة وهي قوله

---

(١) قال ابن اسحاق لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب إلّا ثلاثة مساجد مسجد المدينة ومسجد مكة ومسجد جؤاثي، جؤاثي: اسم حصن بالبحرين وكان المرتدون على قسمين: قسم منعوا الزكاة واعترفوا بباقي الشريعة وقسم نبذوا الشريعة.

(٢) أي: ما وهبهم وأعطاهم من الصفات الحميدة الجليلة.

(٣) هي قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا..﴾ الخ.

(٤) يروى أنّ عليا رضي الله عنه كان يصلي نافلة في المسجد فسأله أحد فرمى إليه بالخاتم وهو يصلي فاستدل الفقهاء بهذا أنّ العمل اليسير لا يبطل الصلاة.

تعالى: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب[1] الله هم الغالبون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إخبار القرآن الكريم بالغيب وصدقه في ذلك فكان آية أنه كلام الله.

٢ـ فضيلة أبي بكر والصحابة والأشعريين قوم أبي موسى الأشعري وهم من أهل اليمن.

٣ـ فضل حب الله والتواضع للمؤمنين وإظهار العزة للكافرين، وفضل الجهاد في سبيل الله وقول الحق والثبات عليه وعدم المبالاة بمن يلوم ويعذل في ذلك.

٤ـ فضيلة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والخشوع والتواضع.

٥ـ ولاية الله ورسوله والمؤمنين الصادقين توجب لصاحبها النصر والغلبة على أعدائه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾
وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُم[2] بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

---

(١) الحزب: الصنف من الناس وأصله من النائبة مأخوذ من قولهم: حَزَبَهُ كذا أي: نابه كأنّ المتحزّبين مجتمعون اجتماع أهل النائبة عليها.

(٢) روي أنه لما نزلت آية: ﴿قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك..﴾ الخ قال المسلمون لهم يا إخوة القردة والخنازير نكسوا رؤوسهم افتضاحاً وفيهم يقول الشاعر:

فلعنة الله على اليهود   إنّ اليهود إخوة القرود

شرح الكلمات :

هزواً ولعباً : الهزء: ما يُهزأ به ويسخر منه. واللعب: ما يلعب به.

أوتوا الكتاب : هم اليهود في هذا السياق.

الكفار : المشركون.

إذا ناديتم إلى الصلاة : أذنتم لها.

هل تنقمون منا : أي ما تنقمون منا، ومعنى تنقمون هنا تنكرون منا وتعيبون علينا.

مثوبة : جزاء.

فاسقون : خارجون عن طاعة الله تعالى بالكفر والمعاصي.

القردة : جمع قرد حيوان معروف مجبول على التقليد والمحاكاة.

والخنازير : جمع خنزير حيوان خبيث معروف محرم الأكل.

شر مكاناً : أي منزلة يوم القيامة في نار جهنم.

معنى الآيات :

مازال السياق في تحذير المؤمنين من موالاة اليهود وأعداء الله ورسوله فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً ﴿لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم﴾ الإسلامي ﴿هزواً﴾ شيئاً يهزءون به، ولعباً أي شيئاً يلعبون به ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني اليهود، والكفار[1] وهم المنافقون والمشركون (أولياء) أنصاراً وأحباء وأحلافاً[2] واتقوا الله في ذلك أي في اتخاذهم أولياء إن كنتم مؤمنين صادقين في إيمانكم فإن حب الله ورسوله والمؤمنين يتنافى معه حب أعداء الله ورسوله والمؤمنين. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٧) أما الآية الثانية (٥٨) فقد تضمنت إخبار الله تعالى بما يؤكد وجوب معاداة من يتخذ دين المؤمنين هزواً ولعباً وهم أولئك الذين إذا سمعوا الأذان ينادي[3] للصلاة اتخذوه هزواً ولعباً فهذا يقول ما هذا الصوت وآخر يقول

---

(١) قرىء والكفار بالجرّ، وقرىء بالنصب قال مكي: لولا اتفاق الجماعة على قراءة النصب لاخترت قراءة الجرّ لقوته في الإعراب، وفي التفسير، والقرب من المعطوف عليه.

(٢) هذه الآية فيها دليل على عدم جواز التأييد والاستنصار بالمشركين، وقد روي عن جابر أن النبي ﷺ لمّا أراد الخروج إلى أحد جاء قوم من اليهود فقالوا: نسير معك فقال ﷺ: «إنا لا نستعين على أمرنا بالمشركين».

(٣) لم يكن بمكة الأذان، وإنّما كان ينادى للصلاة بلفظ «الصلاة جامعة» ولمّا هاجر ﷺ وصرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان وبقيت «الصلاة جامعة» للأمر بعرض ولمّا همّهم أمرالأذان رأى عبدالله بن زيد الأنصاري الأذان في المنام وكذا رآه عمر.

هذا نهيق حمار قبح الله فولهم وأقمأهم. فقال تعالى عنهم: ﴿وإذا ناديتم[1] إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾. حقاً انهم لا يعقلون فلو كانوا يعقلون الكلام لكان النداء إلى الصلاة من أطيب ما يسمع العقلاء لأنه نداء إلى الطهر والصفاء وإلى الخير والمحبة والألفة نداء إلى ذكر الله وعبادته، ولكن القوم كما أخبر تعالى عنهم: ﴿لا يعقلون﴾ شأنهم شأن البهائم والبهائم أفضل منهم. هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٩) فقد تضمنت تعليم الله تعالى لرسوله أن يقول لأولئك اليهود والكفرة الفجرة يا أهل الكتاب إنكم بمعاداتكم لنا وحربكم علينا ما تنقمون منا أي ما تكرهون منا ولا تعيبون علينا إلا إيماننا بالله وما أنزل علينا من هذا القرآن الكريم وما أنزل من قبل من التوراة والإنجيل، وكون أكثركم فاسقين فهل مثل هذا ينكر من صاحبه ويعاب عليه؟ اللهم لا، ولكنكم قوم لا تعقلون هذا معنى قوله تعالى في هذه الآية: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾ أما الآية الرابعة في هذا السياق (٦٠) فقد تضمنت تعليم الله لرسوله كيف يرد على أولئك اليهود إخوان القردة والخنازير قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم، وذلك أنهم سألوا النبي ﷺ: بمن تؤمن؟ فقال أؤمن بالله وبما أنزل إلينا وما أنزل على موسى وما أنزل على عيسى فلما قال هذا، قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم بغضاً لعيسى عليه السلام وكرهاً له، فأنزل الله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة﴾ أي ثواباً وجزاء ﴿عند الله؟﴾ أنه ﴿من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ إذ مسخ طائفة منهم قردة، وأخرى خنازير على عهد داود عليه السلام، وقوله ﴿وعبد الطاغوت[2]﴾ أي وجعل منهم من عبد الطاغوت وهو الشيطان وذلك بطاعته والانقياد لما يجلبه عليه ويزينه له من الشر والفساد، إنه أنتم يا معشر يهود، إنكم لشر مكاناً يوم القيامة وأضل سبيلاً اليوم في هذه الحياة الدنيا.

---

(١) الأذان فرض في المدن والقرى وسنة لجماعة تطلب غيرها، ومستحب لمن لا يطلب غيره، والسفر، والحضر سواء إلاّ أنه في السفر أعظم أجراً لحديث الموطأ: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جنّ ولا إنس، ولا شيء إلاّ شهد له يوم القيامة» وهذا الثواب عام لمن أذّن في السفر والحضر، والإقامة سنّة مؤكدة لكل صلاة ومن أذن أقام ولو أقام غير المؤذن جازت.

(٢) قريء هذا اللفظ ﴿عَبَد الطاغوت﴾ بعدة قراءات منها عَبُدَ اسماً كفَضُلَ، وعبدوا الطاغوت، وعُبُد الطاغوت أي جمع عبد، وعُبَّد الطاغوت جمع عابد كشاهد وشُهَّد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- حرمة اتخاذ اليهود والنصارى والمشركين أولياء لاسيما أهل الظلم منهم .

٢- سوء أخلاق اليهود وفساد عقولهم .

٣- شعور اليهود بفسقهم وبعد ضلالهم جعلهم يعملون على إضلال المسلمين .

٤- تقرير وجود مسخ في اليهود قردة وخنازير.

٥- اليهود شر الناس مكانا يوم القيامة ، وأضل الناس في هذه الدنيا .

وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

شـرح الكلمـات :

يـكتمون : أي يضمرون في نفوسهم ويخفونه فيها .

في الإثم والعدوان : الإثم كل ضار وفاسد وهو ما حرمه الله تعالى من اعتقاد أو قول أو عمل ، والعدوان : الظلم .

السـحت : المال الحرام كالرشوة والربا ، وما يأخذونه من مال مقابل تحريف الكلم وتأويله .

الربانيون والأحبار : الربانيون هنا العباد المربون كمشايخ التصوف عندنا والأحبار: العلماء .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم فى فضح اليهود وبيان خبثهم زيادة في التنفير من موالاتهم فأخبر

تعالى في الآية الأولى عن منافقيهم فقال: ﴿وإذا جاءوكم﴾[1] يريد: غشوكم في مجالسكم، ﴿قالوا آمنا﴾ وما آمنوا ولكنهم ينافقون لا غير فقد دخلوا بالكفر[2] في قلوبهم وخرجوا به، ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ من الكفر والكيد لكم. هذا معنى قوله تعالى في الآية الأولى (٦١) ﴿وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ وأما الآية الثانية (٦٢) فقد أخبر تعالى رسوله أنهم لكثرة ما يرتكبون من الذنوب ويغشون من المعاصي ترى كثيراً منهم[3] يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت علناً لا يستترون به ولا يخفونه ثم ذمهم الله تعالى على ذلك وقبح فعلهم فقال ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾. وفي الآية الأخيرة: أنكر على عبادهم وعلمائهم سكوتهم عن جرائم عوامهم ورضاهم بها مصانعة لهم ومداهنة فقال تعالى: ﴿لولا ينهاهم[4] الربانيون والأحبار﴾ أي لم لا ينهونهم عن قولهم الإثم أي الكذب وأكلهم السحت الرشوة والربا، ثم ذم تعالى سكوت العلماء عنهم بقوله ﴿لبئس[5] ما كانوا يصنعون﴾ أي وعزتي وجلالي لبئس صنيع هؤلاء من صنيع حيث أصبح السكوت المتعمد لمنافع خاصة يحصلون عليها صنعة لهم أتقنوها وحذقوها. والعياذ بالله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجود منافقين منَ اليهود على عهد الرسول ﷺ بالمدينة.

٢- بيان استهتار اليهود وعدم مبالاتهم بارتكابهم الجرائم علانية.

٣- قبح سكوت العلماء على المنكر وإغضائهم على فاعليه، ولذا قال كثير من السلف في هذه الآية أشد آية وأخطرها على العلماء.

---

(١) هذه الآيات معطوفة على قوله تعالى: ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة﴾ السابقة وخصّ بهذه الصفات منافقوا اليهود وهم من جملة من اتخذوا الدين هزواً ولعبا.

(٢) أي أنهم ما آمنوا قط ولم يخالط الإيمان قلوبهم طرفة عين فهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين.

(٣) الرؤية هنا بصرية والخطاب عام لكلّ من يسمع ويرى والمعنى: أنّ حالهم لا تخفى على أحد ذي بصر.

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنه: ما في القرآن آية أشد توبيخا من هذه الآية: ﴿لولا ينهاهم الرّبانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ والآية وإن نزلت في يهود المدينة فقد ذكرت النصارى لأنّ حالهم سواء. والآية تنطبق اليوم على علماء المسلمين حيث تركوا الأمر والنهي والعياذ بالله تعالى من عاقبة ذلك فقد قال ﷺ «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده» الترمذي وصححه. ولولا هنا أداة تحظيظ، والمراد توبيخ علمائهم، وعابديهم على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٥) قال الزّجاج: اللام في قوله تعالى: ﴿لبئس﴾ للقسم، والتأكيد.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟
بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ
وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟
ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن
فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

يد الله مغلولة[1]	: يريدون أنه تعالى ضيق عليهم الرزق ولم يوسع عليهم .
غلت أيديهم	: دعاء عليهم بأن يحرموا الإنفاق في الخير وفيما ينفعهم .
لعنوا بما قالوا	: طردوا من رحمة الله بسبب وصفهم الرب تعالى بالبخل .
بل يداه مبسوطتان	: لا كما قالوا لعنهم الله : يد الله مغلولة أي ممسكة عن الإنفاق .
طـغيانـاً	: تجاوزاً لحد الاعتدال في قولهم الكاذب وعملهم الفاسد .
وألقينا بينهم	: أي بين اليهود والنصارى .
أوقدوا نـاراً	: أي نار الفتنة والتحريش والإغراء والعداوات للحرب .

(١) القائل : فنحاص اليهودي عليه لعائن الله وهو يعني بمغلولة بخيلة لا تنفق وهو كاذب بل يمين الله ملأى لا يغيضها نفقةٌ سحّاء الليل والنهار «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يَغضْ ما في يمينه» حديث الشيخين.

ولو أن أهل الكتاب : اليهود والنصـــارى.
من فوقهم ومن تحت ارجلهم : كناية عن بسط الرزق عليهم.
أمة مقتصدة : معتدلة لا غالية مفرطة، ولا جافية مفرطة.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى عن كفر اليهود وجرأتهم على الله تعالى بباطل القول وسيء العمل فيقول: ﴿وقالت[1] اليهود يد الله مغلولة﴾ يريدون أنه تعالى أمسك عنهم الرزق وضيقه عليهم، فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿غلت أيديهم﴾ وهو دعاء عليهم بأن لا يوفقوا للإنفاق فيما ينفعهم ﴿ولعنوا بما قالوا﴾. ولعنهم تعالى ولعنهم كل صالح في الأرض والسماء بسبب قولهم الخبيث الفاسد. وأكذبهم تعالى في قولهم ﴿يد الله مغلولة﴾ فقال: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ كما قال عنه رسوله في الصحيح «يمين الله سَحّاء[2] تنفق الليل والنهار» ثم أخبر تعالى نبيه محمـداً ﷺ ليسليه ويخفف عنه ما يجد في نفسه من جراء كفر اليهود وخبثهم فقال: ﴿وليزيدن كثيراً منهم﴾ أي من اليهود ﴿ ما أنزل إليك﴾ من الآيات التي تبين خبثهم وتكشف النقـاب عن سوء أفعالهم المخزية لهم. ﴿طغياناً وكفراً﴾ أي إبعاداً في الظلم والشر وكفراً بتكذيبك وتكذيب ما أنزل إليك وذلك دفعاً للحق ليبرروا باطلهم وما هم عليه من الاعتقاد الفاسد والعمل السيء، ثم أخبر تعالى رسوله بتدبيره فيهم انتقاماً منهم فقال عز من قائل: ﴿والقينا بينهم العداوة[3] والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ أي أن العداوة بين اليهود والنصارى لا تنتهي إلى يوم القيامة، ثم أخبر عن اليهود أنهم ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب﴾ وذلك بالتحريش بين الأفراد والجماعات وحتى الشعوب والأمم، وبالإغراء، وقالة السوء، ﴿أطفأها الله﴾ تعالى فلم يفلحوا فيما أرادوه وقد أذلهم الله على يد رسوله والمؤمنين وأخزاهم وعن دار الإيمان أجلاهم وأخبر تعالى أنهم يسعون دائماً وأبداً في الأرض بالفساد فلذا أبغضهم الله وغضب عليهم، لأنه تعالى لا يحب المفسدين، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٤) أما الآية الثانية (٦٥) وهي قوله تعالى ﴿ولو أن أهل الكتاب﴾ من يهود ونصارى ﴿آمنوا﴾ بالله ورسوله وبما

---

(١) إنّه وإن كان القائل فنحاص بن عازوراء فإن رضى اليهود بمقالته سلكهم في سلكه واعتبروا كلهم قائلون، إذ الرضا بالكفر كفر.
(٢) هذا اللفظ معنى للحديث لا لفظه، وقد تقدّم قريبا لفظه كما في الصحيحين.
(٣) الكلام صالح لأن يكون (بينهم) المراد بهم اليهود أنفسهم كقوله تعالى: ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ وأن يكون المراد بين اليهود والنصارى لتقدم ذكرهم معاً في قوله تعالى: ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ والواقع شاهد.

جاء من الدين الحق وعملوا به، ﴿واتقوا﴾ الكفر والشرك وكبائر الذنوب الفواحش، لكفر الله عنهم سيئآتهم فلم يؤاخذهم ولم يفضحهم بها ولأدخلهم جنات النعيم. وهذا وعد الله تعالى لليهود والنصارى فلو أنهم آمنوا واتقوا لأنجزه لهم قطعاً. وهو لا يخلف الميعاد.

أما الآية الأخيرة (٦٦) في هذا السياق فهي تتضمن وعداً إلهياً آخر وهو أن اليهود والنصارى لو أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ومن ذلك القرآن الكريم، ومعنى أقاموا ذلك آمنوا بالعقائد الصحيحة الواردة في تلك الكتب وعملوا بالشرائع السليمة والآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة التي تضمنتها تلك الكتب لو فعلوا ذلك لبسط الله تعالى عليهم الرزق وأسبغ عليهم النعم ولأصبحوا في خيرات وبركات تحوطهم من كل جانب هذا ما وعدهم الله به. ثم أخبر تعالى عن واقعهم المرير فقال: ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ لم تغل ولم تجف فلم تقل في عيسى أنه ابن الله ولا هو ابن زنى، ولكن قالت عبد الله ورسوله ولذا لما جاء النبي الأمي بشارة عيسى[1] عليه السلام آمنوا به وصدقوا بما جاء به من الهدى والدين الحق وهم عبدالله بن سلام وبعض اليهود، والنجاشي من النصارى وخلق كثير لا يحصون عداً. وكثير من أهل الكتاب ساء[2] أي قبح ما يعملون من أعمال الكفر والشرك والشر والفساد.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ قبح وصف الله تعالى بما لا يليق بجلاله وكماله.

٢ـ ثبوت صفة اليدين لله تعالى ووجوب الإيمان بها على مراد الله تعالى، وعلى ما يليق بجلاله وكماله.

٣ـ تقرير ما هو موجود بين اليهود والنصارى من عداوة وبغضاء[3] وهو من تدبير الله تعالى.

٤ـ سعي اليهود الدائم في الفساد في الأرض فقد ضربوا البشرية بالمذهب المادي الإلحادي الشيوعي، وضربوها أيضاً بالإباحية ومكائد الماسونية.

---

(١) بشارة عيسى بدلٌ من النبي الأمي وقلنا بشارة عيسى لأنّ النبي ﷺ قال: «أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى عليهم السلام».

(٢) أي: بئس شيء عملوه إذ كذّبوا الرسل وحرّفوا الكتب وأكلوا السحت.

(٣) وإن قيل إنّ التعاون القائم اليوم بين اليهود والنصارى يرد ما في الآية قلنا إنّ اليهود احتالوا على النصارى فضربوهم بالالحاد فلمّا قضي على العقيدة الدينية فيهم أصبحوا سخرة لهم يتحكمون فيهم وبذلك فرضوا عليهم حبّهم وعدم عداوتهم.

٥- وعد الله لأهل الكتاب على ما كانوا عليه لو آمنوا واتقوا لأدخلهم الجنة.

٦- وعده تعالى لأهل الكتاب ببسط الرزق وسعته لو أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم أي لو أنهم أخذوا بما في التوراة والإنجيل من دعوتهم إلى الإيمان بالنبي الأمي والدخول في الإسلام لحصل لهم ذلك كما حصل للمسلمين طيلة ثلاثة قرون وزيادة. وما زال العرض[1] كما هو لكل الأمم والشعوب أيضاً.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات:

الرسول : ذكر من بني آدم أوحي إليه شرع وأمر بتبليغه وهو هنا محمد ﷺ.

بلغ ما أنزل إليك[2] : من التوحيد والشرائع والأحكام.

يعصمك : يحفظك حفظاً لا يصل إليك معه أحد بسوء.

---

(١) العرض: هو ما عرضه الله تعالى عليهم وهو في قوله: ﴿ولو أنّهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربّهم لأكلوا..﴾ الآية.

(٢) روى مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت: من حدّثك أنّ محمداً ﷺ كتم شيئا من الوحي فقد كذب والله تعالى يقول: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته..﴾ الآية.

فلا تـأس : لا تأسف ولا تحزن.

هـادوا : اليهـود.

الصابئـون : جمع صابىء وهم فرقة من أهل الكتاب.

معنى الآيـات :

في الآية الأولى (٦٧) ينادي الرب تبارك وتعالى رسوله معظمًا له بقوله: ﴿يا أيها الرسول﴾ المبجل ليأمره بإبلاغ ما أوحاه إليه من العقائد والشرائع والأحكام فيقول ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾. ويقول له: ﴿وإن لم تفعل﴾ أي إن قصرت في شيء لم تبلغه لاي اعتبار من الاعتبارات ﴿فما بلغت رسالته﴾ أي فكأنك لم تبلغ[١] شيئاً، وقوله تعالى: ﴿والله يعصمك من[٢] الناس﴾ أي يمنعك من أن يمسوك بشيء من الأذى، ولذا فلا عذر لك في ترك إبلاغ أي شيء سواء كان مما يتعلق بأهل الكتاب أو بغيرهم ولذا فلم يكتم رسول الله شيئاً مما أمر بإبلاغه البتة. وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ تقرير لوعده تعالى بعصمة رسوله ﷺ إذ هو تعالى لا يوفق الكافرين لما يريدون ويرغبون فيه من أذية رسوله ﷺ، ولما نزلت هذه الآية قال ﷺ «لا تحرسوني فإن الله قد عصمني» هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (٦٨) وهي قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من[٣] ربكم﴾ لقد تقدم هذا السياق وأعيد هنا تقريراً له وتأكيداً وهو إعلام من الله تعالى أن اليهود والنصارى ليسوا على شيء من الدين الحق ولا من ولاية الله تعالى حتى يقيموا ما أمروا به وما نهوا وما انتدبوا الله من الخيرات والصالحات مما جاء في التوراة والإنجيل والقرآن أيضاً. وقوله تعالى: ﴿وليزيدنَّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ هذا إخبار من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن كثيراً من اليهود والنصارى يزيدهم ما يوحي الله تعالى إلى رسوله وما ينزله عليه في كتابه من أخبار

---

(١) في الآية ردّ على الرافضة القائلين بأنّ النبي ﷺ كتم شيئا مما أمر بإبلاغه تقية وكذبوا وربِّ الكعبة قالت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لو كان في إمكان الرسول أن يكتم شيئا لكتم: ﴿عبس وتولى﴾ إذ هي عتاب له ﷺ.

(٢) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة فقال: (ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة) قالت: فبينما كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال: من هذا؟ قال: سعد بن أبيِّ وقاص. فقال له: ما جاء بك؟ فقال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم انصرف ونزلت هذه الآية.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء جماعة من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: ألست تقرّ أنّ التوراة حق من عند الله؟ قال: بلى، فقالوا: إنّا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية ﴿لستم على شيء﴾ الخ.

أهل الكتاب مما هو بيان لذنوبهم وضلالهم. ومما هو أمر لهم بالإيمان بالنبي الأمي واتباعه على الدين الحق الذي أرسل به يزيدهم ذلك طغياناً أي علوا وعتواً وكفراً فوق كفرهم. ولذا فلا تأس أي لا تحزن[1] على عدم إيمانهم بك وبما جئت به لأنهم قوم كافرون. أما الآية الثالثة (٦٩) وهي قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين[2] هادوا والصابئون والنصارى[3]﴾ فالذين آمنوا هم المسلمون واليهود والنصارى والصابئون وهم فرقة منهم هم أهل الكتاب فجميع هذه الطوائف من آمن منهم الإيمان الحق بالله وباليوم الآخر وأتى بلازم الإيمان وهو التقوى وهي ترك الشرك والمعاصي أفعالاً وتروكاً فلا خوف عليه في الدنيا ولا في البرزخ ولا يوم القيامة ولا حزن يلحقه في الحيوات الثلاث وعد الله حقاً ومن أصدق من الله حديثاً!

هدايـة الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب البلاغ على الرسل ونهوض رسولنا محمد ﷺ بهذا الواجب على أكمل وجه وأتمه.

٢- عصمة الرسول المطلقة.

٣- كفر أهل الكتاب إلا من آمن منهم بالنبي محمد ﷺ واتبع ما جاء به من الدين الحق.

٤- أهل العناد والمكابرة لا تزيدهم الأدلة والبراهين إلا عتواً ونفوراً وطغياناً وكفراً.

٥- العبرة بالإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي لا بالانتساب إلى دين من الأديان.

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا

---

(١) في هذا الإرشاد الإلهي تسلية للرسول ﷺ وليس بنهي عن الحزن إذ لا يقدر المرأ على دفع الحزن وإنّما يقدر على ترك مثيراته فإنّه متى ترك التعرّض لها لم يوجد في نفسه حزن.

(٢) في ذكر المؤمنين وهم المسلمون مع اليهود والصابئين والنصارى إشارة أبلغ من عبارة وهي أنّ العبرة ليست بالأنساب ولا الانتساب ولا بزمان أو مكان وإنما النجاة من النار ودخول الجنّة متوقفان على الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح الذي جاء به كتاب الله ورسوله محمد ﷺ.

(٣) اختلف في إعراب: ﴿والصابئون﴾ على أقوال نكتفي بقول منها وهو أن تكون مبتدأ وخبرها محذوف تقديره: والصابئون كذلك على حدّ قول الشاعر:

فمن يك أمسى بالمدينــة رحله فاني وقيار بها لغريب

أي كذلك، وتقدير الكلام إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى مَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك.

لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

الميثاق : العهد المؤكد باليمين.

بما لا تهوى أنفسهم : بما لا يحبونه ولا تميل إليه أنفسهم المريضة.

فريقاً كذبوا : أي كذبوا طائفة من الرسل وقتلوا طائفة أخرى.

أن[1] لاتكون فتنة : أي أن لا يبتلوا بذنوبهم بالشدائد والمحن.

فعموا وصموا : عموا عن العبر وصموا عن سماع المواعظ.

من يشرك بالله : أي يشرك بالله غيره تعالى من سائر الكائنات فيعبده مع الله بأي نوع من أنواع العبادات.

حرم الله عليه الجنة : حكم بمنعه من دخولها أبداً إلا أن يتوب من الشرك.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن أهل الكتاب فقد أقسم تعالى على أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل وذلك في التوراة بأن يعبدوا الله وحده بما شرع لهم فيطيعوه في أمره ونهيه وأرسل

(١) أن هي المخففة من الثقيلة وحسبانهم ذلك هو الذي جعلهم يواصلون جرائمهم ولم يرتدعوا عنها.

إليهم رسله تترا[1] كلما جاءهم[2] رسول بما لا يوافق أهواءهم[3] كذبوه فيما جاءهم به ودعاهم إليه. أو قتلوه. وحسبوا أن لا يؤاخذوا بذنوبهم فعموا عن الحق وصموا عن سماع المواعظ فابتلاهم ربهم وسلط عليهم من سامهم سوء العذاب، ثم تاب الله عليهم فتابوا واستقام أمرهم وصلحت أحوالهم ثم عموا وصموا مرة أخرى إلا قليلاً منهم فسلط عليهم من سامهم[4] سوء العذاب أيضاً وها هم أولاء في عمى وصمم والله بصير بما يعملون وسوف ينزل بهم بأساءه إن لم يتوبوا فيؤمنوا بالله ورسوله ويدينوا بالدين الحق الذي هو الإسلام.

هذا ما تضمنته الآيتان الأولى والثانية (٧٠ ـ ٧١) أما الآية الثالثة (٧٢) وهي قوله تعالى: ﴿لقد كفر[5] الذين قالوا إن الله هو المسيح[6] بن مريم﴾ فقد أخبر تعالى مقرراً حكمه بالكفر على من افترى عليه وعلى رسوله فادعى أن الله جل جلاله وعظم سلطانه هو المسيح بن مريم تعالى الله أن يكون عبداً من عباده، وحاشا عيسى عبدالله ورسوله أن يرضى أن يقال له أنت الله. وكيف وهو القائل: ﴿يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ فهل مثل هذا القول يصدر عمن يدعي أنه الله أو ابن الله؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ بيان تاريخ بني إسرائيل، والكشف عن مختبئات جرائمهم من الكفر والقتل.

٢ـ إكـرام الله تعالى لبني إسرائيل ولطفه بهم مع تمردهم عليه ورفض ميثاقه وقتل أنبيائه وتكذيبهم، والمكر بهم.

---

(١) كموسى وهارون ومَن جاء بعدهما وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام.

(٢) كلّما: نصبت على الظرفية وهي لاستغراق الزمان الذي أتت فيه الرسل وأشربت معنى الشرطية فكان العامل فيها بمنزلة الجواب.

(٣) ﴿أهواءهم﴾ جمع هوى وهو المحبوب، وفعله: هَوِي يَهوى كرَضي يَرضَى إذا أحبَّ ومالت نفسه إلى ملابسة شيء.

(٤) إشارة إلى تاريخ بني اسرائيل فقد استقام أمرهم وقامت دولتهم في فلسطين على عهد يوشع بن نون فتى موسى ثمّ دالت دولتهم بجرائمهم على عهد البابليين ثمّ اجتمعت كلمتهم وقامت دولتهم على عهد داود وسليمان ثمّ دالت دولتهم بجرائمهم التي نعاها الله تعالى عليهم في هذه الآية على يد الرومان.

(٥) هذا استئناف ابتدائي لإبطال باطل النصارى بعد إبطال باطل اليهود فالمناسبة جِدُّ قوية لأنهما خصم الإسلام والمسلمين.

(٦) هذا قول اليعقوبية وهم فرقة من النصارى لأنهم قالوا باتحاد الابن والأب فكأن المسيح هو الله في اعتقادهم الباطل الفاسد.

٣ـ تقرير كفر النصارى بقولهم المسيح هو الله.
٤ـ تقرير عبودية عيسى عليه السلام لربه تعالى.
٥ـ تحريم الجنة على من لقي ربه وهو يشرك به سواه.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

شرح الكلمات:

ثالث ثلاثة[1] : الثلاثة هي الأب والابن وروح القدس: وكلها إله واحد.

خلت من قبله الرسل : مضت قبله رسل كثيرون.

وأمه صديقة : أي مريم كانت صديقة كثيرة الصدق في قولها وعملها.

أنى يؤفكون : أي كيف يصرفون عن الحق وقد ظهر واضحاً.

معنى الآيات:

ما زال السياق في بيان كفر النصارى ففي السياق الأول ورد كفر من قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، وفي هذا السياق كفر من قالوا إن الله ثالث ثلاثة إذ قال تعالى في هذه

---

(١) أي: أحد ثلاثة وهو قول الملكانية والنسطورية واليعقوبية ولا يقولون ثلاثة آلهة ويتمنعون من ذلك وهو لازمهم.

الآية (٧٣) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة يعنون الآب والابن وروح القدس، وبعضهم يقول الأب والابن والأم، والثلاثة إله واحد فأكذبهم تعالى في قيلهم هذا فقال راداً باطلهم، ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ أي وليس الأمر كما يكذبون، وإنما الله إله واحد، وأما جبريل فأحد ملائكته وعيسى عبده ورسوله ومريم أمته فالكل عبد الله وحده الذي لا إله غيره ولارب سواه. ثم قال تعالى متوعداً هؤلاء الكفرة الكذبة: ولئن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم[١]. فأقسم تعالى أنهم إن لم ينتهوا عن قولهم الباطل وهو كفر ليمسنهم عذاب أليم موجع غاية الإيجاع. ثم لكمال رحمته عز وجل دعاهم في الآية الثانية (٧٤) إلى التوبة ليتوب عليهم ويغفر لهم وهو الغفور الرحيم فقال عز وجل: ﴿أفلا يتوبون إلى الله﴾ بترك هذا الكفر والباطل ويستغفرون الله منه والله غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، وفي الآية الثالثة (٧٥) أخبر تعالى معلماً رسوله الاحتجاج على باطل النصارى فقال: ﴿ما المسيح بن مريم، إلا رسول[٢]﴾، فلم يكن رباً ولا إلهاً وإنما هو رسول مفضل قد خلت من قبله رسل مفضلون كثيرون وأمه مريم لم تكن أيضاً إلهاً كما يزعمون، وإنما هي امرأة من نساء بني إسرائيل صديقة[٣] كثيرة الصدق في حياتها لا تعرف الكذب ولا الباطل وأنها وولدها عيسى عليهما السلام بشران كسائر البشر يدل على ذلك أنهما يأكلان الطعام[٤] احتياجاً إليه لأن بنيتهما لا تقوم إلا عليه فهل آكل الطعام افتقاراً إليه، ثم يفرز فضلاته يصلح أن يكون إلهاً. اللهم لا. وهنا قال لرسوله ﷺ أنظر يا رسولنا كيف نبين لهم الآيات الدالة بوضوح على بطلان كفرهم، ثم انظر كيف يؤفكون[٥] عن الحق أي كيف يصرفون عنه وهو واضح بين. وفي الآية الأخيرة (٧٦) أمر رسوله ان يقول لأولئك المأفوكين عن الحق المصروفين عن دلائله لا ينظرون فيها أمره أن يقول لهم موبخاً لهم: ﴿أتعبدون من دون

---

(١) الآية نص في أنّ من يقول بقول النصارى كافر مستوجب للعذاب الأليم.

(٢) فيه قصر موصوف على صفة أي، قصر عيسى على الرسالة لا يتجاوزها إلى الألوهية ولذا فهو قصر قلب لرد اعتقاد النصارى في أنّه الله.

(٣) صدّيقة: كثيرة الصدق في قولها وعملها وفي تصديقها بآيات ربِّها، وفي تصديقها لابنها وقد ناداها ساعة ولادته وفي رضاعه، وهل هي مع الصديقية نبيّه؟ في نداء الملائكة لها ما يرجح نبوتها. والله أعلم.

(٤) إنّ مَنْ يأكل الطعام وولدته امرأة كيف لايكون مخلوقا مربوباً محدثاً كسائر المخلوقين لم يستطع دفع هذا نصراني مهما أوتي من العلم إلاّ أنهم يهربون من مواجهة الحق فيقولون تضليلا لعقولهم وخداعا لنفوسهم: إنه يأكل الطعام بناسوته لا بلاهوته، ومعناه: أنّ الإنسان اختلط بالإله وهذه هي الحلولية الباطلة الفاسدة عقلا وشرعاً وواقعاً.

(٥) يقال: أَفَكَه يأفِكه أفكاً إذا صرفه صرفا وهو من باب ضرب.

الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً﴾ وهو عيسى وأمه، وتتركون عبادة من يملك ذلك، وهو الله السميع العليم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ إبطال التثليث في عقيدة النصارى وتقرير التوحيد.

٢ـ إبراء عيسى ووالدته عليهما السلام من دعوى الألوهية للناس.

٣ـ فتح باب التوبة في وجه النصارى لو أنهم يتوبون.

٤ـ تقرير بشرية عيسى ومريم عليهما السلام بدليل احتياجهما إلى الطعام لقوام بنيتهما، ومن كان مفتقراً لا تصح ألوهيته عقلاً وشرعاً.

٥ـ ذم كل من يعبد غير الله إذ كل الخلائق مفتقرة لا تملك لنفسها ولا لعابدها ضراً ولا نفعاً، ولا تسمع دعاء من يدعوها، ولا تعلم عن حاله شيئاً، والله وحده السميع لأقوال كل عباده العليم بسائر أحوالهم وأعمالهم، فهو المعبود بحق وما عداه باطل.

قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

لا تغلوا في دينكم(١) : الغلو: الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فمثلاً أمرنا بغسل اليدين في الوضوء إلى المرفقين فغسلهما إلى الكتفين غلو أمرنا بتعظيم الرسول ﷺ فدعاؤه غلو في الدين.

أهواء قوم قد ضلوا : جمع هوى، وصاحب الهوى هو الذي يعتقد ويقول ويعمل بما يهواه لا بما قامت به الحجة وأقره الدليل من دين الله تعالى.

وأضلوا كثيراً : أي أضلوا عدداً كثيراً من الناس بأهوائهم وأباطيلهم.

عن سواء السبيل(٢) : سواء السبيل: وسط الطريق العدل لا ميل فيه إلى يمين ولا إلى يسار.

لعن : دعى عليهم باللعنة التي هي الإبعاد من الخير والرحمة وموجباتها.

بما عصوا وكانوا يعتدون : أي بسبب عصيانهم لرسلهم، واعتدائهم في دينهم.

لا يتناهون : أي لا ينهي بعضهم بعضاً عن ترك المنكر.

لبئس ما كانوا يعملون(٣) : قبح عملهم من عمل وهو تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتولون الذين كفروا : يوادونهم ويتعاونون معهم دون المؤمنين.

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي : أي لو كانوا صادقين في إيمانهم بالله والنبي محمد ﷺ ما اتخذوا المشركين في مكة والمدينة من المنافقين أولياء

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن أهل الكتاب يهوداً ونصارى فقال تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿قل﴾ يا رسولنا: ﴿يا أهل الكتاب﴾ والمراد بهم هنا النصارى ﴿لا تغلوا في دينكم

---

(١) الغلو: مصدر غلا يغلو غلوًا في الأمر إذا جاوز حدّه المعروف.

(٢) سواء السبيل هنا المراد به: الإسلام، لأنّهم ضلّوا في دينهم قبل مجيء الإسلام ثمّ ضلّوا عن الإسلام بعد مجيئه.

(٣) اللام: لام القسم جيء بها لتدلّ عليه وتؤكد الذمّ بصورة فظيعة.

غيرالحق﴾ ، أي لاتتشددوا في غير ما هو حق شرعه الله تعالى لكم ، فتبتدعون البدع وتتغالوا في التمسك بها والدفاع عنها، التشدد محمود في الحق الذي أمر الله به اعتقاداً وقولاً وعملاً لافي المحدثات الباطلة ،ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وهم اليهود إذ قالوا في عيسى وأمه بأهوائهم فقالوا في عيسى ساحر، وقالوا في أمه بغي وأضلوا كثيراً من الناس بأهوائهم المتولدة عن شهواتهم، وضلوا أي وهم اليوم ضالون بعيدون عن جادة الحق والعدل في عقائدهم وأعمالهم وأقوالهم. هذا ما تضمنته الآية الأولى (٧٧) أما الآيات بعد فقد أخبر تعالى في الآية الثانية أن بني إسرائيل لعن منهم الذين كفروا على لسان كل من داود في الزبور، وعلى لسان عيسى بن مريم في الإنجيل وعلى لسان محمد ﷺ في القرآن فقال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من[1] بني اسرائيل على لسان داوود﴾. فقد مسخ منهم طائفة قردة، ﴿وعيسى بن مريم﴾ حيث مسخ منهم نفر خنازير كما لعنوا على لسان محمد ﷺ في غير آية من القرآن الكريم، وهذا اللعن الذي هو إبعاد من كل خير ورحمة ومن موجبات ذلك في الدنيا والآخرة سببه ما ذكر تعالى بقوله: ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾. أي بسبب عصيانهم لله تعالى ورسله بترك الواجبات وفعل المحرمات، واعتدائهم في الدين بالغلو والابتداع، وبقتل الأنبياء والصالحين منهم: وأخبر تعالى في الآية الثالثة[2] بذكر نوع عصيانهم واعتدائهم الذي لعنوا بسببه فقال: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾. أي كانوا عندما استوجبوا اللعن يفعلون المنكر العظيم ولا ينهى بعضهم بعضاً كما أخبر النبي ﷺ في قوله: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده» فلما فعلوا ذلك ضرب الله على قلوب بعضهم ببعض ثم قال ﷺ: «لعن الذين كفروا ـ إلى قوله فاسقون» ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه (تعطفنه) على الحق أطراً ولتقسرنه على الحق قسراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم»[3] وفي آخر الآية قبح الله تعالى

---

(١) في الآية دليل على جواز لعن الكافر وإن كان من أولاد الأنبياء وأن شرف النسب لا يمنع إطلاق اللعنة في حقه (قرطبي).
(٢) نقل القرطبي عن ابن عطية رحمهما الله تعالى أنّ الاجماع منعقد على أنّ النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه وأمن الضرر على نفسه وعلى غيره من المسلمين فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر صاحب المنكر ولا يخالطه.
(٣) أخرجه أبو داود عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

عملهم فقال: ﴿لبئس ما كانوا يفعلون﴾ ثم قال لرسوله ﷺ: ﴿ترى كثيراً منهم﴾ أي من اليهود في المدينة يتولون الذين كفروا يعنى من المشركين والمنافقين في مكة والمدينة يصاحبونهم ويوادونهم وينصرونهم وهم يعلمون أنهم كفار تحرم موالاتهم في دينهم وكتابهم، ثم قبح تعالى عملهم فقال: ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ نتيجة ما حملتهم عليه من الشر والكفر والفساد، وهو سخط الله تعالى عليهم وخلودهم في العذاب من موتهم إلى مالا نهاية له فقال تعالى: ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن[1] سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾ لا يخرجون منه أبداً. ثم زاد تعالى تقرير كفرهم وباطلهم وشرهم وفسادهم فقال: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله﴾ كما يجب الإيمان به وبالنبي محمد وبما جاء به من الهدى ودين الحق وما أنزل إليه من القرآن والآيات البينات ما اتخذوا الكفار المشركين والمنافقين أولياء، ولكن علة ذلك أنهم فاسقون إلا قليلاً منهم، والفاسق عن أمر الله الخارج عن طاعته لا يقف في الفساد عند حد أبداً، هذا معنى قوله تعالى: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم[2] أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾[3].

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة الغلو والابتداع في الدين، واتباع أهل الأهواء.

٢ـ العصيان والاعتداء ينتجان لصاحبهما الحرمان والخسران.

٣ـ حرمة السكوت عن المنكر ووخامة عاقبته على المجتمع.

٤ـ حرمة موالاة أهل الكفر والشر والفساد

٥ـ موالاة أهل الكفر بالمودة والنصرة دون المؤمنين آية الكفر وعلامته في صاحبه.

---

(١) أنّ: في موضع رفع على الابتداء، والتقدير: لبئس ما قدمت لهم أنفسهم هو سخط الله عليهم.

(٢) في الآية دليل واضح على أنّ من اتخذ الكافر وليًّا لا يكون مؤمنا إذ يجرّه ذلك الولاء إلى قول ما يقول وفعل ما يفعل وحتى اعتقاد ما يعتقد وبذلك يكفر مثله وشاهده من الحديث: «من تشبّه بقوم فهو منهم».

(٣) أي: كافرون إذ فسقوا عن دين الله وخرجوا عنه باليهودية الباطلة وخرجوا عن الإسلام بالنفاق فهم كفرة منافقون يهود ملعونون.

الفهـــرس

أيسر التفاسير
لكلام العلي الكبير

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الثاني

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة
طبعة مزيدة ومنقحة ومصححة وبهامشها
نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثالثة
مصححة ومنقحة
وبهامشها
نهر الخير على أيسر التفاسير

راسم
للدعاية والإعلان
RACEM
ADVERTISING
ت : ٦٧١٣٩٧٦ ص. ب : ٨٣٢٣ - جدة ٢١٤٨٢
Tel: 6713976 P.O. Box: 8323 Jeddah 214482

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾
وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ
ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ
وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

عداوة[1] : العداوة: بغض نفسي تجعل صاحبها بعيداً ممن يعاديه فلا يصله بخير، ولا يقربه بمودة، وقد تحمله على إرادة الشر بالعدو.

مودة : المودة: حب نفسي يجعل صاحبه يتقرب إلى من يوده بالخير ودفع الشر.

قسيسين : جمع قسيس: وهو الرئيس الديني لعلمه عند النصارى.

ورهباناً : الرهبان: جمع راهب: مشتق من الرهبة وهو الرجل فى النصارى يتبتل وينقطع للعبادة في دير أو صومعة.

ما أنزل إلى الرسول : الرسول محمد ﷺ وما أنزل إليه آيات القرآن الكريم الدالة على تشريف عيسى ووالدته مريم عليهما السلام، وأن عيسى عبدالله

(١) ﴿عداوة﴾ منصوب على التمييز مبيّنا لنسبة أشد وكذا مودّة.

الشــاهدين : جمع شاهـد: من شهـد لله بالـوحدانية وللنبي محمد بالرسالة واستقام على ذلك.

الصالحيــن : جمع صالح: وهو من أدّى حقوق الله تعالى كاملة من الإيمان به وشكره على نعمه بطاعته، وأدّى حقوق الناس كاملة من الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم.

فأثابهم الله بما قالوا : جزاهم بما قالوا من الإيمان ووُفِّقوا له من العمل جنات تجري من تحتها الأنهار.

معنى الآيـات:

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ بعداوة كل من اليهود والمشركين للمؤمنين وأنهم أشد عداوة من غيرهم، فيقول ﴿لتجدن[1] أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ أما اليهود فلما توارثوه خَلفاً عن سلف من إنكار الحق. والوقوف في وجه دعاته، إضافة إلى أن أملهم في إعـادة مجدهم ودولتهم يتعارض مع الدعوة الإسلامية وأما المشركون فلجهلهم وإسرافهم في المحرمات وما ألفوه لطول العهد من الخرافات والشرك والضلالات. كما أخبر تعالى أن النصارى هم أقرب مودة للذين آمنوا فقال: ﴿ولتجدن أقربهم[2] مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ وعلل تعالى لهذا القرب من المودة بقوله: ﴿ذلك...﴾ أي كان ذلـك بسبب أن منهم قسِّيسين[3] ورهباناً فالقسيسون علماء بالكتاب رؤساء دينيّون غالباً ما يؤثرون العدل والرحمة والخير على الظلم والقسوة والشر والرهبان لانقطاعهم عن الدنيا وعدم رغبتهم فيها ويدل عليه قوله: ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن الحق وقبوله والقول به ولذا لما عمت المادية المجتمعات النصرانّية، وانتشر فيها الإلحاد والإباحية قلّت تلك المودة للمؤمنين إن لم تكن قد انقطعت. أما قوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم

---

(١) اللاّم في ﴿لتجدن﴾ لام القسم. وهذه الآيات الأربع كالفذلكة لما سبق من الآيات في أهل الكتاب.

(٢) هذه الآية نزلت في النجـاشي وأصحـابه إذ هاجر إليه المؤمنون الهجرة الأولى والثانية هروبا من اضطهاد المشركين وأذاهم، ولمّـا بعثت قريش عمرو بن العاص وعبدالله بن ربيعة بهدايا تطالب برد المهاجرين إليها دعا النجاشي الرهبان والقسس وأسمعهم جعفر بن أبي طالب سورة مريم فبكوا حتى فاضت أعينهم من الدمع فنزلت هذه الآية.

(٣) جمع قسّ ويجمع على قساوسة، والرهبان جمع راهب كراكب وركبان وفعله رهِب يرهب رهباً ورهبا ورهبة إذا خاف والرهبانية والترهب التعبّد في صومعة أو دير.

تفيض[1] من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ فالمعنيُّ بها من أسلم من النصارى بمجرد أن تُلي عليهم القرآن وسمعوه كأصحمة النجاشي وجماعة كثيرة ومعنى قولهم ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أنهم بعد ما سمعوا القرآن تأثروا به فبكوا من أجل ما عرفوا من الحق وسألوا الله تعالى أن يكتبهم مع الشاهدين ليكونوا معهم في الجنة، والشاهدون هم الذين شهدوا لله تعالى بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، وأطاعوا الله ورسوله من هذه الأمة وقولهم: ﴿ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع[2] القوم الصالحين﴾ فإن معناه: أي شيء يمنعنا من الإيمان بالله رباً وإلهاً واحداً لا شريك له ولا ولد ولا والد. وبما جاء من الحق في توحيده تعالى ونبّوة رسوله محمد ﷺ، ومن الطمع في أن يدخلنا ربنا الجنة مع الصالحين من هذه الأمة. ولما قالوا هذا أخبرهم تعالى أنه أثابهم به ﴿جنات[3] تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾، وأخبر تعالى أن ذلك الجزاء الذي جزاهم به هو ﴿جزاء المحسنين﴾ وهم الذين أحسنوا القول والعمل مع سلامة عقائدهم، وطهارة أرواحهم حيث لم يتلوثوا بالشرك والمعاصي[4] ثم أخبر تعالى بأن الذين كفروا بالله إلهاً واحداً وبرسوله نبياً ورسولاً، وكذبوا بآياته القرآنية أولئك البعداء هم أصحاب[5] الجحيم الذين لا يفارقونها أبداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ عظم عداوة اليهود والمشركين للإسلام والمسلمين.

٢ـ قرب النصارى الصادقين في نصرانيتهم من المسلمين.

٣ـ فضيلة التواضع، وقبح الكبر.

---

(١) تفيض أعينهم من الدمع أي بالدمع: وحروف الجرّ تتناوب قال امرؤ القيس:

ففاضت دموع العين مني صبابة   على النحر حتى بَلَّ دمعي مِحملي

أي غلاف السيف.

(٢) في الكلام إضمار أي: ونطمع أن يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الصالحين، وهم أمّة محمد ﷺ الصادقين الصالحين.

(٣) دلّ هذا الجزاء الحسن على إخلاص إيمانهم وصدق مقالهم إذ به أجاب الله سؤالهم وحقق طمعهم ورجاءهم وهكذا كلّ من خلص إيمانه وصدق يقينه يكون ثوابه الجنة.

(٤) في هذا احتراس إذ ما كلّ النصارى آمنوا لما سمعوا القرآن وبكوا وسألوا الله في صدق وآمنوا وعملوا الصالحات فأثابهم الله الجنة، لا بل منهم الذين كفروا وكذبوا وهم الأكثرون فجزاؤهم الجحيم يلازمونها أبداً لظلمة قلوبهم وخبث نفوسهم.

(٥) يقال: نار جحمة على وزن نجمة أي: شديدة اللهب قال شاعر الحماسة الطائي:

نحن حبسنا بني جديلة في   نارٍ من الحرب جحمةِ الضرَم

٤ـ فضل هذه الأمة وكرامتها على الأمم قبلها.
٥ـ فضل الكتابي إذا أسلم. وحسن إسلامه.
٦ـ بيان مصير الكافرين والمكذبين وهو خلودهم في نار جهنم.
٧ـ استعمال القرآن أسلوب الترغيب والترهيب بذكره الوعيد بعد الوعد.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ
بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ
فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ
أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

لا تحرموا : التحريم: المنع أي لا تمتنعوا.

ما أحل الله لكم : أي ما أباحه لكم وأذن لكم فيه من نكاح وطعام وشراب.

حلالاً طيباً : مباحاً غير مستقذر ولا مستخبث.

لا يؤاخذكم الله باللغو : لايعاقبكم الله باللغو الذي هو ما كان بغير قصد اليمين.

عقدتم الأيمان : عزمتم عليها بقلوبكم بأن تفعلوا أو لا تفعلوا.

من أوسط : أغلبه ولا هو من أعلاه، ولا هو من أدناه.

أهليكم : من زوجة وولد.

تحرير رقبة : عتقها من الرق القائم بها.
يبين الله لكم آياته : المتضمنة لأحكام دينه من واجب وحلال وحرام.

معنى الآيـات :

الآيتـان الأولى (٨٧) والثانية (٨٨) نزلتا في بعض[١] الصحابة منهم عبدالله بن مسعود وعثمان بن مظـعون وغيرهما كانوا قد حضروا موعظة وعظهم إياها رسول الله ﷺ فزهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة. وعزموا على التبتل والانقطاع عن الدنيا فأتوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسألوها عن صلاة رسول الله ﷺ وقيامه فكأنهم تقالّوا ذلك فقال أحدهم: أنا لا آتي النساء، وقال آخر: أنا أصوم لا أفطر الدهر كله وقال آخر: أنا أقوم فلا أنام، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخطب الناس، وقال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وإني وأنا رسول الله لآكل اللحم، وأصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» ونزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما[٢] أحل الله لكم﴾ من طعام وشراب ونساء، ﴿ولا تعتدوا﴾ بمجاوزة[٣] ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم فإن الله تعالى ربكم ﴿لا يحب المعتدين﴾ ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ أما الحرام فلا يكون رزقاً لكم، ﴿واتقوا الله﴾ أي خافـوه بترك الغلوّ والتنطع المفضى بكم إلى الترهب ولا رهبانية في الإسلام. ﴿الذي أنتم به مؤمنون﴾ أي رباً يشرع فيحلل ويحرم، وإلهاً يطاع ويعبد، هذا ما دلت عليه الآيتـان الأولى والثـانية أمـا الآية الثـالثة وهي قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ فقد نزلت لما قال أولئك الرهط من أصحاب الرسول ﷺ: (لقد حلفنا على ما عزمنا عليه من التبتل فماذا نصنع بأيماننا) فبين لهم تعالى ما يجب عليهم في أيمانهم لما حنثوا فيها بعدولهم عما حلفوا عليه فقال: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ وهو ما لا قصد للحلف فيه وإنما جرى لفظ اليمين على اللسان فقط نحو :لا والله أو بلى والله، ومثله أن

(١) أخرج البخاري عن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلمّا أخبروا كأنّما تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له من ذنبه ما تقدّم وما تأخر، فقال أحدهم أمّا أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أمّا أنا فأصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أمّا أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج ابدا فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

(٢) قالت العلماء هذه الآية وما شابهها والأحاديث الواردة في معناها تردّ على غلاة المترهبين وأهل البطالة من المتصوفين، وقال الطبري لا يجوز لمسلم تحريم شيء مما أحلّ الله لعباده المؤمنين على نفسه من الطيبات.

(٣) إذا حرّم العبد على نفسه شيئا لا يحرم عليه إلّا امرأته فإنّها تحرم عليه بالطلاق.

يحلف على الشيء يظنه كذا فيظهر على خلاف ما ظن، ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ أي قصدتموها عازمين عليها[١]، فمن حنث بعد الحلف فالواجب في حقه خروجاً من الإثم كفَّارة وهي ﴿إطعام عشرة مساكين﴾ لكل مسكين نصف صاع أي مدَّان[٢] من أعدل ﴿ما تطعمون أهليكم﴾ ما هو بالأجود الغالي، ولا بالأردأ الرخيص، ﴿أو كسوتهم﴾ كقميص وعمامة، أو إزار ورداء، ﴿أو تحرير رقبة﴾ أي عتق رقبة مؤمنة ذكراً كان أو أنثى صغيرة أو كبيرة فهذه الثلاثة المؤمن مخيّر في التكفير بأيها شاء، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام مفرقة أو متتابعة كما شاء هذا معنى قوله تعالى ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾، وقوله ﴿ذلك كفارة أيمانكم﴾ أي هذا الذي بين لكم هو ما تكفِّرون به ما علق بنفوسكم من إثم الحنث. وقوله ﴿واحفظوا أيمانكم﴾[٣] أي لا تكثروا الحلف فتحنثوا فتأثموا فتجب عليكم الكفارة لذلك. وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ معناه مثل هذا التبيين الذي بينه لكم في مسألة الحنث في اليمين والكفارة له يبين لكم آياته المتضمنة لشرائعه وأعلام دينه ليعدكم بذلك لشكره بطاعته بفعل ما يأمركم به وترك ما ينهاكم عنه، فله الحمد والمنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة تحريم ما أباح الله، كحرمة تحليل ما حرم الله عز وجل.

٢- بيان مدى حرص الصحابة على طاعة الله خوفاً من عقابه وطمعاً في إنعامه.

٣- حرمة الغلو في الدين والتنطع فيه.

٤- بيان كفارة اليمين بالتفصيل.

---

(١) هذا إذا لم يستثن بأن يقول إلّا أن يشاء الله أمّا من استثنى فلا كفارة عليه إذ لا إثم مع الاستثناء ولابد للاستثناء من النطق يقول: إلّا أن يشاء الله ولا يتم إلّا بتحريك لسانه وشفتيه.

(٢) وفي الآية وجه آخر ذكره القرطبي وهو أن يبادر إلى إخراج الكفارة إذا حنث وهذا حفظها من النسيان ظاهر.

(٣) قال العلماء: الأيمان أربعة: يمينان يكفر فيهما إذا حنث ويمينان لا كفارة فيهما فالأوّلان أن يقول: والله لأفعلن كذا ثمّ يحنث والثاني أن يقول: والله لا أفعل كذا ويحنث، واللّذان لا كفارة فيهما: الأولى: لغو اليمين وهو أن يحلف على الشيء يظنه كذا فيظهر خلافه، والثانية: أن يجري على لسانه الحلف وهو غير قاصد نحو: لا والله، بلى والله، والخامسة: اليمين الغموس، وهو أن يحلف متعمّداً الكذب وكفّارتها التوبة لا غير وإن كفّر مع التوبة فحسن.

٥- كراهة الإكثار من الحلف. وحرمة الحلف بغير الله تعالى مطلقاً.[١]

٦- استحباب حنث من حلف[٢] على ترك مندوب أو فعل مكروه، وتكفيره على ذلك أما إذا حلف أن يترك واجباً أو يأتي محرماً فإن حنثه واجب وعليه الكفارة.

٧- الأيمان ثلاثة:[٣] لغو: يمين لا كفارة لها إذ لا إثم فيها، الغموس:[٤] وهي أن يحلف متعمداً الكذب ولا كفارة لها إلا التوبة، اليمين المكفّرة: وهي التي يتعمد فيها المؤمن الحلف ويقصده ليفعل أو لا يفعل ثم يحنث فهذه التي ذكر تعالى كفارتها وبينها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ
مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ
وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ
ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿٩٣﴾

---

(١) لحديث الترمذي: «من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر» وحديث الصحيح: «ألا إنّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت».

(٢) لقوله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه».

(٣) هذا العدد مجمل وقد تقدم تفصيله وأنّ الأيمان خمسة.

(٤) أخرج البخاري «أن النبي ﷺ سأله اعرابي قائلا يارسول الله ما الكبائر؟ قال: الإشراك بالله قال ثمّ ماذا؟ قال: عقوق الوالدين. قال: ثمّ ماذا؟ قال اليمين الغموس. قلت وما اليمين الغموس؟ قال: التي يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها كاذب».

شرح الكلمات :

الخمر والميسر : الخمر[1]: كل مسكر كيفما كانت مادته وقلّت أو كثرت، والميسر: القمار.[2]

والأنصاب : الأنصاب: جمع نصب. ما ينصب للتقرب به إلى الله أو التبرك به، أو لتعظيمه كتماثيل الرؤساء والزعماء في العهد الحديث.

الأزلام : جمع زلم: وهي عيدان يستقسمون بها في الجاهلية لمعرفة الخير من الشر والربح من الخسارة، ومثلها قرعة الأنبياء، وخط الرمل، والحساب بالمسبحة.

رجس : الرجس: المستقذر حساً كان أو معنى، إذ المحرمات كلها خبيثة وإن لم تكن مستقذرة.

من عمل الشيطان : أي مما يزيّنه للناس ويحببه إليهم ويرغبهم فيه ليضلهم.

فاجتنبوه : اتركوه جانباً فلا تقبلوا عليه بقلوبكم وابتعدوا عنه بأبدانكم.

تفلحون : تكملون وتسعدون في دنياكم وآخرتكم.

ويصدكم : أي يصرفكم.

فهل أنتم منتهون : أي انتهوا فالإستفهام للأمر لا للإستخبار.

جناح فيما طعموا : أي إثم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر قبل تحريم ذلك.

معنى الآيات :

لمّا نهى الله تعالى المؤمنين عن تحريم ماأحل الله تعالى لهم بيَّن لَهُم ما حرَّمه عليهم ودعاهم إلى تركه واجتنابه لضرره بهم، وإفساده لقلوبهم وأرواحهم فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾[3] أي يا من صدقتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً اعلموا ﴿انما الخمر والميسر

---

(١) صحّ عن عمر رضي الله عنه أنّه خطب يوماً فقال: أيّها الناس ألا إنّه قد نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة: من العنب والتمر، والعسل والحنطة والشعير» والخمر ما خامر العقل أي: ستره وغطّاه فأصبح المرء يهذي ويقول الخطأ والصواب.

(٢) ما دامت علّة التحريم في الخمر والميسر هي إثارة العداوة بين إخوة الإيمان، والصدّ وهو الإلهاء عن ذكر الله وعن الصلاة فإن كل ما ينشأ عنه إثارة العداوة والصدّ عن الذكر والصلاة فهو حرام.

(٣) هذه الآية نزلت بعد وقعة أحد وكانت في السنة الثالثة من الهجرة أي في آخرها ولكنها وقعت هنا في سورة المائدة بعد نزولها وهذه الآية هي الناسخة لإباحة الخمر ويروى في سبب نزولها أن ملاحاة كانت بين سعد بن أبي وقاص ورجل من الأنصار سببها شرب خمر في ضيافة لهم.

والأنصاب[١] والأزلام رجس﴾ أي سخط وقذر مما يدعو إليه الشيطان ويزيّنه للنفوس ويحسنه لها لترغب فيه، وهو يهدف من وراء ذلك إلى إثارة العداوة والبغضاء بين المسلمين الذين هم كالجسم الواحد. وإلى صدهم عن ذكر الله الذي هو عصمتهم وعن الصلاة التي هي معراجهم إلى الله ربهم، وآمرتهم بالمعروف وناهيتهم عن المنكر، ثم أمرهم بأبلغ أمر وأنفذه إلى قلوبهم لخطورة هذه المحرمات الأربع وعظيم أثرها في الفرد والمجتمع بالشر والفساد فقال: ﴿فهل أنتم منتهون[٢]؟!﴾ وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله وحذرهم من مغبة المعصية وآثارها السيئة فقال ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ مغبة ذلك ثم أعلمهم أنّهم إن تولوا عن الحق بعدما عرفوه فالرسول لا يضيره توليهم، إذ ما عليه إلا البلاغ المبين وقد بلّغ وأما هم فإن جزاءهم على توليهم سيكون جزاء الكافرين وهو الخلود في العذاب المهين. هذا معنى قوله: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأحذروا فإن توليتم فاعلموا[٣] أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ وقوله تعالى في الآية الأخيرة (٩٣) ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا[٤] وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ فقد نزلت لقول بعض الأصحاب[٥] لرسول الله ﷺ (يا رسول الله ما بال الذين ماتوا من إخواننا وهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر؟) أي كيف حالهم فهل يؤاخذون أو يعفى عنهم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأعلم أنهم ليس عليهم جناح أي إثم أو مؤاخذة فيما شربوا وأكلوا قبل نزول التحريم بشرط أن يكونوا قد اتقوا الله في محارمه وآمنوا به وبشرائعه، وعملوا الصالحات استجابة لأمره وتقرباً إليه. فكان رفع الحرج عليهم مقيداً بما ذكر. وقوله: ﴿ثم اتقوا...﴾ كما لا جناح[٦] على الأحياء فيما طعموا وشربوا قبل التحريم

---

(١) ذكر الأنصاب والأزلام مع الخمر والميسر المقصود منه تأكيد التحريم وتقويته نظراً لما أَلِفته النفوس منهما، والمراد من تحريم الأنصاب تحريم عبادتها وصنعها، وبيعها.

(٢) هذه الصيغة تستعمل للحث على الفعل إذا المأمور بدا عليه التراخي أو عدم الاهتمام مما أمر بفعله أو تركه. والفاء في ﴿فهل أنتم﴾ تفريع عن قوله: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم..﴾ الآية، والمأمور بالانتهاء عنه هو الخمر والميسر فلذا يقدّرعنهمابعد ﴿منتهون﴾.

(٣) ﴿فاعلموا﴾ جواب الشرط أي فإن توليتم عن طاعة الله والرسول فاعلموا أن توليكم لا يضر الرسول شيئا إنما على الرسول البلاغ وقد بلّغكم.

(٤) جملة: ﴿ثم اتقوا وآمنوا﴾ تأكيد لفظي لجملة: ﴿إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾.

(٥) يروى أن القائل: أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو سؤال اشفاق ورحمة على من مات وهو يشرب هذا المحرم.

(٦) الجناح، الإثم المترتب عن الجنح الذي هو الميل إلى المعصية وعدم الطاعة.

وبشرط الإيمان، والعمل الصالح والتقوى لسائر المحارم، ودوام الإيمان والتقوى والإحسان في ذلك بالإخلاص فيه لله تعالى.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١ـ حرمة الخمر والقمار، وتعظيم الأنصاب والاستقسام بالأزلام.

٢ـ وجوب الانتهاء من تعاطي هذه المحرمات فوراً وقول انتهينا يا ربنا كما قال عمر رضي الله عنه.

٣ـ بيان علة تحريم شرب الخمر ولعب الميسر وهي إثارة العداوة والبغضاء بين الشاربين واللاعبين والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهما قوام حياة المسلم الروحية.

٤ـ وجوب طاعة الله والرسول والحذر من معصيتهما.

٥ـ وجوب التقوى حتى الموت ووجوب الإحسان في المعتقد والقول والعمل.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ
أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ
وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ
يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ
مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾
أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ
عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ
تُحۡشَرُونَ ﴿٩٦﴾

شرح الكلمات :

ليبلونكم : ليختبرنكم .

الصيد[1] : ما يصاد.[2]

تناله أيديكم[3] : كبيض الطير وفراخه .

ورماحكم : جمع رمح ، وما ينال به هو الحيوان على اختلافه .

ليعلم الله من يخافه بالغيب : ليظهر الله تعالى بذلك الاختبار من يخافه بالغيب فلا يصيد .

فمن اعتدى (بعد التحريم) : بأن صاد بعد ما بلغه التحريم .

وأنتم حرم : جمع حرام والحرام: المُحرم لحج أو عمرة ويقال رجل حرام وامرأة حرام .

من النعم : النعم: الإبل والبقر والغنم .

ذوا عدل منكم : أي صاحبا عدالة من أهل العلم .

وبال أمره : ثقل جزاء ذنبه حيث صاد والصيد حرام .

وللسيارة : المسافرين يتزوّدون به في سفرهم . وطعام البحر ما يقذف به إلى الساحل .

معنى الآيات :

ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين ليعلمهم مؤكدا خبره بأنه يبلوهم اختباراً لهم ليظهر[4] المطيع من العاصي فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾ فحرم عليهم تعالى الصيد وهم حرم ثم ابتلاهم بوجوده بين أيديهم بحيث تناله أيديهم ورماحهم بكل يسر وسهولة على نحو ما ابتلى به بني إسرائيل في تحريم الصيد يوم السبت فكان السمك يأتيهم يوم سبتهم شُرّعاً ويوم لا يسبتون لا يأتيهم كذلك بلاهم ربهم بما كانوا يفسقون بيد أن المسلمين استجابوا لربهم

(١) أُذن للمحرم ولمن في الحرم في قتل ما يؤذِي كالحية والعقرب، والغراب والفارة وكل ما يؤذي كالأسد والنمر والذئب والفهد لقوله ﷺ: «خمس فواسق يقتلن في الحلّ والحرم: الحية والغراب الأبقع والفارة والكلب العقور والحدأة».

(٢) الصيد مصدر صاد يصيد صيداً وأطلق المصدر على اسم المفعول: المصيد فقالوا: صيدٌ.

(٣) قوله: ﴿تناله أيديكم﴾ يريد صغار الصيد، وفراخه وبيضه. ﴿ورماحكم﴾ هو كبار الصيد الذي لا يؤخذ باليد ولكن بآلة الصيد.

(٤) أي ليظهر ذلك لهم إقامة للحجة عليهم أما هو سبحانه وتعالى فعلمه بذلك أزلي سابق.

وامتثلوا أمره، على خلاف بني إسرائيل فإنهم عصوا وصادوا فمسخهم قردة خاسئين.
وقوله تعالى ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾، أي فمن صاد بعد هذا التحريم فله عذاب أليم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٤). أما الآية الثانية (٩٥) وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا[1] لا تقتلوا[2] الصيد وأنتم حرم﴾ فأكد لهم تحريم الصيد وبيّن لهم ما يترتب على ذلك من جزاء فقال ﴿ومن قتله منكم متعمداً﴾ فالحكم الواجب على من قتله جزاءً ﴿مثل ما قتل من النعم﴾ وهى الإبل والبقر والغنم ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ فالعدلان ينظران إلى الصيد وما يشبهه من النعم فالنعامة تشبه الجمل وبقرة الوحش تشبه البقرة، والغزال يشبه التيس وهكذا فإن شاء[3] من وجبت عليه بعير أو بقرة أو تيس أن يسوقه إلى مكة ا لفقراء الحرم فليفعل وإن شاء اشترى بثمنه طعاماً وتصدق به، وإن شاء صام بدل كل نصف صاع يوماً لقوله تعالى: ﴿هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً﴾ وقوله تعالى: ﴿ليذوق وبال أمره﴾ أي ثقل جزاء مخالفته وقوله تعالى: ﴿عفا الله عما سلف﴾ أي ترك مؤاخذتكم على ما مضى، وأما مستقبلاً فإنه تعالى يقول ﴿ومن عاد فينتقم[4] الله منه والله عزيز ذوانتقام﴾ ومعناه أنه يعاقبه على معصيته ولا يحول دون سراده تعالى حائل ألا فاتقوه واحذروا الصيد وأنتم حرم، هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (٩٦) فقد أخبر تعالى بعد أن حرم على المؤمنين الصيد وهم حرم وواجب الجزاء على من صاد. أخبر أنه امتناناً منه عليهم أحل لهم صيد البحر أي ما يصيدونه من البحر وهم حرم كما أحل لهم طعامه وهو ما يقذفه البحر من حيوانات[5] ميتة على ساحله ﴿متاعاً لكم وللسيارة﴾ وهم المسافرون يتزودون به في سفرهم ويحرم عليهم صيد البر ما داموا حرماً، وأمرهم بتقواه أي بالخوف من عقوبته فيلزموا طاعته بفعل ما أوجب وترك ما حرم، وذكرهم بحشرهم جميعاً إليه يوم القيامة للحساب والجزاء فقال: ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾.

---

(١) روي أنّ أبا اليسر عمرو بن مالك الأنصاري قتل حمار وحش وهو محرم بعمرة عام الحديبية فنزلت هذه الآية.
(٢) القتل لغة: إفاتة الروح وهو أنواع منها النحر، والذبح، والخنق، والرضخ وشبهه.
(٣) قالت العلماء: ما يجزىء من الصيد شيئان دواب وطير فيجزىء ما كان من الدواب بنظيره في الخلقة والصورة ففي النعامة بدنه والطير: القيمة إلا الحمام ففيه شاة.
(٤) الجمهور أنّ مَنْ صاد ودفع الجزاء ثمّ صاد كلما صاد لزمه الفداء، وبعض أهل العلم يرى أنه لا يحكم عليه بشيء ويترك لله تعالى ويقال له: ينتقم الله منك.
(٥) مذهب مالك حلية ميتة البحر مطلقا لحديث: «هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته» وحديث العنبر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ ابتلاء الله تعالى لأصحاب رسول الله ﷺ بالحديبية بكثرة الصيد بين أيديهم. وحرم عليهم صيده فامتثلوا أمر الله تعالى ولم يصيدوا فكانوا خيراً من بني إسرائيل وأفضل منهم على عهد انبيائهم.

٢ـ تحريم الصيد على المحرم إلا صيد البحر فإنه مباح له.

٣ـ بيان جزاء من صاد وهو محرم وانه جزاء مثل ما قتل من النعم.

٤ـ وجوب التحكيم فيما صاده المحرم، ولا يصح أن يكفر الصائد بنفسه.

٥ـ صيد الحرم حرام على الحرام من الناس والحلال.

۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات :

الكعبة : الكعبة كل بناء مربع والمراد بها هنا بيت الله الحرام.

قياماً للناس : يقوم به أمر دينهم بالحج إليه والاعتمار ودنياهم بأمن داخله وجبي ثمرات كل شيء إليه.

الشهر الحرام : أي المحرم والمراد به الأشهر الحرم الأربعة رجب والقعدة والحجة ومحرم.

الهـــدي : ما يهدى إلى البيت من أنواع الهدايا.

والقـلائـد : جمع قلادة ما يقلده البعير أو البقرة المهدى إلى الحرم.

البـــلاغ : بـلاغ ما أمره بإبلاغـه.

ما تبدون وما تكتمون : أي ما تظهرون وما تخفون.

الخبيـــث : مقابل الطيب وهو الحرام وهو عام في المحسوسات والمعقولات.

أولي الألبـاب : أصحاب العقــول.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿جعل[1] الله الكعبة البيت الحرام قياماً[2] للناس﴾ المراد من الناس العرب في جاهليتهم قبل الإسلام ومعنى قياماً: أن مصالحهم قائمة على وجود البيت يحج ويعتمر يأمن الآتى إليه والداخل في حرمه، وكذا الشهر[3] الحرام وهي أربعة أشهر القعدة والحجة ومحرم ورجب[4]، وكذا الهدي وهو ما يهدى إلى الحرم من الأنعام، وكذا القلائد جمع قلادة وهي ما يقلده الهدي إشعاراً بأنه مهدى إلى الحرم، وكذا ما يقلده الذاهب إلى الحرم نفسه من لحى شجر الحرم إعلاماً بأنه آت من الحرم أو ذاهب إليه فهذه الأربعة البيت الحرام والشهر الحرام والهـدى والقلائد كانت تقوم مقام السلطان بين العرب فتحقق الأمن والرخاء في ديارهم وخاصة سكان الحرم من قبائل قريش فهذا من تدبير الله تعالى لعباده وهو دال على علمه وقدرته وحكمته ورحمته ولذا قال تعالى: ﴿ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ أي حقق ذلك الأمن والرخاء في وقت لا دولة لكم فيه ولا نظام ليعلمكم أنـه يعلم ما في السمـوات ومـا في الأرض من سائر الكائنات وشتى

---

(١) الله الذي أوجد الكعبة إذ أمر خليله ببنائها فبناها هذا الإيجاد الأخير أمّا الأوّل فكان على عهد آدم عليه السلام، وجعل هنا بمعنى صيرها كذلك أي قياما للناس الذين هم العرب.

(٢) قياماً وقيما وهما من ذوات الواو فقلبت الواو ياء لأن أصل الفعل قام يقوم قواماً وقياماً.

(٣) الشهر: اسم جنس ولذا أريد به هنا الأشهر الحرم الأربعة.

(٤) يقال له رجب الأصم لأنه لا يسمع فيه قعقعة السلاح ويقال: رجب مضر لأن مضر كانت تعظّمه أكثر من غيره، والأصب حيث يصب فيه الخير صباً.

المخلوقات لا يخفى عليه من أمرها شيء، وأنه بكل شيء عليم فهو الإله الحق الذي لا إله غيره ولا رب سواه فاعبدوه، وتوكلوا عليه واتركوا عبادة غيره والنظر إلى سواه، وإن لم تفعلوا فسوف يعاقبكم بذلك أشد العقوبة وأقساها فإنه عز وجل شديد العقاب فاعلموا ذلك واتقوه.

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٩٧) والثانية (٩٨) أما الآية الثالثة (٩٩) فقد أكدت مضمون قوله تعالى في الآية الثانية ﴿ اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ وهو وعيد شديد فقال تعالى ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾[1] وقد بلَّغ، فأنذر وأعذر، وبقي الأمر إليكم إن أنبتم إلى ربكم وأطعتموه فإنه يغفر لكم ويرحمكم لأنه غفور رحيم، وإن أعرضتم وعصيتم فإنه يعلم ذلك منكم ويؤاخذكم به ويعاقبكم عليه وهو شديد العقاب وقوله ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ وعد ووعيد لأن علمه تعالى بالظواهر والبواطن يترتب عليه الجزاء فإن كان العمل خيراً كان الجزاء خيراً وإن كان العمل شراً كان الجزاء كذلك.

هذا مضمون الآية الثالثة أما الرابعة (١٠٠) فإنه تعالى يقول لرسوله ﷺ قل للناس أيها الناس أنه ﴿لا يستوي الخبيث[2]﴾ من المعتقدات والأقوال والأعمال والرجال والأموال[3]، ﴿والطيّب﴾ منها، ولو أعجبتكم[4] أي سرتكم كثرة الخبيث فإن العبرة ليست بالكثرة والقلة وإنما هي بالطيّب النافع غير الضار ولو كان قليلاً، وعليه ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾ أي خافوه فامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه رجاء حصول الفلاح لكم بالنجاة من المرهوب والحصول على المرغوب المحبوب.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان عظيم تدبـير الله تعـالى لخلقـه، إذ أمّن مصالح قريش والعرب فأوجد لهم أمناً

---

(١) أي ليس عليه هداية الناس ولا التوفيق ولا الثواب. وأصل البلاغ: البلوغ وهو الوصول، بلغ المكان يبلغه وصل إليه، وأبلغه الشيء أوصله إليه فعلى الرسول إبلاغ أمر الله ونهيه وأخباره إلى عباده بأسلوب بلاغي يصل به إلى نفوسهم في أطيب لفظ وأحسنه.

(٢) الخبيث لا يساوي الطيب مقداراً ولا انفاقا ومكاناً ولا ذهاباً فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ ذات الشمال، والطيّب والطيّبون في الجنة، والخبيث والخبثاء في النار.

(٣) قالت العلماء: في قوله: ﴿لا يستوي الخبيث﴾ الآية دليل على أنّ البيع الفاسد يفسخ ويرد الثمن على المبتاع وشاهده من السنة قوله ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ».

(٤) الخطاب في قوله ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ الخطاب صالح لكل من هو أهل للخطاب والانتفاع به من عقلاء هذه الأمة ولذا قلت في التفسير ولو أعجبتكم ولم أقل: أعجبتك.

واستقراراً وتبع ذلك هناءة عيش وطيب حياة بما ألقى في قلوب عباده من احترام وتعظيم للبيت الحرام والشهر الحرام، والهدي والقلائد، الأمر الذى لا يقدر عليه إلا الله.

٢ـ بيان مسئولية الرسول أزاء الناس وأنها البلاغ لا غير وقد بلغ ﷺ.

٣ـ تقرير الحكمة القائلة العبرة بالكيف لا بالكم فمؤمن واحد أنفع من عشرة كفرة ودرهم حلال خير من عشرة حرام وركعتان متقبلتان خير من عشرة لا تقبل.

٤ـ الأمر بالتقوى رجاء فلاح المتقين.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ
عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات:

إن تبد لكم : تظهر لكم تضركم.

---

(١) من الأحناف من يمنع الحبس، والوقف تعلّقا واستدلالا بهذه الآية وهو محجوج بإجماع الصحابة لحديث عمر في الصحيح إذ قال له الرسول ﷺ «احبس الأصل وسبّل الثمرة».

(٢) وذلك إذا نتجت خمسة أبطن فإن كان الخامس ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثى بحروا أذنها أي شقوها وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها، والسائبة، بعير يسيب بنذر ينذره أحدهم للآلهة إن حصل له كذا سيّب كذا وتترك فلا تمنع من رعي ولا ماء ولا يركبها أحد.

عفا الله عنها	: سكت عنها فلم يذكرها أو لم يؤاخذكم بها.
سألها قوم	: طلبها غيركم من الأمم السابقة.
ما جعـل الله	: أي ما شـرع.
بحيرة ولا سائبة	: البحيرة: الناقة تبحر أذنها أي تشق، والسائبة: الناقة تسيّب.
ولا وصيلة ولا حام	: الـوصيلة: الناقة يكون أول إنتاجها أنثى، والحام: الجمل يحمى ظهره للآلهة.
ما أنزل الله	: من الحـق والخير.
ما وجدنا عليه آباءنا	: مـن الباطل والضلال.

معنى الآيات:

لقد أكثر بعض الصحابة من سؤال رسول الله ﷺ حتى تضايق منهم فقام خطيباً فيهم وقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم».. فقام رجل يدعى عبدالله بن حذافة كان إذا تلامى مع رجل دعاه إلى غير أبيه فقال من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك حذافة، وقال أبوهريرة: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ لا ولوقلت نعم، لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم» فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء[1] إن تبد لكم تسؤكم﴾ أي تظهر لكم جواباً لسؤالكم يحصل لكم بها ما يسؤكم ويضركم، ﴿وإن[2] تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾ أي يبينها رسولنا لكم. أما أن تسألوا عنها قبل نزول القرآن بها فذلك مالا ينبغي لكم لأنه من باب إحفاء رسول الله وأذيته ثم قال تعالى لهم: ﴿عفا الله عنها﴾ أي لم يؤاخذكم بما سألتم ﴿والله غفور حليم﴾، فتوبوا إليه يتب[3] عليكم واستغفروه يغفر لكم ويرحمكم فإنه غفور رحيم. وقوله تعالى: ﴿قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾ أي قد سأل أسئلتكم التنطعية

(١) ممنوع من الصرف لأنّه مشبه بحمراء. في الآية دليل على كراهة السؤال لغير حاجة وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات، وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

(٢) إن قيل: ما وجه أنه تعالى نهاهم عن السؤال ثم أذن لهم بقوله: «وإن تسألوا عنها..» الخ؟ الجواب: إن تسألوا عن غيرها مما دعت الحاجة إليه، ففي الكلام حذف مضاف كما قدّمناه فتأمله.

(٣) بعـد انقطاع الوحي أمن الناس من نزول ما قد يسوء ومع هذا فإن سؤال التنطع والتعنت مكروه دائما وفي الحديث الصحيح: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه».

المحرجة هذه قوم من قبلكم ﴿فأصبحوا بها كافرين﴾[1]، لأنهم كلفوا ما لم يطيقوا وشق عليهم جزاء تعنتهم في أسئلتهم لأنبيائهم فتركـوا العمل بها فكفروا. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٠١) والثانية (١٠٢) وأما الثالثة (١٠٣) فقد قال تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ ومن الجائز أن يكون هناك من يسأل الرسول عن البحيرة وما بعدها فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ أي ما بحر الله بحيرة ولا سيب سائبة ولا وصل وصيلة ولا حَمَىَ حَامِياً، ولكن الذين كفروا هم الذين فعلوا ذلك افتراء على الله وكذباً عليه ﴿وأكثرهم لا يعقلون﴾، ولو عقلوا ما افتروا على الله وابتدعوا وشرعوا من أنفسهم ونسبوا ذلك إلى الله تعالى، وأول من سيب السوائب وغير دين اسماعيل عليه السلام عمرو بن لحي الذي رآه رسول الله ﷺ يجرُّ قَصْبه في النار أي أمعاءه في جهنم. هذا ما تضمنته الآية الثالثة أما الرابعة (١٠٤) فقد أخبر تعالى أن المشركين المفترين على الله الكذب بما ابتدعوه من الشرك إذ قيل لهم ﴿تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾ ليبين لكم كذبكم وبـاطلكم في بحـر البحـائـر وتسييب السـوائب، يرفضون الرجوع إلى الحق ويقولون: ﴿حسبنا﴾ أي يكفينا ﴿ما وجدنا عليه آباؤنا﴾ فلسنا في حاجة إلى غيره فرد تعالى عليهم منكراً عليهم قولهم الفاسد ﴿أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً﴾ أي يتبعونهم ويحتجون بباطلهم ولو كان أولئك الآباء جهالاً حمقاً لا يعقلون شيئاً من الحق، ﴿ولا يهتدون﴾ إلى خير أو معروف.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ كراهية الإلحاف في السؤال والتقعر في الأسئلة والتنطع فيها.

٢ـ حرمة الابتداع في الدين وأنه سبب وجود الشرك في الناس.

٣ـ وجوب رد المختلف فيه إلى الكتاب والسنة والرضا بحكمهما.

٤ـ حرمة تقليد الجهال واتباعهم في أباطيلهم.

---

(١) من أمثلة ذلك: سؤال قوم صالح الناقة، وقوم عيسى المائدة، وفي الآية تحذير للمؤمنين أن يقعوا فيما وقع فيه غيرهم فيهلكوا كما هلكوا. وفي صحيح مسلم يقول الرسول ﷺ: «إنّ أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرّم عن المسلمين فحرم من أجل مسألته».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥)

شرح الكلمات :

آمنوا : صدقوا الله ورسوله واستجابوا لهما بفعل المأمور وترك المنهي .

عليكم أنفسكم[١] : ألزموا أنفسكم هدايتها وإصلاحها .

إذا اهتديتم : إلى معرفة الحق ولزوم طريقه .

إلى الله مرجعكم جميعاً : ضلّالاً ومهتدين .

فينبئكم : يخبركم بأعمالكم ويجازيكم بها .

معنى الآية الكريمة :

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين فيقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا بالله ورسوله ووعد الله ووعيده ﴿عليكم أنفسكم﴾[٢] ألزموها الهداية والطهارة بالإيمان والعمل الصالح وإبعادها عن الشرك والمعاصي، ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ : أي أن ضلال غيركم غير ضار بكم إن كنتم مهتدين إذ لا تزر وازرة وزر أخرى، كل نفس تجزى بما كسبت لا بما كسب غيرها ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها إلا أن من الاهتداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ترك المؤمنون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يعتبرون مهتدين إذ السكوت عن المنكر يكثر وينتشر سيؤدي حتما إلى أن يصيب المؤمنين فيفقدون هدايتهم ولذا قام أبوبكر الصديق رضى الله عنه خطيباً يوماً فقال : (يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية : ﴿يا أيها الذين[٣] آمنوا عليكم أنفسكم[٤] . الخ﴾ وإنكم تضعونها على غير

---

(١) وإن قيل في معنى احفظوا أنفسكم من الوقوع في المعاصي لكان وجيها لأنّ عليكم اسم فعل بمعنى احفظ كذا.

(٢) في الآية التحذير مما وقع فيه مَنْ تقدّم ذكرهم من التقليد الأعمى والابتداع المضر المهلك وهو وجه المناسبة بين هذه الآية وما سبقها من الآيات.

(٣) قيل هذه الآية هي الوحيدة التي جمعت بين الناسخ والمنسوخ، فالناسخ فيها قوله : ﴿إذا اهتديتم﴾ والمنسوخ هو ﴿عليكم أنفسكم﴾ إذ من اهتدى لا يضره من ضل ولا تتم الهداية إلا بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٤) ورد بدل تضعونها . الخ : وتتأوّلونها على غير تأويلها. أنفسكم منصوب على الاغراء الدال عليه اسم الفعل عليكم

موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب» وقوله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيه وعد ووعيد، وعد لمن أطاع الله ورسوله، ووعيد لمن عصاهما.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب إصلاح المؤمن نفسه وتطهيرها من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

٢ـ ضلال الناس لا يضر المؤمن إذا أمرهم بالمعروف[١] ونهاهم عن المنكر.

٣ـ تقرير مبدأ البعث الآخر.

٤ـ للعمل أكبر الأثر في سعادة الإنسان أو شقائه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ
فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ
أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ
مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ

(١) قالت العلماء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتعيّن متى رُجي القبول والتغيير فإن كان هناك عدم رجاء فلا يجب الأمر والنهي. وكذا يسقط إذا خاف ضررا يلحقه لا يقوى عليه أو يلحق غيره من المسلمين.

أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ[1] ﴿١٠٨﴾

شـرح الكلمـات :

شهادة بينكـم	: الشهادة: قول صادر عن علم حاصل بالبصر أو البصيرة، وبينكم: أي شهادة بعضكم على بعض.
إن أنتم ضربتم في الأرض	: أي بأن كـنتم مسافرين.
من بعد الصلاة	: صـلاة العصـر.
إن ارتبتم	: شككتـم في سلامة قولهما وعدالته.
فإن عثـر	: أي وقف على خيانة منهما فيما عهد به إليهما حفظه.
أدنـى	: أقـرب.
على وجههـا[2]	: أي صحيحة كما هي لا نقص فيها ولا زيادة.
الفاسـقين	: الذين لم يلتزموا بطاعة الله ورسوله في الأمر والنهي.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في إرشاد المؤمنين وتعليمهم وهدايتهم إلى ما يكملهم ويسعدهم ففي هذه الآيات الثلاث (١٠٦)، (١٠٧)، (١٠٨) ينادي الله تعالى عباده المؤمنين فيقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذ حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ أي ليشهد اثنان ﴿ذوا عدل منكم﴾ أي من المسلمين على وصية أحدكم إذا حضرته الوفاة، أو ليشهـد اثنـان من غيركم أي من غير المسلمين ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض﴾ أي كنتم مسافرين ولم يوجد مع من حضره الموت في السفر إلا كافر، فإن ارتبتم في صدق خبرهما وصحة

---

(١) هذه الآية نزلت فيما ذهب إليه أكثر المفسرين: في تميم الداري وعدي بن بداء إذ روى البخاري وغيره أن تميم الداري وابن بداء كانا يختلفان إلى مكة فخرج معهما: فتى من بني سهم فتوفي بأرض ليس فيها مسلم فأوحى إليهما فدفعا تركته إلى أهله وحبسا جاماً (إناء) من فضة مخوصاً بالذهب فاستحلفهما رسول الله ﷺ «ما كتمتما ولا أطلعتما» ثم وجد الجام بمكة فقالوا اشتريناه من عدي وتميم فجاء رجلان من ورثة السهمي فحلفا أنّ هذا الجام للسهمي ولشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا قال: فأخذوا الجام وفيهم نزلت هذه الآية
«لفظ الدارقطني» والظاهر أن استحلاف الرسول ﷺ لهما: كان بعد نزول الآية مبيّنة طريق الحكم في هذه القضية فاتبعها الرسول ﷺ وحكم بينهم بما في الآية نصّاً وروحاً والله أعلم.

(٢) أي غير مشوّه بالتغيير والتبديل والنقص والزيادة، والتعبير بالوجه شائع يقال: جاء بالشيء الفلاني على وجهه أي: من كمال أحواله.

شهادتهما فاحبسوهما أي أوقفوهما بعد صلاة العصر في المسجد ليحلفا لكم فيقسمان بالله فيقولان والله لا نشتري بأيماننا ثمناً قليلاً، ولو كان المقسم عليه أوالمشهودعليه ذا قربى أي قرابة، ﴿ولا نكتم شهادة الله، إنا إذاً﴾ أي إذا كتمنا شهادة الله ﴿لمن الآثمين﴾ ﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثمًا﴾ أي وإن وجد أن الذين حضرا الوصية وحلفا على صدقهما فيما وصاهما به من حضره الموت إن وجد عندهما خيانة أو كذب فيما حلفا عليه، ﴿فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان﴾[1] فيقسمان بالله قائلين والله: لشهادتنا أحق من شهادتهما أي لأيماننا أصدق وأصح من أيمانهما، ﴿وما اعتدينا﴾ أي عليهما باتهام باطل، إذ لو فعلنا ذلك لكنا من الظالمين، فإذا حلفا هذه اليمين استحقا ما حلفا عليه ورد إلى ورثة الميت ما كان قد أخفاه وجحده شاهداالوصية عند الموت، قال تعالى: ﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ أي أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة عادلة لا حيف فيها ولا جور وقوله ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾، أي وأقرب إلى أن يخافوا أن ترد أيمانهم فلا يكذبوا خوف الفضيحة، وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوه أيها المؤمنون فلا تخرجوا عن طاعته، ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به واستجيبوا لله فيه، فإن الله لا يهدي إلى سبيل الخير والكمال الفاسقين الخارجين عن طاعته، فاحذروا الفسق واجتنبوه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- مشروعية الوصية في الحضر والسفر معاً، والحث عليها والترغيب فيها.

٢- وجوب الإشهاد على الوصية.

٣- يجوز شهادة غير المسلم[2] على الوصية إذا تعذر وجود مسلم[3].

٤- استحباب الحلف بعد صلاة العصر تغليظاً في شأن اليمين.

---

(١) واحد الأوليان: الأولى بمعنى الأجدر والأحق، وعرفا باللّام العهدية لأنه معهود للمخاطب ذهنا، والأوليان: الأحقّان بالشهادة لقرابتهما من الميت، قال أهل العلم إنّ هذه الآية في غاية الصعوبة إعرابا ونظما وحكما.

(٢) هذا بناء على أن الآية غير منسوخة وهو قول الأقلية كأحمد بن حنبل رحمة الله تعالى وهو الراجح والآية دلالتها قوية عليه، وأما التخوف من قوله تعالى: ﴿وأشهدواذوي‌عدل منكم﴾ فلا داعي إليه مع وجود ضرورة السفر وانعدام وجود المسلم، كما لا محذور من تحليف الشاهد إذا حامت حوله ريبة أوشك في عدالته لاسيما في ظروف تقل فيها العدالة لفساد أحوال الناس. ولهذا ذهبت في تفسير الآية على أنّها محكمة والعمل بها جائز.

(٣) وممن قال بعدم نسخ هذه الآية وأنها محكمة والعمل بها من الصحابة: أبو موسى الأشعري وقضى بها، وعبدالله بن قيس، وعبدالله بن عباس، ومن التابعين سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وابراهيم النخعي وغيرهم، ومن الأئمة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحم الله الجميع.

٥ـ مشروعية تحليف الشهود إذا ارتاب القاضي فيهم أو شك في صدقهم.

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ
لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِيۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

شرح الكلمات:

يوم يجمع الله الرسل[1] : أي اذكر يوم يجمع الله الرسل وذلك ليوم القيامة.

الغيوب : جمع غيب: وهو ما غاب عن العيون فلا يدرك بالحواس.

أيدتك : قويتك ونصرتك.

بروح القدس : جبريل عليه السلام.

المهد : سرير الطفل الرضيع.

---

(١) وجه اتصال هذه الآية بسابقتها ظاهر، إذ أمرهم تعالى في الآية الأولى بالتقوى والسمع والطاعة لأوامره ونواهيه، وذكّرهم في هذه الآية بأهوال يوم القيامة ليكون ذلك حافزاً لهم على التقوى مقوّيا لهم على السمع والطاعة.

الكهــــل	: من تجاوز سن الشباب أي ثلاثين سنة.
الكتـــاب	: الخـــط والكتابة.
والحكمــــة	: فهم أسـرار الشرع، والإصابة في الأمور كلها.
تخلق كهيئة الطير	: أي توجد وتقدر هيئة كصورة الطير.
الأكـمه والأبرص	: الأكمه: من ولد أعمى، والأبرص: من به مرض البرص.
تخرج الموتى	: أي أحياء من قبورهم.
كــفـفت	: أي منــعت.
الحواريــون	: جمع حواري: وهو صادق الحب في السر والعلن.

معنى الآيـات:

يحذر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين من أهوال البعث الآخر يوم[1] يجمع الرسل عليهم السلام ويسألهم وهو أعلم بهم: ﴿فيقول: ماذا أجبتم؟﴾ أطاعتكم أممكم أم عصتكم؟ فيرتج عليهم ويذهلون ويفوضون الأمر إليه تعالى ويقولون: ﴿لا علم لنا[2]: انك أنت علام الغيوب﴾، إذا كان هذا حال الرسل فكيف بمن دونهم من الناس ويخص عيسى عليه السلام من بين الرسل والكلام في هذا الموقف العظيم، لأن أمتين كبيرتين غوت فيه وضلت اليهود ادعوا أنه ساحر وابن زنى، والنصارى ادعوا أنه الله وابن الله، فخاطبه الله تعالى وهم يسمعـون: ﴿يا عيسى بن مريم اذكـر نعمتي عليك وعـلى والدتك﴾ فأنت عبدي ورسولي وأمك أمتي، وذكر له أنواع نعمه عليه فقال: ﴿إذ أيدتك[3] بروح القدس﴾، جبريل عليه السلام ﴿تكلم الناس في المهد﴾ وأنت طفل. إذ قال وهو في مهده ﴿إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ وقوله ﴿و كهلاً﴾ أي وتكلمهم وأنت كهل أيضاً وفيه بشرى لمريم أن ولدها يكبر ولا يموت صغيراً وقد كلم الناس وهو شاب وسيعود إلى الأرض ويكلم الناس وهو كهل ويعدد نعمه عليه

---

(١) ﴿يومَ﴾ منصوب على الظرفية معمول لـ اسمعوا لفعل محذوف يقدّر بـ اذكروا.

(٢) أي: لا علم لنا بباطن ما أجاب به أممنا، ويشهد له حديث الصحيح: «يرد عليّ أقوام الحوض فيختلجون فأقول: أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

(٣) أي: قويتك مأخوذ من الأيد الذي هو القوة ومنه قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾.

فيقول: ﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة﴾، فكنت تكتب الخط وتقول وتعمل بالحكمة، وعلمتك التوراة كتاب موسى عليه السلام والإنجيل الذي أوحاه إليه ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾ فيكون طيراً بإذني أي اذكر لما طالبك بنوّ إسرائيل بآية على نبوتك فقالوا لك اخلق لنا طيراً فأخذت طيناً وجعلته على صورة طائر وذلك بإذني لك ونفخت فيه بإذني فكان طائراً، واذكر أيضاً ﴿إذ تبرىء الأكـمة﴾ وهو الأعمى الذي لا عينين له، ﴿والأبرص بإذني﴾ أي بعوني لك وإقداري لك على ذلك ﴿وإذ تخرج الموتى﴾ من قبورهم أحياء فقد أحيا عليه السلام عدداً من الأموات بإذن الله تعالى ثم قال بنو إسرائيل أحيي لنا سام بن نوح فوقف على قبره وناداه فقام حياً من قبره وهم ينظرون، واذكر ﴿إذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات[1]﴾ فكذبوك وهموا بقتلك وصلبك، ﴿فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾. واذكر ﴿إذ أوحيت[2] إلى الحواريين﴾ على لسانك ﴿أن آمنوا بي وبرسولي﴾ أي بك يا عيسى ﴿قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾ أي منقادون مطيعون لما تأمرنا به من طاعة ربنا وطاعتك.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١ـ شدة هول يوم القيامة وصعوبة الموقف حتى إن الرسل ليذهلون.

٢ـ وجوب الاستعداد لذلك اليوم بتقوى الله تعالى.

٣ـ توبيخ اليهود والنصارى بتفريط اليهود في عيسى وغلو النصارى فيه.

٤ـ بيان إكرام الله تعالى لعيسى وما حباه به من الفضل والإنعام.

٥ـ ثبوت معجزات عيسى عليه السلام وتقريرها.

إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم

---

(١) أي: الدلالات والمعجزات وهي المذكورة في هذه الآيات من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى.

(٢) الوحي يكون بمعنى الإلهام لغير الرسول أمّا الرسول فطرق الوحي إليهم جاءت في آخر سورة الشورى.

مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :

هل يستطيع : هل يطيع ويرضى.

مائدة من السماء : المائدة: الخوان وما يوضع عليه أوالطعام والمراد بها هنا الطعام.

وتطمئن قلوبنا : أي تسكن بزيادة اليقين فيها.

ونكون عليها من الشاهدين : أي نشهد أنها نزلت من السماء.

عيــــداً : أي يوماً يعود علينا كل عام نذكر الله تعالى فيه ونشكره.

وآية منـك : علامة منك على قدرتك ورحمتك، ونبوة نبيك.

فمن يكفر بعد منكم : فمن يكفر بعد نزول المائدة منكم أيها السائلون للمائدة.

أحداً من العالمين : أي من النـاس أجمعين.

معنى الآيـات :

يقول تعالى لعبده ورسوله عيسى واذكر ﴿إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾، ﴿إذ قال الحواريون﴾: ﴿هل يستطيع[1] ربك أن ينزل

(١) اضطربت نفوس المؤمنين في توجيه هذه العبارة: (هل يستطيع ربك..) كيف يقول هذا أنصَار الله الحواريون وهو دالّ دلالة واضحة على جهل بالله تعالى وعدم معرفة الأدب مع نبيّه عيسى عليه السلام، فمن قائل: أنّ يستطيع بمعنى: يطيع أي: هل يطيعك ربّك في هذا؟ ومن قائل: إن قراءة (هل يستطيع) بالتاء، وربك معمول أي: هل تقدر على سؤال ربّك أن =

علينا مائدة من السماء؟﴾ ولما كان قولهم هذا دالاً على شك في نفوسهم وعدم يقين في قدرة ربهم قال لهم عيسى عليه السلام ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ فلا تقولوا مثل هذا القول. فاعتـذروا عن قيلهم الباطل ﴿وقالوا: نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا، ونكون عليها من الشاهدين﴾ أنها نزلت من السماء بسؤالك ربك ذلك وهنا قال عيسى عليه السلام داعياً ربه ضارعاً إليه ﴿اللهم﴾ أي يا الله ﴿ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، تكون لنا عيداً لأولنا﴾ أي للموجودين الآن منا ﴿وآخرنا﴾ أي ولمن يأتون بعدنا، ﴿وآية منك﴾، أي وتكون آية منك أي علامة على وحدانيتك وعظيم قدرتك، وعلى صدقي في إرسالك لي رسولاً إلى بني إسرائيل، ﴿وارزقنا﴾ وأدم علينا رزقك وفضلك ﴿وأنت خير الرازقين﴾، فأجابه تعالى قائلا: ﴿إني منزلها عليكم﴾، وحقاً قد أنزلها[1]، ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ يا بني إسرائيل السائلين المائدة بأن ينكر توحيدي أو رسالة رسولي، أو عظيم قدرتي ﴿فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾، ولذا مسخ من كفروا منهم قردة وخنازير.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ جفاء اليهود وغطرستهم وسوء أدبهم مع أنبيائهم إذ قالوا لموسى ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ وقالوا لعيسى ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾.

٢ـ في قول عيسى لهم ﴿اتقوا الله﴾ دال على أنهم قالوا الباطل كما أن قولهم: ﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ دال على شكهم وارتيابهم.

٣ـ مشروعية الأعياد الدينية لعبادة الله بالصلاة والذكر شكراً لله تعالى وفي الإسلام عيدان: الأضحى والفطر.

٤ـ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة آل فرعون والمنافقون ومن كفر من أهل المائدة.

=ينزل الخ ومن قائل إنّ هذا كان منهم في أوّل أمرهم قبل أن يتعلموا، ومن قائل: أنّ هذا صدر ممن كان مع الحواريين ولم يكن من الحواريين، وما ذكرته في التفسير أولى لانسجامه مع السياق إذ قول عيسى لهم: اتقوا الله، وقولهم: ونعلم أن قد صدقتنا دال على جهلهم بالله ومقام عيسى عليه السلام، وقد يكون أصحاب هذا القول ليسوا من فضلاء الحواريين ولكن كالذين قالوا لرسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط وكالذين قالوا لموسى عليه السلام: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة والله أعلم.

(١) روى الترمذي عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً».

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى
وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى
نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ
وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ
يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

شرح الكلمات :

إلهين : معبودين يعبدان من دوني.

سبحانك : تنزيهاً لك وتقديساً.

ما يكون لي : ما ينبغي لي ولا يتأتى لي ذلك.

شهيداً : رقيباً.

الرقيب : الحفيظ.

إن تعذبهم : أي بنارك فإنهم عبادك تفعل بهم ما تشاء.

وإن تغفر لهم : أي تستر عليهم وترحمهم بأن تدخلهم جنتك.

العزيز الحكيم : العزيز: الغالب الذي لا يحال بينه وبين مراده، الحكيم: الذي يضع كل شيء في موضعه فيدخل المشرك النار، والموحد الجنة.

الصــادقين : جمع صادق: وهو من صدق ربه في عبادته وحده.
ورضـوا عنه : لأنه أثابهم بأعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار.
على كل شيء قدير : أي على فعل أي شيء تعلقت به إرادته وأراد فعله فإنه يفعله ولا يعجزه بحال من الأحـوال.

معنى الآيـات :

يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ واذكر لقومك ﴿إذ قال الله﴾[1] تعالى يوم يجمع الرسل ويسألهم ماذا أجبتم، ويسأل عيسى بمفرده توبيخاً للنصارى على شركهم ﴿يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين﴾ أي معبودين يقرره بذلك فينفي عيسى ذلك على الفـور ويقـول منزهاً ربه تعالى مقدساً ﴿سبحانك[2] ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾، ويؤكد تفصيه مما وجه إليه توبيخاً لقومه: ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾ يا ربي، إنك ﴿تعلم ما في نفسي﴾ فكيف بقولي وعملي، وأنا ﴿لا أعلم ما في نفسك﴾ إلا أن تعلمني شيئـاً، لأنـك ﴿أنت علام الغيوب﴾ ما ﴿قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ أن أقوله لهم وهو ﴿اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيداً[3]﴾ أي رقيقاً ﴿فلما توفيتني﴾ برفعي إليك ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ ترقب أعمالهم وتحفظها لهم لتجزيهم بها. ﴿وأنت على كل شيء شهيد﴾ رقيب وحفيظ. ﴿إن تعذبهم﴾ أي من مات منهم على الشرك بأن تصليه نارك فأنت على ذلك قدير، ﴿وإن تغفر لهم﴾ أي لمن مات على التوحيد فتدخله جنتك فإنه لذلك أهل فإنك أنت العزيز الغالب على أمره الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا ينعم من أشرك به ولا يعذب من أطاعه ووحده. فأجابه الرب تبارك وتعالى قائلا: ﴿هذا يوم[4] ينفع الصادقين صدقهم﴾: صدقوا الله تعالى في إيمانهم به فعبدوه وحده لا شريك له ولم يشركوا

---

(١) هذا مثل أتى أمر الله أتى بصيغة الماضي لتحقق الوقوع وكذلك هناك (إذ قال) فهو بمعنى يقول: اذكر إذ يقول الله يا عيسى.. الخ.
(٢) أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال: «تلقى عيسى حجته ولقّاه الله في قوله: ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميّ إلهين من دون الله﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ فلقاه الله: ﴿سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ الآية.
(٣) شهيداً: أي رقيباً أراعي أحوالهم وأدعوهم إلى العمل بطاعتك وأنهاهم عن مخالفتك.
(٤) قال الله هذا يوم ينفع الصادقين... » الخ كلام مستأنف ختم به الحديث عما يقع يوم يجمع الله الرسل فذكر ثواب الصادقين وهو الجنة ورضوان الله وهو الفوز العظيم.

سواه. ونفعه لهم أن أدخلوا به جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها لا يخرجون منها أبداً، مع رضى الله تعالى عنهم ورضاهم عنه بما أنعم به عليهم من نعيم لا يفنى ولا يبيد، ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ أنه نجاة من النار ودخول الجنات. وفي الآية الأخيرة (١٢٠) يخبر تعالى أن له ﴿ملك[١] السموات والأرض ومافيهن﴾ من سائر المخلوقات والكائنات خلقاً وملكاً وتصرفاً يفعل فيها ما يشاء فيرحم ويعذب ﴿وهو على كل شيء قدير[٢]﴾ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ توبيخ النصارى في عرصات القيامة على تأليه عيسى ووالدته عليهما السلام.

٢ـ براءة عيسى عليه السلام مِنْ مشركي النصارى وأهل الكتاب.

٣ـ تعذيب المشركين وتنعيم الموحدين قائم على مبدأ الحكمة الإلهية.

٤ـ فضيلة الصدق وأنه نافع في الدنيا والآخرة، وفي الحديث: «عليكم بالصدق[٣] فإنه يدعو إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً».

٥ـ سؤال غير الله شيئاً ضرب من الباطل والشرك، لأن غير الله لا يملك شيئاً، ومن لا يملك كيف يعطي ومن أين يعطي؟

---

(١) في هذه الآية البرهنة الصحيحة على ألوهية الله تعالى وربوبيته للعالمين وإبطال دعوى النصارى في تأليه عيسى وأمّه عليهما السلام.

(٢) فما تعلقت إرادته بشيء فأراده إلّا كان كما أراد من سائر الممكنات.

(٣) أخرجه غير واحد من أصحاب الصحاح والسنن.

سُورَةُ الأَنْعَامِ (1)

مكيـــــة

وآياتهـا خمس وستون ومائة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ
وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

شـرح الكلمـات :

الحـمـد(2) : الثناء باللسان على المحمود بصفات الجمال والجلال .

خلـــق : أنشـأ وأوجـد .

يعدلـــون : يسـوون به غيره فيعبدونه معه .

الأجـــل : الـوقت المحدد لعمل ما من الأعمال يتم فيه أو ينتهي فيه ، والأجل الأول أجل كل إنسـان ، والثاني أجل الدنيا .

تمتـــرون : تشكّـون في البعث الآخـر والجـزاء : كما تشكون في وجوب توحيده بعبادته وحده دون غيره .

وهو الله في السموات : أي معبـود في السموات وفي الأرض .

---

(1) روى الطبراني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة وشيّعها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد ، وسميت بالأنعام لذكر لفظ الأنعام فيها ست مرّات نزلت بمكة ليلاً» .

(2) الحمد لله : تفيد استغراق المحامد لله تعالى إذ ال للاستغراق واللّام للاستحقاق فجميع المحامد مستحقة لله تعالى ، والقصر في الحمد لله قصر إضافي دال على إبطال حمد المشركين لآلهتهم الباطلة .

ما تكسبون : أي من خير وشر، وصلاح فساد.

معنى الآيات :

يخبر تعالى بأنه المستحق للحمد كله وهو الوصف بالجلال والجمال والثناء بهما عليه وضمن ذلك يأمر عباده أن يحمدوه كأنما قال قولوا الحمد لله، ثم ذكر تعالى موجبات حمده دون غيره فقال: ﴿الذي خلق السموات[1] والأرض[2] وجعل الظلمات والنور﴾، فالذي أوجد السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات وجعل الظلمات[3] والنور وهما من أقوى عناصر الحياة هو المستحق للحمد والثناء لا غيره ومع هذا فالذين كفروا من الناس يعدلون به أصناماً وأوثاناً ومخلوقات فيعبدونها معه يا للعجب !!

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١) أما الآية الثانية (٢) فإنه تعالى يخاطب المشركين موبخاً لهم على جهلهم منددا بباطلهم فيقول: ﴿هو الذي خلقكم من[4] طين﴾ لأن آدم أباهم خلقه من طين ثم تناسلوا منه فباعتبار أصلهم هم مخلوقون من طين ثم الغذاء الذي هو عنصر حياتهم من طين، ثم قضى لكلٍ أجلاً وهو عمره المحدد له وقضى أجل الحياة كلها الذي تنتهي فيه وهو مسمى عنده معروف له لا يعرفه غيره ولا يطلع عليه سواه وللحكم عالية أخفاه، ثم أنتم أيها المشركون الجهلة تشكُّون في وجوب توحيده، وقدرته على إحيائكم بعد موتكم[5] لحسابكم ومجازاتكم على كسبكم خيره وشره، حسنه وسيئه، وفي الآية الثالثة (٣) يخبر تعالى أنه هو الله المعبود بحق في السموات[6] وفي الأرض لا إله غيره ولا رب سواه ﴿يعلم

---

(١) ﴿الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ هاتان الجملتان هما مقتضيات الحمد لله وموجباته له تعالى، إذ مَنْ أوجد الكون كلّه وهو جواهر وأعراض، فالجواهر السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، والأعراض الظلمة والنور هو المستحق للعبادة دون غيره فأبطل بهذا عبادة الأجسام كالأصنام والملائكة والأنبياء، وعبادة الأعراض كالظلمة والنور إلها المانوية.

(٢) الأرض: اسم جنس، فالمراد بالأرض: الأرضون السبع كالنور اسم جنس والمراد به كل نور.

(٣) من رشاقة الكلم جعل خلق للأجسام وجعل للأعراض في قوله: ﴿خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾.

(٤) قال القرطبي هل في هذه الآية دليل على أنّ الجواهر من جنس واحد؟ الجواب: نعم لأنّه إذا جاز أن ينقلب الطين إنسانا حياً قادراً عليما جاز أن ينقلب إلى كل حال من أحوال الجواهر إذ صح انقلاب الجماد إلى حيوان بدلالة هذه الآية.

(٥) ذكره تعالى أصل خلق الناس من طين فيه إشارة إلى الردّ على منكري البعث المحتجين على عدم إمكان الحياة الآخرة بكونهم بعد الموت يصيرون ترابا، وجهلوا أنّ صيرورتهم إلى تراب هو دليل إعادتهم إلى خلقهم من جديد إذ عادوا إلى أصل خلقهم ليعودوا إلى حياة أكمل من حياتهم الأولى.

(٦) قال القرطبي في تفسير هذه الآية: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ أي: وهو الله المعظّم والمعبود في السموات وفي الأرض كما تقول: زيد الخليفة في الشرق والغرب أي حكمه.

سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ من خير وشر فهو تعالى فوق عرشه بائن من خلقه ويعلم سر عباده وجهرهم ويعلم أعمالهم وما يكتسبون بجوارحهم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لذا وجبت الرغبة فيما عنده من خير، والرهبة مما لديه من عذاب، ويحصل ذلك لهم بالإنابة إليه وعبادته والتوكل عليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله.

٢ـ لا يصح حمد أحد بدون ما يوجد لديه من صفات الكمال ما يحمد عليه.

٣ـ التعجب من حال من يسوون المخلوقات بالخالق عز وجل في العبادة.

٤ـ التعجب من حال من يرى عجائب صنع الله ومظاهر قدرته ثم ينكر البعث والحياة الآخرة.

٥ـ صفة العلم لله تعالى وأنه تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء يعلم السر وأخفى.

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

شـرح الكلمـات :

مـن آيـة : المراد بالآية هنا آيات القرآن الكريم الدالة على توحيد الله تعالى والإيمان برسوله ولقائه يوم القيامة.

معـرضين : غير ملتفتين إليها ولا مفكرين فيها.

الحـق : الحق هنا هو النبي ﷺ وما جاء به من الدين الحق.

أنبـاء : أخبار ما كانوا به يستهزئون وهو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

من قـرن : أي أهل قرن من الأمم السابقة، والقرن مائة سنة.

مكنا لهم في الأرض : أعطيناهم من القوة المادية ما لم نعط هؤلاء المشركين.

مـدراراً : مطـراً متواصـلاً غـزيراً.

بذنوبهـم : أي بسبب ذنوبهم وهي معصية الله ورسله.

وأنشـأنا : خلقنا بعد إهلاك الأولين أهل قرن آخرين.

معـنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أولئك الذين يعدلون بربهم غيره من مخلوقاته فيقول تعالى عنهم: وما تأتيهم[1] من آية من آيات ربهم[2] التي يوحيها إلىٰ رسوله ويضمها كتابه القرآن الكريم، إلا قابلوها بالإعراض التام، وعدم الالتفات إلى ما تحمله من هدى ونور، وسبب ذلك أنهم قد كذبوا بالحق لما جاءهم وهو الرسول وما معه من الهدى، وبناء على ذلك ﴿فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ وقد استهزأوا بالوعيد وسينزل بهم العذاب الذي كذبوا به واستهزأوا، وأول عذاب نزل بهم هزيمتهم يوم بدر، ثم القحط سبع سنين، ومن مات منهم على الشرك فسوف يعذب في نار جهنم أبداً، ويقال لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تستهزئون وقوله تعالى: ﴿ألم يروا كـم أهلكنا من[3] قبلهم من قرن﴾ أي كثيراً من أهل القرون

---

(١) ﴿من آية من آيات ربهم﴾ من الأولى لاستغراق الجنس، ومن الثانية للتبعيض.

(٢) وجائز أن يراد بالآية أيضاً المعجزة كانشقاق القمر ونحوها.

(٣) القرن: الأمّة من الناس، والجمع: قرون قال الشاعر:

إذا ذهب القرن الذي كنت فيهم   وخلفت في قرن فأنت غريب

فالقرن: كل عالم في عصره مأخوذ من الإقتران أي عالم مقترن بعضهم ببعض وفي الحديث: «خير الناس قرني..» ويطلق القرن على المائة سنة، إذ قال النبي ﷺ لعبدالله بن بشر «تعيش قرناً» فعاش مائة سنة وقرن الشاة معروف.

الماضية مكن الله تعالى لهم في الأرض من الدولة والسلطان والمال والرجال ما لم يمكن لهؤلاء المشركين من كفار قريش، وأرسل على أولئك الذين مكن لهم السماء مدراراً[1] بغزير[2] المطر وجعل لهم في أرضهم الأنهار تجري من تحت أشجارهم وقصورهم، فلما أنكروا توحيدي وكـذبـوا رسـولي، وعصوا أمري ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾، لا ظلّماً منا ولكن بظلمهم هم لأنفسهم، وأحدثنا بعدهم قوماً آخرين، وكان ذلك علينا يسيراً.

هـداية الآيـات

من هـداية الآيات :

١ـ التكـذيب بالحق هو سبب الإعراض عنه فلو آمنوا به لأقبلوا عليه.

٢ـ الاستهزاء والسخرية بالدين من موجبات العذاب وقرب وقوعه.

٣ـ العبرة بهلاك الماضين، ومصارع الظالمين.

٤ـ هـلاك الأمم كان بسبب ذنوبهم، فما من مصيبة إلا بذنب[3].

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

---

(١) ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدرارا﴾ عبر عن المطر بالسماء لأنّه منها ينزل قال الشاعر:
إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناها وإن كانوا غضابا

(٢) مدرارا: بناء دال على الكثرة نحو امرأة مذكار إذا كثر أولادها الذكور وهو مشتق من درّت الشاة تدر إذا أقبل لبنها على الحالب لها بكثرة.

(٣) شاهده من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾

شرح الكلمات :

قرطاساً	:	القرطاس: ما يكتب عليه جلداً أو كاغداً.
لمسوه بأيديهم	:	مسوه بأصابعهم ليتأكدوا منه.
ملك	:	الملك أحد الملائكة.
لقضي الأمر	:	أي أهلكوا وانتهت حياتهم.
لا ينظرون	:	لا يمهلون.
ولو جعلناه ملكاً	:	ولو جعلنا الرسول إليهم ملكاً لإنكارهم البشر.
لبسنا	:	خلطنا عليهم.
استهزىء	:	سخر وتهكم واستخف.
حاق بهم	:	نزل بهم العذاب وأحاط بهم فأهلكوا.

معنى الآيات

مازال السياق في شأن العادلين بربهم أصنامهم التي يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عندالله يقول تعالى: ﴿ولو نزلنا عليك﴾ أيها الرسول ﴿كتاباً﴾ أي مكتوباً في ورق جلد أو كاغد ورأوه منزلاً من السماء[(١)] ولمسوه بأيديهم وحسوه بأصابعهم ما آمنوا ولقالوا: ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾. أي سحر واضح سحركم به محمد ﷺ وإلا كيف ينزل الكتاب من السماء، ﴿وقالوا: لولا أنزل عليه ملك﴾[(٢)] أي هلا أنزل عليه، لم لا ينزل عليه ملك يساعده ويصدقه بأنه نبي الله ورسوله، فقال تعالى: ﴿ولو أنزلنا ملكاً﴾، وليس من شأن الله أن ينزل الملائكة ولو أنزل ملكاً فكذبوه لأهلكهم، إذ الملائكة لا تنزل إلا لإحقاق الحق وعليه فلو نزل ملك لقضي أمرهم بإهلاكهم وقطع دابرهم وهذا ما لا يريده الله تعالى لهم. وقوله: ﴿ثم لا ينظرون﴾ أي لا يمهلون ولو ساعة ليتوبوا أو يعتذروا مثلا. وقوله تعالى: ﴿ولو

(١) قال ابن عباس: كتاباً معلقاً بين السماء والأرض يشاهدونه. أمّا إنزال الوحي فهو حاصل وأبوا أن يؤمنوا به.
(٢) هذا اقتراح منهم حملهم عليه الكبر والعناد.

جعلناه ملكاً﴾ أي الرسول ملكاً لقالوا كيف نفهم عن الملك ونحن[1] بشر فيطالبون بأن يكون بشراً وهكـذا كما قال تعـالى: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً، وللبسنا عليهم﴾ خلطنا وشبهنـا ما يخلطون على أنفسهم ويشبهون. ثم أخبر تعالى رسوله مسلياً له قائلاً ﴿ولقد استهزىء[2] برسل من قبلك﴾ كما استهزيء بك فاصبر، فقد حاق بالمستهزئين ما كانوا به يستهزئون، كانوا إذا خوفهم الرسل عذاب الله سخروا منهم واستخفوا بهم وبالعذاب الذي خوفوهم به، ثم أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقول لأولئك المستهزئين بما يعدهم من عذاب ربهم وهم أكابر مجرمي قريش: ﴿قل سيروا[3] في الأرض﴾ جنوباً لتقفوا على ديار عاد أو شمالاً لتقفوا على ديار ثمود، أو غرباً لتقفوا على بحيرة لوط فتعرفوا ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من أمثالكم لعلكم تحققون من طغيانكم وتكذيبكم فيسهل عليكم الرجوع.

هدايـة الآيات

من هـداية الآيـات:

١ـ الآيات بمعنى المعجزات والخوارق لا تستلزم الإيمان بل قد تكون سبباً للكفر والعناد، ولذا لم يستجب الله لقريش ولم يعط رسوله ما طالبوه به من الآيات.

٢ـ إنكار رسالة البشر عام في كل الأمم وقالوا ما هذا إلا بشر مثلكم في آيات كثيرة في حين أن إرسال الملائكة لا يتم معه هدف لعدم قدرة الانسان على التلقي عن الملائكة والتفاهم معهم، ولو أنزل الله ملكاً رسولاً لقالوا نريده بشراً مثلنا ولحصل الخلط واللبس بذلك.

٣ـ الاستهزاء بالرسل والدعاة سنة بشرية لا تكاد تتخلف ولذا وجب على الرسل والدعاة الصبر على ذلك.

٤ـ عاقبة التكذيب والاستهزاء هلاك المكذبين المستهزئين.

٥ـ مشروعية زيارة القبور للوقوف[4] على مصير الإنسان ومآل أمره فإن في ذلك ما يخفف شهوة

---

(١) لأنّ سنة الله تعالى في التفاهم أن تكون بين متجانسين كإنسان مع إنسان أو حيوان مع حيوان أمّا ملك مع انسان أو إنسان مع حيوان فلا لا.

(٢) في هذه الآية تعزية للرسول ﷺ وتسلية له ليصبر على ما يلاقيه من قومه من سخرية واستهزاء وعناد ومكابرة.

(٣) قال القرطبي: هذا السفر مندوب إليه إذا كان على سبيل الاعتبار بآثار من خلا من الأمم وأهل الديار، وأقول على شرط أن يدخلوا تلك الديار باكين أو متباكين لا ضاحكين غافلين لاهين بأنواع الطعام والشراب.

(٤) أخذاً من قوله تعالى في الآية: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ وشاهده من السنة قوله ﷺ في السنة الصحيحة: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة».

الدنيا والنهم فيها والتكالب عليها وهو سبب الظلم والفساد.

قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ
كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
(١٢) ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
(١٣) قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ (١٦)

شرح الكلمات :

كتب على نفسه الرحمة : أي أوجب على نفسه رحمة خلقه.

لا ريب فيه : لا شك في مجيئه وحصوله في أجله المحدد له.

خسروا أنفسهم : حيث لوثوها بأوضار الشرك والمعاصى فلم ينتفعوا بها.

وله ما سكن في الليل والنهار : أي ما استقر فيها من ساكن ومتحرك أي له كل شيء.

وليــاً : أحبه وأنصره واطلب نصرته ومحبته وولايته.

من يصرف عنه : أي من العذاب بمعنى يبعد عنه.

الفوز المبين : أي الواضح إذ النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث مع العادلين بربهم غيره من أهل الشرك فيقول تعالى لرسوله

سلهم قائلاً: ﴿لمن ما في السموات والأرض﴾[1] خلقاً وإيجاداً أو ملكاً وتصرفاً وتدبيراً، واسبقهم إلى الجواب فقل لله، إذ ليس لهم من جواب إلا هذا: ﴿لله﴾، أي هو الله الذي ﴿كتب[2] على نفسه الرحمة﴾ قضى بها وأوجبها على نفسه، ومظاهرها متجلية في الناس: إنهم يكفرونه ويعصونه وهو يطعمهم ويسقيهم ويكلؤهم ويحفظهم، وما حمدوه قط. ومن مظاهر رحمته جمعه الناس ليوم القيامة ليحاسبهم ويجزيهم بعملهم الحسنة بعشر أمثالها أما السيئة فبسيئة مثلها فقط وهو ما دل عليه قوله: ﴿ليجمعنكم[3] إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ أي الكائن الآتي بلا ريب ولا شك، وقوله تعالى: ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ يخبر تعالى أنَّ الذين كتب خسرانهم أزلاً في كتاب المقادير فهم لذلك لا يؤمنون وما كتب أزلاً لعلم تام بموقفهم هذا الذي هم وافقوه من الكفر والعناد والشرك والشر والفساد، بذلك استوجبوا الخسران هذا مادلت عليه الآية الأولى (١٢) أما الآية الثانية (١٣) ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ وهذا تقرير بأنه رب كل شيء والمالك لكل شيء إذ ما هناك إلا ساكن ومتحرك وهو رب الجميع، وهو السميع لأحوال عباده وسائر مخلوقاته العليم بأفعالهم الظاهرة والباطنة ولذا لا يسأل عما يفعل ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن هنا وجب اللجأ إليه والتوكل عليه، والانقياد لأمره ونهيه. وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٤) ﴿قل أغير[4] الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يُطْعِم ولا يُطْعَم﴾ يأمر تعالى رسوله أن يرد على المشركين المطالبين منه أن يوافقهم على شركهم ويعبد معهم آلهتهم فيقول: أفغير الله فاطر السموات والأرض الذي يطعم غيره لافتقاره إليه، ولا يطعم[5] لغناه المطلق أغيره تعالى أتخذ ولياً أعبده كما اتخذتم أنتم أيها المشركون أولياء تعبدونهم. إن هذا لن يكون أبداً كما أمره ربه تعالى أن يقول في صراحة ووضوح، ﴿إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ أي وجهه لله، وأقبل عليه يعبده

---

(١) هذا حجاج مع المشركين آخر: قل لهم لمن ما في السموات والأرض؟ فإن قالوا: لمن هو؟ قل: لله، ولكن لا يقولون إلاّ الله، لمعرفتهم أنّ غير الله لا يخلق ولا يرزق ولا يملك.

(٢) ولذا لم يعاجلهم بالعقوبة التي يقتضيها كفرهم وعنادهم، روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله لمّا خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي».

(٣) اللام: للقسم أي: وعزتي وجلالي ليجمعنكم في يوم القيامة الذي كذّبتم به وهو لا شك فيه.

(٤) الإستفهام إنكاري وقدم المفعول الأوّل: ﴿أغير الله﴾ لأنّه هو المقصود بالإنكار.

(٥) أي يرزُق ولا يُرزق كقوله تعالى: ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير ﴿وهو يُطعم ولا يطعم﴾ بفتح العين أي إنّه يُطعم عباده بالرزق وهو لا يطعم لاستحالة احتياجه إلى الغذاء كما يحتاجه المخلوقون من عباده.

بما شرع له، ونهاني أن أكون من المشركين يقول: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ الذين يعبدون مع الله غيره من مخلوقاته وأمره في الآية (١٥) أن يقول للمشركين الراغبين في تركه التوحيد: ﴿إني أخاف إن عصيت ربي[1] عذاب يوم عظيم﴾ وهو عذاب يوم القيامة. إنه عذاب أليم لا يطاق من يصرف عنه[2] يومئذ فقد رحمه أي أدخله الجنة والنجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم كما قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ نعم فاز وأي فوز أكبر من الخلوص من العذاب ودخول في دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- عموم رحمة الله تعالى.

٢- تقرير مبدأ الشقاوة والسعادة في الأزل قبل خلق الخلق.

٣- الله رب كل شيء ومليكه.

٤- تحريم ولاية غير الله، وتحريم الشرك به تعالى.

٥- بيان الفوز الأخروي وهو النجاة من العذاب ودخول الجنة.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾
قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

---

(١) قوله: ﴿إن عصيت ربي﴾ عوضا عن اسم الجلالة (الله) فيه إيماء وإشارة إلى أن عصيان الرب قبيح قبحاً أشد من عصيان المعبود، لأن الربّ هو المليك المربي المتولي الحافظ الولي فعصيان من يربّي ويرزق قبيح جداً.

(٢) أي: من يصرف الله عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه فأدخله جنّته بعد أن نجّاه من النار.

شرح الكلمات :

يمسسك : يصبك.

بضر : الضر: ما يؤلم الجسم أو النفس كالمرض والحزن.

بخير : الخير: كل ما يسعد الجسم أو الروح.

القاهر : الغالب المذل المعز.

شهادة : الشهادة: إخبار العالم بالشيء عنه بما لا يخالفه.

لأنذركم به : لأخوفكم بما فيه من وعيد الله لأهل عداوته.

إله واحد : معبود واحد لأنه رب واحد، إذ لا يعبد إلا الرب الخالق الرازق المدبر.

معنى الآيات :

ما زال السياق في توجيه الرسول ﷺ وتقوية موقفه من أولئك العادلين بربهم المشركين به فيقول له ربه تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر[1] فلا كاشف له إلا هو﴾ أي إن أصابك الله بما يضرك في بدنك فلا كاشف له عنك بإنجائك منه إلا هو. ﴿وإن يمسسك بخير﴾ أي وإن يردك بخير فلا[2] راد له ﴿فهو على كل شيء قدير﴾، والخطاب وإن كان موجهاً للرسول ﷺ فإنه عام في كل أحد فلا كاشف للضر إلا هو، ولا راد لفضله أحد، ومع كل أحد، وقوله تعالى في الآية الثانية (١٨) ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ تقرير لربوبيته المستلزمة لألوهيته فقهره لكل أحد، وسلطانه على كل أحد مع علو كلمته وعلمه بكل شيء موجب لألوهيته وطاعته وطلب ولايته، وبطلان ولاية غيره وعبادة سواه وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٩) ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ نزلت لما قال المشركون بمكة للرسول ﷺ إئتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروها فأمره ربه تعالى أن يقول لهم رداً عليهم: أي شيء أكبر شهادة؟ ولما كان لا جواب لهم إلا أن يقولوا الله أمره أن يجيب به: ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾. فشهادة الله تعالى لي بالنبوّة إيحاؤه إليّ بهذا القرآن الذي أنذركم به، وأنذر

---

(١) الضرّ: هو ما يؤلم الإنسان وهو من الشر المنافي للإنسان ويقابله النفع وهو من الخير الملائم للإنسان ولذا فالضرّ هنا أعم من المرض إذ يتناوله وغيره من سائر مايضر الإنسان.

(٢) شاهده حديث ابن عباس عند الترمذي وهو صحيح إذ قال له رسول الله ﷺ يا غلام إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

كل من بلغه وسمع به بأن من بلغه ولم يؤمن به[1] ويعمل بما جاء فيه من العقائد والعبادات والشرائـع فإنـه خاسر لنفسـه يوم القيامة. ثم أمره أن ينكر عليهم الشرك بقوله: أئنكم[2] لتشهدون مع الله آلهة أخرى، وذلك بإيمانكم بها وعبادتكم لها أما أنا فلا أعترف بها بل أنكرها فضلاً عن أن أشهد بها. ثم أمره بعد إنكار آلهة المشركين أن يقرر ألوهيته الله وحده وأن يتبرأ من آلهتهم المدعاة فقال له قل: ﴿إنما هو إله واحد، وإنني بريء مما تشركون﴾[3].

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ وجـوب اللجأ إلى الله تعالى دون غيره من سائر خلقه إذ لا يكشف الضر[4] إلا هو.

٢ـ شهادة الله تعالى لرسوله بالنبوة وما أنزل عليه من القرآن وما أعطاه من المعجزات.

٣ـ نذارة الرسول بلغت كل من بلغه القرآن الكريم إلى يوم الدين.

٤ـ تقرير مبدأ التوحيد لا إله إلا الله، ووجوب البراءة من الشرك.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ
ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

---

(١) في البخاري: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وقال مقاتل: من بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له، وقال القرطبي: من بلغه القرآن فكأنما قد رأى محمداً ﷺ وسمع منه.

(٢) الاستفهام للتوبيخ والتقريع مع الإنكار لشهادتهم الباطلة وذلك بتأليههم الأصنام، والأحجار جهلا وعناداً.

(٣) أي من الشرك والشركاء معاً.

(٤) آية (يونس) في هذا الباب عظيمة إذ قال مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك، فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين، وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾.

شـرح الكلمـات :

الذين أوتوا الكتاب	: علماء اليهود والنصارى .
يعرفــونه	: يعرفون محمداً نبياً لله ورسولاً له .
افترى على الله كذباً	: اختلق الكذب وزوّره في نفسه وقال .
لا يفلح الظالمون	: لا ينجـون من عذاب الله يوم القيامة .
أين شركـاؤكم	: استفهام توبيخي لهم .
تزعمـون	: تدعـون أنهم شركاء يشفعون لكم عند الله .
وضـل عنهم	: غاب عنهم ولم يحضرهم ما كانوا يكذبونه .

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ أي علماء اليهود والنصارى ﴿يعرفونه﴾ أي النبي محمداً ﷺ أنه نبي الله ورسوله وأن القرآن كتاب الله أوحاه إليه يعرفونه بما ثبت من أخباره ونعوته معرفـة كمعرفة أبنائهم، رد الله تعالى بهذا على العرب الذين قالوا: لو كنت نبياً لشهد لك بذلك أهل الكتاب ثم أخبر تعالى أن الذين[1] خسروا أنفسهم في قضاء الله وحكمه الأزلي لا يؤمنـون، وإن علمـوا ذلـك في كتبهم وفهمـوه واقتنعـوا به، فهـذا سر عدم إيمانهم، فلن يكون إذاً عدم إيمانهم حجـة ودليلاً على النبي محمد ﷺ بأنه غير نبي ولا رسول هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٠) وفي الآية الثانية نداء الله تعالى لكلٍّ من مشركي العرب وكفار أهل الكتاب بقوله ﴿ومن[2] أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ وهم المشركون بزعمهم أن الأصنـام تشفع لهم عند الله ولذا عبدوها، أو كذبوا بآياته وهم أهل الكتاب، وأخبر أن الجميع في موقفهم المعـادي للتوحيد والاسلام ظالمون، وإن الظالمون لا يفلحون فحكم بخسران الجميع إلا من آمن منهم وعبد الله ووحده وكان من المسلمين وقوله تعالى في الآية الثالثة (٢٢) ﴿ويوم نحشرهم[3] جميعاً﴾ مشركين وأهل كتاب أي لا يفلحون في الدنيا ولا يوم

---

(١) ﴿والذين خسروا أنفسهم﴾ في موضع النعت أو البدلية من قوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾.

(٢) ﴿ومن أظلم﴾ الاستفهام للنفي والتقريع أي لا أحد أعظم ظلماً ممن افترى على الله الكذب أو كذّب بآياته التي هي الآيات القرآنية والمعجزات النبوية.

(٣) الظرف معمول لفعل محذوف تقديره: واذكر لقومك الوقت الذي يجري فيه الاستنطاق والاستجواب وكيف يكون موقف هؤلاء المشركين الظالمين.

نحشرهم وهو يوم القيامة لأنهم ظالمون، ثم أخبر تعالى بمناسبة ذكر يوم القيامة أنه يسأل المشركين منهم فيقول لهم: ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم يشفعون لكم في هذا اليوم؟ ثم لم تكن نتيجة هذه الفتنة أي الاختيار إلا قولهم: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾[1]، يكذبون هذا الكذب لأنهم رأوا أن المشركين لا يغفر لهم ولا ينجون من النار. ثم أمر الله رسوله أن يتعجب من موقفهم هذا المخزي لهم فقال له: ﴿أنظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾[2] أما ربهم فهو عليم بهم ﴿وضل عنهم﴾ أي غاب فلم يروه. ﴿ما كانوا يفترون﴾ أي يكذبون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- لم يمنع أهل الكتاب من الدخول في الاسلام إلا إيثار الدنيا على الآخرة.

٢- سببان في عظم الجريمة الكاذب على الله المفتري والمكذب الجاحد به وبكتابهوبنبيه.

٣- تقرير عدم فلاح الظالمين في الحياتين.

٤- الشرك لا يغفر لصاحبه إذا لم يتب منه قبل موته.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

(١) تبرّؤا من الشرك وانتفوا منه لما رأوا من تجاوز الله ومغفرته للموحدين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يغفر الله تعالى لأهل الإخلاص ذنوبهم ولا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: إن ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر الشرك فتعالوا نقول: والله ربّنا ما كنا مشركين.

(٢) وجه كذبهم: أنهم كانوا يقولون في الأصنام تشفع لنا عند الله وتقرّبنا إليه زلفى. ففي هذا الموقف غاب عنهم الكذب والافتراء وواجهوا الحقيقة المرّة كما هي.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

شرح الكلمات :

أكنة : جمع كنان ما يكن فيه الشيء كالغطاء.

وقراً : ثقلاً وصمماً فهم لا يسمعون.

يجادلونك : يخاصمونك.

أساطير الأولين : جمع أسطورة : ما يكتب ويحكى من أخبار السابقين.

وينأون عنه : أي ويبعدون عنه.

بل بدا لهم : بل ظهر لهم.

إن هي إلا حياتنا : ما هي إلا حياتنا.

مبعوثين : بعد الموت أحياء كما كنا قبل أن نموت.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن أولئك العادلين بربهم المشركين به سواه فيخبر تعالى عن بعضهم فيقول **﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ حال قراءتك القرآن ولكنه لا يعيه قلبه ولا يفقه ما فيه من أسرار وحكم تجعله يعرف الحق ويؤمن به، وذلك لما جعلنا حسب سنتنا في خلقنا من أكنة[1] على قلوبهم أي أغطية، ومن وقر[2] أي ثقل وصمم في آذانهم، فلذا هم يستمعون ولا يسمعون، ولا يفقهون وتلك الأغطية وذلك الصمم هما نتيجة ما يحملونه من بغض للنبي ﷺ وكره لما جاء به من التوحيد، ولذافهم لو يرون كل آية مما يطالبون به من المعجزات كإحياء الموتى ونزول الملائكة عياناً لا يؤمنون بها لأنهم لا يريدون أن يؤمنوا ولذا قال تعالى:**

(١) الأكنة: جمع كنان كأسنة جمع سنان، والأعنة جمع عنان، والكنّة: امرأة الأب لأنّها في كنّه، وكذا امرأة الابن والأخ.
(٢) يقال: وقرت أذنه توقر وقراً، إذا صمّت، والنخلة موقر وموقرة إذا كانت ذات ثمر كثير.

﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ أي في شأن التوحيد وآلهتهم ﴿يقول الذين كفروا إن هذا[1]﴾ أي ما هذا ﴿إلا أساطير الأولين﴾ ، أمليت عليك أو طلبت كتابتها فأنت تقصها، وليس لك من نبوة ولا وحي ولا رسالة. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٢٥) أما باقي الآيات فإن الثانية (٢٦) تضمنت إخبار الله تعالى عنهم بأنهم ينهون الناس عن الإيمان بالنبي وبما جاء به وعن متابعته والدخول في دينه، وينأون هم بأنفسهم أي يبعدون عنه فلا إيمان ولا متابعة. وهذه شر الصفات يصفهم الله تعالى بها وهي البعد عن الحق والخير، وأمر الناس بالبعد عنهماونهيهم عن قربهما ولذا قال تعالى: ﴿وإن يهلكون إلا[2] أنفسهم﴾ بهذا الموقف الشائن المعادى للرسول والتوحيد، وما يشعرون بذلك إذ لو شعروا لكفوا، والذي أفقدهم الشعور هو حب الباطل والشر الذي حملهم على عداوة الرسول وما جاء به من عبادة الله وتوحيده وها هم أولاً قد حشروا في جهنم، والله تعالى يقول للرسول: ﴿ولو ترى إذ وقفوا[3] على النار﴾ ولا بد لهم من دخولها والاصطلاء بحرها والاحتراق بلهبها، فقالوا وهم في وسطها ﴿يا ليتنا نرد﴾ إلى الحياة الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا، ونكون من المؤمنين﴾، وما هم والله بصادقين وإنما هي تمنيات حمل عليها الإشفاق من العذاب والخوف من نار جهنم، والفضيحة حين ظهر لهم[4] ما كانوا يخفون في الدنيا من جرائم وفواحش وهم يغشونها الليل والنهار قال تعالى وهو العليم الخبير: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾، وصدق الله لو ردوا لعادوا وفي الآية الأخيرة (٢٩) يسجل الله تعالى عليهم سبب بلائهم ومحنتهم، وإقدامهم في تلك الجرأة الغريبة على الشرك ومحاربة التوحيد، ومحاربة الموحدين بالضرب والقتل والتعذيب إنه كفرهم بالبعث والجزاء إذ قالوا ما أخبر تعالى به عنهم: ﴿إن هي إلا[5] حياتنا الدنيا، وما نحن بمبعوثين﴾.

---

(١) قال ابن عباس: قالوا للنضر بن الحارث ما يقول محمد؟ قال: أرى تحريك شفتيه وما يقول إلّا أساطير الأوّلين مثل ما أحدّثكم أنا عن القرون الماضية إذ كان النضر صاحب قصص سمعها من ديار العجم إذ كان سافر إليها للتجارة، والأساطير: جمع أسطار وأسطورة نحو: أحاديث وأحدوثة ومعنى الأساطير: ما كتب وسطّر من أخبار الأولين وهو ترّهاتهم وأباطيلهم.

(٢) ﴿وإن يهلكون﴾ أي: ما يهلكون فإن بمعنى: ما النافية.

(٣) أي: وهم على الصراط وهي تحتهم أو وقفوا بقربها وهم يعاينونها، وجواب لو محذوف تقديره: لرأيت منظراً هائلاً ونحوه.

(٤) قوله تعالى ﴿وبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ أي في دار الدنيا من الكفر والتكذيب والعناد وجائز أن يكون ظهر لهم صدق ماكانوا يعلمون أنّه حق من أمر الدين والتوحيد ولكن يخفونه في أنفسهم حتى لا يعلم ذلك إخوانهم في الكفر واتباعهم في الشرك.

(٥) هذا سبب شقائهم هو إنكارهم للبعث والجزاء ومغالطة أنفسهم بأنه لاحياة إلّا الحياة الدنيا.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيات :

١ـ بيان سنة الله تعالى فى أن العبد إذا كره أحداً وأبغضه وتغالى في ذلك يصبح لا يسمع ما يقول له، ولا يفهم معنى ما يسمع منه.

٢ـ شر دعاة الشر من يعرض عن الهدى ويأمر بالإعراض عنه، وينهى من يقبل عليه.

٣ـ سبب الشر في الأرض الكفر بالله، وإنكار البعث والجزاء الآخر.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا
بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
(٣٠) قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)

شـرح الكلمـات :

وقفوا على ربهم : جيء بهم ووقفوا على قضائه وحكمه تعالى فيهم.

بلى وربـنا : أي إنه للحق والله.

خسر الذين كذبوا : أي خسـروا أنفسهم في جهنم.

الساعة بغتـة : ساعة: البعث ليوم القيامة وبغتة: أي فجأة.

يا حســرتنا : الحسـرة: التندم والتحسر على ما فات ينادون حسرتهم زيادة في التألم والتحزن.

أوزارهــم : أحمال ذنوبهم إذ الوزر الحمل الثقيل.

لعب ولهــو : اللعب: العمل الذي لا يجلب درهماً للمعاش، ولا حسنة للمعاد.

واللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه مما يكسبه خيراً أو يدفع عنه ضيراً.

معنى الآيـات :

يقول تعالى لرسوله : ولو ترى[1] إذ وقف أولئك لمنكرون للبعث القائلون ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾، لو تراهم وقد حبسوا لقضاء الله وحكمه فيهم وقيل لهم وهم يشاهدون أهوال القيامة وما فيها من حساب وجزاء وعذاب ﴿أليس[2] هذا بالحق﴾ أي الذي كنتم تكذبون فيسارعون بالإجابة قائلين ﴿بلى، وربنا﴾، فيحلفون بالله تعالى تأكيداً لصحة جوابهم فيقال لهم[3]: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ لا ظلمًا منا ولكن بسبب كفركم إذ الكفر منع من طاعة الله ورسوله، والنفس لا تطهُر إلا على تلك الطاعة، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٠) أما الآية الثانية (٣١) فقد أعلن تعالى عن خسارة صفقة الكافرين الذين باعوا الإيمان بالكفر والتوحيد بالشرك، والطاعة بالمعاصي فقال تعالى: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله[4]﴾ أي بالحياة بعد الموت وهذا هو سبب المحنة والكارثة ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة﴾ ساعة فناء هذه الحياة وإقبال الحياة الآخرة ﴿بغتة﴾ أي فجأة لم يكونوا يفكرون فيها لكفرهم بها، وعندئذ صاحوا بأعلى أصواتهم معلنين عن تندمهم ﴿يا حسرتنا[5] على ما فرطنا﴾ أي في صفقتنا حيث اشترينا الكفر بالإيمان والشرك بالتوحيد قال تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ من الجائز أن تصور لهم أعمالهم من الكفر والشرك والظلم والشر والفساد في صورة رجل قبيح أشوه فيحملونه على ظهورهم في عرضات القيام وقد ورد به خبر. ولذا قال تعالى: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ أي قبح ما يحملونه! وفي الآية (٣٢) الأخيرة يخبر تعالى مذكراً واعظاً ناصحاً فيقول يا عباد الله : ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾ فانتبهوا فلا تغتروا بما فيها من ملذات فإن نعيمها إلى زوال ما شأنها إلا شأن من يلعب أو يلهو، ثم لا يحصل على طائـل من لعبـه ولهـوه[6]، أما الدار الآخرة فإنها خير ولكن للذين يتقون الشرك والشر

---

(١) جواب لو محذوف تقديره: لعَظُم شأن الوقوف.
(٢) الاستفهام للتقريع والتوبيخ أي: أليس هذا البعث كائنا موجوداً.
(٣) جائز أن يكون القائل: الله تعالى، وجائز أن تكون الملائكة وهو أولى لأنهم ليسوا أهلا لأن يكلّمهم الربّ تبارك وتعالى.
(٤) أي بالبعث بعد الموت والجزاء على العمل في الدنيا هذا كقوله ﷺ: «من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان» في الصحيح، إلاّ أنه لا مانع من حمل اللفظ على ظاهره لأنّ لقاء الله كائن حقاً وكيف وهو الذي يفصل بينهم في ساحة فصل القضاء.
(٥) أي: ياحسرتنا احضري فهذا أوان حضورك، والحسرة: الندم الشديد، والتلهف والنداء للتندّم والتعجب من حالهم وما حلّ بهم.
(٦) هي كما قال الحكيم:

أ لا إنّما الدنيا كأحلام نائم ... وما خير عيش يكون ليس بدائم
تأمّل إذا ما نلت بالأمس لذّة ... فأفنيتها هل أنت إلاّ كحالم

والمعاصي، فما لكم مقبلين على الفانى معرضين عن الباقي ﴿أفلا تعقلون ؟ !﴾

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير مبدأ البعث والجزاء بذكر صور ومشاهد له.

٢ـ قبح الذنوب وأنها أسوأ حمل يحمله صاحبها يوم القيامة.

٣ـ حكم الله تعالى بالخسران على من كذب بلقائه فلم يؤمن ولم يعمل صالحا.

٤ـ الساعة لا تأتي إلا بغتة، ولا ينافي ذلك ظهور علاماتها، لأن الزمن ما بين العلامة والعلامة لايعرف مقداره.

٥ـ نصيحة القرآن للعقلاء بأن لا يغتروا بالحياة الدنيا. ويهملوا شأن الآخرة وهي خير للمتقين.

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ
نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

شـرح الكلمـات :

ليحـــزنـــك : أي ليوقعك في الحزن الذي هـو ألم النفس من جراء فقد ما تحب من هدايتهم أو من أجل ما تسمع منهم من كلم الباطل كتكذيبك وأذيتك.

فإنهم لا يكذبونك	: أي لا ينسبونك إلى الكذب في بواطنهم ومجالسهم السرية لعلمهم اليقيني أنك صادق.
كذبت رسل	: أي كذبتهم أقوامهم وأممهم كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.
ولا مبدل لكلمات الله	: التي تحمل وعده بنصر أوليائه وإهلاك أعدائه.
من نبإ المرسلين	: أي أخبارهم في دعواتهم مع أممهم.
تبتغي نفقاً	: تطلب سرباً تحت الأرض.
أو سلمًا في السماء	: أي مصعداً تصعد به الى السماء.
بآية	: أي خارقة من خوارق العادات وهى المعجزات.
فلا تكونن من الجاهلين	: أي فلا تقف موقف الجاهلين بتدبير الله في خلقه.

معنى الآيات :

هذه الآيات من تربية الله تعالى لرسوله وإرشاده لما يشد من عزمه ويزيد في ثباته على دعوة الحق التي أناط به بلاغها وبيانها فقال له تعالى: ﴿قد نعلم إنه﴾[1] أي الحال والشأن، ﴿ليحزنك الذي يقولون﴾ أي الكلام الذي يقولون لك وهو تكذيبك واتهامك بالسحر، والتقول على الله، وما إلى ذلك مما هو إساءة لك وفي الحقيقة إنهم لا يكذبونك[2] لما يعلمون من صدقك وهم يلقبونك قبل إنبائك لهم وإرسالك بالأمين ولكن الظالمين هذا شأنهم فهم يرمون الرجل بالكذب وهم يعلمون أنه صادق ويقرون هذا في مجالسهم الخاصة، ولكن كي يتوصلوا إلى تحقيق أهدافهم في الإبقاء على عاداتهم وما ألفوا من عبادة أوثانهم يقولون بألسنتهم من نسبتك إلى الكذب وهم يعلمون أنك صادق[3] غير كاذب فإذا عرفت هذا فلا تحزن لقولهم.

---

(١) قد نعلم إنه: كسرت إن في إنه لدخول اللام في ﴿ليحزنك﴾ ولولاها لفتحت نحو أنه يحزنك.

(٢) روي أن أبا جهل وجماعة معه من رجالات قريش مرّوا بالنبي ﷺ فقالوا يا محمد ما نكذّبك وإنك عندنا لصادق ولكن نكذّب ما جئت به. وهذه الآية شاهد لصحة هذه الرواية، ومعنى يكذّبونك ينسبونك إلى الكذب ويردون قولك.

(٣) روى ابن اسحق وغيره أنّ الأخنس بن شريق أتى أبا جهل فقال له: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد إذ كانوا يأتون دار محمد وهو يصلي بالليل يستمعون القرآن فإذا طلع النهار تفرّقوا قال ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الرُّكب وكنا كفرسي رهان فقالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه فقام الأخنس وتركه.

هذا أولاً وثانياً فقد كذبت رسل من قبلك وأوذوا كما كُذبت أنت فأوذيت، وصبروا حتى أتـاهم نصرنـا فاصبر أنت حتى يأتيك النصر فإنه لا مبدل لكلمات الله التي تحمل وعده لأوليائه ووعيده لأعدائه، ولقد جاءك في هذا الكتاب الذي أوحينا إليك من نبأ المرسلين وأخبـارهم ما يكون عوناً لك على الصبر حتى النصر فاصبر، وثالثاً ﴿إن كان كبر[1] عليك إعراضهم﴾ عن دعوتك وعدم إيمانهم بها حتى تأتيهم بآية تلجئهم إلى الإيمان بك وبرسالتك كما يطلبون منك ويلحون وهم كاذبون فإن استطعت أن تطلب لهم آية من تحت الأرض أو من السماء فافعل، وهذا مالا تطيقه ولا تستطيعه لأنه فوق طاقتك فلا تكلف به وإذاً فما عليك إلا بالصبر هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض﴾ أي[2] سرباً، ﴿أو سلمًا في السماء﴾ أي مصعداً ﴿فتأتيهم بآية﴾ أي فافعل، وما أنت بقادر فاصبر إذاً ورابعاً إن الله قادر على أن يجمعهم كلهم على الإيمان بك وبرسالتك والدخول في دينك، ولكنه لم يشأ ذلك لحكم عالية فلا تطلب أنت مالا يريده ربك، فإنك إن فعلت كنت من الجاهلين،[3] ولا نريد لك ذلك.[4]

هداية الآيـات

من هدايـة الآيات :

١ـ ثبوت بشرية الرسول ﷺ ولذا هو يحزن لفوت محبوب كما يحزن البشر لذلك.

٢ـ تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر حتى يأتيه موعود ربه بالنصر.

٣ـ بيان سـنة الله في الأمم السابقة.

٤ـ إرشاد الرب تعالى رسوله إلى خير المقامات وأكمل الحالات بإبعاده عن ساحة الجاهلين.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) ﴿كَبُرَ﴾ ثقل فشق عليه تحمله لثقله.

(٢) أي نفقا كالأنفاق المعروفة اليوم تحت الأرض، والسلّم: الدرج وهو ما يرقى عليه وسمي السلم من السلامة.

(٣) ولا يليق بمثلك مثله وهذا كلّه تسلية للرسول ﷺ وتعزية وحمل له على الصبر وهو لكلّ داعٍ إلى الله تعالى يواجه التكذيب والتعذيب إلى يوم الدين.

(٤) جائز أن يكون المعنى: من الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو ضد الحلم ويناسب الأوّل قوله ﴿ولو شاءالله لجمعهم على الهدى﴾ والثاني قوله: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم. .﴾ الآية.

قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم
مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ
يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

إنما يستجيب	: أي لدعوة الحق التي دعا بها رسول الله ﷺ فيؤمن ويهتدي .
يبعثهم الله	: أي يوم القيامة .
لولا نزل عليه آية	: هلا أداة تحضيض لا لولا الشرطية .
آية من ربه	: آية : خارقة تكون علامة على صدقه .
لا يعلمون	: أي ما يترتب على إيتائها مع عدم الإيمان بعدها من هلاك ودمار .
من دابة	: الدابة كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان .
في الكتاب	: كتاب المقادير أم الكتاب اللوح المحفوظ .
صم وبكم في الظلمات	: صم : لا يسمعون وبكم : لا ينطقون في الظلمات لا يبصرون .
صراط مستقيم	: هو الدين الإسلامي المفضي بالأخذ به إلى سعادة الدارين .

معنى الآيات :

بعدما سلى الرب تعالى رسوله في الآيات السابقة وحمله على الصبر أعلمه هنا بحقيقة علمية تساعده على الثبات والصبر فأعلمه أن الذين يستجيبون لدعوته ﷺ هم الذين يسمعون لأن حاسة السمع عندهم سليمة ما أصابها ما يخل بأداء وظيفتها من كره الحق

وبغض أهله والداعين إليه فهؤلاء هم الذين يستجيبون لأنهم أحياء أما الأموات فإنهم لا يسمعون ولذا فهم لا يستجيبون ولكن سيبعثهم الله يوم القيامة أحياء ثم يرجع الجميع إليه من استجاب، لحياة قلبه، ومن لم يستجب لموت قلبه ويجزيهم بما عملوا الجزاء الأوفى وهو على كل شيء قدير، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٦) أما الآية الثانية (٣٧) فقد أخبر تعالى رسوله بقولهم ﴿لولا نزل عليه آية﴾، وعلمه أن يقول لهم ﴿إن الله قادر على أن ينزل آية﴾ وهي الخارقة كإحياء الموتى أو تسيير الجبال أو إنزال الملائكة يشاهدونهم عياناً، ولكن لم ينـزلها لحكم عالية وتدبير حكيم، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ الحكمة في ذلك[١]، ولو علموا أنها إذا نزلت كانت نهاية حياتهم لما سألوها. هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٣٨) وهي قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير[٢] بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ سبقت هذه الآية لبيان كمال الله تعالى وشمول علمه وعظيم قدرته، وسعة تدبيره تدليلاً على أنه تعالى قادر على إنزال الآيات، ولكن منع ذلك حكمته تعالى في تدبير خلقه فما من دابة تدب في الأرض ولا طائر يطير في السماء إلا أمم مثل[٣] الأمة الإنسانية مفتقرة إلى الله تعالى في خلقها ورزقها وتدبير حياتها، والله وحده القائم عليها، وفوق ذلك إحصاء عملها عليها ثم بعثها يوم القيامة ومحاسبتها ومجازاتها، وكل ذلك حواه كتاب المقادير وهو يقع في كل ساعة ولا يخرج شيء عما كتب في كتاب المقادير، اللوح المحفوظ ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ فهل يعقل مع هذا أن يعجز الله تعالى عن إنزال آية، وكل مخلوقاته دالة على قدرته وعلمه ووحدانيته، ووجوب عبادته وفق مرضاته، وقوله ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾[٤] كل دابـة وكل طائر يموت أحب أم كره، ويبعث[٥] أحب أم كره، والله وحده مميته ومحييه ومحاسبه ومجازيه، ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾، ومن هنا كان المكذبون بآيات الله ﴿صم وبكم

(١) قال القرطبي: القول بحشر البهائم هو الصحيح، والبهائم وإن كان القلم لا يجري عليها في الأحكام ولكن فيما بينها تؤاخذ به، وروي عن أبي ذرّ قال، انتطحت شاتان عند رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتا. قلت: لا، قال: لكن الله تعالى يدري وسيقضي بينهما».

(٢) من الحكمة في عدم انزال الآية أنه لو أنزلها ما آمنوا بها، فاستوجبوا الهلاك فأهلكهم، ولكنّه يريد الإبقاء عليهم ليخرج من أصلابهم مؤمنين يعبدونه ويوحدونه.

(٣) ذكر الجناحين للتأكيد من جهة، وإزالة الإبهام من جهة أخرى لأنّ العرب تطلق لفظ الطيران على غير الطائر فتقول للرجل طِر في حاجتي أي أسرع في قضائها وطائر الإنسان ما قسم الله له أزلاً قال تعالى: ﴿وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾.

(٤) وهذه المثلية بين الإنسان وبين دواب الأرض وطائر السماء تقتضي ألا يظلم الإنسان الحيوان ولا يؤذيه ولا يتجاوز ما أمر به نحوه، ووجه المثلية في كون كلّ من الإنسان والحيوان يسبِّح الله تعالى ويدل على قدرته وعلمه وحكمته.

(٥) قيل في ﴿يحشـرون﴾ أنّ حشرها الموت وهو مروي عن ابن عباس قال: موت البهائم: حشرها وروي عن مجاهد والضحاك أيضاً، وقيل حشرها: هو بعثها يوم القيامة حيّة وهذا أصح لحديث: «إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة».

في الظلمات﴾[1] أموات غير أحياء إذ الأحياء يسمعون وينطقون ويبصرون وهؤلاء صم بكم في الظلمات فهم أموات غير أحياء وما يشعرون. وأخيراً أعلم تعالى عباده أن هدايتهم كإضلالهم بيده فمن شاء هداه ومن شاء أضله، وعليه فمن أراد الهداية فليطلبها في صدق من الله جل جلاله وعظم سلطانه ومن رغب عنها فلن يعطاها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- الإيمان بالله ورسوله ولقائه حياة والكفر بذلك موت فالمؤمن حي والكافر ميت.

٢- سبب تأخر الآيات علم الله تعالى بأنهم لو أعطاهم الآيات ما آمنوا وبذلك يستوجبون العذاب.

٣- تعدد الأمم[2] في الأرض وتعدد أجناسها والكل خاضع لتدبير الله تعالى مربوب له.

٤- تقرير ركن القضاء والقدر وإثباته في أم الكتاب.

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ
إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ
﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا

---

(١) إنها ظلمات الكفر والشرك والمعاصي وما ينتج عن ذلك من القلق والحيرة واضطراب النفس، والخوف، والهمّ.

(٢) روى ابن كثير بسنده عن الحافظ أبي يعلى عن جابر بن عبدالله أن الجراد لم يُرَفي سنةمن سِني عمر رضي الله عنه التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا إلى كذا واخر إلى الشام، واخر إلى العراق يسأل هل رؤي من الجراد شيء أو لا؟ قال فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبّر ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله عز وجل ألف أمّة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البرّ وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه.

نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ
حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾
فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

أرأيتكم : أخبروني.

الساعة : يوم القيامة.

يكشف : يزيل ويبعد وينجي.

البأساء والضراء : البأساء: الشدائد من الحروب والأمراض، والضراء: الضر.

يتضرعون : يتذللون في الدعاء خاضعون.

بغتة : فجأة وعلى حين غفلة.

مبلسون : آيسون قنطون متحسرون حزنون.

دابر القوم : آخرهم أي أهلكوا من أولهم إلى آخرهم.

الحمد لله : الثناء بالجميل والشكر لله دون سواه.

معنى الآيات :

مازال السياق في طلب هداية أولئك المشركين العادلين بربهم أصناماً وأحجاراً، فيقول الله تعالى لرسوله ﷺ قل يا رسولنا لأولئك الذين يعدلون بنا الأصنام ﴿أرأيتكم﴾[1] أي أخبروني، ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ اليوم انتقاما منكم، ﴿أو أتتكم الساعة﴾ وفيها عذاب يوم القيامة، ﴿أغير الله تدعون﴾ ليقيكم العذاب ويصرفه عنكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن آلهتكم تنفع وتضر، تقي السوء وتجلب الخير؟ والجواب معلوم أنكم لا تدعونها ليأسكم من إجابتها بل الله[2] وحده هو الذي تدعونه فيكشف ما تدعونه له إن شاء، وتنسون عندها ما تشركون به من الأصنام فلا تدعونها ليأسكم من إجابتها لضعفها وحقارتها.

---

(١) قال القرطبي: هذه الآية في محاجة المشركين ممن اعترف أنّ له صانعاً أي: أنتم عند الشدائد ترجعون إلى الله تعالى وسترجعون إليه يوم القيامة أيضاً، فلم تصرّون على الشرك في حال الرفاهية؟! وكانوا يعبدون الأصنام ويدعون الله في صرف العذاب.

(٢) ﴿بل إيّاه تدعون﴾ بل: للإضراب، إضراب عن الأوّل وهو دعاء غير الله تعالى وايجاب للثاني وهو دعاء الله عز وجل.

هذا ما تضمنته الأيتان الأولى (٤٠) والثانية (٤١) وأما الآيات الأربع بعدهما فإن الله تعالى يخبر رسوله بقوله ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم[١] من قبلك﴾ أي أرسلنا رسلاً من قبلك إلى أممهم فأمروهم بالإيمان والتوحيد والعبادة فكفروا وعصوا فأخذناهم بالشدائد من حروب ومجاعات وأمراض لعلهم يتضرعون إلينا فيرجعون إلى الإيمان بعد الكفر والتوحيد بعد الشرك والطاعة بعد العصيان ولما لم يفعلوا ويخهم تعالى بقوله: ﴿فلو لا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا[٢]﴾ أي فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا إلينا ﴿ولكن﴾ حصل العكس حيث ﴿قست قلوبهم وزين لهم الشيطان﴾ أي حسن لهم ﴿ما كانوا يعملون﴾ من الشرك والمعاصي. وهنا لما نسوا ما ذكرتهم به رسلهم فتركوا العمل به معرضين عنه غير ملتفتين إليه فتح الله تعالى عليهم أبواب كل شيء[٣] من الخيرات حتى إذا فرحوا بذلك[٤] وسكنوا إليه واطمأنوا ولم يبق بينهم من هو أهل للنجاة. قال تعالى ﴿أخذناهم بغتة﴾ أي فجأة بعذاب من أنواع العذاب الشديدة ﴿فإذا هم مبلسون[٥]﴾ آيسون من الخلاص متحسرون ﴿فقطع دابر[٦] القوم الذين ظلموا﴾ أي استؤصلوا بالعذاب عن آخرهم. وانتهى أمرهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ ناصر أوليائه ومهلك أعدائه فاذكر هذا لقومك يارسولنا لعلهم يثوبون إلى رشدهم ويعودون إلى الحق الذي تدعوهم إليه وهم معرضون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ من غريب أحوال الإنسان المشرك أنه في حال الشدة الحقيقية يدعو الله وحده ولا يدعو معه الآلهة الباطلة التي كان في حال الرخاء والعافية يدعوها.

(١) أي أرسلنا رسلاً. فرسلاً مضمر وهناك إضمار آخر تقديره: فكذّبوهم فأهلكناهم.

(٢) يتضرعون: يدعون الله ويتذلّلون له، إذ التضرع مأخوذ من الرضاعة التي هي الذلة، يقال: ضرع إليه فهو ضارع أي: متذلل.

(٣) أبواب كل شيء كان مغلقا عنهم وهو استدراج لهم وقد تطول مدّة الاستدراج والإمهال عشرين سنة فأكثر.

(٤) روى أحمد عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ: «فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون».

(٥) قالوا: المبلس: هو الباهت الحزين الآيس من الخير لشدة ما نزل به من سوء الحال قال العجاج.

هل تعرف رسما مكرساً قال نعم أعرفه وأبلسا

المكرّس: الذي به الكرس وهو أبوال الإبل وأبعارها.

(٦) الدابر: الآخر يقال: دبر القوم يدبرهم دبراً إذا كان آخرهم. ومعناه أخذهم أجمعين إذ آخر من يؤخذ هو من كان خلف القوم وآخرهم.

٢ـ بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم.

٣ـ إذا رأيت الأمة قد فسقت عن أمر ربها ورسوله فعوقبت فلم تتعظ بالعقوبة واستمرت على فسقها وبسط الله تعالى لها في الرزق وأغدق عليها الخيرات فاعلم أنها قد استدرجت للهلاك وأنها هالكة لا محالة.

٤ـ شؤم الظلم هلاك الظالمين.

٥ـ الإرشاد إلى حمد الله تعالى عند نهاية كل عمل، وعاقبة كل أمر.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات:

أرأيتم : أخبروني وفي هذه الصيغة نوع من التعجب.

أخذ سمعكم وأبصاركم : أي أصمكم وأعماكم.

وختم على قلوبكم : جعلها لا تعى ولا تفهم.

نصرف الآيات : ننوع الأساليب لزيادة البيان والإيضاح.

يصدفون : يعرضون.

بغتة أو جهرة : بغتة: بدون إعلام ولا علامة سابقة، والجهرة: ما كان بإعلام وعلامة تدل عليه.

هل يهلك : أي ما يهلك.

معنى الآيـات :

مازال السياق في دعوة العادلين بربهم الأصنام والأوثان إلى التوحيد فقال تعالى لنبيه يلقنه الحجج التي تبطل باطل المشركين ﴿قل أرأيتم﴾ أي أخبروني يا قوم ﴿إن أخذ الله[1] سمعكم﴾ وجعلكم صمّا لا تسمعـون وأخـذ ﴿أبصـاركم﴾ فكنتم عمياً لا تبصرون ﴿وختم على قلوبكم﴾ أي طبع عليها فأصبحتم لا تعقلون ولا تفهمون. أي إله غير الله يأتيكم بالذي أخذ الله منكم؟ والجواب لا أحد، إذاً فكيف تتركون عبادة من يملك سمعكم وأبصاركم وقلوبكم ويملك كل شيء فيكم وعندكم، وتعبدون مالا يملك من ذلكم من شيء؟ أي ضلال أبعد من هذا الضلال! ثم قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿أنظر[2]﴾ يا رسولنا ﴿كيف نصرف الآيات﴾ أي ننوع أساليبها زيادة في بيانها وإظهار الحجة بها ﴿ثم هم يصدفون﴾ أي يعرضون عادلين بربهم مالا يملك نفعاً ولا ضراً ثم أمره في الآية الثانية (٤٧) أن يقول لهم وقد أقام الحجة عليهم في الآية الأولى (٤٦) قل لهم ﴿أرأيتكم﴾ أي أخبرونى[3] ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ وقد استوجبتموه بصدوفكم عن الحق وإعراضكم عنه ﴿بغتة[4]﴾ أي فجأة بدون سابق علامة، ﴿أو جهرة﴾ بعلامة تقدمته تنذركم به أخبروني من يهلك منا ومنكم؟ ﴿هل يهلك إلا القوم[5] الظالمون﴾ بصرف العبادة إلى من لا يستحقها وترك من وجبت له وهو الله الذي لا إله إلا هو ثم عزى الرحمن جل جلاله رسوله بقوله: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين[6] ومنذرين﴾ أي ما نكلفهم بغير حمل البشارة بالنجاة ودخول الجنة لمن آمن وعمل صالحاً والنذارة لمن كفر وعمل سوءاً، فقال تعالى: ﴿فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿والذين

---

(١) الأخذ: انتزاع الشيء، وتناوله من مقره وهو هنا بمعنى السلب والإعدام.

(٢) هذا التعجيب لرسول الله ﷺ من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة، أي: انظر كيف نكررها ونلونها من أسلوب إلى آخر تارة نوردها بمقدمات عقلية وأخرى بأسلوب الترغيب والترهيب، والتنبيه والتذكير.

(٣) وهذا تبكيت آخر غير الأول لهم.

(٤) وفسّر بغتة وجهرة بليلا ونهارا والكل صالح وصحيح.

(٥) الاستفهام في قوله: ﴿هل يهلك..﴾ الخ للتقرير وحصر الهلاك في أهل الظلم تسجيلا عليهم الظلم وإيذاناً بأن هلاكهم كان سبب ظلمهم الذي هو وضعهم الشرك موضع التوحيد والكفر موضع الإيمان.

(٦) ﴿مبشرين ومنذرين﴾ حالان مقدرتان من المرسلين أي ما نرسلهم إلامقدرينتبشيرهم وإنذارهم وفيهما معنى التعليل للإرسال والتبشير: الأصل فيه الإخبار بالأمر السار، والإنذار: الإخبار بالخبر الضار دنيويا أو أخرويا. والمراد هنا بكل من البشارة والنذارة نعيم الآخرة وعذابها.

كذبـوا بآياتنا﴾ التي نرسل بها المرسلين فلم يؤمنوا ولم يعملوا صالحاً ﴿يمسهم العذاب﴾[1]
عذاب النار ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم عن طاعتنا وطاعة رسلنا الفسق الذي أثمره
لهم التكذيب بالآيات، إذ لو آمنوا بآيات الله لما فسقوا عن طاعته وطاعة رسوله فشؤمهم في
تكذيبهم، وذلك جزاؤهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ افتقار العبد إلى الله في سمعه وبصره وقلبه وفي كل حياته موجب عليه عبادة الله وحده دون سواه.

٢ـ هـلاك الظالمين لا مناص منه عاجلاً أو آجلاً.

٣ـ بيان مهمة الرسل وهي البشارة لمن أطاع والنذارة لمن عصى والهداية والجزاء على الله تعالى.

٤ـ الفسق عن طاعة الله ورسوله ثمرة التكذيب، والطاعة ثمرة الإيمان.

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ
عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ
إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ
إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ

---

(١) أي: العذاب الذي أنذروا به وهو عاجل كعذاب الدنيا أو آجل وهو عذاب الآخرة.

عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾
وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

خزائن : جمع خزانة أو خزينة ما يخزن فيه الشيء ويحفظ.

الغيب : ما غاب عن العيون وكان محصلاً فى الصدور وهو نوعان غيب حقيقي وغيب إضافي فالحقيقي مالا يعلمه إلا الله تعالى، والإضافي ما يعلمه أحد ويجهله آخر.

أنذر به : خوّف به أي بالقرآن.

الغداة : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والعشي من صلاة العصر إلى غروب الشمس.

فتطردهم : أي تبعدهم من مجلسك.

فتنا : ابتلينا بعضهم ببعض الغني بالفقير، والشريف بالوضيع.

من الله عليهم : أي أعطاهم الفضل فهداهم إلى الإسلام دوننا.

بالشاكرين : المستوجبين لفضل الله ومنته بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم.

معنى الآيات :

مازال السياق مع العادلين بربهم الأصنام المنكرين للنبوة المحمدية فأمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم: ﴿لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾(1) أي خزائن الأرزاق ﴿ولا أعلم الغيب﴾ أي ولا أقول لكم إني أعلم الغيب، ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ من الملائكة ما أنا إلا عبد رسول أتبع ما يوحي(2) إلي ربي فأقول وأعمل بموجب وحيه إلي. ثم قال له اسألهم قائلاً ﴿هل

---

(١) هذا ردّ على المشركين في اقتراحاتهم المتعددة المتنوعة فأمر تعالى رسوله أن يرد عليهم بأنّه لا يملك خزائن الله التي فيها الأرزاق حتى يعطيهم ما يطلبون ويقترحون، ولا هو يعلم الغيب حتى يخبرهم بموعد العذاب الذي ينتظرهم، ولا هو ملك يقدر على مالا يقدر عليه البشر، وإنما هو بشر يوحى إليه الخبر من ربّه فيخبر به ويعمل به ليس غير.

(٢) هذا غير ناف لاجتهاد الرسول ﷺ وكثيرا ما يجتهد وقد يقيس على المنصوص عنه، ولكنه لا يقرّ على غير الحق وما يرضي الرب عز وجل.

يستوي الأعمى[١] والبصير؟﴾ والجواب لا، فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر، والمهدي والضال ﴿أفلا تتفكرون﴾ أي مالكم لا تتفكرون فتهتدوا للحق وتعرفوا سبيل النجاة. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٠) أما الآية الثانية (٥١) فإن الله تعالى يأمر رسوله أن ينذر بالقرآن المؤمنين العاصين فقال ﴿وأنذر به[٢] الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ يوم القيامة وهم مذنبون، وليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع[٣] فهؤلاء ينفعهم إنذارك بالقرآن أما الكفرة المكذبون فهم كالأموات لا يستجيبون وهذا كقوله تعالى من سورة ق ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ فهؤلاء إن أنذرتهم يرجى لهم أن يتقوا معاصي الله ومعاصيك أيها الرسول وهو معنى قوله تعالى: ﴿لعلهم يتقون﴾. هذا ما تضمنته الآية الثانية (٥١) أما الآية الثالثة (٥٢) وهي قوله تعالى ﴿ولا تطرد[٤] الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، يريدون وجهه﴾ فإن بعض المشركين في مكة اقترحوا على الرسول ﷺ أن يبعد من مجلسه فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب حتى يجلسوا إليه ويسمعوا عنه فهمَّ الرسول ﷺ أن يفعل رجاء هداية أولئك المشركين فنهاه الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ في صلاة الصبح، وصلاة العصر، يريدون وجه الله ليرضى عنهم ويقربهم ويجعلهم من أهل ولايته وكرامته، ومبالغة في الزجر عن هذا الهم قال تعالى: ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ أي ما أنت بمسؤول عن خطاياهم إن كانت لهم خطايا، ولا هم بمسئولين عنك فلم تطردهم إذاً؟ ﴿فتطردهم[٥] فتكون من الظالمين﴾ أي فلا تفعل، ولم يفعل ﷺ وصبر عليهم وحبس نفسه معهم وفي الآية الأخيرة (٥٣) يقول تعالى: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾[٦]

---

(١) في هذا الخطاب الاستفهامي إيماء إلى المفارقة التامة الحاصلة من المؤمنين والكافرين، وأن الكافرين عمي والمؤمنين بصراء، والمؤمنون مهتدون، والكافرون ضالّون، فما لهم لا يتفكّرون لعلهم يخرجون من ظلمة كفرهم.

(٢) وأنذر به أي: بالقرآن وقيل بيوم القيامة، وكونه القرآن أولى وأصح لقوله تعالى: ﴿فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد﴾.

(٣) في الآية دليل على إبطال شفاعة الأصنام لعابديها، والأولياء للمشركين ممن يذبحون لهم وينذرون كما فيها إبطال لزعم أهل الكتاب القائلين نحن أبناء الله وأحباؤه فسوف يشفع لنا الأب، إذ شرط صحة الشفاعة يوم القيامة أن يأذن الله لمن يشفع وأن يرضى بنجاة المشفوع له.

(٤) روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدّث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم...﴾ الآية.

(٥) في الآية دليل على عدم جواز تعظيم الرجل لجاهه وثوبه وعدم احتقار الرجل لخموله ورثاثة ثوبه.

(٦) الفتنة: الاختبار أي: عاملناهم معاملة المختبر لهم فأغنينا بعضا وأفقرنا بعضا واللاّم في قوله تعالى: ﴿ليقولوا﴾ هي لام العاقبة أي: ليقول أغنياء وأشراف المشركين مشيرين إلى فقراء المؤمنين: أهؤلاء منّ الله عليهم بأن وفقهم لإصابة الحق دوننا، ونحن الرؤساء وهم العبيد.

أي هكذا ابتلينا بعضهم ببعض هذا غني وذاك فقير، وهذا وضيع وذاك شريف، وهذا قوي وذاك ضعيف ليؤول الأمر ويقول الأغنياء الشرفاء للفقراء الضعفاء من المؤمنين استخفافاً بهم واحتقاراً لهم: أهؤلاء الذين من الله عليهم بيننا بالهداية والرشد قال تعالى: ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾. بلى فالشاكرون هم المستحقون لإنعام الله بكل خير وأما الكافرون فلا يعطون ولا يزادون لكفرهم النعم، وعدم شكرهم لها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير بشرية الرسول ﷺ.

٢ـ تقرير مبدأ أن الرسول لا يعلم الغيب، وأنه لا يتصرف في شيء من الكون.

٣ـ نفي مساواة المؤمن والكافر إذ المؤمن مبصر والكافر أعمى.

٤ـ استحباب مجالسة أهل الفاقة وأهل التقوى والايمان.

٥ـ بيان الحكمة في وجود أغنياء وفقراء وأشراف ووضعاء، وأقوياء وضعفاء وهي الاختبار.

٦ـ الشاكرون مستوجبون لزيادة النعم، والكافرون مستوجبون لنقصانها وذهابها.

وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ

(١) قرىء ﴿فأنه غفور﴾ بالفتح أنّه وقرىء بكسرها على الاستئناف، أمّا على الفتح ففي توجيهه رأيان، الأوّل أن يكون في موضع رفع على الابتداء كأنّه قال: فله أنه غفور رحيم أي: فله غفران الله، والثاني: أن يضمر مبتدأ تكون أنّ وما وعملت فيه خبره، تقديره فأمره غفران الله له، وهذا الأخير أولى من الأول.

أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

سلام عليكم : دعاء بالسلامة من كل مكروه ، وهي تحية المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة في الجنة .

كتب ربكم على نفسه الرحمة : أي أوجب الرحمة على نفسه فلذا لا يعذب إلا بعد الإنذار، ويقبل توبة من تاب .

سوءاً : أي ذنباً أساء به إلى نفسه .

بجهالة : الجهالة أنواع منها: عدم تقدير عاقبة الذنب، ونسيان عظمة الرب .

تستبين : تتضح وتظهر.

نهيت : أي نهاني ربي أي زجرني عن عبادة أصنامكم .

تدعون : تعبدون .

بينة : البينة: الحجة الواضحة العقلية الموجبة للحكم بالفعل أو الترك .

إن الحكم : أي ما الحكم إلا لله .

يقص الحق : أي يخبر بالحق .

خير الفاصلين : الفصل في الشيء: القضاء والحكم فيه، والفاصل في القضية: الحاكم فيها ومنهيها .

معنى الآيات :

يرشد الله تبارك وتعالى رسوله إلى الطريقة المثلى في الدعوة إليه، بعد أن نهاه عن الطريقة التي هم بها وهي طرد المؤمنين من مجلسه ليجلس الكافرون رجاء هدايتهم فقال تعالى :

﴿وإذا جاءك الذين[1] يؤمنون بآياتنا﴾ أي يصدقون بنبوتك وكتابك وما جئت به من الدين الحق فهؤلاء رحب بهم وقل[2] سلام عليكم ومهما كانت ذنوبهم التي ارتكبوها، وأخبرهم أن ربهم تعالى قد كتب[3] على نفسه الرحمة فلا يخافون ذنوبهم بعد توبتهم وإنابتهم إلى ربهم بالإيمان به وتوطين النفس على طاعته، ﴿أنه من عمل منكم سوءً[4] بجهالة ثم تاب من بعده﴾ أي أقلع عن الذنب نادماً مستغفراً ، وأصلح نفسه بالصالحات فإن ربه غفور رحيم فسيغفر له ويرحمه. هكذا يستقبل كل عبد جاء مؤمناً مستفتياً يسأل عن طريق النجاة يستقبل بالبشر والطلاقة والتحية والسلام لا بالعنف والتقريع والتوبيخ. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٤) أما الآية الثانية (٥٥) فإنه تعالى بعد أن نهى رسوله عن الاستجابة لاقتراح المشركين المتكبرين، وعن طرد المؤمنين وعن حكمته في وجود أغنياء وفقراء وأقوياء وضعفاء في الناس وعن الطريقة المثلى في استقبال التائبين المستفتين بعد هذا كله قال تعالى: ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ أي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات مستقبلاً لبيان الهداية الإلهية ليهتدي من أراد الله له الهداية وقد طلبها ورغب فيها، ولتستبين[5] وتتضح سبيل المجرمين، فلا تُتبع وَيَنْهىٰ عن اتباعها، لأنها طريق الهلاك والدمار. هذا ما أفادته الآية الثانية أما الآيات الثالثة والرابعة والخامسة في هذا السياق فهي تحمل الهداية الإلهية للرسول ﷺ في طريق دعوته إلى ربه فكل آية من تلك الآيات مفتتحة بكلمة (قل) أي قل أيها الرسول لأولئك المشركين الذين يدعونك إلى موافقتهم على شركهم وعبادة غيري معهم ﴿أني نهيت﴾ أي نهاني ربي أن أعبد ما تدعون[6] من الأصنام والأوثان، وقل لهم: لا أتبع أهواءكم في عبادة غير الله تعالى الموروثة لكم عن آبائكم الضلال مثلكم إني إن فعلت أكون قد

---

(١) روي عن الفضل بن عباس قوله: جاء قوم من المسلمين إلى النبي ﷺ فقالوا إنّا قد أصبنا من الذنوب فاستغفر لنا فأعرض عنهم فنزلت الآية، وروي عن أنس بن مالك مثله.

(٢) أي: سلمكم الله في دينكم وأنفسكم، كان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام».

(٣) كتب: بمعنى أوجب ذلك على نفسه بفضله ورحمته، وكتبه في اللوح المحفوظ فالكتابة على بابها إذاً.

(٤) ﴿سوءا﴾ أي خطيئة من غير إرادة تحدي شرع الله وانتهاك حرماته وإنما ضعفاً منه وعدم قدرة على التغلب على طبعه وشهوته وميل هواه.

(٥) قرىء: ﴿ليستبين﴾ بالياء والتاء فقراءة التاء يكون الخطاب فيها لرسول الله ﷺ أي: ولتستبين يا رسولنا سبيل المجرمين، وخطاب النبي ﷺ خطاب لأمته، وإذا بان سبيل المجرمين فقد بان سبيل المؤمنين وقراءة الياء ليستبين سبيل المجرمين، فسبيل مرفوع على الفاعلية.

(٦) أطلق لفظ الدعاء وأريد به العبادة، لأنّ الدعاء هو العبادة ومخها أيضاً لما في الدعاء من مظاهر العبودية لله تعالى ومظاهر أسمائه وصفاته عز وجل.

ضللت[1] إذاً وما أنا من المهتدين إلى سبل الفوز والفلاح. وقل: ﴿إني على بينة من ربي﴾ أي على علم يقيني من وجوب الإيمان بالله ووجوب توحيده وطاعته ووجوب الدعوة إلى ذلك، وكذبتم أنتم بهذا كله وبالعذاب إذ أنذرتكم به وأنا ما عندي ما تستعجلون به من العذاب، ولو كان عندي لحل بكم وانتهى أمركم، ولكن الحكم لله ليس لأحد غيره وقد قص عليكم أخبار السابقين المطالبين[2] رسلهم بالعذاب ورأيتم كيف حل بهم العذاب، ﴿والله يقص[3] الحق وهو خير الفاصلين﴾ فإذا أراد أن يحكم بيني وبينكم فإنه نعم الحكم والعدل وهو خير الحاكمين. وقل لهم يارسولنا ﴿لو أن عندي ما تستعجلون به﴾ من العذاب ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ بتدمير الظالم منا، ﴿والله أعلم بالظالمين﴾، ولا يهلك غيرهم لأنهم المستوجبون للعذاب بظلمهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب الرفق والتلطف بالمستفتين وعدم الشدة والغلظة عليهم.

٢- اتباع أهواء أهل الأهواء والباطل يضل ويهلك.

٣- على المسلم الداعي إلى ربه أن يكون على علم كاف بالله تعالى وبتوحيده ووعده ووعيده وأحكام شرعه.

٤- وجوب الصبر والتحمل مما يلقاه الداعي من أهل الزيغ والضلال من الاقتراحات الفاسدة.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

---

(١) قرىء ﴿ضلَلت﴾ بفتح اللام وكسرها، وهما لغتان، فضلِلت: بكسر اللام لغة تميم، والفتح لغة الحجاز، وهي أفصح.

(٢) إذ أكثر أمم الرسل قالوا لرسلهم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قالتها عاد لنبيها هود وقالها قوم نوح لنوح عليه السلام.

(٣) أي: يقص القصص الحق، قال القرطبي بهذا استدل من منع المجاز في القرآن، وقرىء نقض بالضاد من القضاء ويدل عليه قوله بعد: ﴿وهو خير الفاصلين﴾ الفصل: القضاء والحكم.

وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ
أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

مفاتح الغيب	: المفاتح : جمع مَفتح[1] بفتح الميم أي المخزن.
البر والبحر	: البر ضد البحر، وهو اليابس من الأرض، والبحر ما يغمره الماء منها.
ورقة	: واحدة الورق والورق للشجر كالسعف للنخل.
حبة	: واحدة الحب من ذرة أو بر أو شعير أو غيرها.
ولا رطب	: الرطب ضد اليابس من كل شيء.
في كتاب مبين	: أي في اللوح المحفوظ كتاب المقادير.
يتوفاكم بالليل	: أي ينيمكم باستتار الأرواح وحجبها عن الحياة كالموت.
جرحتم	: أي كسبتم بجوارحكم من خير وشر.
ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى	: أي يوقظكم لتواصلوا العمل إلى نهاية الأجل المسمى لكم.
حفظة	: الكرام الكاتبين.
رسلنا	: ملك الموت وأعوانه.

---

(١) المفتاح والجمع مفاتيح، والمفتح: عبارة عن كل ما يحل مغلقاً محسوساً كالقفل للباب، أو معقولا كالنظر. وفي الحديث: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر».

معنى الآيـات :

لما ذكر تعالى في نهاية الآية السابقة أنه أعلم بالظالمين المستحقين للعقوبة أخبر عز وجل أن الأمر كما قال ودليل ذلك أنه عالم الغيب والشهادة، إذ ﴿عنده مفاتح الغيب﴾[1] أي خزائن الغيب وهو الغيب الذي استأثر بعلمه فلا يعلمه سواه ويعلم[2] ما في البر والبحر وهذا من عالم الشهادة، إضافة إلى ذلك أن كل شيء كان أو يكون من أحداث العالم قد حواه كتاب له اسمه اللوح المحفوظ، وهو ما دل عليه قوله: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب[3] ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ وما كتبه قبل وجوده فقد علمه إذاً فهو عالم الغيب والشهـادة أحصى كل شيء عدداً وأحاط بكل شيء علمًا، فكيف إذاً لا يعبد ولا يرغب فيه ولا يرهب منه وأين هو في كماله وجلاله من أولئك الأموات من أصنام وأوثان. ؟؟ هذا مادلت عليه الآية الأولى (٥٩) وأما الآية الثانية (٦٠) فقد قررت ما دلت عليه الآية قبلها من قدرة الله وعلمه وحكمته فقال تعالى مخبراً عن نفسه ﴿وهو الذي يتوفاكم[4] بالليل﴾ حال نومكم إذ روح النائم تقبض ما دام نائمًا ثم ترسل إليه عند إرادة الله بعثه من نومه أي يقظته، وقوله ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ أي في النهار المقابل لليل، وعلة هذا أن يقضى ويتم الأجل الذي حدده تعالى للإنسان يعيشه وهو مدة عمره طالت أو قصرت، وهو معنى قوله ﴿ثم يبعثكم فيه ليُقضىٰ أجل مسمى﴾ وقوله تعالى ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ لامحالة وذلك بعد نهاية الأجل، ﴿ثم ينبئكم﴾ بعلمه ﴿بما كنتم تعملون﴾ من خير وشر ويجازيكم بذلك وهو خير الفاصلين. وفي الآية الثالثة يخبر تعالى عن نفسه أيـضاً تقريراً لعظيم سلطانه الموجب له بالعبادة والرغبة والرهبة إذ قال مخبراً عن نفسه ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾، ذو القهر التام

---

(١) روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلّا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» ولذا قال ﷺ: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» والعرّاف الحازي والمنجم الذي يدعي علم الغيب، والمهنة: العرافة، وصاحبها عَرّاف. وفي مسلم عن عائشة أنها قالت سأل رسول الله أناس عن الكهانة فقال: «ليست بشيء. فقالوا يا رسول الله انهم يحدّثون أحيانا بشيء فيكون حقا فقال رسول الله ﷺ تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليّه قرّ الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة».

(٢) روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أنّ رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾.

(٣) يطلق لفظ الرطب على الماء وما ينبت والحيّ، ولسان المؤمن، واليابس على ضد ذلك كالياس والتراب ومالا ينبت، ولسان الكافر لأنّه لا يذكر الله تعالى.

(٤) التـوفي: استيفاء الشيء، وتوفي الميت: استوفى عدد أيام عمره، والنائم كأنه استوفى حركاته في اليقظة، والوفاة: الموت، واستوفى دينه: أخذه كاملاً.

والسلطان الكامل على الخلق أجمعين ﴿ويرسل عليكم﴾ أيها الناس ﴿حفظة[1]﴾ بالليل والنهار يكتبـون أعمالكم وتحفظ لكم لتجزوا بها ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت﴾ لانقضاء أجله ﴿تـوفته رسلنا﴾ ملك الموت وأعوانه، ﴿وهم لا يفرطون﴾ أي لا يضيعون ولا يقصرون وأخيراً يقول تعالى مخبراً بالأمر العظيم إنه الوقوف بين يدي الرب تعالى المولى الحق الذي يجب أن يعبـد دون سواه، وقد كفره أكثر الناس وعصوه، وفسقوا عن أمره وتركوا طاعته وأدهى من ذلك عبدوا غيره من مخلوقاته فكيف يكون حسابهم والحكم عليهم؟ والله يقول: ﴿ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين[2]﴾.

هدايـة الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان مظاهر القدرة والعلم والحكمة لله تعالى.

٢ـ استئثار الله تعالى بعلم الغيب.

٣ـ كتاب المقادير حوى كل شيء حتى سقوط الورقة من الشجرة وعلم الله بذلك.

٤ـ صحة إطلاق الوفاة على النوم، وبهذا فسر قوله تعالى لعيسى إني متوفيك.

٥ـ تقرير مبدأ المعاد والحساب والجزاء.

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم

(١) الحفظة: جمع حافظ كالكتبة جمع كاتب، والمراد هنا: الملائكة الكرام الكاتبون وهم أربعة: ملكان بالليل، وملكان بالنهار، وخامس لا يفارق أبداً.

(٢) ﴿أسرع الحاسبين﴾ أي: لا يحتاج إلى فكرة وروية ولا عقد يدٍ.

بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

ينجيكم	: يخلصكم مما تخافون.
تضرعاً وخفية	: التضرع: الدعاء بتذلل وخفية بدون جهر بالدعاء.
من هذه	: أي الهلكة.
من الشاكرين	: المعترفين بفضلك الحامدين لك على فعلك.
كرب	: الكرب: الشدّة الموجبة للحزن وألم الجسم والنفس.
تشركون	: أي به تعالى بدعائهم أصنامهم وتقربهم إليها بالذبائح.
من فوقكم	: كالصواعق ونحوها.
من تحت أرجلكم	: كالزلزال والخسف ونحوهما.
أو يلبسكم شيعاً	: أي يخلط عليكم أمركم فتختلفون شيعاً وأحزاباً.
ويذيق بعضكم بأس بعض	: أي يقتل بعضكم بعضاً فتذيق كل طائفة الأخرى ألم الحرب.
يفقهون	: معاني ما نقول لهم.
وكذب به قومك	: أي قريش.
الوكيل	: من يوكل إليه الشيء أو الأمر يدبره.
لكل نبأ مستقر	: المستقر: موضع الاستقرار والنبأ: الخبر العظيم.

معنى الآيات :

ما زال السياق مع المشركين العادلين بربهم فيقول الله تعالى لرسوله قل لهم: ﴿من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾[1] إذا ضل أحدكم طريقه في الصحراء ودخل عليه ظلام الليل، أو

---

(١) ظلمات البر والبحر: كناية عن شدائدهما، يقال: يوم مظلم أي: شديد، وتقول العرب: يوم ذو كواكب وأنشد سيبويه.
بني أسد هل تعلمون بلادنا   إذا كان يوم ذو كواكب أشنعا
وجمع الظلمات لتعددها إذ هي ظلمة البر وظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الغيم.

ركب البحر فغشيته ظلمة السحاب والليل والبحر واضطربت نفسه من الخوف يدعو من؟ إنه يدعو الله وحده لعلمه أنه لا ينجيه إلا هو يدعوه ويتضرع إليه جهراً وسراً قائلا وعزتك لئن أنجيتنا من هذه الهلكة التي حاقت بنا لنكونن من الشاكرين لك. ثم إذا نجاكم استجابة لدعائكم وأمنتم المخاوف عدتم فجأة الى الشرك به بدعاء غيره. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٣) ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية، لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾، وفي الآية الثانية (٦٤) يأمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم جواباً لقوله من ينجيكم: ﴿الله ينجيكم منها[1]﴾ أي من تلك الحالة التي اضطربت لها نفوسكم وخشيتم فيها الهلاك وينجيكم أيضاً من كل كرب[2]، ثم مع هذا يا للعجب أنتم تشركون[3] به تعالى أصنامكم. قل لهم يا رسولنا أن الله الذي ينجيكم من كل كرب هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من السماء فوقكم[4]، أو من الأرض تحتكم، أو يخلط عليكم أمركم فتتنازعوا فتختلفوا فتصبحوا شيعاً وطوائف وفرقاً متعادية يقتل بعضكم بعضا، فيذيق بعضكم بأس بعض، ثم قال الله تعالى لرسوله انظر يا رسولنا كيف نفصل الآيات بتنويع الكلام وتوضيح معانيه رجاء أن يفقهوا معنى ما نقول لهم فيهتدوا إلى الحق فيؤمنوا بالله وحده ويؤمنوا بلقائه وبرسوله وما جاء به فيكملوا ويسعدوا وفي الآية (٦٥) يخبر تعالى بواقع القوم: أنهم كذبوا بهذا القرآن وما أخبرهم به من الوعيد الشديد وهو الحق الذي ليس بباطل ولا يأتيه الباطل، ويأمر رسوله أن يقول لهم بعد تكذيبهم له ﴿لست عليكم بوكيل﴾ فأخاف من تبعة عدم إيمانكم وتوحيدكم ﴿ولكل نبأ مستقر[5]﴾ وقد أنبأتكم بالعذاب على تكذيبكم وشرككم ﴿وسوف تعلمون﴾ ذلك يوم يحل بكم وقد استقر نبأه يوم بدر والحمد لله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ لا برهان أعظم على بطلان الشرك من أن المشركين يخلصون الدعاء لله تعالى في الشدة.

---

(١) قرىء: ﴿ينجّيكم﴾ بالتشديد، و﴿ينجيكم﴾ بالتخفيف، والمعنى واحد والفعل: يقال نجّاه من كذا وأنجاه من كذا.
(٢) الكرب: الغمّ يأخذ النفس ويقال فيه: رجل مكروب، والكربة مأخوذة منه.
(٣) هذه الجملة تحمل لهم التقريع والتوبيخ أي: ومع هذا الإنجاء الذي يحصل لكم من ربكم إذا أنتم مشركون باللوقاحة والدناءة، وإلّا فهم مشركون من قبل.
(٤) من فوقكم كالحجارة، والطوفان والصواعق ومن تحتكم كالخسف والرجفة.
(٥) ﴿لكل نبأ﴾ أي: خبر مستقر أي وقت يقع فيه مضمونه فلا يتقدّم ولا يتأخر.

٢ـ لا منجى من الشدائد ولا منقذ من الكروب إلا الله سبحانه وتعالى.

٣ـ التحذير من الاختلاف المفضي[1] إلى الانقسام والتكتل.

٤ـ ﴿لكل نبأ مستقر﴾. أجري مجرى المثل، وكذا ﴿سوف تعلمون﴾.

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ
ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ
أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

شـرح الكلمـات :

يخوضون في آياتنا : يتكلمون في القرآن طعناً فيه ونقداً له ولما جاء فيه.

فأعرض عنهم : قم محتجاً على صنيعهم الباطل، غير ملتفت إليهم.

بعد الذكـرى : أي بعد التذكر.

---

(١) يحسن ذكر شاهد عظيم على معنى هذه الآية: ﴿ويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ روى مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله زوى لي الأرض (أي جمعها) فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمّتى ألّا يهلكهم بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإنّ ربي قال لي يامحمد: إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمّتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضاً».

ولكن ذكـــرى : أي موعظة لهم.

وذر الذيـن : أي اتـرك الكافرين.

لعبـاً ولهواً : كونه لعباً لأنه لا يجنون منه فائدة قط، وكونه لهواً لأنهم يتلهون به وشغلهم عن الدين الحق الذي يكملهم ويسعدهم.

أن تبسل نفس : أي تسلم فتؤخذ فتحبس في جهنم.

كـل عـدل : العدل هنا: الفـداء.

أبســـلو : حبسوا في جنهم بما كسبوا من الشرك والمعاصي.

مـن حمـيم : الحميم الماء الشديد الحرارة الذي لا يطاق.

وعـذاب أليـم : أي شديد الألم والإيجاع وهو عذاب النار.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث مع أولئك العادلين المكذبين فيقول الله تعالى لرسوله ﴿وإذا رأيت[(١)] الذين يخوضون في آياتنا﴾ يستهزئون بالآيات القرآنية ويسخرون مما دلت عليه من التوحيد والعذاب للكافرين ﴿فأعرض عنهم﴾ أي فصد عنهم وانصرف ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ وإن أنساك الشيطان نهينا هذا فجلست ثم ذكرت فقم ولاتقعد مع القوم الـظالمين، وقوله تعالى: ﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ أي وليس على المؤمنين المتقين أنت وأصحابك يا رسولنا من تبعة ولا مسئولية ولكن إذا خاضوا في الباطل فقوموا ليكون ذلك ذكرى لهم فيكفون عن الخوض في آيات الله تعالى. وهذا كان بمكة قبل قـوة الإسلام، ونزل بالمدينة النهي عن الجلوس مع الكافرين والمنافقين إذا خاضوا في آيات الله ومن جلس معهم يكون مثلهم وهو أمر عظيم قال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾ هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية.

(١) الخطاب للرسول ﷺ وأصحابه وأمته داخلة معه في هذا فمتى حصل لمؤمن أو مؤمنة مثل هذا تعيّن عليه أن يقوم احتجاجا وعدم رضاً، وفي الآية دليل على أنّ مجالسة أهل الكبائر لاتجوز لاسيما في حال تلبسهم بالكبيرة، وهذه أقوال السلف في هذه المسـألة قال ابن خويز منداد: من خاض في آيات الله تُركت مجالسته وهجر مؤمنا كان أو كافراً قال القرطبي: منع أصحابنا الدخول على أرض العدو ودخول كنائسهم ومجالسة الكفار وأهل البدع وألّا تعتقد مودّتهم ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتهم. قال الفضيل بن عياض من أحبّ صاحِب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإيمان من قلبه.

أما الثالثة (٧٠) فإن الله تعالى يأمر رسوله أن يترك الذين اتخذوا دينهم الحق الذي جاءهم به رسول الحق لعباً ولهواً يلعبون به أو يسخرون منه ويستهزئون به وغرتهم الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم[1] لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا﴾ اتركهم فلا يهمك أمرهم وفى هذا تهديد لهم على ما هم عليه من الكفر والسخرية والاستهزاء، وقد أخبر تعالى فى سورة الحجر أنه كفاه أمرهم إذ قال ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾، وقوله تعالى ﴿وذكر به﴾ أي بالقرآن ﴿أن تبسل نفس﴾ أي كي لا تبسل[2] ﴿بما كسبت﴾ أي كي لا تسلم نفس للعذاب بما كسبت من الشرك والمعاصي، ﴿ليس لها﴾ يوم تسلم للعذاب ﴿من دون الله ولي﴾ يتولى خلاصها، ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لها فينجيها من عذاب النار ﴿وإن تعدل كل عدل[3] لا يؤخذ منها﴾ أي وإن تقدم ما أمكنها حتى ولو كان ملء الأرض ذهباً فداء لها لما نفعها ذلك ولما نجت من النار، ثم قال تعالى: ﴿أولئك الذين أبلسوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم﴾ أبلسوا: أسْلِمُوا وأخذوا إلى جهنم بما كسبوا من الذنوب والآثام لهم في جهنم شراب من ماء حميم حار وعذاب موجع أليم. وذلك بسبب كفرهم بالله وآياته ورسوله. حيث نتج عن ذلك خبث أرواحهم فما أصبح يلائم وصفهم إلا عذاب النار قال تعالى من هذه السورة سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة الجلوس في مجالس يسخر فيها من الإسلام وشرائعه وأحكامه وأهله.

٢ـ وجوب القيام احتجاجاً من أي مجلس يعصى فيه الله ورسوله.

٣ـ مشروعية الإعراض في حال الضعف عن المستهزئين بالإسلام الذين غرتهم الحياة الدنيا من أهل القوة والسلطان وحسب المؤمن أن يعرض عنهم فلا يفرح بهم ولا يضحك لهم.

---

(١) اختلف في الدين الذي اتخذه المشركون لهوا ولعباً، والظاهر أنّه الإسلام الذي جاءهم الرسول ﷺ به إذ لا دين لله سواه وبعث الله تعالى إليهم رسوله به فهو دينهم ومع الأسف رفضوه واتخذوه لهوا ولعبا يسخرون ويستهزئوا به.

(٢) قال القرطبي تبسل أي ترتهن وتسلم للهلكة عن مجاهد وقتادة والحسن وعكرمة والإبسال تسليم المرء للهلاك. قال الشاعر:

وابسالي بنيَّ بغير جرم بعوناه ولابدم مراق

ومعنى بعوناه جنيناه. والشاهد في قوله وإبسالي بني حيث أسلم بنيه للهلاك.

(٣) العدل الفداء أو الفدية.

٤ـ وجوب التذكير بالقرآن وخاصة المؤمنين الذين يرجى توبتهم.
٥ـ من مات على كفره لم ينج من النار إذ لا يجد فداء ولا شفيعاً يخلصه من النار بحال.

قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

أندعوا : أي نعبد.

مالا ينفعنا ولا يضرنا : أي ما لا يقدر على نفعنا ولا على ضرنا لو أراد ذلك لنا.

ونرد على أعقابنا : أي نرجع كفاراً بعد أن كنا مؤمنين.

استهوته الشياطين : أي أضلته في الأرض فهوى فيها تائه حيران لا يدري أين يذهب.

واتقوه : أي اتقوا الله بتوحيده في عبادته وترك معصيته.

ويوم يقول كن فيكون : أي في يوم القيامة.

الصور : بوق كالقرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام.

الحكيم : في أفعاله الخبير بأحوال عباده.

معنى الآيـات :

يدل السياق على أن عرضا من المشركين كان لبعض المؤمنين لأن يعبدوا معهم آلهتهم فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم عرضهم الرخيص منكراً عليهم ذلك أشد الإنكار ﴿قل أنـدعوا من دون الله﴾ ، الاستفهام للإنكار، ﴿ما لا ينفعنا﴾ إن عبدناه، ﴿ولا يضرنا﴾ إن تركنا عبادته وبذلك نصبح وقد رددنا على أعقابنا[١] من التوحيد إلى الشرك بعد إذ هدانا الله إلى الإيمان به ومعرفته ومعرفة دينه، فيكون حالنا كحال من أضلته الشياطين في الصحراء فتاه فيها فلا يدرى أين يذهب ولا أين يجيىء، ﴿وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾ وهو لا يقدر على إجابتهم ولا الاتيان إليهم لشدة ما فعل استهواء[٢] الشياطين في عقله. ثم أمره أن يقول أيضاً قل إن الهدى الحق الذي لا ضلال ولا خسران فيه هدى الله الذي هدانا إليه ألا إنه الإسلام، وقد أمرنا ربنا أن نسلم[٣] له قلوبنا ووجوهنا لأنه رب العالمين فأسلمنا، كما أمرنا أن نقيم الصلاة فأقمناها وأن نتقيه فاتقيناه وأعلمنا أنا سنحشر إليه يوم القيامة فصدقناه في ذلـك ثم هدانـا فلن نرجـع بعـد إلى الضـلالـة. هذا ما تضمنتـه الآيتـان الأولى والثـانية أما الثالثة (٧٣) فقد تضمنت تمجيد الرب بذكر مظاهر قدرته وعلمه وعدله فقال تعالى: ﴿وهو﴾ أي الله رب العـالمين الذي أمرنا أن نسلم له فأسلمنا ﴿الذى خلق السموات والأرض بالحق[٤]﴾ فلم يخلقهما عبثاً وباطلاً بل خلقهما ليذكر فيهما ويشكر، ويوم يقول لما أراد إيجاده أو إعدامه أو تبديله كن فهو يكون كما أراد في قوله الحق دائماً ﴿وله الملك يوم[٥] ينفخ فى الصور[٦]﴾ نفخة الفناء فلا يبقى شيء إلا هو الواحد القهار فيقول جل ذكره ﴿لمن الملك اليوم﴾ فلا

---

(١) أي نرجع من الهدي إلى الضلال. والأعقاب جمع عقب وهي مؤنثه فتصغر على عقيبه. ويقال رجع على عقبيه إذا أدبر وأصابه من العاقبة والعقبى من ذلك عقب الرجل ومنه العقوبة لأنها تالية للترتيب وتكون نسبية.

(٢) استهوته بمعنى استغوته وزينت له هواه ودعته إليه فهو إذاً من هوى يهوى من هوى النفس وليس هو يهوي إلى الشيء إذا أسرع إليه والحيران هو الذي لا يهتدي لجهله.

(٣) الآية وأمرنا لنسلم ومعناها أمرنا بأن نسلم تقول العرب أمرتك لتذهب وبأن تذهب بمعنى واحد واللامات أربع: لام الجر، لام الابتداء، لام التوكيد، ولام الأمر.

(٤) قال القرطبي: ومعنى ﴿بالحق﴾ أي بكلمة الحق يعني قوله ﴿كن﴾ وهو كما قال إلا أن القول أن بالحق بمعنى بحِكْمَةٍ أي لم يخلقها لهواً أو لعباً هذا أوضح وأهم كما هو في التفسير.

(٥) من أخطاء الناس قول من قال الصور جمع صورة ومعناه ينفخ في الصور فتتم الحياة وهذا يتنافى مع الأحاديث الصحاح ومع سياق الآية. إذ قال ثم نفخ فيه أخرى أي مرة أخرى ولم يقل فيها أي في الصور فأين معنى الصورة هنا؟

(٦) الصور القرن والنافخ فيه إسرافيل عليه السلام والمراد بالنفخة هنا نفخة الفناء والنفخة التالية لها نفخة البعث وهناك نفخة الصعقة وهم في ساحة القضاء ونفخة رابعة وهي التي يقومون فيها لفصل القضاء.

يجيبه أحد فيجيب نفسه بنفسه قائلا: ﴿لله الواحد القهار﴾ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي يعلم ما غاب في خزائن الغيب عن كل أحد، ويعلم الشهادة والحضور لا يخفي عليه أحد وهو الحكيم في تصرفاته وسائر أفعاله وتدابيره لمخلوقاته الخبير ببواطن الأمور وظواهرها لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء بهذا كان المعبود الحق الذي لا يجوز أن يعبد سواه بأي عبادة من العبادات التي شرعها الله.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ قبح الردة وسوء عاقبتها.

٢ـ حرمة إجابة أهل الباطل لما يدعون إليه من الباطل.

٣ـ لا هدى إلا هدى الله تعالى أي لا دين إلا الإسلام.

٤ـ وجوب الإسلام لله تعالى وإقامة الصلاة واتقاء الله تعالى بفعل المأمور وترك المنهي .

٥ـ تقرير المعاد والحساب والجزاء.

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

شرح الكلمات :

إبراهيم : هو إبراهيم خليل الرحمن بن آزر من أولاد سام بن نوح عليه السلام.

أصناماً : جمع صنم تمثال من حجر.

آلهة : جمع إله بمعنى المعبود.

في ضلال : عدول عن طريق الحق.

ملكوت : مُلك.

جن عليه الليل : أظلم.

فلما أفل : أي غاب

بازغا : طالعاً والبزوغ الطلوع.

الضالين : العادلين عن طريق الحق إلى طريق الباطل.

وجهت وجهي : أقبلت بقلبي على ربي وأعرضت عما سواه.

حنيفاً : مائلاً عن الضلال إلى الهدى.

معنى الآيات :

مازال السياق في بيان الهدى للعادلين بربهم أصناماً يعبدونها لعلهم يهتدون فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾[1]، أي واذكر لهم قول إبراهيم لأبيه آزر: ﴿أتتخذ أصناماً آلهة﴾[2] أي أتجعل تماثيل من حجارة آلهة. أرباباً تعبدها أنت وقومك ﴿إني أراك﴾ يا أبت ﴿وقومك في ضلال مبين﴾[3] عن طريق الحق الذي ينجو ويفلح سالكه هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧٤) أما الآية الثانية (٧٥) فإن الله تعالى يقول: ﴿وكذلك نُري إبراهيم[4]

(١) قيل لآزر اسم آخر هو تارح فيكون كيعقوب له اسم يعقوب واسرائيل أما من قال آزر عمه فخلط وخبط حملهم عليه عدم اطاقتهم أن يكون والد رسول في النار وهو غاية الجهل بأسرار الشرع وحكمه وآزر بالرفع على تقدير النداء أي يا آزر.

(٢) الاستفهام للانكار وأصناماً مفعول أول وآلهة مفعول ثان لأن اتخذ تنصب مفعولين كعلم.

(٣) كان قوم ابراهيم صابئين يعبدون الكواكب ويصورون لها أصناماً وهي ديانة الكلدانيين قوم ابراهيم وكانوا يعبدونها توسلاً وتقرباً بها إلى الله تعالى ولذا فهم مشركون وليسوا ملاحدة.

(٤) نوري هو بمعنى ارينا الماضي.

ملكوت السموات[1]﴾ والأرض أي كما أريناه الحق في بطلان عبادة أبيه للأصنام نريه أيضاً مظاهر قدرتنا وعلمنا وحكمنا الموجبة لألوهيتنا في ملك السموات والأرض، ليكون بذلك من جملة الموقنين، واليقين من أعلى مراتب الإيمان. هذا ما دلت عليه الآية الثانية وفي الثالثة (٧٦) فصّل الله تعالى ما أجمله في قوله ﴿نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾. فقال تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل﴾ أي أظلم ﴿رأى كوكباً﴾ قد يكون الزهرة ﴿قال هذا ربي[2] فلما أفل﴾ أي غاب الكوكب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾، ﴿فلما رأى القمر[3] بازغاً﴾ أي طالعاً ﴿قال هذا ربي، فلما أفل﴾ أي غاب ﴿قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾، في معرفة ربهم الحق. ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ أي طالعة ﴿قال هذا ربي[4] هذا أكبر﴾ يعني من الكوكب والقمر ﴿فلما أفلت[5]﴾ أي غابت بدخول الليل ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾. هكذا واجه إبراهيم قومه عبدة الكواكب التي تمثلها أصنام منحوتة واجههم بالحقيقة التي أراد أن يصل إليها معهم وهي إبطال عبادة غير الله تعالى فقال ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً﴾ لا كما توجهون أنتم وجوهكم لأصنام نحتموها بأيديكم وعبدتموها بأهوائكم لا بأمر ربكم، وأعلن براءته في وضوح وصراحة: فقال: ﴿وما أنا من المشركين﴾.[6]

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إنكار الشرك على أهله، وعدم إقرارهم ولو كانوا أقرب الناس إلى المرء.

٢ـ فضل الله تعالى وتفضله على من يشاء بالهداية الموصلة إلى أعلى درجاتها.

---

(١) الملكوت الملك زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة في الصفة، ومثله الرغبوت والرهبوت والجبروت من الرغبة والرهبة والجبر قيل كشف له تعالى عن السموات والأرض حتى رأى العرش وأسفل الأرضين.

(٢) قوله هذا ربي في المواضع كلها في السياق ليس هو على ظاهره أبداً. بل هو تدرج بهم إلى الوصول إلى الحقيقة وهو إنه لا إله إلا الله فقوله: هذا ربي أي على قولكم أو زعمكم وهو كقوله تعالى أين شركائي كما زعمتم أو على قولكم وإلا فالله تعالى يعلم أنه لا شريك له أبداً أو هو على حذف حرف الاستفهام أي أهو ربي؟ نحو أفإن مت فهم الخالدون أي أفهم الخالدون؟.

(٣) بزغ القمر إذا بدأ في الطلوع وأصل البزغ الشق فالقمر يشق الظلام بنوره ومن بزغ البيطار الدابة إذا أسال دمها. ومنه البزاغ وهو ما يسيل من الفم.

(٤) هذا ربي أي هذا الطالع ربي وإلا فالشمس مؤنثة وقد قال فيها بازغة.

(٥) أفل يأفل أفولاً إذا غاب.

(٦) في أنا ثلاث لغات أنَ وأنَــه، وأنا وهي متعينة في الوقف (أنا).

٣ـ مطلب اليقين وأنه من أشرف المطالب وأعزها، ويتم بالتفكر والنظر في الآيات.

٤ـ الاستدلال بالحدوث على وجود الصانع الحكيم وهو الله عز وجل.

٥ـ سنة التدرج في التربية والتعليم.

٦ـ وجوب البراءة من الشرك وأهله.

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ
أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَـٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات:

حاجه قومه	: جادلوه وحاولوا غلبه بالحجة، والحجة: البينة والدليل القوي.
أتحآجّوني في الله	: اتجادلونني في توحيد الله وقد هداني إليه، فكيف أتركه وأنا منه على بينة.
سلطاناً	: حجة وبرهاناً.

الأمــــن[1] : خــلاف الخــوف.

ولم يلبسوا إيمانهم بظلم : أي لم يخلطوا إيمانهم بشـرك.

معنى الآيـات :

لما أقام إبراهيم الدليل على بطلان عبادة غير الله تعالى وتبرأ من الشرك والمشركين حاجه قومه في ذلك فقال منكراً عليهم ذلك: ﴿أتحاجوني[2] في الله وقد هدان﴾ أي كيف يصح منكم جدال لي في توحيد الله وعبادته، وترك عبادة ما سواه من الآلهة المدعاة وهي لم تخلق شيئاً ولم تنفـع ولم تضر، ومع هذا فقد هداني إلى معرفته وتوحيده وأصبحت على بينة منه سبحانه وتعالى، هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان﴾. ولا شك أنهم لما تبرأ من آلهتهم خوفوه بها وذكروا له أنها قد تصيبه بمكروه[3] فرد ذلك عليهم قائلا: ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ من آلهة أن تصيبني بأذى، ﴿إلا أن يشاء ربي[4] شيئاً﴾ فإنه يكون قطعاً فقد ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾، ثم وبخهم قائلا ﴿أفلا تتذكرون﴾ فتذكروا ما أنتم عليه هو الباطل، وأن ما أدعوكم إليه هو الحق، ثم رد القول عليهم قائلا ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ وهي أصنام جامدة لا تنفع ولا تضر لعجزها وحقارتها وضعفها، ولا تخافون أنتم الرب الحق الله الذي لا إله إلا هو المحيي المميت الفعال لما يريد، وقد أشركتم به أصنـاماً ما أنزل عليكم في عبادتها حجة ولا برهاناً تحتجون به على عبادتها معه سبحانه وتعـالى. ثم قال لهم استخـلاصـاًللحجـة وانتزاعالهامنهم فأي الفريقين أحق بالأمن من الخوف: أنا الموحد للرب، أم أنتم المشركون به؟ والجواب معروف وهو من يعبد رباً واحداً أحق بالأمن ممن يعبد آلهةشتى جمادات لا تسمع ولا تبصر. وحكم الله تعالى بينهم وفصل فقال: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم[5] بظلم﴾ أي ولم يخلطوا إيمانهم بشرك، ﴿أولئك لهم

---

(١) روي انهم قالوا له أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لسبك إياها؟

(٢) قرأ نافع بتخفيف نون اتحاجونني وثقلها غيره وتخفيفها مبني على حذف النون الثانية تخفيفاً ومن ثقلها فقد ادغمها في نون الرفع.

(٣) أخرج ابن كثير عن ابن مردويه أن رسول الله ﷺ قال: من أُعطي فشكر ومنع فصبر. وأذنب فاستغفر وظلم فغفر وسكت فقلنا يارسول الله ماله؟ قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

(٤) قال هذا احتياطاً منه للتوحيد إذ من الجائز أن يعثر في حجر أو تشوكه شوكة أو يمرض بسبب وآخر فيقولون هذه آلهتنا قد أصابتك لأنك تسبها فهذا وجه الاستثناء هنا.

(٥) روي في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ ليس هو كما تظنـــون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾.

الأمن﴾أي في الدنيا والآخرة ﴿وهم مهتدون﴾ في حياتهم إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهو الإسلام الصحيح ثم قال تعالى: ﴿وتلك حجتنا[1] آتيناها إبراهيم على قومه﴾ إشارة إلى ما سبق من محاجة ابراهيم قومه ودحض باطلهم وإقامة الحجة عليهم. وقوله ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ تقرير لما فضل به إبراهيم على غيره من الإيمان واليقين والعلم المبين. ثم علل تعالى لذلك بقوله: ﴿إن ربك حكيم عليم﴾. حكيم في تدبيره عليم بخلقه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية جدال المبطلين والمشركين لإقامة الحجة عليهم علهم يهتدون.

٢ـ بيان ضلال عقول أهل الشرك في كل زمان ومكان.

٣ـ التعجب من حال مذنب لا يخاف عاقبة ذنوبه.

٤ـ أحق العباد بالأمن من الخوف من آمن بالله ولم يشرك به شيئاً.

٥ـ تقرير معنى ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾

---

(١) ما هي تلك الحجة؟ هل هي جميع احتياجاته التي حاجهم بها فغلبهم وهذا هو الظاهر، وقيل هي قوله لهم: أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لسبك إياها: قال لهم أفلا تخافون أنتم منها إذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة والتعظيم فيغضب الكبير فيخبلكم.

شرح الكلمات :

وهبنا له : أعطيناه تكرماً منا وإفضالا .

اسحق ويعقوب : اسحاق بن إبراهيم الخليل ويعقوب ولد إسحاق ويلقب بإسرائيل .

كلا هدينا : أي كل واحد منهما هداه إلى صراطه المستقيم .

ومن ذريته : أي ذرية إبراهيم .

داود وسليمان : داود الوالد وسليمان الولد وكل منهما ملك ورسول .

وزكريا ويحيى : زكريا الوالد ويحيى الولد وكل منهما كان نبياً رسولا .

على العالمين : أي عالمي زمانهم لا على الإطلاق، لأن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء .

ومن ذرياتهم : أي من بعض الآباء والذرية والإخوة لا الجميع .

اجتبيناهم : اخترناهم للنبوة والرسالة وهديناهم إلى الإسلام .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى ماآتى إبراهيم خليله من قوة الحجة والغلبة على أعدائه ذكر منّة أخرى منَّ بها عليه وهي أنه وهبه[1] اسحق ويعقوب بعد كبر سنه، اسحق الولد ويعقوب الحفيد وأنه تعالى هدى كلاًّ منهم الوالد والولد والحفيد، كما أخبر تعالى أنه هدى من قبلهم نوحاً، وهدى من ذريته[2] أي إبراهيم، وإن كان الكل من ذرية نوح، أي هدى من ذرية إبراهيم داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون[3]، وأشار تعالى إلى أنهم كانوا محسنين، فجزاهم جزاء المحسنين والإحسان هو الإخلاص في العمل وأداؤه على الوجه الذي يرضي الرب تبارك وتعالى مع الإحسان العام لسائر المخلوقات بما يخالف الإساءة إليهم في القول والعمل. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨٤) وأما الآية الثانية (٨٥) فقد ذكر تعالى أنه هدى كذلك إلى حمل رسالته والدعوة إليه والقيام بواجباته وتكاليف شرعه كلاًّ من زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، وأخبر أن كل واحد منهم كان من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق

---

(١) أي جزاء صبره وحجاجه وبذله نفسه في سبيل نصرة دين ربه كافأه الله عز وجل بأن وهبه من الذرية الصالحة.

(٢) يصح عود الضمير على نوح كما يصح عوده على ابراهيم قاله غير واحد من أهل التفسير لأن ذكرها قد مرّ معاً.

(٣) قال ابن عباس: هؤلاء الأنبياء جميعاً مضافون إلى ذرية ابراهيم وإن كان منهم من لم تلحقهولادة من جهته لا من جهة الأب ولا الأم لأن لوطاً ابن أخ ابراهيم وعُدَّ عيسى من ذريته وهو ابن البنتمن هنا ذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى أن من وقف وقفاً على ولده وولد ولده دخل فيه ولد بناته لأن لفظ الولد يشمل الذكر والانثى كما يشمل عيسى عليه السلام وهو ولد البنت لا غير.

عباده كذلك كاملة غير ناقصة وكانت المجموعة الأولى داود وسليمان ومن ذكر بعدهما الصفة الغالبة عليهم الإحسان لأنه كان فيهم ملك وسلطان ودولة، والمجموعة الثانية وهي زكريا ويحيى وعيسى وإلياس الصفة الغالية عليهم الصلاح لأنهم كانوا أهل زهد في الدنيا وأعراضها، والمجموعة الثالثة والأخيرة في الآية الثالثة (٨٦) وهم إسماعيل واليسع ويونس ولوط لم يغلب عليهم وصف مما وصف به المجموعتان الأولى والثانية، لأنهم وسط بين المجموعتين، فذكر تعالى أن كل واحد منهم فضله على عالمي زمانه، وكفى بذلك شرفاً وكرماً وخيراً. وأما الآية الأخيرة (٨٧) فإن الله تعالى يقول فيها، ومن آباء المذكورين من الأنبياء ومن ذرياتهم[1] وإخوانهم هديناهم أيضاً وإن لم نذكر اسماءهم فهم كثير هديناهم إلى ما هدينا إليه آباءهم للحق والدين الخالص الذي لا شائبة شرك فيه، واجتبينا[2] الجميع اخترناهم للنبوة والرسالة[3] ﴿وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ وهو الدين الإسلامي.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ سعة فضل الله .

٢ـ خير ما يعطى المرء في هذه الحياة الهداية إلى صراط مستقيم.

٣ـ فضيلة كل من الإحسان والصلاح.

٤ـ لا منافاة بين الملك والنبوة أو الإمارة والصلاح.

٥ـ فضيلة الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة.

ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ

(١) من للتبعيض أي هدى بعض أبنائهم وبعض ذرياتهم ولم يهد كل أب وكل ولد.
(٢) الاجتباء مشتق من جبيت الماء في الحوض جمعته فالاجتباء اختيار الشخص وضمه إلى خاصتك من الناس، والجبا مقصور مصدر جبيت الماء والجابية الحوض.
(٣) ذكر تعالى في هذه الآيات ثمانية عشر رسولاً وبقي سبعة ذكروا في سورة أخرى وهم ادريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل وآدم عليهم السلام وقد نظمهم البعض في ثلاثة أبيات من الشعر هي:

حتم على كل ذي التكليف معرفة ... بأنبياء على التفصيل قد عرفوا
في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
ادريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

هدى الله : الهدى ضد الضلال، وهدى الله ما يهدي إليه من أحب من عباده وهو الإيمان والاستقامة.

حبط عنهم ما كانوا يعملون : أي بطلت أعمالهم فلم يثابوا عليها بقليل ولا كثير.

الحكم : الفهم للكتاب مع الاصابة في الأمور والسداد فيها.

يكفر بها هؤلاء : يجحد بها أي بدعوتك الإسلامية هؤلاء: أي أهل مكة.

قوما ليسوا بها بكافرين : هم المهاجرون والأنصار بالمدينة النبوية.

اقتده : اقتد: أى اتبع وزيدت الهاء للسكت.

عليه أجرا أي على إبلاغ دعوة الإسلام ثمناً مقابل الإبلاغ.

ذكرى : الذكرى: ما يذكر به الغافل والناسي فيتعظ.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر ما وهب الله تعالى لمن شاء من عباده من هدايات وكمالات لا يقدر على عطائها إلا هو فقال ذلك في الآية الأولى (٨٨) ذلك المشار إليه ما وهبه أولئك الرسل الثمانية عشر رسولاً وهداهم إليه من النبوة والدين الحق هو هدى الله يهدي به من يشاء من عباده. وقوله تعالى: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون﴾[1] يقرر به حقيقة علمية، وهي أن الشرك محبط للعمل فإن أولئك الرسل على كمالهم وعلو درجاتهم لو أشركوا بربهم سواه فعبدوا معه غيره لبطل كل عمل عملوه، وهذا من باب الافتراض، وإلا فالرسل معصومون

(١) حبوط العمل بطلانه وقد عصم الله تعالى انبياءه من الشرك فلذا لم تحبط ولم تبطل أعمالهم.

ولكن ليكون هذا عظة وعبرة للناس. هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (٨٩) فقد أشاد الله تعالى بأولئك الرسل السابقي الذكر مخبراً أنهم هم الذين آتاهم الكتاب وهي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داوود وإنجيل عيسى والحكم[١] وهو الفهم والإصابة والسداد فى الأمور كلها. ثم قال تعالى فإن يكفر بهذه الآيات القرآنية وما تحمله من شرائع وأحكام وهداية الإسلام ﴿إن يكفر بها هؤلاء﴾ من أهل مكة ﴿فقد وكلنا بها قوماً﴾ من قبل وهم الرسل المذكورون في هذا السياق وقوماً هم موجودون وهم المهاجرون والأنصار من أهل المدينة، ومن يأتي بعد من سائر البلاد والأقطار وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم[٢] اقتده﴾[٣]، يأمر رسوله ﷺ أن يقتدي بأولئك الأنبياء المرسلين في كمالاتهم كلها حتى يجمع ﷺ كل كمال فيهم فيصبح بذلك أكملهم على الإطلاق. وكذلك كان، وقوله تعالى في ختام الآية الكريمة: ﴿قل لا أسألكم عليه[٤] أجراً﴾ يأمره تعالى أن يقول لأولئك العادلين بربهم الأصنام والأوثان المكذبين بنبوته وكتابه: ما أسألكم على القرآن الذي أمرت أن أقرأه عليكم لهدايتكم أجراً أي مالاً مقابل تبليغه إياكم ﴿إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ أي ما القرآن إلا موعظة للعالمين يتعظون بها إن هم القوا أسماعهم وتجردوا من أهوائهم وأرادوا الهداية ورغبوا فيها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ الشرك محبط للعمل كالردة والعياذ بالله تعالى.

٢ـ فضل الكتاب الكريم والسنة النبوية.

٣ـ وجوب الاقتداء بالرسول ﷺ وأهل العلم والصلاح من هذه الأمة.

٤ـ حرمة أخذ الأجرة على تبليغ الدعوة الإسلامية.

---

(١) قال القرطبي: والحكم العلم والفقه وهو كذلك إلا أن ما في التفسير أوسع وأولى بالاعتماد عليه.

(٢) قال القرطبي: الاقتداء طلب موافقة الغير في فعله. وقال: قد احتج بعض العلماء بهذه الآية على وجوب إتباع شرائع الأنبياء فيما عدم فيه النص واستدلوا بحديث مسلم في حادثة الرُبيع إذ أمر الرسول بكسر سنها محتجاً بآية ﴿والسن بالسن﴾ وهو من أحكام بني اسرائيل ولم يوجد في القرآن غيره.

(٣) روى البخاري عن العوام قال سألت مجاهداً عن سجدة ﴿ص﴾ فقال سألت ابن عباس عن سجدة ﴿ص﴾ فقال أو تقرأ ﴿ومن ذريته داوود وسليمان﴾ إلى قوله ﴿أولئك هدى الله فبهداهم اقتده﴾ وكان داوود عليه السلام ممن أمر نبيكم عليه السلام بالاقتداء بهم.

(٤) أي جعلا على القرآن.

٥ـ القرآن الكريم ذكرى لكل من يقرأه أو يستمع إليه وهو شهيد حاضر القلب.

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ
تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ (١)
أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

شرح الكلمات :

وما قدروا الله حق قدره : ما عظموه التعظيم اللائق به ولا عرفوه حق معرفته.

على بشر : أي إنسان من بني آدم.

الكتاب الذي جاء به موسى : التوارة.

قراطيس : جمع قرطاس: وهو ما يكتب عليه من ورق وغيره.

تبدونها : تظهرونها.

قل الله : هذا جواب: من أنزل الكتاب ؟

ذرهم : اتركهم.

في خوضهم : أي ما يخوضون فيه من الباطل.

مبارك : أي مبارك فيه فخبره لا ينقطع، وبركته لا تزول.

أم القرى : مكة المكرمة.

يحافظون : يؤدونها بطهارة في أوقاتها المحددة لها في جماعة المؤمنين.

معنى الآيتين

مازال السياق مع العادلين بربهم أصنامهم وأوثانهم فقد أنكر تعالى عليهم إنكارهم للوحى

(١) فسرت الآية على قراءة يجعلونه بالياء وكذلك يبدون ويخفون أما على قراءة تجعلون بالتاء فإن الخطاب يكون لليهود والسورة مكية فلذا رجح ابن جرير قراءة الياء.

الإلهي وتكذيبهم بالقرآن الكريم إذقالوا: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾، ومن هنا قال تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي ما عظموه كما ينبغي تعظيمه لما قالوا: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾[1]، ولقن رسوله الحجة فقال له قل لهم: ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً﴾ يستضاء به في معرفة الطريق إلى الله تعالى وهدى يهتدى به إلى ذلك وهو التوراة جعلها اليهود قراطيس يبدون بعضها ويخفون بعضها حسب أهوائهم وأطماعهم، وقوله: ﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ أي وعلمكم الله بهذا القرآن من الحقائق العلمية كتوحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته، والدار الآخرة وما فيها من نعيم مقيم، وعذاب أليم، ثم أمر الرسول أن يجيب عن السؤال الذي وجهه إليهم تبكيتاً: ﴿قل الله﴾ أي الذي أنزل التوراة على موسى هو الله. ﴿ثم ذرهم﴾ أي اتركهم ﴿في خوضهم﴾ أي في الباطل ﴿يلعبون﴾[2] حيث لا يحصلون من ذلك الخوض في الباطل على أي فائدة تعود عليهم فهم كاللاعبين من الأطفال. هذا ما تضمنته الآية الأولى (٩١) أما الآية الثانية (٩٢) فقد تضمنت أولاً الرد على قول من قال: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ أي كيف يقال ما أنزل الله على بشر من شيء وهذا القرآن بين أيديهم يتلى عليهم أنزله الله مباركاً لا ينتهي خيره ولا يقل نفعه، مصدقاً لما سبقه من الكتب كالتوراة والإنجيل أنزلناه ليؤمنوا به، ﴿ولتنذر أم القرى﴾[3] أي أهلها ﴿ومن حولها﴾ من المدن والقرى القريبة والبعيدة لينذرهم عاقبة الكفر والضلال فإنها الخسران التام والهلاك الكامل، وثانياً الإخبار بأن الذين يؤمنون بالآخرة أي بالحياة في الدار الآخرة يؤمنون بهذا القرآن[4]، وهم على صلاتهم يحافظون وذلك مصداق إيمانهم وثمرته التي يجنيها المؤمنون الصادقون.

---

(١) بيان ذلك انهم لما قالوا ما أنزل الله من شيء كانوا قد نسبوا إلى الله تعالى أنه لايقيم الحجة على عباده ولا يأمرهم بما فيه صلاحهم ولا ينهاهم عما فيه خسرانهم وبهذا ما قدروا الله حق قدره وما آمنوا أنه على كل شيء قدير.

(٢) أي لاعبين لأنها حال من قوله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون إذ لو لم يكن حالاً لجزم في وجوب الطلب الذي هو ذرهم.

(٣) أم القرى مكة المكرمة.

(٤) يريد اتباع محمد ﷺ.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١- كل من كذب الله تعالى أو أشرك به أو وصفه بوصف لا يليق بجلاله فإنه لم يقدر الله حق قدره.[١]

٢- بيان تلاعب اليهود بكتاب الله في إبداء بعض أخباره وأحكامه وإخفاء بعض آخر وهو تصرف ناتج من الهوى واتباع الشهوات وإيثار الدنيا على الآخرة.

٣- بيان فضل الله على العرب بإنزال هذا الكتاب العظيم عليهم بلغتهم لهدايتهم.

٤- تعليم الرسول ﷺ كيفية الحجاج والرد على المجادلين والكاذبين.

٥- بيان علة ونزول الكتاب وهي الايمان به وإنذار المكذبين والمشركين.

٦- الإيمان بالآخرة سبب لكل خير، والكفر به سبب لكل باطل وشر.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ
مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ
كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ
وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ
لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

شرح الكلمـات :

افترى على الله كذباً : اختلق على الله كذباً قال عليه ما لم يقل، أو نسب له ما هو منه

(١) أي لم يعرفه حق معرفته ولم يعرف جلاله وعظمته ولا رحمته وحكمته فلهذا قال ما قال من الباطل وهو نفيه إنزال الوحي الإلهي على رسوله محمد ﷺ.

براء .

أوحي إلـي : الوحي : الإعلام السريع الخفي بواسطة الملك وبغيره .
غمـرات الموت : شـــدائده عند نزع الروح .
باسـطوا أيديهم : للضرب وإخراج الروح .
عذاب الهـون : أي عذاب الذل والمهانة .
فــرادى : واحداً واحداً ليس مع أحدكم مال ولا رجال .
ما خولناكـم : ما أعطيناكم من مال ومتاع .
وراء ظهوركـم : أي في دار الدنيـا .
وضــل عنكـم : أي غــاب .
تزعمـــون : تدعـون كاذبين .

معنى الآيـات :

مازال السياق مع المشركين والمفترين الكاذبين على الله تعالى بإتخاذ الأنداد والشركاء فقال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن ادَّعَى[1] أن الله نبأه وأنه نبيه ورسوله كما ادعى[2] سعد بن ابي سرح بمكة ومسيلمه[3] في بني حنيفة بنجدوالعنسى باليمن: اللهم لا أحد هو أظلم منه، وممن قال أوحى إلَيّ شيء من عند الله، ولم يوح إليه شيء وممن قال: ﴿سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ من الوحي والقرآن، ثم قال تعالى لرسوله: ﴿ولو ترى﴾ يا رسولنا ﴿إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ أي في شدائد سكرات الموت، ﴿والملائكة﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿بـاسـطوا أيديهم﴾ بالضرب وإخـراج الروح، وهـم يقولون لأولئك المحتضرين تعجيزاً

(١) قال القرطبي: ومن هذا النمط أي المدعي للوحي ولم يوح إليه من أعرض عن الفقه والسنن وما كان عليه السلف من السنن فيقول وقع في خاطري كذا أو أخبرني قلبي بكذا أو أخبرني قلبي عن ربي فيحكمون بما وقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطـرهم ويزعمـون أن ذلـك لصفائها من الأكدار وخلوها عن الأغيار فتنجلي لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية فيستغنون بذلك عن أحكام الشرع ويقولون هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة وهي زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب.

(٢) أدعى عبد الله بن سعد الوحي لما كتب لرسول الله ﷺ قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان إلى قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر فاعجبه تفصيل خلق الله تعالى للإنسان قال فتبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت فشك عبدالله بن سعد حينئذ وارتد ولحق بالمشركين وأسلم عام الفتح وحسن إسلامه بشفاعة عثمان له إذ كان أخا له من الرضاعة وهو فاتح افريقيا ودعا ربه أن يموت وهو يصلي فمات في صلاة الصبح.

(٣) كانوا يسمونه رحمان اليمامة والعنسي هو الأسود العنسي ومنهم سجاح امرأة مسيلمة قال ابن عباس وقتادة نزلت هذه الآية في مسيلمة.

وتعذيباً لهم: ﴿أخرجوا أنفسكم، اليوم تجزون عذاب الهون﴾ بسبب استكباركم في الأرض بغير الحق إذ الحامل للعذرة وأصله نطفة قذرة، ونهايته جيفة قذرة، استكباره في الأرض حقا إنه لاستكبار باطل لا يصح من فاعله بحال من الأحوال. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٣) أما الآية الثانية (٩٤) فإن الله تعالى يخبر عن حال المشركين المستكبرين يوم القيامة حيث يقول لهم ﴿لقد جئتمونا فرادى﴾ أي واحد واحداً ﴿كما خلقناكم﴾ حفاة عراة غُرْلاً ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ أي ما وهبناكم من مال وولد ﴿وراء ظهوركم﴾ أي في دار الدنيا، ﴿وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ وأنتم كاذبون في زعمكم مبطلون في اعتقادكم ﴿لقد تقطع بينكم﴾ أي انحل حبل الولاء بينكم، ﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ أي ما كنتم تكذبون به في الدنيا.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- قبح الكذب على الله تعالى في أي شكل، وأن صاحبه لا أظلم منه قط.

٢- تقرير عذاب القبر، وسكرات الموت وشدتها، وفي الحديث: أن للموت سكرات.

٣- قبح الاستكبار وعظم جرمه.

٤- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الكسب في الدنيا.

٥- انعدام الشفعاء يوم القيامة إلا ما قضت السنة الصحيحة من شفاعة النبي ﷺ والعلماء والشهداء بشروط هي: أن يأذن الله للشافع أن يشفع وأن يرضى عن المشفوع له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ

---

(١) الغمره الشدة وأصلها من غمر الشيء إذا غطاه ومنه غمر الماء.
(٢) يقال لهم هذا توبيخاً لهم وتقريعاً أي خلصوها من هذا العذاب إن أمكنكم.
(٣) تستكبرون أي تتعظمون وتأنفون من قول الحق الذي هو توحيد الله تعالى وعبادته بما شرع لعباده المؤمنين.
(٤) هذا يوم القيامة يوم يحشرون إلى ربهم، وفرادى في موضع نصب على الحال.
(٥) روي أن عائشة رضي الله عنها قرأت قول الله تعالى ﴿ولقد جئتمونا فرادى... الخ﴾ فقالت يا رسول الله واسوأتاه الرجال والنساء يحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوءة بعض؟ فقال رسول الله ﷺ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض.
(٦) ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس.

ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ
ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ
بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ
قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ
خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا
قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا
وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

فالق الحب والنوى	: شاق الحب كحب البر ليخرج منه الزرع ، والنوى واحده نواة وشقها ليخرج منها الفسيلة (النخلة الصغيرة) .
يخرج الحي من الميت	: الدجاجة من البيضة .
ومخرج الميت من الحي	: البيضة من الدجاجة .
فأنى تؤفكون	: كيف تصرفون عن توحيد الله الذي هذه قدرته إلى عبادة الجمادات .
فالق الإصباح	: الإصباح : بمعنى الصبح وفلقه : شقه ليتفجر منه النور والضياء .

سكنا : يسكن فيه الناس ويخلدون للراحة.

حسباناً : أي حسابا بهما تعرف الأوقات الأيام والليالي والشهور والسنون.

تقدير العزيز العليم : إيجاد وتنظيم العزيز الغالب على أمره العليم بأحوال وأفعال عباده.

لتهتدوا بها : أي ليهتدي بها المسافرون في معرفة طرقهم في البر والبحر.

من نفس واحدة : هي آدم أبو البشر عليه السلام.

فمستقر : أي في الأرحام.

ومستودع : أي في أصلاب الرجال.

يفقهون : أسرار الأشياء وعلل الأفعال فيهتدوا لما هو حق وخير.

خضراً : هو أول ما يخرج من الزرع ويقال له القصيل الأخضر.

متراكبا : أي بعضه فوق بعض وهو ظاهر في السنبلة.

طلع النخل : زهرها.

قنوان : واحدة قنو وهو العذق وهو العرجون بلغة أهل المغرب.

مشتبهاً وغير متشابه : في اللون وغير مشتبه في الطعم.

وينعه : أي نضجه واستوائه.

معنى الآيات:

ما زال السياق في بيان الدليل على وجوب توحيد الله تعالى وبطلان عبادة غيره فقال تعالى واصفاً نفسه بأفعاله العظيمة الحكيمة التي تثبت ربوبيته وتقرر ألوهيته وتبطل ربوبية وألوهية غيره مما زعم المشركون أنها أرباب لهم وآلهة: ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ أي هو الذي يفلق الحب ويخرج منه الزرع لا غيره وهو الذي يفلق النوى، ويخرج منه الشجر والنخل لا غيره فهو الإله الحق إذاً وما عداه باطل، وقال: ﴿يخرج الحيّ من الميت﴾ فيخرج الزرع الحيّ من الحب الميت ﴿ويخرج الميت من الحيّ﴾[1] فيخرج الحب من الزرع الحيّ، والنخلة والشجرة من النواة الميتة ثم يقول: ﴿ذلكم الله﴾ أي المستحق للإلهية أي العبادة وحده ﴿فأنى

(١) أي يخرج النطفة الميتة من الحي وهو الإنسان ويخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة.

تؤفكون﴾ أي فكيف يا للعجب تصرفون عن عبادته وتأليهه إلى تأليه وعبادة غيره. ويقول: ﴿فالق الإصباح[1]﴾ أي هو الله الذي يفلق ظلام الليل فيخرج منه ضياء النهار ﴿وجعل الليل سكناً﴾: أي ظرف سكن وسكون وراحة تسكن فيه الأحياء من تعب النهار والعمل فيه ليستريحوا، وقوله: ﴿والشمس والقمر حسباناً[2]﴾ أي وجعل الشمس والقمر يدوران في فلكيهما بحساب تقدير لا يقدر عليه إلا هو، وبذلك يعرف الناس الأوقات وما يتوقف عليها من عبادات وأعمال وآجال وحقوق ثم يشير الى فعله ذلك فيقول: ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿العليم﴾ بسائر خلقه وأحوالهم وحاجاتهم وقد فعل ذلك لأجلهم فكيف إذاً لا يستحق عبادتهم وتأليههم؟ عجباً لحال بني آدم ما أضلهم؟!

ويقول تعالى في الآية الثالثة (٩٧) ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ هذه منة أخرى من منته على الناس ومظهراً آخر من مظاهر قدرته حيث جعل لنا النجوم ليهتدي به مسافرونا في البر والبحر حتى لا يضلوا طريقهم فيهلكوا فهي نعمة لا يقدر على الإنعام بها إلا الله، فلم إذاً يكفر به ويعبد سواه؟ وقوله: ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ يخبر به تعالى على نعمة أخرى وهي تفصيله تعالى للآيات وإظهارها لينتفع بها العلماء الذين يميزون بنور العلم بين الحق والباطل والضار والنافع ويقول في الآية الرابعة (٩٨) ﴿وهو الذي أنشأكم ـ أي خلقكم ـ من نفس واحدة﴾ هي آدم عليه السلام، فبعضكم مستقر في الأرحام وبعضنا مستودع[3] في الأصلاب وهو مظهر من مظاهر إنعامه وقدرته ولطفه وإحسانه، ويختم الآية بقوله ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ لتقوم لهم الحجة على ألوهيته تعالى دون ألوهية ما عداه من سائر المخلوقات لفهمهم أسرار الكلام وعلل الحديث ومغزاه.

ويقول في الآية (٩٩) ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماءً﴾ وهو ماء المطر ويقول ﴿فأخرجنا

---

(١) الإصباح مصدر أصبح يصبح إصباحاً أي يخرج النور من الظلام إذ نور الفجر يشق ظلمة الليل ويخرج عنها الصبح والإصباح أول النهار ويجمع الإصباح على أصباح بفتح الهمزة وقرىء به.

(٢) حسباناً أي بحساب يتعلق به مصالح العباد، والحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان أي جعل الله سير الشمس والقمر بحساب ولا يزيد ولا ينقص ويطلق الحسبان على النار كما في قوله تعالى ويرسل عليها حسباناً من السماء أي ناراً.

(٣) قال عبدالله بن مسعود لها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها وهذا على قراءة مستقر بفتح القاف بمعنى لها مستقر وأكثر المفسرين على ما جاء في التفسير أن المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب قال سعيد بن جبير قال لي ابن عباس هل تزوجت فقلت لا. قال فإن الله عز وجل يستخرج من ظهرك ما استودعه فيه. أما قوله تعالى ﴿ولكم في الأرض مستقر ومستودع إلي حين﴾ فالمستقر هو القبر مودع. فيه الإنسان إلى يوم القيامة.

به نبات كل شيء﴾ أي ينبت أي قابل للإنبات من سائر الزروع والنباتات ويقول فأخرجنا من ذلك النبات خضراً وهو[1] القصيل للقمح والشعير، ومن الخضر[2] يخرج حباً متراكباً في سنابله، ويقول عز وجل: ﴿ومن النخْل من طلعها قنوان دانية﴾ أي ويخرج بإذن الله تعالى من طلع النخل قنوان جمع قنو العذق دانية متدلية وقريبة لا يتكلف مشقة كبيرة من أراد جنيها والحصول عليها[3]، وقوله ﴿وجنات من أعناب﴾ يقول وأخرجنا به بساتين من نخيل وأعناب، وأخرجنا به كذلك الزيتون والرمان حال كونه مشتبهاً في اللون وغير متشابه في الطعم، كلوا من ثمره إذا أثمر وينعه ينبت لديكم ذلك التشابه وعدمه، وختم الآية بقوله: إن في ذلكم المذكور كله ﴿لآيات﴾ علامات ظاهرات تدل على وجوب ألوهية الله تعالى وبطلان ألوهية غيره ﴿لقوم يؤمنون﴾ لأنهم أحياء يفعلون ويفكرون ويفهمون أما غيرهم من أهل الكفر فهم أموات القلوب لما ران عليها من أوضار الشرك والمعاصي فهم لا يعقلون ولا يفقهون فأنى لهم أن يجدوا في تلك الآيات ما يدلهم على توحيد الله عز وجل؟

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- الله خالق كل شيء فهو رب كل شيء ولذا وجب أن يؤله وحده دون ما سواه.

٢- تقرير قدرة الله على كل شيء وعلمه بكل شيء وحكمته في كل شيء.

٣- فائدة خلق النجوم وهي الاهتداء بها في السير في الليل في البر والبحر.

٤- يتم إدراك ظواهر الأمور وبواطنها بالعقل.

٥- يتم إدراك أسرار الأشياء بالفقه.

٦- الإيمان بمثابة الحياة، والكفر بمثابة الموت في إدراك الأمور.

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا

---

(١) خضر بمعنى أخضر كمطرة بمعنى ماطرة ومنه قولهم: أرنها نمرة أركها مطرة أي أرني سحابة كأنها نمرة في شكلها أركها ماطرة يتصبب منها الماء الغزير.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه يريد القمح والشعير والسلت والذرة والأرز وسائر الحبوب.

(٣) هذا قصار النخل إذ يجنى ثمارها لمدة عشر سنوات والمرء يتناول منها بيديه وهو واقف عندها وبعد ذلك ترتفع وتطول فيرقى اليها.

يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ
فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

شرح الكلمات :

شركاء	: جمع شريك في عبادته تعالى .
الجن	: عالم كعالم الإنس إلا أنهم أجسام خفية لا ترى لنا إلا إذا تشكلت بما يُرى .
وخرقوا	: اختلقوا وافتاتوا .
يصفون	: من صفات العجز بنسبة الولد والشريك إليه .
بديع السموات والأرض	: مبدع خلقهما حيث أوجدهما على غير مثال سابق .
أنى يكون له ولد	: أي كيف يكون له ولد؟ كما يقول المبطلون .
ولم تكن له صاحبة	: أي زوجة .
لا تدركه الأبصار	: لا تراه في الدنيا ، ولا تحيط به في الآخرة .
وهو يدرك الأبصار	: أي محيط علمه بها .
وهو اللطيف	: الذي ينفذ علمه إلى بواطن الأمور وخفايا الأسرار فلا يحجبه شيء .

معنى الآيات :

لقد جاء في الآيات السابقة من الأدلة والبراهين العقلية ما يبهر العقول ويذلها لقبول التوحيد، وأنه لا إله إلا الله ، ولا رب سواه ، ولكن مع هذا فقد جعل الجاهلون لله من

الجن شركاء فأطاعوهم فيما زينوا لهم من عبادة الأصنام والأوثان، وهذا ما أخبر به تعالى في هذه الآية الكريمة (١٠٠) إذ قال ﴿وجعلوا لله شركاء الجن[(١)] وخلقهم[(٢)] وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ ومعنى الآية وجعل العادلون بربهم الأصنام والجن شركاء لله في عبادته، وذلك بطاعتهم فيما زينوا لهم من عبادة الأصنام، والحال أنه قد خلقهم فالكل مخلوق له العابد والمعبود من الجن والأصنام، وزادوا في ضلالهم شوطاً آخر حيث اختلقوا له البنين والبنات وهذا كله من تزيين الشياطين لهم وإلا فأي معنى في أن يكون لخالق العالم كله بما فيه الإنس والجن والملائكة أبناء وبنات. هذا ما عناه تعالى بقوله: ﴿وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ فنزه الرب تبارك وتعالى نفسه عما وصفوه به كذباً بحتاً وتخرّصاً كاملاً من أن له بنين وبنات وليس لهم على ذلك أي دليل علمى لا عقلي ولا نقلي، وقد شارك في هذا الباطل العرب المشركون حيث قالوا الملائكة بنات الله، واليهود حيث قالوا عزير ابن الله، والنصارى إذ قالوا المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقول المبطلون. هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (١٠١) فقد تضمنت إقامة الدليل الذي لا يرد على بطلان هذه الفرية المنكرة فرية نسبة الولد لله سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ أي خالقهما على غير مثال سابق ﴿أنى[(٣)] يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ أي يا للعجب كيف يكون لله ولد ولم تكن له زوجة إذ التوالد يكون بين ذكر وأنثى لحاجة إليه لحفظ النوع وكثرة النسل لعمارة الأرض بل ولعبادة الرب تعالى بذكره وشكره، **أما الرب تعالى فهو خالق كل شيء ورب كل شيء فأي معنى لاتخاذ ولد له، لولا تزيين الشياطين للباطل حتى يقبله أولياؤهم من الإنس، وقوله تعالى: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ دليل آخر على بطلان ما خرق أولئك الحمقى لله من ولد، إذ لو كان لله ولد لعلمه وكيف لا، وهو بكل شيء عليم. هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (١٠٢)**

---

(١) صور اتخاذهم الجن شركاء ثلاث الأولى: أنهم أطاعوا الجن فجعلوهم بطاعتهم لهم شركاء لله إذ المطاع الحق هو الله تعالى:
والثانية: قولهم الملائكة بنات الله مع عبادتهم لهم فذلك معنى جعلوا لله شركاء الجن لأن الملائكة لا يرون كالجن قال تعالى ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ فسمى الملائكة جناً لاجتنابهم واستتارهم عن عيون الناس والثالثة: أن الزنادقة قالوا الله خالق الماء والنور والدواب والأنعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب.
(٢) قوله تعالى وخلقهم يصح عود الضمير فيه على العادلين كما في التفسير ويصح عوده على الجن الذين اتخذوهم شركاء لله يعبدونهم معه.
(٣) أي من أين يكون له ولد والولد لا يكون إلّا من صاحبة أي زوجة.

وهي قوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء﴾[1] أي ذلكم الله الذي هو بديع السموات والأرض والخالق لكل شيء والعليم بكل شيء هو ربكم الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ولا تشركوا به سواه. وإنه لكفيل برزقكم وحفظكم ومجازاتكم على أعمالكم وهو على كل شيء قدير. والآية الأخيرة في السياق الكريم (١٠٣) يقرر تعالى حقيقة كبرى وهي أن الله تعالى مباين لخلقه في ذاته وصفاته ليس كمثله شيء فكيف يشرك به وكيف يكون له ولد، وهو لا تدركه الأبصار[2] وهو يدركها وهو اللطيف[3] الذي ينفذ علمه وقدرته في كل ذرات الكون علويِّه وسفليِّه الخبير بكل خلقه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وهو العزيز الحكيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ أن من الإنس من عبد الجن بطاعتهم وقبول ما يأمرونهم به ويزينونه لهم.

٢ـ تنزه الرب تعالى عن الشريك والصاحبة والولد. ٣ـ مباينة الرب تبارك وتعالى لخلقه.

٤ـ استحالة رؤية الرب في الدنيا،[4] وجوازها في الآخرة لأوليائه في دار كرامته.

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ

---

(١) هذا أكبر برهان على بطلان نسبة الولد له تعالى إذ كل شيء خلقه فهل من خلق شيئاً يقال لمن خلقه ولده؟ لو صح هذا لقالوا لكل من صنع شيئا هو أبوه والمصنوع ولده ولا قائل بهذا البتة.

(٢) لا تدركه الأبصار بمعنى لا تحيط به ولذا يراه أولياؤه في الجنة رؤية بصرية فينظرون إلى وجهه الكريم وأما رؤيته تعالى فمتعذرة في الحياة الدنيا إذ طلبها موسى ولم ينلها لعجز الإنسان عن رؤية الله تعالى بهذه الأبصار المحدودة القدرة والطاقة.

(٣) روي في الصحيحين ما يفيد تعذر رؤية الله في الدنيا لضعف الإنسان فقد قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع الله عمل النهار قبل الليل، وعمل الليل قبل النهار حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

(٤) وفسر اللطيف بالرفيق بعباده واللطيف من أسماء الله تعالى. ولذا هو يلطف بعباده. كما هو للطفه لا يدرك بالكيفية، واللطيف في الأجسام الذي يدخل في كل شيء.

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

شرح الكلمات :

بصائر من ربكم : البصائر جمع بصيرة: والمراد بها هنا الآيات المعرفة بالحق المثبتة له بطريق الحجج العقلية فهي في قوة العين المبصرة لصاحبها.

حفيظ : وكيل مسئول.

نصرف الآيات : نجريها في مجاري مختلفة تبياناً للحق وتوضيحاً للهدى المطلوب.

وليقولوا درست : أي تعلمت وقرأت لا وحياً أوحي إليك.

وأعرض عن المشركين : أي لا تلتفت إليهم وامضِ في طريق دعوتك.

ولو شاء الله ما أشركوا : أي لو شاء أن يحول بينهم وبين الشرك حتى لا يشركوا لَفَعَلَ وما أشركوا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية المشركين وبيان الطريق لهم ففي هذه الآية يقول ﴿قد جاءكم﴾ أي أيها الناس ﴿بصائر[1] من ربكم﴾ وهي آيات القرآن الموضحة لطريق النجاة ﴿فمن أبصر﴾ بها وهي كالعين المبصرة ﴿فلنفسه﴾ إبصاره إذ هو الذي ينجو ويسعد ﴿ومن عمي﴾ فلم يبصر فعلى نفسه عماه إذ هي التي تهلك وتشقى وقل لهم يا رسولنا ﴿ما أنا عليكم بحفيظ﴾ أي بوكيل مسئول عن هدايتكم، وفي الآية الثانية (١٠٥) يقول تعالى: ﴿وكذلك[2] نصرف الآيات﴾ أي بنحو ما صرفناها من قبل في هذا القرآن نصرفها كذلك لهداية مريدي الهداية والراغبين[3] فيها أما غيرهم فسيقولون درست[4] وتعلمت من غيرك حتى يحرموا الإيمان

---

(١) قد جاءكم بصائر أي حجج وبينات ووصفها بالمجيء لتضخيم شأنها واكباره.

(٢) كذلك الكاف في محل نصب أي مثل أي نصرف الآيات: مثل ذلك التصريف.

(٣) وهم المذكورون في الآية ولنبيننه لقوم يعلمون.

(٤) قرىء دارست أي ذاكرت أهل الكتاب وتعلمت عنهم ولم يوح إليك شيء واللام في قوله وليقولوا درست، هي لام العاقبة كما يقال كتب فلان هذا الكتاب لحتفه، وفي القرآن ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾.

بك وبرسالتك والعياذ بالله تعالى، وفي الآية الثالثة (١٠٦) يأمر الله تعالى رسوله باتباع ما يوحى إليه من الحق والهدى، والإعراض عن المشركين المعاندين الذين يقولون درست حتى لا يأخذوا بما أتيتهم به ودعوتهم إليه من آيات القرآن الكريم إذ قال تعالى له: ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾[1] وفي الآية الرابعة (١٠٧) يسلي الرب تعالى رسوله ويخفف عنه آلام إعراض المشركين عن دعوته ومحاربته فيها فيقول له: ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾[2] أي لو يشاء الله عدم إشراكهم لما قدروا على أن يشركوا إذاً فلا تحزن عليهم، هذا أولاً، وثانياً ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ تراقبهم وتحصي عليهم أعمالهم وتجازيهم بها، وما أرسلناك عليهم وكيلا تتولى هدايتهم بما فوق طاقتك ﴿إن عليك الا البلاغ﴾ وقد بلغت إذاً فلا أسى ولا أسف!!

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ آيات القرآن بصائر من يأخذ بها يبصر طريق الرشاد وينجو ويسعد.

٢ـ ينتفع بتصريف الآيات وما تحمله من هدايات العالمون لا الجاهلون وذلك لقوله تعالى في الآية الثانية (١٠٥) ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾.

٣ـ بيان الحكمة في تصريف الآيات وهي هداية من شاء الله هدايته.

٤ـ وجوب اتباع الوحي المتمثل في الكتاب والسنة النبوية.

٥ـ بيان بطلان مذهب القدرية «نفاة القدر».

وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ

(١) هذا منسوخ بآية الجهاد.
(٢) في الآية دليل على إبطال مذهب القدرية وهم نفاة القدر والزاعمون أن أفعال العباد لم تقدر عليهم وإنما هم الخالقون لها بدون إذن الله وإرادته.

لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

شرح الكلمات :

ولا تسبوا : ولا تشتموا آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله تعالى .

عدواً : ظلماً .

زينا لكل أمة عملهم : حسناه لهم خيراً كان أو شراً حتى فعلوه .

جهد أيمانهم : أي غاية اجتهادهم في حلفهم بالله .

آية : معجزة كإحياء الموتى ونحوها .

وما يشعركم : وما يدريكم

ونذرهم : نتركهم .

يعمهون : حيارى يترددون .

معنى الآيات :

عندما ظهر رسول الله ﷺ وأصبح يصدع بالدعوة جهراً بعدما كانت سراً أخذ بعض أصحابه يسبون أوثان المشركين، فغضب لذلك المشركون وأخذوا يسبون الله تعالى إله المؤمنين وربهم فنهاهم تعالى عن ذلك أي عن سب آلهة المشركين بقوله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ أي لا تسبوا آلهتهم ﴿فيسبوا[1] الله عدواً[2]﴾ أي ظلمًا واعتداء بغير علم، إذ لو علموا جلال الله وكماله لما سبوه، وقوله تعالى: ﴿وكذلك زينا لكل أمة عملهم﴾ بيان منه تعالى لسنته في خلقه وهي أن المرء إذا أحب شيئاً ورغب فيه وواصل ذلك الحب وتلك الرغبة يصبح زيناً له ولو كان في الواقع شيناً . ويراه حسناً وإن كان في حقيقة الأمر

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت كفار قريش لأبي طالب إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغضّ منها وإما أن نسب إلهه ونهجوه. فنزلت الآية وهذا الحكم باق إلى نهاية الحياة فإن كان سب المؤمن الكافر يؤدي إلى سب الله تعالى أو رسوله فلا يحل للمؤمن أن يسب الكافر أو دينه.

(٢) وقرىء عُدوا بضم العين والدال ومعنى القراءتين واحد وهو الجهل والإعتداء الذي هو الظلم.

قبيحاً، ومن هنا كان دفاع المشركين عن آلهتهم الباطلة من هذا الباب فلذا لم يرضوا أن تسب لهم وهددوا الرسول والمؤمنين بأنهم لو سبوا آلهتهم لسبوا لهم إلههم وهو الله تعالى، وقوله تعالى ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ يخبر تعالى أن مرجع الناس المزين لهم أعمالهم خيرها وشرها ورجوعهم بعد نهاية حياتهم إلى الله ربهم فيخبرهم بأعمالهم ويطلعهم عليها ويجزيهم بها الخير بالخير والشر بالشر. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٨) وأما الآيتان الثانية (١٠٩) والثالثة (١١٠) فقد أخبر تعالى أن المشركين أقسموا[1] بالله أبلغ أيمانهم وأقصاها أنهم إذا جاءتهم آية كتحويل جبل الصفا إلى ذهب آمنوا عن آخرهم بنبوة محمد ﷺ ورسالته واتبعوه على دينه الذي جاء به، قال هذا رؤساء المشركين، والله يعلم أنهم إذا جاءتهم الآية لا يؤمنون، فأمر رسوله أن يرد عليهم قائلا: ﴿إنما الآيات عند الله﴾ هو الذي يأتي بها إن شاء أما أنا فلا أملك ذلك. إلا أن المؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ رغبوا في مجيء الآية حتى يؤمن المشركون وينتهي الصراع الدائر بين الفريقين فقال تعالى لهم: ﴿وما يشعركم[2]﴾ أيها المؤمنون ﴿أنها إذا جاءت[3] لا يؤمنون﴾ أي وما يدريكم أن الآية لو جاءت لا يؤمن بها المشركون؟ وبين علة عدم إيمانهم فقال: ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ فلا تعي ولا تفهم ﴿وأبصارهم﴾ فلا ترى ولا تبصر. فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة لما دعوا إلى الإيمان به ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ أي ونتركهم في شركهم وظلمهم حيارى يترددون لا يعرفون الحق من الباطل ولا الهداية من الضلال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة قول أو فعل ما يتسبب[4] عنه سب الله ورسوله.

٢ـ بيان سنة الله في تزيين الأعمال لأصحابها خيراً كانت أو شراً.

٣ـ بيان أن الهداية بيد الله تعالى وأن المعجزات قد لا يؤمن عليها من شاهدها.

---

(١) في هذا دليل الموادعة والأخذ بمبدأ سد الذرائع.

(٢) كان المشركون يحلفون بآلهتهم، وإذا حلفوا بالله كان ذلك أقصى أيمانهم وأشدها. وهنا مسألة لو قال المرء الأيمان تلزمه ثم حنث فإن عليه إطعام ثلاثين مسكيناً لأن أقل الجمع ثلاثة، وإن لم يكن له مال صام تسعة أيام.

(٣) الإشعار مصدر أشعره إذا أعلمه بأمر من شأنه أن يخفى ويدق.

(٤) قرئت إنها بكسر الهمزة على الاستئناف فيكون الكلام قد انتهى عند قوله وما يشعركم ويكون المعنى وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت ثم قال إنها إذا جاءت لا يؤمنون. فذكر علة عدم إيمانهم بقوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم.

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا
شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

شرح الكلمات :

الملائكة : أجسام نورانية يعمرون السموات عباد مكرمون لا يعصون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة.

الموتى : جمع ميت: من فارقته الحياة أي خرجت منه روحه.

حشرنا : جمعنا.

قبلا : معاينة

يجهلون : عظمة الله وقدرته وتدبيره وحكمته.

شياطين : جمع شيطان: وهو من خبث وتمرد من الجن والإنس.

يوحي بعضهم : يعلم بطريق سريع خفي بعضهم بعضاً.

زخرف القول : الكذب المحسن والمزين.

غروراً : للتغرير بالإنسان.

يفترون : يكذبون.

ولتصغى إليه : تميل إليه.

وليقترفوا : وليرتكبوا الذنوب والمعاصي.

معنى الآيات :

مازال السياق في أولئك العادلين بربهم المطالبين بالآيات الكونية ليؤمنوا إذا شاهدوها فأخبر تعالى في هذه الآيات أنه لو نزل إليهم الملائكة من السماء[1]، وأحيى لهم الموتى فكلموهم وقالوا لهم لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحشر عليهم كل شيء[2] أمامهم يعاينونه معاينة أو تأتيهم المخلوقات قبيلاً بعد قبيل وهم يشاهدونهم ويقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ما كانوا ليؤمنوا بك ويصدقوك ويؤمنوا بما جئت به إلا[3] أن يشاء الله ذلك منهم. ولكن أكثر أولئك العادلين بربهم الأصنام والأوثان يجهلون أن الهداية بيد الله تعالى وليست بأيديهم كما يزعمون وأنهم لو رأوا الآيات آمنوا.

هذا مادلت عليه الآية (١١١) أما الآية الثانية (١١٢) فإن الله تعالى يقول وكما كان لك يارسولنا من هؤلاء العادلين أعداء يجادلونك ويحاربونك جعلنا لكل نبي أرسلناه أعداء يجادلونه ويحاربونه﴿شياطين[4] الإنس والجن يوحي[5] بعضهم إلى بعض زخرف القول﴾ أي القول المزين بالباطل المحسن بالكذب ﴿ غرورا ﴾ أي للتغرير والتضليل، ﴿ولو شاء ربك﴾ أيها الرسول عدم فعل ذلك الإيحاء والوسواس ﴿مافعلوه﴾ إذاً ﴿ فذرهم ﴾ أي اتركهم ﴿ومايفترون﴾ من الكفر والكذب والباطل.

هذا مادلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (١١٣) وهي قوله تعالى: ﴿ ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون ﴾ هذه الآية بجملها الأربع معطوفة على قوله ﴿ زخرف القول غروراً ﴾ إذ إيحاء شياطين الجن والإنس[6] كان

---

(١) فرأوهم عياناً.

(٢) أي شيئاً سألوه وطلبوه.

(٣) الاستثناء منفصل فهو بمعنى لكن إن شاء الله إيمانهم آمنوا والآية تحمل التسلية والعزاء له ﷺ.

(٤) شياطين الإنس والجن بدل من قوله عدوّا ويصح أن يكون نعتاً أيضاً.

(٥) يوحي بمعنى يلقى إليه الباطل المزين بطريق الوسواس فيفهم عنه إذ الإيحاء الإعلام السريع الخفي وشاهده من السنة قوله ﷺ «ما منكم من احد إلاّ قد وكل به قرينه من الجن، قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلاّ أن الله أعانني عليه فأسلم».

(٦) روي عن مالك بن دينار أنه قال: شياطين الإنس أشد من شياطين الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً. ويشهد لهذا ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع امرأة تنشد:

إن النساء رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهي شم الرياحين

فأجابها عمر رضي الله عنه قائلا:

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

للغـرور أي ليغـتر به المشركـون، ﴿ ولتصغى إليه ﴾ أي تميل ﴿أفئـدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ وهم المشركون العادلون بربهم ﴿ وليرضوه ﴾ ويقتنعوا به لأنه مموه لهم مزين، ونتيجة لذلك التغرير والميل إليه وهو باطل والرضا به والاقناع بفائدته فهم يقترفون من أنواع الكفر وضروب الشرك والمعاصي والإجرام ما يقترفون!.

هـداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أبداً، وبهذا تقررت ربوبيته وألوهيته للأولين والآخرين.

٢ ـ تسلية الرسول ﷺ وكل داع إلى الله تعالى بإعلامه أنه مامن نبي ولا داع إلا وله أعداء من الجن والإنس يحاربونه حتى ينصره الله عليهم

٣ ـ التحذير من التمويه والتغرير فإن أمضى سلاح للشياطين هو التزيين والتغرير.

٤ ـ القلوب الفارغة من الإيمان بالله ووعده ووعيده في الدار الآخرة أكثر القلوب ميلاً إلى الباطل والشر والفساد .

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن
تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

شـــرح الكلمـات :

أبتغي : أطلب .

حكمــاً : الحكم الحاكم ومن يتحاكم إليه الناس .

أنزل إليكم الكتاب : أي أنزله لأجلكم لتهتدوا به فتكْمُلُوا عليه وتسعدوا .

مفصـــلاً : مبيناً لا خفاء فيه ولا غموض .

والذين آتيناهم الكتاب : أي علماء اليهود والنصارى .

الممـــترين : الشاكين ، إذ الامتراء الشك .

صدقاً وعــدلاً : صدقاً في الأخبار فكل ما أخبر به القرآن هو صدق ، وعدلاً في الأحكام فليس في القرآن حكم جور وظلم أبداً بل كل أحكامه عادلة .

لا مبدل لكلماته : أي لا مغير لها لا بالزيادة والنقصان ، ولا بالتقديم والتأخير .

السميع العليم : السميع لأقوال العباد العليم بأعمالهم ونياتهم وسيجزيهم بذلك .

سبيل الله : الإسلام إذ هو المفضي بالمسلم إلى رضوان الله تعالى والكرامة في جواره .

يخرصون : يكذبون الكذب الناتج عن الحزر والتخمين

من يضل : بمن يضل .

بالمهتدين : في سيرهم إلى رضوان الله باتباع الإسلام الذي هو سبيل الله .

معنى الآيـات :

مازال السياق مع العادلين بربهم الأصنام والأوثان لقد كان المراد في طلبهم الآية الحكم بها على صحة دعوة النبي ﷺ أنه نبي الله وأن القرآن كلام الله وأنه لا إله إلا الله ، ولم يكن هذا منهم إلا من قبيل ماتوسوس به الشياطين لهم وتزينه لهم تغريراً بهم وليواصلوا ذنوبهم فلا يؤمنون ولا يتوبون ، ومن هنا أنزل تعالى قوله : ﴿ أفغير الله أبتغي[1] حكمًا ﴾ . وهو تعليم لرسول الله ﷺ أن يقوله للمشركين أأميل إلى باطلكم وأقتنع به فغير الله أطلب حكمًا بيني

(١) أفغير منصوب بأبتغي أي أبتغى غير الله ؟ وكلما منصوب على الحال أو التمييز المبين لمبهم الابتغاء .

وبينكم في دعواكم أني غير رسول وأن ماجئت به ليس وحياً من الله؟ ينكر ﷺ تحكيم غير ربه تعالى وعلى ماذا يكون الحكم والله هو الذي أنزل إليهم الكتاب مفصلاً فأي آية تغلب القرآن وهو آلاف الآيات هذا أولاً وثانياً أهل الكتاب من قبلهم وهم علماء اليهود والنصارى مقرون ومعترفون بأن ماينفيه المشركون هو حق لا مرية فيه إذاً فامض أيها الرسول في طريق دعوتك ولا تكونن من الممترين فإنك عما قريب تظهر على المشركين، لقد تمت كلمة ربك[1] أي في هذا القرآن الذي أوحي إليك صدقاً في كل ماتحمله من أخبار ومن ذلك نصرك وهزيمة أعدائك. وعدلاً في أحكامها التي تحملها، ولا يستطيع أحد تبديلها[2] بتغيير لها بإخلاف وعدٍ ولا بإبطال حكم، وربك هو السميع لأقوال عباده العليم بمقاصدهم وأفعالهم فما أقدره وأضعفهم فلذا لن يكون إلا مراده ويبطل جميع إراداتهم. واعلم يارسولنا أنك ﴿إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ أي لو أنك تسمع لهم وتأخذ بآرائهم وتستجيب لاقتراحاتهم لأضلوك قطعاً عن سبيل الله، والعلة أن أكثرهم لا بصيرة له ولا علم حق لديه وكل مايقولونه هو هوى نفس، ووسواس شيطان. إنهم مايتبعون إلا أقوال الظن وماهم فيما يقولون إلا خارصون[3] كاذبون. وحسبك علم ربك بهم فإنه تعالى هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة وبطلان التحاكم إلى غير الوحي الإلهي.

٢ ـ تقرير صحة الدعوة الإسلامية بأمرين الأول: القرآن الكريم، الثاني: شهادة أهل الكتاب ممن أسلموا كعبد الله بن سلام القرظي وأصحمة النجاشي وغيرهم.

٣ ـ ميزة القرآن الكريم: أن أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل.

٤ ـ وعود الله تعالى لا تتخلف أبداً، ولا تتبدل بتقديم ولا تأخير.

٥ ـ اتباع أكثر الناس يؤدي إلى الضلال فلذا لا يتبع إلا أهل العلم الراسخون فيه لقوله

---

(١) قرأ أهل الكوفة كلمة بالإفراد وقرأها الباقون بالجمع كلمات قال ابن عباس رضي الله عنه في كلمات ربك هي مواعيده تعالى.

(٢) كما لا يستطيع أحد تبديل كلماتها وحروفها في القرآن الكريم كما بدلت التوراه والإنجيل بتحريف الكلمات وتغييرها.

(٣) من هذا قيل لمن يقدر كمية التمر في النخل خراص لأنه يقول بدون علم يقيني ـ وإنما بالحدس والتخمين واجازه الشارع للضرورة إليه.

تعالى: ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾.

فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ
أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

شـرح الكلمـات :

مما ذكر اسم الله عليه : أي قيل عند ذبحه أو نحره بسم الله والله أكبر.

فصل لكم ما حرم عليكم : أي بين لكم ماحرم عليكم مما أحل لكم وذلك في سورة النحل.

إلا ما ضطررتم إليه : أي ألجأتكم الضرورة وهي خوف الضرر من الجوع.

المعتدين : المتجاوزين الحلال إلى الحرام، والحق إلى الباطل.

ذروا ظاهر الإثم : اتركوا: الإثم الظاهر والباطن وهو كل ضار فاسد قبيح.

يقترفون : يكسبون الآثام والذنوب.

وإنه لفسق : أي الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه. فسق عن طاعة الله تعالى.

إلى أوليائهم ليجادلوكم : أي من الإنس ليخاصموكم في ترك الأكل من الميتة.

لمشركون : حيث أحلوا لكم ما حرم عليكم فاعتقدتم حله فكنتم

بذلك عابديهم وعبادة غير الله تعالى شرك.

معنى الآيات:

مما أوحى به شياطين الجن إلى إخوانهم من شياطين الإنس أن قالوا للرسول ﷺ والمؤمنين: كيف تأكلون ماتقتلونه أنتم وتمتنعون عن أكل مايقتله الله؟ فأنزل الله تعالى قوله ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾[1]. فأمر المؤمنين بعدم الاستجابة لما يقوله المشركون، وقال ﴿ ومالكم[2] ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ أي: أي شيء يمنعكم من الأكل مما ذكر اسم الله عليه؟ ﴿ وقد فصّل[3] لكم ﴾ أي بين لكم غاية التبيين ﴿ ما حرمه عليكم ﴾ من المطاعم ﴿ إلا ما ضطررتم إليه ﴾ أي ألجأتكم الضرورة إليه كمن خاف على نفسه الهلاك من شدة الجوع فإنه يأكل مما حرم في حال الإختيار. ثم أعلمهم أن كثيراً من الناس يضلون غيرهم بأهوائهم[4] بغير علم فيحلون ويحرمون بدون علم وهم في ذلك ظلمة معتدون لأن التحريم والتحليل من حق الرب تعالى لا من حق أي أحد من الناس وتوعدهم بما دل عليه قوله: ﴿ إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ ولازمه أنه سيجازيهم باعتدائهم وظلمهم بما يستحقون من العذاب على اعتدائهم على حق الله تعالى في التشريع بالتحليل والتحريم.

وقوله تعالى في الآية الثالثة: (١٢٠) ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ يأمر تعالى عباده بترك ظاهر الإثم كالزنى العلني وسائر المعاصي، وباطن الإثم كالزنى السري وسائر الذنوب الخفية وهو شامل لأعمال القلوب وهي باطنة وأعمال الجوارح وهي ظاهرة، لأن الإثم كل ضار فاسد قبيح كالشرك، والزنى وغيرهما من سائر المحرمات.

ثم توعد الذين لايمتثلون أمره تعالى بترك ظاهر الإثم وباطنه بقوله: ﴿ إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ﴾ أي سيجزيهم يوم القيامة بما اكتسبوه من الذنوب والآثام ولا ينجو إلا من تاب منهم وصحت توبته وفي الآية الأخيرة في هذا السياق (١٢١) يقول تعالى ناهياً عباده عن الأكل مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من ذبائح المشركين

---

(١) هذه الآية نص في مشروعية التسمية عند الذبح وعند الأكل والشرب.
(٢) أي ما المانع لكم من أكل ما سميتم عليه ربكم وإن قتلتموه بأيديكم؟
(٣) بين تعالى ذلك في آخر سورة النحل المكية وأما البيان التام فهو في سورة المائدة المتأخرة في النزول عن النحل والأنعام معاً.
(٤) إذ قال المشركون للرسول والمؤمنين ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم أنتم بسكاكينكم.

والمجوس فقال: ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾[1] [2] وأخبر أن الأكل مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه وهو ذبائح المشركين والمجوس فسق خروج عن طاعة الرب تعالى وهو مقتضٍ للكفر لما فيه من الرضا بذكر اسم الآلهة التي تعبد من دون الله تعالى، ثم أخبرهم تعالى بأن الشياطين وهم المردة من الجن يوحون إلى الأخباث من الإنس من أوليائهم الذين استجابوا لهم في عبادة الأوثان يوحون إليهم بمثل قولهم: كيف تحرمون ما قتل الله وتحلون ما قتلتم أنتم؟ ليجادلوكم بذلك، ويحذر تعالى المؤمنين من طاعتهم وقبول وسواسهم فيقول ﴿وإن أطعتموهم﴾ فأكلتم ذبائحهم أو تركتم أكل ما ذبحتم أنتم وقد ذكرتم عليه اسم الله، ﴿إنكم لمشركون﴾[3] لأنكم استجبتم لما تأمر به الشياطين تاركين ما يأمر به رب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حِلُّ الأكل من ذبائح المسلمين.

٢ ـ وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام عند تذكيتها.

٣ ـ حرمة اتباع الأهواء ووجوب اتباع العلماء.

٤ ـ وجوب ترك الإثم ظاهراً كان أو باطناً وسواء كان من أعمال القلوب أو أعمال الجوارح.

٥ ـ حرمة الأكل من ذبائح المشركين والمجوس والملاحدة البلاشفة الشيوعيين.

٦ ـ اعتقاد حل طاعة الشياطين شرك والعياذ بالله تعالى.

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ

---

(١) روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ قال: خاصمهم المشركون فقالوا: ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه فقال الله سبحانه ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾.

(٢) إن هذا اللفظ الوارد على سبب معين لا يمنع العموم إذ القاعدة الأصولية أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن هنا تعين معرفة ما يلي: أولا: وجوب التسمية عند الذبح والنحر. ثانيا: إن ترك المسلم التسمية سهواً أكلت ذبيحته، ثالثا: إن تركها عمدا لم تؤكل ذبيحته، رابعاً: قال بعض الفقهاء ترك المسلم التسمية عمداً لا يحرم ذبيحته إلاّ أن يكون تركها مستخفاً بها.

(٣) الآية دليل على أن من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى صار به مشركاً وقد حرّم الله سبحانه الميتة نصاً فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك. وقال ابن العربي إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً ـ إذا أطاعه في الاعتقاد. أما إن أطاعه في الفعل وعقيدته سليمة مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص غير كافر.

زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟
صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

شـــرح الكلمات :

ميتاً : الميت فاقد الروح، والمراد روح الإيمان .

أحييناه : جعلناه حياً بروح الإيمان .

مثـله : صفته ونعته امرؤ في الظلمات ليس بخارج منها .

قـرية : مدينة كبيرة .

ليمكروا فيها : بفعل المنكرات والدعوة إلى ارتكابها بأسلوب الخديعة والاحتيال .

ومايمكرون إلا بأنفسهم : لأن عاقبة المكر تعود على الماكر نفسه لآية ﴿ ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ﴾ .

وإذا جاءتهم آية : أي من القرآن الكريم تدعوهم إلى الحق .

صـــغار : الصغار: الذل والهوان .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في حرب العادلين بربهم الأصنام الذين يزين لهم الشيطان تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم فقال تعالى : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ﴾ أي أطاعة هذا العبد الذي كان ميتاً بالشرك والكفر فأحييناه بالإيمان والتوحيد وهو عمر بنِ الخطاب أو عمار بن ياسر كطاعة من مثله رجل في الظلمات ظلمات الشرك

والكفر والمعاصي ليس بخارج من تلك الظلمات وهو أبو جهل[1] والجواب لا، إذاً كيف أطاع المشركون أبا جهلٍ وعصوا عمر رضى الله عنه والجواب: أن الكافرين لظلمة نفوسهم واتباع أهوائهم لا عقول لهم زُين لهم عملهم الباطل حسب سنة الله تعالى في أن من أحب شيئاً وغالى في حبه على غير هدى ولا بصيرة يصبح في نظره زيْناً وهو شيْن وحسناً وهو قبيح، فلذا قال تعالى: ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر[2] مجرميها ليمكروا فيها ﴾ فيهلكوا أيضا. وقوله: ﴿ وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴾ هو كما قال: قوله الحق وله الملك، فالماكر من أكابر المجرمين حيث أفسدوا عقائد الناس وأخلاقهم وصرفوهم عن الهدى بزخرف القول والاحتيال والخداع، هم في الواقع يمكرون بأنفسهم إذ سوف تحل بهم العقوبة في الدنيا وفي الآخرة، إذ لا يحيق المكر السيء إلا بأهله ولكنهم لا يشعرون أي لا يدرون[3] ولا يعلمون أنهم يمكرون بأنفسهم، وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٢٤) ﴿ وإذا جاءتهم[4] آية.. ﴾ أي حجة عقلية مما تحمله آيات القرآن تدعوهم إلى تصديق الرسول والإيمان بماجاء به ويدعو إليه من التوحيد بدل أن يؤمنوا ﴿قالوا لن نؤمن حتى نؤتى[5] مثل ما أوتي رسل الله﴾ أي من المعجزات كعصا موسى وطير عيسى الذي نفخ فيه فكان طائراً بإذن الله فرد الله تعالى عليهم هذا العلو والتكبر قائلاً: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ فإنه يجعلها في القلوب المشرقة والنفوس الزكية، لا في القلوب المظلمة والنفوس الخبيثة، وقوله تعالى ﴿سيصيب الذين أجرموا﴾ على أنفسهم بالشرك والمعاصي وعلى غيرهم حيث أفسدوا قلوبهم وعقولهم، ﴿صغار[6]﴾: أي ذل وهوان ﴿عند الله﴾ يوم يلقونه ﴿وعذاب شديد﴾ قاس لا يطاق ﴿بما كانوا يمكرون﴾: أي بالناس بتضليلهم وإفساد قلوبهم وعقولهم بالشرك والمعاصي التي كانوا

---

(١) الآية عامة في كل كافر ومؤمن والموت قد يطلق أيضاً على الجهل. فالجاهل ميت وحياته بالعلم كما قال الشاعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرؤاً لم يحيى بالعلم ميت فليس له حتى النشور نشور

(٢) في الآية تقديم وتأخير. الأصل جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها والأكابر جمع أكبر وهم الرؤساء والعظماء وخصوا بالذكر لأنهم أقدر على الفساد والإفساد من عامة الناس.

(٣) وذلك لفرط جهلهم لا يعلمون أن وبال مكرهم عائد عليهم.

(٤) في الآية شيء من بيان جهلهم وعملهم.

(٥) هذه مقالة بعضهم قال الوليد بن المغيرة لرسول الله ﷺ: لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأني أكبر سناً وأكثر منك مالاً. وقال أبو جهل: والله لا نرضى به أبداً ولا نتبعه إلّا أن يأتينا وحي كما يأتيه.

(٦) الصغار من الصغر ضد الكبر كان الذل يُصغر إلى المرء نفسَه والفعل صغر يصغر من باب نَصر، وصغِر يصغَر من باب علم يعلم. والمصدر الصغر بفتح الصاد والغين معاً والصغار الاسم واسم الفاعل صاغر وهو الراضي بالضيم.

يجرئونهم عليها ويغرونهم بها.

هـداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ الإيمان حياة، والكفر موت، المؤمن يعيش في نور والكافر في ظلمات.

٢ ـ بيان سنة الله تعالى في تزيين الأعمال القبيحة.

٣ ـ قل ماتخلو مدينة من مجرمين يمكرون فيها.

٤ ـ عاقبة المكر عائدة على الماكر نفسه.

٥ ـ بيان تعنت المشركين في مكة على عهد نزول القرآن.

٦ ـ الرسالة توهب لا تكتسب.

٧ ـ بيان عقوبة أهل الإجرام في الأرض.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ
فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ
أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

شــرح الكلمـات :

شرح صدره	: شرح الصـدر توسعته لقبول الحق وتحمل الوارد عليه من أنوار الإيمان وعـلامـة ذلك: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله .
حرجاً	: ضيقاً لا يتسع لقبول الحق، ولا لنور الإيمان .
كأنما يصعد	: يصعب عليه قبول الإيمان حتى كأنه يتكلف الصعود إلى السماء .
الرجس	: النَّجس ومالا خير فيه كالشيطان .
فصلنا الآيات	: بيناها وأوضحناها غاية البيان والتوضيح
يذكرون	: يذكرون فيتعظون .
دار السلام	: الجنة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى فهي مضافة إلى الله تعالى .
استكثرتم	: أي من إضلال الإنس وإغوائهم .
استمتع بعضنا ببعض	: انتفع كل منًا بصاحبه أي تبادلنا المنافع بيننا حتى الموت .
أجلنا الذي أجلت لنا	: أي الوقت الذي وقت لنا وهو أجل موتنا فمتنا .
مثواكم	: مأواكم ومَقر بقائكم وإقامتكم .
حكيم عليم	: حكيم في وضع كل شيء في موضعه فلا يخلد أهل الإيمان في النار، ولا يخرج أهل الكفر منها، عليم بأهل الإيمان وأهل الكفران .

معنى الآيات :

بعد ذلك البيان والتفصيل لطريق الهداية في الآيات من أول السورة إلى قوله تعالى حكاية عن المدعوين إلى الحق العادلين به الأصنام إذ قالوا : ﴿لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله﴾ .

أعلم تعالى عباده أن الهداية بيده وأن الإضلال كذلك يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بعدله، وأن لكل من الهداية والإضلال سنناً تتبع في ذلك فمن طلب الهداية ورغب

فيها صادقاً علم تعالى ذلك منه وسهل له طرقها وهيأ له أسبابها، ومن ذلك أنه يشرح[1] صدره لقبول الإيمان وأنواره فيؤمن ويسلم ويحسن فيكمل ويسعد، ومن طلب الغواية ورغب فيها صادقاً علم الله تعالى ذلك منه فهيأ له أسبابها وفتح له بابها فجعل صدره ضيقاً حرجاً[2] لا يتسع لقبول الإيمان وحلول أنواره فيه حتى لكأنه يتكلف الصعود إلى السماء وما هو بقادر هذه سنته في الهداية والإضلال، وقوله تعالى ﴿ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ أي كذلك الفعل في الهداية والإضلال يجعل الله الرجس[3] أي يلقي بكل مالا خير فيه على قلوبهم من الكبر والحسد والشرك والكفر والشيطان لقبول المحل لكل ذلك نتيجة خلوه من الإيمان بالله ولقائه.

وقوله تعالى ﴿ وهذا صراط ربك مستقيمًا ﴾ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مشيراً إلى مابيّنه من الهدى وهذا طريق ربك مستقيمًا فاسلكه والزمه فإنه يفضي بك إلى كرامة ربك وجواره في جنات النعيم. وقوله: ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴾ يمتن تعالى وله الحمد والمنة بما أنعم به على هذه الأمة من تفصيل الآيات حججاً وبراهين وشرائع ليهتدي طالبوا الهدى المشار إليهم بقوله ﴿ لقوم يذكرون ﴾ فيذكرون فيؤمنون ويعملون فيكملون ويسعدون في دار السلام إذ قال تعالى ﴿لهم[4] دار السلام عند ربهم وهو وليهم﴾ أي متوليهم بالنصر والتأييد في الدنيا والإنعام والتكريم في الآخرة ﴿بما كانوا يعملون﴾ من الصالحات.

هذا مادلت عليه الآيات الأولى والثانية والثالثة أما الآية الرابعة (١٢٨) فقد تضمنت عرضاً سريعاً ليوم القيامة الذي هو ظرف للجزاء على العمل في دار الدنيا فقال تعالى: ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ﴾[5] إنسهم وجنهم ويقول سبحانه وتعالى ﴿ يامعشر الجن قد استكثرتم[6] من الإنس ﴾ أي في إغوائهم وإضلالهم، ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ أي الذين كانوا

---

(١) الشرح أصله التوسعة وشرح الأمر بيّنه وأوضحه ومنه تشريح اللحم والشريحة منه القطعة. وشرح الصدر لقبول الحق توسعته لتقبُّل ما يلقى إليه من الهدى وفي الحديث الصحيح «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

(٢) الحرج والحرِج بالفتح والكسر قراءتان وهو الضيق وكل ضيق حرج والحرجة الغيضة والجمع حروج وحرجات وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحرج موضع الشجر الملتف فقلب الكافر لضيقه لا تصل إليه المعرفة كما لا تصل الشاة إلى الشجر الملتف أو تدخل رأسهابين الشجر فيصعب عليها إخراجه فتقع في حرج، والحرج الإثم.

(٣) أصل الرجس في اللغة النتن وقال مجاهد: الرجس مالا خير فيه فكما يجعل صدر الكافر ضيقاً لا يقبل الهدى يجعل عليه الرجس فيقبل كل خبيث نتن من الأقوال والاعتقادات.

(٤) دار السلام الجنة والسلام هو الله فدار السلام كبيت الله وهناك معنى اخر وهو أنها دار السلامة من كل أذى ومكروه وآفة.

(٥) نُصب الظرف بفعل محذوف تقديره يقول يوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن الخ.

(٦) حذف لفظ الاستمتاع إيجازاً لدلالة السياق وحرف الجر عليه أي قد استكثرتم من الاستمتاع من الإنس.

يوالونهم على الفساد والشر والشرك والكفر ﴿ربنا﴾ أي ياربنا ﴿استمتع بعضنا ببعض﴾ أي كل منا تمتع بخدمة الآخر له وانتفع بها، يريدون أن الشياطين زينت لهم الشهوات وحسنت لهم القبائح وأغرتهم بالمفاسد فهذا انتفاعهم منهم وأما الجن فقد انتفعوا من الإنس بطاعتهم والاستجابة لهم حيث خبثوا خبثهم وضلوا ضلالهم. وقولهم ﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ أي واستمر ذلك منا إلى أن انتهينا إلى أجلنا الذي أجلته لنا وهو نهاية الحياة الدنيا وها نحن بين يديك، كأنهم يعتذرون بقولهم هذا فرد الله تبارك وتعالى عليهم بإصدار حكمه فيهم قائلا: ﴿النار مثواكم[1] خالدين فيها إلا ماشاء الله﴾ ومعنى مثواكم: مقامكم الذي تقيمون فيه أبداً.

ومعنى قوله ﴿إلا ما شاء الله﴾ هو استثناء[2] لبيان إرادة الله المطلقة التي لا يقيدها شيء، إذ لو شاء أن يخرجهم من النار لأخرجهم أي ليس هو بعاجز عن ذلك، ومن الجائز أن يكون هذا الاستثناء المراد به من كان منهم من أهل التوحيد ودخل النار بالفسق والفجور وكبير الذنوب بإغواء الشياطين له فإنه يخرج من النار بإيمانه، ويكون معنى (ما) (من) أي إلا من شاء الله. والله أعلم بمراده، وقوله في ختام الآية، ﴿إن ربك حكيم عليم﴾، ومن مظاهر حكمته وعلمه إدخال أهل الكفر والمعاصي النار أجمعين الإنس والجن سواء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان سنة الله تعالى في الهداية والإضلال.

٢ ـ بيان صعوبة وشدة مايعاني الكافر إذا عرض عليه الإيمان.

٣ ـ القلوب الكافرة يلقى فيها كل ما لا خير فيه من الشهوات والشبهات وتكون مقراً للشيطان.

٤ ـ فضيلة الذكر المنتج للتذكر الذي هو الإتعاظ فالعمل.

٥ ـ ثبوت التعاون بين أخباث الإنس والجن على الشر والفساد.

٦ ـ إرادة الله مطلقة يفعل مايشاء ويحكم مايريد فلا يؤثر فيها شيء.

---

(١) المثوى المقام أي النار موضع مقامكم.

(٢) ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في هذا الاستثناء وما ذكرته في التفسير أحسن ما يؤول به هذا الاستثناء الإلهي في هذه الآية وفي آية هود.

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا
بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ
أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾
وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

شرح الكلمات:

نولي بعض الظالمين بعضاً : أي نجعل بعضهم أولياء بعض بجامع كسبهم الشر والفساد.

بما كانوا يكسبون : أي من الظلم والشر والفساد.

ألم يأتكم رسل منكم : الإستفهام للتوبيخ والرسل جمع رسول من أوحى الله تعالى إليه شرعه وأمره بإبلاغه للناس، هذا من الإنس أما من الجن فهم. من يتلقون عن الرسل من الإنس ويبلغون ذلك إخوانهم من الجن، ويقال لهم النُّذُر.

يقصون عليكم آياتي : يخبرونكم بما فيها من الحجج متتبعين ذلك حتى لا يتركوا شيئاً إلا بلغوكم إياه وعرفوكم به.

وينذرونكم لقاء يومكم : أي يخوفونكم بما في يومكم هذا وهو يوم القيامة من العذاب والشقاء.

وأهلها غافلون : لم تبلغهم دعوة تعرفهم بربهم وطاعته، وماهم عليها من جزاء.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ إخبار منه تعالى بسنته في أهل الظلم وهي أن يجعل بعضهم أولياء بعض بمعنى يتولاه بالنصرة والمودة بسبب الكسب السيء الذي يكسبونه على نحو موالاة شياطين الإنس للجن فالجامع بينهم الخبث والشر وهؤلاء الجامع بينهم الظلم والعدوان، ولا مانع من حمل هذا اللفظ على تسليط الظالمين بعضهم على بعض على حد: ولا ظالم إلا سيبتلى بأظلم[1] كما أنه تعالى سيوالي يوم القيامة إدخالهم النار فريقاً بعد فريق وكل هذا حق وصالح لدلالة اللفظ عليه.

وقوله تعالى: ﴿ يامعشر الجن والإنس ﴾ إخبار منه تعالى بأنه يوم القيامة ينادي الجن والإنس موبخاً لهم فيقول: ﴿ ألم يأتكم رسل منكم[2] يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أي ألم يأتكم رسل من جنسكم تفهمون عنهم ويفهمون عنكم ﴿يقصون عليكم آياتي ﴾ أي يتلونها عليكم ويخبرونكم بما تحمله آياتي من حجج وبراهين لتؤمنوا بي وتعبدوني وحدي دون سائر مخلوقاتي، وينذرونكم أي يخوفونكم، لقاء يومكم هذا الذي أنتم الآن فيه وهو يوم القيامة والعرض على الله تعالى. وما يتم فيه من جزاء على الأعمال خيرها وشرها، وأن الكافرين هم أصحاب النار. فأجابوا قائلين: شهدنا على أنفسنا ـ وقد سبق أن غرتهم[3] الحياة الدنيا فواصلوا الكفر والفسق والظلم ـ ﴿وشهدوا على أنفسهم[4] أنهم كانوا كافرين﴾.

هذا مادلت عليه الآيتان الأولى والثانية أما الثالثة (١٣١) فقد تضمنت الإشارة إلى علة إرسال الرسل إلى الإنس والجن إذ قال تعالى ﴿ ذلك[5] أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم[6]

---

(١) في هذا المعنى قول الشاعر:
وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلّا سيبلى بظالم

(٢) قوله منكم فيه تغليب الإنس على الجن في الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث إذ الرسل من الإنس لا غير ومن الجن نذر ينذرونهم بما يتلقونه عن الرسل من الإنس كما قال تعالى ﴿فلما قُضي ولوّا إلى قومهم منذرين﴾ وشاهد آخر في قوله تعالى ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ والمراد البحر الملح فقط وفي وصف الرسل بلفظ منكم زيادة في إقامة الحجة عليهم.

(٣) غرتهم إذ عجلت لهم طيباتهم فيها فانفردوا بزخارفها وزينتها وطول العمر فيها.

(٤) قال مقاتل هذا معنى شهدت عليهم الجوارح بالشرك.

(٥) ذلك في موضع رفع أي الأمر ذلك وإن مخففة من الثقيلة أي المشددة واسمها ضمير الشأن محذوف وذلك لأن هذا الخبر له شأن يجدران يعرف والتقدير الأمر ذلك لأنه ـ أي الشأن ـ لم يكن ربك مهلك القرى بظلم الخ.

(٦) الباء في بظلم سببية أي بسبب ظلمهم وجملة وأهلها غافلون حالية.

وأهلهـا غافلون ﴾ أي ذلـك الإرسال كان لأجل أنه تعالى لم يكن من شأنه ولا مقتضى حكمته أنه يهلك أهل القرى بظلم منه وما ربك بظلام للعبيد ولا بظلم منهم وهو الشرك والمعاصي وأهلها غافلون لم يؤمروا ولم ينهوا، ولم يعلموا بعاقبة الظلم وما يحل بأهله من عذاب.

وفي الآية الأخيرة (١٣٢) أخبر تعالى أن لكل عامل(١) من خير أو شر درجات من عمله إن كان العمل صالحاً فهي درجات في الجنة، وإن كان العمل سيئاً فاسداً فهي دركات في النار، وهذا يتم حسب علم الله تعالى بعمل كل عامل وهو ما دل عليه قوله، ﴿وماربك بغافل عما يعملون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ بيان سنة الله تعالى في أن الأعمال هي سبب الموالاة بين الإنس والجن فذو العمل الصالح يوالي أهل الصلاح، وذو العمل الفاسد يوالي أهل الفساد.

٢ ـ التحذير من الإغترار بالحياة الدنيا.

٣ ـ بيان العلة في إرسال الرسل وهي إقامة الحجة على الناس، وعدم إهلاكهم قبل الإرسال إليهم.

٤ ـ الأعمال بحسبها يتم الجزاء فالصالحات تكسب الدرجات، والظلمات تكسب الدركات.

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

(١) لكل عامل أي من الإنس والجن.

مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾

شـــرح الكلمـات :

الغنى : عن كل ماسواه، فغناه تعالى ذاتي ليس بمكتسب كغنى غيره.

ذو الرحمة : صاحب الرحمة العامة التي تشمل سائر مخلوقاته والخاصة بالمؤمنين من عباده.

ويستخلف : أي ينشىء خلقاً آخر يخلفون الناس في الدنيا.

إن ماتوعدون لآت : إن ما وعد الله تعالى به عباده من نعيم أو جحيم لآت لا محالة.

على مكانتكم : أي على ما أنتم متمكنين منه من حال صالحة أو فاسدة.

عاقبة الدار : أي الدار الدنيا وهي سعادة الآخرة القائمة على الإيمان والعمل الصالح.

إنه لايفلح الظالمون : أي لايفـوز الظالمون بالنجاة من النار ودخول الجنان لأن ظلمهم يوبقهم في النار.

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها وبيان جزاء من أقام بها، ومن ضيعها في الدار الآخرة.

خاطب الرب تبارك وتعالى رسوله قائلاً: ﴿ وربك الغني[1] ذو الرحمة ﴾ أي ربك الذي أمر عباده بطاعته ونهاهم عن معصيته هو الغني عنهم وليس في حاجة إليهم، بل هم الفقراء إليه المحتـاجون إلى فضله، ورحمته قد شملتهم أولهم وآخرهم ولم تضق عن أحد منهم، ليعلم أولئك العادلون بربهم الأصنام والأوثان أنه تعالى قادر على إذهابهم بإهلاكهم بالمرة، والإتيان بقوم آخرين أطوع لله تعالى منهم، وأكثر استجابة له منهم: ﴿ إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ وليعلموا أن مايوعدونه من البعث والحساب والجزاء لآت لا محالة وما أنتم بمعجزين الله تعالى ولا فائتينه بحال،

(١) الغني هو الذي لا يحتاج إلى غيره وكل غنى من الخلق غناه إضافي غير حقيقي أما غنى الله تعالى فهو حقيقي فقوله وربك الغني أي الغنى المطلق الذي لا يشاركه فيه غيره ولذا كان في الصيغة قصر الغنى الحق عليه تعالى.

ولذا سوف يجزي كلاً بعمله خيراً كان أو شراً وهو على ذلك قدير.

هذا مادلت عليه الآيتان الأولى والثانية أما الآية الثالثة (١٣٥) فقد تضمنت أمر الله تعالى للرسول أن يقول للمشركين من قومه وهم كفار قريش بمكة ﴿ اعملوا على[1] مكانتكم ﴾ مادمتم مصرين على الكفر والشرك ﴿ إني عامل ﴾ على مكانتي[2] فسوف تعلمون من تكون له عاقبة دار[3] الدنيا وهي الجنة دار السلام أنا أم أنتم مع العلم أن الظالمين لا يفلحون بالنجاة من النار ودخول الجنان، ولا شك أنكم أنتم الظالمون بكفركم بالله تعالى وشرككم به.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير غنى الله تعالى المطلق عن سائر خلقه.

٢ - بيان قدرة الله تعالى على إذهاب الخلق كلهم والإتيان بآخرين غيرهم.

٣ - صدق وعد الله تعالى وعدم تخلفه.

٤ - تهديد المشركين بالعذاب إن هم أصروا على الشرك والكفر والذي دل عليه قوله ﴿ اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ﴾ الدنيا ﴿ إنه لايفلح الظالمون ﴾.

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ
نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ

(١) هذا الأمر للتهديد، والمكانة هي المكان كالدارة والدار والمراد بها الحال التي عليها الإنسان من قوة أو ضعف أو خير أو شر أو إصلاح أو إفساد.

(٢) الجملة تحمل التهديد الشديد وهي تشير إلى أن الرسول ﷺ واثق من نصره وحسن عاقبته وهو كذلك إذ الله تعالى الذي بيده الأمر هو الذي أمره أن يعلن عن هذا التهديد.

(٣) العاقبة لغة آخر الأمر وأثر عمل العامل، فعاقبة كل شيء هي ما ينجلي عنه الشيء من نتيجة وأثر وتأنيث العاقبة بالنظر إلى تأويلها بالحالة والحالة مؤنثة.

سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ
شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾
وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن
نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ
ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ
خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن
مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ
حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ
سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ
قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

شـرح الكلمات :

مما ذرأ : مما خلقَ .

من الحرث والأنعام : الحرث كل ما يحرث له الأرض من الزروع ، والأنعام : الإبل والبقر والغنم .

نصيباً : حظاً وقدراً معيناً .

لشركائنا : شركاؤهم أوثانهم التي أشركوها في عبادة الخالق عز وجل .

ساء مايحكمون : قبح حكمهم في ذلك إذ آثروا أوثانهم على الله.

ليردوهم : اللام لام العاقبة ومعنى يردوهم : يهلكوهم.

وليلبسوا : ليخلطوا عليهم دينهم.

حجر : أي ممنوعة على غير من لم يأذنوا له في أكلها.

حرمت ظهورها : أي لايركبونها ولا يحملون عليها.

افتراء على الله : أي كذباً على الله عز وجل.

على أزواجنا : أي إناثنا.

وإن يكن ميتة : أي إن ولد ما في بطن الحيوان ميتاً فهم فيه شركاء الذكور والإناث سواء.

سفهاً بغير علم : حمقاً وطيشاً وعدم رشد وذلك لجهلهم.

معنى الآيات :

مازال السياق في التنديد بأفعال العادلين بربهم أصنامهم وأوثانهم فأخبر تعالى عما كانوا يبتدعونه من البدع ويشرعون من الشرائع بدون علم ولا هدى ولا كتاب مبين فقال تعالى عنهم ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً[1] ﴾ أي جعل أولئك العادلون بربهم الله تعالى مما خلق من الزرع والأنعام نصيباً أي قسماً كما جعلوا للآلهة التي يؤلهونها مع الله سبحانه وتعالى نصيباً، ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم[2] وهذا لشركائنا﴾. وقوله تعالى: ﴿بزعمهم﴾ لأنه سبحانه وتعالى ما طلب منهم ذلك ولا شرعه لهم وإنما هم يكذبون على الله تعالى ثم إذا أنبت أو أنتج ماجعلوه لله، ولم ينبت أو ينتج ما جعلوه للشركاء حولوه إلى الشركاء بدعوى أنها فقيرة وأن الله غني، وإذا حصل العكس لم يحولوا ماجعلوه للآلهة لله بنفس الحجة وهي أن الشركاء فقراء، والله غني.

هذا معنى قوله تعالى: ﴿ فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾ وهو تحيز ممقوت وتحكم فاسد فلذا قبح تعالى ذلك عليهم فقال ﴿ ساء

---

(١) في الكلام ايجاز إذ حذف منه المقابل وهو وجعلوا لآلهتهم نصيباً وحذفه كان لدلالة ما بعده عليه.

(٢) الزعم بفتح الزاي وقد تضم وتكسر أيضاً لغات والفتح أشهر والزعم الكذب قال شريح القاضي رحمه الله تعالى إن لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا وقد كذب المشركون فيما جعلوه لله تعالى حيث لم يشرع ذلك لهم وإنما هم مفتاتون

مايحكمـون ﴾ أي بئس الحكم حكمهم هذا وقبح صنيعاً، صنيعهم هذا، وماجعلوه لله ينفقـون على الضيفـان والفقـراء، ومـاجعلوه للشركاء ينفقونه على السدنة والمقيمين على الأصنام والأوثان.

هذا مادلت عليه الآية الأولى أما الثانية (١٣٧) وهي قوله تعالى ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ﴾ يريد وكذلك التحكم الباطل والإدعاء الكاذب في جعل لله شيئاً مما ذرأ من الحرث والأنعام، ثم عدم العدل بين الله تعالى وبين شركائهم زين لكثير من المشركين شركاؤهم وهم شياطينهم من الجن والإنس قتل أولادهم كالمؤودة من البنات خوف العار، وكقتل الأولاد الصغار خوف الفقر، أو لنذرها للآلهة،[١] وفعل الشياطين ذلك من أجل أن يردوهم أي يهلكوهم ،ويلبسوا عليهم دينهم[٢] الحق أن يخلطوه لهم بالشرك، وهـو معنى قولـه تعالى ﴿ ليردوهم[٣] وليلبسوا عليهم دينهم ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ولو شاء الله مافعلوه ﴾ هو كما قال إذ لو أراد تعالى منعهم من ذلك لمنعهم[٤] وهو على كل شيء قدير، إذاً فذرهم أيها الرسول ومايفترون من الكذب في هذا التشريع الجاهلي الباطل القبيح.

هذا مادلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (١٣٨) وهي قوله تعالى: ﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر[٥] لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حرمت ظهورها، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه ﴾.

فقد تضمنت هذه الآية ثلاثة ضروب من تشريع الجاهلية وأباطيلهم:

الأول: تحريمهم بعض الأنعام والحرث وجعلها لله وللآلهة التي يعبدونها مع الله.

الثاني: أنعام أي إبل حرموا ركوبها كالسائبة والحام.

الثالثة: إبلٌ لايذكرون اسم الله عليها فلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحال ولا إن حملوا عليها.

---

(١) كما نذر عبد المطلب ولده عبدالله للآلهة، ثم فداه بمائة من الإبل.

(٢) فإن قيل: وهل كان لهم دين حق؟ الجواب! نعم كان لهم دين حق وهو ما جاءهم به اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام وبطول الزمان وفتنة الشيطان فسد عليهم.

(٣) اللام هنا لام العاقبة والصيرورة.

(٤) في هذا رد على القدرية وفيه تسلية للرسول ﷺ وتخفيف عليه.

(٥) في لفظ حجر الفتح والضم والكسر ومعناه المنع وسمى العقل حجراً لأنه يمنع من قول وفعل القبيح وحجر القاضي على المفلس منعه من التصرف في المال وهو مشتق من الحرج بالكسر وهي لغة من الحرج الذي هو الضيق والإثم.

وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ افتراء عليه ﴾ أي كذباً على الله تعالى لأنه تعالى ماحرم ذلك عليهم وإنما حرموه هم بأنفسهم وقالوا حرمه الله علينا، ولذا توعدهم الله تعالى على كذبهم هذا بقوله: ﴿ سيجزيهم بما كانوا يفترون ﴾ أي سيثيبهم الثواب الملائم لكذبهم وهو العذاب الأخروي.

هذا مادلت عليه الآية الثالثة أما الآية الرابعة (١٣٩) ﴿ وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وإن يكن ميتاً فهم فيه شركاء ﴾ فقد تضمنت تشريعاً آخر باطلاً اختلقوه بأنفسهم وزعموا أن الله شرعه لهم وهو أنهم حرموا مافي بطون بعض الأنعام على الإناث، وجعلوها حلالاً للذكور خالصة لهم دون النساء فلا يشرب النساء من ألبانها ولا يأكلن لحوم أجنتها إن ذبحوها ولا ينتفعن بها بحال، اللهم إلا أن ولد الجنين ميتاً فإنهم لا يحرمونه على النساء ولا يخصون به الذكور فيحل أكله للنساء والرجال معاً، ولذا توعدهم تعالى بقوله ﴿سيجزيهم وصفهم[(١)] إنه حكيم عليم﴾أي سيثيبهم على هذا الكذب بما يستحقون من العذاب إنه حكيم في قضائه عليم[(٢)] بعباده.

هذا مادلت عليه الآية الرابعة أما الخامسة (١٤٠) فقد أخبر تعالى بخسران أولئك المشرعين وضلالهم وعدم هدايتهم بقوله ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً﴾أي جهلاً ﴿بغير[(٣)] علم، وحرموا مارزقهم الله﴾ مما سبق ذكره ﴿افتراءً على الله﴾ كذباً ﴿قد ضلوا وماكانوا مهتدين﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة الابتداع في الدين والتشريع المنافي لشرع الله تعالى وإن لم ينسب إلى الله تعالى.

٢ ـ ماينذره الجهال اليوم من نذور للأولياء وإعطاؤهم شيئاً من الأنعام والحرث والشجر هو من عمل المشركين زينه الشيطان لجهال المسلمين.

٣ ـ حرمة قتل النفس لأي سبب كان وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به من بعض

(١) أي كذبهم وقيل في الوصف كذب لأنهم وصفوا بعض الأجنة بالحرمة وبعضاً آخر بالحلية وهو كقوله تعالى من سورة النحل ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام﴾.

(٢) قال القرطبي في الآية دليل على أن العالم ينبغي له أن يتعلم قول مخالفه وإن لم يأخذ به حتى يعرف فساد قوله ويعلم كيف يرد عليه لأن الله تعالى علّم نبيه وأصحابه قول من خالفهم في زمانهم ليعرفوا فساد قولهم.

(٣) في الآية دليل واضح على حرمة القول بدون علم وكذا الاعتقاد والعمل فلا يحل لأحد أن يعتقد أو يقول أو يعمل بدون علم شرعي قد تمكن من معرفته.

الحكام من عمل أهل الجاهلية الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية الفقر.

۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ
أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ
مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ
مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ
حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾
ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ
قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ
أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ
أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ
عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

شـــرح الكلمـات :

أنشأ جنات : خلق جنات جمع جنة وهي البستان.

معروشات : ما يعمل له العريش من العنب، وما لا يعرش له من سائر الأشجار..

مختلفاً أكله : أي ثمره الذي يأكل منه.

متشابهاً : في الورق وغير متشابه في الحب والطعم

حـــقه : ما وجب فيه من الزكاة.

يوم حصاده : يوم حصاده إن كان حباً وجذاذه إن كان نخلاً.

ولا تسرفوا في إخراجه : أي بأن لاتبقوا لعيالكم منه شيئاً.

حمولة : الحمولة مايحمل عليها من الإبل.

وفرشا : الفرش الصغار من الحيوان.

خطوات الشيطان : مسالكه في التحريم والتحليل للإضلال والغواية.

أم ما اشتملت عليه

أرحام الأنثيين : أنثى الضأن وأنثى الماعز ذكراً كان أو أنثى.

نبئوني بعلم : خبروني بأيهما حرم بعلم صحيح لابوسواس الشياطين.

أم كنتم شهداء : أي حاضرين وقت تحريمه تعالى ذلك عليكم إن كان قد حرمه كما تزعمون.

معنى الآيات :

لما توعد الحق تبارك وتعالى المفترين عليه حيث حرموا وحللوا ما شاءوا ونسبوا ذلك إليه إفتراء عليه تعالى، ومافعلوه ذلك إلا لجهلهم بالله تعالى وعدم معرفتهم بعلمه وقدرته وإلا لما اتخذوا له أنداداً من الأحجار وقالوا: شركاؤنا، وشفعاؤنا عند الله. ذكر تعالى في هذه الآيات الأربع مظاهر قدرته وعلمه وحكمته وأمره ونهيه وحجاجه في إبطال تحريم المشركين ما أحل الله لعباده فقال تعالى: ﴿ وهو الذي أنشأ جنات[1] ﴾ أي بساتين وحدائق من العنب

(١) الجنّات: جمع جنة وهي البستان وسمي البستان جنة لأنه لكثرة أشجاره يجن أي يستر الكائن فيه، وسمي الجنين في البطن جنيناً لاجتنانه واستتاره ببطن أمه.

معروشات[١] أي محمول شجرها على العروش التي توضع للعنب ليرتفع فوقها وغَير معروشات أي غير معرش لها، وأنشأ النخل والزرع مختلفاً ثمره وطعمه، وأنشأ الزيتون والرمان متشابهاً في الورق، وغير متشابه في الحب والطعم أيضاً. وأذن تعالى في أكله وأباحه وهو مالكه وخالقه فقال: ﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر ﴾ أي نضج بعض النضج وأمر بإخراج الواجب فيه وهو الزكاة فقال ﴿ وآتوا حقه يوم[٢] حصاده ﴾ أي بعد درسه وتصفيته إذ لا يعطى السنبل، ونهى عن الإ سراف وهو تجاوز الحد في إخراج الزكاة غلوا حتى لا يبقوا لمن يعولون مايكفيهم، فقال: ﴿ ولا تسرفوا إنه لا يحبّ[٣] المسرفين ﴾ وأنشأ من الأنعام : الإبل والبقر والغنم ﴿حمولة﴾ وهي مايحمل عليها لكبرها ﴿وفرشاً﴾ وهي الصغار التي لا يحمل عليها، وأذن مرة أخرى في الأكل مما رزقهم سبحانه وتعالى من الحبوب والثمار واللحوم وشرب الألبان، فقال: ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ ونهى عن اتباع مسالك الشيطان في تحريم ما أحل الله وتحليل ماحرم فقال: ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ وعلل للنهي فقال: ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ ومَن عرف عدوه اتقاه ولو بالبعد عنه، وأنشأ ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين﴾ وهما الكبش والنعجة، ﴿ومن المعز اثنين﴾ وهما التيس والعنزة، وأمر رسوله أن يحاج المفترين في التحريم والتحليل فقال له ﴿قل﴾ يارسولنا لهم ﴿الذكرين[٤] حرم﴾ الله عليكم ﴿أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ أي النعجة والعنزة ﴿ نبؤني بعلم إن كنتم صادقين ﴾ فإن قلتم حرم الذكرين فلازم ذلك جميع الذكور حرام، وإن قلتم حرم الأنثيين فلازمه أن جميع الإناث حرام وإن قلتم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فكل ما ولد منها حرام ذكراً كان أو أنثى فكيف إذا حرمتم البعض وحللتم البعض فبأي علم أخذتم نبوئوني به إن كنتم صادقين وقوله تعالى ﴿ ومن الإبل اثنين ﴾ وهما الناقة والجمل، ﴿ومن البقر اثنين﴾ وهما الثور والبقرة ﴿قل آلذكرين[٥] حرم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام[٦]

---

(١) وقيل المعروشات: ما يعني به من الشجر على اختلافه، وغير المعروشات وهو شجر البوادي والجبال وما في التفسير أولى لقوة ودلالة اللفظ عليه.

(٢) كان قبل فريضة الزكاة يتعين على من حصد أو جد ثمره وأتاه المساكين أن يعطيهم شيئاً مما بين يديه قل أو كثر ولما فرضت الزكاة وحددت مقاديرها خصص هذا بها حيث بُين الحق المجمل هنا.

(٣) في الآية دليل حرمة الإسراف وهو محرم في كل شيء وهو الخروج عن حد الإعتدال والقصد.

(٤) الاستفهام للإنكار أي ينكر عليهم أن يكون الله حرم ذلك.

(٥) إبطال لما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

(٦) إبطال لقولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا.

الأنثيين﴾، فهل حرم الذكرين أو الأنثيين هذه الأزواج الأربعة فإن حرم الذكرين فسائر الذكور محرمة، وإن حرم الأنثيين فسائر الإناث محرمة، أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وحينئذ يكون كل مولود منهما محرماً ذكراً كان أو أنثى، وبهذا تبين أنكم كاذبون على الله مفترون فالله تعالى لم يحرم من هذه الأزواج الثمانية شيئاً، وإنما حرم الميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه.

وقوله تعالى ﴿ أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله﴾ بهذا التحريم فهو تبكيت لهم وتقريع، إذ لم يحرم الله تعالى هذا الذي حرموه، ولم يوصهم بذلك ولم يكونوا حال الوصية حضوراً، وإنما هو الإفتراء والكذب على الله تعالى.

وأخيراً سجل عليهم أنهم كذبة ظالمون مضلون لغيرهم بغير علم، وأنهم لايستحقون الهداية فقال عز وجل: ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً[1] ليضل الناس بغير علم إن الله لايهدي القوم الظالمين ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - إباحة أكل التمر والعنب والرمان والزيتون.

٢ - وجوب الزكاة في الزيتون والتمر والحبوب إذا بلغت النصاب وهو خمسة أوسق والوسق ستون صاعاً، والصاع أربع حفنات.

٣ - جواز الأكل من الثمر قبل جذاذه[2] وإخراج الزكاة منه.

٤ - حرمة الإسراف في المال بأن ينفقه فيما لا يعني، أو ينفقه كله ولم يترك لأهله شيئاً.

٥ - إباحة أكل بهيمة الأنعام وهي ثمانية أزواج، ضأن وماعز[3]، وإبل وبقر وكلها ذكر وأنثى.

٦ - إبطال تشريع الجاهلية في التحريم والتحليل، فالحلال ما أحله الله ورسوله والحرام

(١) يدخل في هذه الخطاب دخولاً أولياً عمرو بن لحيّ أذ هو أول من جلب الأصنام للحجاز ويدخل فيه كذلك أول من سيب السوائب الخ..

(٢) الضأن من ذوات الصوف والمعز من ذوات الشعر.

(٣) اختلف في زكاة التين والراجح أنه إذا بلغ خمسة أوسق بعد يبسه يزكى لأنه يدخر ويقتات واختلف في الخرص للثمر والعنب والجمهور على جوازه للحديث الوارد في ذلك وهو «وإنما كان أمر رسول الله ﷺ بالخرص لكي تحصى الزكاة قبل أن تؤكل الثمار وتفرق». رواه الدارقطني.

ماحرمه الله ورسوله.

٧ ـ جواز الجدال والحجاج لإحقاق الحق أو إبطال الباطل.

٨ ـ لا أظلم ممن يكذب على الله تعالى، فيشرع لعباده ما لم يشرع لهم.

قُل لَّآ أَجِدُ
فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا
ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

شـــرح الكلمـات :

محرماً على طاعم يطعمه : محظوراً ممنوعاً على آكل يأكله.

ميتة أو دماً مسفوحاً : الميتة :ما مات دون تزكية ،والدم المسفوح : المصبوب صباً لا المختلط باللحم والعظام.

رجـــس : نجس وقذر قبيح محرم.

أو فسقا أهل لغير الله به : الفسق الخروج عن طاعة الله والمراد ماذبح ولم يذكر اسم الله عليه وإنما ذكر عليه اسم الأصنام أو غيرها، والإهلال

رفع الصوت باسم المذبوح له.

فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد : اضطر: ألجأته الضرورة وهي خوف الهلاك، والباغ الظالم، والعادي: المعتدي المجاوز للحد.

هادوا : اليهود

ذي ظفر : صاحب ظفر[1] وهو الحيوان الذي لا يفرق أصابعه كالإبل والنعام.

ما حملت ظهورها أو الحوايا : أي الشحم العالق بالظهر، والحوايا[2]: المباعر والمصارين والأمعاء.

أو ما اختلط بعظم : أي عفى لهم عن الشحم المختلط بالعظم كما عفي عن الحوايا والعالق بالظهر.

ببغيهم : أي بسبب ظلمهم.

ولا يرد بأسه : بطشه وعذابه.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحجاج مع أولئك المحرمين ما لم يحرم الله ففي أولى هذه الآيات يأمر الله تعالى رسوله أن يقول للذين يحرمون افتراءً على الله مالم يحرم ﴿ لا أجد فيما أوحي إلي ﴾ ـ وأنا رسول الله ـ ﴿محرماً﴾ أي شيئاً محرماً ﴿على طاعم يطعمه﴾ أي آكلٍ يأكله اللهم ﴿إلا أن يكون ميتة﴾ وهي مامات من الحيوان حتف أنفه أي لم يذك الزكاة الشرعية، ﴿أو دماً مسفوحاً﴾ أي مصبوباً صباً لا الدم المختلط بالعظم واللحم كالكبد والطحال، ﴿أو لحم خنزير فإنه﴾ أي لحم الخنزير ﴿رجس﴾ أي نجس قذر حرام، ﴿أو فسقاً[3] أهل لغير الله به﴾ أي ما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه أو ذكر اسم الأصنام عليه فهو فسق أي خروج عن طاعة الرب الذي أمر من أراد ذبح بهيمة أن يذكر عليها اسمه ليحل له أكلها.

---

(١) في ذي الظفر تفاسير أرجحها ما في التفسير وهو ما ليس بمنفرج الأصابع وقيل الإبل خاصة، وقيل كل ذي حافر من الدواب.

(٢) واحد الحوايا حاوية. وحويّة والمراد بها ما تَحوَّى من الأمعاء واستدار منها.

(٣) تقدير الكلام أو أن يكون المراد أكل ما أهل لغير الله به فصار فسقاً لذلك إذ الذبح لغير الله شرك وخروج من الدين، والفسق يطلق على التفصي من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله.

هذا معنى قوله تعالى: ﴿ قل لا أجد فيما أوحي[1] إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به ﴾.

وقوله تعالى ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ أي غير ظالم بأكل الميتة وما ذكر معها وذلك بأن يأكلها تلذذاً بها لا دفعاً لغائلة الموت وهو كاره لأكلها ﴿ولا عاد﴾ أي غير متجاوز القدر الذي أبيح له وهو مايدفع به غائلة الموت عن نفسه ﴿ فإن ربك غفور رحيم ﴾ ومن مظاهر مغفرته ورحمته أنه أذن للمضطر بالأكل مما هو حرام في الضرورة.

هذا مادلت عليه الآية الأولى (١٤٥) أما الآية الثانية فبعد أن بين تعالى أنه لم يحرم على المؤمنين غير ماذكر من الميتة وماذكر بعدها أخبر أنه حرم على اليهود أكل كل ذي ظفر وهو ماليس له أصابع مفرقة مثل الإبل والنعام والبط والإوز ومن البقر والغنم حرم عليهم شحومهما وهو الشحم اللاصق بالكرش والكلى، وأباح لهم من الشحوم ماحملته البقرة أو الشاة على ظهرها، وما كان لاصقاً بالمباعر وهي الحوايا جمع حاوية وكذا الشحم المختلط بالعظام كشحم اللية، وشحم الجانب والأذن والعين وما إلى ذلك.

هذا ماتضمنه قوله تعالى من الآية الثانية ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ﴾ ثم أخبر تعالى بأن هذا التحريم عليهم كان عقوبة لهم بسبب ظلمهم وإجرامهم فقال ﴿ ذلك جزيناهم ببغيهم[2] ﴾ أي ذلك التحريم منا عليهم كان جزاء ظلمهم، وقوله ﴿ وإنا لصادقون ﴾ فيما أخبرنا به عنهم، وهم الكاذبون إذ قالوا إنما حرم هذا على إسرائيل ونحن أتباع له أما نحن فلم يحرم علينا شيء وإنهم لكاذبون. وقوله تعالى ﴿ فإن كذبوك[3] ﴾ أي اليهود فيما أخبرت به عنهم ﴿فقل﴾ لهم ﴿ربكم ذو رحمة واسعة[4]﴾ ولذا لم يعاجلكم بالعقوبة وقد كذبتموه وكذبتم رسوله وافتريتم على رسله، ولكن ليس معنى ذلك أنكم نجوتم من

---

(١) هل هذه الآية منسوخة بآية المائدة؟ اختلف في ذلك والراجح أنها غير منسوخة إذ هي خبر والأخبار لا تنسخ وآية المائدة ذكرت المنخنقة وما بعدها وهي داخلة في حكم الميتة، وما ذبح على النصب داخل في وما أهل به لغير الله إذاً فالآية محكمة.

(٢) من بغيهم قتلهم الأنبياء وأكل الربا وتبرج النساء واستحلال المحرمات بالحيل والفتاوى الفاسدة.

(٣) قيل إن المراد بالمكذبين المشركون، وقيل اليهود وكلاهما مكذب وكافر واللفظ يصدق عليهما معاً.

(٤) من مظاهر رحمته أنه يحلم على العصاة وينظرهم ويمهلهم لعلهم يتوبون فعدم تعجيله العقوبة هو دليل رحمته الواسعة.

العذاب فإن بأس الله لايرد عن القوم المجرمين[1] من أمثالكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - حرمة الميتة وأنواعها في سورة المائدة وهي المنخنقة والموقوذة، والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، وحرمة الدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، وما ذبح على النصب وحرم بالسنة الحمر[2] الأهلية والبغال، وكل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور.

٢ - قد يحرم بالذنوب من كثير من الطيبات كما حصل لليهود.

٣ - إمهال الله تعالى المجرمين لا يدل على عدم عقوبتهم فإن بأس الله لايرد عن القوم المجرمين.

سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ
لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ
قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ
فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ
يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ
مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ

---

(١) في الآية وعيد وتهديد وهو صالح لأن ينزل في الدنيا وفي الآخرة إذ العلة هي الإجرام وهو قائم فهم متوغلون فيه ولذا لابد من العقوبة ما لم تحصل توبة صادقة.

(٢) ذكر القرطبي أن علة تحريم الحمار قد تكون حاجة الناس للحمل عليها والركوب وذكر علة أخرى وهي كونه نجساً وذكر عن الترمذي في نوادر الأصول أن الحمار أظهر جوهره الخبيث حيث نزا على ذكره وتلوّط فسمى لذلك رجساً وليس في الدواب من يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار والخنزير.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

شــرح الكلمات :

أشركوا : أي جعلوا لله شركاء له يعبدونهم معه.

ولا حرمنا من شيء : أي مما حرموه من البحائر والسوائب والوصائل والحامات.

ذاقوا بأسنا : أي عذابنا.

تخرصون : تكذبون.

الحجة البالغة : الدليل القاطع للدعاوي الباطلة.

هلم شهداءكم : أي أحضروهم.

يعدلون : أي به غيره من الأصنام وسائر المعبودات الباطلة.

معنى الآيات :

مازال السياق في رد ترهات وأباطيل العادلين بربهم المشركين في ألوهيته سواه فذكر تعالى في الآيتين (١٤٨) و(١٤٩) شبهة للمشركين[١] يتخذونها مبرراً لشركهم وباطلهم وهي قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء[٢]﴾ يريدون أن عدم مؤاخذة الله تعالى لنا ونحن نشرك به ونحرم مانحرمه دليل على رضا الله بذلك[٣] وإلا لمنعنا منه وحال دون فعلنا له، فرد الله تعالى هذه الشبهة وأبطلها بقوله: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا﴾ أي مثل هذا التكذيب الصادر من هؤلاء العادلين بربهم من كفار قريش ومشركيها كذب الـذين من قبلهم من الأمم، ومازالو ا على تكذيبهم حتى أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فلو كان تعالى راضياً بشركهم وشرهم وباطلهم لما أخذهم فإمهال الله تعالى للناس لعلهم يتوبون ليس دليلاً على رضاه بالشرك والشر، والحجة أنه متى انتهت فترة الإمهال نزل بالمكذبين العذاب.

---

(١) إلى اليوم والغافلون من المسلمين يحتجون بما احتج به المشركون الأولون ويقولون لو شاء الله أن نصلي لصلينا ولو شاء الله أن نترك المحرم لتركناه وهو احتجاج باطل لا وزن له.

(٢) أي من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

(٣) قولهم هذا دال على جهل مركب منهم بالله تعالى وحكمته وتدبيره وهذا ناتج عن كفرهم وعدم إيمانهم بالله وكتابه ورسوله، فالله أوجد العبادة في هذه الحياة ليبتليهم ثم يجزيهم لا أن يجبرهم على ما يحب منهم.

(٤) في قوله كذلك كذب الذين من قبلهم دلالة على أن المشركين لم يريدوا من قولهم لو شاء الله ما أشركنا إلا رد قول الرسول وتكذيبه فيما جاء به ويدعوهم إليه حتى لكأن كلامهم هذا من باب كلمة حق أريد بها باطل.

وقوله تعالى ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ يأمر الله تعالى رسوله أن يقول للمذنبين العادلين بربهم ﴿ هل عندكم من علم فتخرجوه ﴾ أي ليس لديكم علم على ما تدعونه فتخرجوه لنا، ﴿ إن تتبعون[(١)] إلا الظن﴾ أي ماتتبعون في دعاويكم الباطلة إلا الظن، ﴿ وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ أي وما أنتم إلا تخرصون أي تقولون بالحزر والخرص فتكذبون، وقوله تعالى ﴿ قل فلله[(٢)] الحجة البالغة ﴾ أي يعلم رسوله أن يقول لهم بعد أن دحض شبهتهم وأبطلها إن لم تكن لكم حجة فلله الحجة البالغة، ومع هذا ﴿فلو شاء﴾ هدايتكم ﴿ لهداكم أجمعين ﴾ وهو على ذلك قدير، وإنما حكمه في عباده وسننه فيهم أن يكلفهم اختبارا لهم ويوضح الطريق لهم ويقيم الحجة عليهم، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها.

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية وأما الآية الثالثة (١٥٠) وهي قوله تعالى: ﴿ قل هلم شهداءكم[(٣)] الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ أي الذين حرمتموه فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بهم «فإن شهدوا فلا تشهد معهم» وإن فرضنا أنهم يأتون بشهداء باطل يشهدون[(٤)] فلا تقرهم أنت أيها الرسول على باطلهم بل بين لهم بطلان ما ادعوه، فإنهم لا يتبعون في دعاويهم إلا الأهواء، وعليه ﴿لا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا، والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾، وقد جمع هؤلاء المشركون كل هذه العظائم من الذنوب التكذيب بآيات الله، وعدم الإيمان بالآخرة، والشرك بربهم فكيف يجوز اتباعهم وهم مجرمون ضالون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والاستمرار فيها.

٢ ـ لا حجةإلا فيما قامعلى أساس العلم الصحيح.

٣ ـ الحكمة في عدم هداية الخلق كلهم مع قدرة الله تعالى على ذلك هو التكليف

---

(١) إن في الموضعين نافيه بمعنى (ما) كما هي في التفسير.

(٢) فالله الفاء هنا هي الفاء الفصيحة إذ هي مفصحة عن كلام سابق ترتب عليه ما بعدها ترتب الجزاء على الشرط تقديره هنا فإن كان قولكم لمجرد اتباع الظن والخرص والحزر ولا علم لكم فلله تعالى الحجة البالغة التي تصل إلى الحقيقة وتؤكدها وتبطل ما عداها.

(٣) الأمر هنا للتعجيز والشهداء جمع شهيد بمعنى شاهد.

(٤) أي كذبهم واعلم بأنهم شهداء زور فقوله تعالى فلا تشهد معهم معناه كذبهم ولا تقرهم فإنهم شهداء زور لا غير.

والابتلاء.

٤ ـ مشروعية الشهادة وحضور الشهود.

٥ ـ عدم إقرار شهادة الباطل وحرمة السكوت عنها.

٦ ـ حرمة اتباع أصحاب الأهواء الذين كذبوا بآيات الله.

۞ قُلْ
تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ
شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ
إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾
وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ
وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ
ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

شـــرح الكلمـات :

اتل : اقرأ.

من إملاق : من فقر.
الفواحش : جمع فاحشة كل ماقبح واشتد قبحه كالزنى والبخل.
حرم الله : أي حرم قتلها وهي كل نفس إلا نفس الكافر المحارب.
إلا بالحق : وهو النفس بالنفس وزنى المحصن، والردة.
بالتي هي أحسن : أي بالخصلة التي هي أحسن.
أشده : الإحتلام مع سلامة العقل.
بالقسط : أي بالعدل.
إلا وسعها : طاقتها وما تتسع له.
تذكرون : تذكرون فتتعظون.
السبل : جمع سبيل وهي الطريق.

معنى الآيات:

مازال السياق في إبطال باطل العادلين بربهم المتخذين له شركاء الذين يحرمون بأهوائهم ما لم يحرمه الله تعالى عليهم فقد أمر تعالى رسوله في هذه الآيات الثلاث أن يقول لهم: ﴿تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم﴾[1] لا ماحرمتموه أنتم بأهوائكم وزينه لكم شركاؤكم. ففي الآية الأولى جاء تحريم خمسة أمور وهي: الشرك، وعقوق الوالدين، وقتل الأولاد، وارتكاب الفواحش، وقتل النفس فقال تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم[2] ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً﴾ فأن تفسيرية[3]، ولا ناهية وهذا أول محرم وهو الشرك بالله تعالى، ﴿وبالوالدين إحساناً﴾، وهذا أمر إذ التقدير وأحسنوا بالوالدين إحساناً، والأمر بالشيء نهي عن ضده فالأمر بالإحسان يقتضي تحريم الإساءة والإساءة إلى الوالدين هي عقوقهما، فكان عقوق الوالدين محرماً داخلاً ضمن المحرمات المذكورة في هذه الآيات الثلاث. ﴿ولا تقتلوا

---

(١) أي أقبلوا وتقدموا وما موصولة بمعنى الذي حرم ربكم عليكم وفي الآية دليل على وجوب بيان المحرمات للأمة حتى تتجنبها، والعلماء منوط بهم ذلك.
(٢) هذه الآيات الثلاثة: قل تعالوا أتل إلى قوله تتقون تضمنت عشراً من الوصايا قال ابن عباس هي محكمات وأجمعت الشرائع الإلهية على تقريرها والعمل بها.
(٣) أي فسرت المحرم وهو الشرك بالله تعالى، وهو أول المحرمات وقدم لأنه أخطرها وأضرها بالإنسان.

أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾[1] فهذا المحرم الثالث وهو قتل الأولاد من الإملاق الـذي هو الفقـر وهـذا السبب غير معتبـر إذ لا يجـوز قتـل الأولاد بحال من الأحوال وإنما ذكر لأن المشركين كانوا يقتلون أطفالهم لأجله وقوله تعالى ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ تعليل للنهي عن قتل الأولاد من الفقر إذ مادام الله تعالى يرزقكم أنتم أيها الآباء ويرزق ابنـاءكم فلم تقتلونهم؟ وفي الجملة بشارة للأب الفقير بأن الله تعالى سيرزقه هو وأطفاله فليصـبر ولـيرج، ولا يقتل أطفاله. وقوله تعالى: ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾. هذا الأمر الرابع مما حرم الله تعالى، وهو فعل الفاحشة التي هي الزنى وسواء ماكان منـه ظاهراً أو باطناً والتحريم شامل لكل خصلة قبيحة قد اشتد قبحها وفحش فأصبح فاحشة قولاً كانت أو فعلاً أو اعتقاداً، وقوله: ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق[2] ﴾ هذا هو المحرم الخامس وهو قتل النفس التي حرم الله قتلها وهي كل نفس ما عدا نفس المحارب فإنها مباحة للقتل، والحق الذي تقتل به النفس المحرمة واحد من ثلاثة وهي القود والقصاص فمن قتل نفساً متعمداً جاز قتله بها قصاصاً. والزنى بعد الإحصان فمن زنى وهو محصن وجب قتله رجماً بالحجارة كفارة له، والردة عن الإسلام، وقد بينت هذه الحقوق السنة فقد قال ﷺ في الصحيح : «لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الـزاني، والتـارك لدينـه المفـارق للجـماعة » وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أي ليعدكم بترك هذه المحرمات الخمس لأن تكونوا في عداد العقلاء، لأن من يشرك بربه صنماً أو يسىء إلى أبويه أو يقتل أولاده أو يفجر بنساء الناس أو يقتلهم، لا يعتبر عاقلاً أبداً إذ لو كان له عقل ما أقدم على هذه العظائم من الذنوب والآثام.

وفي الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده[3]، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان

---

(١) استـدل بهـذه الآية من قال بتحريم العزل ومثلـه اليـــوم استعمال الحبوب لمنع الحمل والجمهور على الجواز للضرورة فقط لقول الرسول ﷺ في العزل: «ذلك الوأد الخفي» فإنه ان لم يدل على التحريم دل على الكراهية.

(٢) قوله تعالى إلا بالحق يخرج به نفس الكافر المحارب فقط فهي التي تقتل بحق الحرب والكفر، وما عداها فكل نفس محرمة القتل ولذا حرم رسول الله ﷺ نفس الكافر المعاهد والذمّي بقوله من قتل معاهداً في غير كنهه أى في غير الحقيقة التي توجب قتله كنقضه المعاهدة مثلا. حرم الله عليه الجنة، والحق الذي تقتل به النفس المحرمة القتل هو قتل النفس. وزنى المحصن والردة والخروج عن إمام المسلمين والمفارقة للجماعة.

(٣) قيل الأشد مفرد لا جمع له بمنزلة الآنك أي الرصاص. وقيل واحده شدّ نحو فلس وافلس، وهو مأخوذ من شد النهار إذا ارتفع.

ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ ففي هذه الآية جاء تحريم أربعة أمور هي : **أكل مال اليتيم ، والتطفيف في الوزن ،والجور في الأقوال والأحكام**،ونكث **العهد**. فقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ أي بما ينقصه أو يفسده إلا بالحالة التي هي أحسن له نماءً وحفظاً وقوله ﴿حتى يبلغ أشده﴾ بيان لزمن اليتم وهو من ولادته وموت والده إلى أن يبلغ زمن الأشد وهو البلوغ ، والبلوغ يعرف بالاحتلام أو نبات شعر العانة ، وفي الجارية بالحيض أو الحمل ، وببلوغ الثامنة عشرة من العمر وعلى شرط أن يبلغ اليتيم[(1)] عاقلاً فإن كان غير عاقـل يبقى في كفالة كافله ، وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل[(2)] والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلا وسعها ﴾ أمر بتوفية الكيل والوزن ، والأمر بالشيء نهي عن ضده ، وبذا حرم بخس الكيل والوزن والتطفيف فيهما وقوله ﴿ بالقسط ﴾ أي بالعدل بحيث لايزيد ولا ينقص ، وقوله ﴿ لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ أي طاقتها رفعاً للحرج عن المسلم في الكيل والوزن إذا هو نقص أو زاد بغير عمد ولا تساهل .

وقوله تعالى ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا[(3)] ولو كان ذا قربى ﴾ هذا المحرم الثالث وهو قول الزور وشهادة الزور، إذ الأمر بالعدل في القول ولو كان المقول له أو فيه قريباً نهى عن ضده وهو الجور في القول .

وقـولـه تعـالى ﴿ وبعهد[(4)] الله أوفوا ﴾ متضمن للمحرم الرابع وهو نكث العهد وخلف الـوعـد ، إذ الأمر بالوفاء بالعهود نهيٌ عن نكثها وعدم الوفاء بها ، وقوله تعالى ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ إشارة إلى ماتضمنته هذه الآية الثانية مما حرم تعالى على عباده ، وقوله ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أي ليعدكم بذلك لأن تذكروا فتتعظوا فتجتنبوا ماحرم عليكم .

وقوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ هذه هي الآية الثالثة من آيات الوصايا العشر[(5)] وقد تضمنت

---

(١) لأن الرشد لا يكون إلا مع العقل والله يقول فإن آنستم منهم رشداً والرشد مقابل السفه وهو إساءة التصرف فيما اسند إليه من مال وغيره .

(٢) ورد في التطفيف وعيد شديد قال تعالى ويل للمطففين ، وقال الرسول ﷺ «ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق» .

(٣) الأمر بالعدل في القول يتناول الأحكام والشهادات .

(٤) هذا الوفاء عام في كل ما عهد الله تعالى به إلى عباده من سائر الفرائض والواجبات وسائر التكاليف كما يتضمن العهود التي تكون بين الإنسان وأخيه الإنسان .

(٥) هذه الوصايا العشر موجودة في أول التوراة ومع الأسف أضاعها اليهود لشقائهم .

الأمر بالتزام الإسلام عقائداً وعبادات وأحكاماً وأخلاقاً وآداباً، كما تضمنت النهي عن اتباع غيره من سائر الملل والنحل المعبر عنها بالسبل، ومادام الأمر بالتزام الاسلام يتضمن النهي عن ترك الاسلام فقد تضمنت الآية تحريماً ألا وهو ترك الإسلام واتباع غيره هذا الذي حرم الله تعالى على عباده لا ماحرمه المشركون بأهوائهم وتزيين شركائهم وقوله تعالى: ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ إشارة إلى التزام الإسلام وترك ماعداه ليعدكم بذلك للتقوى وهي إتقاء غضب الرب تعالى وعذابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ هذه الوصايا العشر عليها مدار الاسلام وسعادة الإنسان في الدارين كان عبدالله بن مسعود يقول فيها «من سره أن ينظر إلى وصية رسول الله التي عليها خاتمه فليقرأ الآيات الثلاث من آخر سورة الأنعام: ﴿ قل تعالوا . . . . تتقون ﴾.

٢ ـ حرمة الشرك وحقوق الوالدين وقتل الأولاد والزنى واللواط وكل قبيح من قول أو عمل أو اعتقاد وقتل النفس إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وبخس الكيل والوزن، وقول الزور وشهادة الزور، ونكث العهد وخلف الوعد. والردة عن الإسلام، واتباع المذاهب الباطلة والطرق الضالة.

٣ ـ كمال العقل باجتناب المحرمات الخمس الأولى.

٤ ـ الحصول على ملكة المراقبة باجتناب المحرمات الأربع الثانية.

٥ ـ النجاة من النار والخزي والعار في الدارين بالتزام الاسلام حتى الموت والبراءة من غيره من سائر المذاهب[1] والملل والطَرق.

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ

(١) روى الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال هذه سبلٌ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها. ثم قرأ هذه الآية قل هذه سبيلي. وهذه صورة تقريبية.

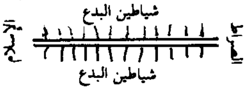

رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ
وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ
(١٥٦) أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ (١٥٧)

شرح الكلمات:

الكتاب : التوارة.

وتفصيلاً لكل شيء : تحتاج إليه أمة بني إسرائيل في عقائدها وعباداتها وفضائلها وأحكامها.

وهذا كتاب أنزلناه : القرآن الكريم.

مبارك : خيريته ونفعه وبركته دائمة.

على طائفتين من قبلنا : اليهود والنصارى.

عن دراستهم : أي قراءتهم لكتبهم لأنها بلسانهم ونحن لانفهم ذلك.

وصدف عنها : أعرض عنها ولم يلتفت إليها.

سوء العذاب : أي سيء العذاب وهو أشده.

معنى الآيات:

هذا الكلام متصل بما قبله، فثم[1] حرف عطف والمعطوف عليه هو قل تعالوا أتل الآيات أي ثم قل يارسولنا آتى ربي موسي الكتاب تماماً لنِعَمِه ﴿على الذي أحسن﴾ طاعة ربه وهو

---

(١) قال الزجاج: ثم ها هنا للعطف على معنى التلاوة، فالمعنى اتل ما حرم ربكم عليكم. ثم أتل عليكم ما آتى الله موسى الخ. فهي إذاً لعطف الجُمل وما كان لعطف الجمل فلا يراعى فيه تراخي الزمان.

موسى عليه السلام، ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ مما تحتاج إليه أمة بني إسرائيل في عقائدها، وعباداتها وأحكامها العامة والخاصة ﴿وهدي﴾ يتبينون به الحق والصواب، ﴿ورحمة﴾ لهم في دنياهم لما يحمله من الدعوة إلى العدل والخير رجاء أن يوقنوا بلقاء ربهم.

هذا مادلت عليه الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم(١) ﴾ أي بني إسرائيل ﴿يؤمنون﴾ فيعملون الصالحات ويتخلون عن المفاسد والشرور لما تجلبه لهم من غضب الله تعالى وعذابه.

أما الآية الثانية (١٥٥) فقد أشاد الله تعالى بالقرآن الكريم ممتناً بإنزاله وما أودع فيه من البركة التي ينالها كل من يؤمن به ويعمل به ويتلوه تعبداً وتقرباً وتعلماً.

هذا معنى قولـه تعالى: ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ وقوله ﴿ فاتبعوه(٢).... ﴾ أمر للعباد باتباع ماجاء في القرآن الكريم من عقائد وعبادات وشرائع وأحكام فإن من اتبعه قاده إلى السعادة والكمال في الحياتين، وقوله ﴿ واتقوا(٣) لعلكم ترحمون ﴾ أي اتقوا ترك العمل به ليعدكم ذلك الذي هو متابعة القرآن والتقوى للرحمة فترحمون في الدنيا والآخرة.

وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ فمعناها: إن الله تعالى أنزل الكتاب على رسوله محمد ﷺ وأمره بتلاوته وإبلاغه الناس لئلا يقول الكافرون من العرب إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنـا اليهـود والنصـارى والمراد بالكتاب التوارة والإنجيل، ﴿ وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ إذ لم نعرف لغتهم، ولم نعرف ما يقرأونه في كتابهم، فتقوم الحجة لكم علينا فقطعاً لهذه الحجة أنزلنا الكتاب.

وقوله تعالى في الآية الرابعة: ﴿ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ﴾ كما قطع تعالى عذرهم بإنزال كتابه الكريم لو قالوا يوم القيامة إنما أنزل الكتاب على اليهود والنصارى ونحن لم ينزل إلينا شيء فلذا ما عرفنا ربنا ولا عرفنا محابه ومكارهه فنطيعه بفعل محابه وترك مكارهه، قطع كذلك عذرهم لو قالوا

(١) أي رجاء أن يؤمنوا بلقاء ربهم.
(٢) أي اعملوا بما فيه متتبعين ما فيه من أوامر ونواه تفعلون الأمر وتتركون النهي.
(٣) أي اتقوا تحريفه وتبديله كما فعلت اليهود.

لو أنا أنزل علينا الكتاب الهادي إلى الحق المعرف بالهدى لكنا أهدى من اليهود والنصارى الذين أوتوا الكتاب قبلنا، فقال تعالى ﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم ﴾ وهو القرآن الكريم ورسوله المبلغ له ﴿وهدى ورحمة﴾ أي وجاءكم الهدى والرحمة يحملهما القرآن الكريم، فأي حجة بقيت لكم تحتجون بها عند الله يوم القيامة إنكم إن لم تقبلوا هذه البينة وما تحمله من هدى ورحمة فقد كذبتم بآيات الله وصدفتم عنها ولا أحد أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها، وسيجزيكم بما يجزي به المكذبين بآيات الله الصادفين عنها.

هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (١٥٧) ﴿ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ أي كراهية أن تقولوا. ﴿ فقد جاءكم بينة[١] من ربكم وهدى[٢] ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان منة الله تعالى على موسى عليه السلام والثناء عليه لإحسانه.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة.

٣ ـ الإشادة بالقرآن الكريم، وما أودع الله فيه من البركة والهدى والرحمة والخير

٤ ـ قطع حجة المشركين بإنزال الله تعالى كتابه وإرسال رسوله محمد ﷺ.

٥ ـ التنديد[٣] بالظلم، وبيان جزاء الظالمين المكذبين بآيات الله المعرضين عنها.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟

(١) أي بطل عذركم بمجيء النبي الأمي ﷺ لكم وهو البيّنة وسمي بينة لكماله الخلقي والخلقي ولما معه من العلوم والمعارف الإلهية وهو أميّ لا يقرأ ولا يكتب.

(٢) الهدى والرحمة المراد بهما ما في القرآن الكريم من هدى ورحمة للمؤمنين بقرينة. فمن أظلم ممن كذب بآيات الله.

(٣) وفي الحديث الصحيح: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». وفي آخر الظلم يذر الديار بلاقع أي قفراً خالية.

إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

شـــرح الكلمـات :

بعض آيات ربك : أي علامات الساعة منها طلوع الشمس من مغربها.

كسبت في إيمانها خيراً : من الطاعات والقربات.

فرقوا دينهم : جعلوه طرائق ومذاهب تتعادى.

وكانوا شيعاً : طوائف وأحزاباً.

من جاء بالحسنة : أي أتى يوم القيامة بالحسنة التي هي الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته والعمل بطاعته وطاعة رسوله.

ومن جاء بالسيئة : أي بالشرك بالله ومعاصيه.

معنى الآيات :

بعد ذكر الحجج وإنزال الآيات التي هي أكبر بينة على صحة التوحيد وبطلان الشرك، والعادلون بربهم الأصنام مازالوا في موقفهم المعادي للحق ودعوته ورسوله فأنزل الله تعالى قولـه: ﴿ هل ينـظرون .... ﴾ أي ماينتـظرون ﴿إلا أن تأتيهم الملائكـة﴾ لقبض أرواحهم، ﴿أو يأتي ربك﴾ يوم القيامة لفصل القضاء، ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ الدالة على قرب الساعة كطلوع الشمس من مغربها، إن موقف الإصرار على التكذيب هو موقف المنتظر لما ذكر تعالى من الملائكة ومجيء الرب تعالى أو مجيء علامات الساعة للفناء. وقوله تعـالى ﴿ **يوم يأتي بعض آيات ربك**[1] ﴾ **الدالة على قرب الساعة وهي طلوع الشمس من**

(١) الآيات بمعنى العلامات الدالة على قرب الساعة الكبرى منها عشر جاءت في حديث مسلم إذ روى عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات. طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم، وخروج الدجال وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب. وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا.

مغربها إيذاناً بقرب ساعة الفناء في هذه الحال يخبر تعالى أن نفساً لم تكن آمنت قبل ظهور هذه الآية لو آمنت بعد ظهورها لا يقبل منها إيمانها ولا تنتفع به لأنه أصبح إيماناً اضطرارياً لا اختيارياً، كمـا أن نفسـاً آمنت به قبـل الآية، ولكن لم تكسب في إيمـانهـا خيراً وأراد ت أن تكسب الخير فإن ذلـك لاينفعها فلا تثاب عليه، لأن باب التوبة مفتوح إلى هذا اليوم وهو يوم[1] طلوع الشمس من مغربها فإنه يغلق

وقوله تعالى ﴿ قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ يأمر الله رسوله أن يقول لأولئك العادلين بربهم المصرين على الشرك والتكذيب: مادمتم منتظرين انتظروا إنا منتظرون ساعة هلاككم فإنها آتية لا محالة.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٨) أما الآيتان بعدها فإن الله تعالى أخبر رسوله بأن الذين فرقوا دينهم[2] وكانوا شيعاً أي طوائف وأحزاباً وفرقاً مختلفة كاليهود والنصارى، ومن يبتدع من هذ الأمة بدعاً فيتابع عليها فيصبحون فرقاً وجماعات ومذاهب مختلفة متطاحنة متحاربة هؤلاء ﴿لست منهم في شيء﴾ أي أنت بريء منهم، وهم منك بريئون، وإنما أمرهم إلى الله تعالى هو الذي يتولى جزاءهم فإنه سيجمعهم يوم القيامة ثم ينبئهم بما كانوا يعملون من الشر والخير ﴿من جاء بالحسنة فلـــــه عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ، وهم لايظلمون﴾ من قبلنا فلا ننقص المحسن منهم حسنة من حسناته ، ولا نضيف إلى سيئاته سيئة ماعملها، هذا حكم الله فيهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ ـ إثبات صفة الإتيان في عرصات القيامة للرب تبارك وتعالى لفصل القضاء.

٢ ـ تقرير أشراط الساعة وإن طلوع الشمس منها وأنها متى ظهرت أغلق باب التوبة.

٣ ـ حرمة الفرقة في الدين وأن اليهود والنصارى فرقوا دينهم وأن أمة الإسلام أصابتها الفرقة كذلك بل وهي أكثر لحديث وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة.

---

(١) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها» فذلك ﴿حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾.

(٢) قريء فارقوا دينهم أي تركوه وتخلوا عنه وقراءة الجمهور فرّقوا بالتضعيف حيث أصبح لكل فرقة اعتقاد وعمل خاص بها ومن فرّق فقد فارق أحب أم كره.

٤ ـ براءة الرسول ﷺ ممن فرقوا دينهم وترك الأمر لله يحكم بينهم بحكمه العادل.

٥ ـ مضاعفة الحسنات، وعدم مضاعفة السيئات عدل من الله ورحمة.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

شرح الكلمات :

قيمًا[1]	: أي مستقيمًا.
ملة إبراهيم	: أي دين إبراهيم وهو الإسلام.
حنيفاً	: مائلاً عن الضلالة إلى الهدى.
ونسكي	: ذبحي تقرباً إلى الله تعالى.
ومحياي	: حياتي.
أبغي رباً	أطلب رباً: إلهاً معبوداً أعبده.
ولا تزر وازرة	أي لا تحمل نفس وازرة أي آثمة.
وزر أخرى	: أي إثم نفس أخرى.

---

(١) قيما مصدر على وزن شِبَع وصف به المنصوب وهو ديناً ومعناه مستقيماً لا عوج فيه وهو الإسلام.

خلائف الأرض : أي يخلف بعضكم بعضاً جيل يموت وآخر يحيا إلى نهاية الحياة.

ليبلوكم فيما آتاكم : أي ليختبركم فيما أعطاكم من الصحة والمرض والمال والفقر والعلم والجهل.

معنى الآيات:

في هذه الآيات وهي خاتمة هذه السورة التي بلغت آياتها بضعاً وستين ومائة آية وكانت كلها في الحجاج مع العادلين بربهم وبيان طريق الهدى لهم لعلهم يؤمنون فيوحدون ويسلمون. في هذه الآيات أمر الله رسوله أن يعلن عن مفاصلته لأولئك المشركين فقال له ﴿ قل إن صلاتي ونسكي[1] ﴾ أي ما أذبحه تقرباً إلى ربي، ﴿ ومحياي ﴾ أي ما آتيه في حياتي ﴿ ومماتي ﴾ أي ما أموت عليه من[2] الطاعات والصالحات ﴿لله رب العالمين ﴾ وحده ﴿ لا شريك له وبذلك أمرت﴾ أي أمرني ربي سبحانه وتعالى، ﴿وأنا أول المسلمين﴾ لا يسبقني أحد أبداً. كما أمره أن ينكر على المشركين دعوتهم إليه ﷺ لأن يعبد معهم آلهتهم، ليعبدوا معه إلهه وقال: ﴿قل أغير الله أبغي رباً﴾ أي أطلب إلهاً، ﴿وهو رب كل شيء﴾ أي ما من كائن في هذه الحياة إلا والله ربه أي خالقه ورازقه، وحافظه، وأعلمه أنه لا تكسب نفس من خير إلا وهو لها، ولا تكسب من شر إلا عليها، وأنه ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي لا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس مذنبة أخرى، وأن مرد الجميع إلى الله تعالى ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ أي ويقضي بينكم فينجو من ينجو ويهلك من يهلك، كما أخبره أن يقول: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ أي يخلف بعضكم بعضاً هذا يموت فيورث، وهذا الوارث يموت فيورث، وقوله ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ أي هذا غني وهذا فقير، هذا صحيح وهذا ضرير هذا عالم وذاك جاهل، ثم علل تعالى لتدبيره فينا بقوله ﴿ليبلوكم﴾ أي يختبركم فيما آتاكم ليرى الشاكر ويرى الكافر ولازم الابتلاء النجاح أو الخيبة فلذا قال ﴿إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ فيعذب الكافر ويغفر ويرحم الشاكر.

هداية الآيات:

---

(١) قيل المراد من الصلاة هنا صلاة العيد لمناسبة النسك وهو الذبح تقرباً وقيل صلاة نافلة والعموم أولى. وكذا النسك يطلق على الذبح تقرباً وهو مراد هنا ويطلق على سائر العبادات من الفرائض والنوافل لأن النسك هو التعبد.

(٢) وقال القرطبي في الآية وما أوصى به بعد وفاتي وهو حسن ويشهد له قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم.

من هداية الآيات:

١ ـ ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام.

٢ ـ مشروعية قول ﴿ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ في القيام للصلاة.

٣ ـ لا يصح طلب رب غير الله تعالى لأنه رب كل شيء.

٤ ـ عدالة الله تعالى تتجلى يوم القيامة.

٥ ـ عدالة الجزاء يوم القيامة.

٦ ـ تفاوت الناس في الغنى والفقر والصحة والمرض، والبر والفجور وفي كل شيء مظهر من مظاهر تدبير الله تعالى في خلقه. ينتفع به الذاكرون من غير أصحاب الغفلة والنسيان.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

مكيـــة (٢)

وآياتها خمس ومائتا آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ (١) كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣)
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ
(٤) فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ (٥)

---

(١) لحديث مسلم عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان اذا أقام الصلاة قال وجهت وجهي لله فاطر السموات.. الخ. الآية وفيه دعاء طويل ذكره القرطبي عند تفسير هذه الآية.

(٢) إلّا قوله تعالى: ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ إلى قوله: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم .﴾. فإنها مدنيات.

شـــرح الكلمات :

المص : هذه أحد الحروف المقطعة ويقرأ هكذا: ألف لآم ميم صَادْ. والله أعلم بمراده بها.

كتاب : أي هذا كتاب.

حـــرج : ضيق.

وذكرى : تذكرة بها يذكرون الله وماعنده ومالديه فيقبلون على طاعته.

أولياء : رؤساؤهم في الشرك.

ما تذكرون : أي تتعظون فترجعون إلى الحق.

وكم من قرية : أي كثيراً من القرى.

بأسنا بياتا : عذابنا ليلاً وهم نائمون.

أو هم قائلون : أي نائمون بالقيلولة وهم مستريحون.

فما كان دعواهم : أي دعاؤهم إلا قولهم إنا كنا ظالمين.

معنى الآيات :

﴿المص﴾ في هذه الحروف إشارة إلى أن هذا القرآن تألف من مثل هذه الحروف المقطعة وقد عجزتم عن تأليف مثله فظهر بذلك أنه كلام الله ووحيه إلى رسوله فآمنوا به وقوله ﴿كتاب﴾ أي هذا كتاب ﴿أنزل إليك﴾[1] يارسولنا ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ أي ضيق منه ﴿لتنذر به﴾ قومك عواقب شركهم وضلالهم، وتذكر به المؤمنين منهم ذكرى وقل لهم ﴿اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم﴾ من الهدى والنور، ﴿ولا تتبعوا من دونه﴾ أي من غيره ﴿أولياء﴾[2] لا يأمرونكم إلا بالشرك والشر والفساد، وهم رؤساء الضلال في قريش ﴿قليلاً ماتذكرون﴾ أي تتعظون فترجعون إلى الحق الذي جانبتموه ﴿وكم[3] من قرية﴾ أي وكثيرا من القرى أهلكنا أهلها لما جانبوا الحق ولازموا الباطل ﴿فجاءها[4] بأسنا[5]﴾ أي عذابنا الشديد

---

(١) جملة: ﴿أنزل إليك﴾ يصح إعرابها في محل نعت لكتاب ويصح إعرابها في محل نصب حالاً من هذا كتاب نحو: (هذا بعلي شيخا) وإن لم يقدر لفظ هذا تعرب جملة حينئذٍ في محل رفع خبر كتاب، ويكون التنكير في كتاب للتعظيم وهو كالوصف فيسوغ الابتداء به وإن كان نكرة نحو قولهم: شرٌ أهر ذا ناب.

(٢) قالت العلماء: كلٌ من رضي مذهبا فأهل ذلك المذهب أولياؤه، ومنع أولياء من الصرف لأنّ فيه ألف التأنيث.

(٣) كم: للتكثير كما أنّ ربّ للتقليل وهي في موضع رفع على الابتداء، والخبر جملة أهلكناها، والتقدير: وكثير من القرى أهلكناها.

(٤) ﴿فجاءها﴾ في حرف الفاء هنا إشكال لأنّ الإهلاك قد تمّ فما معنى مجيء البأس حينئذ؟ وعليه فليكن تقدير الكلام: وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا.

(٥) البأس: العذاب الآتي على النفس.

﴿بياتاً أو هم قائلون﴾ أي ليلاً أو نهاراً، فما كان دعاءهم[1] يومئذ إلا قولهم: ياويلنا إنا كنا ظالمين فاعترفوا بذنبهم، ولكن هيهات أن ينفعهم الاعتراف بعد معاينة العذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - القرآن الكريم هو مصدر نذارة الرسول ﷺ وبشارته بما حواه من الوعد والوعيد، والذكرى والبشرى.

٢ - وجوب اتباع الوحي، وحرمة اتباع ما يدعو إليه أصحاب الأهواء والمبتدعة.

٣ - الاعتبار بما حل بالأمم الظالمة من خراب ودمار.

٤ - لا تنفع التوبة عند معاينة الموت أو العذاب.

فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

شـــرح الكلمات:

أرسل إليهم : هم الأمم والأقوام.

فلنقصن عليهم بعلم : فلنخبرنهم بأعمالهم متتبعين لها فلا نترك منها شيئاً.

وما كنا غائبين : أي عنهم أيام كانوا يعملون.

الوزن يومئذ الحق : أي العدل.

فمن ثقلت موازينه : أي بالحسنات فأولئك هم المفلحون بدخول الجنة.

خسروا أنفسهم : بدخولهم النار والإصطلاء بها أبداً.

معايش : جمع معيشة بمعنى العيش الذي يعيشه الإنسان.

(١) الدعاء والدعوى بمعنى واحد ومنه: وآخر دعواهم أي: دعائهم.

قليلاً ماتشكرون : أي شكراً قليلاً والشكر ذكر النعمة للمنعم[1] وطاعته بفعل محابه وترك مكارهه.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم[2] ولنسألن المرسلين[3]، فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ يخبر تعالى أنه إذا جمع الخلائق لفصل القضاء مؤكداً الخبر بالقسم أنه يسأل كل أمة أو جماعة أو فرد أرسل إليهم رسله يسألهم عن مدى إجابتهم دعوة رسله إليهم، فهل آمنوا بما جاءتهم به الرسل، وأطاعوهم فيما بلغوهم من التوحيد والعبادة والطاعة والانقياد، كما يسأل الرسل أيضاً هل بلغوا ماائتمنهم عليه من رسالته المتضمنة أمر عباده بالإيمان به وتوحيده وطاعته في أمره ونهيه، ثم يقصُّ تعالى على الجميع بعلمه كل ما كان منهم من ظاهر الأعمال وباطنها، ولا يستطيعون إخفاء شيء أبداً، ولم يكن سؤاله لهم أولاً، إلا من باب إقامة الحجة وإظهار عدالته سبحانه وتعالى فيهم، ولتوبيخ من يستحق التوبيخ منهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ عنهم حينما كانوا في الدنيا يعملون فكل أعمالهم كانت مكشوفة ظاهرة له تعالى ولا يخفى عليه منها شيء وهو السميع البصير.

هذا مادلت عليه الآية الأولى (٦) والثانية (٧) أما الآيتان الثالثة والرابعة فقد أخبر تعالى أنه بعد سؤالهم وتعريفهم بأعمالهم ينصب الميزان وتوزن[4] لهم أعمالهم فمن ثقلت موازين حسناته أفلح بالنجاة من النار ودخول الجنة دار السلام ومن خفَّت لقلة حسناته وكثرة سيئاته[5] خسر نفسه بإلقائه في جهنم ليخلد في عذاب أبدي، وعلل تعالى لهذا الخسران في جهنم

---

(١) وحده والثناء بها عليه.

(٢) في الآية دليل على أنّ الكفار يحاسبون وإن لم توزن أعمالهم لقوله تعالى ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ فمحاسبتهم لإظهار العدالة الإلهية لا لأن لهم أعمالاً صالحة يجزون بها والله أعلم.

(٣) ويشهد لهذه المساءلة قوله ﷺ في الصحيح: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام يسأل عن رعيته، والرجل يسأل عن أهله، والمرأة تسأل عن بيت زوجها، والعبد يسأل عن مال سيده).

(٤) هنا زلت أقدام المعتزلة فأوّلوا الوزن للأعمال والميزان وقالوا: الأعراض لا توزن ولو اتبعوا لأوّلوا الميزان بالصراط والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجنّ على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة وهكذا حتى لا يبقى للدين حقيقة والعياذ بالله من فساد القلوب والعقول ومن الجري وراء فلسفة الإغريق واليونان.

(٥) ورد في السنة الصحيحة أنّ الأعراض تحوّل إلى أجسام وتوزن كما في حديث: أنّ البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة وكانهما غمامتان. الحديث، كما توزن صحائف الأعمال لحديث: (فطاشت السجلات وثقلت البطاقة) وحديث: (يؤتى بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة) وبهذا تقرر أنّ الأعمال توزن وتوزن محالها وفاعلوها والله على ذلك قدير.

بقوله ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ أي يكذبون ويجحدون، وأطلق الظلم وأريد به التكذيب والجحود لأمرين هما:

أولاً: اكتفاء بحرف الجر الباء إذ لا تدخل على ظلم ولكن على كذب أو جحد يقال كذب به وجحد به ولا يقال ظلم به ولكن ظلمه وهذا من باب التضمين وهو سائغ في لغة العرب التي نزل بها القرآن.

وثانيا: أنهم بدل أن يؤمنوا بالآيات وهي واضحات كذبوا بها فكانوا كأنهم ظلموا الآيات ظلمًا حيث لم يؤمنوا بها وهي بينات.

هذا مادلت عليه الآيتان أما الآية الخامسة (١٠) فقد تضمنت امتنان الله تعالى على عباده، وكان المفروض أن يشكروا نعمه عليهم بالإيمان به وتوحيده وطاعته، ولكن الذي حصل هو عدم الشكر من أكثرهم قال تعالى ﴿ ولقد مكناكم في الأرض ﴾ حيث جعلهم متمكنين في الحياة عليها يتصرفون فيها ويمشون في مناكبها، وقوله ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾[1] هذه نعمة أخرى وهي أن جعل لهم فيها معايش وأرزاقاً يطلبونها فيها ويحصلون عليها وعليها قامت حياتهم، وقوله ﴿قليلاً ماتشكرون﴾ أي لا تشكرون إلا شكراً يسيراً لا يكاد يذكر.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والسؤال والحساب ووزن الأعمال يوم القيامة.

٢ ـ صعوبة الموقف حيث تسأل الأمم والرسل عليهم السلام كذلك.

٣ ـ الفلاح والخسران مبنيان على الكسب في الدنيا فمن كسب خيراً نجا، ومن كسب شراً هلك.

٤ ـ وجوب شكر النعم بالإيمان والطاعة لله ورسوله.

وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟

---

(١) المعايش: جمع معيشة، والمعيشة: ما يتوصل به إلى العيش الذي هو الحياة من المطاعم والمشارب. والتمكين في الأرض: معناه جعلها قارة ممهدة لا تضطرب ولا تتحرك فيفسد ما عليها.

لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

شــرح الكلمـات:

خلقناكم ثم صورناكم : أي خلقنا أباكم آدم أي قدرناه من الطين ثم صورناه على الصورة البشرية الكريمة التي ورثها بنوه من بعده إلى نهاية الوجود الإنساني.

فســجدوا : أي سجود تحية لآدم عليه السلام.

إبليس : أبو الشياطين من الجن وكنيته أبو مرة، وهو الشيطان الرجيم.

فاهبط منها : أي من الجنة.

من الصاغرين : جمع صاغر الذليل المهان.

فبما أغويتني : أي فبسبب إضلالك لي.

مذموماً مدحوراً : ممقوتاً مذموماً مطروداً.

معنى الآيات:

مازال السياق في تعداد أنعم الله تعالى على عباده تلك النعم الموجبة لشكره تعالى بالإيمان

به وطاعته فقال تعالى ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم[1] ﴾ أي خلقنا أباكم آدم من طين ثم صورناه بالصورة البشرية التي ورثها بنوه عنه، ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ وفي هذا إنعام آخر وهو تكريم أبيكم آدم بأمر الملائكة بالسجود له تحية له وتعظيما ﴿فسجدوا إلا إبليس[2] لم يكن من الساجدين﴾ أي أبى وامتنع أن يسجد، فسأله ربه تعالى قائلا: ﴿ما منعك ألا تسجد[3] إذ أمرتك﴾ أي أي شيء جعلك لا تسجد فأجاب إبليس قائلا: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار، وخلقته من طين﴾ فأنا أشرف منه فكيف أسجد له، ولم يكن إبليس مصيباً في هذه القياس[4] الفاسد أولاً: ليست النار أشرف من الطين بل الطين أكثر نفعاً وأقل ضرراً، والنار كلها ضرر، وما فيها من نفع ليس بشيء إلى جانب الضرر وثانيا: إن الذي أمره بالسجود هو الرب الذي تجب طاعته سواء كان المسجود له فاضلاً أو مفضولاً، وهنا أمره الرب تعالى أن يهبط من الجنة فقال ﴿اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ أي الذليلين الحقيرين، ولما وقع إبليس في ورطته، وعرف سبب هلكته وهو عدم سجوده لآدم قال للرب تبارك وتعالى ﴿انظرني﴾ أي أمهلني لا تمتني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ فأجابه الرب بقوله ﴿ إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ وهو فناء هذه الدنيا فقط وذلك قبل البعث، جاء هذا الجواب في سورة الحجر وهنا قال ﴿ إنك من المنظرين ﴾ ومراد إبليس في الإمهال التمكن من إفساد أكبر عدد من بني آدم انتقاماً منهم إذ كان آدم هو السبب في طرده من الرحمة، ولما أجابه الرب إلى طلبه قال: ﴿ فبما أغويتني ﴾ أي أضللتني ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ يريد آدم وذريته، والمراد من الصراط الإسلام إذ هو الطريق المستقيم والموصل بالسالك له إلى رضوان الله تعالى ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم[5] ومن خلفهم وعن

---

(١) ويصح أن يقال: خلقناكم نطفاً ثم صورناكم، وما في التفسير أولى بالآية وأصح بدليل قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾.

(٢) استثناء من غير الجنس إذ إبليس من الجنّ ولم يكن من الملائكة.

(٣) ﴿ما منعك﴾ ما: في موضع رفع بالابتداء فهي اسم استفهام والتقدير أي شيء منعك من السجود، وأن المصدرية مدغمة في لا الزائدة بدليل عدم زيادتها في [ص] إذ قال: ﴿ما منعك أن تسجد﴾ أي: من السجود لآدم.

(٤) قال ابن عباس والحسن: أوّل من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى مع إبليس. قال العلماء: من جوهر الطين الرزانة والسكون والوقار والأناة ولهذا تاب آدم، ومن جوهر النار الخفة والحدة والطيش والارتفاع ولذا لم يتب إبليس.

(٥) معناه: لأصدنّهم عن الحق، وأرغبهم في الدنيا وأشككهم في الآخرة وهذا غاية الضلال، وقال بعضهم: المراد من قوله: ﴿من بين أيديهم﴾ من دنياهم ﴿ومن خلفهم﴾ من آخرتهم، ﴿وعن أيمانهم﴾ يعني حسناتهم ﴿وعن شمائلهم﴾ يعني سيئاتهم.

أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ يريد يحيط بهم فيمنعهم سلوك الصراط المستقيم حتى لا ينجوا ويهلكوا كما هلك هو زاده الله هلاكاً، وقوله ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ هذا قول إبليس للرب تعالى، ولا تجد أكثر أولاد آدم الذي أضللتني بسببه شاكرين لك بالإيمان والتوحيد والطاعات.

وهنا أعاد الله أمره بطرد اللعين فقال ﴿اخرج منها﴾ أي من الجنة ﴿مذموماً مدحوراً﴾ أي ممقوتاً مطروداً ﴿ لمن تبعك منهم[1] لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ أي فبعزتي لأملأن جهنم منك وممن اتبعك منهم أجمعين.

هـداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ ـ خطر الكبر على الإنسان.

٢ ـ ضرر القياس[2] الفاسد.

٣ ـ خطر إبليس وذريته على بني آدم، والنجاة منهم بذكر الله تعالى وشكره.

٤ ـ الشكر هو الإيمان والطاعة لله ورسوله ﷺ.

وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ
شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا
مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا

---

(١) اللام في ﴿لمن﴾ موطئة للقسم، واللام في ﴿لأملأنّ﴾ في جواب القسم والتقدير: وعزتي من تبعك منهم لأملأن جهنم منك ومنهم أجمعين.

(٢) القياس من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة مشروع محمود لأنّه اعتصام بالكتاب والسنة واجماع الأمة، وإنّما المذموم المحرّم: القياس على غير أصل من هذه الأصول الثلاثة: الكتاب، السنة، الإجماع، وهذا علي ابن أبي طالب لما قال له أبو بكر رضي الله عنهما أقيلوني بيعتي فقال عليّ: والله لا نقيلك ولا نستقيلك رضيك رسول الله ﷺ على دنيانا أفلا نرضاك لديننا فقاس الإمامة على الصلاة، وقاس أبو بكر الزكاة على الصلاة.

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

شـــرح الكلمـات :

وزوجك : هي حواء التي خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر.

الجنــة : دار السلام التي دخلها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

من الظالمين : أي لأنفسهم.

فوسوس : الـوسوسة : الصوت الخفي ، وسوسة الشيطان (١) لابن آدم إلقاء معانٍ فاسدة ضارة في صدره مزينة ليعتقدها أو يقول بها أو يعمل.

ليبدي لهما ماووري (٢): ليظهر لهما ماستر عنهما من عوراتهما.

وقاسمهما : حلف لكل واحد منهما.

فدلاهما بغرور : أي أدناهما شيئاً فشيئاً بخداعه وتغريره حتى أكلا من الشجرة.

وطفقا يخصفان : وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليسترا عوراتهما.

معنى الآيات :

ولما طرد الرحمن إبليس من الجنة نادى آدم قائلاً له ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك﴾ أي حواء ﴿الجنة فكلا من حيث شئتما﴾ يعني من ثمارها وخيراتها ، ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ أشار لهما إلى شجرة من أشجار الجنة معينة ، ونهاهما عن الأكل منها ، وعلمهما أنهما إذا أكلا منهـا كانا من الظالمين المستوجبين للعقاب ، واستغل إبليس هذه الفرصة التي أتيحت له فوسوس (٣) لهما مزيناً لهما الأكل من الشجرة قائلاً لهما ﴿مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن

---

(١) الوسواس اسم للشيطان أيضا قال تعالى : ﴿من شر الوسواس الخناس﴾.

(٢) اللام : لام العاقبة والصيرورة.

(٣) ذهب الأولون مذاهب في تحديد كيفية اتصال إبليس بآدم وحوارهما في الجنة وهو خارج منها حتى وسوس لهما فأكلا من الشجرة التي لم يأذن الله تعالى لهما في الأكل منها إلاّ أن المخترعات الحديثة بيّنت لنا كيفية ذلك الاتصال وبيانه : انّ الإنسان في نفسه قابلية لتلقي الوسواس أشبه ما تكون بجهاز اللاسلكي بواسطتها يتم الاتصال بين الإنسان وعدّوه إبليس وذريته

تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ ﴿وقاسمهما﴾ أي حلف لهما أنه ناصح[1] لهما وليس بغاش لهما، ﴿فدلاهما بغرور﴾ وخداع حتى أكلا ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت. . . ﴾ أي ظهرت لهما سوءاتهما[2] حيث انحسر النور[3] الذي كان يغطيهما، فجعلا يشدان من ورق الجنة على أنفسهما ليستر عوراتهما، وهو معنى قوله تعالى ﴿وطفقا يخصفا عليهما من ورق الجنة ﴾ وعندئذ ناداهما ربهما سبحانه وتعالى قائلاً: ألم أنهكما عن هذه الشجرة وهو استفهام تأديب وتأنيب، ﴿وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ فكيف قبلتما نصحه وهو عدوكما.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ ـ سلاح إبليس الذي يحارب به ابن آدم هو الوسوسة والتزيين لا غير.

٢ ـ تقرير عداوة الشيطان للإنسان.

٣ ـ النهي يقتضي التحريم إلا أن توجد قرينة تصرف عنه إلى الكراهة.

٤ ـ وجوب ستر العورة من الرجال والنساء سواء.

٥ ـ جواز الاقسام بالله تعالى، ولكن لايحلف إلا صادقاً.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

شـــرح الكلمـات:

ظلمنا أنفسنا : أي بأكلهما من الشجرة.

الخاسرين : الذين خسروا دخول الجنة والعيش فيها.

---

(١) قال قتادة: حلف لهما بالله أنه خلق قبلهما وأنه أعلم منهما وحلف أنه ناصح لهما فانغرا به، على حد قول العلماء: مَنْ خدعنا بالله انخدعنا له.

(٢) سُمي الفرجان سوأتين وعورة لأن السوءة مشتقة مما يسيء إلى النفس بالألم والعورة هي كل ما استحيي من كشفه.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تقلّص النور الذي كان لباسهما فصار أظفاراً في الأيدي والأرجل. والله أعلم.

مستقر : مكان استقرار وإقامة.

متاع إلى حين : تمتع بالحياة إلى حين انقضاء آجالكم.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن آدم عليه السلام، أنه لما ذاق آدم وحواء الشجرة وبدت لهما سؤاتهما وعاتبهما ربهما على ذلك قالا معلنين عن توبتهما: ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا[1]﴾ أي بذوق الشجرة ﴿وإن لم تغفر لنا﴾ أي خطيئتنا هذه ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ أي الهالكين، وتابا فتاب الله تعالى عليهما وقال لهم اهبطوا إلى الأرض إذ لم تعد الجنة في السماء داراً لهما بعد ارتكاب المعصية، إن إبليس عصا بامتناعه عن السجود لآدم، وآدم وحواء بأكلهما من الشجرة وقوله ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ أي اهبطوا إلى الأرض[2] حال كون بعضكم لبعض عدواً، إبليس وذريته عدو لآدم وبنيه، وآدم وبنوه عدو لإبليس وذريته، ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ أي مقام استقرار، ﴿ ومتاع إلى حين﴾ أي تمتع بالحياة إلى حين انقضاء الآجال وقوله تعالى ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون[3]﴾ يريد من الأرض التي أهبطهم إليها وهي هذه الأرض التي يعيش عليها بنو آدم، والمراد من الخروج الخروج من القبور إلى البعث والنشور.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ قول آدم وحواء :﴿ربنا ظلمنا أنفسنا . . ﴾ الآية هو الكلمة التي ألقاها تعالى إلى آدم فتلقاها عنه فتاب عليه بها.

٢ ـ شرط التوبة الاعتراف بالذنب وذلك بالاستغفار أي طلب المغفرة.

٣ ـ شؤم الخطيئة كان سبب طرد إبليس من الرحمة، وإخراج آدم من الجنة.

٤ ـ لا تَتِمّ حياةٌ للإنسان على غير الأرض، ولا يدفن بعد موته في غيرها لدلالة آية ﴿فيها تَحْيَوْن وفيها تموتون ومنها تُخْرجون﴾.

---

(١) أي: يا ربنا، حذف حرف النداء لقربه منهما سبحانه وتعالى إذ يُنادى بحرف النداء البعيد.

(٢) قال ابن كثير: لو كان في تعيين الأماكن التي هبط فيها آدم وحواء وإبليس فائدة تعود على المكلّفين في دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى.

(٣) أي: للحساب والجزاء على الكسب في الدنيا من خير وشرّ.

يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا
يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ
إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُواْ
فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٢٨)

شرح الكلمات :

وريشاً [1] : لباس الزينة والحاجة.

يواري سوءاتكم : يستر عوارتكم.

لباس التقوى : خير في حفظ العورات والأجسام والعقول والأخلاق.

من آيات الله : دلائل قدرته.

لايفتننكم : أي لا يصرفنكم عن طاعة الله الموجبة لرضاه ومجاورته في الملكوت الأعلى.

أبويكم : آدم وحواء.

قبيله : جنوده من الجن.

فاحشة : خصلة قبيحة شديدة القبح كالطواف بالبيت عراة.

(١) الريش للطائر ما يستر جسمه، وللإنسان اللّباس وجمعه رياش وهو ما كان فاخراً من أنواع الألبسة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ يا بني[1] آدم قد أنزلنا[2] عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ﴾ هذا النداء الكريم المقصود منه تذكير للمشركين من قريش بنعم الله وقدرته عليهم لعلهم يذكرون فيؤمنون ويسلمون بترك الشرك والمعاصي، من نعمه عليهم أن أنزل عليهم لباساً يوارون به سوءاتهم، ﴿وريشاً﴾ لباساً يتجملون به، في أعيادهم ومناسباتهم، ثم أخبر تعالى أن لباس التقوى خير لصاحبه من لباس الثياب، لأن المتقي عبد ملتزم بطاعة الله ورسوله، والله ورسوله يأمران بستر العورات، ودفع الغائلات، والمحافظة على الكرامات، ويأمران بالحياء، والعفة وحسن السمت ونظافة الجسم والثياب فأين[3] لباس الثياب مجردة عن التقوى من هذه؟؟.

وقوله تعالى ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي من دلائل قدرته الموجبة للإيمان به وطاعته، وقوله ﴿لعلهم يذكرون﴾ أي رجاء أن يذكروا هذه النعم فيشكروا بالإيمان والطاعة.

هذا مادلت عليه الآية الأولى (٢٦) وفي الآية الثانية (٢٧) ناداهم مرة ثانية فقال ﴿يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما[4]﴾ يحذرهم من إغواء الشيطان لهم مذكراً إياهم بما صنع مع أبويهما من إخراجهما[5] من الجنة بعد نزعه لباسهما عنهما فانكشفت سوءاتهما الأمر الذي سبب إخراجهما من دار السلام، منبهاً لهم على خطورة العدو من حيث أنه يراهم هو وجنوده، وهم لايرونهم. ثم أخبر تعالى أنه جعل الشياطين أولياء للذين لايؤمنون، وذلك حسب سنته في خلقه، فالشياطين يمثلون قمة الشر والخبث، فالذين لا يؤمنون قلوبهم مظلمة لا نعدام نور الإيمان فيها فهي متهيئة

---

(١) ابتداء الخطاب بالنداء الحكمة منه ليقع إقبال المنادين على ما بعد النداء بكل قلوبهم.

(٢) إنزال اللّباس من السماء يعود لأمور منها: أن آدم أوّل من ستر عورته بورق التين من شجر الجنة ومنها أنّ آدم نزل مكسوًّا وورث عنه أولاده ذلك، ومنها أن الماء الذي به النبات ومنه يتخذ اللّباس كالقطن مثلا نزل من السماء وحتى ذوات الصوف والوبر حياتها متوقفة على ماء السماء.

(٣) قال الشاعر في لباس التقوى ما يلي:

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى ... تقلب عريانا وإن كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيا

(٤) في هذه الآية دليل على حرص الشيطان على أن يكشف الآدمي عورته لما يسبب ذلك من الفسق والفجور الذين يرغب الشيطان في إيقاع الآدمي فيهما.

(٥) تكاد تكون هذه سنة بشرية لا تتخلّف إذ ما من أمّة تبرج نساؤها فكشفن محاسنهن وأبدين عوراتهن إلاّ أسرع إليها الهلاك بزوال الملك وذهاب السلطان.

لقبول الشياطين وقبول مايوسوسون به ويوحونه من أنواع المفاسد والشرور كالشرك والمعاصي على اختلافها، وبذلك تتم الولاية بين الشياطين والكافرين، وكبرهان على هذا الولاء بينهم أن المشركين إذا فعلوا فاحشة خصلة ذميمة قبيحة شديدة القبح ونهوا عنها احتجوا على فعلهم بأنهم وجدوا آباءهم يفعلونها، وأن الله تعالى أمرهم بها وهي حجة باطلة لما يلي

أولا: فعل آبائهم ليس ديناً ولا شرعاً.

ثانيا: حاشا لله تعالى الحكيم العليم أن يأمر بالفواحش إنما يأمر بالفواحش الذين يأتونها وهم الشياطين وأولياؤهم من الإنس ولهذا رد الله تعالى **عليهم** بقوله: ﴿إن الله لايأمر بالفحشاء﴾ ووبخهم معنفاً إياهم بقوله: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ التذكير بنعم الله تعالى المقتضي للشكر على ذلك بالإيمان والتقوى[(١)].

٢ ـ التحذير من الشيطان وفتنته لاسيما وأنه يرى الإنسان والإنسان لا يراه.

٣ ـ القلوب الكافرة هي الآثمة، وبذلك تتم الولاية بين الشياطين والكافرين.

٤ ـ قبح الفواحش وحرمتها.

٥ ـ بطلان الاحتجاج بفعل الناس إذ لا حجة إلا في الوحي الإلهي.

٦ ـ تنزه الرب تعالى عن الرضا بالفواحش فضلاً عن الأمر بها.

قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ
وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ
أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾
۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾

(١) الإيمان والتقوى بهما تحصل ولاية الرب للعبد، قال تعالى: ﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

شـــرح الكلمـات:

القســـط[1] : العدل في القول والحكمة والعمل.

أقيموا وجوهكم : أي أخلصوا العبادة لله واستقبلوا بيته.

كما بدأكم تعودون : كما بدأ خلقكم أول مرة يعيدكم بعد الموت أحياء.

أولياء من دون الله : يوالونهم محبة ونصرة وطاعة، من غير الله تعالى.

زينتكم : أي البسوا ثيابكم عند الدخول في الصلاة.

ولا تسرفوا : في أكل ولا شرب، والإسراف مجاوزة الحد المطلوب في كل شيء.

معنى الآيات:

مازال السياق في بيان أخطاء مشركي قريش فقد قالوا في الآيات السابقة محتجين على فعلهم الفواحش بأنهم وجدوا آباءهم على ذلك وأن الله تعالى أمرهم بها وأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال في هذه الآية (٢٩) ﴿قل﴾ يارسولنا ﴿أمر ربي بالقسط﴾ الذي هو العدل وهو الإيمان بالله ورسوله وتوحيد الله تعالى في عبادته، وليس هو الشرك بالله وفعل الفواحش، والكذب على الله تعالى بأنه حلل كذا وهو لم يحلل، وحرم كذا وهو لم يحرم، وقوله تعالى ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ أي وقل لهم يارسولنا أقيموا وجوهكم عند كل مسجد[2] أي أخلصوا لله العبادة، واستقبلوا بيته الحرام، ﴿وادعوه﴾ سبحانه وتعالى ﴿مخلصين له الدين﴾ أي ادعوه وحده ولا تدعوا معه أحداً قوله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ يذكرهم بالدار الآخرة والحياة الثانية، فإن من آمن بالحياة بعد الموت والجزاء على كسبه خيراً أو شراً أمكنه أن يستقيم على العدل والخير طوال الحياة وقوله ﴿فريقاً هدى[3]، وفريقاً حق عليهم الضلالة[4]﴾ بيان لعدله وحكمته ومظاهر قدرته فهو المبدىء والمعيد والهادي والمضل، له الملك المطلق والحكم

---

(١) القسط: العدل، وهو وسط بين الشرك والإلحاد. ولذا قال ابن عباس: القسط: لا إله إلاّ الله أي: بأن يعبد الله وحده.

(٢) أي: في كل موضع للصلاة من سائر بقاع الأرض إذ موضع السجود هو المسجد وإقامة الوجوه بالذات معناه أن لا يلتفت بقلبه ولا بوجهه إلى غير الله تعالى وهو إخلاص العبادة لله عزّ وجلّ.

(٣) (فريقا) نصب على الحال من الضمير في تعودون أي: حال كونكم فريقين فريقاً مهدياً سعيداً، وفريقاً وجبت عليه الضلالة فجاء الموقف ضالاً شقياً، وقـــال القرطبـــي: مَن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيّره للضلالة ومن ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره إلى الهدى، وشاهد قوله هذا آدم وإبليس فآدم مخلوق للهداية وابليس للضلالة.

(٤) أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كانت المرأة في الجاهلية تطوف بالبيت وهي عريانة وتقول: من يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

الأوحد، فكيف يعدل به أصنام وأوثان هدى فريقاً من عباده فاهتدوا، وأضل آخرين فضلوا ولكن بسبب رغبتهم عن الهداية وموالاتهم لأهل الغواية، ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ فضلوا ضلالاً بعيداً ﴿ويحسبون﴾ لتوغلهم في الظلام والضلال ﴿أنهم مهتدون﴾.

وقوله تعالى: ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ أي البسوا ثيابكم عند الطواف بالبيت فلا تطوفوا عراة، وعند الصلاة فلا تصلوا وأنتم مكشوفوا العورات كما يفعل المشركون المتخذون الشياطين أولياء فأضلتهم حتى زينت لهم الفواحش قولاً وفعلاً واعتقاداً. وقوله: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[1] أي كلوا مما أحل الله لكم واشربوا، ولا تسرفوا بتحريم ما أحل الله، وشرع ما لم يشرع لكم فالزموا العدل، فإنه تعالى لايحب المسرفين فاطلبوا حبه بالعدل، واجتنبوا بغضه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

من هداية الآيات:

١- وجوب العدل في القول وفي الحكم.

٢- وجوب اخلاص العبادة صلاةً كانت أو دعاءً لله تعالى.

٣- ثبوت القدر.

٤- وجوب ستر العورة في الصلاة.

٥- حرمة الإسراف في الأكل والشرب وفي كل شيء.

---

(١) هذه الآية الكريمة أصل من أصول الدواء، إذ أمرت بالأكل والشرب وهما قوام الحياة وحرّمت الإسراف فيهما وهو سبب كافة الأمراض إذ قال رسول الله ﷺ: (ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفَسه) وشاهد آخر أنه كان لهارون الرشيد طبيب نصراني قال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان علم أديان وعلم أبدان فقال له علي: قد جمع الله الطب كلّه في نصف آية من كتابنا فقال له ما هي؟ قال: قوله عز وجل ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾.

(٢) روي أن سمرة بن جندب رضي الله عنه سأل عن ابنه فقيل له: بشم البارحة؟ قال: بشم؟ قالوا: نعم قال: أما إنه لو مات ما صليت عليه، وقال العلماء: من الاسراف: الأكل بعد الشبع، وقال لقمان لابنه: يا بني لا تأكل شبعا فوق شبع فإنك إن تنبذه للكلب خير من أن تأكله.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ
سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

شــرح الكلمـات :

من حرم زينة الله : التحريم : المنع ، والزينة : ما يتزين به من ثياب وغيرها.

والطيبات : جمع طيب وهو الحلال غير المستخبث.

خالصة : لا يشاركهم فيها الكفار لأنهم في النار.

الفواحش : جمع فاحشة والمراد بها هنا الزنى واللواط السري كالعلني.

والإثم : كل ضار قبيح من الخمر وغيرها من سائر الذنوب.

والبغي بغير الحق : الظلم بغير قصاص ومعاقبة بالمثل.

وأن تشركوا : أي الشرك بالله وهو عبادة غير الله تعالى.

السلطان : الحجة التي تثبت بها الحقوق المختلف فيها أو المتنازع عليها.

أجل : وقت محدد تنتهي إليه.

معنى الآيات :

لما حرم المشركون الطواف بالبيت بالثياب وطافوا بالبيت عراة بدعوى أنهم لا يطوفون بثياب عصوا الله تعالى فيها، أنكر تعالى ذلك عليهم بقوله: ﴿قل من حرم[1] زينة الله التي

(١) الزينة: هنا الملبس الحسن من غير ما حرّم كالذهب والحرير على الرجال ويطلق لفظ الزينة أيضاً على مطلق اللباس ولو لم يكن حسناً.

أخرج لعباده والطيبات من الرزق[1]﴾ كلحوم ما حرموه من السوائب، فالاستفهام في قوله ﴿قل من حرم زينة الله﴾ للإنكار. ومعنى أخرجها: أنه أخرج النبات من الأرض كالقطن والكتان ومعادن الحديد لأن الدروع من الحديد، وقوله تعالى ﴿قل هي للذين[2] آمنوا في الحياة الدنيا﴾ بالأصالة، لأن المؤمنين علماء فيحسنون العمل والإنتاج والصناعة، والكفار تبع لهم في ذلك لجهلهم وكسلهم وعدم بصيرتهم، ﴿خالصة[3] يوم القيامة﴾ أي هي خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يشاركهم فيها الكفار ولأنهم في دار الشقاء النار والعياذ بالله تعالى وقوله تعالى ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ أي كهذا التفصيل والبيان الذي بيناه وفصلناه في هذه الآيات ومازلنا نفصل ونبين ما ننزل من آيات القرآن الكريم لقوم يعلمون أما غيرهم من أهـل الجهل والضلال فإنهم لا ينتفعون بذلك لأنهم محجوبون بظلمة الكفر والشرك ودخان الأهواء والشهوات والشبهات.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٢) أما الآية الثانية (٣٣) فقد تضمنت بيان أصول المحـرمـات وأمهات الذنوب وهي: الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم: وهو سائر المعاصي بترك الواجب أو فعل الحرام والبغي: وهو الاستطالة على الناس والاعتداء عليهم بهضم حقوقهم وأخذ أموالهم وضرب أجسامهم وذلك بغير حق أوجب ذلك الاعتداء وسوغه كأن يعتدي الشخص فيقتص منه ويعاقب بمثل ماجنى وظلم، والشرك بالله تعالى بعبادة غيره، والقول على الله تعالى بدون علم منه وذلك كشرع ما لم يشرع بتحريم ما لم يحرم، وإيجاب ما لم يوجب.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة والأخيرة في هذا السياق (٣٤) فقد أخبر تعالى فيها أن لكل أمة أجلاً محدداً أي وقتاً معيناً يتم هلاكها فيه لا تتقدمه بساعة ولا تتأخر عنه بأخرى. وفي هذا إشارة أفصح من عبارة وهي أن هلاك الأمم والجماعات والأفراد يتم بسبب

---

(١) الطيبات: اسم عام لكل ما طاب كسبا وطعما وقد أكل الرسول ﷺ اللحم والعسل والحلوى والبطيخ والرطب، وإنما الذي يكره الإكثار منها والتكلف في شرائها وإعدادها، وعمر لم ينكر الطيبات وإنما أنكر الكثرة منها، فكان يرى عدم الجمع بين الطيبات ويكتفي بنوع واحد.

(٢) في الآية دليل على التجمل بأحسن الثياب وخاصة في الأعياد والجمع وزيارة الإخوان ومقابلة الوفود، وليس من السنة لبس المرقعات والفوط وليس معنى: ﴿ولباس التقوى﴾: أنه لباس الخشن والمرقعات أبداً وإنما هو تقوى الله بامتثال الأمر واجتناب النهي، وقد تقدم معناها، وفي الحديث الصحيح: (إن الله جميل يحب الجمال).

(٣) قرىء: ﴿خالصةٌ﴾ بالرفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي خالصة، وقرىء ﴿خالصة﴾ بالنصب على الحال أي: ثابتة لهم في الدنيا حال كونها خالصة لهم يوم القيامة.

انحرافهم عن منهج الحياة، كالمرء يهلك بشرب السم، وبإلقاء نفسه من شاهق، أو إشعال النار في جسمه كذلك ارتكاب أمهات الذنوب وأصول المفاسد التي ذكر تعالى في قوله ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش. . . . . ﴾ من شأنها أن تودى بحياة مرتكبيها لا محالة ما لم يتوبوا منها وتصلح حالهم بالعودة إلى منهج الحياة الذي وضع الله في الإيمان والتوحيد والطاعة لله ورسوله بفعل كل أمر وترك كل نهي .

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الإنكار الشديد على من يحرم ما أحل الله من الطيبات كبعض المتنطعين[(١)].

٢ ـ المستلذات من الطعام والشراب والمزينات من الثياب وغيرها المؤمنون أولى بها من غيرهم لأنهم يحسنون العمل، ويبذلون الجهد لاستخراجها والانتفاع بها. بخلاف أهل الجهالات فإنهم عمي لا يبصرون ومقعدون لايتحركون. وإن قيل العكس هو الصحيح فإن أمم الكفر وأوربا وأمريكا هي التي تقدمت صناعياً وتمتعت بها لم يتمتع به المؤمنون؟ فالجواب: أن المؤمنين صرفوا عن العلم والعمل وأقعدوا عن الإنتاج والاختراع بإفساد أعدائهم لهم عقولهم وعقائدهم، فعوقوهم عن العمل مكراً بهم وخداعاً لهم. والدليل أن المؤمنين لما كانوا كاملين في إيمانهم كانوا أرقى الأمم وأكملها حضارة وطهارة وقوة وإنتاجاً مع أن الآية تقول ﴿ . . . لقوم يعلمون ﴾ فإذا حل الجهل محل العلم فلا انتاج ولا اختراع ولا حضارة.

٢ ـ بيان أصول المفاسد وهي الفواحش وما ذكر بعدها إلى ﴿ . . . . وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾.

٣ ـ ذكرت هذه المفاسد بطريق التدلي آخرها أخطرها وهكذا أخفها أولها.

٤ ـ أجل[(٢)] الأمم كأجل الأفراد يتم الهلاك عند انتظام المرض كامل الأمة أو أكثر أفرادها كما يهلك الفرد عندما يستشري المرض في كامل جسمه.

---

(١) روى النسائي بسند صحيح قوله ﷺ: (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده) وقال البخاري عن ابن عباس: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان، سرف، ومخيلة.

(٢) الأجل: هو الوقت الموقت، فأجل الموت هو: وقت الموت وأجل الدَّين هو وقت حلوله وكل شيء وقِّت به شيء فهو أجل له.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾

شـــرح الكلمـات :

إما يأتينكم : أصل إما إن ـ الشرطية ـ وما زائدة لتقوية الكلام أدغمت فيها (إن) فصارت إما.

يقصون[1] عليكم آياتي : يتلونها عليكم آية بعد آية مبينين لكم مادلت عليه من أحكام الله وشرائعه ، ووعده ووعيده.

فمن اتقى : أي الشرك فلم يشرك وأصلح نفسه بالأعمال الصالحة.

فلا خوف عليهم : في الدنيا والآخرة.

ولا هم يحزنون : على ماتركوا وراءهم أو فاتهم الحصول عليه من أمور الدنيا.

معنى الآيتين :

هذا النداء جائز أن يكون نداءً عاماً لكل بني آدم كما هو ظاهر اللفظ وأن البشرية كلها نوديت به على ألسنة رسلها، وجائز أن يكون خاصاً بمشركي العرب وأن يكون المراد من الرسل محمد ﷺ ذكر بصيغة الجمع تعظيمًا وتكريمًا له، ومانوديت إليه البشرية أو مشركوا العرب هو إخبار الله تعالى لهم بأن من جاءه رسول من جنسه يتلو عليه آيات ربه وهي تحمل العلم بالله وصفاته وبيان محابه ومساخطه، فمن اتقى الله فترك الشرك به، وأصلح ما أفسده قبل العلم من نفسه وخلقه وعقله وذلك بالإيمان والعمل الصالح فهؤلاء في حكم الله أنه ﴿ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ في الحياتين[2] معاً، أما الذين كذبوا بآيات الله التي جاءت

(١) القصص: هو اتباع الحديث بعضه بعضا.
(٢) أمّا في البرزخ وفي يوم القيامة فالأمر ظاهر لا خلاف في أنهم لا يخافون ولا يحزنون ولكن في الحياة الدنيا يصيبهم الخوف والحزن، ولكن خوفهم وحزنهم لا يكاد يذكر مع خوف وحزن أهل الكفر والشرك.

الرسل بها وقصتها عليهم واستكبروا[1] عن العمل بها كما استكبروا عن الإيمان بها، فأولئك البعداء من كل خير ـ ﴿أصحاب النار﴾ أي أهلها ﴿هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها بحال من الأحوال.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ قطع حجة بني آدم بإرسال الرسل إليهم.

٢ ـ أول ما يبدأ به في باب التقوى الشرك بأن يتخلى عنه الإنسان المؤمن أولاً.

٣ ـ الإصلاح يكون بالأعمال الصالحة التي شرعها الله مزكية للنفوس مطهرة لها.

٤ ـ التكذيب كالاستكبار كلاهما مانع من التقوى والعمل الصالح. ولذا أصحابهما هم أصحاب النار.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾
قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

(١) الاستكبار: المبالغة في التكبّر وضمن مع الاستكبار الإعراض، والمعنى: واستكبروا فأعرضوا عنها.

بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

شـــرح الكلمـات :

فمن أظلم	: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ولذا المشرك ظالم لأنه وضع العبادة في غير موضعها حيث عبد بها من لايستحقها.
نصيبهم	: ما قدر لهم في كتاب المقادير.
رسلنا	: المراد بهم ملك الموت وأعوانه.
قالوا ضلوا عنا	: غابوا عنا فلم نرهم ولم نجدهم.
في أمم	: أي في جملة أمم.
اداركوا	: أي تداركوا ولحق بعضهم بعضا حتى دخلوها كلهم.
اخراهم لأولاهم	: الاتباع قالوا للرؤساء في الضلالة وهم المتبوعون.
تكسبون	: من الظلم والشر والفساد.
يلج الجمل في سم الخياط	: أي يدخل الجمل في ثقب الإبرة.
المجرمين	: الذين أجرموا على أنفسهم فافسدوها بالشرك والمعاصي.
مهاد	: فراش يمتهدونه من النار.
غواش	: أغطية يتغطون بها من النار كذلك.

معنى الآيات :

يُخبر تعالى بأنه لا أظلم ولا أجهل ولا أضل ممن يفترى على الله الكذب فيقول اتخذ ولداً أو أمر بالفواحش، أو حرم كذا وهو لم يحرم، أو كذب بآياته التي جاءت بها رسله فجحدها وعاند في ذلك وكابر، فهؤلاء المفترون المكذبون يخبر تعالى أنه ﴿ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾

أي ما كُتب لهم في اللوح المحفوظ من خير وشر وسعادة أو شقاء[1] ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ أي ملك الموت وأعوانه ﴿يتوفونهم﴾. يقولون لهم ﴿ اين ما كنتم تدعون من دون الله ﴾ أي تعبـدون من أولياء؟ فيجيبـون قائلين: ﴿ ضلوا عنا﴾ أي غابوا فلم نرهم. قال تعالى: ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ ويوم القيامة يقال لهم ﴿ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس﴾ في النار، فيدخلون. ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ فلعن المشركون بعضهم بعضاً، واليهود والنصارى كذلك، ﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعاً﴾ أي تلاحقـوا وتم دخـولهم النـار أخـذوا يشتكون ﴿ قالت إخراهم لأولاهم ربنا﴾ أي ياربنا ﴿هؤلاء أضلونـا﴾ عن صراطـك فلم نعبـدك ﴿فآتهم عذاباً ضعفاً﴾ أي مضاعفاً ﴿من النار﴾، فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿ لكل ضعف ﴾ لكل واحدة منكم ضعف من العذاب ﴿ولكن لاتعلمون﴾، إذ الدار دار عذاب فهو يتضاعف على كل من فيها، وحينئذ ﴿قالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من[3] فضل، فذوقوا[4] العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ أي من الشرك والافتراء على الله والتكذيب بآياته، ومجانبة طاعته وطاعة رسوله.

هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث أما الآيتان الرابعة والخامسة فإن الرابعة قررت حكماً عظيما وهو أن الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا[5] عنها فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات وعاشوا على الشرك والشر والفساد هؤلاء إذا مات أحدهم وعرجت الملائكة بروحه إلى السماء لاتفتح له أبوب السماء[6]، ويكون مآلهم النار كما قال تعالى ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ فعلق دخولهم الجنة على مستحيل وهو دخول الجمل في ثقب الإبرة، والمعلق على مستحيل مستحيل. قال تعـالى ﴿ وكـذلـك نجـزي المجرمين﴾ على أنفسهم حيث أفسدوها بالشرك والمعاصي. هذا ماتضمنته الآية الرابعة، وهي قوله تعالى: ﴿إن الذين

---

(١) أي: في الدنيا أمّا في الآخرة فهم أصحاب النار هم فيها خالدون ولا سعادة مع دخول النار.

(٢) حتى هنا: ابتدائية وليست غائية إذ هي في بداية خبر المكذبين المستكبرين المعرضين. قال سيبويه: حتى، وإمّا، وألاَ لا يُمَلْن لأنهن حروف وكتبت حتى بالياء لأنها أشبهت سكرى وحبلى.

(٣) ﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد نفي الفضل.

(٤) الذوق هنا: مستعمل للإهانة والتشفي والباء في ﴿بما كنتم تكسبون﴾ سببية.

(٥) جملة: ﴿إنّ الذين﴾ الخ مستأنفة استئنافاً ابتدائيا سيقت لتحقيق خلود الفريقين في النار معا والفريقان هما أولاهما وأخراهما في الآية إذ كلا الفريقين كان مكذبا مستكبرا.

(٦) القول بأنّ قوله تعالى: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾: كلمة جامعة لمعنى الحرمان من الجزاءات الإلهية قول باطل لأنّه تأويل يبطل به ما أخبر تعالى به من أنّ للسماء أبوابا إذ أيّ مانع أن يكون للسماء أبواب لا يدخل معها ملك ولا جني ولا إنسان إلّا بإذن ولكل بناء أبواب بحسبه.

كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط[1] وكذلك نجزي المجرمين﴾[2].

أما الخامسة فقد تضمنت الخبر التالي: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ أي أغطية من النار وكما جزى تعالى هؤلاء المكذبين المستكبرين والمجرمين يجزي بعدله الظالمين لأنفسهم حيث لوثوها وخبثوها بأوضار الذنوب والآثام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ شر الظلم ما كان كذبا على الله وتكذيبا بشرائعه.

٢ ـ تقرير فتنة القبر وعذابه[3].

٣ ـ لعن أهل النار بعضهم بعضاً حنقاً على بعضهم بعضاً إذ كان كل واحد سبباً في عذاب الآخر.

٤ ـ بيان جزاء المكذبين بآيات الله والمستكبرين عنها وهو الحرمان من دخول الجنة، وكذلك المجرمون والظالمون.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ
وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

(١) الخياط: أي المخيط.
(٢) الإجرام: فعل الجرم، وأجرم إذا فعل الجرم وهو: الذنب والذنب: هو ما يفسد الروح وينجسها، فأجرم معناه: أفسد.
(٣) أخرج ابن كثير في تفسيره عن أبي داود حديثا طويلاً اشتمل على بيان قبض روح العبد والعروج بها إلى السماء ثم العودة بها إلى القبر وما يجري في القبر من فتنة وما يتم للعبد الصالح من سعادة وللكافر من شقاوة فليُرجع إليه.

شـــرح الكلمـات:

إلا وسعها : طاقتها ومانتحمله وتقدر عليه من العمل.

ونزعنا : أي أقلعنا وأخرجنا.

من غل : أي من حقد وعداوة.

هدانا لهذا : أي للعمل الصالح في الدنيا الذي هذا جزاؤه وهو الجنة.

بما كنتم تعملون : أي بسبب أعمالكم الصالحة من صلاة وصيام وصدقات وجهاد.

معنى الآيتين:

لما ذكر تعالى جزاء أهل التكذيب والاستكبار عن الإيمان والعمل الصالح وكان شقاء وحرماناً ذكر جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح فقال: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، ولما كان العمل منه الشاق الذي لايطاق ومنه السهل الذي يقدر عليه قال: ﴿ لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي ما تقدر عليه من العمل ويكون في استطاعتها، ثم أخبر عن المؤمنين العاملين للصالحات فقال ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾. كما أخبر في الآية الثانية أنه طهرهم باطناً فنزع ما في صدورهم من غل[(١)] على بعضهم بعضاً، وأن الأنهار تجري من تحت قصورهم، وأنهم قالوا شاكرين نعم الله عليهم: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ أي لعمل صالح هذا جزاؤه أي الجنة ومافيها من نعيم مقيم، وقرروا حقيقة وهي أن هدايتهم التي كان جزاؤها الجنة لم يكونوا ليحصلوا عليها لولا أن الله تعالى هو الذي هداهم فقالوا: ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾[(٢)]، ثم قالوا والله ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ فهاهم أهل الكفر والمعاصي في النار، وها نحن أهل الإيمان والطاعات في نعيم الجنة فصدقت الرسل فيما أخبرت به من وعد ووعيد، وناداهم ربهم سبحانه وتعالى: ﴿أن تلكم الجنة أورثتموها[(٣)] بما كنتم تعملون﴾ فيزداد بذلك نعيمهم وتعظم سعادتهم.

---

(١) الغلّ: الحقد الكامن في الصدر أي: أذهبنا ـ في الجنة ـ ما كان في قلوبهم من الغلّ في الدنيا ولذا فلا يكون بينهم من تحاسد في الجنة على تفاوت درجاتهم في العلو والارتفاع. وقال علي رضي الله عنه: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ﴾.

(٢) روى النسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني فيكون له شكراً، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني فيكون له حسرة.

(٣) روى مسلم أن النبي ﷺ قال: (لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) وعليه فالباء في قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ سببية وليست باء العوض إذ أعمال العبد لا تعادل موضع سوط في الجنة فالعمل مورث بفضل الله تعالى ورحمته.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ الإيمان والعمل الصالح موجب لدخول الجنة مقتض للكرامة في الدارين .

٢ ـ لا مشقة لا تحتمل في الدين الصحيح الذي جاءت به الرسل إلا ما كان عقوبة .

٣ ـ لا عداوة ولا حسد في الجنة .

٤ ـ الهداية هبة من الله فلا تطلب إلا منه ، ولا يحصل عليها إلا بطلبها منه تعالى .

٥ ـ صدقت الرسل فيما أخبرتْ به من شأن الغيب وغيره .

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا
فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن
لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ
رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ
أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

شـــرح الكلمات :

فأذن مؤذن : أي أعلن بأعلى صوته أن لعنة الله على الظالمين .

لعنة الله : أي أمره بطرد الظالمين من الرحمة إلى العذاب .

يصدون عن سبيل الله : سبيل الله هي الإسلام والصد : الصرف فهم صرفوا أنفسهم وصرفوا غيرهم .

ويبغونها عوجا : يطلبون الشريعة أن تميل مع ميولهم وشهواتهم فتخدم أغراضهم .

وبينهما حجاب : أي بين أهل الجنة وأهل النار حاجز فاصل وهو سور الأعراف .

وعلى الأعراف : سور بين الجنة والنار قال تعالى من سورة الحديد ﴿فضرب بينهم بسور﴾ .

يعرفون كلا بسيماهم : أي كل من أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم.

صرفت أبصارهم : أي نظروا إلى الجهة التي فيها أصحاب النار.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن أصحاب الجنة وأصحاب النار فيخبر تعالى أن أصحاب الجنة نادوا أصحاب النار قائلين لهم إنا قد وجدنا ماوعدنا ربنا به من الجنة ونعيمها حقاً، فهل[1] وجدتم أنتم ماوعدكم ربكم من النار وعذابها حقاً؟ فأجابوهم: نعم[2] إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، وهنا أذن مؤذن قائلاً: لعنة[3] الله على الظالمين الذي يصدون عن سبيل الله التي هي الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى والجنة، ويبغونها عوجاً أي يريدون سبيل الله معوجة تدور معهم حيث داروا في شرورهم ومفاسدهم، وشهواتهم وأهوائهم، وهم بالآخرة كافرون أيضاً فهؤلاء يلعنونهم: لعنة الله على الظالمين الذين تلك صفاتهم قال تعالى في الآية الثالثة: ﴿وبينهما﴾ أي بين أهل الجنة وأهل النار ﴿حجاب﴾ فاصل أي حاجز وهو مكان على مرتفع، وعليه رجال من بني آدم استوت سيئاتهم وحسناتهم فحبسوا هناك حتى يقضي بين أهل الموقف فيحكم فيهم بدخولهم الجنة إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿يعرفون كلاً بسيماهم﴾ أي يعرفون أهل الجنة بسيماهم وهي بياض الوجوه ونضرة النعيم، ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه وزرقة العيون.

﴿ونادوا أصحاب الجنة﴾ أي نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة قائلين: سلام عليكم يتطمعون بذلك كما قال تعالى ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون. وإذا صرفت أبصارهم تلقاء[4] أصحاب النار﴾ أي نظروا إلى جهة أهل النار فرأوا أهلها مسودة وجوههم زرق أعينهم يكتنفهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، رفعوا أصواتهم قائلين: ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ أي أهل النار لأنهم دخلوها بظلمهم والعياذ بالله.

---

(١) هذا سؤال توبيخ وتعيير لا استفهام واستخبار.

(٢) في نعم لغات: فتح النون والعين نعم وكسر العين للفرق بينها وبين النعم التي هي الإبل والبقر والغنم، وهي حرف إجابة وتكون للعدة والتصديق فمثال العدة نحو: أيقوم زيد؟ فتقول: نعم أي تعده بقيامه ومثال التصديق قولك: هل جاء زيد؟ فتقول: نعم فتصدقه في مجيئه.

(٣) يروى أن طاووسا دخل على هشام بن عبدالملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ فصعق هشام فقال طاووس: هذا ذلّ الصفة فكيف ذل المعاينة.

(٤) قال أهل اللغة: لم يأت مصدر على تِفعال سوى حرفين: تِلقاء وتِبيان. وما عداهما فبالفتح نحو تَسيار وتَذكار وتَهمام، أما الأسماء فكثيرة نحو تِمثال ومِفتاح ومِصباح ومِعراج.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ وجود اتصال كامل بين أهل الجنة وأهل النار متى أراد أحدهم ذلك بحيث إذا أراد من في الجنة أن ينظر إلى من في النار ويخاطبه تم له ذلك.

٢ ـ يجوز إطلاق لفظ الوعد على الوعيد للمشاكلة أو التهكم كما في هذه الآيات.

٣ ـ التنديد بالصد عن سبيل الله، والظلم والكفر بالآخرة وهي أسباب الشقاء في الدار الآخرة.

٤ ـ تقرير مبدأ ثقل الحسنات ينجي وخفتها تردي، ومن استوت حسناته وسيئاته ينجو آخر من ينجو من دخول النار.

٥ ـ مشروعية الطمع إذا كان مقتضاه موجوداً.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ

ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ
وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ
ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ
﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا
وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ
لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات:

بسيماهم : السيما العلامة الدالة على من هي فيه.

جمعكم : أي للمال وللرجال كالجيوش.

أهؤلاء : إشارة إلى ضعفاء المسلمين وهم في الجنة.

أو مما رزقكم الله : أي من الطعام والشراب.

حرمهما : منعهما.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن أصحاب الجنة وأصحاب النار قال تعالى: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا﴾ أي من أهل النار يعرفونهم بسيماهم التي هي سيما أصحاب النار من سواد الوجوه وزرقة العيون نادوهم قائلين: ﴿ما أغنى عنكم جمعكم﴾ أي للأموال والرجال للحروب والقتال، كما لم يغن عنكم استكباركم على الحق وترفعكم عن قبوله وها أنتم في أشد ألوان العذاب، ثم يشيرون لهم إلى ضعفة المسلمين الذين يسخرون منهم في الدنيا ويضربونهم ويهينونهم[1] ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم﴾ أي حلفتم ﴿لاينالهم الله برحمة[2]﴾ ثم يقال لأصحاب الأعراف ﴿ادخلوا[3] الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾.

وفي الآية الثالثة يقول تعالى مخبراً عن أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب[4] الجنة أن أفيضوا علينا من الماء[5]﴾ وذلك لشدة عطشهم ﴿أو مما رزقكم الله﴾ أي من الطعام وذلك لشدة جوعهم فيقال لهم: ﴿إن الله حرمهما﴾ أي شراب الجنة وطعامها ﴿على الكافرين﴾ فلا ينالوهما بحال من الأحوال.

ثم وصف الكافرين ليعرض جرائمهم التي اقتضت حرمانهم وعذابهم ليكون ذلك عظة وعبرة للكفار من قريش ومن سائر الناس فقال وهو ماتضمنته الآية الرابعة ﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ أي نتركهم في عذابهم كما تركوا يومهم هذا فلم يعملوا له من الإيمان والصالحات، وبسبب جحودهم لآياتنا الداعية إلى الإيمان وصالح الأعمال.

---

(١) كبلال وعمار وصهيب وخباب وغيرهم من سائر ضعفة المؤمنين في كل أمّة من الأمم التي وجد فيها مؤمنون مستضعفون.

(٢) جعل إيواء الله تعالى إياهم بدار رحمته التي هي الجنة بمنزلة النيل الذي هو حصول الأمر المحبوب المطلوب.

(٣) اختلف في القائل. والراجح أنه الله تعالى، وذلك بعد استقرار أهل الجنة فيها وأهل النار في النار ولم يبق إلاّ أصحاب الأعراف فيقول لهم الرب تبارك وتعالى: ﴿ادخلوا الجنة﴾.

(٤) روي عن ابن عباس أنه قال: لمّا صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج بعد اليأس فقالوا: يارب إنّ لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم.. فينادي الرجل أخاه أو قريبه قد احترقتُ فأغثني فيقول له إن الله حرّمهما على الكافرين.

(٥) في الآية دليل على أفضلية صدقة الماء، وفي الحديث: (أي الصدقة أعجب إليك؟ قال: الماء) وليس أدل من حديث الذي سقى كلباً عطشان فشكر الله له فغفر له.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ عدم إغناء المال والرجال أيَّ إغناء لمن مات كافراً مشركاً من أهل الظلم والفساد.

٢ ـ بشرى الضعفة من المسلمين بدخول الجنة وسعادتهم فيها.

٣ ـ تحريم اتخاذ شيء من الدين لهواً ولعباً.

٤ ـ التحذير من الاغترار بالدنيا حتى ينسى العبد آخرته فلم يعد لها ما ينفعه فيها من الإيمان وصالح الأعمال.

وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا
مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣)
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)

شرح الكلمات:

ولقد جئناهم : أي أهل مكة أولاً ثم سائر الناس.

بكتاب : القرآن العظيم.

فصلناه على علم : بيناه على علم منَّا فبيَّنا حلاله وحرامه ووعده ووعيده وقصصه ومواعظه وأمثاله.

تأويله : تأويل ما جاء في الكتاب من وعد ووعيد أي عاقبة ما أنذروا به.

وضل عنهم : أي ذهب ولم يعثروا عليه.

في ستة أيام : هي الأحد إلى الجمعة.

يغشي الليل النهار : يغطي كل واحد منهما الآخر عند مجيئه.

حثيثاً : سريعاً بلا انقطاع.

مسخرات : مذللات.

ألا : أداة استفتاح وتنبيه (بمنزلة ألو للهاتف).

له الخلق والأمر : أي له المخلوقات والتصرف فيها وحده لا شريك له.

تبارك : أي عظمت قدرته، وجلت عن الحصر خيراته وبركاته.

العالمين : كل ماسوى الله تعالى فهو عالم أي علامة على خالقه وإلهه الحق.

معنى الآيات:

بعد ذلك العرض لأحوال الناس يوم القيامة ومشاهد النعيم والجحيم أخبر تعالى أنه جاء قريشاً لأجل هدايتهم بكتاب عظيم هو القرآن الكريم وفصّله تفصيلاً فبيّن التوحيد ودلائله، والشرك وعوامله، والطاعة وآثارها الحسنة والمعصية وآثارها السيئة في الحال والمآل وجعل الكتاب هدى أي هادياً ورحمة يهتدي به المؤمنون وبه يرحمون.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٥٢) وهي قوله تعالى: ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم[1] هدىً ورحمةً[2] لقوم يؤمنون ﴾ وأما الآية الثانية (٥٣) فقد استبطأ الحق تعالى فيها إيمان أهل مكة الذين جاءهم بالكتاب المفصّل المبيّن فقال: ﴿ هل يَنْظُرون ﴾ أي ماينظرون ﴿إلّا تأويله﴾ أي عاقبة ما أخبر به القرآن من القيامة وأهوالها، والنّار وعذابها، وعندئذ يؤمنون، وهل ينفع يومئذ الإيمان؟ وهاهم أولاء يقولون ﴿يوم يأتي تأويله﴾ وينكشف الغطاء عما وعد به، ﴿ يقول الذين نسوه من قبل ﴾ أي قبل وقوعه،وذلك في الحياة الدنيا، نسوه فلم يعملوا بما ينجيهم فيه من العذاب يقولون: ﴿ قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ اعترفوا بما

---

(١) أي :مناً به. فلم يقع فيه سهو ولاغلط وحاشاه تعالى أن يسهو أو يغلط.

(٢) ﴿هدى ورحمة﴾ منصوبان على الحال، ويصح فيهما الرفع والخفض فالرفع على الابتداء أي: هو هدى ورحمة، والخفض على النعت لكتاب أي: ذي هداية ورحمة، وخص المؤمنون بالهدى والرحمة لأنهم أحياء، وأمّا الكافرون فهم أموات.

كانوا به يجحدون ويكذبون ثم يتمنون ما لا يتحقّق لهم أبداً فيقولون: ﴿ فهل[1] لنا من شفعاء فيشفعوا لنا؟ أو نردُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل ﴾ من الشرك والشر والفساد. وتذهب تمنياتهم أدراج الرياح، ولم يرُعْهُمْ إلا الإعلان التالي: ﴿ قد خسروا[2] أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ خسروا أنفسهم في جهنم، وضاع منهم كلّ أمل وغاب عنهم ما كانوا يفترون من أنّ آلهتهم وأولياءهم يشفعون لهم فينجونهم من النار ويدخلونهم الجنة.

وفي الآية الأخيرة يقول تعالى لأولئك المتباطئين في إيمانهم ﴿إنّ ربّكم﴾ الذي يُحبُّ أن تعبدوه وتدعوه وتتقربوا إليه وتطيعوه ﴿ اللهُ الذي خلق السمواتِ والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغْشِي اللّيْلَ النّهار يطلبه حثيثاً[3] والشمس والقمرَ والنجّومَ مسخراتٍ بأمره ﴾ هذا هو ربكم الحق وإلهكم الذي لا إله لكم غيره، ولا ربَّ لكم سواه، أمّا الأصنام والأوثان فلن تكون ربّاً ولا إلهاً لأحد أبداً لأنّها مخلوقة غير خالقة وعاجزة عن نفع نفسها، ودفع الضّر عنها فكيف بغيرها؟ إنّ ربّكم ومعبودكم الحقّ الذي له الخلق[4] كلّه ملكاً وتصرفاً وله الأمر وحده يتصرف كيف يشاء في الملكوت كله. علويّه وسفليّه فتبارك الله رب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ لاينفع الإيمان عند معاينة الموت والعذاب كما لا ينفع يوم القيامة.

٢ ـ يحسن التثبت في الأمر والتأني عند العمل وترك العجلة، فالله قادرٌ على خلق السمّوات والأرض في ساعة ولكن خلقها في ستة[5] أيام بمقدار أيام الدّنيا تعليمًا وإرشاداً إلى التثبت في الأمور والتأني فيها.

٣ ـ صفة من صفات الرب تعالى التي يجب الإيمان بها ويحرم تأويلها أو تكييفها وهي

---

(١) ﴿فهل لنا من شفعاء﴾؟ الاستفهام مشوب بالتمني.

(٢) خسارن النفس أكبر خسران إذ هو آخر ما يخسر، فإنّ مَنْ خسر نفسه فقد خسر كل شيء قال تعالى: ﴿قل إنّ الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ ومعنى: خسران النفس: عدم الانتفاع بها.

(٣) أي: يطلبه طلباً حثيثاً أي سريعاً، إذ الحث: الإعجال والسرعة.

(٤) قال رسول الله ﷺ: (من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله) أخرجه ابن كثير نقلا عن ابن جرير. وقال ابن عيينة: فرّق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر إذ قال: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فالخلق غير الأمر فمن قال: الأمر مخلوق فقد كفر.

(٥) أصل ستة: سدسة فأرادوا إدغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التاء فغلبت عليها فصارت ستة ولذا تصغر على سديسة وتجمع على أسداس، والجمع والتصغير يردّان الأسماء إلى أصولها، ويقال: جاء فلان سادس ستة.

استواؤه تعالى على عرشه.[1]

٤ ـ انحصار الخلق كلّ الخلق فيه تعالى فلا خالق إلا هو، والأمر كذلك فلا آمر ولا ناهي غيره. هنا قال عمر: من بقي له شيء فليطلبه إذ لم يبق شيء مادام الخلق والأمر كلاهما لله.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

شرح الكلمات:

ادعوا ربكم: سلوه حوائجكم الدنيوية والأخروية فإنّه ربّكم فلا تستحيوا من سؤاله.

تضرعاً وخفية: أي حال كونكم ضارعين متذللين مخفي الدعاء غير رافعين أصواتكم به.

المعتدين: أي في الدعاء وغيره والاعتداء في الدعاء أن يسأل الله مالم تجر سنته بإعطائه أو إيجاده أوتغييره كأن يسأل أن يكون نبياً أو أن يرد طفلاً أو صغيراً، أو يرفع صوته بالدعاء.

ولا تفسدوا في الأرض: أي بالشرك والمعاصي بعد إصلاحها بالتوحيد والطاعات.

المحسنين: الذين يحسنون أعمالهم ونياتهم، بمراقبتهم الله تعالى في كل أحوالهم.

معنى الآيات:

لما عرّف تعالى عباده بنفسه وأنه ربهم الحق وإلههم، وأنه الخالق الآمر المتصرف بيده كل شيء أمرهم إرشاداً لهم أن يدعوه، وبين لهم الحال التي يدعونه عليها، ليستجيب لهم

(١) من أحسن ما يؤثر في مسألة الاستواء قول مالك رحمه الله تعالى إذ قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة، ويروى مثله عن أم سلمة رضي الله عنها.

فقال: ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً﴾[1] أي تذللاً وخشوعاً ﴿وخفية﴾[2] أي سراً لا جهراً، ونهاهم عن الاعتداء في الدعاء حيث أعلمهم أنه لا يحب المعتدين، والاعتداء في الدعاء أن يدعي غير الله تعالى أو يدعي معه غيره، ومنه طلب ذوات الأسباب بدون إعداد أسبابها، أو سؤال ما لم تجر سنة الله به كسؤال المرء أن يكون نبياً أو يرد من كهولته إلى شبابه أو من شبابه إلى طفولته.

ثم بعد هذا الإرشاد والتوجيه إلى مايكملهم ويسعدهم نهاهم عن الفساد في الأرض بعد أن أصلحها تعالى والفساد في الأرض يكون بالشرك والمعاصي، والمعاصي تشمل سائر المحرمات كقتل الناس وغصب أموالهم وإفساد زروعهم وإفساد عقولهم بالسحر والمخدرات وأعراضهم بالزنى والموبقات. ومرة أخرى يحضهم على دعائه لأن الدعاء هو العبادة وفي الحديث الصحيح «الدعاء هو العبادة» فقال: ادعوا ربكم أي سلوه حاجاتكم حال كونكم في دعائكم خائفين من عقابه طامعين راجين رحمته وبين لهم أن رحمته قريب[3] من المحسنين الذين يحسنون نيّاتهم وأعمالهم ومن ذلك الدعاء فمن أحسن الدعاء ظفر بالإجابة، فثواب المحسنين قريب الحصول بخلاف المسيئين فإنه لا يستجاب لهم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ وجوب دعاء الله تعالى فإن الدعاء هو العبادة.

٢ ـ بيان آداب الدعاء وهو: أن يكون الداعي ضارعاً متذللاً، وأن يخفي دعاءه فلا يجهر به، وأن يكون حال الدعاء خائفاً طامعاً،[4] وأن لايعتدي في الدعاء بدعاء غير الله تعالى أو سؤال مالم تجر سنة الله بإعطائه.

٣ ـ حرمة الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي بعد أن أصلحها الله تعالى بالإسلام.

٤ ـ الترغيب في الإحسان مطلقاً خاصاً وعاماً حيث أن الله تعالى يحب أهله.

---

(١) اختلف في رفع اليدين في الدعاء والأكثرون على استحبابه لفعله ﷺ.

(٢) روي أنه ﷺ قال: (خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي).

(٣) عدم تأنيث قريب مع أنه خبر عن مؤنث، تكلم فيه كثيراً وأحسن ما قيل في مثله أن لفظ قريب وبعيد إذا أطلق على النسب تعيّن التذكير والتأنيث بحسب المخبر عنه نحو: زيد قريب عمر، وعائشة قريبة بكر مثلا، وما كان لغير النسب جاز تذكيره وتأنيثه قال تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ وقال: ﴿وماهي من الظالمين ببعيد﴾ فذكّر في الموضعين مع أنّ الوصف عائد على مؤنث.

(٤) ويصح نصب خوفاً وطمعاً مفعولين لأجله أي ادعوه لأجل الخوف منه والطمع فيه، ونصبهما على الحال كما في التفسير حسن أيضاً.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا
ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾
وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ
إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴿٥٨﴾

شــرح الكلمــات :

الرياح : جمع ريح وهو الهواء المتحرك.

بشراً : جمع بشـير أي مبشرات بقرب نزول المطر، قرىء نشراً أي تنشر السحاب للأمطار.

رحمته : أي رحمة الله تعالى وهي المطر.

أقلت سحاباً ثقالاً : أي حملت سحاباً ثقالاً مشبعاً ببخار الماء.

ميت : لا نبات به ولا عشب ولا كلأ.

كذلك نخرج الموتى : أي كذلك نحيي الموتى ونخرجهم من قبورهم أحياء.

تذكرون : تذكرون فتؤمنون بالبعث والجزاء.

الطيب : أي الطيب التربة.

خبث : أي خبثت تربته بأن كانت سبخة.

إلا نَكِداً : أي إلا عسراً.

نصرف الآيات : أي ننوعها ونخالف بين أساليبها ونذكر في بعضها ما لم نذكره في بعضها للهداية والتعليم.

لقوم يشكرون : لأنهم هم الذين ينتفعون بالنعم بشكرها بصرفها في محاب الله تعالى.

معنى الآيتين:

مازال السياق الكريم في بيان مظاهر القدرة الربانية والرحمة الإلهية الموجبة لعبادته تعالى وحده دون سواه قال تعالى ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً ﴾ وهو أي ربكم الحق الذي لا إله إلا هو وبشراً أي مبشرات ونشراً[1] أي تنشر الرياح تحمل السحب الثقال ليسقي الأرض الميتة فتحيا بالزروع والنباتات لتأكلوا وترعوا أنعامكم، وبمثل هذا التدبير في إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها يحييكم بعد موتكم فيخرجكم من قبوركم أحياء ليحاسبكم على كسبكم في هذه الدار ويجزيكم به الخير بالخير والشر بمثله جزاء عادلاً لا ظلم فيه وهذا الفعل الدال على القدرة والرحمة ولطف التدبير يُريكموه فترونه بأبصاركم لعلكم به تذكرون أن القادر على إحياء موات الأرض قادر على إحياء موات الأجسام فتؤمنوا بلقاء ربكم وتوقنوا به فتعملوا بمقتضى ما يسعدكم ولا يشقيكم فيه.

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٥٧) ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ أي المطر ﴿حتى إذا أقلّت﴾ أي حملت ﴿سحاباً ثقالاً﴾ أي ببخار الماء ﴿سقناه﴾ بقدرتنا ولطف تدبيرنا ﴿لبلد ميت[2]﴾ لا حياة به لا نبات ولا زرع، ولا عشب ﴿فأنزلنا به﴾ أي بالسحاب ﴿الماء﴾ العذب الفرات، ﴿فأخرجنا به من كل الثمرات﴾ المختلفة الألوان والروائح والطعوم ﴿كذلك نخرج الموتى﴾ كهذا الإخراج للنبات من الأرض الميتة نخرج الموتى[3] من قبورهم وعملنا هذا نسمعكم إياه ونريكموه بأبصاركم رجاء أن تذكروا فتذكروا أن القادر على إحياء الأرض قادر على إحياء الموتى رحمة منا بكم وإحساناً منا إليكم.

أما الآية الثانية (٥٨) فقد تضمنت مثلاً ضربه الله تعالى للعبد المؤمن والكافر إثر بيان قدرته على إحياء الناس بعد موتهم فقال تعالى: ﴿والبلد الطيب﴾ أي طيب التربة ﴿يخرج نباته بإذن ربه﴾ وذلك بعد إنزال المطر به، وهذا مثل العبد المؤمن ذي القلب الحي الطيب إذا سمع ماينزل من الآيات يزداد إيمانه وتكثر أعماله الصالحة ﴿والذي خبث﴾ أي والبلد الذي تربته خبيثة سبخة أو حمأة عندما ينزل به المطر لا يخرج نباته إلا نكداً[4] عسراً قليلاً غير

---

(١) قرىء (بُشراً) بضم الباء، وقرىء (نشراً) بالنون المضمومة، وهما قراءتان سبعيتان وفسرت الكلمتان بحسب ما تدلان عليه فتأمل، وفيهما قراءات أخرى من حيث الحركات كضم الباء مع الشين، وبشرى بالألف المقصورة.

(٢) البلد والبلدة بمعنى ويجمع على بلاد وبلدان.

(٣) روى مسلم قوله ﷺ: (ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطراً كأنّه الطلّ فتنبت منه أجساد الناس، ثم قال: أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون) الحديث.

(٤) النكد: العسر الممتنع من إعطاء الخير من الناس، وشبه به البلد الخبيث التربة كذات الحجارة أو السبخة.

صالح وهذا مثل الكافر عندما يسمع الآيات القرآنية لا يقبل عليها ولا ينتفع بها في خُلقه ولا سلوكه فلا يعمل خيراً ولا يترك شراً.

وقوله تعالى: ﴿كذلك نصرف الآيات﴾ أي ببيان مظاهر قدرته تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وضرب الأمثال وسوق الشواهد والعبر ﴿لقوم يشكرون﴾ إذ هم المنتفعون بها أما الكافرون الجاحدون فأنى لهم الإنتفاع بها وهم لا يعرفون الخير ولاينكرون الشر.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والحياة بعد الموت للحساب والجزاء إذ هي من أهم أركان الإيمان.

٢ ـ الإستدلال بالحاضر على الغائب وهو من العلوم النافعة.

٣ ـ حسن ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٤ ـ فضيلة الشكر وهو صرف النعمة فيما من أجله وهبها الله تعالى للعبد.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

شـــرح الكلمـات:

نوحـــاً : هذا أول الرسل هذا العبد الشكور هو نوح بن لَمْك بن متوشلخ بن أخنوخ أي أدريس عليهما السلام، أحد أولى العزم الخمسة من الرسل عاش داعياً وهادياً ومعلمًا ألفاً ومائتين وأربعين سنة، ومدة الدعوة ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وما بعدها عاشها هادياً ومعلمًا للمؤمنين.

عذاب يوم عظيم : هو عذاب يوم القيامة.

الملأ : أشراف القوم ورؤساؤهم الذين يملأون العين والمجلس.

وأنصح لكم : أريد لكم الخير لا غير.

أوَعجبتم : الاستفهام للإنكار، وعجبتم الواو عاطفة والمعطوف عليه جملة هي كذبتم أي أكذبتم وعجبتم.

لينذركم : أي العذاب المترتب على الكفر والمعاصي.

ولتتقوا : أي الله تعالى بالإيمان به وتوحيده وطاعته فترحمون فلا تعذبون.

والذين معه في الفلك : هم المؤمنون من قومه والفلك هي السفينة التي صنعها بأمر الله تعالى وعونه.

عمين : جمع عمٍ وهو أعمى البصيرة أما أعمى العينين يقال فيه أعمى.

معنى الآيات:

هذا شروع في ذكر قصص ستة من الرسل وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام والمراد من ذكر هذا القصص هو تنويع أسلوب الدعوة ليشاهد المدعون من كفار قريش صوراً ناطقة ومشاهد حية لأمم سبقت وكيف كانت بدايتها وبم ختمت نهايتها، وهي لاتختلف إلا يسيراً عما هم يعيشونه من أحداث الدعوة والصراع الدائر بينهم وبين نبيهم لعلهم يتعظون.، ومع هذا فالقصص يقرر نبوة محمد ﷺ إذ لو لم يكن رسولاً يوحى إليه لما تأتى له أن يقص من أخبار الماضين ما بهر العقول كما أن المؤمنين مع نبيهم يكتسبون من العبر مايحملهم على الثبات والصبر، ويجنبهم القنوط واليأس من حسن العافية والظفر والنصر.

وهذا أول قصص يقوله تعالى فيه ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه[1]﴾ أي وعزتنا لقد أرسلنا نوحا إلى قومه كما أرسلناك أنت يارسولنا إلى قومك من العرب والعجم، فقال: أي نوح في دعوته: ﴿ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره[2]﴾ أي ليس لكم على الحقيقة إله غيره، إذ الإله الحق من يخلق ويرزق ويدبر فيحيي ويميت ويعطي ويمنع، ويضر وينفع، ويسمع ويبصر فأين هذا من آلهة نحتموها بأيديكم، ووضعتموها في بيوتكم عمياء لا تبصر صماء لا تسمع بكماء لاتنطق فكيف يصح أن يطلق عليها اسم الإله وتعبد ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أنذرهم عذاب يوم القيامة إن هم أصروا على الشرك والعصيان فأجابه الملأ منهم[3] وهم أهل الحل والعقد في البلاد قائلين: ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾ بسبب موقفك العدائي هذا لآلهتنا، ولعبادتنا إياها فأجاب عليه السلام قائلاً ﴿ياقوم ليس بي ضلالة﴾ مجرد ضلالة فكيف بالضلال كله كما تقولون، ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ أي إليكم ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح[4] لكم﴾ أي بما هو خير لكم في حالكم ومآلكم، واعلموا أني ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فأنا على علم بما عليه ربي من عظمة وسلطان، وجلال، وجمال، وماعنده من رحمة وإحسان، ومالديه من نكال وعذاب، وأنتم لا تعلمون فاتقوا الله إذاً وأطيعوني يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى آجالكم، ولا يعجل بفنائكم وواصل حديثه معهم وقد دام ألف سنة إلا خمسين عاماً قائلاً: أكذبتم بما دعوتكم إليه وجئتكم به وعجبتم[5] أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم، ولتتقوا الله بتوحيده وعبادته وطاعته رجاء أن ترحموا فلا تعذبوا أمن هذا يتعجب العقلاء؟ وكانت النتيجة لهذه الدعوة المباركة الخيّرة أن كذبوه فأنجاه ربه والمؤمنين معه، وأغرق الظالمين المكذبين، لأنهم كانوا قوماً عمين فلا يستحقون البقاء والنجاة قال تعالى ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه في

---

(١) نوح: هو أوّل الرسل من حيث انه حارب الشرك ودعا إلى التوحيد، وهل إدريس من ذريته أو من آبائه خلاف، أمّا شيت بن آدم فقطعاً هو من آبائه.

(٢) غيره: مرفوع على النعت لإله المرفوع تقديراً، إذالأصل رفعه، وجُرَّ بحرف الجرّ الزائد الذي هو مِنْ.

(٣) الملأ: هم أشراف القوم ورؤساؤهم الذين إذا نظر إليهم ملأوا العين وإذا جلسوا ملأوا المجلس، هذا أصل الكلمة.

(٤) النصح: إخلاص القول والعمل من شوائب الفساد، بمعنى تخليص القول أو العمل مما هو ضار أو غير نافع للمنصوح له، ويقال نصحه ونصح له والمعنى واحد، والاسم النصيحة، والناصح الخالص من العسل مثل الناصح الذي لا شائبة فيه.

(٥) قوله تعالى: ﴿أو عجبتم﴾ الهمزة للاستفهام، والواو عاطفة على جملة محذوفة كما هي في التفسير.

الفلك[1]، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين[2] ﴾ لا يبصرون الآيات ولا يرون النذر والشواهد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير نبوة محمد ﷺ كنبوة نوح عليه السلام.

٢ - تقرير وتأكيد التوحيد، وبيان معنى لا إله إلا الله.

٣ - التحذير من عذاب يوم القيامة بالتذكير به

٤ - أصحاب المنافع من مراكز وغيرها هم الذين يردون دعوة الحق لمنافاتها للباطل.

٥ - تقرير مبدأ العاقبة للمتقين.

٦ - عمى القلوب أخطر من عمى العيون على صاحبه.

۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

---

(١) الفلك يكون واحدا وجمعا ويذكر ويؤنث.

(٢) ﴿عمين﴾ أي: عن الحق وعن معرفة الله وقدرته ولطفه، وإحسانه يقال رجلٌ عَمٍ بكذا أي: جاهل به لا يعرفه.

شـــرح الكلمـات:

وإلى عاد : أي ولقد أرسلنا إلى عاد وهم قبيلة عاد، وعاد أبو القبيلة وهو عاد بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

أخاهم هوداً : أخاهم في النسب لا في الدين. وهود هو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام ابن نوح عليه السلام.

أفلا تتقون : أي أتصرّون على الشرك فلا تتّقون عذاب الله بالإيمان به وتوحيده، والاستفهام إنكاري أي ينكر عليهم عدم تقواهم لله عز وجل.

في سفاهة : السفاهة كالسّفَه وهو خِفّة العقل، وقلّة الإدراك والحلم.

أمين : لا أخونكم ولا أغشكم ولا أكْذِبُكم، كما أني مأمون على رسالتي لا أفرط في إبلاغها.

بسطة : أي طولاً في الأجسام، إذ كانوا عمالق من عظم أجسادهم وطولها.

آلاء الله : نعمه واحدها أَلَيَ وإِلَيَ وأَلْيَ وإِلْوَ والجمع آلاء

تفلحون : بالنجاة من النار في الآخرة، والهلاك في الدنيا.

معنى الآيات:

هذا هو القصص الثاني، قَصَصُ هود عليه السلام مع قومه عاد الأولى التي أهلكها الله تعالى بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام. قوله تعالى ﴿وإلى عاد[1]﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم من النسب هوداً فماذا قال لهم ﴿قال ياقوم اعبدوا الله﴾ أي وحدوه في العبادة ولا تعبدوا معه آلهة أخرى. وقوله: ﴿مالكم من إله غيره﴾ أي ليس لكم أي إله غير الله، إذ الله هو الإله الحق وماعداه فآلهة باطلة، لأنه تعالى يخلق وهم لا يخلقون ويرزق وهم لا يرزقون ويدبر الحياة بكل مافيها وهم مدبَّرون لا يملكون نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكيف يكونون آلهة. ثم حضهم على التقوى وأنكر عليهم تركهم لها فقال عليه السلام لهم: ﴿أفلا تتقون﴾ أي الله ربّكم فتتركوا الشرك وتوحدوه؟ فأجاب الملأ الذين كفروا من قومه، بأسوأ إجابة وذلك لكبريائهم واغترارهم فقالوا: ﴿إنا لنراك في

---

(١) عاد: أمّة عظيمة كانوا أكثر من عشر قبائل، ومنازلهم كانت ببلاد العرب من حضرموت والشّحر إلى عُمان، وعاد اسم القبيلة وصرف لأنّه ثلاثي ساكن الوسط كهند ودعد.

سفاهة﴾ أي حمق وطيش وعدم بصيرة بالحياة وإلا كيف تخرج عن إجماع قومك، وتواجههم بعيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ فيما جئت به أي من الرسالة، ودعوت إليه من التوحيد ونبذ الآلهة غير الله تعالى، فأجاب هود عليه السلام راداً شبهتهم فقال: ﴿ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾ أي أني لست كما تزعمون أن بي سفاهة ولكني أحمل رسالة أبلغكموها، وأنا في ذلك ناصح لكم مريد لكم الخير أمين[1] على وحي الله تعالى إلي، أمين لا أغشكم ولا أخونكم فما أريد لكم إلا الخير. ثم واصل دعوته فقال ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربّكم﴾ أي أكذبتم برسالاتي وعجبتم من مجيئكم ذكر من ربكم ﴿على رجل منكم لينذركم﴾ أي عواقب كفركم وشرككم، أمن مثل هذا يتعجب العقلاء أم أنتم لا تعقلون؟.

ثم ذكرهم بنعم الله تعالى عليهم لعلّها تُحْدثُ لهم ذكراً في نفوسهم فيتراجعون بعد عنادهم وإصرارهم فقال: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء[2] من بعد قوم نوح﴾ أي بعد أن أهلكهم بالطوفان لإصرارهم على الشرك ﴿وزادكم في الخلق بسْطة[3]﴾ أي جعل أجسامكم قوية وقاماتكم طويلة هذه نعم الله عليكم ﴿فاذكروا آلاء[4] الله لعلكم تفلحون﴾ لأنكم إن ذكرتموها بقلوبكم شكرتموها بأقوالكم وأعمالكم، وبذلك يتم الفلاح لكم، وهو نجاتكم من المرهوب وظفركم بالمحبوب وذلك هو الفوز المطلوب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الدعوة إلى عبادة الله وترك عبادة ماسواه وهو معنى لا إله إلا الله.

٢ ـ مشروعية دفع الإتهام، وتبرئة الإنسان نفسه مما يتهم به من الباطل.

٣ ـ من وظائف الرسل عليهم السلام البلاغ لما أمروا بإبلاغه.

---

(١) الأمين: هو الموصوف بالأمانة، والأمانة أعز أوصاف البشر وفي الحديث (لا إيمان لمن لا أمانة له) ويروى: (لمن لا أمان له).

(٢) الخلفاء: جمع خليفة وهو الذي يخلف غيره في شيء أي: يتولى العمل الذي كان يقوم به الآخر، كما يجمع خليفة على خلائف.

(٣) ويجوز بصطة: بالصاد أي طولاً في الأجسام قيل كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً، فالزيادة كانت على خلق من قبلهم، وذكر القرطبي أموراً عجباً لا يحسن ذكرها.

(٤) الآلاء: مفرده إلي ويعرف فيقال الإلي وهو: النعمة وهو على وزن عِنَب وأعناب ونظيره إنى أي: الوقت والجمع آناءقال تعالى: ﴿ومن آناء اللّيل فسبّح﴾ الخ.

٤ ـ فضيلة النصح وخُلُق الأمانة.

٥ ـ استحسان التذكير بالنعم فإن ذلك موجب للشكر والطاعة.

قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ
أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ[1] سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا
وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات:

ونذر : أي نترك.

بما تعدنا : أي من العذاب.

رجس : سخطٌ موجبٌ للعذاب.

أتجادلونني : أي أتخاصمونني.

من سلطان : أي من حجّة ولا برهان يثبت أنها تستحق العبادة.

دابر : دابر القوم آخرهم، لأنه إذا هلك آخر القوم هلك أولهم بلا ريب.

(١) ﴿أتجادلونني في أسماء﴾ أي: في الأصنام التي أطلقوا عليها أسماء كاللّات، والعزّى ومناة عند قريش ومشركي العرب، فأطلق الاسم وأريد به المسمّى.

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص هود عليه السلام ، فهاهم أولاء يردُّون على دعوة هود بقول الملأ منهم ﴿أجئتنا[1] لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ وتهددنا إن نحن لم نترك عبادة آلهتنا، ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب[2] ﴿إن كنت من الصَّادقين﴾ في دعواك فرد هود عليه السلام على قولهم هذا قائلاً قد وقع[3] عليكم رجس[4] أي سخط وغضب من الله تعالى وأن عذابكم لذلك أصبح متوقعاً في كل يوم فانتظروا ماسَيَحِلُّ بكم ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ قال تعالى ﴿فأنجيناه[5] والذين معه برحمة منّا﴾ أي بعد إنزال العذاب، ومن معه من المؤمنين برحمة منا خاصة لاتتم إلا لمثلهم، ﴿وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا، وما كانوا مؤمنين﴾ أهلكناهم بخارقة ريح تدمر كل شيء بأمر بها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، وكذلك جزاء الظالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ احتجاج المشركين على صحّة باطلهم بفعل آبائهم وأجدادهم يكاد يكون سنّةً مطّردةً في الأمم والشعوب، وهو التقليد المذموم.

٢ ـ من حمق الكافرين استعجالهم بالعذاب، ومطالبتهم به.

٣ ـ آلهة الوثنيين مجرّد أسماء لا حقائق لها إذ إطلاق المرء اسم إله على حجر لا يجعله إلهاً ينفع ويضر، ويحيي ويميت.

٤ ـ قدرة الله تعالى ولطفه تتجلّى في إهلاك عاد وإنجاء هود والمؤمنين.

---

(١) الاستفهام هنا انكاري أنكروا على نبي الله هود دعوته إيّاهم إلى التوحيد وكان جوابهم هذا أقل جفوة من السابق الذي اتهموه فيه بالسفاهة والكذب.

(٢) ذكر العذاب في سورة الأحقاف إذ قال تعالى : ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألاّ تعبدوا إلاّ الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.

(٣) ﴿قد وقع﴾ بمعنى : وجب، يقال: وقع الحكم أو القول إذا وجب.

(٤) وفسّر الرجس بالعذاب أو الرّين على القلوب بزيادة الكفر.

(٥) روي أنّ هوداً ومن معه من المؤمنين نزحوا إلى مكة وأقاموا بها بعد هلاك قومهم.

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن
قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات:

وإلى ثمود[1] : أي أرسلنا إلى ثمود، وثمود قبيلة سميت باسم جدها وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح.

أخاهم صالحاً : أي في النسب وصالح هو صالح بن عبيد بن آسف بن كماشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود.

آيـــة : علامة على صدقي في أني رسول الله إليكم.

وبوأكم في الأرض : أنزلكم فيها منازل تحيون فيها.

---

(١) ثمود: هو أخو جديس.

وتنحتون	: تنجرون الحجارة في الجبال لتتخذوا منازل لكم لتسكنوها.
آلاء الله	: نعم الله تعالى وهي كثيرة.
ولا تعثوا	: أي لا تفسدوا في الأرض مفسدين.
استكبروا	: عتوا وطغوا وتكبروا فلم يقبلوا الحق ولم يعترفوا به.

معنى الآيات:

هذا القصص الثالث قصص نبي الله صالح عليه السلام قال تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود[1] أخاهم صالحاً نبياً أرسلناه بما أرسلنا به رسلنا من قبله ومن بعده بكلمة التوحيد ﴿قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ وهذا مدلول كلمة الإخلاص التي جاء بها خاتم الأنبياء «لا إله إلا الله» ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ تشهد بأنه لا إله إلا هو، وأني رسوله إليكم، هذه البينة[2] ناقة تخرج من صخرة في جبل، ﴿هذه ناقة[3] الله لكم آية﴾ علامة وأية علامة على صدقي في إرسال الله تعالى لي رسولاً إليكم لتعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً، فذروا هذه الناقة تأكل في أرض[4] الله ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾، فكانت الناقة ترعى في المرج،وتأتي إلى ماء القوم فتشربه كله، ويتحول في بطنها إلى لبن خالص فيَحْلِبون ماشاءوا وقال لهم يوماً هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم، ووعظهم عليه السلام بقوله: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ أي بعد هلاكهم،وكانت ديار عاد بحضرموت جنوب الجزيرة العربية وديار ثمود بالحجر شمال الجزيرة بين الحجاز والشام. وقوله ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أرض الحِجْر تتخذون من سهولها قصوراً[5] تسكنونها في الصيف، وتنحتون من الجبال بيوتاً تسكنونها في الشتاء، ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أي نعمه العظيمة لتشكروها بعبادته وحده دون ما اتخذتم من أصنام، وحذّرهم من عاقبة الفساد فقال ﴿ولا تَعْثَوْا في الأرض مفسدين﴾ أي لاتنشروا الفساد في الأرض بالشرك وارتكاب المعاصي.وإزاء هذه الدعوة

---

(١) ثمود: يصرف ولا يصرف فمن صرفه: على أنه اسم للحي، ومن منعه: على أنه علم على القبيلة.
(٢) هذه الناقة هم الذين طالبوا بها لتكون آية على صدق نبوّة صالح، ولمّا جاءتهم كفروا بها.
(٣) إضافة الناقة إلى الله تعالى للتشريف والتخصيص إذ كل ما في الكون هو لله عزّ وجلّ.
(٤) أي: ليس عليكم رزقها ومؤونتها.
(٥) استدل بعضهم على جواز بناء القصور للسكن بهذه الآية وبحديث: (إنّ الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى أثر النعمة عليه) وكره ذلك بعض، لحديث: (وما أنفق المؤمن من نفقة فإنّ خلفها على الله عزّ وجلّ إلاّ ما كان في بنيان أو معصيّة) رواه الدارقطني.

الصادقة الهادفة إلى هداية القوم وإصلاحهم لينجوا من عاقبة الشرك والشر والفساد ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ أي قوم صالح، قالوا ﴿للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾[1] أي لمن آمن من ضعفاء القوم: ﴿أتعلمون أن صالحاً مرسلٌ من ربه﴾، وهو استفهام سخرية واستهزاء دال على صلف القوم وكبريائهم، فأجاب المؤمنون من ضعفة القوم قائلين ﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾ قالوها واضحةً صريحةً مُعْلنةً عن إيمانهم بما جاء به رسول الله صالح غير خائفين، وهنا ردّ المستكبرون قائلين: ﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ وإمعاناً منهم في الجحود والتكبّر، لم يقولوا إنا بما أرسل به كافرون حتى لا يعترفوا بالرسالة ولو في جواب رد الكلام فقالوا ﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ اتحاد دعوة الرسل في الإيمان بالله والكفر بالطاغوت أي في عبادة الله وحده.

٢ ـ تقرير إرسال الرسل بالآيات وهي المعجزات وآية صالح أعجب آية وهي الناقة.

٣ ـ وجوب التذكير بنعم الله إذ هو الباعث على الشكر، والشكر هو الطاعة.

٤ ـ النهي عن الفساد في الأرض والشرك وارتكاب المعاصي.

٥ ـ الضعفة هم غالباً أتباع الأنبياء: وذلك لخلوهم من الموانع كالمحافظة على المنصب أو الجاه أو المال، وعدم إنغماسهم في الملاذ والشهوات.

فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾

---

(١) ﴿لمن آمن﴾ بدل من (الذين استضعفوا) بدل بعضٍ من كلّ.

شـــرح الكلمات:

فعقروا الناقة: : نحروها بعد أن عقروا قوائمها أي قطعوها، والناقة هي الآية.

وعتوا عن أمر ربهم : تمردوا عن الأمر وعصوا فلم يطيعوا.

الرجفة : المرة من رجف إذا اضطرب، وذلك لما سمعوا الصيحة أخذتهم الرجفة.

جاثمين[1] : باركين على الركب كما يجثم الطير أي هلكى على ركبهم.

فتولى عنهم : بعـد أن هلكوا نظر إليهم صالح وهم جاثمون وقال راثياً لحالهم ﴿ياقـوم لقـد أبلغتكم رسـالـة ربي﴾ إلى قولـه ﴿ولكن لا تحبـون الناصحين﴾ ثم أعرض عنهم وانصرف.

معنى الآيات:

مازال السياق في قصص صالح عليه السلام فإنه بعد تلك الدعوة الطويلة العريضة والمستكبرون يردونها بصلف وكبرياء، وطالبوا بالآية لتدل على صدقه وأنه من المرسلين وأوتوا الناقة آية مبصرة ولجوا في الجدال والعناد وأخيراً تمالؤوا على قتل الناقة وعقروها ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها﴾.

قوله تعالى في الآية الأولى (٧٧) ﴿فعقروا[2] الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾ يخبر تعالى أن قوم صالح عقروا الناقة قطعوا أرجلها ثم نحروها وهو العقر، وعتوا بذلك وتكبروا متمردين عن أمر الله تعالى حيث أمرهم أن يتركوها تأكل في أرض الله ولايمسوها بسوء فإذا بهم يعقرونها تحدياً وعناداً، ﴿وقالوا ياصالح﴾ بدل أن يقولوا يارسول الله أو يانبي الله ﴿ائتنا بما تعدنا﴾ أي من العذاب إن مسسنا الناقة بسوء فقد نحرناها فأتنا بالعذاب إن كنت كما تزعم من المـرسلين قال تعالى ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ وهي هزة عنيفة اضطربت لها القلوب والنفوس نتيجـة صيحـة لملك عظيم صاح فيهم صباح السبت[3] كما قال تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة

---

(١) أصل الجثوم للأرانب وما شابهها وموضع الجثوم يقال لهم: مجثم. قال زهير:
بها العين والآرام يمشين خلفه   وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

(٢) العقر: الجرح أو قطع عضو يؤثر في النفس، يقال: عقر الفرس إذا ضرب قوائمه بالسيف، وقيل للنحر عقر: لأنّه بسبب النحر غالبا.

(٣) هو بداية اليوم الرابع، إذ قال لهم: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ فكانت الأربعاء والخميس والجمعة والسبت أهلكهم الله تعالى.

مشرقين﴾ ولما هلكوا وقف عليهم صالح كالمودع كما وقف رسول الله ﷺ على أهل القليب ببدرٍ فناداهم يافلان يافلان كذلك صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وقف عليهم وهم خامدون وقال كالراثي المتحسر ﴿ياقوم لقد أبلغتكم[1] رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ وتولى عنهم وانصرف.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حلول نقمة الله تعالى بكل من عتا عن أمره سبحانه وتعالى.

٢ ـ مشروعية الرثاء لمن مات أو أصيب بمصاب عظيم.

٣ ـ علامة قرب ساعة الهلاك إذا أصبح الناس يكرهون النصح ولا يحبون الناصحين.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

شـــرح الكلمـات:

ولوطاً : أي وأرسلنا لوطاً ولوط هو لوط بن هاران ابن أخي ابراهيم عليه السلام. ولد في بابل العراق.

الفاحشة : هي الخصلة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم.

---

(١) من الجائز أن يكون قد قال هذا وهم أحياء قبل موتهم كالآيس منهم وكونه قاله بعد موتهم أقرب كما في التفسير.

من العالمين : أي من الناس.

من الغابرين : الباقين في العذاب.

وأمطرنا : أنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر فأهلكتهم.

المجرمين : أي المفسدين للعقائد والأخلاق والأعراض.

معنى الآيات:

هذا هو القصص الرابع قصص نبي الله تعالى لوط بن هاران ابن أخي ابراهيم عليه السلام فقوله تعالى ﴿ ولوطاً[1] . . . . ﴾ أي وأرسلنا لوطاً إلى قومه من أهل سذوم، ولم يكن لوط منهم لأنه من أرض بابل العراق هاجر مع عمه إبراهيم وأرسله الله تعالى إلى أهل سذوم[2] وعمورة قرب بحيرة[3] لُوطٍ بالأردن.

وقوله إذ قال لقومه الذين أرسل إليهم منكراً عليهم فعلتهم المنكرة: ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ وهي اتيان الرجال في أدبارهم ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ أي لم يسبقكم إليها أحد من الناس قاطبة، وواصل إنكاره هذا المنكر موبخاً هؤلاء الذين هبطت أخلاقهم إلى درك لم يهبط إليه أحد غيرهم فقال: ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة[4] من دون النساء، بل أنتم قوم مسرفون﴾ وإلا فالشهوة من النساء هي المفطور عليها الإنسان، لا أدبار الرجال، ولكنه الإجرام والتوغل في الشر والفساد والإسراف في ذلك، والإسراف صاحبه لا يقف عند حد.

وبعد هذا الوعظ والإرشاد إلى سبيل النجاة، والخروج من هذه الورطة التي وقع فيها هؤلاء القوم المسرفون ماكان ردهم ﴿إلا أن قالوا أخرجوهم ﴾ أي لوطاً والمؤمنين معه ﴿من قريتكم ﴾ أي مدينتكم سدوم، معللين الأمر بإخراجهم من البلاد بأنهم أناس يتطهرون من الخبث الذي هم منغمسون فيه قال تعالى بعد أن بلغ الوضع هذا الحد ﴿فأنجيناه وأهله﴾ من بناته وبعض نسائه ﴿ إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ حيث أمرهم بالخروج من

---

(١) هذا العطف على إرسال نوح كما هو مع هود وصالح من قبل لوط، ولوط: اسم عجمي وليس مشتقاً من لطت الحوض أو من قولهم: هذا أليط بقلبي من هذا.

(٢) هذه الأرض هي أرض الكنعانيين وسكانها خليط جلّهم كنعانيون.

(٣) هو المعروف بالبحر الميت ويقال له بحيرة لوط.

(٤) ﴿شهوة﴾ منصوب على أنّه مفعول لأجله.

البلاد ليلاً قبل حلول العذاب بالقوم فخرجوا، وما إن غادروا المنطقة حتى جعل الله تعالى عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجين فأهلكوا أجمعين.

وقوله تعالى في ختام هذا القصص ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ فإنه خطاب عام لكل من يسمع هذا القصص ليعتبر به حيث شاهد عاقبة المجرمين دماراً كاملاً وعذاباً أليمًا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ شدة قبح جريمة اللواط.

٢ ـ أول من عرف هذه الجريمة القذرة هم قوم لوط[(١)] عليه السلام.

٣ ـ الإسراف وعدم الاعتدال في الأقوال والأفعال يتولد عنه كل شر وفساد.

٤ ـ الكفر والإجرام يحل رابطة الأخوة والقرابة بين أصحابه والبُرءاء منه.

٥ ـ من أتى هذه الفاحشة من المحصنين يرجم[(٢)] بالحجارة حتى الموت.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ

(١) روي أنّ ابليس هو الذي علّمهم إيّاها في نفسه بعد أن تشكّل بشكل إنسان.

(٢) الجمهور على أن من أتى هذه الفاحشة من الذكران البالغين أنه يقتل وغير البالغ يضرب، وخالف أبو حنيفة الجمهور وقال بعدم القتل واكتفى بالتعزير وهو محجوج بعمل الصحابة فقد أحرقوا مَنْ عَمِل عَمَل قوم لوط على عهد أبي بكر بإجماع رأي الصحابة على ذلك لحديث أبي داود والنسائي وابن ماجه والترمذي أي رسول الله ﷺ قال: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) وعند الترمذي: (أحصنا أو لم يحصنا) واختلف في الفاعل في البهيمة هل يقتل أو يعزّر؟ فالراجح: القتل لحديث: (من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة معه).

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟
فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

شـــرح الكلمـات:

وإلى مدين آخاهم شعيباً : مدين أبو القبيلة وهو مدين بن إبراهيم الخليل وشعيب من أبناء القبيلة فهو أخوهم في النسب حقيقة إذ هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين.

ولا تبخسوا الناس أشياءهم : أي لا تنقصـوا الناس قيم سلعهم وبضائعهم، إذ كانوا يفعلون ذلك.

صراط توعدون :طريق وتوعدون تخيفون المارة وتأخذون عليهم المكوس أو تسلبونهم أمتعتهم.

وتبغونها عوجاً : أي تريدون سبيل الله ـ وهي شريعته ـ معوجةً حتى توافق ميولكم.

المفسدين : هم الذين يعملون بالمعاصي في البلاد.

يحكم بيننا : يفصل بيننا فينجي المؤمنين ويهلك الكافرين.

معنى الآيات:

هذا هو القصص الخامس في سورة الأعراف وهو قصص نبي الله شعيب مع قومه أهل مدين، فقـولـه تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾[1] أي وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعيباً. فماذا قال لهم لما أرسل إليهم؟ ﴿قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ أي قولوا لا إله إلا الله، ولازم ذلك أن يصدقوا برسول الله شعيب حتى يمكنهم أن يعبدوا الله بما

---

(١) شعيب: تصغير شعب أو شِعب ويقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه.

يجب أن يعبد به وبها من شأنه أن يكملهم ويسعدهم في الدارين وقوله ﴿قد جاءتكم[1] بينة من ربكم﴾ أي آية واضحة تشهد لي بالرسالة وبها أن ما آمركم به وأنهاكم عنه هو من عند الله تعالى إذاً ﴿فأوفوا الكيل والميزان ﴾ أي بالقسط الذي هو العدل، ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ بل أعطوهم ماتستحقه بضائعهم من الثمن بحسب جودتها ورداءتها ﴿ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ أي في البلاد بعد إصلاحها، وذلك بترك الشرك والذنوب ومن ذلك ترك التلصص وقطع الطرق، وترك التطفيف في الكيل والوزن وعدم بخس سلع الناس وبضائعهم ذلكم الذي دعوتكم إليه من الطاعة وترك المعصية خير لكم حالاً ومآلاً إن كنتم مؤمنين وقوله : ﴿ولا تقعدوا بكل صراط[2] توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً[3]﴾ ينهاهم عليه السلام عن أبشع الإجرام وهو أنهم يجلسون في مداخل البلاد، وعلى أفواه السكك، ويتوعدون[4] المارة بالعذاب إن هم اتصلوا بالنبي شعيب وجلسوا إليه صرفاً للناس عن الإيمان والاستقامة، كما أنهم يقطعون الطرق ويسلبون الناس ثيابهم وأمتعتهم أو يدفعون إليهم ضريبة خاصة.

وقوله ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ يذكرهم عليه السلام بنعمة الله تعالى عليهم وهي أنهم أصبحوا شعباً كبيراً بعدما كانوا شعباً صغيراً لا قيمة له ولا وزن بين الشعوب وقوله: ﴿ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ يعظهم ببيان مصير الظلمة المفسدين من الأمم المجاورة والشعوب حيث حلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه فهلكوا يعظهم لعلهم يذكرون فيتركوا الشرك والمعاصي، ويعملوا بالتوحيد والطاعة.

وأخيراً يخوفهم بالله تعالى ويهددهم بأن حكمًا عدلاً هو الله سيحكم بينهم وعندها يعلمون من هو المحق ومن هو المبطل فقال: ﴿وإن كان طائفة منكم﴾ أي جماعة ﴿آمنوا بالذي أرسلت به﴾ من التوحيد والطاعة وترك الشرك والمعاصي، ﴿وطائفة﴾ أخرى ﴿لم يؤمنوا﴾ وبهذا كنا متخاصمين نحتاج إلى من يحكم بيننا إذاً ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير

---

(١) من الجائز أن يكون الله تعالى قد أعطى نبيّه شعيباً آية ولم تذكر في القرآن، والراجح أنّها حجة قوية قهرهم بها ولم يتمكنوا من ردّها.

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب فيتوعّدون من أراد المجيء إليه ويصدّونه عنه ويقولون: إنّه كذّاب فلا تذهب إليه، كما كانت قريش تفعله مع النبي ﷺ.

(٣) قال أبو عبيدة والزجاج: كسر العين عوجاً في المعاني، والفتح عَوَجاً في الاجرام والذوات.

(٤) قال أبو هريرة رضي الله عنه هذا نهي عن قطع الطريق وأخذ السلب وكان ذلك من فعلهم.

الحاكمين ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ دعوة الرسل واحدة في باب العقيدة إذ كلها تقوم على أساس التوحيد والطاعة.

٢ ـ حرمة التطفيف في الكيل والميزان، وبخس الناس أشياءهم، ويدخل في ذلك الصناعات وحرف المهن وما إلى ذلك.

٣ ـ حرمة الفساد في الأرض بالمعاصي لا سيما البلاد التي طهرها الله بالإسلام وأصلحها بشرائعه.

٤ ـ حرمة التلصص وقطع الطرق[1] وتخويف المارة.

٥ ـ حرمة الصد عن سبيل الله بمنع الناس من التدين والإلتزام بالشريعة ظاهراً وباطناً.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ (٨٨) قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم
بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ (٨٩) ﴾

شرح الكلمات:

الملأ : أشراف القوم الذين يملؤون المجلس إذا جلسوا، والعين إذا نظر اليهم.

استكبروا : تكلفوا الكبر وهم حقيرون، حتى لا يقبلوا الحق.

---

(١) ومثله الضرائب الفادحة التي تضرب على المسلمين في بلادهم والمكوس التي في الأسواق وغيرها مما اقتدى فيه المسلمون بالكافرين.

من قريتنا : مدينتنا

في ملتكم : في دينكم.

على الله توكلنا : أي فوضنا أمرنا واعتمدنا في حمايتنا عليه.

ربنا افتح بيننا : أي يا ربنا احكم بيننا.

وأنت خير الفاتحين : أي وأنت خير الحاكمين.

معنى الآيتين :

مازال السياق الكريم في قصص شعيب مع قومه أهل مدين فبعد أن أمرهم ونهاهم وذكرهم ووعظهم ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ مهددين موعدين مقسمين ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾. هكذا سنة الطغاة الظلمة إذا غلبوا بالحجج والبراهين يفزعون إلى القوة فلما أفحمهم شعيب خطيب الأنبياء عليهم السلام، وقطع الطريق عليهم شهروا السلاح في وجهه، وهو النفي والإخراج من البلاد أو العودة إلى دينهم الباطل: ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن[1] في ملتنا﴾ ورد شعيب على هذا التهديد بقوله: ﴿أولو كنا كارهين[2]﴾ أي أنعود في ملتكم ولو كنا كارهين لها ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها[3]﴾ ووجه الكذب على الله إن عادوا إلى ملة الباطل هو أن شعيباً أخبرهم أن الله تعالى أمرهم بعبادته وحده وترك عبادة غيره، وأنه تعالى أرسله إليهم رسولاً وأمرهم بطاعته إنقاذاً لهم من الباطل الذي هم فيه فإذا أرتد وعاد هو ومن معه من المؤمنين إلى ملة الشرك كان موقفهم موقف من كذب على الله تعالى بأنه قال كذا وكذا والله عز وجل لم يقل. هذا ثم قال شعيب ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها﴾ ليس من الممكن ولا من المتهيء لنا العودة في ملتكم أبداً، اللهم إلا أن[4] يشاء ربنا شيئاً فإن مشيئته نافذة في خلقه، وقوله: ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ فإذا كان قد علم أنا نرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، فسوف يكون ما علمه كما علمه وهو الغالب على أمره.

---

(١) ﴿أو لتعودنّ﴾: إمّا أن يراد به أتباع شعيب المؤمنون إذ كانوا قبل إيمانهم على دين قومهم وإمّا أن يراد بكلمة ﴿لتعودنّ﴾: لتصيرنّ إذ تكون عاد بمعنى: صار.

(٢) الاستفهام للتعجب والاستبعاد.

(٣) هذا أسلوب الإياس لهم من العودة إلى دينهم الباطل.

(٤) هذا الاستثناء كان من شعيب تأدباً مع الله تعالى بتفويض الأمر إلى مشيئته وعودة غيره من أمته ممكنة ولكن عودته هو مستحيلة.

ثم قال عليه السلام بعد أن أعلمهم أن العودة إلى دينهم غير واردة ولا ممكنة بحال من الأحوال إلاّ في حال مشيئة الله ذلك، وهذا مما لا يشاءه الله تعالى قال: ﴿على الله توكلنا﴾ في الثبات على دينه الحق، والبراءة من الباطل ثم سأل ربه قائلاً: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ أي احكم بيننا وبينهم بالحق ﴿وأنت خير[1] الفاتحين﴾ أي الحاكمين، وذلك بإحقاق الحق وإبطال الباطل.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان سنة بشرية وهي أن الظلمة والمتكبرين يجادلون بالباطل حتى إذا أعياهم الجدال وأفحموا بالحجج بدل أن يسلموا بالحق ويعترفوا به ويقبلوه، فيستريحوا ويريحوا يفزعون إلى القوة بطرد أهل الحق ونفيهم أو إكراههم على قبول الباطل بالعذاب والنكال.

٢- لا يصح من أهل الحق بعد أن عرفوه ودعوا إليه أن يتنكروا ويقبلوا الباطل بدله.

٣- يستحب الاستثناء في كل ما عزم عليه المؤمن مستقبلاً وإن لم يرده أو حتى يفكر فيه.

٤- وجوب التوكل على الله عند تهديد العدو وتخويفه، والمضي في سبيل الحق.

٥- مشروعية الدعاء وسؤال الله تعالى الحكم بين أهل الحق وأهل الباطل، لأن الله تعالى يحكم بالحق وهو خير الحاكمين.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ

---

(١) ﴿إلاّ أن يشاء الله ربنا﴾ هذا الاستثناء منقطع بمعنى لكن أي: ما يقع منّا العودة إلى الكفر لكن إن شاء الله ذلك كان، والله لا يشاء ذلك فهو إذاً كقولك: لا أكلمك حتى يبيَض الغراب أو ﴿حتى يلج الجمل في سمّ الخياط﴾.

(٢) الفتح بمعنى القضاء والحكم وهو لغة: أزد عمان من اليمن أي: أحكم بيننا وبينهم وهي مأخوذة من الفتح بمعنى النصر إذ كانوا لا يتحاكمون لغير السيف ويرون أن النصر حكم الله للغالب على المغلوب.

أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

لئن اتبعتم شعيباً : أي على ما جاء به من الدين والهدى.

الرجفة : الحركة العنيفة كالزلزلة.

جاثمين : باركين على ركبهم ميتين.

كأن لم يغنوا فيها : أي كأن لم يعمروها ويقيموا فيها زمناً طويلاً.

الخاسرين : إذ هلكوا في الدنيا وادخلوا النار في الآخرة.

آسى (١) : أي أحزن أو آسف شديد الأسف.

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص شعيب مع أهل مدين فإنه بعد أن هدد الظالمون شعيباً بالإبعاد من مدينتهم هو والمؤمنون معه أو أن يعودوا إلى ملتهم فرد شعيب على التهديد بما أيأسهم من العودة إلى دينهم، وفزع إلى الله يعلن توكله عليه ويطلب حكمه العادل بينه وبين قومه المشركين الظالمين كأن الناس اضطربوا وأن بعضاً قال اتركوا الرجل وما هو عليه، ولا تتعرضوا لما لا تطيقونه من البلاء. هنا قال الملأ الذين استكبروا من قومه مقسمين بآلهة الباطل: ﴿لئن اتبعتم شعيباً﴾ أي على دينه وما جاء به وما يدعو إليه من التوحيد والعدل ورفع الظلم ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾ قال تعالى: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ استجابة لدعوة شعيب (٢) فأصبحوا هلكى جاثمين على الركب. قال تعالى: ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها﴾ (٣)

---

(١) أسِيَ كرضي يأسى كيرضي يقال: أسيت على كذا أسىً فأنا آسٍ وآسى في الآية مضارع أسى دخلت عليه همزة المتكلم فصارت آسى بهمزتين.

(٢) في سورة هود: ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ وفي سورة الشعراء: ﴿أخذهم عذاب يوم الظّلة﴾ وطريقة الجمع. أنهم لمّا اجتمعوا تحت الظلة وهي سحابة أظلتهم، فَزِعُوا إليها من شدّة الحرّ الذي أصابهم يومئذٍ فلمّا استقروا تحتها زُلزلوا من تحتهم وهي الرجفة ونزلت عليهم من الظلة صاعقة وهي الصيحة فأحرقتهم هذا إن قلنا إنّ مدين وأصحاب الأيكة هما أمة واحدة، وإلا فأصحاب الأيكة أخذوا بعذاب الظلة وأصحاب مدين أخذوا بالرجفة من تحتهم، والصيحة من فوقهم.

(٣) وفسّر القرطبي الغنى: بالمقام يقال: غنى القوم في دارهم أي: طال مقامهم، والمغني: المنزل والجمع المغاني، قال لبيد:

وغنيت ستًا قبل مجرى داحسٍ ... لو كان للنفس اللجوج خلود

ومعنى غنيت: أقمت وهو الشاهد.

أي كأن لم يعمروا تلك الديار ويقيموا بها زمناً طويلاً، وأكد هذا الخبر وهو حكمه في المكذبين الظالمين فقال: ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ أما الذين صدقوا شعيباً فهم المفلحون الفائزون وودعهم شعيب كما ودع صالح قومه قال تعالى: ﴿فتولى عنهم﴾ وهم جاثمون هلكى فقال ﴿يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم﴾ فأبيتم إلا تكذيبي ورد قولي والإصرار على الشرك والفساد حتى هلكتم ﴿فكيف آسَى[1] على قوم كافرين﴾ أي لا معنى للحزن والأسف على مثلكم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ ثمرة الصبر والثبات النصر العاجل أو الآجل.

٢ـ نهاية الظلم والطغيان والدمار والخسران.

٣ـ لا أسىً ولا حزناً على من أهلكه الله تعالى بظلمه وفساده في الأرض.

٤ـ مشروعية توبيخ الظالمين بعد هلاكهم كما فعل رسول الله ﷺ بأهل القليب وكما فعل صالح وشعيب عليهما السلام.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

شـرح الكلمـات :

في قـرية : القرية: المدينة الجامعة لأعيان البلاد ورؤسائها وهي المدينة.

بالبأســاء : بالشـدة كالقحط والجوع والحروب.

(١) الاستفهام إنكاري وهو موجه في الظاهر إلى نفس شعيب، والمقصود نهي من معه من المؤمنين الناجين من العذاب برحمة الله تعالى نهيهم عن الحزن عن قومهم وأقاربهم كأنه لاحظ ذلك فيهم.

والضــــراء : الحالة المضرة كالأمراض والغلاء وشدة المؤونة.

يضرعــــون : يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ليكشف عنهم السوء.

مكان السيئة الحسنة : أي بدل الغلاء الرخاء، وبدل الخوف الأمن، وبدل المرض الصحة.

حتى عفــوا : كثرت خيراتهم ونمت أموالهم، وأصبحت حالهم كلها حسنة.

أخذناهم بغتة : أنزلنا بهم العقوبة فـجأة.

معنى الآيتيــن :

على إثر بيان قصص خمسة أنبياء ذكر تعالى سنته في الأمم السابقة ليكون ذلك عظة لكفار قريش، وذكرى للمؤمنين فقال تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية[1]﴾ أي في أهل قرية والمراد بالقرية الحاضرة والعاصمة من كبريات المدن حيث الكبراء والرؤساء من نبي من الأنبياء والمرسلين فكذبوه قومه وردوا دعوته مصرين على الشرك والضلال إلا أخذ الله تعالى أهل تلك المدينة بألوان من العذاب التأديبي كالقحط والجوع وشظف العيش، والأمراض والحروب المعبر عنه بالبأساء والضراء. رجاء أن يرجعوا إلى الحق بعد النفور منه، وقبوله بعد الإعراض عنه ثم يغير تعالى ما بهم من بأساء وضراء إلى يسر ورخاء، وعافية وهناء فتكثر أموالهم وأولادهم ويعظم سلطانهم، ويقولون عندما يوعظون ويذكرون ليتوبوا فيؤمنوا ويتقوا: ﴿قد مس آباءنا الضراء والسراء[2]﴾ أي الخير والشر وما هناك ما تخوفوننا به إنما هي الأيام هكذا دول يوم عسر وآخر يسر وبذلك يحق عليهم العذاب فيأخذهم الجبار عز وجل فجأة[3] ﴿وهم لا يشعرون﴾ فيتم هلاكهم ويمسرن حديث عبرة لمن بعدهم عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة وعذاب الآخرة أشد وأبقى.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ بيان سنة الله تعالى في الأمم السابقة.

---

(١) في الجملة إضمار تقديره: وما أرسلنا في قرية من نبي فكذّب أهلُها إلاّ أخذناهم وهو مبسوط في التفسير مبيّن غاية البيان والجملة معطوفة على جملة: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾.

(٢) أي: فنحن مثلهم.

(٣) أي: بغتة ليكون أكثر حسرة.

٢ـ تخويف كفار قريش بما دلت عليه هذه السنة من أخذ الله تعالى المصرين على الكفر المتمردين على الحق،

٣ـ التذكير والوعظ بتاريخ الأمم السابقة المنبىء عن أسباب هلاكهم وخسرانهم ليتجنبها العقلاء، كما قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات:

آمنوا واتقوا : أي آمنوا بالله ورسوله ووعد الله ووعيده واتقوه تعالى بطاعته وعدم معصيته..

بركات من السماء والأرض : جمع بركة وهي دوام الخير وبقاؤه والعلم والإلهام والمطر من بركات السماء والنبات والخصب والرخاء والأمن والعافية من بركات الأرض.

يكسبون : من الشرك والمعاصي.

بياتا : أي ليلاً وهم نائمون.

مكر الله : استدراجه تعالى لهم بإغداق النعم عليهم من صحة

الأبدان ورخاء العيش حتى إذا آمنوا مكره تعالى بهم أخذهم بغتة .

أو لم يهد لهم : أي أو لم يبين لهم بمعنى يتبين لهم .

بذنوبهم : أي بسبب ذنوبهم .

معنى الآيات :

بعدما بين تعالى سنته في الأمم السابقة، وهي أخذ الأمة بعد تكذيبها وعصيانها بالبأساء والضراء، ثم إذا هي لم تتب واستمرت على كفرها وعصيانها أغدق عليها الخيرات حتى عفت بكثرة مالها وصلاح حالها أخذها بغتة فأهلكها، وتم خسرانها في الدارين، فتح تعالى باب التوبة والرجاء لعباده فقال: ﴿ولو[1] أن أهل القرى[2]﴾ المكذبين ككفار مكة والطائف وغيرهما من المدن ﴿آمنوا﴾ أي بالله ورسوله وبلقاء الله ووعده ووعيده، ﴿واتقوا﴾ الله تعالى في الشرك وفي معصيته ومعصية رسوله لفتح عليهم أبواب السماء بالرحمات والبركات، وفتح عليهم كنوز الأرض ورزقهم من الطيبات ولكن أهل القرى الأولين كذبوا فأخذهم بالعذاب بما كانوا يكسبون، وأهل القرى اليوم وهم مكذبون فإما أن يعتبروا بما أصاب أهل القرى الأولين فيؤمنوا ويوحدوا ويطيعوا، وإما أن يصروا على الشرك والتكذيب فينزل بهم ما نزل بمن قبلهم من عذاب الإبادة والاستئصال، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٦) وهي قوله تعالى ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات[3] من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ أما الآيات الثلاث بعدها فإن الله تعالى ينكر على أهل القرى غفلتهم موبخاً لهم على تماديهم وإصرارهم على الباطل معجباً من حالهم فيقول: ﴿أفأمن[4] أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون؟﴾ أي أجهلوا ما نزل بمن قبلهم فأمنوا أن

---

(١) لو: حرف امتناع لا متناع، امتنع شرطها فامتنع جوابها، وشرطها هنا: الإيمان والتقوى وجوابها فتح البركات على أهل القرى.

(٢) يقال للمدينة: قرية لاجتماع الناس فيها مأخوذ من التقرّي الذي هو التجمع يقال: قريت الماء في الحوض: إذا جمعته، وسمي القرآن قرآنا لاجتماع الحروف والكلمات والجمل والآيات فيه.

(٣) البركات: جمع بركة، وهي الخير الدائم الصالح الذي لا تبعة فيه في الدنيا ولا في الآخرة. وتكون في العمر والمال وفي كل ما هو خير ونافع غير ضار للإنسان.

(٤) الاستفهام للانكار والتعجب معاً، ومكر الله تعالى: إمهالهم وإغداق الخير عليهم مع شركهم وكفرهم، إذ المكر: أن يظهر المرء الإحسان لمن يمكر به ليأخذه فجأة. والأمن من مكر الله تعالى زيادة على أنه كبيرة من كبائر الذنوب فإنه يؤدي بالآمن إلى هلاكه دنياً وأخرى.

يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون؟ ﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا﴾ أي عذابنا ﴿ضحى وهم يلعبون؟﴾ أي أو غفل أهل القرى وأمنوا أن يأتيهم عذابنا ضحى وهم في أعمالهم التي لا تعود عليهم بخير كأنها لعب أطفال يلعبون بها ﴿أفأمنوا مكر الله﴾؟ أي أغرهم إمهالنا لهم واستدراجنا إياهم فأمنوا مكر الله؟ إنهم في ذلك خاسرون إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. وقوله تعالى في الآية الخامسة (١٠٠) ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ أي عمى الذين يرثون الأرض من بعد أهلها ولم يتبين لهم بعد ولم يعلموا أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا الذين ورثوا ديارهم بذنوبهم ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ أي ونجعل على قلوبهم غشاوة حتى لا يعوا ما يقال لهم ولا يفهموا ما يراد بهم حتى يهلكوا كما هلك الذين من قبلهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ عرض الرحمن تبارك وتعالى رحمته على عباده ولم يطلب منهم أكثر من الإيمان والتقوى.

٢ـ حرمة الغفلة ووجوب الذكر واليقظة.

٣ـ حرمة الأمن من مكر الله تعالى.

٤ـ إذا أمنت الأمة مكر الله تهيأت للخسران وحل بها لا محالة.

٥ـ وجوب الاعتبار بما أصاب الأولين، وذلك بترك ما كان سبباً لهلاكهم.

تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

شرح الكلمات :

تلك القرى : الإشارة إلى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

من أنبائها : أي من أخبارها.

بالبينات : بالحجج والبراهين الدالة على توحيد الله وصدق رسله.

من قبل : أي من قبل خلقهم ووجودهم، إذ علم الله تعالى تكذيبهم فكتبه عليهم في كتاب المقادير.

وما وجدنا لأكثرهم من عهد : أي لم نجد لأكثرهم وفاء بعهودهم التي أخذت عليهم يوم أخذ الميثاق.

معنى الآيتين :

يخاطب الرب تعالى[1] رسوله محمداً ﷺ قائلا ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾ أي من أخبارها مع أنبيائها كيف دعتهم رسلهم إلى الإيمان والتوحيد والطاعة، وكيف ردت تلك الأمم دعوة الله واستكبرت على عبادته، وكيف كان حكمنا فيهم لعل قومك يذكرون فيؤمنوا ويوحدوا. وقوله تعالى ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبنيات﴾ أي بالحجج الواضحات على صدق دعوتهم، وما جاءتهم به رسلهم من أمر ونهي من ربهم. وقوله ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾[2] أي لم يكن أولئك الهالكون من أهل القرى ليؤمنوا بما كذبوا به في علم الله وقدره إذ علم الله أنهم لا يؤمنون فكتب ذلك عليهم فلذا هم لا يؤمنون. وقوله تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ أي كما كتب على الهالكين من أهل القرى أنهم لا يؤمنون ولم يؤمنوا فعلاً فأهلكهم، يطبع كذلك على قلوب الكافرين فلا يؤمنون حتى يأخذهم العذاب وهم ظالمون بكفرهم. وهذا الحكم الإلهي قائم على مبدأ أن الله علم من كل إنسان قبل خلقه ما يرغب فيه وما يؤثره على غيره ويعمله باختياره وارادته فكتب ذلك عليه فهو عند خروجه

---

(١) سرّ هذا الخطاب زيادة على التعليم لكمال الهداية فإنه تسلية للرسول ﷺ مما يلاقى من صلف المشركين وعنادهم وجحودهم، وهو تسلية لكل مؤمن ومؤمنة يعاني من صلف المشركين وأذاهم.

(٢) اختلف في المضاف إليه المحذوف في قوله: ﴿بما كذّبوا من قبل﴾ هل المراد: من قبل خروجهم للحياة الدنيا وهم في عالم الأرواح حيث أمروا بالإيمان فكذبوافكتب الله عليهم ذلك فلن يكون إلا هو أو لو أحييناهم بعد إهلاكهم بذنوبهم لمّا آمنوا بما كذّبوا به فكان سبب هلاكهم، أو سألوا المعجزات ليؤمنوا فلمّا رأوها لم يؤمنوا بما كذّبوا من قبل رؤيتهم المعجزات، والراجح من هذه المقولات ما هو في التفسير إذ هو قول ابن جرير إمام المفسرين.

إلى الـدنيا لا يعمل إلا به. ليصل الى ما كتب عليه، وقدر له أزلاً قبل خلق السموات والأرض، وقوله تعالى ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾[1] أي لم نجد لتلك الأمم التي أهلكنا وهم قوم نوح وهـود وصالح ولوط وشعيب. لم نجد لأكثرهم وفاء بعهدهم الذي أخذناه عليهم قبل خلقهم من الإيمان بنا وعبادتنا وطاعتنا وطاعة رسلنا، وما وجدنا[2] أكثرهم إلا فاسقين عن أمرنا خارجين عن طاعتنا وطاعة رسلنا، وكذلك أحللنا بهم نقمتنا وأنزلنا بهم عذابنا فأهلكناهم أجمعين.

هداية الآيتين

من هداية الآيـتين :

١ـ تقرير الوحي الإلهي وإثبات نبوة محمد ﷺ ، لأنه ما قص من أنباء الأولين لا يتلقى إلا بوحي إلهي ولم يتلق عن الله تعالى إلا رسول أعد لذلك.

٢ـ وجود البينات مهما كانت قوية وواضحة غير كاف في إيمان من لم يشأ الله هدايته.

٣ـ المؤمن من آمن في الأزل، والكافر من كفر فيه.

٤ـ الطبع على قلوب الكافرين سببه اختيارهم للكفر والشر والفساد وإصرارهم على ذلك كيفما كانت الحال.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
حَقِيقٌ عَلَىٰٓ[3] أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ

---

(١) ﴿من عهد﴾ من زائدة لتقوية النفي والدلالة على الجنس أي: جنس العهد، والعهد من الجائز أن يكون ما أخذ عليهم في عالم الذرّ وهو صحيح قاله ابن عباس وأن يكون ما أخذ عليهم من قِبل الأنبياء أن يعبدوا الله وحده ويطيعوه ولا يعصوه.

(٢) الآية: ﴿وإن وجدنا﴾ وإن: بمعنى ما النافية فلذا اكتفينا في التفسير بما ولم نذكر إن اختصاراً وتقريباً للفهم.

(٣) قرأ نافع: (حقيق عليّ) بياء الضمير المشدّدة وهي بمعنى: واجب عليّ خبر ثانٍ لأنّ في قوله: ﴿إنّي رسول من ربّ العالمين﴾ وقرأ غيره (على) حرف جرّ أي: محقوق بأن لا أقول على الله إلّا الحق، فحقيق: فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول.

جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾

شرح الكلمات :

ثم بعثنا من بعدهم : أي من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

موسى : هو موسى بن عمران من ذرية يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

بآياتنا : هي تسع آيات: العصا، واليد، والسنون المجدبة، والدم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس على أموال فرعون.

إلى فرعون : أي بعث موسى الرسول إلى فرعون وهو الوليد بن مصعب بن الريان، ملك مصر.

وملئه : أي أشراف قومه وأعيانهم من رؤساء وكبراء.

فظلموا بها : أي ظلموا أنفسهم بالآيات وما تحمله من هدى حيث كفروا بها.

بينة من ربكم : حجة قاطعة وبرهان ساطع على أني رسول الله إليكم.

ونزع يده : أخرجها بسرعة من جيبه.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾ هذا شروع في ذكر القصص السادس مما اشتملت عليه سورة الأعراف، وهي قصص موسى عليه السلام مع فرعون وملئه. قال تعالى وهو يقص على نبيه ليثبت به فؤاده، ويقرر به نبوته، ويعظ أمته، ويذكر به قومه ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ أي من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران إلى فرعون وملئه من رجالات ملكه ودولته، وقوله بآياتنا. هي تسع آيات لتكون حجة على صدق

رسالته وأحقية دعوته. وقوله تعالى ﴿فظلموا بها﴾[1] أي جحدوها ولم يعترفوا بها فكفروا بها وبذلك ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم بها، واستمروا على كفرهم وفسادهم حتى أهلكهم الله تعالى بإغراقهم، ثم قال لرسوله ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أي دماراً وهلاكاً وهي عاقبة كل مفسد في الأرض بالشرك والكفر والمعاصي. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٣) وأما الآيات بعدها فإنها في تفصيل أحداث هذا القصص العجيب. وأتى موسى فرعون وقال ﴿يافرعون[2] إني رسول من رب العالمين، حقيق﴾ أي جدير وخليق بي ﴿أن لا أقول على الله إلا الحق، قد جئتكم ببينة من ربكم﴾ دالة على صدقي شاهدة بصحة ما أقول ﴿فأرسل[3] معي بني إسرائيل﴾ لأذهب بهم إلى أرض الشام التى كتب الله لهم وقد كانت دار آبائهم. وهنا تكلم فرعون وطالب موسى بالآية التي ذكر أنه جاء بها فقال ﴿إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين﴾ أي فيما تدعيه وتقول به وتدعوا إليه. وهنا ألقى موسى عصاه أي أمام فرعون المطالب بالآية ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ أي حية عظيمة تهتز أمام فرعون وملئه كأنها جان،[4] هذه آية وزاده أخرى فأدخل يده في جيبه كما علمه ربه ونزعها ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ بيضاء بياضاً غير معهود مثله في أيدي الناس. هذا ما تضمنته هذه الآيات الخمس في هذا السياق.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان سوء عاقبة المفسدين بالشرك والمعاصي.

٢ـ تذكير موسى فرعون بأسلوب لطيف بأنه ليس رباً بل هناك رب العالمين وهو الله رب موسى وهرون والناس أجمعين.

---

(١) ﴿فظلموا بها﴾ أي: ظلموا أنفسهم بالتكذيب بالآيات، وجائز أن يكون ظلموا بسببها غيرهم ممن منعوهم من الإيمان بها إذ هدّدوهم بالقتل وجائز أن يضمّن الظلم هنا معنى الكفر أي كفروا بها وهو صحيح المعنى.

(٢) فرعون: علم جنس لمن يملك مصر في القديم ككسرى: لكل من يملك فارساً وقيصر: لكل من يملك الروم ونمرود: لمن ملك الكنعانيين، والنجاشي: للأحباش، وتبع، لحمير ونداء موسى له بقوله يا فرعون: فيه نوع احترام، إذ ناداه بعنوان الملك والسلطان.

(٣) الفاء تفريعية أي: ما بعدها متفرّع عمّا قبلها.

(٤) الجانّ: هنا حية أكحل العينين تسكن البيوت لا تؤذى كثيرة التقلّب والاهتزاز.

٣ـ تقرير مبدأ الصدق لدى الرسل عليهم السلام.
٤ـ ظهور آيتين لموسى العَصَا واليد.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾

شرح الكلمات:

ساحر عليم : أي ذو علم بالسحر خبير به ليس مجرد مدّع.
من أرضكم : أي من بلادكم ليستولى عليها ويحكمكم.
فماذا تأمرون : أي أشيروا بما ترون الصواب في حل هذا المشكل.
أرجه : أي أمهله وأخاه لا تعجل عليهما قبل اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات.
في المدائن : مدن المملكة الفرعونية.
حاشرين : رجالاً يجمعون السحرة الخبراء في فن السحر للمناظرة.

معنى الآيات:

مازال السياق في تفصيل قصص موسى مع فرعون فبعد أن تقدم موسى بما طلب فرعون منه من الآية فأراه آية العصا، واليد، وشاهد الملأ من قوم فرعون الآيتين العظيمتين قالوا ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ وذلك لما بهرتهم الآيتان تحول العصا إلى حية عظيمة واليد بيضاء من غير سوء كالبرص بل بياضها عجب[(١)] حتى لكأنها فلقة قمر أي قطعة منه، واتهموا موسى فوراً بالسياسة وأنه يريد بهذا إخراجكم من بلادكم ليستولي عليها هو وقومه من بني إسرائيل، وهنا تكلم فرعون وقال: ﴿فماذا تأمرون[(٢)]﴾ أي بم تشيرون عليّ أيها الملأ والحال كما ذكرتم؟ فأجابوه قائلين ﴿أرجه[(٣)] وأخاه﴾ أي أوقفهما عندك ﴿وأرسل في المدائن[(٤)] حاشرين﴾

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ليد موسى نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض.
(٢) يرى بعضهم أنّ المستفهم غير فرعون، الصحيح أنه فرعون لانهزامه معنوياً.
(٣) قرأ ورش: ﴿أرجه﴾ بإشباع كسرة الهاء، وقرأ الجمهور ﴿أرجه﴾ بإسكان الهاء، وقرأ بعضٌ بكسر الهاء بدون مدّ.
(٤) قيل هي صعيد مصر إذ هو مقرّ العلماء بالسحر، والمدائن جمع مدينة وتجمع على مدن واصل اشتقاقها من مدن بالمكان إذا أقام به.

أي رجالاً من الشرط يحشرون أي يجمعون أهل الفن من السحرة من كافة أنحاء الإيالة أي الإقليم المصري، وأجر معه مناظرة فإذا انهزم انتهى أمره وأمنا من خطره على بلادنا وأوضاعنا. هذا ما دلت عليه الآيات الأربع في هذا السياق.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- جهل الملأ بالآيات أدى بهم إلى أن قالوا إن موسى ساحر عليم.

٢- مكر الملأ وخبثهم إذ اتهموا موسى سياسياً بأنه يريد الملك وهو كذب بحت وإنما يريد إخراج بني إسرائيل من مصر حيث طال استعبادهم وامتهانهم من قبل الأقباط وهم أبناء الأنبياء وأحفاد إسرائيل واسحق وابراهيم عليهم السلام.

٣- فضيحة فرعون حيث نسي دعواه للربوبية، فاستشار الملأ في شأنه، إذ الرب الحق لا يستشير عباده فيما يريد فعله لأنه لا يجهل ما يحدث مستقبلاً.

٤- السحر صناعة من الصناعات يتعلم ويبرع فيها المرء، ويتقدم حتى يتفوق على غيره.

٥- حرمة السحر وحرمة تعلمه، ووجوب إقامة الحد على من ظهر عليه وعرف به.

وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

شرح الكلمات:

السحرة: جمع ساحر وهو من يتقن فن السحر ويؤثر في أعين الناس بسحره.

إن لنا لأجراً: أي ثواباً من عندك أي أجراً تعطيناه إن نحن غلبنا.

نحـن الملقيـن : لعصيّـــنا.

سحروا أعين الناس : حيث صار النظارة في الميدان يشاهدون عصي السحر وحبالهم يشاهدونها حيات وثعابين تملأ الساحة.

واسترهبوهم : أي أدخلوا الرهب والرعب في قلوب الناس من قوة أثر السحر في عيونهم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام من جهة وبين فرعون وملئه من جهة أخرى، فقد جاء في الآيات السابقة أن الملأ أشاروا على فرعون بأن يحبس موسى وأخاه هارون ويرسل شرطة في المدن يأتون بالخبراء في فن السحر لمناظرة موسى عسى أن يغلبوه، وفعلاً أرسل فرعون في مدنه حاشرين يجمعون خبراء السحر، وها هم أولاء قد وصلوا قال تعالى ﴿وجاء السحرة فرعون﴾[1] وعرفوا أن الموقف جد صعب على فرعون فطالبوه بالأجر العظيم إن هم غلبوا موسى وأخاه فوافق فرعون على طلبهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إن[2] لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال نعم﴾ وزادهم أيضاً أن يجعلهم من خواصه ورجال قصره فقال ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ أي لدينا. وهنا تقدموا لموسى وكأنهم على ثقة في قوتهم السحرية وأن الجولة ستكون لهم، تقدموا بإلقاء آلاتهم السحرية أو تقدم موسى عليهم فقالوا ﴿يا موسى[3] إما أن تلقي، وإما أن نكون نحن الملقين﴾ أي الق عصاك أو نلقى نحن عصينا فقال لهم موسى ﴿ألقوا﴾[4] فألقوا فعلاً فسحروا أعين[5] الناس وجاءوا بسحر عظيم كما أخبر تعالى الأمر الذي استرهب النظارة حتى إن موسى عليه السلام أوجس في نفسه خيفة فنهاه ربه تعالى عن ذلك وأعلمه أنه الغالب بإذن الله تعالى جاء هذا الخبر في سورة طه.

---

(١) لقد ذكر القرطبي في عدد السحرة أخباراً مثلها لا يصح، إذ جاء في بعضهم أنّ عددهم كان سبعين ألف ساحر، والأقرب إلى أن يكونوا سبعين رجلا.

(٢) قرىء في السبع بهمزة الاستفهام ﴿أئن لنا لأجراً﴾ وقرىء بدونها ﴿إنّ لنا لأجراً﴾.

(٣) قال القرطبي: تأدّبوا مع موسى إذ استشاروه فيمن يبدأ بالإلقاء فنفعهم الله بأدبهم مع نبيّه فأسلموا وسعدوا برضوان الله تعالى.

(٤) في إذنه لهم بالإلقاء توفيق ربّاني عظيم إذ معناه أنه احتفظ بالضربة الأخيرة وصاحبها يغلب بإذن الله دائما.

(٥) أي: خيّلوا لهم وقلبوها عن صحة إدراكها بما يتخيل من التمويه الذي جرى مجرى الشعوذة وخفة اليد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ مشروعية طلب الأجرة على العمل الذي يقوم به الإنسان خارجاً عن نطاق العبادة.

٢ـ مشروعية الترقيات الحكومية لذي الخدمة الُجلى للدولة.

٣ـ تأثير السحر على أعين الناس حقيقة بحيث يرون الشيء على خلاف ما هو عيله إذ العصي والحبال استحالت في أعين الناس إلى حيات وثعابين.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات :

تلقف : تأخذ بسرعة فائقة وحذق عجيب.

ما يأفكون : ما يقلبون بسحرهم وتمويههم.

فوقع الحق : ثبت وظهر.

صاغرين : ذليلين.

ساجدين : ساقطين على وجوههم سجداً لربهم رب العالمين.

معنى الآيات :

مازال السياق في المناظرة أو المباراة بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون، فبعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيهم في الساحة وانقلبت بالتمويه السحري حيات وثعابين ورهب الناس من الموقف وظن فرعون وملأه أنهم غالبون أوحى الله تعالى إلى موسى أن يلقي عصاه فألقاها ﴿فإذا هي[1] تلقف ما يأفكون﴾ أي تأخذه وتبتلعه وبذلك وقع الحق أي ظهر وثبت

---

(١) قرىء (تَلْقَف) و(تلَقَّف) بتضعيف القاف، والأصل: تتلقف فحذف احدى التاءين تخفيفاً، وقرىء في الشاذ: تلقّم بالميم بدل الفاء، ومعنى الكلّ تبتلع بسرعة وتزدرده، وصيغة المضارع في الفعلين لاستحضار الماضي كأنّه حاضر ليكون أوقع في النفس.

واستقر ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ أي السحر والتمويه وقوله تعالى ﴿فغلبوا﴾ أي فرعون وملأه وقومه ﴿هنالك﴾ أي في ساحة المباراة والمناظرة ﴿وانقلبوا﴾ إلى ديارهم ﴿صاغرين﴾ أي ذليلين مهزومين. وقوله تعالى ﴿وألقي السحرة ساجدين﴾ أي إنهم بعد أن شاهدوا الآية الكبرى بهرتهم فخروا ساجدين كأنما ألقاهم[1] أحد على وجه الأرض لا حراك لهم وهم يقولون[2] ﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهرون﴾ وضمن ذلك فقد كفروا بربوبية فرعون الباطلة، لأن الإيمان بالله سيلزم الكفر بما عداه، ولذا قالوا ﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ تلويحاً بكفرهم بفرعون الطاغية وبكل إله غير الله.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان سنته تعالى في أن الحق والباطل إذا التقيا في أي ميدان فالغلبة للحق دائماً.

٢ـ بطلان السحر وعدم فلاح أهله ولقوله تعالى من سورة طه ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾.

٣ـ فضل العلم وأنه سبب الهداية فإيمان السحرة كان ثمرة العلم، إذ عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحراً وإنما هو آية له من الله فآمنوا.

٤ـ مظهر من مظاهر القضاء والقدر فالسحرة أصبحوا كافرين وأمسوا مسلمين.

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

(١) أي: ألقوا أنفسهم على الأرض، وبني الفعل للمجهول لظهور الفاعل وهو أنفسهم.

(٢) قالوا آمنا بربّ العالمين حال هويّهم للسجود إعلاماً منهم أنهم ما سجدوا لفرعون كما يفعل الأقباط، وإنّما سجدوا لله ربّ العالمين ربّ موسى وهارون.

شـرح الكلمـات :

آمنـتم به : أي صدقتموه فيما جاء به ودعا إليه .

مكر مكـرتموه : أي حيلة احتلتموها وتواطأتم مع موسى على ذلك .

من خـلاف : بأن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس .

ثم لأصلبنكـم : التصليب : الشد على خشبة حتى الموت .

منقلبـون : أي راجعـون .

وما تنقم منا : أي وما تكره منا وتنكر علينا إلا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا .

أفرغ علينا صبراً : أي افض علينـا صبراً قوياً حتى نثبت على ما توعدنا فرعون من العذاب ولا نرتد بعد إيماننا .

معنى الآيـات :

ما زال السياق في أحداث قصص موسى وفرعون ففي الآيات قبل هذه تمت المناظرة بين موسى والسحرة بنصر موسى عليه السلام وهزيمة فرعون النكراء حيث سحرته بعد ظهور الحق لهم واضحاً مكشوفاً آمنوا وأسلموا وسجدوا لله رب العالمين . وفي هذه الآيات يخبر تعالى عن محاكمة فرعون للسحرة فقال عز من قائل ﴿قال فرعون﴾ أي للسحرة ﴿آمنتم[1] به﴾ أي بموسى ﴿قبل أن أذن لكم﴾ أي في الإيمان به ، وهي عبارة فيها رائحة الهزيمة والحمق ، وإلا فهل الإيمان يتأتى فيه الإذن وعدمه ، الإيمان إذعان باطني لا علاقه له بالإذن إلا من الله تعالى ، ثم قال لهم ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ أي إن هذا الذي قمتم به من ادعاء الغلب لموسى بعدما اظهرتم الحماس في بداية المباراة ما هو إلا مكر وتدبير خفي تم بينكم وبين موسى في المدينة قبل الخروج إلى ساحة المباراة ، والهدف منه إخـراجكم النـاس[2] من المـدينة واستيلائكم عليها . ثم تهددهم وتوعدهم بقوله ﴿فسوف تعلمون﴾ ما أنا صانع بكم . وذكر ما عزم عليه فقال مقسماً ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ يريد بقـطع من كل واحـد منهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، ثم يربطهم على أخشاب في ساحة معينة ليموتوا كذلك نكالاً وعبرة لغيرهم . هذا ما أعلنه فرعون وصرح به

---

(١) الاستفهام هنا للانكار والتهديد أي : ينكر على السحرة إيمانهم ويهددهم بالبطش بهم والتنكيل .

(٢) قد يكون المراد بعض الناس وهم بنوا اسرائيل إذ موسى جاء يطالب بهم ليخرج بهم إلى أرض القدس .

للسحرة المؤمنين فما كان جواب السحرة ﴿قالوا إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أي راجعون فقتلك إيانا لم يزد على أن قربنا من ربنا وردنا إليه ونحن في شوق إلى لقاء ربنا، وعليه فحكمك بقتلنا ما هو بضائرنا، وشيء آخر هو أنك ﴿ما تنقم منا﴾[1] يا فرعون أي ما تكره منا ولا تنكر علينا إجراماً أجرمناه أو فساداً في الأرض اشعناه إنما تنقم منا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا وهذا شيء لا مذمة فيه علينا، ولا عاراً يلحقنا، فلذا ﴿اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ ثم أقبلوا على الله ورفعوا أيديهم إليه وقالوا ضارعين سائلين ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً﴾ حتى نتحمل العذاب في ذاتك ﴿وتوفنا مسلمين﴾[2]، ونفذ فرعون جريمته[3] ولكن أحدث ذلك اضطراباً في البلاد ولم يكن فرعون ولا ملأه يتوقعون دل عليه الآيات التالية.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ القلوب المظلمة بالكفر والجرائم أصحابها لا يتورعون عن الكذب واتهام الأبرياء.

٢ـ فضيلة الاسترجاع أن يقول ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ حيث فزع إليها السحرة لما هددهم فرعون إذ قالوا ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أي راجعون فهان عليهم ما تهددوا به.

٣ـ مشروعية سؤال الصبر على البلاء للثبات على الإيمان.

٤ـ فضل الوفاة على الإسلام وأنه مطلب عال لأهل الإيمان.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ

---

(١) يقال: نقَم ينقم من باب ضرب، نقْما ونقَما على أنه من باب تعِب تعبا إذا أنكر الفعل وكره صدوره وحقد على فاعله، ويكون بالقول والفعل.

(٢) كلمة الإسلام معروفة في كل زمان ومكان بين المؤمنين ويعبر عنها كل قوم بلغتهم إذ معناها الانقياد لله مع حبّه تعالى وتعظيمه والشوق إليه.

(٣) لم يرد في القرآن ما يدل على أنّ فرعون نفّذ وعيده في السحرة أو لم ينفذه، وعدم ذكر القرآن له لأنه خالٍ من الفائدة، وذكر القرطبي بصيغة التمريض فقال: قيل إنّ فرعون أخذ السحرة وقطعهم على شاطىء النهر وأنّه آمن بموسى عند إيمان السحرة ستمائة ألف والله أعلم.

ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا
مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

شـرح الكلـمات :

قـال المـلأ : أي لفرعـون.

أتــذر : أي أتـترك.

وقومــه : أي بني إسرائيل.

ليفسدوا في الأرض : أي في البلاد بالدعوة إلى مخالفتك، وترك طاعتك.

وآلهتــك : أصناماً صغاراً وضعها ليعبدها الناس وقال أنا ربكم الأعلى وربها.

نستحيي نساءهم : نبقي على نسائهم لا تذبحهن كما تذبح الأطفال الذكور.

ويستخلفكم في الأرض : أي يجعلكم خلفاء فيها تخلفون الظالمين بعد هلاكهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث قصص موسى وفرعون انه بعد انتصار موسى في المباراة وإيمان السحرة ظهر أمر موسى واتبعه ستمائة ألف من بني إسرائيل، وخاف قوم فرعون من إيمان الناس بموسى وبما جاء به من الحق قالوا لفرعون على وجه التحريض والتحريك له ﴿أتذر موسى وقـومه﴾ يريـدون بنـي إسـرائيل ﴿ليفسدوا في الأرض﴾ أي أرض مصر بإفساد خدمك[1] وعبيدك ﴿ويذرك وآلهتك[2]﴾ أي ويتركك فلا يخدمك ولا يطيعك ويترك آلهتك فلا

(١) وإيقاع الفرقة وتشتيت الشمل أيضاً.

(٢) وقرىء ﴿وإلهتك﴾ أي: عبادتك وعلى هذا فإنه كان يَعْبُد ولا يُعبد والوجه الأوّل أظهر.

يعبدها إذ كان لفرعون أصنام يدعو الناس لعبادتها لتقربهم إليه وهو الرب الأعلى للكل. وبعد هذا التحريش والإغراء من رجال فرعون ليبطش بموسى وقومه قال فرعون ﴿سنقتل[1] أبناءهم ونستحيي نساءهم﴾ كما كان يفعل قبل عندما أخبر بأن سقوط ملكه سيكون على يد بني إسرائيل ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ هذه الكلمة من فرعون في هذا الظرف بالذات لا تعد وأن تكون تعويضاً عما فقد من جبروت ورهبوت كان له قبل هزيمته في المباراة وإيمان السحرة برب العالمين رب موسى وهارون. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٢٧) وهي قوله تعالى ﴿وقال الملأ من قوم فرعون: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، ويذرك وآلهتك. قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم، وإنا فوقهم قاهرون﴾ وكان رد موسى عليه السلام على هذا التهديد والوعيد الذي أرعب بني إسرائيل وأخافهم ما جاء في الآية الثانية (١٢٨) ﴿وقال موسى لقومه﴾ أي من بني إسرائيل ﴿استعينوا بالله﴾ على ما قد ينالكم من ظلم فرعون، وما قد يصيبكم من أذى انتقاماً لما فقد من علوه وكبريائه ﴿واصبروا﴾ على ذلك، واعلموا ﴿ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ فمتى صبرتم على ما يصيبكم فلم تجزعوا فترتدوا، واتقيتم الله ربكم فلم تتركوا طاعته وطاعة رسوله أهلك عدوكم وأورثكم أرضه ودياره، وسبحان الله هذا الذي ذكره موسى لبني إسرائيل قد تم حرفياً بعد فترة صبر فيها بنو إسرائيل واتقوا كما سيأتي في هذا السياق بعد كذا آية، وهنا قال بنو إسرائيل ما تضمنته الآية الأخيرة (١٢٩) ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا﴾ بما أتيتنا به من الدين والآيات، وذلك عندما كان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم للخدمة ﴿ومن بعدما جئتنا﴾ وهذه منهم كلمة الآيس المهزوم نفسياً لطول ما عانوا من الاضطهاد والعذاب من فرعون وقومه الأقباط. فأجابهم موسى عليه السلام قائلا: محيياً الأمل في نفوسهم وإيصالهم بقوة الله التى لا تقهر ﴿عسى[2] ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف[3] تعملون﴾ وهذا الذي رجاه موسى ورجاه بني إسرائيل قد تم كاملاً بلا نقصان والحمد لله الكريم المنان.

---

(١) آنس قومه بهذه الجملة من الكلام وأذهب عنهم روح الهزيمة، ولم يقل سنقتل موسى لعلمه أنه لا يقدر عليه ولما أصابه من الرّعب منه حتى قيل: إنه كان إذا رآه يبول من شدّة الخوف منه وهي آية موسى عليه السلام.

(٢) عسى من الله واجب أي ليست للرجاء فقط بل ما يذكر معها يقع لا بدّ ولا يتخلّف، ولذا قد تحقق ما ذكر معها هنا كاملا لا نقص فيه.

(٣) كيف : ليست للاستفهام هنا وإنّما هي دالة على مجرّد كيفية أعمالهم هل هي أعمال صالحة أو فاسدة أي: هل يشكرون؟

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ خطر بطانة السوء على الملوك والرؤساء تجلت في إثارة فرعون ودفعه إلى البطش بقولهم ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض . . . الخ﴾ .

٢ـ بيان فضيلة الصبر والتقوى وأنها مفتاح النصر وإكسير الكمال البشري .

٣ـ النفوس المريضة علاجها عسير ولكن بالصبر والمثابرة تشفى إن شاء الله تعالى .

٤ـ بيان صدق ما رجاه موسى من ربه حيث تحقق بحذافيره .

٥ـ استحسان رفع معنويات المؤمنين بذكر حسن العاقبة والتبشير بوعد الله لأوليائه أهل الإيمان والتقوى .

وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾
فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ
يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ
لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ
فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

شـرح الكلـمات :

أخذنا آل فرعون بالسنين[1] : أي عاقبناهم بِسِنِى الجدب والقحط .

---

(١) يقال: أصابتهم سنة أي: جدب وتقديره: جدب سنة وفي الحديث: (اللّهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) دعاء على قريش.

ونقص من الثمرات : بالجوائح تصيبها، وبعدم صلاحيتها.

الحسـنة : ما يحسن من خصب ورخاء وكثرة رزق وعافية.

سـيئة : ضد الحسنة وهي الجدب والغلاء والمرض.

يطيروا بموسى[1] : أي يتشاءمون بموسى وقومه.

الطوفان والجراد والقمل والضفادع : الـطوفان الفيضانات المغرقة، والجراد معروف بأكل الزرع والثمار، والقمل جائز أن يكون القمل المعـروف وجائز أن يكون السوس في الحبوب، والضفادع جمع ضفدعة. حيوان يوجد في المياه والمستنقعات.

والـدم : والدم معروف قد يكون دم رعاف أو نزيف، أو تحول الماء ماء الشرب الى دم عبيط في أوانيهم وأفواههم آية لموسى عليه السلام.

فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين : حيث لم يؤمنوا بهذه الآيات. أي مفسدين حيث حكم بإهلاكهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص موسى مع آل فرعون انه لما شاهد فرعون وآله آية العصا وانهزام السحر أمامهم وإيمان السحرة خملهم الكبر على مواصلة الكفر والعناد فأصابهم الرب تعالى بجفاف وقحط سنوات لعلهم يذكرون، ولم يذكروا فحول الله تعالى جدبهم الى خصب، وبلاءهم إلى عافية فلم يرجعوا وقالوا في الرخاء هذه لنا نحن مستحقوها وجديرون بها، وقالوا في القحط والبلاء قالوا هذه من شؤم موسى وبني إسرائيل، قال تعالى ﴿ألا أنما طائرهم عند الله﴾ وذلك لأنه مدبر الأمر وخالق كل شيء وجاعل للحسنة أسبـابهـا وللسيئة أسبابها ولكن أكثرهم لا يعلمون فلذلك قالوا اطيرنا بموسى ومن معه وأصروا على الكفر ولجوا في المكابرة والعناد حتى قالوا لموسى ﴿مهما[2] تأتنا به من آية

(١) أصل الكلمة : يتطيّروا فأدغمت التاء في الطاء لأنّ مخرجهما واحد، والطير والتطير مأخوذ من زجر الطير. إذ كانوا إذا أرادوا عملا ما سفراً ونحوه يزجرون الطير فإن تيامن في طيرانه أقدموا على العمل، وإن تشاءم تركوا فهذا أصل اليمن والشؤم كان في الجاهلية وأبطله الإسلام. قال رسول الله ﷺ: (الطيرة شرك ثلاثاً) وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل وعلّمهم أن يقولوا: (اللهم لا طير إلاّ طيرك ولا خير إلاّ خيرك ولا إله غيرك).

(٢) أصل مهما: ما. ما الأولى شرطية والثانية زائدة توكيداً للجزاء فكرهوا حرفين من جنس واحد متجاورين فأبدلوا الألف هاء ففصلت بين الميمين.

لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ ولو علموا ما أصروا على الكفر ولما قالوا ما قالوا فأسباب الحسنة الإيمان والتقوى، وأسباب السيئة الكفر والمعاصي، إذ المراد بالحسنة والسيئة هنا: الخير والشر. وهنا وبعد هذا الإصرار والعناد والمكابرة رفع موسى يديه إلى ربه يدعوه فقال: يارب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغا وعتا، وأن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدهم آية، فاستجاب الله تعالى دعاءه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع[1] والدم فأخذهم الطوفان أولاً فكادوا يهلكون بالغرق فجاءوا موسى وطلبوا منه أن يدعو ربه ليرفع عنهم هذا العذاب فإن رفعه عنهم آمنوا وأرسلوا معه بني إسرائيل فدعا ربه واستجاب الله تعالى فأخذوا شهراً في عافية فطلب منهم موسى ما وعدوه به فتنكروا لوعدهم وأصروا على كفرهم فأرسل الله تعالى عليهم الجراد[2] فأكل زروعهم وأشجارهم وثمارهم حتى ضجوا وصاحوا وأتوا موسى وأعطوه وعودهم إن رفع الله عنهم هذا العذاب آمنوا وأرسلوا معه بني إسرائيل فرفع الله عنهم ذلك فلبثوا مدة آمنين من هذه العاهة وطالبهم موسى بوعدهم فتنكروا له، وهكذا حتى تمت الآيات الخمس مفصلات ما بين كل آية وأخرى مدة تقصر وتطول فاستكبروا عن الإيمان والطاعة وكانوا قوماً مجرمين مفسدين لا خير فيهم ولا عهد لهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- من تدبير الله تعالى أخذه عباده بالشدائد لعلهم يذكرون فيتعظون ويتوبون.

٢- بطلان التطير مطلقاً، وإنما الشؤم في المعاصي بمخالفة شرع الله فيترتب على الفسق والعصيان البلاء والعذاب.

٣- الجهل سبب الكفر والمعاصي وسوء الأخلاق وفساد الأحوال.

٤- عدم إيمان آل فرعون مع توارد الآيات عليهم دال على أن إيمانهم لم يسبق به القدر. كما هو دال على أن الآيات المعجزات لا تستلزم الإيمان بالضرورة.

٥- التنديد بالإجرام وهو إفساد النفس بالشرك والمعاصي.

---

(١) صح النهي عن النبي ﷺ (عن قتل الصُّرد والضفدع والنملة والهدهد) من رواية أبي داود وأحمد وابن ماجه.

(٢) اختلف في قتل الجراد، وأجمعوا أنه إذا أفسد جاز قتله. وأجمعوا على جواز أكله بأكل الرسول ﷺ منه هو وأصحابه في بعض الغزوات.

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ
ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن
كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ
فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ
ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ
ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ
يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

شرح الكلمات :

الرجز : العذاب وهو الخمسة المذكورة في آية (١٣٣) الآنفة الذكر.

إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون : المراد من الأجل أنهم كانوا إذا سألوا موسى أن يدعو ربه ليرفع عنهم العذاب ويعدونه بالإيمان وإرسال بني إسرائيل معه فيرفع الله عنهم العذاب فيمكثون زمنا ثم يطالبهم موسى بالإيمان وإرسال بني إسرائيل فيأبون عليه ذلك وينكثون عهدهم.

فانتقمنا منهم : أي أنزلنا بهم نقمتنا فأغرقناهم في اليم الذي هو البحر.

الذين كانوا يستضعفون : هـم بنو إسرائيل.

مشارق الأرض ومغاربها : هي أرض مصر والشـام.

وتمَّت كلمت ربك الحسنى : هي وعده تعالى لهم في قوله ﴿ونريد أن نمنّ على الـذين استضعفـوا ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ - من سورة القصص - .

وما كانوا يعرشون[١] : أي يرفعون من مباني الدور والقصور العالية.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في قصص موسى مع فرعون وقومه، وهذه هي الآيات الأخيرة في هذا القصص. إنه لما وقع عليهم الرجز وهو العذاب المفصّل[٢] الطوفان فالجراد، فالقمل، فالضفادع، فالدم ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك[٣]﴾ أي من كشف العذاب عنا إن نحن آمنا بك وبما جئت به وبما تطالب به من إرسال بني إسرائيل معك وحلفوا وقالوا ﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾ ﴿لنؤمن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ قال تعالى: ﴿فلما كشف عنهم الرجز[٤]﴾ أي العذاب ﴿إلى أجل هم بالغوه﴾ إلىٰ وقت ينتهون إليه ﴿إذ هم ينكثون﴾ عهودهم ولن يؤمنوا ولم يرسلوا بني إسرائيل وكان هذا ما بين كل آية وآية حتى كانت الخمس الآيات، ودقت ساعة هلاكهم قال تعالى ﴿فأغرقناهم في اليم﴾ وهو البحر الملح أي أغرق فرعون وجنده ورجال دولته وأشراف بلاده، ثم ذكر تعالى علة هذا الهلاك الذي حاق بهم ليكون عبرة لغيرهم وخاصة قريش التي ما زالت مصرة على الشرك والتكـذيب، فقال تعالى ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ كما هي الحال في

---

(١) ﴿بما عهد عندك﴾ الباء لتعدية فعل الدعاء، وما موصولة مبهم أي: ادعه بما علمك ربك من وسائل إجابة دعائك عنده ليكشف عنا الرّجز.

(٢) أصل النكث: هو نقض المفتول من حبل وغزل واستعير لعدم الوفاء بالعهد.

(٣) شبّه البناء العالي الرفيع بالعرش يقال: عرش يعرش عرشا: إذا رفع البناء أو السرير والعنب والدوالي يعرش لها بناء من خشب ليرفعها عليه.

(٤) وقيل إنه طاعون قتل منهم سبعين ألف نسمة إذ لفظ الرجز دالّ على مرض الطاعون لقوله تعالى: ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾.

قريش ومشركي العرب وكفارهم. وختم تعالى هذا القصص قصص موسى مع فرعون بقوله ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ وهم بنو إسرائيل حيث استعبدهم فرعون الظالم وآله زمناً غير قصير ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾[1] وهي أرض مصر والشام إذ الكل مما بارك الله تعالى فيه إلا أن أرض الشام أولاً ثم أرض مصر ثانياً، إذ دخل بنو إسرائيل أرض فلسطين بعد وفاة موسى وهارون حيث غزا بهم يوشع بن نون العمالقة في أرض فلسطين وفتح البلاد وسكنها بنو إسرائيل وقوله تعالى ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا﴾ والمراد من كلمة الله قوله في سورة القصص ﴿ونريد أن نمنّ على الـذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض، ونري فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون﴾ وقوله تعالى ﴿ودمرنا ما كان يصنـع فرعون وقومه﴾ من سلاح وعتاد ومبان شداد، وقصور رفيعة العمار، ﴿وما كانوا يعرشون﴾ ويرفعون ويعلون من صروح عالية، وحدائق أعناب زاهية زاهرة وأورث أرضهم وديارهم وأموالهم قوماً آخرين غيرهم، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. إلى هنا انتهى قصص موسى عليه السلام مع فرعون وملائه وكانت العاقبة له والحمد لله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ ضعف الإنسان يظهر عند نزول البلاء به حيث يفزع إلى الله تعالى يدعوه ويضرع إليه وعند رفعه حيث ينسى ما نزل به ويعود إلى عاداته وما كان عليه من الشرك والمعاصي إلا من آمن وعمل صالحاً فإنه يخرج من دائرة الضعف حيث يصبر عند البلاء ويشكر عند النعماء.

٢ـ سبب العذاب في الدنيا والآخرة التكذيب بآيات الله بعدم الإيمان والعمل بها، والغفلة عنها حيث لا يتدبّر ولا يفكر فيها وفي ما نزلت لأجله.

٣ـ مظاهر قدرة الله، وصادق وعده، وعظيم منته على خلقه، وحسن تدبيره فيهم فسبحانه من إله عليم حكيم. رؤوف رحيم.

---

(١) كما يصدق هذا على أرض الشام إذلها مشارق ومغارب، ومن بينها الأرض المقدّسة أرض فلسطين يصدق أيضاً على أرض مصر وغيرها إذ مملكة بني اسرائيل على عهد سليمان كانت قد انتظمت المعمورة كلّها.

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ
أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ
قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ
مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا
وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم
مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ
أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن
رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾

شرح الكلمات :

وجاوزنا ببني إسرائيل البحر : أي قطعنا بهم فاجتازوه إلى ساحله.

يعكفون على أصنام لهم : يجلسون إلى تماثيل بقر منحوتة من حجر.

اجعل لنا إلهاً : أي معبوداً يريدون تمثالاً كالذي شاهدوا.

تجهلون : أي أنَّ العبادة لا تكون إلا لله تعالى.

متبرما هم فيه : هالك خاسر لا يكسبهم خيراً ولا يدفع عنهم شراً.

وإذ نجيناكم : أي واذكروا نعم الله عليكم بإنجائه إياكم من آل فرعون.

يسومونكم سوء العذاب : يوردونكم موارد الردى والهلاك بما يصيبونكم به من عذاب.

بلاء من ربكم : أي اختبار وامتحان قاسٍ شديد.

معنى الآيات :

هذا بداية قصص جديد لنبي الله تعالى موسى مع قومه من بني إسرائيل إنه بعد هلاك فرعون وجنوده في اليم، انتهى الكلام على دعوة موسى لفرعون وملئه، وبذلك استقبل موسى وأخوه هارون مشاكل جديدة مع قومهما انه بعد أن جاوز تعالى ببني إسرائيل البحر

ونـزلوا على شاطئه سالمين مرّوا بأناس يعكفون[1] على تماثيل لهم وهي عبارة عن أبقار حجرية منحوتة نحتاً يعبدونها وهم عاكفون عليها وما إن رأى بنو إسرائيل هؤلاء العاكفين على الأصنام حتى قالوا لموسى يا موسى اجعل لنا إلها كما لهؤلاء آلهة، وهي كلمة دالة على جهـلٍ بالله تعالى وآياته، . فما كان من موسى عليه السلام حتى جابههم بقوله: ﴿إنكم قوم تجهلون﴾ وواصل تأنيبه لهم وإنكاره الشديد عليهم فقال ﴿إن هؤلاء﴾ أي العاكفين على الأصنام والذين غرتكم حالهم ﴿متبر[2] ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾ أي إنهم وما هم عليه من حال في هلاك وخسار، ثم قال لهم منكراً متعجباً ﴿أغير الله أبغيكم إلهاً﴾ أي غير ربي عز وجل أطلب لكم إلهاً تعبدونه دون الله ما لكم أين يذهب بعقولكم، وهو سبحانه وتعالى فضلكم على العالمين وشرفكم على سائر سكان المعمورة[3]

أهكذا يكون شكركم له بطلب إله غيره ، وهل هناك من يستحق العبادة غيره؟ وقوله تعالى في الآية الأخيرة (١٤١) ﴿وإذ أنجيناكم[4] من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾ أي واذكروا يا من قلتم اجعل لنا إلهاً كما للمشركين آلهة اذكروا فضل الله عليكم بإنجائه إياكم من فرعون وآله وهم الذين كانوا على منهجه في الظلم والكفر من رجال حكمه وأفراد شرطه وجيوشه ﴿يسومونكم سوء العذاب: يقتلون أبناءكم﴾ حتى لا تكثروا، ﴿ويستحيون نساءكم﴾ للامتهان والخدمة، وفي هذا التعذيب والإنجاء منه ﴿بلاء من ربكم عظيم﴾ يتطلب شكركم لا كفركم، فكيف تريدون أن تعبدوا غيره، وتشركوا به أصناماً لا تنفع ولا تضر، إن أمركم لجد مستغرب وعجب فاتقوا الله وتوبوا إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه دال على جهل

---

(١) قرىء ﴿يعكُفون﴾ بكسر الكاف وضمها سبعيتان، والعكوف: الإقامة على الشيء وملازمته، ومنه العكوف في المساجد وهو الإقامة بها وملازمتها مدّة للعبادة.

(٢) متبّر: مهلك، والتبار: الهلاك، وكل إناء منكسر فهو متبّر.

(٣) هذا التفضيل خاص بزمانهم الذي كانوا فيه مع أنبيائهم وهم صالحون.

(٤) بعد أن أنكر عليهم طلبهم إلهاً غير الله في قوله ﴿أغير الله أبغيكم إلها﴾ ذكرهم بنعمة الله عليهم وهي: إنجاؤهم من آل فرعون فهل يليق بمن ينعم الله عليه بنعمة عظيمة أن ينساه ويطلب إلها غيره يعبده بدله أو معه؟

تام في بني إسرائيل ولذا قال لهم موسى ﴿إنكم قوم تجهلون﴾ فالعلة في هذا الطلب العجيب هي الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته، يشهد لهذا أن مسلمة الفتح لما خرج بهم رسول الله ﷺ إلى حنين مروا بسدرة قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط ننيط بها أسلحتنا، كما للمشركين نظيرها ينيطون بها أسلحتهم لينتصروا في القتال على أعدائهم فعجب الرسول من قولهم وقال «سبحان الله ما زدتم أن قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» فجهل القائلين هو الذي سهل عليهم أن يقولوا مثل هذا القول، ويشهد لذلك أن آلاف الأشجار والمزارات في بلاد المسلمين تزار ويتبرك بها وتقدم لها القرابين ولا علة لذلك سوى جهل المسلمين بربهم عز وجل.

٢- إنكار المنكر عند وجوده والعثور عليه بالأسلوب الذي يغيره.

٣- استحباب التذكير بأيام الله خيرها وشرها لاستجلاب الموعظة للناس لعلهم يتوبون.

٤- الرب تعالى يبتلي بالخير والغير، وفي كل ذلك خير لمن صبر وشكر.

۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ
وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ
سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ
إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ
رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ
قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣
قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا

لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ
شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ
دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

شرح الكلمات :

ميقات : الميقات: الوقت المعين.

أخلفني في قومي : أي كن خليفتي فيهم.

المفسدين : الذين يعملون بالمعاصي.

استقر مكانه : ثبت ولم يتحول.

خرّ : سقط على الأرض.

أفاق : ذهب عنه الإغماء وعاد إليه[1] وعيه.

اصطفيتك : أخترتك

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر أحداث موسى مع بني إسرائيل انه لما نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملئه، وحدثت حادثة طلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما للمشركين إلهاً وقد أنبأهم موسى وأدبهم عن قولهم الباطل واعد الله تعالى موسى أن يناجيه بجبل الطور وجعل له الموعد الذي يلقاه فيه شهراً ثلاثين يوماً وكانت شهر القعدة وزادها عشراً من أول الحجة فتم الميقات أربعين[2] ليلة. وعند خروجه عليه السلام استخلف في بني اسرائيل أخاه هارون[3] وأوصاه بالإصلاح، ونهاه عن اتباع آراء المفسدين هذا معنى قوله تعالى ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ وكان

---

(١) في الحديث الصحيح أنّ النبي ﷺ قال: ﴿لاتخيروا بين الأنبياء فإنّ الناس يصعقون يوم القيامة فأرفع رأسي فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أصعق فيمن صعق فأفاق قبلي أو جوزي بصعقة الطور.

(٢) ذكر ابن عباس ومجاهد ومسروق في سبب زيادة العشرة أيام: أنّ موسى لمّا أكمل صيام الثلاثين يوماً أنكر خلوف فمه فاستاك. فقالت له الملائكة: إنّا كنا نستنشق من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فزيد فيه عشر ليال فتم له بذلك أربعون يوماً. في الحديث الصحيح خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).

(٣) في الآية دليل على استخلاف المرء أخاه لينوب عنه في حفظ ورعاية ما كلّفه به، ومن العجب أن الروافض استدلوا بقول=

ذلك من أجل أن يأتي بني إسرائيل بكتاب من ربهم يتضمن شريعة كاملة يساسون بها وتحكمهم ليكملوا ويسعدوا عليها.

وقوله تعالى ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾[1] أي في الموعد الذي واعدنا والوقت الذي حددنا وكلمه ربه بلا واسطة بينهما بل كان يسمع كلامه ولا يرى ذاته، تاقت نفس موسى لرؤية ربه تعالى، فطلب ذلك فقال ﴿ربّ أرني أنظر اليك﴾ فأجابه ربه تعالى بقوله إنك لن تراني أي رؤيتك لي غير ممكنة لك، ولكن إذا أردت أن تتأكد من أن رؤيتك لي في هذه الحياة غير ممكنة فانظر إلى الجبل «جبل الطور» فإن استقر مكانه بعد أن أتجلى له، فسوف تراني ﴿فلما تجلى[2] للجبل جعله دكاً وخر موسى﴾ عند رؤية الجبل ﴿صَعِقا﴾ أي مغشياً عليه ﴿فلما أفاق﴾ مما اعتراه من الصعق ﴿قال سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك وتقديساً ﴿تبت إليك[3]﴾ فلم أسألك بعد مثل هذا السؤال ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بك وبجلالك وعظيم سلطانك وأنا عبدك عاجز عن رؤيتك في هذه الدار دار التكليف والعمل.

وهنا أجابه ربه تعالى قائلا ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك﴾ من هذا الكمال[4] والخير العظيم ﴿وكن من الشاكرين﴾ لي على إنعامي لأزيدك وذلك بطاعتي والتقرب إلى بفعل محابي وترك مكارهي. وقوله تعالى ﴿وكتبنا له في الألواح[5] من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ أي كتبنا له في ألواحه من كل شيء

= الرسول ﷺ لعلي وقد استخلفه في إحدى عزواته: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلةهارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي) أنّ الأصحاب كفروا لتركهم النّص في خلافة علي واجتهدوا واستخلفوا أبابكر، ومنهم من كفّر عليا لأنه لم يطالب بالخلافة وما دروا أنّ الرسول استخلف غير واحد ومنهم ابن أمّ مكتوم فهل دلّ ذلك على استخلافه على أمته بعد موته؟ فما أضلّ القوم وأعظم جهلهم!

(١) في الآية دليل على مشروعية الموادعة والتوقيت وأن التاريخ يكون باللّيالي لا بالأيام، قال ابن العربي: حساب الشمس للمنافع وحساب القمر للمناسك.

(٢) تجلّى معناهظهر، واندكاك الجبل على قوة بنيته وعظيم جسمه كان لعجزه عن رؤية الربّ تبارك وتعالى وهذا كقوله تعالى: ﴿ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعاً من خشية الله﴾.

(٣) الإجماع على أنّ توبة موسى هذه لم تكن من ذنب وإنما هي بمعنى الإنابة إلى الله تعالى وعدم طلب مثل هذا الذي طلب.

(٤) فيه الدعوة إلى القناعة وهي خير ما يؤتى المرء في الحياة.

(٥) اختلف في أيهما كان أوّلا الألواح أو التوراة، والظاهر أنّ الألواح كانت أوّلا ثم أوحيت التوراة عليها فصارت كتابا واحداً هو التوراة.

من أمور الدين والدنيا موعظة لقومه من أمر ونهي وترغيب وترهيب، وتفصيلا لكل شيء يحتاجون إلى بيانه وتفصيله. وقوله ﴿فخذها بقوة﴾ أي وقلنا له خذها بقوة أي بعزم وجد وذلك بالعمل بحلالها وحرامها فعلاً وتركاً، ﴿وأمر قومك﴾ أيضاً ﴿يأخذوا بأحسنها﴾ أي بما هو عزائم فيها وليس برخص تربية لهم وتعويداً لهم على تحمل العظائم لما لازمهم من الضعف والخور دهراً طويلاً. وقوله تعالى ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾(1) يتضمن النهي لبني إسرائيل عن ترك ما جاء في الألواح من الشرائع والأحكام فإنهم متى تركوا ذلك أو شيئاً منه يعتبرون فاسقين، وللفاسقين نار جهنم هي جزاؤهم يوم يلقون ربهم، وسيريهم إياها، فهذه الجملة تحمل غاية الوعيد والتهديد للذين يفسقون عن شرائع الله تعالى بإهمالها وعدم العمل بها، فليحذر المؤمنون هذا فإنه أمر عظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ المحافظة على المواعيد أمر محبوب للشارع مرغب فيه وهو من سمات الصادقين.

٢ـ جواز الاستخلاف في الأرض في مهام الأمور فضلاً عما هو دون ذلك.

٣ـ مشروعية الوصية للخلفاء بما هو خير.

٤ـ امكان رؤية الله تعالى وهي ثابتة في الآخرة لأهل الجنة.

٥ـ استحالة رؤية الله تعالى في الدنيا لضعف الإنسان على ذلك.

٦ـ وجود الامة القابلة لأحكام الله قبل وجود الشرع الذي يحكمها.

سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟
بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟
سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

(1) وجائز أن يُراد بدار الفاسقين: بلاد القدس والشام إذ سكانها كانوا فاسقين فواعد الله بني اسرائيل بدخول تلك البلاد والانتصار على أهلها الفاسقين.

﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

شرح الكلمات :

سأصرف : سأبعد.

يتكبرون : يعلون ويترفعون فيمنعون الحقوق ويحتقرون الناس.

سبيل الرشد : طريق الحق القائم على الإيمان والتقوى.

سبيل الغي : طريق الضلال القائم على الشرك والمعاصي.

وكانوا عنها غافلين : لا يلتفتون إليها ولا ينظرون فيها ولا يتفكرون فيما تدل عليه وتهدي إليه.

حبطت أعمالهم : فسدت فلا ينتفعون بها لأنها أعمال مشرك والشرك محبط للعمل.

معنى الآيتين الكريمتين :

هاتان الآيتان تحملان تعليلاً صحيحاً صائباً لكل انحراف وفساد وظلم وشر وقع في الأرض ويقع إلى نهاية هذه الحياة وهذا التعليل الصحيح هو التكذيب بآيات الله والغفلة عنها، وسواء كان الحامل على التكذيب الكبر أو الظلم، أو التقليد أو العناد، إلا أن الكبر أقوى عوامل الصرف عن آيات الله تعالى لقوله عز وجل في مطلع الآية الأولى (١٤٦) ﴿سأصرف[1] عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ ومن صرفه الله حسب سنته في صرف العباد لا يقبل ولا يرجع أبداً، وقوله ﴿وإن يروا سبيل الرشد[2] لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾ هذا بيان لعامل من عوامل الصرف عن آيات الله. وهو أن يعرض على العبد سبيل الرشد فيرفضه، ويرى سبيل الغي فيتبعه ويتخذه سبيلاً،

---

(١) قال قتادة: سأمنعهم فهم كتابي وقال سفيان: سأصرفهم عن الإيمان بها وذلك مجازاة لهم على تكبّرهم، وما ذكرناه في التفسير لايتنافى مع هذا.

(٢) الرشد: ضد السفه والخيبة وقرىء بالضم وقرىء بفتح الراء والشين الرَّشد، وقرىء يُروا بضم الياء.

وقوله تعالى ﴿ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ التي جاءت بها رسلنا ﴿وكانوا عنها غافلين﴾ غير مبالين بها ولا ملتفتين[1] اليها هذا هو التعليل الصحيح الذي نبهنا إليه فليتأمل، وقوله تعالى في الآية الثانية (١٤٧) ﴿والذين كذبوا بآياتنا[2] ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم﴾ تقرير المراد به تأكيد خسران أولئك المصروفين عن آيات الله تعالى، إذ أعمالهم لم تقم على أساس العدل والحق بل قامت على أساس الظلم والباطل فلذا هي باطلة من جهة فلا تكسبهم خيراً، ومن جهة أخرى فهي أعمال سوء سوف يجزون بها سوءاً في دار الجزاء وهو عذاب الجحيم، ولذا قال تعالى ﴿هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون من السوء، وعدالة الله تعالى أن من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان سنة الله تعالى في صرف العباد عن آيات الله حتى يهلكوا كما هلك فرعون وآله.

٢ـ من أقوى عوامل الصرف عن آيات الله الكبر.

٣ـ التكذيب بآيات الله والغفلة عنها هما سبب كل ضلال وشر وظلم وفساد.

٤ـ بطلان كل عمل لم يسلك فيه صاحبه سبيل الرشد التي هي سبيل الله التي تحدد الآيات القرآنية وتبين معالمها، وترفع أعلامها.

وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا

(٣) مع ما تحمله من الوعد والوعيد، وبيان الهدى والضلال، والخير والشر والحق والباطل فغفلتهم الناشئة عن مرض قلوبهم بسبب الكبر والتكذيب هي التي حالت دون تذكرهم وتدبّرهم.

(٤) الآيات في الآية السابقة عامة في المعجزات الكونية في الأنفس والآفاق، والتنزيلة القرآنية، وفي هذه الآية المراد بها: القرآنية بقرينة التكذيب بها وبيوم القيامة.

رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

شـرح الكلمات :

من حليـهم : جمع حلي[1] وهو ما تتحلى به المرأة لزوجها من أساور ونحوها من ذهب.

عجلاً جسـداً : العجل ولد البقرة والجسد أي ذاتا لا مجرد صورة على ورق أو جدار.

لـه خـوار : الخوار صوت البقر كالرغاء[2] صوت الابل.

ولما سقط في أيديهم : أي ندموا على عبادته لأنها عبادة باطلة.

معنى الآيـات :

هذا عود إلى قصص موسى عليه السلام مع قومه من بني إسرائيل، فقد كان السياق مع موسى في جبل الطور وطلبه الرؤية وتوبته من ذلك ثم اعترض السياق ببيان القاعدة العظيمة في تعليل هلاك العباد وبيان سببه وهو التكذيب بآيات الله المنزلة والغفلة عنها، ثم عاد السياق لقصص موسى مع بني إسرائيل فقال تعالى ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ أي من بعـد غيبتـه في جبل الطور لمناجاة ربه وليأتي بالكتاب الحاوي للشريعة التي سيسـوسهم بها موسى ويحكمهم بموجبها ومقتضى قوانينها اتخذوا ﴿من حليهم﴾ أي حلي نسائهم ﴿عجلاً جسداً له خوار[3]﴾ وذلك أن السامري[4] طلب من نسائهم حليهم بحجة واهية: أن هذا الحلي مستعار من نساء الأقباط ولا يحل تملكه فاحتال عليهم وكان صائغاً فصهره وأخرج لهم منه ﴿عجلاً[5] جسداً﴾ أي ذاتاً ﴿له خوار﴾ أي صوت كصوت البقر، وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه ولم يقل وإله هارون لأن هارون كان معهم خليفة

---

(١) الحلي: يجمع على حُليّ وَحِلي كثدي يجمع على ثُدي بضم الثاء وثِدي بكسرها.

(٢) والثغاء: صوت الشاة، والمواء: صوت القط، والعواء: صوت الذئب، واليعار: صوت المعز.

(٣) الخوار: صوت العجل، والجؤار: مثله، وفعل الخوار خار يخور خواراً، وفعل الجؤار جأر يجأر جؤراً، وأما خور يخور خوراً فمعناه: جبن وضعف.

(٤) نسبة إلى قرية تسمى: سامرة، واسمه: موسى بن ظفر، ولد عام قتل الأبناء كموسى عليه السلام.

(٥) العجل ولد البقرة كالحوار: ولدُ الناقة والمهر: ولدُ الفرس، والجحش: ولدُ الأتان والحمل: ولدُ الشاة، والجسد: الجثة.

فخاف أن يكذبه هارون فلم ينسبه إليه، وقوله تعالى ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم[1] ولا يهديهم سبيلاً﴾ توبيخ لهم وتقريع على غباوتهم وجهلهم، وإلا كيف يعتقدون إلهاً وهو لا يتكلم فيكلمهم ولا يعقل فيهديهم سبيل الرشد إن ضلوا وقد ضلوا بالفعل ثم قال تعالى ﴿اتخذوه﴾ أي إلهاً ﴿وكانوا ظالمين﴾ في ذلك، لأن الله رب موسى وهارون والعالمين لم يكن عجلاً ولا مخلوقاً كائناً من كان فما أجهل القوم وما أسوأ فهمهم وحالهم. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٤٨) وأما الآية الثانية (١٤٩) فقد أخبر تعالى عن حالهم بعد انكشاف الامر لهم، وبيان خطئهم فقال تعالى ﴿ولما سقط[2] في أيديهم﴾ أي ندموا ندماً شديداً ورأوا أنهم بشركهم هذا قد ضلوا الطريق الحق والرشد، صاحوا معلنين توبتهم ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر[3] لنا﴾ أي هذا الذنب العظيم ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ في الدار الآخرة فنكون من أصحاب الجحيم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- بيان سنة من سنن الكون وهي أن المرء يتأثر بما يرى ويسمع، والرؤية أكثر تأثيراً في النفس من السماع فإن بني إسرائيل رؤيتهم للأبقار الآلهة التي مروا بأهل قرية يعكفون عليها وطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً مثلها هو الذي جعلهم يقبلون عجل السامري الذي صنعه لهم، ومن هنا كان منظر الأشياء في التلفاز وشاشات الفيديو مؤثراً جداً وكم أفسد من عقول ولوث من نفوس، وأفسد من أخلاق.

٢- تقبيح الغباء والجمود في الفكر، وذلك لقول الله تعالى ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾.

٣- إذا أراد الله بعبده خيراً ألهمه التوبة بعد المعصية فندم واستغفر.

---

(١) إذ الربّ وهو المربي والمصلح والمعبود المشرّع للعبادت يجب أن يكون متكلّما يهديهم سبل كمالهم وسعادتهم.

(٢) سُقط بضم السين، وأسقط بضم الهمزة بالبناء للمفعول، يقال للنادم المتحيّر: سقط في يده وأسقط في يده، وقرىء: سقط بالبناء للفاعِل، أي: سقط الندم في يده، والندم يكون في القلب، وإنما ذكروا اليد هنا تشبيها بمن سقط شيء في يده وهو مثل: عضّ يده من الندم.

(٣) أي: عادوا إلى الحق فتضرعوا إلى الله تعالى ودعوه معترفين بخطئهم مستغفرين ربّهم رجاء أن ينجيهم من الخسران.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي
مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟
يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي
رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي
نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

شرح الكلمات :

ولما رجع موسى : أي من جبل الطور بعد مرور أكثر من أربعين يوما .

أسفاً : أي حزيناً شديد الحزن والغضب .

أعجلتم أمر ربكم : أي استعجلتم .

برأس أخيه : أي هارون شقيقه .

قال ابن أم : أصلها يا ابن أمي فقلبت الياء ألفاً نحو يا غلاماً، ثم حذفت وهارون شقيق موسى وإنما ناداه بأمه لأنه أكثر عطفاً وحناناً .

فلا تشمت بي الأعداء : أي لا تجعل الأعداء يفرحون بإهانتك أو ضربك لي.

اتخذوا العجل : أي إلهاً عبدوه.

المفترين : الكاذبين على الله تعالى بالشرك به أي بجعل شريك له.

ولما سكت عن موسى الغضب : زال غضبه وسكنت نفسه من القلق والاضطراب.

أخذ الألواح : أي من الأرض بعد أن طرحها فتكسرت.

وفي نسختها : أي وفي ما نسخه منها بعد تكسرها نسخة فيها هدى ورحمة.

يرهبون : يخافون ربهم ويخشون عقابه فلا يعصونه.

معنى الآيات :

مازال السياق في أحداث قصص موسى مع بني إسرائيل ففي هذا السياق الكريم يخبر تعالى أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه من مناجاته وقد أخبره ربه تعالى أنه قد فتن قومه من بعده وأن السامري قد أضلهم فلذا رجع ﴿غضبان أسفاً﴾[1] أي شديد الغضب[2] والحزن، وما إن واجههم حتى قال ﴿بئسما خلفتموني من بعدي، أعجلتم أمر ربكم؟﴾ أي استعجلتم فلم تتموا ميعاد ربكم أربعين يوماً فقلتم مات موسى وبدلتم دينه فعبدتم العجل ﴿والقى الألواح﴾ أي طرحها فتكسرت ﴿وأخذ بلحية﴾ هارون ورأسه يؤنبه على تفريطه في مهام الخلافة فاعتذر هارون فقال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي هذا وارد في سورة طه وأما السياق هنا فقد قال ﴿يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[3] فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ وهم الذين ظلموا بعبادة العجل، ومعنى ﴿لا تشمت بي

(١) غضبان شديد الغضب ومؤنثه غضبى غير مصروف لزيادة الألف والنون، وأسفاً: معناه شديد الغضب قال أبو الدرداء، الأسف منزلة وراء الغضب أشدّ منه والأسيف: الحزين.

(٢) الغضب من طباع البشر وقد أرشد الرسول ﷺ من غضب وهو قائم أن يجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلاّ اضطجع فقد روى أبو داود أنه ﷺ قال: (إنّ الغضب من الشيطان، وإنّ الشيطان خلق من نار وإنّما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ).

(٣) في الآية دليل على أن من خاف على نفسه القتل أن يسكت عن المنكر ولا يغيره بيده ولا بلسانه ولكن بقلبه.

الأعداء﴾ لا تؤذني بضرب ولا بغيره إذ ذاك يفرح أعداءنا من هؤلاء الجهلة الظالمين، وهنا رق له موسى وعطف عليه فقال ﴿رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه بقوله ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١٥٠) والثانية (١٥١) أما الآية الثالثة فقد أخبر تعالى بأن الذين اتخذوا العجل أي إلهاً ﴿سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا﴾ وكما جزاهم بالغضب المستوجب للعذاب والذلة المستلزمة للإهانة يجزي تعالى المفترين عليه الكاذبين باتخاذ الشريك له وهو بريء من الشركاء والمشركين، هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (١٥١) أما الآية الرابعة فقد تضمنت فتح باب الله تعالى لمن أراد أن يتوب إليه إذ قال تعالى ﴿والذين عملوا السيئات﴾ جمع سيئة وهي هنا سيئة الشرك ﴿ثم تابوا من بعدها﴾ أي تركوا عبادة غير الله تعالى وآمنوا ايماناً صادقاً فإن الله تعالى يقبل توبتهم ويغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم فيدخلهم جنته مع الصالحين من عباده، هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (١٥٣) أما الآية الخامسة (١٥٤) فقد تضمنت الإخبار عن موسى عليه السلام وانه لما سكت عنه الغضب أي ذهب أخذ الألواح التي ألقاها من شدة الغضب وأخبر تعالى أن في نسخة[١] تلك الألواح ﴿هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ وهم المؤمنون المتقون وخصوا بالذكر لأنهم الذين يجدون الهدى والرحمة في نسخة الألواح، لأنهم يقرأون ويفهمون ويعلمون وذلك لإيمانهم وتقواهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- الغضب من طباع البشر فلا يلام عليه المرء ومهما بلغ من الكمال كالأنبياء، ولكن أهل الكمال لا يخرج بهم الغضب إلى حد أن يقولوا أو يعملوا ما ليس بخير وصلاح.

٢- مشروعية الاعتذار وقبول العذر من أهل المروءات.

٣- مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته.

(١) النسخة: بمعنى المنسوخ، والنسخ: النقل للمكتوب في لوح أو غيره، ويسمى المنسوخ نسخة.

٤ـ كل وعيد لله تعالى توعد به عبداً من عباده مقيد بعدم توبة المتوعد.

٥ـ كل رحمة وهدى ونور في كتاب الله لا ينتفع به إلا أهل الإيمان والتقوى.

وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ
قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي
مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾
۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا
هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ
فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

شرح الكلمات:

واختار موسى قومه سبعين رجلاً : أي أخذ خيار قومه وهم سبعون رجلاً.

لميقاتنا	: أي للوقت الذي حددناه له ليأتينا مع سبعين رجلاً .
أخذتهم الرجفة	: الصاعقة التي رجفت لها القلوب .
السفهاء	: جمع سفيه: وهو الذي لا رشد له في سائر تصرفاته .
إن هي إلا فتنتك	: أي ما هي إلا فتنتك أي اختبارك لأهل الطاعة من عبادك .
أنت ولينا	: أي المتولي أمرنا وليس لنا من ولي سواك .
هدنا إليك	: أي رجعنا إليك وتبنا .
الأمي	: الذي لا يقرأ ولا يكتب .
المعروف، والمنكر	: ما عرفه الشرع والمنكر: ما أنكره الشرع .
ويحرم عليهم الخبائث	: أي بإذن الله والخبائث جمع خبيثة : كالميتة مثلاً .
ويضع عنهم إصرهم والأغلال	: الإصر: العهد والأغلال : الشدائد في الدين .
عزروه	: أي وقروه وعظموه
واتبعوا النور الذي أنزل معه	: القرآن الكريم .
هم المفلحون	: الفائزون أي الناجون من النار الداخلون الجنة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث موسى مع بني إسرائيل فإنه بعد الحدث الجلل الذي حصل في غيبة موسى وذلك هو عبادة جل بني إسرائيل العجل واتخاذهم له إلهاً فإن الله تعالى وقت لموسى وقتاً يأتيه فيه مع خيار بني إسرائيل يطلب لهم التوبة من الله سبحانه وتعالى . قال تعالى ﴿واختار[1] موسى قومه سبعين رجلاً﴾ ولما انتهى بهم إلى جبل الطور وغشيت الجبل غمامة وأخذ موسى يناجي ربه تعالى وهم يسمعون قالوا لموسى لن نؤمن لك بأن

---

(١) اختار مزيد من خار: إذا طلب ما هو خير من غيره، وقومه منصوب على نزع الخافض إذ الأصل من قومه، ومنه قول الشاعر:

اخترتك الناس إذ رثت خلائقهم واختل من كان يُرجى عنده السُّولُ

السُّول بمعنى السؤل أي الطلب

الذي كان يكلمك الرب تعالى حتى نرى الله جهرة أي عياناً وهنا غضب الله تعالى عليهم فأخـذتهم صيحة رجفت لها قلوبهم والأرض من تحتهم فماتوا كلهم، وهو معنى قوله تعـالى ﴿فـأخـذتهم الرجفة﴾ وهنا أسف موسى عليه السلام لموت السبعين رجلاً وقد اختـارهم الخير فالخير فإذا بهم يمـوتـون أجمعـون فخاطب ربه قائلا ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ أي من قبل مجيئنا إليك ﴿وإياي﴾ وذلك في منزل بني إسرائيل حيث عبدوا العجل ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا[1]﴾ أي بسبب فعل السفهاء الذين لا رشد لهم، وهم من عبدوا العجل كمن سألوا رؤية الله تعالى، وقوله عليه السلام ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي إلا اختبارك وبليتك ﴿تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء، أنت ولينا﴾ فليس لنا سواك ﴿فاغفرلنا﴾ أي ذنوبنا ﴿وارحمنا﴾ برفع العذاب عنا ﴿وأنت خير الغافرين﴾ ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ بأن توفقنا لعمل الصالحات وتتقبلها منا، ﴿وفي الآخرة﴾ تغفر ذنوبنا وتدخلنا جنتك مع سائر عبادك الصالحين، وقوله ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي إنا قد تبنا إليك فأجابه الرب تعالى بقوله ﴿عذابي أصيب به من أشاء﴾ أي من عبادي وهم الذين يفسقون عن أمري ويخرجون عن طاعتي ﴿ورحمتي وسعت[2] كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ وبهذا القيد الوصفي، وبما بعده خرج إبليس واليهود وسائر أهل الملل ودخلت أمة الإسلام وحدها إلا من آمن من أهل الكتاب واستقـام على دين الله وهـو الإسلام. وقوله ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ هو محمد ﷺ ﴿الذي يجدونه[3] مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ وذلك بذكر صفاته والثناء عليه وعلى أمته، وقوله ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات﴾ أي التي كانت قد حرمت عليهم بظلمهم ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ الخمر ولحم الخنزير والربا وسائر المحرمات في الإسلام، وقوله ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ أي ويحط عنهم تبعة العهـد الذي أخذ عليهم بالعمل فيما في التوراة والإنجيل بأن يعملوا بكل ما جاء في

(١) الاستفهام هنااللتحجج والجحد أي إنك لا تفعل ذلك، وهو كما قال الشعر:

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

(٢) أي لم تضق عن مخلوق من المخلوقات التيّ أراد الله رحمتها. يحكى أنّ ابليس عليه لعائن الله لماّ سمع هذه الآية قال: أنا شيء فقال الله تعالى: سأكتبها للذين يتقون فقالت اليهود والنصارى نحن: متقون فقال تعالى: الذين يتّبعون الرسول النبي الأمي فخرجوا وبقيت لهذه الأمّة وحدها.

(٣) قال كعب في ذكر صفاته ﷺ في التوراة: مولده مكة وهجرته بطابة وملكه بالشام، وأمته الحمّادون يحمدون الله على كل حال.. إلى أن قال: يصلّون حيثما أدركتهم الصلاة، صفهم في الصلاة كصفهم في القتال.

التوراة والإنجيل، وقوله ﴿والأغلال[1] التي كانت عليهم﴾ أي الشدائد المفروض عليهم القيام بها وذلك كقتل النفس بالنفس إذ لا عفو ولا دية وكقطع الثوب للنجاسة تصيبه وغير ذلك من التكاليف الشاقة كل هذا يوضع عليهم إذا أسلموا بدخولهم في الإسلام وقوله تعالى ﴿فالذين آمنوا به﴾ أي بمحمد ﷺ ﴿وعزروه[2]﴾ أي وقروه وعظموه ﴿ونصروه﴾ على أعدائه من المشركين والكافرين والمنافقين ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ وهو القرآن الكـريم ﴿أولئـك هم المفلحون﴾ أي وحدهم دون سواهم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب التوبة من كل ذنب، ومشروعية صلاة ركعتين وسؤال الله تعالى عقبها أن يقبل توبة التائب ويغفر ذنبه.

٢ـ كل سلوك ينافي الشرع فهو من السفه المذموم، وصاحبه قد يوصف بأنه سفيه.

٣ـ الهداية والإضلال كلاهما بيد الله تعالى فعلى العبد أن يطلب الهداية من الله تعالى ويسأله أن لا يضله.

٤ـ رحمة الله تعالى بأمة محمد ﷺ فلا تنال اليهود ولا النصارى ولا غيرهم.

٥ـ بيان شرف النبي محمد ﷺ وأمته.

٦ـ بيان فضل تزكية النفس بعمل الصالحات وإبعادها عن المدسيات من الذنوب.

٧ـ بيان فضل التقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨ـ وجوب توقير النبي ﷺ وتعظيمه ونصرته واتباع الكتاب الذي جاء به والسنن التي سنها لأمته.

---

(١) تقدّم لفظ الإصر وهو دال على جمع لأنّه مصدر يقع على الواحد والجمع ولذا عطف عليه الأغلال، وجمع الإصر: آصار، ومعناه الثقل الذي يصعب معه التحرّك والأغلال جمع غلّ، وهو إطار من حديد يجعل في عنق الأسير، والمراد من الأصار والأغلال التكاليف الشرعية الشاقة التي اشتملت عليها التوراة منها: ترك العمل يوم السبت قيل: ومن أشدّها عدم مشروعية التوبة من الذنوب، وعدم استتابة المجرم.

(٢) عزّروه: أيّدوه مع توقيره وتعظيمه.

قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾
وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾
وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

شـرح الكلمـات :

لا إله إلا هو : أي لا معبود بحق إلا الله .

النبي الامـي : المنبىء عن الله والمنبأ من قبل الله تعالى ، والأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب. نسبة إلى الأم كأنه ما زال لم يفارق أمه فلم يتعلم بعد .

يؤمن بالله وكلماته : الذي يؤمن بالله ربا وإلهاً، وبكلماته التشريعية والكونية القدرية .

تهتـــدون : ترشدون إلى طريق كمالكم وسعادتكم في الحياتين .

أمـة يهدون بالحق : أي جماعة يهدون أنفسهم وغيرهم بالدين الحق وبه يعدلون في قضائهم وحكمهم على أنفسهم وعلى غيرهم انصافاً وعدلا لا جور ولا ظلم .

أسـباطاً : جمع سبط : وهو بمعنى القبيلة عند العرب .

استسقاه قومه : أي طلبوا منه الماء لعطشهم .

فانبجـست : فانفجـرت .

المن والسلوى : المن : حلوى كالعسل تنزل على أوراق الأشجار، والسلوى: طائر لذيذ لحمه .

اسكنوا هذه القرية : هي حاضرة فلسطين .

وقوله «حطة» : أي احطط عنا خطايانا بمعنى الإعلان عن توبتهم .

رجزاً من السماء : أي عذاباً من عند الله تعالى .

معنى الآيـات :

بعد الإشادة بالنبي الأمي وبأمته ، وقصر الفلاح في الدارين على الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه قد يظن ظان أن هذا النبي شأنه شأن سائر الأنبياء قبله هو نبي قومه خاصة وما ذكر من الكمال لا يتعدى قومه فرفع هذا الوهم بهذه الآية (١٥٨) حيث أمر الله تعالى رسوله أن يعلن عن عموم رسالته بما لا مجال للشك فيه فقال

﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ وقوله ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ وصف لله تعالى وقوله ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير لألوهية الله تعالى بعد ذكر قدرته وسلطانه وملكه وتدبيره لذا وجب أن لا يكون معبود إلا هو وهو كذلك إذ كل معبود غيره هو معبود عن جهل وعناد وظلم. وقوله ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي﴾ أمر الإله الحق إلى الناس كافة بالإيمان به تعالى رباً وإلهاً، وبرسوله النبي الأمي نبياً ورسولاً، وقوله ﴿الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ صفة للنبي الأمي إذ من صفات النبي الأمي محمد ﷺ أنه يؤمن بالله حق الإيمان وأوفاه ويؤمن بكلماته أي بكلمات الرب التشريعية[1] وهي آيات القرآن الكريم، والكونية التي يُكوِّن الله بها ما شاء من الأكوان إذ بها يقول للشيء كن فيكون كما قال لعيسى بتلك الكلمة كن فكان عيسى عليه السلام وقوله ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ هذا أمر الله إلى الناس كافة بعد الأمر بالإيمان به وبرسوله النبي الأمي أمر باتباع نبيه محمد ﷺ رجاء هداية[2] من يتبعه فيما جاء به فيهتدي إلى سبيل الفوز في الدارين هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٨) أما الآية الثانية (١٥٩) فقد تضمنت الإخبار الإلهي بأن قوم موسى وإن ضلوا أو أجرموا وفسقوا ليس معنى ذلك أنه لم يكن فيهم أو بينهم من هم على هدى الله فهذه الآية كانت كالاحتراس من مثل هذا الفهم، إذ أخبر تعالى أن ﴿من قوم موسى أمة﴾ أي جماعة تكثر أو تقل ﴿يهدون بالحق﴾[3] أي يعملون بالحق في عقائدهم وعباداتهم ويدعون إلى ذلك وبالحق يعدلون فيما بينهم وبين غيرهم فهم يعيشون على الإنصاف والعدل، ولم يذكر تعالى أين هم ولا متى كانوا هم؟ فلا يبحث ذلك، إذ لا فائدة فيه، ثم عاد السياق إلى قوم موسى يذكر احداثهم للعظة والاعتبار وتقرير الحق في توحيد الله تعالى وإثبات نبوة رسوله وتقرير عقيدة البعث والجزاء أو اليوم الآخر. فقال تعالى في الآية الثالثة (١٦٠) ﴿وقطعناهم﴾[4] أي بني إسرائيل ﴿اثنتى عشرة أسباطاً

---

(١) وبكلماته التنزيلية كالتوراة والانجيل والزبور.
(٢) هذا الرجاء بالنسبة إلى المأمورين بالاتباع لا إلى الله تعالى، لأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير.
(٣) يهدون إلى الله تعالى عباده بواسطة ما شرع لهم وهداهم به من الوحي الذي أنزل على رسله وأنزل به كتبه.
(٤) التقطيع: الشدة في القطع والمراد به التقسيم إلى اثنتى عشرة فرقة كل فرقة بمنزلة القبيلة العربية حيث تنتسب إلى أبيها الأعلى أي الأوّل.

أمماً﴾[1] أصل السبط ابن البنت وأريد به هنا أولاد كل سبط من أولاد يعقوب عليه السلام. فالأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب كل قبيلة تنتسب إلى أبيها الأول، وأنّت لفظ اثنتي عشرة لأن معنى الأسباط الفرق والفرقة مؤنثة، وقوله: ﴿وأوحينا إلى موسى إذِ استسقاه قومه﴾ أعلمناه بطريق الوحي وهو الإعلام الخفي السريع، ومعنى ﴿استسقاه﴾ طلبوا منه السقيا لأنهم عطشوا لقلة الماء في صحراء سينا. ﴿أن اضرب بعصاك الحجر﴾ هذا الموحى به، فضرب ﴿فانبجست﴾[2] أي انفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ ليشرب كل سبط من عينه الخاصة حتى لا يقع اصطدام أو تدافع فينجم عنه الأذى وقوله تعالى ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ يريد عرف كل جماعة ماءهم الخاص بهم وقوله تعالى ﴿وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾ هذا ذكر لإنعامه تعالى على بني إسرائيل وهم في معية موسى وهارون في حادثة التيه، حيث أرسل تعالى الغمام وهو سحاب ابيض بارد يظلهم من الشمس حتى لا تلفحهم، وأنزل عليهم المنّ[3] وهي حلوى كالعسل سقط ليلاً كالطل على الأشجار، وسخر لهم طائراً لذيذ اللحم يقال له السلوى وهو طائر السمانى المعروف وقلنا لهم ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ وقوله تعالى ﴿وما ظلمونا﴾ بتمردهم على أنبيائهم وعدم طاعتهم[4] لربهم حتى نزل بهم ما نزل من البلاء، ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[5]. هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (١٦١) فقد تضمنت حادثة بعد أحداث التيه في صحراء سيناء وذلك أن يوشع بن نون بعد أن تولى قيادة بني إسرائيل بعد وفاة موسى وهارون وانقضاء مدة التيه وكانت أربعين سنة غزا يوشع ببني إسرائيل العمالقة في أرض القدس وفتح الله تعالى عليه فقال لبني إسرائيل ادخلوا باب المدينة ساجدين أي منحنين خضوعاً لله وشكراً على نعمة الفتح بعد النصر والنجاة من

---

(١) ﴿أمما﴾ بدل من ﴿أسباطاً﴾ وفائدته: الإخبار بأنهم باركهم الله تعالى فأصبح أهل كل سبط أمة كاملة والسبط أصله شجر يقال له السبط تعلفه الإبل.

(٢) أصل الفعل بجس يقال: بجسته أي: شققته فانبجس مطاوع بجس الشيء إذا شقّة.

(٣) المنّ: مادّة بيضاء تنزل من السماء كالطّل حلوة الطعم تشبه العسل، وإذ جفّت كانت الصمغ، والسلوى: طائر معروف يقال له السُّمّانى بضم السين وفتح النون على وزن حُبَارى.

(٤) وبعدم شكرهم لهذه النعم أيضاً إذا كفران النعم يسبب زوالها بعقوبة تنزل بمن لم يشكر نعم الله تعالى عليه.

(٥) أي ظلموا أنفسهم فعرضوها للبلاء، أمّا الله تعالى فمحال أن يبلغ العبد ظلمه أو ضرّه. روى مسلم عن النبي ﷺ قوله: (إنّ الله تعالى قال: يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّما فلا تظالموا . . يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني).

التيه، وقوله اثناء دخولكم الباب كلمة «حطة» الدالة على توبتكم واستغفاركم ربكم لذنوبكم فإن الله تعالى يغفر لكم خطئياتكم، وسيزيد الله المحسنين منكم الإنعام والخير الكثيرمع رضاهعنكم وادخالكم الجنة، هذا معنى قوله تعالى ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ أي مدينة فلسطين[(١)] ﴿وكلوا منها حيث شئتم﴾ لما فيها من الخيرات ﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين﴾. أما الآية الرابعة (١٦٢) فهي قد تضمنت الإخبار عن الذين ظلموا من بني إسرائيل الذين أمروا بدخول القرية ودخول الباب سجداً. حيث بدلوا ﴿قولاً غير الذي قيل لهم﴾ فبدل حطة قالوا حنطة، وبدل الدخول منحنين ساجدين دخلوا يزحفون على أستاههم، فلما رأى تعالى ذلك التمرد والعصيان وعدم الشكران أنزل عليهم وباء من السماء كاد يقضي على آخرهم هذا معنى قوله تعالى ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ عموم رسالة النبي محمد ﷺ لكافة الناس عربهم وعجمهم أبيضهم وأصفرهم[(٢)].

٢ـ هداية الإنسان فرداً أو جماعة أو أمة إلى الكمال والإسعاد متوقفة على اتباع النبي محمد ﷺ.

٣ـ إنصاف القرآن للأمم والجماعات فقد صرح أن في بني إسرائيل أمة قائمة على الحق، وذلك بعد فساد بني إسرائيل، وقبل مبعث النبي الخاتم أما بعد البعثة المحمدية فلم يبق أحد على الحق، إلا من آمن به واتبعه لنسخ سائر الشرائع بشريعته.

٤ـ إذا أنعم الله على عبد أو أمة نعمة ثم لم يشكرها تسلب منه أحب أم كره وكائناً من كان.

---

(١) اسم القرية: أريحا، وكلمة فلسطين عامة في القطر كلّه.

(٢) عموم الرسالة المحمدية يستوجب القيام بها ودعوة الناس إليها، والمسلمون هم المطالبون بذلك وإلاّ فهم آثمون بتفريطهم وتقصيرهم.

وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾
وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ
وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ
﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات :

حاضرة البحر : أي على شاطئه وهي مدينة من مدن أرض القدس.

يعدون في السبت : أي يعتدون وذلك بالصيد المحرم عليهم فيه.

يوم سبتهم : أي يوم راحتهم من أعمال الدنيا وهو يوم السبت.

شـرعاً : جمع شارع أي ظاهرة بارزة تغريهم بنفسها.

كذلك نبلوهم : أي نمتحنهم ونختبرهم.

بما كانوا يفسقون : أي بسبب ما أعلنوه من الفسق وهو العصيان.

معذرة الى ربكم : أي ننهاهم فإن انتهوا فذاك وإلا فنهينا يكون عذراً لنا عند ربنا.

فلما نسوا ما ذكروا به : أي أهملوه وتركوه فلم يمتثلوا ما أمروابه ولا ما نهوا عنه.

عن السوء : السوء هو كل ما يسيء إلى النفس من سائر الذنوب والآثام.

بعذاب بئيس : أذى بأس شديد.

فلما عتوا عما نهوا عنه : أي ترفعوا وطغوا فلم يبالوا بالنهي .
قردة خاسئين : القردة جمع قرد معروف وخاسئين ذليلين حقيرين اخساء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بني إسرائيل إلا أنه هنا مع رسول الله محمد ﷺ ويهود المدينة فالله تعالى يقول لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام أسألهم[1] أي اليهود ﴿عن القرية[2] التي كانت حاضرة البحر﴾ أي قريبة منه على شاطئه وهي مدينة من مدن أرض القدس والشام[3]، أي أسألهم عن أهلها كيف كان عاقبة أمرهم، إنهم مسخوا قردة وخنازير جزاء فسقهم عن أمر ربهم، وفصل له الحادث تفصيلاً للعبرة والاتعاظ فقال ﴿إذ يعدون في السبت[4]﴾ أي يعتدون ما أذن لهم فيه إلى ما حرم عليهم، اذن لهم أن يصيدوا ما شاءوا إلا يوم السبت فإنه يوم عبادة ليس يوم لهو وصيد وطرب، ﴿إذ تأتيهم حيتانهم﴾ أي أسماكهم ﴿يوم سبتهم شرعاً﴾ ظاهرة على سطح الماء تغريهم بنفسها ﴿ويوم لا يسبتون﴾ أي في باقي أيام الأسبوع ﴿لاتأتيهم﴾ إذاً هم مبتلون، قال تعالى ﴿كذلك﴾ أي كهذا الابتلاء والاختبار ﴿نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ أي بسبب فسقهم عن طاعة ربهم ورسله، إذ ما من معصية إلا بذنب هكذا سنة الله تعالى في الناس. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٦٣) وهي قوله تعالى ﴿وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم[5] حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، كذلك نبلوهم[6] بما كانوا يفسقون﴾ .

وأما الآية الثانية (١٦٤) فالله تعالى يقول لرسوله اذكر لهم أيضاً إذ قالت طائفة منهم أي من أهل القرية لطائفة أخرى كانت تعظ المعتدين في السبت أي تنهاهم عنه لأنه

---

(١) هذا سؤال توبيخ وتقرير، إذ كانوا يتبجّحون بأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم من سبط خليل الرحمن ابراهيم، ومن سبط اسرائيل، فالسؤال عن القرية السؤال عن أهلها.
(٢) هذه القرية هي أيلة، والمسماة اليوم بالعقبة وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر
(٣) وهي مبدأ أرض الشام من جهة مصر.
(٤) السبت: اليوم الذي بين الجمعة والأحد، ويجمع السبت على أسبت وسبوت وأسبات.
(٥) قيل للحسين بن الفضل: هل تجد في كتاب الله تعالى أنّ الحلال لا يأتيك إلاّ قوتاً وإن الحرام يأتيك جزفاً جزفاً يعني: بكثرة كاثرة قال: نعم في قصة داود وأيلة ﴿إذ تأتيهم حيتانهم. . .﴾ الآية.
(٦) ﴿نبلوهم﴾: أي بالتشديد عليهم فيما يشرع لهم عقوبة لهم.

معصية وتحذرهم من مغبة الاعتداء على شرع الله تعالى قالت ﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديدا﴾ وهذا القول من هذه الطائفة دال على يأسهم من رجوع إخوانهم عن فسقهم وباطلهم، فأجابتهم الطائفة الواعظة ﴿معذرة[1] إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾ أي وعظنا لهم هو معذرة لنا عند الله تعالى من جهة ومن جهة أخرى ﴿لعلهم يتقون﴾ فيتوبوا ويتركوا هذا الاعتداء، قال تعالى ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ وخوفوا منه وهو تحريم الله تعالى عليهم الصيد يوم السبت، ومعنى نسوا تركوا ولم يلتفتوا الى وعظ إخوانهم لهم وواصلوا اعتداءهم وفسقهم، قال تعالى ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ وهم الواعظون لهم ممن ملّوا ويئسوا فتركوا وعظهم، وممن واصلوا نهيهم ووعظهم ﴿وأخذنا الذين ظلموا[2] بعذاب بئيس﴾ أي شديد البأس ﴿بما كانوا يفسقون﴾ عن طاعة الله ربهم، إذ قال تعالى لهم ﴿كونوا قردة خاسئين[3]﴾ فكانوا قردة خاسئين ذليلين صاغرين حقيرين، ثم لم يلبثوا(مسخاً)[4] إلا ثلاثة أيام وماتوا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير الوحي والنبوة لرسول الله محمد ﷺ إذ مثل هذا القصص الذي يذكر لبني إسرائيل لن يتم إلا عن طريق الوحي، وإلا فكيف علمه وذكر به اليهود أصحابه وأهله، وقد مضى عليه زمن طويل.

٢ـ إذا أنعم الله على أمة نعمة ثم أعرضت عن شكرها تعرضت للبلاء أولاً ثم العذاب ثانياً.

٣ـ جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد نجى الله تعالى الناهين عن المنكر وأهلك الذين باشروه ولم ينتهوا منه دون غيرهم.

---

(١) المعذرة: مصدر ميمي فعله اعتذر على غير قياس، والعذر: السبب الذي تبطل به المؤاخذة بسبب ذنب أو تقصير.

(٢) اختلف في هل الفرقة القائلة: لم تعظون قوماً.. الخ نجت من العذاب أو لا؟ وقد روي أن ابن عباس كان يرى أنها لم تنج حتى أقنعه تلميذه عكرمة فقال بنجاتها مع الفرقة الناهية، لأنّ ترك النهي من الفرقة التي لم تنه كان ليأسهم من استجابة الظالمين.

(٣) يقال: خسأته فخسا أي، باعدته وطردته، وفي هذا دليل على أنّ المعاصي سبب النقم كما أن الطاعات سبب النعم

(٤) أي لم يلبثوا ممسوخين حتى هلكوا والعياذ بالله.

٤- إطلاق لفظ السوء على المعصية مؤذن بأن المعصية مهما كانت صغيرة تحدث السوء في نفس فاعلها.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

شرح الكلمات :

تـأذن [1]	: أعلم وأعلن.
ليبعثـن	: أي ليسلطن
من يسومهم سوء العذاب	: أي يذيقهم ويوليهم سوء العذاب كالذلة والمسكنة.
وقطعنـاهم	: أي فرقناهم جماعات جماعات.
بلوناهم بالحسنات والسيئات	: اختبرناهم بالخير والشر أو النعم والنقم.

(١) آذن وأذن بمعنى واحد، وهو أعلم ومنه قول الشاعر:

فقلت تعلّم إنّ للصيد غرّة ... فإلّا تضيّعها فإنك قاتله

فخلف من بعدهم خلف : الخلف بإسكان اللام خلف سوء وبالتحريك خلف خير.
ورثوا الكتاب : أي التـوراة.
عرض هذا الأدنى : أي حطام الدنيا الفاني وهو المال.
يمسكون بالكتاب : أي يتمسكون بما في التوراة فيحلون ما أحل الله فيها ويحرمون ما حرم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في شأن اليهود فقد أمر تعالى رسوله أن يذكر إعلامه تعالى بأنه سيبعث بكل تأكيد على اليهود إلى يوم القيامة من يذلهم ويضطهدهم عقوبة منه تعالى لهم على خبث طواياهم وسوء أفعالهم، وهذا الإطلاق في هذا الوعيد الشديد يقيد بأحد أمرين الأول بتوبة من تاب منهم ويدل على هذا القيد قوله تعالى في آخر هذه الآية ﴿إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ أي لمن تاب والثاني بجوار دولة قوية لهم وحمايتها وهذا مفهوم قوله تعالى من سورة آل عمران ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله﴾ وهو الإسلام ﴿وحبل من الناس﴾، وهو ما ذكرناه آنفا. هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق (١٦٧) وهي قوله تعالى ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم[١] سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ وأما الآية الثانية (١٦٨) فقد تضمنت بيان فضل الله تعالى على اليهود وهو أن الله تعالى قد فرقهم في الأرض جماعات جماعات، وأن منهم الصالحين، وأن منهم دون ذلك وأنه اختبرهم بالحسنات وهي النعم، والسيئات وهي النقم تهيئة لهم وإعداداً للتوبة إن آثروا التوبة على الاستمرار في الإجرام والشر والفساد. هذا ما تضمنته الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون[٢] ومنهم دون ذلك، وبلوناهم بالحسنات

(١) يسومهم سوء العذاب: يجعل أسوأ العذاب وأشدّه كالقيمة لهم إذ هو حظهم المفروض عليهم، أوّل من تسلط عليهم فسامهم سوء العذاب بختنصر البابلي.
(٢) أي شتتناهم في البلاد بعد تسلّط البابليين عليهم وتمزيق ملكهم فعاشوا مشتتين فلم ينتظم ملكهم مدّة طويلة وهم إذ ذاك ما بين صالح وفاسد وانتظم أمرهم مرّة أخرى ثمّ فسقوا فسلّط عليهم أطيطوس الروماني فتفرّقوا مرّة أخرى وما زالوا مفرقين إلى هذه الأيام، باجتماعهم في فلسطين وتكوينهم دولة اسرائيل وعمّا قريب تزول.

والسيئات لعلهم يرجعون﴾ وأما الآية الثالثة (١٦٩) فقد أخبر تعالى أنه قد خلف من بعد تلك الأمة خلف سوء[1] ورثوا الكتاب الذي هو التوراة ورثوه عن أسلافهم ولم يتلزموا بما أخذ عليهم فيه من عهود على الرغم من قراءتهم له فقد آثروا الدنيا على الآخرة فاستباحوا الربا والرشا وسائر المحرمات، ويدعون أنهم سيغفر لهم، وكلما أتاهم مال حرام أخذوه ومنوا أنفسهم بالمغفرة كذباً[2] على الله تعالى قال تعالى موبخاً لهم ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ وقد قرأوا هذا في الكتاب وفهموه ومع هذا يجترئون على الله ويكذبون عليه بأنه سيغفر لهم، ثم يواجههم تعالى بالخطاب مذكراً لهم واعظاً فيقول ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون؟﴾ ويفتح الله تعالى باب الرجاء لهم في الآية الرابعة في هذا السياق فيقول ﴿والذين يمسكون بالكتاب[3]﴾ أي يعملون بحرص وشدة بما فيه من الأحكام والشرائع ولا يفرطون في شيء من ذلك ﴿وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾، ومعنى هذا أنهم مصلحون إن تمسكوا بالكتاب وأقاموا الصلاة، وان الله تعالى سيجزيهم على إصلاحهم لأنفسهم ولغيرهم أعظم الجزاء وأوفره، لأنه تعالى لا يضيع أجر المصلحين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان موجز لتاريخ اليهود في هذه الآيات الأربع.

٢ـ من أهل الكتاب الصالحون، ومنهم دون ذلك.

٣ـ التنديد بإيثار الدنيا على الآخرة، وبتمني المغفرة مع الإصرار على الإجرام.

٤ـ تفضيل الآخرة على الدنيا بالنسبة للمتقين.

٥ـ الحث على التمسك بالكتاب قراءة وتعلماً وعملاً بإحلال حلاله وتحريم حرامه.

---

(١) الخلف بسكون اللاّم: الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء والخلَف: بفتح اللام البَدَل ولداً كان أوغيره، وقيل الخلف بالفتح: الصالح وبالجزم: الطالح قال لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

(٢) روى الدارمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه الرواية التالية وهي منطبقة على واقعنا اليوم ومن قبل اليوم قال: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت يقرأونه لا يجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصّروا قالوا سنبلغ وإن أساءوا قالوا: سيغفر لنا إنّا لا نشرك بالله شيئا.

(٣) مسك وتمسّك بمعنى واحد.

٦ـ فضل اقام الصلاة.

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

شرح الكلمات :

وإذ نتقنا الجبل : أي رفعناه من أصله فوق رؤوسهم.

واقع بهم : أي ساقط عليهم.

خذوا ما آتيناكم بقوة : أي التزموا بالقيام بما عهد إليكم من أحكام التوراة بقوة.

واذكروا ما فيه : أي لا تنسوا ما التزمتم به من النهوض بأحكام التوراة.

من ظهورهم ذريتهم : أي أخذهم من ظهر آدم عليه السلام بأرض نعمان من عرفات.[1]

أشهدهم على أنفسهم : أي بأنه تعالى ربهم وإلههم ولارب لهم غيره ولا إله لهم سواه.

المبطلون : العاملون بالشرك والمعاصي إذ كلها باطل لا حق فيه.

نفصل الآيات : نبينها ونوضحها بتنويع الأساليب وتكرار الحجج وضرب الامثال وذكر القصص.

---

(١) قال ابن عباس: ببطن نعمان وادٍ إلى جنب عرفة

معنى الآيات :

الآية الأولى في هذا السياق هي خاتمة الحديث على اليهود إذ قال تعالى لرسوله ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾[1] أي اذكر لهم ايها الرسول إذ نتقنا أي رفعنا فوقهم جبل الطور من أصله وصار فوقهم كأنه ظلة ﴿وظنوا أنه واقع بهم﴾ أي ساقط عليهم وقلنا لهم ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾[2] والمراد مما آتاهم أحكام التوراة وما تحمل من الشرائع وأخذها العمل بها والالتزام بكل ما أمرت به ونهت عنه وقوله تعالى ﴿واذكروا ما فيه﴾ أي في الذي آتيناكم من الأوامر والنواهي، ولا تنسوه فإن ذكره من شأنه أن يعدكم للعمل به فتحصل لكم بذلك تقوى الله عز وجل، هذا ما دلت عليه الآية الأولى وهي خاتمة سياق الحديث عن اليهود. أما الآية الثانية (١٧٢) وهي قوله تعالى ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم[3] من ظهورهم ذريتهم﴾[4] فإنها حادثة جديرة بالذكر والاهتمام لما فيها من الاعتبار، إن الله تعالى أخرج من صلب آدم ذريته فأنطقها بقدرته التي لا يعجزها شيء فنطقت وعقلت الخطاب واستشهدها فشهدت، وخاطبها ففهمت وأمرها فالتزمت وهذا العهد العام الذي أخذ على بني آدم، وسوف يطالبون به يوم القيامة، وهو معنى قوله تعالى ﴿وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا بلىٰ شهدنا﴾ أي أنك ربنا ﴿أن تقولوا﴾ يوم القيامة ﴿إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم،[5] أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ والعبرة من هذا أن الإنسان سرعان ما ينسى، ويعاهد ولا يفي، وما وجد من بني اسرائيل من عدم الوفاء هو عائد إلى أصل الإنسان، وهناك عبرة أعظم وهى أن التوحيد أخذ به العهد على كل آدمي، ومع الأسف أكثر بني آدم ينكرونه، ويشركون بربهم وقوله تعالى ﴿وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون﴾ وكهذا التفصيل الوارد في هذه السورة وهذا

---

(١) أي : كأنّه لارتفاعه سحابة تظلّ.

(٢) أي : بجدّ وعزم.

(٣) الآثار والأحاديث المثبتة لاستخراج الرب تعالى الذريّة من ظهر آدم كثيرة منها في الموطأ والسنن ونكتفي برواية الشيخين الآتية: قال ﷺ : يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفديا؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردتُ منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلاّ أن تشرك).

(٤) وُجّه نظم الآية هكذا: وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريّتهم ولم يذكر ظهر آدم عليه السلام لأنه من المعلوم أنّ كل بني آدم منه وأخرجوا يوم الميثاق من ظهره. وقوله: ظهورهم: بدل اشتمال من بين آدم.

(٥) في الآية دليل على أنه لاعذر لأحد في تقليده آباءه وأجداده وأهل بلاده في الشرك والمعاصي كما لا عذر بالجهل أيضاً.

السياق وهو تفصيل عجيب نفصل الآيات تذكيراً للناس وتعليماً ولعلهم يرجعون إلى الحق بعد إعراضهم عنه، وإلى الإيمان والتوحيد بعد انصرافهم عنهما تقليداً واتباعاً لشياطين الجن والإنس.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان نفسيات اليهود وأنها نفسية غريبة وإلا كيف وهم بين يدي الله يتمردون عليه ويعصونه برفضهم الالتزام بما عهد إليهم من أحكام حتى يرفع فوقهم الطور تهديداً لهم، وعندئذ التزموا ولم يلبثوا إلا قليلاً حتى نقضوا عهدهم وعصوا ربهم.

٢ـ عجيب تدبير الله تعالى في خلقه.

٣ـ الكافر كفر مرتين كفر بالعهد الذي أخذ عليه وهو في عالم الذَّر،[1] وكفر بالله وهو في عالم الشهادة، والمؤمن آمن مرتين، فلذا يضاعف للأول العذاب ويضاعف للثاني الثواب.

٤ـ تقرير مبدأ الخليقة، ومبدأ المعاد الآخر.

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ

---

(١) لقد حاول كثيرون التخلص من قضية أخذ الرب تعالى من ظهر ادم ذريته وإشهادهم على انفسهم، ونطق الارواح وشهادتها، ولا داعي لهذا أبداً ما دامت الأحاديث والآثار كثيرة وقدرة الله صالحة لكل شيء ولا يعجزها شيء ـ ماهي النملة؟ وقد أنطقها الله فنطقت وأفصحت. إن الحيوان المنوي الذي منه تكون الذرية قال العلماء لو جمعت الحيوانات المنوية كلها من آدم إلى اليوم ووضعت في فنجان ما ملأته. أمع هذا يحاول إبطال الأحاديث وتأويل الآية على غير ظاهرها رجل من أهل العلم؟

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

شرح الكلمات :

واتل عليهم نبأ : إقرأ عليهم.

فانسلخ منها : كفر بها وتركها وراء ظهره مبتعداً عنها.

فأتبعه الشيطان : لحقه وأدركه.

من الغاوين : من الضالين غير المهتدين الهالكين غير الناجين.

أخلد الى الأرض : مال إلى الدنيا وركن إليها وأصبح لا هم له إلا الدنيا.

يلهث : اللهث: التنفس الشديد مع إخراج اللسان من التعب والإعياء.

ساء : قبح.

مثلاً : أي صفة.

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿واتل عليهم﴾ أي اقرأ على قومك وعلى كل من يبلغه هذا الكتاب من سائر الناس ﴿نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ أي خبر الرجل[1] الذي اعطيناه آيتنا تحمل الأدلة والحجج والشرائع والأحكام والآداب فتركها وابتعد عنها فلم يَتْلُهَا ولم يفكر فيها ولم يعمل بها لا استدلالا ولا تطبيقا ﴿فأتبعه الشيطان﴾ أي لحقه وأدركه وتمكن منه إبليس، لأنه بتخليه عن الآيات وجد الشيطان له طريقاً إليه ﴿فكان من الغاوين﴾ أي الضالين الفاسدين الهالكين ﴿ولو شئنا لرفعناه بها[2]﴾ أي بالآيات إلى قمم

---

(١) ذكر أهل التفسير ثلاثة رجال قيل إنها نزلت في واحد منهم وهم: بلعم بن باعوراء الكنعاني وكان على زمن موسى، وقيل إنها نزلت في أميّة بن أبي الصلت الثقفي، وقيل في أبي عامر بن صيفي، وأقرب الأقوال أنها نزلت في أميّة بن أبي الصلت إذ هو الذي قال فيه الرسول ﷺ: (آمن شِعْرُهُ وكفر قلبه) إذ شعره كان يفيض بالإيمانيات من عقيدة البعث والجزاء، والتوحيد، والعدل والرحمة ومن شعره قوله:

كل دين يوم القيامة عند الله   إلا دين الحنيفية زور

(٢) أي أنّ تلك الآيات التي أعطاه الله إياها من شأنها أن تكون سببا للهداية، وهذا شأن آيات الله فإنها ترفع كل من يؤمن بهاويعمل بماافيها ترفعه في الدنيا والآخرة فهي آلة الرفع الحقيقية لا المذاهب والنظريات المادية.

المجد والكمال، والى الدرجات العلا في الدار الآخرة، ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ أي مال إليها وركن فأكب على الشهوات والسرف في الملذات، وأصبح لا هم له إلا تحصيل ذلك ﴿واتبع هواه﴾ وترك عقله ووحي ربه عنده، فصار مثله أي صفته الملائمة له ﴿كمثل الكلب﴾ أي في اللهث والإعياء، والتبعية وعدم الاستقلال الذاتي ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ فحيرته وتعبه لا ينقطعان أبداً. وقوله تعالى ﴿ذلك مثل القوم الذي كذبوا بآياتنا﴾ أي هذا المثل الذي ضربناه لذلك الرجل الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها وكان من أمره ما قصصنا عليك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا في كل زمان ومكان، وعليه ﴿فاقصص﴾ يا رسولنا ﴿القصص لعلهم يتفكرون﴾ أي لعل قريشاً تتفكر فتعتبر وترجع إلى الحق فتكمل وتسعد، وقوله تعالى ﴿ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ أي قبح مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فجحدوا بها حتى لا يوحدوا الله تعالى ولا يسلموا اليه، ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ بتدنيسها بآثار الشرك والمعاصي وقوله تعالى ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ أي من وفقه الله تعالى للهداية[1] فآمن وأسلم واستقام على منهاج الحق فهو المهتدي بحق ومن خذله الله لشدة إعراضه عن الحق وتكبره عنه فضل بإضلال الله تعالى له فأولئك هم الخاسرون الخسران الحق المبين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ خطر شأن هذا الخبر الذي أمر تعالى رسوله أن يتلوه على الناس.

٢ـ ترك القرآن الكريم بعدم تلاوته والتدبر فيه، وترك العمل به مفض بالعبد الى أن يكون هو صاحب المثل في هذه الآية، فأولا يتمكن منه الشيطان فيصبح من الغواة وثانيا يخلد إلى الأرض كما هو حال الكثيرين فلا يكون لأحدهم هم إلا الدنيا. ثم يتبع هواه لا عقله ولا شرع الله، فإذا به صورة لكلب يلهث لا تنقطع حيرته واتباعه لغيره كالكلب سواء بسواء وهذه حال من أعرضوا عن كتاب الله تعالى في هذه الآية فليتأملها العاقل.

٣ـ لا رفعة ولا سيادة ولا كمال إلا بالعمل بالقرآن فهي الآية الرافعة لقوله تعالى ﴿ولو شئنا

(١) الهداية: هي إبانة الطريق الموصل إلى السعادة والكمال.

لرفعناه بها﴾ أي بالآيات التي انسلخ منها والعياذ بالله.[1]

٤- الهداية بيد الله ألا فليطلبها من أرادها من الله بصدق القلب وإخلاص النية فإن الله تعالى لا يحرمه منها، ومن أعرض عن الله اعرض الله عنه.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١)﴾

شرح الكلمات:

ذرأنا لجهنم : خلقنا لجهنم أي للتعذيب بها والاستقرار فيها.

لا يفقهون بها : كلام الله ولا كلام رسوله.

لا يبصرون بها : آيات الله في الكون.

لا يسمعون بها : الحق والمعروف.

كالأنعام : البهائم في عدم الانتفاع بقلوبهم وأبصارهم وأسماعهم.

الغافلون : أي عن آيات الله، وما خُلقوا له وما يراد لهم وبهم.

ولله الأسماء الحسنى : الأسماء جمع اسم والحسنى مؤنث الأحسن، والأسماء الحسنى لله خاصة دون غيره فلا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته.

(١) لقد جرب أتباع أتاتورك العثماني العلمانية وجرّب العرب القومية ثم جربوا الاشتراكية حتى قال قائلهم: اشتراكيتنا نوالي من يواليها ونعادي من يعاديها، وجرّب بعضهم الشيوعية فهل غنوا هل عزّوا هل كملوا هل شبعوا؟ اللهم لا، لا، لا فلم إذن لا يعملون بالقرآن.

وذروا : اتركـوا.

يلحـدون : يميلون بها إلى الباطل.

وممن خلقنـا : أي من الناس.

معنى الآيـات :

على إثر ذكر الهدى والضلال وإن المهتدى من هداه الله، والضال من اضله الله أخبر تعالى أنه قد خلق لجهنم كثيراً من الجن والإنس، علما منه تعالى بانهم يرفضون هدايته ويتكبرون عن عبادته، ويحاربون أنبياءه ورسله، وإن رفضهم للهداية وتكبرهم عن العبادة عطل حواسهم فلا القلب يفقه ما يقال له، ولا العين تبصر ما تراه، ولا الأذن تسمع ما تخبر به وتحدث عنه فأصبحوا كالأنعام[1] بل هم أضل لأن الأنعام ما خرجت عن الطريق الذى سيقت له وخلقت لأجله،[2] وأما أولئك فقد خرجوا عن الطريق الذي امروا بسلوكه، وخلقوا له ألا وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له لينجوا من العذاب ويسعدوا في دار النعيم، وقوله تعالى ﴿أولئك هم الغافلون﴾ تقرير لحقيقة وهي أن استمرارهم في الضلال كان نتيجة غفلتهم عن آيات الله الكونية فلا يتأملوها فيعرفوا أن المعبود الحق هو الله وحده ويعبدوه وعن آيات الله التنزيلية فلا يتدبروها فيعلموا أن الله هو الحق المبين فيعبدوه وحده بما شرع لهم في كتابه وسنة نبيه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٧٩) وأما الآية الثاينة في هذا السياق (١٨٠) وهي قوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحنسى فادعوه[3] بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ فقد أخبر تعالى فيها بأن الأسماء الحسنى له تعالى خاصة لا يشاركه فيها أحد من خلقه، وقد أخبر النبي ﷺ أنها مائة[4] اسم إلا اسما أي تسعة وتسعون إسماً ووردت مفرقة في القرآن الكريم، وأمر تعالى عباده أن

---

(١) قال عطاء: الأنعام تعرف الله والكافر لا يعرفه، وقيل: الأنعام مطيعة لله، والكافر غير مطيع.

(٢) أي: لا همّة لهم إلا الأكل والشرب واللباس والنكاح، وهم أضل من الأنعام لأنّ الأنعام تبصر مضارها ومنافعها وتتبع مالكها وهم على خلاف ذلك.

(٣) روى أحمد رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (ما أصاب أحداً قط همٌ ولا حزم فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همّي إلاّ أذهب الله حزنه وهمّه وأبدل مكانه فرحاً).

(٤) روى الشيخان عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: (إنّ لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحبّ الوتر).

يدعوه بها يا الله، يا رحمن يا رحيم يا رب، يا حي يا قيوم، وذلك عند سؤالهم اياه وطلبهم منه ما لا يقدرون عليه[2](1)، كما أمرهم ان يتركوا أهل الزيغ والضلال الذين يلحدون في أسماء الله فيؤلونها، أو يعطلونها، أو يشبهونها، أمر عباده المؤمنين به أن يتركوا هؤلاء له ليجزيهم الجزاء العادل على ما كانوا يقولون ويعملون. لأن جدالهم غير نافع فيهم ولا مجد للمؤمنين ولا لهم.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (١٨١) وهي قوله تعالى ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ إنه لما ذكر أنه خلق لجهنم كثيراً من الجن والإنس ذكر هنا أنه خلق للجنة خلقاً آخر من الإنس والجن فذكر صفاتهم التي يستوجبون بها الجنة كما ذكر صفات أهل جهنم التي استوجبوا بها جهنم، فقال ﴿وممن خلقنا﴾ من الناس ﴿أمة﴾ كبيرة ﴿يهدون﴾ أنفسهم وغيرهم ﴿بالحق﴾ الذي هو هدى الله ورسوله وبالحق يعدلون في قضائهم وأحكامهم فينصفون ويعدلون ولا يجورون، ومن هذه الأمة كل صالح في أمة الإسلام يعيش على الكتاب والسنة اعتقاداً وقولاً وعملاً وحكماً وقضاء وأدباً وخلقاً جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير مبدأ ان السعادة والشقاء سبق بها قلم القضاء والقدر فكل ميسر لما خلق له.

٢ـ هبوط الآدمي إلى درك أهبط من درك الحيوان، وذلك عندما يكفر بربه ويعطل حواسه عن الانتفاع بها، ويقصر همه على الحياة الدنيا.

٣ـ بيان أن البلاء كامن في الغفلة عن آيات الله والإعراض عنها.

٤ـ الأمر بدعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى نحو يا رب يا رحمن، يا عزيز يا جبار.

---

(١) ذكر أهل العلم كيفية الدعاء بها وهي؛: أن يسأل باسم الله ما يناسب حاجته فيقول مثلا: يا رحمن ارحمني، يارزاق ارزقني، ياحكيم احكم لي، يا قوي يا قدير. قوّني واقدرني على كذا.. يا لطيف ألطف بي، يا عليم علّمني وانفعني بما تعلمني وهكذا..

(٢) قال مقاتل وغيره في سبب نزول هذه الآية ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ الخ أنّ مشركاً سمع مسلماً يدعو: يا رحمن يا رحيم فقال: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً؟ فما بال هذا يدعو ربّين اثنين، فأنزل الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ الخ.

٥ـ حرمة تأويل أسماء الله وصفاته وتحريفها كما قال المشركون في الله، اللات، وفي العزيز العزى سموا بها آلهتهم الباطلة، وهو الإلحاد[1] الذي توعد الله أهله بالجزاء عليه.

٦ـ أهل الجنة الذين خلقوا لها هم الذين يهدون بالكتاب والسنة ويقضون بهما.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

شرح الكلمات:

كذبوا بآياتنا : أي بآيات القرآن الكريم.

سنستدرجهم[2] : أي نستميلهم وهم هابطون إلى هوة العذاب درجة بعد درجة حتى ينتهوا إلى العذاب، وذلك بإدرار النعم عليهم مع تماديهم في التكذيب والعصيان حتى يبلغوا الأجل المحدد لهم ثم يؤخذوا أخذة واحدة.

---

(١) الإلحاد لغة: الميل عن وسط الشيء إلى جانبه والإلحاد للميت دفنه في جانب القبر وكان من إلحاد العرب في أسماء الله تعالى أن اشتقوا العزّى من العزيز واللات من الله، ومناة من المنان فألحدوا في أسماء الله تعالى، ومن الإلحاد في أسماء الله تعالى ما يفعله جهال المتصوّفة من وضع أسماء لله تعالى لا توجد في كتاب ولا سنة.

(٢) الاستدراج: هو الأخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة، والدَّرْج: لف الشيء ومنه ادراج الميت في كفنه آي: لفه فيه. واستدراج الله تعالى لأهل الغواية كلّما جددوا لله معصية جدد لهم نعمة حتى يأخذهم بذنوبهم وهم لا يشعرون وأحسن من أنشد:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حَسُنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وأملي لهم إن كيدي متين : أي أمهلهم فلا أعجل بعقوبتهم حتى ينتهوا إليها بأعمالهم الباطلة وهذا هو الكيد لهم وهو كيد متين شديد.

ما بصاحبهم من جنة : صاحبهم هو محمد ﷺ، والجنة الجنون والمتحدث عنهم كفار قريش.

ملكوت السموات : أي ملك السموات إلا أن لفظ الملكوت أعظم من لفظة الملك.

فبأي حديث بعده : أي بعد القرآن العظيم.

ونذرهم في طغيانهم : أي نتركهم في كفرهم وظلمهم.

يعمهون : حيارى يترددون لا يعرفون مخرجاً ولا سبيلا للنجاة.

معنى الآيات

يخبر تعالى أن الذين كذبوا بآياته التي أرسل بها رسوله محمدا ﷺ فلم يؤمنوا بها وأصروا على الشرك والضلال معرضين عن التوحيد والهدى يخبر تعالى أنه سيستدرجهم بالأخذ شيئاً فشيئاً ودرجة بعد درجة حتى يحق عليهم العذاب فينزله بهم فيهلكون ويخبر أنه يملى لهم أيضا كيداً بهم ومكراً، أى يزيدهم في الوقت ويطول لهم زمن كفرهم وضلالهم فلا يعاجلهم بالعقوبة بل إنه يزيد في إرزاقهم وأموالهم حتى يفقدوا الاستعداد للتوبة ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ولذا قال ﴿وأملي[1] لهم ان كيدى متين[2]﴾ أي قوي شديد. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٨٣) أما الثانية فإنه تعالى يوبخهم على إعراضهم عن التفكير والتعقل فيقول ﴿أو لم يتفكروا﴾ في سلوك الرسول[3] ﷺ وتصرفاته الرشيدة الحكيمة فيعلموا أنه ما به من جنة وجنون كما يزعمون، وإنما هو نذير لهم من عذاب يوم أليم إن هم استمروا على سلوك درب الباطل والشر من الشرك والمعاصي، ونذارته بينه لا لبس فيها ولا غموض لو كانوا يتفكرون. وفي الآية الثالثة (١٨٥) يوبخهم

(١) قيل نزلت هذه الآية: ﴿سنستدرجهم﴾ إلى قوله: ﴿متين﴾ نزلت في المستهزئين من قريش وقد أخذوا بعد الإملاء لهم زمناً زاد على العشر سنين، أخذهم في بدر وألقوا في القليب ووبخهم ﷺ بما هم أهله من الخزي والهوان.
(٢) المتين: مأخوذ من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب أي: الظهر.
(٣) هو المراد بالصاحب في قوله: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ وهي الجنون، دعا الله تعالى قريشا للتفكر.

على عدم نظرهم[1] في ملكوت السماوات والأرض وفي ما خلق الله من شيء وفي أن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، إذ لو نظروا في ملكوت السموات والأرض وما في ذلك من مظاهر القدرة والعلم والحكمة لعلموا أن المستحق للعبادة هو خالق هذا الملكوت، لا الأصنام والتماثيل، كما أنهم لو نظروا فيما خلق الله من شيء من النملة إلى النخلة ومن الحبة الى القبة لأدركوا أن الله هو الحق وأن ما يدعون هو الباطل كما أنه حرى بهم أن ينظروا في ما مضى من أعمارهم فيدركوا أنه من الجائز أن يكون قد اقترب أجلهم، وقد اقترب فعلا فليعجلوا بالتوبة حتى لا يؤخذوا وهم كفار أشرار فيهلكون ويخسرون خسراناً كاملاً. ثم قال تعالى في ختام الآية ﴿فبأي حديث[2]﴾ بعد القرآن يؤمنون فالذي لا يؤمن بالقرآن وكله حجج وشواهد وبراهين وأدلة واضحة على وجوب توحيد الله والايمان بكتابه ورسوله ولقائه ووعده ووعيده فبأي كلام يؤمن، اللهم لا شيء، فالقوم إذاً أضلهم الله، ومن أضله الله فلا هادي له ويزرهم في طغيانهم يعمهون حيارى يترددون لا يدرون ما يقولون، ولا أين يتجهون حتى يهلكوا كما هلك من قبلهم. وما ربك بظلام للعبيد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ عظم خطر التكذيب بالقرآن الكريم حتى أن المكذب ليستدرج حتى يهلك وهو لا يعلم.

٢ـ أكبر موعظة وهي أن على الإنسان أن يذكر دائماً أن أجله قد يكون قريباً وهو لا يدري فيأخذ بالحذر والحيطة حتى لا يؤخذ على غير توبة فيخسر.

٣ـ من لا يتعظ بالقرآن وبما فيه من الزواجر، والعظات والعبر، لا يتعظ بغيره.

٤ـ من أعرض عن كتاب الله مكذباً بما فيه من الهدى فضل، لا ترجى له هداية أبداً.

---

(١) استدل العلماء بهذه الآية : ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ ونظائر هذه الآية وهي كثيرة على وجوب النظر في الآيات والاعتبار بالمخلوقات وهو كذلك، واختلف العلماء في : هل الإيمان يثبت بالتقليد أو لابد من النظر حتى يؤمن، والصحيح : أنّ الإيمان يصح بالتقليد المفيد لليقين كإيمان عوام المسلمين، وأفضل منه ما كان عن نظر واستدلال وهو إيمان العالمين.

(٢) قوله : ﴿فبأي حديث﴾ الخ : الاستفهام لتوقيفهم على ما يجب أن يفكروا فيه وينظروا إليه وتوبيخهم على ترك ذلك.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ (١)
أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ
عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾
قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ
أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

شرح الكلمات :

الساعة : أي الساعة بمعنى الوقت الذي تنتهي فيه الحياة الدنيا بالفناء التام.

أيان مرساها (٢) : أي متى وقت قيامها.

لا يجليها لوقتها : أي لا يظهرها في وقتها المحدد لها إلا هو سبحانه وتعالى.

بغتة : أي فجأة بدون توقع أو انتظار.

حفي عنها : أي ملحف مبالغ في السؤال عنها حتى أصبحت تعرف وقت مجيئها.

الغيب : الغيب ما غاب عن حواسنا وعن عقولنا فلم يدرك بحاسة ولا بعقل. والمراد به هنا ما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد.

السوء : كل ما يسوء العبد في روحه أو بدنه.

إن أنا إلا نذير : أي ما أنا إلا نذير وبشير فلست بإله يدبر الأمر ويعلم الغيب.

---

(١) السائلون النبي ﷺ عن الساعة كثيرون بعضهم مشركون يسألون للتعجيز وبعضهم يهود يسألون اختباراً وامتحاناً.
(٢) اسم يسأل به عن الزمان لا غير، قال الراجز:
أيّان تقضي حاجتي أيّان   أما ترى لنُجْحِها أوانا

معنى الآيـات :

لا شك أن أفراداً من قريش أو من غيرهم سألوا النبي ﷺ عن الساعة متى قيامها فأخبره تعالى بسؤالهم وعلمه الجواب فقال عز وجل وهو يخاطب رسوله ﷺ ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾[1] أي متى وقت وقعوها وقيامها؟ قل لهم ﴿إنما علمها عند ربي﴾ أي علم وقت قيامها عند ربي خاصة ﴿لا يجليها لوقتها﴾ أي لا يظهر لأول وقتها إلا هو ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ أي ثقل أمر علمها عند أهل السموات والأرض ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ أي فجأة، ثم قال له يسألونك هؤلاء الجهال عن الساعة ﴿كأنك حفي عنها﴾ أي كأنك ملحف في السؤال مبالغ في طلب معرفتها حتى عرفتها، قل لهم ﴿إنما علمها عند الله﴾[2] خاصة، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، ولذا هم يسألوه، إذ إخفاؤه لحكم عالية لو عرفها الناس ما سألوا ولن يسألوا ولكن الجهل هو الذي ورطهم في مثل هذه الأسئلة وهذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٨٧) أما الآية الثانية (١٨٨) فقد أمر تعالى رسوله أن يقول لأولئك السائلين عن الساعة متى وقت مجيئها ﴿لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً﴾ خيراً ولا شراً ﴿إلا ما شاء الله﴾ شيئاً من ذلك فإنه يُعينُني على جلبه أو على دفعه فكيف إذاً أعلم وقت مجيء الساعة حتى تسألوني عنها ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾[3] كما تظنون لاستكثرت من الخيرات وما مسني السوء. وذلك أني إذا عرفت متى الخصب ومتى الجدب، ومتى الغلاء ومتى الرخاء يمكنني بسهولة أن استكثر من الخير عند وجوده، وأتوقى الشر وأدفعه قبل حصوله، يا قوم إنما أنا نذير بعواقب الشرك والمعاصي بشير بنتائج الإيمان والتوحيد والعمل الصالح فلست بإله أعلم الغيب، ووظيفتي هذه صراحة هي البشارة والنذارة ينتفع بها المؤمنون خاصة وهو معنى قوله تعالى ﴿إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾.

---

(١) ﴿أيّان مرساها﴾: مرساها مبتدأ، والخبر أيّان، وقدّم لأنه اسم استفهام له الصدارة ومعنى مرساها: مثبتها، من قولهم أرسى كذا إذا أثبته، أي: متى وقوعها.

(٢) أي علم الساعة إذ إخفاء علم الساعة كان لحكم عالية لو عرفها السائلون عن الساعة ما سألوا ولكنهم لجهلهم يسألون.

(٣) الغيب: قسمان، حقيقي: وهو ما استأثر الله تعالى به ومن علّمه تعالى منه شيئا علمه. وإضافي: يعلمه بعض ويخفي عن بعض، ومن ادعى علم الغيب فقد كذّب الله ونازعه فيما استأثر به فهو بذلك كافر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ مرد علم الساعة إلى الله وحده فكل مسؤول عنها غير الله ليس أعلم من السائل.[1]

٢ـ للساعة أشراط بعضها في الكتاب وبعضها في السنة وليس معنى ذلك أنه تحديد لوقتها وإنما هي مقدمات تدل على قربها فقط.

٣ـ استأثر الله بعلم الغيب فلا يعلم الغيب إلا الله، ومن علمه الله شيئاً منه علم كما علم نبيه ﷺ بعض المغيبات، والمعلم بالشيء لا يقال فيه بعلم الغيب وإنما يقال علمه ربه غيب كذا وكذا فعلمه

٤ـ إذا كان الرسول لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يطلب منه ذلك وإذ كان الرسول لا يملك فهل من دونه من العباد يملك؟ إذا عرفت هذا ظهر لك ضلال أقوام يدعون الموتى سائلين ضارعين عند قبورهم ويقولون أنهم لا يدعونهم ولكن يتوسلون بهم فقط.

۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ
أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾

---

(١) لحديث مسلم: فقد سأله جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان فبيّن له ذلك فصدقه جبريل وسأله عن الساعة فقال له: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

شـرح الكلمـات :

من نفس واحدة	: هي نفس آدم عليه السلام.
وجعل منها زوجها	: أي خلق منها زوجها وهي حواء خلقها من ضلع آدم الأيسر.
ليسكن اليها	: أي ليألفها ويأنس بها لكونها من جنسه.
فلما تغشاها	: أي وطئها.
فمرت به	: أي ذاهبـة جائية تقضى حوائجهـا لخفت الحمـل في الأشهر الأولى.
فلما اثقلت[1]	: أي أصبح الحمل ثقيلاً في بطنها.
لئن آتيتنا صالحاً	: أي ولداً صالحاً ليس حيواناً بل إنساناً.
جعلا له شـركاء	: أي سموه عبدالحارث وهو عبدالله جل جلاله.
فتعالى الله عما يشركون	: أي أهل مكة حيث أشركوا في عبادة الله أصناماً.
وإن تدعوهم إلى الهدى	: أي الأصـنام لا يتبعوكم.

معنى الآيـات :

يقـول تعالى لأولئك السائلين عن الساعة عناداً ومكابرة من أهل الشرك هو أي الله ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ الإله المستحق للعبادة لا الأصنام والأوثان، فالخالق لكم من نفس واحدة وهي آدم وخلق منها زوجها حواء هو المستحق للتأليه والعبادة. دون غيره من سائر خلقه. وقوله ﴿ليسكن إليها﴾: علة لخلقه زوجها منها، إذ لو كانت من جنس آخر لما حصلت الألفة والأنس بينهما وقوله ﴿فلما تغشاها﴾ أي للوطء ووطئهـا ﴿حملت[2] حمـلاً خفيفاً، فمرت[3] به﴾ لخفته ﴿فلما أثقلت﴾ أي أثقلها الحمل

---

(١) قال الفقهاء كمالك: إذا بلغ الحمل ستة أشهر أصبحت الحامل مريضة فلا يصح لها أن تهب من مالها أكثر من الثلث، ومثلها من دخل معركة القتال، وكذا المريض الشديد المرض، والمحبوس للقتل ليس لهم من هبة إلاّ ما كان الثلث فأقل.

(٢) كل ما كان في البطن أو على رأس النخلة أو الشجرة فهو حمل بفتح الحاء وكل ما كان على رأس أو ظهر إنسان أو حيوان فهو حمل بكسر الحاء.

(٣) فمرت به لخفّته فلم تتفطّن له ولم تفكر في شانه ومعنى أثقلت أي صارت ذات ثقل من أثقل المريض فهو مثقل فأثقلت صارت مثقلة.

﴿دعوا الله﴾ أي آدم وحواء ربهما تعالى أي سألاه قائلين[1] ﴿لئن آتيتنا صالحاً﴾ أي غلاماً صالحاً ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ أي لك. واستجاب الرب تعالى لهما وآتاهما صالحاً. وقوله تعالى ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ حيث سمته حواء عبدالحارث بتغرير من إبليس، إذ اقترح عليهما هذه التسمية، وهي من الشرك الخفي المعفو عنه نحو لولا الطبيب هلك فلان، وقوله ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ عائد إلى كفار قريش الذين يشركون في عبادة الله أصنامهم وأوثانهم، بدليل قوله بعد ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً﴾ أي من المخلوقات ﴿وهم﴾ أي الأوثان وعبادها ﴿يخلقون، ولا يستطيعون لهم نصراً﴾ إذا طلبوا منهم ذلك. ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ لأنهم جمادات لا حياة بها ولا قدرة لها وقوله ﴿وإن تدعوهم﴾ أي وإن تدعوا أولئك الأصنام ﴿إلى الهدى﴾ وقد ضلوا الطريق ﴿لا يتبعوكم[1]﴾ لأنهم لا يعقلون الرشد من الضلال ولذا فسواء عليكم ﴿أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ أي لم تدعوهم فإنهم لا يتبعونكم ومن هذه حاله وهذا واقعه فهل يصح أن يعبد فتقرب له القرابين ويحلف به، ويعكف عنده، وينادى ويستغاث به؟؟ اللهم لا، ولكن المشركين لا يعقلون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيا ن أصل خلق البشر وهو آدم وحواء عليهما السلام.

٢ـ بيان السر في كون الزوج من جنس الزوج وهو الألفة والأنس والتعاون.

٣ـ بيان خداع إبليس وتضليله للإنسان حيث زين لحواء تسمية ولدها بعبدالحارث وهو عبدالله.

٤ـ الشرك في التسمية[2] شرك خفي معفو عنه وتركه أولى.

٥ـ التنديد بالشرك والمشركين، وبيان جهل المشركين وسفههم إذ يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يجيب ولا يتبع.

---

(١) ما ذهبت إليه في التفسير هو ما ذهب إليه إمام المفسرين ابن جرير الطبري وهو مؤيد بقراءة تشركون بالتاء وبحديث خدعهما مرتين خدعهما فى الجنة وخدعهما فى الأرض وذهب آخرون إلى أن الكلام على جنس الآدميين تبيناً لحال المشركين من ذرية ادم ودل على قولهم قراءة يشركون بالياء والله أعلم.

(٢) يقول بعضهم: اتبعه: إذا مشى وراءه ولم يدركه، واتّبعه مشددا إذا مشى وراءه وأدركه.

(٣) نحو: عبد النبي، وعبدالرسول، وعبد الضيف كما قال حاتم الطائي:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا   وما في إلا تيك من شيمة العبد

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ
يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ
يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾
إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ
أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ
وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

شرح الكلمات :

عباد أمثالكم : أي مملوكون مخلوقون أمثالكم لمالك واحد هو الله رب العالمين.

شركاءكم : أصنامكم التى تشركون بها.

ثم كيدون : بما استطعتم من أنواع الكيد.

فلا تنظرون : أي فلا تمهلون لأني لا أبالي بكم.

إن وليي الله : أي المتولي أموري وحمايتي ونصرتي الله الذي نزل القرآن.

وتراهم ينظرون : أي وترى الأصنام المنحوتة على شكل رجال ينظرون إليك وهم لا يبصرون.

معنى الآيات :

هذه الآيات الخمس في سياق ما قبلها جاءت مقررة لمبدأ التوحيد مؤكدة له منددة

بالشرك مقبحة له، ولأهله فقوله تعالى ﴿إن الذين تدعون﴾[1] أي دعاء عبادة أيها المشركون ﴿هم عباد أمثالكم﴾[2] أي مملوكون لله، الله مالكهم كما أنتم مملوكون لله مربوبون. فكيف يصح منكم عبادتهم وهم مملكون مثلكم لا يملكون لكم ولا لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، وإن شككتم في صحة هذا فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين في زعمكم أنهم آلهة يستحقون العبادة. إنكم لو دعوتموهم ما استجابوا، وكيف يستجيبون وهم جماد ولا حياة لهم ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون[3] بها أم لهم أعين يبصرون بها، أم لهم آذان يسمعون بها﴾ إنه لا شيء لهم من ذلك فكيف إذاً يستجيبون، وبأي حق يعبدون فيدعون ويرجون وهم فاقدوا آثار القدرة والحياة بالمرة.

ثم أمر الله تعالى رسوله أن يعلن لهم أنه لا يخافهم ولا يعدهم شيئاً إذا كانوا هم يعبدونهم ويخافونهم فقال له قل لهؤلاء المشركين ﴿ادعوا شركاءكم ثم كيدون﴾[4] أنتم وإياهم ﴿فلا تنظرون﴾ أي لا تمهلوني ساعة، وذلك لأن ﴿وليي[5] الله الذي نزل الكتاب﴾ أي القرآن ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ فهو ينصرني منكم ويحميني من كيدكم إنه ولي وولي المؤمنين. أما أنتم ﴿والذين تدعون من دونه﴾ أي من دون الله من هذه الأوثان ﴿لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾ وشيء آخر وهو أنكم ﴿إن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا﴾ فضلاً عن إن تدعوهم إلى الضلال فكيف تصح عبادة من لا يجيب داعيه في الرخاء ولا في الشدة. وأخيراً يقول تعالى لرسوله ﷺ، ﴿وتراهم﴾ أي ترى أولئك الآلهة وهي تماثيل من حجارة ﴿ينظرون إليك﴾[6] إذا قابلتهم لأن أعينهم مفتوحة دائماً، والحال أنهم لا يبصرون، وهل تبصر الصور والتماثيل؟.

---

(١) تدعون: بمعنى تعبدون لأنّ الدعاء هو العبادة أو تدعون: بمعنى تدعونها عبادة فحذف المفعول ليشمل التعبير المعنيين وهو من بلاغة القرآن.

(٢) أطلق لفظ عباد على الأوثان لأنها مملوكة لله تعالى كعابديها مخلوقة كما هم مخلوقون، ولما اعتقد المشركون أنّ أصنامهم تنفع وتضر عاملها معاملة العقلاء فقال: عباد أمثالكم وقال: ﴿فادعوهم﴾ بدل فادعوهن.

(٣) اليد والرجل والأذن مؤنثات ولذا يصغّرن بالهاء ويقال: يُدية ورُجلية وأذينة وشدّدت الهاء من: يدية لأنّ الياء المحذوفة من يد، ردّت في التصغير.

(٤) أصل كيدون: كيدوني بالياء فحذفت تخفيفاً، والكيد: المكر، والحرب أيضاً يقال: غزا فلم يلق كيداً أي: حرباً.

(٥) وليّ الشيء: هو الذي يحفظه ويمنع الضرر عنه وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا إن آل فلان ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين).

(٦) النظر: فتح العينين إلى المنظور إليه، وجملة وتراهم مستأنفة وينظرون في محل نصب على الحال، وجائز أن يكون المراد بـ تراهم ينظرون إليك المشركون أنفسهم وكونهم لا يبصرون لأنهم لم ينتفعوا بأبصارهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات

١ـ إقامة الحجة على المشركين بالكشف عن حقيقة ما يدعون أنها آلهة فإذا بها أصنام لا تسمع ولا تجيب لا أيد لها ولا أرجل ولا آذان ولا أعين.

٢ـ وجوب التوكل على الله تعالى، وطرد الخوف من النفس والوقوف أمام الباطل وأهله في شجاعة وصبر وثبات اعتماداً على الله تعالى وولايته إذ هو يتولى الصالحين.

٣ـ جواز المبلاغة في التنفير من الباطل والشر بذكر العيوب والنقائص.

خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟
فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

شرح الكلمات :

العفو : ما كان سهلاً لا كلفة فيه وهو ما يأتي بدون تكلف.

بالعرف : أي المعروف في الشرع بالأمر به أو الندب إليه.

وأعرض عن الجاهلين : الجاهلون: هم الذين لم تستنر قلوبهم بنور العلم والتقوى، والإعراض عنهم بعدم مؤاخذتهم على سوء قولهم أو فعلهم.

نزغ الشيطان : أي وسوسته بالشر.

فاستعذ بالله : أي قل أعوذ بالله يدفعه عنك إنه أي الله سميع عليم.

اتقوا : أي الشرك والمعاصي.

طائف من الشيطان : أي ألم بهم شيء من وسوسته.

وإخوانهم يمدونهم في الغي : أي إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصي يمدونهم في الغي.

ثم لا يقصرون : أي لا يكفون عن الغي الذي هو الضلال والشر والفساد.

معنى الآيات :

لما علّم تعالى رسوله كيف يحاج المشركين لإبطال باطلهم في عبادة غير الله تعالى والإشراك به عز وجل علمه في هذه الآية أسمى الآداب وأرفعها، وأفضل الأخلاق وأكملها فقال له: ﴿خذ العفو[(١)] وأمر بالعرف[(٢)] وأعرض عن الجاهلين﴾ أي خذ من أخلاق الناس ما سهل عليهم قوله وتيسر لهم فعله، ولا تطالبهم بما لا يملكون أو بما لا يعلمون وأمرهم بالمعروف، وأعرض[(٣)] عن الجاهلين منهم فلا تعنفهم ولا تغلظ القول لهم فقد سأل ﷺ عن معنى هذه الآية جبريل عليه السلام فقال له: (تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك)[(٤)] وقوله ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ[(٥)]﴾ أي أثار غضبك حتى لا تلتزم بهذا الأدب الذي أمرت به ﴿فاستعذ بالله﴾ بدفعه عنك إنه سميع لأقوالك عليم بأحوالك. ثم قال تعالى مقرراً حكم الاستعاذة مبيناً جدواها ونفعها لمن يأخذ بها. ﴿إن الذين اتقوا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به أحداً ولم يفرطوا في الواجبات ولم يغشوا المحرمات هؤلاء ﴿إذا مسهم طائف[(٦)] من الشيطان﴾ بأن نزغهم بإثارة الغضب أو الشهوة فيهم تذكروا

---

(١) قال ابن الزبير هذه الآية: ﴿خذ العفو..﴾ الخ ما أنزلها الله تعالى إلاّ في أخلاق الناس، وقال جعفر الصادق أمر الله رسوله بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

(٢) العرف: المعروف وقرىء العرف: العُرُف بضم العين والراء مثل: الحُلُم والعرف: كل خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليها النفوس: قال الشاعر:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لايذهب العُرف بين الله والناس

(٣) الإعراض عن الجاهلين يكون بعد دعوتهم إلى الحق وإقامة الحجة عليهم فإن لم يستجيبوا يعرض عنهم آذوه أو لم يؤذوه.

(٤) من أحاديث مكارم الأخلاق قوله ﷺ إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق.

(٥) النزغ، والنغز والهمز والوسوسة بمعنى واحد، والنزغ: الإفساد والإغواء والإغراء وعلاج الوسوسة، الاستعاذة بالله تعالى.

(٦) الطيف، والطائف، بمعنى، وقيل: الطيف: الخيال، والطائف: الشيطان. وهو صحيح أيضاً.

أمر الله ونهيه ووعده ووعيده ﴿فإذا هم مبصرون﴾ يرون قبح المعصية وسوء غاقبة فاعلها فكفوا عنها ولم يرتكبوها. وقوله تعالى: ﴿وإخوانهم﴾ أي إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصي ﴿يمدونهم﴾ أي الشياطين ﴿في الغي﴾ أي في المعاصي والضلالات ويزيدونهم في تزيينها لهم وحملهم عليها، ﴿ثم لا يقصرون﴾ عن فعلها ويكفون عن ارتكابها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الأمر بالتزام الآداب والتحلي بأكمل الأخلاق[1] ومن أرقاها العفو عمن ظلم وإعطاء من حرم، وصلة من قطع.

٢ ـ وجوب الاستعاذة بالله عند[2] الشعور بالوسوسة أو الغضب أو تزيين الباطل.[3]

٣ ـ فضيلة التقوى وهي فعل الفرائض وترك المحرمات.

٤ ـ شؤم أخوة الشياطين حيث لايقصر صاحبها بمد الشياطين له عن الغي الذي هو الشر والفساد.

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ
قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ
فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ

---

(١) روي أنّ النبي ﷺ قال: (أمرني ربي بتسع: الإخلاص في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمّن ظلمني وأصل من قطعني، وأعطي من حرمني وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة).

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول له من خلق كذا وكذا حتى يقول له: من خلق ربّك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) فقوله: فليستعذ: الأمر للوجوب إذ لا يدفع الشيطان إلا الله تعالى فهو الذي ينجي منه ويجير.

(٣) روي أن النبي ﷺ لما نزلت آية ﴿خذ العفو﴾ الآية قال ﷺ: (كيف يارب والغضب) فنزلت: ﴿وإمّا ينزغنك...﴾ الخ.

فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

شرح الكلمات :

قالوا لولا اجتبيتها : أي اخترعتها واختلقتها من نفسك وأتيتنا بها.

هذا بصائر من ربكم : أي هذا القرآن حجج وبراهين وأدلة على ما جئت به وادعوكم إليه فهو أقوى حجة من الآية التي تطالبون بها.

فاستمعوا له وانصتوا : أي اطلبوا سماعه وتكلفوا له، وانصتوا عند ذلك أي اسكتوا حتى تسمعوا سماعاً ينفعكم.

وخيفة : أي خوفاً.

بالغدو والآصال : الغدو: أول النهار، والآصال: أواخره.

من الغافلين : أي عن ذكر الله تعالى.

إن الذين عند ربك : أي الملائكة.

يسبحونه : ينزهونه بألسنهم بنحو سبحان الله وبحمده.

معنى الآيات :

مازال السياق في توجيه الرسول ﷺ وتعليمه الرد على المشركين خصومه فقال تعالى عن المشركين من أهل مكة ﴿وإذا لم تأتيهم﴾ يا رسولنا ﴿بآية﴾[1] كما طلبوا ﴿قالوا﴾ لك ﴿لولا﴾ أي هلا ﴿اجتبيتها﴾ أي اخترعتها وأنشأتها من نفسك ما دام ربك لم يعطها قل لهم إنما أنا عبد الله ورسوله لا أفتات عليه ﴿وإنما اتبع ما يوحى إليّ من ربي﴾ وهذا القرآن الذي يوحى إلي **بصائر**[2] من حجج وبراهين على صدق دعواي وإثبات رسالتي،

---

(١) وجائز أن يكون المراد من الآية :آية قرآنية يمدحهم فيها ويمدح أصنامهم ولولا هنا أداة تحضيض مثل هلّا ولا يليها إلا الفعل ظاهرا أو مضمراً.

(٢) البصائر: جمع بصيرة وهي ما به يتضح الحق، وفي هذا تنويه بشأن القرآن العظيم وأنه: أعظم من الآيات أي: الخوارق التي يطالبون بها في الدلالة على الحق الذي ضلّوا عنه.

وصحة ما أدعوكم إليه من الإيمان والتوحيد وترك الشرك والمعاصي، فهلا آمنتم واتبعتم أم الآية الواحدة تؤمنون عليها والآيات الكثيرة لا تؤمنون عليها أين يذهب بعقولكم؟ وعلى ذكر بيان حجج القرآن وأنواره أمر الله تعالى عباده المؤمنين إذا قرىء عليهم القرآن أن يستمعوا وينصتوا وسواء كان يوم الجمعة على المنبر أو كان في غير ذلك[1] فقال تعالى ﴿فإذا قرىء القرآن فاستمعوا له﴾ أي تكلفوا السماع وتعمدوه ﴿وانصتوا﴾ بترك الكلام ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي رجاء أن ينالكم من هدى القرآن رحمته فتهتدوا وترحموا لأن القرآن هدى ورحمة للمؤمنين.

ثم أمر تعالى رسوله وأمته تابعة له في هذا الكمال فقال تعالى ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ أي سراً ﴿تضرعاً﴾ أي تذللاً وخشوعاً، ﴿وخيفة[2]﴾ أي وخوفاً وخشية ﴿ودون الجهر من القول﴾ وهو السر بأن يسمع نفسه فقط أو من يليه لا غير وقوله ﴿بالغدو والآصال﴾ أي أوائل النهار وأواخره، ونهاه عن ترك الذكر وهو الغفلة فقال ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ وذكر له تسبيح[3] الملائكة وعبادتهم ليتأسى بهم، فيواصل العبادة والذكر ليل نهار فقال ﴿إن الذين عند ربك﴾ وهم الملائكة في الملكوت الأعلى ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ أي طاعته بما كلفهم به ووظفهم فيه ﴿ويسبحونه وله يسجدون[4]﴾ فتأس بهم ولا تكن من الغافلين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ القرآن أكبر آية بل هو أعظم من كل الآيات التي أعطيها الرسل عليهم السلام.

٢ـ وجوب الإنصات عند تلاوة القرآن وخاصة في خطبة الجمعة على المنبر وعند قراءة الامام في الصلاة الجهرية.

---

(١) أي: كيومي العيدين مثلا، وهذا الأمر بالاستماع والانصات للقرآن عام يشمل المشركين إذ كانوا يأمرون بعدم الاستماع إليه كما قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن...﴾ كما يشمل المؤمنين، إذ سماع القرآن سبيل الهداية، والإنصات: سماع مع عدم التكلم حال الاستماع.

(٢) الخيفة: أصلها خوفة فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وهي مصدر خاف المرء يخاف خوفاً وخيفة ومخافة فهو خائف.

(٣) تسبيح الملائكة معناه: تعظيمهم لله تعالى وتنزيههم له عزّ وجلّ عن الشريك والولد.

(٤) صيغة المضارع في ﴿يسبحون﴾ و﴿يسجدون﴾ لحصر السجود في الله تعالى وعدم جوازه لغيره عز وجل.

٣ـ وجوب ذكر الله بالغدو والآصال.

٤ـ بيان آداب الذكر وهي:

١ـ السـرية.

٢ـ التضرع والتذلل.

٣ـ الخوف والخشية.

٤ـ الإسرار به وعدم رفع الصوت به، لا كما يفعل المتصوفة.

٥ـ مشروعية الأئتساء بالصالحين والاقتداء بهم في فعل الخيرات وترك المنكرات.

٦ـ عزيمة السجود عند قوله ﴿وله يسجدون﴾[(١)] وهذه أول سجدات القرآن ويسجد القارىء والمستمع له، أما السامع فليس عليه سجود، ويستقبل بها القبلة ويكبر عند السجود وعند الرفع منه ولا يسلم وكونه متوضأً أفضل.

سُورَةُ الأَنفَالِ

مدنيـــــة

وآياتهـا خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) ولو سلم منها في غير الصلاة جاز فقد روي عن بعض السلف، ويستحب لمن سجد أن يقول: (اللهم احطط عني بها وزراً واكتب لي بها أجراً واجعلها لي عندك ذخرا) رواه ابن ماجه. عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

الأنفال : جمع نفل[1] بتحريك الفاء: ما يعطيه الإمام لأفراد الجيش تشجيعاً لهم.

ذات بينكم : أي حقيقة بينكم، والبين الوصلة والرابطة التي تربط بعضكم ببعض من المودة والإخاء.

إنما المؤمنون : أي الكاملون في إيمانهم.

وجلت قلوبهم : أي خافت إذ الوجل:[2] هو الخوف لا سيما عند ذكر وعيده ووعده.

وعلى ربهم يتوكلون : على الله وحده يعتمدون وله أمرهم يفوضون.

ومما رزقناهم : أي أعطيناهم.

أولئك : أي الموصوفون بالصفات الخمس السابقة.

لهم درجات : منازل عالية في الجنة.

ورزق كريم : أي عطاء عظيم من سائر وجوه النعيم في الجنة.

معنى الآيات :

هذه الآيات نزلت في غزوة بدر وكان النبي ﷺ قد نفل[3] بعض المجاهدين لبلائهم

---

(١) النفل: بسكون الفاء: اليمين وفي الحديث: (فتبرئكم يهود بنفل خمسين منهم) وهو أيضاً الانتفاء من الشيء وفي الحديث: (فانتفل من ولدها) والنفل: نبت معروف، والنفل: الزيادة على الفرائض في الصلاة.

(٢) قيل لبعضهم: متى تعرف أنه استجيب دعاؤك؟ قال: إذا اقشعرّ جلدي ووجل قلبي، وفاضت عيناي بالدموع، وقالت عائشة رضي الله عنها: ما الوجل في القلب إلا كضَرَمَة السَعفَة، فإذا وجل أحدكم فليدع عند ذلك.

(٣) هذا ما ذهب إليه ابن جرير ورجحه محتجا عليه بشواهد اللغة والتاريخ والجمهور على أن المراد بالأنفال هنا غنائم بدر، والكل محتمل إذ حصل النفل، وحصلت الغنيمة، ولما اختلفوا ردت إلى الله ورسوله ثم حكم الله تعالى فيها بقوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء..﴾ الآية.

وتخلف آخـرون فحصلت تساؤلات بين المجاهدين لم يعطي هذا ولم لا يعطي ذاك فسألـوا الـرسـول ﷺ فأنـزل الله تعالى ﴿يسألونك عن الأنفال؟﴾[1] فأخبرهم[2] أنها ﴿لله والرسول﴾ فالله يحكم فيها بما يشاء والرسول يقسمها بينكم كما يأمره ربه[3] وعليه فاتقوا الله تعـالى بترك النزاع والشقاق، ﴿وأصلحوا﴾ ذات بينكم بتوثيق عرى المحبة بينكم وتصفية قلوبكم من كل ضغن أو حقد نشأ من جراء هذه الأنفال واختلافكم في قسمتها، ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ في كل ما يأمرانكم به وينهيانكم عنه ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ حقاً فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهي. وقوله تعالى ﴿إنما المؤمنون﴾ أي الكاملون في إيمانهم الذين يستحقون هذا الوصف وصف المؤمنين هم ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي اسمه أو وعده أو وعيده ﴿وجلت قلوبهم[4]﴾ أي خافت فأقلعت عن المعصية، وأسرعت إلى الطاعة، ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ أي قوي إيمانهم وعظم يقينهم، ﴿وعلى ربهم﴾ لا على غيره ﴿يتـوكلون﴾ وفيه تعـالى يثقـون. وإليه تعالى أمورهم يفوضون، ﴿الذين يقيمـون الصـلاة﴾ بأدائهـا بكـامـل شروطها وكافة أركانها وسائر سننها وآدابها، ﴿ومما رزقناهم﴾ أي اعطيناهم ﴿ينفقون﴾ من مال وعلم، وجاه وصحة بدن من كل هذا ينفقون في سبيل الله ﴿أولئك﴾ المـوصـوفون بهذه الصفات الخمس ﴿هم المؤمنون حقاً﴾ وصدقاً، ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ أي منازل عالية متفاوتة العلو والارتفاع في الجنة، ولهم قبل ذلك ﴿مغفرة﴾ كاملة لذنوبهم، ﴿ورزق كريم﴾[5] طيب واسع لا تنقيص فيه ولا تكدير، وذلك في الجنة دار المتقين.

---

(١) السؤال معناه: الطلب فإن عدي بعن: كان لطلب معرفة شيء نحو: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ وإن عدي بنفسه نحو: (سأله مالا فهو: لطلب إعطاء الشيء المطلوب).

(٢) الأنفال: جمع نفلٌ بفتح النون والفاء معاً كعَمَلٌ وهو مشتق من النافلة التي هي الزيادة في العطاء، وقد أطلق العرب لفظ النفل على الغنائم في الحرب اعتباراً منهم لها على أنها زيادة عن المقصود الأهم الذي هو إبادة العدو، ولذا كان بعض صناديدهم لا يأخذونها وهذا عنترة يقول:

يخبرك من شهد الوقيعة أنني   أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم

(٣) اختلف في النفل هل يكون من الخمس أو هو خمس الخمس من الغنيمة؟ والصحيح أنه ما يعطيه الإمام من شاء من المقاتلين لبلائه من الخمس.

(٤) وجل: كضرب، يوجل كيضرب ويجل كيلد باسقاط فاء الكلمة والمصدر: الوجل كالعسل، وموجل كموعد.

(٥) لفظ (الكريم) يصف به العرب كل شيء حسن في بابه لا قبح فيه ولا شكوى منه.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ الأمر بتقوى الله عز وجل وإصلاح ذات البين .

٢ـ الإيمان يزيد[1] بالطاعة وينقص بالعصيان .

٣ـ من المؤمنين من هو كامل الإيمان ، ومنهم من هو ناقصه .

٤ـ من صفات أهل الإيمان الكامل ما ورد في الآية الثانية من هذه السورة وما بعدها[2]

كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ[3] وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

شـــرح الكلمات :

من بيتك : أي المدينة المنورة .

لكارهـــون : أي الخروج للقتال .

إحدى الطائفتين : العير «القافلة» أو النفير: نفير قريش وجيشها .

---

(١) سئل الحسن البصري فقيل له: يا أبا سعيد أمؤمن أنت؟ فقال: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر فأنا به مؤمن، وإن كنت تسألني عن قول الله تعالى: ﴿إنّما المؤمنون الذين ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ فوالله ما أدري أنا منهم أم لا؟

(٢) وهما الآية الثالثة والرابعة.

(٣) الباء للمصاحبة أي: أخرجه إخراجاً مصاحبا للحق ليس فيه من الباطل شيء قط.

الشـــوكـــة[1] : الســـلاح في الحـــرب .
يبطل الباطـل : أي يظهر بطلانه بقمع أهله وكسر شوكتهم وهزيمتهم .
ولو كره المجرمون : كفار قريش المشركـون .

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿كما أخرجك ربك﴾ أيها الرسول ﴿من بيتك﴾ بالمدينة ﴿بالحق﴾ متلبساً به حيث خرجت بإذن الله ﴿وان فريقاً[2] من المؤمنين لكارهون﴾ لما علموا بخروج قريش لقتالهم، وكانت العاقبة خيراً عظيماً، هذه الحال مثل حالهم لما كرهوا نزع الغنائم من أيديهم وتوليك قسمتها بإذننا، على أعدل قسمة وأصحها وأنفعها فهذا الكلام في هذه الآية (٥) تضمنت تشبيه حال حاضرة بحال ماضيه حصلت في كل واحدة كراهة بعض المؤمنين، وكانت العاقبة في كل منهما خيراً والحمد لله، وقوله تعالى ﴿يجادلونك في الحق بعدما تبين﴾ أي يجادلونك في القتال بعدما اتضح لهم أن العير[3] نجت وأنه لم يبق إلا النفير[4] ولا بد من قتالها. وقوله تعالى ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ أي إلى الموت عياناً يشاهدونه أمامهم وذلك من شدة كراهيتهم لقتال لم يستعدوا له ولم يوطنوا أنفسهم لخوض معاركه. وقوله تعالى ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ أي اذكر يا رسولنا لهم الوقت الذي يعدكم الله تعالى فيه إحدى الطائفتين العير والنفير، وهذا في المدينة وعند السير أيضاً ﴿أنها لكم﴾ أي تظفرون بها، ﴿وتودون﴾ أي تحبون أن تكون ﴿غير ذات الشوكة﴾ وهي عير أبي سفيان ﴿تكون لكم﴾، وذلك لأنها مغنم بلا مغرم لقلة عددها وعددها، والله يريد ﴿أن يحق الحق﴾ أي يظهره بنصر أوليائه وهزيمة أعدائه، وقـولـه ﴿بكلماته﴾ أي التي تتضمن أمره تعالى إياكم بقتال الكافرين، وأمره الملائكة بالقتال معكم، وقوله ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أي بتسليطكم عليهم فتقتلوهم حتى لا

---

(١) وكلّ نبت له حدّ يقال له: شوك واحده : شوكة.
(٢) هذه الجملة حالية: والعامل فيها: أخرجك ربّك.
(٣) هي قافلة أبي سفيان التجارية التي يصحبها زهاء ثلاثين رجلا من قريش.
(٤) النفير: جيش قريش الذي استنفرت فيه قرابة ألف مقاتل.

تبقوا منهم غير من فر وهرب، وقوله ﴿ليحق الحق﴾ أي لينصره ويقرره وهو الإسلام ﴿ويبطل الباطل﴾ وهو الشرك ﴿ولو كره﴾ ذلك ﴿المجرمون﴾ أي المشركون الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك، وعلى غيرهم أيضاً حيث منعوهم من قبول الإسلام وصرفوهم عنه بشتى الوسائل.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير قاعدة ﴿عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ وذكر نبذة عن غزوة بدر الكبرى وبيان ذلك أن النبي ﷺ بلغه أن عيراً لقريش تحمل تجارة قادمة من الشام في طريقها إلى مكة وعلى رأسها أبوسفيان بن حرب فانتدب النبي ﷺ بعض أصحابه للخروج إليها عسى الله تعالى أن يغنمهم إياها، لأن قريشاً صادرت أموال بعضهم وبعضهم ترك ماله بمكة وهاجر. فلما خرج النبي ﷺ وأثناء مسيره أخبرهم أن الله تعالى وعدهم إحدى الطائفتين، لا على التعيين جائز أن تكون العير، وجائز أن تكون النفير الذي خرج من مكة للذب عن العير ودفع الرسول وأصحابه عنها حتى لا يستولوا عليها، فلما بلغ الرسول نبأ نجاة العير[1] وقدوم النفير استشار أصحابه فوافقوا على قتال المشركين ببدر وكره بعضهم ذلك، وقالوا: انا لم نستعد للقتال فأنزل الله تعالى هذه الآيات ﴿يجادلونك في الحق بعد ما تبين﴾ إلى قوله ﴿. . . ولو كره المجرمون﴾.

٢- بيان ضعف الإنسان في رغبته في كل مالا كلفة فيه ولا مشقة.

٣- إنجاز الله تعالى وعده للمؤمنين إذ أغنمهم طائفة النفير وأعزهم بنصر لم يكونوا مستعدين له.

---

(١) لأنّ أبا سفيان لما بلغه بواسطة بعض الركبان أنّ محمداً قد خرج برجاله يطلب عيره استأجر ضمضم الغفاري فبعثه إلى أهل مكة يخبرهم بخروج الرسول ﷺ، وأمرهم أن ينفروا لإنقاذ قافلتهم، وأما الرسول ﷺ وأصحابه فإنهم لما بلغوا في مسيرهم وادي ذفران وخرجوا منه أتاهم نبأ خروج قريش ليمنعوا قافلتهم فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقام أبو بكر وقال فأحسن ثم قال عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله: امض لما أمرك الله به فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه فقال له الرسول ﷺ خيرا ودعا له بخير ثم قال: أشيروا عليّ أيها الناس، وهو يريد الأنصار فقال له سعد بن معاذ: كأنك تعنينا يا رسول الله قال: أجل، فقال سعد كلمة سرّت النبي ﷺ وعندها قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين.

٤ـ ذكر نبذة عن وقعة بدر وهي من أشهر الوقائع وأفضلها وأهلها من أفضل الصحابة وخيارهم إذ كانت في حال ضعف المسلمين حيث وقعت في السنة الثانية من الهجرة وهم أقلية والعرب كلهم أعداء لهم وخصوم .

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ
ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

تستغيثون[(١)] : أي تطلبون الغوث من الله تعالى وهو النصر على

(١) روى مسلم عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يوم بدر نظر إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر، فاستقبل القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربّه: اللهم أنجزلي ما وعدتني، اللهم ائتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربّه مادّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجزلك ما وعدك فأنزل الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم. . .﴾ الآية.

أعدائكم.

مــردفيــن	: أي متتابعين بعضهم ردف بعض أي متلاحقين.
وما جعله الله إلا بشرى	: أي الإمداد بالملائكة إلا بشرى لكم بالنصر.
إذ يغشيكم النعاس	: أي يغطيكم به والنعاس: نوم خفيف جداً.
أمنـــة	: أي أمناً من الخوف الذي أصابكم لقلتكم وكثرة عدوكم.
منـــه	: أي من الله تعالى.
رجز الشيطان	: وسواسه لكم بما يؤلمكم ويحزنكم.
وليربط على قلوبكم	: أي يشد عليها بالصبر واليقين.
ويثبت به الأقدام	: أي بالمطر أقدامكم حتى لا تسوخ في الرمال.
الــرعـــب	: الخوف والفــزع.
فاضربوا كل بنان	: أي أطراف اليدين والرجلين حتى يعوقهم عن الضرب والمشي.
شاقوا الله ورسوله	: أي خالفوه في مراده منهم فلم يطيعوه وخالفوا رسوله.
ذلكم فذوقوه	: أي العذاب فذوقوه.
عذاب النار	: أي في الآخـرة.

معنى الآيـات :

مازال السياق في أحداث غزوة بدر، وبيان منن الله تعالى على رسوله والمؤمنين إذ يقـول تعالى لرسوله ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ أي اذكر يا رسولنا حالكم لما كنتم خائفين لقلتكم وكثرة عدوكم فاستغثتم ربكم قائلين: اللهم نصرك، اللهم أنجز لي ما وعدتني ﴿فـاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ أي متتالين يتبع بعضهم بعضاً ﴿وما جعله الله إلا بشرى﴾ أي لم يجعل ذلك الإمداد إلا مجرد بشرى لكم بالنصر على عدوكم ﴿ولتـطمئن به قلوبكم﴾ أي تسكن ويذهب منها القلق والاضطراب، أما النصر فمن عند الله، ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ عزيز غالب لا يحال بينه وبين ما يريده، حكيم بنصـر من هو أهـل للنصـر، هذه نعمـة، وثانية: اذكروا ﴿إذ يغشيكم﴾ ربكم

﴿النعاس أمنة منه﴾[1] أي أماناً منه تعالى لكم فإن العبد إذا خامره النعاس هدأ وسكن وذهب الخوف منه، وثبت في ميدان المعركة لا يفر ولا يرهب ولا يهرب، ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ وهذه نعمة أخرى، فقد كانت الأرض رملية تسوخ فيها أقدامهم لا يستطيعون عليها كراً ولا فراً، وقل ماؤهم فصاروا ظماء عطاشاً، محدثين، لا يجدون ما يشربون ولا ما يتطهرون به من احداثهم ووسوس الشيطان لبعضهم بمثل قوله: تقاتلون محدثين كيف تنصرون، تقاتلون وأنتم عطاش وعدوكم ريان إلى أمثال هذه الوسوسة، فأنزل الله تعالى على معسكرهم خاصة مطراً غزيراً شربوا وتطهروا وتلبدت به التربة فأصبحت صالحة للقتال عليها، هذا معنى قوله تعالى ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ أي وسواسه ﴿وليربط على قلوبكم﴾ أي يشد عليها بما أفرغ عليها من الصبر وما جعل فيها من اليقين لها ﴿ويثبت به[2] الأقدام﴾ ونعمة أخرى واذكر ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم﴾ بتأييدي ونصري ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ أي قولوا لهم من الكلام تشجيعاً لهم ما يجعلهم يثبتون في المعركة ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ أي الخوف أيها المؤمنون ﴿فاضربوا[3] فوق الأعناق﴾ أي اضربوا المذابح ﴿واضربوا منهم كل بنان[4]﴾ أي اطراف اليدين والرجلين حتى لا يستطيعوا ضرباً بالسيف، ولا فراراً بالأرجل وقوله تعالى ﴿ذلك بأنهم[5] شاقوا الله ورسوله﴾ أي عادوهما وحاربوهما ﴿ومن يشاقق الله ورسوله﴾ ينتقم منه ويبطش به ﴿فإن الله شديد العقاب﴾، وقوله تعالى ﴿ذلكم فذوقوه﴾ أي ذلكم العذاب القتل والهزيمة فذوقوه في الدنيا وأما الآخرة فلكم فيها عذاب النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

---

(١) أمنة: مصدر أمن أمنة وأمناً وأماناً وهو منصوب على الحال، أو المصدرية.

(٢) هذا عائد على الماء الذي شدّ دهس ارض الوادي، ويصح أن يكون عائدا إلى ربط القلوب، فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في الحرب.

(٣) هذا الأمر ارشادي للملائكة وللمؤمنين معاً.

(٤) واحد البنان: بنانة، والمراد بها هنا الأصابع الممسكة بالسيف والرمح حتى تعجز عن قتال المسلمين وضربهم.

(٥) ذلك: مبتدأ والخبر محذوف تقدير الكلام: الأمر ذلك، والجملة تعليلية لأنّ الباء في قوله: ﴿بأنهم﴾ سببية.

١ـ مشروعية الاستغاثة بالله تعالى وهي عبادة فلا يصح أن يستغاث بغير الله تعالى.

٢ـ تقرير عقيدة أن الملائكة عباد لله يسخرهم في فعل ما يشاء، وقد سخرهم للقتال مع المؤمنين فقاتلوا، ونصروا وثبتوا وذلك بأمر الله تعالى لهم بذلك.

٣ـ تعداد نعم الله تعالى على المؤمنين في غزوة بدر وهي كثيرة.

٤ـ مشاقة(١) الله ورسوله كفر يستوجب صاحبها عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

٥ـ تعليم الله تعالى عباده كيف يقاتلون ويضربون أعداءهم، وهذا شرف كبير للمؤمنين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾
فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ
وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

زحفاً(٢) : أي زاحفين لكثرتهم ولبطىء سيرهم كأنهم يزحفون على

---

(١) أصل المشاقة: العداوة بعصيان وعناد، مشتقة من الشق بكسر السين الذي هو الجانب، فالمشاق يقف عن مشاقه موقف العداء والعصيان، والتمرّد في جانب لا يلتقي معه.

(٢) الزّحف: الدنوّ قليلا قليلا، وأصله، الاندفاع على الإلية، ثم سمي كل ماشٍ إلى حرب آخر زاحفاً، وازدحف القوم: إذا مشى بعضهم إلى بعض والزحاف: من علل الشعر وهو: أن يسقط من الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر.

الأرض.

فلا تولوهم الأدبار : أي لا تنهزموا فتفروا أمامهم فتولونهم أدباركم.

متحرفاً لقتال : أي مائلاً من جهة إلى أخرى ليتمكن من ضرب العدو وقتاله.

أو متحيزاً إلى فئة : أي يريد الانحياز إلى جماعة من المؤمنين تقاتل.

فقد باء بغضب : أي رجع من المعركة مصحوباً بغضب من الله تعالى لمعصيته إياه.

وليبلي : أي لينعم عليهم بنعمة النصر والظفر على قلة عددهم فيشكروا.

فئتكم : مقاتلتكم من رجالكم الكثيرين.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة بدر وما فيها من جلائل النعم وخفي الحكم ففي أولى هذه الآيات ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين فيقول[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً﴾ أي وأنتم وإياهم زاحفون إلى بعضكم البعض ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾[2] أي لا تنهزموا أمامهم فتعطوهم أدباركم فتمكنوهم من قتلكم، إنكم أحق بالنصر منهم، وأولى بالظفر والغلب إنكم مؤمنون وهم كافرون فلا يصح منكم انهزام أبداً ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ اللهم ﴿إلا متحرفاً لقتال﴾ أي مائلاً من جهة إلى أخرى ليكون ذلك أمكن له في القتال ﴿أو متحيزاً إلى فئة﴾ أي منحازاً إلى جماعة من المؤمنين تقاتل فيقاتل معها ليقويها أو يقوى بها، من ولى الكافرين دبره في غير هاتين الحالتين ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ أي رجع من جهاده مصحوباً بغضب من الله ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾[3]

---

(١) هذه الجملة اعتراضية بين قوله تعالى: ﴿إذ يوحي ربك﴾ وبين قوله: ﴿فلم تقاتلوهم﴾ ومن فوائدها تدريب المؤمنين على الشجاعة، والإقدام والثبات عند اللقاء، وهي خطة محمودة عند العرب فزادها الإسلام تقوية، قال شاعرهم وهو الحصين بن الحمام:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

(٢) ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ فيه استبشاع الهزيمة بذكر لفظ الدبر، وهو كذلك.

(٣) الحمد لله أنه لم يقل خالدا فيها بل قال: ﴿مأواه جهنم﴾ ولذا ورد أنه ﷺ قال: (من قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فرّ من الزحف).

وذلك بعد موته وانتقاله إلى الآخرة، وقوله تعالى ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ يخبر تعالى عباده المؤمنين الذين حرم عليهم التولي ساعة الزحف وتوعدهم بالغضب وعذاب النار يوم القيامة أنهم لم يقتلوا المشركين على الحقيقة وإنما الذي قتلهم هو الله فهو الذي أمرهم وأقدرهم وأعانهم، ولولاه ما قتل أحد ولا مات فليعرفوا هذا حتى لا يخطر ببالهم أنهم هم المقاتلون وحدهم. وحتى رمي رسوله المشركين بتلك التي وصلت إلى جل أعين المشركين في المعركة فأذهلتهم وحيرتهم بل وعوقتهم عن القتال وسببت هزيمتهم كان الله تعالى هو الرامى الذي أوصل التراب الى أعين المشركين، إذ لو ترك الرسول ﷺ لقوته لما وصلت حثية التراب إلى أعين الصف الأول من المقاتلين المشركين، ولذا قال تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[1] وقوله تعالى ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾ أي فعل تعالى ذلك القتل بالمشركين والرمي بإيصال التراب إلى أعينهم ليذل الكافرين ويكسر شوكتهم ﴿وليبلي[2] المؤمنين﴾ أي ولينعم عليهم الأنعام الحسن بنصرهم وتأييدهم في الدنيا وإدخالهم الجنة في الآخرة. وقوله تعالى ﴿إن الله سميع عليم﴾ بمقتضى هاتين الصفتين كان الإبلاء الحسن، فقد سمع تعالى أقوال المؤمنين واستغاثتهم به، وعلم ضعفهم وحاجتهم فأيدهم ونصرهم فكان ذلك منه إبلاء حسناً، وقوله تعالى ﴿ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ أي ذلكم القتل والرمي والإبلاء كله حق واقع بقدرة الله تعالى ﴿وأن الله موهن﴾ أي مضعف ﴿كيد الكافرين﴾ فكلما كادوا كيداً بأوليائه وأهل طاعته أضعفه وأبطل مفعوله، وله الحمد والمنة. وقوله تعالى ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح، وإن تنتهوا فهو خير لكم﴾ هذا خطاب للمشركين حيث قال أبو جهل وغيره من رؤساء المشركين[3] «اللهم أينا كان أفجر لك واقطع للرحم فأحنه اليوم، اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة» أي أهلكه الغداة يوم بدر فأنزل الله تعالى ﴿إن

---

(١) حصل الرمي من الرسول ﷺ عدّة مرات منها يوم حنين ومنها يوم أحد ومنها يوم خيبر إذ رمى سهما في حصن فسقط السهم على ابن أبي الحقيق فقتله وهو نائم في فراشه، ومنها يوم بدر، وهو المراد هنا إذ السورة مدنية ولم يسبق هذا الرمي إلّا الذي رمى به الواقفين على بابه في مكة يريدون انفاذ القتل الذي حكمت به قريش عليه ﷺ فقد روي أنه رماهم بحثية من تراب، فاشتغلوا بمسح أعينهم من التراب حتى نجا منهم ﷺ.

(٢) ﴿وليبلي﴾ الجملة متعلقة بمحذوف تقديره: فعل ذلك أي النصر، والهزيمة للكفار ليبلي المؤمنين... الخ.

(٣) قالوا هذا وهم يتجهّزون للقتال في مكة، وقالوه في ساحة بدر قبل القتال.

تستفتحوا﴾ أي تطلبوا الفتح وهو القضاء بينكم وبين نبينا محمد ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ وهي هزيمتهم في بدر ﴿وإن تنتهوا﴾ تكفوا عن الحرب والقتال وتنقادوا لحكم الله تعالى فتسلموا ﴿فهو خير لكم وإن تعودوا﴾ للحرب والكفر ﴿نعد﴾ فنسلط عليكم رسولنا والمؤمنين لنذيقكم على أيديهم الذل والهزيمة ﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت﴾ وبلغ تعداد المقاتلين منكم عشرات الآلاف، هذا وأن الله دوماً مع المؤمنين فلن يتخلى عن تأييدهم ونصرتهم ما استقاموا على طاعة ربهم ظاهراً وباطناً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة الفرار من العدو الكافر عند[1] اللقاء لما توعد الله تعالى عليه من الغضب والعذاب ولعد الرسول له من الموبقات السبع في حديث مسلم «والتولي يوم الزحف».

٢- تقرير مبدأ أن الله تعالى خالق كل شيء وأنه خلق العبد وخلق فعله، إذ لما كان العبد مخلوقاً وقدرته مخلوقة، ومأموراً ومنهياً ولا يصدر منه فعل ولا قول إلا بإقدار الله تعالى له كان الفاعل الحقيقي هو الله، وما للعبد إلا الكسب بجوارحه[2] وبذلك يجزى الخير بالخير والشر بمثله. عدل الله ورحمته.

٣- آية وصول حثية التراب من كف الرسول ﷺ إلى أغلب عيون المشركين في المعركة.

٤- إكرام الله تعالى وإبلاؤه لأوليائه البلاء الحسن فله الحمد وله المنة.

٥- ولاية الله للمؤمنين الصادقين هى أسباب نصرهم وكمالهم وإسعادهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ

(١) هذا التحريم مقيّد بما في آخر السورة من أنّ ما زاد على المثلين يجوز الفرار معه كالواحد مع أكثر من اثنين، والمائة مع أكثر من مائتين، والفين مع أكثر من أربعة آلاف. (٢) مع ما وهبه الله من حرية الإرادة والقدرة على الاختيار ومع هذا فإنه لا يريد إلا ما أراده الله ولا يقع اختياره إلا على ما كتبه الله له أو عليه وقضى به أزلاً وهنا تتجلى عظمة الرب تبارك وتعالى.

وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

ولا تولوا عنه : أي لا تعرضوا عن طاعته إذا أمركم أو نهاكم كأنكم لا تسمعون.

إن شر الدواب : أى شر ما يدب على الأرض الكافرون

لأسمعهم : لجعلهم يسمعون أو لرفع المانع عنهم فسمعوا واستجابوا.

معنى الآيات :

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين[١] الذين آمنوا به وبرسوله وصدقوا بوعده ووعيده يوم لقائه فيأمرهم بطاعته وطاعة رسوله، وينهاهم عن الإعراض عنه وهم يسمعون الآيات تتلى والعظات تتوالى في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ لأن نصركم وتأييدكم كان ثمرة لإيمانكم وطاعتكم فإن أنتم أعرضتم وعصيتم فتركتم كل ولاية لله تعالى لكم أصبحتم كغيركم من أهل الكفر والعصيان هذا معنى قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ وقوله ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ ينهاهم عز وجل أن يسلكوا مسلك الكافرين المشركين[٢] في التصامم عن سماع الآيات الحاملة للحق والداعية إليه، والتعامي عن رؤية آيات الله الدالة على توحيده الذين قالوا إنا عما يقوله محمد في صمم، وفيما يذكر ويشير إليه في عمى، فهم يقولون سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون بقلوبهم لأنهم لا يتدبرون ولا يفكرون فلذا هم في سماعهم كمن لم يسمع إذ العبرة بالسماع الانتفاع به[٣] لا مجرد سماع صوت وقوله تعالى ﴿إن شر[٤] الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ يعني بهم المشركين وكانوا شر الدواب لأنهم كفروا بربهم وأشركوا به فعبدوا غيره، وضلوا عن سبيله ففسقوا وظلموا وأجرموا الأمر الذي جعلهم حقاً شر الدواب في الأرض فهذا تنديد بالمشركين، وفي نفس الوقت هو تحذير للمؤمنين من

---

(١) لا يجب الالتفات لمن قال: هذا الخطاب هو للمنافقين كأنما قال: يامن آمنتم بألسنتكم ولم تؤمن قلوبكم، إذ الآية في المؤمنين الصادقين بلا شك ولا ريب.

(٢) واليهود والمنافقين أيضاً، إذ الكل كان هذا موقفهم مما يدعوهم إليه الرسول ﷺ.

(٣) في الآية دليل على أن المؤمن إذ أمر أو نهي فقال سمعاً وطاعة أي: سمعت وأطعت ولم يفعل ولم يترك لا وزن ولا عبرة بقوله بل لابد من الفعل والترك.

(٤) شرّ أصلها: أشر اسم تفضيل، ولكثرة الاستعمال اكتفوا بلفظ شرّ لأنه أخف على اللسان بنقص حرف الهمزة.

معصية الله ورسوله والإعراض عن كتابه وهدي نبيه ﷺ وقوله تعالى ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ أي لجعلهم يسمعون آيات الله وما تحمله من بشارة ونذارة وهذا من باب الفرض لقوله تعالى ﴿ولو أسمعهم لتولوا عنه وهم معرضون﴾ هؤلاء طائفة من المشركين[(١)] توغلوا في الشر والفساد والظلم والكبر والعناد فحرموا لذلك هداية الله تعالى فقد هلك بعضهم في بدر وبعض في أحد ولم يؤمنوا لعلم الله تعالى أنه لا خير فيهم وكيف لا وهو خالقهم وخالق طباعهم، ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ وجوب طاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، وحرمة معصيتهما.

٢ـ حرمة التشبه بالمشركين والكافرين وسائر أهل الضلال وفي كل شيء من سلوكهم.

٣ـ بيان أن من الناس من هو شر من الكلاب والخنازير فضلاً عن الإبل والبقر والغنم أولئك البعض كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

(١) في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إنّ شرّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ قال: هم نفر من بني عبدالدار، والآية عامة في كل مَنْ تلك حالهم.

شرح الكلمات :

استجيبوا[١]	: اسمعوا وأطيعوا.
لما يحييكم[٢]	: أي لما فيه حياتكم ولما هو سبب في حياتكم كالإيمان والعمل الصالح والجهاد.
فتنة	: أي عذاباً تفتنون به كالقحط أو المرض أو تسلط عدو.
مستضعفون	: أي ضعفاء أمام أعدائكم يرونكم ضعفاء فينالون منكم.
ورزقكم من الطيبات	: جمع طيب من سائر المحللات من المطاعم والمشراب وغيرها.
لعلكم تشكرون	: رجاء أن تشكروه تعالى بصرف النعمة في مرضاته.

معنى الآيات :

هذا هو النداء الثالث بالكرامة للمؤمنين الرب تعالى يشرفهم بندائه ليكرمهم بما يأمرهم به أو ينهاهم عنه تربية لهم وإعداداً لهم لسعادة الدارين وكرامتهما فيقول ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ وهو بمعنى النداء الأول أطيعوا الله ورسوله. وقوله ﴿لما يحييكم﴾ إشعار بأن أوامر الله تعالى ورسوله كنواهيهما لا تخلوا أبداً مما يحيي المؤمنين[٣] أو يزيد في حياتهم أو يحفظها عليهم، ولذا وجب أن يطاع الله ورسوله ما أمكنت طاعتهما. وقوله ﴿واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه﴾ تنبيه عظيم للمؤمنين إذا سنحت لهم فرصة للخير ينبغي أن يفترصوها قبل الفوات لا سيما إذا كانت دعوة من الله أو رسوله، لأن الله تعالى قادر على أن يحول بين المرء ومايشتهي وبين المرء وقلبه[٤] فيقلب القلب ويوجهه إلى وجهة أخرى فيكره فيها الخير ويرغب في الشر وقوله ﴿وأنه إليه

---

(١) هذا بمعنى أجيبوا: الإجابة معناها: إعطاء المطلوب، وإن كان أمراً ونهياً فهو الطاعة بفعل الأمر وترك النهي، ويعبر عنهما بالسمع والطاعة، وفعل استجاب: يُعدّى باللاّم يقال: استجاب له، وفعل أجاب: يتعدى بنفسه، يقال: أجابه، إلاّ أنّ استجاب قد يتعدى بنفسه ولكن بقلة ومنه قول الشاعر:

وداع دعا يامن يجيب إلى الندى   فلم يستجبه عند ذاك مجيب

(٢) ﴿يحييكم﴾ أصلها يحيُيكم بضم الياء الثانية إلاّ أن حركتها حذفت فسكنت تخفيفا.

(٣) في الآية دليل على أن الكفر والجهل موت معنوي للإنسان، إذ بالإيمان والعلم تكون الحياة وبضدهما تكون الممات.

(٤) روى غير واحد عنه ﷺ قوله: (اللهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك) وروى مسلم عنه ﷺ قوله: (اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا إلى طاعتك).

تحشرون﴾ فالذي يعلم أنه سيحشر رغم أنفه إلى الله تعالى كيف يسوغ له عقله أن يسمع نداءه بأمره فيه أو ينهاه فيعرض عنه، وقوله ﴿واتقوا فتنة[1] لا تصيبن[2] الذين ظلموا منكم خاصة﴾ تحذير آخر عظيم للمؤمنين من أن يتركوا طاعة الله ورسوله، ويتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فينتشر الشر ويعم الفساد، وينزل البلاء فيعم الصالح والطالح، والبار والفاجر[3]، والظالم والعادل، وقوله ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾. وهو تأكيد للتحذير بكونه تعالى إذا عاقب بالذنب والمعصية فعقابه قاس شديد لا يطاق فليحذر المؤمنون ذلك بلزوم طاعة الله ورسوله. وقوله تعالى: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ هذه موعظة ربانية لأولئك المؤمنين الذين عايشوا الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى يذكرهم ربهم بما كانوا عليه من قلة وضعف يخافون أن يتخطفهم الناس لقلتهم وضعفهم، فآواهم عز وجل إلى مدينة نبيه المنورة ونصرهم بجنده فعزوا بعد ذلة واستغنوا بعد عيلة وفاقة، ورزقهم من الطيبات من مطعم ومشرب وملبس ومركب، ورزقهم من الطيبات إكراماً لهم، ليعدهم بذلك للشكر إذ يشكر النعمة من عاشها ولابسها، والشكر حمد المنعم والثناء عليه وطاعته ومحبته وصرف النعمة في سبيل مرضاته، والله يعلم أنهم قد شكروا فرضي الله عنهم وأرضاهم والحقنا بهم صابرين شاكرين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

(١) قال ابن عباس في هذه الآية أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمّهم العذاب، وفي صحيح مسلم عن زينبت بنت جحش أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله: أنهلك وفينا الصالحون قال: نعم إذا كثر الخبث.

(٢) اعراب هذه الجملة مشكل نكتفي بعرض صورتين: الأولى أنها كقوله: ﴿ادخلوا مساكنكم لايحطمنّكم﴾ أي: إن تدخلوا لا يحطمنّكم فيكون معنى الآية: إن تتقوا... لا تصيبنّ فدخلت نون التوكيد لما في التركيب من معنى الجزاء، والثانية: تكون على حذف القول أي: اتقوا فتنة مقول فيها: لا تصيبنّ الذين ظلموا... كقول الشاعر:

حتى إذا جنّ الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

أي مقول فيه: هل رأيت.. الخ فقوله فتنة موصوف بجملة مقول فيها: لا تصيبنّ.

(٣) روى أحمد عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده قالت. قلت: يارسول الله أما فيهم أناس صالحون؟ قال بلى. قالت: كيف يصنع أولئك؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان).

(١)

١- وجب الاستجابة لنداء الله ورسوله بفعل الأمر وترك النهي لما في ذلك من حياة الفرد المسلم.

٢- تعين اغتنام فرصة الخير قبل فواتها فمتى سنحت للمؤمن تعين عليه اغتنامها.

٣- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتقاء للفتن العامة التي يهلك فيها العادل والظالم.

٤- وجوب ذكر النعم لشكرها بطاعة الله ورسوله ﷺ.

٥- وجوب شكر النعم بحمد الله تعالى والثناء عليه والاعتراف بالنعمة له والتصرف فيها حسب مرضاته.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

لا تخونوا الله والرسول : أي بإظهار الإيمان والطاعة ومخالفتهما في الباطن.

وتخونوا أماناتكم : أي ولا تخونوا أماناتكم التي يأتمن عليها بعضكم بعضاً.

إنما أموالكم وأولادكم فتنة : أي الاشتغال بذلك يفتنكم عن طاعة الله ورسوله.

إن تتقوا الله : أي بامتثال أمره واجتناب نهيه في المعتقد والقول والعمل.

---

(١) روى البخاري عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال ألم يقل الله عز وجل ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾؟ وذكر الحديث. قال العلماء: في هذا دليل على أن الفعل الفرض أو القول الفرض إذا أتى به في الصلاة لا تبطل.

يجعل لكم فرقاناً : نوراً في بصائركم تفرقون به بين النافع والضار والصالح والفاسد.

ويكفر عنكم سيآتكم : أي يمحوا عنكم ماسلف من ذنوبكم التي بينكم وبينه.

ويغفر لكم ذنوبكم : أي يغطيها فيسترها عليكم فلا يفضحكم بها ولا يؤاخذكم عليها.

معنى الآيـات :

هذا نداء رباني آخر يوجه إلى المؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يامن آمنتم بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً. ﴿لا تخونوا الله والرسول﴾ بأن يظهر أحدكم الطاعة لله ورسوله، ويستسر المعصية، ولا تخونوا أماناتكم التي يأتمن بعضكم بعضاً عليها ﴿وأنتم تعلمون﴾ عظيم جريمة الخيانة وآثارها السيئة على النفس والمجتمع، هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا[1] الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمـون﴾ وقـوله تعالى ﴿واعلموا انما[2] أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ فيه إشـارة إلى السبب الحامل على الخيانة غالباً وهو المال والأولاد فأخبرهم تعالى أن أموالهم وأولادهم فتنة تصرفهم عن الأمانة والطاعة، وأن ما يرجوه من مال أو ولد ليس بشيء بالنسبة الى ما عند الله تعالى إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن أطاعه واتقاه وحافظ على أمانته مع الله ورسوله ومع عباد الله وقوله تعالى في الآية الثالثة ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله[3] يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئآتكم ويغفر لكم﴾ هذا حض على التقوى وترغيب فيها بذكر أعظم النتائج لها وهي أولاً اعطاء الفرقان وهو النصر والفصل بين كل مشتبه، والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع، والصحيح والفاسد، وثانياً تكفير السيئآت، وثالثاً مغفرة الذنوب ورابعاً الأجر العظيم الذي هو الجنة ونعيمها إذ قال تعالى

---

(١) لفظ الآية عام في كل ذنب صغير وكبير، وما روي أنها نزلت في أبي لبابة حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح، لا ينافيه.

(٢) وهذه الآية عامّة أيضاً وإن قيل إنها نزلت في أبي لبابة إذ كان له مال وولد في بني قريظة فلا يُتهم لأجل ذلك.

(٣) قال بعضهم واصفا للتقوى المورثة للفرقان فقال: هي امتثال الأوامر واجتناب المناهي، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات وشحن القلب بالنية الخالصة، والجوارح بالأعمال الصالحة، والتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر.

في ختام الآية ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ إشارة الى ما يعطيه الله تعالى أهل التقوى في الآخرة وهو الجنة ورضوانه على أهلها، ولنعم الأجر الذي من أجله يعمل العاملون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تحريم الخيانة مطلقاً وأسوأها ما كان خيانة لله ورسوله.

٢ـ في المال والأولاد فتنة قد تحمل على خيانة الله ورسوله، فيلحذرها المؤمن.

٣ـ من ثمرات التقوى تكفير السيآت وغفران الذنوب، والفرقان وهو نور في القلب يفرق به المتقى بين الأمور المتشابهات والتي خفي فيها وجه الحق والخير.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا
قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ
أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

وإذ يمكر بك : أي يبيتون لك ما يضرك.

ليثبتوك : أي ليحبسوك مثبتاً بوثاق حتى لا تفر من الحبس.

أو يخرجوك : أي ينفوك بعيداً عن ديارهم.

ويمكرون ويمكر الله : أي يدبرون لك السوء ويبيتون لك المكروه، والله تعالى يدبر لهم ما يضرهم أيضاًويبيت لهم ما يسوءهم.

آياتنا : آيات القرآن الكريم.

أساطير الأولين : الأساطير جمع أسطوره ما يدون ويسطر من أخبار الأولين.

معنى الآيـات :

يذكر تعالى رسوله والمؤمنين بنعمة من نعمه تعالى عليهم فيقول لرسوله واذكر إذ يمكر بك الـذين كفـروا ﴿ليثبتـوك أو يقتلوك أويخـرجوك﴾ إذا اجتمعت قريش في دار الندوة وأتمرت في شأن النبي ﷺ وفكـرت ومكـرت فأصـدروا حكـمًا[1] بقتله ﷺ وبعثـوا من ينفـذ جريمة القتل فطوقوا منزله فخرج النبي[2] ﷺ بعد أن رماهم بحثية من تراب قائلاً شاهت الوجوه، فلم يره أحد ونفذ وهاجر إلى المدينة وهذا معنى ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ فكان في نجاته ﷺ من يد قريش نعمة عظمى على رسول الله ﷺ وعلى سائر المؤمنين والحمد لله رب العالمين.

وقوله تعالى في الآية الثانية[3] ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أسـاطير الأولين﴾ هذا الخبـر تنـديد بمـوقف المشركين ذكر بعد ذكر مؤامراتهم الدنية ومكرهم الخبيث حيث قرروا قتله ﷺ يخبر تعالى أنهم إذا قرأ عليهم الرسول آيات الله المبينة للحق والمقررة للايمان به ورسالته بذكر قصص الأولين قالوا ﴿سمعنا﴾ ما تقرأ علينا، ﴿ولو شئنا لقلنا مثل هذا﴾ أي الذي تقول ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي أخبار السابقين من الأمم سطرت وكتبت فهي تملى عليك فتحفظها وتقرأها علينا وكان قائل هذه المقالة الكاذبة النضر بن الحارث عليه لعائن الله، إذ مات كافراً.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ التذكير بنعم الله تعالى على العبد ليجد العبد في نفسه داعية الشكر فيشكر.

٢ـ بيان مدى ما قاومت به قريش دعوة الإسلام حتى إنها أصدرت حكمها بقتل الرسول ﷺ.

٣ـ بيان موقف المشركين من الدعوة الإسلامية، وانهم بذلوا كل جهد في سبيل انهائها والقضاء عليها.

---

(١) كان حكم القتل باقتراح ابليس إذ جاءهم وهم يتشاورون في أمر النبي ﷺ فأشار عليهم وهو في صورة شيخ نجدي فقبلوا ما أشار به عليهم من القتل فأخذوا برأيه وتركوا ما أشار به بعضهم من النفي والحبس.

(٢) بعد أن ترك علياً نائماً على فراشه مسجىً ببرد أخضر للنبي ﷺ.

(٣) من بين القائلين: النضر بن الحارث إذ كان قد خرج إلى الحيرة في تجارة فاشترى أحاديث كليلة ودمنة وكسرى، وقيصر، وأخذ يقصّ تلك الأخبار ويقول: هذه مثل الذي يقصّ محمد من أخبار الماضين. وكذب فأين ما يقصه القرآن وما يوسوس به الشيطان.

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾
وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

اللـهـم : أي يا الله حذفت ياء النداء من أوله وعوض عنها الميم من آخره .

إن كان هذا : أي الذي جاء به محمد ويخبر به .

فأمطـر : أنزل علينا حجارة .

يصدون عن المسجد الحرام : يمنعون الناس من الدخول إليه للاعتمار.

مكاء وتصدية : المكاء : التصفير، والتصدية : التصفيق .

معنى الآيـات :

ما زال السياق في التنديد ببعض أقوال المشركين وأفعالهم فهذا النضر[1] بن الحارث القائل في الآيات السابقة ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ يخبر تعالى عنه أنه قال ﴿اللهم إن كان هذا﴾ أي القرآن ﴿هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من

---

(١) وقاله أيضاً أبو جهل وهو دال على مدى عناد المشركين في مكة ومكابرتهم وحسدهم أيضاً .

السماء﴾ فنهلك بها، ولا نرى محمداً ينتصر[1] دينه بيننا. ﴿أو أئتنا بعذاب أليم﴾ حتى نتخلص من وجودنا. فقال تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم[2] وأنت فيهم[3]﴾ فوجودك بينهم أمان لهم ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ إذ كانوا إذا طافوا يقول بعضهم غفرانك ربنا غفرانك، ثم قال تعالى ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ أي أيُّ شيء يصرف العذاب عنهم وهم يرتكبون أبشع جريمة وهي صدهم الناس عن دخول المسجد الحرام للطواف بالبيت الحرام، فقد كانوا يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت والصلاة في المسجد الحرام[4]. وقوله تعالى ﴿وما كانوا أولياءه﴾ رد على مزاعمهم بأنهم ولاة الحرم والقائمون عليه فلذا لهم أن يمنعوا من شاءوا ويأذنوا لمن شاءوا فقال تعالى رداً عليهم ﴿وما كانوا أولياءه﴾ أي أولياء المسجد الحرام، كما لم يكونوا أيضاً أولياء الله إنّما أولياء الله والمسجد الحرام المتقون الذين يتقون الشرك والمعاصي ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ هذا لجهل بعضهم وعناد آخرين. وقوله ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ إذ كان بعضهم إذا طافوا يصفقون ويصفرون كما يفعل بعض دعاة التصوف حيث يرقصون وهم يصفقون ويصفرون ويعدون هذا حضرة أولياء الله، والعياذ بالله من الجهل والضلال وقوله تعالى ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أذاقهموه يوم بدر إذ أذلهم فيه وأخزاهم وقتل رؤساءهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١- بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للحق وكراهية له حتى سألوا العذاب العام ولا يرون راية الحق تظهر ودين الله ينتصر.

---

(١) ذكر القرطبي الحكاية التالية قال: حكي أن ابن عباس لقيه يهودي فقال له من أنت؟ قال: من قريش. فقال أنت من القوم الذين قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. . .﴾ الآية فهلّا عليهم أن يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له إنّ هؤلاء قوم يجهلون قال ابن عباس: وأنت يا اسرائيلي من القوم الذين لم تجف أرجلهم من بلل البحر الذي أغرق فيه فرعون وقومه، وانجى موسى وقومه حتى قالوا: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فقال لهم موسى إنكم قوم تجهلون﴾ فأطرق اليهودي ملجماً.

(٢) روى مسلم أنه لما قال أبو جهل. اللهم إن كان هذا هو الحق. . الآية نزلت هذه الآية: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾.

(٣) دليله أنهم لما خرج من بينهم ﷺ عذبهم الله بالقتل في بدر وسني القحط الجدب.

(٤) أي انهم مستحقون العذاب ولكن لكل أجل كتاب فإذا حان أوانه عذّبوا.

٢- النبي ﷺ أمان أمته من العذاب فلم تُصب هذه الأمة بعذاب الاستئصال والإبادة الشاملة.

٣- فضيلة الاستغفار وأنه ينجي من عذاب الدنيا والآخرة.

٤- بيان عظم جرم من يصد عن المسجد الحرام للعبادة الشرعية فيه.

٥- بيان أولياء الله تعالى والذين يحق لهم أن يلوا المسجد الحرام وهو المتقون.

٦- كراهية الصفير(١) والتصفيق، وبطلان الرقص في التعبد.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

إن الذين كفروا : أي كذبوا بآيات الله ورسالة رسوله محمد ﷺ من قريش

ثم تكون عليهم حسرة : أي شدة ندامة.

ثم يغلبون : أي يهزمون.

ليميز : أي ليميز كل صنف من الصنف الآخر.

الخبيث : هم أهل الشرك والمعاصي.

من الطيب : هم أهل التوحيد والأعمال الصالحة.

فيركمه : أي يجعل بعضه فوق بعض في جهنم.

---

(١) الصفير: تفسير للمكاء في الآية وهو مأخوذ من صوت طائر يسمى المكاء قال الشاعر:
إذا غرّد المكاء في غير روضة فويل لأهل الشاء والحُمُرات

معنى الآيـة الكريمة :

ما زال السياق في التنـديد بالمشـركين وأعمـالهـم الخاسرة يخبر تعالى ﴿أن الذين كفـروا﴾ وهم أهـل مكـة من زعمـاء قريش ﴿ينفقـون أموالهـم﴾ في[1] حرب رسول الله والمؤمنين للصد عن الإسلام المعبر عنه بسبيل الله يقول تعالى ﴿فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة[2]﴾ أي ندامة شديدة لسوء العاقبة التي كانت لهم في بدر وأحد والخندق إذ أنفقوا على هذه الحملات الثلاث من الأموال ما الله به عليم، ثم خابوا فيها وخسروا وبالتالي غلبوا وانتهى سلطانهم الكافر وفتح الله على رسوله والمؤمنين مكة وقوله تعالى ﴿والذين كفروا﴾ أي من مات منهم على الكفر ﴿إلى جهنم يحشرون﴾ أي يجمعون، وعلة هذا الجمـع أن يميز الله تعـالى الخبيث من الـطيب فالـطيبـون وهم المؤمنـون الصـالحون يعبرون الصراط الى الجنة دار النعيم، وأما الخبيث وهم فريق المشركين فيجعـل بعضـه إلى بعض فيركمـه جميعاً كوماً واحداً فيجعله في جهنم. وقوله تعالى ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ إشارة الى الذين أنفقوا أموالهم للصد عن سبيل الذين وماتو على الكفر فحشروا إلى جهنم وجعل بعضهم الى بعض ثم صيروا كوماً واحداً ثم جعلوا في نار جهنم هم الخاسرون بحق حيث خسروا أنفسهم وأموالهم وأهلهم وكل شيء وأمسوا في قعر جهنم مبلسين والعياذ بالله من الخسران المبين.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ كل نفقة ينفقها العبد للصد عن سبيل الله بأي وجه من الوجوه تكون عليه حسرة عظيمة يوم القيامة.

٢ـ كل كافر خبيث وكل مؤمن طيب.

٣ـ صدق وعد الله تعالى لرسوله والمؤمنين بهزيمة المشركين وغلبتهم وحسرتهم على ما أنفقوا في حرب الإسلام وضياع ذلك كله وخيبتهم فيه.

---

(١) لمّا هزمت قريش في بدر قام أبو سفيان بحملة جمع فيها الأموال لحرب رسول الله ﷺ والانتقام لمن مات من صناديد قريش فجمع المال وشنّ حرب أحد إلّا أنه خاب وخسر كما أخبر تعالى: ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون.

(٢) والآية يدخل فيها المطعمون ببدر إذ كانوا اثني عشر رجلا فكان الواحد منهم يطعم جيش قريش عشرة من الإبل يومياً طيلة ما هم في بدر، فخابوا في نفقاتهم وهلكوا.

قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ
ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ
فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

إن ينتهوا : عن الكفر بالله ورسوله وحرب الرسول والمؤمنين.

ما قد سلف : أي مضى من ذنوبهم من الشرك وحرب الرسول والمؤمنين.

مضت سنة الأولين : في إهلاك الظالمين.

لا تكون فتنة : أي شرك بالله واضطهاد وتعذيب في سبيل الله.

ويكون الدين كله لله : أي حتى لا يعبد غير الله.

مولاكم : متولي أمركم بالنصر والتأييد.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان الإجراءات الواجب اتخاذها إزاء الكافرين فيقول تعالى لرسوله ﷺ ﴿قل للذين كفروا﴾ مبلغاً عنا[1] ﴿إن ينتهوا﴾ أي عن الشرك والكفر والعصيان وترك حرب الإسلام وأهله ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ يغفر الله لهم ما قد مضى[2] من ذنوبهم العظام وهي الشرك والظلم، وهذا وعد صدق ممن لا يخلف الوعد سبحانه وتعالى. ﴿وإن يعودوا﴾ إلى الظلم والاضطهاد والحرب فسوف يحل بهم ما حل بالأمم السابقة قبلهم لما ظلموا فكذبوا الرسل وآذوا المؤمنين وهو معنى قوله تعالى ﴿فقد مضت سنة

(١) نزلت في أبي سفيان ورجاله المشركين في مكة قبل الفتح.
(٢) في الصحيح: (الإسلام يجبّ ما قبله، والتوبة تجبّ ما قبلها).

الأولين﴾ أي سنة الله والطريقة المتبعة فيهم وهي أخذهم[1] بعد الإنذار والإعذار. ثم في الآية الثانية من هذا السياق يأمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال المشركين قتالاً يتواصل بلا انقطاع إلى غاية هي: أن لا تبقى فتنة أي شرك ولا اضطهاد لمؤمن[2] أو مؤمنة من أجل دينه، وحتى يكون الدين كله لله فلا يعبد[3] مع الله أحد سواه ﴿فإن انتهوا﴾ أي عن الشرك والظلم فكفوا عنهم وإن انتهوا في الظاهر ولم ينتهوا في الباطل فلا يضركم ذلك ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾وسيظهرهم لكم ويسلطكم عليهم. وقوله في ختام السياق ﴿وإن تولوا﴾ أي نكثوا العهد وعادوا إلى حربكم بعد الكف عنهم فقاتلوهم ينصركم الله عليهم واعلموا ان الله مولاكم فلا يسلطهم عليكم، بل ينصركم عليهم إنه ﴿نعم المولى﴾ لمن يتولى ﴿ونعم النصير﴾ لمن ينصر.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان سعة فضل الله ورحمته.

٢ـ الإسلام يجبّ أي يقطع ما قبله، فيغفر لمن أسلم كل ذنب قارفه من الكفر وغيره.

٣ـ بيان سنة الله في الظالمين وهي إهلاكهم وإن طالت مدة الإملاء والإنظار.

٤ـ وجوب قتال المشركين على المسلمين ما بقي في الأرض مشرك.

٥ـ نعم المولى الله جل جلاله لمن تولاه، ونعم النصير لمن نصره.

---

(١) أخذهم: أي بالعذاب العاجل والعقوبة الشديدة.

(٢) الاضطهاد: هو فتنة قريش للمؤمنين حيث فتنوهم حتى هاجروا إلى الحبشة وفتنوهم حتى هاجروا إلى المدينة ومعنى: فتنوهم: عذّبوهم ليردّوهم إلى الشرك والكفر.

(٣) يشهد له قوله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها، وحسابهم على الله عز وجل) في الصحيحين.

۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن
كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ
يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ
أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ
أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ
وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ
هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ
وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ
يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ
فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

أنما غنتم من شيء : أي ما أخذتموه من مال الكافر قهراً لهم وغلبة قليلاً كان أو كثيراً.

فإن لله خمسه : أي خمس الخمسة أقسام، يكون لله والرسول ومن ذكر بعدهما.

ولذى القربى : هم قرابة الرسول ﷺ من بني هاشم وبني المطلب.

وما أنزلنا على عبدنا : أي من الملائكة والآيات.

يوم الفرقـــان : أي يوم بدر وهو السابع عشر من رمضان، إذ فرق الله فيه بين الحق والباطل.

التقى الجمعان : جمع المؤمنين وجمع الكافرين ببدر.

العدوة الدنيا : العدوة حافة الوادي، وجانبه والدنيا أي القريبة إلى المدينة.

بالعدوة القصوى : أي البعيد من المدينة إذ هي حافة الوادي من الجهة الأخرى.

والركب أسفل منكم : أي ركب أبي سفيان وهي العير التي خرجوا من أجلها. أسفل منكم مما يلي البحر.

عن بيِّنـة : أي حجة ظاهرة.

لتنازعتم في الأمر : أي اختلفتم.

ويقللكم في أعينهم : هذا قبل الالتحام أما بعد فقد رأوهم مثليهم حتى تتم الهزيمة لهم.

معنى الآيـات :

هذه الآيات لا شك أنها نزلت في بيان قسمة الغنائم بعدما حصل فيها من نزاع فافتكها الله تعـالى منهم ثم قسمها عليهم فقال الأنفال لله وللرسول في أول الآية ثم قال هنا ﴿واعلمـوا﴾ أيهـا المسلمون ﴿أنما غنمتم[1] من شيء[2]﴾ حتى الخيط والمخيط، ومعنى غنمتم أخذتموه من المال من أيدي الكفار المحاربين لكم غلبة وقهراً لهم فقسمته هي أن ﴿لله خمسه وللرسـول ولذي القربى[3] واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾، والأربعة أخماس[4] الباقية هي لكم أيها المجاهدون للراجل قسمة وللفارس قسمتان لما له من تأثير

---

(١) الغنيمة: ما يناله الرجل أو الجماعة بسعي وهو قتال الكافرين لغرض هدايتهم إلى الإسلام ليكملوا ويسعدوا، قال الشاعر:

وقد طوّفت في الآفاق حتى   رضيت من الغنيمة بالاياب

(٢) الإجماع على أن هذا الحكم ليس على عمومه بل هو مخصص بقول الإمام: مَن قتل قتيلا فله سَلَبه، وكذا الرقاب، فالإمام مخيّر فيها بين القتل والفداء والمنّ وليس هذا للغانمين، وكذا السلب فإن من سلب مقاتلا شيئا كسلاحه وفرسه فهو له أيضا.

(٣) المراد بذي القربى: قرابة رسول الله ﷺ، وهم بنو هاشم، وهو مذهب مالك، وزاد الشافعي وأحمد: بني المطلب لأن بني هاشم وبني المطلب شيء واحد، ولأن الرسول ﷺ لما قسم سهم ذي القربي بين بني هاشم وبين عبدالمطلب قال إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام، إنّما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبّك بين أصابعه) رواه البخاري.

(٤) من باب الاطلاع لا غير أذكر أنّ بعضاً قال: الغنيمة خمسها لله والأربعة أخماس للإمام إن شاء جبسها وإن شاء قسمها على الغانمين وهو قول مخالف لما عليه جمهور الفقهاء.

في الحرب ولأن فرسه يحتاج إلى نفقة علف. والمراد من قسمة الله أنها تنفق في المصالح العامة ولو أنفقت على بيوته لكان أولى وهي الكعبة وسائر المساجد، وما للرسول فإنه ينفقه على عائلته، وما لذي القربى فإنه ينفق على قرابة الرسول الذين يحرم عليهم أخذ الزكاة لشرفهم وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وما لليتامى ينفق على فقراء المسلمين، وما لابن السبيل ينفق على المسافرين المنقطعين عن بلادهم إذا كانوا محتاجين إلى ذلك في سفرهم وقوله تعالى ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ أي رباً ﴿وما أنزلنا على عبدنا﴾ أي محمد رسول الله ﷺ ﴿يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ وهو يوم بدر حيث التقى المسلمون بالمشركين، والمراد بما أنزل تعالى على عبده ورسوله الملائكة والآيات منها الرمية التي رمى بها المشركين فوصلت إلى أكثرهم فسببت هزيمتهم. وقوله ﴿والله على كل شيء قدير﴾ أي كما قدر على نصركم على قلتكم وقدر على هزيمة عدوكم على كثرتهم هو قادر على كل شيء يريده وقوله تعالى ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب[1] أسفل منكم﴾ تذكير لهم بساحة المعركة التي تجلت فيها آيات الله وظهر فيها إنعامه عليهم ليتهيئوا للشكر. وقوله تعالى ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد﴾ أي لو تواعدتم أنتم والمشركون على اللقاء في بدر للقتال لاختلفتم لأسباب تقتضي ذلك منها أنكم قلة وهم كثرة ﴿ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ أي محكوماً به في قضاء الله وقدره، وهو نصركم وهزيمة عدوكم. وجمعكم من غير تواعد ولا اتفاق سابق. وقوله تعالى ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حَيَّ عن بينة﴾ هذا تعليل لفعل الله تعالى بجمعكم في وادي بدر للقتال وهو فعل ذلك ليحيا بالإيمان من حيى على بينة وعلم أن الله حق والإسلام حق والرسول حق والدار الآخرة حق حيث أراهم الله الآيات الدالة على ذلك، ويهلك من هلك بالكفر على بينة إذ اتضح له أن ما عليه المشركون كفر وباطل وضلال ثم رضي به واستمر عليه. وقوله تعالى ﴿وان الله لسميع عليم﴾ تقرير لما سبق وتأكيد له حيث أخبر تعالى أنه سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم فما أخبر به وقرره هو كما أخبر وقرر. وقوله تعالى ﴿وإذ يريكهم الله في منامك قليلاً﴾ أي فأخبرت أصحابك ففرحوا بذلك

---

(١) ركب أبي سفيان، ولفظ الركب لا يطلق إلّا على الراكبين، والركب مبتدأ، والخبر متعلّق أسفل الظرف أي: كائن أسفل منكم.

وسُرّوا ووطنوا أنفسهم للقتال، وقوله: ﴿ولو أراكهم كثيراً﴾ أي في منامك وأخبرت به أصحابك لفشلتم أي جبنتم عن قتالهم، ولتنازعتم في أمر قتالهم ﴿ولكن الله سلّم﴾ من ذلك فلم يريكهم كثيراً إنه تعالى عليم بذات الصدور ففعل ذلك لعلمه بما يترتب عليه من خير وشر. وقوله تعالى ﴿وإذ يريكموهم﴾ أي اذكروا أيها المؤمنون إذ يريكم الله الكافرين عند التقائكم بهم قليلاً في أعينكم كأنهم سبعون رجلاً أو مائة مثلاً ويقللكم سبحانه وتعالى في أعينهم حتى[1] لا يهابوكم. وهذا كان عند المواجهة وقبل الالتحام أما بعد الالتحام فقد أرى الله تعالى الكافرين أراهم المؤمنين ضعفيهم في الكثرة وبذلك انهزموا كما جاء ذلك في سورة آل عمران في قوله ﴿يرونهم مثليهم﴾ وقوله تعالى ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ تعليل لتلك التدابير الإلهية لأوليائه لنصرتهم وإعزازهم وهزيمة أعدائهم وإذلالهم وقوله تعالى ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ إخبار منه تعالى بأن الأمور كلها تصير إليه فما شاء منها كان وما لم يشأ لم يكن خيراً كان أو غيراً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان قسمة الغنائم على الوجه الذي رضيه الله تعالى.

٢ـ التذكير بالإيمان، إذ هو الطاقة الموجهة باعتبار أن المؤمن حي بإيمانه يقدر على الفعل والترك، والكافر ميت فلا يكلف.

٣ـ فضيلة غزوة بدر وفضل أهلها.

٤ـ بيان تدبير الله تعالى في نصر أوليائه وهزيمة اعدائه.

٥ـ بيان أن مرد الأمور نجاحاً وخيبة لله تعالى ليس لأحد فيها تأثير إلا بإذنه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

(١) قال أبو جهل: إنهم أكلة جزور خذوهم أخذاً واربطوهم بالحبال فلمّا أخذوا في القتال عظم المسلمون في أعين الكفار وكثروا حتى انهم يرونهم مثليهم.

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ
وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ
ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

فئة : طائفة مقاتلة .

فاثبتوا : لقتالها واصمدوا .

واذكروا الله كثيراً : مهللين مكبرين راجين النصر طامعين فيه سائلين الله تعالى ذلك .

تفلحون : تفوزون بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة في الدنيا والنار في الآخرة .

ولا تنازعوا : أي لا تختلفوا وأنتم في مواجهة العدو أبداً .

وتذهب ريحكم(١) : أي قوتكم بسبب الخلاف .

---

(١) يرى بعضهم أن الريح ريح الصبا التي قال فيها الرسول ﷺ (نصرت بالصبا، واهلكت عاد بالدبور) يريد أنهم بعدم طاعتهم يحرمون الريح التي بها نصرهم وهو معنى لا بأس به .

خرجوا من ديارهم بطراً : أي للبطر الذي هو دفع الحق ومنعه.

وقال إني جار لكم : أي مجير لكم ومعين على عدوكم.

تراءت الفئتان : أي التقتا ورأت كل منهما عدوها.

نكص على عقبيه : أي رجع إلى الوراء هارباً، لأنه جاءهم في صورة سراقة بن مالك.

إني أرى ما لا ترون : من الملائكة.

والذين في قلوبهم مرض : أي ضعف في إيمانهم وخلل في اعتقادهم.

معنى الآيات:

هذا النداء الكريم موجه إلى المؤمنين وقد أذن لهم في قتال الكافرين، وبدأ بسرية عبدالله بن جحش رضي الله عنه وثنى بهذه الغزوة غزوة بدر الكبرى فلذا هم في حاجة إلى تعليم رباني وهداية إلهية يعرفون بموجبها كيف يخوضون المعارك وينتصرون فيها وفي هذه الآيات الأربع تعليم عال جداً لخوض المعارك والانتصار فيها وهذا بيانها:

١ـ الثبات في وجه العدو والصمود في القتال حتى لكأن المجاهدين جبل شامخ لا يتحرك ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ أي جماعة مقاتلة ﴿فاثبتوا﴾.

٢ـ ذكر الله تعالى تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ودعاء(١) وضراعة ووعداً ووعيداً. ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ أي تفوزون بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة والمذلة في الدنيا، والنار والعذاب في الآخرة.

٣ـ طاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما ومنه طاعة قائد المعركة ومديرها وهذا من أكبر عوامل النصر حسب سنة الله تعالى في الكون ﴿واطيعوا الله ورسوله﴾.

٤ـ عدم التنازع والخلاف عند التدبير للمعركة وعند دخولها وأثناء خوضها.

٥ـ بيان نتائج التنازع والخلاف وأنها: الفشل الذريع، وذهاب القوة المعبر عنها بالريح

---

(١) الذكر المطلوب هو: ما كان باللسان والقلب معاً، في الآية دليل على أنّ ذكر الله تعالى لا يترك في حال إلاّ في حال التغوّط، قال محمد القرطبي: لو رخّص لأحد في ترك الذكر لرخّص لزكريا إذ قال له تعالى: ﴿ألاّ تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزا واذكر ربّك كثيرا﴾ ولرخص لرجل في الحرب لقوله تعالى: ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ وحكم هذا الذكر أن يكون خفيّا إلا أن يكون في بداية الحملة بصوت واحد: الله أكبر فإن ذلك محمود لأنه يرعب العدو ويفتّ في أعضاده.

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[١].

٦ـ الصبر على مواصلة القتال والإعداد له وتوطين النفس واعدادها لذلك. ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾.

٧ـ الإخلاص في القتال والخروج له لله تعالى فلا ينبغي أن يكون لأي اعتبار سوى مرضاة الله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين[٢] خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾.

هذه عوامل النصر وشروط الجهاد في سبيل الله. تضمنتها ثلاث آيات من هذه الآيات الخمس وقوله تعالى في الآية الرابعة (٤٨) ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ يذكر تعالى المؤمنين بحادثة حدثت يوم بدر من أغرب الحوادث لتكون عبرة وموعظة للمؤمنين فيقول عز وجل واذكروا إذ زين الشيطان للمشركين الذين نهيتم أن تتشبهوا بهم في سيرهم وقتالهم وفي كل حياتهم، فقال لهم: أقدموا على قتال محمد والمؤمنين،ولا ترهبوا ولا تخافوا إنه لا غالب لكم اليوم من الناس،وإني جار لكم أي مجير لكم وناصر ومعين.وكان الشيطان في هذه الساعة فى صورة رجل من أشراف قبيلته يقال له سراقة بن مالك[٣]-فلما تراءت الفئتان لبعضهما البعض وتقدموا للقتال رأى الشيطان جبريل في صفوف الملائكة، فنكص على عقبيه، وكان آخذاً بيد الحارث بن هشام يحدثه يعده ويمنيه بعد ما زين لهم خوض المعركة وشجعهم على ذلك،وولى هارباً فقال له الحارث:ما بك ما أصابك تعال فقال وهو هارب ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ يعني الملائكة ﴿إني أخاف[٤] الله والله شديد العقاب﴾

(١) المراد بالريح هنا: القوة والنصر، كما يقال: الريح لفلان إذا كان غالبا في أمره ومنه قول الشاعر:

إذا هبّت رياحك فاغتنمها   فإنّ لكل خافقة سكون

جملة: لكل خافقة سكون: خبر إن واسمها: ضمير شأن.

(٢) هم أبو جهل وأصحابه الخارجون يوم بدر لنصرة العير حيث خرجوا بالقينات والمغنيات والمعازف.

(٣) هو سراقة بن مالك بن جعشم من بني بكر بن كنانة، وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم لأنهم قتلوا رجلا منهم فلّما تمثّل لهم الشيطان في صورة سراقة سكنوا لذلك

(٤) قيل: إن الشيطان خاف أن يكون يوم بدر هو اليوم الذي انظر إليه، وقيل: كذب وهو كذوب.

وصدق وهو كذوب وقوله تعالى في نهاية الآية(٤٩) ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم﴾ أي واذكروا أيها المؤمنون للعبرة والاتعاظ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم[(١)] مرض أي ضعف في الإيمان وتخلخل في العقيدة: غر هؤلاء دينهم وإلا لما خرجوا لقتال قريش وهي تفوقهم عدداً وعدة، ومثل هذا الكلام يعتبر عادياً من ضعاف الإيمان والمنافقين المستترين بزيف إيمانهم، فاذكروا هذا،ولا يفت في اعضادكم مثل هذا الكلام،وتوكلوا على الله واثقين في نصره فإنه ينصركم لأنه عزيز لا يغالب ولا يمانع في ما يريده أبداً.حكيم يضع النصر في المتأهلين له بالإيمان والصبر والطاعة له ولرسوله، والإخلاص له في العمل والطاعة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان أسباب النصر وعوامله ووجوب الأخذ بها في كل معركة وهي: الثبات وذكر الله تعالى، وطاعة الله ورسوله وطاعة القيادة وترك النزاع والخلاف والصبر والإخلاص.

٢ـ بيان عوامل الفشل والخيبة وهي النزاع والاختلاف والبطر والرياء والاغترار.

٣ـ بيان عمل الشيطان في نفوس الكافرين بتزيينه لهم الحرب ووعده وتمنيته لهم.

٤ـ بيان حال المنافقين وضعفة الإيمان عند وجود[(٢)] القتال ونشوب الحروب.

٥ـ وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه مهما كانت دعاوى المبطلين والمثبطين والمنهزمين.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾

(١) لقد اختلف في المراد بالمنافقين هنا، وكذا الذين في قلوبهم مرض إذ يبعد أن يكون في المشركين منافقون، كما يبعد أن يكون في أهل بدر منافقون، والذي يبدو أنه الراجح: أنّ القائلين هذه المقالة هم منافقون وضعفة إيمان بالمدينة لما رأوا خروج الرسول ﷺ وأصحابه إلى بدر قالوا هذه القولة القبيحة ويكون الظرف «إذ» متعلّق بشديد العقاب لابزين».

(٢) لا يتعارض هذا القول مع ما رجحناه من أن القائلين هذه المقولة هم منافقون وضعاف إيمان بالمدينة، إذ هذه الحال تنطبق عليهم.

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

إذ يتوفى : أي يقبض أرواحهم لإماتتهم.

وجوههم وأدبارهم : أي يضربونهم من أمامهم ومن خلفهم.

بظلام للعبيد : أي ليس بذي ظلم للعبيد كقوله ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾.

كدأب آل فرعون : أي دأب كفار قريش كدأب آل فرعون في الكفر والتكذيب والدأب العادة.

لم يك مغيراً نعمة : تغيير النعمة تبديلها بنقمة بالسلب لها أو تعذيب أهلها.

آل فرعون : هم كل من كان على دينه من الأقباط مشاركاً له في ظلمه وكفره.

معنى الآيات :

ما زال السياق مع كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس فيقول تعالى لرسوله ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين[1] كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم[2]﴾ وهم يقولون لهم ﴿وذوقوا عذاب[3] الحريق﴾ وجواب لولا محذوف تقديره(لرأيت أمراً فظيعاً)وقوله تعالى

---

(١) جائز أن يكون المراد من هؤلاء قتلى بدر المشركين وجائز أن يكونوا ممن لم يقتلوا ببدر، وماتوا بمكة وغيرها.

(٢) قال الحسن البصري: المراد من أدبارهم: ظهورهم وقال: (إن رجلا قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله: إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك «أي: سير النعل»؟ قال: ذلك ضرب الملائكة).

(٣) يقال لهم عند قبض أرواحهم، إذ بمجرد أن تقبض الروح يلقى بها في جهنم، كما يقال لهم يوم القيامة ذلك من قبل الملائكة.

﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ هو قول الملائكة لمن يتوفونهم من الذين كفروا. أي ذلكم الضرب والتعذيب بسبب ما قدمت أيديكم من الكفر والظلم والشر والفساد وأن الله تعالى ليس بظالم لكم فإنه تعالى لا يظلم أحداً.وقوله تعالى ﴿كدأب آل فرعون[1] والذين من قبلهم﴾ أي دأب هؤلاء المشركين من كفار قريش في كفرهم وتكذيبهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ﴿كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم﴾ وكفر هؤلاء فأخذهم الله بذنوبهم، وقوله ﴿إن الله قوي شديد العقاب﴾ يشهد له فعله بآل فرعون والذين من قبلهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات وأخيراً أخذه تعالى كفار قريش في بدر أخذ العزيز المقتدر، وقوله تعالى ﴿ذلك بأن الله[2] لم يك[3] مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ إشارة إلى ما أنزله من عذاب على الأمم المكذبة الكافرة الظالمة،وإلى بيان سنته في عباده وهي أنه تعالى لم يكن من شأنه أن يغير نعمة أنعمها على قوم كالأمن والرخاء، أو الطهروالصفاءحتى يغيروا هم ما بأنفسهم بأن يكفروا ويكذبوا، ويظلموا أو يفسقوا ويفجروا،وعندئذ يغير تلك النعم بنقم فيحل محل الأمن والرخاء الخوف والغلاء ومحل الطهر والصفاء الخبث والشر والفساد. هذا إن لم يأخذهم بالإبادة الشاملة والاستئصال التام.وقوله تعالى ﴿وأن الله سميع عليم﴾ أي لأقوال عباده وأفعالهم فلذا يتم الجزاء عادلاً لا ظلم فيه. وقوله تعالى ﴿كدأب آل[4] فرعون والذين من قبلهم كذبوا[5] بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾ هذه الآية تشبه الآية السابقة إلا أنها تخالفها فيما يلي: في الأولى الذنب الذي أخذ به الهالكون كان الكفر، وفي هذه: كان التكذيب، في الأولى: لم يذكر نوع العذاب، وفي الثانية انه الإغراق، في الأولى لم يسجل عليهم سوى الكفر فهو ذنبهم لا غير. وفي الثانية سجل على الكل ذنباً آخر وهو الظلم إذ قال ﴿وكل كانوا ظالمين﴾ أي بكفرهم وتكذيبهم، وصدهم عن سبيل الله وفسقهم عن طاعة الله ورسوله مع زيادة التأكيد

(١) الباء في قوله: ﴿ذلك بأنّ الله﴾ سببية والجملة مسوقة للتعليل.
(٢) ﴿لم يك﴾ أي: لم ينبغ له، ولم يصحّ منه لبالغ حكمته وعدله ورحمته.
(٣) ﴿كدأب﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: دأب هؤلاء كدأب آل فرعون، والدأب: العادة المستمرة.
(٤) ﴿كذبوا﴾ الخ. تفسير دأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم.
(٥) وجائز أن يكون المراد: كدأب آل فرعون أي: في تعذيبهم عند قبض أرواحهم، وفي قبورهم ويوم القيامة.

والتقرير.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيـات :

١ـ تقرير عذاب القبر بتقرير العذاب عند النزع .

٢ـ هذه الآية نظيرهـا آية الانعام ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم﴾ أي بالضرب .

٣ـ تنزه الخالق عز وجل عن الظلم لأحد[1] .

٤ـ سنة الله تعالى في أخذ الظالمين وإبدال النعم بالنقم .

٥ـ لم يكن من سنة الله تعالى في الخلق تغيير ما عليه الناس من خير أو شر حتى يكونوا هم البادئين .

٦ـ التنديد بالظلم وأهله، وأنه الذنب الذي يطلق على سائر الذنوب .

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن
قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾

شـرح الكلمـات :

شر الدواب[2] : من إنسان أو حيوان الذين ذكر الله وصفهم وهم بنو قريظة .

(١) شاهده حديث مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول: ياعبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

(٢) الدواب: كل ما يدب على وجه الأرض من حيوان، و﴿عند الله﴾: أي: في علمه وحكمه.

فهم لا يؤمنون : لما علم الله تعالى من حالهم أخبر أنهم يموتون على الكفر.

ينقضون عهدهم : أي يحلونه ويخرجون منه فلا يلتزموا بما فيه.

في كل مرة : أي عاهدوا فيها.

فإما تثقفنّهم : أي ان تجدنّهم، وما مزيدة أدغمت في إن الشرطية.

فشرد : أي فرق وشتت.

يذكرون : أي يتعظون.

فانبذ إليهم : أي اطرح عهدهم.

على سواء(1) : أي على حال من العلم تكون أنت وإياهم فيها سواء، أي كل منكم عالم بنقض المعاهدة.

الخائنين : الغادرين بعهودهم.

سبقوا : أي فاتوا الله ولم يتمكن منهم.

معنى الآيات :

بمناسبة ذكر خصوم الدعوة الإسلامية والقائم عليها وهو النبي ﷺ ذكر تعالى خصوماً لها آخرين غير المشركين من كفار قريش وهم بنو قريظة(2) من اليهود. فأخبر تعالى عنهم أنهم شر الدواب من الإنسان والحيوان ووصفهم محدداً لهم ليعرفوا، وأخبر أنهم لايؤمنون لتوغلهم في الشر والفساد، فقال: ﴿إن شر الدواب عند الله﴾ أي في حكمه وعلمه ﴿الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ وخصصهم بوصف آخر خاص بهم فقال: ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾ وذلك أن النبي ﷺ عاهدهم أول مرة على أن لا يحاربوه ولا يعينوا أحداً على حربه فإذا بهم يعينون قريشاً بالسلاح، ولما انكشف أمرهم اعتذروا معترفين بخطإهم، وعاهدوا مرة أخرى على أن لا يحاربوا الرسول ولا يعينوا من يحاربه فإذا بهم ينقضون عهدهم مرة أخرى ويدخلون في حرب ضده حيث انضموا الى الأحزاب في غزوة الخندق هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿إن شر

---

(1) أي: جهراً لا سراً حتى يكونوا وأنتم بالعلم بنبذ المعاهدة على حد سواء.

(2) وبنو النضير كذلك إذ أعانوا قريشا بالسلاح ثم لمّا انكشف أمرهم اعتذروا، وأما قريظة، فقد نقضوا عهدهم مرتين إذ انضموا إلى الأحزاب في حربهم على رسول الله ﷺ والمؤمنين.

الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾[1] أي يعاهدون فيها. ﴿وهم لا يتقون﴾ أي لا يخافون عاقبة نقض المعاهدات والتلاعب بها حسب أهوائهم. وقوله تعالى ﴿فإما تثقفنّهم في الحرب فشرد بهم[2] من خلفهم لعلهم يذكرون﴾ يرشد رسوله آمراً إياه بما يجب أن يتخذه إزاء هؤلاء الناكثين للعهود المنغمسين في الكفر. بحيث لا يخرجون منه بحال من الأحوال، ويشهد لهذه الحقيقة أنهم لما حوصروا في حصونهم ونزلوا منها مستسلمين كان يعرض على أحدهم الإسلام حتى لا يقتل فيؤثر باختياره القتل على الإسلام وماتوا كافرين وصدق الله إذ قال ﴿فهم لا يؤمنون﴾ فهؤلاء إن ثقفتهم في حرب أي وجدتهم متمكناً منهم فاضربهم بعنف وشدة وبلا هوادة حتى تشرد أي تفرق بهم من خلفهم من أعداء الإسلام المتربصين بك الدوائر من كفار قريش وغيرهم لعلهم يذكرون أي يتعظون فلا يفكروا في حربك وقتالك بعد، وقوله ﴿وإما تخافن من قوم خيانة[3] فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾ هذا إرشاد آخر للرسول ﷺ يتعلق بالخطط الحربية الناجحة وهو أنه ﷺ إن خاف من قوم معاهدين له خيانة ظهرت أماراتها وتأكد لديك علاماتها فاطرح تلك المعاهدة ملغياً لها معلناً ذلك لتكون وإياهم على علم تام بإلغائها، وذلك حتى لا يتهموك بالغدر والخيانة، والله لا يحب الخائنين. وقاتلهم مستعيناً بالله عليهم وستكون الدائرة على الناكث الخائن، وهذا ضرب من الحزم وصحة العزم إذ ما دام قد عزم العدو على النقض فقد نقض فليبادر لافتكاك عنصر المباغتة من يده، وهو عنصر مهم في الحروب. وقوله تعالى ﴿ولا يحسبن الذين كفروا﴾[4] وهم من هرب من بدر من كفار قريش ﴿سبقوا﴾ أي فاتوا فلم يقدر الله تعالى عليهم ﴿إنهم لا يعجزون﴾ أي إنهم لا يعجزون الله بحال فإنه

---

(١) سبحان الله، هذا الوصف الخسيس ما زال ملازما لليهود إلى اليوم فلا يوفون بعهد ولا ذمّة أبداً، وصدق الله العظيم إذ قال عنهم. ﴿كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم﴾.

(٢) يقال: شرد البعير أو الدابة إن فارقت صاحبها، وشرّده إذا عمل على تشريده بسبب، وشردت بني فلان: إذا حملتهم على مفارقة منازلهم قال الشاعر:

أطوّف في الأباطح كل يوم   مخافة أن يُشرّد بي حكيم

(٣) غشا ونقضاً للعهد والآية عامة، فهي مبدأ حربي يأخذ به المسلمون إلى يوم القيامة، ولا وجه لذكر الخلاف هل هي في بني قريظة أو بني النضير؟ وخوف الخيانة هنا معناه: الظن الغالب وذلك بظهور علامات خيانة العدو واضحة.

(٤) أي: من أفلت من وقعة بدر سبق إلى الحياة، وقوله تعالى: ﴿إنهم لا يعجزون﴾ أي: في الدنيا حتى يظفرك الله بهم.

تعالى لا يفوته هارب،ولا يغلبه غالب.

هداية الآيات

مـن هداية الآيـات :

١ـ بيان أن شر الدواب هم الكفار من أهل الكتاب والمشركين بل هم شر البرية.

٢ـ سنة الله فيمن توغل في الظلم والشر والفساد يُحرم التوبة فلا يموت إلا كافراً.

٣ـ من السياسة الحربية النافعة أن يضرب القائد عدوه بعنف وشدة ليكون نكالاً لغيره من الأعداء.

٤ـ حرمــة الغدر والخيانة.

٥ـ جواز إعلان إلغاء المعاهدة وضرب العدو فوراً إن بدرت منه بوادر واضحة بأنه عازم على نقض المعاهدة(١) وذلك لتفويت عنصر المباغتة عليه.

وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟
لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾
وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ
بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ
مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

---

(١) روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: (لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة) وروى أبو داود والترمذي أن معاوية رضي الله عنه كان بينه وبين الروم عهد، فلما قارب تاريخ العهد الانقضاء سار إليهم بجيشه فجاء عمرو بن عنبسة فقال له سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء) فرجع معاوية بالناس.

شرح الكلمات :

أعـــدوا	: هيئوا وأحضروا .
ما اســتطعتم	: ما قدرتم عليه .
مـن قـوة	: أي حربية من سلاح على اختلاف أنواعه .
يوفَّ إليـكم	: أي أجـره وثوابـه .
وإن جنحـوا للسلم	: أي مالوا إلى عدم الحرب ورغبوا في ذلك .
فإن حسبك الله	: أي يكفيك شرهم ، وينصرك عليهم .
ألف بين قلوبهم	: أي جمع بين قلوب الأنصار بعدما كانت متنافرة مختلفة .
إنه عزيز حكيم	: أي غالب على أمره ، حكيم في فعله وتدبير أمور خلقه .

معـنى الآيات :

بمناسبة انتهاء معركة بدر وهزيمة المشركين فيها ، وعودتهم إلى مكة وكلهم تغيظ على المؤمنين وفعلاً أخذ أبوسفيان يعد العدة للانتقام . وما كانت غزوة أحد إلا نتيجة لذلك هنا أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بإعداد القوة وبذل ما في الوسع والطاقة لذلك فقال تعالى ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾[1] وقد فسر النبي ﷺ القوة بالرمي بقوله «ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً[2] وقوله تعالى ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ يخبر تعالى عباده المؤمنين بعد أن أمرهم بإعداد القوة على اختلافها بأن رباطهم للخيل وحبسها أمام دورهم معدة للغزو والجهاد عليها يرهب أعـداء الله من الكـافـرين والمنـافقين أي يخوفهم حتى لا يفكروا في غزو المسلمين وقتالهم ، وهذا ما يعرف بالسلم المسلح ، وهو أن الأمة إذا كانت مسلحة قادرة على القتال يرهبها أعداؤها فلا يحاربونها ، وإن رأوها لاعدة لها ولا عتاد ولا قدرة على ردأعدائـها أغـراهم ذلـك بقتـالها فقاتلوها . وقوله تعالى ﴿وآخرين من دونهم﴾ أي من دون كفار

---

(١) روى مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي) وعن عقبة أيضاً قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجزه أحدكم أن يلهو بأسهمه) وقال ﷺ : (كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنه من الحق) .

(٢) ومما يدل على فضل الرمي في سبيل الله قوله ﷺ في حديث أبي داود والترمذي والنسائي : (إن الله يدخل ثلاثة نفر الجنة بسهم واحد صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي ومُنَله) .

قريش، وقوله ﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ من الجائز أن يكونوا اليهود أو المجوس أو المنافقين، وأن يكونوا الجن أيضاً، وما دام الله عز وجل لم يُسمهم فلا يجوز أن يقال هم كذا. بصيغة الجزم، غير أنا نعلم أن أعداء المسلمين كل أهل الأرض من أهل الشرك والكفر من الإنس والجن، وقوله تعالى ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ إخبار منه تعالى أن ما ينفقه المسلمون من نفقة قلت أو كثرت في سبيل الله التي هي الجهاد يوفّيهم الله تعالى إياها كاملة ولا ينقصهم منها شيئاً فجملة ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ جملة خالية ومعناها لا يظلمكم الله تعالى بنقص ثواب نفقاتكم في سبيله هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٠) أما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿وإن جنحوا[1] للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾ فإن الله تعالى يأمر رسوله وهو قائد الجهاد يومئذ بقبول السلم متى طلبها[2] أعداؤه ومالوا إليها ورغبوا بصدق فيها، لأنه ﷺ رسول رحمة لا رسول عذاب،وأمره أن يتوكل على الله في ذلك أي يطيعه في قبول السلم ويفوض أمره إليه ويعتمد عليه فإنه تعالى يكفيه شرّ أعدائه لأنه سميع لأقوالهم عليم بأفعالهم وأحوالهم لا يخفى عليه من أمرهم شيء فلذا سوف يكفي رسوله شر خداعهم إن أرادوا خداعه بطلب السلم والمسالمة، وهذا معنى قوله تعالى في الآيتين (٦٢) و (٦٣) ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ أي بالميل إلى السلم والجنوح[3] إليها ﴿فإن حسبك الله﴾ أي كافيك إنه ﴿هو الذي أيدك بنصره﴾ أي في بدر ﴿وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم﴾ أي جمع بين تلك القلوب المتنافرة المنطوية على الإحن والعداوات ولأقل الأسباب وأتفهها، لقد كان الأنصار يعيشون على عداوة عظيمة فيما بينهم حتى إن حربا وقعت بينهم مائة وعشرين سنة فلما دخلوا في الإسلام اصطلحوا وزالت كل آثار العداوة والبغضاء وأصبحوا جسماً واحداً من فعل سوى الله تعالى؟ اللهم لا أحد، ولذا قال تعالى لرسوله ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا﴾ أي من مال

---

(١) ﴿جنحوا﴾: مالوا، والجنوح: الميل أي: إذا مالوا إلى المسالمة التي هي الصلح فمِل إليها، اختلف هل هذه الآية منسوخة بآية: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ والصحيح، والذي به العمل أن الآية محكمة غير منسوخة، وأنّ المسلمين إذا كانوا في حالة ضعف يحتاجون فيها إلى تقوية بعقد هدنة أو مصالحة لدفع ضرر أو تحصيل نفع ظاهر وهم في حاجة إلى ذلك فإن لهم أن يجنحوا للسلم وإن كانوا أقوياء قادرين فلا يحلّ لهم إلاّ إنفاذ أمر الله تعالى بقتال العدو حتى يسلم أو يستسلم لحكم الإسلام.

(٢) السلم: مؤنثه ولذا عاد الضمير إليها مؤنثاً في قوله: ﴿فاجنح لها﴾.

(٣) وهم يضمرون في نفوسهم نية الغدر بك والمكر ليخدعوك بذلك فامض في صلحك والله حسبك.

صامت وناطق ﴿ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ وجوب إعداد القوة وهي في كل زمان بحسبه إن كانت في الماضي الرمح والسيف ورباط الخيل فهي اليوم النفاثة المقاتلة والصاروخ، والهدروجين والدبابة والغواصة والبارجة .

٢ـ تقرير مبدأ : السلم المسلح ، إرجع إلى شرح الآيات .

٣ـ لا يخلو المسلمون من أعداء ما داموا بحق مسلمين ، لأن قوى الشر من إنس وجن كلها عدو لهم .

٤ـ نفقة الجهاد خير نفقة وهي مضمونة التضعيف .

٥ـ جواز قبول السلم[1] في ظروف معينة ، وعدم قبوله في أخرى وذلك بحسب حال المسلمين قوة وضعفاً .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ
صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ
بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾

(١) المراد بالسلم : المهادنة ، والموادعة ، والصلح المؤقت ، وقد تقدم بيانه ، والإمام الشافعي يرى أن لا تزيد مدّة المسالمة على عشر سنين قياسا على صلح الحديبية إذ كانت المدة عشر سنين لا غير.

شرح الكلمات :

حسبك الله[1] : أي كافيك الله كل ما يهمك من شأن أعدائك وغيرهم.

ومن اتبعك من المؤمنين : أي الله حسبهم كذلك أي كافيهم ما يهمهم من أمر أعدائهم.

حرض المؤمنين على القتال: أي حثهم على القتال مرغباً لهم مرهباً.

صابـرون : أي على القتال فلا يضعفون ولا ينهزمون بل يثبتون ويقاتلون.

لا يفقهـون : أي لا يعرفون أسرار القتال ونتائجه بعد فنونه وحذق أساليبه.

معنى الآيات :

ينادي الرب تبارك وتعالى رسوله بعنوان النبوة التي شرفه الله بها على سائر الناس فيقول ﴿يا أيهـا النبي﴾ ويخبـره بنعم الخبـر مطمئناً إياه وأتباعه من المؤمنين بأنه كافيهم أمر أعـدائهم فما عليهم إلا أن يقاتلوهم ما دام الله تعالى ناصرهم ومؤيدهم عليهم، فيقول: ﴿حسبـك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ ثم يناديهم ثانية قائلا ﴿يا أيها النبي﴾ ليأمره بالأخـذ بالأسبـاب الموجبة للنصر بإذن الله تعالى وهي تحريض المؤمنين على القتال وحثهم عليه وترغيبهم فيه فيقول ﴿حرض[2] المؤمنين على القتال﴾ ويخبره آمراً له ولأتباعه المؤمنين بأنه ﴿إن يكن﴾ أي يوجد منهم في المعركة ﴿عشرون[3] صابرون يغلبوا مائتين﴾، وإن يكن منهم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الكافرين، ويعلل لذلك فيقول ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ أي لا يفقهون أسرار القتال وهي أن يعبد الله تعالى ويرفع الظلم من الأرض ويتخـذ الله من المؤمنين شهـداء فينزلهم منازل الشهداء عنده، فالكافرون لا يفقهون هذا فلذا

---

(١) ﴿حسبك﴾ خبر مقدم ولفظ الجلالة مبتدأ أي: الله حسبك بمعنى كافيك: ﴿ومن اتبعك﴾ يصح أن يكون في موضع نصب عطفاً على الكاف في (حسبك)، والصواب أنها في موضع رفع على الابتداء والخبر محذوف والتقدير: ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله أيضاً.

(٢) يقال: حرّضه على كذا: حثه وحضّه وحارض على الأمر وواظب وواصب وأكب بمعنى، والحارض: الذي أشرف على الهلاك ومنه: (حتى تكون حرضاً) أي: تذوب غمّاً فتقارب الهلاك فتكون من الهالكين.

(٣) إن يكن منكم عشرون صابرون. . . ﴾ الخ لفظ مضمّن وعداً إلهياً مشروط بشرط الصبر، إذ تقدير الكلام: إن يصبر منكم عشرون صابرون الخ.

هم لا يصبرون على القتال لأنهم يقاتلون لأجل حياتهم فقط فإذا خافوا عنها تركوا القتال طلباً للحياة زيادة على ذلك أنهم جهال لا يعرفون أساليب الحرب ولا وسائلها الناجعة بخلاف المؤمنين فإنهم علماء، علماء بكل شيء هذا هو المفروض، وإن ضَعُفَ الإيمان ضعف تبعاً له الفقه والعلم وحل الجهل والضعف كما هومشاهداليوم في المسلمين وقوله تعالى ﴿الآن خفف[1] الله عنكم وعلم أن فيكم ضَعفاً[2] فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ الآن بعد علمه تعالى بضعفكم حيث لا يقوى الواحد على قتال عشرة، ولا العشرة على قتال مائة ولا المائة على قتال الألف خفف تعالى رحمة بكم ومنّة عليكم، فنسخ[3] الحكم الأول بالثاني الذي هو قتال الواحد للإثنين،والعشرة للعشرين والمائة للمائتين، والألف للألفين، ومفاده أن المؤمن لا يجوز له أن يفر من وجه اثنين ولكن يجوز له أن يفر إذا كانوا أكثر من اثنين وهكذا سائر النِسب فالعشرة يحرم عليهم ان يفروا من عشرين ولكن يجوز لهم أن يفروا من ثلاثين أو أربعين مثلاً. وهذا من باب رفع الحرج فقط وإلا فإنه يجوز للمؤمن ان يقاتل عشرة أو أكثر، فقد قاتل ثلاثة آلاف صحابي يوم مؤتة مائة وخمسين ألفاً من الروم والعرب المتنصرة وقوله تعالى ﴿بإذن الله﴾ أي بمعونته وتأييده إذ لا نصر بدون عون من الله تعالى وإذن، وقوله ﴿والله مع الصابرين﴾ أي بالتأييد والنصر،والصبر شرط في تأييد الله وعونه فمن لم يصبر على القتال فليس له على الله وعد في نصره وتأييده.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ لا كافي إلا الله تعالى، ومن زعم أن هناك من يكفي سوى الله تعالى فقد أشرك.

٢ـ وجوب تحريض المؤمنين على الجهاد وحثهم عليه في كل زمان ومكان.

٣ـ حرمة هزيمة الواحد من الواحد والواحد من الاثنين، ويجوز ما فوق ذلك.

---

(١) لما شقّ على المؤمنين ثبات العشرة للمائة والعشرين للمائتين وثبات المائة للألف، خفّف الله تعالى عنهم وأنزل قوله: ﴿الآن خففّ الله عنكم . .﴾ فرخّص للواحد أن يفر من أكثر من اثنين وهكذا إن شاء فإنه لا حرج.

(٢) قرىء ضَعفا بفتح الضاد وضمها، وقيل إن الفتح في ضعف العقول والضم في ضعف الأجسام، والصحيح أنهما لغتان فصيحتان.

(٣) لا بأس أن يسمى هذا نسخاً لأنه حكم جديد غاير الأوّل ويسمى تخفيفاً وهو حسن أيضاً.

٤- وجوب تفقيه المجاهدين عقلاً وروحاً وصناعة.

٥- وجوب الصبر في ساحة المعارك ويحرم الهزيمة إذا كان عدد المؤمنين اثني عشر ألف مقاتل أو أكثر إذ هذا العدد لا يغلب[1] من قلة بإذن الله تعالى.

٦- معية الله بالعلم والتأييد والنصر للصابرين دون الجزعين.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

شرح الكلمات:

أسرى : جمع أسير وهو من أخذ في الحرب يشد عادة بإسار وهو قيد من جلد فاطلق لفظ الأسير[2] على كل من أخذ في الحرب.

حتى يثخن في الأرض : أي تكون له قوة وشدة يرهب بها العدو.

عرض الدنيا : أي المال لأنه عارض ويزول فلا يبقى.

لولا كتاب من الله سبق : وهو كتاب المقادير بأن الله تعالى أحل لنبيّ هذه الأمة الغنائم.

فيما أخذتم : أي بسبب ما أخذتم من فداء أسرى بدر.

حلالاً طيباً : الحلال هو الطيب فكلمة طيباً تأكيد لحليّة اقتضاها المقام.

واتقوا الله : أي بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي.

معنى الآيات:

ما زال السياق في أحداث غزوة بدر من ذلك أن أصحاب الرسول ﷺ إلا عمر وسعد

(١) روى أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: (لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة) والمراد أن الغلب إن حصل لن يكون سببه قلة العدد وإنما يكون لأمر آخر كعدم الصبر أو عدم الأخذ بأسباب النصر التي يتم بها النصر حسب سنّة الله.

(٢) أسير: كقتيل وجريح، ويجمع على أسرى كقتلى وجرحى، وعلى أُسارى بضم الهمزة وفتحها، والضم أشهر.

بن معاذ رضي الله عنهما رغبوا في مفاداة الأسرى بالمال للظروف المعاشية القاسية التي كانوا يعيشونها، وكانت رغبتهم في الفداء بدون علم من الله تعالى بإحلالها أو تحريمها أما عمر فكان لا يعثر على أسير إلا قتله وأما سعد فقد قال (الاثخان في القتال أولى من استبقاء الرجال) ولما تم الفداء نزلت هذه الآية الكريمة تعاتبهم أشد العتاب فيقول تعالى ﴿ما كان لنبيّ[1]﴾ أي ما صح منه ولا كان ينبغي له أن يكون له أسرى حرب يبقيهم ليفاديهم أو يمن عليهم مجاناً ﴿حتى يثخن[2] في الأرض﴾ أرض العدو قتلاً وتشريداً فإذا عرف بالبأس والشدة وهابه الأعداء جاز له الأسر أي الإبقاء على الأسرى أحياء ليمن عليهم بلا مقابل أو ليفاديهم بالمال، وقوله تعالى ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ هذا من[3] عتابه تعالى لهم، إذ ما فادوا الأسرى إلا لأنهم يريدون حطام الدنيا وهو المال، وقوله ﴿والله يريد الآخرة﴾ فشتان ما بين مرادكم ومراد ربكم لكم تريدون العرض الفاني والله يريد لكم النعيم الباقي، وقوله تعالى ﴿والله عزيز حكيم﴾ أي غالب على أمره ينصر من توكل عليه وفوّض أمره إليه، حكيم في تصرفاته فلا يخذل أولياءه وينصر أعداءه فعليكم أيها المؤمنون بطلب مرضاته بترك ما تريدون لما يريد هو سبحانه وتعالى، وقوله تعالى ﴿لولا كتاب[4] من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ أي لولا أنه مضى علم الله تعالى بحلية الغنائم لهذه الأمة وكتب ذلك في اللوح المحفوظ لكان ينالكم جزاء رضاكم بالمفاداة وأخذ الفدية عذاب عظيم.

وقوله تعالى ﴿فكلو مما غنمتم[5] حلالاً طيباً﴾ إذن منه تعالى لأهل بدر أن يأكلوا مما

---

(١) هذه الآية نزلت يوم بدر عتاباً من الله تعالى لأصحاب نبيّه محمد ﷺ إذ لم يثخنوا في قتل المشركين حتى وجد منهم أسرى رغبوا في مفاداتهم منا بالمال.

(٢) الإثخان في الشيء: المبالغة فيه والإكثار منه والمراد به هنا: المبالغة في قتل المشركين حتى لا يبقى منهم أسير في ساحة المعركة.

(٣) روى مسلم أنّ النبي ﷺ قال لبعض أصحابه ومن بينهم أبو بكر وعمر (ما ترون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر يارسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن يؤخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكّن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت وإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان.. إلى أن قال: وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ما كان لنبي﴾ إلى قوله: ﴿حلالا طيّبا﴾.

(٤) من ذلك أن الله تعالى لا يعذب قوماً حتى يبيّن لهم ما يتقون.

(٥) هذا الإذن واقع بعد تخميس الغنيمة لا على إطلاقه.

غنموا، وحتى ما فادوا به الأسرى وهي منة منه سبحانه وتعالى، وقوله تعالى ﴿واتقوا الله﴾ أمر منه عز وجل لهم بتقواه بفعل أوامره وأوامر رسوله وترك نواهيهما، وقوله ﴿إن الله غفور رحيم﴾ إخبار منه تعالى أنه غفور لمن تاب من عباده رحيم بالمؤمنين منهم، وتجلى ذلك في رفع العذاب عنهم حيث غفر لهم وأباح لهم ما رغبوا فيه وأرادوه. وفي الحديث: «لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم».

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١- إرشاد الله تعالى لقادة الأمة الإسلامية في الجهاد أن لا يفادوا الأسرى وأن لا يمنوا عليهم بإطلاقهم إلا بعد أن يخثنوا في أرض العدو قتلاً وتشريداً فإذا خافهم العدو ورهبهم عندئذ يمكنهم أن يفادوا الأسرى أو يمنوا عليهم.

٢- التزهيد في الرغبة في الدنيا لحقارتها، والترغيب في الآخرة لعظم أجرها.

٣- إباحـة الغنائـم.

٤- وجوب تقوى الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

شـرح الكلمات :

من الأسـرى : أسـرى بدر الـذين أخـذ منهم الفـداء كالعبـاس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

إن يعلم الله في قلوبكم خيراً : أي إيماناً صادقاً وإخلاصاً تاماً.

مما أخذ منكم : من مال الفداء.

وإن يريدوا خيانتك : أي الأسـرى

فقد خانوا الله من قبل : أي من قبل وقوعهم في الأسر وذلك بكفرهم في مكة .

فأمكن منهم : أي أمكنكم أنتم أيها المؤمنون منهم فقتلتموهم وأسرتموهم .

والله عليم حكيم : عليم بخلقه حكيم في صنعه وتدبيره .

معنى الآيـتين :

هذه الآية الكريمة نزلت في العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه إذ كان يقول هذه الآية نزلت في وذلك أنه بعد أن وقع في الأسر[1] أسلم وأظهر إسلامه وطلب من الرسول ﷺ أن يرد عليه ما أخـذ منـه من فدية فأبى عليه رسـول الله ﷺ ذلك فأنزل الله تعالى قوله ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ أي اسلاماً حقيقياً ﴿يؤتكم خيراً﴾ أي مالاً خيراً ﴿مما أخذ منكم[2]، ويغفر لكم﴾ ذنوبكم التي كانت كفراً بالله ورسـولـه ، ثم حربـاً على الله ورسـولـه ، ﴿والله غفور﴾ يغفر ذنوب عباده التائبين ﴿رحيم﴾ بعباده المؤمنين فلا يؤاخذهم بعد التوبة عليها بل يرحمهم برحمته في الدنيا والآخرة . وقوله تعالى ﴿وإن يريدوا[3] خيانتك﴾ أي وإن يُرد هؤلاء الأسرى الذين أخذ منهم الفداء ونطقوا بالشهادتين مظهرين إسلامهم خيانتك والغدر بك بإظهار إسلامهم ثم إذا عادوا إلى ديارهم عادوا إلى كفرهم ، فلا تبال بهم[4] ولا ترهب جانبهم فإنهم قد خانوا الله من قبـل بكفرهم وشركهم ﴿فأمكن منهم﴾ المؤمنين وجعلهم في قبضتهم وتحت إمْرَتهم ، ولو عادوا لعاد الله تعالى فسلطكم عليهم وأمكنكم منهم وقوله تعالى ﴿والله عليم حكيم﴾ أي عليم بنيات القوم وتحركاتهم حكيم فيما يحكم به عليهم ألا فليتقوه عز وجل وليحسنوا

---

(١) أسره رضي الله عنه أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ، وكان رجلا قصيرا والعباس رضي الله عنه ضخما طويلا فلما جاء به إلى رسول الله ﷺ قال له : (لقد أعانك عليه ملك) وقال الرسول ﷺ للعباس : (افد نفسك فقال : لقد كنت مسلما يا رسول الله فقال له الرسول ﷺ : (والله أعلم بإسلامك فإن تكن كما تقول فالله يجزيك بذلك ، فأمّا ظاهر أمرك فكان علينا فافد نفسك وابني أخويك نوفل وعقيل) ففعل وفيه نزلت هذه الآية . ﴿يا أيها النبي قل . . . ﴾ الخ .

(٢) روى مسلم أنه لما قدم على النبي ﷺ مال من البحرين قال له العباس إني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له الرسول ﷺ (خذ فبسط ثوبه وأخذ ما استطاع أن يحمله ، وقال : هذا خير مما أخذ مني وأنا أرجو أن يغفر الله لي) .

(٣) في هذه الآية تطمين لنفس الرسول ﷺ وليبلغ مضمونه إلى الأسرى فيعلموا أنهم لا يغلبون الله ورسوله . والخيانة : نقض العهد ، وما في معنى العهد كالأمانة ونحوها .

(٤) هذا هو جواب إن الشرطية المحذوف ، وقد دلّ عليه : ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ .

إسلامهم ويصدقوا في إيمانهم فذلك خير لهم .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ فضل العباس عم رسول الله ﷺ لنزول الآية في حقه وشأنه .

٢ـ فضل إضمار الخير والنيات الصالحة .

٣ـ إطلاق لفظ الخير على الإسلام والقرآن وحقاً هما الخير والخير كله .

٤ـ ما ترك عبدٌ شيئاً لله إلا عوضه خيراً منه .

٥ـ الله جل جلاله : لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب ألا فليتق وليتوكل عليه .

إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ
وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي
ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ
وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ
بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾

شرح الكلمات

آمنوا : صدقوا الله ورسوله وآمنوا بلقاء الله وصدقوا بوعده ووعيده.

وهاجروا : أي تركوا ديارهم والتحقوا برسول الله ﷺ بالمدينة المنورة.

في سبيل الله : أي من أجل ان يعبد الله ولا يعبد معه غيره وهو الإسلام.

آووا : أي آووا المهاجرين فضموهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم.

وإن استنصروكم : أي طلبوا منكم نصرتهم على أعدائهم.

ميثاق : عهد أي معاهدة سلم وعدم اعتداء.

إلاّ تفعلوه : أي إن لم توالوا المسلمين، وتقاطعوا الكافرين تكن فتنة.[1]

أولوا الأرحام : أي الأقارب من ذوي النسب.

بعضهم أولى ببعض : في التوارث أي يرث بعضهم بعضاً.

معنى الآيات:

بمناسبة انتهاء الحديث عن أحداث غزوة بدر الكبرى ذكر تعالى حال المؤمنين في تلك الفترة من الزمن وأنهم مختلفون في الكمال، فقال وقوله الحق ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ فهذا صنف: جمع أهله بين الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس، والصنف الثاني في قوله تعالى ﴿والذين آووا ونصروا﴾[2] أي آووا الرسول ﷺ والمهاجرين في ديارهم ونصروهم. فهذان صنفا المهاجرين والأنصار وهما أكمل المؤمنين وأعلاهم درجة، وسيذكرون في آخر السياق مرة أخرى ليذكر لهم جزاؤهم عند ربهم، وقوله تعالى فيهم ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ أي في النصرة والموالاة والتوارث إلا أن التوارث نسخ بقوله تعالى في آخر آية من هذا السياق ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ والصنف الثالث من أصناف المؤمنين المذكور في قوله تعالى ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا﴾ أي آمنوا بالله ورسوله والدار الآخرة ثم رضوا بالبقاء بين

---

(١) محنة الحرب وما يتبع ذلك من الغارات والجلاء والأسر، وما إلى ذلك من ويلات الحروب، والفساد الكبير: هو ظهور الشرك.

(٢) قوله: ﴿والذين آووا ونصروا﴾ معطوف على اسم إنّ والخبر: جملة ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾.

ظهراني الكافرين فلم يهجروا ديارهم وأموالهم ويلتحقوا بدار الهجرة بالمدينة النبوية، فهؤلاء الناقصون في إيمانهم بتركهم الهجرة، يقول تعالى فيهم لرسوله والمؤمنين ﴿مالكم من ولايتهم من شيء﴾[1] فلا توارث ولا موالاة تقتضي النصرة والمحبة حتى يهاجروا إليكم ويلتحقوا بكم، ويستثني تعالى حالة خاصة لهم وهي أنهم إذا طلبوا نصرة المؤمنين في دينهم فإن على المؤمنين أن ينصروهم وبشرط أن لا يكون الذي اعتدى عليهم وآذاهم فطلبوا النصرة لأجله أن لا يكون بينه وبين المؤمنين معاهدة سلم وترك الحرب ففي هذه الحال على المؤمنين أن يوفوا بعهدهم ولا يغدروا فينصروا أولئك القاعدين عن الهجرة هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾ ذيل الكلام بهذه الجملة لإعلام المؤمنين الكاملين كالناقصين بأن الله مطلع على سلوكهم خبير بأعمالهم وأحوالهم فليراقبوه في ذلك حتى لا يخرجوا عن طاعته وقوله تعالى في الآية (٧٣) ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾[2] يتناصرون ويتوارثون. وبناء على هذا يقول تعالى ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ أي إن لا تفعلوا ما أمرتم به من مولاة المؤمنين محبة ونصرة وولاء، ومن معاداة الكافرين بغضا وخذلاناً لهم وحرباً عليهم تكن فتنة عظيمة لا يقادر قدرها وفساد كبير لا يعرف مداه، والفتنة الشرك والفساد المعاصي، وقوله تعالي في الآية (٧٤) ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ هذا هو الصنف الأول أعيد ذكره ليذكر له جزاؤه عند ربه بعد تقرير إيمانهم وتأكيده فقال تعالى فيهم ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم بسترها وعدم المؤاخذة عليها ﴿ورزق كريم﴾ ألا وهو نعيم الجنة في جوار ربهم سبحانه وتعالى والصنف الرابع من أصناف المؤمنين ذكره تعالى بقوله ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ فهذا الصنف أكمل من الصنف الثالث ودون الأول والثاني، إذ الأول والثاني فازوا بالسبق، وهؤلاء جاءوا من بعدهم ولكن لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم ألحقهم الله تعالى

(١) الولاية: بكسر الواو وفتحها لغتان، وقرىء بهما معاً وهي هنا بمعنى النسب والنصرة، وتكون الولاية بالكسرة والفتح أيضاً بمعنى الإمارة وفي الآية دليل على أن المسلم لا يلي عقد نكاح أخته الكافرة لانعدام الموالاة بينهما، والكافر لا يلي عقد نكاح أخته المسلمة.

(٢) روى الترمذي أنّ النبي ﷺ قال: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير قالها ثلاثاً) وقال الترمذي هو حديث غريب.

بالسابقين فقال ﴿فأولئك منكم﴾ وقوله تعالى ﴿وأولوا[1] الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ أي في الارث وبها نسخ التوارث بالهجرة والمعاقدة، واستقر الإرث بالمصاهرة والولاء، والنسب إلى يوم القيامة، وقوله تعالى ﴿في كتاب الله﴾ أي في حكمه وقضائه المدون في اللوح المحفوظ، وقوله ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ هذه الجملة تحمل الوعد والوعيد الوعد لأهل الإيمان والطاعة، والوعيد لأهل الشرك والمعاصي.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان تفاوت المؤمنين في كمالاتهم وعلو درجاتهم عند ربهم.

٢ـ أكمل المؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان والهجرة والجهاد وسبقوا لذلك وهم المهاجرون الأولون والذين جمعوا بين الإيمان والإيواء والنصرة والجهاد وهم الأنصار.

٣ـ دون ذلك من آمنوا وهاجروا وجاهدوا ولكن بعد صلح الحديبية.

٤ـ وأدنى أصناف المؤمنين من آمنوا ولم يهاجروا وهؤلاء على خطر عظيم.

٥ـ وجوب نصرة المؤمنين بموالاتهم ومحبتهم ووجوب معاداة الكافرين وخذلانهم وبغضهم.

٦ـ نسخ التوارث بغير المصاهرة والنسب والولاء.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

مدنيـــة

وآياتهـا مائة وثلاثون آيـة

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾

---

(١) أولوا: واحدها ذو، والرحم مؤنثة والجمع أرحام وهي مقر الولد في البطن والمراد بأولي الأرحام هنا: العصبات كالآباء والأبناء والإخوة والأعمام وأصحاب الفروض وهم الجد والأب والأم والبنت والأخت والزوجة يشهد لهذا قوله ﷺ: (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولي رجل ذكر) أما أولوا الأرحام المختلف في إرثهم فهم: أولاد البنات وأولاد الاخوات وبنات الأخ، والعمة والخالة والعم أخو الأب لأم والجد أبو الأم والجدة أم الأم. هذا ومن أهل العلم كابن كثير وغيره من أبقى اللفظ على ظاهره فجعل المراد من أولي الأرحام: القرابة الناشئة عن الأمومة على خلاف ما قدّمناه عن القرطبي من أنّ المراد بأولي الأرحام العصبات دون المولودين بالرحم، وعلى رأي ابن كثير أن الآية ليست واردة في التوارث كما هو رأي مالك وإنما هي في الموالاة والنصرة.

فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى
ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ
شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

براءة [1] : أي هذه براءة بمعنى تبرؤ وتباعد وتخلص

عاهدتم : أي جعلتم بينكم وبينهم عهداً وميثاقاً.

فسيحوا في الأرض [2] : أي سيروا في الأرض طالبين لكم الخلاص.

مخزي الكافرين : مذل الكافرين ومهينهم.

وأذان من الله : إعلام منه تعالى.

يوم الحج الأكبر : أي يوم عيد النحر.

لم ينقصوكم شيئاً : أي من شروط المعاهدة وبنود الاتفاقية.

ولم يظاهروا عليكم أحداً : أي لم يعينوا عليكم أحداً.

---

(١) يقال: برئت من الشيء أبرأ براءة فأنا بريء منه إذا أزلته عن نفسي وقطعت سبب ما بيني وبينه. وبراءة هنا: مبتدأ، وجوّز الابتداء به وهو نكرة: الوصف. والخبر ﴿إلى الذين﴾ ويصح أن تكون براءة خبر، والمبتدأ محذوف تقديره: هذه براءة.

(٢) أي قل لهم: سيحوا في الأرض أي: سيروا في الأرض آمنين غير خائفين، يقال: ساح يسيح سياحة، وسيوحاً وسيحاناً ومنه السّيح في الماء الجاري المنبسط.

معنى الآيات :

هذه السورة القرآنية الوحيدة التي خلت من[1] البسملة لأنها مفتتحة بآيات عذاب فتنافى معها ذكر الرحمة، وهذه السورة من آخر ما نزل من سور القرآن الكريم وقد بعث رسول الله ﷺ علياً وبعض الصحابة في حج سنة تسع يقرأون هذه الآيات في الموسم،وهي تعلم المشركين أن من كان له عهد مطلق بلا حد شهر أو سنة مثلاً أو كان له عهد دون أربعة أشهر، أو كان له عهد فوق أربعة أشهر ونقضه تُعْلِمُهُم بأن عليهم أن يسيحوا في الأرض بأمان كامل مدة أربعة أشهر فإن أسلموا فهو خير لهم وإن خرجوا من الجزيرة فإن لهم ذلك وإن بقوا كافرين فسوف يؤخذون ويقتلون حيثما وجدوا في ديار الجزيرة التي أصبحت دار إسلام بفتح مكة ودخول أهل الطائف في الإسلام هذا معنى قوله تعالى ﴿براءة من الله ورسوله﴾ أي واصلة ﴿إلى الذين عاهدتم[2] من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ تبدأ من يوم الإعلان عن ذلك وهو يوم العيد عيد الأضحى. وقوله تعالى ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ أي غير فائتيه ولا هاربين من قهره وسلطانه عليكم هذا أولاً، وثانياً ﴿وأن الله مخزي الكافرين﴾ أي مذلهم وقوله تعالى ﴿وأذان من الله ورسوله﴾ أي محمد ﷺ والأذان الإعلان والإعلام، ﴿إلى الناس﴾ وهم المشركون ﴿يوم الحج[3] الأكبر[4]﴾ أي يوم عيد الأضحى حيث تفرّغ الحجاج للاقامة بمنى للراحة والاستجمام قبل العودة إلى ديارهم، وصورة الإعلان عن تلك البراءة هي قوله تعالى ﴿أنّ الله بريء[5] من المشركين ورسوله﴾ أي كذلك بريء من المشركين وعليه ﴿فإن تبتم﴾ أيها المشركون الى الله تعالى بتوحيده والإيمان برسوله وطاعته وطاعة رسوله ﴿فهو خير لكم﴾ من الإصرار على الشرك

---

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت علياً رضي الله عنه: لِمَ لَمْ يكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان. هذا أحد خمسة أوجه في عدم كتابة البسملة في براءة وهو أوجَهها، وهو ما ذكرناه في التفسير.

(٢) نسبت المعاهدة إلى المؤمنين كافة، والمعاهد هو الرسول ﷺ لأنه المتولي لها ولسائر العقود. وكان رضاهم بها واجبا عليهم فلذا نسبت إليهم.

(٣) وقيل إنه يوم عرفة، والصحيح ما ذكرناه في التفسير وأنه يوم النحر لحديث ابن عمر عن أبي داود إذ قال: (وقف النبي ﷺ يوم النحر في الحجة التي حجّ فيها فقال: أي يوم هذا؟ فقالوا: يوم النحر فقال: هذا يوم الحج الأكبر).

(٤) اختلف في العلة في تسمية الحج بالأكبر، وأحسن الأقوال أنه قيل فيه الأكبر: لأنه حج حضره الرسول ﷺ وحضرت فيه أمة الإسلام التي وجدت في تلك السنة فحجّ أكبر عدد في ذلك العام.

(٥) قالت العلماء: في الآية بيان جواز قطع المعاهدة بين المسلمين والكافرين لأحد أمرين: الأول: أن تنقضي المدة المعاهد عليها فنعلمهم بانقضائها وبالحرب عليهم. والثاني: أن نخاف غدرهم لظهور علامات تدلّ عليه.

والكفر والعصيان، ﴿وإن توليتم﴾ أي أعرضتم عن الإيمان والطاعة ﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ بحال من الأحوال فلن تفوتوه ولن تهربوا من سلطانه فإن الله تعالى لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب ثم قال تعالى لرسوله ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ أي أخبرهم به فإنه واقع بهم لا محالة إلا أن يتوبوا وقوله تعالى في الآية الرابعة (٤) ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم﴾ من شروط المعاهدة ﴿شيئاً ولم يظاهروا﴾ أي لم يعاونوا ﴿عليكم أحداً﴾ لا برجال ولا بسلاح ولا حتى بمشورة ورأي فهؤلاء لم يبرأ الله تعالى منهم ولا رسوله، وعليه ﴿فأتموا إليهم عهدهم[1] إلى مدتهم﴾ أي مدة أجلهم المحدد بزمن معين فوفوا لهم ولا تنقضوا لهم عهداً إلى أن ينقضوه هم بأنفسهم، أو تنتهي مدتهم وحينئذ إما الإسلام وإما السيف إذ لم يبق مجال لبقاء الشرك في دار الإسلام وقبته.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ جواز عقد المعاهدات بين المسلمين والكافرين إذا كان ذلك لدفع ضرر محقق عن المسلمين، أو جلب نفع للإسلام والمسلمين محققاً كذلك.

٢ـ تحريم الغدر والخيانة، ولذا كان إلغاء المعاهدات علنياً وإمداد أصحابها بمدة ثلث سنة يفكرون في أمرهم ويطلبون الأصلح لهم.

٣ـ وجوب الوفاء بالمعاهدات ذات الآجال إلى أجلها إلا أن ينقضها المعاهدون.

٤ـ فضل التقوى وأهلها وهو اتقاء سخط الله بفعل المحبوب له تعالى وترك المكروه.

فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ
فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

---

(١) في الآية إشارة إلى أن هناك من خاس بعهده أي: نقضه، ومنهم من ثبت عليه.

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا
اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

فإذا انسلخ الأشهر[1] الحرم : انقضت وخرجت الأشهر الأربعة التي أمنتم فيها المشركين .

حيث وجدتموهم : أي في أي مكان لقيتموهم في الحل أو الحرم .

وخذوهم : أي أسرى .

وأحصروهم : أي حاصروهم حتى يسلموا أنفسهم .

واقعدوا لهم كل مرصد[2] : أي اقعدوا لهم في طرقاتهم وارصدوا تحركاتهم .

فإن تابوا : أي آمنوا بالله ورسوله .

فخلوا سبيلهم : أي اتركوهم فلا حصار ولا مطاردة ولا قتال .

استجارك : أي طلب جوارك أي حمايتك .

مأمنه : أي المكان الذي يأمن فيه .

فما استقاموا لكم : أي لم ينقضوا عهدهم ولم يخلوا بالاتفاقية .

---

(١) انسلخ : مطاوع سلخ ، وهو مأخوذ من سلخ الجلد : إذا أزاله عن لحم الحيوان .

(٢) المرصد : مكان الرصد والرصد : المراقبة وتتبع النظر ، قال الشاعر :

ولقد علمت وما إخالك ناسيا أنّ المنيّة للفتى بالمرصد

وإن يظهروا عليكم : أي يغلبوكـــم .

لا يرقبوا فيكـم : أي لا يراعـوا فيكم ولا يحترمـوا .

إلّاً ولا ذمـة : أي لا قرابة ، ولا عهداً فالإلّ : القرابة والذمة : العهد .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إعلان الحرب العامة على المشركين تطهيراً لأرض الجزيرة التي هي دار الإسلام وحوزته من بقايا الشرك والمشركين ، فقال تعالى لرسوله والمؤمنين ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم[1]﴾ أي إذا انقضت وخرجت الأشهر الحرم التي أمنتم فيها المشركين الذين لا عهد لهم أولهم عهد ولكن دون أربعة أشهر أو فوقها وبدون حد محدود ﴿فاقتلوا المشركين[2] حيث وجدتموهم﴾ في الحل والحرم سواء ﴿وخذوهم﴾ أسرى ﴿واحصروهم﴾ حتى يستسلموا ، ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ أي سدوا عليهم الطرق حتى يقدموا أنفسهم مسلمين أومستسلمين وقوله تعالى ﴿فإن تابوا﴾ أي من الشرك وحربكم ﴿وأقاموا الصلاة[3] وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم[4]﴾ إذ أصبحوا مسلمين مثلكم . وقوله ﴿إن الله غفور رحيم﴾ أي أن الله سيغفر لهم ويرحمهم بعد إسلامهم ، لأنه تعالى غفور رحيم ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥) أما الآية الثانية (٦) فقد أمر تعالى رسوله أن يجير من طلب جواره من المشركين حتى يسمع كلام الله منه ﷺ ويتفهم دعوة الإسلام ثم هو بالخيار إن شاء أسلم وذلك خير له وإن لم يسلم رده[5] رسول الله ﷺ إلى مكان يأمن فيه من المسلمين أن يقتلوه .

---

(١) ليس المراد بالأشهر الحرم الثلاثة السرد ، والواحد الفرد التي هي القعدة والحجة والمحرم ورجب بل المراد منها ما هو مبين في التفسير ومعنى كونها حرما أنه يحرم قتال المشركين فيها والتعرض لهم بالسوء والأذى .

(٢) لفظ المشركين عام في كل مشرك وهو مخصوص بالسنة إذ نهى رسول الله ﷺ عن قتل المرأة والصبي والراهب .

(٣) شاهده حديث الصحاح : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابهم على الله) وقال أبو بكر : والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال .

(٤) مالك والشافعي وأحمد على أن تارك الصلاة استحلالا لها أو غير استحلال يؤخر إلى أن يبقى من الوقت الضروري قدر ما يصلي ركعة قبل خروج الوقت ويقتل ، وأبو حنيفة والظاهرية يقولون : يسجن ويضرب حتى يصلي ولا يقتل .

(٥) إمـام المسلمين هو الذي يتولى أمر التأمين لمن طلب ذلك من المشركين إذ هو نائب عن سائر المسلمين ، ويجوز للمسلم ذكرا كان أو انثى أن يؤمن شخصاً ما لما له من حرمة لقول الرسول ﷺ : (المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد واحدة على من سواهم) . وخالف بعضهم في المرأة فقالوا : لابد من موافقة الإمام لها على تأمينها وخالف أبو حنيفة في العبد .

وهـو معنى قوله تعالى ﴿وإن أحد من[1] المشركين استجارك فأجره حتى يسمع[2] كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ فلذا قبل منهم ما طلبوه من الجوار حتى يسمعوا كلام الله تعالى إذ لو علموا ما رغبوا عن التوحيد إلى الشرك . وقوله تعـالى في الآية الثـالثة (٧) ﴿كيف[3] يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله﴾ هذا الاستفهام للنفي مع التعجب أي ليس لهم عهد أبداً وهم كافرون غادرون ، وقوله تعالى ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ هؤلاء بعض بني بكر بن كنانة عاهدهم رسول الله ﷺ عام صلح الحديبية وهم عنـد الحرم فهؤلاء لهم عهد وذمة ما استقاموا على عهدهم فلم ينقضوه . فإن استقاموا استقام لهم المسلمون ولم يقتلوهم وفاء بعهدهم وتقوى لله تعالى لأنه تعالى يكره الغدر ويحب المتقين لذلك . وقوله تعالى ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة﴾ الاستفهام للتعجب أي كيف يكون للمشركين عهد يفون به لكم وهم إن يظهروا عليكم يغلبوكم في معركة ، ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ أي لا يراعوا الله تعالى ولا القرابة ولا الذمة بل يقتلوكم قتـلاً ذريعاً ، وقوله تعالى ﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم﴾ إخبار من الله تعـالى عن أولئـك المشـركين الناكثين للعهد الغادرين بأنهم يحاولون إرضاء المؤمنين بالكذب بأفواههم ، وقلوبهم الكافرة تأبى ذلك الذي يقولون بألسنتهم أي فلا تعتقده ولا تقره ، ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ لا يعرفون الطاعة ولا الالتزام لا بعهد ولا دين ، والجملة فيها تهييج للمسلمين على قتال المشركين ومحاصرتهم وأخذهم تطهيراً لأرض الجزيرة منهم قبل وفاة الرسول ﷺ .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ ـ وجوب الوفاء بالعهود ما لم ينقضها المعاهدون .

---

(١) أحد ، مرفوع بفعل محذوف يفسره ما بعده والتقدير : وإن استجارك أحد من المشركين فأجره .

(٢) الآية دليل على أن ما يسمع من صوت القارىء للقرآن هو كلام الله تعالى فيقول العبد : سمعت كلام الله حقاً وصدقاً .

(٣) ﴿كيف يكون﴾ الخ كيف : للتعجب نحو قولك : كيف يسبقني فلان؟! في الآية إضمار كلمة غدر أي كيف يكون لهم عهد مع إضمارهم الغدر بكم .

٢ـ تقرير مبدأ الحزم في القتال والضرب بشدة.

٣ـ وجوب تطهير الجزيرة من كل شرك وكفر لأنها دار الإسلام.

٤ـ إقام الصلاة شرط في صحة الإيمان فمن تركها فهو كافر غير مؤمن.

٥ـ احترام الجوار، والإقرار به، وتأمين السفراء والممثلين لدولة كافرة.

٦ـ قبول طلب كل من طلب من الكافرين الإذن له بدخول بلاد الإسلام ليتعلم الدين الإسلامي.

٧ـ القرآن كلام الله تعالى حقاً بحروفه ومعانيه لقوله ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ الذي يتلوه عليه ﷺ.

٨ـ وجوب مراقبة الله تعالى ومراعاة القرابة واحترام العهود.

ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟
عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟
أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات:

اشتروا بآيات الله[1] : أي باعوا آيات الله وأخذوا بدلها الكفر.

فصدوا عن سبيله : أي أعرضوا عن سبيل الله التي هي الإسلام كما صدوا غيرهم أيضاً.

---

(١) روي أنهم نقضوا عهدهم من أجل أكلة أطعمهم إيّاها أبو سفيان ومالٍ صرفه لهم ليقفوا معه ضد الرسول ﷺ والمسلمين.

ســـاء : أي قبـح .

لا يرقبـون : أي لا يراعون .

إلاًّ : الإل: الله ، **والقرابة** والعهد وكلها صالحة هنا .

فإن تابـوا : أي من الشرك والمحاربة .

نكــثـوا : أي نقضـوا وغـدروا .

وطعنوا في دينكم[1] : أي انتقدوا الإسلام في عقائده أو عباداته ومعاملاته .

أئمــة الكفر : أي رؤساء الكفر المتبعين والمقلدين في الشرك والشر والفساد .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المشركين، وبيان ما يلزم اتخاذه حيالهم فأخبر تعالى عنهم بقوله في الآية (٩) ﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ أي باعوا الإيمان بالكفر فصدوا أنفسهم كمـا صدوا غيرهم من أتبـاعهم عن الإسـلام الـذي هو منهج حياتهم وطريق سعادتهم وكمالهم . فلذا قال تعالى مُقبحاً سلوكهم ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ كما أخبر تعالى عنهم بأنهم لا يراعون في أي مؤمن يتمكنون منه الله عز وجل ولا قرابة بينه وبينهم، ولا معاهدة تربطهم مع قومه، فقال تعالى ﴿لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة، وأولئك هم المعتدون﴾ ووصفه تعالى إياهم بالاعتداء دال على أنهم لا يحترمون عهوداً ولا يتقون الله تعالى فى شيء،وذلك لظلمة نفوسهم من جراء الكفر والعصيان، فلذا على المسلمين قتلهم حيث وجدوهم وأخذهم أسرى وحصارهم وسد الطرق عنهم حتى يلقوا السلاح ويسلموا لله، أو يستسلموا للمؤمنين اللهم إلا أن يتوبوا بالإيمان والدخول في الإسلام كما قال تعالى ﴿فإن تابوا[2] وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ وقوله تعالى

---

(١) الطعن في الدين هو: استنقاصه، وأصل الطعن: الضرب في الجسم بالرمح لافساده، واستعمل في الانتقاص للشخص والدين لإفساده. قال رسول الله ﷺ لما طُعن في إمارة أسامة لصغر سنه: (إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة) في الصحيح والطاعنون: المنافقون، واستدل بهذه الآية على كفر من طعن في الدين، ووجـوب قتله وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد، وأنّ الذمي إذا طعن في الدين انتقضّ عهده ووجب قتله هذا مذهب الجمهور، وأبو حنيفة يرى استتابته فإن تاب وإلاّ قُتل.

(٢) من فرّق بين ثلاثة فرّق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة. من قال أطيع الله ولا أطيع الرسول فإن الله تعالى قال: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ ومن قال: أقيم الصلاة ولا أوتي الزكاة والله يقول: ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ومن قال: أشكر الله ولا أشكر لوالدي فإن الله قال: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾.

﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ أي نبين الآيات القرآنية المشتملة على الحجج والبراهين على توحيد الله تعالى وتقرير نبوة رسول الله ﷺ،وعلى الأحكام الشرعية في الحرب والسلم كما في هذا السياق وقوله ﴿لقوم يعلمون﴾ لأن الذين لا يعلمون من أهل الجهالات لا ينتفعون بها لظلمة نفوسهم وفساد عقولهم بضلال الشرك والأهواء وقوله تعالى في الآية الرابعة (١٢) ﴿وإن نكثوا أيمانهم[1] من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم﴾ يريد تعالى أولئك المعاهدين من المشركين إن هم نكثوا إيمانهم التي أكدوا بها عهودهم فحلوا ما أبرموا ونقضوا ما أحكموا من عهد وميثاق وعابوا الإسلام وطعنوا فيه فهم إذاً أئمة الكفر ورؤساء الكافرين فقاتلوهم بلا هوادة، ولا تراعوا لهم أيماناً حلفوها لكم فإنهم لا أيمان لهم. قاتلوهم رجاء أن ينتهوا من الكفر والخيانة والغدر،فيوحدوا ويسلموا[2] ويصبحوا مثلكم أولياء الله لا أعداءه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ ذم سلوك الكافرين وتصرفاتهم في الحياة وحسبهم أن باعوا الحق بالباطل، واشتروا الضلالة بالهدى.

٢ـ من كان الاعتداء وصفاً له لا يُؤمن على شيء، ولا يوثق فيه في شيء،لفساد ملكته النفسية.

٣ـ أخوة الإسلام تثبت بثلاثة أمور التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.[3]

٤ـ الطعن في الدين ردة وكفر موجب للقتل والقتال.

---

(١) النكث: النقض وأصله في كل ما فتل أو أبرم ثم حل، واستعملت في الأيمان والعهود، قال الشاعر:
وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

(٢) نعم ما مات رسول الله ﷺ حتى لم يبق منهم إلاّ ثلاثة، ولم يبق من المنافقين إلا أربعة: روى البخاري عن زيد بن وهب قال: كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية يعني: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر...﴾ إلا ثلاثة ولا يبقى من المنافقين إلا اربعة فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد تخبرون أخباراً لاندري ما هي؟ تزعمون ألاّ منافق إلاّ اربعة، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا ـ نفائس أموالنا ـ قال حذيفة رضي الله عنه: أولائك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده، أي: لذهاب شهوته وفساد معدته.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية حرّمت دماء أهل القبلة يعني قوله تعالى ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾.

أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ
بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ
أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾
قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ
عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ
غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

ألا : أداة تحضيض.

نكثوا أيمانهم : نقضوها وحلوها فلم يلتزموا بها.

هموا بإخراج الرسول : من دار الندوة إذ عزموا على واحدة من ثلاث الحبس أو النفي أو القتل.

أول مرة : أي في بدر وفرصاء الهجير[1] حيث أعانت قريش بني بكر على خزاعة.

ويخزهم : أي يذلهم ويهينهم.

ويشف صدور : أي يذهب الغيظ الذي كان بها على المشركين الظالمين.

ان تتركوا : أي بدون امتحان بالتكاليف كالجهاد.

---

(١) حوض من ماء واسع كبير يسقون منه تقاتلت عنده خزاعة حلفاء النبي ﷺ، وبنو بكر حلفاء قريش وأعانت قريش حلفاءها بني بكر وبذلك نقضت عهدها مع رسول الله ﷺ، وفي هذا يقول الخزاعي وافد الرسول ﷺ

إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيّتونا بالهجير هجّدا وقتلونا ركعاً وسجدا

وليجـــه : أي دخيله وهي الرجل يدخل في القوم وهو ليس منهم ويطلعونه على أسرارهم وبواطن أمورهم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث عن المشركين وما يلزم إزاءهم من إجراءات فإنه بعد أن أعطاهم المدة المذكورة وأمنهم فيها وهي أربعة أشهر، وقد انسلخت فلم يبق إلا قتالهم وأخذهم وإنهاء عصبة المشركين وآثارها في ديار الله فقال تعالى حاضاً المؤمنين مهيجاً لهم ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم﴾ وهذه خطيئة كافية في وجوب قتالهم، وثانية هممهم بإخراج الرسول من بين أظهرهم من مكة وثالثة بدؤهم إياكم بالقتال في بدر، إذ عيرهم نجت وأبوا إلا أن يقاتلوكم، إذاً فلم لا تقاتلوهم؟ أتتركون قتالهم خشية منهم وخوفاً إن كان هذا ﴿فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾، لأن ما لدى الله تعالى من العذاب ليس لدى المشركين فالله أحق أن يخشى، هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٣) وهي قوله تعـالى ﴿ألا تقـاتلون قومـاً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول[1] وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ وفي الآية الثانية (١٤) يقول تعالى: ﴿قاتلوهم﴾ وهو أمر صريح بالقتال، وبذكر الجزاء المترتب على قتالهم فيقول ﴿يعذّبهم الله بأيدكم ويخـزهم وينصـركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ وهم خزاعة تشفى صدورهم من الغيظ على بني بكـر الـذين قاتلوهم وأعـانتهم قريش عليهم بعد صلح الحديبية،[2] وقوله تعالى: ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ هذه وإن لم تكن جزاء للأمر بالقتال كالأربعة التي قبلها. ولكن سنة الله تعالى أن الناس إذا رأوا انتصار أعدائهم عليهم في كل معركة يميلون إليهم ويقبلون دينهم وما هم عليه من صفات فقتال المؤمنين للكافرين وانتصـارهم عليهم يتيح الفـرصـة لكثير من الكـافرين فيسلمون وهو معنى قوله تعالى ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ وقوله ﴿والله عليم حكيم﴾ تقرير للأمر بالقتال والنتائج الطيبة المترتبة عليه آخرها أن يتوب الله على من يشاء. وقوله تعالى في الآية (١٦) الأخيرة ﴿أم

(١) إذ كانوا السبب في خروجه من مكة مهاجرا كما أخرجوه من المدينة لقتالهم في بدر ولفتح مكة كما همّوا بإخراجه من المدينة هو وأصحابه في أحد والخندق وغير ذلك.

(٢) إذ قريش أعانت بني بكر على خزاعة التي هي حلفاء رسول الله ﷺ وذلك أنّ رجلا من بني بكر أنشد شعراً في هجاء الرسول ﷺ فقال له بعض رجال خزاعة لئن أعدته لأكسرنّ فمك فأعاده فكسر فمه، واندلعت الحرب بينهم فأعانت قريش بني بكر فجاء عمرو بن سالم الخزاعي إلى النبي ﷺ يطلب النصرة فخرج رسول الله ﷺ برجاله وكان فتح مكة.

حسبتم أن تتركوا﴾[1] أي بدون امتحان.وأنتم خليط منكم المؤمن الصادق ومنكم المنافق الكاذب، من جملة ما كان يوحى به المنافقون التثبيط عن القتال بحجة ان مكة فتحت وأن الإسلام عز فما هناك حاجة الى مطاردة فلول المشركين، وهم يعلمون أن تكتلات يقودها الساخطون على الإسلام حتى من رجالات قريش يريدون الانقضاض على المسلمين وإهدار كل نصر تحقق لهم،وهذا المعنى ظاهر من سياق الآية ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾[2] إذ هناك من اتخذوا من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة يطلعونها على أمور المسلمين، ويسترون عليهم وهي بينهم دخلية، ويقرر هذه الجملة التي ختمت بها الآية وهي قوله تعالى ﴿والله خبير بما تعملون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ مشروعية استعمال أسلوب التهييج والإثارة للجهاد.

٢ـ وجوب خشية الله تعالى بطاعته وترك معصيته.

٣ـ لازم الإيمان الشجاعة فمن ضعفت شجاعته ضعف إيمانه.

٤ـ من ثمرات القتال دخول الناس في دين الله تعالى.

٥ـ الجهاد عملية تصفية وتطهير لصفوف المؤمنين وقلوبهم أيضاً.

مَاكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ
أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾

(١) ﴿أم حسبتم﴾ أم : هي المنقطعة بمعنى بل إضرابا عما سبق من الكلام وانتقالا إلى آخر، والاستفهام للإنكار، والحسبان بمعنى الظن والمعنى كيف تظنون أنكم تتركون بعد فتح مكة دون جهاد لأعداء الله ورسوله، وهم ما زالوا يتآمرون ويتجمعون لقتالكم.

(٢) الوليجة : البطانة من الولوج في الشيء وهو الدخول فيه، والمراد من هذا الرجل يتخذ من أعداء الإسلام صديقاً يدخل عليه ويدخله عليه فيطلعه على أسرار المسلمين للنكاية بهم والتسلط عليهم لإضرارهم وإفسادهم وهلاكهم.

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

ما كان للمشركين : أي ليس من شأنهم أو مما يتأتى لهم .

حبطت أعمالهم : أي بطلت فلا يثابون عليها ولا ينجحون فيها .

يعمروا مساجد الله : أي بالعبادة فيها ، وصيانتها وتطهيرها .

ولم يخش إلا الله : أي لم يخف أحداً غير الله تعالى .

فعسى : عسى من الله تعالى كما هي هنا تفيد التحقيق أي هدايتهم محققة .

المهتدين : أي إلى سبيل النجاة من الخسران والظفر بالجنان .

معنى الآيتين :

لا شك أن هناك من المشركين من ادعى أنه يعمر المسجد الحرام بالسدانة والحجابة والسقاية وسواء كان المدعى هذا العباس يوم بدر أو كان غيره[1] فإن الله تعالى أبطل هذا الادعاء وقال ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾ أي لا ينبغي لهم ذلك ولا يصح منهم ، وكيف وهم كفار شاهدون[2] على أنفهسم بالكفر ، وهل الكافر بالله يعمر بيته وبماذا يعمره ؟ وإذا سألت اليهودي ما أنت؟ يقول يهودي ، وإذا سألت النصراني ، ما أنت؟ يقول نصراني ، وإذا سألت الوثني ما أنت؟ يقول مشرك فهذه شهادتهم على أنفسهم[3] بالكفر ، وقوله تعالى ﴿أولئك﴾ أي البعداء في الكفر والضلال ﴿حبطت أعمالهم﴾ أي

---

(١) قيل : إنّ العباس لما أسر في بدر عُيّر بالكفر وقطيعة الرحم قال لمن عيّره ، تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا! فقال علي : ألكم محاسن؟ قال : نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فنزلت هذه الآية ردّاً عليه . فوجب على المسلمين تولي أحكام المساجد .

(٢) قيل الأصل : وهم شاهدون فحذف ﴿وهم﴾ فنصب ﴿شاهدين﴾ على الحال .

(٣) قال ابن عباس : شهادتهم بالكفر هي : سجودهم للأصنام مع إقرارهم بأنها مخلوقة والله خالقها .

بطلت وضاعت لفقدها الإخلاص فيها لله تعالى ﴿وفي النار هم خالدون﴾لا يخرجون منها متى دخـولها أبداً، إذ ليس لهم من العمل ما يشفع لهم بالخروج منها. ثم قرر تعالى الحقيقة وهى أن الذين يعمرون[1] مساجد الله حقاً وصدقاً هم المؤمنون الموحدون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويخشون الله تعالى ولا يخشون سواه هؤلاء هم الجديرون بعمارة المساجد بالصلاة والذكر والتعلم للعلم الشرعي فيها زيادة على بنائها وتطهيرها وصيانتها هؤلاء جديرون بالهداية لكل كمال وخير يشهد لهذا قوله تعالى ﴿فعسى[2] أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ إلى ما هو الحق والصواب،وإلى سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ حرمة دخول الكافر المساجد إلا لحاجة وبإذن من المسلمين.

٢ـ فضيلة عمارة المساجد بالعبادة فيها وتطهيرها وصيانتها.

٣ـ فضيلة المسلم وشرفه، إذ كل من يسأل عن دينه يجيب بجواب هو الكفر إلا المسلم فإنه يقول: مسلم أي لله تعالى فهو إذاً المؤمن وغيره الكافر.

٤ـ وجوب الإيمان بالله واليوم الآخر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والخشية[3] من الله تعالى.

٥ـ أهل الأمن والنجاة من النار هم أصحاب الصفات الأربع المذكورة في الآية.

۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ

---

(١) وردت أحاديث في فضل عمارة المساجد منها القوي ومنها الضعيف مجموعها يدل على المراد منها وهو حسن الظن بمن يعمر مساجد الله وأظهر حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان.

(٢) قالت العلماء: «عسى من الله واجبة أي: ما يرجى بها واجب الوقوع، وقيل: هي هنا بمعنى: خليق أي: فخليق أن يكونوا من المهتدين.

(٣) تساءل البعض وقالوا: قوله تعالى: ﴿ولم يخش إلاّ الله﴾ دال على أن المؤمن الكامل الإيمان لا يخشى إلا الله وإذا بالواقع أن الأنبياء يخشون الأعداء فضلا عن غيرهم فقال بعضهم معناه: أنهم لا يخشون إلا الله مما يُعبد، وقال بعضهم: أي لم يخف إلا الله في باب الدين. والجواب الصحيح أنّ الإنسان نبيا كان أو غيره من المؤمنين العاملين لا يخشون إلا الله تعالى فإذا خافوا عدوا، ليس معناه أنهم خافوه لذاته وإنما خافوا من الله أن يكون سلطة عليهم فخوفهم عائد في الحقيقة إلى الله تعالى فهو الذي بيده الأمر، والخوف منه لا من غيره.

وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا
نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ
عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

سقاية الحاج : مكان يوضع فيه الماء في المسجد الحرام ويسقى منه الحجاج مجاناً.

وعمارة المسجد الحرام : هنا عبارة عن بنائه وصيانته وسدانة البيت فيه.

لا يستوون عند الله : إذ عمارة المسجد الحرام مع الشرك والكفر لا تساوى شيئاً.

والله لا يهدي القوم الظالمين : أي المشركين لا يهديهم لما فيه كمالهم وسعادتهم.

ورضوان : أي رضا الله عز وجل عنهم.

نعيم مقيم : أي دائم لا يزول ولا ينقطع.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الرد على من رأى تفضيل عمارة المسجد الحرام (١) بالسقاية والحجابة

(١) روي عن السدي أنه قال: افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلي بالإسلام والجهاد فصدق الله علياً وكذبهما أي بهذه الآية: ﴿أجعلتم سقاية الحاج. . .﴾ الخ فأخبر أن العمارة لا تكون بالكفر وإنما تكون بالإيمان والعبادة وأداء الطاعة.

وقيل أيضاً: إن المشركين سألوا اليهود وقالوا: نحن سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه؟ فقالت لهم اليهود مكراً وعناداً: أنتم أفضل وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي ألا أعمل بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر ما أبالي ألا أعمل بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ولكن إذا صليت الجمعة دخلت واستفتيته عما اختلفتم فيه. فأنزل الله عز وجل: ﴿أجعلتم. .﴾ الآية. وحل الإشكال في هذه الأخبار: أن الآية تذكر دليلا لا أنها نزلت في ذلك الوقت.

والسدانة على الإيمان والهجرة والجهاد فقال تعالى موبخاً لهم ﴿أجعلتم[1] سقاية الحاج[2] وعمارة[3] المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون﴾ في حكم الله وقضائه بحال من الأحوال، والمشركون ظالمون كيف يكون لعمارتهم للمسجد الحرام وزن أو قيمة تذكر ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ بعد هذا التوبيخ والبيان للحال أخبر تعالى أن ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ هم ﴿أعظم درجة﴾ ممن آمنوا ولم يستكملوا هذه الصفات الأربع، وأخبر تعالى أنهم هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة، وأعظم من هذا ما جاء في قوله ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه﴾ وهي الجنة ﴿ورضوان﴾ منه تعالى وهو أكبر نعيم ﴿وجنات﴾ أي بساتين في الملكوت الأعلى ﴿لهم فيها نعيم مقيم﴾ لا يحول ولا يزول وأنهم خالدون فيها لا يخرجون منها أبداً، ﴿وإن الله عنده أجر عظيم﴾ لا يقادر قدره جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا في زمرتهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ أكمل المؤمنين وأعلاهم درجة، وأقربهم من الله منزلة من جمع الصفات الثلاث المذكورة في الآية (٢٠) وهي الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس.

٢ـ فضل الهجرة والجهاد.

٣ـ تفاوت أهل الجنة في علو درجاتهم.

٤ـ حرمان الظالمين المتوغّلين في الظلم من هداية الله تعالى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ

---

(١) أي: أجعلتم أهل سقاية الحاج، أو أصحاب سقاية الحاج، إذ حذف المضاف وهو: أهل أو أصحاب وبقي المضاف إليه وهو: سقاية فنصب انتصابه.

(٢) الحاج: اسم جنس ناب مناب الحجاج جمع حاج.

(٣) وقرىء: سُقاة بضم السين جمع ساقٍ وعمرة: جمع عامر ككتبة جمع كاتب.

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ
تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ
فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

أولياء : جمع وليّ وهو من تتولاه بالمحبة والنصرة ويتولاك بمثل ذلك .

استحبوا : أي أحبوا الكفر على الإيمان .

الظالمون : الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، ومن أحب من لا تجوز محبته فقد وضع شيئاً في غير موضعه فهو ظالم .

وعشيرتكم : أي قرابتكم من النسب كالأعمام الأباعد وأبنائهم .

اقترفتموها : أي اكتسبتموها .

كسادها : بوارها وعدم رواجها .

فتربصوا : أي انتظروا .

حتى يأتي الله بأمره : أي بعقوبة هذه المعصية وهو فتح مكة .

معنى الآيتين :

هذا إنذار الله تعالى للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتخاذ من كفر من آبائهم وإخوانهم أولياء لهم يوادونهم ويناصرونهم ويطلعونهم على أسرار المسلمين وبواطن أمورهم . فيقول تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيده ﴿لا تتخذوا آباءكم[1]

(١) هذه الآية ما تضمنته من حكم حرمة موالاة الكافرين ولو كانوا من أقرب الأقرباء وهو عام في الأمة إلى يوم القيامة ، وإن فهم منها بعضهم أنها للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها يدعوهم إلى الهجرة والتخلي عن بلاد الكفر.

وإخوانكم[1] أولياء إن استحبوا[2] الكفر على الإيمان﴾ أي اثروا الكفر والإصرار عليه على الإيمان بالله ورسوله ثم يهددهم إن لم يمتثلوا أمره ويفاصلوا آباءهم وإخوانهم المستحبين للكفر على الإيمان فيقول ﴿ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون[3]﴾ ووجه الظلم ظاهر وهو أنهم وضعوا المحبة موضع البغضاء، والنصرة موضع الخذلان. والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم، وفي هذا العدول عن خطابهم مباشرة إلى الواسطة ما يشعر بالغضب وعدم الرضى، والتهديد والوعيد ﴿قل إن كان[4] آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾ فتركتم الهجرة والجهاد لذلك ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ أي انتظروا أمر الله وهو فتح مكة عليكم وإنزال العقوبة بكم، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي لا يوفقهم لسبل نجاتهم وسعادتهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة اتخاذ الكافرين أولياء يُوادون ولو كانوا من أقرب الأقرباء كالأب والابن والأخ.

٢ـ من الظلم الفظيع موالاة من عادى الله ورسوله والمؤمنين.

٣ـ فرضية محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله، ومحبة سائر محاب الله تعالى وكره سائر مكاره الله تعالى من العقائد والأحوال والأعمال والذوات والصفات.

٤ـ حرمان أهل الفسق المتوغلين فيه من هداية الله تعالى إلى ما يكملهم ويسعدهم.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ

(١) لم يذكر الأبناء لأنّ العادة أنّ الأبناء تبع لآبائهم وذكر الآباء والإخوان ذكر لأقوى القرابة.

(٢) استحبوا: بمعنى أحبوا نحو: استجاب بمعنى: أجاب.

(٣) قال ابن عباس: من تولاهم هو مشرك مثلهم لأنّ الرضا بالشرك شرك ويستثنى من هذه المقاطعة الإحسان والهبة للأقارب الكفرة لحديث أسماء إذ قالت: يا رسول الله إنّ أمي قدمت عليّ راغبة وهي مشركة أفأصلها؟ قال: صلي أمك. رواه البخاري.

(٤) هذه الآية نزلت في الذين تخلفوا عن الهجرة إلى المدينة إيثاراً لما ذكر تعالى على حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله تعالى إذ توعدهم تعالى بقوله: ﴿فتربصوا﴾ أي انتظروا ما سيحل بكم إن لم تتوبوا فتهاجروا وتجاهدوا.

تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ
وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن
شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

في مواطن	: المواطن جمع موطن بمعنى الوطن وهو محل إقامة الإنسان.
حنين	: وادٍ على بعد أميال يسيرة من الطائف.
إذ أعجبتكم كثرتكم	: أي كثرة عددكم حتى قال من قال: لن نغلب اليوم من قلة.
فلم تغن عنكم شيئاً	: أي لم تجز عنكم شيئاً من الإجزاء إذ انهزمتم في أول اللقاء.
وضاقت عليكم الأرض	: أي لم تعرفوا أين تذهبون، وكيف تتصرفون كأنكم محصورون في مكان ضيق.
بما رحبت	: أي على رحابتها وسعتها.
أنزل الله سكينته	: أي الطمأنينة في نفوسهم، فذهب القلق والاضطراب.
وأنزل جنوداً	: أي من الملائكة.
نجس	: أي ذوو نجس وذلك لخبث أرواحهم بالشرك.
بعد عامهم هذا	: عام تسعة من الهجرة.

عيـــلة : أي فقراً وفاقة وحاجة.

معنى الآيـات :

لما حرم الله على المؤمنين موالاة الكافرين ولو كانوا اقرباءهم وحذرهم من القعود عن الهجرة والجهاد، وكان الغالب فيمن يقعد عن ذلك إنما كان لجبنه وخوفه أخبرهم تعالى في هذه الآيات الثلاث أنه ناصرهم ومؤيدهم فلا يقعد بهم الجبن والخوف عن أداء الواجب من الهجرة والجهاد فقال تعالى ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾[1] كبَدْر والنضير وقريظة والفتح وغيرها ﴿ويوم حنين﴾[2] حين قاتلوا قبيلة هوازن مذكراً إياهم بهزيمة أصابت المؤمنين نتيجة خطأ من بعضهم وهو الاغترار بكثرة العدد إذ قال من قال منهم: لن نغلب اليوم عن قلة إذ كانوا اثني عشر[3] ألفاً وكان عدوهم أربعة آلاف فقط، إنهم ما إن توغلوا بين جنبتي الوادي حتى رماهم العدو بوابل من النبل والسهام فلم يعرفوا كيف يتصرفون حتى ضاقت عليهم الأرض على سعتها وولوا مدبرين هاربين ولم يثبت إلا رسول الله ﷺ وكان على بغلته البيضـاء المسـاة (بالدُلْدُل) والعباس إلى جنبه وأبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ابن عمـه، ثم نادى منادي رسول الله: أن يا أصحاب سورة البقرة هلموا أصحاب السمرة (شجرة بيعة الرضوان) هلموا. فتراجعوا إلى المعركة ودارت رحاها و﴿أنزل الله سكينته على رسـولـه وعـلى المؤمنين وأنزل جنوداً﴾ تلامس القلوب وتنفخ فيها روح الشجاعة والصبر والثبات، فصبروا وقاتلوا وما هى إلا ساعة وإذا بالعدو سبي بين أيديهم ولم يحصل لهم أن غنموا يوما مثل ما غنموا هذا اليوم إذ بلغ عدد الإبل إثني عشر ألف بعير، ومن الغنم مالا يحصى ولا يعد. بهذا جاء قوله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين[4]﴾ أي هاربين من العدو ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً﴾ أي من الملائكة ﴿لم تروها﴾ ﴿وعذب الذين كفروا﴾ أي هوازن ﴿وذلك﴾ أي القتل والسبي ﴿جزاء الكافرين﴾ بالله ورسوله.

---

(١) المواطن: جمع موطن وهو مكان التوطّن أي: الإقامة ويطلق على موضع الحرب وموقعها.

(٢) خص يوم حنين بالذكر لما وقع فيه من الهزيمة في أوّل المعركة.

(٣) عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من مسلمة الفتح وهم الطلقاء وهزموا من أجل قول بعضهم: لن نغلب اليوم عن قلة وهو ما يسمى بالعجب وهو محبط للعمل.

(٤) روى مسلم عن ابن اسحق قال: جاء رجل إلى البراء فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى ولكنه انطلق أخفّاء من الناس وحسّر إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب اللهم نزل نصرك) قال البراء: كنا والله إذا احمّر البأس نتقي به.

وقوله تعالى ﴿ثم يتوب الله على من يشاء﴾[1] أي بعد قتالكم للكافرين وقتلكم من تقتلون يتوب الله على من يشاء ممن بقوا أحياء بعد الحرب ﴿والله غفور رحيم﴾ فيغفر لمن يتوب عليه من المشركين ماضي ذنوبه من الشرك وسائر الذنوب ويرحمه بأن يدخله الجنة مع من يشاء من المؤمنين الصادقين في إيمانهم هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث. أما الآية الرابعة ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس[2] فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾[3] فإنه تعالى أمر المؤمنين بأن يمنعوا من دخول المسجد الحرم كل مشرك ومشركة لأن المشرك نجس الظاهر والباطن فلا يحل دخولهم إلى المسجد الحرام وهو مكة والحرم حولها، ومن يومئذ لم يدخل مكة مشرك، وقوله تعالى ﴿وإن خفتم عيلة﴾[4] أي فقراً لأجل انقطاع[5] المشركين عن الموسم حيث كانوا يجلبون التجارة يبيعون ويشترون فيحصل نفع للمسلمين ﴿ فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ فامنعوا المشركين ولا تخافوا الفقر وقوله تعالى ﴿إن شاء إن الله عليم حكيم﴾ استثناء منه تعالى حتى تبقى قلوب المؤمنين متعلقة به سبحانه وتعالى راجية خائفة غير مطمئنة غافلة، وكونه تعالى عليمًا حكيمًا يرشح المعنى المذكور فإن ذا العلم والحكمة لا يضع شيئاً إلا في موضعه فلا بد لمن أراد رحمة الله أو فضل الله أن يجتهد أن يكون أهلاً لذلك، بالإيمان والطاعة العامة والخاصة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ حرمة العجب بالنفس والعمل إذ هو أي العجب من العوائق الكبيرة عن النجاح.

٢ـ بيان إفضال الله تعالى وإكرامه لعباده المؤمنين.

٣ـ بيان الحكمة من القتال في سبيل الله تعالى.

٤ـ تقرير نجاسة الكافر المعنوية.

---

(١) كمالك بن عوف النصري رئيس حنين ومن أسلم معه من قومه.

(٢) قيل: وصف المشرك بالنجس: لأنه جنب لا يغتسل من جنابة غسلا شرعياً فهو لذلك نجس، وقيل: الشرك هو الذي جعله نجساً إذ لو أسلم زال عنه الوصف.

(٣) هو عام حجة الوداع وليس عام تسعة كما قال بعضهم.

(٤) قال الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه ... وما يدري الغني متى يعيل

يقال: عال يعيل عيلة: إذا افتقر.

(٥) في الآية دليل على مشروعية الأخذ بالأسباب إذ قال ﷺ: (اعقلها وتوكل) قال بعضهم: الأسباب التي يطلب بها الرزق هي الجهاد وأكل الرجل من عمل يده التجارة، الحرث، والغرس، التعليم للعلوم بالأجرة، الاستدانة بنيّة رد الدين.

٥ـ منع دخول المشرك الحرم المكي كائناً من كان بخلاف باقي المساجد فقد يؤذن للكافر لمصلحة أن يدخل بإذن المسلمين.

٦ـ لا يمنع المؤمن من امتثال أمر ربّه الخوف من الفاقة والفقر فإن الله تعالى تعهد بالإغناء إن شاء.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾

شرح الكلمات:

لا يؤمنون بالله

ولا باليوم الآخر : أي إيماناً صحيحاً يرضاه الله تعالى لموافقة الحق والواقع.

ولا يحرمون ما حرم

الله ورسوله : أي كالخمر والربا وسائر المحرمات.

ولا يدينون دين الحق : أي الإسلام إذ هو الدين الذي لا يقبل ديناً سواه.

من الذين أوتوا الكتاب : أي اليهود والنصارى.

الجزيـة : أي الخراج المعلوم الذي يدفعه الذمي كل سنة.

عن يد وهم صاغرون(١) : أي يقدمونه بأيديهم لا ينيبون فيه غيرهم، وهم صاغرون: أي أذلاء منقادون لحكم الإسلام هذا.

معنى الآيـة الكريمة:

لما أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال المشركين حتى يتوبوا من الشرك ويوحدوا ويعبدوا الله تعالى بما شرع أمر رسوله في هذه الآية والمؤمنين بقتال أهل الكتاب وهم

---

(١) وفسّر قوله: ﴿عن يد﴾ بالقوة على دفع الجزية بأن يكون المطالب بها قادرا على أدائها لغناه وعدم فقره. وهو تفسير حق لأنّ الفقير منهم لا يطالب بالجزية في حال فقره، وما في التفسير أصحّ.

اليهود والنصارى إلى أن يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون،وجعل إعطاء الحزية غايةً لنهاية القتال، لا الإسلام، لأن الإسلام يعرض أولاً على أهل الكتاب فإن قبلوه فذاك وإن رفضوه يطلب منهم الدخول في ذمة المسلمين وحمايتهم تحت شعار الجزية وهي رمز دال على قبولهم حماية المسلمين وحكمهم بشرع الله تعالى فإذا أعطوها حقنوا دماءهم وحفظوا أموالهم، وأمنوا في حياتهم المادية والروحية، هذا ما تضمنته الآية الكريمة: ﴿قاتلوا الذين لايؤمنون بالله[١] ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب[٢] حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ وإن قيل اليهود والنصارى يؤمنون بالله وباليوم الآخر فكيف نفت الآية عنهم ذلك؟ والجواب أن اليهود في إيمانهم بالله مشبهة مجسمة يصفون الله تعالى بصفات تعالى الله عنها علواً كبيراً، والنصارى يعتقدون أن الله حلّ في المسيح، وإن الله ثالث ثلاثة والله ليس كذلك فهم إذاً لا يؤمنون بالله تعالى كما هو الله الإله الحق، فلذا إيمانهم باطل وليس بإيمان يضاف إلى ذلك أنهم لو آمنوا بالله لآمنوا برسوله محمد ﷺ ولو آمنوا باليوم الآخر لأطاعوا الله ورسوله لينجوا من عذاب اليوم الآخر وليسعدوا فيه بدخول الجنة فلما لم يؤمنوا ولم يعملوا كانوا حقاً كافرين غير مؤمنين، وصدق الله العظيم حيث نفى عنهم الإيمان به وباليوم الآخر، والله أعلم بخلقه من أنفسهم.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١- وجوب قتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يدخلوا في حكم الإسلام وذلك من أجل إعدادهم للإسلام ليكملوا عليه ويسعدوا به.

٢- الإيمان غير الصحيح لا يعتبر إيماناً منجياً ولا مسعداً.

٣- استباحة ما حرم الله من المطاعم والمشارب والمناكح كفر صريح.

---

(١) الآية صريحة في عدم اعتبار إيمان اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر إيمانا صحيحاً يزكي النفس ويؤهل لدخول الجنة، وهذا لأمرين: الأول: لما داخل إيمانهم من التحريف والتغيير فلم يكن إيمانهم بركني الإيمان العظيمين الإيمان بالله واليوم الآخر إيمانا صحيحاً مقبولا شرعاً فلذا عُد كالإيمان. والثاني: لأنهم لو آمنوا بالله ولقائه حق الإيمان لآمنوا برسوله محمد ﷺ وبما جاء به من الهدى، ولاستقاموا على شرع الله فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم.

(٢) المجوس والصابئة لم يذكرا في الآية، والذي به العمل عند عامة الفقهاء أنهم يسنّ بهم سنة أهل الكتاب في قبول الجزية منهم وإدخالهم في ذمة المسلمين.

٤- مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب وهي مقدرة في كتب الفقه مبينة وهي بحسب غنى المرء وفقره وسعته وضيقه.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ
يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ
ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ
مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾
يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ
أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

عُزير : هو الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، واليهود يسمونه: عِزْرا.

المسيح : هو عيسى بن مريم عليهما السلام.

يضاهئون : أي يشابهون.

قول الذين كفروا : أي من آبائهم وأجدادهم الماضين.

قاتلهم الله : أي لعنهم الله لأجل كفرهم.

أنى يؤفكون : أي كيف يصرفون عن الحق.

أحبارهم ورهبانهم : الأحبار جمع حبر: علماء اليهود، والرهبان جمع راهب عابد النصارى.

أرباباً من دون الله : أي آلهة يشرعون لهم فيعملون بشرائعهم من حلال وحرام.

نـور الله : أي الإسلام لأنه هاد إلى الإسعاد والكمال في الدارين.

بأفواهـــهم : أي بالكذب عليه والطعن فيه وصرف الناس عنه.

رســولـــه : محمداً صلى الله عليه وسلم.

معنى الآيـات :

لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب لكفرهم وعدم إيمانهم الإيمان الحق المنجي من النار ذكر في هذه الآيات الثلاث ما هو مقرر لكفرهم ومؤكد له فقال ﴿وقالت اليهود عزير[(١)] ابن الله﴾ ونسبة الولد إلى الله تعالى كفر بجلاله وكماله ﴿وقالت النصارى المسيح ابن[(٢)] الله﴾ ونسبه الولد إليه تعالى كفر به عز وجل وبماله من جلال وكمال وقوله تعالى: ﴿ذلك قولهم بأفـواههم﴾ أي ليس له من الواقع شيء إذ ليس لله تعالى ولد، وكيف يكون له ولد ولم تكن له زوجة، وإنما ذلك قولهم بأفواههم فقط ﴿يضاهئون[(٣)] به﴾ أي يشابهون به ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾[(٤)] وهم اليهود الأولون وغيرهم وقوله تعالى ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ دعاء عليهم باللعن والطرد من رحمة الله تعالى وقوله ﴿أنى يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق ويبعدون عنه بهذه الصورة العجيبة وقوله ﴿اتخذوا أحبارهم[(٥)] ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾[(٦)] هذا دليل آخر على كفرهم وشركهم إذ قبولهم قول علمائهم وعبادهم والإذعان

---

(١) قرأ عاصم (عزيرٌ) بالتنوين، وقرأ نافع بغير تنوين، وقوله تعالى ﴿وقالت اليهود﴾ هو كقوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس..﴾ فهو لفظ عام، والمراد به الخصوص إذ ما كلّ اليهود قالوا بهذه القولة ولا كل الناس وإنما بعضهم.

(٢) في الآية دليل على أن حاكي الكفر، وهو منكر له بقلبه ولسانه لا يكفر.

(٣) يقال: امرأة ضهيأ: للتي لا تحيض ولا ثدي لها كأنها أشبهت الرجل.

(٤) أي: شابه قولهم قول الكافرين من قبلهم وهم أسلافهم الذين قلدوهم أو قول العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله. تعالى الله عن البنت والولد علواً كبيرا.

(٥) الحِبر بكسر الحاء: المداد، وبفتحها العالم، والرهبان: جمع راهب مأخوذ من الرهبة، والراهب الحق. هو من حمله خوف الله على أن يخلص له النيةفي القول والعمل ويجعل زمانه له وعمله له وأنسه به.

(٦) روى الترمذي عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: (ماهذا يا عديّ اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم﴾ وسئل حذيفة رضي الله عنه عن قول الله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهباناهم أرباباً من دون الله﴾ هل عبدوهم؟ قال: لا ولكن أحلّوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه.

له والتسليم به حتى أنهم ليحلون لهم الحرام فيحلونه ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه، شرك وكفر والعياذ بالله. وقوله ﴿والمسيح[1] ابن مريم﴾ أي اتخذه النصارى رباً وإلهاً،وقوله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليبعدوا إلهاً واحداً﴾ أي لم يأمرهم أنبياؤهم كموسى وعيسى وغيرهما إلا بعبادة الله تعالى وحده لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله ﴿سبحانه عما يشركون﴾ نزه تعالى نفسه عن شركهم. وقوله تعالى ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ أي يريد اليهود والنصارى أن يطفئوا نور الله الذي هو الإسلام بأفواههم بالكذب والافتراء، والعيب والانتقاص، ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[2]، وقد فعل فله الحمد وله المنة، وأصبح الإسلام الظاهر على الأديان كلها، هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث أما الآية الرابعة (٣٣) فقد أخبر تعالى أنه ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ أي محمداً ﴿بالهدى﴾ وهو القرآن ﴿ودين الحق﴾ الذي هو الإسلام. وقوله ﴿ليظهره﴾ أي الدين الحق الذي هو الإسلام ﴿على الدين كله ولو كره المشركون﴾[3] وقد فعل فالإسلام ظاهر في الأرض كلها سمع به أهل الشرق والغرب ودان به أهل الشرق والغرب وسيأتي يوم يسود فيه المسلمون أهل الدنيا قاطبة بإذن الله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير كفر اليهود والنصارى بذكر عقائدهم الكفرية.

٢- طاعة العلماء ورجال الدين طاعة عمياء حتى يحلوا ويحرموا فيتبعوا شرك.

٣- بيان عداء اليهود والنصارى للإسلام وتعاونهم على إفساده وإفساد أهله.

٤- بشرى المسلمين بأنهم سيسودون العالم في يوم من الأيام ويصبح الإسلام هو الدين الذي يعبد الله به في الأرض لا غيره، ويشهد لهذا آية ﴿ويكون الدين كله لله﴾ فلو لم يعلم الله أن ذلك كائن لم يجعله غاية وطالب بالوصول اليها.

(١) يطلق لفظ المسيح على العرق لأنه إذا سال يُمسح من الجبين قال أحدهم شعراً:

افرح فسوف تألف الأحزانا   إذا شهدت الحشر والميزانا

وسال من جبينك المسيح   كأنّه جداول تسيح

(٢) صحّ دخول «إلّا» على الإثبات هنا لأنّ أبى يحذف معها الكلام فيقال: يأبي فلان كل شيء إلا أن يطاع مثلا. فمعنى الآية: يأبى الله كل شيء إلا أن يتم نوره.

(٣) شاهده: رواية أحمد: عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لايبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام بعزّ عزيز أو بذل ذليل إمّا يعزّهم الله فيجعلهم من أهلها وإمّا يذلهم فيدينون لها).

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ
أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ
وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ
عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ
وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ
تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

بالباطل : أي بدون حق أباح لهم أكلها.

ويصدون عن سبيل الله : أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الإسلام الذي هو السبيل المفضي بالعبد إلى رضوان الله تعالى.

يكنزون : يجمعون المال ويدفنونه حفاظاً عليه ولا يؤدون حقه.

الذهب والفضة : هما النقدان المعروفان.

في سبيل الله : أي حيث رضا الله كالجهاد وإطعام الفقراء والمساكين.

فبشرهم : أي أخبرهم بعذاب أليم : أي موجع.

يحمى عليها : لأنها تحول إلى صفائح ويحمى عليها ثم تكوى بها جباههم.

هذا ما كنزتم : أي يقال لهم عند كيهم بها : هذا ما كنزتم لأنفسكم توبيخاً لهم وتقريعاً.

معنى الآيتين :

بمناسبة ذكر عداء اليهود والنصارى للإسلام والمسلمين، وأنهم يريدون دوماً وأبداً

إطفاء نور الله بأفواههم، ذكر تعالى ما هو إشارة واضحة إلى أنهم ماديون لا همّ لهم إلا المال والرئاسة فأخبر المسلمين فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار﴾[1] وهم علماء اليهود ﴿والرهبان﴾ وهم رجال الكنائس من النصارى ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ كالرشوة، وكتابة صكوك الغفران يبيعونها للسفلة منهم، إلى غير ذلك من الحيل باسم[2] الـدين،وقوله تعالى عنهم ﴿ويصدون عن[3] سبيل الله﴾ دليل واضح على أنهم يحاربون الإسلام باستمرار للإبقاء على مناصبهم الدينية يعيشون عليها يترأسون بها على السفلة والعوام من اليهود والنصارى، وقوله تعالى ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾[4][5] لفظ عام يشمل الأحبار والرهبان وغيرهم من سائر الناس من المسلمين ومن أهل الكتاب إلا أن الرهبان والأحبار يتناولهم اللفظ أولاً، لأن من يأكل أموال الناس بالباطل ويصد عن سبيل الله أقـرب إلى أن يكنـز الذهب والفضة ولا ينفقها في سبيل الله، وقوله تعالى لرسوله ﴿فبشـرهم بعـذاب أليم﴾ أي أخبرهم معجلاً لهم الخبر في صورة بشارة، وبين نوع العذاب الأليم بقوله ﴿يوم يحمى عليها﴾ أي صفائح الذهب والفضة بعد تحويلها إلى صفائح ﴿في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ أي من كل الجهات الأربع من أمام ومن خلف وعن يمين وعن شمال ويقال لهم تهكماً بهم وازدراء لهم وهو نوع عذاب أشد على النفس من عذاب الجسم ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾.

(١) الآية نزلت في أهل الكتاب كشفاً عن عوراتهم المادية، وأما قوله تعالى ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة..﴾ الخ فهو حكم عام يشمل المسلمين وأهل الكتاب.

(٢) قيل كانوا يأخذون من غلات أتباعهم ومن أموالهم ضرائب باسم حماية الدين والقيام بالشرع، وقلدهم الروافض، فإن أئمتهم يأخذون منهم ضرائب هي خمس دخل كل فرد من أي جهة كان هذا الدخل أخبرني بهذا أحد رجالهم في الكويت.

(٣) من صدّهم عن سبيل الله انهم كانوا يمنعون أتباعهم من الدخول في الإسلام ومن اتباع محمد ﷺ.

(٤) دلت الآية على زكاة العين: الذهب والفضة وهي تجب بأربعة شروط الحرية، والإسلام، والحول، والنصاب السليم من الدين، والنصاب مائتا درهم فضة أو عشرون ديناراً من الذهب، ويكمل أحدهما من الآخر، ومن السنة قوله ﷺ (ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول) رواه أبو داود. وقوله ﷺ: (ليس في أقل من مائتي درهم زكاة، وليس في أقل من عشرين ديناراً زكاة) في الصحيح.

(٥) روى أبو داود عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ قال كبر ذلك على المسلمين فقال عمر: أنا أفرج عنكم فانطلق قال: يا نبي الله إنّه كبُر على أصحابك هذه الآية، فقال: (إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيّب ما بقى من أموالكم وإنما فرض المواريث في أموالكم لتكون لمن بعدكم فكبّر عمر فقال له رسول الله ﷺ: (ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته).

هداية الآيـتين

من هداية الآيـتين :

١ـ بيان حقيقة علماء اليهود والنصارى، وهي أنهم ماديون باعوا آخرتهم بدنياهم يحاربون الإسلام ويصدون عنه للمحافظة على الرئاسة وللأكل على حساب الإسلام.

٢ـ حرمة أكل أموال الناس بالباطل.

٣ـ حرمة جمع المال وكنزه وعدم الإنفاق منه.

٤ـ المال الذي تؤدى زكاته كل حول لا يقال له كنز ولو دفن تحت الأرض.

٥ـ بيان عقوبة من يكنز المال ولا ينفق منه في سبيل الله وهي عقوبة شديدة.

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾
إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

شـرح الكلـمات :

عــدة : أي عدد.

الشـهـور[1] : جمع شهر والشهر تسعة وعشرون يوماً، أو ثلاثون يوماً.
في كتاب الله : أي كتاب المقادير: اللوح المحفوظ.
أربعـة حـرم : هي رجب، والقعـدة، والحجـة، ومحرم، الواحد منها حرام والجمع حرم.
الديـن القيـم[2] : أي الشرع المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.
فلا تظلموا فيهن أنفسكم : أي لا ترتكبوا في الأشهر الحرم المعاصي فإنها أشد حرمة.
كافـة : أي جميعاً وفي كل الشهور حلالها وحرامها.
مع المتقيـن : أي بالتأييد والنّصر، والمتقون هم الذين لا يعصون الله تعالى.
إنما النســيء : أي تأخير حرمة شهر المحرم إلى صفر.
يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً : أي النســيء عاماً يحلونه وعاماً يحرمونه.
ليواطئوا عدة ما حرم الله : أي ليوافقوا عدد الشهورالمحرمة وهي أربعة.
زين لهم سوء عملهم : أي زين لهم الشيطان هذا التأخير للشهر الحرام وهو عمل سيء لأنه إفتيات على الشارع واحتيال على تحليل الحرام.

معنى الآيـتين

عاد السياق للحديث على المشركين بعد ذلك الاعتراض الذي كان للحديث عن أهل الكتاب فقال تعالى ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ لا تزيد ولا تنقص، وأنها هكذا في اللوح المحفوظ ﴿يوم خلق السموات والأرض﴾[3]. وأن منها أربعة أشهر حرم أي محرمات وهي رجب، والقعدة والحجة ومحرم، وحرمها الله تعالى أي حرم القتال فيها لتكون هدنة يتمكن العرب معها من السفر للتجارة وللحج والعمرة ولا يخافون أحداً، ولما

(١) المراد بالشهور: ما تتألف منه السنة القمرية، واحدها: شهر، مشتق من الشهرة سميت به الأيام من أوّل ظهور الهلال إلى سراره.

(٢) أي: الصحيح، والإشارة في قوله: ﴿ذلك الدين القيّم﴾ إلى عدة الشهور، وتقسيمها إلى حُرم وغيرها وإلى عدم ارتكاب الذنوب فيها.

(٣) قوله: ﴿يوم خلق السموات والأرض..﴾ قاله ليبيّن أن قضاءه وقدره كان قبل ذلك وأنه سبحانه وتعالى وضع هذه الشهور وسمّاها بأسمائها يوم خلق السماوات والأرض.

جاء الإسلام وأعز الله أهله، نسخ حرمة القتال فيها. وقوله تعالى ﴿ذلك الدين القيّم﴾ أي تحريم هذه الأشهر واحترامها بعدم القتال فيها هو الشرع المستقيم وقوله تعالى ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ أي لا ترتكبوا الذنوب والمعاصي في الأشهر الحرم فإن ذلك يوجب غضب الله تعالى وسخطه عليكم فلا تعرضوا أنفسكم له،وقوله تعالى ﴿وقاتلوا المشركين﴾ هذا خطاب للمؤمنين يأمرهم تعالى بقتال المشركين بعد انتهاء المدة التي جعلت لهم وهي أربعة أشهر وقوله ﴿كافة﴾[1] أي جميعاً لا يتأخر منكم أحد كما هم يقاتلونكم مجتمعين على قتالكم فاجتمعوا أنتم على قتالهم،وقوله ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ وهم الذين اتقوا الشرك والمعاصي ومعناه أن الله معكم بنصره وتأييده على المشركين العصاة وقوله عز وجل ﴿إنما النسيء[2] زيادة في الكفر﴾ أي إنما تأخير حرمة محرم إلى صفر كما يفعل أهل الجاهليةليستبيحواالقتال في الشهر الحرام بهذه الفُتيا الشيطانية هذا التأخير زيادة في كفر الكافرين[3]، لأنه محاربة لشرع الله وهي كفر قطعاً لقوله تعالى ﴿يضل به الذين كفروا﴾ أي بالنسيء يزدادون ضلالاً فوق ضلالهم. وقوله ﴿يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً﴾ يعني النسيء وهو الشهر الذي أخروه أي أخروا حرمته إلى الشهر الذي بعده ليتمكنوا من القتال في الشهر الحرام، فعاماً يحلون وعاماً يحرمون حتى يوافقوا عدة الأشهر الحُرُم بلا زيادة ولا نقصان، ظناً منهم أنهم ما عصوا مستترين بهذه الفتيا الإبليسية كما قال تعالى ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ والمزين للباطل قطعاً هو الشيطان. وقوله تعالى ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ يخبر تعالى أنه عز وجل لا يهدي القوم الكافرين لما هو الحق والخير وذلك عقوبة لهم على كفرهم به وبرسوله، وإصرارهم على ذلك.

---

(١) كافة: معناه جميعاً، وهو مصدر في موضع الحال أي: محيطين بهم ومجتمعين. قالوا: ينظر كافة: في كونه لا يبني ولا يجمع: عاقبة وعامة وخاصة.

(٢) قرأ الجمهور: ﴿النسيء﴾ مهموزا وقرأ ورش: ﴿النسيّ﴾ بالياء المشددة، وهو فعيل بمعنى مفعول في قولك: نسأت الشيء أنسأه إذا أخّرته، فنقل من منسوء إلى نسيء كما نقل مفتول إلى فتيل لأنّه أخف، وأصل هذا التشريع الجاهلي: أنّ العرب قبل الإسلام كانوا أهل حروب فإذا احتاجوا إلى القتال في الشهر الحرام طلبوا من زعيمهم أن ينسيء المحرّم أي: يؤخره إلى صفر حتى يمكنهم الحرب في المحرم بعد الحج وما زالوا يؤخرون ويقدمون حتى اختلطت الشهور وأصبح رجب جمادى ورمضان شوال وهكذا، ودارت الشهور دورتها، وفي عام حجة الوداع أعلن الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: (إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) يريد أن الشهور قد رجعت إلى مواضعها، وأصبح كل شهر في موضعه فوقع حجّ النبي ﷺ في موضعه.

(٣) إذ كفروا بالشرك وانكار المعاد وتكذيب الرسل، ونسبة الولد لله تعالى. ثم بالنسيء ازدادوا كفراً.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- بيان أن شهور السنة الهجرية اثنا عشر شهراً[1] وأيامها[2] ثلثمائة وخمسة وخمسون يوماً .

٢- بيان أن الأشهر الحرم أربعة وقد بينها الرسول ﷺ وهي رجب ، والقعدة والحجة ومحرم .

٣- حرمة الأشهر الحرم ، ومضاعفة السيآت فيها أي قبح الذنوب فيها .

٤- صفة المعيّة لله تعالى وهي معية خاصة بالنصر والتأييد لأهل تقواه .

٥- حرمة الاحتيال على[3] الشرع بالفتاوى الباطلة لاحلال الحرام ، وأن هذا الاحتيال ما هو إلا زيادة في الإثم .

٦- تزيين الباطل وتحسين المنكر من الشيطان .

٧- حرمان أهل الكفر والفسق من هداية الله تعالى وتوفيقه لما هو حق وخير حالاً ومآلاً .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾

---

(١) وهي : محرّم ويجمع على محرمات ومحارم ومحاريم ، وصفر ويجمع على أصفار وربيع الأول ويجمع على أربعاء وأربعة وربيع الثاني وجمادى الأولى ويجمع على جُماديات وتذكر وتؤنث فيقال : الأولى والأول ، وجمادى الآخرة والآخر ، ورجب ويجمع على أرجاب ورجاب ، وشعبان ويجمع على شعابين وشعبانات ، ورمضان ويجمع على رمضانات ، ورماضين وأرمضة وشوال ويجمع على شواول وشواويل وشوالات ، القعدة ويجمع على ذوات القعدة والحِجة بكسر الحاء وفتحها ويجمع على ذوات الحجة .

(٢) وهي : الأحد ويجمع على آحاد وأوحاد ووحود ، والاثنين ويجمع على أثانين ، والثلاثاء يذكر ويؤنث ويجمع على ثلاثاوات وأثالث والأربعاء ويجمع على أربعاوات وأرابيع ، والخميس ويجمع على أخمسة وأخامس ، والجمعة بضم الميم واسكانها وفتحها ويجمع على جمع وجمعات ، والسبت ويجمع على سبوت كفتح وفتوح وأسبات كقمع وأقماع .

(٣) اختلف فيمن كان أوّل من نسأ فقيل عمرو بن لحي ، وقيل : رجل من كنانة يقال له القلمّس قال شاعرهم :

ومنا ناسىء الشهر القلمّس

وقال الكميت :

ألسنا الناسئين على معد   شهور الحل نجعلها حراما

إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

مالكم؟ (1) : أي أي شيء ثبت لكم من الأعذار.

انفروا : أي اخرجوا مستعجلين مندفعين.

اثاقلتم : أي تباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً.

إلا تنصروه : أي الرسول محمد ﷺ.

ثاني اثنين : أي هو وأبوبكر رضي الله عنه.

في الغار : غار ثور أي في جبل يقال له ثور بمكة.

لصاحبه : هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه.

سكينته : أي طمأنينته

كلمة الذين كفروا : هي الدعوة إلى الشرك.

السفلى : أي مغلوبه هابطة لا يسمع لها صوت.

وكلمة الله هي العليا : أي دعوة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هي العليا الغالبة الظاهرة.

---

(1) (ما) : حرف استفهام ومعناه التقرير والتوبيخ.

معنى الآيـات :

هذه الآيات نزلت في غزوة تبـوك فقد بلغ النبي ﷺ أن هرقل ملك الروم قد جمع جمـوعـه لحرب الرسول ﷺ، فأعلن النبي ﷺ التعبئة العامة، وكان الزمن صيفاً حاراً وبالبلاد جدب ومجاعة، وكان ذلك في شوال من سنة تسع، وسميت هذه الغزوة بغزوة العسرةفاستحثَّ الربّ تبارك وتعالى المؤمنين ليخرجوا مع نبيهم لقتال أعدائه الذين عزموا على غزوه في عقر داره فأنزل تعالى قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله﴾ والقائل هو رسول الله ﷺ﴿ انفروا في سبيل الله﴾ أي اخرجوا للجهاد ﴿في سبيل الله﴾ أي لأجل رضاه سبحانه وتعالى وما عنده من نعيم مقيم. وقوله ﴿مالكم﴾ أي أي شيء يجعلكم لا تنفرون؟ وأنتم المؤمنون طلاب الكمال والإسعاد في الدارين. وقوله ﴿اثّاقلتم إلى الأرض﴾[1] أي تباطأتم عن الخروج راضين ببقائكم في دوركم وبلادكم. ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من[2] الآخرة؟﴾ ينكر تعالى على من هذه حاله منهم، ثم يقول لهم ﴿فـما متاع الحياة الدنيا﴾ أي ماكل مايوجد فيها من متع على اختلافها بالنسبة إلى مافي الآخرة من نعيم مقيم في جوار رب العالمين ﴿إلا قليل﴾ تافه لا قيمة له، فكيف تؤثرون القليل على الكثير والفاني على الباقي. ثم قال لهم ﴿ إلاَّ تنفِروا ﴾ أي إن تخليتم عن نصرته ﷺ وتركتموه يخرج إلى قتال الروم وحده ﴿يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم[3] ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾. وفي هذا الخبر وعيد شديد اهتزت له قلوب المؤمنين.

وقوله تعالى ﴿إلا تنصروه﴾[4] أي إن خذلتموه ولم تخرجوا معه في هذا الظرف الصعب فقـد نصره الله تعالى في ظرف أصعب منه نصره في الوقت الذي أخرجه الذين كفروا ﴿ثـاني اثنين﴾[5] أي هو وأبـوبكر لا غير، ﴿إذ هما في الغار﴾ أي غار ثور، ﴿إذ يقول

---

(١) أصل ﴿اثاقلتم﴾: تثاقلتم فأدغمت التاء في الثاء لقرب مخرجهما وزيدت همزة الوصل للتوصل إلى النطق بالساكن ومثله: اداركوا وادّارأتم، واطيرنا، وازينت.

(٢) أي: أرضيتم بنعيم الدنيا وراحتها بدلا من نعيم الآخرة وسعادتها.

(٣) أي: لا يقعدون عند استنفارهم للجهاد والخروج معه، وأنتم بتخلفكم لا تضرونه شيئا، في الآية دليل على حرمة التثاقل عن الجهاد إذا كان مع كراهته ولا حرمة مع عدم الكراهة إلاّ أن يعيّنه الإمام فيجب.

(٤) أصلها إن الشرطية ادغمت فيها لا النافية، والآية تحمل عتاباً شديداً، ومعنى الآية: إن تركتم نصرته فقد تكفّل الله بها.

(٥) أي: أحد اثنين كثالث ثلاثة ورابع أربعة.

لصاحبه﴾ : لما قال لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا يا رسول الله، ﴿لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه﴾ فسكنت نفسه واطمأن وذهب الخوف من قلبه،[1] ﴿وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا﴾ وهي دعوتهم إلى الشرك جعلها ﴿السفلى﴾ مغلوبة هابطة ﴿وكلمة الله﴾ كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿هي العليا﴾ الغالبة الظاهرة ﴿والله عزيز﴾ غالب[2] لا يغالب ﴿حكيم﴾ في تصرفه وتدبيره، ينصر من أراد نصره بلا ممانع ويهزم من أراد هزيمته بلا مغالب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب الخروج إلى الجهاد إذا دعا الإمام بالدعوة العامة وهو ما يعرف بالتعبئة العامة أو النفير العام.

٢ـ يجب أن يكون النفير في سبيل الله لا في سبيلٍ غير سبيله تعالى.

٣ـ بيان حقارة الدنيا وضآلتها أمام الآخرة.

٤ـ وجوب نصرة رسول الله ﷺ في دينه في أمته في سنته.

٥ـ شرف أبي بكر الصديق وبيان فضله. ٦ـ الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ
عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا
مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ

(١) أي: قلب أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) إذ أحبط تعالى أعمال قريش في طلبها الرسول ﷺ لتقتله حيث جعلت مائة ناقة لمن يأتيها برأسه وأنجى الله رسوله منهم وانتهى إلى المدينة ونصره عليهم.

صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾

شـرح الكلمـات :

خفافاً وثقالاً : الخفاف جمع خفيف: وهو الشاب القوي البدن ذا الجدة من زاد ومـركـوب. والثقال جمع ثقيل: وهو الشيخ الكبير والمريض والفقير الذي لا جدة عنده.

ذلكـــم : أي الجهاد بالمال والنفس خير من التثاقل إلى الأرض وترك الجهاد حالاً ومآلاً.

عرضـاً قريباً : غنيمة في مكان قريب غير بعيد.

أو سفراً قاصداً : أي معتدلاً لا مشقة فيه.

الشـــقة : الطريق الطويل الذي لا يقطع إلا بمشقة وعناء.

عفا الله عنك : لم يؤاخـــذك.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحث على الخروج إلى قتال الروم بالشام ففي هذه الآيات يأمر تعالى المؤمنين بالخروج إلى الجهاد على أي حال كان الخروج من قوة وضعف فليخرج الشاب القوى كالكبير العاجز الضعيف والغني كالفقير فقال تعالى ﴿انفروا خفافاً وثقالاً[(١)] وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم﴾ أعداء الله الكافرين به وبرسوله حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية ويقبلوا أحكام الإسلام ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي نفوركم للجهاد وقتالكم الكافرين إلى الانتهاء بهم إلى إحدى الغايتين خير لكم من الخلود إلى الأرض والرضا بالحياة الدنيا وهي متاع قليل، إن كنتم تعلمون ذلك، وقوله تعالى ﴿لو كان عرضاً[(٢)] قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة[(٣)]﴾ يقول تعالى لرسوله ﷺ لو كان

(١) الآية محكمة ولم تنسخ، والمراد منها: أن الإمام إذا أعلن عن النفير العام، وجب الإسراع إلى الخروج معه على أي حال من كبر وصغر وغنى وفقر.

(٢) العرض: ما يعرض من منافع الدنيا، والمراد به هنا: الغنيمة أي: لو كان الذي دَعوا إليه عرضاً قريبا أو كان الذي دعوا إليه سفراً قاصداً أي: سهلا معلوم الطرق لاتبعوك.

(٣) الشقة: بالضم: السفر إلى أرض بعيدة وهي هنا تبوك، نظير هذه الآية من السنة قوله ﷺ: (لو يعلم أحدهم أنه يجد عظماً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء..) المرماة: ظلف الشاة.

أولئك المتخلفون عن الجهاد من المنافقين وضعفة الإيمان قد دعوتهم إلى عرض قريب أي غنيمة حاضرة أو إلى سفر سهل قاصد معتدل لاتبعوك وخرجوا معك، ولكن دعوتهم إلى تبوك وفي زمن الحر والحاجة فبعدت عليهم الشقة فانتحلوا الأعذار إليك وتخلفوا. وقوله تعالى ﴿وسيحلفون بالله﴾ أي لكم قائلين: لو استطعنا أي الخروج لخرجنا معكم. قال تعالى ﴿يهلكون أنفسهم﴾ حيث يجلبون لها سخط[1] الله وعقابه ﴿والله يعلم أنهم لكاذبون﴾ في كل ما اعتذروا به. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية (٤١ ـ ٤٢) وأما الآية الثالثة فقد تضمنت عتاب الله تعالى لنبيه ﷺ حيث أذن لمن طلب منه التخلف عن النفور والنهوض إلى تبوك وكان من السياسة الرشيدة عدم الإذن لأحد حتى يتميز بذلك الصادق من الكاذب قال تعالى ﴿عفا الله عنك﴾[2] أي تجاوز عنك ولم يؤاخذك وقدم هذا اللفظ على العتاب الذي تضمنه الاستفهام ﴿لم أذنت لهم﴾ تعجيلاً للمسرة للنبي ﷺ إذ لو أخر عن جملة العتاب لأوجد خوفاً وحزناً، وقوله تعالى ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ علة للعتاب على الإذن للمنافقين[3] بالتخلف عن الخروج إلى تبوك.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ إذا أعلن الإمام التعبئة العامة يحرم التخلف عن الجهاد ولا يقعد أحد، إلا بإذن لأجل علة قامت به فاستأذن فأذن له.

٢ـ الجهاد كما يكون بالنفس يكون بالمال وهو خيرٌ من تركه حالاً ومآلاً.

٣ـ الأيمان الكاذبة لإبطال حق أو إحقاق باطل توجب سخط الله تعالى وعذابه.

٤ـ مشروعية العتاب للمحب.

٥ـ جواز مخالفة الأولى على النبي ﷺ لعدم علمه ما لم يعلّمه الله تعالى.

---

(١) بسبب كذبهم ونفاقهم وأيمانهم الكاذبة.

(٢) أخبره بالعفو قبل العتاب رحمة به وإكراماً له، إذ لو قال له لِمَ أذنت لهم أوّلا لكان يطير قلبه ﷺ من الفرق أي: الخوف.

(٣) هؤلاء قوم منافقون قالوا نستأذنه في القعود فإن أذن لنا قعدنا، وإن لم يأذن لنا قعدنا. أمّا غير هؤلاء فقد رخّص له في الإذن لمن شاء في قوله: ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ من سورة النور.

لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ
لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

لا يستأذنك : أي لا يطلبون منك إذناً بالتخلف عن الجهاد.

وارتابت قلوبهم : أي شكت في صحة ما تدعو إليه من الدين الحق.

في ريبهم : أي في شكهم.

يترددون : حيارى لايثبتون على شيء.

لأعدّوا له عدّة : لهيأوا له ما يلزم من سلاح وزاد ومركوب.

انبعاثهم : أي خروجهم معكم.

فثبطهم : ألقي في نفوسهم الرغبة في التخلف وحببه إليهم فكسلوا ولم يخرجوا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة تبوك وأحوال المأمورين بالنفير فيها فبعد أن عاتب الله تعالى رسوله في إذنه للمتخلفين أخبره أنه لا يستأذنه[1] المؤمنون الصادقون في أن يتخلفوا عن الجهاد بأموالهم وأنفسهم وإنما يستأذنه ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر

(١) لا يستأذنه المؤمنون لا في القعود ولا في الخروج وإنما هم مع مراده ﷺ فإذا أمر بأمر ابتدروه طاعة ومحبة ورغبة في رضا الله ورسوله ﷺ.

وارتابت قلوبهم﴾ في الإيمان بالله ورسوله ووعده ووعيده، فهم حيارى مترددون لا يدرون أين يتجهون وهي حالة المزعزع العقيدة كسائر المنافقين،وأخبره تعالى أنهم كاذبون في اعتذاراتهم إذ لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدته أي احضروا له أهبته من سلاح وزاد وراحلة ولكنهم كانوا عازمين على عدم الخروج بحال من الأحوال، ولو لم تأذن لهم بالتخلف لتخلفوا مخالفين قصدك متحدين أمرك. وهذا عائد إلى ان الله تعالى كره خروجهم لما فيه من الضرر والخطر فثبطهم بما ألقى في قلوبهم من الفشل وفي أجسامهم من الكسل كأنما قيل لهم اقعدوا مع القاعدين. هذا ما دلت عليه الآية (٤٤) ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدته ولكن كره الله انبعاثهم[١] فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين[٢]﴾ وقوله تعالى في ختام الآية الأولى (٤٤) ﴿والله عليم بالمتقين﴾[٣] فيه تقرير لعلمه تعالى بأحوال ونفوس عباده فما أخبر به هو الحق والواقع،فالمؤمنون الصادقون لا يطلبون التخلف عن الجهاد لإيمانهم وتقواهم، والمنافقون هم الذين يطلبون التخلف لشكهم وفجورهم والله أعلم بهم، ولا ينبئك مثل خبير.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ فضيلة الإيمان والتقوى إذ صاحبهما لا يمكنه أن يتخلف عن الجهاد بالنفس والمال.

٢ـ خطر الشك في العقيدة وأنه سبب الحيرة والتردد، وصاحبه لا يقدر على أن يجاهد بمال ولا نفس.

٣ـ سوابق الشر تحول بين صاحبها وبين فعل الخير.

---

(١) ﴿انبعاثهم﴾: أي: خروجهم معك، ومعنى ثبّطهم: حبسهم عنك وخذلهم لأنهم قالوا: إن لم يأذن لنا في القعود أفسدنا بين صفوف المؤمنين.

(٢) القاعدون: هم أولوا الضرر، والعميان والزمنى، والنساء والأطفال. والقائل لهم اقعدوا هو الرسول ﷺ لما طلبوا منه الإذن بالقعود وجائز أن يكون قاله بعضهم لبعض أو قاله الرسول ﷺ حال غضبه عليهم، أو هو تمثيل لخلق الله تعالى داعية القعود في قلوبهم حتى لا يخرجوا فيفسدوا.

(٣) فيه شهادة للمؤمنين الصادقين بالتقوى وهي دعامة الولاية الحقة لله تعالى، فالإيمان والتقوى بهما تثبت ولاية الله للعبد ومن والاه الله فلا خوف عليه ولا حزن.

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

شرح الكلمات :

لو خرجوا فيكم : أي مندسين بين رجالكم.

إلا خبالاً : الفساد في الرأى والتدبير.

ولأوضعوا خلالكم : أي لأسرعوا بينكم بالنميمة والتحريش والإثارة لإبقائكم في الفتنة.

وفيكم سماعون لهم : أي بينكم من يكثر السماع لهم والتأثر بأقوالهم المثيرة الفاسدة.

من قبل : أي عند مجيئك المدينة مهاجراً.

وقلّبوا لك الأمور : بالكيد والمكر والاتصال باليهود والمشركين والتعاون معهم.

وظهر أمر الله : بأن فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وهم كارهون : أي لمجيء الحق وظهور أمر الله بانتصار دينه.

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في فضح نوايا المنافقين وكشف الستار عنهم فقال تعالى ﴿لو خرجوا فيكم﴾[1] أيها الرسول والمؤمنون أي إلى غزوة تبوك ﴿ما زادوكم إلا خبالاً﴾[2] أي ضرراً وفساداً وبلبلة لأفكار المؤمنين بما ينفثونه من سموم القول للتخذيل والتفشيل،

(١) في هذا الإخبار الإلهي تسلية للرسول ﷺ والمؤمنين من أجل تخلف المنافقين عنهم.

(٢) الاستثناء منقطع أي: ما زادوكم قوة ولكن طلبوا الخبال لكم. والعادة: أنّ الاستثناء المنقطع يكون: بمعنى لكن إذ ليس هو جزء من المستثنى منه.

﴿ولأوضعوا﴾[1] أي أسرعوا ركائبهم ﴿خلالكم﴾ أي بين صفوفكم بكلمات التخذيل والتثبيط ﴿يبغونكم﴾ بذلك ﴿الفتنة﴾ وهي تفريق جمعكم وإثارة العداوة بينكم بما يحسنه المنافقون في كل زمان ومكان من خبيث القول وفاسده وقوله تعالى ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ أي وبينكم أيها المؤمنون ضعاف الإيمان يسمعون منكم وينقلون لهم أخبار أسراركم كما أن منكم من يسمع لهم ويطيعهم ولذا وغيره كره الله انبعاثهم وثبطهم فقعدوا مع القاعدين من النساء والأطفال والعجز والمرضى، وقوله تعالى ﴿والله عليم بالظالمين﴾ الذين يعملون على إبطال دينه وهزيمة أوليائه. فلذا صرفهم عن الخروج معكم إلى قتال أعدائكم من الروم والعرب المتنصرة بالشام. وقوله تعالى في الآية الثانية (٤٨) ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾ بل من يوم هاجرت إلى المدينة ووجد بها الإسلام وهم يثيرون الفتن بين أصحابك للإيقاع بهم، وفي أحد رجع ابن أبي بثلث الجيش وهم بنو سلمة وبنو حارثة بالرجوع عن القتال لولا أن الله سلم ﴿وقلبوا لك الأمور﴾[2] وصرفوها في وجوه شتى بقصد القضاء على دعوتك فظاهروا المشركين واليهود في مواطن كثيرة وكان هذا دأبهم ﴿حتى جاء الحق﴾ بفتح مكة ﴿وظهر أمر الله﴾ بدخول أكثر العرب في دين الله ﴿وهم كارهون﴾ لذلك بل أسفون حزنون، ولذا فلا تأسفوا على عدم خروجهم معكم، ولا تحفلوا به أو تهتموا له، فإن الله رحمة بكم ونصراً لكم صرفهم عن الخروج معكم. فاحمدوا الله وأثنوا عليه بما هو أهله، ولله الحمد والمنة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ وجود منافقين في صفوف المؤمنين خطر عليهم وضرر كبير لهم فلذا ينبغي أن لا يُشركوا في أمر، وأن لا يعول عليهم في مهمة.

٢ـ وجوب الأخذ بالحيطة في الأمور ذات البال والأثر على حياة الإسلام والمسلمين.

---

(١) الإيضاع: سرعة السير، يقال: أوضع يوضع إيضاعاً إذا أسرع في سيره. قال دريد بن الصمة:

يا ليتني فيها جذع   أخبّ فيها وأضع

(٢) الأمور: جمع أمر وهو اسم مبهم كشيء، قال الشاعر:

ولكن مقادير جرت وأمور

والألف واللام للجنس: أي: أمور تعرفونها وأمور تنكرونها، وحتى: غائية لتقليبهم الأمور.

٣ـ المنافق يسوءه عزة الإسلام والمسلمين ويحزن لذلك.

٤ـ تدبير الله تعالى لأوليائه خير تدبير فلذا وجب الرضا بقضاء الله وقدره والتسليم به.

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ
سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ
مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟
وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ
أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

ومنهم : أي من المنافقين وهو الجد بن قيس.

إئذن لي : أي في التخلف عن الجهاد.

ولا تفتني : أي لا توقعني في الفتنة بدعوى أنه إذا رأى نساء الروم لا يملك نفسه.

حسنة تسؤهم : الحسنة كل ما يحسن من نصر وغنيمة وعافية ومعنى تسؤهم أي يكربون لها ويحزنون.

قد أخذنا أمرنا من قبل : أي احتطنا للأمر ولذا لم نخرج معهم.

إحدى الحسنين : الأولى الظفر بالعدو والانتصار عليه والثانية الشهادة المورثة للجنة.

فتربصـــوا : أي انتظروا فإنا معكم من المنتـظرين.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحـديث عن المنـافقين المتخلفين عن غزوة تبوك فيقول تعالى ﴿ومنهم من يقـول ائـذن لي﴾ أي في التخلف عن الجهاد،﴿ولا تفتني﴾ بإلزامك لي بالخروج أي لا توقعني في الفتنة، فقد روى أن النبي ﷺ قال له: هل لك في[1] بلاد بني الأصفر؟ فقال إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر[2] (وهم الروم) لا أصبر عنهن فأفتن، والقائل هذا هو الجد بن قيس أحد زعماء المنافقين في المدينة فقال تعالى دعاء عليه ورداً لباطله: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ وأي فتنة أعظم من الشرك والنفاق؟ ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ به وبأمثاله من أهل الكفر والنفاق، هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (٥٠) فقد تضمنت الكشف عما يقوله المنافقون في أنفسهم أنه إن تصب الرسول والمؤمنين حسنة من نصر أو غنيمة وكل حال حسنة يسؤهم ذلك أي يكربهم ويحزنهم، وإن تصبهم سيئة من هزيمة أو قتل وموت يقولوا فيما بينهم ﴿قد أخذنا أمرنا﴾ أي احتـطنـا للأمـر فلم نخـرج معهم ﴿ويتـولوا﴾ راجعين إلى بيوتهم وأهليهم ﴿وهم فرحـون﴾. هذا ما تضمنته الآية التي هي قوله تعالى ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم[3]، وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون[4]﴾ أما الآيتان الثالثة والرابعة (٥١ ـ ٥٢) فقد علم الله سبحانه وتعالى رسوله ما يقوله إغاظة لأولئك المنافقين وإخباراً لهم بما يسؤهم فقال ﴿قل لن يصيبنا﴾ أي من حسنة أو سيئة إلا ما كتب الله[5] لنا وما يكتبه ربنا لنا لن يكون إلا خيراً لأنه مولانا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ونحن مؤمنون وعلى

---

(١) في رواية ياجَدُّ هل لك في جلاد بني الأصفر لتتخذ منهم سراري ووصفاء فقال الجد الخ..

(٢) قيل: سمي الروم بني الأصفر: لأن الحبشة غزتهم وسبتهم فنشأ جيل أصفر اللون بين البياض والسواد، وهو اللون الأصفر.

(٣) ﴿إن تصبك حسنة﴾ جملة شرطية وجملة ﴿تسؤهم﴾ جواب وجزاء لها كما أن جملة ﴿وإن تصبهم﴾ شرط، والجزاء ﴿يقولوا﴾ الخ.

(٤) ﴿ويتولوا﴾ أي: راجعين إلى بيوتهم ومجالسهم وهم كافرون، فهم متولون في الحقيقة عن الإيمان ﴿فرحون﴾ أي: معجبون بنجاحهم المؤقت.

(٥) أي: في اللوح المحفوظ الذي هو كتاب المقادير، أو هو ما أخبرنا به كتابه القرآن الكريم مِن أنّا إمّا نظفر فيكون الظفر حسنى لنا وإمّا أن نقتل فتكون الشهادة حسنى لنا.

ربنا متوكلون، وقال له: ﴿قل هل تربصون بنا﴾[1] أي هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين[2]: النصر والظهور على أهل الشرك والكفر والنفاق أو الاستشهاد في سبيل الله، ثم النعيم المقيم في جوار رب العالمين وعليه ﴿فتربصوا إنا معكم متربّصون﴾[3]، وسوف لا نشاهد إلا ما يسرنا ويسوءكم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ فضيحة الجد بن قيس وتسجيل اللعنة عليه وتبشيره بجهنم.

٢ـ بيان فرح المنافقين والكافرين بما يسوء المسلمين، وبيان استيائهم لما يفرح المسلمين وهي علامة النفاق البارزة في كل منافق.

٣ـ وجوب التوكل على الله وعدم الاهتمام بأقوال المنافقين.

٤ـ بيان أن المؤمنين بين خيارين في جهادهم: النصـر أو الشهادة.

٥ـ مشروعية القول الذي يغيط العدو ويحزنه.

قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ
قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ
إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾
فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾

---

(١) التربص: الانتظار، والاستفهام للتوبيخ.

(٢) الحسنيان: هما الغنيمة والشهادة.

(٣) ﴿فتربصوا﴾ هذا الأمر للتهديد والوعيد، كأنما يقول لهم: انتظروا مواعد الشيطان فإنا مُنتظرون مواعد الرحمن، وشتان بين ما ننتظر وما تنتظرون!!

شرح الكلمات :

طوعاً أو كرهاً : أي وأنتم طائعون أو أنتم مكرهون على الانفاق.

إنكم كنتم قوماً فاسقين : الجملة علة لعدم قبول نفقاتهم.

كسالى : متثاقلون لعدم إيمانهم في الباطن بفائدة الصلاة.

فلا تعجبك أموالهم : أي لا تستحسنوا أيها المسلمون ما عند المنافقين من مال وولد.

وتزهق أنفسهم : أي تفيض وتخرج من أجسامهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تعليم الله رسوله ﷺ كيف يرد على المنافقين فقال له قل لهم أيها الرسول ﴿انفقوا﴾[1] حال كونكم طائعين أو مكرهين ﴿لن يتقبل منكم﴾،أي أخبرهم أن ما ينفقونه في هذا الخروج إلى تبوك وفي غيره سواء أنفقوه باختيارهم أو كانوا مكرهين عليه لن يتقبله الله منهم لأنهم[2] كانوا قوماً فاسقين بكفرهم بالله وبرسوله وخروجهم عن طاعتهما. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٣) أما الآية الثانية (٥٤) فقد أخبر تعالى عن الأسباب الرئيسية التي حالت دون قبول نفقاتهم وهي أولاً الكفر بالله وبرسوله،وثانياً اتيانهم الصلاة وهم كسالى كارهون،وثالثاً كراهيتهم الشديدة لما ينفقونه قال تعالى ﴿وما منعهم[3] أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى[4] ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾[5] هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٥) فإن الله تعالى ينهى رسوله والمؤمنين عن أن تعجبهم أموالهم وأولادهم مهما بلغت في الكثرة والحسن فيقول ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ أي لا تستحسنوها ولا تخبروهم بذلك. وبين تعالى لرسوله

---

(١) روي أن هذه الآية نزلت في الجد بن قيس إذ هو الذي قال للرسول ﷺ إئذن لي في القعود عن الخروج إلى قتال الروم وهذا مالي أعينك به والأمر في قوله: ﴿انفقوا﴾ للتسوية أي: انفقوا أولا تنفقوا فكلا الأمرين سواء، في عدم قبول ما تنفقون.

(٢) الجملة تعليلية أي: قوله: ﴿لن يتقبل منكم﴾ الخ ذكرت تعليلا لعدم قبول ما ينفقون.

(٣) هذا بيان للتعليل السابق في عدم قبول نفقاتهم مع ذكر أسباب أخرى حالت دون قبول ما ينفقون.

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا كان في جماعة صلى وإذا انفرد لم يصل. أي: المنافق لأنه لا يرجو على الصلاة ثواباً، ولا يخشى على تركها عقاباً وهذا منشأ الكسل في الصلاة وغيرها من سائر العبادات.

(٥) هنا مسألتان: الأولى: أنّ من مات على الكفر لا ينفعه ما عمله في الدنيا من خير إلاّ انه يخفف عنه العذاب لحديث أبي طالب، وأنه في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه. كما أنه قد يكون سببا في سعة رزقه في الدنيا للحديث، وأما الكافر فيطعم. الثانية أنّ من أسلم منهم يثاب على ما عمله من الخير أيام كفره.

علة اعطائهم ذلك وتكثيره لهم فقال ﴿إنما يريد الله ليعذبهم[1] بهَا في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ ووجه تعذيبهم بها في الحياة الدنيا أن ما ينفقونه من المال في الزكاة والجهاد يشعرون معه بألم لا نظير له لأنه إنفاق يعتبرونه ضدهم وليس في صالحهم، إذ لا يريدون نصر الإسلام ولا ظهوره، وأما أولادهم فالتعذيب بهم هو أنهم يشاهدونهم يدخلون في الإسلام ويعملون به ولا يستطيعون أن يردوهم عن ذلك، أيّ ألم نفسي أكبر من أن يكفر ولد الرجل بدينه ويدين بآخر من شروطه أن يبغض الكافر به ولو كان أباً أو أماً أو أخاً أو أختاً أو أقرب قريب؟ وزيادة على هذا يموتون وهم كافرون فينتقلون من عذاب إلى عذاب أشد، وبهذا سلى الرب تعالى رسوله والمؤمنين بيان علة ما أعطى المنافقين من مال وولد ليعذبهم بذلك لا ليسعدهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير مبدإ أن الرياء مبطلة للعمل كالشرك محبط للعمل[2].

٢ـ إطلاق الفسق على الكفر فكل كافر فاسق على الإطلاق.

٣ـ حرمة التكاسل في الصلاة وأن ذلك من صفات المنافقين.

٤ـ وجوب رضا النفس بما ينفق العبد في سبيل الله زكاة أو غيرها.

٥ـ كراهية استحسان المسلم لِماَ عند أهل الفسق والنفاق من مال ومتاع.

وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ

---

(١) فعل الإرادة يعدي بنفسه تقول: أردت خيراً، وعدي هنا باللام لأجل التعليل كقول الشاعر:
أريد لأنسى حبها فكأنما   تمثل لي ليلي بكل مكان

(٢) لقوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ الآية، وقول الرسول ﷺ في عبدالله بن جدعان وقد قالت له عائشة رضي الله عنها يارسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ قال: (لا ينفعه لأنه لم يقل يوماً ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين) رواه مسلم.

فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ
وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

وما هم منكم : أي في باطن الأمر لأنهم كافرون ووجوههم وقلوبهم مع الكافرين.

يفرقون : أي يخافون خوفاً شديداً منكم.

ملجأ : أي مكاناً حصيناً يلجأون إليه.

أو مغارات : جمع مغارة وهي الغار في الجبل.

أو مدخلاً : أي سرباً في الأرض يستتر فيه الخائف الهارب.

يجمحون : يسرعون سرعة تتعذر مقاومتها وإيقافها.

يلمزك : أي يعيبك في شأن توزيعها ويطعن فيك.

إذا هم يسخطون : أي غير راضين

حسبنا الله : أي كافينا الله كل ما يهمنا.

إلى الله راغبون : إلى الله وحده راغبون أي طامعون راجون.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في هتك أستار المنافقين وإظهار عيوبهم وكشف عوراتهم ليتوب منهم من أكرمه الله بالتوبة فقال تعالى عنهم ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾[1] أي من أهل ملتكم ودينكم، ﴿وما هم منكم﴾ أي في واقع الأمر إذ هم كفار منافقون ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ أي يخافون منكم خوفاً شديداً فلذا يحلفون لكم إنهم منكم لتؤمنوهم على أرواحهم وأموالهم، ولبيان شدة فرقهم منكم وخوفهم من سيوفكم قال تعالى: ﴿لو يجدون

(١) لأنهم يتخذون أيمانهم الكاذبة وقاية يتقون بها ما يخافونه من بطش المؤمنين بهم إذا عرفوا أنهم كافرون كما قال تعالى من سورتهم ﴿اتخذوا أيمانهم جنّة﴾.

ملجأ﴾[1] أي حصناً ﴿أو مغارات﴾ أي غيراناً في جبال ﴿أو مدخلاً﴾[2] أي سرباً في الأرض ﴿لولوا﴾ أي أدبروا اليها ﴿وهم يجمحون﴾[3] أي مسرعين ليتمنعوا منكم. هذا ما دلت عليه الآية الأولى والثانية أما الآية الثالثة والرابعة (٥٨ ـ ٥٩) فقد أخبر تعالى أن من المنافقين من يلمز الرسول ﷺ أي يطعن فيه ويعيبه في شأن قسمة الصادقات وتوزيعها فيتهم الرسول ﷺ بأنه لا يعدل في القسمة فقال تعالى ﴿ومنهم من يلمزك[4] في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا﴾ أي عن الرسول وقسمته ﴿وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ هذا ما تضمنته الآية (٥٨) وأما الآية الأخيرة (٥٩) فقد أرشدهم الله تعالى إلى ما كان ينبغي أن يكونوا عليه فقال عز وجل ﴿ ولو أنهم رضوا[5] ما آتاهم الله ورسوله﴾، أي من الصدقات ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ أي كافينا الله ﴿سيؤتينا الله من فضله﴾ الواسع العظيم ورسوله بما يقسم علينا ويوزعه بيننا ﴿إنا إلى الله﴾ وحده ﴿راغبون﴾ طامعون راجعون أي لكان خيراً لهم وأَدْرَكَ لحاجتهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ الأيمان الكاذب شعار المنافقين وفي الحديث آية المنافق ثلاث:
(إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان).

٢ـ الجبن والخور والضعف والخوف من لوازم الكفر والنفاق.

٣ـ عيب الصالحين والطعن فيهم ظاهرة دالة على فساد قلوب ونيات من يفعل ذلك

٤ـ مظاهر الرحمة الإلهية تتجلى في إرشاد المنافقين إلى أحسن ما يكونوا عليه ليكملوا

---

(١) الملجأ مكان اللجأ يقال لجأت إلى كذا: إذا أويت إليه واعتصمت به وألجأت أمري إليه أي: أسندته.

(٢) المدخل: مفتعل اسم كان للادّخال الذي هو افتعال من الدخول قلبت فيه تاء الافتعال دالاً لوقوعها بعد الدال فصارت مدخلا بدل متدخل، ونظيره: إدّان أصلها إتدان، وقرأها يعقوب وحده أو مدخلا بفتح الميم وإسكان الدال اسم مكان مِن دخل.

(٣) الجموح: نفور في إسراع.

(٤) روي أن النبي ﷺ أعطى بعض رعاة الغنم شيئا لفقرهم فطعن أبو الحواظ المنافق فقال: ما هذا بالعدل كيف يضع صدقاتكم في رعاء الغنم إعانة لهم. كما أنّ ذا الخويصرة التميمي واسمه حرفوص بن زهير وهو أصل الخوارج قال للرسول ﷺ: اعدل يا رسول الله فقال له: (ويلك ومَن يعدل إذا لم أعدل) فنزلت الآية وقال عمر دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: (معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي).

(٥) جواب لو محذوف تقديره: لكان خيرا لهم، وهو مذكور في التفسير في آخر الحديث.

ويسعدوا في الدارين.

٥ـ لا كافي إلا الله، ووجوب انحصار الرغبة فيه تعالى وحده دون سواه.

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾

شرح الكلمات:

الصدقات : جمع صدقة وهي هنا الزكاة المفروضة في الأموال.

للفقراء : جمع فقير وهو من ليس له ما يكفيه من القوت ولا يسأل الناس.

والمساكين : جمع مسكين وهو فقير ليس له ما يكفيه ويسأل الناس ويذل نفسه بالسؤال.

والعاملين عليها : أي على جمعها وجبايتها وهم الموظفون لها.

والمؤلفة قلوبهم : هم أناس يرجى إسلامهم أو بقاؤهم عليه إن كانوا قد أسلموا وهم ذوو شأن وخطر ينفع الله بهم إن أسلموا وحسن إسلامهم.

وفي الرقاب : أي في فك الرقاب أي تحريرها من الرق، فيعطى المكاتبون ما يسددون به نجوم أو أقساط كتابتهم.

وفي سبيل الله : أي الجهاد لإعداد العدة وتزويد المجاهدين بما يلزمهم من نفقة.

وابن السبيل : أي المسافر المنقطع عن بلاده ولو كان غنياً ببلاده.

فريضة من الله : أي فرضها الله تعالى فريضة على عباده المؤمنين.

معنى الآية الكريمة:

بمناسبة لمز المنافقين الرسول ﷺ والطعن في قسمته الصدقات بين تعالى في هذه الآية الكريمة أهل الصدقات المختصين بها. والمراد بالصدقات الزكوات وصدقة التطوع

فقال عز وجل ﴿إنما الصدقات﴾ محصورة في الأصناف الثمانية التي تذكر وهم :

(١) الفقراء[١] وهم المؤمنون الذين لا يجدون ما يسد حاجتهم الضرورية من طعام وشراب وكساء ومأوى.

(٢) المساكين[٢] وهم الفقراء الذين لا يجدون ما يسد حاجتهم ولم يتعففوا[٣] فكانوا يسألون الناس ويظهرون المسكنة[٤] لهم والحاجة.

(٣) الموظفين فيها من سعاة جباة وأمناء وكتاب وموزعين يعطون على عملهم فيها أجرة أمثالهم في العمل الحكومي.

(٤) المؤلفة قلوبهم وهم من يرجى نفعهم للإسلام والمسلمين لمناصبهم وشوكتهم في أقوامهم، فيعطون من الزكاة تأليفاً أي جمعاً لقلوبهم على الإسلام ومحبته ونصرته ونصرة أهله، وقد يكون أحدهم لم يسلم بعد فيعطى ترغيباً له في الإسلام، وقد يكون مسلماً لكنه ضعيف الإسلام فيعطى تثبيتاً له وتقوية على الإسلام.

(٥) في الرقاب وهو مساعدة المكاتبين على تسديد أقساطهم ليتحرروا أما شراء عبد بالزكاة وتحريره فلا يجوز لأنه يعود بالنفع على دافع الزكاة لأن ولاء المعتوق له.

(٦) الغارمين جمع غارم وهو من ترتبت عليه ديون بسبب ما أنفقه في طاعة الله تعالى على نفسه وعائلته، ولم يكن لديه مال لا نقد ولا عرض يسدد به ديونه.

(٧) في سبيل الله وهو تجهيز الغزاة والإنفاق عليهم تسليحاً وإركاباً وطعاماً ولباساً.

(٨) ابن السبيل وهم المسافرون ينزلون ببلد وتنتهي نفقتهم فيحتاجون فيعطون من الزكاة

---

(١) قيل: الفقير هو صفة مشبهة من الفقر أي المتصف بالفقر وهو: عدم امتلاك ما به الكفافة لحاجته المعاشية وضده الغنى، والمسكين: ذو المسكنة وهي المذلة التي تحصل بسبب الفقر، والفقير والمسكين يغني ذكر أحدهما عن الآخر، أمّا إذا ذكرا معاً فلكلّ واحد حقيقة كما تقدم، وفي أيّهما أشدّ فقراً خلاف، وأحسن ما قيل هو أنّ الفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه، والمسكين: الذي لا شيء له.

(٢) قال القرطبي: فائدة الخلاف في الفقراء والمساكين تظهر فيمن أوصى بثلث ماله لفلان وللفقراء والمساكين فمن قال هما صنف واحد يكون الثلث الموصى به نصفه لفلان ونصفه الآخر للفقراء، ومن قال: هما صنفان يقسم الثلث الموصى به بينهم أثلاثاً.

(٣) اختلف في حالة الفقر التي يصح للفقير أن يأخذ معها الزكاة، فمن قائل إن لم يكن له مائتا درهم جاز له أخذ الزكاة، ومن قائل: خمسون درهماً ومن قائل: أربعون درهما. ومن قائل: من كان قويا على الكسب لقوة بدنه فلا يعطى الزكاة لحديث: (لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرّة سوي).

(٤) ورد الوعيد الشديد فيمن يطلب الصدقة وهو غني عنها من ذلك قوله ﷺ: (من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار) رواه أبو داود. قالت العلماء: إنّ الذي له شبع يوم وليلة لا يحل له أن يسأل. اختلف في نقل الزكاة من بلد إلى بلد، والراجح: الجواز لضرورة الفقر وشدته.

ولو كانوا أغنياء ببلادهم.

وقوله تعالى ﴿فريضة من الله﴾[1] أي هذه الصدقات وقسمتها على هذا النحو جعله الله تعالى فريضة لازمة على عباده المؤمنين. وقوله ﴿والله عليم﴾ أي بخلقه وأحوالهم ﴿حكيم﴾ في شرعه وقسمته، فلذا لا يجوز أبداً مخالفة هذه القسمة فلا يدخل أحد فيعطى من الزكاة وهو غير مذكور في هذه الآية وليس شرطاً أن يعطى كل الأصناف فقد يعطى المرء زكاته كلها في الجهاد أو في الفقراء والمساكين، أو في الغارمين أو المكاتبين وتجزئة وإن كان الأولى أن يقسمها بين الأصناف المذكورة من وجد منها، إذ قد لا توجد كلها في وقت واحد.

هداية الآية

من هداية الآية :

١ـ تقرير فرضية الزكاة.

٢ـ بيان مصارف الزكاة.

٣ـ وجوب التسليم لله تعالى في قسمته بعدم محاولة الخروج عنها.

٤ـ إثبات صفات الله تعالى وهي هنا: العلم والحكمة، ومتى كان الله تعالى عليماً بخلقه وحاجاتهم حكيماً في تصرفه وشرعه وجب التسليم لأمره والخضوع له بالطاعة والانقياد.

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾
يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ

---

(١) ﴿فريضة﴾ منصوب على المصدر المؤكد إذ تقدير الكلام: إنما فرض الله الصدقات للفقراء والمساكين الخ.. فريضة منه تعالى وهو العليم بخلقه الحكيم في تدبيره وصنعه.

مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات :

يؤذون النبي : أي الرسول محمداً ﷺ، والأذى المكروه يصيب الإنسان كثيراً أو يسيراً.

هو أذن : أي يسمع من كل من يقول له ويحدثه وهذا من الأذى.

قل أذن خير لكم : أي هو يسمع من كل من يقول له لا يتكبر ولكن لا يقر إلا الحق ولا يقبل إلا الخير والمعروف فهو أُذن خيرٍ لكم لا أُذن شر مثلكم أيها المنافقون.

ويؤمن للمؤمنين : أي يصدق المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار أما غيرهم فإنه وإن يسمع منهم لا يصدقهم لأنهم كذبة فجرة.

والله : أحق أن يرضوه ورسورله أحق أن يرضوه.

من يُحادد الله ورسوله : أي يعاديهما، ويقف دائماً في حدّ وهما في حد فلا ولاء ولا موالاة أي لا محبة ولا نصرة.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في هتك أستار المنافقين وبيان فضائحهم قال تعالى: ﴿ومنهم[١] الذين يؤذون النبي﴾ أي من المنافقين أفراد يؤذون النبي بالطعن فيه وعيبه بما هو براء منه، ويبين تعالى بعض ذلك الأذى فقال ﴿ويقولون هو أذن﴾ أي **يسمع** كل ما يقال له، وحاشاه ﷺ أن يقر سماع الباطل أو الشر أو الفساد، وإنما يسمع ما كان خيراً ولو كان من منافق يكذب ويحسن القول. وأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقوله ﴿قل أذن خير[٢] لكم﴾ يسمع ما فيه خير لكم، ولا يسمع ما هو شر لكم. إنه لما كان لا يواجههم بسوء صنيعهم،

---

(١) قيل هذه الآية نزلت في عتّاب بن قشير إذ قال: إنما محمد أذن يقبل كل ما قيل له. وقيل: نزلت في نبتل بن الحارث الذي قال فيه الرسول ﷺ: (من أراد أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث) وكان ماكرا خبيثاً مشوّه الخلقة.

(٢) قرىء بالرفع والتنوين ﴿أذنٌ خيرٌ لكم﴾ وقرأ الجمهور بالإضافة: ﴿اذن خيرٍ﴾.

وقبح أعمالهم حملهم هذا الجميل والإحسان على أن قالوا: ﴿هو أذن﴾ طعناً فيه ﷺ وعيباً له. وقوله تعالى ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ هذا من جملة ما أمر الرسول ﷺ أن يقول للمنافقين رداً على باطلهم. أنه ﷺ يؤمن بالله رباً وإلهاً، ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ أي بصدقهم فيما يقولون وهذا من خيريّته ﷺ وقوله﴿ورحمة[1] للذين آمنوا منكم﴾أيضاً من خيريّته فهو ﷺ رحمة لمن آمن به واتبع النور الذي جاء به فكمل عليه وسعد به في حياتيه. وقوله تعالى ﴿والذين يؤذون رسول الله﴾ أي بأي نوع من الأذى قل أو كثر توعدهم الله تعالى بقوله ﴿لهم عذاب أليم﴾ وهو لا محالة نازل بهم وهم ذائقوه حتماً هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦١) أما الآية الثانية (٦٢) فقد أخبر تعالى عن المنافقين أنهم يحلفون للمؤمنين بأنهم ما طعنوا في الرسول ولا قالوا فيه شيئاً يريدون بذلك إرضاء المؤمنين حتى لا يبطشوا انتقاماً لكرامة نبيهم قال تعالى ﴿يحلفون بالله[2] لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق[3] أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ أي فبدل أن يرضوا المؤمنين كان الواجب أن يرضوا الله تعالى بالتوبة إليه ويرضوا الرسول بالإيمان ومتابعته إن كانوا كما يزعمون أنهم مؤمنون. وقوله في الآية الثالثة (٦٣) ﴿ألم يعلموا[4] أنه من يحادد الله ورسوله﴾ أي يشاقهما ويعاديهما فإن له جزاء عدائه ومحاربته نار جهنم خالداً فيها ﴿ذلك الخزي العظيم﴾ أي كونه في نار جهنم خالداً فيها لا يخرج منها هو الخزي العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

---

(١) روي أنّ نفراً من المنافقين منهم الجلاس بين سويد و وديعة بن ثابت فقالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شرّ من الحمير وبينهم غلام فغضب لقولهم هذا وأخبر به الرسول ﷺ فكذبوه في قوله فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿سيحلفون بالله لكم..﴾ الخ.

(٢) قال سيبويه: تقدير الكلام، والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه ثم حذف طلباً للإيجاز كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما … عندك راض والرأي مختلف

والحامل على هذا التقدير لأن الرسول ﷺ لم يرض بقول الرجل: ما شاء الله وشئت فقال له: (قل ما شاء الله وحده) لأنّ العطف بالواو لا يقتضي الترتيب.

(٣) الاستفهام للانكار والتوبيخ والمعنى: ألم يعلموا شأناً عظيماً هو من يجادل الله ورسوله له نار جهنم، والمحادة: المعاداة والمشاقة كأنّ كل واحد واقف في حدّ لا يتصل بالآخر، والفاء في ﴿فأن له﴾ لربط جواب شرط ﴿من﴾ وأعيدت أنّ في الجواب لتوكيد أنّ المذكورة قبل الشرط توكيداً لفظياً.

(٤) أي: وهو رحمة. على أنّ رحمة: خبر لمبتدأ محذوف وقرىء: ورحمةٍ بالجر عطفا على ﴿خيرٍ لكم﴾ وفيه بُعدٌ كبير.

١ـ حرمة أذية رسول الله بأي وجه من الوجوه.

٢ـ كون النبي ﷺ رحمة للمؤمنين دعوة للإيمان والإسلام.

٣ـ توعد الله تعالى من يؤذى رسوله بالعذاب الأليم دليل على كفر من يؤذي رسول الله ﷺ.

٤ـ بيان كذب المنافقين وجبنهم حيث يحلفون[1] للمؤمنين أنهم ما طعنوا في الرسول وقد طعنوا بالفعل، وإنما حلفهم الكاذب يدفعون به غضب المؤمنين والانتقام منهم.

٥ـ وجوب طلب رضا الله تعالى بفعل محابه وترك مساخطه.

٦ـ توعد من يحادد الله ورسوله بالعذاب الأليم.

يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

يحذر المنافقون : أي يخافون ويحترسون.

تنزَّل عليهم سورة : أي في شأنهم فتفضحهم بإظهار عيبهم.

---

(١) في الآية دليل جواز الحلف بالله وعدم جواز الحلف بغيره لقول الرسول ﷺ (من حلف فليحلف بالله أو ليصمت ومن حلف له فليصدق).

تنبّئهم بما في قلوبهم : أي تخبرهم بما يضمرونه في نفوسهم.

قل استهزئوا : الأمر هنا للتهديد.

مخرج ما تحذرون : أي مخرجه من نفوسكم مظهره للناس أجمعين.

نخوض ونلعب : أي نخوض في الحديث على عادتنا ونلعب لا نريد سباً ولا طعناً.

تستهزئون : أي تسخرون وتحتقرون.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المنافقين لكشف الستار عنهم وإظهارهم على حقيقتهم ليتوب منهم من تاب الله عليه قال تعالى مخبراً عنهم ﴿يحذّر[1] المنافقون أن تنزّل عليهم[2] سورة تنبّئهم بما في قلوبهم﴾ أي يخشى المنافقون أن تنزل في شأنهم على رسول الله ﷺ ﴿سورة تنبئهم﴾ أي تخبرهم بما في قلوبهم فتفضحهم، ولذا سميت هذه السورة بالفاضحة[3] وقوله تعالى لرسوله ﴿قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون﴾ يهددهم تعالى بأن الله مخرج ما يحذرون إخراجه وظهوره مما يقولونه في خلواتهم من الطعن في الإسلام وأهله. وقوله تعالى ﴿ولئن سألتهم﴾ أي عما قالوا من الباطل. لقالوا ﴿إنما كنا نخوض ونلعب[4]﴾ لا غير. قل لهم يا رسولنا ﴿أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ وذلك أن نفراً من المنافقين في غزوة تبوك قالوا في مجلس لهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ،ولا أجبن عند اللقاء!. فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزلت هذه الآيات: وجاءوا يعتذرون لرسوله الله فأنزل الله. ﴿لا تعتذروا[5] قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ أي الذي كنتم تدعونه، لأن الاستهزاء بالله والرسول والكتاب كفر مخرج من الملة، وقوله تعالى ﴿إن

---

(١) يروى أن أحد المنافقين قال: والله وددت لو أني قُدّمت فجُلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا فنزلت الآية: ﴿يحذر المنافقون..﴾ وهي خبر وإن قال بعضهم هي إنشاء بمعنى: ليحذر المنافقون.

(٢) معلوم أن القرآن ينزل على الرسول ﷺ وقوله: ﴿عليهم﴾ بمعنى المؤمنين لأنهم والرسول في جانب والمنافقون في آخر، فصحّ أن يقال: تنزل على المؤمنين، والرسول معهم، وهو المختص بالوحي.

(٣) وسميت أيضاً: المثيرة، والمبعثرة والحفارة لأنها أثارت كامن المنافقين وبعثرته وحفرت ما في قلوبهم وأخرجته.

(٤) ذكر الطبري أنّ قائلِ هذه المقالة: وديعة بن ثابت قال ابن عمر: رأيته معلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ يماشيها والحجارة تنكبه وهو يقول: إنّما كنّا نخوض ونلعب والرسول ﷺ يقول: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون.

(٥) ﴿لا تعتذروا﴾ نهاهم عن الاعتذار لأنه غير نافع لهم ولا مجدٍ واعتذر بمعنى: اعذر أي صار ذا عذر، والاعتذار محو أثر الموجدة أو هو القطع، أي: قطع ما في القلب من الموجدة، ومنه قيل: عدرة الغلام: وهو ما يقطع منه عند الختان.

نعف عن طائفة منكم﴾ لأنهم يتوبون كمخشي بن حمير،[1] ﴿نعذب طائفة﴾ أخرى لأنهم لا يتوبون وقوله تعالى ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ علة للحكم بعذابهم وهو إجرامهم بالكفر والاستهزاء بالمؤمنين إذ من جملة ما قالوه: قولهم في الرسول ﷺ "يظن هذا ـ يشيرون إلى النبي وهم سائرون ـ يفتح قصور الشام وحصونها" فأطلع الله نبيه عليهم فدعاهم فجاءوا واعتذروا بقولهم إنا كنا نخوض[2] أي في الحديث ونلعب تقصيراً للوقت، ودفعاً للملل عنا والسآمة فأنزل تعالى ﴿قل أبالله﴾ الآية.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ الكشف عن مدى ما كان يعيش عليه المنافقون من الحذر والخوف.

٢ـ كفر من استهزأ بالله أو آياته أو رسوله.

٣ـ لا يقبل اعتذار[3] من كفر بأي وجه وإنما التوبة أو السيف فيقتل كفراً.

٤ـ مصداق ما أخبر به تعالى من أنه سيعذب طائفة فقد هلك عشرة بداء الدبيلة «خراج يخرج من الظهر وينفذ ألمه إلى الصدر فيهلك صاحبه حتماً».

ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ

(١) هو مخشي بن حمير الأشجعي وقد تاب عند سماعه هذه الآية وحسن إسلامه.

(٢) الخوض: الدخول في الماء، ثم استعمل في كل دخول فيه تلويث وأذى.

(٣) اختلف العلماء في الهزل في سائر الأحكام كالبيع والنكاح والطلاق على ثلاثة أقوال لا يلزم مطلقاً، يلزم مطلقاً، التفرقة بين البيع وغيره، وهذا الراجح، لأنّ النكاح والطلاق والعتاق ورد فيها النص من السنة لحديث الترمذي وحسنه مع وصفه بالغرابة وبه العمل عند جماهير الصحابة والتابعين والفقهاء وهو: (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة) وحديث الموطأ: (ثلاث ليس فيهن لعب: النكاح والطلاق والعتق).

فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾
كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

المنافقون : أي الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ويسترون الكفر في قلوبهم.

بعضهم من بعض[1] : أي متشابهون في اعتقادهم وقولهم وعملهم فأمرهم واحد.

بالمنكر : أي ما ينكره الشرع لضرره أو قبحه وهو الكفر بالله ورسوله.

عن المعروف : أي ما عرفه الشرع نافعاً فأمر به من الإيمان والعمل الصالح.

يقبضون أيديهم : أي يمسكونها عن الإنفاق في سبيل الله.

نسوا الله فنسيهم : أي تركوا الله فلم يؤمنوا به وبرسوله فتركهم وحرمهم من توفيقه وهدايته.

عذاب مقيم : أي دائم لا يزول ولا يبيد.

---

(١) ﴿بعضهم من بعض﴾: أي: هم كالشيء الواحد في الخروج عن الدين، أو هم متشابهون في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

بخلاقهم : أي بنصيبهم وحظهم من الدنيا.
وخضتم : أي في الكذب والباطل.
والمؤتفكات : أي المنقلبات حيث صار عاليها سافلها وهي ثلاث مدن.[1]
بالبينات : الآيات الدالة على صدقهم في رسالاتهم إليهم.

معنى الآيات:

ما زال السياق في هتك استار المنافقين وبيان فضائحهم لعلهم يتوبون. قال تعالى ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ أي كأبعاض الشيء الواحد وذلك لأن أمرهم واحد لا يختلف بعضهم عن بعض في المعتقد والقول والعمل بيّن تعالى حالهم بقوله ﴿يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾ وهذا دليل على انتكاسهم وفساد قلوبهم وعقولهم، إذ هذا عكس ما يأمر به العقلاء، والمراد من المنكر الذي يأمرون به هو الكفر والعصيان، والمعروف الذي ينهون عنه هو الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما. وقوله تعالى ﴿ويقبضون أيديهم﴾ كناية عن الإمساك وعدم البذل في الإنفاق في سبيل الله.[2] وقوله ﴿نسوا الله﴾ فلم يؤمنوا به ولم يؤمنوا برسوله ولم يطيعوا الله ورسوله ﴿فنسيهم﴾ الله بأن تركهم محرومين من كل هداية ورحمة ولطف. وقوله ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ تقرير لمعنى ﴿نسوا الله فنسيهم﴾، إذ كفرهم بالله وبرسوله هو الذي حرمهم هداية الله تعالى ففسقوا سائر أنواع الفسق فكانوا هم الفاسقين الجديرين بهذا الوصف وهو الفسق والتوغل فيه. وقوله تعالى في الآية (٦٨) ﴿وعد[3] الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم﴾[4] أي كافيهم ﴿ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ أي دائم لا يزول ولا يبيد ولا يفنى فقد حملت هذه الآية أشد وعيد لأهل النفاق والكفر إذ توعدهم الرب تعالى بنار جهنم خالدين فيها وبالعذاب المقيم الذي لا يبارحهم ولا يتركهم لحظة أبد الأبد وذلك بعد أن لعنهم الله فأبعدهم وأسحقهم من كل رحمة وخير. وفي الآية الثالثة (٦٩) يأمر

---

(١) هي: سدوم، وعمورة، وأرمة، وكانت مدناً متتاخمة بعضها قريب من بعض.

(٢) أي: وصفهم بالبخل والشح كما قال تعالى: ﴿أشحة على الخير﴾ كما أن امتناعهم عن الخروج إلى الجهاد يعتبر قبضا لأيديهم.

(٣) الأصل أن الوعد يكون في الخير والإيعاد يكون في الشر، وإطلاق الوعد على الوعيد كما هو هنا تهكم بهم.

(٤) ﴿هي حسبهم﴾ مبتدأ وخبر ومعناه: أنها كافية ووفاء لجزاء أعمالهم.

تعالى رسوله أن يقول للمنافقين المستهزئين بالله وآياته ورسوله: أنتم أيها المنافقون كأولئك الذين كانوا من قبلكم في الاغترار بالمال والولد والكفر بالله والتكذيب لرسله حتى نزل بهم عذاب الله ومضت فيهم سنته في إهلاكهم هذا ما تضمنته الآية الكريمة إذ قال تعالى ﴿كالذين من قبلكم[1] كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم﴾ أي بنصيبهم الذي كتب لهم في الدنيا ﴿فأستمتعتم بخلاقكم﴾ أي بما كتب لكم في هذه الحياة الدنيا ﴿كما استمتع الذين من قبلكم﴾ أي سواء بسواء ﴿وخضتم﴾ في الباطل والشر وبالكفر والتكذيب ﴿كالذي خاضوا[2]﴾ أي كخوضهم سواء بسواء أولئك الهالكون ﴿حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ أي تلاشت وذهبت ولم ينتفعوا منها بشيء، ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾. وبما أنكم أيها المنافقون تسيرون على منهجهم في الكفر والتكذيب والاغترار بالمال والولد فسوف يكون مصيركم كمصيرهم وهو الخسران المبين. وقوله تعالى في الآية الرابعة (٧٠) ﴿ألم يأتهم[3] نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم[4] رسلهم بالبينات﴾ أي الآيات الدالة على توحيد الله وصدق رسوله وسلامة دعوتهم كما جاءكم أيها المنافقون رسولنا محمد ﷺ بالبينات فكذبتم كما كذب الذين من قبلكم فنزل بهم عذاب الله فهلك قوم نوح بالطوفان وعاد بالريح العاتية، وثمود بالصاعقة، وقوم إبراهيم[5] بسلب النعم وحلول النقم، وأصحاب مدين بالرجفة وعذاب الظلمة، والمؤتفكات[6] بالمطر والإئتفاك أي القلب بأن أصبح أعالي مدنهم الثلاث[7] أسافلها، وأسافلها أعاليها، وما ظلمهم الله تعالى بما أنزل عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وأنتم أيها المنافقون إن لم تتوبوا إلى ربكم سيحل بكم ما حل بمن قبلكم أو أشد لأنكم لم تعتبروا بما سبق.

---

(١) الكاف: في محل نصب أي: وعدكم الله أيها المنافقون والمنافقات كما وعد الذين من قبلكم نار جهنم تخلدون فيها.
(٢) الكاف: في محل نصب نعت لمصدر محذوف أي: وخضتم خوضاً كالذي خاضوا أي: في الباطل والشر والفساد. والذي بمعنى الجمع، ويجوز أن يكون الذين محذوف النون على لغة هذيل قال شاعرهم:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم   هم القوم كل القوم يا أم خالد

(٣) الاستفهام للتقرير، والتحذير بمعنى: ألم يسمعوا بإهلاكنا الكفار من قبلهم؟
(٤) أي بدلائل الحق والصدق، والجملة تعليلية.
(٥) هم نمرود بن كنعان وقومه.
(٦) قوم لوط عليه السلام.
(٧) تقدمت أسماء هذه المدن قريبا.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ إن المنافقين لما كان مرضهم واحد وهو الكفر الباطني كان سلوكهم متشابها .

٢ـ الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف علامة النفاق وظاهرة الكفر وانتكاس الفطرة .

٣ـ الاغترار بالمال والولد من عوامل عدم قبول الحق والإذعان له والتسليم به .

٤ـ تشابه حال البشر واتباع بعضهم لبعض في الباطل والفساد والشر .

٥ـ حبوط الأعمال بالباطل وهلاك أهلها أمر مقضى به لا يتخلف .

٦ـ وجوب الاعتبار بأحوال السابقين والاتعاظ بما لاقاه أهل الكفر منهم من عذاب .

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

شـرح الكلمـات :

والمؤمنـون : أي الصادقون في إيمانهم بالله ورسوله ووعد الله ووعيده .

أولياء بعـض : أي يتولّى بعضهم بعضاً في النّصرة والحماية والمحبة والتأييد .

ويقيمون الصـلاة : أي يؤدونها في خشوع وافية الشروط والأركان والسنن والآداب .

ويؤتـون الزكاة : أي يخرجـون زكـاة أمـوالهم الصـامتـة كالـدراهم والـدنانير والمعشرات والناطقة كالأنعام : الإبل والبقر والغنم .

في جنات عـدن : أي إقامة دائمة لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها.[1]

ورضوان من الله أكبر : أي رضوان الله الذي يحله عليهم أكبر من كل نعيم في الجنة.

معنى الآيتين :

بمناسبة ذكر المنافقين وبيان سلوكهم ونهاية أمرهم ذكر تعالى المؤمنين وسلوكهم الحسن ومصيرهم السعيد فقال ﴿والمؤمنون والمؤمنات﴾ أي المؤمنون بالله ورسوله ووعده ووعيده والمؤمنات بذلك ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أي يوالي بعضهم بعضاً محبة ونصرة[2] وتعاوناً وتأييداً ﴿يأمرون بالمعروف﴾ وهو ما عرفه الشرع حقاً وخيراً من الإيمان وصالح الأعمال، ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو ما عرفه الشرع باطلاً ضاراً فاسداً من الشرك وسائر الجرائم فالمؤمنون والمؤمنات على عكس المنافقين والمنافقات في هذا الأمر وقوله تعالى ﴿ويقيمون[3] الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ والمنافقون لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى فهم مضيعون لها غير مقيمن لها، ويقبضون أيديهم فلا ينفقون، والمؤمنون يطيعون الله ورسوله،[4] والمنافقون يعصون الله ورسوله، المؤمنون سيرحمهم الله،[5] والمنافقون سيعذبهم الله، ﴿إن الله عزيز﴾ غالب سينجز وعده ووعيده ﴿حكيم﴾ يضع كل شيء في موضعه اللائق به فلا يعذب المؤمنين وينعّم المنافقين بل ينعّم المؤمنين ويعذب المنافقين.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٧٢) ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ أي من خلال قصورها وأشجارها ﴿خالدين فيها ومساكن﴾ أي قصوراً طيبة في غاية النظافة وطيب الرائحة ﴿في جنات عدن[6]﴾ أي إقامة»وقوله ﴿ورضوان من الله﴾

---

(١) قال تعالى من سورة الكهف: ﴿لايبغون عنها حولا﴾ أي: تحولا لأنّ نعيمها لا يُمل ولا تتشوق النفس لغيره أبدا.

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبّك بين أصابعه وقوله ﷺ في الصحيح: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).

(٣) يشمل اللفظ: الصلوات الخمس والنوافل كما شمل الزكوات المفروضة والصدقات إذ المدح يحصل بهما معاً فرضا ونفلا.

(٤) أي: يؤدون الفرائض والسنن فعلا ويجتنبون المنهيات والمكروهات تركاً.

(٥) السين في ﴿سيرحمهم﴾ للتأكيد وتحمل معنى الخوف والرجاء وهما جناحا المؤمنين لا يطيرون في سماء الكمالات إلا بهما.

(٦) شاهدهُ في الصحيح قوله ﷺ: (جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاّ رداء الكبر على وجهه في جنة عدن) وقوله أيضاً في الصحيح: (إنّ للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفةطولها ستون ميلا في السماء، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهن لا يرى بعضهم بعضا).

أي يحله عليهم أكبر من الجنات والقصور وسائر أنواع النعيم. وقوله ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ ذلك المذكور من الجنة ونعيمها ورضوان الله فيها هو الفوز العظيم. والفوز هو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب. هذا الوعد الإلهي الصادق للمؤمنين والمؤمنات يقابله وعيد الله تعالى للمنافقين والكفار في الآيات السابقة، ونصه ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- بيان صفات المؤمنين والمؤمنات والتي هي مظاهر إيمانهم وأدلته.

٢- أهمية صفات أهل الإيمان وهي الولاء لبعضهم بعضاً، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، طاعة الله ورسوله.

٣- بيان جزاء أهل الإيمان في الدار الآخرة وهو النعيم المقيم في دار الإسلام.

٤- أفضلية رضا[1] الله تعالى على سائر النعيم.

٥- بيان معنى الفوز وهو النجاة من النار، ودخول الجنة.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ

(١) أخرج الشيخان البخاري ومسلم، ومالك في الموطأ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّ الله عزّ وجلّ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير بين يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون يارب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا).

ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

شـرح الكلمات :

جاهد الكفـار : ابذل غاية جهدك في قتال الكفار والمنافقين.

واغلظ عليـهم : أي في القول والفعل أي شدد عليهم ولا تلن لهم.

كلمة الكفـر : أي كلمة يكفر بها من قالها وهي قول الجلاس بن سويد: إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن شرّ من الحمير.

وهموا بما لم ينالوا : أي هموا بقتل النبي ﷺ في مؤامرة دنيئة[1] وهم عائدون من تبوك.

وما نقموا إلا أن أغناهم : أي ما أنكروا أو كرهوا من الإسلام ورسوله إلا أن أغناهم الله بعد فقر أعلى مثل هذا يهمون بقتل رسول الله؟

معنى الآيتين :

يأمـر تعـالى رسـوله محمداً ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين فيقول﴿يا أيها النبي[2] جاهد الكفار والمنافقين﴾ وجهاد الكفار يكون بالسلاح وجهاد المنافقين يكون باللسان،[3] وقوله تعالى ﴿واغلظ عليهم[4]﴾ أي شدد عملك وقولك،فلا هوادة مع من كفر بالله ورسوله، ومع من نافق الرسول والمؤمنين فأظهر الإيمان وأسر الكفر وقوله تعالى ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ أي جهنم يريد ابذل ما في وسعك في جهادهم قتلاً وتأديباً هذا لهم في الدنيا، وفي الآخرة مأواهم جهنم وبئس المصير، وقوله تعالى في الآية الثانية (٧٤) ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا﴾ هذا الكلام علّة للأمر بجهادهم والإغلاظ عليهم.ان قول الجلاس بن سويد المنافق: لئن كان ما جاء به محمـد حقاً لنحن شر من الحمير سمعه منه أحد المؤمنين فبلغه رسول الله ﷺ فجاء

---

(١) اقرأ نصها في التفسير فإنها واضحة ومختصرة.

(٢) يدخل في هذا الخطاب أمته ﷺ.

(٣) بأن يقول لهم الكلمة الغليظة الشديدة ويكفهر في وجوههم أي: يعبس ولا يبسط وجهه فيهم.

(٤) هذه الآية نسخت كل شيء من العفو، والصفح الذين كان الرسول ﷺ يؤمر بهما إزاء المشركين والمنافقين.

الجلاس يعتذر ويحلف بالله ما قال الذي قال فأكذبه الله تعالى في قوله في هذه الآية ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ والسياق دال على تكرر مثل هذا القول الخبيث وهو كذلك. وقوله تعالى ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾[١] يعني المنافقين الذين تآمروا على قتل النبي ﷺ عند عودته من تبوك في عقبةٍ في الطريق إلا أن الله فضحهم وخيّب مسعاهم ونجى رسوله منهم حيث بعث عمار بن ياسر يضرب وجوه الرواحل لما غشوه فردوا وتفرقوا بعد أن عزموا على أن يزاحموا رسول الله وهو على ناقته بنوقهم حتى يسقط منها فيهلك أهلكهم الله. وقوله تعالى ﴿وما نقموا﴾[٢] أي وما كرهوا من رسول الله ولا من الإسلام شيئاً إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله وهل الغنى بعد الفقر مما ينقم منه، والجواب لا ولكنه الكفر والنفاق يفسد الذوق والفطرة والعقل أيضاً.

ومع هذا الذي قاموا به من الكفر والشر والفساد يفتح الرب الرحيم تبارك وتعالى باب التوبة في وجوههم ويقول ﴿فإن يتوبوا﴾[٣] من هذا الكفر والنفاق والشر والفساد ﴿يك﴾[٤] ذلك ﴿خيراً لهم﴾ حالاً ومآلاً أي في الدنيا والآخرة، ﴿وإن يتولوا﴾ عن هذا العرض ويرفضوه فيصرون على الكفر والنفاق ﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً﴾ أي موجعاً في الدنيا بالقتل والخزي، وفي الآخرة بعذاب النار، ﴿ومالهم في الأرض من ولي﴾[٥] يتولاهم ولا ناصر ينصرهم، أي وليس لهم في الدنيا من ولي يدفع عنهم ما أراد الله أن ينزله بهم من الخزي والعذاب وما لهم من ناصر ينصرهم بعد أن يخذلهم الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرج مسلم عن حذيفة: (أن اثني عشر رجلا سمّاهم رسول الله ﷺ فعدهم حذيفة واحدا واحدا قال قلت: يا رسول الله ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال: أكره أن يقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيهم الله بالدّبلة) وهي خراج يظهر في الظهر وينصب على الصدر يقتل صاحبه فورا.

(٢) أي: ليس بنقمون شيئا إلا أنهم كانوا فقراء فأغناهم الله بما كان الرسول ﷺ يعطيهم من الغنائم، قيل لأحدهم: هل تجد في القرآن نظير قولهم اتق شر من أحسنت إليه؟ قال: نعم هو قوله تعالى: ﴿وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾.

(٣) هذه الجملة متفرعة عن الكلام السابق وهي من باب ذكر الوعد بعد الوعيد والترغيب بعد الترهيب، وهو أسلوب القرآن الكريم.

(٤) حذفت نون ﴿يك﴾ تخفيفا إذ الأصل يكن.

(٥) هذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿يعذبهم الله﴾ وهي وإن كانت اسمية لا يمتنع أن تكون جواباً ثانياً معطوفا على جملة الجزاء، لأنه يغتفر في التابع مالا يغتفر في المتبوع، فالجزاء جزاءان، الأول: تعذيبهم والثاني: انعدام الولي والنصير لهم في الأرض كلها.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ بيان آية السيف[1] وهي ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين﴾ .

٢ـ تقرير مبدأ الردة وهي أن يقول المسلم كلمة الكفر فيكفر بها وذلك كالطعن في الإسلام أو سب الله أو رسوله ﷺ أو التكذيب بما أمر الله تعالى بالإيمان به والتصديق بضده أي بما أمر الله بتكذيبه .

٤ـ تقرير مبدأ التوبة من كل الذنوب ، وأن من تاب تقبل توبته .

٤ـ الوعيد الشديد لمن يصر على الكفر ويموت عليه .

۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

ومنهم : أي من المنافقين .

لئن آتانا من فضله : أي مالاً كثيراً .

بخلوا به : أي منعوه فلم يؤدوا حقه من زكاة وغيرها .

فأعقبهم نفاقاً : أي فأورثهم البخل نفاقاً ملازماً لقلوبهم لا يفارقها إلى يوم يلقون

(١) يروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: سيوف الله أربعة: واحد على المشركين قال تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين..﴾ وثان على الكافرين قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر..﴾ وثالث على المنافقين: قال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين..﴾ ورابع على البغاة. قال تعالى: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾.

الله تعالى .

بما أخلفوا الله : أي بسبب إخلافهم ما وعدوا الله تعالى به .

سرهم ونجـواهـم : أي ما يسرونه في نفوسهم ويخفونه ، وما يتناجون به فيما بينهم .

عــلام الغيـوب : يعلم كل غيب في الأرض أو في السماء .

معنى الآيـات :

ما زال السياق في المنافقين وهم أصناف وهذا صنف[(١)] آخر منهم قد عاهد الله تعالى لئن أغناهم من فضله وأصبحوا ذوي ثروة ومال كثير ليصدقن منه ولينفقنّه في طريق البر والخير، فلما أعطاهم الله ما سألوا وكثر مالهم شحوا به وبخلوا ، وتولوا عما تعهدوا به وما كانوا عليه من تقوى وصلاح ، وهم معرضون . فأورثهم هذا البخل وخلف الوعد والكذب ﴿نفاقاً في قلوبهم[(٢)]﴾ لا يفارقهم حتى يلقوا ربهم . هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿ومنهم من عاهد[(٣)] الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم[(٤)] من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ . أما الآية الأخيرة (٧٨) وهي قوله تعالى ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجـواهم وأن الله علام الغيوب؟؟﴾ فإنها تضمنت توبيخ الله تعالى للمنافقين الذين عاهدوا الله وأخلفوه بموقفهم الشائن كأنهم لا يعلمون أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأنه تعالى علام الغيوب،وإلا كيف يعدونه ويحلفون لهأم يحسبون أن الله لا يسمع سرهم ونجواهم فموقفهم هذا موقف مخز لهم شائن ، وويل لهم حيث لازمهم ثمرته وهو النفاق حتى الموت وبهذا أغلق باب التوبة في وجوههم وهلكوا مع الهالكين .

---

(١) قال قتادة: هذا رجل من الأنصار قال: لئن رزقني الله شيئا لأدين فيه حقه ولأتصدقن فلما آتاه الله ذلك فعل ما قُصّ عليكم فاحذروا الكذب فإنه يؤدي إلى الفجور.

(٢) ﴿نفاقا﴾ نكرة أي : نفاقاً ما من نوع من أنواع النفاق وليس هو نفاق الكفر وإنّما هو نفاق العمل .

(٣) الآية صريحة ودلالتها واضحة في أنّ أحد أفراد المؤمنين سأل الله المال سواء بواسطة الرسول ﷺ كأن قال له ادع الله لي ، أو سأل بنفسه وقطع عهداً لربه بما ذكر في الآية ، ولما أخلف ما عاهد الله عليه أصيب بمرض النفاق في قلبه ـ والعياذ بالله تعالى ـ وهل هو ثعلبة بن حاطب أو غيره أما ثعلبة فقد شهد بدراً ، وأهل بدر ذُكر لهم وعد عظيم ، فلا يصح أن يكون أحدهم وقع في هذه الفتنة وإن كان غيره فهو حق ، وجائز أن يكون هذا الغير اسمه ثعلبة فتشابه الاسم بالاسم فظُن أنه البدري وليس هو والله أعلم. هذا والله إني لخائف من هذه الآية أن تنطبق عليّ فاللهم عفوك وغفرانك لي .

(٤) صيغة الجمع تدل على أن من عاهد الله لم يكن فردا واحداً بل كان جماعة ولذا قال الضحاك : إن الآية نزلت في رجال من المنافقين : نبتل بن الحارث والجد بن قيس ومعتب بن قشير إلاّ أن قوله تعالى : ﴿فأعقبهم نفاقاً﴾ يتنافى مع كونهم منافقين ، إلاّ أن يقال : زادهم نفاقاً خُلْفهم هذا على نفاقهم الأول . والله أعلم .

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب الوفاء بالعهود وخاصة عهود[1] الله تعالى .

٢ـ ذم البخل وأهله .

٣ـ تقرير مبدأ أن السيئة يتولد عنها سيئة .

٤ـ جواز تقريع وتأنيب أهل الباطل .

٥ـ وجوب مراقبة الله تعالى إذ لو راقب هؤلاء المنافقون[2] الله تعالى لما خرجوا عن طاعته .

ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾

شـرح الكلـمات :

يلمـزون : أي يعيبون ويطعنون .

---

(١) اختلف في نية الطلاق أو الصدقة بدون أن يلفظ هل يلزمه ما نواه بقلبه أو لا يلزمه، الراجح : أنه لا يلزمه ما لم يتلفظ به والدليل في قوله ﷺ (إنّ الله تجاوز لأمتي عمّا حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به) رواه الترمذي وقال فيه حسن صحيح، والشاهد في قوله: (أو تتكلم به) والعمل بهذا عند أهل العلم.

(٢) جاء في الصحيح قوله ﷺ (آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان) وفي حديث آخر: (أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) واختلف العلماء في تأويل هذين الحديثين، وقسموا النفاق إلى اعتقادي وعملي، فالاعتقادي: ماكان صاحبه كافرا بالله ورسوله مكذبا لهما، والعملي: ما كان صاحبه مؤمنا مصدقا ولكن يأتي هذه المحظورات جهلا وفسقا. وهذا صحيح. ولكن لا يتأتى لعبد يؤمن بالله ورسوله أن يتعمد الكذب على المسلمين وإخلاف الوعد لهم، والغدر بهم، وخيانتهم في أماناتهم والفجور في التخاصم معهم، ومن هنا كان المطلوب اجراء الخبر على ظاهره ما دام العبد يتعمد هذه المحظورات نكاية بالمسلمين وبغضا لهم وعدم اعتراف بحقوقهم وظلما واعتداء عليهم، إذ مثل هذا لا يكون معه إيمان بالله ورسوله ﷺ.

المطوّعين : أي المتصدقين بأموالهم زيادة على الفريضة.
إلا جهدهم : إلا طاقتهم وما يقدرون عليه فيأتون به.
فيسخرون منهم : أي يستهزئون بهم احتقاراً لهم.
استغفر لهم : أي اطلب لهم المغفرة أو لا تطلب.
لا يهدي القوم الفاسقين : أي إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم وذلك لتوغلهم في العصيان.

معنى الآيتين:

ما زال السياق في التنديد بالمنافقين وكشف عوارهم فقد أخبر تعالى أن ﴿الذين يلمزون[1] المطوعين[2] من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم[3] فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾. أخبر تعالى أنه سخر منهم جزاء سخريتهم بالمتصدقين وتوعدهم بالعذاب الأليم. وكيفية لمزهم المتطوعين أن النبي ﷺ دعا إلى الصدقة فإذا جاء الرجل بمال كثير لمزوه وقالوا مراء، وإذا جاء الرجل بالقليل لمزوه وقالوا: الله غني عن صاعك هذا فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ففضحهم وسخر منهم وتوعدهم بأليم العذاب وأخبر نبيه أن استغفاره لهم وعدمه سواء فقال ﴿استغفر لهم[4] أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ وبين علة ذلك بقوله ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله﴾، وهذه العلة كافية في عدم المغفرة لهم لأنها الكفر والكافر مخلد في النار. وأخبر تعالى أنه حرمهم الهداية فلا يتوبوا فقال ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ لأن الفسق قد أصبح وصفاً لازماً لهم فلذا هم لا يتوبون، وبذلك حرموا هداية الله تعالى.

---

(١) أخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أمرنا بالصدقة فكنا نحامل على ظهورنا فتصدق أبو عقيل بنصف صاع، قال: وجاء انسان بشيء أكبر منه فقال المنافقون إنّ الله لغني عن صدقة هؤلاء، وما فعل هذا الآخر إلّا رياء فنزلت: ﴿الذين يلمزون المطوّعين..﴾ الآية.

(٢) أصل المطوّعين: المتطوعين ادغمت التاء في الطاء لقرب مخرجيهما وهم: الذين يفعلون الشيء تبرعا من غير أن يجب عليهم.

(٣) الجهد: شيء قليل يعيش به المقل والجهد والجهد بالفتح أيضا: الطاقة والسخرية: الاستهزاء، وعاملهم الله تعالى بالمثل فسخر منهم وهم لا يشعرون.

(٤) بيد أنه لما نزلت الآيات الفاضحة للمنافقين جاء بعضهم يعتذرون ويطلبون من الرسول ﷺ أن يستغفر لهم فاستغفر لهم رحمة بهم فأعلمه ربّه تعالى أنّ استغفاره لهؤلاء المنافقين مهما بلغ من الكثرة لا ينفعهم وذلك لكفرهم ونفاقهم وفسقهم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ حرمة لمز المؤمن والطعن فيه .

٢ـ حرمة السخرية بالمؤمن .

٣ـ غيرة الله على أوليائه حيث سخر الله ممن سخر من المطوعين .

٤ـ من مات على الكفر لا ينفعه الاستغفار له، بل ولا يجوز الاستغفار له .

٥ـ التوغل في الفسق أو الكفر أو الظلم يحرم صاحبه الهداية .

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن
تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟
مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾

شـرح الكلمـات :

فرح المخلفون : أي سرّ الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ .

وقالوا: لا تنفروا في الحر : أي قال المنافقون لبعضهم بعضاً لا تخرجوا للغزو في الحر.

لو كانوا يفقهون : أي لو كانوا يفقهون أسرار الأمور وعواقبها ونتائجها لما قالوا: لا تنفروا في الحر ولكنهم لا يفقهون .

فليضحكوا قليلاً وليبكوا : أي في الدنيا، وليبكوا كثيراً في الدار الآخرة .

فإن رجعك الله إلى

طائفة منهم : أي من المنافقين.

فاقعدوا مع الخالفين : أي المتخلفين عن تبوك من النساء والأطفال وأصحاب الأعذار.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المنافقين فقال تعالى مخبراً عنهم ﴿فرح المخلفون﴾[(١)] أي سرّ المتخلفون ﴿بمقعدهم خلاف[(٢)] رسول الله﴾ أي بقعودهم بعد رسول الله ﷺ في المدينة ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ في سبيله، وكرههم هذا للجهاد هو ثمرة نفاقهم وكفرهم وقولهم ﴿لا تنفروا في الحر﴾ لأن غزوة تبوك كانت في شدة الحر، قالوا هذا لبعضهم بعضاً وهنا أمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم قولهم هذا فقال ﴿قل نار جهنم أشد حراً﴾ فلماذ لا يتقوها بالخروج في سبيل الله كما يتقون الحر بعدم الخروج، وقوله تعالى ﴿لو كانوا يفقهون﴾ أي لما تخلفوا عن الجهاد لأن نار جهنم أشد حراً، ولكنهم لا يفقهون وقوله تعالى ﴿فليضحكوا قليلاً﴾[(٣)] أي في هذه الحياة الدنيا بما يحصل لهم من المسرات ﴿وليبكوا كثيراً﴾ أي يوم القيامة لما ينالهم من الحرمان والعذاب، وذلك كان ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ من الشر والفساد، وقوله تعالى لرسوله ﷺ ﴿فإن رجعك الله إلى طائفة منهم﴾[(٤)] أي فإن ردك الله سالماً من تبوك إلى المدينة إلى طائفة من المنافقين ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ معك لغزو وجهاد ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً، ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ وعلة ذلك ﴿أنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾[(٥)] أي من النساء

---

(١) ﴿المخلفون﴾ هم المتركون في المدينة تركهم رسول الله ﷺ والمؤمنون لأنهم غير أهل لصحبة رسول الله ﷺ فلذا كره الله انبعاثهم فثبطهم أما هم فإنهم فرحوا بتخلفهم عن رسول الله ﷺ لنفاقهم وفسقهم.

(٢) ﴿خلاف﴾ لغة في خلف، واختير لفظ خلاف إشارة إلى أنّ المنافقين يحبّون مخالفة رسول الله ﷺ والمؤمنين، وقعودهم وإن كان بإذن فإنه مخالف لإرادة رسول الله ﷺ إذ الرسول ﷺ أمر بالنفير العام وجاءوا هم يستأذنون في القعود.

(٣) ﴿فليضحكوا﴾ أمر، ومعناه التهديد أي: فليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا في الآخرة كثيرا، أو هو أمر بمعنى الخبر وهو صحيح إذ هذا هو حالهم ومنتهى أمرهم.

(٤) قوله: ﴿إلى طائفة﴾ دليل على أن من المتخلفين ما كانوا منافقين ككعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع العامري.

(٥) ﴿الخالفين﴾ جمع خالف، كأنهم خلفوا الخارجين في ديارهم، واختيار لفظ الخالفين يحمل سبًّا لهم وعيباً، إذ الخالفون النساء، وخلف الشيء إذا فسد، ومنه خلوف فم الصائم، ومنه خلف اللبن: إذا فسد بطول المكث في الإناء، وفي هذا دليل على أن استصحاب المخذل الفاسد في الغزوات لا يليق.

والأطفال فإن هذا يزيد في همهم ويعظم حسرتهم جزاء تخلفهم عن رسول الله وكراهيتهم الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ من علامات النفاق الفرح بترك طاعة الله ورسوله.

٢ـ من علامات النفاق كراهية طاعة الله ورسوله.

٣ـ كراهية الضحك والإكثار منه.[1]

٤ـ تعمد ترك الطاعة قد يسبب الحرمان منها.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

شـرح الكلـمات :

ولا تصل على أحد : أي صلاة الجنازة.

ولا تقم على قبره : أي لا تتول دفنه والدعاء له كما تفعل مع المؤمنين.

وماتوا وهم فاسقون : أي خارجون عن طاعة الله ورسوله.

وتزهق أنفسهم : أي تخرج أرواحهم بالموت وهم كافرون.

معنى الآيتين :

ما زال السياق في شأن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك، وإن كانت هذه الآية

(١) صح عنه ﷺ أنه قال: (والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله تعالى) وورد أن كثرة الضحك تميت القلب وكان النبي ﷺ جل ضحكه الابتسام.

نزلت في[1] شأن عبدالله بن أبي بن سلول كبير المنافقين وذلك أنه لما مات طلب ولده الحباب الذي سماه رسول الله ﷺ عبدالله وقال له الحباب اسم الشيطان وسماه عبدالله جاءه فقال يا رسول الله إن أبي قد مات فأعطني قميصك[2] أكفنه فيه «رجاء بركته» وصل عليه واستغفر له يا رسول الله فأعطاه رسول الله ﷺ القميص وقال له إذا فرغتم فآذنوني فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر وقال له: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين فقال بل خيرني فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم. فصلى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ولا تصل على أحد منهم[3] مات أبداً، ولا تقم على قبره﴾ أي لا تتول دفنه والدعاء له بالتثبيت عند المسألة. وعلل تعالى لهذا الحكم بقوله ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾، وقوله ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾ أي لا تصل[4] على أحد منهم مات يا رسول الله ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾ فتصلي عليهم.إني إنما أعطيتهم ذلك لا كرامة لهم وإنما لأعذبهم بها في الدنيا بالغموم والهموم ﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي ويموتوا ﴿وهم كافرون﴾ فسينقلون إلى عذاب أبدي لا يخرجون منه، وذلك جزاء من كفر بالله ورسوله.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ حرمة الصلاة على الكافر مطلقاً.

٢ـ حرمة غسل الكافر والقيام على دفنه والدعاء له.

---

(١) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾ وما في التفسير من خبر ابن أبيّ رواه مسلم.

(٢) فإن قيل: كيف يعطي الرسول ﷺ قميصه ليكفن فيه رئيس المنافقين وكيف صلى عليه واستغفر له وهو يعلم أنّه منافق؟ والجواب: أما اعطاؤه ثوبه ليكفن فيه فقد سبق أن أعطى عبدالله بن أبي ثوبا للعباس عم الرسول ﷺ فحفظ له هذه اليد فأعطاه ثوبه وأما الصلاة عليه فقد كانت قبل نهي الله تعالى عنها، وأما الاستغفار فقد خير فيه بقوله ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ فرأى ﷺ في استغفاره استئلافا للقلوب ففعل.

(٣) في الآية دليل على فرضية الصلاة على أموات المسلمين، ولا خلاف في هذا بين أهل العلم، وفي الآية إحدى موافقات عمر رضي الله عنه إذ أنزل الله تعالى هذا الحكم وهو ترك الصلاة على المنافقين بعد أن قال عمر: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين، فالصلاة هنا هي الدعاء والاستغفار فلما صلى عليه نزلت الآية ﴿ولا تصل على أحد . . ﴾ الخ فترك الصلاة على المنافقين.

(٤) صلاة الجنازة هي: أن يكبر ثم يقرأ الفاتحة ثم يكبر ويصلي على النبي ﷺ ثم يكبر ويدعو للميت، ثم يكبر الرابعة ويسلم لفعل الرسول ﷺ هذا وقوله: (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء) رواه أبو داود، ويستحب أن يقف الإمام عند رأس الرجل، وعجيزة المرأة، لورود الحديث بذلك في مسلم وأبي داود.

٣ـ كراهة الصلاة على أهل الفسق دون الكفر.

٤ـ حرمة الإعجاب بأحوال الكافرين المادية .

وَإِذَآ
أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ
أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾
رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ
لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ
جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ
ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ
﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

استأذنك : أي طلبوا إذنك لهم بالتخلف .

أولوا الطول منهم : أي أولو الثروة والغنى .

ذرنا نكن مع القاعدين : أي اتركنا مع المتخلفين من العجزة والمرضى والأطفال والنساء .

مع الخوالف : أي مع النساء جمع خالفة المرأة تخلف الرجل في البيت إذا غاب .

طبع على قلوبهم : أي توالت ذنوبهم على قلوبهم فأصبحت طابعاً عليها فحجبتها المعرفة.

لهم الخيرات : أي في الدنيا بالنصر والغنيمة. وفي الآخرة بالجنة والكرامة فيها.

وأولئك هم المفلحون : أي الفائزون بالسلامة من المخوف والظفر بالمحبوب.

المعذرون : أي المعتذرون.

وقعد الذين كذبوا الله : أي ولم يأت الى طلب الإذن بالقعود عن الجهاد منافقوا الأعراب.

معنى الآيات :

ما زال السياق في كشف عورات المنافقين وبيان أحوالهم فقال تعالى ﴿وإذا أنزلت سورة﴾[1] أي قطعة من القرآن آية أو آيات ﴿أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله﴾[2] أي تأمر بالإيمان بالله والجهاد مع رسوله ﴿استأذنك أولوا الطول منهم﴾[3] أي من المنافقين ﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ أي المتخلفين عن الجهاد للعجز كالمرضى والنساء والأطفال قال تعالى: في عيبهم وتأنيبهم ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ أي مع النساء وذلك لجبنهم وهزيمتهم النفسية وقوله تعالى ﴿وطبع على قلوبهم﴾ أي طبع الله على قلوبهم بآثار ذنوبهم التي رانت على قلوبهم فلذا هم لا يفقهون معنى الكلام وإلا لما رضوا بوصمة العار وهي أن يكونوا في البيوت مع النساء هذه حال المنافقين وتلك فضائحهم إذا أنزلت سورة تأمر بالإيمان والجهاد يأتون في غير حياء ولا كرامة يستأذنون في البقاء مع النساء ﴿لكن[4] الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ ولم يستأذنوا ففازوا بكرامة الدنيا

---

(١) السورة. طائفة من آيات القرآن لها مبدأ ومختم، والمراد بالسورة هنا: هذه السورة (التوبة) أو بعض آياتها الآمرة بالجهاد والإيمان.

(٢) ﴿أن آمنوا﴾ أن: تفسيرية فسرت مضمون السورة وهو الإيمان والجهاد.

(٣) أي: في القعود والتخلف عن الجهاد وهم أصحاب القدرة على الجهاد لصحة أجسامهم وكثرة أموالهم أما العجزة فإنهم غير مأمورين بالجهاد، والطول معناه: الغنى والقدرة المالية.

(٤) قوله: ﴿لكن﴾ الخ استدراك بيّن فيه تعالى حال الرسول ﷺ والمؤمنين وأنها أكمل الأحوال بعد ذكر حال المنافقين وما هم عليه من صفات النقص إذ أخبر أنهم لجبنهم يطلبون القعود عن الجهاد وأنهم لما ران على قلوبهم من أوضار الكفر والفسق لا يفقهون الكلام ولا يعرفون ما يضرهم ولا ما ينفعهم بخلاف الرسول والمؤمنين فقد ذكر صفاتهم الكمالية، وهي الجهاد بالمال والنفس وما فازوا به من عظيم الخيرات، وما آلوا إليه من الفلاح وهو النجاة من المرهوب والظفر بالمحبوب.

والآخـرة قال تعالى ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾[1] أي في الدنيا بالانتصارات والغنائم وفي الآخرة بالجنة ونعيمها ورضوان الله فيها. وقال ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي الفائزون بالسلامة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب وفسر تعالى تلك الخيرات وذلك الفلاح بقوله في الآية (٨٩) فقال ﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ وأخبر عما أعد لهم من ذلك النعيم المقيم بأنه الفوز فقال ﴿ذلك الفوز العظيم﴾. هذا ما دلت عليه الآيات الأربع أما الآية الخامسة (٩٠) فقد تضمنت إخبار الله تعالى عن منافقي الأعراب أي البادية، فقال تعالى ﴿وجاء المعذرون﴾[2] أي المعتذرون ادغمت التاء في الذال فصارت المعذرون من الأعراب أي من سكان البادية كأسد وغطفان ورهط عامر بن الطفيل جاءوا يطلبون الإذن من رسول الله ﷺ بالتخلف بدعوى الجهد والمخمصة، وقد يكونون معذورين حقاً وقد لا يكونون كذلك. وقوله ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ في دعوى الإيمان بالله ورسوله وما هم بمؤمنين بل هم كافرون منافقون، فلذا قال تعالى فيهم ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ في الدنيا وفي الآخرة، إن ماتوا على كفرهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ القرآن هو مصدر التشريع الإلهي الأول والسنة الثاني.

٢ـ مشروعية الاستئذان للحاجة الملحة.

٣ـ حرمة الاستئذان للتخلف عن الجهاد مع القدرة عليه.

٤ـ حرمة التخلف عن الجهاد بدون إذن من الإمام.

٥ـ فضل الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله.

٦ـ بيان عظم الأجر وعظيم الجزاء لأهل الإيمان والجهاد.

---

(١) الخيرات: جمع خير على غير قياس كسرادقات، وحمامات جمع سرادق وحمام.

(٢) ﴿المعذرون﴾ هذا اللفظ صالح لأن يكون المراد به المعتذرون لعلل قامت بهم وصالح لأن يكون المراد به المعذرون وهم الذين لا عذر لهم ويعتذرون بغير حق موجب للعذر يقال: عذر فلان: إذا قصّر في الواجب واعتذر بدون عذر قام به. وهذا من بلاغة القرآن، اللفظ الواحد منه يحتمل وجهين وكلاهما حق ومراد.

لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾

شرح الكلمات :

على الضعفاء: أي كالشيوخ. **ولا على المرضى**: كالعمى والزَمْنَى

حرج : أي إثم على التخلف.

إذا نصحوا لله ورسوله : أي لا حرج عليهم في التخلف إذا نصحوا لله ورسوله وذلك بطاعتهم لله ورسوله مع تركهم الإرجاف والتثبيط.

ما على المحسنين من سبيل : أي من طريق إلى مؤاخذتهم.

لتحملهم : أي على رواحل يركبونها.

تولوا : أي رجعوا الى بيوتهم.

تفيض من الدمع : أي تسيل بالدموع الغزيرة حزناً على عدم الخروج.

معنى الآيتين :

لما ندد تعالى بالمتخلفين وتوعد بالعذاب الأليم الذين لم يعتذروا منهم ذكر في هذه الآيات أنه لا حرج على أصحاب الأعزار وهم الضعفاء، كالشيوخ والمرضى والعميان وذوو العرج[1] والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون ولكن بشرط نصحهم لله ورسوله فقال عز

(١) شاهده من سورة الفتح: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ وقوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾.

وجل ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾ أي إثم ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾[1] ومعنى النصح لله ورسوله طاعتهما في الأمر والنهي وترك الإرجاف والتثبيط والدعاية المضادة لله ورسوله والمؤمنين والجهاد في سبيل الله وقوله تعالى ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ أي ليس على من أحسنوا في تخلفهم لأنه أولاً بعذر شرعي[2] وثانياً هم مطيعون لله ورسوله وثالثاً قلوبهم ووجوههم مع الله ورسوله وإن تخلفوا بأجسادهم للعذر فهؤلاء ما عليهم من طريق إلى انتقاصهم أو أذيتهم بحال من الأحوال، كما ليس من سبيل ﴿على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ إلى الجهاد معك في سيرك ﴿قلت﴾ معتذراً إليهم ﴿لا أجد ما أحملكم عليه تولوا﴾ أي رجعوا إلى منازلهم وهم يبكون والدموع تفيض من أعينهم[3] حزناً ﴿ألا يجدوا ما ينفقون﴾ في سيرهم معكم وهم نفر منهم العرباض بن سارية وبنو مقرن وهم بطن من مزينة. رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ لا حرج على أصحاب الأعذار الذين ذكر الله تعالى في قوله ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ وفي هذه الآية ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ حرج وبشرط طاعة الله والرسول فيما يستطيعون والنصح[4] لله والرسول بالقول والعمل وترك التثبيط والتخذيل والإرجاف من الإشاعات المضادة للإسلام والمسلمين.

---

(١) قال القرطبي : ﴿نصحوا لله ورسوله﴾ إذا عرفوا الحق وأحبّوا أولياءه وأبغضوا أعداءه، ومع قبول أعذار أصحاب الأعذار فقد خرج ابن ام مكتوم إلى أحد وهو رجل أعمى، وطلب أن يُعطى الراية ليحملها، وخرج عمرو بن الجموح وهو أعرج خرج إلى أحد فقال له رسول الله ﷺ : (إنّ الله قد عذرك) فقال : والله لأحفرنّ بعرجتي هذه في الجنة.

(٢) روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من وادٍ إلاّ وهم معكم فيه، قالوا : يارسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: حبسهم العذر؟)

(٣) ﴿حزناً﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله، وجملة : ﴿وأعينهم﴾ : حال من ﴿تولوا﴾.

(٤) النصح : إخلاص العمل من الغش يقال: نصح الشيء: إذا خلص، ونصح له القول: أي أخلصه له. وفي صحيح مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة ـ ثلاثا ـ قلنا لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ذكر القرطبي معاني هذه النصائح بالتفصيل عند تفسير هذه الآية فليرجع إليها من طلب ذلك.

٢ـ مظاهر الكمال المحمدي في تواضعه ورحمته وبره وإحسانه إلى المؤمنين

٣ـ بيان ما كان عليه أصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار من الإيمان واليقين والسمع والطاعة والمحبة والولاء ورقة القلوب وصفاء الأرواح.

اللهم إنا نحبهم بحبك فأحببنا كما أحببتهم واجمعنا معهم في دار كرامتك.

۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟
مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾
يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟
لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى
ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ
بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟
عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن
تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾

شرح الكلمات :

إنما السبيل : أي الطريق إلى المعاقبة.

أغنياء : واجدون لأهبة الجهاد مع سلامة أبدانهم.

الخوالف : أي النساء والأطفال والعجزة.

إذا رجعتم إليهم : أي إذا عدتم إليهم من تبوك، وكانوا بضعاً وثمانين رجلاً.

لن نؤمن لكم : أي لن نصدقكم فيما تقولون.

ثم تُردُّون : أي يوم القيامة.

إذا انقلبتم : أي رجعتم من تبوك.

لتُعرِضوا عنهم : أي لا تعاقبـوهم .

رجـــس : أي نَجَس لخُبْث بواطنهم .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في المُخَلَّفين من المنافقين وغير المنافقين فقال تعالى ﴿إنما السبيل﴾[1] أي الطريق إلى عقاب المخلَّفين على الذين يستأذنونك في التخلُّف عن الغزو وهم أغنياء أي ذوو قُدرة[2] على النفقة والسير ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ أي النساء ﴿وطبع الله على قلوبهم﴾ بسبب ذنوبهم فهم لذلك لا يعلمون أن تخلفهم عن رسول الله لا يُجديهم نفعاً وأنه يجرُّ عليهم البلاء الذي لا يطيقونه. هؤلاء هُم الذين لكم سبيل على عقابهم ومؤاخذتهم، لا على الذين لا يجدون ما ينفقون، وطلبوا منك حملاناً فلم تجد ما تحملهم عليه فرجعوا إلى منازلهم وهم يبكون حزنا. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٣) أما الآيات الثلاث بعدها فهي في المخلَّفين من المنافقين يخبر تعالى عنهم فيقول ﴿يعتـذرون إليكم إذا رجعتم إليهم﴾ يطلبـون العذر منكم إذا رجعتم إلى المدينة من غزوكم. قل لهم يا رسولنا لا تعتذروا لأننا لا نؤمن لكم أي لا نصدقكم فيما تقولونه، لأن الله تعالى قد نَبَّأنَا من أخباركم[3] وسيرى الله عملكم[4] ورسوله. إن أنتم تبتم فأخلصتم دينكم لله، أو أصررتم على كفركم ونفاقكم، وستُردُّون بعد موتكم إلى عالم الغيب والشهادة وهو الله تعالى فينبئكم يوم القيامة بعد بعثكم بما كنتم تعملون من حسنات أو سيئآت ويجـزيكم بذلك الجزاء العادل. وقوله تعالى ﴿سيحلفون[5] بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين فيقول سيحلف لكم هؤلاء المخلَّفون إذا رجعتم إليهم أي إلى المدينة من أجل أن تعرضوا عنهم فأعرضوا[6] عنهم أي لا تؤاخذوهم ولا تلتفوا إليهم إنهم رجْس أي نَجَس، ومأواهم جهنم جزاء لهم بما كانوا يكسبونه من

---

(١) أي: العقوبة والإثم.

(٢) هؤلاء هم المنافقون تردد ذكرهم تنديداً بهم وكشفاً لحالهم وتحذيرا من سلوكهم.

(٣) أي: أطلعنا على سرائركم وما تخفي نفوسكم.

(٤) أي: ما تستأنفونه من أعمال بعد اليوم صالحة أو طالحة.

(٥) أي: بأنهم ما قدروا على الخروج لأعذار لهم يدّعونها كذباً لتصفحوا عنهم، وتتركوا لومهم وعتابهم.

(٦) الفاء تفريعية أي: إذا كانوا يريدون الإعراض عنكم فأعرضوا عنهم وجملة: ﴿إنهم رجس﴾: تعليلية أي علة للإذن لهم بالإعراض عنهم يريد: إنهم ذوو رجس.

الكفر والنفاق والمعاصي. وقوله تعالى ﴿يحلفون لكم﴾[1] معتذرين بأنواع من المعاذير لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فلن ينفعهم رضاكم شيئاً لأنهم فاسقون والله لا يرضى عن القوم الفاسقين وما دام لا يرضى عنهم فهو ساخط عليهم، ومن سخط الله عليه أهلكه وعذبه فلذا رضاكم عنهم وعدمه سواء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ لا سبيل إلى أذيَّة المؤمنين الصادقين إذا تخلَّفوا فإنهم ما تخلفوا إلا لعذر. وإنما السبيل على الأغنياء القادرين على السير إلى الجهاد وقعدوا عنه لنفاقهم.

٢ـ مشروعية الاعتذار على شرط أن يكون المرء صادقاً في اعتذاره.

٣ـ المنافقون كالمشركين رجْس أي نَجَس لأن بواطنهم خبيثة بالشرك والكفر وأعمالهم الباطنة خبيثة أيضاً إذْ كلها تآمر على المسلمين ومكر بهم وكيد لهم.

٤ـ حرمة الرضا على الفاسق المجاهر بفسقه، إذ يجب بُغْضه فكيف يُرضى عنه ويُحب؟

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

شرح الكلمات :

---

(١) المراد به: عبدالله بن أبيّ إذ حلف أن لا يتخلّف بعد اليوم عن رسول الله ﷺ وطلب أن يرضى عنه.

الأعــراب[1] : جمع أعرابي وهو من سكن البادية.

أشد كفراً ونفاقاً : أي من كفار ومنافقي الحاضرة.

وأجــدر[2] : أي أحق وأولى.

حدود ما أنزل الله : أي بشرائع الإسلام.

مغرمــا : أي غرامـة وخسـراناً.

ويتربــص : أي ينتظـر.

الدوائـــر : جمع دائرة: ما يحيط بالإنسان من مصيبة أو نكبة.

دائــرة السـوء : أي المصيبة التي تسوءهم ولا تسرهم وهي الهلاك.

قـــربات : جمع قربة وهي المنزلة المحمودة.

وصلوات الرسول : أي دعاؤه لهم بالخير.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الكشف عن المنافقين وإعدادهم للتوبة أو للقضاء عليهم ففي الآية الأولى (٩٧) يخبر تعالى أن الأعراب[3] وهم سكان البادية من العرب أشد كفراً ونفاقاً من كفار الحَضَر ومنافقيهم. وإنهم أجدر أي أخلق وأحق أي بأن لا يعلموا حدود ما أنـزل الله على رسـولـه أي من الأحكـام[4] والسنن وذلك لبعدهم عن الاتصال بأهل الحاضرة وقوله تعالى ﴿والله عليم حكيم﴾ أي عليم بخلقه حكيم في شرعه فما أخبر به هو الحق الـواقع، وما قضى به هو العدل الواجب. وقوله تعالى في الآية الثانية (٩٨) ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً﴾[5] أي من بعض الأعراب من يجعـل ما ينفقه في الجهاد غرامة لزمَتْه وخسارة لحقَتْه في ماله وذلك لأنه لا يؤمن بالثواب والعقاب الأُخروي

---

(١) والعرب: جيل من الناس واحدهم عربي وهم أهل الأمصار، والعرب العاربة: هم الخلص، والمستعربة هم الذين ليسوا بخلّص كأولاد اسماعيل عليه السلام، ويعرب بن قحطان هو أوّل من تكلّم بالعربية وهو أبو اليمن كلها.

(٢) ﴿أجدر﴾ مأخوذ من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء.

(٣) لمّا ذكر تعالى حال منافقي الحضر ذكر هنا حال منافقي البادية ليُعرف الجميع.

(٤) وكذلك لا يعلمون حجج الله تعالى في ألوهيته وبعثة رسوله لقلّة نظرهم وسوء فهمهم، ولذا لا حق لهم في الفيء، والغنمية إلا أن يجاهدوا أو يتحولوا إلى الحواضر ويتركوا البادية لحديث مسلم. واختلف في صحة شهادة البادي على الحاضر، والراجح أنها تصح إذا كان عدلاً. وتكره إمامتهم لأهل الحضر عند مالك، وذلك لجهلهم بالشريعة وتركهم الجمعة.

(٥) أي غرما وخسرانا، وأصله لزوم الشيء، ومنه ﴿إن عذابها كان غراما﴾ أي: لازما.

لأنه كافر بالله ولقاء الله تعالى. وقوله عز وجل ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ أي وينتظر بكم أيها المسلمون الدوائر متى تنزل بكم فيتخلص منكم ومن الانفاق لكم والدوائر جمع دائرة المصيبة والنازلة من الأحداث وقوله تعالى ﴿عليهم دائرة السوء﴾[1] هذه الجملة دعاء عليهم. جزاء ما يتربصون بالمؤمنين. وقوله ﴿والله سميع عليم﴾ أي سميع لأقوالهم عليم بنياتهم فلذا دعا عليهم بما يستحقون. وقوله تعالى في الآية الثالثة (٩٩) ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر[2] ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول﴾[3] إخبار منه تعالى بأن الأعراب ليسوا سواء بل منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر، فلذا هو يتخذ ما ينفق من نفقة في الجهاد قربات عند الله أي قرباً يتقرب بها إلى الله تعالى، ووسيلة للحصول على دعاء الرسول له، لأن الرسول ﷺ كان إذا أتاه المؤمن بزكاته أو صدقته يدعو له بخير، كقوله لعبد الله بن أبي أوفى: اللهم صل على آل أبي أوفى، وقوله تعالى ﴿ألا إنها قربة لهم﴾ إخبار منه تعالى بأنه تقبلهامنهموصارت قربة[4] لهم عنده تعالى، وقوله تعالى ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ بشرى لهم بدخول الجنة، وقوله ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يؤكد وعد الله تعالى لهم بإدخالهم في رحمته التي هي الجنة فإنه يغفر ذنوبهم أولاً، ويدخلهم الجنة ثانياً هذه سنته تعالى في أوليائه، يطهرهم ثم ينعم عليهم بجواره.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن سكان البادية يُحرمون من كثير من الآداب والمعارف فلذا سكن البادية غير محمود إلا إذا كان فراراً من الفتن.

٢ـ من الأعراب المؤمن والكافر والبر والتقي والعاصي والفاجر كسكان المدن إلا أن كفار البادية ومنافقيها أشد كفراً ونفاقاً لتأثير البيئة.

٣ـ فضل النفقة في سبيل الله والإخلاص فيها لله تعالى.

---

(١) قرىء ﴿السُّوء﴾ بالفتح والضم إلا قوله: ﴿وما كان أبوك امرأ سوء﴾ فإنه بالفتح لا غير، إذ السُوء بالضم: المكروه، والسوء بالفتح: الفساد. امرؤ سوء: أي: فاسد.

(٢) قيل: هم بنو مُقَرِّن من مزينة.

(٣) صلوات الرسول هي استغفاره ودعاؤه لهم بالخير والبركة.

(٤) أي: تقرّبهم من الله تعالى.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ
مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

شرح الكلمات :

والسابقون : أي إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد.

اتبعوهم بإحسان : أي في أعمالهم الصالحة.

رضي الله عنهم : بسبب طاعتهم له وإنابتهم إليه وخشيتهم منه ورغبتهم فيما لديه.

ورضوا عنه : بما أنعم عليهم من جلائل النعم وعظائم المِنَنْ.

وممن حولكم : أي حول المدينة من قبائل العرب.

مردوا : مرقوا وحذقوه وعتوْا فيه.

سنعذبهم مرتين : الأولى قد تكون فضيحتهم بين المسلمين والثانية عذاب القبر.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿والسابقون[1] الأولون من المهاجرين والأنصار[2]﴾ وهم الذين سبقوا غيرهم

(١) ﴿السابقون﴾ هم الذين صلّوا إلى القبلتين وأفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقون من المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوات بالحديبية، وأفضلهم أبو بكر على الإطلاق.

(٢) ﴿الأنصار﴾: هم من أسلم من الأوس والخزرج بالمدينة ولم يعرفوا في الجاهلية بهذا الاسم وإنما سماهم الله تعالى به في الإسلام.

إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد، والذين اتبعوهم[1] في ذلك وأحسنوا أعمالهم فكانت موافقة لما شرع الله وبين رسوله محمد ﷺ؛الجميع رضي الله عنهم بإيمانهم وصالح أعمالهم، ورضوا عنه بما أنالهم من إنعام وتكريم، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً أي وبشرهم بما أعد لهم من جنات وقوله ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ أي ذلك المذكور من رضاه تعالى عنهم ورضاهم عنه وإعداد الجنة لهم هو الفوز العظيم، والفوز السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب فالنجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٠) وأما الآية الثانية فقد تضمنت الإخبار بوجود منافقين في الأعراب[2] حول المدينة، ومنافقين في داخل المدينة، إلا أنهم لتمرسهم وتمردهم في النفاق أصبحوا لا يُعرفون، لكن الله تعالى يعلمهم هذا معنى قوله تعالى ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا[3] على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾، وقوله تعالى ﴿سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ وعيد لهم نافذ فيهم لا محالة وهو أنه تعالى سيعذبهم في الدنيا مرتين مرة بفضحهم أو بما شاء من عذاب ومرة في قبورهم، ثم بعد البعث يردهم إلى عذاب النار وهو العذاب العظيم، وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٠٢) ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا[4] عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ هؤلاء أُناس آخرون تخلفوا عن الجهاد بغير عذر وهم أبولبابة ونفر معه ستة أو سبعة أنفار ربطوا أنفسهم في سواري المسجد لما سمعوا ما نزل في المتخلفين وقالوا لن نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله ﷺ خلطوا عملاً صالحاً وهو إيمانهم وجهادهم وإسلامهم وعملاً سيئاً وهو تخلفهم عن غزوة تبوك بغير عذر، فقوله تعالى ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ إعلامهم بتوبة الله تعالى عليهم فجاء رسول الله ﷺ فحل رباطهم وقالوا لرسول الله ﷺ هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها واستغفر لنا فقال ماأُمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً.

---

(١) التابعون: جمع تابع أو تابعي، وهم الذين صحبوا الصحابة، وأكبر التابعين: الفهقاء السبعة وهم: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، وعبدالله بن عتبة بن مسعود، وسليمان بن يسار. وكلهم من المدينة النبوية وأفضل نساء التابعين حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبدالرحمن وأم الدرداء.

(٢) الأحياء الذين كانوا حول المدينة هم: مزينة وجهينة وأسلم، وغفار وأشجع ولحيان وعصيّة وكان منهم منافقون.

(٣) يقال: مرد على الأمر: إذا مرن عليه ودرب به، ومنه الشيطان المارد سئل حذيفة عن المنافقين فأخبر أنهم اثنا عشر. ستة ماتوا بالدبيلة وأربعة ماتوا موتاً عاديا.

(٤) ﴿خلطوا﴾ يريد خلطوا حسنات أعمالهم الصالحة بسيئات التخلف عن الغزو والإنفاق في الجهاد والسير مع رسول الله ﷺ إلى تبوك. وعسى: فعل رجاء وهي في كلام الله تعالى كناية عن وقوع المرجو لا محالة.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ فضل السبق للخير والفوز بالأولية فيه .

٢ـ فضل أصحاب رسول الله ﷺ على غيرهم ممن جاء بعدهم .

٣ـ فضل التابعين لأصحاب رسول الله ﷺ إن أحسنوا المتابعة .

٤ـ علْم ما في القلوب إلى الله تعالى فلا يعلم أحد من الغيب إلا ما علَّمه الله عز وجل .

٥ـ الرجاء لأهل التوحيد الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً بأن يغفر الله لهم ويرحمهم .

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ
ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

شـرح الكلمـات :

صـدقـة : مالاً يتقرب به إلى الله تعالى .

تطهرهم وتزكيهم بها : أي تطهرهم من ذنوبهم ، وتزكيهم أنت أيها الرسول بها بدعائك لهم وثنائك عليهم .

وصـل عليهـم : أي ادع لهم بالخير.

إن صـلاتك سكن لهم : أي دعاءك رحمة .

ويأخـذ الصدقات : يتقبلهـا .

مرجون لأمر الله : مؤخرون لحكم الله وقضائه.

عليم حكيم : أي بخلقه نيات وأموالاً وأعمالاً جكيم في قضائه وشرعه.

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآية قبل هذه أن المتخلفين التائبين قالوا للرسول ﷺ هذه أموالنا[1] التي تخلفنا بسببها صدقة فخذها يا رسول الله فقال لهم إني لم أُؤمر بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿خذ[2] من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم، والله سميع عليم﴾ فأمر تعالى رسوله أن يأخذ صدقة هؤلاء التائبين لأنها تطهرهم من ذنوبهم ومن أوضار الشُّح في نفوسهم وتزكيهم أيها الرسول بها بقبولك لها وصل عليهم أي ادع لهم بخير، إن صلاتك سكن[3] لهم أي رحمة وطمأنينة في نفوسهم والله سميع لأقوالهم لمَّا قدموا صدقتهم وقالوا خذها يا رسول الله عليم بنياتهم وبواعث نفوسهم فهم تائبون توبة صدق وحق. وقوله تعالى ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ الاستفهام للتقرير أي هم يعلمون ذلك قطعاً، ويأخذ الصدقات[4] أي يقبلها، وأن الله هو التواب أي كثير قبول التوبة من التائبين الرحيم بعباده المؤمنين ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم حاضاً لهم على العمل الصالح تطهيراً لهم وتزكية لنفوسهم ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[5] فيشكر لكم ويثني به عليكم ﴿وستردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ وهو الله عز وجل ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ويجزيكم به الحسن بالحسن والسيء بالسواى. وقوله تعالى ﴿وآخرون مرجون لأمر الله. إما يعذبهم وإما يتوب

---

(١) المال في فصيح اللغة: هو كل ما تموّل وتملك فهو مال. والمراد من قولهم هذه أموالنا يعنون ما لديهم من سائر أنواع المال. وأما في الزكوات فإنها خاصة بالعين والمواشي والثمار والحبوب بشروطها التي هي النصاب والحول في العين والحصاد في الحبوب والتمر بلوغ خمسة أوسق، والوسق ستون صاعاً والصاع أربعة أمداد.

(٢) هذه الآية وإن نزلت في الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فإنها عامة في الأمة فعلى ولاة أمور المسلمين أن يجبوا الزكوات ويأخذوها من الأمة فريضة الله تعالى على المسلمين للقيام بمصالح المسلمين، والذين قدّموا أموالهم كلها أخذ منها الرسول ﷺ الثلث، وردّ عليهم الباقي. فقال مالك من تصدق بجميع ماله يجزئه منه الثلث أخذاً من هذه الحادثة.

(٣) معناه أنه إذا دعا لهم سكنت قلوبهم وفرحوا، واختلف هل هذه الصلاة على المتصدق باقية أو انتهت بوفاة رسول الله ﷺ. والصحيح أنها باقية. فمن أخذ صدقة متصدق يصلي عليه اقتداء برسول الله ﷺ.

(٤) أخرج مسلم: (لا يتصدق أحد بصدقة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فتربو في كفّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل).

(٥) روى أبو داود وأحمد أن النبي ﷺ قال: (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا).

عليهم﴾ هذا هو الصنف الثالث من أصناف المتخلفين فالأول هم المنافقون والثاني هم التائبون والثالث هو المقصود بهذه الآية وهم ثلاثة أنفار كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فهؤلاء لم يأتوا الرسول ﷺ ليعتذروا إليه كما فعل التائبون المتصدقون بأموالهم منهم أبولبابة حيث ربطوا أنفسهم في سواري المسجد فأمر الرسول ﷺ بمقاطعتهم[1] حتى يحكم الله فيهم، وهو معنى قوله تعالى ﴿مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾ فإن عذبهم أو تاب عليهم فذلك لعلمه وحكمته. وبقوا كذلك حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ثم تاب الله تعالى عليهم كما جاء ذلك بعد كذا آية من آخر هذه السورة ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- الصدقة تكفر الذنوب وتطهر الأرواح من رذيلة الشُّح والبخل.

٢- يستحب لمن يأخذ صدقة امرىء مسلم أن يدعو له بمثل: آجرك الله[2] على ما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت.

٣- ينبغي للتائب من الذنب الكبير أن يكثر بعده من الصالحات كالصدقات والصلوات ونحوها.

٤- فضيلة الخوف والرجاء فالخوف يحمل على ترك المعاصي والرجاء يحمل على الإكثار من الصالحات.

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ
وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ

---

(١) هؤلاء هم: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع.

(٢) هو معنى: ﴿وصلِّ عليهم﴾ إذ الصلاة الدعاء لغة.

يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ
وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً
فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

شرح الكلمات :

ضراراً : أي لأجل الإضرار.

وإرصاداً : انتظاراً وترقباً.

إلا الحسنى : أي إلا الخير والحال الأحسن.

لا تقم فيه أبداً : أي لا تَقُمْ فيه للصلاة أبداً.

أسس على التقوى : أي بُني على التقوى وهو مسجد قبا.

فيه رجال : هم بنو عَمروبن عوف.

على تقوى من الله : أي على خوف.

ورضوان : أي رجاء رضوان الله تعالى.

على شفا جرف هار : أي على طرف جرف مشرف على السقوط، وهو مسجد الضرار.

ريبة في قلوبهم : أي شكاً في نفوسهم.

إلا أن تقطع قلوبهم : أي تُفْصَل من صدورهم فيموتوا.

معنى الآيات

ما زال السياق في فضح المنافقين وإغلاق أبواب النفاق في وجوههم حتى يتوبوا الى الله تعالى أو يهلكوا وهم كافرون فقال تعالى ذاكراً فريقاً منهم [1] ﴿والذين اتخذوا مسجداً

(١) روي أن رأس الفتنة كان أبا عامر الراهب الذي ذهب يستعدي الروم على رسول الله ﷺ وأصحابه.

ضراراً وكفراً وتفريقاً[1] بين المؤمنين وإرصاداً لمن[2] حارب الله ورسوله من قبل﴾ إن المراد من هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً اثنا عشر رجلاً من أهل المدينة كانوا قد أتوا النبي ﷺ وهو شاخص إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً للعاجز منا والمريض وللّيلة المطيرة فَصَلِّ لنا فيه فقال لهم ﷺ أنا الآن على جناح سفر وإن عدنا نصلي لكم فيه إن شاء الله أو كما قال. فلما عاد ﷺ من تبوك ووصل الى مكان قريب من المدينة يقال له ذواوان وهو بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار نزل عليه الوحي بشأن مسجد الضرار فبعث مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصماً أخا بني العجلان فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا مسرعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال لمعن انظرني حتى أخرج إليك بنار فخرج بسعف نخل قد أضرم فيه النار واتيا المسجد وأهله فيه فأضرما فيه النار وهدماه وتفرق أهله ونزل فيهم قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾ أي لأجل الإضرار بالمسجد النبوي ومسجد قباء حتى يأتيهما أهل الحى وقوله ﴿وكفراً﴾ أي لأجل الكفر بالله ورسوله وقوله ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ علة ثالثة لبناء مسجد الضرار إذ كان أهل الحي مجتمعين في مسجد قباء فأرادوا تفرقتهم في مسجدين حتى يجد هؤلاء المنافقون مجالاً للتشكيك والطعن وتفريق صفوف المؤمنين على قاعدة: (فرق تسد) ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ وهو أبو عامر الراهب الفاسق لأنه عليه لعائن الله هو الـذي أمرهم أن يبنوه ليكون وكراً للتآمر والكيد وهذا الفاسق قال للنبي ﷺ ما وجدت قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فكان مع المشركين فى حروبهم كلها إلى أن انهزم المشركون في هوازن وأيس اللعين ذهب إلى بلاد الروم يستعديهم على رسول الله ﷺ، ومن هنا أمر المنافقين ببناء مسجد الضرار ليكون كما ذكر تعالى حتى ينزل به مع جيوش الروم التي قد خرج يستعديها ويؤلّبها إلا أنه خاب في مسعاه وهلك بالشام إلى جهنم وبئس المصير فهذا معنى قوله تعالى ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ أي قبل بناء مسجد الضرار الذي هُدم وحُرق وأصبح موضع قمامة تلقى فيه الجِيَف والقمائم.

---

(١) ﴿ضرارا﴾ مفعول لأجله أي: لأجل مضارة أهل الإسلام بتفرقة المسلمين وإيجاد عداوات بينهم.

(٢) هو أبو عامر الراهب، وسمي الراهب: لأنه تنصّر وتعبد على دين النصارى ولما انهزمت ثقيف التحق بالروم ومات كافرا. نالته دعوة النبي ﷺ.

وقوله تعالى ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾ هذا قولهم لما حرق عليهم المسجد وهدم وانفضح أمرهم حلفوا ما أرادُوا ببنائه إلا الحالة التي هي حسنى لا سوء فيها إذ قالوا بنيناه لأجل ذي العلة ولليلة المطيرة. وقوله تعالى ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ تفنيد لقولهم وتقرير لكذبهم. وقوله تعالى ﴿لا تقم فيه أبداً﴾[١] نهيٌ للرسول ﷺ أن يصلى لهم فيه كما واعدهم وهو ذاهب إلى تبوك. وقوله تعالى ﴿لمسجد أسس[٢] على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ وهو مسجده ﷺ ومسجد قباء إذ كل منهما أسس من أول يوم على تقوى من الله ورضـوان أي على خوف من الله وطلب رضاه، وقوله تعالى ﴿فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين﴾[٣] ثناء على أهل قباء بخير واخبار أنهم يحبون أن يتطهروا من الخبث الحسِّي والمعنوى فكانوا يجمعون فى الاستنجاء بين الحجارة والماء فأثنى الله تعالى عليهم بذلك، وقوله تعالى ﴿أفمن أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾ أى على مخافة من الله وطلب لرضاه خير أمن أسس بنيانه على شفا أي طرف جرف هار أي مشـرف على السقوط، والجرف[٤] ما يكون في حافة الوادي من أرض يجرف السيل من تحتهـا التـراب وتبقى قائمـة ولكنهـا مشـرفـة على السقـوط، وقوله تعالى ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ أي سقط به ذلك الجرف في نار جهنم والعياذ بالله تعالى، هذا حال أولئك المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار. وقوله تعالى ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي لا يهديهم إلى ما يكمُلون به ويسعدون أي يحرمهم هدايته فيخسرون دنيا وأُخرى وقوله تعالى ﴿لا يـزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم[٥]﴾ أي شكاً واضطراباً في نفوسهم ﴿إلا أن تقطع[٦] قلوبهم﴾ فيهلكوا والشك في قلوبهم أي فكان هذا البناء الظالم سبباً في تأصل النفاق

---

(١) أي: ﴿لاتقم فيه﴾ للصلاة. يقال: فلان قائم يصلي. و﴿أبدا﴾ معناه في أي وقت من الأوقات مطلقا. فأبدا: لفظ يفيد التأبيد المطلق.

(٢) ﴿أسّس﴾ أي: وضعت أسسه وبنيت جدره ورفعت قواعده إذ الأس: أصل البناء، وكذلك الأساس، والجمع أسس وآساس جمع إساس. قال الشاعر:

أصبح الملك ثابت الآساس   في البهاليل من بني العباس

(٣) لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: (أهل قباء إن الله سبحانه قد أحسن الثناء عليكم فى التطهر فما تصنعون؟ قالوا: إنّا نغسل أثر الغائط والبول بالماء). رواه أبو داود. فكانوا يجمعون بين الاستجمار والاستنجاء مبالغة في التطهر، وإن كان الاستجمار مجزئا تخفيفا على الأمة المسلمة.

(٤) الجرف: بالضم والإسكان كالرسْل والرسُل، وأصله من الجرف والإجتراف وهو اقتلاع الشيء من أصله.

(٥) وقيل: الريبة هنا: الحسرة والندامة، وحزازة وغيظا والكل صالح لدلالة اللفظ عليه.

(٦) أي: إلى أن تقطع قلوبهم بالموت أي: إلا أن يموتوا.

والكفر في قلوبهم حتى يموتوا كافرين وقوله ﴿والله عليم حكيم﴾ تذييل للكلام بما يقرر مضمونه ويثبته فكونه تعالى علمياً حكيماً يستلزم حرمان أولئك الظلمة المنافقين من الهداية حتى يموتوا وهم كافرون إلى جهنم وذلك لتوغلهم في الظلم والشر والفساد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان أكبر مؤامرة ضد الإسلام قام بها المنافقون بارشاد الفاسق أبي عامر الراهب.

٢ـ بيان أن تنازع الشرف هو سبب البلاء كل البلاء فابن أُبَيّ حاربَ الإسلام لأنه كان يُؤَمِّلُ في السُّلطة على أهل المدينة فحرِمَها بالإسلام. وأبو عامر الراهب ترهَّب لأجل الشرف على أهل المدينة والسلطان الروحى فلذا لما فقدها حارب من كان سبب حرمانه وهو الرسول ﷺ حتى قال له مواجهة: ما قاتلك قوم إلا قاتلتك معهم. بل ذهب إلى الروم يؤلِّبهم على رسول الله ﷺ واليهود ما حاربوا الإسلام إلا من أجل المحافظة على أملهم في مملكة إسرائيل.

٣ـ لا يصح الإغترار بأقوال أهل النفاق فإنها كذب كلها.

٤ـ أيما مسجد بُني للإضرار والتفرقة بين المسلمين إلا ويجب هدمه وتحرم الصلاة فيه.

٥ـ فضل التطهر والمبالغة في الطهارتين الروحية والبدنية.

٦ـ التحذير من الظلم والإسراف فيه فإنه يحرم صاحبه هداية الله فيهلك وهو ظالم فيخسر دنيا وأُخرى.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ
وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟
بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾
ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ

ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

شرح الكلمات :

الجنة : هي دار السلام التي أعدها الله تعالى للمتقين.

يقاتلون : أي الكفار والمشركين.

وعداً : أي وعدهم وعداً حقاً.

في التوراة : أي مذكوراً في التوراة والإنجيل والقرآن.

ومن أوفى بعهده : أي لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى.

ذلك هو الفوز العظيم : أي ذلك البيع هو الفوز العظيم.

التائبون : أي من الشرك والنفاق والمعاصي.

العابدون : أي المطيعون لله في تذلل وخشوع مع حبهم لله وتعظيمهم له.

السائحون : أي الصائمون والخارجون في سبيل الله لطلب علم أو تعليمه أو جهاد لأعدائه.

الآمرون بالمعروف : أي بعبادة لله الله تعالى وتوحيده فيها.

الناهون عن المنكر : أي عن الشرك والمعاصي.

والحافظون لحدود الله : أي القائمون عليها العاملون بها.

وبشر المؤمنين : أي بالجنة دار السلام.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال المتخلفين عن الجهاد ذكر فضل الجهاد ترغيباً فيه وفيما أعد لأهله

فقال ﴿إن الله اشترى[1] من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن[2] لهم الجنة﴾ وهذا هو المُثَمَّن الذي أعطى الله تعالى فيه الثمن وهو الجنة، وقوله ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتُلون﴾ أي أعداء الله المشركين ﴿ويقتلون[3]﴾ أي يستشهدون في معارك القتال وقوله ﴿وعداً عليه حقاً[4] في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ أي وعدهم بذلك وعداً وأحقه حقاً أي أثبته في الكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن تقريراً له وتثبيتاً وقوله ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد مطلقا أوفى بعهده إذا عاهد من الله تعالى وقوله ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فبناء على ذلك فاستبشروا[5] أيها المؤمنون ببيعكم الذى بايعتم الله تعالى بهٰ أي فسرّوا[6] بذلك وافرحوا وذلك البيع والاستبشار هو الفوز العظيم الذي لا فوز خير ولا أعظم منه.

وقوله ﴿التائبون[7]﴾ إلى قوله: ﴿والحافظون لحدود الله﴾ هو ذكر لأوصاف أهل البيع وتحديد لهم فهم الموصوفون بتسع صفات الأولى التائبون أي من الشرك والمعاصي والثانية العابدون وهم المطيعون لله طاعة ملؤها المحبة لله تعالى والتعظيم له والرهبة منه والثالثة الحامدون لله تعالى في السراء والضراء وعلى كل حال والرابعة السائحون وهم الصائمون كما في الحديث[8] والذين يخرجون في سبيل الله لطلب علم أو غزو أو تعليم أو دعوة إلى الله تعالى ليُعْبد ويوحَّد ويُطاع في أمره ونهيه والخامسة والسادسة الراكعون الساجدون أي المقيمون الصلاة المكثرون من نوافلها كأنهم دائماً في ركوع وسجود والسابعة والثامنة الآمرون بالمعروف وهو الإيمان بالله وتوحيده وطاعته وطاعة رسوله

---

(١) حصل هذا البيع لبعض أصحاب رسول الله ﷺ في بيعة العقبة، إذ قال عبدالله بن رواحة للنبي ﷺ (اشترط لربك ولنفسك ماشئت فقال النبي ﷺ: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالو: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل).

(٢) الباء في الشراء تدخل على الثمن تقول: بعتك الدار بكذا ألفاً، ولذا قال هنا: ﴿بأن لهم الجنة﴾ فالجنة هي الثمن المشترى به الأنفس والأموال.

(٣) قوله تعالى ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ بيِّن فيه مكان تسليم البضاعة المشتراه وهي الأنفس.

(٤) ﴿وعدا﴾ و ﴿حقا﴾ مصدران مؤكدان.

(٥) أي: أظهروا السرور على بشرة وجوهكم.

(٦) فسُرُّوا: أي أظهروا السرور.

(٧) ﴿التائبون﴾ هم الراجعون من الحالة المذمومة إلى الحالة المحمودة، والتائب: الراجع، والراجع إلى الطاعة أفضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الأمرين.

(٨) روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سياحة هذه الأمة الصيام، ورواه أبو هريرة مرفوعا إلى النبي ﷺ :(سياحة أمتي الصيام) وروي أيضا عنه ﷺ: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله).

والناهون عن المنكر وهو الكفر به تعالى والشرك في عبادته ومعصية رسوله محمد ﷺ والتاسعة الحافظون لحدود الله بالقيام عليها وعملها[1] بعد العلم بها وقوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين﴾ وهم أهـل الإيمان الصادق الكامل المستحقون لبشرى الرسول ﷺ بالنصر والتأييد في الدنيا والنجاة من النار ودخول الجنة يوم القيامة اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان فضل الله تعالى ومننه على عباده المؤمنين حيث وهبهم أرواحهم وأموالهم واشتراها منهم.

٢- فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

٣- على المؤمن أن يشعر نفسه أن بدنه وماله لله تعالى وأن عليه رعايتهما وحفظهما حتى ترفع راية الجهاد ويطالب إمام المسلمين بالنفس والمال فيقدم نفسه وماله إذ هما وديعة الله تعالى عنده.

٤- على المؤمن أن لا يدخل الضرر على نفسه ولا على ماله بحكم أنهما لله تعالى.

٥- على المؤمن أن يتعاهد نفسه ليرى هل هو متصف بهذه الصفات التسع أولاً فإن رأى نقصاً كمله وإن رأى كمالاً حمد الله تعالى عليه وحفظه وحافظ عليه.

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن
يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ

---

(١) أي: القائمون بما أمر الله به، والمنتهون عمّا نهى عنه فحدود الله شرعه وهو فعل وترك، ففعل الأمر وترك النهي هو الحفظ.

يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

شرح الكلمات :

أن يستغفروا للمشركين : أي يسألون الله تعالى لهم المغفرة.

أولي قربى : أصحاب قرابة كالأُبُوَّة والبُنُوَّة والأُخوة.

موعدة : أي وعدٌ وعده به.

تبرأ منه : أي قال: إني بريء منك.

أواه حليم : الأواه: كثير الدعاء والشكوى إلى الله تعالى والحليم الذي لا يغضب ولا يؤاخذ بالذنب.

ما يتقون : أي ما يتقون الله تعالى فيه فلا يفعلوه أو لا يتركوه.

من ولي : الولي من يتولى أمرك فيحفظك ويعينك.

معنى الآيات :

لما مات أبوطالب[1] على الشرك بعد أن عرض عليه الرسول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فأبى أن يقولها وقال هو على ملة عبدالمطلب قال له النبي ﷺ لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عن ذلك، واستغفر بعض المؤمنين أيضاً لأقربائهم الذين ماتوا على الشرك، أنزل الله تعالى قوله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الحجيم﴾ إذ ماتوا على الشرك ومن مات على الشرك قضى الله تعالى بأنه في النار أي ما صح ولا انبغى[2] للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا أي ما صح

---

(١) روى مسلم أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال الرسول ﷺ يا عم قل(لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبدالله بن أمية يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما تكلم به: هو على ملّة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ أما والله لأستغفرن لك مالم أُنه عنك).

(٢) فإن قيل: إن النبي ﷺ قال يوم أحد (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) وهو طلب مغفرة، وطلب المغفرة هو الاستغفار. فالجواب: أن النبي ﷺ قال ما قاله على سبيل الحكاية لا غير. إذ ذكر البخاري أنّ النبي ﷺ ذكر نبيا قبله شجه قومه فجعل النبي ﷺ يخبر عنه بأنّه قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

ولا انبغى استغفارهم. ولما قال بعضً إن ابراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك قال تعالى جواباً ﴿وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ وهي قوله: ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً﴾ لكنه عليه السلام لما تبين له أن أباه عدو لله أي مات على الشرك تبرأ منه ولم يستغفر له، وقوله ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾[1] تعليل لمواعدة إبراهيم أباه بالاستغفار له لأن إبراهيم كان كثير الدعاء والتضرع والتأسف والتحسر فلذا واعد أباه بالاستغفار له وقوله تعالى ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ هذه الآية نزلت رداً على تساؤلات الذين قالوا متندمين لقد كنا استغفرنا لأقاربنا المشركين فخافوا فأخبرهم تعالى أنه ليس من شأنه تعالى أن يضل قوماً بعد إذ هداهم إلى الصراط المستقيم حتى يبين لهم ما يتقون وأنتم استغفرتم لأقربائكم قبل أن يبين لكم أنه حرام. ولكن إذا أراد الله أن يضل قوماً بين[2] لهم ما يجب أن يتقوه فيه فإذا لم يتقوه أضلهم. وقوله تعالى ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ فلا يضل إلا من يستحق الضلال كما أنه يهدي من يستحق الهداية وذلك لعلمه بكل شيء وقوله تعالى ﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وتصرفاً فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء يحيي ويميت يحيي بالإيمان ويميت بالكفر ويحيى الأموات ويميت الأحياء لكامل قدرته وعظيم سلطانه وقوله ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أي ليس لكم من يتولاكم إذا تخلى عنكم وليس لكم من ينصركم إذا خذلكم فلذا وجبت طاعته والاتكال عليه، وحرم الالتفات الى غيره من سائر خلقه.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة الاستغفار لمن مات على الشرك لأن الله لا يغفر أن يشرك به فلذا لا يطلب منه شيء أخبر أنه لا يفعله.

٢ـ وجوب الوفاء بالوعود والعهود.

---

(١) ذكروا لكملة أواه عشرة تأويلات وما ذُكر في التفسير أولى بها كلها ولو قلنا إن الأواه كثير قول: أوّاه تأسفا وتحسرا وشفقة ورحمة لكان أولى بدلالة اللفظ عليه.

(٢) شاهد هذا قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول﴾: فإنه يأمرهم أولا وينهاهم فإن لم يمتثلوا استحقوا العذاب.

٣- ليس من سنة الله تعالى في الناس أن يضل عباده قبل أن يبين لهم ما يجب عليهم عمله أو اتقاؤه.

٤- ليس للعبد من دون الله من ولي يتولاه ولا نصير ينصره ولذا وجبت ولاية الله بطاعته واللجوء إليه بالتوكل عليه.

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى
سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾

شرح الكلمات:

المهاجرين: الذين هجروا ديارهم من مكة وغيرها ولحقوا برسول الله بالمدينة.

الأنصار: هم سكان المدينة من الأوس والخزرج آمنوا ونصروا رسول الله ﷺ.

ساعة العسرة [١]: هي أيام الخروج إلى تبوك لشدة الحر والجوع والعطش.

يزيغ قلوب: أي تميل عن الحق لشدة الحال وصعوبة الموقف.

الثلاثة الذين خلفوا: هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية.

---

(١) لفظ الساعة يطلق على ظرف الزمان يطول ويقصر فقد أطلق على يوم القيامة وأطلق على ستين دقيقة، والمراد بالساعة: أيام غزوة تبوك.

بما رحبت : أي على اتساعها ورحابتها.

أن لا ملجأ : أي إذ لا مكان للّجوء فيه والهرب إليه.

الصادقين : في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم والصدق ضد الكذب.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في أحداث غزوة تبوك وفي هذه الآيات الثلاث إعلان عن شرف وكرامة الرسول ﷺ وأصحابه البررة من الأنصار والمهاجرة إذ قال تعالى ﴿لقد تاب الله[1] على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ أي أدامها (التوبة) وقبلها وقوله ﴿الذين اتبعوه في ساعة العسرة[2]﴾ أي عند خروجه إلى تبوك في الحر الشديد والفاقة الشديدة وقوله ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب[3] فريق منهم﴾ وذلك لصعوبة الحال وشدة الموقف لقد عطشوا يوماً كما قال عمر رضي الله عنه كان أحدنا يذبح بعيره ويعصر فرثه فيشرب ماءه ويضع بعضه على كبده فخطر ببعض القوم خواطر كادت القلوب تزيغ أي تميل عن الحق ولكن الله تعالى ثبتهم فلم يقولوا سوءاً ولم يعملوه لأجل هذا أعلن الله تعالى في هذه الآيات عن كرامتهم وعلو مقامهم ثم تاب عليهم إنَّهُ هو التواب الرحيم وقوله ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى خلفوا أرجئوا في البت في توبتهم إذ تقدم قوله تعالى ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾ فقد تخلفت توبتهم خمسين يوماً ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت[4] وضاقت عليهم أنفسهم[5] وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ فصبروا على شدة ألم النفس من جراء المقاطعة التي أعلنها رسول الله ﷺ لهم انتظاراً لحكم الله لأنهم تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك ولم يكن لهم عذر، فلذا لما قدم النبي ﷺ تقدم المخلفون فاعتذروا فقبل منهم رسول الله وتاب الله على المؤمنين منهم ولم يتقدم هؤلاء الثلاثة ليعتذروا خوفاً من الكذب فآثروا جانب

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت، التوبة على النبي ﷺ لأجل إذنه للمنافقين في القعود دليله قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾؟ وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه.

(٢) (العسرة) صعوبة الأمر، قال جابر: اجتمع عليهم عسرة الظهر أي: (المركوب) وعسرة الزاد وعسرة الماء قال ابن عرفة: سمي جيش غزوة تبوك جيش العسرة: لأنّ النبي ﷺ ندب الناس إلى الغزو في حمارة الغيظ فغلظ عليهم وعسر.

(٣) تدارك قلوبهم حتى لم تزغ، وتلك سنته مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب أمطر عليهم سحائب رحمته فأحيا قلوبهم.

(٤) ﴿رحبت﴾ بمعنى: اتسعت، وما: مصدرية، أي ضاقت عليهم الأرض برحبها: أي: على رحبها لأنهم كانوا مهجورين لا يكلمون ولا يعاملون حتى من أقرب الناس إليهم، وفي هذا دليل على مشروعية هجران أهل المعاصي حتى يتوبوا.

(٥) أي: ضاقت صدورهم بالهمّ.

الصدق فأذاقهم الله ألم المقاطعة ثم تاب عليهم وجعلهم مثلاً للصدق فدعا المؤمنين أن يكونوا معهم فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ أي اتقوا الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه وكونوا من الصادقين[1] في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم تكونوا مع الصادقين في الآخرة مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وسائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان فضل أصحاب رسول الله ﷺ.

٢- بيان فضل غزوة العسرة على غيرها من الغزوات «وهي غزوة تبوك»

٣- بيان فضل الله على المؤمنين بعصمة قلوبهم من الزيغ في حال الشدة.

٤- بيان فضل كعب بن مالك وصاحبيه في صبرهم وصدقهم ولجوئهم إلى الله تعالى حتى فرج عليهم وتاب عليهم وكانوا مثالاً للصدق.

٥- وجوب التقوى والصدق في النيات والأقوال والأحوال والأعمال.

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ

---

(١) فسّر (الصادقين): بأنهم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم قال ابن العربي: هذا القول هو الحقيقة والغاية التي إليها المنتهى.

وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات :

ومن حولهم من الأعراب : وهم مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم.

ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه : أي يطلبون لأنفسهم الراحة ولنفس رسول الله التعب والمشقة.

ظمأ : أي عطش.

ولا نصب : أي ولا تعب.

ولا مخمصة : أي مجاعة شديدة.

يغيظ الكفار : أي يصيبهم بغيظ في نفوسهم يحزنهم.

نيلا : أي منالاً من أسر أو قتل أو هزيمة للعدو.

وادياً : الوادي: مسيل الماء بين جبلين أو مرتفعين.

لينفروا كافة : أي يخرجوا للغزو والجهاد جميعاً.

طائفة : أي جماعة معدودة.

ليتفقهوا في الدين : أي ليعلموا أحكام الدين وأسرار شرائعه.

ولينذروا قومهم : أي ليخوفوهم عذاب النار بترك العمل بشرع الله.

لعلهم يحذرون : أي عذاب الله تعالى بالعلم والعمل.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في آثار أحداث غزوة تبوك فقال تعالى ﴿ما كان لأهل المدينة﴾[1]

---

(١) هذه الآية نزلت تحمل العتاب للمؤمنين من أهل المدينة والأحياء المجاورة لها كمزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم على التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

أي سكانها من المهاجرين والأنصار ﴿ومن حولهم من الأعراب﴾ أي ومن النازلين حول المدينة من الأعراب كمزينة وجهينة وغفار وأشجع وأسلم ﴿أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ إذا خرج إلى جهاد ودعا بالنفير العام وفي هذا عتاب ولوم شديد لمن تخلفوا عن غزوة تبوك وقوله ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ أي بأن يطلبوا لأنفسهم الراحة دون نفس رسول الله ﷺ وقوله ﴿ذلك﴾ أي النهي الدال عليه بصيغة ما كان لأهل المدينة وهي أبلغ من النهي بأداته (لا) لأنه نفي للشأن أي هذا مما لا ينبغي أن يكون أبداً. وقوله ﴿بأنهم لا يصيبهم﴾ بسبب أنهم لا يصيبهم ﴿ظمأ﴾ أي عطش ﴿ولا نصب﴾ أي تعب ﴿ولا مخمصة﴾[1] أي جوع شديد في سبيل الله أي في جهاد أهل الكفر لإعلاء كلمة الإسلام التي هى كلمة الله ﴿ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار﴾ أي ولا يطأون أرضاً من أرض العدو يغتاظ لها العدو الكافر ويحزن ﴿ولا ينالون من عدو﴾[2] أي لله تعالى ﴿نيلًا﴾ أي منالاً أي أسرى أو قتلى أو غنيمة منه أو هزيمة له ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ فلهذا لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ حتى لا يفوتهم هذا الأجر العظيم. وقوله ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ تعليل لتقرير الأجر وإثباته لهم إن هُم خرجوا مع رسول الله ﷺ وأحسنوا الصحبة والعمل وقوله تعالى ﴿ولا ينفقون نفقة﴾ أي في سبيل الله الذي هو هنا الجهاد ﴿صغيرة ولا كبيرة﴾ أي قليلة ولا كثيرة ﴿ولا يقطعون وادياً﴾ ذاهبين إلى العدو أو راجعين ﴿إلا كتب لهم﴾[3] أي ذلك المذكور من النفقة والسير[4] في سبيل الله. وقوله تعالى ﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ أي جزاء أحسن عمل كانوا يعملونه قبل خروجهم في سبيل الله. وقوله تعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة﴾[5] أي قبيلة منهم طائفة أي جماعة ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ بما

---

(١) أصل المخمصة: ضمور البطن يقال: رجل خمص الباطن أي: ضامره وامرأة خمصانة.

(٢) يقال: نال الشيء يناله: إذا أصابه، فينالون: بمعنى يصيبون.

(٣) قال ابن عباس بكل روعة تنالهم في سبيل الله سبعون ألف حسنة. وجاء في الصحيح في شأن الخيل وفيه: (وأمّا التي هي له أجر فرجلٌ ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة إلا كتب عدد ما أكلت حسنات، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات).

(٤) روى مسلم وأبو داود أنّ النبي ﷺ قال: (لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا إلا وهم معكم فيه قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم في المدينة؟ قال حبسهم العذر).

(٥) هذه الآية دليل على أن الجهاد فرض كفاية ولا يتعين إلا إذا عيّنة الإمام أو هاجم العدو دار قوم مؤمنين فيجب عليهم قتاله كافة كما هي نص في وجوب طلب العلم وهو بالرحلة الطويلة إليه. وفي الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وهذا الحديث دليل على أن طلب العلم يكون فرض عين ويكون فرض كفاية.

يسمعون من رسول الله ﷺ ويتعلمونه منه ﴿ولينذروا قومهم﴾ عواقب الشرك والشر والفساد ﴿لعلهم يحذرون﴾ ذلك فينجون من خزى الدنيا وعذاب الآخرة هذه الآية نزلت لما سمع الملسمون ورأوا نتائج التخلف عن رسول الله ﷺ فقالوا لن نتخلف بعد اليوم عن رسول الله ﷺ أبداً ولا نتخلف عن غزو ما حيينا فأنزل الله تعالى هذه الآية يرشدهم إلى ما هو خير وأمثل فقال ﴿فلولا﴾ أي فهلا نفر من كل فرقة منهم أي قبيلة أو حيّ من أحيائهم طائفة فقط وتبقى طائفة منهم بدل أن يخرجوا كلهم ويتركون رسول الله ﷺ وحده فإن خروجهم على هذا النظام أنفع لهم فالذين يبقون مع رسول الله ﷺ أو يخرجون معه إذا خرج يتفقهون في الدين لصحبتهم لرسول الله ﷺ والباقون هم في مهام دينهم أيضاً ودنياهم فإذا رجع أولئك المتفقهون علموا إخوانهم ما فاتهم من العلم وأسرار الشرع كما أن الذين ينفرون إلى الجهاد قد يشاهدون من نصر الله لأوليائه وهزيمته لأعدائه ويشاهدون أيضاً ضعف الكفار وفساد قلوبهم وأخلاقهم وسوء حياتهم فيعودون إلى إخوانهم فينذرونهم ما عليه أهل الكفر والفساد فيحذرون منه ويتجنبونه وفي هذا خير للجميع وهو معنى قوله تعالى ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب إيثار رسول الله ﷺ على النفس بكل خير بل بالحياة كلها.

٢ـ بيان فضل السير في سبيل الله، وما فيه من الأجر العظيم.

٣ـ فضل الإحسان وأهله.

٤ـ تساوي فضل طلب العلم والجهاد على شرط النية الصالحة في الكل وطالب العلم لا ينال هذا الأجر إلا إذا كان يتعلم ليعلم فيعمل فيعلم مجاناً في سبيل الله والمجاهد لا ينال هذا الأجر إلا إذا كان لإعلاء كلمة الله خاصة.

٥ـ حاجة الأمة إلى الجهاد والمجاهدين كحاجتها إلى العلم والعلماء سواء بسواء.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

شرح الكلمات :

آمنوا : أي بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

الذين يلونكم : أي يلون بلادكم وحدودها.

من الكفار : من: بَيانِيَّة، أي الكافرين.

وليجدوا فيكم غلظة : أي قوة بأس وشدة مراس ليرهبوكم وينهزموا أمامكم.

مع المتقين : أي بنصره وتأييده والمتقون هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والخروج عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة.

معنى الآية الكريمة :

لما طهرت الجزيرة من الشرك وأصبحت دار إسلام وهذا في أخريات حياة الرسول ﷺ وذلك بعد غزوة تبوك أمر الله تعالى المؤمنين بأن يواصلوا الجهاد في سبيله بعد وفاة نبيه وأرشدهم إلى الطريقة التي يجب أن يتبعوها في ذلك وهي: أن يبدأوا بدعوة وقتال أقرب كافر منهم والمراد به الكافر المتاخم لحدودهم كالأردن أو الشام أو العراق مثلاً فيعسكروا على مقربة منهم ويدعونهم إلى خصلة من ثلاث: الدخول في دين الله الإسلام أو قبول حماية المسلمين لهم بدخولهم البلاد وضرب الجزية على القادرين منهم مقابل حمايتهم وتعليمهم وحكمهم بالعدل والرحمة الإسلامية أو القتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم فإذا ضمت أرض هذا العدو إلى بلادهم وأصبحت لهم حدود أخرى فعلوا كما فعلوا أولاً وهكذا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فتسعد البشرية في دنياها وآخرتها. وأمرهم أن يعلموا أن الله ما كلفهم بالجهاد إلا وهو معهم وناصرهم ولكن على شرط أن يتقوه في أمره ونهيه فهذا ما دلت عليه الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا[1] قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة[2]﴾ أي قوة بأس وشدة مراس في الحرب ﴿واعلموا[3] أن الله مع المتقين﴾ أي بنصره وتأييده.

---

(١) توجيه الخطاب للذين آمنوا دون النبي ﷺ فيه إيماء إلى أن النبي ﷺ لا يغزو بعد ذلك وأن أجله الشريف قد اقترب، وفعلا فإنه ﷺ ما غزا بعد تبوك وإنما حجّ حجة الوداع وبعدها بواحد وثمانين يوما استأثر الله تعالى بروحه الطاهرة الشريفة.

(٢) ﴿غلظة﴾ مثلثة الغين غِلظة الكسر لغة الحجاز، والضم لغة بني تميم، والمراد الجرأة على القتال والصبر عليه مع العنف والشدة في القتل والقصد من هذا إلقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يخشوا قتال المسلمين.

(٣) افتتاح الجملة بـ اعلموا: للاهتمام بما يراد العلم به، وفي الجملة تسلية للمؤمنين بعد فقد نبيهم ﷺ، وأن الله معهم بالنصر والتأييد فاتقوه بلزوم طاعته وطاعة رسوله ﷺ في أمرهما ونهيهما في السلم والحرب.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة

١ـ وجوب الجهاد واستمراريته إلى أن لا تبقى فتنة أو شرك أو اضطهاد لمؤمن ويكون الدين والحكم كلاهما لله تعالى.

٢ـ مشروعية البداءة في الجهاد بأقرب الكفار إلى بلاد المسلمين من باب (الأقربون أولى بالمعروف).

٣ـ إذا اتسعت بلاد الإسلام تعين على أهل كل ناحية قتال من يليهم الأقرب فالأقرب.

٤ـ وعد الله بالنصر والتأييد لأهل التقوى العامة والخاصة.

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ
سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ
ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ
﴿١٢٧﴾

شرح الكلمات:

سورة: أي قطعة من القرآن وسواء كانت آيات من سورة أو سورة بكاملها وحدها.

زادته إيماناً: أي السورة قوّت إيمانه وزادت فيه لأنها كالغيث النافع.

يستبشرون: فرحين بفضل الله تعالى عليهم.

في قلوبهم مرض : أي شـك ونفاق وشرك .
فزادتهم رجساً : أي نجساً إلى نجس قلوبهم ونفوسهم .
يفتنـــون : أي يمتحنون .
ولا هم يذكـرون : أي لايتعظـون لموات قلوبهم .
صرف الله قلوبهم : دعاء عليهم بأن لا يرجعوا إلى الحق بعد انصرافهم عنه .
لا يفقهــون : أي لا يفهمون أسرار الخطاب لظلمة قلوبهم وخبث نفوسهم .

معنى الآيـات :

هذا آخر حديث عن المنافقين فى سورة براءة الفاضحة للمنافقين يقول تعالى ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾[1] أي من سور القرآن التي بلغت ١١٤ سورة نزلت وتليت وهم غائبون عن المجلس الذي تليت فيه، فمنهم أي من المنافقين من يقول: ﴿أيكم زادته هذه إيماناً﴾[2] وقولهم هذا تهكم منهم وازدراء قال تعالى ﴿فأما الذين آمنوا﴾ بحق وصدق ﴿فزادتهم إيماناً﴾ لأنها نزلت بأحكام أو أخبار لم تكن عندهم فآمنوا بها لما نزلت فزاد بذلك إيمانهم وكثـر كمـا كان أن إيمـانهم يقـوى حتى يكون يقيناً بما يتنزل من الآيات وقوله ﴿وهم يستبشرون﴾ أي فرحون مسرورون بالخبر الذي نزل والقرآن كله خير كما هم أيضاً فرحون بإيمانهم وزيادة يقينهم ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق ﴿فزادتهم رجساً﴾[3] أي شكاً ونفاقاً ﴿إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾. وقوله تعالى ﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾[4] أي أيستمر هؤلاء المرضى بالنفاق على نفاقهم ولا يرون أنهم يفتنون أي من أجل نفاقهم مرة أو مرتين أي يختبرون بالتكاليف والفضائح وغيرها ﴿ثم لا يتوبون﴾ من نفاقهم ﴿ولا هم يذكرون﴾ فيتعظون فيتوبون هذا ما دلت عليه الآيات الأولى (١٢٤) والثانية (١٢٥) والثالثة (١٢٦) أما الآية الرابعة (١٢٧) فقد تضمنت سوء حال هؤلاء المنافقين وقبح سلوكهم فسجِّلَت عليهم وصمة عار وخزي إلى يوم القيامة إذ قال

---

(١) ﴿ما﴾ صلة لتقوية الكلام حسب الأسلوب العربي البليغ .
(٢) الإيمان لغة : التصديق . وشرعاً : تصديق الله ورسوله في كل ما أخبرا به وأركانه ستة ويزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .
(٣) شكّاً إلى شكّهم، وكفراً إلى كفرهم، وإثما إلى إثمهم إذ الشك والكفر من أعظم الآثام .
(٤) قال قتادة والحسن ومجاهد : بالغزو والجهاد مع النبي ﷺ ويرون ما وعد الله من النصر يُريد يتحقق أمامهم وكأنهم لا يعقلون .

تعالى ﴿وإذا ما أُنزلت سورة﴾[1] أي وهم في المجلس وقرئت على الجالسين وهم من بينهم. ﴿نظر بعضهم الى بعض﴾ وقال في سرية ومُخافَتَه هيا نقوم من هذا المجلس الذي نعير فيه ونشتم ﴿هل يراكم من أحد﴾ أي من أصحاب محمد ﷺ فإن كان الجواب : لا يرانا أحد انصرفوا متسللين لواذاً قال تعالى في دعاء عليهم : ﴿صرف الله قلوبهم﴾[2] أي عن الهدى ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ أي لا يفقهون أسرار الآيات وما تهدي إليه، فعلتهم سوء فهمهم وعلة سوء فهمهم ظلمة قلوبهم وعلة تلك الظلمة الشك والشرك والنفاق والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ **تقرير** مبدأ زيادة الإيمان ونقصانه زيادته بالطاعة ونقصانه بالعصيان.

٢ـ جواز الفرح بالإيمان وصالح الأعمال.

٣ـ مريض القلب يزداد مرضاً وصحيحه يزداد صحة سنة من سنن الله في العباد.

٤ـ كشف أغوار المنافقين وفضيحتهم في آخر آية من سورة التوبة تتحدث عنهم.

٥ـ يستحب أن لا يقال انصرفنا[3] من الصلاة أو الدرس ولكن يقال انقضت الصلاة أو انقضى الدرس ونحو ذلك.

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

---

(١) ﴿ما﴾ صلة لتقوية الكلام.

(٢) هذه الجملة خبرية أخبر تعالى أنه جزاهم على انصرافهم من مجلس الرسول ﷺ بصرف قلوبهم عن الهدى فهم لا يهتدون إذاً أبدا وضمّن الخبر الدعاء عليهم، وقد تحقق معناه وهو صرف قلوبهم.

(٣) لأنّ الله ذمّ المنافقين لانصرافهم ودعا عليهم بصرف قلوبهم وصرفها ولو قيل انقلبنا من الصلاة أو من الجنازة لكان خيرا لقوله تعالى : ﴿فانقلبوا برحمة من الله وفضل﴾ الآية من سورة آل عمران.

شـرح الكلـمات :

رسول من أنفسكم	: أي محمد بن عبدالله ﷺ من جنسكم عربي .
عزيز عليه	: أي شاق صعب .
مـا عنتـم	: أي ما يشق عليكم ويصعب تحمله .
حريـص عليـكم	: أي حريص على هدايتكـم وما فيه خيركم وسعادتكم .
رؤوف	: شـفـيق .
رحيـم	: يرق ويعـطف ويرحم .
فإن تـولـوا	: أي أعرضوا عن دين الله وما جئت به من الهدى
حسـبي الله	: أي كافـيّ الله .
لا إله إلا هو	: أي لا معبود بحق إلا هو.
توكـلـت	: أي فوضت أمري إليه واعتمدت عليه .
رب العرش العظيم	: عرش الله تعالى لا أعظم منه إلا خالقه عز وجل إذ كرسيه تعالى وسع السموات والأرض ونسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة .

معنى الآيتين الكريمتين :[1]

في ختام سورة التوبة يقول الله تعالى لكافة العرب : ﴿لقد جاءكم رسول﴾ أي كريم عظيم ﴿من أنفسكم﴾[2] عدنـاني قرشي هاشمي مُطَّلِبي تعـرفـون نسبه وصدقه وأمانته . ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾[3] أي يشق عليه ما يشق عليكم ويؤلمه ما يؤلمكم لأنه منكم ينصح لكم نصـح القوميّ لقومه . ﴿حريص عليكم﴾ أي على هدايتكم واكمالكم واسعادكم

---

(١) روي عن أبي أنه قال : هاتان الآيتان أقرب القرآن بالسماء عهدا وهذا لا ينافي أنّ آخر ما نزل من القرآن : ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ .

(٢) قرىء : ﴿من أنفسكم﴾ أي : أشرفكم وأفضلكم إذ هو من النفاسة وهي تعلّق نفوس البشر بما هو أجمل وأكمل . وقراءة الجمهور أولى وهي الضم أي : من أنفسكم إذ ما من قبيلة من قبائل العرب إلا وولدت النبي ﷺ قاله ابن عباس رضي الله عنهما . وشاهده قوله ﷺ في رواية مسلم : (إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم) وفي لفظ : (فأنا خيار من خيار) وهو ﷺ كذلك .

(٣) ﴿ما﴾ مصدرية تُسبكُ مع الفعل بمصدر فيكون الكلام عزيز عليه عنتكم والعنت : التعب ، وهو مصدر عنت يعنت عنتا . كأنّه يشير إلى أنّ ما لاقاه أصحابه من عنت أيام كانوا يحاربون أهليهم ، وذويهم وما نالهم من الغربة والفاقة ، والحرب كل ذلك كان يعزّ عليه ﷺ ويألم له فصلى الله وسلم عليه ما أرحمه وأوفاه ! !

﴿بالمؤمنين﴾ منكم ومن غيركم من سائر الناس ﴿رؤوف رحيم﴾ أي شفوق عطوف يحب رحمتهم وإيصال الخير لهم. إذاً فآمنوا به واتبعوا النور الذي جاء به تهتدوا وتسعدوا ولا تكفروا فتضلوا وتشقوا. وقوله تعالى ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عن دعوتك فلا تأْسَ وقل حسبي الله أي يكفيني ربي كل ما يهمني ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود بحق سواه لذا فإني أعبده وأدعو إلى عبادته، ﴿عليه توكلت﴾(١) أي في شأني كله ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيـتين

من هداية الآيـتين :

١ـ بيان مِنَّة الله تعالى على العرب خاصة وعلى البشرية عامة ببعثه خاتم أنبيائه محمد ﷺ.

٢ـ بيان كمال أخلاقه ﷺ.

٣ـ وجوب التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه في كل شيء يقوم به العبد.

٤ـ عظمة عرش الرحمن عز وجل.

سُورَةُ يُونُسَ

مكيـــة(٢)

وآياتها مائة وتسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

(١) عن أبي الدرداء أن من قال: إذا أصبح وإذا أمسى: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم: سبع مرات كفاه الله ما أهمّه صادقا كان أو كاذبا).

(٢) ذكر بعضهم أن منها آيات قليلة مدنية، والظاهر أنها كلها مكية ومن تدبر آياتها من أوله إلى آخره لم ير ما يدعو إلى خلافه.

شرح الكلمات :

آلــر : هذه السورة الرابعة من السور المفتتحة بالحروف المقطعة تكتب آلر وتقرأ أَلفْ لام. را.

الكتــاب : أي القرآن العظيم.

الحكيــم : القائل بالحكمة والقرآن مشتمل على الحِكَم فهو حكيم ومحكم أيضاً.

عجبــاً : العجب ما يتعجب منه.

رجـل منهـم : هو محمد صلى الله عليه وسلم.

قـدم صـدق : أي أجراً حسناً بما قدموا في حياتهم من الإيمان وصالح الأعمال.

إن هــذا : أي القـرآن.

لسـحر(١) مبين : أي بين ظاهر لا خفاء فيه في كذبهم وادعائهم الباطل.

معنى الآيتين :

مما تعالجه السور المكية قضايا التوحيد والوحي والبعث الآخر وسورة يونس افتتحت بقضية الـوحي أي إثباته وتقريره من الله لرسوله محمد ﷺ قال تعالى ﴿آلر تلك آيات(٢) الكتـاب الحكيم﴾(٣) أي هذه آيات القرآن الكريم المحكم آياته المشتمل على الحكم الكثيرة حتى لكأنه الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه وقوله تعالى ﴿أكان للناس(٤) عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ أي أكان ايحاؤنا إلى محمد عبدنا ورسولنا وهو رجل من قريش عجباً لأهل مكة يتعجبون منه؟ والموحى به هو: ﴿أن أنذر الناس﴾، أي خوفهم عاقبة الشرك والكفر والعصيان ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ أي بأن لهم قدم(٥) صدق عند ربهم وهو

---

(١) هذه قراءة نافع.

(٢) يذكر المفسرون عن السلف توجيهات عدة لهذه الحروف منها: ما رووه عن ابن عباس أن الر: معناها: أنا الله.. وكل ما ذكروه قول بالظن وإنّ الظن أكذب الحديث، ومن الخير تفويض أمر معناها إلى من أنزلها وقد ذكرنا في التفسير، فائدتين عظيمتين فلنكتف بهما.

(٣) قال مقاتل: الحكيم بمعنى: المحكم من الباطل لا يدخله ففعيل بمَعنى مُفعل واستشهد بقول الأعشى بذكر قصيدته التي قالها

وغريبة تأتي الملوك حكيمة   قد قلتها ليقال من ذا قالها

(٤) ﴿أكان للناس عجبا﴾: الاستفهام للتقريع والتوبيخ، وعجباً: خبر كان والاسم: أن أوحينا، والتقدير: أكان عجباً للناس إيحاؤنا.

(٥) ذكر القرطبي في تفسير ﴿قدم صدق﴾ أقوالا متعددة منها: سبق السعادة في الأزل، ومنها: أجر حسن، ومنها: منزل صدق، ومنها: ولد صالح قدّموه ومنها: يؤثر ذلك عن السلف، وما في التفسير هو الراجح إذ رجّحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى.

الجزاء الحسن لما قدموا من الإيمان وصالح الأعمال يتلقونه يوم يلقون ربهم في الدار الآخرة فلما أنذر وبشر ﷺ قال الكافرون هذا سحر مبين ومرة قالوا: ساحر مبين وقولهم هذا لمجرد دفع الحق وعدم قبوله لا أن ما أنذر به وبشر هو سحر، ولا المنذر المبشر هو ساحر وإنما هو المجاحدة والعناد والمكابرة من أهل الشرك والكفر والباطل والشر والفساد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير عقيدة الوحي بشهادة الكتاب الموحى به.

٢ـ إثبات نبوة محمد ﷺ وتقريرها بالوحي إليه.

٣ـ بيان مهمة الرسول ﷺ وهي النذارة والبشارة.

٤ـ بشرى أهل الإيمان والعمل الصالح بما أعد لهم عند ربهم.

٥ـ عدم تورع أهل الكفر عن الكذب والتضليل.

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ
ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ

ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

إن ربكم الله : أي معبودكم الحق الذي يجب أن تعبدوه وحده هو الله .

خلق السموات والأرض : أي أوجدها من العدم حيث كانت عدماً فأصبحت عوالم .

في ستة أيام : هي الأحد والأثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة .

ثم استوى على العرش : أي استوى استواء يليق به عز وجل فلا يقال كيف؟

ما من شفيع إلا من بعد إذنه : أي لا يشفع أحد يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له .

أفلا تذكرون : أي أتستمرون في جحودكم وعنادكم فلا تذكرون .

ثم يعيده : أي بعد الفناء والبلى وذلك يوم القيامة .

شراب من حميم : أي من ماء أُحمي عليه وغلى[1] حتى أصبح حميماً يشوي الوجوه .

جعل الشمس ضياء[2] : أي جعلها تضيء على الأرض .

والقمر نوراً : أي جعل القمر بنور الأرض وهو الذي خلق ضوء الشمس ونور القمر .

وقدره منازل : أي قدر القمر منازل والشمس كذلك .

لتعلموا : أي قدرهما منازل ليعلم الناس عدد السنين والحساب .

يتقون : أي مساخط الله وعذابه وذلك بطاعته وطاعة رسوله .

معنى الآيات :

هذه الآيات في تقرير الألوهية بعد تقرير الوحي واثباته في الآيتين السابقتين فقوله تعالى ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر﴾ إخبار منه تعالى أنه عز وجل هو رب أي معبود أولئك المشركين به آلهة أصناماً

(١) غلى الماء يغلي غليانا إذا اشتدت حرارته ففار دخاناً.

(٢) الضياء: نور ساطع يضيء للرائي الأشياء وهو اسم مشتق من الضوء فالضياء أقوى من الضوء.

يعبدونها معه وهي لم تخلق شيئاً أما الله فإنه الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام بمقدار أيامنا هذه إذ لم تكن يومئذ أياماً كأيام الدنيا هذه، ثم استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وكماله يدبر(١) أمر السماء والأرض. هذا هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد ويتقرب إليه. وقوله: ﴿ما من(٢) شفيع إلا من بعد إذنه﴾ أي وأنه لعظمته وعزة سلطانه لا يقدر أحد أن يشفع لآخر إلا بعد إذنه له فكيف إذاً تعبد هذه الأصنام رجاء شفاعتها لعابديها، والله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه؟ وقوله تعالى ﴿ذلكم الله ربكم فاعبدوه﴾ أي هذا الموصوف بهذه الصفات المُعرَّف بهذه النعوت من الجلال والكمال هو ربكم الحق فاعبدوه بما شرع لكم من أنواع العبادات تكملوا وتسعدوا وقوله ﴿أفلا تذكرون﴾ هو توبيخ للمشركين لهم لِمَ لا تتعظون بعد سماع الحق. وقوله تعالى ﴿إليه مرجعكم بعد موتكم جميعاً وعد الله حقاً(٣)﴾ تقرير لمبدأ البعث الآخر أي إلى الله تعالى ربكم الحق مُرجعكم بعد موتكم جميعاً إذ وعدكم وعد الحق بالرجوع إليه والوقوف بين يديه وقوله ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط(٤)﴾ أي بالعدل: بيان لعلة الحياة بعد الموت إذ هذه الدار دار عمل والآخرة دار جزاء على هذا العمل فلذا كان البعث واجباً حتماً لا بد منه ولا معنى لإنكاره لأن القادر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى وأحرى وقوله تعالى ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ أي ماء حار قد بلغ المنتهى في حرارته وعذاب أليم أي موجع اخبار منه تعالى بجزاء أهل الكفر يوم القيامة وهو علة أيضاً للحياة بعد الموت والبعث بعد الفناء وبهذا تقرر مبدأ البعث كما تقرر قبله مبدأ التوحيد ومن قبل مبدأ الوحي إذ على هذه القضايا تدور السور المكية وقوله تعالى ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾ أي ذات ضياء والقمر نوراً ذا نور وقدر القمر منازل(٥) وهي ثمانية وعشرون منزلة يتنقل فيها القمر، فعل ذلك ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب(٦)﴾ فتعرفون

---

(١) قال مجاهد: يقضيه ويقدره وحده، وقيل: يأمر به ويمضيه. قال القرطبي: والمعنى متقارب

(٢) ﴿ما من شفيع﴾ أي: لا شفيع يشفع إلا بعد إذنه له بالشفاعة.

(٣) ﴿وعدا﴾ و﴿حقا﴾: مصدران بمعنى وعدكم وعدا وأحقه حقا. أي: صدقا لا خلف فيه.

(٤) الجملة: ﴿إنه يبدؤ الخلق﴾: واقعة موقع الدليل على إنجاز وعده تعالى لأنّ الذي خلق من تراب وماء قادر على البعث والجزاء.

(٥) المنازل: جمع منزل، وهو مكان النزول والمراد بها سُمُوتُ بلوغ القمر فيها للناس كل ليلة في سمت منها كأنه ينزل بها، وللشمس منازل تسمى بروجاً وهي اثنا عشر برجا تحل فيها الشمس في فصول السنة لكل برج منزلتان وثلث.

(٦) ﴿الحساب﴾ مصدر حسُب يحسُب بضم السين حسابا بمعنى عدَّ أما حسِب بكسر السين فهو بمعنى ظن ومضارعه يحسب بفتح السين وكسرها لغتان فصيحتان. وبهما قرىء: أيحسب الإنسان وكل يحسب بمعنى يظن

عدد السنوات والشهور والأيام والساعات إذ حياتكم تحتاج إلى ذلك فهذا الرب القادر على هذا الخلق والتدبير هو المعبود الحق الذي يجب أن تعبدوه ولا تعبدوا سواه فهذا تقرير للتوحيد وتأكيد له. وقوله ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ أي لم يخلق هذه الحياة الدنيا وهذه العوالم فيها عبثاً فتفنى وتبلى بعد حين ولا شيء وراء ذلك بل ما خلق ذلك إلا بالحق أي من أجل أن يأمر وينهى ثم يجزي المطيع بطاعته والعاصي بعصيانه وفي هذا تأكيد لقضية البعث والجزاء أيضاً وقوله ﴿يفصل الآيات﴾ أي هذا التفصيل المشاهد في هذا السياق ﴿لقوم يعلمون﴾ إذ هم الذين ينتفعون به أما الجهلة فلا ينتفعون بهذا التفصيل والبيان وقوله تعالى في الآية الأخيرة ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ أي بالطول والقصر والضياء والظلام ﴿وما خلق الله في السموات والأرض﴾(١) من أفلاك وكواكب ورياح وأمطار وما خلق في الأرض من إنسان وحيوان وبر وبحر وأنهار وأشجار وجبال ووِهاد ﴿لآيات﴾ أي علامات واضحة دالة على الخالق المعبود بحق وعلى جلاله وجماله وكماله وعظيم قدرته وقوة سلطانه فيُعبد لذلك بحبه غاية الحب وبتعظيمه غاية التعظيم وبرهبته والخشية منه غاية الرهبة والخشية ويذكر فلا يُنسى ويشكر فلا يُكفر ويطاع فلا يُعصى وقوله تعالى ﴿لقوم يتقون﴾(٢) خص أهل التقوى بالآيات فيما ذكر من مظاهر خلقه وقدرته لأنهم هم الذين حقاً يبصرون ذلك ويشاهدونه لصفاء أرواحهم وطهارة قلوبهم ونفوسهم أما أهل الشرك والمعاصي فهم في ظلمة لا يشاهدون معها شيئاً والعياذ بالله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير ألوهية الله تعالى وأنه الإله الحق.

٢ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء في الدار الآخرة.

٣ـ بيان الحكمة في خلق الشمس والقمر وتقدير منازلهما.

٤ـ مشروعية تعلم الحساب وعلم الفلك لما هو نافع للمسلمين.

---

(١) قوله: ﴿وما خلق الله في السموات والأرض﴾ شمل الأجسام والأحوال معاً أي: الذوات والصفات، والأقوال والأعمال أيضا إذ قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾.

(٢) خصهم بالآيات لأنهم هم الذين ينتفعون بها أما أهل الشرك والفجور والمعاصي فلا ينتفعون بها فهي إذاً ليست لهم بل هي لغيرهم ممن ينتفعون بها.

٥ـ فضل العلم والتقوى وأهلهما من المؤمنين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

لا يرجون لقاءنا : أي لا ينتظرون ولا يؤملون في لقاء الله تعالى يوم القيامة.

ورضوا بالحياة الدنيا : أي بدلاً عن الآخرة فلم يفكروا في الدار الآخرة.

واطمأنوا بها : أي سكنوا إليها وركنوا فلم يروا غيرها حياة يُعمل لها.

غافلــون : لا ينظرون إليها ولا يفكرون فيها.

مأواهم النـار : أي النار هي المأوى الذي يأوون إليه وليس لهم سواها.

يهديهم ربهم بإيمانهم(١) : أي بأن يجعل لهم بإيمانهم نوراً يهتدون به إلى الجنة.

دعواهم فيها سبحانك اللهم(٢) : أي يطلبون ما شاءوا بكلمة سبحانك اللهم.

وآخر دعواهم أن الحمد لله : أي آخر دعائهم: الحمد لله رب العالمين.

معنى الآيـات :

بعـد تقـرير الوحي والألُوهية في الآيات السابقة ذكر تعالى في هذه الآيات الثلاث

---

(١) قال مجاهد: ﴿يهديهم ربهم﴾ بالنور على الصراط إلى الجنة بأن يجعل لهم نوراً يمشون به، وشاهده قوله تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات الخ﴾.

(٢) الدعوى هنا: بمعنى الدعاء يقال: دعوة بالهاء ودعوى بألف التأنيث وسبحان: مصدر بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه.

الكريمة بيان جزاء كل ممن كذب بلقاء الله فلم يرجُ ثواباً ولم يخشَ عقاباً ورضيَ بالحياة الدنيا واطمأن بها، وممن آمن بالله ولقائه ووعده ووعيده فآمن بذلك وعمل صالحاً فقال تعالى ﴿إن الذين لا يرجون[1] لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها[2]﴾ أي سكنت نفوسهم إليها وركنوا فعلاً إليها ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ أي آياته الكونية في الآفاق والقرآنية وهي حُجج الله تعالى وأدلته الدالة على وجوده وتوحيده ووحيه وشرعه غافلون عنها لا ينظرون فيها ولا يفكرون فيما تدل لإنهماكهم في الدنيا حيث أقبلوا عليها وأعطوها قلوبهم ووجوههم وكل جوارحهم. هؤلاء يقول تعالى في جزائهم ﴿أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ أي من الظلم والشر والفساد. ويقول تعالى في جزاء من آمن بلقائه ورجا ما عنده ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم﴾ أي إلى طريق الجنة ﴿بإيمانهم﴾ أي بنور إيمانهم فيدخلونها ﴿تجري من تحتهم[3] الأنهار في جنات النعيم﴾. ونعيم الجنة روحاني وجسماني فالجسماني يحصلون عليه بقولهم: سبحانك اللهم، فإذا قال أحدهم هذه الجملة «سبحانك اللهم»[4] حضر لديه كل مُشتهى له. والروحاني يحصلون عليه بسلام الله تعالى عليهم وملائكته ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾. وإذا فرغوا من المآكل والمشارب قالوا: الحمد لله رب العالمين. وهذا معنى قوله ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾ أي دعاؤهم أي صيغة طلبهم ﴿وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم﴾ أي دعائهم ﴿أن﴾ أي أنه: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[5].

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ التحذير من نسيان الآخرة والإقبال على الدنيا والجري وراء زخارفها.

---

(١) ﴿لا يرجون لقاءنا﴾ معناه أنهم لا يطلبونه ولا يتوقعونه، ولازم ذلك أنهم لا يخافون عقاباً أخرويا ولا ثوابا.

(٢) أي: سكنت نفوسهم إليها وصرفوا كل همهم لها طلبا لتحصيل منافعها فلم يسعوا لتحصيل ما ينفع في الآخرة لأنهم سكنوا إلى الدنيا، والساكن لا يتحرّك ووصف بأنه لها يرضى ولها يغضب ولها يفرح ولها يهتم ويحزن.

(٣) ﴿من تحتهم﴾ من تحت بساتنهم ومن تحت أسرّتهم كذلك وهو أحسن في النزهة والفرجة.

(٤) إنه ثناء مسوق للتعرض إلى إفاضة النعيم من طعام وشراب وهو كما قال ابن أبي الصلت:

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرّضه الثناء

(٥) في الآية دليل على اطلاق لفظ التسبيح على الدعاء وشاهده: دعوة ذي النون: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ وفيها دليل على مشروعية بل سنية بدء الطعام والشراب ببسم الله. وإنهائه بحمد الله تعالى كما هي السنة في ذلك.

٢ـ التحذير من الغفلة بعدم التفكر بالآيات الكونية والقرآنية إذ هذا التفكير هو سبيل الهداية والنجاة من الغواية .

٣ـ الإيمان والعمل الصالح مفتاح الجنة والطريق الهادي إليها .

٤ـ نعيم الجنة روحاني وجسماني وهوحاصل ثلاث كلمات هي :

سبحانك اللهم . وتحيتهم فيها سلام . وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ
خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

الشر : كل ما فيه ضرر في العقل أو الجسم أو المال والولد، والخير عكسه : ما فيه نفع يعود على الجسم أو المال أو الولد.

لقضي إليهم أجلهم : لهلكوا وماتوا .

فنذر : أي نترك .

في طغيانهم يعمهون : أي في ظلمهم وكفرهم يترددون لا يخرجون منه كالعميان .

الضر : المرض وكل ما يضر في جسمه، أو ماله أو ولده .

مر كأن لم يدعنا : مضى في كفره وباطله كأن لم يكن ذاك الذي دعا بكشف ضره.

كذلك زين[1] : مثل ذلك النسيان بسرعة لما كان يدعو لكشفه، زين للمسرفين إسرافهم في الظلم والشر.

القــرون : أي أهل القرون.

بالبينــات : بالحجج والآيات على صدقهم في دعوتهم.

خــلائـف : أي لهم، تخلفونهم بعد هلاكهم.

معنى الآيـات :

هذه الفترة التي كانت تنزل فيها هذه السورة المكية كان المشركون في مكة في هيجان واضطراب كبيرين حتى إنهم كانوا يطالبون بنزول العذاب عليهم إذ ذكر تعالى ذلك عنهم في غير آية من كتابه منها ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ ومنها ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب﴾ وفي هذا الشأن نزل قوله تعالى ﴿ولو يعجّل الله للناس الشر﴾[2] أي عند سؤالهم إياه،[3] أو فعلهم ما يقتضيه كاستعجاله الخير لهم ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ أي لهلكوا الهلاك العام وانتهى أجلهم في هذه الحياة، وقوله تعالى ﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ أي لم نعجل لهم العذاب فنذر الذين لا يرجون لقاءنا أي لا يؤمنون بلقائنا وما عندنا من نعيم وجحيم نتركهم في طغيانهم في الكفر والظلم والشر والفساد يعمهون حيارى يترددون لا يعرفون مُتجهاً ولا مخرجاً لما هم فيه من الضلال والعمى.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١١) أما الآية الثانية (١٢) فقد تضمنت بيان حقيقة وهي أن الإنسان الذي يعيش في ظلمة الكفر ولم يستنر بنور الإيمان إذا مسه الضر وهو

---

(١) قال القرطبي وهو صادق، كما زيّن لهذا الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء زيّن للمسرفين في الشرك والمعاصي أعمالهم في ذلك.

(٢) فسّر الشرّ بالعقوبة إذ الشر كل ما يلحق الضرر بالإنسان عاجلا أو آجلا، والعقوبة كلها شر إذ هي عذاب انتقام ينزل بصاحبه.

(٣) قال مجاهد: هذه الآية نزلت في الرجل يدعو على نفسه أو ماله أو ولده إذا غضب. اللهم أهلكه اللهم لا تبارك فيه اللهم العنه فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب الخير لقضى إليهم أجلهم. ولا أحسب أنّ الآية نزلت في هذا وإنما هي شاهد لما قال فقط، وشاهد آخر رواه البزار وأبو داود وهو قوله ﷺ: (لاتدعوا على أنفسكم لا تدعوا على أولادكم لاتدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم).

المرض والفقر وكل ما يضر دعا ربه على الفور لجنبه أو قاعداً أو قائماً يا رباه يا رباه فإذا استجاب الله له وكشف ما به من ضر مرَّ كأن لم يكن مرض ولا دعا واستجيب له واستمر في كفره وظلمه وغيِّه. وقوله تعالى ﴿كذلك زُين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ أي كما أن الإنسان الكافر سرعان ما ينسى ربه الذي دعاه ففرج ما به كذلك حال المسرفين في الظلم والشر فإنهم يرون ما هم عليه هو العدل والخير ولذا يستمرون في ظلمهم وشرهم وفسادهم. هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾.

وقوله تعالى في الآية الثالثة ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾ هذا خطاب لأهل مكة يخبرهم تعالى مهدداً إياهم بإمضاء سنته فيهم بأنه أهلك أهل القرون من قبلهم لَمَّا ظلموا أي أشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات[1] أي بالآيات والحجج، وأبوْا أن يؤمنوا لِما ألفوا من الشرك والمعاصي فأهلكهم كعاد وثمود وأصحاب مدين وقوله تعالى ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ أي مثل ذلك الجزاء بالإهلاك العام نجزي القوم المجرمين في كل زمان ومكان إن لم يؤمنوا ويستقيموا. وقوله تعالى ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ أي يقول لمشركي العرب من أهل مكة وغيرها، ثم جعلناكم خلائف[2] في الأرض بعد إهلاك من قبلكم لننظر[3] كيف تعملون فإن كان عملكم خيراً جزيناكم به وإن كان سوءاً جزيناكم به وتلك سنتنا في عبادنا وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ مظاهر رحمة الله بعباده إذ لو عجل لهم ما يطلبون من العذاب كما يعجل لهم الخير عندما يطلبونه لأهلكهم وقضى إليهم أجلهم فماتوا.

٢ـ يعصي الله العصاةُ ويكفر به الكافرون ويتركهم في باطلهم وشرهم فلا يعجل لهم العذاب لعلهم يرجعون.

(١) أي: بالمعجزات الواضحات كالتي أتى بها موسى وعيسى عليهما السلام.

(٢) الخلائف: جمع خليفة وحرف ثم مُؤذن ببعد ما بين الزمانين، والأرض: هي أرض العرب إذ هم الذين خلفوا عاداً وثموداً وقبلهما طسما وجديساً.

(٣) هذا التعليل كقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾ إذ علّة الوجود هي أن يذكر الله ويشكر، فمن ذكره وشكره أكرمه وأسعده ومن كفره ونساه عذّبه وأشقاه.

٣ـ بيان أن الإنسان الكافر يعرف الله عند الشدة ويدعوه ويضرع إليه فإذا نجاه عاد إلى الكفر به كأن لم يكن يعرفه .

٤ـ استمرار المشركين على إسرافهم في الكفر والشر والفساد مُزين لهم[1] حسب سنة الله تعالى .فمثلهم مثل الكافر يدعو عند الشدة وينسى عند الفرج .

٥ـ وعيد الله لأهل الإجرام بالعذاب العاجل أو الآجل إن لم يتوبوا .

٦ـ كل الناس أفراداً وأمماً مُمهَلُون مُراقبُون في أعمالهم وسلوكهم ومَجزيون بأعمالهم خيرها وشرها لا محالة .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾

---

(١) شاهده قوله تعالى : ﴿كذلك زيّنا لكلّ أمة عملهم﴾ من سورة الأنعام .

شرح الكلمات :

لا يرجون لقاءنا : أي لا يؤمنون بالبعث والدار الآخرة.

من تلقاء نفسي : أي من جهة نفسي.

ولا أدراكم به : أي لا أعلمكم به.

عمراً من قبله : أي أربعين سنة قبل أن يوحى إليّ.

المجرمون : المفسدون لأنفسهم بالشرك والمعاصي.

ما لا يضرهم : أي إن لم يعبدوه.

ومالا ينفعهم : أي إن عبدوه.

أتنبئون : أي أتعلّمون وتخبرون الله.

سبحانه : أي تنزيها له.

عما يشركون : أي به معه من الأصنام.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير قضايا أصول الدين الثلاث: التوحيد والوحي والبعث فقوله تعالى ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ أي إذا قرئت عليهم آيات الله عز وجل ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾[1] وهم المنكرون للبعث إذ به يتم اللقاء مع الله تعالى للحساب والجزاء. ﴿إئت بقرآن غير هذا﴾ أي بأن يكون خالياً من عيب آلهتنا وانتقاصها. أو أبقه ولكن بدل كلماته بما لا يسوءنا فاجعل مكان آية فيها ما يسوءنا آية أخرى لا إساءة فيها لنا وقولهم هذا إما أن يكون من باب التحدي أو الاستهزاء والسخرية[2] ولكن الله تعالى علَّم رسوله طريقة الرد عليهم بناء على ظاهر قولهم فقال له ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ أي إنه لا يتأتّى لي بحال أن أبدله من جهة نفسي لأني عبدالله ورسوله ما اتبع إلا ما يوحى

(١) عن مجاهد: أن المطالبين بهذا هم خمسة أنفار: عبدالله بن أميّة والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبدالله بن أبي قيس والعاصي بن عامر قالوا للنبي ﷺ إئت بقرآن ليس فيه ترك عبادة الأصنام واللّات والعزّى ومناة وهبل وليس فيه عيبها.

(٢) وإمّا أن يكون من باب توهمهم أن الرسول ﷺ يأتي به من تلقاء نفسه إلّا أنّ هذا الاحتمال ضعيف.

إلي ﴿إنِّي[1] أخاف إن عصيت ربي﴾ بتبديل كلامه ﴿عذاب يوم عظيم﴾ أي عذاب يوم القيامة وقوله ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به﴾ أي قل لهم رداً على طلبهم: لو شاء الله أن لا أتلوه عليكم ما تلوته عليكم، ولا أدراكم هو به أي ولا أعلَمكم فالأمر أمره وأنا لا أعصيه ويدل لكم على صحة ما أقول: إني لبثت فيكم عمراً[2] أي أربعين سنة قبل أن آتيكم به ﴿أفلا تعقلون﴾: معنى ما أقول لكم من الكلام وما أذكر لكم من الحجج؟.

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية (١٥ ـ ١٦) أما الآية الثالثة فقد تضمنت التنديد بالمجرمين الذين يكْذِبون على الله تعالى بنسبة الشريك إليه ويكذِّبون بآياته ويجحدونها فقال تعالى ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾[3] أي لا أحد أظلم منه ﴿أو كذب بآياته﴾ بعدما جاءته أي لا أحد أظلم من الأثنين، وقوله تعالى ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ دل أولاً على أن المذكورين مجرمون وأنهم لا يفلحون شأنهم شأن كل المجرمين. وإذا لم يفلحوا فقد خابوا وخسروا. وقوله تعالى في الآية الرابعة ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ أي من الأصنام ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[4] وهم في ذلك كاذبون مفترون فلذا أمر الله أن يرد عليهم بقوله ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ إذ لو كان هناك من يشفع عنده لعِلمَهُم وأخبر عنهم فلم الكذب على الله والافتراء عليه ثم نزه الله تعالى نفسه عن الشرك به والشركاء له فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيات:

١ـ من الدعوة إلى الله تعالى تلاوة آياته القرآنية على الناس تذكيراً وتعليماً.

---

(١) جملة: ﴿إنّي أخاف﴾ جملة تعليلية لجملة: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾.

(٢) العمر: الحياة مشتق من العمران، لأنّ مدة الحياة يعمر بها الحي العالم الأرضي، ويطلق العمر على المدة الطويلة التي لو عاش الإنسان مقدارها لكان أخذ حظه من البقاء. والمراد من قوله ﴿عمراً﴾ أي: لبثت بينكم مدة عمر كامل. إذ هي أربعون سنة.

(٣) في هذه الآية زيادة ردّ على المطالبين بتبديل القرآن إذ تبديله ظلم والزيادة فيه كذب على الله تعالى ولا أحد أظلم ممن يفترى على الله الكذب، فكيف يسوغ لي أن افتري على الله الكذب أو أبدل كلامه.

(٤) إن قولهم: هؤلاء ﴿شفعاؤنا﴾ لأصنام لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر هو غاية الجهل، ومرادهم من شفاعتها أنها تشفع لهم عند الله في إصلاح معاشهم في الدنيا.

٢ـ بيان ما كان عليه المشركون من تعنت وجحود ومكابرة .

٣ـ كون النبي ﷺ عاش أربعين سنة لم يعرف فيها علماً ولا معرفة ثم برز في شيء من العلوم والمعارف فتفوق وفاق كل أحد دليل على أنه نبي يوحى إليه قطعاً .

٤ـ لا أحد أظلم من أحد رجلين رجل يكْذب على الله تعالى وآخر يكذِّب الله تعالى .

٥ـ إبطال دعوى المشركين أن آلهتهم تشفع لهم عند الله يوم القيامة .

٦ـ بيان سبب عبادة المشركين لآلهتهم وهو رجاؤهم شفاعتها لهم .

وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

أمة واحدة : أي على دين واحد هو الإسلام .

فاختلفوا : أي تفرقوا بأن بقي بعض على التوحيد وبعض على الشرك .

كلمة سبقت : بإبقائهم إلى آجالهم ومجازاتهم يوم القيامة .

آية : خارقة كناقة صالح عليه السلام .

إنما الغيب لله : أي إن علم الآية متىٰ تأتي من الغيب والغيب لله وحده فلا أنا ولا أنتم تعلمون إذاً فانتظروا إنا معكم من المنتظرين .

معنى الآيتين :

يخبر تعالى رسوله بحقيقة علمية تاريخية من شأن العلم بها المساعدة على الصبر والتحمل فيقول ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ أي في زمن سابق أمة واحدة على دين التوحيد دين الفطرة ثم حدث أن أحدثت لهم شياطين الجن والإنس البدع والأهواء

والشرك فاختلفوا فمنهم من ثبت على الإيمان والتوحيد ومنهم من كفر بالشرك والضلال. وقوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾[1] وهي أنه لا يعجل العذاب للأمم والأفراد بكفرهم وإنما يؤخرهم إلى آجالهم ليجزيهم في دار الجزاء بعذاب النار يوم القيامة لولا كلمته والتي هي ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ لعجل لهم العذاب فحكم بينهم بأن أهلك الكافر وأنجى المؤمن.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٩) أما الآية الثانية (٢٠) فيخبر تعالى عن المشركين أنهم قالوا ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾[2] أي هلاَّ أُنزل على محمد آية خارقة من ربه لنعلم ونستدل بها على أنه رسول الله وقد يريدون بالآية عذاباً فلذا أمر الله رسوله أن يرد عليهم بقوله ﴿إنما الغيب لله﴾ فهو وحده يعلم متى يأتيكم العذاب وعليه ﴿فانتظروا إني معكم[3] من المنتظرين﴾ ولم تطل مدة الانتظار ونزل بهم العذاب ببدر فهلك رؤساؤهم وأكابر المستهزئين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ الأصل هو التوحيد والشرك طارىء.

٢ـ الشر والشرك هما اللذان يحدثان الخلاف في الأمة والتفرق فيها أما التوحيد والخير فلا يترتب عليهما خلاف ولا حرب ولا فرقة.

٣ـ بيان علة بقاء أهل الظلم والشرك يظلمون ويفسدون إلى آجالهم.

٤ـ الغيب كله لله فلا أحد يعلم الغيب إلا الله ومن علَّمه الله شيئاً منه وهذا خاص بالرسل لإقامة الحجة على أممهم.

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ

(١) في الآية إشارة إلى القضاء والقدر أي: لولا ما سبق في حكمه أنه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب قبل يوم القيامة.

(٢) يريدون معجزة كمعجزات صالح وموسى وعيسى عليهم السلام أو آية غير القرآن كأن يحيي لهم الموتى أو يجعل الجبل ذهبا أو يكون له بيت من زخرف.

(٣) في الجملة تعريض بتهديدهم على جراء تهم على الله ومطالبتهم بالآيات، والآيات القرآنية معرضون عنها وهي أعظم مما يطلبون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴿٢١﴾
وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟
ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

رحمـــة : أي مطر بعد قحط أو صحة بعد مرض أو غنى بعد فاقة.

ضـــراء : حالة من الضر بالمرض والجدب والفقر.

مكر في آياتنا : أي استهزاء بها وتكذيب.

إن رسلنا : أي الحفظة من الملائكة.

يسيركم[1] : أي يجعلكم تسيرون بما حولكم من مراكب وما يسر لكم من أسباب.

بريح طيبة : أي مناسبة لسير السفن موافقة لغرضهم.

ريح عاصف : أي شديدة تعصف بالشجر فتقتلعه والبناء فتهدمه.

وأحيط بهم : أي أحدق بهم الهلاك من كل جهة.

يبغون بغير الحق[2] : أي يظلمون مجانبين للحق والاعتدال.

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة أهل مكة إلى توحيد الله والإيمان برسوله والدار الآخرة فيقول

(١) قرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين أي يبثكم ويفرقكم والفلك: يطلق على الواحد والجمع ويذكر ويؤنث.

(٢) البغي: الاعتداء والظلم مأخوذ من بغا الجرح إذا فسد فهو من الفساد.

تعالى ﴿وإذا أذقنا الناس﴾ أي كفار مكة ﴿رحمة من بعد ضراء مستهم﴾ أي أذقناهم طعم الرحمة التي هي المطر بعد الجفاف والغنى بعد الفاقة والصحة بعد المرض وهي الضراء التي مستهم فترة من الزمن. يفاجئونك[١] بالمكر بآيات الله وهو استهزاؤهم بها والتكذيب بها وبمن أُنزلت عليه. وقوله تعالى ﴿قل الله أسرع مكراً﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء الماكرين من المشركين الله عز وجل أسرع مكراً منكم فسوف يريكم عاقبة مكره بكم وهي إذلالكم وخزيكم في الدنيا وعذابكم في الآخرة إن متم على كفركم وقوله ﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ تقرير لما أعلمهم به من مكر الله تعالى بهم إذ كتابة الملائكة ما يمكرون دليل على تبييت الله تعالى لهم المكروه الذي يريد أن يجازيهم به على مكرهم.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢١) أما الآية الثانية (٢٢) فهي تُري المشركين ضعفهم وعجزهم وحاجتهم إلى الله تعالى، ومن كان كذلك فكيف يستهزىء بربه ويسخر من آياته ويكذب رسوله إن أمرهم لعجب فيقول تعالى هو أي الله الذي تمكرون بآياته الذي يسيركم في البر بِما خلق لكم من الظهر الإبل والخيل والحمير، وفي البحر بما سخر لكم من الفلك تجري في البحر بأمره. حتى إذا كنتم في البحر وجرين[٢] أي السفن بهم أي بالمشركين بريح طيبة مناسبة لسير السفن وفرحوا بها على عادة ركاب[٣] البحر يفرحون بالريح المناسبة لسلامتهم من المَيَدان[٤] والقلق والاضطراب. جاءتها أي السفن ريح عاصف أي شديدة الهبوب تضطرب لها السفن ويخاف ركابها الغرق، وجاءهم أي الكفار الراكبين عليها الموج من كل مكان من جهات البحر والموج هو ارتفاع ماء البحر وتموجه كزوابع الغُبور في البر. وظنوا أي أيقنوا أو كادوا أنهم أحيط بهم أي هلكوا ﴿دعوا الله مخلصين

---

(١) قيل: إنّ أبا سفيان قال: قحطنا بدعائك فإن سقيتنا صدّقناك فسُقوا باستسقائه ﷺ فلم يؤمنوا وهذا من مكرهم.

(٢) وجرين بهم: فيه خروج من الخطاب إلى الغيبة وهو ضرب من الأساليب البلاغية وهو في القرآن كثير، وكذا في أشعار العرب قال النابغة:

يا دار مية بالعلياء فالسند   أقوت وطال عليها سالف الأمد

ويقال له: التفات من كذا إلى كذا.

(٣) في الآية دليل على جواز ركوب البحر مطلقا، وشاهده من السنة حديث: (إنّا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته) وحديث أم حرام يدلّ على جواز ركوبه في الغزو.

(٤) الميدان: دوّار أو غشيان يصيب راكب البحر.

له الدين﴾ أي الدعاء يارب يارب نجنا ويَعِدُونَه[1] قائلين ﴿لئن انجيتنا من هذه﴾ أي الهلكة ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك أي المطيعين المعترفين بنعمتك علينا الموحدين لك بترك الآلهة لعبادتك وحدك لا شريك لك. فلما أنجاهم من تلك الشدة يفاجئونك ببغيهم في الأرض بغير الحق شركاً وكفراً وظلماً وفساداً فعادوا لما كانوا وإنهم لكاذبون وقوله تعالى ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا﴾ يخبرهم تعالى بقوله يا أيها الناس الباغون في الأرض بغير الحق في أي زمان كنتم وفي أي مكان وجدتم إنما بغيكم[2] أي عوائده عائدة على أنفسكم إذ هي التي تتأثم وتخبث في الدنيا وتفسد وتصبح أهلاً لعذاب الله يوم القيامة وقوله ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أي ذلك متاع[3] الحياة الدنيا شقاء كان أو سعادة ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ أي لا إلى غيرنا وذلك بعد الموت يوم القيامة ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ من خير وشر ونجزيكم به الجزاء العادل في دار الجزاء.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- من مكر مكر الله به والله أسرع مكراً وأكبر أثراً وضرراً.

٢- بيان ضعف الإنسان وفقره إلى الله وحاجته إليه عز وجل في حفظ حياته وبقائه إلى أجله.

٣- إخلاص العبد الدعاء في حال الشدة آية أن التوحيد أصل والشرك طارىء.

٤- المشركون الأولون أحسن حالاً من جهلة هذه الأمة إذ يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة أما جهال المسلمين اليوم فشركهم دائم في الرخاء والشدة على السواء.

٥- بَغْيُ الإنسـان عائـد على نفسه كمكره ونكثه وفي الحديث ﴿ثلاث على أصحابها رواجع : البغي والمكر والنكث﴾.

٦- تقرير مبدأ البعث والجزاء يوم القيامة.

---

(١) روي أنهم قالوا في دعائهم هذا يا حي يا قيوم.

(٢) مصداقه من الحديث الشريف: (ما من ذنب أحق أن يعجّل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم).

(٣) المتاع: ما يتمتع به انتفاعاً غير دائم.

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ
أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ
يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

مثل الحياة الدنيا : أي صفتها المنطبقة عليها المُتَّفِقة معها.

مـــاء : أي مطــر.

فاختلــط به[1] : أي بسببه نبات الأرض أي اشتبك بعضه ببعض.

مما يأكـل الناس : كالبر وسائر الحبوب والفواكه والخضر.

والأنعـــام : أي من الكلأ والعشب عادة وإلا قد يعلف الحيوان الشعير.

زخرفهـــا[2] : أي نضرتها وبهجتهـا.

وازينـــت[3] : أي تجملت بالزهـــور.

وظن أهلها أنهم

قادرون عليها : أي متمكنون من تحصيل حاصلاتها الزراعية.

أتاهــا أمـرنا : أي قضاؤنا بـإهلاكهـا وتدميرها عقوبة لأصحابها.

حصـــيداً : أي كأنها محصودة بالمنجل ليس فيها شيء قائم.

---

(١) أي: اختلط النبات بالمطر أي: شرب منه فتندى وحسن واخضر والاختلاط هو: تداخل الشيء في الشيء.

(٢) الزخرف: اسم للذهب، ويطلق على كل ما يزيّن به مما فيه ذهب وتلوين من الثياب والحلي وأنواع الزينة.

(٣) ﴿وازينت﴾ أصلها: تزينت فقلبت التاء زايا وادغمت في الزاء لقرب مخرجيهما وجلبت همزة الوصل لأجل النطق بالساكن.

كأن لم تغن بالأمس[1] : أي كأن لم تكن موجودة غانية بالأمس.

نفصل الآيات : أي نبينها.

والله يدعو إلى دار السلام[2] : دار السلام: الجنة والله يدعو إليها عباده ليأخذوا بالأهبة لدخولها وهي الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي.

معنى الآيتين:

ما زال السياق الكريم يعرض الهدايات الإلهية على الناس لعلهم يهتدون ففي هذه الآية يضرب تعالى[3] مثلا للحياة الدنيا التي يتكالب الغافلون عليها ويبيعون آخرتهم بها فيكذبون ويظلمون من أجلها إنما مثلها في نضارتها الغارة بها وجمالها الخادعة به كمثل ماء نزل من السماء فاختلط بالماء نبات الأرض فسقى به ونما وازدهر وأورَق وأثمر وفرح به أهله وغلب على ظنهم أنهم منتفعون به فائزون به وإذا بقضاء الله فيه تأتيه فجأة في ساعة من ليل أو نهار فإذا هو حصيد ليس فيه ما هو قائم على ساق، هشيم تذروه الرياح كأن لم يغْن بالأمس أي كأن لم يكن موجوداً أمس قائماً يعمُر مكانه أتاه أمر الله لأن أهله ظلموا فعاقبهم بجائحة أفسدت عليهم زرعهم فأمسوا يائسين حزينين. هذه الصورة المثالية للحياة الدنيا فهلا يتنبه الغافلون أمثالي!! أو هلا يستيقظ النائمون من حالهم كحالي؟؟

وقوله تعالى في الآية الثانية (٢٥)[4] ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ أي بترك الشرك والمعاصي والإقبال على الطاعات والصالحات ودار السلام الجنة إذ هي الخالية من الكدر والتنغيص فلا مرض ولا هرم، ولا موت ولا حزن. ودعاة الضلالة يدعون إلى الدنيا

---

(١) كأن لم تكن عامرة يقال غنيَ بالمكان إذا قام به وعمره والمغاني المنازل التي يعمرها الناس قال لبيد
وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود.

(٢) وقيل المعنى والله يدعو إلى دار السلام إذ السلام والسلامة بمعنى كالرضاعة والرضاع ،قال الشاعر:
تحيي بالسلامة أم بكر وهل لك بعد قومك من سلام

(٣) المثل الصفة وعليه فصفة الحياة الدنيا المنطبقة عليها أنها في سرعة انقضائها وزوال نعيمها بعد البهجة والنضرة الحسنة كنبات أخضر وازدهر ثم يبس فصار هشيما تذروه الرياح.

(٤) روي أن النبي ﷺ خرج يوماً على أصحابه فقال رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا فقال له اسمع سمعت أذناك واعقل عقل عقلك انما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول فمن أجابك دخل في الإسلام ومن دخل في الإسلام دخل الجنة ثم تلا: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ إلى قوله ﴿مستقيم﴾.

والتي صورتها ومآلها. أنها دار الكدر والتنغيص. والهم والحزن فأي الدعوتين تجاب؟ ﴿ويهـدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ فلتطلب هدايته بصدق فإنه لا يهدي إلا هو والصراط المستقيم هو الإسلام طريق الجنة وسُلَّم الوصول إليها رزقنا الله تعالى السير فيه والثبات عليه.

هداية الآيـتين

من هداية الآيـتين:

١ـ بيان الصورة الحقيقية للحياة الدنيا في نضرتها وسرعة زوالها.

٢ـ التحذير من الاغترار بالدنيا والركون إليها.

٣ـ التحذير من الذنوب فإنها سبب الشقاء وسلب النعم.

٤ـ فضيلة التفكر وأهله.

٥ـ فضل الله على عباده ورحمته بهم إذ يدعوهم إلى داره لإكرامهم والإنعام عليهم.

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ(١) وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾

(١) القول بأن الزيادة هما النظر إلى وجه الله الكريم هو قول أنس بن مالك وأبي بكر الصديق وعليّ بن أبي طالب وحذيفة وابن عباس وعامة الصحابة وروى مسلم أن النبي ﷺ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

شرح الكلمات :

الحسنى وزيادة : الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.

ولا يرهق وجوههم : أي لا يغشى وجوههم.

قتر : غَبرة من الكآبة والحزن.

السيآت : جمع سيئة ما يُسيء إلى النفس من ذنوب الشرك والمعاصي.

مكانكم : أي الزموا مكانكم لا تفارقوه.

فزيلنا بينهم : فرقنا بينهم.

هنالك : أي ثَمَّ.

تبلو كل نفس : أي تَختبر.

ما أسلفت : أي ما قدمت.

وضل عنهم ما كانوا يفترون : أي غاب عنهم ما كانوا يكذبون.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى في الآية السابقة أنه يدعو إلى دار السلام ذكر جزاء من أجاب الدعوة ومن لم يجبها فقال للذين أحسنوا فآمنوا وعبدوا الله بما شرع ووحدوه تعالى في عبادته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهؤلاء جزاؤهم الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي النظر إلى وجهه الكريم في دار السلام، وأنهم إذا بعثوا لا يُرهق[1] وجوههم قتر ولا ذلة كما يكون ذلك لمن لم يجب دعوة الله تعالى، وقرر جزاءهم ووضحه بقوله: ﴿أولئك أصحاب الجنة[2] هم فيها خالدون﴾ وذكر جزاء من أعرض عن الدعوة ورفضها فأصر على الكفر والشرك والعصيان

---

(١) الرهق: الغشيان، يقال رهقه يرهقه رهقاً: إذا غشيه من باب خرج.

(٢) اسم الإشارة عائد إلى الذين أحسنوا.

فقال ﴿والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها﴾ فالذين كسبوا سيآت الشرك[1] والمعاصي فأساء ذلك إلى نفوسهم فدساها وخبثها جزاؤهم جهنم وترهقهم ذلة في عرصات القيامة وليس لهم من الله من عاصم يعصمهم من عذاب الله . كأنما وجوههم لسوادها قد أغشيت قطعاً[2] من الليل مظلماً وقوله تعالى ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ تقرير لمصيرهم والعياذ بالله وهو ملازمة النار وعدم الخروج منها بخلودهم فيها .

هذا مادلت عليه الآيتان الأولى (٢٦) والثانية (٢٧) أما الآيات الثالثة والرابعة والخامسة فإنها تضمنت عرضاً سريعاً لحشر الناس يوم القيامة،[3] والمراد بذلك تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر فقال تعالى : ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ أي في عرصات القيامة ﴿ثم نقول للذين أشركوا﴾ أي بِنا آلهة عبدوها دوننا ﴿مكانكم﴾ أي قفوا لا تبرحوا مكانكم ﴿أنتم وشركاؤكم﴾، ثم يزايل الله تعالى أي يفرق بينهم وهو معنى قوله تعالى ﴿فزيلنا بينهم﴾ ولا شك أنهم يقولون ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين ندعو من دونك فلذا ذكر تعالى ردهم عليهم في قوله ﴿وقال شركاؤهم[4] ما كنتم إيانا تعبدون﴾ أي لأننا ما كنا نسمعكم ولا نبصركم ولا أمرناكم بعبادتنا وهذا قول كل من عُبد من دون الله من سائر الأجناس ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا﴾ أي والله ﴿إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ غير شاعرين بحال من الأحوال بعبادتكم . قال تعالى: ﴿هنالك﴾ أي في ذلك الموقف الرهيب ﴿تبلو كل نفس ما أسلفت﴾ أي تَختبر ما قدمت في دنياها وتعرفه هل هو ضارٌ بها أو نافع لها ﴿وردوا إلى الله مولاهم[5] الحق[6] وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ هكذا يجدون أنفسهم أمام مولاهم ومالك

---

(١) ذكرنا في التفسير: كسبوا الشرك والمعاصي لأنّ الشرك هو الموجب للخلود في النار لا المعاصي، بدليل الحكم عليهم بالخلود في النار في آخر السياق.

(٢) جمع قطعة، وهي الجزء من الشيء فهي فعلة بمعنى مفعولة إذ هي مقطوعة من شيء كامل. والمظلم: الإظلام لا كواكب فيه ولا قمر.

(٣) أي : سعداء وأشقياء أهل الحسن وأهل الذلة، إذ الحشر يكون لسائر الخلائق لا يتخلف أحد من الخلق.

(٤) الشركاء: يكونون من الأصنام والأوثان والملائكة والإنس والجنّ والتبرؤ حاصل إذ ليس هناك من يقوى على الاعتراف بجريمة الشرك، أمّا الملائكة والأنبياء والصالحون فإنهم لم يكونوا راضين بعبادة المشركين لهم فتبرّؤهم صحيح، وأمّا الأصنام والأوثان فإنها لم تأمر بعبادتها وإنما الذي أمر بعبادتها الشياطين فتبرؤها صحيح .

(٥) مولاهم: الخالق، الرازق، المدبر لأمورهم وشؤون حياتهم والمستوجب لعبادتهم هو الله جل جلاله، فهو مولاهم الحق، لا الذي اختلقوه كذبا وعبدوه من دون الله فذاك مولىً باطل وإله مكذوب.

(٦) الحق: هو الموافق للواقع والصدق، فالمولوية الحقة لله تعالى لا لمخلوقاته، وكلها مخلوقة له مربوبة.

أمرهم ومعبودهم الحق والذي طالما كفروا به وتنكروا له وجحدوا آياته ورسله وضل[1] أي غاب عنهم ما كانوا يفترونه من الأكاذيب والترهات والأباطيل من تلك الأصنام التي سموها آلهة وعبدوها وندموا يوم لا ينفع الندم وجزاهم بما لم يكونوا يحتسبون.

هداية الآيـات :

من هداية الآيــات :

١ـ بيان فضل الحسنة وما تعقبه من نيل الحسنى.

٢ـ بيان سوء السيئة وما تورثه من حسرة وندامة وما توجبه من خسران.

٣ـ تقرير معتقد البعث والجزاء بعرض صادق واضح له.

٤ـ تبرؤ ما عُبد من دون الله من عابديه وسواء كان المعبود ملكاً أو إنساناً أو جاناً أو شجراً أو حجراً الكل يتبرأ من عابديه ويستشهد الله تعالى عليه.

٥ـ في عرصات القيامة تعلم كل نفس ما أحضرت، وما قدمت وأخرت وتبلو ما أسلفت فتعرف وأنى لها أن تنتفع بما تعرف؟.

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ
فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

شـرح الكلـمات :

من السـماء : أي بالغيث والمطر.

والأرض : أي بالنبات والحبوب والثمار.

(١) ضلّ: بمعنى ضاع وغاب ولم يجدوه ولم ينتفعوا به، فما كانوا يختلقونه من الآلهة الباطلة وما كانوا يقدّمونه لها من أنواع العبادات قد ضاع وغاب عنهم فلم يروه.

أمَّن يملك السمع والأبصار : أي يملك أسماعكم وأبصاركم إن شاء أبقاها لكم وإن شاء سلبها منكم.

ومن يخرج الحي من الميت : أي الجسم الحي من جسم ميت والعكس كذلك.

ومن يدبر الأمر : أي أمر الخلائق كلها بالحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع.

أفـلا تتقـون : أي الله فلا تشركوا به شيئاً ولا تعصوه في أمره ونهيه.

فأنى تصرفـون : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته والحق هو أنه لا إله إلا الله.

حــقت : أي وجبـت.

أنهم لا يؤمنون : وذلك لبلوغهم حداً لا يتمكنون معه من التوبة البتة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد فيقول تعالى لرسوله ﴿قل﴾ يا رسولنا لأولئك المشـركين مستفهمـا إياهم ﴿من يرزقكم من السماء والأرض﴾ بإنزال المطر وبانبات الحبوبوالثماروالفواكه والخضر التي ترزقونها، وقل لهم ﴿أم من يملك السمع والأبصار﴾ أي أسماعكم وأبصاركم بحيث إن شاء أباقاها لكم وأمتعكم بها، وإن شاء أخذها منكم وسلبكم إياها فأنتم عمي لا تبصرون وصم لاتسمعون ﴿ومن يخرج الحي من الميت﴾ كالفـرخ من البيضـة ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ كالبيضة من الدجاجة، والنخلة من النواة، والنواة من النخلة.[1] ﴿ومن يدبر الأمر﴾ في السماء والأرض كتعاقب الليل والنهار ونزول الأمطار، وكالحياة والموت والغنى والفقر والحرب والسلم والصحة والمرض إلى غير ذلك مما هو من مظاهر التدبير الإلهي في الكون. ﴿فسيقولون الله﴾، إذ لا جواب لهم إلا هذا إذاً فما دام الله هو الذي يفعل هذا ويقدر عليه دون غيره كيف لا يُتّقى عز وجل بتوحيده وعدم الإشراك به، فلم لا تتقونه؟[2]

---

(١) وكالنطفة من الإنسان، والإنسان من النطفة، ومثلها نطفة الحيوان مخرجها من حيوان حي، ومن الحيوان الحي تخرج نطفة ميتة.

(٢) أي: فقل لهم يا رسولنا: أفلا تتقون: أي: أفلا تخافون عقابه ونقمه في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾[1] أي فذلكم الذي يرزقكم من السماء والأرض ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الأمر هو ربكم[2] الحق الذي لا رب لكم سواه إذاً ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال،[3] فأنى تصرفون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته إلى الضلال؟ إنه أمر يدعو إلى الاستغراب والتعجب !

وقوله تعالى ﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ أي مثل ذلك الصرف الذي يصرفه المشركون عن الحق بعد معرفته إلى الضلال أي كما حق ذلك حقت كلمة ربك وهي أن الله لا يهدي القوم الفاسقين فهم لا يهتدون، وذلك أن العبد إذا توغل في الشر والفساد بالإدمان والاستمرار عليه يبلغ حداً لا يتأتّى له الرجوع منه والخروج بحال فهلك على فسقه لتحق عليه كلمة العذاب وهي ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ مشركوا العرب كانوا يشركون في الألوهية ويوحدون في الربوبية.

٢ـ وليس بنافع أن يوحد العبد في الربوبية ويشرك في الألوهية.

٣ـ ليس بعد الحق[4] إلا الضلال فلا واسطة بينهما فمن لم يكن على حق فهو على ضلال.

٤ـ التوغل في الشر والفساد يصبح طبعاً لصاحبه فلا يخرج منه حتى يهلك به.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن

---

(١) في الصحيح من دعاء الرسول ﷺ إذا قام من جوف الليل يقول (اللهم أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق..) في حديث طويل هذا من وسطه، والشاهد في قوله: (أنت الحق).

(٢) أي: إلهكم ومعبودكم الحق لا ما تعبدون من أصنام وأوثان فإذا عرفتم إلهكم الحق فإنّ ما بعده من آلهة هو الضلال.

(٣) روي عن مالك في قوله تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلاّ الضلال﴾ قال: اللعب بالشطرنج والنرد: هو الضلال، وسئل عن الغناء فقال: هل هو حق؟ قالوا: لا. قال فما بعد الحق إلاّ الضلال. وفي صحيح مسلم: (من لعب بالنرد شير فكأنّما غمس يده في لحم خنزير ودمه).

(٤) روي عن عمر رضي الله عنه أنه رخّص فيما كان فيه دربة على الحرب من أنواع اللعب، إذ الغرض صحيح، وهو تعلم فنون الحرب، وحذق أساليبها.

يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

من شركائكم[1] : جمع شريك وهو من أشركوه في عبادة الله تعالى.

من يبدأ الخلق : أي ينشيء الإنسان والحيوان أول ما ينشئه فذلك بدء خلقه.

فأنى تؤفكون : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته.

أمّن لا يَهِدِّي : أي لا يهتدي.

كيف تحكمون : أي هذا الحكم الفاسد وهو اتباع من لا يصح اتباعه لأنه لا يهدي.

معنى الآيات :

ما زال السياق في حجاج المشركين لبيان الحق لهم ودعوتهم إلى اتباعه فيقول تعالى لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المشركين ﴿قل هل من شركائكم[2] من يبدأ الخلق ثم يعيده؟﴾ أي هل يوجد من بين آلهتكم التي تعبدونها من يبدأ خلق إنسان من العدم ثم يميته، ثم يعيده؟ وجوابهم معروف وهو لا يوجد إذاً فكيف تؤفكون أي تصرفون عن الحق بعد معرفته والإقرار به؟ وقل لهم أيضاً ﴿قل هل[3] من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ أي يوجد من آلهتكم من يهدي إلى الحق؟ والجواب لا يوجد لأنها لا تتكلم ولا تعلم إذاً فقل لهم الله يهدي إلى الحق أي بواسطة نبيه ووحيه وآياته.

وقل لهم ﴿أفمن يهدي إلى[4] الحق أحق أن يتبع أمَّن لا يهدي إلا أن يهدى﴾[5] والجواب معروف الذي يهدي إلى الحق أحق بأن يتبع ممن لا يهتدي إلا أن يُهدى، إذاً لم لا تتقون

---

(١) أي: آلهتكم ومعبوداتكم من الأصنام والأوثان.

(٢) يقول لهم: (هل) على جهة التوبيخ والتقرير، فإن أجابوك فذاك وإلّا فقل الله يبدأ الخلق.

(٣) هذا الاستفهام كالأول للتوبيخ والتقرير فإن أجابوا فذاك المطلوب وإن لم يجيبوا فأجب أنت بقولك: الله يبدأ الخلق.

(٤) هذا الاستفهام كسابقيه للتوبيخ والتقرير ثم إقامة الحجة.

(٥) في: ﴿أمّن لا يهدي﴾ قراءات منها: (لا يهدي)، بالتخفيف. (لا يَهدّي) بتشديد الدال، وفتح الهاء وهي قراءة ورش، و(لا يَهدي) بكسر الهاء، وتشديد الدال وهي قراءة حفص.

الله فتوحدوه وتؤمنوا برسوله وكتابه فتهتدوا، وتتركوا آلهتكم التي لا تهدي إلى الحق؟ ﴿فما لكم﴾ أي أيُّ شيء ثبت لديكم في ترك عبادة الله لعبادة غيره من هذه الأوثان، ﴿كيف تحكمون﴾ أي حكم هذا تحكمون به وهو اتباع من لا يهدي وترك عبادة من يهدي إلى الحق. وقوله تعالى ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾[1] أي أن أكثر هؤلاء المشركين لا يتبعون في عبادة أصنامهم إلا الظن فلا يقين عندهم في أنها حقاً آلهة تستحق العبادة، ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ أي إن الظن لا يكفي عن العلم ولا يغني عنه أي شيء من الإغناء، والمطلوب في العقيدة العلم لا الظن.[2] وقوله تعالى ﴿إن الله عليم بما يفعلون﴾ هذه الجملة تحمل الوعيد الشديد لهم على إصرارهم على الباطل وعنادهم على الحق فسيجزيهم بذلك الجزاء المناسب لظلمهم وعنادهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- تقرير التوحيد بإبطال الآلهة المزعومة حيث اعترف عابدوها بأنها لا تبدأ خلقاً ولا تعيده بعد موته، ولا تهدي إلى الحق، والله يبدأ الخلق ثم يعيده ويهدي إلى الحق.

٢- إبطال الأحكام الفاسدة وعدم إقرارها ووجوب تصحيحها.

٣- لا يقبل الظن في العقائد بل لا بد من العلم اليقيني فيها.

٤- كراهية القول بالظن والعمل به وفي الحديث (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث).

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ

---

(١) في الآية دليل على أن عابدي غير الله تعالى ليسوا سواء في الاعتقاد الباعث لهم على عبادتها بل أكثرهم لا يتبعون في عبادتها إلا مجرّد الظن، والبعض الآخر القليل لا اعتقاد لهم إلا اتباع غيرهم وتقليد سواهم من رؤسائهم، وأهل الكلمة فيهم، فكلا الفريقين هالك.

(٢) الظن يطلق على مراتب الإدراك، فيطلق على الاعتقاد الجازم الذي لا شك فيه كقوله تعالى: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ ويطلق على الاعتقاد المشكوك فيه كقول قوم نوح لنوح: ﴿وإنا لنظنّك من الكاذبين﴾ ويطلق على الاعتقاد المخطىء كآية: ﴿إنّ بعض الظن إثم﴾ وحديث: (فإن الظن أكذب الحديث).

﴿مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

شـرح الكلمـات :

أن يفترى من دون الله : أي افتراءً أي لم يكن هذا القرآن افتراء .

وتفصيل الكتاب : أي بيان ما فرض الله تعالى على هذه الأمة وما أحل لها وما حرم .

أم يقولون افتراه : أي اختلقه من نفسه وَتَقَوَّلَهُ من عنده .

بما لم يحيطوا بعلمه : أي بما توعدهم الله تعالى به من العذاب .

ولما يأتهم تأويله : أي ولما يأتهم بعد ما يؤول إليه ذلك الوعيد من العذاب .

كذلك كذب الذين من قبلهم : أي كتكذيب هؤلاء بوعد الله لهم كذب الذين من قبلهم .

معنى الآيـات :

هذه الآيات في تقرير عقيدة الوحي وإثبات نبوة الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿وما كان هذا القرآن﴾[1] أي لم يكن من شأن هذا القرآن العظيم ﴿أن يفترى من دون الله﴾ أي يُختلق من غير الله تعالى من سائر خلقه ، ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾[2] أي ولكنه كلام الله ووحيه أوحاه إلى رسوله وأنزله تصديق الذي بين يديه أي من الكتب التي سبقت نزوله وهي التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل الكتاب﴾ الذي كتبه الله تعالى على أمة الإسلام من الفرائض والشرائع والأحكام . وقوله تعالى ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك في أنه وحي الله وكلامه نزل من رب العالمين ، وهو الله مربي الخلائق أجساماً وعقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ومن مقتضى ربوبيته إنزال كتاب فيه تبيان كل شيء يحتاج إليه العبد في تربيته وكماله البدني والروحي والعقلي والخلقي .

---

(١) علم الله تعالى أنّ غيره تعالى لا يتأتى له الإتيان بمثل هذا القرآن كما قال تعالى : ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ .

(٢) أي : أنزله مصدقاً لما بين يديه أي : لما تقدمه من الكتب الإلهية . هذا كقوله تعالى : ﴿نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه﴾ . ونصب (تصديق) على أنه اسم كان ، والتقدير : ولكن كان تصديق الذي

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٨) ﴿أم يقولون افتراه﴾[1] أي بل يقول هؤلاء المشركون المجاحدون وهو قول في غاية السُّخْف والقباحة يقولون القرآن افتراه محمد ولم يكن بوحي أُنزل عليه، قل يا رسولنا متحدياً إياهم أن يأتوا بسورة مثله[2]. فإنهم لا يستطيعون وبذلك تبطل دعواهم، وقل لهم ادعوا لمعونتكم على الإتيان بسورة مثل سور القرآن من استطعتم الحصول على معونتهم إن كنتم صادقين في دعواكم أن القرآن لم يكن وحياً من الله، وإنما هو اختلاق اختلقه محمد رسول الله ﷺ. وقوله تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه[3] ولما يأتهم تأويله﴾ أي إن القضية ليست قضية أنهم ما استطاعوا أن يدركوا أن القرآن كلام الله، وإنما القضية هي أنهم كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه من وعيد الله تعالى لهم بالعذاب، ولما يأتهم بعد ما يؤول إليه الوعيد إذ لو رأوا العذاب ما كذبوا، ولذا قال تعالى ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ أي ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ كما في آية الأنعام. وهنا قال تعالى ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ فقد أهلك تعالى الظلمة من قوم نوح بالغرق ومن قوم هود بريح صرصر ومن قوم صالح بالصيحة ومن قوم شعيب بالرجفة ومن أمم أخرى بما شاء من أنواع العذاب فهؤلاء إن لم يتوبوا واستمروا في تكذيبهم فسوف يحل بهم ما حل بغيرهم ﴿وما الله بغافل عما يعمل الظالمون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة الوحي وإثبات نبوة محمد ﷺ.

٢- من أدلة أن القرآن كلام الله تصديقه للكتب السالفة وعدم التناقض معها إذ هما من مصدر واحد وهو الله رب العالمين.

٣- من أدلة القرآن على أنه وحي الله تحدى الله العرب بالإتيان بسورة واحدة في فصاحته

---

(١) ﴿أم يقولون﴾ أم هنا: هي المنقطعة التي تفسّر ببل، والهمزة. أي: بل أيقول افتراه، والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ.

(٢) هذا دليل على أن القرآن الكريم معجز، وهو كذلك معجز بألفاظه ومعانيه معاً.

(٣) (بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله). هذا الكلام الإلهي يحتمل معنيين صحيحين. الأول: هو ما في التفسير، والثاني: المراد بما لم يحيطوا بعلمه: القرآن الكريم، فهم لم يتدبروه، ولم يفهموا ما يدعو إليه وكذبوا به عن جهل مع العناد والمكابرة فما في قوله: ﴿بما لم يحيطوا بعلمه﴾ اسم موصول المراد به: القرآن الكريم أمّا على المعنى الأول فإن المراد به العذاب الذي كذّبوا به، ولم يحل بهم بعد.

وبلاغته وإعجازه وعجزهم عن ذلك.

٤- استمرار المشركين في العناد والمجاحدة علته أنهم لم يذوقوا ما توعدهم الله به من العذاب إذ لو ذاقوا لآمنوا ولكن لا ينفعهم حينئذ الإيمان.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ
ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

شرح الكلمات :

ومنهم من يؤمن به : أي من أهل مكة المكذبين بالقرآن من يؤمن به مستقبلاً.

وربك أعلم بالمفسدين : وهم دعاة الضلالة الذين يفسدون العقول والقلوب والجملة تهديد لهم.

وإن كذبوك : أي استمروا على تكذيبك.

ومنهم من يستمعون إليك : أي إذا قرأت القرآن.

ومنهم من ينظر إليك : أي يبصر ويشاهد آيات النبوة وأعلام صدقك، ولا يهتدي إلى معرفة أنك رسول الله لأن الله تعالى حرمه ذلك.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير نبوة النبي ﷺ قال تعالى في خطاب رسوله ليُسلِّيه ويصبِّره على عدم إيمان قومه مع ظهور الأدلة وقوة البراهين ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ أي بالقرآن وبالنبي

أيضاً إذْ الإيمان بواحد يستلزم الإيمان بالثاني ، ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾[1]، وهذا إخبار غيب فتم كما أخبر تعالى فقد آمن من المشركين عدد كبير ولم يؤمن عدد آخر. وقوله ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ أي الذين لا يؤمنون وفي الجملة تهديد لأولئك الذين يصرفون الناس ويصدونهم عن الإيمان والتوحيد. وقوله تعالى : ﴿وإن كذبوك﴾ أي استمروا في تكذيبهم لك فلا تحفل بهم وقل ﴿لي عملي[2] ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل، وأنا بريء مما تعملون﴾ فإذا كان هناك عقاب دنيوي فإنك تسلم منه ويهلكون هم به.

وقوله تعالى في الآية (٤٢) ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾[3] إلى قراءتك القرآن وإلى قولك إذا قلت داعياً أو آمراً أو ناهياً، ومع هذا فلا يفهم ولا ينتفع بما يسمع، ولا لوم عليك في ذلك لأنك لا تسمع الصم، وهؤلاء صم لا يسمعون، ومنهم من ينظر إليك بأعين مفتحة ويرى علامات النبوة وآيات الرسالة ظاهرةً فى حالك ومقالك ومع هذا لا يهتدي ولا لوم عليك فإنك لا تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون.[4] وقوله تعالى ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ بيان لسنة الله تعالى في أولئك الذين يسمعون ولا ينتفعون بسماعهم، ويبصرون ولا ينتفعون بما يبصرون، وهي أن من توغل في البغض والكراهية لشيء يصبح غير قادر على الانتفاع بما يسمع منه ولا بما يبصر فيه. ولذا قيل حبك الشيء يُعمي ويُصم، والبغض كذلك كما أن الاسترسال في الشر والفساد مدة من الزمن يحرم صاحبه التوبة إلى الخير والصلاح، ومن هنا قال تعالى ﴿إن الله لا يظلم[5] الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك.

٢ـ تقرير معنى آية ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

---

(١) كأبي طالب وأبي لهب وأبي جهل وغيرهم

(٢) أي لي ثواب عملي على التبليغ والطاعة لله تعالى ولكم جزاء عملكم الذي هو الشرك والكفر والتكذيب.

(٣) أي: في ظواهرهم أمّا قلوبهم فلا تعي شيئا مما تقول من الحق وتتلوه من القرآن.

(٤) أي: ولو انضمّ إلى عدم البصر عدم البصيرة.

(٥) في هذا إشارة إلى أنّ عدم هدايتهم لم يكن خارجاً عن إرادتهم ولكن كان باستحبابهم العمى على الهدى وإيثارهم للدنيا على الآخرة.

٣ـ تعليم رسول الله طريق الحِجاج والرد على الخصوم المشركين.
٤ـ انتفاء الظلم عن الله تعالى، وإثباته للإنسان لنفسه.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

شرح الكلمات:

يحشرهم : أي نبعثهم من قبورهم ونجمعهم لساحة فصل القضاء.

كأن لم يلبثوا : أي في الدنيا أحياء في دورهم وأمواتاً في قبورهم.

أو نتوفينك : أي نميتك قبل ذلك.

فإذا جاء رسولهم : أي في عرصات القيامة.

بالقسط : أي بالعدل.

متى هذا الوعد : أي بالعذاب يوم القيامة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿ويوم يحشرهم﴾ أي اذكر لهم يوم نحشرهم من قبورهم بعد بعثهم أحياء ﴿كأن لم يلبثوا﴾[1] في الدنيا أحياء في دورهم وأمواتاً في قبورهم. ﴿إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾[2] أي ليرى بعضهم بعضاً

---

(١) أصلها: كأنهم ثم خففت: أي كأنهم لم يلبثوا في قبورهم.

(٢) الجملة في موضع نصب على الحال. وتعارفهم هذا في عرصات القيامة إنما هو تعارف توبيخ وافتضاح فيقول بعضهم لبعض: أنت أضللتني وحملتني على الكفر، ثم تنقطع المعرفة عند معاينتهم العذاب يوم القيامة.

ساعة ثم يحول بينهم هول الموقف، وقوله تعالى ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا[1] مهتـدين﴾ يخبر تعالى أن الذين كذبوا بالبعث الآخر والحساب والجزاء الأخروي فلم يرجوا لقاء الله فيعملوا بمحابه وترك مساخطه قد خسروا في ذلك اليوم أنفسهم وأهليهم في جهنم، وقوله ﴿وما كانوا مهتدين﴾ أي في حياتهم حيث انتهوا إلى خسران وعذاب أليم.

وقوله تعالى ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك﴾[2] أي إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا فذاك، أو نتوفينك قبل ذلك فعلى كل حال مرجعهم إلينا جميعاً بعد موتهم، فنحاسبهم ونجازيهم بحسب سلوكهم في الدنيا الخير بالخير والشر بمثله، وقوله تعالى ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾[3] تقرير وتأكيد لمجازاتهم يوم القيامة لأن علم الله تعـالى بأعمـالهم وشهـادته عليها كافٍ في وجوب تعذيبهم. وقوله تعالى ﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ أي ولكل أمة من الأمم رسول أرسل إليها وبلغها فأطاع من أطاع وعصى من عصى فإذا جاء رسولها في عرصات القيامة قضي بينهم أي حوسبوا أو جوزوا بالقسط أي بالعدل وهم لا يظلمون بنقص حسنـات المحسنين ولا بزيادة سيئـآت المسيئين. وقوله تعالى ﴿ويقولون﴾ أي المشركون للرسول ﷺ وأصحابه، ﴿متى هذا الوعد﴾[4] أي بالعذاب يوم القيامة. ﴿إن كنتم صادقين﴾ يقولون هذا استعجالاً للعذاب لأنهم لا يؤمنون به. والجواب في الآية التالية.

هـداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير مبـدأ المعاد والدار الآخرة.

٢ـ الإعلان عن خسران منكري البعث يوم القيامة.

---

(١) أي: يوم العرض عليه بين الخلائق.

(٢) وإما أصلها إن الشرطية وما الزائدة لتقوية الكلام و﴿بعض الذي نعدهم﴾ هو عذاب الدنيا كما هو إظهار الدين ونصرته ﷺ.

(٣) أي: بعد وفاتك، فالله عزّ وجل خليفتك فيهم وسوف يجزيهم بحسب كسبهم خيراً وشراً.

(٤) أي: متى العذاب، أو متى القيامة التي يعدنا بها محمد ﷺ.

٣ـ تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر حتى يؤدي رسالته بإعلامه بأنه سيعذب أعداءه.

٤ـ بيان كيفية الحساب يوم القيامة بأن يأتى الرسول وأمته ثم يجري الحساب بينهم فينجي الله المؤمنين ويعذب الكافرين.

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ
تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ
هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

لنفسي ضراً : أي لا أقدر على دفع الضر إذا لم يُعِنّي الله تعالى.

ولا نفعاً : أي لا أقدر على أن أجلب لنفسي نفعاً إذا لم يُرده الله تعالى لي.

لكل أمة أجل : أي وقت معين لهلاكها.

فلا يستأخرون ساعة : أي عن ذلك الأجل.

ولا يستقدمون : أي عليه ساعة.

قل أرأيتم : أي قل لهم أخبروني.

أثم إذا ما وقع : أي حل العذاب.

عذاب الخلد : أي الذي يخلدون فيه فلا يخرجون منه.

ويستنبئونك : أي ويستخبرونك.

قل إي : أي نعم.

وما أنتم بمعجزين : أي بفائتين العذاب ولا ناجين منه.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الرد على المشركين فقد طالبوا في الآيات السابقة بالعذاب فقالوا ﴿متى هذا الوعد﴾ أي بالعذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ فأمر الله تعالى رسوله في هذه الآيات أن يقول لهم إني ﴿لا أملك لنفسي ضراً﴾ أي لا أملك دفع الضر عني، ولا جلب النفع لي إذا لم يشأ الله تعالى ذلك، فكيف أعلم الغيب وأعرف متى يأتيكم العذاب كما لا أقدر على تعجيله إن كان الله يريد تأجيله، واعلموا أنه لكل أمة من الأمم أجل أي وقت محدد لهلاكها وموتها فيه، فلا يتأخرون عنه ساعة ولا يتقدمون عليه بأخرى فلذا لا معنى لمطالبتكم بالعذاب. وشيء آخر أرأيتم أي أخبروني إن أتاكم العذاب الذي تستعجلونه بياتـاً[1] أي ليلاً أو نهـاراً أتـطيقـونـه وتقـدرون على تحمله إذاً فماذا تستعجلون منه أيها المجرمون[2] إنكم تستعجلون أمراً عظيماً. وقوله تعالى ﴿أثم[3] إذا ما وقع آمنتم به؟﴾ أي اتستمرون على التكذيب والعناد، ثم إذا وقع آمنتم به، وهل ينفعكم إيمانكم يومئذ؟ فقد يقال لكم توبيخاً وتقريعاً آلآن تؤمنون به، وقد كنتم به تستعجلون.

وقـولـه تعـالى ﴿ثم[4] قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون﴾؟ يخبر تعالى أنه إذا دخل المجرمون النار وهم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي ذوقوا - تهكماً بهم - عذاب الخلد أي العذاب الخالد الذي لا يفني ولا يبيد إنكم ما تجزون أي ما تثابون إلا بما كنتم تكسبونه من الشرك والمعاصي. وقوله تعالى: ﴿ويستنبؤنك أحق هو؟﴾ أي ويستخبرك المشركون المعاندون قائلين لك أحق ما تعدنا به من العذاب يوم القيامة؟ أجبهم بقولك ﴿قل إي[5] وربي إنه لحق، وما أنتم بمعجزين﴾ الله ولا فائتينه بل لا بد وأن يلجئكم إلى العذاب إلجاءً، ويذيقكموه عذاباً أليماً دائماً وأنتم صاغرون.

---

(١) البيات: اسم مصدر ليلا كالسلام للتسليم.

(٢) المجرمون: أصحاب الجرم الذي هو الشرك والقائلون متى هذا الوعد من كفار مكة.

(٣) ﴿أثم﴾ الهمزة للاستفهام وقدمت على ثم العاطفة، لأنّ لها حق الصدارة والتقدير: ثم إذا وقع، والمستفهم عنه هو حصول الإيمان في وقت وقوع العذاب، وهو غير نافع لصاحبه فكيف ترضونه أنتم لأنفسكم.

(٤) ﴿ثم﴾: حرف عطف، وهي هنا للتراخي الرتبي فهذا يقال للمشركين عند دخولهم النار وهو من باب التهكم بهم والتقريع لهم، وإعلامهم بمالا يستطيعون دفعه بحال: ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ والقائلون هم خزنة جهنم.

(٥) ﴿أي﴾: كلمة تحقيق وإيجاب، وتأكيد هي بمعنى ﴿نعم﴾﴿وربي﴾ قسم جوابه: ﴿إنه لحق﴾ أي: هو كائن لا شك فيه ولا محالة من وقوعه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ لا يملك أحد من الخلق لنفسه فضلاً عن غيره ضراً يدفعه ولا نفعاً يجلبه إلا بإذن الله تعالى ومشيئته، وخاب الذين يُعولون على الأولياء في جلب النفع لهم ودفع الشر عنهم.

٢ـ الآجال محدودة لا تتقدم ولا تتأخر فلذا لا معنى للجبن من العبد.

٣ـ لا ينفع الإيمان ولا التوبة عند معاينة العذاب أو مَلَك الموت.

٤ـ جواز الحلف بالله إذا أ ريد تأكيد الخبر.

٥ـ إي حرف إجابة وتقترن دائماً بالقسم نحو إي والله، إي وربي.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

لافتدت به : لقدمته فداء لها.

وأسروا الندامة : أخفوها في أنفسهم على ترك الإيمان والعمل الصالح.

وقضي بينهم بالقسط : أي حكم الله بينهم بالعدل.

وعد الله حق : أي ما يعدهم الله به هو كائن حقاً.

موعظـة من ربكم : أي وصية من ربكم بالحق والخير، وباجتناب الشرك والشر.

وهـــدى : أي بيان لطريق الحق والخير من طريق الباطل والشر.

فضـل الله ورحمته : ما هداهم إليه من الإيمان والعمل الصالح ، واجتناب الشرك والمعاصي .

فبذلك فليفرحوا : أي فبالإيمان والعمل الصالح بعد العلم والتقوى فليسروا وليستبشروا .

هو خير مما يجمعون : أي من المال والحطام الفاني .

معنى الآيـات :

مازال السياق في بيان أن ما وعد الله تعالى به المشركين من العذاب هو آت لا محالة إن لم يؤمنـوا وإنه عذاب لا يطاق فقال تعالى ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ أي نفسها بالشرك والمعاصي ، لو أن لها ما في الأرض من مال صامت وناطق وقبل منها[١] لقدمته فداء لها من العذاب، وذلك لشدة العذاب . وقال تعالى عن الكافرين وهم في عرصات القيامة وقد رأوا النار ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾[٢] أي أخفوها في صدورهم ولم ينطقوا بها وهي ندمهم الشديد على عدم إيمانهم واتباعهم للرسول ﷺ وقوله تعالى ﴿وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمـون﴾ أي وقضى الله تعـالى أي حكم بين الموحدين والمشركين والـظالمين والمـظلومين[٣] بالقسط الـذي هو العدل الإلهي والحال أنهم لا يظلمون بأن يؤاخذوا بما لم يكتسبوا . وقوله تعالى ﴿ألا إن[٤] لله ما في السموات والأرض﴾ أي انتبهوا واسمعوا أيها المشركون إن لله ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات ملكاً حقيقياً لا يملك معه أحد شيئا من ذلك فهو يتصرف في ملكه كما يشاء يعذب ويرحم يشقي ويسعد لا اعتراض عليه ألا أن وعد الله حق أي تنبهوا مرة أخرى واسمعوا إن وعد الله أي ما وعدكم به من العذاب حق ثابت لا يتخلف . وقوله تعالى : ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾

---

(١) ولكن لا يقبل منها كما قال تعالى : ﴿إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به﴾ .

(٢) إسرارهم الندامة كان عند معاينة العذاب، وقبل الدخول فيه، والندامة : الحسرة على وقوع مكروه أو فوات محبوب .

(٣) وبين الرؤساء والمرؤوسين، أي : بين المتبوعين والتابعين لهم .

(٤) ﴿ألا﴾ : كلمة استفتاح وتنبيه يؤتى بها في أوّل الكلام، معناها : انتبهوا لما أقول لكم .

إذ لو علموا أن العذاب كائن لا محالة وعلموا مقدار هذا العذاب ما كفروا به وقوله تعالى ﴿هو يحي ويميت وإليه ترجعون﴾ يخبر تعالى عن نفسه أنه يحيي ويميت ومن كان قادراً على الإحياء والإمـاتـة فهو قادر على كل شيء، ومن ذلك إحياء الكافرين بعد موتهم وحشرهم إليه ومجازاتهم على ما كسبوا من شر وفساد وقوله ﴿وإليه ترجعون﴾ تقرير مبدأ المعاد الآخر. بعد هذه التقريرات لقضايا العقيدة الثلاث: التوحيد، والنبوة، والبعث والجزاء نادى الله تعالى العرب والعجم سواء قائلاً ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة[1] من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ وكل من الموعظة التي هي الأمر والنهي بأسلوب الترغيب والترهيب والشفاء والهدى والرحمة قد حواها القرآن الكريم كأنه قال يا أيها الناس وفيكم الجاهل والفاسق والمريض بالشرك والكفر والضال عن الحق، والمعذب في جسمه ونفسه قد جاءكم القرآن يحمل كل ذلك لكم فآمنوا به واتبعوا النور الـذي يحمله وتـداووا به واهتـدوا بنوره تشفوا وتكملوا عقلاً وخلقاً وروحاً وتسعدوا في الحياتين معاً.

وقـوله تعالى ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك[2] فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ أي بلِّغهم يا رسولنا آمراً إياهم بأن يفرحوا[3] بالإسلام وشرائعه والقرآن وعلومه فإن ذلك خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني، وما يعقب من آثار سيئة لا تحتمل ولا تطاق.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ عظم عذاب يوم القيامة حتى إن الكافر ليود أن يفتدى منه بما في الأرض جميعاً.

٢ـ تقرير ربوبية الله تعالى لسائر المخلوقات في العالمين العلوي والسفلي.

٣ـ الإشادة بفضل القرآن وعظمته لما يحمله من المواعظ والهدى والرحمة والشفاء.

٤ـ يستحب الفرح بالدين ويكره الفرح بالدنيا.

---

(١) المراد بالموعظة وما بعدها من الصفات القرآن الكريم إذ هو الجامع لكل ما ذكر، وإنّما عطفت المذكورات لتأكيد المدح. كقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام   وليث الكتيبة في المزدحم

(٢) قال أبو سعيد الخدري وابن عباس: فضل الله: القرآن، ورحمته الإسلام، وصحّت الإشارة بذلك إلى الاثنين لأنّ العرب تشير بذلك إلى المفرد والمثنى والجمع.

(٣) روي أن من هداه الله للإسلام وعلمه القران ثم شكا الفاقة (الفقر) كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه ثم تلا: ﴿قل بفضل الله﴾ الآية.

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي
ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

أرأيتم : أي أخبروني .

ما أنزل الله لكم من رزق : أي الذي خلق لكم من رزق كلحوم الأنعام .

ءآلله أذن لكم : أي في التحريم حيث حرمتم البحيرة والسائبة وفي التحليل حيث أحللتم الميتة .

يفترون على الله الكذب : أي يختلقون الكذب تزويراً له وتقديراً في أنفسهم .

وما تكون في شأن : أي في أمر عظيم .

شهوداً إذْ تفيضون فيه : أي تأخذون في القول أو العمل فيه .

وما يعزب عن ربك : أي يغيب .

من مثقال ذرة : أي وزن ذرة والذرة أصغر نملة .

إلا في كتاب مبين : أي اللوح المحفوظ ومبين أي واضح .

معنى الآيات :

سياق الآيات في تقرير الوحي وإلزام المنكرين له من المشركين بالدليل العقلي قال

تعالى لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المشركين[1] ﴿أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق﴾ أي أخبروني عما خلق الله لكم من نبات وطعام وحرث فجعلتم منه حراماً كالبحيرة والسائبة والثياب التى تحرِّمون الطواف بها والحرث الذي جعلتموه لآلهتكم، وحلال كالميتة التي تستبيحونها﴿ءالله أذن لكم﴾ (في هذا التشريع بوحي منه[2] ﴿أم على الله تفترون﴾ فإن قلتم الله أذن لنا بوحي فلم تنكرون الوحي وتكذبون به، وإن قلتم لا وحي ولكننا نكذب على الله فموقفكم إذاً شر موقف إذ تفترون على الله الكذب والله تعالى يقول: ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ أي إذا هم وقفوا بين يديه سبحانه وتعالى ما ظنهم أيغفر لهم ويُعفى عنهم لا بل يلعنون وفي النار هم خالدون وقوله تعالى ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ في كونه لا يعجل لهم العقوبة وهم يكذبون عليه ويشركون به ويعصونه ويعصون رسوله، ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾[3] وذلك لجهلهم وسوء التربية الفاسدة فيهم، وإلا العهد بالإنسان أن يشكر لأقل معروف وأتفه فضل.

وقوله تعالى ﴿وما تكون في شأن[4] وما تتلو منه من قرآن﴾ أي وما تكون يا رسولنا في أمر من أمورك الهامة وما تتلو من القرآن من آية أو آيات في شأن ذلك الأمر ﴿إلا كنا﴾ أي نحن رب العزة والجلال﴿عليكم شهوداً﴾ أي حضوراً ﴿إذ تفضيون فيه﴾[5] أي في الوقت الذي تأخذون فيه، وقوله تعالى ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في[6] الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ يخبر تعالى عن سعة علمه تعالى وإحاطته بسائر مخلوقاته بحيث لا يعزب أي لا يغيب عن علمه تعالى مثقال ذرة أي وزن ذرة وهي النملة الصغيرة وسواء كانت في الأرض أو في السماء، وسواء كانت أصغر من النملة أو

---

(١) من كفّار قريش.

(٢) الاستفهام تقريري مشوب بالإنكار عليهم أيضاً. وعبر عن إعطائهم الرزق بإنزاله لهم، لأنّ أرزاقهم من حبوب وثمار وأنعام كلها متوقفة على المطر النازل من السماء حتى سمى العرب بني ماء السماء. وشاهده قوله تعالى ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنّا صببنا الماء صبّا. . ﴾ الآية.

(٣) بذكره وعبادته وحده بما شرع أن يعبد به، وعلّة عدم الشكر، انظرها في التفسير.

(٤) الشأن والجمع شؤون: الخطب والأمر الهام، والخطاب للرسول ﷺ والأمّة معه وقدم ﷺ لعلو شانه وسمو مقامه ﷺ.

(٥) الإفاضة في العمل: الشروع والدخول فيه.

(٦) الذرّة: النملة الصغيرة، أو الهباءة التي تُرى في ضوء الشمس.

أكبر منها. بالإضافة إلى أن ذلك كله في كتاب مبين أي في اللوح المحفوظ. لهذا العلم والقدرة والرحمة استوجب التأليه والعبادة دون سائر خلقه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير الوحي وإثباته للنبي ﷺ.

٢ـ التحريم والتحليل من حق الله تعالى دون سائر خلقه.

٣ـ حرمة الكذب على الله، وإن صاحبه مستوجب للعذاب.

٤ـ ما أعظم نعم الله تعالى على العباد ومع هذا فهم لا يشكرون إلا القليل منهم

٥ـ وجوب مراقبة الله تعالى، وحرمة الغفلة في ذلك.

٦ـ إثبات اللوح المحفوظ وتقريره كما صرحت به الآيات والأحاديث.

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾

شـرح الكلمـات :

ألا : أداة استفتاح وتنبيه.

إن أولياء الله : جمع وليّ وهو المؤمن التقي بشرط أن يكون إيمانه وتقواه على نور من الله.

لا خوف عليـهم : أي لا يخافون عند الموت ولا بعده، ولا هم يحزنون على ما تركوا بعد موتهم.

آمنــوا : أي صدقوا بالله وبما جاء عن الله وبرسول الله وبما أخبر به رسول الله ﷺ.

يتقـــون : أي ما يسخط الله تعالى من ترك واجب أو فعل حرام.

لهم البشـرى : أي بالجنة في القرآن الكريم وعند الموت وبالرؤيا الصالحة يراها أو ترى له.

لا تبديل لكلمات الله : أي لوعده الذي يعده عباده الصالحين، لأن الوعد بالكلمة وكلمة الله لا تبدل.

الفـــوز : النجاة من النار ودخول الجنـة.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأداة التنبيه ﴿ألا﴾ وأداة التوكيد ﴿إن﴾ فيقول: ﴿ألا إن أولياء(١) الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أي لا يخافون عند الموت ولا في البرزخ ولا يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما يتركون وراءهم بعد موتهم ولا في الدار الآخرة وبين تعالى أولياءه وعرف بهم فقال: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾(٢) أي آمنوا به وبرسوله وبكل ما جاء به رسوله عن ربه، وكانوا يتقون طوال حياتهم وسائر ساعاتهم سخط الله تعالى فلا يتركون واجباً هم قادرون على القيام به، ولا يغشوْن محرماً لم يُكرهوا عليه. وقوله تعالى: ﴿لهم البشرى﴾ في الحياةِ الدنيا وفي(٣) الآخرة: أي لهم بشرى ربهم فى كتابه برضوانه ودخول الجنة ولهم البشرى بذلك عند الاحتضار تبشرهم الملائكة برضوان الله وجنته وفي الآخرة عند قيامهم من قبورهم تتلقاهم الملائكة بالبشرى.

وقوله تعالى : ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾(٤) وهو تأكيد لما بشرهم، إذ تلك البشرى كانت بكلمات الله وكلمات الله لا تتبدل فوعد الله إذاً لا يتخلف.

---

(١) الولي: مشتق من الولي بسكون اللام الذي هو القرب، ومتى زكت نفس المؤمن بالإيمان والعمل الصالح، وتخلّيها عن الشرك، والمعاصي قرُب من الله تعالى فوالاه، ومن آيات الولاية: استجابة الدعاء وهو من الكرامات التي يكرم الله تعالى بها أولياءه وفي الحديث: (الذين يُذْكَرُ الله برؤيتهم) وفي لفظ: (الذين إذا رُؤوا ذُكر الله) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء، والشهداء. قيل من هم يا رسول الله؟ لعلنا نحبّهم؟ قال: هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ: ﴿ألا إن أولياء الله﴾ الآية.

(٢) الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا أي: كأنّما سائل قال: مَنْ هم أولياء الله؟ فأجيب: الذين آمنوا وكانوا يتقون).

(٣) لحديث: (انقطع الوحي ولم يبق إلاّ المبشرات قالوا: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن أو تُرى له).

(٤) كلمات الله هي: التي بها مواعيده ولذا فما يباشر الله تعالى به أولياءه هو كائن لا محالة إذ مواعيده لا تتبدل ووعوده لا تخلف.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ ولاية الله تعالى بطاعته وموافقته في محابه ومكارهه فمن آمن إيماناً يرضاه الله، واتقى الله في أداء الفرائض واجتناب المناهي فقد صار ولي الله والله وليه.

٢ـ البشرى هي ما يكرم الله به برؤيا صالحة يراها الولي أو تُرى له.

٣ـ الأولياء هم أهل الإيمان والتقوى فالكافر والفاجر لا يكون ولياً أبداً، إلا إذا آمن الكافر، وبَرَّ الفاجر بفعل الصالحات وترك المنهيات.

٤ـ صدْق إخبار الله تعالى وعدالة أحكامه، وسر ولايته إذ هي تدور على موافقة الرب تعالى فيما يجب من الاعتقادات والأعمال والأقوال والذوات والصفات وفيما يكره من ذلك فمن وافق ربه فقد والاه ومن خالفه فقد عاداه.

وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

لا يحزنك : أي لا يجعلك قولهم تحزن.

إن العزة لله : العزة الغلبة والقهر.

شركاء : أي شركاء بحق يملكون مع الله لعابديهم خيراً أو يدفعون عنهم ضراً.

إلا الظن : الظن أضعف الشك.

يخرصـــون : أي يحزرون ويكـذبون.

لتسكنوا فيه : أي تخلدوا فيه إلى الراحة والسكون عن الحركة.

مبصـــراً : أي مضيئاً ترى فيه الأشياء كلها.

في ذلـك : أي من جَعْلِهِ تعالى الليل سكناً والنهار مبصراً لآيات.

يسـمعون : أي سماع إجابة وقبول.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقـرير قضـايا التـوحيد الثلاث التوحيد والنبوة والبعث قال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ أي لا يجعلك قول المشركين المفترين ﴿لست مرسلاً﴾ وأنك ﴿شاعر مجنون﴾ تحزن فإن قولهم هذا لا ينتج لهم إلا سوء العاقبة والهـزيمـة المحتمـة، ﴿إن العـزة لله جميعاً﴾[1] فربك القوى القادر سيهزمهم وينصرك عليهم. إذاً فاصبر على ما يقولون ولا تأس ولا تحزن. إنه تعالى هو السميع لأقوال عباده العليم بأعمالهم وأحوالهم ولا يخفى عليه شيء من أمرهم. ﴿ألا إن الله من في السموات ومن في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً، كل شيء في قبضته وتحت سلطانه وقهره فكيف تبالي بهم يا رسولنا فتحزن لأقوالهم ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ أي آلهة حقاً بحيث تستحق العبادة لكونها تملك نفعاً أو ضراً، موتاً أو حياة لابل ما هم في عبادتها متبعين إلا الظن ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ أي يتقولون ويكذبون. وقوله تعالى ﴿هو الذي[2] جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً﴾ أي الإلٰه الحق الذي يجب أن يدعى ويعبد الله الذي جعل لكم أيها الناس ليلاً مظلماً لتسكنوا فيه فتستريحوا من عناء العمل في النهار. وجعل لكم النهار مبصراً[3] أي مضيئاً لتتمكنوا من العمل فيه فتوفروا لأنفسكم ما تحتاجون إليه في حياتكم من غذاء وكساء. وليست تلك الآلهة من أصنام وأوثان بالتي تستحق الألوهية فتُدْعى وتُعبد. وقوله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون[4]﴾ أي إن فيما

(١) أي: القوة الكاملة، والغلبة الشاملة، والقدرة التامة لله وحده، والعزيز هو الغالب الذي لا يُغلب، والقوي الذي لا يُحال بينه وبين مراده. و﴿ جميعاً ﴾ منصوب على الحال، وعزّة المؤمنين هي بعزّة الله فلا منافاة إذاً.

(٢) في الآية استدلال على عزّته تعالى وملكه لكل شيء وقدرته وتصرفه في كل شيء وهو ما أوجب له العبادة دون ما سواه.

(٣) يقال أبصر النهار، إذا صار ضياء، وأظلم الليل إذا صار ذا ظلام.

(٤) الجملة مستأنفة، والآيات: الدلائل الدالة على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، والدلالة تكون مرئية ومسموعة ومعقولة، وعليه فالأعمى والأصم وغير العاقل لا يستفيدون منها فهذه علّة عدم استفادة المشركين من الآيات لفقدهم آلات العقل والسمع والبصر، إذ فسدت بالجهل والتقليد والعناد والمكابرة والجحود.

ذكر تعالى من كماله وعزته وقدرته وتدبيره لأمور خلقه آيات علامات واضحة على أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره، ولكن يرى تلك الآيات من يسمع سماع قبول واستجابة لا من يسمع الصوت ولا يفكر فيه ولا يتدبر معانيه فإن مثله أعمى لا يبصر وأصم لا يسمع.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ على المؤمن الداعي إلى الله تعالى أن لا يحزنه أقوال أهل الباطل وأكاذيبهم حتى لا ينقطع عن دعوته، وليعلم أن العزة لله جميعاً وسوف يعزه بها، ويذل أعداءه.

٢ـ ما يُعبد من دون الله لم يقم عليه عابدوه أي دليل ولا يملكون له حجة وإنما هم مقلدون يتبعون الظنون والأوهام.

٣ـ مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق والتدبير كافية في إثبات العبادة له ونفيها عما سواه.

قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ
سُبْحَـٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ
إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

شـرح الكلمـات:

سـبحانه: أي تنزه عن النقص وتعالى أن يكون له ولد.

الـغَنِيُّ: أي الغِنَى المطلق بحيث لا يفتقر إلى شيء.

إن عندكم من سلطان: أي ما عندكم من حجة ولا برهان.

بهـذا: أي الذي تقولونه وهو نسبة الولد إليه تعالى.

متاع في الدنيا: أي ما هم فيه اليوم هو متاع لا غير وسوف يموتون ويخسرون

كل شيء.

يكفـرون : أي بنسبة الولد إلى الله تعالى، وبعبادتهم غير الله سبحانه وتعالى.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تحقيق التوحيد وتقريره بإبطال الشرك وشبهه فقال تعالى: ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾ أي قال المشركون أن الملائكة بنات الله[1] وهو قول مؤسف محزن للرسـول ﷺ كقـولهم له ﴿لست مرسـلاً﴾، وقـد نهي ﷺ عن الحزن من جراء أقوال المشركين الفاسدة الباطلة. ونزه الله تعالى نفسه عن هذا الكذب فقال سبحانه، وأقام الحجة على بطلان قول المشركين بأنه هو الغَنيُّ الغِنَىٰ الذاتي الذي لا يفتقر معه إلى غيره فكيف إذاً يحتاج إلى ولد أو بنت فيستغني به وهو الغني الحميد، وبرهان آخر على غناه أن له ما في السموات وما في الأرض الجميع خلقه وملكه فهل يعقل أن يتخذ السيد المالك عبداً من عبيده ولداً له. وحجة أخرى هل لدى الزاعمين بأن لله ولداً حجة تثبت ذلك والجواب لا، لا. قال تعالى مكذباً إياهم: ﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾[2] أي ما عندكم من حجة ولا برهان بهذا الذي تقولون ثم وبخهم وقرعهم بقوله: ﴿أتقولون على[3] الله ما لا تعلمون؟﴾ وأمر رسوله ﷺ أن يقول معلناً عن خيبة الكاذبين وخسرانهم: ﴿إن الـذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾[4] وإن قيل كيف لا يفلحون وهم يتمتعون بالأموال والأولاد والجاه والسلطة أحياناً فالجواب في قوله تعالى ﴿متاع في الدنيا﴾[5] أي ذلك متاع في الدنيا، يتمتعون به إلى نهاية أعمارهم، ثم إلى الله تعالى مرجعهم جميعاً، ثم يذيقهم العذاب الشديد الذي ينسون معه كل ما تمتعوا به في الحياة الدنيا، وعلل

---

(١) وقال اليهود: عزير بن الله وقال النصارى عيسى بن الله والكل مفتر كذّاب، ولا شك أن الشيطان هو الذي زيّن لهم هذا الباطل ليغويهم فيضلهم ويهلكهم.

(٢) إن نافية بمعنى: (ما) كما هي في التفسير أي: ما عندكم من حجة تثبت ما ادعيتموه وتُلزم به لقوتها كقوة ذي السلطان.

(٣) الاستفهام للتوبيخ والتقريع بجهلهم وكذبهم إذ الولد يتطلب المجانسة والمشابهة بينه وبين من ينسب إليه وأين ذلك؟ والله ليس كمثله شيء إذ هو خالق كل شيء.

(٤) الفلاح: الفوز، والفوز هي السلامة من المرهوب والظهر بالمحبوب المرغوب، والمفترون على الله الكذب لا ينجون من النار ولا يدخلون الجنة فهم إذا خاسرون غير مفلحين.

(٥) هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانيا لأنها جواب سؤال هو: كيف لا يفلحون وهم في عزّة وقدرة وسلطان فيجاب السائل: بأن هذا متاع في الدنيا زائل لا قيمة له، بالمقابلة بالفلاح المنتفي عنهم وهو فلاح الآخرة.

تعالى ذلك العذاب الشديد الذي أذاقهم بكفرهم فقال: ﴿بما كانوا يكفرون﴾[1] أي يجحدون كمال الله وغناه فنسبوا إليه الولد والشريك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ كفر من ينسب إلى الله تعالى أي نقص كالولد والشريك أو العجز مطلقاً.

٢ـ كل دعوى لا يقيم لها صاحبها برهاناً قاطعاً وحجة واضحة فلا قيمة لها ولا يحفل بها.

٣ـ أهل الكذب على الله كالدجالين والسحرة وأهل البدع والخرافات لا يفلحون ونهايتهم الخسران.

٤ـ لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بما يرى عليه أهل الباطل والشر من المتع وسعة الرزق وصحة البدن فإن ذلك متاع الحياة الدنيا، ثم يؤول أمرهم إلى خسران دائم.

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ

شرح الكلمات:

واتل عليهم نبأ نوح: أي اقرأ على المشركين نبأ نوح أي خبره العظيم الخطير.

---

(١) الباء في ﴿بما كانوا يكفرون﴾ للتعليل الذي هو السببيّة أي: بسبب كفرهم، إذ الكفر خبث نفوسهم فاستوجبوا النار وعذابها.

كبر عليكم مقامي : أي عظم عليكم مقامي بينكم ادعو الى ربي.
فأجمعوا أمركـم : أي اعزموا عزماً أكيداً.
غـمّـــــة : أي خفاء ولبساً لا تهتدون منه إلى ما تريدون.
ثم اقضوا إلي : أي انفذوا أمركم.
ولا تنظـرون : أي ولا تمهلون رحمة بي أو شفقة علي.
فإن توليتـم : أي أعرضتم عما أدعوكم إليه من التوحيد.
في الفلـك : أي في السفينة.
خلائـــف : أي يخلف الآخر الأول جيلاً بعد جيل.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في طلب هداية المشركين بالرد على دعاواهم وبيان الحق لهم وفي هذه الآيات يأمر الله تعالى الرسول ﷺ أن يقرأ عليهم طرفاً من قصة نوح مع قومه المشركين الذين كانت حالهم كحال مشركي العرب سواء بسواء وفي قراءة هذا القصص فائدتان الأولى تسلية الرسول وحمله على الصبر، والثانية تنبيه المشركين إلى خطإهم، وتحذيرهم من الاستمرار على الشرك والعصيان فيحل بهم من العذاب ما حل بغيرهم قال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾[١] أي خبره العظيم الشأن وهو قوله لهم ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾[٢] أي عظم وشق عليكم وجودي بينكم أدعوكم إلى الله، وتذكيري إياكم بآيات الله، فإني[٣] توكلت على الله فأجمعوا أمركم أي اعزموا عزماً أكيداً وادعوا أيضاً شركاءكم للاستعانة بهم، ثم أحذركم أن يكون أمركم عليكم غمة أي[٤] خفياً ملتبساً عليكم فيجعلكم تترددون في إنفاذ ما عزمتم عليه، ثم اقضوا[٥] إليَّ ما تريدون من قتلي أو نفيي ولا

---

(١) ﴿اتل﴾ فعل أمر حذفت منه الواو لبنائه على حذفها إذ ماضيه تلا ومضارعه يتلو، والأمر: اتل بمعنى اقرأ، والتلاوة: موالاة الكلمات والقراءة جمعها.

(٢) المقام: بفتح القاف، موضع القيام، والمُقام بالضمّ الإقامة، ومعنى كبُر: ثقل وعظم.

(٣) هذه الجملة ﴿فعلى الله توكلت﴾ هي جواب الشرط الذي هو: فإن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله التي هي دلائل فضله ودلائل وحدانيته تعالى.

(٤) الغمّة والغمّ بمعنى واحد، ومعناه التغطية والستر ومنه: غم الهلال إذا استتر، قال الشاعر:

لعمرك ما أمري عَليَّ بغمّة   نهاري ولا ليلي عليَّ بسرمد

وأصل الغمّ: مشتق من الغمامة، وكل أمر مبهم ملتبس فهو غمّة.

(٥) أي: أنفذوا ما حكمتم به عليَّ من قتلي إن أردتم ذلك.

تنظرون أي لا تؤخروني أي تأخير. وقوله تعالى: ﴿فإن توليتم﴾ أي أعرضتم عن دعوتي وتذكيري ولم تقبلوا ما أدعوكم إليه من عبادة الله تعالى وحده، فما سألتكم عليه من أجر أي ثواب، حتى تتولوا. إن أجري إلا على ربي الذي أرسلني وكلفني. وقد أمرني أن أكون من المسلمين له قلوبهم ووجوههم وكل أعمالهم فأنا كذلك كل عملي له فلا أطلب أجراً من غيره قال تعالى: ﴿فكذبوه﴾ أي دعاهم واستمر في دعائهم إلى الله زمناً غير قصير وكانت النهاية: أن كذبوه، ودعانا لنصرته فنجيناه ومن معه من المؤمنين في السفينة وجعلناهم خلائف[1] لبعضهم بعضاً أي يخلف الآخر الأول، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا التي أرسلنا بها عبدنا نوحاً فانظر يا رسولنا كيف كان عاقبة المنذرين الذين لم يقبلوا النصح ولم يستجيبوا للحق إنها عاقبة وخيمة إذ كانت إغراقاً في طوفان وناراً في جهنم وخسراناً قال تعالى في سورة نوح: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تسلية الدعاة بمثل موقف نوح العظيم إذ قال لقومه: أجمعوا أمركم ونفذوا ما تريدون إني توكلت على الله.

٢- ثمرة التوكل شجاعة واطمئنان نفس وصبر وتحمل مع مضاء عزيمة.

٣- دعوة الله لا ينبغي أن يأخذالداعي عليها أجراً إلا للضرورة.

٤- بيان سوء عاقبة المكذبين بعد إنذارهم وتحذيرهم.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿٧٣﴾

(١) جمع خليفة وهو اسم لمن يخلف غيره.

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ
ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

بالبينات : أي بالحجج الواضحات على صدق دعوتهم، وما يدعون إليه من توحيد الله تعالى.

نطبع : الطبع على القلب عبارة عن تراكم الذنوب على القلب حتى لا يجد الإيمان إليه طريقاً.

المعتدين : الذين تجاوزوا الحد في الظلم والاعتداء على حدود الشرع.

الحق : الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام وهي تسع.

لتلفتنا : لتصرفنا وتحول وجوهنا عما وجدنا عليه آباءنا.

الكبرياء : أي العلو والسيادة والملك على الناس.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى طرفاً من قصة نوح عليه السلام وأبرز فيها مظهر التوكل على الله تعالى من نوح ليُقتَدَى به، ومظهر نصرة الله تعالى لأوليائه وهزيمته أعدائه ذكر هنا سنة من سننه في خلقه وهي أنه بعث من بعد نوح رسلاً كثيرين[1] إلى أممهم فجاؤوهم بالبينات أي بالحجج والبراهين على صدقهم وصحة ما جاءوا به ودعوا إليه من توحيد الله، فما كان أولئك الأقوام ليؤمنوا بما كذب به من سبقهم من أمة نوح. قال تعالى: ﴿كذلك نطبع على[2]

(١) كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وغيرهم.

(٢) ﴿نطبع﴾ نختم، إذ الختم والطبع واحد، والطبع يكون بالخاتم.

قلوب المعتـدين﴾ هذا بيان سنة الله تعالى في البشر وهي أن العبد إذا أذنب وواصل الذنب بدون توبة يصبح الذنب طبعاً من طباعه لا يمكنه أن يتخلى عنه، وما الذنب إلا اعتداء على حدود الشارع فمن اعتدى واعتدى وواصل الاعتداء حصل له الطبع وكان الختم على القلب فيصبح لا يقبل الإيمان ولا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر. وقوله تعـالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم[1] موسى وهرون﴾ أي من بعد الأمم الهالكة بعثنا رسولينا موسى وهرون ابني عمران إلى فرعون وملئه بآياتنا المتضمنة الدليل على صحة مطلب رسـولينـا وهو توحيد الله وإرسال بني اسرائيل معهما، ﴿فاستكبروا﴾ أي فرعون وملؤه ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ حيث أفسدوا القلوب[2] والعقول وسفكوا الدماء وعذبوا الضعفاء يقول تعالى عنهم ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين﴾ أي لما بهرتهم المعجزات وهي آيات موسى وأبطلت إفكهم قالوا إن هذا لسحر مبين تخلصاً من الهزيمة التي لحقتهم، فرد موسى عليهم بقـولـه ﴿أتقـولون للحق لما جـاءكـم﴾ هـذا سـحر[3] ثم بعد توبيخهم استدل على بطلان قولهم بكونه انتصر عليهم فأفلح بينهم وفاز عليهم فقال: ﴿أسحر هذا ولا يفلح الساحرون﴾ فلو كان ما جئت به سحراً فكيف أفلحت في إبطال سحركم وهزيمة سحـرتكم. فلمـا أفحمهم بالحجة قالوا مراوغين: ﴿أجئتنا لتلفتنا﴾ أي تصرفنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا، وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾ أي وتكون لكما السيادة والملك في أرض مصر فسلكوا مسلك الاتهام السياسي. وقالوا ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ أي بمصدقين ولا متبعين.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان سنة الله في البشر وهي أن التوغل في الشر والفساد والظلم يوجب الختم على

---

(١) أي: من بعد الرسول والأمم إذ لكل أمّة رسول.

(٢) أفسدوا القلوب بالشرك والكفر والعقول بالسحر والأباطيل وسفكوا الدماء بقتل ذكران بني اسرائيل الصغار (المواليد).

(٣) مفعول ﴿أتقولون﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه وهو: إن هذا لسحر مبين وتقدير الكلام أنهم لما قالوا في الآيات لسحر مبين رد عليهم موسى بقوله: أتقولون للحق لما جاءكم هذا. أسحر هذا؟ أي كيف يكون هذا الذي جئتكم به من الآيات سحـراً؟ والسـاحر لا يفلح وقد أفلحت فبطل أن يكون ما جئتكم به من الآيات سحراً للحق: اللام يسميها بعضهم لام المجاوزة فهي بمعنى عن أي: تقولون عن الحق كذا. والظاهر أنها لام التعليل.

القلوب فيحرم العبد الإيمان والهداية.

٢ـ ذم الاستكبار وأنه سبب كثير من الإجرام.

٣ـ تقرير أن السحر صاحبه لا يفلح أبداً ولا يفوز بمطلوب ولا ينجو من مرهوب.

٤ـ الاتهامات الكاذبة من شأن أهل الباطل والظلم والفساد.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُجْرِمُونَ

شـرح الكلمـات :

ساحر عليـم : أي ذو سحر حقيقي له تأثير عليم بالفن.

ألقـــوا : أي ارموا في الميدان ما تريدون إلقاءه من ضروب السحر.

إن الله سيبطله : أي يظهر بطلانه أمام النظارة من الناس.

ويحق الله الحق : أي يقرر الحق ويثبته.

بكلمـاته : أي بأمره إذ يقول للشيء كن فيكون.

المجـرمـون : أهل الإجرام على أنفسهم وعلى غيرهم وهم الظلمة المفسدون.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في ذكر قصة موسى بعد قصة نوح عليهما السلام في الآيات السابقة لما غلب موسى فرعون وملأه بالحجة اتهم فرعون موسى وأخاه هارون بأنهما سياسيان يريدان الملك والسيادة على البلاد لا همَّ لهما إلا ذاك وكذب فرعون وهو من الكاذبين وهنا أمر

رجال دولته أن يحضروا له علماء السحر[1] ليبارى موسى في السحر فجمع سحرته فقال لهم موسى ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾[2] فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فنظر إليه موسى وقال: ﴿ما جئتم[3] به السحر إن الله سيبطله[4] إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾[5] وألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- للسحر طرق يتعلم بها وله علماء به وتعلمه حرام واستعماله حرام.

٢- حد الساحر القتل لأنه إفساد في الأرض.

٣- جواز المبارزة للعدو والمباراة له إظهاراً للحق وإبطالاً للباطل.

٤- عاقبة الفساد وعمل أصحابه الخراب والدمار.

٥- متى قاوم الحق الباطل انهزم الباطل وانتصر الحق بأمر الله تعالى ووعده الصادق.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾

(٨٢)

(١) طلب فرعون بإتيانه بالسحرة إذ قال: أئتوني بكل ساحر عليم قال هذا لما شاهد العصا واليد البيضاء فاعتقد أنها سحر فأراد أن يقابله بسحر قومه.

(٢) أي: اطرحوا ما معكم من حبالكم وعصيّكم.

(٣) أي: ما أظهرتموه لنا من هذه الحبال والعصي، وقد تراءت وكأنها حيّات وثعابين هو السحر وعلّل لذلك بقوله إنّ الله سيبطله وعلة أخرى وهو أن الله لا يصلح عمل المفسدين، وإظهار اسم الجلالة في التعليلين: ﴿إنّ الله سيبطله﴾ ﴿إنّ الله لا يصلح عمله المفسدين﴾ لإلقاء الروع وتربية المهابة في النفوس.

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنه مَن أخذ مضجعه من الليل ثم تلا هذه الآية. ﴿ما جئتم به السحر إنّ الله سيبطله إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ لم يضرّه كيد ساحر.

(٥) أراد بالمجرمين: فرعون وملأه، وفي الكلام تعريض بهم، وعدل عن وصفهم بالإجرام لأنّه مأمور أن يقول قولا ليّناً فاستغنى بالتعريض بدل التصريح

تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

شرح الكلمات :

فما آمن لموسى : أي لم يَنْقَدْ له ويتبعه.

إلا ذرِّيَّة : أي طائفة قليلة من أولاد بني إسرائيل.

وملائهم : أي أشرافهم ورؤسائهم.

أن يفتنهم : أن يضطهدهم ويعذبهم.

لعال في الأرض : قاهر مُستبدّ.

مسلمين : مذعنين منقادين لأمره ونهيه.

فتنة للقوم الظالمين : أي لاتفتنهم بنا بأن تنصرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا كفراً.

أن تبوَّءا : اتخذا لقومكما بمصر بيوتا تبوءون إليها وترجعون.

قبلة : أي مساجد تصلون فيها.

معنى الآيات :

بعد ذلك الانتصار الباهر الذي تم لموسى على السحرة، والهزيمة المرة التي لحقت فرعون ولم يؤمن لموسى ويتابعه إلا ذرّيّة من بني إسرائيل، وعدد قليل من آل فرعون كامرأته ومؤمن آل فرعون والماشطة قال تعالى: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية[1] من قومه على خوف من فرعون﴾ أي مع خوف من فرعون أن يفتنهم وقوله: ﴿وملائهم﴾ عائد إلى مؤمنى آل فرعون أي مع خوف من ملائهم أي رؤسائهم وأشرافهم أن يفتنوهم أيضاً، وقوله تعالى ﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾ أي إنه قاهر متسلط مستبد ظالم، ﴿وإنه لمن

---

(١) المراد بالذرية أولاد بني اسرائيل الشبان الذين آمنوا عند مشاهدة المباراة وانتصار موسى فيها.

المسرفين﴾[1] في الظلم فلذا خافوه لما آمنوا، ولما ظهر الخوف على بني إسرائيل قال لهم موسى ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾[2] ففوضوا أمركم إليه إن كنتم حقاً مسلمين لله منقادين لأمره ونهيه، فأجابوا قائلين: ﴿على الله توكلنا﴾ وسألوا الله تعالى أن لا يفتن قوم فرعون بهم بأن ينصرهم عليهم فيزدادوا كفراً وظلماً، وضمن ذلك أن لا تسلط الظالمين علينا فيفتنونا في ديننا بصرفنا عنه بقوة التعذيب ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ وهذا حسن توسل منهم إذا قالوا برحمتك فتوسلوا إلى الله برحمته ليستجيب دعاءهم، والمراد من القوم الكافرين هنا فرعون وملأه. وقوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه﴾ أي هارون ﴿أن تبوءا لقومكما﴾[3] أي من بني إسرائيل ﴿بمصر﴾ أي بأرض مصر[4] ﴿بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلة﴾[5] أي متقابلة ومساجد[6] تصلون فيها ﴿وأقيموا الصلاة﴾ على الوجه الذي شرع لكم. وهذا بناء على أن بني إسرائيل بعد الانتصار على فرعون أخذوا ينحازون من مجتمع فرعون فأمروا أن يكونوا حياً مستقلاً استعداداً للخروج من أرض مصر فأمرهم الرب تبارك وتعالى أن يجعلوا بيوتهم قبلة أي متقابلة ليعرفوا من يدخل عليهم ومن يخرج منهم وليصلوا فيها كالمساجد حيث منعوا من المساجد إما[7] بتخريبها وإما بمنعهم منها ظلماً وعدواناً وقوله تعالى ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي وبشر يا رسولنا المؤمنين الصادقين في إيمانهم الكاملين فيه بحسن العاقبة بكرامة الدنيا وسعادة الآخرة بدخول دار السلام.

---

(١) ﴿المسرفين﴾: أي المجاوزين الحد في الكفر لأنه كان عبداً فادعى الربوبية.

(٢) كرر جملة الشرط تأكيداً، مبيّنا أنّ كمال الإيمان يقتضي التوكل على الله تعالى.

(٣) أي: اتخذا، يقال: بوّأه الدار: أنزله إيّاها وأسكنه فيها. وفي الحديث (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) أي: فلينزله ملازما له.

(٤) قيل: المراد بمصر: الأسكندرية.

(٥) في الآية دليل على جواز صلاة الخائف المكتوبة في بيته، أمّا النافلة فهي في البيوت أفضل لقول الرسول ﷺ (فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإنّ خير صلاة المرء في بيته إلاّ المكتوبة).

(٦) في هذا جمع بين رأيين .الأول: أن المراد من كلمة قبلة: أنها مساجد والثاني: أنها متقابلة ليتم لهم بذلك حمايتهم من عدوهم بعد أن استقلوا عنه.

(٧) هو موسى عليه السلام، بدليل السياق الكريم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تسلية الرسول ﷺ حيث أراه كيف انتصر موسى بالمعجزات ومع ذلك لم يتابعه إلا القليل من قومه.

٢ـ التنديد بالعلو في الأرض والإسراف في الشر والفساد وبأهلهما.

٣ـ وجوب التوكل على الله تعالى لتحمل عبء الدعوة إلى الله تعالى والقيام بطاعته.

٤ـ مشروعية الدعاء والتوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته.

٥ـ اتخاذ المساجد في المنازل للصلاة فيها عند الخوف.

٦ـ وجوب إقام الصـلاة

٧ـ بشرى الله تعالى للمؤمنين والمقيمين للصلاة بحسن العاقبة في الدارين.

وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

شـرح الكلمـات :

زينـــة	: أي حلياً وحللاً ورياشاً ومتاعاً.
أمـــوالاً	: أي كثيرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث.
اطمـــس	: أي أزل أثرها من بينهم بإذهابها.
واشدد على قلوبهم	: اربط عليها حتى لا يدخلها إيمان ليهلكوا وهم كافرون.

أجيبت دعوتكما : أي استجابها الله تعالى .

فاستقيمـــا : على طاعة الله بأداء رسالته والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه .

سبيل الذين لا يعلمون : أي طريق الجهلة الـذي لا يعرفون محاب الله ومساخطه ولا يعلمون شرائع الله التى أنزل لعباده .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في قصة موسى مع فرعون وبنى إسرائيل فبعد أن لج فرعون في العناد والمكابرة بعد هزيمته سأل موسى ربه قائلاً ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه﴾ أي أعطيتهم ﴿زينـة﴾ أي ما يتـزين به من المـلابس والفـرش والأثاث وأنواع الحلي والحلل وقوله ﴿وأموالاً﴾[1] أي الذهب والفضة والأنعام والحرث ﴿في الحياة الدنيا﴾ أي في هذه الحياة الدنيا وقوله: ﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾[2] أي فيسبب ذلك لهم الضلال إذاً ﴿ربنا اطمس[3] على أموالهم﴾ أي أذهب أثرها بمسحها وجعلها غير صالحة للانتفاع بها، ﴿واشدد على[4] قلوبهم﴾ أي اطبع على قلوبهم واستوثق منها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم الموجع أشد الإيجاع، قال تعالى: ﴿قد أجيبت دعوتكما، فاستقيما﴾[5] على طاعتنا بالدعوة إلينا وأداء عبادتنا والنصح لعبادنا والعمل على إنقاذ عبادنا من ظلم الظالمين، ﴿ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون﴾ أي فتستعجلا وقوع العذاب فإن الذين لا يعلمون ما لله من حكم وتدابير وقضاء وقدر يستعجلون الله تعالى في وعده لهم فلا تكونوا مثلهم بل انتظروا وعدنا واصبروا حتى يأتي وعد الله . وما الله بمخلف وعده .

---

(١) قيل: إنه كان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والزمرد، والياقوت .

(٢) في هذه اللاّم أقوال: أصحها: أنها لام العاقبة، والصيرورة. أي: يا رب إنك آتيت فرعون وقومه أموالا ليؤول أمرهم بسبب تلك الأموال إلى ضلالهم .

(٣) أي: عاقبهم على كفرهم بإهلاك أموالهم. وفعلا أصبحت حجارة لا ينتفع بها وكان ذلك عقوبة منه تعالى لهم على كفرهم وعنادهم .

(٤) قد استشكل العلماء وجه دعاء موسى على فرعون وقومه بالهلاك إذ المفروض أن يدعو لهم بالهداية. وأجيب بأنه قد علم بإعلام الله تعالى له أنهم لا يؤمنون فلذا دعا عليهم، كما أعلم الله تعالى نوحاً بعدم إيمان قومه فلذا دعا عليهم، إذ قال له ربّه: ﴿إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ وهنا دعا عليهم قائلا: ﴿ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا﴾ .

(٥) كان موسى يدعو، وهارون يؤمن أي: يقول: آمين فاعتبر داعيا مع أخيه. لأنّ قول آمين معناه: اللهم استجب دعاءنا .

هداية الآيـتين

من هداية الآيتين :

١ـ مشروعية الدعاء بالهلاك على أهل الظلم .

٢ـ كثرة المال وأنواع الزينة ، والانغماس في ذلك والتلهي به يسبب الضلال لصاحبه .

٣ـ الذين بلغوا حداً من الشر والفساد فطبع على قلوبهم لا يموتون إلا على الكفر فيخسرون .

٤ـ المؤمِّـن داع فهو شريك في الدعاء[١] فلذا أهل المسجد يؤمِّنون على دعاء الإمام في الخطبة فتحصل الإجابة للجميع ، ومن هنا يخطيء الذين يطوفون أو يزورون إذ يدعون بدعاء المطوف ولا يؤمِّنون .

٥ـ حرمة اتباع طرق أهل الضلال ، وتقليد الجهال والسير وراءهم .

۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

شـرح الكلمـات :

وجاوزنا ببني إسرائيل : أي قطعنا بهم البحر حتى تجاوزوه .

البحـــر : بحـر القلزم .

(١) روى الترمذي الحكيم عنه ﷺ أنه قال: (إن الله قد أعطى أمتي ثلاثاً لم تعط أحداً قبلهم: السلام، وهي تحية أهل الجنة، وصفوف الملائكة وآمين إلاّ ما كان من موسى وهارون) وعلى هذا فموسى كان يدعو وهارون يؤمن فاعتبر داعيا.

بغيا وعــدوا[1] : أي بغيا على موسى وهرون واعتداء عليهما.

آلآن : أي أفي هذا الوقت تقر بالوحدانية وتعترف له بالذلة؟!.

ببدنــك : أي بجسدك لا روح فيه.

آيـــة : علامة على أنك عبد وليس برب فيعتبروا بذلك.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في قصة موسى وهرون مع فرعون وبني إسرائيل قال تعالى: ﴿وجاوزنا[2] ببني إسرائيل البحر﴾ وذلك بداية استجابة الله تعالى دعوة موسى وهرون ومعنى ﴿جاوزنا﴾ أي قطعنا بهم البحر حتى تجاوزوه، وذلك بأن أمر موسى أن يضرب بعصاه البحر فضرب فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم ويَبِسَت الأرض ودخل موسى مع بني إسرائيل يتقدمهم جبريل عليه السلام على فرس حتى تجاوزوا البحر إلى الشاطىء، وجاء فرعون على فرسه ومعه ألوف[3] الجنود فتبعوا[4] موسى وبني إسرائيل فدخلوا البحر فلما توسطوه أطبق[5] الله تعالى عليهم البحر فغرقوا أجمعين إلا ما كان من فرعون فإنه لما أدركه الغرق أي لحقه ووصل الماء إلى عنقه أعلن عن توبته فقال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ ولكبريائه لم يقل لا إله إلا الله ولو قالها لتاب الله عليه فأنجاه بل قال: ﴿لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ وهو يعرف أنه الله. وقوله: ﴿وأنا من المسلمين﴾ مبالغة في طلب النجاة من الغرق بالتوبة حيث أعلن أنه من المسلمين أي المستسلمين المنقادين لأمره. فرد الله تعالى بقوله: ﴿آلآن﴾ أي وقت التوبة والإسلام[6] بعد الإيمان،

---

(١) ﴿بغياً﴾ منصوب على الحال. و﴿عدوا﴾ معطوف عليه، وكان اتباع فرعون بني اسرائيل بغيا وعدوا لأنه ليس له شائبة حق في منعهم من الخروج من بلاده إلى بلادهم.

(٢) جاوزنا وجوّزنا: بمعنى واحد.

(٣) قال القرطبي: كان بنو اسرائيل ستمائة وعشرين ألفاً، وكان جيش فرعون ألفي ألف وستمائة ألف. أي مليونين ونصفاً وزيادة.

(٤) تبع واتبع بمعنى واحد إذا لحقه وأدركه، وأمّا اتبع بالتشديد فإن معناه: سار خلفه.

(٥) روى الترمذي وحسّنه أن النبي ﷺ قال (لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو اسرائيل، قال جبريل يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من وحل البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمه) وحل البحر: الطين الأسود الذي يكون في أسفله، ومعنى تدركه الرحمة: أي يقول لا إله إلا الله.

(٦) لأنّ التوبة تقبل من العبد ما لم يرَ علامات الموت بمشاهدة الملائكة، وفي الحديث الصحيح: (إن الله يقبل توبة العبد مالم يُغرغر).

﴿وقد عصيت قبل﴾ وتمردت على الله وشرعه وكفرت به وبرسوله ﴿وكنت من المفسدين﴾ للبلاد والعباد بالظلم والشر والفساد، ﴿فاليوم ننجيك﴾ أي نجعلك على نجوة من الأرض أي مرتفع منها ﴿ببدنك﴾ أي بجسمك دون روحك، وبذلك ﴿لتكون لمن خلفك﴾ أو بعدك من الناس ﴿آية﴾ أي علامة على أنك عبد مربوب وليس كما زعمت أنك رب وإله معبود، وتكون عبرة لغيرك فلا يطغى طغيانك ولا يكفر كفرانك فيهلك كما هلكت، وقوله تعالى: ﴿وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ إخبار منه بواقع الناس ومن أولئك الغافلين عن آيات الله وهي تتلى عليهم أهل مكة من كفار قريش وما سيق هذا القصص إلا لأجل هدايتهم. لو كانوا يهتدون.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ لا تقبل التوبة عند معاينة العذاب وفي الحديث (تقبل توبة العبد ما لم يغرغر).

٢ـ أكمـل الأديان وأفضلهـا الإسـلام ولهـذا أهل اليقين يسألون الله تعالى أن يتوفاهم مسلمين ولما أيقن فرعون بالهلاك زعم أنه من المسلمين.

٣ـ فضل لا إله إلا الله فقد ورد أن جبريل كان يحول بين فرعون وبين أن يقول: لا إله إلا الله فينجو فلم يقلها فغرق وكان من الهالكين.

٤ـ تقرير حقيقة وهي أن أكثر الناس في هذه الحياة غافلون عما يراد بهم ولهم ولم ينتبهوا حتى يهلكوا.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

شـرح الكلمـات :

مبـوأ صـدق : أي أنزلناهم منزلاً صالحاً طيباً مرضياً.

من الطيبات : أي من أنواع الأرزاق الطيبة الحلال.

حتى جاءهم العلم : وهو معرفتهم أن محمداً ﷺ هو النبي المنتظر وأنه المنجي.

يقضي بينهم : يحكم بينهم.

فيما كانوا فيه يختلفون : أي في الذي اختلفوا من الحق فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

معنى الآية الكريمة

هذه خاتمة الحديث عن موسى وبني إسرائيل بعد أن نجاهم الله من عدوهم بإهلاكه في اليم قال تعالى: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق﴾ أي أنزلناهم مبوأ صالحاً طيباً وهو بلاد فلسطين من أرض الشام المباركة،[1] وذلك بعد نجاتهم من التيه ودخولهم فلسطين بصحبة نبي الله يوشع بن نون عليه السلام، وقوله ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ إذ أرض الشام أرض العسل والسمن والحبوب والثمار واللحم والفحم وذكر هذا إظهار لنعم الله تعالى ليشكروها. وقوله: ﴿فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾ يريد أن بني إسرائيل الذين أكرمهم ذلك الإكرام العظيم كانوا قبل مبعث النبي ﷺ متفقين على دين واحد منتظرين النبي المنتظر المبشر به في التوراة الذي سينقذ بني إسرائيل مما حل بهم من العذاب والاضطهاد على أيدي أعدائهم الروم، فلما جاءهم وهو العلم وهو القرآن والمنزل عليه محمد ﷺ اختلفوا فمنهم من آمن به،[2] ومنهم من كفر. وقوله تعالى في خطاب النبي ﷺ: ﴿إن ربك يقضي[3] بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الإيمان لك واتباعك واتباع ما جئت به من الهدى ودين الحق، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكفار النار.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١ـ بيان إكرام الله تعالى لبني إسرائيل.

---

(١) وروي ان ابن عباس رضي الله عنهما قال: في المبوأ الصدق: هو بنو قريظة وبنو النضير، وأهل عصر النبي ﷺ بقرينة: ﴿فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾ الذي هو القرآن يحمله محمد ﷺ وقرينة ما في التفسير هي أن الحديث كان في إنجاء بني اسرائيل وإهلاك فرعون وهو يناسبه أن يكون المبوأ: أرض فلسطين والشام.

(٢) كعبد الله بن سلام وأمثاله.

(٣) يقضي: معناه يحكم، فيحكم لأهل الإيمان والاستقامة بدخول الجنة ويحكم لأهل الكفر والضلال بالنار.

٢ـ الرزق الطيب هو ما كان حلالاً لا ما كان حراماً.
٣ـ إذا أراد الله هلاك أمة اختلفت بسبب العلم الذي هو في الأصل سبب الوحدة والوئام.
٤ـ حرمة الاختلاف في الدين إذ كان يؤدي إلى[1] الانقسام والتعادي والتحارب
٥ـ يوم القيامة هو يوم الفصل الذي يقضي الله تعالى فيه بين المختلفين بحكمه العادل.

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

شرح الكلمات:

شك : ما قابل التصديق فالشاك غير المصدق.

مما أنزلنا إليك : أي في أن بني إسرائيل لم يختلفوا إلا من[2] بعد ما جاءهم العلم.

الكتاب : أي التوراة والإنجيل.

فلا تكونن من الممترين: أي لا تكونن من الشاكين.

حقت عليهم : أي وجبت لهم النار بحكم الله بذلك في اللوح المحفوظ.

حتى يروا العذاب : أي يستمرون على تكذيبهم حتى يروا العذاب فيؤمنوا حيث لا ينفع الإيمان.[3]

---

(١) مثال الاختلاف الذي لا يؤدي إلى الانقسام والتعادي والتحارب.: الخلاف الفقهي بين الأئمة الأربعة، ومثال الخلاف المفضي إلى التعادي والتحارب الخلاف بين أهل السنة والفرق الضالة كالخوارج والروافض وأمثالهما

(٢) هذا وجه من جملة أوجه فسّرت بها الآية.

(٣) لا خلاف في أن الإيمان كالتوبة لا يقبلان عند معاينة الموت ففي سورة النساء قال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا جاء أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار﴾. وقال ﷺ إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

معنى الآيات :

يقرر تعالى نبوة رسوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل[1] الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ أحبار اليهود ورهبان النصارى فإنهم يعرفون نعوتك وصفاتك في التوراة والإنجيل وإنك النبي الخاتم والمنقذ وأن من آمن بك نجا ومن كفر هلك وهذا من باب الفرض وليكون تهييجاً للغير ليؤمن ,وإلا فهو ﷺ قد قال: (لا أشك ولا أسأل) وقوله ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾، يقسم تعالى لرسوله بأنه قد جاءه الحق من ربه وهو الحديث الثابت بالوحي الحق وينهاه أن يكون من الممترين أي الشاكين في صحة الإسلام، وأنه الدين الحق الذي يأبى الله إلا أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وقوله ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ أي وينهاه أيضاً أن يكون من الذين كذبوا بوحي الله وشرعه ورسوله المعبر عنها بالآيات لأنها حاملة لها داعية إليها، فتكون من الخاسرين يوم القيامة. وهذا كله من باب «إياك أعني واسمعي يا جاره» وإلا فمن غير الجائز أن يشك الرسول أو يكذب بما أنزل عليه من الآيات الحاملة من الشرائع والأحكام. وقوله تعالى: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية﴾ هو كما أخبر عز وجل فالذين قضى[2] الله بعذابهم يوم القيامة فكتب ذلك في كتاب المقادير عنده هؤلاء لا يؤمنون أبداً مهما بذل في سبيل إيمانهم من جهد في تبيين الحق وإقامة الأدلة وإظهار الحجج عليهم وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ من جراء ما يألم له ويحزن من إعراض كفار قريش وعدم استجابتهم وقوله ﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ تأكيد للحكم السابق وهو أن الذي حكم الله بدخولهم النار لا يؤمنون ولا يموتون إلا كافرين لينجز الله ما وعد ويمضي ما قضى وحكم. وقوله: ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ أي يستمرون على كفرهم بك وبما جئت به حتى يشاهدوا العذاب الأليم وحينئذ يؤمنون كما آمن فرعون عندما أدركه الغرق ولكن لم ينفعه إيمانه فكذلك هؤلاء المشركون من

---

(١) لا حاجة إلى طلب حلول بعيدة لحلّ ما في ظاهر الآية من إشكال، إذ لهذه الآية نظير وهو قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ معنى الآية: أنّ الله تعالى يوجه الخطاب إلى رسوله، وأحبّ الخلق إليه ليكون غيره من باب أولى ألف مرة ومرّة وإلاّ فالرسول ﷺ لا يشك ولا يسأل وكيف يشك ويسأل وهو يتلقى الوحي من ربّه؟ وقد قال وقت ما نزلت الآية: (لا أشك ولا أسأل)، وتوجيهنا للآية في التفسير في غاية الوضوح، والحمد لله.

(٢) إن قيل: كيف يعذبهم لمجرد أن كتب ذلك عليهم؟ قلنا في الجواب إنه ما كتب شقوة نفس أو سعادة أخرى حتى علم ما ستفعله النفس باختيارها من كفر أو إيمان أو خير أو شر.

قومك الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وعندئذ لا ينفعهم إيمانهم .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ .

٢ـ سؤال من لا يعلم من يعلم .

٣ـ التكذيب بآيات الله كفر وصاحبه من الخاسرين .

٤ـ الشك والافتراء في أصول الدين وفروعه كفر .

٥ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر، وإن الشقي من شقي في كتاب المقادير[1] والسعيد من سعد فيه .

٦ـ عدم قبول توبة من عاين العذاب في الدنيا بأن رأى ملك الموت وفي الآخرة بعد أن يبعث ويشاهد أهوال القيامة .

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ
جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

شـرح الكلمـات :

فلــولا : أداة تحضيض هنا بمعنى هـلاّ وفيها معنى التوبيخ والنفي .

---

(١) طالع النهر، فقد أوردنا سؤالاً عن هذه المسألة وأجبنا عنه تحت رقم (٣) بما يكفي ويغني بإذن الله تعالى .

قريـة آمنـت	: أي أهل قرية آمنـوا .
يونــــس	: هو يونس بن مَتَّى نبي الله ورسوله[1].
إلى حيــن	: أي إلى وقت انقضاء آجالهم .
أفأنت تكره الناس	: أي إنك لا تستـطيع ذلك .
إلا بإذن الله	: أي بإرادته وقضائه .
الـرجـــس	: أي العـــذاب

معنى الآيـات :

بعد أن ذكر تعالى في الآيات السابقة أن الخسران لازم لمن كذب بآيات الله ، وأن الذين وجب لهم العذاب لإحاطة ذنوبهم بهم لا يؤمنون لفقدهم الاستعداد للإيمان ذكر هنا ما يحض به أهل مكة على الإيمان وعدم الإصرار على الكفر والتكذيب فقال : ﴿فلولا[2] كانت قرية آمنت فنفعهـا إيمانها﴾ أي فهلا أهل قرية آمنوا فانتفعوا بإيمانهم فنجوا من العذاب اللازم لمن لم يؤمن أي لِمَ لا يؤمنون وما المانع من إيمانهم وهذا توبيخ لهم . وقوله ﴿إلا قوم[3] يونس[4] لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ فلم نهلكهم بعذاب استئصال وإبادة شاملة لأنهم لما رأوا أمارات العذاب بادروا إلى التوبة قبل نزوله بهم فكشف الله تعالى عنهم العذاب ، ومتعهم بالحياة إلى حين انقضاء آجالهم فما لأهل أم القرى لا يتوبون كما تاب أهل نَيْنَوى من أرض الموصل وهم قوم يونسَ عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ يحمل دلالتين الأولى أن عرض الله تعالى الإيمان على أهل مكة وحضهم عليه وتوبيخهم على تركه لا ينبغي

---

(١) أحد أنبياء بني اسرائيل .

(٢) لولا : حرف الأصل فيها أنها للتحضيض ، وهو طلب الفعل بحثّ ، ولكن إذا دخلت على ماضٍ لم تصبح للتحضيض قطعاً بل للتغليط والتنديم والتوبيخ ، وهي هنا لتغليط أهل مكة وتوبيخهم وتنديمهم على إصرارهم على الكفر وعدم توبتهم كما تاب قوم يونس حتى ينجوا من العذاب كما نجوا .

(٣) كان هؤلاء القوم خليطاً من الأشوريين واليهود الذين كانوا في أسر ملوك بابل بعد بختنصر، وكانت بعثة يونس عليه السلام إليهم في بداية القرن الثامن قبل المسيح عليه السلام .

(٤) إن قوم يونس كانوا بقرية تسمّى نينوي من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام ، أقام في قومه يدعوهم إلى التوحيد وترك الشرك تسع سنين فيئس من إيمانهم فتوعدهم بالعذاب وخرج من بين أظهرهم وتركهم فلمّا رأوا ذلك خافوا نزول العذاب بهم فجأروا الى الله تعالى بالاستغفار والدعاء والضراعة ياحي حين لا حي يا حى محيي الموتى يا حي لا إله إلا أنت ارفع عنا العذاب وقد ظهرت أماراته ، فكشف الله عنهم العذاب كما قال تعالى : ﴿إلا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتّعناهم إلى حين﴾ .

أن يفهم منه أن الله تعالى عاجز عن جعلهم يؤمنون بل لو شاء إيمانهم لآمنوا كما لو شاء إيمان أهل الأرض جميعاً لآمنوا والثانية تسلية الرسول والتخفيف عنه من ألم وحزن عدم إيمان قومه وهو يدعوهم بجد وحرص ليل نهار فأعلمه ربه أنه لو شاء إيمان كل من في الأرض لآمنوا، ولكنه التكليف المترتب عليه الجزاء فيعرض الإيمان على الناس عرضاً لا إجبار معه فمن آمن نجا، ومن لم يؤمن هلك ويدل على هذا قوله له ﴿أفأنت تكره[1] الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ أي إن هذا ليس لك، ولا كلفت به، وقوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ تقرير وتأكيد لما تضمنه الكلام السابق من أن الإيمان لا يتم لأحد إلا بإرادة الله وقضائه، وقوله تعالى: ﴿ويجعل الرجس[2] على الذين لا يعقلون﴾ أي إلا أنه تعالى يدعو الناس إلى الإيمان مبيناً لهم ثمراته الطيبة ويحذرهم من التكذيب مبيناً لهم آثاره السيئة فمن آمن نجاه وأسعده ومن لم يؤمن جعل الرجس الذي هو العذاب عليه محيطاً به جزاء له لأنه لا يعقل إذ لو عقل لما كذب ربه وكفر به وعصاه وتمرد عليه وهو خالقه ومالك أمره.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده دعوته إياهم إلى الإيمان به وحضهم عليه.

٢ـ قبول التوبة قبل معاينة العذاب، ورؤية العلامات لا تمنع من التوبة.

٣ـ إرادة الله الكونية التي يكون بها الأشياء لا تتخلف أبداً، وإرادته الشرعية التكليفية جائزة التخلف.

٤ـ لا إيمان إلا بإذن الله وقضائه فلذا لا ينبغي للداعي أن يحزن على عدم إيمان الناس إذا دعاهم ولم يؤمنوا لأن الله تعالى كتب عذابهم أزلاً وقضى به.

---

(١) الاستفهام: انكاري ينكر تعالى على رسوله شدّة حرصه على إيمان قومه، حتى لكأنه يريد إكراههم على الإيمان به وبما جاء به من التوحيد.

(٢) الرجس: بضم الراء وكسرها: العذاب.

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾

شرح الكلمات :

ماذا في السموات والأرض : أي من عجائب المخلوقات، وباهر الآيات.

وما تغني الآيات والنذر : أي ما تغني أيَّ إغناء إذا كان القوم لا يؤمنون.

فهل ينتظرون : أي ما ينتظرون.

خلوا من قبلهم : أي مضوا من قبلهم من الأمم السابقة.

قل فانتظروا : أي العذاب.

ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا : أي من العذاب المنتظر.

كذلك : أي كذلك الإنجاء ننج المؤمنين.

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد والطاعة لله ولرسوله ﷺ فقد أمر تعالى رسوله أن يقول لهم: ﴿قل انظروا[1] ماذا في السموات والأرض﴾ من سائر المخلوقات وما فيها من عجائب الصنعة، ومظاهر الحكمة والرحمة والقدرة فإنها تدعو إلى الإيمان بالله رباً وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه، وتفند دعوى ألوهية الأصنام والأحجار. ثم قال تعالى: ﴿وما تغني الآيات والنذر﴾ أي الرسل في هداية قوم قضى الله تعالى أزلاً

---

(١) الفاء للتفريع فالكلام متفرّع على جملة ما تغني الآيات والنذر. والاستفهام إنكاري تهكمي، وفيه معنى النفي أيضاً، والنكات لا تتزاحم.

أنهم لا يؤمنون حتى ينتهوا إلى ما قدر لهم وما حكم به عليهم من عذاب الدنيا والآخرة ولكن لما كان علم ذلك إلى الله تعالى فعلى النذر أن تدعو وتبلغ جهدها والأمر لله من قبل ومن بعد. وقوله: ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين[1] خلوا من قبلهم﴾ أي إنهم ما ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلفوا من قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم دعتهم رسلهم وبلغتهم دعوة ربهم إليهم إلى الإيمان والتوحيد والطاعة فأعرضوا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب.

ثم أمر الله تعالى أن يقول لهم ﴿فانتظروا﴾ أي ما كتب عليكم من العذاب إن لم تتوبوا إليه وتسلموا ﴿إني معكم من المنتظرين﴾[2] فإن كان العذاب فإن سنة الله فيه أن يهلك الظالمين المشركين المكذبين وينجي رسله والمؤمنين وهو معنى قوله تعالى[3] في الآية الأخيرة (١٠٣) ﴿ثم ننجي[5] رسلنا والذين آمنوا، كذلك﴾ أي الإنجاء ﴿حقاً علينا ننج[4] المؤمنين﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ لا تنفع الموعظة مهما بولغ فيها عبداً كُتب أزلاً أنه من أهل النار.

٢ـ ما ينتظر الظلمة في كل زمان ومكان إلا ما حل بمن ظلم من قبلهم من الخزي والعذاب.

٣ـ وعد الله تعالى ثابت لأوليائه بإنجائهم من الهلاك عند إهلاكه الظلمة المشركين.

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ

---

(١) (٢) المراد من الأيام: العذاب الذي يقع فيها، ويقال فيها الوقائع وهو نحو قولهم: أيام العرب، فلان عالم بأيّام العرب أي: ما جرى فيها من أحداث ومنه قوله تعالى: ﴿وذكرهم بأيّام الله﴾ أي: بالعذاب الذي وقع فيها.

(٣) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانيا لأنها واقعة موقع جواب سؤال تقديره: نحن أولاء منتظرون وأنت ماذا تفعل؟

(٤) ﴿حقا علينا﴾ جملة معترضة لأن المصدر يدل على الفعل، والتقدير أي: حق ذلك علينا حقا أي: أحققناه حقا علينا، و﴿ننجي﴾ قريء بالتخفيف، والتشديد، والمعنى واحد، وفي المصحف ننج بدون ياء لالتقاء الساكنين.

(٥) إنّ انتظار العذاب منذر بنزوله قريبا بديارهم والرسول معهم فمن هنا عطف جملة ﴿ثم ننجي رسلنا﴾ فأعلمهم بنجاة الرسل فكانت بشرى للرسول والمؤمنين.

أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾
وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

شرح الكلمات :

من ديني : أي الإسلام في أنه حق.

يتوفاكم : أي يقبض أرواحكم فيميتكم.

وأن أقم وجهك للدين حنيفاً : أي أمرني ربي أن أقم وجهي للدين الإسلامي حنيفاً أي مائلاً عن كل الأديان إليه دون غيره.

مالا ينفعك ولا يضرك : أي آلهة لا تنفع ولا تضر وهي أصنام المشركين وأوثانهم.

إنك إذاً من الظالمين : أي إنك إذا دعوتها من المشركين الظالمين لأنفسهم.

فلا كاشف له إلا هو : أي لا مزيل للضُّر ومبعده عمن أصابه إلا هو عز وجل.

يصيب به : أي بالفضل والرحمة.

وهو الغفور الرحيم : أي لذنوب عباده التائبين الرحيم بعباده المؤمنين.

معنى الآيات :

بعد أن بين تعالى طريق الهدى وطريق الضلال وأنذر وحذر وواعد وأوعد في الآيات السابقة بما لا مزيد عليه أمر رسوله هنا أن يواجه المشركين من أهل مكة وغيرهم بالتقرير التالي فقال: ﴿قل يا أيها الناس﴾ أي مشركي مكة والعرب من حولهم ﴿إن كنتم في شك﴾ وريب[1] في صحة ديني الإسلام الذي أنا عليه وأدعو إليه، ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من

(١) أي: إن كنتم في شك من صحة ديني فأنا غير شاكٍ في صحته وبطلان دينكم فلذا لا أعبد الذين تعبدون. من دون الله.

دون الله﴾ فمجرد شككم في صحة ديني لا يجعلني أعبد أوثاناً وأصناماً لا تنفع ولا تضر، ﴿ولكن أعبد الله﴾ الذي ينفع ويضر، يحيى ويميت، الله الذي يتوفاكم أي يميتكم بقبض أرواحكم فهو الذي يجب أن يعبد ويخاف ويرهب ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ أي أمرني ربي أن أومن به فأكون من المؤمنين فآمنت وأنا من المؤمنين. وقوله تعالى: ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين﴾ أي وأوحىٰ إليَّ ربي آمراً إياي بأن أقيم وجهي لدينه(١) الحق فلا ألتفت إلى غيره من الأديان الباطلة، ونهاني مشدداً علي أن أكون من المشركين الذين يعبدون معه آلهة أخرى بعد هذا الإعلان العظيم والمفاصلة الكاملة والتعريض الواضح بما عليه أهل مكة من الضلال والخطأ الفاحش، واجه الله تعالى رسوله بالخطاب وهو من باب «إياك أعني واسمعي يا جاره» فنهاه بصريح القول أن يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره وهو كل المعبودات ما سوى الله عز وجل فقال: ﴿ولا تدع من دون مالا ينفعك﴾ أي لا يجلب لك نفعاً ولا يدفع عنك ضراً، ولا يضرك بمنع خير عنك، ولا بإنزال شر بك فإن فعلت بأن دعوت غير الله فإنك إذاً من الظالمين، ولما كان دعاء النبي غير الله ممتنعاً فالكلام إذاً تعريض بالمشركين وتحذير للمؤمنين، وقوله تعالى: في خطاب رسوله: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له﴾(٢) عنك ﴿إلا هو﴾ عز وجل، ﴿وإن يردك بخير﴾ من الخيور عافية وصحة رخاء ونصر ﴿فلا راد لفضله﴾ أي ليس هناك من يرده عنك بحال من الأحوال، وقوله: ﴿يصيب﴾(٣) أي بالفضل والخير والنعمة ﴿من يشاء من عباده﴾ إذ هو الفاعل المختار، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقوله: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ بيان لصفات الجلال والكمال فيه فإنه تعالى يغفر ذنوب التائبين إليه مهما بلغت في العظم، ويرحم عباده المؤمنين مهما كثروا في العدد، وبهذا استوجب العبادة بالمحبة والتعظيم والطاعة والتسليم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ على المؤمن أن لا يترك الحق مهما شك وشكك فيه الناس.

(١) الأمر بإقامة الوجه لله كناية عن توجه النفس والإقبال بها على الله تعالى فلا تلتفت راغبة ولاراهبة إلى غير الله تعالى، وهذا كإسلام الوجه لله تعالى في آية: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن﴾ ولازمه ترك كل دين إلى دين الله عزّ وجل.

(٢) تنكير ضرّ، كتنكير خير يُراد به النوعية الصالحة للقلة والكثرة.

(٣) يقال: أصابه بكذا: إذا أورده عليه ومسّه به.

٢ـ تحريم الشرك ووجوب تركه وترك أهله.

٣ـ دعاء غير الله مهما كان المدعو شرك محرم فلا يحل أبداً، وإن سموه توسلاً.

٤ـ لا يؤمن عبد حتى يوقن أن ما أراده الله له من خير أو شر لا يستطيع أحد دفعه ولا تحويله بحال من الأحوال، وهو معنى حديث: (ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

شرح الكلمات:

يا أيها الناس : أي يا أهل مكة.

قد جاء الحق : أي الرسول يتلو القرآن ويبين الدين الحق.

من اهتدى : أي آمن بالله ورسوله وعبدالله تعالى موحداً له.

ومن ضل : أي أبى إلا الإصرار على الشرك والتكذيب والعصيان.

فعليها : أي وبال الضلال على نفس الضال كما أن ثواب الهداية لنفس المهتدي.

وما أنا عليكم بوكيل : أي بمجبر لكم على الهداية وإنما أنا مبلغ ونذير.

واصبر حتى يحكم الله : أي في المشركين بأمره.

خير الحاكمين : أي رحمة وعدلاً وإنفاذاً لما يحكم به لعظيم قدرته.

معنى الآيتين:

هذا الإعلان الأخير في هذه السورة يأمر الله تعالى رسوله أن ينادي المشركين بقوله[1]:

---

(١) هذا الكلام مستأنف يحمل إعلاناً عظيما لأهل مكة أوّلاً، وللناس كافّة ثانياً مفاده: مجيئهم الرسول محمد ﷺ بالحق من ربهم وهو الدين الإسلامي فمن دخل فيه اهتدى إلى طريق سعادته ومن أعرض عنه ضل طريق نجاته وسعادته.

﴿يا أيها الناس﴾ وهو نداء عام يشمل البشرية كلها وإن أريد به ابتداء أهل مكة ﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾ وهو القرآن يتلوه رسول الله وفيه بيان الدين الحق الذي لا كمال للإنسان له إلا بالإيمان به والأخذ الصادق بما تضمنه من هدى. وبعد فمن اهتدى بالإيمان والاتباع فإنما ثواب هدايته لنفسه إذ هي التي تزكو وتَطْهُر وتتأهل لسعادة الدارين، ومن ضل بالإصرار على الشرك والكفر والتكذيب فإنما ضلاله أي جزاء ضلاله عائد على نفسه إذ هي التي تَتَدَسَّى وتخبُث وتتأهل لمقت الله وغضبه وأليم عقابه. وما على الرسول المبلغ من ذلك شيء، إذ لم يوكل إليه ربه هداية الناس بل أمره أن يصرح لهم بأنه ليس عليهم بوكيل ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾(١) وقوله تعالى: ﴿واتبع ما يوحى إليك﴾(٢) أمر للنبي ﷺ بالتزام الحق باتباع ما يوحى إليه من الأوامر والنواهي وعدم التفريط في شيء من ذلك، ولازم هذا وهو عدم اتباع ما لا يوحى إليه به ربه وقوله: ﴿واصبر حتى يحكم الله﴾(٣) وهو خير الحاكمين﴾ أمر للنبي ﷺ بالصبر على اتباع الوحي والثبات على الدعوة وتحمل الأذى من المشركين إلى غاية أن يحكم الله فيهم وقد حكم فأمره بقتالهم فقتلهم في بدر وواصل قتالهم حتى دانوا لله بالإسلام ولله الحمد والمنَّة، وقوله ﴿وهو خير الحاكمين﴾(٤) ثناء على الله تعالى بأنه خير من يحكم وأعدل من يقضي لكمال علمه وحكمته، وعظيم قدرته، وواسع رحمته.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير أن القرآن والرسول حق والإسلام حق.

---

(١) هذه الجمله داخلة ضمن الإعلان، وهي أن يعلم أهل مكة والناس من حولهم أن الرسول المبلّغ الإسلام لهم غير موكل بهدايتهم وأنّ أمر ذلك متروك لهم، فمن شاء اهتدى، ومن شاء ضلّ، وما عليه إلا البلاغ. وقد بلّغ.

(٢) هذا ارشاد للرسول ﷺ بأن يلزم المنهج الذي وضعه له بطريق الوحي ولا يخرج عنه بحال فإنه سبيل نجاته ونجاة المؤمنين معه.

(٣) هذا إرشـاد آخر له ﷺ بالصبـر على إبلاغ أهل مكة ومن حولهم دعوة الله حتى يحكم الله بينه وبينهم بنصر رسوله والمؤمنين، وخذلان الكفر والكافرين.

(٤) خير هنا بمعنى أخير اسم تفضيل، وإنما عدل عن أخير إلى خير لكثرة الاستعمال كاسم شرّ أيضاً، وقد يأتي لفظ شر وخير لغير تفضيل.

٢ـ تقرير مبدأ أن المرء يشقى ويسعد بكسبه لا بكسب غيره.[١]

٣ـ وجوب اتباع الوحي الإلهي الذي تضمنه القرآن والسنة الصحيحة.

٤ـ فضيلة الصبر وانتظار الفرج من الله تعالى.

سُورَةُ هُودٍ

مكيـــة[٢]

وآياتها مائة وثلاث وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ
رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ
كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ
يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ
يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

شـرح الكلـمات

آلــــر : هذا أحد الحروف المقطعة: يكتب آلر ويقرأ ألف، لام، را.

---

(١) شواهد هذه الحقيقة في القرآن كثيرة منها: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ ومنها: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ومنها: ﴿لها ما كسبت وعليها مااكتسبت﴾.

(٢) واستثنى منها بعضهم آية: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار..﴾ الآية فإنها مدنية وروي أنّ النبي ﷺ قال: (شيبتني هود وأخـواتهـا) ويذكر القرطبي فيقول: قال أبو عبدالله: فالفزع يورث الشيب، وذلك أنّ الفزع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد، وتحت كل شعرة منبع ومنه يعرق فإذا نشف الفزع رطوبته يبست المنابع فيبس الشعر فابيضّ، كما ترى الزرع الأخضر بسقائه فإذا ذهب سقاؤه يبس فابيضّ، وإنما يبيضّ شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده.

احكمـت : أي نظمت نظماً متقناً ورصفت ترصيفاً لا خلل فيه.

فصـلت : أي ببيان الأحكام، والقصص والمواعظ، وأنواع الهدايات.

من لـدن : أي من عند حكيم خبير وهو الله جل جلاله.

متاعاً حسناً : أي بطيب العيش وسعة الرزق.

إلى أجل مسمى : أي موت الإنسان بأجله الذي كتب له.

ويؤت كل ذي فضل : أي ويعط كل ذي عمل صالح فاضل جزاءه الفاضل.

عذاب يوم كبير : هو عذاب يوم القيامة.

يثنون صدورهم : أي يطأطئون رؤوسهم فوق صدورهم ليستتروا عن الله في زعمهم.

يستغشون ثيابهم : يغطون رؤوسهم ووجوههم حتى لا يراهم الله في نظرهم الباطل.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿آلر﴾ هذا الحرف مما هو متشابه ويحسن تفويض معناه إلى الله فيقال: الله أعلم بمراده بذلك. وإن أفاد فائدتين الأولى: أن القرآن الكريم الذي تحداهم الله بالإتيان بمثله أو بسورة من مثله قد تألف من مثل هذه الحروف: آلم، آلر، طه، طس حم، ق، ن، فألفوا مثله فإن عجزتم فاعلموا أنه كتاب الله ووحيه وأن محمداً عبده ورسوله فآمنوا به، والثانية أنهم لما كانوا لا يريدون سماع القرآن بل أمروا باللغو عند قراءته[1]، ومنعـوا الاستعلان به جاءت هذه الحروف على خلاف ما ألفوه في لغتهم واعتادوه في لهجاتهم العربية فاضطرتهم إلى سماعه فإذا سمعوا تأثروا به وآمنوا ولنعم الفائدة أفادتها هذه الحروف المقطعة.

وقـولـه تعـالى ﴿كتـابٌ[2] أحكمت آياته﴾ أي المؤلف من هذه الحروف كتابٌ عظيم أحكمت آياته أي رصفت ترصيفاً ونظمت تنظيماً متقناً لا خلل فيها ولا في تركيبها ولا معانيها، وقوله: ﴿ثم فصلت﴾ أي بين ما تحمله من أحكام وشرائع، ومواعظ وعقائد

---

(١) شاهده في قوله تعالى من سورة (فصلت) : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾.

(٢) التنكير في ﴿كتاب﴾ للتفخيم والتعظيم، والإحكام أصله: اتقان الصنعة مشتق من الحكمة التي هي وضع الشيء في موضعه فإحكام الآيات: سلامتها من الأخلال التي تعرض لنوعها كمخالفة الواقع، والخلل في اللّفظ أو في المعنى.

وآداب وأخلاق بما لا نظير له في أي كتاب سبق، وقوله: ﴿من لدن حكيم خبير﴾ أي تولى تفصيلها حكيم خبير، حكيم في تدبيره وتصرفه، حكيم في شرعه وتربيته وحكمه وقضائه، خبير بأحوال عباده وشؤون خلقه، فلا يكون كتابه ولا أحكامه ولا تفصيله إلا المثل الأعلى في كل ذلك.

وقوله: ﴿ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير﴾ أي أنزل الكتاب وأحكم آيهُ وفصَّل أحكامه وأنواع هدايته بأن[1] لا تعبدوا إلا الله إذ لا معبود حق إلا هو ولا عبادة تنفع إلا عبادته. وقوله ﴿إنني لكم منه نذير وبشير﴾ هذا قول رسوله المبلغ عنه يقول أيها الناس إني لكم منه أي من ربكم الحكيم العليم نذير بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا فتؤمنوا وتوحدوا. وبشير أي أبشر من آمن ووحد وعمل صالحاً بالجنة في الآخرة ﴿وأن استغفروا[2] ربكم ثم توبـوا إليه يمتعكم متـاعاً حسناً إلى أجل مسمى﴾ أي وبأن تستغفروا ربكم باعترافكم بخطأكم بعبادة غيره، ثم تتوبوا إليه أي ترجعوا إليه بالإيمان به وبرسوله ووعده ووعيده وطاعته في أمره ونهيه، ولكم جزاء على ذلك وهو أن يمتعكم في هذه الحياة متاعاً حسناً بالنعم الوفيرة والخيرات الكثيرة إلى نهاية آجالكم المسماة لكل واحد منكم. وقوله ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾[3] أي ويعط سبحانه وتعالى كل صاحب فضل في الدنيا من بر وصدقة وإحسان فضله تعالى يوم القيامة في دار الكرامة الجنة دار الأبرار. وقوله: ﴿وإن تولـوا﴾ أي تعـرضوا عن هذه الدعوة فتبقوا على شرككم وكفركم ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ وهو عذاب يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم﴾ يخبرهم تعالى بعد أن أنذرهم عذاب يوم القيامة بأن مرجعهم إليه تعالى لا محالة فسوف يحييهم بعد موتهم ويجمعهم عنده ويجزيهم بعدله ورحمته ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ ومن ذلك احياؤهم بعـد موتهم ومجـازاتهم السيئـة بمثلهـا والحسنة بعشر أمثالها وهذا هو العدل والرحمة اللذان لا نظير لهما.

---

(١) فالباء سببية، وأن: تفسيرية، إذ لو سأل سائل فقال: لم أحكمت الآيات ثم فُصلت؟ لكان الجواب: بأن لا يعبد إلا الله وأن يُستغفر وان يتاب إليه تعالى.

(٢) إن قيل: لم قدّم الاستغفار عن التوبة؟ فالجواب: بأن العبد لا يستغفر إلّا إذا علم أنه أذنب، ولا يتوب العبد حتى يعلم أنه مذنب وعندها يتوب فهذا سرّ تقديم الاستغفار عن التوبة.

(٣) هذا كقوله تعالى: ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ فالفضل الأوّل من العبد، وهو العمل الصالح، والفضل الثاني من الرّب وهو دخول الجنة.

وقوله تعالى: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم[1] ليستخفوا منه﴾ هذا النوع من السلوك الشائن الغبي كان بعضهم يثني صدره أي يطأطىء رأسه ويميله على صدره حتى لا يراه الرسول ﷺ، وبعضهم يفعل ذلك ظناً منه أنه يخفي نفسه عن الله تعالى وهذا نهاية الجهل، وبعضهم يفعـل ذلك بغضاً للرسول ﷺ حتى لا يراه فرد تعالى هذا بقوله: ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ أي يتغطون بها ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾ فلا معنى لاستغشاء الثياب استتاراً بها عن الله تعالى فإن الله يعلم سرهم وجهرهم ويعلم ما تخفي صدورهم وإن كانوا يفعلون ذلك بغضاً[2] للنبي ﷺ، فبئس ما صنعوا وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ مظهر من مظاهر إعجاز القرآن وهو أنه مؤلف من الحروف المقطعة ولم تستطع العرب الإتيان بسورة مثله.

٢ـ بيان العلة في إنزال الكتاب وأحكام آيِهِ وتفصيلها وهي أن يعبد الله تعالى وحده وأن يستغفره المشركون ثم يتوبون إليه ليكملوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة.

٣ـ وجوب التخلي عن الشرك أولا، ثم العبادة الخالصة ثانياً.

٤ـ المعروف لا يضيع عند الله تعالى إذا كان صاحبه من أهل التوحيد ﴿ويؤت[3] كل ذي فضل فضله﴾.

٥ـ بيان جهل المشركين الذين كانوا يستترون عن الله برؤوسهم وثيابهم[4].

٦ـ مرجع الناس إلى ربهم شاءوا أم أبوا والجزاء عادل ولا يهلك على الله إلا هالك.

---

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ويظهرون خلافه، ونزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنطق يلقى رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي له بقلبه على ما يسوء، وقيل نزلت في بعض المنافقين كان أحدهم إذا مرّ به الرسول ﷺ ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطّى وجهه كي لا يراه الرسول ﷺ فيدعوه إلى الإيمان.

(٢) لا مانع من توجيه الآية إلى هذا إذ مازال الناس إلى اليوم، إذا كرهوا الداعية إلى الله تعالى لا يحبون أن يروه أو يسمعوا صوته وقد يثنون صدورهم ويغطون وجوههم حتى لا يروه بغضاً له وكرهاً. والله عليم خبير.

(٣) الثني: الطيّ. طوى الثوب إذا ثناه، وهو مأخوذ من جعل الواحد اثنين.

(٤) أي: يطأطئـون رؤوسهم على صدورهم ويتغطون بثيابهم إذ روي أن المشرك كان يدخل بيته ويرخي الستر عليه، ويستغشي ثوبه ويحني ظهره ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي؟ وذلك لجهلهم بعظمة الله تعالى وقدرته وعلمه.

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ
إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

من دابّة : أي حيّ يدبّ على الأرض أي يمشي من إنسان وحيوان .

مستقرها : أي مكان استقرارها من الأرض .

ومستودعها : أي مكان استيداعها قبل استقرارها كأصلاب الرجال وأرحام النساء .

في كتاب مبين : أي اللوح المحفوظ .

في ستة أيام أي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة .

وكان عرشه على الماء : إذ لم يكن قد خلق شيئاً من المخلوقات سواه ، والماء على الهواء .

ليبلوكم : أي ليختبركم ليرى أيكم أحسن عملاً .

إلى أمة معدودة : أي إلى طائفة من الزمن معدودة .

وحاق بهم : أي نزل وأحاط بهم .

معنى الآيات:

لما أخبر تعالى في الآية السابقة انه عليم بذات الصدور ذكر في هذه مظاهر علمه وقدرته تقريراً لما تضمنته الآية السابقة فقال عز وجل ﴿وما من دابّة في الأرض﴾[1] من إنسان يمشي على الأرض أو حيوان يمشي عليها زاحفاً أو يمشي على رجلين أو أكثر أو يطير في السماء إلا وقد تكفّل الله برزقها أي بخلقه وإيجاده لها وبتعليمها كيف تطلبه وتحصل عليه، وهو تعالى يعلم كذلك مستقرها أي مكان استقرار تلك الدابة في الأرض، كما يعلم أيضاً مستودعها بعد موتها إلى أن تبعث ليوم القيامة.

وقوله تعالى ﴿كل في كتاب مبين﴾ أي من الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها قد دوّن قبل خلقه في كتاب المقادير اللوح المحفوظ، وقوله تعالى في الآية (٧) ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ أي أوجد السموات السبع والأرض وما فيها في ظرف ستة أيام وجائز أن تكون كأيام الدنيا، وجائز أن تكون كالأيام التي عنده وهي ألف سنة لقوله في سورة الحج ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ وقوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾[2] أي خلق العرش قبل خلق السموات والأرض، والعرش: سرير المُلك ومنه يتم تدبير كل شيء في هذه الحياة، وقوله ﴿على الماء﴾ إذ لم يكن أرض ولا سماء فلم يكن إلا الماء كالهواء. وقوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن[3] عملاً﴾ أي خلقكم وخلق كل شيء لأجلكم، ليختبركم أيكم أطوع له وأحسن عملا أي بإخلاصه لله تعالى وحده وبفعله على نحو ما شرعه الله وبيّنه رسوله.

هذه مظاهر علمه تعالى وقدرته وبها استوجب العبادة وحده دون سواه وبها عُلم أنه لا يخفى عليه من أمر عباده شيء فكيف يحاول الجهلة إخفاء ما في صدورهم وما تقوم به جوارحهم بثني صدورهم واستغشاء ثيابهم. ألا ساء ما يعملون.

وقوله تعالى ﴿ولئن قلتَ﴾ - أي أيها الرسول للمشركين - إنكم مبعوثون من بعد الموت،

---

(١) ﴿وما من دابّة﴾: ما: نافية، ومن: مزيدة لتقوية النفي ليكون أكثر شمولاً، والتقدير: وما دابة في الأرض إلّا على الله رزقها أي: تكفّل الله برزقها فضلا منه ومنّة.

(٢) روى البخاري في حديث منه: قوله ﷺ: (كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء﴾.

(٣) قال مقاتل: أيكم اتقى لله، وقال ابن عباس رضي الله عنه أيكم أعمل بطاعة الله عزّ وجلّ، وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا ﴿أيكم أحسن عملا﴾ قال: أيّكم أحسن عقلا وأروع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله) ولو صحّ هذا الخبر لكان أتمّ وأجمع، وقال الفضيل: أحسن العمل: أخلصه وأصوبه. وهو كما قال.

أي مخلوقون خلقاً جديداً ومبعوثون من قبوركم لمحاسبتكم ومجازاتكم بحسب أعمالكم في هذه الحياة الدنيا ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ أي عند سماع أخبار الحياة الثانية وما فيها من نعيم مقيم، وعذاب مهين ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الكلام ما هو إلا سحر مبين يريد به صرف الناس عن ملذاتهم، وجمعهم حوله ليترأس عليهم ويخدموه، وهو كلام باطل وظن كاذب وهذا شأن الكافر، وقوله تعالى في الآية (٨) ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾[١] أي ولئن أخرنا أي أرجأنا ما توعدناهم به من عذاب ألى أوقات زمانية معدودة الساعات والأيام والشهور والأعوام ﴿ليقولن ما يحبسه﴾ أي شيء حبس العذاب يقولون هذا إنكاراً منهم واستخفافاً قال تعالى ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾ أي ليس هناك من يصرفه ويدفعه عنهم بحال من الأحوال، ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي ونزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون بقولهم: ما يحبسه!!؟

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- سعة علم الله تعالى وتكفله بأرزاق[٢] مخلوقاته من إنسان وحيوان.

٢- بيان خلق الأكوان، وعلة الخلق.

٣- تقرير مبدأ البعث الآخر بعد تقرير الألوهية لله تعالى.

٤- لا ينبغي الاغترار بإمهال الله تعالى لأهل معصيته، فإنه قد يأخذهم فجأة وهم لا يشعرون.

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ

---

(١) (إلى أمّـة): أي: إلى أجل معدود وحين معلوم، فالأمّة هنا: المدّة، ولفظ الأمة يطلق على معانٍ منها: الجماعة، وسميت مجموعة السنين أمّة لاجتماعها. والأمّة: أتباع أحد الأنبياء والأمّة، الملّة والدين، والأمّة: الرجل الجامع للخير الذي يقتدى به.

(٢) قيل لحاتم الأصمّ: من أين تأكل؟ فقال من عند الله، فقيل له: الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء؟ فقال: كأنّ ماله إلاّ السماء! يا هذا: الأرض له والسماء له، فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض، وأنشد يقول:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ... ورازق هذا الخلق في العسر واليسر
تكفّل بالأرزاق للخلق كلهم ... وللضب في البيداء وللحوت في البحر

مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ
وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾

شرح الكلمات:

أذقنا الإنسان : أي أنلناه رحمة أي غنى وصحة.

ثم نزعناها منه : أي سلبناها منه.

يؤوس كفور : أي كثير اليأس أي القنوط شديد الكفر.

نعماء بعد ضراء : أي خيراً بعد شر.

السيئات : جمع سيئة وهي ما يسوء من المصائب.

فرح فخور : كثير الفرح والسرور والبطر.

صبروا : أي على الضراء والمكاره.

مغفرة : أي لذنوبهم.

وأجر كبير : أي الجنة دار الأبرار.

معنى الآيات:

يخبر تعالى أن الإنسان[1] الذي لم يستنر بنور الإيمان ولم يتحل بصالح الأعمال إن أذاقه الله تعالى رحمة منه برخاء وسعة عيش وصحة بدن، ثم نزعها منه لأمر أراده الله تعالى ﴿إنه﴾ أي ذلك الإنسان ﴿ليؤوس﴾[2] أي كثير اليأس والقنوط ﴿كفور﴾ لربه الذي أنعم عليه جحود لما كان قد أنعم به عليه.

وقوله ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء﴾ أي أذقناه طعم نعمة ولذاذة رخاء وسعة عيش وصحة بدن بعد ضراء كانت قد أصابته من فقر ومرض ﴿ليقولن﴾ بدل أن يحمد الله ويشكره على إسعاده بعد شقاء وإغنائه بعد فقر وصحة بعد مرض يقول متبجحاً ﴿ذهب السيئات عني

---

(١) الإنسان هنا: اسم جنس يشمل كل انسان كافر، وإن قيل: إن الآية في كافر معيّن، وهو الوليد بن المغيرة، أو عبدالله بن أبي أميّة، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٢) هو من باب: فعل يفعل يئس ييأس يأساً فهو آيس، وللمبالغة: يؤوس أي: كثير اليأس الذي هو: القنوط بانقطاع الرجاء، وجملة: ﴿إنه ليؤوس كفور﴾: جواب القسم في قوله: ﴿ولئن أذقنا الإنسان﴾ الخ.

إنه لفرح﴾ أي كثير السرور ﴿فخور﴾ كثير الفخر والمباهاة، وهذا علته ظلمة النفس بسبب الكفر والمعاصي، أما الإنسان المؤمن المطيع لله ورسوله فعلى العكس من ذلك إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، وذلك لما في قلبه من نور الإيمان وفي نفسه من زكاة الأعمال.

هذا ما تضمنه قوله تعالى ﴿إلا الذين[1] صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة[2]﴾ أي لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ عند ربهم وهو الجنة دار السلام.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ أن الإنسان قبل أن يطهر بالإيمان والعمل الصالح يكون في غاية الضعف والانحطاط النفسي.

٢ـ ذم اليأس والقنوط[3] وحرمتهما.

٣ـ ذم الفرح بالدنيا والفخر بها.

٤ـ بيان كمال المؤمن الروحي المتمثل في الصبر والشكر وبيان جزائه بالمغفرة والجنة.

فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

---

(١) يعني المؤمنين مدحهم بالصبر على الشدائد وهو استثناء من لفظ الإنسان الذي هو بمعنى الناس، فالاستثناء متصل وليس بمنقطع.

(٢) ﴿أولائك لهم مغفرة﴾ مبتدأ وخبر، ﴿وأجر كبير﴾ أجر: معطوف وكبير: نعت.

(٣) لقول الله تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.

شرح الكلمات:

فلعلك: للاستفهام الإنكاري أي لا يقع منك ترك ولا يضق صدرك.

ضائق به صدرك: أي بتلاوته عليهم كراهية أن يقولوا كذا وكذا..

كنز: مال كثير تنفق منه على نفسك وعلى أتباعك.

وكيل: أي رقيب حفيظ.

افتراه: اختلقه وكذبه.

من استطعتم: من قدرتم على دعائهم لإعانتكم.

فهل أنتم مسلمون: أي أسلموا لله بمعنى انقادوا لأمره وأذعنوا له.

معنى الآيات:

بعد أن كثرت مطالبة المشركين الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يحول لهم جبال مكة ذهباً في اقتراحات منها لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾[1] أي لا تتلوه على المشركين ولا تبلغهم إياه لتهاونهم به وإعراضهم عنه ﴿وضائق به صدرك﴾ أي بالقرآن، كراهة أن تواجههم به فيقولوا ﴿لولا[2] أنزل عليه كنز﴾ أي مال كثير يعيش عليه فيدل ذلك على إرسال الله له ﴿أو جاء معه ملك﴾ يدعو بدعوته ويصدقه فيها ويشهد له بها فلا ينبغي أن يكون ذلك منك أي فبلغ ولا يضق صدرك ﴿إنما أنت[3] نذير﴾ أي محذر عواقب الشرك والكفر والمعاصي، والله الوكيل على كل شيء أي الرقيب الحفيظ أما أنت فليس عليك من ذلك شيء.

وقوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه﴾ أي بل يقولون افتراه أي افترى القرآن وقاله من نفسه بدون ما أوحي إليه، قل في الرد عليهم ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم﴾[4] دعوتهم لإعانتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم أني افتريته، فإن لم تستطيعوا ولن

---

(١) ﴿فلعلك..﴾ الخ كلام معناه: الاستفهام أي: هل أنت تارك ما فيه سبّ آلهتهم كما سألوك؟ إذ ورد أنهم قالوا له: لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سبّ آلهتنا لاتبعناك.

(٢) أي: هلا فهي للتحضيض وليست للامتناع.

(٣) القصر هنا إضافي إذ معناه أنه مقصور على الإنذار وليس عليه هداية القلوب.

(٤) أي: كالكهنة والأعوان والأصنام إذ يعتقدون أنها تنصرهم وتدفع عنهم وإلاّ لما عبدوها مع الله تعالى.

تستطيعوا فتوبوا إلى ربكم وأسلموا له.
وقوله ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾[1] أي قل لهم يارسولنا فإن لم يستجب لنصرتكم من دعوتموه وعجزتم ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾[2] أي أنزل القرآن متلبساً بعلم الله وذلك أقوى برهان على أنه وحيه وتنزيله ﴿وأن لا إله إلا هو﴾[3] أي وأنه لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه، وأخيراً ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي أسلموا بعد قيام الحجة عليكم بعجزكم، وذلك خير لكم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان ولاية الله لرسوله وتسديده له وتأييده.

٢ـ بيان ما كان عليه المشركون من عناد في الحق ومكابرة.

٣ـ بيان أن الرسول ﷺ لم يُكَلَّفْ هداية الناس وإنما كلف إنذارهم عاقبة كفرهم وعصيانهم، وعلى الله تعالى بعد ذلك مجازاتهم.

٤ـ تحدي الله تعالى منكري النبوة والتوحيد بالإتيان بعشر سور من مثل القرآن فعجزوا وقامت عليهم الحجة وثبت أن القرآن كلام الله ووحيه وأن محمداً عبده ورسوله وأن الله لا إله إلا هو.

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ[4]

---

(١) الاستجابة هنا: بمعنى الإجابة والسين والتاء فيه للتأكيد.
(٢) العلم: الاعتقاد اليقيني، أي: فايقنوا أنّ القرآن ما أنزل إلّا بعلم الله أي: ملابساً له.
(٣) معطوف على جملة: ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ أي: واعلموا أيضاً موقنين أنه لا إله إلا الله. حيث قامت الحجة عليهم بعجز آلهتهم عن الاتيان بعشر سور من مثل القرآن.
(٤) روى مسلم أن النبي ﷺ قال: والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار).

مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات:

زينة الحياة الدنيا : المال والولد وأنواع اللباس والطعام والشراب.

توفّ إليهم : نعطهم نتاج أعمالهم وافياً.

لا يبخسون : أي لاينقصون ثمرة أعمالهم.

وحبط : أي بطل وفسد.

على بينة من ربه : أي على علم يقيني.

ويتلوه شاهد منه : أي يتبعه.

كتاب موسى : أي التوراة.

ومن يكفر به : أي بالقرآن.

فالنار موعده : أي مكان وعد به فهو لا محالة نازل به.

في مرية منه : أي في شك منه.

معنى الآيات:

لما أقام الله تعالى الحجة على المكذبين بعجزهم عن الإتيان بعشر سور من مثل القرآن مفتريات حيث ادعوا أن القرآن مفترى وأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد افتراه ولم يبق إلا أن يختار المرء أحد الطريقين طريق الدنيا أو الآخرة الجنة أو النار فقال تعالى ﴿من كان يريد(1) الحياة الدنيا وزينتها﴾ من مال وولد وجاه وسلطان وفاخر اللباس والرياش.

﴿نوف(2) إليهم أعمالهم(3) فيها﴾ نعطهم نتاج عملهم فيها وافياً غير منقوص فعلى قدر جهدهم وكسبهم فيها يعطون ولا يبخسهم عملهم لكفرهم وتركهم، ثم هم بعد ذلك إن لم يتوبوا

---

(١) أي: ممن رفضوا الإسلام وأبوه بعد قيام الحجة على بطلان ما هم عليه من الكفر ورضوا بالكفر بإرادة الحياة الدنيا.

(٢) التوفية: إعطاء الشيء وافياً، وعُدي نوف: بإلى لأنه مضمن معنى: نوصل.

(٣) لفظ ﴿أعمالهم﴾ يشمل الأعمال الخيرية والأعمال الدنيوية فالأعمال الخيرية كصلة الرحم، وقرى الضيف، والإحسان إلى الفقراء والمساكين، فهذه لا يحرمها الكافر بل يجد جزاءها في الدنيا: بركة في ماله وولده وحياته، وأمّا الأعمال الدنيوية كالصناعة والزراعة والتجارة فهذه يوفى قدر جهده فيها، فبقدر ما يبذل من طاقة يحصل له من الكسب والربح والانتاج فكفره لا يمنعه نتاج عمله بقدر ما يبذل فيه.

إلى ربهم. هلكوا كافرين ليس لهم إلا النار ﴿وحبط ما صنعوا﴾[1] في هذه الدار من أعمال وبطل ما كانوا يعملون.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٥ والثانية ١٦) وهو قوله تعالى ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٧) ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾[2] بما أوحى إليه من القرآن وما حواه من الأدلة والبراهين على توحيد الله ونبوة رسوله، وعلى المعاد الآخر، وقوله ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ أي ويتبع ذلك الدليل دليل آخر وهو لسان الصدق الذي ينطق به وكمالاته الخُلُقيَّة والروحية حيث نظر إليه اعرابي فقال والله ما هو بوجه كذّاب، ودليل ثالث في قوله ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ أي التوراة ﴿إماماً ورحمة﴾ شاهد له حيث حمل نعوت الرسول وصفاته ونعوت أمته وصفاتها في غير موضع منه أفمن هو على هذه البينات والدلائل والبراهين من صحة دينه، كمن لا دليل له ولا برهان إلا التقليد للضلال والمشركين، وقوله ﴿أولئك يؤمنون به﴾ أي أولئك الذين ثبتت لديهم تلك البيّنات والحجج والبراهين ﴿يؤمنون به﴾ أي بالقرآن الحق والنبي الحق والدين الحق. وقوله تعالى ﴿ومن يكفر به﴾ أي بالقرآن ونبيه ودينه من الأحزاب[3] أي من سائر الطوائف والأمم والشعوب فالنار موعده، وحسبه جهنم وبئس المصير.[4]

وقوله تعالى ﴿فلا تك في مرية منه﴾[5] أي فلا تك في شك منه أي في أن موعد من يكفر به من الأحزاب النار. وقوله ﴿إنه الحق من ربك﴾[6] أي القرآن الذي كذّب به المكذبون وما تضمنه من الوعد والوعيد، والدين الحق كل ذلك هو الحق الثابت من ربك، إلا أن ﴿أكثر الناس لا يؤمنون﴾[7] وإن ظهرت الأدلة ولاحت الأعلام وقويت البراهين.

---

(١) أعمال الكفار في الدنيا خيرية كانت أو دنيوية تذهب في الدار الآخرة هباء كقوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾.

(٢) اختلف في عود الضمائر في هذه الآية اختلافاً كثيرا، وقد اخترنا في التفسير عودها إلى النبي ﷺ ولا مانع من عودها على كل مؤمن صادق الإيمان، بقرينة الخبر وهو قوله: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ وهم الفريق الذين أسلموا لمّا شاهدوا الحجج والبراهين.

(٣) أظهرهم: المشركون واليهود، والنصارى والصابئة والمجوس.

(٤) لأنهم لم يزكّوا أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح فلذا فلا مأوى لهم إلاّ النّار.

(٥) الخطاب للنبي ﷺ ولكل مؤمن أي: لا يشكنّ مؤمن في أن القرآن حق وأنّ ما أخبر به عن الكافرين مِن أنّ مأواهم النار حق.

(٦) جملة: ﴿انه الحق من ربك﴾ مستأنفة مؤكدة لجملة: ﴿فلا تك في مرية منه﴾.

(٧) لما سبق في علم الله وما قضى به قوله: ﴿لأملأن جهنّم من الجِنة والناس أجمعين﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان حقيقة وهي أن الكفر غير مانع من أن ينتج الكافر بحسب جهده من كسب يده فيحصد إذ زرع، ويربح إذا اتجر، وينتج إذا صنع .

٢ـ بيان أن الكافر لا ينتفع من عمله في الدنيا ولو كان صالحاً وأن الخسران لازم له .

٣ـ المسلمون على بينة من دينهم، وسائر أهل الأديان الأخرى لا بينة لهم وهم في ظلام التقليد وضلال الكفر والجهل .

٥ـ بيان سنة الله في الناس وهي أن أكثرهم لا يؤمنون .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً: أي لا أحد فالاستفهام للنفي .

يعرضون على ربهم : أي يوم القيامة .

الأشهاد : جمع شاهد وهم هنا الملائكة .

لعنة الله : أي طرده وإبعاده .

على الظالمين : أي المشركين .

سبيل الله	: أي الإسلام.
عوجاً	: أي معوجة.
معجزين في الأرض	: أي الله عز وجل أي فائتين بل هو قادر على أخذهم في أيّة لحظة.
من أولياء	: أي أنصار يمنعونهم من عذاب الله.
وماكانوا يبصرون	: ذلك لفرط كراهيتهم للحق فلا يستطيعون سماعه، ولا رؤيته.

معنى الآيات:

بعد أن قرر تعالى مصير المكذبين بالقرآن ومن نزل عليه وما نزل به من الشرائع ذكر نوعاً من إجرام المجرمين الذين استوجبوا به النار فقال عز وجل ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي لا أحد في الناس أعظم ظلماً من أحد افترى على الله كذباً ما من أنواع[1] الكذب وإن قل وقوله ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ أي أولئك الكذبة يعرضون يوم القيامة على ربهم جل جلاله في عرصات القيامة، ويقول الأشهاد من الملائكة شاهدين[2] عليهم ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ ثم يُعْلِنُ مُعْلِنٌ قائلاً ﴿ألا لعنة الله على[3] الظالمين﴾ أي ألا بعداً لهم من الجنة وطرداً لهم منها إلى نار جهنم.

ثم وضح تعالى نوع جناياتهم التي استوجبوا بهاالنار فقال ﴿الذين[4] يصدون عن سبيل الله﴾ أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الدين الإسلامي، ﴿ويبغونها﴾ أي سبيل الله ﴿عوجاً﴾ أي معوجة كما يهوون ويشتهون فهم يريدون الإسلام أن يبيح لهم المحرمات من الربا والزنى والسفور، ويريدون من الإسلام أن يأذن لهم في عبادة القبور والأشجار والأحجار إلى غير ذلك، ويضاف إلى هذا ذنب أعظم وهو كفرهم بالدار الآخرة. قال تعالى ﴿أولئك﴾ أي المذكورون ﴿لم يكونوا معجزين في الأرض﴾ أي لم يكن من شأنهم

---

(١) من أنواع كذبهم على الله تعالى: زعمهم أنّ له شريكاً وولداً، وقولهم في الأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وتحريمهم ما أحلّ الله ونسبة ذلك إليه تعالى.

(٢) ومن الأشهاد: الأنبياء والعلماء والمبلغون لدعوة الله تعالى لعباده وفي صحيح مسلم: (وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم).

(٣) لعنة الله: أي: بعده وسخطه وإبعاده من رحمته على الذين وضعوا العبادة في غير موضعها.

(٤) يجوز أن يكون: ﴿الذين﴾ مجرورا لمحل نعتاً للظالمين، ويجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر، والمبتدأ محذوف. أي: هم الذين يصدّون.

ومهما رأوا أنفسهم أقوياء أن يعجزوا الله تعالى في الأرض فإنه مدركهم مهما حاولوا الهرب[١] ومنزل بهم عذابه متى أراد ذلك لهم، وليس لهم من دون الله من أولياء أي أنصار يمنعونهم من العذاب متى أنزله بهم، وقوله تعالى ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ إخبار منه بأن هؤلاء الظالمين يضاعف لهم العذاب يوم القيامة لأنهم صدوا غيرهم عن سبيل الله فيعذبون بصدهم أنفسهم عن الإسلام، وبصد غيرهم عنه، وهذا هو العدل وقوله تعالى فيهم ﴿ما كانوا يستطيعون[٢] السمع وما كانوا يبصرون﴾ إخبار بحالهم في الدنيا إنهم كانوا لشدة كراهيتهم للحق ولأهله من الداعين إليه لا يستطيعون سماعه ولا رؤيته ولا رؤية أهله القائمين عليه والداعين إليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ عظم ذنب من يكذب على الله تعالى بنسبة الولد أو الشريك إليه أو بالقول عليه بدون علم منه.

٢ـ عظم جرم من يصد عن الإسلام بلسانه أو بحاله، أو سلطانه.

٣ـ عظم ذنب من يريد إخضاع الشريعة الإسلامية لهواه وشهواته بالتأويلات الباطلة والفتاوى غير المسؤولة ممن باعوا آخرتهم بدنياهم.

٤ـ بيان أن من كره قولاً أو شخصاً لا يستطيع رؤيته ولا سماعه[٣].

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يعجزوني أن آمر الأرض فتنخسف بهم، وفي سورة سبأ ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾.

(٢) ﴿ما كانوا يستطيعون السمع. .﴾ قال القرطبي ما: في موضع نصب على أن يكون المعنى بما كانوا يستطيعون السمع. يُريد أن الباء المحذوفة سببية أي: يُضاعف لهم العذاب بسبب أنهم كانوا لا يستطيعون السمع لما ران على قلوبهم من الآثام فحجب الإثم أسماعهم وأبصارهم، وفي المثل: حبّك الشيء يعمي ويصم، فحبّهم للكفر والشرك والآثام عطّل حواسهم.

(٣) أقول: ما كنت أدرك المعنى الحقيقي لقوله تعالى: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ حتى كان صوت العرب على عهد بطل الاشتراكية «عبدالناصر» وأخذ يسبّ ويشتم ويعيّر ويقبّح سلوك كل من لم يوال الاشتراكيين فكنت ـ والله ـ لا أستطيع سماع ما يذيعه، وثَمَّ فهمت معنى الآية على حقيقته.

ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾

شرح الكلمات:

وضل عنهم ما كانوا يفترون : أي غاب عنهم ما كانوا يدعونه من شركاء لله تعالى.

لا جرم : أي حقاً وصدقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

وأخبتوا إلى ربهم : أي تطامنوا أو خشعوا لربهم بطاعته وخشيته.

مثل الفريقين : أي فريق المؤمنين وفريق الكافرين.

أفلا تذكرون : أي تتعظون، فتستغفروا ربكم ثم تتوبوا إليه.؟

معنى الآيات:

مازال السياق في تحديد المجرمين وبيان حالهم في الآخرة فقال تعالى ﴿أولئك﴾ أي البعداء ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ حيث استقروا في دار الشقاء فخسروا كل شيء حتى أنفسهم، ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي وغاب عنهم ما كانوا يزعمون أن لهم شُركَاء، وأنهم يشفعون لهم وينصرونهم قال تعالى: ﴿لاجرم﴾[1] أي حقاً ﴿أنهم في الآخرة﴾ أي في دار الآخرة ﴿هم الأخسرون﴾ أي الأكثر خسراناً من غيرهم لأنهم أضافوا إلى جريمة كفرهم جريمة تكفير غيرهم ممن كانوا يدعونهم إلى الضلال، ويصدونهم عن الإسلام سبيل الهدى والنجاة من النار. ولما ذكر تعالى حال الكافرين وما انتهوا إليه من خسران. ذكر تعالى حال المؤمنين فقال ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[2] أي آمنوا بالله وبوعده ووعيده. وآمنوا برسول الله وبما جاء به، وعملوا الصالحات التي شرعها الله

---

(١) ﴿لا جرم﴾ كلمة: جزم ويقين، واختلف في تركيبها وأظهر أقوالهم فيها: أن تكون لا: حرف نفي، وجزم: بمعنى محالة. ويصح معنى الكلمة. لا محالة أو: لابدّ أن يكون كذا وكذا، أو لتفسّر بحقاً، ولا محالة ولابد، إذ جرم مأخوذ من الجرم الذي هو القطع.

(٢) الموصول: اسم إنّ، وآمنوا: صلة ﴿وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربّهم﴾ معطوفان على الاسم، والخبر: ﴿أولائك أصحاب الجنة﴾ وجملة ﴿هم فيها خالدون﴾ جملة بيانية أي مبيّنة لحال أهل الجنة.

تعالى لهم من صلاة وزكاة ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ أي أسلموا له وجوههم وقلوبهم وانقادوا له بجوارحهم فتطامنوا وخشعوا أؤلئك أي السامون أصحاب الجنة أي أهلها ﴿هم فيها خالدون﴾ أي لا يبرحون منها ولا يتحولون عنها، هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث أما الآية الرابعة (٢٤) وهي قوله تعالى ﴿مثل الفريقين كالأعمى[(١)] والأصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا﴾؟ فقد ذكر تعالى مقارنة بين أهل الشرك وأهل التوحيد توضيحاً للمعنى وتقريراً للحكم فقال ﴿مثل الفريقين﴾ أي صفة الفريقين الموضحة لهما هي كالأعمى والأصم وهذا فريق الكفر والظلم والسميع والبصير. وهذا فريق أهل الإيمان والتوحيد فهل يستويان مثلا أي صفة الجواب لا، لأن بين الأعمى والبصير تبايناً كما بين الأصم والسميع تبايناً فأي عاقل يرضى أن يكون العمى والصمم وصفاً له ولا يكون البصر والسمع وصفاً له؟ والجواب لا أحد إذاً ﴿أفلا تذكرون﴾ أي أفلا تتعظون بهذا المثل[(٢)] وتتوبوا إلى ربكم فتؤمنوا به وتوحدوا وتؤمنوا برسوله وتتبعوه، وبكتابه وتعملوا بما فيه؟

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- استحسان المقارنات بين الأشياء المتضادة للعبرة والاتعاظ.

٢- الكافر ميت موتاً معنوياً فلذا هو لا يسمع ولا يبصر، والمسلم حيٌّ فلذا هو سميع بصير.

٣- بيان ورثة دار النعيم وهم أهل الإيمان والطاعة، وورثة دار الخسران وهم أهل الكفر والظلم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ

---

(١) فريق الإيمان، وفريق الكفر والشرك.

(٢) المثل الذي كشف الحقيقة وبيّن أنّ الكفار عمي صم، وأنّ المؤمنين يبصرون ويسمعون، فأي عاقل يرضى أسوأ الوصفين؟!

ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات:

نوحا: : هو العبد الشكور أبو البشرية الثاني نوح عليه السلام.

إني لكم نذير مبين : أي مخوف لكم من عذاب الله بَيِّنُ النذارة.

عذاب يوم أليم : هو عذابه يوم القيامة.

الملأ : الأشراف وأهل الحل والعقد في البلاد.

أراذلنا[١] : جمع أرذل وهو الأكبر خسة ودناءة.

بادي الرأي : أي ظاهر الرأي، لا عمق عندك في التفكير والتصور للأشياء.

معنى الآيات:

هذه بداية قصة نوح عليه السلام وهي بداية لخمس قصص[٢] جاءت في هذه السورة سورة هود عليه السلام قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحاً[٣] إلى قومه إني لكم نذير[٤] مبين﴾ أي قال لهم إني لكم نذير مبين أي بين النذارة أي أخوفكم عاقبة كفركم بالله وبرسوله وشرككم في عبادة ربكم الأوثان والأصنام. وقوله ﴿أن[٥] لا تعبدوا إلا الله﴾ أي نذير لكم بأن لا تعبدوا إلا الله، وتتركوا عبادة غيره من الأصنام والأوثان وقوله ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ علل لهم أمرهم بالتوحيد ونهيهم عن الشرك بأنه يخاف عليهم إن أصروا على كفرهم وتركهم عذاب يوم أليم[٦] وهو عذاب يوم القيامة ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي فرد على نوح ملأ قومه اشرافهم وأهل الحل والعقد فيهم ممن كفروا بالله ورسوله فقالوا ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا[٧]﴾ أي لا فضل لك علينا فكيف تكون رسولاً لنا ونحن مثلك هذا

---

(١) الأرذل: اسم تفضيل والمفضّل عنه يقال له: رذْل ككلب ويجمع على أرذُل كأكلب.

(٢) هذا العطف من باب عطف قصّة على قصّة: الواو: تسمى الواو الابتدائية.

(٣) كُسرت: إنّ لأنّ الإرسال فيه معنى القول وإن تكسر بعد القول.

(٤) القِصّـة: بكسر القاف والجمع: قصص كحجّة وحجج: الخبر يروى وتُتَبّع أجزاؤه بعناية، والقصص بفتح القاف: مصدر قصّ الحديث يقصّه قصاً.

(٥) هذه الجملة مفسّرة لجملة ﴿أرسلنا نوحاً﴾ أو لقوله: ﴿إني لكم نذير مبين﴾.

(٦) وجائز أن يكون ﴿عذاب يوم أليم﴾ في الدنيا وهو عذاب الطوفان وقد كان.

(٧) مثلنا: منصوب على الحال.

أولاً وثانياً ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾أي سفلتنا[1] من أهل المهن المحتقرة كالحياكة والحجامة والجزارة ونحوها وقولهم[2] بادي الرأي أي ظاهر الرأي لاعمق في التفكير ولا سلامة في التصور عندك وقولهم ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ أي وما نرى لكم علينا من أي فضل تستحقون به أن نصبح أتباعاً لكم فنترك ديننا ونتبعكم على دينكم بل نظنكم كاذبين فيما تقولون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ إن نوحاً واسمه عبدالغفار أول رسول إلى أهل الأرض بعد أن أشركوا بربهم وعبدوا غيره من الأوثان والآلهة الباطلة.

٢ـ قوله أن لا تعبدوا إلا الله هو معنى لا إله إلّا الله

٣ـ التذكير بعذاب يوم القيامة.

٤ـ اتباع الرسل هم الفقراء والضعفاء و خصومهم الأغنياء والأشراف والكبراء.

٥ـ احتقار أهل الكبر لمن دونهم. وفي الحديث «الكبر[3] بطر الحق وغمط الناس».

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ

(١) قال القرطبي: اختلف في السفلة فقيل: هم الذين يتقلسون ويأتون أبواب القضاة والسلاطين يطلبون الشهادات، وقال مالك: السفلة: الذين يسبون الصحابة. وقال آخر: الذين يأكلون على حساب دينهم.

(٢) ومنه البادية وهي الأراضي الظاهرة لاتحوطها مبانٍ ولا بساتين ولا مصانع.

(٣) الحديث في الصحيح فقد قال ﷺ (إنّ الله لا يدخل الجنة مَنّ كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر) فسئل عن الكبر فقال: الكبر: بطر الحق وغمط الناس) وبطر الحق: عدم قبوله، وغمط الناس: احتقارهم.

أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات:

أرأيتم	: أي أخبروني.
على بينة من ربي	: أي على علم علمنيه الله فعلمت أنه لا إله إلا الله.
فعميت عليكم	: أي خفيت عليكم فلم تروها.
أنُلزمُكمُوها	: أي أجبركم على قبولها.
بطارد الذين آمنوا	: أي بمبعدهم عني ومن حولي.
خزائن الله	: التي فيها الفضل والمال.
تزدري أعينكم	: تحتقر أعينكم.

معنى الآيات:

مازال السياق في قصة نوح مع قومه فأخبر تعالى أن نوحاً قال لقومه أرأيتم أي أخبروني إن كنت على بيِّنة من ربي أي على علم يقيني تعالى وبصفاته وبما أمرني به من عبادته وتوحيده والدعوة إلى ذلك. وقوله ﴿وآتاني رحمة من عنده﴾ وهي الوحي والنبوة والتوفيق لعبادته. ﴿فعميت عليكم﴾[1] أنتم فلم تروها. فماذا أصنع معكم ﴿أنلزمكموها﴾[2] أي أنجبركم أنا ومن آمن بي على رؤيتها والإيمان بها والعمل بهداها، ﴿وانتم لها كارهون﴾[3] أي والحال أنكم كارهون لها والكاره للشيء لا يكاد يراه ولا يسمعه، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٧) أما الآية الثانية فإن الله تعالى يخبر أيضا عن قيل نوح لقومه: ﴿وياقوم لا أسألكم عليه مالا﴾ أي لا أطلب منكم أجراً على ابلاغكم هذه الرحمة التي عميت عليكم فلم تروها. ﴿إن أجري إلا على الله﴾ أي ما أجري إلا على الله إذ هو الذي كلفني

---

(١) قرىء: ﴿عميت﴾ بتشديد الميم، وقرأ ورش بتخفيفها، ومعناه: إنّ الرسالة عميت عليكم فلم تفهموها. يقال: عميت عن كذا، وعمي عليّ كذا: أي: لم أفهمه.

(٢) ﴿أنلزمكموها﴾ أي: الرحمة التي هي عبادة الله وحده وترك عبادة سواه والاستفهام انكاري. أي: ما كان لي ذلك والحال أنكم كارهون لها.

(٣) قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام لألزمها قومه. ولكنّه لم يملك ذلك.

بالعمل بها والدعوة إليها وواعدني بالأجر عليها. وقوله ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ أي وما أنـا بمطيعكم في طرد المؤمنين من حولي كما اقترحتم عليّ، إنهم ملاقو ربهم، ومحاسبهم ومجازيهم على أعمالهم فكيف يصح مني ابعادهم عن سماع الحق وتعلمه والأخذ به ليكملوا ويسعدوا إذ العبرة بزكاة النفوس وطهارة الأرواح بواسطة الإيمان والعمل الصالح لا بالشرف والمال والجاه كما تتصورون ولذا فأني أراكم قوما تجهلون هذا ما دلت عليه الآية الثانية (٢٨) ثم قال لهم في الآية الثالثة ﴿وياقوم من ينصرني[1] من الله إن طردتهم﴾ أي من هو الذي يرد عني عذاب الله ويمنعني منه إن أنا عصيته فطردت أي أقصيت وأبعدت عباده المؤمنين عن سماع الهدى وتعلم الخير ولا عِلَةَ لذلك إلا لأنهم فقراء ضعفاء تزدريهم أعينكم المريضة التي لا تقدر على رؤية الحق وأهله والداعين إليه. ثم قال لهم ﴿أفلا تذكرون[2]﴾ أي تتفكرون فتعلمون خطأكم وجهلكم فتثوبوا إلى رشدكم. وتتوبوا إلى ربكم فتؤمنوا به وبرسوله وتعبدوه وحده لا شريك له ثم قال لهم في الآية الأخيرة (٣١) ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾[3] ردا على قولهم: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ ﴿ولا أعلم الغيب فأعرف ما تخفيه صدور الناس﴾ فأطرد هذا وأبقي هذا، ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلنا ﴿ولا أقول للذين تزدري[4] أعينكم﴾ لفقرهم وضعفهم ﴿لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم﴾ أي من صدق أو نفاق ومن حب لي أو بغض كأنهم طعنوا في المؤمنين واتهموهم بأنهم ينافقون أولهم أغراض فاسدة أو أطماع مادية من أجلها التفوا حول نوح، وقوله ﴿إني إذاً لمن الظالمين﴾ أي إني إذا قلت للمؤمنين من الضعفاء لن يؤتيكم الله خيرا كنت بعد ذلك من الظالمين[5] الذين يعتدون على الناس بهضمهم حقوقهم وامتهان كرامتهم.

هداية الآيات:

---

(١) أي: مَنْ يرد عنّي عذابه إن استوجبته بطرد عباده المؤمنين؟ والجواب: لا أحد فكيف إذاً يسوغ لي أن أطردهم كما ترغبون.

(٢) ﴿أفلا تذكّرون﴾ قرىء: تذكَرون بحذف إحدى التائين وقرىء تذّكرون: بتشديد الذال، بادغام إحدى التائين في الأخرى. والاستفهام للإنكار أي: ينكر عليهم غفلتهم وجهلهم وعدم تذكرهم ليتّعظوا.

(٣) أخبر عليه السلام بتذلله وتواضعه لربّه عزّ وجلّ فنفى عن نفسه القدرة على امتلاك خزائن الفضل والمال كما نفى عن نفسه علم الغيب وأن يكون ملكاً من الملائكة.

(٤) أي: تحتقر أعينكم. والأصل: تزدريهم، حذفت الهاء والميم لطول الاسم، والازدراء: افتعال من الزري الذي هو الاحتقار، وإلصاق العيب فالازدراء أصله الازتراء فقلبت فيه التاء دالاً فصار: الازدراء كما قلبت في: الازدياد.

(٥) في قوله: ﴿من الظالمين﴾: تعريض بقومه، فوصفهم بالظلم من حيث لا يشعرون.

من هداية الآيات:
١) كُرهُ الشيء يجعل صاحبه لا يراه ولا يسمعه ولا يفهم ما يقال له فيه.
٢) كراهية أخذ الأجرة على الدعوة والتربية والتعليم الديني.
٣) وجوب احترام الضعفاء وإكرامهم وحرمة احتقارهم وازدرائهم.
٤) علم الغيب استأثر الله تعالى به دون سائر خلقه إلا من علمه الله شيئا منه فإنه يعلمه.
٥) حرمة غمط الناس وازدرائهم والسخرية منهم

قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات:

جادلتنا	: أي خاصمتنا تريد إسقاطنا وعدم اعتبارنا في ديننا وما نحن عليه.
بما تعدنا	: أي من العذاب إن لم نؤمن بما تدعونا إليه.
إن كنت من الصادقين	: أي في دعواك النبوة والإخبار عن الله عز وجل.
بمعجزين	: أي بغالبين ولا فائتين الله تعالى متى أراد الله عذابكم.
نصحي	: أي بتخويفي إياكم عذاب ربكم إن بقيتم على الكفر به وبلقائه ورسوله.
أن يغويكم	: أي يوقعكم في الضلال ويبقيكم فيه فلا يهديكم أبدا.

معنى الآيات:
ما زال السياق في قصة نوح عليه السلام مع قومه فأخبر تعالى عن قول قوم نوح له عليه

السلام: فقال: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾[1] أي خاصمتنا وأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين أي فعجل العذاب وأنزله علينا إن كنت من الصادقين فيما تقول وتدعو وتعد. فأخبر تعالى عن قول نوح لهم ردا على مقالتهم وهو ما علمه ربه تعالى أن يقوله: فقال ﴿قل إنما يأتيكم به الله﴾ أي بالعذاب الله إن شاء ذلك. ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي فائتين الله ولا هاربين منه. وقوله: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم[2] هو ربكم وإليه ترجعون﴾. أي إن نصحي لا ينفعكم بمعنى أنكم لا تقبلونه مهما أردت ذلك وبالغت فيه إن كان الله جل جلاله يريد أن يغويكم لما فرط منكم وما أنتم عليه من عناد وكفر ومجاحدة ومكابرة إذ مثل هؤلاء لا يستحقون هداية الله تعالى بل الأولى بهم الضلالة حتى[3] يهلكوا ضالين فيشقوا في الدار الآخرة. وقوله تعالى: ﴿هو ربكم وإليه ترجعون﴾ أي فالأمر له ألستم عبيده وهو ربكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم وإن كانت حكمته تنفي أن يعذب الصالحين ويرحم الغواة الظالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الجدال لإحقاق الحق وإبطال الباطل. بشرط الأسلوب الحسن.

٢ـ إرادة الله تعالى قبل كل إرادة وما شاءه الله يكون وما لم يشأه لم يكن.

٣ـ لاينفع نصح الناصحين ما لم يرد الله الخير للمنصوح له.

٤ـ ينبغي عدم إصدار حكم على عبد لم يمت فيعرف بالموت مآله. إلاَّ قول الله أعلم به.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ

قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

(١) ﴿جادلتنا﴾ أي: خاصمتنا فأكثرت خصومتنا وبالغت فيها، والجدل في لغة العرب: المبالغة في الخصومة. مأخوذ من الجدل: الذي هو شدّة الفتل، وقالوا في الصقر أجدل: لشدته في الطيران.

(٢) فيه الرد على بطلان مذهب المعتزلة، والقدرية إذ زعموا أن الله لايريد. أن يعصي العاصي ولا أن يكفر الكافر ولا أن يغوي الغاوي وتجاهلوا أنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريد، ولا يقع شيء إلاّ بإذنه فهو الهادي لمن شاء هدايته، والمضل لمن شاء إضلاله. ولكن كُلًا من هدايته وإضلاله يتمان حسب سنته في الهداية والإضلال فلا يظلم ربّك أحدا.

(٣) ومن فسّر ﴿أن يغويكم﴾: يهلككم: أراد أنّ الهلاك سبب للإغواء، فمن أغواه أهلكهُ، إذ لا يَهلك إلّا الغاوي.

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾
وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟
مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات:

وأوحى إلى نوح : أي اعلم بطريق الوحي الذي هو الاعلام السريع الخفي.

فلا تبتئس : لا تحزن ولا يشتد بك الحزن فإني منجيك ومهلكهم.

الفلك : أي السفينة التي أمرناك بصنعها لحمل المؤمنين عليها.

سخروا منه : أي استهزئوا به كقولهم: تحمل هذا الفلك إلى البحر أو تحمل البحر إليه.

يخزيه : أي يذله ويهينه.

ويحل عليه عذاب مقيم : أي وينزل به عذاب النار يوم القيامة فلا يفارقه.

معنى الآيات:

عاد السياق بعد الاعتراض بالآية (٣٥) إلى الحديث عن نوح وقومه فقال تعالى ﴿وأوحى إلى نوح أنه[١] لن يؤمن من قومك إلا من[٢] قد آمن﴾. وهذا بعد دعوة دامت قرابة ألف سنة إلا

---

(١) ﴿أنّه﴾ في موضع رفع نائب فاعل لأوحي أي: أوحي إلى نوح عدم إيمان قومه ومعنى الكلام: الإياس من إيمانهم، واستدامة كفرهم تحقيقاً للوعيد بنزول العذاب بهم.

(٢) روي أنّ رجلاً من قوم نوح مرّ بنوح وهو يحمل طفلهُ فلما رأى الطفل نوحاً قال لأبيه ناولني حجراً فناوله إياها فرمى بها نوحاً فأدماه، فأوحى الله تعالى إلى نوح: ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن..﴾

خمسين عاما أي فلم يؤمن بعداليوم أحد من قومك وعليه فلا تبتئس[1] أي لا تغتم ولا تحزن بسبب ما كانوا يفعلون من الشر والفساد والكفر والمعاصي فإني منجيك ومن معك من المؤمنين ومهلكهم بالغرق. وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٧) ﴿واصنع الفلك بأعيينا ووحينا﴾ أي وأمرناه أن يصنع الفلك أي السفينة تحت بصرنا وبتوجيهنا وتعليمنا. إذ لم يكن يعرف السفن ولا كيفية صنعها وقوله ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ أي لا تسألني لهم صرف العذاب ولا تشفع لهم في تخفيفه عليهم، لأنا قضينا بإهلاكهم بالطوفان فهم لا محالة مغرقون قوله تعالى ﴿ويصنع الفلك[2] وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ يخبر تعالى عن حال نوح وهو يصنع الفلك بقطع الخشب ونجره وتركيبه وقومه يمرون عليه وكلما مرّ عليه أشراف القوم وعليتهم يسخرون منه كقولهم يا نوح أصبحت نجاراً أو وهل تنقل البحر إليها، أو تنقلها إلى البحر فيرد عليهم نوح عليه السلام بقوله ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ أي منا. فسوف تعلمون أي مستقبلاً من يأتيه عذاب يخزيه أي يذله ويهينه ويكسر أنف كبريائه، ويحل[3] عليه عذاب مقيم وهو عذاب النار يوم القيامة وهو عذاب دائم لا ينتهى أبداً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ كراهية الحزن والأسى والأسف على ما يقوم به أهل الباطل والشر والفساد.

٢ـ بيان تاريخ صنع السفن وانها بتعليم الله لنوح عليه السلام.

٣ـ بيان سنة البشر في الاستهزاء والسخرية بأهل الحق ودعاته لظلمة نفوسهم بالكفر والمعاصي.

٤ـ بيان صدق وعد الله رسله.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا

---

(١) الابتئاس: افتعال من البؤس الذي هو الهمّ والحزن. قال الشاعر:

وكم من خليل أو حميم رزأته   فلم أبتئس والرزء فيه جليل

(٢) اختلفت الأقوال في مدّة صنع السفينة، أكثرها أنها: أربعون سنة. وجائز أن تكون أكثر، لأنّ عمل فرد واحد في صنع سفينة يتطلب وقتاً طويلاً أمّا حجمها فيدل على كبره ما حمل فيها، إذ حمل فيها كل مؤمن ومؤمنة ومن كل زوجين اثنين، فحجمها لا شك أنه واسع كبير، وقيل: كانت السفينة ثلاث طبقات: السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للإنس، والعليا للطيور. والله أعلم، والحديث عن طول السفينة وعرضها ومادتها كله من باب علم لا ينفع وجهالة لا تضر.

(٣) أي: يجب عليه وينزل به.

مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا
فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ
تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ
أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

فار التنور : أي خرج الماء وارتفع من التنور وهو مكان طبخ الخبز.

زوجين اثنين : أي من كل ذكر وأنثى من سائر أنواع المخلوقات اثنين.

وأهلك : أي زوجتك وأولادك.

مجريها ومرساها : أي اجراؤها وإرساؤها.

في موج كالجبال : الموج ارتفاع ماء البحر وكونه كالجبال أي في الارتفاع.

يعصمني من الماء : يمنعني من الماء أن يغرقني.

وغيض الماء : أي نقص بنضوبه في الأرض.

على الجودي : أي فوق جبل الجودي وهو جبل بالجزيرة غرب الموصل.

بعدا للقوم الظالمين : أي هلاكا لهم.

شرح الكلمات:

أم يقولون : أي بل يقولون افتراه.

افتراه : أي اختلقه وقال من نفسه ولم يوح به إليه.

فعلي اجرامي[1] : أي عاقبة الكذب الذي هو الإجرام تعود عليَّ لا على غيري.

وأنا بريء : أي أتبرأ وأتنصل من إجرامكم فلا أتحمل مسؤوليته.

مما تجرمون : أى على أنفسكم بإفسادها بالشرك والكفر والعصيان.

معنى الآية:

هذه الآية الكريمة أوقعها الله مُنَزِلُها سبحانه وتعالى بين أجزاء الحديث عن نوح وقومه، وحسن موقعها هنا لأن الحديث عن نوح وقومه لا يتأتى لأحد إلا لنبي يوحى إليه، وذلك لبعده في التاريخ فَقَصُّ النبيّ له اليوم دليل على أنه نبي يُوحى إليه، فلذا قال أم يقولون افتراه[2] أي يقولون افترى القرآن وكذبه ولم يوح إليه قل إن افتريته كما زعمتم فعليّ إجرامي أي أثم كذبي وأنا بريء مما تجرمون أنتم بتكذيبكم إياي وكفركم بربكم ورسوله ووعده ووعيده.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ جواز الاعتراض في الكلام إذا حسن موقعه لإقامته حجة أو إبطال باطل أو تنبيه على أمر مهم.

٢ـ قص القصص أكبر دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة ودعوته إلى الله تعالى.

٣ـ تقرير مبدأ تحمل كل إنسان مسؤولية عمله وأن لا تزر وازرة وزر أخرى.

---

(١) الإجرام: مصدر أجرم يجرم إجراماً: إذا اقترف السيئات وجرم الثلاثي كأجرم الرباعي، قال الشاعر وهو أحد لصوص بني سعد:

طريد عشيرة ورهين جرم   بما جرمت يدي وجنى لساني

(٢) فسرت الآية في التفسير بالقول الراجح وهو: أنّ المراد بمن يقول افتراه: النبي ﷺ. والآية معترضة أحاديث قصة نوح وذهب بعضهم نقلاً عن ابن عباس أنها من محاورة نوح عليه السلام مع قومه: واستظهروها من أجل السياق السابق واللاحق والله أعلم.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن نوح وقومه قال تعالى ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنّور﴾ أي واصل صنع السفينة حتى إذا جاء أمرنا أي بإهلاك المشركين، وفار[1] التنور أي خرج الماء من داخل التنور وفار وتلك علامة بداية الطوفان فاحمل فيها أي في السفينة التي صنعت من كل زوجين[2] اثنين أي من كل نوع من أنواع الحيوانات زوجين أي ذكراً وأنثى. وأهلك أي واحمل أهلك من زوجة وولد كسام وحام ويافث إلا من سبق عليه القول أي بالإهلاك كامرأته واعلة وولده كنعان. ومن آمن[3] أي واحمل من آمن من سائر الناس، ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ أي نحو من ثمانين رجلاً وأمرأة هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٠) أما الثانية فقد أخبر تعالى فيها أن نوحاً قال لجماعة المؤمنين ﴿اركبوا فيها﴾ أي في السفينة ﴿باسم الله مجراها[4] ومرساها﴾ أي باسم الله تجري وباسم الله ترسو أي تقف ﴿إن ربيّ لغفور رحيم[5]﴾ أي فهو لا يهلكنا بما قد يكون لنا من ذنب ويرحمنا فينجينا ويكرمنا. وقوله تعالى في الآية الثالثة (٤٢) ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ وصف للسفينة وهي تغالب الماء وتمخر عبابه وأمواج الماء ترتفع حتى تكون كالجبال في ارتفاعها وقبلها نادى نوح ابنه كنعان، وهو في هذه الساعة في معزل[6] اي من السفينة حيث رفض الركوب فيها لعقوقه وكفره[7] فقال له ﴿يابني اركب[8] معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ فتغرق كما يغرقون فأجاب الولد قائلا

---

(١) الفوران: غليان القدر، ويطلق على نبع الماء بشدّة تشبيها بفوران ماء في القدر إذا غلى، والتنور: اسم لموقد النار للخبز.

(٢) قرأ حفص ﴿من كل﴾ بتنوين كل فالتنوين عوض عن مضاف إليه أي: من كل المخلوقات، و﴿زوجين﴾ مفعول لـ (احمل)، واثنين: نعت له وقرأ الجمهور بإضافة كلّ إلى زوجين، والمراد بالزوجين هنا: الذكر والأنثى من كل نوع من أنواع الحيوانات.

(٣) ومن آمن: أي: كل المؤمنين.

(٤) جائز أن يكون القائل: ﴿اركبوها﴾ الله جلّ جلاله، وجائز أن يكون نوحاً عليه السلام والركوب: العلو على ظهر شيء، وقال: فيها، ولم يقل عليها لأنها ظرفٌ لهم يدخلون فيها.

(٥) قرأ الجمهور بضم الميم في كل من مجراها، ومرساها، وهما مصدران من: أجرى وأرسى، وقرأ عاصم بفتح ميم مجراها، وضم ميم مرساها كالجمهور، ولم يفتح ميم مرساها لاشتباهه. حينئذ المرسى مكان الرسو، وقرىء مجريها، ومرسيها باسم الفاعل أي: بسم الله مجريها ومرسيها.

(٦) روي أن النبي ﷺ قال: (أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في الفلك بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون. بسم الله مجراها ومرساها إنّ ربي لغفور رحيم﴾.

(٧) وقيل: في معزل أي: من دين أبيه.

(٨) قرأ حفص: ﴿يا بنيَّ﴾ بفتح الياء المشددة وكَسَرَهَا غير عاصم.

﴿سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ أي يمنعني منه حتى لا أغرق، فأجابه نوح قائلا ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ أي بعذاب الكافرين ﴿إلا من رحم﴾ أي الله فهو المعصوم. قال تعالى ﴿وحال بينهما الموج﴾ أي بين الولد العاق والوالد الرحيم ﴿فكان﴾ أي الولد ﴿من المغرقين﴾. وقوله تعالى ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ أي اشربيه وابتلعيه، ويا سماء اقلعي أي من الصب والإمطار، والآمر للأرض والسماء هو الله تعالى. ﴿وغيض الماء﴾ أي نقص ونضب. ﴿واستوت على الجودي[1]﴾ أي ورست السفينة بركابها على الجودي وهو جبل بالجزيرة قرب الموصل ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ أي هلاكاً لهم فلم يبق منهم أحدا إذ أخذهم الطوفان وهم ظالمون بدأ الطوفان أول يوم من رجب واستمر ستة أشهر حيث رست السفينة في أول محرم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الإيمان ينجي، والكفر يهلك ويردي.

٢ـ مشروعية التسمية عند الركوب في سفينة أو غيرها.

٣ـ عقوق الوالدين كثيراً ما يسبب الهلاك في الدنيا، أما عذاب الآخرة فهو لازم له.

٤ـ مظهر من مظاهر رحمة الوالد بولده.

٥ـ مظاهر عظمة الرب تعالى وإطاعة الخلق أمره حتى الأرض والسماء.

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا

(١) ﴿الجودي﴾ أحد جبال ثلاثة أكرمهم الله تعالى، الجودي بإرساء السفينة عليه، وطور سينا: بمناجاة موسى عليه، وحراء بتعبد النبي ﷺ فيه ونزول جبريل عليه فيه.

تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ
وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ
مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ
مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات:

من أهلي	: أي من جملة أهلي من ازواج وأولاد.
وإن وعدك الحق	: أي الثابت الذي لا يخلف.
إنه عمل غير صالح	: أي إن سؤالك هذا إياي عمل غير صالح.
أعظك	: أي أنهاك وأخوفك من أن تكون من الجاهلين.
من الجاهلين	: أي من الذين لا يعرفون جلالي وصدق وعدي ووفائي فتسألني ما ليس لك به علم.
سنمتعهم	: أي بالأرزاق والمُتع إلى نهاية آجالهم ثم يحل بهم عذابي وهم الكفرة.
للمتقين	: أي الذين يتقون الله فيعبدونه ولا يشركون به شيئا.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في الحديث عن نوح وقومه قال تعالى، ﴿ونادى نوح ربّه﴾ أي دعاه سائلا ﴿ربِّ إن ابني من أهلي[1] وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾، وهذا كان منه حال الإركاب في الفلك، وامتناع ولده كنعان من الركوب أي رب إن ولدي كنعان من زوجتي ومن جملة أولادي، وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي ومن معي من المؤمنين، ﴿وإن وعدك الحق﴾ أي الذي لا خلف فيه ابداً، ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ أعلمهم وأعدلهم، وهذا ابني قد استعصى عنّي ولم يركب معي وسيهلك مع الهالكين إن لم ترحمه يارب

---

(١) أي: الذين وعدتهم أن تنجيهم من الغرق، وسأل نوح ربّه نجاة ولده لقوله تعالى ﴿وأهلك﴾ وكان كنعان يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

العـالمين فأجـابه الرب تعالى بقوله الحق: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ أي الذين وعدتك بإنجـائهم لأنه على غير دينك وعلى خلاف منهجك، ﴿إنه عمل[1] غير صالح﴾ أي إن سؤالـك هذا إليّ بإنجـاء ولـدك وهـو كافـر على غير ملتـك، وقد أعلمتك إني مغرق الكافرين. سؤالك هذا عمل غير صالح يصدر عنك: ﴿إني أعظك﴾ أي أنهاك وأخوفك ﴿أن تكون من الجاهلين﴾ فتسألني ما ليس لك به علم. قال نوح ﴿ربّ﴾ أي يارب إنّي أعوذ بك أي استجير وأتحصن بك أن أسألك بعدالآن ما ليس لي به علم. وإلا تغفرلي وترحمني أكن من الخاسرين أي الذين غبنوا أنفسهم حظوظها فهلكوا، فأجابه الرب[2] تعالى ﴿يانوح أهبط﴾ من السفينة أنت ومن ومعك من المؤمنين بسلام منا أي بأمن منا وتحيات، وبركات عليك وعلى أمم ممن معك أي من ذريّة من معك، فلا تخافوا جوعاً ولا شقاء، وأمم من ذريّة من معك سنمتعهم متاع الحياة الدنيا بالأرزاق ثم يمسهم منا عذاب أليم يوم القيامـة لأنهم ينحرفون عن الإسلام ويعيشون على الشرك والكفر. وهذا من علم الغيب الذي أخبر الله تعالى به فكان كما أخبر فقد نشأت أجيال وأجيال من ذريّة نوح منهم الكافر ومنهم المؤمن وفي الجميع ينفذ حكم الله ويتم فيهم وعده ووعيده. وقوله تعالى في الآية (٤٩) وهي الأخيرة في هذا السياق يقول تعالى ﴿تلك من أنباء الغيب[3] نوحيها﴾ أي هذه القصة التي قصصناها عليك من أنباء الغيب الذي لا يعلم تفصيله إلا الله نوحيها إليك ضمن آيات القـرآن ما كنت تعلمهـا أنت ولا قومـك على وجه التفصيل من قبل هذاالقـرآن إذاً فاصبـر يارسولنا على أذى قومك مبلغاً دعوة ربك حتى يأتيك نصرنافإن العاقبة[4] الحسنى الحميدة دائما للمتقين ربهم بطاعته والصبر عليها حتى يَلْقوهُ مؤمنين صابرين محتسبين.

---

(١) قرأ ابن عباس، وعروة وعكرمة، ويعقوب، والكسائي: ﴿إنه عمل غير صالح﴾ أي: إن ابنك عمل عملاً غير صالح، وهو الكفر والتكذيب وقرأ الباقون ﴿عملٌ غير صالح﴾ أي: ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف كقول الشاعر:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت فإنما هي إقبال وإدبار

أي: ذات إقبال وإدبار.

(٢) وجائز أن يكون القائل: ﴿اهبط﴾: الملائكة عليهم السلام بإذن الله تعالى.

(٣) اشتملت الآية على ثلاثة أمور هي: الامتنان والصبر، والتسلية، فالامتنان في قوله: ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك﴾ والموعظة في قوله ﴿فاصبر﴾ الخ.. والتسلية في قوله، ﴿إن العاقبة للمتقين﴾.

(٤) العاقبة في الدنيا بالظفر، وفي الآخرة بالفوز وهو النجاة من النار، ودخول الجنة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ رابطة الإيمان والتقوى أعظم من رابطة النسب .

٢ـ حرمة العمل بغير علم فلا يحل القدوم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه .

٣ـ ذم الجهل وأهله .

٤ـ شرف نوح عليه السلام وانه أحد أولى العزم من الرسل .

٥ـ بيان العبرة من القصص القرآني وهي تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

٦ـ تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإثباتها ببرهان عقلي وهو الإخبار بالغيب الذي لا يعلم إلا من طريق الوحي .

٧ـ بيان فضل الصبر، وأن العاقبة الحميدة للمتقين وهم أهل التوحيد والعمل الصالح .

وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

وإلى عاد أخاهم هودا : أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم في النسب لا في الدين أخاهم هوداً. وهود من قبيلة عاد وعاد من ولد سام بن نوح عليه السلام .

اعبدوا الله : أي اعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره .

ما لكم من إله غيره : أي ليس لكم معبود بحق يستحق عبادتكم غيره .

إن أنتم إلا مفترون : أي ما أنتم في تأليه غير الله من الأوثان إلا كاذبون.
لا أسألكم عليه أجرا : أي لا أطلب منكم أجراً على إبلاغي دعوة التوحيد إليكم.
فطرني : أي خلقني.
مدرارا : أي كثيرة الدرور للمطر النازل منها.
ولا تتولوا مجرمين : أي ولا تعرضوا عن دعوة التوحيد مجرمين على أنفسكم بالشرك بالله.

معنى الآيات:

هنا شروع في قصة هود مع قومه عاد بعد قصة نوح عليه السلام ومغزى القصة تقرير توحيد الله ونبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم[1] هوداً﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد[2] أخاهم هوداً وهو أخوهم في النسب وأول من تكلم بالعربية فهو أحد أربعة أنبياء من العرب وهم هود، وصالح، وشعيب، ومحمدصلى الله عليه وسلم. وقوله ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ أي قال هود لقومه بعد أن أرسله الله إليهم يا قوم اعبدوا الله أي وحدوه في عبادته فلا تعبدوا معه غيره فإنه ما لكم من إله غير[3] الله سبحانه وتعالى. وقوله ﴿إن أنتم إلّا مفترون﴾ أي ما أنتم في عبادة غير الله من الأصنام والأوثان إلّا كاذبون، إذ لم يأمركم الله تعالى ربكم بعبادتها، وإنما كذبتم عليه في ذلك. وقوله ﴿ياقوم لا أسألكم عليه اجرا﴾ يريد لا أسألكم على دعوتي إياكم إلى توحيد ربكم لتكملوا بعبادته وتسعدوا أجراً أي مالاً ﴿إن أجري إلا على الله الذي فطرني﴾ أي ما أجري إلا على الله الذي خلقني. وقوله ﴿أفلا تعقلون[4]﴾ أي أفلا تعقلون أنّي لو كنت أبغي بدعوتي إلى التوحيد أجراً لطلبت ذلك منكم، غير أني لم أطلب من غير ربي أجراً فبان بذلك صدقي في دعوتكم ونصحي لكم.

وقوله تعالى عن قيل هود ﴿يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ يخبر تعالى أن هوداً نادى قومه فقال يا قوم استغفروا ربكم أي آمنوا به واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم، ثم توبوا إليه أي ارجعوا إلى عبادته وحده بما شرع لكم على لسان نبيكم، واتركوا عبادة غيره يكافئكم بأن

---

(١) وجائز أن تكون أخوة بني آدم إذ الكل من آدم عليه السلام.
(٢) هما: عادان، الأولى والثانية لقوله تعالى: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ فهؤلاء هم عاد الأولى، وأمّا الأخرى فالله أعلم بها.
(٣) يصح في: ﴿غير﴾ الجر والرفع والنصب، فالجرّ على اللفظ، والرفع على الموضع والنصب على الاستثناء.
(٤) وجائز أن يكون ﴿أفلا تعقلون﴾ لما جرى لقوم نوح لمّا كذّبوا الرسل، وما في التفسير أولى وأكثر فائدة.

يرسل السماء عليكم مدراراً[1] أي بالأمطار المتتالية بعد الذي أصابكم من الجفاف والقحط والجدب، ويزدكم قوة روحية إلى قوتكم المـادية، وقوله ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ ينهاهم ناصحاً لهم أن يرفضوا نصيحته ويرجعوا إلى عبادة الأوثان فيُجْرِمُوا على أنفسهم بإفسادها بأوضار الشرك والعصيان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ دعوة الرسل من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم واحدة وهي: أن يُعبَدَ الله وحده.

٢ـ تقرير مبدأ لا إله إلا الله.

٣ـ المشركون والمبتدعون الكل مفترون على الله كاذبون حيث عبدوه بما لم يشرع لهم.

٤ـ وجوب الإخلاص في الدعوة.

٥ـ فضل الاستغفار ووجوب التوبة.

٦ـ تقديم الاستغفار على التوبة مشعر بأن العبد إذا لم يعترف أولا بذنبه لا يمكنه أن يتوب منه.

قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾
إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾

---

(١) أي: كثيرة المطر المتتابع الذي يتلو بعضهُ بعضا، يقال: درّت السماء تدرّ فهي مدرار، وكان قوم هود أهل بساتين وزروع حياتهم متوقفة على المطر.

شرح الكلمات :

بيّنة : أي بحجة وبرهان على صحة ما تدعونا إليه من عبادة الله وحده .

وما نحن بتاركي آلهتنا : أي عبادة آلهتنا لأجل قولك إنها لا تستحق أن تعبد .

إلّا اعتراك : أي أصابك .

بسوء : أي بِخَبَل فأنت تهذي وتقول مالا يقبل ولا يعقل .

ثم لا تنظرون : أي لا تمهلون .

آخذ بناصيتها : أي مالكهـا وقاهرها ومتصرف فيها. فلا تملك نفعا ولا ضراً إلا بإذنه .

إن ربي على صراط مستقيم : أي على طريق الحق والعدل .

فإن تولوا : أصلها تتولوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التائين ومعناه تُدبروا .

على كل شيء حفيظ : أي رقيبٌ ولا بد انه يجزي كل نفس بما كسبت .

معنى الآيات :

مازال السياق في قصة هود مع قومه إذ أخبر تعالى عن قيل قوم هود إلى هود فقال ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنة﴾ أي بحجة أو برهان على صحة ما تدعونا إليه من عبادة الله وترك عبادة آلهتنا والاعتراف بنبوتك ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا﴾ أي عبادتها ﴿عن قولك﴾ أي من أجل قولك انها لا تستحق أن تعبد لكونها لا تنفع ولا تضر، ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾ أي بمتـابعين لك على دينك ولا مصدقين لك فيما تقول﴿إن نقول إلا اعتراك[1] بعض آلهتنا بسوء﴾ أي ما نجد ما نقول فيك إلا أن بعض آلهتنا التي تسبها وتشتمها قد أصابتك بسوء بخبـل وجنـون فأنت تهذر وتهذي ولا تدري ما تقول. فأجابهم قائلا ﴿إني أشهد الله واشهدوا أني بر يءمما تشركون﴾ فأعلن براءته في وضوح من آلهتهم وأنه لا يخافها إبطالا لدعواهم أنَّها أصابته بسوء، وأعلمهم أنه يشهد الله على ذلك، ثم أمرهم أن يشهدوا هم كذلك[2]. وقوله ﴿من دونه﴾ أي من دون الله من سائر الآلهة والشركاء ثم تحداهم مستخفا

---

(١) عراه واعتراه بمعنى واحد، وهو: أصابك، يقال: اعتراني كذا، أي، أصابني، كما يقال: عراني نعاس أو تفكير أي: أصابني.

(٢) ما أمرهم بالشهادة لكونهم أهلا لها، وإنما زيادة في التقرير، وخالف بين الفعلين حتى لا يسوي بين شهادة الله تعالى وشهادتهم.

بهم وبـآلهتهم، فقـال ﴿فكيدوني[1] جميعا﴾ أي احتالوا على ضري ثم لا تنظرون أي لا تؤخرون ولا تمهلون، ثم كشف لهم عن مصدر قوته وهو توكله على ربّه فقال ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ أي فوضت أمري إليه وجعلت كل ثقتي فيه فهو لا يسلمني إليكم ولا يخذلني بينكم. ثم أعلمهم بإحاطة قدرة الله بهم وقهره لهم فقال ﴿وما من دابّة[2] إلا هو آخذ بناصيتها[3]﴾ أي قاهر لها متحكم فيها يقودها حيث شاء وينزل بها من العذاب ما يشاء، ثم أعلمهم أن ربّه تعالى على طريق العدل والحق فلا يُسلط أعداءه على أوليائه، فقال ﴿إن ربّي على صراط مستقيم﴾ فلذا أنا لست بخائف ولا وجل ثم قال لهم ﴿فإن تولوا﴾ أي فإن تدبروا عن الحق وتعرضوا عنه فغير ضائري ذلك إذ أبلغتكم ما أرسلني به ربي إليكم وسيهلككم ويستخلف قوما غيركم[4]، ولا تضروه شيئا من الضرر لا قليلا ولا كثيراً، ﴿إن ربّي على كل شيء حفيظ﴾ أي رقيب، وسيجزي كلا بما كسب بعدله ورحمته. وله الحمد والمنة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان مدى مجاحدة ومكابرة المشركين في كل زمان ومكان.

٢ـ تشابه الفكر الشركي وأحوال المشركين إذ قول قوم هود ﴿إن نقول إلا اعتراك﴾.. الخ. يردده جهلة المسلمين وهو فلان ضربه الولي الفلاني.

٣ـ مواقف أهل الإيمان واحدة فما قال نوح لقومه متحدياً لهم قاله هود لقومه.

٤ـ تقرير مبدأ أن كل شيء في الكون خاضع لتدبير الله لا يخرج عما أراده له أو به.

وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ

---

(١) في قوله: ﴿فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون﴾ علم من أعلام النبوة، إذ لا يقدر فرد أن يقول لأمّة بكاملها: افعلي بي من الشر والأذى ما تستطيعين إلاّ أن يكون نبيّاً عالما بقدرة الله تعالى على حفظه وحمايته، وقد وقف هذا الموقف نوح من قبل ووقفه محمد بعد صلى الله عليهم أجمعين وسلم تسليماً.

(٢) كل ما فيه روح يقال له دابّ، والتاء فيه: للمبالغة، فيقال: دابة مبالغة في الدبيب.

(٣) الناصية: ما انسدل من شعر الرأس على الجبهة، والأخذ: الإمساك، وهذا كناية عن التمكن والقدرة الكاملة على التصرف في المخلوقات.

(٤) أي: يخلق من هم أطوع لله تعالى منكم فيعبدونه ويوحدّونه.

مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا
فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات:

ولما جاء أمرنا : أي بعذابهم وهي الريح الصرر.

برحمة منا : أي بفضل منا ونعمة.

جبار عنيد : أي مستكبر عن الحق لا يذعن له ولا يقبله.

ويوم القيامة : أي ولعنة في يوم القيامة.

ألا بعداً لعاد : أي هلاكاً لعاد وإبعاداً لهم من كل رحمة.

معنى الآيات:

مازال السياق في هود وقومه قال تعالى ﴿ولما جاء أمرنا﴾ أي عذابنا[1] ﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا[2]﴾ أي بلطف وفضل ونعمة ﴿ونجيناهم[3] من عذاب غليظ﴾ هو عذاب يوم القيامة فهما نجاتان نجاة في الدنيا من عذاب الريح العقيم الصرر التي دمرت كل شيء بأمر ربها ونجاة من عذاب النار يوم القيامة وهي أعظم. وقوله تعالى ﴿وتلك عاد﴾ أي هذه عاد قوم هود جحدوا بآيات[4] ربهم فلم يؤمنوا وعصوا رسله أي هوداً وجُمع لأن من كذب برسول كأنما كذب بكل الرسل ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد[5]﴾ أي اتبعوا أمر دعاة الضلالة من أهل الكبر والعناد للحق فقادوهم إلى سخط الله وأليم عقابه وقوله ﴿واتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ أي اتبعهم الله غضبه وسخطه وهلاكه، ويوم القيامة كذلك وأشد. ويختم الحديث عن هذه القصة بقول الله تعالى ﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم﴾ أي جحدوه فلم يعترفوا بألوهيته

---

(١) بهلاك عاد.

(٢) في صحيح مسلم قوله ﷺ: (لن ينجي أحداً منكم عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلّا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة).

(٣) قيل: كانوا ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف نسمة ما بين رجل وامرأة.

(٤) المراد من الآيات: المعجزات وأنكروها.

(٥) العنيد والعنود، والعاند والمعاند: المعارض، المخالف.

وعباده ﴿ألا بعداً﴾[1] أي هلاكاً لعادٍ قوم هود. فهل يعتبر مشركو قريش بهذه القصة فيؤمنوا ويوحدوا فينجوا ويفلحوا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد إذ القصة كلها مسوقة لذلك.

٢ـ بيان سنة الله في الأولين وهي انه يبعث الرسل مبشرين ومنذرين فَإِن استجابَ المرسل إليهم سعدوا، وإن لم يستجيبوا يمهلهم حتى تقوم الحجة عليهم ثم يهلكهم، وينجي المؤمنين.

٣ـ التنديد بالكبر والعناد إذ هما من شر الصفات الخلقية في الإنسان.

٤ـ اتباع الطغاة والظلم والكفر والفساد لا تقود إلا إلى الدمار والخسار.

۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات:

وإلى ثمود : أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود.

أخاهم صالحا : أي في النسب لأنه من قبيلة ثمود، بينه وبين ثمود أبي القبيلة خمسة أجداد.

---

(١) والبعد: التباعد عن الخير أيضا.

واستعمركم : أي جعلكم عماراً فيها تعمرونها بالسكن والإقامة فيها.
قريب مجيب : أي من خلقه، إذ العوالم كلها بين يديه ومجيب أي لمن سأله.
مرجوا قبل هذا : أي قبل أن تقول ما قلت كنا نرجو أن تكون سيداً فينا.
أرأيتم : أي أخبروني.
على بيّنة من ربي : أي على علم بربي علمنيه سبحانه وتعالى فهل يليق بي أن أعبد غيره.
غير تخسير : أي خسار وهلاك.

معنى الآيات:

هذه بداية قصة صالح مع قومه إذ قال تعالى مخبراً عن إرساله إلى قومه ﴿وإلى ثمود[1] أخاهم صالحا﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود بالحجر بين الحجاز والشام أخاهم في القبيلة لا في الدين صالحاً. فقال ﴿ياقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ فناداهم بعنوان القومية جمعا لقلوبهم على ما يقول لهم فقال ﴿ياقوم اعبدوا الله﴾ أي آمنوا به ووحدوه في عبادته فلا تعبدوا معه أحداً. إذ ليس لكم من إله غيره. إذ هو ربكم أي خالقكم ورازقكم ومدير أمركم. ﴿أنشأكم من الأرض﴾ أي ابتدأ خلقكم بخلق أبيكم آدم منها ﴿واستعمركم[2] فيها﴾ أي جعلكم تعمرونها بالسكن فيها والعيش عليها، إذا فاستغفروه بالاعتراف بألوهيته ثم توبوا إليه فاعبدوه وحده ولا تشركوا في عبادته أحداً. وقوله ﴿إنّ ربّي قريب مجيب﴾ أخبرهم بقرب الربّ تعالى من عباده وإجابته لسائليه ترغيبا لهم في الإيمان والطاعة، وترك الشرك والمعاصي. هذا ما تضمّنته الآية الأولى (٦١) أما الآية الثانية فقد تضمنت رد القوم عليه عليه السلام إذ قالوا بما اخبر تعالى عنهم ﴿يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾ أي كنا نأمل فيك الخير ونرجو أن تكون سيداً فينا حتى فاجأتنا بما تدعونا إليه من ترك آلهتنا لإلهك ثم أنكروا عليه دعوته فقالوا ﴿أتنهانا[3] أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ وأخبروه أنهم

---

(١) اختلف في صرف ثمود فمن القراء من صرفه ابداً وإلى ثمود بالجر والتنوين ومنهم من صرفه في موضع من القرآن ومنه في موضع آخر ولكل فيما رآه وجه صحيح.

(٢) استعمر بمعنى أعمر كاستجاب بمعنى أجاب أعمركم جعلكم تعمرونها فأنتم عمارها إلى نهاية آجالكم المحددة لكم، وليس هذا من باب استسهل الشيء إذا وجده سهلا واستصعبه إذا وجده صعباً فإن الله تعالى لا يعجزه شيء وفي الآية دليل على العمرى وهو أن يقول مالك لآخر أعمرتك داري فتصبح له واختلف هل تبقى لذريته بعد موته أو هي له ما دام حياً فإذا مات عادت لمن أعمره إياها مذهبان مشهوران وفي الحديث العمرى جائزة والعُمرى لمن وهبت له.

(٣) الاستفهام للإنكار.

غير مطمئنين إلى صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله تعالى فقالوا ﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ أي موقع في الريب وهو اضطراب النفس وعدم سكونها إلى ما قيل لها أو أخبرت به هذا ما تضمنه الآية الثانية (٦٢) أما الآية الثالثة (٦٣) فقد تضمنت دعوة صالح لقومه بأسلوب رفيع رغبة منه في إقامة الحجة عليهم لعلهم يؤمنون ويوحدون إذ قال بما أخبر الله تعالى في قوله: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي﴾ أي على علم يقيني بالإيمان بربي ووجوب عبادته وتوحيده وآتاني منه رحمةً وهي النبوة والرسالة، فمن ينصرني[1] من الله إن عصيته اللهم إنه لا أحد أبداً إذاً فإنكم ما تزيدونني إن أنا أطعتكم في ترك عبادة ربّي والرضا بعبادة آلهتكم إلا خساراً[2] وضلالا في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- وحدة الوسيلة والغاية عند كافّة الرسل فالوسيلة عبادة الله وحده، والغاية رضا الله والجنة.

٢- تقديم الاستغفار على التوبة في الآية سره إن المرء لا يقلع عن ذنبه حتى يعترف به.

٣- بيان سنة في الناس وهي أن المرء الصالح يرجى في أهله حتى إذا دعاهم إلى الحق وإلى ترك الباطل كرهوه وقد يصارحونه بما صارح به قوم صالح نبيّهم إذ قالوا ﴿قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾.

٤- حرمة الاستجابة لأهل الباطل بأي نوع من الاستجابة، إذ الاستجابة لا تزيد العبد إلا خساراً.

وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ

(١) الاستفهام للنفي أي لا أحد ينصرني.

(٢) اختلف في توجيه قوله عليه السلام فما تزيدونني غير تخسير فمن قائل: غير بصيرة بخسارتكم ومن قائل التخسير لهم لا له عليه السلام وأوجه الأقوال ما في التفسير. وأشكل لفظ زيادة التخسير والخروج منه أنه يعرض بهم فافهمهم أنهم في خسران كقوله تعالى ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ ثم بشركهم يزدادون خسراناً وتخسيراً أعظم.

أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا
لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات:

آية : أي علامة على صدقي فيما جئتكم به من أنه لا إله إلا الله.

فذروها تأكل في أرض الله : أي اتركوها ترعى في المراعي غير المحميّة لآحد،

بسوء : أي كضربها أو قتلها، أو منعها من الماء الذي تشرب منه.

فعقروها : أي قتلوها بالعقر الذي هو قطع قوائمها بالسيف.

تمتعوا في دياركم : أي ابقوا في دياركم تأكلون وتشربون وتتمتعون في الحياة ثلاثة أيام.

وعد غير مكذوب : أي صادق لم أكذبكم فيه ولم يكذبني ربي الذي وعدكم به.

في ديارهم جاثمين : أي ساقطين على ركبهم ووجوههم.

كأن لم يغنوا فيها : أي كأن لم يكونوا بها أمس ولم تعمر بهم يوما.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن صالح وقومه. إنه لما دعاهم صالح إلى توحيد الله تعالى كذبوه وطالبوه بما يدل على صدق مَا دَعَا إليهِ فأجابهم صالح بما أخبر تعالى به في هذه الآية ﴿وياقوم[1] هذه ناقة الله لكم آية﴾ وذلك أنهم سألوا أن يخرج لهم ناقة من جبل أشاروا

---

(١) هذه ناقة الله لكم آية مبتدأ وخبر وآية منصوب على الحال.

إليه فدعا صالح ربّه فاستجاب الله تعالى له وتمخض الجبل عن ناقة عشراء هي عجب في خلقتها وكمالها فقال عندئذ ﴿ياقوم هذه ناقة الله﴾ أضافها إلى الله لأنها كانت بقدرته ومشيئته ﴿لكم آية﴾ أي علامة لكم على صدق ما دعوتكم إليه من عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، فذروها[1] تأكل في أرض الله أي خلّوها تأكل من نبات الأرض من المراعي العامة التي ليست لأحد، ولا تمسوها بسوء كعقرها أو ذبحها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب[2] قد لا يتأخر أكثر من ثلاثة أيام. فكذبوه فعقروها فلما رأى ذلك قال لهم بأمر الله ﴿تمتعوا في داركم[3] ثلاثة أيام﴾ أي عِيشوا فيها. ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾ أي ذلك الوعد وعد صادق غير مكذوب فيه. هذا ما دلت عليه الآيتان (٦٤- ٦٥) وقال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ أي لما اكتملت المدة التي حُددت لهم وجاء أمر الله بعذابهم نجى الله تعالى رسوله صالحاً والمؤمنين برحمة منه أي بلطف ونعمة منه عز وجل وقوله ﴿ومن خزي[4] يومئذ﴾ أي ونجاهم من ذل ذلك اليوم وعذابه، وقوله ﴿إن ربّك قوي عزيز﴾ أي إن ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم قوي إذا بطش عزيز غالب لا يُغلب على أمر يريده. هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (٦٦) وأما الآيتان بعد فقد أخبر تعالى فيهما عن هلاك ثمود بقوله ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة[5] فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ أي إنّ الذين أشركوا بربهم وكذبوا بآياته أخذتهم الصيحة فانخلعت لها قلوبهم فهلكوا وأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم كأن لم يغنوا بديارهم ولم يعمروها قال تعالى ﴿ألا إن ثموداً كفروا ربّهم ألا بعداً لثمود﴾ أي هلاكاً لثمود، وبهذا التنديد والوعيد بعد الهلاك والعذاب المخزي انتهت قصة صالح مع قومه ثمود الذين آثروا الكفر على الإيمان والشرك على التوحيد

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- إعطاء الله تعالى الآيات للمطالبين بها لا يستلزم الإيمان بها.

---

(١) ذروها أمر، وماضيه وذر شاذ وكذا اسم الفاعل فلا يقال وذر فهو واذر، والمستعمل منه المضارع والأمر لا غير. ومعناه ترك وبه استغنى عن وذر.

(٢) أي من يوم قتلها وهو كذلك فلم يتأخر.

(٣) ليتمتع كل واحد منكم في داره عن ثلاثة أيام إذ عقروا الناقة يوم الأربعاء فأصبحوا يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة وأصبحوا يوم الجمعة وهو اليوم الثاني من أيام التمتع في ديارهم ووجوههم محمرة وأصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة وأخذوا صباح الأحد.

(٤) من فضيحته وذلته وقرأ نافع بنصب يومئذ وقرأ غيره بكسرها على الإضافة.

(٥) جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض فخروا على الأرض جاثمين جثوم الطير على الأرض إذا الصقت بطونها بها وسكنت لا تتحرك.

٢ـ آية صالح عليه السلام من أعظم الآيات ولم يؤمن عليها قومه.
٣ـ إقامة ثلاثة أيام لايعد صاحبها مقيما وعليه أن يقصر الصلاة.
٤ـ شؤم الظلم وسوء عاقبة أهله.

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ
سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ
قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ
فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾
قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات:

بالبشري : أي باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب.
فما لبث : أي ما أبطأ.
بعجل حنيذ : أي مشوي على الحجارة.
لا تصل إليه : أي لم يتناولوه فيأكلوا منه.
نكرهم : أي لم يعرفهم.
وأوجس : أي أحس بالخوف وشعر به.
لوط : هو ابن هاران أخي ابراهيم عليه السلام.
ياويلتا : أي ياويلتي احضري هذا أوان حضورك.
وهذا بعلي شيخا : إشارة إلى ابراهيم إذ هو بعلها أي زوجها.
إن هذا لشيء عجيب : أي أمر يتعجب منه استبعاداً له واستغراباً.

معنى الآيات :

هذه بشارة ابراهيم عليه السلام التي بشره الله تعالى بها إذ قال تعالى ﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى[1]﴾ والمراد بالرسل جبريل وميكائيل واسرافيل، إذ دخلوا عليه داره فسلموا عليه فرد عليهم السلام وهو معنى قوله تعالى ﴿قالوا سلاماً[2] فقال سلام﴾ وقوله تعالى ﴿فما لبث أن[3] جاء بعجل حنيذ﴾ أي لم يبطأ حتى جاء[4] بعجل مشوي فحنيذ بمعنى محنوذ وهو المشوي على الحجارة. فقربه إليهم وعرض عليهم الأكل بقوله ﴿ألا تأكلون[5]﴾ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي لم يتناولوه نكرهم بمعنى أنكرهم وأوجس منهم خيفة لأن العادة أن الضيف إذا نزل على أحد فقدم إليه طعاماً فلم يأكل عرف انه ينوي شراً ولما رأت الملائكة ذلك منه قالوا له لا تخف وبينوا له سبب مجيئهم فقالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي لإهلاكهم وتدميرهم بسبب إجرامهم. وكانت امرأته قائمة وراء الستار تخدمهم مع ابراهيم. فلما سمعت بنبأ هلاك قوم لوط ضحكت فرحاً بهلاك أهل الخبث فعندئذ بشرها الله تعالى على لسان الملائكة باسحق ومن بعده يعقوب أي بولد وولد ولد، فلما سمعت البشرى صكت وجهها تعجبا على عادة النساء وقالت ﴿ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى﴾ تشير إلى زوجها ابراهيم ﴿شيخا﴾ أي كبير السن إذ كانت سنه يومئذ مائة سنة وسنها فوق التسعين. ﴿إن هذا لشيء عجيب﴾ أي ولادتي في هذه السن أمر يتعجب منه. قالوا أتعجبين من أمر[6] الله ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ أي بيت ابراهيم، ﴿إنه حميد مجيد﴾ أي محمود بإفضاله وإنعامه عليكم ﴿مجيد﴾ أي ذو مجد وثناء وكرم.

وامرأة ابراهيم المبشرة هي سارة بنت عم إبراهيم عليه السلام، والبشارة هنا لابراهيم وزوجه سارة معاً وهي مزدوجة إذ هي بهلاك الظالمين، وباسحاق ويعقوب.

---

(١) قيل ان البشرى كانت بإسحاق وقيل بإهلاك قوم لوط والظاهر أنها بإسحق.

(٢) سلاماً نصب بوقوع فعل قالوا نحو قال فلان خيراً ويجوز عربيّة الرفع والنصب في قوله تعالى ﴿قالوا سلاماً قال سلام﴾، والرفع يكون على تقدير مبتدأ أي هو سلام، وسلام عليكم وجاز الابتداء بالنكرة لكثرة تكرار هذا اللفظ نظيره لا هم حيث حذفوا الألف واللام لكثرة استعمال اللهم.

(٣) إن هنا بمعنى حتى قاله كبراء النحو أي فما لبث حتى جاءهم.

(٤) في الآية دليل على فضل الضيافة ومشروعيتها والندب إليها إذ هي من خلق البشر وفي الحديث، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه والضيافة ثلاثة أيام.

(٥) ذكر الطبري رحمه الله تعالى أن ابراهيم عليه السلام لما قدم العجل وقال للملائكة ألا تأكلون! قالوا لا نأكل طعاماً إلا بثمن قال كلوه بثمنه قالوا وما ثمنه؟ قال أن تسموا الله في أوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل لاصحابه حق للرجل أن يتخذه ربه خليلا.

(٦) من أمر الله أي قضائه وقدره.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له ولو بالرؤيا الصالحة.

٢ـ مشروعية السلام[1] لمن دخل على غيره أو وقف عليه أو مرّ به ووجوب رد السلام.

٣ـ مشروعية خدمة أهل البيت[2] لضيوفهم ووجوب إكرام الضيف وفي الحديث الصحيح «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

٤ـ شرف أهل بيت ابراهيم عليه السلام.

فَلَمَّا ذَهَبَ

عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ

قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات:

الروع[3]	: الفزع والخوف.
البشرى	: أي الخبر السار المفرح للقلب.
يجادلنا	: أي يخاصمنا.
في قوم لوط	: أي في شأن هلاك قوم لوط، ولوط هو رسول الله لوط بن هاران بن عم ابراهيم.
حليم أواه	: الحليم الذي لا يعامل بالعقوبة والأواه كثير التأوه مما يسيء ويحزن.
أعرض عن هذا	: أي اترك الجدال في قوم لوط.

---

(١) في الآية دليل على أن لفظ السلام ينتهي بكلمة وبركاته.

(٢) في الآية دليل على أن امرأة الرجل تعد من أهل بيته.

(٣) يقال ارتاع يرتاع من كذا إذا خاف قال النابغة.

فارتاع من صوت كلّاب فبات له … طوع الشوامت من خوف ومن ضرر

الشاعر يصف ثوراً وحشياً والكلاب: صاحب الكلاب.

غير مردود : أي لا يستطيع أحد رده لأن الله تعالى قد قضى به فهو واقع لا محالة.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الحديث عن بشارة ابراهيم قال تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أي الفزع والخوف من الملائكة قبل أن يعرفهم وجاءته البشرى بالولد وبهلاك قوم لوط أخذ يجادل الملائكة في شأن هلاك قوم لوط لأجل ما بينهم من المؤمنين فقال إن فيهـا لوطاً فأجابوه بقولهم الذي ذكر تعالى في سورة العنكبوت ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجيّنه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ وقوله تعالى ﴿إن ابراهيم لحليم أواه منيب﴾[1] تعليل لمجادلة ابراهيم الملائكة في قوم لوط، وذلك أن إبراهيم رقيق القلب حليم لا يعامل بالعقوبة فأراد تأخير العذاب عنهم لعلهم يتوبون، وكان أواهاً ضارعا قانتا يكثر من قول آه إذا رأى أو سمع[2] ما يسوء ومنيباً أي توابا رجاعاً إلى ربّه في كل وقت. ولما الحّ ابراهيم في مراجعة الملائكة قالوا له يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال إنه قد جاء[3] أمر ربك أي بهلاك القوم. ﴿وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ أي غير مدفوع من أحد وهو ما سَيُذْكَرُ في السياق بعد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الجدال عمن يُرجى له الخير من الناس، وذلك في غير الحدود الشرعية إذا رفعت إلى الحاكم.

٢ـ فضيلة خلق الحلم.

٣ـ فضل الإنابة إلى الله تعالى.

٤ـ قضاء الله لا يرد أي ما حكم الله به لابد واقع.

---

(١) المنيب: الراجع يقال أناب إذا رجع وابراهيم كان راجعاً إلى ربه في أموره كلها والأواه الكثير لقول أوّه وأواه اسم فعل. نائب مناب اتوجع.

(٢) جائز أن يكون هذا وحياً أوحاه الله تعالى إلى ابراهيم وجائز أن يكون قول الملائكة، وأمر الله قضاؤه بإهلاك قوم لوط.

(٣) في هذا دليل على رحمة ابراهيم القلبية فما أن يرى أو يسمع ما يضر أو يسيء إلاّ أخذ في التأوه والتحسر والتحزن، وقيل اسم ابراهيم مركب من كلمتين: أب رحيم، وظهر هذا في سلوكه ورحمته.

وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات:

سيء بهم : أي حصل له غم وهم بمجيئهم إليه.

وضاق بهم ذرعا[1] : أي عجزت طاقته عن تحمل الأمر.

يوم عصيب : أي شديد لا يحتمل.

يهرعون إليه : أي مدفوعين بدافع الشهوةيمشون مسرعين في غير اتزان.

السيئات : أي كبائر الذنوب بإتيان الذكور.

ولا تخزون في ضيفي : أي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لضيفي.

رجل رشيد : أي ذو رشد وعقل ومعرفة بالأمور وعواقبها.

أو آوي إلى ركن شديد : أي إلى عشيرة قوية تمنعني منكم. ولم تكن له عشيرة لأنه من غير ديارهم.

معنى الآيات:

هذه فاتحة حديث لوط عليه السلام مع الملائكة ثم مع قومه قال تعالى ﴿ولما جاءت

---

(١) أي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه، ويقال ضاق وسعه وطاقته وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوه فإذا عمل عليه أكثر من طوقه ضاق عن ذلك وضعف ومد عنقه فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع.

رسلنا﴾ وهم ضيف إبراهيم عليه السلام ﴿لوطاً سيىء بهم﴾ أي تضايق وحصل له هم وغم خوفا عليهم من مجرمي قومه. وقال هذا يوم عصيب أي شديد لما قد يحدث فيه من تعرض ضيفه للمذلة والمهانة وهو بينهم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧٧) أما الثانية (٧٨) فقد أخبر تعالى عن مجيء قوم لوط إليه وهو في ذلك اليوم الصعب والساعة الحرجة فقال عز وجل ﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾[١] أي مدفوعين بدافع الشهوة البهيمية مسرعين ومن قبل[٢] كانوا يعملون السيئات أي من قبل مجيئهم كانوا يأتون الرجال في أدبارهم فأراد أن يصرفهم عن الضيف فقال ﴿ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم[٣]﴾ أي هؤلاء نساء الأمة هن أطهر لكم فتزوجوهن. واتقوا الله أي خافوا نقمته ولا تخزوني في ضيفي أي لا تهينوني ولا تذلوني فيهم. أليس منكم رجل رشيد؟ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ فأجابوه لعنهم الله قائلين: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق أي من رغبة وحاجة،[٤] وإنك لتعلم ما نريد أي من إتيان الفاحشة في الرجال. وهنا قال لوط عليه السلام: ﴿لو أن لي بكم قوة﴾ أي أنصاراً ينصرونني وأعواناً يعينونني لحلت بينكم وبين ما تشتهون، أو آوي إلى ركن شديد يريد عشيرة قوية يحتمي بها فتحميه وضيفه من قومه المجرمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فضيلة إكرام الضيف وحمايته من كل ما يسوءه.

٢ـ فظاعة العادات السيئة وما تحدثه من تغير في الإنسان.

٣ـ بذل ما يمكن لدفع الشر لوقاية لوط ضيفه ببناته.[٥]

٤ـ أسوأ الحياة أن لا يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٥ـ إظهار الرغبة في القوة لدفع الشر وإبعاد المكروه ممدوح.

---

(١) الاهراع السرعة في المشي مع رعدة. يقال أهرع الرجل إهراعاً إذا أسرع في رعدة من برد أو غضب أو حُمّى فهو مهرع وفعله على صيغة المبني للمجهول دائما لأن أصله من مشى الأسير الذي يسرع به.

(٢) جائز أن يكون من قبل مجيء لوط إليهم، وجائز أن يكون من قبل مجيء الضيف وهم الرسل عليهم السلام.

(٣) أراد نساء الأمة إذ نبي القوم أب لهم شاهده قراءة ابن مسعود، وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم الآية من سورة الأحزاب.

(٤) قيل أنهم كانوا خطبوا بناته ولم يزوجهم بهن إذ سنتهم أن الرجل إذا خطب امرأة ثم لم يعطها لا تحل له بعد ولذا قالوا: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وما في التفسير أوجه.

(٥) هذا بناء على أن المراد من قوله هؤلاء بناتي: إنهن بناته لصلبه لإثبات امته وحتى ولو كان المراد بنات القوم فإن فيه معنى دفع الشر بشر أخف.

قَالُواْ

يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ
مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾
فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا
حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات:

فأسر بأهلك : أي اخرج بهم من البلد ليلا.

بقطع من الليل : أي بجزء وطائفة من الليل.

الصبح : هو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

جعلنا عاليها : أي عالى القرية سافلها.

من سجيل : أي من طين متحجر.

منضود : أي منظم واحدة فوق أخرى بانتظام.

مسومة : أي معلمة بعلامة خاصة.

عند ربك : أي معلمة من عند الله تعالى.

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحديث عن ضيف لوط مع قومه إنه بعد أن اشتد بلوط الخوف وتأسف من عدم القدرة على حماية الضيف الكريم وقال متمنيا لو أنّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد. هنا قالت له الملائكة[(١)] ﴿يالوط إنا رسل ربك إليك لنُنَجِّيَنَّك ونهلك قومك لن

(١) أي بعد أن رأت حزنه واضطرابه.

يصلوا إليك أي بأي سوء أو بأدنى أذى فأسر[1] بأهلك أي فاخرج بهم بقطع من الليل أي بطائفة وجزء من الليل ولا يلتفت[2] منكم أحد كراهة أن يرى ما ينزل بالقوم من العذاب فيصيبه كرب من ذلك إلا امرأتك وهي عجوز السوء فخلفها في القرية وإن خرجت دعها تلتفت فإنهـا مصيبهـا ما أصابهم. وسأل لوطٌ عن موعد نزول العذاب بالقوم فقالوا إن موعـدهم الصبح، وكان لوطُ قد استبطأ الوقت فقالوا له: أليس الصبح بقريب؟ وقوله تعالى: ﴿فلما جآء أمرنا جعلنا عاليها سافلها﴾[3] أي فلما جاء أمر الله بعذاب القوم أمر جبريل عليه السلام فقلبها على أهلها فجعل عالي القرية سافلها، وسافلها عاليها وأمطر الله عليهم حجـارة من سجيل فمن كان خارج القـرية أصابه حجر فأهلكه وقوله تعالى ﴿منضود مسومة﴾ أي مركب بعضها فوق بعض معلمة كل حجر عليها اسم من يرمى به، وقوله ﴿عند ربك﴾ أي معلمة من عند ربك يارسول الله، وما هي من الظالمين ببعيد أي وما تلك القرية الهالكة من الظالمين وهم مشركو العرب ببعيد، أو وما تلك الحجارة التي أهلك بها قوم لوط ببعيد نزولها بالظالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ استحباب السير في الليل لما فيه من البركة بقطع المسافات البعيدة بدون تعب.

٢ـ كراهة التأسف لهلاك الظالمين.

٣ـ مظاهر قدرة الله تعالى في قلب أربع مدن في ساعة فكان الأعلى أسفل والأسفل[4] أعلى.

٤ـ وعيد الظالمين في كل زمان ومكان بأشد العقوبات وأفظعها.

---

(١) فأسر بقطع الهمزة واسر بوصلها قراءتان سبعيتان وقيل يقال أسرى إذا مشى أول الليل، وسرى يسري إذا مشى آخر الليل.

(٢) ألّا ينظر وراءه منكم أحد، أولا يتخلف منكم أحد، أولا يشتغل منكم أحد بما يخلفه من مال أو متاع وما في التفسير أوجه والا امرأتك بالنصب على الاستثناء أي فأسر بأهلك إلا امرأتك فاتركها فإنها من الغابرين أي الهالكين.

(٣) جعلنا عاليها سافلها قيل أن جبريل ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس، سدوم وعامورا ودادوما وضعوه وقتم فرفعها من تخوم الأرض حتى ادناها من السماء بما فيها.

(٤) في الآية بيان عقوبة من عمل عمل قوم لوط وهي الارسال من أعلى جبل ثم الرمي بالحجارة وهذا مذهب أبي حنيفة. وعند الشافعي أن يقتل الفاعل والمفعول به سواء من احصن ومن لم يحصن، وقيل غير المحصن يجلد، وفي الحديث (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به).

۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ
وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

وإلى مدين : أي أرسلنا إلى مدين[1] إلى أهل مدين .

المكيال والميزان : أي إذا بعتم لأحد فلا تنقصوا المكيال والميزان .

عذاب يوم محيط : أي يحيط بكم من جميع جهاتكم فلا ينجو منه أحد منكم .

بالقسط : أي بالعدل أي بالمساواة والتساوي في البيع والشراء على حد سواء .

ولا تبخسوا : أي لا تنقصوهم حقوقهم التي هي لهم عليكم في الكيل والوزن وفي غير ذلك .

ولا تعثوا في الأرض : أي ولا تعثوا في الأرض بالفساد .

بقية الله خير لكم : أي ما يبقى لكم بعد توفية المكيال والميزان خير لكم من الحرام الذي حرم الله عليكم .

وما أنا عليكم بحفيظ : أي رقيب أراقب وزنكم وكيلكم وإنما أنا واعظ لكم وناصح لا غير .

---

(١) مدين أبو القبيلة وهو مدين بن ابراهيم عليهما السلام وكان متزوجاً بإحدى بنات لوط عليه السلام .

معنى الآيات:

هذا بداية قصص شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين قال تعالى ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة مدين أخاهم في النسب شعيباً. ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما[1] لكم من إله غيره﴾ أي وحّدوا الله تعالى ليس لكم إله تعبدونه بحق إلا هو إذ هو ربكم الذي خلقكم ورزقكم ويدبر أمركم. وقوله ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي لا تنقصوا المكيال إذا كلتم لغيركم، والميزان إذا وزنتم لغيركم. وقوله ﴿إني أراكم بخير﴾ أي في رخاء وسعة من الرزق، ﴿واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾[2] إن أصررتم على الشرك والنقص والبخس[3] وهو عذاب يحيط بكم فلا يفلت منكم أحد. وقوله ﴿ياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ أمر بتوفية المكيال والميزان بالعدل بعد أن نهاهم عن النقص تأكيدا لما نهاهم عنه وليعطف عليه نهيا آخر وهو النهي عن بخس الناس أشياءهم إذ قال ﴿ولاتبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي تنقصوهم حقوقهم وما هو لهم بحق من سائر الحقوق. ونهاهم عما هو أعم من ذلك فقال ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي ولا تسعوا في الأرض بالفساد وهو شامل لكل المعاصي والمحرمات. وقوله ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم[4] مؤمنين﴾ أي وما يبقى لكم بعد توفية الناس حقوقهم خير لكم مما تأخذونه بالنقص والبخس لما في الأول من البركة ولما في الثاني من المحق إن كنتم مؤمنين بشرع الله ووعده ووعيده وقوله ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أي بمراقب لكم حين تبيعون وتشترون، ولا بحاسب مُحصرٍ عليكم ظلمكم فأجازيكم به، وإنما أناواعظ لكم ناصح ليس غير.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وحدة دعوة الرسل وهي البداية بتوحيد الله تعالى أولا ثم الأمر والنهي لإكمال الإنسان

---

(١) ناداهم بعنوان القومية، لأنّ القومي عادة لا يخون قومه وأرشدهم إلى ما يلي:
أـ عبادة الله وحده وفيه إصلاح عقائدهم وبصلاح عقائدهم تصلح جميع أمورهم.
ب ـ صلاح أعمالهم في تصرفاتهم في أمور دنياهم.

(٢) جائز أن يكون عذاب إبادة واستئصال وهو ما تم لهم بعد اصرارهم على الشرك والعصيان وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة وهو كائن لا محالة.

(٣) في الحديث: ما أظهر قوم البخس في المكيال والميزان إلا ابتلاهم الله بالقحط والغلاء

(٤) قال مجاهد: بقية الله خير لكم يريد طاعته، وقال الربيع: وصية الله وقال الفراء: مراقبة الله وقال ابن زيد: رحمة الله، وقال ابن عباس: رزق الله خير لكم، وقال الحسن: حظكم من ربكم خير لكم. كل هذا بشرط الإيمان والتوحيد وأرجح هذه الأقوال ما في التفسير.

وإسعاده بعد نجاته من الخسران .
٢ـ حرمة نقص الكيل والوزن أشد حرمة.[1]
٣ـ وجوب الرضا بالحلال وإن قل ، وسخط الحرام وإن كثر .
٤ـ حرمة بخس الناس حقوقهم كأجور العمال ، وأسعار البضائع ونحو ذلك .
٥ـ حرمة السعي بالفساد في الأرض بأي نوع من الفساد وأعظمه تعطيل شرائع الله تعالى .

قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ
مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾
وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

أصلاتك[2] : أي كثرة الصلاة التي تصليها هي التي أثرت على عقلك فأصبحت تأمرنا بما لا ينبغي من ترك عبادة آلهتنا والتصرف في أموالنا .

---

(١) وشاهده من القرآن ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ .

(٢) قُرِىء بالافراد أصلاتك وبالجمع أصلواتك ، والمعنى واحد إذ الافراد اسم جنس شمل كل صلاة له فهو كالجمع .

الحليم الرشيد	: أي ذو الحلم والرشد، والحلم ضد الطيش والرشد ضد السفه ولم يكن قولهم هذا مدحاً له وإنما هو استهزاء به.
أن أخالفكم	: أي لا أريد أن أنهاكم عن الشيء لتتركوه ثم أفعله بعدكم.
إن أريد إلا الإصلاح	: أي ما أريد إلا الإصلاح لكم.
وما توفيقي إلا بالله	: أي وما توفيقي للعمل الإصلاحي والقيام به إلا بفضل الله عليّ
وإليه أنيب	: أي ارجع في أمري كله.
لايجرمنكم شقاقي	: أي لاتكسبنكم مخالفتي أن يحل بكم من العذاب ما حل بقوم نوح والأقوام من بعدهم.
وما قوم لوط منكم ببعيد	: أي في الزمن والمكان إذ بحيرة لوط قريبة من بلاد مدين التي هي بين معان والأردن.
رحيم ودود	: أي رحيم بالمؤمنين ودود محب للمتقين.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الحديث عن شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين إنه لما أمرهم بعبادة الله تعالى وحده ونهاهم نقص الكيل والوزن وبخس الناس أشياءهم والسعي في الأرض بالفساد، إذ كانوا يكسرون الدراهم وينشرونها ويقطعون الطريق. فردوا عليه قوله بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل في[1] أموالنا ما نشاء﴾؟ إنهم بهذا الخطاب ينكرون عليه نهيه لهم عن عبادة الأوثان والأصنام التي كان يعبدها آباؤهم من قبلهم كما ينكرون عليه نهيه لهم عن نقص المكيال والميزان وبخس النـاس أشياءهم وأمره إياهم بالتزام الحق والعدل في ذلك، ينكرون عليه نهيه لهم وأمره إياهم وينسبون ذلك إلى كثرة صلاته فهي التي في نظرهم قد أصابته بضعف العقل وقلة الادراك، وقولهم له ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ إنما هو تهكم[2]

(١) روي أنهم كانوا يحذفون الدراهم أي يقطعونها من أطرافها وهو تصرف فاسد ظالم حملهم عليه حب الدنيا والمال.

(٢) هو كقول خزنة جهنم لأبي جهل: ذق إنك أنت العزيز الكريم وقيل إنهم وصفوه بالحلم والرشد لمعرفتهم بحلمه ورشده ولم يكن تهكماً واستهزاء منهم. وجائز أن يكون هذا وذاك إذ ما بعد الكفر ذنب كما يقال.

واستهزاء منهم لا انهم يعتقدون حلم شعيب ورشده وإن كان في الواقع هو كما قالوا حليم رشيد إذ الحليم هو الذي لا يحمله الغضب أن يفعل مالا يفعله في حال الرضا والرشيد خلاف السفيه الذي لا يحسن التصرف في المال وغيره هذا ما تضمنته الآية الأولى (٨٧) وأما الآيات الثلاث بعدها فقد تضمنت رد شعيب عليه السلام على مقالتهم السابقة إذ قال ﴿ياقوم أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن كنت على بيّنة من ربي﴾ أي على برهان وعلم يقيني بألوهيته ومحابه ومساخطه ووعده لأوليائه ووعيده لأعدائه، ورزقني منه رزقاً حسنا أي حلالا طيبا أخبروني فهل يليق بي أن أتنكر لهذا الحق والخير وأُجَارِيكُمْ على باطلكم. اللهم لا،وشيء آخر وهو أني ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه فإني لا آمركم بتوفية الكيل والوزن وأنقصها ولابترك عبادة الأوثان وأعبدها، ولا أنهاكم عن كسر الدراهم[١] وأكسرها فأكون كمن يأمر بالشيء ولا يفعله، وينهى عن الشيء ويفعله فيستحق اللوم والعتاب ونزع الثقة منه، وعدم اعتباره فلا يؤخذ بقوله ولا يعمل برأيه. وأمر آخر هو أني ما أريد بما أمرتكم به ولا بما نهيتكم عنه إلا الإصلاح لكم ما استطعت ذلك وقدرت عليه. وما توفيقي في ذلك إلا بالله ربّي وربكم عليه توكلت في أمري كله وإليه وحده أنيب أي أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة. ثم ناداهم محذراً إياهم من اللجاج والعناد فقال: وياقوم لا يجـرمنكم أي لا يحملنكم شقـاقي أي خلافي على الاستمـرار في الكفـر والعصيان فيصيبكم عذاب مثل عذاب قوم نوح وهو الغرق أو قوم هود وهو الريح المدمرة أو قوم صالح وهو الصيحة المرجفة ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ في الزمن والمكان وقد علمتم ما حل بهم من دمـار وخـراب. أي لا يحملنكم شقـاقي وعداوتي على أن ينزل بكم العذاب، واستغفروا ربكم مما أنتم عليه من الشرك والمعاصي، ثم توبوا إليه بالطاعة، ﴿إن ربّي رحيم﴾ لا يعذب من تاب إليه ودود[٢] يحب من أناب إليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ التعريض القريب يُعطي حكم القذف الصريح.

٢ـ كراهية إتيان الشيء بعد النهي عنه، وترك الشيء بعد الأمر به والحث عليه.

---

(١) لا خلاف في أن من كسر الدراهم أو بردها ليأخذ منهاقد أفسد. واقترف ما يستوجب العقوبة وهل هي ضرب وتعزير أو قطع يد خلاف وما يراه الحاكم كافياً في الردع اجزأ ولا فرق في الكسر والبرد بين الدنانير والدراهم.

مأخوذ من قول قوم شعيب له: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ وهم يعنون الأحمق السفيه. فمن قال لرجل في حال النزاع أنت الطيب الطاهر فإنه يعرض به بأنه الخبيث الزاني فيحد حد القذف.

٣ـ كراهية اللجاج والعناد لمايمنع من الاعتراف بالحق والالتزام به.
٤ـ وجوب الاستغفار والتوبة من الذنوب
٥ـ وصف الرب تعالى بالرحمة والمودة.

قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ
كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

شرح الكلمات:

ما نفقه : أي ما نفهم بدقة كثيرا من كلامك.

ولولا رهطك : أي أفراد عشيرتك.

وما أنت علينا بعزيز : أي بقوي ممتنع.

ظهرياً[1] : أي لم تأبهوا به ولم تلتفتوا إليه كالشيء الملقى وراء الظهر.

---

(١) الظهري نسبة إلى الظهر على غير قياس وهو منصوب على الحال المؤكدة.

على مكانتكم : أي على ما أنتم عليه من حال التمكن والقدرة.
الصيحة : أي صيحة العذاب التي أخذتهم.
جاثمين : أي على ركبهم.
كأن لم يغنوا فيها : أي كأن لم يقيموا بها يوماً.
ألا بعداً لمدين : أي هلاكاً لمدين قوم شعيب.

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحديث عن شعيب وقومه إنه بعد الحوار الذي دار بين شعيب وقومه يقول ويقولون وكان عليه السلام فصيحاً مؤيداً من الله تعالى فيما يقول فأفحمهم وقطع الحجة عليهم لجأوا إلى أسلوب القوة والتهديد بل والشتم والإهانة وكان هذا منهم إيذاناً بقرب ساعة هلاكهم فقالوا فيما قص تعالى عنهم في هذه الآيات ﴿ياشعيب(١) ما نفقه كثيراً ممـا تقـول﴾ فقد نادوه ليسمع منهم ثم أعلموه أنهم لايفقهون كثيراً من كلامه مع أنه يخاطبهم بلغتهم، ولكنه الصلف والكبرياء فإن صاحبها لا يفهم مايقوله الضعفاء. وقالوا له: وإنا لنراك فينا ضعيفاً وهو احتقار منهم له، وقالوا: ولولا رهطك لرجمناك(٢) أي ولولا وجود جماعة من عشيرتك نحترمهم لرجمناك أي لقتلناك رمياً بالحجارة، وأخيراً وما أنت علينا بعزيز أي بممتنع لو أردناك. وهنا رد شعيب عليه السلام عليهم بقوله فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿قال يا قوم أرهطي(٣) أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ أي غير مبـالين بأمـره ولا نهيه كما جعلتموه وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تسمعون منه ولا تطيعونه، يا ويلكم ﴿إن ربّي بما تعملون محيط﴾ أي علمه فأعمالكم معلومة له لا يخفى منها عليه شيء ولسوف يجزيكم بها عاجلا أو آجلا وقابل تهديدهم له بمثله فقال لهم ﴿وياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي على تمكنكم من عملكم ﴿إني عامل﴾ أي على تمكني من العمل الذي أعمله ﴿سوف تعلمون بعد من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يذله ويهينه ومن هو كاذب منا فيعذب ويخزئ ويذل ويهان أيضا وعليه فارتقبوا يومذاك ﴿ وارتقبوا فإني

---

(١) الاستفهام: انكاري.

(٢) إما أن يكون قولهم هذا استخفافاً وتجاهلاً منهم وإما أن يكون ثقل عليهم فهم البعث الآخر والحساب فيه والجزاء بالجنة والنار.

(٣) رهط الرجل عشيرته وقولهم لرجمناك جائز أن يراد به حقيقته وهو القتل رجماً بالحجارة إذ كانوا يقتلون من أرادوا قتله كذلك، وجائز أن يكون لرجمناك بالقول سباً وشتماً كما قال الشاعر:

تراجمنا بمُر القول حتى   نصير كأننا فرسا رهان

معكم رقيب﴾ منتظر قال تعالى ﴿ولما جاء أمرنا﴾ أي بالعذاب نجّينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ أي بفضل منا ونعمة من عندنا، ﴿وأخذت الذين ظلموا﴾ أي بالشرك والعصيان ﴿الصيحة﴾ أي صيحة العذاب[1] التي ارتجفت لها قلوبهم وانخلعت فبركوا على ركبهم جاثمين هلكي لا يتحركون. قال تعالى في بيان حالهم ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي كأن لم يقيموا في تلك الديار ويعمروها زمنا طويلا. ثم لعنهم فقال: ﴿ألا بعداً لمدين﴾ بعداً لها من الرحمة وهلاكاً، كما بعدت[2] قبلها ثمود وهلكت.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان ما أوتي نبي الله شعيب العربي من فصاحة وبيان حتى قيل فيه خطيب الأنبياء.

٢- اشتداد الأزمات مؤذن بقرب انفراجها.[3]

٣- بيان فساد عقل من يهتم بتنفيذ أوامر الناس ويهمل أوامر الله تعالى ولا يلتفت إليها.

٤- فضل انتظار الفرج من الله تعالى وهو الرجاء المأمور به.

٥- صدق وعد الله رسله وعدم تخلفه أبداً.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾

---

(١) قيل كانت الصيحة صيحة جبريل عليه السلام والله أعلم.

(٢) قرأ السلميّ بعدت بضم العين ووجه بأنه لغة وتستعمل في الخير وفي الشر وأما بعدت بكسر العين فإنها في الشر خاصة يقال بعد يبعد بعداً كفرح يفرح فرحاً إذا أبعد وهلك.

(٣) شاهده من القرآن ﴿إن مع العسر يسرا﴾.

شرح الكلمات:

موسى : هو موسى بن عمران كليم الله ورسوله إلى بني اسرائيل.
بآياتنا : هي التسع الآيات التي ذكر أكثرها في آية الأعراف.
وسلطان مبين : أي بحجة قوية على عدو الله فرعون فهزمه بها.
وملئه : أي أشرف رجال دولة فرعون.
وما أمر فرعون برشيد : أي بذي رشد بل هو السفه كله.
يقدم قومه : أي تقدمهم إلى النار فأوردهم النار.
بئس الورد المورود : أي قبح وساء ورداً يورد النار.
وأتبعوا في هذه لعنة : أي ألحقتهم في دار الدنيا لعنة وهي غرقهم.
بئس الرفد المرفود : أي قبح الرفد الذي هو العطاء المرفود به أي المعطى لهم. والمراد لعنة الدنيا ولعنة الآخرة.

معنى الآيات:

هذه لمحة خاطفة لقصة موسى عليه السلام مع فرعون تضمنتها أربع آيات قصار قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ أي بعد إرسالنا[١] شعيباً إلى أهل مدين أرسلنا موسى بن عمران مصحوباً بآياتنا[٢] الدالة على إرسالنا له وصدق ما يدعوا إليه ويطالب به وسلطان مبين[٣] أي أي وحجة قوية ظاهرة على وجوب توحيد الله تعالى وبطلان أولوهية من عداه كفرعون عليه لعائن الله ﴿إذ قال ما علمت لكم من إله غيري﴾ وقوله تعالى ﴿إلى فرعون وملئه﴾ أرسلناه بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وأشراف جنده وزعماء دولته فأمرهم موسى باتباع الحق وترك الباطل فأبوا واتبعوا أمر فرعون فأضلهم. ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ حتى يهدي إلى الفلاح من اتبعه. قال تعالى ﴿يقدم قومه[٤] يوم القيامة﴾ أي يتقدمهم إلى النار فيوردهم حياضها ﴿وبئس الورد المورود﴾ أي نار جهنم قوله تعالى ﴿واتبعوا في هذه لعنة﴾ أي فرعـون وقومـه لعنوا في الدنيا، ويوم القيامة يلعنون أيضا ﴿فبئس الرفد المرفود[٥]﴾ وهما لعنة الدنيا ولعنة الآخرة، والرفد العون والعطاء والمرفود به هو المعان به والمعطى لمن

(١) تابع الحق عز وجل إرسال الرسل بياناً للمحجة وإقامة للحجة.
(٢) التوراة والمعجزات أيضاً إذ كلاهما آيات.
(٣) هي العصا فإنها أكبر برهان وأعظم حجة وأقوى سلطان.
(٤) يقال قدمه يقدمه إذا تقدمه وأما قدم يقدم فإنه بمعنى أتى وجاء ووفد.
(٥) رفده يرفده رفداً إذا أعانه وأعطاه واسم العطية الرِفد بكسر الراء وسكون الفاء.

يرفد من الناس.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ من كتب الله شقاءه لا يؤمن بالآيات بل يردها ويكذب بها حتى يهلك.

٢ـ قوة الحجج وكثرة البراهين لا تستلزم إذعان الناس وإيمانهم.

٣ـ التحذير من اتباع رؤساء الشر وأئمة الفساد والضلال.

٤ـ ذم موارد الباطل والشر والفساد.

٥ـ شر المعذبين من جمع له بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾

شرح الكلمات:

ذلك : الإشارة إلى قصص الأنبياء الذي تقدم في السورة.

من أنباء القرى : أي أخبار أهل القرى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون.

منها قائم وحصيد : منها مدن بقيت آثارها كمدائن صالح، ومنها مدن لم يبق منها شيء كديار عاد.

التي يدعون : أي يعبدونها بالدعاء وغيره كالذبح لها والنذور والحلف بها.

غير تتبيب : أي تخسير وهلاك.

إذا أخذ القرى	: أي عاقبها بذنوبها.
أليم شديد	: أي موجع شديد الإيجاع.

معنى الآيات:

لما قص تعالى على رسوله في هذه السورة ماقص من أخبار الأمم السابقة خاطبه قائلا ﴿ذلك[1]﴾ أي ما تقدم في السياق ﴿من أنباء القرى﴾ أي أهلها نقصه عليك تقريراً لنبوتك وإثباتاً لرسالتك وتثبيتاً لفؤادك وتسلية لك. وقوله تعالى ﴿منها قائم وحصيد[2]﴾ أي ومن تلك القرى البائدة منها آثار قائمة من جدران وأطلال، ومنها ما هو كالحصيد ليس فيه قائم ولا شاخص لاندراسها وذهاب آثارها. وقوله تعالى ﴿وماظلمناهم﴾ بإهلاكنا إياهم ولكن هم ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي والمجاحدة لآياتنا والمكابرة لرسولنا. وقوله تعالى ﴿فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون . من دون الله من شيء[3]﴾ أي لم تغن عنهم أصنامهم التي اتخذوها آلهة فعبدوها بأنواع العبادات من دعاء ونذر وذبح وتعظيم إذ لم تغن عنهم شيئاً من الإغناء ﴿لما جاء أمر ربك﴾ بعذابهم ﴿وما زادوهم غير تتبيب[4]﴾ أي تخسير ودمار وهلاك. ثم في الآية الأخيرة قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وكذلك أخذ ربك﴾ أي وكذلك الأخذ المذكور أخذ ربك ﴿إذا أخذ القرى﴾ أي العواصم والحواضر بمن فيها والحال[5] أنها ظالمة بالشرك والمعاصي. ﴿إن أخذه أليم شديد﴾ أي ذو وجع شديد لا يطاق فهل يعتبر المشركون والكافرون والظالمون اليوم فيترك المشركون شركهم والكافرون كفرهم والظالمون ظلمهم قبل أن يأخذهم الله كما أخذ من قبلهم؟.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير نبوة محمد ﷺ ونشر رسالته وتسليته بما يقص الله عليه من أنباء السابقين.

(١) ذلك مبتدأ أي ذلك النبأ المتقدم من أنباء القرى ونقصه في محل رفع خبر ورجح أن يكون ذلك خبراً والمبتدأ محذوف تقديره الأمر ذلك.

(٢) شاهده من قول الشاعر:

والناس في قسم المنية بينهم   كالزرع منه قائم وحصيد

(٣) من شيء نكرة في سياق النفي ومؤكده بمن الزائدة فدل هذا على أن آلهتهم لم تدفع عنهم ما أراد الله بهم من الهلاك أدنى شيء.

(٤) شاهده في قول لبيد:

فلقد بليت وكل صاحب جدة   يبلى يعود وذاكم التتبيب

أي التخسير والتباب الهلاك والخسران.

(٥) قوله وهي ظالمة الجملة في محل نصب حال من المفعول.

٢ـ تنزه الله تعالى عن الظلم في إهلاك أهل الشرك والمعاصي.
٣ـ آلهة المشركين لم تغن عنهم عند حلول النقمة بهم شيئا.
٤ـ التنديد بالظلم وسوء عاقبة الظالمين.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي
النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾
فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات:

لآية	: أي علامة على أن الذي عذّب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة.
يوم مشهود	: أي يشهد جميع الخلائق وهو يوم القيامة.
إلا لأجل معدود	: أي أجل الدنيا المعدود الأيام والساعات.
إلا بإذنه	: أي إلا بإذن الله تعالى.
شقي وسعيد	: أي فمن أهل الموقف من هو شقي أزلاً وسيدخل النار، ومنهم سعيد أزلاً وسيدخل الجنة.

زفير وشهيق : أي صوت شديد وهو الزفير وصوت ضعيف وهو الشهيق.
عطاء غير مجذوذ : أي غير مقطوع بل هو دائم أبداً.
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء : أي في شك من بطلان عبادة هؤلاء المشركين.
نصيبهم غير منقوص : ما قدر لهم من خير أو شر رحمة أو عذاب.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي إن في أخذ الله تعالى للأمم الظالمة وتعذيبها بأشد أنواع العذاب آية أي علامة واضحة على أن من عذّب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة فالمؤمنون بلقاء الله تعالى يجدون فيما أخبر تعالى به من إهلاك الأمم الظالمة آية هي عبرة لهم فيواصلون تقواهم لله تعالى حتى يلاقوه وهم به مؤمنون ولأوامره ونواهيه مطيعون. وقوله تعالى ﴿ذلك يوم مجموع[1] له الناس وذلك يوم مشهود﴾ أي ذلك الذي فيه عذاب الآخرة هو يوم القيامة حيث يجمع فيه الناس لفصل القضاء ﴿وذلك يوم مشهود﴾ إذ تشهده الخلائق كلها وقوله تعالى ﴿وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ أي وما يؤخر يوم القيامة إلا لإكمال عمر الدنيا المعدود السنين والأيام بل والساعات. وقوله تعالى ﴿يوم يأتي[2]﴾ أي يوم القيامة ﴿لا تكلّم[3] نفس إلا بإذنه﴾ أي[4] بإذن الله تعالى وقوله ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ أي والناس فيه ما بين شقي وسعيد، وذلك عائد إلى ما كتب لكل إنسان من شقاوة أو سعادة في كتاب المقادير، أولاً، ولما كسبوا من خير وشر ثانياً. وقوله تعالى ﴿فأما الذين شقوا﴾ أي في حكم الله وقضائه ففي النار لهم فيها زفير وهو صوت شديد وشهيق[5] وهو صوت ضعيف والصوتان متلازمان إذ هما كأول النهيق وآخره عند الحمار. وقوله تعالى ﴿خالدين فيها﴾ أي في النار ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ أي مدة دوامهما، وقوله ﴿إلا ما شاء ربك﴾ أن لايخلد فيها وهم أهل التوحيد ممن ماتوا على كبائر الذنوب. وقوله تعالى ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ أي إن ربك أيها الإنسان فعال لمايريد إذا أراد شيئا فعله

---

(١) الجمع أصله لمّ الشتات والمتفرق منه يكون واحداً والجمع حشر الناس يوم القيامة في صعيد فصل القضاء.

(٢) قرىء يوم يأت بدون ياء لأن الياء تحذف إذا كان فيها كسرة.

(٣) لا تكلم الأصل لا تتكلم بتائين وحذفت إحداهما للتخفيف وقرىء يأتي بالياء وهو الأصل والحذف للتخفيف لا غير كقول الرجل لا أدر فيما لا يدري.

(٤) وردت آيات فيها نفي الكلام عن أهل الموقف إلا بإذن الله تعالى وأخرى تثبت ذلك والجمع أن للمحشر مواقف وأحوالا فيؤذن لهم فيها أحياناً ولا يؤذن لهم أحياناً أخرى ولا خلاف في أنه لا يتكلم أحد إلا بإذن الله تعالى له بالكلام.

(٥) اختلف في تحديد معنى كل من الزفير والشهيق وما في التفسير خلاصته وهما أصوات المحزونين والزفير مأخوذ من الزّفر وهو الحمل على الظهر لشدته، والشهيق النفس الطويل مأخوذ من قولهم جبل شاهق طويل.

لا يحال بينه وبين فعله[1]. وقوله ﴿وأما الذين سعدوا﴾ أي حكم الله تعالى بسعادتهم﴾ لما وفقهم الله من الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي ﴿ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض[2] إلا ما شاء ربك﴾إذ إرادة الله مطلقة لا تحد إلا بمشيئته العليا وقوله ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ أي عطاء من ربك لأهل طاعته غير مقطوع أبداً وهذا دليل خلودهم فيها أبدا. وقوله تعالى ﴿فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء﴾ هو خطاب لرسول الله ﷺ ينهاه ربه تعالى أن يشك في بطلان عبادة المشركين أصنامهم فإنهم لا دليل لهم على صحة عبادتها وإنما هم مقلدون لآبائهم يعبدون ما كانوا يعبدون من الأصنام والأوثان ، وقوله تعالى ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ يخبر تعالى انه موفي المشركين ما كتب لهم من خير وشر أو رحمة وعذاب توفية كاملة لا نقص فيها بحال.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فضل وفضيلة الإيمان بالآخرة.

٢ـ حتمية البعث الآخر وأنه لا شك فيه.

٣ـ الشقاوة والسعادة مضى بهما القضاء والقدر قبل وجود الأشقياء والسعداء.

٤ـ عجز كل نفس عن الكلام يوم القيامة حتى يؤذن لها به.

٥ـ إرادة الله مطلقة، لو شاء أن يخرج أهل النار لأخرجهم منها ولو شاء أن يخرج أهل الجنة لأخرجهم إلا أنه حكم بما أخبر به وهو العزيز الحكيم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

---

(١) أي لا يرد قضاؤه ولا يوقف فعله ولا يحال بينه وبين مراده.

(٢) قيل إن هذا تعبير عربي معتاد المقصود منه التأييد كقولهم لا أكلمك ما طلع نجم أو ما نبح كلب وما إلى ذلك وما في التفسير أوجه وهو الذي عليه المحققون.

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

شرح الكلمات:

الكتاب : أي التوراة.

ولولا كلمة سبقت : أي لولا ما جرى به قلم القدر من تأخير الحساب والجزاء إلى يوم القيامة.

لفي شك منه مريب : أي موقع في الريب الذي هو اضطراب النفس وقلقها.

فاستقم كما أمرت : أي على الأمر والنهي كما أمرك ربك بدون تقصير.

ولا تطغوا : أي لا تجاوزوا حدود الله.

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا : أي لاتميلوا إليهم بموادة أو رضا بأعمالهم.

فتمسكم النار : أي تصيبكم ولازم ذلك دخولها.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على الصبر والثبات وهو يبلغ دعـوة الله تعالى ويدعو إلى توحيده مواجها صلف المشركين وعنادهم فيقول له. ﴿ولقـد آتينا موسى الكتاب﴾[١] أي التوراة كما أنزلنا عليك القرآن. فاختلفت اليهود في التوراة فمنهم من آمن بها ومنهم من كفر كما اختلف قومك في القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر إذاً فلا تحزن. وقوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهي تأخير الجزاء على الأعمال في الدنيا إلى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ فنجى المؤمنين وأهلك الكافرين. وقوله تعالى ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾ وإن قومك من مشركي العرب لفي شك من القرآن هل هو وحي الله وكلامه أو هو غير ذلك مريب أي موقع في الريب الذي هو شك مع اضطراب النفس وقلقها وحيرتها وقوله تعالى ﴿وإن كلاّ لما ليوفينهم[٢] ربك

---

(١) ظاهر البيان أن الله تعالى يبتلي رسوله ويخفف عنه ما يجده من ألم من جراء كفر قريش بما جاءها به من الهدى ودين الحق فقال تعالى: ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة فاختلف الناس في ذلك فآمن بعض وكفر بعض واليهود ما زالوا مختلفين في التوراة أي فيما تحمله من أحكام فهذا يحلل وهذا يحرّم.

(٢) قرىء وإن كلا بتخفيف إن وأعمالها على أنها المخففة من الثقيلة وقالوا سمع من يقول إن زيداً لمنطلق وشددها آخرون ونصبوا بها كلاً، وقرأ عاصم وحمزة وابن عامر لما بالتشديد وقرأ نافع وغيره بالتخفيف بناء على أن ما صلة واللام هي لام الابتداء التي تدخل على الخبر واللام الثانية لام القسم وفصل بين اللامين بما كراهية توالي لامين وعلى قراءة تشديد لما فقد خرجوها على أن الأصل لمن ما فأدغمت النون في الميم فصارت لما فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الميم الأولى تخفيفاً فصارت لمّا وتوجيه الكلام وإن جميعهم للاقون جزاء أعمالهم.

أعمالهم﴾ أي وإن كل واحد من العباد مؤمناً كان أو كافراً باراً أو فاجراً ليوفينّه جزاء عمله يوم القيامة ولا ينقصه من عمله شيئا وقوله ﴿إنه بما يعملون خبير﴾ تقرير لما أخبر به من الجزاء العادل إذ العلم بالعمل والخبرة التامة به لابد منهما للتوفية العادلة. وقوله تعالى ﴿فاستقم[1] كما أمرت ومن تاب معك﴾ أي بناء على ذلك فاستقم كما أمرك ربك في كتابه فاعتقد الحق واعمل الصالح واترك الباطل ولا تعمل الطالح أنت ومن معك من المؤمنين ليكون جزاؤكم خير جزاء يوم الحساب والجزاء. وقوله ﴿ولا تطغوا﴾ أي لا تتجاوزوا ما حد لكم في الاعتقاد والقول والعمل وقوله ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ تحذير لهم من الطغيان الذي نهوا عنه، وتهديد لمن طغى فتجاوز منهج الاعتدال المأمور بالتزامه. وقوله تعالى ﴿ولا تركنوا[2] إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ أي لا تميلوا إلى المشركين بمداهنتهم أوالرضا بشركهم فتكونوا مثلهم فتدخلوا النار مثلهم فتمسكم النار كما مستهم، وقوله تعالى ﴿وما لكم من دون الله من[3] أولياء ثم لا تنصرون﴾ أي إن أنتم ركنتم إلى الذين ظلموا بالشرك بربهم فكنتم في النار مثلهم فإنكم لا تجدون من دون الله وليّاً يتولى أمر الدفاع عنكم ليخرجكم من النار ثم لا تنصرون بحال من الأحوال، وهذا التحذير وإن وجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ابتداء فإن المقصود به أمته إذ هي التي يمكنها فعل ذلك أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو معصوم من أقل من الشرك فكيف بالشرك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتخفيف عنه مما يجده من جحود الكافرين.

٢ـ بيان سبب تأخر العذاب في الدنيا، وهو أن الجزاء في الآخرة لا في الدنيا.

٣ـ الجزاء الأخروي حتمي لا يتخلف أبداً إذ به حكم الحق عز وجل.

٤ـ وجوب الاستقامة على دين الله تعالى عقيدة وعبادة وحكماً وأدباً.

---

(١) قال ابن عباس ما نزل على رسول الله ﷺ آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية ولذا قال وقد سأله أبو بكر عن إسراع الشيب اليه شيبتني هود وأخواتها، وليس الرسول وحده مأموراً بالاستقامة بل كل مؤمن ومؤمنة لقوله (ومن تاب معك) فاللهم أعنا على ذلك.

(٢) حقيقة الركون هي الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به قال قتادة معناه لا تودوهم ولا تطيعوهم ولا ترضوا أعمالهم.

(٣) في الآية دليل على وجوب هجران أهل الكفر والمعاصي وأهل البدع والأهواء فإن صحبتهم كفر أوْ مَعصية إذ الصحبة لاتكون إلا عن مودة وقد قال حكيم:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

٥ـ حرمة الغلو وتجاوز ما حد الله تعالى في شرعه.
٦ـ حرمة مداهنة المشركين[1] أو الرضا بهم أو بعملهم، لأن الرضا بالكفر كفر.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾

شرح الكلمات:

وأقم الصلاة : أي صل الصلاة المفروضة.

طرفي النهار : أي الصبح، وهي في الطرف الأول، والظهر والعصر وهما في الطرف الثاني.

وزلفاً من الليل : أي ساعات الليل والمراد صلاة المغرب وصلاة العشاء.

إن الحسنات يذهبن السيئات :أي حسنات الصلوات الخمس يذهبن صغائر الذنوب التي تقع بينهن.

ذلك ذكرى للذاكرين : أي ذلك المذكور من قوله وأقم الصلاة عظة للمتعظين.

المحسنين : أي الذين يحسنون نياتهم وأقوالهم وأعمالهم بالإخلاص فيها لله وأدائها على نحو ما شرع الله وبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

معنى الآيتين:

ما زال السياق الكريم في توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهدايتهم إلى ما فيه كمالهم وسعادتهم فقال تعالى ﴿وأقم الصلاة طرفي[2] النهار وزلفاً من الليل[3]﴾ أقمها في

(١) المداهنة هي أن يتنازل العبد عن دينه لأجل دنياه وهي محرمة والمداراة جائزة وهي أن يتنازل العبد عن دنياه ليحفظ دينه.
(٢) طرف النهار ـ أوله ـ وهو من طلوع الفجر وآخره من العصر إلى غروب الشمس.
(٣) الزلف جمع زلفة كغرفة وغرف وهي الساعة القريبة من أختها والمراد بها صلاة المغرب والعشاء، وهذه الآية إحدى ثلاث آيات ذكرت أوقات الصلوات الخمس. الثانية آية الإسراء ﴿واقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ والثانية آية الروم ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾.

هذه الأوقات الخمس وهي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ومعنى أقمها أدها على الوجه الأكمل لأدائها، فيكون ذلك الاداء حسنات[1] يمحو الله تعالى بها السيئات[2]، وقوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي المأمور به وما يترتب عليه ﴿ذكرى﴾ أي عظة ﴿للذاكرين﴾ أي المتعظين وقوله ﴿واصبر﴾ أي على الطاعات فعلاً وتركاً وعلى أذي المشركين ولا تجزع ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي جزاءهم يوم القيامة، والمحسنون هم الذين يخلصون أعمالهم لله تعالى ويؤدونها على الوجه الأكمل في أدائها فتنتج لهم الحسنات التي يذهب الله بها السيئات.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ـ بيان أوقات الصلوات الخمس إذ طرفي النهار هما الصبح وفيها صلاة الصبح والعشيّ وفيها صلاة الظهر والعصر كما أن زلفاً من الليل هي ساعاته فيها صلاة المغرب والعشاء.

٢ـ بيان سنة الله تعالى في أن الحسنة تمحو السيئة وفي الحديث «الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينها ما لم تغش الكبائر».

٣ـ وجوب الصبر والإحسان وأنهما من أفضل الأعمال.

فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ
فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾
وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۙ

(١) قوله تعا لى ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ جملة تعليلية للأمر بإقام الصلاة وكون الحسنات يذهبن السيئات يتناول أمرين: الأول وهو الظاهر أن الحسنات يمحو الله تعالى بها السيئات وهي الصغائر والثاني أن فعل الحسنات يمنع من فعل السيئات وهو إذهابها.

(٢) روى البخاري عن عبدالله بن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة حرام فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك فنزلت عليه ﴿وأقم الصلاة﴾ الآية فقال الرجل أليَ هذا؟ قال لمن عمل بها من أمتي.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ﴿١١٨﴾

شرح الكلمات :

فلولا : لولا كلمة تفيد الحض على الفعل والحث عليه .

من القرون : أي أهل القرون والقرن مائة سنة .

أولو بقية : أي أصحاب بقيّة أي دين وفضل .

ما أترفوا فيه : أي ما نعموا فيه من طعام وشراب ولباس ومتع .

وكانوا مجرمين : أي لأنفسهم بارتكاب المعاصي ولغيرهم بحملهم على ذلك .

بظلم : أي منه لها بدون ما ذنب اقترفته .

أمة واحدة : أي على دين واحد وهو الإسلام .

ولذلك خلقهم : أي خلقَ أهل الاختلاف للاختلاف وأهل الرحمة للرحمة .

معنى الآيات :

يقـول تعالى لرسوله ﴿فلولا كان من القرون﴾ من قبلكم أيها الرسول والمؤمنون ﴿أولو بقيّة﴾[1] من فهم وعقل وفضل ودين ينهون عن الشرك والتكذيب والمعاصي أي فهلّا كان ذلك إنه لم يكن اللهم إلا قليلا ممن أنجى الله تعالى من اتباع الرسل عند إهلاك أممهم وقوله تعالى ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين[2]﴾ أي لم يكن بينهم أولو بقيّة ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجى الله وما عداهم كانوا ظالمين لأنفسهم بالشـرك والمعـاصي متبعين ما اتـرفـوا فيه من ملاذ الحياة الدنيا وبذلك كانوا مجرمين فأهلكهم الله تعالى ونجى رسله والمؤمنين كما تقدم ذكره في قصة نوح وهود وصالح وشعيب

(١) أصحاب بقية والبقية أهل فضل ودين وصلاح يوجدون كبقية باقية في وسط أمة ضالة فاسدة غلب عليها الضلال والفساد فتوجد بقية صالحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

(٢) أترفوا أي أترفهم الله بما وسع عليهم من الأرزاق ولم يشكروه هؤلاء المترفون اتبعوا ما أترفوا فيه وانقطعوا إليه فلا هم لهم إلا متاع الحياة الدنيا، وبذلك أجرموا على أنفسهم وعقولهم فأصبحوا بذلك مجرمين، في الآية ذم الترف إن اتبعه صاحبه وانقطع به عن طاعة الله ورسوله.

عليهم السلام. وقوله تعالى ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾[1] أي لم يكن من شأن ربّك أيها الرسول أن يهلك القرى بظلم منه وأهلها مصلحون، ولكن يهلكهم بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك والتكذيب والمعاصي. وما تضمنته هذه الآية هو بيان لسنة الله تعالى في إهلاك الأمم السابقة ممن قص تعالى أنباءهم في هذه السورة. وقوله تعالى ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾[2] أي على الإسلام بأن خلق الهداية في قلوبهم وصرف عنهم الموانع. ولما لم يشأ ذلك لا يزالون مختلفين على أديان شتى من يهوديةونصرانية ومجوسية وأهل الدين الواحد يختلفون إلى طوائف ومذاهب مختلفة. وقوله ﴿إلا من رحم ربك﴾[3] أيها الرسول فإنهم لا يختلفون بل يؤمنون بالله ورسوله ويعملون بطاعتهما فلا فرقة ولا خلاف بينهم دينهم واحد وأمرهم واحد. وقوله ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي وعلى ذلك خلقهم فمنهم كافر ومنهم مؤمن، والكافر شقي والمؤمن سعيد، وقوله ﴿وتمت كلمة﴾ أي حقت ووجبت وهي ﴿لأملأنّ جهنم[4] من الجِنة والناس[5] أجمعين﴾ ولذا كان اختلافهم مُهيّئاً لهم لدخول جهنم حيث قضى الله تعالى بامتلاء جهنم من الجن والإنس أجمعين فهو أمر لابد كائن.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ ما يزال الناس بخير ما وجد بينهم أولو الفضل والخير يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن الفسادوالشر.

٢ـ الترف كثيرا ما يقود إلى الاجرام على النفس باتباع الشهوات وترك الصالحات.

٣ـ متى كان أهل القرى صالحين فهم آمنون من كل المخاوف.

٤ـ الاتفاق رحمة والخلاف عذاب.

---

(١) في الآية إشارة إلى مصداق مثل سائر بين الناس وهو قولهم يدوم الكفر ولا يدوم الظلم. فالأمة إذا كان افرادها مصلحين لا يفسدون ولا يرضون الفساد ولا يقرونه فتطول حياتها ويعظم شأنها ولو كانت كافرة.

(٢) في الآية تقرير مشيئة الله تعالى التي لا يقع في الكون شيء إلا بها فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم على ملة الإسلام أو ملة الكفر أمة واحدة ولكن حكمته اقتضت اختلاف الناس لتتجلى في ذلك قدرته ورحمته وعدله وعفوه ومغفرته.

(٣) اجتماع الأمة وعدم اختلافها مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى واختلافها مظهر من مظاهر عذابها وشقائها وحرمانها.

(٤) جملة لأملأن جهنم تفسير للكلمة التي أتمها الله تعالى وهي قوله ﴿لأملأن جهنم..﴾.

(٥) أي من الفريقين فمن تبعيضية فيدخل بعض الجن والإنس الجنة ويدخل بعض الجن والإنس النار.

وَكُلًّا نَّقُصُّ

عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ
ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ
فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

شرح الكلمات :

وكلاّ نقص : أي وكل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك تثبيتاً لفؤادك .

ما نثبت به فؤادك : أي نقص عليك من القصص ما نثبت به قلبك لتصبر على دعوتنا وتبليغها .

وجاءك في هذه الحق : أي في هذه السورة الحق الثابت من الله تعالى كما جاءك في غيرها .

وموعظة وذكرى : أي وجاءك فيها موعظة وذكرى للمؤمنين إذ هم المنتفعون بها .

ولله غيب السموات والأرض : أي ما غاب علمه فيهما فالله يعلمه وحده وليس لغيره فيه علم .

فاعبده : أي وَحِّدْهُ في العباده ولا تشرك به شيئا .

وتوكل عليه : أي فوض أمرك إليه وثق تمام الثقة فيه فإنه يكفيك .

معنى الآيات :

لما قص تعالى على رسوله في هذه السورة الشريفة ما قصه من أنباء الرسل مع أممهم مبيّناً ما لاقت الرسل من أفراد أممهم من تكذيب وعناد ومجاحدة وكيف صبرت الرسل

حتى جاءها النصر أخبر تعالى رسوله بقوله ﴿وكلاًّ[1] نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ أي ونقص عليك كل ما تحتاج إليه في تدعيم موقفك وقوة عزيمتك من أنباء الرسل أي من اخبارها مع أممها الشيء الذي نثبت به قلبك حتى تواصل دعوتك وتبلغ رسالتك. وقوله ﴿وجاءك في هذه﴾ أي السورة الحق[2] من الأخبار كما جاءك في غيرها ﴿وموعظة﴾[3] لك تعظ بها غيرك، ﴿وذكرى﴾ يتذكر بها المؤمنون فيثبتون على الحق ويصبرون على الطاعة والبلاء فلا يجزعوا ولا يملوا، وقوله ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون﴾ أي وقل يارسولنا للذين لا يؤمنون من قومك ممن هم مصرون على التكذيب والشرك والعصيان اعملوا على حالكم وما أنتم متمكنون منه إنا عاملون على حالنا كذلك،

وانتظروا أيّنا ينتصر في النهاية أو ينكسر. وقوله ولله غيب[4] السموات والأرض فهو وحده يعلم متى يجيء النصر ومتى تحق الهزيمة. وإليه يرجع الأمر كله أمر الانتصار والانكسار كأمر الهداية والاضلال والإسعاد والاشقاء، وعليه فاعبده يارسولنا وحده وتوكل[5] عليه وحده، فإنه كافيك كل ما يهمك من الدنيا والآخرة، وما ربك بغافل عما تعملون أيها الناس وسيجزي كلاّ بما عمل من خَيْرٍ أو غيرٍ وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان فائدة القصص القرآني وهي أمور منها:

أ) تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم

ب) إيجاد مواعظ وعبر للمؤمنين.

جـ) تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢ـ علم الغيب لله وحده لا يعلمه غيره.

٣ـ مرد الأمور كلها لله بدءاً وعوداً ونهاية.

---

(١) نصب كلاً بفعل نقص أي نقص عليك كلا والتنوين عوض عن كلمة محذوفة تقديرها كل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل.

(٢) لاشتمالها على خمس قصص. قصة نوح وقصة هود وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب، مع الإشارة إلى قصتي ابراهيم وموسى عليهما السلام.

(٣) الموعظة اسم مصدر الوعظ وهي التذكير بما يصرف العبد عما يضره ويسيء إليه في سائر المحرمات فعلا وتركاً.

(٤) أي له علمه وحده دون سواه أي غيره لا في السماء ولا في الأرض.

(٥) أي ثق فيه وفوض أمر نصرك إليه ولا تلتفت إلى غيره فإنه كافيك دون سواه.

٤ ـ وجوب عبادة الله تعالى والتوكل عليه[1] .

سُورَةُ يُوسُفَ
مكيـة

وآياتها مائة واحدى عشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ
بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

آلر : تكتب آلر وتقرأ : ألف ، لام ، را ، والله أعلم بمراده بذلك .

الكتاب المبين : أي القرآن المظهر للحق في الاعتقادات والعبادات والشرائع .

قرآنا عربيا : أي بلغه العرب العدنانيّون والقحطانيون سواء .

نحن نقص : نحدثك متتبعين آثار الحديث على وجهه الذي كان عليه وتم به .

بما أوحينا : أي بإيحائنا إليك فالوحي هو أداة القصص .

من قبله : أي من قبل نزوله عليك .

لمن الغافلين : أي من قبل إيحائنا إليك غافلا عنه لا تذكره ولا تعلم منه شيئاً .

---

(١) إذ لاجلها خلق الخلق كله ، قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الآية وفي الحديث القدسي : يا ابن آدم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي . إذاً فعِلّةُ الحياة كلها أن يعبد الله تعالى .

معنى الآيات :

إن المناسبة بين سورتي هود ويوسف عليهما السلام أن الثانية تتميم للقصص الذي اشتملت عليه الأولى إذ سورة يوسف اشتملت على أطول قصص في القرآن الكريم أوله ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ رابع آية وآخره ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾ الآية الثانية بعد المائة وأما سبب نزول هذه السورة فقد قيل للرسول(١) صلى الله عليه وسلم لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى ﴿ألر تلك ءايات الكتاب المبين﴾ إلى قوله ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾ فقص أحداث أربعين سنة تقريباً، فقوله تعالى ﴿ألر﴾ من هذه الحروف المقطعة تألّفت آيات القرآن الكريم، فأشار إليها بقوله ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ أي المبيّن للحق المُظهر له ولكل ما الناس في حاجة إليه مما يصلح دينهم ودنياهم. وقوله تعالى ﴿إنا أنزلناه﴾ أي القرآن ﴿قرآنا عربياً(٢)﴾ أي بلسان العرب ليفهموه ويعقلوا معانيه فيهتدوا عليه فيكملوا ويسعدوا. وقوله ﴿لعلكم تعقلون(٣)﴾ أي ليمكنكم فهمه ومعرفة ما جاء فيه من الهدى والنور. وقوله تعالى ﴿نحن نقص عليك﴾ يارسول الله ﴿أحسن القصص(٤)﴾ أي أصحه وأصدقه وأنفعه وأجمله ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ أي بواسطة إيحائنا إليك هذا القرآن، ﴿وإن كنت من قبله﴾ أي من قبل إيحائه إليك ﴿لمن الغافلين﴾ عنه لا تذكره ولا تعلمه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير اعجاز القرآن إذ هو مؤلف من مثل ألر، وطسّ، وقّ، ومع هذا لم يستطع العرب أن يأتوا بسورة مثله.

٢- بيان الحكمة في نزول القرآن باللغة العربية وهي أن يعقله العرب ليبلغوه إلى غيرهم.

---

(١) روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: قالوا يا رسول الله ﷺ: لو قصصت علينا فنزلت: نحن نقص عليك أحسن القصص الآية.

(٢) قرآناً عربياً حال من الضمير في أنزلناه وعربياً صفة له فلم يكن على نهج الاشعار- و القصص التي تقص وإنما هو كتاب منظم يقرأ ويحفظ ويعلم ما فيه ويعمل به لسعادة الدارين.

(٣) أي جعلناه قرآنا عربياً بلغتكم التي تتخاطبون بها وتفهمون أساليبها الكلامية ومعانيها الإفرادية والتركيبية رجاء أن تتمكنوا من فهمه ومعرفة ما يدعو إليه من الحق والصراط المستقيم.

(٤) القصص منقول من قص الأثر إذا تتبع آثار الأقدم ليعرف منتهى سير صاحبها فالقصص تتبع الأخبار للمعرفة والعظة والاعتبار.

٣ـ القرآن الكريم اشتمل على أحسن القصص فلا معنى لسماع[1] قصص غيره.
٤ـ تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإثباتها بأقوى برهان عقليّ واعظم دليل نقليّ.

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

لأبيه	: أي يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام.
إني رأيت	: أي في منامي.
أحد عشر كوكبا	: أي من كواكب السماء.
ساجدين	: أي نزل الكل من السماء وسجدوا ليوسف وهو طفل.
فيكيدوا لك	: أي يحتالوا عليك بما يضرك.
عدو مبين	: أي بين العداوة ظاهرها.
يجتبيك ربك	: أي يصطفيك له لتكون من عباده المخلصين.
من تأويل الأحاديث	: أي تعبير الرؤيا.
ويتم نعمته عليك	أي بأن ينبّئك ويرسلك رسولاً.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إذ قال يوسف﴾[2] هذا بداية القصص أي اذكر أيها الرسول إذ قال يوسف بن

(١) روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال: فغضب وقال أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني.
(٢) إذ ظرف في محل نصب والعامل فيه اذكر أي اذكر لهم حين قال يوسف الخ.

يعقوب لأبيه يعقوب ﴿ياأبتِ﴾[1] أي يا أبي ﴿إني رأيت أحد عشر كوكبا﴾ أي من كواكب السماء ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾[2] أي نزلوا من السماء وسجدوا له تحيّة وتعظيما. وسيظهر تأويل هذه الرؤيا بعد أربعين سنة حيث يجمع الله شمله بأبويه وإخوته الأحد عشر ويَسجدُ الكل له تحيّة وتعظيما. وقوله تعالى ﴿قال يا بنيّ﴾ أي قال يعقوب لولده يوسف ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾[3] وهم إخوة له من أبيه دون أمه ﴿فيكيدوا لك كيداً﴾ أي يحملهم الحسد على أن يكيدوك بما يضرك بطاعتهم للشيطان حين يغريهم بك ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ إذ أخرج آدم وحواء من الجنة بتزيينه لهما الأكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها. وقوله ﴿وكذلك يجتبيك ربّك﴾ وكما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر ساجدين لك يجتبيك أي يصطفيك له لتكون من عباده المخلصين.

وقوله ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ أي ويعلمك معرفة ما يؤول إليه أحاديث الناس ورؤياهم[4] المنامية، ويتم نعمته عليك بالنبوة وعلى آل يعقوب أي أولاده. ﴿كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق﴾ اسحق جد يوسف الأدنى وابراهيم جده الأعلى حيث أنعم عليهما بانعامات كبيرة أعظمهاالنبوة والرسالة، وقوله تعالى﴿إن ربك عليم﴾أي بخلقه ﴿حكيم﴾أي في تدبيرهفيضع كل شيء في موضعه فيكرم من هو أهل للاكرام، ويحرم من هو أهل للحرمان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ ثبوت الرؤيا شرعاً ومشروعية تعبيرها[5].

(١) في يا أبت لغات كسر التاء وفتحها وضمها، والأصل يا أبي فزيدت التاء عوضاً عن الياء فلذا لا يجمع بينهما فلا يقال يا أبتي.

(٢) ساجدين جمع ساجد وهو للعاقل، والشمس والقمر والنجوم من غير العقلاء. فلم ما قال ساجدة؟ والجواب لما كان السجود وهو طاعة لا يصدر إلا من عاقل ذكر الفعل فقال ساجدين

(٣) الرؤيا ما يراه المرء في منامه من أمور وأحوال، وهي ثلاثة أنواع لقوله ﷺ الرؤيا ثلاثة منها أهاويل الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهتم به في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وقال ﷺ الرؤيا من الله والحلم من الشيطان.

(٤) قيل لمالك أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: بالنبوة تلعب؟ لا يعبر الرؤيا الا من يحسنها فإن رأى خيراً أخبر بها وإن رأى [illegible]

(٥) روى البخاري عن أبي قتادة أنه قال كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول الرؤيا [illegible]

٢ـ قد تتأخر الرؤيا فلا يظهر مصداقها إلا بعد السنين العديدة.
٣ـ مشروعية الحذر والأخذ بالحيطة في الأمور الهامة.
٤ـ بيان إفضال الله على آل ابراهيم بما أنعم عليهم فجعلهم أنبياء آباء وأبناء وأحفاداً

۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ
يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ
بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ
وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات:

آيات للسائلين(١) : عبر للسائلين عن أخبارهم وما كان لهم من أحوال غريبة.

ونحن عصبة : أي جماعة إذ هم أحد عشر رجلا.

أو اطرحوه أرضا : أي ألقوه في أرض بعيدة لا يعثر عليه.

يخل لكم وجه أبيكم : أي من النظر إلى يوسف فيقبل عليكم ولا يلتفت إلى غيركم.

في غيابة الجب : أي ظلمة البئر.

بعض السيارة : أي المسافرين السائرين في الأرض.

معنى الآيات:

ما زال السياق في قصة يوسف عليه السلام قال تعالى ﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ أي

(١) الآيات: الدلائل على ما تُطلبُ معرفتهُ من الأمور الخفية ذات الشأن وهي مأخوذة من آيات الطريق وهي علامات توضع على جنبات الطريق ترشد السائرين.

في شأن يوسف وإخوته وما جرى لهم وما تم من أحداث جسام عبر وعظات للسائلين[1] عن ذلك المتطلعين إلى معرفته. ﴿إذ قالوا﴾ أي إخوة يوسف ﴿ليوسف وأخوه﴾ بنيامين وهو شقيقه[2] دونهم ﴿أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾ أي جماعة فكيف يفضل[3] الاثنين على الجماعة ﴿إن أبانا﴾ أي يعقوب عليه السلام ﴿لفي ضلال مبين﴾ أي في خطإ بيّن بإيثاره يوسف وأخاه بالمحبة دوننا. وقوله ﴿اقتلوا يوسف[4] أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم﴾ يخبر تعالى عما قاله إخوة يوسف وهم في خلوتهم يتآمرون على أخيهم للتخلص منه فقالوا ﴿اقتلوا يوسف﴾ بإزهاق روحه، ﴿أو اطرحوه﴾ في أرض بعيدة ألقوه فيها فيهلك وتتخلصوا منه بدون قتل منكم، وبذلك ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ حيث كان مشغولا بالنظر إلى يوسف، ويحبكم وتحبونه وتتوبوا إلى الله من ذنب إبعاد يوسف عن أبيه، وتكونوا بعد ذلك قوماً صالحين حيث لم يبق ما يورثكم ذنباً أو يكسبكم إثماً. وقوله تعالى ﴿قال قائل منهم﴾ يخبر تعالى عن قيل إخوة يوسف لبعضهم البعض وهم يتشاورون في شأن يوسف وكيف يبعدونه عن أبيهم ورضاه عنهم قال قائل منهم هو يهودا أو روبيل وكان أخاه وابن خالته وكان أكبرهم سنا وأرجحهم عقلا قال: لا تقتلوا يوسف، لأن القتل جريمة لا تطاق ولا ينبغي ارتكابها بحال، والقوه في غيابة الجب[5] أي في ظلمة البئر، وهي بئر معروفة في ديارهم بأرض فلسطين يلتقطه[6] بعض السيارة من المسافرين إن كنتم فاعلين شيئا إزاء أخيكم فهذا أفضل السبل لذلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- الميل إلى أحد الأبناء بالحب يورث العداوة بين الإخوة.

---

(١) السائلون: من يتوقع منهم السؤال عن المواعظ والعبر، والحكم والعرب يستعملون هذا في أساليبهم للتشويق قال السموءل:

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم   فليسوا سواء عالم وجهول

(٢) أمهما يقال لها راحيل بنت لابان وباقي الأخوة منهم الأشقاء لبعضهم ومنهم لأب إذا لم تكن أمهم واحدة.

(٣) نظرتهم هذه مادية بحتة إذ رأوا أن نفع الجماعة لأبيهم أكثر من نفع الواحد والاثنين وهو ما فَضَلَ يوسفَ للمادة ولكن للكمال الروحي المهيأ له الدال عليه رؤياه.. والعصبة الجماعة ولا واحد لها من لفظها.

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأن سائلا قال فماذا قالوا في تآمرهم وتشاورهم فأجيب قالوا أقتلوا الخ..

(٥) غيابة الجب والجمع غيابات وهي ما غاب عن البصر من شيء والمراد هنا قعر الجب وسمي الجب جباً لأنه مقطوع من الأرض ويجمع على جباب وجيبة.

(٦) في الآية دليل على مشروعية التقاط اللقطة وقد أذن فيها رسول الله ﷺ ولم يأذن في ضالة الإبل إذ قال في اللقطة. اعرف عقاصها (وعاءها) ووكاءها ثم عرّفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها. وقال في ضالة الغنم هي لك أولأخيك أو للذئب وقال في الإبل مالك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها.

٢ـ الحسد[١] سبب لكثير من الكوارث البشرية .
٣ـ ارتكاب أخف الضررين قاعدة شرعية عمل بها الأولون .
٤ـ الشفقة والمحبة في الشقيق أكبر منها في الأخ للأب .

قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

لناصحون : لمشفقون عليه نحب له الخير كما نحبه لأنفسنا .
يرتع ويلعب[٢] : أي يأكل ويشرب ويلعب بالمسابقة والمناضلة .
إني ليحزنني : أي يوقعني في الحزن الذي هو ألم النفس أي ذهابكم به .
الذئب : حيوان مفترس خداع شرس .
ونحن عصبة : أي جماعة قوية .
لخاسرون : أي ضعفاء عاجزون عرضة للخسران بفقدنا أخانا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة يوسف إنهم بعد ائتمارهم واتفاقهم السري على إلقاء يوسف في غيابة الجب طلبوا من أبيهم أن يترك يوسف يخرج معهم إلى البر كعادتهم للنزهة والتنفه

---

(١) شاهدها حسد إبليس آدم فكانت كارثة الهبوط في الأرض والفتنة فيها وآخر حسد قابيل هابيل فقتله لذلك وثالث حسد اليهود للإسلام والمسلمين فجرّ حروباً وويلات لا حد لها على الإسلام والمسلمين.

(٢) قرأ نافع يرتعِ بكسر العين مجزوم في جواب الطلب بحذف الياء من ارتعى يرتعي الغنم ليتدرب بذلك وقرأها حفص بإسكان العين جزماً من رتع يرتع في المكان إذا أكل كيف شاء قال الشاعر

ترتع ما غفلت حتى إذا اذكرت فإنما هي اقبال وادبار

وكأنهم لاحظوا عدم ثقة أبيهم فيهم فقالوا له ﴿مالك لا تأمنا[1] على يوسف وإنا له لناصحون﴾ أي محبون له كل خير مشفقون عليه أن يمسه أدنى سوء. ﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ أي يرتع في البادية يأكل الفواكه ويشرب الألبان ويأكل اللحوم ويلعب بما نلعب به من السباق والمناضلة، والمصارعة، ﴿وإنا له لحافظون﴾ من كل ما قد يضره أو يُسيءُ إليه. فأجابهم عليه السلام قائلا ﴿إني ليحزنني[2] أن تذهبوا به﴾ أي إنه ليوقعني في الحزن وآلامه ذهابكم به. ﴿وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ في رتعكم ولعبكم. فأجابوه قائلين ﴿والله لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون﴾ أي لا خير في وجودنا ما دمنا نُغلب على أخينا فيأكله الذئب بيننا. ومع الأسف فقد اقنعوا بهذا الخديث والدهم وغداً سيذهبون بيوسف لتنفيذ مؤامرتهم الدنية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير قاعدة: لا حذر مع القدر أي لا حذر ينفع[3] في ردّ المقدور.

٢ـ صدق المؤمن يحمله على تصديق من يحلف له ويؤكد كلامه.

٣ـ جواز الحزن وأنه لا إثم فيه وفي الحديث «وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

٤ـ أكل الذئب[4] للإنسان إن أصاب منه غفلة واقع وكثير أيضا.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ

---

(١) قرئت لا تأمنا بالإدغام وبدون إشمام وقرئت بالادغام مع الإشمام وقرئت لا تأمننا بنونين ظاهرتين وقرئت لا تمنّا بكسر التاء لغة تميم.

(٢) أي يشق على مفارقته مدة ذهابكم به وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة ومخائل الكمال.

(٣) وينفع في ما لم يقدر بإذن الله تعالى.

(٤) الذئب مأخوذ من تذاءبت الريح إذا جاءت من كل وجه والذئب مهموز لأنه يجيء من كل وجه. وقرأ ورش عن نافع الذيب بدون همز لأن الهمزة ساكنة وقبلهما كسرة فحذفت تخفيفاً.

بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات:

وأجمعوا : أي أمرهم على إلقائه في غيابة الجب.

في غيابة الجب : أي في ظلمة البئر.

وأوحينا إليه : أي أعلمناه بطريق خفي سريع.

عشاء : أي بعد غروب الشمس أول الليل.

نستبق : أي بالمناضلة.

عند متاعنا : أي أمتعتنا من ثياب وغيرها.

وما أنت بمؤمن لنا : أي بمصدّق لنا.

بدم كذب : أي بدم مكذوب أي دم سخلة وليس دم يوسف.

بل سولت لكم : أي زينت وحسنت.

على ما تصفون : أيْ من الكذب.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الإخبار عما عزم عليه إخوة يوسف أن يفعلوه فقد أقنعوا والدهم يوم أمس علىٰ إرسال يوسف معهم إلى البر وها هم أولاء وقد أخذوه معهم وخرجوا به، وما إن بعدوابه حتى تغيّرت وجوههم عليه وصار يتلقى الكلمات النابية والوكز والضرب أحيانا، وقد أجمعوا أمرهم على إلقائه في بئر معلومة لهم في الصحراء، ونفذوا مؤامرتهم وألقوا أخاهم وهو يبكي بأعلى صوته وقد انتزعوا منه قميصه وتركوه مكتوفا في قعر البئر. وهنا أوحى الله تعالى إليه أي أعلمه بما شاء من وسائط العلم انه سينبئهم في يوم من الأيام بعملهم الشنيع هذا وهو معنى قوله تعالى في السياق ﴿وأوحينا[1] إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ وبعد أن فرغوا من أخيهم ذبحوا سخلة ولطخوا بدمها قميصه، وعادوا

(١) هذا دليل على نبوته وأنه نبيء وهو صغير إذ النبوة لا يشترط لها بلوغ الرشد كالرسالة. وقيل الهاء في إليه تعود إلى يعقوب وعليه فلا إشكال إذ هو نبي ورسول عليه السلام.

إلى أبيهم مساء يبكون يحملون الفاجعة إلى أبيهم الشيخ الكبير قال تعالى ﴿وجاءوا أباهم عشاء﴾ أي ليلا ﴿يبكون﴾[1] وقالوا معتذرين ﴿ياأبانا إنا ذهبنا نستبق[2] وتركنا يوسف عند متاعنا[3] فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ وقد دلت عباراتهم على كذبهم قال تعالى ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب[4]﴾ أي ذي كذب أو مكذوب إذ هو دم سخلة ذبحوها فأكلوها ولطخوا ببعض دمها قميص يوسف أخيهم ونظر يعقوب إلى القميص وهو ملطخ بالدم الكذب ولم يكن به خرق ولا تمزيق فقال إن هذا الذئب لحليم إذ أكل يوسف ولم يخرق ثوبه. ثم قال ما أخبر تعالى عنه بقوله ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ أي لم يكن الأمر كما وصفتم وادعيتم وإنما سولت لكم أنفسكم أمرا فنفذتموه. ﴿فصبر جميل[5]﴾ أي فأمري صبر جميل والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى معه. ﴿والله المستعان[6] على ما تصفون﴾ أي من الكذب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- جواز صدور الذنب الكبير من الرجل المؤمن المهيء للكمال مستقبلا[7].

٢- لطف الله تعالى بيوسف وإكرامه له بإعلامه إياه أنه سينبىء إخوته بفعلتهم هذه وضمن ذلك بشره بسلامة الحال وحسن المآل.

٣- اختيار الليل للاعتذار دون النهار لأن العين تستحي من العين كما يقال. وكما قيل «كيف يرجو الحياء منه صديق... ومكان الحياء منه خراب. يريد عينيه لا تبصران.

٤- فضيلة الصبر الجميل وهو الخالي من الجزع والشكوى معاً.

---

(١) في الآية دليل على أن بكاء المرء لا يكون دليلا على صدق قوله لاحتمال أن يكون تصنعاً كما حصل لأولاد يعقوب.

(٢) هو المسابقة وقيل ننتضل وهو نوع من المسابقة وهو في السهام لا في الأقدام وفي الآية دليل على مشروعية السباق وقد سابق النبي ﷺ بين الخيل التي أضمرت من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، والحفياء تبعد من ثنية الوداع ستة أميال أو سبعة، أجمع المسلمون أنه لا يجوز الرهان في السباق إلا في الخيل والإبل والنصل وهي الرماية بالسهام لإصابة الهدف.

(٣) أي ثيابنا وأمتعتنا.

(٤) استدل الفقهاء بهذه الآية في إعمال الامارات في مسائل من الفقه كالقسامة وغيرها إذ يعقوب عليه السلام استدل على كذب بنيه بصحة القميص وعدم تمزقه بأنياب الذئب.

(٥) فصبر جميل أولى به فصبر جميل مبتدأ وأولى به الخبر وهو محذوف وما في التفسير واضح كذلك.

(٦) والله مبتدأ والمستعان خبر وعلى ما تصفون متعلق به، والمعنى والله المستعان به على احتمال ما تصفون من الكذب.

(٧) لأن إخوة يوسف بعد فعلتهم تلك بأخيهم تاب الله عليهم ونجاهم ومن ألطافه بهم أنه حال بينهم وبين جريمة القتل ونجا يوسف وهم يعلمون.

وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ
وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ
دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ وَقَالَ
ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢

شرح الكلمات:

سيارة : رُفْقَة من الناس تسير مع بعضها بعضا.

واردهم : أي الذي يرد لهم الماء.

فأدلى دلوه : أي دلى دلوه في البئر.

وأسروه بضاعة : أي أخفوه كبضاعة من البضائع.

وشروه بثمن بخس : أي باعوه بثمن ناقص.

وقال الذي اشتراه : أي الرجلالذي اشتراه واسمه قطفير ولقبه العزيز.

اكرمي مثواه : أي أكرمي موضع إقامته بمعنى اكرميه وأحسني إليه.

أو نتخذه ولدا : أي نتبناه فقال ذلك لأنه لم يكن يولد له.

من تأويل الأحاديث : أي تعبير الرؤيا.

ولما بلغ أشده : أي قوته البدنية والعقلية.

حكما وعلما : أي حكمة ومعرفة أي حكمة في التدبير ومعرفة فيالدين.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وإخوته إنه لما ألقى يوسف في الجب وترك هناك جاءت قافلة من بلاد مدين تريد مصر فأرسلوا وارداً لهم[١] يستقي لهم الماء فأدلى دلوه في البئر فتعلق به يوسف فخرج معه وما إن رآه المدلي حتى صاح قائلا يا بشراي[٢] هذا غلام وكان إخوة يوسف يترددون على البئر يتعرفون على مصير أخيهم فلما رأوه بأيدي الوارد ورفقائه قالوا لهم هذا عبد لنا أبق، وإن رأيتم شراءه بعناه لكم فقالوا ذاك الذي نريد فباعوه لهم بثمن ناقص وأسره[٣] الذين اشتروا أي أخفوه عن رجال القافلة حتى لا يطالبوهم بالاشتراك فيه معهم، وقالوا هذه بضاعة كلفنا أصحاب الماء بإيصالها إلى صاحبها بمصر. هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام وأسروه بضاعة﴾ ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾.

وكونها معدودة غير موزونة دال على قلتها ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ أي إخوته لا الذين اشتروه.[٤] ولما وصلوا به مصر باعوه من وزير يقال له قطفير العزيز فتفرس فيه الخير فقال لامرأته زليخا أكرمي مقامه بيننا رجاء أن ينفعنا في الخدمة أو نبيعه بثمن غال، أو نتخذه ولداً حيث نحن لا يولد لنا. هذا معنى قوله تعالى ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ قال تعالى. ﴿وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض﴾ أي وكما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه العزيز مكّنا له في الأرض فيما بعد فصار ملك مصر بما فيها يحكمها ويسوسها بالعدل والرحمة. وقوله تعالى ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ أي ولنعلمه[٥] تعبير الرؤا من أحاديث الناس وما يقصونه منه. وقوله تعالى ﴿والله غالب على أمره﴾[٦] أي على أمر يوسف فلم يقدر إخوته أن يبلغوا منه مرادهم

---

(١) الوارد الذي يرد الماء يستقي للقوم.

(٢) قرأ ورش بُشْرَايَ، وقرأ حفص بُشْرَى.

(٣) اختلف فيمن أسروا يوسف بضاعة. فقيل إنهم اخوة يوسف وقيل هم التجار الذين اشتروه وقيل هم الوارد وأصحابه وذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنهم إخوة يوسف لما استخرج الوارد يوسف أدركهم إخوته وقالوا لهم هذا عبدنا أبق وإن شئتم بعناكموه فقالوا نود ذلك فباعوهم إياه كبضاعة لأنّ العبد يباع ويشترى كالبضاعة وما في التفسير وهو اختيار ابن جرير أصوب والله أعلم.

(٤) لفظ الزاهدين وصف للذين باعوا يوسف ومن هنا قيل هم إخوة يوسف وقيل الواردة وقيل السيارة فالخلاف عائد إلى الأول حيث اختلف فيمن أسروا يوسف بضاعة. واستدل مالك بالآية على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير ويكون البيع لازماً.

(٥) قال القرطبي: أي فعلنا ذلك تصديقاً لقول يعقوب ويعلمك من تأويل الأحاديث.

(٦) اختلف في عود الضمير في قوله (على أمره) هل هو عائد إلى الله تعالى فهو الغالب على أمره دون سواه، إذ لا يغلب الله شيء بل هو الغالب على أمره وقيل الضمير يعود إلى يوسف أي أن الله غالب على أمر يوسف يدبره ويحوطه ولا يكله إلى غيره.

كما هو تعالى غالب على كل أمر أراده فلا يحول بينه وبين مراده أحد وكيف وهو العزيز الحكيم. وقوله ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ إذ لو علموا لفوضوا أمرهم إليه وتوكلوا عليه ولم يحاولوا معصيته بالخروج عن طاعته. وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يجد من أقربائه من أذى إذ يوسف ناله الأذى من إخوته الذين هم أقرب الناس إليه بعد والديه. وقوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلما[1] وكذلك نجزي المحسنين﴾ أي ولما بلغ يوسف اكتمال قوته البدنية بتجاوز سن الصبا إلى سن الشباب وقوته العقلية بتجاوزه سن الشباب إلى سن الكهولة آتيناه حكماً وعلما أي حكمة وهي الإصابة في الأمور وعلما وهو الفقه في الدين، وكما آتينا يوسف الحكمة والعلم نجزي المحسنين[2] طاعتنا بالصبر والصدق وحسن التوكل وفي هذا بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن العاقبة وأن الله تعالى سينصره على أعدائه ويمكن له منهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ جواز الفرح بما يسر[3] والإعلان عنه.

٢ـ جواز الاحتياط لأمر الدين والدنيا.

٣ـ اطلاق لفظ الشراء على البيع.

٤ـ نسخ التبنّي في الإسلام.

٥ـ معرفة تعبير الرؤا كرامة لمن علّمه الله ذلك.

٦ـ من غالب الله غُلِبَ.

٧ـ بلوغ الأشد يبتدى بانتهاء الصبا والدخول في البلوغ.

٨ـ حسن الجزاء مشروط بحسن القصد والعمل.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا

(١) أي وليناه حكم مصر فصار الحاكم فيها وآتيناه النبوة والعقل والفهم والعلم بالدين.

(٢) هذا الجزاء عام في كل مؤمن أحسن فبقدر إحسان العبد يكون جزاء الرب له فالخطاب يتناول يوسف ومحمداً ﷺ ويتناول غيرهما لأن القرآن كتاب هداية فعمومه لا يخصص بالواحد والاثنين.

(٣) مأخوذ من قول الوارد. يا بشرى هذا غلام.

لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا
ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ
قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

راودته	: أي طالبته لحاجتها تريد أن ينزل عن إرادته لإرادتها وهو يأبى .
التي هو في بينها	: أي زليخا امرأة العزيز.
وغلّقت الأبواب	: أغلقتها بالمغّاليق .
هيت لك	: أي تعال عندي .
معاذ الله	: أي أعوذ بالله أي أتحصن وأحتمي به من فعل مالا يجوز.
أحسن مثواي	: أي إقامتي في بيته .
همت به	: أي لتبطش به ضربا ,
وهم بها	: أي ليدفع صولتها عليه .
برهان ربّه	: ألهمه ربّه أن الخير في عدم ضربها .
السوء والفحشاء	: السوء ما يسوء وهو ضربها ، والفحشاء الخصلة القبيحة .
المخلصين	: أي الذين استخلصناهم لولايتنا وطاعتنا ومحبتنا .
وقدت قميصه	: أي قطعته من وراء .
وألفيا سيدها	: أي وَجَدَا العزيز زوجها وكانوا يطلقون على الزوج لفظ السيد لأنه يملك المرأة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وما جرى له من أحداث في بيت العزيز الذي اشتراه إنه ما إن أوصى العزيز امرأته بإكرام يوسف حتى بادرت إلى ذلك فأحسنت طعـامـه وشرابه ولباسه وفراشه، ونظراً إلى ما تجلبه الخلوة بين الرجل والمرأة من إثارة

الغريزة الجنسية لا سيما إذا طالت المدة، وأمن الخوف وقلت التقوى حتى راودته بالفعل عن نفسه أي طلبت منه نفسه ليواقعها بعد أن اتخذت الأسباب المؤمّنة حيث غلّقت أبواب الحجرة والبهو والحديقة، وقالت تعال إليّ. وكان رد يوسف على طلبها حازماً قاطعا للطمع وهذا هو المطلوب في مثل هذا الموقف قال تعالى مخبراً عما جرى في القصر حيث لا يعلم أحدٌ من الناس ما جرى وما تم فيه من أحداث. ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت[١] الأبواب وقالت هيت[٢] لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾. إنها بعد أن اتخذت كل ما يلزم للحصول على رغبتها منه أجابها قائلا ﴿إنه ربي[٣] أحسن مثواي﴾ يريد العزيز أحسن إقامتي فكيف أخونه في أهله. وفي نفس الوقت أن سيده الحق الله جل جلاله قد أحسن مثواه بما سخّر له فكيف يخونه فيما حرم عليه. وقوله إنه لا يفلح الظالمون تعليل ثان فالظالم بوَضْعِ الشيء في غير موضعه يخيب في سعيه ويخسر في دنياه وأُخراه فكيف أرضىٰ لنفسي ولك بذلك وقوله تعالى ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه[٤]﴾ أي همت بضربه لامتناعه عن إجابتها لطلبها بعد مراودات طالت مدتها، وهم هو بها أي بضربها دفعاً لها عن نفسه إلا إنه أراه الله برهاناً في نفسه فلم يضربها وآثر الفرار إلى خارج البيت، ولحقته تجري وراءه لترده خشية أن يعلم أحد بما صنعت معه. واستبقا الباب هو يريد الخروج وهي تريد رده إلى البيت خشية الفضيحة وأخذته من قميصه فقدته أى شقته من دُبر أي من وراء لأنه أمامها وهي وراءه. وقوله تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء[٥]﴾ أي هكذا نصرف عن يوسف السوء فلا يفعله والفحشاء فلا يقربها، وعلل لذلك بقوله إنه من عبادنا المخلصين أي الذين استخلصناهم لعبادتنا ومحبتنا فلا نرضى لهم أن يتلوثوا بآثار الذنوب والمعاصي. وقوله تعالى ﴿وألفيا سيّدها[٦] لدى الباب﴾ أي ووجدا زوجها عند الباب جالساً في حال هروبه منها

(١) أي أحكمت إغلاقها متحققة من ذلك وقد قيل إنها سبعة أبواب يقال غلق الباب وأغلقه وإذا أريد الكثرة قيل غلّق الأبواب.

(٢) أي هلم وأقبل وتعال ولا مصدر له ولا تصريف. كأنه اسم فعل أمر بمعنى اقبل وتعال وفيه سبع قراءات أفصحها وأجلها هَيْتَ لك بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء ونظيرها هيت بكسر الهاء وفتح التاء وهي قراءة نافع وروي أن عكرمة قال إنها لغة عربية تدعو بها إلى نفسها. قال الجوهري يقال هوّت وهيّت به إذا صاح به ودعاه. قال الشاعر:

قد رابني أن الكرىَ أسكتا لو كان معنيا بها لهيّتا

(أي لصاح)، وقال آخر: يحدو بها كل فتى هيّاتِ

(٣) يعني بقوله ربي زوجها أي سيده.

(٤) جواب لولا محذوف لعلم السامع به وتقديره لضربها أو لكان ما كان.

(٥) السوء هو ضرب وقدم في الذكر عن الفحشاء لأنه الحادث الأخير وأما الفحشاء فكانت قبل.

(٦) في عرف لغتهم إطلاق السيد على الزوج.

وهي تجري وراءه حتى انتهيا إلى الباب وإذا بالعزيز جالس عنده فخافت المعرة على نفسهـا فبـادرت بالاعتذار قائلة ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أي يوما أو يومين، أو عذاب أليم يكون جزاءاًله كأن يضرب ضرباً مبرحا.

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات:

وشهد شاهد من أهلها : أي ابن عمها.

قُدَّ من قُبل : أي من قدام.

قدَّ من دبُر : أي من وراء أي من خلف.

إنه من كيدكن : أي قولها، ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً.

يوسف أعرض عن هذا : أي عن هذا الأمر ولا تذكره لكيلا يشيع.

من الخاطئين : المرتكبين للخطايا الآثمين.

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحديث عن يوسف وأحداث القصة فقد ادعت زليخا أن يوسف راودها عن نفسها وطالبت بعقوبته فقالت ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ وهنا رد يوسف ما قذفته به، ولولا أنها قذفته ما أخبر عن مراودتها إياه فقال ما أخبر تعالى به في هذه الآيات ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ وهنا انطق الله جل جلاله طفلاً رضيعاً (١)

(١) وقيل إنه كان رجلاً حكيماً ذا عقل كان الوزير يستشيره في أموره وكان من أهل المرأة ورجح هذا غير واحد وما في التفسير أصحّ لصحة الحديث الشريف: تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم.

إكراما لعبده وصفيّه يوسف فقال هذا الطفل والذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد يوسف ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ هذا ما قضى به الشاهد الصغير. ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر قال﴾. ﴿إنه﴾ أي قولها ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ ﴿من كيدكن﴾[1] أي من صنيع النساء ﴿إن كيدكن عظيم﴾، ثم قال ليوسف[2] يا يوسف ﴿أعرض عن هذا﴾ الأمر ولا تذكره لأحد لكيلا يفشو فيضر. وقال لزليخا ﴿استغفري لذنبك﴾ أي اطلبي العفو من زوجك ليصفح عنك ولا يؤاخذك بما فرط منك من ذنب إنك كنت من الخاطئين أي الآثمين من الناس هذا ما تضمنته الآيات الأربع في هذا السياق الكريم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الدفاع عن النفس ولو بما يُسيُّ إلى الخصم.

٢ـ إكرام الله تعالى لأوليائه حيث أنطق طفلا في المهد فحكم ببراءة يوسف.

٣ـ تقرير أن كيد النساء عظيم وهو كذلك.

٤ـ استحباب الستر على المسيء وكراهية إشاعة الذنوب بين الناس.

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا

(١) الكيد: المكر والاحتيال وقال إن كيدكن عظيم، لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من الورطة.
(٢) القائل هو الشاهد وقيل الزوج، والراجح حسب السياق والعادة أنه الشاهد الذي أصبح حكما بينهما.

مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ
إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات:

في المدينة : أي عاصمة مصر يومئذ.

تراود فتاها : أي عبدها الكنعاني.

قد شغفها حبا : أي دخل حبّه شغاف قلبها أي أحاط بقلبها فتملكه عليها.

إنا لنراها في ضلال مبين : أي في خطأ بيّن بسبب حبها إياه.

فلما سمعت بمكرهن : أي بما تحدثن به عنها في غيبتها.

وأعتدت لهن متكئا : أي وأعدت لهن فراشا ووسائد للاتكاء عليها.

أكبرنه : أي أعظمنه في نفوسهن.

فذلك الذي لمتنني فيه : أي قلتن كيف تحب عبداً كنعانياً.

فاستعصم : أي امتنع مستمسكا بعفته وطهارته.

الصاغرين : الذليلين المهانين.

أصب إليهن : أمل إليهن.

وأكن من الجاهلين : أي المذنبين إذ لا يذنب إلا من جهل قدرة الله واطلاعه عليه.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في قصة يوسف إنه بعد الحكم الذي أصدره شاهد يوسف عليه السلام انتقل الخبر إلى نساء بعض الوزراء فاجتمعن في بيت إحداهن وتحدثن بما هو لوم لامرأة العزيز حيث راودت عبداً لها كنعانياً عن نفسه وهو ما أخبر تعالى عنه في الآيات الآتية قال تعالى ﴿وقال نسوة[1] في المدينة﴾ أي عاصمة مصر يومئذ ﴿امرأة العزيز تراود

(١) نسوة بكسر النون وضمها والجمع الكثير نساء ولا واحدة من لفظه إذ مفرد النسوة امرأة من غير لفظه.

فتـاها﴾ [1] أي عبدها ﴿عن نفسه قد شغفها حبا﴾ أي قد بلغ حبها إياه شغاف قلبها أي غشاءه[2]. ﴿إنا لنراها﴾ أي نظنها ﴿في ضلال مبين﴾ أي خطأ واضح : إذ كيف تحب عبداً وهي من هي في شرفها وعلوّ مكانتها. قوله تعالى ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾[3] أي ما تحدثن به في غيبتهـا ﴿أرسلت إليهنّ[4] وأعتـدت لهن[5] متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا﴾ أي فقابلت مكرهن بمكر أعظم منه فأعدت لهن حفلة طعام وشراب فلما أخذن في الأكل يقـطعن بالسكـاكين الفواكه كالأترج وغيره أمرته أن يخرج عليهن ليرينه فيعجبن برؤيته فيذهلن عن أنفسهن ويقطعن[6] أيديهن بدل الفاكهة التي يقطعنها للأكل وبذلك تكون قد دفعت عن نفسها المعرة والملامة، وهذا ما جاء في قوله تعالى ﴿وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله[7] ما هذا بشرا﴾ أي إنسان من الناس. ﴿إن هذا إلا ملك﴾ أي ما هذا إلا ملك ﴿كـريم﴾ وذلك لجماله وما وهبه الله تعالى من حسن وجمال في خلقه وخلقه. وهنا قالت ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ أي هذا هو الفتي الجميل الذي لمتنني في حبه ومراودته عن نفسه ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي راودته فعلا وامتنع عن إجابتي. ﴿ولئن لم يفعل ما آمره﴾ أي به مما أريده منـه ﴿ليسجنن وليكـونا من الصاغرين﴾ أي الذليلين المهانين. وهكذا اسمعته تهديدها أمام النسوة المعجبات به. ومن هنا فزع يوسف إلى ربّه ليخلصه من مكر هذه المرأة وكيدها فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿قال ربِّ السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه﴾ أي يارب فلذا عد كلامه هذا سؤالاً لربه ودعاء السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه من الإثم، ﴿وإلاّ تصـرف عني كيدهن﴾ أي كيد النسـوة ﴿أصب إليهن﴾ أي أَمِلْ إليهن ﴿وأكن﴾ أي بفعل ذلك ﴿من الجاهلين﴾ أي الآثمين بارتكاب معصيتك.

---

(١) ﴿فتاها﴾ نسب إليها وهو لزوجها باعتبار أنه يخـدمها بملك زوجهـــا لـه فصحّ نسبته إليها، وقيل: إن زوجها وهبه إيّاها كما وهبت سارة هاجر لإبراهيم عليه السلام.

(٢) شغـاف القلب: غلافـه، وهو: جلدة عليه، وقرىء: شعفها بالعين المهملة أي: أحرق حبّه قلبها، يقال: ؛ شعفه الحب: إذا أحرق قلبه.

(٣) وجه مكرهن: أنهن لما سمعن بجمال يوسف وحسنه، رغبن في النظر إليه فاحتلن لذلك بالحديث عن زليخا وانتقادها في حبها لخادمها.

(٤) في الكلام حذف تقديره: فأرسلت إليهن تدعوهنّ إلىٰ وليمة لتوقعن فيما وقعت فيه. أعتدت: هذا من العتاد وهو ما جعل عدّة لشيء ومنه العتاد الحربي وهو ما أعدّ للحرب من أنواع السلاح.

(٥) أصل: ﴿متكأ﴾ موتكأ، حذفت منه الواو كمتزن من وزنت، ومتّعدً من وعدت وقرىء: متكاً غير مهموز وهو الأترج وأمّا مهموزا فهو: كل ما اتكىء عليه عند الجلوس.

(٦) قال مجاهد: ليس قطعاً تبينُ به اليد، وإنما خدش وحزر وهو معروف في كلام العرب، يقال قطع يده إذا جرحها.

(٧) قرىء: ﴿حاش لله﴾ و﴿حاشا لله﴾، وفيه أربع لغات، ويقال: حاشا زيد. وحاشا زيداً، ومعناه هنا: معاذ الله.

وهذا ما لا أريده وهو ما فررت منه ﴿فاستجاب له ربه﴾ أي أجابه في دعائه وصرف عنه كيدهن إنه تعالى هو السميع لأقوال عباده ودُعَاءِ عبده وصفيه يوسف العليم بأحوال وأعمال عباده ومنهم عبده يوسف. ولذا استجاب له فطمأنه وأذهب الألم ألم الخوف من نفسه، وله الحمد والمنة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان طبيعة الإنسان في حب الاطلاع وتتبع الأخبار.

٢ـ رغبة الإنسان في الثأر لكرامته، وما يحميه من دم أو مال أو عرض.

٣ـ ضعف النساء أمام الرجال، وعدم قدرتهن على التحمل كالرجال.

٤ـ إيثار يوسف عليه السلام السجن على معصية الله تعالى وهذه مظاهر الصديقية.

٥ـ الجهل بالله تعالى وبأسمائه وصفاته ووعده ووعيده وشرعه هو سبب كل الجرائم في الأرض.

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ
رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا
بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ
مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات:

ثم بدا لهم : أي ظهر لهم.

الآيات : أي الدلائل على براءة يوسف.

أعصر خمرا : أي أعصر عنباً ليكون خمرا.

واتبعت ملة : أي دين.

ما كان لنا : أي ما انبغى لنا ولا صح منّا.

أن نشرك بالله من شيء : أي أن أشرك بالله شيئا من الشرك وإن قل ولا من الشركاء وإن عظموا أو حقروا.

ذلك من فضل الله علينا : أي ذلك التوحيد والدين الحق.

وعلى الناس : إذ جاءتهم الرسل به ولكنهم ما شكروا فلم يتبعوا.

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحديث عن يوسف عليه السلام وما حدث له بعد ظهور براءته من تهمة امرأة العزيز قال تعالى ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ أي ثم ظهر للعزيز ومن معه من بعد ما رأوا الدلائل الواضحة على براءة يوسف وذلك كقدّ القميص من دُبر ونطق الطفل وحكمه في القضية بقوله ﴿إن كان قميصه﴾ الخ وهي أدلة كافية في براءة يوسف إلا أنهم رأوا سجنه إلى حين[1] ما، أي ريثما تسكن النفوس وتنسى الحادثة ولم يبق لها ذكر بين الناس. وقوله تعالى ﴿ودخل معه السجن[2] فتيان﴾ أي فقرروا سجنه وادخلوه السجن ودخل معه فتيان أي خادمان كانا يخدمان ملك البلاد بتهمة[3] وجهت إليهما. وقوله تعالى ﴿قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ وكان هذا الطلب منهما بعد أن أعجبا بسلوكه مع أهل السجن وحسن معاملته وسألاه عن معارفه فأجابهم

---

(١) ذُكر للحين آماد مختلفة: فقد قيل: ستة أشهر، وقيل: ثلاثة عشر شهراً وقيل: تسع سنين، وما في التفسير أصح تلك الأقوال.

(٢) رضي بالسجن ولم يرض ارتكاب الفاحشة لعصمة الله تعالى له، ومن هنا قال العلماء: لو أكره مؤمن على الفاحشة أو السجن لتعيّن عليه أن يدخل السجن ولا يرتكب الفاحشة.

(٣) هذه التهمة هي: تآمرهما على قتل الملك بوضع سمّ في طعامه أو شرابه، وفعلاً كان الطاهي قد وضع سماً في الطعام وأعطى حيواناً فمات لفوره، ومن ثمّ أدخلا السجن معاً نظراً للحكم عليهما.

بأنه يعرف تعبير الرؤيا فعندئذ قالا هيا نجربه فندعي[1] أنا رأينا كذا وكذا وسألاه فأجابهما بما أخبر تعالى به في هذه الآيات: ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل[2] أن يأتيكما﴾ واللفظ محتمل لما يأتيهما في المنام أو اليقظة وهو لما علّمه الله تعالى يخبرهما به قبل وصوله إليهما وبما يؤول إليه. وعلل لهما مبيّناً سبب علمه هذا بقوله ﴿ذلكما مما علّمني ربّي إني[3] تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة كافرون﴾ وهم الكنعانيون والمصريون إذ كانوا مشركين يعبدون الشمس وغيرها، تركت ملة الكفر واتبعت ملة الإيمان بالله واليوم الآخر ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب، ثم واصل حديثه معهما دعوة لهما إلى الإيمان بالله والدخول في الإسلام فقال ﴿ما كان لنا﴾ أي ما ينبغي لنا أن نشرك بالله من شيء فنؤمن به ونَعْبُدُه معه، ثم أخبرهما أن هذا لم يكن باجتهاد منهم ولا باحتيال، وإنما هو من فضل الله تعالى عليهم، فقال ذلك من فضل الله علينا،[4] وعلى الناس إذ خلقهم ورزقهم وكلأهم ودعاهم إلى الهدى وبيّنه لهم ولكن أكثر الناس لا يشكرون[5] فهم لا يؤمنون ولا يعبدون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ دخول يوسف السجن بداية أحداث ظاهرها محرق وباطنها مشرق.

٢ـ دخول السجن ليس دائما دليلا على أنه بيت المجرمين والمنحرفين إذ دخله صفيُّ الله تعالى يوسف عليه السلام.

٣ـ تعبير الرؤى تابع لصفاء الروح وقوة الفراسة وهي في يوسف علم لدني خاص.

٤ـ استغلال المناسبات للدعوة إلى الله تعالى كما استغلها يوسف عليه السلام.

٥ـ وجوب البراءة من الشرك وأهله.

٦ـ اطلاق لفظ الآباء على الجدود إذ كل واحد هو أب لمن بعده.

---

(١) روي أنه قال لهما: فما رأيتما؟ فقال الخباز: رأيت كأنّي اختبزت في ثلاثة تنانير وجعلته في ثلاث سلال فوضعته على رأسي فجاء الطير فأكل منهن، وقال الآخر رأيت كأني أخذت ثلاثة عناقيد من عنب أبيض فعصرتهن في ثلاث أوانٍ، ثمّ صفيته فسقيت الملك كعادتي فيما مضى هذا معنى قوله: ﴿إني أراني أعصر خمرا﴾.

(٢) أي: بتفسيره في اليقظة، فقالا له: هذا من فعل العرّافين والكهنة فردّ عليهما قائلا: ﴿ذلكما مما علّمني ربّي﴾.

(٣) لمّا ردّ عليهما بقوله: ﴿ذلكما مما علمني ربّي﴾ علّل له بقوله: ﴿إني تركت ملّة قوم..﴾

(٤) إذ جعلنا أنبيّاء ورسلا ندعوا الناس إلى عبادة ربهم، وتوحيده فيها ليكملوا عليها ويسعدوا في الدارين.

(٥) أي: لا يعرفون نعمة الله تعالى عليهم بإرسال الرسل إليهم مبشرين ومنذرين فلذا هم لا يعبدون الله ولا يوحدونه فيها.

يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
(٣٩) مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٤٠) يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي
ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ
(٤٢)

شرح الكلمات :

يا صاحبي السجن : أي يا صاحبي في السجن وهما الفتيان صاحب طعام الملك وصاحب شرابه .

أأرباب متفرقون : أي آلهة متفرقون هنا وهناك أي في ذواتهم وصفاتهم وأماكنهم

من دونه : أي من دون الله سبحانه وتعالى .

إلا أسماء : أي مجرد اسم إله ، وإلا في الحقيقة هو ليس بإله إنما هو صنم .

ما أنزل الله بها من سلطان : أي لم يأمر الله تعالى بعبادتها بأي نوع من أنواع العبادة .

فيسقي ربه خمرا : أي يسقي سيده الذي هو ملك البلاد شراب الخمر.

فيصلب : يقتل مصلوباً على خشبة كما هي عادة القتل عندهم.
قضي الأمر : أي فرغ منه وبتّ فيه.
ظن انه ناج منهما : أي أيقن إنه محكوم ببراءته.
أذكرني عند ربك : أي أذكرني عند الملك بأني مسجون ظلما بدون جريمة.
فأنساه الشيطان ذكر ربه : أي أنسى الشيطان يوسف ذكر ربّه تعالى.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وهو في السجن لقد سبق أن استعبر الفتيان يوسف رؤياهما أي طلبا منه أن يعبرها لهما لما علما منه أنه يعبر الرؤى غير أن يوسف استغل الفرصة وأخذ يحدثهما عن أسباب علمه بتعبير الرؤى وأنه تركه لملّة الكفر وإيمانه بالله تعالى وحده وأنه في ذلك متّبع ملة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب، وانه لا ينبغي لهم أن يشركوا بالله وفي هذا تعريض بما عليه أهل السجن من الشرك بالله تعالى بعبادة الأصنام، وواصل حديثه داعياً إلى الله تعالى فقال ما أخبر به تعالى في هذا السياق ﴿يا صاحبيِ[1] السجن آرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ فخاطب صاحبيه يا صاحبي السجن أخبراني واصدقاني: آرباب أي آلهة متفرقون هنا وهناك، هذا صنم وهذا كوكب، وهذا إنسان، وهذا حيوان، وهذا لونه كذا وهذا لونه كذا خير أم الله الواحد في ذاته وصفاته القهار لكل ما عداه من سائر المخلوقات، ولم يكن لهم من جواب سوى ﴿الله الواحد القهار﴾[2] إن العقل يقضي بهذا. ثم خاطب أهل السجن كافة فقال ﴿ما تعبدون من دونه﴾ أي من دون الله الواحد القهار ﴿إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ إنها مجرد أسماء لا غير إذ كونكم تطلقون لفظ إله أو رب على صنم أو كوكب مرسوم له صورة لا يكون بذلك ربّاً وإلهاً إن الرب هو الخالق الرازق المدبر أما المخلوق المرزوق الذي لا يملك نفعا ولا ضراً لنفسه فضلاً عن غيره فإطلاق الربّ والإله عليه كذب وزور، إنّها أسماء ما أنزل الله بها من[3] سلطان حجة ولا برهاناً فتعبد لذلك بحكم أن الله أمر بعبادتها. ثم قال لهم ﴿إن الحكم إلا لله﴾ أي ما الحكم إلا لله، وقد حكم بأن لا يعبد إلا هو، إذاً فكل عبادة لغيره

---

(١) أطلق لفظ الصحبة لطول مكثهما في السجن كقوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة﴾ وأصحاب النار. وذلك لطول المقام فيهما.
(٢) بيّن بذلك عجز تلك الآلهة الباطلة.
(٣) أي: من حجّة تحكم بمشروعية عبادتها كما تفعلون.

هي باطلة يجب تركها والتخلي عنها، ذلك الدين القيم أخبرهم أن عبادة الله وحده وترك عبادة غيره هي الدين القويم والصراط المستقيم إلا أن أكثر الناس لايعلمون فجهلهم بمعرفة ربهم الحق الذي خلقهم ورزقهم ويدبر حياتهم وإليه مرجعهم هو الذي جعلهم يعبدون ما ينحتون ويؤلهون مايصنعون. ولما فرغ من دعوته إلى ربّه التفت إلى من طلبا منه تعبير رؤياهما فقال: ما أخبر تعالى به عنه ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربّه خمرا﴾ أي سيطلق سراحه[1] ويعود إلى عمله عند الملك فيسقيه الخمر كما كان يسقيه من قبل، وأما الآخر وهو طباخ الملك المتهم بأنه أراد أن يضع في طعام الملك السم ليقتله، فيصلب فتأكل الطير من رأسه بعد صلبه. وهنا قالا: إننا لم نر شيئا وإنما سألناك لنجربك لا غير فرد عليهما قائلا ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي فرغ منه وبُت فيه رأيتما أم لم تريا. ثم قال للذي ظن أنّه ناج منهما ما أخبر تعالى به عنه ﴿اذكرني عند ربك﴾[2] أي عند سيدك وكانوا يطلقون على السيد المالك لفظ الربّ. فأنساه الشيطان ذكر ربّه[3] أي أنسى الشيطان يوسف عليهالسلام ذكر ربّه تعالى حيث التفت بقلبه إلى الخادم والملك ونسى الله تعالى فعاقبه ربّه الحق فلبث في السجن بضع سنين أي سبع سنوات عداً،

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجوب اغتنام الفرص للدعوة إلى الله تعالى.

٢ـ تقرير التوحيد عن طريق أحاديث السابقين.

٣ـ لا حكم في شيء إلا بحكم الله تعالى فالحق ما أحقه الله والباطل ما أبطله والدين ما شرعه.

٤ـ مشروعية الاستفتاء في كل مشكل من الأمور.

---

(١) أي: بعد ثلاثة أيام، وكذلك كان.

(٢) إطلاق لفظ الربّ على السيد كان عند من قبلنا أمّا نحن أمّة الإسلام، فقد نهينا عن ذلك، روى مسلم قوله ﷺ: (لا يقل أحدكم: اسق ربّك أطعم ربّك وضيء ربك، ولا يقل أحدكم: ربّي، وليقل سيّدي ومولاي، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل: فتاي فتاتي غلامي).

(٣) عجباً لبعض المفسرين كيف يرجعون الضمير في قوله: ﴿فأنساه الشيطان﴾ إلى الفتى الخادم، ولم يرجعوه إلى يوسف عليه السلام كما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره، إذ لو كان الضمير يصحّ رجوعه إلى الخادم لكان النظم القرآني هكذا: فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربّه فلبث في السجن.

٥ـ غفلة يوسف عليه السلام بإقباله على الفتى وقوله له اذكرني عند ربك ناسياً مولاه الحق ووليه الذي أنجاه من القتل وغيابة الجب، وفتنة النساء جعلته يحبس في السجن سبع سنين.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات:

الملك : ملك مصر الذي العزيز وزير من وزرائه واسمه الريان بن الوليد.

سبع عجاف : هزال غير سمان.

يا أيها الملأ : أيها الأشراف والأعيان من رجال الدولة.

أفتوني في رؤياي : أي عبروها لي.

أضغاث أحلام : أي أخلاط أحلام كاذبة لا تعبير لها إلا ذاك.

وادّكر بعد امة : أي وتذكر بعد حين من الزمن أي قرابة سبع سنين.

يوسف أيها الصديق : أي يا يوسف أيها الصديق أي يا كثير الصدق علم ذلك منه في السجن.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وهو في محنته إنه لما قارب الفرج أوانه رأى

ملك مصر رؤيا أهالته وطلب من رجال دولته تعبيرها، وهو ما أخبر تعالى به في هذه الآيات إذ قال عز وجل: ﴿وقال الملك أي ملك البلاد إني أرى أي في منامي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات عجاف[1]﴾ أي مهازيل في غاية الهزال. ﴿وسبع سنبلات خضر وأخر أي سنبلات يابسات. ثم واجه رجال العلم والدولة حوله وقد جمعهم لذلك فقال ﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ أي تؤولون. فأجابوه بما أخبر تعالى عنهم بقوله ﴿قالوا أضغاث[2] أحلام﴾ أي رؤياك هذه هي من أضغاث الأحلام التي لا تعبر، إذ قالوا ﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ والمراد من الأضغاث الأخلاط وفي الحديث الصحيح «الرؤيا من الرحمن والحلم من الشيطان». وقوله تعالى ﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي من صاحبي السجن، ﴿وادّكر[3] بعد امة﴾ أي وتذكر ما أوصاه به يوسف وهو يودعه عند باب السجن إذ قال له ﴿اذكرني عند ربك﴾ بعد حين من الزمن قرابة سبع سنوات. قال ما أخبر تعالى به عنه ﴿أنا أنبئكم بتأويله فارسلون﴾ أي إلى يوسف في السجن فإنه أحسن من يعبر الرؤى فأرسلوه فدخل عليه وقال ما أخبر به تعالى عنه في قوله ﴿يوسف﴾ أي يا يوسف ﴿أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ وقوله ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ أي الملك ورجاله ﴿لعلهم يعلمون﴾ أي ماتعبرها به أنت فينتفعون بذلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ جواز الرؤيا الصالحة يراها الكافر والفاسق.

٢ـ الرؤى نوعان حلم من الشيطان، ورؤيا من الرحمن.

٣ـ النسيان من صفات البشر.

٤ـ جواز وصف الإنسان بما فيه من غير إطراء كقوله أيها الصديق.

٥ـ لعل تكون بمعنى كي التعليلية.

---

(١) ﴿عجاف﴾ جمع عجفاء من عجُف يعجُف كعظُم يعظُم، والعجاف، المهاذيل والهُزال في الحيوان: الضعف لقلة الشحم واللحم.

(٢) الأضغاث: جمع ضغث والضّغث في اللغة: الحزمة من الشيء كالبقل والكلأ، والأحلام: الرؤيا المختلطة، ومالا تأويل له من الرؤى.

(٣) قرىء: ﴿وادَّكَر بعد أمةٍ﴾ بفتح الهمزة وتخفيف الميم أي: بعد نسيان قال الشاعر:

أمهت وكنت لاأنسى حديثاً ... كذاك الدهــر يودي بالعقول

﴿وادكر﴾ اصلها: واذ تكر، فأبدلت التاء دالا، ثم ادغمت الذال في الدال فصارت: وادكر، وذلك لمناسبتين الأولى: لقرب مخرج التاء من الذال والثانية: رخاوة الدال ولينها فحصل الإدغام لذلك.

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات:

دأبا : أي متتابعة على عادتكم.

فذروه في سنبله : أي اتركوه في سنبله لا تدرسوه.

سبع شداد : أي صعاب قاسية لما فيها من الجدب.

بما تحصنون : أي تحفظونه وتدخرونه للبذر والحاجة.

يغاث الناس : أي يُغيثهم ربهم بالأمطار وجريان النيل.

وفيه يعصرون : أي ما من شأنه أن يعصر كالزيتون والعنب وقصب السكر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قال تزرعون﴾ إلى آخره هو جواب يوسف للذي استفتاه أي طلب منه تعبير رؤيا الملك قال له في بيان تأويل الرؤيا تزرعون بمعنى ازرعوا سبع سنين دأباً أي[1] متتالية كعادتكم في الزرع كل سنة وهي تأويل السبع البقرات السمان، فما حصدتم من زروع فذروه في سنبله أي اتركوه بدون درس حتى لا يفسد[2] إلا قليلا مما تأكلون أي فادرسوه لذلك. ثم يأتي بعد ذلك أي من بعد المخصبات سبع[3] شداد أي مجدبات صعاب وهي

---

(١) ﴿دأبا﴾: أي: متتالية متتابعة وهي مصدر على غير معناه لأنّ معنى تزرعون تدأبون كعادتكم في الزراعة سبع سنين. وقرىء دأباً بسكون الهمزة وأصل الدأب: العادة، ومنه قول الشاعر:

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

(٢) أي: بأكل السوس له.

(٣) هذه الآية دليل على مشروعية المصالح الشرعية المرسلة، التي هي حفظ الأديان، والنفوس، والعقول، والأنساب، والأموال، فكل ما تضمّن تحصيل شيء من هذه الكليات الخمس فهو مصلحة، وكل ما يُفوِّت شيئا منها فهو مفسدة ودفعه مصلحة، ولا خلاف أن مقصود الشارع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية والأخروية. على هذا أهل السنة والجماعة.

تأويل السبع البقرات العجاف يأكلن ما قدمتم لهن أي من الحبوب التي احتفظتم بها من السبع المخصبات يريد تأكلونه فيهن إلا قليلا مما تحصنون[1] أي تدخرونه للبذور ونحوه. ثم يأتي بعد ذلك عام فيه[2] يغاث الناس وفيه يعصرون أي يأتي من بعد السبع السنين المجدبات عام فيه يغاث الناس بالمطر وفيه يعصرون العنب والزيت وكل ما يعصر لوجود الخصب فيه. وقوله ثم يأتي من بعد ذلك عام الخ. هذا لم تدل عليه الرؤيا وإنما هو مما علّمه الله تعالى يوسف فأفادهم به من غير ما سألوه ذلك إحساناً منه ولحكمة عالية أرادها الله تعالى. وهو الحكيم العليم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ أرض مصر أرض فلاحة وزراعة من عهدها الأول.

٢ـ الاحتفاظ بالفائض في الصوامع وغيرها مبدأ اقتصادي هام ومفيد.

٣ـ كمال يوسف في حسن تعبير الرؤى شيء عظيم.

٤ـ فضل يوسف عليه السلام على أهل مصر حيث أفادهم بأكثر مما سألوا.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي
بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ
ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

---

(١) ﴿تحصنون﴾: أي: تحبسونه وتخزنونه لتزرعوه وفي هذه دليل على رُؤيا الكافرِ وأنّه قد يرى ما هو حق، وذلك بتدبير الله تعالى.

(٢) يقال: غوّث الرجل: إذا قال: واغوثاه، والاسم الغوث، والغواث واستغاثه فأغاثه إغاثة والاسم الغياث، والغيث: المطر.

شرح الكلمات:

وقال الملك ائتوني به : أي بيوسف.
فلما جاءه الرسول : أي مبعوث الملك.
ارجع إلى ربّك : أي سيدك.
ما بال النسوة : ما حالهن.
ما خطبكن : ما شأنكن.
حاش لله : أي تنزيهاً لله تعالى عن العجز أن يخلق بشراً عفيفا.
حصحص الحق : وضح وظهر الحق.

معنى الآيات:

إن رؤيا الملك كانت تدبيرا من الله تعالى لإخراج يوسف من السجن إنه بعد أن رآى الملك الرؤيا وعجز رجاله عن تعبيرها وتذكّر أحد صاحبي السجن ماوصّاه به يوسف، وطلب من الملك أن يرسله إلى يوسف في السجن ليستفتيه في الرؤيا وأرسلوه واستفتاه فأفتاه وذهب به إلى الملك فأعجبه التعبير وعرف مدلوله أمر بإحضار يوسف لإكرامه لما ظهر له من العلم والكمال وهو ما أخبر تعالى به في قوله ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ أي يوسف ﴿فلما جاءه الرسول﴾ أي جاء يوسف رسول الملك وهو صاحبه الذي كان معه في السجن ونجا من العقوبة وعاد إلى خدمة الملك فقال له إن الملك يدعوك فقال له عد إليه[(١)] واسأله ﴿ما بال النسوة[(٢)] التي قطّعن أيديهن﴾ أي قل له يسأل عن حال النسوة اللائي قطعن أيديهن والمرأة التي اتهمتني فجمع الملك النسوة وسألهن قائلا ما خطبكن[(٣)] إذ راودتن يوسف عن نفسه؟ فأجبن قائلات حاش لله ما علمنا عليه من سوء أي نُنَزِهُ الله تعالى أن يعجز أن يخلق بشرا عفيفا مثل هذا. ما علمنا عليه من سوء.

---

(١) ابى أن يخرج إلاّ أن تصحّ براءته للملك مما قذف به وأنّ حبسه كان بلا جرم روى الترمذي أن النبي ﷺ قال: ﴿إنّ الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم. قال: لو لبثت في السجن ما لبث ثم جاءني الرسول أجبت﴾ وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي، ونحن أحق من ابراهيم إذ قال له: ﴿أو لم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

(٢) ذكر النسوة جملة: حتى لا يؤذي امرأة العزيز لو خصها بالذكر إكراما منه وحلماً، وكمالا خلقيا وإلاّ فالمراد زليخا.

(٣) قوله ﴿ما خطبكن﴾: جرى فيه على سنّة يوسف إذ خاطب النسوة كافة ولم يفرد زليخا وهذا أيضاً من باب الستر متى أمكن ولم تحوج الحال إلى التعيين والكشف.

وهنا قالت امرأة العزيز زليخا ما اخبر تعالى به عنها ﴿الآن حصحص الحق﴾[1] أي وضح وبان وظهر ﴿أنا راودته عن نفسه﴾ وليس هو الذي راودني ، ﴿وإنه لمن الصادقين﴾ وقوله تعالى ﴿ذلـك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ هذا إخبار عن يوسف عليه السلام فإنه قال ذلك أي امتناعي من الخروج من السجن وعدم إجابتي الملك وطلبي إليه أن يسأل عن حال النسوة حتى تم الذي تم من براءتي على لسان النسوة عامة ، وامرأة العزيز خاصة حيث اعترفت قطعياً ببراءتي وقررت أنها هي التي راودتني عن نفسي فأبيت ورفضت فعلت هذا ليعلم زوجها العزيز أني لم أخنه في أهله في غيبته وأن عرضه مصان وشرفه لم يدنس لأنه ربي أحسن مثواي . وإن الله لا يهدي كيد الخائنين فلو كنت خائنا ما هداني لمثل هذا الموقف المشرف والذي أصبحت به مبرأ الساحة سليم العرض طاهر الثوب والساحة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ فضل العلم وشرفه إذ به رفع الملك يوسف إلى حضرته وهو رفيع .

٢ـ فضيلة الحلم والأناة وعدم التسرع في الأمور.

٣ـ فضيلة الصدق وقول الحق ولو كان على النفس .

٤ـ شرف زليخا[2] بإقرارها بذنبها رفعها مقاما ساميا وأنزلها درجة عالية فقد تصبح بعد قليل زوجة لصفي الله يوسف الصديق بن الصديق زوجة له في الدنيا وزوجة له في الآخرة وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) ﴿حصحص﴾ أي : تبيّن وظهـر، وأصله : حصص فقيل : حصحص، نحـو: كفكف في كفف، وأصـل الحصّ: استئصال الشيء من حص الشعر: إذا استأصله جزاً، قال الشعر:

قد حصّت البيضة رأسي فما   أطعم نوماً غير تهجاع

أي : النوم الخفيف، ومنه الحصّة : القطعة من الشيء، فالمعنى إذاً بانت حصة الحق من حصة الباطل .

(٢) ذهبت في التفسير مذهب إمام المفسرين ابن جرير رحمه الله تعالى وكثير من علماء السلف إلى أنّ القائل : (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب إلى قوله غفور رحيم) هو يوسف عليه السلام : أي : إنه لما جاء الرسول يدعوه إلى حضرة الملك أبى أن يجيب الدعوة حتى يحقق الملك في قضيته التي سجن فيها ثمّ بعد ذلك يخرج . ودعا الملك النسوة وحقق معهن وبرأن يوسف بقولهن : ما علمنا عليه من سوء، وقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين كأن سائلا قال ليوسف: لم لَم تجب الداعي؟ فأجاب : ذلك أي : فعلت ذلك ليعلم أي : العزيز: أنّي لم أخنه بالغيب، ثم قال تواضعاً : وما أبرّىء نفسي إذ همّ بضرب زليخا لما ألحت عليه وأرادت ضربه .

وذهبت إلى هذا مرجحاً له لأمرين الأول: ترجيح إمام المسفرين له والثاني : أنّى لتلك المرأة المشركة أن ترقى إلى هذا المستوى فتقول : وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربّي إنّ ربّي غفور رحيم . إنّ هذا الكلام لا يجري إلا على لسان الأنبياء والصالحين .

ومع هذا فمن رجّح أن يكون القول قول زليخا كابن القيم رحمه الله تعالى فلا بأس ، ويجب على الجميع أن يقول الله أعلم ، إذ قولنا مجرد ارتئاء رأيناه والعلم الحق لله وحده لا شريك له .

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ
ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧

شـرح الكلمـات :

لأمارة بالسـوء : أي كثيرة الأمر والسوء هو ما يُسيء إلى النفس البشرية مثل الذنوب.

إلا ما رحم ربي : أي إلا من رحمه الله فإن نفسه لا تأمر بالسوء لطيبها وطهارتها.

استخلصه لنفسي : أجعله من خلصائي من أهل مشورتي وأسراري.

مكيـن أميـن : أي ذو مكانة تتمكن بها من فعل ما تشاء، أمين مؤتمن على كل شيء عندنا.

خزائن الأرض : أي خزائن الدولة في أرض مصر.

إني حفيظ عليم : أي أحافظ على ما تسنده إليّ واحفظه، عليم بتدبيره.

يتبـوأ : أي ينزل ويحل حيث يشاء بعد ما كان في غيابة الجُب وضيق السجن.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث على يوسف عليه السلام فقوله تعالى: ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ هذا من قول يوسف عليه[1]

---

(١) على ما رجحته في التفسير. وعلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم فهو من قول امرأة العزيز.

السلام، إذ قال لما طلب إلى الملك أن يحقق في قضية النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز وتم التحقيق بالإعلان عن براءة يوسف مما اتهم به قال ذلك، أي فعلت ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. وهضماً لنفسه من جهة ومن جهة أخرى فقد همَّ بضرب زليخا كما تقدم، قال: ﴿وما أبرّىء نفسي﴾ وعلل لذلك فقال ﴿إن النفس﴾ أي البشرية ﴿لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾[1] إلا نفساً رحمها ربي بتوفيقها إلى تزكيتها وتطهيرها بالإيمان وصالح الأعمال فإنها تصبح نفساً مطمئنة تأمر بالخير وتنهى عن الشر[2]، وقوله: ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ ذكر هذه الجملة تعليلاً لقوله: ﴿وما أبرىء نفسي﴾ فذكر وإن حصل منيّ هم بضرب وهو سوء فإني تبت إلى الله، والله غفور أي يعفو ويصفح فلا يؤاخذ من تاب إليه ويرحمه فإنه رحيم بالمؤمنين من عباده.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٣) أما الآية الثانية (٥٤) والثالثة (٥٥) فقد تضمنت استدعاء الملك ليوسف وما دار من حديث بينهما إذ قال تعالى: ﴿وقال الملك﴾ الريان بن الوليد ﴿إئتوني به﴾ أي بيوسف بعد أن ظهر له علمه وكماله الروحي ﴿أستخلصه لنفسي﴾أي أجعله خالصاً لي استشيره في أمري واستعين به على مهام ملكي وجاء يوسف من السجن وجلس إلى الملك وتحدث معه وسأله عن موضوع سني الخصب والجدب فأجابه بما أثلج صدره من التدابير الحكيمة السديدة وهنا قال له ما أَخْبَر تعالى به قال له: ﴿إنَّك اليوم لدينا مكين أمين﴾ أي ذو مكانة عندنا تمكنك من التصرف في البلاد كيف تشاء أمين على كل شيء عندنا فأجابه يوسف بما أخبر به تعالى بقوله: ﴿قال اجعلني[3] على خزائن الأرض﴾ أي أرض مصر ومعنى هذا أنه حل محل العزيز الذي قد مات في تلك الأيام. وعلل لطلبه وزارة المال والاقتصاد بقوله: ﴿إنّي حفيظ عليم﴾ أي حفيظ على ما أتولى تدبيره عليم بكيفية الإدارة وتدبير الشؤون. وقوله تعالى في الآية الرابعة (٥٦): ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾ أي بمثل هذه الأسباب

---

(١) ﴿ما رحم﴾ ما: بمعنى: مَنْ، وهي شائعة الاستعمال، من ذلك: فانكحوا ما طاب لكم. أي: من طبن لكم من النساء.

(٢) وبذلك يتمّ عصمتها بإذن الله تعالى.

(٣) قال بعض أهل العلم: في الآية دليل على جواز عمل الرجل الصالح للرجل الكافر أو الفاجر إذا كان ذلك لا يضرّ بدينه، وهو كذلك، وفيها دليل على جواز ذكر طالب العمل كفاءته العلمية حتى يسند إليه العمل على أن يكون صادقاً في ذلك، وليس هذا من باب: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ ولا هو من باب طلب الإمارة حيث قال الرسول ﷺ: (لن نستعمل على عملنا هذا مَنْ أراده) رواه مسلم.

والتدابير مكنا ليوسف في أرض مصر يتبوأ منها أي ينزل حيث يشاء يتقلب فيها أخذاً وعطاء وإنشاء وتعميراً لأنه أصبح وزيراً مطلق التصرف. وقوله تعالى: ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ أي رحمته من عبادنا ولا نضيع أجر المحسنين، وهذا وعد من الله تعالى لأهل الإحسان بتوفيتهم أجورهم، ويوسف عليه السلام من شاء الله رحمتهم كما هو من أهل الإحسان الذين يوفيهم الله تعالى أجورهم في الدنيا والآخرة، وأخبر تعالى أن أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون، ترغيباً في الإيمان والتقوى إذ بهما تنال ولاية الله تعالى عز وجل إذ أولياؤه هم المؤمنون المتقون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ فضيلة هضم النفس باتهامها بالنقص والتقصير.

٢ـ تحقيق الحكمة القائلة: المرء مخبوء تحت لسانه.

٣ـ جواز ذكْرِ المُرشِّح للعمل كحذق الصنعة ونحوه ولا يعد تزكية للنفس.

٤ـ فضيلة الإحسان في المعتقد والقول والعمل.

٥ـ فضل الإيمان والتقوى.

وَجَآءَ إِخْوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ
أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا
كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

شرح الكلمات:

وجاء إخوة يوسف : من أرض كنعان لما بلغهم أن ملك مصر يبيع الطعام.
وهم له منكرون : أي غير عارفين أنه أخوهم.
ولما جهزهم بجهازهم : أي أكرمهم وزودهم بما يحتاجون إليه في سفرهم بعدما كال لهم ما ابتاعوه منه.
بأخ لكم من أبيكم : هو بِنّيامين لأنه لم يجىء معهم لأن والده لم يقدر على فراقه.
سنراود عنه أباه : أي سنجتهد في طلبه منه.
وقال لفتيانه : أي غلمانه وخدمه.
بضاعتهم : أي دراهمهم التي جاءوا يمتارون بها.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن قصة يوسف عليه السلام وتتبع أحداثها، إنه بعد أن ولي يوسف أمر الوزارة ومرت سنوات الخصب وجاءت سنوات الجدب فاحتاج أهل أرض كنعان الى الطعام كغيرهم فبعث يعقوب عليه السلام بنيه يمتارون وكانوا عشرة رجال بعد أن علم أن ملك مصر يبيع الطعام، قال تعالى مخبراً عن حالهم: ﴿وجاء إخوة[1] يوسف﴾ أي من أرض كنعان ﴿فدخلوا عليه﴾ أي على يوسف ﴿فعرفهم وهم له منكرون﴾ أي لم يعرفوه لتغيره بكبر السن وتغير أحواله[2] وقوله تعالى: ﴿ولما جهزهم بجهازهم[3]﴾ أي كال لهم وحَمَّل لكل واحد بعيره بعد أن أكرمهم غاية الإكرام ﴿قال ائتوني[4] بأخ لكم من أبيكم﴾ ولا شك أنه قد سألهم عن أحوالهم فأخبروه عن أبيهم وأولاده بالتفصيل فلذا قال لهم ﴿ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ وهو بنيامين ورغبهم في ذلك بقوله: ﴿ألا ترون أني أوفِ الكيل وأنا خير المنزلين﴾ أي خير المضيفين لمن نزل عليهم ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾. بعد هذا الإلحاح عليهم أجابوه بما أخبر تعالى به عنهم بقوله: ﴿قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون﴾ أي سنبذل جهدنا في طلبه

(١) جاءوا إلى مصر لما أصابهم القحط ليميروا.
(٢) ولطول المدة إذ مضى عليهم يوم فارقوه أربعون سنة.
(٣) الجهاز بالفتح والكسر: ما يحتاج إليه المسافر والمراد به: الطعام الذي امتاروه من عنده.
(٤) سبب طلب يوسف أخاهم أنه كان معهم أحد عشر بعيراً وهم عشرة وقالوا ليوسف: إنّ لنا أخاً تخلف عنا، وبعيره معنا، فسألهم لِمَ تخلّف؟ فقالوا: لحب أبيه إيّاه وذكروا له القصة وما جرى فيها، وهنا قال لهم: إن رجعتم للميرة مرّة أخرى فأتوني بأخٍ لكم من أبيكم، ورغّبهم في ذلك وحذّرهم من أن يأتوا بدونه فإنه لا يبيعهم الطعام الذي هو حاجتهم.

حتى نأتي به، ﴿وإنا لفاعلون﴾ كما أخبرناك.

وقوله تعالى: ﴿وقال لفتيانه[1] اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ يخبر تعالى عن قيل يوسف لغلمانه اجعلوا دراهمهم التي اشتروا بها الطعام في رحالهم من حيث لا يشعرون ﴿لعلهم يعرفونها[2] إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون[3]﴾ كل هذا كان رغبة من يوسف في إحضار أخيه الشقيق فجعل رد الدراهم وسيلة لذلك لأنهم إذا وجدوها تحرجوا من أخذها فرجعوا بها. وجاءوا بأخيهم معهم، وهو مطلب يوسف عليه السلام حققه الله.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ عجيب تدبير الله تعالى إذ رؤيا الملك وتعبير يوسف لها وظهورها كما عبرها كان تدبيراً لولاية يوسف ثم لمجيء إخوته يطلبون الطعام لأهليهم ولتتم سلسلة الأحداث الآتية، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه.

٢ـ حسن تدبير يوسف عليه السلام للإتيان بأخيه بنيامين تمهيداً للإتيان بالأسرة كلها.

٣ـ أثر الإيمان في السلوك، إذ عرف يوسف أن أخوته لا يستحلون أكل مال بغير حقه فجعل الدراهم في رحالهم ليرجعوا بها ومعهم أخوهم الذي يريد إحضاره.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا

(١) قرىء: ﴿لفتيانه﴾ و﴿لفتيته﴾ قراءتان سبعيتان نحو: صبية وصبيان.

(٢) قال لعلهم يعرفونها: إذ من الجائز أن لا تسلم لهم بضاعتهم بأن تؤخذ منهم في الطريق مثلا.

(٣) من الجائز أن يكون ردّ البضاعة إلى إخوته لأنه كره أن يأخذها من أبيه وإخوته، ومن الجائز أن يكون ردّها إليهم لعلمه أنهم لا يأكلون الطعام بغير حقّه فسيرجعون بها، وهو المراد.

مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ
أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا
لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

منع منا الكيل : أي منع الملك منا الكيل حتى نأتيه بأخينا.

نكتل : أي نحصل على الكيل المطلوب.

على أخيه من قبل : أي كما أمنتكم على يوسف من قبل وقد فرطتم فيه.

ما نبغي : أي أي شيء نبغي.

ونزداد كيل بعير : أي بدل ما كنا عشرة نصبح أحد عشر لكل واحد حمل بعير.

ذلك كيل يسير : أي على الملك لغناه وطوله فلا يضره أن يزيدنا حمل بعير.

موثقاً : أي عهدا مؤكدا باليمين.

إلا أن يحاط بكم : أي تهلكوا عن آخركم.

من شيء : أي أراد الله خلافه.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وإخوته قال تعالى مخبراً عن رجوع إخوة يوسف من مصر إلى أرض كنعان بفلسطين: ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم﴾ أي يعقوب عليه

السلام ﴿قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ أي منع[1] منا ملك مصر الكيل إلا أن نأتي بأخينا بنيامين ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل[2] وإنا له لحافظون﴾ أن يناله مكروه بحال من الأحوال. فأجابهم يعقوب عليه السلام بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال هل آمنكم عليه﴾ أي ما آمنكم عليه ﴿إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ يعني يوسف لما ذهبوا به إلى البادية. ﴿فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾[3] جرى هذا الحديث بينهم عند وصولهم وقبل فتح أمتعتهم، وأما بعد فتحها فقد قالوا ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم﴾ أي دراهمهم ﴿ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ أي فأرسل معنا أخانا نذهب به الى مصر ﴿ونمير[4] أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾ لأن الملك المصري لا يبيع للنفر الواحد الا حمل بعير نظراً لحاجة الناس إلى الطعام في هذه السنوات الصعبة للجدب العام في البلاد. فأجابهم يعقوب بما قال تعالى عنه ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتونِ موثقاً من الله﴾ أي حتى تعطوني عهداً مؤكداً باليمين على أن تأتوني به ﴿لتأتنني به إلا أن يحاط بكم﴾[5] بعدو ونحوه فتهلكوا جميعاً فأعطوه ما طلب منهم من عهد وميثاق، قال تعالى: ﴿فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل﴾ أي شهيد عليّ وعليكم، أي فأشهد الله تعالى على عهدهم. ولما أرادوا السفر إلى مصر حملته العاطفة الأبوية والرحمة الإيمانية على أن قال لهم ما أخبر تعالى عنه: ﴿وقال يا بنيّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ أي لا تدخلوا وأنتم أحد عشر رجلاً من باب واحد فتسرع إليكم العين،[6] وإنما ادخلوا من عدة أبواب فلا

(١) إذ قال لهم: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾.
(٢) أصل نكتل: نكتال فحذفت الألف لسكون اللام بالجازم وقرىء بالياء يكتل: أي أخوهم بنيامين.
(٣) وقرىء: ﴿خير حفظاً﴾ قراءة سبعية.
(٤) ﴿نمير أهلنا﴾ أي نجلب لهم الطعام قال الشاعر:
بعثتك مائراً فمكثت حولاً   متى يأتي غياثك مَنْ تُغيث
(٥) أي: تهلكوا أو تموتوا وإلاّ أن تغلبوا عليه.
(٦) في الآية دليل على ما يلي:
أ ـ على التحرّز من العين، والعين حق لحديث: (إنّ العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر) ولتعوذ الرسول ﷺ منها في غير حديث.
ب ـ على المسلم إن أعجبه شيء أن يبرّك، لقول الرسول ﷺ: (ألا برّكت)!! والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه.
جـ ـ إذا أصاب العبد بعينه لأنّه لم يبرّك فإنه يؤمر بالاغتسال ويجبر عليه.
د ـ إذا عرف المرء بأذاه للناس بعينه يبعد عنهم وجوباً.

تُرون جماعة واحدة أبناء رجل واحد فلا تصيبكم عين الحاسدين ثم قال: ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾، وهو كذلك ﴿إن الحكم إلا لله﴾ فما شاءه كان. ﴿عليه توكلت﴾ أي فوضت أمري إليه ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ أي فليفوض إليه المتوكلون أمورهم لأنه الكافي ولا كافي على الحقيقة إلا هو عز جاره وعظم سلطانه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان مدى توكل يعقوب عليه السلام على الله وثقته في ربّه عز وجل، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وكيف لا وهو أحد أنبياء الله ورسله عليهم السلام.

٢- جواز أخذ العهد المؤكد في الأمور الهامة ولو على أقرب الناس كالأبناء مثلاً.

٣- لا بأس بتخوف المؤمن من إصابة العين وأخذ الحيطة للوقاية منها مع اعتقاد أن ذلك لا يغني من الله شيئاً وأن الحكم لله وحده في خلقه لا شريك له في ذلك.

٤- وجوب التوكل على الله تعالى وإمضاء العمل الذي تعيَّن وتفويض أمر ما يحدث لله تعالى.

وَلَمَّا
دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ
إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾
فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ

= هـ- الاغتسال من العين: هو أن يغسل المعيان وجهه ويديه، ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه وداخل إزاره في إناء ثمّ يصب على المصاب بالعين فيشفى بإذن الله تعالى.

أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

إلا حاجة في نفس يعقوب	:	هي إرادة دفع العين عن أولاده شفقة عليهم.
آوىٰ إليه أخاه	:	أي ضمه إليه أثناء الأكل وأثناء المبيت.
فلا تبتئس	:	أي لا تحزن
جعل السقاية	:	أي صاع الملك وهو من ذهب كان يشرب فيه ثم جعله مكيالاً يكيل به.
أذن مؤذن	:	نادى منـاد.
أيتها العير	:	أي القافلة.
صواع الملك	:	أي صاع الملك. فالصاع والصواع بمعنى واحد.
وأنا به زعيم	:	أي بالحمل كفيل.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن إخوة يوسف فقد عهد إليهم إذا هم وصلوا إلى ديار مصر أن لا يدخلوا من باب واحد بل من أبواب متعددة خشية العين عليهم، وقد وصلوا وعملوا بوصية أبيهم فقد قال تعالى مخبراً عنهم ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم﴾ أي دخولهم من أبواب متفرقة ﴿من الله﴾ أي من قضائه ﴿من شيء إلا حاجة﴾ أي لكن حاجة ﴿في نفس يعقوب﴾ وهي خوف العين عليهم ﴿قضاها﴾(1) أي لا غير.

وقوله تعالى: ﴿ وإنه لذو علم لما علمناه﴾ ثناء على يعقوب أي إنه لصاحب علم وعمل لتعليمنا إياه وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ هو كما أخبر عز وجل أكثر

---

(1) ﴿قضاها﴾ أي: أنفذها إذ القضاء: إنفاذ المحكوم به.

الناس لا يعلمون عن الله تعالى صفات جلاله وكماله ومحابه ومساخطه وأبواب الوصول إلى مرضاته والحصول على رضاه ومحبته، وما يتقي مما يحرم على العبد من ذلك. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٨).

أما الآية الثانية فقد أخبر تعالى أن إخوة يوسف لما دخلوا عليه في منزله آواى إليه أخاه أي شقيقه وهو بنيامين، وذلك لما جاء وقت النوم جعل كل اثنين فى غرفة وهم أحد عشر رجلاً بقي بنيامين فقال هذا ينام معي، وأنه لما آواه إليه في فراشه أعلمه أنه أخوه يوسف، وأعلمه أن لا يحزن بسبب ما كان إخوته قد عملوه مع أبيهم ومع أخيهم يوسف وأعلمه أنه سيحتال على بقائه معه فلا يكترث بذلك ولا يخبر إخوته بشيء من هذا. هذا ما دلت عليه الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس[1] بما كانوا يعملون﴾.

أما الآية الثالثة (٧٠) فقد تضمنت الإخبار عن تدبير[2] يوسف لبقاء أخيه معه دونهم وذلك أنه لما جهزهم بجهازهم أي كال لهم الطعام وزودهم بما يحتاجون إليه بعد إكرامه لهم جعل بطريق خفيّ لم يشعروا به سقاية الملك وهي الصاع أو الصواع ،وهي عبارة عن إناء من ذهب كان يشرب فيه ثم جعل آلة كيل خاصة بالملك عرفت بصواع الملك أو صاعه. جعلها فى رحل أخيه بنيامين، ثم لما تحركت القافلة وسارت خطوات نادى منادٍ قائلاً أيتها العير[3] أي يا أهل القافلة إنكم لسارقون. هذا ما تضمنته الآية الكريمة إذ قال تعالى: ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾. قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون﴾ فأجابوا بقولهم: ﴿نفقد صواع الملك، ولمن جاء به حمل بعير﴾ أي مكافأة له ﴿وأنا به زعيم[4]﴾ أي وأنا بإعطائه حمل البعير كفيل.

هداية الآيات

---

(١) الابتئاس من البؤس الذي هو الحزن والكدر، فالابتئاس مطاوع الابئاس أي: جعل المرء بائساً: صاحب بؤس.

(٢) قيل: إنّ بنيامين قال ليوسف: لا تردني إليهم فأجابه يوسف ودبّر كيفية إبقاء أخيه معه وكلّ ذلك بتدبير الله تعالى لهم.

(٣) العير: لفظ يطلق على ما امتير عليه من الإبل والخيل والبغال، والحمير، والمراد بها هنا: الإبل.

(٤) الزعيم: الكفيل، والحميل، والضمين، والقبيل، وهي بمعنى واحد سواء، ويطلق الزعيم على الرئيس.

من هداية الآيـات :

١ـ بيان فضل العلم وأهله .

٢ـ تقرير حقيقة وهي أن أكثر الناس لا يعلمون .

٣ـ حسن تدبير يوسف للإبقاء على أخيه معه بعد ذهاب إخوته .

٤ـ مشروعية إعطاء المكافآت لمن يقوم بعمل معين وهي الجعالة في الفقه .

٥ـ مشروعية الكفالة والكفيل غارم .

قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ
مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

شــرح الكلمـات :

تالله : أي والله .

لنفسد في الأرض : أي بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .

وما كنا سـارقين : أي لم نسرق الصواع كما أنا لم نسرق من قبل متاع أحد .

من وجد في رحله فهو جزاؤه : أي يأخذ بالسرقة رقيقاً .

كذلك نجزى الظالمين : أي في شـريعتنـا .

في وعاء أخيه : أي في وعاء أخيه الموجود في رحله.

كذلك كدنا ليوسف : أي يسرنا له هذا الكيد الذي توصل به إلى أمر محمود.

في دين الملك : أي في شرعه إذ كان يضرب السارق ويغرم بمثل ما سرق.

نرفع درجات من نشاء : أي كما رفع يوسف عليه السلام.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن يوسف وإخوته، إنه لما أعلن عن سرقة صواع الملك وأوقفت القافلة للتفتيش، وأعلن عن الجائزة لمن يأتي بالصواع وأنها مضمونة هنا قال إخوة يوسف ما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ أي بالسرقة وغشيان الذنوب وإنما جئنا للميرة[1] ﴿وما كنا سارقين﴾[2] أي في يوم من الأيام. وهنا قال رجال الملك رداً على مقالتهم بما أخبر تعالى به: ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ فأجاب الإخوة بما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه﴾ يريدون أن السارق يُسترق أي يملك بالسرقة وقوله ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ أي في شريعتنا. وهنا أخذ يوسف بنفسه يفتش أوعية إخوته بحثاً عن الصواع، وبدأ بأوعيتهم واحداً بعد واحد وآخر وعاء وعاء أخيه بنيامين دفعاً للتهمة والتواطؤ في القضية، حتى استخرجها من وعاء أخيه الذي كان في رحله، هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من[3] وعاء أخيه﴾ وقوله تعالى: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ أي هكذا يسرنا[4] له هذا الكيد الذي توصل به إلى أمر محمود غير مذموم. وقوله تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ أي لم يكن في شرع مصر أن يأخذ أخاه عبداً بالسرقة بل السارق يضرب ويغرم فقط، ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أمراً فإنه يكون. وقوله

---

(١) الميرة: الطعام الذي يدّخره الإنسان.

(٢) إذ لو كانوا سارقين ما ردّوا البضاعة التي وضعت لهم في رحالهم من أجل أن يرجعوا إلى مصر، فمن ردّ بضاعة بعد ما تمكن منها لا يكون سارقاً.

(٣) الوعاء: ما يحفظ فيه الشيء، وتُضمّ واوه وتكسر، والكسر أشهر. قيل لمّا استخرج السقاية من وعاء بنيامين طأطأوا رؤوسهم حياءً، وقالوا لأخيهم بنيامين: ويلك يا بنيامين ما رأينا كاليوم قط.

(٤) قالت العلماء: يجوز للرجل أن يتصرف في ماله بالبيع والشراء والهبة والعطاء قبل حلول حول الزكاة ما لم ينو الفرار من الزكاة، فإن حال الحول فلا يصح شيء إلا بعد إخراج الزكاة.

تعالى: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾[1] أي في العلم كما رفعنا يوسف ﴿وفوق كل ذي علم﴾[2] من الناس ﴿عليم﴾ إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى فهو العليم الذى لا أعلم منه بل العلم كله له ومنه ولولاه لما علم أحد شيئاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ جواز الحلف بالله تعالى للحاجة.

٢ـ مشروعية دفع التهمة عن النفس البريئة.

٣ـ معرفة حكم السرقة في شرعة يعقوب عليه السلام.

٤ـ بيان حسن تدبير الله تعالى لأوليائه.

٥ـ بيان حكم السرقة في القانون المصري على عهد يوسف عليه السلام.

٦ـ علوّ مقام يوسف عليه السلام في العلم.

٧ـ تقرير قاعدة (وفوق كل ذي علم عليم) إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى.

۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

---

(١) أي: بالإيمان والعلم شاهده: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما يكون ذا أعلم من ذا، وذا أعلم من ذا، والله فوق كل عليم وقرأ الجمهور: ﴿درجات من نشاء﴾ بإضافة درجات إلى مَنْ وقرأ حفص ﴿درجات﴾ بالتنوين تمييز لتعلق فعل نرفع بمفعوله وهو: ﴿من نشاء﴾.

شرح الكلمات :

إن يسرق : أي يأخذ الصواع خفية من حرزه.

فقد سرق أخ له : أي يوسف في صباه.

فأسرها يوسف : أي أخفى هذه التهمة في نفسه.

ولم يبدها لهم : أي لم يظهرها لهم.

أنتم شر مكاناً : أي منزلةً ممن رميتموه بالسرقة.

بما تصفون : أي بحقيقة ما تصفون أي تذكرون

أباً شيخاً كبيراً : أي يعقوب عليه السلام.

معاذ الله : أي نعوذ بالله من أن نأخذ من لم نجد متاعنا عنده.

متاعنا : أي الصواع.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث مع يوسف عليه السلام وإخوته، إنه بعد أن استخرج يوسف الصواع من متاع أخيه وتقرر ظاهراً أن بنيامين قد سرق، قال إخوته ما أخبر به تعالى عنهم في قوله: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من أخ له من قبل﴾[1] أي إن يكن بنيامين قد سرق كما قررتم فلا عجب فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف أيام صباه، كان يسرق الطعام ويعطيه للمساكين وسرق صنماً لأبي أمه فكسره حتى لا يعبده، وليس هذا من السرقة المحرمة ولا المذمومة بل هي محمودة. وقوله تعالى: ﴿فأسرها يوسف[2] في نفسه ولم يبدها لهم﴾ أي أسر يوسف قولتهم ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ ولم يظهرها لهم وقال رداً لقولتهم الخاطئة: ﴿أنتم شر[3] مكاناً﴾ أي شر منزلة ممن رميتموه بالسرقة ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ أي بحقيقة ما تذكرون. ولما سمعوا قول يوسف وكان فيه نوع من الصرامة والشدة قالوا مستعطفين يوسف مسترحمينه بما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿قالوا يا

---

(١) وجائز أن يكون قولهم: ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾: مجرد رد تهمة وجهت إليهم وألزموا بها فدفعوها بقولهم: فقد سرق أخ له من قبل. وهو مجرد بهتان وقول باطل.

(٢) وجائز أن يكون: ﴿فأسرها يوسف في نفسه﴾: أي أسرّ كلمة: ﴿أنتم شرّ مكاناً﴾ أي: أخفاها فلم يتلفظ بها إحسانا إليهم ثم جهر بقوله والله أعلَمُ بما تصنعون.

(٣) شرّ: اسم تفضيل بمعنى: أشرّ، والمكان بمعنى: حالة أي: الحال التي أنتم عليها من أشر الأحوال.

أيها العزيز[1] إن له أباً شيخاً كبيراً﴾[2] أي لأخينا والداً كبير السن يعز عليه فراقه ولا يطيقه. ﴿فخذ أحدنا[3] مكانه إنا نراك من المحسنين﴾ أي واحداً منا بدلاً عنهُ ومثلك يفعل ذلك لأنه إحسان وأنت من المحسنين. فأجابهم بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال معاذ الله﴾[4] أي نعوذ بالله ﴿أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون﴾ أي إذا أخذنا من لم يَجْنِ ونترك من جنى أي سرق فقد كنا بذلك ظالمين وهذا مالا نرضاه ولا نوافق عليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الاعتذار عن الخطأ.

٢ـ قد يضطر الحليم إلى أن يقول ما لم يكن يقوله لولا ما وُوجِهَ به من السوء.

٣ـ مشروعية الاسترحام والاستعطاف لمن احتاج الى ذلك رجاء أن يرحم ويعطف عليه.

٤ـ حرمة ترك الجاني وأخذ غيره بدلا منه إذ هذا من الظلم المحرم.

فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم
مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ
ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ

---

(١) يبدو أن لفظ العزيز لقب لكل من يلي ولاية في تلك البلاد.

(٢) هذا اسلوب الاستعطاف والاسترحام، اقتضاه موقف يوسف الحازم الصارم فنادوه بعنوان الحكم وذكروا له ضعف أبيهم وحالته النفسية إزاء ولده.

(٣) أي: خذه عبداً لتسترقه لأنه سبق أن قيل: إن شريعة يعقوب عليه السلام أنّ السارق يسترق بالسرقة.

(٤) ﴿معاذ﴾: مصدر ميمي من العوذ الذي هو مصدر عاذ يعوذ عوذاً إذا تحصّن واستجار فهو مصدرٌ قام مقام الفعل.

وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ
وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

شرح الكلمات :

خلصوا نجياً	: أي اعتزلوا يناجي بعضهم بعضاً.
أخذ عليكم موثقاً	: أي عهداً وميثاقاً لتأتن به إلا أن يحاط بكم.
ومن قبل ما فرطتم	: أي ومن قبل إضاعتكم لبنْيامين فرطتم في يوسف كذلك.
فلن أبرح الأرض	: أي لن أفارق الأرض، أي أرض مصر.
وما كنا للغيب حافظين	: أي لِما غاب عنا ولم نعرفه حافظين.
العير التي أقبلنا فيها	: أي أصحاب القافلة التي جئنا معها وهم قوم كنعانيون.
سولت لكم أنفسكم	: أي زينت وحسنت لكم أمراً ففعلتموه.
أن يأتيني بهم جميعا	: أي بيوسف وأخويه بنيامين وروبيل.
وتولى عنهم	: أي معرضاً عن حديثهم.
وقال يا أسفى	: أي يا حزني أحضر هذا أوان حضورك.
فهو كظيم	: أي مغموم مكروب لا يظهر كربه.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث على قصة يوسف وإخوته، إنه بعد أن أخذ يوسف أخاه بالسرقة ولم يقبل استرحامهم له بأخذ غيره بدلاً عنه انحازوا ناحية يفكرون في أمرهم وهو

ما أخبر به تعالى عنه في قوله: ﴿فلما استيأسوا﴾ أي يئسوا ﴿خلصوا نجياً﴾[1] أي اعتزلوا يتناجون في قضيتهم ﴿قال كبيرهم﴾ وهو روبيل مخاطباً إياهم[2] ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً﴾ يذكرهم بالميثاق الذي أخذه يعقوب عليهم لما طلبوا منه أن يرسل معهم بنيامين لأن عزيز مصر طلبه. ﴿ومن قبل ما فرطتم في[3] يوسف﴾ أي وذكرهم بتفريطهم في يوسف يوم ألقوه في غيابة الجب وباعوه بعد خروجه من الجب. ومن هنا قال لهم ما أخبر تعالى به: ﴿فلن أبرح الأرض﴾ أي أرض مصر حتى يأذن لي أبي بالرجوع إليه ﴿أو يحكم الله لي﴾ بما هو خير[4] ﴿وهو خير الحاكمين﴾.

ولما أقنعهم بتخلفه عنهم أخذ يرشدهم إلى ما يقولونه لوالدهم وهو ما أخبر تعالى به في قوله عنه: ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق[5] وما شهدنا إلا بما علمنا﴾[6] أي حيث رأينا الصواع يستخرج من رحل أخينا ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ أي ولو كنا نعلم أن أخانا يحدث له هذا الذي حدث ما أخذناه معنا. كما أننا ما شهدنا بأن السارق يؤخذ بالسرقة إلا بما علمنا منك ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾[7] وهي عاصمة مصر ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ إذ فيها كنعانيون من جيرانك ﴿وإنا لصادقون﴾ في كل ما أخبرناك به. هذا ما أرشد به روبيل إخوته، ولما ذهبوا به واجتمعوا بأبيهم وحدثوه بما علمهم روبيل أن يقولوه فقالوه لأبيهم. رد عليهم يعقوب عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ أي زينت لكم أنفسكم أمراً ففعلتموه ﴿فصبر جميل﴾ أي فصبري على ما أصابني صبر جميل لا عجز فيه ولا شكاية لأحد غير الله ﴿عسى الله أن يأتيني جميعاً﴾ أي يوسف

---

(١) لفظ نجي: يطلق على الواحد والجماعة كلفظ عدو، ويجمع على أنجية قال الشاعر:

إني إذا ما القوم كانوا أنجية   واضطرب القوم اضطراب الأشرية

هناك أوصيني ولا توصي بيه

(٢) قيل: هو شمعون إذ كان أكبرهم في الرأي، وقيل: يهوذا وكان أعقلهم. وقيل: هولاوى وهو أبو الأنبياء.

(٣) ما: مصدرية أي: تفريطكم في يوسف، والجملة معترضة.

(٤) بأن يطلق سراح أخي فأمضي معه إلى أبينا، أو يحكم الله لي بالسيف فأحارب حتى أخلّص أخي، أو أغلب فأعذر إذ قال والدي: إلّا أن يحاط بكم.

(٥) قرأ ابن عباس والضحّاك وأبو رزين سُرّق بتشديد الراء والبناء للمجهول أي: نسب إلى السرقة ورمي بها، السرق: بفتح السين والراء: مصدر سرق والسَّرق والسرقة: اسم الشيء المسروق.

(٦) في الآية دليل على مشروعيَة الشهادة بأي وجه حصل العلم بالبصر، بالسمع باللمس إذ الشهادة مرتبطة بالعلم عقلا وشرعاً، وفي الحديث: (ألا أخبركم بخير الشهداء؟ خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها).

(٧) المراد: أهل القرية إذ العادة أن القرية لا تنطق، ولو قال: أحدٌ كلّم هنداً وهو يريد غلامها لما جاز.

وبنيامين وروبيل ﴿إنـه هو العليم﴾ بفقـري إليه وحاجتي عنده ﴿الحكيم﴾ في تدبيره لأوليائه وصالحي عباده ﴿وتولى عنهم﴾ أي أعرض عن مخاطبتهم ﴿وقال يا أسفى﴾ أي يا أسفي وشدة حزني أحضر فهذا أوان حضورك ﴿على يوسف﴾ قال تعالى مخبراً عن حاله بعد ذلك ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ فغلب بياضهما على سوادهما ومعنى هذا أنه فقد الإبصـار بمـا أصـاب عينيه من البياض. ﴿فهو كظيم﴾[1] أي ممتلىء من الهم والكرب والحزن مكظوم لا يبثه لأحد ولا يشكوه لغير ربه تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ مشروعية المناجاة للتشاور في الأمر الهام.

٢ـ مشروعية التذكير بالالتزامات والعهود والمحافظة على ذلك.

٣ـ قد يغلب الحياء على المؤمن فيمنعه من أمور هي خير له.

٤ـ مشروعية النصح وتزويد المنصوح له بما يقوله ويعمله.

٥ـ جواز اتهام البرىء لملابسات أو تهمة سابقة.

٦ـ جواز إظهار التأسف والحزن والشكوى لله تعالى.

قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي
وَحُزْنِيٓ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾
يَٰبَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ
مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَٰفِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ

---

(١) الكظيم: مبالغة للكظم والكظم: الإمساك النفساني، أي: كاظم للحزن لا يظهره للناس، وكظيم: بمعنى مكظوم كمحزون.

وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

تالله تفتؤا تذكر	:	أي والله لا تزال تذكر يوسف.
حرضاً	:	أي مشرفاً على الهلاك لطول مرضك.
أشكو بثي	:	أي عظيم حزني إذ البث الذي لا يصبر عليه حتى يبث الى الغير.
فتحسسوا	:	أي اطلبوا خبرهما بلطف حتى تصلوا إلى النتيجة.
من روح الله	:	أي من رحمة الله
ببضاعة مزجاة	:	أي بدراهم مدفوعة لا يقبلها الناس لرداءتها.
يجزي المتصدقين	:	أي يثيب المتصدقين بثواب الدنيا والآخرة.

معنى الآيات :

مازال السياق فيما جرى من حديث بين يعقوب عليه السلام وبنيه أنه بعدما ذكروا له ما جرى لهم في مصر اعرض عنهم وقال يا أسفى على يوسف وأبيضت عيناه من الحزن وهو كظيم. قالوا له ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف﴾[1] أي والله لا تزال تذكر يوسف حتى تصبح حرضاً[2] مشرفاً على الموت أو تكون من الهالكين أي الميتين. أجابهم بما أخبر تعالى به عنه: ﴿قال إنما أشكو بثي﴾[3] أي همي ﴿وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ يريد أن رجاءه فى الله كبير وأن الله لا يخيب رجاءه وأن رؤيا يوسف صادقة وأن الله تعالى سيجمع شمله به ويسجد له كما رأى. ومن هنا قال لهم ما أخبر تعالى به: ﴿يا بنيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾[4] أي التمسوا أخبارهما

---

(١) حرف النفي مقدّر أي: تا الله لا تفتأ، ومعنى: تفتأ: لا تفتر إذ فتىء بمعنى فتر، وهذا القول إشفاق على يعقوب.

(٢) الحرض: شدة المرض المشفي بصاحبه على الهلاك، وأصل الحرض: الفساد في الجسم أو العقل، من الحزن أو العشق أو الهرم.

(٣) البث: الهم الشديد.

(٤) هذا اللفظ دال على أنه تيقن حياة يوسف وذلك إمّا بوحي إلهي أو إلهام أو هداية عقل، وإلا كيف يطلب منهم التحسس على يوسف، والتحسس: شدة التَّطلب، والتعّرف وهو أعم من التجسس.

بحواسكم بالسؤال عنهما والنظر إليهما، ﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ أي لا تقنطوا من فرج الله ورحمته وعلل للنهي فقال: ﴿إنه لا ييأس من روح الله﴾[1] أي من فرجه ورحمته ﴿إلا القوم الكافرون﴾.

وامتثل الأبناء أمر الوالد وذهبوا إلى مصر وانتهوا إليها ونزلوا بها وأتوا الى دار العزيز ﴿فلما دخلوا عليه قالوا﴾ ما أخبر تعالى به عنهم ﴿يا أيها العزيز مسّنا[2] وأهلنا الضر﴾ أي من الجدب والقحط والمجاعة ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ أي دراهم رديئة مدفوعة لا تقبل كما تقبل الجيدة منها ﴿فأوف[3] لنا الكيل﴾ بها ﴿وتصدق علينا﴾ بقبولها على رداءتها ﴿إن الله يجزي[4] المتصدقين﴾ أي يثيبهم على إحسانهم ويجزيهم به خيراً.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ شدة الحزن تعرض صاحبها للحرض أو الموت.

٢ـ تحرم الشكوى لغير الله عز وجل.

٣ـ حرمة اليأس من الفرج عند الشدة والرحمة عند العذاب.

٤ـ جواز الشكوى إذا كان المراد بها الكشف عن الحال للاصلاح أو العلاج كأن يقول المحتاج إني جائع أو عار مثلاً وكأن يقول المريض للطبيب أشكو ألماً في بطني أو رأسي مثلاً.

٥ـ فضل الصدقة وثواب المتصدقين.

قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ

---

(١) الجملة تعليلية للنهي المتقدم، وهو اليأس من روح الله وهو رحمة الله وفَرَجُه.

(٢) أي: أصابهم الضرّ.

(٣) جملة تعليلية لاستدعائهم التصدق عليهم.

(٤) قال مالك: في الآية دليل على أنّ أجرة الكيال والوزان على البائع، إذ هو باع شيئا لابد وأن يبرزه ويفصله لمن اشتراه.

عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

إذ أنتم جاهلون : أي لا تعلمون ما يؤول إليه أمر يوسف.

قد منّ الله علينا : أي أنعم علينا بأن جمع بيننا بعد افتراق طويل أنتم سببه.

من يتق ويصبر : أي يتق الله فيخافه فلا يعصيه ويصبر على ما يناله من وصب ونصب.

لقد آثرك الله علينا : أي فضلك علينا بما منّ عليك من الإنعام والكمال.

لا تثريب عليكم : أي لا عتب عليكم ولا لوم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث مع يوسف وإخوته، إنه لما وصلوا إليه من أرض كنعان بأمر والدهم وشكوا إليه ما هم فيه من ضيق الحال إذ قالوا له: قد مسنا الضر[1] وجئنا ببضاعة[2] مزجاة، لما سمع منهم ذلك رق قلبه وارفَضَّت عيناه بالدموع وأراد أن ينهي التكتم الذي[3] كان عليه وهو إخفاء حاله عليهم فقال لهم: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ ذكرهم

(١) في الآية دليل على جواز الشكوى عند الضرّ بل يتعين على العبد إذا خاف على نفسه الضرر من جوع أو مرض أن يشكو ذلك لرفعه.

(٢) بضاعة مزجاة: البضاعة: القطعة من المال يقصد بها شراء شيء يقال: أبضعت الشيء واستبضعته أي: جعلته بضاعة، والمزجاة: المدفوعة التي لا تقبل من الإزجاء الذي هو السوق بدفع، ومنه قوله تعالى: ﴿يزجي سحاباً﴾ يريدون أنها بضاعة رديئة.

(٣) كأنه يقول: أنا يوسف أنا المظلوم أنا المراد قتله.

بما صنعوا به من إلقائه في الجب وبيعه عبداً وبذلك فرقوا بينه وبين والده وأخيه شقيقه وقوله: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ أي بما يصير إليه أمر يوسف وهنا قالوا في اندهاش وتعجب: ﴿أإنك لأنت يوسف﴾ فأجابهم قائلاً بما أخبر تعالى به عنه ﴿قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا﴾ أي أنعم علينا فجمع بيننا على أحسن حال ثم قال: ﴿إنه من يتق ويصبر﴾[1] أي يتق الله يخافه فيقيم فرائضه ويتجنب نواهيه ويصبر على ذلك وعلى ما يبتليه به ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي في طاعة ربهم والإسلام له ظاهراً وباطناً. وهنا قالوا له ما أخبر به تعالى عنهم: ﴿قالوا تالله لقد آثرك[2] الله علينا﴾ أي بالعلم والعمل والفضل ﴿وإن كنا لخاطئين﴾ فيما فعلنا بك، فكان هذا توبة منهم فقال لهم: ﴿لا تثريب[3] عليكم اليوم﴾[4] أي لا عتب ولا لوم ولا ذكر لما صنعتم لأنه يؤذي ﴿يغفر[5] الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ سأل الله تعالى له ولهم المغفرة وأثنى على الله تعالى بأنه أرحم الراحمين متعرضاً لرحمته تعالى له ولإخوته. ثم سألهم عن والده فأخبروه أنه قد عمي من الحزن عليه فقال: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾[6] أي يرجع بصيرًا كما كان ﴿وأتوني بأهلكم أجمعين﴾[7] يريد أبويه والنساء والأطفال والأحفاد. وهو تحول كامل للأسرة الشريفة من أرض كنعان إلى أرض مصر تدبيراً من الله العزيز الحكيم.

هداية الآيات

---

(١) الجملة تعليلية، والمعلل لهُ محذوف هو جواب الشرط تقديره: ينعم الله تعالى عليه وينصره ويكرمه، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

(٢) آثره بكذا: إذا فضّله به، والمصدر: الإيثار، واسم الفاعل مؤثر.

(٣) التثريب: التوبيخ، والتقريع، واللوم، وفي الحديث الصحيح: (إذا زنت أمَة أحدكم فليجلدها الحدّ ولا يثرِّب عليها) أي: لا يعيّرها. قال الشاعر:

فعفوت عنهم غير مثرّب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

(٤) لا يصحّ تعليق اليوم بيغفر الله إذ لا يعلم الغفران متى يتم لهم فكيف يصح أن يقال: يغفر الله لكم اليوم أو غدا؟ بل يتعلق اليوم بكلمة لا تثريب.

(٥) قال عطاء الخرساني: طلب الحوائج من الشباب أسهل منها من الشيوخ ألم ترَ إلى قول يوسف: يغفر الله لكم. وقال يعقوب: سوف استغفر لكم ربي.

(٦) لا شك أنّ هذا العلم حصل ليوسف بوحي من الله تعالى، ولعل يوسف نبىء ساعتئذ وأراد يوسف بإلقاء القميص على وجه أبيه المفاجأة السارة لتكون سبباً في رجوع البصر.

(٧) قال مسروق: كانوا ثلاثة وتسعين نسمة ما بين رجل وامرأة.

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير مبدأ أن المعاصي لن تكون إلا نتيجة للجهل بالله تعالى وجلاله وشرائعه ووعده ووعيده.

٢ـ فضل التقوى والصبر وما لهما من حسن العاقبة.

٣ـ فضل الصفح والعفو وترك عتاب القريب إذا أساء.

وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾
فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ
أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ
يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ
أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ
لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

شـرح الكلمـات :

ولما فصلت العير : أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلى أرض فلسطين.
أني لأجد ريح يوسف : أشتمها لأن الريح حملتها إليه بأمر الله تعالى.
لولا أن تفندّون : أي تسفّهون، لصدقتموني فإني وجدت ريح يوسف.
إنك لفي ضلالك القديم : أي خطإك بإفراطك في حب يوسف.
فلما أن جاء البشير[(١)] : هو يهودَا الذي حمل إليه القميص الملطخ بالدم الكذب.
فارتـد بصيـراً : أي رجـع بصيراً.
سوف استغفر لكم ربي : أجَّلَ الاستغفار لهم إلى آخر الليل أو إلى ليلة الجمعة.
على العـرش : أي السـرير.
وخروا له سجداً : أي سجـدوا له تحية وتعظيماً.
من البـدو : أي البادية، بادية الشام.
من بعد أن نزغ : أي أفسـد.
لطيف لما يشاء : أي لطيف في تدبيره لمن يشاء من عباده كما لطف بيوسف.

معنى الآيـات :

هذه أواخر قصة يوسف عليه السلام، إنه بعد أن بعث بقميصه إلى والده وحمله أخوه يهودا ضمن القافلة المتجهة إلى أرض كنعان، ولما فصلت[(٢)] العير من عريش مصر حملت ريح الصبـا ريح يوسف إلى إبيه قال: ﴿إني لأجـد ريح يوسف[(٣)] لولا أن تفندون﴾ أي تسفهون لصدقتموني[(٤)] فإني أجدها فقال الحاضرون مجلسه من أفراد الأسرة والذين لم يعلموا بخبر يوسف بمصر قالوا له: ﴿إنك لفي ضلالك القديم[(٥)]﴾ أي من خطإك بإفراطك

---

(١) أن : مزيدة.
(٢) فصلت: بمعنى: انفصلت، وبانت وبعدت من المكان الذي كانت فيه كقوله تعالى ﴿فلما فصل طالوت بجنوده﴾.
(٣) الريح : الرائحة، وهي ما يعبق من طيب تدركه حاسّة الشمّ.
(٤) لصدّقتموني: جواب لولا، وهو يخاطب أحفاده أي: أولاد أولاده، والتفنيد النسبة إلى الفَند محرّك الفاء والنون وهو اختلال العقل من الهرم ونحوه قال الشاعر:

يا عاذليَّ دعا الملام وأقصرا   طال الهوى وأطلتما التفنيدا

(٥) أي : لفي ذهاب عن طريق الحق والصواب، والقائلون ليعقوب هذا هم أحفاده أو بعض الأقارب لجهلهم بمقام يعقوب، وهي عبارة فيها خشونة لكن من الجائز أن تكون في عرفهم لا خشونة فيها ولا إساءة أدب.

في حب يوسف. وواصلت العير سيرهـا وبعد أيام وصلت وجاء يهودا يحمل القميص فألقـاه على وجـه يعقـوب فارتد بصيراً كما أخبر يوسف إخوته بمصر. وهنا واجه أبناءه بالخطاب الـذى أخبـر تعالى به في قوله: ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون﴾ أي أعلم من لطف الله وحسن تدبيره ورحمته وإفضاله مالا تعلمون. وهنا طلبوا من والـدهم أن يعفو عنهم ويستغفر لهم ربهم فقالوا ما أخبر تعالى به: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين، قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾. أجَّلَ لهم طلب المغفرة إلى ساعة الاستجابة كآخر الليل وقت السحر أو يوم الجمعة. وتنفيذاً لأمر يوسف إخوته بأن يأتوه بأهلهم أجمعين تحملت الأسرة بسائر أفرادها مهاجرين إلى مصر. وكان يوسف وملك مصر وألوف من رجال الدولة وأعيان البلاد في استقبالهم، وكـان يوسف قد ضربت له خيمـة أو فسـطاط، ووصلت المهاجرة إلى مشارف الديار المصرية وكان يوسف في فسطاطه ﴿فلما دخلوا عليه آوى إليه أبويه﴾ أي ضمّهما إلى موكبه ﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ ولما انتهوا إلى القصر ودخلوا ﴿ورفع﴾ يوسف ﴿أبويه﴾ أمه وأباه ﴿على العرش﴾ سرير الملك ﴿وخروا له سجداً﴾ تحية وتشريفاً.[١] وهنا قال يوسف ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ إذ رأى في صباه أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رآهم له ساجدين. وقوله ﴿وقد أحسن بي[٢] إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو[٣] من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾ هذا ثناء على الله بنعمه وتذكير للحاضرين بالحادثة والطاف الله تعالى فيها. ومن كرم نفس يوسف وسمو آدابـه لم يقـل قد أحسن بي إذ أخـرجني من الجب فيذكرهم بما يؤلمهم بل قال من السجن. ويعني بقوله وجاء بكم من البدو أي من أرض كنعان. ونسب الإساءة التي كانت من إخـوتـه إلى الشيطان تلطيفاً للجو ومبالغة في إذهاب الهم من نفس إخوته، وختم حديث النعمـة في أعـظم فرحة ﴿إن ربي لطيف[٤] لما يشاء انه هو العليم﴾ أي بخلقه

---

(١) على عادة أهل ذلك الزمان، وهو سجود تحية لا عبادة.

(٢) أحسن بي وإليّ بمعنى واحد أي قدم أي صنع إليّ معروفاً. بجلب خير أو دفع ضير.

(٣) أي: البادية، والبدو ضدّ الحضر، والاسم مشتق من البُدوّ الذي هو الظهور والنزغ عبارة عن ادخال الفساد في النفس، شبه بنزغ الراكب الدابة وهو يريدها تسرع.

(٤) اللطف: التدبير الملائم، واللطيف: صاحب اللّطف.

﴿الحكيم﴾ في تدبيره وصنعه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ آية عظيمة هي حمل الريح ريح[1] يوسف على مسافات بعيدة.

٢ـ آية أخرى هي ارتداد بصر يعقوب بعد العمى بمجرد أن أُلقِيَ القميص على وجهه.

٣ـ كرم يعقوب وحسن عفوه وصفحه على أولاده إذ استغفر لهم ربهم فغفر لهم.

٤ـ مشروعية الخروج خارج المدينة لاستقبال أهل الكمال والفضل كالحجاج مثلا.

٥ـ صدق رؤيا يوسف عليه السلام إذ تمت حرفياً فجلس يوسف على عرشه وخر له أبواه وإخوته ساجدين.

٦ـ قد يتأخر تأويل الرؤيا عشرات السنين إذ تأخرت رؤيا يوسف أربعين سنة.

٧ـ تجليات الألطاف الإلهية والرحمات الربانية في هذه القصة في مظاهر عجيبة.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

شـرح الكلمـات :

رب : أي يا رب خالقي ورازقي ومالك أمري ومعبودي الذي ليس لي معبود سواه.

من الملك : أي من بعض الملك إذ أصبح ملكاً لمصر فقط.

تأويل الأحاديث : تعبير الـرؤا.

فاطر السموات والأرض : أي خالقهما على غير مثال سابق.

أنـت ولـيّ : أي متولي أمري في الحياتين الدنيا والآخرة.

---

(١) أي : رائحته.

معنى الآية الكريمـة :

هذا آخر الحديث عن قصة يوسف، إنه بعد أن جمع الله تعالى شمله بكافة أفراد أسرته وفتـح عليه من خزائن رحمته ما فتح، وانقلبت الإحراقات: إحراقات الإلقاء في الجب، والبيع رقيقاً بثمن بخس، وفتنة امرأة العزيز، والسجن سبع سنين؛ انقلبت إلى اشراقات ملكاًودولة، عزاً ورفعة، مالاً وثراء، اجتماعاًووئاماً، وفوق ذلك العلم اللدنى والوحي الإلهي وتأويل الأحاديث. وبعد أن قبض الله تعالى والده وتاب على إخوته وهيأهم للنبوة ونبأهم. تاقت نفس يوسف إلى الملكـوت الأعلى إلى الجيرة الصـالحة إلى رفقة الأخيار آبائه الأطهار ابراهيم وإسحق ويعقوب رفع يديه إلى ربه وقال: ﴿رب قد آتيتني من[1] الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني[2] مسلمـاً وألحقني بالصالحين﴾واستجاب الله تعالى دعاءه فلم يلبث إلا قليلاً حتى وافاه الأجل فارتحل والتحق بأبائه وصالحي إخوانه فسلام عليه وعليهم وعلى كل صالح في الأرض والسماء، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

هداية الآيـة

من هداية الآيــة :

١ـ مشروعية دعاء الله تعالى والتوسل إليه بأسمائه وصفاته.

٢ـ مشروعية العزوف عن الدنيا والرغبة عنها عند حصولها والتمكن منها.

٣ـ فضل الشوق إلى الله والحنين إلى رفقة الصالحين في الملكوت الأعلى.

٤ـ مشروعية سؤال الموت إن لم يكن لضر أو ملل من العبادة، أو رغبة في الراحة لحديث «لا يسألن أحدكم[3] الموت لضر نزل به» وهو صحيح. ولكن شوقاً إلى الله تعالى والالتحاق بالصالحين،[4] عزوفاً عن هذه الدار وشوقاً إلى الأخرى دار السلام.

---

(١) من: للتبعيض، إذ ملك مصر محدود، ولم يملك يوسف على غيره، ومن في قوله: ﴿من تأويل الأحاديث﴾ للجنس أولى مما تكون للتبعيض.

(٢) قال قتادة: لم يتمن الموت أحد نبي ولا غيره إلاّ يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم، وجمع له الشمل اشتياقاً إلى لقاء ربه عز وجل، وردّ الجمهور هذا وقالوا: إنّما تمنى الموت على الإسلام وما ذكرته في التفسير أرجح وأوضح.

(٣) في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يتمنينّ أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنياً فليقل: اللهم احيني ما كانت الحياة خير لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي) رواه مسلم.

(٤) قيل: كان عمره يوم مات: مائة عام وسبع سنين، وخلف من الولد ثلاثة: افرائيم، ومنشا، ورحمة.

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

شرح الكلمات :

ذلك	: اشارة إلى ما قص تعالى على رسوله من قصة يوسف وإخوته.
من أنباء الغيب	: أي أخبار الغيب.
وما كنت لديهم	: أي لدى إخوة يوسف.
إذ أجمعوا أمرهم	: أي اتفقوا على إلقاء يوسف في غيابة الجب.
وهم يمكرون	: أي يحتالون على إخراجه وإلقائه في الجب.
عليه من أجر	: أي على القرآن وإبلاغه من ثواب أي مال.
إن هو إلا ذِكْرٌ	: أي ما هو إلا ذكر أي موعظة يتعظ بها المؤمنون.

معنى الآيات :

بعد ما قص تعالى على رسوله بواسطة الوحي قصة يوسف وإخوته وهي من الغيب المحض إذ لم يكن رسول الله ﷺ ولا قومه من العرب يعرفون عن هذه الأحداث التاريخية شيئاً، لا سيما وأن بعض هذه الأنباء تم في ظلام الليل وبعضها فى ظلام البئر وبعضها وراء الستور، وبعضها فى طبقات السجون وبعضها في قصور الملوك وبعضها في الحضر وبعضها في البدو، وبعد تطاول الزمن وتقادم العصور. بعد أن قص ما قص قال لرسوله

محمد ﷺ : ﴿ذلك من أنباء الغيب﴾[1] أي من أخبار الغيب ﴿نوحيه إليك﴾ أي نعلمك به بطريق الوحي ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ ويؤكد وحيه إليه بذلك فيقول، وما كنت لدى إخوة يوسف فى الوقت الذي أجمعوا فيه أمرهم على التخلص من يوسف بأي ثمن وهم يحتالون على إخراجه من بين يدي أبويه ليلقوه في غيابة الجب تخلصاً منه حيث رأوا أنه حجب عنهم وجه أبيهم وذهب بعطفه وحنانه دونهم. وقوله تعالى: ﴿وماأكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[2] يخبره تعالى أن الإيمان بك وبما جئت به من الوحي والتوحيد والبعث الآخر مثل هذا القصص كافٍ في التدليل على صحة نبوتك وعلى وجوب الإيمان بما جئت به وتدعو إليه ومع هذا فأكثر الناس ولو حرصت على إيمانهم ما هم بمؤمنين، ولذلك عوامل من أبرزها أن الإيمان يتعارض مع ما ألفوا من الباطل والشر والفساد، لا سيما شهواتهم وأغراضهم الدنيوية ومن قبل ذلك أن من كتب الله شقاءه لا يؤمن بحال، ولذا فلا تحزن ولا تكرب، وقوله تعالى: ﴿وما تسألهم عليه من أجر﴾[3] أي على هذا القرآن وإبلاغه إليهم من مال إذ لو كنت سائلهم أجراً على قراءتك عليهم وإبلاغك لهم لكان ذلك مانعاً من قبول ما تدعوهم إليه، ولكن ما دام ذلك يقدم لهم مجاناً فلا معنى لعدم إيمانهم إلا ما كتب الله من خسرانهم فهم عاملون للوصول إليه.

وقوله تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي ما هذا القرآن وما يحمله من هدى ونور وقراءتك له إلا ذكرى أي موعظة يتعظ بها من يسمعها من أهل البصيرة والإيمان من العالمين ممن هيأهم الله تعالى للسعادة والكمال، وقوله تعالى: ﴿وكأين من آية في[4] السموات والأرض﴾ أي وكثير من الآيات الدالة على الله وعلى وجوب عبادته وتوحيده فيها

---

(١) هذا الكلام تذييل للقصة بعد انتهائها. إتماماً للفائدة منها، والغيب ما غاب عن علم الناس، وأصل الغيب مصدر غاب يغيب غيباً، فسمي به الشيء الغائب

(٢) في الآية تسلية للرسول ﷺ إذا آلمه عدم إيمان قريش بعد أن سألوه عن هذه القصة ليؤمنوا فلمّا قصها عليهم لم يؤمنوا فآلمه ذلك.

(٣) (من) صلة لتقوية النفي.

(٤) أصل: كأيّن: أي. فدخلت عليها كاف التشبيه، وبنيت معها فصار معناها (كم) قال القرطبي: قد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

في السموات كالشمس والقمر والكواكب والسحب والأمطار، والأرض كالجبال والأنهار والأشجار والمخلوقات المختلفة يمرون عليها صباح مساء وهم معرضون غير ملتفتين إليها ولا متفكرين فيها فلذا هم لا يؤمنون ولا يهتدون. وقوله تعالى في الآية الأخيرة (١٠٦) ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾[1] يخبر تعالى رسوله أن من يدعوهم إلى الإيمان به وبما جاء به ما يؤمن أكثرهم بالله رباً خالقاً رازقاً إلا وهم مشركون به أصناماً وأوثاناً يعبدونها وهي حقيقة قائمة لو سئل يهودي أو نصراني عن الخالق الرازق المحيي المميت المدبر للكون لقال الله، ولكن هو به مشرك يعبد معه غيره وكذلك حال المشركين الذين أخبر تعالى عنهم، وكثير من أهل الجهل فى هذه الأمة القرآنية يدعون غير الله ويذبحون لغير الله وينذرون لغير الله وهم مؤمنون بالله وبما جاء به رسوله من التوحيد والبعث والجزاء والشرع.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير النبوة المحمدية بأصدق برهان وأعظم حجة.

٢ـ بيان حكم الله في الناس وهو أن أكثرهم لا يؤمنون فلا يحزن الداعي ولا يكرب.

٣ـ دعوة الله ينبغي أن تقدم إلى الناس مجّاناً، وأجر الداعي على الله تعالى الذي يدعو إليه.

٤ـ ذم الغفلة وعدم التفكر في الآيات الكونية.

٥ـ بيان حقيقة ثابتة وهي أن غير أهل التوحيد وإن آمنوا بالله رباً خالقاً رازقاً مدبراً أكثرهم يشركون به غيره في بعض صفاته وعباداته.

أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَـٰذِهِۦ

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في تلبية المشركين: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ
إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ
وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

شـرح الكلـمات :

غاشية من عذاب الله : أي نقمة من نقمه تعالى تغشاهم[1] أي تحوط بهم.

بغتـة : فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم.

هذه سبيلي : أي دعوتي وطريقتي التي أنا عليها.

على بصيـرة : أي على علم يقين مني.

وسبحان الله : أي تنزيهاً لله وتقديساً أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه.

من أهل القرى : من أهل المدن والأمصار لا من أهل البوادي.

للذين اتقوا : أي الله تعالى بأداء فرائضه وترك نواهيه.

أفلا تعقلـون : أي أفلا يعقل هؤلاء المشركون هذا الذي يتلى عليهم ويبين لهم فيؤمنوا ويوحدوا.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الدعوة إلى الإيمان بالوحي الإلهي والتوحيد والبعث والجزاء وهي أركان الدين العظمى، فقال تعالى: أفأمن هؤلاء المشركون والذين لا يؤمن ﴿أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ والذين يمرون بالكثير من آيات الله وهم معرضون، أفأمن هؤلاء ﴿أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ أي عقوبة من عذاب تغشاهم وتجللهم بالعذاب الذي لا

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: مجلّلة، وهو معنى تعظيمهم، وتحوط بهم من كل جوانبهم بحيث لا ينجون منها.

يطاق ﴿أو تأتيهم الساعة﴾ أي القيامة ﴿بغتة﴾[1] أي فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئها فتعظم البلية وتشتد عليهم الرزية، وكيف يأمنون وهل يوجد من يؤمنهم غير الله تعالى فما لهم إذاً لا يؤمنون ولا يتقون حتى ينجوا مما يتوقع لهم؟ هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٧) أما الثانية فقد أمر الله تعالى رسوله أن يواصل دعوته دعوة الخير هو والمؤمنون معه فقال: ﴿قل هذه سبيلي﴾ أي قل أيها الرسول للناس هذه طريقتي في دعوتي إلى ربي بأن يؤمن به ويعبد وحده دون سواه. ﴿أدعو إلى الله على بصيرة﴾[2] أي على علم يقين بمن أدعو إليه وبما أدعو به وبالنتائج المترتبة على هذه الدعوة، ﴿أنا ومن اتبعني﴾ من المؤمنين كلنا ندعو إلى الله على بصيرة.

وقوله تعالى: ﴿وسبحان الله﴾ أي وقل سبحان الله أي تنزيهاً له عن أن يكون له شريك أو ولد، وقل كذلك معلناً براءتك من الشرك والمشركين ﴿وما أنا من المشركين﴾. هذا ما دلت عليه الآية الثانية. أما الآية الثالثة فإن الله تعالى يخبر رسوله بأنه ما أرسل من قبله من الرسل وهم كثر إلا رجالاً أي لا نساء ولا ملائكة ﴿نوحي إليهم من أهل القرى﴾[3] أي الأمصار والمدن، وهذا إبطال لإنكارهم أن يكون الرسول رجلاً من الناس، وقوله تعالى ﴿أفلم يسيروا﴾ أي هؤلاء المكذبون من قريش وغيرهم ﴿في الأرض﴾ للاعتبار ﴿فينظروا﴾[4] كيف كان عاقبة من سبقهم من الأمم كعاد وثمود فإنا أهلكناهم ونجينا أهل الإيمان والتوحيد من بينهم مع رسلهم هذه النجاة ثمرة من ثمرات الإيمان والتقوى، ﴿ولدار الآخرة خير[5] للذين اتقوا﴾ فإنها دار النعيم المقيم والسلامة من الآهات والعاهات والكبر والهرم والموت والفناء.

وقوله تعالى في نهاية الآية ﴿أفلا تعقلون﴾[6] يوبخ أولئك المشركين المصرين على

---

(١) ﴿فينظروا﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم وما جاءوهم به من الهدى ودين الحق من أجل هدايتهم، وسعادتهم.

(٢) ﴿ولدار الآخرة خير﴾ مبتدأ وخبر، وهل الإضافة هنا كما هي في يوم الخميس وبارحة الأولى؟ خلاف ويُرجحَ أحدَ الرأيين فقولُ الشاعر:

ولو أقوت عليك ديار عبس   عرفت الذل عرفان اليقين

أي: عرفاناً يقينيا. قال النحاس: إضافة الشيء إلى نفسه محال، لأنّ الشيء يضاف إلى غيره ليعرّف به الأجود أن يقال: الصلاة الأولى.

(٣) قرىء: ﴿أفلا يعقلون﴾: بالياء والتاء في السبع.

(٤) منصوب على الحال، ومعناه إصابة من غير توَقع ﴿وهم لا يشعرون﴾: توكيد لمعنى بغتة. هذا كقوله تعالى ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾.

(٥) أي: على يقين وحق كقولهم: فلان مستبصر بهذا الأمر.

(٦) قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالاً نوحي إليهم﴾ ردٌ على القائلين ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾.

التكذيب والشرك على عدم تعقلهم وتفهمهم لما يتلى عليهم وما يسمعون من الآيات القرآنية وما يشاهدون من الآيات الكونية.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ التحذير من العقوبات المترتبة على الشرك والمعاصي.

٢ـ تقرير عقيدة البعث الآخر.

٣ـ تعين الدعوة إلى الله تعالى على كل مؤمن تابع للرسول صلى الله عليه وسلم.

٤ـ تعين العلم اليقيني للداعي إلى الله إذ هو البصيرة المذكورة في الآية.

٥ـ وجوب توحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

٦ـ الرسالة من خصوصيات الرجال وليس في النساء رسولة.(1)

٧ـ بيان ثمرات التوحيد والتقوى في الدنيا والآخرة.

حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ
نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ
حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ
وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾

شـرح الكلـمات :

استيأس الرسل : أي يئسوا من نصرهم.

وظنوا أنهم قد كذبوا : أي ظن الأمم المرسل إليهم أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به

(١) حديث: (إن في النساء أربع نبيّات حواء وآسية وأم موسى ومريم) حديث ضعيف لا يصح، وهو معارض لهذه الآية وآيات أخرى.

من النصر.

ولا يرد بأسنا : أي عذابنا الشديد.

عن القوم المجرمين : أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي وأجرموا على غيرهم بصرفهم عن الإيمان.

لقد كان في قصصهم : أي الرسل عليهم السلام.

ما كان حديثاً يفترى : أي ما كان هذا القرآن حديثاً يختلق.

تصديق الذي بين يديه : أي ما قبله من الكتب الإلهية إن نزل مصدقاً لها في الإيمان والتوحيد.

معنى الآيتين

ما زال السياق في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد بقوله تعالى ما زال من أرسلنا من رسلنا يدعون إلينا ويواصلون دعوتهم ويتأخر نصرهم حتى يدب اليأس إلى قلوبهم[1] ويظن أتباعهم أنهم قد أخلفوا ما وعدوا به من نصرهم وإهلاك أعدائهم ﴿جاءهم﴾ بعد وجود اليأس نصرنا[2] ﴿فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾. هذا ما جاء في الآية الأولى ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فننجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ و هم أهل الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم[3] عبرة لأولي الألباب﴾ أي كان في قصص الرسل مع أممهم بذكر أخبارهم وتبيان أحوالهم من نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين المكذبين عبرة يعتبر[4] بها المؤمنون فيثبتون على إيمانهم ويواصلون تقواهم لربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

وأولوا الألباب هم أصحاب العقول، وقوله تعالى: ﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أي لم يكن هذا القرآن العظيم بالحديث الذي في إمكان الإنسان أن يكذب ويختلق مثله بحال من

---

(١) أي: من إيمان قومهم، لأنّ الله تعالى لم يعلمهم أنّ قومهم سيؤمنون حتى لا يصح منه ظن عدم إيمانهم.

(٢) المراد بالنصر: العذاب، فلما جاء العذاب بعد طول انتظار نجى الله تعالى رسله والمؤمنين، وأهلك أعداءه وأعداءهم الكافرين.

(٣) يدخل أوّلا قصة يوسف، وإخوته ثم باقي القصص.

(٤) فكرة وتذكرة وعظة.

الأحوال ولكنه أي القرآن هو ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ أي تقدم في النزول عليه كالتوراة والإنجيل فهو مصدق لهما في أصول الإيمان والتوحيد ولا يتنافى معهما وهذا أكبر دليل على أنه وحي إلهي مثلهما، وليس بالكلام المختلق كما يقول المبطلون، وقوله تعالى: ﴿وتفصيل[1] كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ أي كما هو مصدق لما بين يديه هو أيضاً يفصل كل شيء تحتاج إليه البشرية في دينها المزكي لأنفسها الموجب لها رحمة ربها ورضاه عنها وهدى ينير الطريق فيهدي من الضلالة ورحمة تنال المؤمنين به العاملين به المطبقين لشرائعه وأحكامه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان سنة الله تعالى في تأخر النصر على رسله وعباده المؤمنين زيادة في الإعداد والتمحيص ثم يأتي نصر الله فيعز أولياء الله ويذل أعداءه.

٢ـ التنديد بالإجرام وهو الإفساد للعقائد والأخلاق والشرائع والأحكام.

٣ـ بيان فضل القرآن وما فيه من الهدى والرحمة لمن طلب ذلك منه.

٤ـ المؤمنون باعتبار أنهم أحياء هم الذين ينتفعون بهداية القرآن ورحمته.

---

(١) أي: مما يحتاج إليه البشر من الحلال والحرام، والشرائع والأحكام.

فهـرس المجلـد الثاني

أيسر التفاسير

لكلام العلي الكبير

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الثالث

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

طبعة مزيدة ومنقحة ومصححة وبهامشها

نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثالثة
مصححة ومنقحة
وبهامشها
نهر الخير على أيسر التفاسير

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الرَّعۡدِ

مكيـــة

وآياتها ثلاث وأربعون آيـة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ
عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ
يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ
رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ
ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ
قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ
وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ
فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

الٓمٓر : هذه الحروف المقطعة تكتب الٓمر وتُقرأ ألف لاَمْ مِيمْ را. والله أعلم بمرادها.

بغير عمد ترونها : العمد جمع عمود أي مرئية لكم إذ الجملة نعت.

ثم استوى على العرش[1] : استواء يليق به عزوجل.

وسخر الشمسَ والقمر : أي ذللّها بمواصلة دورانها لبقاء الحياة إلى أجلها.

هو الذى مد الأرض : أي بسطها للحياة فوقها.

رواســـــى : أي جبال ثوابت.

زوجين اثنين : أي نوعين وضربين كالحلو والحامض والأصفر والأسود مثلا.

يغشي الليل النهار : أي يغطيه حتى لا يبقى له وجود بالضياء.

لآيـــات : أي دلالات على وحدانية الله تعالى.

قطـع متجـاورات : أي بقاع متلاصقات.

ونخيـل صـنوان : أي عدة نخـلات في أصل واحد يجمعها، والصنو الواحد والجمع صنوان.

في الأكـــل : أي في الطعم هذا حلو وهذا مرّ وهذا حامض، وهذا لذيذ وهذا خلافه.

معنـى الآيـات :

قوله تعالى ﴿آلمرَ﴾ الله أعلم بمراده به. وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾ الإشارة إلى ما جاء من قصص سورة يوسف، فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل فمن جملة آياتها ما قص الله تعـالى على رسـولـه. وقـولـه: ﴿والذي[2] أنزل إليك من ربك﴾[3] وهو القرآن العظيم ﴿الحق﴾ أي هو الحق الثابت. وقوله ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ أي مع أن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق فإن أكثر الناس من قومك وغيرهم لا يؤمنون بأنه وحي الله وتنزيله فيعملوا به فيكملوا ويسعدوا. وقوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات والأرض بغير عمد[4]

---

(١) عقيدة السلف في هذه الصفة: وجوب الإيمان بها وإمرارها كما ذكرها تعالى بلا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، وكذا سائر صفاته عزّ وجلّ.

(٢) يصح أن تكون الواو عاطفة صفة على أخرى، أي: عطفت الذي على الكتاب فالموصول في محل جرّ نعت للكتاب، وهو نظير قول الشاعر:

إلى الملِك القرم وابن الهمام   وليث الكتيبة في المزدحم

ويكون المعنى: تلك آيات الكتاب الذي أنزل إليك من ربك والحق: مرفوع على أنه خبر لمبتأ محذوف تقديره: هو الحق. وما في التفسر واضح قال به مجاهد وقتاده.

(٣) قال مقاتل: نزلت هذه الآية رداً على المشركين القائلين: إنّ محمداً ﷺ يأتي بالقرآن من تلقاء نفسه.

(٤) في الآيات استدلال بقدرة الله وعلمه وحكمته على أن القرآن الكريم وحيه أوحاه إلى رسوله وتنزيله أنزله عليه ليس كما يدّعي المشركون

ترونها﴾ : أي أن إلهكم الحق الذي يجب أن تؤمنوا به وتعبدوه وتوحدوه الله الذى رفع السموات على الأرض بغير عمد مرئية لكم ولكن رفعها بقدرته وبما شاء من سنن . وقوله : ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي خلق السموات والأرض ثم استوى على عرشه استواء يليق بذاته وجلاله يدبر أمر الملكوت وقوله : ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي ذللهما بعد خلقهما يسيران في فلكهما سيراً منتظماً إلى نهاية الحياة ، وقوله ﴿كل يجري﴾ أي في فلكه فالشمس تقطع فلكها في سنة كاملة والقمر في شهر كامل وهما يجريان هكذا إلى نهاية الحياة الدنيا فيخسف القمر وتنكدر الشمس وقوله : ﴿يدبر الأمر﴾ أي يقضى ما يشاء في السموات والأرض ويدبر أمر مخلوقاته بالإماتة والاحياء والمنع والإعطاء كيف يشاء وحده لا شريك له في ذلك. وقوله : ﴿يفصل الآيات﴾ أي القرآنية بذكر القصص وضرب الأمثال وبيان الحلال والحرام كل ذلك ليهيئكم ويعدكم للإيمان بلقاء ربكم فتؤمنوا به وتعبدوا الله وتوحدوه في عبادته فتكملوا في أرواحكم وأخلاقكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم . وقوله تعالى : ﴿وهو الذي مد الأرض﴾[1] أي بسطها ﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿وأنهاراً﴾ أي وأجرى فيها أنهاراً ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ أي نوعين وضربين فالرمان منه الحلو ومنه الحامض والزيتون منه الأصفر والأسود، والتين منه الأبيض والأحمر وقوله : ﴿يغشى الليل النهار﴾ أي يغطي سبحانه وتعالى النهار بالليل لفائدتكم لتناموا وتستريح أبدانكم من عناء النهار. وقوله : ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور في هذه الآية الكريمة من مد الأرض وجعل الرواسي فيها واجراء الأنهار، وخلق أنواع الثمار واغشاء الليل النهار، في كل هذا المذكور ﴿لآيات﴾ أي علامات ودلائل واضحات على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته وعلى وجوب عبادته وتوحيده وعلى الإيمان بوعده ووعيده ، ولقائه وما أعد من نعيم لأوليائه وعذاب لأعدائه ، وقوله تعالى : ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾[2] أي بقاع من الأرض بعضها إلى جنب بعض متلاحقات هذه تربتها طيبة وهذه تربتها خبيثة ملح سبخة وفي الأرض أيضاً جنات أي بساتين من

---

(١) لمّا ذكر تعالى آياته الكونية في السماء ذكر آياته الكونية في الأرض استدلالا بها على قدرته وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده وعبادته دون سواه .

(٢) أي : وأخرى غير متجاورات فحذفت على حدّ قوله : ﴿سرابيل تقيكم الحرّ﴾حيث حذف المقابل وهو: تقيكم البرد.

أعناب وفيها زرع ونخيل ﴿صنوان﴾[1] النخلتان والثلاث في أصل واحد، ﴿وغير صنوان﴾ كل نخلة قائمة على أصلها، وقوله: ﴿تسقى﴾ أي تلك الأعناب والزروع والنخيل ﴿بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾[2] وهو ما يؤكل منها فهذا حلو وهذا حامض وهذا لذيذ وهذا سمج، وقوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من القطع المتجاورات مع اختلاف الطيب وعدمه وجنات الأعناب والنخيل وسقيها بماء واحد واختلاف طعومها وروائحها وفوائدها ﴿لآيات﴾[3] علامات ودلائل باهرات على وجوب الإيمان بالله وتوحيده ولقائه، ولكن ﴿لقوم يعقلون﴾ أما الذين فقدوا عقولهم لاستيلاء المادة عليها واستحكام الشهوة فيها فإنهم لا يدركون ولا يفهمون شيئاً فكيف إذاً يرون دلائل وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته فيؤمنون به ويعبدونه ويتقربون إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة الوحي الإلهي ونبوة محمد ﷺ.

٢- تقرير عقيدة التوحيد وأنه لا إله إلا الله.

٣- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الكسب في الدنيا.

٤- فضيلة التفكر في الآيات الكونية.

٥- فضيلة العقل للاهتداء به إلى معرفة الحق واتباعه للإسعاد والإكمال.

﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ

---

(١) الصنو: المثل، ومنه الحديث: (عمّ الرجل صنو أبيه) ولا فرق بين التثنية والجمع في: (صنوان) إلّا بكسر نون المثنى، وتنوين نون الجمع، فتقول: هذان صنوان وهؤلاء صنوان.

(٢) كالدقل والحلو والحامض، وبنو آدم كذلك الأصل واحد والخلاف قائم هذا مؤمن وهذا كافر، هذا صالح وهذا فاسد، كما قال الشاعر:

الناس كالنبت والنبت ألوان   منها شجر الصندل والكافور والبان
ومنها شجر ينضح طول الدهر قطران

(٣) في هذه الآيات دلائل الوحدانية وعظم الصمدية والإرشاد لمن ضل عن معرفته حيث نبّه تعالى بقوله: ﴿متجاورات﴾ ومع تجاورها قطعة عذبة وأخرى ملحة، قطعة طيّبة وأخرى خبيثة كما أنّ التربة واحدة، وتسقى بماء واحد وتختلف طعوم الثمار وألوانه وخصائصه ومنافعه فهذا لن يكون صادراً إلّا عن ذي قدرة لا تُحدّ وعلم لا ينتهي وحكمة لا يخلو منها شيء، وهو الله تعالى، وأين الطبيعة العمياء الصماء التي لا علم لها ولا إرادة من الله خالق كل شيء العليم بكل شيء؟

جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ
فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾
وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن
قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ
أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ
وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وإن تعجب : أي يأخذك العجب من إنكارهم نبوتك والتوحيد.

فعجب : أي فأعجب منه إنكارهم للبعث والحياة الثانية مع وضوح الأدلة وقوة الحجج.

لفي خلق جديد : أي نرجع كما كنا بشراً أحياء.

الأغلال في أعناقهم : أي موانع من الإيمان والاهتداء في الدنيا، وأغلال تشد بها أيديهم إلى أعناقهم في الآخرة.

بالسيئة : أي بالعذاب.

قبل الحسنة : أي الرحمة وما يحسن بهم من العاقبة والرخاء والخصب.

المثلات : أي العقوبات واحدها مَثُلة التي قد أصابت المكذبين في الأمم الماضية.

لولا أنزل عليه : أي هلاَّ أنزل، ولولا أداة تحضيض كهلاَّ.

آية من ربـه : أي معجزة كعصا موسى وناقة صالح مثلاً.

ولكل قوم هـاد : أي نبي يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه وحده ولا يشركون به غيره.

ما تحمل كل أنثى : أي من ذكر أو أنثى واحداً أو أكثر أبيض أو أسمر.

وما تغيض الأرحام : أي تنقص من دم الحيض، وما تزداد منه.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكـريم في دعـوة المشركين إلى الإيمان بالتوحيد والنبوة المحمدية والبعث يوم القيامة للحساب والجزاء، فقوله تعالى في الآية الأولى (٥) ﴿وإن تعجب﴾[١] يا نبينـا من عدم إيمـانهم برسالتك وتوحيد ربك فعجب أكبر هو عدم إيمانهم بالبعث الآخـر، إذ قالـوا في إنكار وتعجب: ﴿أئذا متنا[٢] وكنا تراباً أئنا لفي خلق جديد﴾ أي يحصل لنا بعد الفناء والبلى؟ قال تعالى مشيراً إليهم مسجلاً الكفر عليهم ولازمه وهو العذاب ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال[٣] في أعناقهم﴾ وهي في الدنيا موانع الهداية كالتقليد الأعمى والكبر والمجاحدة والعناد، وفي الآخرة أغلال توضع في أعناقهم من حديد تشد بها أيديهم إلى أعناقهم، ﴿وأولئك أصحاب النار﴾ أي أهلها ﴿هم فيها خالدون﴾ أي ماكثون أبداً لا يخرجون منها بحال من الأحوال.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٦) ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ يخبر تعالى رسوله مقرراً ما قال أولئك الكافرون بربهم ولقائه ونبي الله وما جاء به، ما قالوه استخفافاً واستعجالاً وهو طلبهم العذاب الدنيوي، إذ كان الرسول ﷺ يخوفهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فهم يطالبون به كقول بعضهم: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾، قبل طلبهم الحسنة وهذا لجهلهم وكفرهم، وإلا لطالبوا بالحسنة التي هي العافية والرخاء والخصب قبل السيئة التي هي الدمار والعذاب.

---

(١) أصل التعجب: تغير النفس بما تخفي أسبابه، والمخاطب في هذا الرسول ﷺ والمؤمنون تابعون له.

(٢) مثل هذا الاستفهام وقع في تسع سور من القرآن في أحد عشر موضعاً ومن القرّاء من استفهم في الموضعين أئذا كنا تراباً أئنا لمبعوثون ومنهم من استفهم في موضع واحد، فمن استفهم في الأول والثاني قصد المبالغة في الإنكار فأتى به في الجملة الأولى وأعاده في الثانية تأكيداً له ومن أتى به مرّة واحدة لحصول المقصود به لأنّ كل جملة مرتبطة بالثانية فإذا أنكر في إحداهما حصل الإنكار في الأخرى (أفادهُ الجمل).

(٣) الأغلال: جمع غل وهو طوق من حديد تشدّ به اليد إلى العنق.

وقوله تعالى: ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾[1] أي والحال أن العقوبات قد مضت في الأمم من قبلهم كعقوبة الله لعاد وثمود وأصحاب الأيكة والمؤتفكات فما لهم يطالبون بها استبعاداً لها واستخفافاً بها أين ذهبت عقولهم؟ وقوله تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس[2] على ظلمهم﴾ وهو ظاهر مشاهد إذ لو كان يؤاخذ بالظلم لمجرد وقوعه فلم يغفر لأصحابه لما ترك على الأرض من دابة، وقوله: ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ أي على من عصاه بعد أن أنذره وبين له ما يتقي فلم يتقَ ما يوجب له العذاب من الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧) ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾! يخبر تعالى رسوله والمؤمنين عن قيل الكافرين بالتوحيد والبعث والنبوة: ﴿لولا﴾ أي هلا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه كعصا موسى وناقة صالح، حتى نؤمن بنبوته ونصدق برسالته، فيرد تعالى عليهم بقوله: ﴿إنما أنت منذر﴾ والمنذر المخوف من العذاب وليس لازماً أن تنزل معه الآيات، وعليه فلا تلتفت إلى ما يطالبون به من الآيات، واستمر على دعوتك فإن لكل قوم هادياً[3] وأنت هادي هذه الأمة، وداعيها إلى ربها فادع واصبر.

وقوله تعالى في الآية الرابعة (٨) ﴿الله يعلم ما تحمل كل انثى﴾[4] أي من ذكر أو أنثى واحداً أو أثنين أبيض أو أسمر سعيداً أو شقياً، وقوله: ﴿وما تغيض[5] الأرحام وما تزداد﴾ أي ويعلم ما تغيض الأرحام من دماء الحيض[6] وما تزداد منها إذ غيضها ينقص من مدة الحمل وازديادها يزيد في مدة الحمل فقد تبلغ السنة أو أكثر، وقوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي وكل شيء في حكمه وقضائه وتدبيره بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص في ذات ولا صفة

---

(١) المثلات: جمع مثلة، وهي العقوبة نحو: صدُقة وصدُقات، وتضم الميم وتسكن الثاء مثْلة كغرفة والجمع مُثل كقُرب وهي العقوبة الشديدة التي تكون مثالاً تمثل بها العقوبات.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه هذه أرجى آية في كتاب الله، قال سعيد بن المسيّب، لمّا نزلت قال رسول الله ﷺ (لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحداً عيشُه ولولا عقابه ووعيده وعذابه لا تكل كل أحد).

(٣) هادي كل امة رسولها الذي بعث فيها وخلفاء الأنبياء وحواريوهم هداة يهدون من بعدهم والله يهدي من يشاء.

(٤) قال القرطبي: من ذكر أو أنثى: صَبيحٌ أو قبيح صالح أو طالح. وقوله: ﴿كل أنثى﴾ يفيد عموم كل أنثى في الإنسان والحيوان، وهو كذلك.

(٥) العادة أنّ انحباس الحيض دال على العلوق أي: الحمل، وفيضان الدم دال على عدم الحمل، وتفسير الآية بهذا حسن، فالله تعالى يعلم ما تغيض الأرحام من الدم، لانشغال الرحم بالعلقة ثمّ بالجنين، وماتزداد من الدم حتى يفيض عنها، ويخرج، وهو دم من لا حمل لها. وما في التفسير وجه وهذا الوجه أوضح.

(٦) استدل بالآية من قال: الحامل لا تحيض وهو أبو حنيفة. والجمهور على أنها تحيض كما استدل بها كل من قال: الحمل تزيد مدته إلى أربع سنوات، وهو الجمهور، وخالف الظاهرية في ذلك.

ولا حال، ولا زمان ولا مكان، وقوله: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي كل ما غاب عن الخلق، وما لم يغب عنهم مما يشاهدونه أي العليم بكل شيء، وقوله: ﴿الكبير المتعال﴾ أي الذي لا أكبر منه وكل كبير أمامه صغير المتعال على خلقه المنزه عن الشريك والشبيه والصاحبة والولد هذا هو الله وهذه صفاته فهل يليق بعاقل أن ينكر استحقاقه للعبادة دون سواه؟ فهل يليق بعاقل أن ينكر عليه أن يوحي بما شاء على من يشاء من عباده؟ فهل يليق بعاقل أن ينكر على من هذه قدرته وعلمه أن يحيي العباد بعد أن يميتهم ليسألهم عن كسبهم ويحاسبهم عليه ويجزيهم به؟ اللهم لا إذاً فالمنكرون على الله ما دعاهم إلى الإيمان به لا يعتبرون عقلاء وإن طاروا في السماء وغاصوا في الماء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير أصول العقيدة الثلاثة: التوحيد والنبوة البعث والجزاء الآخر.

٢ـ صوارف الإيمان والتي هي كالأغلال هي التقليد الأعمى، والكبر والعناد.

٣ـ عظيم قدرة الله تعالى وسعة علمه.

٤ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ
ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ
بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ
مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ
وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات:

وسارب بالنهار : أي ظاهر في سربه أي طريقه.

له معقبات : أي ملائكة تتعقبه بالليل والنهار.

من أمر الله : أي بأمر الله تعالى وعن إذنه وأمره.

لا يغير ما بقوم : أي من عافية ونعمة إلى بلاء وعذاب.

ما بأنفسهم : من طهر وصفاء بالإيمان والطاعات إلى الذنوب والآثام.

وما لهم من دونه من وال : أي وليس لهم من دون الله من يلبي أمرهم فيدفع عنهم العذاب.

من خيفته : أي من الخوف منه وهيبته وجلاله.

وهو شديد المحال : أي القوة والمماحلة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر جلال الله وعظيم قدرته وسعة علمه، قال تعالى في هذه الآية: ﴿سواء منكم[1] من أسر القول ومن جهر به﴾ فالله يعلم السر والجهر وأخفى ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ يمشي في ظلامه ومن هو ﴿سارب بالنهار﴾ أي يمشي في سربه[2] وطريقه مكشوفاً معلوماً لله تعالى، وقوله تعالى: ﴿له معقبات[3] من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من

(١) هذه الآية كالنتيجة لما تقدم من الدلائل على علم الله وقدرته وحكمته الموجبة لألوهيته وفيها تعريض بالمشركين المتآمرين على قتل النبي ﷺ أو أذيته، وسواء: بمعنى مستو، وهو اسم يكون بين شيئين كالسر هنا والجهر أي: مستوى عنده السر والجهر.

(٢) السَّرب: بفتح السين وسكون الراء: الطريق، والسارب: اسم فاعل من سرب إذا ذهب.

(٣) جمع معقبة وهو مأخوذ من العقب الذي هو مؤخر الرجل فكل من اتبع آخر فقد تعقبه فهو متعقِّب له، وعقبه يعقبه فهو عاقب له: إذا جاء بعده، والمعقبات هنا: الملائكة لحديث (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) إذا صعدت ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل وهكذا.

أمر الله﴾ جائز أن يعود الضمير فى «له» على من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، فيكون المراد من المعقبات الحرس والجلاوزة الذين يحرسون السلطان من أمر الله تعالى في نظرهم، ولكن إذا أراده الله بسوء فلا مرد له وماله من دون الله من وال يتولى حمايته والدفاع عنه، وجائز أن يعود على الله تعالى ويكون المراد من المعقبات الملائكة الحفظة[1] والكتبة للحسنات والسيئات ويكون معنى من أمر الله[2] أي بأمره تعالى وإذنه، والمعنى صحيح في التوجيهين للآية وإلى الأول ذهب ابن جرير وإلى الثاني ذهب جمهور المفسرين، وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يخبر تعالى عن سنة من سننه في خلقه ماضية فيهم وهي أنه تعالى لا يزيل نعمة أنعم بها على قوم من عافية وأمن ورخاء بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طهارة وصفاء بسبب ارتكابهم للذنوب وغشيانهم للمعاصي نتيجة الإعراض عن كتاب الله وإهمال شرعه وتعطيل حدوده والانغماس في الشهوات والضرب في سبيل الضلالات، وقوله تعالى: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال﴾ هذا إخبار منه تعالى بأنه إذا أراد بقوم أو فردٍ أو جماعة سوءاً ما أي ما يسوءهم من بلاء وعذاب فلا مرد له بحال من الأحوال بل لابد وأن يمسهم، ولا يجدون من دون الله من وال يتولى صرف العذاب عنهم، أما من الله تعالى فإنهم إذا أنابوا إليه واستغفروه وتابوا إليه فإنه تعالى يكشف عنهم السوء ويصرف عنهم العذاب، وقوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً﴾ من الصواعق من جهة وطمعاً في المطر من جهة أخرى ﴿وينشىء السحاب الثقال﴾ أي وهو الذي ينشىء[3] أي يبدء السحاب الثقال الذي يحمل الأمطار ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾[4] أي وهو الذي يسبح الرعد بحمده وهو ملك موكل بالسحاب يقول:

---

(١) الحفظة: جمع حافظ: ملائكة موكلون بالعبد يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن، والشياطين، فإذا جاء أمر الله أي: قدره تخلّوا عنه والكتبة: جمع كاتب: ملك يكتب الحسنات وآخر يكتب السيئات.

(٢) ذكر القرطبي: أن العلماء رحمهم الله تعالى ذكروا أن الله سبحانه وتعالى جعل أوامره على وجهين. أحدهما: قضى وقوعه وحلوله بصاحبه فهذا لا يدفعه أحد، والثاني: قضى مجيئه ولم يقض حلوله ووقوعه بل قضى صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة.

(٣) إنشاء السحاب: تكوينه من عدم بإثارة الأبخرة التي تتجمع سحاباً، والسحاب اسم جمع لسحابة، وسميت سحابة لأنها تسحب من مكان إلى مكان.

(٤) الباء للملابسة: أي يسبّح الله تسبيحاً ملابساً لحمده، والتسبيح، التنزيه.

سبحان الله وبحمده، وقوله: ﴿والملائكة من خيفته﴾[1] [2] أي خيفة الله وهيبته وجلاله فهي لذلك تسبحه أي تنزهه عن الشريك والشبيه والولد بألفاظ يعلمها الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله﴾[3] أي في وجوده وصفاته وتوحيده وطاعته ﴿وهو شديد المحال﴾[4] هذه الآية نزلت فعلاً في رجل[5] بعث إليه رسول الله ﷺ من يدعوه إلى الإسلام فقال الرجل الكافر لمن جاء من قبل رسول الله ﷺ: من رسول الله؟ وما الله أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس؟ فنزلت عليه صاعقة أثناء كلامه فذهبت بقحف رأسه، ومعنى شديد المحال أي القوة والأخذ والبطش.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ سعة علم الله تعالى.

٢ـ الحرس والجلاوزة لمن يستخدمهم لحفظه من أمر الله تعالى لن يغنوا عنه من أمر الله شيئاً.

٣ـ تقرير عقيدة أن لكل فرد ملائكة يتعاقبون عليه بالليل والنهار منهم الكرام الكاتبون، ومنهم الحفظة للإنسان من الشياطين والجان.

٤ـ بيان سنة أن النعم لا تزول إلا بالمعاصي.

٥ـ استحباب قول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته عند سماع الرعد لورود ذلك عن النبي ﷺ بألفاظ مختلفة.

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا

---

(١) والملائكة تسبح أيضاً من خوف الله تعالى.

(٢) ﴿من خيفته﴾ من: تعليلية أي: لأجل الخوف منه تعالى.

(٣) ﴿يجادلون﴾: المفعول محذوف تقديره: يجادلونك وأتباعك المؤمنين في شأن توحيد الله تعالى ولقائه ونبوة رسوله ﷺ.

(٤) (المحال) إن كان من الحول والميم زائدة فهو بمعنى شديد القوى، وإن كانت الميم أصلية فالمحال: بكسر الميم: فهو فِعال بمعنى الكيد، وفعله محل وتمحّل إذا تحيّل، إذ المجادلون كانوا يتحيلون في أسئلتهم، فأعلمهم الله أنه أقوى منهم، وأشد كيداً منهم.

(٥) قيل: نزلت في يهودي، وقيل: في أربد بن ربيعة، وعامر بن الطفيل، وقد هلك أربد بصاعقة نزلت به، وهلك عامر بغدة نبتت في جسمه فمات منها وهو في بيت امرأة من بني سلول.

كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا
وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ
نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ
عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

له دعوة الحق : أي لله تعالى الدعوة الحق (1) أي فهو الإله الحق الذي لا إله إلا هو.

ليبلغ فاه : أي الماء فمه.

إلا في ضلال : أي في ضياع لا حصول منه على طائل.

بالغدو والآصال : أي بالبُكر جمع بكرة، والعشايا جمع عشية.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد بالأدلة والبراهين، قال تعالى: ﴿له دعوة الحق﴾ أي لله سبحانه وتعالى الدعوة الحق وهي أنه الإله الحق الذي لا إله إلا هو، أما غيره فإطلاق لفظ الإله إطلاق باطل، فالأصنام والأوثان وكل ما عبد من دون الله إطلاق لفظ إله عليه إطلاق باطل، والدعوة إلى عبادته باطلة، أما الدعوة الحق فإنها لله وحده.

وقوله تعالى: ﴿والذين يدعون من دونه﴾ أي من دون الله من سائر المعبودات ﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ أي لا يجيبونهم بإعطائهم شيئاً مما يطلبون منهم ﴿إلا كباسط

---

(1) أي: الدعوة الصدق لله تعالى لأنه هو الذي يستجيب ويعطي السؤال وأما دعوة الأصنام، فإنها دعوة كذب وباطل، فإطلاق الإله على الله إطلاق حق وصدق، وإطلاق إله على صنم أو مخلوق فهو إطلاق كذب وباطل.

كفيه إلى الماء﴾[1] أي إلا كاستجابة من[2] بسط يديه أي فتحهما ومدهما إلى الماء والماء في قعر البئر فلا كفاه تصل إلى الماء ولا الماء يصل إلى كفيه وهو عطشان ويظل كذلك حتى يهلك عطشاً، هذا مثل من يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو خوف أو رجاء فهو محروم الاستجابة خائب في مسعاه ولن تكون له عاقبة إلا النار والخسران وهو معنى قوله تعـالى ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾[3] أي بطلان وخسران، وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السماوات﴾ أي الملائكة ﴿والأرض﴾ أي من مؤمن يسجد طوعاً، ومنافق أي يسجد كرها،[4] ﴿وظلالهم﴾ تسجد أيضاً ﴿بالغدو﴾ أوائل النهار، ﴿والآصال﴾[5] أواخر النهار. ومعنى الآية الكريمة: إذا لم يسجد الكافرون أي لم ينقادوا لعبادة الله وحده تعالى فإنّ لله يسجـد من في السمـاوات من الملائكة، ومن في الأرض من الجن والإنس المؤمنـون يسجـدون طائعين والكافرون يسجدون إذا أكرهوا على السجود والمنافقون يسجدون مكرهين، وظلالهم تسجد في البكر والعشايا كما أنهم منقادون لقضاء الله تعالى وحكمه فيهم لا يستطيعون الخروج عنه بحال فهو الذى خلقهم وصورهم كما شاء ورزقهم ما شاء ويميتهم متى شاء فأي سجود وخضوع وركوع أظهر من هذا؟ وقوله تعالى: ﴿قل من رب السماوات والأرض﴾ أي من خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما؟ وأمر رسوله أن يسبقهم إلى الجواب ﴿قل الله﴾ إذ لا جواب لهم إلا هو، وبعد أن أقروا بأن الرب الحق هو الله، أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم موبخاً مقرعاً ﴿أفاتخذتم من دونه أولياء﴾[6] أي شركاء لا يملكون لأنفسهم نفعاًولا ضراً فضلاً عن أن يملكوا لكم نفعاً أو يدفعون عنكم ضراً فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون، ومبالغة في البيان وإقامة للحجة والبرهان على وجوب التوحيد وبطلان الشرك والتنديد أمر رسوله أن يقول لهم: ﴿هل يستوى الأعمى

---

(١) ضرب الله تعالى هذا المثل المائي لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض الماء باليد، قال الشاعر:
فأصبحت فيما كان بيني وبينها   من الودّ مثل القابض الماء باليد

(٢) هذا التفسير مروي عن علي رضي الله عنه.

(٣) الضلال: التلف والضياع، والجملة: بيان لخيبة المشركين في عبادة أصنامهم ودعائها وتقرير لخسرانهم.

(٤) وكافر يسجد بخضوعه لأحكام الله تعالى الجارية عليه ولا يقدر على ردّها من غِنى وفقر، وصحة ومرض وسعادة وشقاوة.

(٥) الآصال: جمع أصل: وهو جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. وجمع الجمع أصائل.

(٦) الاستفهام للتوبيخ والتقرير.

والبصير، أم هل تستوي الظلمات والنور[1]﴾؟ والجواب قطعاً لا إذاً فكيف يستوى المؤمن والكـافر، وكيف يستوي الهدى والضلال، فالمؤمن يعبد الله على بصيرة على علم أنه خالقه ورازقه يعلم سره ونجواه يجيبه إذا دعاه أرسل إليه رسوله وأنزل عليه كتابه، والكافر المشرك يعبد مخلوقاً من مخلوقات الله لا تملك لنفسها فضلاً عن عابديها نفعاً ولا ضراً لا تسمع نداءً ولا تجيب دعاء، المؤمن يعبد الله بما شرع له من عبادات وبما طلب منه من طاعات وقربات، والكافر المشرك يعبد الباطل بهواه، ويسلك سبيل الغيّ في الحياة.

وقوله: ﴿أم[2] جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ أي بل جعلوا لله شركاء فخلقت تلك الشركاء مخلوقات كخلق الله فتشابه الخلق على المشركين فعبدوها ظناً منهم أنها خلقت كخلق الله؟ والجواب لا فإنها لم تخلق ولا تستطيع خلق ذبابة فضلاً عن غيرها إذاً فكيف تصح عبادتها وهي لم تخلق شيئاً، وقوله تعالى: ﴿قل الله خالق كل[3] شيء وهو الواحد القهار﴾ أي قل أيها الرسول للمشركين عند اعترافهم بأن آلهتهم لم تخلق شيئاً قل لهم: الله خالق كل شيء وهو الواحد الذي لا شريك له ولا ند ولا مِثْلَ، القهـار لكل جبار والمذل لكل معاند كفار، هو المستحق للعبادة الواجب له الطاعة، الإيمان به هدى والكفر به ضلال.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ دعوة الحق لله وحده فهو المعبود بحق لا إله غيره ولا رب سواه.

٢ـ حرمان المشركين من دعائهم وسائر عباداتهم.

٣ـ الخلق كلهم يسجدون لله طوعاً أو كرهاً إذ الكل خانع خاضع لحكم الله وتدبيره فيه.

---

(١) أم: للاضـراب الإنتقالي من قضية إلى أخرى واختيار العمى والبصر والنور والظلمات لبيان أنّ حال المؤمنين وحال الكافرين في تضاد فالمؤمنون مبصرون يمشون في النور، والكافرون عمي يمشون في الظلمات.

(٢) هذا من تمـام الاحتجاج والاستفهام للاضراب الانتقالي، وهو للتهكم بالمشركين، فالمعنى: لو جعلوا لله شركاء يخلقون فخلقوا كما يخلق الله فتشابه الخلق عليهم لكانوا معذورين ولكنهم لم يخلقوا ولن يخلقوا.

(٣) في الآية رد على الملاحدة الشيوعيين الذين ينكرون وجود الله جل جلاله ورد على القدرية الذين يزعمون أنهم يخلقون أفعالهم والله يقول: ﴿والله خالق كل شيء﴾ فلا يخرج شيء عن كونه مخلوقاً لله تعالى.

٤ـ مشروعية السجود للقارىء والمستمع إذا بلغ هذه الآية ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ ويستحب أن يكون طاهراً مستقبلاً القبلة، ويكبر عند الخفض والرفع ولا يسلم.

٥ـ بطلان الشرك إذ لا دليل عليه من عقل ولا نقل[1].

٦ـ وجوب العبادة لله تعالى.

أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ
لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

شـرح الكلـمات :

فسالت أودية بقدرها : أي بمقدار مائها الذي يجري فيها.

زبـداً رابيـاً : أي غثاء عالياً إذ الزبد هو وَضَرُ غليان الماء أو جريانه في الأنهار.

ومما يوقدون عليه في النار : أي كالذهب والفضة والنحاس.

ابتغاء حلية أو متاع[2] : أي طلباً لحلية من ذهب أو فضة أو متاع من الأواني.

زبد مثـــله : أي مثل زبد الســيل.

فأمـا الزبــد : أي زبد السيل أو زبد ما أوقد عليه النار.

---

(١) إذ العقل لأيُجيز عبادة مخلوق مربوب لا يملك لنفسه فضلاعن غيره موتاً ولا حياة بل ولا ضراً ولا نفعاً والنقل حرّم الشرك بجميع أنواعه الأكبر والأصغر والخفي والجلي قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ من الشرك والشركاء.

(٢) ﴿ابتغاء﴾: مفعول لأجله، والحلية: ما يتحلى به، أي يتزيّن، والمتاع ما يتمتع به وينتفع.

فيذهب جفـــاء[1] : أي باطلاً مرمياً به بعيداً إذ هو غثاء ووضر لا خير فيه.

فيمكث في الأرض : أي يبقى في الأرض زمناً ينتفع به الناس.

للذين استجابوا لربهم الحسنى: أي للذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة.

لم يستجيبوا : أي لم يؤمنوا به ولم يطيعوه.

لافتــدوا بـــه : أي من العــذاب.

ســوء الحسـاب : وهي المؤاخذة بكل ذنب عملوه لا يغفر لهم منه شيء.

وبئس المهـاد : أي الفراش الذي أعدوه لأنفسهم وهو جهنم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والتنديد بالكفر والشرك ففي هذه الآية الكريمة ضرب الله تعالى مثلاً للحق والباطل، للحق في بقائه، والباطل في اضمحلاله وتلاشيه فقال: ﴿أنزل﴾ أي الله ﴿من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها﴾[2] أي بحسب كبرها وصغرها لأن الوادي قد يكون كبيراً وقد يكون صغيراً، فاحتمل السيل أي حمل سيل الماء في الوادي زبداً رابياً أي غثاء ووضراً عالياً على سطح الماء، هذا مثل مائي، ومثل ناري قال فيه عز وجـل: ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾[3] أي ومما يوقد عليه الصاغة والحدادون ﴿ابتغاء حلية﴾ أي طلباً للحلية، ﴿أو متاع﴾ أي طلباً لمتاع يتمتع به كالأوانى إذ الصائغ أو الحداد يضع الذهب أو الفضة أو النحاس في البوتقة وينفخ عليها بالكير فيعلو ما كان فاسداً غير صالـح على صورة الزبد[4] وما كان صالحاً يبقى في البوتقة وهو الذي يصنع منه الحلية والمتاع، وقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي المذكور من الأمور الأربعة مثلي الحق وهما الماء والجوهر ومثلي الباطل وهما زبد الماء وزبد الجوهر ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ أي باطلاً

---

(١) الجفاء: ما أجفاه الوادي أي: رمى به.

(٢) ﴿أودية﴾ جمع واد، والوادي اسم للماء السائل هنا إذ الوادي وهو أخدود بين مرتفعين لا يسيل وإنما يسيل الماء فيه، ومعنى: ﴿بقدرها﴾: أي: بقدر ملئها.

(٣) هذا المثل الثاني والأول هو مثل الماء السائل في الوادي وما يحمل من زبد عال.

(٤) هو معنى قوله تعالى: ﴿زبد مثله﴾ أي زبد ما يعلو الذهب والفضة والحديد كزبد ما يعلو ماء السيل.

مرمياً به يرميه السيل إلى ساحـل الوادي فيعلق بالأشجار والأحجار ويرميه الصائغ عن بوتقته، وأما ما ينفع الناس من الماء للسقي والري فيمكث في الأرض، وكذا ما ينفع من الحلي والمتاع يبقى في بوتقة الصائغ والحداد[1] وقوله تعالى: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ أي مثل هذا المثل الذي ضربه للحق في بقائه والباطل في ذهابه وتلاشيه وإن علا وطغا في بعض الأوقات، ﴿يضرب﴾ أي بين الأمثال، ليعلموا فيؤمنوا ويهتدوا فيكملوا ويسعدوا.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٧) وأما الآية الثانية (١٨) فقد أخبر تعالى بوعد له ووعيد أما وعده فلأهل طاعته بأن لهم الحسنى[2] الجنة وأما وعيده فلأهل معصيته وهو أسوأ وعيد وأشـده،[3] فقال تعالى في وعده: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ وقال في وعيده: ﴿والذين لم يستجيبوا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً﴾ أي من مال ومتاع ﴿ومثله معه﴾ أيضاً لافتدوا به من العذاب الذي تضمنه هذا الوعيد الشديد، ويعلن عن الوعيد فيقول: ﴿أولئك﴾ أي الأشقياء ﴿لهم سوء الحساب﴾ وهو أن يحاسبوا على كل صغيرة وكبيرة في أعمالهم ولا يغفر لهم منها شيء ﴿ومأواهم جهنم﴾ أي مقرهم ومكان إيوائهم ﴿وبئس المهاد﴾ أي الفراش جهنم لهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٢ـ ثبات الحق، واضمحلال الباطل سنة من سنن الله تعالى.

٣ـ بيان وعد الله للمستجيبين له بالإيمان والطاعة وهي الجنة.

٤ـ بيان وعيد الله لمن لم يستجب له بالإيمان والطاعة.

---

(١) هذا مثل للحق والباطل إذا اجتمعا فإنه لاثبات للباطل ولا دوام له مثل الزبد مع الماء أو مع الحلية لا يبقى بل يذهب ويتلاشى ويضمحل والمراد من الحق والباطل: الإيمان والكفر، واليقين والشك.

(٢) ومن الحسنى: النصر في الدنيا والتمكين فيها لأهل التوحيد.

(٣) وهو النار وبئس المهاد.

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ
﴿٢٤﴾

شـرح الكلـمات :

كمن هو أعمى : أي لا يرى الحق ولا يعلمه ولا يؤمن به.

أولـوا الألباب : أي أصحـاب العقول.

يصلون ما أمر الله به أن يوصل : أي من الإيمان والتوحيد والأرحام.

ويدرءون بالحسنة : أي يدفعون بالحلم الجهل، وبالصبر الأذى.

عقبى الدار : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

جنـات عدن : أي جـنات إقامة دائمة.

معنى الآيـات :

لقـد تضمنت هذه الآيات مقـارنة ومفاضلة بين شخصيتين: الأولى شخصية مؤمن صالح كحمزة بن عبدالمطلب والثانية شخصية كافر فاسد كأبي جهل المخزومي وبين ما

لهما من جزاء في الدار الآخرة، مع ذكر صفات كل منهما، تلك الصفات المقتضية لجزائهما في الدار الآخرة قال تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق﴾ فيؤمن به بعد العلم ويستقيم على منهجه في عقيدته وعبادته ومعاملاته وسلوكه كله. هذه الشخصية الأولى ﴿كمن هو أعمى﴾[1] لم يعلم الحق ولم يؤمن به ولم يعمل بما أنزل إلى الرسول من الشرع.

والجواب قطعاً أنهما لا يستويان ولا يكونان في ميزان العدل والحق متساويين وقوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ أي يتعظ بمثل هذه المقارنة أصحاب العقول المدركة للحقائق والمفرقة بين المتضادّات كالحق والباطل والخير والشر والنافع والضار. وقوله تعالى: ﴿الذين يوفون﴾ هذا مشروع في بيان صفاتهم المقتضية إنعامهم وإكرامهم نذكر لهم ثماني صفات هي كالتالي: (١) الوفاء بالعهود[2] وعدم نقضها: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾[3] إذ لا دين لمن لا عهد له. (٢) وصل ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان والإسلام والإحسان والأرحام: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾. (٣) خشية الله المقتضية لطاعته: ﴿ويخشون ربهم﴾. (٤) الخوف من سوء الحساب يوم القيامـة المقتضي لمحـاسبـة النفس على الصغيرة والكبيرة: ﴿ويخـافـون سوء الحساب﴾. (٥) الصبر طلبا لمرضاة الله على الطاعات وعن المعاصي، وعلى البلاء: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾. (٦) إقامة الصلاة وهي اداؤها في أوقاتها جماعة بكامل الشروط والأركان والسنن والآداب: ﴿وأقاموا الصلاة﴾. (٧) الانفاق مما رزقهم الله في الزكاة والصدقات الواجبة والمندوبة: ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾. (٨) دفع السيئة بالحسنة فيدرءون سيئة الجهل عليهم بحسنة الحلم، وسيئة الأذى بحسنة[4] الصبر.

وقوله تعالى: ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي العاقبة المحمودة وفسرها بقوله ﴿جنات عدن﴾ أي إقامة لا ظعن منها يدخلونها هم ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم﴾

---

(١) المراد من العمى هنا: عمى القلب لا عمى البصر، والجهل هو سبب العمى.

(٢) العهد هنا: اسم جنس إذ المراد الوفاء بكافة عهود الله تعالى وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عباده.

(٣) الميثاق هنا: أيضاً اسم جنس يدخل فيه كل المواثيق أي: إذا عقدوا في طاعة الله عهداً لم ينقضوه، قال قتادة: ورد النهي عن نقض الميثاق في بضع وعشرين آية.

(٤) وسيئة المعصية بالتوبة منها. واللفظ العام الشامل هو أنهم يدفعون بالعمل الصالح كل عمل فاسد.

والصلاح هنا الإيمان والعمل الصالح. وقوله: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ هذا عند دخولهم الجنة تدخل عليهم الملائكة تهنئهم بسلامة الوصول وتحقيق المأمول وتسلم عليهم قائلة: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ أي بسبب صبركم والإيمان والطاعة ﴿فنعم عقبى الدار﴾[1]. هذه تهنئة الملائكة لهم وأعظم بها تهنئة وأبرك بها بركة اللهم اجعلني منهم ووالدي وأهل بيتي والمسلمين أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ المؤمن حيّ يبصر ويعلم ويعمل والكافر ميت أعمى لا يعلم ولا يعمل.

٢ـ الاتعاظ بالمواعظ يحصل لذي عقل راجح سليم.

٣ـ فضل هذه الصفات الثمانية المذكورة في هذه الآيات. أولها الوفاء بعهد الله وآخرها درء السيئة بالحسنة.

٤ـ تفسير عقبى الدار[2] وأنها الجنة.

٥ـ بيان أن الملائكة تهنىء أهل الجنة عند دخولهم وتسلم عليهم.

وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ
أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟
بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ

(١) جائز أن يكون معنى عقبى الدار: الجنة وجائز أن يكون عقبى الدار: دار الدنيا إذ عقباها الدار الآخرة وفيها الجنة، إذا كانوا في دار الدنيا يعملون الصالحات فورثهم الله الجنة فكانت عقبى الدنيا إذ عقبى الدار بمعنى عاقبتها.

(٢) أي: فعقبى دار الدنيا الجنة هذا كقوله والعاقبة للتقوى، وقوله ﴿ولنعم دار المتقين﴾ أي الجنة.

﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

شــرح الكلمـات :

والذين ينقضون عهد الله : أي يحلونه ولا يلتزمون به فلم يعبدوا ربهم وحده.

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل : أي من الإيمـان والأرحـام.

ويفسدون في الأرض : أي بتـرك الصلاة ومنع الزكاة، وبارتكاب السيئات وترك الحسنات.

لهم اللعنة : أي البعد من رحمة الله تعالى.

ولهم سوء الدار : أي جهنم وبئس المهاد.

ويقـــدر : أي يضيق ويقتر.

إلا متـاع : قدر يسير يتمتع به زمناً ثم ينقضي.

طوبى لهم وحسن مآب : أي لهم طوبى شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو دار السلام.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿والذين ينقضون﴾ الآيات، هذا هو الطرف المقابل أو الشخصية الثانية وهو من لم يعلم ولم يؤمن كأبي جهل المقابل لحمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه ذكر تعالى هنا صفاته الموجبة لعذابه وحرمانه فذكر له ولمن على شاكلته الصفات التالية:

(١) نقض العهـد فلم يعبـدوا الله ولم يوحـدوه وهو العهد الذى أخذ عليهم في عالم الأرواح: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾.

(٢) قطع ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان(١) وصلة الأرحام: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾.

---

(١) أي بسائر الأنبياء فلا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كاليهود والنصارى.

(٣) الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي: ﴿ويفسدون في الأرض﴾[١] بهذه الصفات استوجبوا هذا الجزاء، قال تعالى: ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ أي البعد من الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾[٢] أي جهنم وبئس المهاد، وقوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ يخبر تعالى عن سنة من سننه في خلقه وهي أنه يبسط الرزق أي يوسعه على من يشاء امتحانا هل يشكر أم يكفر ويضيِّق ويقتِّر على من يشاء ابتلاء هل يصبر أو يجزع، وقد يبسط الرزق لبعض إذ لا يصلحهم إلا ذاك، وقد يضيق على بعض إذ لا يصلحهم إلا ذاك، فلن يكون الغنى دالاً على رضى الله، ولا الفقر دالاً على سخطه تعالى على عباده، وقوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ أي فرح أولئك الكافرون بالحياة الدنيا لجهلهم بمقدارها وعاقبتها وسوء آثارها وما الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وهم أهل الإيمان به وطاعته إلا متاع قليل كَكَفٍّ التمر أوقرص الخبز يعطاه الراعي غذاء له طول النهار ثم ينفد، وقوله تعالى في الآية (٢٧): ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾[٣] فقد تقدم مثل هذا الطلب من المشركين وهو مطالبة المشركين النبي ﷺ أن تكون له آية كناقة صالح أو عصا موسى ليؤمنوا به وهم في ذلك كاذبون فلم يحملهم على هذا الطلب إلا الاستخفاف والعناد وإلا آيات القرآن أعظم من آية الناقة والعصا، فلذا قال تعالى لرسوله: ﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾إضلاله ولو رأى وشاهد ألوف الآيات﴿ويهدي إليه من أناب﴾[٤]ولو لم ير آية واحدة إلا أنه أناب إلى الله فهداه إليه وقبله وجعله من أهل ولايته، وقوله تعالى في الآية (٢٨) ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾[٥] أولئك الذين أنابوا إليه تعالى إيماناً وتوحيداً فهداهم إليه صراطاً مستقيماً هؤلاء تطمئن قلوبهم أي تسكن وتستأنس بذكر الله وذكر وعده وذكر صالحي عباده محمد وأصحابه، وقوله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن

---

(١) أي بالشرك وارتكاب المعاصي.

(٢) أي سوء المنقلب وهو جهنم. قال سعد ابن أبي وقاص: والله الذي لا إله إلا هو انهم الحرورية: بمعنى الخوارج.

(٣) المطالبون بالآيات المقترحون لها على رسول الله ﷺ. من بينهم عبدالله بن أمية وأصحابه.

(٤) الضمير في قوله: ﴿ويهدي إليه من أناب﴾: يعود على الحق أو الإسلام أو الله عز وجل. أي يهدي إلى جنته وطاعته من رجع إليه بقلبه والكل صالح ومراد.

(٥) الذين: في محل نصب لأنه مفعول يهدي، ويصح أن يكون بدلا من قوله: ﴿أناب﴾ وذكر الله هوذكره بألسنتهم وبقلوبهم وهو يشمل ذكر الوعد والوعيد وكمال الله كما يشمل قراءة كتابه وتلاوة آياته قال مجاهد: هم أصحاب النبي ﷺ وحقاً هم ومن يأتي بعدهم ينهج نهجهم في الإيمان والتقوى.

القلوب﴾ أي قلوب المؤمنين أما قلوب الكافرين فإنها تطمئن لذكر الدنيا وملاذها وقلوب المشركين تطمئن لذكر أصنامهم، وقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا[1] الصالحات طوبى[2] لهم وحسن مآب﴾ إخبار من الله تعالى بما أعد لأهل الإيمان والعمل الصالح وهو طوبى حال من الحسن الطيب يعجز البيان عن وصفها أو شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو الجنة دار السلام والنعيم المقيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ حرمة الاتصاف بصفات أهل الشقاء وهي نقض العهد، وقطع ما أمر الله به أن يوصل والإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي.

٢ـ بيان أن الغنى والفقر يتمان حسب علم الله تعالى امتحانا وابتلاء فلا يدلان على رضا الله ولا على سخطه.

٣ـ حقارة الدنيا وضآلة ما فيها من المتاع.

٤ـ فضل ذكر الله وسكون القلب إليه.

٥ـ وعد الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح بطوبى وحسن المآب.

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ

---

(١) الـذين آمنـوا، هذا مبتـدأ، والخبـر: طوبى لهم وحسن مآب يعطف عليه، وطوبى ورد أنها شجرة في الجنة، ففي البخاري: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها).

(٢) ﴿طوبى﴾ مصدر طاب يطيب طيباً إذا أحسن وهي بوزن البشرى، والزّلفى قلبت ياؤها واواً لمناسبة الضمة قبلها أي: الخير الكامل لأنهم اطمأنت قلوبهم بذكر الله فهم في طيب حال.

بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ
وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ
مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

كذلك أرسلناك : أي مثل ذلك الإرسال الذي أرسلنا به رسلنا أرسلناك .

لتتلو عليهم : أي لتقرأ عليهم القرآن تذكيراً وتعليماً ونذارة وبشارة .

وهم يكفرون بالرحمن : إذ قالوا وما الرحمن وقالوا لا رحمن إلا رحمان اليمامة .

سيرت به الجبال : أي نقلت من أماكنها .

أو قطعت به الأرض : أي شققت فجعلت أنهاراً وعيونا .

أو كلم به الموتى : أي أحيوا وتكلموا .

أفلم ييأس : أي يعلم .

قارعة : أي داهية تقرع قلوبهم بالخوف والحزن وتهلكهم وتستأصلهم .

أو تحل قريباً من دارهم : أي القارعة أو الجيش الإسلامي .

فأمليت : أي أمهلت وأخرت مدة طويلة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير أصول العقائد : التوحيد والنبوة والبعث والجزاء الآخر ففي الآية الأولى من هذا السياق وهي قوله تعالى : ﴿كذلك أرسلناك﴾فقرر نبوة الرسول ﷺ

بقوله كذلك أي الإرسال[1] الذي أرسلنا من قبلك أرسلناك أنت إلى أمة قد خلت من قبلها أمم، وبين فائدة الإرسال فقال: ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ وهو الرحمة والهدى والشفاء ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ الرحمن[2] الذى أرسلك لهم بالهدى ودين الحق لإكمالهم وإسعادهم يكفرون به، إذاً فقل أنت أيها الرسول هو ربي لا إله إلا هو أي لا معبود بحق إلا هو عليه توكلت وإليه متاب أي توبتي ورجوعي فقرر بذلك مبدأ التوحيد بأصدق عبارة وقوله تعالى في الآية الثانية (٣١) ﴿ولو أن قرآنا﴾ الخ . . لا شك أن مشركي مكة كانوا طالبوه[3] بما ذكر في هذه الآية إذ قالوا إن كنت رسولاً فادع لنا ربك فيسر عنا هذه الجبال التي تكتنف وادينا فتتسع أرضنا للزراعة والحراثة وقطع أرضنا فأخرج لنا منها العيون والأنهار وأحيي لنا فلاناً وفلاناً حتى نكلمهم ونسألهم عن صحة ما تقول وتدعي بأنك نبي فقال تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ أي لكان هذا القرآن، ولكن ليست الآيات هي[4] التي تهدي بل لله الأمر جميعا يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولما صرفهم الله تعالى عن الآيات الكونية لعلمه تعالى أنهم لو أعطاهم إياها لما آمنوا عليها فيحق عليهم عذاب الإبادة كالأمم السابقة، وكان من المؤمنين من يود الآيات الكونية ظناً منه أن المشركين لو شاهدوا آمنوا و انتهت المعركة الدائرة بين الشرك والتوحيد قال تعالى: ﴿أفلم ييأس[5] الذين آمنوا﴾ أي يعلموا ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ بالآيات وبدونها فليترك الأمر له سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ أي من الشرك والمعاصي ﴿قارعة﴾ أي داهية تقرع قلوبهم بالخوف والفزع ونفوسهم بالهم والحزن وذلك كالجدب والمرض والقتل والأسر ﴿أو تحل قريباً من دارهم﴾ أي يحل الرسول بجيشه الإسلامي ليفتح مكة حتى يأتي وعد الله بنصرك أيها الرسول عليهم والآية

---

(١) هذا تشبيه في الإنعام أي: شبّه الإنعام على من أرسل إليهم محمد ﷺ بالإنعام على من أرسل إليه الأنبياء قبله.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن، والآية وإن لم تنزل بخصوص دعوى المشركين إلاّ أنها تحمل رداً عليهم في دعواهم الباطلة.

(٣) تقدّم أن من بين المطالبين أبا جهل، وعبدالله بن أمية المخزوميين إذ قالا له ﷺ، إن سرّك أن نتبعك فسيّر لنا جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا. . الخ.

(٤) أي: فليس ما تطلبونه مما يكون بالقرآن، وإنّما يكون بأمر الله تعالى.

(٥) يئس ييأس بمعنى: علم يعلم لغة النخع، والقرآن نزل بلغات العرب، وقيل: لغة هوازن قال شاعرهم:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

عامة فيمن بعد قريش ويكون الوعيد متناولاً أمم الكفر عامة وها هي ذي الحروب تقرعهم كل قرن مرة ومرتين والحرب الذرية على أبوابهم ولا يزال أمرهم كذلك حتى يحل الجيش الإسلامي قريباً من دارهم ليدخلوا في دين الله أو يهلكوا ، ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ وقد أنجز ما وعد قريشاً، وفي الآية الأخيرة (٣٢) يخبر تعالى رسوله مسلياً إياه عما يجد من تعب وألم من صلف المشركين وعنادهم فيقول له: ﴿ولقد استهزىء[1] برسل من قبلك﴾ أي كما استهزىء بك فصبروا فاصبر أنت، ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ أي أمهلتهم وأنظرتهم حتى قامت الحجة عليهم ثم أخذتهم فلم أبق منهم أحداً ﴿فكيف[2] كان عقاب﴾ أي كان شديداً عاماً واقعاً موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك يا رسولنا إذالم يتوبوا ويسلموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير التوحيد.

٢ـ لا توكل إلا على الله، ولا توبة لأحد إلا إليه.

٣ـ عظمة القرآن الكريم وبيان فضله.

٤ـ إطلاق لفظ اليأس والمراد به العلم.

٥ـ توعد الرب تعالى الكافرين بالقوارع في الدنيا إلى يوم القيامة.

٦ـ الله جل جلاله يملي ويمهل ولكن لا يهمل بل يؤاخذ ويعاقب.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

(١) أي: سُخر بهم أزري عليهم، وذلك كما سخرت قوم نوح بنوح، وعاد بهود وثمود بصالح ومدين بشعيب.
(٢) الاستفهام للعجب.

ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾

شـرح الكلـمات :

أفمن هو قائم[1] على كل نفس بما كسبت : أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت و يجازيها بعملها.

قل سـموهـم : أي صِفُوهم له مَنْ هُم؟

أم تنبئونه بما لا يعلم : أي أتخبـرونه بما لا يعلمه؟

بظاهـر من القول : أي بظـن باطل لا حقيقة له في الواقع.

أشـق : أي أشـد.

واق : أي مانع يمنعهم من العذاب.

مثل الجنـة : أي صفتها التي نقصها عليك.

أكلها دائم وظلها : أي ما يؤكل فيها دائم لا يفنى وظلها دائم لا ينسخ.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال التنديد بقوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾[2] أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت من خير وشر ومجازيها كمن لا يحفظ ولا يرزق ولا يعلم ولا يجزي وهو الأصنام، إذاً فبطل تأليهها ولم يبق إلا الإله الحق الله الـذي لا إلـه إلا هو ولارب سواه، وقـوله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أي

(١) ليس القيام هنا ضد القعود بل هو التولّي لأمور الخلق بالحفظ والتدبير.
(٢) الجواب محذوف في الآية، وقد ذكر في التفسير.

يعبدونهم معه ﴿قل سموهم﴾[1] أي قل لهم يا رسولنا سموا لنا تلك الشركاء صفوهم بينوا من هم؟ ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾[2] أي أتنبئون الله بما لا يعلم في الأرض؟ ﴿أم بظاهر من القول﴾ أي بل بظاهر[3] من القول أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع.

وقوله تعالى: ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ أي قولهم الكاذب وافتراؤهم الماكر فبذلك[4] صدوا عن السبيل سبيل الحق وصرفوا عنه فلم يهتدوا إليه، ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ وقوله تعالى: ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والأسر، ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أي أشد من عذاب الدنيا مهما كان ﴿وما لهم من الله من واق﴾[5] أي وليس لهم من دون الله من يقيهم فيصرفه عنهم ويدفعه حتى لا يذوقوه، وقوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي لما ذكر عذاب الآخرة لأهل الكفر والفجور ذكر نعيم الآخرة لأهل الإيمان والتقوى، فقال: ﴿مثل[6] الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفة الجنة ووصفها بقوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم[7] وظلها﴾ دائم كذلك فطعامها لا ينفد، وظلها لا يزول ولا ينسخ بشمس كظل الدنيا، وقوله: ﴿تلك﴾ أي الجنة ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ أي ربهم فآمنوا به وعبدوه ووحدوه وأطاعوه في أمره ونهيه، ﴿وعقبى[8] الكافرين النار﴾ والعقبى بمعنى العاقبة في الخير والشر.

---

(١) سموهم شركاء فإنهم ليس لهم حظ من ذلك إلاّ التسمية فيكون الأمر للإباحة كناية عن عدم المبالاة بادعائهم أنهم شركاء، وذكر هذا المعنى صاحب التحرير، وهو معنى جميل.

(٢) أم هي المنقطعة ودلّت على أنّ ما بعدها استفهام إنكاري توبيخي، وقوله، ﴿بما لا يعلم في الأرض﴾ وما لا يعلمه الله فليس بموجود إذ الله خالق كل شيء.

(٣) بل بظاهر من القول ليس بظاهر من الظهور بل هو بمعنى الزوال والبطلان وشاهده قول الشاعر، وتلك شكاة ظاهر عليك عارها. أي: باطل زائل.

(٤) إنّ بعض المشركين زيّن للمشركين عبادة الأصنام، ورغّبهم في عبادتها مكراً بهم فانخدعوا له، وحسبوه زيناً وذلك كعمرو بن لحيّ إذ هو أوّل من دعا إلى عبادة الأصنام في بلاد العرب.

(٥) واق، وقاض ووال: يوقف عليها بدون ياء، إلاّ إذا نودي نحو: يا قاضي ياوالي فإنه يوقف عليه بالياء ومن: صلة لتقوية الكلام.

(٦) ﴿مثل الجنة﴾: الخ: مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم: مثل الجنة، وقيل الخبر: تجري من تحتها الأنهار. والأوّل أولى.

(٧) في الآية ردّ على الجهمية القائلين بفناء نعيم الجنة.

(٨) أي: عاقبة أمر المكذبين وآخرتهم النار يدخلونها.

هـداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير التوحيد إذ الأصنام لا تحفظ ولا ترزق ولا تحاسب ولا تجزي، والله هو القائم على كل نفس فهو الإله الحق وما عداه فآلهة باطلة لاحقيقة لها إلا مجرد أسماء.

٢ـ استمرار الكفار على كفرهم هو نتيجة تزيين الشيطان لهم ذلك فصدهم عن السبيل.

٣ـ ميزة القرآن الكريم في الجمع بين الوعد والوعيد إذ بهما تمكن هداية الناس.

وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ
أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا
جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴿٣٨﴾
يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمـات :

والذين آتيناهم الكتاب : أي كعبد الله بن سلام ومن آمن من اليهود.

يفرحون بما أنزل إليك : أي يُسَرون به لأنهم مؤمنون صادقون ولأنه موافق لما عندهم.

ومن الأحــزاب : أي من اليهود والمشركين.

من ينكر بعـضـه : أي بعض القرآن فالمشركون أنكروا لفظ الرحمن وقالوا لا رحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب.

وكذلك أنزلناه حكماً عربياً : أي بلسان العرب لتحكم به بينهم.

لكـل أجـل كتاب : أي لكل مدة كتاب كتبت فيه المدة المحددة.

يمحو الله ما يشاء : أي يمحو من الأحكام وغيرها ويثبت ما يشاء فما محاه هو المنسوخ وما أبقاه هو المحكم.

معنى الآيـات:

ما زال السياق في تقرير أصول العقيدة: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء، فقوله تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ كعبد الله بن سلام[1] يفرحون بما أنزل إليك وهو القرآن وفي هذا تقرير للوحي وإثبات له، وقوله: ﴿ومن الأحزاب﴾ ككفار أهل الكتاب[2] والمشركين ﴿من ينكر بعضه﴾ فاليهود أنكروا أغلب ما في القرآن من الأحكام ولم يصدقوا إلا بالقصص، والمشركون أنكروا «الرحمن» وقالوا لا رحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب عليه لعائن الله، وقوله تعالى: ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾ أي أمرني ربي أن أعبده ولا أشرك به، إليه تعالى أدعو الناس أي إلى الإيمان به وإلى توحيده وطاعته، ﴿وإليه مآب﴾[3] أي رجوعي وإيابي وفي هذا تقرير للتوحيد، وقوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾[4] أي وكهذا الإنزال للقرآن أنزلناه بلسان العرب لتحكم بينهم به، وفي هذا تقرير للوحي الإلهي والنبوة المحمدية، وقوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾ بأن وافقتهم على مِلَلِهم وباطلهم في اعتقاداتهم، وحاشا رسول الله ﷺ أن يفعل وإنما الخطاب من باب.. إياك أعني واسمعي يا جارة.. ﴿مالك من الله من ولي ولا واق﴾ أي ليس لك من دون الله من ولي يتولى أمر نصرك وحفظك، ولا واق يقيك عذاب الله إذا أراده بك لاتباعك أهل الباطل[5] وتركك الحق وأهله، وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا

---

(١) اللفظ عام والمراد به الخصوص، ويدخل فيه أصحاب النبي ﷺ فهم يفرحون بنزول القرآن قاله قتادة. وهو كما قال فقد كانوا يفرحون بكل ما ينزل من وحي.

(٢) لفظ أهل الكتاب يشمل اليهود والنصارى معاً، لفظ البعض عام في القلة والكثرة ولذا فاليهود كالنصارى كالمشركين كالمجوس ينكرون من القرآن ما يتعارض مع معتقداتهم الباطلة ولا ينكرون مالا يتعارض معها.

(٣) أي: أرجع في أموري كلها إليه دون غيره، وفي هذا معنى الاعتماد على الله والتوكل عليه في الأمر كله.

(٤) ﴿حكماً عربياً﴾: حالان من أنزلناه، وقيل: المراد من ﴿حكما﴾ الحكمة كقوله: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ أي: الحكمة، فالقرآن يحوي الحكم المعبر عنها بالعربية وكونه من الحكم أولى لأنّه يحكم به في الأمور كلها.

(٥) في الآية إنذار وتحذير عظيمان لمن يترك أوامر الله تعالى أو يغشى محارمه موافقة لأهل الباطل طلباً لرضاهم أو خوفاً من غضبهم.

رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ فلا معنى لما يقوله المبطلون[١]: لم يتخذ محمد أزواجاً ولم تكون له ذرية؟ وهو يقول أنه نبي الله ورسوله، فإن الرسل قبلك من نوح وإبراهيم إلى موسى وداوود وسليمان الكل كان لهم أزواج وذرية[٢]، ولما قالوا ﴿لولا أنزل عليه آية﴾ رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ فالرسل كلهم مربوبون لله مقهورون لا يملكون مع الله شيئاً فهو المالك المتصرف إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وقوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾ أي لكل وقت محدد يعطي الله تعالى فيه أو يمنع كتاب كتب فيه ذلك الأجل وعُيِّن فلا فوضى ولا أُنُفَ[٣]،وقوله:﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ ردٌ على قولهم لم يثبت الشيء ثم يبطله كاستقبال بيت المقدس ثم الكعبة وكالعدة من الحول إلى أربعة أشهر وعشرة أيام فأعلمهم أن الله تعالى ذو إرادة ومشيئة لا تخضعان لإرداة الناس ومشيئاتهم فهو تعالى يمحو ما يشاء من الشرائع والأحكام بحسب حاجة عباده ويثبت كذلك ما هو صالح لهم نافع[٤]، ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أي الذي حوى كل المقادير فلا يدخله تبديل ولا تغيير كالموت والحياة والسعادة والشقاء، وفي الحديث: «رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه مسلم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير عقيدة الوحي والنبـوة.

٢ـ تقرير عقيدة التوحيـد.

٣ـ تقرير أن القضاء والحكم في الإسلام مصدره الأول القرآن الكريم ثم السنة لبيانها للقرآن، ثم القياس المأذون فيه فإجماع الأمة لاستحالة اجتماعها على غير ما يحب الله

---

(١) قيل: إنّ اليهود هم الذين عابوا رسول الله ﷺ على الأزواج وعيروه بذلك فقالوا ما نرى لهذا الرجل همة إلاّ النساء والنكاح، ولو كان نبيًّا لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وعليه فالآية مدنية.

(٢) في الآية: الترغيب في النكاح والحض عليه، وهو كذلك فقد جاء في السنة قوله ﷺ: (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة) وفي الموطأ: (من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة: ما بين لحييه وما بين رجليه).

(٣) أي: ولابداء، والبداء: أن يبدو له الشيء بعد أن لم يكن يعلمه.

(٤) صح قوله ﷺ: (من سرّه أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله فليصل رحمه) فهذا الحديث يفسر قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ أي: ما يشاء، وقد تكلّم العلماء في هذا بشيء كثير وما أراه يوضح هذا هو أنّ الله تعالى لما كتب في اللوح المحفوظ كتب أنّ فلاناً يصل رحمه فيكون رزقه كذا سعة ويكون أجله كذا طولا، فصلة الرحم سبب في توسعة الرزق وطول العمر.

تعالى ويرضى به.

٤- التحذير من اتباع أصحاب البدع والأهواء والمِلَلْ والنِّحَلْ الباطلة.

٥- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٦- بيان النسخ في الأحكام بالكتاب والسنة.

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات:

نعدهم : أي من العذاب.

أو نتوفينك : أي قبل ذلك.

ننقصها من أطرافها : أي بلداً بعد بلد بالفتح ودخول الإسلام فيها وانتهاء الشرك منها.

لا معقب لحكمه : أي لا راد له بحيث لا يتعقب حكمه فيبطل.

ومن عنده علم الكتاب : من مؤمني اليهود والنصارى.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿وإما نرينك[1] بعض الذي نعدهم أو نتوفينك﴾أي إن أريتك بعض الذي نعد قومك من العذاب فذاك، وإن توفيتك قبل ذلك فليس عليك إلا البلاغ[2] فقد بلغت وعلينا الحساب فسوف نجزيهم بما كانوا يكسبون، فلا تأس أيها الرسول ولا تضق ذرعاً بمـا يمكـرون، وقـوله: ﴿أو لم يروا﴾ أي المشركون الجاحدون الماكرون المطالبون بالآيات على صدق نبوة نبينا ﴿أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها[3]﴾ أي نفتحها للإسلام بلداً بعد بلد أليس ذلك آية دالة على صدق الرسول ﷺ وصحة دعوته، وقوله: ﴿والله يحكم ولا معقب لحكمـه﴾ أي والله جل جلاله يحكم في خلقه بما يشاء فيعز ويذل ويعطي ويمنع وينصر ويهزم، ولا معقب لحكمه أي ليس هناك من يعقب على حكمه فيبطله فإذا حكم بظهور الإسلام وإدبار الكفر فمن يرد ذلك على الله، وقوله: ﴿وهو سريع الحساب﴾ إذا حاسب على كسب فحسابه سريع يجزي الكاسب بما يستحق دون بطء ولا تراخ وقوله تعالى: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ أي وقد مكرت أقوام قبل قريش وكفار مكة فكيف كان عاقبة مكرهم؟ إنها دمارهم أجمعين، أما يخشى رؤساء الكفر في مكة من عاقبة كهذه؟وقوله: ﴿فلله المكر جميعاً﴾ أي إذاً فلا عبرة بمكرهم ولا قيمة له فلا يرهب ولا يلتفت إليه وقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ من خير وشر فأين مكر من لا يعلم من مكر من يعلم كل شيء فسوف يصل بالممكور به إلى حافة الهلاك وهو لا يشعر، أفلا يعي هذا كفار قريش فيكفوا عن مكرهم برسول الله ودعوته؟ وقوله تعالى: ﴿وسيعلم الكفار لمن[4] عقبى الدار﴾ أي سيعلم المشركون خصوم التوحيد يوم القيامة لمن عقبى الدار أي العاقبة الحميدة لمن دخل الجنة وهو محمد ﷺ وأتباعه أو لمن دخل النار وهم دعـاة الشـرك والكفر وأتباعهم، وقوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً﴾ أي يواجهـونك بالإنكار عليك والجحود لنبوتك ورسالتك قل لهم يا رسولنا الله شهيد بيني

---

(١) ﴿ما﴾ زائدة لتقوية الكلام والأصل وإن نرينك.

(٢) ﴿البلاغ﴾ : التبليغ و﴿الحساب﴾ : الجزاء والعقوبة.

(٣) فسّر بعضهم الأطراف بالأشراف، وقال: المراد موت العلماء، وهو تفسير بعيد جداً، وما في التفسير أقرب وأوضح إلى معنى الآية الكريمة، ورد قول من قال هو نقصان الأرض بقول أحدهم لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك أي: مكان قضاء حاجتك.

(٤) قرأ نافع ﴿الكافر﴾: بالافراد، وهو اسم جنس بمعنى الجمع، وقرأ الجمهور ﴿الكفار﴾، وقيل المراد بالكافر هنا: أبو جهل، والله أعلم، وفي الآية وعيد وتهديد للكفار مطلقاً.

وبينكم وقد شهد لي بالرسالة وأقسم لي عليها مرات في كلامه مثل ﴿يسٓ والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ وكفى بشهادة الله شهادة، ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ الأول التوراة والإنجيل وهم مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد[1] الله بن سلام وسلمان الفارسي والنجاشي وتميم الداري وغيرهم[2].

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ انتصار الإسلام وانتشاره في ظرف ربع قرن أكبر دليل على أنه حق.

٢ـ أحكام الله تعالى لا ترد، ولا يجوز طلب الاستئناف على حكم من أحكام الله تعالى فى كتابه أو في سنة رسوله ﷺ.

٣ـ شهادة الله أعظم شهادة، فلا تطلب بعدها شهادة إذا كان الخصام بين مؤمنين.

٤ـ فضل العالم على الجاهل، إذ شهادة مؤمني أهل الكتاب تقوم بها الحجة على من لا علم لهم من المشركين.

سورة إبراهيم

مكيـــة

وآياتها اثنتان وخمسون آيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾

---

(١) عبدالله بن سلام كان اسمه في الجاهلية: حصين فسمّاه رسول الله ﷺ عبدالله.

(٢) قال بعضهم: الذي عنده علم الكتاب هو علي رضي الله عنه، ورُدَّ على هذا القول، وقال بعضهم: هم المسلمون، كل ذلك من أجل أن السورة مكية، وهذا غير مانع أن ينزل القرآن بمكة ويظهر تأويله بالمدينة، ولا مانع أن تكون الآية مدنية والسورة مكية، فلهذا ما في التفسير أولى بالقبول.

ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ
لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ
قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

آلــــر : هذا أحد الحروف المقطعة تكتب آلر وتقرأ ألف لاَمْ رَا والتفويض فيها أسلم وهو قول الله أعلم بمراده بذلك[1].

كتـــاب : أي هذا كتاب عظيم.

أنزلناه إليك : يا محمد صلى الله عليه وسلم.

من الظلمــات : أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

العزيز الحميـــد : أي المحمــود بآلائـه.

عن سبيـل الله : أي الإســـلام.

عوجـــاً : أي معوجَّة.

بآياتنـــا : أي المعجزات التسع : العصا، اليد، الطوفان، الجراد، القمل،

---

(١) هذا مذهب السلف وهو: تفويض فهم معناها إلى الله تعالى منزلها ويعدونها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل. وهو أسلم من القول بالإجهاد الفكري

الضفادع، الدم، والطمس والسنين ونقص الثمرات.

وذكرهم بأيام الله : أي ببلائـه ونعمائـه.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿آلر﴾ الله أعلم بمراده وقوله: ﴿كتاب أنزلناه﴾ أي هذا كتاب عظيم القدر أنزلناه إليك يا رسولنا لتخرج الناس[1] من الظلمات أي من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم الشرعي، وذلك ﴿بإذن ربهم﴾ أي بتوفيقه ومعونته ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي إلى طريق[2] العزيز الغالب الحميد أى المحمود بآلائه وافضالاته على عباده وسـائر مخلوقاته ﴿الله[3] الذى له ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقا وملكا وتصريفا وتدبيرا، هذا هو الله صاحب الصراط الموصل إلى الإسعاد والإكمال البشري، والكافرون معـرضون بل ويصدون عنه فويل لهم من عذاب شديد، الكافرون ﴿الذين يستحبون الحياة الـدنيا﴾[4] أي يفضلون الحياة الدنيا فيعملون للدنيا ويتركون العمل للآخرة لعدم إيمانهم بها ﴿ويصدون﴾ أنفسهم وغيرهم أيضا ﴿عن سبيل الله﴾ أي الإسلام ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي معوجة إنهم يريدون من الإسلام أن يوافقهم فى أهوائهم وما يشتهون حتى يقبلوه ويرضوا به دينا قال تعالى: ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ إنهم بهذا السلوك المتمثل في إيثـار الـدنيا على الآخـرة والصـد عن الإسلام، ومحاولة تسخير الاسلام لتحقيق أطماعهم وشهواتهم في ضلال بعيد لا يمكن لصاحبه أن يرجع منه إلى الهدى، وقوله تعالى في الآية (٤) من هذا السياق ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾[5] أي بلغتهم التي يتخاطبون بها ويتفاهمون لحكمة أن يبين لهم، والله بعد ذلك يضل من يشاء إضلاله

---

(١) لتخرج الناس: أي: بالقرآن العظيم الذي أنزلناه عليك.

(٢) الطريق هو الإسلام دين الله الذي لا يقبل دينا غيره.

(٣) قرأ نافع برفع اسم الجلالة، وقرأ الجمهور بالجر، واستحب بعضهم الجر إذا وصل والرفع إذا وقف وهو حسن ومن وصل وقف على وما في الأرض.

(٤) قال ابن عباس وغيره: كل من آثر الدنيا وزهرتها واستحب البقاء في نعيمها على نعيم الآخرة وصد عن سبيل الله أي: صرف نفسه وغيره عن طاعة الله ورسوله فهو داخل في هذه الآية، وهي ذات وعيد شديد.

(٥) لا حجة لغير العرب في هذه الآية إذ كل من ترجم له الإسلام بلغته وجب عليه الدخول فيه والعمل بشرائعه ليكمل ويسعد، وقد استعمرت برطانيانصف العالم فتكلم الناس بلغتها وتعاملوا بها وهي لغة دنيا لا غير. فالواجب على غير العربي أن يتعلم لغة الإسلام ما أمكنه ذلك.

حسب سنته في الإضلال ويهدي من يشاء كذلك ﴿وهو العزيز﴾ الغالب الذي لا يمانع في شيء أراده ﴿الحكيم﴾[1] الذي يضع كل شيء في موضعه فلذا هو لا يضل إلا من رغب في الإضلال وتكلف له وأحبه وآثره، وتنكر للهدى وحارب المهتدين والداعين إلى الهدى، وليس من حكمته تعالى أن يضل من يطلب الهدى ويسعى إليه ويلتزم طريقه ويحبه ويحب أهله، وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ أي موسى نبي بني إسرائيل ﴿بآياتنا﴾ أي بحججنا وأدلتنا الدالة على رسالته والهادية إلى ما يدعو إليه وهي تسع آيات منها اليد والعصى ﴿أن[2] أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ أي أخرج قومك من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ﴿وذكرهم[3] بأيام الله﴾ أي وقلنا له: ذكرهم بأيام الله وهي بلاؤه ونعمه إذ أنجاهم من عذاب آل فرعون وأنعم عليهم بمثل المن والسلوى، وذلك ليحملهم على الشكر لله بطاعته وطاعة رسوله، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ أي إن في ذلك التذكير بالبلاء والنعماء لدلالات يستدل بها على إفضال الله وإنعامه الموجب للشكر، ولكن الذين يجدون تلك الدلالات في التذكير هم أهل الصبر والشكر بل هم الكثيروا الصبر[4] والشكر، وأما غيرهم فلا يرى في ذلك دلالة ولا علامة.

هداية الآيـات

مـن هداية الآيات:

١ـ إقامة الحجة على المكذبين بالقرآن الكريم، إذ هو مؤلف من الحروف المقطعة مثل آلر وطسم وآلم وحم، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله بل بسورة مثله..

٢ـ بيان أن الكفر ظلام والإيمان نور.

٣ـ بيان الحكمة في إرسال الله تعالى الرسل بلغات أقوامهم.

---

(١) من مظاهر حكمته أنه ختم الرسالة برسالة محمد ﷺ، وواجب على البشرية كلها الإيمان به وبما جاء به ومن أبى دخل النار، فقد روى مسلم قوله ﷺ (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). فوحد بذلك البشرية توحيداً روحياً واجتماعياً وسياسياً لو أنها آمنت بمحمد ﷺ وأخذت بهدايته لحصل لها من الكمال والإسعاد ما لم يخطر على بال.

(٢) أن: تفسيرية فسرت الارسال لأنه فيه معنى القول.

(٣) التذكير إزالة نسيان شيء، ويكون بتعليم مجهول كان شأنه أن يعلم، ولما ضمّن التذكير معنى الإنذار والوعظ عدي بالباء أي: ذكّرهم تذكير عظة بأيام الله.

(٤) الصبر مع البلاء، والشكر مع الرخاء، وخير الناس من إذا ابتلى صبر وإذا أعطي شكر ولا يكون كذلك إلاّ ذو علم وبصيرة.

٤ـ تقرير أن الذي يخلق الهداية هو الله وأما العبد فليس له أكثر من الكسب.

٥ـ فضيلة التذكير بالخير والشر ليشكر الله ويتقى.

٦ـ فضيلة الصبر والشكر.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى
ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم
بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وإذ قال موسى : أي اذكر إذ قال موسى.

يسومونكم : يذيقونكم.

ويستحيون نساءكم : أي يستبقونهنّ.

بلاء من ربكم عظيم : أي ابتلاء واختبار، ويكون بالخير والشر.
وإذ تـأذن ربكم : أي أعلـم ربكـم.
بالبيـــنات : بالحجـج الواضحة على صدقهم في دعوة النبوة والتوحيد والبعث الآخـر.
فردوا أيديهم في أفواههم : أي فردِ الأمم أيديهم في أفواههم أي أشاروا إليهم أن اسكتوا.
مريب : مـوقـع في الريبــة.

معنى الآيـات :

﴿وإذ قال موسى لقـومـه﴾ أي اذكـر يا رسولنا إذ قال موسى لقومه من بني إسرائيل ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أي لتشكروها بتوحيده وطاعته، فإن من ذكر شكر وبين لهم نوع النعمة وهي إنجاؤهم من فرعون وملائه إذ كانوا يعذبونهم بالاضطهاد والاستعباد، فقـال: ﴿يسـومـونكم سوء العـذاب﴾ أي يذيقـونكم سوء العذاب وهو أسواه وأشده، ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ أي الأطفال المولودين، لأن الكهنة أو رجال السياسة قالوا لفرعون: لا يبعد أن يسقط عرشك وتزول دولتك على أيدي رجل من بني إسرائيل فأمر بقتل المواليد فور ولادتهم فيقتلون الذكور ويستبقون الإناث للخدمة ولعدم الخوف منهن وهو معنى قوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ وقوله تعالى: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ فهو بالنظر إلى كونه عذابا بلاء بالشر، وفي كونه نجاة منه، بلاء بالخير، وقوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾[1] هذا من قول موسى لبني إسرائيل أي أذكر لهم إذ أعلم ربكم مقسماً لكم ﴿لئن شكـرتم﴾[2] نعمي بعبادتي وتوحيدي فيها وطاعتي وطاعة رسولي بامتثال الأوامر واجتناب النـواهي ﴿لأزيدنكم﴾ في الإنعـام والإسعــاد ﴿ولئن كفـرتم﴾ فلم تشكـروا نعمي فعصيتموني وعصيتم رسولي أي لأسلبنها منكم وأعذبكم بسلبها من أيديكم ﴿إن عذابي

---

(١) أي: تكلم تكلماً علناً وهو يناجي موسى عليه السلام بجبل الطور وأذّن وتأذن أعلم، ومنه الأذان للصلاة، قال الشاعر:
فلم نشعر بضوء الصبح حتى سمعنا في مجالسنا الأذينا

(٢) سئل بعض الصالحين عن الشكر لله تعالى فقال: ألّا تتقوى بنعمه على معاصيه وحكي أن داود عليه السلام أنه قال: أي ربي كيف أشكرك وشكري لك نعمة متجددة منك عليّ؟ قال: يا داود: الآن تشكرني وعليه فالشكر الاعتراف بالنعمة للمنعم ولا يصرفها في غير طاعته.

لشـديد﴾ فاحـذروه واخشوني فيه، وقوله تعالى: ﴿وقال موسى﴾ أي لبني إسرائيل ﴿إن تكفـروا أنتم﴾ نعم الله فلم تشكـروهـا بطاعته ﴿ومن في الأرض جميعا﴾ وكفَرها من في الأرض جميعاً ﴿فـإن الله لغني﴾ عن سائـر خلقه لا يفتقر إلى أحد منهم[1] ﴿حميد﴾ أي محمود بنعمه على سائر خلقه، وقـولـه: ﴿ألم يأتكم﴾ هذا قول موسى لقـومـه وهو يعظهم ويذكرهم: ﴿ألم يأتكم[2] نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم﴾ أي لا يعلم عددهم ولا يحصيهم[3] ﴿إلا الله﴾ ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالحجج والبراهين على صدق دعوتهم وما جاء به من الدين الحق ليعبد الله وحده ويطاع وتطاع رسله فيكمل الناس بذلك ويسعدوا، وقوله: ﴿فردوا أيديهم﴾ أي ردت الأمم المرسل إليهم أيديهم إلى أفواههم تغيظاً على أنبيائهم وحنقاً، أو أشاروا إليهم بالسكوت فأسكتوهم رداً لدعوة الحق التي جاؤوا بها، وقالوا لهم: ﴿إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ أي بما جئتم به من الدين الإسلامي والدعوة إليه، ﴿وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ أي موقع في الريبة التي هي قلق النفس واضطرابها لعدم سكـونهـا للخبـر الـذي يلقى إليهـا، هذا وما زال السياق طويلاً وينتهي بقوله تعالى: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ مشروعية التذكير بنعم الله لنشكر ولا نكفر.

٢ـ وعد الله تعالى بالمزيد من النعم لمَن شكر نعم الله عليه.

٣ـ كفر النعـم سبب زوالهـا.

٤ـ بيان غنى الله تعالى المطلق على سائر خلقه فالناس ان شكروا شكروا لأنفسهم وإن كفروا كفروا على أنفسهم أي شكرهم ككفرهم عائد على أنفسهم.

٥ـ التذكير بقصص السابقين وأحوال الغابرين مشروع وفيه فوائد عظيمة.

---

(١) أي: لا يلحقه نقص بكفر الناس ولو كفروا أجمعون.

(٢) صالح لأن يكون من قول موسى عليه السلام، ومن قول الله تعالى تعليماً لرسوله محمد ﷺ.

(٣) ولا يعرف أنسابهم كذلك إلاّ الله وفي الحديث: (كذب النسابون إن الله يقول لا يعلمهم إلا الله) قاله لمّا زاد النسابون على معد بن عدنان، وقال: (لا ترفعوني فوق عدنان).

۞ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾
قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ
أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

أفي الله شك : أي لا شك في وجود الله ولا في توحيده، إذ الاستفهام إنكاري .

إلى أجل مسمى : أي إلى أجل الموت .

بسلطان مبين : بحجة ظاهرة تدل على صدقكم .

يمن على من يشاء : أي بالنبـوة والرسالة على من يشاء لذلك.

وقد هدانا سبلنـا : أي طـرقه التي عرفناه بها وعرفنا عظيم قدرته وعز سلطانه.

لنخرجنكم من أرضنا : أي من ديارنا أو لتعودون في ديننا.

لمن خاف مقامـي : أي وقوفه بين يدي يوم القيامة للحساب والجزاء.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في ما ذكر به موسى قومه بقوله: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح.....﴾ فقوله تعالى: ﴿قالت رسلهم﴾ أي قالت الرسل إلى أولئك الأمم الكافرة ﴿أفي الله شك﴾[1]؟ أي كيف يكـون في توحيد الله شك وهو فاطر السموات[2] والأرض، فخالق السموات والأرض وحده لا يعقل أن يكون له شريك في عبادته، انه لا إله إلا هو وقـولـه: ﴿يدعوكم﴾ إلى الإيمان والعمل الصالح الخالي من الشرك ﴿ليغفر لكم من[3] ذنوبكم﴾ وهو كل ذنب بينكم وبين ربكم من كبائر الذنوب وصغائرها أما مظالم الناس فردوها إليهم تغفر لكم وقوله: ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أي يؤخر العذاب عنكم لتموتوا بآجالكم المقدرة لكم، وقوله: ﴿قالوا﴾ أي قالت الأمم الكافرة لرسلهم ﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ أي[4] ما أنتم إلا بشر مثلنا، ﴿تريدون أن تصدونا﴾ أي تصرفونا ﴿عما كان يعبـد آباؤنا﴾ من آلهتنا أي أصنامهم وأوثانهم التي يدَّعون أنها آلهة، وقولهم: ﴿فأتونا بسـلطان مبين﴾ قال الكـافرون للرسل ائتونا بسلطان مبين أي بحجة ظاهرة تدل على صدقكم أنكم رسل الله إلينا فأجابت الرسل قائلة ما أخبر تعالى به عنهم بقوله: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم﴾ أي ما نحن إلا بشر مثلكم فمالا تستطيعونه أنتم لا نستطيعه نحن ﴿ولكن الله يمن على من[5] يشاء﴾ أي إلا أن الله يمن على من يشاء بالنبوة

---

(١) الاستفهام إنكاري أي: لا شك في الله، أي في وجوده، وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لألوهيته، وهي عبادته وحده لا شريك له.

(٢) هذا الوصف الكامل لله وهو مقتضى وجوده وألوهيته عزّ وجل.

(٣) على ما في التفسير (من) للتبعيض، ويصح أن تكون زائدة، والمغفرة لكل الذنوب لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله من سائر الذنوب.

(٤) أي: في الهيئة تأكلون كما نأكل وتشربون كما نشرب، وتمرضون، وتصحون مثلنا ولستم ملائكة.

(٥) ومما منّ الله به عليهم، الحكمة والمعرفة والهداية إلى ما يوجب رضاه ومحبّته؟ وقيل: إنّ أعظم ما يمن به الله تعالى على عبده ذكره بأسمائه وصفاته.

فمن علينا بها فنحن ننبئكم بما أمرنا الله ربنا وربكم أن ننبئكم به كما نأمركم وندعوكم لا من تلقاء أنفسنا ولكن بما أمرنا أن نأمركم به وندعوكم إليه، ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ أي بإرادته وقدرته فهو ذو الإرادة التي لا تحد والقدرة التي لا يعجزها شيء ولذا توكلنا عليه وحده وعليه ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ فإنه يكفيهم كل ما يهمهم، ثم قالت الرسل وهي تعظ أقوامها بما تقدم: ﴿وما لنا ألا[1] نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾ أي طرقنا التي عرفناه بها وعرفنا عظمته وعزة سلطانه فأي شيء يجعلنا لا نتوكل عليه وهو القوي العزيز ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ بألسنتكم وأيديكم متوكلين على الله حتى ينتقم الله تعالى لنا منكم، ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ إذ هو الكافل لكل من يثق فيه ويفوض أمره إليه متوكلا عليه وحده دون سواه، وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ هذا إخبار منه تعالى على ما قالت الأمم الكافرة لرسلها: قالوا موعدين مهددين بالنفي والإبعاد من البلاد لكل من يرغب عن دينهم ويعبد غير آلهتهم: ﴿لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ أي ديننا الذي نحن عليه وهنا أوحى الله تعالى إلى رسله بما أخبر تعالى به: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ قال لنهلكن الظالمين ولم يقل لنهلكنهم إشارة إلى علة الهلاك وهي الظلم الذي هو الشرك والإفساد ليكون ذلك عظة للعالمين، وقوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي الإنجاء للمؤمنين والإهلاك للظالمين[2] جزاءً ﴿لمن خاف مقامي[3]﴾ أي الوقوف بين يدي يوم القيامة ﴿وخاف وعيد﴾ على ألسنة رسلي بالعذاب لمن كفر بي وأشرك في عبادتي ومات على غير توبة إليَّ من كفره وشركه وظلمه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بطلان الشك في وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته ووجوب عبادته وحده وذلك لكثرة

---

(١) وما: اسم استفهام مبتدأ، وما بعدها في موضع الحال، والتقدير: أي شيء لنا في ترك التوكل على الله؟ والاستفهام انكاري.

(٢) وإسكان الصالحين الأرض بعد إهلاك الظالمين.

(٣) المقام: مصدر ميمي وقوله ﴿مقامي﴾: أي قيامه بين يديّ للحساب، والوعيد هو عذاب النار، وقيل: مقامي: أي قيامي عليه، ومراقبتي له والمعنى إذاً خافني وراقبني، وهو معنى صحيح، والخوف من الله ومراقبته موجبة للصلاح المورث للأرض والدولة لقوله تعالى: ﴿إنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾.

الأدلة وقوة الحجج، وسطوع البراهين.

٢ـ بيان ما كان أهل الكفر يقابلون به رسل الله والدعاة إليه سبحانه وتعالى وما كانت الرسل ترد به عليهم.

٣ـ وجوب التوكل على الله تعالى، وعدم صحة التوكل على غيره إذ لا كافي إلا الله.

٤ـ وجوب الصبر على الأذى في سبيل الله وانتظار الفرج بأخذ الظالمين.

٥ـ عاقبة الظلم وهي الخسران والدمار لا تتبدل ولا تتخلف وإن طال الزمن.

وَٱسْتَفْتَحُواْ
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ
وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن
وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ
أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

واستفتحوا : أي طلب الرسل الفتح لهم أي النصر على أقوامهم الظالمين.

وخاب : أي خسر وهلك.

كل جبار عنيد : أي ظالم يجبر الناس على مراده عنيد كثير العناد.

من ماء صديد : أي هو ما يخرج سائلاً من أجواف أهل النار مختلطاً من قيح ودم وعرق.

يتجرعه ولا يكاد يسيغه : أي يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ولا يقارب ازدراده لقبحه ومراراته.

ويأتيه الموت من كل مكان : أي لشدة ما يحيط به من العذاب فكل أسباب الموتَ حاصلة ولكن لا يموت.

أعمالهم كرماد : أي الصالحة منها كصلة الرحم وبر الوالدين وإقراء الضيف وفك الأسير والفاسدة كعبادة الأصنام بالذبح لها والنذر والحلف والعكوف حولها كرماد.

لا يقدرون مما كسبوا على شيء : أي لا يحصلون من أعمالهم التي كسبوها على ثواب وإن قل لأنها باطلة بالشرك.

وما ذلك على الله بعزيز : أي بصعب ممتنع عليه.

معنى الآيات :

هذا آخر حديث ما ذكر به موسى قومه من أنباء الأمم السابقة على بنى اسرائيل، قال تعالى في الإخبار عنهم: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾ أي واستفتح الرسل أي طلبوا من الله تعالى أن يفتح عليهم[1] بنصر على أعدائه وأعدائهم واستجاب الله لهم، ﴿وخاب كل جبار عنيد[2]﴾ أي خسر وهلك كل ظالم طاغ معاند للحق وأهله، وقوله[1]: ﴿من ورائه جهنم[3]﴾ أي أمامه جهنم تنتظره سيدخلها بعد هلاكه ويعطش ويطلب الماء

---

(١) كقولهم: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ قالها شعيب والمؤمنون معه، وكان النبي ﷺ يدعو طالباً نصره وهزيمة أعدائه.

(٢) العنيد: المعاند للحق، والجبار: المتعاظم الشديد التكبر، وقيل هو من يجبر الناس على مراده، وهو وصف مذموم لغير الله تعالى.

(٣) لفظ وراء يطلق على ما كان خلفاً وما كان أماماً، لأنّ كل ما ووري أي: استتر فهو وراء. وقوله: ﴿من ورائه جهنم﴾: صفة لجبار عنيد، والوراء مستعمل في معنى ما ينتظره ويحل به من بعد، قال الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

أي بعده.

فتسقيه الزبانية ﴿من ماء صديد﴾[1] أي وهو صديد أهل النار وهو ما يخرج من قيح ودم وعرق، ﴿يتجرعه﴾ أي يبتلعه جرعة بعد أخرى لمرارته[2] ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أي يدخله جوفه الملتهب عطشاً لقبحه ونتنه ومرارته وحرارته، وقوله تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ أي ويأتي هذا الجبار العنيد والذي هو في جهنم يقتله الظمأ فيسقى بالماء الصديد يأتيه الموت لوجود أسبابه وتوفرها من كل مكان إذ العذاب محيط به من فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت لأن الله تعالى لم يشأ ذلك قال تعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ وقال: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ ومن وراء ذلك العذاب الذى هو فيه ﴿عذاب﴾ أي لون آخر من العذاب ﴿غليظ﴾ أي شديد لا يطاق، وقوله تعالى: ﴿مثل[3] الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد[4] اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ أي شديد هبوب الريح فيه ﴿لا يقدرون مما كسبوا﴾ أي من أعمال في الدنيا ﴿على شيء﴾ أي من الثواب والجزاء الحسن عليها، هذا مثل أعمالهم الصالحة كأنواع الخير والبر والطالحة كالشرك والكفر وعبادة غير الله مما كانوا يرجون نفعه، الكل يذهب ذهاب رماد حملته الريح وذهبت به، مشتدة في يوم عاصف شديد هبوب الريح فيه.

وقوله تعالى: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أي ذلك الذى دل عليه المثل هو الضلال البعيد لمن وقع فيه إذ ذهب كل عمله سدى بغير طائل فلم ينتفع بشيء منه وأصبح من الخاسرين.

وقوله تعالى: ﴿ألم[5] تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي ألم تعلم أيها الرسول أن الله خلق السموات والأرض بالحق أي من أجل الإنسان ليذكر الله تعالى ويشكره فإذا تنكر لربه فكفر به وأشرك غيره في عبادته عذبه بالعذاب الأليم الذي تقدم

---

(١) الصديد: المهلة، أي مثل الماء يسيل من الدمل ونحوه والتجرّع: تكلّف الجرع والجرع: بلع الماء.

(٢) روي أن النبي ﷺ قال قوله تعالى ﴿يسقى من ماء صديد يتجرّعه..﴾ قال: (يقرّب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره..) الخ رواه الترمذي واستغربه.

(٣) المثل: الحال العجيبة أي حال أعمالهم كرماد.

(٤) الرماد: ما يبقى من احتراق الحطب والفحم، ضرب الله في هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار في أنه يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف.

(٥) الرؤية هنا: رؤية القلب وهي العلمية.

وصفه في هذا السياق لأن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض عبثاً وباطلاً بل خلقهما وخلق ما فيهما من أجل أن يذكر فيهما ويشكر فمن ترك الذكر والشكر عذبه أشد العذاب وأدومه وأبقاه، وقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أيها الناس المتمردون على طاعته المشركون به ﴿ويأت بخلق جديد﴾(١) غيركم يعبدونه ويوحدونه ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي بممتنع ولا متعذر لأن الله على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- إنجاز وعد الله لرسله في قوله: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ الآية.

٢- خيبة وخسران عامة أهل الشرك والكفر والظلم.

٣- عظم عذاب يوم القيامة وشدته.

٤- بطلان أعمال المشركين والكافرين وخيبتهم فيها إذ لا ينتفعون بشيء منها.

٥- عذاب أهل الكفر والشرك والظلم لازم لأنهم لم يذكروا ولم يشكروا والذكر والشكر علة الوجود كله فلما عبثوا بالحياة استحقوا عذاباً أبدياً.

وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ
لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ
فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠

(١) أي: أفضل منكم وأطوع وما في التفسير أدل على المقصود.

بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

وبرزوا لله جميعا[1] : أي برزت الخلائق كلها لله وذلك يوم القيامة.

إنا كنا لكم تبعاً : أي تابعين لكم فيما تعتقدون وتعملون.

فهل أنتم مغنون عنا : أي دافعون عنا بعض العذاب.

ما لنا من محيص : أي من ملجأ ومهرب أو منجا.

لما قضي الأمر : بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

ما أنا بمصرخكم : أي بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب والكرب.

تجري من تحتها الأنهار : أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الأربعة: الماء واللبن والخمر والعسل.

معنى الآيات :

في هذه الآيات عرض سريع للموقف وما بعده من استقرار أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة يقرر مبدأ الوحي والتوحيد والبعث الآخر بأدلة لا ترد، قال تعالى: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ أي خرجت البشرية من قبورها مؤمنوها وكافروها صالحوها وفاسدوها ﴿فقال الضعفاء﴾ أي الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ أي الرؤساء والموجهون للناس بما لديهم من قوة وسلطان ﴿إنا كنا لكم تبعا﴾[2] أي أتباعاً في عقائدكم وما تدينون به، ﴿فهل

---

(١) البروز: الظهور، وهو هنا الخروج من القبور والظهور خارجها للحشر حيث فصل القضاء، ومن هذا قولهم: امرأة برزة أي تظهر للناس.

(٢) ﴿تبعاً﴾: يصح أن يكون مصدرا أي: ذوي تبع، ويجوز أن يكون جمع تابع مثل: حرس وحارس، وخدم وخادم.

أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾؟ أي فهل يمكنكم أن ترفعوا عنا بعض العذاب بحكم تبعيتنا لكم فأجابوهم بما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾ (١) اعترفوا الآن أن الهداية بيد الله وأقروا بذلك، ولكنا ضللنا فأضللناكم ﴿سواء علينا أجزعنا﴾ اليوم ﴿أم صبرنا مالنا من محيص﴾ (٢) أي من مخرج من هذا العذاب ولا مهرب، وهنا يقوم إبليس خطيبا فيهم (٣) بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿وقال الشيطان﴾ أي إبليس عدو بني آدم ﴿لما قضي الأمر﴾ بأن أُدخل أهل الجنة الجنة وأدخل أهل النار النار ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ (٤) بأن من آمن وعمل صالحاً مبتعدا عن الشرك والمعاصي أدخله جنته وأكرمه فى جواره، وأن من كفر وأشرك وعصى أدخله النار وعذبه عذاب الهون في دار البوار ﴿ووعدتكم﴾ بأن وعد الله ووعيده ليس بحق ولا واقع ﴿فأخلفتكم﴾ فيما وعدتكم به، وكنت في ذلك كاذباً عليكم مغرراً بكم، ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أي من قوة مادية أكرهتكم بها على اتباعي ولامعنوية ذات تأثير خارق للعادة أجبرتكم بها على قبول دعوتي ﴿إلا أن دعوتكم﴾ أي لكن دعوتكم ﴿فاستجبتم لي﴾ إذاً ﴿فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم﴾ أي بمزيل صراخكم بما أغيثكم به من نصر وخلاص من هذا العذاب ﴿وما أنتم﴾ أيضا ﴿بمصرخي﴾ (٥)، أي بمغيثيّ ﴿إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ (٦) إذ كل عابد لغير الله في الواقع هو عابد للشيطان إذ هو الذي زين له ذلك ودعاه إليه، و﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ أي المشركين لهم عذاب أليم موجع، وقوله تعالى: ﴿وأدخل الذين آمنوا﴾ (٧) أي وأدخل الله الذين آمنوا أي صدَّقوا بالله وبرسوله وبما جاء به رسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ وهي العبادات التي تَعَبَّدَ الله بها عباده فشرعها

---

(١) أي: لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه أو لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها.

(٢) المحيص: مصدر ميمي كالمغيث والمشيب من غاب وشاب، وكذلك حاص يحيص حيصاً عن كذا: هرب ونجا، ويجوز أن يكون المحيص هنا اسم مكان أي: ما لنا من مكان نلجأ إليه وننجو فيه.

(٣) أي: على منبر من نار.

(٤) ﴿وعد الحق﴾: يعني البعث والجنة والنار، وثواب المطيع وعقاب العاصي. فصدقكم وعده، ووعدتكم ألا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب. فأخلفتكم.

(٥) (الصارخ): والمستصرخ هو الذي يطلب النصر والمعاونة، المصرخ هو المغيث قال الشاعر:

ولا تجزعوا إني لكم غير مصرخ ... وليس لكم عندي غَنَاءٌ ولا نصر

(٦) ﴿بما أشركتمونِ﴾: الميم مصدرية والتقدير كفرت بإشراككم إيّاي مع الله تعالى.

(٧) لمّا أخبر تعالى بحال أهل النار أخبر بحال أهل الجنة وهو أسلوب الترغيب والترهيب الذي امتاز به القرآن الكريم لأنّه كتاب هداية وإصلاح.

في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ﴿جنات﴾[1] بساتين ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من خلال قصورها وأشجارها أنهار الماء واللبن والخمر والعسل ﴿خالدين فيها﴾ لا يخرجون منها ولا يبغون عنها حولاً، وقوله تعالى: ﴿بإذن ربهم﴾[2] أي أن ربهم هو الذي أذن لهم بدخولها والبقاء فيها أبداً، وقوله: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ أي السلام عليكم يحييهم ربهم وتحييهم الملائكة ويحيي بعضهم بعضا بالسلام وهي كلمة دعاء بالسلامة من كل العاهات والمنغصات وتحية بطلب الحياة الأبدية.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان أن التقليد والتبعية لا تكون عذراً لصاحبها عند الله تعالى.

٢ـ بيان أن الشيطان هو المعبود من دون الله تعالى إذ هو الذي دعا إلى عبادة غير الله وزينها للناس.

٣ـ تقرير لعلم الله بما لم يكن كيف يكون إذ ما جاء في الآيات من حوار لم يكن بعد ولكنه في علم الله كائن كما هو وسوف يكون كما جاء في الآيات لا يتخلف منه حرف واحد.

٤ـ وعيد الظالمين بأليم العذاب.

٥ـ العمل لا يُدخل الجنة إلا بوصفه سبباً لا غير، وإلا فدخول الجنة يكون بإذن الله تعالى ورضاه.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

(١) ﴿جنات﴾: جمع جنة، وجنّات: منصوب على نزع الخافض أي: في جنات لأنّ دخل كخرج لا يتعدى إلا بحرف الجر.

(٢) أي: بمشيئته وتيسيره.

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ
﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ
ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ
ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ
تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

شـرح الكلـمات :

كلمة طيبـة : هي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كشـجرة طيبة : هي النخـلة .

كلمة خبيثـة : هي كلمـة الكـفر.

كشـجرة خبيثة : هـي الحنظـل .

اجـتـثـت : أي اقتلعت جثتها أي جسمها وذاتها .

بالقول الثابت : هو لا إلـه إلا الله .

وفي الآخـرة : أي في القبر فيجيب الملكين عما يسألانه عنه حيث يسألانه عن ربه ودينه ونبيه .

بدلوا نعمة الله كفراً : أي بدلوا التوحيد والاسلام بالجحود والشرك .

دار البـوار : أي جهـنم .

وجعلوا لله أندادا : أي شـــركاء .

معنى الآيـات :

الآيات في تقرير التوحيد والبعث والجزاء، قوله تعالى : ﴿ألم تر﴾ أيها الرسول أي ألم تعلم ﴿كيف ضرب الله مثـلا كلمـة طيبة﴾ [١] هي كلمة الإيمان يقولها المؤمن ﴿كشجرة طيبة﴾ وهي النخلة [٢] ﴿أصلها ثابت﴾ في الأرض ﴿وفرعها﴾ عال ﴿في السماء﴾، ﴿تؤتي أكلها﴾ تعطي أكلها أي ثمرها الذي يؤكل منها كل حين بلحاً وبُسْراً ومُنَصَّفاً ورطباً وتمراً وفي الصباح والمساء ﴿بإذن ربها﴾ أي بقدرته وتسخيره فكلمة الإيمان لا إله إلا الله محمد رسول الله تثمر للعبد أعمالاً صالحة كل حين فهي في قلبه والأعمال الصالحة الناتجة عنها ترفع إلى الله عز وجل، وقوله تعالى : ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ أي كما ضرب هذا المثال للمؤمن والكافر في هذا السياق يضرب الأمثال للناس مؤمنهم وكافرهم لعلهم يتذكرون أي رجاء أن يتذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويعملوا الصالحات فينجوا من عذاب الله، وقوله: ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هي كلمة الكفر في قلب الكافر ﴿كشجرة خبيثة﴾ هي الحنظل مُرَّة ولا خير فيها ولا أصل لها ثابت ولا فرع لها في السماء ﴿اجتثت﴾ أي اقتلعت واستؤصلت ﴿من فوق الأرض مالها من قرار﴾ أي لاثبات لها ولا تثمر إلا ما فيها من مرارة وسوء طعم وعدم بركة وقوله تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ هذا وعد من الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين بأنه يثبتهم على الإيمان مهما كانت الفتن والمحن حتى يموتوا على الإيمان ﴿وفي الآخرة﴾ أي في القبر إذ هو عتبة الدار الآخرة عندما يسألهم [٣] الملكان عن الله وعن الدين والنبي من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيثبتهم بالقول الثابت وهو الإيمان وأصله لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل الصالح الذي هو الإسلام وقوله تعالى : ﴿ويضل الله الظالمين﴾ مقابل هداية المؤمنين فلا يوفقهم للقـول الثـابت حتى يموتوا على الكفر فيهلكوا ويخسروا، وذلك

(١) الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي المؤمن، والشجرة المضروب بها المثل هي النخلة، وفي الحديث الصحيح : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبروني ما هي؟ قال: هي النخلة) وورد: (مثل المؤمن كالنخلة إن صاحبته نفعك، وإن جالسته نفعك، وإن شاورته نفعك كالنخلة كل شيء منها ينتفع به).

(٢) وورد أكرموا عمتكم النخلة، ومن وجه شبهها بالمؤمن أنها برأسها تبقى وبقلبها تحيا وفي اللقاح ورائحة طلع ذكرها كرائحة المني، وقيل: إنها خلقت من فضلة طينة آدم التي خلق منها، فهي لذا عمة بني آدم.

(٣) روى النسائي عن البراء قال: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ نزلت في عذاب القبر، يقال: من ربك فيقول ربي الله وديني دين محمد ﷺ.

لإصرارهم على الشرك ودعوتهم إليه وظلم المؤمنين وأذيتهم من أجل إيمانهم، وقوله تعالى: ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ تقرير لإرادته الحرة فهو عز وجل يثبت من يشاء ويضل من يشاء فلا اعتراض عليه ولا نكير مع العلم أنه يهدي ويضل بحكم عالية تجعل هدايته كإضلاله رحمة وعدلاً.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي ألم ينته إلى علمك أيها الرسول ﴿إلى الذين بدلوا نعمة الله﴾ التي هي الإسلام الذي جاءهم به رسول الله بما فيه من الهدى والخير فكذبوا رسول الله وكذبوا بما جاء به ورضوا بالكفر وأنزلوا بذلك قومهم الذين يحثونهم على الكفر ويشجعونهم على التكذيب أنزلوهم[1] ﴿دار البوار﴾[2] فهلك من هلك في بدر كافراً الى جهنم، ودار البوار هي جهنم يصلونها أي يحترقون بحرها ولهيبها ﴿وبئس القرار﴾ أي المقر الذي أحلوا قومهم فيه، وقوله تعالى: ﴿وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله﴾ أي جعل أولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً وهم كفار مكة لله أنداداً أي شركاء عبدوها وهي اللاَّتَ والعُزَّى وهُبل ومَناة وغيرها من آلهتهم الباطلة، جعلوا هذه الأنداد ودعوا إلى عبادتها ليضلوا ويضلوا غيرهم عن سبيل الله التي هي الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى وجواره الكريم، وقوله تعالى: ﴿قل تمتعوا﴾[3] أي بما أنتم فيه من متاع الحياة الدنيا ﴿فإن مصيركم﴾ أي نهاية أمركم ﴿إلى النار﴾ حيث تصيرون إليها بعد موتكم إن أصررتم على الشرك والكفر حتى متم على ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٢ـ المقارنة بين الإيمان والكفر، وكلمة التوحيد وكلمة الكفر وما يثمره كل واحد من هذه الأصناف من خير وشر.

---

(١) هذه الآية نزلت في قريش، وقيل: في هلكى بدر، وقيل: في متنصِّرة العرب: جبلة بن الأيهم وأصحابه، والظاهر أنها عامة في كل من كفر بالله ورسوله وحاد عن سبيلهما، وقال الحسن: إنها عامة في جميع المشركين.

(٢) ﴿البوار﴾: الهلاك.

(٣) الأمر للتهديد والوعيد، وفي اللفظ إشارة إلى قلّة ما في الدنيا من ملاذ مع سرعة زوالها ولزوم انقطاعها.

٣- بشرى المؤمن بتثبيت الله تعالى له على إيمانه حتى يموت مؤمناً وبالنجاة من عذاب القبر حيث يجيب منكراً ونكيراً على سؤالهما إياه بتثبيت الله تعالى له.

٤- الأمر في قوله تعالى تمتعوا ليس للإباحة ولا للوجوب وإنما هو للتهديد والوعيد.

قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ
فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾
وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات:

لابيع فيه ولا خلال : هذا يوم القيامة لا بيع فيه ولا فداء ولا مخالة تنفع ولا صداقة.

الفلك : أي السفن فلفظ الفلك دال على متعدد ويذكَّر ويؤنث.

دائبين : جاريين في فلكهما لا يفتران أبداً حتى نهاية الحياة الدنيا.

لظلوم كفار : كثير الظلم لنفسه ولغيره، كفار عظيم الكفر هذا ما لم يؤمن ويهتد فإن آمن واهتدى سلب هذا الوصف منه.

معنى الآيات:

لما أمر الله تعالى رسوله أن يقول لأولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً ﴿قل تمتعوا فإن

مصيركم إلى النـار﴾ أمـر رسوله أيضاً أن يقول للمؤمنين .. يقيموا الصلاة وينفقوا من أموالهم سراً وعلانية ليتقوا بذلك عذاب يوم القيامة الذي توعد به الكافرين فقال: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾[١] أي يؤدوها على الوجه الذي شرعت عليه فيتموا ركوعها وسجـودها ويؤدوها في أوقاتها المعينة لها وفي جماعة وعلى طهارة كاملة مستقبلين بها القبلة حتى تثمر لهم زكاة أنفسهم وطهارة أرواحهم ﴿وينفقوا﴾[٢] ويوالوا الإنفاق في كل الأحيان ﴿سراً وعلانية﴾، ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿لا بيع فيه ولا خلال﴾[٣] لا شراء فيحصل المرء على ما يفدي به نفسه من طريق البيع، ولا خلة أي صداقة تنفعه ولا شفاعة إلا بإذن الله تعالى.

وقـولـه تعـالى: ﴿الله[٤] الذي خلق السماوات والأرض﴾ أي انشأهما وابتدأ خلقهما ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ هو ماء الأمطار ﴿فأخرج به من الثمرات﴾ والحبوب ﴿رزقاً لكم﴾[٥] تعيشون به وتتم حياتكم عليه ﴿وسخر[٦] لكم الفلك﴾ أي السفن ﴿لتجري في البحر بأمره﴾ أي بإذنه وتسخيره تحملون عليها البضائع والسلع من إقليم إلى إقليم وتركبونها كذلك ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ الجارية بالمياه العذبة لتشربوا وتسقوا مزارعكم وحقولكم ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾[٧] لا يفتران أبداً في جريهما وتنقلهما في بروجهما لمنافعكم التي لا تتم إلا على ضوء الشمس وحرارتها ونور القمر وتنقله في منازله ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا والنهار لتعملوا فيه وتكسبوا أرزاقكم ﴿وآتاكم من كل ماسألتموه﴾[٨] مما أنتم في حاجة إليه لقوام حياتكم، هذا هو الله المستحق لعبادتكم

---

(١) هي الصلوات الخمس: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء.

(٢) هي الزكاة ويدخل معها صدقة التطوع، إذ الكلّ انفاق، والسرية غالباً هي صدقة التطوع والعلانية هي الزكاة المفروضة

(٣) ﴿الخلال﴾ جمع خلَة كقُلة وقلال، وهي المودة والصداقة والمنفي هنا هو آثارها بالنفع بالإرفاد والاسعاف بالثواب.

(٤) هذا استئناف واقع موقع الاستدلال على بطلان الشرك ووجوب التوحيد وما يترتب على ذلك من سعادة الموحدين وشقاء المشركين.

(٥) الرزق: القوت، وهو كل ما يقتات به من أنواع الحبوب والخضر والفواكه واللحوم.

(٦) التسخير هو التذليل والتطويع، وهو كناية عن كون الشيء قابلا للتصرف فيه.

(٧) الدّؤوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية لا تختلف وفعله: دأب يدأب دؤوبا على الشر: إذا استمر عليه ولم يقطعه.

(٨) ﴿من كل ما سألتموه﴾ أي: من كل مسؤول سألتموه شيئاً فحذف مسؤول لدلالة الكلام عليه، والمقابل محذوف أي: ومن كل ما لم تسألوه، فإنّ هناك أشياء لم يسألها الإنسان، وأعطاه الله تعالى إيّاها، وهذا الحذف كقوله: ﴿سرابيل تقيكم الحر. .﴾ وسرابيل تقيكم البرد: فحذف.

رغبة فيه ورهبة منه، هذا هو المعبود الحق الذي يجب أن يعبد وحده لا شريك له وليس تلك الأصنام والأوثان التي تعبدونها وتدعون إلى عبادتها حتى حملكم ذلك على الكفر والعناد بل والظلم والشر والفساد.

وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[1] أي بعد أن عدد الكثير من نعمه أخبر أنه لا يمكن للإنسان أن يعد نعم الله عليه ولا أن يحصيها عداً بحال من الأحوال، وقرر حقيقة في آخر هذه الموعظة والذكرى وهي أن الإنسان إذا حُرم الإيمان والهداية الربانية ﴿ظلوم﴾ أي كثير الظلم كفور كثير الكفر عظيمه، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإكثار من الصدقات لاتقاء عذاب النار.

٢ـ جواز صدقة العلن كصدقة السر وإن كانت الأخيرة أفضل.

٣ـ التعريف بالله عز وجل إذ معرفة الله تعالى هي التي تثمر الخشية منه تعالى.

٤ـ وجوب عبادة الله تعالى وبطلان عبادة غيره.

٥ـ وصف الإنسان بالظلم والكفر وشدتهما ما لم يؤمن ويستقيم على منهج الإسلام.

وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ
أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) الإحصاء: ضبط العدد، وهو مشتق من الحصا إسماً للعدد، وهو منقول من الحصى وهي صغار الحجارة إذ كانوا يعدون الأعداد الكبيرة بها.

تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى
عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾
رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

هذا البلد آمنا : أي اجعل مكة بلداً آمناً يأمن كل من دخله .

واجنبني : بَعِّدْني .

أن نعبد الأصنام : عن أن نعبد الأصنام .

أضللن كثيراً من الناس : أي بعبادتهم لها . .

من تبعنى فإنه مني : أي من اتبعني على التوحيد فهو من أهل ملتي وديني .

من ذريتي : أي من بعض ذريتي وهو اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر.

بواد غير ذي زرع : أي مكة إذ لا مزارع فيها ولا حولها يومئذ .

تهوي إليهم : تَحِنُّ إليهم وتميل رغبة في الحج والعمرة .

على الكبر إسماعيل واسحق: أي مع الكبر إذ كانت سنه يومئذ تسعاً وتسعين سنة وولد له إسحق وسنه مائة واثنتا عشرة سنة .

ولوالـدي : هذا قبل أن يعرف موت والده على الشرك .

يوم يقوم الحساب : أي يوم يقوم الناس للحساب .

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وقد تضمنت هذه الآيات ذلك ،

فقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ أي اذكر إذ قال إبراهيم فكيف يذكر ما لم يوح الله تعالى إليه بذلك ففسر هذا نبوة رسول الله ونزول الوحي إليه، وقوله: ﴿رب اجعل هذا البلد آمنا﴾ إي ذا أمن فيأمن من دخله على نفسه وماله والمراد من البلد مكة.

وقوله: ﴿واجنبني[1] وبني أن نعبد الأصنام﴾ فيه تقرير للتوحيد الذي هو عبادة الله وحده ومعنى اجنبني ا بعدني أنا وأولادي وأحفادي وقد استجاب الله تعالى له فلم يكن في أولاده وأولاد أولاده مشرك، وقوله: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾[2] تعليل لسؤاله ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها، واضلال الناس كان بعبادتهم لها فضلوا في أودية الشرك، وقوله: ﴿فمن تبعني﴾ أي من أولادي ﴿فإنه مني﴾ أي على ملتي وديني، ﴿ومن عصاني﴾ فلم يتبعني على ملة الإسلام إن تعذبه فذاك وإن تغفر له ولم تعذبه ﴿فإنك غفور رحيم﴾[3]، وقوله: ﴿ربنا إني اسكنت من ذريتي﴾[4] أي من بعض ذريتي وهو اسماعيل مع أمه هاجر ﴿بواد غير ذي زرع﴾ هو مكة إذ ليس فيها ولا حولها زراعة يومئذ وإلى آماد بعيدة وأزمنة عديدة ﴿عند بيتك المحرم﴾ قال هذا بإعلام من الله تعالى له أنه سيكون له بيت في هذا الوادي ومعنى المحرم أي الحرام وقد حرمه تعالى فمكة حرام إلى يوم القيامة لا يُصاد صيدها ولا يُختلي خلاها ولا تُسفك فيها دماء ولا يحل فيها قتال، وقوله: ﴿ربنا ليقيموا الصلاة[5] فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾ هذا دعاء بأن ييسر الله تعالى عيش سكان مكة ليعبدوا الله تعالى فيها بإقام الصلاة، فإن قلوب بعض الناس عندما تهفوا الى مكة وتميل إلى الحج والعمرة تكون سبباً في نقل الأرزاق والخيرات إلى مكة، وقوله: ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ دعاء آخر بأن يرزق الله بنيه من الثمرات ليشكروا الله تعالى على ذلك فوجود الأرزاق والثمرات موجبة للشكر، إذ النعم تقتضي

---

(١) أي: اجعلني جانباً عن عبادتها، وبنيه من صلبه وكانوا ثمانية: فما عبد منهم أحد صنماً قط. كان ابراهيم التميمي يقول: من يأمن البلاء بعد الخليل حتى يقول: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام.

(٢) نسب الإضلال إليهن وهن جمادات لا يفعلن شيئا: لأنهن السبب في الإضلال.

(٣) فوّض الأمر لربه إن شاء غفر لمن عصاه رحمة، وإن شاء عذّبه. وقيل: قال ابراهيم هذا قبل أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك لأصحابه.

(٤) ذكر البخاري قصّة إسكان ابراهيم عليه السلام هاجر مكة، بالتفصيل فليرجع إليها ومن في قوله: ﴿من ذريتي﴾ للتبعيض إذ لم يسكن مكة إلاّ إسماعيل وباقي أولاده كانوا بالشام.

(٥) خصّ الصلاة بالذكر لأنها العبادة التي تشتمل على الذكر والشكر، وهي علّة الحياة وسرّ هذا الوجود والكلام في قوله ﴿ليقيموا الصلاة﴾ لام كي: التعليلية والفعل متعلق بأسكنت أي: أسكنتهم بمكة ليقيموا الصلاة فيها.

شكراً، وقوله: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ أراد به أن ما سأل ربه فيه من كل ما سأل انما هو من باب إظهار العبودية لله والتخشع لعظمته والتذلل لعزته والافتقار الى ما عنده، وإلا فالله أعلم بحاله وما يصلحه هو وبنيه، وما هم في حاجة إليه لأنه تعالى يعلم كل شيء ولا يخفى[1] عنه شيء في الأرض ولا في السماء. . وقوله: ﴿الحمد الله الذي وهب لي على الكبر[2] اسماعيل واسحق إن ربي لسميع الدعاء﴾ أراد به حمد الله وشكره على ما أنعم به عليه حيث رزقه اسماعيل واسحق على كبر سنه، والاعلام بأن الله تعالى سميع دعاء من يدعوه وينيب إليه، وقوله: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ أيضاً من يقيم الصَّلاة، لأن الصلاة هي علة الحياة كلها إذ هي الذكر والشكر فمتى أقام العبد الصلاة فأداها بشروطها وأركانها كان من الذاكرين الشاكرين، ومتى تركها العبد كان من الناسين الغافلين وكان من الكافرين، وأخيرا ألحَّ على ربه في قبول دعائه وسأل المغفرة له ولوالديه[3] وللمؤمنين يوم يقوم[4] الناس للحساب وذلك يوم القيامة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ فضل مكة وشرفها وأنها حرم آمن أي ذو أمن.

٢ـ الخوف من الشرك لخطره وسؤال الله تعالى الحفظ من ذلك.

٣ـ علاقة الإيمان والتوحيد أولى من علاقة الرحم والنسب.

٤ـ أهمية إقام الصلاة وأن من لم يرد أن يصلي لا حق له في الغذاء ولذا يُعدم إن أصر على ترك الصلاة.

---

(١) قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنك تعلم ما أخفي وما أعلن﴾ أي: من الوجد بإسماعيل وأمّه حيث أُسكنا بواد غير ذي زرع، والوجد: الحزن.

(٢) قيل: ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) استغفر عليه السلام لوالديه قبل أن يتبيّن له عداوة أبيه آزر لله تعالى فلمّا تبيّن له أنه عدو لله تبرأ منه، كما تقدم في سورة التوبة، كما جاء فيها: ﴿فلما تبيّن له أنه عدو لله تبرأ منه﴾ فلذا لا يجوز الاستغفار لمن مات مشركاً، كما لا يجوز الصلاة عليه إذا مات إجماعاً.

(٤) نسبة القيام إلى الحساب كقولهم: قامت الحرب على ساق: يعنون اشتداد الأمر، وصعوبة الحال.

٥ـ بيان استجابة دعاء ابراهيم عليه السلام فيما سأل ربه تعالى فيه.

٦ـ وجوب حمد الله وشكره على ما ينعم به على عبده.

٧ـ مشروعية الاستغفار للنفس وللمؤمنين والمؤمنات.

٨ـ تقرير عقيدة البعث والحساب والجزاء.

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ
هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ
﴿٤٦﴾

شرح الكلمات:

عما يعمل الظالمون : أي المشركون من أهل مكة وغيرهم.

ليوم تشخص فيه الأبصار : أي تنفتح فلا تغمض لشدة ما ترى من الأهوال.

مهطعين مقنعي رؤوسهم : أي مسرعين إلى الداعي الذي دعاهم إلى الحشر، رافعي رؤوسهم.

وأفئدتهم هواء	: أي فارغة من العقل لشدة الخوف والفزع.
نجب دعوتك	: أي على لسان رسولك فنعبدك ونوحدك ونتبع الرسل.
ما لكم من زوال	: أي عن الدنيا إلى الآخرة.
وقد مكروا مكرهم	: أي مكرت قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه.
وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال	: أي لم يكن مكرهم بالذي تزول منه الجبال فإنه تافه لا قيمة له فلا تعبأ به ولا تلتفت اليه.

معنى الآيـات :

في هذا السياق الكريم تقوية رسول الله ﷺ وحمله على الصبر ليواصل دعوته إلى ربه إلى أن ينصرها الله تعالى وتبلغ المدى المحدد لها والأيام كانت صعبة على رسول الله وأصحابه لتكالب المشركين على أذاهم، وازدياد ظلمهم لهم فقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ من قومك إنه إن لم ينزل بهم نقمته ولم يحل بهم عذابه إنما يريد أن يؤخرهم ﴿ليوم تشخص[1] فيه الأبصار﴾ أي تنفتح فلا تغمض ولا تطرف لشدة الأهوال وصعوبة الأحوال، ﴿مهطعين[2]﴾ أي مسرعين ﴿مقنعي رؤوسهم[3]﴾ أي حال كونهم مهـطعين مقنعي رؤوسهم أي رافعين رؤوسهم مسرعين للداعي الذى دعاهم إلى المحشر، قال تعالى: ﴿واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب﴾ ﴿لا يرتد إليهم طرفهم[4]﴾ أي لا تغمض أعينهم من الخوف ﴿وأفئدتهم﴾ أي قلوبهم ﴿هواء﴾ أي[5]

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يرمضون، وفعل الشخوص: شخص يشخص البصر: إذا سما وطمح من الخوف.

(٢) ﴿مهطعين﴾ اسم فاعل من أهطع يهطع إهطاعاً فهو مهطع إذا أسرع ومنه قوله تعالى: ﴿مهطعين إلى الداعي﴾ أي: مسرعين، قال الشاعر:

بدجلة دارهم ولقد أراهم ... بدجلة مهطعين إلى السماع

والمهطع أيضاً من ينظر في ذل وخشوع.

(٣) ﴿مقنعي﴾ الإقناع: رفع الرأس ومنه الإقناع في الصلاة وهو مكروه وقد يطلق الإقناع أيضاً على تنكيس الرأس، يقال: أقنع رأسه: إذا طأطأه أو رفعه، واللفظ يحتمل الوجهين.

(٤) الطرف: العين، قال الشاعر:

وأغمض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي ماواها

يقال: طرف يطرف طرفاً إذا أطبق جفنه على الآخر، ولم يطرف: إذا فتح عينه ولم يغمضها.

(٥) هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول، والهواء: الخلاء.

فارغة من الوعي والادراك لما أصابها من الفزع والخوف ثم أمر تعالى رسوله في الآية (٤٤) بإنذار الناس مخوفاً لهم من عاقبة أمرهم إذا استمروا على الشرك بالله والكفر برسوله وشرعه، ﴿يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا﴾ أي أشركوا بربهم، وآذوا عباده المؤمنين ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ أي يطلبون الإنظار والإمهال ﴿نجب دعوتك﴾ أي نوحدك ونطيعك ونطيع رسولك، فيقال لهم: توبيخاً وتقريعاً وتكذيباً لهم: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم﴾ أي حلفتم ﴿من قبل ما لكم من زوال﴾ أي أطلبتم الآن التأخير ولم تطلبوه عندما قلتم ما لنا من زوال ولا ارتحال من الدنيا الى الآخرة، ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي ﴿وتبين لكم﴾ أي عرفتم ﴿كيف فعلنا بهم﴾ أي بإهلاكنا لهم وضربنا لكم الأمثال في كتبنا وعلى ألسنة رسلنا فيوبخون هذا التوبيخ ولا يجابون لطلبهم ويقذفون في الجحيم، وقوله تعالى: ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ أي وقد مكر كفار قريش برسول الله ﷺ حيث قرروا حبسه مغللاً في السجن حتى الموت أو قتله، أو نفيه وعزموا على القتل ولم يستطيعوه ﴿وعند الله مكرهم﴾ أي علمه وما أرادوا به، وجزاؤهم عليه، وقوله: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾[1] أي ولم يكن مكرهم لتزول منه الجبال فإنه تافه لا وزن له ولا اعتبار فلا تحفل به أيها الرسول ولا تلتفت، فإنه لا يحدث منه شيء، وفعلاً قد خابوا فيه أشد الخيبة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تأخير العذاب عن الظلمة في كل زمان ومكان لم يكن غفلة عنهم، وإنما هو تأخيرهم إلى يوم القيامة أو إلى أن يحين الوقت المحدد لأخذهم.

٢- بيان أهوال يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه حتى يتمنى الظالمون الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا ويوحدوا ربهم في عبادته.

٣- التنديد بالظلم وبيان عقاب الظالمين بذكر أحوالهم.

(١) قرىء: ﴿لَتزول﴾ بفتح اللام الأولى وضم الآخرة لتزول، وإن مخففة من الثقيلة، واللام لام الابتداء، ومعنى الآية: استعظام مكرهم حتى لتكاد الجبال تزول منه، وما في التفسير من قراءة وتوجيه هو الذي رجّحه ابن جرير الطبري. هنا ذكر القرطبي بإسهاب قصّة النمرود الجبار الذي حاج ابراهيم عليه السلام، ولا طائل تحتها.

٤ـ تقرير جريمة قريش في ائتمارها على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ
وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟
بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

شـرح الكلـمات :

إن الله عزيز : أي غالب لا يحال بينه وبين مراده بحال من الأحوال.

ذو انتقـام : أي صاحب انتقام ممن عصاه وعصى رسوله.

يوم تبدل الأرض : أي اذكر يا رسولنا للظالمين يوم تبدل الأرض.

وبرزوا لله : أي خرجوا من القبور لله ليحاسبهم ويجزيهم.

مقرنيـن : أي مشدودة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم.

في الأصـفاد : الأصفاد جمع صفد وهو الوثاق من حبل وغيره.

سرابيلهـم : أي قمصهم التي يلبسونها من قطران.

هذا بـلاغ : أي هذا القرآن بلاغ للناس.

أولوا الألباب : أصحاب العـقول.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تسلية الـرسـول ﷺ والمؤمنين وهم يعانون من صلف المشركين

وظلمهم وطغيانهم فيقول تعالى لرسوله ﷺ : ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾[1] إنه كما لم يخلف رسله الأولين لا يخلفك أنت، إنه لابد منجز لك ما وعدك من النصر على أعدائك فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم. ﴿إن الله عزيز﴾[2] أي غالب لا يغلب غالب على أمره ما يريده لا بد واقع ﴿ذو انتقام﴾ شديد ممن عصاه وتمرد على طاعته وحارب أولياءه، واذكر ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾[3] كذلك ﴿وبرزوا﴾ أي ظهروا بعد خروجهم من قبورهم في طريقهم إلى المحشر إجابة منهم لدعوة الداعي وقد برزوا ﴿لله الواحد القهار﴾، ﴿وترى المجرمين يومئذ﴾ يا رسولنا تراهم ﴿مقرنين في الأصفاد﴾[4] مشدودة أيديهم وارجلهم إلى أعناقهم، هؤلاء هم المجرمون اليوم بالشرك والظلم والشر والفساد أجرموا على أنفسهم أولا ثم على غيرهم ثانياً سواء ممن ظلموهم وآذوهم أو ممن دعوهم إلى الشرك وحملوهم عليه، الجميع قد أجرموا في حقهم، ﴿سرابيلهم﴾[5] قمصانهم التي على أجسامهم ﴿من قَطران﴾ وهو ما تدهن به الإبل: مادة سوداء محرقة للجسم أو من نحاس إذْ قُرِئَ من قِطرٍآن أي من نحاس أُحمي عليه حتى بلغ المنتهى في الحرارة ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ أي وتغطي وجوههم النار بلهبها، هؤلاء هم المجرمون في الدنيا بالشرك والمعاصي، وهذا هو جزاؤهم يوم القيامة، فعل تعالى هذا بهم ﴿ليجزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب﴾ فما بين أن وجدوا في الدنيا وبين أن انتهوا إلى نار جهنم واستقروا في أتون جحيمها الا كمن دخل

---

(١) ﴿مخلف﴾ مفعول ثان لحسب، ووعده: مجرور بالإضافة، ورسله: معمول لمخلف مؤخر، والأصل: مخلف رسله وعده، وقدّم الوعد للاهتمام به.

(٢) جملة تعليلية للنهي عن حسبان خلف وعده تعالى.

(٣) الآية نصّ صريح في كون الأرض والسموات تتبدل في ذاتها وسائر صفاتها وتزول تماماً ويخلق الله تعالى أرضاً غير ذي وسماء غير هذه، وفي الحديثين الآتيين ما يقرّر ذلك:

أ ـ حديث مسلم، وفيه: (إنّ يهوديا سأل رسول الله ﷺ قائلا: أين يكون الناس يوم تبدلّ الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: في الظلمة دون الجسر).

ب ـ حديث ابن ماجه بإسناد مسلم قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال على الصراط).

(٤) الأصفاد: جمع صفد بفتح كل من الصاد والفاء، وهو الغلّ والقيد يشد به ويربط الجاني قال الشاعر:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا   وأُبنا بالملوك مصفّدين

(٥) واحد السرابيل: سربال، وهو القميص، يقال: تسربل، إذا لبس السربال وكونها من قطران لشدّة حرارتها، واشتعال النار فيها.

مع باب وخرج مع آخر، وأخيراً يقول تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس[1] ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ أي هذا القرآن بلاغ للناس من رب الناس قد بلغه إليهم رسول رب الناس ﴿ولينذروا به﴾ أي بما فيه من العظات والعبر والعرض لألوان العذاب وصنوف الشقاء لأهل الإجرام والشر والفساد، ﴿وليعلموا﴾ أي بما فيه من الحجج والدلائل والبراهين ﴿أنما هو إله واحد﴾ أي معبود واحد لا ثاني له وهو الله جل جلاله، فلا يعبدوا معه غيره إذ هو وحده الرب والإله الحق، وما عداه فباطل، ﴿وليذكر أولوا الألباب﴾ أي وليتعظ بهذا القرآن أصحاب العقول المدركة الواعية فيعملوا على إنجاء أنفسهم من غضب الله وعذابه، وليفوزوا برحمته ورضوانه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان صدق وعد الله من وعدهم من رسله وأوليائه.

٢- بيان أحوال المجرمين في العرض وفي جهنم.

٣- بيان العلة في المعاد الآخر وهو الجزاء على الكسب في الدنيا.

٤- قوله تعالى في آخر آية من هذه السورة: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ هذه الآية صالحة لأن تكون عنوانا للقرآن[2] الكريم إذ دلت على مضمونه كاملاً مع وجازة اللفظ وجمال العبارة، والحمد لله أولاً وآخراً.

---

(١) ﴿بلاغ﴾ أي: تبليغ للناس يقوم به الرسول ﷺ.

(٢) قال هذا: العلامة الشيخ، البشير الإبراهيمي الجزائري، وظننا أنّه إلهام من الله تعالى له، وإذا بنا نعثر في كلام الأولين على من قاله، وسبق به وجائز أن يكون الشيخ ألهمه والآخر كذلك، وتوارد الخواطر معروف ولا مانع من النقل والسكوت على من نقل عنه، إذ العلم مشاع كالماء والهواء لا غنى لأحد عنهما، ولذا فلا بأس أن ينقل العلم ولا ينسب إلى قائله لكن لا ينسب إلى غير قائله، فتلك سرقة ممنوعة.

سُورَةُ الحِجْرِ
مكية
وآياتها تسع وتسعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟
وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

آلـر : الله أعلم بمراده بذلك، تُكتب آلر. ويقرأ: ألِفْ، لاَمْ، را.

تلك آيات الكتاب : الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف المقطعة تلك آيات الكتاب أي القرآن.

يـود : يحب ويرغب متمنياً أن لو كان من المسلمين.

ويتمتعـوا : أي بالملذات والشهوات.

ويلههـم الأمـل : أي بطول العمر وبلوغ الأوطار وإدراك الرغائب الدنيوية.

إلا ولها كتابٌ معلوم : أي أجل محدود لإهلاكها.

ما تسبق من أمة أجلها : أي لا يتقدم أجلها المحدد لها ومن زائدة للتأكيد.

معنى الآيـات :

بما أن السورة مكية فإنها تعالج قضايا العقيدة وأعظمها التوحيد والنبوة والبعث. قوله تعالى: ﴿آلر﴾: الله أعلم بمراده به، ومن فوائد هذه الحروف المقطعة تنبيه السامع وشده بما يسمع من التلاوة، إذ كانوا يمنعون سماعه خشية التأثر به، فكانت هذه الفواتح التى لم يألفوا مثلها في كلامهم تشدهم إلى سماع ما بعدها من القرآن. وقوله: ﴿تلك آيات

الكتاب﴾[1] من الجائز القول: الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف الر، آلم، طس، حم عَسق. ﴿تلك آيات الكتـاب وقـرآنٍ مبين﴾ المبين: المبين للحق والبـاطـل والهـدى والضلال وقوله تعالى: ﴿ربما[2] يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾: يخبر تعالى أن يوماً سيأتي هو يوم القيامة عندما يرى الكافر المسلمين يدخلون الجنة ويدخل هو النار يود يومئذٍ متمنياً أن لو كان من[3] المسلمين. وقد يُحدث الله تعالى ظروفاً في الدنيا وأموراً يتمنى الكافر فيها لو كان من المسلمين. وقوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾ أي اتركهم يا رسولنا، أي اترك الكافرين يأكلوا ما شاءوا من الأطعمة، ويتمتعوا بما حصل لهم من الشهوات والملذات، ويلههم الأمل عن التفكير في عاقبة أمـرهم. إذ همهم طولُ أعمارهم، وتحقيق أوطارهم، فسوف يعلمون إذا رُدّوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون أنهم كانوا في الدنيا مخطئين بإعراضهم عن الحق ودعوة الحق والدين الحق وقوله: ﴿وما أهلكنا من[4] قرية﴾ أي من أهل قرية بعذابِ الإبـادة والاستئصـال ﴿إلا ولهـا كتـاب﴾، أي لها أجلٌ مكتوبٌ في كتابٍ محدد اليوم والساعة .وقوله: ﴿. . ما تسبق من أمةٍ أجلها وما يستأخرون﴾ أي بناءً على كتاب المقادير فإن أمة كتب الله هلاكها لا يمكن أن يتقدم هلاكها قبل ميقاته المحدد، ولا أن يستأخر عنه ولو ساعة. وفي هذا تهديدٌ وتخويف لأهل مكة وهم يحاربون دعوة الحق ورسول الحق لعل قريتهم قد كتب لها كتابٌ وحدد لها أجلٌ وهم لا يشعرون.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ القرآن الكريم مبينٌ لكل ما يُحتاج إليه في إسعاد الإنسان وإكماله.

---

(١) لفظ الكتاب الذي هو القرآن أصبح علماً بالغلبة على القرآن العظيم الذي أنزل على محمد ﷺ وسمي بالكتاب لأنه مأمور بكتابته وحفظه فسمي بالكتاب قبل أن يكتب للأمر بذلك، والقرآن: اسم ثان للكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ والكتاب مشتق من الكتب الذي هو الجمع، والقرآن من القرء الذي هو الجمع أيضاً فهو تجمع حروفه وكلماته.

(٢) ربّ: حرف جرّ يدخل على الأسماء، وإن أريد إدخالها على الأفعال لحقت بها (ما) كما في الآية. وقرأ نافع ﴿رُبَمَا﴾ بالتخفيف، وشدّدها غيره في هذه الآية ﴿ربما يودّ الذين كفروا. .﴾ الخ وأصل استعمالها في التقليل، وقد تستعمل في التكثير.

(٣) وقد ورد أنه لما يرى الكافرون وهم في النار أهلَ التوحيد يخرجون منها يودون لو كانوا موحدين، والكل وارد ولا مانع منه.

(٤) ﴿من﴾: صلة لتقوية النفي وتأكيد الخبر.

٢- إنذار الكافرين وتحذيرهم من مواصلة كفرهم وحربهم للإسلام فإن يوماً سيأتي يتمنون فيه أن لو كانوا مسلمين.

٣- تقرير عقيدة القضاء والقدر فما من شيء إلا وسبق به علم الله وكتبه عنده في كتاب المقادير الحياة كالموت، والربح كالخسارة، والسعادة كالشقاء، جميع ما كان وما هو كائنٌ وما سيكون سبق به علم الله وكتب في اللوح المحفوظ.

وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ
ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ
إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

شـرح الكلـمات :

نزل عليه الذكر : أي القرآن الكريم.

لو ما تأتينا بالملائكة : أي هلا تأتينا بالملائكة تشهد لك أنك نبي الله.

وما كانوا إذاً منظرين : أي ممهلين، بل يأخذهم العذاب فور نزول الملائكة.

إنا نحن نزلنا الذكر : أي القرآن.

في شيع الأولين : أي في فرق وطوائف الأولين.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ أي قال الكافرون المنكرون للوحي والنبوة ﴿إنك لمجنون﴾ أي غير عاقل وإلا لما ادعيت النبوة. وفي قولهم هذا استهزاء

ظاهر بالرسول ﷺ وهو ثمرة ظلمة الكفر التي في قلوبهم وقوله: ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾[1] لو ما هنا بمعنى هلا التحضيضيه أي هلا تأتينا بالملائكة نراهم عياناً يشهدون لك بأنك رسول الله ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك النبوة والرسالة فأت بالملائكة تشهد لك. قال تعالى ﴿ما ننزل[2] الملائكة إلا بالحق﴾ أي نزولاً ملتبساً بالحق. أي لا تنزل الملائكة إلا لإحقاق الحق وإبطال الباطل لا لمجرد تشهي الناس ورغبتهم ولو نزلت الملائكة ولم يؤمنوا لنزل بهم العذاب فوراً ﴿وما كانوا إذاً منظرين[3]﴾ أي ممهلين بل يهلكون في الحال. وقوله تعالى في الآية (٩) ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ أي القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي من الضياع ومن الزيادة والنقصان لأنه حجتنا على[4] خلقنا إلى يوم القيامة. أنزلنا الذكر هدى ورحمة وشفاء ونوراً. هم يريدون العذاب والله يريد الرحمة. مع أن القرآن نزلت به الملائكة، والملائكة إن نزلت ستعود الى السماء ولم يبق ما يدل على الرسالة إلا القرآن ولكن القوم لا يريدون أن يؤمنوا وليسوا في ذلك الكفر والعناد وحدهم بل سبقتهم طوائف وأمم أرسل فيهم فكذبوا وجاحدوا وهو قوله تعالى: ﴿ولقد[5] أرسلنا من قبلك في شيع[6] الأولين﴾ أي في فرقهم وأممهم ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به[7] يستهزئون﴾ لأن علة المرض واحدة إذاً فلا تيأس يا رسول الله ولا تحزن بل اصبر وانتظر وعد الله لك بالنصر فإن وعده حق: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي! إن الله قوي عزيز﴾.

---

(١) ﴿لوما﴾ كلولا، وهلّا: حرف تحضيض على الفعل نحو: لو ما أكرمت عمراً ولولا أكرمت زيداً وهلا كذلك، وتأتي مع الخبر فلا يراد بها التحضيض نحو: لو ما خوف الله لقلت فيك كذا وكذا، قال الشاعر:

لو ما الحياء ولوما الدين عبتكما   ببعض ما فيكما إذ عبتما عَوَري

(٢) قرأ حفص: ﴿ما ننزل الملائكة﴾ وقرأ بعضهم ﴿ما تنزّل﴾ وقرأ ورش عن نافع ﴿ما تُنَزَّلُ﴾ بحذف احدى التائين تخفيفاً، إذ الأصل: تتنزّل.

(٣) أصل: إذاً: إذ أن، ومعناها حينئذ أي: تنزّلت الملائكة بإهلاكهم لما كانوا حينئذ منظرين أي: ممهلين ساعة من الزمن.

(٤) قالت العلماء: لما وكل الله تعالى حفظ التوراة والانجيل إلى أهل الكتاب في قوله ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾ أضاعوه فزادوا فيه ونقصوا منه، ولمّا تولى الله تعالى حفظ القرآن، حفظه فلم يُزَدْ فيه حرف ولم يُنقص منه حرف.

(٥) ﴿ولقد أرسلنا﴾ الخ.. هذه الجملة إبطال لاستهزاء المشركين بالرسول ﷺ على طريقة التمثيل بأشياعهم من الأمم السابقة.

(٦) الشِيَع: جمع شيعة، وهي الفرقة المتآلفة المتفقة الكلمة، ومنه قوله تعالى ﴿أو يلبسكم شيعا﴾ أي: فرقاً كل فرقة تتآلف مع أفرادها، وتحارب عن مبادئها وأفكارها وما هي عليه من دين وعادة.

(٧) تقديم الجار والمجرور (به) على فعل يستهزئون: لإفادة القصر للمبالغة أي: كأنهم لفساد قلوبهم لا شغل لهم إلا الاستهزاء برسول الله عز وجل.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان ما كان يلقاه رسول الله ﷺ من استهزاء وسخرية من المشركين.

٢ـ مظهر من مظاهر رحمة الله بالإنسان، يطلب نزول العذاب والله ينزل الرحمة.

٣ـ بيان حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من الزيادة والنقصان ومن الضياع.

٤ـ بيان سنة الله تعالى في الأمم والشعوب وهي أنهم ما يأتيهم من رسول ينكر عليهم مألوفهم ويدعوهم إلى جديد من الخير والهدى إلا وينكرون ويستهزئون.

كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى
قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾
وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾

شـرح الكلمـات :

كذلك نسلكه	: أي التكذيب بالقرآن أو النبي ﷺ.
وقد خلت سنة الأولين	: أي مضت سنة الأمم السابقة.
فظلوا فيه يعرجون	: أي يصـعدون.
إنما سُـكِّرت	: أي سدت كما يُسَكَّرُ النهر أو الباب.
في السماء بروجا	: أي كواكب ينزلها الشمس والقمر.
شيطان رجيـم	: أي مرجومٌ بالشهب.
شهاب مبين	: كوكب يُرجم به الشيطان يحرقه أو يمزقه أو يُخْبِلُهُ أي يفسده.

معنى الآيـات :

مازال السياق في المكذبين للنبي المطالبين بنزول الملائكة لتشهد للرسول بنبوته حتى يؤمنوا بها. قال تعالى: ﴿كذلك نسلكه﴾[1] أي التكذيب في قلوب المجرمين من قومك، كمـا سلكنـاه حسب سنتنـا في قلوب من كذبـوا الـرسل من قبلك فسلكه ﴿في قلوب المجرمين﴾ من قومك فلا يؤمنون بك ولا بالذكر الذي أنزل عليك. وقوله تعالى: ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾[2] أي مضت وهي تعذيب المكذبين للرسل المستهزئين بهم لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. وقوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم[3] باباً من السماء فظلوا﴾ أي الملائكة أو المكذبون ﴿فيه﴾ أي في ذلك الباب ﴿يعرجون﴾ أي يصعدون طوال النهـار طالعين هابطين ولقالوا في المساء ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ أي منعت من النظر الحقيقي فلم نر الملائكة ولم نرى السماء ﴿بل نحن[4] قوم مسحورون﴾ فأصبحنا نرى أشياء لا حقيقية لها، وقوله تعالى: ﴿ولقد[5] جعلنا في السماء بروجا﴾ أي كواكب[6] هي منازل للشمس والقمـر ينـزلان بهـا وعلى مقتضـاهـا يعـرف عدد السنين والحساب. وقوله: ﴿زيناها﴾ أي السماء بالنجوم ﴿للناظرين﴾ فيها من الناس. وقوله: ﴿وحفظناها﴾ أي السمـاء الـدنيا ﴿من كل شيطانٍ رجيم﴾ أي مرجـوم ملعون. وقوله: ﴿إلا من استرق السمـع﴾ إلا مارد من الشياطين طلع إلى السمـاء لاستراق السمع من الملائكة لينزل بالخبر إلى وليه من الكهان من الناس ﴿فاتبعه شهاب﴾ من نار ﴿مبين﴾ أي يبين أثره في الشيطان إما بإخباله وإفساده وإما بإحراقه. هذه الآيات وهي قوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا

---

(١) عود الضمير في ﴿نسلكه﴾ على القرآن أولى إذ السياق تابع لقوله: ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر ولأنا له لحافظون﴾ وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأوّلين﴾ أي: أرسل فيهم رسلا وكانوا يتولون عليهم آياتنا ولم ينتفعوا لإعراضهم عنها فتعيها قلوبهم وتذكرها فهو مهم ولا يتأثرون بها لوجود حوائل حالت دون ذلك، وهي الكبر والحسد والعناد وكذلك المسلك الذي سلكناه في قلوب الأولين نسلكه اليوم في قلوب المجرمين فيدخل القرآن عند سماعه إلى قلوبهم ولا يلامسها ولا يباشرها فلا تتأثر به وذلك لحوائل منها الحسد والعناد والكبر، وتلك سنّة الله تعالى في أمثالهم، وأصل السلك: إدخال الشيء في آخر.

(٢) في الآية تعريض للمجرمين بالهلاك.

(٣) هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلاّ سحر مبين﴾.

(٤) أي: أضربوا عن القول الأوّل. وهو قولهم: إنّما سكّرت أبصارنا إلى قولهم بل نحن قوم مسحورون. أي ما رأينا شيئا ثم أقرّوا بأنهم رأوا ولكن ما رأوه إنما هو تخيلات المسحور لاغير.

(٥) هذا شروع في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة للتوحيد والمقررة للبعث والجزاء.

(٦) هذا كقوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ أي: كواكب.

في السماء بروجاً﴾ إلى آخر ما جاء في هذا السياق الطويل، القصد منه إظهار قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وكلها مقتضية لإرسال الرسول وإنزال الكتاب لهداية الناس إلى عبادة ربهم وحده عبادة يكملون عليها ويسعدون في الدنيا والآخرة، ولكن المكذبين لا يعلمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان سنة الله تعالى في المكذبين المعاندين وهي أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

٢ـ مطالبة المكذبين المجرمين بالآيات كرؤية الملائكة لا معنى لها إذ القرآن أكبر آية ولم يؤمنوا به فلذا لو فتح باب من السماء فظلوا فيه يعرجون لما آمنوا.

٣ـ بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته فيما حملت الآيات من مظاهر لذلك، بدءاً من قوله: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً[1]﴾ إلى الآية السابعة والعشرين من هذا السياق الكريم.

وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ

(١) البروج: جمع برج وهو في الأصل البناء الكبير المحكم البناء الذي يظهر من بعيد قال تعالى: ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ أي قصور ظاهرة، ومنه: المرأة تتبرّج بزينتها: أي تظهرها، والمراد من البروج في الآية: كواكب ثابتة غير سيارة هي منازل الشمس والقمر، وسمى هذه البروج العرب بأسماء تخيلوا أشكالها في السماء وهي: برج الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، ابتداء من فصل الربيع وانتهاء بفصل الشتاء.

﴿بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

شـرح الكلـمات :

والأرض مددناها : أي بسـطناها.

وألقينا فيها رواسي : أي جبالاً ثوابت لئلا تتحرك الأرض.

مــــــوزون : أي مقدر معلوم المقدار لله تعالى.

معــايـش : جمع معيشة أي ما يعيش عليه الإنسان من الأغذية.

ومن لستم له برازقين : كالعبيـد والإماء والبهائم.

وما ننزله إلا بقدَّر معلوم : أي المطـر.

وأرسلنا الرياح لواقح : أي تلقح السحاب فيمتلىء ماءً، كما تنقل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلى أنثاه.

وما أنتم له بخازنين : أي لا تملكون خزائنه فتمنعونه أو تعطونه من تشاءون.

المستقدمين منكم والمستأخرين : أي من هلكـوا من بنـي آدم إلـى يومكـم هذا والمستأخرين ممن هم أحياء وممن لم يوجدوا بعد إلى يوم القيامة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبات الإيمان به وعبـادتـه وتوحيده والتقرب إليه بفعل محابه وترك مساخطه.[1] قوله تعالى: ﴿والأرض[2] مددنـاهـا﴾ أي بسطناها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت تثبت الأرض حتى لا

---

(١) وموجبة أيضاً للبعث الآخر والوحي الإلهي.
(٢) هنا انتقال من عرض آيات الله في السماء إلى آياته في الأرض.

تتحـرك أو تميد بأهلهـا فيهلكوا، ﴿وأنبتنا فيها من كل شيءٍ موزون﴾[1] أي مقدر معلوم المقدار لله تعالى. وقوله: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾[2] عليها تعيشون وهي أنواع الحبوب والثمار وغيرها، وقوله: ﴿ومن لستم له برازقين﴾[3] بل الله تعالى هو الذي يرزقه وإياكم من العبيد والإماء والبهائم. وقوله: ﴿وإن من شيء[4] إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدرٍ معلوم﴾ أي ما من شيءنافع للبشرية هي فيحاجة إليه لقوام حياتها عليه إلا عند الله خزائنه، ومن ذلك الأمطار، لكن ينزله بقدرٍ معلومٍ حسب حاجة المخلوقات وما تتوقف عليه مصالحها، وهو كقوله: ﴿بيده الخير وهو على كل شيء قدير﴾ وكقوله: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغـوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما شاء الله إنه بعباده خبيرٌ بصير﴾ وقوله: ﴿وأرسلنا الرياح لقواح[5]﴾ أي تلقح السحاب فتمتلىء ماء، ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ بقدرتنا وتدبيرنا ﴿فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ أي لا تملكون خزائنه فتمنعونه من تشاءون وتعطونه من تشـاءون بل الله تعالى هو المالك لذلك، فينزله على أرض قومٍ ويمنعه آخرين. وقـوله: ﴿إنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون، ولقد علمنا المستقدمين[6] منكم﴾ أي الـذين ماتـوا من لدن آدم ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ ممن هم أحياء ومن لم يوجدوا وسيوجدون ويموتون إلى يوم القيامة، الجميع عَلِمَهُم الله، وغيره لا يعلم فلذا استحق العبادة وغيره لا يستحقها. وقوله ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول ﴿هو يحشرهم﴾ أي إليه يوم القيامة ليحاسبهم ويجازيهم، وهذا متوقفٌ على القدرة والحكمة والعلم، والذي أحياهم ثم أماتهم قادرٌ على إحيائهم مرةً أخرى والذي عَلِمهُمْ قبل خلقهم وعلمهم بعد خلقهم

---

(١) قال: ﴿موزون﴾: لأنّ الوزن يعرف به مقدار الشيء، والموزون من الكلام وغيره الخالي من النقص والزيادة، والمراد أنّ ما أنبته الله تعالى في الأرض من سائر النباتات والمعادن من الذهب والفضة والنحاس والرصاص والقصدير حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يكال ويوزن.

(٢) واحد المعايش: معيشة، وهي المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أيضاً، إذ كل هذا يدخل تحت العيش حتى قيل: المعايش: إنها التصرف في أسباب الرزق مدّة الحياة.

(٣) الرزق: بفتح الراء مصدر رزقه يرزقه رزقاً، والرّزق بكسر الراء فهو الاسم وهو القوت.

(٤)أي: نافع للناس لا مطلق الأشياء التي لا نفع للناس فيها.

(٥) في قوله: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ استدلال بظاهرة كرة الهواء بين السماء والأرض بعد الاستدلال بالسماء والأرض، ولواقح حال من الرياح ولواقح صالح لأن يكون جمع لاقح، وهي الناقة الحبلى أو ملقح وهو الذي يجعل غيره لاقحاً.

(٦) ويدخل في معنى الآية المستقدمين في الطاعة والخير، والمستأخرين في المعصية والشر كما يدخل أيضاً المستقدمين في صفوف الحرب والصلاة، والمستأخرين في ذلك، والآية دليل على فضل السبق في الخير وعلى فضل الصف الأول في القتال والصلاة، وفي الحديث الصحيح: (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا).

قادرٌ على حشرهم والحكيم الذى يضع كل شيء في موضعه لا يخلقهم عبثاً بل خلقهم ليبلوهم ثم ليحاسبهم ويجزيهم إنه هو الحكيم العليم .

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته المتجلية فيما يلى :

أ ـ خلق الأرض ومدّها وإلقاء الجبال فيها . إرسال الرياج لواقح للسحب .

ب ـ إنبات النباتات بموازين دقيقة . إحياء المخلوقات ثم إماتتها .

ج ـ إنزال المطر بمقادير معينة . علمه تعالى بمن مات ومن سيموت .

٢ـ تقرير التوحيد أن من هذه آثار قدرته هو الواجب أن يعبد وحده دون سواه .

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٤ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ إذ هذا الكلام كلام الله أوحاه إليه ﷺ .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن
صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن
لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

شـرح الكلمـات :

ولقد خلقنا الإنسان : أي آدم عليه السلام .

من صلصالٍ من حمإٍ مسنون : أي طين يابس له صلصلة من حمإٍ أي طين أسود متغير.

من نار السموم : نار لا دخان لها تنفذ في المسام وهي ثقب الجلد البشري.

فإذا سـويته : أي أتممت خلقه.

فقعوا له ساجدين : أي خِرّوا له ساجدين.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته. قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ أي آدم ﴿من صلصال﴾ أي طين يابس يسمع له صوت صلصلة. ﴿من حمإٍ مسنون[1]﴾ أي طين أسود متغير الريح، هذا مظهر من مظاهر القدرة والعلم. وقوله: ﴿والجـان خلقنـاه من قبـل﴾ من قبل خلق آدم والجان هو[2] أبو الجن خلقناه ﴿من نار السموم﴾ ونار السموم نار لا دخان لها تنفذ في مسام الجسم.. وقوله: ﴿وإذ قال ربك﴾ أي اذكر يا رسولنا إذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم أي سجود تحيةٍ وتعظيم لا سجود عبادةٍ لآدم، إذ المعبود هو الآمر المطاع وهو الله تعالى. فسجدوا ﴿إلا إبليس[3] أبى﴾ أي امتنع أن يكون مع الساجدين. وقوله: ﴿قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين﴾ أي أيُ شيء حصل لك حتى امتنعت أن تكون من جملة الساجدين من الملائكة؟ فأظهر اللعين سبب امتناعه وهو حسده لآدم واستكباره، فقال ﴿لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصالٍ من حماءٍ مسنون). وفي الآيات التالية جواب الله تعالى ورده عليه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين، والجان وهو لهب النار.

٢- فضـل السجود، إذ أمر تعالى به الملائكة فسجدوا أجمعون إلا إبليس.

---

(١) ترتيب طينة آدم التي خلق منها كما في الآية هكذا: تراب بلّ بالماء فصار طينا ثمّ ترك حتى أنتن فصار حمأ مسنوناً أي: متغيّرا ثمّ يبس فصار صلصالا والمسنون: المتغيّر، بسبب مكثه مدّة كسنة مثلا.

(٢) وفي صحيح مسلم قوله ﷺ: (خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم).

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: الجان: أبو الجن وليسوا شياطين، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس، والجنّ يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر فآدم أبو الإنس، والجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين.

٣ـ ذم الحسد وأنه شر الذنوب وأكثرها ضرراً.
٤ـ ذم الكبر وأنه عائق لصاحبه عن الكمال في الدنيا والسعادة في الآخرة.
٥ـ فضل الطين على النار لأن من الطين خلق آدم ومن النار خلق إبليس.

قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾

شـرح الكلمـات :

قال فاخرج منها : أي من الجنــة.
فإنـك رجيم : أي مرجومٌ مطرودٌ ملعون.
إلىٰ يوم الوقت المعلوم : أي وقت النفخة الأولى التي تموت فيها الخلائق كلها.
بما أغـويتني : أي بسبب إغوائك لي أي إضلالك وإفسادك لي.
المخلصـين : أي الذين استخلصتهم لطاعتك فإن كيدي لا يعمل فيهم.
هذا صراطٌ علي مستقيم : أي هذا طريقٌ مستقيم موصل إليَّ وعليَّ مراعاته وحفظه.
لها سبعة أبواب : أي أبـواب طبقـاتهـا السبع التي هي جهنم، ثم لظى، ثم الحُطمة، ثم السعير، ثم سَقَر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فاخرج منها﴾ هذا جوابٌ عن قول إبليس، ﴿لم أكن لأسجد لبشر﴾. الآية إذاً فاخرج منها أي من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ أي مرجوم مطرود مُبعد، ﴿وإن عليك لعنتي أي غضبي وإبعادي لك من السموات ﴿إلى يوم الدين﴾ أي إلى يوم القيامة وهو يوم الجزاء. فقال اللعين ما أخبر تعالى به عنه : ﴿قال رب فانظرني﴾ أي أمهلني لا تُمِتني ﴿إلى يوم يبعثون﴾[1] فأجاب الرب تعالى بقوله : ﴿فإنك من المنظرين﴾ أي الممهلين ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾[2] وهو فناء بني آدم حيث لم يبق منهم أحد وذلك عند النفخة الأولى. فلما سمع اللعين ما حكم به الرب تعالى عليه قال ما أخبر الله عنه بقوله : ﴿قال رب بما أغويتني﴾ أي بسبب إغوائك ﴿لأزينن لهم في الأرض﴾[3] أي الكفر والشرك وكبائر الذنوب، و ﴿لأغوينهم﴾ أي لأضلنهم ﴿أجمعين﴾ إلا عبادك منهم المخلصين﴾ فاستثنى اللعين من استخلصهم الله تعالى لطاعته وأكرمهم بولايته وهم الذين لا يستعبدبهم غضبٌ ولا تتحكم فيهم شهوة ولا هوى. وقوله تعالى : ﴿قال هذا صراط علي مستقيم﴾ أي هذا طريق مستقيم إليَّ أرعاه وأحفظه وهو ﴿إن عبادي[4] ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾[5] ﴿وإن جهنم﴾ لموعدك وموعد أتباعك الغاوين أجمعين ﴿لها سبعة أبواب﴾ إذ هي سبع طبقات لكل طبقة باب فوقها يدخل معه أهل تلك الطبقة، وهو معنى قوله تعالى : ﴿لكل بابٍ منهم جزء مقسوم﴾ أي نصيبٌ معين وطبقاتها هي : جهنم، لظى، الحطمة، السعير، سقر، الجحيم، الهاوية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ حرمان إبليس من التوبة لاستمرار غضب الله عليه إلى يوم القيامة.

٢ـ استجاب الله لشر خلقه وهو إبليس فمن الجائز ان يستجيب الله دعاء الكافر لحكمة يريدها الله تعالى.

---

(١) أراد اللعين بسؤاله إلى يوم يبعثون ألاّ يموت، لأنّ يوم البعث لا موت فيه ولا بعده أيضاً.
(٢) قال ابن عباس : أراد به النفخة الأولى أي : حين تموت الخلائق.
(٣) التزيين : يشمل أمرين. الأول : تزيين المعاصي والثاني : شغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعات.
(٤) أي : ليس له سلطان على قلوبهم، وقال ابن عيينة، أي : في أن يلقيهم في ذنب.
(٥) الغاوين : الفاسدين بالشرك والمعاصي.

٣ـ أمضى سلاح يغوي به إبليس بني آدم هو التزين للأشياء حتى ولو كانت دميمة قبيحة يصيرها بوسواسه زينة حسنة حتى يأتيها الآدمي.

٤ـ عصمة الرسل وحفظ الله للأولياء حتى لا يتلوثوا بأوضار الذنوب.

٥ـ طريق الله مستقيم إلى الله تعالى يسلكه الناس حتى ينتهوا إلى الله سبحانه فيحاسبهم ويجزيهم بكسبهم الخير بالخير والشر بَالشر.

٦ـ بيان أن لجهنم طبقات واحدة فوق أخرى ولكل طبقةٍ بابها فوقها يدخل معه أهل تلك الطبقة لا غير.

إِنَّ
ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾
إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات:

إن المتقين : أي الذين خافوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم من العبادات.

ونزعنا ما في صدورهم من غل : أي حقد وحسد وعداوة وبغضاء.

على سرر متقابلين : أي ينظر بعضهم إلى بعض ما داموا جالسين وإذا انصرفوا دارت بهم الأسرة فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

لا يمسهم فيها نصب : أي تعب.

العذاب الأليم : أي الموجع شديد الإيجاع.

ضيف إبراهيم : هم ملائكة نزلوا عليه وهم في طريقهم إلى قوم لوط لإهلاكهم كان من بينهم جبريل وكانوا فى صورة شباب من الناس.

إنا منكم وجلون : أي خائفون وذلك لمّا رفضوا أن يأكلوا.

بغلام عليم : أي بولد ذي علم كثير هو إسحق عليه السلام.

فيم تبشرون : أي تَعَجَّبَ من بشارتهم مع كبره بولد.

من القانطين : أي الآيسين.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى جزاء اتباع إبليس الغاوين، ناسب ذكر جزاء عباد الرحمن أهل التقوى والإيمان فقال تعالى مخبراً عما أعد لهم من نعيم مقيم: ﴿إن المتقين﴾[(١)] أي الله بترك الشرك والمعاصي ﴿في جناتٍ وعيون﴾[(٢)] يقال لهم ﴿ادخلوها بسلام[(٣)] آمنين﴾ أي حال كونكم مصحوبين بالسلام آمنين من الخوف والفزع. وقوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾[(٤)] أي لم يُبقِ الله تعالى في صدور أهل الجنة ما ينغصُ نعيمها، أو يكدر صفوها كحقدٍ أو حسدٍ أو عداوةٍ أو شحناء. وقوله: ﴿إخواناً على سررٍ متقابلين﴾ لما طهر صدورهم مما

(١) روي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سمع هذه الآية: ﴿إنّ جهنم لموعدهم أجمعين﴾ فرّ ثلاثة أيام من الخوف فجيء به إلى رسول الله ﷺ فسأله فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية: ﴿إن جهنم...﴾ الخ فوالذي بعثك بالحق لقد قطّعت قلبي فأنزل الله تعالى: ﴿إنّ المتقين في جنات وعيون﴾.

(٢) هي الأنهار الأربعة: ماء، وخمر، ولبن، وعسل المذكورة في سورة محمد ﷺ.

(٣) بسلامة من كل داء وآفة، وقيل: بتحية من الله تعالى آمنين من الموت والعذاب.

(٤) قال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين فيذْهب الله ما في قلوبهم من غل ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتجري عليهم نضرة النعيم.

من شأنه أن ينغص أو يكدر، أصبحوا في المحبة لبعضهم بعضاً إخوانا يضمهم مجلسٌ واحد يجلسون فيه على سررٍ متقابلين وجهاً لوجه، وإذا أرادوا الإنصراف إلى قصورهم تدور بهم الأسرة فلا ينظر أحدهم إلى قفا أخيه. وقوله تعالى: ﴿لا يمسهم فيها نصبٌ وما هم منها بمخرجين﴾ فيه الإخبار بنعيمين: نعيم الراحة الأبدية إذ لا نصب ولا تعب في الجنة ونعيم البقاء والخلد فيها إذ هم لا يخرجون منها أبداً. وفي هذا تقرير لمُعْتَقَدِ البعث والجزاء بأبلغ عبارةٍ وأوضحها. وقوله تعالى: ﴿نبىء عبادي[1] اني أنا الغفور الرحيم﴾ أي خبر يا رسولنا عبادنا المؤمنين الموحدين أن ربهم غفور لهم إن عصوه وتابوا من معصيتهم. رحيم بهم فلا يعذبهم. ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ ونبئهم أيضاً أن عذابى هو العذاب الأليم فليحذروا معصيتي بالشرك بي، أو مخالفة أوامري وغشيان محارمي. وقوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم[2]. إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾ أي سلموا عليه فرد عليهم السلام وقدم لهم قِرَى الضيف وكان عجلاً حنيذا، كما تقدم في هود وعرض عليهم الأكل فامتنعوا وهنا قال: ﴿إنا منكم وجلون[3]﴾ أي خائفون، وكانوا جبريل وميكائيل وإسرافيل في صورةٍ لشباب حسان. فلما أخبرهم بخوفه منهم، لأن العادة أن النازل على الإنسان إذا لم يأكل طعامه دل ذلك على أنه يريد به سوءً. ﴿قالوا لا توجل﴾ أي لا تخف، ﴿إنا نبشرك بغلامٍ عليم﴾ أي بولدٍ ذي علم كثير. فرد إبراهيم قائلا بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال أبشرتموني على أن مسنى[4] الكبر فبم[5] تبشرون﴾ أي هذه البشارة بالولد على كبر سني أمر عجيب، فلما تعجب من البشارة وظهرت عليه علامات الشك والتردد في صحة الخبر قالوا له: ﴿بشرناك[6] بالحق فلا تكن من القانطين[7]﴾ أي

(١) شاهد هذه الآية قوله ﷺ: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد).

(٢) هم الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام. والضيف: لفظ يطلق على الواحد والاثنين والجماعة.

(٣) قال هذا بعد أن قرّب إليهم العجل المشوي ليأكلوا فلم يأكلوا.

(٤) أن: مصدرية، والتقدير: على مسّ الكبر إياي وزوجتي.

(٥) الاستفهام للتعجب أو هو على حقيقته.

(٦) أي: بما لا خلف فيه، وأن الولد لابدّ منه.

(٧) قراءة العامة: ﴿القانطين﴾، وقرىء القنطين بدون ألف، ويكون الفعل حينئذ من قنِط يقنط كفرح يفرح فهو فرح، وعلى قراءة الجمهور فهو من باب فعل يفعل كضرب يضرب فهو ضارب.

الآيسين. وهنا رد عليهم قائلاً نافياً القنوط عنه لأن القنوط حرام. ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ أي الكافرون بقدرة الله ورحمته لجهلهم بربهم وصفاته المتجلية في رحمته لهم وإنعامه عليهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير نعيم الجنة، وأن نعيمها جسماني روحاني معاً دائم أبداً.

٢ـ صفاء نعيم الجنة من كل ما ينغصه أو يكدره.

٣ـ وعد الله بالمغفرة لمن تاب من أهل الإيمان والتقوى من موحديّه.

٤ـ وعيده لأهل معاصيه إذا لم يتوبوا إليه قبل موتهم.

٥ـ مشروعية الضيافة وأنها من خلال البر والكرم.

٦ـ حرمة القنوط واليأس من رحمة الله تعالى.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

شـرح الكلمـات :

قال فما خطبكم : أي ما شـأنكم؟
إلى قـوم مجرمين : هم قوم لوط عليه السلام .
إنا لمنجوهم أجمعين : أي لإيمانهـم وصالح أعمالهـم .
الغـابريـن : أي الباقيـن في العذاب .
قوم منكـــرون : أي لا أعرفـكم .
بما كانوا فيه يمترون : أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم
حيث تـؤمــرون : أي إلى الشام حيث أمروا بالخروج إليه .
وقضينا إليه ذلك الأمر : أي فرغنا إلى لوط وأوحينا إليه ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين .

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث عن ضيف إبراهيم ، وها هو ذا قد سألهم بما أخبر به تعالى عنه بقوله : ﴿قال فما خطبكم[1] أيها المرسلون﴾ أي ما شأنكم أيها المرسلون من قبل الله تعالى إذ هم ملائكته؟ ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قومٍ مجرمين[2]﴾ أي على أنفسهم ، وعلى غيرهم وهم اللوطيون لعنهم الله . وقوله تعالى : ﴿إلا آل لوط﴾ أي آل بيته والمؤمنين معه ، ﴿إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا﴾ أي قضينا[3] ﴿إنها لمن الغابرين﴾ أي الباقين في العذاب ، أي قضى الله وحكم بإهلاكها في جملة من يهلك لأنها كافرة مثلهم . إلى هنا انتهى الحديث مع إبراهيم وانتقلوا الى مدينة لوط عليه السلام قال تعالى ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ أي انتهوا إليهم ودخلوا عليهم الدار قال لوط عليه السلام لهم ﴿إنكم قوم منكرون﴾ أي لا أعرفكم وأجابوه قائلين : نحن رسل ربك جئناك بما كان قومك فيه يمتـرون أي يشكـون وهو عذابهم العاجل جزاء كفرهم وإجرامهم ، ﴿وأتيناك بالحق﴾ الثابت الذى لا شك فيه ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما أخبرناك به وهو عذاب قومه المجرمين .

---

(١) الخطب : الأمر الخطير والشأن العظيم .

(٢) في الكلام إضمار جملة ﴿لنُهلكهم﴾ فلذا كان الاستثناء إلا آل لوط ، وهم أتباعه وأهل بيته .

(٣) وكتبنا في كتاب المقادير .

وعليه ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ أي أسر بهم في جزء من الليل، و ﴿اتبع أدبارهم﴾ أي امشي وراءهم[1] وهم أمامك ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ بأن ينظر وراءه، أي حتى[2] لا يرى ما يسوءه عند نزول العذاب بالمجرمين، وقوله ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ أي يأمركم ربكم وقد أمروا بالذهاب إلى الشام. وقوله تعالى: ﴿وقضينا[3] إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين[4]﴾ أي وفرغنا إلى لوط من ذلك، وأوحينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين، أي أنهم مُهلكون عن آخرهم في الصباح الباكر ما أن يطلع الصباح حتى تُقلب بهم الأرض ويهلكوا عن آخرهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- التنديد بالإجرام وبيان عقوبة المجرمين.

٢- لا قيمة للنسب ولا للمصاهرة ولا عبرة بالقرابة إذا فصل الكفر والإجرام بين الأنساب والأقرباء فامرأة لوط هلكت مع الهالكين ولم يشفع لها أنها زوجة نبي ورسول عليه السلام.

٣- مشروعية المشي بالليل لقطع المسافات البعيدة.

٤- مشروعية مشي المسئول وكبير القوم وراء الجيش والقافلة لتفقد أحوالهم، والاطلاع على من يتخلف منهم لأمر، وكذا كان رسول الله ﷺ يفعـل.

٥- كراهية الإشفاق على الظلمة الهالكين، لقوله: ولا يلتفت منكم أحد اى: بقلبه.

وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ
يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ

---

(١) لئلا يتخلّف منهم أحد فيهلك مع الهالكين.

(٢) أو نهوا عن الالتفات ليجدّوا في السير ويتباعدوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح موعد هلاك القوم.

(٣) قضينا: قدرنا، وضمن معنى أوحينا فعدي بإلى، والتقدير: وقضينا ذلك الأمر فأوحينا إليه بما قضينا، وجملة: ﴿أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾. مفسرة لذلك الأمر والإشارة للتهويل.

(٤) ﴿مصبحين﴾ أي: داخلين في الصباح، ومثله، مشرقين أي: داخلين في وقت الإشراق.

ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾

شرح الكلمات :

وجاء أهل المدينة يستبشرون : أي مدينة سدُوم، أي فرحين بإتيانهم الفاحشة.

واتقوا الله ولا تخزون : أي لا تذلوني في انتهاك حرمة ضيفي.

أولم ننهك عن العالمين : أي عن إجارتك لهم واستضافتك.

لفي سكرتهم يعمهون : أي غوايتهم وشدة غُلمتهم[1] التي أزالت عقولهم، يترددون.

مشرقين : أي وقت شروق الشمس.

من سجيل : أي طين طُبِخَ بالنار.

لآيات للمتوسمين : أي الناظرين المعتبرين.

لبسبيل مقيم : أي طريق قريش إلى الشام مقيم دائم ثابت.

أصحاب الأيكة : أي قوم شعيب عليه السلام، والأيكة غيضة شجر بقرب مدين.

وإنهما لبإمام مبين : أي قوم لوط، وأصحاب الأيكة لبطريق مبين واضح.

معنى الآيات :

مازال السياق مع لوط عليه السلام وضيفه من الملائكة من جهة، وقوم لوط من جهة.

قال تعالى: ﴿وجاء أهل المدينة﴾ أي مدينة سدُوم وأهلها سكانها من اللوطيين، وقوله ﴿يستبشرون﴾ أي فرحين مسرورين لطمعهم في اتيان الفاحشة. فقال لهم لوط ما أخبر الله تعالى به: ﴿قال إن هؤلاء﴾ يشير إلى الملائكة ﴿ضيفي فلا تفضحون﴾ أي فيه أي بطلبكم الفاحشة، ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوه ﴿ولا تخزون﴾ أي تهينوني وتذلوني. فأجابوا بما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ أي أتقول ما تقول ولم تذكر أنا نهيناك عن استضافة أحد من الناس أو تجيره، فأجابهم لوط عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه: ﴿قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ أي هؤلاء بناتي فتزوجوهن إن كنتم فاعلين ما آمركم به أو أرشدكم إليه. وقوله تعالى: ﴿لعمرك إنهم[1] لفي سكرتهم يعمهون﴾ أي وحياتك يا رسولنا، إنهم أي قوم لوط ﴿لفي سكرتهم﴾ غوايتهم التي أذهبت عقولهم فهبطوا إلى درك أسفل من درك الحيوان، ﴿يعمهون﴾ أي حيارى يترددون. ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ أي صيحة جبريل عليه السلام مشرقين مع إشراق الشمس. وقوله تعالى ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ أي جعلنا عالي المدن سافلها وهو قلبها ظهراً على بطن، ﴿وأمطرنا عليهم﴾ فوق ذلك ﴿حجارة من سجيل﴾ أي من طين مطبوخ بالنار. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين[2]﴾ أي إن في ذلك المذكور من تدمير مدن كاملة بما فيها لآيات وعبر وعظات للمتوسمين أي الناظرين نظر تفكر وتأمل لمعرفة الأشياء بسماتها وعلاماتها. وقوله تعالى: ﴿وإنها لسبيل مقيم﴾ أي وإن تلك القرى الهالكة لبطريق ثابت باق يمر به أهل مكة فى أسفارهم إلى الشام. وقوله: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي لعبرة للمؤمنين فلا يقدمون على محارم الله، ولا يرتكبون معاصيه. وقوله تعالى: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾. هذه إشارة خاطفة إلى قصة شعيب عليه السلام مع قومه أصحاب الأيكة، والأيكة الفيضة من الشجر الملتف. . وكانت منازلهم

---

(١) هذا الإقسام بحياة النبي ﷺ تشريفاً له، وأصل عمرك بضم العين وفتحت لكثرة الاستعمال، وجائز أن يكون القسم بحياة لوط أيضاً، وليس لأحد أن يجيز القسم بغير الله محتجاً بهذا القسم الإلهي فإنّ الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، فقد أقسم بالشمس وضحاها، وأقسم بالسماء والليل وغيرها من مخلوقاته ولا اعتراض عليه وأما العباد فقد أعلن الرسول ﷺ عن حرمة الحلف بغير الله فقد قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك) رواه الترمذي.

(٢) روي أن النبي ﷺ فسر المتوسمين بالمتفرسين إذ قال: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ: إنّ في ذلك لآيات للمتوسمين) رواه الترمذي واستغربه، وقيل: للناظرين كما قال الشاعر:

أو كلما وردت عكاظ قبلية بعثوا إليّ عريفهم يتوسّم

وأصل التوسم: النظر بتثبّت وتفكر وعليه فما ورد في التوسم من النظر والتفرس كله متقارب المعنى.

بها وكانوا مشركين وهو الظلم في قوله ﴿وإن كان أصحاب الأيكة[1] لظالمين﴾ لأنفسهم بعبادة غير الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي أهلكناهم بحر شديد يوم الظله وسيأتي الحديث عنهم في سورة الشعراء قال تعالى هناك فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. وقوله: ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ الإمام الطريق لأن الناس يمشون فيه وهو أمامهم، ومبين واضح. والضمير في قوله وإنهما عائد على قوم لوط، وقوم شعيب وهم أصحاب الأيكة لا أصحاب مدين لأنه أرسل إلى أصحاب الأيكة والى أهل مدين، والطريق طريق قريش إلى الشام، والقصد من ذكر هذا وعظ قريش وتذكرهم، فهل يتعظون ويتذكرون؟

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان إهلاك قوم لوط.

٢ـ إنكار الفاحشة وأنها أقبح فاحشة تعرفها الإنسانية هي إتيان الذكور.

٣ـ بيان دفاع لوط عليه السلام عن ضيفه حتى فداهم ببناته.

٤ـ شرف النبي صلى الله عليه وسلم حيث أقسم الله تعالى بحياته في قوله ﴿لعمرك﴾.

٥ـ الحث على نظر التفكر والإعتبار والتفرس فإنه أنفع للعقل البشري.

٦ـ بيان نقمة الله تعالى من الظالمين للاعتبار والإتعاظ.

٧ـ تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ مثل هذه الأخبار لن تكون إلا عن وحي إلهي.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

(١) جمع الأيكة وهي جماعة الشجر الأيك، أو سميت القرية بالأيكة باعتبار الأصل.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ
ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

أصحاب الحجر : هم قوم صالح ومنازلهم بين المدينة النبوية والشام .

وآتيناهم آياتنا : أي في الناقة وهي أعظم آية .

ما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون : من بناء الحصون وجمع الأموال .

الصفح الجميل : أي أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم

سبعاً من الثماني : هي آيات سورة الفاتحة السبع .

أزاوجاً منهم : أي أصنافاً من الكفار .

واخفض جناحك : أي ألِن جانبك للمؤمنين .

معنى الآيات :

هذا شروع في موجز قصة أخرى هي قصة أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح ، قال تعالى : ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر[1] المرسلين﴾ وفي هذا موعظة لرسول الله ﷺ إذ كذبه قومه من أهل مكة فليصبر على تكذيبهم فقد كذبت قبلهم أقوام . وقال تعالى ﴿المرسلين﴾ ولم يكذبوا إلا صالحاً باعتبار أن من كذب رسولا فقد كذب عامة الرسل، لأن دعوة الرسل واحدة وهي أن يعبد الله وحده بما شرع لإكمال الإنسان وإسعاده في

(١) لفظ الحجر يطلق على أمور عدّة منها العقل ﴿لذي حجر﴾ والحرام : ﴿حجراً محجورا﴾ والفرس الانثى وحجر القميص، والفتح فيه أولى، وحجر اسماعيل إزاء الكعبة وديار ثمود : وهو المراد هنا .

الحـالتين. وقـوله ﴿وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾[1] إن المراد من الآيات القائمة بالناقة منها أنها خرجت من صخرة، وأنها تشرب ماء البلد يوما، وأنها تقف أمام كل بيت ليحلب أهله منهـا ما شاءوا، وإعـراضهم عنهـا، عدم إيمـانهم وتوبتهم إلى الله تعالى بعد أن آتاهم ما طلبوا من الآيات. وقوله ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا﴾[2] أي كانوا يتخذون بالنحت بيوتاً داخل الجبال يسكنوها شتاء آمنين من أن تسقط عليهم لقوتها ومن أن ينالهم برد أو حرٌ لوقايتها لهم، وقوله تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾[3] وذلك صيحة اليوم الرابع وهو يوم السبت فهلكوا أجمعين، ﴿فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ من المال والعتاد وبناء الحصون بل هلكوا[4] ولم ينج منهم أحد إلا من آمن وعمل صالحاً فقد نجاه الله تعالى مع نبيه صالـح عليه السـلام. وقـوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي إلا من أجل أن أُذكروأُشكر، فلذا من كفر بي فلم يذكرني وعصاني فلم يشكـرني أهلكته. لأني لم أخلق هذا الخلق العظيم لهواً وباطلاً وعبثاً. وقوله: ﴿وإن الساعة لآتية﴾[5] أي حتماً لا محالة وثَمَّ يُجزي كلٌ بما كسب فلا تحزن على قومك ولا تجـزع منهم فإن جزاءهم لازم وآت لابد، فاصبر واصفح عنهم وهو معنى قوله تعالى ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾[6] أي الذي لا جزع معه. وقوله ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ خلق كل شيء وعلم بما خلق فعلى كثرة المخلوقات يعلم نياتها، وأعمالها، وأحوالها، ولا يخفى عليه شيء من أمرها وسيعيدها كما بدأها ويحاسبها ويجزيها بما كسبت. وهذا من شأنه أن يساعد الرسول ﷺ على الصبر والثبات على دعوته حتى ينصرها الله تعالى

---

(١) المراد بالآيات: الناقة لأنها تشتمل على عدّة آيات، وجائز أن يكون هناك آيات أخرى أعطيها صالح غير الناقة.

(٢) النحت: البري والنجر، يقال نحته ينحته نحتاً إذا براه، والنحاته: البراية كالنجارة والخشارة، والمنحت: آلة النحت، وقوله: ﴿آمنين﴾ أي: من أن تسقط عليهم أو تخرب فلا تصلح للسكن فيها.

(٣) ﴿مصبحين﴾: حال من أخذتهم الصيحة أي: حال كونهم داخلين في الصباح وهو أوّل النهار، فالأيام الثلاثة التي قيل لهم: ﴿تمتعوا فيها﴾ هي الأربعاء والخميس والجمعة، وصبيحة السبت كان هلاكهم والعياذ بالله من حال الهالكين.

(٤) صحّ ان النبي ﷺ قال: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم، وأمـر بهرق ما استقوا من بئر ثمود وإلقاء ما عجن وخبز منه لأجل انه ماء سخط فلا يجوز الانتفاع به فرارا من سخط الله تعالى وقال: اعلفوه الإبل ففعلوا).

(٥) لآتية: جائية إذ الأيام تنصرم يوماً فيوماً إلى آخر يوم فالساعة الأخيرة لهذه الحياة آتية، وهي في طريقها.

(٦) هذا كان قبل الأمر بالجهاد إذ السورة مكيّة والجهاد فرض في المدينة فالآية منسوخة بمثل قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآية من االتوبة المدنية.

في الوقت الذي حدده لها. وقوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ أي أعطيناك سورة الفاتحة[1] أم القرآن وأعطيناك القرآن العظيم وهو خير عظيم لا يقادر قدره. إذاً ﴿لا تمدن عينيك﴾[2] متطلعاً ﴿إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ أي أصنافاً من رجالات قريش، فما آتيناك خير مما هم عليه من المال والحال التي يتمتعون فيها بلذيذ الطعام والشراب. وقوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن هم لم يؤمنوا بك ولم يتابعوك على ما جئت به، فإن أمرهم إلى الله تعالى، وأمره تعالى أن يلين جانبه لأصحابه المؤمنين فقال: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ فحسبك ولاية الله لك فذر المكذبين أولي النعمة، وتعايش مع المؤمنين، ولين جانبك لهم، واعطف عليهم فإن الخير فيهم وليس في أولئك الأغنياء الأثرياء الكفرة الفجرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إذا أراد الله هلاك أمة فإن قوتها المادية لا تغني عنها شيئاً.

٢ـ لم يخلق الله الخلق عبثاً بل خلقه ليعبد بالذكر والشكر، فمن عبده نجا، ومن أعرض عن ذكره وترك عبادته أذاقه عذاب الخزي في الدنيا والآخرة أو في الآخرة وهو أشد وأخزى.

٣ـ بيان أن الصفح الجميل هو الذي لا جزع معه.

٤ـ بيان أن من أوتي القرآن لم يؤت أحد مثله من الخير قط.

٥ـ فضل الفاتحة إذ هي السبع المثاني.

٦ـ على الدعاة إلى الله أن لا يلتفتوا إلى ما في أيدي الناس من مالٍ ومتاع، فإن ما آتاهم الله من الإيمان والعلم والتقوى خير مما آتى أولئك من المال والمتاع.

٧ـ استحباب لين الجانب للمؤمنين والعطف عليهم والرحمة لهم.

---

(١) كون الفاتحة هي السبع المثاني هو قول عليّ وأبي هريرة والحسن وغيرهم ويشهد له الحديث الصحيح: (الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني). روي عن ابن عباس أنه قال: هي السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معاً.

(٢) هذه الآية تدعو إلى الإعراض عن زخارف الدنيا وعدم الإقبال عليها، والاكتفاء فيها بما أحل الله عمّا حرّم وبما تيسّر عما تعسر، وفيها: أن من أعطاه الله القرآن وجب عليه أن يشعر بالغنى وعدم الفقر لحديث: (ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن) أي: لم يستغن به عن طلب غيره.

وَقُلْ إِنِّىٓ
أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾
ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

النذير المبين : المبين النذارة.

على المقتسمين : أي الذين قسموا كتاب الله فقالوا فيه شعر، وقالوا سحر، وقالوا كهانة.

جعلوا القرآن عضين : هم المقسمون للقرآن وجعلوه عضين جمع عضة وهي القطعة والجزء من الشيء.

فاصدع بما تؤمر : أي اجهر به وأعرضه كما أمرك ربك.

يضيق صدرك بما يقولون : أي من الاستهزاء بك والتكذيب لك.

حتى يأتيك اليقين : أي الموت، أي إلى أن تتوفى وأنت تعبد ربك.

معنى الآيات :

ما زال السياق فى إرشاد الرسول ﷺ وتعليمه ما ينبغي أن يكون عليه فأمره تعالى

بقوله: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾(١) أي أعلن لقومك بأنك النذير البين النذارة لكم يا قوم أن ينزل بكم عذاب الله إن أصررتم على الشرك والعناد والكفر، وقوله: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الـذين جعلوا القـرآن عضين﴾(٢) انـذركم عذاباً كالذي أنزله الله وينزله على المقتسمين الـذين قسمـوا التـوراة والإنجيل فآمنـوا ببعض وكفـروا ببعض وهـم اليهـود والنصارى، والمقتسمين الذين تقاسموا أن يبيتواصالحاً فأنزل الله بهم عقوبته والمقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين أي أجزاء فقالوا فيه شعر وسحر وكهانة، المقتسمين الذين قسموا طرق مكة وجعلوها نقاط تفتيش يصدون عن سبيل الله كل من جاء يريد الإسلام وهؤلاء كلهم مقتسمون وحل بهم عذاب الله ونقمته. وقوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾(٣) يقسم الجبار تبارك وتعالى لرسوله أنه ليسألنهم يوم القيامة عما كانوا يعملون ويجزيهم به فلذا لا يهولنَّك أمرهم واصبر على أذاهم. وقوله ﴿فاصدع(٤) بما تؤمر﴾ أي أجهر بدعوة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما تؤمر ببيانه والدعوة إليه أو التنفير منه، ﴿وأعرض عن المشركين﴾ ولا تبال بهم، وقوله: ﴿إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون﴾ والمراد بهؤلاء المستهزئين الذين واعد تعالى بكفاية رسوله شرَّهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد يغوث كلهم ماتوا بآفات مختلفة في أمدٍ يسير، عليهم لعائن الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ أي من الاستهزاء بك والسخرية، ومن المبالغة في الكفر والعناد فنرشدك إلى ما يخفف عنك الألم النفسي ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي قل سبحان الله وبحمده أي أكثر من هذا الذكر ﴿وكن من الساجدين﴾ أي المصلين إذ لا سجود إلا في الصلاة أو تلاوة القرآن(٥)، إذاً فافزع عند الضيق إلى الصلاة

(١) في الكلام حذف، وهو لفظ عذابا. فحذف المفعول لدلالة لفظ النذير عليه أو لكون الكاف في قوله ﴿كما أنزلنا﴾ زائدة ويصحّ التقدير هكذا:
أنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين أي: من العذاب.

(٢) واحد: (عضين) عضة من عضيت الشيء تعضيه أي: فرقته وكل فرقة عضة، وقيل: أصلها عضوة، فسقطت الواو، ولذا جمعت على عضين كعزين، إذ واحدها عزوة، وذلك أنهم فرقوا كلام الله فجعلوا بعضه سحراً وبعضه شعراً و. .و. .

(٣) وورد أنّ النبي ﷺ قال: في قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنّهم. .﴾ إلى قوله ﴿يعملون﴾ قال: (عن قول لا إله إلا الله، إذ أبوا أن يقولوها فتمادوا في الكفر والشرّ والفساد ولو قالوا لما كان لهم سوى الخير والصلاح.

(٤) قضى رسول الله ﷺ فترة من الزمن مستخفياً هو وأصحابه في دار الأرقم حتى نزلت هذه الآية: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فخرج ﷺ وأعلن الإسلام ودعا إليه جهرة.

(٥) قيل: إنّ هذه سجدة من سجدات القرآن، والجمهور على أنها ليست سجدة وإنما أرشد الله تعالى رسوله لتفريج همّه وتوسعة صدره مما يسمع ويُقال له أمره بالتسبيح والصلاة وفعلا كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

فلذا كان ﷺ إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة. وقوله: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي واصل العبادة وهي الطاعة في غاية الذل والخضوع لله تعالى حتى يأتيك اليقين الذي هو الموت فإن القبر أول عتبة الآخرة وبموت الإنسان ودخوله في الدار الآخرة أصبح ايمانه يقيناً محضاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة الإختلاف في كتاب الله تعالى على نحو ما اختلف فيه أهل الكتاب.

٢- مشروعية الجهر بالحق وبيانه لا سيما إذا لم يكن هناك اضطهاد.

٣- فضل التسبيح بجملة: سبحان الله وبحمده ومن قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر فى الصحيح.

٤- مشروعية صلاة الحاجة فمن حزبه أمر أو ضاق به فليصل صلاة يفرج الله تعالى بها ما به أو يقضي حاجته إن شاء وهو العليم الحكيم.

سُورَةُ النَّحْلِ [١]

مكية

وآياتها مائة وثمان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ
أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ

(١) وتسمّى أيضاً سورة النعم، لما عدد تعالى فيها من نعمه على عباده.

﴿خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧)﴾

شرح الكلمات :

أتى أمر الله	: أي دنا وقرب أمر الله بعذابكم أيها المشركون فلا تستعجلون.
ينزل الملائكة بالروح	: أي بالوحي الذي به حياة الأرواح والمراد من الملائكة جبريل.
خلق الإنسان من نطفة	: أي قطرة من المني.
دفء ومنافع	: أي ما تستدفئون به، ومنافع من العسل واللبن واللحم والركوب.
حين تريحون	: أي حين تردونها من مراحها.
وحين تسرحون	: أي وحين إخراجها من مراحها إلى مسارحهاأي الأماكن التي تسرح فيها.
إلا بشق الأنفس	: أي بجهد الأنفس ومشقة عظيمة.

معنى الآيات :

لقد استعجل المشركون بمكة العذاب وطالبوا به غير مرة فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أتى أمر الله﴾[(١)] أي بعذابكم أيها المستعجلون له. لقد دنا منكم وقرب فالنضر بن الحارث القائل: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء، أو أئتنا بعذاب أليم﴾، جاءه بعد سُنيّات قلائل فهلك ببدر صَبْراً، إلى جهنم، وعَذَابُ يوم القيامة لمن استعجله قد قرب وقته ولذا عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وقرب مجيئه فلا معنى لاستعجاله فلذا قال الله تعالى: ﴿فلا تستعجلوه﴾ وقوله ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾

(١) من الجائز أن يراد بـ ﴿أتى أمر الله﴾ القيامة لقول الله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ وقوله: ﴿اقتربت الساعة﴾ وقول الرسول ﷺ (بعثت والسعة كهاتين وأشار بأصبعيه).

أي تنـزه وتقدس عما يشركون به من الآلهة الباطلة إذ لا إله حق إلا هو. وقوله ﴿ينزل الملائكة بالروح[(١)] من أمره﴾ أي بإرادته وإذنه ﴿على من يشاء من عباده﴾ . أي ينزل جبريل عليه السلام بالوحي على من يشاء من عباده[(٢)] وهو محمد ﷺ وقوله ﴿أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ أي بأن انذروا[(٣)] أي خوفوا المشركين عاقبة شركهم فإن شركهم باطل سيجر عليهم عذاباً لا طاقة لهم به، لأنه لا إلَه إلا الله، وكل الآلهة دونه باطلة. إذاً فاتقوا الله بترك الشرك والمعاصي وإلا تعرضتم للعذاب الأليم. في هاتين الآيتين تقرير للوحي والنبوة للنبي ﷺ وتقرير التوحيد أيضاً وقوله تعالى في الآيات التالية: ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾ استدلال على وجوب التوحيد وبطلان الشرك فالذى خلق السموات والأرض بقدرته وعلمه وحده دون ما مُعِينَ له ولا مساعد حق أن يعبد، لا تلك الآلهـة الميتـة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق ﴿تعالى عما يشركون﴾ أي تنزه وتقدس تعالى عما يشركون به من أصنام وأوثان. وقوله: ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ أي من أضعف شيء وأحقره قطرة المني خلقه في ظلمات ثلاث وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً حتى إذا رباه وأصبح رجلاً إذا هو خصم لله يجادل ويعاند،[(٤)] ويقول من يحيى العظام وهي رميم. وقـوله تعالى ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء[(٥)] ومنافع ومنها تأكلون﴾ فهذه مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة والرحمة وهي الموجبة لعبادته تعالى وترك عبادة ما سواه. فالأنعام وهي الإبل والبقر والغنم خلقها الله تعالى لبني آدم ولم يخلقها لغيرهم، لهم فيها دفء إذ يصنعون الملابس والفرش والأغطية من صوف الغنم ووبر الإبل ولهم فيها منافع كاللبن والزبدة والسمن والجبن والنسل حيث تلد كل سنة فيتنفعون بأولادها. ومنها يأكلون اللحوم المختلفة فالمنعم بهذه النعم هو الواجب العبادة دون غيره من سائر

---

(١) بالروح، أي بالوحي بالنبوة نظيره قوله تعالى: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾.

(٢) أي: من الأنبياء ومحمد ﷺ إمامهم وخاتمهم وقوله: ﴿أن أنذروا﴾: تفسير لقوله: ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾.

(٣) أمر الله الأنبياء الذين أوحي إليهم بشرعه أن ينذروا المشركين عاقبة الشرك ويدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح بعد نبذ الشرك والعمل الفاسد.

(٤) هذا الإنسان الخصيم هو أبيّ بن خلف الجمحي، جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: أترى يحيي الله هذا بعد ما قد رمّ؟ وفيه نزل: ﴿أو لم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة. .﴾ الخ من سورة يٓس،

(٥) الدفىء: الشيء الذي يدفىء الإنسان، والجمع: ادفاء، ويقال: دفىء دفاءة ككره كراهة.

مخلوقـاته وقوله: ﴿ولكم فيها جمال﴾[1] أي منظر حسن جميل حين تريحونها عشية من المرعى إلى المراح ﴿وحين تسرحون﴾ أي تخرجونها صباحاً من مراحها إلى مراعيها، فهذه لذة روحية ببهجة المنظر. وقوله ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق[2] الأنفس﴾ أي إلا بجهد النفس والمشقة العظيمة. فالإبل في الصحراء كالسفن في البحر تحمل الأثقال من بلدٍ إلى بلد وقد تكون المسافة بعيدة لا يصلها الإنسان إلا بشق النفس وبذل الجهد والطاقة، لولا الإبل سفن الصحراء ومثل الإبل الخيل والبغال والحمير في حمل[3] الأثقال. فالخالق لهذه الأنعام هو ربكم لا إله إلا هو فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وقوله تعالى: ﴿إن ربكم﴾ أي خالقكم ورازقكم ومربيكم وإلهكم الحق الذي لا إله لكم غيره لرؤوف رحيم، ومظاهر رحمته ورأفته ظاهره في كل حياة الإنسان فلولا لطف الله بالانسان ورحمته له لما عاش ساعة في الحياة الدنيا فلله الحمد وله المنة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ قرب يوم القيامة فلا معنى لاستعجاله فإنه آتٍ لا محالة، وكل آتٍ قريب.

٢ـ تسمية الوحي بالروح من أجل أنه يحيى القلوب، كما تحيى الأجسام بالأرواح.

٣ـ تقرير التوحيد والنبوة والبعث الآخر بذكر مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة والرأفة والرحمة.

وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ
وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ

---

(١) الجمال يكون في الصورة، وهو تناسب أجزائها، ويكون في الأخلاق بأن يكون المرء على صفات محمودة كالعدل والعلم والحكمة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل احد وجمال الأفعال يكون بملاءمتها لمصالح الخلق نافعة لهم غير ضارة بهم.

(٢) شق النفس: مشقتها، وغاية جهدها وعليه فالشق المشقة، والشق: الجانب من كل شيء.

(٣) في الآية دليل على جواز ركوب الإبل، والحمل عليها لكن لا تحمل أكثر مما تطيق فقد ضرب عمر حمالاً وقال: تحمل على بعيرك مالا يطيق. وكان لأبي الدرداء جمل يقال له دمون يقول له: يادمون لا تخاصمني عند ربك.

شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ
مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

ويخلق ما لا تعلمون : من سائر الحيوانات ومن ذلك السيارات والطائرات والقطر.

وعلى الله قصد السبيل : أي تفضلاً منه وامتناناً ببيان السبيل القاصده وهي الإسلام.

ومنها جائر : أي عادل عن القصد وهو سائر الملل كاليهودية والنصرانية.

ومنه شجر : أي وبسببه يكون الشجر وهو هنا عام في سائر النباتات.

فيه تسيمون : ترعون مواشيكم.

مسخراتٍ بأمره : أي بإذنه وقدرته.

وما ذرأ لكم في الأرض : أي خلق لكم في الأرض من الحيوان والنباتات المختلفة.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته إذ قال تعالى: ﴿والخيل[1] والبغال والحمير﴾ أي خلقها وهو خالق كل شيء لعلة ركوبهم

(١) قيل: واحد الخيل: خائل، وقيل: هو اسم جنس لا واحد له، وهذه الثلاثة: الخيل والبغال والحمير لم تدخل في لفظ الأنعام، ونصب: (والخيل) على تقدير: (وخلق الخيل).

إياها إذ قال: ﴿لتركبوها وزينةً﴾[1] أي ولأجل أن تكون زينةً لكم في حياتكم وقوله ﴿ويخلق مالا تعلمون﴾ أي مما هو مركوب وغير مركوب من مخلوقات عجيبة ومن المركوب هذه السيارات على اختلافها والطائرات والقطر السريعة والبطيئة هذا كله إفضاله وإنعامه على عباده فهل يليق بهم أن يكفروه ولا يشكروه؟ وهل يليق بهم أن يشركوا في عبادته سواه. وقوله ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾[2] ومن إفضاله وإنعامه الموجب لشكره ولعبادته دون غيره أن بين السبيل القاصد الموصل إلى رضاه وهو الإسلام، في حين ان ما عدا الإسلام من سائر الملل كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها سبل جائره عن العدل والقصد سالكوها ضالون غير مهتدين إلى كمال ولا إلى إسعاد هذا معنى قوله تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ وقوله ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ أي لو تعلقت بإرادته هداية الناس أجمعين لهداهم أجمعين وذلك لكمال قدرته وعلمه، إلا أن حكمته لم تقتض هداية لكل الناس فهدى من رغب في الهداية وأضل من رغب في الضلال. ومن مظاهر ربوبيته الموجبة لألوهيته أي عبادته ما جاء في الآيات التالية (١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥) إذ قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾[3] تشربون منه وتتطهرون، ﴿ومنه﴾ أي من الماء الذي أنزل من السماء شجر[4] لأن الشجرة والمراد به هنا سائر النباتات يتوقف وجوده على الماء وقوله ﴿فيه تسيمون﴾[5] أي فى ذلك النبات ترعون مواشيكم. يقال سام الماشية اي ساقها إلى المرعى ترعى وسامت الماشية أي رعت بنفسها. وقوله تعالى: ﴿ينبت لكم به﴾ أي بما أنزل من السماء من ماء ﴿الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ كالفواكه والخضر على اختلافها إذ كلها متوقفة على الماء. وقوله ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من نزول الماء وحصول المنافع الكثيرة به

---

(١) أخذ مالك من قوله تعالى: ﴿لتركبوها وزينة﴾: حرمة أكل لحوم الخيل ووافقه أبو حنيفة، وأجاز الجمهور أكلها لأنّ الآية لم تحرّم شيئا وإنّما ذكرت فائدة من فوائدها وهي الركوب، ومن أدلة الجمهور: الحديث الصحيح من ذلك قول الصحابي نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن لنا في لحوم الخيل). وقال جابر رضي الله عنه: (كنا نأكل لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ). وحديث مسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت: (فجزرنا فرسا على عهد رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة وأكلناه).

(٢) أي: على الله بيان قصد السبيل، والسبيل هو الإسلام، أي: بيان شرائعه وأحكامه وحِكمه ومواعظه بواسطة كتبه ورسله. وقصد السبيل: استقامته كما أن جائر السبيل: هو الحائد عن الاستقامة.

(٣) الشراب: اسم لما يشرب وذكر للماء النازل من السماء فائدتين. الأولى: الشراب والثانية: إنبات النبات وهما نعمتان.

(٤) لفظ الشجر: يطلق على النبات ذي الساق الصلبة ويطلق على مطلق العشب والكلأ تغليباً.

(٥) الإسامة: إطلاق الإبل للسوم وهو الرعي يقال: سامت الماشية إذا رعت وأسامها: إذا رعاها.

﴿لآية﴾ أي علامةً واضحةً على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي مقتضية لعبادته وترك عبادة غيره. ولكن ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيتعظون. أما اشباه البهائم الذين لا يفكـرون في شيء فلا يجدون آية ولا شبه آية فى الكون كله وهم يعيشون فيه. وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ الليل للسكون والراحة، والنهار للعمل ابتغاء الرزق وتسخيرهما كونهما موجودين باستمرار لا يفترقان أبداً إلى أن يأذن الله بانتهائهما وقوله: ﴿والشمس والقمر﴾ أي سخرهما كذلك للانتفاع بضوء الشمس وحرارتها، وضوء القمر لمعرفة عدد السنين والحساب، وقوله ﴿والنجوم مسخرات[١] بأمره﴾ كذلك ومن فوائد النجوم الاهتـداء بها في ظلمات البر والبحر وكونها زينة وجمالاً للسماء التي هي سقف دارنا هذه. وقوله ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ﴿لآيات﴾ عدة يستدل بها على الخالق وعلى وجوب عبادته وعلى توحيده فيها، ولكن ﴿لقومٍ يعقلون﴾ أي الذين يستخدمون طاقة عقولهم في فهم الأشياء وإدراك أسرارها وحقائقها أما أشباه البهائم والمجانين الذين لا يفكرون ولا يتعقلون ولا يعقلون، فليس لهم في الكون كله آية واحدة يستدلون بها على ربهم ورحمته بهم وواجب شكره عليهم وقوله تعالى: ﴿وما ذرأ[٢] لكم في الأرض﴾ أي وما خلق لكم في الأرض من إنسان وحيوان ونبات ﴿مختلفاً ألوانه﴾[٣] وخصائصه وشيانه ومنافعه وآثاره ﴿إن في ذلك﴾ الخلق العجيب ﴿لآية﴾ أي دلالة واضحة على وجود الخالق عز وجل ووجوب عبادته وترك عبادة غيره ولكن ﴿لقومٍ يذّكرون﴾ فيتعظون فينتبهون إلى ربهم فيعبدونه وحده بامتثال أمره واجتناب نهيه فيكملون على ذلك ويسعدون في الحياتين.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ كون الخيل[٤] والبغال والحمير خلقت للركوب والزينة لا ينفي منفعة أخرى فيها وهي أكل

(١) ﴿مسخرات﴾: أي: مذللات لمعرفة الأوقات ونضج الثمار، والاهتداء بالنجوم في الظلمات.

(٢) الذرء: الخلق بالتناسل والتولّد بالحمل والتفريخ فليس الإنبات فقط.

(٣) المخلوقات قسمان: قسم منها مسخر مذلل كالدواب والأنعام والأشجار، وقسم غير مذلل ولا مسخر، وشاهد هذا: قول كعب الأحبار: لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حماراً فقيل له وما هن؟ قال: أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ.

(٤) ما في الآية: ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ ما يدل على وجوب الزكاة فيها، وفي الحديث الصحيح: (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة) رواه مالك.

لحوم الخيل لثبوت السنة بإباحة لحوم الخيل، ومنع لحوم البغال والحمير كما في الصحيحين.

٢ـ الإسلام هو السبيل التي بينها الله تعالى فضلاً منه ورحمة وما عداه فهى سبل جائرة عن العدل والحق

٣ـ فضيلة التفكر والتذكر والتعقل وذم أضدادها لأن الآيات الكونية كالآيات القرآنية إذا لم يتفكر فيها العبد لا يهتدي إلى معرفة الحق المنشود وهو معرفة الله تعالى ليعبده بالذكر والشكر وحده دون سواه.

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ(١) لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات:

حليةً تلبسونها : هي اللؤلؤ والمرجان.

مواخر فيه : أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة وبالبخار اليوم.

---

(١) تسخير البحر: هو تمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله بالركوب والإرفاء وغيره وهي نعمة إذ لو شاء الله لسلّط البحر على العباد لأغرقهم.

مـن فضـلـه : أي من فضل الله تعالى بالتجارة.

أن تميـد بكم : أي تميل وتتحرك فيخرب ما عليها ويسقط.

لا تحـصوهــا : أي عداً فتضبطوها فضلاً عن شكرها للمنعم بها عز وجل.

ما تسرون وما تعلنون : من المكـر بالنبي ﷺ ومن أذاه علانية هذا بالنسبة إلى أهل مكة، إذ الخطاب يتناولهم أولاً ثم اللفظ عام فالله يعلم كل سرٍ وعلانية في أي أحد.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته تلك المظاهر الموجبة لتوحيده وعبادته وشكره وذكره قال تعالى: ﴿وهو الذي سخر لكم البحر﴾ وهو كل ماء غمر كثير عذباً كان أو ملحاً وتسخيره تيسير الغوص فيه وجرى السفن عليه. وقوله ﴿لتـأكلوا منه لحماً[(١)] طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ بيان لعلة تسخير البحر وهي ليصيد الناس منه السمك يأكلونه، ويستخرجون اللؤلؤ والمرجان حلية لنسائهم[(٢)]. وقوله: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ أي وترى أيها الناظر الى البحر ترى السفن تمخر الماء أي تشقه ذاهبة وجائية. وقوله: ﴿ولتبتغوا﴾ اي سخر البحر والفلك لتطلبوا الرزق بالتجارة بنقـل البضـائـع والسلع من إقليم إلى إقليم وذلـك كله من فضل الله وحوله ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي كي تشكروا الله تعالى. أي سخر لكم ذلك لتحصلوا على الرزق من فضل الله فتأكلوا وتشكروا الله على ذلك والشكر يكون بحمد الله والاعتراف بنعمته وصرفها فى مرضاته وقوله: ﴿وألقى في الأرض رواسي[(٣)]﴾ أي ألقى في الأرض جبالاً ثوابت ﴿أن تميد بكم﴾ كي لا تميد بكم، وميدانها ميلها وحركتها إذ لو كانت تتحرك لما استقام العيش عليها والحياة فيها. وقوله: ﴿وأنهاراً﴾ أي وأجرى لكم أنهاراً في الأرض كالنيل والفرات

(١) قسّم مالك اللحم ثلاثة أقسام وهي: لحم ذوات الأربع، ولحم ذوات الريش، ولحم ذوات الماء، ومنع بيع الجنس الواحد بجنسه متفاضلا أو نسيئة.

(٢) الإجماع على جواز تختم الرجل بخاتم الفضة للأحاديث الثابتة وذلك منها حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أنّ النبي ﷺ اتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله) ولذا جاز للقضاة وغيرهم أن ينقشوا أسماءهم على خواتمهم.

(٣) في هذه الآية دليل على استعمال الأسباب إذ كان الله قادراً على سكونها دون الجبال، ومع هذا أرساها، وسكنها بالجبال تعليما لعباده للأخذ بالأسباب، و﴿رواسي﴾ جمع راس، على غير قياس، كفوارس، وعواذل جمع فارس وعاذل.

وغيرهما ﴿وسبلا﴾ أي وشق لكم طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى منازلكم في بلادكم وقوله ﴿وعلامات﴾ أي وجعل لكم علامات للطرق وأمارات كالهضاب والأودية والأشجار وكل ما يستدل به على الطريق والناحية، وقوله ﴿وبالنجم﴾ أي وبالنجوم[1] ﴿هم يهتدون﴾ فركاب البحر لا يعرفون وجهة سيرهم في الليل إلا بالنجوم وكذا المسافرون في الصحارى والوهاد لا يعرفون وجهة سفرهم إلا بالنجوم وذلك قبل وجود آلة البوصلة البحرية ولم توجد إلا على ضوء النجم وهدايته وقوله في الآية (١٧) ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ هذا تأنيب عظيم لأولئك الذين يصرون على عبادة الأصنام ويجادلون عليها ويجالدون فهل عبادة من يخلق ويرزق ويدبر حياة الإنسان وهو الله رب العالمين كعبادة من لا يخلق ولا يرزق ولا يدير؟ فمن يسوي من العقلاء بين الحي المحيي الفعال لما يريد واهب الحياة كلها وبين الأحجار والأوثان؟ فلذا وبخهم بقوله ﴿أفلا تذكّرون﴾ فتذكرون فتعرفون أن عبادة الأصنام باطلة وأن عبادة الله حق فتتوبوا إلى ربكم وتسلموا له قبل أن يأتيكم العذاب. وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ بعدما عدد في هذه الآيات من النعم الكثيرة أخبر أن الناس لو أرادوا أن يعدوا نعم الله ما استطاعوا عدها فضلا عن شكرها، ولذا قال ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ ولولا أنه كذلك ليؤاخذهم على تقصيرهم فى شكر نعمه عليهم ولَسَلَبَهَا منهم عند كفرها وعدم الاعتراف بالمنعم بها عز وجل وقوله تعالى: ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ هذه آخر مظاهر القدرة والعلم والحكمة والنعمة في هذا السياق الكريم فالله وحده يعلم سر الناس وجهرهم فهو يعلم إذاً حاجاتهم وما تتطلبه حياتهم، فإذا عادوه وكفروا به فكيف يأمنون على حياتهم ولما كان الخطاب في سياق دعوة مشركي مكة إلى الإيمان والتوحيد فالاية إخطار لهم بأن الله عليم بمكرهم برسوله وتَبييت الشر له وأذاهم له بالنهار. فهي تحمل التهديد والوعِيد لكفار مكة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان العلة فى الرزق وأنها الشكر فالله سبحانه وتعالى يرزق لِيُشكر.

(١) وقد يُراد بالنجم: الجدي خاصة لقول الرسول ﷺ لابن عباس وقد سأله عن النجم فقال له: (هو الجدي عليه قبلتكم وبه تهتدون في برّكم وبحركم) وكون المراد بالنجم النجوم لقوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر﴾.

٢ـ إباحة أكل الحوت وكل دواب البحر.
٣ـ لا زكاة في اللؤلؤ والمرجان لأنه من حلية النساء.
٤ـ المقارنة بين الحي الخلاق العليم، وبين الأصنام الميتة المخلوقة لتقرير بطلان عبادة غير الله تعالى لأن من يَخلُق ليس كمن لا يَخلُق.
٥ـ عجز الإنسان عن شكر نعم الله تعالى يتطلب منه أن يشكر ما يمكنه منها وكلمة (الحمد لله) تعد رأس الشكر والاعتراف بالعجز عن الشكر من الشكر، والشكر صرف النعم فيما من أجله أنعم الله تعالى بها.

وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ
أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ
فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۙ
قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا
سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

وهم يخلقون : أي يصورون من الحجارة وغيرها.

وما يشعرون إيان يبعثون : أي وما تشعر الأصنام ولا تعلم الوقت الذي تبعث فيه وهو يوم القيامة. ولا يبعث فيه عابدوها من دون الله.

قلوبهم منكرة : أي جاحدة للوحدانية والنبوة والبعث والجزاء.
وهم مستكبرون : لظلمة قلوبهم بالكفر يتكبرون.
لا جرم : أي حقاً.
أساطير الأولين : أي أكاذيب الأولين.
ليحملوا أوزارهم : أي ذنوبهم يوم القيامة.
ألا ساء ما يزرون : أي بئس ما يحملون من الأوزار.

معنى الآيات :

في هذا السياق مواجهة صريحة للمشركين بعد تقدم الأدلة على اشراكهم وضلالهم فقوله تعالى: ﴿والذين يدعون[1] من دون الله﴾ أي تعبدونهم أيها المشركون ﴿أموات غير أحياء﴾ أي هم أموات إذ لاحياة لهم ودليل ذلك أنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون، وقوله ﴿وما يشعرون أيان يبعثون[2]﴾ أي لا يعلمون[3] متى يبعثون كما أنكم أنتم أيها العابدون لهم لا تشعرون متى تبعثون. فكيف تصح عبادتهم وهم أموات ولا يعلمون متى يبعثون للاستنطاق والاستجواب والجزاء على الكسب في هذه الحياة، وقوله ﴿إلهكم إله واحد﴾ هذه النتيجة العقلية التي لا ينكرها العقلاء وهي أن المعبود واحد لا شريك له، وهو الله جل جلاله، إذ هو الخالق الرازق المدبر المحي المميت ذو الصفات العلا والأسماء الحسنى، وما عداه فلا يخلق ولا يرزق ولا يُدبِّر ولا يحيي ولا يميت فتأليهه سفه وضلال، وبعد تقرير ألوهية الله تعالى وإثباتها بالمنطق السليم قال تعالى: ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ ذكر علة الكفر لدى الكافرين والفساد عند المفسدين وهي تكذيبهم بالبعث الآخر إذ لا يستقيم عبد على منهج الحق والخير وهو لا يؤمن باليوم الآخر يوم الجزاء على العمل في الحياة الدنيا، فأخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لكل ما يسمعون من الحق الذي يدعو إليه رسول الله ﷺ وتبينه آيات القرآن الكريم، وهم مع إنكار قلوبهم لما يسمعون من الحق مستكبرون عن

(١) قرأ عامة القراء ﴿يدعون﴾ بالتاء لأن ما قبله خطاب، وقرىء عن عاصم وحفص بالياء، وهي قراءة يعقوب أيضاً.
(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تبعث الأصنام وتركب فيها الأرواح ومعها شياطينها فيتبرّؤون من عبدتها، ثم يؤمر بالشياطين والمشركين إلى النار.
(٣) عبّر عنهم بصيغة من يعقل لأن المشركين يزعمون أنها تعقل عنهم وتشفع لهم عند الله تعالى، وتقرّبهم إلى الله زلفى.

قبول الحق والإذعان له. وقوله تعالى: ﴿لا جرم[1] ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين[2]﴾ أي حقاً ان الله يعلم ما يسر أولئك المكذبون بالآخرة وما يعلنون وسيحصى ذلك عليهم ويجزيهم به لا محالة في يوم كانوا به يكذبون.. ويا للحسرة ويا للندامة!! وهذا الجزاء كان بعذاب النار متسبب عن بغض الله للمستكبرين وعدم حبه لهم، وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين[3]﴾ يخبر تعالى عن أولئك المنكرة قلوبهم للوحي الإلهي وما جاء به رسول الله هؤلاء المستكبرون كانوا إذا سئلوا عن القرآن من قِبل من يريد أن يعرف ممن سمع بالدعوة المحمدية فجاء من بلاد يتعرف عليها قالوا: ﴿أساطير الأولين[4]﴾ أخبار كاذبة عن الأولين مسطره عند الناس فهو يَحْكَيها ويقول بها، وبذلك يصرفون عن الإسلام ويصدون عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي تبعة آثامهم وتبعة آثام من صدوهم عن سبيل الله كاملة غير منقوصة يوم القيامة، وهم لا يعلمون ذلك ولكن الحقيقة هي: انّ من دعا إلى ضلالة كان عليه وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزار من عملها شيء، وكذا من دعا إلى[5] هدى فله أجر من عمل بهِ من غير أن ينقص من أجر العامل به شيء. وقوله تعالى: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ أي قُبح الوزر الذي يزرونه فإنه قائدهم إلى النار موبقهم في نار جهنم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بطلان الشرك وتقرير التوحيد.

٢ـ التكذيب باليوم الآخر والبعث والجزاء هو سبب كل شرِ وفساد يأتيه العبد.

---

(١) ﴿لا جرم﴾: كلمة تحقيق ولا تكون إلا جواباً، يقال: فعلوا كذا وكذا فيجاب بكلمة لاجرم أنهم سيندمون.

(٢) أي: فهو لا يثيبهم ولا يثني عليهم خيراً، وفي الحديث الصحيح: (إنّ المستكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة يطؤهم الناس بأقدامهم لتكبّرهم). قالت العلماء: كل ذنب يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبر، وهو أصل العصيان كله.

(٣) قيل: إن الآية نزلت في النضر بن الحارث وهو القائل: أساطير الأولين. والآية تشمله وغيره ممن قال ويقول هذه الكلمات الكاذبة الباطلة.

(٤) الأساطير: الأباطيل، والترهات، و﴿أساطير الأوّلين﴾: خبر والمبتدأ الذي أنزله أي: الذي أنزله أساطير الأوّلين.

(٥) وفي الصحيح شاهد هذا فقد روى مسلم أنه ﷺ قال: (من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أحورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا).

٣ـ التنديد بجريمة الاستكبار عن الحق والإذعان له .

٤ـ بيان اثم وتبعة من يصد عن سبيل الله بصرف الناس عن الإسلام .

٥ـ بيان تبعة من يدعو إلى ضلالة فإنه يتحمل وزر كل من عمل بها .

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

من قبلهم : أي من قبل كفار قريش بمكة كالنمرود وغيره.

فأتى الله بنيانهم : أي قصد إليه ليدمره فسلط عليه الريح والزلزلة فسقط من أسسه.

وخر عليهم السقف : أي سقط لتداعي القواعد وسقوطها.

كنتم تشاقون فيهم : أي تخالفون المؤمنين فيهم بعبادتكم إياهم وجدالكم عنه، وتشاقون الله بمخالفتكم إياه بترك عبادته وعبادتكم إياها.

وقال الذين أوتوا العلم : أي الأنبياء والمؤمنون.

ظالمي أنفسهم : بالشرك والمعاصي.

فألقوا السلم : أي استسلموا وانقادوا.

فلبئس مثوى المتكبرين : مثوى المتكبرين : أي قبح منزل المتكبرين في جهنم مثلاً.

وقيل للذين اتقوا : أي اتقوا الشرك والمعاصي.

للذين أحسنوا : أي أعمالهم وأقوالهم ونياتهم فأتوْا بها وفق مراد الله تعالى.

حسنة : أي الحياة الطيبة حياة العز والكرامة.

ولنعم دار المتقين : أي الجنة دار السلام.

طيبين : أي الأرواح بما زكوها به من الإيمان والعمل الصالح. وبما أبعدوها عنه من الشرك والمعاصي.

يقولون سلام عليكم : أي يقول لهم ملك الموت «عزرائيل» وأعوانه.

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة : أي لقبض أرواحهم وعند ذلك يؤمنون.

أو يأتي أمر ربك : أي بالعذاب أو بقيام الساعة وحشرهم إلى الله عز وجل.

وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون : أي نزل بهم العذاب وأحاط بهم وقد كانوا به يستهزئون.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم مع كفار قريش في تذكيرهم وتبصرهم بما هم فيه من الجهالة والضلالة. فيقول تعالى: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ أي من قبل مكر كفار قريش وذلك كالنمرود وفرعون وغيرهم من الجبابرة الذين تطاولوا على الله عز وجل ومكروا برسلهم، فالنمرود ألقى بإبراهيم في النار، وفرعون قال ذروني اقتل موسى وليدع ربه.. وقوله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ أي أتاه أمر الله بهدمه وإسقاطه على الظلمة الطغاة ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون[1]﴾. وذهب باطلهم وزال مكرهم. ألم يتعظ بهذا كفرة قريش وهم يمكرون بنبيهم ويبيِّتون له السوء بالقتل أو النفي أو الحبس؟ وقوله تعالى: ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ أي يهينهم ويذلهم ويوبخهم بقوله: ﴿أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم[2]﴾ أي أصنامكم وأوثانكم الذين كنتم تخالفوني بعبادتكم إياهم دوني كما تشاقون اوليائي المؤمنين أي تخالفونهم بذلك وتحاربونهم فيه. وهنا يقول الأشهاد والذين أوتوا العلم من الأنبياء والعلماء الربانيين: ﴿إن الخزي اليوم والسـوء على الكـافـرين﴾ أي إن الـذل والهون والدون على الكافرين. وقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم[3] الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي ومن جملة المعاصي ترك الهجرة والبقاء بين ظهراني الكافرين والفساق المجرمين حيث لا يتمكن المؤمن من عبادة الله تعالى بترك المعاصي والقيام بالعبادات. وقوله ﴿فألقوا السلم﴾ أي عند معاينتهم ملك الموت وأعوانه أي استسلموا وانقادوا وحاولوا الإعتذار بالكذب وقالوا ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فترد عليهم الملائكة قائلين: ﴿بلىٰ﴾ أي كنتم تعملون السوء ﴿إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ ويقال لهم أيضاً ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾ أي أبواب طبقاتها ﴿خالدين فيها فلبئس﴾ جهنم ﴿مثوى﴾ أي مقاماً ومنزلاً ﴿للمتكبرين﴾ عن عبادة الله وحده. وقوله تعالى: ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه في أمره ولا نهيه وأطاعوا رسوله كذلك: ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ أي إذا سألهم من أتى مكة يتعرف على ما بلغه من

---

(١) أي: من حيث ظنوا أنهم في أمان، وقال ابن عباس يعني البعوضة التي أهلك الله تعالى بها النمرود الكنعاني.

(٢) قرىء ﴿تشاقون﴾ بفتح النون وبكسرها على الاضافة، كما قرأ شركائي ابن كثير: شركاي بفتح الياء وبدون همزة.

(٣) قيل: الآية نزلت في الذين تركوا الهجرة إلى المدينة وبقوا في مكة يزاولون أعمال الشرك خوفاً من المشركين، ومن بينهم الذين لمّا رأوا قلّة المؤمنين رجعوا إلى الشرك.

دعوة الإسلام فيقولون له: ﴿خيراً﴾ أي أنزل خيراً لأن القرآن خير وبالخير نزل بخلاف تلاميذ المشركين يقولون أساطير الأولين كما تقدم في هذا السياق.

كما ذكر تعالى جزاء الكافرين وما يلقونه من العذاب في نار جهنم وهم الذين أساءوا في هذه الحياة الـدنيا إلى أنفسهم بشركهم بالله ومكرهم وظلمهم للمؤمنين، ذكر جزاء المحسنين. فقال: ﴿للذين أحسنوا﴾ أي آمنوا وعملوا الصالحات متبعين شرع الله في ذلك فأخلصوا عبادتهم لله تعالى ودعوا الناس الى عبادة الله وحثوهم على ذلك فكانوا بذلك محسنين لأنفسهم ولغيرهم لهؤلاء الذين أحسنوا في الدنيا ﴿حسنة﴾ وهي الحياة الطيبة حياة الطهر والعزة والكرامة،[1] ولدار الآخرة خيرٌ لهم من دار الدنيا مع ما فيها من حسنة وقوله تعالى: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ ثناء ومدح لتلك الدار الآخرة لما فيها من النعيم المقيم وإضافتها إلى المتقين باعتبار أنهم أهلها الجديرون بها إذ هي خاصة بهم ورثوها بإيمانهم وصالح أعمالهم بتركهم الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿جنات[2] عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون﴾ هو وصف وبيان لدار المتقين فأخبر أنها جنات جمع جنة وهي البستان المشتمل على الأشجـار والأنهـار والقصور وما لذ وطاب من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمراكب وقوله تعالى: ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ هذا نهاية الإكرام والإنعام إذ كون العبد يجد كل ما يشتهي ويطلب هو نعيم لا مزيد عليه وقوله تعالى: ﴿كذلك يجزي الله المتقين﴾ أي كهـذا الجزاء الحسن العظيم يجزي الله المتقين في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين[3]﴾ أي طاهري الأرواح لأرواحهم ريح طيبة ثمرة إيمانهم وصالح أعمالهم ونتيجة بعدهم عما يدنس أنفسهم من أوضار الشرك وعفن المعاصي. وقـوله: ﴿يقولون﴾ أي تقول لهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه ﴿سلام عليكم﴾[4] تحييهم وفي ذلك بشارة لهم برضا ربهم وجواره الكريم. ﴿ادخلوا الجنة﴾ بأرواحهم اليوم

---

(١) مع الفتح والنصر والغنائم أيضا إذ الكل حسنة عظيمة.

(٢) ﴿جنات عدن﴾: بدل من قوله: (دار المتقين).

(٣) طيّبين بإيمانهم وعملهم الصالح وبعدهم عن الشرك والمعاصي ووفاتهم أيضاً طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض به أرواح أهل الكفر والشرك والفساد.

(٤) قال ابن المبارك: إذا استقنعت نفس العبد المؤمن «أي: اجتمعت في فيه تريد الخروج» جاءه ملك الموت فقال له: السلام عليك وليَّ الله الله يقرأ عليك السلام، ثمّ قرأ هذه الآية: ﴿الذين تتوفاهم الملائكـة﴾ الخ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال: ربّك يقرئك السلام.

وبأجسامهم غداً يوم القيامة. وقوله ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي بسبب ما كنتم تعملونه من الطاعات والمسابقة في الخيرات بعد عمل قلوبكم بالايمان واليقين والحب في الله والبغض فيه عز وجل والرغبة والتوكل عليه. هذا ما تضمنته الآيات (٣١، ٣٢) وأما الآيات بعد ذلك فيقول الله مستبطئاً ايمان قريش وتوبتهم بعد تلك الحجج والبراهين والدلائل والبينات على صدق نبوة محمد ﷺ وعلى وجوب التوحيد وبطلان الشرك وعلى الإيمان باليوم الآخر. ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أي ما ينظرون بعد هذا إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ بإبادتهم واستئصالهم، إذ لم يبق ما ينتظرونه إلا أحد هذين الأمرين وكلاهما مر وشر لهم. وقوله تعالى: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ من كفار الأمم السابقة فحلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه فأهلكهم. ﴿وما ظلمهم الله﴾ تعالى في ذلك أبداً ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بإصرارهم على الشرك والعناد والمجاحدة والمكابرة ﴿فأصابهم سيئات﴾ أي جزاء سيئات ﴿ما عملوا﴾ من الكفر والظلم ﴿وحاق بهم﴾ أي نزل بهم وأحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ إذ كانت رسلهم إذا خوفتهم من عذاب الله سخروا منهم واستهزأوا بالعذاب واستخفوا به حتى نزل بهم والعياذ بالله تعالى.

من هداية الآيات:

١ـ سوء عاقبة المكر وأنه يحيق بأهله لا محالة والمراد به المكر السيء.

٢ـ بيان خزي الله تعالى يوم القيامة لأهل الشرك به والمعاصي له ولرسوله.

٣ـ فضل أهل العلم إذ يتخذ منهم شهداء يوم القيامة ويشمتون بأهل النار.

٤ـ بيان استسلام الظلمة عند الموت وانهزامهم وكذبهم.

٥ـ تقرير معتقد البعث والحياة الآخرة بأبرع أسلوب وأحكمه وأمتنه.

٦ـ إطلاق لفظ خير على القرآن وهو حق خير فالذي أوتي القرآن أوتي الخير كله، فلا ينبغي أن يرى أحداً من أهل الدنيا خيراً منه وإلا سخط نعمة الله تعالى عليه.

٧ـ سعادة الدارين لأهل الإحسان وهم أهل الإيمان والإسلام والإحسان في إيمانهم بالإخلاص وفي إسلامهم بموافقة الشرع ومراقبة الله تعالى في ذلك.

٨- بشرى أهل الإيمان والتقوى عند الموت، وعند القيام من القبور بالنعيم المقيم في جوار رب العالمين.

٩- إعمـال القلوب والجـوارح سبب في دخـول الجنـة وليست ثمناً لها لغلائها، وإنما الأعمال تزكي النفس وتطهر الروح وبذلك يتأهل العبد لدخول الجنة.

١٠- ما ينتظر المجرمون بإصرارهم علىَ الظلم والشر والفساد إلا العذاب، عاجلًا أو آجلاً فهو نازل بهم حتماً مقضياً إن لم يبادروا إلى التوبة الصادقة.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ
حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ
وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ
كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات

وقال الذين أشركوا : هم كفار قريش ومشركوها.

ولا حرمنا من دونه من شيء : كالسوائب والبحائر والوصائل والحامات.

فهل على الرُّسلِ إلا البلاغ : أي ما على الرُّسل إلا البلاغ فالإستفهام للنفيِ.

واجتنبوا الطاغوت : أي عبادة الأصنام والأوثان.

حقت عليه الضلالة : أي وجبت في علم الله أزلاً.

جهد أيْمانهم : أي غايتها حيث بذلوا جهدهم فيها مبالغة منهم.

بلى وعداً عليه حقاً : أي بلى يبعث من يموت وقد وعد به وعداً وأحقه حقاً. فهو كائنٌ لا محالة.

يختلفون فيه : أي بين المؤمنين من التوحيد والشرك.

انهم كانوا كاذبين : أي في قولهم «لا نُبعث بعد الموت».

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحجاج مع مشركي قريش فيقول تعالى مُخْبراً عنهم ﴿وقال الذين أشركوا﴾ أي مع الله آلهةً أخرى وهي أصنامهم كهبل واللات والعُزّى وقالوا لو شاء الله عدم إشراكنا به ما أشركنا نحن ولا آباؤنا، ولا حرمنا من دون تحريمه شيئاً فهل قالوا هذا إيمانا بمشيئة الله تعالى، أو قالوه استهزاء وسخرية دفاعاً عن شركهم وشرعهم الباطل في التحريم والتحليل بالهوى، والأمران محتملان. والرد عليهم بأمرين أولهما ما دام الله قد نهاهم عن الشرك والتشريع فإن ذلك أكبر دليل على تحريمه تعالى لشركهم ومحرماتهم من السوائب والبحائر وغيرها وثانيهما كونه لم يعذبهم عليها بعد ليس دليلاً على رضاه بها بدليل أن من سبقهم من الأمم والشعوب الكافرة قالوا قولتهم هذه محتجين به على باطلهم فلم يلبثوا حتى أخذهم الله، فدل ذلك قطعاً على عدم رضاه بشركهم وشرعهم إذ قال تعالى فى سورة الأنعام رداً على هذه الشبهة كذلك قال الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا أي عذاب انتقامنا منهم لما كذبوا رسلنا وافتروا علينا. وقوله تعالى : ﴿كذلك فعل الذين[1]

---

(١) الإشارة بذلك إلى الإشراك وتحريمهم أشياء من تلقاء أنفسهم أي: كفعل هؤلاء فعل الذين من قبلهم ممن مكروا برسلهم وأهلكم الله جل جلاله.

من قبلهم﴾ من الأمم السابقة قالوا قول هؤلاء لرسلهم وفعلوا فعلهم حتى أخذهم الله بالعذاب. وقوله ﴿فهل[1] على الرسل[2] إلا البلاغ المبين﴾ أي ليس على الرسول إكراه المشركين على ترك الشرك ولا إلزامهم بالشرع وانما عليه أن يبلغهم أمر الله تعالى ونهيه لا غير. فلذا كان في الجملة تسلية رسول الله ﷺ وحمله على الصبر حتى يبلغ دعوة ربه وينصره على أعدائه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق (٣٥) وقوله في الآية الثانية (٣٦) ﴿ولقد[3] بعثنا في كل أمةٍ رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ فأخبر تعالى بأنه ما أخلى أمة من الأمم من إرسال رسول إليها لهدايتها وبيان سبيل نجاتها وتحذيرها من طرق غوايتها وهلاكها. كما أخبر عن وحدة الدعوة بين الرسل وهي لا إله إلا الله المفسره بعبادة الله تعالى وحده، واجتناب الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مما دعا الشيطان الى عبادته بالتزيين والتحسين عن طريق الوسواس من جهة ومن طريق اوليائه من[4] الناس من جهةٍ أخرى.

وقوله تعالى: ﴿فمنهم﴾ أي من الأمم المرسل إليهم ﴿من هدى الله﴾ فعرف الحق واعتقده وعمل به فنجا وسعد، ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة[5]﴾ أزلاً في كتاب المقادير لأنه أصر على الضلال وجادل عنه وحارب من أجله باختياره وحريته فحرمه الله لذلك التوفيق فضلَّ ضلالاً لا أمل في هدايته. وقوله تعالى: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أمرٌ لكفار قريش المجادلين بالباطل المحتجين على شركهم وشرعهم الباطل أمرٌ لهم أن يسيروا في الأرض جنوباً أو شمالاً فينظروا كيف كانت عاقبة المكذبين أمثالهم من أمة عاد في الجنوب وثمود في الشمال، ومدين ولوط وفرعون في الغرب. وقوله تعالى في تسلية رسوله والتخفيف من الهمِّ عنه: ﴿إن تحرص﴾ يا رسولنا

---

(١) الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا جاء الاستثناء بعده أي: ما على الرسل إلا البلاغ، أي: ليس عليهم هداية الخلق إذ لا يملكون ذلك ولم يكلفوا به وإنما كلفوا بالبلاغ والبيان.

(٢) في الآية: ﴿فهل على الرسل...﴾ تسلية للرسول ﷺ وتعليم وفيها أيضاً التعريض بإبلاغ المشركين.

(٣) هذا الكلام معطوف على قوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ متضمن بياناً لسنة الله تعالى في إرسال الرسل لاحقاق الحق وإبطال الباطل ونصر المؤمنين، وهلاك الكافرين المكذّبين.

(٤) أولياء الشيطان: هم الكهان ودعاة الضلال الذين يصدّون عن سبيل الله بتزيين الباطل وتحسين الشرك والخرافة.

(٥) في هذا ردّ على القدرية نفاة القدر إذ معنى: ﴿حقت﴾: وجبت له أزلا في كتاب المقادير.

﴿على هداهم﴾ أي هدايتهم إلى الحق ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾[1] فخفف على نفسك وهون عليها فلا تأسف ولا تحزن وادع الى ربك في غير حرص يضر بك وقوله ﴿لا يهدي من يضل﴾ أي لا يقدر أحد أن يهدي من أضله الله، لأن اضلال الله تعالى يكون على سنن خاصة لا تقبل التبديل ولا التغيير لقوة سلطانه وسعة عمله. وقوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي وليس لأولئك الضلال الذين أضلهم الله حسب سنته من ناصرين ينصرونهم على ما سينزل بهم من العذاب وما سيحل بهم من خسرانٍ وحرمان. وقوله تعالى في الآية (٣٨) ﴿وأقسموا بالله جهد[2] أيمانهم لايبعث الله من يموت﴾ اخبار عن قول المشركين والمعذبين باليوم الآخر أصحاب القلوب المنكرة، ومعنى ﴿أقسموا بالله جهد أيمانهم[3]﴾ أي حلفوا أشد الأيمان إذ كانوا في الأمور التافهة يحلفون بآلهتهم وآبائهم. وإذا كان الأمر ذا خطر وشأن أقسموا بالله وبالغوا في الإقسام حتى يبلغوا جهد أيمانهم والمحلوف عليه هو أنهم إذا ماتوا لا يبعثون أحياء.فيحاسبون ويجزون فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿بلىٰ﴾ أي تبعثون وعد الله حقاً فلا بد ناجز ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون[4]﴾ فلذا ينفون البعث وينكرونه لجهلهم بأسرار الكون والحياة وعِلَلَ الوجود والعمل فيه فلذا أشار الله تعالى إلى بعض تلك العلل في قوله: ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ فلولا البعث الآخر ما عرف المُحق من المبطل في هذه الحياة والخلاف سائد ودائم بين الناس. هذا أولاً. وثانياً: ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين[5]﴾ في اعتقاداتهم وأعمالهم ونفيهم الحياة الثانية للجزاء على العمل في دار العمل هذه أما استبعادهم البعث بعد الموت نظراً إلى وسائلهم ووسائطهم الخاصة بهم فقد أخبرهم تعالى بأن الأمر ليس كما تقدرون أنتم وتفكرون: إنه مجرد ما تتعلق إرادتنا بشيء نريد أن يكون، نقول له كن

(١) قرىء في السبع ﴿يُهدي﴾ بضم الياء مبنيًّا للمجهول وقرىء: ﴿يهدي﴾ بفتح الياء مبنيًّا للمعلوم وقراءة لا يهدي هي التي فسر بها في التفسير. وقراءة يهدي, أي: أن الله إذا كتب على عبد شقاء لا يهديه للخلاص منه.

(٢) روي أن رجلا من المسلمين كان له دَين على مشرك فقاضاه منه وقال في بعض كلامه: والذي أرجوه بعد الموت، أنه لكذا وكذا فأقسم المشرك بالله: لا يبعث الله من يموت، فنزلت الآية.

(٣) ذكر القرطبي عن قتادة أن رجلا قال لابن عباس: إنّ ناساً يزعمون أنّ عليا مبعوث بعد الموت قبل الساعة يتأوّلون هذه الآية فقال ابن عباس: كذب أولائك إنّما هذه الآية عامة للناس فلو كان عليٌّ مبعوثا قبل يوم القيامة ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه.

(٤) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك).

(٥) أي: في نفيهم البعث وإقسامهم على عدم وقوعه، وفي إنكارهم التوحيد والنبوّة أيضاً.

فيكون فوراً، والبعث الآخر من ذلك. هذا ما دل عليه قوله في الآية (٤٠) ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[1] ولا يقولن قائل كيف يخاطب غير الموجود فيأمره ليوجد فإن الله تعالى إذا أراد شيئاً علمه أولاً ثم قال له كن فهو يكون.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ الرد على شبهة المشركين في احتجاجهم بالمشيئة الإلهية.

٢ـ تفسير لا إله إلا الله.

٣ـ التحذير من تعمد الضلال وطلبه والحرص عليه فإن من طلب ذلك وأضله الله لا ترجى هدايته.

٤ـ بيان بعض الحكم في البعث الآخر.

٥ـ لا يستعظم على الله خلق شيء وإيجاده، لأنه يوجد بكلمة التكوين فقط.

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)

شـرح الكـلمات :

والذين هاجروا في الله : أي خرجوا من مكة في سبيل الله نصرةً لدينه وإقامته بين الناس.

(١) قال أهل العلم في الآية دليل على عدم خلق القرآن إذ لو كان مخلوقاً لكان قوله: ﴿كن﴾ مخلوقاً، ولاحتاج إلى قول ثانٍ، والثاني يحتاج إلى ثالث وتسلسل وهذا محال وفيها دليل على أن الله مريد لجميع الحوادث خيرها وشرها نافعها وضارها، والدليل أن من رأى في سلطانه ما يكرهه ولا يريده فلأحد شيئين إما لكونه جاهلا لا يدري وإما لكونه مغلوبا لا يطيق وهذا محال في حقه سبحانه وتعالى وبذلك تأكد أن الله مريد لكل ما يجري من أحداث في الملكوت وحكمته لا يخلو منها شيء.

لنبوئنهم في الدنيا حسنة : أي لننـزلنهم داراً حسنـة هي المدينة النبوية هذا بالنسبة لمن نزلت فيهم الآية.

الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون : أي على أذى المشـركين وهـاجروا متوكلين على ربهم في دار هجرتهم.

فاسألوا أهل الذكر : أي أيهـا الشاكوّن فيما جاء به محمد ﷺ فاسألوا أهـل التوراة والإنجيل لإزالة شككم ووقوفكم على الحقيقـة وأن ما جاء به محمد حق وأن الرسل قبله كلهم كانوا بشراً مثله.

بالبينات والزبر : أي أرسلناهم بشراً بالبينات والزبر[(١)] لهداية الناس.

وأنزلنا إليك الذكر : أي القـرآن.

لتبين للناس ما نزل اليهم : علة لإنزال الذكر إذ وظيفة الرسل، البيان.

معنى الآيـات:

إنه بعد اشتداد الأذى على المؤمنين لعناد المشركين وطغيانهم، أذن الله تعالى على لسان رسوله للمؤمنين بالهجرة من مكة إلى الحبشة ثم إلى المدينة فهاجر رجال ونساء فذكر تعالى ثناء عليهم وتشجيعاً على الهجرة من دار الكفر فقال عز وجل ﴿والذين هاجروا في الله﴾[(٢)] أي في ذات الله ومن أجل عبادة الله ونصرة دينه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ أي من قبل المشركين ﴿لنبوئنهم﴾ أي لننزلهم ولنسكننهم ﴿في الدنيا حسنة﴾ وهي المدينة النبوية ولنرزقنهم فيها رزقاً حسناً هذا بالنسبة لمن نزلت[(٣)] فيهم الآية، وإلا فكل من هاجر في الله ينجـز له الـرب هذا الـوعـد كمـا قال تعـالى: ﴿ومن يهـاجـر في سبيل الله يجـد في الأرض مراغمـا كثيرا وسعـة﴾ أي في العيش والـرزق ﴿ولأجـر الآخرة﴾ المعد لمن هاجر في سبيل

---

(١) ﴿الزّبر﴾: الكتب.

(٢) أي: تركوا الوطن، والأهل، والقرابة كما تركوا السيئات. ومعنى: في الله أي: لأجل الله إذ بدار الكفر لا يتمكنون من عبادة الله تعالى فإذا هاجروا تمكنوا فكانت هجرتهم إذاً لله أي لعبادته التي خلقهم من أجلها.

(٣) قيل: نزلت الآية في صهيب وبلال وعمار، وخبّاب إذ عذّبهم المشركون أشد العذاب حتى هاجروا، ويدخل في هذا أيضاً أبو جندل وغيره.

الله ﴿أكبر لو كانوا يعلمون﴾[1]. هذا ترغيب في الهجرة وتشجيع للمتباطئين على الهجرة وقوله: ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾[2] بيان لحالهم وثناء عليهم بخير لأنهم صبروا أولاً على الأذى في مكة ثم لما أذن لهم بالهجرة هاجروا متوكلين على الله تعالى مفوضين أمورهم إليه، واثقين في وعده. هذا ما دلت عليه الآيتان (٤١)، (٤٢). وأما الآية الثالثة (٤٣) والرابعة من هذا السياق فهما تقرير حقيقة علمية بعد إبطال شبهة المشركين القائلين كيف يرسل الله محمداً رسولاً وهو بشر مثلنا لم لا يرسل ملكاً. . وهو ما أخبر الله تعالى في قوله ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ أي من الرسل ﴿إلا رجالاً﴾ لا ملائكة ﴿نوحي إليهم﴾ بأمرنا وقوله: ﴿فاسألوا﴾ أيها المشركون المنكرون أن يكون الرسول بشراً، اسألوا أهل الذكر وهو الكتاب[3] الأول أي أسألوا علماء أهل الكتاب اليهود والنصارى هل كان الله تعالى يرسل الرسل من غير البشر ﴿إن كنتم لا تعمون﴾فإنهم يخبرونكم. وما موسى ولا عيسى إلا بشر، وقوله: ﴿بالبينات والزبر﴾ أي أرسلنا أولئك الرسل من البشر بالبينات أي الحجج والدلائل الدالة على وجوب عبادتنا وترك عبادة من سوانا. والزبر أي الكتب. ثم يقول تعالى لرسوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وفي هذا تقريرٌ لنبوته ﴾ وقوله: ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ فيعرفون صدق ما جئتهم به فيؤمنوا. ويتوبوا إلى ربهم فينجوا ويسعدوا.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ فضل الهجرة ووجوبها عند اضطهاد المؤمن وعدم تمكنه من عبادة الله تعالى.

٢ـ وجوب سؤال أهل العلم على كل من لا يعلم أمور دينه من عقيدة وعبادة وحكم.

٣ـ السنة لا غنى عنها لأنها المبينة لمجمل القرآن والموضحة لمعانيه.

---

(١) هذا صالح لكلّ من المؤمنين ومعذبيهم، غير أنه في المؤمنين أظهر إذ كان عمر رضي الله عنه إذا أعطى المهاجرين العطاء قال: هذا ما وعدكم الله في الدنيا وما ادخر لكم في الآخرة أكثر ثم يتلو هذه الآية: ﴿ولأجر الآخرة خير لو كانوا يعلمون﴾.

(٢) قال العلماء: خيارُ المؤمنين من إذا نابه أمر صبر وإذا عجز عن أمر توكل وهو المراد من قوله تعالى: ﴿الذين صبروا وعلى ربّهم يتوكلون﴾.

(٣) يدخل في أهل الذكر أهل القرآن، وهم علماء هذه الأمّة، وبهذا أمر الله تعالى غير العالمين أن يسألوا أهل العلم، وأمر العالمين أن يعلموا ويبيّنوا ومن كتم منهم عُذِّب.

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ
وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

شـرح الكلمات :

مكروا السيئات : أي مكروا المكرات السيئات فالسيئات وصف للمكرات التى مكروها.

في تقلبهم : أي في البلاد مسافرين للتجارة وغيرها.

علـى تخـوف : أي تنقص.

يتفيئـوا ظلاله : أي تتميل من جهةٍ إلى جهة.

سـجداً لله : أي خضعاً لله كما أراد منهم.

داخـرون : أي صاغرون ذليلون.

من فوقـهم : من أعلى منهم إذهو تعالى فوق كل شيء ذاتاً وسلطاناً وقهراً.

ما يؤمـرون : أي ما يأمرهم ربهـم تعالى به.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تخـويف المشـركين وتُـذكيرهم لعلهم يرجعون بالتوبة من الشرك والجحـود للنبـوة والبعث والجـزاء. قال تعـالى: ﴿أفأمن الـذين مكـروا﴾[1] المكـرات

(١) هذا وعيد للمشركين الذين احتالوا في إبطال الإسلام.

﴿السيئـات﴾ من محـاولـة قتـل النبي ﴿ﷺ﴾ والشرك والتكذيب بالنبوة والبعث وظلم المؤمنين وتعذيب بعضهم، أفأمنوا ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ من تحتهم فيقُرون في أعمـاقهـا، ﴿أو يأتيهم العـذاب من حيث لا يشعرون﴾[1] ولا يتوقعون من ريح عاصف تعصف بهم أو وبـاء يشملهم أو قحط يذهب بمالهم. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ أي في تجارتهم وأسفارهم ذاهبين آيبين من بلدٍ إلى بلد. ﴿فما هم بمعجزين﴾[2] له تعـالى لو أراد أخذهم وإهلاكهـم. وقولِهِ تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾[3] أي تنقصٍ[4] بأن يهلكهم واحداً بعد واحد أو جماعة بعد جماعة حتى لا يبقى منهم أحداً، وقد أخذ منهم ببدرٍ من أخذ وفي أحد. وقوله تعالى: ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ تذكير لهم برأفته ورحمته إذ لولاهما لأنزل بهم نقمته وأذاقهم عذابه بدون إنظار لتوبةٍ أو إمهال لرجوع إلى الحق. وقوله تعالى: ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾[5] من شجرٍ وجبل وإنسانٍ وحيوان ﴿يتفيؤا ظلالـه﴾ بالصباح والمساء ﴿عن اليمين والشمائل﴾ «جمع شمال» ﴿سجداً لله﴾ خضعاً بظلالهم ﴿وهم داخرون﴾[6] أي صاغرون ذليلون. أما يكفيهم ذلك دلالةً على خضوعهم لله وذلتهم بين يديه، فيؤمنوا به ويعبدونه ويوحدوه فينجوا من عذابه ويفوزوا برحمته. وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ أي ولله لا لغيره يسجد بمعنى يخضع وينقاد لما يريده الله تعالى من إحياء أو إماتة أو صحـة أومـرض أوخير أوغيره من دابـةٍ أي من كل ما يدب من كائن على هذه الأرض ﴿والمـلائكـة﴾[7]

---

(١) وقد تمّ لهم وذاقوا مُرّاً يوم بدر بقتل صناديدهم وأسرهم.

(٢) أي: بسابقين الله ولا فائتيه.

(٣) التخـوّف: مصدر لفعل تخوّف إذا خاف، ومصدر لتخوّف المتعدي الذي بمعنى تنقص، وهو لغة هذيل، فللآية معنيان. الأول: أن يكون المعنى: يأخذهم العذاب وهم في حالة توقع بنزول العذاب لوجود أماراته كالرعد والبرق مثلا. والثاني: أن يكون المعنى بأن يأخذهم وهم في حالة تنقص بأن يأخذ القرية فتخاف القرية الأخرى وهو واضح المعنى في التفسير.

(٤) ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير التخوّف: بأن يعاقب أو يتجاوز، ويشهد له الجملة التعليلية وهي ﴿فإنّ ربكم لرؤوف رحيم﴾ فهو لا يعاجل بالعقوبة.

(٥) أي: من أي جسم قائم له ظل كشجرة أو جبل ومعنى تفيء الظلال: ميلانه من جانب إلى جانب ومنه سمي الظلّ بالعشي فـيء: لأنه فاء من المشرق إلى المغرب أي: رجع، والفيء: الغنائم التي ترجع إلى المسلمين من الكافرين لأنّهم أحق بها فرجعت إليهم.

(٦) أي: خاضعون، والدخور: الصغار والذل يقال: دخر الرجل فهو داخر وأدخره الله. قال ذو الرمّة:

فلم يبق إلا داخر فى مخيّس ومنجحر فى غير أرضك في حجر

والشاهد في قوله داخر أي خاضع ذليل والمخيس بناء من مدر يسجن فيه

(٧) قيل: المراد بالملائكة: ملائكة الأرض، وخصّهم بالذكر وهم داخلون في عموم ما في السموات وما في الأرض لشرف منزلتهم عند ربّهم جلّ جلاله، والملائكة يطيرون ولا يَدِبّون، فلذا أخرجوا أيضا بالذكر.

على شرفهم يسجـدون ﴿وهم لا يستكبـرون﴾ عن عبـادة ربهم ﴿ويخافون ربهم من فوقهم﴾ إذ هو العلي الأعلى وكل الخلق تحته. ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ فلا يعصون ربهم ما أمـرهم. إذا كان هذا حال المـلائكـة فمـا بال هؤلاء المشركين يلجون في الفساد والاستكبار والجحود والمكابرة وهم أحقر سائر المخلوقات، وشر البريات إن بقوا على كفرهم وشركهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة الأمن من مكر الله.

٢ـ كل شيء ساجد لله، أي خاضع لما يريده منهم، إلا أن السجود الطوعي الاختياري هو الذي يثاب عليه العبد، أما الطاعة اللا إرادية فلا ثواب فيها ولا عقاب.

٣ـ فضل السجـود الطوعي الاخيتاري.

٤ـ مشروعية السجود عند هذه الآية: إذا قرأ القارىء أو المستمع: ﴿ويخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾، عليه أن يسجد ان كان متطهراً إلى القبلة إن أمكن ويسبح في السجود ويكبر في الخفض والرفع ولا يسلم، ولا يسجد عند طلوع الشمس ولا عند غروبها.

وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ[1]
ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾
لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ

(١) جائز أن يكون سكّان شرق الجزيرة من العرب قد انتقلت إليهم عقيدة المجوس المبنية على إله الخير وهو يزدان وإله الشر الذي هو أهرمُن وذلك لمجاورتهم لحكومة المجوس الممتدة إلى العراق، ويكون النهي في الآية موجها إليهم.

لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

شـرح الكلمـات :

لا تتخذوا إلهين : أي تعبدونهما إذ ليس لكم إلا إله واحد.

وله ما في السموات والأرض : أي خلقاً وملكاً، إذاً فما تعبدونه مع الله هو لله ولم يأذن بعبادته.

وله الدين واصباً : أي خالصاً دائماً واجباً.

فإليه تجأرون : أي ترفعون أصواتكم بدعائه طالبين الشفاء منه.

فتمتعوا فسوف تعلمون : تهديدٌ على كفرهم وشركهم ونسيانهم دعاء الله تعالى.

ويجعلون لما لايعلمون نصيباً : أي يجعلون لآلهتهم نصيباً من الحرث والأنعام.

عما كنتم تفترون : أي تختلقون بالكذب وتفترون على الله عز وجل.

معنى الآيـات :

بعد إقامة الحجج على التوحيد وبطلان الشرك أخبرهم أن الله ربهم رب كل شيء قد قال لهم: أيها الناس ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ فلفظ اثنين توكيد للفظ إلهين أي لا تعبدوا إلهين بل اعبدوا إلهاً واحداً وهو الله إذ ليس من إله إلا هو فكيف تتخذون إلهين والحال انه ﴿إله واحد﴾ لا غير وهو الله الخالق الرازق المالك، ومن عداه من مخلوقاته كيف تُسوَّى به وتُعبَد معه؟ وقوله تعالى: ﴿فإياي فارهبون﴾[1] أي ارهبوني وحدي ولا ترهبوا سواي إن بيدي كل شيء، وليس لغيري شيء فأنا المحيي المميت، الضار النافع، يوبخهم على رهبتهم غيره سبحانه وتعالى من لا يستحق أن يُرهب لعجزه وعدم قدرته على أن ينفع أو يضر. وقوله تعالى: ﴿وله ما في السموات والأرض﴾[2] برهان على بطلان رهبة غيره أو

---

(١) الرهبة: الخوف، فمعنى ﴿فارهبون﴾: خافوني ولا تخافوا سواي، وتقديم المفعول: ﴿فإيايَ﴾ مؤذن بحصر الرهبة في الله تعالى ونفيها عمَّن سواه.

(٢) في الآية تقرير وحدانية الله تعالى إذ ما في السموات له، وما في الأرض له فهو إذاً إله واحد وبطل التعدد الذي يراه المجوس.

الرغبة في سواه ما دام له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً. وقوله ﴿وله الدين واصباً﴾[1] أي العبادة والطاعة دائماً ثابتاً واجباً، ألا لله الدين الخالص. وقوله تعالى: ﴿أفغير الله تتقون﴾ يوبخهم على خوف سواه وهو الذي يجب أن يرهب ويخاف لأنه الملك الحق القادر على إعطاء النعم وسلبها، فكيف يُتقى من لا يملك ضراً ولا نفعاً ويُعصىٰ من بيده كل شيء وإليه مرد كل شيء، وما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن. وقوله: ﴿وما بكم من نعمةٍ فمن الله﴾[2] يخبرهم تعالى بالواقع الذي يتنكرون له فيخبرهم أنه ما بهم من نعمة جلت أو صغرت من صحةٍ أو مالٍ أو ولد فهي من الله تعالى خالقهم وواهبهم حياتهم، وليست من أحدٍ غيره، ودلل على ذلك شعورهم الفطري وهو أنهم إذا مسهم الضر من فقرٍ أو مرض أو تغير حال كخوف غرقٍ في البحر فإنهم يرفعون أصواتهم إلى أعلاها مستغيثين بالله سائلينه أن يكشف ضرهم أو ينجيهم من هلكتهم المتوقعة لهم فقال عز وجل: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه﴾ دون غيره ﴿تجأرون﴾ برفع أصواتكم بالدعاء والإستغاثة به سبحانه وتعالى وقوله: ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريقٌ﴾ كبير ﴿منكم بربهم يشركون﴾ فيعبدون غيره بأنواع العبادات متناسين الله الذى كشف ضرهم وأنجاهم من هلكتهم.

وقوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾[3] أي ليؤول أمرهم إلى كفران ونسيان ما آتاهم الله من نعمٍ وما أنجاهم من محن. أفهكذا يكون الجزاء؟ أينعم بكل أنواع النعم وينجي من كل كرب ثم ينسى له ذلك كله، ويعبد غيره؟ بل ويحارب دينه ورسوله؟ إذاً ﴿فتمتعوا﴾[4] أيها الكافرون ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة كفركم وإعراضكم عن طاعة الله وذكره وشكره. وقوله تعالى: ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم﴾ وهذا ذكرٌ لعيب آخر من عيوبهم وباطلٍ من باطلهم أنهم يجعلون لأوثانهم التى لا يعلمون عنها شيئاً من نفعٍ أو ضر أو اعطاء أو منع أو إماتة أو إحياء يجعلونها لها طاعةً للشيطان نصيباً وحظاً من أموالهم

(١) لفظ الدّين هنا: صالح لأن يكون الطاعة يقال: دان فلان للملك: أطاعه وصالح لأن يكون الجزاء كقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ وصالح لأن يكون الديانة والكل لله. لا شريك له، فالطاعة واجبة له والجزاء هو الذي يملكه والديانة هو شارعها فهي له دون سواه.

(٢) فيه إشارة إلى بطلان إله الخير الذي يدين له المجوس الذين يقولون الخير من إله الخير، والشر من إله الشر.

(٣) وجائز أن تكون اللام: لام كي التعليلية.

(٤) الأمر للتهديد.

يتقربون به إليها فسيبوا لها السوائب، وبحروا لها البحائر من الأنعام، وجعلوا لها من الحرث والغرس كذلك كما جاء ذلك في سورة الأنعام والمائدة قبلها: وقوله تعالى: ﴿تالله لتسئلن عما كنتم تفترون﴾[1] أقسم الجبار لهم تهديداً لهم وتوعداً أنهم سيسألون يوم القيامة عما كانوا يفترون أي من هذا التشريع الباطل حيث يحرمون ويحللون ويعطون آلهتهم ما شاءوا وسوف يوبخهم عليه ويجزيهم به جهنم وبئس المهاد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد بعبادة الله تعالى وحده. ٢ـوجوب الرهبة من الله دون سواه.

٣ـ وجوب الدين لله إذ هو الإله الحق دون غيره.

٤ـ كل نعمة بالعبد صغرت أو كبرت فهي من الله سبحانه وتعالى.

٥ـ تهديد المشركين إن أصروا على شركهم وعدم توبتهم.

٦ـ التنديد بالمشركين وتشريعهم الباطل بالتحليل والتحريم والإعطاء والمنع.

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ

﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ

﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ

أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن

يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ

سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ

---

(١) هذا سؤال توبيخ ويتم في عرصات القيامة أو في النار.

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

شـرح الكلـمات :

ويجعلون لله البنات : إذ قالوا الملائكة بنات الله

ولهم ما يشتهون : أي الذكور من الأولاد.

ظل وجهه مسوداً : أي متغيراً بالسواد لما عليه من كرب.

وهو كظيـم : أي ممتلىء بالـغم.

أم يدسه في التراب : أي يدفن تلك المولودة حية وهو الوأد

مثـل السوء : أي الصفة القبيحة.

ولله المثل الأعلى : أي الصفة العليا وهي لا إله إلا الله.

ان لهـم الحسنىٰ : أي الجنة إذ قال بعضهم ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنىٰ.

وأنهم مفرطون : أي مقدمون إلى جهنم متروكون فيها.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في بيان أخطاء المشـركين في اعتقـاداتهم وسلوكهم فقـال تعالى : ﴿ويجعلون[١] لله البنـات ـ سبحـانـه ـ ولهم ما يشتهـون[٢]﴾ وهذا من سوء أقوالهم وأقبح اعتقادهم حيث ينسبون إلى الله تعالى البنات، إذ قالوا الملائكة بنات الله في الوقت الذي يكرهون نسبة البنات إليهم، حتى إذا بشر أحدهم بأنثى بأن أُخبر بأنه ولدت له بنت ظل نهاره كاملاً في غم وكرب ﴿وجهه مسوداً وهو كظيم﴾[٣] ممتلىء بالغم والهم. ﴿يتوارى﴾ أي يستتر ويختفي عن أعين الناس خوفاً من المعرة، وذلك ﴿من سوء ما بشر به﴾ وهو البنت وهو في ذلك بين أمرين إزاء هذه المبشرية : إما أن يمسكه. أن يبقيه في بيته بين

---

(١) هذه الآية نزلت في خزاعة وكنانة إذ زعموا أنّ الملائكة بنات الله، وكانوا يقولون : ألحقوا البنات بالبنات.
(٢) (ما) موصولة، وهو وصلته مبتدأ في محل رفع، والخبر متعلّق الجار والمجرور أي : ثابت لهم.
(٣) الكظيم : مشتق من الكظامة وهو شدّ فم القربة، إذا الكظيم هو المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلّم من الغمّ.

أولاده ﴿على هون﴾ أي مذلة وهوان، وإما أن ﴿يدسه في التراب﴾[1] أي يدفنه حياً وهو الـوأد المعروف عندهم. قال تعالى منددأً بهذا الإجرام: ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ في حكمهم هذا من جهة نسبة البنات لله وتَبَرُّئهم منها، ومن جهة وأْد[2] البنات أو إذلالهن، قبح حكمهم الجاهلي هذا من حكم. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٧) وهي قوله: ﴿ويجعلون لله البنات﴾ حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ أي نزه تعالى نفسه عن الولد والصاحبة فلا ينبغي أن يكون له ولد ذكراً كان أو أنثى لأنه رب كل شيء ومليكه فما الحاجة إلى الولد إذاً؟ والآية الثانية (٥٨) وهي قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى[3] ظل وجهه مسوداً﴾ أي أقام النهار كله مسود الوجه من الغم ﴿وهو كظيم﴾ أي ممتلىء بالغم والهم، ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ أي من البنت ﴿أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ وقوله تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ يخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم منكروا البعث الآخر لهم المثل السوء[4] أي الصفة السوء وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم لأنهم لايعملون خيراً ولا يتركون شراً، لعدم إيمانهم بالحساب والجزاء فهؤلاء لهم الصفة السوأى في كل شيء، ﴿ولله المثل الأعلى﴾[5] أي الصفـة الحسنى وهـو أنه لا إله إلا الله منزه عن النقائص رب كل شيء ومالكه، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا شريك له ولا ند له ولا ولد وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ثناء على نفسه بأعظم وصف العزة والقهر والغلبة لكل شيء والحكمة العليا في تدبيره وتصريفه شؤون عباده، وحكمه وقضائه لا إله إلا هو ولا رب سواه. وقوله تعالى فى الآية (٦١) ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها﴾[6] أي على الأرض

(١) دسّها: إخفاؤها في التراب عن الناس حتى لا تعرف، وفي الحديث: (من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ له سترا من النار يوم القيامة).

(٢) كانت مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء، وأشدهم في هذا تميم زعموا خوف القهر عليهن وطمع غير الأكفاء فيهن وكان صعصع بن ناجية عمّ الفرزدق إذا أحسّ بشيء من ذلك وجّه إلى والد البنت إبلا يستحييها بذلك، قال الفرزدق يفتخر:

وعمّي الذي منع الوائدات　　فأحيى الوئيد فلم يوأد

(٣) تكرّر شرح هذه الآية في التفسير سهواً وهو غير ضار.

(٤) أي: صفة السوء من الجهل والكفر.

(٥) إن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه عزّ وجلّ وقد قال ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ فالجواب: إنّ قوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ معناه الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص أي: لا تضربوا له مثلا يقتضي نقصاً وتشبيها بالخلق والمثل الأعلى هو وصفه تعالى بما لا شبيه له ولا نظير.

(٦) قال ابن مسعود رضي الله عنه وقرأ هذه الآية: لو آخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان في جحرها، ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فماتت الدّواب ولكن الله يأخذ بالعفو والفضل كما قال ﴿ويعفو عن كثير﴾.

﴿من دابةٍ﴾ أي نسمة تدب على الأرض من إنسانٍ أو حيوان فهذه علة عدم مؤاخذة الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يفسدون ويجرمون وهذا الإهمال تابع لحكم عالية أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ أي وقت معين محدد قد يكون نهاية عمر كل أحد، وقد يكون نهاية الحياة كلها فإذا جاء ذلك الأجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون عنه أخرى ثم يجزيهم بأعمالهم السيئة بمثلها وما هو عز وجل بظلام للعبيد.

وآخر آية في هذا السياق (٦٢) تضمنت التنديد بسوء حال الذين لا يؤمنون بالآخرة وذلك أنهم لجهلهم بالله وقبح تصورهم لظلمه نفسوهم أنهم يجعلون لله تعالى ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء وسب الرسول وازدرائه، ومع هذا يتبجحون بالكذب بأن لهم الحسنى أي الجنة يوم القيامة. فرد تعالى على هذا الافتراء والهُراء السخيف بقوله: ﴿لا جرم﴾ أي حقاً وصدقاً ولا محالة ﴿أن لهم النار﴾ بدل الجنة ﴿وأنهم مفرطون﴾[1] إليها مقدمون متروكون فيها أبداً. هذا ما تضمنته الآية فى قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرّطون﴾[2] وإن قرئ مفرِطون باسم الفاعل فهم حقاً مفرِطون في الشر والفساد والكفر والضلال والانحطاط الى أبعد حد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان الحال الإجتماعية التي كان عليها المشركون وهي كراهيتهم للبنات خوف العار.

٢- بيان جهلهم بالرب تعالى فهم يؤمنون به ويجهلون صفاته حتى نسبوا اليه الولد والشريك.

٣- بيان العلة في ترك الظَّلَمة يتمادون زمناً في الظلم والشر والفساد.

٤- بيان سوء اعتقاد الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو أنهم ينسبون إلى نفوسهم الحسنى ويجعلون لله ما يكرهون من البنات والشركاء وسب الرسل وامتهانهم.

---

(١) أفرط يفرط: إذا تقدّم لطلب الماء فهو مفرط وهم مفرطون، وعليه فقوله تعالى: ﴿مُفرطون﴾ معناه يتقدّمون غيرهم إلى النار وهي قراءة ورش عن نافع وقرأ حفص مُفرَطون باسم المفعول ومعناه متروكون في النار منسيون فيها.

(٢) مفرِّطون: اسم فاعل من فرّط المضاعف إذا ضيّع الحقوق الواجبة عليه.

تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن
قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾
وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا
فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

تالله : أي والله.

أرسلنا إلى أمم من قبلك : أي رسلاً.

فزين لهم الشيطان أعمالهم : فكذبوا لذلك الرسل.

فهو وليهم اليوم : أي الشيطان هو وليهم اليوم أي في الدنيا.

إن في ذلك لآية : أي دلالة واضحة على صحة عقيدة البعث الآخر.

لآية لقومٍ يسمعون : أي سماع تدبر وتفهم.

لعبرةً : أي دلالة قوية يعبر بها من الجهل إلى العلم لأن العبرة من العبور.

من بين فرثٍ : أي ثفل الكِرْش، أي الرَّوْث الموجود في الكرش.

لبناً خالصاً : أي ليس فيه شيء من الفرث ولا الدم، لا لونه ولا رائحته ولا طعمه.

معنى الآيات :

يقسم الله تعالى بنفسه لرسوله فيقول بالله يا رسولنا ﴿لقد أرسلنا﴾ رسلاً ﴿إلى أمم من قبلك﴾ كانوا مشركين كافرين كأمتك ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ فقاوموا رسلنا

وحاربوهم وأصروا على الشرك والكفر فتولاهم الشيطان، لذلك ﴿فهو وليهم اليوم﴾[1] أي في الدنيا ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذابٌ أليم﴾، والسياق الكريم في تسلية رسول الله ﷺ ولذا قال تعالى في الآية الثانية: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي لإرهاقك وتعذيبك ولكن لأجل أن تبين للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والشرك والهدى والضلال. كما أنزلنا الكتاب هدىً يهتدي به المؤمنون إلى سبل سعادتهم ونجاحهم، ورحمةً تحصل لهم بالعمل به عقيدةً وعبادةً وخلقاً وأدباً وحكماً، فيعيشون متراحمين تسودهم الأخوة والمحبة وتغشاهم الرحمة والسلام.

بعد هذه التسلية لرسول الله ﷺ عاد السياق إلى الدعوة الى التوحيد وعقيدة البعث والجزاء بعد تقرير النبوة المحمدية بقوله: ﴿تالله لقد أرسلنا﴾ الآية فقال تعالى: ﴿والله أنزل من[2] السماء ماء فأحيا بها الأرض بعد موتها﴾ الماء هو ماء المطر وحياة الأرض بالنبات والزرع بعدما كانت ميتة لا نبات فيها وقوله ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها ﴿لآية﴾ واضحة الدلالة قاطعة على وجوده تعالى وقدرته، وعلمه ورحمته كما هو آية على البعث بعد الموت من باب أولى. وقوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام[3] لعبرةً[4]﴾ أي حالاً تعبرون بها من الجهل إلى العلم.. من الجهل بقدرة الله ورحمته ووجوب عبادته بذكره وشكره إلى العلم بذلك والمعرفة به فتؤمنوا وتوحدوا وتطيعوا. وبين وجه العبرة العظيمة فقال: ﴿نسقيكم مما في بطونه[5]﴾ أي بطون المذكور من الأنعام ﴿من[6] بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ فسبحان ذي القدرة العجيبة والعلم الواسع والحكمة التي لا يقادر قدرها.. اللبن يقع بين الفرث والدم،

---

(١) الشيطان الذي زيّن للذين كفروا أعمالهم حتى ضلّوا وهلكوا هو وليّ الذين كفروا اليوم يزيّن لهم أعمالهم ليضلّهم فيهلكوا كما هلك من قبلهم، وفي الآية تسلية للرسول ﷺ.

(٢) كون المسند فعلاً وهو: أنزل من السماء ماء أفاد التخصيص أي: الله وحده الذي أنزل من السماء ماء والمراد من السماء: السحاب.

(٣) هناك مناسبة ظاهرة بين الآيتين وهي: كما أنّ الأرض تحيى بماء السماء كذلك الإنسان يحيى بالألبان.

(٤) اسم جمع لكل جماعة من أحد أصناف الإبل والبقر والضأن والمعز والعبر: ما يتعظ به ويعتبر.

(٥) البطون: جمع بطن وهو اسم للجوف الحاوية للجهاز الهضمي كلّه من معدة وكبد وأمعاء.

(٦) ﴿من﴾ زائدة لتوكيد التوسط أي: يفرز في حالة بين حالتي الفرث والدم وموقع: ﴿من بين فرث ودم﴾ موقع الصفة والموصوف: لبناً وقدّمت للاهتمام بها.

فينتقل الدم إلى الكبد فتوزعه على العروق لبقاء حياة الحيوان، واللبن يساق إلى الضرع، والفرث يبقى أسفل الكرش، ويخرج اللبن خالصاً من شائبة الدم وشائبة الفرث فلا يرى ذلك في لون اللبن ولايشم في رائحته ولا يوجد في طعمه بدليل أنه سائغ للشاربين، فلا يغص به شارب ولا يشرق به، حقاً! انها عبرة من أجل العبر تنقل صاحبها إلى نور العلم والمعرفة بالله في جلاله وكماله، فتورثه محبة الله وتدفعه إلى طاعته والتقرب إليه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان ان الله يقسم بنفسه وبما شاء من[1] خلقه.

٢ـ بيان أن الله أرسل رسلاً إلى أمم سبقت وأن الشيطان زين لها أعمالها فخذلها.

٣ـ تقرير النبوة وتسلية رسول الله ﷺ من جراء ما يلقاه من المشركين.

٤ـ بيان مهمة رسول الله وأنها بيان ما أنزل الله تعالى لعباده من وحيه في كتابه.

٥ـ بيان كون القرآن الكريم هدىً ورحمة للمؤمنين الذين يعملون به.

٦ـ دليل البعث والحياة الثانية احياء الأرض بعد موتها فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات بعد فنائهم وبلاهم.

وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

(١) نحو: ﴿والفجر﴾، ﴿والتين﴾ وما إلى ذلك إلاّ أنّ بعض أهل العلم كمالك يرون أنّ المقسم به محذوف تقديره: وربّ الفجر، وربّ التين وهكذا.

شـرح الكـلمات :

ومن ثمرات النخيل والأعناب : أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمرٌ تتخذون منـه سكراً[1] أي خمرا ورزقـاً حسناً أي والتمر والزبيب والخل والدبس الرزق الحسن

وأوحى ربك الى النحل : أي ألهمها أن تفعل ما تفعله بإلهام منه تعالى .

ومما يعرشـون : أي يبنـون لها .

سبل ربك ذللاً : أي طرق ربك مذللةً فلا يعسر عليك السير فيها ولا تضلين عنها .

شـــراب : أي عســـل .

فيه شفاء للناس : أي من الأمـراض إن شرب بنية الشفاء ، أو بضميمته الى عقار آخـر .

إلى أرذل العمر : أي أخَسِّه من الهرم والخرف ، والخرف فساد العقل .

معنى الآيـات :

مازال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لعبادته وحده والمقررة لعقيدة النبوة والبعث الآخر. قال تعالى في معرض بيان ذلك بأسلوب الامتنان المقتضي للشكـر ﴿ومن ثمـرات النخيل والأعنـاب تتخـذون منـه سكـراً﴾ ورزقـاً حسنـاً أي ومن بعض ثمـرات النخيل والأعنـاب ثمـرٌ تتخـذون منـه سكـراً أي شرابـاً مسكـراً. وهذا كان قبل تحريم[2] الخمر ﴿ورزقاً حسناً﴾ وهو الزبيب والخل من العنب والتمر والدبس العسل من النـخْـل وقوله ﴿ان في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ أي أن فيما ذكرنا لكم لآية أي دلالـة واضحـة على قدرتنـا وعلمنـا ورحمتنـا لقومٍ يعقلون الأمور ويدركون نتائج المقـدمـات، فذو القـدرة والعلم والرحمة هو الذي يستحق التأليه والعبادة. . وقوله : ﴿وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ هذا مظهر آخر عظيم من مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته يتجلى بإعلامه حشرة

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن، ما أحل من ثمرتيهما، وليست الخمر مقصورة على العنب والتمر فقد خطب عمر وقال: أيّها الناس إنّ الله قد حرّم الخمر وهي من خمسة، من العنب والعسل والتمر والحنطة والشعير. والإجماع على أنّ كل مسكر حرام.

(٢) إن قيل: هذا خبر، والنسخ لا يكون في الأخبار؟ فالجواب: إن تضمّن الخبر حكماً شرعياً جاز نسخه، ومن أدلة ذلك هذا الخبر ونسخه.

النحل كيف تلد العسل وتقدمه للإنسان فيه دواء من كل داء. فقوله ﴿وأوحى ربك﴾ أيها الرسول ﴿إلى النحل[١]﴾ بأن ألهمها ﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر﴾ أيضاً بيوتاً، ﴿ومما يعرشون[٢]﴾ أي ومما يعرش الناس لَكِ أي يبنون لَكِ، اتخذي من ذلك بيوتاً لَكِ إذ النحلة تتخذ لها بيتاً داخل العريش الذي يعرش لها تبنيه بما تفرزه من الشمع وقوله تعالى: ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ أي ألهمها أن تأكل من كل ما تحصل عليه من الثمرات من الأشجار والنباتات أي من أزهارها ونوارها وقوله لها﴿ فاسلكي سبل ربك ذللاً[٣]﴾ بإلهام منه تسلك ما سخر لها وذلك من الطرق فتنتقل من مكان إلى آخر تطلب غذاءها ثم تعود الى بيوتها لا تعجز ولا تضل وذلك بتذليل الله تعالى وتسخيره لها تلك الطرق فلا تجد فيها وعورة ولاتنساها فتخطئها. وقوله تعالى ﴿يخرج من[٤] بطونها﴾ أي بطون النحل ﴿شراب﴾ أي عسل يشرب ﴿مختلف[٥] ألوانه﴾ ما بين أبيض وأحمر وأسود، أو أبيض مشرب بحمرة أو يضرب إلى صفرة. وقوله تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾ أي من الأدواء، هذا التذكير في قوله شفاء دال على بعض دون بعض جائز هذا حتى يضم إليه بعض الأدوية أو العقاقير الأخرى، إما مع النية أي أن يشرب بنية الشفاء من المؤمن فإنه شفاء لكل داء وبدون ضميمة أي شيء آخر له. وفي حديث الصحيح وخلاصته أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ استطلاق بطن أخيه أي مشْي بطنه عليه فقال له اسقه العسل، فسقاه فعاد فقال ما أراه زاده الا استطلاقا فعاد فقال مثل ما قال أولاً ثلاث مرات وفي الرابعة أو الثالثة قال له رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه العسل فسقاه فقام كأنما نشط من عقال. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من إلهام الله تعالى للنحل وتعليمها كيف تصنع العسل ليخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس لدلالة واضحة على

---

(١) قيل: سمي النحل نحلا: لأنّ الله تعالى نحله العسل الذي خرج منه.

(٢) بيوت النحل في ثلاثة، في الجبال وكواها، ومتجوّف الأشجار، وما يعرش لها من الأجباح والخلايا والحيطان، وعرش يعرش: إذا بنى عريشا من الأغصان والخشب، ومن عجيب ما ألهم الله النحل أنّه يجعل بيوته مسدسة الشكل.

(٣) اللّفظ صالح لأن يكون لفظ ذللا المراد به النحلة نفسها وذلل جمع ذلول وهي المنقادة المطيعة المسخرة، وصالح أن يكون المراد به الطرق التي تسلكها النحلة كما في التفسير.

(٤) روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا: أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه فيها رجيع نحلة.

(٥) بحسب تنويع الغذاء كما أنّ الطعم يختلف باختلاف المراعي ومن هذا المعنى قول زينب رضي الله عنها جرست نحله العرفط حين شبهت رائحته برائحة المغافير والعرفط شجر الطلح له صمغ كريه الرائحة.

علم الله وقـدرته ورحمته وحكمته المقتضية عبادته وحده وتأليهه دون سواه ولكن لقوم يتفكرون في الأشياء وتكوينها وأسبابها ونتائجها فيهتدون إلى المطلوب منهم وهو أن يذكروا فيتعظوا فيتوبوا إلى خالقهم ويسلموا له بعبادته وحده دون سواه وقوله تعالى في الآية الأخرى (٧٠) ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علمٍ شيئاً﴾ هذه آية أخرى أجل وأعظم في الدلالة على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته، وهي موجبة لعبادته وحده وملزمة بالإيمان بالبعث الآخر فخلق الله تعالى لنا وحده وهو واحد ونحن لا يحصى لنا عد، ثم إماتته لنا موتاً حقيقياً بقبض أرواحنا ولا يستطيع أحد أن لا يموت ولا يتوفى أبداً ثم من مظاهر الحكمة أن يتوفانا من أجالٍ مختلفة اقتضتها الحكمة لبقاء النوع واستمرار الحياة إلى نهايتها. فمن الناس من يموت طفلاً ومنهم من يموت شاباً، وكلها حسب حكمة الابتلاء والتربية الإلهية، وآية أخرى ان منا من يرد إلى أرذل عمره، أي أرداه وأخسّه فيهرم ويخرف فيفقد ما كان له من قوة بدنٍ وعقل ولا يستطيع أحد أن يخلصه من ذلك إلا الله، مظهر قدرة ورحمة أرأيتم لو شاء الله أن يرد الناس كلهم إلى أرذل العمر ولو في قرنٍ أو قرنين من السنين فكيف تصبح حياة الناس يومئذٍ؟ وقوله: ﴿إن الله عليم قدير﴾ تقرير لعلمه وقدرته، إذ ما نتج وما كان ما ذكره من خلقنا ووفاتنا ورد بعضنا الى أرذل العمر إلا بقدرة قادر وعلم عالم وهو الله العليم القدير.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١- بيان منة الله تعالى على العباد بذكر بعض أرزاقهم لهم ليشكروا الله على نعمه.

٢- بيان آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته في خلق شراب الإنسان وغذائه ودوائه.

٣- فضيلة العقل والتعقل والفكر والتفكر.

٤- تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر الدال عليه القدرة والعلم الإلهيين، إذ من خلق وأماتَ لا يُستنكر منه أن يخلق مرة أخرى ولا يميت.

وَٱللَّهُ

فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي

رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞

شرح الكلمات :

فضل بعضكم على بعض في الرزق : أي فمنكم الغني ومنكم الفقير، ومنكم المالك ومنكم المملوك.

برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم : أي بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين مماليكهم من العبيد.

والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا : إذ حواء خلقت من آدم وسائر النساء من نطف الرجال.

وحفدة : أي خدماً من زوجه وولد وولد ولد وخادم وختن.

أفبالباطل يؤمنون : أي بعبادة الأصنام يؤمنون.

رزقاً من السموات والأرض : أي بإنزال المطر من السماء، وإنبات النبات من الأرض.

معنى الآيات :

مازال السياق العظيم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد. فقوله تعالى: ﴿والله فضل

بعضكم على بعض[1] في الرزق﴾ فمنكم من أغناه ومنكم من أفقره أيها الناس،[2] وقد يكون لأحدكم أيها الأغنياء عبيد مملوكين لـه، لم لا يرضى أن يشرك عبيده في أمواله حتى يكونوا فيها سواء لا فضل لأحدهما على الآخر؟ والجواب أنكم تقولون في استنكار عجيب كيف أُسوِّي مملوكي في رزقي فأصبح وإياه سواء؟ هذا لا يعقل أبداً! إذاً كيف جوزتم إشراك آلهتكم في عبادة ربكم وهي مملوكة لـه تعالى إذ هو خالقها وخالقكم ومالك جميعكم؟ فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون؟ وقوله تعالى ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾؟ حقاً إنهم جحدوا نعمة العقل أولاً فلم يعترفوا بها فلذا لم يفكروا بعقولهم، ثم جحدوا نعمة الله عليهم في خلقهم ورزقهم فلم يعبدوه بذكره وشكره وعبدوا غيره من أصنام وأوثان لا تملك ولا تضر ولا تنفع. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧١) أما الآية الثانية فيقول تعالى فيها مقرراً إنعامه تعالى على المشركين بعد توبيخهم على إهمال عقولهم في الآية الأولى وكفرهم بنعم ربهم فيقول: ﴿والله﴾ أي وحده ﴿جعل لكم من[3] أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾ أي جعل لكم من أنفسكم أزواجاً[4] أي بشريَّات من جنسكم تسكنون إليهنَّ وتتفاهمون معهن وتتعاونون بحكم الجنسية الآدمية وهي نعمة عظمى، وجعل لكم من أولئك الأزواج بنين بطريق التناسل والولادة وحفدة أيضاً والمراد من الحفدة كل من يحفد أي يسرع في خدمتك وقضاء حاجتك من زوجتك وولدك وولد ولدك وختنك أي صهرك، وخادمك إذ الكل يحفدون لك أي يسارعون في خدمتك بتسخير الله تعالى لك، وثالثاً ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ أي حلال الطعام والشراب على اختلافه وتنوع مذاقه وطعمه ولذته. هذا هو الله الذي تُدعوْن إلى عبادته وحده فتكفرون فأصبحتم بذلك تؤمنون بالباطل وهي الأصنام

(١) هذا استدلال على قدرة الله وتدبيره وقهره لعباده إذ فضّل بعضهم على بعض في الرزق تفضيلا عجيباً هذا غني، وهذا فقير، هذا موسر، وهذا معسر فقد يفتقر الذكي القوي ويستغني البليد الضعيف كما قيل:

ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللّبيب وطيب عيش الأحمق

والآية متضمنة مثلا ضربه لعبادة الأصنام، ونظير هذه المَثل في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم..﴾ الخ.

(٢) يريد أنّ أغنياءهم لا يشاطرون عبيدهم رزقهم فيستووا فيه فكيف يرضون لله مالا يرضونه لأنفسهم كما في قوله: ﴿ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون﴾ أي: البنون.

(٣) أي: من نوعكم، ومِنْ للابتداء ومِنْ في قوله تعالى: ﴿وجعل لكم من أزواجكم﴾ للتبعيض.

(٤) الأزواج: جمع زوج وهو ما يُكوِّن مع آخر اثنين.

وعبادتها، وتكفرون بالمنعم ونعمه ولذا استحقوا التوبيخ والتقريع فقال تعالى: ﴿أفبالباطل[1] يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾؟ إذ عدم عبادتهم للمنعم عز وجل هو عين كفرانهم بنعمة الله تعالى. وقوله ﴿ويعبدون من دون الله﴾ أي أصناماً لا تملك لهم ﴿رزقاً من السماء﴾ بإنزال المطر، ﴿والأرض﴾ بإنبات الزروع والثمار شيئاً ولو قَلَّ ولا يستطيعون شيئاً من ذلك لعجزهم القائم بهم لأنهم تماثيل منحوتة من حجر أو خشب وفي هذا من التنبيه لهم على خطأهم مالا يقادر قدره. وقوله تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال[2] إن الله[3] يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ أي ينهاهم تعالى عن ضرب الأمثال لله باتخاذ الأصنام آلهة بإطلاق لفظ إله عليها، والله لا مثل له، وباعتقاد أنها شافعة لهم عند الله وأنها تقربهم إليه تعالى، وأنها واسطة بمثابة الوزير للأمير إلى غير ذلك، فنهاهم عن ضرب هذه الأمثال لله تعالى لأنه عز وجل يعلم أنه لا مثل له ولا مثال، بل هو الله الذي لا إله إلا هو تعالى عن الشبيه والمثيل والنظير، وهم لا يعلمون فلذا هم متحيرون متخبطون في ظلمات الشرك وأودية الضلال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ قطع دابر الشرك في المثل الذي حوته الآية الأولى: ﴿والله فضل بعضكم على بعضٍ في الرزق﴾.

٢ـ وجوب شكر الله تعالى على نعمه وذلك بذكره وشكره وإخلاص ذلك له.

٣ـ قبح كفر النعم وتجاهل المنعم بترك شكره عليها.

٤ـ التنديد بمن يضربون لله الأمثال وهم لا يعلمون باتخاذ وسائط له تشبيهاً لله تعالى بعباده فهم يتوسطون بالأولياء والأنبياء بدعائهم والاستغاثة بهم بوصفهم مقربين إلى الله تعالى يستجيب لهم، ولا يستجيب لغيرهم.

---

(١) الباطل: ضد الحق لأنّ مالا يخلق لايعبد، فإن عُبد فقد عبد بالباطل، والجملة تحمل توبيخاً كبيراً للمشركين.

(٢) الأمثال: جمع مثل بفتحتين بمعنى المماثِل كشبه بمعنى مشابه، ومعنى. ضربهم الأمثال لله تعالى: هو أنهم أثبتوا للأصنام صفات الإلهية وشبّهوها بالخالق عزّ وجلّ حيث عبدوها بالنذر لها وبالذبح والدعاء والإقسام بها والعكوف حولها.

(٣) جملة: ﴿إنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ تعليلية لنهيهم عن ضرب الأمثال لله تعالى. فنهيه تعالى لهم عن ضرب الأمثال لعلمه عزّ وجلّ أنه لا مثل له، وأنّ ما يضربونه له باطل، وهو تعالى منزّه عنه.

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا
مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ
أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن
يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ
أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ
أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

ضرب الله مثلاً : أي هو عبداً مملوكاً الخ . .

عبداً مملوكاً : أي ليس بحُرٍ بل هو عبد مملوك لغيره .

هل يستوون : أي العبيد العجزة والحُر المتصرف ، والجواب : لا يستوون قطعاً .

وضرب الله مثلاً : أي هو رجلين الخ . .

أبكم : أي ولد أخرس وأصم لا يسمع .

لا يقدر على شيء : أي لا يَفهِمْ ولا يُفهِمْ غيره .

ولله غيب السموات والأرض : أي ما غاب فيهما .

وما أمر الساعة : أي أمر قيامها ، وذلك بإماتة الأحياء وإحيائهم مع من مات قبل وتبديل صور الأكوان كلها .

الأفــئدة : أي القلوب.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير التوحيد والدعوة إليه وإبطال الشرك والتنفير منه وقد تقدم أن الله تعالى جهل المشركين في ضرب الأمثال له وهو لا مثل له ولا نظير، وفي هذا السياق ضرب تعــالى مثلين وهـو العليم الخبير. فالأول قال فيه: ﴿ضـرب الله مثـلاً عبـداً مملكوكاً﴾ أي غير حر من أحرار الناس، ﴿لا يقدر على شيء﴾ إذ هو مملوك لاحق له في التصرف في مال سيده إلا بإذنه[1]، فلذا فهو لا يقدر على إعطاء أو منع شيء، هذا طرف المثل، والثاني ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ صالحاً واسعاً ﴿فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ ليلاً ونهاراً لأنه حر التصرف بوصفه مالكاً ﴿هل يستوون[2]﴾؟ الجواب لا يستويان.. إذاً ﴿الحمـد لله بل أكثـرهم[3] لا يعلمون﴾ والمثل مضروب للمؤمن والكافر، فالكافر أسير للأصنام عبدٌ لها لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، لا يعمل في سبيل الله ولا ينفق لأنه لا يؤمن بالدار الآخرة، والجزاء فيها، وأما المؤمن فهو حرٌ يعمل بطاعة الله فينفق في سبيل الله سراً وجهراً يبتغي الآخرة والمثوبة من الله، ذا علمٍ وإرادة، لا يخاف إلا الله ولا يرجو الا هو سبحانه وتعالى. وقوله: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين﴾ هو المثال الثاني في هذا السياق وقـد حوته الآية الثانية (٧٦) فقال تعالى فيه ﴿وضرب الله مثلاً[4]﴾ هو ﴿رجلين أحدهما أبكم﴾ ولفظ الأبكم قد يدل على الصمم فالغالب أن الأبكم لا يسمع ﴿لا يقدر على شيء﴾ فلا يَفهم غيره لأنه أصم ولا يُفهم غيره لأنه أبكم، ﴿وهو كلٌّ على[5] مولاه﴾ أي ابن عمـه أو من يتولاه من أقربائه يقومون بإعاشته ورعايته لعجزه وضعفه وعدم قدرته على شيء. وقوله: ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ أي أينما يوجهه مولاه وابن عمه ليأتي بشيء

---

(١) هذه الآية منزع الفقهاء في ملكية العبد وعدمها، فذهب مالك إلى أنّ العبد يملك بإذن سيده، وهو ناقص الملك، وقال أبو حنيفة والشافعي في الجديد: العبد لا يملك شيئا، وقالوا: الرّق ينافي الملك، وقول الرسول ﷺ: (من أعتق عبداً وله مال) شاهد لمن قال يملك ملكاً ناقصا.

(٢) لم يقل يستويان لأنّ مَنْ صالحة للواحد والجماعة.

(٣) لا يعلمون أن الله هو المستحق للحمد دون آلهتهم لأنّ الله تعالى هو المنعم بالخلق والرزق، والأصنام لا تخلق ولا ترزق فلذا الحمد له وحده.

(٤) هذا مثل آخر ضربه تعالى لنفسه وللمؤمن. قاله قتادة وغيره.

(٥) أي: ثقل على وليّه وقرابته ووبال على صاحبه وابن عمّه.

لا يأتي بخير، وقد يأتي بشر، أم النفع والخير فلا يحصل منه شيء.

وهذا مثل الأصنام التي تعبد من دون الله إذ هي لا تسمع ولا تبصر فلا تفهم ما يقال لها، ولا تُفهم عابديها شيئاً وهي محتاجة إليهم في صُنْعِها ووضعها وحملها وحمايتها. وقوله تعالى ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم﴾ وهو الله تعالى يأمر بالعدل أي بالتوحيد والاستقامة في كل شيء، وهو قائم على كل شيء، وهو على صراطٍ مستقيم يدعو الناس إلى سلوكه لينجوا ويسعدوا في الدارين، فالجواب، لا يستويان بحال، فكيف يرضى المشركون بعبادة وولاية الأبكم الذي لا يقدر على شيء ويتركون عبادة السميع البصير، القوي، القدير، الذي يدعوهم إلى كمالهم وسعادتهم في كلتا حياتهم، أمر يحمل على العجب، ولكن لا عجب مع أقدار الله وتدابير الحكيم العليم.

وقوله تعالى في الآية (٧٧) ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾[١] وحده يعلم ما غاب عنا فيهما فهو يعلم من كُتبت له السعادة ومن حُكم عليه بالشقاوة، ومن يهتدي ومن لا يهتدي، والجزاء آتٍ بإتيان الساعة ﴿وما أمر الساعة﴾[٢] أي إتيانها ﴿إلا كلمح[٣] البصر أو هو أقرب﴾[٤] إذ لا يتوقف أمرها الا على كلمة ﴿كن﴾ فقط فتنتهي هذه الحياة بكل ما فيها، وتأتي الحياة الأخرى وقد تبدلت صور الأشياء كلها ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ومن ذلك قيام القيامة، ومجيء الساعة. وقوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون[٥] أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾[٦] حقيقة لا تُنكر، الله الذى أخرجنا من بطون أمهاتنا بعد أن صورنا في الأرحام ونمانا حتى صرنا بشراً ثم أذن بإخراجنا، فأخرجنا، وخرجنا لا نعلم شيئاً قط، هذه آية القدرة الإلهية والعلم الإلهي والتدبير الإلهي، فهل للأصنام شيء من ذلك، والجواب لا،لا وثانياً جعل الله تعالى لنا الأسماع والأبصار والأفئدة نعمة أخرى، إذ لو لا ذلك ما سمعنا ولا أبصرنا ولا عقلنا وما قيمة حياتنا يومئذٍ، إذْ العدم خيرٌ منها. وقوله:

(١) ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾: اللام لام الملك، والغيب مصدر بمعنى اسم الفاعل أي: الأشياء الغائبة، والغيب: ما غاب عن أعين الناس.

(٢) الساعة: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق بصيحة.

(٣) اللّمح: النظر بسرعة يقال لمحه لمحاً ولمحاناً.

(٤) ليس (أو) للشك وإنما هي بمعنى بل الانتقالية من شيء إلى آخر كقوله ﴿فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ أي: بل يزيدون.

(٥) البطون: جمع بطن وهو ما بين ضلوع الصدر إلى العانة، وفيه الأمعاء والمعدة والكبد والرحم.

(٦) الشكر: الاعتراف بالنعمة لله وحمده عليها وصرفها فيما يرضيه تعالىٰ.

﴿لعلكم تشكرون﴾ كشف كامل عن سر هذه النعمة وهي أنه جعلنا نسمع ونبصر ونعقل ليكلفنا فيأمرنا وينهانا فنطيعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وذلك شكره منا مع ما في ذلك الشكر من خير. . إنه إعداد للسعادة في الدارين. فهل من متذكر يا عباد الله؟!

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ استحسان ضرب الأمثال وهو تشبيه حال بحال على أن يكون ضارب المثل عالماً.

٢ـ بيان مثل المؤمن في كماله والكافر في نقصانه.

٣ـ بيان مثل الأصنام في جمودها وتعب عَبَدتِها عليها في الحماية وعدم انتفاعهم بها. ومثل الرب تبارك وتعالى في عدله، ودعوته إلى الإسلام وقيامه على ذلك مع استجابة دعاء أوليائه، ورعايتهم، وعلمه بهم وسمعه لدعائهم ونصرتهم في حياتهم وإكرامهم والإنعام عليهم في كلتا حياتهم. ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ
الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ
مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ
الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ

ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

مسخراتٍ في جو السماء : أي مذللات في الفضاء بين السماء والأرض وهو الهواء.

ما يمسكهن : أي عند قبض أجنحتها وبسطها إلا الله تعالى بقدرته وسننه في خلقه.

من بيوتكم سكناً : أي مكاناً تسكنون فيه وتخلدون للراحة.

من جلود الأنعام بيوتاً : أي خياماً وقباباً.

يوم ظعنكم : أي ارتحالكم في أسفاركم.

أثاثاً ومتاعاً إلي حين : كبُسط وأكسية تبلى وتتمزق وتُرمى.

ظلالاً ومن الجبال أكناناً : أي ما تستظلون به من حر الشمس، وما تسكنون به في غيران الجبال.

وسرابيل : أي قمصاناً تقيكم الحر والبرد.

وسرابيل تقيكم بأسكم : أي دروعاً تقيكم الضرب والطعان في الحرب.

لعلكم تسلمون : أي رجاء أن تسلموا له قلوبكم ووجوهكم فتعبدوه وحده.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد والدعوة إليه وإبطال الشرك وتركه فيقول تعالى : ﴿ألم[1] يروا إلى الطير مسخرات[2] في جو السماء ما يمسكهن[3] إلا الله﴾ فإن في خلق الطير على اختلاف أنواعه وكثرة أفراده، وفي طيرانه في جو[4] السماء، أي في الهواء وكيف يقبض جناحيه وكيف يبسطها ولا يقع على الأرض فمن يمسكه غير الله بما شاء من تدبيره في خلقه وأكوانه إن في ذلك المذكور لآياتٍ عدة تدل على الخالق وقدرته وعلمه وتوجب معرفته

---

(١) قرىء بالتاء: ﴿ألم تروا﴾ وقرىء بالياء وهي قراءة الأكثر.

(٢) ﴿مسخرات﴾: أي: مذللات لأمر الله تعالى، ومذللات لمنافعكم أيضاً.

(٣) ﴿ما يمسكهن﴾ أي: في حال القبض والبسط والاصطفاف إلا الله عزّ وجلّ.

(٤) ﴿جو السماء﴾ هو الفضاء الذي بين السماء والأرض، وإضافته إلى السماء لأنه يبدو متصلا بالقبة الزرقاء فيما يخال الناظر.

والتقرب إليه وطاعته بعبادته وحده، كما تدل على بطلان تأليه غيره وعبادة سواه، وكون الآيات لقوم يؤمنون هو باعتبار أنهم أحياء القلوب يدركون ويفهمون بخلاف الكافرين فإنهم أموات القلوب فلا إدراك ولا فهم لهم، فلم يكن لهم في ذلك آية.. وقوله: ﴿والله جعل[1] لكم من بيوتكم سكناً﴾ أي موضع سكونٍ وراحة، ﴿وجعل لكم من[2] جلود الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿بيوتاً﴾ أي خياماً وقباباً ﴿تستخفونها﴾ أي تجدونها خفيفة المحمل ﴿يوم ظعنكم﴾ أي ارتحالكم في أسفاركم وتنقلاتكم ﴿ويوم إقامتكم﴾ في مكان واحد كذلك. وقوله: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ أي جعل لكم منه ﴿أثاثاً﴾ كالبسط والفرش والأكسية(متاعاً) أي تتمتعون بهاإلى حين بلاها وتمزقها[3] وقوله: ﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ من أشياء كثيرة ﴿ظلالاً﴾ تستظلون بها من حر الشمس ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً[4]﴾ تكنون فيها أنفسكم من المطر والبرد أو الحر وهي غيران وشروب في الجبال ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ قمصان ﴿تقيكم الحر﴾ والبرد ﴿وسرابيل﴾ هي الدروع ﴿تقيكم بأسكم﴾ في الحرب تتقون بها ضرب السيوف وطعن الرماح. أليس الذي جعل لكم هذه كلها أحق بعبادتكم وطاعتكم، وهكذا ﴿يتم نعمته عليكم﴾ فبعث إليكم رسوله وأنزل عليكم كتابه لِيُعِدَّكم للإسلام فتسلموا. وهنا وبعد هذا البيان الواضح والتذكير البليغ يقول لرسوله ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عما ذكرتهم به فلا تحزن ولا تأسف إذ ليس عليك هداهم ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ وقد بلغت وبينت. فلا عليك بعد شيء من التبعة والمسؤولية. وقوله: ﴿يعرفون نعمت الله﴾ أي نعمة الله عليهم كما ذكّرناهم بها ﴿ثم ينكرونها﴾ فيعبدون غير المُنعم بها ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ أي الجاحدون المكذبون بنبوتك ورسالتك والإسلام الذي جئت به.

---

(١) ﴿جعل﴾: بمعنى أوجد وهذا شروع في تعداد النعم التي أنعم بها الخالق عزّ وجلّ على العباد، والسكن: مصدر والمنة في كونه تعالى جعل الإنسان يسكن ويتحرّك ولو شاء لجعله متحرّكا دائما كالأفلاك في السماء أو جعله كالأرض ساكناً أبداً.

(٢) بعد أن ذكر تعالى السكن في الدور ذكر السكن في البيوت المتنقلة وهي الخيام والقباب.

(٣) في الآية دليل على حليّة جلود الميتة ولكن بعد دبغها لحديث: (أيّما إهاب دبغ فقد طهر).

(٤) الأكنان: جمع كن وهو: ما يكن عن الحرّ والريح والبرد وهو الغار في الجبل.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ لا ينتفع بالآيات إلا المؤمنون لحياة قلوبهم، أما الكافرون فهم في ظلمة الكفر لا يرون شيئاً من الآيات ولا يبصرون.

٢ـ مظاهـر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته ونعمه تتجلى في هذه الآيات الأربع ومن العجب أن المشركين كالكافرين عمي لا يبصرون شيئاً منها وأكثرهم الكافرون.

٣ـ مهمة الرسول ﷺ ليست هداية القلوب وانما هي بيان الطريق بالبلاغ المبين.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ
قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ
فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟
إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

ويوم نبعث : أي اذكر يوم نبعث.

شهيداً : هو نبيها.

لا يؤذن للذين كفروا : أي بالاعتذار فيتعذرون.

ولا هم يستعتبون : أي لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى اعتقاد وقول وعمل ما يرضي الله عنهم.

وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم : أي الذين كانوا يعبدونهم من دون الله كالأصنام والشياطين.

فألقوا إليهم القول : أي ردوا عليهم قائلين لهم إنكم لكاذبون.

وألقوا الى الله يومئذٍ السلم : أي ذلوا له وخضعوا لحكمه واستسلموا.

وضل عنهم ما كانوا يفترون : من أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وتنجيهم من عذابه، ومعنى ضل غاب.

عذاباً فوق العذاب : أنه عقارب وحيات كالنُّخل الطوال والبغال الموكفة.

ونزلنا عليك الكتاب : أي القرآن.

تبياناً لكل شيء : أي لكل ما بالأمة من حاجة إليه في معرفة الحلال والحرام والحق والباطل والثواب والعقاب.

معنى الآيات :

انحصر السياق الكريم في هذه الآيات الست في تقرير البعث والجزاء مع النبوة فقوله تعالى: ﴿يوم نبعث﴾[1] أي اذكر يا رسولنا محمد يوم نبعث ﴿من كل أمة﴾ من الأمم ﴿شهيداً﴾ هو نبيها الذي نبىء فيها وأرسل إليها ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ أي بالاعتذار فيعتذرون ﴿ولا هم يستعتبون﴾[2] أي لا يطلب منهم العتبى[3] أي الرجوع الى اعتقاد وقول وعمل يرضي الله عنهم أي اذكر هذا لقومك، علهم يذكرون فيتعظون، فيتوبون، فينجون

---

(١) نظير هذه الآية آية النساء: ﴿فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد..﴾ الآية.

(٢) أي: لا يكلّفون أن يرضوا ربهم لأنّ الآخرة ليست دار تكليف ولا يمكنون من الرجوع إلى الدنيا فيتوبون.

(٣) العتبى: الرضا، والفعل: عتب يعتب عليه إذا وجد عليه في نفسه وأعتبه: إذا أزال الموجدة ورجع إلى مسرّته وفي الحديث: (لك العتبى حتى ترضى) والعتبى: رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب وهو المراد في الحديث.

ويسعدون. وقوله في الآية الثانية (٨٥) ﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ أي يوم القيامة[1] ﴿فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون﴾ أي يمهلون. اذكر هذا أيضاً تذكيراً وتعليماً، واذكر لهم ﴿إذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ في عرصات القيامة أو في جهنم صاحوا قائلين ﴿ربنا﴾ أي يا ربنا ﴿هؤلاء شركاؤنا[2] الذين كنا ندعو من دونك﴾ أي نعبدهم بدعائهم والإستغاثة بهم، ﴿فألقوا اليهم القول﴾ فوراً ﴿إنكم لكاذبون﴾. ﴿وألقوا إلى الله يومئذٍ السلم﴾ أي الإستسلام فذلوا لحكمه ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من ألوان الكذب والترهات كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وأنهم ينجون من النار بشفاعتهم، وأنهم وسيلتهم إلى الله كل ذلك ضل أي غاب عنهم ولم يعثروا منه على شيء. وقوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ غيرهم بالدعوة إلى الكفر وأسبابه والحمل عليه أحياناً بالترهيب والترغيب ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ الذي استوجبوه بكفرهم. ورد أن هذه الزيادة من العذاب أنها عقارب كالبغال الدهم، وأنها حيات كالنخل الطوال والعياذ بالله تعالى من النار وما فيها من أنواع العذاب، وقوله تعالى: ﴿ويوم نبعث﴾ أي اذكر يا رسولنا يوم نبعث ﴿في كل أمةٍ شهيداً﴾ أي يوم القيامة ﴿عليهم من أنفسهم[3] وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ أي على من أرسلت إليهم من أمتك. فكيف يكون الموقف إذ تشهد على أهل الإيمان بالإيمان وعلى أهل الكفر بالكفر. وعلى أهل التوحيد بالتوحيد، وعلى أهل الشرك بالشرك إنه لموقف صعب تعظم فيه الحسرة وتشتد الندامة.. وقوله تعالى في خطاب رسوله مقرراً نبوته والوحي إليه ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ أي القرآن ﴿تبياناً[4] لكل شيء﴾ الأمة في حاجة إلى معرفته من الحلال والحرام والأحكام والأدلة ﴿وهدى﴾ من كل ضلال ﴿ورحمة﴾ خاصة بالذين يعملون به ويطبقونه على أنفسهم وحياتهم فيكون

---

(١) أي: عذاب جهنم بالدخول فيها.

(٢) أي: أصنامهم وأوثانهم التي عبدوها، وذلك لأنّ الله تعالى يبعث معبوديهم فيتبعونهم حتى يوردوهم النار، روى مسلم: (من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت..) الحديث، وفي الترمذي: (فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون).

(٣) الشهداء: هم الأنبياء والعلماء، فالنبي يشهد على أمته والعالم يشهد على من أمره ونهاه ودلّ هذا على أنه لم تخل فترة من وجود داع إلى الله تقوم به الحجة لله تعالى فقد قال رسول الله ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل (يبعث امة وحده). ومثل زيد قس وورقة وسطيح.

(٤) التبيان: مصدر دال على المبالغة في المصدرية وأريد به هنا اسم الفاعل أي: المبيِّن لكل شيء.

رحمة عامة بينهم ﴿وبشرى للمسلمين﴾[1] أي المنقادين لله في أمره ونهيه بشرى لهم بالأجر العظيم والثواب الجزيل يوم القيامة، وبالنصر والفوز والكرامة في هذه الدار. وبعد إنزالنا عليك هذا الكتاب فلم يبق من عذر لمن يريد أن يعتذر يوم القيامة ولذا ستكون شهادتك على امتك أعظم شهادة وأكثرها أثراً على نجاة الناجين وهلاك الهالكين ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث الآخر بما لا مزيد عليه لكثرة ألوان العرض لما يجرى في ذلك اليوم.

٢- براءة الشياطين والأصنام الذين أشركهم الناس في عبادة الله من المشركين بهم والتبرؤ منهم وتكذيبهم.

٣- زيادة العذاب لمن دعا الى الشرك والكفر وحمل الناس على ذلك.

٤- لا عذر لأحد بعد أن أنزل الله تعالى القرآن تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين.

إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ
وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
(٩٠) وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا

---

(١) خُصّ المسلمون دون غيرهم لأنّ غيرهم أعرضوا عنه فحرموا الهدى والرحمة والبشرى في الدارين.

بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

العدل	:	الإنصاف ومنه التوحيد.
الإحسان	:	أداء الفرائض وترك المحارم مع مراقبة الله تعالى.
وايتاء ذي القربى	:	أي إعطاء ذي القربى حقوقهم من الصلة والبر.
عن الفحشاء	:	الزنا.
يعظكم	:	أي يأمركم وينهاكم
تذكرون	:	أي تتعظون
توكيدها	:	أي تغليظها
نقضت غزلها	:	أي أفسدت غزلها بعد ما غزلته.
من بعد قوة	:	أي أحكام له وبرم.
أنكاثاً	:	جمع نكث وهو ما ينكث ويحل بعد الإبرام.
كالتي نقضت غزلها	:	هي حمقاء مكة وتدعى ربطة بنت سعد بن تيم قرشية.
دخلاً بينكم	:	الدخل ما يدخل في الشيء وهو ليس منه للإفساد والخديعة.
أربى من أمة	:	أي أكثر منها عدداً وقوة.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾[1] أي أن الله يأمر في الكتاب الذي أنزله تبياناً لكل شيء، يأمر بالعدل وهو الإنصاف ومن ذلك أن يعبد الله بذكره وشكره لأنه الخالق المنعم

(١) ورد في فضل هذه الآية أنّ عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال: ما أسلمت ابتداء إلاّ حياءً من رسول الله ﷺ وكان أخاه من الرضاعة حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال: يا ابن أخي أعِد فأعدت فقال: والله إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أصله لمورق وأعلاه لمثمر وما هو بقول بشر.

وتترك عبادة غيره لأن غيره لم يخلّق ولم يرزُق ولم ينعم بشيء . ولذا فسر هذا اللفظ بلا إله إلا الله ، ﴿والإحسان﴾[1] وهو أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله تعالى في ذلك حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب إتقاناً وجودة والإجتناب خوفاً من الله حياء منه ، وقوله ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ أي ذوي القرابات حقوقهم من البر والصلة . هذا مما أمر الله تعالى به في كتابه ، ومما ينهى عنه الفحشاء وهو الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه وفحش حتى البخل ﴿والمنكر﴾ وهو كل ما أنكر الشرع وانكرته الفطر السليمة والعقول الراجحة السديدة ، وينهى عن البغي[2] وهو الظلم والاعتداء ومجاوزة الحد في الأمور كلها ، وقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي أمر بهذا في كتابه رجاء أن تذكروا فتتعظوا فتمتثلوا الأمر وتجتنبوا النهي . وبذلك تكملون وتسعدون . ولذا ورد أن هذه الآية : ﴿أن الله يأمر بالعدل[3] والإحسان﴾[4] إلى ﴿تذكرون﴾ هي أجمع آية في كتاب الله للخير والشر. وهي كذلك فما من خيرٍ إلا وأمرت به ولا من شرٍ إلا ونهت عنه . وقوله تعالى ﴿وأفوا بعهد الله اذا عاهدتم﴾ أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالوفاء بالعهود فعلى كل مؤمن بايع إماماً أو عاهد أحداً على شيء أن يفي له بالعهد ولا ينقضه . «إذ لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له» كما في الحديث الشريف . . وقوله تعالى ﴿ولا تنقضوا[5] الأيمان بعد توكيدها﴾ الأيمان جمع يمين وهو الحلف بالله وتوكيدها تغليظها بالألفاظ الزائدة ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ أي وكيلا ، أي أثناء حلفكم به تعالى ، فقد جعلتموه وكيلا ، فهذه الآية حرمت نقض الأيمان وهو نكثها وعدم الإلتزام بها بالحنث فيها لمصالح مادية.[6] وقوله

(١) الإحسان مصدر أحسن إحساناً وهو متعدّ بنفسه نحو: أحسنت كذا إذا أتقنته وحسّنته وجوّدته ، ومتعدّ بحرف الجرّ نحو: احسنت إلى فلان أي أوصلت إليه ما ينفعه أو دفعت عنه ما يضرّه ، وكلا المعنيين مراد في الآية وما في حديث جبريل يتناول الأول لأن من راقب الله تعالى أتقن عمله وحسنه .

(٢) ورد في البغي : لا ذنب أسرع عقوبة من البغي ، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب ، والباغي مصروع وقد وعد الله من بُغي عليه بالنصر فى قوله : ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب ثمّ بغى عليه لينصرنّه الله﴾ .

(٣) قال ابن مسعود رضي الله عنه : هذه الآية : أجمع آية في القرآن لخير يمتثل ولشرّ يجتنب .

(٤) روي أنّ جماعة رفعت شكوى بعاملها إلى أبي جعفر المنصور فحاجّها العامل فغلبها حيث لم يثبتوا عليه كبير ظلم ولا جور في شيء ، فقام فتى منهم وقال يا أمير المؤمنين : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وإنّه عدل ولم يحسن فعجب أبو جعفر المنصور من إصابته ، وعزل العامل .

(٥) هذا في الأيمان المؤكد بها الحلف في الجاهلية لقول الرسول ﷺ في حديث مسلم (لا حلف في الإسلام وأيّما حلفٍ كان في الجاهلية فإنه لا يزيده الإسلام إلاّ شدة وأبطل ﷺ الحلف في الإسلام ، لأن الإسلام جاء بنصرة المظلوم وأخذ الحق له من الظالم كما هو مبيّن في شريعته .

(٦) أمّا إذا حلف العبد يمينا فرأى غيرها خيراً منها فإنه ينقض يمينه ويكفر كفّارة يمين لقوله ﷺ : (إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلاّ أتيت الذي هو خير وكفّرت عن يميني) .

تعالى ﴿إن الله يعلم[1] ما تفعلون﴾ فيه وعيد شديد لمن ينقض أيمانه بعد توكيدها. وقوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها﴾، وهى امرأة بمكة حمقاء[2] تغزل ثم تنكث[3] غزلها وتفسده بعد إبرامه وإحكامه فنهى الله تعالى المؤمنين أن ينقضوا أيمانهم بعد توكيدها فتكون حالهم كحال هذه الحمقاء. وقوله تعالى: ﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾ أي إفساداً وخديعة كأن تحالفوا جماعةً وتعاهدوها، ثم تنقضون عهدكم وتحلون ما أبرمتم من عهد وميثاق وتعاهدون جماعة أخرى لأنها أقوى وتنتفعون بها أكثر. هذا معنى قوله تعالى ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أي جماعة أكثر من جماعة رجالاً وسلاحاً أو مالاً ومنافع. وقوله تعالى: ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ أي يختبركم فتعرض لكم هذه الأحوال وتجدون أنفسكم تميل إليها، ثم تذكرون نهي ربكم عن نقض الأيمان والعهود فتتركوا ذلك طاعة لربكم أولا تفعلوا إيثاراً للدنيا عن الآخرة، ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ ثم يحكم بينكم ويجزيكم، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.. وقوله تعالى ﴿ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على التوحيد والهداية لفعل.. ولكن اقتضت حكمته العالية أن يهدي من يشاء هدايته لأنه رغب فيها وطلبها، ويضل من يشاء إضلاله لأنه رغب في الضلال وطلبه وأصر عليه بعد النهي عنه. وقوله تعالى: ﴿لتسألن﴾[4] أي سؤال توبيخ وتأنيب ﴿عما كنتم تعملون﴾ من سوء وباطل، ولازم ذلك الجزاء العادل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا بمثلها وهم لا يظلمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان أجمع آية للخير والشر في القرآن وهي آية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان..﴾ الآية (٩٠).

٢- وجوب العدل والإحسان وإعطاء ذوي القربى حقوقهم الواجبة من البر والصلة.

---

(١) هذه الجملة ذكرت علّة لتحريم نقض العهد فهي تحمل وعيداً شديداً وتهديداً كبيراً لمن ينقض العهد.

(٢) يقال لها ريطة بنت عمر وكانت تغزل طول النهار، وفي المساء إذا غضبت لحمقها تحلّ ما أبرمته من غزلها، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا كهذه الحمقاء فيحلون ما يبرمون من عقود وعهود.

(٣) النكث والجمع أنكاث: وهو النقض والحل بعد الإبرام.

(٤) اللام دالة على قسم محذوف نحو: ﴿والله لتسألن﴾.

٣ـ تحريم الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه من الفواحش الظاهرة والباطنة.

٤ـ تحريم البغي وهو الظلم بجميع صوره وأشكاله.

٥ـ وجوب الوفاء بالعهود وحرمة نقضها.

٦ـ حرمة نقض الأيمان بعد توكيدها وتوطين النفس عليها لتخرج لغو اليمين.

٧ـ من بايع أميراً أو عاهد أحداً يجب عليه الوفاء ولا يجوز النقض والنكث لمنافع دنيوية أبداً.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

دخلاً بينكم : أي لأجل الإفساد والخديعة.

وتذوقوا السوء : أي العذاب.

ما عندكم ينفد : يفنى وينتهي.

وهو مؤمن : أي والحال أنه عندما عمل صالحاً كان مؤمناً، إذ بدون إيمان لا عمل يقبل.

حياة طيبة : في الدنيا بالقناعة والرزق الحلال وفي الآخرة هي حياة الجنة.

بأحسن ما كانوا يعملون : أي يجزيهم على كل أعمالهم حسنها وأحسنها بحسب الأحسن فيها.

معنى الآيات :

مازال السياق في تربية المؤمنين أهل القرآن الذي هو تبيان كل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين. وقال تعالى لهم ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً﴾ أي خديعة ﴿بينكم﴾ لتتوصلوا بالأيمان إلى غرضٍ دنيوي سافل، ﴿فتزل قدم[1] بعد ثبوتها﴾ بأن يقع أحدكم في كبيرة من هذا النوع، يحلف بالله بقصد الخداع والتضليل فتذوقوا السوء في الدنيا بسبب صدكم عن سبيل الله من تعاهدونهم أو تبايعونهم وتعطونهم أيمانكم وعهودكم ثم تنقضوها فهؤلاء ينصرفون عن الإسلام ويعرضون عنه بسبب ما رأوا منكم من النقض والنكث، وتتحملون وزر ذلك، ويكون لكم العذاب العظيم يوم القيامة. فإياكم والوقوع في مثل هذه الورطة، فاحذروا أن تزل قدم أحدكم عن الإسلام بعد أن رسخت فيه. وقوله: ﴿ولا تشتروا[2] بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ وكل ما في الدنيا قليل وقوله تعالى إنّما عند الله هو خير لكم قطعا، لأن ما عندكُمْ من مالٍ أو متاعٍ ينفد أي يفنى، ﴿وما عند الله باق﴾ لا نفاذ له، فاذكروا هذا ولا تبيعوا الغالي بالرخيص والباقي بالفاني، وقوله تعالى: ﴿ولنجزين الذين صبروا﴾ على عهودهم ﴿أجرهم﴾ على صبرهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أي يضاعف لهم الأجر فيعطيهم سائر أعمالهم حسنها وأحسنها بحسب أفضلها وأكملها حتى يكون أجر النافلة، كأجر الفريضة وهذا وعد من الله تعالى لمن يصبر على إيمانه واسلامه ولا يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل، ووعدٌ ثان في قوله: ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه[3] حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ إلا أن أصحاب هذا الوعد هم أهل الإيمان والعمل الصالح، الإيمان الحق الذي يدفع إلى العمل الصالح، ولازم ذلك أنهم تخلوا عن الشرك والمعاصي، هؤلاء وعدهم ربهم بأنه يحييهم في الدنيا حياة طيبةً لا خبث فيها قناعة وطيب طعام[4] وشراب ورضا، هذا في

(١) هذه الجملة دلت على المبالغة في النهي اتخاذ الأيمان دخلا أي خديعة، إذ مَنْ وقع في ورطة يقال: زلت قدمه لأنّ القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شرّ.

(٢) نهى تعالى المؤمنين عن الرُّشا وأخذ الأموال على نقض العهد أي: لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا. روي أن امرؤ القيس بن عابس الكندي اختصم مع ابن أسوع في أرض فأراد امرؤ القيس أن يحلف فلمّا سمع هذه الآية نكل وأقر لخصمه بالأرض.

(٣) اختلف في معنى الحياة الطيّبة فقال بعضهم: هي الرزق الحلال، وقيل: هي القناعة وقيل: التوفيق إلى الطاعة الموجبة لرضوان الله تعالى، وقيل: هي حلاوة الطاعة، وقيل هي المعرفة بالله وصدق المقام بين يدي الله.

(٤) روى مسلم قول رسول الله ﷺ: (قد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه).

الـدنيا وفي الآخـرة الجنة والجزاء يكون بحسب أحسن عمل عملوه من كل نوع، من الصلاة كأفضل صلاة وفي الصدقات بأفضل صدقة وهكذا. ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم وآتنا ما وعدتهم إنك برّ رحيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ حرمة اتخاذ الأيمان طريقاً إلى الغش والخديعة والإفساد.
٢ـ ما عند الله خير مما يحصل عليه الإنسان بمعصيته الرحمن من حطام الدنيا.
٣ـ عظم أجر الصبر على طاعة الله تعالى فعلاً وتركاً.
٤ـ وعد الصدق لمن آمن وعمل صالحاً من ذكرٍ وأنثى بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

شرح الكلمـات :

فإذا قرأت القرآن : أي أردت أن تقرأ القرآن.

فاستعذ بالله من الشيطان : أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لحمايتك من وسواسه.

إنه ليس له سلطان : أي قوة وتسلط على إفساد الذين آمنوا وإضلالهم، ما داموا

متوكلين على الله.

وإذا بدلنا آية مكان آية : أي بنسخها وإنزاله آية أخرى غيرها لمصلحة العباد.

قل نزله روح القدس : أي جبريل عليه السلام.

ليثبت الذين آمنوا أي على إيمانهم.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في هداية المسلمين وتكميلهم، فقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ يا محمد أنت أو أحد من المؤمنين أتباعك ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ أي إذا كنت قارئا عازماً على القراءة فقل أعوذ بالله من[1] الشيطان الرجيم، فإن ذلك يقيك من وسواسه الذي قد يفسد عليك تلاوتك[2]، وقوله انه ليس للشيطان سلطان يعني تسلط وغلبة وقهر ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ وهذه بشرى خير للمؤمنين ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾[3] بطاعته والعمل بتزيينه للشر والباطل[4]، ﴿والذين هم به[5] مشركون﴾. هؤلاء هم الذين يتسلط الشيطان عليهم فيغويهم ويضلهم حتى يهلكهم. وقوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ أي نسخنا حكماً بحكم آخر بآية أخرى قال المشركون المكذبون بالوحي الإلهي ﴿إنما أنت﴾ يا محمد ﴿مفتر﴾ تقول بالكذب والخرص، أي يقول اليوم شيئاً ويقول غداً خلافه. وقوله تعالى: ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ فإنه ينزله لمصلحة عباده فينسخ ويثبت لأجل مصالح المؤمنين. وعلم الله تعالى رسوله كيف يرد على هذه الشبهة وقال له ﴿قل نزله روح القُدس[6] من ربك بالحق﴾ فلست أنت الذي تقول ما تشاء وإنما هو وحي الله وكلامه ينزل به جبريل عليه السلام من عند ربك بالحق الثابت عند الله الذي لا يتبدل ولا يتغير، وذلك لفائدة تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وإسلامهم.

---

(١) هذه كآية الوضوء: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا..﴾ أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم على غير وضوء فاغسلوا وجوهكم أي: توضؤوا.

(٢) لقد صحت الأحاديث الكثيرة في أنّ النبي ﷺ كان يتعوّذ في صلاته قبل القراءة روي أن بعض السلف كان يتعوّذ بعد القراءة أخذاً بهذه الآية.

(٣) فائدة الاستعاذة قبل القراءة أن يحفظ المرء من أن يلبس عليه إبليس قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبّر.

(٤) قيل في قوله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان﴾: أي أنه لا يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه.

(٥) الضمير في ﴿به﴾ عائد إلى الشيطان ويصح عوده على الله تعالى.

(٦) روح القدس: جبريل عليه السلام: ﴿فقد نزل بالقرآن كله ناسخه ومنسوخه ما عدا الفاتحة فقد نزل بها ملك لم ينزل إلى الأرض قط) رواه مسلم.

فكلما نزل قرآن ازداد المؤمنون إيمانا فهو كالغيث ينزل على الأرض كلما نزل ازدادت حياتها نضرة وبهجة فكذلك نزول القرآن تحيا به قلوب المؤمنين، وهو أي القرآن هدىً من كل ضلالة. وبشرى لكل المسلمين بفلاح الدنيا وفوز الآخرة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ استحباب الاستعاذة عند قراءة القرآن بلفظ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٢ـ بيان أنه لا تسلط للشيطان على المؤمنين المتوكلين على ربهم.

٣ـ بيان أن سلطان الشيطان على أوليائه العاملين بطاعته المشركين بربهم.

٤ـ بيان أن القرآن فيه الناسخ والمنسوخ.

٥ـ بيان فائدة نزول القرآن بالناسخ والمنسوخ وهي تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وهدى من الضلالة وبشرى للمسلمين بالفوز والفلاح في الدارين.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٠٩﴾

شرح الكلمات:

بشــــر : يعنون قيناً (حداداً) نصرانياً في مكة.

لسان الذي يلحدون إليه : أي يميلـون إليه.

وهذا لسان عربي : أي القرآن فكـيف يعلمه أعجمي.

إلا من أكـره : أي على التلفظ بالكفر فتلفظ به.

ولكن من شرح بالكفر صدرا : أي فتح صدره الكفر وشرحه له فطابت نفسه له.

وأولئك هم الغافلون : أي عمـا يراد بهم.

لا جــرم : أي حقـاً.

هم الخاســرون : أي لمصيرهم[1] إلى النار خالدين فيها أبدا.

معنى الآيـات:

ما زال السياق الكريم في الرد على المشركين الذين اتهموا الرسول ﷺ بالافتراء فقال تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر[2]﴾ أي يعلم محمداً بشر أي انسان من الناس، لا أنه وحي يتلقاه من الله. قال تعالى في الرد على هذه الفرية وإبطالها ﴿لسان الذى يلحدون إليه﴾ أي يميلون إليه بأنه هو الذي يعلم محمد لسانه ﴿أعجمي[3]﴾ لأنه عبدٌ رومي، ﴿وهذا﴾ أي القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو فصاحة وبلاغة وبيان فكيف

---

(١) أي: لكون مصيرهم إلى النار وأيّ خسران أعظم من خسران مَنْ دخل النار فخسر نفسه وأهله قال تعالى فيه: ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾.

(٢) اختلف في تعيين هذا الرجل فقيل: اسمه جبر ويكنى بأبي فكيهة، وقيل: اسمه عايش، وقيل: اسمه يعيش وكان روميًّا وكان صيقليا يشحذ السيوف ويحليها وكان يجلس إليه النبي ﷺ أحياناً فقالوا قولتهم هذه.

(٣) العجمة: الإخفاء وضد البيان ورجل أعجم وامرأة عجماء أي لا يفصح ولا يبين ومنه عجب الذنب لاستتاره والعجماء البهيمة والأعجمى من لا يتكلم العربية.

يتفق هذا مع ما يقولون انهم يكذبون لا غير، وقوله تعالى ﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ وهي نورٌ وهدى وحججٌ قواطع، وبرهان ساطع ﴿لا يهديهم الله﴾ إلى معرفة الحق وسبيل الرشد لأنهم أعرضوا عن طريق الهداية وصدوا عن سبيل العرفان وقوله ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي جزاء كفرهم بآيات الله. وقوله ﴿إنما يفتري[1] الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ أي إنما يختلق الكذب ويكذب فعلاً الكافر بآيات الله لأنه لا يرجو ثواب الله ولا يخاف عقابه، فلذا لا يمنعه شيء عن الكذب، أما المؤمن فإنه يرجو ثواب الصدق ويخاف عقاب الكذب فلذا هو لا يكذب أبداً، وبذا تعين أن النبي لم يفتر الكذب وإنما يفترى الكذب أولئك المكذبون بآيات الله وهم حقاً الكاذبون. وقوله تعالى: ﴿من كفر[2] بالله من بعد إيمانه إلا من أكره﴾[3] على التلفظ بالكفر ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ لا يخامره شك ولا يجد اضطراباً ولا قلقاً فقال كلمة الكفر لفظاً فقط، فهذا كعمار بن ياسر كانت قريش تكرهه على كلمة الكفر فأذن له الرسول ﷺ بقولها بلسانه ولكن المستحق للوعيد الآتي ﴿من شرح بالكفر صدراً﴾ أي رضي بالكفر وطابت نفسه وهذا وأمثاله ﴿فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيم﴾ أي باءوا بغضب الله وسخطه ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وعلل تعالى لهذا الجزاء العظيم بقوله ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ بكفرهم بالله وعدم إيمانهم به لما في ذلك من التحرر من العبادات، فلا طاعة ولا حلال ولا حرام. وقوله تعالى: ﴿وإن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ هذا وعيد منه تعالى سبق به علمه وأن القوم الكافرين يحرمهم التوفيق للهداية عقوبة لهم على اختيارهم الكفر وإصرارهم عليه. وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ وعلى سمعهم وأبصارهم أولئك الذين توعدهم الله بعدم هدايتهم هم الذين طبع على قلوبهم فهم لا يتفهمون ﴿وسمعهم﴾ فهم لا يسمعون المواعظ ودعاء الدعاة إلى

---

(١) هذا جواب وصفهم النبي ﷺ بالكذب فأعلم تعالى أنّ الذي يفتري الكذب هو الكافر بآيات الله الكاذب الذي لا يعرف الصدق ابداً.

(٢) قوله: ﴿من كفر بالله بعد إيمانه﴾: عائد إلى قوله: ﴿إنما يفتري الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله﴾. وقوله: ﴿إلاّ من أكره﴾: نزلت في عمّار بن ياسر في قول أهل التفسير لأنه قارب أن يقول بعض ما طلبوه منه فرفع تعالى عنه الحرج وقال له الرسول ﷺ (أعطهم ياعمار) وهو تحت العذاب وقال ﷺ: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) واستثنى أهل العلم من أكره على قتلِ مؤمن أنه لايقتله، وليكن المقتول ولا يقتل فلا يفد نفسه بأخيه حتى مجرّد الضرب لا يضربه.

(٣) أهل العلم على أنّ المكره على الطلاق وعلى الحلف وعلى الحنث أنه لا شيء فيه.

الله تعالى ﴿وأبصارهم﴾ فهم لا يبصرون آيات الله وحججه في الكون، وما حصل لهم من هذه الحال سببه الإعراض المتعمد وإيثار الحياة الدنيا، والعناد، والمكابرة، والوقوف في وجه دعوة الحق والصد عنها. وقوله ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ أي ما خلقوا له، وعما يراد لهم من نكال في الآخرة وعذابٌ أليم. وقوله تعالى ﴿لا جرم﴾ أي حقاً ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ المغبونون حيث وجدوا أنفسهم في عذاب أليم دائم لا يخرجون منه ولا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- دفاع الله تعالى عن رسوله ودرء كل تهمةٍ توجه إلى رسول الله ﷺ.

٢- المكذبون بآيات الله يحرمون هداية الله، لأن طريق الهداية هو الإيمان بالقرآن. فلما كفروا به فعلى أي شيء يهتدون.

٣- المؤمنون لا يكذبون لإيمانهم بثواب الصدق وعقاب الكذب، ولكن الكافرين هم الذين يكذبون لعدم ما يمنعهم من الكذب إذ لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقابا.

٤- الرخصة[1] في كلمة الكفر في حال التعذيب بشرط اطمئنان القلب إلى الإيمان وعدم انشراح الصدر بكلمة الكفر.

٥- إيثار الدنيا على الآخرة طريق الكفر وسبيل الضلال والهلاك.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ

(١) وكذلك الرخصة في العتاق والطلاق والنكاح والحلف والحنث ما دام مكرهاً فلا يلزمه شيء لحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) الحديث، وكذا من أكره على تسليم زوجته فلا شيء عليه إذ أكره ابراهيم على ذلك وعصمه الله تعالى ومن صبر على ما أكره به من الضرب والتعذيب فله ذلك فقد صبر عبد الله بن حذافة السهمي على ألوان من التعذيب والتهديد على يد ملك الروم حيث أسر مع جمع من المسلمين فعذب ما شاء الله أن يعذّب ثم أطلق الأسرى، وقبّل عمر رضي الله عنه رأسه إكراماً له واعترافاً بفضله لأنّ ملك الروم أخذ ما أكرهه عليه تقبيل رأسه فقبّله.

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

شرح الكلمات :

هاجـروا : أي إلى المدينـة .

من بعدما فتنوا : أي فتنهم المشركون بمكة فعذبوهم حتى قالوا كلمة الكفر مكرهين .

إن ربك من بعدها : أي من بعد الهجرة والجهاد والصبر على الإيمان والجهاد .

لغفـورٌ رحيم : أي غفورٌ لهم رحيم بهم .

يـوم تأتي : أي اذكر يا محمد يوم تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها .

مثلاً قرية : هـي مكـة .

رزقها رغدا : أي واسـعاً .

فكفرت بأنعم الله : أي بالرسول والقرآن والأمن ورغد العيش .

فأذاقها الله لباس الجوع : أي بسبب قحطٍ أصابهم حتى أكلوا العهن لمدة سبع سنين .

والخـوف : حيث أصبحت سرايا الإسلام تغزوهم وتقطع عنهم سبل تجارتهم .

معنى الآيـات :

بعدما ذكر الله تعالى رخصة كلمة الكفر عند الإكراه وبشرط عدم انشراح الصدر بالكفر ذكر مخبراً عن بعض المؤمنين ، تخلفوا عن الهجرة بعد رسول الله ﷺ فلما أرادوا الهجرة منعتهم قريش وعذبتهم حتى قالوا كلمة الكفر، ثم تمكنوا من الهجرة فهاجروا و جاهدوا

وصبروا فأخبر الله تعالى عنهم بأنه لهم مغفرته ورحمته، فلا يخافون ولا يحزنون فقال تعالى ﴿ثم إن ربك[1]﴾ أيها الرسول ﴿للذين هاجروا[2] من بعدما فتنوا﴾ أي عُذِّبوا ﴿ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها[3] لغفورٌ رحيم﴾ أي غفورٌ لهم رحيمٌ بهم.

وقوله تعالى: ﴿يومَ[4] تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها﴾ أي اذكر ذلك واعظاً به المؤمنين أي تخاصم طالبةً النجاة لنفسها ﴿وتوفى كل نفسٍ ما عملت﴾ أي من خيرٍ أو شر ﴿وهم لا يظلمون﴾ لأن الله عدلٌ لا يجور في الحكم ولا يظلم. وقوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قريةً[5]﴾ أي هو قرية ﴿كانت آمنة﴾ من غارات الأعداء ﴿مطمئنة﴾ لا ينتابها فزعٌ ولا خوف، لما جعل الله تعالى في قلوب العرب من تعظيم الحرم وسكانه، ﴿يأتيها رزقها رغداً﴾ أي واسعاً ﴿من كل مكان[6]﴾ حيث يأتيها من الشام واليمن في رحلتيهما في الصيف والشتاء ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ وهي تكذيبها برسول الله ﷺ وإنكارها للتوحيد، وإصرارها على الشرك وحرب الإسلام ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾ فدعا عليهم الرسول اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف السبع الشداد، فأصابهم القحط سبع سنوات فجاعوا حتى أكلوا الجِيفْ والعهن، وأذاقها لباس الخوف إذ أصبحت سرايا الإسلام تعترض طريق تجارتها بل تغزوها في عقر دارها، وقوله تعالى ﴿بما كانوا يصنعون[7]﴾ أي جزاهم الله بالجوع والخوف بسبب صنيعهم الفاسد وهو اضطهاد المؤمنين بعد كفرهم وشركهم وإصرارهم على ذلك. وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءهم رسولٌ منهم﴾ هو محمد ﷺ ﴿فكذبوه﴾ أي جحدوا رسالته وانكروا نبوته وحاربوا دعوته ﴿فأخذهم العذاب﴾ عذاب الجوع والخوف والحال أنهم ﴿ظالمون﴾ أي مشركون وظالمون لأنفسهم حيث عرضوها

---

(١) لمّا كانت الهجرة لله ولرسوله ﷺ قرن الله تعالى اسمه مع اسم نبيّه ﷺ فقال: ﴿ثم إنّ ربك﴾ أي بمغفرته ورحمته للذين هاجروا.

(٢) هاجروا أولا إلى الحبشة ثم إلى المدينة النبوية.

(٣) أي: من بعد الحال التي كانت أيام تعذيبهم وفتنتهم على يد المشركين.

(٤) جائز أن يكون الظرف متعلقاً بقوله: ﴿لغفور رحيم﴾ وجائز أن يكون معمولا لفعل محذوف تقديره: اذكر ومعنى تجادل: تخاصم وتحاج عن نفسها وفي الحديث: (أنّ كل نفس يوم القيامة تقول: نفسي نفسي) لشدة الهول.

(٥) هي مكة وكان النبي ﷺ قد دعا على أهلها فقال: (اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام.

(٦) من البرّ والبحر، هذا كقوله تعالى: ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾.

(٧) وقيل: إنّ القرية هذه هي المدينة قالت هذا حفصة وعائشة زوجتا الرسول ﷺ وذلك لما قتل عثمان واشتد البلاء بأهل المدينة وعموم الآية ظاهر، وكونها مكة أظهر.

بكفرهم إلى عذاب الجوع والخوف.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ فضل الهجرة والجهاد والصبر، وما تكفر هذه العبادات من الذنوب وما تمحو من خطايا.

٢ـ وجوب التذكير باليوم الآخر وما يتم فيه من ثوابٍ وعقاب للتجافي عن الدنيا والإقبال على الآخرة.

٣ـ استحسان ضرب الأمثال من أهل العلم.

٤ـ كفر النعم بسبب زوالها والانتقام من أهلها.

٥ـ تكذيب الرسول ﷺ في ما جاء به، ولو بالإعراض عنه وعدم العمل به يجر البلاء والعذاب.

فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

شرح الكلمات :

فكـــــلوا : أي أيهـا النـاس.

حـلالاً طيباً : أي غير حرام ولا مستقذر.

واشكروا نعمة الله عليكم : أي بعبادته وحده وبالانتهاء إلى ما أحل لكم عما حرمه عليكم.

إن كنتم إياه تعبدون : أي إن كنتم تعبدونه وحده فامتثلوا أمره، فكلوا مما أحل لكم وذروا ما حرم عليكم.

الميتـــــة : أي ما مات من الحيوان حتف أنفــه من غير تذكية شرعية.

والـــــدم : أى الدم المسفوح السائل لا المختلط باللحم والعظم.

وما أهـل لغير الله به : أي ما ذكر عليه غير اسم الله تعالى.

غير باغٍ ولا عاد :أي غيرباغ علىأحد، ولا عادٍ أي متجاوز حد الضرورة.

ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب : أي لا تحللوا ولا تحرموا بألسنتكم كذباً على الله فتقولوا هذا حلال وهذا حرام بدون تحليل ولا تحريم من الله تعالى.

وعلى الذين هادوا : أي اليهـــود.

حرمنا ما قصصنا عليك من قبل : أي في ســورة الأنعــام.

معنى الآيـات :

امتن الله عز وجـل على عباده، فأذن لهم أن يأكلوا مما رزقهم من الحلال الطيب ويشكروه على ذلك بعبادته وحده وهذا شأن من يعبد الله تعالى وحده، فإنه يشكره على ما أنعم به عليه، وقوله تعالى: ﴿إنما حرم[1] عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ فلا تحرموا ما لم يحرم عليكم كالسائبة والبحيرة والوصيلة التي حرمها المشركون افتـراء على الله وكذبا. وقوله ﴿فمن اضطر﴾ منكم أي خاف على نفسه ضرر الهلاك بالموت لشدة الجوع وكان ﴿غير باغ﴾ على أحد ولا معتدٍ ما أحل له إلى ما حرم عليه

---

(١) هذه الجملة بيان لمضمون جملة: ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا﴾ لتمييز الطيبّ من الخبيث وذكر تعالى هنا أربع محـرمات وهي عشر جاءت في سورة المائدة إلاّ أنّ هذه الأربعة هي الأصول وما دونها تابع لها: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة وما أكل السبع وما ذُبح على النصب فالخمسة الأولى تابعة للميتة والسادسة تابعة لما أهل به لغير الله.

فليأكل ما يدفع به غائلة الجوع ولا إثم عليه ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فيغفر للمضطر كما يغفر للتائب ويرحم المضطر فيأذن له في الأكل دفعاً للضرر رحمة به كما يرحم من أناب إليه.

وقوله: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب[1] هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾ أي ينهاهم عن التحريم والتحليل من تلقاء أنفسهم بأن يصفوا الشيء بأنه حلالٌ أو حرامٌ لمجرد قولهم بألسنتهم الكذب: هذا حلال وهذا حرام كما يفعل المشركون فحللوا وحرموا بدون وحي إلهي ولا شرع سماوي. ليؤول قولهم وصنيعهم ذلك الى الإفتراء على الله والكذب عليه. مع أن الكاذب على الله لا يفلح أبداً لقوله ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل﴾[2] وإن تمتعوا قليلاً في الدنيا بمالٍ أو ولد أو عزةٍ وسلطان فإن ذلك متاع قليل جداً ولا يعتبر صاحبه مفلحاً ولا فائزاً. فإن وراء ذلك العذاب الآخروي الأليم الدائم الذي لا ينقطع. وقوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ يخاطب الله تعالى رسوله فيقول: كما حرمنا على هذه الأمة المسلمة الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، حرمنا على اليهود ما قصصنا عليك من قبل في سورة الأنعام. إذ قال تعالى ﴿وعلى الذين[3] هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم﴾. وحرم هذا الذي حرم عليهم بسبب ظلمٍ منهم فعاقبهم الله فحرم عليهم هذه الطيبات التي أحلها لعباده المؤمنين. ولذا قال تعالى ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- يجب مقابلة النعم بالشكر فمن غير العدل أن يكفر العبد نعم الله تعالى عليه فلا يشكره عليها بذكره وحمده وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه.

---

(١) ﴿الكذب﴾ منصوب على المفعولية المطلقة أي: مطلق الكذب.

(٢) جملة: ﴿متاع قليل﴾ جملة بيانية في جواب قول من قال: كيف لا يفلحون وهم يمتعون بالطعام والشراب والنساء والأموال؟ فأجيب بأنّ هذا متاع قليل جدّاً بالنظر إلى ما في الآخرة.

(٣) تقديم الجار والمجرور: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا﴾ للاهتمام وللاشارة إلى أنّ ذلك التحريم كان انتقاما منهم ولم يكن شرعاًلإكمالهموإسعادهم.

٢- بيان المحرمات من المطاعم وهي الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله.

٣- بيان الرخصة في الأكل من المحرمات المذكورة لدفع غائلة الموت.

٤- حرمة التحريم والتحليل بغير دليل شرعي قطعي لا ظني إلا ما غلب على الظن تحريمه.

٥- حرمة الكذب على الله وأن الكاذب على الله لا يفلح في الآخرة وفلاحه في الدنيا جزئ قليل لا قيمة له.. هذا إن أفلح.

٦- قد يحرم العبد النعم بسبب ظلمه فكم حرمت أمة الإسلام من نعم بسبب ظلمها في عصور انحطاطها.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ
بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

شرح الكلمات:

ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة : أي ثم إن ربك غفورٌ رحيمٌ للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا.

من بعدها : أي من بعد الجهالة والتوبة.

إن إبراهيم كان أمة : أي إمـاماً جامعاً لخصال الخير كلها قدوة يقتدى به في ذلك.
قانتاً لله حنيفاً : أي مطيعاً لله حنيفًا : مائلًا إلى الدين القيم الذي هو الإسلام.
اجـتبـــاه : أي ربه اصطفاه للخلة بعد الرسالة والنبوة.
وآتيناه في الدنيا حسنة : هي الثناء الحسن من كل أهل الأديان السماوية.
إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه : أن اليهود أمروا بتعظيم الجمعة فرفضوا وأبوا إلا السبت ففرض الله عليهم ذلك وشدد لهم فيه عقوبة لهم.

معنـى الآيـات:

بعدما نددت الآيات في سياق طويل بالشرك وإنكار البعث والنبوة من قبل المشركين الجاحدين المعاندين، وقد أوشك سياق السورة على الانتهاء فتح الله تعالى باب التوبة لهم وقال: ﴿ثم إن ربك﴾ أي بالمغفرة والرحمة ﴿للذين عملوا السوء بجهالةٍ﴾[1] فأشركوا بالله غيره وأنكروا وحيه وكذبوا بلقائه ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ فوحدوه تعالى بعبادته وأقروا بنبـوة رسوله وآمنوا بلقائه واستعدوا له بالصالحات ﴿وأصلحوا﴾ ما كانوا قد أفسدوه من قلوبهم وأعمالهم وأحوالهم ﴿إن ربك من بعدها﴾[2] من بعد هذه التوبة والأوبة الصحيحة ﴿لغفور رحيم﴾ بهم. فكانت بشرى لهم على لسان كتاب ربهم. وقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم[3] كان أمـة[4] قانتـاً لله حنيفـاً، ولم يك من المشركين. شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراطٍ مستقيم. وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين. ثم أوحينا إليك أن اتبع[5] ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ إنه لما كان من شبه المشركين انهم على دين أبيهم ابـراهيم باني البيت وشـارع المنـاسك ومحرم الحرم، واليهود والنصارى كذلك يدعون أنهم على ملة إبراهيم فأصر الجميع على أنه متبع لملة إبراهيم وأنه على دينه ورفضوا الإسلام بدعوى ما هم عليه هو دين الله الذي جاء به إبراهيم أبو الأنبياء عليه

(١) الجهالة: انتفاء العلم بما يجب أن يعلم، والمراد بجهالتهم: جهالتهم بأدلة الشرع المحرّمة للشرك والكفر والفساد، والموجبة للتوحيد وطاعة الله ورسوله. والباء: في ﴿بجهالة﴾: للملابسة وهي في موضع الحال من ضمير عملوا.
(٢) وجائز أن يعود الضمير على الجهالة أيضاً كما جائز أن يعود على التوبة.
(٣) ﴿إنّ ابراهيم﴾؛ هذه الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائيا لغرض التنويه بدين الإسلام الذي هو دين ابراهيم من قبل.
(٤) الأمّة: الجامع للخير، والقانت: المطيع لله تعالى، والحنيف: المائل إلى الحق المجانب للباطل.
(٥) في الآية الدليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول ولا تبعة على الفاضل أي: لا غضاضة عليه ولا مساس بمقامه.

السلام، ومن باب إبطال الباطل وإزاحة ستار الشبه وتنقية الحق لدعوة الحق والدين الحق ذكر تعالى جملةً من حياة إبراهيم الروحية والدينية كمثال حي ناطق لكل عاقل إذا نظر إليه عرف هل هو متبع لإبراهيم يعيش على ملته أو هو على غير ذلك. فقال تعالى ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾[1] أي إماماً صالحاً جامعاً لخصال الخير، يقتدي به كل راغب في الخير. هذا أولاً وثانياً أنه كان قانتاً أي مطيعاً لربه فلا يعصي له أمراً ولا نهياً ثالثاً لم يك من المشركين بحالٍ من الأحوال بل هو بريء من الشرك وأهله، ورابعاً كان شاكراً لأنعم الله تعالى عليه أي صارفاً نعم الله عليه فيما يرضي الله، خامساً اجتباه ربه أي اصطفاه لرسالته وخلته لأنه أحب الله أكثر من كل شيء فتخلل حب الله قلبه فلم يبق لغيره في قلبه مكان. فخالّه الله أي بادله خلة بخلّة فكان خليل الرحمن. سادساً وهداه إلى صراط مستقيم الذي هو الإسلام، سابعاً وآتاه في الدنيا حسنة وهي الثناء الحسن والذكر الجميل من جميع أهل الأديان الإلهية الأصل. ثامناً وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين قال الله تعالى فيهم: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي منزلة من أشرف المنازل وأسماها. تاسعاً مع جلالة قدر النبي محمد ﷺ ورفعة مكانته أمره الله تعالى أن يتبع ملة إبراهيم حنيفاً.

هذا هو إبراهيم فمن أحق بالنسبة إليه، المشركون؟ لا ! اليهود؟ لا ، النصارى؟ لا! المسلمون الموحدون؟ نعم نعم اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم وأكرمنا يوم تكرمهم.

وقوله تعالى: ﴿انما جعل السبت[2] على الذين اختلفوا فيه﴾ فيه دليل على بطلان دعوى اليهود أنهم على ملة إبراهيم ودينه العظيم، إذ تعظيم السبت لم يكن من دين إبراهيم،

---

(١) قال مالك: بلغني أنّ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: يرحم الله معاذاً كان أمّة قانتاً فقيل له: يا أبا عبدالرحمن إنّما ذكر الله عزّ وجلّ بهذا إبراهيم عليه السلام فقال عبدالله: (إن الأمة الذي يَعلّم الناس الخير وإنّ القانت: هو المطيع).

(٢) أي: لم يكن في شرع ابراهيم ولا من دينه، إذ كان دين ابراهيم سمحاً لا تغليظ فيه والسبت تغليظ على اليهود في ترك الأعمال وترك التبسّط في المعاش بسبب اختلافهم فيه أي: اختلفوا في يوم الجمعة بعدما أمروا بتعظيمه فأبت اليهود إلاّ السبت بدعوى أنّ الله فرغ من الخلق فيه. واختار النصارى الأحد: لأنّ الله ابتدأ الخلق فيه، وهدى الله أمّة الإسلام ليوم الجمعة الذي اختلفوا فيه ففي البخاري يقول ﷺ: (نحن الآخرون الأوّلون يوم القيامة، ونحن أوّل من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له «يوم الجمعة».

وإنما سببه أن الله تعالى أوحى إلى أحد أنبيائهم أن يأمر بني إسرائيل بتعظيم الجمعة فاختلفوا في ذلك وآثروا السبت عناداً ومكابرة فكتب الله تعظيمهم السبت. وقوله ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختفلون﴾ فيه وعيد لهم وأنه سيجزيهم سوءاً على تمردهم على أنبيائهم واختلافهم عليهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ باب التوبة مفتوح لكل ذي ذنبٍ عَظُم أو صغُر على شرط صدق التوبة بالإقلاع الفوري والندم والاستغفار الدائم وإصلاح الفاسد.

٢ـ تقرير التوحيد والإعلان عن شأن إبراهيم عليه السلام وبيان كمالاته وانعام الله عليه.

٣ـ بيان أن سبت اليهود هو من نقم الله عليهم لا من نعمه وافضاله عليهم.

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ
وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

شـرح الكلـمات:

إلى سبيل ربك: أي إلى طاعته إذ طاعة الله موصلة إلى رضوانه وإنعامه فهي سبيل الله.

بالحكمـة: أي بالقرآن والمقالة المحكمة الصحيحة ذات الدليل الموضح للحق.

والموعظـة الحسـنة: هي مواعظ القرآن، والقول الرقيق الحسن.

وجادلهم بالتي هي أحسن : أي بالمجادلة التي هي أحسن من غيرها.
لهو خيرٌ للصابرين : أي خيرٌ من الإنتقام عاقبةً.
ولا تك في ضيقٍ مما يمكرون : أي لا تهتم بمكرهم، ولا يضيق صدرك به.
مع الذين اتقـوا : أي اتقوا الشرك والمعاصي.
والذين هم محســنون : أي في طاعة الله، ومعيته تعالى هي نصره وتأييده لهم في الدنيا.

معنى الآيـات :

يخاطب الرب تعالى رسوله تشريفاً وتكليفاً: ﴿ادع الى سبيل ربك﴾[1] أي إلى دينه وهو الإسـلام سائـر النـاس، وليكن دعـاؤك ﴿بالحكمة﴾ التي هي القرآن الكريم الحكيم ﴿والموعظة الحسنة﴾ وهي مواعظ القرآن وقصصه وأمثاله، وترغيبه وترهيبه، ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي خاصمهم بالمخاصمة التي هي أحسن وهي الخالية من السب والشتم والتعريض بالسوء ، فإن ذلك أدعى لقبول الخصم الحق وما يدعي إليه، وقوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ من الناس ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ وسيجزيهم المهتدي بهداه، والضال بضلاله، كما هو أعلم بمن ضل واهتدى أزلاً . فهون على نفسك ولا تشطط في دعوتك فتضر بنفسك، والأمر ليس إليك. بل لربك يهدي من يشاء ويضل من يشاء وما عليك إلا الدعوة بالوصف الذي وصف لك، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وقوله تعالى ﴿وإن عاقبتم[2] فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ لا أكثـر، ﴿ولئن صبـرتم﴾ وتـركتم المعاقبة ﴿لهو﴾ أي صبركم ﴿خيرٌ﴾ لكم من المعـاقبة على الذنب والجناية، وقوله تعالى: ﴿واصبر﴾ على ترك ما عزمت عليه أيها الـرسـول من التمثيل بالمشركين جزاء تمثيلهم بعمك حمزه، فأمره بالصبر ولازمه ترك المعاقبة والتمثيل معاً، وقوله: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ أي إلا بتوفيقه وعونه، فكن مع ربك

---

(١) قال القرطبي : هذه الآية نزلت بمكة في وقت مهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلّطف ولين دون مخاشنة وعُنف، وهكذا ينبغي أن يدعو المسلمون إلى يوم القيامة.

(٢) جمهور المفسرين على أن هذه الآية: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا. . .﴾ الخ نزلت بالمدينة في شأن قتل حمزة والتمثيل به رضي الله عنه وأرضاه يوم أحد ذكر ذلك البخاري وغيره وفي الآية دليل على وجوب المماثلة في القصاص ويحرم عدمها. وفي الآية دليل لمن قال بجواز أخذ مال من أخذ مال غيره إذا لم يتمكن منه بعلمه ورضاه على شرط أن لا يأخذ أكثر مما أخذ منه.

تستمد منه الصبر كما تستمد منه العون والنصر. وقوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي على عدم اهتدائهم إلى الحق والأخذ به والسير في طريقه الذي هو الإسلام ﴿ولا تك في ضيق[1]﴾ نفسي يؤلمك ﴿مما يمكرون﴾ بك فإن الله تعالى كافيك مكرهم وشرهم إنه معك فلا تخف ولا تحزن لأنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأنت منهم. وقوله: ﴿إن الله مع الذين[2] اتقوا والذين هم محسنون﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين أنه عز وجل بنصره وتأييده ومعونته وتوفيقه مع الذين اتقوا الشرك والمعاصي فلم يتركوا فرائض دينه، ولم يغشوا محارمه والذين هم محسنون فى طاعة ربهم إخلاصاً في النية والقصد، وأداءً على نحو ما شرع الله وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ وجوب الدعوة إلى الله تعالى أي إلى الإسلام وهو واجب كفائى، إذا قامت به جماعة أجزأ ذلك عنهم.

٢ـ بيان أسلوب الدعوة وهو أن يكون بالكتاب والسنة وأن يكون خالياً من العنف والغلظة والشدة، وأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن من غيرها.

٣ـ جواز المعاقبة بالأخذ بقدرما أخذ من المرء، وتركها صبراً واحتساباً أفضل.

٤ـ معية الله تعالى ثابتة لأهل التقوى والإحسان، وهي معية نصرٍ وتأييد وتسديد.

---

(١) الضيق والضَيق: بالكسر والفتح، والضيق في الآية: هو جمع ضَيْقة فهما سواء يقال: في صدره ضيق وضِيق بالكسر والفتح، وقيل: الضيق بالفتح في الصدر، والضيق بالكسر في الدار والثوب ونحوهما.

(٢) قيل: لهرم بن حبان عند موته: أوصنا فقال: أوصيكم بآيات الله وآخر سورة النحل: ﴿ادع إلى سبيل ربك..﴾ إلى ﴿محسنون﴾.

سُورَةُ الإسْرَاءِ
مكيـــة
وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

شـــرح الكلمـات :

سبحان : أي تنزه وتقدس عن كل مالا يليق بجلاله وكماله وهو الله جل جلاله.

بعبده : أي بعبده ورسوله محمد ﷺ.

من المسجد الحرام : أي الذي بمكة.

إلى المسجد الأقصى : أي الذي ببيت المقدس.

من آياتنا : أي من عجائب قدرتنا ومظاهرها في الملكوت الأعلى.

معنى الآية الكريمة :

نزه الرب تبارك وتعالى نفسه عما نسب إليه المشركون من الشركاء والبنات وصفات المحدثين، فقال: ﴿سبحان[1] الذي أسرى بعبده[2]﴾ أي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي العدناني «ليلاً من المسجد الحرام» أي بالليل من المسجد الحرام بمكة إذ أخرج من بيت أم هانىء

---

(١) روي أنّ طلحة بن عبيد الله الفيّاض أحد العشر المبشرين بالجنة سأل رسول الله ﷺ عن معنى سبحان الله فقال: (تنزيه الله عن كل سوء) وأسرى: فيها لغتان: أسرى وسرى فصيحتان، وجمع اللغتين في بيت واحد هو:

حيّ النضيرة ربّة الخدر   أسرت إليّ ولم تكن تسري

وقيل: أسرى من أوّل الليل، وسرى من آخره، والاسراء، والسُّرى: سير الليل.

(٢) قالت العلماء: لو كان هناك اسم للنبي ﷺ أشرف من اسم عبد لسمّاه به في هذه الحال العليّة، وفي معناه قال الشاعر:

ياقوم قلبي عند زهراء   يعرفه السامع والرائي

لاتدعُني إلّا بياعبدها   فإنه أشرف أسمائي

وغسل قلبه بماء زمزم وحشي إيماناً وحكمة، ثم أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بيت المقدس، وأخبر ﷺ أنه جمع الله تعالى له الأنبياء في المسجد الأقصى وصلى بهم إماماً فكان بذلك إمام الأنبياء وخاتمهم ثم عرج به إلى السماء سماء بعد سماء يجد في كل سماء مقربيها إلى أن انتهى إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ثم عرج به إلى أن انتهى إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام وقوله تعالى: ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي حول المسجد الأقصى[(١)] معنى حوله خارجه وذلك بالأشجار والأنهار والثمار أما داخله فالبركة الدينية بمضاعفة الصلاة فيه أي أجرها إذ الصلاة فيه بخمسمائة صلاة أجراً ومثوبة وقوله تعالى ﴿لنريه من أياتنا﴾ تعليل للاسراء والمعراج وهو أنه تعالى أسرى بعبده وعرج به ليريه من عجائب صنعه في مخلوقاته في الملكوت الأعلى، وليكون ما علمه من طريق الوحي قد علمه بالرؤية والمشاهدة. وقوله تعالى ﴿إنه هو السميع البصير﴾ يعني تعالى نفسه بأنه هو السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم فاقتضت حكمته هذا الاسراء العجب ليزداد الذين آمنوا إيماناً وليرتاب المرتابون ويزدادون كفرا وعناداً

هداية الآية الكريمة:

من هداية الآية الكريمة:

١ ـ تقرير عقيدة الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ بالروح والجسد[(٢)] معاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السماوات العلى، إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام وأوحى إليه تعالى ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس.

٢ ـ شرف المساجد الثلاثة: الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى أما المسجدان الحرام والأقصى فقد ذكرا بالنص وأما مسجد الرسول ﷺ فقد ذكر بالاشارة والإيماء[(٣)] إذ قول الأقصى يقتضي قصياً، فالقصي هو المسجد النبوي والأقصى هو مسجد بيت المقدس.

٣ ـ بيان الحكمة في الاسراء والمعراج وهي أن يرى الرسول ﷺ بعيني رأسه ما كان آمن به وعلمه من طريق الوحي فاصبح الغيب لدى رسول الله شهادة.

---

(١) المسجد الحرام: اول مسجد بني في الأرض، ويليه المسجد الأقصى والزمن بينهما أربعون سنة، والمسجد النبوي بني بعدهما بقرون طويلة، فهذه الثلاثة أشرف المساجد على الإطلاق وعليه فمن نذر صلاة فيها وجب عليه الوفاء بالصلاة فيها، ومن نذر الصلاة في مسجدٍ غيرها جاز أن يصلي في أي مسجد آخر.

(٢) لا قيمة للقول بأنّ الإسراء كان بالروح فقط إذ لو كان بالروح لكان من المنام، ولما قال تعالى: ﴿أسرى بعبده ليلاً﴾ ولما قالت أم هانيء: لاتحدّث الناس فيكذبوك، ولا فضّل أبو بكر بقلب الصديق ولا ما أمكن قريشا التشنيع والتكذيب، ولما ارتد أفراد عن الإسلام بتشنيع قريش، وأما إطلاق لفظ الرؤيا على المنام خاصة فليس بذاك إذ قد يطلق لفظ الرؤيا على الرؤية في اليقظة، وأعظم دليل في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ أي: رأي الرسول جبريل مرّة أخرى في الجنة في السماء ليلة الاسراء والمعراج كما رآه أوّل مرّة في جياد بمكة.

(٣) حدثنا شيخنا الطيب العقبى خريج المسجد النبوي الشريف: أنّه ألقى كلمة في الروضة بالمسجد النبوي ففتح الله تعالى عليه فذكر أنّ المسجد النبوي أشير إليه في آية الاسراء فهو إذاً مذكور في القرآن بالإيماء كما ذكرت في التفسير.

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

شــرح الكلمات:

وآتينا موسى الكتاب : أي التوراة.

وجعلناه هدى : أي جعلنا الكتاب أو موسى هدى أي هادياً لبني إسرائيل.

وكيلا : أي حفيظاً أو شريكاً.

من حملنا : أي في السفينة.

وقضينا : أي أعلمناهم قضاء نافيهم

في الكتاب : أي التوراة.

علواً كبيراً : أي بغياً عظيماً.

أولاهما : أي أولى المرتين.

فجاسوا خلال : أي ترددوا جائين ذاهبين وسط الديار يقتلون ويفسدون.

وعداً مفعولا : أي منجزاً لم يتخلف.

معنى الآيات:

يخبر تعالى أنه هو الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأنه هو الذي آتى موسى الكتاب أي التوراة فهو تعالى المتفضل على محمد ﷺ وعلى أمته بالإسراء به والمعراج

وعلى موسى بإعطائه الكتاب ليكون هدى وبياناً لبني إسرائيل فهو متفضل أيضاً على بني إسرائيل فله الحمد وله المنة.

وقوله: ﴿جعلناه﴾ أي الكتاب ﴿هدى﴾ أي بياناً لبني إسرائيل يهتدون إلى سُبُل الكمال والإسعاد وقوله: ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ أي آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل من أجل ألا يتخذوا من غيري حفيظاً لهم يشركونه بي بالتوكل عليه وتفويض أمرهم إليه ناسين لي وأنا ربهم وولي نعمتهم. وقوله تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ أي يا ذرية[1] من حملنا مع نوح اشكروني كما شكرني نوح على انجائي إياه في السفينة مع أصحابه فيها، إنه أي نوحاً ﴿كان عبداً شكوراً﴾[2] فكونوا أنتم مثله فاشكروني بعبادتي ووحدوني ولا تتركوا طَاعَتِي ولا تشركوا بي سِوَايَ

وقوله تعالى ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدون في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾ يخبر تعالى بأنه أعلم بني اسرائيل بقضائه فيهم وذلك في كتابهم التوراة أنهم يفسدون في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب، ويعلون في الأرض بالجراءة على الله وظلم الناس ﴿علواً كبيراً﴾ أي عظيماً. ولابد أن ما قضاه واقع وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولهما﴾ أي وقت المرة الأولى ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس[3] شديد﴾ أي قوة وبطش في الحرب شديد، وتم هذا لما أفسدوا وظلموا بانتهاك حدود الشرع والإعراض عن طاعة الله تعالى حتى قتلوا نبيهم «أرميا» عليه السلام وكان هذا على يد الطاغية جالوت فغزاهم من أرض الجزيرة ففعل بهم مع جيوشه ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿فجاسوا[4] خلال الديار﴾ ذاهبين جائين قتلاً وفتكاً وإفساداً نقمة الله على بني إسرائيل لإفسادهم وبغيهم البغي العظيم.

وقوله تعالى: ﴿وكان وعداً مفعولا﴾ أي ما حصل لهم في المرة الأولى[5] من الخراب والدمار ومن

---

(١) قرىء ذَرية بفتح الذال، وقرىء ذِرية بكسر الذال أيضاً فهي إذاً مثلثة واللفظ مشتق من الذرء، الذي هو الخلق، فيقال: ذرأ يذرأ ذرأً: إذا خلق وفي الآية تذكير بني إسرائيل بواجب الشكر أي أشكروا كما شكر نوح، وفيها تعريض لهم بأنهم إذا لم يشكروا يؤخذوا كما أخذ قوم نوح.

(٢) أثنى تعالى على عبده نوح بكثرة الشكر لأنّ شكور: من صيغ المبالغة معناه كثير الشكر روي أنه كان إذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء لأجاعني، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي أرواني ولو شاء لأظمأني، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني ولو شاء لأعراني.

(٣) قال: ﴿عباداً لنا﴾ ولم يقل: عبادي لأنهم أهل كفر وشرك وفسق فلم يشرفهم بالإضافة إليه ووصفهم بأنهم من ملكه فسخرّهم لتأديب عباده الذين فسقوا عن أمره وخرجوا عن طاعته.

(٤) الجوس: وهو مصدر جاس يجوس جوساً معناه: التخلل في البلاد وطرقها ذهاباً وإياباً لتتبع ما فيها، والمراد به تتبع المقاتلة لقتالهم.

(٥) في هذه الآيات ذكر مجمل لتاريخ بني إسرائيل بدءاً من دولة يوشع بن نون بعد فتحه لبلاد القدس، وطرد العمالقة منها، وإقامة دولة فيها لأوّل مرة وختاماً بطردهم على أيدي الرومان وذلك سنة مائة وخمس وثلاثين بعد ميلاد عيسى عليه السلام، وقسمت الآيات هذا التاريخ قسمين معبّرة عنه بالمرتين: الأولى بدءاً من دولة يوشع بن نون واستمرّت إلى أن عاثوا في الأرض وفسدوا =

أسبابه كان بوعد من الله تعالى منجزاً فوفاه لهم، لأنه قضاه وأعلمهم به في كتابهم. وقوله: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ أي بعد سنين طويلة وبنو اسرائيل مضطهدون مشردون نبتت منهم نابتة وطالبت بأن يعين لهم ملكاً يقودهم إلى الجهاد وكان ذلك كما تقدم في سورة البقرة جاهدوا وقَتل داود جالوت وهذا معنى ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ وقوله: ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ أي رجالاً في الحروب وكثرت أموالهم وأولادهم وتكونت لهم دولة سادت العالم على عهد داود وسليمان عليهما السلام.

هداية الآيات:

١ - بيان إفضال الله تعالى على الأمتين الإسلامية والإسرائيلية.

٢ - بيان سر إنزال الكتب وهو هداية الناس إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها.

٣ - وجوب شكر الله تعالى على نعمه إذ كان نوح عليه السلام إذا أكل الأكلة قال الحمد لله، وإذا شرب الشربة قال الحمدلله، وإذا لبس حذاءه قال الحمدلله وإذا قضى حاجة قال الحمد لله فسمى عبداً شكوراً وكذا كان رسول الله والصالحون من أمته إلى اليوم.

٤ - ما قضاه الله تعالى كائن، وما وعد به ناجز، والإيمان بذلك واجب.

٥ - التنديد بالإفساد والظلم والعلو في الأرض، وبيان سوء عاقبتها.

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

= فيها بالفسق والفجور فسلط عليه البابليين فأسقطوا دولتهم، ومزّقوا ملكهم واستمروا مشتتين إلى أن ملّكوا طالوت وقاتلوا معه على عهد نبي الله حزقيل فهزموا جالوت البابلي، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ إذ تكونت لهم دولة عظيمة على عهد كل من طالوت وداود وسليمان واستمرّت حتى فسقوا وفجروا فاستحقوا العذاب فسلّط الله عليهم بختنصر البابلي أيضاً فأحرق هيكل سليمان، ودمّر أورشليم فتركها خراباً ودماراً، وهذه هي المرة الآخرة ثم أنجز لهم الله تعالى ما وعدهم بقوله: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ فاجتمعوا وصلحوا وعاد لهم ملكهم فترة من الزمن، وعادوا إلى الفسق والعصيان فعاد الله تعالى عليهم فسلّط عليهم الرومان سنة ١٣٥ بعد الميلاد فاحتلوا بلادهم وشرّدوهم في الأرض.

شـــرح الكلمات :

إن أحسنتم : أي طاعة الله وطاعة رسوله بالإخلاص فيها وبأدائها على الوجه المشروع لها.

أحسنتم لأنفسكم : أي أن الأجر والمثوبة والجزاء الحسن يعود عليكم لا على غيركم.

وإن أسأتم : أي في الطاعة فإلى أنفسكم سوء عاقبة الإساءة.

وعد الآخرة : أي المرة الآخرة المقابلة للأولى وقد تقدمت.

ليسوءوا وجوهكم : أي يقبحوها بالكرب واسوداد الحزن وهم الذل.

وليدخلوا المسجد : أي بيت المقدس.

وليتبروا ما علو تتبيرا : أي وليدمروا ما غلبوا عليه من ديار بني إسرائيل تدميراً

وإن عدتم عدنا : أي وإن رجعتم إلى الفساد والمعاصي عدنا بالتسليط عليكم.

حصيراً : أي محبساً وسجناً وفراشاً يجلسون عليها فهي من فوقهم ومن تحتهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن بني إسرائيل فبعد أن أخبرهم تعالى بما حكم به عليهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً. وأنه إذا جاء ميقات أولى المرتين بعث عليهم عباداً أشداء أقوياء وهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوهم، أنه تعالى رد لهم الكرة عليهم فانتصروا عليهم وقتل داود جالوت وتكونت لهم دولة عظيمة كانت أكثر الدول رجالاً واوسعها سلطاناً وذلك لرجوعهم إلى الله تعالى بتطبيق كتابه والتزام شرائعه وهناك قال تعالى لهم: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ أي إن أحسنتم باتباع الحق والتزام الطاعة لله ورسوله بفعل المأمورات واجتناب المنهيات والأخـذ بسنن الله تعالى في الاصلاح البشري وإن أسأتم بتعطيل الشريعة والانغماس في الملاذ والشهوات فإن نتائج ذلك عائدة على أنفسكم حسب سنة الله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾. وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي وقتها المعين لها، وهي المرة الآخرة بعد الأولى بعث أيضاً عليهم عباداً له وهم بختنصّر وجنوده بعثهم عليهم ليسودوا وجوههم بما يصيبونهم به من الهم والحزن والمهانة والذل ﴿وليدخلوا المسجد﴾ أي بيت المقدس كما دخلوه أول مرة﴿وليتبروا﴾أي يدمروا ما علوا أي ماغلبوا عليه من ديارهم ﴿تتبيرا﴾ أي تدميراً كاملاً وتحطيماً تاماً وحصل لهم هذا لما قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وكثيراً من العلماء وبعد أن ظهر فيهم الفسق وفي نسائهم التبرج والفجور واتخاذ الكعب العالي. كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾[1] فهذا خَيْر عظيم لهم لو طلبوه بصدق لفازوا به ولكنهم أعرضوا عنه وعاشوا على التمرد على الشرع والعصيان لله ورسله. وقوله وإن عدتم عدنا أي وإن عدتم إلى الفسق والفجور عدنا بتسليط من نشاء من عبادنا فأنجزهم الله تعالى ما وعدهم فسلط عليهم رسوله محمداً ﷺ والمؤمنين فاجلى بني قينقاع وبني النضير من المدينة وقتل بني قريضة كما سلط عليهم ملوك أروبا فطاردوهم وساموهم الخسف وأذاقوهم سوء العذاب في قرون طويلة وقوله تعالى: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾[2] أي إن كان عذاب الدنيا بالتسلط على الظالمين وسلبهم حريتهم وإذاقتهم عذاب القتل والأسر والتشريد فإن عذاب الآخرة هو الحبس والسجن في جهنم تكون حصيراً للكافرين لا يخرجون منها للكافرين أي الذين يكفرون شرائع الله ونعمه عليهم بتعطيل الأحكام وتضييع الفرائض وإهمال السنن والانغماس في الملاذ والشهوات.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - صدق وعد الله تعالى.

٢ - تقرير نبوة النبي ﷺ إذ مثل هذه الأنباء لا يقصها إلا نبي يوحى إليه.

٣ - تقرير قاعدة ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾.

٤ - وجوب الرجاء في الله وهو انتظار الفرج والخير منه وإن طال الزمن.

٥ - قد يجمع الله تعالى للكافرين بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وكذا الفاسقون من المؤمنين.

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾

(١) تقدم أن الله تعالى أنجز لهم وعده في قوله ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ وأنه رحمهم فصلحوا واستقاموا، وأعادوا بناء دولتهم وسعدوا فيها زمناً ثم عادوا إلى الفسق والفجور فعاد تعالى عليهم فسلط الرومان فقتلوهم وشردوهم وذلك سنة ١٣٥ بعد الميلاد، ومن يومئذ انتهى ملك اليهود، واستمرت أورشليم تحت يد الرومان إلى الفتح الإسلامي حيث فتحت على يد عمر رضي الله عنه سنة ١٦ صلحاً مع أهلها وهي تسمى يومئذ (إلياء).

(٢) الحصير المكان الذي يحصر فيه فلا يستطاع الخروج منه ففعيل (حصير) إمّا أن يكون بمعنى فاعل أي: حاصر أو بمعنى مفعول أي: محصور فيه، وفسّر في التفسير بالسجن وهو كذلك إذ السجن يحصر مَنْ فيه فلا يقدر على الخروج منه.

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

شــرح الكلمـات:

للتي هي أقوم : أي للطريقة التي هي أعدل وأصوب.

أن لهم أجراً كبيرا : إنه الجنة دار السلام.

اعتدنا لهم عذابا أليما : انه عذاب النار يوم القيامة.

ويدع الانسان بالشر : أي على نفسه وأهله إذا هو ضجر وغضب.

وكان الانسان عجولا : أي سريع التأثر بما يخطر على باله فلا يتروى ولا يتأمل.

آيتيــن : أي علامتين دالتين على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته.

فمحونا آية الليل : أي طمسنا نورها بالظلام الذي يعقب غياب الشمس.

مبصــرة : أي يبصر الانسان بها أي بسبب ضوء النهار فيها.

عدد السنين والحساب : أي عدد السنـين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور.

معنى الآيات:

يخبر تعالى أن هذا القرآن الكريم[1] الذي أنزله على عبده ورسوله محمد الذي أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يهدي بما فيه من الدلائل والحجج والشرائع والمواعظ للطريقة والسبيل التي هي أقوم[2] أي أعدل واقصد من سائر الطرق والسبيل إنها الدين القيم الإسلام سبيل السعادة والكمال في الدارين، ﴿ويبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي ويبشر القرآن الذين آمنوا بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيده وعملوا الصالحات وهي الفرائض والنوافل بعد تركهم الكبائر والمعاصي بأن لهم أجراً كبيراً ألا وهو الجنة، كما يخبر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن الله تعالى

---

(١) قوله: ﴿هذا القرآن﴾ الإشارة بهذا إلى القرآن الحاضر بين أيدي الناس المحفوظ في الصدور المكتوب في السطور، وفي الإشارة إليه تنويه بشأنه وعلو مقامه بين الكتب الإلهية.

(٢) ﴿أقوم﴾ اسم تفضيل من القويم، وأقوم: صفة لمحذوف وهو الطريق أي: الطريق التي هي أقوم من هدي كتاب بني اسرائيل إذ قال فيه: ﴿وجعلناه هدى لبني اسرائيل﴾ فالقرآن أكثر هداية إلى السبيل الأقوم من التوراة.

أعد أي هيأ لهم عذاباً أليمًا في جهنم.

وقوله تعالى ﴿ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير﴾[1] يخبر تعالى عن الإنسان في ضعفه وقلة إدراكه لعواقب الأمور من أنه إذا ضجر أو غضب يدعو على نفسه وأهله بالشر غير مفكر في عاقبة دعائه لو استجاب الله تعالى له. يدعو بالشر دعاءه بالخير أي كدعائه بالخير، وقوله: ﴿وكان الانسان عجولا﴾[2] أي كثير العجلة يستعجل في الأمور كلها هذا طبعه ما لم يتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاقه فإن هو استقام على منهج القرآن تبدل طبعه وأصبح ذا تؤدة وحلم وصبر وأناة. وقوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي علامتين على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا، وقوله ﴿فمحونا آية الليل﴾[3] أي بطمس نورها، وجعلنا آية النهار مبصرة أي مضيئة وبين علة ذلك بقوله: ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ أي لتطلبوا رزقكم بالسعي والكسب في النهار. هذا من جهة ومن جهة أخرى ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ أي عدد السنين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور. لتوقف مصالحكم الدينية[4] والدنيوية على ذلك. وقوله تعالى: ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾ أي وكل شيء يحتاج إليه في كمال الإنسان وسعادته بيناه تبييناً أي في هذا الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان فضل القرآن الكريم، بهدايته إلى الإسلام الذي هو سبيل السعادة للإنسان.

٢ - الوعد والوعيد بشارة المؤمنين العاملين للصالحات، ونذارة الكافرين باليوم الآخر.

٣ - بيان طبع الإنسان قبل تهذيبه بالآداب القرآنية والأخلاق النبوية.

٤ - كون الليل والنهار آيتين تدلان على الله تعالى وتقرران علمه وقدرته وتدبيره.

٥ - مشروعية علم الحساب وتعلمه.

---

(١) قال ابن عباس وغيره: هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما يحب ألا يستجاب له: اللهم أهلكهم ونحوه. وحذفت الواو من ﴿يدعُ﴾ كما حذفت من ﴿سندع الزبانية﴾ و ﴿يمح الله الباطل﴾: لأنه لاينطق بها لاصلها الساكن.

(٢) روي أن آدم عليه السلام لما نفخ الله تعالى فيه الروح فانتهت الروح إلى سرّته نظر إلى جسده فذهب لينهض فلم يقدر فذلك قوله تعالى: ﴿وكان الإنسان عجولا﴾ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومن مظاهر عجلة الإنسان أنه يؤثر العاجل وإن قلّ على الآجل وإن كثر.

(٣) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتادة رحمه الله: المراد بالمحو: اللطخة السوداء في القمر ليكون ضوء القمر أقلّ من ضوء الشمس فيتميّز الليل من النهار وما في التفسير أولى أي: جعل الله الليل مظلماً، والنهار مضيئا لما يترتب على ذلك من مصالح العباد.

(٤) كمعرفة أوقات الصلاة، وشهر الصيام، والحج، وما إلى ذلك من آجال الديون ونحوها كالعِدد للنساء.

وَكُلَّ
إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا
يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ
ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

شــرح الكلمـات :

طائره	: أي عمله وما قدر له من سعادة وشقاء .
في عنقه	: أي ملازم له لا يفارقه حتى يفرغ منه .
عليك حسيبا	: أي كفى نفسك حاسباً عليك .
ولا تزر وازرة وزر أخرى	: أي لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى .
مترفيها	: منعميها من أغنياء ورؤساء .
فحق عليها القول	: أي بالعذاب .
وكم أهلكنا	: أي أهلكنا كثيراً .
من القرون	: أي من أهل القرون السابقة .
خبيرا بصيرا	: أي عليمـاً بصيراً بذنوب العباد .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه عز وجل لعظيم قدرته،وسعة علمه،وحكمته في تدبيره ألزم كل انسان ما قضى به له من عمل وما يترتب على العمل من سعادة أو شقاء في الدارين،الزمه ذلك بحيث لا يخالفه ولا

يتأخر عنه بحال حتى كأنه مربوط بعنقه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾[2] أي وفي يوم القيامة يخرج الله تعالى لكل انسان كتاب عمله فيلقاه منشوراً أي مفتوحاً أمامه. ويقال له: إقرأ كتابك الذي أحصى لك عملك كله فلم يغادر منه صغيرة ولا كبيرة. وقوله ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ أي يكفيك نفسك حاسباً لأعمالك محصياً لها عليك أيها الانسان. وقوله تعالى: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾، أي بعد هذا الإعلام والبيان ينبغي أن يعلم أن من اهتدى اليوم فآمن بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيده وعمل صالحاً وتخلّى عن الشرك والمعاصي فإنما عائد ذلك له هو الذي ينجو من العذاب ويسعد في دار السعادة، وان من ضل طريق الهدى فكذب ولم يؤمن وأشرك ولم يوحّد، وعصى ولم يطع فإن ذلك الضلال عائد عليه هو الذي يشقى به ويعذب في جهنم دار العذاب والشقاء. وقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[3] الوزر الإثم والذنب والوازرة الحاملة له لتؤخذ به ومعنى الكلام ولا تحمل يوم القيامة نفس آثمة إثم نفس أخرى، بل كل نفس تتحمل مسئوليتها بنفسها[4]، والكلام تقرير لقوله: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾. وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[5] أي لم يكن من شأن الله تعالى وهو العدل الرحيم أن يهلك أمة بعذاب إبادة واستئصال قبل أن يبعث فيها رسولاً يعرفها بربها وبمحابه ومساخطه، ويأمرها بفعل المحاب وترك المساخط التي هي الشرك والمعاصي. وقوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أي أهل قرية ﴿أمرنا مترفيها﴾ أي أمرنا منعميها من أغنياء ورؤساء وأشراف من أهل الحل والعقد أمرناهم بطاعتنا بإقامة الشرع وأداء الفرائض والسنن واجتناب كبائر الإثم والفواحش فلم يستجيبوا للأمر ولا للنهي وهو معنى ﴿ففسقوا فيها فحق عليها القول﴾[6] أي وجب عليها العذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أي أهلكناها إهلاكاً كاملاً، وهذا الكلام بيان لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث

---

(١) قال الزجّاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق، وقال ابن عباس طائره: عمله وما قدّر عليه من خير وشر وهو ملازمه أينما كان.

(٢) قالوا في علة: نشره أنه تعجيل للبشرى بالحسنات والتوبيخ بالسيئات.

(٣) قيل في هذه الآية ﴿ولا تزر وازرة . . .﴾ نزلت في الويد بن المغيرة إذ قال لأهل مكة اتبعوني واكفروا بمحمد وعليَّ أوزاركم. وإن لم تنزل فيه فهي شاملة لكل من يقول بقوله تضليلاً وباطلاً.

(٤) استدلت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية على بطلان حديث ابن عمر إذ قال: إنّ الميّت يعذّب ببكاء أهله، وردّ اعتراضها بأنّ الميت إذا أوصى بالبكاء كان ذلك من وزره لا من وزر غيره، وقد كانوا يوصون بذلك، قال طرفة بن العبد:

إذا متّ فأنعيني بما أنا أهله وشُقّي عَلَيَّ الجيب يابنت معبد

ومن الجائز أن يعذّب وإن لم يوص، إذا هو أهمل تأديب أهله.

(٥) أوّل المعتزلة الرسول (رسولا) بالعقل، وقالوا: العقل يحسن ويقبح ويبيح ويحظر، وهو تأويل باطل لا يتفق مع اللغة ولا مع الشرع.

(٦) شاهده حديث زينب في الصحيح: (أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبث).

رسولا﴾ إذ الرسول يأمر وينهى بإذن الله تعالى فإن لم يُطَعْ استوجب الناس العذاب فعذبوا. وقوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ هو تقرير لهذا الحكم أيضاً إذ علمنا تعالى أن ما أخبر به كان واقعاً بالفعل فكثيراً من الأمم أهلكها من بعد هلاك قوم نوح كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وآل فرعون . . وقوله: ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ : فإن القول وإن تضمَّن علم الله تعالى بذنوب عباده فإن معناه الوعيد الشديد والتهديد الأكيد، فإنه تعالى لا يرضى باستمرار الجرائم والآثام إنه يمهل لعل القوم يستفيقون، لعل الفساق يكفون، ثم إذا استمروا بعد الإعلام إليهم والتنديد بذنوبهم والتخويف بظلمهم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. ألا فليحذر ذلك المصرون على الشرك والمعاصي!!

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣ ـ تقرير العدالة[1] الإلهية يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً.

٤ ـ بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم غير أنها لا تهلك إلا بعد الإنذار والإعذار إليها.

٥ ـ التحذير من كثرة التنعم والترف فإنه يؤدي إلى الفسق بترك الطاعة ثم يؤدى الفسق إلى الهلاك والدمار.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ

---

(١) تجلّت عدالة الله تبارك وتعالى في أنه عز وجل لا يعذِّب أمة من الأمم عذاب إبادة واستئصال إلا بعد أن يبعث إليها رسوله ينذرها ويبشرها، فإذا أصرّت على الكفر والتكذيب عذّبها. وهنا يرد موضوع أهل الفترة بين الرسل فهل يعذبون ولم تبلغهم دعوة الله أولا يعذبون فيكون حالهم أحسن ممن جاءتهم الرسل؟ والجواب على هذا الإشكال هو: فيما ورد عن النبي ﷺ وصح: (أن أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصمّ لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة فأمّا الأصمّ فيقول يارب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأمّا الأحمق فيقول ربّ قد جاء الصبيان يقذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربّ قد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأمّا الذي مات في الفترة فيقول: ربّ ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن: ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً.

ومن لم يدخلها يسحب إليها) فظاهر الحديث أنّ من كان من أهل الجنة يطيع يوم القيامة ويدخل النار ثم لا يعذّب بها ويدخل الجنة، ومن كان من أهل النار يعصى يوم القيامة ويدخل النار يخلد فيها، والطاعة والعصيان في هذا الامتحان دالان على حال أهلهما في الدنيا لو توفرت لهم شروط التكليف التي هي: البلوغ، والعقل، والسمع، والبصر، وبلوغ الدعوة. فأولاد المشركين يدخلون ضمن هؤلاء الأربعة أيضاً.

ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ
سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ
رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات

العاجلة : أي الدنيا لسرعة انقضائها.

يصلاها مذموما مدحور : أي يدخلها ملوما مبعداً من الجنة.

وسعى لها سعيها : أي عمل لها العمل المطلوب لدخولها وهو الإيمان والعمل الصالح.

كان سعيهم مشكوراً : أي عملهم مقبولاً مثاباً عليه من قبل الله تعالى.

كلا نمد هؤلاء وهؤلاء : أي كل فريق من الفريقين نعطي.

وما كان عطاء ربك محظورا : أي لم يكن عطاء الله في الدنيا محظوراً أي ممنوعا عن أحد.

كيف فضلنا بعضهم على بعض: أي في الرزق والجاه.

لا تجعل مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبد مع الله تعالى غيره من سائر المعبودات الباطلة.

فتقعد ملوماً مخذولاً : أي فتصير مذموماً من الملائكة والمؤمنين مخذولاً من الله تعالى.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في أخبار الله تعالى الصادقة والمتضمنة لأنواع من الهدايات الإلهية التي لا يحرمها إلا هالك، فقال تعالى في الآية الأولى (١٨) ﴿من كان يريد العاجلة﴾ أي الدنيا ﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾، لا ما يشاؤه العبد، وقوله ﴿لمن نريد﴾ لا من يريد غيرنا فالأمر كله لنا، ﴿ثم﴾ بعد ذلك ﴿جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً﴾ أي ملوماً ﴿مدحوراً﴾[1] أي مطروداً من رحمتنا التي هي الجنة دار الأبرار أي المطيعين الصادقين. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٩) ﴿ومن أراد الآخرة﴾ يخبر

(١) قال القرطبي: ﴿مذموماً مدحوراً﴾ أي: مطروداً مبعداً من رحمة الله، وهذه صفة المنافقين الفاسقين والمرائين والمدّاحين يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة ولا يعطون في الدنيا إلّا ما قُسم لهم.

تعالى أن من أراد الآخرة أي سعادة الآخرة ﴿وسعى لها سعيها﴾ أي عمل لها عملها اللائق بها وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح الموافق لما شرع الله في كتابه وعلى لسان رسوله، واجتنب الشرك والمعاصي وقوله ﴿وهو مؤمن﴾ قيد في صحة العمل الصالح أي لا يقبل من العبد صلاة ولا جهاد إلا بعد إيمانه بالله وبرسوله وبكل ما جاء به رسوله وأخبر به من الغيب.

وقوله ﴿فأولئك﴾ أي المذكورون بالإيمان والعمل الصالح ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾[(١)] أي كان عملهم متقبلاً يثابون عليه بالجنة ورضوان الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾ إي ان كلا من مريدي الدنيا ومريدي الآخرة يمد الله هؤلاء وهؤلاء من عطائه أي فضله الواسع فالكل يأكل ويشرب ويكتسي بحسب ما قدر له من الضيق والوسع ثم يموت وثَمَّ يقع التفاضل بحسب السعى الفاسد أو الصالح وقوله ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾[(٢)] يعني أن من أراد الله إعطاءه شيئاً لايمكن لأحد أن يصرفه منه ويحرمه منه بحال من الأحوال وقوله تعالى: ﴿أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ أي انظر يارسولنا ومن يفهم خطابنا كيف فضلنا بعض الناس على بعض في الرزق الذي شمل الصحة والعافية والمال والذرية والجاه، فإذا عرفت هذا فاعرف أن الآخرة أكبر درجات[(٣)] وأكبر تفضيلا وذلك عائد إلى فضل الله أولا ثم إلى الكسب صلاحـاً وفسـاداً وكثرة وقِلَّةً كما هي الحال أيضا في الدنيا فبقدر كسب الإنسان الصالح للدنيا يحصل عليها ولو كان كافراً لقوله تعالى من سورة هود[(٤)] ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ أي لا ينقصون ثمرات عملهم لكونهم كفاراً مشركين.

وقوله تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾[(٥)] أي لا تجعل يارسولنا مع الله إلهاً آخر تؤمن به وتعبده وتقرر إلهيته دوننا فإنك إن فعلت ـ وحاشاه أن يفعل لأن الله لايريد له ذلك ﴿فتقعد في جهنم مذموماً﴾ أي ملوماً يلومك المؤمنون والملائكة مخذولا من قبل ربك لا ناصر لك والسياق وإن كان في خطاب الرسول ﷺ فإن المراد به كل إنسان فالله تعالى ينهى عبده أن يعبد معه غيره فيترتب على ذلك شقاؤه والعياذ بالله تعالى.

---

(١) وجائز أن يكون مضاعفاً أي تضاعف لهم الحسنات إلى عشر إلى سبعين إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، فقد قيل لأبي هريرة، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟ قال: سمعته يقول: (إنّ الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة).

(٢) لفظ الحظر لغة: المنع، محظوراً أي ممنوعاً يقال: حظره كذا يحظره حظراً وحظاراً: إذا حبسه عنه ومنعه منه.

(٣) ورد أنّ أهـل الجنـة يتفـاوتون في درجاتهم إذ الجنة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض، وفي الصحيح: أنّ أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء).

(٤) آية ١٥

(٥) الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمّته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - كلا الدارين السعادة فيها أوالشقاء متوقف على الكسب والعمل هذه سنة الله تعالى في العباد.

٢ - سعى الدنيا التجارة والفلاحة والصناعة.

٣ - سعى الآخرة الإيمان وصالح الأعمال والتخلية عن الشرك والمعاصي.

٤ - يعطي الله تعالى الدنيا من يحب ومن لا يحب وعطاؤه قائم على سنن له في الحياة يجب معرفتها والعمل بمقتضاها لمن أراد الدنيا والآخرة.

٥ـ ما أعطاه الله لا يمنعه أحد فوجب التوكل على الله والإعراض عما سواه.

٦ - تحريم الشرك والوعيد عليه بالخلود في نار جهنم.

۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

شـــرح الكلمات :

وقضى ربك : اي أمر وأوصى.

وبالوالدين إحسانا : أي وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً وذلك ببرورهما.

فلا تقل لهما أف : أي تباً أو قبحاً أو خسراناً.

ولا تنهرهما : أي ولا تزجرهما بالكلمة القاسية .
قولاً كريما : جميلًا ليناً .
جناح الذل : أي ألن لهما جانبك وتواضع لهما.
كان للأوابين : أي الرجاعين إلى الطاعة بعد المعصية .
وآت ذا القربى : أي أعط أصحاب القرابات حقوقهم من البر والصلة .
ولا تبذر تبذيرا : أي ولا تنفق المال في غير طاعة الله ورسوله .
لربه كفورا : أي كثير الكفر كَبِيرَهُ لنعم ربه تعالى، فكذلك المبذر أخوه .

معنى الآيات:

لما حرم الله تعالى الشرك ونهى عنه رسوله بقوله ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا﴾ أمر بالتوحيد فقال: ﴿وقضى[1] ربك﴾ أي حكم وأمر ووصى ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ أي بأن لا تعبدوا إلا الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحسانا[2]﴾ أي وأوصى بالوالدين وهما الأم والأب إحساناً وهو برهما وذلك بإيصال الخير إليهما وكف الأذى عنهما، وطاعتهما في[3] غير معصية الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما[4]﴾ أي إن يبلغ سن الكبر عندك واحد منهما الأب أو الأم أو يكبراز معاً وأنت حي موجود بينهما في هذه الحال يجب أن تخدمهما خدمتهما لك وأنت طفل فتغسل بولهما وتطهر نجاستهما وتقدم لهما ما يحتاجان إليه ولاتتضجّر أو تتأفف من خدمتهما كما كانا هما يفعلان ذلك معك وأنت طفل تبول وتخرأ وهما يغسلان وينظفان ولا يتضجران أو يتأففان، وقوله: ﴿ولا تنهرهما﴾ أي لا تزجرهما بالكلمة العالية النابية ﴿وقل لهما قولاً كريما[5]﴾ اي جميلاً سهلا لينا يشعران معه بالكرامة والإكرام لهما وقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة[6]﴾ أي ألن لهما وتطامن وتعطف عليهما وترحم. وادع لهما طوال

(١) فعل قضي يكون لمعان عدّة منها قضى بمعنى: أمر كما هنا، وقضى بمعنى: فرغ كقوله تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ أي فرغتم منها، ويكون بمعنى حكم نحو: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ وبمعنى العهد نحو: ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ ويكون بمعنى الخلق نحو: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أي: خلقهن.

(٢) هذه الآية نص في برّ الوالدين وحرمة عقوقهما، وشاهد ذلك من السنة قوله ﷺ وقد سئل عن أحب الأعمال إلى الله تعالى فقال: ﴿برّ الوالدين﴾ وقال: ﴿إنّ من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسبّ الرجل أبا الرجل فيسبّ أباه ويسبّ أمّه فيسبّ أمّه).

(٣) من شواهد الطاعة أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة أحبّها وكان أبي يكرهها فأمرني أن أطلقها فأبيت، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: يا عبدالله بن عمر طلّق امرأتك) وللأم ثلاثة أرباع الطاعة وللأب الربع لحديث الصحيح: رواه الترمذي وصححه: (من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمّك قال: ثمّ من قال أمّك. قال: ثمّ من قال: أمّك. قال: ثم قال: أبوك).

(٤) أي: لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرّم وعدم رضا، وأف: اسم فعل كصَه ومَهْ منوّن وفيه لغات.

(٥) الكريم من كل شيء أرفعه في نوعه.

(٦) ال: في الرحمة نابت عن المضاف، إذ التقدير: من رحمتك إياهما

حياتك بالمغفرة والرحمة إن كانا موحّدين ﴿وماتا على ذلك لقوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وهو معنى قوله تعالى: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾، وقوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين[1] فإنه كان للأوابين غفوراً﴾

يخبر تعالى بأنه أعلم بنا من أنفسنا فمن كان يضمر عدم الرضا عن والديه والسخط عليهما فالله يعلمه منه، ومن كان يضمر حبهما واحترامهما والرضا بهما وعنهما فالله تعالى يعلمه ويجزيه به فالمحسن يجزيه بالإحسان والمسيء يجزيه بالإساءة، وقوله: ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين[2] غفوراً﴾ بحكم ضعف الإنسان فإنه قد يضمر مرة السوء لوالديه أو تبدر منه البادرة السيئة من قول أو عمل وهو صالح مؤدٍ لحقوق الله تعالى وحقوق والديه وحقوق الناس فهذا العبد الصالح يخبر تعالى أنه غفور له متى آب إلى الله تعالى مستغفراً مما صدر منه نادماً عليه.

وقوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى[3] حقه والمسكين وابن السبيل﴾ هذا أمر الله للعبد المؤمن بايتاء قرابتـه حقوقهم من البر والصلة وكذا المساكين وهم الفقراء الذي مسكنتهم الفاقة وأذلهم الفقر فهؤلاء أمر تعالى المؤمن باعطائهم حقهم من الإحسان إليهم بالكساء أو الغذاء والكلمة الطيبة، وكذا ابن السبيل وهو المسافر يعطي حقه من الضيافة والمساعدة على سفره إن احتاج إلى ذلك مع تأمينه وإرشاده إلى طريقه. وقوله تعالى ﴿ولا تبذر تبذيرا[4]﴾ أي ولا تنفق مالك ولا تفرقه في غير طاعة الله تعالى. وقوله ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ لأنهم بتبذيرهم المال في المعاصي كانوا عصاة لله فاسقين عن أمره وهذه حال الشياطين فتشابهوا فكانوا إخواناً، وقوله إن الشيطان كان لربه كفوراً لأنه عصى الله تعالى وكفر نعمه عليه ولم يشكره بطاعته فالمبذر للمال في المعاصي فسق عن أمر ربه ولم يشكر نعمه عليه فهو إذا شيطان فهل يرضى عبدالله المسلم أن يكون شيطانا؟

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب عبادة الله تعالى وحده ووجوب بر الوالدين، وهو الإحسان بهما، وكف الأذى عنهما، وطاعتهما في المعروف.

---

(١) ﴿صالحين﴾: أي: مؤدين لحقوق الله تعالى وافية وحقوق عباده كذلك.

(٢) الأوّاب: الذي كلما أذنب تاب. والأوّاب، الحفيظ: الذي كلما ذكر ذنبه استغفر ربّه. وصلاة الأوّابين: صلاة الضحى حين ترمض الفصلان أي تحترق أخفافها من الرمضاء فتبرك من شدة الحر.

(٣) هم قرابة المرء من قبل أبيه وأمّه معاً. قاله ابن عباس والحسن.

(٤) قال مجاهد: لو أنفق ماله كله في حق ما كان مبذرا، ولو أنفق مُداً في غير حق كان مبذراً.

٢ ـ وجوب الدعاء للوالدين بالمغفرة والرحمة.[١]

٣ ـ وجوب مراقبة الله تعالى وعدم إضمار أي سوء في النفس.

٤ ـ من كان صالحاً وبدرت منه البادرة وتاب منها فإن الله يغفر له ذلك.

٥ ـ وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البر والصلة، وكذا المساكين وابن السبيل.

٦ ـ حرمة التبذير وحقيقته إنفاق المال في المعاصي والمحرمات.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات:

وإما تعرضن عنهم : أي عن المذكورين من ذي القربى والمساكين وابن السبيل فلم تعطهم شيئاً.

ابتغاء رحمة من ربك ترجوها : أي طلباً لرزق ترجوه من الله تعالى.

---

(١) روى أبو داود وغيره أن رجلا من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله: (هل بقي من برّ والدي من بعد موتهما شيء أبرهما به؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلّا من قِبلهما فهذا الذي بقي عليك) وفي الصحيح عن ابن عمر قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ من أبرّ البرِّ صلة الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولّي).

قولا ميسوراً	: أي ليناً سهلاً بأن تعدهم بالعطاء عند وجود الرزق.
مغلولة إلى عنقك	: أي لا تمسك عن النفقة كأن يدك مربوطة إلى عنقك فلا تستطيع أن تعطي شيئاً.
ولا تبسطها كل البسط	: أي ولا تنفق كل ما بيدك ولم تبق شيئاً.
فتقعد ملوما	: أي يلومك من حرمتهم من الإنفاق.
محسورا	: أي منقطعا عن سيرك في الحياة إذ لم تبق لك شيئاً.
يبسط الرزق ويقدر	: أي يوسعه، ويقدر أي يضيقه امتحانا وابتلاء.
خشية املاق	: أي خوف الفقر وشدته.
خطئاً كبيراً	: أي إثمًا عظيمًا.
فاحشة وساء سبيلاً	: أي خصلة قبيحة شديدة القبح، وسبيلا بئس السبيل.
لوليه سلطان	: أي لوارثه تسلطاً على القاتل.
فلا يسرف في القتل.	: أي لا يقتل غير القاتل.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في وصايا الرب تبارك وتعالى والتي هي حكم أوحاها الله تعالى إلى رسوله للاهتداء بها، والكمال والإسعاد عليها. فقوله تعالى: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي إن أعرضت عن قرابتك أو عن مسكين سألك أو ابن سبيل احتاج إليك ولم تجد ماتعطيهم فأعرضت عنهم بوجهك أيها الرسول ﴿فقل لهم قولاً ميسورا[1]﴾ أي سهلا ليناً وهو العدة الحسنة كقولك إن رزقني الله سأعطيك أو عما قريب سيحصل لي كذا وأعطيك وما أشبه ذلك من الوعد الحسن، فيكون ذلك عطاء منك عاجلاً لهم يسرون به، ولا يحزنون. وقوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أي لا تبخل بما آتاك الله فتمنع ذوي الحقوق حقوقهم كأن يدك مشدودة إلى عنقك فلا تستطيع أن تنفق، وقوله: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ أي تفتح يديك بالعطاء فتخرج كل ما بجيبك أو خزانتك فلا تبق شيئاً لك ولأهلك. وقوله: ﴿فتقعد ملوماً محسوراً﴾ أي إن أنت أمسكت ولم تنفق لامك سائلوك إذ لم تعطهم، وإن أنت أنفقت كل

(١) روي أنّ النبي ﷺ كان إذا سئل وليس عنده ما يعطي سكت انتظاراً للرّزق يأتي من الله تعالى كراهة الردّ فنزلت هذه الآية. فكان ﷺ: إذا سئل وليس عنده ما يعطى قال: (يرزقنا الله وإيّاكم من فضله) فالرحمة في الآية: الرزق المنتظر ولقد أحسن مَنْ قال:

إلاّ تكن ورق يوماً أجود بها ... للسائلين فإني ليّن العودِ
لا يعدم السائلون الخير من خلقي ... إمّا نوالي وإمّا حسن مردودي

شيء عندك انقطعت بك الحياة ولم تجد ماتواصل به سيرك في بقية عمرك فتكون كالبعير الذي أعياه السير فانقطع عنه وترك محسوراً في الطريق لا يستطيع صاحبه رده إلى أهله، ولا مواصلة السير عليه إلى وجهته. وقوله: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي يوسع على من يشاء امتحاناً له أيشكر أم يكفر ويقدر لمن يشاء أي يضيق على من يشاء ابتلاء له أيصبر أم يضجر ويسخط، ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ فلذا هو يوسع ويضيق بحسب علمه وحكمته، إذ من عباده من لايصلحه إلا السعة، ومنهم من لايصلحه إلا الضيق، وقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ أي ومما حكم به وقضى ووصى ﴿ألا تقتلوا أولادكم﴾ أي أطفالكم[1] ﴿خشية إملاق﴾ أي مخافة الفاقة والفقر، إذ كان العرب يئدون البنات خشية العار ويقتلون الأولاد الذكور كالإناث مخافة الفقر فأوصى تعالى بمنع ذلك وقال متعهداً متكفلا برزق الأولاد وآبائهم فقال: ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ وأخبر تعالى أن قتل الأولاد ﴿كان خطئاً[2] كبيراً﴾ أي إثماً عظيماً فكيف يقدم عليه المؤمن؟.

وقوله: ﴿ولا تقربوا[3] الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً[4]﴾ أي ومن جملة ما حكم به ووصى أن لا تقربوا أيها المؤمنون الزنا مجرد قرب منه قبل فعله،لأن الزنا كان في حكم الله فاحشة أي خصلة قبيحة شديدة القبح ممجوجة طبعاً وعقلاً وشرعا، وساء طريق هذه الفاحشة سبيلاً أي بئس الطريق الموصل إلى الزنا طريقا للآثار السيئة والنتائج المدمرة التي تترتب عليه أولها أذية المؤمنين في أعراضهم وآخرها جهنم والاصطلاء بحرها والبقاء فيها أحقاباً طويلة. وقوله: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ أي ومما حكم تعالى به وأوصى أن لاتقتلوا أيها المؤمنون النفس التي حرم الله أي قتلها إلا بالحق، وقد بيَّن رسول الله ﷺ الحق الذي تقتل به نفس المؤمن وهو واحدة من ثلاث: القتل العمد العدوان، الزنا بعد الاحصان، الكفر بعد الإيمان. وقوله: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً[5]﴾ أي من قتل له قتيل ظلماً وعدواناً أي غير خطأ فقد أعطاه تعالى سلطة كاملة على قاتل وليه إن شاء قتله وإن شاء أخذ دية منه، وإن شاء عفا عنه لوجه الله تعالى: وقوله: ﴿فلا يسرف[6] في القتل إنه كان منصورا[7]﴾ أي لا يحل لولي الدم أي لمن قتل له

(١) الإملاق: الفقر، وعدم الملك، يقال: أملق الرجل: إذا لم يبق له إلّا الملقات، وهي الحجارة العظام المُلس.
(٢) يقال: خطىء يخطأ خطئاً، وخطأ: إذا أذنب. وأخطأ يُخطىء: خطأً إذا سلك سبيل خطإعمداً.
(٣) قالت العلماء: قول: ﴿ولا تقربوا الزنى﴾: أبلغ من قول: ولا تزنوا، فإنّ معناه لا تدنوا من الزنى والزنى يمدّ ويقصر لغتان.
(٤) قبح سبيلا أي: طريقاً لأنه يؤدي إلى النار.
(٥) الولي: هو المستحق الدّم رجلاً كان أو امرأة، والسلطان معناه التسليط فهو إن شاء قتل وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.
(٦) أي: فلا يقتل غير قاتله، ولا يمثّل بالقتيل، ولا يقتل بالواحد اثنين أو أكثر ولا بالعبد الحر.
(٧) جملة: إنه كان منصورا: تعليلية أي: علّة للنهي عن الإسراف في القتل.

قتيل أن يسرف في القتل فيقتل بدل الواحد أكثر من واحد أو بدل المرأة رجلا. أو يقتل غير القاتل، وذلك أن الله تعالى أعطاه سلطة تمكنه من قتل قاتله فلا يجوز أن يقتل غير قاتله كما كانوا في الجاهلية يفعلون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ العدة الحسنة تقوم مقام الصدقة لمن لم يجد ما يتصدق به على من سأله.

٢ ـ حرمة البخل، والإسراف معاً وفضيلة الاعتدال والقصد.

٣ ـ تجلى حكمة الله تعالى في التوسعة على أناس، والتضييق على آخرين.

٤ ـ حرمة قتل الأولاد بعد الولادة أو إجهاضاً قبلها خوفا من الفقر أو العار.

٥ ـ حرمة مقدمات الزنا كالنظر بشهوة والكلام مع الأجنبية ومسها وحرمة الزنا وهو أشد.

٦ ـ حرمة قتل النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق والحق قتل عمد عدواناً، وزناً بعد إحصان، وكفر بعد إيمان.[1]

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ
مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ
إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾
ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

(١) لحديث الصحيحين: (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة) وفي السنن: (لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم).

شــرح الكلمـات:

الا بالتي هي أحسن : أي ألا بالخصلة التي هي أحسن من غيرها وهي تنميته والإنفاق عليه منه بالمعروف.

حتى يبلغ أشده : أي بلوغه سن التكليف وهو عاقل رشيد.

وأوفوا بالعهد : أي إذا عاهدتم الله أو العباد فأوفوا بما عاهدتم عليه.

إن العهد كان مسئولا : أي عنه وذلك بأن يُسأل العبدُ يوم القيامة لم نكثت عهدك ؟

أوفوا الكيل : أي اتموه ولا تنقصوه.

بالقسطاس المستقيم : أي الميزان السوي المعتدل.

وأحسن تأويلاً : أي مآلاً وعاقبة.

ولا تقف : أي ولا تتبع.

والفؤاد : أي القلب.

كان عنه مسئولاً : أي عن كل واحد من هذه الحواس الثلاث يوم القيامة.

مرحاً : أي ذا مرح بالكبر والخيلاء.

لن تخرق الأرض : أي لن تثقبها أو تشقها بقدميك.

من الحكمة : أي التي هي معرفة المحاب لله تعالى للتقرب بها إليها ومعرفة المساخط لتتجنبها تقربا إليه تعالى بذلك.

ملوما مدحوراً : أي تلوم نفسك علي شركك بربك مبعداً من رحمة الله تعالى.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في بيان ما قضى به الله تعالى على عباده المؤمنين ووصاهم به فقال تعالى: ﴿ولا تقربوا﴾ أي أيها المؤمنون ﴿مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ أي بالفعلة التي هي أجمـل وذلـك بأن تتصـرفـوا فيه بالتثمير له والاصـلاح فيه ، والانفـاق منـه على اليتيم بالمعـروف أمـا أن تقـربـوه لتأكلوه إسرافاً وبداراً فلالا . وقوله : حتى يبلغ أشده أي حتى يبلغ سن الـرشـد فتحاسبوه وتعطوه ماله يتصرف فيه حسب المشروع من التصرفات المالية. وقوله تعالى :﴿وأوفوا بالعهد﴾[1] أي ومما أوصاكم به أن توفوا بعهودكم التي بينكم وبين ربكم وبينكم وبين سائر الناس مؤمنهم وكافرهم فلا يحل لكم أن لا توفوا بالعهد وأنتم قادرون على الوفاء بحال من الأحوال. وقوله ﴿إن العهد كان مسئولاً﴾[2] تأكيد للنهي عن نكث العهد إذ أخبر تعالى أن العبد

(١) التعريف في «العهد» للجنس ليشمل سائر العهود.

(٢) الجملة تعليلية علل بها الأمر بالوفاء بالعهود، وحذف متعلق مسئولا لظهوره: وهو عنه أي مسئولا عنه.

سيسأل عن عهده الذي لم يف به يوم القيامة، ومثل العهد سائر العقود من نكاح وبيع وإيجار وما إلى ذلك لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أي العهود، وقوله: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس[1] المستقيم﴾ هذا مما أمر الله تعالى وهو إيفاء الكيل والوزن أي توفيتهما وعدم بخسهما ونقصهما شيئاً ولو يسيراً ما دام في الإمكان عدم نقصه، أما ما يعسر التحرز منه فهو من العفو لقوله تعالى: ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾. وقوله ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ أي ذلك الوفاء والتوفية في الكيل والوزن خير لبراءة الذمة وطيب النفس به وأحسن تأويلا أي عاقبة إذ يبارك الله تعالى في ذلك المال بأنواع من البركات لا يعلمها إلا وهو عز وجل. ومن ذلك أجر الآخرة وهو خير فإن من ترك المعصية وهو قادر عليها أثابه الله تعالى على ذلك بأحسن ثواب. وقوله تعالى: ﴿ولا تقف[2] ماليس لك به علم[3]﴾ أي لاتتبع بقول ولا عمل ما لا تعلم، ولاتقل رأيت كذا وأنت لم تر، ولا سمعت كذا وأنت لم تسمع. وقوله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد﴾ أي القلب ﴿كل أولئك كان عنه مسئولاً[4]﴾ أي لا تقف ماليس لك به علم، لأن الله تعالى سائل هذه الأعضاء يوم القيامة عما قال صاحبها أو عمل فتشهد عليه بما قال أو عمل مما لا يحل له القول فيه أو العمل. ومعنى أولئك أي تلك المذكورات من السمع والبصر والفؤاد. وقوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي خيلاء وتكبراً أي مما حرم تعالى وأوصى بعدم فعله المشي في الأرض مرحاً أي تكبراً واختيالاً، لأن الكبر حرام وصاحبه لا يدخل الجنة، وقوله ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي برجليك أيها المتكبر لأن المتكبر يضرب الأرض برجليه اعتزازاً واهتزازاً، ولن تبلغ الجبال طولا مهما تعاليت وتطاولت فإنك كغيرك من الناس لا تخرق الأرض أي تثقبها أو تقطعها برجليك ولا تبلغ علو الجبال فلذا أترك مشية الخيلاء والتكبر، لأن ذلك معيب ومنقصة ولا يأتيه إلا ذو حماقة وسفه. وقوله تعالى: ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾ أي كل ذلك المأمور به

---

(١) القسطاس بضم القاف قراءة الجمهور وبكسرها قراءة حفص وهو اسم للميزان أي آلة الوزن، واسم للعدل أيضاً وقيل هو معرب من الرومية مركب من قسط أي عدل وطاس وهو كفة الميزان والأصل ضم القاف وكسره العرب لأنه أعجمي وهم يقولون أعجمي العب به ما شئت.

(٢) القفو: الاتباع يقال قفاه يقفوه إذا اتبعه وهو مشتق من القفا وهو وراء العنق.

(٣) بهذه الحكمة وهي ولا تقف ما ليس لك به علم: وضع حد لكثير من المفاسد التي كانت تقع لسبب القول بدون علم منها: الطعن في الأنساب لمجرد ظن. ومنها القذف بالفاحشة. ومنها الكذب، ومنها شهادة الزور إلى غير ذلك من الأضرار التي تتم بسبب القول بالظن وبدون علم.

(٤) كل أولئك: المفروض أن يقال: كلها ولكن عدل إلى أولئك لأهمية تلك الحواس ونظير هذا في كلام العرب قول الشاعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

والمنهي عنه من قوله تعالى: ﴿وقضى ربك﴾ إلى قوله ﴿ كل ذلك كان سيئه[1] عند ربك مكروها﴾ سيئة كالتبذير والبخل وقتل الأولاد والزنا وقتل النفس وأكل مال اليتيم، وبخس الكيل والوزن، والقول بلا علم كالقذف وشهادة الزور، والتكبر كل هذا الشيء مكروه عند الله تعالى إذاً فلا تفعله ياعبدالله وما كان من حسن فيه كعبادة الله تعالى وحده وبر الوالدين والإحسان إلى ذوي القربى والمساكين وابن السبيل والعدة الحسنة فكل هذا الحسن هو عند الله حسن فأته ياعبدالله ولا تتركه ومن قرأ كنافع كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها فإنه يريد ما اشتملت عليه الآيات من التبذير والبخل وقتل النفس إلى آخر المنهيات.

وقوله تعالى: ﴿ذلك[2] مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ أي ذلك الذي بيَّنَّا لك يارسولنا من الأخلاق الفاضلة والخلال الحميدة التي أمرناك بالأخذ بها والدعوة إلى التمسك بها، ومن الخلال القبيحة والخصال الذميمة التي نهيناك عن فعلها وحرمنا عليك إتيانها مما أوحينا إليك في كتابنا هذا من أنواع الحكم وضروب العلم والمعرفة، فلله الحمد وله المنة.

وقوله: ﴿ولا تجعل[3] مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً[4]﴾ هذه أم الحكم بدأ بها السياق وختمه بها تقريراً وتأكيداً إذ تقدم قوله تعالى: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾. والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن كل أحد معني به فأي إنسان يشرك بربه أحداً من خلقه في عبادته فقد جعله إلهاً مع الله، ولابد أن يلقى في جهنم ملوماً من نفسه مدحوراً مبعداً من رحمة ربه التي هي الجنة. وهذا إذا مات قبل أن يتوب فيوحد ربه في عباداته. إذ التوبة إذا صحت جَبَّت ماقبلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة مال اليتيم أكلا أوإفساداً أو تضييعاً وإهمالاً.

٢ ـ وجوب الوفاء بالعهود وسائر العقود.

٣ ـ وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة بخس الكيل والوزن.

---

(١) قرأ الجمهور: سيئة، وقرأ حفص: سيئه، والسيئة ضد الحسنة.

(٢) الإشارة إلى ما تقدم، والجملة مذيّل بها الكلام تنبيها على ما اشتملت عليه الآيات السبع عشرة من الحكمة تحريضاً على اتباع ما فيها وأنه خيرعظيم كما فيها الامتنان على النبي ﷺ وعلى أمته بهذه الحكم والمعارف النافعة في الدنيا والآخرة.

(٣) هذه الجملة معطوفة على مثيلاتها المتضمنة للنهي عن كبائر الذنوب وهي مؤكدة لمضمون جملة: ﴿وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه﴾.

(٤) المدحور: هو المطرود من رحمة الله المغضوب عليه من الله تعالى.

٤ ـ حصول البركة لمن يمتثل أمر الله في كيله ووزنه.

٥ ـ حرمة القول أو العمل بدون علم لما يُفْضِي إليه ذلك من المفاسد ولأن الله تعالى سائل كل الجوارح ومستشهدها على صاحبها يوم القيامة.

٦ ـ حرمة الكبر ومقت المتكبرين.

٧ ـ إنتظام هذا السياق لخمس وعشرين حكمة الأخذ بها خير من الدنيا وما فيها، والتفريط فيها هو سبب خسران الدنيا والآخرة.

أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم
بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا
﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

أفا صفاكم : الاستفهام للتوبيخ والتقريع ومعنى أصفاكم خصكم بالبنين واختارهم لكم.

ولقد صرفنا في هذا القرآن : أي بينا فيه من الوعد والوعيد والأمثال والعظات والأحكام والعبر.

ليذكروا : أي ليذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويطيعوا.

لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا : أي لَطَلَبوا طريقا إلى الله تعالى للتقرب إليه وطلب المنزلة عنده.

ومن فيهن : أي في السموات من الملائكة والأرض من انسان وجان وحيوان.

وإن من شيء إلا يسبح : أي وما من شيء إلا يسبح بحمده من سائر المخلوقات.

حليما غفوراً : حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على معصيتكم إياه وعدم طاعتكم له.

معنى الآيات :

يقول تعالى مقرعاً موبخاً المشركين الذين يئدون البنات ويكرهو نهنّ ثم هم يجعلون الملائكة إناثا ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾[1] أي أخصكم بالبنين، واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولا عظيماً أيها المشركون إذ تجعلون لله ما تكرهون افتراءً وكذباً على الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾[2] أي من الحجج والبينات والأمثال والمواعظ الشيء الكثير من أجل أن يُذَّكروا فيذكروا ويتعظوا فيُنيبوا إلى ربهم فيوحدونه وينزهونه عن الشريك والولد، ولكن ما يزيدهم القرآن وما فيه من البينات والهدى إلا نفوراً وبعداً عن الحق. وذلك لغلبة التقليد عليهم، والعناد والمكابرة والمجاحدة. وقوله تعالى: ﴿قل لو كان معه آلهة كما تقولون﴾ أي قل يانبينا لهؤلاء المشركين المتخذين لله أنداداً يزعمون أنها آلهة مع الله قل لهم لو كان مع الله آلهة كما تقولون وإن كان الواقع يكذبكم إذ ليس هناك آلهة مع الله ولكن على فرض أنه لو كان مع الله آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا أي لطلبوا طريقا إلى ذي العرش سبحانه وتعالى يلتمسون فيها رضاه ويطلبون القرب منه والزلفى إليه لجلاله وكماله، وغناه وحاجتهم وافتقارهم[3] إليه. ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه أن يكون معه آلهة فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾. وقوله: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾[4] فأخبر تعالى منزها نفسه مُقدّساً ذاته عن الشبيه والشريك والولد والعجز، فأخبر أنه لعظمته وكماله تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن بكلمة: سبحان الله وبحمده ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ كما أخبر أنه ما من شيء من المخلوقات إلا ويسبح بحمده

---

(١) الجملة متفرعة عن جملة: ﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر﴾ وهي متضمنة للإنكار على المشركين في تسميتهم الملائكة إناثاً ونسبتهم إلى الله تعالى إذ قالوا: الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك، كما هي متضمنة توبيخ المشركين على سوء فهمهم وقبيح قولهم بدليل قوله: ﴿انكم لتقولون قولا عظيما﴾.

(٢) من الجائز أن تكون (في) مزيدة، والقرآن: معمول اصرّفنا، إذ التصريف: صرف الشيء من جهة إلى جهة، والمراد به هنا: البيان والتكرير والانتقال من حكمة إلى حكمة ومن عبرة إلى موعظة.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لطلبوا مع الله منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، وقال سعيد بن جبير المعنى: إذاً لطلبوا طريقاً إلى الوصول إليه ليزيلوا ملكه لأنهم شركاؤه، وما قاله ابن عباس كالذي قاله سعيد جائز لكن ما ذهبنا إليه في التفسير أولى وألصق بمعنى الآيات والسياق.

(٤) من الملائكة والجنّ والإنس.

بلسان قَالِهِ وحَالِهِ[1] معاً فيقول سبحان الله وبحمده وقوله: ﴿ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾[2] لاختلاف الألسنة واللغات. وقوله إنه كان أي ﴿الله حليما﴾: أي لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، غفوراً يغفر ذنوب وزلات من تاب إليه وأناب طالباً مغفرته ورضاه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - حرمة القول على الله تعالى بالباطل ونسبة النقص إليه تعالى كاتخاذه ولداً أو شريكا.

٢ - مشروعية الاستدلال بالعقليات، على إحقاق الحق وإبطال الباطل.

٣ - فضيلة التسبيح وهو قول: سبحان الله وبحمده حتى إن من قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت في الكثرة مثل زبد البحر.

٤ - كل المخلوقات في العوالم كلها تسبح الله تعالى أي تنزهه عن الشريك والولد والنقص والعجز ومشابهة الحوادث إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٥ - حلم الله يتجلى في عدم تعجيل عقوبة من عصاه ولولا حلمه لعجل عقوبة مشركي مكة وأكابر مجرميها. ولكن الله أمهلهم حتى تاب أكثرهم.

وَإِذَا قَرَأْتَ
ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا
مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ
وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا
﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ
إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

---

(١) المراد من لسان الحال: هو تسبيح الدلالة، إذ كل محدث شاهد على أن الله خالق قادر، ولا مانع من أن يسبّح كل شيء من إنسان وحيوان ونبات وجماد والجن والملائكة إلا ذرية إبليس فإنهم لا يسبّحون بلسان القال ولكن بلسان الحال.

(٢) قوله: ﴿لاتفقهون تسبيحهم﴾ دليل على أن تسبيح كل شيء بلسان قاله ويؤيد هذا تسبيح الطعام، وسلام الحجر على رسول الله ﷺ وأدل من هذا قوله ﷺ: (لا يسمع صوت مؤذن من جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلاّ شهد له يوم القيامة).

شـــرح الكلمـات :

حجابا مستورا : أي ساتراً لهم فلا يسمعون كلام الله تعالى .
وجعلنا على قلوبهم أكنة : أي أغطية على القلوب فلا تعي ولا تفهم .
وفي آذانهم وقراً : أي ثقلاً فلا يسمعون القرآن ومواعظه .
ولو على أدبارهم نفوراً : أي فراراً من السماع حتى لايسمعوا .
بما يستمعون به : أي بسببه وهو الهزء بالنبي ﷺ .
وإذ هم نجوى : أي يتناجون بينهم يتحدثون سراً .
رجلاً مسحوراً : أي مغلوباً على عقله مخدوعاً .
ضربوا لك الأمثال : أي قالوا ساحر، وقالوا كاهن وقالوا شاعر .
فضلوا . : أي عن الهدى فلا يستطيعون سبيلاً .

معنى الآيات :

قولـه تعـالى : ﴿وإذا قرأت القرآن﴾[(١)] يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ أنه إذا قرأ القرآن على المشركين ليدعوهم به إلى الله تعالى ليؤمنوا به ويعبدوه وحده جعل الله تعالى بينه وبين المشركين حجاباً[(٢)] ساتراً،أو مستوراً لا يُرى وهو حقاً حائل بينهم وبين الرسول ﷺ حتى لا يسمعوا القرآن الذي يقرأ عليهم فلا ينتفعون به . وهذا الحجاب ناتج عن شدة بغضهم للرسول ﷺ وكراهيتهم لدعوته فهم لذلك لا يرونه ولا يسمعون قراءته . وقوله تعالى : ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن[(٣)] يفقهوه﴾ جمع كنان وهوالغطاء حتى لايصل المعنى المقروء من الايات إلى قلوبهم فيفقهوه، وقوله : ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ أي وجعل تعالى في آذان أولئك المشركين الخصوم ثقلاً في آذانهم فلا يسمعون القرآن الذي يتلى عليهم، وهذا كله من الحجاب الساتر والأكنة، والوقر في الآذان عقوبة من الله تعالى لهم حرمهم بها من الهداية بالقرآن لسابقة الشر لهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ببغضهم للرسول وما جاء به وحربهم له ولما جاء به من التوحيد والدين الحق، وقوله

---

(١) روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت (سورة تبّت يدا أبي لهب) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها (حجر ملء الكف) وهي تقول مذمّما عصينا وأمره أبينا، ودينه قلينا، والنبي ﷺ قاعد في المسجد ومعه أبو بكر قال: يارسول الله : لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول الله ﷺ إنها لن تراني فقرأ ﷺ قرآنا، فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ قالت لأبي بكر بلغني أنّ صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجاك فولّت .
(٢) ساتراً أي : للرسول ﷺ حتى لا يراه من أراده بسوء، ومستوراً أي : الحجاب لا يراه المشركون وهو موجود فعلاً، ولكن لا يُرى .
(٣) أن يفقهوه أي : لئلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه .

تعالى: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن[1] وحده﴾ أن قلت لا إله إلا الله، أو ما أفهم معنى[2] لا إله إلا الله ولى المشركون على أدبارهم نفوراً[3] من سماع التوحيد لحبهم الوثنية وتعلق قلوبهم بالشرك.

وقوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ يقول تعالى لرسوله نحن أعلم بما يستمع به المشركون أي بسبب أنهم يستمعون من أجل الاستهزاء بك والسخرية منك ومما تتلوه لا أنهم يستمعون للعلم والمعرفة ولطلب الحق والاهتداء إليه. وقوله: ﴿إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ أي يناجي بعضهم بعضاً ﴿إذ يقول الظالمون[4]﴾ أي المشركون ﴿إن تتبعون﴾ أي لا تتبعون ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾ أي مخدوعاً مغلوباً على أمره، فكيف تتبعونه إذاً؟.

وقوله تعالى: ﴿انظر كيف[5] ضربوا لك الأمثال﴾ أي انظر يارسولنا كيف ضرب لك هؤلاء المشركون المعاندون الأمثال فقالوا عنك: ساحر، وشاعر، وكاهن ومجنون فضلوا في طريقهم ﴿فلا يهتدون سبيلا﴾ إنهم عاجزون عن الخروج من حيرتهم هذه التي أوقعهم فيها كفرهم وعنادهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير قاعدة حبك الشيء يعمى ويصم: فإن الحجاب المذكور في الآية وكذا الأكنة والثقل في الآذان هذه كلها حالت دون سماع القرآن من أجل بغضهم للرسول ﷺ وللقرآن وما جاء به عن الدعوة إلى التوحيد.

٢ - بيان مدى كراهية المشركين للتوحيد وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله.

٣ - بيان مدى ما كان عليه المشركون من السخرية والاستهزاء بالرسول والقرآن.

٤ - بيان اتهامات المشركين للرسول ﷺ بالسحر مرة والكهانة ثانية والجنون ثالثة بحثاً عن الخلاص من دعوة التوحيد فلم يعثروا على شيء كما قال تعالى: ﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾.

---

(١) أي: وأنت تقرأ القرآن.

(٢) أي: دلّ على معنى لا إله إلا الله.

(٣) يجوز أن يكون نفور جمع نافر كشهود جمع شاهد، ويجوز أن يكون مصدراً من نفر نفوراً أي: نفروا نفوراً.

(٤) قولهم هذا وهم يتناجون يقولون إن تتبعون إلاّ رجلا مسحوراً أي: مطبوباً قد خبله السحر فاختلط عليه أمره. يقولون هذا حتى ينفروا الناس عنه ولا يتبعوه.

(٥) عجّبه من صنعهم كيف يقولون تارة ساحر وتارة مجنون وأخرى شاعر فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا يرجعون معه من حيرتهم أو يتمكنون به من صدّ النّاس عنك وصرفهم عن دعوتك.

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾
۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي
صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ
فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ
وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾

شـــرح الكلمـات :

وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتاً : الاستفهام للإنكسار والاستبعاد والرُّفات الأجزاء المتفرقة.

مما يكبر في صدوركم : أي يعظم عن قبول الحياة في اعتقادكم.

فطركم : خلقكم.

فسينغضون : أي يحركون رؤوسهم تعجباً.

متى هو ؟ : الاستفهام للاستهزاء أي متى هذا البعث الذي تعدنا.

يوم يدعوكم : أي يناديكم من قبوركم على لسان إسرافيل.

فتستجيبون : أي تجيبون دعوته قائلين سبحانك اللهم وبحمدك.

وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً : وتظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا قليلا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير العقيدة ففي الآيات قَبْلَ هذه كان تقرير التوحيد والوحي وفي هذه الآيات تقرير البعث والجزاء الآخر ففي الآية (٤٧) يخبر تعالى عن إنكار المشركين للبعث واستبعادهم له بقوله : ﴿وقالوا[(١)] أئذا كنا عظاماً ورفاتاً[(٢)]﴾ أي أجزاء متفرقة كالحطام ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً[(٣)] جديداً﴾ وفي الآية الثانية(٤٨) يأمر تعالى الرسول ﷺ أن يقول لهم

---

(١) هذا من قولهم الذي قالوا وهم يسمعون القرآن، ويتناجون بينهم فيقولون كذا وكذا.
(٢) الرفات: ما تكسّر وبَلي من كل شيء كالفتات، والحطام والرّضاض يقال: رُفِت الشيء رفتا أي: حطم والاستفهام إنكاري.
(٣) الاستفهام للاستهزاء مع الجحد والإنكار، و﴿خلقاً﴾: منصوب على الحال من ضمير ﴿لمبعوثون﴾.

كونوا ماشئتم فإن الله تعالى قادر على إحيائكم وبعثكم للحساب والجزاء وهو قوله تعالى؟ قل كونوا حجارة أوحديداً[١] أو خلقا مما يكبر في[٢] صدوركم أي مما يعظم في نفوسكم أن يقبل الحياة كالموت[٣] مثلا فإن الله تعالى سيحييكم ويبعثكم. وقوله تعالى: فسيقولون من يعيدنا؟ يخبر تعالى رسوله أن منكري البعث سيقولون له مستبعدين البعث: من يعيدنا وعلمه الجواب فقال له قل الذي فطركم أي خلقكم أول مرة وهو جواب مسكت فالذي خلقكم ثم أماتكم هو الذي يعيدكم كما بدأكم وهو أهون عليه. وقوله تعالى ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو؟﴾ يخبر تعالى رسوله بما سيقوله منكروا البعث له فيقول تعالى ﴿فسينغضون﴾ أي يحركون إليك رؤوسهم خفضاً ورفعاً استهزاء ويقولون: ﴿متى هو؟﴾ أي متى البعث أي في أي يوم هو كائن. وقوله تعالى: ﴿ قل عسى أن يكون قريبا﴾ علمه تعالى كيف يجيب المكذبين. وقوله﴿يوم يدعوكم[٤] فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾أي يكون بعثكم الذي تنكرونه يوم يدعوكم بأمر الله تعالى إسرافيل من قبوركم فتستجيبون أي فتجيبونه بحمد[٥] الله ﴿وتظنون إن لبثتم أي لبثتم إلا قليلا أي ما لبثتم في قبوركم إلا قليلا[٦] من اللبث وذلك لما تعاينون من الأهوال وتشاهدون من الأحوال المفزعة المرعبة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء وبيان حتميتها.

٢ - بيان ما كان عليه المشركون من شدة إنكارهم للبعث الآخر.

٣ - تعليم الله تعالى لرسوله كيف يجيب المنكرين المستهزئين بالتي هي أحسن.

٤ - بيان الأسلوب الحواري الهادي الخالي من الغلظة والشدة.

---

(١) الحديد: تراب معدني لا يوجد إلا في مغاور الأرض، وهو تراب غليظ وأصنافه ثمانية وأشهر أنواعه الأحمر وهو صنفان، ذكر وأنثى.

(٢) قال مجاهد: يعني السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس.

(٣) لأنّ الموت لا شيء أكبر منه في نفوس بني آدم، قال أمية بن الصلت:
وللّموتُ خلق في النفوس فظيع
وخلقاً بمعنى مخلوق، ، ومن يكبر في صدروكم صفة له.

(٤) روي أنه ﷺ قال: (انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم).

(٥) قال سعيد بن جبير يخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون: سبحانك وبحمدك.

(٦) وقيل: هذا ما بين النفختين، وذلك أنّ العذاب يكفّ عن المعذّبين بين النفختين وذلك أربعين عاماً فينامون فإذا نفخ النفخة الثانية قالوا: من بعثنا من مرقدنا وظنّوا أنهم ما لبثوا إلّا قليلا.

٥ ـ استقصار مدة اللبث في القبور مع طولها لما يشاهد من أهوال البعث.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ
وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

شـــرح الكلمـات:

التي هي أحسن : أي الكلمة التي هي أحسن من غيرها للطفها وحسنها.

ينزغ : أي يفسد بينهم.(١)

عدواً مبيناً : أي بيِّن العداوة ظاهرها.

ربكم أعلم بكم : هذه هي الكلمة التي هي أحسن.

وما أرسلناك عليهم وكيلا : أي فيلزمك إجبارهم على الإيمان.

فضلنا بعض النبيين : أي بتخصيص كل منهم بفضائل أو فضيلة خاصة به.

وآتينا داود زبورا : أي كتاباً هو الزبور هذا نوع من التفضيل.

معنى الآيات :

مازال السياق في طلب هداية أهـل مكـة، من طريق الحوار والمجادلة وحدث أن بعض المؤمنين واجه بعض الكافرين اثناء الجدال بغلظة لفظ كأن توعده بعذاب النار فأثار ذلك حفائظ المشركين فأمر تعالى رسوله أن يقول للمؤمنين إذا خاطبوا المشركين أن لايغلظوا لهم القول فقال تعالى: ﴿وقل لعبادي(٢)﴾ أي المؤمنين ﴿يقولوا التي هي أحسن﴾ من الكلمات لتجد طريقا إلى قلوب الكافرين، وعلل لذلك تعالى فقال﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ بالوسواس فيفسد العلائق التي

(١) روي أن الآية نزلت في عمرو بن الدغنة وذلك أن رجلا من العرب شتمه وسبه عمر وهم بقتله فكادت تثير فتنة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلذا الآية دعوة عامة لإحسان القول في أثناء دعوة الناس وهدايتهم.

(٢) أي بالكلمات التي هي أحسن.

كان في الامكان التوصل بها إلى هداية الضالين، وذلك أن الشيطان كان ومازال للإنسان عدواً مبيناً أي بيّن العداوة ظاهرها فهو لايريد للكافر أن يسلم، ولا يريد للمسلم أن يؤجر ويثاب في دعوته. وقوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم﴾ فيتوب عليكم فتسلموا. ﴿أوإن يشأ يعذبكم﴾ بأن يتركّكم تموتون على شرككم فتدخلوا النار. مثل هذا الكلام ينبغي أن يقول المؤمنون للكافرين لا أن يصدروا الحكم عليهم بأنهم أهل النار والمخلدون فيها فيزعج ذلك المشركين فيتمادوا في العناد والمكابرة. وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾[1]. يقول تعالى لرسوله إنا لم نرسلك رقيبا عليهم فتجبرهم على الإسلام وإنما أرسلناك مبلغا دعوتنا إليهم بالأسلوب الحسن وهدايتهم إلينا، وفي هذا تعليم للمؤمنين كيف يدعون الكافرين إلى الإسلام. وقوله تعالى: ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين ضمناً أنه تعالى أعلم بمن في السموات والأرض فضلا عن هؤلاء المشركين فهو أعلم بما يصلحهم وأعلم بما كتب لهم أو عليهم من سعادة أو شقاء، وأسباب ذلك من الإيمان أو الكفر، وعليه فلا تحزنوا على تكذيبهم ولا تيأسوا من إيمانهم، ولا تتكلفوا ما لا تطيقون في هدايتهم فقولوا التي هي أحسن واتركوا أمر هدايتهم لله تعالى هو ربهم وأعلم بهم وقوله تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً﴾[2]، يخبر تعالى عن انعامه بين عباده فالذي فاضل بين النبيين وهم أكمل الخلق وأصفاهم فهذا فضله بالخلة كابراهيم وهذا بالتكليم كموسى، وهذا بالكتاب الحافل بالتسابيح والمحامد والعبر والمواعظ كداود، وأنت يامحمد بمغفرته لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر، وبإرسالك إلى الناس كافة إلى غير ذلك من الإفضالات وإذا تجلت هذه الحقيقة لكم وعرفتم أن الله أعلم بمن يستحق الهداية وبمن يستحق الضلالة، وكذا الرحمة والعذاب ففوضوا الأمر إليه، وادعوا عباده برفق ولين وبالتي هي أحسن من غيرها من الكلمات.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - النهي عن الكلمة الخشنة المسيئة إلى المدعو إلى الإسلام.

---

(١) الرقيب والحفيظ والوكيل والكفيل كلها بمعنى واحد في هذا السياق ومن اطلاق الوكيل وارادة الرقيب قول الشاعر:
ذكرت أبا أروى فبتّ كأنني   برد الأمور الماضيات وكيل

(٢) الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود لعدم الحاجة إلى ذلك لوجود التوراة بينهم، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد والآية صالحة لحجاج اليهود منكري نزول القرآن على محمد ﷺ.

٢ ـ بيان أن الشيطان يسعى للإفساد دائما فلا يمكن من ذلك بالكلمات المثيرة للغضب والحاملة على اللجج والخصومة الشديدة.

٣ ـ بيان نوع الكلمة التي هي أحسن مثل ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم﴾.

٤ ـ بيان أن الله تعالى أعلم بخلقه فهو يهب كل عبد ما أهله له حتى إنه فاضل بين أنبيائه ورسله عليهم السلام في الكمالات الروحية والدرجات العالية.

قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾
وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ
وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ
فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات:

فلا يملكون : أي لا يستطيعون.

كشف الضر : أي إزالته بشفاء المريض.

ولا تحويلا : أي للمرض من شخص مريض إلى آخر صحيح ليمرض به.

يدعون : أي ينادونهم طالبين منهم أو متوسلين بهم .

يبتغون إلى ربهم الوسيلة : أي يطلبون القرب منه بالطاعات وأنواع القربات .

كان محذورا : أي يحذره المؤمنون ويحترسون منه بترك معاصي الله تعالى .

في الكتاب مسطورا : أي في كتاب المقادير الذي هو اللوح المحفوظ مكتوبا .

أن نرسل بالآيات : أي بالآيات التي طلبها أهل مكة كتحويل الصفا إلى جبل ذهب . أو إزالة جبال مكة لتكون أرضاً زراعية وإجراء العيون فيها .

إلا ان كذب بها الأولون : إذ طالب قوم صالح بالآية ولما جاءتهم كفروا بها فأهلكهم الله تعالى .

الناقة مبصرة : أي وأعطينا ثمود قوم صالح الناقة آية مبصرة واضحة بينة .

فظلموا بها : أي كفروا بها وكذبوا فأهلكهم الله تعالى .

إلا تخويفا : إلا من أجل تخويف العباد بأنا إذا أعطيناهم الآيات ولم يؤمنوا أهلكناهم .

أحاط بالناس : أي قدرة وعلما فهم في قبضته وتحت سلطانه فلا تخفهم .

وما جعلنا الرؤيا (١) : هي ما رآه الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من عجائب خلق الله تعالى .

والشجرة الملعونة (٢) : هي شجرة الزقوم الوارد لفظها في الصافات والدخان .

ونخوفهم : بعذابنا في الدنيا بالإهلاك والإبادة وفي الآخرة بالزقوم والعذاب الأليم .

فما يزيدهم : أي التخويف إلا طغينانا وكفراً .

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير التوحيد فيقول تعالى لرسوله قل يامحمد ﷺ لأولئك المشركين أدعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله سبحانه وتعالى فإنهم لايملكون أن يكشفوا الضر عن مريض ولا يستطيعون تحويله عنه إلى آخر عدو له يريد أن يمسه الضر لأنهم أصنام وتماثيل لا يسمعون

---

(١) لفظ الرؤيا يطلق في الغالب على الرؤيا في المنام، ويطلق على رؤية العين كما في هذه الآية رواية صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا . .﴾ الخ قال هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس.

(٢) قيل فيها ملعونة جرياً على عادة العرب في كل طعام مكروه يقولون فيه ملعون، وجائز أن يكون المراد باللعن لعن آكلها أي: الشجرة الملعون آكلها.

ولا يبصرون فضلاً عن أن يستجيبوا دعاء من دعاهم لكشف ضر أو تحويله إلى غيره، هذا مادلت عليه الآية الأولى (٥٤) ﴿قل أدعوا[(١)] الذين زعمتم من دونه، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته﴾ ﴿ويخافون عذابه﴾. يخبرهم تعالى بأن أولئك الذين يعبدونهم من الجن[(٢)] أو الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين هم أنفسهم يدعون ربهم ويتوسلون للحصول على رضاه. بشتى أنواع الطاعات والقربات فالذي يَعْبُدُ لَا يُعْبَد، والذي يتقرب إلى الله بالطاعات لا يتقرب إليه وإنما يتقرب إلى من هو يتقرب إليه ليحظى بالمنزلة عنده، وقوله ﴿يرجون رحمته ويخافون[(٣)] عذابه﴾، أي أن أولئك الذين يدعوهم الجهال من الناس ويطلبون منهم قضاء حاجاتهم هم أنفسهم يطلبون الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه. لأن عذابه تعالى كان ومازال يحذره العقلاء، لأنه شديد لا يطاق. فكيف يُدعى ويُرجى ويُخاف من هو يَدعو ويَرجو ويَخاف لو كان المشركون يعقلون.

وقوله تعالى: ﴿وإن من[(٤)] قرية﴾ أي مدينة من المدن ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ أي بعذاب إبادة قبل يوم القيامة، ﴿أو معذبوها عذاباً شديداً﴾ بمرض أو قحط أو خوف من عدو ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ أي مكتوباً في اللوح المحفوظ، فلذا لا يستعجل أهل مكة العذاب فإنه إن كان قد كتب عليهم فإنه نازل بهم لا محالة وإن لم يكن قد كتب عليهم فلا معنى لاستعجاله فإنه غير واقع بهم وهم مرجون للتوبة أو لعذاب يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿وما منعنا[(٥)] أن نرسل بالآيات﴾ أي بالمعجزات وخوارق العادات ﴿إلا أن كذب بها﴾ أي بالمعجزات الأولون من الأمم فأهلكناهم[(٦)] بتكذيبهم بها، فلو أرسلنا نبينا محمداً بمثل تلك الآيات وكذبت بها قريش

---

(١) قيل: إنه لما ابتليت قريش بالقحط، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى هذه الآية أي: ادعوا الذين تعبدون من دون الله وزعمتم أنهم آلهة لكم.

(٢) روى مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿أولائك الذين يدعون﴾ قال: نفر من الجنّ أسلموا، وكانوا يُعْبَدون فبقي الذين كانوايعبدونهمعلى عبادتهم وقد أسلم النفر من الجنّ، وفي رواية قال: أنزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجنّ فأسلم الجنيّون، والذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون أي: بإسلامهم فبقوا يعبدونهم.

(٤) في الآية الجمع بين الخوف والرجاء وهما كجناحي الطائر إن انكسر احدهما لم يطر بالآخر، ولذا فلابد للمؤمن منهما فالخوف يحمل على أداء الفرائض واجتناب المحرمات، والرجاء يحمل على المسابقة في الخيرات، وبذلك تتم ولايته لربه ويأمن عاقبة أمره.

(٣) ﴿وإن من قرية﴾ أي: ظالمة حذفت الصفة للعلم بها إذ لا يأخذ الله أهل قرية إلّا بعد ظلمهم إذ هو أعدل من يعدل وعدل، وأرحم من يرحم ورحم وقد جاء هذا الوصف في عدّة آيات منها: ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ وفي الآية تهديد ووعيد عرفه ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن الله في هلاكهم.

(٥) أي: وما صرفنا عن إرسالك يا رسولنا بالمعجزات التي يطالب بها المشركون إلّا تكذيب الأولين بها وهؤلاء مثلهم لو أرسلناك بها فكذّبوا بها واستحقوا الهلاك ونحن لا نريد لهم ذلك.

لأهلكهم، وهـو تعالى لايريد أهلاكهم بل يريد هدايتهم ليهتدي على أيديهم خلقاً كثيراً من العرب والعجم والأبيض والأصفر فسبحان الله العليم الحكيم وقوله تعالى ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي آية مبصرة أي مضيئة بينة فظلموا بها أي كذبوا بها فعقروها فظلموا بذلك أنفسهم وعرضوها لعذاب الإبادة فأبادهم الله فأخذتهم الصيحة وهم ظالمون هذا دليل على أن المانع من الإرسـال بالآيات هو ما ذكـر تعـالى في هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾(1) يخبر تعالى أنه ما يرسل الرسل مؤيدين بالآيات التي هي المعجزات والعبر والعظات إلا لتخويف الناس عاقبة الكفر والعصيان لعلهم يخافون فيؤمنون ويطيعون قوله تعالى ﴿وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾أي اذكر يا محمد إذ قلنا لك بواسطة وحينا هذا إن ربك أحاط بالناس. فهم في قبضته وتحت قهره وسلطانه فلا ترهبهم ولا تخش منهم أحداً فإن الله ناصرك عليهم، ومنزل نقمته بمن تمادى في الظلم والعناد، وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يريد رؤيا الإسراء والمعراج حيث أراه الله من آياته وعجائب صنعه وخلقه، ما أراه ﴿إلا فتنة للناس﴾ أي لأهل مكة اختباراً لهم هل يصدقون أو يكذبون، إذ ليس لازماً لتقرير نبوتك وإثبات رسالتك وفضلك أن نريك الملكوت الأعلى وما فيه من مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة.

وقوله تعالى: ﴿والشجرة الملعونة﴾ أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الكريم وهي شجرة الزقوم وأنها ﴿تخرج في أصل الجحيم﴾ إلا فتنة كذلك لأهل مكة حيث قالوا كيف يصح وجود نخلة ذات طلع في وسط النار، كيف لا تحرقها النار قياساً للغائب على الشاهد وهو قياس فاسد، وقوله تعالى ﴿ونخوفهم﴾ بالشجرة الملعونة وأنها ﴿طعام الأثيم تغلي في البطون كغلي الحميم﴾ وبغيرها من أنواع العذاب الدنيوي والأخروي، وما يزيدهم ذلك إلا طغياناً كبيراً أي ارتفاعاً وتكبراً عن قبول الحق والاستجابة له لما سبق في علم الله من خزيهم وعذابهم فاصبر أيها الرسول وامض في دعوتك فإن العاقبة لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير التوحيد بالحكم على عدم استجابة الآلهة المدعاة لعابديها.

٢ - بيان حقيقة عقلية وهي أن دعاء الأولياء والاستغاثة بهم والتوسل إليهم بالذبح والنذر هو أمر

---

(١) في السياق ما يدل على أنّ هناك رغبة في المعجزات من الكافرين والمؤمنين ولذا ذكر تعالى علل عدم إعطائها لرسوله ﷺ، فالعلة الأولى تكذيب الأولين بها ودلل بتكذيب ثمود بها والثانية أنه ما يرسل بالمعجزات من أرسلهم بها إلا لعلة التخويف فقط والثالثة إعلامه تعالى رسوله بأن ربك محيط بعباده قادر عليهم فلا تخفهم ولا تطلب الآية لهم، والرابعة: أن معجزة الإسراء والمعراج لم تكن للهداية وإنما هي للفتنة لا غير.

باطل ومضحك في نفس الوقت، إذ الأولياء كانوا قبل موتهم يطلبون الوسيلة إلى ربهم بأنواع الطاعات والقربات ومن كان يَعْبُدْ لا يُعْبَدْ. ومن كان يَتقرب لا يُتقَرَّب إليه، ومن كان يَتوَسَّلْ لا يُتوسلْ إليه بل يعبد الذي كان يُعْبَد ويُتَوسل إلى الذي كان يُتوسل إليه ويتقرب إلى الذي كان يتقرب إليه، وهو الله سبحانه وتعالى.

٣ ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٤ ـ بيان المانع من عدم إعطاء الرسول ﷺ الآيات على قريش.

٥ ـ بيان علة الإسراء والمعراج، وذكر شجرة الزقوم في القرآن الكريم.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ
قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ
فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

شـرح الكلمـات :

لمن خلقت طيناً : أي من الطين.

أرأيتك : أي أخبرني

كرمت على : أي فضَّلْته علي بالأمر بالسجود له.

لأحتنكن : لأستولين عليهم فأقودهم إلى الغواية كالدابة إذا جعل الرسن في

حنكها، تُقاد حيث شاء راكبها!.

اذهب	: أي منظراً إلى وقت النفخة الأولى.
جزاءً موفوراً	: أي وافراً كاملاً.
واستفزز	: أي واستخفف
بصوتك	: أي بدعائك إياهم إلى طاعتك ومعصيتي بأصوات المزامير والأغاني واللهو.
وأجلب عليهم	: أي صِحْ فيهم بركبانك ومُشاتك.
وشاركهم في الأموال	: بحملهم على أكل الربا وتعاطيه.
والأولاد	: بتزيين الزنا ودفعهم إليه.
وعدهم	: أي بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء.
إلا غرورا	: أي باطلاً.
ليس لك عليهم سلطان	: أي إن عبادي المؤمنين ليس لك قوة تتسلط عليهم بها.
وكفى بربك وكيلاً	: أي حافظاً لهم منك أيها العدوّ.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ أي اذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين الجهلة الذين أطاعوا عدوهم وعدو أبيهم من قبل، وعصوا ربهم، اذكر لهم كيف صدّقوا ظنّ إبليس فيهم، واذكر لهم ﴿إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فامتثلوا أمرنا ﴿وسجدوا إلا إبليس﴾ قال منكراً أمرنا، مستكبراً عن آدم عبدنا ﴿أأسجد[1] لمن خلقت طيناً﴾؟ أي لمن خلقته من الطين لأن آدم خلقه الله تعالى من أديم الأرض عذبها وملحها ولذا سمى آدم آدم. ثم قال في صلفه وكبريائه ﴿أرأيتك﴾ أي أخبرني أهذا ﴿الذي كرمت عليّ[2]﴾؟! قال هذا استصغار لآدم واستخفافا بشأنه، ﴿لئن أخرتني﴾ أي وعزتك لئن أخرْت موتي ﴿إلى يوم يبعثون لأحتنكن ذريته﴾ أي لأستولين عليهم وأسوقهم إلى أودية الغواية والضلال حتى يهلكوا مثلي ﴿إلا قليلاً[3]﴾ منهم ممن

---

(١) الاستفهام انكاري.

(٢) أي: فضّلت، والإكرام: اسم جامع لكل ما يحمد، وفي الكلام حذف تقديره أخبرني عن هذا الذي فضلته عليَّ لمَ فضلته وقد خلقتني من نار وخلقته من طين، ويصح بدون تقدير المحذوف أي: أترى هذا الذي كرّمته عليَّ لأفعلن به كذا وكذا.

(٣) ﴿إلاّ قليلا﴾: يعني المعصومين وهم الذين قال تعالى فيهم: ﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ واستثناء إبليس القليل كان ظنا منه فقط كما قال تعالى: ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه﴾ وقال الحسن: ظن ذلك لأنه وسوس لآدم في الجنة ولم يجد له عزماً فحصل له بذلك هذا العلم المعبّر عنه بالظنّ إذ يطلق لفظ الظن، ويراد به العلم.

تستخلصهم لعبادتك فأجابه الرب تبارك وتعالى: ﴿قال اذهب[1]﴾ أي مُنظراً وممهلاً إلى وقت النفخة الأولى وقوله تعالى: ﴿فمن تبعك منهم﴾ أي عصاني وأطاعك ﴿فإن جهنم جزآؤكم جزآءً موفوراً﴾ أي وافراً كاملاً.

وقوله تعالى: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ قال هذا الإبليس بعد أن أنظره إلى يوم الوقت المعلوم أذن له في أن يعمل ما استطاع في إضلال أتباعه، ﴿واستفزز[2] من استطعت منهم بصوتك﴾ أي واستخفف منهم بدعائك إلى الباطل بأصوات المزامير والأغاني وصور الملاهي وأنديتها وجمعياتها، ﴿وأجلب[3] عليهم﴾ أي صِح على خيلك ورجلك[4] الركبان والمشاة وسقهم جميعاً على بني آدم لإغوائهم وإضلالهم ﴿وشاركهم في الأموال﴾ بحملهم على الربا وجمع الأموال من الحرام وفي ﴿الأولاد﴾ بتزيين الزنا وتحسين الفجور. وعدهم بالأماني الكاذبة وبأن لا بعث يوم القيامة ولا حساب ولا جزاء قال تعالى: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ أي باطلاً وكذباً وزوراً. وقوله تعالى: ﴿إن عبادي﴾ أي المؤمنين بي، المصدقين بلقائي ووعدي ووعيدي ليس لك عليهم قوة تتسلط عليهم بها، ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ أي حافظاً لهم: منك فلا تقدر على إضلالهم ولا إغوائهم ياعدوي وعدوهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية التذكير بالأحداث الماضية للتحذير من الوقوع في الهلاك.

٢ ـ ذم الكبر وأنه من شر الصفات.

٣ ـ تقرير عداوة إبليس والتحذير منها.

٤ ـ بيان مشاركة إبليس أتباعه في أموالهم وأولادهم ونساءهم.

٥ ـ بيان أن أصوات الأغاني والمزامير والملاهي وأندية الملاهي وجمعياتها الجميع من جند إبليس الذي يحارب به الآدمي المسكين الضعيف.

٦ ـ بيان حفظ الله تعالى لأوليائه، وهم المؤمنون المتقون، جعلنا الله تعالى منهم وحفظنا بما يحفظهم به إنه بر كريم.

---

(١) الأمر هنا: للإهانة والطرد والاحتقار والصغار.

(٢) الاستفزاز: طلب الفز، وهو الخفة والانزعاج، وترك التثاقل، والسين والتاء فيه لشدة طلب الاستخفاف والإزعاج.

(٣) الإجلاب: جمع الجيوش وسوقها مشتق من الجلبة التي هي الصياح إذ الجيوش تجمع بالجلبة فيهم والصياح بهم.

(٤) قرأ حفص: ﴿ورَجِلك﴾ بكسر الجيم لغة في رجل وقرأ غيره و﴿رجْلك﴾ بسكون الجيم، والمعنى بخيلك: أي فرسانك ورجالك.

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ
فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾
وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ
إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ
فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

يزجي لكم الفلك : أي يسوقها فتسير فيه .

لتبتغوا من فضله : أي لتطلبوا رزق الله بالتجارة من إقليم إلى آخر .

وإذا مسكم الضُر : أي الشدة والبلاء والخوف من الغرق .

ضل من تدعون إلا إياه : أي غاب عنكم من كنتم تدعونهم من آلهتكم .

أعرضتم : أي عن دعاء الله وتوحيده في ذلك .

أو يرسل عليكم حاصباً : أي ريحاً ترمي بالحصباء لشدتها .

ثم لا تجدوا لكم وكيلا : أي حافظاً منه أي من الخسف أو الريح الحاصب .

قاصفاً من الريح : أي ريحاً شديدة تقصف الأشجار وتكسرها لقوتها .

علينا به تبيعاً : أي نصيراً ومعيناً يتبعنا ليثأر لكم منا .

ولقد كرمنا بني آدم : أي فضلناهم بالعلم والنطق واعتدال الخلق .

حملناهم في البر والبحر : في البر على البهائم والبحر على السفن .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد والدعوة إليه. فقوله تعالى: ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله﴾ يخبرهم تعالى بأن ربهم الحق الذي يجب أن يعبدوه ويطيعوه بعد أن يؤمنوا به هو الذي ﴿يزجي[1] لهم الفلك﴾ أي السفينة ﴿في البحر﴾ أي يسوقها فتسير بهم في البحر إلى حيث يريدون من أجل أن يطلبوا رزق الله لهم بالتجارة من إقليم لآخر. هذا هو إلهكم الحق[2]، أما الأصنام والأوثان فهي مخلوقة لله مربوبة له، لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها، نفعاً ولا ضراً.

وقوله تعالى: ﴿إنه كان بكم رحيماً﴾ ومن رحمته تعالى تسخيره البحر لهم وإزجاء السفن وسوقها فيه ليحصلوا على أقواتهم عن طريق السفر والتجارة. وقوله تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر[3] في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ يذكرهم بحقيقة واقعة لهم وهي أنهم إذا ركبوا في الفلك وأصابتهم شدة من مرض أوضلال طريق أو عواصف بحرية اضطربت لها السفن وخافوا الغرق دعوا الله وحده ولم يبق من يدعوه سواه تعالى لكنهم إذا نجاهم من الهلكة التي خافوها ونزلوا بشاطىء السلامة اعرضوا عن ذكر الله وذكروا آلهتهم ونسوا ما كانوا يدعونه وهو الله من قبل ﴿وكان الانسان كفوراً﴾ هذا طبعه وهذه حاله سرعة النسيان، وشدة الكفران وقوله تعالى: وهو يخاطبهم لهدايتهم ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ يقرعهم على إعراضهم فيقول ﴿أفأمنتم﴾ الله تعالى ﴿أن يخسف[4] بكم﴾ جانب الأرض الذي نزلتموه عند خروجكم من البحر ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ أي ريحاً شديدة تحمل الحصباء[5] فيهلككم كما أهلك عاداً ﴿ثم لا تجدوا لكم﴾ من غير الله ﴿وكيلاً﴾ يتولى دفع العذاب عنكم ويقول: ﴿أم أمنتم﴾ الله تعالى ﴿أن يعيدكم فيه﴾ أي في البحر ﴿تارة أخرى﴾ أي مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفاً من الريح﴾ أي ريحاً شديدة تقصف الأشجار وتحطمها ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ أي بسبب كفركم كما أغرق آل فرعون ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ أي تابعاً يثأر لكم منا ويتبعنا مطالباً بما نلنا منكم من العذاب.

---

(١) الإزجاء: السوق قال تعالى: ﴿ألم تر أنّ الله يزجي سحاباً﴾ وقال الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيّته ... سائل بني أسد ما هذه الصوت

(٢) أي: الذي يجب أن يشكروه بعبادته وحده دون من سواه.

(٣) لفظ الضرّ يعم المرض وخوف الغرق والإمساك عن الجري وأهوال حالة اضطراباته.

(٤) الخسف: انهيار الأرض بالشيء فوقها، وجانب البر: ناحية الأرض إذ البحر جانب والأرض جانب.

(٥) يقال لكل ريح تحمل التراب والحصباء: حاصب، قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا ... بحاصب كنديف القطن منثور

فما لكم إذاً لاتؤمنون وتوحدون وبالباطل تكفرون. وقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ أي فضلناهم بالنطق والعقل والعلم واعتدال الخلق ﴿وحملناهم في البر والبحر﴾ على ماسخرنا لهم من المراكب ﴿ورزقناهم من الطيبات[1]﴾ أي المستلذات من اللحوم والحبوب والفواكه والخُضَر والمياه العـذبة الفرات. وقوله تعالى: ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ فالآدميون أفضل من الجن وسائر الحيوانات، وخواصهم أفضل من الملائكة، وعامة الملائكة أفضل من عامة الآدميين ومع هذا فإن الآدمي إذا كفر ربه وأشرك في عبادته غيره، وترك عبادته، وتخلى عن محبتـه ومـراقبتـه أصبـح شر الخليقـة كلها. قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم شر البرية﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تعريف الله تعالى بذكر صفاته الفعلية والذاتية.

٢ - تذكير المشـركين بحـالهم في الشدة والرخاء حيث يعرفون الله في الشدة ويخلصون له الدعاء، وينكرونه في الرخاءِ ويشركون به سواه.

٣ - تخويف المشركين بأن الله تعالى قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصباً من الريح فيهلكهم أو يردهم إلى البحر مرة أخرى ويرسل عليهم قاصفاً من الريح فيغرقهم بسبب كفرهم بالله، وعودتهم إلى الشرك بعد دعائه تعالى والتضرع إليه حال الشدة.

٤ - بيان منن الله تعالى على الانسان وأفضاله عليه في تكريمه وتفضيله.

٥ - حال الرخاء أصعب على الناس من حال الشدة بالقحط والمرض، أو غيرهما من المصائب.

٦ - الاعلان عن كرامة الآدمي وشرفه على سائر المخلوقات الأرضية.

يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَٰمِهِمْ[2] فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ

---

(١) في الآية دليل على إبطال الزهد في لذيذ الطعام كالعسل والسمن واللحم والفواكه والاكتفاء بالخبز بالملح ونحوه مع توفر طيب الطعام والشراب لأنه مخالف لمنهج السلف وفيه كفر ما أنعم الله تعالى به على عباده من طيب الرزق.

(٢) ﴿فمن أوتي﴾ معطوف على مقدر اقتضاه قوله: ﴿ندعو كل اناس بإمامهم﴾ أي فيؤتون كتبهم ﴿فمن أوتي كتابه . . .﴾ الخ.

أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ
لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ
وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ
تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ
ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾
وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ
وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدۡ
أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾

شـــرح الكلمـات:

بإمامهم : أي الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه في الخير أو الشر.

فتيلا : أي مقدار فتيل وهو الخيط الذي يوجد وسط النواة.

ومن كان في هذه أعمى : من كان في الدنيا أعمى عن حجج الله تعالى الدالة على وجوده وعلمه وقدرته، فلم يؤمن به ولم يعبده فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلاً.

وإن كادوا : أي قاربوا.

ليفتنونك : أي يستنزلونك عن الحق، أي يطلبون نزولك عنه.

لتفتري علينا غيره : أي لتقول علينا افتراءً غير الذي أوحينا إليك.

إذاً لاتخذوك خليلاً : أي لو فعلت الذي طلبوا منك فعله لاتخذوك خليلاً لهم.

ضعف الحياة وضعف الممات: أي لعذبناك عذاب الدنيا مضاعفاً وعذاب الآخرة كذلك.

ليستفزونك من الأرض : أي ليستخفونك من الأرض أرض مكة.

لا يلبثون خلافك : أي لايبقون خلفك أي بعدك إلا قليلاً ويهلكهم الله.

سنة من قد أرسلنا من قبلك : أي لو أخرجوك لعذبناهم بعد خروجك بقليل، سنتنا في الأمم.

ولا تجد لسنتنا تحويلا : أي عما جرت به في الأمم السابقة.

معنى الآيات:

يقول تعالى لرسوله في تقرير عقيدة البعث والجزاء، اذكر يارسولنا «يوم ندعو كل أناس بإمامهم» الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه فيتقدم ذلك الإمام ووراءه أتباعه وتوزع الكتب عليهم واحداً واحداً فمن أعطى كتابه بيمينه تشريفاً له وتكريماً، فأولئك الذين أكرموا بإعطائهم كتبهم بأيمانهم، يقرأون كتابهم ويحاسبون بما فيه «ولايظلمون» أي لا ينقصون مقدار فتيل لا تنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم[1]. واذكر هذا لهم تعظهم به لعلهم يتعظون، وقوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه﴾ أي الدنيا ﴿أعمى﴾ لا يبصر هذه الحجج والآيات والدلائل وأصر على الشرك، والتكذيب والمعاصي ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أي أشد عمى ﴿وأضل سبيلا﴾ فلا يرى طريق النجاة ولا يسلكه حتى يقع في جهنم. وقوله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك[2]﴾ أي يصرفونك ﴿عن الذي أوحينا[3] إليك﴾ من توحيدنا والكفر بالباطل وأهله. ﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي لتقول علينا غير الحق الذي أوحيناه إليك، وإذاً لو فعلت بأن وافقتهم على ماطلبوا منك، من الإغضاء على شركهم و التسامح معهم إقراراً لباطلهم، ولو مؤقتاً، ﴿لاتخذوك خليلاً﴾ لهم وكانوا أولياء لك، وذلك أن المشركين في مكة والطائف، واليهود في المدينة كانوا يحاولون جهدهم أن يستنزلوا الرسول على شيء من الحق الذي يأمر به ويدعو إليه مكراً منهم وخديعة سياسية إذ لووافقهم على شيء لطالبوا بآخر، ولقالوا قد رجع إلينا، فهو إذاً يَتَقَوَّل، وليس بالذي يوحى إليه بدليل قبوله منا كذا وكذا وتنازله عن كذا وكذا. وقوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ أي على الحق حيث عصمناك ﴿لقد كدت﴾ أي قاربت ﴿تركن[4]﴾ أي تميل ﴿إليهم شيئاً قليلاً﴾ بقبول بعض اقتراحاتهم ﴿إذاً﴾ أي لو ملت إليهم، وقبلت منهم ولو شيئاً يسيراً ﴿لأذقناك[5] ضعف الحياة وضعف الممات[6]﴾، أي لضاعفنا عليك العذاب في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك نصيراً ينصرك إذا نحن خذلناك وعذبناك وقوله تعالى في حادثة أخرى وهي أنهم لما فشلوا في المحاولات السلمية أرادوا استعمال القوة فقرروا إخراجه من مكة بالموت أو الحياة فأخبر تعالى

---

(١) لم يذكر من أوتي كتبهم بشمائلهم إذهم الذين خسروا أنفسهم اكتفاء بذكر من أوتوا كتبهم بأيمانهم، وقد ذكر في أول السورة: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ وذكر في سورتي الحاقة والانشقاق.

(٢) عدي فعل يفتنونك بعن لأنه مضمن معنى فعل يتعدّى بها وهو الصرف يقال: صرفه عن كذا. أي يصرفونك.

(٣) الآية مسوقة مساق الامتنان على النبي ﷺ حيث عصمه، وفيها بيان مدى ما كان المشركون يريدونه من صرف النبي ﷺ عن الحق الذي جاءه وهو يدعو إليه من التوحيد.

(٤) الركون: الميل بالركن الذي هو الجانب من جسد الإنسان واستعمل في الموافقة بعلاقة القرب.

(٥) هذه الجملة جزاء لجملة: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾ إذ تقدير الكلام لو ركنت إليهم لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات.

(٦) جائز أن يكون المراد بعذاب الدنيا: تراكم المصائب والأرزاء في مدّة الحياة وعذاب الممات أن يموت مكموداً مستذلاً بين من فازوا عليه بشرف سقوطه بينهم وضياع ما كان يأمله ويدعو إليه.

رسوله بذلك إعلاماً وإنذاراً، فقال: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ أرض مكة ﴿ليخرجوك منها وإذاً﴾ أي لو فعلوا لم يلبثوا بعد إخراجك إلا زمناً قليلاً ونهلكهم كما هي سنتنا في الأمم السابقة التي أخرجت أنبياءها أو قتلتهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك[1]﴾ أي يستخفونك ﴿من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لايلبثوا خلافك[2] إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ أي عما جرت به في الأمم السابقة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - الترغيب في الاقتداء بالصالحين ومتابعتهم والترهيب من الاقتداء بأهل الفساد ومتابعتهم.

٢ - عدالة الله تعالى في الموقف بإقامة الحجة على العبد وعدم ظلمه شيئاً.

٣ - عمى الدنيا عن الحق وشواهده سبب عمى الآخرة وموجباته من السقوط في جهنم.

٤ - حرمة الركون أي الميل لأهل الباطل بالتنازل عن شيء من الحق الثابت إرضاءً لهم.

٥ - الوعيد الشديد لمن يرضى أهل الباطل تملقاً لهم طمعاً في دنياهم فيترك الحق لأجلهم.

٦ - إمضاء سنن الله تعالى وعدم تخلفها بحال من الأحوال.

أَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ
قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ
أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن
لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ
إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ

---

(١) الاستفزاز: الحمل على الترحل، وهو استفعال من فزّ يفزّ بمعنى: بارح المكان، والمعنى: كادوا: أن يخرجوك من بلدك كرهاً ثم صرفهم الله عنك حتى خرجت برضاك واختيارك فلذا لم تنزل بهم العقوبة بخروجك من بلدك.

(٢) قرأ نافع: (خلفك) أي بعدك، وقرأ حفص (خلافك) وهي لغة في خلف بمعنى: بعد.

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

شـــرح الكلمـات:

لدلوك الشمس : أي زوالها من كبد السماء ودحوضها إلى جهة الغرب.

إلى غسق الليل : أي إلى ظلمة الليل، إذ الغسق الظلمة.

وقرآن الفجر : صلاة الصبح.

كان مشهوداً : تشهده الملائكة، ملائكة الليل وملائكة النهار.

فتهجد به[(١)] : أي بالقرآن.

نافلة : أي زائدة عن الغرض وهي التهجد بالليل.

مقاماً محموداً : هو الشفاعة العظمى يوم القيامة حيث يحمده الأولون والآخرون.

أدخلني مدخل صدق : أي المدينة، إدخالاً مرضياً لا أرى فيه مكروهاً.

وأخرجني مخرج صدق : أي من مكة إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها.

وقل جاء الحق وزهق الباطل : أي عند دخولك مكة فاتحاً لها بإذن الله تعالى.

زهق الباطل : أي ذهب واضمحل.

أعرض ونأ بجانبه : أعـرض عن الشكـر فلم يشكـر، ونـأ بجانبه: أي ثنى عطفه متبختراً في كبرياء.

على شاكلته : أي طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلال.

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الهائل لتلك الأحداث الجسام أمر تعالى رسوله بإقام الصلاة فإنها مأمن الخـائفين، ومنـار السالكين، ومعراج الأرواح إلى ساحة الأفراح فقال: ﴿أقم الصلاة لدلوك

(١) تهجّد: إذا ألقى الهجود عنه، وهو النوم، وقام يصلّي، والتهجّد من الهجود وهو من الأضداد هجد: نام، وهجد: سهر.

الشمس﴾ أي لأول دلوكها وهو ميلها من كبد السماء إلى الغرب وهو وقت الزوال[1] ودخول وقت الظهر، وقوله ﴿إلى غسق الليل﴾[2] أي إلى ظلمته، ودخلت صلاة العصر[3] فيما بين دلوك الشمس وغسق الليل، ودخلت صلاة المغرب وصلاة العشاء في غسق الليل الذي هو ظلمته، وقوله: ﴿وقرآن الفجر﴾[4] أي صلاة الصبح وهذه هي الصلوات الخمس المفروضة على أمة الإسلام، النبي وأتباعه سواء وقوله ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ يعني محضوراً، تحضره ملائكة النهار لتنصرف ملائكة الليل، لحديث الصحيح «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار . . . .» وقوله ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾[5] أي صلاة زائدة على الفرائض الخمس وهي قيام الليل، وهو واجب عليه ﷺ بهذه الآية، وعلى أمته مندوب إليه، مرغب فيه.

وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وإن عسى من الله تعالى، تفيد الوجوب، ولذا فقد أخبر تعالى رسوله مبشراً إياه بأن يقيمه يوم القيامة ﴿مقاماً محموداً﴾ يحمده عليه الأولون والآخرون. وهو الشفاعة العظمى حيث يتخلى عنها آدم فمن دونه. . . حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: أنالها، أنالها، ويأذن له ربه فيشفع للخليقة في فضل القضاء، ليدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وتستريح الخليقة من عناء الموقف وطوله وصعوبته.

وقوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾[6]. هذه بشارة أخرى أن الله تعالى أذن لرسوله بالهجرة من تلقاء نفسه لا بإخراج قومه وهو كاره. فقال له: قل في دعائك ربي أدخلني المدينة دار هجرتي «مدخل صدق» بحيث لا أرى فيها مكروهاً، وأخرجني من مكة يوم تخرجني «مخرج صدق» غير ملتفت إليها بقلبي شوقاً وحنيناً إليها.

﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ أي وسلني أن أجعل لك من لدني سلطاناً نصيراً لك على من بغاك بسوء، وكادك بمكر وخديعة، وحاول منعك من إقامة دينك، ودعوتك إلى ربك،

---

(١) ما في التفسير أشهر وأولى بالأخذ به وهو ما ذهب إليه عمر وابنه وأبو هريرة وابن عباس ومالك، ويرى غير هؤلاء من بعض الصحابة والتابعين: أنّ دلوك الشمس هو غروبها وعليه فلم تشمل الآية أوقات الصلوات الخمس بخلاف القول بدلوك الشمس: زوالها عن كبد السماء.

(٢) غسق الليل: سواده وظلمته قال ابن قيس الرّقيّات:

إنّ هذا الليل قد غسقاً   واشتكيت الهمّ والأرقا

(٣) وقت العصر إذا زاد ظل كل شيء مثله، ووقت المغرب: غروب الشمس، ووقت العشاء: ذهاب الشفق الأحمر، ووقت الصبح طلوع الفجر ووقت الظهر: زوال الشمس عن كبد السماء.

(٤) ﴿قرآن﴾: منصوب على الاغراء أي: والزم قرآن الفجر لأهميته ويصح أن ينصب على العطف أي: أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر أي: صلاته.

(٥) ﴿نافلة لك﴾: أي نافلة لأجلك خاصة بك دون سائر أمتك.

(٦) روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ بمكة ثمّ أمر بالهجرة فنزلت: ﴿وقل ربّ أدخلني . . ﴾ الخ وهو تعليم من الله لرسوله هذا الدعاء يقوله في صلاته وخارجها.

وقوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ هذه بشارة أخرى بأن الله تعالى سيفتح له مكة، ويدخلها ظافراً منتصراً وهو يكسر الأصنام حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين صنماً! ويقول جاء الحق وزهق الباطل أي ذهب الكفر واضمحل. ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾. لا بقاء له ولا ثبات إذا صاول الحق، ووقف في وجهه، وجائز أن يكون المراد بالحق، القرآن وبالباطل الكذب والافتراء، وجائز أن يكون الحق الإسلام والباطل الكفر والشرك وأعم من ذلك، أن الحق هو كل ماهو طاعة لله عز وجل، والباطل كل طاعة للشيطان من الشرك والظلم وسائر المعاصي. وقوله تعالى: ﴿وننزل من[1] القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ أي وننزل عليك يارسولنا محمد من القرآن ما هو شفاء[2] أي ما يستشفى به من مرض الجهل والضلال والشك والوساوس ورحمة للمؤمنين دون الكافرين، لأن المؤمنين يعملون به فيرحمهم الله تعالى بعملهم بكتابه، وأما الكافرون، فلا رحمة لهم فيه، لأنهم مكذبون به تاركون للعمل بما فيه. وقوله: ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ أي ولا يزيد القرآن الظالمين وهم المشركون المعاندون الذين أصروا على الباطل عناداً ومكابرة، هؤلاء لايزيدهم ما ينزل من القرآن ويسمعونه إلا خساراً لازدياد كفرهم وظلمهم وعنادهم. وقوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض[3] ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ يخبر الله تعالى عن الإنسان الكافر المحروم من نور الإيمان وهداية الإسلام أنه إذا أنعم عليه بنعمة النجاة من الهلاك وقد أشرف عليه بغرق أو مرض أو جوع أو نحوه، أعرض عن ذكر الله ودعائه كما كان يدعوه في حال الشدة، ونأى بجانبه أي بعد عنا فلايلتفت إلينا بقلبه، وذهب في خيلائه وكبريائه وقوله تعالى: ﴿وإذا مسه الشر كان[4] يؤوساً﴾ أي قنوطاً. هذا هو الكافر، ذو ظلمة النفس لكفره وعصيانه. إذا مسه الشر من جوع أو مرض أو خوف أحاط به كان يؤوساً أي كثير اليأس والقنوط تامهما، لعدم إيمانه بالله ورحمته وقدرته على إنجائه وخلاصه.

وقوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي قل يارسولنا للمشركين، كل منا ومنكم يعمل على طريقته ومذهبه بحسب حاله هداية وضلالاً. والله تعالى ربكم أعلم بمن هو أهدى منا ومنكم سبيلا. ويجزي الكل بحسب عمله وسلوكه. وهذه كلمة

---

(١) ﴿مِنْ﴾: بيانية أي: مبيّنة للموصول، ما هو شفاء وليست للابتداء ولا هي زائدة أي: وننزّل القرآن الذي هو شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين.

(٢) وقد يستشفى بالقرآن من الأمراض الجسمية ففي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ بعثهم وكانوا ثلاثين راكباً فنزلوا على قوم من العرب فسألوهم أن يضيّفوهم فأبوا فلدغ سيّد الحي فأتاهم آت وقال لهم: هل فيكم من يرقي من العقرب؟ قلنا: نعم لكن حتى تعطونا فقالوا: إنّا نعطيكم ثلاثين شاة فرقاه بفاتحة الكتاب قرأها عليه سبع مرات فشفي فأخذوا الثلاثين شاة فأتوا بها رسول الله ﷺ فقال لهم كلوا وأطعمونا من الغنم.

(٣) المراد بالإنسان هنا: الكافر لا المؤمن وال فيه للجنس فيشمل اللّفظ كل إنسان كافر لم يهتد إلى الإسلام.

(٤) كونه يؤوساً: لا يتعارض مع كثرة دعائه كما في قوله تعالى: ﴿فذو دعاء عريض﴾ إذ يدعو وهو قانط.

مفاصلة قاطعة، للنزاع الناجم عن كون كل يدعى أنه على الحق وأن دينه أصوب، وطريقته أمثل وسبيله أجدى وأنفع.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - وجوب إقامة الصلاة وبيان أوقاتها المحددة لها.

٢ - الترغيب في النوافل، وخاصة التهجد أي «نافلة الليل».

٣ - تقرير الشفاعة العظمى للنبي ﷺ.

٤ - ضعف الباطل وسرعة تلاشيه إذا صاوله الحق ووقف في وجهه.

٥ - القرآن شفاء لأمراض القلوب عامة ورحمة بالمؤمنين خاصة.

٦ - بيان طبع المرء الكافر وبيان حال الضعف الملازم له.

٧ - تعليم الرسول والمؤمنين كيف يتخلصون من الجدال الفارغ والحوار غير المثمر.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾
إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل
لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات:

يسألونك عن الروح : أي يسألك المشركون بواسطة أهل الكتاب عن الروح الذي يحيا به البدن.

من أمر ربي	: أي من شأنه وعلمه الذي استأثر به ولم يعلمه غيره.
لنذهبن بالذي أوحينا إليك	: أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف لفعلنا.
لك به علينا وكيلا	: يمنع ذلك منا ويحول دون ما أردناه منك.
إلا رحمة من ربك	: أي لكن أبقيناه عليك رحمة من ربك فلم نذهب به.
بمثل هذا القرآن	: من الفصاحة والبلاغة والمحتوى من الغيوب والشرائع والأحكام.
ظهيراً	: أي معيناً ونصيراً.
صرفنا	: بينا للناس مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا به فيؤمنوا ويوحدوا.
فأبى أكثر الناس	: أي أهل مكة إلا كفوراً أي جحوداً للحق وعناداً فيه.

معنى الآيات:

يقول تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح﴾[1] إذ قد سأله المشركون عن الروح وعن أصحاب الكهف، وذي القرنين بإيعاز من يهود المدينة فأخبره تعالى: بذلك وعلمه الرد عليهم فقال: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾[2] وعلمه الذي لا يعلمه إلا هو، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً لأن سؤالهم هذا ونظائره دال على إدعائهم العلم فأعلمهم أن ما أوتوه من العلم إلا قليل بجانب علم الله تعالى[3] وقوله تعالى: ﴿ولئن شئنا لنذهبنّ[4] بالذي أوحينا إليك﴾ هذا امتنان من الله على رسوله الذي أنزل عليه القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين بأنه تعالى قادر على محوه من صدره. وسطره، فلا تبقى منه آية ثم لا يجد الرسول وكيلاً له يمنعه من فِعْلِ الله به ذلك ولكن رحمة منه تعالى لم يشأ ذلك بل يبقيه إلى قرب قيام الساعة حجة الله على عباده وآية على نبوة محمد ﷺ، وصدق رسالته، وليس هذا بأول إفضال من الله تعالى على رسوله، بل فضل الله عليه كبير، ولنذكر من ذلك طرفاً وهو

---

(١) روى ابن إسحق أنّ قريشاً بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود ويثرب يسألانهم عن أمر النبي ﷺ فقال اليهود لهما: سلوه عن ثلاثة وذكروا لهما أهل الكهف وذا القرنين وعن الروح، فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحدة فهو نبي وإلاّ فروا رأيكم فيه فأنزل الله تعالى سورة الكهف وفيها الجواب عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، وأنزل هذه الآية: ﴿يسألونك عن الروح﴾.

(٢) يطلق الروح على ملَك من الملائكة عظيم ويطلق على جبريل ويطلق على هذا الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني الذي دلت عليه آثاره من الإدراك والتفكير وهو المسؤول عنه في هذه الآية، وسؤالهم كان عن بيان حقيقته وماهيته.

(٣) لفظ الآية عام وإن كان سبب نزولها خاصاً إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإنه ما أوتي أحد علماً إلاّ وهو إلى جانب علم الله تعالى قليل.

(٤) روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قوله: إنّ هذا القرآن الذي أظهركم يوشك أن ينزع منكم. قالوا: كيف ينزع منا وقد أثبته الله في قلوبنا وكتبناه في المصاحف قال: يسرى عليه في ليلة واحدة فينزع ما في القلوب ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقراء ثمّ قرأ: ﴿ولئن شئنا لنذهبنّ﴾ الآية.

عمـوم رسـالته، كونه خاتم الأنبياء، العروج به إلى الملكوت الأعلى، إمامته للأنبياء الشفاعة العظمى، والمقام المحمود.

وقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (١) لاشك أن هذا الذي علم الله رسوله أن يقوله له سبب وهو ادعاء بعضهم أنه في إمكانه أن يأتي بمثل هذا القرآن الذي هو آية صدق نبوة محمد ﷺ، وبذلك تبطل الدعوى، وينتصر باطلهم على الحق. فأمر تعالى رسوله أن يرد على هذا الزعم الباطل بقوله: قل يارسـولنـا لهؤلاء الـزاعمين الإتيان بمثل هذا القرآن لئن اجتمعت الإنس والجن متعاونين متظاهرين على الاتيان بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ذلك لأنه وحي الله وكتابه، وحجته على خلقه. وكفى. فكيف إذا يمكن للإنس والجن أن يأتوا بمثله؟!

وقوله: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي بينا مثلاً من جنس كل مثل من أجل هداية الناس وإصلاحهم علهم يتذكرون فيتعظون، فيؤمنون ويوحدون فأبى أكثر الناس إلا كفوراً أي جحوداً بالحق، وإنكاراً للقرآن وتكذيبا به وبما جاء فيه من الحق والهدى والنور، لما سبق القضاء الإلهي من امتلاء جهنم بالغاوين وجنود إبليس أجمعين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ علم الروح مما استأثر الله تعالى به.

٢ ـ ما علم أهل العلم إلى علم الله تعالى إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من ماء المحيط.

٣ ـ حفظ القرآن في الصدور والسطور إلى قرب الساعة.

٤ ـ عجز الإنس والجن عن الإتيان بقرآن كالقرآن الكريم.

٥ ـ لما سبق في علم الله من شقاوة الناس تجد أكثرهم لا يؤمنون.

وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ
ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا

(١) نزلت هذه الآية رداً على كفار قريش عندما قال النضر بن الحارث وغيره لو نشاء لقلنا مثل هذا. ومعنى ظهيراً: أي: عوناً ونصيراً كما يتعاون الشعراء على قصيد الشعر.

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ
كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ
ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ
فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

شرح الكلمات:

ينبوعاً : عيناً لا ينضب ماؤها فهي دائمة الجريان.

جنة : بستان كثير الأشجار.

كسفاً : قطعاً جمع كسفة كقطعة.

قبيلا : مقابلة لتراهم عياناً

من زخرف : من ذهب.

ترقى : تصعد في السماء

مطمئنين : ساكنين في الأرض لا يبرحون منها.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والبعث وتقرير ذلك. فقال تعالى مخبراً عن قيلهم لرسول الله وهم يجادلون في نبوته: فقالوا: ﴿لن[1] نؤمن لك﴾ أي لن نتابعك على ماتدعو إليه من التوحيد والنبوة لك والبعث والجزاء لنا ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ أي

(١) نزلت هذه الآية في رؤساء قريش مثل: عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي سفيان والنضر بن الحارث وأبي جهل وأمية بن خلف وغيرهم حيث اجتمعوا حول الكعبة ليلا وبعثوا إلى الرسول ﷺ وكان حريصاً على هدايتهم فأتاهم فقالوا له كلاماً طويلاً ثم خلصوا إلى ما ذكر تعالى في هذه الآية وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ.

عيناً يجري ماؤها على وجه الأرض لا ينقطع ﴿أو تكون لك جنة﴾ أي بستان من نخيل وعنب، ﴿فتفجر الأنهار خلالها﴾ أي خلال الأشجار تفجيراً، ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً[1]﴾ أي قطعاً، ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلا[2]﴾ أي مقابلة نراهم معاينة، ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ أي من ذهب تسكنه بيننا ﴿أو ترقى في السماء﴾ أي تصعد بسلم ذي درج في السماء، ﴿ولن نؤمن لرقيك[3]﴾ إن أنت رقيت ﴿حتى تنزل علينا كتاباً﴾ من عند الله ﴿نقرأه﴾ يأمرنا فيه بالإيمان بك واتباعك! هذه ست طلبات كل واحدة اعتبروها آية متى شاهدوها زعموا أنهم يؤمنون، والله يعلم أنهم لا يؤمنون، فلذا لم يستجب لهم وقال لرسوله: قل يامحمد لهم: ﴿سبحان الله﴾ متعجباً من طلباتهم ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾؟! أي هل كنت غير بشر رسول؟ وإلا كيف يطلب مني هذا الذي طلبوا، إن ماتطلبونه لا يقدر عليه عبد مأمور مثلي، وإنما يقدر عليه رب عظيم قادر، يقول للشيء كن. . . . فيكون! وأنا ما ادعيت ربوبية، وإنما أصرح دائماً بأني عبدالله ورسوله إليكم لأبلغكم رسالته بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به سواه وتؤمنوا بالبعث الآخر وتعملوا له بالطاعات وترك المعاصي. وقوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾ أي ومامنع أهل مكة أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى[4] على يد رسولهم ﴿إلا أن قالوا﴾ أي إلا قولهم ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾؟ منكرين على الله أن يبعث رسولاً من البشر!

وقوله تعالى: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المنكرين أن يكون الرسول بشراً، المتعجبين من ذلك، قل لهم: لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ساكنين في الأرض لايغادرونها لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً يهديهم بأمرنا ويعلمهم ما يطلب منهم فعله بإذننا لأنهم يفهمون عنه لرابطة الجنس بينهم والتفاهم الذي يتم لهم. ولذا بعثنا إليكم رسولاً من جنسكم تفهمون مايقول لكم يقدر على إفهامكم والبيان لكم فكيف إذاً تنكرون الرسالة للبشر وهي أمر لا بد منه؟!

---

(١) الكسف: بفتح السين جمع كسفة بإسكانها، قرأ نافع كسفاً بفتح السين وكذا عاصم وقرأ غيرهما كسفاً بإسكان السين أي: قطعة.

(٢) فسر قبيلاًبعدّة تفسيرات قال ابن عباس: كفيلا، وقال مقاتل: شهيداً، وقال مجاهد جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، وقيل ضمناء يضمنون لنا إتيانك به وما في التفسير أولى وأظهر في تفسير الآية.

(٣) الرقي: مصدر رقى يرقي رقياً ورُقيا أي: صعد المنبر ونحوه.

(٤) الهدى: أي ما يحقق الهداية من الكتب والرسل من عند الله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ.

٢ ـ بيان شدة عناد مشركي قريش، وتصلبهم وتحزبهم إزاء دعوة التوحيد.

٣ ـ بيان سخف عقول المشركين برضاهم للألوهية بحجر وإنكارهم الرسالة للبشر !

٤ ـ تقرير أن التفاهم حسب سنة الله لايتم إلا بين المتجانسين فإذا اختلفت الأجناس فلا تفاهم إلا أن يشاء الله فلا يتفاهم انسان مع حيوان أو جان.

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾
وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

شهيداً : على أني رسول الله إليكم وقد بلغتكم وعلى أنكم كفرتم وعاندتم.

فلن تجد لهم أولياء : أي يهدونهم.

على وجوههم : أي يمشون على وجوههم.

عمياً وبكماً وصماً : لايبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون.

كلما خبت : أي سكن لهبها زدناهم سعيراً أي تلهباً واستعاراً.
وقالوا : أي منكرين للبعث.
مثلهم : أي أناساً مثلهم.
أجلاً : وقتا محدداً.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير النبوة المحمدية إذ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: قل لأولئك المنكرين أن يكون الرسول بشراً، ﴿كفى[1] بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ على أني رسوله وأنتم منكرون عليَّ ذلك.

إنه تعالى كان ومازال ﴿بعباده خبيراً﴾ أي ذا خبرة تامة بهم ﴿بصيراً﴾ بأحوالهم يعلم المحق منهم من المبطل، والصادق من الكاذب وسيجزي كلًّا بعدله ورحمته.

وقوله تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد[2]﴾ يخبر تعالى أن الهداية بيده تعالى فمن يهده الله فهو المهتدي بحق، ﴿ومن يضلل فلن تجد لهم[3] أولياء من دونه﴾ أي يهدونهم بحال من الأحوال، وفي هذا الكلام تسلية للرسول وعزاء له في قومه المصرّين على الجحود والانكار لرسالته.

وقوله: ﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ أي أولئك المكذبين الضالين الذين ماتوا على ضلالهم وتكذيبهم فلم يتوبوا نحشرهم يوم القيامة، يمشون على وجوههم[4] حال كونهم عمياً لايبصرون، بكماً لاينطقون، صماً[5] لايسمعون وقوله تعالى: ﴿مأواهم جهنم﴾ أي محل استقرارهم في ذلك اليوم جهنم الموصوفة بأنها ﴿كلما خبت﴾ أي سكن لهبها عنهم زادهم الله سعيراً أي تلهباً

---

(١) روي أن نفراً من قريش قالوا حين سمعوا قوله: ﴿هل كنت إلّا بشرا رسولا﴾ فمن يشهد لك أنك رسول الله؟ فنزل: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيرا﴾.

(٢) حذفت الياء ليوقف على الدّال بالسكون وهي لغة فصيحة وفي حال الوصل يؤتى بالياء نطقا بها.

(٣) جمع الضمير (لهم) مراعاة إلى أن (من) تكون للواحد والمتعدد.

(٤) أي: يسحبون على وجوههم إهانة لهم كما يفعل في الدنيا بمن ينتقم منه حيث يسحبونه على وجهه في الأرض إهانة، ومن سورة القمر قال تعالى: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر﴾ وجائز أن يمشوا على وجوههم عند حشرهم إلى جهنم فإذا دخلوها سحبوا على وجوههم لحديث أنس: (أليس الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه؟) في جواب سائل قال أفيحشر الكفّار على وجوههم؟

(٥) هذا في حال حشرهم إلى جهنم وكانوا قبل ذلك يسمعون ويبصرون وينطقون ثم إذا دخلوها عادت إليهم حواسهم للآيات القرآنية المصرّحة بذلك منها: ﴿ورأى المجرمون..﴾ ومنها: ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيرا﴾ ومنها: ﴿قالوا يا مالك ليقض علينا ربك..﴾

واستعاراً. وقوله تعالى: ﴿ذلك جزاؤهم﴾ أي ذلك العذاب المذكور جزاؤهم بأنهم كفروا بآيات الله أي بسبب كفرهم بآيات الله. وقولهم إنكاراً للبعث الآخر واستبعاداً له: ﴿أإذا كنا عظاماً ورُفاتاً﴾ أي تراباً ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ ورد الله تعالى على هذا الاستبعاد منهم للحياة الثانية فقال: ﴿أولم يروا﴾ أي أينكرون البعث الآخر؟ ولم يروا بعيون قلوبهم ﴿أن الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم﴾؟؟! بلى إنه لقادر لو كانوا يعلمون!

وقوله تعالى: ﴿وجعل لهم أجلاً[1]﴾ أي وقتاً محدوداً معيناً لهلاكهم وعذابهم ﴿لاريب فيه﴾ وهم صائرون إليه لا محالة، وقوله: ﴿فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾ أي مع هذا البيان والاستدلال العقلي أبى الظالمون إلا الجحود والكفران ليحق عليهم كلمة العذاب فيذوقوه والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ عظم شهادة الله تعالى ووجوب الاكتفاء بها.

٢ ـ الهداية والاضلال بيد الله فيجب طلب الهداية منه والاستعاذة به من الضلال.

٣ ـ فظاعة عذاب يوم القيامة إذ يحشر الظالمون يمشون على وجوههم كالحيات وهم صم بكم عمي والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.

٤ ـ جهنم جزاء الكفر بآيات الله والانكار للبعث والجزاء يوم القيامة.

٥ ـ دليل البعث عقلي كما هو نقلي فالقادر على البدء، قادر عقلاً على الإعادة بل الاعادة ـ عقلاً ـ أهون من البدء للخلق من لا شيء.

قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ
ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ
ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ
إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ

(١) جملة: ﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه﴾ معطوفة على جملة ﴿أولم يروا﴾ لتأويلها بمعنى: قد رأوا ذلك لو كانوا يعقلون.
الأجل: الزمن المجعول غاية يبلغ إليها في حال من الأحوال والمراد به هنا مدّة حياتهم.

هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

شـــرح الكلمـات :

خزائن رحمة ربي : أي من المطر والأرزاق
لأمسكتم : أي منعتم الانفاق.
خشية الإنفاق : خوف النفاد.
قتـوراً : أي كثير الاقتار أي البخل والمنع للمال.
تسع آيات بينات : أي معجزات بينات أي واضحات وهو اليد والعصا والطمس إلخ .
مسحوراً : أي مغلوباً على عقلك، مخدوعاً.
ما أنزل هؤلاء : أي الآيات التسع .
مثبوراً : هالكاً بانصرافك عن الحق والخير.
فأراد أن يستفزهم : أي يستخفهم ويخرجهم من ديار مصر.
اسكنوا الأرض : أي أرض القدس والشام .
الآخرة : أي الساعة.
لفيفاً : أي مختلطين من أحياء وقبائل شتى .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ﷺ، قل يامحمد لأولئك الذين يطالبون بتحويل جبل الصفا إلى ذهب، وتحويل المنطقة حول مكة إلى بساتين من نخيل وأعناب تجري الأنهار من خلالها، قل لهم، لوكنتم أنتم تملكون خزائن رحمة ربي من الأموال والأرزاق لأمسكتم بخلا بها ولم تنفقوها خوفاً من نفادها إذ هذا طبعكم، وهو البخل، ﴿وكان الإنسان﴾ قبل هدايته وإيمانه ﴿قتوراً﴾ أي كثير التقتير بخلاً وشحاً نفسياً ملازماً له حتى يعالج هذا الشح بما وضع الله تعالى من دواء نافع جاء بيانه في سورة المعارج[1] من هذا

(١) هو قوله تعالى: ﴿إنّ الإنسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلاّ المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ إلى قوله: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾.

الكتاب الكريم.

وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات[1]﴾ أي، ولقد أعطينا موسى بن عمران نبي بني إسرائيل تسع آيات وهي: اليد، والعصا والـدم[2]، وانفلاق البحر، والطمس على أموال آل فرعون، والطوفان والجراد والقمل والضفادع، فهل آمن عليها آل فرعون؟! لا، إذاً، فلو أعطيناك ما طالب به قومك المشركون من الآيات الست التي اقترحوها وتقدمت في هذه السياق الكريم مبينة، ما كانوا ليؤمنوا بها، ومن هنا فلا فائدة من إعطائك إياها.

وقوله تعالى: ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ أي سل يانبينا علماء بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره، إذ جاءهم موسى يطالب فرعون بإرسالهم معه ليخرج بهم إلى بلاد القدس، وأرى فرعون الآيات الدالة على صدق نبوته ورسالته وأحقية مايطالب به فقال له فرعون: ﴿إني لأظنك ياموسى مسحوراً﴾ أي ساحراً لإظهارك ما أظهرت من هذه الخوارق، ومسحوراً بمعنى مخدوعاً مغلوباً على عقلك فتقول الذي تقول مما لا يقوله العقلاء فرد عليه موسى بقوله بما أخبر تعالى به في قولـه ﴿لقـد علمت﴾ أي فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات البينات إلا رب السماوات أي خالقها ومالكها والمدبر لها ﴿بصائر﴾ أي آيات واضحات مضيئات هاديات لمن طلب الهداية، فعميت عنهـا وأنت تعلم صدقهـا ﴿وإني لأظنك يافرعون مثبوراً[3]﴾! أي من أجل هذا أظنك يافرعون ملعوناً، من رحمة الله مبعداً مثبوراً هالكاً. فلما أعيته أي فرعون الحجج والبينات لجأ إلى القوة، ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ أي يستخفهم من أرض مصر بالقتل الجماعي استئصالاً لهم، أو بالنفي والـطرد والتشريد، فعامله الرب تعالى بنقيض، قصده فأغرقه الله تعالى هو وجنوده أجمعين، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فأغرقناه ومن معه﴾ أي من الجنود ﴿أجمعين﴾ وقوله تعالى:

---

(١) روى الترمذي وصححه والنسائي عن صفوان بن عسال المرادي: أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله، فقال: لا تقل له نبي فإنه إن سمعنا كان له أربعة أعين، فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن قول الله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات﴾ فقال: لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تَمْشُـوا ببريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تفرّوا من الزحف، وعليكم يا معشر يهود خاصة ألّا تعدوا في السبت فقبّلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي قال: ما يمنعكما أن تؤمنا؟ قالا: إن داود دعا الله ألّا يزال في ذريته نبي وإنّا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود). وعليه فالمراد بالآيات: آيات التشريع في التوراة، وهذا وجه. ولا منافاة مع تفسير الآيات بالمعجزات التسع كما في التفسير.

(٢) لا خلاف في اليد والعصا والطوفان والجراد والقمّل والدم وإنما الخلاف في الثلاث الباقية وانفلاق البحر مجمع عليه وإنما في الطمس والحجر لأن الحجر كان في التيه بعد نجاة بني اسرائيل.

(٣) الظنّ هنا بمعنى التحقيق، وذكر لكلمة مثبور عدة معان كلها صحيحة منها: الهلاك والخسران والخبال والمنع من الخير، قال ابن الزّبعري:

إذ أجاري الشيطان في سنن الغَـــيِّ ومَنْ مال مَيْلَهُ مثبورُ   أي هالك وخاسر.

﴿وقلنا من بعده﴾ أي من بعد هلاك فرعون وجنوده لبني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام ﴿اسكنوا الأرض﴾ أي أرض القدس والشام إلى نهاية آجالكم بالموت. ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي يوم القيامة بعثناكم أحياء كغيركم، ﴿وجئنا بكم لفيفاً﴾ أي مختلطين من أحياء وقبائل وأجناس شتى لا ميزة لأحد على آخر، حفاة عراة لفصل القضاء ثم الحساب والجزاء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - الشح من طبع الانسان إلا أن يعالجه بالإيمان والتقوى فيقيه الله منه.[1]

٢ - الآيات وحدها لا تكفي لهداية الإنسان بل لا بد من توفيق إلهي.

٣ - مظاهر قدرة الله تعالى وانتصاره لأوليائه وكبت أعدائه.

٤ - بيان كيفية حشر الناس يوم القيامة لفيفاً أخلاطاً من قبائل وأجناس شتى.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات:

وبالحق أنزلناه : أي القرآن.

وبالحق نزل : أي نزل ببيان الحق في العبادات والعقائد والأخبار والمواعظ والحكم والأحكام

وقرآناً فرقناه : أن نزلناه مفرقاً في ظرف ثلاث وعشرين سنة لحكمة اقتضت ذلك.

على مكث : أي على مهل وتؤده ليفهمه المستمع إليه.

---

(١) قال تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولائك هم المفلحون﴾.

ونزلناه تنزيلاً : أي شيئاً فشيئاً حسب مصالح الأمة لتكمل به ولتسعد عليه.

أوتوا العلم من قبله : أي مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي.

للأذقان سجداً : أي سجداً على وجوههم، ومن سجد على وجهه فقد خرَّ على ذقنه ساجداً.

إن كان وعد ربنا لمفعولاً: منجزاً، واقعاً، فقد أرسل النبي الأمي الذي بشرت به كتبه وأنزل عليه كتابه.

معنى الآيات:

يقول تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه﴾ أي ذلك الكتاب الذي جحد به الجاحدون، وكذب به المشركون أنزلناه بالحق الثابت حيث لا شك أنه كتاب الله ووحيه إلى رسوله، و﴿بالحق نزل﴾ فكل ماجاء فيه ودعا إليه وأمر به. وأخبر عنه من عقائد وتشريع وأخبار ووعد ووعيد كله حق ثابت لا خلاف فيه ولا ريبة منه. وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ أي لم نرسلك لخلق الهداية في قلوب عبادنا ولا لإجبارهم بقوة السلطان على الإيمان بنا و توحيدنا، وإنما أرسلناك للدعوة والتبليغ ﴿مبشراً﴾ من أطاعنا بالجنة ومنذراً من عصانا مخوفاً من النار. وفي هذا تقرير لرسالته ﷺ ونبوته وقوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي أنزلنا القرآن وفرقناه في خلال ثلاث وعشرين سنة لحكمة منا اقتضت ذلك وقوله ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾[(١)] آيات بعد آيات ليكون ذلك أدْعَى إلى فهم من يسمعه ويستمع إليه، وقوله تعالى: ﴿ونزلناه تنزيلا﴾ أي شيئاً فشيئاً حسب[(٢)] مصالح العباد وما تتطلبه تربيتهم الروحية والانسانية ليكملوا به، عقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ويسعدوا به في الدارين وقوله تعالى: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ أي قل يارسولنا للمنكرين للوحي القرآني مِنْ قومك، آمنوا به أولا تؤمنوا فإن إيمانكم به كعدمه لا يغير من واقعه شيئاً فسوف يؤمن به ويسعد عليه غيركم إن لم تؤمنوا أنتم به وهاهم أولاء الذين أوتوا العلم من قبله من علماء أهل الكتابين اليهود والنصاري قد آمنوا به، يريد أمثال عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي والنجاشي أصحم الحبشي وإنهم ﴿إذا يتلى عليهم﴾ أي يُقرأ عليهم ﴿يخرون للأذقان سجداً﴾ أي يخرون ساجدين على أذقانهم ووجوههم ويقولون حال سجودهم ﴿سبحان ربنا﴾[(٣)]

(١) قال القرطبي: لا خلاف في أنه نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة.

(٢) ﴿تنزيلا﴾: مصدر مؤكد لنزوله نجما بعد نجم وهو معنى مفرّقاً آية بعد آية وسورة بعد سورة حتى اكتمل نزوله.

(٣) في الآية دليل على مشروعية التسبيح في السجود وشاهده من السنة رواية مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في سجوده وركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي) وورد أنه فعله استجابة لقول الله تعالى ﴿فسبّح بحمد ربك واستغفره﴾ آخر سورة النصر.

أي تنزيهاً له أن يخلف وعده إذ وعد أنه يبعث نبي آخر الزمان وينزل عليه قرآناً، ﴿إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ إقراراً منهم بالنبوة المحمدية والقرآن العظيم، أي ناجزاً إذ وعد بإرسال النبي الخاتم وإنزال الكتاب عليه فأنجز ما وعد، وهكذا وعد ربنا دائماً ناجز لا يتخلف. وقوله ﴿ويخرون للأذقان[1] يبكون[2]﴾ أي عندما يسمعون القرآن لايسجدون فحسب بل يخرون يبكون ويزيدهم سماع القرآن وتلاوته خشوعاً في قلوبهم واطمئناناً في جوارحهم لأنه الحق سمعوه من ربهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ القرآن حق من الله وما نزل به كله حق.

٢ ـ الندب إلى ترتيل القرآن لاسيما عند قراءته على الناس لدعوتهم إلى الله تعالى.

٣ ـ تقرير نزول القرآن مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة.

٤ ـ تقرير النبوة المحمدية بنزول القرآن وإيمان من آمن به من أهل الكتاب.

٥ ـ بيان حقيقة السجود وأنه وضع الوجه على الأرض.

٦ ـ مشروعية السجود للقارىء أو المستمع وسنية ذلك عند قراءة هذه الآية وهي ﴿يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ فيخر ساجداً مكبراً في الخفض وفي الرفع قائلا: الله أكبر ويسبح ويدعو في سجوده بما يشاء.

قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

---

(١) ﴿الأذقان﴾ جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين، والسجود على الجبهة والأنف وإنما ذكر الأذقان هنا لأنّ اللحية تصل إلى الأرض قبل الجبهة والأنف إذا كانت طويلة كما هي السنة.

(٢) دلت الآية على أن البكاء في الصلاة لا يقطعها، والخلاف في النفخ والأنين والتنحنح والصحيح أنّ ما كان بحروف تسمع كان كلاماً ويقطع الصلاة وما لم يكن بحرف فلا فقد كان النبي ﷺ يبكي في صلاته ويسمع له أزيز كأزيز المرجل.

شــرح الكلمـات :

ادعوا الله أو ادعوا الرحمن : أي سموه بأيهما ونادوه بكل واحد منهما الله أو الرحمن.

أياما تدعوا : أي إن تدعوه بأيهما فهو حسن لأن له الأسماء الحسنى وهذان منها.

ولا تجهر بصلاتك : أي بقراءتك في الصلاة كراهة أن يسمعها المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله.

ولا تخافت بها : أي ولا تسر به إسراراً حتى ينتفع بقراءتك أصحابك الذين يصلون وراءك بصلاتك.

وابتغ بين ذلك سبيلا : أي اطلب بين السر والجهر طريقاً وسطاً.

لم يتخذ ولداً : كما يقول الكافرون.

ولم يكن له شريك : كما يقول المشركون.

ولم يكن له ولي من الذل : أي لم يكن له ولي ينصره من أجل الذل إذ هو العزيز الجبار مالك الملك، ذو الجلال والاكرام.

وكبره تكبيرا : أي عظمه تعظيماً كاملاً عن اتخاذ الولد والشريك والولي من الذل.

معنى الآيات :

كان ﷺ يقول في دعائه يا الله. يارحمن، يارحيم فسمعه المشركون وهم يتصيدون له أية شبهة ليثيروها ضده فلما سمعوه يقول: ياالله ، يارحمن قالوا: أنظروا إليه كيف يدعو إلهين وينهانا عن ذلك فأنزل الله تعالى[(١)]: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ أي قل لهم يانبينا أدعوا الله أو أدعوا الرحمن فالله هو الرحمن الرحيم ﴿فأياما تدعوا﴾ منهما الله أو الرحمن فهو الله ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى وقوله تعالى: ﴿ولا تجهر[(٢)] بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ أي وسطاً بين السر والجهر ، وذلك أن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبُّوا قارئه ومن أنزله ، فأمر الله تعالى رسوله والمؤمنون تابعون له إذا قرأوا في صلاتهم أن لا يجهروا حتى لا

---

(١) فنزلت الآية مبيّنة أنهما الله والرحمن اسمان لمسمى واحد فإن دُعي يا الله فهو ذاك وإن دعي يا رحمن فهو ذاك.

(٢) روى مسلم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ الخ قوله نزلت ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به). فقال الله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك أي: أسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر ﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ أي: بين الجهر والمخافتة كان هذا في مكة ثمّ استقرّت السنة بالجهر في صلاة الصبح والمغرب والعشاء في الركعتين الأولتين والسر في صلاة الظهر والعصر وثالثة المغرب والأخيرتين من صلاة العشاء.

يسمع المشركون قراءتهم ولا يسروا حتى لا يحرم سماع القرآن من يصلي وراءهم فأمر رسول الله بالتوسط بين الجهر والسر.

وقوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله[1] الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾. أي أمر الله تعالى الرسول أن يحمد الله الذي لم يتخذ ولداً كما زعم ذلك بعض العرب، إذ قالوا الملائكة بنات الله! وكما زعم ذلك اليهود إذ قالوا عزير بن الله والنصارى إذ قالوا عيسى بن الله! ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ كما قال المشركون من العرب: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك!

﴿ولم يكن له وليّ من الذل﴾ كما قال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل الله!

﴿وكبره﴾ أنت أو عظمه يارسولنا تعظيماً من أن يكون له وصف النقص والافتقار والعجز.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ إن لله الأسماء الحسنى وهي مائة اسم إلا اسماً واحداً[2] فيدعى الله تعالى وينادى بأيّها، وكلها حسنى كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾

٢ ـ بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للرسول والقرآن والمؤمنين..

٣ ـ مشروعية الأخذ بالاحتياط للدين كما هو للدنيا.

٤ ـ وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه وتنزيهه عن كل عجز ونقص.

٥ ـ هذه الآية ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل﴾ تسمى آية العز هكذا سماها رسول الله ﷺ.

---

(١) روي عن عمر أنه قال: الله أكبر خير من الدنيا وما فيها، وورد أنّ هذه الآية ﴿وقل الحمد لله﴾ الخ خاتمة التوراة وفاتحتها أوّل سورة الأنعام.

(٢) الإجماع على أنه لا يصح وضع اسم لله تعالى بالنظر والاجتهاد وإنما أسماؤه وصفاته توقيفية مصدرها الوحي الإلهي: الكتاب والسنة.

سُورَةُ الكَهْفِ (1)
مكية
وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾
مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾

شـرح الكلمات :

الحمد لله : الحمد الوصف بالجميل، والله عَلَم على ذات الرب تعالى.

الكتاب : القرآن الكريم.

ولم يجعل له عوجاً : أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه.

قيما : أي ذا اعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط في كل ما حواه ودعا إليه من التوحيد والعبادة والآداب والشرائع والأحكام.

بأساً شديداً : عذاباً ذا شدة وقسوة وسوء عذاب في الآخرة.

---

(1) روى مسلم: ﴿من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال﴾ وروى الدرامي في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق). . وروي أيضاً (أن من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطي نوراً يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال).

من لدنه	: من عنده سبحانه وتعالى .
أجراً حسنا	: أي الجنة إذ هي أجر المؤمنين العاملين بالصالحات .
كبرت كلمة	: أي عظمت فريه وهي قولهم الملائكة بنات الله .
إن يقولون إلا كذباً	: أي مايقولون إلا كذباً بحتاً لا واقع له من الخارج .
باخع نفسك	: قاتل نفسك كالمنتحر .
بهذا الحديث أسفاً	: أي بالقرآن من أجل الأسف الذي هو الحزن الشديد .

معنى الآيات :

أخبر تعالى في فاتحة سورة الكهف[1] بأنه المستحق للحمد، وأن الحمد لله وذكر موجب ذلك، وهو إنزاله على عبده ورسوله محمد ﷺ الكتاب الفخم العظيم وهو القرآن العظيم الكريم فقال: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ وقوله تعالى، ﴿ولم يجعل له عوجاً[2]﴾ أي ولم يجعل لذلك الكتاب العظيم عوجاً أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه فهو كلام مستقيم محقق للآخذ به كل سعادة وكمال في الحياتين. وقوله ﴿قيماً﴾ أي معتدلا خاليا من الإفراط والتفريط قيما على الكتب السابقة مهيمناً عليها الحق فيها ما أحقه والباطل ما أبطله .

وقوله ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ أي أنزل الكتاب الخالي من العوج القيم من أجل أن ينذر الظالمين من أهل الشرك والمعاصي عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة ينزل بهم من عند ربهم الذين كفروا به وأشركوا وعصوه وكذبوا رسوله وعصوه. ومن أجل أن يبشر بواسطته أيضاً ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يخبرهم بما يسرهم ويفرح قلوبهم وهو أن لهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وقوله تعالى: ﴿وينذر﴾ بصورة خاصة أولئك المتقولين على الله المفترين عليه بنسبتهم الولد إليه فقالوا: ﴿ اتخذ الله ولداً﴾ وهم اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب الذين قالوا ان الملائكة بنات الله! هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ وهو قول تَوَارَثُوهُ لا علم لأحد منهم به، وإنما هو مجرد كذب يتناقلونه

---

(١) روى ابن اسحق في سبب نزول سورة الكهف حديثاً طويلاً خلاصته أنّ وفداً من قريش أتوا اليهود بالمدينة وقالوا لهم أنتم أهل الكتاب فأخبرونا عن صاحبنا هذا ـ محمد ﷺ ـ فقالت اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل فإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوافة قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟؛ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فانظروا في أمره ما بدالكم وأتى الوفد مكة وسألوا رسول الله ﷺ فقال: (أخبركم بما سألتم عنه غداً؛ ولم يستثن أي: لم يقل إن شاء الله فانقطع الوحي نصف شهر ثم نزلت سورة الكهف وفيها جواب ما سألوا.

(٢) العوج: ضد الاستقامة وهو الانحراف في الذوات والمعاني وتكسر عينه وتفتح، وقيل: الكسر في المعاني والفتح في الذّوات.

بينهم لذا قبح الله قولهم هذا وعجّب منه العقلاء، فقال: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ أي عظم قولهم ﴿اتخذ الله ولداً﴾ كلمة قالوها تخرج من أفواههم لا غير إذ لا واقع لها أبداً، وقرر الانكار عليهم فقال: ﴿إن يقولون إلا كذباً﴾ أي ما يقولون إلا الكذب البحت الذي لا يعتمد على شيء من الصحة البتة. وقوله: ﴿فلعلك باخع[1] نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ يعاتب الله تعالى رسوله ويخفف عنه ما يجده في نفسه من الحزن على عدم إيمان قومه واشتدادهم في الكفر والتكذيب وما يقترحونه عليه من الآيات أي فلعلك يارسولنا قاتل نفسك على إثر رفض قومك للإيمان بك وبكتابك وماجئت به من الهدى، حزناً عليهم، وجزعاً منهم، فلا تفعل واصبر لحكم ربك فإنه منجز وعده لك بالنصر على قومك المكذبين لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب حمد الله تعالى على آلائه وعظيم نعمه.

٢ - لا يحمد إلا من له مايقتضي حمده، وإلا كان المدح كذباً وزوراً.

٣ - عظم شأن القرآن الكريم وسلامته من الافراط والتفريط والانحراف في كل ما جاء به.

٤ - بيان مهمة القرآن وهي البشارة لأهل الإيمان والإنذار لأهل الشرك والكفران.

٥ - التنديد بالكذب على الله ونسبة ما لا يليق بجلاله وكماله إليه كالولد ونحوه.

٦ - تحريم الانتحار وقتل النفس من الحزن أو الخوف ونحوه من الغضب والحرمان.

إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى

(١) ﴿باخع﴾ مهلك نفسك، قال ذو الرّمة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه   بشيء نحته عن يديه المقادر

وفسّر ابن عباس رضي الله عنهما الباخع بقاتل نفسه من شدّة الحزن.

ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

صعيداً جرزاً	: أي تراباً لا نبات فيه، فالصعيد هو التراب والجرز[1] الذي لا نبات فيه.
الكهف	: النقب الواسع في الجبل والضيق منه يقال له «غار»
والرقيم	: لوح حجري رقمت فيه أسماء أصحاب الكهف.
أوى الفتية إلى الكهف	: اتخذوه مأوى لهم ومنزلاً نزلوا فيه.
الفتية	: جمع فتى وهم شبان مؤمنون.
هيىء لنا من أمرنا رشداً	: أي ييسر لنا طريق رشد وهداية.
فضربنا على آذانهم	: أي ضربنا على آذانهم حجاباً يمنعهم من سماع الأصوات والحركات.
سنين عددا	: أي أعواماً عدة.
ثم بعثناهم	: أي من نومهم بمعنى أيقظناهم.
أحصى لما لبثوا	: أي أضبط لأوقات بعثهم في الكهف.
أمـــداً	: أي مدة محدودة معلومة.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ من حيوان وأشجار ونبات وأنهار وبحار، وقوله ﴿لنبلوهم﴾ أي لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملا﴾ أي أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا وقوله: ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ أي وإنا لمخربوها في يوم، من الأيام بعد عمارتها ونضارتها وزينتها نجعلها ﴿صعيداً[2] جرزاً﴾ أي تراباً لا نبات فيه، إذاً فلا تحزن يارسولنا ولا تغتم مما تلاقيه من قومك فإن مآل الحياة التي من أجلها عادوك وعصونا إلى أن

---

(١) الجرز: القاحل الأجرد الذي لا نبات فيه.

(٢) الصعيد: وجه الأرض والجمع صُعُد، والصعيد: الطريق أيضاً لحديث الصحيح: (إياكم والقعود على الصعدات) أي: الطرق، وجمع الجرز: أجراز يقال سنين أجراز لا مطر فيها ولا عشب ولا نبات.

تصبح صعيداً جرزاً. وقوله تعالى: ﴿أم حسبت[1] أن أصحاب الكهف والرقيم[2] كانوا من آياتنا عجباً﴾ أي أظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف أي الغار في الكهف والرقيم وهو اللوح الذي كتبت عليه ورقم أسماء أصحاب الكهف وأنسابهم وقصتهم ﴿كانوا من آياتنا عجباً[3]﴾ أي كان أعجب من آياتنا في خلق ومخلوفات، السموات والأرض بل من مخلوقات الله ما هو أعجب بكثير. وقوله: ﴿إذْ أوى الفتية إلى الكهف﴾ هذا شروع في ذكر قصتهم العجيبة، أي اذكر للسائلين لك عن قصة هؤلاء الفتية، إذ أووا إلى الغار في الكهف فنزلوا فيه، واتخذوه مأوى لهم ومنزلاً هروباً من قومهم الكفار أن يفتنوهم في دينهم وهم سبعة شبان ومعهم كلب لهم فقالوا سائلين ربهم: ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا﴾ أي أعطنا من عندك رحمة تصحبنا في هجرتنا هذه للشرك والمشركين ﴿وهيء لنا من أمرنا رشداً﴾ أي ويسر لنا من أمرنا في فرارنا من ديار المشركين خوفاً على ديننا ﴿رشداً[4]﴾ أي سداداً وصلاحاً ونجاة من أهل الكفر والباطل، قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآيات وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى وكان لهم ملك عابد وثن دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم أو يقتلهم فاستخفوا منه في الكهف وقوله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾ أي فضربنا على آذانهم حجاباً[5] يمنعهم من سماع الأصوات والحركات فناموا في كهفهم سنين معدودة أي ثلاثمائة وتسع سنين، وكانوا يتقلبون بلطف الله وتدبيره لهم من جنب إلى جنب حتى بعثهم من نومهم وهذا استجابة الله تعالى لهم إذ دعوه قائلين: ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ وقوله تعالى: ﴿ثم بعثناهم﴾ أي من نومهم ورقادهم ﴿لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا﴾ أي في الكهف ﴿أمداً﴾ أي لنعلم عِلْمَ مشاهدة ولينظر عبادي فيعلموا أي الطائفتين[6] اللتين اختلفتا في قدر لبثهم في الكهف كانت أحصى لمدة لبثهم في الكهف حيث اختلف الناس إلى حزبين حزب يقول لبثوا في كهفهم كذا سنة وآخر يقول لبثوا إلى مدى أي غاية كذا من السنين.

---

(١) (أم) هذه هي المنقطعة التي تقدّر ببل والاستفهام للتعجيب.

(٢) ويجمع الرقيم على رُقُم، والرقيم: فعَيل بمعنى مفعول أي: مرقوم بمعنى مكتوب.

(٣) إنّ إماتة الأحياء أعجب من إماتة أصحاب الكهف.

(٤) الرشد: بفتحتين: الخير، وإصابة الحق والنفع والصلاح أيضاً.

(٥) أي: حائلا كغشاوة ونحوها مما يحول دون السمع، ومعنى ضربنا، جعلنا أو وضعنا كقوله: ﴿ضربت عليهم الذلّة﴾ اي: جعلت وألصقت بهم.

(٦) يبعد أن يكون المراد بالحزبين: هم أصحاب الكهف أنفسهم بل الذين اختلفوا فيهم حزبان من الأمة التي اكتشفتهم بعد مضيّ سنين عديدة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان العلة في وجود الزينة على هذه الأرض، وهي الابتلاء والاختبار للناس ليظهر الزاهد فيها، العارف بتفاهتها وسرعة زوالها، وليظهر الراغب فيها المتكالب عليها الذي عصى الله من أجلها.

٢ ـ تقرير فناء كل ما على الأرض حتى تبقى صعيداً جرزاً وقاعاً صفصفاً لا يرى فيها عوج ولا أمت.

٣ ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ بإجابة السائلين عن أصحاب الكهف بالايجاز والتفصيل.

٤ ـ تقرير التوحيد ضِمْنَ قصة أصحاب الكهف إذ فروا بدينهم خوفاً من الشرك والكفر.

٥ ـ استجابة الله دعاء عباده المؤمنين الموحدين حيث استجاب للفتية فآواهم الغار ورعاهم حتى بعثهم بعد تغير الأحوال وتبدل العباد والبلاد.

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾
وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا
﴿١٦﴾

شـــرح الكلمـات:

نبأهم بالحق : أي خبرهم العجيب بالصدق واليقين.

وزدناهم هدى : أي إيماناً وبصيرة في دينهم ومعرفة ربهم حتى صبروا على الهجرة.

وربطنا على قلوبهم : أي شددنا عليها فقويت عزائمهم حتى قالوا كلمة الحق عند سلطان جائر.
لن ندعوا من دونه إلها : لن نعبد من دونه إلهاً آخر.
لولا يأتون عليهم بسلطان : أي هلا يأتون بحجة قوية تثبت صحة عبادتهم.
على الله كذباً : أي باتخاذ آلهة من دونه تعالى يدعوها ويعبدها.
فأووا إلى الكهف : أي انزلوا في الكهف تستترون به على أعين أعدائكم المشركين.
ينشر لكم ربكم من رحمته : أي يبسط من رحمته عليكم بنجاتكم مما فررتم منه.
ويهيء لكم من أمركم : وييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكرب.
مرفقا : أي ما ترتفقون به وتنتفعون من طعام وشراب وإواء.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى موجز قصة أصحاب الكهف أخذ في تفصيلها فقال ﴿نحن نقص عليكم نبأهم بالحق[1]﴾ أي نحن رب العزة والجلال نقص عليك أيها الرسول خبر أصحاب الكهف بالحق الثابت الذي لا شك فيه ﴿إنهم فتية﴾[2]، جمع فتى ﴿آمنوا بربهم﴾ أي صدقوا بوجوده ووجوب عبادته وتوحيده فيها وقوله ﴿وزدناهم هدى﴾ أي هداية إلى معرفة الحق من محاب الله تعالى ومكارهه.

وقوله تعالى: ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أي قوّينا عزائمهم بما شددنا على قلوبهم حتى قاموا وقالوا على رؤوس الملأ وأمام ملك كافر ﴿ربنا رب السموات والأرض﴾ أي ليس لنا رب سواه، لن ندعوا من دونه إلهاً مهما كان شأنه، إذ لو اعترفنا بعبادة غيره لكنا قد قلنا إذاً شططاً من القول وهو الكذب والغلو فيه وقوله تعالى: ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة﴾ يخبر تعالى عن قيل الفتية لما ربط الله على قلوبهم إذ قاموا في وجه المشركين الظلمة وقالوا: ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من[3] دون الله آلهة، لولا يأتون عليهم بسلطان بين﴾ أي هلا يأتون عليهم بسلطان بيّن أي بحجة واضحة تثبت عبادة هؤلاء الأصنام من دون الله؟ ومن أين ذلك والحال أنه لا إله إلا الله؟!

وقوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن[4] افترى﴾ ينفي الله عز وجل أن يكون هناك أظلم ممن افترى

---

(١) الحق هنا بمعنى الصدق في الإخبار والباء في قوله ﴿بالحق﴾ للملابسة أي: القصص المصاحب للصدق والنبأ: الخبر ذو الشأن والأهمية.

(٢) الجملة بيانية أي: مبينة للقصص.

(٣) ﴿من﴾ ابتدائية، أي آلهة ناشئة من غير الله تعالى.

(٤) ﴿من﴾ اسم استفهام، ومعناه الإنكار والنفي، الانكار على من اتخذ آلهة دون الله تعالى، والنفي لوجود آلهة حق مع الله تعالى.

على الله كذباً باتخاذ آلهة يعبدها معه باسم التوسل بها وشعار التشفع والتقرب إلى الله زلفى بواسطتها !! وقوله تعالى عن قيل أصحاب الكهف لبعضهم[1]: ﴿وإذ اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فأووا إلى الكهف﴾ أي فصيروا إلى غار الكهف المسمى «بنجلوس» ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ أي يبسط لكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي رميتم به من الكافر «دقينوس» ﴿ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً﴾ أي ما ترتفقون به من طعام وشراب وأمن في مأواكم الجديد الذي أويتم إليه فراراً بدينكم واستخفائكم من طالبكم المتعقب لكم ليفتنكم في دينكم أو يقتلكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير النبوة المحمدية بذكر قصة أصحاب الكهف.

٢ ـ تقرير زيادة الإيمان ونقصانه.

٣ ـ فضيلة الجرأة في الحق والتصريح به ولو أدى إلى القتل أو الضرب أوالسجن.

٤ ـ تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله على لسان أصحاب الكهف.

٥ ـ بطلان عبادة غير الله لعدم وجود دليل عقلي أو نقلي عليها.

٦ ـ الشرك ظلم وكذب والمشرك ظالم مفتر كاذب.

٧ ـ تقرير فرض الهجرة في سبيل الله.

٨ ـ فضيلة الالتجاء إلى الله تعالى وطلب حمايته لعبده وكفاية الله من لجأ إليه في صدق.

۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ
مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم

(١) أي: قالوا ما قالوه على سبيل النصح والمشورة الصائبة.

بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

تزاور : أي تميل.

تقرضهم : تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم.

في فجوة منه : متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها.

من آيات الله : أي دلائل قدرته.

أيقاظاً : جمع يقظ أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة.

بالوصيد : فناء الكهف.

رُعباً : منعهم الله بسببه من الدخول عليهم.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في عرض قصة أصحاب الكهف يقول تعالى في خطاب رسوله ﷺ ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور[1] عن كهفهم﴾ أي تميل عنه ذات اليمين ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ أي تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ذات الشمال. وقوله تعالى: ﴿وهم في فجوة[2] منه﴾ أي متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها، وقوله ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي وذلك المذكور من ميلان الشمس عنهم إذا طلعت وقرضها لهم إذا غربت من دلائل قدرة الله تعالى ورحمته بأوليائه ولطفه بهم[3]، وقوله تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المُهْتَدِ ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ يخبر تعالى أن الهداية بيده وكذلك الإضلال فليطلب العبد من ربه الهداية إلى صراطه المستقيم، وليستعذ به من الضلال المبين، إذ من يضله الله لن يوجد له ولي يرشده بحال من الأحوال، وقوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود[4]﴾ أي انك إذا نظرت إليهم تظنهم أيقاظاً

---

(١) ﴿تزاور﴾: تتنحى أو تميل من الازورار والزور: الميل، والأزور من الناس: المائل النظر إلى ناحية وازورّ: مال ومنه قول عنترة:

فازورّ من وقع القنا بلبانه　　وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

اللّبان: الصدر، والتحمحم: صوت دون الصهيل.

(٢) الفجوة: والجمع فجوات وفجاء وهو المتسع

(٣) والمقصود بيان حفظهم من تطرق البلاء، وتغير الأبدان والألوان والتأذي بحرّ أو برد.

(٤) ﴿رقود﴾ جمع راقد كراكع وركوع، وساجد وسجود، والتقليب: تغيير وضع الشيء من ظاهره إلى باطنه وفعل الله تعالى هذا لحكمة وهي: حتى لا تؤثر الأرض على أجسامهم فتبلى، ولم يعرف كم مرّة يقلبون فيها في الشهر أو العام أو في أقل أو أكثر.

أي منتبهين لأن أعينهم متفتحة وهم رقود نائمون لايحسّون بأحد ولا يشعرون، وقوله تعالى: ﴿ونقلبهم ذات اليمين﴾ أي جهة اليمين ﴿وذات الشمال﴾ أي جهة الشمال حتى لا تَعْدو التربة على أجسادهم فتبليها . وقوله : ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ أي : وكلبهم الذي خرج معهم ، وهو كلب صيد ﴿باسط ذراعيه بالوصيد﴾[1] أي : بفناء الكهف . وقوله تعالى : ﴿لو اطلعت عليهم﴾ أي لو شاهدتهم وهم رقود وأعينهم مفتحة ﴿لوليت منهم فراراً﴾ لرجعت فاراً منهم ﴿ولملئت منهم رعباً﴾ أي خوفاً وفزعاً ، ذلك أن الله تعالى ألقى عليهم من الهيبة والوقار حتى لا يدنو منهم أحد ويمسهم بسوء إلى أن يوقظهم عند نهاية الأجل الذي ضرب لهم ، ليكون أمرهم آية من آيات الله الدالة على قدرته وعظيم سلطانه وعجيب تدبيره في خلقه .

من هداية الآيات :

١ ـ بيان لطف الله تعالى بأوليائه بإكرامهم في هجرتهم إليه .

٢ ـ تقرير أن الهداية بيد الله فالمهتدي من هداه الله والضال من أضله الله ولازم ذلك طلب الهداية من الله ، والتعوذ به من الضلال لأنه مالك ذلك .

٣ ـ بيان عجيب تدبير الله تعالى وتصرفه في مخلوقاته فسبحانه من إله عظيم عليم حكيم .

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ

(١) فناء عند مدخل الكهف فشبّه بالباب الذي هو الوصيد لأنه يوصد ويغلق .

ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

كذلك بعثناهم : أي كما أنمناهم تلك النومة الطويلة الخارقة للعادة بعثناهم[1] من رقادهم بعثاً خارقاً للعادة أيضاً فكان في منامهم آية وفي إفاقتهم آية.

كم لبثتم : أي في الكهف نائمين.

يوماً أو بعض يوم : لأنهم دخلوا الكهف صباحاً واستيقظوا عشية.

بورقكم : بدراهم الفضة التي عندكم.

إلى المدينة : أي المدينة التي كانت تسمى أفسوس وهي طرسوس اليوم.

أزكى طعاماً : أي أيُّ أطعمة المدينة أحلُّ أي أكثر حِلِّيَّة.

وليتلطف : أي يذهب يشتري الطعام ويعود في لطف وخفاء.

يرجموكم : أي يقتلوكم رمياً بالحجارة.

أعثرنا عليهم : أطلعنا عليهم أهل بلدهم.

ليعلموا : أي قومهم أن البعث حق للأجساد والأرواح معا.

إذ يتنازعون : أي الكفار قالوا ابنوا عليهم أي حولهم بناء يسترهم.

فقالوا : أي المؤمنون والكافرون في شأن البناء عليهم.

وقال الذين غلبوا على أمرهم : وهم المؤمنون لنتخذن حولهم مسجداً يصلى فيه.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الحديث عن أصحاب الكهف فقوله تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾ أي كما أنمناهم ثلاثمائة سنة وتسعا وحفظنا أجسادهم وثيابهم من البلى

---

(١) البعث: التحريك من سكون أي: كما ضربنا على آذانهم وزدناهم هدىً وقلبناهم بعثناهم أيضاً أي: ايقظناهم من رقادهم على ما كانوا عليه من ثيابهم وأحوالهم.

ومنعناهم من وصول أحد إليهم، وهذا من مظاهر قدرتنا وعظيم سلطاننا بعثناهم من نومهم الطويل ليتساءلوا بينهم فقال قائل منهم مستفهماً كم لبثتم يا إخواننا فأجاب بعضهم قائلاً ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ لأنهم آووا إلى الكهف في الصباح وبعثوا من رقادهم في المساء وأجاب بعض آخر بقول مُرْضٍ للجميع وهو قوله: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ فسلموا الأمر إليه، وكانوا جياعاً فقالوا لبعضهم ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم[1] هذه﴾ يشيرون إلى عملة من فضة كانت معهم ﴿إلى المدينة﴾ وهي أفسوس التي خرجوا منها هاربين بدينهم. وقوله: ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾ أي فلينظر الذي تبعثونه لشراء الطعام أي أنواع الأطعمة أزكى أي أطهر من الحرام والاستقذار ﴿فليأتكم[2] برزق منه﴾ لتأكلوه سداً لجوعكم وليتلطف[3] في شرائه وذهابه وإيابه حتى لا يُشعر بكم أحداً وعلل لقوله هذا بقوله ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي يطلعوا ﴿يرجموكم﴾ أو يقتلوكم رجماً بالحجارة[4] ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ ملة الشرك بالقسر والقوة. ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ أي ولن تفلحوا بالنجاة من النار ودخول الجنة إذا أنتم عدتم للكفر والشرك . . فكفرتم وأشركتم بربكم.

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي وكما أنمناهم تلك المدة الطويلة وبعثناهم ليتساءلوا بينهم فيزدادوا إيماناً ومعرفة بولاية الله تعالى وحمايته لأوليائه ﴿أعثرنا عليهم[5]﴾ أهل مدينتهم الذين انقسموا إلى فريقين فريق يعتقد أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح، وفريق يقول البعث الآخر للأرواح دون الأجسام كما هي عقيدة النصارى إلى اليوم، فأنام الله الفتية وبعثهم وأعثر عليهم هؤلاء القوم المختلفين فاتضح لهم أن الله قادر على بعث الناس أحياء أجساماً وأرواحاً كما بعث أصحاب الكهف وهو معنى قوله تعالى ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا﴾ أي أولئك المختلفون في شأن البعث أن وعد الله حق وهو ما وعد به الناس من أنه سيبعثهم بعد موتهم يوم القيامة ليحاسبهم ويجزيهم بعملهم. ﴿وأن الساعة لا ريب فيها﴾ وقوله تعالى: ﴿إذ

---

(١) قال ابن عباس كان معهم دراهم فضة عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم والورق: الفضة، وقرىء بكسر الراء وقرىء بسكونها.

(٢) في هذه الآية دليل على جواز الوكالة في كل مباح مأذون فيه وسواء كان الموكل عاجزاً أو قادراً ورأى بعضهم أنّ القادر لا يوكل، والصحيح جوازه، وقد وكّل النبي ﷺ وهو صحيح حاضر، ووكّل عليّ رضي الله عنه ووكل كثير من الصحابة من ينوب عنهم في أمورهم.

(٣) الجمهور على أن نصف حروف القرآن التاء من قوله: ﴿وليتلّطف﴾ أي: نصف القرآن من الفاتحة إلى ﴿وليتلطّف﴾ والنصف الآخر والأخير منها إلى الناس.

(٤) القتل بالرجم بالحجارة أشفى لصدور أهل الدين لأنهم يشاركون في القتل بالرجم.

(٥) أطلعنا عليهم. يقال عثر على كذا: وقف عليه برجله ومنه العثار للرجل وأعثر عليه: جعل غيره يعثر عليه بمعنى يقف عليه مطلعاً عليه ظاهراً.

يتنازعون بينهم أمرهم﴾ أي أعثرناهم عليهم في وقت كان أهل البلد يتنازعون في شأن البعث والحياة الآخرة هل هي بالأجسام والأرواح أو بالأرواح دون الأجسام . فتبين لهم بهذه الحادثة أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح معاً. وقوله تعالى : ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنياناً﴾ واتركوهم في الكهف أي سدوا عليهم باب الكهف واتركوهم فيه لأنهم بعد أن عثروا عليهم ماتوا ﴿ربهم أعلم بهم﴾ وبحالهم .

وقوله تعالى : ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ أي قال الذين غلبوا على أمر الفتية لكون الملك كان مسلماً معهم ﴿لنتخذن عليهم مسجداً[1]﴾ أي للصلاة فيه وفعلاً بنوه على مقربة من فم الغار بالكهف.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته.

٢ ـ وجوب طلب الحلال في الطعام والشراب وغيرهما.

٣ ـ الموت على الشرك والكفر مانع من الفلاح يوم القيامة أبداً.

٤ ـ تقرير معتقد البعث والجزاء الذي ينكره أهل مكة.

٥ ـ مصداق قول الرسول ﷺ «لعن الله اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وقوله «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق يوم القيامة» (في الصحيحين).

٦ ـ مصـداق قول الرسول ﷺ «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع». إذ قد بنى[2] المسلمون على قبور الأولياء والصالحين المساجد. بعد القرون المفضلة حتى أصبح يندر وجود مسجد عتيق خال من قبر أو قبور.[3]

(١) اتخاذ المساجد على القبور من عمل أهل الكتاب قبل هذه الأمّة، وقد بيّن ذلك رسول الله ﷺ وحذّر منه وحرّمه على أمته لما يفضي به إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى فقد روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنّ أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال ﷺ إنّ أولائك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوّروا تلك الصور أولائك شرار الخلق عند الله يوم القيامة). وروى مسلم : (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) وفي الصحيحين : (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا).

(٢) روى الترمذي وصححه عن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها أو يبنى عليها وأن توطأ) وروى أبو دواود والترمذي وغيرهما أنّ عليا قال لأحد رجاله أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألاّ تدع تمثالا إلاّ طمسته ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته ولا صورة إلاّ طمستها) والمراد بالمشرف: العالي المرتفع أما تسنيم القبر شبرا وأكثر ليعرف فلا بأس به.

(٣) ذكر القرطبي هنا أنّ الدفن في التابوت جائز لا سيما في الأرض الرخوة وقال: روي أنّ دانيال عليه السلام كان في تابوت من حجر وأنّ يوسف عليه السلام أوصى بان يتخذ له تابوت من زجاج.

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ
رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا
بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا
وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ
إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَۚ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا
﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ
فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

رجماً بالغيب : أي قذفاً بالظن غير يقين علم.

ما يعلمهم إلا قليل : أي من الناس.

فلا تمار فيهم : لا تجادل في عدتهم.

ولا تستفت فيهم منهم أحداً : أي من أهل الكتاب، الاستفتاء: الاستفهام والسؤال.

إلا أن يشاء الله : أي إلا أن تقول إن شاء الله.

لأقرب من هذا رشداً : هداية وأظهر دلالة على نبوتي من قصة أصحاب الكهف.

له غيب السموات والأرض : أي علم غيب السموات والأرض وهو ما غاب فيهما

أبصر به وأسمع أي أبصر بالله واسمع به صيغة تعجب! والأصل ما أبصره وما أسمعه

ما لهم من دونه من ولي : أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله أي من ناصر.

ولا يشرك في حكمه أحداً : لأنه غني عما سواه ولا شريك له.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن أصحاب الكهف يخبر تعالى بأن الخائضين في شأن أصحاب الكهف سيقول بعضهم بأنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقول بعض آخر هم خمسة سادسهم كلبهم ﴿رجماً بالغيب﴾[1] أي قذفاً بالغيب من غير علم يقيني، ويقول بعضهم هم سبعة وثامنهم كلبهم، ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لأصحابه تلك الأقوال: ﴿ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ أي ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس قال ابن عباس أنا من ذلك القليل فعدتهم سبعة وثامنهم كلبهم ولعله فهم ذلك من سياق الآية إذ ذكر تعالى أن الفريقين الأول والثاني قالوا ما قالوه من باب الرجم بالغيب لا من باب العلم والمعرفة، وسكت عن الفريق الثالث، فدل ذلك على أنهم سبعة وثامنهم كلبهم والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً﴾[2] أي ولا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً بيناً ليناً بذكرك ما قصصنا عليك دون تكذيب لهم، ولا موافقة لهم. وقوله تعالى ﴿ولا تستفت[3] منهم﴾ أي في أصحاب الكهف «منهم» أي من أهل الكتاب أحداً وذلك لأنهم لا يعلمون عدتهم وإنما يقولون بالخرص والتخمين لا بالعلم واليقين. وقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء[4] إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ أي لا تقل يامحمد في شأن تريد فعله مستقبلاً أي سأفعل كذا إلا أن تقول إن شاء الله،[5] وذلك أنه ﷺ لما سأله وفد قريش بإيعاز من اليهود عن المسائل الثلاث: الروح، وأصحاب الكهف وذي القرنين، قال لسائليه: أجيبكم غداً انتظاراً للوحي ولم يقل إن شاء الله، فأدبه ربه تعالى بانقطاع الوحي عنه نصف شهر، وأنزل هذه السورة وفيها هذا التأديب له ﷺ وقوله: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي إذا نسيت الاستثناء الذي علمناك فاذكره ولو بعد حين لتخرج من الحرج.

أما الكفارة فلازمة إلا أن يكون الاستثناء متصلاً بالكلام وقوله تعالى: ﴿وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ أي وقل بعد النسيان والاستثناء المطلوب منك ﴿عسى أن يهديني

---

(١) أصل الرجم هو الرجم بالحجارة ونحوها والمراد به هنا، رمي الكلام من غير روّية ولا تثبّت، والمراد أنّ ما قالوه في بيان عددهم هو من باب القول بالظن بدون علم.

(٢) المراد: بالظاهر هو الذي لا سبيل إلى انكاره ولا يطول الخوض فيه.

(٣) الاستفتاء: طلب الفتيا وهي الخبر عن أمر لا يعلمه إلاّ ذوو العلم روي أنّ النبي ﷺ سأل بعض نصارى نجران فنهي عن ذلك.

(٤) لشيء أي: في شيء أو لأجل شيء.

(٥) أي: إلاّ أن تذكر مشيئة الله تعالى.

ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ أي لعل الله تعالى أن يهديني فيسددني لأَسَدَّ ما وعدتكم أن أخبركم به مما هو أظهر دلالة على نبوتي مما سألتموني عنه اختباراً لي. وقوله تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا﴾(1) يخبر تعالى أن الفتية لبثوا في كهفهم رقوداً من ساعة دخلوه إلى أن أعثر الله عليهم قومهم ثلاثمائة سنين بالحساب الشمسي وزيادة تسع سنين بالحساب القمري.

وقوله: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ رد به على من قال من أهل الكتاب إن الثلاثمائة والتسع سنين هي من ساعة دخولهم الكهف إلى عهد النبي ﷺ فأبطل الله هذا بتقرير الثلثمائة والتسع أولاً وبقوله ﴿الله أعلم بما لبثوا﴾ ثانيا وبقوله: ﴿له غيب السموات والأرض﴾ أي ما غاب فيهما، ثالثاً، وبقوله: ﴿أبصر به وأسمع﴾ أي ما أبصره بخلقه وما أسمعه لأقوالهم حيث لا يخفى عليه شيء من أمورهم وأحوالهم خامساً، وقوله ﴿ليس لهم﴾ أي لأهل السموات والأرض من دونه تعالى ﴿من ولي﴾ أيْ ولا ناصر ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ لغناه عما سواه ولعدم وجود شريك له بحال من الأحوال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان اختلاف أهل الكتاب وعدم ضبطهم للأحداث التاريخية.

٢ ـ بيان عدد فتية أصحاب الكهف وأنهم سبعة وثامنهم كلبهم.

٣ ـ من الأدب مع الله تعالى أن لا يقول العبد سأفعل كذا مستقبلاً إلا قال بعدها إن شاء الله.

٤ ـ من الأدب من نسي الاستثناء أن يستثني ولو بعد حين فإن حلف لا ينفعه الاستثناء إلا إذا كان متصلاً بكلامه.

٥ ـ تقرير المدة التي لبثها الفتية في كهفهم وهي ثلاث مائة وتسع سنين بالحساب القمري.

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ

(1) قرأ الجمهور ﴿ثلثمائةٍ﴾ بالتنوين و﴿سنين﴾ منصوب على التمييز أو على البدلية، فهو مجرور، وقرأ خلافهم بإضافة ثلثمائة إلى سنين.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن
شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ
وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ
لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

واتل ما أوحي إليك من الكتاب : أي اقرأ القرآن تعبداً ودعوة وتعليماً.

لا مبدل لكلماته : أي لا مغير لكلمات الله في ألفاظها ولا معانيها وأحكامها.

ملتحداً : أي ملجأ تميل إليه إحتماءاً به.

واصبر نفسك : أي إحبسها.

يريدون وجهه : أي طاعته ورضاه، لاعرضاً من عرض الدنيا.

ولا تعد عيناك عنهم : أي لا تتجاوزهم بنظرك إلى غيرهم من أبناء الدنيا.

تريد زينة الحياة الدنيا : أي بمجالستك الأغنياء تريد الشرف والفخر.

من أغفلنا قلبه : أي جعلناه غافلاً عما يجب عليه من ذكرنا وعبادتنا.

وكان أمره فرطاً : أي ضياعاً وهلاكاً.

أحاط بهم سرادقها : حائط من نار أحيط بهؤلاء المعذبين في النار.

بماء كالمهل : أي كعكر الزيت أي الدردي وهو مايبقى في أسفل الإناء ثخناً رديئاً.

من سندس واستبرق : أي مَارَقَّ من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه أي من الديباج.

معنى الآيات:

بعد نهاية الحديث عن أصحاب الكهف أمر تعالى رسوله بتلاوة كتابه فقال: ﴿واتل﴾[1] أي واقرأ ﴿ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾ تعبداً به ودعوة للناس إلى ربهم به وتعليماً للمؤمنين بما جاء فيه من الهدى.

وقوله: ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي لا تتركن تلاوته والعمل به والدعوة إليه فتكون من الهالكين فإن ما وعـد ربك به المعرضين عنه المكذبين به كائن حقاً وواقع صدقاً فإن ربك ﴿لا مبدل لكلماته﴾ المشتملة على وعده لأوليائه ووعيده لأعدائه ممن كفروا به وكذبوا بكتابه فلم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه.

وقوله تعالى: ﴿ ولن تجد من دون ملتحداً﴾ أي انك إن لم تتل كتابه الذي أوحاه إليك وتعمل بما فيه فَنَالَكَ ما أوعد به الكافرين المعرضين عن ذكره. ﴿لن تجد من دون الله ملتحداً﴾ أي موئلاً تئل إليه وملجأ تحتمي به وإذا كان مثل هذا الوعيد الشديد يوجه إلى رسول الله ﷺ وهو المعصوم فغيره ممن تركوا تلاوة القرآن والعمل به فلا أقاموا حدوده ولا أحلوا حلاله ولا حرموا حرامه أولى بهذا الوعيد وهو حائق بهم لا محالة إن لم يتوبوا قبل موتهم وقوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ نزل هذا التوجيه للرسول ﷺ عندما عرض عليه المشركون إبعاد أصحابه الفقراء كبلال وصهيب وغيرهما ليجلسوا إليه ويسمعوا منه فنهاه ربه عن ذلك وأمره أن يحبس نفسه مع أولئك الفقراء المؤمنين ﴿الذين يدعون﴾ ربهم في صلاتهم في الصبـاح والمساء لا يريدون بصلاتهم وتسبيحهم ودعائهم عرضاً من أعراض الدنيا وإنما يريدون رضا الله ومحبته بطاعته في ليلهم ونهارهم.

وقوله تعالى: ﴿ولا تعد[2] عيناك عنهم﴾ أي لا تتجاوز ببصرك هؤلاء المؤمنين الفقراء إلى أولئك الأغنياء تريد مجالستهم للشرف والفخر وقوله ﴿ولا تطع[3] من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ فجعلناه غافلاً

---

(١) تضمنت هذه الآية: ﴿واتل﴾ الخ الرد على المشركين إذ المعنى: لا تعبأ بهم إن كرهوا تلاوة بعض القرآن لأن فيها التعريض بآلهتهم والتنديد بها حتى طالبوك بأن تجعل بعض القرآن للثناء عليها أو عليهم.

(٢) لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة.

(٣) روي أنها نزلت في أمية بن خلف الجمحي لأنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه وهو إبعاد الفقراء وتقريب صناديد قريش.

عن ذكرنا وذكر وعدنا ووعيدنا ليكون من الهالكين لعناده وكبريائه وظلمه. ﴿وكان أمره فرطاً﴾[1] أي ضياعاً وهلاكاً، وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[2] أي هذا الذي جئت به وأدعو إليه من الايمان والتوحيد والطاعة لله بالعمل الصالح هو ﴿الحق من ربكم﴾ أيها الناس. ﴿فمن شاء﴾ الله هدايته فآمن وعمل صالحاً فقد نجاه ومن لم يشأ الله هدايته فَبَقِي على كفره فلم يؤمن فقد خاب وخسر.

وقوله: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ أي جدرانها النارية. ﴿وإن يستغيثوا﴾ من شدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ رديئاً ثخناً ﴿يشوي الوجوه﴾ إذا أدناه الشارب من وجهه ليشرب شوى جلده ووجهه ولذا قيل فيه ذم له. ﴿بئس الشراب وساءت﴾ أي جهنم ﴿مرتفقاً﴾ في منزلها وطعامها وشرابها إذ كله سوء وعذاب هذا وعيد من اختار الكفر على الإيمان وأما وعد من آمن وعمل صالحاً وقد تضمنته الآيتان (٣١-٣٢) إذ قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ هذا حكمنا الذي لا تبديل له وبين تعالى أجرهم على إيمانهم وإحسان أعمالهم فقال: ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ أي إقامة دائمة ﴿تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق، متكئين فيها على الآرائك﴾ وهي الأسرة بالحجلة[3]. ثم أثنى الله تعالى على نعيمهم الذي أعده لهم بقوله: ﴿نعم الثواب﴾ الذي أثيبوا به ﴿وحسنت﴾ الجنة في حليها وثيابها وفرشها وأسرتها وطعامها وشرابها وحورها ورضوان الله فيها ﴿حسنت مرتفقاً﴾[4] يرتفقون فيه وبه، جعلنا الله من أهلها

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان خيبة وخسران المعرضين عن كتاب الله فلم يتلوه ولم يعملوا بما جاء فيه من شرائع وأحكام.

---

(١) الفرط: الظلم والاعتداء وهو مشتق من الفروط وهو السبق لأنّ الظلم سبق في الشر والظلم يؤدي إلى الهلاك والضياع والخسران.

(٢) الأمر في قوله ﴿فليؤمن﴾ و﴿فليكفر﴾ للتسوية بينهما وليس في هذا إذن لهم بالكفر وإنما الخطاب للتهديد والوعيد لمن اختار الكفر على الإيمان بدليل الجملة التعليلية: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ الخ، والمراد بالظالمين المشركون لقوله تعالى: ﴿إنّ الشرك لظلم عظيم﴾.

(٣) ﴿الأرائك﴾: جمع أريكة وهي مجموع سرير وحجلة، والحجلة: قبة من ثياب تكون في البيت تجلس فيها المرأة أو تنام فيها ولذلك يقال للنساء ربات الحجال فإذا وضع فيها سرير فهي أريكة يجلس فيها وينام.

(٤) (المرتفق): محل الارتفاق، وإطلاق المرتفق على النار تهكّم، إذ النار لن تكون محل راحة وارتفاق أبداً بل هي دار شقاء وعذاب.

٢ ـ الترغيب في مجالسة أبناء الآخرة وهم الفقراء الصابرون وترك أبناء الدنيا والإعراض عما هم فيه.

٣ ـ على الداعي إلى الله تعالى أن يبين الحق، والناس بعد بحسب ما كتب لهم أو عليهم.

٤ ـ الترغيب والترهيب بذكر جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين.

٥ ـ عذاب النار شر عذاب، ونعيم الجنة، نعم النعيم ولا يهلك على الله إلا هالك.

۞ وَٱضۡرِبۡ
لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا
بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ
تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾
وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي
لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات:

واضرب لهم مثلاً : أي اجعل لهم مثلاً هو رجلين... الخ

جنتين : أي بستانين.

وحففناهما بنخل : أي أحطناهما بنخل.

آتت أكلها : أي أعطت ثمارها وهو ما يؤكل.

ولم تظلم منهم شيئاً : أي وَلَمْ تنقص منه شيئاً بل أتت به كاملاً ووافياً.

خلالهما نهراً : أي خلال الأشجار والنخيل نهراً جارياً.

وهو يحاوره : أي يحادثه ويتكلم معه.

وأعز نفراً : أي عشيرة ورهطاً.

تبيد : أي تفنى وتذهب.

خيراً منها منقلباً : أي مرجعاً في الآخرة.

أكفرت بالذي خلقك من تراب؟! : الاستفهام للتوبيخ والخلق من تراب باعتبار الأصل هو آدم.

من نطفة : أي مني.

ثم سواك : أي عدلك وصيرك رجلاً.

لكنا : أي لكن أنـا، حذفت الألف وأدغمت النون في النون فصارت لكنا.

هو الله ربي : أي أنا أقول الله ربي.

معنى الآيات:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: واضرب لأولئك المشركين المتكبرين الذين اقترحوا عليك أن تطرد الفقراء المؤمنين من حولك حتى يجلسوا إليك ويسمعوا منك ﴿اضرب[1] لهم﴾ أي اجعل لهم مثـلاً: ﴿رجلين﴾ مؤمناً وكافراً ﴿جعلنا لأحدهما﴾ وهو الكافر ﴿جنتين من أعناب وحففناهما بنخل﴾ أي أحطناهما بنخل، ﴿وجعلنا بينهما﴾ أي بين الكروم والنخيل ﴿زرعاً﴾ ﴿كلتا[2] الجنتين آتت أكلهـا ولم تظلم منـه شيئاً﴾ أي لم تنقص منه شيئاً ﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ ليسقيهما. ﴿وكان له ثمر[3] فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي في الكلام يراجعه، ويُفاخره: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً[4]﴾ أي عشيرة ورهطاً، قال هذا فخراً وتعاظماً. ﴿ودخل جنته﴾ والحال أنه ﴿ظالم لنفسه﴾ بالكفر والكبر وقال: ﴿ما أظن[5] أن تبيد هذه﴾ يشير إلى جنته ﴿أبداً﴾ أي لا تفنى. ﴿وما أظن الساعة

---

(١) اختلف في تحديد الفريقين الذين ضرب لهما المثل، وفي الرجلين اللّذين ضرب بهما المثل، والظاهر أنّ الفريقين اللّذين ضرب لهما المثل هم المؤمنون والكافرون المستنكفون عن مجالسة المؤمنين، وأما الرجلان فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهما من بني اسرائيل وهو الظاهر والله أعلم.

(٣) قال سيبويه: أصل كلا كِلْوَ وأصل كلتا كلوا فحذفت لام الفعل من كلتا وعوضت التاء عن اللام المحذوفة لتدل التاء على التأنيث.

(٣) ﴿وكان له ثمر..﴾ الجملة في محل نصب على الحال، والثمر بضم الثاء والميم المال الكثير المختلف من النقدين والأنعام والجنات والمزارع مأخوذ من: ثمر ماله: إذا كثر، وقرأ الجمهور بضم الثاء والميم وقرأ حفص بفتحهما.

(٤) أعزّ أي أشد عزّة، والنفر: عشيرة الرجل الذين ينفرون معه للدفاع أو القتال والمراد بالنفر هنا أولاده.

(٥) الظنّ هنا بمعنى الاعتقاد ومعنى تبيد: تفنى وتهلك.

قائمة ولئن رددت إلى ربي﴾ كما تقول أنت ﴿لأجدن خيراً منها﴾[1] أي من جنتي ﴿منقلباً﴾ أي مرجعاً إن قامت الساعة وبعث الناس وبعثت معهم. هذا القول من هذا الرجل هو ما يسمى بالغرور النفسي الذي يصاب به أهل الشرك والكبر. وهنا قال له صاحبه المسلم ﴿وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾؟ وهو الله عز وجل حيث خلق أباك آدم من ﴿تراب ثم من نطفة﴾[2] أي ثم خلقك أنت من نطفة أي من مني ﴿ثم سواك رجلاً﴾ وهذا توبيخ من المؤمن للكافر المغرور ثم قال له: ﴿لكنا هو الله ربي﴾ أي لكن أنا أقول هو الله ربي، ﴿ولا أشرك بربي أحداً﴾ من خلقه في عبادته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ استحسان ضرب الأمثال للوصول بالمعاني الخفية إلى الأذهان.

٢ ـ بيان صورة مثالية لغرس بساتين النخل والكروم.

٣ ـ تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء.

٤ ـ التنديد بالكبر والغرور حيث يفضيان بصاحبهما إلى الشرك والكفر.

وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ

---

(١) قرأ الجمهور (منهما) بالتثنية وقرأ عاصم (منها) بالإفراد.

(٢) النطفة: ماء الرجال مشتقة من النطف الذي هو السيلان.

﴿فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

شــرح الكلمـات :

ما شاء الله : أي يكون وما لم يشأ لم يكن.

حسباناً من السماء : أي عذاباً ترمى به فتؤول إلى أرض ملساء دحضاً لايثبت عليها قدم.

أو يصبح ماؤها غوراً : أي غائراً في أعماق الأرض فلا يَقْدِرُ عَلَى استنباطِه وإخراجه.

وأحيط بثمره : أي هلكت ثماره، فلم يبق منها شيء.

يقلب كفيه : ندماً وحسرة على ما أنفق فيها من جهد كبير ومال طائل.

وهي خاوية على عروشها :أي ساقطة على أعمدتها التي كَان يُعرش بها للكرم، وعلى جدران مبانيها.

فئة : جماعة من الناس قوية كعشيرته من قومه.

هنالك : أي حين حل العذاب بصاحب الجنتين أي يوم القيامة.

الولاية : أي الملك والسلطان الحق لله تعالى.

خير ثواباً وخير عقباً : أي الله تعالى خير من يثيب وخير من يُعقب أي يحزي بخير.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكـريم في المثلِ المضروب للمؤمن الفقير والكافر الغني فقد قال المؤمن للكافر ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ أي هلا إذْ دخلت بستانك قلت عند تعجبك من حسنه وكماله ﴿ماشاء الله أي[1] كان ﴿لا قوة إلا بالله[2]﴾ أي لا قوة لأحد على فعل شيء

(١) هذا وجه في إعراب (ما شاء الله) ما: مبتدأ والخبر كان، وهناك وجه آخر حسّنه بعضهم وهو: هذه الجنة ما شاء الله. فما خبر عن مبتدإ محذوف ويجوز تقديره أيضاً: الأمر الذي شاء الله إعطاءه.

(٢) قال مالك: ينبغي لكل من دخل داره أو بستانه أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وروي أنه كان مكتوباً على باب وهب بن منبّه ما شاء الله لا قوّة إلا بالله، وروى مسلم أنّ: لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة وورد استحباب قول بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا قوة إلّا بالله.

أو تركه إلا بإقدار الله تعالى له وإعانته عليه قلل هذا المؤمن نصحاً للكافر وتوبيخاً له. ثم قال له ﴿إن ترن[1] أنا أقل منك مالاً وولداً﴾ اليوم ﴿فعسى[2] ربي﴾ أي فرجائي في الله ﴿أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها﴾ أي على جنة الكافر ﴿حسبانا[3] من السماء﴾ أي عذاباً ترمى به. ﴿فتصبح صعيداً زلقاً﴾: أي تراباً أملس لا ينبت زرعاً ولا يثبت عليه قدم. ﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ الذي تسقى به غائراً في أعماق الأرض فلن تقدر على إستخراجه مرة أخرى، وهو معنى ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾.

وقوله تعالى :في الآيات(٤٠)، (٤١) ، (٤٢) يخبر تعالى أن رجاء المؤمن قد تحقق إذ قد أحيط فعلاً ببستان الكافر فهلك بكل مافيه من ثمر ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ ندماً وتحسراً ﴿على ما أنفق فيها﴾ من جهد ومال في جنته ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ أي ساقطة على أعمدة الكرم التي كان يعرشها للكرم أي يحمله عليها كما سقطت جدران مبانيها على سقوفها وهو يتحسر ويتندم ويقول: ﴿ياليتني لم أشرك بربي أحداً، ولم تكن له﴾ جماعة قوية تنصره ﴿من دون الله وما كان﴾ المنهزم ﴿منتصراً﴾ لأن من خذله الله لا ناصر له. قال تعالى: في نهاية المثل الذي هو أشبه بقصة ﴿هنالك﴾ أي يوم القيامة ﴿الولاية﴾ أي القوة والملك والسلطان ﴿لله﴾ أي المعبود ﴿الحق﴾ لا لغيره من الأصنام والأحجار ﴿هو﴾ تعالى ﴿خير ثواباً﴾ أي خير من يثيب على الإيمان والعمل الصالح. ﴿وخير عقباً[4]﴾ أي خير من يعقب أي يجزي بحسن العواقب

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان مآل المؤمنين كصهيب وسلمان وبلال، وهو الجنة ومآل الكافرين كأبي جهل وعقبة بن أبي معيط وهو النار.

٢ ـ استحباب قول من أعجبه شيء: ﴿ما شاء الله، لا قوة إلا بالله﴾ فإنه لا يرى فيه مكروهاً إن شاء الله.

---

(١) أنا: ضمير فصل وأقل: مفعول ثانٍ لترن وحذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية تخفيفاً.

(٢) (عسى) للرجاء وهو طلب الأمر القريب الحصول وأراد به هنا الدعاء لنفسه وعلى صاحبه الكافر المشرك.

(٣) الحسبان: مصدر كالغفران وهو هنا وصف لمحذوف تقديره: هلاكاً حسباناً أي: مقدّراً من الله تعالى، وقيل هو اسم جمع حسبانة أي: صاعقة، وقيل: اسم للجراد وهو محتمل لكل ما ذكر.

(٤) العقب: بمعنى العاقبة وقرىء: بضمتين عُقُب وقرىء بضم العين وسكون القاف بمعنى: عاقبة وهي آخرة الأمر وما يرجوه المرء من سعيه وعمله ولذا فسرت الآية بهو خير عاقبة لمن رجاه وآمن به، يقال: هذا عاقبة أمر فلان وعقباه وعقبه: أي آخره.

٣ ـ استجابة الله تعالى لعباده المؤمنين وتحقيق رجائهم فيه سبحانه وتعالى.

٤ ـ المخذول من خذله الله تعالى فإنه لاينصر أبداً.

٥ ـ الولاية[(١)] بمعنى الموالاة النافعة للعبد هي موالاة الله تعالى لا موالاة غيره.

٦ ـ الولاية بمعنى الملك والسلطان لله يوم القيامة ليست لغيره إذ الملك والأمر كلاهما لله تعالى.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات:

المثل	: الصفة المعجبة.
هشيماً	: يابساً متفتتاً.
تذروه الرياح	: أي تنثره الرياح وتفرقه لخفته ويبوسته.
مقتدراً	: أي كامل القدرة لايعجزة شيء.
زينة الحياة الدنيا	: أي يتجمل بما فيها.
والباقيات الصالحات	: هي الأعمال الصالحة من سائر العبادات والقربات.
وخير أملًا	: أي ما يأمله الإنسان وينتظره من الخير.

معنى الآيات:

هذا مثل آخر مضروب أي مجعول للحياة الدنيا حيث اغتر بها الناس وخدعتهم فصرفتهم عن الله تعالى ربهم فلم يذكروه ولم يشكروه فاستوجبوا غضبه وعقابه.

---

(١) ﴿الولاية﴾: بفتح الواو: الموالاة، وبكسرها: الملك والسلطان.

قال تعالى: في خطاب رسوله محمد ﷺ: ﴿واضرب لهم﴾ أي لأولئك المغرورين بالمال والسلطان ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ أي صفتها الحقيقية التي لا تختلف عنها بحال ﴿كماء أنزلناه من السماء، فاختلط به نبات الأرض﴾ فزها وازدهر واخضرّ وأنظر، فأعجب أصحابه، وأفرحهم وسرهم ما يأملون منه. وفجأة أتاه أمر الله برياح لاحِفَة، محرقة، ﴿فأصبح هشيماً﴾ أي يابساً متهشماً متكسراً ﴿تذروه الرياح﴾ هنا وهناك ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ أي قادراً كامل القدرة، فأصبح أهل الدنيا مبلسين آيسين من كل خير.

وقوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ إنه بعد أن ضرب المثل للحياة الدنيا التي غرت أبناءها فأوردتهم موارد الهلاك أخبر بحقيقة أخرى، يعلم فيها عباده لينتفعوا بها، وهي أن ﴿المال والبنون﴾ أو الأولاد ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ لا غير أي يتجمل بهما ساعة ثم يبيدان ويذهبان، فلا يجوز الاغترار بهما، بحيث يصبحان همَّ الإنسان في هذه الحياة فيصرفانه عن طلب سعادة الآخرة بالإيمان وصالح الأعمال، هذا جزء الحقيقة في هذه الآية، والجزء الثاني هو أن ﴿الباقيات الصالحات﴾ والمراد بها أفعال البر وضروب العبادات ومنها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أي هذه ﴿خير ثواباً﴾ أي جزاءً وثماراً، يجنيه العبد من الكدح المتواصل في طلب الدنيا مع الإعراض عن طلب الآخرة، ﴿وخير أملاً﴾ يأمله الإنسان من الخير ويرجوه ويرغب في تحصيله.

---

(١) بعض الحكماء شبّه الحياة الدنيا بالماء للاتصالات الآتية:

١ـ الماء لا يستقر في موضع والحياة كذلك

٢ـ الماء يتغيّر والدنيا كذلك.

٣ـ الماء لا يبقى والدنيا كذلك.

٤ـ الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل والدنيا لا يدخلها أحد ويسلم من فتنها وآفاتها.

٥ـ الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتا وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

وفي الصحيح (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه) رواه مسلم.

(٢) يقال: هشمه يهشمه إذا كسره وفتّته وهشِيم بمعنى: مهشوم فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول، وهشم الثريد إذا فتته وبه سمي هاشم بن بن مناف وكان اسمه عمرو وفيه يقول عبدالله بن الزبعري:

عمر العُلا هشم الثريد لقومه   ورجال مكة مسنتون عجاف

(٣) قيل: في المال والبنين زينة الحياة الدنيا: لأنّ في المال جمالاً ونفعاً وفي البنين قوة ودفعاً والمثل مضروب لحقارة الدنيا وسرعة زوالها ولذا قيل: لا تعقد قلبك مع المال لأنه فيء ذاهب ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغداً مع غيرك ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغداً لغيرك.

(٤) روى مالك في الموطأ: أن الباقيات الصالحات هنّ: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان حقارة الدنيا وسوء عاقبتها.

٢ ـ تقرير أن المال والبنين لا يعدوان كونهما زينة، والزينة سريعة الزوال وهما كذلك فلا يجوز الاغترار بهما، وعلى العبد أن يطلب ما يبقى على ما يفنى وهو الباقيات الصالحات من أنواع البر والعبادات من صلاة وذكر وتسبيح وجهاد. ورباط، وصيام وزكاة.

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى
الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

شـرح الكلـمات:

نُسير الجبال	:	أي تقتلع من أصولها وتصير هباءً منبثاً.
بارزة	:	ظاهرة إذ فنى كل ما كان عليها من عمران.
فلم نغادر	:	لم نترك منهم أحداً.
موعداً	:	أي ميعاداً لبعثكم أحياء للحساب والجزاء.
ووضع الكتاب	:	كتاب الحسنات وكتاب السيئات فيؤتاه المؤمن بيمينه والكافر بشماله.
مشفقين	:	خائفين.
ياويلتنا	:	أي ياهلكتنا احضري هذا أوان حُضُورك.
لا يغادر صغيرة	:	أي لا يترك صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا جمعها عَدًّا.

ما عملوا حاضراً : مثبتاً في كتابهم، مسجلاً فيها.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى مآل الحياة الدنيا وأنه الْفَناء والزوال ورغَّب في الصالحات وثوابهاالمرجوايوم القيامة، ناسب ذكر نبذة عن يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الكسب في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال﴾ أي اذكر ﴿يوم نسير﴾ أي تقتلع[1] من أصولها وتصير هباءً منبثاً، ﴿وترى الأرض بارزة﴾ ظاهرة ليس علهيا شيء فهي قاع صفصف ﴿وحشرناهم﴾ أي جمعناهم من قبورهم للموقف ﴿فلم نغادر منهم[2] أحداً﴾ أي لم نترك منهم أحداً كائناً من كان، ﴿وعرضوا على ربك﴾ أيها الرسول صفاً وقوفاً أذلاء، وقِيلَ لهم توبيخاً وتقريعاً: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول[3] مرة﴾ لا مال معكم ولا سلطان لكم بل حفاة عراة غُرلاً[4]، جمع أغرل، وهو الذي لم يختتن.

وقوله تعالى: ﴿بل زعمتم[5]﴾ أي ادعيتم كذباً أنا لا نجمعكم ليوم القيامة، ولن نجعل لكم موعداً فها أنتم مجموعون لدينا تنتظرون الحساب والجزاء، وفي هذا من التوبيخ والتقريع ما فيه، وقوله تعالى في الآية ﴿ووضع الكتاب﴾ يخبر تعالى عن حال العرض عليه فقال: ﴿ووضع الكتاب[6]﴾ أي كتاب الحسنات والسيئات وأعطى كل واحدٍ كتابه فالمؤمن يأخذه بيمينه والكافر بشماله، ﴿فترى المجرمين﴾ في تلك الساعة ﴿مشفقين﴾ أي خائفين ﴿مما فيه﴾ أي في الكتاب من السيآت ﴿ويقولون: ياوليتنا[7]﴾ ندماً وتحسراً ينادون ياويلتهم وهي هلاكهم قائلين:

---

(١) هذا على قراءة تُسير بالتاء المضمومة للبناء للمفعول وقراءة الجمهور ﴿نُسير الجبال﴾ والفاعل هو الله تعالى، وقرىء أيضاً: تسير الجبال بفتح التاء مضارع سار يسير كقوله تعالى: ﴿وتسير الجبال سيراً﴾.

(٢) المغادرة الترك ومنه الغدر لأنه ترك الوفاء، وسمي الغدير من الماء غديراً لأنه ترك بعد السيل، ومنه غدائر المرأة وهو شعرها تضفره وتتركه خلفها

(٣) أخرج الحافظ أبو القاسم بن مندة في كتاب التوحيد له عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رقيع غير فظيع: يا عبادي أنا الله لا إله إلّا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون احضروا حجتكم ويسروا جوابكم فإنكم مسؤولون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أنامل أقدامهم للحساب) تضمن هذا الحديث تفسيراً كاملاً لهذه الآيات.

(٤) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً﴾ «غير مختونين».

(٥) هذا الخطاب لمنكري البعث والجزاء من أهل الكفر والشرك.

(٦) ﴿الكتاب﴾: اسم جنس يشمل كل الكتب التي يُعطاها العباد في المحشر.

(٧) الويلة: مؤنث الويل للمبالغة وهي سوء الحال والهلاك كما أنّث الدار على دارة للدلالة على سعة المكان، ونداء الويلة معناه: الدعـاء على أنفسهم بالهلاك لمشاهدتهم عظائم الأهوال وما ينتظرهم من صنوف العذاب نادوا ويلتهم طالبين حضورها.

﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة[1] ﴾ من ذنوبنا ﴿إلا أحصاها﴾ أي أثبتها عَدّاً.

وقوله تعالى: في آخر العرض ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ أي من خير وشر مثبتاً في كتابهم، وحوسبوا به، وجوزوا عليه ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ بزيادة سيئة على سيئاته أو بنقص حسنة من حسناته، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرضها على مسامع المنكرين لها.

٢ ـ يبعث الانسان كما خلقه الله ليس معه شيء، حافياً عارياً لم يقطع منه غلفة الذكر.

٣ ـ تقرير عقيدة كتب الأعمال في الدنيا وإعطائها أصحابها في الآخرة تحقيقاً للعدالة الإلهية.

٤ ـ نفي الظلم عن الله تعالى وهو غير جائز عليه لغناه المطلق وعدم حاجته إلى شيء.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات:

اسجدوا لآدم : أي حيّوه بالسجود له كما أمرتكم طاعة لي.

إلا إبليس : أي الشيطان أبى السجود ورفضه وهو معنى ﴿فسق عن أمر ربه﴾ أي

(١) أصغر الصغائر: النظر بغير قصد وأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى ولا ضابط حق الكبيرة إلا أن هناك ضابطاً يستأنس به وهو: ما توعد عليه أو لعن عليه أو وضع حدّ له في الكتاب أو السنة فهو كبيرة.

خرج عن طاعته، ولم يكن من الملائكة، بل كان من الجن، لذا أمكنه أن يعصي ربه !

أفتتخذونه وذريته أولياء؟ : الاستفهـام للاستنكـار، ينكر تعالى على بني آدم اتخاذ الشيطان وأولاده أولياء يطاعـون ويوالون بالمحبة والمناصرة، وهم لهم عدو، عجباً لحال بني آدم كيف يفعلون ذلك !؟.

بئس للظالمين بدلاً : قبح بدلاً طاعة إبليس وذريته عن طاعة الله ورسوله.

المضلين عضداً : أي ما كنت متخـذ الشياطين من الانس والجن أعـواناً في الخلق والتدبير، فكيف تطيعونهم وتعصونني.

موبقاً : أي وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً هذا إذا دخلوا النار، أما ما قبلها فالموبق، حاجز بين المشركين، وما كانوا يعبدون بدليل قوله: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾.

مواقعوها : أي واقعون فيها ولا يخرجون منها أبداً.

ولم يجدوا عنها مصرفاً : أي مكاناً غيرها ينصرفون إليه لينجوا من عذابها.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في إرشاد بني آدم وتوجيههم إلى ما ينجيهم من العذاب ويحقق لهم السعادة في الدارين، قال تعالى في خطاب رسوله واذكرلَهُمْ ﴿إذ قلنا للملائكة﴾ وهم عبادنا المكرمون ﴿اسجدوا لآدم﴾ فامتثلوا أمرنا وسجدوا إلا إبليس. لكن ابليس الذي يطيعه الناس اليوم كان من الجن وليس من الملائكة لم يسجد، ففسق(١) بذلك عن أمرنا وخرج عن طاعتنا. ﴿أفتتخذونه﴾(٢) أي أيصح منكم يابني آدم أن تتخذوا عدو أبيكم وعدو ربكم وعدوكم أيضاً ولياً توالونه وذريته(٣) بالطاعة لهم والاستجابة لما يطلبون منكم من أنواع الكفر والفسق ﴿بئس للظالمين﴾ أنفسهم ﴿بدلاً﴾ طاعة الشيطان وذريته(٤) وولايتهم عن

---

(١) الفسق: مشتق من: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرتها، والفأرة من جحرها، وفسق العبد: خرج عن طاعة ربه متجاوزاً الطاعة إلى المعصية، فكل من ترك واجباً وفعل حراماً فقد فسق بذلك عن طاعة ربه أي خرج عنها.

(٢) الاستفهام للتوبيخ والانكار، وذرية الشيطان بيّنت السنة كيفية وجودهم فقد صح عن النبي ﷺ قوله: (لاتكن أوّل من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرّخ)، فهذا دال على أن للشيطان ذرية من صلبه.

(٣) في مسلم: ﴿أنّ للصلاة شيطاناً يسمى خنزب مهمته الوسوسة فيها) وروى الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان يوسوس فيه.

(٤) روى مسلم رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئا قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرّقت بينه وبين أهله قال: فيدنيه أو قال: فيلتزمه ويقول: نعم أنت!!).

طاعة الله ورسوله وولايتهما.

وقوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم[1] خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ يخبر تعالى بأنه المنفرد بالخلق والتدبير ليس له وزير معين فكيف يُعْبَدُ الشيطان وذريته، وأنا الذي خلقتهم وخلقت السموات والأرض[2] وخلقت هؤلاء الذين يعبدون الشيطان، ولم أكن ﴿متخذ المضلين﴾ وهم الشياطين من الجن والإنس الذين يضلون عبادنا عن طريقنا الموصل إلى رضانا وجنتنا، أي لم أكن لأجعل منهم معيناً لي يعضدني ويقوي أمري وخلاصة ما في الآية أن الله تعالى ينكر على الناس عبادة الشياطين وهي طاعتهم وهم مخلوقون وهو خالقهم وخالق كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ أي أذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين المعرضين عن عبادة الله إلى عبادة عدوه الشيطان، أذكر لهم يوم يقال لهم في عرصات القيامة ﴿نادوا شركائي الذين﴾ أشركتموهم في عبادتي زاعمين أنهم يشفعون لكم في هذا اليوم فيخلصونكم من عذابنا.

قال تعالى ﴿فدعوهم[3]﴾ يافلان!! يافلان... ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ إذ لا يجرؤ أحد ممن عبد من دون الله أن يقول رب هؤلاء كانوا يعبدونني. قال تعالى: ﴿وجعلنا بينهم موبقاً[4]﴾ أي حاجزاً وفاصلاً من عداوتهم لبعضهم. وحتى لا يتصل بعضهم ببعض في عرصات القيامة. وقوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ أي يؤتى بها تُجَرُّ بالسلاسل حتى تبرز لأهل الموقف فيشاهدونها وعندئذ يظن[5] المجرمون أي يوقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ أي داخلون فيها. ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً[6]﴾ أي مكاناً ينصرفون إليه لأنهم محاطون بالزبانية، والعياذ بالله من النار وعذابها.

---

(١) أي: ما أحضرتهم لأستعين بهم على خلق السموات والأرض ولا أحضرت بعضهم لأستعين به على خلق البعض الآخر.

(٢) في الآية رد على أهل الضلال كافة من شيطان وكاهن ومنجم وطبعيّ وملحد إذ الجميع مخلوق مربوب والله خالق كل شيء ومليكه وربّه ومدبّره.

(٣) أي: امتثلوا الأمر ودعوهم فلم يستجيبوا لهم.

(٤) فسّر الموبق ابن عباس رضي الله عنهما: بالحاجز، وفسره أنس بن مالك رضي الله عنه بواد في جهنم من قيح ودم، وفسِّر بالمهلك والتفسير بالمهلك يدخل فيه كل ماذكر، ومن الجائز أن يتعدد الحاجز ويكون أنواعاً منها: عداوة بعضهم لبعض فإنها حاجز والنار نفسها أعظم موبق ولعلها هي المراد بالموبق.

(٥) ﴿ظنوا﴾ أي: أيقنوا إذ يطلق الظن ويراد به اليقين وهو كثير في القرآن الكريم. قال الشاعر.

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجّج سراتهم في الفارسيّ المسرد

(٦) ﴿مصرفا﴾: أي: مهرباً لإحاطتها بهم من كل جانب ولا ملجأ ولا معدلا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عداوة إبليس وذريته لبني آدم .

٢ ـ العجب من بني آدم كيف يطيعون عدوهم ويعصون ربهم !!

٣ ـ لا يستحق العبادة أحد سوى الله عز وجل لأنه الخالق لكل معبود مما يعبد غيره من سائر المخلوقات .

٤ ـ بيان خزي المشركين يوم القيامة حيث يطلب إليهم أن يدعوا شركاءهم لاغاثتهم فيدعونهم فلايستجيبون لهم .

٥ ـ جمع الله تعالى المشركين وماكانوا يعبدون من الشياطين في موبق واحد في جهنم وهو وادي من شر أودية جهنم وأسوأها .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ
الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾

وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

صرفنا	: أي بيّنا وكررنا البيان .
من كل مثل	: المثل الصفة المستغربة العجيبة .
جدلاً	: أي مخاصمة بالقول .
سنة الأولين	: أي العذاب بالإبادة الشاملة والاستئصال التام .
قبلا	: عياناً ومشاهدة .
ليدحضوا به الحق	: أي يبطلوا به الحق .
هزواً	: أي مهزوءاً به .
أكنة	: أغطية .
وفي آذانهم وقراً	: أي ثقلاً فهم لا يسمعون .
موئلاً	: أي مكاناً يلجأون إليه .
لمهلكهم موعداً	: أي وقتاً معيناً لإهلاكهم .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في بيان حجج الله تعالى على عباده ليؤمنوا به ويعبدوه وحده فينجوا من عذابه ويدخلوا دار كرامته فقال تعالى : ﴿ولقد صرفنا[1] في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي ضربنا فيه الأمثال الكثيرة وبيّنا فيه الحجج العديدة، ﴿وصرفنا فيه﴾ من الوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً، وقابلوا كل ذلك بالجحود والمكابرة، ﴿وكان الإنسان[2] أكثر شيء جدلاً﴾ فأكثر هم الإنسان يصرفه في الجدل والخصومات حتى لا يذعن للحق ويسلم به ويؤديه إن كان عليه . هذا ما دلت عليه الآية الأولى : (٥٤) أما الآية الثانية فقد أخبر تعالى فيها أن الناس مامنعهم ﴿أن يؤمنوا إذ جاءهم

---

(١) قال القرطبي : يحتمل أي : هذا الكلام وجهين : أحدهما ماذكره لهم من العبر والقرون الخالية والثاني : ما أوضحه لهم من دلائل الربوبية وما في التفسير لم يخرج عن هذا فتأمّله .

(٢) يحتمل اللفظ الكافر لقوله تعالى : ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ ويحتمل المسلم إلاّ أنه في الكافر أظهر وأكثر وروي مسلم عن علي رضي الله عنه (أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة فقال : ألا تصلون؟ فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ثمّ سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول : ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ .

الهدى﴾ وهو بيان طريق السعادة والنجاة بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الكفر والشرك[1] وسـوء الأعمـال ﴿ويستغفـروا ربهم إلا أن تأتيهم سنـة الأولين﴾ بعـذاب الاستئصال والإبادة الشـاملة، ﴿أو يأتيهم﴾ عذاب يوم القيامة معاينة[2] وهو معنى قوله تعالى: ﴿أو يأتيهم العذاب قبلًا﴾[3] وحينئذ لا ينفع الإيمان. وقوله تعالى: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ أي دعـاة هداة يبشرون من آمن وعمل صالحاً بالجنة وينذرون من كفر، وعمل سوءاً بالنار. فلم نرسلهم جبارين ولم نكلفهم بهداية الناس أجمعين، لكن الذين كفروا يتعامون عن هذه الحقيقة ويجادلون ﴿بالباطل ليدحضوا به الحق﴾. ﴿واتخذوا﴾ آيات الله وحججه ﴿وما أنذروا﴾ به من العذاب اللازم لكفرهم وعنادهم اتخذوه سخرية وهزءاً يهزءون به ويسخرون منه وبذلك أصبحوا من أظلم الناس. وهو ما قررته الآية (٥٧) إذ قال تعالى فيها: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾ أي من الإجرام والشر والشرك. اللهم إنه لا أحد أظلم من هذا الإنسان الكافر العنيد. ثم ذكر تعالى سبب ظلم وإعراض ونسيان هؤلاء الطاغة المعرضين الناسين وهو أنه تعالى حسب سنته فيمن توغل في الشر والظلم والفساد يجعل على قلبه كناناً يحيطه به فيصبح لا يفقه شيئاً. ويجعل في أذنيه ثقلاً فلا يسمع الهدى. ولذا قال لرسوله ﷺ: ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً﴾ أي بعد ما جعل على قلوبهم من الأكنة وفي آذانهم من الوقر ﴿أبداً﴾.

وقوله تعالى: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ أي لو يؤاخذ هؤلاء الظلمة المعرضين ﴿لعجل لهم العذاب﴾، ولكن مغفرته ورحمته تأبيان ذلك وإلا لعجل لهم العذاب فأهلكهم أمامكم وأنتم تنظرون. ولكن ﴿لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً﴾[4] يئلون إليه ولا ملجأ يلجأون إليه. ويرجح أن يكون ذلك يوم بدر لأن السياق في الظلمة المعاندين المحرومين من هداية الله كأبي جهل وعقبة ابن أبي معيط والأخنس بن شريق، هذا أولاً. وثانياً قوله تعالى: ﴿وتلك[5] القـرى أهلكنـاهم لمـا ظلموا﴾ يريد أهل القرى من قوم هود وقوم صالح وقوم لوط.

---

(١) أي: بواسطة القرآن والرسول ﷺ.

(٢) أي: عياناً، وفسّره بعضهم بعذاب السيف يوم بدر.

(٣) قراءة الجمهور: (قبلا) بكسر القاف أي: المقابل الظاهر، وقرىء (قُبلا) بضم القاف والباء وهو جمع قبيل أي: يأتيهم العذاب أنواعاً متعدّدة.

(٤) ﴿موئلا﴾: أي: منجىً أو محيصاً يقال: وأل يئل وألاً ووؤولاً أي: لجأ تقول العرب: لا وألت نفسه أي: لا نجت ومنه قول الشاعر:

لا وألت نفسك خليتها للعامريين ولم تكلَم

(٥) تلك: مبتدأوأهلكناهم الخبر، ويصح أن تكون تلك في محل نصب والعامل: أهلكنا نحو: زيداً ضربته.

﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ أي لهلاكهم موعداً محدداً فكذلك هؤلاء المجرمون من قريش، وقد أهلكهم ببدر ولعنهم إلى الأبد.

هداية الآيات

١ ـ لقد أعذر الله تعالى إلى الناس بما يبين في كتابه من الحجج وما ضرب فيه من الأمثال.

٢ ـ بيان غريزة الجدل في الإنسان والمخاصمة.

٣ ـ بيان مهمة الرسل وهي البشارة والنذارة وليست إكراه الناس على الإيمان.

٤ ـ بيان عظم ظلم من يُذَكَّرُ بالقرآن فيعرض ويواصل جرائمه ناسياً ما قدمت يداه.

٥ ـ بيان سنة الله في أن العبد إذا واصل الشر والفساد يحجب عن الإيمان والخير ويحرم الهداية أبداً حتى يهلك كافراً ظالماً فيخلد في العذاب المهين.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾

شــرح الكلمـات :

وإذ قال موسى لفتاه : أي أذكر إذ قال موسى بن عمران نبي بني إسرائيل لفتاه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام .

مجمع البحرين : أي حين التقى البحران بحر فارس وبحر الروم .

حقبا : الحقب الزمن وهو ثمانون سنة والجمع أحقاب .

سبيله في البحر سرباً : أي طريقه في البحر سرباً أي طريقاً كالنفق .

فلما جاوزا : أي المكان الذي فيه الصخرة ومنه اتخذ الحوت طريقه في البحر سرباً .

في البحر عجباً : أي عجبـاً لموسى حيث تعجب من إحياء الحوت واتخاذه في البحر طريقاً كالنفق في الجبل

قصصاً : أي يتتبعان آثار أقدامهما .

عبداً من عبادنا : هو الخضر عليه السلام .

مما علمت رشداً : أي ما هو رشاد إلى الحق ودليل على الهدى .

ما لم تحط به خبراً : أي علماً .

ولا أعصي لك أمراً : أي انتهى إلى ما تأمرني به وإن لم يكن موافقاً هواي .

معنى الآيات :

هذه قصة موسى[1] مع الخضر عليهما السلام وهي تقرر نبوة محمد ﷺ وتؤكدها . إذ مثل هذا القصص الحق لايتأتى لأحد أن يقصه مالم يتلقه وحياً من الله عز وجل . قال تعالى : ﴿وإذ قال موسى﴾ أي أذكر يارسولنا تدليلاً على توحيدنا ولقائنا ونبوتك . إذ قال موسى بن عمران نبينا إلى بني إسرائيل لفتاه[2] يوشع بن نون ﴿لا أبرح﴾ أي سائراً ﴿حتى أبلغ مجمع[3] البحرين﴾ حيث أرشدني ربي إلى لقاء عبدٍ هناك من عباده هو أكثر مني علماً حتى

---

(١) ذهب نوف البكالي إلى أنّ موسى هذا هو موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام وردّ هذا عليه ابن عباس رضي الله عنهما ردًّا عنيفا كما في البخاري فالصحيح أنه موسى بن عمران رسول الله إلى بني اسرائيل.

(٢) اختلف في فتى موسى مَنْ هو؟ قيل: إنه كان شاباً يخدمه ولذا أطلق عليه لفظ الفتى على جهة حسن الأدب، قال ابن العربي. ظاهر القرآن أنه عبد وما دام صح الحديث بأنه يوشع بن نون فلا حاجة إلى البحث والتنقيب.

(٣) أي ملتقاهما. وهما بحر الأردن وبحر القلزم على الراجح الصحيح.

اتعلم منه علماً أزيده على علمي ، ﴿أو أمضي حقباً﴾[1] أي أواصل سيري زمناً طويلاً حتى أظفر بهذا العبد الصالح لأتعلم عنه. قوله تعالى : ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ أي بين البحرين وهما بحر الروم وبحر فارس عند باب المندب حيث التقى البحر الأحمر والبحر الهندي. أو البحر الأبيض والأطلنطي عند طنجة والله أعلم بأيهما أراد. وقوله ﴿نسيا حوتهما﴾ أي نسي الفتى الحوت، إذ هو الذي كان يحمله، ولكن نسب النسيان إليهما جرياً على المتعارف من لغة العرب[2]، وهذا الحوت قد جعله الله تعالى علامة لموسى على وجود الخضر حيث يفقد الحوت، إذ القصة كما في البخاري تبتدىء بأن موسى خطب يوماً في بنى إسرائيل فأجاد وأفاد فأعجب به شاب من بني إسرائيل فقال له : هل يوجد من هو أعلم منك ياموسى؟ فقال : لا. فأوحى إليه ربه فوراً بلى عبدنا خضر، فتاقت نفسه للقياه للتعلم عنه، فسأل ربه ذلك، فأرشده إلى مكان لقياه وهو مجمع البحرين، وجعل له الحوت علامة فأمره أن يأخذ طعامه حوتاً وأعلمه أنه إذا فقد الحوت فثم يوجد عبدالله خضر ومن هنا لما بلغا مجمع البحرين واستراحا فنام موسى[3] والفتى شبه نائم وإذا بالحوت يخرج من المكتل «وعاء» ويشق طريقه إلى البحر فينجاب عنه البحر فيكون كالطاق أو النفق آية لموسى. ويغلب النوم على يوشع فينام فلما استراحا قاما مواصلين سيرهما ونسي الفتى وذهب من نفسه خروج الحوت من المكتل ودخوله في البحر لغلبة النوم فلما مشيا مسافة بعيدة وشعرا بالجوع وقد جاوزا المنطقة التي هي مجمع البحرين[4] قال موسى للفتى ﴿آتنا غداءنا﴾[5] وعلل ذلك بقوله : ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ أي تعباً. هنا قال الفتى لموسى ما قصَّ الله تعالى : قال مجيباً لموسي ﴿أرأيت﴾ أي أتذكر ﴿إذ أوينا إلى الصخرة﴾ التي استراحا عندها ﴿فإني نسيت الحوت﴾ وقال كالمعتذر، ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره[6]، واتخذ سبيله﴾ أي طريقه ﴿في البحر عجباً﴾ أي حيي بعد موت

---

(١) قال النحاس : الحقب : زمان من الدهر مبهم غير محدود وجمعه أحقاب وورد الحقب مقدراً بثمانين سنة، إلّا أنه في قول موسى هذا مراده الأوّل وهو زمن غير محدود.

(٢) نحو قوله : ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ مع أنه لا يخرج إلّا من البحر الملح ونحو قوله : ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ مع العلم أن الرسل من الإنس فقط.

(٣) في البخاري : أن موسى عليه السلام قال ليوشع لا أكلفك إلّا أن تخبرني حيث يفارقك الحوت قال الفتى : ما كلّفت كثيراً.

(٤) هذا يُرجح أن يكون البحران : نهر الأردن وبحيرة طبريّة.

(٥) في الآية دليل على وجوب حمل الزاد في السفر ففي هذا رد على المتصوفة الذين يخرجون بلا زاد بدعوى التوكل ثمّ هم يسألون الناس، وشاهد هذا آية البقرة إذ نزلت في أناس من اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون فنزل قوله تعالى : ﴿وتزوّدوا. . ﴾ الآية.

(٦) أن : وما دخلت عليه تسبك بمصدر فيقال : وما أنساني ذكره إلا الشيطان.

ومشى حتى انتهى إلى البحر وانجاب له البحر فكان كالسرب فيه أي النفق فأجابه موسى بما قص تعالى: ﴿قال ذلك ما كنا نبغ﴾ وذلك لأن الله تعالى جعل لموسى فقدان الحوت علامة على مكان الخضر الذي يوجد فيه ﴿فارتدا﴾ أي رجعا ﴿على آثارهما قصصا﴾ أي يتتبعان آثار أقدامهما ﴿فوجدا﴾ خضراً كما قال تعالى: ﴿فوجدا عبداً[1] من عبادنا﴾ وهو خضر آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وعلمناه من لدنا علما وهو علم غيب خاص به ﴿قال له موسى﴾ مستعطفاً له ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾ أي مما علمك الله رشداً أي رشاداً يَدُلّنِي على الحق وتحصل لي به هداية فأجابه خضر بما قال تعالى: ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ يريد أنه يرى منه أموراً لا يقره عليها وخضر لابد يفعلها فيتضايق موسى لذلك ولا يطيق الصبر، وعلل له عدم استطاعته الصبر بقوله ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ أي علماً كاملاً. فأجابه موسى وقد صمم على الرحلة لطلب العلم مهما كلفه الثمن فقال ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ أي سأنتهي إلى ما تأمرني وإن لم يكن موافقاً لما أحب وأهوى.

هداية الآيات:

١ ـ عتب الله تعالى على رسوله موسى عليه السلام عندما سئل هل هناك من هو أعلم منك فقال لا وكان المفروض أن يقول على الأقل الله أعلم. فعوقب لذلك فكلف هذه الرحلة الشاقة.

٢ ـ استحباب الرفقة في السفر، وخدمة التلميذ للشيخ، إذ كان يوشع يخدم موسى بحمل الزاد.

٣ ـ طروء النسيان على الانسان مهما كان صالحاً.

٤ ـ مراجعة الصواب بعد الخطأ خير من التمادي على الخطأ ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾.

٥ ـ تجلى قدرة الله تعالى في إحياء الحوت بعد الموت، وانجياب الماء عليه حتى كان كالطاق فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً. وبه استدل موسى أي بهذا العجب على مكان خضر فوجده هناك.

٦ ـ استحباب طلب المزيد من العلم مهما كان المرء عالماً وهنا أورد الحديث التالي وهو خير من قنطار ذهباً لمن حفظه وعمل به وهو قول ابن عباس رضي الله عنه قال سأل موسى ربه: قال رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: فأي عبيدك أقضى؟ قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: أي رب أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى

---

(١) في البخاري: (فوجدا خضراً على طِنْفَسة خضراء على كبد البحر مسجىً بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلّم عليه موسى فكشف عن وجهه فقال: هل بأرضك من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى..) الخ.

علم نفسه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى. وللأثر بقية ذكره ابن جرير عند تفسير هذه الآيات.

قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات:

ذكراً : أي بياناً وتفصيلاً لما خفي عليك.

لقد جئت شيئاً إمراً : أي فعلت شيئاً منكراً.

لا ترهقني : أي لا تغشني بما يعسر علي ولا أطيق حمله فتضيق علي صحبتي إياك.

نفساً زكية : أي طاهرة لم تتلوث روحها بالذنوب.

بغير نفس : أي بغير قصاص.

نكراً : الأمر الذي تنكره الشرائع والعقول من سائر المناكر! وهو المنكر الشديد النكارة.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام والعالم الذي أراد أن يصحبه لطلب العلم منه وهو خضر. قوله تعالى: ﴿قال﴾ أي خضر ﴿فإن اتبعتني﴾ مصاحباً لي لطلب العلم ﴿فلا تسألني[1] عن شيء﴾ أفعله مما لا تعرف له وجهاً شرعياً ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ أي حتى أكون أنا الذي يبين لك حقيقته وما جهلت منه. وقوله تعالى: ﴿فانطلقا﴾ أي

(١) في قول موسى: ﴿هل أتبعك﴾ من حسن الأدب والتلطف في السؤال وتواضع الطالب للشيخ الشيء الكثير، وفي الآية دليل على أن المتعلم تابع للعالم وإن تفاوتت مرتبتهما، وما كان موسى إلّا أفضل من خضر ولكنه بحكم أنه تابع للخضر العالم تواضع في لطف.

بعد رضا موسى بمطلب خضر انطلقا يسيران في الأرض[1] فوصلا ميناء من الموانى البحرية، فركبا سفينة كان خضر يعرف أصحابها فلم يأخذوا منهما أجر الإركاب فلما أقلعت السفينة، وتوغلت في البحر أخذ خضر فأسا فخرق السفينة، فجعل موسى يحشو بثوب له الخرق ويقول: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ على أنهما حملانا بدون نَوْل ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي أتيت يا عالم منكراً فظيعاً فأجابه خضر بما قص تعالى: ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ فأجاب موسى بما ذكر تعالى عنه: ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ أي لا تعاقبني بالنسيان فإن الناسي لا حرج عليه. وكانت هذه من موسى[2] نسياناً حقاً ولا تغشني بما يعسر علي ولا أطيقه فاتضايق من صحبتي إياك.

قال تعالى: ﴿فانطلقا﴾ بعد نزولهما من البحر إلى البر فوجدا غلاماً جميلاً وسيماً يلعب مع الغلمان فأخذه خضر جانباً وأضجعه[3] وذبحه فقال له موسى بما أخبر تعالى عنه: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس﴾ زاكية طاهرة لم يذنب صاحبها ذنباً تتلوث به روحه ولم يقتل نفساً يستوجب بها القصاص ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ أي أتيت منكراً عظيماً بقتلك نفساً طاهرة لم تذنب ولم تكن هذه نسياناً من موسى بل كان عمداً إذ لم يطق فعل منكر كهذا لم يعرف له[4] وجهاً ولا سبباً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ جواز الاشتراط في الصحبة وطلب العلم وغيرهما للمصلحة الراجحة.

٢ ـ جواز ركوب السفن في البحر.

٣ ـ مشروعية إنكار المنكر على من علم أنه منكر.

٤ ـ رفع الحرج عن الناس.

٥ ـ مشروعية القصاص وهو النفس بالنفس.

---

(١) في البخاري: (فانطلقا يسيران على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول أي «أجرة»).

(٢) في البخاري: (قال رسول الله ﷺ وكانت الأولى من موسى نسياناً قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة في البحر فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلاّ مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر). حرف السفينة: طرفها، وحرف كل شيء طرفه.

(٣) في الترمذي: (أنه أخذ رأسه بيده فاقتلعه فقتله) وفي بعض الروايات (أنه أخذ حجراً فضرب بها رأس الغلام فقتله) وما في التفسير أصح وأوضح.

(٤) سيأتي بيان علّة القتل وأنها حق والقتل كان بإذن الله تعالى وما مات أحد ولا قتل إلاّ بإذن الله تعالى.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

قال ألم أقل لك : أي قال خَضِرْ لموسى عليهما السلام.

بعدها : أي بعد هذه المرة.

فلا تصاحبني : أي لا تتركني أتبعك.

من لدني عذراً : أي من قبلي (جهتي) عذراً في عدم مصاحبتي لك.

أهل قرية : مدينة أنطاكية.

استطعما أهلها : أي طلبا منهم الطعام الواجب للضيف.

يريد أن ينقض : أي قارب السقوط لميلانه.

فأقامه : أي الخضر بمعنى أصلحه حتى لا يسقط.

أجرا : أي جعلا على إقامته وإصلاحه.

هذا فراق بيني وبينك : أي قولك هذا ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ هو نهاية الصحبة وبداية المفارقة.

بتأويل : أي تفسير ماكنت تنكره على حسب علمك.

معنى الآيات :

مازال السياق في محاورة الخضر مع موسى عليهما السلام، فقد تقدم إنكار موسى على

الخضر قتله الغلام بغير نفس، ولا جرم إرتكبه،وبالغ موسى في إنكاره إلى أن قال:﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾[1] فأجابه خَضِرٌ بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ لما سألتني الصحبة للتعليم، فأجاب موسى بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ أي اترك صحبتي فإنك ﴿قد بلغت من[2] لدني﴾ أي من جهتي وقبلي عذرا في تركك إياي.

قال تعـالى: ﴿فانطلقا﴾ في سفرهما ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ (أي مدينة) قيل إنها انطاكية ووصلاها في الليل والجو بارد فاستطعما أهلها أي طلبا منهم طعام الضيف الواجب له ﴿فأبوا أن يضيفوهما[3]، فوجدا فيها﴾ أي في القرية ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ أي يسقط فأقامه الخضر وأصلحه فقال موسى له: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ أي جعل مقابل إصلاحه، لاسيما أن أهل هذه القرية لم يعطونا حقنا من الضيافة. وهنا قال الخضر لموسى: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ لانك تعهدت إنك إذا سألتني بعد حادثة قتل الغلام عن شيء أن لاتطلب صحبتي وها أنت قد سألتني، فهذا وقت[4] فراقك إذاً ﴿سأنبئك﴾ أي أخبرك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب الوفاء بما التزم به الإنسان لآخر.

٢ ـ وجوب الضيافة لمن استحقها.

٣ ـ جواز التبرع بأي خير أو عمل إبتغاء وجه الله تعالى.

---

(١) اختلف في أيهما أبلغ: إمراً أو نكراً، ورجّح بعضهم أن إمراً فيما لم يحدث من فعل منكر فيكون خاصاً بالمستقبل، ومعناه: أمر فظيع مهيل ونكراً: يكون فيما وقع فهو بيّن الفساد بالغ في النكر واجب الإنكار.

(٢) قرىء: ﴿من لدني﴾ بتخفيف الدال وقرىء في السبع بتشديدها وقرىء عذراً بسكون الذال وقرىء في السبع أيضاً بضمهما، وضمّ العين قبلها كنُذُر ونُذْر.

(٣) في الحديث: (إنهم كانوا لئاماً بخلاء) وهو تعليل لعدم استضافة موسى والخضر.

(٤) في البخاري: هنا قال رسول الله ﷺ: (يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما).

أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ
عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾

شـــرح الكلـمات :

المساكين : جمع مسكين وهو الضعيف العاجز عن الكسب.

يعملون في البحر : أي يؤجرون سفينتهم للركاب.

أعيبها : أي أجعلها معيبة حتى لا يرغب فيها.

غصباً : أي قهراً.

أن يرهقهما طغياناً وكفراً : أي يغشاهما : ظلماوجحوداً

وأقرب رحما : أي رحمة إذ الرحم والرحمة بمعنى واحد.

وما فعلته عن أمري : أي عن اختيار مني بل بأمر ربي جل جلاله و عظم سلطانه.

معنى الآيات :

هذا آخر حديث موسى والخضر عليهما السلام، فقد واعد الخضر موسى عندما أعلن له عن فراقه أن يبين له تأويل مالم يستطع عليه صبراً، وهذا بيانه، قال تعالى (حكاية عن

الخضر) ﴿أما السفينة﴾ التي خرقتها وأنكرتَ عليَّ ذلك ﴿فكانت[1] لمساكين يعملون في البحر﴾ يؤجرون سفينتهم بما يحصل لهم بعض القوت ﴿فأردت أن أعيبها[2]﴾ لا لأغرق أهلها، ﴿وكان وراءهم[3] ملك﴾[4] ظالم ﴿يأخذ كل سفينة﴾ صالحة ﴿غصباً﴾ أي قهراً وإنما أردت أن أبقيها لهم إذ الملك المذكور لا يأخذ إلا السفن الصالحة ﴿وأما الغلام﴾ الذي قتلتُ وأنكرتَ عليَّ قتله ﴿فكان أبواه مؤمنين فخشينا﴾ إن كبر ﴿أن يرهقهما[5]﴾ أي يُغشيهما ﴿طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما[6] ربهما خيراً منه زكاة﴾ أي طهراً وصلاحاً ﴿وأقرب[7] رحماً﴾ أي رحمة وبراً بهما فلذا قتلته، ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أي سن الرشد ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من[8] ربك﴾ أي كان ذلك رحمة ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي عن إرادتي وإختياري بل كان بأمر ربي وتعليمه. ﴿ذلك﴾ أي هذا ﴿تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات :

١ ـ بيان ضروب من خفي ألطاف الله تعالى فعلى المؤمن أن يرضى بقضاء الله تعالى وإن كان ظاهره ضاراً.

٢ ـ بيان حسن تدبير الله تعالى لأوليائه بما ظاهره عذاب ولكن في باطنه رحمة.

٣ ـ مراعاة صلاح الأباء في إصلاح حال الأبناء.

---

(١) بهذه الآية استدل من قال من الفقهاء بأنّ المسكين أقلّ فقراً من الفقير لأنّ من ملك سفينة لا يعتبر فقيراً، وردّ هذا بأنّ أصحاب السفينة كانوا سبعة أفراد، وخمسة منهم زمنى ورثوا السفينة من أبيهم وبذا هم فقراء مساكين.

(٢) أعيبها: أي أجعلها ذات عيب، يقال: عبت الشيء فعاب أي: صار ذا عيب فهو معيب.

(٣) جائز أن يكون الوراء على حقيقته أي: خلفهم، وإذا رجعوا أخذ السفينة منهم، وجائز أن يكون وراء بمعنى أمام، ويؤيده قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: ﴿وكان أمامهم مِلك﴾.

(٤) قيل: اسم الملك هو هدد بن بدد، واسم الغلام المقتول: جيسور.

(٥) وفسّر أيضاً: يجشمهما ويحملهما على الرهق وهو الجهل والمعنى: أنه يحملهما حبه على الغلو فيه فيطغيان ويكفران.

(٦) الرحم والرحمة بمعنى واحد قال الشاعر:

وكيف بظلم جارية ومنها اللّين والرُّحم

(٧) قيل: اسم الغلامين: أصرم وصريم، وكان الكنز ذهباً وفضة لحديث الترمذي عن أبي الدرداء، وشاهده من اللغة فإنّ الكنز: المال المدفون المدّخر، وجائز أن يكون مع المال كتاب فيه علم.

(٨) تسطع وتستطيع بمعنى

٤ ـ كل ما أتاه الخضر كان بوحي إلهي وليس هو مما يدعيه جُهال الناس ويسمونه بالعلم اللَّدنِّي وأضافوه إلى من يسمونهم الأولياء، وقد يسمونه كشفاً، ويؤكد بطلان هذا أن النبي ﷺ قال: إن الخضر قال لموسى: أنا على علم مما علمني ربي وأنت على علم مما علمك الله وإن علمي وعلمك إلى علم الله إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من البحر.

وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾
إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات:

ويسألونك : أي كفار قريش بتعليم يهود لهم.

ذي القرنين : الإسكندر باني الاسكندرية المصرية الحميري أحد الملوك التبابعة وكان عبداً صالحاً.

سأتلوا عليكم منه ذكراً : سأقص عليكم من حاله خيراً يحمل موعظة وعلمًا.

مكنا له في الأرض : بالحكم والتصرف في ممالكها.

من كل شىء سببا : أي يحتاج إليه سبباً موصلا إلى مراده.

فأتبع سببا : أي فأتبع السبب سبباً آخر حتى انتهى إلى مراده.

تغرب في عين حمئة : ذات حماة وهي الطين الأسود وغروبها إنما هو في نظر العين وإلا فالشمس في السماء والبحر في الأرض.

قوماً : أي كافرين.

عذاباً نكرا : أي عظيما فظيعا.

يسرا : أي ليناً من القول سَهْلا من العمل.

مطلع الشمس : أي مكاناً تطلع منه.

قوم لم نجعل لهم من دونها سترا : القوم هم الزِّنْج ولم يكن لهم يومئذ ثياب يلبسونها ولا منازل يسكنونها وإنما لهم أسراب في الأرض يدخلون فيها.

كذلك : أي الأمر كما قلنا لك ووصفنا.

بين السدين : السدان جبلان شمال شرق بلاد الترك سد ذو القرنين مابينهما فقيل فيهما سدان.

قوماً لايكادون يفقهون قولا : لايفهمون كلام من يخاطبهم إلا بشدة وبطء وهم يأجوج ومأجوج.

معنى الآيـات :

هذه قصة العبد الصالح ذي القرنين الحمْيَري التُّبعي على الراجح من أقوال العلماء، وهو الأسكندر باني الأسكندرية المصرية، ولأمر ما لقِّب بذي القرنين[(١)]، وكان قد تضمن سؤال قريش النبي ﷺ بإيعاذ من يهود المدينة ذا القرنين إذ قالوا لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فإن أجابكم عنها فإنه نبي، وإلا فهو غير نبي فَرَوْا رأيكم فيه فكان الجواب عن الروح في سورة الإسراء وعن الفتية وذي القرنين في سورة الكهف هذه وقد تقدم

(١) اختلفوا في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال هي: عبدالله أو الاسكندر أو عبّاس أو جابر، كما اختلفوا في تلقيبه بذي القرنين على عشرة أقوال أمثلها أنه ملك فارس والروم أو أنه كان له ضفيرتان من شعر رأسه فلقب لذلك بذي القرنين، واختلف في نبوته، والظاهر أنه كان نبيًّا يوحى إليه وكان ملكاً حاكماً.

الحديث التفصيلي عن أصحاب الكهف في أول السورة وهذا بدء الحديث المتضمن للإجابة عن الملك ذي القرنين عليه السلام قال تعالى: ﴿ويسألونك﴾ يانبينا ﴿عن ذي القرنين قل﴾ للسائلين من مشركي قريش ﴿سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾[1] أي سأقرأ عليكم من أمره وشأنه العظيم ذكراً خبراً يحمل الموعظة والعلم والمعرفة: وقوله تعالى: ﴿ إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً. ﴾ هذه بداية الحديث عنه فأخبر تعالى أنه مكن له في الأرض بالملك والسلطان، وأعطاه من كل شيء يحتاج إليه في فتحه الأرض ونشر العدل والخير فيها سبباً يوصله إلى ذلك، وقوله ﴿فأتبع سبباً﴾[2] حسب سنة الله في تكامل الأشياء فمن صنع إبـرة وتابع الأسباب التي توصل بها إلى صنع الإبرة فإنه يصنع المسلة، وهكذا تابعه بين أسباب الغزو والفتح والسير في الأرض ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ وهي على ساحل المحيط الأطلنطي، وكونها تغرب فيها هو بحسب رأي العين، وإلا فالشمس في السماء والعين الحمئة[3] والمحيط إلى جنبها في الأرض وقوله تعالى: ﴿ووجد عندها﴾ أي عند تلك العين في ذلك الإقليم المغربي ﴿قوماً﴾ أي كافرين غير مسلمين فأذن الله تعالى له في التحكم والتصرف فيهم إذ يسر له أسباب الغلبة عليهم وهو معنى قوله تعالى: ﴿قلنا ياذا القرنين﴾ وقد يكون نبياً ويكون قوله الله تعالى هذا له وحياً وهو ﴿إما أن تعذب﴾ بالأسر والقتل، ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ وهذا بعد حربهم والتغلب عليهم فأجـاب ذو القرنين ربه بما أخبر تعالى به: ﴿أما من ظلم﴾[4] أي بالشرك والكفر ﴿فسوف نعذبه﴾ بالقتل والأسر، ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ بعد موته ﴿فيعذبه عذاباً نكرا﴾ أي فظيعاً أليماً. ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً﴾ أي أسلم وحسن اسلامه ﴿فله جزاء﴾[5] على إيمانه وصالح أعماله ﴿الحسنى﴾ أي الجنة في الآخرة ﴿وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ اليوم فلا نغلظ له في

---

(١) ﴿ذكراً﴾ أي: خيراً يتضمن ذكره.

(٢) أصل: السبب: الحبل واستعير لكل ما يتوصل به إلى شيء، وأوتي ذو القرنين من كل شيء علماً يتسبب به إلى ما يريد فتوصّل إلى فتح البلاد وقهر الأعداء وقرىء فأتبع سببا بقطع الهمزة وقرأ أهل المدينة فاتّبع سببا بهمزة وصل وتشديد التاء.

(٣) قرأ الجمهور: (حمئة) من الحماة أي كثيرة الحماة وهي الطين الأسود وقرأ بعضهم حامية أي: حارة وجائز أن تكون حامية من الحماة فخففت الهمزة وقلبت ياء.

(٤) أي: قال لأولائك القوم أمّا مَنْ ظلم.. الخ.

(٥) قراءة أهل المدينة (فله جزاءُ الحسنى) برفع جزاء بدون تنوين والحسنى مضاف إليه والخبر تقديره: عند الله. وقرأ غيرهم بنصب جزاء على التمييز أي: فله الحسنى جزاءً ويجوز أن يكون منصوباً على المصدرية.

القول ولا نكلفه ما يشق عليه ويرهقه.

وقوله تعالى: ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي ما تحصل عليه من القوة في فتح المغرب استخدمه في مواصلة الغزو والفتح في المشرق ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس[1] وجدها تطلع على قوم[2]﴾ بدائيين لم تساعدهم الأرض التي يعيشون عليها على التحضر فلذا هم لايبنون الدور ولا يلبسون الثياب، ولكن يسكنون الكهوف والمغارات والسراديب وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾ أي الشمس ﴿سترا﴾. وقوله تعالى: ﴿كذلك[3]﴾ أي القول الذي قلنا والوصف الذي وصفنا لك من حال ذي القرنين ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من قوة وأسباب مادية وروحية ﴿خبرا﴾ أي علمًا كاملا. وقوله تعالى: ﴿ثم أتبع﴾ أي ذو القرنين ﴿سببا﴾ أي واصل طريقه في الغزو والفتح ﴿حتى إذا بلغ بين السدين[4]﴾ وهما جبلان بأقصى الشمال الشرقي للأرض بنى ذو القرنين بينهما سداً عظيما حال به دون غزو يأجوج ومأجوج للإقليم المجاور لهم، وهم القوم الذين قال تعالى عنهم ﴿وجد من دونهما[5] قوماً لايكادون يفقهون قولاً﴾ فلا يفهمون ما يقال لهم ويخاطبون به إلا بشدة وبطء كبير.

هـداية الآيات:

من هـداية الآيات:

١ ـ تقرير نبوة النبي محمد ﷺ إذ هذا جواب آخر أسئلة قريش الثلاثة. قرأه عليهم قرآنا موحى به إليه.

٢ ـ إتباع السبب السبب يصل به ذو الرأي والإرادة إلى تحقيق ما هو كالمعجزات.

٣ ـ قول: ذو القرنين: ﴿أما من ظلم..... الخ﴾ يجب أن يكون مادة دستورية يحكم به الأفراد والجماعات لصدقها وإجابيتها وموافقتها لحكم الله تعالى ورضاه، ومن الأسف أن

---

(١) المطلع: يجوز فيه كسر الميم وفتحها مثل المنسك والمجزر والمسكن والمنبت هذه يجوز فيها وجهان الكسر والفتح في ميمها.

(٢) قال صاحب التنوير: والظاهر أنه بلغ ساحل اليابان في حدود منشوريا أو كوريا شرقاً.

(٣) جائز أن يكون المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك وهو معنى ما في التفسير وجائز أن يكون كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها كذلك.

(٤) قرأ حفص بفتح السين، وقرأ نافع بضمها، ونظير السد في الفتح والضم الضعف والقر والقر.

(٥) قوله: من دونهما يعني أمام السدين لا خلفهما إذ خلفهما يأجوج ومأجوج.

يعكس هذا القول السديد والحكم الرشيد فيصبح أهل الظلم مكرمين لدى الحكومات، وأهل الإيمان والإستقامة مهانين!!

٤ ـ بيان وجود أمم بدائية إلى عهد ما بعد ذي القرنين لايلبسون ثيابا ولا يسكنون سوى الكهوف والمغارات ويوجد في البلاد الكينية إلى الآن قبائل لايرتدون الثياب، وإنما يضعون على فروجهم خيوط وسيور لاغير.

٥ ـ تقرير أن هذا الملك الصالح قد ملك الأرض فهو أحد أربعة[1] حكموا الناس شرقاً وغرباً.

قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ
مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ
سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ
وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ
قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا
﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾
قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي
حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ۞وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴿١٠٠﴾
ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ
سَمۡعًا ﴿١٠١﴾

---

(١) هم: مسلمان وهما ذو القرنين وسليمان عليهما السلام، وكافران وهما: النمرود وبختنصر. كذا قيل والله أعلم.

شـــرح الكلمـات :

يأجوج ومأجوج : قبيلتان من أولاد يافث بن نوح عليه السلام والله أعلم .

نجعل لك خرجاً : أي جعلاً مقابل العمل .

ســـداً : السد بالفتح والضم الحاجز المانع بين شيئين .

ردْمـاً : حاجزاً حصيناً وهوالسد .

زبر الحديد : جمع زبرة قطعة من حديد على قدر الحجرة التي يبنى بها .

بين الصدفين : أي صدف الجبلين أي جانبهما .

قطرا : القطر النحاس المذاب .

فما اسطاعوا أن يظهروه : أي عجزوا عن الظهور فوقه لعلوه وملاسته .

نقبـــا : أي فتح ثغرة تحت تحته ليخرجوا معها .

جعله دكـــا : أي تراباً مساوياً للأرض .

وتركنا بعضهم : أي يأجوج ومأجوج أي يذهبون ويجيئون في اضطراب كموج البحر.

أعينهم في غطاء عن ذكري : أي عن القرآن لايفتحون أعينهم فيما تقرأه عليهم بغضا له أو أعين قلوبهم وهي البصائر فهي في أكنة لاتبصر الحق ولا تعرفه .

لايستطيعون سمعاً : لبغضهم للحق والداعي إليه .

معنى الآيات :

مازال السياق في حديث ذي القرنين إذْ شكا إليه سكان المنطقة الشمالية الشرقية من الأرض،بمـا أخبـر تعالى به عنهم إذ قال: ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج(١) ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ أي بالقتل والأكل والتدمير والتخريب، ﴿فهل نجعل لك خرجاً(٢)﴾ أي أجرا ﴿على

---

(١) يأجوج ومأجوج: اسمان أعجميان يهمزان ولا يهمزان ولذا قرىء في السبع بهما وهما ابنا يافث بن نوح عليه السلام ورد وصفهم أنّ صنفاً منهم يفرش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلاّ أكلوه، ومن مات منهم أكلوه مقدّمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية، وذلك يوم يفتح سدهم ويهدم، وخروجهم من أشراط الساعة الكبرى.

(٢) الخـرج والخراج: لغتان، وقيل الخرج: ما يعطى تطوعاً والخراج: ما يلزم عطاؤه والمراد به هنا الأجر مقابل العمل المطلوب من إقامة السدّ.

أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾ أي حاجزاً قوياً لايصلون معه إلينا. فأجابهم ذو القرنين بما أخبر الله تعالى به في قوله: ﴿قال ما مكني فيه ربي﴾ من المال القوة والسلطان ﴿خير﴾ أي من جعلكم وخرجكم ﴿فأعينوني[1] بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً[2]﴾ أي أي سداً قوياً وحاجزاً مانعاً ﴿آتوني زبر الحديد﴾ أي قطع الحديد كل قطعة كاللَّبِنَة المضروبة، فجاءوا به إليه فأخذ يضع الحجارة وزبر الحديد ويبْني حتى ارتفع البناء فساوى بين الصدفين جانبي الجبلين، وقال لهم ﴿انفخوا﴾ أي النار على الحديد ﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ قال آتوني بالنحاس المذاب أفرغ عليه قطرا[3] فأتوه به فأفرغ عليه من القطر ما جعله كأنه صفيحة واحدة من نحاس ﴿فما اسطاعوا﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أن يظهروه﴾ أي يعلوا فوقه، ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ أي خرقا فلما نظر إليه وهو جبل شامخ وحصن حصين قال هذا من رحمة ربي أي من أثر رحمة ربي عليَّ وعلى الناس وأردف قائلا ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ وهو خروج يأجوج ومأجوج عند قرب الساعة ﴿جعله دكا﴾ أي تراباً مساويا للأرض، ﴿وكان وعد ربي حقا﴾ وهذا مما وعد به وانه كائن لامحالة قال تعالى: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ أي مختلطين مضطربين إنسهم[4] وجنهم ﴿ونفخ في الصور﴾ نفخة البعث ﴿فجمعناهم﴾ للحساب والجزاء ﴿جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ حقيقياً يشاهدونها فيه من قرب، ثم ذكر ذنب الكافرين وعلة عرضهم على النار فقال: وقوله الحق: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ أي أعين قلوبهم وهي البصائر فلذا هم لاينظرون في آيات الله الكونية فيستدلون بها على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها، ولا في آيات الله القرآنية فيهتدون بها إلى أنه لا إله إلا الله ويعبدونه بما تضمنته الآيات القرآنية، ﴿وكانوا لايستطيعون سمعاً﴾ للحق ولما يدعوا إليه رسل الله من الهدى والمعروف.

---

(١) القوة: الرجال والمال.
(٢) الردم أعظم من السدّ.
(٣) جائز أن يكون المراد بالقطر النحاس المذاب وهذا الظاهر، وجائز أن يكون الحديد المذاب والثالث: أنه الصفر والرابع أنه الرصاص. روى أحمد عن النبي ﷺ ما خلاصته أنّ يأجوج ومأجوج يحفران يومياً السدّ حتى إذا كادوا يخرقونه يقولون غداً نتم حفره وإذا جاء الغد حفروا ولم يقولوا إن شاء الله حتى إذا جاء وعد الله قالوا: إن شاء الله ففتح لهم.
(٤) جائز أن يكون المراد بمن يموج بعضهم في بغض: يأجوج ومأجوج وجائز أن يكون الإنس والجن وذلك يوم القيامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية الجعالة للقيام بالمهام من الأعمال.

٢ ـ فضيلة التبرع بالجهد الذاتي والعقلي

٣ ـ مشروعية التعاون على ما هو خير، أو دفع للشر.

٤ ـ تقرير وجود أمة يأجوج ومأجوج، وأن خروجهم من أشراط الساعة.

٥ ـ تقرير البعث والجزاء.

أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ
أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ
أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ
فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

شــرح الكلمــات :

أفحسب الذين كفروا : الاستفهام للتقريع والتوبيخ.

أن يتخذوا عبادي : كالملائكة وعيسى بن مريم والعزير وغيرهم.

أولياء : أرباباً يعبدوهم بأنواع من العبادات.

نزلا : النزل : مايعد للضيف من قرى وهو طعامه وشرابه ومنامه.

ضل سعيهم : أي بطل عملهم وفسد عليهم فلم ينتفعوا به.

يحسنون صنعا : أي بعمل يعمل يجازون عليه بالخير وحسن الجزاء.

بآيات ربهم : أي بالقرآن وما فيه من دلائل التوحيد والأحكام الشرعية.

ولقائه : أي كفروا بالبعث والجزاء.

وزناً : أي لانجعل لهم قدراً ولا قيمة بل نزدريهم ونذلهم.

ذلك : أي أولئك جزاؤهم جهنم وأطلق لفظ ذلك بدل أولئك، لأنهم بكفرهم وحبوط أعمالهم أصبحوا غثاء كغثاء السيل لا خير فيه ولا وزن له فحسن أن يشار إليه بذلك.

معنى الآيات :

ينكر تعالى على المشركين شركهم ويوبخهم مقرعاً لهم على ظنهم أن اتخاذهم[1] عِبادَهُ من دونه أولياء يعبدونهم كالملائكة حيث عبدهم بعض العرب والمسيح حيث عبده النصارى، والعزير حيث عبده بعض اليهود، لايغضبه تعالى ولايعاقبهم عليه. وكيف لايغضبه ولايعاقبهم عليه وقد أعد جهنم للكافرين نزلا أي دار ضيافة لهم فيها طعامهم وفيها شرابهم وفيها فراشهم كما قال تعالى ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٢) وهي قوله تعالى ﴿أفحسب[2] الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء[3] إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٠٣) يخبر تعالى بأسلوب الاستفهام للتشويق للخبر فيقول ﴿قل هل ننبئكم ﴾ أيها المؤمنون ﴿بالأخسرين أعمالا﴾ إنهم ﴿الذين ضل سعيهم[4] في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ أي عملا، ويعرفهم فيقول ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ فلم يؤمنوا بها، وبلقاء ربهم فلم يعملوا العمل الذي يرضيه عنهم ويسعدهم به وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح الذي شرعه الله لعباده المؤمنين به يتقربون به إليه. فلذلك حبطت أعمالهم لأنها شرك وكفر وشر وفساد، ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا[5]﴾ إذ لا قيمة لهم ولا لأعمالهم الشركية الفاسدة الباطلة فإن أحدهم لايزن جناح بعوضة لخفته.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما إنهم الشياطين. وهو صحيح إذ الشياطين هم الذين زينوا لهم عبادة الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام ودعوهم إلى عبادتهم.

(٢) قرىء: (أفحسب) بإسكان السين وضم الباء أي. أفيكفيهم ان يتخذوهم أولياء؟

(٣) جواب الاستفهام محذوف تقديره: كلا بل هم أعداء يتبرؤن منهم وجائز أن يكون: ولا أغضب ولا أعاقبهم، وكلا المعنيين يراد.

(٤) يدخل في هذا كل من المشركين واليهود والنصارى والحرورية والمراءون بأعمالهم، وكل من يعمل الأعمال، وهو يظن أنه محسن وقد حبطت أعماله لفساد اعتقاده ولمراءاته أو لعمله بغير ما شرع الله كأنواع البدع المكفرة.

(٥) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرأوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾.

وأخيراً أعلن تعالى عن حكمه فيهم وعليهم فقال ﴿ذلك﴾[1] أي المذكور من غثاء الخلق ﴿جزاؤهم جهنم .﴾ وعلل للحكم فقال : ﴿بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً﴾ أي بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات ربهم وبرسله فكان الحكم عادلاً ، والجزاء موافقاً والحمد لله رب العالمين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير شرك من يتخذ الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء آلهة يعبدوهم تحت شعار التقرب إلى الله تعالى والاستشفاع بهم والتوسل إلى الله تعالى بحبهم والتقرب إليهم .

٢ ـ تقرير هلاك أصحاب الأهواء الذين يعبدون الله تعالى بغير ماشرع ويتوسلون إليه بغير ماجعله وسيلة لرضاه وجنته . كالخوارج والرهبان من النصارى والمبتدعة الروافض والإسماعيلية ، والنصيرية والدروز ومن إليهم من غلاة المبتدعة في العقائد والعبادات والأحكام الشرعية .

٣ ـ لا قيمة ولا ثقل ولا وزن لعمل لا يوافق رضا الله تعالى وقبوله له ، كما لا وزن عند الله تعالى لصاحبه ، وإن مات خوفا من الله أو شوقاً إليه .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ

(١) وجائز أن تكون الإشارة بذلك إلى ترك الوزن وخسة القدر والخبر: جزاؤهم جهنم . و(جهنم) بدل من (جزاؤهم) بدلا مطابقاً فيه زيادة توكيد .

﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾

شـرح الكلمـات :

كانت لهم : أي جزاء إيمانهم وعملهم الصالح .

الفردوس نزلاً : هو وسط الجنة وأعلاها ونزلاً منزل إكرام وإنعام .

لايبغون عنها حولا : أي لايطلبون تحولاً منها لأنها لا خير منها أبداً .

لو كان البحر : أي ماؤه مداداً .

قبل أن تنفد كلمات ربي : أي قبل أن تفرغ .

لنفد البحر : أي ولم تنفد هي أي لم تفرغ .

يرجو لقاء ربه : يأمل وينتظر البعث والجزاء يوم القيامة حيث يلقى ربه تعالى .

ولايشرك بعبادة ربه أحدا : أي لا يرائي بعمله أحدا ولايشرك في عبادة الله تعالى غيره تعالى .

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء أهل الشرك والأهواء وأنه جهنم ناسب ذكر جزاء أهل الإيمان والتقـوى التي هي عمل الصالحات واجتناب المحرمات فقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي صدقوا الله ورسوله وآمنوا بلقاء الله ، ووعده لأوليائه ، ووعيده لأعدائه من أهل الشرك والمعاصي ، وعملوا الصالحات فأدوا الفرائض والواجبات وسارعوا في النوافل والخيرات هؤلاء ﴿كانت لهم﴾ في علم الله وحكمه ﴿جنات الفردوس[1]﴾ أي بساتين الفردوس منزلا ينزلونه ودار كرامة يكرمون فيها وينعمون ، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها قال رسول الله ﷺ واصفاً لها ومرغبا فيها وقد ارتادها وانتهى إلى مستوى فوقها ليلة الإسراء والمعراج قال: «إن سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقها عرش الرحمن تبارك وتعالى ، ومنه تفجر أنهار الجنة» ، كما في الصحيح[2] ، وقوله تعالى ﴿خالدين فيها لايبغون

---

(١) روى الشيخان من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: (جنان الفردوس أربع: ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهماوليس بين القوم وبين آن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن).

(٢) وروى البخاري وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها، ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس).

عنهـا حولا﴾ أي ماكثـين فيهـا أبـداً لا يطلبون متحولاً عنها إذ نعيمهما لا يمل وسعادتها لاتنقص، وصفْوها لايكدر وسرورها لا ينغص بموت ولا بمرض ولا نصب ولا تعب جعلني الله ومن قال أمين من أهلها. آمين. وقوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر[1] مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ تضمنت هذه الآية رداً على اليهود الذين لما نزل قول الله تعالى ﴿وماأوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ في الرد عليهم لما سألوا عن الروح بواسطة وفد قريش إليهم. فقالوا: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مداداً الآية رداً عليهم وإبطالاً لمزاعمهم فأعلمهم وأعلم كل من يدعي العلم الذي مافوقه علم بأنه لو كان ماء البحر مدادا وكان كل غصن وعود في أشجار الدنيا كلها قلمًا، وكتب بهما لنفد ماء البحر وأغصان الشجر ولم تنفد كلمات ربي التي تحمل العلوم والمعـارف الإلهية وتـدل عليهـا وتهدي إليها فسبحان الله وبحمده، سبحانه الله العظيم سبحان الله الذي انتهى إليه علم كل شيء وهو على كل شيء قدير. وقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر[2] مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾. يأمر تعالى رسوله بأن يقول للمشركين الذين يطلبـون منـه المعجـزات كالتي أوتى موسى وعيسى: إنما أنا بشر مثلكم لا أقدر على ما لاتقدرون عليه أنتم، والفرق بيننا هو أنه يوحى إلي الأمر من ربي وأنتم لا يوحى إليكم يوحى إلي أنما إلهكم أي معبودكم الحق وربكم الصدق هو إله واحد الله ربكم ورب آبائكم الأولـين. وقـولـه ﴿فمن[3] كان يرجو[4]﴾ أي يأمل وينتظر ﴿لقاء ربه﴾ خوفاً منه وطمعاً فيه ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ وهو مؤمن موقن، ﴿ولايشرك بعبادة[5] ربه أحداً﴾ فإن الشرك محبط للعمل مبطل له، وبهذا يكون رجاءه صادقاً وانتظاره صالحاً صائباً.

---

(١) المداد في أوّل الآية والمداد في آخرها بمعنى واحد واشتقاقها لا يختلف.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما علّم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره أن يقرّ على نفسه بأنّه آدميّ كغيره إلّا أنه أكرم بالوحي.

(٣) روي في سبب نزول هذه الآية ما يلي: أتى جندب بن زهير الغامدي رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إني أعمل لله تعالى فإذا اطّلع عليه سرّني فقال رسول الله ﷺ: إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّبا ولا يقبل ما روئي فيه. فنزلت هذه الآية.

(٤) فسر ﴿يرجو﴾ بمعنى: يأمل وبمعنى يخاف وكلاهما مطلوب الخوف من الله ومن عذاب الآخرة، والأمل في فضل الله وإحسانه وثوابه في الدنيا والآخرة.

(٥) فسّر سعيد بن جبير رحمه الله ﴿ولا يشرك﴾ بأن لا يرائي. وهو صحيح ولفظ الشرك أعم من الرياء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢ ـ بيان أفضل الجنان وهو الفردوس الأعلى .

٣ ـ علم الله غير متناهي لأن كلماته غير متناهية .

٤ ـ تقرير صفة الكلام لله تعالى .

٥ ـ تقرير بشرية النبي ﷺ وأنه ليس روحاً ولا نوراً فحسب كما يقول الغلاة الباطنية .

٦ ـ تقرير التوحيد والتنديد بالشرك .

٧ ـ تقرير أن الرياء شرك لما ورد أن الآية نزلت في بيان حكم المرء يجاهد(١) يريد وجه الله ويرغب أن يرى مكانه بين الناس، يصلي ويصوم ويحب أن يثني عليه بذلك .

سُورَةُ مَرْيَمَ

مكية

وآياتها ثمان وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ
مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

(١) قال ابن عباس وطاووس . جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يُرى مكاني فنزلت هذه الآية وجائز تعدد النزول من أجل أن يجاب السائل بنفس الآيـة التي كانت جواباً لسؤال مماثل .

شــرح الكلمـات :

كَهيَعَص[1] : هذه من الحروف المقطعة تكتب كهيعص وتُقرأ كاف، هاء يا عين صاد. ومذهب السلف أن يقال فيها: الله أعلم بمراده بذلك.

ذكر رحمة ربك : أي هذا ذكر رحمة ربك.

نادى ربه : أي قال: يارب ليسأله الولد.

نداءً خفيا : أي سر بعداً عن الرياء.

وهن العظم مني : أي رق وضعف لكبر سني

واشتعل الرأس شيبا : أي انتشر الشيب في شعر رأسي انتشار النار في الحطب.

ولم أكن بدعائك رب شقيا : أي إنـك لم تخيبني فيها دعوتك فيه قبل فلا تخيبني اليوم فيها أدعوك فيه.

وإني خفت الموالي : أي خشيت بني عمي أن يضيعوا الدين بعد موتي.

إمرأتي عاقراً : لا تلد واسمها أشاع وهي أخت حنة أم مريم.

فهب لي من لدنك وليا : أي ارزقني من عندك ولداً.

ويرث من آل يعقوب : أي جدي يعقوب العلم والنبوة.

واجعله رب رضيا : أي مرضياً عندك.

سميا : أي مسمى يحيى.

معنى الآيات :

أما قوله تعالى: كَهيَعَص[2] فإن هذا من الحروف المقطعة والراجح أنها من المتشابه الذي نؤمن به ونفوض فهم معناه لمنزله سبحانه وتعالى فنقول: ﴿كهيعص﴾ الله أعلم بمراده به.

وأما قوله تعالى: ﴿ ذكر[3] رحمة ربك عبده زكريا﴾ فإن معناه: مما تتلو[4] عليك في هذا القرآن يانبينا

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن الكاف من كافٍ والهاء من هادٍ والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق. وعن قتادة أنه اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو اسم للسورة وقيل: هي اسم الله الأعظم، وكان علي يقول: يا كهيعص اغفر لي.

(٢) كهيعص: هذه حروف هجاء مكتوبة بمسمياتها مقروءة بأسمائها.

(٣) (ذكر) خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا ذكر رحمة ربك وعبده: منصوب بالمصدر الذي هو ذكر.

(٤) بناء على أن ذكر رحمة ربك: خبر والمبتدأ محذوف فإنه يصح تقديره. هذا ذكر وذكر رحمة ربك، وهذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك.

فيكـــون دليلاً على نبـــوتـــك ذكـــر رحمـــة ربـك التي رحم بهـا عبـده زكـريا حيث كبـرت سنـه، وامرأته عاقر لايولد لها ورغب في الولد لمصلحة الدعوة الإسلامية إذ لايوجد من يخلفه فيها إذا مات نظراً إلى أن الموجود من بني عمه ومواليه ليس بينهم كفؤ لذلك بل هم دعاة إلى السوء فنادى ربه نداء[١] خفيا قائلا: ﴿رب إني وهن العظم مني﴾ أي رق وضعف، ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ أي شاب شعر رأسي لكبر سني، ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ أي في يوم من الأيام بمعنى أنك عودتني الاستجابة لما أدعوك له ولم تحرمني استجابة دعائي فأشقى به دون الحصول على رغبتي. ﴿وإني﴾ ياربي قد ﴿خفت الموالي[٢]﴾ أن يضيعوا هذه الدعوة دعوة الحق التي هي عبادتك بما شرعت وحدك لا شريك لك، وذلك بعد موتي ﴿فهب لي من لدنك﴾ أي من عندك تفضلا به علي إذ الأسباب غير متوفرة للولد: المرأة عاقر وأنا شيخ كبير هرم، ﴿ولياً﴾ أي ولداً يلي أمر هذه الدعوة بعد وفاتي فيرثني فيها ﴿ويرث[٣] من آل يعقوب﴾ جدي ما تركوه بعدهم من دعوة أبيهم إبراهيم وهي الحنيفية عبادة الله وحده لا شريك له ﴿واجعله رب رضيا﴾ أي واجعل الولد الذي تهبني ياربي ﴿رضيا﴾ أي عبداً صالحا ترضاه لحمل رسالة الدعوة إليك، فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله: ﴿يازكريا[٤] إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى،[٥] لم نجعل له من قبل سميا﴾ أي من سمي باسمه يحيى قط.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره بهذا الذي أخبر به عن زكريا عليه السلام.

٢ ـ استحباب السرية في الدعاء لأنه أقرب إلى الاستجابة.

---

(١) النداء هنا: الدعاء والرغبة إلى الله تعالى، وفيه استحباب دعاء السرّ والمناجاة الخفية، وقد أسرّ مالك القنوت وجهر به الشافعي لأنّ الرسول ﷺ جهر به.

(٢) الموالي هنا: الأقارب وبنوا العم والعصبة الذين يلونه في النسب لأنّ العرب تسمّي بني العم موالي قال شاعرهم:

مهلا بني عمّنا مهلا موالينا   لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

(٣) المراد من الإرث هو: إرثه في دعوته لأنّ مواليه كانوا مهملين للدّين والدعوة فخاف ضياع ذلك فسأل ربه ولداً يقوم بذلك، أمّا المال فإنّ الأنبياء لا يورثون وما يتركونه فهو صدقة.

(٤) في الكلام حذف تقديره: فاستجاب الله دعاءه فقال: يا زكريا.. الخ.

(٥) تضمنت هذه البشرى ثلاثة أمور: أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة. الثاني: إعطاؤه الولد وهو قوّة له، والثالث: إفراده بتسمية لم يسمّ بها أحد قبله، قيل في قوله: ﴿من قبل﴾ إشارة إلى أنه سيخلف بعده من هو أشرف اسماً وذاتاً وحالاً وهو محمد ﷺ.

٣ ـ وجود العقم في بعض النساء.

٤ ـ قدرة الله تعالى فوق الأسباب إن شاء تعالى أوقف الأسباب وأعطى بدونها.

٥ ـ تقرير مبدأ أن الأنبياء لا يورثون فيما يخلفون من المال كالشاه والبعير[1] وإنما يورثهم الله أولادهم في النبوة والعلم والحكمة.

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾
يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

شـــرح الكلمـات :

أنى يكون لي غلام؟: أي من أي وجهٍ وَجِهَةٍ يكون لي ولد.

عتيـــا : أي يبست مفاصلي وعظامي.

آية : أي علامة تدلني على حملِ امرأتي

ســويا : أي حال كونك سويَّ الخَلقِ مابك عليه خرس.

---

(١) والدينار والدرهم.

من المحراب[1] : المصلى الذي يصلى فيه وهو المسجد.

فأوحى إليهم : أومأ إليهم وأشار عليهم.

وآتيناه الحكم صبيا : الحكم والحكمة بمعنى واحد وهما الفقه في الدين ومعرفة أسرار الشرع.

وحنانا من لدنا : أي عطفاً على الناس موهوباً له من عندنا.

وزكاة : أي طهارة من الذنوب والآثام.

جبارا عصياً : أي متعاليا لايقبل الحق عصياً لايطيع أمر الله عز وجل وأمر والديه.

وسلام عليه : أي أمان له من الشيطان أن يمسه بسوء يوم يولد، وأمان له من فتاني القبر يوم يموت، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر رحمة الله عبده زكريا إنه لما بشره ربه تعالى بيحيى قال: ما أخبر به تعالى عنه في قوله: ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا[2]﴾ أي من أي وجه وجهة يأتيني الولد أمن إمرأة غير امرأتي، أم منها ولكن تهبني قوة على مباضعتها[3] وتجعل رحمها قادرة على العلوق[4]، لأني كما تعلم ياربي قد بلغت من الكبر حداً يبس فيه عظمي ومفاصلي وهو العتى كما أن امرأتي عاقر لايولد لها. فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله عز وجل: ﴿قال كذلك﴾ أي الأمر كما قلت يازكريا، ولكن ﴿قال ربك هو على هين﴾ أي إعطاؤك الولد على ما أنت عليه من الضعف والكبر وامرأتك من العقر سهل يسير لاصعوبة فيه ويدلك على ذلك أني ﴿قد خلقتك من[5] قبل ولم تك شيئا﴾، فكما قدر ربك على خلقك ولم تك شيئا فهو قادر على هبتك الولد على ضعفك وعقر امرأتك وهنا طالب زكريا ربه بأن يجعل له علامة تدله على وقت حمل امرأته بالولد فقال ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً﴾ فأعطاه تعالى علامة على وقت حمل امرأته بالولد وهي أنه يصبح يوم بداية الحمل لايقدر على الكلام

---

(١) المحراب: مكان مرتفع، ومن هنا كره مالك أن يصلي الإمام في مكان أرفع من المكان الذي يصلي فيه الناس وراءه خشية الكبر عليه، والكبر من كبائر الذنوب ولم يكره أحمد رحمه الله تعالى.

(٢) قرأ نافع (عُتيا) بضم أوله كما: بُكيًا وصليًا، وبكسرها قرأ حفص، والعتي: هو قحول العظم ويبوسته.

(٣) أي: جماعها من إدخال البضع في البضع.

(٤) أي: علوق النطفة في الرحم.

(٥) أي: فخلق الولد كخلقك.

وهو سوي البدن مابه خرس ولا مرض يمنعه من الكلام ، ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ أي المصلى الـذي يصلي فيه ﴿فـأوحى إليهم﴾ أي أومـأ وأشـار[1] إليهم ﴿أن سبحـوا[2] بكـرة وعشياً[3]﴾ أي اذكروا الله في هذين الوقتين بالصلاة والتسبيح . وهنا علم بحمل امرأته إذ إمتناعه عن الكلام مع سلامة جسمه وحواسه آية على بداية الحمل . وقوله تعالى : ﴿يايحيى خذ الكتاب بقوة﴾ هذا قول الله تعالى للغلام بعد بلوغه ثلاث سنين أمره الله تعالى أن يتعلم التوراة ويعمل بها بقوة جد وحزم وقوله ﴿وآتيناه الحكم[4] صبيا﴾ أي وهبناه الفقه في الكتاب ومعرفة أسرار الشرع وهو صبي لم يبلغ سن الاحتلام . وقوله تعالى : ﴿وحناناً من[5] لدنا وزكاة وكان تقياً﴾ أي ورحمة منا به ومحبة له آتيناه الحكم صبياً كما أنه عليه السلام كان ذا حنان على أبويه وغـيرهما من المسلمين وقوله وزكاة أي طهارة من الذنوب بإستعمال بدنه في طاعة ربه عز وجل ، وكان تقياً أي خائفا من ربه فلا يعصه بترك فريضة ولا يفعل حرام .

وقوله تعالى : ﴿وبرا بوالديه﴾ أي محسناً بهما مطيعاً لهما لا يؤذيهما أدنى أذى وقوله ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ أي لم يكن عليه السلام مستكبراً ولا ظالماً ، ولا متمرداً عاصياً لربه ولا لأبويه وقوله : ﴿وسلام عليه يوم[6] ولد﴾ أي أمان له من الشيطان يوم ولد ، وأمان له من فتانى القبر يوم يموت ، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً ، فسبحان الله ما أعظم فضله وأجزل عطاءه على أوليائه ، اللهم أمنا كما أمنته فإنك ذو فضل عظيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ طلب معرفة السبب الذي يتأتى به الفعل غير قادح في صاحبه فسؤال زكريا عن الوجه الذي يأتي به الولد ، كسؤال إبراهيم عن كيفية إحياء الموتى .

---

(١) أو كتب إليهم كتابة .

(٢) إذ كان يأمرهم بالصلاة بكرة وعشيا فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة بالإشارة لأنه لم يقدر على الكلام إذ جعل الله تعالى عجزه عن الكلام علامة الحمل لامرأته .

(٣) بكرة وعشيا ظرفان في الصباح والمساء .

(٤) يروى أنه قال له الأولاد : هيا بنا نلعب فقال لهم : ما للعب خلقت ، فهذا مما أوتيه من الحكم صبيًّا .

(٥) الحنان : التعطف والترحم وأصله من حنين الناقة إلى فصيلها ، ويقال : حنانك وحنانيك وهما بمعنى واحد . قال طرفة :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشر أهو من بعض

(٦) وجائز أن يكون المراد بالسلام هنا : التحية منه تعالى وهي أشرف من غيرها .

٢ ـ جواز طلب العلامات الدالة على الشيء للمعرفة .

٣ ـ آية عجيبة أن يصبح زكريا لايتكلم فيفهم غيره بالإشارة فقط .

٤ ـ فضل التسبيح في الصباح والمساء .

٥ ـ وجوب أخذ القرآن بجد وحزم قراءة وحفظاً وعملاً بما فيه .

٦ ـ صدق قول أهل العلم من حفظ القرآن في سن ماقبل البلوغ فقد أوتي الحكم صبياً .

٧ ـ وجوب البر بالوالدين ورحمتهما والحنان عليهما والتواضع لهما .

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

شـرح الكلمـات :

واذكر في الكتاب : أي القرآن مريم أي خبرها وقصتها .

مريم : هي بنت عمران والدة عيسى عليه السلام .

إذ انتبذت : أي حين اعتزلت أهلها باتخاذها مكاناً خاصاً تخلو فيه بنفسها .

شـرقيا : أي شرق الدار التي بها أهلها .

حجابا : أي ساتراً يسترها عن أهلها وذويها .

روحنا : جبريل عليه السلام .

بشرا سوياً	: أي تام الخلق حتى لا تفزع ولا تروع منه.
إن كنت تقياً	: أي عاملاً بإيمانك وتقواك لله فابتعدعنى ولا تؤذني.
غلاما زكيا	: ولداً طاهراً لم يتلوث بذنب قط.
ولم يمسسني بشر	: أي لم أتزوج.
ولم أك بغيّاً	: أي زانية.
قال كذلك	: أي الأمر كذلك وهو خلق غلام منك من غير أب.
هو علي هين	: ما هو إلا أن ينفخ رسولنا في كم درعك حتى يكون الولد.
ولنجعله آية للناس	: أي على عظيم قدرتنا.
ورحمة منا	: أي وليكون الولد رحمة بمن آمن به واتبع ماجاء به.
أمراً مقضياً	: أي حكم الله به وفرغ منه فهو كائن حتماً لامحالة.

معنى الآيات :

هذه بداية قصة مريم عليها السلام إذ قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿واذكر في الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿مريم﴾ أي نبأها وخبرها ليكون ذلك دليلاً على نبوتك وصدقك في رسالتك وقوله ﴿إذ انتبذت﴾ أي اعتزلت ﴿من أهلها﴾ هذا بداية القصة وقوله ﴿مكاناً شرقياً﴾ أي موضعا شرقي دار قومها وشرق المسجد، ولذا اتخذ النصارى المشرق قبلة لهم في صلاتهم ولا حجة لهم في ذلك إلا الابتداع وإلا فقبلة كل مصلي لله الكعبة بيت الله الحرام قوله تعالى: ﴿فاتخذت من دونهم﴾ أي من دون أهلها ﴿حجاباً﴾ ساتراً لها عن أعينهم[(١)]، ولما فعلت ذلك أرسل الله تعالى إليها جبريل في صورة بشر سوي الخلقة معتدلها، فدخل عليها فقالت ما قص الله تعالى في كتابه ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾ أي أحتمي بالرحمن الذي يرحم الضعيفات مثلي إن كنت مؤمناً تقياً فاذهب عني ولا تروعني أو تمسني بسوء. فقال لها جبريل عليه السلام ما أخبر تعالى به وهو ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب[(٢)] لك غلاماً زكيا﴾ إي طاهراً لايتلوث بذنب قط. فأجابت بما أخبر تعالى عنها في قوله: ﴿أنى يكون لي

---

(١) قيل: استترت عن أهلها لتغتسل من حيضتها وتمتشط، وذلك لكمال حيائها.

(٢) قرأ ورش عن نافع: (ليهب) بالياء بغير همزة، وقرأ غيره: (لأهب) بالهمزة فعلى قراءة نافع المعنى: أرسلني ليهب لك، وعلى قراءة غيره أرسلني يقول لك أرسلت رسولي إليك لأهب لك.

غلام﴾ أي من أي وجه يأتيني الولد، ﴿ولم يمسسني بشر﴾ أي وأنا لم أتزوج، ﴿ولم أك بغيا﴾[1] أي ولم أك زانية، فأجابها جبريل بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال كذلك﴾ أي الأمر كما قلت ولكن ربك قال: ﴿هو علي هين﴾ أي خلقه بدون أب من نكاح أو سفاح، لأنه هين علينا من جهة، ﴿ولنجعله[2] آية للناس﴾ دالة على قدرتنا على خلق آدم بدون أب ولا أم، والبعث الآخر من جهة أخرى. وقوله تعالى ﴿رحمة منا وكان أمراً مقضياً[3]﴾ أي ولنجعل الغلام المبشر به رحمة منا لكل من آمن به واتبع طريقته في الإيمان والاستقامة وكان هذا الخلق للغلام وهبته لك أمـراً مقضياً أي حكم الله فيه وقضى به فهـو كائن لا محالة ونفخ جبريل في جيب قميصها فسرت النفخة في جسمها فحملت به كما سيأتي بيانه في الآيات التالية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان شرف مريم وكرامتها على ربها.

٢ - فضيلة العفة والحياء.

٣ - كون الملائكة يتشكلون كما أذن الله تعالى لهم.

٤ - مشروعية التعوذ بالله من كل مايخاف من إنسان أو جان.

٥ - التقوى[4] مانعة من فعل الأذى بالناس أو إدخال الضرر عليهم.

٦ - خلق عيسى آية مبصرة تتجلى فيها قدرة الله تعالى على الخلق بدأ وإعادة.

---

(١) لم تقل بغيّة لأنه وصف يغلب على النساء فقلّما تقول العرب رجل بغي فجرى بغيا مجرى حائض وعاقر، وقيل هو فعيل بمعنى فاعل والأوّل أولى.

(٢) (ولنجعله) متعلق بمحذوف تقديره: ونخلقه لنجعله.

(٣) أي: مقدرا في اللوح المحفوظ كتاب المقادير العام.

(٤) بخلاف الفجور فإنه مصدر كل ضرّ وشرّ.

۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ
بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ
قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾
فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ
إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

شـــرح الكلمات :

فانتبذت به : فاعتزلت به .

مكاناً قصيا : أي بعيداً من أهلها .

فأجاءها المخاض : أي ألجأها الطلق واضطرها وجع الولادة .

إلى جذع النخلة : لتعتمد عليها وهي تعاني من آلام الولادة .

نسياً منسياً : أي شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر.

فناداها من تحتها : أي عيسى عليه السلام بعدما وضعته .

تحتك سريا : أي نهراً يقا له سري .

رطبا جنيا : الرطب الجني : ماطاب وصلح للإجتناء .

فكلي واشربي : أي كل من الرطب واشربي من السري .

وقري عينا : أي وطيبي نفسا وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني .

نذرت للرحمن صوماً : أي إمساكاً عن الكلام وصمتاً .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصة مريم إنه بعد أن بشرها جبريل بالولد وقال لها وكان أمراً مقضياً ونفخ في كم درْعها أو جيب قميصها فحملته[١] فوراً ﴿وانتبذت به مكاناً قصياً﴾ أي فاعتـزلت به في مكـان بعيد[٢] ﴿فـأجاءها المخاض[٣]﴾ أي ألجأها وجع النفاس ﴿إلى جذع النخلة﴾ لتعتمـد عليه وهي تعـاني من آلام الـطلق وأوجاعه، ولما وضعته قالت متأسفة متحسرة ما أخبر تعالى به: ﴿قالت ياليتني[٤] مت قبل هذا﴾ أي الوقت الذي أصبحت فيه أم ولد، ﴿وكنت نسياً منسيا[٥]﴾ أي شيئاً متروكا لايذكر ولا يعرف وهنا ﴿فنادها﴾ عيسى[٦] عليه السلام ﴿من تحتها ألا تحزني﴾ يحملها على الصبر والعزاء وقوله تعالى: ﴿قد جعل ربك تحتك سريا﴾ أي نهر ماء يقال له سري، ﴿وهزيء إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي﴾ أي كلي من الرطب واشربي من ماء النهر، ﴿وقري عينا﴾ أي طيبي نفسا وافرحي بولدك، ﴿فإما ترين من البشر أحداً﴾ أي فسألك عن حالك أو عن ولدك فلا تكلميه واكتفي بقولك ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي صمتاً ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ هذا كله من قول عيسى لها أنطقه الله كرامة لها ليذهب عنها حزنها وألمها النفسي من جراء الولادة وهي بكر لم تتزوج.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما هو إلاّ أن حملت فوضعت في الحال. قال القرطبي: هذا هو الظاهر لأنّ الله تعالى ذكر الانتباذ عقب الحمل: ﴿فحملته فانتبذت به﴾ والفاء للترتيب والتعقيب.

(٢) انتحت بالحمل إلى مكان بعيد قال ابن عباس: إلى أقصى الوادي وادي بيت لحم بينه وبين إيلياء أربعة أميال وإنما بعدت فراراً من تعيير قومها بالولادة من غير أب.

(٣) يقال: جاء به وأجاءه إلى موضع كذا: اضطره وألجاه.

(٤) تمني الموت لا يجوز لحديث: (لا يتمنّين أحدكم الموت لضرّ نزل به) الحديث وتمنّته مريم عليها السلام لا لصالح نفسها ولكن لله تعالى، وذلك أنها خافت أن يظنّ بها الشرّ في دينها وتُعَيَّر. فتفتن بذلك، وهذا لله، وثانيا خافت أن يقع بعض الناس في البهتان والنسبة إلى الزنى فيهلكون. وهذا أيضاً لله لا لها.

(٥) النسي: الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسى ولا يُتألم لفقده كالوتد والحبل ونحوهما، ويجمع النسي على أنساء قال الكميت رضي الله عنه:

أتجعلنا جسرا لكب قضاعة ... ولست بنسي في معدّ ولا دخل

والنسي أيضاً: خرق الحيض التي ترمى بدمها من الحيض.

(٦) قرأ نافع (مِن) بكسر الميم حرف جر، وقرأ حفص مَن بفتحها، اسم موصول والمراد بالموصول عيسى عليه السلام ناداها قبل أن ترضعه من تحتها تعجيلا للمسرة والبشرى لها به فأنْ في ألا تحزني تفسيرية لأنّ النداء قول.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ من مظاهر قدرة الله تعالى حملها ووضعها في خلال ساعة من نهار.

٢ ـ إثبات كرامات الله لأوليائه إذ أكرم الله تعالى مريم بنطق عيسى ساعة وضعه فأرشدها وبشرها وأذهب عنها الألم والحزن، وأثمر لها النخلة فأرطبت وأجرى لها النهر بعد يبسه.

٣ ـ تقرير نظام الأسباب التي في مكنة الإنسان القيام بها فإن الله تعالى قد أثمر لمريم النخلة إذ هذا لايمكنها القيام به ثم أمرها أن تحرك النخلة من جذعها ليتساقط عليها الرطب[1] الجني إذ هذا في استطاعتها.

٤ ـ مشروعية النذر إلا أنه بالامتناع[2] عن الكلام منسوخ في الإسلام.

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

---

(١) قالت العلماء: أكل الرطب للنفساء من أنفع الأغذية لها نظراً إلى أنّ الله تعالى اختاره لمريم عليها السلام.

(٢) قولها ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ فسر الصوم بالصمت كما في التفسير وأولى من هذا أن يكون صوم النذر في دينهم مستلزماً للصمت وعدم الكلام، والسياق دالّ عليه ظاهر فيه، وما زال النصارى يعتبرون الصمت عبادة فيصمتون دقائق على أرواح موتاهم ونسخ الإسلام هذا كما في الصحيح حيث أمر من نذر أن لايتكلم أن يتكلم، ومن سنن الهدى في الاسلام الامتناع عن الكلام القبيح في الصيام لحديث الصحيح: (إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرىء قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم) وهو كقول مريم: ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلّم اليوم إنسيًّا﴾..

شــرح الكلمـات :

فأتت به	: أي بولدها عيسى عليه وعليها السلام .
جئت شيئاً فريا [(١)]	: أي عظيما حيث أتيت بولد من غير أب .
يا أخت هارون	: أي يا أخت الرجل الصالح هارون .
امرأ سوء	: أي رجلاً يأتي الفواحش .
فأشارت إليه	: أي إلى عيسى وهو في المهد .
آتاني الكتاب	: أي الإنجيل باعتبار مايكون مستقبلاً .
مباركا أينما كنت	: أي حيثما وجدت كانت البركة فيّ ومعي ينتفع الناس بي .
وبرا بوالدتي	: أي محسناً بها مطيعاً لها لاينالها مني أدنى أذى .
جباراً شقيا	: ظالماً متعالياً ولا عاصياً لربي خارجاً عن طاعته .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصة مريم مع قومها : إنها بعد أن تماثلت للشفاء حملت ولدها وأتت به قومها وَما ان رأوهما حتى قال قائلهم : ﴿يامريم لقد جئت شيئاً فريا﴾ أي أمرا عظيما وهو إتيانك بولد من غير أب . ﴿ياأخت هارون[(٢)]﴾ نسبوها إلى عبد صالح يسمى هارون : ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امرأ سوء﴾ يأتي الفواحش ﴿وما كانت أمك﴾ «حنة» ﴿بغيا﴾ أي زانية فكيف حصل لك هذا وأنت بنت البيت الطاهر والأسرة الشريفة. وهنا أشارت إلى عيسى الرضيع في قماطته أي قالت لهم سلوه يخبركم الخبر وينبئكم بالحق ، لأنها علمت أنه يتكلم لما سبق أن ناداها ساعة وضعه من تحتها وقال لها ما ذكر تعالى في الآيات السابقة .

---

(١) (فريًّا) : أي : مختلقاً مفتعلاً من الافتراء الذي هو الكذب يقال : فرى وأفرى : كذب ومن كراماتها أن امرأة مدّت لها يدها لتضرّبها أصيبت بالشلل الفوري فحملت كذلك وقالت لها : أخرى ما أراك إلاّ زنيت فأخرسها الله فوراً فصارت لا تتكلم ومن ثمّ ألانوا لها الكلام واحترموها .

(٢) من الجائز أن يكون لمريم أخ صالح من أبيها أو من أبويها نسبوها إليه ومن الجائز أن تنسب إلى هارون الرسول عليه السلام كقول العرب يا أخا تميم ويا أخا العرب ، وما في التفسير إجمال يشمل الكلّ فتأمّل ، وفي الآية دليل على جواز التسمية بالأنبياء والصالحين ، ولا خلاف في ذلك .

فردوا عليهـا مستخفين بها منكرين عليها متعجبين منها: ﴿كيف نكلم من كان[1] في المهد صبيا؟﴾ فأنطق الله عيسى الرضيع فأجابهم بما أخبر تعالى عنه في قوله: ﴿قال إني[2] عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً وبراً[3] بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا[4]﴾ فأجابهم بكل ما كتب الله وأنطقه به، وكان عيسى كما أخبر عن نفسه لم ينقص من ذلك شيئا كان عبداً لله وأنزل عليه الإنجيل ونبأه وأرسله إلى بني إسرائيل وكان مباركاً يشفي المرضى ويحيي الموتى بإذن الله تنال البركة من صحبته وخدمته والإيمان به وبمحبته وكان مقيماً للصلاة مؤدياً للزكاة طوال حياته وما كان ظالماً ولا متكبراً عاتيا ولا جباراً عصياً. فعليه كما أخبر السلام أي الأمان التام يوم ولد فلم يقربه شيطان ويوم يموت فلا يفتن في قبره ويوم يبعث حياً فلا يحزنه الفزع الأكبر، ويكون من الآمنين السعداء في دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير نبوة محمد ﷺ وعبودية عيسى ونبوته عليهما السلام.

٢ ـ آية نطق عيسى في المهد وإخباره بما أولاه الله من الكمالات.

٣ ـ وجوب بر الوالدين بالاحسان بهما وطاعتهما والمعروف وكف الأذى عنهما.

٤ ـ التنديد بالتعالى والكبر والظلم والشقاوة التي هي التمرد والعصيان.

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ

(١) كان: هنا زائدة للتوكيد، ومن: مبتدأ والخبر في المهد وصبياً: حال من الموصول.

(٢) قيل: لما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وقال مشيراً بسبابته اليمنى: ﴿إني عبد الله﴾ فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى، وفي هذا ردّ على الذين ألّهوه وعبدوه من دون الله تعالى.

(٣) البرّ: بمعنى البار وخص بهذه الصفة لأنّ قومهم قل فيهم البرور بالوالدين وكثر فيهم العقوق نظراً إلى فشو الباطل فيهم ورقة حبل الدين بينهم، والجبّار: المتكبر على الناس الغليظ في معاملتهم، والشقي ضدّ السعيد.

(٤) لما قال ما قال في المهد: إني عبدالله.. إلى قوله: ﴿ويوم أبعث حيًّا﴾ لم يتكلم حتى بلغ سن التكلم.

فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنۢ
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّٰلِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

شـرح الكلمـات :

ذلك عيسى ابن مريم : أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو عيسى بن مريم .

قول الحق : أي وهو قول الحق الذي أخبر تعالى به .

يمترون : يشكون .

ما كان لله أن يتخذ من ولد : أي ليس من شأن الله أن يتخذ ولداً وهو الذي يقول للشيء كن فيكون .

سبحانه : أي تنزيهاً له عن الولد والشريك والشبيه والنظير.

صراط مستقيم : أي طريق مستقيم لايضل سالكه .

فاختلف الأحزاب : أي في شأن عيسى فقال اليهود هو ساحر وابن زنا، وقال النصارى هو الله وابن الله تعالى الله عما يصفون .

من مشهد يوم عظيم : هو يوم القيامة .

أسمع بهم وأبصر : أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة عند معاينة العذاب .

وأنذرهم يوم الحسرة : أي خوفهم بما يقع في يوم القيامة من الحسرة والندامة وذلك عندما يشاهدون أهل الجنة فيورثوا منازلهم فيها وهم ورثوا منازل أهل الجنة في النار فتعظم الحسرة ويشتد الندم .

معنى الآيـات:

بعد أن قص الله تعالى قصة مريم من ساعة أن اتخذت من دون أهلها حجاباً معتزلة أهلها منقطعة إلى ربها إلى أن أشارت إلى عيسى وهو في مهده فتكلم فقال: إني عبد الله، فبين تعالى أن جبريل بشرها، وأنه نفخ في كم درعها فحملت بعيسى وأنه ولد في ساعة من حمله وأنها وضعته تحت جذع النخلة وأنه ناداها من تحتها: أن لاتحزني، وأرشدها إلى القول الذي تقول لقومها إذا سألوها عن ولادتها المولود بدون أب، وهو أن تشير إليه تطلب منهم أن يسـألوه وسألوه فعلا فأجاب بأنه عبد الله وأنه آتاه الكتاب وجعله نبياً ومباركا وأوصاه بالصلاة والزكاة مادام حياً وأنه بر بوالدته، ولم يكن جباراً شقياً فأشار تعالى إلى هذا بقوله في هذه الآية (٣٤) ﴿ذلك﴾ أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو ﴿عيسى ابن مريم﴾، وما أخبرتكم به هو ﴿قول[١] الحق الذي فيه يمترون﴾ أي يشكون إذ قال اليهود في عيسى أنه ابن زنا وانه ساحر وقال النصارى هو الله وابن الله وثالث ثلاثة حسب فرقهم وطوائفهم المتعددة وقوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ ينفي تعالى عنه اتخاذ الولد وكيف يصح ذلك له أو ينبغي وهو الغني عما سواه والمفتقر إليه كل ماعداه، وأنه يقول للشيء كن فيكون فعيسى عليه السلام كان بكلمه الله تعالى له كن فكان وهو معنى قوله تعالى ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[٢]. وقد نزه تعالى نفسه عن الولد والشريك والشبيه والنـظير، والافتقار والحاجة إلى مخلوقاته بقوله: سبحانه أي تنزيها له عن صفات المحدثين وقوله تعالى: ﴿ وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[٣][٤]. هذا من قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل أخبرهم أنه عبد الله وليس بابن لله ولا بإله مع الله وأخبرهم

---

(١) قرأ الجمهور برفع قول وقرأ عاصم بنصبها، فأما الرفع فهو خبر ثانٍ عن اسم الإشارة أو وصف لعيسى أو بدل منه، وأمّا النصب فعلى الحال من اسم الإشارة.

(٢) في هذا ردّ على النصارى القائلين بأن المكوّن بأمر التكوين من غير سبب معتاد لا يكون إلّا ابن الله تعالى فبيّنت الآية أنّ أصول الموجودات كلها كانت بأمر التكوين فهل يقال فيها أبناء الله؟! والجواب قطعاً لا، وعليه فقد بطل قولهم: عيسى ابن الله لأنّه كان بكلمة التكوين.

(٣) جملة: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ تذييل وفذلكة لما سبق من الكلام وإشارة إلى مضمون ما تقدّم على اختلاف وجوهه، في تقرير الحق وإبطال الباطل.

(٤) نعم الظاهر أنه من قول عيسى عليه السلام، والجمل قبله من قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم﴾ اعتراض بين قول عيسى الأوّل: ﴿إني عبدالله﴾ وبين قوله: ﴿وإنّ الله ربّي وربكم﴾.

أن الله تعالى هو ربه وربهم فليعبدوه جميعاً بما شرع لهم ولايعبدون معه غيره إذ لا إله لهم إلا هو سبحانه وتعالى ، وأعلمهم أن هذا الاعتقاد الحق والعبادة بما شرع الله هو الطريق المفضي بسالكه إلى السعادة ومن تنكب عنه وسلك طريق الشرك والضلال أفضى به إلى الخسران وقوله تعالى في الآية (٣٧) ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم[١]﴾ أي في شأن عيسى فمن قائل هو الله ، ومن قائل هو ابن الله ومن قائل هو وامه الهين من دون الله والقائلون بهذه المقالات كفروا بها فتوعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم فقال ﴿فويل للذين كفروا﴾ بنسبتِهم الولد والشريك لله ، والـويل واد في جهنم فهم إذا داخلوهـا لا محالـة ، وقوله ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ يعني به يوم القيامة وهو يوم ذو أهوال وشدائد لايقادر قدرها .

وقوله تعالى في الآية(٣٨) ﴿أسمع[٢] بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ يخبر تعالى أن هؤلاء المتعامين اليوم عن الحق لايريدون أن يبصروا آثاره الدالة عليه فيؤمنوا ويوحدوا ويعبدوا ،والمتصامين عن سماع الحجج والبراهين وتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك والولد هؤلاء يوم يقدمون عليه تعالى في عرصات القيامة يصبحون أقوى مايكون أبصاراً وسمعا ، ولكن حين لاينفعهم سمع ولا بصر، وقوله تعالى: ﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ يخبر تعالى أن أهل الشرك والكفر وهم الظالمون في ضلال مبين أي عن طريق الهدى وهو سبب عدم إبصارهم للحق وسماعهم لحججه التي جاءت بها رسل الله ونزلت بها كتبه .

وقـولـه تعـالى في آية (٣٩) ﴿ وأنـذرهم يوم الحسرة[٣] إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لايؤمنون﴾ يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ بأن ينذر الكفار والمشركين أي يخوفهم عاقبة شركهم وكفرهم وضلالهم يوم القيامة حيث تشتد فيه الحسرة وتعظم الندامة وذلك عندما يتوارث الموحدون مع المشركين فالموحدون يرثون منازل المشركين في الجنة ، والمشركون يرثون منازل

---

(١) (من): زائـدة واختـلاف الأحـزاب، وجهه: أن اليهود قادحون والنصارى مادحون، فاليهود قالوا: ساحر وابن زنية، والنصارى فرقة: قالت هو الله وأخرى قالت: ابن الله، وثالثة قالت: ثالث ثلاثة، وهذه الفرق هي الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية ثم تشعبت وأشهرها الآن: الملكائية أي الكاثوليك واليعقوبية: أي أرثذوكسر والاعتراضيةأي: البروتستانت.

(٢) هذا الكلام ظاهر أنه أمر لحمل السامع على التعجب من حال المذكورين، ومعناه الخبر أي: لا أحد أسمع منهم ولا أبصر يوم يقفون في عرصات القيامة، ويشاهدون الناروبسمعون زفيرها.

(٣) روي في مسند أحمد وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنّه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرونه ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح . قال. ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة. .﴾ الآية.

الموحدين في النار، وعندما يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار، وينادي منادٍ ياأهل الجنة خلود فلا موت؟ ويا أهل النار خلود فلا موت عندها تشتد الحسرة ويعظم الندم هذا معنى قوله تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾ عما حكم عليهم به من الخلود في نار جهنم ﴿وهم لايؤمنون﴾ بالبعث ولا بما يتم فيه من نعيم مقيم وعذاب أليم. وقوله تعالى: ﴿إنا نحن[(١)] نرث الأرض ومن عليها، وإلينا يرجعون﴾ يخبر تعالى عن نفسه بأنه الوارث للأرض ومن عليها ومعنى هذا أنه حكم بفناء، هذه المخلوقات وأن يوما سيأتي يفنى فيه كل من عليها، والجميع سيرجعون إليه ويقفون بين يديه ويحاسبهم بما كتبت أيديهم ويجزيهم به، ولذا فلا تحزن أيها الرسول وامض في دعوتك تبلغ عن ربك ولا يضرك تكذيب المكذبين ولا شرك المشركين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس كما قال اليهود، ولا كما قالت النصارى.

٢ - استحالة اتخاذ الله الولد وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.

٣ - تقرير التوحيد على لسان عيسى عليه السلام.

٤ - الإخبار بما عليه النصارى من خلاف في شأن عيسى عليه السلام.

٥ - بيان سبب الحسرة يوم القيامة وهو الكفر بالله والشرك به.

٦ - تقرير فناء الدنيا، ورجوع الناس إلى ربهم بعد بعثهم وهو تقرير لعقيدة البعث والجزاء التي تعالجها السور المكية في القرآن الكريم.

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ

(١) هذه الجملة ذيّل بها الكلام السابق فتمت به القصة وضمير (نحن) للتأكيد والأرض: المراد بها ما فيها من غير العقلاء (ومن عليها) المراد بهم العقلاء وهم البشر.

إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

شـــرح الكلمـات :

اذكر في الكتاب : أي في القرآن.

إنه كان صديقا : أي كثير الصدق بالغ الحد الأعلى فيه.

يا أبت : ياأبي وهو آزر.

صراطا سويا : أي طريقا مستقيما لا اعوجاج فيه يفضي بك إلى الجنة.

لاتعبد الشيطان : أي لاتطعه في دعوته إياك إلى عبادة الأصنام.

عصيـا : أي عاصياً لله تعالى فاسقا عن أمره.

فتكون للشيطان وليا : أي قريباً منه قرينا له فيها أي النار.

معنى الآيات :

هذه بداية قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع والده آزر عليه لعائن الرحمن قال تعالى لرسولـه محمـد ﷺ ﴿واذكـر﴾ يانبينـا ﴿في الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿إبراهيم﴾ خليلنا ﴿إنه كان صديقا﴾ أي صادقا في أقواله وأعماله بالغاً مستوى عظيما في الصدق ﴿نبيا﴾ من أنبيائنا فهو جدير بالذكر في القرآن ليكون قدوة صالحة للمؤمنين. واذكره ﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿ياأبت لم[1] تعبد﴾ أي تسأله بالدعاء والتقرب بأنواع القربات مالايسمع ولايبصر من الأصنام أي لايبصرك ولايسمعك ﴿ولايغني عنك شيئا﴾ لايدفع عنك ضراً ولا يجلب لك نفعا فأي حاجة لك إلى عبادته ﴿ياأبت إني قد جاءني من[2] العلم﴾ أي من قبل ربي تعالى ﴿مالم يأتك﴾ أنت ﴿فاتبعني﴾ فيما أعتقده وأعمله وأدعو إليه ﴿أهدك صراطا[3] سويا﴾ أي مستقيما يفضي

---

(١) الاستفهام للإنكار أي: لأيّ شيء تعبد.

(٢) أي: من اليقين والمعرفة بالله وبما يكون بعد الموت، وأنّ من عبد غير الله يعذّب ابداً.

(٣) أرشدك إلى دين قيّم فيه نجاتك وسعادتك.

بك إلى السعادة والنجاة، ﴿ياأبت لاتعبد الشيطان﴾ أي بطاعته فيما يدعوك إليه من عبادة غير الله تعالى من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع لأنها لاتسمع ولا تبصر ولا تعطي ولا تمنـع، ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾[1] أي عاصيا أمره فأبى طاعته وفسق عن أمره. ﴿ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾[2] إن أنت بقيت على شركك وكفرك ولم تتب منهما حتى مت فيمسك عذاب من الرحمن ﴿فتكون﴾ أي بذلك ﴿للشيطان ولياً﴾ أي قريباً منه قرينا له في جهنم فتهلك وتخسر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير التوحيد بالدعوة إليه.

٢ ـ كمال إبراهيم بذكره في الكتاب.

٣ ـ بطلان عبادة غير الله تعالى.

٤ ـ عبادة الأوثان والأصنام وكل عبادة لغير الله تعتبر عبادة للشيطان لأنه الآمر بها والداعي إليها.

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي
يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ
أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

---

(١) الجملة تعليلية للنهي عن عبادة الشيطان واتباع وسوسته وما يدعو إليه من الشرك.

(٢) أي: إني أخاف أن تموت على الكفر فيمسك العذاب الأليم.

شـــرح الكلمـات

لئن لم تنته : أي عن التعرض لها وعيبها.

لأرجمنك : بالحجارة أو بالقول القبيح فاحذرني.

واهجرني مليا[1] : أي سليما من عقوبتي

سلام عليك : أي أمنةٌ مني لك أن أعاودك فيما كرهت مني.

إنه كان بي حفيا : أي لطيفاً بي مكرماً لي يجيبني لما أدعوه له.

عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا: بل يجيب دعائي ويعطني مسألتي.

فلما اعتزلهم : بأن هاجر إلى أرض القدس وتركهم.

وهبنا له اسحق ويعقوب : أي وهبنا له ولدين يأنس بهما مجازاة منا له على هجرته قومه.

ووهبنا لهم من رحمتنا : خيراً كثيراً المال والولد بعد النبوة والعلم.

لسان صدق عليا : أي رفيعاً بأن يُثنى عليهم ويذكرون بأطيب الخصال.

معنى الآيات :

مازال السياق في قصة إبراهيم مع أبيه آزر إنه بعد تلك الدعوة الرحيمة بالألفاظ الطيبة الكريمة التي وجهها إبراهيم لأبيه آزر ليؤمن ويوحد فينجو ويسعد قال آزر راداً عليه بعبارات خالية من الرحمة والأدب بل ملؤها الغلظة والفظاظة والوعيد والتهديدوهيما أخبر به تعالى عنه في قوله: في الآية (٤٦) ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أي أكاره لها تعيبها، ﴿لئن لم تنته﴾ أي عن التعرض لها بأي سوء[2] ﴿لأرجمنك﴾ بأبشع الألفاظ وأقبحها، ﴿واهجرني مليا﴾[3] أي وابعد عني مادمت معافى سليم البدن سويه قبل أن ينالك مني ماتكره. كان هذا رد آزر الكافر المشرك. فيما أجاب ابراهيم المؤمن الموحد أجاب بما أخبر تعالى به عنه في قوله في آية (٤٧) ﴿قال سلام[4] عليك[5]﴾ أي أمان لك مني يا أبتاه فلا أعاودك

---

(١) ﴿واهجرني مليا﴾ أي: اتركني وشأني وابعد عنّي طويلا تسلم من عقوبتي.

(٢) أي: كعيبها وشتمها.

(٣) وقيل في معناه: اجتنبني سالماً قبل أن تصيبك عقوبتي، وقيل: اهجرني طويلا.

(٤) هذا يسمى سلام المتاركة، وليس هو بالتحية وهل يجوز بدء الكافر بالسلام؟ في المسألة خلاف، والراجح: جواز السلام إذا كان لغرض سليم ككونه جاراً لك أو رفيقاً أو مصاحباً لك في عمل أو لك إليه حاجة وما إلى ذلك إذ سلم الرسول ﷺ على جماعة فيهم مشركون كما في الصحيح، وأمّا حديث: (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام) فهو إذا لم يكن هناك غرض صحيح.

(٥) (سلام): نكرة وصح الابتداء بها لما فيها من معنى التخصيص فقاربت لذلك المعرفة وصحّ الابتداء بها. وعليك الخبر.

فيما كرهت مني قط وسأقابل إساءتك بإحسان ﴿سأستغفر لك ربي﴾ أي أطلب منه أن يهديك للإيمان والتوحيد فتتوب فيغفر لك ﴿إنه كان﴾ سبحانه وتعالى ﴿بي حفيا﴾ لطيفا بي مكرما لي لايخيبني فيما أدعوه فيه.

وقوله تعالى حكاية عن قيل ابراهيم: ﴿واعتزلكم وماتدعون من دون الله﴾ أي أذهب بعيداً عنكم تاركاً لكم ولما تعبدون من دون الله من أصنام وأوثان، ﴿وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾[1] أي رجائي في ربي كبير أن لا أشقى بعبادته كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام. قال تعالى مخبراً عنه فلما حقق ماواعدهم به من هجرته لديارهم إلى ديار القدس تاركا أباه وأهله وداره كافأه بأحسن حيث أعطيناه ولدين يأنس بهما في وحشته وهما إسحق ويعقوب وكلا منهما جعلناه نبيا رسولا، ووهبنا لجميعهم وهم ثلاثة الوالد ابراهيم وولداه اسحق ويعقوب بن اسحق عليهم السلام من رحمتنا الخير العظيم من المال والولد والرزق الحسن هذا معنى قوله تعالى: ﴿فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب﴾ وهو ابن ولده إسحق ﴿وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا﴾. وقوله تعالى عنهم ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ هذا إنعام آخر مقابل الهجرة في سبيل الله حيث جعل الله تعالى لهم لسان الصدق في الآخرة فسائر أهل الأديان الإلهية يثنون على إبراهيم وذريته بأطيب الثناء وأحسنه وهو لسان الصدق العلي الرفيع الذي حظى به إبراهيم وولديه إكراما من الله تعالى وإنعاما عليهم جزاء صدق إبراهيم وصبره وبالتالي هجرته للأصنام وعابديها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان الفرق بين مايخرج من فم المؤمن الموحد من طيب القول وسلامة اللفظ ولين الجانب والكلام، وبين مايخرج من فم الكافر المشرك من سوء القول وقبح اللفظ وقسوة الجانب وفظاظة الكلام.

٢ ـ مشروعية سلام المتاركة والموادعة وهو أن يقال للسيء من الناس سلام عليك وهو لايريد

---

(١) أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلاً وولداً يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال، وفي قوله تعالى ﴿فلما اعتزلهم﴾ وهنا له دليل يرجح هذا القول. والله أعلم.

بذلك تحيته ولكن تركه وماهو فيه.

٣ ـ مشروعية الهجرة وبيان فضلها وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة كانت في الأرض.

٤ ـ الترغيب في حسن الأحدوثة بأن يكون للمرء حسن ثناء بين الناس لما يقدم من جميل ومايورث من خير وإفضال.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

شـرح الكلمـات:

واذكر في الكتاب: أي في القرآن تشريفا وتعظيما.

موسى: أي ابن عمران نبي بني إسرائيل عليه السلام.

مخلصا: أي مختاراً مصطفى على قراءة فتح اللام «مخلَصاً» وموحداً لربه مفردا اياه بعبادته بالغا في ذلك أعلى المقامات على قراءة كسر اللام.

جانب الطور: الطور جبل بسيناء بين مدين ومصر.

وقربناه نجيا: أي أدنيناه إدناء تشريف وتكريم مناجياً لنا مكلما من قبلنا.

أخاه هارون نبيا: إذ سأل ربه لأخيه الرسالة فأعطاه فنبَّأهُ وأرسله معه إلى فرعون.

معنى الآيات:

هذا موجز قصة موسى عليه السلام قال تعالى في ذلك وهو يخاطب نبيه محمد ﷺ ﴿واذكر﴾ في هذه السلسلة الذهبية من عباد الله الصالحين أهل التوحيد واليقين موسى ابن عمران انه جدير بالذكر في القرآن وعلة ذلك في قوله تعالى: ﴿إنه كان مخلصا﴾ أي مختاراً مصطفى للإبلاغ عنا عبادنا ماخلقناهم لأجله وهو ذكرنا وشكرنا ذكرنا بالسنتهم وقلوبهم وشكرهم لنا بجوارحهم وذلك بعبادتنا وحدنا دون مَن سوانا، وكان موسى كذلك، وقوله تعالى: ﴿وكان رسولا نبيا﴾ أي ومن افضالنا عليه وإكرامنا له أن جعلناه نبياً رسولا نبأناه

وأرسلناه إلى فرعون وملائه، ﴿وناديناه﴾[1] وهو في طريقه من مدين إلى مصر في جانب الطور الأيمن[2] حيث نبأناه وأرسلناه وبذلك ﴿وقـربنـاه نجيا﴾فصار يناجينا فنُسمعه كلامنا ونسمع[3] كلامه وأعظم بهذا التكريم من تكريم، وقوله: ﴿ووهبنا له من[4] رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾ هذا إنعام آخر من الله تعالى على موسى النبي إذ سأل ربه أن يرسل معه أخاه هارون إلى فرعون فبرحمة من الله تعالى استجاب له ونبأ هارون وأرسله معه رسولا وماكان هذا إلا برحمة خاصة إذ النبوة لا تطلب ولا يتوصل إليها بالاجتهاد في العبادة ولا بالدعاء والضراعة إذ هي هبة إلهية خاصة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ فضيلة الإخلاص، وهو إرادة الله تعالى بالعبادة ظاهراً وباطناً.

٢ ـ إثبات صفة الكلام والمناجاة لله تعالى.

٣ ـ بيان إكرام الله تعالى وإنعامه على موسى إذ أعطاه مالم يعط أحداً من العالمين باستجابة دعائه بأن جعل أخاه هارون رسولاً نبياً.

٤ ـ تقرير أن كل رسول نبياً والعكس لا أي ليس كل نبي رسولا.

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ
إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ

---

(١) قيل: كان هذا الكلام والمناجاة ليلة الجمعة. ذكره القرطبي.

(٢) هو بالنسبة إلى يمين موسى عليه السلام أما الجبل فلا يمين له ولا شمال «ابن جرير الطبري».

(٣) أي: من غير وحي بل كفاحاً وجها لوجه بلا واسطة.

(٤) وذلك حين سأل ربه قائلا: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي﴾ الآية.

﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَاءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾

شرح الكلمات :

واذكر في الكتاب اسماعيل : أي اذكر في القرآن تشريفا وتعظيما اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام .

صادق الوعد : لم يخلف وعد قط .

بالصلاة والزكاة : أي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

مرضيا : أي رضى الله تعالى قوله وعمله ليقينه وإخلاصه .

إدريس : هو جد أبي نوح عليه السلام .

ورفعناه مكاناً عليا : إلى السماء الرابعة .

إسرائيل : أي يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

وممن هدينا واجتبينا : أي من جملة من هديناهم لطريقنا واجتبيناهم بنبوتنا .

إذا تتلى عليهم آيات الرحمن: أي تقرأ عليهم وهم يستمعون إليها .

سجداً وبكيا : جمع ساجد وباك أي ساجدين وهم يبكون .

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ كما ذكرت من ذكرت من مريم وابنها وابراهيم وموسى اذكر كذلك اسماعيل(١) فإنه ﴿كان صادق الوعد﴾(٢) لم يخلف وعداً قط وكان ينتظر الموعود الليالي حتى يجيء وهو قائم في مكانه ينتظره، ﴿وكان رسولا نبيا﴾ نبأه تعالى بمكة المكرمة إذ عاش بها وأرسله إلى قبيلة جرهم العربية ومنها تزوج وأنجب وكان من ذريته محمد ﷺ وقوله تعالى :

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم والذي أمّه هاجر عليهما السلام ولا التفات إلى قول من قال: إنه إسماعيل بن حزقيل الذي بعثه الله إلى قوم فسلخوا جلد رأسه. الخ كما في القرطبي.

(٢) في الآية دليل على وجوب صدق الوعد وفي الحديث: (إنّ الخُلف من آيات النفاق). وقد انتظر النبي ﷺ ثلاثة أيام وهو مقيم في مكان ينتظر من واعده اللقاء فيه وذلك قبل بعثته ﷺ رواه أبو داود والترمذي، والرجل هو: أبو الحمساء وقال له: يا فتى لقد شققت عليّ أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك!!

﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ المراد من الأهل أسرته وقومه من قبيلة جرهم والمراد من الصلاة إقامتها ومن الزكاة أداؤها، وهذا مما أعلى شأنه ورفع قدره فاستحق ذكره في القرآن العظيم، وقوله: ﴿كان عند ربه مرضيا﴾ موجب آخر لإكرامه والإنعام عليه بذكره في القرآن الكريم في سلسلة الأنبياء والمرسلين، ومعنى ﴿كان عند ربه مرضيا﴾ أي أقواله وأفعاله كلها كانت مقبولة مرضية فكان بذلك هو مرضيا من[1] قبل ربه عز وجل. وقوله تعالى ﴿و اذكر في الكتاب إدريس﴾[2] وهو جد أبي نوح واستوجب الذكر في القرآن لأنه ﴿كان صديقا﴾ كثير الصدق مبالغا فيه حتى إنه لم يجر على لسانه كذب قط، وصديقا في أفعاله ومايأتيه فلم يعرف غير الصدق في قول ولا عمل وكان نبيا من أنبياء الله، وقوله ﴿ورفعناه مكاناً عليا﴾ إلى السماء الرابعة في[3] حياته كما رفع تعال عيسى ورفع محمد إلى مافوق السماء السابعة. وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم﴾ كأدريس[4]، ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ أي في الفلك كابراهيم، ﴿ومن ذرية ابراهيم﴾ كاسحق واسماعيل، ﴿واسرائيل﴾ أي ومن ذرية إسرائيل كموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿وممن هدينا﴾ لمعرفتنا وطريقنا الموصل إلى رضانا وذلك بعبادتنا والاخلاص لنا فيها ﴿واجتبينا﴾ لوحينا وحمل رسالتنا. وقوله ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا﴾[5] أي أولئك الذين هديناهم واجتبينا من اجتبينا منهم. والاجتباء الأختيار والاصطفاء بأخذ الصفوة ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن﴾ الحاملة للعظات والعبر والدلائل والحجج ﴿خروا سجدا﴾ لله ربهم ﴿وبكياً﴾ عما يرون من التقصير أو التفريط في جنب ربهم جل وعظم سلطانه.

---

(١) قيل: إنّ اسماعيل عليه السلام لم يعد شيئا إلاّ وفّى به وهو صحيح يقتضيه ظاهر الآية الكريمة، وقد قيل العِدة دَين، وفي الأثر: وأي المؤمن واجب. والوأي. الوعد. قال الشاعر:

متى يقل حرّ لصاحب حاجة ... نعم يقضها والحر للوأي ضامن

وقال مالك: إذا سأل الرجل الرجل شيئا فوعده ثمّ بدا له عدم إنجاز ما وعد لا شيء عليه ولا يقضي عليه بذلك لأنّ العدة بخير من باب الإحسان وليس على المحسنين من سبيل.

(٢) قيل: إنّ إدريس هو أوّل من خط بالقلم وأوّل من خاط الثياب ولبس المخيط وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر.

(٣) كما في حديث المعراج في رواية مسلم وجاء فيه: (لما عرج بي إلى السماء أتيت على إدريس في السماء الرابعة.)

(٤) فنال ادريس الشرف بالقرب من آدم، ونال ابراهيم الشرف بالقرب من نوح ونال إسماعيل الشرف واسحق ويعقوب بالقرب من ابراهيم عليهم السلام أجمعين.

(٥) البكيّ: مصدر من مصادر بكى يبكي بكاء وبُكىً وبكيًّا، ويكون البكي جمع باكٍ نحو: قعود، وقاعد وسجود جمع ساجد وأصل بكي: بكوي على وزن فعول فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير النبوة إذ الذي نبأ هؤلاء وأرسلهم لاينكر عليه أن ينبىء محمداً ويرسله.

٢ ـ فضيلة الأمر بالصلاة والزكاة.

٣ ـ فضيلة الوفاء بالوعد والصدق في القول والعمل.

٤ ـ سُنية السجود لمن تلا هذه الآية أو تليت وهو يستمع إليها. ﴿خروا سجدا وبكيا﴾

٥ ـ فضيلة البكاء حال السجود فقدكان عمر إذا تلا هذه الآية سجد ثم يقول هذا السجود فأين البكيُّ يعني البكاء.

۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ
وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ
وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾

شـــرح الكلمـات :

خلف [1] : أي عقب سوء.

أضاعوا الصلاة : أهملوها فتركوها فكانوا بذلك كافرين.

اتبعوا الشهوات : انغمسوا في الذنوب والمعاصي كالزنا وشرب الخمر.

يلقون غياً : أي وادياً في جهنم يلقون فيه.

ولايظلمون شيئا : أي لاينقصون شيئا من ثواب حسناتهم.

---

(١) الخلف: بإسكان اللام خلف سوء وبفتحها خلف خير وصلاح.

جنات عدن : أي إقامة دائمة.

بالغيب : أي وعدهم بها وهي غائبة عن أعينهم لغيابهم عنها إذ هي في السماء وهم في الأرض.

مأتياً : أي موعوده وهو ما يعد به عباده آتياً لا محالة.

لغواً : أي فضل الكلام وهو ما لا فائدة فيه.

بكرةً وعشياً : أي بقدرهما في الدنيا وإلا فالجنة ليس فيها شمس فيكون فيها نهار وليل.

من كان تقياً : أي من كان في الحياة الدنيا تقياً لم يترك الفرائض ولم يغش المحارم.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ يخبر تعالى عن أولئك الصالحين ممن اجتبى وهدى من النبيين وذرياتهم، انه خلف من بعدهم خلف سوء كان من شأنهم أنهم[1] ﴿أضاعوا الصلاة﴾ فمنهم من أخرها عن أوقاتها ومنهم من تركها ﴿واتبعوا الشهوات[2]﴾ فانغمسوا في حمأة الرذائل فشربوا الخمور وشهدوا الزور وأكلوا الحرام ولهوا ولعبوا وزنوا وفجروا، بعد ذهاب أولئك الصالحين كما هو حال النصارى واليهود اليوم وحتى كثير من المسلمين، فهؤلاء الخلف السوء يخبر تعالى أنهم ﴿فسوف يلقون غياً﴾ بعد دخولهم نار جهنم. والغي: ورد عن النبي ﷺ أنه بئر في جهنم وعن ابن مسعود أنه واد في جهنم[3]، والكل صحيح إذ البئر توجد في الوادي وكثيراً ماتوجد الآبار في الأودية.

وقوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا﴾ أي لكن من تاب من هذا الخلف السوء وآمن أي حقق إيمانه وعمل صالحا فأدى الفرائض وترك غشيان المحارم. فأولئك أي فهؤلاء التائبون المنيبون ﴿يدخلون الجنة﴾ مع سلفهم

---

(١) جائز أن يراد بهذا الخلف السيء كل من أضاع الصلاة بتركها أو بعدم إقامتها بإخلاله بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، واتبع الشهوات من أهل الكتاب ومن المسلمين.

(٢) اتباع الشهوات لازم لإضاعة الصلاة لقول عمر: مَن أضاعها فهو لما سواها أضيع، ولأنّ اقام الصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: غيّ: واد في جهنم وإن أودية جهنم لتستعيذ من حره أعدّ الله تعالى ذلك الوادي للزاني المصرّ على الزنى ولشارب الخمر المدمن عليه ولآكل الربا لا ينزع عنه، ولأهل العقوق ولشاهد الزور ولامرأة ادخلت على زوجها ولداً ليس منه.

الصالح، ﴿ولايظلمون شيئا﴾ أي ولا ينقصون ولا يبخسون شيئا من ثواب أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿جنات عدن﴾ أي بساتين إقامة أبدية ﴿التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ أي وعدهم بها وهي غائبة عنهم لم يروها لأنها في السماء وهم في الأرض.

وقوله: ﴿إنه كان وعده مأتيا﴾ أي كونهم ماراأوها غير ضار لأن ماوعد به الرحمن لايتخلف أبداً لابد من الحصول عليه ومعنى مأتياً يأتيه صاحبه قطعاً.

وقوله تعالى في الآية (٦٢) ﴿لايسمعون فيها لغوا﴾ يخبر تعالى أن أولئك التائبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ودخلوا الجنة لايسمعون فيها أي في الجنة لغواً وهو الباطل من القول وما لاخير فيه من الكلام اللهم إلا السلام فإنهم يتلقونه من الملائكة فيسمعونه منهم وهو من النعيم الروحاني في الجنة دار النعيم.

وقوله تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ أي ولهم طعامهم فيها وهو ماتشتهيه أنفسهم من لذيذ الطعام والشراب ﴿بكرة وعشيا﴾ أي في وقت الغداة في الدنيا وفي وقت العشي في الدنيا إذ لا ليل في الجنة ولا نهار،[1] وإنما هي أنوار وجائز إذا وصل وقت الغداء أو العشاء تغير الأنوار من لون إلى آخر أو تغلق الأبواب وترخى الستائر ويكون ذلك علامة على وقت الغداء والعشاء.

وقوله تعالى: ﴿تلك الجنة﴾[2] آية (٦٣) يشير تعالى إلى الجنة دار السلام تلك الجنة العالية ﴿التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ منهم، أما الفاجر فإن منزلته فيها نورثها المتقي كما أن منزل التقي في النار نورثه فاجراً من الفجار، إذ هذا معنى التوارث: هذا يرث هذا وذاك يرث ذا، إذ ما من إنسان إلا وله منزلة في الجنة ومنزل في النار فمن آمن وعمل صالحاً دخل الجنة ونزل في منزلته، ومن كفر وأشرك وعمل سوءاً دخل النار ونزل في منزله فيها، ويورث الله تعالى الأتقياء منازل الفجار التي كانت لهم في الجنة.

---

(١) روي أنّ النبي ﷺ قال: (ليس في الجنة ليل ولا نهار وإنّما هم في نور أبدا وإنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب). ذكره أبو الفرج ابن الجوزي، والمهدوي وغيرهما «القرطبي».

(٢) الجملة مستأنفة، واسم الإشارة فيها للتنويه بها وبعلو مقامها وعظم الكرامة فيها لأهل التقوى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ التنديد بخلف السوء وهو من يضيع الصلاة ويتبع الشهوات.

٢ ـ الوعيد الشديد لمن ينغمس في الشهوات ويترك الصلاة فيموت على ذلك.

٣ ـ باب التوبة مفتوح والتوبة مقبولة من كل من أرادها وتاب.

٤ ـ بيان نعيم الجنة دار المتقين الأبرار.

٥ ـ تقرير مبدأ التوارث بين أهل الجنة وأهل النار.

٦ ـ بيان أن ورثة الجنة هم الأتقياء، وأن ورثة النار هم الفجار.

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

شــرح الكلمـات :

وما نتنزل : التنزل النزول وقتا بعد وقت.

إلا بأمر ربك : أي إلا بإذنه لنا في النزول على من يشاء.

له مابين أيدينا : أي مما هو مستقبل من أمر الآخرة.

وما خلفنا : أي ما مضى من الدنيا.

وما بين ذلك : مما لم يمض من الدنيا إلى يوم القيامة أي له علم ذلك كله.

وما كان ربك نسيا : أي ذا نسيان فإنه تعالى لاينسى فكيف ينساك ويتركك؟.

رب السموات والأرض : أي مالكهما والمتصرف فيهما.

واصطبر لعبادته : أي اصبر وتحمل الصبر في عبادته حتى الموت.

هل تعلم له سمياً : أي لاسميَّ له ولا مثل ولا نظير فهو الله أحد، لم يكن له كفوا أحد.

معنى الآيتين :

لنزول هاتين الآيتين سبب وهو ماروى واستفاض أن الوحي تأخر عن النبي ﷺ والذي يأتي بالوحي جبريل عليه السلام فلما جاء بعد بطءٍ قال له النبي ﷺ مايمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فأنزل الله تعالى قوله : جوابا لسؤال النبي ﷺ : ﴿ومانتنزل﴾[1] أي نحن الملائكة وقتا بعد وقت على من يشاء ربنا ﴿إلا بأمر ربك﴾ أيها الرسول أي إلا بإذنه لنا فليس لأحد منا أن ينزل من سماء إلى سماء أو إلى أرض إلا بإذن ربناعز وجل ،﴿ له ما بين أيدينا وماخلفنا وما بين ذلك﴾ أي له أمر وعلم مابين أيدينا أي ما أمامنا من أمور الآخرة وماخلفنا أي مما مضى من الدنيا علمًا وتدبيراً، وما بين ذلك إلى يوم القيامة علما وتدبيراً، وماكان ربك عز وجل يارسول الله ناسيا[2] لك ولا تاركا فإنه تعالى لم يكن النسيان وصفاً له فينسى .

وقـوله تعالى : ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه تعالى مالك السموات والأرض ومابينهما والمتصرف فيهما فكل شيء له وبيده وفي قبضته وعليه ﴿فاعبده﴾ أيها الرسول بما أمرك بعبادته به ﴿واصطبر لعبادته﴾[3] إي تحمل لها المشاق، فإنه لا إله إلا هو، فـ ﴿هل تعلم له سمياً﴾[4] أي نظيراً أو مثيلاً والجواب لا : إذاً فاعبده وحده وتحمل في سبيل ذلك ما استطعت تحمله . فإنه لامعبود بحق إلا هو إذ كل ماعداه مربوب له خاضع لحكمه وتدبيره فيه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ تقرير سلطان الله على كل الخلق وعلمه بكل الخلق وقدرته على كل ذلك .

---

(١) روى البخاري أنّ النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت : ﴿وما نتنزّل إلاّ بأمر ربِّك﴾ الآية ، وقال مجاهد : أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثمّ أتاه فقال : ما الذي أبطأك؟ قال : كيف نأتيكم وأنتم لا تقصّون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا تستاكون. قال مجاهد : فنزلت الآية في هذا والمراد بالمعيب عليهم : بعض المؤمنين لا رسول الله ﷺ فحاشاه أن يكون معيباً وهو على أكمل الأحوال .

(٢) هذا تفسير لقوله تعالى : ﴿وما كان ربّك نسيّا﴾ أي : ناسيا إذا شاء أن يرسل إليك أرسل .

(٣) أي : لطاعته ، واللام بمعنى : على أي : على طاعته ، ولا تحزن لتأخّر الوحي عنك ، وأصل اصطبر: اصتبر فقلبت التاء طاءً تخفيفاً في النطق .

(٤) ولذا إجماع أهل الإسلام من عهد آدم أنه لايجوز أن يسمى مخلوق باسم الله عزّ وجل «الله» .

٢ ـ استحالة النسيان على الله عز وجل.

٣ ـ تقرير ربوبية الله تعالى للعالمين، وبذلك وجبت له الألوهية على سائر العالمين.

٤ ـ وجوب عبادة الله تعالى ووجوب الصبر عليها حتى الموت.

٥ ـ نفي الشبيه والمثل والنظير لله إذ هو الله أحد لم يكن له كفوا أحد.

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

شـــرح الكلمـات:

ويقول الإنسان : أي الكافر بلقاء الله تعالى.

ولم يك شيئاً : أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا صفة.

جثياً : أي جاثمين على ركبهم في ذل وخوف وحزن.

من كل شيعة : أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه

عتياً : أي تكبراً عن عبادته وظلماً لعباده.

أولى بها صلياً : أي أحق بها اصطلاء واحتراقاً وتعذيباً في النار.

إلا واردها : أي ماراً بها إن وقع بها هلك، وإن مر ولم يقع نجا.

حتماً مقضياً : أي أمراً قضى به الله تعالى وحكم به وحتمه فهو كائن لا بد.

فيها جثياً : أي في النار جاثمين على ركبهم بعضهم إلى بعض.

معنى الآيات :

الآيات في سياق تقرير عقيدة البعث والجزاء فيقول تعالى وقوله الحق: ﴿ويقول الإنسان﴾ أي المنكر للبعث والدار الآخرة وقد يكون القائل أُبي بن خلف أو العاص بن وائل وقد يكون غيرهما إذ هذه قولة كل من لايؤمن بالآخرة يقول: ﴿أإذا مت لسوف[1] أخرج حياً﴾ يقول هذا استنكاراً وتكذيباً قال تعالى: راداً على هذا الإنسان قولته الكافرة ﴿أو لايذكر[2] الانسان﴾ أي المنكر للبعث الآخر ﴿أنا خلقناه من[3] قبل ولم يك شيئاً﴾ أيكذب بالبعث وينكره ولايذكر خلقنا له من قبل، ولم يك شيئا.

أليس الذي قدر على خلقه قبل أن يكون شيئاً قادراً على إعادة خلقه مرة أخرى أليست الإعادة أهون من الخلق الأول والإيجاد من العدم، ثم يقسم الله تبارك وتعالى لرسوله على أنه معيدهم كما كانوا ويحشرهم جميعا مع شياطينهم الذين يضلونهم ثم يحضرنهم حول جهنم جثيا على ركبهم أذلاء صاغرين. هذا معنى قوله تعالى في الآية (٦٨) ﴿فوربك لنحشرنهم[4] والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ يخبر تعالى بعد حشرهم إلى ساحة فصل القضاء أحياء مع الشياطين الذين كانوا يضلونهم، يحضرهم حول جهنم جثياً، ثم يأخذ تعالى من كل طائفة من تلك الطوائف التي أحضرت حول جهنم وهي جاثية تنتظر حكم الله تعالى فيها أيهم كان أشد على الرحمن عتيا أي تمرداً عن طاعته وتكبراً عن الإيمان به وبرسوله ووعده ووعيده وهو معنى قوله تعالى في الآية (٦٩) ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم على أشد الرحمن عتيا﴾ وقوله تعالى: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم

---

(١) اللام في : (لسوف) للتأكيد والاستفهام : (أإذا) : للإنكار، واللام : لام الابتداء جاء بها المتكلم لتأكيد إنكاره للبعث بعد الموت والخروج من قبره حيًّا.

(٢) الاستفهام للانكار على منكر البعث،والتعجب من عقليته وعمىً قلبه من عدم النظر في عدم أصل خلقه فإنه لو أبصر وزالت غفلته لما أنكر البعث فالذي خلقه اليوم يخلقه غداً ولا عجب.

(٣) قبل كبعد: ملازمة للاضافة فإذا حذف المضاف بنيت على الضم، والمضاف المحذوف هنا تقديره: من قبل كونه شيئا يذكر في الوجود وقد أوجده الآن ويعدمه غداً ويحييه بعد موته يوم يريد ذلك.

(٤) الفاء: للتفريع، والضمير في : (لنحشرنهم) عائد على جنس الإنسان المكذّب بالبعث الآخر، والمشرك بالله المصر على ذلك، وذكر حشر الشياطين معهم تحقيراً لشأنهم حيث يحشرون مع أخس الخلق وأحطه ثمّ أشار إلى أنّ شركهم وكفرهم كان بتزيين الشياطين لهم ذلك، والجثي: جمع جاثٍ مثل: قاعد وقعود، فجثي: أصلها جثوي قلبت الواو ياء، وأدغمت، والجاثي هو البارك على ركبتيه عجزاً عن القيام.

أولى بها صليا﴾ يخبر تعالى بعلمه بالذين هم أجدر وأحق بالاصطلاء بعذاب النار، وسوف يدخلهم النار قبل غيرهم ثم يدخل باقيهم بعد ذلك وهو معنى قوله عز وجل: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾[1].

وقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾، فإنه يخبر عز وجل عن حكمٍ حكم به وقضاء قضى به وهو أنه مامن واحد منا معشر بني آدم إلا وارد جهنم وبيان ذلك كما جاء في الحديث أن الصراط جسر يمد على ظهر جهنم والناس يمرون فوقه فالمؤمنون يمـرون ولايسقـطون في النـار والكـافـرون يمرون فيسقطون في جهنم. وهو معنى قوله في الآية (٧٢) ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾[2] أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك واجب ولا بارتكاب محرم ﴿ونذر الظالمين﴾ بالتكبر والكفر وغشيان الكبائر من الذنوب ﴿فيها جثياً﴾ أي ونترك الظالمين فيها أي جهنم جاثمين على ركبهم يعانون أشد أنواع العذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بالحشر والاحضار حول جهنم والمرور على الصراط.

٢ ـ تقرير معتقد الصراط في العبور عليه إلى الجنة.

٣ ـ تقديم رؤساء الضلال وأئمة الكفر إلى جهنم قبل الأتباع الضالين.

٤ ـ تقرير حتمية المرور على الصراط.

٥ ـ بيان نجاة الأتقياء، وهلاك الفاجرين الظالمين بالشرك والمعاصي.

---

(١) يقال: صلى يصلى صُليًا كمضى يمضي مُضيا وهوى يهوي هويًا، وصِليًا بكسر الصاد: قراءة حفص، وبضمها: قراءة نافع، وهو مصدر صلي النار كرضي وهو مصدر سماعي بوزن فعول، قلبت فيه الواو ياء وأدغمت في الياء فصار صليًا كما تقدّم في جثيا.

(٢) حاول صاحب التحرير أن يردّ مذهب الجمهور في ورود المؤمنين على الصراط كسائر الخلق ثمّ ينجي الله الذين اتقوا حيث يجتازونه بسلام ويقع فيه الكافرون فلا يخرجون وما هناك حاجة إلى ردّ مذهب الجمهور من أئمة الإسلام إذ حديث الصراط والمرور به ثابت قطعيًا ففي صحيح مسلم: (ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم سلم قيل: يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: دحض مزلّة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمرّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسلّم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم، وبهذا الصراط.. فسّر السلف الورود على جهنم، ولم يقولوا بلازم الورود وهو الدخول، إذ قد يَرد المرء على الحوض ويقف على طرفه ولا يدخل فيه وورد وصحّ قول الرسول ﷺ فيمن مات له ثلاثة ولد لم يبلغوا الحنث لا تمسه النار إلاّ تحلة القسم) وهو الورود على متن جهنم نظراً إلى الآية ﴿وإن منكم إلاّ واردها﴾.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن
كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ
وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

شـــرح الكلمـات :

آياتنا بينات : أي آيات القرآن البينات الدلائل الواضحات الحجج .

خير مقاماً : نحن أم أنتم والمقام المنزل ومحل الإقامة والمراد هنا المنزلة .

وأحسن ندياً : أي ناديا وهو مجتمع الكرام ومحل المشورة وتبادل الآراء .

أحسن أثاثا ورئيا : أي مالا ومتاعا ومنظراً .

إما العذاب وإما الساعة : أي بالقتل والأسر وأما الساعة القيامة المشتملة على نار جهنم .

من هو شر مكانا : أي منزلة .

وأضعف جنداً : أي أقل أعواناً .

وخير مرداً : أي مايرد إليه ويرجع وهو نعيم الجنة .

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير النبوة والتوحيد والبعث الآخر يقول تعالى ﴿وإذا تتلى[1] عليهم آياتنا بينات[2]﴾ أي وإذا قرئت على كفار قريش المنكرين للتوحيد والنبوة المحمدية والبعث والجزاء

---

(١) المراد بهم الكفار الذين سبق ذكرهم في الآيات قبل هذه إذا قرئت عليهم الآيات تعزّزوا بالدنيا وقالوا فما بالنا إن كنا على باطل أكثر أموالاً وأعز نفرا وقصدهم إدخال الشبهة على المستضعفين من المؤمنين.

(٢) (بينات) حال مؤكدة.

يوم القيامة إذا قرأ عليهم رسول الله أو أحد المؤمنين من أصحابه بعض الآيات من القرآن البينات في معانيها ودلائلها على التوحيد والنبوة والبعث ﴿قال الذين[1] كفروا للذين آمنوا أي الفـريقين خير مقاماً وأحسن نديا﴾، وقولهم هذا هو رد فعل لاغير، إذ أنهم لما يسمعون الآيات تحمل الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين مثلهم لايجدون مايخففون به ألم نفوسهم فيقولون هذا الذي أخبر تعالى به عنهم ﴿أي الفـريقين﴾أي فريق المؤمنين أو فريق الكافرين خير مقاماً أي منزلاً ومسكنا وأحسن نديا أي ناديا ومجتمعا يجتمع فيه، لأنهم يقارنون بين منازل فقراء المؤمنين ودار الأرقم بن أبي الأرقم التي يجتمع فيها الرسول ﷺ والمؤمنون وبين دور ومنـازل أبي سفيان وأغنياء مكة ونادي قريش وهو مجلس شوراهم فرد تعالى عليهم بقوله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً[2]﴾ أي لاينبغي أن يغرهم هذا الذي يتبجحون به ويتطاولون فإنه لايدوم لهم ماداموا يحاربون دعوة الحق والقائمين عليها فكم من أهل قرون أهلكناهم لما ظلموا وكانوا أحسن من هؤلاء مالا ومتاعا ومناظر حسنة جميلة.

وقوله تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي اذكر لهم سنتنا في عبادنا يارسولنا وهي أن من كان في ضلالة الشرك والظلم والمكابرة والعناد فإن سنة الرحمن فيه أن يمد له بمعنى يمهله ويملي له استدراجا حتى إذا انتهوا إلى ماحدد لهم من زمن يؤخذون فيه بالعذاب جزاء كفرهم وظلمهم وعنادهم وهو إما عذاب دنيوى بالقتل والأسر ونحوهما أو عذاب الآخرة بقيام الساعة حيث يحشرون إلى جهنم عميا وبكما وصما جزاء التعالي والتبجح بالكلام وهو معنى قوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا مايوعدون إما العذاب وإما السـاعـة فسيعلمـون[3] من هو شر مكـاناً وأضعف جنداً﴾ أي شر منزلة وأقل ناصراً أهم الكافرون أم المؤمنون، ولكن حين لاينفع العلم. إذ التدارك أصبح غير ممكن وإنما هي

(١) الذين كفروا كالنضر بن الحارث وأبي جهل والمؤمنون هم أصحاب النبي ﷺ كعمار وبلال وصهيب.

(٢) الأثاث: متاع البيت من فرش وغيرها مما هو جديد، فإن استعمل قيل فيه: الخرثى قال الشاعر:

تقادم العهد من أم الوليد بنا   دهراً وصار أثاث البيت خرثياً

الرئي: المنظر الحسن. وفيه قراءات خمس أشهرها قراءة الجمهور ورئيا بالهمزة، وقراءة نافع ريّا بدون همزة واشتقاقه من الرؤية أي: المنظر، ومن الريّ ضد العطش، إذ الريّان هو المنعّم ذو الحال الحسنة.

(٣) في الآية ردّ على قولهم: ﴿أيّ الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا﴾. أي سوف تنكشف الحقائق في يوم القيامة، ويعلمون يقينا من هو الأفضل حالاً والأحسن مآلا.

الحسرة والندامة لاغير.

وقوله تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾[1] أي إذا كان تلاوة الآيات البينات تحمل المشركين على العناد والمكابرة وذلك لظلمة كفرهم فيزدادون كفراً وعناداً فإن المؤمنين المهتدين يزدادون بها هداية لأنها تحمل لهم الهدى في كل جملة وكلمة منها وهم لإشراق نفوسهم بالإيمان يرون ما تحمل الآيات من الدلائل والحجج والبراهين فيزداد إيمانهم وتزداد هدايتهم في السير في طريق السعادة والكمال بأداء الفرائض واجتناب المناهي.

وقوله تعالى: ﴿والباقيات[2] الصالحات خير عند ربك﴾ أيها الرسول ﴿ثواباً وخير مردّاً﴾ في هذه الآية تسلية للرسول والمؤمنين بأن مايتبجح به المشركون من المال والمتاع وحسن الحال لا يساوي شيئاً أمام الإيمان وصالح الأعمال لأن المال فانٍ، والصالحات باقية فثواب الباقيات الصالحات من العبادات والطاعات خير من كل متاع الدنيا وخير مرداً أي مردوداً على صاحبها إذ هو الجنة دار السلام والتكريم والإنعام

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - الكشف عن نفسيات الكافرين وهي الإعتزاز بالمال والقوة إذا اعتز المؤمنون بالإيمان وثمراته في الدنيا والآخرة من حسن العاقبة.

٢ - بيان سنة الله تعالى في امهال الظلمة والإملاء لهم استدراجاً لهم حتى يهلكوا خاسرين.

٣ - بيان سنة الله تعالى في زيادة إيمان المؤمنين عند سماع القرآن الكريم، أو مشاهدة أخذ الله تعالى للظالمين.

٤ - بيان فضيلة الباقيات الصالحات ومنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) وفي الآية وجه اخر مشرق صالح وهو: أن الله تعالى يمدّ لأهل الضلالة في ضلالتهم، ويزيد لأهل الهداية في هدايتهم إذ قال: ﴿من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا﴾. وقال: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً﴾ وما في التفسير صالح ومشرق أيضاً.

(٢) أي: الأعمال الصالحة التي يعمل العبد إيماناً وإحساناً كالصلاة والصيام والصدقات والجهاد وذكر الله ثوابها لأهلها المدّخر لهم عند الله تعالى خير من أعمال أهل الكفر والشرك والظلم إذ هي ذاهبة هباء منثوراً فيم يتعزّز الكافرون؟

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

شـرح الكلمات :

الذي كفر بآياتنا : هو العاص بن وائل.

لأوتين مالا وولداً : يريد في الآخرة.

أطلع الغيب : أي فعرف أنه يعطى مالا وولداً يوم القيامة.

كـلا : ردع ورد فإنه لم يطلع الغيب ولم يكن له عند الله عهداً.

ونمد له من العذاب مداً : أي نضاعف له العذاب يوم القيامة.

ونرثه مايقول : أي نسلبه ماتبجح به من المال والولد ويبعث فرداً ليس معه مال ولا ولد.

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه ﷺ معجباً له ﴿أفرأيت[1] الذي كفر بآياتنا﴾ أي كذب بالوحي ومايدعوا له من التوحيد والبعث والجزاء وترك الشرك والمعاصي. وهو العاص بن وائل المسمى أبو عمرو بن العاص. ﴿وقال لأوتين مالاً وولداً﴾ قال هذا لخباب بن الأرت حينما طالبه بدين له عليه فأبى أن يعطيه استصغاراً له لأنه قيّن «حداداً» وقال له لا أعطيكه حتى تكفر بمحمد فقال له خباب والله ما أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثُمَّ تبعث فقال له العاص إذا أنا مِتُّ ثم بُعثت كما تقول ثم جئتني ولي مال وولد قضيتك دينك فأكذبه الله تعالى ورد عليه قوله بقوله عز وجل: ﴿أطلع الغيب[2]﴾ فعرف أن له يوم القيامة مالاً وولداً. ﴿أم اتخذ عند

---

(١) الأئمة ومن بينهم مسلم في صحيحه علم، أن هذه الآية نزلت في الخباب والعاص بن وائل إذ كان لخباب دَين على العاص فطالبه فأجابه بما خلاصته في التفسير أعلاه.

(٢) ﴿أطّلع الغيب﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنظر في اللوح المحفوظ. وقال مجاهد: أعلِم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟

الرحمن عهداً﴾ بذلك بأن سيعطيه مالاوولداً يوم القيامة﴿كـلا﴾[1]لم يطلع على الغيب ولم يكن له عند الرحمن عهداً. وقوله تعالى: ﴿سنكتب مايقول﴾ من الكذب والإفتراء ونحاسبه به ونضاعف له العذاب به العذاب وهو معنى قوله تعالى: ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ونرثه مايقول[2] ويأتينا فردا﴾ أي ونسلبه مايقول من المال والولد حيث يموت ويترك ذلك أو ينصر رسوله على قومه فيسلبهم المال والولد. ويأتينا في عرصات القيامة للحساب فرداً لا مال معه ولا ولد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ الكشف عن نفسيات الكافرين لاسيما إذا كانوا أقوياء بمال أو ولد أو سلطان فإنهم يعيشون على الغطرسة منه والاستعلاء وتجاهل الفقراء واحتقارهم.

٢ ـ تقرير البعث والحساب والجزاء.

٣ ـ مضاعفة العذاب على الكافرين الظالمين لظلمهم بعد كفرهم.

٤ ـ تقرير معنى آية : إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ
عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ﴿٨٧﴾

(١) كلا: ردّ عليه أي: لم يكن له ذلك. أي: لم يطلع على الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهداً.

(٢) وقيل: نحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد إذ قال: لأوتين مالاً وولداً ورد تعالى عليه قوله بقوله: ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾.

شـــرح الكلمـات :

ليكونوا لهم عزاً : أي منعة لهم وقوة يشفعون لهم عند الله حتى لايعذبوا .

سيكفرون بعبادتهم : أي يوم القيامة يجحدون أنهم كانوا يعبدونهم .

ضداً [١] : أي أعداء لهم وأعوانا عليهم .

تؤزهم أزاً : أي تزعجهم ازعاجا وتحركهم حراكاً شديداً نحو الشهوات والمعاصي .

وفدا : أي راكبين على النُّجُب تحوطهم الملائكة حتى ينتهوا إلى ربهم فيكرمهم .

إلى جهنم ورداً : أي يساق المجرمون كما تساق البهائم مشاة عطاشاً .

عهداً : هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

معنى الآيات :

يخبر تعـالى منـدداً بالمشركـين فيقول: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ أي معبودات من الأصنام فعبدوها بأنواع من العبادات، ﴿ليكونوا لهم﴾ - في نظرهم الفاسد - ﴿عزاً﴾ [٢] أي شفعـاء لهم عنـدنـا يعـزون بواسـطتهم ولا يُهانون ، ﴿كلا﴾ [٣] أي ليس الأمر كما يظنون ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ وذلك يوم القيامة حيث ينكرون أنهم أمروهم بعبادتهم ، ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أي خصوما،ومن ذلك قولهم [٤] ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ . وقولهم . ﴿بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٨٣) ﴿ألم تر [٥] أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾

---

(١) الضدّ: ما يخالف ضده في الماهية أو المعاملة، ومن هذا تسمية العدو ضدّ لأن معاملته تخالف معاملة نظيره، ويكون ضدّ في معنى المصدر عاملوه معاملة المصدر فلا يثني ولا يجمع ولا يؤنث.

(٢) العزّ: ضد الذلّ، وأطلق العزّ هنا وأريد به سببه وهو الشفعاء والأعوان إذ بهم تحصل العزة وتكون المنعة.

(٣) (كلا) : جائز أن تكون نافية بمعنى : لا وليس وجائز أن تكون بمعنى : حقاً أي : حقاً سيكفرون بعبادتهم . . الخ .

(٤) أي : فيما أخبر تعالى به في قوله : ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ فها هم قد وقفوا ضدّهم بتكذيبهم إياهم . ورأى بعض أهل التفسير أنّ من الجائز أن تكون الآية مبشرة بنصر الرسول ﷺ وأن يوماً سيأتي يكفر المشركون بآلهتهم وذلك بعد إسلامهم .

(٥) الاستفهام للتقرير وفيه معنى التعجب أي : كيف لم ترَ ذلك والأمر واضح لوجود آثاره يشاهدها كل أحد . وأرسلنا بمعنى سلطناهم أو خلّيناهم يفعلون بهم ما أرادوا من الإغواء والفتنة .

يقول تعالى لرسوله ألم ينته إلى علمك يارسولنا أنا أرسلنا الشياطين أي شياطين الجن والإنس على الكافرين بنا وبآياتنا ورسولنا ولقائنا تؤزهم أزا أي تحركهم بشدة نحو الشهوات والجرائم والمفاسد، وتزعجهم إلى ذلك بالإغراء إزعاجاً كبيراً. أي فلا تعجب من حال مسارعتهم إلى الشر والفساد ولا تعجل عليهم بمطالبتنا بهلاكهم إنما نعد لهم كل أعمالهم ونحصيها عليهم حتى أنفاسهم ونحاسبهم على كل ذلك ونجزيهم به. هذا معنى قوله تعالى: ﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم[1] عدا﴾.

وقوله تعالى في الآية (٨٥) ﴿يوم نحشر المتقين﴾ أي أذكر يارسولنا يوم نحشر المتقين ﴿إلى الرحمن وفداً﴾. والمتقون هم أهل الإيمان بالله وطاعته وتوحيده ومحبته وخشيته وطاعة رسوله ومحبته وفداً أي راكبين على النجائب من النوق عليها رِحال الذهب إلى الرحمن إلى جوار الرحمن عز وجل في دار المتقين الجنة دار الأبرار والسلام.

وقوله تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ : أي ونسوق المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي مشاة على أرجلهم عطاشاً يُساقون سوق البهائم إلى جهنم وبئس[2] الورد المورود جهنم.

وقوله تعالى ﴿لايملكون الشفاعة إلا من[3] اتخذ عند الرحمن عهداً[4]﴾ أخبر تعالى أن المشركين المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي فدسوها لايملكون الشفاعة يوم القيامة لا يشفع بعضهم في بعض كالمتقين ولا يشفع لهم أحد أبداً لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان به وبطاعته بأداء الفرائض وترك المحرمات يملك إن شاء الله الشفاعة بأن يشفعه الله في غيره إكراماً له أو يشفع فيه غيره إكراما للشافع أيضا وإنعاما على المشفوع له. كما أن أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله المتبرئين من حولهم وقوتهم إلى الله الراجين ربهم يملكون الشفاعة إن دخلوا النار بذنوبهم فيخرجون منها بشفاعة من أراد الله أن يشفعه فيهم.

---

(١) أي: لا تطالب بهلاكهم الفوري فإنا نعدّ لهم الأيام والليالي والشهور والسنين إلى انتهاء آجالهم.

(٢) يطلق لفظ الورد على الماشية عندما تساق إلى الماء لترده، ويطلق على السير إلى الماء أيضا كما يطلق على الماء المورود ومنه قوله تعالى: ﴿وبئس الورد المورود﴾.

(٣) الاستثناء منقطع، والمنقطع هو: استثناء الشيء من غير جنسه، ولذا يؤتى بعـــده بلكن كما هو في التفسير أي: لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يشفع.

(٤) من لهم عهد بالشفاعة حيث عهد الله تعالى إليهم بذلك هم الملائكة والأنبياء والشهداء أيضاً بدليل السنة الصحيحة، وفسّر ابن عباس رضي الله عنهما العهد أيضاً بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله والقيام بحقها مع التبرؤ من الحول والقـــوة لله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ براءة سائر المعبودات من دون الله من عابديها يوم القيامة خزياً لهم وإحقاقاً للعذاب عليهم.

٢ ـ لا عجب مما يشاهد من مسارعة الكافرين إلى الشر والفساد والشهوات لوجود شياطين تحركهم بعنف إلى ذلك وتدفعهم إليه.

٣ ـ لا ينبغي طلب العذاب العاجل لأهل الظلم لأنهم كلما ازدادوا ظلماً ازداد عذابهم شدة يوم القيامة إذ كل شيء محصىً عليهم حتى أنفاسهم محاسبون عليه ومجزيون به.

٤ ـ بيان كرامة المتقين، ومهانة المجرمين.

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

شــرح الكلمـات :

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا : أي قال العرب الملائكة بنات الله وقال النصارى عيسى ابن الله.

جئتم شيئاً إداً : أي منكراً عظيماً.

يتفطرن : يتشققن من عظم هذا القول وشدة قبحه.

وتخر الجبال هداً : أي تسقط وتتهدم وتنهدم.

أن دعوا للرحمن ولداً : أي من أجل إدعائهم أن للرحمن عز وجل ولدا.

ولا ينبغي : أي لايصلح ولايليق به ذلك لأنه رب كل شيء ومليكه.

إلا آتى الرحمن عبداً : أي خاضعا منقاداً كائناً من كان.

فرداً : أي ليس معه شيء لا مال ولا سلطان ولا ناصر.

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر مقولات أهل الشرك والجهل والرد عليها من قبل الحق تبارك وتعالى قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وقالوا﴾ أي أولئك الكافرون ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾[1] إذ قالت بعض القبائل العربية الملائكة بنات الله، وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله. يقول تعالى لهم بعد أن ذكر قولهم ﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾[2] أي أتيتم بشيء منكر عظيم، ﴿تكاد[3] السموٰات يتفطرن منه﴾ أي يتشققن منه لقبح هذا القول وسوئه، ﴿وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا[4]﴾ أي تسقط لعظم هذا القول لأنه مغضب للجبار عز وجل ولولا حلمه ورحمته لمس الكون كله عذاب أليم. وقوله: ﴿أن دعوا للرحمن ولداً[5]﴾ أي أن نسبوا للرحمن ولداً، ﴿وماينبغي للرحمن﴾ أي لا يصلح له ولا يليق بجلاله وكماله الولد، لأن الولد نتيجة شهوة بهيمية عارمة تدفع الذكر إلى اتيان الأنثى فيكون بإذن الله الولد، والله عز وجل منزه عن مشابهته لمخلوقاته وكيف يشبههم وهو خالقهم وموجدهم من العدم؟

وقوله تعالى ﴿إن كل من[6] في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً﴾ هذا برهان على بطلان قولة الكافرين الجاهلين، إذ الذى ما من أحد في السموات أو في الأرض من ملائكة

(١) قرىء: (وُلداً) بضم الواو وسكون اللام، وقراءة الجمهور (ولدا) بفتح الواو واللام وهما لغتان مثل: العُرب والعَرب. والعُجم والعَجم قال الشاعر:

ولقد رأيت معاشرا قد ثمّروا مالا ووُلداً

وقال آخر:

مهلا فداءً لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن وَلَد

ففي البيت الأول شاهد وُلد بسكون اللام وفي الثاني شاهد لفتحها مع ضم الواو في الأول وفتحا في الثاني.

(٢) الإد والإدة: الداهية والأمر الفظيع. قال ابن عباس: الإدّ: المنكر العظيم.

(٣) (تكاد) بالتاء قراءةالعامة، وقرأ نافع بالياء (يكاد).

(٤) الهدّ: الهدم بصوت شديد، والهدّة: صوت وقع الحائط ونحوه.

(٥) روى البخاري عن النبي ﷺ قوله: (يقول الله تبارك وتعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأمّا تكذيبه إياي فقوله: ليس يعيدني كما بدأني، وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته. وأمّا شتمه إيّاي: فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

(٦) (إنْ) نافية بمعنى ما. في الآية دليل على عدم جواز ملك الوالد للولد ولا الولد للوالد، وفي الحديث الصحيح: (لا.. ولد والدا إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه). فإذا لم يملك الأب ابنه فلأن لا يملك الابن أباه من باب أولى.

وإنس وجن إلا آتى الرحمن عبداً خاضعاً ذليلا منقاداً يوم القيامة كيف يعقل اتخاذه ولداً،[1] إذ الولد يطلب للحاجة إليه، والغنى عن كل خلقه ما هي حاجته إلى عبد من عباده يقول هذا ولدي اللهم إنا نبرؤا إليك مما يقوله الجاهلون بك الضالون عن طريق هدايتك.

وقوله تعالى: ﴿لقد أحصاهم وعدهم عداً﴾ أي علمهم واحداً واحداً فلو كان بينهم إله معه أو ولد له لعلمه، فهذا برهان آخر على بطلان تلك الدعوة الجاهلية الباطلة الفاسدة وقوله: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ هذا رد على أولئك الذين يدعون أنهم إن بعثوا يكون لهم المال والولد والشفيع والنصير. فأخبر تعالى أنه ما من أحد إلا ويأتيه يوم القيامة فرداً ليس معه شافع ولا ناصر، ولا مال ولا سلطان.

هداية الآيات

من هداية الآيات

١ - عظم الكذب على الله بنسبة الولد أو الشريك إليه أو القول عليه بدون علم.

٢ - بيان أن كل المخلوقات من أجلّها إلى أحقرها ليس فيها غير عبد لله فنسبة الانسان أو الجان أو الملك إلى الله تعالى هي عبد لرب مالك قاهر عزيز حكيم.

٣ - بيان إحاطة الله بخلقه ومعرفته لعددهم فلا يغيب عن علمه أحد منهم، ولا يتخلف عن موقف القيامة فرد منهم إذ الكل يأتي الله تعالى يوم القيامة فردا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

(١) روى أحمد في المسند أن النبي ﷺ قال: (لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم) أخرجاه في الصحيحين، وفي لفظ إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم.

شـــرح الكلمـات:

ودًّا : أي حبا فيعيشون متحابين فيما بينهم ويحبهم ربهم تعالى.

فإنما يسرناه بلسانك : أي يسرنا القرآن أي قراءته وفهمه بلغتك العربية.

قوما لداً : أي ألداء شديدوا الخصومة والجدل بالباطل وهم كفار قريش.

وكم أهلكنا : أي كثيراً من أهل القرون من قبلهم أهلكناهم.

هل تحس منهم من أحد : أي هل تجد منهم أحداً.

أو تسمع لهم ركزا : أي صوتا خفياً والجواب لا لأن الاستفهام إنكاري.

معنى الآيات:

يخبر تعالى أن الذين آمنوا بالله وبرسوله وبوعد الله ووعيده فتخلوا عن الشرك والكفر وعملوا الصالحات وهي أداء الفرائض وكثير من النوافل هؤلاء يخبر تعالى أنه سيجعل لهم في قلوب عباده المؤمنـين محبـة وودّاً[1] وقد فعل سبحانه وتعالى فأهل الإيمان والعمل الصالح متحـابـون متـوادون، وهذا التوادد بينهم ثمرة لحب الله تعالى لهم. وقوله تعالى: ﴿فإنما يسرناه﴾ أي هذا القرآن الذي كذب به المشركون سهلنا قراءته عليك إذ أنزلناه بلسانك ﴿لتبشر به المتقين﴾ من عبادنا المؤمنين وهم الذين اتقوا عذاب الله بالايمان وصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي، ﴿وتنذر به قوما لداً﴾[2] وهم كفار قريش وكانوا ألداء أشداء في الجدل والخصومة، وقوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم[3] من قرن﴾ أي وكثيراً من أهل القرون السابقة لقومك أهلكناهم لما كذبوا رسلنا وحاربوا دعوتنا ﴿فهل تحس[4] منهم من أحد﴾ فتراه بعينك أو تمسه بيدك، ﴿أو تسمع[5] لهم ركزاً﴾ أي صوتاً خفيا اللهم لا فهلا يذكر هذا قومك

(١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال: إني أحب فلاناً فأحبّه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ـ قال: ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبداً دعا جبريل عليه السلام وقال: إني أبغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال: فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض).

(٢) (لُدًّا): جمع الألد، وهو: الشديد الخصومة، ومنه قوله تعالى: (ألدّ الخصام) وقال الشاعر:

أبيت نجيا للهموم كأنني أخاصم أقواما ذوي جدل لدّا

(٣) في الآية تهديد وتخويف لأهل مكة المصرين على الكفر والشرك والتكذيب. وكم: خبرية، والقرن: الجيل والأمة. ويطلق على الزمان الذي تعيش فيه الأمة وشاع إطلاقه على المائة سنة.

(٤) والإحساس: الإدراك بالحس. والاستفهام إنكاري.

(٥) قيل: الرّكز: مالا يفهم من صوت أو حركة.

فيتعظوا فيتوبوا إلى ربهم بالإيمان به وبرسوله ولقائه ويتركوا الشرك والمعاصي.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ أعظم بشرى تحملها الآية الأولى وهي حب الله وأوليائه لمن آمن وعمل صالحاً.

٢ ـ بيان كون القرآن ميسراً أن نزل بلغة النبي ﷺ من أجل البشارة لأهل الإيمان والعمل الصالح والنذارة لأهل الشرك والمعاصي.

٣ ـ إنذار العتاة والطغاة من الناس أن يحل بهم ما حل بمن قبلهم من هلاك ودمار والواقع شاهد أين أهل القرون الأولى؟

سُورَةُ طه
مكية
وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

شرح الكلمات

طـه : أي يارجل.

إلا تذكرة : أي يتذكر بالقرآن من يخشى عقاب الله عز وجل.

على العرش استوى : أي ارتفع عليه وعلا.
وما تحت الثرى : الثرى التراب الندي يريد ماهو أسفل الأرضين السبع.
وأخـفى : أي من السر، وهو ما علمه الله وقدر وجوده وهو كائن ولكن لم يكن بعد.
الحسـنى : الحسنى مؤنث الأحسن المفضل على الحسن.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿طه﴾[1] لفظ طه جائز أن يكون من الحروف المقطعة، وجائز أن يكون معناه يارجل[2] ورجح الأمر ابن جرير لوجوده في لغة العرب طه بمعنى يارجل وعلى هذا فمعنى الكلام يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى رداً على النضر بن الحارث الذي قال إن محمداً شقي بهذا القرآن الذي أنزل عليه لما فيه من التكاليف فنفى الحق عز وجل ذلك وقال ﴿ما أنـزلنـا عليك القـرآن لتشقى إلا تذكـرة لمن يخشى﴾ وإنمـا أنـزلنـاه ليكـون تذكـرة[3] ذكـرى يذكـر بهـا من يخشى ربـه فيقبل على طاعته متحملا في سبيل ذلك كل ما قد يلاقي في طريقه من أذى قومه المشركين بالله الكافرين بكتابه والمكذبين لرسوله، وقوله: ﴿تنزيلاً[4] ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ أي هذا القرآن الذي ما أنزلناه لتشقى به ولكن تذكرة لمن يخشى نُزِّل تنزيلا من الله الذي خلق الأرض والسموات العلى: ﴿الرحمن[5] على العرش استوى﴾ أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي استوى على عرشه استواءً يليق به يدبر أمر مخلوقاته، الذي ﴿له[6] مافي السموات ومافي

---

(١) نزلت (طه) قبل إسلام عمر رضي الله عنه لما روي: أنه دخل على بيت ختنه سعيد بن زيد فوجده يقرأها مع زوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنهم أجمعين فطلبها فلم يُعطها حتى اغتسل فلمّا قرأها لان قلبه ورق للإسلام.

(٢) قيل: إن طه بمعنى: يا رجل لغة معروفة في عكل حتى إنك إذا ناديت المرء بيارجل لم يجبك حتى تقول: طه وأنشد الطبري في هذا قول الشاعر:

دعوت بطه في القتال فلم يجب   فخفت عليه أن يكون مزيلاً

(٣) التـذكرة: خطور المنسي بالذهن لأنّ التوحيد مستقر في الفطرة والإشراك مناف لها فسماع القرآن كقراءته يثير كامن التوحيد في فطرة الإنسان.

(٤) (تنزيلا) حال من القرآن، المراد منها التنويه بشأن القرآن والإعلان عن خطره.

(٥) (الرحمن) يجوز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أي: هو الرحمن جل جلاله. ويجوز أن تكون مبتدأ واختير اسم الرحمن لأن المشركين ينكرون اسم الرحمن جهلاً منهم وعناداً.

(٦) تقديم الجار والمجرور: مؤذن بالحصر، وهو كذلك، إذ ليس لأحد ملك السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وما تحت الثرى سواه عزّ وجل.

الأرض ومابينهما وما تحت الثرى[1]﴾ من الأرضين السبع. وقوله ﴿وإن تجهر بالقول﴾ أيها الرسول أوتُسِر ﴿فإنه يعلم السر وأخفى[2]﴾ من السر، وهو ماقدره الله وهو واقع في وقته المحدد له فعلمه تعالى ولم يعلمه الإنسان بعد. وقوله: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق سواه ﴿له الأسماء الحسنى﴾ التي لا تكون إلا له، ولا تكون لغيره من مخلوقاته. وهكذا عرَّف تعالى عباده به ليعرفوه فيخافونه ويحبونه فيؤمنون به ويطيعونه فيكملون على ذلك ويسعدون فلله الحمد وله المنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ إبطال نظرية أن التكاليف الشرعية شاقة ومرهقة للعبد.

٢ ـ تقرير عقيدة الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٣ ـ تقرير الصفات الإلهية كالاستواء ووجوب الإيمان بها بدون تأويل أو تعطيل أو تشبيه بل اثباتها على الوجه الذي يليق بصاحبها عز وجل.

٤ ـ تقرير ربوبية الله لكل شيء.

٥ ـ تقرير التوحيد وإثبات أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى.

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

---

(١) ما تحت الثرى: هو باطن الأرض كله.

(٢) وجائز أن يكون أخفى السر: حديث النفس إذ هو أخفى من السر إذ السر ينطق به، وخاطر النفس لا ينطق به.

فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

شـــرح الكلمـات:

هل أتاك	: قد أتاك فالاستفهام للتحقيق.
حديث موسى	: أي خبره وموسى هو ابن عمران نبي بني إسرائيل
إذ رأى ناراً	: أي حين رؤيته ناراً.
لأهله	: زوجته بنت شعيب ومن معها من خادم أو ولد.
آنست ناراً	: أي ابصرتها من بعد.
بقبس[1]	: القبس عود في رأسه نار.
على النار هدى	: أي مايهديني الطريق وقد ضل الطريق إلى مصر.
فلما أتاها	: أي النار وكانت في شجرة من العوسج ونحوه تتلألؤ نوراً لا ناراً.
نودي ياموسى	: أي ناداه ربه قائلا له ياموسى. . . . !
المقدس طوى[2]	: طوى اسم للوادي المقدس المطهر.
اخترتك	: من قومك لحمل رسالتي إلى فرعون وبني إسرائيل.
فاستمع لما يوحى	: أي إليك وهو قوله تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾.
لذكري	: أي لأجل أن تذكرني فيها.
أكاد أخفيها[3]	: أي أبالغ في اخفائها حتى لايعلم وقت مجيئها أحد.

(١) القبس والمقباس يقال: قبست منه ناراً أقبس قبساً فقبسني أي: أعطاني منه قبساً بتحريك السين مفتوحة، واقتبست منه علماً لأنّ العلم نور، من مادة النار التي هي الضياء والإشراق.

(٢) طوى بالكسر وبالضم أشهر وبه قراءة عامة القراء، وهو اسم للوادي وفي لفظه ما يشير إلى أنه مكان فيه ضيق كالثوب المطوي أو لأن موسى طواه سيراً.

(٣) لما كانت الساعة مخفية الوقوع أثار قوله تعالى ﴿أكاد أخفيها﴾ تساؤلات كثيرة أقربها إلى الواقع ثلاثة. الأول: إخفاء الحديث عنها لأنّ الحديث عنها لا يزيد المعاندين من منكري البعث إلاّ عناداً. والثاني: أنّ كاد زائدة والتقدير: أنّ الساعة آتية أخفيها. والثالث: أن أخفيها بمعنى: أزيل خفاءها بأن أظهرها فتكون الهمزة للسلب نحو أعجم الكتاب: أزال عجمته وأشكى زيداً: إذا أزال شكواه.

بما تسعى : أي سعيها في الخير أو في الشر.
فتردى : أي تهلك.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد ففي نهاية الآية السابقة (٨) كان قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ تقريراً للتوحيد وإثباتاً له وفي هذه الآية (٩) يقرره تعالى عن طريق الإخبار عن موسى، وأن أول ما أوحاه إليه من كلامه كان إخباره بأنه لا إله إلا هو أي لامعبود غيره وأمره بعبادته. فقال تعالى: ﴿وهل أتاك﴾[١] أي يانبينا ﴿حديث موسى[٢] إذ رأى ناراً﴾، وكان في ليلة مظلمة شاتية وزنده الذي معه لم يقدح له ناراً ﴿فقال لأهله﴾ أي زوجته ومن معها وقد ضلوا طريقهم لظلمة الليل، ﴿امكثوا﴾ اي ابقوا هنا فقد آنست ناراً أي أبصرتها لعلي آتيكم منها بقبس﴾ فنوقد به ناراً تصطلون بها أي تستدفئون بها، ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي أجد حولها ما يهدينا طريقنا الذي ضللناه.

وقوله تعالى: ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى النار ووصل إليها وكانت شجرة[٣] تتلألؤ نوراً ﴿نودي ياموسى﴾ أي ناداه ربه تعالى قائلاً ياموسى[٤] ﴿إني أنا ربك﴾ أي خالقك ورازقك ومدبر أمرك ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقدس بقدميه. وقوله تعالى ﴿وأنا اخترتك﴾ أي لحمل رسالتي إلى من أرسلك إليهم. ﴿فاستمع لما يوحى[٥]﴾ أي إليك وهو: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ أي أنا الله المعبود بحق ولا معبود بحق غيري وعليه فاعبدني وحدي، ﴿وأقم الصلاة لذكري[٦]﴾، أي لأجل أن تذكرني فيها وبسببها. فلذا من لم يصل لم يذكر الله تعالى وكان بذلك كافراً لربه تعالى. وقوله ﴿إن الساعة آتية[٧]﴾ أي ان الساعة التي يقوم فيها الناس أحياء من قبورهم للحساب والجزاء

(١) هذا الاستفهام أريد به التشويق لما يلقى لعظيم فائدته، وهل هنا بمعنى قد المفيدة للتحقيق هي كما في قوله: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ أي قد أتى.
(٢) الحديث: الخبر، ويجمع على غير قياس: أحاديث، وقيل: واحده أحدوثة واستغنوا به عن جمع فعلاء لأن فعيل يجمع على فعلاء. كرحيم ورحماء وسعيد وسعداء وهو اسم للكلام الذي يحكى به أمر قد حدث في الخارج.
(٣) قيل: هي شجرة عنّاب.
(٤) قرأ حمزة وحده، وأنّا اخترناك بضمير العظمة.
(٥) في هذه الآية إشارة إلى أن التعارف بين المتلاقين حسن فقد عرفه تعالى بنفسه في أوّل لقاء معه، روى أنه وقف على حجر واستند على حجر ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره وهذه حالة الاستماع المطلوبة من صاحبها.
(٦) استدل مالك على أن من نام عن صلاة أو نسيها فإنه يصليها مستدلا بقوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ أي: لأول وقت ذكرك لها والسنة صريحة في هذا إذ قال ﷺ (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها فلا كفارة لها إلا ذاك)
(٧) الساعة علم بالغلبة على ساعة البعث والحساب.

آتية لا محالة. من أجل مجازاة العباد على أعمالهم وسعيهم طوال أعمارهم من خير وشر، وقوله: ﴿أكاد أخفيها﴾ أي أبالغ في إخفائها حتى أكاد أخفيها عن نفسي. وذلك لحكمة أن يعمل الناس مايعملون وهم لايدرون متى يموتون ولا متى يبعثون فتكون أعمالهم بإراداتهم لا إكراه عليهم فيها فيكون الجزاء على أعمالهم عادلا، وقوله: ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها فتردى﴾ ينهى تعالى موسى أن يَقبل صدَّ صَادٍ من المنكرين للبعث متَّبعي الهوى عن الإيمان بالبعث والجزاء والتزود بالأعمال الصالحة لذلك اليوم العظيم الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون، فإن من لايؤمن بها ولايتزود لها يردى أي يهلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير النبوة لمحمد ﷺ.

٢ - تقرير التوحيد وإثباته، وأن الدعوة إلى لا إله إلا الله دعوة كافة الرسل.

٣ - إثبات صفة الكلام لله تعالى.

٤ - مشروعية التبرك بما جعله الله تعالى مباركاً، والتبرك التماس البركة حسب بيان الرسول وتعليمه.

٥ - وجوب إقام الصلاة وبيان علة ذلك وهو ذكر الله تعالى.

٦ - بيان الحكمة في إخفاء الساعة مع وجوب اتيانها وحتميته.

وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ

مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات:

وما تلك بيمينك ياموسى : الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة وهي انقلابها حية.

أتوكأ عليها : أي أعتمد عليها.

وأهش بها على غنمي : أخبط بها ورق الشجر فيتساقط فتأكله الغنم.

ولي فيها مآرب أخرى : أي حاجات أخرى كحمل الزاد بتعليقه فيها ثم حمله على عاتقه، وقتل الهوام.

حية تسعى : أي ثعبان عظيم، تمشي على بطنها بسرعة كالثعبان الصغير المسمى بالجان.

سيرتها الأولى : أي إلى حالتها الأولى قبل أن تنقلب حيّة.

إلى جناحك : أي إلى جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط.

بيضاء من غير سوء : أي من غير برص تضيء كشعاع الشمس.

إذهب إلى فرعون : أي رسولاً إليه.

انه طغى : تجاوز الحد في الكفر حتى ادعى الألوهية.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم مع موسى وربه تعالى إذ سأله الرب تعالى وهو أعلم به وبما عنده قائلا: ﴿وماتلك بيمينك ياموسى[١]؟﴾ يسأله ليقرر بأن ما بيده عصا من خشب يابسة، فإذا تحولت إلى حية تسعى علم أنها آية له أعطاه إياها ربه ذو القدرة الباهرة ليرسله إلى فرعون وملائه. وأجاب موسى ربه قائلا: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش[٢] بها على غنمي﴾ يريد يخبّط بها الشجر اليابس فيتساقط الورق فتأكله الغنم ﴿ولي فيها مآرب[٣]﴾ أي حاجات

(١) الجملة معطوفة على الجمل قبلها، وهي استفهامية أي: وما التي بيمينك؟ والمقصود تقرير الأمر حتى يقول موسى: هي عصاي.

(٢) في هذه الآية دليل على جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل عنه. وفي الحديث وقد سئل عن ماء البحر فقال: (هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته) فزاد جملة: (الحل ميتته) وقوله للتي سألته قائلة: ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر) فزاد (ولك أجر) وفي البخاري: باب من أجاب السائل بأكثر مما سأل.

(٣) الواحد: مأربة مثلثة الراء.

﴿أخرى﴾[1] كحمل الزاد والماء يعلقه بها ويضعه على عاتقه كعادة الرعاة وقد يقتل بها الهوام الضارة كالعقرب والحية. فقال له ربه عز وجل ﴿ألقها ياموسى فألقاها﴾ من يده ﴿فإذا هي حية تسعى﴾[2] أي ثعبان عظيم تمشي على بطنها كالثعبان الصغير المسمى بالجان فخاف موسى منها وولى هارباً فقال له الرب تعالى: ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾[3] أي نعيدها عصا كما كانت قبل تحولها إلى حية وفعلا أخذها فإذا هي عصاه التي كانت بيمينه. ثم أمره تعالى بقوله: ﴿واضمم يدك﴾ أي اليمنى ﴿إلى جناحك﴾[4] الأيسر ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي برص وفعل فضم يده تحت عضده إلى ابطه ثم استخرجها فإذا هي تتلألؤ كأنها فلقة قمر، أو كأنها الثلج بياضا أو أشد، وقوله تعالى ﴿آية أخرى﴾ أي آية لك دالة على رسالتك أخرى إذ الأولى هي انقلاب العصا إلى حية تسعى كأنها جان. وقوله تعالى: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى، أي حولنا لك العصا حية وجعلنا يدك تخرج بيضاء من أجل أن نريك من دلائل قدرتنا وعظيم سلطاننا. وقوله تعالى: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ لما اراه من عجائب قدرته أمره أن يذهب إلى فرعون رسولا إليه يأمره بعبادة الله وحده وأن يرسل معه بني إسرائيل ليخرج بهم إلى أرض المعاد بالشام وقوله ﴿إنه طغى﴾ أي تجاوز قدره، وتعدى حده كبشر إذ أصبح يدعي الربوبية والألوهية إذ فقال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وقال: ﴿ماعلمت لكم من إله غيري﴾، فأي طغيان أكبر من هذا الطغيان.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير نبوة الرسول محمد ﷺ إذ مثل هذه الأخبار لا تصح إلا ممن يوحى إليه.

٢ - استحباب تناول الأشياء غير المستقذرة باليمين.

٣ - مشروعية حمل العصا.[5]

---

(١) أطنب موسى في الجواب طلباً لمزيد الأنس بالوقوف بين يدي ربّه يناجيه ويوحي إليه.

(٢) الحيّة: اسم لصنف من الحنش مسموم إذا عضّ بنابيه قتل المعضوض.

(٣) السيرة في الأصل: هيئة السير ونقلت إلى العادة والطبيعة.

(٤) الجناح: العضد وما تحته من الإبط فهو مع اليد كجناح الطائر.

(٥) كان خطباء العرب يحملونها في أثناء الخطاب يشيرون بها، وكره هذا الشعوبيون من غير العرب وهم محجوجون بفعل الرسول ﷺ، وللعصا فوائد كثيرة آخر فوائدها أنها تذكر بالسفر إلى الآخرة.

٤ ـ سنة رعي الغنم للأنبياء.
٥ ـ مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله في المعارك.
٦ ـ آية موسى في انقلاب العصا حية وخروج اليد بيضاء كأنها الثلج أو شعاع شمس.
٧ـ بيان الطغيان: وهو إدعاء العبد ماليس له كالألوهية ونحوها.

قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

شـرح الكلمـات:

اشرح لي صدري : أي وسعه لي لأتحمل الرسالة.

ويسر لي أمري : أي سهله حتى أقوى على القيام به

واحلل عقدة من لساني(١) : أي حبسة حتى أُفهم من أُخاطب

أشدد به أزري : أي قوي به ظهري.

وأشركه في أمري : أي اجعله نبياً كما نبأتني(٢)

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في حديث موسى عليه السلام مع ربه سبحانه وتعالى إنه بعد أن أمر الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله وحده وارسال بني إسرائيل مع موسى ليذهب به إلى أرض القدس قال موسى عليه السلام لربه تعالى ﴿اشرح لي صدري﴾ لأتحمل أعباء الرسالة ﴿ويسر لي أمري﴾ أي سهل مهمتي عليّ وارزقني العون

(١) أصل العقدة: موضع ربط بعض الخيط أو الحبل ببعض آخر وهي فُعلة كغرفة وشرفة أطلقت على عسر النطق بالكلام أو ببعض الحروف ويقال: حُبسة فشبه موسى حبسة لسانه بالعقدة في الحبل ونحوه.

(٢) يقال: ما برّ أخ أخاه كما برّ موسى أخاه هارون إذ طلب له أشرف مطلب الرسالة والنبوة.

عليها فإنها صعبة شاقة. ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ تلك العقدة التي نشأت بسبب الجمرة التي ألقاها في فمه بتدبير الله عز وجل حيث عزم فرعون على قتله لما وضعه في حجره يلاعبه فأخذ موسى بلحية فرعون ونتفها فغضب فقالت له آسية إنه لايعقل لصغر سنه وقالت له تختبره بوضع جواهر في طبق وجمر في طست ونقدمهما له فإن أخذ الجواهر فهو عاقل ودونك افعل به ماشئت، وإن أخذ الجمر فهو غير عاقل فلا تحفل به ولا تغتم لفعله، وقدم لموسى الطبق والطست فمد يده إلى الطست بتدبير الله فأخذ جمرة فكانت سبب هذه العقدة فسأل موسى ربه أن يحلها من لسانه ليفصح إذا خاطب فرعون ويبين فيفَهم قوله، وبذلك يؤدي رسالته. هذا معنى قوله: ﴿واحلل عقدة من لسان يفقهوا قولي﴾[1].

وقوله تعالى فيما أخبر عن موسى ﴿واجعل لي وزيراً[2] من أهلي هارون أخي﴾ أي طلب من الله تعالى أن يجعل له من أخيه هارون معيناً على تبليغ الرسالة وتحمل أعبائها. وقوله: ﴿اشدد به أزري[3]﴾ أي قوّ به ظهري. وقوله: ﴿وأشركه في أمري﴾ وذلك بتنبئته وإرساله ليكون هارون نبياً رسولاً. وعلل موسى عليه الصلاة والسلام لطلبه هذا بقوله: ﴿كي نسبحك[4] كثيراً ونذكرك كثيراً﴾، وقوله ﴿إنك كنت بنا بصيرا﴾ أي أنك كنت ذا بصر بنا لايخفى عليك شيء من أمرنا وهذا من موسى توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه وماطلبه من ربه توسل إليه بعلمه تعالى به وبأخيه وبحالهما.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب اللجأ إلى الله تعالى في كل مايهم العبد.

٢ - مشروعية الأخذ بالأُهبة والاستعداد لما يعتزم العبد القيام به.

٣ - فضيلة التسبيح والذكر، والتوسل بأسماء الله وصفاته. ,

---

(١) اختلف في هل انحلّت تلك العقدة أو لم تنحل، والصحيح أنها انحلّت إجابة الله تعالى لدعوة موسى إذ قال: (قد أجيبت دعوتكما) وأما قول فرعون: ولا يكاد يبين فهو تكرار لما سبق ولأجل الانتقاص من كمال موسى عليه السلام.

(٢) الوزير: المؤزار كالأكيل للمؤاكل، وفي حديث النسائي: (من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه).

(٣) الأزر: الظهر من موضع الحقوين، والأزر: القوة أيضاً وآزره أي: قواه، وقيل: الأزر العون، ومنه قول أبي طالب.

أليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

(٤) في هذه الآية دليل على فضل التسبيح والذكر إذ لولا أنّ موسى علم حب الله تعالى لهما لما توسل بهما لقضاء حاجته.

قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾
إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾

شـرح الكلمـات :

قد أوتيت سؤلك(١)	: أي مسئولك من انشراح صدرك وتيسير أمرك وتنبئة أخيك.
ولقد مننا عليك مرة أخرى	: أي انعمنا عليك مرة أخرى قبل هذه.
ما يوحى	: أي في شأنك وهو قوله: أن اقذفيه الخ.
في التابوت	: أي الصندوق.
فاقذفيه في اليم	: أي في نهر النيل.
ولتصنع على عيني(٢)	: تربى بمرأى مني ومحبة وإرادة.
على من يكفله	: ليكمل له رضاعه
وقتلت نفسا	: هو القبطي الذي قتلته بمصر وهو في بيت فرعون.
فنجيناك من الغم	: إذ استغفرتنا فغفرنا لك وأئتمروا بك ليقتلوك فنجيناك منهم.
وفتناك فتونا	: أي اختبرناك اختبارا وابتليناك ابتلاء عظيما.

(١) سؤل بمعنى مسؤول كخبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول.
(٢) الصنع هنا: بمعنى التربية والتنمية.

جئت على قدر[1] : أي جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون.
واصطنعتك لنفسي : أي أنعمت عليك بتلك النعم اجتباءً منا لك لتحمل رسالتنا.

معنى الآيات :

مازال السياق في حديث موسى مع ربه تعالى فقد تقدم أن موسى عليه السلام سأل ربه أموراً لتكون عوناً له على حمل رسالته فأجابه تعالى بقوله: في هذه الآية (٣٦) ﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ أي قد أعطيت ما طلبت، ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أي قبل هذه الطلبات وهي أنه لما أمر فرعون بذبح أبناء بني إسرائيل[2] ﴿إذ أوحينا[3] إلى أمك أن اقذفيه في التابوت﴾ أي في الصندوق ﴿فاقذفيه في اليم[4]﴾ أي نهر النيل ﴿فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له[5]﴾ فهذه النجاة نعمة، ونعمة أخرى تضمنها قوله تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ أي أضفيت عليك محبتي فأصبح من يراك يحبك، ونعمة أخرى وهي: من أجل أن تُربَّى وتغذى على مرأى مني وإرادة لي أ رجعتك بتدبيري إلى أمك لترضعك وتقر عينها ولا تحزن على فراقك، وهو ماتضمنه قوله تعالى: ﴿إذ تمشي أختك[6] ﴾ فتقول: ﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ لكم أي لارضاعه وتربيته. ﴿ فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ﴾ ، ونعمة أخرى وهي أعظم إنجاؤنا لك من الغم الكبير بعد قتلك النفس وائتمار آل فرعون على قتلك ﴿ فنجيناك من الغم﴾ من القتل وغفرنا لك خطيئة القتل. وقوله تعالى: ﴿وفتناك فتوناً[7]﴾ أي ابتليناك ابتلاءً عظيما وهاهي ذي خلاصته في الأرقام التالية:

١ - حمل امك بك في السنة التي يقتل فيها أطفال بني إسرائيل.
٢ - إلقاء أُمك بك في اليم.
٣ - تحريم المراضع عليك حتى رجعت إلى أمك.
٤ - أخذك بلحية فرعون وهمه بقتلك.

---

(١) كما قال الشاعر:
نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى موسى ربه على قدر
(٢) أوحى الله تعالى إلى أم موسى: ﴿أن اقذفيه..﴾ الآية.
(٣) هذا إلهام لها أو منام إذ لم تكن نبيّة اجماعاً.
(٤) الساحل: الشاطىء، وهو ساحل معهود وهو الذي يقصده آل فرعون للسباحة. واللام في (فليلقه) لام التكوين الإلهي.
(٥) هذا العدو: فرعون عدو الله تعالى وعدو موسى وبني اسرائيل.
(٦) أخت موسى تسمى مريم بنت عمران.
(٧) الفتون: مصدر كالدخول والخروج وهو كالفتنة، وهي اضطراب حال المرء في مدة حياته.

٥ ـ قتلك القبطي وائتمار آل فرعون بقتلك.

٦ ـ إقامتك في مدين وماعانيت من آلام الغربة.

٧ ـ ضلالك الطريق بأهلك وماأصابك من الخوف والتعب.

هذه بعض مايدخل تحت قوله تعالى: وفتناك فتوناً وقوله ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ (١) ترعى غنم شعيب عشراً من السنين ﴿ثم جئت﴾ من مدين إلى طور سينا ﴿على قدر﴾ منا مقـدر ووعد محدد ما كنت تعلمه حتى لاقيته. واصطنعتك لنفسي أي خلقتك وربيتك وابتليتك واتيت بك على موعد قدّرته لك لأُحمِّلك عبء الرسالة إلى فرعون وبني إسرائيل: إلى فرعون لتدعوه إلى عبادتنا وإرسال بني إسرائيل معك إلى أرض المعاد. وإلى بني إسرائيل لهدايتهم وإصلاحهم وإعدادهم للإسعاد والإكمال في الدارين إن هم آمنوا واستقاموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ مظاهر لطف الله تعالى وحسن تدبيره في خلقه.

٢ ـ مظاهر اكرام الله تعالى ولطفه بعبده ورسوله موسى عليه السلام.

٣ ـ آية حب الله تعالى لموسى، وأثر ذلك في حب الناس له.

٤ ـ تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره في كتابه بمثل هذه الأحداث في قصص موسى عليه السلام.

ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا
فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(١) مدين أحد أبناء إبراهيم عليه السلام، وأهل مدين: أي: البلاد التي سميت باسم ابن ابراهيم هم قوم شعيب، والبلاد على ساحل البحر الأحمر جنوب العقبة.

وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

شــرح الكلمات :

بآياتي : أي بالمعجزات التي آتيتك كالعصا واليد وغيرها.

ولا تنيا في ذكري : أي لا تفترا ولا تقصرا في ذكري فإنه سر الحياة وعونكما على أداء رسالتكما.

انه طغى : تجاوز قدره بادعائه الألوهية والربوبية.

قولا لينا : أي خالياً من الغلظة والعنف.

لعله يتذكر : أي فيما تقـولان فيهتدي إلى معرفتنا فيخشانا فيؤمن ويسلم ويرسل معكما بني إسرائيل.

يفرط علينا : أي يعجل بعقوبتنا قبل أن ندعوه ونبين له.

أو أن يطغى : أي يزداد طغيانا وظلما.

اسمع وأرى : أي اسمع ماتقولانه ومايقال لكما، وأرى ماتعملان ومايعمل لكما.

فأرسل معنا بني إسرائيل : أي لنذهب بهم إلى أرض المعاد أرض أبيهم ابراهيم.

بآية : أي معجزة تدل على صدقنا في دعوتنا وأنا رسولا ربك حقاً وصدقاً.

والسلام على من اتبع الهدى : أي النجاة من العذاب في الدارين لمن آمن واتقى، إذ الهدى إيمانٌ وتقوى.

من كذب وتولى : أي كذب بالحق ودعوته وأعرض عنهما فلم يقبلهما.

معنى الكلمـات :

مازال السياق الكريم في الحديث عن موسى مع ربه تبارك وتعالى فقد أخبره تعالى في

الآية السابقة أنه صنعه لنفسه، فأمره في هذه الآية بالذهاب مع أخيه هارون مزودين بآيات الله وهي حججه التي أعطاهما من العصا واليد البيضاء، ونهاهما عن التواني في ذكر الله بأن يضعفا في ذكر وعده ووعيده فيقصرا في الدعوة إليه تعالى فقال: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي[1] ولا تنيا في ذكري[2]﴾ وبين لهما إلى من يذهبا وعلة ذلك فقال: ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ أي تجاوز قدره وتعدى حده من إنسان يعبد الله إلى إنسان كفار ادعى أنه رب وإله، وعلمهما اسلوب الدعوة فقال لهما: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي خاليا من الغلظة والجفا وسوء الإلقاء وعلل لذلك فقال ﴿لعله يتذكر أو يخشى[3]﴾ أي رجاء أن يتذكر معاني كلامكما وما تدعوانه إليه فيراجع نفسه فيؤمن ويهتدي[4] أو يخشى العذاب ان بقي على كفره وظلمه فيسلم لكما بني إسرائيل ويرسلهم معكما، فأبدى موسى وأخوه هارون تخوفاً فقال ما أخبر تعالى به عنهما في قوله: ﴿فقالا إنا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي يعجل بعقوبتنا بالضرب أوالقتل، ﴿أو أن يطغى[5]﴾ أي يزداد طغياناً وظلماً. فطمأنهما ربهما عز وجل بأنه معهما بنصره وتأييده وهدايته إلى كل ما فيه عزهما فقال لهما: ﴿لاتخافا﴾ أي من فرعون وملائه: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ اسمع ماتقولان لفرعون ومايقول لكما. وأرى ماتعملان من عمل وما يعمل فرعون وإني أنصركما عليه فأحق عملكما وأبطل عمله. فاتياه إذاً ولا ترددا فقولا أي لفرعون ﴿إنا رسولا ربك﴾ أي إليك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ لنخرج بهما حيث أمر الله، ﴿ولا تعذبهم﴾ بقتل رجالهم واستحياء نسائهم واستعمالهم في أسوء الأعمال وأحطها، ﴿قد جئناك بآية[6] من ربك﴾ أي بحجة من ربك دالة على أنا رسولا ربك إليك وأنه يأمرك بالعدل والتوحيد

---

(١) يروى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الآيات التسع. وهذا باعتبار ما يكون وإلا فما حصل هو آية العصا واليد لا غير.

(٢) ولا تنيا؛ أي: ولا تضعفا. يقال: وني يني ونىً أي: ضعف في العمل. أي: لا تني أنت وأبلغ هارون أن لا يني.

(٣) لعلّ: حرف ترج ولكن هي هنا بالنسبة إلى موسى وهارون معناه: لعل رجاءكما وطمعكما. فالتوقع فيها إنما هو راجع إلى جهة البشر.

(٤) لقد تذكر فرعون وخشي وذلك ساعة غرقه ولم ينفعه ذلك إذ قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل.

(٥) قوله تعالى: (قالا ربنا إنا نخاف) الخ هذه بداية كلام موسى وهارون بعد أن انتهى كلام موسى مع ربّه وحده. قبل أن يصل إلى مصر، ومعنى: يفرط يبادر بعقوبتهما ويعجلها، يقال: فرط منه أمر أي: بدر، وأفرط: أسرف وفرّط: ترك وأضاع، وفي الآية دليل عدم المؤاخذة بالخوف مما من شأنه أن يخاف، ولكن لا يمنع من عبادة الله تعالى التي هي علّة الخلق والوجود.

(٦) هي اليد والعصا.

وينهاك عن الظلم والكفر ومنع بني إسرائيل من الخروج إلى أرض المعاد معنا. ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ أي واعلم يافرعون أن الأمان والسلامة يحصلان لمن اتبع الهدى الذي جئناك به، فاتبع الهدى تسلم[1]، وإلا فأنت عرضة للمخاوف والهلاك والدمار وذلك لأنه ﴿قد أوحى إلينا﴾ أي أوحى إلينا ربنا، ﴿أن العذاب[2] على من كذب﴾ بالحق الذي جئناك به ﴿وتولى﴾ عنه فأعرض عنه ولم يقبله كبرياءً وعناداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ عظم شأن الذكر بالقلب واللسان والجوارح أي بالطاعة فعلاً وتركاً.

٢ ـ وجوب مراعاة الحكمة في دعوة الناس إلى ربهم.

٣ ـ تقرير معية الله تعالى مع أوليائه وصالحى عباده بنصرهم وتأييدهم .

٤ ـ تقرير أن السلامة من عذاب الدنيا والآخرة هي من نصيب متبعي الهدى.

٥ ـ شرعية إتيان الظالم وأمره ونهيه والصبر على اذاه.

٦ ـ عدم المؤاخذة على الخوف حيث وجدت اسبابه.

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾
قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾

---

(١) والسلام هنا ليس سلام تحية.

(٢) قوله تعالى: (إنّ العذاب على من كذّب وتولّى) هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذّبوا ولم يتولوا.

شـــرح الكلمات :

أعطى كل شيء خلقه : أي خلقه الذي هو عليه متميز به عن غيره .

ثم هدى : أي الحيوان منه إلى طلب مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه .

قال فما بال القرون الأولى : أي قال فرعون لموسى ليصرفه عن ادلائه بالحجج حتى لايفتضح فما بال القـرون الأولى كقوم نوح وعاد وثمود في عبادتهم الأوثان؟

قال علمها عند ربي : أي علم أعمالهم وجزائهم عليها عند ربي دعنا من هذا فإنه لايعنينا

في كتاب لايضل ربي ولا ينسى : أي أعمال تلك الأمم في كتاب محفوظ عند ربي وسيجزيهم بأعـمالهم إن ربي لايخطىء ولا ينسى فإن عذب أو أخر العذاب فإن ذلك لحكمة اقتضت منه ذلك .

مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً : مهاداً، فراشا وسلك : سهل ، وسبلاً طرقاً .

أزواجا من نبات شتى : أزواجاً : أصنافاً : شتى : مختلفة الألوان والطعوم .

ان في ذلك لآيات : لدلائل واضحات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته .

لأولى النهى : أي أصحاب العقول لأن النُهية العقل وسمى نهيةً لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح كالشرك والمعاصي .

منها خلقناكم : أي من الأرض وفيها نعيدكم بعد الموت ومنها نخرجكم عند البعث يوم القيامة .

تارة أخرى : أي مرة أخرى إذ الأولى كانت خلقاً من طين الأرض وهذه اخراجاً من الأرض .

معنى الآيات :

السياق الكـريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون إذ وصل موسى وأخوه إلى فرعون ودعوه إلى الله تعالى ليؤمن به ويعبده وبأسلوب هادىء لين كما أمرهما الله تعالى : فقالا له : ﴿والسلام على من اتبع الهدى إنا قد اوحي علينا أن العذاب على من

كذب وتولى﴾؟ ولم يقولا له لا سلام عليك، ولا أنت مكذب ومعذب، وهنا قال لهما فرعون ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿قال فمن ربكما ياموسى؟﴾ أفرد اللعين موسى بالذكر لإدلائه عليه بنعمة التربية في بيته ولأنه الرسول الأول فأجابه موسى بما أخبر تعالى به بقوله: ﴿ربنا الذي أعطى[1] كل شيء خلقه ثم هدى[2]﴾ أي كل مخلوق خلقه الذي هو عليه متميز به من شكل ولون وصفة وذات ثم هدى الأحياء من مخلوقاته إلى طلب رزقها من طعام وشراب، وطلب بقائها بما سن لها وهداها إليه من طرق التناسل إبقاء لأنواعها. وهنا وقد أفحم موسى فرعون وقطع حجته بما ألهمه الله من علم وبيان قال فرعون صارفاً موسى عن المقصود خشية الفضيحة من الهزيمة أمام ملائه قال: ﴿فما[3] بال القرون الأولى﴾ أخبرنا عن قوم نوح وهود وصالح وقد كانوا يعبدون الأوثان. وعرف موسى أن اللعين يريد صرفه عن الحقيقة فقال له ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿علمها عند ربي في كتاب[4]، لا يضل ربي ولاينسى[5]﴾ فإن ما سألت عنه لايعنينا فعلم حال تلك الأمم الخالية عند ربي في لوح محفوظ عنده وسيجزيها بعملها، وما عجل لها من العقوبة أو أخر إنما لحكمة يعلمها فإن ربي لايخطىء ولا ينسى وسيجزى كلاً بكسبه. ثم أخذ موسى يصف ربه ويعرفهم به وهي فرصة سنحت فقال ﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾ أي فراشاً مبسوطة للحياة عليها ﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ أي سهل لكم للسير عليها طرقا تمكنكم من الوصول إلى حاجاتكم فوقها، ﴿وأنزل من السماء ماء وهو المطر﴾ المكون للأنهار والمغذي الممد للآبار. هذا هو ربي وربكم فاعرفوه واعبدوه ولا تعبدوا معه سواه. وقوله تعالى: ﴿فأخرجنا[6] به أزواجاً من نبات شتى﴾ أي بالمطر ازواجاً أي أصنافاً من نباتٍ شتى أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخصائص. كان هذا من قول الله

---

(١) أعلمه عليه السلام بأنّ ربه تعالى يعرف بصفاته لابذاته ولا باسم يعرف به ولم يقل له موسى: إنه الله، لأنّ الاسم العلم لايهدي إلى معرفته تعالى كما تهدي إليه الصفات العُلى التي لا يقدر فرعون على جحدها وإنكارها.

(٢) قال ابن عباس: أعطى كل زوج من جنسه ثمّ هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه. وقال مجاهد: اعطى كل شيء صورته ولم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان. قال الشاعر:

وله في كل شيء خلقه   وكذا الله ما شاء فعل

(٣) البال: الحال أي: ما حالها وما شأنها؟ فأعلمه موسى عليه السلام أنّ علمها عند الله أي: إن ما سألت عنه من علم الغيب الذي استأثر الله به دون سواه.

(٤) في هذه الآية دليل على مشروعية كتابة العلوم وتدوينها، حتى لا تنسى فتضيع وفي الحديث شاهد آخر ففي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده. إن رحمتي تغلب غضبي).

(٥) الضلال: الخطأ في العلم شبّه بخطإ الطريق، والنسيان: عدم تذكر الأمر المعلوم في الذهن.

(٦) في الكلام التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم والخطاب تنويعاً للأسلوب وتحريكاً للضمير الجامد.

تعالى تتميمًا لكلام موسى وتذكيراً لأهل مكة المتجاهلين لله وحقه في التوحيد. وقوله: ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ أي مما ذكرنا لكم من أزواج النبات وارعوا إبلكم واغنامكم وسائر بهائمكم واشكروا لنا هذا الإنعام بعبادتنا وترك عبادة غيرنا. وقوله تعالى: ﴿إن في ذ لك لآيات لأولي النهى﴾ أي إن في ذلـك المذكور من إنزال المطر وإنبات النبات لتغذية الإنسان والحيوان لدلالات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وانه بذلك مستحق للعبادة دون سواه إلا أن هذه الدلائل لايعقلها إلا اصحاب العقول وذوو النهى فهم الذي يستدلون بها علم معرفة الله ووجوب عبادته وترك عبادة غيره. وقوله تعالى: ﴿منها﴾ أي من الأرض التي فيها حياة النبات والحيوان خلقناكم أي بخلق أصلكم الأول وهو آدم، وفيها نعيدكم بالموت فتقبرون فيها، ﴿ومنها[1] نخرجكم تارة أخرى[2]﴾ أي مرة أخرى وذلك يوم القيامة إذ نبعثكم من قبوركم أحياء للحساب والجزاء بالنعيم المقيم أو العذاب المهين بحسب صفات نفوسكم فذو النفس الطاهرة ينعم وذو النفس الخبيثة من الشرك والمعاصي يعذب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تعين إجابة السائل ولتكن بالعلم الصحيح النافع.

٢ ـ تقرير مبدأ من حسن[3] إسلام المرء تركه ما لايعنيه.

٣ ـ تنزه الرب تعالى عن الخطأ والنسيان.

٤ ـ الاستدلال باالآيات الكونية على الخالق عز وجل وقدرته وألوهيته.

٥ ـ احترام العقول وتقديرها لأنها تعقل[4] صاحبها دون الباطل والشر.

٦ ـ تسمية العقل نهية لأنه ينهى صاحبه عن القبائح.

---

(١) بمناسبة ذكر دلائل وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لألوهيته دون سواه ذكّرهم بعقيدة البعث والجزاء مستدلاً عليها بقدرة الله تعالى وعلمه.

(٢) تجمع التارة على تارات كالمرة على المرّات، والتارة: اسم جامد غير مشتق.

(٣) هذا حديث الصحيح: (من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه).

(٤) تعقل: أي: تحجزه أو تصرفه عما يضرّ حالا أو مآلا.

وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾

شـــرح الكلمات :

أريناه آياتنا كلها : أي أبصرناه حججنا وأدلتنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا موسى وهارون إليه كلها فرفضها وأبى أن يصدق بأنهما رسولين إليه من رب العالمين.

من أرضنا : أي أرض مصر التي فرعون ملك عليها.

بسحرك ياموسى : يشير إلى العصا واليد البيضاء.

مكانا سوى : أي مكـان عدل بيننـا وبينك ونَصَفٍ، صالحاً للمباراة بحيث يكون ساحة كبرى مكشوفة مستوية يرى مافيها كل ناظر إليها.

يوم الزينة : أي يوم عيد يتزينون فيه ويقعدون عن العمل.

وأن يحشر الناس ضحى: أي وأن يؤتى بالناس من كل انحاء البلاد للنظر في المباراة.

فتولى فرعون : اي انصرف من مجلس الحوار بينه وبين موسى وهارون في كبرياء وإعراض.

فجمع كيده : أي ذوى كيده وقوته من السحرة.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الحوار بين موسى وهارون من جهة وفرعون وملائه من جهة

أخرى فقال تعالى: ﴿ولقد أريناه﴾ أي أرينا فرعون ﴿آياتنا كلها﴾[1] أي أدلتنا وحججنا على أن موسى وهارون رسولان من ﴿قبلنا﴾ أرسلناهما إليه، فكذب برسالتهما وأبى الاعتراف بهما، وقال ماأخبر تعالى به عنه: ﴿قال أجئتنا﴾[2] أي ياموسى ﴿لتخرجنا من أرضنا﴾ أي منازلنا وديارنا ومملكتنا ﴿بسحرك﴾ الذي انقلبت به عصاك حية تسعى، ﴿فلنأتينك بسحر مثله، فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ نتقابل فيه، ﴿لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾[3] عدلاً بيننا وبينك يكون من الاعتدال والاتساع بحيث كل من ينظر إليه يرى ما يجرى فيه من المباراة بيننا وبينك. فأجاب موسى بما أخبر تعالى به عنه فقال: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ وهو يوم عيد للأقباط يتجملون فيه ويقعدون عن العمل، ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾[4] أي في يوم يجمع فيه الناس ضحى للتفرج في المباراة من كل أنحاء المملكة وهنا تولى فرعون بمعنى انصرف من مجلس المحاورة وكله كبر وعناد فجمع قواته من السحرة لإنفاذ كيده في موسى وهارون. وفي الآيات التالية تظهر الحقيقة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان كبر فرعون وصلفه وطغيانه.

٢ ـ للسحر آثار وله مدارس يتعلم فيها ورجال يحذقونه ويعلمونه.

٣ ـ مشروعية المبارزة والمباراة لإظهار الحق وإبطال الباطل.

٤ ـ مشروعية اختيار المكان والزمان اللائق للقتال والمباراة ونحوهما.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ

---

(١) أي: الدالة على وجود الله تعالى ووجوب ألوهيته وعلى صحة نبوّة موسى وهارون.

(٢) لما رأى الآيات وبهرته احتال في دفعها اللعين بدعواه انّ موسى جاء ليخرج فرعون وقومه من بلادهم ليستقل بها دونهم، وهذا من الكذب السياسي الممقوت.

(٣) قرأ حفص (سُوى) كطوى بضم السين، وقرأ نافه (سوى) بكسرها كطوى، والكسر أفصح. أي: وسطاً في المدينة لايشق على من يأتيه.

(٤) اختار موسى اليوم والساعة، وهي: الضحى لعلمه أنه سيغلب السحرة وينهزمون أمامه، فأحب أن يكون الوقت مناسباً بكثرة المتفرّجين ووضوح الرؤية لهم في شباب النهار (الضحى)

وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾
قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾

شـرح الكلمـات:

ويلكم : دعاء عليهم معناه: ألزمكم الله الويل وهو الهلاك.

فيسحتكم بعذاب : أي يهلككم بعذاب من عنده.

فتنازعوا أمرهم : أي في شأن موسى وهارون أي هل هما رسولان أو ساحران.

وأسروا النجوى : وهي قولهم: ان هذان لساحران يريدان الخ......

بطريقتكم المثلى : أي ويغلبا على طريقة قومكم وهما أشرافهم وساداتهم.

فأجمعوا كيدكم : أي أحكموا أمر كيدكم حتى لا تختلفوا فيه.

قد أفلح من استعلى : أي قد فاز من غلب.

إما أن تلقي : أي عصاك.

فخيل إليه أنها تسعى: أي فخيل إلى موسى أنها حية تسعى، لأنهم طلوها بالزئبق فلما ضربت الشمس عليها اضطربت واهتزت فخيل إلى موسى أنها تتحرك.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام والسحرة الذين جمعهم فرعون

للمباراة فأخبر تعالى عن موسى أنه قال لهم مخوفا إياهم علهم يتوبون: ﴿ويلكم[1] لاتفتروا على الله كذباً﴾ أي لا تتقولوا على الله فتنسبوا إليه ماهو كذب ﴿فيسحتكم[2] بعذاب﴾ أي يهلككم بعذاب إبادة واستئصال، ﴿وقد خاب من افترى﴾ أي خسر من كذب على الله أو على الناس. ولما سمعوا كلام موسى هذا اختلفوا فيما بينهم هل صاحب هذا الكلام ساحر أو هو كلام رسول من في السماء؟ وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله:

﴿فتنازعوا[3] أمرهم بينهم﴾ وقوله ﴿وأسروا النجوى﴾ أي أخفوا ماتناجوا به بينهم وهو ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿إن[4] هذان لساحران﴾ أي موسى وهارون ﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ ﴿أي دياركم المصرية، ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى[5]﴾ أي باشرافكم وساداتكم من بني إسرائيل وغيرهم فيتابعوهما على ما جاءا به ويدينون بدينهما، وعليه فأجمعوا أمركم حتى لاتختلفوا فيها بينكم، ﴿ثم ائتوا صفا﴾ واحدا متراصاً، ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ أي غلب، وهذا بعد أن اتفقوا على أسلوب المباراة قالوا بأمر فرعون: ﴿ياموسى إما أن تلقي﴾ عصاك، وإما أن نلقي نحن فنكون أول من ألقى. فقال لهم موسى: ﴿بل ألقوا﴾، فالقوا عندئذ ﴿فإذا حبالهم وعصيهم﴾ وكانت ألوفاً فغطت الساحة وهي تتحرك وتضطرب لأنها مطلية بالـزئبق فلما سخنت بحر الشمس صارت تتحرك وتضطرب الأمر الذي خيل فيه لموسى أنها تسعى (باقي الحديث في الآيات بعد).

---

(١) الويل: الهلاك وهو شبه مصدر، ونصبه إما على تقدير: ألزمهم الله أو على النداء أي: يا ويلهم. كقوله: (ياويلنا من بعثنا).

(٢) سحت وأسحت بمعنى، وأصله من استقصاء الشعر في إزالته قرأ أهل الكوفة: (فُيسحتكم) بضم الياء من أسحت، وقرأ أهل الحجاز بفتح الياء من: سحت قال الشاعر:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال إلّا مُسحتا أو مجلّفا

والشاهد في: مسحت من أسحت.

(٣) التنازع: مشتق من جذب الدلو من البئر وجذب الثوب من الجسد والتنازع تفاعل إذ كل ذي رأي يريد نزع رأي صاحبه لرأيه لما يراه من الصواب.

(٤) قراءة الجمهور بكسر إنّ وتشديد النون، وبلغ الخلاف في هذا الحرف أشدّه فبلغوا فيه إلى ستة تخريجات أمثلها: أن (إن) حرف جواب بمعنى نعم قال الشاعر:

ويقلن شيب علا   ك وقد كبرت فقلت إنّه

والشاهد في إنه جواب لما في البيت من كلام، والهاء في إنه هاء السكت، وشاهد آخر وهو: أنّ عبدالله بن الزبير قال لأعرابي استجداه فلم يعطه: إنّ وراكبها. لما قال الأعرابي: لعن الله ناقة حملتني إليك. فقوله: إنّ: أي: نعم وراكبهاأي: ملعون كذلك.

(٥) المثلى: مؤنث: الأمثل، من المثالية التي هي حسن الحال. أراد فرعون إثارة الحمية في قومه ليدافعوا عن عاداتهم وشرائعهم وأخلاقهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة الكذب على الله تعالى، وإنه ذنب عظيم يسبب دمار الكاذب وخسرانه.

٢ ـ من مكر الانسان وخداعه[1] أن يحول القضية الدينية البحتة إلى سياسة خوفاً من التأثير على النفوس فتؤمن وتهتدي إلى الحق.

٣ ـ معية الله تعالى لموسى وهارون تجلت في تصرفات موسى إذ الإذن لهم بالإلقاء أولا من الحكمة وذلك أن الذي يبقى في نفوس المتفرجين والنظارة هو المشهد الأخير والكلمة الأخيرة التي تقال. لاسيما في موقف كهذا.

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾

شـــرح الكلمـات:

فأوجس في نفسه خيفة: أي أحس بالخوف في نفسه.

أنت الأعلى: أي الغالب المنتصر.

تلقف: أي تبتلع بسرعة ما صنع السحرة من تلك الحبال والعصي

كيد ساحر: أي كيد سحر لابقاء له ولا ثبات.

---

(١) المراد به الإنسان الذي لا يؤمن بالله ولقائه ولا يتحلى بالصبر والتقوى.

لايفلح الساحر : أي لا يفوز بمطلوبه حيثما كان .

فألقي السحرة سجداً : أي ألقوا بأنفسهم ورؤوسهم على الأرض ساجدين .

إنه لكبيركم : أي لمعلمكم الذي علمكم السحر.

من خلاف : أي يد يمنى مع رجل يسرى .

في جذوع النخل : أي على أخشاب النخل .

أينا أشد عذاباً وأبقى : يعني نفسه ـ لعنه الله ـ ورب موسى اشد عذابا وأدومه على مخالفته وعصيانه .

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن المباراة التي بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون إنه لما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم وتحركت واضطربت وامتلأت بها الساحة شعر موسى بخوف في نفسه فأوحى إليه ربه تعالى في نفس اللحظة : ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ أي الغالب القاهر لهم .

هذا مادلت عليه الآية الأولى (٦٧) فأوجس[١] في نفسه خيفة موسى والثانية (٦٨)﴿قلنالا تخف إنك أنت الأعلى﴾ وقوله تعالى : ﴿وألق ما في[٢] يمنيك تلقف ما صنعوا﴾ أي تبتلع بسرعة وعلل لذلك فقال : ﴿إنما صنعوا كيد[٣] ساحر﴾ أي هو مكر وخدعة من ساحر ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ أي لايفوز الساحر بما أراد ولا يظفر به أبداً لأنه مجرد تخيلات يريها غيره . وليس لها حقيقة ثابتة لا تتحول ولما شاهد السحرة ابتلاع العصا لكل حبالهم وعصيتهم عرفوا أن ماجاء به موسى ليس سحراً وإنما هو معجزة سماوية ألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله رب العالمين لما بهر نفوسهم من عظمة المعجزة وقالوا في وضوح ﴿آمنا برب هارون وموسى﴾ . وهنا صاح فرعون مزمجراً مهدداً ليتلافى في نظره شر الهزيمة فقال

---

(١) (أوجس) : أي أحس ووجد أي : خاف أن يفتتن الناس قبل أن يلقي العصا .

(٢) لم يقل له : ألق العصا لأنّ فيها إكباراً لشأن العصا وأنها بحق قادرة على إبطال باطل السحرة .

(٣) قرأ الجمهور : (كيد ساحر) وقرأ بعضهم : (كيد سحر) بكسر السين أي : كيد ذي سحر، وكيد : خبر مرفوع ، والمبتدأ : ما الموصولية في قوله : (إن ما صنعوا) وصنعوا : صلتها، وكيد : الخبر . وقرىء بنصب كيد على أنّ ما كافة . وكيد معمول لصنعوا .

للسحرة ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ بذلك ﴿إنه لكبيركم[1]﴾ أي معلمكم العظيم ﴿الذي علمكم السحر﴾ فتواطأتم معه على الهزيمة. ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ تعذيباً وتنكيلاً فاقطع يمين أحدكم مع يسرى رجليه، أو العكس ﴿ولأصلبنكم[2] في جذوع النخل﴾ أي لأشدنكم على أخشاب النخل واترككم معلقين عبرة ونكالا لغيركم ﴿ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾ أي أدومه: رب موسى الذي آمنتم به أو أنا «فرعون عليه لعائن الله»

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الشعور بالخوف والإحساس به عند معاينة أسبابه لايقدح في الإيمان.
٢ ـ تقرير أن ما يظهر السحرة من تحويل الشيء إلى آخر إنما هو مجرد تخييل لا حقيقة له.
٣ ـ حرمة السحر لأنه تزوير وخداع.
٤ ـ قوة تأثير المعجزة في نفس السحرة لما ظهر لهم من الفرق بين الآية والسحر.
٥ ـ شجاعة المؤمن لايرهبها خوف بقتل ولا بصلب.

قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ

---

(١) أراد فرعون بقوله هذا التشبيه على الناس والتمويه حتى لا يتبعوا السحرة فيؤمنوا كإيمانهم لا أنّ موسى استاذهم في السحر وأنه أحذق منهم له وأعلم منهم به.

(٢) حروف الجر تتناوب، والفاء هنا: (في جذع النخل) بمعنى: على. قال الشاعر:

هم صلبوا العبديّ في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلّا بأجدعا

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

شـــرح الكلمـات :

لن نؤثرك : أي لن نفضلك ونختارك .

والذي فطرنا : أي خلقنا ولم نكن شيئا .

فاقض ما أنت قاض : أي اصنع ما قلت إنك تصنعه بنا .

والله خير وأبقى : أي خير منك ثواباً إذا أطيع وأبقى منك عذاباً إذا عصى .

مجرما : مجرما أي على نفسه مفسداً لها بآثار الشرك والكفر والمعاصي .

جزاء من تزكى : أي ثواب من تتـطهـر من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح .

معنى الآيات :

مازال السياق مع فرعون والسحرة المؤمنين انه لما هددهم فرعون بالقتل والصلب على جذوع النخل لإيمانهم بالله وكفرهم به وهو الطاغوت قالوا له ما أخبر تعالى به عنهم في هذه الآية (٧٢) ﴿قـالـوا لن نؤثرك﴾ يافرعون ﴿على ماجاءنا من البينات﴾ الدلائل والحجج القاطعة على أن رب[1] موسى وهارون هو الرب الحق الذي تجب عبادته وطاعته فلن نختارك على الذي خلقنا فنؤمن بك ونكفر به لن يكون هذا أبداً واقض ما أنت عازم على قضائه علينا من القتل والصلب. ﴿إنما تقضى هذه الحياة الدنيا﴾ في هذه الحياة الدنيا لما لك من السلطان فيها أما الآخرة فسوف يقضى عليك فيها بالخلد في العذاب المهين.

وأكدوا إيمانهم في غير خوف ولا وجل فقالوا: ﴿إنا آمنا بربنا﴾ أي خالقنا ورازقنا ومدبر أمـرنـا ﴿ليغفر لنا خطايانا﴾ أي ذنوبنا، ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ أي من تعلمه والعمل به، ونحن لانريد ذلك ولا شك أن فرعون كان قد ألزمهم بتعلم السحر والعمل به من أجل محاربة موسى وهارون لما رأى من معجزة العصا واليد. وقولهم ﴿والله خير وأبقى﴾

---

(١) روي أن آسيا امرأة فرعون لما بدأت المباراة قالت لهم: أخبروني عمّن يغلب فأخبرت أن موسى وهـٰرون غلبا فقالت: آمـنـت بربّ موسـى وهـٰرون. فأمـر فرعـون بأعـظم صخـرة فإذا أصرّت على قولها فالقوها عليها فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فرأت منزلها في الجنة بعد أن قالت ﴿ربّ ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ وخرجت روحها فألقيت عليها الصخرة وهي جسد لا روح فيها استجاب الله لها عليها السلام.

أي خير ثوابا وجزاء حسنا لمن آمن به وعمل صالحاً، وأبقى عذاباً لمن كفر به وبآمن بغيره وعصاه. هذا ما دلت عليه الآيتان (٧٢) و (٧٣).

أما الآية الثالثة (٧٤) وهي قوله تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرماً[١]﴾ أي على نفسه بإفسادها بالشرك والمعاصي ﴿فإن له[٢] جهنم لايموت فيها[٣]﴾ فيستريح من العذاب فيها، ﴿و لا يحيى﴾ حياة يسعد فيها.

وقولهم﴿ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات﴾أي مؤمناً به كافراً بالطاغوت قد عمل بشرائعه فأدى الفرائض واجتنب المناهي ﴿فأولئك لهم[٤]﴾ جزاء إيمانهم وعملهم الصالح ﴿الدرجات العلى جنات عدن﴾ أي في جنات عدن ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ لايموتون ولا يخرجون منها، ﴿وذلك جزاء من تزكى﴾ أي تتطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد تخليه عن الشرك والخطايا والذنوب. لاشك أن هذا العلم الذي عليه السحرة كان قد حصل لهم من طريق دعوة موسى وهارون إذ أقاموا بينهم زمناً طويلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - لايؤثر الكفر على الإيمان والباطل على الحق والخرافة على الدين الصحيح إلا أحمق جاهل.

٢ - تقرير مبدأ أن عذاب الدنيا يتحمل ويصبر عليه بالنظر إلى عذاب الآخرة.

٣ - الاكـراه نوعان: ما كان بالضرب الذي لايطاق يغفر لصاحبه وما كان لمجرد تهديد ومطالبة فإنه لايغفر إلا بالتوبة الصادقة وإكراه السحرة كان من النوع الآخر.

٤ - بيان جزاء كل من الكفر والمعاصي، والإيمان والعمل الصالح في الدار الآخرة.

---

(١) المجرم: فاعل الجريمة، وهي المعصية، والفعل الخبيث، والمجرم في اصطلاح القرآن: الكافر غالباً.

(٢) اللام في: له جهنم لام الاستحقاق أي: هو صائر إليها لا محالة.

(٣) لا يموت فيها ولا يحيى، لأن عذابها متجدد فيها فلا هو ميّت لأنه يحس بالعذاب ولا هو حي لأنه في حالة الموت أهون منها، وهذا كقول عباس بن مرداس:

وقد كنت في الحرب ذا تُدْرَءٍ فلم أُعط شيئاً ولم أُمنع

(٤) (فأولئك..) الآية أوتي باسم الإشارة إلى أنهم أحياء بهذا النعيم في جنات ويؤكده قوله (ذلك جزاء من تزكى).

وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا
فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ
وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

شــرح الكلمـات :

ان أسر بعبادي : أي سر ليلاً من أرض مصر

طريقاً في البحر يبساً : طريقاً في وسط البحر يابساً لا ماء فيه

لا تخاف دركاء : أي لا تخش أن يدركك فرعون، ولا تخشى غرقاً

فغشيهم من اليم : أي فغطاهم من ماء البحر ماغطاهم حتى غرقوا فيه.

وأضل فرعون قومه : أي بدعائهم إلى الإيمان به والكفر بالله رب العالمين.

وما هدى : أي لم يهدهم كما وعدهم بقوله : ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ .

جانب الطور الأيمن : أي لأجل إعطاء موسى التوراة التي فيها نظام حياتهم دينا ودنيا.

المن والسلوى : المن : شيء أبيض كالثلج ، والسلوى طائر يقال له السماني.[1]

ولا تطغوا فيه : أي بالإسراف فيه ، وعدم شكر الله تعالى عليه .

(١) السُّمانى : بضم السين، وفتح النون ممدودة، والجمع سمانيات والواحدة سماناة كمناجاة : نوع من الطيور.

ثم اهتدى : أي بالاستقامة على الإيمان والتوحيد والعمل الصالح حتى الموت.

معنى الآيات :

إنه بعد الجدال الطويل والخصومة الشديدة التي دامت زمناً غير قصير وأبى فيها فرعون وقومه قبول الحق والإذعان له أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام بما أخبر به في قوله عز وجل: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى﴾ وبأي شيء أوحى إليه. بالسرى ببني إسرائيل وهو قوله تعالى ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ﴾ قوله ﴿فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا﴾[1] أي اجعل لهم طريقاً في وسط البحر، وذلك حاصل بعد ضربه البحر بالعصي فانفلق البحر فرقتين والطريق وسطه يابساً لا ماء فيه حتى اجتاز بنو اسرائيل البحر، ولما تابعهم فرعون ودخل البحر بجنود أطبق الله تعالى عليهم البحر فأغرقهم أجمعين، بعد أن نجى موسى وبني إسرائيل، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فأتبعهم[2] فرعون بجنوده فغشيهم من اليم﴾ أي من ماء البحر ﴿ماغشيهم[3]﴾ أي الشيء العظيم من مياه البحر. وقوله لموسى ﴿لاتخاف[4] دركاً ولا تخشى﴾ أي لاتخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى غرقا في البحر.

وقوله تعالى: ﴿وأضل فرعون قومه وما هدى[5]﴾ إخبار منه تعالى أن فرعون أضل أتباعه حيث حرمهم من الإيمان بالحق واتباع طريقه، ودعاهم إلى الكفر بالحق وتجنب طريقه فاتبعوه على ذلك فضلوا وما إهتدوا، وكان يزعم أنه مايهديهم إلا سبيل الرشاد وكذب.

وقوله تعالى: ﴿يابني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ أي فرعون، ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ أي مع نبينا موسى لانزال التوراة لهدايتكم وحكمهم بشرائعها، وأنزلنا عليكم المن والسلوى غذاء لكم في التيه، ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ أي قلنا لكم: كلوا من طيبات مارزقناكم من حلال الطعام والشراب، ﴿ولا تطغوا فيه﴾ بترك

(١) اليبس: محرّك الياء والباء، وتسكن الباء أيضاً: وصف بمعنى اليابس وأصله مصدر كالقدم، والعدم بفتح العين وضمها.

(٢) قرىء: (فأتبعهم) وبالياء في بجنوده للمصاحبة فهي بمعنى مع أي مع جنوده.

(٣) ما غشيهم في هذا تهويل عظيم لما غشيهم من الماء الذي غمرهم وغطّاهم بحيث يستحيل النجاة معه.

(٤) (دركاً) أي: لحاقاً بك وبمن معك من بني اسرائيل.

(٥) (وما هدى): توكيد لقوله: (فأضل قومه) لأن الهدى ضد الضلال فما دام قد أضلهم فإنه ما هداهم كقوله: (أموات غير أحياء) وكقول الشاعر:

إما ترينا حفاة لا نعال لنا … إنا كذلك ما نحفى وننتعل

وفي الآية: التهكم بفرعون إذ قال لهم: وما أهديكم إلا سبيل الرشاد.

الحلال إلى الحرام وبالأسراف في تناوله وبعدم شكر الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ أي أن أنتم طغيتم فيه. ﴿ومن يحلل عليه غضبي﴾ أي ومن يجب عليه غضبي ﴿فقد هوى﴾ أي في قعر جهنم وهلك.

وقوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾[1] يعدهم تعالى بأن يغفر لمن تاب منهم ومن غيرهم فآمن وعمل صالحاً أي أدى الفرائض واجتنب المناهي ثم استمر على ذلك ملازماً له حتى مات.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا القصص لايقصه إلا بوحي إليه إذ لا سبيل إلى معرفته إلا من طريق الوحي الإلهي.

٢ - آية انفلاق البحر ووجود طريق يابس فيه لبني إسرائيل حتى اجتازوه دالة على جود الله تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته.

٣ - تذكير اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية بإنعام الله تعالى على سلفهم لعلهم يشكرون فيتوبون فيسلمون.

٤ - تحريم الإسراف والظلم، وكفر النعم.

٥ - الغضب صفة لله تعالى كما يليق ذلك بجلاله وكماله لا كصفات المحدثين.

۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن
قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ
رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ

(١) ثم اهتدى بأن لزم طريق الهداية حتى مات على ذلك أما من تاب وعمل صالحاً ثم ضل بعد ذلك ومات على ضلالة، فلا يناله هذا الوعد ففي قوله: (ثم اهتدى) احتراس ممن يتوب ثم يعود فيموت على غير هداية.

ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم
مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ
أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾
فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا
يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾

شـــرح الكلمـات :

وما أعجلك : أي شيء جعلك تترك قومك وتأتي قبلهم .

هم على أثري : أي آتون بعدي وليسوا ببعيدين مني .

وعجلت إليك ربي لترضى : أي استعجلت المجيء إليك طلباً لرضاك عني .

قد فتنا قومك : أي ابتليناهم أي بعبادة العجل .

وأضلهم السامري : أي عن الهدى الذي هو الإسلام إلى الشرك وعبادة غير الرب تعالى .

غضبان أسفاً : أي شديد الغضب والحزن .

وعداً حسناً : أي بأن يعطيكم التوراة فيها نظام حياتكم وشريعة ربكم لتكملوا عليها وتسعدوا .

أفطال عليكم العهد : أي مدة الموعد وهي ثلاثون يوماً قبل أن يكملها الله تعالى أربعين يوما .

فأخلفتم موعدي : بترككم المجيء بعدي .

بملكنا[1] : أي بأمرنا وطاقنا، ولكن غلب علينا الهوى فلم نقدر على انجاز الوعد بالسير وراءك .

---

(١) ميم ملكنا مثلثة تفتح وتضم وتكسر والمعنى واحد كما في التفسير أي : لم يكن ذلك بإرادتنا واختيارنا .

أوزاراً : أي أحمالاً من حلي نساء الأقباط وثيابهن .

فقذفناها : أي القيناها في الحفرة بأمر هارون عليه السلام .

ألقى السامري : السامري هو موسى بن ظفر من قبيلة سامرة[1] الإسرائيلية ، وما ألقاه هو التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل ألقاه أي قذفه على الحلي .

عجلاً جسداً : أي ذا جثة

له خوار : الخوار صوت البقر

فنسي : أي موسى ربه هنا وذهب يطلبه .

ألا يرجع إليهم قولا : أنه لايكلمهم إذا كلموه لعدم نطقه بغير الخوار .

معنى الآيات :

بعد أن نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملائه حيث اجتاز بهم موسى البحر وأغرق الله فرعون وجنوده أخبرهم موسى أن ربه تعالى قد أمره أن يأتيه ببني اسرائيل وهم في طريقهم إلى أرض المعاد إلى جبل الطور ليؤتيهم التوراة فيها شريعتهم ونظام حياتهم دنيا ودينا وأنه واعدهم جانب الطور الأيمن ، واستعجل[2] موسى في المسير إلى الموعد فاستخلف أخاه هارون على بني اسرائيل ليسير بهم وراء موسى ببطء حتى يلحقوا به عند جبل الطور، وحدث أن بني إسرائيل فتنهم السامري بصنع العجل ودعوتهم إلى عبادته وترك المسير وراء موسى عليه السلام فقوله تعالى : ﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى﴾ هو سؤال من الله تعالى لموسى ليخبره بما جرى لقومه بعده وهو لايدري فلما قال تعالى لموسى : ﴿وما أعجلك﴾ عن المجيء وحدك دون بني إسرائيل مع ان الأمر أنك تأتي معهم أجاب موسى بقوله

(١) نفى بعضهم أن تكون هناك قبيلة من بني اسرائيل تدعى السامرة وإنماالسامرةأمة من سكان فلسطين في جهة نابلس قبل أن تكون فلسطين لبني اسرائيل، ثم امتزجوا ببني اسرائيل لما دخلوها واتبعوا معهم شريعة موسى ، وبما أن السامري كان في مصر جائز أن يكون من قرية بمصر تسمى سامرة، والمراد من هذا أن السامري لم يكن من بني اسرائيل أصلا ومحتداً ثم بمرور الأيام وجدت طائفة من بني اسرائيل تدعى السامرية ، وهي عبارة عن طريقة ضالة تنتمي إلى شريعة التوراة وهي منحرفة فنشأت عن فتنة السامري الأولى كالطرق المنحرفة لدى المسلمين.

(٢) لهذا الاستعجال لامه ربّه وعتب عليه في قوله : (وما أعجلك من قومك يا موسى) حتى تركتهم وجئتنا وحدك ، وقد ترتب على هذا الاستعجال شرّ كبير باتخاذ بني اسرائيل عجلاً عبدوه دون الله تعالى ، ولذا قيل : تأنّ ففي العجلة الندامة وفي التأني السلامة.

﴿هم أولاء على أثـري﴾[1] آتون بعدي، وعجلت المجيء إليك لترضى عني. هنا أخبره تعالى بماحدث لقومه فقال عز وجل: ﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ أي بصنع العجل لهم ودعوتهم إلى عبادته بحجة انه الرب تعالى وأن موسى لم يهتد إليه. ولما انتهت المناجاة وأعطى الله تعالى موسى الألواح التي فيه التوراة ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ أي حزينا إلى قومه فقال لهم بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال ياقوم[2] ألم يعـدكم ربكم وعـداً حسنـاً﴾ فذكرهم بوعد الله تعالى لهم بإنجائهم من آل فرعون وإكرامهم بالملك والسيادة موبخاً لهم على خطيئتهم بتخلفهم عن السير وراءه وانشغالهم بعبـادة العجـل والخـلافات الشديدة بينهم، وقوله ﴿أفطال عليكم[3] العهد﴾ أي لم يطل فالمدة هي ثلاثون يوما فلم تكتمل حتى فتنتم وعبدتم غير الله تعالى، قوله ﴿أم أردتم أن[4] يحل عليكم غضب من ربكم﴾ أي بل أردتم بصنيعكم الفاسد أن يجب عليكم غضب من ربكم فحـل بكم، ﴿فأخلفتم موعدي[5]﴾ بعكوفكم على عبادة العجل وترككم السير على أثرى لحضور موعد الرب تعالى الذي واعدكم.

وقوله تعالى ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ هذا ما قاله قوم موسى كالمعتذرين به إليه فزعموا أنهم ما قدروا على عدم اخلاف الموعد لغلبة الهوى عليهم فلم يطيقوا السير وراءه مع وجود العجل وماضللهم به السامري من أنه هو إلههم وأن موسى أخطأ الطريق إليه. هذا معنى قولهم: ﴿ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي بأمرنا وقدرتنا إذ كنا مغلوبين على أمرنا.

وقولهم: ﴿ولكنا حملنا[6] أوزاراً من زينة القوم فقذفناها﴾ هذا بيان لوجه الفتنة وسببها وهي أنهم لما كانوا خارجين من مصر استعار نساؤهم حلياً من نساء القبط بدعوى عيد لهم،

(١) أثري، وإثري: لغتان، والأثر: ما يتركه الماشي على الأرض من علامات قدم أو حافر أو خف، والمعنى: هم سائرون على مواضع أقدامي وقرىء (إثري) بكسر الهمزة والجمهور قرؤا بالفتح.

(٢) هذا ابتداء كلام يحمل اللوم والعتاب والتأديب حيث جمع موسى بني اسرائيل وفيهم هارون وخاطبهم قائلا: يا قوم... الخ.

(٣) الاستفهام تابع للاستفهام الأول: ألم يعدكم، وهو للتقرير والإنكار معاً.

(٤) (أم) بمعنى: بل والاستفهام بعدها إنكاري أي: أنكر عليهم إرادتهم حلول غضب الله عليهم بسبب شركهم بعبادة العجل.

(٥) المراد من موعده إياهم: هو ما عهد به إليهم بأن يلزموا طاعة هارون ويسيروا معه بدون تأخّر حتى يلحقوا به في جبل الطور فأخلفوا ذلك فعصوا هارون وعكفوا على عبادة العجل وتركوا السير على إثره كما طلب منهم.

(٦) الأوزار: جمع وزر، وهو الحمل الثقيل والمراد بها: الحلي الذي استعاره نساؤهم من جاراتهن القبطيات بمصر بقصد الفرار به للنفع الخاص، وخافوا تلاشي الحلي فرأوا أن يصوغوه في قطع كبيرة يحفظ بها من الضياع.

وأصبحوا خارجين مع موسى في طريقهم إلى القدس، وتم إنجاؤهم واغراق فرعون ولما نزلوا بالساحل استعجل موسى موعد ربه وتركهم تحت إمرة هارون أخيه على أن يواصلوا سيرهم وراء موسى إلى جبل الطور غير أن موسى الملقب بالسامري استغل الفرصة وقال لنساء بني إسرائيل هذا الحلى الذي عندكن لا يحل لَكُنَّ أخذه إذ هي ودائع كيف تستحلونها وحفر لهم حفرة وقال ألقوها فيها وأوقد فيها النهار لتحترق ولا ينتفع بها بعد، هذا مادل عليه قولهم ﴿ولكنـا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ أي قوم فرعون فقذفناها أي في الحفرة التي أمر بها السامري وقوله تعالى ﴿فكذلك ألقى السامري﴾(١) هو من جملة قول بني إسرائيل لموسى فكما ألقينا الحلي في الحفرة القى السامري ما معه من التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل، فصنع السامري العجل فأخرجه لهم عجلاً جسداً(٢) له خوار أي صوت فقال بعضهم لبعض هذا إلٓهكم وإلٓه موسى الذي ذهب إلى موعده فنسي(٣) وضل الطريق إليه فاعبدوه حتى يأتي موسى. قال تعالى موبخاً إياهم ﴿أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً﴾ إذا كلموه، ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا﴾ فكيف يعقلون أنه إلٓه وهو لا يجيبهم إذا سألوه، ولا يُعطيهم إذا طلبوه، ولا ينصرهم إذا استنصروه ولكنه الجهل والضلال واتباع الهوى. والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

١ ـ ذم العجلة وبيان آثارها الضَّارة فاستعجال موسى الموعد وتركه قومه وراءه كان سبباً في أمر عظيم وهو عبادة العجل وما تترب عليها من آثار جسام.

٢ ـ مشروعية طلب رضا الله تعالى ولكن بما يحب أن يتقرب به إليه.

٣ ـ مشروعية الغضب لله تعالى والحزن على ترك عبادته بمخالفة أمره ونهيه.

٤ ـ مشروعية استعارة الحلي للنساء والزينة، وحرمة جحدها وأخذها بالباطل.

٥ ـ وجوب استعمال العقل واستخدام الفكر للتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر.

---

(١) أي: فمثل قذفنا الزينة في النار لصوغها قذف السامري، وقالوا هذا اعتذاراً منهم لموسى عليه السلام.

(٢) الجسد: الجسم ذو الأعضاء وسواء كان حياً أو ميتا، والتعبير بأخرج الإشارة إلى أنّ السامري صنع العجل بحيلة مستورة خفية حتى أتمّه ثمّ أظهره أي: أخرجه ظاهراً لنا.

(٣) إطلاق النسيان على الضلال والغفلة والترك شائع وسائغ في اللغة.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ
إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ﴿٩٤﴾

شـرح الكلمـات:

فتنتم به : أي ابتليتم به أي بالعجل.

لن نبرح عليه عاكفين: أي لن نزال عاكفين على عبادته.

إذ رأيتهم ضلوا : أي بعبادة العجل واتخاذه الهاً من دون الله تعالى.

لا تأخذ بلحيتي : حيث أخذ موسى من شدة غضبه بلحية أخيه وشعر رأسه يجره إليه يعذله ويلوم عليه.

ولم ترقب قولي : أي ولم تنتظر قولي فيما رأيته في ذلك.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحوار الذي دار بين موسى وقومه بعد رجوعه إليهم من المناجاة فقوله تعالى: ﴿ولقدقال لهم هارون من قبل﴾ أي من قبل رجوع موسى قال لهم أثناء عبادتهم العجل ياقوم إن العجل ليس إلهكم ولا إله موسى وإنما هو فتنة فتنتم به ليرى الله تعالى صبركم على عبادته ولزوم طاعة رسوله، وليرى خلاف ذلك فيجزى كلاً بما يستحق وقال لهم: ﴿وإن ربكم الرحمن﴾ الذي شاهدتم آثار رحمته في حياتكم كلها فاذكروها

﴿فـاتبعـوني﴾ في عبادة الله وحده وترك عبادة غيره ﴿وأطيعوا أمري﴾[1] فإني خليفة موسى الـرسـول فيكم فأجاب القوم الضالون بما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾ أي لن نزول عن عبادته والعكوف حوله ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾[2]. ولما سمع موسى من قومه ما سمع التفت إلى هارون قائلا معاتباً عاذلاً لائماً ﴿ياهرون ما منعك[3] إذ رأيتهم ضلوا﴾ أي بعبادة العجل ﴿ألا تتبعني﴾ أي بمن معك من المسلمين وتترك المشركين، ﴿أفعصيت أمري﴾[4]، ومن شدة الوجد وقوة اللوم والعذل أخذ بشعر رأس أخيه بيمينه وأخذ بلحيته بيساره وجره إليه وهو يعاتبه ويلوم عليه فقال هارون: ﴿يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ إن لي عذراً في عدم متابعتك وهو اني خشيت إن أنا أتيتك ببعض قومك وهم المسلمون وتركت بعضاً آخر وهم عباد العجل ﴿أن تقول فرقت بين بني اسرائيل﴾ وذلك لا يرضيك. ﴿ولم ترقب قولي﴾ أي ولم تنظر قولي فيما رأيت في ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ معصية الرسول تؤدي إلى فتنة العاص في دينه ودنياه.

٢ ـ جواز العذل والعتاب للحبيب عند تقصيره فيما عهد به إليه.

٣ ـ جواز الاعتذار لمن اتهم بالتقصير وان حقا.

٤ ـ قد يخطىء المجتهد في اجتهاده وقد يصيب.

---

(١) أي: لا أمر السامر أو: فاتبعوني في مسيري إلى موسى ودعوا العجل فعصوه.

(٢) روي أنّه لما قالوا هذه المقالة اعتزلهم هارون في اثنى عشر ألفاً من الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال: هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله وقال: يا هارون... الآية.

(٣) الاستفهام إنكاري إذ أنكر عليه عدم متابعته لما شاهد القوم يعبدون العجل إذكان المفروض أن يتركهم ويلحق بموسى يخبره.

(٤) أمره هو قوله له عند مغادرة بني اسرائيل إلى جبل الطور، (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والانكار عليهم نسبه إلى عصيانه ومخالفة أمره وهذا دليل على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره ومفارقة أهله، وأن المقيم بينهم لا سيما إذا كان راضيا حكمه كحكمهم، وفي هذه الآية دليل على بدعة الصوفية بدعة الرقص والتواجد، وأنها موروثة عن هؤلاء السامريين عَبَدة العجل والعياذ بالله تعالى.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

شـرح الكلمـات :

فما خطبك : أي ما شأنك وماهذا الأمر العظيم الذي صدر منك .

بصرت بما لم يبصروا به : أي علمت من طريق الإبصار والنظر مالم يعلموا به لأنهم لم يروه .

قبضة من أثر الرسول : أي قبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول جبريل عليه السلام .

فنبذتها : أى القيتها وطرحتها على الحلى المصنوع عجلاً .

سولت لي نفسي : أي زينت لي هذا العمل الذي هو صنع العجل .

أن تقول لا مساس : أي اذهب تائها في الأرض طول حياتك وأنت تقول لا مساس أي لا يمسني أحد ولا أمسه لما يحصل من الضرر العظيم لمن تمسه أو يمسك .

إلهك : أي العجل .

ظلت : أي ظللت طوال الوقت عاكفاً عليه .

في اليم نسفاً : أي في البحر ننسفه بعد إحراقه وجعله كالنشارة نسفاً .

إنما إلهكم الله : أي لا معبود لكم إلا الله الذي لا إله إلا هو.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحوار بين موسى وقومه فبعد لومه أخاه وعذله له التفت إلى السامري المنافق إذ هو من عُبَّاد البقر وأظهر الإسلام في بني إسرائيل، ولما اتيحت له الفرصة عاد إلى عبادة البقر فصنع العجل وعبده ودعا إلى عبادته فقال له: في غضب ﴿فما خطبك ياسامري﴾ أي ماشأنك وما الذي دعاك إلى فعلك القبيح الشنيع هذا فقال السامري كالمعتذر ﴿بصرت بما لم يبصروا به﴾ أي علمت مالم يعلمه قومك ﴿فقبضت قبضة من أثر﴾ حافر فرس ﴿الرسول[1] فنبذتها﴾ في الحلي المصنوع عجلاً فخار كما تخور البقر. ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ ذلك أي زينته لي وحسنته ففعلته، وهنا أجابه موسى عليه السلام بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال فاذهب[2] فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس[3]﴾ أي لك مدة حياتك أن تقول لمن أراد أن يقربك لا مساس أي لا تمسني ولا أمسك لتتيه طول عمرك في البرية مع السباع والحيوان عقوبة لك على جريمتك، ولا شك أن فراره من الناس وفرار الناس منه لا يكون مجرد أنه لايرقب في ذلك، بل لعله قيل إنها الحمى فإذا مس أحد حُمّا معاً أي أصابتهما الحمى معاً كأنه اسلاك كهربائية مكشوفة من مسها تكهرب منها. وقوله له: ﴿وإن لك موعداً لن تخلفه﴾، أي ذاك النفي والطرد عذاب الدنيا، وإن لك عذاباً آخر يوم القيامة في موعد لن تخلفه أبداً فهو آت وواقع لا محالة.

وقوله: أي موسى للسامري: ﴿وانظر إلى الهك﴾ المزعوم ﴿الذي ظلت[4] عليه عاكفاً﴾ تعبده لا تفارقه، والله ﴿لنحرقنه ثم[5] لننسفنه في اليم نسفاً﴾ وفعلاً حرقه ثم جعله كالنشارة

---

(١) الرسول هنا: جبريل عليه السلام قاله جمهور المفسرين، وقالوا: إنّ السامري فتنه الله تعالى فأراه جبريل راكباً فرساً فوطيء حافر الفرس مكاناً فإذا هو مخضرّ بالنبات، فعلم السامري أن أثر فرس جبريل إذا ألقي على جماد صار حياً، فقبض من تراب وطئه حافر الفرس واحتفظ به إلى اليوم، ولما صنع العجل ألقاه عليه فصار له خوار كالعجل الحيوان.

(٢) نفاه موسى عن قومه، وأمر بني اسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له. قال الشاعر:

تميم كرهط السامري وقوله   ألا لا تريد السامري مِساسا

هذه المسألة أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألاّ يُخالطوا وقد فعل النبي ﷺ ذلك بالذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

(٣) (لا مساس): المساس مصدر ماسه يماسه ومساسا. ولا: نافية للجنس ومساس: اسمها مبني على الفتح.

(٤) ظلت: أي: دمت وأقمت عليه عاكفاً أي: ملازماً وأصل ظلت: ظللت قال الشاعر:

خلا أنّ العتاق من المطايا   أَحَسْن به فهن إليه شوس

فأحسن أصله: أحسسن حذفت إحدى السينين كما حذفت إحدى اللامين.

(٥) النسف: نقض الشيء ليذهب به الريح، وهو: التذرية، والمنسف آلة ينسف بها الشيء، والنسافة: ما يسقط منه.

وذره في البحر تذرية حتى لا يعثر له على أثر، ثم قال لأولئك الذين عبدوا العجل المغرر بهم المضللين: ﴿إنما الهكم﴾ الحق الذي تجب له العبادة والطاعة ﴿الله الذي لا إله إلا هو[1] وسع كل شيء علماً﴾ أي وسع علمه كل شيء فهو عليم بكل شيء وقدير على كل شيء وماعداه فليس له ذلك وما لم يكن ذا قدرة على شيء وعلم بكل شيء فكيف يُعبد ويُطاع . . ؟!

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية الاستنطاق للمتهم والاستجواب له.

٢ ـ ما سولت النفس لأحد ولا زينت له شيئا إلا تورط فيه إن هو عمل بما سولته له،

٣ ـ قد يجمع الله تعالى للعبد ذي الذنب العظيم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

٤ ـ مشروعية هجران المبتدع ونفيه وطرده فلا يسمح لأحد بالاتصال به والقرب منه.

٥ ـ كسر الأصنام والأوثان والصور وآلات اللهو والباطل الصارفة عن عباد الله تعالى.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

كذلك : أي كما قصصنا عليك هذه القصة قصة موسى وفرعون وموسى وبني إسرائيل نقص عليك من أنباء الرسل.

من لدنا ذكراً : أي قرآناً وهو القرآن الكريم.

---

(١) لا العجل الذهبي الذي سولت نفس السامري الخبيثة صنعه.

من أعرض عنه : أي لم يؤمن به ولم يقرأه ولم يعمل به.
وزراً : أي حملاً ثقيلاً من الآثام.
يوم ينفخ في الصور : أي النفخة الثانية وهي نفخة البعث، والصور هو القرن.
زرقا : أي عيونهم زرق ووجوههم سود آية أنهم أصحاب الجحيم.
يتخافتون بينهم : أي يخفضون أصواتهم يتسارون بينهم من شدة الهول.
أمثلهم طريقة : أي أعدلهم رأياً في ذلك، وهذا كله لعظم الموقف وشدة الهول والفزع.

معنى الآيات :

بعد نهاية الحديث بين موسى وفرعون، وبين موسى وبني اسرائيل قال تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿كذلك نقص[١] عليك﴾ أي كما قصصنا عليك ما قصصنا من نبأ موسى وفرعون وخبر موسى وبني إسرائيل نقص عليك ﴿من أنباء ما قد سبق﴾ أي أحداث الأمم السابقة ليكون ذلك آية نبوتك ووحينا إليك، وعبرة وذكرى للمؤمنين. وقوله تعالى: ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾[٢] أي وقد أعطيناك تفضلا منا ذكرا وهو القرآن العظيم يذكر به العبد ربه ويهتدي به إلى سبيل النجاة والسعادة، وقوله ﴿من أعرض عنه﴾ أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ أي اثمًا عظيما لأنه لم يعمل صالحاً وكل عمله كان سيئاً لكفره وعدم إيمانه، ﴿خالدين فيه﴾أي في ذلك الوزر في النار، وقوله ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾أي قبح ذلك الحمل حملاً يوم القيامة إذ صاحبه لا ينجو من العذاب بل بطرح معه في جهنم يخلد فيها وقوله ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين﴾ أي المكذبين بالدين الحق العاملين بالشرك والمعاصي ﴿يومئذ﴾ أي يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية ﴿زرقا﴾[٣] أي الأعين مع اسوداد الوجوه وقوله: ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي يتهامسون بينهم يسأل بعضهم بعضاً كم لبثتم في الدنيا وفي القبور فيقول البعض: ﴿إن لبثتم[٤] إلا عشراً﴾ أي ما لبثتم إلا

---

(١) الكاف من كذلك في محل نصب لأنها بمعنى مثل: نعت لمصدر محذوف تقديره: نقص عليك قصصا من أنباء ما قد سبق مثل ما قصصنا عليك هذا القصص.
(٢) ويطلق الذكر على الشرف أيضاً، وعلى ما يذكر به الله تعالى من قول والمراد به هنا القرآن الكريم.
(٣) الزُرَق: خلاف الكَحَل، والعرب تتشاءم بزرق العيون وتذمه وسبب هذه الزرقة هو شدة العطش.
(٤) أي: في الدنيا أو في القبور.

عشر ليال، وقوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما[1] يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي أعدلهم رأياً ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾، وهذا التقال للزمن الطويل سببه هول القيامة وعظم مايشاهدون فيها من ألوان الفزع والعذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير نبوة محمد ﷺ يقص تعالى عليه انباء ماقد سبق بعد قصه عليه أنباء موسى وفرعون بالحق، وايتائه القرآن الكريم.

٢ - كون القرآن ذكراً للذاكرين لما يحمل من الحجج والدلائل والبراهين.

٣ - سوء حال المجرمين يوم القيامة، الذين أعرضوا عن القرآن الكريم.

٤ - عظم أهوال يوم القيامة حتى يتقال معها المرء مدة الحياة الدنيا التي هي آلاف الأعوام.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

---

(١) (نحن أعلم بما يقولون): جملة معترضة قول الأولين: (إن لبثتم إلا عشرا) نظروا فيه إلى أن تغير الأجسام يتم في عشرة أيام، والذي قال يوماً نظر إلى أن الأجسام ما تغيّرت إذ قد أعيدت كما كانت.

شـــرح الكلمات :

يسألونك عن الجبال : أي المشركون عن الجبال كيف تكون يوم القيامة.

فقل ينسفها ربي نسفا : أي يفتتها ثم تذروها الرياح فتكون هباء منبثاً.

قاعا صفصفا : أي مستوياً.

عوجا ولا أمتا : أي لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعا.

الداعي : أي إلى المحشر يدعوهم إليه للعرض على الرب تعالى.

وخشعت الأصوات : أي سكنت فلا يسمع إلا الهمس وهو صوت الأقدام الخفي.

ورضى له قولا : بأن قال لا إله إلا الله من قلبه صادقاً.

ولا يحيطون به علما : الله تعالى ما بين أيدي الناس وما خلفهم، وهم لا يحيطون به علمًا.

وعنت الوجوه للحي القيوم: أي ذلت وخضعت للرب الحي الذي لا يموت.

من حمل ظلما : أي جاء يوم القيامة يحمل أوزار الظلم وهو الشرك.

ظلما ولا هضما : أي لا يخاف ظلما بأن يزاد في سيئاته ولا هضما بأن ينقص من حسناته.

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله: ﴿ويسألونك﴾ أي المشركين من قومك المكذبين بالبعث والجزاء ﴿عن الجبال﴾ عن مصيرها يوم القيامة فقل[1] له: ﴿ينسفها ربي نسفاً[2]، فيذرها[3] قاعا صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمتاً[4]﴾ أي أجبهم بأن الله تعالى يفتتها ثم ينسفها فتكون هباء منبثاً، فيترك أماكنها قاعا صفصفاً أي أرضاً مستوية لاترى فيها عوجا ولا أمتا أي لا انخفاضا ولا ارتفاعاً. وقوله

---

(١) قال القرطبي كل سؤال في القرآن أجيب بقل إلاّ هذا فبـ: فقل لأن المعنى إن سألوك فقل فتضمن الكلام معنى الشرط، وهو يقترن بالفاء دائما.

(٢) قال ابن الأعرابي وغيره يقلعها قلعاً من أصولها ثم يصيرها رملاً يسيل سيلا ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا أو هكذا ثم كالهباء المنثور.

(٣) (فيذرها): أي: يذر مواضعها قاعاً صفصفاً، القاع: الأرض الملساء لا نبات فيها، ولا بناء عليها وهي مستوية، وجمع القاع: أقواع وقيعان.

(٤) الأمت: المكان المرتفع كالنبك، وهو التل الصغير، والعوج: الوهدة وهي الانخفاض كالعوج في الشيء أي: ليس في الأرض انخفاض ولا ارتفاع بل هي مستوية.

﴿يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾ أي يوم تقوم القيامة فيُنشرون يدعوهم الداعي هلموا إلى أرض المحشر فلا يميلون عن صوته يمنةً ولا يُسرة وهو معنى لا عوج له. وقوله تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي ذلت وسكنت ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ وهو صوت خفي كأصوات خفاف الإبل إذا مشت وقوله تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده ﴿إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا﴾ أي يُخبر تعالى انهم يوم جمعهم للمحشر لفصل القضاء لا تنفع شفاعة أحدٌ أحداً إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة، ورضى له قولا أي وكان المشفوع فيه من أهل التوحيد أهل لا إله إلا الله وقوله ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم، ولا يحيطون به علمًا﴾ أي يعلم ما بين أيدي أهل المحشر أي مايسيحكم به عليهم من جنة أو نار، وماخلفهم مما تركوه من أعمال في الدنيا، وهم لا يحيطون به عز وجل علمًا، فلذا سيكون الجزاء عادلا رحيمًا، وقوله: ﴿وعنت[1] الوجوه للحي القيوم[2]﴾ أي ذلت وخضعت كما يعنو بوجهه الأسير، والحي القيوم هو الله جل جلاله وقوله تعالى: ﴿وقد خاب﴾ أي خسر ﴿من حمل ظلمًا﴾ ألا وهو الشرك والعياذ بالله وقوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ والحال أنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والبعث الآخر[3] فهذا لايخاف ظلما بالزيادة في سيِّآته، ولا هضما بنقص من حسناته، وهي عدالة الله تعالى تتجلى في موقف الحساب والجزاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان جهل المشركين في سؤالهم عن الجبال.

٢ - تقرير مبدأ البعث الآخر.

٣ - لا شفاعة لغير أهل التوحيد فلا يَشفع مشرك، ولا يُشفع لمشرك.

٤ - بيان خيبة المشركين وفوز الموحدين يوم القيامة.

---

(١) ومنه قيل للأسير عانٍ، قال أمية بن الصلت.

مليك على عرش السماء مهيمن   لعزّته تعنو الوجوه وتسجد

(٢) القيوم: أي: القائم بتدبير الخلق، والقائم على كل نفس بما كسبت.

(٣) والقدر خيره وشرّه.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

شـــرح الكلمـات :

وكذلك أنزلنا : أي مثل ذلك الانزال أنزلنا قرآناً عربياً أي بلغة العرب ليفهموه.

وصرفنا فيه من الوعيد : أي من أنواع الوعيد، وفنون العذاب الدنيوي والأخروى.

أو يحدث لهم ذكرا : أي بهلاك الأمم السابقة فيتعظون فيتوبون ويسلمون.

فتعالى الله الملك الحق : أي عما يقول المفترون ويشرك المشركون.

ولا تعجل بالقرآن : أي بقرءاته.

من قبل أن يقضى إليك وحيه : أي من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك.

عهدنا إلى آدم : أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة.

فنســـي : أي عهدنا وتركه.

ولم نجد له عزما : أي حزما وصبراً عما نهيناه عنه.

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿وكذلك[1] أنزلناه قرآناً عربيّاً﴾ أي ومثل ما أنزلنا من تلك الآيات المشتملة

(١) هذه الجملة معطوفة على جملة : كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق إذ الغرض واحد وهو التنويه بشأن القرآن وتقرير الوحي له ﷺ.

على الوعد والوعيد أنزلنا القرآن بلغة العرب ليفهموه ويهتدوا به ﴿وصرفنا فيه[1] من الوعيد﴾ أي بينا فيه من أنواع الوعيد وكررنا فنون العذاب الدنيوي والأخروى لعل قومك أيها الرسول يتقون ما كان سببا في اهلاك الأمم السابقة وهو الشرك والتكذيب والمعاصي ﴿أو يحدث لهم[2] ذكراً﴾ أي يوجد لهم ذكراً في أنفسهم فيتعظون فيتوبون من الشرك والتكذيب للرسول ويطيعون ربهم فيكملون ويسعدون هذا مادلت عليه الآية الأولى (١١٣).

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ فإن الله تعالى يخبر عن علوه عن سائر خلقه وملكه لهم وتصرفه فيهم وقهره لهم، وَمِن ثَمَّ فهو منزَّه عن الشريك والولد وعن كل نقص يصفه به المفترون الكذابون.

وقوله: ﴿ولا تعجل[3] بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ يُعلِّم تعالى رسوله كيفية تلقي القرآن عن جبريل عليه السلام فيرشده إلى أنه لاينبغي أن يستعجل في قراءة الآيات ولا في إملائها على أصحابها ولا في الحكم بها حتى يفرغ جبريل من قراءتها كاملة عليه وبيان مراد الله تعالى منها في إنزالها عليه. وطلب إليه أن يسأله المزيد من العلم بقوله: ﴿وقل رب زدني علما﴾، وفيه إشعار بأنه دائما في حاجة إلى المزيد، ولذا فلا يستعجل ولكن يتريث ويتمهل، وهذا علماء أمته أحوج إليه منه ﷺ فالاستعجال في الفُتيا وفي إصدار الحكم كثيراً ما يخطىء صاحبهما.

وقوله تعالى: ﴿ولقد[4] عهدنا إلى آدم من قبل فنسي[5] ولم نجد له عزما[6]﴾ يقول تعالى مخبراً رسوله والمؤمنين ولقد وصينا آدم من قبل هذه الأمم التي أمرناها ونهيناها فلم يطع أكثرها وصيناه بأن لا يطيع عدوه ابليس وأن لا يأكل من الشجرة فترك وصيتنا ناسيا لها غير مبال بها

---

(١) التصريف: التنويع والتفنين، والوعيد هنا للتهديد.

(٢) لعله يحدث لهم ذكراً: فيه بيان أنهم قبل نزول القرآن وسماعه لم يكونوا يذكرون الله في توحيده ولا في وعده ووعيده ولا في شرعه وأحكامه.

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي حرصاً منه ﷺ على الحفظ وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهاه تعالى عن ذلك فأنزل: ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ وقال الحسن نزلت هذه الآية في رجل لطَم وجه امرأته فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب القصاص فجعل النبي ﷺ لها القصاص فنزل: ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ وأبى الله ذلك. ولهذا قال له: ﴿وقل رب زدني علما﴾ وفي هذه الجملة الأخيرة إشارة إلى أن حرصه في حفظ القرآن محمود.

(٤) قال ابن زيد: نسي ما عهد الله إليه في ذلك، ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه إبليس.

(٥) العهد المنسي هو ما جاء في قوله تعالى: (فقلنا يا آدم إنّ هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنّكما من الجنة) من هذه السورة.

(٦) فسر العزم بالصبر والثبات أمام الإغراء.

وأطاع عدوه وأكل من الشجرة، ولم نجد له عزماً بل ضعف أمام الإغراء والتزيين فلم يحفظ العهد ولم يصبر على الطاعة، فكيف إذاً بغير آدم من سائر ذرياته فلذا ينبغي أن لاتأسى ولا تحزن على عدم ايمان قومك بك واستجابتهم لدعوتك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان الحكمة من إنزال القرآن باللسان العربي وتصريف الوعيد فيه.

٢ - اثبات علو الله تعالى وقهره لعباده وملكه لهم وتنزهه عن الولد والشريك وكل نقص يصفه به المبطلون.

٣ - استحباب التريث والتأني في قراءة القرآن وتفسيره وإصدار الحكم والفتيا منه.

٤ - الترغيب في طلب العلم والمزيد من التحصيل العلمي وإشعار النفس بالجهل والحاجة إلى العلم.

٥ - التسلية بنسيان آدم وضعف قلبه أمام الإغراء الشيطاني.

وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
(١١٦) فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨)
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١)
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)

شـــرح الكلمـات :

وإذ قلنا للملائكة : أي اذكر قولنا للعظة والاعتبار.

إلا ابليس أبى : أي امتنع من السجود لكبر في نفسه إذ هو ليس من الملائكة وإنما هو أبو الجان كان مع الملائكة يعبد الله معهم.

عدو لك ولزوجك : أي حواء ومعنى عدو أنه لايحب لكما الخير بل يريد لكما الشر.

فتشقى : أي بالعمل في الأرض إذ تزرع وتحصد وتطحن وتخبز حتى تتغذى.

لا تظمأ فيها ولا تضحى: أي لاتعطش و لايصيبك حر شمس الضحى المؤلم في الأرض.

شجرة الخلد : أي التي يخلد من أكل منها.

وملك لا يبلى : أي لايفنى ولا يبيد ولازم ذلك الخلود.

فبدت لهما سوءاتهما : أي ظهر لكل منهما قُبُلَ صاحبه ودُبُرَهُ فاستاءا لذلك.

وطفقا يخصفان : أي أخذا وجعلا يلزقان ورق الشجر عليهما ستراً لسوءاتهما

فغوى : أي بالأكل من الشجرة المنهي عنها.

فاجتباه ربه فتاب عليه : أي اختاره لولايته فهداه للتوبة فتاب ليكون عبداً صالحاً.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ضعف آدم عليه السلام حيث عهد الله إليه بعدم طاعة إبليس حتى لايخرجه هو وزوجه من الجنة، وأن آدم نسي العهد فأكل من الشجرة ناسب ذكر قصة آدم بتمامها ليكون موعظة للمتقين وهدى للمؤمنين فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ واذكر ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ وسجودهم عبادة لله تعالى وتحية لآدم لشرفه وعلمه. فامتثلت الملائكة أمر الله ﴿فسجدوا﴾ كلهم أجمعون ﴿إلا ابليس أبى﴾ أن يسجد لما داخله من الكبر ولأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن إلا أنه كان يتعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١١٦).

وقوله تعالى ﴿فقلنا ياآدم﴾ أي بعد أن تكبّر إبليس عن السجود لآدم نصحنا آدم وقلنا له ﴿إن هذا﴾ أي إبليس ﴿عدو لك ولزوجك فلايخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ أي فلا تطيعانه

فإن طاعته تكون سبب إخراجكما من الجنة ومتى خرجتما منها شقيتما[١]، ووجه الخطاب إلى آدم في قوله تعالى: فتشقى لأن المراد من الشقاء هنا العمل كالزرع والحصاد وغيرهما مما هو ضروري للعيش خارج الجنة والزوج هو المسئول عن إعاشة[٢] زوجته فهو الذي يشقى دونها، وقوله تعالى لآدم ﴿إن لك ألا تجوع فيها﴾ أي في الجنة ﴿ولا تعرى﴾، ﴿وإنك لا تظمأ فيها﴾ أي لا تعطش ﴿ولا تضحى﴾[٣] أي لا تتعرض لحر شمس ضحى كما هي في الأرض والخطاب وإن كان لآدم فحواء تابعة له بحكم رئاسة الزوج على زوجته، ومن الأدب خطاب الرجل دون امرأته إذ هي تابعة له وقوله تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ أي ناداه من طريق الوسوسة. ﴿ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد[٤] وملك لايبلى﴾ فقبل منه ذلك آدم واستجاب لوسوسته فأكلت حواء أولاً ثم أكل آدم وهو قوله تعالى ﴿فأكلا منها﴾ فترتب على ذلك انكشاف سوءاتهما لهما بذهاب النور الساتر لهما بسبب المعصية لله تعالى وقوله تعالى ﴿فطفقا يخصفان عليهما﴾ من ورق الشجر أي فأخذا يشدان ورق الشجر على عوراتهما ستراً لهما لأن منظر العورة يسوء الآدمي ولذلك سميت العورة سوءة وهكذا عصى آدم ربه باستجابته لوسواس عدوه وأكله من الشجرة، فبذلك[٥] غوى، إلا أن ربه تعالى اجتباه أي نبياً وقربه ولياً ﴿فتاب[٦] عليه وهدى﴾ وهداه للعمل بطاعته ليكون من جملة أصفيائه وصالح عباده. والحمد لله ذي الإنعام والإفضال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير النبوة المحمدية بذكر مثل هذا القصص الذي لا يعلم إلا بالوحي الإلهي.

---

(١) هذا مبدأ: أنّ نفقة الزوجة على زوجها. وأن النفقة الواجبة محصورة في الطعام والشراب والكسوة والسكن.

(٢) قال الحسن: المراد بالشقاء: شقاء الدنيا لا يرى ابن آدم فيها إلاّ ناصباً.

(٣) يقال: ضحِيت للشمس ضحاءً: برزت، وضحَيت بفتح الحاء مثله والمضارع أضحى، والأمر إضح، ومنه قول عمر في عرفة لرجل لازم الخيمة إضحَ لمن جئت له.

(٤) روى أبو داود وأحمد أنّ النبي ﷺ قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد).

(٥) كان هذا قبل النبوة، ومن أذنب مرّة واحدة لا يقال له مذنب ولا غاو ولا سيّما بعد التوبة.

(٦) ثبت في الصحيح أنّ النبي ﷺ قال: (حاجّ موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني قال رسول الله ﷺ فحجّ آدم موسى).

٢ ـ تقرير عداوة إبليس لبني آدم.

٣ ـ بيان أن الجنة لا نصب فيها ولا تعب، وإنما ذلك في الأرض.

٤ ـ التحذير من أخطار الاستجابة لوسوسة إبليس فإنها تُرْدى صاحبها.

٥ ـ ضعف المرأة وقلة عزمها فقد أكلت قبل آدم فسهلت عليه المعصية.

٦ ـ كون المرأة تابعة للرجل وليس لها أن تستقل بحال من الأحوال.

٧ ـ حرمة كشف العورات ووجوب سترها.

٨ ـ إثبات نبوة آدم وتوبة الله عليه وقبولها منه وهدايته إلى العمل بمحابه وترك مكارهه.

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾

شـرح الكلمـات:

قال اهبطا منها جميعا : أي آدم وحواء من الجنة وإبليس سبق أن أبلس وهبط.

بعضكم لبعض عدو : أي آدم وحواء وذريتهما عدو لإبليس وذريته، وإبليس وذريته عدو لآدم وحواء وذريتهما.

فإما يأتينكم مني هدى : أي فإن يأتيكم مني هدى وهو كتاب ورسول.

فمن اتبع هداي : أي الذي أرسلت به رسولي وهو القرآن.

فلا يضل : أي في الدنيا

ولا يشقى : في الآخرة

ومن أعرض عن ذكري : أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه.

معيشة ضنكا : أي ضيّقة تضيق بها نفسه ولم يسعد بها ولو كانت واسعة.

أعمى : أي أعمى البصر لا يبصر.

وقد كنت بصيرا : أي ذا بصر في الدنيا وعند البعث.

قال كذلك : أي الأمر كذلك أتتك آياتنا فنسيتها فكما نسيتها تنسى في جهنم.

وكذلك نجزي من أسرف : أي وكذلك الجزاء الذي جازينا به من نسي آياتنا نجزي من أسرف في المعاصي ولم يقف عند حد، ولم يؤمن بآيات ربه سبحانه وتعالى.

أشدوأبقى : أي أشد من عذاب الدنيا وأدوم فلا ينقضي ولا ينتهي.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصة آدم إنه لما أكل آدم وحواء من الشجرة وبدت لهما سوءاتهما وعاتبهما ربهما بقوله في آية غير هذه ﴿ألم أنهكما[١] عن تلكم الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾. وأنزل على آدم كلمة[٢] التوبة فقالها مع زوجه فتاب الله عليهما لما تم كل ذلك قال ﴿اهبطا منها[٣]﴾ أي من الجنة ﴿جميعاً﴾ إذ ابليس العدو قد أُبْلِس من قبل وطُرِد من الجنة فهبطوا جميعاً. وقوله: ﴿فإمّا يأتينكم مني هدىً﴾ أي بيان عبادتي تحمله كتبي وتبينه رسلي، ﴿فمن اتبع هداي﴾ فآمن به وعمل بما فيه ﴿فلا يضل﴾ في حياته ﴿ولا يشقى﴾[٤] في آخرته

(١) هي قوله تعالى: (قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) من سورة الأعراف وأخبر تعالى عنها في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾.

(٢) الآية من سورة الأعراف.

(٣) الخطاب لآدم وإبليس وحواء تابعة لزوجها بقرينة: ﴿بعضكم لبعض عدو﴾.

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألّا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وتلا هذه الآية.

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإن له﴾ أي جزاءً منا له ﴿معيشة ضنكاً﴾[1] أي ضيقة تضيق بها نفسه فلم يشعر بالغبطة والسعادة وإن اتسع رزقه كما يضيق عليه قبره ويشقى فيه طيلة حياة البرزخ، ويحشر يوم القيامة أعمى لا حجة له ولا بصر يبصر به. وقد يعجب لحاله ويسأل ربه ﴿لم حشرتني أعمى وقد كنت﴾ في الدنيا وفي البعث ﴿بصيرا﴾ فيجيبه ربه تعالى بقوله: ﴿كذلك﴾ أي الأمر كذلك كنت بصيراً وأصبحت أعمى لأنك ﴿أتتك آياتنا﴾ تحملها كتبنا وتبينها رسلنا ﴿فنسيتها﴾ أي تركتها ولم تلتفت إليها معرضا عنها فاليوم تترك في جهنم منسياً كذلك وقوله تعالى في الآية الآخرة (١٢٧) ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ في معاصينا فلم يقف عند حد ولم يؤمن بآيات ربه فنجعل له معيشة ضنكاً في حياته الدنيا وفي البرزخ ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾[2] من عذاب الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي أدوم حيث لاينقضي ولا ينتهي.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير عداوة الشيطان للإنسان.

٢ - عِدَةُ الله تعالى لمن آمن بالقرآن وعمل بما فيه أن لايضل في حياته ولا يشقى في آخرته.

٣ - بيان جزاء من أعرض عن القرآن في الدنيا والآخرة.

٤ - التنديد بالإسراف في الذنوب والمعاصي مع الكفر بآيات الله، وبيان جزاء ذلك.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا

(١) (ضنكاً) أي: ضيّقا، يقال: منزل ضنك وعيش ضنك، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال عنترة.
إن يُلحقوا أكرر وإن يستلحموا   أشدد وإن يُلفوا بضنك أنزل

(٢) أي: من المعيشة الضنك.

تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ
﴿١٣٢﴾

شرح الكلمات:

أفلم يهد لهم : أي أفلم يُبَيَّنْ لهم.

من القرون : أي من أهل القرون.

لآيات لأولى النهى : أي أصحاب العقول الراجحة إذ النهية العقل.

ولولا كلمة سبقت : أي بتأخير العذاب عنهم.

لكان لزاما : أي العذاب لازما لايتأخر عنهم بحال.

مايقولون : من كلمات الكفر، ومن مطالبتهم بالآيات.

ومن آناء الليل : أي ساعات الليل واحدها إِنْيٌ أو إِنْوٌ.

لعلك ترضى : أي رجاء أن تثاب الثواب الحسن الذي ترضى به.

إلى ما متعنا به أزواجا منهم : أي رجالاً منهم[1] من الكافرين.

زهرة الحياة الدنيا : أي زينة الحياة الدنيا وقيل فيها زهرة لأنها سرعان ماتذبل وتذوى.

لنفتنهم فيه : أي لنبتليهم في ذلك أيشكرون أم يكفرون.

والعاقبة للتقوى : العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى.

معنى الآيات:

بعد ذكر قصة آدم عليه السلام وما تضمنته من هداية الآيات قال تعالى ﴿أفلم يهد﴾ لأهل مكة المكذبين المشركين أي أَغَفَلوا فلم يهد لهم أي يتبين ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي اهلاكنا للعديد من أهل القرون الذين هم يمشون في مساكنهم ذاهبين جائين

(١) أزواجاً: رجالاً ونساءً لأنّ الرجل زوج والمرأة زوج والتعبير بلفظ أزواج لأجل الدلالة على العائلات والبيوت أي: إلى ما متّعناهم به من مال وبنين.

كثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات أهلكناهم بكفرهم ومعاصيهم فيؤمنوا ويوحدوا و يطيعوا فينجوا ويسعدوا. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من الإهلاك للقرون الأولى ﴿لآيات﴾ أي دلائل واضحة على وجوب الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما، ﴿لأولى النهى﴾ أي لأصحاب العقول أما الذين لا عقول لهم لأنهم عطلوها فلم يفكروا بها فلا يكون في ذلك آيات لهم. وقوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ (١) بأن لا تموت نفس حتى تستوفي أجلها، وأجل مسمىً عند الله في كتاب المقادير لايتبدل ولا يتغير لكان عذابهم لازماً لهم لما هم عليه من الكفر والشرك والعصيان. وعليه ﴿فاصبر﴾ يارسولنا ﴿على مايقولون﴾ من أنك ساحر وشاعر وكاذب وكاهن من كلمات الكفر، واستعن على ذلك بالصلاة ذات الذكر والتسبيح ﴿قبل طلوع الشمس﴾ وهو صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ وهو صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ (٢) أي ساعات الليل وهما صلاتا المغرب والعشاء، ﴿وأطراف النهار﴾ وهو صلاة الظهر لأنها تقع بين طرفي النهار أي نصفه الأول ونصفه الثاني (٣) وذلك عند زوال الشمس، لعلك بذلك ترضى بثواب الله تعالى لك.

وقوله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي لا تتطلع ناظراً ﴿إلى مامتعنا بهأزواجاً منهم﴾ أشكالا في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم ﴿زهرة (٤) الحياة الدنيا﴾ أي من زينة الحياة الدنيا ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنختبرهم في ذلك الذي متعناهم به من زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى: ﴿ورزق ربك﴾ أي ما لك عند الله من أجر ومثوبة ﴿خير وأبقي) خيراً في نوعه وأبقى في مدته، واختيار الباقي على الفاني مطلب العقلاء.

وقوله تعالى: ﴿وأمر أهلك (٥) بالصلاة واصطبر عليها﴾ أي من أزواجك وبناتك وأتباعك

---

(١) فيه تقديم وتأخير، الأصل: ولولا كلمة سبقت وأجل مسمّى لكان لزاماً. أي لكان العذاب لازماً لهم.

(٢) العتمة. واحد الآناء: أنيٌ وإنى وأنى.

(٣) قال مجاهد: الأغنياء منهم، وبهذا يشمل النساء والرجال إذ كل منهما زوج فرجح هذا أنّ أزواجاً: مفعول به، ولا يتنافى هذا مع ما في التفسير لأنّ قولنا: أشكالاً في عقولهم وأخلاقهم وسلوكهم يعني: منطقاً الرجال الأزواج.

(٤) (زهرة) منصوب على الحال من الموصول. والزهرة: واحدة الزهور وهو نور الشجر والمراد هنا: الزينة المعجبة المبهرة في النساءوالبنين والأنعام والبساتين والجنان.

(٥) الخطاب للرسول ﷺ وجميع أمّته تابعة له في ذلك فكلّ مؤمن يجب عليه أن يقيم الصلاة وأن يأمر أهله بذلك ويصبر. روي أنه لما نزلت هذه الآية كان ﷺ (يذهب إلى بنته فاطمة كل صباح وقت الصلاة) وكان عمر رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي وهو يتمثّل بالآية: وكان عروة بن الزبير إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر إلى منزله فدخله وهو يقرأ: ﴿ولا تمدّن عينك. . ﴾ الآية.

المؤمنين بالصلاة ففيها الملاذ وفيها الشفاء من آلام الحاجة والخصاصية واصطبر عليها واحمل نفسك على الصبر على إقامتها. وقوله ﴿لا نسألك رزقاً﴾ أي لا نكلفك ما لاً تَعْطِيناه ولكن تكلف صلاة فأدها على أكمل وجوهها.﴿نحن نرزقك﴾أي رزقك علينا،﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى من عبادنا وهم الذين يخشوننا فيؤدون ما أوجبنا عليهم ويجتنبون ماحرمنا عليهم رهبة منا ورغبة فينا. هؤلاء لهم أحسن العواقب ينتهون إليها نصر في الدنيا وسعادة في الآخرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير مبدأ العاقل من اعتبر بغيره.

٢ ـ بيان فضيلة العقل وشرف صاحبه وانتفاعه به.

٣ ـ وجوب الصبر على دعوة الله والاستعانة على ذلك بالصلاة.

٤ ـ بيان أوقات الصلوات الخمس والحصول على رضى النفس بثوابها.

٥ ـ وجوب عدم تعلق النفس بما عند أهل الكفر من مال ومتاع لأنهم ممتحنون به.

٦ ـ وجوب الرضا بما قسم الله للعبد من رزق إنتظاراً لرزق الآخرة الخالد الباقي.

٧ ـ وجوب الأمر بالصلاة بين الأهل والأولاد والمسلمين والصبر على ذلك.

٨ ـ فضل التقوى وكرامة أصحابها وفوزهم بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

٩ ـ إقام الصلاة بين أفراد الأسرة المسلمة ييسر الله تعالى به أسباب الرزق وتوسعته عليهم.

وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

شـــرح الكلمات :

لولا [1] : أي هَلاَّ فهي أداة تحضيض وحث على وقوع مايذكر بعدها.

بآية من ربه : أي معجزة تدل على صدقه في نبوته ورسالته.

بينة ما في الصحف الأولى: أي المشتمل عليها القرآن العظيم من أنباء الأمم الماضية وهلاكهم بتكذيبهم لرسلهم.

من قبله : من قبل ارسالنا رسولنا محمد ﷺ وانزالنا كتابنا القرآن.

من قبل أن نذل ونخزى : أي من قبل أن يصيبنا الذل والخزي يوم القيامة في جهنم.

متربص : أي منتظر ما يؤول إليه الأمر.

فستعلمون : أي يوم القيامة.

الصراط السوي أي الدين الصحيح وهو الإسلام.

ومن اهتدى : أي ممن ضل نحن أم أنتم.

معنى الآيات :

مازال السياق مع المشركين طلباً لهدايتهم فقال تعالى مخبراً عن أولئك المشركين الذين متع الله رجالاً منهم بزهرة الحياة الدنيا أنهم أصروا على الشرك والتكذيب ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية﴾ [2] أي هلا يأتينا محمد بمعجزة كالتي أتى بها صالح وموسى وعيسى بن مريم تدل على صدقه في نبـوتـه ورسالته إلينا. فقال تعالى راداً عليهم قولتهم الباطلة: ﴿أو لم تأتهم بَيِّنة ما في الصحف الأولى؟﴾ [3] أيطالبون بالآيات وقد جاءتهم بينة ما في الصحف الأولى بواسطة القرآن الكريم فعرفوا ما حل بالأمم التي طالبت بالآيات ولما جاءتهم الآيات كذبوا بها فأهلكهم الله بتكذيبهم فما [4] يؤمن هؤلاء المشركين المطالبين بالآيات أنها لو جاءتهم ما آمنوا بها فأهلكوا كما

---

(١) لولا: أداة تحضيض وجملة: (أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) حالية أي: قالوا ذلك، والحال أنها أتتهم بيّنة ما في الصحف الأولى، فالاستفهام إنكاري، والبيّنة: الحجة، والصحف: كتب الأنبياء السابقين كقوله تعالى: (إنّ هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى).

(٢) أي: لولا يأتينا محمد بآية توجب العلم الضروري أو بآية ظاهرة كناقة صالح وعصا موسى أو هلاّ يأتينا بالآيات التي نقترحها كتحويل جبال مكة.

(٣) هذه البيّنة هي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم، محمد أميّ لا يقرأ ولا يكتب، وقد جاء بما لم يأت به غيره من العلوم والمعارف والقرآن الكريم حوى علوم الأولين وقصصهم، وكل علم نافع في الحياتين فأيّة آية أعظم من هذه الآية، كما قال تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك كتاباً يتلى عليهم﴾؟!

(٤) قال القرطبي: فما يؤمنهم إن أتتهم الآيات أن يكون حالهم كحال أولائك.

أهلك المكذبين من قبلهم.

وقوله تعالى في الآية الثانية (١٣٤) ﴿ولو أنا أهلكناهم[1] بعذاب من قبله﴾ أي من قبل ارسالنا محمد وانزالنا الكتاب عليه لقالوا للرب تعالى إذا وقفوا بين يديه: ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ فيما تدعونا إليه من التوحيد والإيمان والعمل الصالح وذلك من قبل أن نذل هذا الذل ونخزى هذا الخزي في نار جهنم. فإن كان هذا قولهم لا محالة فلم لايؤمنون ويتبعون آيات الله فيعملون بها جاء فيها من الهدى قبل حلول العذاب بهم؟ وفي الآية الأخيرة قال تعالى لرسوله بعد هذا الإرشاد الذي أرشدهم إليه ﴿قل كل متربص[2]﴾ أي كل منا متربص أي منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فتربصوا﴾، فستعلمون في نهاية الأمر وعندما توقفون في عرصات القيامة ﴿من﴾ هم ﴿أصحاب الصراط السوي[3]﴾ الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام الدين الحق، ﴿ومن اهتدى﴾ إلى سبيل النجاة والسعادة ممن ضل ذلك فخسر وهلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - المطالبة بالآيات سنة متبعة للأمم والشعوب عندما تعرض عن الحق وتتنكر للعقل وهدايته.

٢ - الذلة والخزي تصيب أهل النار يوم القيامة لما فرطوا فيه من الإيمان والعمل الصالح.

٣ - في الآية إشادة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه: «يحتج به على الله يوم القيامة ثلاثة: الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله لم تجعل لي عقلا انتفع به، ويقول الهالك في الفترة لم يأتني رسول ولا نبي ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك إليك، وقرأ ﷺ ﴿لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ ويقول الصبي الصغير كنت صغيراً لا أعقل. قال فترفع لهم نار ويقال لهم: رِدُوها قال فَيَرِدُها من كان في علم الله أنه سعيد، ويتلكأ عنها من كان في علم الله أنه شقي فيقول إياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم». رواه ابن جرير عند تفسير هذه الآية ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾.

(١) هذه الآية دليل على أنّ الإيمان بوحدانية الله تعالى مما يقتضيه العقل وتوجبه الفطرة لولا حجب الضلالات وإغواء الشياطين للناس.
(٢) هذا جواب عن قولهم: ﴿لولا يأتينا بآية من ربّه﴾ وما بينهما اعتراض والتربّص: الانتظار.
(٣) بمعنى المُستَوي وهو مأخوذ من التسوية.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

مكيــة

وآياتها مائة واثنتا عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ
يَلۡعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ
تُبۡصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ
ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

(١)

اقترب للناس حسابهم : أي قرب زمن حسابهم وهو يوم القيامة.

وهم في غفلة : أي عما هم صائرون إليه

معرضون : أي عن التأهب ليوم الحساب بصالح الأعمال بعد ترك

---

(١) قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأُول وهن من تلادي: يريد من أوّل ما حفظ كالمال التليد..

الشرك والمعاصي

من ذكر من ربهم محدث	: أي من قرآن نازل من ربهم محدث جديد النزول.
وهم يلعبون	: أي ساخرين مستهزئين.
لاهية قلوبهم	: مشغولة عنه بما لا يغني من الباطل والشر والفساد.
واسروا النجوى	: أي أخفوا مناجاتهم بينهم.
أضغاث أحلام	: أي أخلاط رآها في المنام.
بل افتراه	: أي اختلقه وكذبه ولم يوح إليه.
أفهم يؤمنون	: أي لا يؤمنون فالاستفهام للنفي.

معنى الآيات :

يخبر تعالى فيقول وقوله الحق: ﴿اقترب للناس[(١)] حسابهم﴾ أي دنا وقرب وقت حسابهم على أعمالهم خيرها وشرها ﴿وهم في[(٢)] غفلة﴾ عما ينتظرهم من حساب وجزاء ﴿معرضون﴾ عما يدعون إليه من التأهب ليوم الحساب بترك الشرك والمعاصي والتزود بالإيمان وصالح الأعمال. وقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر[(٣)] من ربهم محدث[(٤)]﴾ أي ما ينزل الله من قرآن يعظهم به ويذكرهم بما فيه ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ أي استمعوه وهم هازئون ساخرون لاعبون غير متدبرين له ولا متفكرين فيه. وقوله تعالى: ﴿لاهية قلوبهم﴾ أي مشغولة عنه منصرفة عما تحمل الآيات المحدثة النزول من هدى ونور، ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا[(٥)]﴾ وهم المشركون قالوا في تناجيهم بينهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي ما محمد إلا إنسان مثلكم فكيف تؤمنون به وتتابعونه على ما جاء به،

---

(١) لفظ الناس: عام وإن أريد به أهل مكة بدليل السياق في الآيات بعد.

(٢) الجملة حالية أي: اقترب للناس حسابهم والحال أنّهم في غفلة معرضون.

(٣) محدث: أي: في نزوله وقراءة جبريل له على النبي ﷺ إذ كان ينزل آية آية وسورة سورة وجائز أن يكون الذكر الرسول ﷺ لقرينة الآيات كقوله: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وقوله: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا..﴾ فرسول بدلا من قوله: (ذكراً) وقوله (إلا استمعوه) أي: الرسول وهم يلعبون. قاله الحسن بن الفضل.

(٤) لاهية: ساهية معرضة عن ذكر الله تعالى. يقال: لهيت عن الشيء إذا تركته وسهوت عنه، وهو نعت تقدّم عن الاسم فنصب على الحال نحو: (خاشعة أبصارهم)، (ودانية عليهم ظلالها) وكقول كثير عزّة:

لعزة موحشا طلل يلوح كأنه خِلَلُ

(٥) (الذين ظلموا) بدل من واو الجماعة في: (وأسروا النجوى).

إنه ما هو إلا ساحر ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ مالكم أين ذهبت عقولكم؟ قال تعالى لرسوله: ﴿قل ربي[1] يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع. . . ﴾ لأقوال عباده ﴿العليم﴾ بأعمالهم فهو تعالى سميع لما تقولون من الكذب عليم بصدقي وحقيقة ما أدعوكم إليه.

وقوله تعالى: ﴿بل قالوا﴾ أي أولئك المتناجون الظالمون ﴿أضغاث أحلام﴾ أي قالوا في القرآن يأتيهم من ربهم محدث لهم؛ ليهتدوا به قالوا فيه أضغاث أي أخلاط رؤيا منامية وليس بكلام الله ووحيه، ﴿بل افتراه﴾ انتقلوا من قول إلى آخر لحيرتهم ﴿بلْ هو شاعر﴾ أي ﷺ وما يقوله ليس من جنس الشعر الذي هو ذكر أشياء لا واقع لها ولا حقيقة. وقوله تعالى عنه: ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ أي إن كان رسولاً كما يدعي وليس بشاعر ولا ساحر فليأتنا بآية أي معجزة كآية صالح أو موسى أو عيسى كما أرسل بها الأنبياء الأولون. قال تعالى: ﴿ما آمنت قبلهم من[2] قرية﴾ أي أهل قرية ﴿أهلكناها﴾ بالعذاب لما جاءتها الآية فكذبت أفهم[3] يؤمنون أي لا يؤمنون إذ شأنهم شأن غيرهم، فلذا لا معنى لإعطائهم الآية من أجل الإيمان ونحن نعلم أنهم لا يؤمنون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ قرب الساعة.

٢ـ بيان ما كان عليه المشركون من غفلة ولهو وإعراض، والناس اليوم أكثر منهم في ذلك.

٣ـ بيان حيرة المشركين إزاء الوحي الإلهي والنبي ﷺ.

٤ـ المعجزات لم تكن يوماً سبباً في هداية الناس بل كانت سبب اهلاكهم إذ هذا طبع الإنسان إذا لم يرد الإيمان والهداية فإنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية.

---

(١) قرأ نافع والجمهور: (قل ربي) بصيغة الأمر، وقرأ حفص ومن وافقه (قال) بصيغة الماضي.

(٢) (من): زائدة لتقوية الكلام وتوكيد النفي المستفاد من حرف (ما).

(٣) الاستفهام للإنكار أي: انكار إيمانهم لو جاءتهم الآية أي: فهم لا يؤمنون.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا
لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ
ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

قبلك : يا محمد.

أهل الذكر : أي الكتاب الأول وهم أهل الكتاب.

جسداً : أي أجساداً آدمية.

الوعد : أي الذي واعدناهم.

المسرفين : أي في الظلم والشرك والمعاصي.

كتاباً : هو القرآن العظيم.

فيه ذكركم : أي ما تذكرون به ربكم وما تذكرون به من الشرف بين الناس.

معنى الآيات :

كانت مطالب قريش من اعتراضاتهم تدور حَوْلَ لِمَ يكون الرسول بشراً، ولِمَ يكون رسولاً ويأكل الطعام لم لا يكون له كنز أو جنة يأكل منها، لم لا يأتينا بآية كما أرسل بها الأولون، وهكذا. قال قتادة قال أهل مكة للنبي ﷺ «وإذا كان ما تقوله حقاً ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهبا، فأتاه جبريل فقال إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا «أي ينزل بهم العذاب فوراً» وإن شئت استأنيت بقومك، قال بل استأني بقومي فأنزل الله ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾.

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ يارسولنا[١] ﴿إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ ما نريد إبلاغه عبادنا من أمرنا ونهينا. ﴿فاسألوا أهل الذكر[٢] إن كنتم لا تعلمون﴾ أي فليسأل قومك أهل الكتاب من قبلهم وهم أحبار اليهودورهبانالنصارى إن كانوا لا يعلمون فإنهم يعلمون أن الرسل من قبلهم لم يكونوا إلا بشراً. وقوله تعالى: ﴿وما جعلناهم﴾ أي الرسل ﴿جسدا﴾[٣] أي أجساداً ملائكية أو بشرية لا يأكل أصحابها الطعام بل جعلناهم أجساداً آدمية تفتقر في بقاء حياتها إلى الطعام والشراب[٤] فلم يعترض هؤلاء المشركون على كون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ وقوله تعالى: ﴿ثم صدقناهم﴾ أي أولئك الرسل ﴿الوعد﴾[٥] الذى وعدناهم وهو أنا إذا آتينا أقوامهم ما طالبوا به من المعجزات ثم كذبوا ولم يؤمنوا أهلكناهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ أي أنجينا رسلنا ومن آمن بهم واتبعهم، وأهلكنا المكذبين المسرفين في الكفر والعناد والشرك والشر والباطل.

وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون؟﴾ يقول تعالى لأولئك المشركين المطالبين بالآيات التي قد تكون سبب هلاكهم ودمارهم ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ لهدايتكم وإصلاحكم ثم إسعادكم ﴿كتاباً﴾ عظيم الشأن ﴿فيه ذكركم﴾[٦] أي ما تذكرون به وتتعظون فتهتدون إلى سبيل سلامتكم وسعادتكم، فيه ذكركم بين الأمم والشعوب لأنه نزل بلغتكم الناس لكم فيه تبع وهو شرف أي شرف لكم. أتشتطون في المكايدة والعناد فلا تعقلون، ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

---

(١) هذا ردّ على المشركين إذ قالوا: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وتأنيس للنبي ﷺ حتى لا يضيق بما يقولون.

(٢) جائز أن يكون أهل الذكر أي: الكتاب الأوّل هم اليهود والنصارى إذ كان أهل مكة يسألون يهود المدينة وجائز أن يكون القرآن وهم المؤمنون ولذا قال عليّ وهو صادق: نحن أهل الذكر. أي: فليناظروا المؤمنين كعلي وأبي بكر الصديق وبلال. وفي الآية دليل على وجوب تقليد العامة العلماء إذ هم أهل الذكر ووجوب العمل بما يفتونهم به ويعلمونهم به.

(٣) الجسد: الجسم لا حياة فيه كالجثة. وفي العبارة تهكم بالمشركين لسخف عقولهم إذ أنكروا على الرسول ﷺ أكل الطعام فقالوا: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ وهل يعقل وجود أجسام بشرية تستغني عن الأكل والشرب؟

(٤) ولذا هم يموتون ولا يخلدون وهذه حقيقة الآدمي.

(٥) الوعد: منصوب على نزع الخافض أي: صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم، وهو وعدهم بنصرهم وإهلاك أعدائهم.

(٦) (فيه ذكركم): أي: فيه ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم وبيان ما تصيرون إليه من ثواب أو عقاب وفيه ذكر مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير مبدأ أن الرسل لا يكونون إلا بشراً ذكوراً لا إناثاً.

٢ـ تعين سؤال أهل العلم في كل ما لا يعلم إلا من طريقهم، من أمور الدين والآخرة.

٣ـ ذم الإسراف في كل شيء وهو كالغلو في الشرك والظلم.

٤ـ القرآن ذكر يذكر به الله تعالى لما فيه من دلائل التوحيد وموعظة لما فيه من قصص الأولين وشرف أي شرف لمن آمن به وعمل بما فيه من شرائع وآداب وأخلاق.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾

شـرح الكلمـات :

وكم قصمـنا : أي وكثيراً من أهل القرى قصمناهم بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم.

كانت ظالمـة : أي كان أهلها ظالمين.

يركضـون : أي فارين هـاربين.

إلى ما أترفتم فيه : أي من وافر الطعام والشراب والمسكن والمركب.

تسـألـون : أي عن شيء من دنياكم على عادتكم.

تلك دعـواهم : أي دعوتهم التي يرددونها وهي: ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾.

حصيداً خامدين : أي لم يبق منهم قائم فهم كالزرع المحصود خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أُخمدت.

معنى الآيـات :

يقول تعالى منذراً قريشاً أن يحل بها ما حل بغيرها ممن أصروا على التكذيب والعناد ﴿وكم قصمنا﴾ أي أهلكنا وأبدنا إبادة كاملة ﴿من قرية﴾[1] أي أهل قرية ﴿كانت ظالمة﴾ أي كان أهلها ظالمين بالشرك والمعاصي والمكابرة والعناد، ﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾ هم خير من أولئك الهالكين. وقوله تعالى: ﴿فلما أحسوا[2] بأسنا إذا هم منها يركضون﴾ أي فلمـا أحسَّ أولئك الظالمون ﴿بأسنا﴾ أي شعروا به وادركوه بحواسهم بأسماعهم وأبصارهم ﴿إذ هم منها﴾ من تلك القرية يركضون هاربين فراراً من الموت. والملائكة تقول لهم توبيخاً لهم وتقريعاً: لا تركضوا هاربين ﴿وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه﴾ نُعِمْتُم فيه من وافرِ الطعام والشراب والكساء والمسكن والمركب ﴿لعلكم تسألون﴾ على العادة عن شيء من أموركم وأمور دنياكم،[3] فكان جوابهم ما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا يا ويلنا﴾ أي يا هلاكنـا أحضـر هذا أو آن حضـورك إنـا كنـا ظالمين أنفسنا بالشرك والمعاصي والتكذيب والعناد. قال تعالى: ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي ما زال قولهم ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ تلك دعوتهم[4] التي يرددونها ﴿حتى جعلناهم حصيداً[5] خامدين﴾ أي مُجتثين من أصولهم ساقطين في الأرض خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أُخمَدت فلم يبق لها لهيب.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ التنديد بالظلم وأعلى درجاته الشرك بالله.

٢ـ جواز الاستهزاء بالمشرك الظالم إذا حل به العذاب تقريعاً له وتوبيخاً.

٣ـ لا تنفع التوبة عند معاينة العذ اب لو طلبها الهالكون.

٤ـ شدة الهول ورؤية العذاب قد تفقد صاحبها رشده وصوابه فيهْذِرُ ولا يدري ما يقول.

(١) قيل: هذه القرى هي مدائن كانت باليمن، والعموم ظاهر في السياق ولا داعي إلى حصره في مدائن اليمن بل هو شامل عاداً وثمود وأهل مدين والمؤتفكات، والقصم: الكسر يقال: قصم ظهر فلان: إذا كسره.

(٢) الإحساس: الإدراك بالحس فيكون برؤية ما يزعجهم أو سماع أصوات مؤذنة بالهلاك كالصواعق والرياح.

(٣) وهذا استهزاء بهم وتهكم وتقريع وتوبيخ لهم.

(٤) أي: الكلمة التي يكررونها وهي: يا ويلنا إنا كنا ظالمين حتى هلكوا عن آخرهم.

(٥) الحصد: جزّ الزرع والنبات بالمنجل لا باليد، وشاع إطلاق الحصيد على الزرع المحصود، والخامد الذي لا حراك له من خمدت النار إذا زال لهيبها.

وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

شـرح الكلمـات :

لاعبيـن : أي عابثين لا مقصد حَسَن لنا في ذلك.

لـــهوا : أي زوجة وولداً.

من لـدنا : أي من عندنا من الحور العين أو الملائكة.

بل نقذف بالحق : أي نرمي بالحق على الباطل.

فيدمغه : أي يشج رأسه حتى تبلغ الشجة دماغه فيهلك.

فإذا هو زاهق : أي ذاهــب مُضْمحِل.

ولكـم الـويل مما تصفون : أي ولكم العـذاب الشـديد من أجل وصفكم الكاذب للديان بأنَّ له زوجة وولداً وللرسول بأنه ساحر ومفـترٍ.

وله من في السموات والأرض: خلقاً وملكاً وتدبيراً لا شريك له في ذلك.

ولا يستحســرون : أي لا يعيون ولا يتعبون فيتركون التسبيح.

لا يفتــرون : عن التسبيح لأنـه منهم كالنفس منا لا يتعب أحدنا من التنفس ولا يشغله عنه شيء.

معنى الآيـات :

كونه تعالى يهلك الأمم الظالمة بالشرك والمعاصي دليل أنه لم يخلق الإنسان والحياة

لعباً وعبثاً بل خلق الإنسان وخلق الحياة ليذكر ويشكر فمن أعرض عن ذكره وترك شكره أذاقه بأساءه في الدنيا والآخرة وهذا ما دلت عليه الآية السابقة وقررته الآية وهي قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾[1] أي عابثين لا قصد حسن لنا بل خلقناهما بالحق وهو وجوب عبادتنا بالذكر والشكر لنا وقوله تعالى: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾[2] أي صاحبة أو ولدا كما يقول المبطلون من العرب القائلون بأن الله أصهر إلى الجن فأنجب الملائكة وكما يقول ضُلّالُ النصارى أن الله اتخذ مريم زوجة فولدت له عيسى الابن، تعالى الله عما يأفكون فرد تعالى هذا الباطل بالمعقول من القول فقال لو أردنا أن نتخذ لهواً نتلهى به من صاحبة وولد لاتخذنا من لدنا من الحور العين والملائكة ولكنا لم نرد ذلك ولا ينبغي لنا إنا نملك كل من في السموات ومن في الأرض عبيداً لنا فكيف يعقل اتخاذ مملوك لنا ولداً ومملوكة زوجةً والناس العجزة الفقراء لا يجيزون ذلك فالرجل لا يجعل مملوكته زوجة له ولا عبده ولداً بحال من الأحوال وقوله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه[3] فاذا هو زاهق﴾ فتلك الأباطيل والترهات تنزل حجج القرآن عليها فتدمغها فإذا هي ذاهبة مضمحلة لا يبقى منها شيء ﴿ولكم الويل﴾ أيها الكاذبون مما تصفون الله بالزوجة والولد والشريك والرسول بالسحر والشعر والكهانة والكذب العذاب لازم لكم من أجل كذبكم وافترائكم على ربكم ورسوله. وقوله تعالى: ﴿وله من في السموات والأرض﴾ برهان آخر على بطلان دعوى أن له تعالى زوجة وولداً فالذي يملك من في السموات ومن في الأرض غنيٌّ عن الصاحبة والولد إذ الكل له مُلكاً وتصرفاً. وقوله: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون[4]﴾ برهان آخر ﴿يسبحون الليل والنهار ولا

---

(١) ينفي تعالى أن يكون خلق السموات والأرض وما بينهما وما في السموات وما في الأرض من عجائب المخلوقات وبدائع الصناعات وما بين السماء والأرض من السحب والأمطار ورياح وأجواء الفضاء ينفي أن يكون هذا الخلق العظيم لعباً: أي: لهواً وعبثاً بل خلق ما خلق لأعظم حكمة وأسماها وهي أن يعبد بذكره وشكره، فلذا من كفر به تعالى فترك ذكره وشكره كان من شرّ خلقه واستوجب العذاب الأبدي الذي لا يخرج منه ولايموت فيه ولا يحيى.

(٢) الآية ردّ على افتراءات المبطلين جهلة البشر الذين نسبوا لله تعالى الصاحبة والولد بغير علم من عقل ولا نقل.

(٣) الدمغ: شج الرأس حتى تبلغ الشجة الدماغ، والباطل هو الشيطان والحق: القرآن، في قول مجاهد إذ قال كل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان.

(٤) لا يستحسرون أي: لا يعيون مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع من الإعياء والتعب يقال: حسر البعير يحسر حسوراً: أعيا وكلّ واستحسر وتحسر مثله.

يفترون﴾ أي فكيف يفتقر إلى الزوجة والولد، ومن عنده من الملائكة وهم لا يحصون عداً يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته ولا يملون منها ولا يتعبون من القيام بها، يسبحونه الليل والنهار، والدهر كله ﴿لا يفترون﴾ أي لا يسأمون فيتركون التسبيح فترةً بعد فترة للاستراحة، إنهم في تسبيحهم وعدم سآمتهم منه وعدم انشغالهم عنه كالآدميين في تنفسهم وطرف أعينهم هل يشغل عن التنفس شاغل أو عن طرف العين آخر وهل يسأم الإنسان من ذلك والجواب لا، فكذلك الملائكة يسبحون الليل والنهار ولا يفترون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تنزه الرب تعالى عن اللهو واللعب والصاحبة والولد.

٢- حجج القرآن هي الحق متى رمى بها الباطل دمغته فذهب واضحمل.

٣- إقامة البراهين العقلية على إبطال الباطل أمر محمود، وقد يكون لابد منه.

٤- بيان غنى الله المطلق عن كل مخلوقاته.

٥- بيان حال الملائكة في عبادتهم وتسبيحهم لله تعالى.

أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ
وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

شـرح الكلـمات :

أم اتخذوا آلهة من الأرض : أيْ من معادنها كالذهب والفضة والنحاس والحجر .

هم ينشـرون : أي يحيون الأموات إذ لا يكون إلهاً حقاً إلا من يحيي الموتى .

لو كان فيهما : أي في السموات والأرض .

لفســدتا : أي السموات والأرض لأن تعدد الآلهة يقتضى التنازع عادة وهو يقضي بفساد النظام .

فسبحان الله : أي تنزيه لله عما لا يليق بجلاله وكماله .

رب العـرش : أي خالقه ومالكـه والمختـص به .

عما يصـفون : أي الله تعالى من صفات النقص كالزوجة والولد والشريك .

لا يسأل عما يفعل : إذ هو الملك المتصرف ، وغيره يسأل عن فعله لعجزه وجهله وكونه مربوباً .

قل هاتوا برهانكم : أي على ما اتخذتم من دونه من آلهة ولا برهان لهم على ذلك فهم كاذبون .

هذا ذكر من معي : أي القرآن ذكر أمتى .

وذكر من قبلي : أي التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله الكل يشهد أنه لا إله إلا الله .

لا يعلمون الحق : أي توحيد الله ووجوبه على العباد فلذا هم معرضون .

فاعبـدون : أي وحدوني في العبادة فلا تعبدوا معي غيري إذ لا يستحق العبادة سواي .

معنى الآيـات :

يوبخ تعالى المشركين على شركهم فيقول: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض﴾[1] أي من أحجارها ومعادنها آلهة ﴿هم ينشرون﴾ أي يحيون الموتى ، والجواب كلا إنهم لا يحيون والـذي لا يحيي المـوتى لا يستحق الألوهية بحال من الأحوال. هذا ما دل عليه قوله

(١) الاستفهام هنا للجحد والإنكار أي : لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء في وصف الآلهة من الأرض تهكّم بعابديها ظاهر وتأنيب عجيب .

تعالى: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينتشرون﴾ وفي الآية الثانية (٢١) يبطل تعالى دعواهم في اتخاذ آلهة مع الله فيقول: ﴿لو كان فيهما﴾[١] أي في السموات والأرض آلهة غير الله تعالى لفسدتا لأن تعدد الآلهة يقتضي التنازع[٢] والتمانع هذا يريد أن يخلق كذا و هذا لا يريده هذا يريد أن يعطى كذا وذاك لا يريده فيختل نظام الحياة وتفسد، ومن هنا كان انتظام الحياة هذه القرون العديدة دالا على وحدة الخالق الواجب الوجود الذي تجب له العبادة وحده دون من سواه، فلذا نزه تعالى نفسه عن الشريك وما يصفه به المبطلون من الزوجة والولد فقال: ﴿فسبحان الله[٣] رب العرش عما يصفون﴾ وقرر ألوهيته وربوبيته المطلقة بقوله: ﴿لا يسأل[٤] عما يفعل وهم يُسئلون﴾ فالذي يفعل ولا يُسأل لعلمه وقدرته وملكه هو الإله الحق والذي يسأل عن عمله لم فعلت ولم تركت ويحاسب عليه ويجزى به لن يكون إلا عبداً مربوباً، وقوله في توبيخ آخر للمشركين: أم اتخذوا من[٥] دونه عز وجل آلهة يعبدونها؟ قل لهم يا رسولنا هاتوا برهانكم على صدق دعواكم في أنها آلهة، ومن أين لهم البرهان على احقاق الباطل؟ وقوله تعالى: ﴿هذا ذكر من[٦] معي﴾ أي من المؤمنين وهو القرآن الكريم به يذكرون الله ويعبدونه وبه يتعظون ﴿وذكر من قبلي﴾ أي التوراة والانجيل هل في واحد منها ما يثبت وجود آلهة مع الله تعالى. والجواب لا. إذاً فما هي حجة هؤلاء المشركين على صحة دعواهم، والحقيقة أن المشركين جهلة لا يعرفون منطقاً ولا برهاناً فلذا هم مُعْرِضُون وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق[٧] فهم معرضون﴾ فليسوا أهلاً لمعرفة الأدلة والبراهين لجهلهم فلذا هم معرضون عن قبول التوحيد وتقرير أدلته وحججه وبراهينه.

---

(١) هذه الجملة مقررة لما أنكره تعالى على المشركين من اتخاذهم آلهة من الأرض مبيّنة وجه الإنكار شارحة له أي: يستحيل أن يوجد آلهة حق مع الله تعالى. والبرهان مذكور في التفسير.

(٢) هذا ما يسمى بدليل أو برهان التمانع وأنه وإن كان فيه ما يرده إلا أنه في الجملة دليل مسكت للخصم مقنع لذي العقول.

(٣) إظهار اسم الجلالة في مكان الإضمار كان لتربية المهابة منه عزّ وجل إذ كان المفروض أن يقول سبحانه.

(٤) قال ابن جريج: لا يسأله الخلق عن قضائه فيهم وهو يسألهم عن أعمالهم لأنهم عبيده وبهذا انهدّ معتقد المشركين والقدريين معاً إذ الله لا يسأل عما يفعل وغيره يسأل فالذي يسأل ويحاسب ويجزي لن يكون إلهاً أبداً.

(٥) (أم) بمعنى: بل والاستفهام التعجبي أي: بل اتخذوا من دون الله الهة يا للعجب فليأتوا إذاً ببرهان عقلي على صحة دعواهم ومن أين لهم إذاً أفلا يتوبون.

(٦) زيادة على إقامة بطلان الشرك بشهادة القرآن كتاب الله وشهادة الكتب السابقة وفيها التهديد والوعيد للمشركين.

(٧) قرأ الحق بالرفع ابن محيسن والحسن على تقدير هذا هو الحق وقرأ الجمهور بالنصب مفعول أي: لا يعلمون الحق الذي هو القرآن العظيم فهم لا يتأملونه فحججه وبراهينه على إبطال الشرك ظاهرة

وقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من[1] رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ فلو كان المشركون يعلمون هذا لما أشركوا وجادلوا عن الشرك ، ولكنهم جهلة مغررون .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ من أخص صفات الإله أن يخلق ويرزق ويحيي ويميت فإن لم يكن كذلك فليس بإله .

٢ـ وحدة النظام دالة على وحدة المنظم ، ووحدة الوجود دالة على وحدة الموجد وهذا برهان التمانع الذى يقرر منطقياً وجود الله ووجوب عبادته وحده .

٣ـ لا برهان على الشرك أبداً، ولا يصح في الذهن وجود دليل على صحة عبادة غير الله تعالى .

٤ـ القرآن والتوراة وكل كتب الله متضافرة على تقرير توحيد الله تعالى .

٥ـ تقرير توحيد الله تعالى وإبطال الشرك والتنديد بالمشركين .

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ
بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم
بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾

(١) هذا برهان آخر على إبطال الشرك إذ عامة الرسل جاءت بالتوحيد بلا إله إلا الله ، فكيف يصح إذاً إقرار الشرك والعمل به ، والآية كآية النمل : ﴿ولقد بعثنا في كل أمّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ .

شرح الكلمات :

ولـــداً : أي من الملائكة حيث قالوا الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك.

سـبحانه : تنزيه له تعالى عن اتخاذ الولد.

بل عباد مكرمون : هم الملائكة، ومن كان عبداً لا يكون ابناً ولا بنتاً.

لا يسبقونه بالقول : أي لا يقولون حتى يقول هو وهذا شأن العبد لا يتقدم سيده بشيء.

وهم بأمره يعملون : أي فهم مطيعون متأدبون لا يعملون إلا بإذنه لهم.

ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى : أي إلاّ لمن رضي تعالى أن يشفع له.

مشـــفقون : أي خائـفـــون.

من دونـه : أي من دون الله كإبليس عليه لعائن الله.

كذلك نجزي الظالمين : أي لأنفسهم بالشرك والمعاصي.

معنى الآيـات :

بعد أن أبطلت الآيات السابقة الشرك ونددت بالمشركين جاءت هذه الآيات في إبطال باطل آخر للمشركين وهو نسبتهم الولد لله تعالى فقال تعالى عنهم و﴿قالوا اتخذ الرحمن ولـداً﴾[1] وهـو زعمهم أن المـلائكـة بنـات الله فنـزه تعـالى نفسه عن هذا النقص فقال ﴿سبحانه﴾ وأبطل دعواهم وأضرب عنها فقال ﴿بل عباد مكرمون﴾[2] أي فمن نسبوهم لله بنات له هم عباد له مكرمون عنده ووصفهم تعالى تعالى بقوله: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ فهم لكمال عبوديتهم لا يقولون حتى يقول هو سبحانه وتعالى، وهم يعملون بأمره فلا يقولون ولا يعملون إلا بعد إذنه لهم، وأخبر تعالى أنه يعلم ما بين أيديهم[3] وما خلفهم فعلمه عز وجل محيط بهم ولا يشفعون لأحد من خلقه إلا لمن ارتضى أن يشفع[4] له فقال تعالى:

---

(١) قيل: هذه الآية نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله تعالى وكانوا يعبدونهم يرجون شفاعتهم، وفريتهم قائمة على أن الله تعالى أصهر إلى سروات الجنّ فأنجب الملائكة. تعالى الله علواً كبيراً.

(٢) (بل عباد مكرمون) أي: بل هم عباد مكرمون، فعباد: خبر لمبتدأ محذوف ومكرمون: نعت للخبر.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعلم ما عملوا وما هم عاملون كما يعلم ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الدنيا.

(٤) قال ابن عباس: هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله. وقال مجاهد: هم كل من رضي الله عنه. وهو أعم من الأوّل، وأخص أيضاً باعتبار جهتين.

﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وزيادة على ذلك أنهم ﴿من خشيته مشفقون﴾ خائفون، وعلى فرض أن أحداً منهم قال إني إله من[1] دون الله فإن الله تعالى يجزيه بذلك القول جهنم وكذلك الجزاء نجزي الظالمين أي أنفسهم بالشرك والمعاصي، وبهذا بطلت فرية المشركين في جعلهم الملائكة بنات لله وفي عبادتهم ليشفعوا لهم عنده تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- إبطال نسبة الولد إلى الله تعالى من قبل المشركين وكذا اليهود والنصارى.

٢- بيان كمال عبودية الملائكة لله تعالى وكمال أدبهم وطاعتهم لربهم سبحانه وتعالى.

٣- بطلان دعوى المشركين في شفاعة الملائكة لهم، إذ الملائكة لا يشفعون إلا لمن رضى الله تعالى أن يشفعوا له.

٤- تقرير وجود شفاعة يوم القيامة ولكن بشروطها وهي أن يكون الشافع قد أذن له بالشفاعة، وأن يكون المشفوع له من أهل التوحيد فأهل الشرك لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا
مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ
رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ
ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

---

(١) في الآية دليل على أن الملائكة وإن أكرموا بالعصمة فهم متعبدون وليسوا مضطرين إلى العبادة اضطراراً بل شأنهم شأن المعصومين من الرسل يعبدون تعبّداً لا اضطراراً.

شـرح الكلـمات :

كانتا رتقا : أي كتلة واحدة منسدة لا انفتاح فيها.
ففتقناهما : أي جعلنا السماء سبع سموات والأرض سبع أرضين.
رواســي : أي جبالاً ثابتـة.
أي تميد بهم : أي تتحـرك فتميل بهم.
فجاجـا سبـلا : أي طرقاً واسعة يسلكونها تصل بهم إلى حيث يريدون.
لعلهم يهتدون : إلى مقاصدهم في أسفارهم.
وهم عن آياتها : من الشمس والقمر والليل والنهار معرضون.
كل في فلك يسبحون : الفلك كل شيء دائر.

معنـى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ووجوب تنزيه الله تعالى عن صفات النقص والعجـز فقال تعالى: ﴿أو لم[1] ير الذين كفروا﴾ أي الكافرون بتوحيد الله وقدرته وعلمه ووجوب عبادته إلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته في هذه المخلوقات العلوية والسفلية فالسموات والأرض كانتا كتلة واحدة من سديم فخلق الله تعالى منها السموات والأرضين كمـا أن السمـاء تتفتق بإذنه تعالى عن الأمطار، والأرض تتفتق عن النباتات المختلفة الألوان والروائح والطعوم والمنافع، وأن كل شيء حيّ في هذه الأرض من إنسان وحيوان ونبات هو من الماء أليست هذه كلها دالة على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها؟

فماللناس لا يؤمنون؟ هذا ما دل عليه قوله تعالى في الآية الأولى (٣٠) ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا[2] ففتقناهما وجعلنا[3] من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون؟﴾ وقوله تعالى: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت كيلا تميد أي

(١) قرأ الجمهور (أو لم ير) بالواو بعد همزة الاستفهام، وقرأ بعض: (ألم ير) بدون واو، بمعنى يعلم.
(٢) (رتقا): الرتق: السدّ ضد الفتق، يقال: رتقت الفتق ارتقه فارتتق. أي: التأم، ومنه: امرأة رتقاء أي: منضمة الفرج غير مفتوق، والمراد أنّ السموات والأرض كانت شيئا واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما وما في التفسير إشارة إلى ما اختاره ابن جرير الطبري وهو: أن السماء كانت رتقا لا تمطر والأرض كانت رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات والآية دالة على الوجهين والوجهان صحيحان.
(٣) (جعلنا) بمعنى: خلقنا، وهذا اللفظ صالح للدلالة على أنّ كل شيء في هذه المخلوقات من الحيوان والنبات خلق من الماء، والثاني: أن حياة هذه المخلوقات تحفظ بالماء، وفي الحديث: (كل شيء خلق من الماء).

تتحـرك وتضطرب بسكانها، ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض ﴿فجاجاً سبلاً﴾ أي طرقاً سابلة للسير فيها ﴿لعلهم يهتدون﴾[1] أي كي يهتدوا إلى مقاصدهم في أسفارهم، وقوله: ﴿وجعلنا السماء سقفاً[2] محفوظاً﴾ من السقوط ومن الشياطين. وقوله: ﴿وهم عن آياتها﴾ من الشمس والقمر والليل والنهار إذ هذه آيات قائمة بها ﴿معرضون﴾ أي لا يفكرون فيها فيهتدوا إلى معرفة الحق عز وجل ومعرفة ما يجب له من العبادة والتوحيد فيها، وقوله: ﴿وهـو الـذي خلق الليل والنهار والشمس[3] والقمر كل في فلك يسبحون[4]﴾ أي كل من الشمس والقمـر في فلك خاص به يسبـح الـدهر كله، والفلك عبارة عن دائرة كفلكة المغزل يدور فيها الكوكب من شمس وقمر ونجم يسبح فيها لا يخرج عنها إذ لو خرج يحصل الدمار الشامل للعوالم كلها، فسبحان العليم الحكيم، هذه كلها مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي موجبة للتوحيد مقررة له، ولكن المشركين عنها معرضون لا يفكرون ولا يهتدون.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده والإيمان به وطاعته.
٢ـ بيان الحكمة من خلق الجبال الرواسي.
٣ـ بيان دقة النظام الإلهي، وعظيم العلم والحكمة له سبحانه وتعالى.
٤ـ إعراض أكثر الناس عن آيات الله في الآفاق كإعراضهم عن آياته القرآنية هو سبب جهلهم وشركهم وشرهم وفسادهم.

(١) رجاء أن يهتدوا في سيرهم إلى ما يرومون من الديار والبلاد، ورجاء أن يهتدوا بذلك إلى الإيمان بالله وتوحيده.
(٢) سميت السماء سقفاً لأنها مرفوعة فوق الأرض مظللّة لها كالسقف على الدّار.
(٣) هذه كلها منن الله تعالى على عباده وآيات قدرته وعلمه وحكمته وكلها موجبة للإيمان به وعبادته وتوحيده وإعراض الناس عن النظر والتدبر هو الذي حرمهم هداية الله تعالى.
(٤) (كل في فلك يسبحون): هذه جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً جوابا لمن سمع الآيات، فتساءل عن الشمس والقمر وعن باقي الأجرام السماوية قائلا: كيف لا يقع بينها تصادم ولا يتخلّف بعضها فيحدث خلل في الكون والحياة فأجيب بقوله تعالى: ﴿كل في فلك يسبحون﴾.

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ
ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾
وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ
ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

الخلد : أي البقاء في الدنيا.

ذائقة الموت : أي مرارة مفارقة الجسد.

ونبلوكم : أي نختبركم.

بالشر والخير : فالشر كالفقر والمرض، والخير كالغنى والصحة.

فتنة : أي لأجل الفتنة لننظر أتصبرون وتشكرون أم تجزعون وتكفرون.

إن يتخذونك إلا هزواً : أي ما يتخذونك إلا هزواً أي مهزوءاً بك.

يذكر آلهتكم : أي يعيبها.

بذكر الرحمن هم كافرون : جيث أنكروا اسم الرحمن لله تعالى وقالوا: ما الرحمن؟

خلق الإنسان من عجل : حيث خلق الله آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل، فورث بنوه طبع العجلة عنه.

سأوريكم آياتي : أي سأريكم ما حملته آياتي من وعيد لكم بالعذاب في الدنيا والآخرة.

معنى الآيـات :

كأنَّ المشركين قالوا شامتين إن محمداً سيموت، وقالوا نتربص به ريب المنون فأخبر تعالى أنه لم يجعل لبشر من قبل نبيّه ولا من بعده الخلد حتى يخلد هو ﷺ فكل نفس زائقة الموت، ولكن إن مات رسوله فهل المشركون يخلدون والجواب لا، إذاً فلا وجه للشماتة بالموت لو كانوا يعقلون. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٤) ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مِتَّ فهمُ[(١)] الخالدون﴾ وقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت[(٢)]﴾ أي كل نفس منفوسة ذائقة مرارة الموت بمفارقة الروح للبدن، والحكمة في ذلك أن يتلقى العبد بعد الموت جزاء عمله خيراً كان أو شراً، دل عليه قوله بعد: ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ من غِنى وفقر ومرض وصحة وشدة ورخاء ﴿فتنة﴾ أي لأجل فتنتكم أي اختباركم ليرى الصابر الشاكر والجزِع الكافر. وقوله تعالى: ﴿وإلينا ترجعون﴾ أي بعد الموت للحساب والجزاء على كسبكم خيره وشره.

وقوله تعالى: ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً﴾ يخبر تعالى رسوله بأن المشركين إذا رأوه ما يتخذونه إلا هزواً وذلك لجهلهم بمقامه وعدم معرفتهم فضله عليهم وهو حامل الهدى لهم، وبين وجه استهزائهم به ﷺ بقوله: ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي بعيبها وانتقاصها، قال تعالى: ﴿وهم بذكر الرحمن[(٣)] هم كافرون﴾ أي عجباً لهم يتألمون لذكر ألهتم بسوء وهي محط السوء فعلاً، ولا يتألمون لكفرهم بالرحمن ربهم سبحانه وتعالى حتى إنهم أنكروا أن يكون اسم الرحمنْ اسماً لله تعالى وقالوا لا رحمنْ الا رحمن اليمامة.

وقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان مِن[(٤)] عجل﴾ قال تعالى هذا لما استعجل المشركون

---

(١) الاستفهام مقدّر أي: أفهم الخالدون؟ وهو للنفي والإنكار كقول الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا تُرع ... فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

أي: أهم؟ ومعنى رفوني سكّنوني يقال رفاه إذا سكنه.

(٢) يروى أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنشد واستشهد بالبيتين الآتيين:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

(٣) عجباً لجهلهم وسوء فهمهم يعيبون من جحد إلهية أصنامهم وهم يجحدون إلهية الرحمن إنّ هذا لغاية الجهل والغرور.

(٤) إنّ طبع الإنسان العجلة إنه يستعجل الأشياء وإن كان فيها مضرّته، ولفظ الإنسان جائز أن يكون المراد به جنس الإنسان أو آدم عليه السلام قال سعيد بن جبير لما دخل الروح في عين آدم نظر في ثمار الجنة، فلما دخل جوفه اشتهى الطعام فوثب من قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك قوله: تعالى ﴿خلق الإنسان من عجل﴾.

العذاب وقالوا للرسول والمؤمنين: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ فأخبر تعالى أن الاستعجال[1] من طبع الإنسان الذي خلق عليه، وأخبرهم أنه سيريهم آياته فيهم بإنزال العذاب بهم وأراهم ذلك في بدر الكبرى وذلك في قوله ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ أي: فلا داعي إلى الاستعجال وقوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أخبر تعالى عن قيلهم للرسول والمؤمنين وهم يستعجلون العذاب: متى هاذ الوعد إن كنتم صادقين؟ وهذا عائد إلى ما فطر عليه الإنسان من العجلة من جهة، وإلى جهلهم وكفرهم من جهة أخرى وإلا فالعاقل لا يطالب بالعذاب بل يطالب بالرحمة والخير، لا بالعذاب والشر.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- إبطال ما شاع من أن الخضر حيٌّ مخلد لا يموت لنفيه تعالى ذلك عن كل البشر.

٢- بيان العلة من وجود خير وشر في هذه الحياة الدنيا وهي الاختبار.

٣- بيان ما كان عليه المشركون من الاستهزاء بالرسول ﷺ.

٤- تقرير حقيقة أن الإنسان مطبوع على العجلة فلذا من غير طبعه بالتربية فأصبح ذا أناة وتؤدة كان من أكمل الناس وأشرفهم.

لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ

(١) العجلة: السرعة، قيل: إن ضعف صفة الصبر في الإنسان من مقتضى التفكير في المحبة والكراهة، فإذا فكر في شيء محبوب استعجل حصوله، وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته، ومن هنا كان عجولا.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾

شرح الكلمات :

لا يكفون : أي لا يمنعون ولا يدفعون النار عن وجوههم.

بل تأتيهم بغتة : أي تأتيهم القيامة بغتة أي فجأة.

فتبهتهم : أي تُحيرهم.

ولاهم ينظرون : أي يمهلون ليتوبوا.

وحاق بهم : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون.

من يكلؤكم : أي من يحفظكم ويحرسكم.

من الرحمن : أي من عذابه إن أراد إنزاله بكم.

بل هم عن ذكر ربهم معرضون : أي هم عن القرآن معرضون فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه.

ولا هم منا يصحبون : أي لا يجدون من يجيرهم من عذابنا.

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿لو يعلم[1] الذين كفروا﴾ المستعجلون بالعذاب المطالبون به حين أي الوقت الذي يُلقون فيه في جهنم والنار تأكل وجوههم وظهورهم، ولا يستطيعون أن يمنعوا أنفسهم منها ولا هم ينصرون بمن يدفع العذاب عنهم لو علموا هذا وأيقنوا به لما طالبوا بالعذاب ولا استعجلوا يومه وهو يوم القيامة، هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿لو يعلم الذين[2] كفروا حين[3] لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ وقوله تعالى:

(١) جواب لو: محذوف تقديره: لما استعجلوا أي: لو عرف هؤلاء المستعجلون وقت لاتزول فيه النار عن وجوههم وعن ظهورهم لما استعجلوا العذاب.

(٢) جواب لو: محذوف كما تقدم آنفاً، والغرض من حذفه تهويل جنسه فتذهب نفس السامع كل مذهب. وجملة: ﴿لو يعلمون..﴾ الخ مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٣) (حين) اسم زمان منصرف منصوب على المفعولية لا على الظرفية أي: لو علموا وقته وأيقنوا بحصوله لما كذّبوا به.

﴿بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾[1] أي أن القيامة لا تأتيهم على علم منهم بوقتها وساعتها فيمكنهم بذلك التوبة، وإنما تأتيهم ﴿بغتة﴾ أي فجأة ﴿فتبهتهم﴾ أي فتحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردها، ولاهم ينظرون﴾ أي يمهلون ليتوبوا من الشرك والمعاصي فينجوا من عذاب النار، وقوله تعالى: ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾ وهو العذاب هذا القول للرسول ﷺ تعزية له وتسلية ليصبر على ما يلاقيه من استهزاء قريش به واستعجالهم العذاب، إذ حصل مثله للرسل قبله فصبروا حتى نزل العذاب بالمستهزئين بالرسل عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿قل من[2] يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ يأمر تعالى رسوله أن يقول للمطالبين بالعذاب المستعجلين له: ﴿من يكلؤكم بالليل والنهار﴾ أي من يجيركم من الرحمن إن أراد أن يعذبكم، إنه لا أحد يقدر على ذلك إذاً فلم لا تتوبون إليه بالإيمان والتوحيد والطاعة له ولرسوله، وقوله: ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ إن علة عدم استجابتهم للحق هي إعراضهم عن القرآن الكريم وتدبر آياته وتفهم معانيه. وقوله: ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ ينكر تعالى أن يكون للمشركين آلهة تمنعهم من عذاب الله متى نزل بهم ويقرر أن آلهتهم لا تستطيع نصرهم ﴿ولاهم منا يصحبون﴾ أي وليس هناك من يجيرهم من عذاب الله من آلهتهم ولا من غيرها فلا يقدر أحد على إجارتهم من عذاب الله متى حل بهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير أن الساعة لا تأتي إلا بغتة.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣- تسلية الرسول ﷺ بما كان عليه الرسل من قبله وما لاقوه من أممهم.

---

(١) (بل): للاضراب الانتقالي من تهويل ما أعدّ لهم إلى التهديد بأن ذلك يحلّ بهم بغتة (أي فجأة).

(٢) يكلأكم: أي يحرسكم ويحفظكم إذ الكلاءة: الحفظ والحراسة يقال: كلاه الله كلاءة أي: حفظه وحرسه ومنه قول الشاعر:

إنّ سليمي والله يكلأها ... ضنّت بشيء ما كان يرزؤها

والاستفهام في: من يكلأكم: للنفي.

(٣) فسر يصحبون بيمنعون، ويجارون قال الشاعر:

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ... ليصحب منها والرماح دواني

٤ـ بيان عجز الهة المشركين عن نصرتهم بدفع العذاب عنهم متى حل بهم.
٥ـ بيان أن علة إصرار المشركين على الشرك والكفر هو عدم إقبالهم على تدبر القرآن الكريم وتفكرهم في آياته وما تحمله من هدى ونور.

بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾
قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

متعنا هؤلاء وآباءهم : أي بما أنعمنا عليهم من الخيرات.

حتى طال عليهم العمر : فانغـرُّوا بذلك.

ننقصها من أطرافها : أي بالفتح على النبي ﷺ وأصحابه المؤمنين.

إنما أنذركم بالوحي : أي بأخبار الله تعالى التي يوحيها إلي وليس هناك شيء من عندي.

نفحـــة : أي وقعة من عذاب خفيفة.

يا ويلنا إنا كنا ظالمين : أي يقولون يا ويلنا أي يا هلاكنا.

إنا كنا ظالمين : أي بالشرك والتكذيب للرسول ﷺ.

الموازين القسط : أي العادلـة .
فلا تظلم نفس شيئاً : لا بنقص حسنة ولا بزيادة سيئة .
مثقال حبـة : أي زنة حبة من خردل .
وكفى بنا حاسبين : أي محصين لكل شيء .

معنى الآيـات :

مازال السياق في إبطال دعاوي المشركين فقال تعالى : ﴿بل متعنا هؤلاء﴾[١] بما أنعمنا عليهم هم وآبـاؤهم فظنـوا أن آلهتهم هي الحـافـظة لهم بل الله هو الحـافظ حتى طال عليهم العمـر[٢] فانغروا بذلـك . ﴿أفـلا يرون أنـا نأتي الأرض﴾ أرض الجزيرة بلادهم ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بدخول أهلها في الإسلام بلداً بعد بلد . ﴿أفهم[٣] الغالبون﴾؟ الله هو الغالب حيث مكن لرسوله والمؤمنين وفتح عليهم ، ثم أمر رسوله أن يقول لهم أيها المكذبون إنما أنذركم العذاب وأخوفكم من عاقبة شرككم بالوحي الإلهي لا من تلقاء نفسي ، وقوله تعالي : ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ فالصم لحبهم الباطل الذي هم عليه لا يسمعون الدعاء إذا ما ينذرون وفي الخبر حبك الشيء يعمي ويصم فحبهم للشرك وآلهته جعلهم لا يسمعون فاستوى انذارهم وعدمه وقوله تعالى : ﴿ولئن مَسَّتْهُمْ[٤] نفحة من عذاب ربك﴾ أي وقعة خفيفة من العذاب لصاحوا يدعون بالويل على أنفسهم قائلين ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾[٥] فكيف بهم إذا وضعت الموازين العدل ليوم القيامة حيث لا تظلم نفس شيئاً وإن قل وإن كان مثقال حبة من حسنة أو سيئة أتينا بها ووزناها ﴿وكفى بنا حاسبين[٦]﴾ أي محصين لأعمال العباد لعلمنا المحيط بكل شيء وقدرتنا التي لا يعجزها شيء . . ألا فلنتق الله أيها العقلاء ! !

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد أهل مكة . أي : بسطنا لهم ولآبائهم نعيمها .
(٢) (طال عليهم العمر) أي : في النعمة فظنوا أنها لا تزول عنهم؟ فانغروا وأعرضوا عن تدبّر حجج الله عز وجل .
(٣) المس : اتصال بظاهر الجسم ، والنفحة : المرّة من النفح في العطية ، يقال : نفحه بشيء إذا أعطاه . وما في التفسير مغنٍ عن هذا .
(٤) هذا اعتراف منهم في حين لا ينفع الاعتراف .
(٥) قيل : يجوز أن يكون لكل عامل ميزان خاص به فتكثر الموازين كما قال الشاعر :
ملك تقوم الحادثات لعدله فلكل حادثة لها ميزان
(٦) ضمير الجمع في (حاسبين) : مراعى فيه ضمير العظمة ، وهو منصوب على الحال أو التمييز لكفى

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ طول العمر والرزق الواسع كثيراً ما يُسبب الغرور لصاحبه.

٢ـ حب الشيء يعمي صاحبه حتى لا يرى إلا ما أحبه ويصمه بحيث لا يسمع إلا ما أحبه.

٣ـ بيان ضعف الإنسان وأن أدنى عذاب ينزل به لا يتحمله ويصرخ داعياً يا هلاكاه.

٤ـ تقرير البعث والحساب والجزاء.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

شرح الكلمات :

الفرقان : التوراة لأنها فارقة بين الحق والباطل كالقرآن.

وضياء : أي يهدي إلى الحق في العقائد والشرائع.

وذكراً : أي موعظة.

يخشون ربهم بالغيب : أي يخافون ربهم وهم لا يرونه في الدنيا فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل حرام.

وهم من الساعة مشفقون : أي وهم من أهوال يوم القيامة وعذابه خائفون.

وهذا ذكر مبارك : أي القرآن الكريم تنال بركته قارئه والعامل به.

أفأنتم له منكرون : الاستفهام للتوبيخ يوبخ تعالى من أنكر أن القرآن كتاب الله.

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه آتى موسى وهارون الفرقان(١) أي الحق الذي فرق بين حق موسى وهارون

(١) وفسر الفرقان بالتوراة أيضاً وهو حق أيضاً وجائز أن يكون النصر، إذ معنى الفرقان: أنه ما يفرّق به بين الحق والباطل بالقول أو العمل.

وبين باطل فرعون، كما فرق بين التوحيد والشرك يوم بدر يوم الفرقان وآتاهما التوراة ضياء يستضاء بها في معرفة الحلال والحرام والشرائع والأحكام وذكراً أي موعظة للمتقين، ووصف المتقين بصفتين: الأولى أنهم يخشون ربهم أي يخافونه بالغيب[1] أي وهم لا يرونه والثانية: أنهم مشفقون[2] من الساعة أي مما يقع فيها من أهوال وعذاب وقوله تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ يشير الى القرآن الكريم ويصفه بالبركة فبركته لا ترفع فكل من قرأه وعمل بما فيه نالته بركته قراءة الحرف الواحد منه بعشر حسنات لا تنقضى عجائبه ولاتكتنه أسراره ولا تكتشف كل حقائقه، هدى لمن استهدى، وشفاء لمن استشفى وقوله تعالى: ﴿أفأنتم له منكرون[3]﴾ يوبخ به العرب الذين آمنوا بكتاب اليهود إذكانوايسألونهم عما في كتابهم، وكفروا بالقرآن الذي هو كتابهم فيه ذكرهم وشرفهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- إظهار منة الله تعالى على موسى وقومه ومحمد وأمته بانزال التوراة على موسى والقرآن على محمد ﷺ.

٢- بيان صفات المتقين وهم الذين يخشون ربهم بالغيب فلا يعصونه بترك واحب ولا بفعل محرم: وهم دائما في اشفاق وخوف من يوم القيامة.

٣- الاشادة بالقرآن الكريم حيث أنزله تعالى مباركاً.

٤- توبيخ وتقريع من يكفر بالقرآن وينكر ما فيه من الهدى والنور.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾

(١) قال القرطبي: (بالغيب) أي: غائبين لأنهم لم يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر والاستدلال أنّ لهم ربًا قادراً يجازي على الأعمال فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس، والباء في: (بالغيب) بمعنى الفاء أي: يخشونه تعالى في الغيب.

(٢) الإشفاق: هو رجاء حادث مخوف.

(٣) الاستفهام للتعجب والتوبيخ.

قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

رشـــده	: أي هداه بمعرفة ربّه والإيمان به ووجوب طاعته والتقرب إليه.
التماثيـــل	: جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة على شبه إنسان أو حيوان.
التي أنتم لها عاكفون	: أي مقبلون عليها ملازمون لها تعبداً.
أم أنت من اللاعبين	: أي الهازلين غير الجادين فيما يقولون أو يفعلون.
ربكم رب السموات	: أي المستحق للعبادة مالك السموات والأرض.
الذي فطرهن	: أي أنشأهن خلقاً وإيجاداً على غير مثال سابق.
لأكيدن أصنامكم	: أي لأحتالن على كسر أصنامكم وتحطيمها.
جـذاذاً	: فتاتاً وقطعاً صغيرة.
إلا كبيراً لهم	: إلا أكبر صنم لهم فإنه لم يكسره.
لعلهم إليه يرجعون	: كي يرجعوا إليه فيؤمنوا بالله ويوحّدوه بعد أن يظهر لهم عجز آلهتهم.

معنى الآيات :

على ذكر ما منّ به تعالى على موسى وهارون ومحمد ﷺ من إيتائه إياهم التوراة والقرآن ذكر أنه امتن قبل ذلك على إبراهيم فآتاه رشده في صباه فعرفه به وبجلاله وكماله ووجوب

الإيمان به تعالى وعبادته وحده، وإن عبادة من سواه باطلة، فقال تعالى: ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من[1] قبل﴾ وقوله: ﴿وكنا به عالمين[2]﴾ أي بأهليته للدعوة والقيام بها لما علمناه ﴿إذ قال﴾ أي في الوقت الذي قال لأبيه أي آزر، وقومه منكراً عليهم عبادة غير الله ﴿ما هذه[3] التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ أي مقبلون عليها ملازمون لها فأجابوه بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ فأعلنوا عن جهلهم إذ لم يذكروا برهاناً على صحة أو فائدة عبادتها واكتفوا بالتقليد الأعمى وشأنهم في هذا شأن سائر من يعبد غير الله تعالى فإنه لا برهان له على صحة عبادة من يعبد إلا التقليد لمن رآه يعبده.

فرد عليهم ابراهيم عما أخبر تعالى عنه في قوله ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم﴾ أي الذين قلدتموهم في عبادة الأصنام ﴿في ضلال﴾ أي عن الهدى الذي يجب أن تكونوا عليه ﴿مبين﴾ لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، وردوا على إبراهيم قوله هذا فقالوا بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا أجئتنا بالحق[4]﴾ أي فيما قلت لنا من أنَّا وآباءنا في ضلال مبين ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ أي في قولك الذي قلت لنا فلم تكن جاداً فيما تقول وإنما أنت لاعب لا غير ورد إبراهيم عليهم بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال بل[5] ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أي ليس ربكم تلك التماثيل بل ربكم الحق الذي يستحق عبادتكم الذي فطر السموات والأرض فأنشأهن خلقاً عجيباً من غير مثال سابق وأنا على كون ربكم رب السموات والأرض من الشاهدين إذ لا رب لكم غيره، ولا إله حق لكم سواه. ﴿وتالله﴾ قسماً به تعالى ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ أي لأحتالن[6] عليها فأكسرها ﴿بعد أن تولوا مدبرين[7]﴾ أي بعد أن ترجعوا عنها وتتركوها وحدها.

---

(١) جائز أن يكون من قبل موسى وهارون وجائز أن يكون من قبل النبوة والوحي إليه والرشد: الصلاح.

(٢) أي: بأهليته لإيتاء الرشد وصالح للنبوّة، وجائز أن يكون عالمين به في الوقت الذي قال لأبيه وقومه: (ما هذه التماثيل) والظرف متعلق باذكر.

(٣) ظاهر السؤال أنه سؤال استعلام فلذا أجابوه بحسبه فقالوا: (وجدنا آباءنا لها عابدين)، وضمّن (عاكفون) معنى العبادة فعُدّي باللام.

(٤) الاستفهام للاستعلام أي: جئتنا بالحق في اعتقادك أم أنت مازح فيما تقول؟

(٥) أي: لست بلاعب ولا مازح (بل ربكم ربّ السموات. .) الخ.

(٦) أقسم لهم بالله على أنه لم يكتف بالمحاجة باللسان وإنما سيكيد أصنامهم فيكسرها وذلك لوثوقه بربه تعالى، ولتوطينه نفسه على مقاساة المكروه في الذبّ عن دين الله والتاء في تالله تختص بالقسم بالله وحده، والواو تختص بكل اسم ظاهر والباء بكل مضمر ومظهر.

(٧) (مدبرين) حال مؤكدة لعاملها.

وفعلاً لما خرجوا إلى عيد لهم يقضون يوماً خارج المدينة أتى تلك التماثيل فكسرها فجعلها قطعاً متناثرة هنا وهناك إلا صنماً كبيراً لهم تركه[1] ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي يرجعون إلى إبراهيم فيعبدون معه ربّه سبحانه وتعالى عندما يتبيّنُ لهم بطلان عبادة الأصنام لأنها لم تستطع أن تدفع عن نفسها فكيف تدفع عن غيرها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- مظاهر إنعام الله وإكرامه لمن اصطفى من عباده.

٢- تقرير النبوة والتوحيد، والتنديد بالشرك والمشركين.

٣- ذم التقليد وأنه ليس بدليل ولا برهان للمقلد على ما يعتقد أو يفعل.

٤- مشروعية الشهادة وفضلها في مواطن تعز فيها ويحتاج إليها.

٥- تغيير المنكر باليد لمن قدر عليه مقدم على تغييره باللسان والجمع بينهما أفضل.

قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ
عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات:

بآلهتنا : أي بأصنامهم التي سموها آلهة لأنهم يعبدونها ويؤلهونها بذلك.

---

(١) تركه لم يكسره وعلّق الفأس في عنقه. وقوله: (لعلهم إليه يرجعون): جائز أن يكون المراد بالرجوع إلى الصنم في تكسيرها، وما في التفسير أولى وأصوب.

فتـى يذكـرهم : أي بالعيب والإنتقاص .
على أعين الناس : أي ظـاهراً يرونه بأعينهـم .
يشـهدون : أي عليه بأنه الذي كسر الآلهة ، ويشهدون العقوبة التي ننزلها به .
أأنت فعلت هذا : هذه صـيغة الاستنطاق والاستجواب .
بل فعله كبيرهم هذا : أشار إلى أصبعه نحو الصنم الكبير الذي علق به الفاس قائلاً بل فعله كبيرهم هذا وَوَرَّى بإصبعه تحاشيا للكذب .
فرجعوا إلى أنفسهم : أي بعـد التفكـر والتأمل حكموا على أنفسهم بالظلم لعبادتهم مالا ينطق .
نكسوا على رؤوسهم : أي بعد اعترافهم بالحق رجعوا إلى اقرار الباطل فكانوا كمن نكس فجعل رأسه أسفل ورجلاه أعلى .
ما هؤلاء ينطقـون : فكيف تطلب منا أن نسألهـم .

معنـى الآيـات :

ما زال السياق الكريم فيما دار بين إبراهيم الخليل وقومه من حوار حول العقيدة انه لما استغـل ابـراهيم فرصـة خروج القوم إلى عيدهم خارج البلد ودخل البهو فكسر الآلهة فجعلها قطعاً متناثرة وعلق الفأس بكبير الآلهة المزعومة وعظيمها وخرج فلما جاء المساء وعادوا إلى البلد ذهبوا إلى الآلهة المزعومة لأخذ الطعام الموضوع بين يديها لتباركه في زعمهم واعتقادهم الباطل وجدوها مهشمة مكسرة صاحوا قائلين : ﴿من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين﴾ فأجاب بعضهم بعضاً قائلا : ﴿سمعنا[1] فتى يذكرهم﴾ أي شاباً يذكر الآلهة بعيب وازدراء ، واسمه إبراهيم ، وهنا قالوا إذاً ﴿فأتوا به على أعين[2] الناس﴾ لنشاهده ونحقق معه فإذا ثبت أنه هو عاقبناه وتشهد الناس عقوبته فيكون ذلك نكالاً لغيره ، وجاءوا به عليه السلام وأخذوا في استنطاقه فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم : ﴿أأنت فعلت هذا﴾

(١) جائز أن يكون إبراهيم لما قال : متوعداً أصنامهم (تالله لأكيدن أصنامكن) كان هناك من سمعه من ضعفة القوم أو سمعه من سمعه يعيب الآلهة قبل أن يتوعدها بالكسر.

(٢) في هذا دليل على أنه كان لا يؤاخذ أحد بدعوى أحد قد لا تثبت بل لابد من التحري حتى تثبت أو لا تثبت كما هو في شرعنا الإسلامي .

أي التكسير والتحطيم ﴿يا إبراهيم﴾؟ فأجابهم بما أخبر تعالى به عنه بقوله: ﴿قال بل فعله[1] كبيرهم هذا﴾ يشير بأصبعه إلى كبير الآلهة تورية، ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ تقريعاً لهم وتوبيخاً وهنا رجعوا الى أنفسهم باللائمة فقالوا: ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ أي حيث تألهون مالا ينطق ولا يجيب ولا يدفع عن نفسه فكيف عن غيره ، وقوله تعالى: ﴿ثم نكسو على رؤوسهم[2]﴾ أي قلبهم الله رأساً على عقب فبعد أن عرفوا الحق ولاموا على أنفسهم عادوا إلى الجدال بالباطل فقالوا: ﴿لقد علمت﴾ أي يا إبراهيم ما ﴿هؤلاء ينطقون﴾ فكيف تطلب منا أن نسألهم وأنت تعلم أنهم لا ينطقون. كما أن اعترافهم بعدم نطق الآلهة المدعاة إنتكاس منهم إذ اعترفوا ببطلان تلك الآلهة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- الظلم معروف لدى البشر كلهم ومنكر بينهم ولولا ظلمة النفوس لما أقروه بينهم.
٢- إقامة البيّنة على الدعاوي أمر مقرر في عرف الناس وجاءت به الشرائع من قبل.
٣- أسلوب المحاكمة يعتمد على الاستنطاق والاستجواب أولا.
٤- مشروعية التورية خشية القول بالكذب.[3]

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ

---

(١) قوله: (بل فعله كبيرهم هذا) قاله من أجل أن يقولوا: إنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرّون فيقول لهم: فلم تعبدونهم إذاً؟! فتقوم له الحجة عليهم من أنفسهم ولذا يجوز فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه فإنه أقطع للشبهة وأقرب في الحجة.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم.

(٣) الكذب: هو الاخبار بما يخالف الواقع، والتورية: أن يقول أو يفعل شيئاً ويوري بغيره تجنباً للكذب، وفي الحديث الصحيح: (لم يكذب ابراهيم النبي في شيء قط إلا في ثلاث: قوله: إني سقيم، وقوله لسارة: أختي، وقوله: بل فعله كبيرهم) وهي في الواقع معاريض وليست بالكذب الصريح، وكانت في ذات الله تعالى.

﴿فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩
وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾

شرح الكلمات :

مالا ينفعكم شيئاً : أي آلهة لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم إن أرادت ضركم.

أفٍ لكم : أي قبحاً لكم ولما تعبدون من دون الله.

قالوا: حرقوه : أي أحرقوه بالنار إنتصاراً لألهتكم التي كسرها.

برداً وسلاماً : أي على إبراهيم فكانت كذلك فلم يحرق منه غير وثاقه «الحبل الذ ي وثق به».

كيداً : وهو تحريقه بالنار للتخلص منه.

فجعلناهم الأخسرين : حيث خرج من النار ولم تحرقه ونجا من قبضتهم وذهب كيدهم ولم يحصلوا على شيء.

ونجيناه ولوطاً : أي ابن أخيه هاران.

التي باركنا فيها : وهي أرض الشام.

ويعقوب نافلة : زيادة على طلبه الولد فطلب ولداً فأعطاه ما طلب وزاده آخر.

وكلًا جعلنا صالحين : أي وجعلنا كل واحد منهم صالحاً من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق الناس كذلك.

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه منكراً عليهم عبادة ألهتهم ﴿أفتعبدون[1]

---

(١) الاستفهام للانكار والتوبيخ والتقريع.

من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم﴾ أي أتعبدون آلهة دون الله علمتم أنها لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم ولا تنطق إذا استنطقت ولا تجيب إذا سئلت ﴿أُفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ أي قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع ﴿أفلا تعقلون﴾[(١)] قبح عبادتها وباطل تأليهها وهي جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر وهنا أجابوا بما[(٢)] أخبر تعالى به عنهم فقالوا: ﴿حرقوه﴾[(٣)] أي أحرقوا إبراهيم بالنار ﴿وانصروا آلهتكم﴾ التي أهانها وكسرها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أي مريدين نصرتها حقاً وصدقاً. ونفذوا ما أجمعوا عليه وجمعوا الحطب وأججوا النار في بنيان خاص وألقوه فيه بواسطة منجنيق لقوة لهبها وشدة حرها[(٤)] وقال تعالى للنار ما أخبر به في قوله: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت كما طلب منها ولم تحرق غير وثاقه الحبل الذي شدت به يداه، ورجلاه ولو لم يقل وسلاماً لكان من الجائز أن تنقلب النار جبلاً من ثلج ويهلك به إبراهيم عليه السلام. روى أن والد إبراهيم لما رأى إبراهيم لم تحرقه النار وهو يتفصد عرقاً قال: نعم الرب ربك يا إبراهيم! وقوله تعالى: ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ أي أرادوا بإبراهيم مكراً وهو إحراقه بالنار فخيَّب الله مسعاهم وأنجى عبده وخليله من النار وأحبط عليهم ما كانوا يأملون فخسروا في كل أعمالهم التي أرادوا بها إهلاك إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿ونجيناه ولوطاً﴾[(٥)] أي ونجينا إبراهيم وابن أخيه هاران وهو لوط ﴿إلى الأرض التي باركنا[(٦)] فيها للعالمين﴾ وهي أرض الشام فنزل إبراهيم

---

(١) الاستفهام للتوبيخ والتأنيب.

(٢) بعد أن أعيتهم الحجة وانقطعوا ببيان اللسان لاذوا إلى قوة السنان، وهذا شأن الإنسان إذا كتب عليه الخسران، والعياذ بالرحمن.

(٣) روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ومجاهد وابن جريج: أنّ الذي قال حرّقوه: رجل من الأكراد من بادية فارس واسمه هيزرُ وخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة: وقيل: إن القائل: ملكهم نمرود. والله أعلم.

(٤) روي أنهم جمعوا الحطب في مدة شهر كامل ولما ألقوه في النار عرض له جبريل عليه السلام فقال: يا براهيم ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل. وقال عليّ وابن عباس رضي الله عنهم لو لم يتبع بردها سلاماً لمات ابراهيم من بردها ولم تبق دابة في المنطقة إلاّ أطفأت عن إبراهيم النار إلاّ الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه فلذا أمر الرسول ﷺ بقتلها وسمّاها الفويسقة.

(٥) هذه النجاة ثانية. الأولى كانت من النار وهذه من ديار الكفار، إذ هاجر من أرض الكلدانيين إلى أرض فلسطين، وهي بلاد الكنعانيين يومئذٍ، وهجرة ابراهيم هذه أول هجرة في تاريخ الإسلام، إذ خرج ابراهيم وابن أخيه لوط بن هاران وزوجه وابنة عمه سارة عليهم السلام، ونصب لوط على المفعول معه، وضمّن فعل نجيناه معنى الإخراج فعدي بإلى.

(٦) قيل لها مباركة لكثرة خصبها وأنهارها وثمارها ولأنها معادن الأنبياء والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير. إذا لزم مكانه ولم يبرحه.

بفلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي قرى قوم لوط التى بعد دمارها استحالت الى بحيرة غير صالحة للحياة فيها وقوله : ﴿باركنا فيها للعالمين﴾ أي بارك في أرزاقها بكثرة الاشجار والانهار والثمار لكل من ينزل بها من الناس كافرهم ومؤمنهم لقوله : ﴿للعالمين﴾ وقوله تعالى : ﴿ووهبنا له﴾ أي لإبراهيم اسحق حيث سأل الله تعالى الولد، وزاده يعقوب نافلة[1] وقوله : ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ أي وجعلنا كل واحد منهم من الصالحين الذين يعبدون الله بما شرع لهم فأدوا حقوق الربِّ تعالى كاملة، وأدوا حقوق الناس كاملة وهذا نهاية الصلاح.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان قوة حجة إبراهيم عليه السلام، ومتانة أسلوبه في دعوته[2] وذلك مما آتاه ربّه.

٢ـ مشروعية توبيخ أهل الباطل وتأنيبهم.

٣ـ آية إبطال مفعول النار فلم تحرق إبراهيم إلا وثاقه لما أراد الله تعالى ذلك.

٤ـ قوة التوكل على الله كانت سبب تلك المعجزة إذ قال إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل.

فقـال الله تعالى للنار: ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت، وكفاه ما أهمه بصدق توكله عليه، ويؤثر أن جبريل عرض له قبل أن يقع في النار فقال هل لك يا إبراهيم من حاجة؟ فقال إبراهيم: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل.

٥ـ تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين.

٦ـ خروج إبراهيم من أرض العراق إلى أرض الشام كانت أول هجرة في سبيل الله في التاريخ.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ

---

(١) نافلة: منصوب على الحال وصاحبها: اسحق ويعقوب والنافلة الزيادة غير الموعودة.

(٢) قال تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه﴾ من سورة الأنعام.

ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

أئمـــة : أي يقتدى بهم في الخير.

يهدون بأمرنـا : أي يرشـدون الناس ويعلمونهم ما به كمالهم ونجاتهم وسعادتهم بإذن الله تعالى لهم بذلك حيث جعلهم رسلاً مبلغين.

وكانوا لنا عابدين : أي خاشعين مطيعين قائمين بأمـرنا.

ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً : أي أعطينا لوطاً حكماً أي فصـلا بين الخصوم وفقهاً في الدين وكل هذا يدخل تحت النبوة والرسالة وقد نبأه وأرسله.

تعمل الخبائث : كاللواط وغيره من المفاسد.

فاســقين : أي عصاة متمردين عن الشرع تاركين للعمل به.

ونوحاً إذ نادى من قبل : أي واذكر نوحاً إذ دعا ربّه على قومه الكفرة.

من الكرب العظيم : أي من الغرق الناتج عن الطوفان الذي عم سطح الأرض.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكـريم في ذكر أفضال الله تعالى على إبراهيم وولده فقال تعالى: ﴿وجعلنـاهم﴾ أي إبـراهيم واسحق ويعقـوب أئمـة هداة يقتـدى بهم في الخير ويهـدون النـاس إلى

دين الله تعالى الحق بتكليف الله تعالى لهم بذلك حيث نبأهم وأرسلهم. وهو معنى قوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾[1] وقوله: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ أي أوحينا إليهم بأن يفعلوا الخيرات جمع خير وهو كل نافع غير ضار فيه مرضاة لله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة. وقوله تعالى: ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ أي امتثلوا أمرنا فيما أمرناهم به وكانوا لنا مطعين خاشعين وهو ثناء عليهم بأجمل الصفات وأحسن الأحوال وقوله تعالى: ﴿ولوطاً[2] آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث[3] إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ أي وكما آتينا إبراهيم وولديه ما آتيناهم من الإفضال والإنعام الذي جاء ذكره في هذا السياق آتينا لوطاً وقد خرج مهاجراً مع عمه إبراهيم آتيناه أيضاً حكماً وعلماً ونبوة ورسالة متضمنة حسن الحكم والقضاء وأسرار الشرع والفقه في الدين. هذه منة وأخرى أنا نجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث وأهلكنا أهلها لأنهم كانوا قوم سوء لا يصدر عنهم الا ما يسوء إلى الخلق فاسقين عن أمرنا خارجين عن طاعتنا، وقوله: ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ وهذا إنعام آخر أعظم وهو ادخاله في سلك المرحومين برحمة الله الخاصة لأنه من عباد الله الصالحين.

وقوله تعالى: ﴿ونوحاً﴾ أي واذكر يا رسولنا في سلك هؤلاء الصالحين عبدنا ورسولنا نوحاً الوقت الذي نادى ربه من قبل إبراهيم[4] فقال إني مغلوبٌ فانتصر، ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب[5] العظيم﴾ حيث نجاه تعالى وأهله إلا امرأته وولده كنعان فإنهما لم يكونا من أهله لكفرهما وظلمهما فكانا من المغرقين. وقوله: ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي ونصرناه بإنجائنا له منهم فلم يمسوه بسوء، وأغرقناهم أجمعين لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين ظالمين[6].

---

(١) وجائز أن يكون معنى (بأمرنا): أي: بما أنزلنا عليهم بوحينا من الأمر والنهي كأنه قال: بكتابنا وما بيّنا فيه من التشريع المحقق للآخذين به سعادة الدنيا والآخرة والأئمة جمع إمام وهو الرئيس الذي يقتدى به في الخير لا في الشر.

(٢) (ولوطاً): منصوب على الاشتغال أي: وآتينا لوطاً آتيناه. والحكم: الحكمة وهو النبوة والعلم علم الشريعة.

(٣) الخبائث: جمع خبيثة وهي الفعلة الشنيعة، ومن خبائثهم: اللواط، والتضارط في الأندية وحذف الحصى، والتحريش بين الديك والكلاب. والقرية هي سدوم وعمورة، وما حولهما إذ كانت سبع مدن قلب جبريل منها ستة وأبقى واحدة للوط وعياله وهي: زغر من كورة فلسطين.

(٤) من قبل ابراهيم ولوط عليهما السلام.

(٥) الكرب: هو الغمّ الشديد وهو هنا: الطوفان.

(٦) السوء: بفتح السين مصدر: القبيح المكروه من القول والفعل وبضم السين اسم مصدر وهو أعم من السوء بفتح السين.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف القائمين بها .

٢ـ فضل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات .

٣ـ ثناء الله تعالى على أوليائه وصالحي عباده بعبادتهم ، وخشوعهم له .

٤ـ الخبث إذا كثر في الأمة استوجبت الهلاك والدمار .

٥ـ التنديد بالفسق والتحذير من عواقبه فإنها مدمرة والعياذ بالله .

٦ـ تقرير النبوة المحمدية وتأكيدها إذ مثل هذا القصص لا يتأتى الا لمن يوحى إليه .

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ
نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ
فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ
إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾
وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا
دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

شـرح الكلـمات :

فـي الحـرث : أي في الكرم الذي رعته الماشية ليلا .

نفشت فيـه[1] : أي رعته ليلاً بدون راع .

(١) النفش : الرعي ليلا والهمل : الرعي بالنهار.

شاهدين : أي حاضرين صدور حكمهم في القضية لا يخفى علينا شيء من ذلك.

ففهمناها : أي القضية التي جرى فيها الحكم.

وكلًا آتينا حكماً وعلماً : أي كلًا من داود وولده سليمان أعطيناه حكماً أي النبوة وعلماً بأحكام الله وفقهها.

يسبحن : أي معه إذا سبح.

وكنا فاعلين : أي لما هو أغرب وأعجب من تسبيح الجبال والطير فلا تعجبوا.

صنعة لبوس لكم : هي الدروع وهي من لباس الحرب.

لتحصنكم : أي تقيكم وتحفظكم من ضرب السيوف وطعن الرماح.

فهل أنتم شاكرون : أي اشكروا فالاستفهام معناه الأمر هنا.

إلى الأرض التي باركنا : أي أرض الشام.

يغوصون : أي في أعماق البحر لاستخراج الجواهر.

ويعملون عملًا دون ذلك : أي دون الغوص كالبناء وغيره وبعض الصناعات.

وكنا لهم حافظين : أي لأعمالهم حتى لا يفسدوها.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من يشاء من عباده، وفي ذلك تقرير لنبوة نبيه محمد ﷺ التي كذبت بها قريش فقال تعالى: ﴿وداود وسليمان﴾ أي واذكر يانبينا داود وسليمان ﴿إذ يحكمان في الحرث﴾ أي اذكرهما في الوقت الذي كانا يحكمان في الحرث الذي ﴿نفشت فيه غنم القوم﴾ أي رعت فيه ليلًا بدون راع فأكلته وأتلفته ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ حاضرين لا يخفى علينا ما حكم به كل منهما، إذ حكم داود بأن يأخذ صاحب الحرث الماشية مقابل ما أتلفته لأن المتلف يعادل قيمة الغنم التي أتلفته، وحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الماشية الزرع يقوم عليه حتى يعود كما كان، ويأخذ صاحب الحرث الماشية يستغل صوفها ولبنها وسخالها فإذا

ردت إليه كرومه كما كانت أخذها ورد الماشية لصاحبها لم ينقص منها شيء هذا الحكم أخبر تعالى أنه فهم فيه سليمان وهو أعدل من الأول وهو قوله تعالى: ﴿ففهمناها﴾[1] أي الحكومة أو القضية أو الفتيا سليمان، ولم يعاتب داود على حكمه، وقال: ﴿وكلًّا آتينا حكماً وعلماً﴾[2] تلافياً لما قد يظن بعضهم أن داود دون ولده في العلم والحكم.

وقوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ هذا ذكر لبعض ما أنعم به على داود عليه السلام وهو أنه سخر الجبال والطير تسبح معه إذا سبح سواء أمرها بذلك فأطاعته أو لم يأمرها فإنه إذا صلى وسبح صلت معه وسبحت، وقوله: ﴿وكنا فاعلين﴾ أي لما هو أعجب من تسخير الجبال والطير تسبح مع سليمان لأنا لا يعجزنا شيء وقد كتب هذا في كتاب المقادير فأخرجه في حينه، وقوله تعالى: ﴿وعلمناه﴾ أي داود ﴿صنعة لبوس[3] لكم﴾ وهي الدورع السابغة التي تقي لاسبها طعن الرماح وضرب السيوف بإذن الله تعالى فهي آلة حرب ولذا قال تعالى ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾[4] ﴿فهل أنتم[5] شاكرون؟﴾ أمر لعباده بالشكر على إنعامه عليهم والشكر يكون بحمد الله تعالى والإعتراف بإنعامه، وطاعته وصرف النعمة فيما من أجله أنعم بها على عبده، وقوله ﴿ولسليمان﴾ أي وسخرنا لسليمان ﴿الريح عاصفة﴾ شديدة السرعة ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ إذْ يخرج غازياً أول النهار وفي آخره تعود به الريح تحمل بساطه الذي هو كأكبر سفينة حربية اليوم إلى الأرض التي بارك الله وهي أرض الشام. وقوله: ﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ يخبر تعالى أنه كان وما زال عليماً بكل شيء ما ظهر للناس وما غاب عنهم فكل أحداث الكون تتم حسب علم الله وإذنه وتقديره وحكمته فلذا وجبت له الطاعة واستحق الألوهة والعبادة.

---

(١) يروى أن سليمان كان على باب المحكمة فإذا خرج الخصمان سألهما بم قضى بينكما نبي الله داود؟ فقال: قضى بالغنم لصاحب الحرث فقال: لعل الحكم غير هذا انصرفا معي فأتى أباه فقال: يا نبي الله إنك حكمت بكذا وكذا وإني رأيت ما هو أرفق بالجميع فقال وما هو؟ فقال: ينبغي أن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث إلى آخر ما هو في التفسير.

(٢) اختلف هل كان حكمهما بوحي أو باجتهاد فإن كان بوحي فهو نسخ للحكم الأول بالثاني، وإن كان باجتهاد وهو ما عليه الجمهور، ولم يخطىء داود ولكن الحكم الذي ألهمه سليمان كان أرفق بالطرفين.

(٣) هذا مع إلانة الحديد له فقال تعالى في سورة سبأ: ﴿وألنا له الحديد أن اعمل سابغات﴾ واللبوس في العربية: سلاح الحرب من سيف ورمح ودرع وغيرها واللبوس أيضاً: كل ما يلبس قال الشاعر:

إلبس لكل حالة لبوسها   إمّا نعيمها وإما بؤسها

(٤) قرأ حفص: (لتحصنكم) بالتاء أي: الدروع، وقرأ نافع (ليحصنكم): أي: اللبوس وقرأ ورش لنُحصنكم بالنون، والإحصان: الوقاية والحماية وفي الآية دليل على وجوب الصناعة على الكفاية.

(٥) الاستفهام هنا للأمر بالشكر.

وقولـه: ﴿ومن الشياطين من يغوصون[1] له﴾ أي وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في أعماق البحار لاستخراج الجواهر، ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ كالبناء وصنع التماثيل والمحاريب والجفان وغير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وكنا لهم حافظين﴾ أي وكنا لأعمال أولئك العاملين من الجن حافظين لها عالمين بها حتى لا يفسدوها بعد عملها مكراً منهم أو خديعة فقد روى أنهم كانوا يعملون ثم يفسدون ما عملوه حتى لا ينتفع به.

هذا كله من إنعـام الله تعـالى على داود وسليمـان وغيره كثير فسبحـان ذي الأنعام والافضال إله الحق ورب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب نصب القضاة للحكم بين الناس.

٢ـ بيان حكم الماشية ترعى فى حرث الناس وإن كان شرعنا على خلاف شرع من سبقنا فالحكم عندنا إن رعت الماشية ليلاً قوم المتلف على صاحب الماشية ودفعه لصاحب الزرع، وإن رعت نهاراً فلا شيء لصاحب الزرع لأن عليه أن يحفظ زرعه من أن ترعى فيه مواشي الناس لحديث العجماء جبار وحديث ناقة البراء بن عازب.

٣ـ فضـل التسبيح.

٤ـ وجوب صنع آلة الحرب واعدادها للجهاد في سبيل الله.

٥ـ وجوب شكر الله تعالى على كل نعمة تستجد للعبد.

٦ـ بيان تسخير الله تعالى الجن لسليمان يعملون له أشياء.

٧ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ إذ من أرسل هؤلاء الرسل وأنعم عليهم بما أنعم لا يستنكر عليه إرسال محمد رسولاً وقد أرسل من قبله رسلاً.

٨ـ كل ما يحدث في الكون من أحداث يحدث بعلم الله تعالى وتقديره ولحكمة تقضيه.

---

(١) الغوص: النزول تحت الماء، والغوّاص: الذي يغوص لاستخراج اللآليء وفعله يقال له: الغواصة على وزن حياكة (مهنة).

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ
وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

وأيوب : أي واذكر أيوب.

إذ نادى ربه : أي دعاه لما ابتلى بفقد ماله وولده ومرض جسده.

مسني الضر : هو ما ضر بجسمه أو ماله أو ولده.

وذكرى للعابدين : أي عظة للعابدين، ليصبروا فيثابوا.

وأدخلناهم في رحمتنا : بأن نبأناهم فانخرطوا في سلك الأنبياء إنهم من الصالحين.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من شاء من عباده الصالحين فقوله تعالى في الآية الأولى (٨٣) ﴿وأيوب﴾ أي واذكر عبدنا في شكره وصبره وسرعة أَوْبته، وقد ابتلیناه بالعافية والمال والولد، فشكر وابتلیناه بالمرض وذهاب المال والأهل والولد فصبر. أذكره ﴿إذ نادى ربه﴾ أي داعياً ضارعاً بعد بلوغ البلاء منتهاه ربِّ

أي يا رب ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾[1] ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله﴾ من زوجة وولد ﴿ومثلهم معهم﴾ أي ضاعف له ما أخذه منه بالابتلاء بعد الصبر وأما المال فقد ذكر النبي ﷺ أنه أنزل عليه رَجْلاً من جَرَادٍ من ذهب فكان أيوب يحثو في ثوبه حثيثاً فقال له ربّه في ذلك فقال من ذا الذي يستغنى عن بركتك يا رب. وقوله تعالى: ﴿رحمة من عندنا﴾ أي رحمناه رحمة خاصة، وجعلنا قصته ذكرى وموعظة للعابدين لنا لما نبتليهم بالسراء والضراء فيشكرون ويصبرون ائتساء بعبدنا أيوب ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾[3] أي واذكر في عداد المصطفين من أهل الصبر والشكر اسماعيل بن ابراهيم الخليل، وادريس وهو اخنوخ وذا الكفل ﴿كل من الصابرين﴾ على عبادتنا الشاكرين لنعمائنا، وادخلناهم في رحمتنا فنبأنا منهم من نبأنا وأنعمنا عليهم وأكرمناهم بجوارنا إنهم من الصالحين.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ علو مقام الصبر ومثله الشكر فالاول على البأساء والثانى على النعماء.

٢ـ فضيلة الدعاء وهو باب الاستجابة وطريقها من ألهمه ألهم الاستجابة.

٣ـ في سير الصالحين مواعظ وفي قصص الماضيين عبر.

٤ـ من ابتلى بفقد مال أو أهل أو ولد فَصَبَرَ كان له من الله الخلف وما يقال عند المصيبة «إنا لله وإنا إليه لراجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها».

---

(١) هل قول أيوب: (ربّ إني مسني الضرّ) يتنافى مع الصبر؟ والجواب: هذه المسألة ذكر القرطبي في تفسيره نحواً من ستة عشر قولاً، والصحيح أنّ هذا لاينافي الصبر لأنه دعاء، والدليل هو قوله تعالى: (فاستجبنا له) ولم يكن شكوى لأنّ الاستجابة تأتي بعد الدعاء لا الاشتكاء، قال الجنيد: عرّفه فاقة السؤال ليمنّ عليه بكرم النوال.

(٢) اختلف في مدة مرضه، أصحّ ما قيل فيها أنها ثماني عشرة سنة وهذا مروي عن النبي ﷺ.

(٣) اختلف في ذي الكفل من هو؟ وأرجح الأقوال ما رواه أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إن ذا الكفل لم يكن نبيًّا ولكنه كان عبداً صالحاً فتكفل بعمل رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم مائة صلاة فأحسن الله الثناء عليه).

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾
وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾

شرح الكلمات :

وذا النون : هو يونس بن متَّى عليه السلام وأُضيف إلى النون الذي هو الحوت في قوله تعالى ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ لأن حوتة كبيرة ابتعلته.

إذ ذهب مغاضباً : أي لربه تعالى حيث لم يرجع إلى قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب.

فظن أن لن نقدر عليه : أي أن لن نحبسه ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاضبته.

في الظلمات : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل.

ونجيناه من الغم : أي الكرب الذي أصابه وهو في بطن الحوت.

لا تذرني فرداً : أي بلا ولد يرث عني النبوة والعلم والحكمة بقرينة ويرث

من آل يعقوب .

رغباً ورهباً : أي طمعاً فينا ورهباً منا أي خوفاً ورجاءاً .

أحصنت فرجها : أي صانته وحفظته من الفاحشة .

من روحنا : أي جبريل حيث نفخ في كم درعها عليها السلام .

آية للعالمين : أي علامة على قدرة الله تعالى ووجوب عبادته بذكره وشكره .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر افضال الله تعالى وانعامه على من يشاء من عباده فقال تعالى : ﴿وذا النون﴾ أي واذكر ذا النون أي يونس بن متّى ﴿إذ ذهب معاضباً﴾[1] لربه تعالى حيث لم يصبر على بقائه مع قومه يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وطاعته وطاعة رسوله فسأل لهم العذاب ، ولما تابوا ورفع عنهم العذاب بتوبتهم وعلم بذلك فلم يرجع إليهم فكان هذا منه مغاضبة لربه تعالى وقوله تعالى عنه : ﴿فظن ان لن نقدر عليه﴾ أي ظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يحبسه في بطن الحوت ولا يضيق عليه وهو حسن ظن منه في ربه سبحانه وتعالى ، ولكن لمغاضبته ربه بعدم العودة إلى قومه بعد أن رفع عنهم العذاب أصابه ربّه تطهيراً له من أمر المخالفة الخفيفة بأن ألقاه في ظلمات ثلاث ، ظلمة الحوت والبحر والليل ثم ألهمه الدعاء الذي به النجاة فكان يسبح في الظلمات الثلاث ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[2] فاستجاب الله تعالى له وهو معنى قوله : ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلّا أنت سبحانك إني[3] كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾ الذي أصابه من وجوده في ظلمات محبوساً لا أنيس ولا طعام ولا شراب مع غم نفسه من جراء عدم عودته الى قومه وقد أنجاهم الله من العذاب . وهو سبب المصيبة ، وقوله تعالى :

---

(١) قيل : (مغاضبا لربه) أي : لأجل ربه تعالى حيث عصاه قومه فكان غضبه لله تعالى وهو تأويل حسن إذ يقال : فلان غضب لله . أي : لأجله . وجائز أن يكون مغاضبا لقومه إذ ردوا دعوته ولم يستجيبوا له .

(٢) (من الظالمين) حيث ترك مداومة قومه والصبر عليهم أو في الخروج من غير إذن له فنزّه ربّه عن الظلم ونسبه إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً .

(٣) روى أبو داود أنّ النبي ﷺ قال (دعاء ذي النون في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . لم يدع به رجل مسلم في شيء قط إلّا استجيب له) .

﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾[1] مما قد يحل بهم من البلاء وقوله تعالى: ﴿وزكريا﴾ أي اذكر يا رسولنا زكريا في الوقت الذي نادى ربه داعياً ضارعاً قائلاً: ﴿ربِّ﴾ أي يا رب ﴿لا تذرني فرداً﴾ أي لاتتركني فرداً لاولد لي يرثني في نبوتي وعلمي وحكمتي ويرث ذلك من آل يعقوب حتى لا تنقطع منهم النبوة والصلاح وقوله: ﴿وأنت خير الوارثين﴾ ذكر هذا اللفظ توسلاً به إلى ربه ليستجيب له دعاءه واستجاب له والحمد لله. فوهبه يحيى وأصلح له زوْجه بأن جعلها ولوداً بعد العقر حسنة الخلق والخُلق. وقوله تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون﴾ أي زكريا ويحيى ووالدته كانوا يسارعون في الطاعات والقربات أي في فعلها والمبادرة إليها. وقوله: ﴿ويدعوننا رغباً[2] ورهباً[3]﴾ هذا ثناء عليهم أيضاً إذ كانوا يدعون الله رغبة في رحمته ورهبة وخوفاً من عذابه وقوله: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ أي مطيعين ذليلين متواضعين وهم يعبدون ربهم بأنواع العبادات.

وقوله تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها[4] فنفخنا فيها من روحنا[5]﴾ أي واذكر يا نبينا تلك المؤمنة التي أحصنت فرجها أي منعته مما حرم الله تعالى عليها وهي مريم بنت عمران اذكرها في عداد من أنعمنا عليهم وأكرمناهم وفضلناهم على كثير من عبادنا الصالحين، حيث نفخنا فيها من روحنا إذ أمرنا جبريل روح القدس ينفخ في كم درعها فسرت النفخة إلى فرجها فحبلت وولدت في ساعة من نهار، وقوله تعالى: ﴿وجعلناها وابنها﴾ أي عيسى كلمة الله وروحه ﴿آية﴾[6] أي علامة كبرى على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا وإنعامنا وواجب عبادتنا وتوحيدنا فيها حيث لا يعبد غيرنا ﴿للعالمين﴾ أي للناس أجمعين

---

(١) قرأ ابن عامر: (نجيّ) بنون واحدة وجيم مشدّدة وتسكين الياء على الماضي وإضمار المصدر أي: وكذلك نجيّ النجاء المؤمنين كما يقال: ضرب زيداً بمعنى: ضرب الضرب زيداً.

(٢) قيل: الرغب: الدعاء ببطون الأكف إلى السماء، والرهب: رفع ظهورهما. روى الترمذي عن عمر رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ إذا رفع يديه لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه) وروى الترمذي أيضاً عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: (إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورهما وامسحوا بهما وجوهكم). وعن ابن عباس: إن رفع اليدين حذاء الصدر هو الدعاء ورفعهما حتى يجاوز بهما الرأس: فهو الابتهال.

(٣) (رغبا ورهبا) يصح نصبهما على المصدرية وعلى الحال، وعلى المفعول لأجله.

(٤) (أحصنت فرجها): أي: عفّت فامتنعت عن الفاحشة، وقيل: إن المراد من فرجها فرج القميص: أي لم تعلق بثيابها ريبة أي: أنها طاهرة الأثواب وفروج القميص أربعة: الكمان والأعلى والأسفل، قال السهيلي: هذا من لطيف الكناية لأنّ القرآن ألطف إشارة وأنزه عبارة.

(٥) إضافة الروح إلى الله تعالى: إضافة تشريف كبيت الله، وقيل فيه: روح الله لأنه مبعوث من قبله سبحانه وتعالى.

(٦) آية اسم جنس فمريم آية، وعيسى عليه السلام آية.

يستدلون بها على ما ذكرنا آنفاً من وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ووجوب عبادته وتوحيده فيها .

هدايـة الآيـات

من هدايـة الآيـات :

١ـ فضيلة دعوة ذي النون : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ . إذ ورد أنه ما دعا بها مؤمن إلا استجيب له ، وقوله تعالى : ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ يقوي هذا الخبر .

٢ـ استحباب سـؤال الولد لغرض صالح لا من أجل الزينة واللهو به فقط .

٣ـ تقرير أن الزوجة الصالحة من حسنـة الدنيا .

٤ـ فضيلة المسارعة في الخيرات والدعاء برغبة ورهبة والخشوع في العبادات وخاصة في الصلاة والدعاء .

٥ـ فضـيلة العفة والاحصـان للفرج .

٦ـ كون مريم وابنها آية لأن مريم ولدت من غير فحل ، ولأن عيسى كان كذلك وكلم الناس في المهد ، وكان يحيي الموتى بإذن الله تعالى .

إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

إن هذه أمتكم : أي ملتكم وهي الإسلام ملة واحدة من عهد آدم إلى العهد المحمدي إذ دين الانبياء واحد وهو عبادة الله تعالى وحده بما يشرع لهم.

وأنا ربكم فاعبدون : أنا الهكم الحق حيث خلقتكم ورزقتكم فلا تنبغي العبادة الا لي فاعبدون ولا تعبدوا معي غيري.

وتقطعوا أمرهم بينهم : أي وتفرقوا في دينهم فأصبح لكل فرقة دين كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنيات وما أكثرها.

كل إلينا راجعون : أي كل فرقة من تلك الفرق التي قطعت الإسلام راجعة الينا وسوف نجزيها بكسبها.

فلا كفران لسعيه : أي لا نكران ولا جحود لعمله بل سوف يجزى به وافياً.

وإنا له كاتبون : إذ الكرام الكاتبون يكتبون أعمال العباد خيرها وشرها.

وحرام : أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا.

يأجوج وماجوج : قبيلتان موجودتان وراء سدهماالذي سيفتح عند قرب الساعة.

حدب : أي مرتفع من الأرض.

ينسلون : أي يسرعون المشي.

الوعد الحق : يوم القيامة.

في غفلة من هذا : أي من يوم القيامة وما فيه من أحداث.

معنى الآيـات :

بعد ذكر أولئك الأنبياء وما أكرمهم الله تعالى به من افضالات وما كانوا عليه من كمالات قال تعالى مخاطباً الناس كلهم: ﴿إن هذه أمتكم﴾[1] أي ملتكم ﴿أمة واحدة﴾ أي ملة واحد من عهد أول الرسل إلى خاتمهم وهو الإسلام القائم على الإخلاص لله في العبادة والخلوص من الشرك وقوله تعالى: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾[2] ينعي تعالى على الناس تقطيعهم الإسلام إلى ملل شتى كاليهودية والنصرانية وغيرهما، وتمزيقه إلى طوائف ونحل، وقوله: ﴿وكل إلينا راجعون﴾ إخبار منه تعالى أنهم راجعون إليه لا محالة بعد موتهم وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون ومن ذلك تقطيعهم للدين الإسلامي وتمزيقهم له فذهبت كل فرقة بقطعة منه. وقوله تعالى: ﴿فمن يعمل من الصالحات﴾[3] والحال أنه مؤمن، والمراد من الصالحات ما شرعه الله تعالى من عبادات قلبية وقولية وفعلية ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أي لعمله فلا يجحد ولا ينكر بل يراه ويجزى به كاملاً. وقوله تعالى: ﴿وإنا له كاتبون﴾ يريد أن الملائكة تكتب أعماله الصالحة بأمرنا ونجزيه بها أيضاً أحسن جزاء وهذا وعد من الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم.

وقوله تعالى: ﴿وحرام[4] على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ يخبر تعالى أنه ممتنع امتناعاً كاملاً أن يهلك أمة بذنوبها في الدنيا ثم يردها إلى الحياة في الدنيا، وهذا بناء على أن ﴿لا﴾ مزيدة لتقوية الكلام ويحتمل الكلام معنى آخر وهي ممتنع على أهل قرية قضى الله تعالى بعذابهم في الدنيا أو في الآخرة أنهم يرجعون إلى الإيمان والطاعة بالتوبة الصادقة وذلك بعد أن كذبوا وعاندوا وظلموا وفسقوا فطبع على قلوبهم فهم لا يرجعون إلى التوبة بحال، ومعنى ثالث وهو حرام على أهل قرية أهلكهم الله بذنوبهم فأبادهم إنهم

---

(١) قرأ الجمهور: (إنّ هذه أمتكم) برفع أمتكم على الخبرية ونصب أمّة واحدة على الحال، والوصف. وقرأ بعضٌ: (امتكم امةٌ واحدة) بالرفع فيهما.

(٢) تفرّقوا في الدين واختلفوا فيه.

(٣) (من الصالحات) من للتبعيض إذ من غير الممكن أن يعمل العبد كل الصالحات ويأتي بكل الطاعات، وقوله (وهو مؤمن) وموحد أيضاً فإن الشرك محبط للعمل.

(٤) في حرام قراءات ووجوه منها: (حرام) وهي قراءة الجمهور وحِرم مثل حِل وحلال. وحرم كمرض، وحرُم كشرف، وحرَم: كضرب، وحرّم كبدّل، وحرّم كعلم مشددة اللام وحَرم كفرح وحُرم كقفل تسع قراءات.

لا يرجعون إلى الله تعالى يوم القيامة بل يرجعون للحساب والجزاء فهذه المعاني كلها صحيحة، والمعنى الأخير لا تكلف فيه بكون ﴿لا﴾ صلة بل هي نافية[1] ويرجح المعنى الأخير قوله تعالى: ﴿حتى اذا فتحت يأجوج[2] ومأجوج﴾ فهو بيان لطريق رجوعهم إلى الله تعالى وذلك يوم القيامة وبدايته بظهور علاماته الكبرى ومنها إنكسار سد يأجوج ومأجوج وتدفقهم في الأرض يخربون ويدمرون ﴿وهم من كل حدب[3]﴾ وصوب ﴿ينسلون﴾ مسرعين. وقوله تعالى: ﴿واقترب[4] الوعد الحق﴾ وهو يوم الدين والحساب والجزاء وقوله: ﴿فإذا هي[5] شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ وذلك بعد قيامهم من قبورهم وحشرهم إلى أرض المحشر وهم يقولون في تأسف وتحسر ﴿يا ويلنا﴾ أي يا هلاكنا ﴿قد كنا في غفلة﴾ أي في دار الدنيا ﴿بل كنا ظالمين﴾ فاعترفوا بذنبهم حيث لا ينفعهم الاعتراف إذ لا توبة تقبل يومئذ.

هداية الآيـات

من هـداية الآيات:

١ـ وحدة الدين وكون الإسلام هو دين البشرية كافة لأنه قائم على أساس توحيد الله تعالى في عبادته التي شرعها ليعبد بها.

٢ـ بيان ما حدث للبشرية من تمزيق الدين بينها بحسب الأهواء والأطماع والأغراض.

٣ـ وعد الله لأهل الإيمان والعمل الصالح بالجزاء الحسن وهو الجنة.

---

(١) شاهد أن لا: نافية وليست بصلة، ويكون لفظ الحرام معناه الوجوب قول الخنساء:

وإنّ حراماً لا أرى الدهر باكيا   على شجوه إلا بكيت على صخر

تريد أخاها صخراً.

(٢) في الكلام حذف تقديره: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج، مثل: واسأل القرية. أي أهل القرية.

(٣) الحدب: ما انقطع من الأرض، والجمع حداب مأخوذ من حدبة الظهر، قال عنترة:

فما رعشت يداي ولا ازدهاني   تواترهم إليّ من الحداب

و (ينسلون) • يخرجون مسرعين، قال امرؤ القيس: فسلي ثيابي من ثيابك تنسل.

وقال النابغة: عسلان الذئب أمسى قارباً   برد الليل عليه فنَسلَ

أي أسرع.

(٤) قيل: الواو زائدة مقحمة، والمعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق. فاقترب: جواب إذا والواو مقحمة، ومثله: وتلّه للجبين، وناديناه أي: للجبين ناديناه، وأجاز بعضهم أن يكون جواب إذا: فإذا هي شاخصة ويكون اقترب الوعد الحق: معطوفاً.

(٥) هي: ضمير الأبصار، والأبصار بعدها: تفسير لها كأنه قال: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد.

٤ـ تقرير حقيقة وهي إذا قُضِى بهلاك أمة تعذرت عليها التوبة، وأن أمة يهلكها الله تعالى لا تعود إلى الحياة الدنيا بحال وإن البشرية عائدة إلى ربها فممتنع عدم عودة الناس الى ربهم، وذلك لحسابهم وجزائهم يوم القيامة.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا
بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات:

وما تعبدون من دون الله : أي من الأوثان والأصنام.

حصب جهنم : أي ما توقد به جهنم.

لو كان هؤلاء آلهة : أي الأوثان التي يعبدها المشركون من قريش

ما وردوها : أي لحالوا بين عابديهم ودخول النار لأنهم آلهة قادرون على ذلك ولكنهم ليسوا آلهة حق فلذا لا يمنعون عابديهم

من دخول النار.

وكل فيها خالدون : أي العابدون من الناس والمعبودون من الشياطين والأوثان.

لهم فيها زفير : أي لأهل النار فيها أنين وتنفس شديد وهو الزفير.

سبقت لهم منا الحسنى : أي كتب الله تعالى أزلاً أنهم أهل الجنة.

حسيسها : أي حِسّ صوتها.

لا يحزنهم الفزع الأكبر : أي عند النفخة الثانية نفخة البعث فإنهم يقومون من قبورهم آمنين غير خائفين.

كطي السجل للكتب : أي يطوي الجبار سبحانه وتعالىٰ السماء طيّ الورقة لتدخل في الظرف.

كما بدأنا أول خلق نعيده : **أي يعيد الله الخلائق كما بدأهم أول مرة فيبعث الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا، كما ولدوا لم ينقص منهم شيء.**

معنى الآيات:

يقول تعالى للمشركين الذين بدأت السورة الكريمة بالحديث عنهم، وهم مشركوا قريش يقول لهم مُوعداً: ﴿إنكم وما تعبدون[1] من دون الله﴾ من أصنام وأوثان ﴿حصب[2] جهنم﴾ أي ستكونون أنتم وما تعبدون من أصنام وقوداً لجهنم التي أنتم واردوها لا محالة، وقوله تعالى: ﴿لو كان هؤلاء آلهة﴾ لو كان هؤلاء التماثيل من الأحجار التي يعبدها المشركون لو كانوا آلهة حقاً ما ورد النار عابدوها لأنهم يخلصونهم منها ولما ورد النار المشركون ودخلوها دل ذلك على أن آلهتهم كانت آلهة باطلة لا تستحق العبادة بحال. وقوله تعالى: ﴿كل فيها خالدون﴾ أي المعبودات الباطلة وعابدوها الكل في جهنم

---

(١) قوله ﴿ماتعبدون﴾ فيه دليل علىٰ وجود العموم في الألفاظ ،فإن ابن الزبعرىٰ لمَّا نزلت هذه الآية أتت به قريش وقالت له: انظر محمداً شتم آلهتنا. فقال: لو حضرت لرددت عليه، قالوا: وما كنت تقول له؟ قال: كنت أقول له: هذا المسيح تعبده النصارىٰ واليهود تعبد عزيراً، أفهما من حصب جهنم؟. فعجبت من مقالته ورأوا أن محمداً قد خصم. فأنزل الله تعالىٰ ﴿إن الذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾. فدلّ قوله تعالىٰ وما تعبدون علىٰ العموم وخصه الله تعالىٰ بهذه الآية ﴿إن الذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾.

(٢) قرأ الجمهور حصب بالصاد، وقرأ علي وعائشة رضي الله عنهما بالطاء أي حطب. والحصب أعَمّ، إذ كل ما هُيجت به النار وأوقدت به فهو حصب.

خالدون. وقوله: ﴿لهم فيها زفير[1] وهم فيها لا يسمعون﴾ يخبر تعالى أن للمشركين في النار زفيراً وهو الأنين الشديد من شدة العذاب وأنهم فيها لا يسمعون لكثرة الانين وشدة الأصوات وفظاعة ألوان العذاب وقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون، لا يسمعون حسيسها.وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ نزلت هذه الآية رداً على ابن الزِّبَعْرَى عندما قال إن كان ما يقوله محمد حقاً بأننا وآلهتنا في جهنم فإن الملائكة معنا في جهنم لأننا نعبدهم، وأن عيسى والعزير في جهنم لأن اليهود عبدوا العزيز والنصارى عبدوا المسيح. فأخبر تعالى أن من عبد بغير رضاه بذلك وكان يعبدنا ويتقرب إلينا بالطاعات فهو ممن سبقت لهم منا الحسنى بأنهم من أهل الجنة هؤلاء عنها أي عن جهنم مبعدون ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ أي حس صوتها وهم في الجنة ولهم فيها ما يشتهون خالدون، لا يحزنهم الفزع[2] الأكبر عند قيامهم من قبورهم بل هم آمنون ﴿تتلقاهم الملائكة﴾ عند القيام من قبورهم بالتحية والتهنئة قائلة لهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ وقوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء﴾ أي يتم لهم ذلك يوم يطوي الجبار جل جلاله السماء بيمينه ﴿كطى[3] السجل﴾ أي الصحيفة للكتب. وذلك يوم القيامة حيث تبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات. وقوله تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ أي يعيد الإنسان كما بدأ خلقه فيخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا[4]. وقوله: ﴿وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ أي وعدنا بإعادة الخلق بعد فنائهم وبلاهم وعداً، إنا كنا فاعلين فأنجزنا ما وعدنا، وإنا على ذلك لقادرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

---

(١) الزفير نَفَسٌ يخرج من أقصىٰ الرئتين لضغط الهواء من التأثر بالغم، وهو هنا من أحوال المشركين لا الأصنام.

(٢) لا يُحزنهم بضم الياء من أحزنه، وبفتحها من حزنه قراءتان سبعيتان، والفزع الأكبر: أهوال يوم القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو وقت يؤمر بالعباد إلىٰ النار.

(٣) السجل: الكَاتب يكتب الصحيفة ثم يطويها عند انتهاء كتابتها. هذا المعنىٰ أوضح مما في التفسير.

(٤) الغرل: جمع أغرل وهو من لم يختتن فتقطع منه غلفة ذكره، وأول من يكسىٰ إبراهيم كما في صحيح مسلم.

٢- من عبد من دون الله بأمره أو برضاه سيكون ومن عَبَده وقوداً لجهنم ومن لم يأمر ولم يرض فلا يدخل النار مع من عبده بل العابد له وحده في النار.

٣- بيان عظمة الله وقدرته إذ يطوي السماء بيمينه، والأرض في قبضته يوم القيامة.

٤- بعث الناس حفاة عراة غرلا لم ينزع منهم شيء ولا غلفة الذكر إنجاز الله وعده في قوله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ فسبحان الواحد القهار العزيز الجبار.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا
لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ
فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

شرح الكلمات:

ولقد كتبنا في الزبور : أي في الكتب التي أنزلنا كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن.

من بعد الذكر : أي من بعد أن كتبنا ذلك في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ.

أن الأرض[1] : أي أرض الجنـة.

عبادي الصالحون : هم أهل الإيمان والعمل الصالح من سائر الأمم من أتباع الرسل عامة

إن في هذا لبلاغا : أي إن في القرآن لبلاغاً أي لكفاية وبلغة لدخول الجنة فكل من آمن به وعمل بما فيه دخل الجنة.

لقوم عابـدين : أي مطيعين الله ورسـوله.

رحمـة للعالميـن : أي الإنس والجن فالمؤمنـون المتقـون يدخلون الجنة والكـافـرون ينجون. من عذاب الاستئصال والابادة الذي كان يصيب الامم السابقة.

فهل أنتم مسلمون : أي أسلموا فالاستفهـام للأمر.

وان ادرى : أي ما أدري.

فتنـة لكـم : أي اختبار لكـم.

على ما تصفـون : من الكذب من أن النبي ساحر، وأن الله اتخذ ولداً وأن القرآن شعر.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بوعده الكريم الذي كتبه في كتبه المنزلة بعد كتابته في الـذكـر الذي هو كتاب المقادير المسمى باللوح المحفوظ أن أرض الجنة يرثها عباده الصالحون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٥) وقوله تعالى: ﴿إن في هذا لبلاغا لقوم عابـدين﴾[2] أي في هذا القـرآن العـظيم لبلاغاً لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه لكفاية في الوصول به إلى بغيته وهي رضوان الله والجنة وقوله تعالى ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾ يخبر تعالى انه ما ارسل رسوله محمداً ﷺ إلا رحمة للعالمين[3]

(١) في الأرض: الأرض المقدسة، وقال مرة انها أرض الكفار ترثها أمة محمد ﷺ

(٢) العابدون قال أبو هريرة وسفيان الثوري هم أهل الصلوات الخمس.

(٣) قال ابن زيد: المؤمنون خاصة، والعموم أولى وأصح من الخصوص.

إنسهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمنون باتباعه يدخلون رحمة الله وهي الجنة والكافرون يأمنون من عذاب الإبادة والاستئصال في الدنيا ذلك العذاب الذي كان ينزل بالأمم والشعوب عندما يكذبون رسلهم وقوله تعالى ﴿قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾[1] يأمر تعالى رسوله أن يقول لقومه ولمن يبلغهم خطابه إن الذي يوحى إلى هو أن إلهكم إله واحد أي معبودكم الحق واحد وهو الله تعالى ليس غيره وعليه ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي أسلموا له قلوبكم ووجوهكم فاعبدوه ولا تعبدوا معه سواه فبلغهم يا رسولنا هذا ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عن هذا الطلب ولم يقبلوه ﴿فقل اذنتكم﴾ أي اعلمتكم ﴿على سواء﴾ أنا وأنتم انه لا تلاقي بيننا فأنا حرب عليكم وأنتم حرب عليَّ وقوله تعالى: ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ أي وقل لهم يا رسولنا: إني ما أدري أقريب ما توعدون من العذاب أم بعيد فالعذاب كائن لا محالة ما لم تسلموا إلا أني لا أعلم وقته. وفي الآية وعيد واضح وتهديد شديد وقوله: ﴿إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون﴾ أي يعلم طعنكم العلني في الإسلام وكتابه ونبيه، كما يعلم ما تكتمونه في نفوسكم من عداوتي وبغضي وما تخفون من إحَنٍ وفي هذا إنذار لهم وتهديد، وهم مستحقون لذلك.

وقوله: ﴿وإن أدري﴾ أي وما أدري ﴿لعله﴾[2] أي تأخير العذاب عنكم بعد استحقاقكم له بحربكم للإسلام ونبيه ﴿فتنة لكم﴾ أي اختبار لعلكم تتوبون فيرفع عنكم العذاب أو هو متاع لكم بالحياة إلى آجالكم، ثم تعذبون بعد موتكم. فهذا علمه إلى ربي هو يعلمه، وبهذا أمرني بأن أقوله لكم. وقوله تعالى: ﴿قال رب احكم بالحق﴾ وفي قراءة قُلْ رب احكم بالحق أي قال الرسول بعد أمر الله تعالى بذلك يا رب احكم بينى وبين قومى المكذبين لي المحاربين لدعوتك وعبادك المؤمنين بالحق وذلك بنصري عليهم أو بإنزال نقمتك بهم، وقوله: ﴿وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون﴾[3] أي وربنا الرحمن عز

(١) الاستفهام معناه الأمر أي أسلموا. كقوله تعالى ﴿فهل أنتم منتهون﴾ ؟ أي انتهوا.
(٢) لعله أي الإمهال والتأخير.
(٣) تصفون قرأ الجمهور تصفون بالتاء، وقرأ بعض يصفون بالياء.

الصالحون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٥) وقوله تعالى: ﴿إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾ أي في هذا القرآن العظيم لبلاغاً لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- المؤمنون المتقون وهم الصالحون هم ورثة الجنة دار النعيم المقيم.

٢- في القرآن الكريم البُلغة الكافية لمن آمن به وعمل بما فيه بتحقيق ما يصبو إليه من سعادة الدار الآخرة.

٣- بيان فضل النبي ﷺ وكرامته على ربه حيث جعله رحمة للعالمين.

٤- وجوب المفاصلة بين أهل الشرك وأهل التوحيد.

٥- وجوب الاستعانة بالله على كل ما يواجه العبد من صعاب وأتعاب.

سُورَةُ الحَجِّ

مكية ومدنية (١)
وآياتها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ

(١) ذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال: سورة الحج من أعاجيب سور القرآن. نزلت ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً مكيّاً ومدنيًا سلميًا وحربيًا ناسخاً ومنسوخاً محكما ومتشابهاً.

﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ
وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

اتقوا ربكم : أي عذاب ربكم وذلك بالإيمان والتقوى.

إن زلزلة الساعة : أي زلزلة الأرض عند مجيء الساعة.

تذهل كل مرضعة : أي من شدة الهول والخوف تنسى رضيعها وتغفل عنه.

وتضع كل ذات حمل حملها : أي تسقط الحوامل ما في بطونهن من الخوف والفزع.

سكارى وما هم بسكارى : أي ذاهلون فاقدون رشدهم وصوابهم كالسكارى وما هم بسكارى

يجادل في الله بغير علم : أي يقول إن الملائكة بنات الله وإن الله لا يحيي الموتى.

شيطان مريد : أي متجرد من كل خير لا خير فيه البتة.

كتب عليه أنه من تولاه : فرض فيه أن من تولاه أي اتبعه يضله عن الحق.

معنى الآيات :

بعد ذلك البيان الإلهي في سورة الأنبياء وما عرَض تعالى من أدلة الهداية وما بين من سبل النجاة نادى تعالى بالخطاب العام الذي يشمل العرب والعجم والكافر والمؤمن انذاراً وتحذيراً فقال في فاتحة هذه السورة سورة الحج المكية المدنية لوجود آي كثير فيها نزل في مكة وآخر نزل بالمدينة: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾[1] أي خافوا عذابهُ، وذلك

(١) روى الترمذي وصححه عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم) إلى قوله: (شديد) قال: أنزلت عليه في سفر: فقال: أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (ذاك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار قال يا ربّ وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. قال: فأنشأ المسلمون يبكون فقال رسول الله ﷺ: قاربوا وسدّدوا فإنه لم تكن نبوّة قط إلاّ كان بين يديها جاهلية قال: فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلاّ أخذ من المنافقين، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبّروا ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبّروا ثمّ قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبّروا. قال: لا أدري قال الثلثين أم لا). الرقمة: الهنة الناتئة في ذراع الدابة والشامة: علامة تخالف البدن الذي هي فيه.

بطاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه فآمنوا به وبرسوله وأطيعوهما في الأمر والنهي وبذلك تقوا أنفسكم من العذاب. وقوله: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ فكيف بالعذاب الذي يقع فيها لأهل الكفر والمعاصي، إن زلزلة لها تتم قبل قيامها[1] تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت أي تنسى فيها الأم ولدها، ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ فتسقط من شدة الفزع لتلك الزلزلة المؤذنة بخراب الكون وفناء العوالم ويرى الناس فيها سكارى أي فاقدين لعقولهم وما هم بسكارى بشرب سكر ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فخافوه لظهور أماراته ووجود بوادره.

هذا ما دلت عليه الآيتان (١) و (٢) وأما الآية الثالثة فينعى تعالى على النضر بن الحارث وأمثاله ممن يجادلون في الله بغير علم فينسبون لله الولد والبنت ويزعمون أنه ما أرسل محمداً رسولاً، وأنه لا يحيي الموتى بعد فناء الأجسام وتفتتها فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ بجلال الله وكماله ولشرائعه وأحكامه وسننه في خلقه، ﴿ويتبع﴾ أي في جداله وما يقوله من الكذب والباطل ﴿كل شيطان مريد﴾ أي متجرد من الحق والخير، ﴿كتب[2] عليه﴾ أي على ذلك الشيطان في قضاء الله أن من تولاه بالطاعة والاتباع فإنه يضله عن الحق ويهديه بذلك إلى عذاب السعير في النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالهما وأهوالهما.

٢ـ حرمة الجدال بالباطل لإدحاض الحق وإبطاله.

٣ـ حرمة الكلام في ذات الله وصفاته بغير علم من وحي إلهي أو كلام نبوي صحيح.

٤ـ موالاة الشياطين واتباعهم يفضِي بالموالي المتابع لهم إلى جهنم وعذاب السعير.

---

(١) الذي عليه أكثر أهل التفسير أنّ هذه الزلزلة تتم بنفخة الفناء بقرينة الحمل والوضع وحديث الترمذي الصحيح دال على أنها بعد البعث، والجمع بينهما: صحيح أولا لامانع من أن يقع هذا وذاك وهو كذلك والقرآن حمّال الوجوه، فهذا الهول العظيم سيقع حتماً في النفخة الأولى، وفي ساحة فصل القضاء، وأمّا موضوع الحمل والوضع فكائن أيضاً في عرصات القيامة إذ الناس يبعثون على ما ماتوا عليه فالحامل تبعث حاملا والمرضع تبعث ترضع أيضاً.

(٢) قال قتادة ومجاهد: من تولى الشيطان فإنه يضله.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى
رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ
وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى
ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

في ريب من البعث : الريب الشك مع اضطراب النفس وحيرتها، والبعث الحياة بعد الموت.

من نطفة : قطرة المنّي التي يفرزها الزوجان.

علقة : أي قطعة دم متجمد تتحول إليه النطفة في خلال أربعين يوماً.

مضغة : أي قطعة لحم قدر ما يمضغ المرء تتحول العلقة اليها بعد أربعين يوما.

وغير مخلقة : أي مصورة خلقاً تاماً، مخلقة وغير مخلقة هي السقط يسقط

قبل تمام خلقه.

لنبيـن لكم : أي قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم بابتداء خلقكم كيف يكون.

ونقر في الأرحام ما نشاء : أي ونبقي في الرحم من نريد له الحياة والبقاء إلى نهاية مدة الحمل ثم نخرجه طفلاً سوياً.

لتبلغوا أشدكم : أي كمال أبدانكم وتمام عقولكم.

إلى ارذل العمر : أي سن الشيخوخة والهرم فيخرف.

لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً : أي فيصير كالطفل في معارفه إذ ينسى كل علم علمه.

هامـدة : خامدة لاحراك لها ميتة.

اهتزت وربت : أي تحركت بالنبات وارتفعت تربتها وأنبتت.

زوج بهيج : أي من كل نوع من أنواع النباتات جميل المنظر حسنه.

ذلك بأن الله هو الحق : أي الإله الحق الذي لا إله سواه، فعبادة الله حق وعبادة غير الله باطل.

وان الساعة آتية : أي القيامة.

يبعث من في القبـور : أي يحييهم ويخرجهم من قبورهم احياء كما كانوا قبل موتهم.

معنى الآيـات :

لما ذكر تعالى بعض أحوال القيامة وأهوالها، وكان الكفر بالبعث الآخر هو العائق عن الاستجابة للطاعة وفعل الخير نادى تعالى الناس مرة أخرى ليعرض عليهم أدلة البعث العقلية لعلهم يؤمنون فقال: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ أي في شك وحيرة وقلق نفسي من شأن بعث النـاس أحياء من قبـورهم بعـد موتهم وفنائهم لأجل حسـابهم ومجازاتهم على أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا فاليكم ما يزيل شككم ويقطع حيرتكم في هذه القضية العقديـة وهو أن الله تعالى قد خلقكم[1] من تراب أي خلق

(١) هذا دليل قاطع وهو دليل البداءة الأولى فمن قدر على البداءة قادر عقلا على الإعادة وهي أهون عليه.

أصلكم وهو أبوكم آدم من تراب وبلا شك، ثم خلقكم أنتم من[1] نطفة أي ماء الرجل وماء المرأة وبلا شك، ثم من علقة[2] بعد تحول النطفة إليها ثم من مضغة[3] بعد تحول العلقة إليها وهذا بلا شك أيضاً، ثم المضغة إن شاء الله تحويلها إلى طفل خلقها وجعلها طفلاً، وإن لم يشأ ذلك لم يخلقها وأسقطها من[4] الرحم كما هو معروف ومشاهد، وفعل الله ذلك من أجل أن يبين لكم قدرته وعلمه وحسن تدبيره لترهبوه وتعظموه وتحبوه وتطيعوه وقوله: ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا[5]﴾ أي ونقر تلك المضغة المخلقة في الرحم إلى أجل مسمى وهو ميعاد ولادة الولد وانتهاء حمله ونخرجكم طفلاً أي أطفالاً صغاراً لا علم لكم ولا حلم، ثم ننميكم ونربيكم بما تعلمون من سننا في ذلك ﴿ثم لتبغلوا أشدكم﴾ أي تمام نماء أبدانكم وعقولكم ﴿ومنكم من يتوفى﴾ قبل بلوغه أشده لأن الحكمة الإلهية اقتضت وفاته ومنكم من يعيش ولا يموت حتى يرد إلى ارذل العمر فيهرم ويخرف ويصبح كالطفل لا يعلم بعد علمٍ كان له قبل هرمه شيئاً هذا دليل البعث وهو دليل عقلي منطقي وبرهان قوي على حياة الناس بعد موتهم إذ الذي خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة يوجب العقل قدرته على إحيائهم بعد موتهم، إذ ليست الإعادة بأصعب من البداية. ودليل عقلي آخر هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وترى الأرض﴾ أيها الإنسان ﴿هامدة﴾ خامدة ميتة لاحراك فيها ولا حياة فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء من السماء ﴿اهتزت﴾ أي تحركت ﴿وربت﴾ أي ارتفعت وانتفخت تربتها وأخرجت من النباتات المختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿من كل زوج بهيج﴾ جميل المنظر حسنه، أليس وجود تربة صالحة كوجود رحم صالحة وماء المطر كماء الفحل

(١) النطفة: المني، وسمي نطفة لقلّته.

(٢) العلقة: الدم الجامد، والعلق: الدم العبيطُ أي: الطري.

(٣) هذه الأطوار أربعة أشهر، قال ابن عباس: وفي العشر بعد الأربعة أشهر ينفخ فيه الروح، فذلك عدّة الوفاة منها أربعة أشهر وعشر، وفي الصحيح عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إنّ أحدكم لَيُجْمَـع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات.. رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

(٤) روى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: لسقط أقدّمه بين يدي أحبّ إليّ من ألف فارس أخلّفه ورائي).

(٥) أي: فخرج كل واحد منكم طفلا، ويطلق الطفل على الولد من يوم انفصاله إلى البلوغ وولد كل وحشية يقال له طفل ويوصف به مفرداً كالمصدر فيقال: جارية طفل وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلام طفل وغلامان طفل، ويجمع الطفل على أطفال، وأطفلت المرأة: صارت ذات طفل.

وتخلق النطفة في الرحم كتخلق البذرة في التربة وخروج الزرع حياً نامياً كخروج الولد حياً نامياً وهكذا إلى حصاد الزرع وموت الإنسان فهذان دليلان عقليان على صحة البعث الآخر وأنه كائن لا محالة وفوق ذلك كله إخبار الخالق وإعلامه خلقه بأنه سيعيدهم بعد موتهم فهل من العقل والمنطق أو الذوق أن نقول له لا فإنك لا تقدر على ذلك قولة كهذه قذرة عفنة لا يود أن يسمعها عقلاء الناس واشرافهم. ولما ضرب تعالى هذين المثالين أو ساق هذين الدليلين على قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لإعادة الناس أحياء بعد الموت والفناء للحساب والجزاء قال وقوله الحق ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾[1] أي الرب الحق والإله المعبود الحق، وما عداه فباطل ﴿وأنه يحيي[2] الموتى وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ ومن شك فليراجع الدليلين السابقين في تدبر وتعقل فانه يسلم لله تعالى ما أخبر به عن نفسه في قوله ذلك ﴿بأن الله هو الحق﴾ الخ.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الأعمال يوم القيامة.

٢ـ بيان تطور خلق الإنسان ودلالته على قدرة الله وعلمه وحكمته.

٣ـ الاستدلال على الغائب بالحاضر المحسوس وهذا من شأن العقلاء فإن المعادلات الحسابية والجبرية قائمة على مثل ذلك.

٤ـ تقرير عقيدة التوحيد وهي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

(١) لما ذكر تعالى افتقار الموجودات إليه وتسخيرها على وفق اقتداره في قوله (يا أيها الناس) إلى قوله: (بهيج) قال ذلك إشارة إلى ما تقدم من أطوار خلق الإنسان وفنائه وإحياء الأرض بعد موتها وانشقاق النبات منها أي: ذلك حصل بسبب أنّ الله هو الإله الحق دون غيره.

(٢) ومن براهين ألوهيته الحقة دون من سواه أنه يحيي الموتى وأنه على كل ما يريده قدير وأنه موجد الدنيا والآخرة وسيفني هذه في ساعة آتية لا محالة، وسيبعث الناس من القبور للحياة الثانية فيخلدوا فيها منهم شقي ومنهم سعيد.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى
وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ
فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

يجادل في الله : أي في شأن الله تعالى فينسب إلى الله تعالى ما هو منه براء كالشريك والولد والعجز عن إحياء الموتى، وهذا المجادل هو أبوجهل.

بغير علم : أي بدون علم من الله ورسوله.

ولا كتاب منير : أي ولا كتاب من كتب الله ذي نور يكشف الحقائق ويقرر الحق ويبطل الباطل.

ثاني عطفه : أي لأوى عنقه تكبراً، لأن العطف الجانب من الإنسان.

له في الدنيا خزي : وقد أذاقه الله تعالى يوم بدر إذ ذبح هناك واحتز رأسه.

بظلام للعبيد : أي بذي ظلم للعبيد فيعذبهم بغير ظلم منهم لأنفسهم.

يعبد الله على حرف : أي على شك في الإسلام هل هو حق أو باطل وذلك لجهلهم به

وأغلب هؤلاء أعراب البادية.

اطمأن به : أي سكنت نفسه إلى الإسلام ورضي به.

وإن أصابته فتنة : أي ابتلاء بنقص مال أو مرض في جسم ونحوه.

إنقلب على وجهه : أي رجع عن الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر الجاهلي.

مالا يضره ولا ينفعه : أي صنماً لا يضره إن لم يعبده، ولا ينفعه إن عَبَدَه.

لبئس المولى : أي قبح هذا الناصر من ناصر.

ولبئس العشير : أي المعاشر وهو الصاحب الملازم.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ هذه شخصية ثانية معطوفة على الأولى التي تضمنها قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ وهي شخصية النضر بن الحارث أحد رؤساء الفتنة في مكة، وهذه الشخصية هي فرعون هذه الأمة عمرو بن هشام الملقب بأبي جهل يخبر تعالى عنه فيقول: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير[(١)]﴾ بل يجادل بالجهل وما أقبح جدال الجهل والجهّال ويجادل في الله عز وجل يا للعجب أفيريد ان يثبت لله تعالى الولد والبنت والعجز والشركاء والشفعاء، ولا علم من وحي عنده، ولا من كتاب إلهي موحى به إلى أحد أنبيائه. وقوله تعالى: ﴿ثاني عطفه﴾ وصف له في حال مشيه وهو يجر رداءه مصعراً خده مائلا إلى أحد جنبيه كبراً وغروراً، وجداله لا لطلب الهدى أو لمجرد حب الإنتصار للنفس بل ليضل غيره عن سبيل الله تعالى الذي هو الإسلام حتى لا يدخلوا فيه فيكملوا ويسعدوا عليه في الحياتين. وقوله تعالى: ﴿له في الدنيا خزى[(٢)]﴾ أي ذل وهوان وقد ناله حيث قتل في بدر شر قتلة فقد احتز رأسه وفُصل عن جثته ونال منه الذين كان يسخر منهم ويعذبهم من ضعفة المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ وقد أذاقه ذلك بمجرد أن قتل فروحه في النار ويوم

---

(١) نير بيّن الحجة قويها، والمراد من الكتاب: كتب الشرائع مثل: التوراة والانجيل من الكتب الأولى والقرآن آخرها نزولا.

(٢) في هذه الآية إخبار بغيب فكان كما أخبر تعالى فإن كُلًا من أبي جهل والنضر بن الحارث قد أذلهما الله وأخذهما ببدر، فأبو جهل قتل وأخذ رأسه، والنضر قتل صبراً، والآية قطعاً نزلت بمكة فهي من معجزات القرآن الكريم.

القيامة يدخلها بجسمه وروحه وقوله تعالى: ﴿وذلك بما قدمت يداك﴾ أي، يقال له يوم القيامـة ذلـك الخـزي والهـوان وعـذاب الحـريق بمـا قدمت يداك من الشرك والظلم والمعـاصي، ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾، وأنت منهم والله ما ظلمـك بل ظلمت نفسك، والله متنزه عن الظلم لكمال قدرته وغناه وقوله تعالى: ﴿ومن الناس[1] من يعبد الله على حرف[2]﴾ أي على شك هذه شخصية ثالثة عطفت على سابقتيها وهي شخصية بعض الاعراب كانوا يدخلون في الإسلام لا عن علم واقتناع بل عن شك وطمع وهو معنى على حرف فإن أصـابهم خير من مال وصحـة وعـافية اطمـأنـوا إلى الإسـلام وسكنت نفـوسهم واستمروا عليه، وإن أصابتهم فتنة أي اختبار في نفس أو مال أو ولد انقلبوا على وجوههم أي ارتدوا عن الإسلام ورجعوا عنه فخسروا بذلك الدنيا والآخرة فلا الدنيا حصلوا عليها ولا الآخرة فازوا فيها، قال تعالى: ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أي البين الواضح إذ لو بقوا على الإسلام لفازوا بالآخرة، ولأخلف الله عليهم ما فقدوه من مال أو نفس، وقوله تعالى ﴿يدعـو من دون الله﴾ أي ذلـك الـمـنـقلب على وجهـه الـمـرتـد يدعوا ﴿مالا يضره﴾ أي صنماً لا يضـره لو ترك عبادته﴿وما لا ينفعه﴾إن عبده وقوله تعالى: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أي دعاء وعبادة مالا يضـر ولا ينفـع ضلال عن الهدى والخير والنجاح والربح وبعيدٌ أيضا قد لا يرجع صاحبه ولا يهتدي. وقوله: ﴿يدعو[3] لمن ضره أقرب من نفعه﴾ أي يدعو ذلك المرتد عن التوحيد إلى الشرك من ضره يوم القيامة أقرب من نفعه فقد يتبرأ منه ويحشر معه في جهنم ليكونا معاً وقوداً لها. قال تعالى: ﴿لبئس[4] العشير﴾ المعاشر والصاحب الملازم فذم تعالى وقبح ما كان المشركون يؤملون فيهم ويرجون شفاعتهم[5] يوم القيامة، تنفيراً لهم من الشرك

---

(١) هذه الآية نزلت بالمدينة النبوية فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء.

(٢) حرف كل شيء: طرفه وجانبه والآية تمثيل لحال المتردد في عمله.

(٣) أي: في الآخرة لأنه بعبادته دخل النار ولم ير منه نفعاً أصلا وإنما قال: (ضرّه أقرب من نفعه) ترفيعاً للكلام نحو: (إنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين) ومعنى الكلام: القسم والتأخير أي: يدعو والله من ضرّه أقرب من نفعه، والمدعو هو الوثن الذي عبده من دون الله تعالى.

(٤) هذه الجمل تحمل الذم والتقبيح للأصنام التي يدعوها المشركون فإنها شر الموالي وشر العشير، لأن شأن الولي جلب النفع لمولاه وشأن العشير جلب الخير لعشيره فإذا كان العكس كانا شر الموالي والعشراء.

(٥) قال تعالى من سورة يونس: (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)، (وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفىٰ) وهذا منهم على فرض إن بعثوا أحياء يوم القيامة أو يرجون شفاعتهم في الدنيا.

وعبادة غيره سبحانه وتعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- قبح جدال الجاهل فيما ليس له به علم.

٢- ذم الكبر والخيلاء وسواء من كافر أو من مؤمن.

٣- عدم جدوى عِبَادةٍ صاحبُها شاك في نفعها غير مؤمن بوجوبها ومشروعيتها.

٤- لا يصح دين مع الشك.

٥- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ (١٥)
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ
(١٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ (١٧)

شرح الكلمات:

وعملوا الصالحات : أي الفرائض والنوافل وأفعال الخير.

يفعل ما يريد : من إكرام المطيع وإهانة العاصي وغير ذلك من رحمه المؤمن وعذاب الكافر.

أن لن ينصره الله : أي محمداً صلى الله عليه وسلم.

فيلمدد بسبب : أي بحبل.
إلى السماء : أي سقف بينه وليختنق غيظاً
هل يذهبن كيده : أي في عدم نصرة النبي ﷺ الذي يغيظه.
وكذلك أنزلناه : أي ومثل إنزالنا تلك الآيات السابقة أنزلنا القرآن.
هادوا : أي اليهود.
والصابئين : فرقة من النصارى.
والمجوس : عبدة النار والكواكب.
على كل شيء شهيد : أي عالم به حافظ له.

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء الكافرين والمترددين بين الكفر والإيمان أخبر أنه تعالى يدخل الذين آمنوا به وبرسوله ولقاء ربهم ووعده ووعيده وعملوا الصالحات وهي الفرائض التي افترضها الله عليهم والنوافل التي رغبهم فيها يدخلهم جزاء لهم على إيمانهم وصالح أعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقوله تعالى: ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾[1] ومن ذلك تعذيبه من كفر به وعصاه ورحمة من آمن به وأطاعه وقوله تعالى: ﴿من[2] كان يظن أن لن ينصره الله﴾ أي من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله ودينه وعباده المؤمنين فلذا هو يتردد ولم يؤمن ولم ينخرط في سلك المسلمين كبني أسد وغطفان فإنا نرشده إلى ما يذهب عنه غيظه حيث يسوءه نصر الله تعالى لرسوله وكتابه ودينه وعباده المؤمنين وهو أن يأتي بحبل وليربطه بخشبة في سقف بيته ويشده على عنقه ثم ليقطع الحبل[3]، وينظر بعد هذه العملية الانتحارية هل[4] كيده هذا يذهب عنه الذي يغيظه؟.

(١) هذه الجملة الكريمة هي تذييل لكلّ ما تقدم لقوله: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) ومتضمنة تعليلا اجماليا لاختلاف الناس في الخير والشر ولما يلقون من جزاء كذلك.

(٢) الظاهر أن هذا فريق ثالث غير الفريقين المتقدمين وهما: فريق من يجادل في الله بغير علم وفريق من يعبد الله على حرف وهذا الفريق الثالث قد يكون من اليهود والمنافقين وبعض المشركين الذين كانوا يغتاظون لانتصار النبي ﷺ لأنهم لا يودّون ذلك ولا كانوا يرون انتصاره ﷺ كائنا فكلما رأوا نصراً له ازدادغمهم واشتد كربهم لأنّ انتصاره يحزنهم ويخيفهم.

(٣) قرأ الجمهور: (ليقطع) بسكون اللام لوجود ثم العاطفة وقرأ بعضُ (ليقطع) بكسر اللام لأن ثم ليست كالفاء والواو العاطفتين لأنها مركبة من ثلاثة أحرف.

(٤) (هل يذهبن كيده ما يغيظ) الاستفهام انكاري، وما: مصدرية أي: هل يذهبن كيده غيظه.

وقولـه تعـالى: ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات﴾ أي ومثل ذلك الإنزال للآيات التي تقدمت في بيان قدرة الله وعلمه في الخلق وإحياء الأرض وإعادة الحياة بعد الفناء أنزلنا القرآن آيات واضحات تحمل الهدى والخير لمن آمن بها وعمل بما فيها من شرائع وأحكام وقوله تعالى: ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ أي هدايته بأن يوفقه للنظر والتفكر فيعرف الحق فيطلبه ويأخذ به عقيدة وقولاً وعملاً.

وقـولـه تعـالى: ﴿إن الـذين آمنـوا﴾[(1)] وهم المسلمـون ﴿والذين هادوا﴾ وهم اليهود ﴿والصابئين﴾ وهم فرقة من النصارى يقرأون الزبور ويعبدون الكواكب ﴿والنصارى﴾ وهم عبدة الصليب ﴿والمجوس﴾ وهم عبدة النار والكواكب[(2)] ﴿والذين أشركوا﴾ وهم عبدة الأوثان هؤلاء جميعا سيحكم[(3)] الله بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل أهل تلك الملل الباطلة النار هذا هو الفصل الحق فالأديان ستة دين واحد للرحمن وخمسة للشيطان فأهل دين الرحمن يدخلهم في رحمته، وأهل دين الشيطان يدخلهم النار مع الشيطان وقوله: ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ أي عالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء وسيجزى كل عامل بما عمل، ولا يهلك على الله إلا هالك فقد أنزل كتابه وبعث رسوله ورغب ورهب وواعد وأوعد والناس يختارون ما قدر لهم أو عليهم وسبحان الله العظيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ كل الأديان هي من وحي الشيطان وأهلها خاسرون إلا الإسلام فهو دين الله الحق وأهله هم الفائزون، أهله هم القائمون عليه عقيدة وعبادة وحكماً وقضاء.

٢ـ ان الله ناصر دينه، ومكرم أهله، ومن غاظه ذلك ولم يرضه فليختنق.

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤ـ تقرير ارادة الله ومشيئته فهو تعالى يفعل ما يشاء ويهدي من يريد.

---

(١) هذه الآية نزلت كالفذلكة لما سبق فقررت الصراع الدائر بين الحق والباطل وسمت المتصارعين بألقابهم وأعلمتهم أنّ الحكم فيهم مؤجل إلى يوم القيامة وسيكون عادلاً لعلم الله تعالى بهم وحفظه لأعمالهم..

(٢) لذا فهم يثبتون إلهين إلها للخير وإلها للشر وهم أهل فارس، وأقدم النحل المجوسية أسسها ملك فارسي قديم في التاريخ يدعى (كيومرث).

(٣) هذا تفسير لقوله تعالى في الآية: (إن الله يفصل بينهم) إذ الفصل هو الحكم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ (١٨)﴾

شرح الكلمات :

ألم تر : أي ألم تر بقلبك فتعلم .

يسجد له : أي يخضع ويذل له بوضع وجهه على الأرض بين يدي الرب تعالى .

من في السموات : من الملائكة .

والدواب : من سائر الحيوانات التي تدب على الأرض .

حق عليه العذاب : وجب عليه العذاب فلا بد هو واقع به .

ومن يهن الله : أي يُشقه في عذاب مهين .

فماله من مكرم : أي ليس له من مكرم أي مسعد ليسعده ، وقد أشقاه الله .

معنى الآية الكريمة :

يقول تعالى لرسوله : ﴿ألم تر﴾(١) أيها الرسول بقلبك فتعلم ﴿أن الله يسجد(٢) له من في السموات﴾ من الملائكة ﴿ومن في الأرض﴾ من الجن والدواب ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ وهم المؤمنون المطيعون وكثير أي من الناس حق عليهم العذاب أي وجب لهم العذاب وثبت ، فهو لا يسجد سجود عبادة وقربة لنا أما سجود الخضوع فظلالهم تسجد(٣) لنا بالصباح والمساء ، وقوله تعالى : ﴿ومن يهن الله فماله من مكرم﴾ أي ومن أراد الله إشقاءه وعذابه فما له من مكرم يكرمه بِرَفْع

(١) قال القرطبي : هذه رؤية القلب أي : ألم تر بقلبك ، وعقلك .

(٢) قد استعمل السجود في هذه الآية . في حقيقته ومجازه .

(٣) وكذلك خضوعهم لأحكام الله تعالى فيهم ومجاري أقداره عزّ وجلّ عليهم من صحة ومرض وغنىً وفقر وحياة وموت .

العذاب عنه وإسعاده في دار السعادة وقوله: ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾[1] فمن شاء أهانه ومن شاء أكرمه فالخلق خلقه وهو المتصرف فيهم مطلق التصرف فمن شاء أعزه، ومن شاء أذله فعلى عباده أن يرجعوا إليه بالتوبة سائلين رحمته مشفقين من عذابه فهذا أنجى لهم من عذابه وأقرب الى رحمته.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١ـ تقرير ربوبية الله وألوهيته.

٢ـ سجود المخلوقات بحسب ذواتها، وما أراد الله تعالى منها.

٣ـ كل شيء خاضع لله إلا الإنسان فاكثر افراده عصاة له متمردون عليه وبذلك استوجبوا العذاب المهين.

٤ـ التالي لهذه الآية والمستمع لتلاوته يسن لهم أن يسجدوا لله تعالى إذا بلغوا قوله تعالى: ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾.

۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ
فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ
مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ
وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ
أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ
﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾
وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

(١) الجملة تعليلية لما سبق من أحكام لله تعالى بالإكرام والإهانة بحسب الطاعة والعصيان.

شـرح الكلمـات :

خصـــمان : خصم مؤمن وخصم كافر كل واحد يريد أن يخصم صاحبه.

اختصموا في ربهم : أي في دينـه.

قطعت لهم ثيـاب : أي فصلت لهم ثياب على قدر أجسامهم.

يصهر به مافى بطونهم : أي يذاب بالحميم وهو الماء الحار من شحوم وغيرها.

مقامـع من حديـد : جمع مقمعة وهى آلة من حديد كالمجن.

وذوقوا عذاب الحريق: أي يقال لهم توبيخاً وتقريعاً: ذوقوا عذاب النار.

ولـؤلـؤا : أي أسـاور من لؤلـؤ محلاة بالذهب.

إلى الطيب من القول : هو شهادة أن لا إله إلا الله.

إلى صـراط الحميد : أي إلى الإسلام إذ هو طريق الله الموصل الى رضاه وجنته.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿هذان خصمان﴾ (١) الخصم الأول المسلمون والثاني أهل الشرك والكفر ﴿اختصموا في ربهم﴾ أي في دينه تعالى كل خصم يدعي أنه على الدين الحق، وماتوا على ذلك وفصل الله تعالى بينهم يوم القيامة ﴿فالذين كفروا﴾ وهم أهل الدين الباطل ادخلوا النار وفصلت (٢) لهم ثياب من نار ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ أي الماء الحار المنتهي في الحرارة، ﴿يصهر (٣) به ما في بطونهم والجلود﴾ من لحم وشحم، ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ يضربون بها و﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ أي من النار بسبب ما ينالهم من غم عظيم ﴿أعيدوا فيها﴾ أي تجبرهم الزبانية على العودة إليها ولم تمكنهم من الخروج

(١) روى مسلم عن قيس بن عبادة رضي الله عنه قال: سمعت أبا ذرّ يقسم قسماً: (إن هذان خصمان اختصموا في ربهم) أنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر وهم: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، وعتبة وشيبة ابناء ربيعة والوليد ابن عتبة، وقال عليّ رضي الله عنه إني لأوّل من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة. يريد قصته في المبارزة هذه، وعموم الآية يشمل الخصومة بين أهل الإسلام وأهل الكتاب، كما يشمل خصومة الجنة والنار لحديث مسلم (احتجت الجنة والنار فقالت هذه يدخلها الجبّارون والمتكبرون، وقالت هذه يدخلها الضعفاء والمساكين فقال الله تعالى لهذه: أنت عذابي أعذّب بك من أشاء وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها).

(٢) قطعت: فصلت أي: تقطّع لهم في الآخرة ثياب من نار، وذكر بلفظ الماضي لأنّ ما كان من أخبار الآخرة فالموعود منه كالواقع المحقق، كما قال تعالى (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس..) أي: يقول الله وجائز أن يكون قد أعدّت لهم تلك الثياب ليلبسوها يوم القيامة وهذا أولى. وتلك الثياب من النحاس المذاب وهي السرابيل المذكورة في سورة ابراهيم من قطران.

(٣) الصَّهر: إذابة الشحم والصهارة: ما ذاب منه.

منها، ويقولون لهم: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي لا تخرجوا منها وذوقوا عذاب الحريق. فهذا جزاء الخصم الكافر، وأما الخصم المؤمن فهذا جزاؤه وهو في قوله تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا[1]﴾ أي أساور[2] من لؤلؤ محلاة بالذهب ﴿ولباسهم فيها﴾ أي في الجنة ﴿حرير[3]﴾ وقوله تعالى: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ في الدنيا وهو لا إله إلا الله وسائر الأذكار والتسابيح وكل كلام طيب، ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ وهذا الطريق الموصل إلى رضا ربهم وهو الإسلام، وكل ذلك بتوفيق ربهم الذي آمنوا به وبرسوله وأطاعوه بفعل محابه وترك مساخطه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- إثبات حقيقة هي أن المؤمن خصم الكافر والكافر خصم المؤمن في كل زمان ومكان حتى أن الآية نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث هذا الخصم المؤمن، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وهذا الخصم الكافر وذلك أنهم تقاتلوا يوم بدر للمبارزة ونصر الله الخصم المؤمن على الكافر.

٢- بيان جزاء كل من الكافرين والمؤمنين في الدار الآخرة.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوال الآخرة وما للناس فيها.

٤- بيان الطيب من القول وهو كلمة التوحيد وذكر الله تعالى.

٥- بيان صراط الحميد وهو الإسلام جعلنا الله من أهله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

---

(١) نصب على تقدير: ويحلّون لؤلؤاً.
(٢) قالت العلماء: ليس أحد من أهل الجنة إلّا وفي يده ثلاثة أسورة. سوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة.
(٣) روى أبو داود بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو) وصحّ قوله ﷺ (من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرمها في الآخرة).

شـرح الكلـمات :

كـــفروا : جحدوا توحيد الله وكذَّبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم.

ويـصـدون عن سبيل الله: يمنعون الناس من الإسلام، ويصرفونهم عنه.

والمســجد الحرام : مكـة المكرمة والمسجد الحرام ضمنها.(١)

العاكـــف : المقيم بمكة للتعبد في المسجد الحرام.

والبـــاد : الطاريء عن مكة النازح إليها.

بإلحـاد بظـلم : أي إلحاداً أي ميلاً عن الحق مُلتبساً بظلم لنفسه أو لغيره.

معنى الآيـة الكريمـة :

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويصدون(٢) عن سبيل الله﴾ هذه الآية الكريمة تحمل تهديداً ووعيداً شديداً لكل من كفر بتوحيد الله وكذب رسوله وما جاء به من الهدى والدين الحق وصدَّ عن سبيل الله أي صرف النـاس عن الدخول في الإسلام، وعن دخـول المسجـد الحرام للطواف بالبيت والإقامة بمكة للتعبد في المسجد الحرام والآية وإن تناولت المشركين الذين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن دخول مكة عام الحديبية فإنها عامـة فى كل من كفـر وصدَّ إلى يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادِ﴾ هو وصف للمسجد الحرام إذ جعله الله تعالى موضع تنسُّك لكل من أتاه وأقام به أو يأتيه للعبادة ثم يخرج منه، فالعاكف أي المقيم فيه كالبادي الطارىء القدوم إليه هم سواء في حق الإقامة في مكة(٣) والمسجد الحرام للتعبد.

وقوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ أي يرد بمعنى يعتزم الميل عن الحق فيه بظلم يرتكبـه كالشـرك وسائر الذنوب والمعاصي القاصرة على الفاعل أو المتعدية إلى غيره. وقـولـه تعالى: ﴿نذقه(٤) من عذاب أليم﴾ هذا جزاء من كفر وصد عن سبيل الله

---

(١) هذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل وهو شائع لغة شائع تعبيرا.

(٢) أي: وهم يصدّون، وقيل الواو مزيدة أي: إنّ الذين كفروا يصدّون، وهذا ضعيف والصحيح أن خبر إن محذوف تقديره: خسروا وهلكوا ولا يصح أن يكون نذقه لأنه مجزوم.

(٣) كان في الصدر الأول أبواب دور مكة مفتوحة لكل من يريد النزول بها حاجاً أو معتمراً حتى سرق منزل أحدهم فاتخذ له باباً فأنكر عليه عمر ذلك فقال الرجل: إنما اتخذت الباب لأحفظ لهم متاعهم فتركه عمر فاتخذ الناس من يومئذ الأبواب. قال مالك. دور مكة ليست كالمسجد بل لهم أن يمنعوا من النزول بها من شاءوا.

(٤) (نذقه) جواب مَن: الشرطية في قوله: (ومن يرد فيه بإلحاد).

والمسجد الحرام ومن أراد فيه إلحاداً[1] بظلم لنفسه أو لغيره.[2]

هداية الآية الكريمة

من هدايـة الآية الكريمة :

١ـ التنديد بالكفر والصدّ عن سبيل الله والمسجد الحرام والظلم فيه والوعيد الشديد لفاعل ذلك.

٢ـ مكة بلد الله وحرمه من حق كل مسلم أن يقيم بها للتعبد والتنسك ما لم يظلم وينتهك حرمة الحرم بالذنوب والمعاصي، وخاصة الشرك والظلم والضلال.

٣ـ عظيم شأن الحرم حيث يؤاخذ فيه على مجرد العزم على الفعل ولو لم يفعل.

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى
شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟
مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟
ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

(١) الباء: في بإلحاد: الاجماع على أنها صلة لتقوية الكلام لشيوع مثلها في كلام العرب والأصل: ومن يرد فيه إلحاداً قال الشاعر:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج　　نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج

الفلج: موضع لبني جعدة بن قيس بنجد.

(٢) لا يؤاخذ المؤمن بالنية السيئة في أي بلد كان إلّا بمكة المكرمة لهذه الآية.

شرح الكلمـات :

وإذ بوأنا لإبراهيم : أي أذكـر يارسولنا إذ بوأنا: أي أنزلنا إبراهيم بمكة مبينين له مكان البيت.

أن لا تشرك بي[1] شيئاً : أي ووصيناه بأن لا تشرك بي شيئاً من الشرك والشركاء.

وطـهر بيتي : ونظف بيتي من أقـذار الشرك وأنجاس المشركين.

وأذن في الناس بالحج : أعلـن في الناس بأعلى صوتك.

رجـالاً وعلى كل ضامر : مشاة وركبـاناً على ضوامر الإبـل.

فـج عمـيق : طريق واسع بعيد الغـور في قارات الأرض.

في أيـام معلومات : هي أيـام التشـريق.

بهيمـة الأنعام : أي الإبل والبقر والغنم إذ لا يصح الهدى إلا منها.

البائس الفقيـر : أي الشديد الفقر.

ليقضوا تفثهم : أي ليزيلوا أوسـاخهم المترتبة على مدة الإحرام.

وليوفوا نذورهم : أي بأن يذبحوا وينحروا ما نذروه لله من هدايا وضحايا.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم[2]﴾ أي اذكر يا رسولنا لقومك المنتسبين إلى إبراهيم باطلاً وزوراً حيث كان موحداً وهم مشركون اذكر لهم كيف بوأه ربُه مكان البيت لِيَبْنِيه ويرفع بناءه وكيف عهد الله إليه ووصاه بأن يطهره من الأقذار الحسية كالنجاسات من دماء وأوساخ والمعنوية كالشرك والمعاصي وسائر الذنوب وذلك من أجل الطائفين به والقائمين في الصلاة والراكعين والساجدين فيه إذ الرُّكع جمع راكع والسجد جمع ساجد حتى لا يتأذوا بأي أذى معنوي أو حسيّ وهم حول بيت ربهم وفي بلده وحرمه، ليذكر قومك هذا وهم قد نصبوا حول البيت التماثيل والأصنام، ويحاربون كل من يقول لا إله إلا الله وقد صدوك وأصحابك عن المسجد الحرام ومنعوك من الطواف بالبيت العتيق، فأين يذهب

---

(١) (أن): الصحيح أنها تفسيرية والقول أو ما في معناه: مقدر فيها نحو وقلنا أو وصينا أو عهدنا.

(٢) يقال: بوأه كذا وبوأ له كذا فاللام مزيدة لتقوية الكلام كما يقال مكنته من كذا، ومكنت له كذا، ومعنى بوأنا لابراهيم أي: أريناه أصله. وكان قد درس بطول العهد وأنزلناه فيه.

بعقولهم عندما يدعون أنهم على دين إبراهيم وإسماعيل. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾.

وقوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾[١] أي وعهدنا إليه آمرين إياه أن يؤذن في الناس بأن ينادي معلنا معلماً: أيها الناس[٢] إن ربكم قد بنى لكم بيتاً فحجوه ففعل ذلك فأسمع الله صوته من شاء من عباده ممن كتب لهم أزلا أن يحُجوا وسهل طريقهم وحجوا فعلاً ولله الحمد والمنة.

وقوله تعالى: ﴿يأتوك رجالا﴾ أي عليك النداء وعلينا البلاغ فنادِ ﴿يأتوك رجالاً﴾ أي مشاة ﴿وعلى كل ضامر﴾ من النوق المهازيل ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ أي طريق بعيد في أغوار الأرض وأبعادها كالأندلس غرباً وأندونيسيا شرقاً. وقوله تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ أي يأتوك ليشهدوا منافع لهم دينيَّة كمغفرة ذنوبهم واستجابة دعائهم والفوز برضا ربهم، وتعلم دينهم من علمائهم، ودنيويّة كربح تجارة ببيع وشراء وعرض سلع وأنواع صناعات، وقوله تعالى: ﴿ويذكروا اسم الله﴾ شاكرين لله تعالى إنعامه عليهم وإفضاله وذلك في أيام الحج كلها من العشر الأول من ذي الحجة إلى نهاية أيام التشريق بالصلاة والذكر والدعاء، كما يذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند نحر الإبل وذبح البقر والغنم بأن يقول الناحر أو الذابح بسم الله والله أكبر[٣] وقوله تعالى: ﴿فكلوا منها﴾ أي من بهيمة الأنعام التي نحرتموها أو ذبحتموها[٤] تقرباً إلينا كهدى التمتع أو التطوع، ﴿واطعموا البائس الفقير﴾ وهو من اشتد به الفقر وقوله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ بإزالة الشعث والوسخ الذي لازمهم طيلة مدة الإحرام. وقوله: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أن من كان منهم قد نذر هدياً بذبحه في الحرم فليوف بذلك إذ هذا أوان الوفاء بما نذر أن ينحره أو يذبحه

---

(١) وقرىء: (وآذن) بمعنى: أعلم، (وأذّن): قراءة الجمهور وهي أولى، والأذان: الإعلام.

(٢) روي عن ابن عباس وابن جبير: لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت، وقيل له: أذن في الناس بالحج قال له يا ربّ: وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليّ البلاغ فصعد ابراهيم خليل الله جبل أبي قبيس وصاح يا أيها الناس إنّ الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك فمن أجاب يومئذ حجّ على قدر الإجابة إن أجاب مرّة فمرة وإن أجاب مرتين فمرتين وجرت التلبية على ذلك.

(٣) السنة في ذبح الأضحية أن تكون بعد صلاة العيد، ومن ذبح قبل ذلك أعاد لقوله ﷺ: (من ذبح قبل الصلاة فتلك شاة لحم) ويستحب في ذبح الأضحية والهدي أن يقول بعد التسمية الواجبة: اللهم منك ولك.

(٤) المشهور وعليه الأكثر أنّ أيام النحر ثلاثة وهي: أيام التشريق الثلاثة بعد يوم العيد.

بالحرم. وقوله: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ أي وليطوفوا طواف الإفاضة وهو ركن الحج ولا يصح الا بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة صباح العيد عيد الأضحى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب بناء البيت وإعلائه كلما سقط وتهدم ووجوب تطهيره من كل ما يؤذي الطائفين والعاكفين في المسجد الحرام من الشرك والمعاصي وسائر الذنوب ومن الأقذار كالأبوال والدماء ونحوها.

٢ـ مشروعية فتح مكاتب للدعاية للحج.

٣ـ جواز الاتجار أثناء إقامته في الحج.

٤ـ وجوب شكر الله تعالى وذكره.

٥ـ جواز الأكل من الهدي ومن ذبائح التطوع بل استحبابه.

٦ـ وجوب الحلق أو التقصير بعد رمي جمرة العقبة.

٧ـ وجوب الوفاء بالنذور الشرعية[1] أما النذور للأولياء فهي شرك ولا يجوز الوفاء بها.

٨ـ تقرير طواف الإفاضة[2] وبيان زمنه وهو بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة.

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ

(١) لقوله ﷺ لا وفاء لنذر في معصية الله، وقال ومن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه.

(٢) أما طواف القدوم فواجب عند مالك وطواف الوداع سنة مؤكدة ويسقط بالعذر عند أكثر أهل العلم، لسقوطه عن الحائض اجماعاً، ومن أهل العلم من يرى طواف القدوم سنة ليس بواجب.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ (٣٢) (٣٣)

شرح الكلمات :

ذلـــك : أي الأمر هذا مثل قول المتكلم هذا أي ما ذكرت . . وكذا وكذا . .

حـرمات الله : جمع حرمة ما حرَّم الله إنتهاكه من قول أو فعل .

فهو خير له عند ربه : أي خير في الآخرة لمن يعظم حرمات الله فلا ينتهكها .

إلا ما يتلى عليكم : أي تحريمه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلِ لغير الله به .

فاجتنبوا الرجس : أي اجتنبوا عبادة الأوثان .

واجتنبوا قول الـزور: وهو الكذب وأعظم الكذب ماكان على الله تعالى والشرك وشهادة الزور (١)

حنفــاء لله : موحدين له مائلين عن كل دين إلى الإسلام .

خـرَّ من السماء : أي سـقـط .

فتخطفــه الطيـر : أي تأخذه بســرعة .

شــعائر الله : أعلام دينه وهي هنا البُدْن بأن تختار الحسنة السمينة منها .

فإنها من تقوى القلوب : أي تعظيمها ناشىء من تقوى قـلوبهم .

لكم فيها منافـع : منها ركوبها والحمل عليها بما لا يضرها وشرب لبنها .

إلى أجـل مسمى : أي وقت معين وهو نحرها بالحرم أيام التشريق .

ثم محلها إلى البيت العتيق : أي عند البيت العتيق وهو مكة والحرم .

معنى الآيـات :

ما زال السياق في مناسك الحج قوله تعالى (ذلك) أي الأمر ذاك الذي علمتم من قضاء التفث أي إزالـة شعـر الـرأس وقص الشـارب وقلم الأظافر ولباس الثياب ونحر وذبح الهدايا والضحايا، ﴿ومن يعظم﴾ منكم ﴿حرمات الله﴾ فلا ينتهكها ﴿فهو خير له﴾ أي ذلك التعظيم لها باحترامها وعدم انتهاكها خير له عند ربّه يوم يلقاه وقوله تعالى : ﴿وأحلت لكم

(١) وكذلك الكذب على رسول الله ﷺ لقوله : (من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) .

الأنعام﴾ أي الإبل والبقر والغنم أحل الله تعالى لكم أكلها والانتفاع بها وقوله تعالى: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه كما جاء في سورة البقرة والمائدة والأنعام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتُم وما ذبح على النصب﴾ وقوله: ﴿فاجتنبوا الرجس[1] من الأوثان﴾ أي اجتنبوا عبادة الأوثان فإنها رجس فلا تقربوها بالعبادة ولا بغيرها غضباً لله وعدم رضاً بها وبعبادتها، وقوله: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ وهو الكذب مطلقاً وشهادة الزور وأعظم الكذب ما كان على الله بوصفه بما هو منزه عنه أو بنسبه شيء إليه كالولد والشريك وهو عنه منزه، أو وصفه بالعجز أو بأي نقص وقوله, ﴿حنفاء[2] لله غير مشركين﴾ أي موحدين لله تعالى في ذاته وصفاته وعباداته مائلين عن كل الأديان إلى دينه الإسلام، غير مشركين به أي شيء من الشرك أو الشركاء وقوله تعالى: ﴿ومن يشرك بالله﴾ إلهاً آخر فعبده أو صرف له بعض العبادات التي هي لله تعالى فحاله في خسرانه وهلاكه هلاك من خرَّ من السماء أي سقط منها بعدما رفع إليها فتخطفه الطير أي تأخذه بسرعة وتمزقه أشلاء كما تفعل البازات والعقبان بصغار الطيور، أو تهوى به الريح في مكان سحيق بعيد فلا يعثر عليه أبداً فهو بين أمرين إما اختطاف الطير له أو هوى الريح به فهو خاسر هالك هذا شأن من يشرك بالله تعالى فيعبد معه غيره بعد أن كان في سماء الطهر والصفاء الروحي بسلامة فطرته وطيب نفسه فانتكس في حمأة الشرك والعياذ بالله وقوله تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر[3] الله فإنها من تقوى[4] القلوب﴾ أي الأمر ذلك من تعظيم حرمات الله واجتناب قول الزور والشرك وبيان خسران المشرك ومن يعظم شعائر الله وهي أعلام دينه من سائر المناسك وبخاصة البدن التي تهدى للحرم وتعظيمها باستحسانها واستسمانها ناشيء عن تقوى القلوب فمن عظمها طاعة لله تعالى وتقرباً إليه دل ذلك

---

(١) الرجس: الشيء القذر، والوثن: التمثال من خشب أو حديد وغيرهما ومن: كونها لابتداء الغاية أولى ليعم الأمر اجتناب كل رجس في اعتقاد أو قول أو عمل إذ كل الأنجاس محرَّمة.

(٢) لفظ: حنفاء: من الأضداد يقع على الاستقامة والميل معاً، ومعناها مائلين عن الشرك إلى التوحيد، وعن الأديان إلى الإسلام.

(٣) الشعائر: جمع شعيرة: وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر عباده به وأعلمهم، والشعار: العلامة، ومنه شعار الحرب وإشعار: البدنة لتعلم أنها مهداة للحرم، فشعائر الله: أعلام دينه لاسيما المناسك وما يتعلّق بها.

(٤) أضيفت التقوى إلى القلوب لأنّ حقيقة التقوى في القلب، والتقوى من الخوف والخوف في القلب ويشهد لهذا قوله ﷺ: (التقوى ها هنا) وأشار إلى صدره ثلاث مرات.

على تقوى قلبه لربه تعالى والرسول يشير الى صدره ويقول التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاث مرات وقوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ أي أذن الله تعالى للمؤمنين أن ينتفعوا بالهدايا وهم سائقوها إلى الحرم بأن يركبوها[1] ويحملوا عليها ما لا يضرها ويشربوا من ألبانها وقوله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت[2] العتيق﴾ أي محلها عند البيت العتيق وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ وجوب تعظيم حرمات الله لما فيها من الخير العظيم.

٢ـ تقرير حلِّيَّة بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم الله عند ذبحها أو نحرها.

٣ـ حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت[3] شهادة الزور الشرك بالله.

٤ـ وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة.

٥ـ بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك.

٦ـ تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها.

٧ـ جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا

---

(١) في الصحيح أنّ رجلاً يسوق بدنة فقال له النبي ﷺ (اركبها فقال الرجل إنها بدنة قال: اركبها قال: إنها بدنة، وفي الثالثة قال له ﷺ: اركبها ويلك).

(٢) إن كان الهدي في الحج فمحلّه بعد رمي جمرة العقبة ولا ينحر أو يذبح قبله، وإن كان في غير الحج، وإنما هدي مهدى إلى الحرم فمحلّه مكة حيث يطعمه فقراؤها وفقراء الحرم كله.

(٣) وفي الصحيح: (إن أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور..) الحديث.

رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ
اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا
اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

منسكاً : أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له منسك.

فله أسلموا : أي انقادوا ظاهراً وباطناً لأمره ونهيه.

وبشر المخبتين : أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.

وجلت قلوبهم : أي خافت من الله تعالى أن تكون قصَّرتْ في طاعته.

والبدن : جمع بدنة وهي ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقرباً إلى الله تعالى.

من شعائر الله : أي من أعلام دينه، ومظاهر عبادته.

صواف : جمع صافَّة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى.

فإذا وجبت جنوبها : أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها.

القانع والمعتر : القانع[1] السائل والمعتر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء وعفة.

---

(١) القانع: من الأضداد يطلق على ذي القناعة وعلى من لا قناعة له فهو يسأل، إلّا أنّ الفعل الماضي لذي القناعة مكسور العين فعل كعلم، وفعل: من لا قناعة له فهو يسأل فعل: بفتح العين كنصح ينصح.

كذلك سخرناها : أي مثل هذا التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.

لعلكم تشكرون : أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته.

لن ينال الله لحومها : أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

لتكبروا الله على ما هداكم : أي تقولون الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق شكراً له على هدايته اياكم.

وبشر المحسنين : أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع.

معنى الآيات :

ما زال السياق في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين فقوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾ أي ولكل أمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان والإسلام جعلنا لهم مكان نسك يتعبدوننا فيه ومنسكاً أي[1] ذبح قربان ليتقربوا به إلينا، وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شرعنا لهم عبادة ذبح القربان لحكمة: وهو أن يذكروا اسمنا على ذبح ما يذبحون ونحر ما ينحرون بأن يقولوا بسم الله والله أكبر. وقوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فمعبودكم أيها الناس معبود واحد ﴿فله أسلموا﴾ وجوهكم وخصوه بعبادتكم ثم قال لرسوله محمد ﷺ ﴿وبشر المخبتين﴾ برضواننا ودخول دار كرامتنا ووصف المخبتين معرفاً بهم الذين تنالهم البشرى على لسان رسول الله فقال ﴿الذين اذا ذكر الله﴾ لهم أو بينهم ﴿وجلت قلوبهم﴾ أي خافت شعوراً بالتقصير في طاعته وعدم أداء شكره والغفلة عن ذكره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء فلا يجزعون ولا يتسخطون ولكن يقولون إنا لله وإنا إليه راجعون،

---

(١) يقال: نسك ينسك نُسكاً: إذا ذبح ذبح تقرّب لله تعالى، والذبيحة تسمى نسيكة وجمعها: نسك، ومنها قوله تعالى: (أو صدقة أو نسك) والنسك: الطاعة لله، وهي عبادته، ومن ذلك قولهم: تنسّك فلان: أي تعبد فهو ناسك ومتنسك، والمنسك بفتح السين وكسرها موضع العبادة، ومنه مناسك الحج وهي الأماكن التي تؤدى فيها الشعائر كعرفات ومزدلفة ومنى ومكة.

﴿والمقيمي﴾ الصلاة[(١)] أي بأدائها في أوقاتها في بيوت الله مع عباده المؤمنين ومع كامل شرائطها وأركانها وسننها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ مما قل أو كثر ينفقون في مرضاة ربهم شكراً لله على ما آتاهم وتسليماً بما شرع لهم وفرض عليهم.

وقوله تعالى: ﴿والبدن[(٢)] جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي الإبل والبقر مما يُهدى إلى الحرم جعلنا ذلكم من شعائر ديننا ومظاهر عبادتنا، ﴿لكم فيها خير﴾ عظيم وأجر كبير عند ربكم يوم تلقوه إذ ما تقرب متقرب يوم عيد الأضحى بأفضل من دم يهرقه في سبيل الله وعليه ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي قولوا بسم الله والله أكبر عند نحرها، وقوله: ﴿صوآف[(٣)]﴾ أي قائمة على ثلاثة معقولة اليد اليسرى، فإذا نحرتموها ووجبت أي سقطت على جنوبها فوق الأرض ميتة ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع﴾[(٤)] الذي يسألكم ﴿والمعتر﴾ الذي يتعرض لكم ولا يسألكم حياءاً، وقوله تعالى: ﴿سخرناها لكم﴾ أي مثل ذلك التسخير الذي سخرناها لكم فتركبوا وتحلبوا وتذبحوا وتأكلوا سخرناها لكم من أجل أن تشكرونا بالطاعة والذكر. وقوله تعالى في آخر آية في هذا السياق وهي (٣٧) قوله: ﴿لن[(٥)] ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ أي لن يرفع إليه لحم ولا دم ولن يبلغ الرضا منه، ولكن التقوى بالإخلاص وفعل الواجب والمندوب وترك الحرام والمكروه هذا الذي يرفع إليه ويبلغ مبلغ الرضا منه.

---

(١) قرأ الجمهور: بكسر التاء من الصلاة على الإضافة، وقرأ أبو عمرو: (الصلاة) بفتحها على توهم النون، وأنّ حذفها كان للتخفيف لطول الاسم. وأنشد سيبويه:

الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائنا نَطف

النطف: التلطخ بالعيب والاتهام بريبة أو فجور.

(٢) البدن: بضم الباء والدال، والبُدن: بضم الباء وإسكان الدال لغة فصيحة وقرأ الجمهور: (والبدن) بإسكان الدال واحدها بدنة كثمرة وثمر، وخشبة وخشب وسميت بدنة لأنها تبدن، والبدانة: السمن، وتطلق على البقر على الصحيح فمن نذرها أجزأته البقرة، وهي كالبعير تجزئ عن سبعة في هدي التمتع والقران.

(٣) أصل هذا اللفظ مأخوذ من صفن الفرس إذا وقف على ثلاثة أرجل، ورفع الرابعة ومنها: تنحر الإبل بعد أن توقف على ثلاثة وتعقد اليد اليسرى منها، وقرئ (صوافي) و(صوافٍ) من الصفاء الذي هو الخلوص لله تعالى أي: خالصة له عز وجل.

(٤) القانع: اسم فاعل من قنع يقنع فهو قانع: إذا سأل وتذلل في السؤال: أما القانع بمعنى: ذي القناعة ففعله قنع بكسر النون قناعة: إذا اكتفى بما عنده ولم يسأل قال مالك: أحسن ما سمعت أنّ القانع: الفقير، والمعتر، الزائر وهو موافق في المعنى لما تقدم، ويؤيد هذا قراءة الحسن: (والمعتري) وهو الذي يتعرض لك ويأتيك بدون علم منك.

(٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لن يصعد إليه. أي اللحم والدم، ولكن الذي يصل إليه التقوى منكم وما أريد به وجهه.

وقوله تعالى : ﴿كذلك سخرها لكم﴾ أي كذلك التسخير الذي سخرها لكم لعلَّة أن تكبروا الله على ما هداكم إليه من الإيمان والإسلام فتكبروا الله عند نحر البدن وذبح الذبائح وعند أداء المناسك وعقب الصلوات الخمس أيام التشريق . وقوله تعالى : ﴿وبشر المحسنين﴾ أمر الله تعالى رسوله والمبلغ عنه محمداً ﷺ أن يبشر باسمه المحسنين الذين أحسنوا الإيمان والإسلام فوحدوا الله وعبدوه بما شرع وعلى نحو ما شرع متبعين في ذلك هدى رسوله وسنة نبيه ﷺ .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ ذبح القربان مشروع في سائر الأديان الإلهية وهو دليل على أنه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع .

وسر مشروعية ذبح القربان هو أن يذكر الله تعالى ، ولذا وجب ذكر اسم الله عند ذبح ما يذبح ونحر ما ينحر بلفظ بسم الله والله أكبر.

٢ـ تعريف المخبتين أهل البشارة السارة برضوان الله وجواره الكريم .

٣ـ وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام .

٤ـ بيان كيفية نحر البدن ، وحرمة الأخذ منها قبل موتها وخروج روحها .

٥ـ الندب إلى الأكل من الهدايا ووجوب إطعام الفقراء والمساكين منها .

٦ـ وجوب شكر الله على كل إنعام .

٧ـ مشروعية التكبير عنـد أداء المنـاسك كرمي الجمار وذبح ما يذبح وبعد الصلوات الخمس أيام التشريق .

٨ـ فضيلة الإحسـان وفوز المحسنين ببشرى على لسان رسول الله ﷺ .

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ

لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

يدافع : قُرِىء يدفع أي غوائل المشركين وما يكيدون به المؤمنين.

خوان : كثير الخيانة لأمانته وعهوده.

كفور : أي جحود لربه وكتابه ورسوله ونعمه عليه.

بأنهم ظلموا : أي بسبب ظلم المشركين لهم.

بغير حق : أي استوجب إخراجهم من ديارهم.

إلا أن يقولوا ربنا الله : أي الا قولهم: ربنا الله والله حق، وهل قول الحق يُسَوغ إخراج قائله؟

صوامع وبيع : معابد الرهبان وكنائس النصارى.

وصلوات : معابد اليهود، باللغة العبرية مفردها صلوثا.

ومساجد : أي بيوت الصلاة للمسلمين.

من ينصره : أي ينصر دينه وعباده المؤمنين.

قوي عزيز : قادر على ما يريد عزيز لا يمانع فيما يريد.

إن مكناهم في الأرض: أي نصرناهم على عدوهم ومكنا لهم في البلاد بأن جعلنا السلطة بأيديهم.

ولله عاقبة الأمور : أي آخر أمور الخلق مردها إلى الله تعالى الذي يثيب ويُعاقب.

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد المؤمنين وتعليمهم وهدايتهم قوله تعالى: ﴿إن الله[1] يدافع[2] عن الذين آمنوا﴾ أي يدفع عنهم غوائل المشركين ويحميهم من كيدهم ومكرهم. وقوله: ﴿إن الله لا يحب كل خوَّان كفور[3]﴾ تعليل وهم المشركين الذين صدوا رسول الله والمؤمنين عن المسجد الحرام وهم الخائنون لأماناتهم وعهودهم الكافرون بربهم ورسوله وكتابه وبما جاء به، ولما كان لا يحبهم فهو عليهم، وليس لهم. ومقابله أنه يحب كل مؤمن صادق في إيمانه محافظ على أماناته وعهوده مطيع لربه، ومن أحبَّهُ ودافع عنه وحماه من أعدائه.

وقوله تعالى: ﴿أُذن للذين يقاتلون﴾ باسم للفاعل أي القادرين على القتال ويقاتلون باسم المفعول وهما قراءتان أي قاتلهم المشركون هؤلاء أذِن[4] الله تعالى لهم في قتال أعدائهم المشركين بعدما كانوا ممنوعين من ذلك لحكمة يعلمها ربهم، وهذه أول آية في القرآن تحمل طابع الحرب بالإذن فيه للمؤمنين، وقوله: ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ طمأنهم على أنه معهم بتأييده ونصره وهو القدير على ذلك وقوله تعالى: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ أي بدون موجب لإخراجهم اللهم إلا قولهم[5]: ربنا الله وهذا حق وليس بموجب لإخراجهم من ديارهم وطردهم من منازلهم وبلادهم هذه الجملة بيان لمقتضى الإذن لهم بالقتال، ونصرة الله تعالى لهم. وقوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ أي يدفع بأهل الحق أهل الباطل لولا هذا لتغلب أهل الباطل[6] ﴿لهدمت

---

(١) روي أن هذه الآية: (إن الله يدافع..) نزلت بسبب أن المؤمنين بمكة لما كثر اضطهاد المشركين لهم فكّر بعضهم في اغتيال الكفار، والاحتيال عليهم والغدر بهم فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله: (كفور).

(٢) قرأ الجمهور: (يدافع) وقرأ بعضهم: (يدفع).

(٣) الخوّان: كثير الخيانة، وهي الغدر، والغدر من شر الصفات، فقد صحّ (أن الله تعالى ينصب يوم القيامة للغادر لواءً عند أسته بقدر غدرته: يقال هذه غدرة فلان بن فلان)!!

(٤) هذه الآية نزلت بالمدينة بعد هجرة الرسول ﷺ والمؤمنين إليها وفيها إذن بقتال المشركين بعد المنع الأوّل فهي أول آية بالإذن بالقتال بعدما كان غير مأذون فيه كما تقدم.

(٥) قوله: (إلاّ أن قالوا ربنا الله..) الاستثناء منقطع أي: لكن لقولهم ربنا الله أي: وحده لا ربّ لنا سواه استمرّت مدة السلم ثلاث عشرة سنة، وفي السنة الأولى من الهجرة أذن الله تعالى للمؤمنين بقتال المشركين إذ قد أعذر الله تعالى إليهم.

(٦) في الآية دليل على أنّ أمر الجهاد متقدم في الأمم قبل هذه الأمّة وبه صلحت الشرائع وعبد الناس ربّهم، واستقامت أمورهم وصلحت أحوالهم.

صوامع وبيع وصلوات[1] ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ وهذا تعليل أيضاً وبيان لحكمة الأمر بالقتال أي لولا أن الله تعالى يدفع بأهل الإيمان أهل الكفر لتغلب أهل الكفر وهدموا المعابد ولم يسمحوا للمؤمنين أن يعبدوا الله ـ وفي شرح الكلمات بيان للمعابد المذكورة فليرجع اليها.

وقوله تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي﴾ أي قدير ﴿عزيز﴾ غالب فمن أراد نصرتة نَصَرهُ ولو اجتمع عليه من بأقطار الأرض، والذي يريد الله نصرته هو الذي يقاتل من أجل الله بأن يُعبد في الأرض ولا يُعبد معه سواه فذلك وجه نصر الله فليعلم وقوله ﴿الذين إن مكناهم[2]﴾ أي وطأنا لهم في الأرض وملكناهم بعد قهر أعدائهم المشركين فحكموا وسادوا أقاموا الصلاة على الوجه المطلوب منهم، وآتوا الزكاة المفروضة في أموالهم، وأمروا بالمعروف أي بالإسلام والدخول فيه وإقامته، ونهوا عن المنكر وهو الشرك والكفر ومعاصِي الله ورسوله هؤلاء الأحقون بنصر الله تعالى لهم لأنهم يقاتلون لنصرة الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ يخبر تعالى بأن مرد كل أمر إليه تعالى يحكم فيه بما هو الحق والعدل فيثيب على العمل الصالح ويعاقب على العمل الفاسد، وذلك يوم القيامة، وعليه فليراقب الله وليُتق في السر والعلن وليُتوكل عليه، وليُنب إليه، فإن مرد كل أمر إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وعد الله الصادق بالدفاع عن المؤمنين الصادقين في إيمانهم.

٢ـ كره الله تعالى لأهل الكفر والخيانة.

٣ـ مشروعية القتال لإعلاء كلمة الله بأن يعبد وحده ولا يضطهد أولياؤه.

٤ـ بيان سر الإذن بالجهاد ونصرة الله لأوليائه الذين يقاتلون من أجله.

---

(١) في الآية دليل على أنه لا يجوز لنا هدم معابد اليهود والنصارى، وانما يمنعون من زيادة البناء حتى لا يكون ذلك إذناً بالبقاء على الكفر وهو حرام.

(٢) هذه عامة في هذه الأمة وليست خاصة بالخلفاء الراشدين الأربعة ولا بالصحابة والتابعين بل هي عامة فيمن مكن الله تعالى لهم في الأرض فسوّدهم وحكّمهم وجب عليهم أن يقوموا بفعل ما ذكر في هذه الآية من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥ـ بيان أسس الدولة التي ورّث الله أهلها البلاد وملكهم فيها وهي :
إقام الصلاة ـ إيتاء الزكاة ـ الأمر بالمعروف ـ النهي عن المنكر.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

وإن يكذبوك : أي إن يكذبك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح إذاً فلا تأس إذ لست وحدك المكذب.

وأصحاب مدين : هم قوم شعيب عليه السلام.

وكذب موسى : أي كذبه فرعون وآله الأقباط.

فأمليت للكافرين : أي أمهلتهم فلم أُعجل العقوبة لهم.

ثم أخذتهم : أي بالعذاب المستأصل لهم.

فكيف كان نكير : أي كيف كان إنكاري عليهم تكذيبهم وكفرهم أكان واقعاً موقعه؟ نعم إذ الإستفهام للتقرير.

فهي خاوية على عروشها : أي ساقطة على سقوفها.

بئر معطلة : أي متروكة لا يستخرج منها ماء لموت أهلها.

وقصر مشيد : مرتفع مجصص بالجص.

فإنها لا تعمى الأبصار : أي فانها أي القصة لا تعمى الأبصار فإن الخلل ليس في أبصارهم ولكن في قلوبهم حيث أعماها الهوى وأفسدتها الشهوة والتقليد لأهل الجهل والضلال.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد وإن تخللته إرشادات للمؤمنين فإنه لما أُذِن للمؤمنين بقتال المشركين بين مقتضيات هذا الإذن وضمن النصرة لهم وأعلم أن عاقبة الأمور إليه لا إلى غيره وسوف يقضي بالحق والعدل بين عباده يوم يلقونه. قال لرسوله ﷺ مسلياً له عن تكذيب المشركين له: ﴿وإن يكذبوك﴾[1] أيها الرسول فيما جئت به من التوحيد والرسالة والبعث والجزاء يوم القيامة فلا تأس ولا تحزن ﴿فقد كذبت قبلهم﴾ أي قبل مُكذِّبيك من قريش والعرب واليهود ﴿قوم نوح وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين، وكُذِّب موسى﴾ أيضاً مع ما آتيناه من الآيات البينات، وكانت سنتي فيهم أني أمليت لهم أي مددت لهم في الزمن وأرخيت لهم الرسن حتى إذا بلغوا غاية الكفر والعناد والظلم والاستبداد وحقت عليهم كلمة العذاب أخذتهم أخذ العزيز المقتدر ﴿فكيف كان نكير﴾[2]، أي انكاري عليهم؟ كان وربّك واقعاً موقعه، وليس المذكورون أخذت فقط.. ﴿فكأين من قرية﴾ عظيمة غانية برجالها ومالها وسلطانها ﴿أهلكناها وهي ظالمة﴾ أي ضالعة في الظلم أي الشرك والتكذيب ﴿فهي خاوية على عروشها﴾[3] أي ساقطة على سقوفها، وكم من بئر ماء[4] عذب كانت سقيا لهم فهي الآن معطلة، وكم من قصر مشيد أي رفيع مشيد بِالجص إذ

---

(١) الآية في تسلية الرسول ﷺ وتعزيته من جرّاء ما يلاقي من قومه من أنواع التكذيب والعناد والجحود.

(٢) أي: تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك. والإنكار والنكير: تغيير المنكر.

(٣) العروش: جمع عرش وهو السقف. والمعنى: إنّ جدرانها فوق سقفها.

(٤) قرأ نافع: (وبير) بدون همزة تخفيفاً.

مات أهله وتركوه [1] هذا ما تضمنته الآيات الأربع (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥) أما الآية الأخيرة من هذا السياق فالحق عز وجل يقول ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾ [2] حاثاً المكذبين من كفار قريش والعرب على السير في البلاد ليقفوا على آثار الهالكين فلعل ذلك يكسبهم حياة جديدة في تفكيرهم ونظرهم فتكون لهم قلوب حية واعية يعقلون بها خطابنا إليهم ونحن ندعوهم إلى نجاتهم وسعادتهم أو تكون لهم آذان يسمعون بها نداء النصح والخير الذي نوجهه إليهم بواسطة كتابنا ورسولنا، وما لهم من عيون مبصرة بدون قلوب واعية وآذان صاغية فإن ذلك غير نافع ﴿فإنها لا [3] تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [4]. وهذا حاصل القول ألا فليسيروا لعلهم يكسبون عبراً وعظات تحيي قلوبهم وسائر حواسهم المتبلدة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تكذيب الرسل والدعاة إلى الحق والخير سنة مطردة في البشر لها عواملها من أبرزها التقليد والمحافظة على المنافع المادية، وظلمات القلب الناشئة عن الشرك والمعاصي.

٢- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك الأمم والشعوب الظالمة بعد الإمهال لهم والإعذار.

٣- مشروعية طلب العبر وتصيدها من آثار الهالكين.

٤- العبرة بالبصيرة القلبية لا بالبصر فكم من أعمى هو أبصر للحقائق وطرق النجاة من ذي بصر حاد حديد. ومن هنا كان المفروض على العبد أن يحافظ على بصيرته أكثر من المحافظة على عينيه، وذلك بأن يتجنب مدمرات القلوب من الكذب والترهات والخرافات، والكبر والعجب والحب والبغض في غير الله.

---

(١) (وقصر مشيد) أي: مبني بالشيد وهو الجص أي: مثلها معطّل.

(٢) الاستفهام للتعجيب من حالهم وهم في غيهم وجهلهم.

(٣) (فإنها..) أي: الحال أو القصة لا تعمى الأبصار: قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل لما نزلت: (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) سأل ابن أم مكتوم النبي ﷺ قائلا: أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت هذه الآية: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الآية صريحة في أنّ العقل في القلب، ولا منافاة بين من يرى ذلك في المخ إذ ارتباط كبير بين المخ والقلب في حصول الوعي والإدراك للإنسان.

(٤) ذكر الصدور ظرفاً للقلوب للتأكيد إذا القلوب لا تكون إلاّ في الصدور فهو كقوله تعالى: (ولا طائر يطير بجناحيه..) (وكقولهم رأيت بعيني).

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)﴾

شرح الكلمات :

يستعجلونك بالعذاب : أي يطالبونك مستعجلينك بما حذّرتهم منه من عذاب الله.

كألف سنة مما تعدون : أي من أيام الدنيا ذات الأربع والعشرين ساعة.

وكأين من قرية : أي وكثير من القرى أي العواصم والحواضر الجامعة لكل أسباب الحضارة.

أمليت لها : أي أمهلتها فمدّدت أيام حياتها ولم استعجلها بالعذاب.

نذير مبين : منذر أي مخوِّف عاقبة الكفر والظلم بيِّنُ النذارة.

لهم مغفرة ورزق كريم: أي ستر لذنوبهم ورزق حسن في الجنة.

سعوا في آياتنا معاجزين: أي عملوا بجد واجتهاد في شأن إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا وما تحمله من دعوة الى التوحيد وترك الشرك والمعاصي.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في إرشاد الرسول ﷺ وتوجيهه في دعوته إلى الصبر والتحمل فيقول له: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾[1] أي يستعجلك المشركون من قومك بالعذاب الذي خوفتهم به وحذرتهم منه، ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ وقد وعدهم فهو واقع بهم لا بد وقد

(١) قيل: نزلت في النضر بن الحارث ورفقائه إذ كانوا يستعجلون العذاب ويطالبون رسول الله ﷺ بإنزاله تحدّياً منهم وعناداً، وفيهم نزل: (سأل سائل بعذاب واقع). (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق. . .) الآية.

تم ذلك في بدر وقوله تعالى: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ فلذا تعالى لا يستعجل وهم يستعجلون فيوم الله بألف سنة، وأيامهم بأربع وعشرين ساعة فإذا حدد تعالى لعذابهم يوماً معناه أن العذاب لا ينزل بهم إلا بعد ألف سنة، ونصف يوم بخمسمائة سنة، وربع يوم بمائتين وخمسين سنة وهكذا فلذا يستعجل الإنسان ويستبطىء، والله عز وجل ينجز وعده في الوقت الذي حدده فلا يستخفه استعجال المجرمين العذاب ويشهد لهذاالمعنى قوله تعالى: ﴿ولو لا أجل مسمى لجاءهم العذاب﴾ من سورة العنكبوت هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى: ﴿وكأين من قرية﴾ أي مدينة كبرى ﴿أمليت لها﴾ أي أمهلتها وزدت لها في أيام بقائها والحال أنها ظالمة بالشرك والمعاصي ثم بعد ذلك الإملاء والإمهال أخذتها ﴿وإليّ المصير﴾ أي مصير كل شيء ومرده إلي فلا إله غيري ولا رب سواي فلا معنى لإستعجال هؤلاء المشركين العذاب فإنهم عذبوا في الدنيا أو لم يعذبوا فإن مصيرهم إلى الله تعالى وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون الجزاء العادل في دار الشقاء والعذاب الأبدي وقوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس[1] إنما أنا لكم نذير مبين﴾، فلست بإله ولا رب بيدي عذابكم إن عصيتموني وإنعامكم إن أطعتموني، وإنما أنا عبد مأمور بأن أنذر عصاة الرب بعذابه، وابشر أهل طاعته برحمته، وهو معنى الآية (٥٠)[3] فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازِمه أنهم تركوا الشرك والمعاصي لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم عند ربهم وهو الجنة دار النعيم ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين[2]﴾ أي عملوا جادين مسرعين في صرف الناس عن آيات الله حتى لا يؤمنوا بها ويعملوا بما فيها من هدي ونور معاجزين لله يظنون أنهم يعجزونه والله غالب على أمره ناصر دينه وأوليائه، أولئك البعداء في الشر والشرك أصحاب الجحيم الملازمون لها أبد الآبدين.

---

(١) النداء لأهل مكة خاصة وللبشريّة عامة إذ هو ﷺ رسول الله إلى الناس كافة والنذير: المخوف عقوبة الشركة والشر والفساد.

(٢) أي: ظانين أنهم يعجزوننا فلم نقو عليهم ولم نقدر على أخذهم لأنهم مكذّبون بالبعث الآخر وما فيه من حساب وجزاء على الكسب في هذه الدنيا.

(٣) ومما يزيد تفسير هذه الآية وضوحاً قوله ﷺ: (مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعته طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثلي ومثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق).

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- العجلة من طبع الإنسان ولكن استعجال الله ورسوله بالعذاب حمق وطيش وضلال وكفر.

٢- ما عند الله في الملكوت الأعلى يختلف تماماً عما في هذا الملكوت السلفي.

٣- عاقبة الظلم وخيمة وفي الخبر الظلم يترك الديار بلاقع أي خراباً خالية.

٤- بيان مهمة الرسل وهي البلاغ مع الإنذار والتبشير ليس غير.

٥- بيان مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ
أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ
ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ
فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾
ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

من رسول ولا نبي : الرسول ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بابلاغه. والنبي مقرر لشرع من قبله.

تمنى في أمنيته : أي قرأ في أمنيتـه، أي في قراءته.

ثم يُحكم الله آياته : أي بعد إزالة ما ألقاه الشيطان في القراءة بحُكم الله آياته أي يثبتها.

فتنة للذين في قلوبهم مرض: أي اختباراً للذين في قلوبهم مرض الشرك والشك.

والقاسية قلوبهم : هـم المشركون.

فتخبت له قلوبهم : أي تتطامن وتخشـع له قلوبـهم.

في مرية منـه : أي في شك منه وريب من القرآن.

عذاب يوم عقيـم : هو عذاب يوم بدر إذ كان يوماً عقيماً لا خير فيه.

في جنـات النعيم : أي جنات ذات نعيم لا يبلغ الوصف مداه.

فلهم عذاب مهين : أي يهان فيه صاحبه فهو عذاب جثماني نفساني.

معنى الآيـات :

بعد التسلية الأولى للنبي ﷺ التي تضمنها قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح.. الخ﴾ ذكر تعالى تسلية ثانية وهي أنه ﷺ كان يقرأ حول الكعبة في صلاته سورة النجم والمشـركون حول الكعبة يسمعون فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان في مسامع المشركين الكلمات التالية: «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى» ففرح المشركون بما سمعوا ظناً منهم أن النبي ﷺ قرأها وأن الله أنزلها فلما سجد في آخر السورة سجدوا معه إلا رجلاً[1] كبيراً لم يقدر على السجود فأخذ حثية من تراب وسجد عليها وشاع أن محمداً قد اصطلح مع قومه حتى رجع المهاجرون من الحبشة فكرب لذلك رسول الله وحزن فأنزل الله تعالى هذه

(١) هذا الرجل، روى البخاري أنه أمية بن خلف، وقيل هو أبو أحيحة سعيد بن العاص وقيل: هو الوليد بن المغيرة. والله أعلم بأيهم كان.

الآية تسلية له فقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾[1] ذي رسالة يبلغها ولا نبيّ مقرر لرسالة نبي قلبه ﴿ إلا إذا تمنى﴾ أي قرأ ﴿ألقى للشيطان في أمنيته﴾[2] أي في قراءته ﴿فينسخ الله﴾ أي يزيل ويبطل ﴿ما يلقي الشيطان﴾[3] من كلمات في أسماع الكافرين أوليائه ﴿ثم يُحكم الله آياته﴾ بعد إزالة ما قاله الشيطان فيثبتها فلا تقبل زيادة ولانقصانا، والله عليم بخلقه وأحوالهم وأعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك حكيم في تدبيره وشرعه هذه سنته تعالى في رسله وأنبيائه. فلا تأس يا رسول الله ولا تحزن ثم بين تعالى الحكمة في هذه السنة فقال: ﴿ليجعل ما يلقى للشياطن﴾ أي من كلمات في قراءة النبي أو الرسول ﴿فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾ الشك والنفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ وهم المشركون ومعنى فتنة هنا محنة يزدادون بها ضلالاً على ضلالهم وبُعداً عن الحق فوق بعدهم إذ ما يلقى الشيطان في أسماع أوليائه إلا للفتنة أي زيادة في الكفر والضلال. وقوله تعالى: ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ هو إخبار منه تعالى عن حال المشركين بأنهم في خلاف لله ورسوله، بعيدون فيما يعتقدونه وما يعملونه وما يقولونه، وما يتصورونه مخالف تمام المخالفة لما يأمر تعالى به ويدعوهم إليه من الاعتقاد والقول والعمل والتصور والإدارك. وقوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أُوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ هذا جزء العلة التي تضمنتها سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي فالجزء الأول تضمنه قوله تعالى: ﴿ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ وهذا هو الجزء الثاني أي ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ بالله وآياته وتدبيره ﴿ أنه الحق من ربك﴾ أي ذلك الإلقاء والنسخ وإحكام

---

(١) في هذه الآية دليل على أن هناك فرقاً بين النبي والرسول لذكر الرسول في الآية ثم النبي: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) والذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة: أن كل رسول نبي إذ لا يرسل حتى يوحى إليه وينبّأ وليس كل نبي رسولاً إذ ينبئه الله تعالى بما شاء ولا يرسله، وجاء في حديث أبـي ذر (إنّ عدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ وأن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي جمّ غفير).

(٢) قال سليمان بن حرب إنّ (في) هنا هي بمعنى عند أي: ألقى الشيطان عند قراءته ألقى في قلوب المشركين. ولـ(في) بمعنى عند نظير هو قوله تعالى (ولبثت فينا سنين) أي: عندنا.

(٣) ما روي من خبر في قصة الغرانيق كله ضعيف ولم يثبت فيها حديث صحيح قط، والذي ثبت في الصحيح هو قراءة الرسول ﷺ لسورة النجم وسجوده وسجود المشركين معه والذي عصم منه ﷺ وهو المعصوم أن ينطق بكلمة: تلك الغرانيق العلا.. الخ وإنما نطق بها الشيطان وأسمعها المشركين للفتنة كما في التفسير المثبت فيه رأي ابن جرير إمام المفسّرين رحمه الله تعالى.

الآيات بعده [1] ﴿فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ أي تطمئن وتسكن عنده وتخشع فيزدادون هدى. وقوله تعالى: ﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ [2] هذا إخبار منه تعالى عن فعله مع أوليائه المؤمنين به المتقين له وأنه هاديهم في حياتهم وفي كل أحوالهم إلى صراط مستقيم يفضي بهم إلى رضـاه وجنتـه، وذلك بحمايتهم من الشيطان وتوفيقهم وإعانتهم على طاعة الرحمن سبحانه وتعالى. وقوله تعالى: ﴿ولايزال الذين كفروا في مرية منه﴾ [3] أي من القرآن هل هو كلام الله هل هو حق هل اتباعه نافع وتستمر هذه المرية والشك بأولئك القساة القلوب أصحاب الشقاق البعيد ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أي فجأة وهي القيامة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ [4] أي لا خير فيه لهم وهو يوم بدر وقد تم لهم ذلك وعندها زالت ريبتهم وعلموا انه الحق حيث لا ينفع العلم.

وقوله تعالى: ﴿الملك [5] يومئذ لله﴾ أي يوم تأتي الساعة يتمحض الملك لله وحده فلا يملك معه أحد فهو الحاكم العدل الحق يحكم بين عباده بما ذكر في الآية وهو أن الذين آمنوا به وبرسوله وبما جاء به وعملوا الصالحات من فرائض ونوافل بعد تخليهم عن الشرك والمعاصي يدخلهم جنات النعيم، والذين كفروا به وبرسوله وبما جاء به، وكذبوا بآيات الله المتضمنة شرائعه وبيان طاعاته فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات وعملوا العكس وهو السيئات فأولئك البعداء في الحطة والخسة لهم عذاب مهين يكسر أنوفهم ذلة لهم ومهانة لأنفسهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي للفتنة.

٢ـ بيان أن الفتنة يهلك فيها مرضى القلوب وقساتها، ويخرج منها المؤمنون أكثر يقيناً

---

(١) قوله تعالى: (وليعلم الذين أوتوا العلم) جائز أن يكونوا من المؤمنين ومن أهل الكتاب.

(٢) ومثبتهم على الهداية.

(٣) ومن الدين ومن كل ما جاء به النبي ﷺ.

(٤) وعذاب يوم القيامة عذاب عظيم باعتبار أنه يوم لا ليلة له فهذا وجه العقم لأنّ العقيم هو الذي لا يخلّف ولداً، ولما ذكر عذاب يوم القيامة تعيّن أن يكون هو يوم بدر ومعنى عقمه: أنه لا خير فيه للمشركين ولم يحصلوا منه على فائدة.

(٥) قالوا: الملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، وقيل في الآية إشارة إلى يوم بدر وهو بعيد ولا داعي إليه، ودلالة الآية تنفيه.

وأعظم هدىً.

٣- بيان حكم الله تعالى بين عباده يوم القيامة بإكرام أهل الإيمان والتقوى وإهانة أهل الشرك والمعاصي.

٤- ظهور مصداق ما أخبر به تعالى عن مجرمي قريش فقد استمروا على ريبهم حتى هلكوا في بدر.

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ
لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات:

والذين هاجروا : أي هجروا ديار الكفر وذهبوا الى دار الإيمان المدينة المنورة.

في سبيل الله : أي هجروا ديارهم لا لدنيا ولكن ليعبدوا الله وينصروا دينه وأولياءه.

ليرزقنهم رزقاً حسناً : أي في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة.

ليدخلنهم مدخلا يرضونه : أي الجنة يوم القيامة.

ذلـــك : أي الأمر ذلك المذكور فاذكروه ولا تنسوه.

ثم بغى عليه : أي ظُلم بعد أن عاقب عدوه بمثل ما ظلم به.

يولج الليل في النهار : أي يدخل جزءاً من الليل في النهار والعكس بحسب فصول السنة كما أنه يومياً يدخل الليل في النهار إذا جاء النهار ويدخل النهار في الليل إذا جاء الليل.

بأن الله هو الحق : أي الإله الحق الذي تجب عبادته دون سواه.

من دونـه : أي من أصـنام وأوثان وغيرها هو الباطل بعينه.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في بيان حكم الله تعالى بين عباده فذكر تعالى ما حكم به لأهل الإيمان والعمل الصالح وما حكم به لأهل الكفر والتكذيب، وذكر هنا ما حكم به لأهل الهجرة والجهاد فقال عز وجل: ﴿والذين هاجروا[1] في سبيل الله﴾ أي خرجوا من ديارهم لأجل طاعة الله ونصرة دينه ﴿ثم قتلوا﴾ من قِبلِ أعداء الله المشركين ﴿أو ماتوا﴾ حتف أنوفهم بدون قتل ﴿ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش ﴿ ليدخلنهم﴾ يوم القيامة ﴿مدخلاً[2] يرضونه﴾ وهو الجنة، وقوله تعالى: ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ أي لخير من يرزق فما رزقهم به هو خير رزق وأطيبـه وأوسعـه. وقوله: ﴿وإن الله لعليم حليم﴾ عليم بعباده وبأعمالهم الظاهرة والباطنة حليم يعفو ويصفح عن بعض زلات عباده المؤمنين فيغفرها ويسترها عليهم إذ لا يخلو العبد من ذنب الا من عصمهم الله من أنبيائه ورسله.

---

(١) قيل: نزلت هذه الآية في عثمان بن مظعون وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهما إذ ماتا بالمدينة مريضين فقال بعض الناس: من مات في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه. كأنه يعني عثمان وعبدالله فنزلت هذه الآية مسوّية بين المجاهد والمهاجر، ومن شواهد فضل المهاجر ما روي: أن فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ كان برودس أميراً على الأرباع فجيىء بجنازتي رجلين أحدهما قتل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حضرته فقال: أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اقرأوا قول الله تعالى: (والذين هاجروا..) الآية.

(٢) قرأ نافع: (مدخلا) بفتح الميم على أنه اسم مكان من دخل المجرّد، وقرأ غيره مُدخلا بضم الميم: اسم مكان أيضاً من أدخله يدخله الرباعي مدخلا.

وقوله تعالى: ﴿ذلك ومن عاقب﴾[1] أي الأمر ذلك الذي بينت لكم، ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ أي ومن أخذ من ظالمه بقدرما أخذ منه قصاصاً، ثم المعاقب ظلم بعد ذلـك من عاقبـه فإن المظلوم أولاً وآخراً تعهد الله تعالى بنصره، وقوله: ﴿إن الله لعفو غفـور﴾ فيه إشارة إلى ترغيب المؤمن في العفو عن أخيه إذا ظلمه فإن العفو خير من المعاقبة وهذا كقوله تعالى[2] ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ وقوله: ﴿ذلك بأن الله يولج الليل والنهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير﴾ أي أن القادر على ادخال الليل في النهار والنهار في الليل بحيث إذ جاء أحدهما غاب الآخر، وإذا قصر أحدهما طال الآخر والسميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم قادر على نصرة من بُغي عليه من أوليائه. وقوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي المعبود الحق المستحق للعبادة، وإن ما يدعون من دونه من أصنام وأوثان هو الباطل أي ذلك المذكور من قدرة الله وعلمه ونصرة أوليائه كان لأن الله هو الإله الحق وأن ما يعبدون من دونه من آلهة هو الباطل، وأن الله هو العلى على خلقه القاهر لهم المتكبر عليهم الكبير العظيم الذي ليس شيء أعظم منه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان فضل الهجرة في سبيل الله حتى إنها تعدل[3] الجهاد في سبيل الله.

٢ـ جـواز المعاقبة بشرط المماثلة، والعفو أولى من المعاقبة.

٣ـ بيان مظاهر الربوبية من العلم والقدرة الموجبة لعبادة الله تعالى وحده وبطلان عبادة غيره.

٤ـ إثبات صفات الله تعالى: العلم والحلم والمغفرة والسمع والبصر والعفو والعلو على الخلق والعظمة الموجبة لعبادته وترك عبادة من سواه.

(١) ذلك: في محل رفع على الخبرية، والمبتدأ مقدّر كما في التفسير. أي: الأمر ذلك الذي قصصنا عليك والآية نزلت في حادثة خاصة قاتل فيها المسلمون في الشهر الحرام فحزنوا لذلك، وكان قتالهم اضطرارياً لأنّ المشركين هم البادئون.

(٢) الآية من سورة الشورى.

(٣) والرباط: كالهجرة، والجهاد، فقد روي عن سلمان الفارسي أنه مرّ برجال مرابطين على حصن ببلاد الروم. وطال حصارهم للحصن، وإقامتهم عليه فقال لهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات مرابطاً أجرى الله تعالى عليه مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتانين) واقرأوا إن شئتم: ﴿والذين هاجروا﴾ الآية.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

ألم تر	: أي ألم تعلم .
مخضرة	: أي بالعشب والكلأ والنبات .
الغني الحميد	: الغني عن كل ما سواه المحمود في أرضه وسمائه .
سخر لكم ما في الأرض	: أي سهل لكم تملكه والتصرف فيه والانتفاع به .
أحياكم	: أي أوجدكم احياء بعدما كنتم عدما .
لكفور	: أي كثير الكفر والجحود لربه ونعمه عليه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر القدرة والعلم والحكمة قال تعالى : ﴿ألم تر﴾[1] يا رسولنا ﴿أن الله أنزل من[2] السماء ماءً﴾ أي مطراً فتصبح الأرض بعد

---

(١) (ألم تر) الخطاب صالح لكل متأهل للرؤية من ذوي العقول، والاستفهام للحض على الرؤية فهو كالأمر والفاء للتفريع إذ يتفرّع عن نزول المطر: صيرورة الأرض مخضرّة بالنبات.

(٢) هذا انتقال إلى التذكير بمظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده وشكره بطاعته وطاعة رسوله ﷺ بعد الإيمان به حق الإيمان وتصديقه بكل ما جاء به ويدعو إليه.

نزول المطر عليها مخضرة بالعشب والنباتات والزروع، وقوله: ﴿إن الله لطيف﴾[1] بعباده ﴿خبير﴾ بما يصلحهم ويضرهم وينفعهم.

وقوله: ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وتصرفاً، ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ أي المحمود في الأرض والسماء بجميل صنعه وعظيم إنعامه وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم[2] ما في الأرض﴾ من الدواب والبهائم على اختلافها ﴿والفلك﴾ أي وسخر لكم الفلك أي السفن ﴿تجري في البحر بأمره﴾ أي بإذنه وتسخيره، ﴿ويمسك السماء[3] أن تقع على الأرض﴾ أي كيلا تقع على الأرض ﴿إلا بإذنه﴾ أي لا تقع إلا إذا أذن لها في ذلك وقوله: ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ من مظاهر رأفته ورحمته بهم تلك الرحمة المتجلية في كل جانب من جوانب حياتهم في حملهم في ارضاعهم في غذائهم في نومهم في يقظتهم في تحصيل أرزاقهم في عفوه عن زلاتهم في عدم تعجيل العقوبة لهم بعد استحقاقهم لها في إرسال الرسل في إنزال الكتب فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقوله تعالى: ﴿وهو الذي أحياكم﴾ بالإنشاء والإيجاد من العدم، ثم يميتكم عند انتهاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ ويبعثكم ليجزيكم بكسبكم كل هذه النعم يكفرها الإنسان فيترك ذكر ربه وشكره ويذكر غيره ويشكر سواه، فهذه المظاهر لقدرة الرب وعلمه وحكمته وتلك الآلاء والنعم الظاهرة والباطنة توجب الإيمان بالله وتحتم عبادته وتوحيده وذكره وشكره، وتجعل عبادة غيره سُخفاً وضلالاً عقلياً لا يُقادر قدره ولا يُعرف مداه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد بذكر مقتضياته من القدرة والنعمة.

٢- إثبات صفات الله تعالى: اللطيف الخبير الغني الحميد الرؤوف الرحيم المحيي المميت.

---

(١) لطيف في تدبيره للخلقة خبير في صنعه.. وهاتان الصفتان متجليتان في تدبيره تعالى للكون وصنعه فيه.

(٢) التسخير: معناه: التذليل للشيء حتى يصبح طوع المسخّر له وهو هنا بمعناه، ويعني: تسهيل الانتفاع فيما هو خارج عن قدرة الإنسان بإرسال الرياح ونزول الأمطار.

(٣) وجائز أن يراد بالسماء: ماؤها أي: المطر كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

٣ـ بيان إنعام الله وإفضاله على خلقه.

٤ـ مظاهر قدرة الله تعالى في إمساك السماء أن تقع على الأرض، وفي الإحياء والأماتة والبعث.

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ
فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

جعلنا منسكاً : أي مكاناً يتعبدون فيه بالذبائح أو غيرها.

فلا ينازعنك : أي لا ينبغي أن ينازعوك.

هدىً مستقيم : أي دين مستقيم هو الإسلام دين الله الحق.

في كتاب : هو اللوح المحفوظ.

ما لم ينزل به سلطاناً : أي حجة وبرهاناً.

المنكـر : أي الإنكار الدال عليه عبوس الوجه وتقطيبه.

يسطون : يبطشـون.

بشر من ذلكم : هـو النـار.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في بيان هداية الله تعالى لرسوله والمؤمنين ودعوة المشركين الى ذلك قال تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً[1]﴾ أي ولكل أمة من الأمم التي مضت والحاضرة أيضاً جعلنا لهم منسكاً أي مكاناً يتنسكون فيه ويتعبدون ﴿هم[2] ناسكوه﴾ أي الآن، فلا تلتفت إلى ما يقولـه هؤلاء المشـركون، ولا تقبل منهم منازعة في أمر واضح لا يقبل الجدل، وذلك أن المشركين انتقدوا ذبائح الهدى والضحايا أيام التشريق، واعترضوا على تحريم الميتة وقالوا كيف تأكلونهما تذبحون ولا تأكلون ما ذبح الله بيمينه وقوله تعالى لرسـوله: ﴿وادع إلى ربك﴾ أي أعرض عن هذا الجدل الفارغ وادع إلى توحيد ربك وعبادته ﴿إنك لعلى هدى مستقيم﴾ أي طريق قاصد هاد إلى الإسعاد والاكمال وهو الإسـلام وقـولـه: ﴿وإن جادلـوك[3]﴾ في بيان بعض المنـاسـك والنسك فاتركهم فإنهم جهلة لايعلمون وقل: ﴿الله أعلم بما تعملون﴾ أي وسيجزيكم بذلك حسنة وسيئة ﴿والله يحكم بينكم﴾ أي يقضي بينكم أيهـا المشـركـون فيما كنتم فيه تختلفون وعندها تعرفون المحق من المبطل منا وذلك يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم[4] ما في السماء والأرض﴾ بلى إن الله يعلم كل ما في السموات والأرض من جليل ودقيق وجليّ وخفي وكيف لا وهو اللطيف الخبير. ﴿إن ذلـك في كتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ فكيف يجهل أو ينسى، و﴿ إن ذلك﴾ أي كتبه

---

(١) سبق مثل هذا النزاع بين المؤمنين والمشركين في التذكية عند قول الله تعالى من سورة الأنعام: (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وقوله تعالى: (فلا ينازعنك) معناه: أترك منازعتهم وأعرض عنهم ولا تلتفت إليهم.

(٢) سبق مثل هذه الآية في أوّل السورة وهو دال على أنّه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع عقلا ولا تنتقض.

(٣) في الآية الكريمة أسلوب المتاركة إذا لم تنفع المجادلة لعدم استعداد الخصم لقبول الحق أو تعذر معرفته له.

(٤) الاستفهام تقريري بالنسبة للرسول ﷺ والجملة تحمل التسلية له ﷺ والتخفيف مما يلاقي من جدال المشركين وعنادهم.

وحفظه في كتاب المقادير ﴿على الله يسير﴾[1] أي هين سهل، لأنه تعالى على كل شيء قدير. هذا ما دلت عليه الآيات الأربع (٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠) وقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي ويعبد أولئك المشركون المجادلون في بعض المنـاسك أصناماً لم ينزل الله تعالى في جواز عبادتها حُجَّة ولا برهاناً بل ماهوإلا إفك افتروه، ليس لهم به علم ولا لآبائهم، وسوف يحاسبون على هذا الإفك ويجزون به في ساعة لا يجدون فيها ولياً ولا نصيراً إذ هم ظالمون بشركهم بالله آلهة مفتراة ويوم القيامة ما للظالمين من نصير. هذا ما دلت عليه الآية (٧١) وأما قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ يخبر تعالى عن أولئك المشركين المجادلين بالباطل أنهم إذا قرأ عليهم أحد المؤمنين آيات الله وهي بينات في مدلوها تهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿تعرف﴾ يارسولنا ﴿في وجوه الذين كفروا المنكر﴾[2] أي تتغيّر وجوههم ويظهر عليها الإنكار على التالي عليهم الآيات ﴿يكـادون يسـطون﴾[3] أي يبطشون ويقعون بمن يتلون عليهم آيات الله لهدايتهم واصلاحهم.

وقوله تعالى: ﴿قل أفأُنبئكم[4] بِشرٍ من ذلكم﴾ أي قل لهم يا رسولنا أفأنبئكم بشر من ذلك الذي تكرهون وهو من يتلون عليكم آيات الله أنه النار التى وعدها الله الذين كفروا أي من أمثالكم، وبئس المصير تصيرون إليه النار إن لم تتوبوا من شرككم وكفركم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير حقيقة وهي أن كل أمة من الأمم بعث الله فيها رسولاً وشرع لها عبادات تعبده بها.

٢ـ استحسان ترك الجدال في البدهيات والإعراض عن ما فيها.

٣ـ تقرير علم الله تعالى بكل خفي وجلي وصغير وكبير في السموات والأرض.

---

(١) أي: الفصل بين المختلفين ككتابة كل كائن في كتاب المقادير كل ذلك على الله يسير إذ هو تعالى لا يعجزه شيء، ويقول للشيء كن فيكون.

(٢) أي: الغضب والعبوس.

(٣) السطو: شدّة البطش يقال: سطا به يسطو: إذا بطش وسواء كان ذلك بسب وشتم أو ضرب، وسطا عليه: إذا علاه ضرباً وشتماً.

(٤) (أفأنبّكم) الهمزة داخلة على محذوف أي: أتكرهون سماع القرآن ومن يقرأه فأنا أنبّئكم بشر من ذلك الذي تأذّيتم به وكرهتموه؟ وقوله: ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنهم قالوا: نبئّنا فقال: النار.. الخ.

٤- تقرير عقيدة القضاء والقدر بتقرير الكتاب الحاوي لذلك وهو اللوح المحفوظ.
٥- بيان شدة بغض المشركين للموحدين إذا دعوهم إلى التوحيد وذكروهم بالآيات.
٦- مشروعية إغاظة الظالم بما يغيظه من القول الحق.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ
وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

ضرب مثل : أي جعل مثل هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿إن الذين تدعون . . . الخ.

لن يخلقوا ذباباً : أي لن يستطيعوا خلق ذبابة وهي أحقر الحيوانات تتخلق من العفونات.

ولو اجتمعوا : أي على خلقه فإنهم لا يقدرون، فكيف إذا لم يجتمعوا فهم أعجز.

لا يستنقذوه منه : أي لا يستردوه منه وذلك لعجزهم

ضعف الطالب والمطلوب : أي العابد والمعبود.

ما قدروا الله حق قدره : أي ما عظم المشركون الله تعالى حق قدره أي عظمته.

يصطفي من الملائكة رسلاً : أي يجتبي ويختار كجبريل.

ومن الناس : كمحمد صلى الله عليه وسلم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين يقول تعالى: ﴿يا أيها الناس ضربَ[1] مثل فاستمعوا له﴾ أي يا أيها المشركون بالله آلهة أصناماً ضرب لآلهتكم في حقارتها وضعفها وقلة نفعها مثل رائع فاستمعوا له. وبينه بقوله: ﴿إن الذين تدعـون من دون الله﴾ من أوثان وأصنام ﴿لن يخلقوا ذباباً[2]﴾ وهو أحقر حيوان وأخبثه أي اجتمعوا واتحدوا متعاونين على خلقه، أو لم يجتمعوا له فإنهم لا يقدرون على خلقه وشيء آخر وهو إن يسلب الذباب الحقير شيئاً من طيب آلهتكم التى تضمّخونها به، لا تستطيع آلهتكم أن تسترده منه فما أضعفها إذاً وما أحقرها إذا كان الذباب أقدر منها وأعز وأمنع.

وقـولـه تعـالى: ﴿ضعف الطالب والمطلوب[3]﴾ أي ضعف الصنم والذباب معاً كما ضعف العابد المشرك والمعبود الصنم ﴿إن الله لقويٌ عزيز﴾ أي قوي قادر على كل شيء عزيز غالب لا يمانع في أمر يريده فكيف ساغ للمشركين أن يؤلهوا غيره ويعبدونه معه ويجعلونـه له مثلاً. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٧٣) والثانية (٧٤) وقوله تعالى: ﴿ الله يصـطفي[4] من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ هذا رد على المشركين عندما قالوا: ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾ وقالوا: ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ فأخبر تعالى أنه يصطفي أي يختار من الملائكة رسلاً كما اختار جبرائيل وميكائيل، ومن الناس كما اختار نوحاً وإبـراهيم ومـوسى وعيسى ومحمدا ﷺ، ﴿إن الله سميع[5]﴾ لأقوال عباده طيبها وخبيثها ﴿بصير﴾ بأعمالهم صالحها وفاسدها وعلمه بخلقه وبصره بأحوالهم وحاجاتهم اقتضى أن

---

(١) ضرب المثل: هو ذكره وبيانه، واستعير الضرب للقول والذكر تشبيها بوضع الشيء بشدّة، وهو تعبير شائع في اللغة العربية، والمثل هنا تشبيه تمثيلي، إذهو تشبيه أصنامهم في عجزها وحقارتها بالذباب في عجزه وحقارتهوضمنه الإنكار الشديد عليهم في تشبيه أصنامهم بالله عز وجل إذ عبدوها بعبادته وألّهوها تأليه عز وجل.

(٢) الذباب: اسم واحد للذكر والأنثى والجمع والقليل: أذبة والأكثر ذبان والواحدة ذبابة، ولا يقال ذبّانة بالتشديد وكسر الذال، والمِذّبة: آلة لذب الذّبان وذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

(٣) قيل: الطالب: الألهة، والمطلوب: الذباب، والعكس صحيح، وجائز أن يكون الطالب: عابد الصنم، والمطلوب: الصنم.

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائيا، والإخبار بجملة يصطفي بدل: نصطفي لإفادة الاختصاص أي: هنا الاصطفاء خاص به تعالى لعظيم علمه وحكمته.

(٥) الجملة تعليلية، وجملة: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، مقرّرة لها وتفيد الدعوة إلى مراقبة الله عز وجل.

يصطفي منهم رسلاً وقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي ما بين أيدي رسله من الملائكة ومن الناس وما خلفهم ماضياً ومستقبلاً إذ علمه أحاط بكل شيء فلذا حق له أن يختار لرسالاته من يشاء فكيف يصح الإعتراض عليه لولا سفه المشركين وجهالاتهم وقوله تعالى: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ هذا تقرير لما تضمنته الجملة السابقة من أن لله الحق المطلق في إرسال الرسل من الملائكة أو من الناس ولا إعتراض عليه في ذلك إذ مرد الأمور كلها إليه بدءاً ونهاية إذ هو ربّ كل شيء ومليكه لا إله غيره ولا رب سواه.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيـات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٢ـ التنديد بالشرك وبطلانه وبيان سفه المشركين.

٣ـ ماقدر الله حق قدره من سوى به أحقر مخلوقاته وجعل له من عباده جزءاً وشبهاً ومثلاً.

٤ـ إثبات الرسالات[1] للملائكة وللناس معاً.

٥ـ ذكر صفات الجلال والكمال لله تعالى المقتضية لربوبيته والموجبة لألوهيته وهي القوة والعزة، والسمع والبصر لكل شيء وبكل شيء والعلم بكل شيء.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ
رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ
عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ
وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ

(١) في العبارة بعض الخفاء، والمقصود هو أنّ الله يصطفي من الملائكة مثل جبريل وميكائيل فيرسلهم إلى من يصطفي من الناس وهم الأنبياء، وفي الآية رد على المعترضين على الوحي الإلهي لرسوله محمد ﷺ.

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (٧٨)

شرح الكلمات :

واعبدوا ربكم : أي أطيعوه في أمره ونهيه في تعظيم هو غاية التعظيم وذل له هو غاية الذل.

وافعلوا الخير : أي من كل ما انتدبكم الله لفعله ورغبكم فيه من صالح الأقوال والأعمال.

لعلكم تفلحون : أي كي تفوزوا بالنجاة من النار ودخول الجنة.

حق جهاده : أي الجهاد الحق الذي شرعه الله تعالى وأمر به وهو جهاد الكفار والشيطان والنفس والهوى.

اجتباكم : أي اختاركم لحمل دعوة الله إلى الناس كافة.

من حرج : أي من ضيق وتكليف لا يطاق.

ملة أبيكم : أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

وفي هذا : أي القرآن.

اعتصموا بالله : أي تمسكوا بدينه وثقوا في نصرته وحسن مثوبته.

ونعم النصير : أي هو تعالى نعم النصير أي الناصر لكم.

معنى الآيات :

بعد تقرير العقيدة بأقسامها الثلاثة: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء، نادى الربّ تبارك وتعالى المسلمين بعنوان الإيمان فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً، ﴿اركعوا واسجدوا﴾[1] أمرهم بإقام الصلاة ﴿واعبدوا ربكم﴾ أي أطيعوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه معظمين له غاية التعظيم خاشعين له غاية الخشوع ﴿وافعلوا الخير﴾ من كل ما انتدبكم الله إليه ورغبكم فيه من أنواع البر وضروب العبادات ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي لتتأهلوا بذلك للفلاح الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار.

(١) خصّ الركوع والسجود من بين أركان الصلاة لأنهما أشرف أجزائها وأدل على خضوع العبد لربّه وذلته له.

وقوله: ﴿وجاهدوا في الله[1] حق جهاده[2]﴾ أي أمرهم ايضاً بأمر هام وهو جهاد الكفار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ومعنى حق جهاده أي كما ينبغي الجهاد من استفراغ الجهد والطاقة كلها نفساً ومالاً ودعوة وقوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ هذه مِنَّة ذكّر بها تعالى المؤمنين حتى يشكروا الله بفعل ما أمرهم به أي لم يضيق عليكم فيما أمركم به بل وسع فجعل التوبة لكل ذنب، وجعل الكفارة لبعض الذنوب، ورخص للمسافر والمريض في قصر الصلاة والصيام، ولمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله في التيمُم.

وقوله: ﴿ملة أبيكم ابراهيم[3]﴾ أي الزموا ملة أبيكم وقوله: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ أي الله جل جلاله هو الذي سماهم المسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن وهو معنى قولـه: ﴿هو سماكم[4] المسلمين من قبل وفي هذا﴾ أي القرآن وقوله: ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ أي اجتباكم أيها المؤمنون لدينه الإسلامي وسماكم المسلمين ليكون الرسول شهيداً عليكم يوم القيامة بأنه قد بلغكم ما أرسل به إليكم وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين أنهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به إليهم وعليه فاشكـروا هذا الإنعـام والإكـرام لله تعـالى ﴿فـأقيمـوا[5] الصلاة وآتوا الزكاة واعتصمـوا بالله﴾ أي تمسكـوا بشرعه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وقضاءاً وحكماً، وقوله تعـالى: ﴿هو مولاكم﴾ أي سيدكم ومالك أمركم ﴿فنعم المولى﴾ هو سبحانه وتعالى ﴿ونعم النصير﴾ أي الناصر لكم ما دمتم أولياءه تعيشون على الإيمان والتقوى.

---

(١) هذا من ذكر العام بعد الخاص، والعبادة: الطاعة ولكن مع غاية التعظيم والحبّ للمطاع.

(٢) الجهاد هنا: قتال الكفار المعتدين والمانعين لدعوة الله وصد الناس عنها والعلّة فيه إكمال البشر وإسعادهم بالإسلام لله تعالى و(في) في قوله (في الله): تعليلية أي: لأجل الله أي: لإعلاء كلمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

(٣) هذا كقوله تعالى: (فاتقوا الله حق تقاته) فإنه مخصوص بالاستطاعة وقوله بعد: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) مخصّصٌ له أيضاً، ويدخل في الأمر بالجهاد هنا: جهاد النفس والشيطان، وكلمة الحق عند من ينكرها لحديث (كلمة عدل عند سلطان جائر).

(٤) الملّة: الدين والشريعة ونصب: (ملة): بإلزموا ونحوه، والخطاب للعرب إذ إبراهيم أبو العرب المستعربة قاطبة، وهو أيضاً أبو أهل الكتاب وأبّ كل موحد أبوّة تشريف واتباع وتعظيم.

(٥) قوله تعالى (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) بعد ذكر المنن إشارة صريحة إلى وجوب شكر الله تعالى على نعمه، وما شكر الله تعالى من لم يقم الصلاة ويؤت الزكاة كما أن من لم يتمسك بدين الله كافر غير شاكر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ فضيلة الصلاة وشرف العبادة وفعل الخير.

٢ـ مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ .

٣ـ فضل الجهاد في سبيل الله وهو جهاد الكفار، وان لا تأخذ المؤمن في الله لومة لائم .

٤ـ فضيلة هذه الأمة المسلمة حيث أعطيت ثلاثاً[1] لم يعطها إلا نبي كان يقال للنبي عليه السلام اذهب فليس عليك حرج فقال الله لهذه الأمة : ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وكان يقال للنبي عليه السلام أنت شهيد على قومك وقال الله : ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ وكان يقال للنبي سل تعطه وقال الله لهذه الأمة : ﴿ادعوني استجب لكم﴾ دل على هذا قوله تعالى : ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ .

٥ـ فرضية الصلاة ، والزكاة ، والتمسك بالشريعة .

---

(١) ذكر هذا ابن جرير الطبري رواية عن معمر وقتادة .

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

مكية

وآياتها مائة وثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

شـــرح الكلمـــات :

قد أفلح المؤمنون : أي فاز قطعاً بالنجاة من النار ودخول الجنة المؤمنون.

في صلاتهم خاشعون : أي ساكنون متطامنون لايتلفتون بعين ولا قلب وهم بين يدي ربهم.

عن اللغو معرضون : اللغو كل ما لا رِضىً فيه لله من قول وعمل وتفكير، معرضون أي منصرفون عنه.

للزكاة فاعلون : أي مؤدون.

لفروجهم حافظون أي صائنون لها عن النظر إليها لايكشفونها وعن إتيان الفاحشة.

أو ما ملكت أيمانهم : من الجواري والسَّراري إن وجدن.

فمن ابتغى وراء ذلك : أي طلب ما دون زوجته وجاريته المملوكة شرعياً.
فأولئك هم العادون : أي الظالمون المعتدون على حدود الشرع.
راعون : أي حافظون لأماناتهم وعهودهم.
الفردوس[1] : أعلى درجة في الجنة في أعلى جنة.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[2] يخبر تعالى وهو الصادق الوعد بفلاح المؤمنين وقد بين تعالى في آية آل عمران معنى الفلاح وهو الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة ووصف هؤلاء المؤمنين المفلحين بصفات من جمعها متصفاً بها فقد ثبت له الفلاح وأصبح من الوارثين الذين يرثون الفردوس يخلدون فيها وتلك الصفات هي :

(١) الخشوع في الصلاة بأن يسكن فيها المصلي فلا يلتفت فيها برأسه ولا بطرفه ولا بقلبه مع رقة قلب ودموع عين وهذه أكمل حالات الخشوع في الصلاة، ودونها أن يطمئن ولا يتلفت برأسه ولا بعينه و لا بقلبه في أكثرها. هذه الصفة تضمنها قوله تعالى: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾[3].

(٢) إعراضهم عن اللغو وهو كل قول وعمل وفكر لم يكن فيه لله تعالى إذن به ولا رضى فيه ومعنى إعراضهم عنه: إنصرافهم عنه وعدم التفاتهم إليه، وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾.

(٣) فعلهم الزكاة أي أداؤهم لفريضة الزكاة الواجبة من أموالهم الناطقة كالمواشي والصامتة كالنقدين والحبوب والثمار، وفعلهم لكل مايزكي النفس من الصالحات وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾.

(٤) حفظ فروجهم من كشفها ومن وطء غير الزوج أو الجارية المملوكة بوجه شرعي وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ في إتيان أزواجهم وما ملكت أيمانهم، ولكن اللوم

---

(١) أخرج مسلم أن النبي ﷺ قال: (فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة).

(٢) روى أحمد والترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب قوله: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي نسمع عند وجهه كدوي النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال: لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة: (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر.

(٣) كان السلف الصالح إذا قام أحدهم في صلاته يهاب الرحمن أن يمدّ بصره إلى شيء وأن يحدث نفسه بشيء من الدنيا، وأبصر النبي ﷺ رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال: (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه) والجمهور على أن الخشوع في الصلاة أحد فرائضها.

والعقوبة على من طلب هذا المطلب من غير زوجه وجاريته ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي الظالمون المعتدون حيث تجاوزوا ما أحل الله لهم إلى ماحرم عليهم.

(٥) مراعاة الأمانات والعهود بمعنى محافظتهم على ما ائتمنوا عليه من قول أو عمل ومن ذلك سائر التكاليف الشرعية حتى الغسل من الجنابة فإنه من الأمانة وعلى عهودهم وسائر عقودهم الخاصة والعامة فلا خيانة ولا نكث ولا خُلْف وقد تضمن هذا قوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي حافظون.

(٦) المحافظة على الصلوات الخمس بأدائها في أوقاتها المحددة لها فلا يقدمونها ولا يؤخرونها مع المحافظة على شروطها من طهارة الخبث وطهارة الحدث وإتمام ركوعها وسجودها واستكمال أكثر سننها وآدابها وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾.

فهذه ست صفات إجمالاً وسبع صفات تفصيلاً فمن اتصف بها كمل إيمانه وصدق عليه اسم المؤمن وكان من المفلحين الوارثين للفردوس الأعلى جعلنا الله تعالى منهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب الخشوع في الصلاة.

٢ - تحريم نكاح المتعة لأن المتمتع بها ليست زوجة لأنها لا ترث ولا تورث بخلاف الزوجة فإنها لها الربع والثمن، ولزوجها النصف والربع، لأن نكاح المتعة هو النكاح إلى أجل معين قد يكون شهراً أو أكثر أو أقل.

٣ - تحريم العادة السريّة وهي نكاح اليد وسحاق المرأة لأن ذلك ليس بنكاح زوجة ولا جارية مملوكة.

٤ - وجوب أداء الزكاة ووجوب حفظ الأمانات ووجوب الوفاء بالعهود ووجوب المحافظة على الصلوات.

٥ - تقرير حكم التوارث بين أهل الجنة وأهل النار فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة اللهم اجعلنا من الوارثين الذين يرثون الفردوس.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن
سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا
ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

شــرح الكلمـات :

من سلالة : السلالة ما يستل من الشيء والمراد بها هنا ما استل من الطين لخلق آدم .

نطفة في قرار مكين : النطفة قطرة الماء أي المني الذي يفرزه الفحل ، والقرار المكين الرحم المصون .

العلقة : الدم المتجمد الذي يعلق بالإصبع لو حاول أحد أن يرفعه بأصبعه كمح البيض[1] .

والمضغة : قطعة لحم قدر ما يمضغ الآكل .

خلقاً آخر : أي غير تلك المضغة إذ بعد نفخ الروح فيها صارت إنساناً .

أحسن الخالقين : أي الصانعين فالله يصنع والناس يصنعون والله أحسن الصانعين .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن خلقه الإنسان آدم وذريته وفي ذلك تتجلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته والتي أوجبت عبادته وطاعته ومحبته وتعظيمه وتقديره فقال : ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾[2] يعني آدم عليه السلام ﴿من سلالة من طين﴾ أي من خلاصة طين جمعه فأصبح كالحمإ المسنون فاستل منه خلاصته ومنها خلق آدم ونفخ فيه من روحه فكان بشراً سوياً ولله الحمد والمنة

---

(١) هذه الجملة معطوفة على جملة : (قد أفلح) فهي من عطف جملة ابتدائية على مثلها : وهي كعطف قصة على أخرى، وهذا شروع في الاستدلال على التوحيد والبعث والجزاء بمظاهر القدرة والعلم والحكمة، وهي مقتضية لعقيدة كل من التوحيد والبعث الآخر حيث أنكرهما وكذّب بهما المشركون .

(٢) جائز أن يكون المراد بالإنسان آدم ، وأن يكون أحد ذريته إذ السلالة : الشيء المستل أي : المنتزع من غيره فالطينة مستلة من مادة الطين .
والمنيّ مستل كذلك من مادة ما يفرزه جهاز الهضم من الغذاء حين يصير دماً ، وهذه السلالة مخرجة من الطين لأنها من الأغذية ، والأغذية أصلها من الأرض وقوله تعالى : (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) هذا طور آخر للخلق وهو طور اختلاط السلالتين في الرحم ، وسميت النطفة نطفة : لأنها تنطف أي : تقطر في الرحم في قناة معروفة وهي القرار المكين .

قولـه: ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ أي ثم جعلنا الإنسان الذي هو ولد آدم نطفة من صُلْب آدم ﴿في قرار مكين﴾ هو رحم حواء ﴿ثم خلقنا النطفة﴾ المنحدرة من صلب ادم ﴿علقة﴾ أي قطعة دم جامدة تعلق بالإصبع لو حاول الإنسان أن يرفعها بإصبعه، ﴿ فخلقنا العلقة مضغة﴾ وهي قطعة لحم قدر مايمضغ الآكل، ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظم[1] لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾[2] أي إنساناً آخر غير آدم الأب، وهكذا خلق الله عز وجل آدم وذريته، ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾. وقد يصدق هذا على كون الإنسان هو خلاصة عناصر شتى استحالت إلى نطفة الفحل ثم استحالت إلى علقة فمضغة فنفخ فيها الروح فصارت إنساناً آخر بعد أن كانت جماداً لا روح فيها وقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فأثنى الله تعالى على نفسه بما هو أهله أي تعاظم أحسن الصانعين، إذ لا خالق إلا هو ويطلق لفظ الخلق على الصناعة فحسن التعبير بلفظ أحسن الخالقين.

وقـولـه تعـالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ أي بعد خلقنا لكم تعيشون المدة التي حددناها لكم ثم تموتون، ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ أحياء للحساب والجزاء لتحيوا حياة أبدية لايعقبها موت ولا فناء ولا بلاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته.

٢ - بيان خلق الإنسان والأطوار التي يمر بها.

٣ - بيان مآل الإنسان بعد خلقه.

٤ - تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها الملاحدة والمشركون.

---

(١) وقد أثبت علم الأجنة والتشريح أن النطفة في طورها الثاني تعلق بجدار الرحم طيلة طورها الثاني فهي بمعنى عالقة ولا منافاة بين كونها علقة وعالقة.

(٢) في الحديث الصحيح: (إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن امه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح..) الحديث فإذا نفخ فيه الروح تهيأ للحياة والنماء وإليه الإشارة بقوله تعالى: (ثم أنشأناه خلقاً آخر) وروي أن يهود يزعمون أن العزل هو الموؤدة الصغرى، وأن عليّا رد هذا وقال: لا تكون موؤودة حتى تمر عليها التارات السبع أي: الأطوار التي في هذه الآية.

وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن
طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

سبع طرائق : أي سبع سموات كل سماء يقال لها طريقة لأن بعضها مطروق فوق بعض.

ماء بقدر : أي بمقدار معين لايزيد ولا ينقص.

من طور سيناء : جبل يقال له جبل طور سيناء.

تنبت بالدهن : أي تنبت بثمر فيه الدهن وهو الزيت.

وصبغ للآكلين : أي يغمس الآكل فيه اللقمة ويأكلها.

في الأنعام لعبرة : الأنعام الإبل والبقر والغنم والعبرة فيها تحصل لمن تأمل خلقها ومنافعها.

مما في بطونها : أي من اللبن.

منافع كثيرة : كالوبر والصوف واللبن والركوب.

ومنها تأكلون : أي من لحومها.

تحملون : أي تركبون الإبل في البر وتركبون السفن في البحر.

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر نعمه[1] تعالى على الإنسان لعل هذا الإنسان يذكر فيشكر فقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق[2]﴾ أي سموات سماء فوق سماء أي طريقة فوق طريقة وطبقاً فوق طبق وقوله تعالى: ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ أي ولم نكن غافلين عن خلقنا وبذلك انتظم الكون والحياة، وإلا لخرب كل شيء وفسد وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر﴾ هو ماء المطر أي بكميات على قدر الحاجة وقوله ﴿فأسكناه في الأرض[3] وإنا على ذهاب به لقادرون ● فأنشأنا لكم به جنات﴾ أي أوجدنا لكم به بساتين من نخيل وأعناب ﴿لكم فيها﴾ أي في تلك البساتين ﴿فواكه[4] كثيرة، ومنها تأكلون﴾ أي ومن تلك الفواكه تأكلون وذكر النخيل والعنب دون غيرهما لوجودهما بين العرب فهم يعرفونهما أكثر من غيرهما فالنخيل بالمدينة والعنب بالطائف.

وقوله: ﴿وشجرة[5] تخرج من طور سيناء﴾ أي وأنبت لكم به شجرة الزيتون وهي ﴿تنبت بالدهن[6] وصبغ للآكلين﴾ فبزيتها يدهن ويؤتدم فتصبغ اللقمة به وتؤكل. وقوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ فتأملوها في خلقها وحياتها ومنافعها تعبرون بها إلى الإيمان والتوحيد والطاعة. وقوله: ﴿نسقيكم[7] مما في بطونها﴾ من ألبان تخرج من بين فرث ودم، وقوله: ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ كصوفها ووبرها ولبنها وأكل لحومها. وقوله: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ وعلى بعضها كالإبل تحملون في البر وعلى السفن في البحر. أفلا تشكرون لله هذه النعم فتذكروه وتشكروه أليست هذه النعم موجبة لشكر المنعم بها فيُعبد ويوحد في عبادته؟.

---

(١) وفي ذكر أدلة التوحيد إذ تقدم الاستدلال على التوحيد بخلق الإنسان وهذا استدلال بخلق العدالة العلوية.

(٢) الطرائق: جمع طريقة، وهي اسم للطريق تذكر وتؤنث فهل المراد بها هنا طرق الملائكة أو طرق سير الكواكب وهو سمتها وما تجري فيه أو هي السبع السموات، ومعنى طرائق: أن بعضها فوق بعض من قولهم طارق بين ثوبين جعل أحدهما فوق الثاني، ويكون المعنى طباقا وهذا هو الراجح. والله أعلم.

(٣) (أسكناه في الأرض) منه ما هو ظاهر كماء الأودية، والأنهار، ومنه ما هو باطن، وهو المياه الجوفية، وإنّ الله تعالى على ذهابه من ظاهر الأرض كباطنها قدير، ويومها تهلك البشرية، وهذه الآية كقوله: (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين).

(٤) جمع فاكهة وهي: ما يؤكل تفكّهاً بآكله أي: تلذّذا بطعمه من غير قصد القوت، وما يؤكل لأجل الطعام يقال له: طعام ولا يقال له فاكهة.

(٥) وشجرة: معطوفة على جنات أي: وأخرجنا لكم به شجرة.

(٦) الباء في (بالدهن) للمصاحبة نحو: خرج زيد بسلامة أي: مصحوباً بسلامة.

(٧) قرىء (نسقيكم) بضم النون من أسقاه، وبفتحها من سقاه كذا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان قدرة الله تعالى وعظمته في خلق السموات طرائق وعدم غفلته عن سائر خلقه فسار كل شيء لما خلق له فثبت الكون وانتظمت الحياة.

٢ - بيان إفضال الله تعالى في إنزال الماء بقدر وإسكانه في الأرض وعدم إذهابه مما يوجب الشكر لله تعالى على عباده.

٣ - بيان منافع الزيت حيث(١) هو للدهن والائتدام والإستصباح.

٤ - فضل الله على العباد في خلق الأنعام والسفن للانتفاع بالأنعام في جوانب كثيرة منها، وفي السفن للركوب عليها وحمل السلع والبضائع من إقليم إلى إقليم.

٥ - وجوب شكر الله تعالى على انعامه وذلك بالإيمان به وعبادته وتوحيده فيها.

وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

اعبدوا الله : أي وحدوه بالعبادة إذ ليس لكم من إله غيره.

أفلا تتقون : أي أتعبدون معه غيره فلا تخافون غضبه وعقابه.

الملأ : أي أعيان البلاد وكبراء القوم.

---

(١) في الآية إشارة إلى أن شجر الزيتون أول ما وجد على الأرض وُجد بطور سيناء ثم تناقله الناس من إقليم إلى آخر، فقوله (تخرج من طور سيناء) إعلام بأول منبت لها.

ما هذا إلا بشر مثلكم : أي مانوح إلا بشر مثلكم فكيف تطيعونه بقبول مايدعوكم إليه.

أن يتفضل عليكم : أي يسودكم ويصبح آمراً ناهياً بينكم.

ولو شاء الله لأنزل ملائكة : أي لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلا.

رجل به جنة : أي مصاب بمس من جنون.

فتربصوا به حتى حين : أي فلا تسمعوا له ولا تطيعوه وانتظروا به هلاكه أو شفاءه.

معنى الآيات :

هذا السياق بداية عدة قصص ذكرت على إثر قصة بدأ خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام فقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾[١] أي قبلك يارسولنا فكذبوه. كما كذبك قومك وإليك قصته إذ قال ياقوم اعبدوا الله أي وحدوه في العبادة، ولا تعبدوا معه غيره ﴿مالكم من إله غيره﴾[٢] أي إذ ليس لكم من إله غيره يتسحق عبادتكم. وقوله: ﴿أفلا تتقون﴾ أي أتعبدون معه غيره أفلا تخافون غضبه عليكم ثم عقابه لكم؟.

فأجابه قومه المشركون بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي فرد عليه قوله أشرافهم وأهل الحل والعقد فيهم من أغنياء وأعيان ممن كفروا من قومه ﴿ماهذا﴾ أي نوح ﴿إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾[٣] أي يسود ويشرف فادعى أنه رسول الله إليكم. ﴿ولو شاء الله﴾ أي أن لا نعبد معه سواه ﴿لأنزل ملائكة﴾ تخبرنا بذلك ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أي بالذي جاء به نوح ودعا إليه من ترك عبادة آلهتنا ﴿في آبائنا الأولين﴾ أي لم يقل به أحد من أجدادنا السابقين ﴿إن هو إلا رجل به جنة﴾ أي ما نوح إلا رجل به مس من جنون، وإلا لما قال هذا الذي يقول من تسفيهنا وتسفيه آبائنا ﴿فتربصوا[٤] به حتى حين﴾ أي انتظروا به أجله حتى يموت، ولا تتركوا دينكم لأجله وهنا وبعد قرون طويلة بلغت ألف سنة إلا خمسين شكا نوح إلى ربه وطلب النصر منه فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿قال ربّ انصرني[٥] بما كذبون﴾ أي أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي وانصرني عليهم.

(١) فوائد سرد القصص كثيرة منها: تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر مما يلقى من قومه، ومنها: العظة والاعتبار بما جرى من أحداث، ومنها تقرير التوحيد وإثبات النبوة المحمدية واللام في: (ولقد أرسلنا) موطئة للقسم أي: وعزّتنا لقد أرسلنا نوحاً.

(٢) قرأ الجمهور بجرّ (إله) ورفع (غيره) وقرأ بعضهم: بجر (غيره) لأنه نعت لإله المجرور بحرف الجر الزائد ورفع (غيره) هو على المحل إذ محل (إله) الرفع وإنما منع منه حرف الجر الزائد.

(٣) قولهم: هذا ناتج عن نفسياتهم المتهالكة على حب الرئاسة والشرف الموهوم.

(٤) التربص: التوقف على عمل يراد عمله، والتريث فيه لما قد يغني عنه.

(٥) (قال ربّ انصرني) هذه الجملة مسنأنفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة جواباً لسؤال مقدّر تقديره: لما كذب قومه ماذا فعل؟ والجواب: دعا عليهم: (قال ربّ انصرني).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ إثبات النبوة المحمدية بذكر أخبار الغيب التي لا تعلم إلا من طريق الوحي .

٢ ـ تقرير التوحيد بذكر دعوة الرسل أقوامهم إليه .

٣ ـ بيان سنة من سنن البشر وهي أن دعوة الحق أول من يردها الكبراء من أهل الكفر.

٤ ـ بيان كيف يرد الظالمون دعوة الحق بإتهام الدعاة بما هم براء منه كالجنون وغيره من الاتهامات كالعمالة لفلان والتملق لفلان . .

فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن
كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ
مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾
فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ
ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

فأوحينا إليه أن اصنع : أي أعلمناه بطريق سريع خفي أي اصنع الفلك .

بأعيننا ووحينا : أي بمرأى منا ومنظر، وبتعليمنا إياك صنعها .

وفار التنور : تنور الخباز فار منه الماء آية بداية الطوفان .

فاسلك فيها : أي أدخل في السفينة .

وأهلك : أولادك ونساءك .

ولاتخاطبنى في الذين ظلموا : أي لا تكلمني في شأن الظالمين فإني حكمت بإغراقهم .

وقل رب : أي وادعني قائلاً يارب أنزلني منزلاً مباركاً من الأرض .

إن في ذلك لآيات : أى لدلائل وعبر.

وإن كنا لمبتلين : أي لمختبرين.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه فقد جاء في الآيات السابقة أن نوحاً عليه السلام دعا ربه مستنصراً إياه لينصره على قومه الذين كذبوه قائلاً: ﴿رب انصرني بما[1] كذبون﴾ فاستجاب الله تعالى دعاءه فأوحى إليه أي أعلمه بطريق الوحي الخاص ﴿أن اصنع الفلك﴾ أي السفينة ﴿بأعيننا ووحينا﴾ أي بمرأى منا ومنظر وبتعليمنا إياك وجعل له علامة على بداية هلاك القوم أن يفور التنور تنور طبخ الخبز بالماء وأمره إذا راى تلك العلامة أن يدخل في السفينةمن كل زوج أي ذكر وانثى اثنين من سائر الحيوانات التي أمكنه ذلك منه وأن يركب فيها أيضاً أهله من زوجة وولد إلا من قضى الله بهلاكه ونهاه أن يكلمه في شأن الظالمين لأنهم مغرقون قطعاً. هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٧) ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا﴾ أي بإهلاك الظالمين المشركين ﴿وفار التنور، فاسلك فيها﴾ أي في السفينة ﴿من كل زوجين[2] اثنين،[3] وأهلك﴾ أي أزواجك وأولادك ﴿ إلا من سبق عليه القول منهم﴾ أي بإهلاكهم كامرأته، ﴿ولا تخاطبني في الذين[4] ظلموا﴾ أي لا تسألني عنهم فإني مهلكهم.

وقوله تعالى: ﴿فإذا استويت[5] أنت ومن معك على الفلك﴾ أي إذا ركبت واستقررْت على متن السفينة أنت ومن معك من المؤمنين فاحمدنا فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين[6] وادعنا ضارعاً إلينا قائلاً ﴿رب أنزلني منزلاً مباركاً[7]﴾ أي من الأرض، وَأَثْنِ علينا

---

(١) الباء سببية في موضع الحال من النصر المأخوذ من فعل الدعاء، وجملة (أن اصنع) جملة مفسرة لجملة: (أوحينا) لأنّ الوحي فيه معنى القول دون حروفه، فأن تفسيرية قطعاً.

(٢) الزوج: اسم لكل شيء له شيء آخر متصل به بحيث يجعله شفعا في حالة ما، والمراد به هنا: أزواج الحيوانات لحفظ نوعها حتى لا تنقرض بالطوفان.

(٣) قرأ حفص (من كلٍّ) بتنوين كل، وقرأ نافع وغيره بلا تنوين أي: بإضافة اثنين إلى كل، وتنوين كل تنوين عوض أي: من كل ما أمرتك أن تحمله في السفينة.

(٤) اي: في شأنهم فإنهم قد قضى بإهلاكهم ولا رادّ لقضائه تعالى.

(٥) استويت: أي علوت فوقها واستقررت فيها، وحرف الجر (على) مؤذن بالاستقرار والتمكن منه.

(٦) الظالمين: أي المشركين، لأنّ الظلم هو الشرك، والتنجية: الإنجاء من شرهم وأذاهم وشركهم وكفرهم.

(٧) المنزل بضم الميم: وفتح الزاي: مصدر الذي هو الإنزال، وبفتح الميم وكسر الزاي هو مكان النزول أي: أنزلني موضعاً مباركاً، والمنزل بفتح الميم والزاي معاً: مصدر نزل نزولا ومنزلاً.

خيراً فقل ﴿وأنت خير المنزلين﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي المذكور من قصة نوح لدلائل على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته ووجوب الإيمان به وتوحيده في عبادته. وقوله: ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ أي مختبرين عبادنا بالخير والشر ليرى الكافر من المؤمن، والمطيع من العاصي ويتم الجزاء حسب ذلك إظهاراً للعدالة الإلهية والرحمة الربانية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - إثبات الوحي الإلهي وتقرير النبوة المحمدية.

٢ - تقرير حادثة الطوفان المعروفة لدى المؤرخين.

٣ - بيان عاقبة الظلم وأنه هلاك الظالمين.

٤ - سنية قول بسم الله والحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون عند ركوب الدابة أو السفينة ونحوها كالسيارة والطيارة.

٥ - استحباب الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه من خير الدنيا.

٦ - بيان سر ذكر قصة نوح وهو ما فيها من العظات والعبر.

ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ

(١) في الآية تعليم للمؤمنين إذا ركبوا أو نزلوا أن يدعوا بهذا الدعاء بل حتى إذا دخلوا بيوتهم وسلموا فقد كان عليّ رضي الله عنه إذا دخل المسجد دعا بهذا الدعاء: ربّ أنزلني . .) الخ.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

(٣٤) (before first verse)

شــرح الكلمـات:

ثم أنشأنا من بعدهم قَرْناً آخرين : أي خلقنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم عاد قوم هود.

رسولاً منهم : هو هود عليه السلام.

أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره : أي قولوا لا إله إلا الله فاعبدوا الله وحده.

وأترفناهم : أي أنعمنا عليهم بالمال وسعة العيش.

أنكم مخرجون : أي أحياء من قبوركم بعد موتكم.

هيهات هيهات : أي بَعُدَ بُعْداً كبيراً وقوعُ مايعدكم.

إن هي إلا حياتنا الدنيا : أي ماهي إلا حياتنا الدنيا وليس وراءها حياة أخرى.

إن هو إلا رجل : أي ماهو إلا رجلٌ افترى على الله كذباً أي كذب على الله تعالى.

معنى الآيات:

هذه بداية قصة هود عليه السلام بعدِ قصة نوح عليه السلام أيضاً فقال تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي خلقنا وأوجدنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم[1] عاد قوم هود ﴿فأرسلنا فيهم[2] رسولاً منهم﴾ هو هود عليه السلام بأن قال لهم: ﴿أن اعبدوا الله ما

(١) وقيل هم قوم صالح بقرينة قوله تعالى: (فأخذتهم الصيحة) وهي التي أهلك الله تعالى بها ثمود قوم صالح إذ قال تعالى: (فأخذتهم الصيحة مصبحين) من سورة الحجر. ورشح هذا لأنّ فيها العبرة أكثر لوجود آثارهم في ديارهم شمال الحجاز إلاّ أن ذكر عاد بعد قوم نوح هو الوارد في كل قصص القرآن وبترجيح الزمان إذ عاد أوّل أمّة أهلكت بعد قوم نوح. والله أعلم.

(٢) قوله: (فيهم) بدل إليهم: لأن هوداً أو صالحاً كان المرسل من أهل البلاد وفرداً من أفرادهم فلا يحسن أن يقال: إلى إلاّ إذا كان خارجاً عنهم ليس من أفرادهم، وذلك كما في أهل سدوم، ونينوي والقبط فجاء التعبير بإلى نحو: (إلى فرعون وملئه).

لكم من إله غيره﴾ أي اعبدوا الله بطاعته وإفراده بالعبادة إذ لا يوجد لكم إله غير الله تصح عبادته إذ الخالق لكم الرازق الله وحده فغيره لايستحق العبادة بحال من الأحوال وقوله: ﴿أفلا تتقون﴾ يحثهم على الخوف من الله ويأمرهم به قبل أن تنزل بهم عقوبته.

وقوله تعالى: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا﴾ أي وقال أعيان البلاد وأشرافها من قوم هود ممن كفروا بالله ورسوله وكذبوا بالبعث والجزاء في الدار الآخرة وقد أترفهم[1] الله تعالى: بالمال وسعة الرزق فأسرفوا في الملاذ والشهوات: قالوا: وماذا قالوا؟: قالوا ما أخبرنا تعالى به عنهم بقوله: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي ماهذا الرسول إلا بشر مثلكم ﴿يأكل مما تأكلون منه﴾ من أنواع الطعام ﴿ويشرب مما تشربون﴾ من ألوان الشراب[2] أي فلا فرق بينكم وبينه فكيف ترضون بسيادته عليكم يأمركم وينهاكم. وقالو: ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون﴾ أي خاسرون حياتكم ومكانتكم، وقالوا ﴿أيعدكم[3] أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاماً﴾ أي فنيتم وصرتم تراباً ﴿أنكم مُخْرِجون﴾ أي أحياء من قبوركم. وقالوا: ﴿هيهات هيهات[4]﴾ أي بَعُد بُعْداً كبيراً مايعدكم به هود إنما ما ﴿هي إلا حياتنا الدنيا﴾ أي ﴿نموت ونحيا﴾[5] جيل يموت وجيل يحيا ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ وقالوا: ﴿إن هو إلا رجل افترى[6] على الله كذباً﴾ أي اختلق الكذب على الله وقال عنه أنه يبعثكم ويحاسبكم ويجزيكم بكسبكم. ﴿وقالوا ما نحن بمبعوثين﴾ هذه مقالتهم ذكرها تعالى عنهم وهي مصرحة بكفرهم وتكذيبهم وإلحادهم وما سيقوله هود عليه السلام سيأتي في الآيات بعد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل، وماتبتديء به دعوتهم وهو لا إله إلا الله.

---

(١) أي: وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا، وصاروا يؤثون بالترفة وهي كالتحفة، يقال: أترفه المال: إذا أبطره وأفسده.

(٢) في قولهم: يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون. هذه الجملة وإن كانت تعليلا لبشرية الرسول فإنها دالة على أنهم حقاً مترفون منعّمون في ملاذ الأكل والشرب كأنّه لا هم لهم إلا ذاك، كما قيل: من أحب شيئاً أكثر من ذكره كما هي مجالس المترفين اليوم جل أحاديثهم حول الأكل والشرب ونحوهما.

(٣) الاستفهام للتعجيب، والكلام انتقال من تكذيبهم بكونه رسولاً إليهم إلى التكذيب بما أرسل به من الدين الحق.

(٤) الجمهور من النّحاة واللغويين: أن هيهات اسم فعل ماضٍ بمعنى بَعُدَ وهي مبنية على الفتح والكسر أيضاً ولا تُقال إلاّ مكررة، قال الشاعر:

فهيهات هيهات العقيق وأهله هيهات خلّ بالعقيق نواصله

(٥) إن قيل: كيف قالوا: نموت ونحيا وهم منكرون للبعث؟ قيل في الجواب: إما أن يكون مرادهم نكون نطفاً ميتة ثم نحيا، وإما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي: نحيا فيها ونموت نحو (واسجدي واركعي) وإما بموت الآباء وحياة الأبناء.

(٦) الافتراء: الكذب الذي لا شبهة فيه للمخبر، وهو الاختلاق.

٢ ـ أهل الكفر لايصدر عنهم إلا ماهو شر وباطل لفساد قلوبهم.
٣ ـ الترف يسبب كثيراً من المفاسد والشرور، ولهذا يجب أن يُحْذَرْ بالاقتصاد.
٤ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثباتها وهي ما ينكره الملاحدة هروباً من الاستقامة.
٥ ـ تُكأة عامة المشركين وهي كيف يكون الرسول رجلاً من البشر، دفعاً للحق وعدم قبوله.

قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾
مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

شـرح الكلمات:

عما قليل : أي عن قليل من الزمن.
ليصبحن نادمين : ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم.
فأخذتهم الصيحة : أي صيحة العذاب والهلاك.
فجعلناهم غثاء : كغثاء السيل وهو مايجمعه الوادي من العيدان والنبات اليابس.
فبعداً : أي هلاكاً لهم.
ثم أنشأنا : أي أوجدنا من بعدهم أهل قرون آخرين كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب.
تترا : أي يتبع بعضها بعضاً الواحدة عقب الأخرى.
وجعلناهم أحاديث : أي أهلكناهم وتركناهم قصصاً تقص وأخباراً تتناقل.

معنى الآيات :

هذا ما قال هود* عليه السلام بعد الذي ذكر تعالى من أقوال قومه الكافرين ﴿قال رب﴾ أي يارب ﴿انصرني بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم لي وردهم دعوتي وإصرارهم على الكفر بك وعبادة غيرك فأجابه الرب تبارك وتعالى بقوله : ﴿عما قليل ليصبحن نادمين﴾ أي بعد قليل من الوقت وعزتنا وجلالنا ليصبحن نادمين أي ليصيرن نادمين على كفرهم بي وإشراكهم في عبادتي وتكذيبهم إياك ولم يمض إلا قليل زمن حتى أخذتهم الصيحة صيحة الهلاك ضمن ريح صرصر في أيام نحسات فإذا هم غثاء كغثاء السيل لا حياة فيهم ولا فائدة ترجى منهم ﴿ فبعداً للقوم الظالمين﴾ أي هلاكاً للظالمين بالشرك والتكذيب والمعاصي وقوله تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين(٢)﴾ أي ثم أوجدنا بعد إهلاكنا عاداً أهل قرون آخرين كقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب. وقوله تعالى: ﴿وماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ أي ان كل أمة حكمنا بهلاكها لا يمكنها أن تسبق أجلها أي وقتها المحدود لها فتتقدمه كما لايمكنها أن تتأخر عنه بحال.

وقوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا(٣)﴾ أي يتبع بعضها بعضاً ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً﴾ أي في الهلاك فكلما كذبت أمة رسولها ورفضت التوبة إلى الله والإنابة إليه أهلكها،وقوله تعالى ﴿وجعلناهم أحاديث(٤)﴾أي لمن بعدهم يذكرون أحوالهم ويروون أخبارهم ﴿فبعداً﴾ أي هلاكاً منا ﴿لقوم لايؤمنون﴾ في هذا تهديد قوي لقريش المصرة على الشرك والتكذيب والعناد. وقد مضت فيهم سنة الله فأهلك المجرمين منها.

---

* دَرَج الجمهور من المفسرين على أن القصص المذكور هنا كما هو في سائر السور هو قصص هود عليه السلام، وذهب ابن جرير وبعضٌ آخر إلى أنه قصة صالح لقرينة (فأخذتهم الصيحة) وقال الجمهور: يمكن أن تكون الصيحة ضمن عواصف الريح العقيم التي أرسلها تعالى على عاد قوم هود فأخذتهم فهلكوا بها والرياح عصفت بهم فمزقت وشتتت شملهم وتركتهم كأعجاز نخل خاوية ثم تفتتوا وصاروا كالغثاء وهذا الجمع أحسن.

(١) في الكلام حذف اقتضاه الإيجاز غير المخل وهو: فكذبوا أنبياءهم فأهلكناهم ثم أنشأنا.

(٢) من في قوله (من أمة) صلة زيدت لتقوية النفي وتوكيده ، والأصل ماتسبق أمّة.

(٣) (تترى) على وزن فعلى كدعوى وسلوى، والألف فيه للتأنيث، وأصله وترى من الوتر، الذي هو الفرد أبدلت الواو تاء كما أبدلت في تراث من الورث، وتجاه من الوجه، ولا يقال: تترى إلا إذا كان هناك تعاقب وانقطاع، وقرىء منوناً تترىً، وهو منصوب على الحال في القراءتين معاً.

(٤) جمع أحدوثة وهو ما يتحدّث به كأعاجيب جمع أعجوبة، وهي ما يتعجّب منه، ومثل هذا التعبير: أحاديث: لا يقال في الخير وإنما يقال في الشر لا غير لقوله تعالى: (فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كلّ ممزّق) وقد يقال في الخير إذا كان مقيّداً بذكره نحو قول ابن دريد:

إنما المرء حديث بعده   فكن حديثاً حسنا لمن وعى

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - استجابة الله دعوة المظلومين من عباده لاسيما إن كانوا عباداً صالحين.

٢ - الآجال للأفراد أو الأمم لاتتقدم ولا تتأخر سنة من سنن الله تعالى في خلقه.

٣ - تقرير حقيقة تاريخية علمية وهي أن الأمم السابقة كلها هلكت بتكذيبها وكفرها ولم ينج منها عند نزول العذاب بها إلا المؤمنون مع رسولهم.

٤ - كرامة هذه الأمة المحمدية أن الله تعالى لايهلكها هلاكاً عاماً بل تبقى بقاء الحياة تقوم بها الحجة لله تعالى على الأمم والشعوب المعاصرة لها طيلة الحياة.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾

شـرح الكلمـات :

بآياتنا وسلطان مبين : الآيات هي التسع الآيات وهي الحجة والسلطان المبين.

وكانوا قوماً عالين : أي علوا أهل تلك البلاد قهراً واستبداداً وتحكمًا.

وقومهما لنا عابدون : أي مطيعون ذليلون نستخدمهم فيما نشاء وكيف نشاء.

ولقد آتينا موسى الكتاب : أي التوارة.

وجعلنا ابن مريم : أي عيسى حجة وبرهاناً على وجود الله وقدرته وعلّمه ووجوب توحيده.

إلى ربوة ذات قرار ومعين : إلى مكان مرتفع ذي استقرار وفيه ماء جار عذب وفواكه وخضر.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر نبذ من قصص الأولين للعظة والاعتبار، ولإقامة الحجة على مشركي قريش فقال تعالى: ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ أي بعد تلك الأمم الخالية أرسلنا موسى بن عمران وأخاه هارون بسلطان مبين أي بحجج وبراهين بينة دالة على صدق موسى ومايدعو إليه من عبادة الله وتوحيده فيها والخروج ببني إسرائيل إلى الأرض المباركة أرض الشام إلى فرعون ملك مصر يومئذ وملئه من أشراف قومه وعليتهم فاستكبروا عن قبول دعوة الحق وكانوا عالين على أهل تلك البلاد قاهرين لها مستبدين بها وقالوا رداً على دعوة موسى وهارون ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ أي خاضعون مطيعون. هكذا أعلنوا متعجبين من دعوة موسى وهارون إلى الإيمان برسالتهما فقالوا: أنؤمن لبشر من مثلنا أي كيف يكون هذا أنتبع رجلين مثلنا فنصبح نأتمر بأمرهما وننتهي بنهيهما وكيف يتم ذلك وقومهما يعنون بني إسرائيل لنا عابدون. أي خاضعون لنا ومطيعون لأمرنا ونهينا. قال تعالى: ﴿فكذبوهما﴾، فيما دعواهما إليه من الإيمان والتوحيد وإرسال بني إسرائيل معهما إلى أرض الميعاد فترتب على تكذيبهم لرسولي الله موسى وهارون هلاكهم فكانوا من المهلكين حيث أغرقهم الله أجمعين، وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى[1] الكتاب لعلهم يهتدون﴾، ويخبر تعالى أنه بعد إهلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل آتى موسى التوراة من أجل هداية بني إسرائيل عليها لأنها تحمل النور والهدى. هذه أيادي الله على خلقه وآياته فيهم فسبحانه من إله عزيز رحيم.

وقوله تعالى : ﴿وجعلنا ابن مريم[2] وأمه﴾ أي جعل عيسى ووالدته مريم ﴿آية﴾ حيث خلق عيسى من غير أب فهي آية دالة على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته وهذه موجبة الإيمان به وعبادته وتوحيده والتوكل عليه والإنابة والتوبة إليه. وقوله تعالى: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين[3]﴾ أي أنزلنا مريم وولدها بعد اضطهاد اليهود لهما ربوة[4] عالية صالحة للإستقرار عليها بها فاكهة وماء عذب جار إكرام الله تعالى له ولوالدته فسبحان المنعم على عباده المكرم لأوليائه.

---

(١) خصّ موسى بإيتائه الكتاب دون هارون لأنّ هارون يوم إعطاء موسى الكتاب (التوراة) كان مع قومه، وموسى كان وحده في الطور للمناجاة.

(٢) أدمج أمّه في الذكر لتسفيه اليهود في قولهم في مريم بهتانا عظيما.

(٣) الربوة: المكان المرتفع من الأرض، وهي مثلثة الراء تضم وتفتح وتكسر، وهي بفلسطين أو مدينة الرملة وهي من أرض فلسطين.

(٤) المعين: هو الماء الجاري على ظهر الأرض ظاهر للعيون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير نبوة كل من موسى وأخيه هارون عليهما السلام.

٢ - التنديد بالإستكبار، وأنه علة مانعة من قبول الحق.

٣ - مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته في إرسال الرسل بالآيات وفي إهلاك المكذبين.

٤ - آية ولادة عيسى من غير أب مقررة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وبعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾

شـرح الكلمـات :

كلوا من الطيبات : أي من الحلال.

واعلموا صالحاً : أي بأداء الفرائض وكثير من النوافل.

وإن هذه أمتكم : أي ملتكم الإسلامية.

فاتقون : أي بامتثال أمري واجتناب نهيي.

فتقطعوا أمرهم : أي اختلفوا في دينهم فأصبحوا طوائف هذه يهودية وتلك نصرانية.

في غمرتهم : أي في ضلالتهم.

نسارع لهم : أي نعجل.

بل لا يشعرون : أن ذلك استدارج منا لهم.

معنى الآيات :

بعد أن أكرم الله تعالى عيسى وَوالدته بما أكرمهما به من إيوائهما إلى ربوة ذات قرار ومعين

خاطب[1] عيسى عبده ورسوله قائلاً: ﴿يا أيها الرسل كلوامن الطيبات﴾ أي الحلال فكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه إذ كانت تغزل الصوف بأجرة فكانا يأكلان من ذلك أكلامن الطيب كما أمرهما الله تعالى وقوله :﴿واعملوا صالحاً﴾ كلوا من الحلال واعملوا صالحاً بأداء الفرائض والإكثار من النوافل، وقوله: ﴿إني بما تعملون عليم﴾ فيه وعد بأن الله تعالى سيثيبهم على مايعلمون من الصالحات. وقوله: ﴿وأن[2] هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ أعلمهم أن ملتهم وهي الدين الإسلامي دين واحد فلا ينبغي الاختلاف فيه واعلمهم أيضاً أنه ربهم أي مالك أمرهم والحاكم عليهم فليبتغوه بفعل ما أمرهم به وترك مانهاهم عنه، لينجوا من عذابه ويظفروا برحمته ودخول جنته.

وقوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم[3]﴾ أي دينهم ﴿زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أي فرقوا دينهم فرقاً فذهبت كل فرقة بقطعة منه وقسموا الكتاب إلى كتب فهذه يهودية وهذه نصرانية واليهودية فرق والنصرانية فرق والإنجيل أصبح أناجيل متعددة وصارت كل جماعة فرحة بما عندها مسرورة به لا ترى الحق إلا فيه.. ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ وهنا أمر الله رسوله أن يتركهم في غمرة ضلالتهم إلى حين أن يتنزل بهم ما قضى به الرب تعالى على أهل الاختلاف في دينه ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾ إذ قال له في سورة الأنعام ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ وفيه من التهديد ما فيه. وهذا الذي نعاه تعالى على تلك الأمم قد وقعت فيه أمة الإسلام فاختلفوا في دينهم مذاهب وطرقاً عديدة، وياللأسف وقد حلت بهم المحن ونزل بهم البلاء نتيجة ذلك الخلاف. وقوله : ﴿أيحسبون أنما نمدهم[4] به من مال

---

(١) اختلف في هذا الخطاب هل هو لعيسى عليه السلام نظراً لسياق الحديث أو هو لمحمد ﷺ أو هو عام لكل الرسل، أي: ما من رسول إلا وأمره بما في هذا السياق، وأمّة كل رسول تابعة له، وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في مثل هذا فلا داعي إلى الترجيح وعدمه ويشهد للعموم قوله ﷺ في الصحيح: (يا أيها الناس إنّ الله طيّب لا يقبل إلّا طيبا، وإن الله أمر المرسلين بما أمر به المؤمنين فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك) والشاهد في قوله ﷺ (بما أمر به المرسلين).

(٢) قرىء: (وانّ) بكسر إن على القطع أي: الابتداء وعلى تقدير قول أو قلنا لهم: (إن هذه).. الخ وقرىء بفتحها، وهي قراءة الأكثرين على تقديرواعلموا (أن هذه أمتكم).. الخ.

(٣) كأن هذه الآية تنظر إلى قوله ﷺ: (ألا إن أهل الكتاب قبلكم افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة) الحديث أخرجه أبو داود ورواه الترمذي وزاد: (قالوا: ومن هي يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) وقوله: (ملة) فيه دليل على أنّ الاختلاف في الفروع غير مقصود وإنما المقصود هو ما كان في أصول الدين وقواعده.

(٤) (إنما): ما: موصولة بمعنى الذي أي: أيحسبون يا رسولنا إن الذي نعطيهم في الدنيا من مال وولد هو ثواب لهم على شركهم وكفرهم إنما هو استدراج وإملاء ليس إسراعاً في الخيرات واختلف في خبر إنّ فقيل: إنه محذوف وتقدير الكلام: إنما نسارع لهم به في الخيرات، والاستفهام في أيحسبون: إنكاري.

وبنين﴾ مع اختلافهم وانحرافهم مسارعة لهم منا في الخيرات[1] لا بل ذلك استدراج لهم ليهلكوا ولكنهم لايشعرون بذلك. لشدة غفلتهم واستيلاء غمرة الضلالة عليهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب الأكل من الحلال، ووجوب الشكر بالطاعة لله ورسوله.

٢ - الإسلام دين البشرية جمعاء ولا يحل الاختلاف فيه بل يجب التمسك به وترك ما سواه.

٣ - حرمة الاختلاف في الدين وأنه سبب الكوارث والفتن والمحن.

٤ - إذا انحرفت الأمة عن دين الله، ثم رزقت المال وسعة العيش كان ذلك استدراجاً لها، ولم يكن إكراماً من الله لها دالاً على رضى ربها عنها بل ما هو إلا فتنة ليس غير.

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

شـرح الكلمـات:

مشفقون : أي خائفون.

لايشركون : أي بعبادته أحداً.

يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة : أي خائفون أن لايقبل منهم ذلك.

أنهم إلى ربهم راجعون : أي لأنهم إلى ربهم راجعون فيحاسبهم ويسألهم ويجزيهم.

وهم لها سابقون : أي بإذن الله وفي علمه.

ولا نكلف نفساً إلاّ وسعها : إلا طاقتها وما تقدر عليه.

ولدينا كتاب ينطق بالحق : وهو ما كتبه الكرام الكاتبون فإنه ناطق بالحق.

وهم لا يظلمون : أي بنقض حسنة من حسناتهم ولا بزيادة سيئة على سيآتهم.

(١) الخيرات: جمع خير وهو من الجموع النادرة مثل: سرادقات جمع سرادق.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال الذين فرقوا دينهم فذهبت كل فرقة منهم بكتاب ومذهب ولقب ونعى عليهم ذلـك التفرق وأمر رسوله أن يتركهم في غمرة خلافاتهم و يدعهم إلى حين يلقون جزاءهم عاجلاً أو آجلاً: أثنى تبارك وتعالى على عباده المؤمنين من أهل الخشية، فقال وقوله الحق: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي من عذابه خائفون من الوقوف بين يديه فهذه صفة لهم وآخرى ﴿والذين هم بآيات ربهم يومنون﴾ أي بحجج الله تعالى التي تضمنتهـا آياته يؤمنون أي يوقنون وثالثة: ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ أى فى ذاته ولا صفاته ولا عباداته فيعبدونه بما شرع لهم موحدينه في ذلك ورابعة: ﴿والذين[1] يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم[2] راجعون﴾. أي يؤتون[3] الزكاة وسائر الحقوق والواجبات وقلوبهم خائفة من ربهم أن يكونوا قد قصروا فيما أوجب عليهم وخائفة أن لايقبل منهم عملهم، وذلـك ناجم لهم من قوة إيمانهم برجـوعهم إلى ربهم ووقوفهم بين يديه ومساءلته لهم: لم قدمت؟ لم أخرت؟ وقوله تعالى: ﴿أولئك يسارعون[4] في الخيرات وهم لها سابقون﴾ في هذا بشرى لهم إذ أخبر تعالى أنهم يسارعون في الخيرات، وأنهم سبق ذلك لهم في الأزل فهنيئاً لهم. وقوله تعالى: ﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ فيه قبول عذر من بذل جهده في المسارعة في الخيرات ولم يلحق بغيره أعذره ربه فإنه لا خوف عليه مادام قد بذل جهده إذ هو تعالى ﴿لا يكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي طاقتها وما يتسع له جهده.

وقوله: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لايظلمون﴾ فيه وعدٌ لأولئك المسارعين بالخيرات بأنَّ أعمالهم مكتوبة لهم في كتاب ينطق بالحق لايخفى حسنة من حسناتهم ويستوفونها كاملة وفيه وعيد لأهل الشرك المعاصي بأنَّ أعمالهم محصاة عليهم قد ضمها كتاب صادق وسوف يجزون بها وهم لايظلمون فلا تكتب عليهم سيئة لم يعملوها قط ولا يجزون إلاَّ بما كانوا يكسبون.

---

(١) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولائك الذين يسارعون في الخيرات).

(٢) أي: لأنهم: أو من أجل أنهم إلى ربّهم راجعون. وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبرة بما يختم به للعبد، وفي البخاري: (وإنما الأعمال بالخواتيم).

(٣) قرىء: (يأتون) من الإتيان، ولا يختلف المعنى إذ هم يأتون الأعمال الصالحة ويفعلونها، وقلوبهم خائفة. كما يعطون ما يعطون من الزكاة والنفقات وقلوبهم وجلة أو يعطون الملائكة أعمالهم التي يكتبونها وقلوبهم وجلة.

(٤) (يسارعون في الخيرات) أي: في الطاعات كي ينالوا بها أعلى الدرجات والغرفات ولم يقل يسارعون إلى الخيرات إذ هم في الخيرات لم يخرجوا من دائرتها أبداً فهم فيها يسارعون. في الآية إشارة إلى أن الصلاة في أول وقتها أفضل، وهكذا السبق في كل خير قبل الغير خير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - فضيلة الخشية والإيمان والتوحيد والتواضع والمراقبة لله تعالى.

٢ - بشرى الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى.

٣ - تقرير قاعدة رفع الحرج في الدين.

٤ - تقرير كتابة أعمال العباد وإحصاء أعمالهم ومجازاتهم العدالة.

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

في غمرة من هذا : أي جهالة من القرآن وعمى.

ولهم أعمال من دون ذلك : أي من دون أعمال المؤمنين التي هي الخشية والإيمان بالآيات والتوحيد والمراقبة.

هم لها عاملون : أي سيعملونها لتكون سبب نهايتهم حيث يأخذهم الله تعالى بها.

إذا هم يجأرون : أي يصرخون بأعلى أصواتهم ضاجينّ مستغيثين ممّا حلَّ بهم من العذاب.

تنكصون : أي ترجعون على أعقابكم كراهة سماع القرآن.

مستكبرين به : أي بالحرم أي كانوا يقولون: لايظهر علينا فيه أحد لأنّا أهل الحرم.

سامراً تهجرون : أي تسمرون بالحرم ليلا هاجرين الحق وسماعه على قراءة فتح التاء وعلى قراءة ضمها تهجرون أي تقولوا الهجر من القول كالفحش والقبح.

رسولهم : أي محمداً ﷺ.

به جنّة : أي مجنون.

معنى الآيات :

﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ أي ليس الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون أنّا نمدهم بالمال مسارعة منا لهم في الخيرات لرضانا عنهم لا بل إن قلوبهم في غمرة وعمى من القرآن، ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾[1] أي دون عمل المؤمنين. ﴿هم لها عاملون﴾ حتى تنتهي بمترفيهم إلى هلاكهم ودمارهم وقوله تعالى: ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون﴾ أي استمرت الأعمال الشركية الإجرامية حتى أخذ الله تعالى مترفيهم في بدر بعذاب القتل والأسر ﴿إذا هم يجأرون﴾[2] يضجون بالصراخ مستغيثين، والله تعالى يقول لهم: ﴿لاتجأروا اليوم إنكم منا لاتنصرون﴾ وذكر تعالى لهم ما كانوا عليه من التكذيب والاستكبار وقول الهجر موبخاً إياهم ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾[3] هروباً من سماعها حال كونكم ﴿مستكبرين به﴾ أي بالحرم زاعمين أنكم أهل الحرم، وأن أحداً لا يظهر عليكم فيه لأنكم أهله وقوله: ﴿سامراً[4] تهجرون﴾ أي تسمرون بالليل تهجرون بذلك سماع الحق ودعوة الحق التي تُتلى بها عليكم آيات الله. وقد قرىء

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون ذلك أي: دون الشرك من كبائر الذنوب هم عاملوها لا محالة إذ كتبت عليهم ليدخلوا بها النار، وما كان دون عمل المؤمنين قطعاً هو الشرك والمعاصي، فلا منافاة بين ما في التفسير وما روي عن ابن عباس.

(٢) الجؤار: كالخوار يقال: خار الثور يخار: إذا صاح، وجأر الرجل بالدعاء: تضرع به، قال قتادة: يصرخون بالتوبة فلا تقبل منهم، وجأروا كذلك يوم أصابهم القحط والجدب فجاعوا حتى كادوا يهلكون بدعوة الرسول ﷺ.

(٣) (تنكصون) : ترجعون وراءكم، وأصله الرجوع إلى الوراء القهقري. قال الشاعر:

زعموا أنهم على سبل النجا ة وإنما نكصوا على الأعقاب

(٤) سامراً معناه سمّاراً أي: جماعة تتحدّثون بالليل، والسمر مأخوذ من السّمر الذي هو ظل القمر، ومنه سمرة اللون وكانوا يتحدثون حول الكعبة في سمرة القمر فسمي التحدّث به، وقرى (سُمّاراً) جمع سامر. يقال: جاء من السامر يريد: من القوم الذين يسمرون، وفي الحديث: كراهة النوم قبل العشاء، والحديث أي السمر بعدها، وروي أن عمر رضي الله عنه كان يضرب الناس على الحديث بعد العشاء ويقول: أسمراً أول الليل ونوماً آخره؟!!

تُهجرون بضم التاء وكسر الجيم أي تقولون أثناء سمركم في الليل الهجر من القول كالكفر وقول الفحش وما لا خير فيه من الكلام، وكانوا كذلك.

وقوله تعالى: ﴿أفلم يدبروا القول﴾[1] الذي يسمعونه من نبينا محمد ﷺ فيعرفوا أنه حق وخير وأنه فيه صلاحهم ﴿أم جاءهم﴾[2] من الدين والشرع ﴿ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ فقدجاءت رسل ونزلت كتب وهم يعرفون ذلك. أم لم يعرفوا رسولهم محمداً ﷺ فهم لهم منكرون إنهم يعرفونه بصدقه وطهارته وكماله منذ نشأته وصباه إلى يوم أن دعاهم إلى الله ﴿أم يقولون به جنة﴾ أي جنون وأين الجنون من رجل ينطق بالحكمة ويعمل بها ويدعوا إليها ﴿بل جاءهم بالحق وأكثرهم[3] للحق كارهون﴾، وهذا هو سرُّ إعراضهم واستكبارهم - إنه كراهيتهم للحق لطول ما ألفوا الباطل وعاشوا عليه، وهذه سنة البشر في كل زمان ومكان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - غمرة الجهل والتعصب وعمى التقليد هي سبب إعراض الناس عن الحق ومعارضتهم له.

٢ - لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب أو نزوله.

٣ - بيان الذنوب التي أخذ بها مترفو مكة ببدر وهي هروبهم من سماع القرآن ونكوصهم عند سماعه على أعقابهم حتى لايسمعوه واستكبارهم بالحرم واعتزازهم به جهلاً وضلالا واجتماعهم في الليالي الطوال يسمرون على اللهو وقول الباطل هاجرين سماع القرآن وما يدعو إليه من هدى وخير.

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

---

(١) وقيل: القول: القرآن: وسمي قولاً لأنهم خوطبوا به، والاستفهام إنكاري يحمل التقريع والتأنيب.

(٢) (أم جاءهم) الخ.. أي: فأنكروه وأعرضوا عنه. وقيل: أم بمعنى بل الانتقالية بل جاءهم مالا عهد لآبائهم به فلذا أنكروه وتركوا التديُّن به، والفاء في: أفلم يدّبروا: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع عما سبقه، والتدبر معناه إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله النظر في دبر الأمر أي: فيما لا يظهر منه للمتأمل باديء ذي بدء.

(٣) في قوله ﴿بل أكثرهم﴾ احتراس عرف في القرآن حتى لا ينقض ببعض الأفراد وهو من اعجاز القرآن وبالغ كماله في البلاغة والبيان.

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾
۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات:

لو اتبع الحق أهواءهم : أي ما يهوونه ويشتهونه.

أتيناهم بذكرهم : أي بالقرآن العظيم الذي فيه ذكرهم فيه يذكرون ويُذكرون.

أم تسألهم خرجاً : أي مالاً مقابل إبلاغك لهم دعوة ربهم.

فخراج ربك خير : أي مايرزقكه الله خير وهو خير الرازقين.

إلى صراط مستقيم : أي إلى الإسلام.

عن الصراط لناكبون : أي عن الإسلام أي متنكبونه جاعلوه على منكب أي جانب عادلون عنه.

للجوا في طغيانهم يعمهون : لتمادوا في طغيانهم مصرين عليه.

فما استكانوا : أي ماذلوا ولا خضعوا.

إذا هم فيه مبلسون : أي آيسون قنطون.

معنى الآيات[1]:

مازال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقوله تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ هذا كلام مستأنف لبيان حقائق أخرى منها أن هؤلاء المشركين لو اتبع الحقُّ النازل من عند الله والذي يمثله القرآن أهواءهم أي مايهوونه ويشتهونه فكان يوافقهم عليه لأدى ذلك إلى

(١) اختلف في المراد بالحق فقيل: هو الله تعالى قاله مجاهد وغيره، وقيل معناه ولو اتبع صاحب الحق، وقيل: هو مجاز أي: لو وافق الحق أهواءهم فجعل موافقته اتباعاً، وما في التفسير أظهر، وقد استظهره ابن جرير الطبري.

فساد الكون كله علويه وسفليه[١]، وذلك لأنهم أهل باطل لايرون إلاّ الباطل ويصبح سيرهم معاكساً للحق فيؤدي حتما إلى خراب الكون وقوله تعالى: ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي جئناهم بذكرهم الذي هو القرآن الكريم إذ به يذكرون وبه يُذكرون لأنه سبب شرفهم، وقوله: ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾، فهم لسوء حالهم وفساد قلوبهم معرضون عما به يذكرون ويذكرون[٢]، وقوله تعالى: ﴿أم تسألهم خرْجاً﴾ أي[٣] أجراً ومالاً ﴿فخراج ربّك خير﴾ أي ثواب ربِّك الذي يثيبك به خير وهو تعالى خير الرازقين وحاشا رسول الله ﷺ أن يسألهم عن التبليغ أجراً وقوله تعالى: ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ أي إلى الإسلام طريق السعادة والكمال في الدنيا والآخرة، وقوله تعالى: ﴿وإن الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط[٤] لناكبون﴾ أي علة تنكّبهم أي ابتعادهم عن الإسلام هو عدم إيمانهم بالآخرة، وهو كذلك فالقلب الذي لا يعمره الإيمان بلقاء الله والجزاء يوم القيامة صاحبه ضد كل خير ومعروف ولا يؤمل منه ذلك لعلة كفره بالآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ولو[٥] رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ يخبر تعالى أنه لو رحم أولئك المشركين المكذبين بالآخرة، وكشف مابهم من ضر أصابهم من قحط وجدب وجوع ومرض لايشكرون الله، بل يتمادون في عتوهم وضلالهم وظلمهم يعمهون حيارى يترددون، وقوله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم[٦] بالعذاب﴾ وهي سنوات الجدب و القحط بدعوة الرسول ﷺ وما أصابهم من قتل وجراحات وهزائم في بدر. وقوله: ﴿فما استكانوا[٧] لربهم ومايتضرعون﴾ فما ذلوا لربهم وما دعوه ولا تضرعوا إليه بل بقوا على طغيانهم في ضلالهم ومرد هذا ظلمة النفوس الناتجة عن الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ وهو معركة بدر وما أصاب

(١) وما في الكون العلوي من الملائكة، والسفلي من الجن والإنس، وإلى هذا الإشارة بِمَنْ في قوله: (ومن فيهن).

(٢) الأولى يذكرون بفتح الياء، مبنى للفاعل، والثانية يذكرون بضم الياء مبنيٌ للمفعول.

(٣) قرىء خراجاً أيضاً والمعنى واحد، والمعنى: أتسألهم رزقاً فرزق ربك خير، وقيل: الخرج: الجعل والخراج: العطاء، والخرج: المصدر، والخراج: الاسم.

(٤) الصراط في اللغة: الطريق، وسمي الدين طريقاً لأنه طريق إلى الجنة والناكب: العادل عن الشيء المعرض عنه، وهو مشتق من المنكب وهو جانب الكتف.

(٥) (ولو رحمناهم) معطوف على جملة: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) وما بينهما: اعتراض باستدلال عليهم وتنديم لهم وقطع لمعاذيرهم أي: أنهم ليسوا بحيث لو استجاب الله جؤارهم (دعاءهم) عند نزول العذاب بهم وكشفه عنهم لعادوا إلى ما كانوا فيه من الغمـرة والشرك والأعمال السيئة. وهذا كقوله: (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون).

(٦) هذا استدلال على مضمون ما في قوله: (ولو رحمناهم) الخ، و(ال) في العذاب للعهد أي: بالعذاب المذكور آنفاً في قوله: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب)

(٧) الاستكانة: مصدر بمعنى الخضوع، مشتقة من السكون، لأنّ الذي يخضع يقطع الحركة أمام من يخضع له.

المشركين من القتل ﴿إذا هم فيه مبلسون[1]﴾ أي آيسون من كل خير حزنون قنطون وذلك لظلمة نفوسهم بالشرك والمعاصي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - خطر اتباع الهوى ومايفضي به من الهلاك والخسران.

٢ - الصراط المستقيم الموصل إلى السعادة والكمال هو الإسلام لا غير.

٣ - التكذيب بيوم القيامة ومايتم فيه من حساب وجزاء هو الباعث على كل شر والمانع من كل خير.

٤ - من آثار ظلمة النفس نتيجة الكفر اليأس والقنوط والتمادي في الشر والفساد.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات:

أنشأ لكم السمع : أي خلق وأوجد لكم الأسماع والأبصار.

والأفئدة : جمع فؤاد وهو القلب.

قليلا ماتشكرون : أي ماتشكرون إلاّ قليلا.

ذرأكم : أي خلقكم.

---

(١) الإبلاس: شدة اليأس من النجاة، وجائز أن يكون العذاب الذي أبلسهم عذاب القحط والمجاعة التي أصابتهم، وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة.

وإليه تحشرون : أي تجمعون إليه بعد إحيائكم وخروجكم من قبوركم.
وله اختلاف الليل والنهار : أي إليه تعالى إيجاد الليل والنهار وظلمة الليل وضياء النهار.
أفلا تعقلون : فتعرفوا أن الله هو المعبود الحق إذ هو الرب الحق.
إلا أساطير الأولين : أي ماتقولون من البعث والحياة الثانية ماهو إلا حكايات وأساطير وأخبار الأولين، والأساطير جمع أسطورة أي حكاية مسطرة مكتوبة.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في دعوة المنكرين للبعث الآخر إلى الإيمان به بعرض الأدلة العقلية عليهم لعلهم يؤمنون فقال تعالى لهم: ﴿وهو الذي أنشأ لكم[1] السمع[2] والأبصار والأفئدة﴾ أي الله الذي خلق لكم أسماعكم وأبصاركم وقلوبكم قادر على إحيائكم بعد موتكم وحشركم إليه تعالى ليحاسبكم ويجزيكم، وقوله: ﴿قليلاً ماتشكرون[3]﴾ يوبخهم تعالى على كفرانهم نعمه عليهم، إذ أوجد لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم يحمدوه على ذلك ولم يشكروه بالإيمان به وبطاعته. وقوله تعالى: ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾ أي خلقكم في الأرض، ﴿وإليه تحشرون﴾ إذ الذي قدر على خلقكم في الأرض قادر على خلقكم في أرض أخرى بعد أن يميتكم ويحشركم أي يجمعكم إليه ليحاسبكم ويجزيكم. وقوله: ﴿وهو الذي يحيي[4] ويميت﴾ أي يحيي النطفة بجعلها مضغة لحم ثم ينفخ فيها الروح فتكون بشراً، ويميتكم بعد انقضاء آجالكم أليس هذا قادراً على إحيائكم بعد موتكم.

وقوله تعالى: ﴿وله اختلاف[5] الليل والنهار أفلا تعقلون﴾ أي ولله تعالى اختلاف الليل والنهار بإيجادهما وتعاقبهما وإدخال أحدهما في الآخر أفلا[6] تعقلون أنَّ من هذه قدرته وتصاريفه في خلقه قادر على بعثكم بعد إماتتكم وقوله تعالى: ﴿بل قالوا مثل[7] ماقال الأولون﴾ أي بدل

---

(١) هذا الكلام الإلهي، استدلال وامتنان فقد عرّفهم بكمال قدرته وعظيم مننه.

(٢) جائز أن يكون لهم شكر قليل، وجائز أن يكون لا شكر لهم البتة، وإنما هو من باب الاحتراس لا ينقض الخبر. بأدنى شكر منهم.

(٣) جمع الأبصار والأفئدة باعتبار تعدد الأفراد، ووحد السمع لأنه مصدر فجرى على الأصل.

(٤) هذه بعض مظاهر القدرة الإلهية الموجبة لعبادته وحده، والموجبة لتصديقه فيما واعد به وأوعد، من نعيم الآخرة وعذابها.

(٥) (وله اختلاف الليل والنهار) هذه اللام: لام الاختصاص إذ لا قدرة لكائن سواه على اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر، والضياء والظلام، وما يجري فيهما من تصاريف الكائنات على اختلافها وتنوعها.

(٦) الاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم تعقلهم وفهمهم لدلائل التوحيد والبعث والجزاء، والفاء: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع على ما تقدم من الأدلة في السياق.

(٧) في هذا التفات من الخطاب إلى الغيبة لأنّ الكلام انتقل من التقريع إلى حكاية ضلالهم، وبل: للاضراب الإبطالي أي: أبطل كونهم يعقلون مع إثبات إنكارهم للبعث مع علّة الإنكار وهي: تقليدهم لآبائهم.

أن يؤمنوا باليوم الآخر لما دَلّ عليه من هذه الأدلة التي لايردها عاقل ولا ينكرها عقل عادوا فقالوا قولة المنكرين من الأمم قبلهم : ﴿قالوا أءذا[1] متنا وكنا تراباً أءنا لمبعثون﴾ وهو انكار صريح منهم للعبث الآخر. وقالوا أيضاً ما أخبر تعالى عنهم، وهم يعلنون تكذيبهم لله تعالى ورسوله : ﴿لقد وعدنا نحن وأباؤنا هذا من[2] قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي لقد وعد هذا آباؤنا من قبل ولم يحصل ما هذا الذي يقال إلا أساطير أي حكايات سطرها الأولون في كتبهم فهي تروى ويتناقلها الناس ولا حقيقة لها ولا وجود.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب الشكر لله تعالى بطاعته على نعمه ومن بينها نعمة السمع والبصر والقلب.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بما تضمنت الآيات من الأدلة العديدة على ذلك.

٣ ـ سوء التقليد وآثاره في السلوك الإنساني بحيث ينكر المقلد عقله.

قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾
بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ

(١) قرأ الجمهور بهمزتين: الأولى. همزة الاستفهام، والثانية: همزة إذ الشرطية وكذلك مع (إنا لمبعوثون) إلّا نافعاً وأبا عمرو فقدقرءابهمرة واحدة اكتفاء بهمزة الاستفهام الأولى : الدالة على الشرط عن همزة الجواب. والاستفهام إنكاري.

(٢) من قبل محمد ﷺ وجملة : (إن هذه لأساطير الأولين جملة مستأنفة استئنافاً بيانيا جواباً لمن قال: كيف رد الأولون والآخرون على هذا القول؟

ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

شـــرح الكلمـات :

قل أفلا تذكرون : فتعلمون أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً قادر على البعث وأنه لا إله إلا هو.

قل أفلا تتقون : أي كيف لا تتقونه بالإيمان به وتوحيده وتصديقه في البعث والجزاء.

من بيده ملكوت كل شيء : أي ملك كل شيء يتصرف فيه كيف يشاء.

وهو يجير ولا يجار عليه : يحفظ ويحمي من يشاء ولا يُحمى عليه ويحفظ من أراده بسوء.

فأنى تسحرون : أي كيف تخدعون وتصرفون عن الحق.

بل أتيناهم بالحق : أي بما هو الحق والصدق في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

ولعلا بعضهم على بعض : أي قهراً وسلطاناً.

عما يصفون : أي من الكذب كزعمهم أن لله ولداً وأن له شريكاً وأنه غير قادر على البعث.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقال تعالى لرسوله قل[1] لهؤلاء المشركين المنكرين للبعث والجزاء ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ من المخلوقات ﴿إن كنتم تعلمون﴾ من هي له فسموه. ولما لم يكن لهم من بُدٍّ أن يقولوا ﴿لله﴾ أخبر تعالى أنهم سيقولون لله. إذاً قل لهم: ﴿أفلا تذكرون[2]﴾ فتعلموا أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً وتصرفاً لايصلح أن يكون له شريك من عباده، وهو رب كل شيء ومليكه. وقوله: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ أي سَلْهُمْ من هو رب السموات السبع وربّ العرش العظيم. الذي أحاط بالملكوت كله، أي من هو خالق السموات السبع، ومن فيهن ومن خالق العرش العظيم ومالك ذلك كله والمتصرف فيه، ولما لم يكن من جواب سوى الله أخبر تعالى أنهم سيقولون الله أي خالقهاوهي لله ملكا وتدبيرا وتصريفا إذا قل لهم يارسولنا ﴿أفلا تتقون﴾ أي الله وأنتم تنكرون عليه قدرته في إحياء الناس بعد موتهم وتجعلون له أندادا تعبدونها معه[3]، أما تخافون عقابه أما

(١) قل يا رسولنا جواباً لهم عما قالوه: (لمن الأرض..) الخ.

(٢) أي: تتعظون فتعلموا.. الخ.

(٣) وتجعلون لله البنات وأنتم تكرهون ذلك لأنفسكم فكيف ترضونه لربكم؟

تخشون عذابه وقـوله تعالى: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه﴾[١]، أي سلهم يارسولنا فقل لهم من بيده ملكوت كل شيء أي ملك كل شيء وخزائنه؟ وهو يجير من يشاء أي يحمي ويحفظ من يشاء فلا يستطيع أحد أن يمسه بسوء ولا يجار عليه، أي ولا يستطيع أحد أن يجير أي يحمي ويحفظ عليه أحداً أراده بسوء وقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي إن كنتم تعلمون أحداً غير الله بيده ملكوت كل شيء ويجير ولا يجار عليه فاذكروه، ولما لم يكن لهم أن يقولوا غير الله، أخبر تعالى أنهم سيقولون الله أي[٢] هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهي لله خلقاً وملكاً وتصرفاً إذاً قل لهم ﴿فأنى تسحرون؟﴾ أي كيف تخدعون فتصرفون عن الحق فتعبدون غير الخالق الرازق، وتنكرون على الخالق إحياء الأموات وبعثهم وهو الذي أحياهم أولاً ثم أماتهم ثانياً فكيف ينكر عليه إحياءهم مرة أخرى وقوله تعالى: ﴿بل أتيناهم بالحق﴾[٣] أي ليس الأمر كما يتوهمون ويخيل إليهم بل أتيناهم بذكرهم الذي هو القرآن به يذكرون لأنه ذكرى وذكر، وبه يذكرون لأنه شرف لهم وإنهم لكاذبون في كل مايدعون ويقولون. ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾[٤] ولا بنت، ﴿وما كان معه من إله﴾ ولا ينبغي ذلك، والدليل المنطقي العقلي الذي لا يرد هو أنه لو كان مع الله إله آخر لقاسمه الملك وذهب كل إلـه بما خلق، ولحـارب بعضهم بعضاً وعلا بعضهم على بعض غلبة وقهراً وقوله تعالى: ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً لله تعالى عما يصفون به الواصفون من صفات العجز كاتخاذ الولد والشريك، والعجز عن البعث. وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب[٥] والشهادة﴾ أي ماظهر ومابطن، وما غاب وما حضر فلوكان معه آلهة أخرى لعرفهم وأخبر عنهم ولكن هيهات هيهات أن يكون مع الله إله آخر وهو الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء. ﴿فتعالى عما يشركون﴾[٦]

(١) الملكوت: من صفات المبالغة كالجبروت، والرهبوت، والمراد: ملك كل شيء، وهذا كله احتجاج على العرب لأنهم مقرّون بالله ربّاً، والاستفهام فيه وفي الذي قبله: تقريري لأنهم مقرّون أن الله هو ربّ السموات وأنه الذي بيده ملكوت كل شيء.

(٢) قرأ أبو عمرو: (سيقولون الله) في الموضعين الأخيرين، ولا خلاف في الموضع الأول لأنه سؤال بـ لمن الملك؟ ومن قرأ في الأخيرين بلفظ: الله فلأنّ السؤال بغير اللام فجاء الجواب على لفظه. ومن أجاب بـ الله، فإنه راعى المعنى إذ رب السموات: مالكها فهي له وملكوت كل شيء لله.

(٣) (بل أتيناهم بالحق): إضراب لإبطال كونهم مسحورين. أي: ليس الأمر كما يخيّل إليهم، وإنما أتيناهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون، فهذه علّة إعراضهم وعدم قبولهم لدعوة الحق، وقولهم فيه (إن هذا إلاّ أساطير الأولين).

(٤) نفى عنه تعالى اتخاذ الولد كما نفى أن يكون له شريك في الألوهية بالبرهان العقلي وهو: أنه لو كان معه آلهة لاقتسموا الكون وذهب كل إله بما خلق، وقد يحارب بعضهم بعضاً ويعلو من يغلب ولم يكن من مظاهر هذا شيء البتة فثبتت النتيجة وهي المذكورة أولا: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله).

(٥) هذا من جملة أدلة نفي الشريك له تعالى إذ العالم بكل شيء كيف يكون له شريك ولا يعرفه، وقرأ حفص عالِم بالجر على أنه نعت لاسم الجلالة في قوله (سبحان الله)، وقرأ نافع بالرفع على أنه خبر لمحذوف أي: هو عالم.

(٦) (عما يشركون) ما مصدرية، والمعنى: تعالى عن إشراكهم. أي: هو منزه عن أن يكون له شريك.

علواً كبيراً وتنزه تنزهاً عظيمًا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية توبيخ المتغافل المتجاهل وتأنيب المتعامي عن الحق وهو قادر على رؤيته.

٢ ـ تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته.

٣ ـ تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد وإبطال ترهات المفترين.

٤ ـ الإستدلال العقلي ومشروعيته والعمل به لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات :

إما تريني ما يوعدون : أي إن تُريني من العذاب.

ادفع بالتي هي أحسن : أي ادفع بالخصلة التي هي أحسن وذلك كالصفح والإعراض عنهم.

من همزات الشياطين : أي من وساوسهم التي تخطر بالقلب فتكاد تفسده.

أن يحضرون : أي في أموري حتى لايفسدوها علي.

جاء أحدهم الموت : أي رأى علاماته ورآه.
برزخ : أي حاجز يمنع وهو مدة الحياة الدنيا، وإن عاد بالبعث فلا عمل يقبل.

معنى الآيات:

في هذا السياق تهديد للمشركين الذين لم ينتفعوا بتلك التوجيهات التي تقدمت في الآيات قبل هذه، فأمر الله تعالى رسوله أن يدعوه ويضرع إليه إن هو أبقاه حتى يحين هلاك قومه، أن لا يهلكه معهم فقال: ﴿قل رب إما تريني[1]﴾ أي أن تريني ﴿مايوعدون﴾ أي من العذاب، ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ بل أخرجني منهم وأبعدني عنهم حتى لا أهلك معهم. وقوله تعالى: ﴿وإنا على أن نريك[2] مانعدهم لقادرون﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه قادر على إنزال العذاب الذي وعد به المشركين إذا لم يتوبوا قبل حلوله بهم.

وقوله: ﴿ادفع بالتي[3] هي أحسن﴾ هذا قبل أمره بقتالهم: أمره بأن يدفع مايقولونه له في الكفر والتكذيب بالخُلّة والخصلة التي هي أحسن وذلك كالصفح والإعراض عنهم وعدم الإلتفات إليهم. وقوله: ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أي من قولهم لله شريك وله ولد، وأنه ما أرسل محمداً رسولاً، وأنه لا بعث ولا حياة ولا نشور يوم القيامة وقوله: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات[4] الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ لما علمه الاحتراز والتحصّن من المشركين بالصفح والإعراض أمره أن يتحصن من الشياطين بالإستعاذة بالله تعالى فأمره أن يقول ﴿رب﴾ أي يارب ﴿أعوذ بك[5]﴾ أي استجير بك من همزات الشياطين أي وساوسهم حتى لا يفتنوني عن ديني وأعوذ بك أن يحضروا أمري فيفسدوه علي.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ أي إذا حضر أحد أولئك المشركين الموت

---

(١) أصل إما: إن ما، إن شرطية، وما: صلة لتقوية الشرط، وجواب الشرط فلا تجعلني مع القوم الظالمين، علمه ربه هذا الدعاء ليدعو به. أي: إذا أردت بهم عقوبة فأخرجني عنهم وأبعدني عنهم. وفي الآية تهديد عظيم للمشركين.
(٢) الجملة تحمل وعيداً آخر مؤكداً للأول الذي تضمنته جملة (ربّ إمّا تريني ما يوعدون).
(٣) هذا بالنسبة إلى الأمة فهو محكم باق، وهو الصفح وعدم المؤاخذة فيما بينهم وأمّا بالنسبة للمشركين والكافرين، فهو موادعة لهم لا غير إلى أن يؤمر بقتالهم، وقد أمر به فيما بعد.
(٤) جمع همزة، والهمز في اللغة النخس والدفع، يقال: همزه ونخسه ودفعه، قال الليث: الهمز: كلام من وراء القفا، واللمز: مواجهة والشيطان يوسوس بوساوسه في صدر ابن آدم، الهمس لغة: الكلام الخفي يقال: همس في أذنه بكذا: أسرّ به إليه.
(٥) هذا التعوذ، وإن خوطب به الرسول ﷺ فهو لأمته معه معه بل هي أحوج منه إليه، وهمزات الشيطان: هي سورات الغضب التي لا يملك الإنسان بها نفسه وقد شكا خالد بن الوليد للنبي ﷺ أنه كان يؤرق من الليل فأمره أن يقول أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شرّ عباده ومن همزات الشياطين وأعوذ بك ربّ أن يحضرون).

أي رأى ملك الموت وأعوانه وقد حضروا لقبض روحه ﴿قال رب ارجعون﴾[1] أي أخروا موتي كي أعمل صالحاً فيما تركت العمل فيه بالصلاح، وفيما ضيعت من واجبات قال تعالى رداً عليه ﴿كلا﴾[2] اي لا رجوع أبداً، ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ لا فائدة منها ولا نفع فيها، ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ أي حاجز مانع من العودة إلى الحياة وهو أيام الدنيا كلها حتى إذا انقضت عادوا إلى الحياة،ولكن ليست حياة عمل وإصلاح ولكنها حياة حساب وجزاء هذا معنى قوله: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾.[3]

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ - مشروعية الدعاء والترغيب فيه وإنه لذو جدوى للمؤمن.

٢ - استحباب دفع السيء من القول أو الفعل بالصفح والإعراض عن صاحبه.

٣ - مشروعية الإستعاذة بالله تعالى من وساوس الشياطين ومن حضورهم أمر العبد الهام حتى لايفسدوه عليه بالخواطر السيئة.

٤ - موعظة المؤمن بحال من يتمنى العمل الصالح عند الموت فلا يُمكن منه فيموت بندمه وحسرته ويلقى جزاء تفريطه حرماناً وخسراناً في الدار الآخرة.

فَإِذَا نُفِخَ
فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

(١) (ربّ ارجعون) هذا تمنّ للحياة الدنيا بعد ذهابها، وهيهات هيهات أن تعود!! وقوله: (ارجعون): خاطب الربّ تعالى بضمير التعظيم وتعظيم المخاطب شائع في كلام العرب.

(٢) كلا: ردع للسامع ليعلم يقينا إبطال ما يطلبه الكافر من الرجوع.

(٣) البرزخ: هو ما بين الدنيا والآخرة إذ كل ما حجز بين شيئين قيل فيه: برزخ.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾

شـــرح الكلمات :

في الصور : أي في القرن المعبرعنه بالبوق نفخة القيام من القبور للحساب والجزاء.

المفلحون : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.

تلفح وجوههم النار : أي تحرقها

وهم فيها كالحون : الكالح من أحرقت النار جلدة وجهه وشفتيه فظهرت أسنانه.

ألم تكن آياتي تتلى عليكم : أي يوبخون ويذكرون بالماضى ليحصل لهم الندم والمراد بالآيات آيات القرآن.

غلبت علينا شقوتنا : أي الشقاوة الأزلية التى تكتب على العبد في كتاب المقادير قبل وجوده.

أخرجنا منها فإن عدنا : أي من النار فإن عدنا إلى الشرك والمعاصي.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والدعوة إلى ذلك وعرض الأدلة وتبيينها وتنويعها، إذ لا يمكن استقامة إنسان في تفكيره وخلقه وسلوكه على مناهج الحق والخير إلا إذا آمن إيماناً راسخاً بوجود الله تعالى ووجوب طاعته وتوحيده في عباداته، وبالواسطة في ذلك وهو الوحي والنبي الموحي إليه، وبالبعث الآخر الذي هو دور الحصاد لما زرع الإنسان في هذه الحياة من خير وشر فقوله تعالى: ﴿فإذا نفخ[1] في الصور فلا أنساب[2] بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ هذا عرض لما يجرى في الآخرة فيخبر تعالى أنه إذا نفخ اسرافيل بإذن الله في الصور الذي هو القرن أي كقرن الشاة لقوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك

---

(١) هذه النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، والحشر والتي قبلها هي نفخة الفناء، والتي بعد نفخة الصعق، والأخيرة نفخة الحساب والجزاء.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا، ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا: من أي قبيلة أنت ولا من أي نسب ولايتعارفون لهول ما أذهلهم!!

يومئذ يوم عسير﴾ فلشدة الهول وعظيم الفزع لم يبق نسب[1] يراعى أو يلتفت إليه بل كل واحد همه نفسه فقط، ولا يسأل حميم حميًا وسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ قالت: هل تذكرون أهليكم يارسول الله يوم القيامة فقال أما عند ثلاثة فلا: إذا تطايرت الصحف، وإذا وضع الميزان وإذا نصب الصراط ومعنى هذا الحديث واضح والشاهد منه ظاهر وهو أنهم لا يتساءلون.

وقوله تعالى: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ أي من رجحت كفة حسناته على كفة سيئآته أفلح أي نجا من النار وأدخل الجنة وَمن خفت موازينه بأن حصل العكس فقد خسرَ وَ أبعد عن الجنة وأدخل النار وهذا معنى قوله تعالى ﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، تلفح[2] وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾[3] أي تحرق وجوههم النار فيكلحون باحتراق شفاههم وتظهر أسنانهم وهو أبشع منظر وأسوأه وقوله تعالى: ﴿ألم تكن[4] آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون؟﴾ هذا يقال لهم تأنيباً وتوبيخاً وهم في جهنم وهو عذاب نفساني مع العذاب الجثماني ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أما كان رسلنا يتلون عليكم آياتنا ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ بأقوالكم وأعمالكم أو بأعمالكم دون أقوالكم فلم تحرموا ما حرم الله ولم تؤدوا ما أوجب الله، ولم تنتهوا عما نهاكم عنه. وقوله تعالى: ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾[5] هذا جوابهم كالمعتذرين بأن شقاءهم كان بقضاء وقدر فلذا حيل بينهم وبين الإيمان والعمل الصالح. وقوله تعالى: ﴿وكنا قوماً ضالين﴾ هذا قولهم أيضاً وهو اعتراف صريح بأنهم كانوا ضالين. ثم قالوا ما أخبر تعالى به عنهم بقوله: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ هذا دعاؤهم وهم في جهنم يسْألون ربهم أن يردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويستقيموا[6] على صراط الله المستقيم الذي هو الإسلام وسوف ينتظرون جواب الله تعالى ألف سنة، وهو ماتضمنته الآيات التالية.

---

(١) ورد ما يخصص هذا العموم وهو قوله ﷺ (كل سبب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي) رواه الطبراني فإنه إن صح يكون مخصصا لعموم الآية. والله أعلم.

(٢) (تلفح) وتنفح بمعنى واحد لقوله تعالى: (ولإن مستهم نفحة من عذاب ربك) إلاّ أن تلفح أبلغ من تنفح وأشد.

(٣) الكلوح: تكشر في عبوس، والكالح الذي تشمّرت شفتاه وبدت أسنانه قال ابن مسعود: أرأيت الرأس المشتط بالنار وقد بدت أسنانه وقلصت شفتاه.

(٤) الاستفهام للتقريع والتأنيب، والتذكير بما يزيد في حسرتهم وعظيم محنتهم وبلائهم.

(٥) قرأ ابن مسعود وبها قرأ الكوفيون إلا حفصاً شقاوتنا وقرأ الجمهور شقوتنا

(٦) وما يستقيمون لو ردوا لعلم الله تعالى بهم إذ قال عز وجل: (ولو ردوا لعادوا لما نُهوا عنه، وإنهم لكاذبون).

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء من خلال عرض أحداثها في هذه الآيات.

٢ ـ تقرير أن وزن الأعمال يوم القيامة حق وإنكاره بدعة مكفرة.

٣ ـ تقرير أن إسرافيل ينفخ في الصور وإنكار ذلك وتأويله بلفظ الصور كما فعل المراغي عند تفسيره هذه الآية مع الأسف بدعة من البدع المنكرة ولذا نبهت عليها هنا حتى لا يغتر بها المؤمنون.

٤ ـ الإعتذار بالقدر لاينفع صاحبه، إذ القدر مستور فلا ينظر إليه والعبد مأمور فليؤتمر بأمر الله ورسوله ولينته بنهيهما ما دام العبد قادراً على ذلك فإن عجز فهو معذور.

قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

شـــرح الكلمـــات :

إخسأوا : أي أبعدوا في النار أذلاء مخزيين.

فريق من عبادي : هم المؤمنون المتقون.

فاتخذتموهم سخرياً : أي جعلتموهم محط سخريتكم واستهزائكم.

بما صبروا : أي على الإيمان والتقوى.

هم الفائزون : أي الناجون من النار المنعمون في الجنة.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿قال اخسأوا فيها ولا تكلمون[1]﴾ هذا جواب سؤالهم المتقدم حيث قالوا: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون[2]﴾ وعلل تعالى لحكمه فيهم بالإبعاد في جهنم أذلاء مخزيين بقوله: ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ وهو فريق المؤمنين المتقين[3] يقولون ﴿ربنا آمنا فاغفـر لنـا﴾ ذنوبنا ﴿وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾ أي يعبدوننا ويتقربون إلينا ويتوسلون بإيمانهم وصالح أعمالهم ويسألوننا المغفرة والرحمة وكنتم أنتم تضحكون من عبادتهم ودعائهم وضراعتهم إلينا وتسخرون منهم[4] إني جزيتهم اليوم بصبرهم على طاعتنا مع ما يلاقون منكم من اضطهاد وسخرية. ﴿أنهم[5] هم الفائزون﴾ برضواني في جناتي لا غيرهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان مدى حسرة أهل النار لما يجابون بكلمة: ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾.

٢ - فضيلة التضرع إلى الله تعالى ودعائه والتوسل إليه بالإيمان وصالح الأعمال.

٣ - حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به و الضحك منه.

٤ - فضيلة الصبر ولذا ورد أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد.

---

(١) أي: أبعدوا في جهنم كما يقال لكلب: اخسأ أي: أبعد، يقال: خسأ الكلب وأخساه لازم ومتعدّ. يروي عن ابن المبارك عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً ثمّ يرد عليهم (إنكم ماكثون) والصحيح أنه يجيبهم بعد ألف سنة، وعندها ينقطع رجاؤهم ودعاؤهم ويقبل بعضهم على بعض فيتنابحون كالكلاب وقد أطبقت عليهم النار.

(٢) الظلم: وضع الشي في غير موضعه وعابد غير الله تعالى واضع العبادة في غير موضعها فلذا هو ظالم. والشرك: ظلم عظيم.

(٣) كبلال وصهيب وعمّار وخباب من فقراء المسلمين الذين كان أبو جهل وأصحابه يهزؤون بهم ويسخرون منهم.

(٤) في الآية دليل على حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به.

(٥) قرىء بفتح الهمزة أي: لأنهم هم الفائزون وقرىء بكسرها على الابتداء.

قَٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

شـــرح الكلمـات:

كم لبثتم في الأرض : أي كم سنة لبثتموها في الأرض أحياء وأمواتاً في قبوركم؟.

فاسأل العادين : يريدون الملائكة التي كانت تعد، وهم الكرام الكاتبون أو من يعد أما نحن فلم نعرف.

خلقناكم عبثاً : أي لا لحكمة بل لمجرد العيش واللعب كلا.

فتعالى الله الملك الحق : أي تنزه الله عن العبث.

لا برهان له : الجملة صفة لـ «إلهاً آخر» لا مفهوم لها إذ لا لايوجد برهان ولا حجة على صحة عبادة غير الله تعالى إذ الخلق كله مربوب لله مملوك له.

حسابه عند ربه : أي مجازاته عند ربه هو الذي يجازيه بشركه به ودعاء غيره.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم مع أهل النار المنكرين للبعث والتوحيد بقوله تعالى: ﴿قال كم

لبثتم في الأرض عدد سنين؟﴾ هذا سؤال طرح عليهم أي سألهم ربهم وهو أعلم بلبثهم كم لبثتم من سنة في الدنيا مدة حياتكم فيها ومدة لبثكم أمواتاً في قبوركم؟ فأجابوا قائلين ﴿لبثنا يوماً أو بعض[١] يوم فاسأل[٢] العادين﴾ أي من كان يعد من الملائكة أو من غيرهم، وهذا الإضطراب منهم عائد إلى نكرانهم للبعث وكفرهم في الدنيا به أولاً وثانياً أهوال الموقف وصعوبة الحال وآلام العذاب جعلتهم لايعرفون أما أهل الإيمان فقد جاء في سورة الروم أنهم يجيبون إجابة صحيحة إذ قال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾. وقوله تعالى: ﴿إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون[٣]﴾ هذا بالنظر إلى ماتقدم من عمر الدنيا، فمدة حياتهم وموتهم إلى بعثهم ما هي إلا قليل وقوله تعالى: ﴿أفحسبتم[٤] أنما خلقناكم[٥] عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾، هذا منه تعالى توبيخ لهم وتأنيب على إنكارهم للبعث أنكر تعالى عليهم حسبانهم وظنهم أنهم لم يخلقوا للعبادة وإنما خلقوا للأكل والشرب والنكاح كما هو ظن كل الكافرين وأنهم لايبعثون ولا يحاسبون ولا يجزون بأعمالهم. وقوله تعالى: ﴿فتعالى[٦] الله الملك الحق﴾ أي عن العبث وعن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وقوله: ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ أي لا معبود بحق إلا هو ﴿رب العرش الكريم﴾ أي مالك العرش الكريم ووصف العرش بالكرم سائغ كوصفه بالعظيم والعرش سرير الملك وهو كريم لما فيه من الخير وعظيم إذ هو أعظم من الكرسي والكرسي وسع السموات والأرض، ولم لا يكون العرش كريمًا وعظيمًا ومالكه جل جلاله هو مصدر كل كرم وخير وعظمة.

---

(١) هذا السؤال موجه للمشركين في عرصات القيامة، والسؤال عن لبثهم في قبورهم وجائز أن يكون عن مدة حياتهم في الدنيا.

(٢) قيل: أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في قبورهم، وقيل: استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور ورأوه يسيرا بالنسبة إلى ما هم بصدده.

(٣) هذا بالنظر إلى الدار الآخرة لا يعتبر شيئا يذكر.

(٤) روي بضعف ان ابن مسعود مرّ بمصاب مبتلى فقرأ في أذنه: (أفحسبتم) الآية إلى (رحيم) فبرأ فقال رسول الله ﷺ: (ماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال).

(٥) أي: مهملين كما خلق البهائم لاثواب لها ولا عقاب عليها كقوله تعالى (أيحسب الإنسان أن يترك سدىً).

(٦) (فتعالى الله): أي تنزه وتقدس الله الملك الحق عن الأولاد والشركاء والأنداد، وعن أن يخلق شيئا عبثاً أو سفهاً.

وقوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له﴾ أي ومن يعبد مع الله إلهاً آخر بالدعاء أو الخوف أو الرجاء أو النذر والذبح، وقوله: لا برهان له أي لا حجة له ولا سلطان على جواز عبادة ما عبده، ومن أين يكون له الحجة والبرهان على عبادة غير الله والله رب كل شيء ومليكه وقوله تعالى: ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ أي الله تعالى ربه يتولى حسابه ويجزيه بحسب عمله وسيخسر خسراناً مبيناً لأنه كافر والكافرون لايفلحون أبداً فلا نجاة من النار ولا دخول للجنة بل حسبهم جهنم وبئس المهاد. وقوله تعالى: ﴿وقل رب اغفر وارحم﴾[1] أي أمر الله تعالى رسوله أن يدعو بهذا الدعاء: رب اغفر لي وارحمني واغفر لسائر المؤمنين وارحمهم أجمعين فأنت خير الغافرين والراحمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - عظم هول يوم القيامة وشدة الفزع فيه فليتق ذلك بالإيمان وصالح الأعمال.

٢ - تنزه الله تعالى عن العبث واللهو واللعب.

٣ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤ - كفر وشرك من يدعو مع الله إلهاً آخر.

٥ - الحكم بخسران الكافرين وعدم فلاحهم.

٦ - استحباب الدعاء بالمغفرة والرحمة للمؤمنين والمؤمنات.

(١) نظرت إلى حذف المفعول في: اغفر وارحم فانقدح في نفسي أن لحذفه سراً وهو: أن يكون عاماً في المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات).

سُورَةُ النُّورِ (1)

مدنية

وآياتها أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
(1) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (2) الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ
مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ (3)

شرح الكلمات :

سورة أنزلناها : أي هذه سورة أنزلناها .

وفرضناها : أي فرضنا ما فيها من أحكام .

وأنزلنا فيها آيات بينات : أي وأنزلنا ضمنها آيات أي حججاً واضحات تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

لعلكم تذكرون : أي تتعظون فتعملون بما في السورة من أحكام .

الزانية : من أفضت إلى رجل بغير نكاح شرعي وهي غير محصنة .

مائة جلدة : أي ضربة على جلد ظهره .

رأفة : شفقة ورحمة .

وليشهد عذابهما : أي اقامة الحد عليهما .

---

(1) روي أن عمر رضي الله عنه : كتب يوماً إلى أهل الكوفة . علّموا نساءكم سورة النور . كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور، والغزل .

طائفة : أي عدد لا يقل عن ثلاثة أنفار من المسلمين والأربعة أولى من الثلاثة.

الزاني لا ينكح إلا زانية : أي إلا زانية مثله أو مشركة أي لايقع وطء إلَّا على مثله.[1]

معنى الآيات:

قولـه تعـالى: ﴿سورة أنزلناها﴾ أي هذه سورة من كتاب الله أنزلناها أي على عبدنا ورسولنا محمد ﷺ ﴿وفرضناها﴾ أي وفرضنا ما اشتملت عليه من أحكام على أمة الإسلام، وقوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي تتعظون فتعملون بما حوته هذه السورة من أوامر ونواه وآداب وأخلاق وقوله تعالى: ﴿الزانية[2] والزاني فاجلدوا كل[3] واحد منهما مائة جلدة﴾ أي من زنت برجل منكم أيها المسلمون وهما بكران حُرَّان غير محصنين ولا مملوكين فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة بعصا لا تشين جارحة ولا تكسر عضواً أي جلداً غير مبرح، وزادت السنة تغريب سنة، وقوله تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾، أي لا تشفقوا عليهما فتعطلوا حَدَّ الله تعالى وتحرموهما من التطهير بهذا الحد لأن الحدود كفارة لأصحابها، وقوله : ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي فأقيموا عليهما الحد وقوله: ﴿وليشهد عذابهما﴾ أي إقامة الحد ﴿طائفة من المؤمنين﴾ أي ثلاثة أنفار فأكثر وأربعة أولى لأن شهادة الزنا تثبت بأربعة شهداء وكلما كثر العدد كان أولى وأفضل.

وقوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ أي لا يطأ إلا مثله من الزواني أو مشركة لا دين لها، والزانية أيضاً لايطأها إلا زانٍ مثلها أو مشرك ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أي حرم الله الزنا على المؤمنين والمؤمنات ولازم هذا أن لانزوج زانياً من عفيفة إلا بعد توبته،[4] ولا نزوج زانية من عفيف إلا بعد توبتها.[5]

(١) أي: إلا مثل الواطىء يريد الزاني بالزانية والمشرك بالمشركة.

(٢) قرأ الجمهور برفع الزانية وقرأ: عيسى الثقفي بالنصب وهو أوجه عند سيبويه لأنه نحو: زيدا أضربه، وتقدير الرفع: مما يتلى عليكم الزانية والزاني. على تقديم الخبر، وقدمت الزانية لأنّ الزنى في النساء أعرّ وأقبح وأضر للحمل، وال: في الزانية والزاني: للجنس ليعم سائر الزناة، على مرور الأعصر والأيام.

(٣) لا خلاف في أنّ الذي يقوم بإقامة هذا الحد هو الإمام أو نائبه والسادة في العبيد، وأن السوط يكون بين اللين والشدة وسطا بينهما، ولا يتعدى هذا الحد إلا أن يجرؤ الناس على الجرائم ويكثر الشر والفساد فيعززون بما يردعهم.

(٤) قيل: إن هذه الآية منسوخة بآية: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) وما في التفسير أولى وأظهر وبه العمل.

(٥) الجمهور على أن من زنى بامرأة يجوز له أن يتزوجها بعد استبرائها بحيضة وإذا زنت امرأة الرجل أو زنى هو لا يفسد نكاحهما.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان حكم الـزانية والـزاني البكرين الحرين وهو جلد مائة وتغريب عام وأما الثيبان فالرجم إن كانا حرين أو جلد خمسين[١] جلدة لكل واحد منهما إن كانا غير حرين.

٢ - وجوب إقامة هذا الحد أمام طائفة من المؤمنين.

٣ - لا يحل تزويج الزاني إلا بعد توبته، ولا الزانية إلا بعد توبتها.

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

شـرح الكلمـات:

يرمون : أي يقذفون.

المحصنات : أي العفيفات والرجال هنا كالنساء.

فاجلدوهم : أي حداً عليهم واجباً.

ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً : لسقوط عدالتهم بالقذف للمؤمنين والمؤمنات.

إلا الذين تابوا : فإنهم بعد توبتهم يعود إليهم اعتبارهم وتصح شهادتهم.

معنى الآيتين:

بعد بيان حكم الزناة بين تعالى حكم القذف فقال: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾[٢] أي والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة وهي الزنا واللواط بأن يقول فلان زان أو لائط

(١) لقوله تعالى من سورة النساء (فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) والمراد به: الإماء والعبيد مثلهن، ولما كان الموت لا ينصّف فعلم أنه الجلد خمسين جلدة.

(٢) قيل: خص النساء بهذا وإن كان الرجال يشاركونهن في الحكم لأنّ القذف فيهن أشنع وأنكر للنفوس ومن حيث هو هوى الرجال.

فيقذفه بهذه الكلمة الخبيثة[1] فإن عليه أن يحضر شهوداً أربعة يشهدون أمام الحاكم على صحة ما رمى به أخاه المؤمن فإن لم يأت بالأربعة شهود أقيم عليه الحد المذكور في الآية: وهو جلد ثمانين جلدة على ظهره وتسقط عدالته حتى يتوب وهو معنى قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدةً ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ أي عن طاعة الله ورسوله ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ بأن كذبوا أنفسهم بأنهم ما رأوا الفاحشة وقوله: ﴿فإن الله غفور﴾ فيغفر لهم بعد التوبة ﴿رحيم﴾ بهم يرحمهم ولا يعذبهم بهذا الذنب العظيم بعدما تابوا منه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ بيان حد القذف وهو جلد ثمانين جلدة لمن قذف مؤمناً أو مؤمنة بالفاحشة وكان المقذوف بالغاً عاقلاً مسلمًا[2] عفيفاً أي لم يعرف بالفاحشة قبل رميه بها.[3]

٢ ـ سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب فإنه تعود إليه عدالته.

٣ ـ قبول توبة[4] التائب إن كانت توبته صادقة نصوحاً.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾﴾

---

(١) اختلف في التعريض هل يوجب الحد أو لا؟ فمالك يرى إيجابه إذا حصلت المعرة بالتعريض وإلا فلا وأخذ التعريض من آية: (إنك لأنت الحليم الرشيد) قاله قوم شعيب لنبيهم شعيب عليه السلام تعريضاً به لا مدحاً له ومن أمثلة التعريض قول الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

شبهه بالنساء.

وقال آخر:

قبيلة لايغدرون بذمة   ولا يظلمون الناس حبّة خردل

اتهم القبيلة بالضعف وهو من أحوال النساء.

(٢) للقذف شروط تسعة: العقل والبلوغ وهما للقاذف والمقذوف سواء إذ هما شرط التكليف، وشرطان في الشيء المقذوف به وهما أن يكون القذف بوطىء يوجب الحد وهو الزنى واللواط أو بنفيه من أبيه وخمسة في المقذوف وهي: العقل والبلوغ كما تقدّم والاسلام والحرية والعفة.

(٣) الجمهور على أنه لا حد على من قذف كتابياً ذكراً أو أنثى والاجماع على عدم إقامة الحد على من قذف كافراً لأنه لا يُحَرمُ الزنى فكيف يحد على من قذف به؟.

(٤) إن شهد أربعة وأقيم الحد على المقذوف ثم أقرّ أحد الشهود بأنه كان كاذباً فإن لأولياء الدم بين قتله وبين العفو عنه وبين أخذ ربع الدية منه. هذا مذهب مالك وبه قال أحمد رحمهما الله تعالى.

وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ[1] لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

شـرح الكلمـات:

يرمون أزواجهم	: أي يقذفونهن بالزنا كأن يقول زنت أو الحمل الذي في بطنها ليس منه.
إنه لمن الصادقين	: أي فيما رماها به من الزنى.
والخامسة	: أي والشهادة الخامسة.
ويدرأ عنها العذاب	: أي يدفع عنها حد القذف وهو هنا الرجم حتى الموت.
أن تشهد أربع شهادات	: أي شهادتها أربع شهادات.
والخامسة	: هي قولها غضب الله عليها إن كان من الصادقين.
ولولا فضل الله عليكم	: أي لفضح القاذف أو المقذوف ببيان كذب أحدهما.

معنى الآيات:

بعـد بيان حكم حد القذف[2] العام ذكر تعالى حكم القذف الخاص وهو قذف الرجل زوجته فقال تعالى: ﴿والذين يرمون[3] أزواجهم﴾ أي بالفاحشة ﴿ولم يكن لهم شهداء[4]﴾ أي من يشهد معهم إلا أنفسهم أي إلا القاذف وحده فالذي يقوم مقام الأربعة شهود هو أن يشهد أربع[5] شهادات قائلاً: أشهد[6] بالله لقد رأيتها تزني أو زنت أو هذا الولد أو الحمل ليس لي ويلتعن فيقول في الخامسة ﴿لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ أي فيما رمى به زوجته. وهنا يعرض على الزوجة أن تقر بما رماهـا به زوجها ويقام عليها حد القذف وهو هنا الرجم، أو تشهد أربع شهادات بالله أنها مازنت، والخامسة تدعو على نفسها بغضب الله

(١) قرأ الجمهور بتشديد (أنّ لعنة الله عليه) (وأنّ غضب الله عليها) بلفظ المصدر في (أن غضب الله) وتقدر باء الجر قبل أنّ لأنها هي التي اقتضت فتح أنّ، وقرأ نافع بتخفيف نون أن في الموضعين وغضب بصيغة الماضي.

(٢) ويعرف باللعان: لأن كلا من الزوجين يلعن نفسه إن كان كذباً.

(٣) نزلت هذه الآيات في قضية عويمر العجلاني مع زوجته خولة بنت عاصم أو قيس. فقد جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فيقتلونه أم كيف يفعل؟ قال رسول الله ﷺ: (قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك) فاذهب فأت بها فأتى بها وتلاعنا وكانت هذه الحادثة في شعبان سنة تسع عقب القفول من غزوة تبوك.

(٤) حذف متعلق شهداء لظهوره من السياق أي: شهداء على ما ادعوه مما رموا به أزواجهم.

(٥) قامت الأربع شهادات مقام أربعة شهود الذين لابد منهم في القذف بالفاحشة خاصة فشهادة القتل والسرقة وغيرها يكتفى بشاهدين وفي القذف لابد من أربعة شهود.

(٦) سميت الأيمان هنا شهادة لأنها اقمت مقام الشهود وأصبحت بدلاً عنها.

فتقول ﴿أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ فيما رماها به، وبذلك درأت عنها العـذاب الـذي هو الحد ويفرق بينهما فلايجتمعان أبداً. وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمتـه﴾ جواب لولا محذوف تقديره لعاجلكم بالعقوبة ولفضح أحد الكاذبين: ولكن الله تواب رحيم فستر عليكم ليتوب من يتوب منكم ورحمكم بهذا التشريع العادل الرحيم.[1]

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان حكم قذف الرجل امرأته ولم يكن له أربعة شهود يشهدون معه على ما رمى به زوجته وهو اللعان.

٢ ـ بيان كيفية اللعـان، وأنـه موجب لإقـامـة الحد، إن لم ترد الزوجة الدعوى بأربع شهادات والدعاء عليها في الخامسة وقولها ﴿أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾.

٣ ـ في مشروعية اللعان مظهر من مظاهر حسن التشريع الإسلامي وكماله وأن مثله لن يكون إلا بوحي إلهي وفيه إشارة إلى تقرير النبوة المحمدية.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

(١) هذا تذييل لما مرّ من الأحكام العظيمة الدالة على تفضل الله على عباده المؤمنين بأفضل تشريع وأحسن حل لأخطر مشكلة اجتماعية.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

شـرح الكلمات:

بالإفك عصبة : الإفك الكذب المقلوب وهو أسوأ الكذب، والعصبة الجماعة.

شراً لكم بل هو خير لكم : الشر ما غلب ضرره على نفعه، والخير ما غلب نفعه على ضرره، والشر المحض النار يوم القيامة والخير المحض الجنة دار الأبرار.

والذي تولى كبره : أي معظمه وهو ابن أبي كبير المنافقين.

لولا : أداة تحضيض وحث بمعنى هَلاّ.

فيما أفضتم فيه : أي فيما تحدثتم بتوسع وعدم تحفظ.

إذ تلقونه : أي تتلقونه أي يتلقاه بعضكم من بعض.

وتحسبونه هيناً : أي من صغائر الذنوب وهو عند الله من كبائرها لأنه عرض مؤمنة هي زوج رسول الله ﷺ.

سبحانك. : كلمة تقال عند التعجب والمراد بها تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

بهتان عظيم : البهتان الكذب الذي يحيِّر من قيل فيه.

يعظكم الله : أي ينهاكم نهياً مقروناً بالوعيد حتى لا تعودوا لمثله أبداً.

معنى الآيات:

بعد أن ذكر تعالى حكم القذف العام والخاص ذكر حادثة الإفك التي هلك فيها خلق لا يحصون عداً إذ طائفة الشيعة الروافض ما زالوا يهلكون فيها جيلاً بعد جيل إلى اليوم إذ وَرَّث فيهم رؤوساء الفتنة الذين اقتطعوا من الإسلام وأمته جزءاً كبيراً سموه شيعة آل البيت تضليلاً وتغريراً فأخرجوهم من الإسلام باسم الإسلام وأوردهم النار باسم

الخوف من النار فكذبوا الله ورسوله وسبوا زوج رسول الله واتهموها بالفاحشة وأهانوا أباها ولوثوا شرف زوجها ﷺ بنسبة زوجه إلى الفاحشة.

وخلاصة الحادثة أن رسول الله ﷺ بعد أن فرض الحجاب على النساء المؤمنات خرج إلى غزوة تدعى غزوة بني المصطلق أو المريسيع، ولما كان عائداً منها وقارب المدينة النبوية نزل ليلاً وارتحل، ولما كان الرجال يرحلون النساء على الهوادج وجدوا هودج عائشة رضي الله عنها فظنوها فيه فوضعوه على البعير وساقوه ضمن الجيش ظانين أن عائشة فيه، وما هي فيه، لأنها ذكرت عقداً لها قد سقط منها في مكان تبرزت فيه فعادت تلتمس عقدها فوجدت الجيش قد رحل فجلست في مكانها لعلهم إذا افتقدوها رجعوا إليها ومازالت جالسة تنظر حتى جاء صفوان بن معطل السلمي رضي الله عنه وكان الرسول ﷺ قد عينه في الساقة وهم جماعة يمشون وراء الجيش بعيداً عنه حتى إذا تأخر شخص أو ترك متاع أو ضاع شيء يأخذونه ويصلون به إلى المعسكر فنظر فرآها من بعيد فأخذ يسترجع أي يقول إنا لله وإنا إليه راجعون آسفاً لتخلف عائشة عن الركب قالت رضي الله عنها فتجلببت بثيابي وغطيت وجهي وجاء فأناخ راحلته فركبتها وقادها بي حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ في المعسكر، وما إن رآني ابن أبي لعنة الله عليه حتى قال والله مانجت منه ولا نجا منها، وروج للفتنة فاستجاب له ثلاثة أنفار فرددوا ما قال وهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، ﴿والذي تولى كبره﴾ هو ابن أبي المنافق وتورط آخرون ولكن هؤلاء الأربعة هم الذين أشاعوا وراجت الفتنة في المدينة واضطربت لها نفس رسول الله ﷺ ونفوس أصحابه وآل بيته فأنزل الله هذه الآيات في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبراءة صفوان رضي الله عنه، ومن خلال شرح الآيات تتضح جوانب القصة.

قال تعالى: ﴿إن الذين[١] جاءوا بالإفك عصبة منكم[٢]﴾ أي إن الذين جاءوا بهذا الكذب المقلوب إذ المفروض أن يكون الطهر والعفاف لكل من أم المؤمنين وصفوان بدل الرمي بالفاحشة القبيحة فقلبوا القضية فلذا كان كذبهم إفكاً وقوله: ﴿عصبة﴾ أي جماعة لايقل عادة عددهم على عشرة أنفار إلا أن الذين روجوا الفتنة وتورطوا فيها حقيقة وأقيم عليهم الحد أربعة ابن أبي وهو الذي تولى كبره منهم وتوعده الله بالعذاب العظيم لأنه منافق كافر

(١) هذا كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً، والإفك: الكذب الخالص .الذي لا شبهة فيه يفاجأ به المرء فيبهته فيصير بهتانا وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو القلب ومن صوره أن يقال في الصادق كاذب والطاهر خبيث ونحو ذلك.

(٢) عصبة: خبر إنّ، والعصبة: الجماعة يتعصب بعضهم لبعض.

مات على كفره ونفاقه، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب رضى الله عنها وحسان بن ثابت رضى الله عنه، وقوله تعالى: ﴿لاتحسبوه شراً لكم﴾ لما نالكم من هم وغم وكرب من جرائه ﴿بل هو خير لكم﴾ لما كان له من العاقبة الحسنة وما نالكم من الأجر العظيم من أجل عظم المصاب وشدة الفتنة وقوله تعالى: ﴿لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم﴾ على قدر ما قال وروج وسيجزي به إن لم يتب الله تعالى عليه ويعفو عنه.

وقوله: ﴿والذي تولى كبره(١) منهم له عذاب عظيم﴾ وهو عبدالله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين عليه لعنة الله.

وقوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه(٢) ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾ هذا شروع في عتاب القوم وتأديبهم وتعليم المسلمين وتربيتهم فقال عز وجل: ﴿لـولا﴾ أي هلا وهي للحض والحث على فعل الشيء إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة، وقلتم لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين أي ظاهر لا يقبل ولا يقر عليه هكذا كان الواجب عليكم ولكنكم مافعلتم.

وقوله تعالى: ﴿لولا جاءوا(٣) عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ أي كان المفروض فيكم أيها المؤمنون أنكم تقولون هذا لمن جاء بالافك فإنهم لايأتون بشاهد فضلاً عن أربعة وبذلك تسجلون عليهم لعنة الكذب في حكم الله. وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل(٤) الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم(٥) فيه عذاب عظيم﴾ هذه منة من الله تحمل أيضاً عتاباً واضحاً إذ بولوغكم في عرض أم المؤمنين، وما كان لكم أن تفعلوا ذلك قد استوجبتم العذاب لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب العظيم. وقوله: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ أي يتلقاه بعضكم من بعض، ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ وهذا عتاب وتأديب. وقوله: ﴿وتحسبونه هينا﴾ أي ليس بذنب كبير ولا تبعة فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾، وكيف وهو يمس عرض رسول الله وعائشة والصديق وآل البيت أجمعين.

---

(١) الكِبر: بكسر الكاف قراءة الجمهور ومعناه: أشد الشيء ومعظمه، وقرىء كُبره بضم الكاف.

(٢) كلام مستأنف مسوق لتوبيخ العصبة وفيه تربية للمسلمين وإرشاد لهم لما ينبغي أن يكونوا عليه من الآداب.

(٣) لولا: هذه مثل سابقتها حرف تحريض.

(٤) لولا هذه حرف امتناع لوجود، امتنع مس العذاب لوجود فضل الله ورحمته.

(٥) الإفاضة في القول: التوسع فيه مشتقة من إفاضة الماء على العضو.

وقوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه[1] قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ إذ هذه مما لايصح لمؤمن أن يقول فيه لخطره وعظم شأنه. وقلتم متعجبين من مثله كيف يقع ﴿سبحانك﴾ أي يارب ﴿هذا﴾ أي الإفك ﴿بهتان عظيم﴾ بهتوا به أم المؤمنين وصفوان.

وقوله: ﴿يعظكم[2] الله﴾ أي ينهاكم الله مخوفاً لكم بذكر العقوبة الشديدة ﴿أن تعودوا لمثله أبداً﴾ أي طول الحياة فإياكم إياكم إن كنتم مؤمنين حقاً وصدقاً فلا تعودوا لمثله أبداً. وقوله: ﴿ويبـين الله لكم الآيات﴾ التي تحمـل الهدى والنور لترشدوا وتكملوا والله عليم بخلقه وأعمالهم وأحوالهم حكيم فيما يشرع لهم من أمر ونهي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير له.

٢ ـ بشاعة الإفك وعظيم جرمه.

٣ ـ العقوبة على قدر الجرم كبراً وصغراً قلة وكثرة.

٤ ـ واجب المؤمن أن لايصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة، وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك فإن قال لا قال له إذاً أنت عند الله من الكاذبين.

٥ ـ حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك.

إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ

---

(١) لولا هنا بمعنى: هلا وهي للتوبيخ.

(٢) قال مالك: من سبّ أبا بكر وعمر أدّب ومن سبّ عائشة كفر لأن عائشة برأها الله تعالى فمن سبّها بغير الفاحشة أدّب ومن سبّها بالفاحشة كفر لأنه كذّب الله تعالى.

ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي
مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

شـــرح الكلمـات :

أن تشيع الفاحشة : أي تعم المجتمع وتنتشر فيه والفاحشة هي الزنا.

ولولا فضل الله عليكم ورحمته : جواب لولا محذوف تقديره : لعاجلكم بالعقوبة أيها العصبة.

خطوات الشيطان : نزغاته ووساوسه.

ما زكى منكم من أحد أبداً : أي ماطهر ظاهره وباطنه وهي خلو النفس من دنس الإثم.

ولا يأتل أولوا الفضل منكم : أي ولا يحلف صاحب الفضل منكم وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

والسعة : أي سعة الرزق والفضل والإحسان إلى الغير.

معنى الآيات :

مازال السياق في عتاب المؤمنين الذين خاضوا في الإفك فقوله تعالى : ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ أي تنتشر وتشتهر ﴿في الذين آمنوا﴾ أي في المؤمنين ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾ بإقامة حد القذف عليهم وإسقاط عدالتهم وفي الآخرة إن لم يتوبوا بإدخالهم نار جهنم، وكفى بهذا الوعيد زاجراً ورادعاً وقوله تعالى : ﴿والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ أي ما يترتب على حب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين من الآثار السيئة فلذا توعد من يحبها بالعذاب الأليم في الدارين، وأوجب رد الأمور إليه تعالى وعدم الاعتراض على مايشرع وذلك[(١)]

(١) روي أنه ﷺ قال: (أيما رجل شد عضد امرىء من الناس في خصومة لا علم له بها فهو في سخط الله حتى ينزع، وأيما رجل قال شفاعة دون حد من حدود الله أن يقام فقد عاند الله وأقدم على سخطه وعليه لعنة الله تتتابع إلى يوم القيامة، وأيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء أن يشقيه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يرميه بها في النار، ثم تلا مصداقه من كتاب الله : (إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة) الآية.

لعلمه المحيط بكل شيء وجهلنا لكل شيء إلا ما علمناه فأزال به جهلنا وقوله : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ لهلكتم[1] بجهلكم وسوء عملكم . ولكن لما أحاطكم الله به من فضل لم تستوجبوه إلا برأفته بكم ورحمته لكم عفا عنكم ولم يعاقبكم .

وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾[2] أي يامن صدقتم الله ورسوله لاتتبعوا خطوات الشيطان فإنه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي وسيء الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لايلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر، ففاصلوا هذا العدو، واتركوا الجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قط فاحذروا وسواسه وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لاينجكم منه إلا هو سبحانه وتعالى وقوله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾ وهذه منة أخرى وهي أنه لولا فضل[3] الله على المؤمنين ورحمته بحفظهم ودفع الشيطان عنهم ما كان ليطهر منهم أحد ، وذلك لضعفهم واستعدادهم الفطري للاستجابة لعدوهم، فعلى الذين شعروا بكمالهم ؛ لأنهم نجوا مما وقع فيه عصبة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم وأن يقللوا من لومهم وعتابهم، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه اخوانهم، فليحمدوا الله الذي نجاهم وليتطامنوا تواضعاً لله وشكراً له . وقوله : ﴿ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ أي فمن شاء الله تزكيته زكاه وعليه فليلجأ إليه وليطلب التزكية منه، وهو تعالى يزكي من كان أهلاً للتزكية، ومن لا فلا، لأنه السميع لأقوال عباده والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقتضي التضرع إليه والتذلل وقوله تعالى : ﴿ولا يأتل[4] أولو الفضل منكم والسعة[5] أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا﴾ هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثاثة

---

(١) (لهلكتم) هو جواب لولا المحذوف والسر في حذفه أن تذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام والسياق.

(٢) في الآية إشارة أفصح من عبارة وهي : أنّ الظنون السيئة وحب الفاحشة وحب إشاعتها بين المؤمنين كل هذا من وساوس الشيطان وتزيينه للناس للفتنة والإفساد.

(٣) لولا هنا: حرف امتناع لوجود امتنع عدم التزكية لوجود فضل الله تعالى ورحمته، والجملة سيقت للامتنان على المؤمنين ليشكروا.

(٤) روي في الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل: (إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) العشر آيات، قال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال في عائشة فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل منكم) إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه. وقال: لا أنزعها منه أبدا. قال ابن المبارك. هذه أرجى آية في كتاب الله.

(٥) الفضل: الزيادة وهي ضد النقص. والسعة: الغنى والائتلاء: الحلف مأخوذ من الألية التي هي الحلف.

وهو ابن خالته، وكان رجلاً فقيراً من المهاجرين ووقع في الإفك فغضب عليه أبو بكر وحلف أن يمنعه ما كان يرفده به من طعام وشراب، فأنزل الله تعالى هذه الآية ولايأتل أي ولا يحلف أصحاب الفضل والإحسان والسعة في الرزق والمعاش أن يؤتوا أولى القربى أي أن يعطوا أصحاب القرابة، والمساكين والمهاجرين في سبيل الله كمسطح، وليعفوا أي وعليهم أن يعفوا عما صدر من أولئك الأقرباء من الفقراء والمهاجرين، وليصفحوا أي يعرضوا عما قالوه فلا يذكروه لهم ولا يذكرونهم به فإنه يحزنهم ويسوءهم ولا سيما وقد تابوا وأقيم الحد عليهم وقوله تعالى: ﴿ألا تحبون[1] أن يغفر الله لكم؟﴾ فقال أبو بكر بلى والله أحب أن يغفر الله لي فعندها صفح وعفا وسأل رسول الله ﷺ عن يمينه فقال كفر عن يمينك ورد الذي كنت تعطيه لمسطح. وتقرر بذلك أن من حلف يميناً على شيء فرأى غيره خيراً منه كفر عن يمينه وأتى الذي هو خير.

وقوله تعالى: ﴿والله غفور رحيم﴾ فهذا إخبار منه تعالى أنه ذو المغفرة والرحمة وهما من صفـاته الثابتة له وفي هذا الخبر تطميع للعباد لأن يرجوا مغفرة الله ورحمته وذلك بالتوبة الصادقة والطلب الحثيث المتواصل لأن الله تعالى لا يغفر لمن لا يستغفره، ولا يرحم من لا يرجو ويطلب رحمته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ لقبـح فاحشة الزنى وضع الله تعالى لمقاومتها أموراً منها وضع حد شرعي لها، ومنع تزويج الزاني من عفيفة أو عفيفة من زانٍ إلا بعد التوبة، ومنها شهود عدد من المسلمين إقامة الحد ومنها حد القذف ومنها اللعان بين الزوجين، ومنها حرمة ظن السوء بالمؤمنين، ومنها حرمة حب ظهور الفاحشة وإشاعتها في المؤمنين. ومنها وجوب الإستئذان عند دخول البيوت المسكـونـة، ومنها وجوب غض البصر وحرمة النظر إلى الأجنبية، ومنها احتجاب المؤمنة عن الرجال الأجانب ومنها حرمة حركة ماكضرب الأرض بالأرجل لإظهار الزينة. ومنها وجوب تزويج العزاب والمساعدة على ذلك حتى في العبيد بشروطها. ومنها وجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم، وهذه وغيرها كلها أسباب واقية من أخطر فاحشة وهي الزنى.

---

(١) (ألا تحبّون): الاستفهام للإنكار وهو مستعمل في التحضيض والحث على السعي تحصيلا للمغفرة بالعفو والصفح.

٢ ـ حرمة إتباع الشيطان فيما يزينه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر.
٣ ـ متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه يؤدي بالعبد أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر.
٤ ـ على من حفظهم الله من الوقوع في السوء أن يتطامنوا ولا يشعروا بالكبر فإن عصمتهم من الله تعالى لا من أنفسهم.
٥ ـ من حلف على شيء لايفعله أو يفعله ورأى أن غيره خيرٌ منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير.
٦ ـ وجوب العفو والصفح على ذوي المروءات وإقالة عثرتهم إن هم تابوا وأصلحوا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

شـرح الكلمـات:

يرمون المحصنات : أي العفيفات بالزنى.

الغافلات : أي عن الفواحش بحيث لم يقع في قلوبهن فعلها.

المؤمنات : أي بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

يعملون : أي من قول أو عمل.

يوفيهم الله دينهم الحق : أي يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم.

الخبيثات : الخبيثات من النساء والكلمات.

للخبيثين	: للخبيثين من الرجال
والطيبات	: من النساء والكلمات
للطيبين	: أي من الرجال.
أولئك مبرءون مما يقولون	: أي صفوان بن المعطل وعائشة رضى الله عنهما أي مبرءون مما قاله عصبة الإفك.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون[1] المحصنات[2] الغافلات[3] المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة﴾ هذه الآية وإن تناولت ابتداءً عبدالله بن أبي فإنها عامة في كل من يقذف مؤمنة محصنة أي عفيفة غافلة لسلامة صدرها من الفواحش لا تخطر ببالها ﴿لعنوا﴾ أي أبعدوا من الرحمة الإلهية ﴿في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم﴾ في الدنيا بإقامة الحد عليهم وفي الآخرة بعذاب النار، وذلك ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ من سوء الأفعال وقوله تعالى: ﴿يومئذ[4] يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أي يتم ذلك يوم يوفيهم الله دينهم الحق أي جزاءهم الـواجب عليهم ويعلمون حينئذ أن الله هو الحق[5] المبين أي الإله الحق الواجب الإيمان به والطاعة له والعبودية الكاملة له لا لغيره.

وقـوله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين[6]﴾ أي الخبيثات من النساء[7] والكلمات للخبيثين من الرجال كابن أبي، ﴿والخبيثون للخبيثات﴾ أي والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والكلمات وقـوله: ﴿والطيبات للطيبين﴾ أي والطيبات من النساء والكلمات للطيبين من الرجال كالنبي ﷺ وعائشة رضى الله عنها وقوله: ﴿والطيبون للطيبات﴾ أي والطيبون من الرجال للطيبات من النساء والكلمات تأكيد للخبر السابق وقوله تعالى: ﴿أولئك مبرؤون مما

---

(١) هذه الجملة مستأنفة كجملة: (إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا..) وكلتا الجملتين تفصيل للموعظة في قوله تعالى: (يعظكم الله أن لا تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين).

(٢) الإجماع على أنّ حكم المحصنين من الرجال كالمحصنات من النساء في القذف بلا فرق قياساً واستدلالا وحكماً وقضاء.

(٣) الغافلات: هن اللاتي لاعلم لهن بما رمين به وذلك لسلامة صدورهن وبُعدهن ـ بحكم إيمانهنّ ـ عن مواطن الرِيب.

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٥) لوصف الله تعالى بالحق له معنيان جليلان. الأوّل: أنه بمعنى: الثابت الحق لأنّ وجوده واجب فذاته حق إذ لم يسبق عليها عدم ولا انتفاء فلا يقبل إمكان العدم. والثاني: أنه تعالى ذو الحق الواجب له على عباده وهو عبادته وحده دون سواه.

(٦) الابتداء بذكر الخبيثات لأنّ الغرض من الكلام الاستدلال على براءة عائشة أم المؤمنين واللام في للخبيثين: للاستحقاق.

(٧) المراد من الخبث والطيب: الصفات النفسية. الفواحش: صفات خبث والفضائل صفات طهر.

يقولون﴾ أولئك إشارة إلى صفوان بن المعطل وعائشة رضى الله عنها، ومبرؤون أي من قالة السوء التي قالها ابن أُبي ومن أذاعها معه. وقوله: ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ هذه بشرى لهم بالجنة مقابل مانالهم من ألم الإفك الذي جاءت به العصبة المتقدم ذكرها إذ أخبر تعالى أن لهم مغفرة لذنوبهم التي لايخلو منها مؤمن وهو الستر عنها ومحوها ورزقاً كريمًا في الجنة.

وبهذه تمت براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها والحمد لله أولاً وآخراً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - عِظَمُ ذنب قذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقد عده رسول الله ﷺ في السبع الموبقات، والعياذ بالله تعالى.

٢ - تقرير الحساب وما يتم فيه من استنطاق واستجواب.

٣ - تقرير التوحيد بأنه لا إله إلا الله.

٤ - استحقاق الخبث أهله. فالخبيث هو الذي يناسبه القول الخبيث والفعل الخبيث.

٥ - استحقاق الطيب أهله فالطيب هو الذي يناسبه القول الطيب والفعل الطيب.

٦ - براءة أم المؤمنين وصفوان مما رماهما به أهل الإفك.

٧ - بشارة أم المؤمنين وصفوان بالجنة بعد مغفرة ذنوبهما.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧
فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ
فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩

شـــرح الكلمات :

آمنوا : أي صدقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من الغيب والشرع .

تستأنسوا : أي تستأذنوا إذ الاستئذان من عمل الإنسان والدخول بدونه من عمل الحيوان الوحشي .

وتسلموا على أهلها : أي تقولوا السلام عليكم أأدخل ثلاثا .

تذكرون : أي تذكرون أنكم مؤمنون، وأن الله أمركم بالإستئذان .

أزكى لكم : أي أطهر وأبعد عن الريبة والإثم .

ليس عليكم جناح : أي إثم ولا حرج .

فيها متاع لكم : أي ما تتمتعون به كالنزول بها أو شراء حاجة منها .

ماتبدون : أي ماتظهرونه .

وما تكتمون : أي ماتخفونه إذاً فراقبوه تعالى ولا تضمروا ما لايرضى فإنه يعلمه .

معنى الآيات :

نظراً إلى خطر الـرمي بالفاحشة وفعلها وحرمة ذلك كان المناسب هنا ذكر وسيلة من وسائل الوقاية من الوقوع في مثل ذلك ففرض الله تعالى على المؤمنين الإستئذان فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً[1] غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً لاتدخلوا بيوتاً على أهلها حتى تسلموا عليهم قائليــن الســـلام عليكــم[2] وتستأذنوا قائلين أندخل ثلاث مرات فإن أذن لكم بالدخول دخلتم وإن قيل لكم ارجعوا أي لم يأذنوا لكم لحاجة عنـدهم فارجعـوا وعبـر عن الإستئذان بالاستئناس لأمـرين أولهـا أن لفظ الإستئنـاس[3] وارد في لغـة العـرب بمعنى الإستئـذان وثانيهما: أن الإستئذان من خصائص الإنسان الناطق وعدمه من خصائص الحيوان المتوحش إذ يدخل على المنزل بدون إذن إذ ذاك ليس من خصائصه .

---

(١) ورد في سبب نزول هذه الآية أنّ امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله : إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل عليّ وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت الآية فقال أبو بكر يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها مساكن؟ فأنزل الله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة . .) الخ .

(٢) صحّ أن رجلاً دخل على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ (ارجع فقل السلام عليكم) وقال: (من لم يبدأ بالسلام فلا تأذنوا له) .

(٣) الاستئناس، معناه طلب الأنس لأهل البيت حتى تزول الوحشة والكراهة وذلك بالاستئذان .

وقوله ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي الإستئذان خير لكم أي من عدمه لما فيه من الوقاية من الوقوع في الإثم وقوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي تذكرون أنكم مؤمنون وأن الله تعالى أمركم بالإستئذان حتى لايحصل لكم مايضركم وبذلك يزداد إيمانكم وتسموا أرواحكم. وقوله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا فيهاأحداً)أي في البيوت يأذن لكم أي بالدخول فلا تدخلوها وقوله تعالى: ﴿وإن قيل لكم ارجعوا﴾ لِأمْرٍ اقتضى ذلك ﴿فارجعوا﴾ وأنتم راضون غير ساخطين. وقوله تعالى: ﴿هو أزكى لكم﴾ أي أطهر لنفوسكم وأكثر عائدة خير عليكم. وقوله تعالى: ﴿والله بما تعملون عليم﴾[1] أي مطلع على أحوالكم فتشريعه لكم الإستئذان واقع موقعه إذاً فأطيعوه فيه وفي غيره تكملوا وتسعدوا.

وقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم﴾. هذه رخصة منه تعالى لعباده المؤمنين بأن لايستأذنوا عند دخولهم بيوتاً غير مسكونة أي ليس فيها نساء من زوجات وسريات يحرم النظر إليهن وذلك كالدكاكين والفنادق وما إلى ذلك فللعبد أن يدخل لقضاء حاجاته المعبر عنها بالمتاع بدون استئذان لأنها مفتوحة للعموم من أصحاب الأغراض والحاجات أما السلام فسنة على من دخل على دكان أو فندق فليقل السلام عليكم والذي يسقط هو الإستئذان أي طلب الإذن لا غير.

وقوله تعالى: ﴿والله يعلم ماتبدون وما تكتمون﴾ أي يعلم ماتظهرون من أقوالكم وأعمالكم وماتخفون إذاً فراقبوه تعالى في أوامره ونواهيه وافعلوا المأمور واتركوا المنهي تكملوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية الإستئذان[2] ووجوبه على كل من أراد أن يدخل بيتاً مسكوناً غير بيته.

٢ ـ الرخصة في عدم الإستئذان من دخول البيوت والمحلات غير المسكونة للعبد فيها غرض.

---

(١) ورد في الصحيح ما يجعل الاستئذان متأكداً فوق المشروعية إذ أنّ رجلا اطلع في جحر في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مِدراً يرجّل به رأسه فقال له رسول الله ﷺ (لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الله الإذن من أجل البصر) وفي الآية توعد ظاهر لأهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة.

(٢) وإذا قيل له مَن؟ فلا يقل أنا بل يقول فلان ابن فلان لحديث الشيخين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال: استأذنت على رسول الله ﷺ فقال: من هذا؟ فقالت أنا فقال النبي ﷺ: أنا أنا كأنه كره ذلك).

٣ ـ من آداب الإستئذان أن يقف بجانب الباب فلا يعترضه، وأن يرفع صوته بقدر الحاجة وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً وأن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات.

٤ ـ في كل طاعة خير وبركة وإن كانت كلمة طيبة.

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ
ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ
ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟
إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

شـــرح الكلمـات :

يغضوا من أبصارهم(١) : أي يخفضوا من أبصارهم حتى لا ينظروا إلى نساء لايحل لهم أن ينظروا إليهن.

ويحفظوا فروجهم : أي يصونونها من النظر إليها ومن إتيان الفاحشة الزنى واللواط.

---

(١) بدأ بالأمر بغض البصر قبل الأمر بحفظ الفرج لأنّ البصر رائد للقلب كما أنّ الحمّى رائد الموت. أخذ هذا المعنى شاعر فقال:

ألم تر أن العين للقلب رائد   فما تألف العينان فالقلب آلف

أزكى لهم : أي أكثر تزكية لنفوسهم من فعل المندوبات والمستحبات.

ولا يبدين زينتهن : أي مواضـع الـزينـة السـاقين حيث يوضع الخلخال، وكالكفين والذراعين حيث الأساور والخواتم والحناء والرأس حيث الشعـر والأقـراط في الأذنين والتزجيج في الحاجبين والكحل في العينين والعنق والصدر حيث السخاب والقلائد.

إلا ما ظهر منها : أي بالضرورة دون اختيار وذلـك كالكفين لتناول شيئاً والعـين الـواحـدة أو الاثنتين للنظر بهما، والثياب الظاهرة كالخمار والعجار والعباءة.

بخمرهن على جيوبهن : أي ولتضرب المرأة المسلمة الحرة بخمارها على جيوب أي فتحات الثياب في الصدر وغيره حتى لايبدو شيء من جسمها.

إلا لبعولتهن : البعل الزوج والجمع بعول.

أو نسائهن : أي المسلمات فيخرج الذميات فلا تتكشف المسلمة أمامهن.

أو ما ملكت أيمانهن : أي العبيد والجـواري فللمسلمـة أن تكشف وجههـا لخادمها المملوك.

أو التابعين غير أولي الإربة : أي التابعين لأهل البيت يطعمونهم ويسكنونهم ممن لا حاجة لهم إلى النساء.

أو الطفل : أي الأطفال الصغار قبل التمييز والبلوغ.

لم يظهروا على عورات النساء : أي لم يبلغوا سناً تدعوهم إلى الاطلاع على عورات النساء للتلذذ بهن.

ليعلم ما يخفين من زينتهن : أي الخلاخل في الرجلين.

تفلحون : أي تفـوزون بالنجاة من العار والنار، وبالظفر بالطهر والشرف وعالي الغرف في دار النعيم.

معنى الآيات:

سبق أن ذكرنا أنه لقبح وفساد الزنى وسوء أثره على النفس والحياة البشرية وضع الشارع عدة أسباب واقية من الوقوع فيه ومنها الأمر بغض البصر للرجال والنساء فقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من[1] أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ أي مُرْ يارسولنا المؤمنين بأن يغضوا من[2] أبصارهم أي بأن يخفضوا أجفانهم على أعينهم حتى لاينظروا إلى الأجنبيات عنهم من النساء ويحفظوا فروجهم عن النظر إليها فلا يكشفوها لأحد إلا ما كان من الزوج لزوجه فلا حرج وعدم النظر أولى وأطيب، وقوله: ﴿ذلك أزكى لهم﴾ أي أطهر لنفوسهم من نوافل العبادات، وقوله: ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ فليراقبوه تعالى في ذلك المأمور به من غض البصر وحفظ الفرج إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن[3]﴾ إذ شأنهن شأن الرجال في كل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج وقوله تعالى: ﴿ولايبدين زينتهن﴾ أي مُرْهُن بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إظهار الزينة ﴿إلا ماظهر منها﴾ مما لايمكنها ستره وإخفاؤه كالكفين عند تناول شيء أو إعطائه أو العينين تنظر بهما وإن كان في اليد خاتم وحناء وفي العينين كحل وكالثياب الظاهرة من خمار على الرأس وعباءة تستر الجسم فهذا معفو عنه إذ لايمكنها ستره.

وقوله تعالى: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ كانت المرأة تضع خمارها على رأسها مسبلاً على كتفيها فأمرت أن تضرب به على فتحات درعها حتى تستر العنق والصدر ستراً كاملاً وقوله: ﴿ولا يبدين زينتهن[4]﴾ أعاد اللفظ ليرتب عليه مابعده من المحارم الذي يباح للمؤمنة أن تبدي زينتها إليهم وهم الزوج، والأب والجد وان علا وأب الزوج وإن علا وابنها وإن سفل وأبناء الزوج وإن نزلوا، والأخ لأب أو الشقيق أو لأم وأبناؤه وأن نزلوا، وابن الأخ

(١) غض البصر واحترام النساء بعدم النظر إليهن معروف في الجاهلية وهذا عنترة بن شداد يقول:

وأغض طرفي مابدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها؟

لم يذكر الله تعالى ما يغض البصر من أجله للعلم به وهو: وجود النساء الأجنبيات، وكذا ما يحفظ منه الفرج، وهو: النظر إليه والزنى واللواط.

(٢) (من) جائز أن تكون زائدة في يغضوا أبصارهم، وجائز أن تكون للتبعيض لجواز النظر إلى المحارم.

(٣) ورد في الأمر بغض البصر في السنة قوله ﷺ (إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وقال لعلي رضي الله عنه (لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية).

(٤) قال ابن عطية: ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية: أن المرأة مأمورة بأن لا تُبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ماهو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر لحكم ضرورة حركة فيما لابد منه، أو إصلاح شأن ونحو ذلك فيما ظهر على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه.

وان نزل وسواء كان لأب أو لأم أو شقيق، وابن الأخت شقيقة أو لأب أو لأم. والمرأة المسلمة من نساء المؤمنات، وعبدها المملوك لها دون شريك لها فيه والتابع لأهل بيتها من شيخ هرم أصابه الخرف، وعنين ومعتوه وطفل صغير لم يميز دون البلوغ ممن لا حاجة لهم في النساء لعدم الشهوة عندهم لكبر ومرض وصغر.

وقوله تعالى: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ نهى تعالى المؤمنات أن يضربن الأرض بأرجلهن التي فيها الخلاخل لكي يعلم أنها ذات زينة في رجلها، فلا يحل لها ذلك ولو لم تقصد إظهار زينتها.

وقـوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ أمر تعالى المؤمنين والمؤمنات بالتوبة وهي ترك ما من شأنه أن يغضب الله تعالى، وفعل ما وجب فعله ومن ذلك غض البصر وحفظ الفرج والالتزام بالعفة والستر والتنزه عن الإثم صغيره وكبيره وبذلك يتأهل المؤمنون للفلاح الذي هو الفوز بالنجاة من المرهوب والظفر بالمحبوب المرغوب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب غض البصر وحفظ الفرج.[(١)]

٢ ـ وجوب ستر المرأة زينتها ومواضع ذلك ما عدا ما يتعذر ستره للضرورة.

٣ ـ بيان المحارم الذين للمرأة المؤمنة أن تبدي زينتها عندهم بلا حرج.

٤ ـ الرخصة في إظهار الزينة للهرم المخرف من الرجال والمعتوه والطفل الصغير الذي لم يعرف عن عورات النساء شيئاً.

٥ ـ حرمة ضرب ذات الخلاخل الأرض برجلها حتى لا يعلم ماتخفي من زينتها.

٦ ـ وجوب التوبة من كل ذنب وعلى الفور للحصول على الفلاح العاجل والآجل.

وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾

(١) وجوب غض البصر عن النظر إلى المحارم والعورات ويستحب ستر العورة عن الزوج، لحديث عائشة: (ما رأيت ذلك منه، ولا رأى ذلك مني) كما يستحب ستر العورة مطلقاً عن الله وملائكته لقوله ﷺ • (فالله أحق أن يستحي منه من الناس: لمن قال له: الرجل يكون خاليا.)

وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا
تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
(٣٣) وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤)

شــرح الكلمات :

وأنكحوا الآيامى منكم : أي زوجوا من لا زوجة له من رجالكم ومن لا زوج لها من نسائكم .

والصالحين من عبادكم وإمائكم : أي وزوجـوا أيضاً القادرين والقادرات على أعباء الزواج من عبيدكم وإمائكم .

إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله : أي إن يكن الأيامى فقراء فلا يمنعكم ذلك من تزويجهم فإن الله يغنهم .

إن الله واسع عليم . : أي واسـع الفضـل عليم بحـاجة العبد وخلته فيسدها تكرماً .

وليستعفف : أي وليطلب عفة نفسه بالصبر والصيام .

يبتغون الكتاب : أي يطلبون المكاتبة من المماليك

إن علمتم فيهم خيراً : أي قدرة على السداد و الإستقلال عنكم .

وآتوهم من مال الله : أي اعينـوهم بثمن نجم من نجـوم المكاتبة من الزكاة وغيرها .

على البغاء إن أردن تحصناً : أي الزنى تحصناً أي تعففاً وتحفظاً من فاحشة الزنا .

عرض الحياة الدنيا : أي المال.
ومن يكرههن : أي على البغاء «الزنى».
مبينات : للأحكام موضحة لما يطلب منكم فعله وتركه.
ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم : أي قبلكم: أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف وقصة مريم وهما شبيهتان بحادثة الإفك.
وموعظة : الموعظة ما يتعظ به العبد فيسلك سبيل النجاة.

معنى الآيات:

مازال السياق في ذكر الأسباب الواقية من وقوع الفاحشة فأمر تعالى في الآية الأولى من هذا السياق (٣٢) أمـر جمـاعـة المسلمين أن يزوجـوا الأيامى من رجـالهم ونسـائهم بالمساعدة على ذلك والإعانة عليه حتى لا يبقى في البلد أو القرية عزبٌ إلا نادراً ولا فرق بين البكر والثيب في ذلك فقال تعالى: ﴿وأنكحوا[١]﴾ والأمر للإرشاد ﴿الأيامى﴾ جمع أيّم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة بكراً كان أو ثيباً، ﴿منكم﴾ أي من جماعات المسلمين لا من غيرهم كأهل الذمة من الكافرين. وقوله: ﴿والصالحين من عبادكم[٢] وإمائكم﴾ أي وزوجوا القادرين على مؤونة الزواج وتبعاته، وتكاليفه من مماليككم وقوله: ﴿إن يكونوا فقـراء﴾ غير موسرين لايمنعكم ذلك من تزويجهم فقد تكفل الله بغناهم بعد تزويجهم بقوله: ﴿يغنهم[٣] الله من فضله والله واسع عليم﴾ أي واسع الفضل عليم بحاجة المحتاجين وأمر تعالى في هذه الآية من لايجد نكاحاً لانعدام الزوج أو الزوجة مؤقتاً أو انعدام مؤونة الزواج من مهر ووليمة أن يستعفف أي يعف نفسه بالصبر والصيام والصلاة حتى لا يتطلع إلى الحرام فيهلك فقال تعالى: ﴿وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً[٤] حتى يغنيهم الله من فضله والله واسـع عليم﴾ أي واسـع الفضـل مطلق الغنى عليم بحـال عبـاده وحـاجـة المحتاجين منهم. وقوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ هذه مسألة ثالثة تضمنتها هذه

---

(١) الخطاب للأولياء ولجماعة المسلمين إن عجز الأولياء أي: زوّجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف، والطهر والتكافل الاجتماعي. والنكاح تجرى عليه الأحكام الخمسة إذ يكون واجباً على من خاف العنت وقدر على مؤونته، ويسن لمن لم يخف العنت وقدر على مؤونته ويحرم على من لم يخف العنت ولا مؤونة لديه. ويكره لمن لم يخف العنت ويشغله عن طاعة الله تعالى ويباح لمن لا رغبة له فيه وهو قادر عليه.

(٢) اختلف في هل للسيّد أن يكره عبده أو أمته على التزوّج والذي يبدوأن الإكراه يشرع مع خوف الضرر فإن لم يكن ضرر فلا إكراه.

(٣) في الآية دليل على تزوج الفقير بل قال عمر: عجباً لفقير لم يطلب الغنى بالزواج لقول الله تعالى: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله).

(٤) نكاحاً: أي طَوْلَ نكاح فحذف المضاف، وفي الحديث الذي رواه النسائي (ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونهم: المجاهد في سبيل الله والناكح الذي يريد العفاف، والمكاتب الذي يريد الأداء).

الآية وهي إذا كان للمسلم عبد وطلب منه أن يكاتبه. وكان أهلا للتحرر بأن يقدر على تسديد مال المكاتبة. ويستطيع أن يستقل بنفسه فعلى مالكه أن يكاتبه، وأن يعينه على ذلك بإسقاط نجم من نجوم الكتابة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم(1) إن علمتم فيهم خيراً(2) وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ أي على الزنا وهي مسألة رابعة تضمنتها هذه الآية وهي أن جاريتين كانتا لعبدالله بن أبي بن سلول المنافق يقال لهما معاذة ومسيكة قد أسلمتا فأمرهما بالزنا لتكسبا له بفرجيهما كما هي عادة أهل الجاهلية قبل الإسلام فشكتا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصّنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ أي لأجل مال قليل يعرض لكم ويزول عنكم بسرعة. وقوله: ﴿ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ أي لهن رحيم بهن لأن المكره لا إثم عليه فيما يقول ولا فيما يفعل فامتنع المنافق من ذلك.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٤) ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ أي ولقد أنزلنا إليكم أيها المسلمون آيات أي قرآنيّة مبينات أي موضحات للشرائع والأحكام والآداب فاعملوا بها تكملوا في حياتكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم. وقوله: ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وهما شبيهتان بحادثة الإفك وقوله: ﴿وموعظة للمتقين﴾ وهي ماتضمنته الآيات من الوعيد والوعد والترغيب والترهيب وكونها للمتقين بحسب الواقع وهو أن المتقين هم الذين ينتفعون بالمواعظ دون الكافرين والفاجرين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - انتداب المسلمين حاكمين ومحكومين للمساعدة على تزويج الأيامى من المسلمين أحراراً وعبيداً.

٢ - وجوب الاستعفاف على من لم يجد نكاحاً والصبر حتى ييسر الله أمره.

٣ - عدة الله للفقير إذا تزوج بالغنى.

---

(١) لا تكون المكاتبة إلا على أنجم متعددة فلا تصح ناجزة ولا على نجم واحد.

(٢) (خيرا) أي: صلاحاً وتقوى وقدرة على الأداء.

٤ ـ تعين مكاتبة العبد إذا توافرت فيه شروط المكاتبة .

٥ ـ حرمة الزنا بالإكراه أو بالاختيار ومنع ذلك بإقامة الحدود .

٦ ـ صيغـة المكاتبة أن يقول السيد للعبد لقد كاتبتك على ثلاثة آلاف دينار منجمة أي مقسطة على ستة نجوم تدفع في كل شهر نجمًا أي قسطاً . على أنك إذا وفيتها في آجالها فأنت حر، وعليه أشهدنا وحرر بتاريخ كذا وكذا .

٧ ـ بيان فضل سورة النور لما احتوته من أحكام في غاية الأهمية .

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾
رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ
ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

شـرح الكلمـات :

الله نور السموات : أي منورهـا فلولاه لما كان نور في السموات ولا في

الأرض، والله تعالى نورٌ[1] وحجابه النور.

مثل نوره : أي في قلب عبده المؤمن.

كمشكاة : أي كوة

كوكب دري : أي مضىء اضاءة الدر الوهاج.

نور على نور : أي نور النار على نور الزيت.

يهدي الله لنوره : أي للإيمان به والعمل بطاعته من يشاء له ذلك لعلمه برغبته وصدق نيته.

ويضرب الله الأمثال : أي ويجعل الله الأمثال للناس من أجل أن يفهموا عنه ويعقلوا مايدعوهم إليه.

في بيوت أذن الله أن ترفع : هي المساجد ورفعها إعلاء شأنها من بناء وطهارة وصيانة.

يوماً تتقلبُ[2] فيه القلوب والأبصار : يوم القيامة.

يرزق من يشاء بغير حساب : أي بلا عَدٍّ ولا كيل ولا وزن وهذا شأن العطاء إن كان كثيراً.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿الله نورُ[3] السموات والأرض﴾ يخبر تعالى أنه لولاه لما كان في الكون نور ولا هداية في السموات ولا في الأرض فهو تعالى منورهما فكتابه نور ورسوله نور أي يهتدي بهما في ظلمات الحياة كما يهتدي بالنور الحسي والله ذاته نور وحجابه نور فكل نور حسي أو معنوي الله خالقه وموهبه وهادٍ إليه.

وقوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ أي كوة في جدار ﴿فيها مصباح المصباح في زجاجة﴾ من بلور، ﴿والزجاجة﴾ في صفائها وصقالتها مشرقة ﴿كأنها كوكب دري﴾ والكوكب الدري هو المضيء المشرق كأنه درة بيضاء صافية، وقوله: ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ أي وزيت

---

(١) في الحديث الصحيح: (اللهم أنت نور السموات والأرض) وفي آخر صحيح وقد سئل ﷺ: هل رأيت ربّك؟ فقال (نور أنّى أراه) وفي آخر (رأيت نوراً).

(٢) تتقلب قلوب الكافرين من الجحد والتكذيب إلى التصديق واليقين وقلوب المؤمنين بين الخوف والرجاء، وأما تقلب الأبصار: فإنها بالنظر هنا وهناك لشدّة الخوف وعظم الهول. هذه قلوب المؤمنين أما قلوب الكافرين فمن الكحل إلى الزرق والعمى بعد الإبصار.

(٣) قال ابن عباس: (الله نور السموات والأرض) يقول: هادي أهل السموات والأرض.

المصباح من شجرة مباركة وهي الزيتونة والزيتونة لا شرقية ولا غربية في موقعها من البستان لا ترى الشمس إلا في الصبـاح، ولا غربية لا ترى الشمس إلا في المساء بل هي وسط البستان تصيبها الشمس في كامل النهار فلذا كان زيتها في غاية الجودة يكاد يشتعل لصفائه، ولو لم تمسه نار، وقوله تعالى: ﴿نور على نور﴾[1] أي نور النار على نور الزيت وقوله تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ يخبر تعالى أنه يهدي لنوره الذي هو الإيمان والإسلام والإحسان من يشاء من عباده ممن علم أنهم يرغبون في الهداية ويطلبونها ويكملون ويسعدون عليها.

وقوله: ﴿ويضرب[2] الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ يخبر تعالى: أنه يضرب الأمثال للناس كهذا المثل الذي ضربه[3] للإيمان وقلب عبده المؤمن وأنه عليم بالعباد وأحوال القلوب، ومن هو أهل للهداية ومن ليس لها بأهل، إذ هو بكل شيء عليم.

وقوله: ﴿في بيوت[4] أذن الله أن ترفع﴾ أي المصباح في بيوت أذن الله أي أمر وَوَصَّى أن ترفع حساً ومعنى وهي المساجد فتطهر من النجاسات ومن اللغو فيها وكلام الدنيا،[5] وتصان وتحفظ من كل ما يخل بمقامها الرفيع لأنها بيوت الله تعالى، وقوله: ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ أي بالأذان والإقـامة والصلاة والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن. وقوله تعالى: ﴿يسبح له فيها﴾ أي الله في تلك البيوت ﴿بالغدو﴾ أي بالصباح ﴿والآصال[6]﴾ أي المساء ﴿رجال﴾ مؤمنون صادقون أبرار متقون ﴿لاتلهيهم تجارة ولا بيع﴾ أي لا شراء ولا بيع ﴿عن ذكر الله﴾ فقلوبهم ذاكرة غير غافلة وألسنتهم ذاكرة غير لاهية ولا لاغية ﴿وإقام الصلاة وإتياء الزكاة﴾ أي لاتلهيهم دنياهم عن آخرتهم فهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.

وقوله: ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ أي من شدة الخوف وعظم الفزع والهول وهو يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله﴾

---

(١) أي: اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة إلى ضوء الزيت فهو لذلك نور على نور، واختلطت هذه الأنوار في المشكاة فصارت كأنور ما تكون فكذلك براهين الله تعالى واضحة وهي: برهان بعد برهان. والجملة مستأنفة أي: هذا المذكور هو نور على نور.

(٢) قوله تعالى: (يهدي الله لنوره من يشاء) إلى قوله: (عليم) هي ثلاث جمل معترضة أو تذييل لما سبق من الكلام.

(٣) قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسّه النار فإن مسّته النار ازداد ضوءه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاء العلم زاده هدىً على هدىً ونوراً على نور.

(٤) كون (في بيوت) متعلقاً بقوله (مصباح) أولى وأوضح من تعلقـه بيسـبح له) وإن قيل: كيف يعود إلى المصباح، وهو واحد والبيوت جمع؟ قيل: هذا كقوله: (وجعل فيهن نوراً) وهو في سماء واحدة لا في كل سماء وإنما هو تلوين للخطاب.

(٥) لقول الرسول ﷺ للذي أنشد الضالة: (لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له) يريد الصلاة والذكر وقراءة القرآن وتعلّم العلم.

(٦) الآصال: جمع أصيل وهو المساء.

أي إنهم فعلوا ما فعلوا من التسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة معرضين عن كل ما يشغلهم عن عبادة ربهم فتأهلوا بذلك للثواب العظيم ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله فوق ما استحقوه بأعمالهم وتقواهم لربهم، والله يرزق من يشاء بغير حساب وذلك لعظيم فضله وسابق رحمته فيعطي بدون عَد ولا كيل ولا وزن وذلك لعظم العطاء وكثرته.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ كل خير وكل نور وكل هداية مصدرها الله تعالى فهو الذي يطلب منه ذلك.

٢ ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان والفهوم.

٣ ـ الإشارة إلى أن ملة الإسلام لا يهودية ولا نصرانية، لا اشتراكية ولا رأسمالية. بل هي الملة الحنيفية من دان بها هدى ومن كفرها ضل.

٤ ـ وجوب تعظيم بيوت الله تعالى «المساجد» بتطهيرها[1] ورفع بنيانها وإخلائها إلا من ذكر الله والصلاة وطلب العلم فيها.

٥ ـ ثناء الله تعالى على من لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ
بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن
فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ
يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ

---

(١) أوّل من أنار مسجد رسول الله ﷺ: تميم الداري، إذ أتى بقناديل من الشام فعلّقها في مسجد رسول الله ﷺ وأسرجها فرآها الرسول ﷺ فدعا بقوله ﷺ (نورت الإسلام نوّر الله عليك في الدنيا والآخرة).

عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

شـــرح الكلمـات :

كسراب بقيعة : السراب شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء، والقيعة جمع قاع وهو ما انبسط من الأرض.

الظمآن : العطشان.

بحر لجي : أي ذو لجج واللجة معظم الماء وغزير كما هي الحال في المحيطات.

يغشاه موج : يعلوه ويغطيه موج آخر.

يسبح له : ينزه ويقدس بألفاظ التسبيح والتقديس كسبحان الله ونحوه والصلاة من التسبيح.

صافات : باسطات أجنحتها.

قد علم صلاته : أي كل من في السموات والأرض قد علم الله صلاته وتسبيحه كما أن كل مسبح ومصل قد علم صلاة وتسبيح نفسه.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب[1]﴾ لما بين تعالى حال المؤمنين وأنه تعالى وفاهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون وزادهم من فضله ذكر هنا حال الكافرين وهو أن أعمالهم في خسرانها وعدم الانتفاع بها كسراب وهو شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء ﴿بقيعـة﴾ أي بقـاع من الأرض وهـو الأرض المنبسطة. ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ أي يظنه العطشان ماء وما هو بماء ولكنه سراب خادع ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ لأنه سراب لا غير. فيا للخيبة، خيبة ظمآن يقتله العطش فرأى سراباً فجرى وراءه يظنه ماء فإذا به لم يجد الماء، ووجد الحق تبارك وتعالى فحاسبه على كل أعماله وهي في جملتها أعمال إجرام وشر وفساد فوفاه إياها فخسر خسراناً مبيناً، ﴿والله سريع الحساب﴾ فما هي إلا لحظات والكافر في سواء الجحيم. هذا مَثَلٌ تضمنته الآية الأولى (٣٩) ومثل آخر تضمنته الآية الثانية (٤٠)

---

(١) سمي السراب سراباً: لأنه يسرب كالماء في جريانه، والسراب يلتصق بالأرض، والآل كالسراب إلّا أنه يكون كالماء ولكنه مرتفع بين السماء والأرض قال الشاعر:

وكنت كمهريق الذي في سقائه   لرقراق آل فوق رابية صَلدِ

وهو مثل مضروب لضلال الكافر وحيرته في حياته وما يعيش عليه من ظلمة الكفر وظلمة العمل السيىء والإعتقاد الباطل وظلمة الجهل بربه ومايريده منه، وما أعده له قال تعالى: ﴿أوكظلمات[١] في بحر[٢] لجي﴾ أي ذي لجج من الماء ﴿يغشاه﴾ أي يعلوه ﴿موج من فوقه موج﴾ أي من فوق الموج موج آخر ﴿من فوقه سحاب﴾. والسحاب عادة مظلم فهي ﴿ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ لشدة الظلمة هذه حال الكافر في هذه الحياة الدنيا، وهي ناتجة عن إعراضه عن ذكر ربه وتوغله في الشر والفساد وقوله تعالى: ﴿ومن[٣] لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾. أعلم تعالى عباده أن النور له وبيده فمن لم يطلبه منه حرمه وعاش في الظلمات والعياذ بالله.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات﴾ أي ألم ينته إلى علمك يارسولنا أن الله تعالى يسبح له من في السموات من الملائكة والأرض أي ومن[٤] في الأرض بلسان القال والحال معاً والطير[٥] صافات أي باسطات أجنحتها تسبح الله تعـالى بمعنى تنزهه بألفاظ التنزيه كسبحان الله. فإن امتنع المشركون أهل الظلمات من الإيمان بالله وعبادته وتوحيده فيها فإن الله تعالى يسبح له الخلق كله علويه وسفليه فالكافر وإن لم يسبح بلسانه فحاله تسبح[٦] فخلقه وتركيبه وأقواله وأعماله كلها تسبح الله خالقه فهي شاهدة على قدرة الله وعلمه وحكمته وأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله تعالى: ﴿كل﴾ أي ممن في السموات والأرض والطير قد علم الله صلاته وتسبيحه كما أن كلًا منهم قد علم صلاته لله تعالى وتسبيحه له ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي والله عليم بأفعال عباده، ويجزيهم بها وهو على ذلك قدير إذ له ملك السموات والأرض وإليه المصير أي مصير كل شيء إليه تعالى فهو الذي يحكم فيه بحكمه العادل.

---

(١) قال الجرجاني الآية الأولى في ذكر أعمال الكفار، والثانية في ذكر كفرهم .ونسق الكفر على الأعمال لأن الكفر أيضاً من أعمالهم.

(٢) قيل: المراد بالظلمات: أعمال الكفار، وبالبحر اللّجي: قلب الكافر، وبالموج فوق الموج: ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب: الرين والختم والطبع على قلبه، ولذا قال أبيّ بن كعب: الكافر يتقلّب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة، وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى ظلمة النار.

(٣) قيل: هذه الآية نزلت في شيبة بن ربيعة أو في ربيعة نفسه إذ كلاهما ترهّب وطلب الدين في الجاهلية ولما جاء الإسلام كفرا به ولم يدخلا فيه وماتا كافرين.

(٤) أي: من الجن والإنس.

(٥) قرىء (والطير) بالرفع عطفاً على من. وقرىء بالنصب على نحو: قمت وزيداً أي معه وهو أجود من الرفع ولو قلت قمت أنا وزيد لكان الرفع أجود.

(٦) تسبيح الحال هو ما يُرى من علم الله تعالى وقدرته في آثار الصنعة في المخلوقات، فالخالق المدبر وحده لا يكون إلاّ إلها واحداً لا شريك له.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني البعيدة إلى الأذهان.

٢ ـ بيان خسران الكافرين في أعمالهم وحياتهم كلها.

٣ ـ بيان حال الكافرين في هذه الدنيا وأنهم يعيشون في ظلمات الجهل والكفر والظلم.

٤ ـ تقرير حقيقة وهي أن من لم يجعل الله له نوراً في قلبه لن يكن له نور في حياته كلها.

٥ ـ بيان أن الكون كله يسبح لله كقوله تعالى: ﴿يسبح له ما في السموات وما في الأرض وقوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾
يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن
يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ
وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

يزجي سحاباً	:	أي يسوق برفق ويسر.
ثم يؤلف بينه	:	أي يجمع بين أجزائه وقطعه.
ثم يجعله ركاماً	:	أي متراكمًا بعضه فوق بعض.
الودق	:	أي المطر.

يخرج من خلاله : أي من فرجه ومخارجه.
من جبال فيها من برد : أي من جبال من برد في السماء والبرد حجارة بيضاء كالثلج.
فيصيب به من يشاء : أي فيصيب بالبرد من يشاء.
سنا برقه : أي لمعانه.
يذهب بالأبصار : أي الناظرة إِلَيْهَ
لعبرة : أي دلالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه ووجوب توحيده.
كل دابة من ماء : أي حيوان من نطفة.
على بطنه : كالحيات والهوام.
على رجلين : كالإنسان والطير.
على أربع : أي كالأنعام والبهائم.
إلى صراط مستقيم : أي إلى الإسلام.

معنى الآيات :

مازال السياق في عرض مظاهـر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي الموجبة لله تعالى العبادة دون سواه فقال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ أي ألم ينته إلى علمك يارسولنا أن الله يزجي[1] سحاباً أي يسوقه برفق وسهولة ﴿ثم يؤلف﴾ أي يجمع بين أجزائه فيجعله ركاماً أي[2] متراكمًا بعضه على بعض ﴿فترى الودق[3]﴾ أي المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي من فتوقه وشقوقه. والخلال جمع خلل كجبال جمع جبل وهو الفتوق بين أجزاء السحاب وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم. وقوله: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ أي ينزل برداً من جبال البرد المتراكمة في السماء فيصيب بذلك البرد من يشاء فيهلك به زرعه أو ماشيته، ويصرفه عمن يشاء من عباده فلا يصيبه شيء من ذلك وهذا مظهر آخر من مظاهر

(١) ذكر تعالى من حججه وبراهينه على ألوهيته شيئاً آخر وهو: سوق السحاب وتكوين المطر وإنزاله، وإزجاء السحاب، سوقه يقال: البقرة ازجت ولدها: إذا ساقته أمامها.
(٢) يقال: ركمه يركمه ركما، إذا جمعه وألقى بعضه على بعض، والركام المتراكم.
(٣) الودق: إنه البرق، وكونه المطر: أولى ومنه قول الشاعر:
فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

القدرة واللطف الإلهي وقوله: ﴿يكاد سنا برقه﴾[1] أي يقرب لمعان البرق الذي هو سناه يذهب بالأبصار التي تنظر إليه أي يخطفها بشدة لمعانه.

وقوله تعالى ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بأن يظهر هذا ويخفي هذا فإذا ظهر النهار اختفى الليل، وإذا ظهر الليل اختفى النهار فيقلب أحدهما على الآخر فيخفيه ويستره به وقوله: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ أي إن في إنزال البرد ولمعان البرق وتقليب الليل والنهار لعظة عظيمة لأولى البصائر تهديهم إلى الإيمان بالله وجلاله وكماله فيعبدونه ويوحدونه مُحِبّين له معظمين راجعين خائفين إن هذه ثمرة الهداية هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٤٣) والثانية (٤٤) أما الآية (٤٥) فقد اشتملت على أعظم مظهر من مظاهر القدرة الإلهية فقال تعـالى: ﴿والله خالق كل دابـة﴾[2] أي من إنسان وحيوان ﴿من[3] ماء﴾ أي نطفة من نطف الإنسان والحيوان، ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والثعابين والأسماك، ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنسـان والـطير، ﴿ومنهم من يمشي على أربـع﴾ كالأنعـام والبهائم، وقوله: ﴿يخلق الله مايشاء﴾ إذْ بعض الحيوانات لها أكثر من أربع وقوله: ﴿إن الله على كل شيء[4] قدير﴾ أي على فعل وإيجاد مايريده قدير لايعجزه شيء فأين الله الخالق العليم الحكيم من تلك الأصنام والأوثان التي يؤلهها الجاهلون من أهل الشرك والكفر؟

وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ أي واضحات لأجل هداية العباد إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهي هذه الآيات التي اشتملت عليها سورة النور وغيرها من آيات القرآن الكريم فمن آمن بها ونظر فيها وأخذ بما تدعو إليه من الهدى اهتدى، ومن أعرض عنها فضل وشقى فلا يلومن إلا نفسه، ﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايته ممن رغب في الهداية وطلبها وسلك لها مسالكها ﴿إلى صراط مستقيم﴾ ألا وهو الإسلام طريق الكمال والسعادة في الحياتين اللهم اجعلنا من أهله إنك قدير.

---

(١) السنا مصدر: لمعان البرق والسنا، ممدود: الرفعة قال: ابن دريد:

زال السنا عن ناظري   وزال عن شرف السناء

فالسّنا الأول: الرفعة والثاني: ضوء البرق، وجملة: (يكاد سنا برقه) وصف لـ: (سحاباً).

(٢) فخرج الملائكة والجن إذ الملائكة خلقوا من نور والجن من النار.

(٣) تنكير ماء: لإرادة النوعية تنبيها على اختلاف صفات الماء لكل نوع من الدواب.

(٤) هذه الجملة ذكرت تذييلا وتعليلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات الإيمان والتقوى.

٢ ـ بيان كيفية نزول المطر والبرد.

٣ ـ مظاهر لطف الله بعباده في صرف البرد عن زرع وماشية بعض عباده.

٤ ـ مظاهر القدرة والعلم في تقليب الليل والنهار على بعضهما بعضاً.

٥ ـ بيان أصناف المخلوقات في مشيها على الأرض بعد خلقها من ماء وهو مظهر العلم والقدرة.

٦ ـ امتنان الله تعالى على العباد بإنزاله الآيات المبينات للهدى وطريق السعادة والكمال.

وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ
يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ (١) فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾

---

(١) قرأ حفص: (ويتّقه) بإسكان القاف على نيّة الجزم لأن مَن: شرطية جازمة، وكسرها الباقون: لأن جزم المعتل بحذف آخره وأسـكن الهـاء بعض واختلس كسرتها قالون عن نافع، وأشبع الكسرة الباقون.

شرح الكلمات :

ويقولون : أي المنافقون .
آمنا بالله وبالرسول : أي صدقنا بتوحيد الله وبنبؤة الرسول محمد ﷺ .
ثم يتول فريق منهم : أي يعرض .
إذا فريق منهم معرضون : أي عن المجىء إلى الرسول ﷺ .
مذعنين : أي مسرعين منقادين مطيعين .
في قلوبهم مرض : أي كفر ونفاق وشرك .
أم ارتابوا : أي بل شكوا في نبوة الرسول ﷺ .
أن يحيف الله عليهم ورسوله : أي في الحكم فيظلموا فيه .
إنما كان قول المؤمنين : هو قولهم سمعنا وأطعنا أي سمعاً وطاعة .
المفحلون : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة .

معنى الآيات :

بعد عرض تلك المظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته، والموجبة للإيمان بالله ورسوله ، وما عند الله من نعيم مقيم ، وما لديه من عذاب مهين فاهتدى عليها من شاء الله هدايته وأعرض عنها من كتب الله شقاوته من المنافقين الذين أخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ أي صدقنا بالله ربًّا وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً ، وأطعناهما[١] ﴿ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك﴾ أي من بعد تصريحهم بالإيمان والطاعة يقولون معرضين بقلوبهم عن الإيمان بالله وآياته ورسوله ، ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ فأكذبهم الله في دعوة إيمانهم هذا مادلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى : ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله[٢] ليحكم[٣] بينهم﴾ أي في قضية من قضايا دنياهم ، ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ أي فاجأك فريق منهم بالإعراض عن التحاكم إلى الرسول ﷺ وقوله : ﴿وإن يكن لهم الحق﴾ أي وإن يكن لهم في الخصومة التي بينهم وبين غيرهم ﴿يأتوا إليه﴾ أي إلى رسول الله ﴿مذعنين﴾ أي منقادين طائعين أي لعلمهم أن الرسول يقضي بينهم بالحق وسوف يأخذون حقهم وافياً وقوله تعالى : ﴿أفي

---

(١) قولهم ، هذا قول باطل إنهم ما آمنوا ولا أطاعوا وإنما هو قول المنافقين والله شهد إنهم لكاذبون .
(٢) قيل : إنّ هذه الآية نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي كانت بينهما أرض فقال اليهودي : هيا نتحاكم إلى محمد ﷺ وقال بشر المنافق لا إن محمداً يحيف علينا فلنحتكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي فنزلت .
(٣) لم يقل ليحكما لأن الذي يحكم بينهما هو الرسول ﷺ وإنما قدم اسم الله تعظيما ولأن مادة الحكم من الله والرسول ﷺ مبيّن ومنفّذ لا غير.

قلوبهم مرض[1]﴾ أي بل في قلوبهم مرض الكفر والنفاق. ﴿أم ارتابوا﴾ أي بل ارتابوا أي شكوا في نبوة رسول الله ﷺ. ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ لا، لا، ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾، ولما كانوا ظالمين يخافون حكم الله ورسوله فيهم لأنه عادل فيأخذ منهم ما ليس لهم ويعطيه لمن هو لهم من خصومهم وقوله تعالى: ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ أي الصادقين في إيمانهم ﴿إذا دعوا الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي لم يكن للمؤمنين الصادقين من قول يقولونه إذا دعوا إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم إلا قولهم: سمعنا وأطعنا فيجيبون الدعوة ويسلمون بالحق قال تعالى في الثناء عليهم ﴿وأولئك هم المفلحـون﴾ أي النـاجحون في دنياهم وآخرتهم دون غيرهم من أهل النفاق. وقوله تعالى: في الآية الكريمة الأخيرة (٥٢) ﴿ومن يطع الله ورسوله[2]﴾ أي فيما يأمران به وينهيان عنه، ﴿ويخش الله﴾ أي يخافه في السر والعلن، ﴿ويتقه﴾ أي يتق مخالفته فلا يقصر في واجب ولا يَغْشَى محرمـاً، ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ فقصر الفوز عليهم أي هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامـة المنعمـون في جنـات النعيم مع النبيين والصـديقـين والشهـداء والصالحين. اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم إنك ربنا وربهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة.

٢ ـ من دُعِيَ إلى الكتاب والسنة فأعرض فهو منافق معلوم النفاق.

٣ ـ اتخاذ قوانين وضعية للتحاكم إليها دون كتاب الله وسنة رسوله آية الكفر والنفاق.

٤ ـ فضل طاعة الله ورسوله وتقوى الله عز وجل وأن أهلها هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنان.

---

(١) الاستفهام للتوبيخ والذم وهو أبلغ في التوبيخ وأشد في الذم من مجرّد الإخبار كما في المدح أيضاً أبلغ وأشد فيه، وشاهده قول جرير في المدح:

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

(٢) حكي أنّ رجلا من دهاقين الروم أسلم فقيل له هل لإسلامك سبب؟ قال: نعم إني قد قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيراً من كتب الأنبياء فسمعت أسيراً يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما كتب في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت. وقيل له ما هي؟ قال: قوله تعالى: (ومن يطع الله) في الفرائض (ورسوله) في السنن (ويخشى الله) فيما مضى من عمره (ويتقه) فيما بقي من عمره (فأولائك هم الفائزون) والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة. فقال عمر قال النبي ﷺ: (أوتيت جوامع الكلم).

۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل
لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾
قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى
شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

شــرح الكلمات :

وأقسموا بالله جهد أيمانهم : أي حلفوا بالله بالغين غاية الجهد في حلفهم .

لئن أمرتهم : أي بالخروج إلى الجهاد .

طاعة معروفة : أي طاعة معروفة للنبي فيما يأمركم وينهاكم خير من إقسامكم بالله .

فإن تولوا : أي فإن تتولوا أي تعرضوا عن الطاعة .

عليه ماحمل : اي من ابلاغ الرسالة وبيانها بالقول والعمل .

وعليكم ما حملتم : أي من وجوب قبول الشرع والعمل به عقيدة وعبادة وحكما .

وإن تطيعوه تهتدوا : أي وإن تطيعوا الرسول في أمره ونهيه وإرشاده تهتدوا إلى خيركم .

ليستخلفنهم : أي يجعلهم خلفـاء لغـيرهم فيهـا بأن يُديلَ لهم من أهلها فيسودون فيها ويحكمون .

وليمكنن لهم دينهم : أي بأن يظهر الإسلام على سائر الأديان ويحفظه من الزوال.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر أحوال المنافقين فأخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وأقسموا الله جهد أيمانهم﴾[1] أي أقسموا للرسول ﷺ مبالغين في ذلك حتى بلغوا غاية الجهد قائلين لئن أمرتنا بالخروج إلى الجهاد لنخرجن معكم. وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم: ﴿لاتقسموا﴾[2] أي ما هناك حاجة إلى الحلف وتأكيده، وإنما هي طاعة منكم معروفة لنا تغنيكم عن الأيمان وقوله تعالى: ﴿إن الله خبير* بما تعملون﴾ تأنيب لهم وتأديب حيث أخبرهم تعالى بأنه مطلع على أسرارهم ومايقولونه ويعملونه في الخفاء ضد الرسول والمؤمنين ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في كل ما يأمران به وينهيان عنه، ﴿ فإن تولوا﴾[3] أي تعرضوا عن الطاعة وترفضوها، فإنما على الرسول ماحمل من البلاغ والبيان، وعليكم ما حملتم من وجوب الانقياد والطاعة، ومن أخل بواجبه الذي أنيط به فسوف يلقى جزاءه وافياً عند ربه وقوله تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ هذه الجملة عظيمة الشأن جليلة القدر للمؤمن أن يحلف بالله ولا يحنث على أن من أطاع رسول الله في أمره ونهيه لن يضل أبداً ولن يشقى فالهداية إلى كل خير كامنة في طاعة رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ أي ليس على الرسول هداية القلوب، وإنما عليه البلاغ المبين لا غير فلا تلحق الرسول تبعة من عصى فَضَلَّ وهَلَك.

وقوله تعالى في الآية (٥٥) ﴿وعد[4] الله الذين آمنوا منكم﴾أي صدقوا الله والرسول(وعملوا الصالحات﴾ فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وعدهم بأن يستخلفهم في الأرض أي يجعلهم خلفاء حاكمين في أهلها سائدين سكانها استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم من بني إسرائيل حيث أجلى الكنعانيين والعمالقة من أرض القدس وورثها بني إسرائيل وقول: ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ وهو الإسلام

---

(١) (جهد أيمانهم) أي: طاقة ما قدروا أن يحلفوا. والجهد: بفتح الهاء: منتهى الطاقة وهو: منصوب إمّا على الحال من أقسموا. أو على المفعول المطلق أي: جهدوا أيمانهم جهدا.

(٢) هنا تم الكلام، ثم استئنف على تقدير: طاعة معروفة أولى من أيمانكم هذه المبالغين فيها.

(٣) (فإن تولوا): أصله: تتولوا حذفت التاء الأولى تخفيفاً. وهو حذف شائع وسائغ.

(٤) قال مالك: هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل: هذه الآية تضمنت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وهو كذلك وصدق ذلك قوله ﷺ: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة) وفي الآية دليل نبوة الرسول ﷺ وصحة دينه، إذ تضمنت الآية إخباراً بالغيب فكان كما أخبر تعالى به.

* جملة تذيلية تحمل التهديد لهم إذ هم كاذبون في أيمانهم وغير صادقين في أقوالهم وأعمالهم.

فيظهره على الدين كله ويحفظه من التغيير والتبديل والزوال إلى قرب الساعة وقوله تعالى: ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾[1] إذ نزلت هذه الآية والمسلمون خائفون بالمدينة لايقدر أحدهم أن ينام وسيفه بعيد عنه من شدة الخوف من الكافرين والمنافقين وتألب الأحزاب عليهم ولقد أنجز تعالى لهم ماوعدهم فاستخلفهم وأمكن لهم وبدلهم بعد خوفهم أمناً فلله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿يعبدونني[2] لا يشركون بي شيئاً﴾ هذا ثناء عليهم، وتعليل لما وهبهم وأعطاهم يعبدونه لا يشركون به شيئاً وقد فعلوا ومازال بقاياهم من الصالحين إلى اليوم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً اللهم اجعلنا منهم. وقوله تعالى: ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك[3] هم الفاسقون﴾ وعيد وتهديد لمن كفر بعد ذلك الإنعام العظيم والعطاء الجزيل فأولئك هم الفاسقون عن أمر الله الخارجون عن طاعته المستوجبون لعذاب الله ونقمته. عياذا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية الإقسام بالله تعالى وحرمة الحلف بغيره تعالى.

٢ ـ عدم الثقة في المنافقين لخلوهم من موجب الصدق في القول والعمل وهو الإيمان.

٣ ـ طاعة رسول الله موجبة للهداية لما فيه من سعادة الدارين ومعصيته موجبة للضلال والخسران.

٤ ـ صدق وعد الله تعالى لأهل الإيمان وصالح الأعمال من أصحاب رسول الله ﷺ.

٥ ـ وجوب الشكر على النعم بعبادة الله تعالى وحده بما شرع من أنواع العبادات.

٦ ـ الوعيد الشديد لمن أنعم الله عليه بنعمة أمن ورخاء وسيادة وكرامة فكفر تلك النعم ولم يشكرها فَعَرَّضها للزوال.

---

(١) فإن قيل: وأين الأمن وقد قتل عمر وعثمان وعلي غيلة؟ فالجواب: ليس الأمن مانعا من الموت فالموت حتم مع الأمن ومع الخوف لأنها آجال محدودة لا تزيد ولا تنقص:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

وأخرج مسلم قوله ﷺ (والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون).

(٢) الجملة يصح أن تكون حالاً أي: في حال عبادتهم الله تعالى بالإخلاص والعلم. وجائز أن تكون مستأنفة تحمل الثناء عليهم بعبادة ربهم تعالى وحده.

(٣) المراد بالكفر: كفران النعم، وقد حصل هذا بعد القرون المفضلة حيث فسدت العقائد وتمزقت الروابط، وأهمل الدين، وسلب الله ماأعطى، وفي هذا دليل آخر على صحة القرآن والنبوة والإسلام إذ هذه أخبار غيب تمت كما أعلنت.

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

شـرح الكلمات:

وأقيموا الصلاة : أي أدوها أداءً كاملاً تاماً مراعين فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها حتى تثمر الزكاة والطهر في نفوسكم.

وآتوا الزكاة : أي المفروضة من المال الصامت كالذهب والفضة والحرث والناطق كالأنعام من إبل وبقر وغنم.

وأطيعوا الرسول : أي محمداً ﷺ في أمره ونهيه والأخذ بإرشاده وتوجيهه.

لعلكم ترحمون : أي رجاء أن يرحمكم ربكم في دنياكم وآخرتكم فلايعذبكم فيهما

معجزين في الأرض : أي معجزين الله تعالى بحيث لايدركهم ولا ينزل بهم نقمته وعذابه.

ولبئس المصير : أي النار إذ هي المأوى الذي يأوون إليه ويصيرون إليه.

معنى الايتين :

يأمر تعالى عباده المؤمنين من أصحاب الرسول الكريم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ في أمره ونهيه وإرشاده وتوجيهه وذلك رجاء أن يرحموا في الدارين، ولا يعذبوا فيهما. وهذا وإن كان موجهاً ابتداءً إلى أصحاب الرسول فإنه عام بعد ذلك فيشمل كل مؤمن ومؤمنة في الحياة وقوله ﴿لا تحسبنّ[1] الذين كفروا معجزين[2] في الأرض﴾ هذا خطاب للرسول ﷺ ينهاه ربه تعالى أن يظن أن الذين كفروا مهما كانت قوتهم سيفوتون الله تعالى ويهربون مما أراد بهم من خزي وعذاب، لا، لابل سيخزيهم ويذلهم ويسلط عليهم، وقد فعل ﴿ومأواهم النار﴾ يوم القيامة ﴿ولبئس المصير﴾ نار جهنم يصيرون إليها.

---

(١) الآية تحمل تسلية للنبي ﷺ وقرئت بالتاء: (تحسبن) خطاب للنبي ﷺ ولكل ذي أهلية من أصحابه والمؤمنين والجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائيا وقرئت الآية: (ولا يحسبن) بالياء وهي قراءة ضعيفة إذ حسب هنا بمعنى ظن ولم يذكر لها إلا مفعولا واحداً وهي تنصب مفعولين.

(٢) المعجز: الذي يعجز غيره أي: يجعله عاجزاً عن غلبه، والأرض في الآية هي أرض الدنيا هذه.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ ـ وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ للحصول على رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة في الدنيا بالنصر والتمكين والأمن والسيادة وفي الآخرة بدخول الجنة .

٢ ـ تقرير عجز الكافرين وأنهم لن يفوتوا الله تعالى مهما كانت قوتهم وسينزل بهم نقمته ويحل عليهم عذابه .

٣ ـ بيان مصير أهل الكفر وأنه النار والعياذ بالله تعالى .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾
وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

شــرح الكلمات :

ليستأذنكم : أي ليطلب الاذن منكم في الدخول عليكم .
ملكت أيمانكم : من عبيد وإماء .
لم يبلغوا الحلم منكم : أي سن التكليف وهو وقت الاحتلام خمسة عشر سنة فما فوق .
تضعون ثيابكم : أي وقت القيلولة للإستراحة والنوم .
ثلاث عورات لكم : العورة ما يستحي من كشفه ، وهذه الأوقات الثلاثة ينكشف فيها الإنسان في فراشه فكانت بذلك ثلاث عورات .
بعدهن : أي بعدِ الأوقات الثلاثة المذكورة .
طوافون عليكم : أي للخدمة .
بعضكم على بعض : أي بعضكم طائف على بعض .
فليستأذنوا : أي في جميع الأوقات لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين .
والقواعد من النساء : أي اللاتي قعدن عن الحيض والولادة لكبر سنهن .
أن يضعن ثيابهن : كالجلباب والعباءة والقناع والخمار .
غير متبرجات بزينة : أي غير مظهرات زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال .
وأن يستعففن خير لهن : بأن لايضعن ثيابهن خير لهن من الأخذ بالرخصة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾[1] روى من نزول هذه الآية أن النبي ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب يدعوه له فوجده نائماً في وقت الظهيرة فدق الباب ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عندها عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن ، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت فخر ساجداً شكراً لله تعالى .

فقوله تعالى : ﴿يا أيها الذي آمنوا﴾ هو نداء لكل المؤمنين في كل عصورهم وديارهم . وقوله ﴿ليستأذنكم الذي ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ أي علموا أطفالكم وخدمكم الاستئذان عليكم في هذه الأوقات الثلاثة وأمروهم بذلك . وقوله : ﴿ثلاث مرات﴾ هي المبينة في قوله : ﴿من قبل صلاة

(١) قيل : إنّ الآية منسوخة وقيل : هي للندب أو هي واجبة إذ كانوا لا أبواب لغرفهم والصحيح أنها محكمة وأن الاستئذان من هؤلاء المذكورين واجب وسواء كان العبد وغداً أو ذا منظر حسن .
(٢) (ملكت أيمانكم) هم العبيد والذكر والأنثى في هذا سواء .

الفجر﴾ وهي ساعات النوم من الليل، ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ وهي القيلولة، ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾[1] وهي بداية نوم الليل. وقوله: ﴿ثلاث عورات لكم﴾[2] أي هي منطقة انكشاف العورة فيها فاطلق عليها اسم العورة والعورة مايستحي من كشفه وقوله: ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أي ولا على الأطفال والخدم ﴿جناح بعدهن﴾ أي بعد المرات الثلاث وقوله: ﴿طوافون عليكم﴾ أي يدخلون ويخرجون عليكم للخدمة. ﴿بعضكم على بعض﴾ أي بعضكم يدخل على بعض للخدمة فلا غنى عنه فلذا فلا حرج عليكم في غير الأوقات الثلاثة.

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أي كهذا التبيين الذي بين لكم حكم الاستئذان يبين الله لكم الآيات المتضمنة للشرائع والأحكام والآداب فله الحمد وله المنه وقوله: ﴿والله عليم﴾ أي بخلقه ومايحتاجون إليه في إكمالهم وإسعادهم ﴿حكيم﴾ فيما يشرع لهم ويفرض عليهم.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٥٩) ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ أي إذا بلغ الطفل سن الاحتلام وهو البلوغ واحتلم فعليه أن لايدخل على غير محارمه إلا بعد الإستئذان كما يفعل ذلك الرجال من قبله إذ قد أصبح بالبلوغ الذي علامته الإحتلام أو بلوغ خمس عشرة سنة فأكثر أصبح رجلاً تماماً فعليه أن لايدخل بيت أحد إلا بعد أن يستأذن هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾[3] وهم الرجال وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ أي المتضمنة لأحكامه وشرائعه ﴿والله عليم﴾ بخلقه ومايصلح لهم ﴿حكيم﴾ في شرعه وهذه حال توجب طاعته تعالى فيما يأمر به وينهى عنه وقوله تعالى: ﴿والقواعد[4] من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً[5]﴾ أي والتي قعدت عن الحيض والولادة لكبر سنها بحيث أصبحت لا ترجو نكاحاً ولا يرجى منها ذلك فهذه ليس عليها إثم ولا حرج في أن تضع خمارها من فوق رأسها، أو عباءتها من فوق ثيابها التي على

---

(١) يكره تسمية العشاء بالعتمة. روى مسلم أنّ النبي ﷺ قال: (لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء وهم معتمون بالإبل وفي رواية فإنها في كتاب الله العشاء وإنها أي الأعراب تعتم بحلاب الإبل وفي الصحيح (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل).

(٢) العورة: في الأصل الخلل والنقص ثم أطلقت على ما يكره انكشافه والنظر إليه.

(٣) المراد أنّ الأطفال إذا بلغوا الحلم تغيّر حكمهم في الاستئذان فأصبحوا كالرجال في الاستئذان على دخول بيوت الغير كما تقدم في آية الاستئذان (يا أيها الذين آمنوا إذا دخلتم بيوتاً. .). الآية.

(٤) القواعد: جمع قاعد بدون تاء وهي: الآيسة من الحيض والحمل.

(٥) هذه الجملة متضمنة وصفاً كاشفاً للقواعد وليس قيداً.

جسمها حال كونها غير متبرجة[1] أي مظهرة زينة لها كخضاب اليدين والأساور في المعصمين والخلاخل في الرجلين، أو أحمر الشفتين، وما إلى ذلك مما هو زينة يجب ستره وقوله تعالى: ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾ أي ومن لازمت خمارهـا وعجـارها ولم تظهر للأجانب كاشفة وجهها ومحاسنها خير لها حالاً ومآلاً، وحسبها أن يختار الله لها فما اختاره لها لن يكون إلا خيراً في الدنيا والآخرة فعلى المؤمنات أن يخترن ما اختار الله لهن. وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾ أي سميع لأقوال عباده عليم بأعمالهم وأحوالهم فَليتق فيطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - وجوب تعليم الآباء والسادة والأطفال والخدم الإستئذان عليهم في الأوقات الثلاثة المذكورة والمعبر عنها بالعورات.

٢ - وجوب استئذان الأولاد إذا احتلموا الاستئذان على من يريدون الدخول عليه في بيته لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين.

٣ - بيان رخصة كشف الوجه لمن بلغت سناً لا تحيض فيها ولا تلد للرجال الأجانب ولو أبقت على سترها واحتجابها لكان خيراً لها كما قال تعالى: ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾.

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟

(١) ورد وعيد شديد للمتبرجات فقد روى مسلم أنّ النبي ﷺ قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا..).

جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

شـرح الكلمات:

الحرج : الضيق والمراد به هنا الإثم أي لا إثم على المذكورين في مؤاكلة غيرهم.

أو ما ملكتم مفاتحه : أي مما هو تحت تصرفكم بالأصالة أو بالوكالة كوكالة على بستان أو ماشية.

أو صديقكم : أي من صدقكم الود وصدقتموه.

جميعاً أو أشتاتاً : أي مجتمعين على الطعام أو متفرقين.

من عند الله : لأنه هو الذي شرعها وأمر بها، وما كان من عند الله فهو خير عظيم.

طيبة : أي تطيب بها نفس المسلم عليه.

معنى الآيات:

مازال السياق في هداية المؤمنين وبيان مايكملهم ويسعدهم فَفِي هذه الآية الكريمة. رفع تعالى عنهم حرجاً عظيمًا كانوا قد شعروا به فآلمهم وهوأنهم قد رأوا أن الأكل مع ذوي العاهات وهم العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة قد يترتب عليه أن يأكلوا ما لا يحل لهم أكله لأن أصحاب هذه العاهات لايأكلون كما يأكل الأصحاء كماً وكيفاً والله يقول: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾. كما أن أصحاب العاهات قد تحرجوا أيضاً من مؤاكلة الأصحاء معهم خوفاً أن يكونوا يتقذرونهم فآلمهم ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فرفع الحرج عن الجميع الأصحاء وأصحاب العاهات فقال تعالى: **﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم[1] أو بيوت آبائكم**

---

(١) لم تذكر بيوت الأبناء لأن بيوتهم داخلة في بيوت الآباء للحديث (أنت ومالك لأبيك) والحديث وإن ضعف فما هو إلا شاهد فقط وإلا فمعلوم بالضرورة أنّ الأولاد عادة وعرفاً يكونون في بيوت آبائهم ولذا لم يذكروا.

أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم، أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه﴾ بوكالة وغيرها، ﴿أو صديقكم﴾[1] وهو من صدقكم المودة وصدقتموه فيها مادام الرضا حاصلاً، وإن لم يحضروا ولا استئذان[2] وإن حضروا.

ورفع تعالى عنهم حرجاً آخر وهو أن منهم من كان يتحرج في الأكل وحده، ويرى أنه لا يأكل إلا مع غيره وقد يوجد من يتحرج أيضاً في الأكل الجماعي خشية أن يؤذي الآكل معه فرفع تعالى ذلك كله بقوله: ﴿وليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً﴾ أي مجتمعين[3] على قطعة واحدة[4] ﴿أو أشتاتاً﴾ أي متفرقين كل يأكل وحده متى بدا له ذلك وهذا كله ناجم عن تقواهم لله تعالى وخوفهم من معاصيه إذ قد حرم عليهم أكل أموالهم بينهم بالباطل في قوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.

وقوله تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً[5] فسلموا على أنفسكم﴾ فأرشدهم إلى ما يجلب محبتهم وصفاء نفوسهم ويدخل السرور عليهم وهو أن من دخل بيتاً من البيوت بيته كان أو بيت غيره عليه أن يسلم على أهل البيت قائلاً السلام عليكم، وإن كان البيت ما به أحد أو كان مسجداً قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقوله: ﴿تحية من عند الله﴾ إذ هو تعالى الذي أمر بها وأرشد إليها وقوله ﴿مباركة﴾ أي ذات بركة تعود على الجميع وكونها طيبة أن نفوس المُسَلَّم عليهم تطيب بها.

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ أي كذلك البيان الذي بين لكم من الأحكام والآداب يبين الله لكم الآيات الحاملة للشرائع والأحكام رجاء أن تفهموا عن الله تعالى شرائعه وأحكامه فتعملوا بها فتكملوا وتسعدوا عليها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الإذن العام فى الأكل مع ذوي العاهات بلا تحرج من الفريقين.

(١) روي عن ابن عباس أنه قال: الصديق أوكد من القرابة أي: أقوى صلة وقال: ألا ترى استغاثة الجهنميين: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم).

(٢) قال ابن العربي رحمه الله تعالى قولاً حسنا في هذا الحكم قال: أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبذولاً، فإذا كان محرزاً دونهم لم يكن لهم أخذه، ولا يجوز أن يجاوزوا إلى الادخار. ولا إلى ما ليس بمأكول وإن كان غير محرز عنهم إلاّ بإذنهم.

(٣) لا ينبغي أن يُفهم من كلمة مجتمعين أنهم رجال أجانب مع نساء أجنبيات بل هم محارم لبعضهم بعضاً.

(٤) هذا يشمل النهد ووليمة العرس وغيرها والنهد هو أن يكون القوم في سفر فيجمعون الطعام من بعضهم بعضاً ويخلطونه ويأكلونه مجتمعين فهو جائز مباح.

(٥) ورد كيفية الدخول إلى المنزل وهو أن يقول: (اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلّم على أهله) (في صحيح مسلم).

٢ ـ الإذن في الأكل من بيوت من ذكر في الآية من الأقارب والأصدقاء.
٣ ـ جواز الأكل الجماعي والإنفرادي بلا تحرج.
٤ ـ مشروعية التحية عند الدخول على البيوت وأن فيها خيراً وفضلاً.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ
أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات:

أمر جامع : كخطبة الجمعة ونحوها مما يجب حضوره كاجتماع لأمر هام كحرب ونحوها.

يستأذنوه : أي يطلبوا منه ﷺ الإذن.

لبعض شأنهم : أي لبعض أمورهم الخاصة بهم.

دعاء الرسول : أي نداءه فلا ينادي بيامحمد ولكن بيانبي الله ورسول الله.

كدعاء بعضكم بعضاً : أي كما ينادي بعضكم بعضاً بياعمر ويا سعيد مثلاً.

يتسللون منكم لواذاً : أي ينسلون واحداً بعد واحد يستر بعضهم بعضاً حتى يخرجوا خفية.

أن تصيبهم فتنة : أي زيغ في قلوبهم فيكفروا.

قد يعلم ما أنتم عليه : أي من الإيمان والنفـاق، وإرادة الخير أو إرادة الشر. وقـد هنا للتأكيد عوملت معاملة رب إذ هي للتقليل وتكون للتكثير أحياناً.

معنى الآيات:

يخبر تعالى أن المؤمنين الكاملين في إيمانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وإذا كانوا معه ﷺ في أمر جامع يتطلب حضورهم كالجمعة واجتماعات الحروب، لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﷺ ويأذن لهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿إنما[1] المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾.

وقـولـه تعـالى: ﴿إن الذين يستئذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾ في هذا تعليم للرسول والمؤمنين وتعريض بالمنافقين. فقد أخبر تعالى أن الذين يستأذنون النبي هم المؤمنون بالله ورسوله، ومقابله أن الذين لايستأذنون ويخرجون بدون إذن هم لا يؤمنون بالله ورسوله وهم المنافقون حقاً، وأمر رسول الله إذا استأذنه المؤمنون لبعض شأنهم أن يأذن لمن شاء منهم ممن لا أهمية لحضوره كما أمره أن يستغفر الله لهم لما قد يكون غير عذر شرعي يبيح لهم الاستئذان وطمعهم في المغفرة بقوله إن الله غفور رحيم.

وقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم[2] بعضا﴾ هذا يحتمل أموراً كلها حق الأول أن يحاذر المؤمنون إغضاب رسول الله بمخالفته فإنه إن دعا عليهم هلكوا لأن دعاء الرسول لايرد فليس هو كدعاء غيره، والثاني أن لايدعوا الرسول باسمه يامحمد ويا أحمد بل عليهم أن يقولوا يانبي الله ويارسول الله، والثالث أن لايغلظوا في العبارة بل عليهم أن يلينـوا اللفظ ويرقڤوا العبارة إكباراً وتعظيمًا لرسول الله ﷺ هذا ماتضمنه قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾

وقوله: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً﴾ أعلمهم تعالى أنه يعلم قطعاً أولئك المنافقين الذين يكونون في أمر جامع مع رسول الله ﷺ فيتسللون واحداً بعد آخر بدون أن يستـأذنـوا متـلاوذين في هروبهم من المجلس يستر بعضهم بعضاً، وفي هذا تهديد بالغ

---

(١) إنما: أداة حصر، وهي هنا كذلك، فالمعنى أنه لا يتم ولا يكمل إيمان مَنْ آمن بالله ورسوله إلاّ إذا كان من الرسول سامعا غير معنّت، فلا يناقض للرسول في قول ولا عمل أبداً.

(٢) يريد: لا يصيحوا به من بعيد يا أبا القاسم، بل يعظّموه، شاهده من سورة الحجرات: (إنّ الذين ينادونك من وراءك الحجرات أكثرهم لا يعقلون).

الخطورة لأولئك المنافقين. وقوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾[1][2] أي أمر رسول الله وهـذا عام للمؤمنين والمنافقين وإلى يوم القيامة فليحذروا أن تصيبهم فتنة وهي زيغ في قلوبهم فيموتوا كافرين، أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا والعذاب ألوان وصنوف.

وقوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وعبيداً يتصرف كيف يشاء ويحكم مايريد ألا فَلْيتَّقِ اللهُ عز وجل في رسوله فلا يخالف أمره ولا يعصي في نهيه فإن الله لم يرسل رسولاً إلا ليطاع بإذنه.

وقوله تعالى: ﴿قد يعلم ما انتم عليه﴾ إخبار يحمل التهديد والوعيد أيضاً فما عليه الناس من أقوال ظاهرة وباطنة معلومة لله تعالى، ويوم يرجعون إلى الله بعد موتهم فينبئهم بما عملوا من خير وشر ويجزيهم به الجزاء الأوفى، ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فليحذر أن يخالف رسوله أو يعصي وليتق في أمره ونهيه فإن نقمته صعبة وعذابه شديد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب الاستئذان من إمام المسلمين إذا كان الأمر جامعاً. وللإمام أن يأذن لمن شاء ويترك من يشاء حسب المصلحة العامة.

٢ ـ وجوب تعظيم رسول الله ﷺ، وحرمة إساءة الأدب معه حياً وميتاً.

٣ ـ وجوب طاعة رسول الله وحرمة مخالفة أمره ونهيه.

٤ ـ المتجرىء على الاستهانة بسنة الرسول ﷺ يُخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله.

---

(١) دلت الآية على أنّ الأمر للوجوب، وتوجيهه أنّ الله تعالى قد حذّر من مخالفة أمره وتوعّد بالعقاب عليها بقوله: (أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم).

(٢) قيل: إن (عن) في قوله: (يخالفون عن أمره) زائدة، والتقدير: يخالفون أمره، وقيل: ليست زائدة إذ المعنى: يخالفون بعد أمره فعن بمعنى: عند وهذا كقوله تعالى: (ففسق عن أمر ربّه) أي: بعد أمر ربّه إيّاه بأن يسجد لآدم.

سُورَةُ الفُرْقَانِ
مكية
وآياتها سبع[1] وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
(١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)
وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣)

شـرح الكلمات:

تبارك	: أي تكاثرت بركته وعمت الخلائق كلها.
الذي نزل الفرقان	: أي الله الذي نزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل.
على عبده	: أي محمد ﷺ.
ليكون للعالمين نذيرا	: أي ليكون محمد ﷺ نذيراً للعالمين من الإنس والجن أي مخوفاً لهم من عقاب الله وعذابه إن كفروا به ولم يعبدوه ويوحدوه.
فقدره تقديرا	: أي سواه تسوية قائمة على أساس لا اعوجاج فيه ولا زيادة ولا نقص عما تقتضيه الحكمة والمصلحة.
ضراً ولا نفعاً	: أي لا دفع ضر ولا جلب نفع.
موتاً ولا حياة ولا نشوراً	: أي لا يقدرون على إماتة أحد ولا إحيائه ولا بعثاً للأموات.

(١) من الجائز أن يكون فيها بعض الآيات مدنياً إلا أن أسلوبها ومحتواها ظاهر في أنه مكيّ وهو الصحيح، وسميت بالفرقان لذكر لفظ الفرقان فيها ثلاث مرات.

معنى الآيات:

يثني الرب تبارك[1] وتعالى على نفسه بأنه عَظُم خيره وعمت بركته المخلوقات كلها الذي نزل الفرقان الكتاب العظيم الذي فرق به بين الحق والباطل والتوحيد والشرك والعدل والظلم أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون[2] للعالمين الإنس والجن نذيراً ينذرهم عواقب الكفر والشرك والظلم والشر والفساد وهي عقاب الله وعذابه في الدنيا والآخرة وقوله: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً وهو ثناء بعد ثناء وقوله: ﴿و لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء[3] فقدره تقديراً﴾ وهو ثناء آخر عظيم أثنى تبارك وتعالى فيه على نفسه بالملك والقدرة والخلق والعلم والحكمة وقوله: ﴿واتخذوا[4] من دونه آلهة﴾ أصناماً ﴿لايخلقون شيئاً وهو يخلقون ولايملكون لأنفسهم﴾ فضلاً عن غيرهم من عابديهم ﴿ضراً ولا نفعاً﴾ أي دفع ضرٍ ولا جلب نفع، ولا يملكون موتاً لأحد ولا حياة لآخر ولا نشوراً[5] للناس يوم القيامة. أليس هذا موضع تعجب واستغراب أمع الله الذي عمت بركته الأكوان وأنزل الفرقان ملك ما في السموات والأرض تنزه عن الولد والشريك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وخلق كل شيء فقدره تقديراً يتخذون من دونه آلهة أصناماً لاتدفع عن نفسها ضراً ولاتجلب لها نفعاً ولا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً فسبحان الله أين يذهب بعقول الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته وهو إفاضة الخير على الخلق والملك والقدرة والعلم والحكمة.

٢ - التنديد بالشرك والمشركين.

---

(١) للفظ تبارك دلالات كلها حق، منها: تقدس، وتعالى، ودام وثبت إنعامه. قال الثعلبي: لا يقال: متبارك ولا مبارك لأنه يوقف في أسمائه تعالى وصفاته على ما ورد عنه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ قال الطِّرمّاح:

تباركت لا معطٍ لشيء منعته   وليس لما أعطيت ياربّ مانع

(٢) (ليكون) أي: من نزل عليه القرآن وهو محمد ﷺ للعالمين نذيراً في الآية دليل على عموم رسالته ﷺ ولم يكن هذا لغيره إلا نوحاً بعد الطوفان، فقد عمّت رسالته الإنس.

(٣) فيه ردّ على المجوس والثنوية القائلين: هناك خالقان خالق للظلمة وخالق للنور أو خالق للخير وخالق للشر، وهو رأي عفن وجهل مظلم.

(٤) في هذه الجملة تعجب من اتخاذ المشركين آلهة دونه تعالى وهي جمادات لا حياة فيها ولا تملك نفعاً ولا ضراً.

(٥) النشور: الإحياء بعد الموت قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا   يا عجباً للميّت الناشر

٣ - تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ
مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ
لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ
إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

افك افتراه : أي ما القرآن إلا كذباً افتراه محمد وليس هو بكلام الله تعالى هكذا قالوا .

ظلمًا وزوراً : أي فرد الله عليهم قولهم بقوله فقد جاءوا ظلمًا حيث جعلوا الكلام المعجز الهادي إلى الإسعاد والكمال البشري إفكا مختلقاً وزوراً بنسبة ما هو بريء منه إليه .

اكتتبها : أي طلب كتابتها له فكتبت له .

يعلم السر : أي مايسره أهل السماء والأرض وما يخفونه في نفوسهم.

أو يلقى إليه كنز : أي من السماء فينفق منه ولا يحتاج معه إلى الضرب في الأسواق.

جنة يأكل منها : بستان فيه مايغنيه من أنواع الحبوب والثمار.

رجلاً مسحوراً : مخدوعاً مغلوباً على عقله.

ضربوا لك الأمثال : أي بالسحر والجنون والشعر والكهانة والكذب وما إلى ذلك

فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً : فضلوا الطريق الحق وهو أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلا يهتدون.

معنى الآيات:

يخبر تعالى عن أولئك المشركين الحمقى الذين اتخذوا من دون الله رب العالمين آلهة أصناماً لاتضر ولا تنفع أنهم زيادة على سفههم في اتخاذ الأحجار آلهة يعبدونها قالوا في القرآن الكريم والفرقان العظيم ما هو إلا إفك أي كذب اختلقه محمد وأعانه عليه قوم[1] آخرون يعنون اليهود ساعدوه على الإتيان بالقرآن. فقد جاءوا بهذا القول الكذب الممقوت ظلماً وزوراً ظلماً لأنهم جعلوا القرآن المعجز الحامل للهدى والنور جعلوه كذبا وجعلوا البريء من الكذب والذي لم يكـذب قط كاذبـاً فكان قولهم فيه زوراً وباطلاً. وقوله تعالى: ﴿وقالوا[2] أساطير الأولين اكتتبهـا فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ هذه الآية نزلت رداً على شيطان قريش النضر بن الحارث إذ كان يأتي الحيرة ويتعلم أخبار ملوك فارس ورستم. وإذا حدث محمد ﷺ قومه محذراً إياهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فإذا قام ﷺ من المجلس جاء هو فجلس وقـال تعالوا أقص عليكم إني أحسن حديثاً من محمد، ويقول إن ما يقوله محمد هو من أكاذيب القصاص وأساطيرهـم التي سطروها في كتبهم فهو يحدث بها وهي تملى عليه أي يمليها عليه غيره صباحاً ومساءاً فرد تعالى هذه الفرية بقوله لرسوله: ﴿قل[3] أنزله﴾ أي القرآن

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: (قوم آخرون) هم: أبو فكيهة مولى بن الحضرمي وعدّاس وجبر، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب.

(٢) هذه الجملة ردّ على من زعم من المشركين أنّ محمداً يتلقى القرآن من أهل الكتاب وذكر السرّ دون الجهر لأنّ من علم السر فهو بالجهر أعلم وأمرٌ آخر: لو كان القرآن مأخوذاً عن أهل الكتاب لما كان فيه زيادة عمّا عندهم في حين أنّ فيه من العلوم والمعارف مالا يخطر حتى على البال ولو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بسورة من مثله.

(٣) الأساطير: جمع أسطورة كأحاديث جمع أحدوثة. وقال بعضهم إنها جمع أسطار كأقوال وأقاويل: (تُملى) أصلها: تُملل فأبدلت اللام الأخيرة ياء من التضعيف.

﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ أي سر مايسره أهل السموات وأهل الأرض فهو علام الغيب المطلع على الضمائر العالم بالسرائر، ولولا أن رحمته سبقت غضبه لأهلك من كفر به وأشرك به سواه ﴿إنه كان غفوراً رحيمًا﴾ يستر زلات من تاب إليه ويرحمه مهما كانت ذنوبه.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا: ما لهذا[1] الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا[2] أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ هذه كلمات رؤوساء قريش وزعمائها لما عرضوا على رسول الله ﷺ أن يترك دعوته إلى ربه مقابل ما يشاء من ملك أو مال أو نساء أو جاه فرفض كل ذلك فقالوا له إذاً فخذ لنفسك لماذا وأنت رسول الله تأكل الطعام وتمشي في الأسواق[3] تطلب العيش مثلنا فسل ربك ينزل إليك ملكاً فيكون معك نذيراً أو يلقي إليك بكنز من ذهب وفضة تعيش بهما أغنى الناس، أو يجعل لك جنة من نخيل وعنب، أو يجعل لك قصوراً من ذهب تتميز بها عن الناس وتمتاز فيعرف قدرك وتسود قومك وقوله تعالى: ﴿وقال الظالمون[4]﴾ أي للمؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أي انكم باتباعكم محمداً فيما جاء به ويدعو إليه ماتتبعون إلا رجلاً مسحوراً، أي مخدوعاً مغلوباً على عقله لايدري مايقول ولا مايفعل أي فاتركوه ولا تفارقوا ماعليه آباؤكم وقومكم. وقوله تعالى: ﴿انظر[5] كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أي انظر يارسولنا إلى هؤلاء المشركين المفتونين كيف شبهوا لك الأشباه وضربوا لك الأمثال الباطلة فقالوا فيك مرة هو ساحر، وشاعر وكاهن ومجنون فضاعوا في هذه التخرصات وضلوا طريق الحق فلا يرجى لهم هداية بعد، وذلك لِبُعْدِ ضلالهم فلا يقدرون على الرجوع إلى الحق وهو معنى قوله: ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾.

---

(١) الاستفهام للتعجب، وجملة: (يأكل الطعام) جملة حالية، وقولهم: (هذا الرسول) من باب المجاراة وإلاّ فهم مكذّبون برسالته.

(٢) لولا: حرف تحضيض استعملت هنا في التعجيز أي: لولا أنزل عليه ملك لاتبعناه وإنهم كاذبون.

(٣) (الأسواق) جمع سوق، وسميت السوق سوقاً لقيام الناس فيها على ساق للبيع والشراء وورد ذكرها في الكتاب والسنة والعمل فيها مباح وكان الرسول ﷺ يأتيها يدعو أهلها إلى الإسلام وورد أنها شرّ البقاع والمساجد خيرها وهي مقابلة، وورد أنه من قال فيها رافعاً بها صوته: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير) كتب له ألف ألف حسنة.

(٤) هذا القائل هو: عبدالله بن الزبعري أيّام جاهلتيه إذ أسلم فيما بعد وحسن إسلامه.

(٥) هذه الجملة تعجبيّة وهي إخبار منه تعالى عن حال المشركين إذ ضلوا في تلفيق المطاعن والبحث عن التهم لدفع الحق وإبطاله فعجزوا وتاهوا في طرق طلبهم ما يبطلون به دعوة الله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان ما قابل به المشركون دعوة التوحيد من جلب كل قول وباطل ليصدوا عن سبيل الله ومازال هذا دأب المشركين إزاء دعوة التوحيد إلى اليوم وإلى يوم القيامة .

٢ ـ تقرير الوحي الإلهي والنبوة المحمدية .

٣ ـ بيان حيرة المشركين إزاء دعوة الحق وضربهم الأمثال الواهية الرخيصة للصَّدِّ عن سبيل الله ، وقد باءت كل محاولاتهم بالفشل والخيبة المرة .

تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴿١٠﴾ بَلۡ
كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ
أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾
لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾ قُلۡ
أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ
لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾

شـــرح الكلمات :

تبارك : أي تقدس وكثر خيره وعمت بركته .

خيراً من ذلك : أي الذي اقترحه المشركون عليك .

ويجعل لك قصوراً : أي كثيرة لا قصراً واحداً كما قال المشركون .

بل كذبوا بالساعة : أي لم يكن المانع لهم من الإيمان كونك تأكل الطعام وتمشي في

الأسواق بل تكذيبهم بالبعث والجزاء هوالسبب في ذلك.

تغيظاً وزفيرا : أي صوتاً مزعجاً من تغيظها على أصحابها المشركين بالله الكافرين به.

مقرنين : أي مقرونة أيديهم مع أعناقهم في الأصفاد.

دعوا هنالك ثبوراً : أي نادوا ياثبورنا أي ياهلاكنا إذ الثبور الهلاك.

كانت لهم جزاءً ومصيراً : أي ثواباً على إيمانهم وتقواهم، ومصيراً صاروا إليها لايفارقونها.

وعداً مسؤلا. : أي مطالباً به إذ المؤمنون يطالبون به قائلين ربنا وآتناماوعدتنا والملائكة تقول ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الرد على مقترحات المشركين على رسول الله ﷺ، إذ قالوا لولا أنـزل إليه ملك، أو يلقى إليه كنزٌ وتكون له جنة يأكل منها فقال تعالى: لرسوله ﷺ: ﴿تبارك[1] الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ أي الذي اقترحوه وقالوا خذ لنفسك من ربك بعد أن رفضت طلبهم بترك دعوتك والتخلي عن رسالتك ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من خلال أشجارها وقصورها، [2] ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ لا قصراً[3] واحداً كما قالوا، ولكنه لم يشأ ذلك لك من هذه الدار لأنها دار عمل ليست دار جزاء وراحة ونعيم فربك قادر على أن يجعل لك ذلك ولكنه لم يشأه والخير فيما يشاءه فاصبر فإن المشركين لم يكن المانع لهم من الإيمان هو كونك بشراً تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، أو أن الله تعالى لم ينزل إليك ملكاً بل المانع هو تكذيبهم بالساعة فعلة كفرهم وعنادهم هي عدم إيمانهم بالبعث والجزاء فلو آمنوا بالحياة الثانية لطلبوا كل سبب ينجي من عذابها ويحصل نعيمها ﴿بل[4] كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة[5]﴾ أي القيامة ﴿سعيراً﴾ أي ناراً مستعرة أو هي دركة من دركات النار تسمى سعيراً.

---

(١) أي: إن شاء جعل لك خيرا من ذاك الذي اقترحه المشركون عليك وأن معنى لو الشرطية وجواب الشرط محذوف. أي: لجعل ولكن لم يشأ ذلك لأنه غير لائق بمقامك في هذه الدار وهو لك في الآخرة.

(٢) قرىء (ويجعل) بالرفع على الاستئناف، وقراءة الأكثر بالجزم على محل الشرط: إن شاء جعل لك.

(٣) القصر في اللغة: كل بناء رفيع عالٍ حصين. وأما البيت فقد يكون من لبن وطين وقد يكون من شعر.

(٤) بل: هنا للاضراب والانتقال. إضراب على جواب اقتراحهم، وانتقال إلى ذكر علة كفرهم وعنادهم واقتراحهم ما اقترحوه، وهو تكذيبهم بالبعث الآخر، إذ هو سبب عنادهم وكفرهم وفسادهم.

(٥) الساعة: اسم غلب على عالم الخلود. تسمية باسم مبدئه وهو ساعة البعث.

وقوله تعالى: ﴿إذا رأتهم[1] من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ هذا وصف للسعير وهو أنها إذا رأت أهلها من ذوي الشرك والظلم والفساد من مكان بعيد تغيظت عليهم تغيظاً وزفرت زفيراً مزعجاً فيسمعونه فترتعد له فرائصهم. ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾ مشدودة أيديهم إلى أعناقهم بالأصفاد ﴿دَعَوْاهنالك﴾ أي نادوا بأعلى أصواتهم ياثبوراه أي ياهلاكاه أحضر فهذا وقت حضورك: فيقال لهم: خزياً وتبكيتا وتحسيراً: ﴿لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾، فهذا أوآن هلاككم وخزيكم وعذابكم وهنا يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿قل﴾ لأولئك المشركين المكذبين بالبعث والجزاء: ﴿أذلك﴾ أي المذكور من السعير والإلقاء فيها مقرونة الأيدي بالأعناق وهم يصرخون يدعون بالهلاك ﴿خير[2] أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ أي التي وعد الله تعالى بها عباده الذين اتقوا عذابه بالإيمان به وبرسوله وبطاعة الله ورسوله قطعاً جنة الخلد خير ولا مناسبة بينها وبين السعير، وإنما هو التذكير لا غير وقوله: ﴿كانت لهم﴾ أي جنة الخلد كانت لأهل الإيمان والتقوى ﴿جزاء﴾ أي ثواباً، ﴿ومصيراً﴾ يصيرون إليه لايفارقونه وقوله تعالى: ﴿لهم فيها مايشاءون﴾ أي فيها من أنواع المطاعم والمشارب والملابس والمساكن وقوله: ﴿خالدين﴾. أي فيها لايموتون ولا يخرجون، وقوله: ﴿كان على ربك وعداً مسئولاً﴾ أي تفضل ربك أيها الرسول بها فوعد بها عباده المتقين وعداً يسألونه إياه فينجزه لهم فهم يقولون: ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾، ﴿والملائكة تقول ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان أن مرد كفر الكافرين وظلم الظالمين وفساد المفسدين إلى تكذيبهم بالبعث والجزاء

---

(١) إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم فقد ورد مرفوعا أنّ النبي ﷺ قال: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً. قيل يا رسول الله ولها عينان؟ قال: أما سمعتم الله عز وجل يقول: إذا رأتهم من كان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول: وكلت بكل من جعل مع الله إلها آخر. الحديث صححه ابن العربي في القبس.

(٢) إن قيل: كيف قال: (أذلك خير) ولا خير في النار؟ قيل: هذا من باب قول العرب: الشقاء أحبّ إليك أم السعادة؟ وقد علم أنّ السعادة أحب إليه. قال حسان:

أتهجوه ولست له بكفىء ... فشركما لخيركما الفداء

وقطعاً الرسول ﷺ لا شرّ فيه البتة.

في الدار الآخرة فإن من آمن بالبعث الآخر سارع إلى الطاعة والاستقامة.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث الآخر بوصف بعض ما يتم فيه من الجزاء بالنار والجنة.

٣ ـ فضل التقوى وأنها ملاك الأمر فمن آمن واتقى فقد استوجب الدرجات العلى جعلنا الله تعالى من أهل التقوى والدرجات العلى.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى
هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ
يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

يحشرهم : أي يجمعهم

ومايعبدون من دون الله : من الملائكة والأنبياء والأولياء والجن

أم هم ضلوا السبيل : أي طريق الحق بأنفسهم بدون دعوتكم إياهم إلى ذلك.

سبحانك : أي تنزيهاً لك عما لا يليق بجلالك وكمالك.

ولكن متعتهم : أي بأن أطلت أعمارهم ووسعت عليهم أرزاقهم.

وكانوا قوماً بوراً : أي هلكى، إذ البوار الهلاك.

ومن يظلم منكم : أي ومن يشرك منكم أيها الناس.

وجعلنا بعضكم لبعض فتنة : أي بليّة. فالغني مبتلَى بالفقير، والصحيح بالمريض، والشريف بالوضيع فالفقير يقول ما لي لا أكون كالغني والمريض يقول مالي لا أكون كالصحيح، والوضيع يقول ما لي لا أكون كالشريف مثلاً.

أتصبرون : أي اصبروا على ما تسمعون مِمَّن ابتليتم بهم، إذ الاستفهام للأمر هنا.

وكان ربك بصيراً : أي بمن يصبر وبمن يجزع ولا يصبر.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر لها في القيامة إذ إنكار هذه العقيدة هو سبب كل شر وفساد في الأرض فقوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم[1] ومايعبدون من دون الله﴾ أي اذكر يارسولنا يوم يحشر الله المشركين وماكانوا يعبدونهم من دوننا كالملائكة والمسيح والأولياء والجن. ﴿فيقول﴾ لمن كانوا يعبدونهم ﴿أنتم[2] أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل؟﴾ أي ما أضللتموهم ولكنهم ضلوا طريق الحق بأنفسهم فلم يهتدوا إلى عبادتي وحدي دون سواي. فيقول المعبودون ﴿سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك وتقديساً عن كل ما لايليق بجلالك وكمالك ﴿ماكان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء[3]﴾ اي لايصح منا اتخاذ أولياء من دونك فندعو عبادك إلى عبادتهم فنضلهم بذلك، ﴿ولكن متعتهم﴾ ياربنا ﴿وآباءهم﴾ من قبلهم بطول الأعمار وسعة الأرزاق فانغمسوا في الشهوات والملاذ ﴿حتى نسوا الذكر[4]﴾ أي نسوا ذكرك وعبادتك وما جاءتهم به رسلك فكانوا بذلك قوماً بوراً أي هلكى خاسرين.

وقوله تعالى: ﴿فقد[5] كذبوكم بما تقولون[6]﴾ يقول تعالى للمشركين فقد كذبكم من كنتم

---

(١) قرأ الجمهور: (نحشرهم) بالنون للعظمة، و(يقول) بالياء وهو التفات من التكلم إلى الغيبة حسن. وقرأ حفص وغيره بالياء في (يحشرهم) و(يقول) معاً وقرأ بعضٌ بالنون فيهما معاً.

(٢) الاستفهام تقريري للاستنطاق والاستشهاد.

(٣) الأولياء جمع ولي بمعنى التابع فإن الولي يرادف المولى فيصدق على كلا طرفي الولاء أي: على السيد والعبد، والناصر والمنصور والمراد هنا من الولي: التابع.

(٤) قيل: الذكر: القرآن، وقيل: الشكر على الإحسان، وما في التفسير أشمل.

(٥) الفاء الفصيحة إذْ أفصحت على جواب شرط محذوف تقديره:
إن قلتم هؤلاء آلهتنا فقد كذبوكم بما تقولون، وقد جاء التصريح بما يدل على القول المحذوف في قول عباس بن الأحنف.

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا   ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(٦) قرأ الجمهور بالباء وقرأ حفص بالتاء: (تقولون).

تشركون به، فقامت الحجة عليكم فأنتم الآن لاتستطيعون صرفاً للعذاب عنكم ولا نصراً أي ولا تجدون من ينصركم فيمنع العذاب عنكم.

وقوله تعالى: ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيراً﴾ هذا خطاب عام لسائر الناس يقول تعالى للناس ومن يشرك منكم بي أي يعبد غيري نذقه أي يوم القيامة عذاباً كبيراً وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أي يارسولنا ﴿من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق[1] إذاً فلا تهتم بقول المشركين ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ ولا تحفل به فإنهم يعرفون ذلك ولكنهم يكابرون ويجاحدون.

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾[2] أي هذه سنتنا في خلقنا نبتلي بعضهم ببعض فنبتلي المؤمن بالكافر والغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع، وننظر من يصبر ومن يجزع ونجزي الصابرين بما يستحقون والجزعين كذلك.

وقوله تعالى: ﴿أتصبرون﴾ هذا الاستفهام معناه الأمر أي اصبروا إذاً ولا تجزعوا أيها المؤمنون من أذى المشركين والكافرين لكم. وقوله تعالى: ﴿وكان ربك بصيرا﴾ أي وكان ربك أيها الرسول بصيراً بمن يصبر وبمن يجزع فاصبر ولا تجزع فإنها دار الفتنة والامتحان وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ ـ ياهول الموقف إذا سئل المعبودون عمن عبدوهم، والمظلومون عمن ظلموهم.

٣ ـ براءة الملائكة والأنبياء والأولياء من عبادة من عبدوهم.

٤ ـ خطورة طول العمر وسعة الرزق إذ غالباً ما ينسى العبد بهما ربه ولقاءه.

٥ ـ تقرير أن الدنيا دار ابتلاء فعلى أولى الحزم أن يعرفوا هذا ويخلصوا منها بالصبر والتحمل في ذات الله حتى يخرجوا منها ولو كفافاً لا لهم ولا عليهم.

---

(١) أخرج مسلم قوله ﷺ: (أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها).

(٢) هذه الجملة تذييلية الغرض منها التسلية للرسول ﷺ والمؤمنين من أجل ما يلاقون من عناد المشركين وأذاهم. والاستفهام في: (أتصبرون) معناه الحث على الصبر والأمر به نحو قوله: (فهل أنتم منتهون). أي: عما حرّم من الخمر والميسر.

۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا
﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ
هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

لا يرجون لقاءنا : أي المكذبون بالبعث إذ لقاء العبد ربه يكون يوم القيامة.

لولا أنزل علينا الملائكة : أي هلاّ أنزلت علينا ملائكة تشهد لك بأنك رسول الله.

أو نرى ربنا : أي فيخبرنا بأنك رسوله وأن علينا أن نؤمن بك.

استكبروا في أنفسهم : أي في شأن أنفسهم ورأوا أنهم أكبر شيء وأعظمه غروراً منهم.

وعتوا عتواً كبيراً : أي طغوا طغياناً كبيراً حتى طالبوا بنزول الملائكة ورؤية الرب تعالى.

ويقولون حجراً محجوراً : أي تقول لهم الملائكة حراماً محرماً عليكم البشرى.

وقدمنا إلى ما عملوا : أي عمدنا إلى أعمالهم الفاسدة التي لم تكن على علم وإخلاص.

هباء منثوراً : الهباء ما يرى من غبار في شعاع الشمس الداخل من الكوى.

وأحسن مقيلاً : المقيل مكان الاستراحة في نصف النهار في أيام الحر.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر أقوال المشركين من قريش فقال تعالى ﴿وقال الذين لا

يرجـون لقاءنا﴾[1] وهم المكذبون بالبعث المنكرون للحياة الثانية بكل ما فيها من نعيم وعذاب ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ أي هلا أنزل الله علينا الملائكة تشهد لمحمد بالنبوة ﴿أو نرى ربنا﴾[2] فيخبرنا بأن محمداً رسوله وأن علينا أن نؤمن به وبما جاء به ودعا إليه . قال تعالى ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً﴾[3] أي وعزتنا وجلالنا لقد استكبر هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث في شأن أنفسهم ورأوا أنهم شيء كبير وعتوا أي طغوا طغياناً كبيراً في قولهم هذا الذي لا داعي إليه إلا الشعور بالكبر، والطغيان النفسي الكبير، وقوله ﴿يوم يرون الملائكة﴾ أي الذين يطالبون بنزولهم عليهم ، وذلك يوم القيامة . لا بشرى يومئذ للمجـرمين أي الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك والظلم الفساد : ﴿ويقولون﴾ أي وتقول لهم الملائكة ﴿حجراً محجوراً﴾ أي حراماً محرماً[4] عليكم البشرى بل هي للمؤمنين المتقين .

وقـوله تعالى ﴿وقدمنا[5] إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء[6] منثوراً﴾ أي وعمدنا إلى أعمالهم التي لم تقم على مبدأ الإيمان والإخلاص والموافقة للشرع فصيرناها هباءً منثوراً كالغبار الذي يرى في ضوء الشمس الداخل مع كوة أو نافذة لا يقبض باليد ولا يلمس بالأصابع لدقته وتفرقه فكذلك أعمالهم لا ينتفعون منها بشيء لبطلانها وعدم الاعتراف بها .

وقوله تعالى ﴿أصحاب الجنة﴾ أي أهلها الذين تأهلوا لها بالإيمان والتقوى يومئذ أي يوم القيامة الذي كذب به المكذبون خير مستقراً أي مكان استقرار وإقامة وأحسن مقيلا[7]

(١) (لقاءنا) أي : لا يخافون لقاءنا ولا يأملونه ولا يبالون به ، وهذا كلّه ناتج عن تكذيبهم بالبعث والدار الآخرة .

(٢) لما كانت الحياة الدنيا حياة ابتلاء امتنع أن يعطيهم ما طلبوا إذ لو أراهم الله تعالى نفسه أو أراهم ملائكته لآمنوا وبطل حينئذ التكليف الذي أقام تعالى عليه الحساب والجزاء مع أن رؤية الله لا يقدرون عليها لكن على فرض لو أقدرهم الله عليها .

(٣) العتو: أشد الكفر وأفحش الظلم .

(٤) حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلاّ من شهد أن لا إله إلا الله وأقام شرائع الله ، وكذلك الحال يوم القيامة لا بشرى يومئذ للمجرمين : ومن شواهد أنّ حجراً بمعنى محرماً وحراماً قول المتلمس :

حنّت إلى النخلة القصوى فقلت لها ... حِجر حرام الا تلك الدهاريس

الدهاريس: الدراهم .

(٥) قدمنا: عمدنا قال الشاعر:

وقدم الخوارج والضلال ... إلى عباد ربهم فقالوا
إن دماءكم لنا حلال

(٦) تصغير هباء: هُبيّ وواحده: هباة، وهمز في هباء لالتقاء الساكنين وجمع هباة: أهباء .

(٧) المقيل: الذي يُؤوى إليه في وقت القيلولة للاستراحة فيه وفي الحديث: (قيلوا فإنّ الشياطين لا تقيل) وروي أن النبي ﷺ قيل له ما أطول هذا اليوم فقال ﷺ: (والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا) .

أي مكان استراحة من العناء في نصف النهار أي خير وأحسن من أهل النار المشركين المكذبين وفي هذا التعبير إشارة إلى أن الحساب قد ينقضي في نصف يوم الحساب وذلك أن الله سريع الحساب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان ما كان عليه غلاة المشركين من قريش من كبر وعتو وطغيان.

٢ـ إثبات رؤية الملائكة عند قبض الروح، ويوم القيامة.

٣ـ نفي البشرى عن المجرمين وإثباتها للمؤمنين المتقين.

٤ـ حبوط عمل المشركين وبطلانه حيث لا ينتفعون بشيء منه البتة.

٥ـ انتهاء حساب المؤمنين قبل نصف يوم الحساب الذي مقداره خمسون ألف سنة.

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي
وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

بالغمام : أي عن الغمام وهو سحاب أبيض رقيق كالذي كان لبني إسرائيل في التيه.

الملك : أي الملك الحق لله ولم يبق لملوك الأرض ومالكيها ملك في شيء ولا لشيء.

على الكافرين عسيرا :أي صعباً شديداً.

يعض الظالم على يديه :أي ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله.

ســـبيــلا : أي طريقاً إلى النجاة بالإيمان والطاعة.
لم أتخذ فلاناً خليلاً : أي أبي بن خلف خليلاً صديقاً ودوداً.
لقد أضلني عن الذكر: أي عن القرآن وما يدعو إليه من الإيمان والتوحيد والعمل الصالح.
وكان الشيطان : شيطان الجن وشيطان الإنس معاً.

معـنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في عرض مظاهر القيامة وبيان أحوال المكذبين بها فقال تعالى ﴿ويوم﴾ أي اذكر ﴿يوم تشقق[1] السماء بالغمام[2]﴾ أي عن الغمام ونُزّل الملائكة تنزيلاً وذلك لمجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء. وقوله تعالى ﴿الملك يومئذ الحق[3]﴾ أي الثابت للرحمن عز وجل لا لغيره من ملوك الدنيا ومالكيها، وكان ذلك اليوم يوماً على الكافرين[4] عسيراً لا يطاق ولا يحتمـل ما فيه من العذاب والأهوال وقوله ﴿يوم يعض الظالم على يديه﴾ أي المشـرك الكافر بيان لعسر اليوم وشدته حيث يعض الظالم على يديه تندماً وتحسراً وأسفاً على تفريطه في الدنيا في الإيمان وصالح الأعمال. . يقول يا ليتني أي متمنياً: ﴿اتخذت مع الرسول[5] سبيلا﴾ أي طريقاً إلى النجاة من هول هذا اليوم وذلك بالإيمان والتقوى. وينادي مرة أخرى قائلاً ﴿يا ويلتا﴾ أي يا هلكتي احضري فهذا وقت حضـورك، ويتمنى مرة أخرى فيقول ﴿يا ليتني لم اتخذ[6] فلاناً خليلاً﴾ وهو شيطان من الإنس أو الجن كان قد صافاه ووالاه في الدنيا فغرر به وأضله عن الهدى. فقال في تحسر ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ أي القرآن بعد إذ جاءني من ربي بواسطة الرسول وفيه هداي

(١) قرأ نافع (تشّقّق) بتشديد الشين والقاف، وقرأ حفص: (تشقق) بتخفيف الشين وأصلها تتشقق فمن حذف إحدى التائين للتخفيف قرأ بتخفيف الشين ومن أدغم التاء في الشين شدّدها.

(٢) الباء: بمعنى عن نحو: رميت بالقوس وعن القوس، والغمام: سحاب أبيض رقيق مثل الضباب هو الذي قال تعالى فيه: (هل أن ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام).

(٣) الحق : نعت للملك. المبتدأ والخبر: الجار والمجرور، والجملة تتضمن إبطال أي ملك لأحد سوى الرحمن عزّ وجل إذ هو الملك الحق والمالك الحق.

(٤) مفهوم الخطاب أنه على المؤمنين غير عسير فهو إذاً يسير وهو كذلك.

(٥) أهل التفسير على أن هذا الظالم هو عقبة بن أبي معيط وأنّ خليله أميّة بن خلف، فعقبة قتله علي في أسرى بدر وأمية قتله رسول الله ﷺ فكان هذا من دلائل النبوة. لأنه أخبر عنهما بهذا فقُتلا كافرين إلى النار.

(٦) هذا هو عقبة بن أبي معيط وفلان هو: أمية بن خلف. في الآية دليل على وجوب البعد عن قرناء السوء، وفي الحديث الصحيح: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إمّا أن يحذيك وإمّا أن تبتاع منه وإما أن تجد ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة) رواه مسلم.

وبه هدايتي، قال تعالى ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ أي يورطه ثم يتخلى عنه ويتركه في غير موضع وموطن.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر البعث والجزاء بذكر أحوالها وبعض أهوالها.

٢ـ إثبات مجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء يوم القيامة.

٣ـ تندم الظلمة وتحسرهم على ما فاتهم من الإيمان والطاعة لله ورسوله.

٤ـ بيان سوء عاقبة موالاة شياطين الإنس والجن وطاعتهم في معصية الله ورسوله.

٥ـ تقرير مبدأ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إذ عقبة بن أبي معيط هو الذي أطاع أبي بن خلف حيث آمن، ثم لامه أُبيٌّ بن خلف فارتد عن الإسلام فهو المتندم المتحسر القائل ﴿يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر...﴾.

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ
يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا
وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ
وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾
وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾
ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ
مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾

---

(١) الخذول: كثير الخذلان، وخذله: إذا ترك نصرته وهو قادر عليها فالخذل والخذلان: معناهما: ترك نصر المستنجد مع القدرة على نصره.

شـرح الكلمـات:

مهجـوراً : أي شيئاً متروكاً لا يلفت إليه.

هادياً ونصيراً أي هادياً لك إلى طريق الفوز والنجاح وناصراً لك على كل أعدائك.

جملـة واحـدة : أي كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور دفعة واحدة فلا تجزئة ولا تفريق.

لنثبت به فؤادك : أي نقوي قلبك لتتحمل أعباء الرسالة وإبلاغها.

ورتلناه ترتيلاً : أي أنزلناه شيئاً فشيئاً آيات بعد آيات وسورة بعد أخرى ليتيسر فهمه وحفظه.

شـر مكـاناً : أي ينزلونه وهو جهنم والعياذ بالله منها.

معـنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في عرض أحوال البعث الآخر الذي أنكره المشركون وكذبوا فقال تعالى ﴿وقال الرسول[1] يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ هذه شكوى الرسول ﷺ بقومه إلى ربه ليأخذهم بذلك. وهجرهم للقرآن تركهم سماعه وتفهمه والعمل بما فيه.

وقـوله تعالى: ﴿وكذلك[2] جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ أي وكما جعلنالك أيها الرسول أعداء لك من مجرمي قومك جعلنا لكل نبي قبلك عدواً من مجرمي قومه، إذاً فاصبر وتحمل حتى تبلغ رسالتك وتؤدي أمانتك، والله هاديك إلى سبيل نجاحك وناصرك على أعدائك. وهذا معنى قوله تعالى ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾. وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزلَ عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي وقال المكذبون بالبعث المنكرون للنبوة المحمدية المشركون بالله آلهة من الأصنام هلا نزل عليه القرآن مرة واحدة مع بعضه بعضاً لا مفرقاً آيات وسوراً أي كما نزلت التوراة جملة واحدة والإنجيل والزبور وهذا من باب التعنت منهم والاقتراحات التي لا معنى لها إذ هذا ليس من شأنهم ولا مما يحق لهم الخوض فيه، ولكنه الكفر والعناد. ولما كان هذا مما قد يؤلم الرسول ﷺ رد تعالى عليهم

---

(١) الرسول: هو محمد ﷺ يشكو المشركين من قومه إلى ربه تعالى يوم القيامة لتحق عليهم كلمة العذاب.

(٢) هذه الجملة تحمل العزاء للنبي ﷺ والتسلية من جراء ما يجد من قومه المكذبين المعادين المحاربين، ومعنى الآية: وكما جعلنا لك عدواً من قومك وهو أبو جهل جعلنا لكل نبي عدواً.

بقوله ﴿كذلك﴾[1] أي أنزلناه كذلك منجماً ومفرقاً لحكمة عالية وهي تقوية قلبك وتثبيته لأنه كالغيث كلما أنزل أحيا موات الأرض وازدهرت به ونزوله مرة بعد مرة أنفع من نزول المطر دفعة واحدة. وقوله تعالى: ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ أي أنزله مرتلاً أي شيئاً فشيئاً ليتيسر حفظه وفهمه والعمل به.

وقوله تعالى ﴿ولا يأتونك[2] بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن[3] تفسيراً﴾ هذا بيان الحكمة في نزول القرآن مفرقاً لا جملة واحدة وهو أنهم كلما جاءوا بمثل أو عرض شبهة ينزل القرآن الكريم بإبطال دعواهم وتفنيد كذبهم، وإلغاء شبهتهم، وإحقاق الحق في ذلك وبأحسن تفسير لما اشتبه عليهم واضطربت نفوسهم فيه وقوله تعالى ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً[4]﴾ أي أولئك المنكرون للبعث المقترحون نزول القرآن جملة واحدة هم الذين يحشرون على وجوههم تسحبهم الملائكة على وجوههم إلى جهنم لأنهم مجرمون بالشرك والتكذيب والكفر والعناد. أولئك البعداء شر مكاناً يوم القيامة، وأضل سبيلاً في الدنيا، إذ مكانهم جهنم، وسبيلهم الغواية والضلالة والعياذ بالله من ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ شهادة الرسول ﷺ على من هجروا القرآن الكريم فلم يسمعوه ولم يتفهموه ولم يعملوا به، وشكواه إياهم إلى الله عز وجل.

٢ـ بيان سنة الله في العباد وهي أنه ما من نبي ولا هاد ولا منذر إلا وله عَدُوٌّ من الناس وذلك لتعارض الحق مع الباطل، فينجم عن ذلك عداء لازم من أهل الباطل لأهل الحق.

٣ـ بيان الحكمة في نزول القرآن منجماً شيئاً فشيئاً مفرقاً.

٤ـ بيان أن المجرمين يحشرون على وجوههم لا على أرجلهم إلى جهنم إهانة لهم وتعذيباً.

(١) جائز أن يكون كذلك من كلام المشركين: أي: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك أي: كالتوراة والإنجيل فيتم الوقف على كذلك ثم يبتدىء (لنثبت به فؤادك) وما في التفسير أولى.

(٢) هذا كقولهم: (إن هذا إلاّ إفك افتراه) وقولهم: (أساطير الأولين) وقولهم: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) وقولهم (إن تتبعون إلاّ رجلا مسحورا) وقولهم: (لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة) كل هذا الذي قالوه ردّ عليهم وأبطله بالحجج القوية فأسكتهم وأبطل دعاويهم.

(٣) أي: بما يقطع حجتهم ويلقمهم الحجر فلا يستطيعون الرد أو القول.

(٤) (سبيلا) منصوب على التمييز المحول عن فاعل، أي: ضلّت سبيلهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ
ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ
كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

الكتاب : أي التوراة.

وزيراً : أي يشد أزره ويقويه ويتحمل معه أعباء الدعوة.

إلى القوم الذين كذبوا : هم فرعون وآله.

لما كذبوا الرسل : أي نوحاً عليه السلام.

وجعلناهم للناس آية : أي علامة على قدرتنا في إهلاك وتدمير الظالمين وعبرة للمعتبرين.

وعاداً وثمود : أي اذكر قوم عاد وثمود إلخ..

وأصحاب الرس : الرس بئر رس فيها قوم نبيهم، أي رموه فيها ودسوه في التراب.

وقروناً بين ذلك كثيرا : أي ودمرنا بين من ذكرنا من الأمم قروناً كثيراً.

تبرنا تتبيرا : أي دمرناهم تدميراً.

التي أمطرت مطر السوء : هي سدوم قرية قوم لوط.

لا يرجون نشوراً : أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء الآخر.

معنى الآيـات :

قولـه تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ هذا شـروع في عرض أمم كذبت رسلها وردت دعوة الحق التي جاءوا بها فأهلكهم الله تعالى ليكون هذا عظة للمشركين لعلهم يتعظون فقال تعالى وعزتنا لقد آتينا موسى بن عمران الكتاب الذي هو التوراة ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ أي معيناً، فقلنا أي لهما ﴿ اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ وهم فرعون(١) وملأه فأتوهم فكذبوهما فدمرناهم(٢) تدميراً كاملاً حيث أغرقوا في البحر، وقوله تعالى: ﴿وقوم نوح﴾ أي اذكر قوم نوح أيضاً فإنهم لما كذبوا الرسل(٣) أي كذبوا نوحاً ومن كذب رسولاً فكأنما كذب عامة الرسل أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس بعدهم آية أي عبرة للمعتبرين وقوله ﴿وأعتدنا﴾ أي وهيأنا(٤) للظالمين في الآخرة عذاباً أليماً أي موجعاً زيادة على هلاك الدنيا، وقـولـه ﴿وعـاداً وثمود وأصحاب الرس(٥)﴾ أي أهلكنا الجميع ودمرناهم تدميراً لما كذبوا رسلنا وردوا دعوتنا، وقروناً أي وأهلكنا قروناً بين ذلك الذي ذكرنا كثيراً.

وقوله ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾ أي إقامة للحجة عليهم فما أهلكناهم إلا بعد الإنذار والإعـذار لهم. وقوله ﴿وكلاً تبرنا تبتيراً﴾ أي أهلكناهم إهلاكاً لتكذيبهم رسلنا وردهم دعوتنا. وقوله: ﴿ولقد(٦) أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ أي ولقد مر أي كفار قريش على القرية التي أمطرت مطر السوء أي الحجارة وهي قرى قوم لوط سدوم وعمورة وغيرهما فأهلكهم لتكذيبهم رسولهم وإيتانهم الفاحشة وقوله تعالى ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في سفرهم إلى الشام وفلسطين. فيعتبروا بها فيؤمنوا وهو استفهام تقريري وإذ كانوا يمرون بها ولكنهم لم يعتبروا لعلة وهي أنهم لا يؤمنون بالبعث الآخر وهو معنى قوله تعالى ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً(٧)﴾ فالذي لا يرجو أن يبعث ويحاسب ويجزى لا يؤمن ولا يستقيم أبداً.

---

(١) فرعون وهامان والقبط.

(٢) في الآية حذف وهو: ما قدرناه في التفسير أي فكذبوهما فدمرناهم تدميرا.

(٣) ذكر الجنس وهو الرسل والمراد نوح وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلّا نوح وحده.

(٤) وجائز أن يكون معنى الآية: هذه سبيلي في كل ظالم آخذه في الدنيا بالدمار والهلاك.

(٥) الرس: في اللغة البئر تكون غير مطوية والجمع رساس قال الشاعر:
تنابلة يحفرون الرسّاسا
يريد آبار المعادنَ.

(٦) اقتران الخبر بلام القسم لإفادة معنى التعجب من عدم اعتبارهم.

(٧) النشور: مصدر نشر الميت: أحياه. قال الشاعر: يالبكر أشروا لي كليباً يالبكر أين أين الفرار

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم بعد الإنذار والإعذار إليها.

٢ـ بيان عاقبة المكذبين وما حل بهم من دمار وعذاب.

٣ـ بيان علة تكذيب قريش للرسول ﷺ وما جاء به وهي تكذيبهم بالبعث والجزاء فلهذا لم تنفعهم المواعظ ولم تؤثر فيهم العبر.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾
أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

شـرح الكلمـات :

إن يتخذونك : أي ما يتخذونـك.

إلا هـزواً : أي مهـزوءاً به.

أهذا الذي بعث الله رسولاً : أي في دعواه لاأنهم معترفون برسالته والاستفهام للتهكم والاحتقار.

إن كاد ليضلنا عن آلهتنا : أي قارب أن يصرفنا عن آلهتنا.

لولا أن صبرنا عليها : أي لصرفنا عنها.

أرأيت من اتخذ إلهه هواه : أي أخبرني عمن جعل هواه معبوده فأطاع هواه. فهل تقدر على هدايته.

إن هم إلا كالأنعام : أي ما هم إلا كالأنعام في عدم الوعي والإدراك.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا﴾[1] يخبر تعالى رسوله عن أولئك المشركين المكذبين بالبعث أنهم إذا رأوه في مجلس أو طريق ما يتخذونه إلا هزواً أي مهزوءاً به احتقاراً وازدراءً له فيقولون فيما بينهم، ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾[2] وهو استفهام احتقار وازدراء لأنهم يعتقدون أنه رسول الله ويقولون ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا﴾ أي يصرفنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا وثبتنا على عبادتها. وهذا القول منهم ناتج عن ظلمة الكفر والتكذيب بالبعث وقوله تعالى ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ في الدنيا أو في الآخرة أي عندما يعاينون العذاب يعرفون من كان أضل سبيلا هم أم الرسول والمؤمنون، وفي هذا تهديد ووعيد بقرب عذابهم وقد حل بهم في بدر فذلوا وأسروا وقتلوا وتبين لهم أنهم أضل سبيلاً من النبيّ وأصحابه. وقوله تعالى لرسوله وهو يسليه ويخفف عنه آلام إعراض المشركين عن دعوته ﴿أرأيت من[3] اتخذ إلهه هواه﴾ أخبرني عمن جعل معبوده هواه فلا يعبد غيره فكلما اشتهى شيئاً فعله بلا عقل ولا روية ولا فكر فقد يكون لأحدهم حجر يعبده فإذا رأى حجراً أحسن منه عبده وترك الأول فهذا لم يعبد إلا هواه وشهوته فهل مثل هذا الإنسان الهابط إلى مستوى دون البهائم تقدر على هدايته يا رسولنا؟ ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ أي حفيظاً تتولى هدايته أم أنك لا تقدر فاتركه لنا يمضي فيه حكمنا.

وقوله ﴿أم تحسب﴾ أيها الرسول أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون[4] ما يقال لهم ويعقلون ما يطلب منهم إن[5] هم إلا كالأنعام فقط بل هم أضل سبيلاً[6] من الأنعام إذ الأنعام

---

(١) جواب (إذا رأوك) قوله: (ان يتخذونك إلّا هزوا).

(٢) (رسولا) منصوب على الحال، والعائد محذوف تقديره، بعثه الله حال كونه رسولا.

(٣) الاستفهام للتعجيب أي: عجب الله تعالى رسوله من حال المشركين أي: من إضمارهم الشرك وإصرارهم عليه مع إصرارهم أن الله تعالى خالقهم ورازقهم ثم يعمد أحدهم إلى حجر يعبده. قال ابن عباس: الهوى إنه يعبد من دون الله ثم تلا هذه الآية: (أفرأيت مَن اتخذ إلهه هواه) وقد كان الرجل منهم إذا هوى شيئاً عبده حتى إنه ليعبد الحجر أيّاماً ثم يرى غيره فيترك الأول ويعبد الثاني.

(٤) أي: سماع قبول أو يتفكرون فيما تقول فيعقلونه.

(٥) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها في جواب سؤال لأنّ ما تقدّمها في إنكار سمعهم يثير في النفس سؤالاً عن نفي سماعهم وفهمهم فأجيب (إن هم إلّا كالأنعام).

(٦) هم أضل من الأنعام لأنّ البهائم إن لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك بخلاف هؤلاء المشركين.

تعرف طريق مرعاها وتستجيب لنداء راعيها وهم على خلاف ذلك فجهلوا ربهم الحق ولم يستجيبوا لنداء رسوله إليهم .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان ما كان الرسول ﷺ يلاقي في سبيل الدعوة من سخرية به واستهزاء .

٢ـ يتجاهل الإنسان الضال الحق وينكره حتى إذا عاين العذاب عرف ماكان ينكر، وآمن بما كان يكفر.

٣ـ هداية الإنسان ممكنة حتى إذا كفر بعقله وآمن بشهوته وعبد هواه تعذرت هدايته وأصبح أضل من الحيوان وأكثر خسراناً منه .

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ
مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

شـرح الكلمـات :

ألم تر إلى ربك كيف مد الظل: أي ألم تنظر إلى صنيع ربك في الظل كيف بسطه .

ولو شاء الله لجعله ساكناً : أي ثابتاً على حاله في الطول والامتداد ولا يقصر ولا يطول .

ثم جعلنا الشمس عليه دليلا : أي علامة على وجوده إذ لولا الشمس لما عرف الظل .

ثم نبضناه إلينا قبضاً يسيرا : أي أزلناه بضوء الشمس على مهل جزءاً فجزءاً حتى ينتهي.

ثم جعلنا الليل لباساً : أي يستركم بظلامه كما يستركم اللباس.

والنوم سباتاً : أي راحة لأبدانكم من عناء عمل النهار.

وجعل النهار نشوراً : أي حياة إذ النوم بالليل كالموت والانتشار بالنهار كالبعث.

بشراً بين يدي رحمته : أي مبشرة بالمطر قبل نزوله، والمطر هو الرحمة.

ماء طهوراً : أي تتطهرون به من الأحداث والأوساخ.

لنحيي به بلدة ميتاً : أي بالزروع والنباتات المختلفة.

أنعاماً وأناسي كثيراً : أي حيواناً وأناساً كثيرين.

ولقد صرفناه بينهم : أي المطر فينزل بأرض قوم ولا ينزل بأخرى لحكم عالية.

ليذكروا : أي يذكروا فضل الله عليهم فيشكروا فيؤمنوا ويوحدوا.

فأبى أكثر الناس إلا كفوراً : أي فلم يذكروا وأبى أكثرهم إلا كفوراً جحوداً للنعمة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ألم تر[1] إلى ربك كيف مد الظل[2]﴾ هذا شروع في ذكر مجموعة من أدلة التوحيد وهي مظاهر لربوبية الله تعالى المقتضية لألوهيته فأولاً الظل وهو المشاهد من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس وقد مدّه الخالق عز وجل أي بسطه في الكون، ثم تطلع الشمس فتأخذ في زواله وانكماشه شيئاً فشيئاً، ولو شاء الله تعالى لجعله ساكناً لا يبارح ولا يغادر ولكنه حسب مصلحة عباده جعله يتقاصر ويقبض حتى تقف الشمس في كبد السماء فيستقر ثم لما تدحض الشمس مائلة إلى الغروب يفيء أي يرجع شيئاً فشيئاً فيطول تدريجياً لتعرف به ساعات النهار وأوقات الصلوات حتى يبلغ من الطول حداً كبيراً كما كان في أول النهار ثم يقبض قبضاً يسيراً خفياً سريعاً حين تقرب الشمس ويغشاه ظلام الليل. هذه آية من آيات قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته بعباده تجلت في الظل الذي

---

(١) جائز أن تكون الرؤية هنا بصرية وعلمية معاً إذ بالعين يشاهد الظل وزواله وبالقلب يعلم ذلك كذلك.

(٢) الظل بالغداء والفيء بالعشي قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحا نستطيعه ولا الفيء من برد العشي نذوق

قال تعالى فيه ﴿ألم تر﴾ أيها الرسول أي تنظر إلى صنيع ربك جل جلاله ﴿كيف مد الظل، ولو شاء لجعله ساكناً﴾ ينتقل، ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ إذ بضوءها يعرف، فلولا الشمس لما عرف الظل وقوله تعالى ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ حسب سنته ففي خفاء كامل وسرعة تامة يقبض الظل نهائياً ويحل محله الظلام الحالك.

وثانياً: في الليل والنهار قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾[1] أي ساتراً يستركم بظلامه كما تستركم الثياب، ﴿والنوم سباتاً﴾[2] أي وجعل النوم قطعاً للعمل فتحصل به راحة الأبدان ﴿وجعل النهار نشوراً﴾[3] أي حياة بعد وفاة النوم فيتنشر فيه الناس لطلب الرزق بالعمل بالأسباب والسنن التي وضع الله تعالى لذلك.

وثالثا: إرسال الرياح للقاح السحب للإمطار لإحياء الأرض بعد موتها بالقحط والجدب قال تعالى: ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾[4] هو لا غيره من الآلهة الباطلة ﴿أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ أي مبشرات بالمطر متقدمة عليه وهو الرحمة وهي بين يديه فمن يفعل هذا غير الله؟ اللهم إنه لا أحد.

ورابعاً: إنزال الماء الطهور العذب الفرات للتطهير به وشرب الحيوان والإنسان قال تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً[5] لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً﴾ أي إبلاً وبقراً وغنماً ﴿وأناسي كثيراً﴾ أي وأناساً كثيرين وهم الآدميون ففي خلق الماء وإنزاله وإيجاد حاجة في الحيوان والإنسان إليه ثم هدايتهم لتناوله وشربه كل هذا آيات الربوبية الموجبة لتوحيد الله تعالى.

وخامساً: تصريف المطر بين الناس فيمطر في أرض ولا يمطر في أخرى حسب الحكمة الإلهية والتربية الربانية. قال تعالى: ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾[6] أي بين الناس كما

---

(١) قال ابن العربي ظنّ بعض الجهال أن كون الليل لباساً يجزىء من صلى فيه عارياً وهو لا يجزىء ولو أجزأ لأجزأ من أغلق باب غرفته وصلى عرياناً.

(٢) أصل السبت: القطع والتمدد فهو بانقطاع البدن عن العمل تحصل له الراحة لذا قيل للنوم سبات لأنه بالتمدد يكون، وفي التمدد معنى الراحة.

(٣) كان النبي ﷺ إذا أصبح يقول: (الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور).

(٤) قيل: إن تكوين الرياح سببه التقاء حرارة جانب من الجو ببرودة جانب آخر تنشأ السحب.

(٥) أكثر الفقهاء على أنّ الماء الطهور غير الطاهر فالطهور: هو الذي تزال به الأحداث بخلاف الطاهر فلذا كل طهور طاهر وليس كل طاهر طهوراً.

(٦) وجائز أن يراد بقوله (صرفناه بينهم) القرآن الكريم إذ جرى ذكره أول السورة وفي أثنائها أيضاً.

هو مشاهد إقليم يسقى وآخر يحرم، وقوله تعالى: ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾[1] أي جحوداً لإنعام الله عليهم وربوبيته عليهم وألوهيته لهم. وهو أمر يقتضي التعجب والاستغراب. هذه مظاهر الربوبية المقتضية للألوهية، ﴿وأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ عرض الأدلة الحسية على وجوب عبادة الله تعالى وتوحيده فيها ووجوب الإيمان بالبعث والجزاء الذي أنكره المشركون فضلوا ضلالاً بعيداً.

٢ـ بيان فائدة الظل إذ به تعرف ساعات النهار وبه يعرف وقت صلاة الظهر والعصر فوقت الظهر من بداية الفيء، أي زيادة الظل بعد توقفه من النقصان عند وقوف الشمس في كبد السماء، ووقت العصر من زيادة الظل مثله بمعنى إذا دخل الظهر والظل أربعة أقدام أو ثلاثة أو أقل أو أكثر فإذا زاد مثله دخل وقت العصر فإن زالت الشمس على أربعة أقدام فالعصر يدخل عندما يكون الظل ثمانية أقدام وإن زالت الشمس على ثلاثة أقدام فالعصر على ستة أقدام وهكذا.

٣ـ الماء الطهور وهو الباقي على أصل خلقته[2] فلم يخالطه شيء يغير طعمه أو لونه أو ريحه. وبه ترفع الأحداث وتغسل النجاسات، ويحرم منعه عمن احتاج إليه من شرب أو طهارة.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ

---

(١) قال عكرمة: هو قولهم في الأنواء: مطرنا بنوء كذا، وأيّده النحاس وقال: لا نعلم خلافاً أن الكفر هنا هو قولهم مطرنا بنوء كذا وكذا روى الربيع بن صبيح قال: مُطر الناس على عهد رسول الله ﷺ ذات ليلة فلما أصبحوا قال النبي ﷺ: (أصبح الناس فيها رجلين: شاكراً وكافراً فأما الشاكر فيحمد الله تعالى على سقياه وغياثه. وأما الكافر فيقول مطرنا بنوء كذا وكذا).

(٢) أحكام المياه: ١ـ قليل الماء ينجسه قليل النجاسة وكثيره لا ينجسه. ٢ـ الماء طهور ما بقي على أصل خلقته فإن خالطه ما غيّر أحد أوصافه: الريح واللون والطعم سلبت طهوريته. ٣ـ الماء المتغيّر بطول المكث طهور. ٤ـ كره بعض أهل العلم الوضوء بسؤر النصراني، وقد توضأ عمر من بيت نصرانية وقال لها: اسلمي تسلمي فكشف عن رأسها وإذا به مثل الثغامة وقالت: عجوز كبيرة وإنما أموت الآن فقال عمر: اللهم أشهد خرّجه الدارقطني. ٥ـ سؤر الكلب لا يتوضأ به ويغسل الإناء سبعاً. ٦ـ ما مات في الماء مما لادم له كالحشرات لا يسلب طهورية الماء. ٧ـ سؤر الهر طاهر لحديث ابي قتادة.

وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ
ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

لبعثنا في كل قرية نذيراً : أي رسولاً ينذر أهلها عواقب الشرك والكفر.

وجاهدهم به جهاداً كبيراً: أي بالقرآن جهاداً كبيراً تبلغ فيه أقصى غاية جهدك.

مرج البحرين : أي خلط بينهما وفي نفس الوقت منع الماء الملح أن يفسد الماء العذب.

وجعل بينهما برزخاً : أي حاجزاً بين الملح منهما والعذب.

وحجراً محجوراً : أي وجعل بينهما سداً مانعاً فلا يحلو الملح، ولا يملح العذب.

خلق من الماء بشراً : أي خلق من الماء الإنسان والمراد من الماء النطفة.

فجعله نسباً وصهراً : أي ذكراً وأنثى أي نسباً ينسب إليه، وصهراً يصهر إليه أي يتزوج منه.

ما لا يضرهم ولا ينفعهم : أي أصناماً لا تضر ولا تنفع.

وكان الكافر على ربه ظهيرا : أي معيناً للشيطان على معصية الرحمن.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تعداد مظاهر الربوبية المستلزمة للتوحيد قال تعالى ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ أي في كل مدينة نذيراً أي رسولاً ينذر الناس عواقب الشرك والكفر،

ولكنا لم نشأ لحكمة اقتضتها ربوبيننا وهي أن تكون أيها الرسول أفضل الرسل وأعظم منزلة وأكثرهم ثواباً فحبوناك بهذا الفضل فكنت رسول كل القرى أبيضها وأسودها فاصبر وتحمل، واذكر شرف منزلتك ﴿فلا تطع الكافرين﴾ في أي أمر أرادوه منك ﴿وجاهدهم﴾ به أي بالقرآن وكله حجج وبينات جهاداً كبيراً تبلغ فيه اقصى جهدك[1]. بعد هذه الجملة الاعتراضية من الكلام الإلهي قال تعالى مواصلاً ذكر مظاهر ربوبيته تعالى على خلقه. ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ الملح والعذب أي أرسلهما مع بعضهما بعضاً ﴿هذا عذب فرات﴾ أي حلو ﴿سائغ شرابه، وهذا ملح أجاج﴾[2] أي لا يشرب ﴿وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ أي ساتراً مانعاً من اختلاط العذب بالملح مع وجودهما في مكان واحد، فلا يبغي هذا على هذا بأن يعذب الملح أو يملح العذب. وقوله تعالى ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً أي من المني ونطفته خلق الإنسان وجعله ذكراً وأنثى وهو معنى قوله نسباً وصهراً[3] أي ذوي نسب ينسب إليهم وهم الذكور، وذوات صهر يصاهر بهن وهن الإناث. وقوله تعالى ﴿وكان ربك قديراً﴾ أي على فعل ما يريده من الخلق والإيجاد أو التحويل والتبديل، والسلب والعطاء هذه مظاهر الربوبية المقتضية لعبادته وتوحيده والمشركون يعبدون من دونه أصناماً لاتنفعهم إن عبدوها، ولاتضرهم إن لم يعبدوها وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم فيعبدون الشيطان إذ هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وبذلك كان الكافر على ربه ظهيرا إذ بعبادته للشيطان يعينه على معصية الرب تبارك وتعالى وهو معنى قوله تعالى، ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وكان الكافر على ربه ظهيرا. أي معيناً للشيطان على الرحمن والعياذ بالله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ يقول تعالى لرسوله إنا لم نرسلك لغير بشارة المؤمنين بالجنة ونذارة الكافرين بالنار أما هداية القلوب فهي إلينا من شئنا هدايته

---

(١) ولا يخالطه فتور، وقيل الجهاد بالسيف ويرده أن السورة مكية ولم يجر للسيف ذكر فكيف يكون المراد، وقيل: بالإسلام وهو أولى من السيف والقرآن أصح، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الملح يوصف به الماء، ولا يقال مالح إلاّ نادراً والأجاج ما كان ملحاً مراً والعذب. الحلو والفرات: زائد الحلاوة، والبرزخ: الحاجز المانع والحرام المحرم أن يعذب الملح أو يملح العذب.

(٣) صهر الرجل: قريب زوجته وأصهاره: أقارب زوجته. وختن الرجل من تزوج قريبته، وأختانه: أقارب من زوّجه قريبته، والحم والجمع أحماء أقرباء زوج المرأء، والصهر والنسب: معنيان يَعُمّان كل قربى تكون بين آدميين، قال ابن العربي النسب عبارة عن خلط الماء بين الذكر والأنثى على وجه الشرع. وما في التفسير أوضح لأنه كقوله تعالى: (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى).

اهتدى ومن لم نشأها ضل. إلا أن الله يهدي ويضل حسب سنن له قد مر ذكرها مرات[1].

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ الإشارة إلى الحكمة في عدم تعدد الرسل في زمن البعثة المحمدية والاكتفاء بالرسول محمد ﷺ.

٢ـ حرمة طاعة الكافرين في أمور الدين والشرع.

٣ـ من الجهاد جهاد الكفار والملاحدة بالحجج القرآنية والآيات التنزيلية.

٤ـ مظاهر العلم والقدرة الإلهية في عدم اختلاط البحرين مع وجودهما في مكان واحد. وفي خلق الله تعالى الإنسان من ماء وجعله ذكراً وأنثى للتناسل وحفظ النوع.

٥ـ التنديد بالمشركين والكافرين المعينين للشيطان على الرحمن.

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ
عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ
خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ
فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
شُكُورًا ﴿٦٢﴾

(١) من سنن الله تعالى في الهداية والإضلال، أنّ من طلب الهداية ورغب فيها وسألها من ربه تعالى ولازم الطلب هداه الله، ومن رغب عن الهداية وطلب الغواية وسلك مسالكها مفضلا لها على الهداية وأصرّ على ذلك أضله الله والعياذ بالله.

شـرح الكلـمات :

عليه من أجـر : أي على البلاغ من أجر اتقاضاه منكم.

ســبيلا : أي طريقاً يصل به إلى مرضاته والفوز بجواره، وذلك بإنفاق ماله في سبيل الله.

وسـبح بحمـده : أي قل سبحان الله وبحمده.

في ستة أيـام : أي من أيام الدنيا التي قدرها وهي الأحد . . . والجمعة.

ثم استوى على العرش : العرش سرير الملك والاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب.

فاسأل به خبيراً : أي أيها الإنسان إسأل خبيراً بعرش الرحمن ينبئك فإنه عظيم.

وزادهم نفوراً : أي القول لهم اسجدوا للرحمن زادهم نفوراً من الإيمان.

جعل في السماء بروجاً : هي إثنا عشر برجاً انظر تفصيلها في معنى الآيات.

سـراجـاً : أي شـمساً.

خلفـة : أي يخلف كل منهما الآخر كما هو مشاهد.

أن يذكر : أي ما فاته في أحدهما فيفعله في الآخر.

أو أراد شكوراً : أي شكراً لنعم ربه عليه فيهما بالصيام والصلاة.

معنى الآيـات :

بعد هذا العرض العظيم لمظاهر الربوبية الموجبة للألوهية أمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين ما أسألكم على هذا البيان الذي بينت لكم ما تعرفون به إلهكم الحق فتعبدونه وتكملون على عبادته وتسعدون أجراً أي مالاً، لكن من شاء أن ينفق من ماله في وجوه البر والخير يتقرب به إلى ربه فله ذلك ليتخذ[1] بنفقته في سبيل الله طريقاً إلى رضا ربه عنه ورحمته له.

وقوله ﴿وتوكل[2] على الحي الذي لا يموت﴾ يأمر تعالى رسوله أن يمضي في طريق

---

(١) وجائز أن يكون (اتخذ إلى ربه سبيلا) باتباع ديني أي: الإسلام حتى ينال كرامة الدنيا والآخرة والإنفاق في سبيل الله تعالى داخل فيه، والحمد لله.

(٢) التوكل معناه: اعتماد القلب على الله تعالى في كل الأمور مع اتيان الأسباب المشروعة للبلوغ إلى المطلوب مما هو خير ومعروف و أمر ادراك المطلوب إلى الله تعالى مع الرضا بما يتم من ربح أو خلافه ونجاح وغيره.

دعوته مبلغاً عن ربه داعياً إليه متوكلاً عليه أي مفوضاً أمره إليه إذ هو الحي الذي لا يموت وغيره يموت، وأمره أن يستعين على دعوته وصبره عليها بالتسبيح فقال ﴿وسبح بحمده﴾ أي قل سبحان الله وبحمده، وسبحانك اللهم وبحمدك وهو أمر بالذكر والصلاة وسائر العبادات فإنها العون الكبير للعبد على الثبات والصَّبْر . وقوله تعالى ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ أي فلا تكرب لهم ولا تحزن عليهم من أجل كفرهم وتكذيبهم وشركهم فإن ربك عالم بذنوبهم محص عليهم أعمالهم وسيجزيهم بها في عاجل أمرهم أو آجله. ثم أثنى تبارك وتعالى على نفسه بقوله ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما[1] في ستة أيام﴾ مقدرة بأيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة، ثم استوى على العرش العظيم استواء يليق بجلاله وكماله. ﴿الرحمن﴾ الذي عمَّت رحمته العالمين ﴿فاسأل به خبيراً﴾ أي فاسأل يا محمد[2] بالرحمن خبيراً بخلقه فإنه خالق كل شيء والعليم بكل شيء فهو وحده العليم بعظمة عرشه وسعة ملكه وجلال وكمال نفسه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ أي وإذا قال لهم الرسول أيها المشركون اسجدوا للرحمن ولا تسجدوا لسواه من المخلوقات. قالوا منكرين متجاهلين ﴿ما الرحمن[3]؟﴾ أنسجد لما تأمرنا أي أتريد أن تفرض علينا طاعتك ﴿وزادهم﴾ هذا القول ﴿نفوراً﴾، أي بعداً واستنكاراً للحق والعياذ بالله تعالى. وقوله تعالى ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ أي تقدس وتنزه أن يكون له شريك في خلقه أو في عبادته الذي بعظمته جعل في السماء بروجاً وهي منازل الكواكب السبعة السيارة فلذا سميت بروجاً جمع برج وهو القصر الكبير وتعرف هذه البروج الاثنا عشر بالحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. والكواكب السبعة السيارة هي: المريخ، والزهرة وعطارد، والقمر، والشمس، والمشتري، وزحل. فهذه الكواكب تنزل في البروج كالقصور لها.

---

(١) قال (بينهما) ولم يقل بينهن لأنه أراد الصنفين أو النوعين أو الشيئين وهو أخص من كلمة بينهن وأخف على اللسان والمقصود ظاهر بكل من العبارتين جمع أو ثني.

(٢) رجح بعضهم أن الباء هنا بمعنى عن أي: اسأل عن الرحمن خبيرا واستشهد بقول الشاعر:

فإن سألوني بالنساء فإنني خبير بأدواء النساء طبيب

فقوله بالنساء أي: عن النساء. ورأي ابن كثير أنّ المسؤول هنا هو الرسول ﷺ لأنه أعرف الخلق بالخالق وبعزته وعظمته جل جلاله.

(٣) إنهم بجهلهم أنكروا اسم الرحمن لله، وقالوا: يأمر بعبادة إله واحد وهو يدعو الله ويدعو الرحمن فأنزل الله تعالى: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى) (الإسراء).

وقوله تعالى ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ هو الشمس ﴿وقمراً منيراً﴾[1] هو القمر أي تعاظم وتقدس الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وقوله ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾[2] أي يخلف بعضهما بعضاً فلا يجتمعان أبداً وفي ذلك من المصالح والفوائد مالا يقادر قدره ومن ذلك أن من نسي عملاً بالنهار يذكره في الليل فيعمله، ومن نسي عملاً بالليل يذكره بالنهار فيعمله[3]، وهو معنى قوله ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ وقوله ﴿أو أراد شكوراً﴾ فإن الليل والنهار ظرفان للعبادة الصيام بالنهار والقيام بالليل فمن أراد أن يشكر الله تعالى على نعمه فقد وهبنا له فرصة لذلك وهو الليل للتهجد والقيام والنهار للجهاد والصيام.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ دعوة الله ينبغي أن لا يأخذ الداعي عليها أجراً ممن يدعوهم[4] إلى الله تعالى ومن أراد أن يتطوع من نفسه فينفق في سبيل الله فذلك له.

٢ـ وجوب التوكل على الله فإنه الحي الذى لا يموت وغيره يموت.

٣ـ وجوب التسبيح والذكر والعبادة وهذه هي زاد العبد وعدته وعونه.

٤ـ مشروعية السجود عند قوله تعالى وزادهم نفوراً للقارىء والمستمع[5].

٥ـ صفة استواء الرحمن على عرشه فيجب الإيمان بها على ما يليق بجلال الله وكماله ويحرم تأويلها بالاستيلاء والقهر ونحوهما.

٦ـ الترغيب في الذكر والشكر، واغتنام الفرص للعبادة والطاعة.

---

(١) قرىء في الشاذ قُمرا بضم القاف وإسكان الميم وصاحب القراءة هو عصمة الذي يروي القراءات قال فيه أحمد بن حنبل: لا يكتبوا عنه وقد أولع أبو حاتم بالرواية عنه مع الأسف.

(٢) الخلفة: كل شيء بعد شيء ومنه قيل لليل والنهار خلفة لأنّ كُلا منهما يخلف الثاني إذا ذهب ومنه قيل لورق النبات الذي يخلف الورق الأول خلفة ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

بها العين والآرام يمشين خِلفة وأطلاؤهن ينهض من كل مجثم

خلفة: هذه تذهب وتلك تأتي. والعين: جمع عيناء وأعين: واسعات العيون والمراد بقر الوحش والأطلاء: جمع طلا: ولد البقرة وولد الظبية الصغير، والمجثم: موضع الجثوم: أي المقام.

(٣) روى مسلم عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل).

(٤) لو أعطي الداعي إلى الله تعالى من أوقاف وقفت لهذا الغرض أو أعطي من بيت المال ما يسد به خلته ويقضي به حاجته فأخذ فلا حرج.

(٥) هذه السجدة من عزائم السجدات فلا ينبغي أن يتركها القارىء ولا المستمع.

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟
لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾
وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ
ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

يمشون على الأرض هوناً: في سكينة ووقار.

وإذا خاطبهم الجاهلون : أي بما يكرهون من الأقوال.

قالوا سلاماً : أي قولاً يسلمون به من الإثم، ويسمى هذا إسلام[1] المتاركة.

سجداً وقياماً : أي يصلون بالليل سجداً جمع ساجد.

إن عذابها كان غراماً : أي عذاب جهنم كان لازماً لا يفارق صاحبه.

(١) اسلام المتاركة: هو أن يقول قولاً يسلم به من أذى الجاهل وذلك بأن يدفعه بالتي هي أحسن من الكلمات.

إنها ساءت مستقراً ومقاماً: أي بئست مستقراً وموضع إقامة واستقرار.

لم يسرفوا ولم يقتروا : أي لم يبذروا ولم يضيقوا.

وكان بين ذلك قواماً : أي بين الإسراف والتقتير وسطاً.

التي حرم الله : وهي كل نفس آدمية إلا نفس الكافرالمحارب.

إلا بالحق : وهو واحد من ثلاث: كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان أو قتل ظلم وعدوان.

يلق أثاماً : أي عقوبة شديدة.

يبدل الله سيئاتهم حسنات: بأن يمحو بالتوبة سوابق معاصيهم، ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم.

معنى الآيات :

لما أنكر المشركون الرحمن ﴿وقالوا وما الرحمن﴾ وأبوا أن يسجدوا للرحمن، وقالوا أن محمداً ينهانا عن الشرك وهو يدعو مع الله الرحمن فيقول يا الله يا رحمن، ناسب لتجاهلهم هذا الاسم الرحمن أن يذكر لهم صفات عباد الرحمن ليعرفوا الرحمن بعباده على حد (خيركم من إذا رُؤي ذُكر الله) فقال تعالى ﴿وعباد الرحمن﴾[1] ووصفهم بثمان صفات وأخبر عنهم بما أعده لهم من كرامة يوم القيامة. الاولى في قوله ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾[2] أي ليسوا جبابرة متكبرين، ولا عصاة مفسدين ولكن يمشون متواضعين عليهم السكينة والوقار، ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ أي السفهاء بما يكرهون من القول قالوا قولاً يسلمون[3] به من الإثم فلم يردوا السيئة بالسيئة ولكن بالحسنة.

الثانية: في قوله ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ أي يقضون ليلهم بين السجود

---

(١) (وعباد الرحمن) مبتدأ والخبر: إن أريد بهم أصحاب الرسول ﷺ خاصة فالخبر: (الذين يمشون) وما بعده نعوت لهم وصفات، وإن أريد بهم عامة المؤمنين فالخبر: (أولائك يجزون الغرفة) والصلات الثمانية: صفات ونعوت لهم. وهذا الراجح.

(٢) الهون: اللين والرفق، والمشي الهون: هو الذي ليس فيه ضرب بالأقدام وخفق النعال فهو غير مشي المتكبرين المعجبين بنفوسهم، وعباد الرحمن يمشون وعليهم السكينة والوقار وفي الحديث: (أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالايضاع وهو السير مثل الخبب) إن الرسول ﷺ كان إذا زال زال تقلعاً ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية كأنما ينحط من صبب، قيل: نعم هو كما وصف فالتقلع معناه رفع الرجل بقوة حتى لا يمشي مشية المتمسكن الذليل والذريع، الواسع الخطا ومعناه أنه كان يرفع رجله بسرعة ويوسع خطوه كأنما ينحط من صبب فأين هذا الهون المحمدي في المشي من الاختيال والتمايل اعجاباً بالنفس وضرب الأرض كأنما يريد أن يخرقها بنعله. والله تعالى قال: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾ والمرح: هو مشيُ الخيلاء، والفخر، وقال: ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي بضربك إياها برجليك بشدة. ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ مهما حاولت العلو والارتفاع.

(٣) هذا كقوله تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين).

والقيام يصفون أقدامهم ويذرفون دموعهم على خدودهم خوفاً من عذاب ربهم.

والثالثة: في قوله ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾ إنهم لقوة يقينهم كأنهم شاعرون بلهب جهنم يدنو من وجوههم فقالوا ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما﴾ أي مُلِحّاً لازماً لا يفارق صاحبه، ﴿إنها ساءت﴾ أي جهنم ﴿ مستقراً ومقاماً﴾ أي بئست موضع إقامة واستقرار.

والـرابعة: في قوله ﴿والذين إذا أنفقوا لـم يسرفوا﴾ في إنفاقهم فيتجاوزوا الحد المطلوب منهم، ولـم يقتروا فيقصروا في الواجب عليهم وكان إنفاقهم بين الإسراف والتقتير قواماً أي عدلاً وسطاً.

والخـامسـة: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا يسألون غير ربهم قضاء حوائجهم كما لا يشركون بعبادة ربهم أحداً ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ قتلها وهي كل نفس آدمية ما عدا نفس الكافر المحارب فإنها مباحة القتل غير محرمة. ﴿إلا بالحق﴾ وهو واحدة من ثلاث خصال بينها الرسول ﷺ في حديث الصحيحين (لا يحـل دم امرىء مسلم إلا بإحـدى ثلاث: الثيب الـزاني والنفس بالنفس والتـارك لدينـه المفـارق للجمـاعـة) ﴿ولا يزنون﴾ أي لا يرتكبون فاحشة الزنا والزنا نكاح على غير شرط النكاح المباح وقوله تعالى ﴿ومن يفعل ذلك﴾ هذا كلام معترض بين صفات عباد الرحمن. أي ومن يفعل ذلك المذكور من الشرك بدعاء غير الرب أو قتل النفس بغير حق، أو زنا ﴿يلق اثاماً﴾[1] أي عقاباً ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه﴾ أي في العذاب ﴿مهاناً﴾ مخزياً ذليلاً، وقوله تعالى ﴿إلا من تاب﴾ من الشرك وآمن بالله وبلقائه وبرسوله وما جاء به من الدين الحق ﴿وعمل صالحاً﴾ من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام ﴿فـأولئك﴾ المذكورون أي التائبون ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ أي يمحو سيآتهم بتوبتهم ويكتب لهم مكانها صالحات أعمالهم وطاعاتهم بعد توبتهم ﴿وكان الله غفوراً رحيمـاً﴾ ذا مغفرة للتائبين من عباده ذا رحمة بهم فلا يعذبهم بعد توبته عليهم، وقوله ﴿ومن تاب﴾ من غير هؤلاء المـذكـورين أي رجع إلى الله تعالى بعد غشيانه الذنوب

(١) الأثام: قيل فيه إنه واد في جهنم: قال الشاعر:

لقيت المهالك في حربنا ... وبعد المهالك نلقي أثاما

وقيل الأثام: العقاب كما في التفسير وشاهده قول الشاعر:

جزى الله ابن عروة حيث أمسى ... عقوقاً والعقوق له أثام

أي: جزاء وعقوبة.

﴿وعمل صالحاً﴾ بعد توبته ﴿فإنه يتوب الى الله متاباً﴾ أي يرجع إليه تعالى مرجعاً مرضياً حسناً فيكرمه وينعمه في دار كرامته.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان صفات عباد الرحمن الذين بهم يعرف الرحمن عز وجل.

٢ـ فضيلة التواضع والسكينة في المشيء والوقار.

٣ـ فضيلة رد السيئة بالحسنة والقول السليم من الإثم.

٤ـ فضيلة قيام[١] الليل والخوف من عذاب النار.

٥ـ فضيلة الاعتدال والقصد في[٢] النفقة وهي الحسنة بين السيئتين.

٦ـ حرمة الشرك وقتل النفس[٣] والزنى وأنها أمهات الكبائر.

٧ـ التوبة تجب[٤] ما قبلها. والندب إلى التوبة وأنها مقبولة مالم يغرغر.

وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ
مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

---

(١) أنشد بعضهم الأبيات التالية في صفة أولياء الله جعلنا الله منهم : فقال:

لله قوم أخلصوا في حبه   فرضي بهم واختصهم خدّاما
قوم إذا جن الظلام عليهم   باتوا هنالك سجداً وقياما
خمص البطون من التعفف ضمّرا   لا يعرفون سوى الحلال طعاماً

(٢) روي أن عبدالملك بن مروان سأل بنته فاطمة وهي تحت ابن أخيه عمر بن عبدالعزيز وقد زارهما بالمدينة فقال لها كيف نفقتكم؟ فقالت: الحسنة بين السيئتين. تعني قول الله تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) وقيل: المسؤول زوجها عمر وهو الذي أجاب والله أعلم وفي الحديث: (إن من السرف أن تأكل كل ما تشتهي).

(٣) روى مسلم أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أي: قال: أن تزاني حليلة جارك) فأنزل الله تصديقها (الذين لا يدعون مع الله إله آخرا) إلى (ولا يزنون).

(٤) وفي الحديث الصحيح: (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) والشاهد: (إن الحسنات يذهبن السيئات).

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى
لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

لا يشهدون الزور : أي لا يحضرون مجالسه ولا يشهدون بالكذب والباطل.

وإذا مروا باللغو : أي بالكلام السيء القبيح وكل مالا خير فيه.

مروا كراماً : أي معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن سماعه أو المشاركة فيه.

وإذا ذكروا بآيات ربهم : أي إذا وعظوا بآيات القرآن.

لم يخروا عليها صماً وعمياناً : أي لم يطأطئوا رؤوسهم حال سماعها عمياً لا يبصرون ولا صماً لا يسمعون بل يصغون يسمعون ويعون ما تدعو إليه ويبصرون ما تعرضه.

قرة أعين : أي ما تقر به أعيننا وهو أن تراهم[1] مطيعين لك يعبدونك وحدك.

واجعلنا للمتقين إماماً : أي من عبادك الذين يتقون سخطك بطاعتك قدوة يقتدون بنا في الخير.

يجزون الغرفة : أي الدرجة العليا في الجنة.

بما صبروا : أي على طاعتك بامتثال الأمر واجتناب النهي.

حسنت مستقراً ومقاماً : أي صلحت وطابت مستقراً لهم أي موضع استقرار

---

(١) أي: أعيننا.

وإقامة.

ما يعبأ بكم ربي : أي ما يكترث ولا يعتد بكم ولا يبالي.

لولا دعاؤكم : إياه، ودعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره.

فسوف يكون لزاماً : أي العذاب لزاماً أي لازماً لكم في بدر ويوم القيامة.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في ذكر صفات عباد الرحمن الذي تجاهله المشركون وقالوا: وما الرحمن فها هي ذي صفات عباده دالة عليه وعلى جلاله وكماله، وقد مضى ذكر خمس صفات:

والسادسة: في قوله تعالى ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾[1] الزور هو الباطل والكذب وعباد الرحمن لا يحضرون مجالسه ولا يقولونه ولا يشهدونه ولا ينطقون به ﴿وإذا مروا باللغو﴾[2] وهو كل عمل وقول لا خير فيه ﴿مرّوا كراماً﴾[3] أي مكرمين أنفسهم من التلوث به، بالوقوع فيه.

والسابعة: في قوله تعالى ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ أي إذا ذكرهم أحد بآيات القرآن كتاب ربهم عز وجل لم يحنوا رؤوسهم عليها صماً حتى لا يسمعوا مواعظها ولا عمياناً حتى لايشاهدوا آثار آياتها بل يحنون رؤوسهم سامعين لها واعين لما تقوله وتدعو إليه مبصرين آثارها مشاهدين وقائعها متأثرين بها.

والثامنة: فى قوله تعالى ﴿والذين يقولون﴾ أي في دعائهم ﴿ربنا هب لنا﴾ أي أعطنا ﴿من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين[4]﴾ أي ما تقر به أعيننا وذلك بأن نراهم يتعلمون الهدى ويعملون به طلباً لمرضاتك يا ربنا ﴿واجعلنا للمتقين﴾ من عبادك الذين يتقون سخطك

---

(١) قيل في الزور: إنه كل باطل زور وزخرف وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد وقال ابن عباس: إنه أعياد المشركين وقال عكرمة: اللعب كان في الجاهلية يسمى الزور، وقال مجاهد: الغناء: ويطلق اليوم على التصوير والصور إذ هو الزور والكذب قطعاً. والحكم في شاهد الزور أن يجلد أربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق رأسه ويطاف به في السوق بهذا حكم عمر رضي الله عنه. وتسخيم الوجه أن يسود بالفحم.

(٢) اللغو: كل سقط من قول أو فعل فيدخل فيه الغناء واللهو وذكر النساء وغير ذلك من المنكر، وقال بعضهم اللغو كل قول أو عمل لم يحقق لك درهما لمعاشك ولا حسنة لمعادك.

(٣) كراماً: أي معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمالئون عليه ولا يجالسون أهله.

(٤) قرة العين مأخوذ من القرّ وهو البرد إذ دموع الفرح باردة ودموع الحزن حارة قال الشاعر:

فكم تسخّنت بالأمس عين قريرة ... وقرّت عيون دمعها اليوم ساكب

ومن ثم قالوا في الدعاء: اقر الله عينك أي: أفرحك.

بطاعتك بفعل أمرك وأمر رسولك واجتناب نهيك ونهي رسولك ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾[1] أي قدوة صالحة يقتدون بنا في الخير يا ربنا. قال تعالى مخبراً عنهم بما أنعم به عليهم: ﴿أولئك﴾ أي السامون أنفساً العالون أرواحاً ﴿يجزون الغرفة﴾ وهي الدرجة العليا في الجنة ﴿بما صبروا﴾ على طاعة مولاهم، وما يلحقهم من أذى في ذات ربهم ﴿ويلقون فيهـا﴾ أي تتلقـاهم المـلائكة بالتهاني والتحيات ﴿تحية وسلاماً﴾ أي بالدعاء بالحياة السعيدة والسلامة من الآفات إذ هي حياة بلا ممات، وسعادة بلا منغصات. وقوله تعالى ﴿خللدين فيها﴾ أي في تلك الغرفة في أعلى الجنة ﴿ حسنت مستقراً﴾ أي طابت موضع إقـامـة واستقرار. إلى هنا انتهى الحديث عن صفات عباد الرحمن وبيان جزائهم عند ربهم. وقـولـه تعـالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ أي قل يا رسولنا لأولئك المشركين المنكرين للرحمن ﴿ما يعبأ بكم ربي﴾ أي ما يكترث لكم أو يبالي بكم ﴿لولا دعاؤكم﴾ إياه أي عبادة من[2] يعبده منكم إذ الدعاء هو العبادة ما أبالي بكم ولا أكترث لكم. أما وقد كذبتم بي وبرسولى فلم تعبدوني ولم توحدوني وإذاً ﴿فسوف يكون﴾[3] العذاب ﴿لزاماً﴾ وقد أذقتموه يوم بدر، وسوف يلازمهم في قبورهم إلى نشورهم، وسوف يلاحقهم حتى مستقرهم في جهنم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ حرمة شهود الزور[4] وحرمة شهادته.

٢ـ فضيلة الإعراض عن اللغو فعلاً كان أو قولاً.

---

(١) وحّد إماما ولم يجمعه (أئمة) لأن الإمام مصدر كالقيام والصيام أم القوم يؤمهم فهو إمام لهم، والمصدر يطلق فيدل على الواحد والجمع وجائز أن يراد أئمة كقول الرجل أميرنا هؤلاء ومنه قول الشاعر:

ياعاذلاتي لا تزدن ملامتي　　إن العواذل لسن لي بأمير

(٢) إذ كانوا يدعونه تعالى في حال الشدة وعلى هذا فالمصدر مضاف إلى الفاعل و(إياه) معمول للدعاء.. المصدر، وجائز أن يكون معناه لولا دعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره فيكون المصدر الذي هو الدعاء مضافاً إلى مفعوله وجواب لولا محذوف تقديره لم يعبأ بكم.

(٣) قال الطبري: معناه عذاباً دائما لازماً. وقيل: فقد كذّبتم فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم أي: جزاؤه وهو العذاب والمعنى واحد وهو لزوم العذاب لهم من أجل تكذيبهم الذي منعهم من تزكية نفوسهم بالإيمان وصالح الأعمال.

(٤) وفي الصحيح: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)

٣ـ فضيلة تدبر القرآن وحسن الاستماع لتلاوته والاتعاظ بمواعظه والعمل بهدايته.

٤ـ فضيلة علو الهمة وسمو الروح وطلب الكمال والقدوة في الخير.

٥ـ لا قيمة للإنسان وهو أشرف الحيوانات لولا عبادته الله عز وجل فإذا لم يعبده كان شر الخليقة.[١]

(١) شاهده قوله تعالى: (أولئك هم شر البرية) وهم الكفار من أهل الكتاب والمشركون (من سورة البينة).

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مكية

وآياتها مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

طسٓمٓ : الله أعلم بمراده بذلك .

الكتاب المبين : أي القرآن المبين للحق من الباطل .

باخع نفسك : أي قاتلها من الغم .

ألا يكونوا مؤمنين : أي من أجل عدم إيمانهم بك .

آيـــة : أي نخوفهم بها .

من ذكـــر : أي من قــرآن .

معـــرضين : أي غير ملتفتين إليه .

زوج كريـــم : أي صنف حسـن .

العـــزيز : الغالب على أمره ومـراده .

الرحيـــم : بالمؤمنين من عباده .

معنى الآيـات :

طسٓمٓ هذه أحد الحروف المقطعة تكتب طسم، وتقرأ طا سين ميم بإدغام النون من سين في الـميم الأولـى من ميم والله أعـلم بمـراده منهـا . وفيهـا إشـارة إلى أن القـرآن مؤلف من مثل هذه الحروف وعجز العرب عن تأليف مثله بل سورة واحدة من مثله دال قطعاً على أنه كلام الله ووحيه إلى رسوله ﷺ. وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾[1] أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب أي القرآن ﴿المبين﴾ أي المبين للحق من الباطل والهدى من الضلال، والشرائع والأحكام. وقوله تعالى ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي قاتلها ومهلكها ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي إن لم يؤمن بك وبما جئت به قومك، فأشفق على نفسك يا رسولنا ولا تعرضها للغم القاتل فإنه ليس عليك هدايتهم وإنما عليك البلاغ وقد بلغت، إنا لو أردنا هدايتهم بالقسر والقهر لما عجزنا عن ذلك ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم[2] لها خاضعين﴾ أي إنا لقادرون على أن ننزل عليهم من السماء آية كرفع جبل أو إنزال كوكب أو رؤية ملك فظلت أي فتظل طوال النهار أعناقهم خاضعة، تحتها تتوقع في كل لحظة نزولها عليهم فتهلكهم فيؤمنوا حينئذ إيمان قسر وإكراه ومثله لا ينفع صاحبه فلا يزكي نفسه ولا يطهر روحه لأنه غير إرادي له ولا اختياري.

وقوله تعالى ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث[3]﴾ أي وما يأتي قومك المكذبين لك من موعظة قرآنية وحجج وبراهين تنزيلية تدل على صدقك وصحة دعوتك مِمَّا يحدثه الله إليك ويوحي به إليك لتذكرهم به إلا أعرضوا فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه.

وقوله تعالى: ﴿فقد كذبوا به﴾[4] يخبر تعالى رسوله بأن قومه قد كذبوا بما أتاهم من ربهم من ذكر محدث وعليه ﴿فسيأتيهم أنباء﴾ أي أخبار ﴿ ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو عذاب الله تعالى الذي كذبوا برسوله ووحيه وجحدوا توحيده وأنكروا طاعته وفي الآية وعيد شديد وهم عرضة له في أية لحظة إن لم يتوبوا.

---

(١) (تلك آيات الكتاب) قال القرطبي رفع على إضمار مبتدأ أي: هذه تلك.. الخ وما في التفسير أولى أي: هي آيات الكتاب.

(٢) لأنهم إذا ذلت أعناقهم ذلوا ولا داعي إلى أن يقال: أعناقهم: كبراؤهم ورؤساؤهم وإن ساغ لغة، إذ المراد أن ينزل عليهم آية تخضعهم وتذلهم رؤساء ومرؤوسين، والأعناق جمع عنق بضم العين والنون وهو الرقبة ولما كانت الأعناق هي مظهر الخضوع أسند الخضوع إليها ومقتضى ظاهر الكلام هو فضلوا لها خاضعين بأعناقهم، وعدل عنه إلى إسناد الخضوع إلى الأعناق لأنه يحمل الإشارة إلى خضوع رؤسائهم الحاملين على الكفر والعناد وهذا من بليغ الكلام وبديعه.

(٣) (محدث) أي: مستجد متكرر بعضه يعقب بعضاً ويؤيده.

(٤) (فقد كذبوا) الفاء هي الفصيحة أفصحت عن تكذيبهم الناتج عن إعراضهم والفاء في فسيأتيهم) للتعقيب والأنباء جمع نبأ وهو الخبر ذو الشأن، والجملة تحمل التهديد والوعيد الشديد.

وقوله تعالى ﴿أو لم يروا[1] إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ إن كانت علة هذا التكذيب من هؤلاء المشركين هي إنكارهم للبعث والجزاء وهو كذلك فلم لا ينظرون إلى الأرض الميتة بالقحط ينزل الله تعالى عليها ماء من السماء فتحيا به بعد موتها فينبت الله فيها من كل زوج أي صنف من أصناف النباتات كريم أي حسن. أليس في ذلك آية على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم وحشرهم للحساب والجزاء، فلم لا ينظرون؟ ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي علامة واضحة للمشركين على صحة البعث والجزاء. ففي إحياء الأرض بعد موتها دليل على إحياء الناس بعد موتهم. وقوله تعالى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين[2]﴾ يخبر تعالى أنَّ فيما ذكر من إنباته أصناف النباتات الحسنة آية على البعث والحياة الثانية ولكن قضى الله أزلاً أن أكثر هؤلاء المشركين لا يؤمنون وقوله ﴿وإن ربك لهو[3] العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ أي الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بأوليائه فاصبر لحكمه وتوكل عليه وواصل دعوتك في غير غم ولا هم ولا حزن وإن العاقبة لك وللمؤمنين بك المتبعين لك.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان أن القرآن الكريم معجز لأنه مؤلف من مثل طا سين ميم ولم يستطع أحد أن يؤلف مثله.

٢ـ بيان ما كان الرسول ﷺ يناله من الغم والحزن وتكذيب قومه له.

٣ـ بيان أن إيمان المكره لا ينفعه، ولذا لم يكره الله تعالى الكفار على الإيمان بواسطة الآيات.

٤ـ التحذير من عاقبة التكذيب بآيات الله وعدم الاكتراث بها.

٥ـ في إحياء الأرض بالماء وإنبات النباتات المختلفة فيها دليل على البعث الآخر.

---

(١) الاستفهام إنكاري والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه نحو: اعملوا ولم يروا. الرؤية: معناها النظر بالعين، ولذا عدّي الفعل بإلى. والزوج: النوع، والكريم: النفيس في نوعه وكم: للتكثير ومن للتبعيض.

(٢) المراد ممن نفى الإيمان عن أكثرهم هم: أكابر مجرمي مكة إذ أكثرهم مات كافراً أما غيرهم فندر من لم يؤمن منهم إذ دخلوا في دين الله بعد الفتح أفواجاً.

(٣) الجملة تعليلية تضمنت التذكير بعزّة الله تعالى ورحمته فذوا العزة قادر على أن ينزل عذابه بأعدائه وذو الرحمة قادر على رحمة أوليائه كما أن هناك إشارة إلى أنّ تخلف العذاب اقتضته رحمته سبحانه وتعالى.

وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

وإذ نادى ربك : أي اذكر لقومك يا رسولنا إذ نادى ربك موسى .

أن ايت : أي بأن ائت القوم الظالمين .

ألا يتقون : ألا يخافون الله ربهم ورب آبائهم الأولين ما لهم ما دهاهم؟

ويضيق صدري : أي من تكذيبهم لي .

ولا ينطلق لساني : أي للعقدة التي به .

فأرسل إلى هرون : أي إلى أخي هرون ليكون معي في إبلاغ رسالتي .

ولهم علي ذنب : أي ذنب القبطي الذي قتله موسى قبل خروجه إلى مدين .

قال كلا : أي قال الله تعالى له كلا أي لا يقتلونك .

فاذهبا : أنت وهرون .

إنا رسول رب العالمين : أي إليك .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ هذا بداية سلسة من القصص بدئت بقصة موسى وختمت بقصة شعيب وقصها على المشركين ليشاهدوا أحداثها ويعرفوا نتائجها

وهي دمار المكذبين وهلاكهم مهما كانت قوتهم وطالت أعمارهم قال تعالى في خطاب رسوله محمد ﷺ ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ أي اذكر إذ نادي ربك موسى في ليلة باردة شاتية بالواد الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة ﴿أن[1] ائت القوم الظالمين قوم[2] فرعون﴾ إذظلموا أنفسهم بالكفر والشرك وظلموا بني إسرائيل باضطهادهم وتعذيبهم ﴿ألا يتقون﴾ أي قل لهم ألا تتقون أي يأمرهم بتقوى ربهم بالإيمان به وتوحيده وترك ظلم عباده فالاستفهام معناه الأمر. وقوله تعالى ﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون﴾ أي قال موسى بعد تكليفه رب إني أخاف أن يكذبون[3] فيما أخبرهم به وأدعوهم إليه، ﴿ويضيق صدري[4]﴾ لذلك ﴿ولا ينطلق لساني﴾ للعقدة التي به، وعليه ﴿فأرسل إلى هرون﴾ أي جبريل يبلغه أن يكون معي معيناً لي على إبلاغ رسالتي، وقوله ﴿ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ هذا قول موسى عليه السلام لربه تعالى شكا إليه خوفه من قتلهم له بالنفس[5] التي قتلها أيام كان بمصر قبل خروجه إلى مدين فأجابه الرب تعالى ﴿كلا[6]﴾ أي لن يقتلوك. وأمرهما بالسير إلى فرعون فقال ﴿فاذهبا بآياتنا﴾ وهي العصا واليد ﴿إنا معكم مستمعون﴾ أي فبلغاه ما أمرتكما ببلاغه وإنا معكم مستمعون لما تقولان ولما يقال لكما ﴿فأتيا فرعون فقولا له﴾ عند وصولكما إليه ﴿إنا رسول[7] رب العالمين﴾ أي نحمل رسالة منه مفادها أن ترسل معنا بني[8] إسرائيل لنخرج بهم إلى أرض الشام التي وعد الله بها بني إسرائيل هذا ما قاله موسى وهرون رسولا رب العالمين أما جواب فرعون ففي الآيات التالية.

---

(١) (أن) تفسيرية لأنها واقعة بعد النداء وهو قول.

(٢) قوم فرعون: بدل من الظالمين.

(٣) (أن يكذبون): الأصل: أن يكذبوني فحذفت النون الأولى للناصب وهو أن فصارت يكذبونني ثم حذفت ياء الضمير لدلالة الكسرة عليها فصارت (يكذبون).

(٤) قرأ الجمهور يضيق صدري ولا ينطلق لساني بالرفع للفعلين معاً على الاستئناف وقرىء بنصبهما لغير الجمهور.

(٥) المراد بالنفس: نفس القبطي واسمه فاثور.

(٦) (كلا) للردع والزجر عن هذا الظن.

(٧) لم يقل: رسولا إما لأن رسول بمعنى رسالة إنّا ذو رسالة رب العالمين وإما لأنّ الرسول بمعنى الجمع كالمصادر نحو. هذا عدوي وهؤلاء عدوي، والعرب تقول: هذان رسولي وهؤلاء رسولي.

(٨) قيل: أقام بنو اسرائيل في مصر أربعمائة سنة وكانوا يوم خرجوا منها ستمائة ألف.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ إثبات صفة الكلام لله تعالى بندائه موسى عليه السلام.

٢ـ لا بأس بإبداء التخوف عند الإقدام على الأمر الصعب ولا يقدح فى الإيمان ولا في التوكل.

٣ـ مشروعية طلب العون والمساعدة من المسئولين إذا كلفوا المرء بما يصعب.

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾
قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

شـرح الكلمـات:

قـال : أي قال فرعون رداً على كلام موسى في السياق السابق.

ألم نربك فينا وليداً : أي في منازلنا وليداً أي صغيراً قريباً من أيام الولادة.

ولبثت فينا من عمرك سنين: أي أقمت بيننـا قرابـة ثلاثين سنـة وكان موسى يدعى ابن فرعـون لجهل الناس به ورؤيتهم له في قصره يلبس ملابسه ويركب مراكبه.

وفعلت فعلتك التي فعلت : أي قتلت الرجـل القبطي.

وأنت من الكافرين : أي الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد.

وأنا من الضالين : إذ لم يكن عندي يومئذ من علم ربي ورسالته ما عندي الآن.

أن عبدت بني إسرائيل : أي هل تعبيدك لبني إسرائيل يعد نعمة فتمن بها علي؟

معنى الآيـات

ما زال السياق والحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن فرد فرعون على موسى بما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال ألم نر بك[1] فينا وليداً﴾ أي أتذكر معترفاً أنا ربيناك وليداً أي صغيراً وأنت في حال الرضاع ﴿ولبثت فينا﴾ أي في قصرنا مع الأسرة المالكة ﴿سنين﴾ ثلاثين سنة قضيتها من عمرك في ديارنا ﴿وفعلت فعلتك[2]﴾ أي الشنعاء ﴿التي فعلت﴾ وهي قتل موسى القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ أي لنعمنا عليك الحاجد بها، كان هذا رد فرعون فلنستمع إلى رد موسى عليه السلام كما أخبر به الله تعالى عنه في قوله: ﴿قال فعلتها إذاً﴾أي يومئذ ﴿وأنا من الضالين﴾ أي الجاهلين لأنه لم يكن قد علمني ربي ما علّمنى الآن ومـا أوحى إلي ولا أرسلني إليكم رسـولاً[3] ﴿ففـرت[4] منكم لما خفتكم﴾ من أجل قتلي النفس التي قتلت وأنا من الجاهلين ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ أي علماً نافعاً يحكمني دون فعل ما لا ينبغي فعله ﴿وجعلني من المرسلين[5]﴾ أي من أنبيائه ورسله إلى خلقه ثم قال له رداً على ما امتن به فرعون بقوله: ﴿ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ فقال ﴿وتلك نعمة[6]﴾ أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ أي استعبدتهم أي اتخذتهم عبيداً لك يخدمونك تستعملهم كما تشاء كالعبيد لك ولم تستعبدني أنا لاتخاذك إياي ولداً حسب زعمك فأين النعمة التي تمنها علي يا فرعون، نترك رد فرعون إلى الآيات التالية.

---

(١) الاستفهام للتقرير ومعناه المنّ على موسى والاحتقار له.

(٢) الفعلة: المرة وبالكسر: الهيئة وقرأ الجمهور (فَعلتك) وهي المرة من الفعل، وشاهد الفعلة بالكسر للهيئة قول الشاعر:

كأن مشيتها من بيت جارتها   مَرُّ السحابة لا ريث ولا عجل

يذكره بقتله القبطي تخويفاً له وتهديداً.

(٣) كان خروج موسى من مصر إلى أن عاد إليها أحد عشر عاماً إلا أشهرا.

(٤) أي: فررت منكم إلى أرض مدين.

(٥) بناء على أنه قضى ثلاثين سنة في مصر وأحد عشر عاماً خارجها فقد نبيء على رأس الأربعين وهي سنة الله تعالى في الرسل.

(٦) حرف الاستفهام مقدر أي: أو تلك كما هو في التفسير والاستفهام إنكاري أي ينكر موسى على فرعون أن يكون استعباد بني اسرائيل نعمة تعدّ عليهم وهذا التقدير أولى من قول: (إن موسى اعترف لفرعون بنعمة التربية من حيث استعبد غيره وتركه هو لم يتعبده) ومن اعترض بأن همزة الاستفهام لا تحذف إذا لم يكن في الكلام أم الدالة عليها محجوج بشواهد كثيرة منها قول الشاعر:

لم أنس يوم الرحيل وقفتها   وجفنها من دموعها شرق
وقولها والركاب واقفة   تركتني هكذا وتنطلق

والشاهد في قوله: تركتني إذ الأصل: أتركتني فحذفت همزة الاستفهام مع عدم (أم).

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ قبح جريمة القتل عند كافة الناس مؤمنهم وكافرهم وهو أمر فطري.

٢ـ جواز التذكير بالإحسان لمن أنكره ولكن لا على سبيل الامتنان فإنه محبط للعمل.

٣ـ جواز إطلاق لفظ الضلال على الجهل كما قال تعالى ﴿ووجدك ضالاً﴾ كم قال موسى ﴿وأنا من الضالين﴾ أي الجاهلين قبل أن يعلمني ربي.

٤ـ مشروعية الفرار من الخوف إذا لم يكن في البلد قضاء عادل، وإلا لما جاز الهرب من وجه العدالة.

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

شـرح الكلمات:

وما رب العالمين : أي الذي قلت إنك لرسوله من أي جنس هو؟

رب السموات والأرض وما بينهما : أي خالق ومالك السموات والأرض وما بينهما.

إن كنتم موقنين : بأن السمـوات والأرض وما بينهما من سائر المخلوقات مخلوقة قائمة فخالقها ومالكها هو رب العالمين.

لمن حولـه : أي من أشراف قومه ورجال دولته.

ألا تستمعون : أي جوابه الذي لم يطابق السؤال في نظره.

أو لو جئتك بشيء مبين : أي أتسجنني ولو جئتك ببرهان وحجة على رسالتي.
فأت به إن كنت من الصادقين: أي فأت بهذا الشيء المبين إن كنت من الصادقين فيما تقول.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن لما قال موسى ﴿إني رسول رب العالمين﴾ في أول الحوار قال فرعون مستفسراً في عناد ومكابرة ﴿وما ربُّ العالمين﴾[1]؟ أي أيُّ شيء هو أو من أي جنس من أجناس المخلوقات فأجابه موسى بما أخبر تعالى به عنه ﴿قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما﴾[2] أي خالق السموات والأرض وخالق ما بينهما. ومالك ذلك كله، إن كنتم موقنين بأن كل مخلوق لابد له من خالق خلقه، وهو أمر لا تنكره العقول. وهنا قال فرعون في استخفاف وكبرياء لمن حوله من رجال دولته وأشراف قومه: ﴿ألا تستمعون﴾[3] كأن ما قاله موسى أمر عجب أو مستنكر فعرف موسى ذلك فقال ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي خالقكم وخالق آبائكم الأولين الكل مربوب له خاضع لحكمه وتصرفه. وهنا اغتاظ فرعون فقال: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ أراد أن ينال من موسى لأنه أغاظه بقوله ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فرد موسى أيضاً قائلاً ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ أي رب الكون كله ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أي ما تخاطبون به ويقال لكم وفي هذا الجواب مايتقطع له قلب فرعون فلذا رد بما أخبر به تعالى عنه في قوله ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري﴾ أي رباً سواي ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ أي لأسجننك وأجعلك في قعر تحت الأرض مع المسجونين .فرد موسى عليه السلام قائلا ﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾[4] أي أتسجنني ولو

---

(١) لما غُلب فرعونه في جداله لموسى استفهم بقوله: (فما رب العالمين) وهو استفهام عن جنس ولم يستفهم عن ربّ العالمين تجاهلاً منه ومكابرة فقال: (وما رب العالمين) وكان المطلوب أن يقول: ومن ربّ العالمين؟ ولكنه العلو والتكبر.
(٢) لمّا علم موسى جهل فرعون وتجاهله أجابه بما يلقمه الحجر ويبطل دعواه في أنّ الربوبية تكون لبشر أو حجر فقال: (رب السموات . . .) الخ.
(٣) استفهم اللعين استفهام تعجّب وتهكم مستخفاً بجواب موسى قائلا (ألا تسمعون) أي إلى قول هذا الذي زعم إبطال عقيدتكم وعقيدة آبائكم، ولذا أجاب موسى بتقرير جوابه الأوّل وهو مفحم مبطل لدعوى ربوبية فرعون.
(٤) في جواب موسى عليه السلام هذا تلطّف بفرعون وطمع في إيمانه لما بهره به من الردود المحكمة والإجابات المفحمة.

جئت بحجة بينة وبرهان ساطع على صدقي فيما قلت وأدعوكم إليه؟ وهنا قال فرعون ما أخبر تعالى به ﴿قال فأت به إن كنت من الصادقين﴾ أي فيما تدعي وتقول

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير الربوبية المقتضية للألوهية من طريق هذا الحوار ليسمع ذلك المشركون، وليعلموا أنهم مسبوقون بالشرك والكفر وأنهم ضالون.

٢ـ سنة أهل الباطل أنهم يفجرون في الخصومة وفي الحديث (وإذا خاصم فجر)[١].

٣ـ أهل الكبر والعلو في الأرض إذا أعيتهم الحجج لجأوا إلى التهديد والوعيد واستخدام القوة.

فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ
عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ
(٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩)
لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٤٢)

---

(١) نصّ الحديث الشريف كما هو في الصحيح: (أربع مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدّث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصمَ فجر).

شـرح الكلـمات :

ثعبان مبين : أي ثعبان ظاهر أنه ثعبان لا شك.
ونزع يده : أي أخرجها من جيبه بعد أن أدخلها فيه.
لساحر عليـم : أي متفوق في علم السحر.

أرجـه وأخاه : أي أخرّ أمرهما.
حاشـــرين : أي جامعين للسحرة.
ســـحار عليـم : أي متفوق في الفن أكثر من موسى.
يـوم معلـوم : هو ضحى يوم الزينة عندهم.
هل أنتم مجتمعون : أي اجتمعوا كي نتبع السحرة على دينهم إن كانوا هم الغالبين.
وإنكم إذاً لمن المقربين: أي لكم الأجـر وهـو الجعل الذي جعل لهم وزادهم مزية القرب منه.

معنى الآيـات

ما زال السياق الكريم في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن لقد تقدم في السياق أن فرعون طالب موسى بالإتيان بالآية أي الحجة على صدق دعواه وها هو ذا موسى عليه السلام يلقي عصاه أمام فرعون وملائه فإذا هي ثعبان ظاهر لا شك فيه، وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين لا يشك في بياضها وأنه بياض خارق للعادة هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٣٢) والثانية (٣٣) ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين[(١)]، ونزع يده فإذا هي[(٢)] بيضاء للناظرين﴾ واعترف فرعون بأن ما شاهده من العصا واليد أمر خارق للعادة ولكنه راوغ فقال ﴿إن هذا﴾ أي موسى ﴿لساحر عليم﴾ أي ذو خبرة بالسحر وتفوق فيه قال هذا للملأ حوله كما قال تعالى عنه ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾ وقوله تعالى عنه ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره﴾ قال فرعون هذا تهيجاً للملأ ليثوروا ضد موسى عليه السلام وهذا من المكر السياسي إذ جعل القضية

---

(١) الثعبان: الحية الضخمة الطويلة، و(مبين) بمعنى بيّن لا خفاء فيه ولا غموض (ونزع يده) أي أخرجها من قميصه بسرعة وشدّة إذ هذا ما يدل عليه لفظ النزع، ولم يذكر المنزع منه لدلالة اللفظ عليه أي: من جيب قميصه.

(٢) إذا: هي الفجائية ومعنى: (للناظرين) أي: مما يقصده الناظرون لما فيه من العجب، وكان جلد موسى أسمر وكانت اليد بيضاء فكان ذلك آية أخرى.

سياسية بحتـة وأن موسى يريد الاستيلاء على الحكم والبلاد ويطرد أهلها منها بواسطة السحر، وقال لهم كالمستشير لهم ﴿فماذا تأمرون؟﴾ فأشاروا عليه بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قـالوا أرجه وأخاه﴾ أي أخر أمرهما ﴿ وابعث في المدائن﴾ أي مدن المملكة رجالا ﴿حاشرين﴾ أي جامعين ﴿يأتوك﴾ أيها الملك ﴿بكل سحار[1] عليم﴾ أي ذو خبرة في السحر متفوقة، وفعلاً أخذ بمشورة رجاله ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ أي لموعد معلوم وهو ضحى يوم العيد عندهم واستحثوا الناس على الحضور من كافة أنحاء البلاد وهو ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم﴾ فجمعَ[2] السحرة لميقات يوم معلوم، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنـا نتبـع السحرة﴾ فنبقى على ديننا ولا نتبع موسى وأخاه على دينهما الجديد ﴿إن كانوا﴾ أي السحرة ﴿هم الغالبين﴾ وهذا من باب الاستحثاث والتحريض على الالتفات حول فرعـون وملائه. وقوله تعالى ﴿فلما جاء السحرة﴾ أي من كافة أنحاء البلاد قالوا لفـرعـون ما أخبـر تعالى به عنهم ﴿أئن لنا لأجراً[3]﴾ أي جعلاً إن كنا نحن الغالبين؟﴾ فأجابهم فرعون قائلاً ﴿نعم وإنكم إذاً[4] لمن المقربين﴾ أي زيادة على الأجر مكافأة أخرى وهي أن تكونوا من المقربين لدينا، وفي هذا إغراء كبير لهم على أن يبذلوا أقصى جهدهم في الانتصار على موسى عليه السلام.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- إثبات المعجزات للأنبياء كمعجزة العصا واليد لموسى عليه السلام.

٢- مشروعية استشارة الأمير رجاله في الأمور ذات البال.

٣- ثبوت السحر وأنه فن من فنون المعرفة وإن كان تعلمه وتعليمه محرمين

٤- إعطاء المكافأة للفائزين في المباراة وغيرها ومن ذلك السباق في الإسلام.

---

(١) (سحار) فيه وصف ثابت دال على تعاطيه للمهنة ورسوخه فيها كنجار وخياط وبناء والوصف بعليم: فيه الحث على الإتيان بالمهرة من السحرة لعظم الموقف.

(٢) دلت الفاء على الفورية واللام كذلك في الميقات أي: لأوّل الوقت كقوله: (الصلاة لوقتها) أي: في أول وقتها، وقوله (للناس) المراد بالناس أهل بلاده، والاستفهام في (هل أنتم مجتمعون) للاستحثاث على الاجتماع.

(٣) سؤال السحرة الأجر إدلال بخبرتهم والتذكير بالحاجة إليهم لعلمهم بأن فرعون حريص على غلبهم لموسى، وخافوا أيضاً أن يستخدمهم فرعون بدون أجر لأنّ الحال حال التعبئة العامة للدفاع عن المعتقدات وأهلها فلذا شرطوا أجرهم قبل الشروع في العمل.

(٤) (إذاً) أي: إذا كنتم فعلا غالبين إنّ لكم لأجراً عظيماً.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

شـرح الكلمـات :

ألقوا ما أنتم ملقون : أمرهم بالإلقاء توسلاً إلى ظهور الحق.

ما يأفكـون : أي ما يقلبونه بتمويههم من أن حبالهم وعصيهم حيات تسعى.

رب موسى وهـرون : أي لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يأتي بواسطة السحر.

مـن خـلاف : أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى.

ولأصلبنكم أجمعين : أي لأشدنكم بعد قطع أيديكم وأرجلكم من خلاف على الأخشاب.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن إنـه بعـد إرجـاء السحـرة فرعـون وسؤالهم له : هل لهم من أجر على مبـاراتهم موسى إن هم غلبـوا وبعد أن طمأنهم فرعون على الأجر والجائزة قال لهم موسى ﴿ألقوا[1] ما أنتم ملقون﴾ من الحبال والعصي في الميدان ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم﴾ وأقسموا بعزة فرعون إنهم هم

(١) جاء في سورة الأعراف أن السحرة عرضوا على موسى أن يلقى عصاه أو يلقوا حبالهم وعصيّهم وهنا قال لهم موسى عليه السلام (ألقوا) بناء على عرضهم ذلك.

الغالبون وفعلاً انقلبت الساحة كلها حيات وثعابين حتى أوجس موسى في نفسه خيفة فأوحى إليه ربه تعالى أن ألق عصاك فألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون. هذا معنى قوله تعالى في هذا السياق ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة[1] فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾[2] ومعنى تلقف ما يأفكون أي تبتلع في جوفها من طريق فمها كل ما أفكه أي كذبه وافتراه السحرة بسحرهم من انقلاب الحبال والعصي حيات وثعابين، وقوله تعالى ﴿وألقي السحرة ساجدين﴾ أي أنهم لاندهاشهم وما بهرهم من الحق ألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله تعالى مؤمنين به، فسئلوا عن حالهم تلك فقالوا ﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهرون﴾ وهنا خاف فرعون تفلت الزمام من يده وأن يؤمن الناس بموسى وهرون ويكفروا به فقال للسحرة: ﴿آمنتم به قبل أن آذن لكم﴾ بذلك أي كيف تؤمنون بدون إذني؟ على أنه يملك ذلك منهم وهي مجرد مناورة مكشوفة، ثم قال لهم ﴿إنه﴾ أي موسى ﴿لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ أي انه لما كان استاذكم تواطأتم معه على الغلب فأظهرتم أنه غلبكم، تمويهاً وتضليلاً للجماهير. ثم تهددهم قائلاً ﴿فلسوف تعلمون﴾[3] عقوبتي لكم على هذا التواطؤ وهي ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أي أقطع من الواحد منكم يده اليمنى ورجله اليسرى ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ فلا أبقي منكم أحداً إلا أشده على خشبة حتى يموت مصلوباً، هل فعل فرعون ما توعد به؟ الله أعلم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- لم يبادر موسى بإلقاء عصاه أولاً لأن المسألة مسألة علم لا مسألة حرب ففي الحرب تنفع المبادرة بافتكاك زمام المعركة، وأما في العلم فيحسن تقديم الخصم، فإذا أظهر ما عنده كر عليه بالحجج والبراهين فأبطله وظهر الحق وانتصر على الباطل، هذا الأسلوب الذي اتبع موسى بإلهام من ربه تعالى.

---

(١) يبدو أن الباء في قولهم (بعزة فرعون) هي كالباء في بسم الله للاستعانة والتبرّك لا للقسم وهذا أولى بالمقام من الحلف على شيء لا يملكه المرء، وتكون جملة: (إنا لنحن الغالبون) مستأنفة استئنافاً بيانياً وليست جواب قسم إلّا أنها حملت معنى القسم بما فيه من المؤكدات كأنهم قالوا إنّا وربّنا لغالبون.

(٢) قرأ نافع (تلقف) بتشديد القاف، والأصل: تتلقف فحذفت إحدى التائين تخفيفاً، وقرأ حفص (تلقف) بتخفيف القاف من: لقف الشيء يلقفه لقفاً: إذا أخذه بسرعة.

(٣) اللام للقسم. وبم يقسم فرعون؟ يقسم بحسب عادته في إيمانه فقد يقسم بعزّته.

٢ـ مظهر من مظاهر الهداية الإلهية هداية السحرة إذ هم فى أول النهار سحرة كفرة وفي آخره مؤمنون بررة.

٣ـ ما سلكه فرعون مع السحرة كله من باب المناورات السياسية الفاشلة.

قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

لا ضير : أي لا ضرر علينا.

لمنقلبون : أي راجعون بعد الموت وذلك يسر ولا يضر.

إن كنا أول المؤمنين : أي رجوا أن يكفر الله عنهم سيئاتهم لأنهم سبقوا بالإيمان.

أن أسر بعبادي : السرى المشي ليلاً والمراد من العباد بنو إسرائيل.

إنكم متبعون : أي من قبل فرعون وجيوشه.

لشرذمة : أي طائفة من الناس.

لغائظون : أي فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا.

حذرون : أي متيقظون مستعدون.

ومقام كريم : أي مجلس حسن كان للأمراء والوزراء.

كذلك : أي كان إخراجنا كذلك أي على تلك الصورة.

مشرقين : أي وقت شروق الشمس.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿قالوا لا ضير﴾[1] هذا قول السحرة لفرعون بعد أن هددهم وتوعدهم ﴿قالوا لا ضير﴾ أي لا ضرر علينا بتقطيعك أيدينا وأرجلنا وتصليبك إيانا ﴿إنا إلى[2] ربنا منقلبون﴾ أي راجعون إن كل الذي تفعله معنا إنك تعجل برجوعنا إلى ربنا وذاك أحب شيء إلينا. وقالوا ﴿إنا نطمعُ[3] أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ أي ذنوبنا ﴿إن كنا أول المؤمنين﴾ في هذه البلاد برب العالمين رب موسى وهرون.

بعد هذا الانتصار العظيم الذي تم لموسى وهرون أوحى تعالى إلى موسى ﴿أن أسر[4] بعبادي﴾ أي امش بهم ليلاً ﴿إنكم متبعون﴾ أي من قبل فرعون وجنوده. وعلم فرعون بعزم موسى على الخروج ببني إسرائيل فأرسل في المدائن[5] وكانت له مآت المدن حاشرين من الرجال أي جامعين وكأنها تعبئة عامة. يقولون محرضين ﴿إن هؤلاء[6]﴾ أي موسى وبني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ أي طائفة أفرادها قليلون ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ أي[7] لفاعلون ما يغيظنا ويغضبنا ﴿وإنا﴾ أي حكومة وشعباً ﴿لجميع حذرون﴾ أي متيقظون مستعدون فهلم إلى ملاحقتهم وردهم إلى الطاعة. وعجل تعالى بالمسرة في هذا الخبر فقال تعالى ﴿فأخرجناهم﴾ أي آل فرعون ﴿من جنات وعيون وكنوز﴾ أي كنوز الذهب والفضة التي كانت مدفونة تحت التراب، إذ الطمس كان على العملة فسدت وأما مخزون الذهب والفضة فما زال تحت الأرض، إذ الكنز يطلق على المدفون تحت الأرض وإن كان شرعاً هو الكنز ما لم تؤد زكاته سواء كان تحت الأرض أو فوقها.

وقوله تعالى ﴿كذلك﴾ أي إخراجنا لهم كان كذلك، ﴿وأورثناها[8]﴾ أي تلك النعم بنى إسرائيل أي بعد هلاك فرعون وجنوده أجمعين. وقوله تعالى ﴿فاتبعوهم مشرقين﴾ أي فاتبع آل فرعون بنى إسرائيل أَنْفُسَهم في وقت شروق الشمس ليردوهم ويحولوا بينهم

---

(١) الضير: مرادف الضرّ يقال: ضاره يضيره بمعنى ضرّه يضره سواء.

(٢) الجملة تعليلية لنفيهم الضرر عليهم.

(٣) لفظ الطمع يطلق ويراد به الظنّ الضعيف غالباً ويراد به الظن القوي أيضاً كقول إبراهيم عليه السلام: (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين).

(٤) قرأ نافع (أن اسر) بهمزة وصل إذ هو من سرى يسري وحرّكت النون لالتقاء الساكنين. وقرأ عاصم: (أن أسرِ) بسكون أن وقطع همزة أسر لأنّه من أسرى، وأسرى وسرى بمعنى واحد.

(٥) المدائن جمع مدينة وهي البلد العظيم.

(٦) الإشارة بهؤلاء فيه إيماء بتحقير شأن بني اسرائيل، والشرذمة الطائفة القليلة العدد.

(٧) الغيظ: أشدّ الغضب، وغائظون: اسم فاعل مِنْ: غاظه بمعنى أغاظه أي: أغضبه أشدّ الغضب.

(٨) يرى بعضهم أن الله أورث بني اسرائيل نعماً نظير ما كان لفرعون وقومه بدليل آية الدخان: (وأورثناها قوماً آخرين) وبدليل أنّ بني اسرائيل ما رجعوا إلى مصر بعد خروجهم منها والله أعلم.

وبين الخروج من البلاد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- قوة الإيمان مصدر شجاعة خارقة للعادة بحيث يفرح المؤمن بالموت لأنه يوصله إلى ربه.

٢- حسن الرجاء في الله والطمع في رحمته، وفضل الأسبقية في الخير.

٣- مشروعية التعبئة العامة واستعمال أسلوب خاص في الحرب يهديء من مخاوف الأمة حكومة وشعباً.

٤- دمار الظالمين وهلاك المسرفين في الكفر والشر والفساد.

﴿فَلَمَّا تَرَاءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

شرح الكلمات :

فلما تراءى الجمعان: أي رأى بعضهما بعضاً لتقاربهما والجمعان جمع بني إسرائيل وجمع فرعون.

إنا لمدركون : أي قال أي أصحاب موسى من بني إسرائيل إنا لمدركون أي سيلحقنا فرعون وجنده.

قال كلا : أي قال موسى عليه السلام كلا أي لن يدركونا ولن يلحقوا بنا.

فانفلق : أي انشق.

فكان كل فرق كالطود: أي شقٌ أي الجزء المنفرق والطود: الجبل.

وأزلفنا ثم الآخرين : أي قربنا هنا لك الآخرين أي فرعون وجنده.

إن في ذلك لآية : أي عظة وعبرة توجب الإيمان برب العالمين برب موسى وهرون.

معنى الآيـات:

هذا آخر قصة موسى عليه السلام مع فرعون قال تعالى في بيان نهاية الظالمين وفوز المؤمنين ﴿فلما تراءى[1] الجمعان﴾ جمع موسى وجمع فرعون وتقاربا بحيث رأى بعضهما بعضا ﴿قال أصحاب موسى﴾ أي بنو إسرائيل ﴿إنا لمدركون﴾ أي خافوا لما رأوا جيوش فرعـون تتقـدم نحـوهم صاحوا ﴿إنا لمدركون﴾ فطمأنهم موسى بقوله ﴿كلا[2]﴾ أي لن تدركوا، وعلل ذلك بقوله ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ إلى طريق نجاتي قال تعالى ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب﴾ أي اضرب بعصاك البحر فضرب امتثالاً لأمر ربه فانفلق البحر فرقتين كل فرقة[3] منه كالجبل العظيم ﴿وأزلفنا[4]﴾ أي قربنا ﴿ثم الآخرين﴾أي أدنينا هناك الآخـرين وهم فرعـون وجيوشـه ﴿وأنجينـا موسى ومن معـه﴾ أي من بني إسـرائيل ﴿أجمعين﴾ ﴿ثم أغـرقنا الآخرين﴾ المعادين لبني إسرائيل وهم فرعون وجنده. قوله تعـالى ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من إهلاك فرعون وإنجاء موسى وبني إسرائيل ﴿لآية﴾ أي علامة واضحة بارزة لربوبية الله وألوهيته وقدرته وعلمه ورحمته وهي عبرة وعظة أيضاً للمعتبرين، وما كان أكثر قومك[5] يا محمد مؤمنين مع موجب الإيمان ومقتضيه لأنه سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون.

وقوله ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أي وإن ربك يا محمد لهو الغالب على أمره الذي لا يمانع في شيء يريده ولا يحال بين مراده الرحيم بعباده فاصبر على دعوته وتوكل عليه فإنه ناصرك ومذل أعدائك.

---

(١) الترائي: تفاعل إذ هو من الجانبين كل جانب رأى الثاني.

(٢) ردع موسى عليه السلام بقوله كلّا الظانين أنّ فرعون مدركهم وعلل لعدم إدراك فرعون بقوله: (إن معي ربي سيهدين) أي: سيبيّن لي سبيل النجاة فنسلكه فننجوا بإذن الله.

(٣) (الفرق): القسم من الشيء المنفلق، وعليه فالفرقة: القسمة من البحر التي كانت كالجبل العظيم. ولذا قال ابن عباس: صار البحر اثنى عشر طريقاً لكل سبط طريق أي: لكل قبيلة من قبائل بني اسرائيل طريق خاص بها فالبحر انقسم قسمين كان ما بين جانبيه كالفج العظيم، وفي ذلك الفجّ كانت طرق بني اسرائيل.

(٤) (أزلفنا) أي: جمعنا وقرّبنا فرعون وملأه لإغراقهم وإهلاكهم وسميت مزدلفة وليلة جمع: لازدلافها: أي لقربها من منى أو عرفات وسميت ليلة جمع لاجتماع الحجاج فيها، قال الشاعر:

وكل يوم مضى أو ليلة سلفت فيها النفوس إلى الآجال تزدلف

(٥) القرطبي رحمه الله تعالى رد الضمير في قوله تعالى: (وما كان أكثرهم مؤمنين) إلى فرعون وملئه فقال: لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابنته آسيا امرأة فرعون... الخ في حين أن أكثر المفسرين على أنّ الخطاب للنبي ﷺ وهو وجه العبرة من السياق.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ ظهور آثار الاستعباد في بني إسرائيل متجلية في خوفهم مع مشاهدة الآيات.

٢ـ ثبوت صفة المعية الإلهية في قول موسى ﴿إن معي ربي﴾ إذ قال له عند إرساله (إنني معكما﴾.

٣ـ ثبـوت الوحـي الإلهي.

٤ـ آية انفلاق البحر من أعظم الآيات.

٥ـ تقرير نبوة محمد ﷺ بقصة مثل هذا القصص الذي لا يتأتى إلا بوحي خاص.

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ
يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾

شـرح الكلمات :

واتل عليهم نبأ إبراهيم : أي اقرأ يا رسولنا على قومك خبر إبراهيم وشأنه العظيم.

لأبيه وقومـه : أي آزر والبابليين.

فنظل لها عاكفين : أي فنقيم أكثر النهار عاكفين على عبادتها.

قالوا بل وجدنا : أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر بل وجدنا آباءنا لها عابدين فنحن تبع لهم.

فإنهم عدو لي : أي أعداء لي يوم القيامة إذا أنا عبدتهم لأنهم يتبرءون من عابديهم.

إلا رب العالمين : فإن من يعبده لا يتبرأ منه يوم القيامة بل ينجيه من النار ويكرمه بالجنة.

فهو يهدين : أي إلى ما ينجيني من العذاب ويسعدني في دنياي وأخراي.

والذي يميتني ثم يحيين: أي يميتني عند انتهاء أجلي، ثم يحييني ليوم الدين.

يوم الدين : أي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة والبعث الآخر.

معنى الآيات :

هذا بداية قصص إبراهيم عليه السلام والقصد منه عرض حياة إبراهيم الدعوية على مسامع قريش قوم محمد ﷺ علهم يتعظون بها فيؤمنوا ويوحدوا فيسلموا ويسلموا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة قال تعالى ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم﴾[1] أي اقرأ على قومك من قريش خبر إبراهيم في الوقت الذي قال لأبيه وقومه ﴿ما تعبدون﴾ مستفهماً إياهم ليرد على جوابهم وهو أسلوب حكيم في الدعوة والتعليم يسألهم ويجيبهم بناء على مقتضى سؤالهم فيكون ذلك أدعى للفهم وقبول الحق: ﴿قالوا نعبد أصناماً﴾ أي في صور تماثيل ﴿فنظل لها[2] عاكفين﴾ فنقيم أكثر النهار عاكفين حولها نتقرب إليها ونتبرك بها خاشعين عندها. ولما سمع جوابهم وقد صدقوا فيه قال لهم ﴿هل يسمعونكم[3] إذ تدعون﴾ أي إذ تدعونها ﴿أو ينفعونكم﴾ إن طلبتم منهم منفعة ﴿أو يضرون﴾ إن طلبتم منهم أن يضروا أحداً تريدون ضره أنتم؟ فأجابوا قائلين في كل ذلك لا، لا، لا. وإنما وجدنا آباءنا كذلك

---

(١) (نبأ ابراهيم) قصته مع قومه والهمزة الثانية تخفف وهو أجود من تحقيقها. نبأ ابراهيم أو نبأ إبراهيم، والمقصود من تلاوة هذه القصة طلب هداية قريش إلى الحق بإسماعهم أخبار الأولين ومشاهدة ما دار من جدال بين الرسل وأممهم.

(٢) (فنظل) هذا اللفظ يدل أنهم يقضون فترة طويلة من النهار عاكفين حولها لعبادتها وأمّا في الليل فيعبدون الكواكب لمشاهدتها والتماثيل إنما هي صور لها فإذا غابت عبدوا صورها بالنهار.

(٣) أراد أي: ابراهيم بقوله: (هل يسمعونكم) فتح باب المجادلة ليصل إلى إقناعهم إن شاء الله ذلك، وليست هذه أوّل محاجة بل حاج ابراهيم أباه على انفراد وحاجه هذه المرة مع قومه ولا شك أن الحجاج دام سنوات فما ذكر هنا غير ما ذكر في الصافات والأنبياء ومريم.

يفعلون ففعلنا مثلهم اقتداءً بهم واتباعاً لطريقتهم، وهنا صارحهم إبراهيم بما يريد أن يفهموه عنه فقال ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ الذين هم أجدادكم الذين ورث عنهم آباؤكم هذا الشرك والباطل ﴿فإنهم عدو لي﴾ أي أعداء لي وذلك يوم القيامة إن أنا عبدتهم معكم، لأن كل مَنْ عُبد من دون الله يتبرأ يوم القيامة ممن عبده ويعلن عداوته له طلباً لنجاة نفسه من عذاب الله. وقوله ﴿إلا رب العالمين﴾ فإنه لا يكون عدواً لمن عبده بل يكون ودوداً له رحيماً به. ألا فاعبدوه يا قوم واتركوا عبادة من يكون عدواً لكم يوم القيامة!!

ثم أخذ إبراهيم يذكر ربه ويثني عليه ويمجده تعريفاً به وتذكيراً لأولئك الجهلة المشركين فقال ﴿الذي خلقني فهو يهدين[1]﴾ أي إلى طريق نجاتي وكمالي وسعادتي وذلك ببيانه لي محابه لآتيها، ومساخطه لأتجنبها، ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ أي يغذوني بأنواع الأطعمة ويسقيني بما خلق ويسر لي من أنواع الأشربة من ماء ولبن وعسل، ﴿وإذا مرضت﴾ بأن اعتل جسمي وسقم فهو لا غيره يشفيني، ﴿والذي يميتني﴾ يوم يريد إماتتي عند انتهاء ما حدد لي من أجل تنتهي به حياتي، ثم يحييني يوم البعث والنشور، ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي[2]﴾ أي يسترها ويمحو أثرها من نفسي يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب على عمل الإنسان في هذه الدار إذ هي دار عمل والآخرة دار جزاء.

وإذا قيل ما المراد من الخطيئة التي ذكر إبراهيم لنفسه؟ فالجواب إنها الكذبات الثلاث التي كانت لإبراهيم طوال حياته الأولى قوله ﴿إني سقيم﴾ والثانية ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ والثالثة قولي للطاغية إنه أخي ولا تقولي إنه زوجي، هذه الكذبات التي كانت لإبراهيم فهو خائف منها ويوم القيامة لما تطلب منه البشرية الشفاعة عند ربها يذكر هذه الكذبات ويقول إنما أنا من وراء وراء فاذهبوا إلى موسى.

ألا فليتعظ المؤمنون الذين كذبهم لا يعد كثرة!!

---

(١) حذفت الياء في (يهدين) و(يسقين) و(يشفين) و(يحيين) لأنّ الحذف في رؤوس الآي حسن لتتفق كلهما.

(٢) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يارسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ (قال: لا إنّه لم يقل يوماً ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير النبوة المحمدية بذكر هذا القصص.

٢ـ تقرير التوحيد بالحوار الذي دار بين إبراهيم إمام الموحدين وقومه المشركين.

٣ـ بيان أن كل من عبد معبوداً غير الله تعالى سيكون له عدواً لدوداً يوم القيامة.

٤ـ بيان أن العكوف على الأضرحة والتمرغ في تربتها وطلب الشفاء منها شرك.

٥ـ بيان الاسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله تعالى من طريق السؤال والجواب.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾
وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

شـرح الكلـمات :

رب هب لي حكماً : أي يا رب أعطني من فضلك حكماً أي علماً نافعاً وارزقني العمل به.

وألحقني بالصالحين : لأعمل عملهم في الدنيا وأكون معهم في الدار الآخرة.

واجعل لي لسان صدق في الآخرين: أي اجعل لي ذكراً حسـناً أذكر به فيمن يأتي بعدي

واغفـر لأبي : كان هذا منه قبل أن يتبين له أنه عدو لله.

ولا تخزني يوم يبعثون : أي لا تفضحـنـي.

بقـلب سـليم : أي من الشرك والنفاق.

وأزلفت الجنة : أي أدنيت وقربت للمتقين.

وبرزت الجحيم للغاوين : أي أظهرت وجليت للغاوين.
هل ينصرونـكم : أي بِدَفْع العذاب عنكم.

معنى الآيـات :

هذا آخر قصص إبراهيم وخاتمته لما ذكر إبراهيم قومه ووعظهم رفع يديه إلى ربه يسأله ويتضرع إليه فقال ﴿رب هب لي حكماً﴾ أي علماً نافعاً يمنعني من فعل ما يسخطك عني ويدفعني إلى فعل ما يرضيك عني، ﴿وألحقني بالصالحين﴾ في أعمالهم الخيرية في الدنيا وبمرافقتهم في الجنة.(١) ﴿واجعل لي لسان(٢) صدق في الآخرين﴾ أي اجعل لي ذكراً حسناً أذكر به فيمن يأتي من عبادك المؤمنين، ﴿واجعلني(٣) من ورثة جنة النعيم﴾ الذين يرثـونها بالإيمان والتقوى بعد فضلك عليهم ورحمتك بهم، ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ أي الجاهلين بك وبمحابك ومكارهك فما عبدوك ولا تقربوا إليك. وكان هذا من إبـراهيم قبـل العلم بأن أبـاه عدو الله حيث سبق له ذلـك أزلاً، إذ قد تبـرأ منـه بعـد أن علم ذلـك وقوله ﴿ولا تخزني﴾ أي لا تذلني ﴿يوم يبعثون﴾ أي من قبورهم للحساب والجزاء على أعمالهم ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ وهو يوم القيامة ﴿إلا من أتى الله بقلب(٤) سليم﴾ أي لكن من أتى الله أى جاءه يوم القيامـة وقلبه سليم من الشرك والنفاق فهذا ينفعه عمله الصالح لخلوه مما يحبطه وهو الشرك والكفر الظاهر والباطن وقوله تعالى ﴿وأزلفت الجنة﴾ أي قربت وأدنيت للمتقين الله ربهم فلم يشركوا به في عبادته ولم يجاهروا بمعاصيه، ﴿وبرزت الجحيم(٥)﴾ أي أظهرت وارتفعت ﴿للغاوين﴾ أي أهل الغواية والضلالة في الدنيا من المشركين والمسرفين في الإجرام والشر والفساد ﴿وقيل لهم﴾ أي سئلوا فى عرصات القيامة ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾؟ أروناهم ﴿هل ينصرونكم﴾ مما أنتم فيه

(١) وفي أعالي الدرجات.

(٢) وقد استجاب الله تعالى له حيث اجتمع اهل الأديان على الثناء عليه والانتساب إلى ملته وإن كانوا مبطلين لما خالطهم من الشرك وها هي ذي أمة الإسلام لا تُصلي صلاة إلاّ وتصلي عليه وعلى آله فهذا ذكر حسن خالد وثناء عطر باق قال مالك: لا بأس أن يحب المرء أن يثني عليه صالحاً ويُرى في عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى لهذه الآية وغيرها نحو: (سيجعل لهم الرحمن وداً) (وألقيت عليك محبة مني).

(٣) في هذا ردّ على من زعم أنه لا يسأل الله جنة ولا يستجيره من النار.

(٤) السليم من الشك والشرك وأمراض الكبر والحسد والعجب والغل ولأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح لحديث: (ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) (من الصحيح).

(٥) أي: تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن كما يستشعر أهل الجنة المسرة والفرح قبل دخولها. إذ الجنة تزلف والجحيم تبرز، وهذا في عرصات القيامة.

فيدفعون عنكم العذاب، ﴿أو ينتصرون﴾ لأنفسهم فيدفعون عنها العذاب إن كانوا من أهل النار لأنهم رضوا بأن يعبدوا ودعوا الناس إلى عبادتهم كالشياطين والمجرمين من الإنس والجن.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان أن الجنة تورث ويذكر تعالى سبب إرثها وهو التقوى في قوله ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾[1].

٢ـ مشروعية الاستغفار للوالدين إن ماتا على التوحيد.

٣ـ بطلان الانتفاع يوم القيامة بغير الإيمان والعمل الصالح بعد فضل الله ورحمته.

٤ـ الترغيب في التقوى والتحذير من الغواية.

فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

شـرح الكلمـات :

فكبكبوا فيها : أي ألقـوا على وجـوههم في جهنم ودحرجوا فيها حتى انتهوا الى قـعرها.

والغــــاوون : جمع غـاوٍ وهو الفاسد القلب المدنس الروح من الشرك والمعاصي.

وجنـود إبليـس : أي أتباعه وأنصاره وأعوانه من الإنس والجن.

---

(١) الآية من سورة مريم عليها السلام.

إذ نسويكم برب العالمين : أي في العبادة فعبدناكم كما يعبد الله جل جلاله .
ولا صديق حميـم : أي يهمه أمرنا وتنفعنا صداقته نحتمى به من أن نعذب .
فلو أن لنا كرة : أي رجعة إلى الدنيا لنؤمن ونوحد ونعبد ربنا بما شرع لنا .

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿فكبكبوا﴾(١) بعد ذلك الاستفهام التوبيخي التقريعي الذي تقدم في قوله تعالى ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾؟ وفشلوا في الـجـواب ولم يجيدوه إذ هو غير ممكن فأخبـر تعـالى عنهم بأنهم كبكبـوا في جهنم ـ أي كبـوا على وجـوههم ودحـرجـوا فيهـا هم والغـاوون جمع غاوٍ أي فاسـد العقيدة والعمـل وجنـود إبليس أجمعون من أتباع الشيطان وأعوانه من دعاة الشرك والمعاصي والجريمة في الأرض من الإنس والجن قوله تعالى ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾(٢) أي وهم في جهنم يختصمون كل واحد يحمل الثاني التبعة والمسؤولية فقال المشركون لمن أشركوا بهم ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ أي ظاهر بين لا يختلف فيه، وذلك ﴿إذ كنا نسويكم برب العالمين﴾(٣) عز وجل فنعبدكم معه، ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ وهم دعاة الشرك والشر والضلال الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها، وأجرموا علينا فأفسدوا نفوسنا بالشرك والمعاصي، وقوله تعالى ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ هذا قولهم أيضاً قرروا فيه حقيقة أخرى وهي أنه ليس لهم في هذا اليوم من شافعين يشفعون لهم عند الله تعالى لا من الملائكة ولا من الإنس والجن إذ لا شفاعة تنفع من مات على الشرك والكفر، وقولهم ولا صديق حميم أي وليس لنا أي من صديق حميم تنفعنا صداقته وولايته .

وقالوا متمنين بعد اليأس من وجود شافعين ﴿فلو أنّ لنا كرّة﴾(٤) أي رجعة إلى دار الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ فنؤمن ونوحد ونتبع الرسل . وهذا آخر ما أخبر تعالى به عنهم من كلامهم في

---

(١) (كبكبوا) أي : كبّوا فيها كباً بعد كبّ لأنّ كبكبوا مضاعف : كبّوا بالتكرير نحو: كفكف الدمع أي : كفّه مرة بعد مرة .

(٢) من الجائز أن يكون هذا من كلام ابراهيم إلاّ أن كونه من كلام الله تعالى موعظة لأمة محمد ﷺ أولى وقد استظهره ابن عطية رحمه الله تعالى وجملة (وهم فيها يختصمون) حالية، وجملة تالله الخ مقول القول .

(٣) (إذ) ظرفية وليست تعليلية أي : الوقت الذي كنا نسويكم بربّ العالمين، وهذا الكلام منهم كلام متندم حزن على ما فاته وصدر منه كقول أبي بكر وقد أمسك بلسانه وقال له : أنت أوردتني الموارد وكقوله : يالسـان قل خيراً تغنم واسكت عن شرّ تسلم .

(٤) (لو) حرف تمن وأصلها : لو الشرطية لكنها تنوسي منها معنى الشرط إذ المراد : لو رجعنا إلى الدنيا لآمنا وعملنا صالحاً، ولما لم يقصد تعليق الامتناع على الامتناع تمحضت لو للتمني .

جهنم .

وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾[1] أي المذكور من كبكبة المشركين والغاوين وجنود إبليس أجمعين في جهنم وخصومتهم فيها وما قالوا وتمنوه وحرمانهم من الشفاعة وخلودهم في النار ﴿لآية﴾ أي لعبرة لمن يعتبر بغيره، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ ولم يكن أكثر قومك يا رسولنا مؤمنين وإلا لانتفعوا بهذه العبر فآمنوا ووحدوا وأسلموا ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أي الغالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الرحيم بعباده إنْ أنابوا إليه وأخلصوا العبادة له يكرمهم في جواره في جنات النعيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير أن دعاة الزنى والربا والخرافة والشركيات من الناس هم من جند إبليس .

٢ـ تقرير أن المجرمين هم الذين أفسدوا نفوسهم ونفوس غيرهم بدعوتهم إلى الضلال وحملهم على المعاصي .

٣ـ تقرير أن الشفاعة لن تكون لمن مات على الشرك والكفر .

٤ـ لا تنفع العبر والمواعظ والآيات في هداية قوم كتب الله أزلاً شقاءهم وعلم منهم أنهم لا يؤمنون فكتب ذلك عليهم .

كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾
قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

(١) هذا تكرر ثالث لهذه الجملة تعداداً على المشركين وتسجيلاً لتصميمهم على الشرك والتكذيب بالنبوة والبعث.

شـرح الكلمات :

كذبت قوم نوح المرسلين : قوم نوح الأمة التي بعث فيها، والمراد من المرسلين نوح عليه السلام.

أخـوهم نـوح : أي في النسـب.

ألا تتقـون : أي اتقوا الله ربكـم فلا تعصـوه بالشرك والمعاصي.

رسول أميـن : أي على ما أمرني ربي بإبلاغه إليكـم.

من أجــر : أي لا أسألكم على إبلاغ رسالة الله أجرة مقابل البلاغ.

أنؤمن لك واتبعك الأرذلون: أي كيف نتبعك على ما تدعونا إليه وقد اتبعك أراذل الناس أي سفلتهم وأهل الخسـة فيهم.

إن حسابهم إلا على ربي : أي ما حسابهم إلا على ربي.

معنى الآيـات :

هذه بداية قصص نوح عليه السلام فقال تعالى ﴿كذبت قوم نوح﴾[1] أي بما جاءهم به نوح من الأمـر بالتـوحيد وتـرك الشرك ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ أي في النسب[2] ﴿نوح ألا تتقون﴾ أي عقاب الله وأنتم تشركون به، وتكذبون رسوله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على ما أبلغكم من وحي الله تعالى فاتقوا الله بترك الشرك وأطيعوني فيما أدعوكم إليه وآمركم به ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أي على البلاغ من أجر أتقاضاه منكم مقابل ما أبلغكم من رسالة ربكم. ﴿إن أجرى إلا على الله﴾ إذ هو الذي كلفني ﴿فاتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه أن يحل بكم وأنتم تكفرون به وتكذبون برسوله وأطيعون فيما آمركم به وأنهاكم عنه. بعد هذا الذي أمرهم به وكرره عليهم من تقوى الله وطاعة لرسوله كان جوابهم ما أخبر به تعالى عنهم في قولـه: ﴿قالوا أنؤمن لك﴾ أي أنصدقك ونتابعك على ما جئت به من الدين ﴿واتبعك الأرذلون﴾[3] أي سفلة الناس وأخساؤهم؟.

فأجـابهم نوح بقـوله ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ فيما يعملونه بعيدين عني من

---

(١) (كذبت قوم نوح) أنّث الفعل إرادة جماعة قوم نوح ونظيره: (قالت الأعراب).

(٢) وأخوّة مجانسة أو هو من باب قول العرب: يا أخا بني تميم: يريدون: يا واحداً منهم، قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   في النائبات على ما قال برهاناً

(٣) جمع التكسير: (أراذل) والأنثى: الرذلى والجمع: الرُّذَّل، وجملة: (واتبعك) حالية، وفيها إضمار قد أي: وقد اتبعك.

البـاطن أو الـظاهـر أنـا لا أعلمـه ولا أسـأل عنـه ولا أحـاسب عليه، ﴿إن حسـابهم[1] إلا على ربي﴾ هو الـذي يحـاسبهم ويجزيهم لو تشعرون بهذه الحقيقة لما عبتموهم لي وحملتموني مسئولية عملهم ﴿وما أنا بطارد المؤمنين[2]﴾ أي من حولي، ﴿إن أنا إلا نذير[3] مبين﴾ فلست بجبار ولا ذي سلطان فأطرد الناس وظيفتي أنى أنذر الناس عاقبة الكفر والمعاصي ليقلعوا عن ذلك فينجوا من عذاب الله ويسلموا.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان أن من كذب رسولاً فكأنما كذب كل الرسل وذلك باعتبار أن دعوتهم واحدة وهي أن يُعْبَدَ الله وحده بما شرع للناس من عبادات تطهرهم وتزكيهم.

٢ـ إثبات أخوة النسب، ولا تعارض بينها وبين أخوة الدين.

٣ـ عدم جواز أخذ أجرة على دعوة الله تعالى. ووجوب إبلاغها مجانا.

٤ـ وجوب التقوى لله تعالى، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥ـ لا يجوز طرد الفقراء من مجالس العلم ليجلس مجالسهم الأغنياء وأهل الجاه.

إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

---

(١) قيل لسفيان: إنّ امرأة زنت وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار؟ فقال: (إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون).

(٢) ظاهر الكلام أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء من المؤمنين كما فعلت قريش.

(٣) جملة: (إن أنا إلا نذير) استئناف في معنى التعليل لعدم طردهم والقصر في الجملة إضافي قصر موصوف على صفة.

شـرح الكلـمات :

لئن لم تنتـه : أي عن دعوتنا إلى ترك آلهتنا وعبادة إلهك وحده.
من المرجومـين : أي المقتولين رجماً بالحجارة.
فافتح بيني وبينهم فتحاً: أي أحكم بيني وبينهم حكماً بأن تهلكهم وتنجيني ومن معي من المؤمنين.
في الفلك المشحون[1] : أي المملوء بالركاب وأزواج المخلوقات الأخرى.
بعد الباقيـن : أي بعـد إنجـائنـا نوحاً والمؤمنين بركوبهم في السفينة أغرقنا الكافرين إذ إغراقهم كان بعد نجاة المؤمنين.

معنى الآيـات :

مازال السياق في الحوار الدائر بين نوح وقومه إنه لما دعاهم إلى التوحيد وكرر عليهم الدعوة وأفحمهم في مواطن كثيرة وأعيتهم الحجج لجأوا إلى التهديد والوعيد فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ أي قسماً بآلهتنا لئن لم تنته يا نوح من تسفيهنا وسب آلهتنا ومطالبتنا بترك عبادتها ﴿لتكونن من المرجومين[2]﴾ أي لنقتلنك رمياً بالحجارة. وهنا وبعد دعوة دامت ألف سنة إلا خمسين عاماً رفع نوح شكواه إلى الله قائلا: ﴿رب إن قومي[3] كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي احكم بيننا وافصل في قضية وجودنا مع بعضنا بعضا فأهلكهم ﴿ ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ قال تعالى ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ أي المملوء بأنواع الحيوانات ﴿ثم أغرقنا بعد[4] الباقين﴾ أي بعد إنجائنا نوحاً ومن معه من المؤمنين بأن ركبوا في الفلك وما زال الماء يرتفع النازل من السماء والنابع من الأرض حتى غرق كل من على الأرض والجبال ولم ينج أحد إلا نوحٌ وأصحاب السفينة، قال تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من الصراع الذي دار بين التوحيد والشرك وفي عاقبة التوحيد وهي نجاة أهله والشرك وهي دمار أهله ﴿ لآية﴾ أي

---

(١) الشحن: ملء السفينة بالناس والدواب وغيرهم ولم يقل: المشحونة بل قال: (المشحون) لأنه هنا واحد لا جمع.
(٢) كل لفظ (رجم) في القرآن معناه القتل رمياً بالحجارة إلا قوله: (لئن لم تنته لأرجمنك) فإنه بمعنى لأسبّنك وأشتمنّك.
(٣) هذه الجملة قالها تمهيداً للدعاء عليهم.
(٤) ثمّ: للتراخي الرتبي في الاخبار لأنّ إغراق أمة كاملة أعظم دلالة على عظيم القدرة من إنجاء طائفة من الناس.

عبرة.[1] ولكن أهل مكة لم يعتبروا ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾[2] لما سبق في علم الله تعالى من عدم إيمانهم إذاً فلا تحزن عليهم. ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول الكريم لهو لا غيره العزيز الغالب الرحيم بمن تاب من عباده فإنه لا يعذبه بل يرحمه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان سنة أن الظلمة والطغاة إذا أعيتهم الحجج يلجأون إلى القوة.

٢ـ جواز الاستنصار بالله تعالى وطلب الفتح بين المظلوم والظالمين.

٣ـ سرعة استجابة الله تعالى لعبده نوح وذلك لصبره قروناً طويلة فلما انتهى صبره ورفع شكاته الى ربه أجابه فوراً فأنجاه وأهلك أعداءه.

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾

شرح الكلمات:

كذبت عاد : عاد اسم أبي القبيلة وسميت القبيلة به.

أخوهم هود : أخوهم في النسب.

فاتقوا الله : أي خافوا عقابه فلا تشركوا به شيئاً.

---

(١) وجه العبرة أن الله تعالى أنجى الموحدين وأهلك المشركين بعد أن أبلغ نوح رسالته بصبر واحتساب لا نظير لهما إذ دعا وبلّغ وأوذي وصبر وصابر ألف سنة إلا خمسين عاماً.

(٢) سبق أن ذكرت أن المراد بمن أكثرهم لا يؤمنون هم أكابر مجرمي مكة وعلى رأسهم المستهزؤون وهذا من إطلاق العام وإرادة الخاص لأنّ الذين آمنوا وأسلموا أكثر ممن ماتوا على الكفر أو نفي الإيمان مقيّد بزمن معيّن لا يتعداه.

أتبنون بكل ريع	: أي مكان عال مرتفع .
آيـــة	: أي قصراً مشيداً عالياً مرتفعاً .
تعبثـون	: أي ببنيانكم حيث تبنون مالا تسكنون .
وتتخذون مصانع	: أي حـصوناً منيعة وقصوراً رفيعة .
لعلكـم تخلدون	: أي كأنكم تأملون الخلود في الأرض وترجونه .
وإذا بطشـتم	: أي أخذتم أحداً سطوتم عليه بعنف وشدة .
جبـاريـن	: أي عتـاة متسـلطين .

معنى الآيـات :

هذه بداية قصص هود عليه السـلام يقـول تعـالى ﴿كـذبت عاد(١)﴾ أي قبيلة عاد ﴿المرسلين﴾ أي رسول الله هوداً، ﴿إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون(٢)﴾ أي ألا تتقون عقاب الله بترككم الشرك والمعاصي بمعنى اتقوا الله ربكم فلا تشركوا به، وقوله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ يخبرهم بأنه رسول الله إليهم يبلغهم عن الله أمره ونهيه وأنه أمين على ذلك فلا يزيد ولا ينقص فيما أمره ربه بإبلاغه إليهم، وعليه ﴿فاتقوا(٣) الله وأطيعون﴾ أي بوصفي رسول الله إليكم فإن طاعتي واجبة عليكم حتى أبلغكم ما أرسلت به إليكم .

وقوله ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أي على إبلاغ رسالتي إليكم من أجر أي من أي أجر كان . ولوقل ﴿إن أجري﴾ أي ما أجري إلا على رب العالمين سبحانه وتعالى إذ هو الذي أرسلني وكلفني فهو الذي أرجو أن يثيبني على حمل رسالتي إليكم وإبلاغها إيّاكم . وعليه فاتقوا الله أي خافوا عقابه بترك الشرك به والمعاصي وأطيعوني بقبول ما أبلغكم به لتكملوا وتسعدوا .

وقـولـه : ﴿أتبنـون بكـل ريع(٤) آية تعبثون﴾ ينكر هود على قومه إنهماكهم في الدنيا

---

(١) جملة مستأنفة استئناف انتقال لعرض الأحداث التاريخية تسلية للرسول ﷺ وموعظة وذكرى لغيره، وعاد بمعنى القبيلة فلذا أنّث الفعل معها، وكانت منازل عاد وديارهم ما بين عُمان وحضر موت شرقاً وغرباً ومتغلغلة في الشمال إلى الرمال وهي الأحقاف .

(٢) الاستفهام معناه الأمر والحض على التقوى التي هي خوف من الله تعالى يحمل على الإيمان به وعبادته وترك عبادة ما سواه .

(٣) الفاء : للتفريع فالجملة متفرعة عن جملة (إني لكم رسول أمين) أي : فينادي إني رسول أمين فاتبعوا ما أقول لكم (واتقوا الله وأطيعون) وحذفت الياء من (فاتقون) مراعاة لرؤوس الآي .

(٤) الرِّيع : المكان المرتفع أو الطريق الفج بين الجبلين، والآية العلامة : الدالة على الطريق والمراد : بناء عالٍ هو آية في الفنّ المعماري .

وانشغالهم بما لا يعني وإعراضهم عما يعنيهم فيقول لهم كالمنكر عليهم أتبنون بكل ريع أي مكان عال مرتفع آية أي قصراً مشيداً آية في ارتفاعه وعلوه. تعبثون حيث لا تسكنون فيما تبنون فهو لمجرد اللهو والعبث وقوله ﴿وتتخذون مصانع﴾ وهي مبان عالية كالحصون أو خزانات الماء أو الحصون ﴿لعلكم تخلدون[1]﴾ أي كيما تخلدون، وما أنتم بخالدين، وإنما مقامكم فيها قليل. وقوله ﴿وإذا بطشتم[2] بطشتم جبارين﴾ أي إذا سطوتم على أحد تسطون عليه سطو العتاة الجبارين فتأخذون بعنف[3] وشدة بلا رحمة ولا رفق ﴿فاتقوا الله﴾ يا قوم فخافوا عقابه وأليم عذابه، ﴿وأطيعون﴾ فيما أدعوكم إليه وأبلغكموه عن ربي فإن ذلك خير لكم من الإعراض والتمادي في الباطل.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ الأمر بالتقوى من النصح للمأمور بها، لأن النجاة والفوز لا يتمان للعبد إلا عليها.

٢ـ الرسل أمناء على ما يحملون وما يبلغون الناس.

٣ـ حرمة أخذ الأجرة على بيان الشرع والدعوة إلى ذلك.

٤ـ ينبغي للعبد أن لا يسرف فيبني مالا يسكن ويدخر ما لا يأكل.

٥ـ استنكار العنف والشدة في الأخذ وعند المؤاخذة.

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾
إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

---

(١) في الجمل الثلاثة تبنون وتتخذون ولعلكم تخلدون توبيخ لهم على هذا السلوك وإنكار عليهم.

(٢) البطش: السطوة والأخذ بعنف، والجبار: القتال في غير حق والمتسلط العاتي.

(٣) ويدل على قوتهم وشدّتهم قولهم: (من أشدّ منا قوة) من سورة فصّلت وكان العرب ينسبون الشيء القوي إلى عاد فيقولون: هذا عادي.

شرح الكلمات :

أمدكم : أي أعطاكم منعماً عليكم .
بأنعام : هي الإبل والبقر والغنم .
عذاب يوم عظيم : هو يوم هلاكهم في الدنيا ويوم بعثهم يوم القيامة .
سواء علينا : أي مستوٍ عندنا وعظك وعدمه فإنا لا نطيعك .
إن هذا إلا خلق الأولين[1] : أي ما هذا الذي تعظنا فيه من البناء وغيره إلا دأب وعادة الأولين فنحن على طريقتهم ، وما نحن بمعذبين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحوار الذي دار بين نبي الله هود عليه السلام وبين قومه المشركين إذ أمرهم بالتقوى وبطاعته وأمرهم أيضاً بتقوى الله الذي أمدهم أي أنعم عليهم بما يعلمونه من أنواع النعم فإن طاعة المنعم شكر له على إنعامه ومعصيته كفر لإنعامه فقال ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون[2]﴾ وبين ذلك بقوله ﴿أمدكم بأنعام﴾ أي مواشي من إبل وبقر وغنم ﴿وبنين﴾ أي أولاد ذكور وإناث ﴿وجنات﴾ أي بساتين ﴿وعيون﴾ لسقيها وسقيكم وتطهيركم[3]، ثم قال لهم في إشفاق عليهم ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ إن أنتم أصررتم على الشرك والمعاصي وقد يكون عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة ، وقد عذبوا في الدنيا بإهلاكهم ويعذبون في الآخرة لأنهم ماتوا كفاراً مشركين عصاة مجرمين ، كان هذا ما وعظهم به نبيهم هود عليه السلام ، وكان ردهم على وعظه ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ أي مستوٍ عندنا وعظك أي تخويفك وتذكيرك وعدمه فما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين وقالوا ﴿إن هذا﴾ الذي نحن عليه من البناء والإشادة وعبادة آلهتنا ﴿إلا خلق الأولين[4]﴾ أي دأب وعادة من سبقنا من الناس ، وما نحن بمعذبين عليه قال تعالى مخبراً عن نتيجة ذلك

---

(١) قرأ الجمهور (خُلق) بضم كل من الخاء واللام وهو بمعنى السجية المتمكنة في النفس الباعثة على عمل ما يناسبها ويقال له : القوى النفسية وقرأ غير الجمهور (خَلق) بفتح الخاء وسكون اللام وهو بمعنى الاختلاق والكذب أي : ما تقوله لنا إنما هو كذب واختلاق .

(٢) أي : من الخيرات ثم فسرها بقوله : (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) .

(٣) فهو الذي يحبّ أن يعبد فيُذكر ويُشكر ولا يُكفر .

(٤) اختلف في تحديد معنى قولهم : (إن هذا إلاّ خلق الأولين) بفتح الخاء وإسكان اللام أي : اختلاقهم وكذبهم ومن قرأ (خُلُق) بضم الخاء واللام معناه عاداتهم لأنّ الخلق يطلق على الدين والطبع والمروءة ، وما في التفسير أولى بتوجيه الآية .

الحوار وتلك الدعوة التي قام بها نبي الله هود ﴿فكذبوه﴾ أي كذبوا هوداً فيما جاءهم به ودعاهم إليه وحذرهم منه، ﴿فأهلكناهم﴾[1] أي بتكذيبهم وإعراضهم ﴿إن في ذلك﴾ الإهلاك للمكذبين عبرة لقومك يا محمد لو كانوا يعتبرون ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ لما سبق في علم الله من عَدَم إيمانهم فلذا لم تنفعهم المواعظ والعبر، وإن ربك لهو العزيز الرحيم فقد أخذ الجبابرة العتاة فأنزل بهم نقمته وأذاقهم مر عذابه، ورحم أولياءه فأنجاهم وأهلك أعداءهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تنويع أسلوب الدعوة وتذكير الجاحدين بما هو محسوس لديهم مرأي لهم.

٢- التخويف من عذاب الله والتحذير من عاقبة عصيانه من أساليب الدعوة.

٣- بيان سنة الناس في التقليد واتباع آبائهم وإن كانوا ضلالاً جاهلين.

٤- تقرير التوحيد والنبوة والبعث إذ هو المقصود من هذا القصص.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

(١) أي: بريح صرصر سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما (من سورة الحاقة).

شـرح الكلمـات :

كذبت ثمود المرسلين : أي كذبت قبيلة ثمود نبيّها صالحاً.

فيما هاهنا آمنين : أي من الخيرات والنعم غير خائفين من أحد.

طلعها هضيـم : أي طلع النخلة ليِّن ناعم ما دام في كُفرَّاهُ أي غطاؤه الذي عليه.

وتنحتون من الجبال بيوتاً: أي تَنْجُرون بآلات النحت الصخور في الجبل وتتخذون منها بيوتاً.

فرهيـن : أي حذقين من جهة وبطرين متكبرين مغترين بصنيعكم من جهة أخرى.

وأطيعـون : أي فيما أمرتكم به.

المسـرفيـن : أي في الشر والفساد بالكفر والعناد.

الذين يفسـدون في الأرض : أي بارتكاب الذنوب العظام فيها.

ولا يصلحون فيها : أي بفعـل الطاعات والقربـات.

معنى الآيـات :

هذا بداية قصص نبي الله صالح عليه السلام قال تعالى ﴿كذبت[1] ثمود المرسلين﴾ أي جحدت قبيلة ثمود ما جاءها به رسولها صالح، ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ في النسب لا في الدين إذ هو مؤمن وهم كافرون ﴿ألا تتقون[2]﴾ أي يحضهم على التقوى ويأمرهم بها لأن فيها نجاتهم والمراد من التقوى اتقاء عذاب الله بالإيمان به وتوحيده وطاعته وطاعة رسوله وقوله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ يعلمهم بأنه مرسل من قبل الله تعالى إليهم أمين على رسالة الله وما تحمله من العلم والبيان والهدى إليهم. ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ كرر الأمر بالتقوى وبطاعته إذ هما معظم رسالته ومَتَى حقّقهاالمرسل إليهم اهتدوا وأفلحوا ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أبعد تهمة المادة لما قد يقال أنه يريد مالاً فأخبرهم في صراحة أنه لا يطلب على إبلاغهم دعوة ربهم أجراً من أحد إلا من الله رب العالمين إذ هو الذي يثيب ويجزي العـاملين له وفي دائـرة طاعته وقوله فيما أخبر تعالى به عنه ﴿أتتركون فيما ههنا[3]﴾ بين

(١) ثمـود: أمّـة تسكن بالحجر شمال الحجاز، وتعرف اليوم بمدائن صالح والمراد من المرسلين: نبي الله صالح عليه السلام، وتكذيبها به معتبر تكذيباً لكل الرسل، لأن دعوة الرسل واحدة.

(٢) الاستفهام للإنكار أي: ينكر عليهم عدم تقواهم ويحضهم عليها.

(٣) الاستفهام انكاري توبيخي وفيه حضهم على الشكر إذ ما هم فيه من النعمة يقتضي ذلك.

أيديكم من الخيرات ﴿آمنين﴾ غير خائفين، وبين ما أشار إليه بقوله فيما ها هنا فقال ﴿في جنات﴾ أي بساتين ومزارع بمدائنهم وهي إلى الآن قائمة ﴿وعيون وزروع، ونخل طلعها[1] هضيم﴾ أي لين ناعم ما دام في كفراه أي غلافه ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً﴾ لما خولكم الله من قوة ومعرفة بفن النحت حتى أصبحتم تتخذون من الجبال الصم بيوتاً تسكنونها شتاء فتقيكم البرد. وقوله ﴿فرهين﴾ هذا حال من قوله ﴿وتنحتون من الجبال﴾ ومعنى ﴿فرهين[2]﴾ حذقين فن النحت وبطرين متكبرين مغترين بقوتكم وصناعتكم، إذاً ﴿فاتقوا الله﴾ يا قوم بترك الشرك والمعاصي ﴿وأطيعون﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه وأدعوكم إليه ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين[3]﴾ أي على أنفسهم بارتكاب الكبائر وغشيان الذنوب. ﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ أي بمعاصي الله ورسوله فيها ﴿ولا يصلحون﴾ أي جمعوا بين الفساد والإفساد، وترك الصلاح والإصلاح.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ دعوة الرسل واحدة ولذا التكذيب برسول يعتبر تكذيباً بكل الرسل.
٢ـ الأمانة شعار كل الرسل والدعاة الصادقين الصالحين في كل الأمم والعصور.
٣ـ مشروعية التذكير بالنعم ليذكر المنعم فيُحب ويُطاع.
٤ـ التحذير من طاعة المسرفين في الذنوب والمعاصي لوخامة عاقبة طاعتهم.
٥ـ تقرير أن الفساد في الأرض يكون بارتكاب المعاصي فيها.

---

(١) الطلع: وعاء كنصل السيف بباطنه شماريخ القنو ويسمى هذا الطلع بالكم بكسر الكاف ويقال له: الطلع لأنه يطلع من قلب النخلة وبعد أيام من طلوعه ينفلق من نفسه ويُؤبّر وبعد قليل يصبح بَلحاً فبُسراً فرُطباً فتمراً وذكر النخل يقال له: فُحّال بضم الفاء وتشديد الحاء مفتوحة والجمع فحاحيل.

(٢) (فرهين) قراءة الجمهور، وقرىء (فارهين) مشتق من الفراهة التي هي الحذق والكياسة أي: عارفين حذقين بنحت البيوت من الجبال.

(٣) يريد رؤساءهم في الضلالة ممن يحثونهم على الشرك والفساد في البلاد بارتكاب الذنوب والآثام.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١٥٤ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ
نَٰدِمِينَ ۝١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٥٩﴾

شـرح الكلـمات:

إنما أنت من المسحرين : الذين سحروا وبُولغ في سحرهم حتى غلب عقولهم.

فأت بآية إن كنت من الصادقين : إن كنت من الصادقين في أنك رسول فأتنا بآية تدل على ذلك.

لها شرب ولكم شرب يوم معلوم: أي لها يوم تشرب فيه من العين ولكم يوم آخر معلوم.

فعقروها فأصبحوا نادمين : أي فلم يؤمنوا فقتلوها فأصبحوا نادمين لما شاهدوا العذاب.

معنى الآيـات:

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين صالح عليه السلام وقومه ثمود فلما ذكرهم ووعظهم ردوا عليه بما أخبر تعالى عنهم في قوله ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾[1] أي الذين سحروا وبولغ في سحرهم حتى غلب على عقولهم فهم لا يعرفون ما يقولون ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ تأكل الطعام وتشرب الشراب فلا أنت رب ولا ملك فنخضع لك

---

(١) وقيل: (من المسحرين) أي: من المعللين بالطعام والشراب مأخوذ من السّحر وهو: الرئة يعنون أنه بشر له رئة يأكل ويشرب كسائر الناس فلا يفضلهم وشاهده قول الشاعر:

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

موضعين مسرعين إلى الموت وما في التفسير أولى وأظهر.

ونطيعك ﴿فأت بآية﴾[1] علامة قوية ودلالة صادقة تدل على أنك رسول الله حقاً وأنت من الرسل الصادقين، فأجابهم صالح بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال هذه ناقة﴾ أي عظيمة الخلقة سأل ربه آية فأعطاه هذه الناقة فما زال قائماً يصلي ويدعو وهم يشاهدون حتى أنفلق الجبل وخرجت منه هذه الناقة الآية العظيمة فقال ﴿هذه ناقة لها شرب﴾[2] أي حظ ونصيب من ماء البلد تشربه وحدها لا يرد معها أحد ولكم أنتم شرب يوم معلوم لكم تردونه وحدكم. ﴿ولاتمسوها بسوء﴾ وحذرهم أن يمسوها بسوء لابضرب ولا بقتل ولا بمنع من شرب، فإنه يأخذكم عذاب يوم عظيم قال تعالى ﴿فعقروها﴾ أي فكذبوه وعصوه وعقروها بأن ضربوها في يديها ورجلها فبركت وقتلوها. فلما عقروها قال لهم صالح ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ فأصبحوا بذلك نادمين[3] ففي صبيحة اليوم الثالث أخذتهم الصيحة مع شروق الشمس فاهلكوا أجمعين ونجى الله تعالى صالحاً ومن معه من المؤمنين ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي علامة كبرى على قدرة الله تعالى وعلمه وأنه واجب الألوهية ﴿وما كان أكثرهم[4] مؤمنين﴾[5] مع وضوح الأدلة لأنه لم يسبق لهم إيمان في قضاء الله وقَدَرِهِ ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول لهو وحده العزيز الغالب الذي لا يغالب الرحيم بأوليائه وصالحي عباده.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير أن السحر من عمل الناس وأنه معلوم لهم معمول به منذ القدم.

٢ـ سنة الناس في المطالبة بالآيات عند دعوتهم إلى الدين الحق.

٣ـ وجود الآيات لا يستلزم بالضرورة إيمان المطالبين بل أكثرهم لا يؤمنون.

٤ـ الندم من التوبة ولكن لا ينفع ندم ولا توبة عند معاينة العذاب أو أماراته.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما قالوا: إن كنت صادقاً فادع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن ننظر وترد هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لبناً فدعا وفعل الله ذلك. فقال؛ (هذه ناقة...) الخ.

(٢) الشِرب بكسر الشين وسكون الراء: النوبة في الماء للناقة يوماً تشرب فيه لا يزاحمونها فيه بأنعامهم وأنفسهم.

(٣) إن قيل: لِمَ ما ينفع الندم وهو توبة فالجواب التوبة تنفع قبل ظهور علامات الموت والعذاب أما بعد ظهور ذلك فلا توبة تقبل وفي الحديث: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر).

(٤) كان: مزيدة لتقوية الكلام، والعبارة جائز أن يراد بها قوم صالح إذ لم يؤمن منهم إلا القليل، وأن يراد بها كفّار مكة إذ أكثر المكابرين ما آمن ومات كافراً أو ما آمن في تلك الفترة ثم آمن بعد الفتح.

(٥) قيل: ما آمن معه إلاّ ألفان وثمانمائة رجل وامرأة وأنّ قومه كانوا اثنى عشر ألف قبيل كل قبيل نحو: اثنى عشر ألفاً من سوى النساء والذرية وكان قوم عاد مثلهم ثلاث مرات. ذكر هذا القرطبي في تفسيره ولم يعزه لأحد.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات :

قوم لـوط : هم سكان مدن سدوم وعمورية وقرى أخرى ولوط هو نبي الله لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم.

أخوهم لـوط : هذه أخـوة بلد وسكنى[1] لا أخـوة نسب ولا دين.

إني لكم رسول أمين : أي إني مرسـل إليكم لا إلى غيركم أمين في إبـلاغكم رسالتي فلا أنقص ولا أزيد.

فاتقـوا الله : بالإيمان به وعبادته وحده وترك معاصيه.

وما أسألكم عليـه : أي على البلاغ من أجرة مقابل إرشادكم وتعليمكم.

أتأتون الذكران من العالمين: أي أتأتون الفاحشة من الرجال وتتركون النساء.

بل أنتم قوم عادون : أي معتدون ظالمون متجاوزون الحد في الإسراف في الشر.

معنى الآيـات :

هذه بداية قصص لوط مع قومـه أصحـاب المؤتفكات قال تعالى ﴿كذبت قوم لوط المرسلين﴾ أي كذبوا لوطاً الرسول وتكذيبه يعتبر تكذيباً لكافة الرسل لأن دعوة الله واحدة كذبوه لما دعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك الفواحش والظلم والشر والفساد إذ قال لهم أخوهم لوط هذه أخوة الوطن لا غير إذ لوط بابلي الموطن ودينه الإسلام وأبوه هاران

---

(١) أي : أخوة مواطنة كما يقال اليوم.

أخو إبراهيم عليه السلام، وإنما لما أرسل لوط إلى أهل هذه البلاد وسكن معهم قيل لهم أخوهم بحكم المعاشرة والمواطنة الحاصلة ﴿ألا تتقون﴾[(١)] يأمرهم بتقوى الله ويحضهم عليها لأنهم قائمون على عظائم الذنوب فخاف عليهم الهلاك فدعاهم إلى أسباب النجاة وهي تقوى الله تعالى بطاعته وترك معاصيه. وقال لهم ﴿إني لكم رسول أمين﴾[(٢)] فلا تشكوا في رسالتي وأطيعون، وإني غير سائلكم أجراً على تبليغ رسالتي إليكم إن أجري آخذه من رب العالمين الذي حملني هذه الرسالة وأمرني بإبلاغكم إياها وهنا أنكر عليهم أعظم منكر فقال موبخاً مقرعاً ﴿أتأتون[(٣)] الذكران من العالمين﴾ فترتكبون الفاحشة معهم ﴿وتذرون﴾ أي تتركون ما خلق الله لكم من أزواجكم ﴿بل أنتم قوم عادون[(٤)]﴾ أي متجاوزون الحدود[(٥)] التي رسمها الشرع والعقل والآدمية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ جواز إطلاق أخوة الوطن دون الدين والنسب.

٢ـ الأمانة من مستلزمات الرسالة، إذ كل رسول يقول ﴿إني لكم رسول أمين﴾.

٣ـ سبيل نجاة الفرد والجماعة في تقوى الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ.

٤ـ وجوب إنكار المنكر وتقبيحه على فاعله لعله يرعوي.

٥ـ أكبر فاحشة وقعت في الأرض هي فاحشة اللواط. والعياذ بالله تعالى.

قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

---

(١) الاستفهام للحض على التقوى وهو متضمن الإنكار والتوبيخ.

(٢) جملة: (إني لكم رسول أمين) تعليلية لأمره إيّاهم بالتقوى والطاعة.

(٣) الاستفهام للانكار والتوبيخ إذ كانوا يعملون الفاحشة مع الغرباء إذا نزلوا ديارهم بصورة عامة ومع بعضهم بعضاً بصورة خاصة.

(٤) بل: للانتقال من الوعظ إلى التنديد وتسجيل أكبر العدوان عليهم إذ الجملة الأسمية (أنتم قوم عادون) مبالغة في تحقيق نسبة العدوان إليهم وفي الإخبار بالجملة: (قوم عادون) إعلام بأن العدوان أصبح سجية فيهم وطبعاً لهم.

(٥) العادي: من تجاوز حد الحق إلى الباطل، والحلال إلى الحرام، فالقوم قد أحلّ الله لهم فروج نسائهم بالنكاح الشرعي وحرّم عليهم إتيان الرجال في أدبارهم فتجاوزوا الحلال إلى الحرام فكانوا بذلك عادين.

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)

شرح الكلمات :

لئن لم تنته : أي عن إنكارك علينا ما نأتيه من الفاحشة.

من المخرجين : أي من بلادنا وطردك من ديارنا.

لعملكم من القالين : أي المبغضين له البغض الشديد.

رب نجني وأهلي مما يعملون: أي من عقوبة وعذاب ما يعملونه من الفواحش.

فنجيناه وأهله : أي نجينا لوطاً الذي دعانا وأهله وهم امرأته المؤمنة وابنتاه.

إلا عجوزاً في الغابرين : أي فإنا لم ننجها إذ حكمنا بإهلاكها مع الظالمين فتركناها معهم حتى هَلَكَتْ بينهم لأنها كانت كافرة وراضية بعمل القوم.

وأمطرنا عليهم مطراً : أي أنزل عليهم حجارة من السماء فأمطروا بها بعد قلب البلاد عاليها سافلها.

فساء مطر المنذرين : أي فقبح مطر المنذرين ولم يمتثلوا فما كفوا عن الشر والفساد.

معنى الآيات :

ما زال السياق فيما دار بين نبي الله لوط وقومه المجرمين فإنه لما ذكرهم ووعظهم وأمرهم ونهاهم وسمعوا ذلك كله منه أجابوا بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا لئن[1] لم تنته يا لوط﴾ أي عن إنكارك علينا ما نأتيه من الفاحشة ﴿لتكونن من المخرجين﴾ أي نخرجك من بلادنا ونطردك من بيننا ولا تبقى ساعة واحدة عندنا إنتبه يا رجل.. فأجابهم لوط

(١) في الجملة إقسام دلّت عليه اللام ولا شك أنهم يحلفون بآلهتهم الباطلة والجملة متضمنة تهديداً وإيعاداً بالإبعاد والإخراج من البلد.

الرسول عليه السلام بقوله ﴿إني لعملكم من القالين﴾ (١) أي إني لعملكم الفاحشة من المبغضين أشد البغض، ثم التفت إلى ربه داعياً ضارعاً فقال ﴿رب نجني وأهلي مما يعلمون﴾ وهذا بعد أن أقام يدعوهم ويتحمل سنين عديدة فلم يجد بداً من الفزع إلى ربه ليخلصه منهم فقال ﴿ربي نجني وأهلي﴾ من عقوبة وعذاب ما يعملونه من إتيان الفاحشة من العالمين قال تعالى ﴿فنجيناه وأهله﴾ وهم امرأته المسلمة وابنتاه المسلمتان طبعاً إلا عجوزاً وهي امرأته الكافرة المتواطئة مع الظلمة الراضية بالفعلة الشنعاء كانت في جملة الغابرين (٢) أي المتروكين بعد خروج لوط من البلاد لتهلك مع الهالكين قال تعالى ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أي بعد أن أنجينا لوطاً وأهله أجمعين باستثناء العجوز الكافرة دمرنا أي أهلكنا الآخرين ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ إنه بعد قلب البلاد سافلها على عاليها أمطر عليهم مطر حجارة من السماء لتصيب من كان خارج المدن المأفوكة المقلوبة.

قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي في هذا الذي ذكرنا من إهلاك المكذبين والمسرفين الظالمين آية وعلامة كبرى لمن يسمع ويرى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ (٣) لما سبق في علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون فسبحان الله العظيم. وقوله ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ وإن ربك يا رسولنا هو لا غيره العزيز الغالب القاهر لكل الظلمة والمسرفين الرحيم بأوليائه وعباده المؤمنين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ التهديد بالنفي سنة بشرية قديمة.

(١) القلى: البغض يقال: قليته أقليه قِلى وقلاءً قال الشاعر:

عليك السلام لا مللت قريبة ... ومالك عندي أن نأيت قلاء

أي قلى.

(٢) فعل (غَبر) يطلق على البقاء والذهاب كالجون: يطلق على الأبيض والأسود قال الشاعر:

فما ونى محمد منذ أن غفر ... له الإله ما مضى وما غبر

أي: ما بقي.

والأغبار: بقيات الألبان. قال الشاعر:

لا تكسع السول بأغبارها ... إنك لا تدري من الناتج

يقال كسع الناقة: ترك في ضرعها بقية من اللبن، وبعده البيت التالي:

واحلب لأضيافك ألبانها ... فإنّ شر اللبن الوالج

(٣) إذ لم يؤمن إلا إحدى نسائه وابنتاه.

٢ـ وجوب بغض الشر والفساد في أي صورة من صورهما.
٣ـ استجابة دعوة المظلوم لا سيما إن كان من الصالحين.
٤ـ توقع العذاب إذا انتشر الشر وعظم الظلم والفساد.
٥ـ الآيات مهما كانت عظيمة لا تستلزم الإيمان والطاعة.
٦ـ من لم يسبق له الإيمان لا يؤمن ولو جلب عليه كل آية.
٧ـ مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته.

كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

شرح الكلمات :

أصحاب الأيكة : أي الغيضة وهي الشجر الملتف.
إذ قال لهم شعيب : النبي المرسل شعيب عليه السلام.
أوفوا الكيل : أي أتموه.
ولا تكونوا من المخسرين : الذين ينقصون الكيل والوزن.
بالقسطاس المستقيم : أي الميزان السوي المعتدل.
ولا تبخسوا الناس أشياءهم : أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً.
ولا تعثوا في الأرض مفسدين : أي بالقتل والسلب والنهب.
والجبلة الاولين : أي والخليقة أي الناس من قبلكم.

معنى الآيـات:

هذه بداية قصص شعيب عليه السـلام مع أصحاب الأيكة والأيكة الشجر الملتف كشجر الدوم وهذه الغيضة قريبة من مدينة مدين وشعيب أرسل لهما معاً وفي سورة هود ﴿وإلى مدين أخـاهم شعيبـاً﴾ لأنه منهم ومن مدينتهم فقيل له أخوهم، وأما أصحاب الأيكة جماعة من بادية مدين كانت لهم أيكة من الشجر يعبدونها تحت أي عنوان كعبدة الأشجار والأحجار في كل زمان ومكان، فبعث الله تعالى إليهم شعيباً فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه فكذبوه وهو قوله تعالى ﴿كذب أصحابُ[1] الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيبٌ[2] ألا تتقونْ[3]﴾ أي اتقوا الله وخافوا عقابه ﴿إني لكم رسول أمين﴾ فاتقوا الله بعبادته وترك عبادة ما سواه وأطيعون أهدكم الى ما فيه كمالكم وسعادتكم ﴿وما أسألكم عليه﴾ أي على بلاغ رسالة ربي إليكم أجراً أي جزاء وأجرة ﴿إن أجري﴾ أي ما أجري إلا على رب العـالـمين. وأمـرهـم بتـرك أشهـر معـصـية كانـت شائعـة بينهم وهي تطفيف الكيل والـوزن فقال لهم ﴿أوفوا الكيل﴾ أي أتموها ولا تنقصوها ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي الذين ينقصـون الكيل والـوزن ﴿وزنوا﴾ أي إذا وزنتم ﴿بالقسطاس المستقيم﴾ أي بالميزان العادل، ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهمْ[4]﴾ أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً فـما يساوي ديناراً لا تعطوا فيه نصف دينار وما يساوي عشرة لا تأخذوه بخمسة مثلاً ومن أجرته اليومية عشرون لا تعطوه عشرة مثلاً، ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي ولا تفسدوا في البلاد بأي نوع من الفساد كالقتل والسلب ومنع الحقوق وارتكاب المعاصي والذنوب ﴿واتقوا الذي خلقكم﴾ أي الله فخافوا عقابه ﴿والجبلةْ[5] الأولين﴾ أي وخلق الخليقة من قبلكم

---

(١) الأيكة وليكة بمعنى واحد كمكة وبكة، وقيل: الأيكة: الشجر الملتف أي الغليظة وليكة: وهي قراءة نافع. اسم للبلدة ومنعها من الصرف ومن قرأ الأيكة صرفها، والراجح أنها بمعنى واحد، وعدم الصرف لانعدام أل لا غير.

(٢) لم يقل: أخاهم شعيباً: لأنه لا قرابة بينهم بخلاف أهل مدين فهو من أهلها فلذا قال تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيبا) وأصحاب الأيكة أي بادية وهي الشجر الملتف فلذا يقال له الغيضة وكان من شجر الدوم وهو المُقل والسدر وثماره النبق.

(٣) الاستفهام للحض على التقوى والإنكار عليهم عبادة غير الله تعالى. وجملة (إني لكم رسول أمين) تعليلية لأمره إيّاهم بالتقوى وفي (لكم) إشارة إلى أن رسالته إليهم عارضة وكانت بعد رسالته إلى أهل مدين، فلعلهم أنكروا أن يكون أرسل إليهم فلذا قال: (إني لكم رسول أمين) وفي آية الحجر قال تعالى (وإنهما لبإمام مبين) والتثنية في إنهما إشارة إلى أصحاب الأيكة وإلى أهل مدين، ولما جاء العذاب أخذ الكل لأن ذنبهم واحد وقرب المنازل والديار.

(٤) الظاهر من السياق أن ذنب أصحاب الأيكة وأهل مدين كان واحداً الشرك والتطفيف والبخس للناس فلذا أدمج خطابهم فصاروا فيه أمة واحدة.

(٥) الجبلّة: الخلقة وأريد بها المخلوقات ولذا قال: (الأولى) أي: وذوي الجبلة الأولى والمعنى خلقكم وخلق الأمم من قبلكم.

اتقوه بترك الشرك والمعاصي تنجوا من عذابه، وتظفروا برضاه وإنعامه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ الأمر بالتقوى فريضة كل داع إلى الله تعالى وسنة الدعاة والهداة إذ طاعة الله واجبة.

٢ـ لا يصح لداع إلى الله أن يطلب أجره ممن يدعوهم فإن ذلك ينفرهم.

٣ـ وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة التطفيف فيهما.

٤ـ حرمة بخس الناس حقوقهم ونقصها بأي حال من الأحوال.

٥ـ حرمة الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب.

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ
مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

شـرح الكلـمات:

إنما أنت من المسحرين: أي ممن يأكلون الطعام ويشربون فلست بملك تطاع.

وإن نظنك لمن الكاذبين: أي وما نحسبك إلا واحداً من الكاذبين.

فأسقط علينا كسفاً: أي قطعاً من السماء تهلكنا بها إن كنت من الصادقين فيما تقول.

عذاب يوم الظلة: أي السحابة التي أظلتهم ثم التهبت عليهم ناراً.

إن في ذلك لآية: أي لعبـرة وعـلامـة عبرة لمن يعتبر وعلامة دالة على صدق الرسول ﷺ.

معنى الآيـات:

ما زال السياق الكريم في قصص شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة وأهل مدين إنه لما ذكرهم ووعظهم وأمرهم كان جوابهم ما أخبر به تعالى عنهم في قوله ﴿قالوا إنما أنت﴾ أي يا شعيب ﴿من المسحرين﴾ الذي غلب السحر على عقولهم فلا يدرون ما يفعلون وما لا يقولون[(١)] كما أنك بشر مثلنا تأكل الطعام وتشرب الشراب فما أنت بملك من الملائكة حتى نطيعك، ﴿وإن نظنك﴾[(٢)] أي وما نظنك إلا من الكاذبين من الناس ﴿فأسقط علينا كسفاً﴾[(٣)] أي قطعاً من السماء تهلكنا بها ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعوى أنك رسول من الله إلينا. فأجابهم قائلاً بما ذكر تعالى ﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾ ولازم ذلك أنه سيجازيكم بعملكم قال تعالى ﴿فكذبوه﴾ في كل ما جاءهم به واستوجبوا لذلك العذاب ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة[(٤)] إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ فقد أنزل الله تعالى عليهم حراً شديداً التهب منه الجوّ أو كاد فلجأوا إلى المنازل والكهوف والسراديب تحت الأرض فلم تغن عنهم شيئاً، ثم ارتفعت في سماء بلادهم سحابة فذهب إليها بعضهم فوجدها روحـاً وبرداً وطيباً فنادى الناس أن هلموا فجاءوا فلما اجتمعوا تحتها كلهم انقلبت ناراً فأحرقتهم ورجفت بهم الأرض من تحتهم فهلكوا عن آخرهم.

قال تعالى ﴿إن في ذلك لأية﴾[(٥)] أي علامة لقومك يا محمد على قدرتنا وعلمنا ووجوب عبادتنا وتصديق رسولنا ولكن أكثرهم لا يؤمنون لما سبق في علمنا أنهم لا يؤمنون، وإن ربك يا محمد لهو العزيز أي الغالب على أمره الرحيم بمن تاب من عباده.

---

(١) في قولنا: كما أنك... الخ دمج للقولين الذين قيلا في تفسير: (إنك لمن المسحرين) إذ كل منهما جائز، والقرآن حمّال الوجوه.

(٢) إطلاق الظنّ على اليقين شائع كقوله تعالى: (الذين يظنّون أنهم ملاقوا ربهم).

(٣) (كِسفـاً) بكسـر الكـاف وسكون السين قراءة عامة القرّاء ما عدا حفصاً فقد قرأ (كِسَفاً) بتحريك السين جمع كِسفة بسكونها، والكسف: القطعة والجمع: كِسف.

(٤) (الظلة) السحابة التي تظلل من تحتها وهي سحابة عظيمة أظلت مساحة كبيرة لما فرّوا إليها أظلتهم ثم أرسلت عليهم الصواعق فأحرقتهم وكانت من جنس ما طلبوه وهو: الكسف من السماء.

(٥) أي: في ذلك المذكور من عذاب يوم الظلة آية لكفار قريش إذ حالهم كحال أصحاب الأيكة وأهل مدين في الشرك والتطفيف في الكيل والوزن.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ هذا آخر سبع قصص ذكرت بإيجاز تسلية للنبي ﷺ وتهديداً للمشركين المكذبين.

٢ـ دعوة الرسل واحدة وأسلوبهم يكاد يكون واحداً: الأمر بتقوى الله وطـاعـة رسوله.

٣ـ سنة تعلل الناس بأن الرسول لا ينبغي أن يكون بشراً فلذا هم لا يؤمنون.

٤ـ المطالبة بالآيات تكاد تكون سنة مطردة، وقل من يؤمن عليها.

٥ـ تقرير التوحيد والنبوة والبعث وهي ثمرة كل قصة تقص في هذا القرآن العظيم.

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ
ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ
عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ
فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾

شـرح الكلـمات:

وإنه لتنزيل رب العالمين : أي القرآن الكريم تنزيل رب العالمين.

الروح الأميـن : جبريل عليه السلام أمين على وحي الله تعالى.

وإنه لفي زبر الأولين : أي كتب الأولين، واحد الزبر: زبرة وكصفحة وصحف.

أولم يكن لهم آية : أي علامة ودليلاً علم بني إسرائيل به.

على بعض الأعجمين : الأعجمي من لا يقدر على التكلم بالعربية.

كذلك سـلكناه : أي التكذيب في قلوب المجرمين من كفار مكة.

معنى الآيـات :

لقـد أنكر كفار مكة أن يكون القرآن وحياً أوحاه الله تعالى وبذلك أنكروا أن يكون محمـد رسول الله، ومن هنا ردوا عليه كل ما جاءهم به من التوحيد وغيره، فإيراد هذا القصص يتلوه محمد ﷺ وهو لا يقرأ ولا يكتب دال دلالة قطعية على أنه وحي إلهي أوحاه إلى محمـد ﷺ وهـو بذلـك رسولـه. فقـولـه تعـالى ﴿وإنـه﴾ أي القـرآن الـذي كذب به المشـركون ﴿تنـزيل رب العـالمين نزل به[1] الروح الأمين﴾ جبريل عليه السلام ﴿على[2] قلبك﴾ أي الرسول لأن القلب هو الذي يتلقى الوحي إذ هو محط الإدراك والوعي والحفظ، وقوله ﴿لتكون من المنذرين﴾ هو علة لنزول القرآن عليه وبه كان من الرسل المنذرين. وقوله ﴿وإنـه لفي زبـر الأولين﴾ أي القـرآن مذكـور في الكتب الإلهية التي سبقتـه كالتوراة[3] والإنجيل. وقوله تعالى ﴿أو لم يكن لهم﴾ أي لكفار قريش ﴿آية﴾ أي علامة على أن القرآن وحي الله وكتابه وأن محمداً عبدالله ورسوله ﴿أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ أي علم بني إسرائيل به كعبد الله بن سلام فقد قال والله إني لأعلم أن محمداً رسول أكثر مما أعلم أن فلاناً ولدي، لأن ولدي في الإمكان أن تكون أمه قد خانتني أما محمد فلا يمكن أن يكـون غير رسـول الله وفيهم قال تعالى ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ ومن عرف محمداً رسولاً عرف القرآن وحياً إلهياً.

وقوله تعالى ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين[4]﴾ أي وبلسان عربي مبين فكان ذلك آية، وقرأه عليهم الأعجمي، ما كانوا به مؤمنين. أي من أجل الأنفة والحمية إذ يقولون أعجمي وعربي؟ وقوله تعالى: ﴿كذلك سلكناه﴾ أي التكذيب وعدم الإيمان ﴿في قلوب

---

(١) قرأ نافع وحفص وغيرهما (نزل) بالتخفيف، و(الروح) مرفوع على الفاعلية وقرأ بعضّ (نزّل) بالتضعيف و(الروح) منصوب على المفعولية والفاعل هو الله جل جلاله، والباء في (به) للمصاحبة.

(٢) (على): حرف استعلاء وكون القرآن نزل به جبريل على قلب الرسول ﷺ دال على تمكن وصول الوحي واستقراره في القلب. نحو: (على هُدى من ربهم) وقد روى البخاري في صفة الوحي فقال عن عائشة: إنّ الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثّل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول).

(٣) جاء في التوراة قال لي الرب (أي لموسى) أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. فالمراد من إخوة بني إسرائيل هم العرب. وفي الإنجيل: وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً (أي رسولاً) آخر ليمكث معكم إلى الأبد وهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.

(٤) وكذلك لو أنزله على أعجمي بلغته لاعتذروا بأنهم لا يفهمون عنه، والمراد من الأعجمي: هو من لا يحسن اللغة العربية وإن كان عربياً، والعجمي من أصله عجمي ولو أجاد اللغة العربية.

المجرمين﴾ أي كما سلكنا التكذيب في قلوب المجرمين لو قرأ القرآن عليهم أعجمي سلكناه أي التكذيب في قلوب المجرمين إن قرأه عليهم محمد ﷺ، والعلة في ذلك هي أن الإجرام على النفس بارتكاب عظائم الذنوب من شأنه أن يحول بين النفس وقبول الحق لما ران عليها من الذنوب وأحاط بها من الخطايا. وقوله ﴿لا يؤمنون به﴾ تأكيد لنفي الإيمان حتى يروا العذاب الأليم أي يستمر تكذيبهم بالقرآن والمنزل عليه حتى يروا العذاب الموجع، وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم ولا هم ينظرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير معتقد الوحي الإلهي والنبوة المحمدية.

٢- بيان أن جبريل هو الذي كان ينزل بالوحي القرآني على النبي محمد ﷺ.

٣- تقرير النبوة المحمدية وأن محمداً من المنذرين.

٤- بيان أن القرآن مذكور في الكتب[1] السابقة بشهادة علماء أهل الكتاب.

٥- إذا تراكمت آثار الذنوب والجرائم على النفس حجبتها عن التوبة ومنعتها من الإيمان.

فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾
مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ
عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

---

(١) ومذكور من نزل عليه وهو محمد رسول الله ﷺ لإقامته له فيهم كما تقدم في المثلين المذكورين أحدهما من التوراة والثاني من الإنجيل.

شرح الكلمات :

هل نحن منظرون : أي ممهلون لنؤمن. والجواب قطعاً : لا لا . .

أفرأيت : أي أخبرني .

إن متعناهم سنين : أي أبقينا على حياتهم يأكلون ويشربون وينكحون.

ما كانوا يوعدون : أي من العذاب .

ما أغنى عنهم : أي أي شيء أغنى عنهم ذلك التمتع الطويل لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه .

إلا لها منذرون : أي رسل ينذرون أهلها عاقبة الكفر والشرك .

ذكرى : أي عظة .

وما تنزلت به الشياطين : أي لا يتأتى لهم ولا يصلح لهم أن يتنزلوا به .

وما يستطيعون : أي لا يقدرون .

إنهم عن السمع : أي لكلام الملائكة لمعزولون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير النبوة المحمدية واثبات الوحي . لقد جاء في السياق أن المجرمين لا يؤمنون بهذا القرآن حتى يروا العذاب الأليم . فيأتيهم بغتة أي فجأة وهم لا يشعرون أي لا يعلمون به حتى يفاجئهم . فيقولون حينئذ : ﴿هل نحن منظرون﴾ أي يتمنون[1] أن لو يمهلوا حتى يؤمنوا ويصلحوا ما أفسدوا .

وقوله تعالى ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ عندما قالوا للرسول ﴿لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كسفاً من السماء﴾ أي قطعاً ، أحُمق هم أم مجانين يستعجلون عذاب الله الذي إن جاءهم كان فيه حتفهم أجمعين؟ ثم قال لرسوله : ﴿أفرأيت﴾ يا رسولنا ﴿ إن متعناهم سنين﴾ بأن أطلنا أعمارهم ووسعنا في أرزاقهم فعاشوا سنين عديدة ثم جاءهم عذابنا أي

---

(١) ذكر القرطبي أن عمر بن عبدالعزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ : (أفرأيت إن متّعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون) ثم يبكي ويقول :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ... ولا أنت في النوم بناج فسالم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سرّ باللذات في النوم حالم
وتسعى إلى ما سوف تكره غبّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

أخبرني هل يغني ذلك التمتع غنهم شيئاً؟ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون أي لم يُغْنِ عنهم شيئاً لا بدفع العذاب ولا بتأخيره ولا بتخفيفه.

وقوله تعالى ﴿وما أهلكنا من قرية﴾[1] كتلك القرى التي مر ذكرها في هذه السورة ﴿إلا لها منذرون﴾ أي كان لها رسل ينذرون أهلها عقاب الله إن أصروا على الشرك والكفر والشر والفساد. وقوله ﴿وذكرى﴾[2] أي عظة لعلهم يتعظون. وقوله ﴿وما كنا ظالمين﴾ في إهلاك من أهلكنا بعد أن أنذرنا.

ونزل رداً على المشركين المجرمين الذين قالوا إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد كما يأتون للكهان بأخبار السماء. ﴿وما تنزلت[3] به الشياطين﴾ كما يزعم المكذبون ﴿وما ينبغي لهم﴾ أي للشياطين أي لا يصلح لهم ولا يتأتي منهم ذلك لأنهم معزولون عن السمع، أي سماع كلام الملائكة إذ أرصد الله تعالى شهباً حالت بينهم وبين السماع من السماء.. فلذا دعوى المشركين باطلة من أساسها.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١- بيان أن المجرمين إذا شاهدوا العذاب تمنوا التوبة ولا يمكنون منها.

٢- بيان أن استعجال عذاب الله حمق ونزغ في الرأي وفساد في العقل.

٣- بيان أن طول العمر وسعة الرزق لايغنيان عن صاحبها شيئاً من عذاب الله إذا نزل به.

٤- بيان سنة الله تعالى في أنه لا يهلك أمة إلا بعد الإنذار والبيان.

٥- إبطال مزاعم المشركين في أن القرآن من جنس مايقوله الكهان، وأن الشياطين تتنزل به.

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي

---

(١) (من قرية) من: صلة أي زائدة لتقوية الكلام وتأكيده لأن زيادة المبنى تزيد في المعنى كذا يُقال.

(٢) ذكرى: يصح إعرابها حالاً ومصدراً وخبراً.

(٣) قرأ محمد بن السميقع: وما تنزلت به الشياطون وردّ عليه ولم يقبل منه ولعلهُ نظر إلى أنّ الشيطان مشتق من شاط يشيط، والصواب أنه من شطن لا من شاط.

بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

شرح الكلمات :

فلا تدع مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر، لأن الدعاء هو العبادة.

وأنذر عشيرتك الأقربين : وهم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب.

واخفض جناحك : أي ألن جانبك.

فإن عصوك : أي أبوا قبول دعوتك إلى التوحيد، ورفضوا ما تدعوهم إليه.

فقل إني بريء مما تعملون : أي من عبادة غير الله سبحانه وتعالى.

الذي يراك حين تقوم : أي إلى الصلاة فتصلي متهجداً بالليل وحدك.

وتقلبك في الساجدين : أي ويرى تقلبك مع المصلين راكعاً ساجداً قائماً.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في طلب هداية قريش قوم محمد ﷺ فقوله تعالى ﴿فلا تدع مع[1] الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ فيه إيحاء وإشارة واضحة بأنه تعريض بالمشركين الذين يدعون آلهة أصناماً وهي دعوة توقظهم من نومتهم إنه إذا كان رسول الله ينهى عن عبادة غير الله وإلا يعذب مع المعذبين فغيره من باب أولى فكأن الكلام جرى على حد إياك أعني واسمعي يا جارة!! وقوله تعالى ﴿وأنذر[2] عشيرتك الأقربين﴾ أمر من الله لرسوله أن يخص أولاً بإنذاره قرابته لأنهم أولى بطلب النجاة لهم من العذاب، وقد امتثل الرسول أمر ربه فقد ورد في الصحاح عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ لما أنزل عليه ﴿وأنذر[3]

---

(١) إن الخطاب وإن كان في السياق ما يدل على أنه موجه إلى النبي ﷺ فإنه صالح لكل من يسمعه.

(٢) الجملة معطوفة على التي قبلها وهي؛ (فلا تدع مع الله إلهاً آخر) إذ نهاه عن الشرك وأمره أن يُنذر أقرباءه منه لأنه لا فلاح معه.

(٣) في هذه الآية دليل على أن القرب في الأنساب مع البعد في الأسباب ودليل على جواز صلة المؤمن الكافر لإرشاده ونصحه. وقال ﷺ(إنّ لكم رحماً سأبلّها ببلالها).

عشيرتك الأقربين﴾ قال «يا معشر قريش[1] اشتروا أنفسكم من الله (يعني بالإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي) فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله أي من عذابه شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً».

وقوله تعالى ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أمره أن يلين جانبه للمؤمنين وأن يعطف عليهم ويُطايبهم ليرسخ الإيمان في قلوبهم ويسلموا من غائلة الردة فيما لو عوملوا بالقسوة والشدة وهم في بداية الطريق الى الله تعالى وقوله تعالى ﴿فإن عصوك﴾ أي من أمرت بدعوتهم إلى توحيد الله وعبادته وخلع الأنداد والتخلي عن عبادتها ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ أي من عبادة غير الله تعالى وغير راضٍ بذلك منكم ولا موافق عليه لأنه شرك حرام وباطل مذموم. وقوله تعالى ﴿وتوكل على[2] العزيز﴾ أي الغالب القاهر الذي لا يمانع في شيء يريده الرحيم بالمؤمنين من عباده، والأمر بالتوكل هنا ضروري لأنه أمره بالبراءة من الشرك والمشركين وهي حال تقتضي عداوته والكيد له بل ومحاربته ومن هنا وجب التوكل[3] على الله والاعتماد عليه، وإلا فلا طاقة له بحرب قوم وهو فرد واحد وقوله ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ أي في صلاتك وحدك ﴿وتقلبك[4] في الساجدين﴾ أي ويرى تقلبك قائماً وراكعاً وساجداً مع المصلين من المؤمنين، بمعنى أنه معك يسمع ويرى فتوكل عليه ولا تخف غيره وامض في دعوتك ومفاصلتك للمشركين. وقوله ﴿إنه هو السميع العليم﴾ تقرير لتلك المعية الخاصة إذ السميع لكل صوت والعليم بكل حركة وسكون يحق للعبد التوكل عليه وتفويض الأمر إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد، وحرمة دعاء غير الله تعالى من سائر مخلوقاته لأنه الشرك الحرام.

---

(١) رواه مسلم وغيره بألفاظ فيها بعض الاختلاف.

(٢) قرأ نافع (فتوكل) بالفاء وقرأ غيره بالواو، وكلا الحرفين عاطف فالفاء عاطفة على قوله: (فقل إني بريء مما تعملون) وهي للتفريع أيضاً والواو عاطفة على جواب الشرط وهو (إني بريء مما تعملون).

(٣) التوكل: تفويض المرء أمره إلى من يكفيه مهمه وما دام لا كافي إلا الله وجب إذاً التوكل عليه عز وجل.

(٤) في الآية دليل على مشروعية صلاة الجماعة وتأكدها واضح.

٢- من مات يدعو غير الله فهو معذب لا محالة مع المعذبين.
٣- تقرير قاعدة البدء بالأقارب في كل شيء لأنهم ألصق بقريبهم من غيرهم.
٤- مشروعية لين الجانب والتواضع للمؤمنين لاسيما الحديثو عهد بالإسلام.
٥- وجوب البراءة من الشرك وأهله.
٦- وجوب التوكل على الله والقيام بما أوجبه الله تعالى.
٧- فضل قيام الليل وصلاة الجماعة لما يحصل للعبد من معية الله تعالى.

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

شرح الكلمات :

أنبئكم : أي أخبركم.

أفاك أثيم : أي كذاب يقلب الكذب فيكون إفكاً أثيم غارق في الآثام.

يلقون السمع : أي يلقون أسماعهم ويصغون أشد الإصغاء للشياطين فيتلقون منهم مما أكثره كذب وباطل.

الغاوون : جمع غاوٍ : الضال عن الهدى الفاسد القلب والنية.

في كل واد : أي من أودية الكلام وفنونه.

يهيمون : أي يمضون في كل شعب وواد من الكلام مدحاً أو ذما كان صدقاً أو كذباً.

يقولون مالا يفعلون : أي يقولون فعلنا وهم لم يفعلوا.

وانتصروا من بعدما ظلموا: أي قالوا الشعر انتصاراً للحق بأن ردوا على من هجا المسلمين.

أي منقلب ينقلبون : أي مرجع يرجعون بعد الموت وهو دار البوار جهنم.

معنى الآيات :

لما ادعى المبطلون من مشركي قريش أن الرسول ﷺ يتلقى من الشياطين كما تتلقى الكهان منهم رد تعالى عليهم بقوله ﴿هل أنبئكم[1] على من تنزل الشياطين؟﴾ وأجاب عن السؤال قائلاً ﴿تنزل على كل أفاك﴾ كذاب يقلب الكذب قلباً فيقول في الظالم عادل، وفي الخبيث طيب، وفي الفاسد صالح، ﴿أثيم﴾ أي كثير الآثام إذ لم يترك جريمة إلا يقارفها ولا سيئة إلا يجترحها حتي يغرق في الإثم فهذا الذي تتحد معه الشياطين وتلقي إليه بما تسمعه من السماء لكونه مثلها في ظلمة النفس وخبث الروح، وأما محمد ﷺ فهو أبعد الناس عن الكذب والإثم فلم يجرب عليه كذب قط ولم يعرف منه ذنب أبداً فكيف تتحد معه الشياطين وتخبره وتلقي إليه بخبر السماء؟ وبهذا بطلت التهمة وقوله ﴿يلقون[2] السمع وأكثرهم[3] كاذبون﴾ أي إن الشياطين قبل أن يحال بينهم وبين استراق السمع بإرصاد الشهب لهم. كانوا يلقون أسماعهم للحصول على الخبر وأكثرهم كاذبون حيث يخلطون مع الكلمة التي سمعوها مائة كلمة كلها كذب منهم ويلقون ذلك الكذب إلى إخوانهم في الكفر والخبث من كهنة الناس.

وقوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ أي أهل الغواية والضلال هم الذين يتبعون الشعـراء فيروون لهم وينقلون عنهم، ويصـدقـونهم فيمـا يقولون. والدليل على ذلك ﴿أنهم﴾ أي الشعراء ﴿في كل واد﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يهيمون﴾ على وجوههم

---

(١) هذا الاستفهام صوري واختير له هل لإفادتها التحقيق كقد وهو يحمل التعريض بأنّ المستفهم عنه مما يسوءهم فلذا استفهموا في هذا السؤال (هل أنبئكم)؟

(٢) وجائز أن يكون من يلقون السمع: الكهان، إذ هم يلقون أسماعهم عند مشاهدة كواكب لتنزل عليهم شياطينهم بالخبر وذلك من إفكهم، وعليه فجملة: (يلقون السمع) صفة (لكل أفاك أثيم) وما في التفسير عليه الكثيرون وكلا المعنييـن وارد وصحيح.

(٣) أي: أكثر هؤلاء الأفاكين كاذبون فيما يزعمون أنهم تلقوه من الشياطين فبعضهم لا يتلقى شيئا وإنما يدعي ذلك، والبعض يتلقى قليلا فيزيد عليه أضعافه، وفي الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن الكهان فقال: (ليسوا بشيء قيل: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً فقال: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون عليها أكثر من مائة كذبة).

ماضين في قولهم فيمدحون ويذمون، يهجون، ويفخرون، ويدعون أنهم فعلوا كذا وكذا وما فعلوا فهل محمد ﷺ الذي اتهمتموه بأنه شاعر وما يقوله من جنس الشعر أتباعه[1] غاوون انظروا إليهم واسألوا عنهم فإنهم أهدى الناس وأبرهم فعلاً وأصدقهم حديثاً وأبعدهم عن الريبة، فلو كان محمد شاعراً لكان أتباعه الغاوين فبذا بطلت الدعوى من أساسها.

وقوله ﴿إلا الذين[2] آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا﴾ إنه لما ذم الشعراء، استثنى منهم أمثال: عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت ممن آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا يردون هجاء المشركين لرسول الله ﷺ وينافحون عن الإسلام وأهله بشعرهم الصادق النقي الطاهر الوفي.

وقوله تعالى ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ رسول الله باتهامه بالكهانة مرة وبالشعر مرة أخرى وظلموا الوحي الإلهي بوصفه بما هو بعيد عنه من الكهانة والشعر ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ أي أي مرجع يرجعون إليه، إنه النار وبئس القرار.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إبطال فرية المشركين من أن القرآن من جنس ما يقوله الكهان.

٢ـ إبطال أن الرسول ﷺ كاهن وشاعر.

٣ـ بيان أن الشياطين تتحد مع ذوي الأرواح الخبيثة بالإفك والآثام.

٤ـ بيان أن الشعراء المبطلين أتباعهم في كل زمان ومكان الغاوون الضالون.

٥ـ جواز نظم الشعر وقوله في تقرير علم أو تسجيل[3] حكمة، أو انتصار[4] للإسلام والمسلمين بالرد على من يهجو الإسلام والمسلمين.

٦ـ التحذير من عاقبة الظلم فإنها وخيمة.

---

(١) من كان أتباعه غاوين لا يكون هو إلاَّ غاوياً بل أشد غواية.

(٢) في الآية دليل على جواز دراية الشعر الحسن فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال يوماً لعمر بن الشريد: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟، قال: نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت.

(٣) روى عن ابن سيرين أنه أنشد شعراً فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبابكر؟ فقال: ويلك يالكع: وهل الشعر إلاَّ كلاماً لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي فحسنه حسن وقبيحه قبيح.

(٤) من شعر نصرة الحق قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه والرسول ﷺ يمشي بين يديه وذلك يوم الفتح:

خلوبني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم عن تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقبله   ويذهل الخليل عن خليله

ومنه قول حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه   وعند الله في ذاك الجزاء
أتشتمه ولست له بكفء   فشركما لخيركما الفداء
فإن أبي ووالدتي وعرضي   لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لاعيب فيه   وبحري لا تكدره الدِّلاءُ

فهرس المجلد الثالث

أيسر التفاسير
لكلام العلي الكبير

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الرابع

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة
طبعة مزيدة ومنقحة ومصححة وبهامشها
نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثالثة

مصححة ومنقحة

وبهامشها

نهر الخير على أيسر التفاسير

راسم للدعاية والإعلان
RACEM ADVERTISING
ت : ٦٧١٣٩٧٦ ص. ب : ٨٣٢٣ - جدة ٢١٤٨٢
Tel: 6713976 P.O. Box: 8323 Jeddah 214482

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل

مكيـــة

وآياتها ثلاث وتسعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ (١) هُدٗى وَبُشۡرَىٰ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ
وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ (٥)

شرح الكلمات :

طـس	: هذا أحد الحروف المقطّعة، يقرأ: طا. سِين.
تلـك	: أي الآيات المؤلفة من هذه الحروف آيات القرآن.
هدى وبشـرى	: أي أعلام هداية للصراط المستقيم، وبشارة للمهتدين.
زيّنا لهم أعمالهم	: أي حببناها إليهم حسب سنتنا فيمن لا يؤمن بالبعث والجزاء.
فهم يعمهون	: في ضلال بعيد وحيرة لا تنتهى.
لهم سـوء العذاب	: أي في الدنيا بالأسر والقتل.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿طسٓ﴾ لقد سبق أن ذكرنا أن السلف كانوا يقولون في مثل هذه الحروف المقـطعة: الله أعلم بمراده بذلك، وهذه أسلم، وذكرنا أن هناك فائدة قد تقتنص من

الاشـارة بتلك أوبذلك، وهي أن القرآن المعجز الذي تحدى به مُنَزله عز وجل الإنس والجن قد تألف من مثـل هذه الحروف العربية فألفوا أيها العرب مثله سورة فأكثر فإن عجزتم فآمنوا أنه كلام الله ووحيه واعملوا بما فيه ويدعو إليه.

وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾[1] أي المؤلفة من مثل هذه الحروف آيات القرآن ﴿وكتاب مُبين﴾[2] أي مبين لكل ما يحتاج إلى بيانه من الحق والشرع في كل شؤون الحياة.

وقوله: ﴿هدىً وبشرى للمؤمنين﴾[3] أي هادٍ إلى الصراط المستقيم الذي يفضي بسالكه إلى السعادة والكمال في الدارين، ﴿وبشرى﴾ أي بشارة عظمى للمؤمنين أي بالله ولقائه والرسول وما جاء به، ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾[4] بأدائها في أوقاتها في بيوت الله تعالى مستوفاة الشروط والأركان والواجبات والسنن والآداب ﴿ويؤتون الزكاة﴾ عند وجوبها عليهم ﴿وهم بالآخرة﴾ أي بالدار الآخرة ﴿هم يوقنون﴾ بوجودها والمصير إليها، وبما فيها من حساب وجزاء.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي بالبعث والجزاء ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ أي حببناها إليهم حتى يأتوها وهي أعمال شر وفساد، وذلك حسب سنتنا فيمن أنكر البعث وأصبح لا يرهب حساباً ولا يخاف عقاباً انغمس في الرذائل والشهوات وأصبح لا يرعوي عن قبيح ﴿فهم﴾ لذلك ﴿يعمهون﴾ في سُلُوكِهم يتخبطون لايعرفون معروفاً ولاينكرون منكراً.

وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أي في الدنيا بالأسر والقتل، وهم في الآخرة هم[5] الأكثر خساراً من سائر أهل النار أي أشد عذاباً.

---

(١) عرّف الكتاب ونكّر القرآن وهما في معنى المعرفة كما يقال: فلان رجل عاقل، وفلان الرجل العاقل، والكتاب هو القرآن فجُمع له صفتان تفخيماً وتعظيماً فهو قرآن وهو كتاب، والكتاب: علم على القرآن بالغلبة، والقرآن علم بالنقل.

(٢) (مبين) إن كان من أبان اللازم فهو بمعنى بان أي: فهو ظاهر واضح بيّن في نفسه وفي هذا تنويه وتشريف له، وإن كان من أبان المتعدي فهو مبيّن لما أريد منه من أركان العقيدة وأنواع العبادات وأحكام الشريعة وآدابها.

(٣) هدى وبشرى: حال، والاعراب مقـدر اشار إلى القرآن حال كونه هادياً ومبشراً للمؤمنين به العاملين بما فيه من الشرائع والأحكام والآداب والأخلاق.

(٤) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة الموصول وصلته وما عطف عليه نعت للمؤمنين وصفٌ لهم بما تضمنه لفظ الهدى، وجملة: (وهم بالآخرة هم يوقنون) معطوفة على صلة الموصول فهي نعت ثانٍ للمؤمنين الذين هدوا بالقرآن.

(٥) قوله تعالى: (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة موقع جواب عن سؤال تقديرهُ: إذا كان القرآن هادياً ومبشراً فما للذين لا يؤمنون بالآخرة لم يهتدوا؟ فالجواب: إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّن الله لهم أعمالهم لذا فهم لا يهتدون، وتزيين الأعمال قائم على سنة من سنن الله تعالى وهي أنّ من رفض الحق وآثر الباطل عليه وأصرّ على اختيار الباطل يحرم الهداية فلا يقبلها ممن جاءه بها كالقرآن والرسول ﷺ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان إعجاز القرآن إذ آياته مؤلفة من مثل طس، وحم وعجز العرب عن تأليف مثله.

٢- بيان كَوْن القرآن، هدى وبشرى للمؤمنين الملتزمين بمتطلبات الإيمان.

٣- إنكار البعث والدار الآخرة يجعل صاحبه شر الخليقة وأسوأ حالاً من الكلاب والخنازير

٤- وجوب قتال الملاحدة وأخذهم أسراً وقتلاً حتى يؤمنوا بالله ولقائه لأنهم خطر على أنفسهم وعلى البشرية سواء.

وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن
لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا
جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ
إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ
سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

وإنك لتلقى : أي تلقنه وتحفظه وتعلمه.

من لدن حكيم : أي من عند حكيم عليم هو الله جل جلاله.

آنست ناراً : أي أبصرت ناراً من بعد حصل لي بها بعض الأنس.

سآتيكم منها بخبر : أي عن الطريق حيث ضلوا طريقهم إلى مصر في الصحراء.

بشهاب قبس : أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها.

لعلكم تصطلون : أي تستدفئون .
أن بورك من في النار : أي بارك الله جل جلاله من في النار وهو موسى عليه السلام إذ هو في البقعة المباركة التي نادى الله تعالى موسى منها .
وسبحان الله رب العالمين : أي نزه الرب تعالى نفسه عما لا يليق بجلاله وكماله من صفات المحدثين .
يا موسى إنه أنا الله : أي الحال والشأن أنا الله العزيز الحكيم الذي ناداك وباركك .
تهتز كأنها جان : أي تتحرك بسرعة كأنها حية خفيفة السرعة .
ولم يعقب : أي ولم يرجع إليها خوفاً وفزعاً منها .
ثم بدل حسناً بعد سوء : أي تاب فعمل صالحاً بعد الذي حصل منه من السوء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير النبوة المحمدية فقوله تعالى ﴿وإنك لتلقى[1] القرآن من لدن حكيم عليم﴾ يخبر تعالى رسوله بأنّه يلَقّنُ القرآن ويحفظه ويعلمه من لدن حكيم في تدبيره عليم بخلقه وهو الله جل جلاله وعظم سلطانه .

وقوله تعالى ﴿إذ قال موسى﴾ اذكر لمنكري الوحي والمكذبين بنبوتك إذ قال موسى إلى آخر الحديث، هل مثل هذا يكون بغير التلقي من الله تعالى . والجواب: لا إذاً فأنت رسول الله حقاً وصدقاً ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ امرأته وأولاده ﴿إني آنست[2] ناراً﴾ أي أبصرتها مستأنساً بها . ﴿سآتيكم منها بخبر أو آتيكم[3] بشهاب قبس لعلكم[4] تصطلون﴾ أي تستدفئون إذ كانوا في ليلة شاتية باردة وقد ضلوا طريقهم .

(١) قال القرطبي : هذه الآية بسط وتمهيد لما يريد أن يسوق من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه وهو كما قال.

(٢) (إني آنست ناراً) أي : أبصرتها من بعد قال الشاعر:

آنست نَبْأة وأفزز عنها القنـــاص عصراً وقد دنا الإمساءُ

(٣) قرأ عاصم (بشهاب قبس) بتنوين شهاب، وقرأ نافع (بشهاب) بلاتنوين مضاف إلى قبس، والاضافة للنوع كثوب خَزٍّ وخاتم فضة.

(٤) الاصطلاء: الاستدفاء من البرد، قال الشاعر:

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل

وقوله تعالى ﴿فلما جاءها﴾ أي النار ﴿نودي[1]﴾ أي ناداه ربه تعالى قائلا: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾ أي تقدس من في النار التي هي نور الله جل جلاله. وهو موسى عليه السلام ومن حولها من أرض القدس والشام، والله أعلم بمراده من كلامه وإنا لنستغفره ونتوب إليه إن لم نوفق لمعرفة مراده من كلامه وخطابه فاغفر اللهم ذنبنا وارحم عجزنا وضعفنا إنك غفور رحيم، وقوله تعالى ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ نزه تعالى نفسه عما لا يليق بجلاله وكماله وقوله ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ أي الذي يناديك هو الله ذو الألوهية على خلقه العزيز الغالب الذي لا يحال بينه وبين مراده الحكيم في قضائه وتدبير وتصريف ملكه بعد أن عرفه بنفسه وأذهب عنه روع نفسه، أمره أن يلقي العصا تمريناً له على استعمالها فقال ﴿وألق عصاك﴾ فألقاها فاهتزت كأنها جان أي حية خفيفة السرعة ﴿فلما رآها تهتز كأنها جان ولى[2] مدبراً﴾ أي رجع القهقرى فزعاً وخوفاً ﴿ولم يعقب﴾ أي لم يرجع إليها خوفاً منها فناداه ربه تعالى ﴿يا موسى[3] لا تخف﴾ من حية ولا من غيرها ﴿إني لا يخاف[4] لدي المرسلون﴾ ﴿إلا من[5] ظلم﴾ أي نفسه باقتراف ذنب من الذنوب فهذا يخاف لكن إن هو تاب بعد الذنب ففعل حسنات بعد السيئات فإنه لا يخاف لأني غفور رحيم فأغفر له وارحمه. طمأن تعالى نفس موسى بهذا لأن موسى كان شاعراً بأنه أذنب بقتل القبطي قبل نبوته ورسالته، وإن كان القتل خطأ إلا أنَّه تجب فيه الكفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير النبوة المحمدية.

٢- مشروعية السفر بالأهل والولد وجواز خطأ الطريق حتى على الأنبياء والأذكياء.

٣- قيومية الرجل على النساء والأطفال.

---

(١) عن وهب بن منبّه قال: فلما رأى موسى النار وقف قريبا منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة يقال لها: العُليق فعجب منها... (ونودي أن بورك من في النار ومن حولها).

(٢) أي: خائفاً على عادة البشر.

(٣) الاستثناء منقطع أي: لكن يخاف من ظلم، ومن ظلم ثم تاب فلا يخاف أيضا فإن الله غفور رحيم.

(٤) هذا مقول قول أي: يا موسى لا تخف.

(٥) الجملة تعليل للنهي في قوله: (يا موسى لا تخف).

٤ـ تجلي الرب تعالى لموسى في البقعة المباركة ومناجاته وتدريبه على العصا والسلاح الذي يقاوم به فرعون وملأه فيما بعد.
٥ـ الظلم يسبب الخوف والعقوبة إلا من تاب منه وأصلح فإن الله غفور رحيم.

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ
مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

في جيبك : أي جيب ثوبك.
من غير سوء : أي برص ونحوه بل هو (البياض) شعاع
في تسع آيات : أي ضمن تسع آيات مرسلاً بها إلى فرعون.
مبصرة : مضيئة واضحة مشرقة.
وجحدوا بها : أي لم يقروا ولم يعترفوا بها.
واستيقنتها أنفسهم : أي أيقنوا أنها من عند الله.
ظلماً وعلواً : أي ردوها لأنهم ظالمون مستكبرون.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم مع موسى في حضرة ربه عز وجل بجانب الطور إنه لما أمره بإلقاء العصا فألقاها فاهتزت وفزع موسى لذلك فولى مدبراً ولم يعقب خائفاً فطمأنه ربه تعالى بأنه لا يخاف لديه المرسلون أمره أن يدخل يده في جيبه فقال ﴿وادخل[1] يدك في جيبك﴾ أي في جيب القميص ﴿تخرج[2] بيضاء من غير سوء﴾ أي من غير برص بل هو

(١) هذا الكلام معطوف على قوله: (وألق عصاك) وما بينهما اعتراض.
(٢) هذه آية أخرى غير الأولى.

بياض إشراق يكاد يذهب بالأبصار في تسع[1] آيات أي ضمن تسع آيات مرسلاً بها إلى فرعـون وقـومـه، وبين تعالى علة ذلك الإرسال فقال: ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ أي خارجين عن الاعتدال إلى الغلو والإسراف في الشر والفساد وقوله تعالى: ﴿فلما جاءتهم[2] آياتنا﴾ يحملها موسى مبصرة مضيئة واضحة دالة على صدق موسى في دعوته، رفضوها فلم يؤمنوا بها، ﴿وقالوا هذا سحر مبين﴾، أي الذي جاء به موسى من الآيات هو سحر بين لا شك فيه قال تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ أي جحدوا بالآيات وكذبوا وتيقنتها أنفسهم أنها آيات من عند الله دالة على رسالة موسى وصدق دعوته في المطالبة ببني إسرائيل وقوله ظلماً وعلوا أي حملهم على التكذيب والإنكار مع العلم هو ظلمهم واستكبـارهم فإنهم ظالمـون مستكبـرون. وقـولـه تعـالى: ﴿فـانـظر كيف[3] كان عاقبة المفسـدين﴾ أي انظر يا رسولنا محمداً ﷺ كيف كان عاقبة المفسدين وهي إهلاكهم ودمارهم أجمعين.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ آية اليد هي إحدى الآيات التسع التي أوتي موسى عليه السلام دليلاً على وجود الآيات التى كان الله تعالى يؤيد بها رسله فمن أنكرها فقد كفر.

٢ـ التنديد بالفسق واستحقاق أهله العذاب في الدارين.

٣ـ الكبر والعلو في الأرض صاحبهما يجحد الحق ولا يقربه وهو يعلم أنه حق.

٤ـ عـاقبة الفساد في الأرض بالمعاصي سوءى، والعياذ بالله تعالى.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

---

(١) التسع آيات هي: العصا، واليد، والطوفان والجراد والقمّل، والضفادع والدم، والقحط، وانفلاق البحر، وهو من أعظمها.

(٢) ﴿فلما جاءتهم﴾ الخ أوجز بقية القصة وانتقل إلى العبرة بتكذيب فرعون وقومه بالآيات ليعتبر بذلك كفار قريش المكذبون بآيات الله ورسوله.

(٣) الخطاب لغير معيّن ويجوز أن يكون للنبي ﷺ تسلية له وحملاً له على الصبر من تكذيب قومه له وإصرارهم على الكفر به.

وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟
مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

علمنا : هو علم ما لم يكن لغيرهم كمعرفة لغة الطير إلى جانب علم الشرع كالقضاء ونحوه.

وقالا الحمد لله : أي شكراً له.

على كثير من عباده المؤمنين: أي بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين.

وورث سليمان داوود : أي ورث أباه بعد موته في النبوة والملك والعلم دون باقي أولاده.

علمنا منطق الطير : أي فهم أصوات الطير وما تقوله إذا صفرت.

وأوتينا من كل شيء : أوتيه غيرنا من الأنبياء والملوك.

وحشر لسليمان : أي جمع له جنوده من الجن والإنس والطير في مسير له.

فهم يوزعون : أي يساقون ويرد أولهم إلى آخرهم ليسيروا في نظام.

لا يحطمنكم سليمان : أي لا يكسرنكم ويقتلنكم.

وهم لا يشعرون : أي بكم.

أوزعني أن أشكـر : أي ألهمني ووفقني لأن أشكر نعمتك التي أنعمت علي.

معنى الآيـات:

هذا بداية قصص داوود وسليمان عليهما السلام ذكر بعد أن أخبر تعالى أنه يلقن رسوله محمـداً ويعلمه من لدنه وهو العليم الحكيم ودلل على ذلك بموجز قصة موسى عليه السلام ثم ذكر دليلاً آخر وهو قصة داوود وسليمان، فقال تعالى ﴿ولقد آتينا﴾ أي أعطينا داوود وسليمان ﴿علماً﴾ أي الوالد والولد علماً خاصاً كمعرفة منطق الطير وصنع الدروع وإلانة الحديد زيادة على علم الشرع والقضاء،[1] وقوله تعالى ﴿وقالا الحمد لله﴾ أي شكرا ربهما بقولهما ﴿الحمد لله﴾ أي الشكر لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين بما آتاهما من الخصائص والفواضل. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٤) وأما الآية الثانية (١٥) فقد أخبر تعالى فيها أنّ سليمان ورث أباه داوود وحده دون باقي أولاده[2] وذلك في النبوة والملك، لا في الدرهم والدينار والشاة والبعير، لأن الأنبياء لا يورثون فما يتركونه هو صدقة.[3] كما أخبر أن سليمان قال في الناس[4] ﴿يا أيها الناس علمنا منطق[5] الطير﴾ فما يصفر طير الا علم ما يقوله في صفيره، وأوتينا من كل شيء أوتيه غيرنا من النبوة والملك والعلم والحكمة ﴿إن هذا لهو الفضل المبين﴾ أي فضل الله تعالى البين الظاهر. وقوله تعالى ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ أي جمع له جنوده ﴿من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾ هو إخبـار عن مسير كان لسليمـان مع جنـده ﴿فهم يوزعـون﴾ أي جنوده توزع تساق بانتظام. بحيث لا يتقدم بعضها بعضاً فيرد دائماً أولها إلى آخرها محافظة على النظام في السير، وما زالوا سائرين كذلك حتى أتوا على واد النمل بالشام فقالت نملة من النمل ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنده وسم لا يشعرون﴾ قالت هذا

---

(١) وآتى داود الزبور وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجّل النعم وأجزل القسم، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من المؤمنين.

(٢) قيل: إنّ داود كان له تسعة عشر ولداً فورث سليمان من بينهم نبوّته وملكه ولو كان وارثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء والزمن بين سليمان ونبينا كان قرابة ألف وثمانمائة سنة.

(٣) قوله ﷺ (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة) حديث صحيح.

(٤) أي: في بني اسرائيل قال هذا على جهة الشكر لنعم الله تعالى.

(٥) مما يؤثر عن سليمان عليه السلام في معرفة منطق الطير: (لدوا للموت وابنوا للخراب) «لورشان» نوع من الحمام البري أكدر (ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا عملوا لماذا خلقوا) «لفاختة» نوع من الحمام البري له طوق (من لا يرحم لا يرحم) «لهدهد» (استغفروا الله يا مذنبين) «لصرد» (قدموا خيراً تجدوه) «لخطافة» (اللهم العن العشار) «للغراب» (كل شيء هالك إلا وجهه) «للحدأة» (من سكت سلم) «للقطاة» (ويل لمن الدنيا همه) «للقطاة» (سبحان ربي القدوس) «للضفدع» (اذكروا الله يا غافلين) «للديك».

رحمة وشفقة على بنات جنسها تعلم البشر الرحمة والشفقة والنصح لبني جنسهم لو كانوا يعلمون، واعتذرت لسليمان وجنده بقولها وهم لا يشعرون بكم وإلا لما داسوكم ومشوا عليكم حتى لا يحطمونكم. وما إن سمعها سليمان وفهم كلامها[1] حتى تبسم ضاحكاً من قولها ﴿وقال رب﴾ أي يارب ﴿أوزعني[2]﴾ ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك[3] التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ أي ويسر لي عملاً صالحاً ترضاه مني، ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ أي في جملتهم في دار السلام.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب الشكر على النعم.

٢ـ وراثة سليمان لداوود لم تكن في المال لأن الأنبياء لا يورثون وإنما كانت في النبوة والملك.

٣ـ آية تعليم الله تعالى سليمان منطق الطير وتسخير الجن والشياطين له.

٤ـ فضل النمل على كثير من المخلوقات ظهر في نصح النملة لأخواتها وشفقتها عليهن.

٥ـ ذكاء النمل وفطنته مما أضحك سليمان متعجباً منه.

٦ـ وجوب الشكر عند مشاهدة النعمة ورؤية الفضل من الله عز وجل.

٧ـ تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا الحديث لا يتأتى له إلا بالوحي الإلهي.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ

---

(١) قد اختلف في هل كان سليمان يعلم غير منطق الطير من سائر الحيوان، والذي عليه الأكثر أنه كان يعلم أصوات سائر الحيوانات ومن ذلك النمل، قال ابن العربي: من قال إنه لايعلم إلا منطق الطير فنقصان عظيم، وقد اتفق الناس على أنه كان يفهم كلام من لا يتكلم من النبات فكان الشجر يقول له: أنا شجر كذا أنفع من كذا وأضر من كذا فما ظنك بالحيوان؟

(٢) الوزع: الكف عما لا يراد، والوازع: الذي يكفّ غيره عما لا ينبغي، وفعله: وزع يزع وزعاً، فإذا زيدت فيه همزة السلب فقيل: أوزع أي: أزال الوزع الذي هو الكف، فقوله في الآية: (فهم يوزعون) أي: يكفون أفراد القوات عن التقدم والتأخر حتى يكـون السير منتظما. وقوله: (أوزعني أن أشكر نعمتك) أي: أبعد عني ما يمنعني من شكرك على نعمك. فصار أوزعني كألهمني وأغرني.

(٣) قال تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال بعضهم: النعمة وحشيّة قيدوها بالشكر فإنها إذا شكرت قرّت وإذا كفرت فرّت، وقال آخر: من لم يشكر النعمة فقد عرضها لزوالها ومن شكرها فقد قيّدها بعقالها.

أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٖ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾
إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةٗ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٖ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

وتفقد الطير : أي تعهدها ونظر فيها.

مالي لا أرى الهدهد : أعرض لي ما منعني من رؤيته أم كان من الغائبين؟

لأعذبنه عذاباً شديداً : أي بنَتْفِ ريشه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام.

بسلطان مبين : أي بحجة واضحة على عذره في غيبته.

فمكث غير بعيد : أي قليلاً من الزمن وجاء سليمان متواضعاً.

أحطت بما لم تحط به : أي اطلعت على ما لم تطلع عليه.

وجئتك من سبأ : سبأ قبيلة من قبائل اليمن.

إني وجدت امرأة : هي بلقيس الملكة.

ولها عرش عظيم : أي سرير كبير.

فصدهم عن السبيل : أي طريق الحق والهدى.

ألا يسجدوا لله : أصلها أن يسجدوا أي فهم لا يهتدون ان يسجدوا لله. وزيدت فيها «لا» وأدغمت فيها النون فصارت ألَّا نظيرها لئلا يعلم أهل الكتاب من آخر سورة الحديد.

يخرج الخبأ في السموات: أي المخبوء في السموات من الأمطار والأرض من النباتات والأرض

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في قصص سليمان عليه السلام قوله تعالى ﴿وتفقد الطير﴾[1] أي تفقد سليمان جنده من الطير طالباً الهدهد لأمر عنَّ له أي ظهر وهو يتهيأ لرحلة هامة، فلم يجده فقال ما أخبر تعالى به عنه: ﴿مالي لا أرى الهدهد﴾[2] ألعارضٍ عرض له فلم أره، ﴿أم[3] كان من الغائبين﴾ أي بل كان من الغائبين، ﴿لأعذبنه عذاباً شديداً﴾ بأن ينتف ريشه ويتركه للهوام تأكله فلا يمتنع منها ﴿أو لأذبحنه﴾ بقطع حلقومه، ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ أي بحجة واضحة على سبب غيبته. قوله تعالى الآية (٢١) ﴿فمكث﴾ أي الهدهد ﴿غير[4] بعيد﴾ أي زمناً قليلاً، وجاء فقال في تواضع رافعاً عنقه مرخياً ذنبه وجناحيه ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وجئتك من[5] سبأ بنبأ يقين﴾ وسبأ قبيلة من قبائل اليمن، والنبأ اليقين الخبر الصادق الذي لا شك فيه. وأخذ يبين محتوى الخبر فقال ﴿إني وجدت امرأة﴾ هي بلقيس ﴿تملكهم وأوتيتْ من كل شيء﴾ من أسباب القوة ومظاهر الملك، ﴿ولها عرش عظيم﴾ أي سرير ملكها الذي تجلس عليه وصفه بالعظمة لأنه مرصع بالجواهر والذهب، وقوله ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ أخبر أولاً عن أحوالهم الدنيوية وأخبر ثانياً عن أحوالهم الدينية وقوله ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي الباطلة الشركية ﴿فصدهم﴾ بذلك ﴿عن السبيل﴾ أي سبيل الهدى والحق فهم لذلك لا يهتدون لأن يسجدوا[6] لله الذي يخرج الخبء[7] أي المخبوء فهو

---

(١) (تفقّد) بمعنى بحث عن الفقد أي: عدم الوجود أو بحث عن سبب عدم الوجود.

(٢) من خواص الهدهد أنه يرى الماء من بعد ويحس به في باطن الأرض فإذا رفرف على موضع عُلم أن به ماء، ونهى النبي ﷺ عن قتله مع ثلاثة وهي: (الضفدع، والنحل، والصرد)، خرجه أبو داود وصححه. ونهى عن قتل النمل إلا أن يضرّ ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل.

(٣) (أم) هي المنقطعة التي بمعنى: بل، ولا تخلو من معنى الاستفهام إذ التقدير: بل أكان من الغائبين.

(٤) أي: مكث في غيابه زمناً غير بعيد أو في مكان غير بعيد.

(٥) اسم رجل هو: غبشمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لقب بسبأ لأنه أول من سبى في غزوه، وأطلق هنا سبأ على ديار قبيلة سبأ لأنّ من ابتدائية أي لابتداء الأمكنة غالباً.

(٦) (ألا يسجدوا) أصلها أن لا يسجدوا فأدغمت أن في لا النافية فصارت ألا، والمضارع منصوب بأن المدغمة في لا، ولذا تعيّن تقدير لام جرّ يتعلق بـ (فصدهم عن السبيل) أي: زيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم لأجل أن لا يسجدوا. وما في التفسير من التقدير أوضح أيضاً.

(٧) الخبء: مصدر خبأ الشيء: إذا أخفاه، أطلق على اسم المفعول أي: المخبوء من أجل المبالغة في الإخفاء.

من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول في السموات من أمطار والأرض من نباتات، ويعلم سبحانه وتعالى ما يخفون في نفوسهم، وما يعلنون عنه بألسنتهم الله لا إله هو رب العرش العظيم. وصف الرب تعالى بالعرش العظيم ليقابل وصف بلقيس به، وأين عرش مخلوقة وإن كانت ملكة بنت ملك هو شراحيل من عرش الله الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية استعراض الجيوش وتفقد أحوال الرعية.

٢ـ مشروعية التعزير لمن خالف أمر السلطان بلا عذر شرعي.

٣ـ مشروعية اتخاذ طائرات الاستشكاف ودراسة جغرافية العالم.

٤ـ تحقيق قول الرسول ﷺ لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة إذ لم يلبثوا أن غلب عليهم سليمان.

٥ـ بيان أن هناك من كانوا يعبدون الشمس إذ سجودهم لها عبادة.

٦ـ بيان أن الأحق بالعبادة الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

٧ـ مشروعية السجود لمن تلا هذه الآية أو استمع إلى تلاوتها: ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾.

۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا
فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين : أي بعد اختبارنا لك.

فألقه إليهم	: أي إلى رجال القصر وهم في مجلس الحكم.
ثم تول عنهم	: أي تنح جانباً متوارياً مستتراً عنهم.
فانظر ماذا يرجعون	: أي ماذا يقوله بعضهم لبعض في شأن الكتاب.
يا أيها الملأ	: أي يا أشراف البلاد وأعيانها وأهل الحل والعقد فيها.
ألقي إلي كتاب كريم	: أي ألقاه في حجرها الهدهد.
ألا تعلوا علي	: أي لا تتكبروا انقياداً للنفس والهوى.
وائتوني مسلمين	: أي منقادين خاضعين.

معنى الآيات :

﴿قال سننظر﴾[1] أي قال سليمان للهدهد بعد أن أدلى الهدهد بحجته[2] على غيبته سننظر باختبارنا لك ﴿أصدقت﴾ فيما ادعيت وقلت ﴿أم كنت[3] من الكاذبين﴾ أي من جملتهم. وبدأ اختباره فكتب كتاباً وختمه وقال له ﴿اذهب بكتابي[4] هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم﴾ أي تنح جانباً مختفياً عنهم ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ من القول في شأن الكتاب أي ما يقول بعضهم لبعض في شأنه، وفعلاً ذهب الهدهد بالكتاب ودخل القصر من كوة فيه وألقى الكتاب في حجر الملكة بلقيس فارتاعت له وقرأته ثم قالت ﴿يا أيها الملأ﴾ مخاطبة أشراف قومها ﴿إني ألقي إلي كتاب كريم﴾ وصفته بالكرم لما حواه من عبارات كريمة، ولأنه مختوم وختم الكتاب كرمه ونصّ الكتاب كالتالي [من عبدالله سليمان بن داوود إلى

---

(١) من الجائز أن يكون سليمان قد خشي أن يكون الكلام الذي سمعه من الهدهد ألقى به الشيطان على الهدهد ليضلل سليمان ويفتنه بالبحث عن مملكة موهومة، فلذا قال عليه السلام (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين).

(٢) في الآية دليل على أن الحاكم يجب عليه أن يقبل عذر المواطن ويدرأ العقوبة عنه بظاهر حاله وباطن غدره، وفي الصحيح: (ليس أحد أحبّ إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل) وللحاكم أن يمتحن المواطن المعتذر حتى يعرف عذره.

(٣) (أم كنت) بمعنى: أنت.

(٤) في الآية دليل على وجوب إرسال الكتب إلى المشركين ودعوتهم إلى الإسلام وتبليغهم دعوة الله عزّ وجل، وقد كتب النبي ﷺ إلى قيصر وكسرى والمقوقس وغيرهم.

بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وائتوني مسلمين].

ومضمونه ما ذكرته الملكة بقولها: ﴿إنه من[1] سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وائتوني مسلمين﴾ ومعنى إنه من سليمان أي صادر منه وأنه مكتوب ومرسل بسم الله الرحمن الرحيم أي بإذنه وشرعه ألا تعلوا علي أي لا تتكبروا على الحق فإني بسم الله أطلبكم وائتوني مسلمين أي خاضعين منقادين.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ مشروعية الاختبار وإجراء التحقيق مع المتهم.

٢ـ مشروعية استخدام السلطان أفراد رعيته لكفاية المستخدم.

٣ـ مشروعية إرسال العيون للتعرف على أحوال العدو وما يدور عنده.

٤ـ مشروعية كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في الرسائل والكتب الهامة ذات البال لدلالتها[2] على توحيد الله تعالى وأنه رحمن رحيم، وأنّ الكاتب يكتب بإذن الله تعالى له بذلك.

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ
تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

---

(١) قال القرطبي: الأحسن اليوم بأن يقدّم في الكتاب اسم المكتوب إليه قبل اسم الكاتب لأن البداية باسمه تعد استخفافاً بالمكتوب إليه وتكبراً عليه، ومراده أن يكتب الكاتب هكذا إلى حضرة فلان. . . . من فلان. . . . وتقديم اسم الكاتب هو ما عليه السلف الصالح.

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يرى رد الكتاب واجباً كرد السلام ولا يسقط إلّا من عذر لا سيما إذا سلّم صاحب الكتاب فإن رد السلام واجب بلا خلاف.

شـرح الكلمـات :

أفتوني في أمري : بينوا لي فيه وجه الصواب، وما هو الواجب اتخاذه إزاءه.

ما كنت قاطعة أمراً : أي قاضيـتـه.

حتى تشـهدون : أي تحضروني وتبدوا رأيكم فيه.

وأولوا بأس شديد : أي أصحاب قوة هائلة مادية وأصحاب بأس شديد في الحروب.

إذا دخلوا قرية : أي مدينة وعاصـمة ملـك.

أفســدوهـا : أي خربوها إذا دخلوها عنوة بدون مصالحة.

وكذلـك يفعلون : أي وكالذي ذكرت لكم يفعل مرسلو هذا الكتاب.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم عن حديث قصر الملكة بلقيس وها هي ذي تقول لرجال دولتها ما حكاه تعالى عنها بقوله ﴿قالت يا أيها الملأ افتنوني[1] في أمري﴾ أي أشيروا علي بما ترونه صالحاً ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾[2] أي قاضية باتّةً فيه ﴿حتى تشهدون[3]﴾ أي تحضرونى وتبدوا فيه وجهة نظركم. فأجابهارجالها بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا نحن أولوا قوة﴾ عسكرية من سلاح وعتاد وخبرة ﴿وأولوا بأس[4] شديد﴾ عند خوضـنا المعارك ﴿والأمر إليك فانظري[5] ماذا تأمرين﴾ به فأمري ننفّذْ إنا طوع يديك.

فأجابتهم بما حكاه الله تعالى عنها ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ أي مدينة عنوة بدون صلح. ﴿أفسدوها﴾ أي خربوا معالمها وبدلوا وغيروا فيها، ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلـة﴾ بضـربهم وإهـانتهم وخلعهم من مناصبهم. ﴿وكذلك﴾ أصحاب هذا الكتاب ﴿يفعلون﴾ ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم[6] يرجع المرسلون﴾ أي الذين نرسلهم من

---

(١) الإفتاء: الإخبار بالفتوى وهي: إزالة مشكل يعرض، والأمر: الحال المهم وإضافته إلى نفسها، لأنها المخاطبة في كتاب سليمان، ولأنها المضطلعة بشؤون الدولة ولذا يقال للحاكم وعالم الدين: وليّ الأمر.

(٢) (قاطعة أمراً) عاملة عملا لا تردد فيه بالعزم على أن تجيب به سليمان.

(٣) حذفت ياء المتكلم منه تخفيفاً، وحذفت نون الرفع للناصب وبقيت نون الوقاية والمراد من شهودهم: موافقتهم لها على ما تعزم عليه إزاء الكتاب.

(٤) البأس: الشدة على العدو، ومنه (وحين البأس) أي: في مواقع القتال في جوابهم هذا تصريح بأنهم مستعدون للحرب دفاعاً عن مملكتهم.

(٥) فوّضوا الأمر إليها لثقتهم بأصالة رأيها وخبرتها السياسية.

(٦) دبرت أن تتفادى الحرب بطريقة المصانعة والتزلف إلى سليمان بالهدية مصحوبة بكتاب ووفد، وعلى ضوء عودة الوفد تتصرف في الأمر.

قبول الهدية ورفضها وعلى ضوء ذلك نتصرف فإنهم إن قبلوا الهدية المالية فهم أصحاب دنيا، وإن رفضوها فهم أصحاب دين، وعندها نتخذ ما يلزم حيالهم، ولا شك أن هذه الهدية كانت فاخرة وثمينة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير مبدأ الشورى في الحكم.

٢ـ مشروعية إبداء الرأي بصدق ونزاهة ثم ترك الأمر لأهله.

٣ـ مشروعية إعداد العدة وتوفير السلاح وتدرب الرجال على حمله واستعماله.

٤ـ دخول العدو المحارب الغالب البلاد عنوة ذو خطورة فلذا يتلافى الأمر بالمصالحة.

٥ـ بيان حسن سياسة الملكة بلقيس وفطنتها وذكائها ولذا ورثت عرش أبيها.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَـٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ
ءَاتَـٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى
عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا
مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

شـرح الكلمـات :

فلما جاء سليمان : أي رسول الملكة يحمل الهدية ومعه أتباعه.

فما آتاني الله خير مما آتاكم : إنه أعطاني النبوة والملك وذلك خير مما أعطاكم من المال فقط.
بهديتكم تفرحون[1] : لحبكم للدنيا ورغبتكم في زخارفها.
إرجع إليهم : أي بما أتيت به من الهدية.
بجنود لا قبل لهم بها : أي لا طاقة لهم بقتالها.
ولنخرجنهم منها : أي من مدينتهم سبأ المسماة باسم رجل يقال له سبأ.
أذلة وهم صاغرون : أي إن لم يأتوني مسلمين أي منقادين خاضعين.
قبل أن يأتوني مسلمين : فإنَّ لي أخذه قبل مجيئهم مسلمين لا بعده.
قال عفريت من الجن : أي جني قوي إذ القوي الشديد من الجن يقال له عفريت.
قبل أن تقوم من مقامك : أي من مجلس قضائك وهو من الصبح إلى الظهر.
وإني عليه لقوي أمين : أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر وغيرها.
وقال الذي عنده علم من الكتاب : أي سليمان عليه السلام.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع سليمان وملكة سبأ إنه لما بعثت بهديتها تختبر بها سليمان هل هو رجل دنيا يقبل المال أو رجل دين، لتتصرف على ضوء ما تعرف من اتجاه سليمان عليه السلام، فلما جاء سليمان، جاءه سفير الملكة ومعه رجال يحملون الهدية قال لهم ما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قال أتمدونني[2] بمال؟ فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ آتاني النبوة والعلم والحكم والملك فهو خير مما آتاكم من المال ﴿بل[3] أنتم بهديتكم تفرحون﴾ وذلك لحبكم الدنيا ورغبتكم في زخارفها. وقال لرسول الملكة ﴿إرجع إليهم﴾ أي بما أتيت به من الهدية، وعلمهم أنهم إن لم يأتوا إلي مسلمين ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها[4]﴾ أي لا قدرة لهم على قتالهم، ﴿ولنخرجنهم منها﴾ أي من مدينتهم سبأ ﴿أذلة وهم صاغرون﴾ أي خاضعون منقادون. ثم قال سليمان عليه السلام لأشراف دولته

(١) الهدية: منها ما هو حرام ومنها ما هو مكروه ومنها ما هو مباح أو مندوب، فالهدية الحرام: التي تُهدى للحكام والقضاة ليحكموا لصاحبها والهدية المكروهة: هدية الكافر والهدية المباحة أو المندوب إليها: هدية المؤمن لأخيه المؤمن للمودة والحب، لحديث مالك وفيه: قال رسول الله ﷺ: (تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء) الشحناء العداوة والبغضاء.

(٢) أي: أتزيدونني إلى ما تشاهدونه من أموالي، والاستفهام للإنكار وقرأ الجمهور: (أتمدونني) بنونين. وقرأ بعضٌ بنون واحدة مشددة.

(٣) (بل) للاضراب الانتقالي من الإنكار عليهم إلى ردّ هديتهم إليهم.

(٤) الضمير في (بها) عائد على الجنود والضمير في (منها) عائد إلى مدينتهم وهي مأرب أو سبأ على مراحل قليلة من صنعاء.

وأعيان بلاده ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾[1] فإني لا آخذه إلا قبلَ مجيئهم مسلمين لا بعده. فنطق عفريت من الجن قائلاً بما أخبر تعالى عنه به ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي مجلس قضائك والذي ينتهي عادة بنصف النهار، ﴿وإني عليه لقوي أمين﴾ أي قادر على حمله والإتيان به في هذا الوقت الذي حددت لكم وأمين على ما فيه من جواهر وذهب لا يضيع منه شيء. وهنا ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾[2] وهو سليمان عليه السلام ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ فافتح عينيك وانظر فلا يعود إليك طرفك إلا والعرش بين يديك، وسأل ربه باسمه الأعظم الذي ما دعي به إلا أجاب وإذا العرش بين يديه ﴿فلما رآه مستقراً﴾ بين يديه لهج قائلاً ﴿هذا من فضل ربي﴾ أي علي فلم يكن لي به يد أبداً ﴿ليبلوني﴾ بذلك ﴿أأشكر﴾ نعمته علي ﴿أم أكفرها﴾ ﴿ومن شكر﴾[3] فلنفسه أي عائد الشكر يعود عليه بحفظ النعمة ونمائها ومن كفر أي النعمة ﴿ فإن ربي غني﴾ أي عن شكره وليس مفتقراً إليه، كريم قد يكرم الكافر للنعمة فلا يسلبها كلها منه أو يبقيها له على كفره.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ أهل الآخرة لا يفرحون بالدنيا، وأهل الدنيا لا يفرحون بالآخرة.

٢ـ استعمال أسلوب الإرهاب والتخويف مع القدرة على إنفاذه مع العدو أليق.

٣ـ تقرير أن سليمان كان يستخدم الجن وأنهم يخدمونه في أصعب الأمور.

٤ـ استجابة الله تعالى لسليمان فأحضر له العرش من مسافة شهرين أي من اليمن إلى الشام قبل ارتداد طرف الناظر إذا فتح عينه ينظر.

٥ـ وجوب رد الفضل إلى أهله فسليمان قال ﴿هذا من فضل ربي﴾ والجهال يقولون بثورتنا الخلاقة، وأبطالنا البواسل.

٦ـ وجوب الشكر، وعائدته تعود على الشاكر فقط، ولكرم الله تعالى قد لا يسلب النعمة فور عدم شكرها وذلك لحلمه تعالى وكرمه.

(١) هذا استئناف ابتدائي أي: كلام غير مرتبط بما سبقه بنوع من الارتباط قريب.

(٢) قال القرطبي: جمهور المفسرين: أن الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن بريخا وقيل: هو سليمان عليه السلام، بقرينة قوله: هذا من فضل ربي، قال ابن عطية وقالت فرقة وهو سليمان عليه السلام. والمخاطبة في هذا التأويل للعفريت لما قال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وكأن سليمان استبطأ ذلك فقال له على وجه التحقير أنا آتيك به... الخ. قيل: يا حي يا قيوم: هو الاسم الأعظم.

(٣) الشكر: قيد النعمة الموجودة وبه تنال النعمة المفقودة.

قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا
نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ
﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ
﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن
سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى
ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

قال نكروا لها عرشها	: أي غيروا هيأته وشكله حتى لا يعرف إلا بصعوبة .
أتهتدي	: أي إلى معرفته
أهكذا عرشك	: شبهوا عليها إذ لو قالوا هذا عرشك لقالت نعم .
قالت كأنه هو	: فشبَّهت عليه فقالت كأنه هو.
وصدها ماكانت تعبد من دون الله	: أي صرفها عن عبادة الله مع علمها وذكائها ما كانت تعبد من دون الله .
ادخلي الصرح	: أي بهو الصرح إذ الصرح القصر العالي وفي بهوه بركة ماء كبيرة مغطاة بسقف زجاجي يرى وكأنه ماء .
فكشفت عن ساقيها	: ظانة أنها تدخل ماء تمشي عليه فرفعت ثيابها .
حسبته لجة	: أي من ماء غمر يجري .
صرح ممرد من قوارير	: أي مملّس من زجاج .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم فيما دار من أحاديث بين سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ لقد خرجت هي في موكبها الملكي بعد أن احتاطت لعرشها أيّما احتياط. إلا أن العرش وصل قبلها بدعوة الذي عنده علم من الكتاب، وقبل وصولها أراد سليمان أن يختبر عقلها من حيث الحصافة أو الضعف[1] فأمر رجاله أن يغيروا عرشها بزيادة ونقصان فيه حتى لا يعرف إلا بصعوبة كما قال عليه السلام ﴿ننظر أتهتدي﴾ إلى معرفته ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ لضعف عقولهم. فلما جاءت ﴿قيل لها أهكذا[2] عرشك﴾ فشبهوا عليها في التغيير وفي التعبير، إذ المفـروض أن يقـال لها هذا عرشك ومن هنا فطنت لتشبيههم ﴿فقالت: كأنه هو﴾ إذ لو قالت: هو لقالوا كيف يكون هو والمسافة مسيرة شهرين ولو قالت ليس هو لقيل لها كيف تجهلين سريرك فكانت ذات ذكاء ودهاء ومن هنا قال سليمان لما أعجب بذكائها ﴿وأوتينا العلم[3] من قبلها وكنا مسلمين﴾ فحمد الله وأثنى عليه ضمن العبـارة التي قالها. وقوله ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ اتباعاً لقومها إذ كانوا يعبدون الشمس من دون الله. ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ فهذا سبب عدم إيمانها وتـوحيدهـا وهـو ما كان عليه قومهـا، وجلس سليمـان في بهـو صرحـه وكـان البـهـو تحتـه بركـة ماء عظيمة فيها أسماك كثيرة وللماء موج، وسقف البركة مملس من زجاج، ومع سليمان جنوده من الإنس والجن يحوطون به ويحفونه من كل جانب وأمرت أن تدخل الصرح[4] لأن سليمان الملك يدعوها ﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ ماء ﴿فكشفت عن[5] ساقيها﴾ فقال لها سليمـان ﴿إنه صرح ممرد﴾ أي مملّس ﴿من قوارير﴾ زجاجية وهنا وقد بهرها الموقف وعرفت أنها كانت ضالة وظالمة نطقت قائلة ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العـالمين﴾ وبهـذا أصبحت مسلمـة صالحة. ولم يذكر القرآن عنها بعد شيئاً

---

(١) قيل: إن الجن قالوا لسليمان: إنها ضعيفة العقل فلذا أمر بتنكير عرشها ليختبر عقلها، وقالوا له: إن رجلها كرجل حمار فلذا امتحنها بدخول بهو الصرح لتكشف عن ساقها فيعرف ما قالت الجن عنها.

(٢) الاستفهام للتقرير مع الاختبار وهو المقصود.

(٣) اختلف هل قول: (وأوتينا العلم) من قول سليمان أو أحد رجالاته أو هو من قول بلقيس، والراجح أنه من قول سليمان عليه السلام.

(٤) (الصرح) البناء العالي: تقدم أن الجن هم الذين قالوا لسليمان إن رجل بلقيس رجل حمار وطلبوا اختبارها وهم الذين صنعوا بركة الماء في بهو الصرح.

(٥) ذكر القرطبي هنا حكايات أكثرها منقول عن أهل الكتاب منها: أن الجن أول من صنعوا النورة لإزالة شعر الجسم، وأن سليمان عليه السلام أول من صنع الحمامات، وهذا يرفع إلى النبي ﷺ وذكر قولين أحدهما أن سليمان تزوج بلقيس وآخر: لم يتزوجها.

فلنسكت عما سكت عنه القرآن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ جواز اختبار الأفراد إذا أريد إسناد أمر لهم لمعرفة قدرتهم العقلية والبدنية.

٢ـ بيان حصافة عقل بلقيس ولذا أسلمت ظهر ذلك في قولها ﴿كأنه هو﴾.

٣ـ مضار التقليد وما يترتب عليه من التنكر للعقل والمنطق.

حرمة كشف المرأة ساقيها حتى ولو كانت كافرة فكيف بها إذا كانت مسلمة.

٥ـ فضيلة الإئتساء بالصالحين كما ائتست بلقيس بسليمان في قولها ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا
هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟
تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

أن أعبدوا الله : أي بأن اعبدوا الله.

فريقان يختصمون : أي طائفتان مؤمنة موحدة وكافرة مشركة يختصمون.

تستعجلون بالسيئة : أي تطالبون بالعذاب قبل الرحمة.

لولا تستغفرون الله : أي هـلا تطلبون المغفرة من ربكم بتوبتكم إليه.
قالوا اطيرنا بك : أي تشاءمنا بك وبمن معك من المؤمنين.
قال طائركم عند الله : أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه.
بل أنتم قوم تفتنون : أي تختبرون بالخير والشـر.
تسعة رهـط : أي تسـعة رجال ظلمة.
تقاسـموا بالله : أي تحالفوا بالله أي طلب كل واحد من الثاني أن يحلف له.
لنبيتنه وأهله : أي لنقتلنه والمؤمنين به ليلاً.
ما شهدنا مهلك أهله : أي ما حضرنا قتله ولا قتل أهله.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا﴾ هذا بداية قصص صالح عليه السلام مع قومه ثمود لما ذكر تعالى قصص سليمان مع بلقيس ذكر قصص صالح مع ثمود وذلك تقريراً لنبوة رسوله محمد ﷺ ووضع المشركين من قريش أمام أحداث تاريخية تمثل حالهم مع نبيهم لعلهم يذكرون فيؤمنوا قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود﴾ أي قبيلة ثمود ﴿أخاهم﴾ أي في النسب ﴿صـالحـاً أن اعبدوا﴾ أي قال لهم اعبدوا الله أي وحدوه ﴿فإذا هم فريقان﴾ موحدون ومشركون ﴿يختصمون﴾[1] فريق يدعو إلى عبادة الله وحده وفريق يدعو إلى عبادة الأوثـان مع الله وشأن التعارض أن يحدث التخاصم كل فريق يريد أن يخصم الفريق الآخر. وطالبوا صالحاً بالآيات ﴿وقالوا ائتنا بما تعدنا﴾ أي من العذاب ﴿إن كنت من الصـادقين﴾ في أنـك رسـول إلينا مثل الرسل فرد عليهم وقال ﴿يا قوم لم تستعجلون[2] بالسيئة﴾ أي تطالبونني بعذابكم ﴿قبل الحسنة﴾ فالمفروض أن تطالبوا بالحسنة التي هي الرحمة لا السيئة التي هي العذاب. إن كفركم ومعاصيكم هي سبيل عذابكم، كما أن إيمـانكم وطاعتكم هي سبيل نجاتكم وسعادتكم فبادروا بالإيمان والطاعة طلباً لحسنة الـدنيا والآخـرة. إنكم بكفـركم ومعـاصيكم تستعجلون عذابكم ﴿لـولا﴾[3] أي هلا

---

(١) من الخصومة ما قصه الله تعالى في سورة الأعراف في قوله: (أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون).
(٢) الاستفهام إنكاري، و(السيئة كالحسنة) صفة لمحذوف، والتقدير لم تستعجلون بالحال السيئة قبل الحال الحسنة؟
(٣) (هلا) أداة تحضيض حضهم نبيهم على التوبة بالاستغفار والاقلاع عن الشرك والمعاصي رجاء أن يرحمهم الله تعالى فلا يعذبهم في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿تستغفرون الله﴾ بترككم الشرك والمعاصي ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي كي ترحموا بعد هذا الوعظ والإرشاد. كان جواب القوم ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿قالوا اطيرنا(١) بك وبمن معك﴾ أي تشاءمنا بك وبأتباعك المؤمنين لك، فرد عليهم بقوله ﴿طائركم عند الله﴾ أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه وهو كائن لا محالة، وليست القضية تشاؤماً ولا تيامناً ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ وقوله تعالى ﴿وكان في المدينة تسعة رهط﴾ أي مدينة الحجر حجر ثمود تسعة رجال ﴿يفسدون في الأرض(٢)﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ وهم الذين تمالؤوا على عقر الناقة ومن بينهم قُرَارُ بن سالف الذي تولى عقر الناقة. هؤلاء التسعة نفر قالوا لبعضهم بعضاً في اجتماع خاص ﴿تقاسموا بالله﴾ أي ليقسم كل واحد منكم قائلا والله ﴿لنبيتنه﴾ أي صالحاً ﴿وأهله﴾ أي أتباعه، أي لنأتينهم ليلاً فنقتلهم، ثم في الصباح ﴿نقول لوليه﴾ أي لولي دم صالح من أقربائه، والله ﴿ما شهدنا مهلك(٣) أهله﴾ ولا مهلكه ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما نقسم عليه من أنا لم نشهد مهلك صالح ولا مهلك أصحابه.

هداية الآيـات

هداية الآيـات :

١ـ تقرير نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ـ تقرير حقيقة أن الصراع بين الحق والباطل لا ينتهي إلا بانتهاء الباطل.

٣ـ حرمة التشاؤم والتيامن كذلك، ولم يجز الشارع إلا التفاؤل لا غير.

٤ـ العمل بمعاصي الله تعالى هو الفساد في الأرض، والعمل بطاعته هو الإصلاح في الأرض.

٥ـ تقرير أن المشركين يؤمنون بالله ولذا يحلفون به، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لشركهم في عبادة الله تعالى غيره من مخلوقاته.

---

(١) كانت العرب أكثر الناس تطيرا (واطيرنا) في الآية أصلها: تطيّرنا فقلبت التاء طاء لقرب مخرجها من الطاء وأدغمت في الطاء، وجيء بهمزة الوصل للتوصل إلى النطق بالساكن، والتطير معناه: التشاؤم وهو مأخوذ من الطير تطير يميناً أو شمالاً فيتيمنون بذلك أو يتشاءمون.

(٢) الأرض: أرض ثمود وأل فيها: للعهد والرهط: العدد من الثلاثة إلى العشر كالنفر ومن بين هؤلاء: قدار بن سالف: عاقر الناقة.

(٣) قرأ الجمهور (مُهلك) بضم الميم، وقرأ حفص (مَهلك) بفتحها، والمهلك: مصدر ميميّ من الرباعي أهلك، أي: ما شهدنا إهلاك من أهلكهم والمراد من وليّه: وليّ الدم من عصبته. قرأ الجمهور: لنبيّتنه وأهله ثم لنقولن، وقرأ خلاف الجمهور: (لتُبيتنه) (ولتقولنّ) بتاء الخطاب وهو قول الماكرين لبعضهم البعض، والمعنى لا يختلف.

وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا
وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

شـرح الكلمات :

ومكروا مكراً أي دبروا طريقة خفية لقتل صالح والمؤمنين.

ومكرنا مكـراً : أي ودبرنا طريقة خفية لنجاة صالح والمؤمنين وإهلاك الظالمين.

وهم لا يشعرون : بأنا ندبر لهم طريق هلاكهم.

بيوتهم خاوية : أي فارغة ليس فيها أحد.

بما ظلـموا : أي بسبب ظلمهم وهو الشرك والمعاصي.

لآيــة : أي عبـرة.

وأنجينا الذين آمنوا : أي صالحاً والمؤمنين.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿ومكروا مكراً﴾[1] هذا نهاية قصص صالح مع ثمود تقدم أن تسعة رهط من قوم صالح تقاسموا على تبييت صالح والمؤمنين وقتلهم ليلاً ليحولوا في نظرهم دون وقوع العذاب الذي واعدهم به صالح وأنه نازل بهم بعد ثلاثة أيام، وهذا مكرهم وطريقة تنفيذه أنهم أتوا صالحاً وهو يصلي في مسجد له تحت الجبل فسقطت عليهم صخرة من الجبل فأهلكتهم أجمعين وهكذا مكر الله بهم وهم لا يشعرون به، ثم أهلك الله القوم كلهم

(١) أكد كلّ من مكر الله تعالى ومكرهم بالمصدر إشارة إلى تعظيم كل من المكرين والمكر: التبييت الخفي لإرادة السوء بالممكور به فعاملهم الله تعالى بما عزموا على فعله مع صالح وأهله.

بالصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وهو معنى قوله تعالى ﴿فانظر[1] كيف كان عاقبة مكرهم﴾ أي انظر يا رسولنا كيف كانت نهاية ذلك المكر وعاقبته ﴿أنا دمرناهم[2] وقومهم أجمعين﴾ ﴿فتلك بيوتهم[3] خاوية بما ظلموا﴾ أي بسبب ظلمهم أنفسهم بالشرك وظلمهم صالحاً والمؤمنين. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي الإهلاك للرهط التسعة ولثمود قاطبة ﴿لآية﴾ أي علامة على قدرة الله وعلمه وحسن تدبيره ﴿لقوم يعلمون﴾ إذ هم الذين يرون الآية ويدركونها.

وقوله تعالى: ﴿وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون[4]﴾ يريد صالحاً والمؤمنين الذين آمنوا بالله رباً وإلهاً وبصالح نبياً ورسولاً. وكانوا طوال حياتهم يتقون عقاب الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير قاعدة: (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله).

٢ـ تقرير أن ديار الظالمين مآلها الخراب فالظلم يذر الديار بلا قع.

٣ـ تقرير أن الإيمان والتقوى هما سبب النجاة لأن ولاية الله للعبد تتم بهما.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

شـرح الكلمات:

ولـوط: أي واذكر لقومك لوطاً إذ قال لقومه.

---

(١) النظر هنا: قلبي ليس بصريًا لعدم وجود الهلكى بين يدي الناظر.

(٢) قرىء (إنا) بكسر الهمزة على الاستئناف البياني، وقرىء: (أنا) بفتح الهمزة، فمن فتح الهمزة لا يحسن له الوقف على مكرهم، ومن كسر الهمزة جاز له الوقف على مكرهم.

(٣) بيوتهم المنحوتة من الجبال ما زالت إلى اليوم، وقد وقفنا عليها وهي عجب في فن البناء والنحت.

(٤) زيادة كان في قوله: (وكانوا يتّقون) للدلالة على أنهم كانوا متمكّنين من التقوى التي هي فعل المأمور واجتناب الشرك والمنهي عنه من اعتقاد وقول وعمل وصفة.

لقومه : هم سكان مدن عمورية وسدوم .
الفاحشة : أي الخصلة القبيحة الشديدة القبح وهي اللواط .
وأنتم تبصرون : إذ كانوا يأتونها في أنديتهم عياناً بلا ستر ولا حجاب .
قوم تجهلون : أي قبح ما تأتون وما يترتب عليه من خزي وعذاب .

معنى الآيتين :

هذا بداية قصص لوط عليه السلام مع قومه اللوطيين فقال تعالى ﴿ولوطاً﴾[1] أي واذكر كما ذكرت صالحاً وقومه اذكر لوطاً ﴿إذ قال لقومه﴾[2] منكراً عليهم موبخاً مؤنباً لهم على فعلتهم الشنعاء ﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ أي قبحها وشناعتها ببصائركم وبأبصاركم حيث كانوا يأتونها علناً وعياناً وهم ينظرون وقوله ﴿أئنكم لتأتون[3] الرجال شهوة من دون النساء﴾ أي لا للعفة والإحصان ولا للولد والإنجاب بل لقضاء الشهوة البهيمية فشأنكم شأن البهائم لا غير. وفي نفس الوقت آذيتم نساءكم حيث تركتم إتيانهن فهضمتم حقوقهن. وقوله تعالى ﴿بل أنتم قوم تجهلون[4]﴾ أي قال لهم لوط عليه السلام أي ما كان ذلك الشر والفساد منكم إلا لأنكم قوم سوء جهلة بما يجب عليكم لربكم من الإيمان والطاعة وما يترتب على الكفر والعصيان من العقاب والعذاب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان ما كان عليه قوم لوط من الفساد والهبوط العقلي والخلقي .
٢ـ تحريم فاحشة اللواط وأنها أقبح شيء وأن فاعلها أحط من البهائم .
٣ـ بيان أن الجهل بالله تعالى وما يجب له من الطاعة، وبما لديه من عذاب وما عنده من نعيم مقيم هو سبب كل شر في الأرض وفساد. ولذا كان الطريق إلى إصلاح البشر هو

---

(١) أي: اذكر لوطاً أو: أرسلنا لوطاً، الكل محتمل وجائز.
(٢) هم أهل سدوم وعمورية.
(٣) أعاد ذكرها لفرط قبحها وشناعتها، والاستفهام للإنكار والتقبيح لفعلتهم الشنعاء.
(٤) (تجهلون): إمّا أمر التحريم أو العقوبة، ووصفهم بالجهل، وهو اسم جامع لأحوال أفن الرأي وقساوة القلب وعماه، ووصفهم في الأعراف بالإسراف وذلك نظراً إلى تعدد مواقف الوعظ والإرشاد.

تعريفهم بالله تعالى حتى إذا عرفوه وآمنوا به أمكنهم أن يستقيموا في الحياة على منهج الإصلاح المهيء للسعادة والكمال.

﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل
لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴿٥٦﴾ فأنجيناه
وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين ﴿٥٧﴾ وأمطرنا
عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

فما كان جواب قومه : أي لم يكن لهم من جواب إلا قولهم أخرجوا.

آل لوط : هم لوط عليه السلام وامرأته المؤمنه وابنتاه.

من قريتكم : أي مدينتكم سَدُوم.

يتطهرون : أي يتنزهون عن الأقذار والأوساخ.

قدرناها من الغابرين : أي حكمنا عليها أن تكون من الهالكين.

فساء مطر المنذرين : أي قبح مطر المنذرين من أهل الجرائم أنه حجارة من سجيل.

معنى الآيات :

هذه بقية قصص لوط عليه السلام إنه بعد أن أنكر لوط عليه السلام على قومه فاحشة اللواط وأنَّبهم عليها، وقبَّح فعلهم لها أجابوه مهددين له بالطرد والإبعاد من القرية كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله: فما كان جواب قومه أى لم يكن لهم من جواب يردون به على لوط عليه السلام ﴿إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم﴾ أي إلا قولهم ﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم﴾. وعللوا لقولهم هذا بقولهم ﴿إنهم أناس[1] يتطهرون﴾. أي يتنزهون عن الفواحش. قالوا هذا تهكماً، لا إقراراً منهم على أن الفاحشة قذر يجب التنزه عنه. ولما بلغ بهم الحد إلى تهديد نبي الله لوط عليه السلام بالطرد والسخرية منه أهلكهم الله تعالى وأنجى لوطاً وأهله إلا إحدىٰ امرأتيه وكانت عجوزاً[2] كافرة وهو معنى قوله تعالى في الآية (٥٧) ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ حكمنا ببقائها مع الكافرين لتهلك معهم. وقوله تعالى في الآية (٥٨) ﴿وأمطرنا عليهم﴾ هو بيان لكيفية إهلاك قوم لوط بأن

(١) أي: عن أدبار الرجال استهزاءً منهم: قاله مجاهد، وقال قتادة: عابوهم والله بغير عيب بأنهم يتطهرون من أعمال السوء.

(٢) (من الغابرين) قال ابن كثير: أي من الهالكين مع قومها لأنها كانت ردءاً لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا إليهم.

أمطر عليهم حجارة من سجيل منضود فأهلكهم. ﴿فساء مطر المنذرين﴾[1] أي قبح هذا المطر من مطر المنذرين الذين كذبوا بما أنذروا به وأصروا على الكفر والمعاصي. وهذا المطر كان بعد أن جعل الله عاليَ بلادهم سافلها، أردف خسفها بمطرٍ من حجارة لتصيب من كان بعيداً عن المُدُن.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان سنة أن الظلمة إذا أعيتهم الحجج والبراهين يفزعون إلى القوة.

٢ ـ بيان سنة أن المرء إذا أدْمن على قبح قول أو عمل يصبح غير قبيح عنده.

٣ ـ سنة إنجاء الله أولياءه وإهلاكه أعداءه بعد إصرار المنذرين على الكفر والمعاصي.

قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ
عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمۡ
أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ
أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي
ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ

(١) الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الإنذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهمّوا بإخراجه من بينهم.

رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾
أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

شـــرح الكلـمات :

اصطفى	:	أي اختارهم لحمل رسالته وإبلاغ دعوته.
آلله خير	:	أي لمن يعبده.
حدائق ذات بهجة	:	أي بساتين ذات منظر حسن لخضرتها وأزهارها.
يعدلون	:	أي بربهم غيره من الأصنام والأوثان.
جعل الأرض قراراً	:	أي قارة ثابتة لاتتحرك ولاتضطرب بسكانها.
وجعل خلالها أنهاراً	:	أي جعل الأنهار العذبة تتخللها للشرب والسقي.
وجعل لها رواسي	:	أي جبالاً أرساها بها حتى لاتتحرك ولاتميل.
بين البحرين حاجزاً	:	أي فاصلاً لايختلط أحدهما بالآخر.
ويكشف السوء	:	أي الضر، المرض وغيره.
قليلاً ماتذكرون	:	أي ماتتعظون إلا قليلاً.
بشراً بين يدي رحمته	:	أي مبشرة بين يدي المطر إذ الرياح تتقدم ثم باقي المطر.

أمن يبدأ الخلق ثم يعيده أي: يبدؤه في الأرحام، ثم يعيده يوم القيامة.
هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين : أي حجتكم إن كنتم صادقين أن مع الله إلهاً آخر فعل ماذكر.

معنى الآيـات :

لما أخبر الله تعالى رسوله بإهلاك المجرمين ونجاة المؤمنين أمر تعالى رسوله أن يحمده على ذلك تعليمًا له ولأمته إذا تجددت لهم نعمة أن يحمدوا الله تعالى عليها ليكون ذلك من شكرها قال تعالى: ﴿قل الحمد[1] لله﴾ أي الوصف بالجميل لله استحقاقاً.

(١) قال بعضهم: المأمور بالحمد هنا: لوط عليه السلام ورد وهو الحق أن المأمور به هو رسول الله ﷺ.

﴿وسـلام على عبـاده الـذين اصـطفى﴾[1][2] الله لرسالته وإبلاغ دعوته إلى عباده ليعبدوه فيكملوا ويسعدوا على ذلك في الحياتين.

وقوله تعالى : ﴿آ الله خير أمّا يشركون﴾[3][4] أي آ الله الخالق الرازق المدبر القوى المنتقم من أعدائه المكرم لأوليائه؛ عبادته خير لمن يعبده بها أم عبادة من يشركون. فقوله ﴿أمن[5] خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء﴾ أي لحاجتكم إليه غسلاً وشرباً وسقيا ﴿فـأنبتنا به حدائق﴾ أي بساتين محدقة بالجدران والحواجز ﴿ذات بهجة﴾ أي حسن وجمال، ﴿ماكان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي لم يكن فى استطاعتكم أن تنبتوا شجرها ﴿أ إله مع الله﴾[6] لا والله ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ أي يشركون بربهم أصناماً ويُسَوُّونها به في العبـادات. وقـوله تعالى : ﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾[7] أي قارة ثابتة لاتتحرك بسكانها ولاتضطرب بهم فيهلكوا. ﴿وجعل خلالها أنهاراً﴾ أي فيما بينها. ﴿وجعل لها رواسى﴾ أي جبالاً تثبتها، ﴿وجعل بين البحرين﴾ العذب والملح ﴿حاجزاً﴾[8] حتى لا يختلط الملح بالعذب فيفسده.

﴿أ إله مع الله ؟﴾ والجواب : لا والله. ﴿بل أكثرهم لايعلمون﴾ ولو علموا لما أشركوا

---

(١) أصل السلام: السلامة والأمن ثابتان لمن يسلم عليه عند ملاقاته إذ قد يكون بينهما إحن فكان لفظ السلام كالعهد بالأمان، وقيل: السلام عليكم: كانت تحية البشر في عهد آدم عليه السلام.

(٢) قال بعضهم: الذين اصطفوا هم أمة محمد ﷺ، وقيل: هم الصحابة وردّ هذا بما هو الحق وهو (أن الذين اصطفوا) هم: رسل الله عليهم السلام وفي الآية تعليم أدب رفيع وهو أن من افتتح كلامه مذكراً أو واعظاً أو معلماً دارساً يفتتح كلامه بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ.

(٣) (آالله) الاستفهام تقريري وهو إلجاء المخاطب إلى الإقرار، وخير هنا: ليست بمعنى أفضل، إذ لا خير البتة في آلهة المشركين وإنما من باب إيهام الخصم بأنه يعترف له بما يعتقده من خيْـرٍ في إلهه، حتى يُصْغي ويسمع ويتأمل علّه يهتدي أو هو مثل قول الشاعر:

أتهجوه ولست له بكفْء   فشركما لخيركما الفداء

(٤) (أمّا) أصلها: أم المعادلة للهمزة وما: الموصولية أدغمت فيها أم فصارت أمّا والعائد محذوف تقديره: تشركونها، أي آلهتهم بالله تعالى.

(٥) (أم) المنقطعة بمعنى بل للاضراب الانتقالي من الاستفهام التهكمي للاستفهام التقريري أي: الذي خلق السموات وما عطف عليها خير وأحق بالعبادة.

(٦) هذا استئناف كالنتيجة للكلام قبلها لأن إثبات الخلق والرزق لله تعالى بدليل لا يسعهم إلا الإقرار به ينتج أنه لا إله معه، والاستفهام إنكاري أي: إنكار وجود إله مع الله الخالق الرازق والجواب: لا إله مع الله.

(٧) القرار: مصدر قرّ يقرّ قراراً الشيء: إذا سكن وثبت، وصفت الأرض بالقرار مبالغة في سكونها وثباتها حيث لا تتحرك ولا تضطرب بأهلها على مدى الحياة في حين أنها سابحة في الفضاء متحركة فيه كل لحظة فسبحان الله العلي القدير العزيز الحكيم.

(٨) إنّ هذا الحاجز ليس جسماً غير الماء إنما هو تفاوت الثقل النسبي لاختلاف أجزاء الماء المركب منها الماء المالح والماء العذب، فالحاجز حاجز من طعميهما وليس جسماً آخر فاصلا بينهما.

بالله مخلوقاته. وقوله تعالى: ﴿أمن يجيب المضطر[1] إذا دعاه﴾ أي ليكشف ضره ﴿ويكشف السوء﴾ أي يبعده والسوء هو مايسوء المرء من مرض وجوع وعطش وقحط وجدب. ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ جعل جيلاً يخلف جيلاً وهكذا الموجود خلف لمن سلف وسيكون سلفاً لمن خلف ﴿أ إله مع[2] الله والجواب لا إله مع الله﴿قليلاً ماتذكرون﴾ أي ماتتعظون إلا قليلاً بما تسمعون وترون من آيات الله.

وقوله تعالى: ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ في الليل بالنجوم وفي النهار بالعلامات الدالة والهادية إلى مقاصدكم ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته﴾ أي من يثير الرياح ويرسلها تتقدم المطر وتبشر به؟ لا أحد غير الله إذاً. . أ إله مع الله. والجواب: لا، لا. . الله وحده الإله الحق وماعداه فباطل.

وقوله تعالى: ﴿تعالى الله عما يشركون﴾ نزه تعالى نفسه عن شرك المشركين أصناماً لاتبدىء ولاتعيد ولاتخلق ولاترزق ولاتعطي ولاتمنع. وقوله تعالى: ﴿أمن يبدأ الخلق﴾ أي نطفاً في الأرحام، ثم بعد حياته يميته، ثم يعيده وهو معنى ﴿ ثم يعيده﴾.

﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات. والجواب: الله إذاً ﴿أ إله مع الله﴾ والجواب: لا، لا وإن قلتم هناك آلهة مع الله﴿ قل هاتوا برهانكم﴾ أي حججكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن غير الله يفعل شيئاً مما ذُكر في هذا السياق الكريم.

هداية الآيات:

١ ـ وجوب حمد الله وشكره عند تجدد الشكر، والحمد لله رأس الشكر.

٢ ـ مشروعية السلام عند ذكر الأنبياء عليهم السلام فمن ذكر أحدهم قال عليه السلام.

٣ ـ التنديد بالشرك والمشركين.

٤ ـ تقرير التوحيد بأدلته الباهرة العديدة.

٥ ـ تقرير عقيدة البعث الآخر وإثباتها بالاستنباط من الأدلة المذكورة.

٦ ـ لاتثبت الأحكام إلا بالأدلة النقلية والعقلية.

قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ

(١) قال ابن عباس: المضطر هو: ذو الضرورة المجهود، والضرورة هي: الحال المحوجة إلى الأشياء العسرة الحصول كالجوع والمرض والخوف ونحوهما من العزوبة وقلّة ذات اليد.

(٢) الاستفهام توبيخي إنكاري أي: إنكار أن يكون مع الله إله آخر لما قام على ذلك من الأدلة والحجج المذكورة، وإله مرفوع بما تعلّق به الظرف أو بإضمار يفعل ذلك أي: أإلَهٌ مع الله يفعل ذلك.

فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا
هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

من في السموات والأرض: الملائكة والناس.

الغيب إلا الله : أي ماغاب عنهم ومن ذلك متى قيام الساعة إلا الله فإنه يعلمه.

أيّان يبعثون : أي متى يبعثون.

بل ادارك علمهم في الآخرة : أي تلاحق وهو مامنهم أحد إلا يظن فقط فلا علم لهم بالآخرة بالمرة.

بل هم منها عمون : أي في عمى كامل لايبصرون شيئاً من حقائقها.

أئنا لمخرجون : أي أحياء من قبورنا.

لقد وعدنا هذا : أي البعث أحياء من القبور.

أساطير الأولين : أي أكاذيبهم التي سطروها في كتبهم.

كيف كان عاقبة المجرمين : أي المكذبين بالبعث كانت دماراً وهلاكاً وديارهم الخاوية شاهدة بذلك.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ لما سأل المشركون من قريش النبي ﷺ عن الساعة أمره تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب ﴿قل لا يعلم﴾ الخ.. والساعة من جملة الغيب بل هي أعظمه. ﴿من في السموات﴾ من الملائكة ﴿والأرض﴾ من الناس ﴿إلا الله﴾(1) أي لكن

(١) أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قولها: من زعم أنّ محمداً يعلم ما في غدٍ فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وذكر القرطبي ما خلاصته: انّ منجماً أتى به إلى الحجاج فاعتقله ثم أخذ حصيات فعدّها وقال للمنجّم: كم من حصيات في يدي فأخبره بعددها، ثم أخذ أخرى ولم يعدها وسأل المنجم عنها فلم يعرف عددها وكرر هذا ثلاث مرات فلم يعرف المنجم فسأله كيف عرفت في الأولى ولم تعرف في غيرها؟ قال: لأنك لما عددتها خرجت من الغيب فعلمتها أمّا الغيب فلا يعلمه إلا الله.

الله تعالى يعلم غيب السموات والأرض أما غيره فلا يعلم إلا ماعلمه الله علام الغيوب .

وقوله تعالى : ﴿ومايشعرون أيّان يبعثون﴾ أي ومايشعر أهل السموات وأهل الأرض متى يبعث الأموات من قبورهم للحساب والجزاء وهذا كقوله تعالى في سورة الأعراف .

﴿يسألونك عن الساعة قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة﴾ .

وقوله تعالى : ﴿بل ادَّارَكَ[1] علمهم في الآخرة﴾ قرىء ﴿بل أَدْرَكَ علمهم في الآخرة﴾ أي بلغ حقيقته يوم القيامة إذ يصبح الإيمان بها الذي كان غيباً شهادة ولكن لاينفع صاحبه يومئذ. وقرىء ﴿بل ادارك علمهم﴾ أي علم المشركين بالآخرة. أي تلاحق وأدرك بعضه بعضاً وهو أنه لاعلم لهم بها بالمرة. ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿بل هم فى شك منها بل هم منها عمون[2]﴾ أي لايرون شيئاً من دلائلها، ولا حقائقها بالمرة ويدل على هذا ما أخبر به تعالى عنهم من أنهم لايؤمنون بالساعة بالمرة في قوله ﴿وقال الذين كفروا أئذا[3] كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون﴾ أي من قبورنا أحياء. والاستفهام للانكار الشديد ويؤكدون إنكارهم هذا بقولهم :

لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل أي من قبل أن يعدنا محمد. ﴿إن هذا﴾ أي الوعد بالبعث والجزاء ﴿إلا اساطير الأولين﴾ أي أكاذيبهم وحكاياتهم التى يسطرونها فى الكتب ويقرأونها على الناس. وقوله تعالى في آخر آية من هذا السياق (٦٩) ﴿قل سيروا في الأرض﴾ أي قل لهم يارسولنا سيروا في الأرض جنوباً أو شمالاً أو[4] غرباً ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ أي أهلكناهم لما كذبوا بالبعث كما كذبتم، فالقادر على خلقهم ثم إماتتهم قادر قطعاً على بعثهم وإحيائهم لمحاسبتهم وجزائهم بكسبهم. فالبعث إذاً ضروري لاينكره ذو عقل راجح أبداً.

---

(١) أصل : (ادّارك) : تدارك فسكنت التاء وأدغمت في الدال وجلبت همزة الوصل فصارت : ادّارك.

(٢) (عمون) أصلها : عميون : حذفت الياء وضمت الميم تخفيفاً، والمفرد عم.

(٣) قر نافع : (إذا كنا) بدون همزة استفهام، وبتسهيل همزة أينا، وقرأ حفص بهمزتين محققتين أإذا وأئنا.

(٤) جنوباً حيث ديار عاد، وشمالاً حيث ديار ثمود، وغرباً حيث مدين والمؤتفكات.

هداية الآيـــات :

من هدية الآيـــات :

١ ـ حصر علم الغيب في الرب تبارك وتعالى. فمن ادعى أنه يعلم مافي غد فقد كذب.[1]
٢ ـ تساوي علم أهل السماء والأرض في الجهل بوقت قيام الساعة.
٣ ـ المكذبون يوم القيامة سيوقنون به في الآخرة ولكن لاينفعهم ذلك.
٤ ـ إهلاك الله الأمم المكذبة بالبعث بعد خلقهم ورزقهم دليل على قدرته تعالى على بعثهم لحسابهم وجزائهم.

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

شـــرح الكلمـــات :

ولاتحزن عليهم. الآية : المراد به تسلية الرسول ﷺ.
مما يمكرون : أي بك إذْ حاولوا قتله ولم يفلحوا.
متى هذا الوعد : أي بعذابنا.
بعض الذي تستعجلون : وقد حصل لهم في بدر.
إن الله لذو فضل على الناس : أي في خلقهم ورزقهم وحفظهم وعدم إنزال العذاب بهم.
ماتكن صدورهم : أي ماتخفيه وتستره صدورهم.
ومامن غائبة : أي مامن حادثة غائبة في السماء والأرض الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ مدونة فيه مكتوبة.

---

(١) شاهده حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها وقد تقدم انفا.

معنى الآيـات :

مازال السياق في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالنبوة والبعث الآخر ولقد تقدم تقرير كل من عقيدة التوحيد بأدلة لاتُرد، وكذا تقرير عقيدة البعث والجزاء ولكن المشركين مازالوا يعارضون ويمانعون بل ويمكرون فلذا نهى الله تعالى رسوله عن الحزن على المشركين في عدم إيمانهم كما نهاه عن ضيق[(1)] صدره مما يمكرون[(2)] ويكيدون له ولدعوة الحق التي يدعو إليها. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٧٠) وأما الآية الثانية والثالثة فإنه تعالى يخبر رسوله بما يقول أعداؤه ويلقنه الجواب. فقال تعالى: (٧١) ﴿ويقولون متى[(3)] هذا الوعد﴾ - أي بالعذاب - ﴿إن كنتم صادقين﴾ - فيما تقولون وتعدون - ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾ أي اقترب[(4)] منكم ودنا وهو ماحصل لهم في بدر من الأسر والقتل هذا مادلت عليه الآيتان (٧١ و ٧٢).

وقوله تعالى: ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس[(5)]﴾ مؤمنهم وكافرهم إذ خلقهم ورزقهم وعافاهم ولم يهلكهم بذنوبهم ﴿ولكن أكثرهم لايشكرون﴾ فهاهم أولاء يستعجلون العذاب ويطالبون به ومع هذا يمهلهم لعلهم يتوبون، وهذا أعظم فضل. وقوله تعالى: ﴿وإن ربك ليعلم ماتكن[(6)] صدورهم ومايعلنون﴾ أي لايخفى عليه من أمرهم شيء وسيحصي لهم أعمالهم ويجزيهم بها وفى هذا تسلية لرسول الله ﷺ ووعيد لهم وتهديد وقوله تعالى: ﴿وما من غائبة[(7)] فى السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾. وهو اللوح المحفوظ أي إن علم ربك أحاط بكل شيء ولايعزب عنه شيء وهذا مظهر من مظاهر العلم الإلهي المستلزم للبعث والجزاء، إذ لو قل علمه بالخلق لكان من الجائز أن يترك بعضاً لايبعثهم ولايحاسبهم ولايجزيهم.

---

(١) الضِّيق: بفتح الضاد وكسرها قَرَأَهُ الجمهور بالفتح، وقرأ غيرهم بالكسر وحقيقة الضيق: عدم اتساع المكان أو الوعاء لما يراد إدخاله فيه، والمراد به هنا الحالة الحرجة التي تعرض للنفس عند كراهية شيء فيحس بضيق في صدره.

(٢) ومن أعظم مكرهم به ﷺ حكمهم الجائر بقتله في مكة لولا أنّ الله أنجاه منهم.

(٣) الاستفهام للإنكار والاستبعاد، والآية نزلت في المستهزئين الذين هلكوا ببدر.

(٤) هذا تفسير لـ(ردف لكم) يقال: ردفه وأردفه: إذا تبعه كتبعه واتبعه وردفه وردف له بمعنى قال الشاعر:

عاد السواد بياضاً في مفارقه ... لا مرحباً ببياض الشيب إذ ردف

والشاهد في ردف وأردف: إذا تبع، وقال آخر:

إذا الجوزاء أردفت الثريًا ... ظننت بآل فاطمة الظنونا

(٥) في إدرار الرزق وتأخير العقوبة.

(٦) قرىء: تكن من كن الشيء يكنه إذا ستره، وقرأ الجمهور (تُكن) من أكنّ الشيء إذا ستره أيضاً.

(٧) قال الحسن: الغائبة هنا: القيامة، وهو حق ولكن اللفظ أعم إذ هو يشمل كل غيب وهو ما غاب عن الخلق في الأرض أو في السماء، فالله تعالى يعلمه وكيف لا، وقد كتبه في كتاب المقادير والغائبة: اسم للشيء الغائب، والتاء فيه للنقل من الوصفية إلى الأسمية كالتاء في الفاتحة، والعاقبة، والمراد ما غاب عن علم الناس، واشتقاقه من الغيب ضدّ الحضور.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تسلية الرسول ﷺ لأنه يعانى شدة من ظلم المشركين وإعراضهم .

٢ ـ بيان تعنت المشركين وعنادهم .

٣ ـ تحقق وعد الله للمشركين حيث نزل بهم بعض العذاب الذي يستعجلون .

٤ ـ بيان فضل الله تعالى على الناس مع ترك أكثرهم لشكره سبحانه وتعالى .

٥ ـ بيان إحاطة علم الله بكل شىء .

٦ ـ إثبات وتقرير كتاب المقادير، وهو اللوح المحفوظ .

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾
وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

يقص على بنى إسرائيل : أي يذكر أثناء آياته كثيراً مما اختلف فيه بنو إسرائيل .

لهدى ورحمة للمؤمنين : أي به تتم هداية المؤمنين ورحمتهم .

يقضى بينهم بحكمه : أي يحكم بين بنى إسرائيل بحكمه العادل .

وهو العزيز العليم : الغالب على أمره، العليم بخلقه .

فتوكل على الله : أي ثق فيه وفوض أمرك إليه .

إنك لاتسمع الموتى : أي لو أردت أن تسمعهم لأنهم موتى .

ولاتسمع الصم الدعاء : أي ولاتقدر على إسماع كلامك الصم الذين فقدوا حاسة السمع .

إذا ولوا مدبرين : أي إذا رجعوا مدبرين عنك غير ملتفتين إليك .

إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا: أي ماتسمع إلا من يؤمن بآيات الله .

معنى الآيات :

قولـه تعـالى : ﴿إن هذا القرآن﴾[1] الكريـم الذي أنزل على محمد ﷺ [يقص على بني إسرائيل] المعاصرين لنزوله (أكثر الذى هم فيه يختلفون) كاختلافهم في عيسى عليه السلام ووالدته، إذ غلا فيهما البعض وأفرطوا فألّهوهما وفرط فيهما البعض فقالوا فى عيسى ساحر، وفي مريم عاهـرة لعنهم الله، وكـاختـلافهم فى صفـات الله تعـالى وفي حقيقة المعاد، وكاختلافهم في مسائل شرعية وأخرى تاريخية. وقوله تعالى: ﴿وإنه لهدى ورحمة﴾[2] أي وإن القـرآن الكريم لهدى، أي لهادٍ لمن آمن به إلى سبيل السلام ورحمة شاملة ﴿للمؤمنين﴾[3] به، العاملين بما فيه من الشرائع والآداب والأخلاق. وقوله تعالى : ﴿إن ربك﴾ أي أيها الرسول ﴿يقضي بينهم﴾ أي بين الناس من وثنيين وأهل كتاب يوم القيامة بحكمه[4] العادل الرحيم، ﴿وهو العزيز﴾ الغالب الذي ينفذ حكمه فيمن حكم له أو عليه ﴿العليم﴾ بالمحقين من المبطلين من عباده فلذا يكون حكمه أعدل وأرحم ولذا ﴿فتوكل على الله﴾[5]أيها الرسول بالثقة فيه وتفويض أمرك إليه فإنه كافيك. وقوله : ﴿إنك على الحق المبين﴾ أي إنك يارسولنا على الدين الحق الذي هو الإسلام وخصومك على الباطل فالعاقبة الحسنى لك، لامحالة. وقوله تعالى : ﴿إنك لاتسمع الموتى﴾ والكفار موتى بعدم وجود روح الإيمان في أجسامهم والميت

---

(١) هذا الكلام مستأنف استئنافاً بيانياً إذ هو جواب لكل شاك في توحيد الله وفي البعث الآخر وفي نبوة رسوله محمد ﷺ فمن قال: كيف يكون لا إله إلا الله وكيف يكون البعث وكيف يكون محمد رسولاً؟ فالجواب: أنّ هذا القرآن العظيم أكبر برهان وأعظم دليل على صدق تلك القضايا الثلاث: التوحيد، والبعث، والنبوة.

(٢) هذا التوكيد بأنّ في المواطن الثلاثة: (إنّ هذا القرآن) و(إنه لهدى) (إن ربك يقضي) تطلبه الابتداء من جهة وشأن الاخبار من جهة أخرى. لأنّ عادة الإنسان إذا أخبر بخبر ذي شأن يتساءل في نفسه عن صحته وعدمها فيتعين التأكيد له.

(٣) خصّ المؤمنون بالذكر دون الكافرين لأنهم هم المنتفعون به.

(٤) جائز أن يكون المراد من الحكم: الحكمة، أي: يحكم بينهم بالحكمة التي تضع كلّ شيء في موضعه فلا يحدث حيف ولا جور. وإطلاق الحكم على الحكمة كثير في القرآن منه: (وآتيناه الحكم صبيا) ويجوز أن يكون الحكم على ظاهره أو يحكم بينهم بحكمه المعروف بالعدل والنزاهة من الحيف والجور والخطأ.

(٥) الفاء تفريعية أي: فبناء على عزّة الله وعلمه فتوكل عليه ولا تخف فإنه لعزته وعلمه لايضيعك ولا يهمل شأنك.

لايسمع فلذا لاتقدر على إسماع هؤلاء الكافرين الأموات[1]، كما انك ﴿لاتسمع الصم﴾ أي الفاقدين لحاسة السمع ﴿الدعاء﴾ أي دعاءك ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ أي إذا رجعوا مدبرين غير ملتفتين إليك. ﴿وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ التي يعيشون عليها فهوّن على نفسك ولاتكرب ولاتحزن ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ أي ماتسمع إسماع تفهم وقبول إلا المؤمنين بآيات الله، ﴿فهم مسلمون﴾ أي فهم من أجل إيمانهم مسلمون أي منقادون خاضعون لشرع الله وأحكامه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ شر ف القرآن وفضله.

٢ ـ لن ينتهي خلاف اليهود والنصارى إلا بالإسلام فإذا أسلموا ا اهتدوا للحق وانتهى كل خلاف بينهم.

٣ ـ كل خلاف بين الناس اليوم سيحكم الله تعالى بين أهله يوم القيامة بحكمه العادل ويوفى كلاماله أو عليه وهو العزيز العليم.

٤ ـ الكفار أموات لخلو أبدانهم من روح الإيمان فلذا هم لايسمعون الهدى ولايبصرون الآيات مهما كانت واضحات.

فعلى داعيهم أن يعرف هذا فيهم وليصبر على دعوتهم ودعاويهم.

۞ وَإِذَا
وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

---

(١) احتجت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية على عدم إسماع النبي ﷺ موتى بدر لما قيل لها في ذلك وردّ عليها قولها إذ استعملت القياس العقلي مع وجود النص ولا قياس مع النص فقد صحّ أنه ﷺ ناداهم وهم في القليب وقال لهم (أيسركم أنكم أطعتم الله و ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا. فقيل: يا رسول الله: ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندما وقد خصصت هذه الآية بِسماع أهل القبور. سلام من سلّم عليهم.

﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

وقع القول عليهم : أي حق عليهم العذاب .

دابة من الأرض : حيوان يدب على الأرض لم يرد وَصْفُها في حديث صحيح يعول عليه ويقال به.(١)

تكلم الناس : بلسان يفهمونه لأنها آية من الآيات .

أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون : أي بسبب أن الناس أصبحوا لايؤمنون بآيات الله وشرائعه أي كفروا فيبلون بهذه الدابة .

ويوم نحشر : أي اذكر يوم نحشر أي نجمع .

من كل أمة فوجاً : أي طائفة وهم الرؤساء المتبوعون في الدنيا .

فهم يوزعون : أي يجمعون برد أولهم على آخرهم .

حتى إذا جاءوا : أي الموقف مكان الحساب .

وقع القول عليهم : أي حق عليهم العذاب .

بما ظلموا : أي بسبب الظلم الذي هو شركهم بالله تعالى .

فهم لاينطقون : أي لاحجة لهم .

والنهار مبصراً : أي يبصر فيه من أجل التصرف في الأعمال .

معنى الآيـات :

قوله تعالى : ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ أي حق العذاب على الكافرين حيث لم يبق في

(١) مثل تلك الأحاديث : حديث حذافة ونصه : كما رواه أبو داود الطيالسي قال : (ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية ـ مكة ـ ثم تكمن زمانا ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشوا ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة . قال رسول الله ﷺ ثم بينا الناس في اعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس منها شتى ومعاً وثبتت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري ، وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إنّ الرجل ليعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان الآن تصلي فتقبل عليه فتسمُه في وجهه ثم تنطلق فتميّز الكافر من المؤمن) .

الأرض من يأمر بمعروف ولا من ينهى عن منكر ﴿أخرجنا لهم﴾ لفتنتهم ﴿دابة من الأرض﴾ حيوان أرضي ليس بسماوي ﴿تكلمهم﴾ أي بلسان يفهمونه، ﴿أن الناس[1] كانوا بآياتنا لايوقنون﴾ هذه علة تكليمهم وهي بأن الناس كفروا وما أصبحوا يوقنون بآيات الله وشرائعه فيخرج الله تعالى هذه الدابة لِحِكَمٍ منها :أنها يتميز المؤمن من الكافر. وقوله تعالى : ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ أي واذكر يارسولنا ﴿يوم نحشر من كل أمة﴾ من الأمم البشرية ﴿فوجاً﴾ أي جماعة ﴿ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾ بأن يرد أولهم على آخرهم لينتظم سيرهم ﴿حتى إذا جاءوا﴾ الموقف موضع الحساب يقول الله تعالى لهم : ﴿أكذبتم بآياتي﴾ وما اشتملت عليه من أدلة وحجج وشرائع وأحكام ﴿ولم تحيطوا بها علمًا﴾، وهذا تقريع لهم وتوبيخ. إذ كون الانسان لم يحط علمًا بشيء لايجوز له أن يكذب به لمجرد أنه ماعرفه. وقوله : ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أي ما الذي كنتم تعملون في آياتي من تصديق وتكذيب. قال تعالى ﴿ووقع القول عليهم﴾ أي وجب العذاب ﴿بما ظلموا﴾ أي بسبب ظلمهم[2] ﴿فهم لاينطقون﴾. أي بعجزهم عن الدفاع عن أنفسهم لأنهم ظَلَمَةٌ مشركون.

وقوله تعالى : ﴿ألم يروا[3]﴾ أي ألم يبصر أولئك المشركون المكذبون بالبعث والجزاء أن الله تعالى جعل ﴿الليل ليسكنوا فيه﴾ وسكونهم هو موتهم على فرشهم بالنوم فيه ﴿والنهار﴾ أي وجعل ﴿النهار مبصراً﴾ أي يبصر فيه لينتصرفوا فيه بالعمل لحياتهم، فنوم الليل شبيه بالموت وانبعاث النهار شبيه بالحياة، فهي عملية موت وحياة متكررة طوال الدهر فكيف ينكر العقلاء البعث الآخر وله صورة متكررة طوال الحياة، ولذا قال تعالى : ﴿إن في ذلك﴾ أي في ذلك العمل المتكرر للموت والحياة كل يوم وليلة ﴿لآيات﴾ أي براهين وحجج قاطعة على وجود بعث وحياة بعد هذا الموت والحياة. وخص المؤمنون بالذكر وبالحصول على البرهان المطلوب من عملية الليل والنهار لأن المؤمنين أحياء يسمعون ويبصرون ويفكرون والكافرين أموات والميت لايسمع ولايبصر ولايعي ولايفكر.

---

(١) قرأ نافع بكسر إنّ، والجملة تعليلية لما قبلها، وقرأ حفص بفتحها على تقدير حرف جَرٍّ قبلها بأن أو لأن للسببية أو التعليل.

(٢) أي : بشركهم إذ الشرك أعظم أنواع الظلم وهو الموجب لدخول النار والخلود فيها.

(٣) الاستفهام هنا للتعجب من حالهم كيف لا يبصرون آيات الله في الكون فتهديهم إلى توحيد الله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تأكيد آية الدابة والتي تخرج من صدع من الصفا وقد وجد الصدع الآن فيما يبدو وهي الأنفاق التي فتحت في جبل الصفا وأصبحت طرقاً عظيمة للحجاج، وعما قريب تخرج، وذلك يوم لايبقى من يأمر بالمعروف ولامن ينهى عن المنكر فيحق العذاب على الكافرين.

٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر وصف لها.

٣ - ويل لرؤساء الضلالة والشر والشرك والباطل إذ يؤتى بهم ويسألون.

٤ - فى آية الليل والنهار مايدل بوضوح على عقيدة البعث الآخر والحساب والجزاء.

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾
مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

ويوم ينفخ في الصور : أي يوم ينفخ إسرافيل في البوق نفخة الفزع والفناء والقيام من القبور.

وكل أتوه داخرين : أي وكل من أهل السماء والأرض أتوا الله عز وجل داخرين أي أذلاء صاغرين.

وترى الجبال تحسبها جامدة : أي تظنها في نظر العين جامدة.

وهي تمر مر السحاب : وذلك لسرعة تسييرها.

من جاء بالحسنة : وهي الإيمان والتوحيد وسائر الصالحات.
فله خير منها : أي الجنة.
ومن جاء بالسيئة : أي الشرك والمعاصي فله النار يكب وجهه فيها.
وهم من فزع يومئذ آمنون : أي أصحاب حسنات التوحيد والعمل الصالح آمنون من فزع هول يوم القيامة.
ومن جاء بالسيئة فكبت : أي جاء بالسيئة كالشرك وأكل الربا، وقتل النفس، فكبت وجوههم في النار والعياذ بالله أي القوا فيها على وجوههم
هل تجزون إلا ماكنتم تعملون : أي ماتجزون إلا بعملكم، ولاتجزون بعمل غيركم.

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر أحداث القيامة تقريراً لعقيدة البعث والجزاء التي هي الباعث على الاستقامة في الحياة. فقال تعالى ﴿ويوم[1] ينفخ في الصور﴾ أي ونفخ إسرافيل بإذن ربه في الصور الذي هو القرن أو البوق ﴿ففزع[2] من في السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله﴾ وهي نفخة الفزع فتفزع لها الخلائق إلا من استثنى الله تعالى وهم الشهداء فلا يفزعون وهي نفخة الفناء أيضاً إذ بها يفنى كل شىء، وقوله تعالى ﴿وكل أتوه[3]﴾ أي أتوا الله تعالى ﴿داخرين﴾ أي صاغرين ذليلين أتوه إلى المحشر وساحة فصل القضاء وقوله ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ أي لاتتحرك وهي في نفس الواقع تسير[4] سير السحاب ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ أي أوثق صنعه[5] وأحكمه ﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ وسيجزيكم أيها الناس بحسب علمه ﴿من جاء بالحسنة﴾ وهي الايمان والعمل الصالح ﴿فله خير منها﴾ ألا وهي الجنة ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ وهي الشرك والمعاصى ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ فذلك

---

(١) العامل في الظرف محذوف للعلم به أي: واذكر يوم ينفخ في الصور، والنافخ هو اسرافيل عليه السلام.
(٢) للفزع معنيان، وكلاهما صالح لدلالة هذا اللفظ عليه، الأوّل: الفزع بمعنى الإسراع: لنداء الداعي، والثاني الخوف والهلع.
(٣) قرأ حفص (وكل أتوه) بالفعل الماضي، وقرأ نافع (آتوه) باسم الفاعل أي: آتون إليه جمع آتٍ.
(٤) قيل: إنّ قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) هو خطاب للنبي ﷺ خاصة أطلعه فيه على سر من أسرار الكون ولم يبح به لعجز الناس عن إدراكه في ذلك الزمن وحقيقته: أن الأرض تدور حول الشمس دورة في كل يوم وليلة، ودورتها هي تسير معها الجبال فيها قطعاً فيرى المرء الجبال يحسبها جامدة وهي تمر مع الأرض مرّ السحاب والمرور غير السير فالسير يوم الفناء أما المرور يقال: مرّ بفلان يحمله معه ولا يقال سار به. ورشح هذا المعنى قوله بعدُ: (صنع الله الذي أتقن كل شيء).
(٥) الصنع مصدر صنع الشيء يصنعه صنعاً.

جزاء من جاء بالسيئة .

وقوله تعالى : ﴿هل تجزون[1] إلا ما كنتم تعملون﴾ أي لا تجزون إلا ماكنتم تعملونه في الدنيا من خير وشر وقد تم الجزاء بمقتضى ذلك فقوم دخلوا الجنة وآخرون كبت وجوههم في النار .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها مفصلة .

٢ ـ بيان كيفية خراب العوالم وفناء الأكوان .

٣ ـ فضل الشهداء حيث لايحزنهم الفزع الأكبر وهم آمنون .

٤ ـ تقرير مبدأ الجزاء وهو الحسنة والسيئة ، حسنة التوحيد وسيئة الشرك .

إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

هذه البلدة : أي مكة المكرمة والاضافة للتشريف .

الذي حرمها : أي الله الذي حرم مكة فلا يختلى خلاها ولاينفر صيدها ولايقاتل فيها .

من المسلمين : المؤمنين المنقادين له ظاهراً وباطناً وهم أشرف الخلق .

وأن أتلو القرآن : أي أمرني أن أقرأ القرآن إنذاراً وتعليماً وتعبداً .

---

(١) الاستفهام للنفي كما في التفسير.

سيريكم آياته : أي مدلول آيات الوعيد فيعرفون ذلك وقد أراهموه في بدر وسيرونه عند الموت.

وماربك بغافل عما يعملون : أي وماربك أيها الرسول بغافل عما يعمل الناس وسيجزيهم بعملهم.

معنى الآيات :

إنـه بعـد ذلك العرض الهائل لأحداث القيامة والذي المفروض فيه أن يؤمن كل من شاهده ولكن القوم ما آمن أكثرهم ومن هنا ناسب بيان موقف الرسول ﷺ وهو أنه عبد مأمور بعبادة ربه لا غير ربه الذي هو رب هذه البلدة الذي[1] حرمها فلا يقاتل فيها ولايصاد صيدها ولايختلى خلاها ولاتلتقط لقطتها إلا لمن يعرفها، وله كل شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً فليس لغيره معه شيء في العوالم كلها علويّها وسفلِيّها وقوله : ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي وأمرني ربي أن أكون في جملة المسلمين أي المنقادين لله والخاضعين له وهم صالحو عباده من الأنبياء والمرسلين. وقوله : ﴿وأن أتلو القرآن﴾ أي وأمرني أن أتلو القرآن تلاوة إنذار وتعليم وتعبداً وتقرباً إليه تعالى وبعد تلاوتي فمن اهتدى عليها فعرف طريق الهدى وسلكه فنتائج الهداية وعائدها عائد عليه هو الذى ينتفع بها. ومن ضل فلم يقبل الهدى وأقام على ضلالته فليس علي هدايته لأن ربي قال لي قل لمن ضل ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ لا من واهبى الإيمان والهداية انما يهب الهداية ويمن بها الله الذي بيده كل شيء ﴿وقل الحمد لله﴾ وأمرني أن أحمده على كل ماوهبني من نعم لاتعد ولاتحصى ومن أجلّها إكرامه لي بالرسالة التي شرفني بها على سائر الناس فالحمد لله والمنة له وقوله ﴿سيريكم آياته[2] فتعرفونها﴾ أي وأعلم هؤلاء المشركين أن الله ربي سيريكم آياته في مستقبل أيامكم وقد أراهم أول آية في بدر وثاني آية في الفتح وآخر آية عند الموت يوم تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وتقول لهم «ذوقوا عذاب الحريق» وقوله تعالى ﴿وماربك بغافل عما تعملون[3]﴾ أي وماربك الذي أكرمك وفضلك أيها الرسول ﴿بغافل عما تعملون﴾ أيها الناس مؤمنين وكافرين وصالحين وفاسدين وسيجزى كلاً بعمله وذلك يوم ترجعون إليه ففي الآية وعد ووعيد.

---

(١) قرأ ابن عباس رضي الله عنهما : (ربّ هذه البلدة التي حرّمها) نعتاً للبلدة. وقرأ الجمهور الذي وهو في موضع نصب نعت لـ ربّ.

(٢) أي : في أنفسكم وفي غيركم كما قال تعالى : (سنريهم آيتنا في الآفاق وفي أنفسهم) من سورة فصلت.

(٣) قرأ نافع وحفص والجمهور بتاء الخطاب، وقرأ غيرهم بياء الغيبة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

ـ بيان وظيفة الرسول ﷺ وأنها عبادة الله والإسلام له، وتلاوة القرآن إنذاراً وإعذاراً وتعليمًا وتَعَبُّداًبه وتقرباً إلى منزله عز وجل.

٢ ـ بيان وتقرير حرمة مكة المكرمة والحرم.

٣ ـ الندب إلى حمد الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة ولاسيما عند تجدد النعمة وعند ذكرها.

٤ ـ بيان أن عوائد الكسب عائدة على الكاسب خيراً كانت أو شراً.

٥ ـ بيان معجزة القرآن الكريم إذ ما أعلم به المشركين أنهم سيرونها قد رأوه فعلاً وهو غيب، فظهر كما أخبر.

سُورَةُ القَصَصِ

مكيـــــة

واياتها ثمان وثمانون اية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

طسم	: هذه إحدى الحروف المقطعة تكتب طسم وتقرأ: طا، سِينْ، مِيمْ.
تلك	: أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هى آيات القرآن الكريم.
نتلو عليك	: أي نقرأ عليك قاصين شيئاً من نبأ موسى وفرعون أي من خبرهما.
لقوم يؤمنون	: أي لأجل المؤمنين ليزدادوا إيماناً ويوقنوا بالنصر وحسن العاقبة.
علا في الأرض	: أي تكبر وظلم فادعى الربوبية وظلم بني إسرائيل ظلماً فظيعاً.
شيعاً	: أي طوائف بعضهم عدوّ لبعض من باب فَرِّقْ تَسُدْ.
ويستحي نساءهم	: أي يبقي على النساء لايذبح البنات لأنه لايخاف منهن ويذبح الأولاد لخوفه مستقبلاً على ملكه منهم.
ونريد أن نمن	: أي ننعم على الذين استضعفوا فنجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين.
ما كانوا يحذرون	: من المولود الذي يولد في بني إسرائيل ويذهب بملكهم.

معنى الآيات :

«طسم» : هذا اللفظ الله أعلم بمراده منه، وقد أفاد فائدتين عظيمتين الأولى هي إعجاز القرآن الموجب للإيمان به وبمنزلة من أنزل عليه القرآن وهو محمد ﷺ وذلك أن هذا القرآن الذي أعجز العرب أن يأتوا بسورة مثله قد تألف من مثل هذه الحروف المقطعة فدل ذلك على أنه كلام الله ووحيه.

والثانية أنه لما خاف المشركون من تأثير القرآن على نفوس السامعين له وأمروا باجتناب سماعه واستعملوا وسائل شتى لمنع الناس في مكة من سماعه كانت هذه الحروف تضطرهم إلى السماع لغرابتها عندهم فإذا قرأ القارىء طسم وجد احدهم نفسه مضطراً إلى السماع، فإذا ألقى سمعه نفذ القرآن إلى قلبه فاهتدى به إن شاء الله تعالى له الهداية كما حصل لكثيرين منهم.

وقوله تعالى : ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي هذه آيات الكتاب المبين أي القرآن المبين

للهدى من الضلال والخير من الشر والحق من الباطل، وقوله ﴿نتلوا عليك من[1] نبأ موسى وفرعون بالحق﴾ أي نقرأ قاصين عليك أيها الرسول شيئاً من نبأ موسى وفرعون أي من خبر موسى[2] وفرعون وقوله ﴿لقوم يؤمنون[3]﴾ باعتبارهم أنهم هم الذين ينتفعون بها يسمعون في حياتهم ولأنهم في ظرف صعب يحتاجون معه إلى سماع مثل هذا القصص ليثبتوا على إيمانهم حتى ينصرهم الله كما نصر الذين من قبلهم بعد ضعف كان أشد من ضعفهم وقوله تعالى: ﴿إن فرعون. . ﴾ إلى آخر الآية هذا بيان لما أخبر أنه يقصه للمؤمنين، يخبر تعالى فيقول:

﴿إن فرعون. . . ﴾ إلى آخر الآية إن فرعون الحاكم المصري المسمى بالوليد بن الريان الطاغية المدعى الربوبية والألوهية ﴿علا في الأرض﴾ أي أرض البلاد المصرية ومعنى علا طغى وتكبر وتسلط[4] وقوله ﴿وجعل أهلها﴾ أي أهل تلك البلاد المصرية ﴿شيعاً﴾ أي طوائف فرق بينها إبقاء على ملكه على قاعدة فَرِّقْ تَسُدْ المذهب السياسي القائم الآن في بلاد الكفر والظلم وقوله ﴿يستضعف طائفة﴾ من تلك الطوائف وهي طائفة بني إسرائيل وكيفية استضعافهم أنه يذبح أبناءهم ساعة ولادتهم ﴿ويستحي نساءهم﴾ أي بناتهم ليكبرن للخدمة وتذبيح الأولاد سببه ان كهانه وسياسِييه أعلموه أن ملكه مهدد بوجود بني إسرائيل أقوياء كثر في البلاد فاستعمل طريقة تقليلهم والحد من كثرتهم بذبح الأولاد الذكور منهم وإبقاء الإناث منهم وهي سياسة تشبه تحديد النسل اليوم التي يستعملها الهالكون اليوم وهم لايشعرون.

وقوله ﴿إنه كان من المفسدين﴾ هذا تعليل لعلو فرعون وطغيانه فذكر أن سبب ذلك الذي يرتكبه من السياسة العمياء الظالمة أنه ﴿من المفسدين﴾ أي في الأرض بارتكاب الجرائم العظام التي لاتوصف.

وقوله تعالى ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة﴾ أي ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون﴾ أي من بعض خبرهما أنا نريد أي أردنا أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض أرض مصر وهم بنو إسرائيل، نَمُنُّ عليهم بإيمانهم وتخليصهم من حكم فرعون وتسلطه ونجعلهم قادةً في الخير ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لحكم البلاد وسياستها بعد إهلاك فرعون وجنوده وهو معنى قوله:

---

(١) مفعول (نتلوا) محذوف تقديره نتلوا عليك كلاماً من نبأ موسى.

(٢) وقارون أيضاً حيث ذكر خبره في آخر هذه السورة.

(٣) اللام في (القوم) للتعليل أي: نتلو عليك لأجل قوم يؤمنون.

(٤) وحسبه أن ادعي الألوهية والربوبية وأنه ابن الشمس.

﴿ونمكن لهم في الأرض[1]﴾. وقوله ﴿ونري[2] فرعون﴾ أي من جملة مانتلو عليك أنا أردنا أن ﴿نري فرعون وهامان وجنودهما منهم[3]﴾ أي من بني إسرائيل ماكانوا يحذرونه من مولود يولد في بني إسرائيل فيذهب بملك فرعون وذلك بما سيذكر تعالى من أسباب وترتيبات هي عجب!

تبتدىء من قوله تعالى ﴿وأوحينا إلى أم موسى..﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير إعجاز القرآن الذي هو آية أنه كتاب الله حقاً.

٢ ـ تقرير النبوة المحمدية بهذا الوحي الالهي.

٣ ـ التحذير من الظلم والاستطالة على الناس والفساد في الأرض.

٤ ـ المؤمنون هم الذين ينتفعون بما يتلى عليهم لحياة قلوبهم.

٥ ـ تقرير قاعدة لاحذر مع القدر.

٦ ـ تحريم تحديد النسل بإلزام المواطن بان لا يزيد على عدد معين من الأطفال.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى
وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ

(١) المراد من الأرض أرض الشام حيث ورّثهم أرض الكنعانيين وهم الذين كانوا يعرفون بالجبابرة. أما أرض مصر فإن بني اسرائيل لم يرجعوا إليها بعد أن خرجوا منها هكذا يرى بعضهم وأكثر المفسرين أنّ بني اسرائيل عادوا إلى أرض مصر وملكوها وسادوا أهلها، والله أعلم.

(٢) قرأ الجمهور (ونرى) بنون العظمة والتكلم، وقرأ بعضٌ (ويرى) بياء الغيبة أي: ويرى فرعون وجنوده.

(٣) الجنود: جمع جند، والجند لفظ دال على جمع ولا واحد لهُ ومعناه: الجماعة من الناس تجتمع على أمر تتبعه.

أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصۡبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن
رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتۡ
لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

وأوحينا إلى أم موسى : أعلمناها أن ترضع ولدها الرضعات الأولى التي لابد منها ثم تضعه في تابوت ثم تلقيه في اليم.

في اليم : أي في البحر وهو نهر النيل.

ولاتخافي ولاتحزني : أي لاتخافي أن يهلك ولا تحزني على فراقه، إنا رادوه إليك.

فالتقطه آل فرعون : أي أعوانه ورجاله.

ليكون لهم عدواً وحزناً : أي في عاقبة الأمر، فاللام للعاقبة والصيرورة.

قرة عين لي ولك : أي تقربه عيني وعينك فنفرح به ونُسَرْ.

وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً : أي من كل شيء إلا منه عليه السلام أي لاتفكر فى شيء إلا فيه.

إن كادت لتبدي به : أي قاربت بأن تصرخ أنه ولدها وتظهر ذلك.

وقالت لأخته قصيه : أي اتبعي أثره حتى تعرفي أين هو.

فبصرت به عن جنب : أي لاحظته وهي مختفيه تتبعه من مكان بعيد.

معنى الآيات :

هذه بداية قصة موسى مع فرعون وهو طفل رضيع إلى نهاية هلاك فرعون في ظرف طويل بلغ عشرات السنين. بدأ تعالى بقوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى[1]﴾ أي أعلمناها من طريق الإلقاء في القلب ﴿أن أرضعيه فإذا خفت عليه﴾ آل فرعون الذين يقتلون مواليد بني إسرائيل الذكور في هذه السنة ﴿فألقيه في اليم﴾ أي بعد أن تجعليه في تابوت أي صندوق

---

(١) اختلف هل كان هذا الوحي إلهاماً أو كان مناماً أو أتاها ملك؟ والأقرب أنها أتاها ملك مع الإجماع أنها لم تكن نبيّة وإنما أرسل إليها الملك فكلمها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في حديث الصحيحين، ولم يعرف لها اسم على الصحيح، وقال السهيلي اسمها يارخت.

خشب مطلي بالقار، ﴿ولا تخافي﴾ عليه الهلاك ﴿ولا تحزني﴾ على فراقك له[1]﴿إنا رادوه إليك﴾ لترضعيه ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ ونرسله إلى عدوكم فرعون وملائه. قال تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ أي فعلت ما أمرها الله تعالى به بأن جعلته في تابوت وألقته في اليم أي النيل ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ حيث وجدوه لقطة فأخذوه وأعطوه لآسية بنت مزاحم عليها السلام امرأة فرعون. وقوله تعالى: ﴿ليكون لهم[2] عدواً وحزناً﴾ هذا باعتبار مايؤول إليه الأمر فهم ما التقطوه لذلك ولكن شاء الله ذلك فكان لهم ﴿عدُواً وحزناً﴾[3] فعاداهم وأحزنهم.

وقوله تعالى: ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أي آثمين بالكفر والظلم ولذا يكون موسى لهم عدواً وحزناً. وقوله تعالى: ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ قالت هذا حين هم فرعون بقتله لما نتف موسى لحيته وهو رضيع تعلق به فأخذ شعرات من لحيته فتشاءم فرعون وأمر بقتله فاعتذرت آسية له فقالت هو ﴿قرة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا وقولها «عسىٰ أن ينفعنا» في حياتنا بالخدمة ونحوها «أو نتخذه ولداً» وذلك بالتبني وهذا الذي حصل، فكان موسى إلى الثلاثين من عمره يعرف بإبن فرعون وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي بما سيكون من أمره وأن هلاك فرعون وجنوده سيكون على يده.

وقوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ أي من أي شيء إلا من موسى وذلك بعد أن ألقته في اليم.

وقوله ﴿إن كادت لتبدي به﴾ أي لتصرخ بأنه ولدها وتُظهر ذلك من شدة الحزن لكن الله تعالى ربط على قلبها فصبرت لتكون بذلك من المؤمنين بوعد الله تعالى لها بأن يرده إليها ويجعله من المرسلين.

وقوله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصّيه﴾[4] أي تتبعي أثره وذلك عندما ألقته في اليم وقوله

---

(١) حكى الأصمعي أنه سمع جارية اعرابية تنشد وتقول:

استغفر الله لذنبي كله ... قَبّلتُ إنساناً بغير حِلّه
مثل الغزال ناعماً في دلّه ... فانتصف الليل ولم أصله

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أو يُعدّ هذا فصاحة مع قوله تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى) إلى (إنا رادوه إليك) أي: جمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

(٢) هذه اللام تسمى لام العاقبة والصيرورة على حد قول الشاعر:

وللمنايا تُربى كل مرضعة ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

(٣) الْحَزَن: محرّك الوسط كالحزن بإسكانها وضم الحاء مثل الرَشد والرُشْد والعَدَم والعُدْم والسَقَم والسُقْم لغات.

(٤) اسمها مريم بنت عمران فاتحدت معها مريم أم عيسى في اسمها واسم أبيها عليهم السلام وقيل اسمها كندم في رواية مرفوعة ضعيفة.

﴿فبصرت به عن جنب﴾[1] أي رأته من بُعد فكانت تمشي على شاطىء النهر وتلاحقه النظر من بعد حتى رأته انتهى إلى فرع الماء الذى دخل إلى قصر فرعون فعلمت أنه قد دخل القصر. وقوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي لا يشعرون أنها أخته لما كانت تلاحقه النظر وتتعرف إليه من بعد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان تدبير الله تعالى لأولياء وصالحي عباده وتجلى ذلك فى الوحي إلى أم موسى بارضاعه وإلقائه في البحر والتقاط آل فرعون له ليتربى في بيت الملك عزيزاً مكرماً.

٢ ـ بيان سوء الخطيئة وآثارها السيئة وعواقبها المدمرة وتجلى ذلك فيما حل بفرعون وهامان وجنودهما.

٣ ـ فضيلة الرجاء تجلت فى قول آسية «قرة عين لي ولك» فقال فرعون: أمَّالي فلا. فكان موسى قرة عين لآسية ولم يكن لفرعون.

٤ ـ بيان عاطفة الأمومة حيث أصبح فؤاد أم موسى فارغاً إلا من موسى.

٥ ـ بيان عناية الله بأوليائه حيث ربط على قلب أم موسى فصبرت ولم تبده لهم وتقول هو ولدي ليمضي وعد الله تعالى كما أخبرها. والحمد له رب العالمين.

۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾
وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ

(١) (عن جنب) أي: من مكان جنب أي: جانب وناحية قال قتادة: تنظر إليه بناحية كأنها لا تريده.

فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ
فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ
(١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٦)

شرح الكلمات :

وحرمنا عليه المراضع	: أي منعناه من قبول ثدى أيّة مرضعة .
من قبل	: أي من قبل رده إلى أمه .
فقالت هل أدلكم على	: أي قالت أخت موسى .
أهل بيت يكفلونه لكم	: يضمونه إليهم ، يرضعونه ويربونه لكم .
وهم له ناصحون	: أي لموسى ناصحون ، فلما قالوا لها إذاً كنت أنت تعرفينه ، قالت لا ، إنما أعني أنهم ناصحون للملك لا للولد .
فرددناه إلى أمه	: أي رددنا موسى إلى أمه أي قبلوا اقتراح أخته .
ولتعلم أن وعد الله حق	: إذ أوحى إليها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين .
ولكن أكثرهم لايعلمون	: أي أكثر الناس لايعلمون وعد الله لأم موسى ولايعلمون أن الفتاة أخته وأن أمها أمه .
ولما بلغ أشده واستوى	: أي ثلاثين سنة من عمره فانتهى شبابه وكمل عقله .
آتيناه حكمًا وعلمًا	: أي وهبناه الحكمة من القول والعمل والعلم بالدين الإسلامى الذي كان عليه بنو إسرائيل وهذا قبل أن ينبأ ويرسل .
ودخل المدينة	: مدينة فرعون وهي مُنْفُ بعد أن غاب عنها مدة .
على حين غفلة من أهلها	: لأن الوقت كان وقت القيلولة .
هذا من شيعته	: أي على دينه الإسلامى .
وهذا من عدوه	: على دين فرعون والأقباط .
فوكزه موسى فقضى عليه	: أي ضربه بجمع كفه فقضى عليه أيْ قتله
هذا من عمل الشيطان	: أي هذا الفعل من عمل الشيطان لأنه المهيج غضبي .
إنه عدو مضل مبين	: أي الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن الهدى، مبين ظاهر الإضلال.

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص موسى مع فرعون : إنه بعد أن التقط آل فرعون موسى من النيل وهو رضيع قدموا له المراضع فرفضهن مرضعة بعد أخرى، فاحْتار آل فرعون لحبهم لموسى لأن الله تعالى ألقى عليه محبة منه فما رآه أحد إلا أحبه وهذا معنى قوله تعالى في الآية (١٢) ﴿وحرمنا[1] عليه المراضع من قبل﴾ أي قبل رده إلى أمه. وقوله : ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ هذه أخته وقد أمرتها أمها أن تقص آثار موسى وتتبع أخباره فلما علمت أن أخاها لم يقبل المراضع وأن القصر في قلق من جراء عدم رضاع موسى تقدمت وقالت ما أخبر الله تعالى به عنها في قوله : ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ ويرضعونه ويحفظونه حتى تنتهي مدة رضاعته ﴿وهم له ناصحون[2]﴾ وهنا ارتابوا في أمرها واستنطقوها واتهموها بأنها تعرفه فقالت : لا أعرفه، إنما عنيت ﴿وهم له ناصحون﴾ أن أهل هذا البيت ناصحون للملك وهنا استجابوا لها فأتت به أمه فما إن رآها حتى رمى نفسه عليها وأخذ ثديها يمتصه فقالو لها : ماسر قبوله هذه المرأة فأجابت: بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذنوا لها في إرضاعه في بيتها فعادت به وهو معنى قوله تعالى ﴿فرددناه[3] إلى أمه كي تقر عينها﴾ أي تفرح وتسر ولاتحزن على فراقه، ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ إذ وعدها بأنه راده إليها. وقوله تعالى : ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ أي ولكن أكثر الناس لايعلمون أنها أمه ولا أن الله وعدها بأن يرده إليها. وقوله تعالى : ﴿ولما بلغ﴾ أي موسى ﴿أشده[4]﴾ أي اكتمال شبابه وهو ثلاثين سنة. ﴿آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ أي حكمة وهي الإصابة في الأمور ﴿وعلمًا﴾ فقهاً في الدين الإسلامي الذي كان عليه بنو إسرائيل. وقوله تعالى ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ أي كما جزينا[5] أم موسى وولدها موسى نجزي المحسنين وقوله

---

(١) هذا التحريم ليس التحريم الشرعي وإنما هو بمعنى المنع فقط لعدم تكليف الطفل وشاهده قول امرىء القيس:

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري إني امرؤ صرعي عليك حرام

والمراضع: جمع مرضع بدون تاء إذ ليس في الذكور من يرضع فيفرّق بينهما بالتاء.

(٢) الجملة في محل نصب حالية.

(٣) الفاء للعطف والتفريع، إذ قوله تعالى: (فرددناه إلى أمه) متفرع من قوله (هل أدلكم على أهل بيت) إلى قوله (ناصحون).

(٤) قال مالك وربيعة شيخه: الأشد: الحلم لقوله تعالى: (حتى إذا بلغوا النكاح) وهو أوّل الأشد وأقصاه أربع وثلاثون سنة. واستوى: أي: بلغ أربعين سنة.

(٥) جزاها على استسلامها لأمر ربها وصبرها على فراق ولدها إذ ألقته في اليم وعلى تصديقها بوعد ربها، ومما جزاها به رده ولدها إليها مصحوبــاً بالتحف والطرف وهي آمنة ووهب ولدها الحكمة والعلم والنبوة.

تعالى : ﴿ودخل المدينة﴾ أي موسى دخل مدينة مُنْفُ[1] التي هي مدينة فرعون وكان غائباً فترة. ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ لأن الوقت كان وقت القيلولة. ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ على دين موسى وبني إسرائيل وهو الإسلام ﴿وهذا من عدوه﴾ لأنه على دين فرعون والأقباط وهو الكفر. ﴿فاستغاثه الذى من شيعته﴾ أي طلب غوثه على الذي من عدوه ﴿فوكزه موسى﴾ أي ضربه بجمع كفه ﴿فقضى عليه﴾ أي فقتله ودفنه في الرمال. وقوله تعالى : ﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ أي هذا قول موسى عليه السلام اعترف بأن ضربه القبطى كان من تهيج الشيطان لغضبه فقال : ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدو﴾ للانسان ﴿مضل﴾ له عن طريق الخير والهدى ﴿مبين﴾ أي ظاهر العداوة للإنسان والإضلال.

وقوله تعالى : ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ أي دعا موسى ربه معترفاً بخطإه أولاً فقال : ﴿رب﴾ أي يارب ﴿إني ظلمت نفسي﴾ أي بقتلي القبطي ﴿فاغفر لي﴾ هذا الخطأ، فاستجاب الله تعالى وغفر له، إنه تعالى هو الغفور لذنوب عباده التائبين له الرحيم بهم فلا يعذبهم بذنب تابوا منه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان حسن تدبير الله تعالى فى منع موسى من سائر المرضعات حتى يرده إلى أمه.

٢ ـ بيان حسن رد الفتاة على التهمة التي وجهت إليها وذلك من ولاية الله لها وتوفيقه.

٣ ـ تقرير أن وعد الله حق، وأنه تعالى لايخلف الوعد ولا الميعاد.

٤ ـ بيان إنعام الله على موسى بالحكمة والعلم قبل النبوة والرسالة.

٥ ـ مشروعية إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم[2].

٦ ـ وجوب التوبة بعد الوقوع في الزلل، وأول التوبة الاعتراف بالذنب.

---

(١) وقيل : منفيس : قاعدة مصر الشمالية، وقوله : (ودخل المدينة) هذا عطف جزء القصة على جزئها السابق وهو من قوله : (وأوحينا إلى أم موسى) وأين كان موسى؟ قطعاً كان غائباً عن المدينة لأمر من الأمور اقتضى غيابه.

(٢) لأن نصر المظلوم دِين في الملل كلّها، وفرض في جميع الشرائع.

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ
أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

بما أنعمت علي : بإنعامك علي بمغفرة ذنبي .

فلن أكون ظهيراً للمجرمين : أي معيناً لأهل الإجرام .

خائفاً يترقب : ماذا يحدث من خير أو غيره بعد القتل .

استنصره بالأمس : أي طلب نصرته فنصره .

يستصرخه : أي يستغيث به على قبطي آخر .

إنك لغوي مبين : أي لذو غواية وضلال ظاهر .

أن يبطش بالذي هو عدو لهما : أي أن يأخذ الذي هو عدو لموسى والقبطي معاً .

إن تريد إلا أن تكون جباراً : أي ماتريد إلا أن تكون جباراً تضرب وتقتل ولاتبالي بالعواقب .

من المصلحين : أي الذين يصلحون بين الناس إذا اختلفوا أوتخاصموا .

وجاء رجل من أقصى المدينة : أي مؤمن آل فرعون أتى من أبعد نواحي المدينه.
إن الملأ يأتمرون بك : أي يتشاورون ويطلب بعضهم أمر بعض ليقتلوك.
فاخرج إني لك من الناصحين : أي اخرج من هذه البلاد إلى أخرى.
فخرج منها خائفاً يترقب : خائف من القتل يترقب مايحدث له.

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآية قبل هذه أن موسى عليه السلام قد قتل قبطياً بطريق الخطأ وأنه اعترف لربه تعالى بخطإه واستغفره، وأن الله تعالى غفر له وأعلمه بذلك بما شاء من[1] وسائط، ولما علم موسى بمغفرة الله تعالى له عاهده بأن لايكون ﴿ظهيراً للمجرمين﴾ مستقبلاً ومن ذلك أن يعتزل فرعون وملائه لأنهم ظالمون مجرمون فقال :

﴿رب بما أنعمت علي﴾ أي بمغفرتك لي خطإي[2] وذلك بالنظر إلى إنعامك علي بالمغفرة أعاهدك أن لا أكون ﴿ظهيراً للمجرمين﴾[3] هذا مادلت عليه الآية (١٧) أي الأولى في هذا السياق وهي قوله تعالى : ﴿قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ وقوله تعالى : ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقب﴾ أي فأصبح موسى في مدينة (مُنْفُ) عاصمة المملكة الفرعونية «خائفاً» مما قد يترتب على قتله القبطي «يترقب» الأحداث ماذا تسفر عنه؟ فإذا الذي يستنصره بالأمس وهو الإسرائيلي الذي طلب نصرته أمس ﴿يستصرخه﴾ أي يستغيثه بأعلى صوته فنظر إليه موسى وأقبل عليه ليخلصه قائلاً : ﴿إنك لغوي مبين﴾ أي لذو غواية بينة والغواية الفساد في الخلق والدين لأنك أمس قاتلت واليوم تقاتل أيضاً. ﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾ أي موسى ﴿بالذي هو عدو لهما﴾ وهو القبطي قال الإسرائيلي ﴿أتريد

---

(١) يرى بعضهم أن موسى لم يعلم بمغفرة الله تعالى له لأنه لم يكن قد نُبّيء بعد وجعل جملة (فغفر له) معترضة وقوله: (بما أنعمت عليَّ) بالهداية والحكمة والعلم لا بالمغفرة لأنه لم يعلم بها. وما في التفسير أظهر وأولى بالسياق.

(٢) إنّ قتل موسى للقبطي كان قطعاً خطأ، روى مسلم عن سالم بن عبدالله أنه قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة لما سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الفتنة تجيء من ها هنا ـ و أومأ بيده نحو المشرق ـ من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم بعضكم يضرب رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عز وجل: (وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا).

(٣) قال ابن عباس: لم يستثن فابتلى من ثاني يوم. هذا إن قلنا: إن كلامه كان خبراً لَادُعَاءً إذ الدعاء لا يجوز الاستثناء فيه لا يقال: ارحمني إن شئت.

أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ أي تضرب وتقتل كما تشاء ولاتخاف عقوبة ذلك ﴿وماتريد أن تكون من المصلحين﴾ الذين يصلحون بين المتخاصمين قال الإسرائيلي هذا لأنه جبان وخاف من هجمة موسى ظاناً أنه يريده هو لما قدم له من القول ﴿إنك لغوي مبين﴾ فلما سمع القبطي ماقال مقاتله الإسرائيلي نقلها إلى القصر وكان من عماله فاجتمع رجال القصر برئاسة فرعون يتداولون القضية وينظرون إلى ظروفها ونتائجها ومايترتب عليها وكان من جملة رجال المؤتمر مؤمن آل فرعون (حزقيل)[1] وكان مؤمناً يكتم إيمانه فأتى موسى سراً ليخبره بما يتم حياله وينصح له بالخروج من البلاد وهو ماجاء في قوله تعالى في الآية (٢٠) من هذا السياق ﴿وجاء رجل من أقصا المدينة﴾ من أبعدها فان قصر الملك كان في طرف المدينة وهي مدينة فرعون (مُنْفُ) ﴿يسعى﴾ فمشي بسرعة وجد وانتهى إلى موسى فقال ﴿ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾ قال تعالى : ﴿فخرج منها﴾ أي من بلاد فرعون ﴿خائفاً يترقب﴾ خائفاً من القتل يترقب الطلب وماذا سيحدث له من نجاة أو خلافه ودعا ربه عز وجل قائلا :

﴿رب نجني من القوم الظالمين﴾ أي من فرعون وملائه أولاً ومن كل ظالم ثانياً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ شكر النعم، فموسى لما غفر الله تعالى له شكره بأن تعهد له أن لايقف إلى جنب مجرم[2] أبداً.

٢ ـ سوء صحبة الأحمق الغوى فإن الإسرائيلي لغوايته وحمقه هو الذي سبب متاعب موسى.

٣ ـ لزوم إبلاغ الدولة عن أهل الفساد والشر في البلاد لحمايتها.

٤ ـ وجوب النصح وبذل النصيحة فمؤمن آل فرعون يعلم سلامة موسى من العيب ومن الجريمة فتعين له أن ينصح موسى بمغادرة البلاد لينجو إن شاء الله وليس هذا من باب خيانة البلاد والدولة، لأن موسى من أهل الكمال وماحدث عنه كان من باب الخطأ فرفده ومد إليه اليد إنقاذاً من موت متعين.

---

(١) وقيل : اسمه شمعان، وقال الدارقطني : لا يعرف شمعان بالشين إلاّ مؤمن آل فرعون، قال الثعلبي : كان ابن عم فرعون.

(٢) روي عن عطاء، قيل له: إنّ أخاً لي يأخذ بقلمه وإنما يحسب ما يدخل وما يخرج وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وأدّان فقال: من الرأس؟ قال: خالد بن عبدالله القسري: قال: أما تقرأ ما قال العبد الصالح : (ربِّ بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) وقال عطاء: فلا يحل لأحد أن يعين ظالماً ولا يكتب له ولا يصحبه، وإنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معيناً للظالمين، وفي الحديث: (ينادي منادٍ يوم القيامة : أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم) لا ق الدواة: أصلحها.

٥ ـ الخوف الطبيعي لا يلام عليه فموسى عليه السلام قد خاف[1] خوفاً أدى به إلى الالتجاء
إلى ربه بالدعاء فدعاه واستجاب له ولله الحمد والمنة .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ

شرح الكلمات :

ولما توجه تلقاء مدين	: أقبل بوجهه جهة مدين التي هي مدينة شعيب .
عسى ربي أن يهديني سواء السبيل	: أرجو ربي أن يهدني وسط الطريق حتى لا أضل فأهلك فاستجاب الله له وهداه إلى سواء السبيل ووصل مدين .
ولما ورد ماء مدين	: انتهى إلى بئر يسقى منها أهل مدين .
يسقون	: أي مواشيهم من بقر وابل وغنم .
تذودان	: أي أغنامهما منعاً لهما من الماء حتى تخلو الساحة لهما خوف الاختلاط بالرجال الأجانب لغير ضرورة .
قال ماخطبكما	: قال موسى للمرأتين اللتين تذودان ماخطبكما أي ماشأنكما .

(١) من قوله : (فأصبح في المدينة خائفاً يترقب) .

حتى يصدر الرعاء : لانسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء ويبقى لنا الماء وحدنا.

ثم تولى إلى الظل : أي بعد أن سقى لهما رجع إلى ظل الشجرة التي كان جالساً تحتها.

لما أنزلت إلي من خير فقير[1] : أي من طعام محتاج إليه لشدة جوعه عليه السلام.

تمشي على استحياء : أي واضعة كم درعها على وجهها حياء منه.

معنى الآيات :

مازال لسياق في شأن موسى عليه السلام بعد حادثة القتل والنصح له بمغادرة بلاد مصر إلى بلاد مدين[2] مدينة شعيب عليه السلام قال تعالى مخبراً عنه : ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي ولما توجه موسى عملاً بنصيحة مؤمن آل فرعون تلقاء مدين أي نحوها وجهتها ولم يكن له علم بالطريق الصحراوي والمسافة مسيرة ثمانية أيام قال : ﴿عسى أن يهدني[3] ربي سواء السبيل﴾ أي ترجّى ربه سبحانه وتعالى أن يهديه الطريق السوي حتى لا يضل فيهلك، واستجاب الله له فهداه الطريق حتى وصل إلى بلاد مدين وقوله تعالى في الآية الثانية من هذا السياق (٢٣) ﴿ولماورد ماء مدين﴾ أي وحين ورد[4] ماء مدين وهو بئر يسقي منها الناس مواشيهم ﴿وجد عليه﴾ أي على الماء ﴿أمة من الناس﴾ أي جماعة كبيرة يسقون أنعامهم ومواشيهم ﴿ووجد من دونهم آمرأتين﴾ وهما بنتا شعيب عليه السلام ﴿تذودان﴾ أي تمنعان ماشيتهما من الاختلاط بمواشي الناس. فسألهما لا تطفلاً وإنما حالهما دعاه إلى سؤالهما لأنه رأى الناس يسقون مواشيهما ويصدرون فوجاً بعد فوج والمرأتان قائمتان على ماشيتهما تذودانها عن الحوض حتى لا تختلط ولا تشرب فسألهما لذلك قائلاً : ﴿ماخطبكما﴾ أي ماشأنكما فأجابتاه قائلتين : ﴿لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾ لضعفنا وعدم رغبتنا في الاختلاط بالرجال ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لا يقوي على سقي هذه الماشية بنفسه فنحن نسقيها ولكن بعد أن يصدر الرعاء ويبقى في الحوض ماء

---

(١) من طعام تفسير لقوله من خير، ومحتاج تفسير لقوله : (فقير).

(٢) لأنّ بها العبد الصالح شعيب، وقيل: لأجل النسب الذي بينه وبينهم لأن مدين من ولد ابراهيم، وموسى من ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم.

(٣) روي أن الله تعالى بعث إليه ملكاً راكباً فرسا فقال: اتبعني فاتبعه فهداه إلى الطريق وكان ملك مدين لغير فرعون.

(٤) أي: بلغها ووصل إليها ومنه قول زهير:

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيّم

نسقي به، فلما علم عذرهما سقى لهما ماشيتهما ﴿ثم تولى إلى الظل﴾ الذي كان جالساً تحته وهو ظل شجرة وهو شجر صحراوي معروف يقال له السمر، ولما تولى إلى الظل سأل ربه الطعام لشدة جوعه إذ خرج من مصر بلا زاد ولا دليل ولولا حسن ظنه في ربه[1] لما خرج هذا الخروج فقال: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير﴾ أي[2] طعام ﴿فقير﴾ أي محتاج إليه أشد الاحتياج. وفي أقرب ساعة وصلت البنتان إلى والدهما فسألهما عن سبب عودتهما بسرعة فأخبرتاه، فقال لإحداهما إذهبي إليه وقولي له ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا﴾ وهو معنى قوله تعالى ﴿فجاءته إحداهما﴾ استجابة الله له ﴿تمشي على استحياء﴾ واضعة كم درعها على وجهها حياء. وقد قال فيها عمر رضي الله عنه إنها ليست سلفعاً[3] من النساء خرّاجة ولاّجة، وبلغت الرسالة المختصرة وكأنها برقيه ونصها ما أخبر تعالى به فى قوله: ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا﴾!! وقد ورد أنها لما كانت تمشي أمامه تدله على الطريق هبت الريح فكشفت ساقيها قال لها موسى: إمشي ورائي ودليني على الطريق بحصى ترميها نحو الطريق وهذا الذي دلها على أمانته لما وصفته لأبيها بأنه ﴿قوي أمين﴾ كما سيأتي فيما بعد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب حسن الظن بالله تعالى وقوة الرجاء فيه عز وجل والتوكل عليه

٢ ـ بيان فضل الحياء وشرف المؤمنات اللائي يتعففن عن الاختلاط بالرجال.

٣ ـ بيان مروءة موسى فى سقيه للمرأتين.

٤ ـ فضل الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه.

٥ ـ ستر الوجه عن الأجانب سنة المؤمنات من عهد قديم وليس كما يقول المبطلون هو عادة جاهلية، فبنتا شعيب نشأتا فى دار النبوة والطهر والعفاف وغطت إحداهما وجهها عن موسى حياءً وتقوى.

فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا

---

(١) وتوكله على ربه عز وجل.

(٢) لفظ الخير يطلق عدة إطلاقات فقد أطلق على الطعام كما هنا وأطلق على العبادة كما في قوله: (فعل الخيرات) وعلى القوة في قوله: (أهُم خير أم قوم تُبّع) وعلى المال في قوله: (وإنه لحبّ الخير لشديد).

(٣) السلفع من النساء: الجريئة على الرجال.

يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

وقص عليه القصص	: أخبره بشأنه كله من قتله القبطي وطلب السلطة له ونصح المؤمن له بمغادرة البلاد ووصوله إلى ماء مدين .
لاتخف نجوت من القوم الظالمين	: أي من فرعون وملئه إذ لاسلطان لهم على بلاد مدين .
يا أبت استأجره	: أي اتخذه أجيراً يرعى لنا الغنم بدلنا .
القوي الأمين	: ذكرت له كفاءته وهي القوة البدنية والأمانة .
على أن تأجرني	: أي تكون أجيراً لي في رعي غنمي .
ثماني حجج	: أي ثماني سنوات إذ الحجة عام والجمع حجج .
فإن أتممت عشراً فمن عندك	: أي جعلت الثمانية عشراً فرغبت عشراً فهذا من كرمك .
قال ستجدني إن شاء الله من الصالحين	: أي الذين يوفون ولاينقضون ولاينقصون .
ذلك بيني وبينك	: أنا أفي بشرطي وأنت تفي بشرطك .
أيما الأجلين قضيت	: أي الأجلين الثمانية أو العشرة أتممت .
فلا عدوان علي	: وذلك بطلب الزيادة فوق الثمانية أو فوق العشرة .

والله على مانقول وكيل : أي وكيل وحفيظ أي أشهد الله على العقد بشطريه أي النكاح ورعي الغنم وبذلك تم العقد.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ما تم بين موسى وابنتي شعيب من السقي لهما ومجيء إحداهما تبلغه رسالة والدها ومشيه معها وقوله تعالى ﴿فلما جاءه﴾ أي جاء موسى شعيباً ﴿وقص عليه القصص[١]﴾ أي أخبره بشأنه كله من قتله القبطي خطأ وطلب السلطات له ونصح مؤمن آل فرعون له بالخروج من البلاد، ووصوله إلى ماء مدين قال له شعيب عندئذ ﴿لاتخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يعني فرعون وحكومته وهذا مايعرف الآن باللجوء السياسى فأمنه على نفسه لأن فرعون لا سلطان له على[٢] هذه البلاد.

وقال له شعيب: اجلس تعش معنا فقال موسى أخاف أن يكون عوضاً عما سقيت لابنتيك ماشيتهما وإني لمن أهل بيت لايطلبون على عمل الخير عوضاً فقال له شعيب لا ليس هذا بأجر على سقيك وإنما عادتنا أن نقري الضيف ونطعم الطعام فأكل ولم ير بذلك بأساً. وقوله تعالى ﴿قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ يروى أنها لما قالت ﴿إن خير[٣] من استأجرت القوي الأمين﴾ أثارت حفيظته بهذه الكلمة فسألها: كيف علمت ذلك فذكرت له عن القوة فى سقيه[٤] لهما وعن الأمانة في غض بصره عن النظر إليها، فصدقها شعيب وقال لموسى : ﴿إني أريد أن أنكحك﴾ أي أزوجك ﴿إحدى ابنتي هاتين[٥]﴾ ﴿على أن تأجرني ثماني[٦] حجج﴾ أي سنين جمع حجة وهي السَّنَهْ[٧] وقوله ﴿فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾ أي احساناً منك وكرماً، ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ بطلب العشرة

---

(١) التعريف في : (القصص) عوضاً عن المضاف إليه أو هي للعهد أي: القصص المذكور آنفاً.

(٢) إذا السلطان للكنعانيين وهم أهل بأس وشدة ونجدة.

(٣) الجملة تعليلية لجملة الإشارة عليه بالاستئجار.

(٤) قال بعض أهل العلم: وصفته بالقوة لأنه زاحم الرعاء وغلبهم وهم يزدحمون على الماء حتى سقى، وقيل: كانت على البئر صخرة لا يرفعها إلّا العدد من الناس فرفعها موسى وحده.

(٥) الإشارة إلى المرأتين اللتين سقى لهما سواء كانتا حاضرتين في المجلس أو في ذهن موسى.

(٦) هذا جمع عقد النكاح مع عقد الإجارة. والمشهور عند الفقهاء أنّ الشرط المقارن لعقد النكاح إن كان مما ينافي عقد النكاح فهو باطل ويفسخ النكاح قبل البناء ويثبت بعده ويلغى الشرط المنافي للنكاح، وأما الشرط غير المنافي للنكاح فهو جائز ولا حرج فيه لقوله ﷺ في الصحيح: (أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج).

(٧) مشتقة من اسم الحج، لأن الحج يقع كل سنة، وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة.

﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ أي الذين يوفون بعهودهم فقال موسى رداً على كلامه ﴿ذلك بيني وبينك﴾ أنا عليَّ أن أفي بما اشترطت عليَّ وأنت عليك أن تفي بما اشترطت لي على نفسك ﴿أيما الأجلين[1]﴾ الثمانية أو العشرة ﴿قضيت﴾ أي وفيت وأديت ﴿فلا عدوان عليّ﴾ أي بطلب الزيادة على الثمانية ولا على العشرة. فقال شعيب: نعم ﴿والله على مانقول وكيل﴾ فأشهد الله تعالى على صحة[2] العقد وبذلك أصبح موسى زوجاً لابنة شعيب التي عيّنها له والغالب أنها الكبرى التي شهدت له بالأمانة والقوة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تجلى كرم شعيب ومروءته وشهامته في تطمين موسى وإكرامه وإيوائه.

٢ ـ بيان أن الكفاءة شرط في العمل ولا أفضل من القوة وهي القدرة البدنية والعلمية والأمانة.

٣ ـ مشروعية عرض الرجل ابنته على من يرى صدقه وأمانته ليزوجه بها.

٤ ـ مشروعية إشهاد الله تعالى على العقود بمثل ﴿والله على مانقول وكيل﴾.

٥ ـ فضيلة موسى عليه السلام بإيجار نفسه على شبع بطنه وإحصان فرجه.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ
﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ
ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا

---

(١) (أيما) أي: اسم موصول مبهم: وهو منصوب بـ (قضيت) وزيدت بعده (ما) لتأكيد الكلام، ولتصير أيّ شبيهة باسم الشرط ولذا أجيب بجملة (فلا عدوان علي) وهي مقرونة بالفاء.

(٢) اكتفى شعيب وموسى بإشهاد الله تعالى فهل يصح في الإسلام النكاح بدون إشهاد؟ الجمهور على عدم صحته بل لابد من الإشهاد عليه وهو كذلك.

جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ
مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ
بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

قضى موسى الأجل : أتم المدة المتفق عليها وهي ثمان أو عشر سنوات.

آنس : أبصر.

أوجذوة من النار : عود غليظ في رأسه نار.

لعلكم تصطلون : أي تَسْتَدْفِئون.

نودي : أي ناداه الله تعالى بقوله ياموسى إني أنا الله رب العالمين.

في البقعة المباركة : قطعة الأرض التي عليها الشجرة الكائنة بشاطىء الوادي.

تهتز كأنها جانٌّ : تضطرب وتتحرك بسرعة كأنها حية من حيات البيوت.

ولىٰ مدبراً ولم يعقب : رجع هارباً ولم يعقب لخوفه وفزعه منها.

اسلك يدك في جيبك : أدخلها في جيب قميصك.

من غير سوء : أي عيب كبرص ونحوه.

واضمم إليك جناحك من الرهب : اضمم إليك يدك بأن تضعها على صدرك ليذهب روعك.

فذانك برهانان : أي آيتان من ربك على صدق رسالتك.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصص موسى وهو في طريقه بتدبير الله تعالى إلى مصر، إنه لما

قضى الأجل الذي تعاقد عليه مع صهره شعيب وقد أتم خير الأجلين وأوفاهما وهو العشر حجج قفل[1] ماشياً بأهله زوجته وولده في طريقه إلى مصر لزيارة والدته وإخوته حدث أن ضل الطريق ليلاً، وكان الفصل شتاء والبرد شديد فإذا به يأنس ﴿من جانب الطور﴾ أي جبل الطور ﴿ناراً﴾ فقال لأهله امكثوا هنا ﴿إني آنست﴾ أي أبصرت ﴿ناراً﴾ سأذهب إليها ﴿لعلي آتيكم منها بخبر﴾ إذ قد أجد عندها من يدلنا على الطريق أو آتيكم بجذوة[2] من النار أي خشبة في رأسها نار مشتعلة ﴿لعلكم تصطلون﴾ أي من أجل اصطلائكم بها أي استدفائكم بها، هذا مادلت عليه الآية (٢٩) وقوله تعالى في الآية الثانية ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى النار ﴿نودي﴾ أي ناداه منادٍ ﴿من[3] شاطىء الواد الأيمن[4] في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى﴾ أي ناداه ربه ﴿ياموسى إني أنا الله رب العالمين﴾ ﴿وأن ألق عصاك﴾ فألقاها فاهتزت واضطربت وتحركت بسرعة ﴿كأنها جان﴾ أي حية عظيمة من الحيات المعروفة بالجنّان ﴿ولى مدبراً ولم يعقب﴾ أي فزع منها فرجع من الفزع إلى الوراء ﴿ولم يعقب﴾ أي ولم يرجع إليها من الرعب، فقال له ربه تعالى ﴿أقبل﴾ أي على العصا ﴿ولاتخف إنك من الآمنين﴾ أي الذين آمنهم ربهم فلا يخافون شيئاً.

وقال له بعد أن رجع ﴿اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي أدخل يدك في جيب قميصك وهو الشق الذي يدخل معه الرأس في الثوب ليلبس وقوله ﴿تخرج﴾ أي اليد ﴿بيضاء﴾ كالنور ﴿من غير سوء﴾ أي برص أو نحوه ﴿واضمم إليك جناحك﴾ أي يدك مع العضد إلى صدرك ﴿من الرهب[5]﴾ أي الخوف فإن يذهب عنك بحيث تعود يدك عادية لانور فيها كما كانت من قبل إدخالها في جيبك أولاً.

ثم قال تعالى له ﴿فذانك[6]﴾ أي العصا واليد البيضاء. ﴿برهانان من ربك﴾ أي آيتان

---

(١) يقال: قفل راجعاً أي: من سفره إلى أهله: والقافلة: الجماعة العائدة من السفر: ويقال لها القافلة وهي في بدء سفرها تفاؤلا بالعودة السليمة لها وموسى عليه السلام قفل عائدا من رحلته إلى بلاده.

(٢) الجذوة مثلثة الجيم ضماً وفتحاً وكسراً: الجمرة الملتهبة، والجمع جُذاً مثلثة الجيم أيضاً.

(٣) (من) ابتدائية وكذا من الشجرة إذ من الشجرة بدل اشتمال من قوله (من شاطيء الوادي) وشاطيء الوادي وشطه جانبه، والجمع: شطآن وشواطىء.

(٤) (الأيمن) أي: عن يمين موسى، والبقعة والجمع بقع: المكان من الأرض وإن فتحت باؤها جمعت على بقاع كجفنة وجفان وأمّا بالضم فهي كغرفة وغرف، و(من الشجرة) أي: من ناحيتها، وهل الشجرة من سمر أو عليق: (عوسج) الله أعلم.

(٥) قرأ الجمهور: (الرهب) بفتح الراء والهاء وقرأ بعضٌ بضم الراء وسكون الهاء: (الرُهْب) وقرأ عاصم بفتح الراء وسكون الهاء (الرَّهب).

(٦) (فذانك) بتخفيف النون لغة قريش وبتشديدها مع مدها وتخفيفها مع مدها (فذانيك) لغة هذيل.

تدلان على رسالتك المرسل بها إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله حيث كفروا به وعبدوا غيره وظلموا عباده، لتدعوهم إلى الايمان بالله وعبادته وإرسال بني إسرائيل معك لتذهب بهم إلى أرض المعاد أي فلسطين وماحولها من أرض الشام .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ الأنبياء أوفياء فموسى قضى أوفى الأجلين وأتمهما وهو العشر.
٢ ـ مشروعية السفر بالأهل وقد يحصل للمرء أنه يضل الطريق أو يحتاج إلى شيء ويصبر.
٣ ـ فضل تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وهي من جبل الطور.
٤ ـ مشروعية حمل العصا لاسيما للمسافر وراعي ماشية أو سائقها.
٥ ـ مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله .
٦ ـ لايلام على الخوف الطبيعي .
٧ ـ آية العصا واليد .
٨ ـ من خاف، وضع يده على صدره زال خوفه إن شاء الله تعالى .
٩ ـ التنديد بالفسق وأهله .

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ

مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ
لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

إني قتلت منهم نفساً : أي نفس القبطي الذي قتله خطأ قبل هجرته من مصر.

أفصح مني لساناً : أي أبين مني قولاً.

ردءاً : أي معيناً لي.

سنشد عضدك بأخيك : أي ندعمك به ونقويك بأخيك هارون.

ونجعل لكما سلطاناً : أي حجة قوية يكون لكما بها الغَلَبُ.

فلا يصلون إليكم : أي بسوء.

بآياتنا : أي اذهبا بآياتنا.

فلما جاءهم موسى بآياتنا : أي العصا واليد وغيرهما من الآيات التسع.

بينات : أي واضحات.

سحر مفترى : أي مختلق مكذوب.

عاقبة الدار : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

إنه لايفلح الظالمون : أي المشركون الكافرون.

معنى الآيات :

لما كلف الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون وحمله رسالته إليه قال موسى كالمشترط لنفسه ﴿رب إني قتلت منهم نفساً﴾ يريد نفس القبطي الذي قتله خطأ أيام كان شاباً بمصر ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ أي يقتلوني به إن لم أبين لهم وأفهمهم حجتي ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أي أبين مني قولاً وأكثر إفهاماً لفرعون وملئه ﴿فأرسله معي ردءاً[1]﴾ أي عوناً ﴿يصدقني[2]﴾ أي يلخص قولي ويحرره لهم فيكون ذلك تصديقاً منه لي، لامجرد أني إذا قلت قال صدق موسى. وقوله ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ فيما جئتهم به. فأجابه الرب تعالى قائلاً ﴿سنشد عضدك

(١) قرأ نافع (رداً) منون غير مهموز. وقرأ حفص (ردءاً) مهموزاً.

(٢) قرأ نافع (يصدقني) بالجزم لأنه في جواب الطلب الذي هو: (فأرسله معي) وقرأ حفص بالرفع (يصدقني) على أن الجملة حال من الهاء في (أرسله).

بأخيك﴾ أي نقويك به ونعينك ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ أي برهاناً وحجة قوية يكون لكما الغلب بذلك. وقوله ﴿فلا يصلون إليكما﴾ أي بسوء أبداً وقوله ﴿بآياتنا[(١)]﴾ أي اذهبا بآياتنا أو يكون لفظ بآياتنا متصلاً بسلطاناً أي سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ وعلى هذا فلا نحتاج إلى تقدير فاذهبا وقوله تعالى ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا﴾ العصا واليد وغيرهما ﴿بينات﴾ أي واضحات ﴿قالوا ماهذا﴾ أي الذي جاء به موسى من الآيات ﴿إلا سحر مفترى[(٢)]﴾ أي مكذوب مختلق ﴿وما سمعنا بهذا﴾ أي الذي جئت به ياموسى في ﴿آبائنا الأولين﴾ أي في أيامهم وعلى عهدهم. وهنا رد موسى على فرعون بأحسن رد وهو ما أخبر تعالى به عنه بقوله: ﴿وقال موسى[(٣)] ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي من عند الرب تعالى ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي العاقبة المحمودة يوم القيامة.[(٤)] ولم يقل له اسكت ياضال ياكافر إنك من أهل النار بل تلطف معه غاية اللطف امتثالا لأمر الله تعالى في قوله ﴿وقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ وقوله ﴿إنه لايفلح الظالمون﴾ أي الكافرون والمشركون بربهم هذا من جملة قول موسى لفرعون الذي تلطف فيه وألانه غاية اللين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان أن القصاص كان معروفاً معمولاً به عند أقدم الأمم، وجاءت الحضارة الغربية فأنكرته فتجرأ الناس على سفك الدماء وإزهاق الأرواح بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية ولذلك صح أن تسمى الخسارة البشرية بدل الحضارة الغربية.

٢ ـ مشروعية طلب العون عند التكليف بما يشق ويصعب من المسؤولين المكلفين.

٣ ـ مشروعية التلطف في خطاب الجبابرة وإلانة القول لهم، بل هو مشروع مع كل من يدعى إلى الحق من أجل أن يتفهم القول ولا يُغلقْ عليه بالإغلاظ له.

---

(١) قوله تعالى: (بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) يجوز أن يكون (بآياتنا) متعلقاً بمحذوف تقديره: اذهبا بآياتنا. ويجوز أن يتعلق بنجعل لكما سلطاناً بآياتنا فتكون رهبتهم منكما آية ويجوز أن يتعلق بـ (لايصلون إليكما) أي: يصرفون عنكما صرفا بسبب آياتنا كقول الرسول ﷺ: (نصرت بالرعب مسيرة شهر) ويجوز تعليقها أيضاً بـ(الغالبون) أي: بآياتنا.

(٢) هذا شأن المحجوج المغلوب إذا أعيته الحجة يفزع إلى التلفيق والاتهامات الباطلة دفعاً للمعرة.

(٣) كان مقتضى الكلام في سياق الحوار أن يقال: قال موسى بدون واو العطف إلاّ أنه خولف هنا وأتى بالواو: (وقال موسى) وهي قراءة الجمهور والمقصود منها هو ذكر التوازن بين حجة فرعون وحجة موسى ليظهر للسامع التفاوت بينهما بخلاف لو حذفت الواو كما قرأ ابن كثير فإنها مجرد حكاية قول موسى عليه السلام فليس فيها ما يلفت النظر.

(٤) (عاقبة الدار) قد يفهم منها فرعون: ما ينتهي إليه الخصام مع موسى إذا كان لا يؤمن بالمعاد وإن كان يؤمن بالمعاد فالأمر واضح.

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ
لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا
لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي
ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا
مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات

ماعلمت لكم من إله غيري : أي ربا يطاع ويذل له ويعظم غيري لعنة الله عليه ماأكذبه.

ياهامان : أحد وزراء فرعون، لعله وزير الصناعة أو العمل والعمال

فأوقد لي ياهامان على الطين : أي اطبخ لي الآجرْ وهو اللبن المشوي.

فاجعل لي صرحاً : أي بناء عالياً، قصراً أو غيره.

لعلي أطلع إلى إله موسى : أي أقف عليه وأنظر إليه.

وإني لأظنه من الكاذبين	: أي موسى في ادعائه أن له إلهاً غيري.
فنبذناهم في اليم	: أي طرحناهم في البحر غرقى هالكين.
وجعلناهم أئمة	: أي رؤساء يُقتدى بهم في الباطل.
يدعون إلى النار	: أي إلى الكفر والشرك والمعاصي الموجبة للنار.
فى هذه الدنيا لعنة	: أي خزياً وبعداً عن الخير.
هم من المقبوحين	: أي المبعدين من كل خير المشوّهي الخلقة.
القرون الأولى	: قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم.
بصائر للناس	: أي فيه من النور مايهدي كما تهدي الأبصار.

معنى الآيات :

قولـه تعالى : ﴿وقال فرعون﴾ إن فرعون لما سمع كلام موسى عليه السلام المصدق بكلام هارون عليه السلام وكان الكلام في غاية اللين، مؤثراً خاف فرعون من الهزيمة، ناور وراوغ فقال في الحاضرين ﴿ماعلمت لكم من[1] إلَه غيري﴾ أي كما أدعى موسى ولكن سأبحث وأتعرف على الحقيقة إن كان هناك إله آخر غيري، فنادى وزيره هامان وأمره أن يعد اللبن المشوي لأنه قوي ويقوم ببناء صرح عال يصل إلى عنان السماء ليبحث بنفسه عن إله موسى إن كان حسب دعواه وإني لأظن موسى كاذباً في دعوى وجود إلَه له ولكم غيري هذا معنى قوله تعالى في الآية الأولى (٣٨) ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري فأوقد لي[2] ياهامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾.[3] يعنى في إدعائه أن هناك إلهاً آخر غيري.

قوله تعالى : ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض﴾ أي أرض مصر ﴿بغير الحق[4]﴾ الذي يحق

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين قوله: ماعلمت لكم من إله غيري وبين قوله أنا ربكم الأعلى أربعون سنة، وكذب عدو الله بل علم أن له رباً هو خالقه وخالق قومه.

(٢) كنّي عن البناء بمقدماته، وفعلا دارت رحى العمل على أشد ما تكون وفرعون يعلم أنه مجرد تمويه على العامة وشغل لأذهانهم عن معرفة الحق الذي دعا إليه موسى: وهل بني الصرح؟ روي أنّه قبل أن يتم سقط فقتل خلقاً كثيراً من العمال والبنائين، ولعل في قوله تعالى: (وما كيد فرعون إلا في تبات) من سورة المؤمن، إشارة إلى سقوطه وهلاك القائمين ببنائه.

(٣) (بغير الحق) أي: الموجب لهم الاستكبار ولا يوجد حق يوجب الاستكبار قط.

(٤) نسب موسى إلى جماعة الكذب وهو يعلم أنه صادق تمويهاً على الرعية، ودفعاً للحق الذي بهره نوره فما أطاقه فهو يبحث عن المخرج.

لهم الاستكبار ﴿وظنوا أنهم إلينا لايرجعون﴾[1] أي كذبوا بالبعث الآخر. قال تعالى: ﴿فأخذناه وجنوده﴾[2] أي بسبب استكبارهم وكفرهم وتكذيبهم بآيات الله ﴿فنبذناهم في اليم﴾[3] أي في البحر وقال لرسوله ﷺ ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ إنها كانت وبالاً عليم وخساراً لهم. وقوله تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ أي جعلنا فرعون وملأه أئمة في الكفر تقتدي بهم العتاة والطغاة في كل زمان ومكان ﴿يدعون إلى النار﴾ بالكفر والشرك والمعاصي وهي موجبات النار. ﴿ويوم القيامة لاينصرون﴾ بل يضاعف لهم العذاب ويخذلون ويهانون لأن من دعا إلى سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لاينقص من أوزارهم شيء.

وقوله تعالى: ﴿وأتبعناهم﴾ أي آل فرعون ﴿في هذه الدنيا لعنة﴾إنتهت بهم إلى الغرق الكامل والخسران التام، ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾[4] أي المبعدين من رحمة الله الثاوين في جهنم ولبئس مثوى المتكبرين وقوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة وذلك بعد إهلاك الظالمين وقوله ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ أي قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم إبراهيم وقوله ﴿بصائر﴾ أي الكتاب بما يحمل من الهدى والنور ﴿بصائر﴾ أي ضياء للناس من بني إسرائيل يبصرون على ضوءه كل مايحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم ﴿وهدى ورحمة﴾ أي وبياناً لهم ورحمة لمن يعمل به منهم. وقوله ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي وجود الكتاب بصائر وهدى ورحمة بين أيديهم حال تدعوهم إلى أن يتذكّروا دائمًا نعم الله عليهم فيشكرونه بالإيمان به وبرسله وبطاعته وطاعة رسله عليهم السلام.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان أن فرعون كان على علم بأنه عبد مربوب لله وأن الله هو رب العالمين.

٢ - تقرير صفة العلو والاستكبار لفرعون وأنه كان من العالين.

٣ - بيان كيف تكون عاقبة الظلمة دماراً وفساداً.

---

(١) يطلق الظن ويراد به اليقين ويكون على بابه وهو هنا كفر ولو كان على بابه لأنّ الشك في العقائد كفر.

(٢) قبل من هلك مع فرعون من جند كانوا مليوناً وستمائة ألف.

(٣) ناحية بحر القلزم في موضع منه يقال له بطن غُريرة.

(٤) المشوّهي الخلقة المسودي الوجوه زرق العيون فما أقبحهم وما أقبح ما كانوا يصنعون!! يقال: قبحه وقبحه مشدداً ومخففاً أي: نحاه من كل خير، أو جعله قبيحاً. قال الشاعر:

ألا قبّح الله البراجم كلها   وقبح يربوعاً وقبح دارما

٤ ـ دعاة الدعارة والخنا والضلالة والشرك أئمة أهل النار يدعون إليها وهم لايشعرون.
٥ ـ بيان إفضال الله تعالى على بني إسرائيل بإنزال التوراة فيهم كتاباً كله بصائر وهدى ورحمة.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

وماكنت بجانب الغربى : أي لم تكن يارسولنا حاضراً بالجانب الغربي من موسى.

إذ قضينا إلى موسى الأمر : أي بالرسالة إلى فرعون وقومه.

وماكنت من الشاهدين : حتى تعلمه وتخبر به.

ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر : أي غير أننا أنشأنا بعد موسى أمماً طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره.

وماكنت ثاوياً فى أهل مدين : أي ولم تكن يارسولنا مقيمًا في أهل مدين فتعرف قصتهم.

وماكنت بجانب الطور إذ نادينا : أي لم تكن بجـانب الطور أي جبل الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ماأوحينا حتى تخبر بذلك.

ما أتاهم من نذير من قبلك : أي أهل مكة والعرب كافة.

ولولا أن تصيبهم مصيبة الخ : أي فيقـولـوا لولا أي هلا أرسلت إلينا رسولاً لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

معنى الآيات

بعد انتهاء قصص موسى مع فرعون وإنزال التوراة ﴿بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ وكان القصص كله شاهداً على نبوة الرسول محمد ﷺ خاطب الله تعالى رسوله فقال: ﴿وماكنت﴾ أي حاضراً ﴿بجانب الغربي﴾ أي بالجبل الغربي من موسى ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر[1]﴾ بإرساله رسولاً إلى فرعون وملئه ﴿وماكنت من الشاهدين﴾ أي الحاضرين إذاً فكيف علمت هذا وتتحدث به لولا أنك رسول حق؟!

وقوله: ﴿ولكنا أنشأنا[2] قروناً﴾ أي أمماً بعد موسى ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ أي طالت بهم الحياة وامتدت فنسوا العهود واندرست العلوم الشرعية وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينـا إليك خبر موسى وغيره وقوله: ﴿وماكنت ثاوياً﴾ أي مقيمًا ﴿في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ فكيف عرفت حديثهم وعرفت إقامة موسى بينهم عشر سنين لولا انك رسول حق يوحى إليك نبأ الأولين وهو معنى قوله تعالى ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ فأرسلناك رسولاً وأوحينا إليك أخبار الغابرين.

وقوله: ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ أي جبل الطور ﴿إذ نادينا﴾ موسى وأمرناه بما أمرناه وأخبرناه بما أخبرنا به، فكيف عرفت ذلك وأخبرت به لولا أنك رسول حق يوحى إليك. قوله تعالى ﴿ولكن رحمة من ربك[3]﴾ أي أرسلناك رحمة من ربك للعالمين ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم

---

(١) إذ كلّفناه أمرنا ونهينا وألزمناه عهدنا.

(٢) (ولكنا أنشأنا) الخ وجه هذا الاستدراك أنّ المشركين لما تعجبوا من رسالة محمد ﷺ حين لم يسبقها رسالة إلى آبائهم فأعلمهم أن الله تعالى أرسل موسى بعد فترة من الرسل كذلك ولكن لطول الزمن ومضي القرون نسوا رسالة موسى عليه السلام حتى قالوا: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة.

(٣) أي: ما كان علمك بذلك لحضورك ولكن كان علمك رحمة من ربك فرحمة: منصوب في الآية على تقدير كون محذوف أي: كان علمك رحمة. ويصح النصب على المفعول المطلق أي: ولكن رحمناك رحمة فعلمناك ذلك بواسطة إيحائنا إليك.

من نذير من قبلك﴾ وهم أهل مكة والعرب أجمعون ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي كيْ يتعظوا فيؤمنوا ويهتدوا فينجوا ويسعدوا.

وقوله تعالى: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة[1]﴾ أي عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي من الشرك والمعاصي ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ أي هلا أرسلت إلينا رسولاً ﴿فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ أي لولا قولهم هذا لعاجلناهم[2] بالعذاب ولما أرسلناك إليهم رسولاً إذاً فمالهم لايؤمنون ويشكرون ؟؟!

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير النبوة المحمدية بأقوى الأدلة العقلية.

٢ ـ بعثة الرسول محمد ﷺ جاءت في أوانها واشتداد الحاجة إليها.

٣ ـ البعثة المحمدية كانت عبارة عن رحمة إلهية رحم الله بها العالمين.

٤ ـ جواب ﴿لولا﴾ في قوله ﴿ولولا أن تصيبهم﴾. محذوف وقد ذكرناه وهو لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾
۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

---

(١) (لولا) هنا حرف امتناع لوجود، امتنع إنزال العذاب بهم لوجود قولهم (لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك) أما لولا الثانية فهي أداة تحضيض.

(٢) في الآية معنى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا).

شرح الكلمات :

فلما جاءهم الحق من عندنا : أي محمد ﷺ رسولاً مبيناً.

قالوا لولا أوتي مثل ماأوتي موسى : أي هلا أعطي مثل ماأعطي موسى من الآيات المعجزات من العصا واليد أو كتاباً جملة واحدة كالتوراة.

أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل : أي كيف يطالبونك بأن تؤتي مثل ما أوتي موسى وقد كفروا بما أوتي موسى من قبل لما أخبرهم اليهود أنهم يجدون نعت محمد في التوراة كفروا بهذا الخبر ولم يقبلوه.

وقالوا سحران تظاهرا : أي التوراة والقرآن كلاهما سحر ظاهر بعضهما بعضاً أي قواه.

فإن لم يستجيبوا لك : أي بالإتيان بالكتاب الذي هو أهدى من التوراة والقرآن.

فاعلم أنما يتبعون أهواءهم : في كفرهم ليس غير، فلا عقل ولا كتاب منير.

ومن أضل ممن اتبع هواه : أي لا أضلُّ منه قط.

ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون : أي بأخبار الأولين وما أحللنا بهم من نقمتنا لما كذبوا رسلنا وأنكروا توحيدنا ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون.

معنى الآيات :

لما قرر تعالى نبوة رسوله محمد ﷺ بأدلته التي لا أقوى منها ولا أوضح وبين حاجة العالم إليها لاسيما العرب وذكر أنه لولا كراهة قولهم : ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ لما أرسل[1] إليهم رسوله. ذكر هنا ما واجه به المشركون تلك الرحمة المهداة فقال عنهم ﴿فلما جاءهم[2] الحق من عندنا﴾ أي محمد النبي ﷺ قالوا : ﴿لولا أوتي مثل ماأوتي موسى﴾ أي من الآيات كالعصا واليد البيضاء حتى نؤمن به ونصدق رسالته قال

---

(١) ولأخذهم بالعذاب جزاء كفرهم وشركهم وفسادهم.

(٢) هذه الفاء هي الفصيحة أفصحت عن جواب طلب متقدم وهو قول المشركين. لولا أرسلت إلينا رسولاً أي : هلّا أرسلت إلينا رسولاً مطالبين بذلك بإلحاح.

تعالى : ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ؟ قالوا سحران تظاهرا﴾[1]. وقالوا : ﴿إنا بكل كافرون﴾ وذلك أن قريشاً لما كثر المؤمنون وهالهم الموقف بعثوا إلى يهود المدينة يسألونهم بوصفهم أهل الكتاب الأول عن مدى صدق محمد ﷺ فيما يقوله فأجابهم اليهود بأنهم يجدون نعوت النبي الأمي في التوراة وأنه رسول حق وليس بكذاب ولا دجال فما كان من المشركين من قريش إلا أن أعلنوا كفرهم بالتوراة وقالوا : التوراة والقرآن ﴿سحران﴾[2] تعاونا فلا نؤمن بهما ولانصدق من جاء بهما وقرىء ﴿ساحران﴾ أي موسى ومحمد عليهما السلام فلا نؤمن بهما.

هذا معنى قوله تعالى ﴿أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون﴾ أي بكل منهما كافرون

فكيف لايخجلون اليوم ويطالبون محمداً أن يعطى مثل الذي أعطي موسى من الآيات ياللعجب أين يذهب بعقول المشركين ؟!!

وقوله تعالى : ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المشركين الذين كفروا بالتوارة والقرآن ﴿فأتوا بكتاب من عند الله﴾ أنزله بعلمه يكون أكثر هداية من التوراة والقرآن . . أتبعه ! ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم بأن الفرقان والتوراة سحران تظاهرا.

وقوله تعالى : ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ بالإتيان بكتاب من عند الله تعالى هو أهدى من الفرقان والتوراة ومن أين لهم بذلك . . إنه المستحيل ! إذاً فاعلم أنهم إنما يتبعون أهواءهم فيما يقولون ويدعون فلا عقل ولا نقل عندهم ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾؟! اللهم إنه لا أضل منه. والنتيجة أنه لا أضل من هؤلاء المشركين من قريش وقوله تعالى ﴿ إن الله لايهدي القوم الظالمين﴾[3] هذا بيان لسنة الله تعالى فى الظالمين الذين أكثروا من الظلم وتوغلوا فيه عقيدة بالشرك وعملاً بالمعاصي فإنه يحرمهم الهداية فلا يهتدون أبداً.

وقوله تعالى :﴿ولقد وصلنا[4] لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ أي لقد وصلنا أى لهؤلاء المشركين

---

(١) أي : موسى ومحمد تعاونا على السحر.

(٢) قرأ نافع (ساحران تظاهرا) وقرأ حفص : (سِحران) إخبار بالمصدر.

(٣) المراد بالظالمين: الكاملون في الظلم وهو ظلم الأنفس وظلم الناس وظلم الشرك وهو أعظمها . (إنّ الشرك لظلم عظيم) وكذا إتيان الفواحش.

(٤) التوصيل مبالغة في الوصل وهو: ضمّ شيء إلى شيء وربطه به ، والقول القرآن ألفاظه وصل بعضها ببعض إذ نزل منجما كلما نزل آى وصل بالآخر حتى اكتمل ، ووصلت معانيه بعضها ببعض بإحكام وإتقان لم يُعهدا في كتاب غيره وصل وعده بوعيده وترغيبه بترهيبه.

من قومك يارسولنا أي وصلنا لهم القول بأخبار الماضين، وما أحللنا بهم من بأسنا ونقمنا وعـظيم عقـوباتنا لما كفروا كما كفر هؤلاء وكذبوا بما كذّب به هؤلاء وصلنا لهم القول مبيناً واضحاً موصولاً أوله بآخره رجاء أن يتذكروا فيذكروا فيؤمنوا ويوحدوا فينجوا من العذاب ويرحموا بدخول الجنة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان تناقض المشركين وكل من يتبع الهوى ويترك الهدى الإلهي.

٢ ـ بيان تحدي المشركين بالإتيان بكتاب من عند الله وعجزهم عن ذلك فبان بذلك أنهم يتبعون أهواءهم وأنه لا أضل منهم اليوم.

٣ ـ بيان سنة الله في حرمان المتوغلين في الظلم من الهداية الإلهية.

٤ ـ بيان أن الله عز وجل وصل القول لأهل مكة مفصلاً مبيناً لهدايتهم فله الحمد وله المنة وعلى الكافرين اللعنة في جهنم.

ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ
أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

الذين آتيناهم الكتاب من قبله : أي التوراة والإنجيل من قبل القرآن الكريم.

وإذا يتلى عليهم : أي القرآن.

إنا كنا من قبله مسلمين : أي منقادين لله مطيعين لأمره ونهيه.

أجرهم مرتين	: أي يضاعف لهم الثواب لأنهم آمنوا بموسى وعيسى وآمنوا بمحمد ﷺ
ويدرءون بالحسنة السيئة	: أي يدفعون بالحسنة من القول أو الفعل السيئة منهما.
وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه	: أي الكلام اللاغي الذي لايقبل ولا يقر عليه لأنه لايحقق درهماً للمعاش ولاحسنة للمعاد.
سلام عليكم	: هذا سلام المتاركة أي قالوا قولاً يسلمون به.
لانبتغي الجاهلين	: أي لا نطلب صحبة أهل الجهل لما فيها من الأذى.

معنى الآيات :

إن قوله تعالى : ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ يشمل أيضاً اليهود والنصارى من أهل الكتاب إذ هم كالعرب فيما بين لهم من أخبار الماضين وفصل من أنباء إهلاك الأمم السابقة وما أنزل من بأساء وعذاب بالمكذبين، إذ الجميع مطالبون بالإيمان والعمل الصالح والتخلي عن الشرك والكفر والمعاصي للنجاة والسعادة فذكر تعالى هنا أن فريقاً من أهل الكتاب يؤمنون بالنبي محمد لأنه الحق من ربهم. فقال تعالى : ﴿الذين آتيناهم[١] الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ أي القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله﴾ أي من قبل نزول[٢] القرآن ﴿مسلمين﴾ أي موحدين منقادين نعبد الله بما شرع على لسان موسى وعيسى عليهما السلام هذه الآية تعني مجموعة من آمن من أهل الكتاب على عهد رسول الله ونزول القرآن منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما. وقوله تعالى : ﴿أولئك يؤتون أجرهم[٣] مرتين﴾ أي مضاعفاً لأنهم آمنوا برسولهم وعملوا بما جاء به من الحق وآمنوا بمحمد ﷺ وماجاء به من الهدى وقوله ﴿ويدرءون[٤]﴾ أي يدفعون ﴿بالحسنة﴾ وهي الصفح والعفو ﴿السيئة﴾ وهي الأذي من سب وشتم. وقوله ﴿ومما رزقناهم[٥] ينفقون﴾ أي

(١) ذُكر عدة أقوال في هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية منها وهو أقربها لأنّ السورة مكيــة أنها نزلت في النجاشي وأصحابه إذ وجّه باثني عشر رجلا فجلسوا إلى النبي ﷺ وكان أبو جهل وأصحابه قريبا منهم فآمنوا بالنبي ﷺ فلما قاموا من عنده تبعهم أبو جهل ومن معه فقال لهم. خيبكم الله من ركب وقبّحكم من وفد لم تلبثوا أن صدّقتموه وما رأينا ركباً أحمق منكم ولا أجهل. فقالوا: سلام عليكم لم نأل أنفسنا رشدا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم.

(٢) ومن قبل محمد ﷺ كذلك.

(٣) ثبت في الصحيح (أن ثلاثة يؤتون أجرهم مرّتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدّقه فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله عز وجل وحق سيده فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثمّ أدّبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران) قال الشعبي : خذ هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلى المدينة.

(٤) شاهده حديث معاذ: (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن).

(٥) هذا الإنفاق عام في المال والعلم والجاه إذ كل ذلك من رزق الله والكل يُنفق منه في سبيل الله.

يتصدقون بفضول أموالهم حيث تنبغي الصدقة.

وقوله ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ أي وإذا سمع أولئك المؤمنون من أهل الكتابين اللغو من سفهاء الناس أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه ولا إلى قائله وأجابوا قائلين ﴿لنا أعمالنا﴾ أي نتائجها حيث نجزى بها ﴿ولكم أعمالكم﴾ حيث تجزون بها ﴿سلام عليكم﴾ أي اتركونا، إنا لانبتغي[1] محبة الجاهلين، لما في ذلك من الأذى والضرر الناتج عن سلوك أهل الجهل بالله تعالى ومحابه ومكارهه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان فضل أهل الكتاب إذا آمنوا بالنبي الأمي وكتابه وأسلموا لله رب العالمين.

٢ ـ فضيلة من يدرء بالحسنة السيئة، وينفق مما رزقه الله.

٣ ـ فضيلة من يعرض عن اللغو وأهل الجهالات، ويقول مايسلم به من القول، وهذه إحدى صفات عباد الرحمن ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ أي قولاً يسلمون به. وهذا السلام ليس سلام تحية وإنما هو سلام متاركة.

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن
نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ

---

(١) أي: لا تطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة والمخاصمة.

ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

إنك لاتهدي من أحببت	: أي هدايته كأبي طالب بأن يسلم ويحسن إسلامه.
وقالوا	: أي مشركو قريش.
إن نتبع الهدىٰ معك	: أي إن نتبعك على ماجئت به وندعو إليه وهو الإسلام.
نتخطف من أرضنا	: أي تتجرأ علينا قبائل العرب ويأخذوننا.
يجبى إليها ثمرات كل شىء	: أي يحمل ويساق إليه ثمرات كل شىء من كل ناحية.
رزقاً من لدنا	: أي رزقاً لكم من عندنا ياأهل الحرم بمكة.
بطرت معيشتها	: أي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب وطغت في المعاصي.
يبعث في أمها رسولاً	: أي في أعظم مدنها. وهي العاصمة.
إلا وأهلها ظالمون	: بالتكذيب للرسول والإصرار على الشرك والمعاصي.

معنى الآيات :

قولـه تعـالى : ﴿إنك لاتهدي. . بالمهتدين﴾ هذه الآية نزلت في شأن[(١)] أبي طالب عم الرسول ﷺ إذ كان النبي ﷺ يرغب في إسلامه لما له من سالفة في الوقوف إلى جنب النبي ﷺ يحميه ويدافع عنه فلما حضرته الوفاة زاره النبي ﷺ وعرض عليه الشهادتين فكان يقول له : ياعم قل لا إلـه إلا الله كلمـة أحـاج لك بهـا عند الله يوم القيامة وكان حوله عواده من كفار قريش، ومشائخها فكانوا ينهونه عن ذلك حتى قالوا له : أترغب عن دين أبائك ؟ أترغب عن ملة عبـد المـطلب أبيك حتى قال هو على ملة عبد المطلب ومات. فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك مالم أُنْهَ عن ذلك فنهاه الله فلم يستغفر له بعد ونزلت هذه الآية كالعزاء له ﷺ فقال تعالى : ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾ هدايته يانبينا ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ هدايته لعلمه أنه يطلب الهداية ولايرغب عنها كما رغب عنها أبو طالب وأبو لهب وغيرهما،

---

(١) روى البخاري سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في أبي طالب عم الرسول ﷺ.

﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي بالذين سبق في علمه تعالى أنهم يهتدون .

وقوله تعالى : ﴿إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ هذا اعتذار اعتذر به بعض رجالات قريش[١] فقالوا نحن نعرف أن ماجئت به حق ولكننا نخشى إن آمنا بك واتبعناك يتـألب علينـا العرب ويرموننا عن قوس واحدة ونصبح نتخطف من قبل المغيرين كما هو حاصل لغيرنا ، وبذلك نحرم هذا الأمن والرخاء وتسوء أحوالنا ، لهذا نعتذر عن متابعتك فيما جئت به وأنت تدعو إليه من الكفر بآلهتنا وهدمها والتخلي عنها . فقال تعالى في الرد على هذا الاعتذار الساقط البارد ﴿أولم نمكن[٢] لهم حرماً آمناً يجبى[٣] إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا﴾ أي لم يوطىء لهم أرض بلد حرمناه فلا يسفك فيه دم ، ولايصاد فيه صيد ، ولايؤخذ فيه أحد بجريرة ، أليس هذا كافياً في أن يعلموا أن الذي جعل لهم حرماً آمنا قادر على أن يؤمنهم إذا آمنوا وأسلموا ، ومن باب أوْلى . ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون[٤]﴾ فهذه علة اصرارهم على الشرك والكفر . إنها الجهل بالله تعالى وعظمته وعلمه وحكمته . ومعنى يجبىٰ أو تجبىٰ إليه ثمـرات كل شيء أي يحمل إليه ويساق من أنحاء البلاد ثمرات كل شيء من أنواع الأرزاق وكان ذلك رزقاً منه تعالى لأهل الحرم . أفلا يشكرون .

وقـولـه تعـالى ﴿وكم أهلكنـا من قرية﴾ أي وكثيرا من أهـل القـرى أهلكنـاهم (بـطرت معيشتهـا)[٥] لما بطروا عيشهم فلم يشكـروا نعمـة الله عليهم فأسرفـوا في الظلم والمعاصي فأهلكناهم ﴿فتلك مساكنهم﴾ أي ديارهم ﴿لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾[٦] كديار عاد وثمود والمؤتفكات . ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ لها ، فلم نورثها غيرهم وتركناها خاوية خالية لم تسكن . أما يذكرون هذا فيعلموا بذلك قدرتنا فيتقوا فينا ويتوكلوا علينا ويؤمنوا ويوحدوا ويستقيموا على منهج الحق الذي جئت يارسولنا به .

وقـوله : ﴿وما كان ربك﴾ ياأيها الرسول ﴿مهلك القرى﴾ أي أهل المدن والحواضر ﴿حتى يبعث في أمها رسولاً﴾ كما بعثك في أم القرى مكة ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ أي لم يكن

(١) من القائلين هذا القول من قريش الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبدمناف القرشي وكان هذا القول من تعللاتهم فأجاب تعالى عما اعتل به هؤلاء فقال: (أولَم نُمكّن لهم حرماً آمناً. .) الخ .

(٢) الاستفهام للإنكار عليهم أن يكون الله تعالى لم يمكّن لهم حرماً آمناً

(٣) قرأ نافع تجبى بالتاء، وقرأ حفص بالياء، والجبي : الجمع ، والجلب، ومنه جباية الزكاة أي جمع أموالها، وجابية الحوض ما يجمع فيها الماء من البئر.

(٤) هذا الاستدراك لذكر علة تجاهلهم حماية الله تعالى لهم بتمكين الحرم لهم فهم فيه آمنون مُطعمون ألا وهي الجهل فهو علّتهم الحاملة لهم على الإصرار على الشرك.

(٥) بطرت : جهلت شكر معيشتها.

(٦) (إلا قليلاً) أي : كالمسافرين الذين يمرون بها وينزلون بها ساعات ويغادرون.

(٧) الجملة في محل نصب صفة لـ (رسولاً).

من سنة الله تعالى هذا بل لايهلك أمة حتى يبعث في أم بلادها رسولاً يتلو عليهم آيات الله المبينة للحق من الباطل والخير من الشر وجزاء ذلك وقوله تعالى : ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[1] أي ولم يكن من سنة الله تعالى في عبادة أن يهلك القرى إلا بعد ظلم أهلها.

فللإ هلاك شرطان :

الأول : أن يبعث الرسول يتلو آياته فيكذب ويكفر به وبما جاء به.

والثانى : أن يظلم أهل القرى ويعتدوا وذلك باظهار الباطل والمنكر وإشاعة الشر والفساد في البلاد وهذا من عدل الله تعالى ورحمته بعباده إنه لأرحم بهم من أنفسهم، وكيف ومن أسمائه وصفاته الرحمن الرحيم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير مبدأ لاهادي إلا الله. الهداية المنفية هي انارة قلب العبد وتوفيق العبد للإيمان وعمل الصالحات، وترك الشرك والمعاصي. والهداية المثبتة، يقول الله تعالى وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم. تلك هداية الدعوة والوعظ والارشاد، ومنه ﴿ولكل قوم هاد﴾ أي يدعوهم إلى الهدى.

٢ ـ مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته فيما ألقاه في قلوب العرب المشركين الجاهلين من تعظيم الحرم وأهله ليهيء بذلك لسكان حرمه أمناً وعيشاً كما قال تعالى ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ قريش (٢ ـ ٤).

٣ ـ من رحمة الله وعدله أن لايهلك أمة من الأمم إلا إذا توفر لهلاكها شرطان :

١ ـ أن يبعث فيهم رسولاً يتلو عليهم آيات الله تحمل الهدى والنور.

٢ ـ أن يظلم أهلها بالتكذيب للرسول والكفر بما جاء به والاصرار على الكفر والمعاصي.

٤ ـ التاريخ يعيد نفسه كما يقولون فما اعتذر به المشركون عن قبول الإسلام بحجة تألب العرب عليهم وتعطيل تجارتهم يعتذر به اليوم كثير من المسؤولين فعطلوا الحدود وجاروا الغرب في فصل الدين عن الدولة واباحوا كبائر الاثم كالربا وشرب الخمور وترك الصلاة حتى لايقال عنهم أنهم رجعيون متزمتون فيمنعوهم المعونات ويحاصرونهم اقتصادياً.

---

(١) أي : إلاّ بعد أن ظلموا بالشرك والمعاصي بارتكاب عظائم الذنوب وكبائر الآثام، وذلك لتنزّه الرب تبارك وتعالى عن الظلم.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾

شرح الكلمات :

وما أوتيتم من شيء	: أي وما أعطاكم الله من مال أو متاع .
فمتاع الحياة الدنيا وزينتها	: فهو ماتتمتعون به وتتزينون ثم يزول ويفنىٰ .
وما عند الله خير وأبقىٰ	: أي وما عند الله من ثواب وهو الجنة خير وأبقىٰ .
أفلا تعقلون	: لأن من يؤثر القليل الفاني على الكثير الباقي لاعقل له .
وعداً حسناً	: أي الجنة .
فهو لاقيه	: أي مصيبه وحاصل عليه وظافر به لا محالة .
من المحضرين	: أي في نار جهنم .

معنى الآيتين :

لقد سبق في هذا السياق أن المشركين اعتذروا عن الإسلام بعذر مادي بحت وهو وجود عداوة بينهم وبين سائر العرب. يترتب عليها حروب وتعطل التجارة إلى غير ذلك. فقوله تعالى هنا ﴿وما أوتيتم[1] من شيء[2] فمتاع الحياة الدنيا﴾ هو خطاب لهم ولكل من يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة فيستَحِل المحرمات ويعطل الأحكام ويضيع الفرائض والواجبات لتعارضها في نظره مع جمع المال والتمتع بالحياة الدنيا. وقوله تعالى : ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ أي من مال ومتاع وإن كثر ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ أي فهو متاع الحياة الدنيا ﴿وزينتها﴾ أي تتمتعون وتتزينون به أياماً أو أعواماً ثم ينفد ويزول، أو تموتون عنه وتتركونه ﴿وما عند الله﴾

---

(١) في هذه الآية الكريمة تذكرة لقريش التي آثرت الدنيا على الآخرة فردت الإسلام مخافة أن يؤثر على حياتها الاقتصادية والأمنية في تصورها الهابط المتهالك وهي أيضاً تذكرة لكل الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة.

(٢) (من) بيانية فقوله : (من شيء) بيان لما في قوله : (وما أوتيتم) والمتاع ما يتمتّع به زمناً ثمّ يزول، والزينة تطلق على ما يحسن الأجسام.

من نعيم الجنة ﴿خير وأبقىٰ﴾ خير في نوعه وأبقىٰ في مدته، فالأول رديء وتصحبه المنغصات ويعقبه الكدر. والثاني جيد صالح خال من المنغصات والكدورات وباق لا يبلىٰ ولا يفنى ولا يزول ولا يموت صاحبه ويخلفه وراءه. ﴿أفلا تعقلون﴾ يامن تؤثرون الفاني على الباقي والردىء على الجيد والخبيث على الطيب. وقوله تعالى: ﴿أفمن[1] وعدناه وعداً حسناً﴾ وهو المؤمن الصادق في إيمانه المؤكد له بصالح عمله، ﴿وعدناه وعداً حسناً﴾ وهو الجنة دار السلام فهو[2] لاقيه﴾ أي لاق موعده بإذن الله بمجرد أن يلفظ أنفاسه وتعرج إلى السماء روحه. ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ فهو يأكل ويشرب وينكح كالبهائم ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ في جهنم في دار العذاب والهوان، والجواب: لا يستويان أبداً وشتان مابينهما، فالأول وهو المؤمن الصالح الموعود بدار السلام لا يقارن بالكافر المتهالك على الدنيا ثم يتركها فجأة ويجد نفسه مع أهل الكفر والإجرام في عذاب وهون لا يفارقه ولا يخرج منه أبداً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ فائدة العقل أن يعقل صاحبه دون مايضره، ويبعثه على ماينفعه فإن لم يعقله دون ما يضره ولم يبعثه على ماينفعه فلا وجود له، ووجوده كعدمه.

٢ ـ بيان فضل الآخرة على الدنيا.

٣ ـ وعد الله للمؤمن بالجنة خير مما يؤتاه الكافر من مال ومتاع وزينة في الحياة الدنيا.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ

---

(١) الاستفهام إنكاري ينكر فيه تعالى التسوية فضلاً عن المفاضلة بين مؤمن وعده ربُّه النعيم المقيم في الآخرة وكافر متعه اليوم بمتع زائلة فانية عمّا قريب تنتهي وتزول ويؤول أمره إلى دار الشقاء والعذاب الأبدي وهي دار البوار.

(٢) جملة (فهو لاقيه) معترضة بين طرفي المقابلة في المفاضلة.

لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

ويوم يناديهم : أي الربّ سبحانه وتعالى .

كنتم تزعمون : أي أنهم شركاء لي فعبدتموهم معي .

حق عليهم القول : أي بالعذاب في النار وهم أئمة الضلال .

أغو يناهم : أي فَغَوَوْا ولم نكرههم على الغي .

تبرأنا إليك : أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم .

وقيل ادعوا شركاءكم : أي نادوهم ليخلصوكم مما أنتم فيه .

لو أنهم كانوا يهتدون : أي لما رأوا العذاب وَدُّوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين .

ويوم يناديهم : أي الله تبارك وتعالى .

فعميت عليهم الأنباء : أي فخفيت عليهم الأنباء التي يمكنهم أن يحتجوا بها .

فهم لايتساءلون : أي انقطعوا عن الكلام .

فأما من تاب وآمن : أي آمن بالله ورسوله وتاب من الشرك .

وعمل صالحاً : أدى الفرائض والواجبات .

فعسى أن يكون من المفلحين : أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة ، وعسى من الله تعالى لاتفيد مجرد الرجاء بل هى لتحقق الموعود به .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله واذكر يوم ينادي[1] ربك هؤلاء المشركين وقد ماتوا على شركهم فيقول لهم

(١) بعد تقرير النبوة انتقل الكلام إلى تقرير ركني العقيدة : التوحيد والبعث ، فيوم معمول لمحذوف تقديره : أذكر يا رسولنا يوم ينادي الجبار أولائك المحضرين في جهنم يناديهم للتوبيخ والتقريع .

﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أي أنهم شركائي هذا سؤال تقريع وتأنيب والتقريع والتأنيب ضرب من العذاب الروحي الذي هو أشد من العذاب الجثماني. وقوله تعالى ﴿قال الذين[1] حق عليهم القول﴾ أي نطق الرؤساء من أئمة الضلال وهم الذين حق عليهم العذاب في نار جهنم ﴿ربنا هؤلاء[2] الذين أغوينا﴾ ﴿أغويناهم﴾ فغووا ﴿كما غوينا[3]﴾ أي ما أكرهناهم على الغواية، ﴿تبرأنا إليك[4]﴾ أي منهم. ﴿ماكانوا إيانا يعبدون﴾ أي بل كانوا يعبدون أهواءهم لاغير. وقوله: ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ أي يقال للمشركين تهكمًا بهم واستهزاء، ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أي لينصروكم ويخلصوكم مما أنتم فيه من الذل والهوان.

قال تعالى: ﴿فدعوهم﴾ بالفعل نادوا ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ إذا لا يقدر واحد من الإنس أو الجن أن يقول هذا كان يعبدني، بل كل معبود يتبرأ ممن عبده كما قالوا في الآية قبل ذي تبرأنا إليك أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم وقوله تعالى: ﴿ورأوا العذاب﴾ بأعينهم فاشتدت حسرتهم وودوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين. وقوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم﴾ أي ربهم قائلًا ﴿ماذا أجبتم المرسلين﴾ ؟ أخبرونا كيف كان موقفكم مع من أرسلنا إليكم؟ هل آمنتم بهم واتبعتموهم أم كذبتموهم وحاربتموهم قال تعالى: ﴿فعميت[5] عليهم الأنباء يومئذ﴾ أي فخفيت عليهم الأخبار التى يمكنهم أن يحتجوا بها فلم يجدوا حجة واحدة ولذا ﴿فهم لايتساءلون﴾ أي لايسأل بعضهم بعضاً لأنه سقط في أيديهم وعلموا أنهم صالو الجحيم لا محالة. وقوله تعالى: ﴿فأما من تاب[6]﴾ من هؤلاء المشركين اليوم من الشرك وآمن بالله ولقائه ورسوله وعمل صالحاً فأدى الفرائض والواجبات ﴿فعسىٰ أن يكون من المفلحين﴾ أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة، فهذه دعوة سخية لكل مشرك وكافر وفاسق أن يتخلى عن الباطل المتلبس به ويؤمن الإيمان الصحيح ويعمل صالحاً بأداء الفرائض فإنه ينجو من النار ويدخل الجنة دار الأبرار فهل من تائب ؟!.

---

(١) لم تعطف جملة. (قال الذين) بالواو أو بالفاء لأنها في صورة حوار.
(٢) هذا النداء المراد به الاستعطاف والاسترحام.
(٣) أي: أضللناهم كما كنا ضالين، وذلك أنهم دعوهم إلى عبادتهم فعبدوهم، ولذا قال قتادة: هؤلاء هم الشياطين، وقيل: هم الرؤساء، والكل صحيح.
(٤) (تبرأنا) أي: تبرأ الشياطين والرؤساء ممن عبدوهم أو عبدوا غير الله بدعوتهم وتزيينهم، وأنكروا أنهم كانوا يعبدونهم.
(٥) خفيت الأنباء على جميع المسؤولين فسكتوا كلهم إذا لم يروا جواباً ينفع في هذا الموقف الرهيب.
(٦) هذه الفاء الفصيحة كأنّ سائلا قال بعد أن عرف حال المشركين في النار: وما حال غيرهم يا ترى؟ فأجيب بأنّ من تاب من الشرك وعمل صالحاً بأداءالفرائض ففلاحه العظيم واجب له متأكد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ التنديد بالشرك والمشركين.

٢ ـ براءة الرؤساء في الضلالة من المرؤوسين.

٣ ـ التحذير من الغواية وهي الضلال والانغماس في الذنوب والآثام.

٤ ـ خذلان المعبودين عابديهم يوم القيامة وتبرؤهم منهم.

٥ ـ باب التوبة مفتوح لكل عبد مهما كانت ذنوبه ولا يهلك على الله إلا هالك.

وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

يخلق مايشاء	: أي من خلقه.
ويختار	: أي من يشاء لنبوته وطاعته.
ما كان لهم	: أي للمشركين.
الخيرة	: أي الاختيار في شيء.
سبحان الله	: أي تنزيها لله عن الشرك.
يعلم ماتكن صدورهم	: أي ماتسر وتخفي من الكفر وغيره
له الحمد في الأولى	: أي في الدنيا لأنه مولى كل نعمة.
وفي الآخرة	: أي في الجنة.
وله الحكم	: أي القضاء النافذ.
وإليه ترجعون	: بعد النشور وذلك يوم القيامة.

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآيات قبل هذه التنديد بالشرك وتوبيخ المشركين وتحديهم بدعاء شركائهم ليخلصوهم مما هم فيه من الذل والعذاب، وكان شركهم باختيارهم الخاص وإرادتهم الحرة إذ تبرأ منهم من اختاروهم آلهة مع الله فعبدوهم معه. وفي هذه الآية يكشف تعالى عن خطئهم في الاختيار، وذلك من وجهين : الأول أنه لاحق لهم في الاختيار. إذ الاختيار لخالق المخلوقات فيختار منها مايشاء لنبوته أو طاعته أما الذي يُخْلَقْ ولايَخْلُقُ فيكف يصح منه اختيار. والثانى بحكم أنهم مخلوقون مربوبون لله تعالى وهم يعلمون هذا إذ لو سألهم أحد : من خلقكم؟ لقالوا :الله؛ كان المفروض فيهم والمطلوب منهم أن يطلبوا من الله تعالى خالقهم أن يختار لهم مايعبدون ويبين لهم كيف يعبدون، إذ هو مولاهم الحق ولا مولى لهم سواه أما أن يركبوا رؤوسهم ويختاروا بأنفسهم مايعبدون فهذا ظلم منهم كبير استوجبوا به اللوم في الدنيا والعذاب في الآخرة. قال تعالى : (٦٨) ﴿وربك يخلق مايشاء﴾ . أي وربك يامحمد يخلق مايشاء ممن يريد خلقهم ويختار[١] من يشاء لما يشاء ممن يشاء من عباده لما يشاء من كمال أو نقصان. أما عبيده فليس لهم حق الاختيار وإنما عليهم السمع والطاعة قال تعالى : ﴿ما كان لهم الخيرة﴾[٢] أي حق الاختيار بل الذي يختاره الله هو الذي يجب أن يختاره العبد. وقد كان النبي ﷺ يدعو ويقول : «اللهم خِرْ لي واختر لي» وكان يعلم أصحابه دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن، ويحضهم على أن يختاروا في الأمر الواحد سبع مرات. وقوله تعالى : ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ نزه تعالى نفسه عن شرك المشركين وباطل المبطلين وقوله ﴿وربك يعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون﴾ وهذا برهان أن الخيرة[٣] له وليس لغيره إذ الذي يعلم الظواهر والبواطن والبدايات والنهايات قبل البدء والمنتهى صاحب هذا العلم هو الذي يختار. أما الذي لايعلم مايكنه أخوه في صدره بل ولا مايظهره آخر إلى جنبه أي لايعلم عاقبته فكيف يصح منه الاختيار أو تكون له خيرة في شيء. وفوق ذلك أنه سبحانه وتعالى وهو الله الذي لا إله إلا هو أي المعبود الذي لامعبود بحق سواه الذي له الحمد

(١) قيل نزلت رداً على الوليد بن المغيرة حين قال: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. كما هي ردّ على اختيارهم الشركاء ليشفعوا لهم يوم القيامة.

(٢) جائز أن يكون (ما) موصولاً مفعولاً به لفعل: يختار، والعائد محذوف أي: ويختار الذي لهم فيه خيرة، كما أنّ الخلق من خصائصه، إذ قال (وربك يخلق ما يشاء) فكذلك الاختيار له دون غيره، وجائز أن يكون الوقف التام على (ويختار)، وجملة (ما كان لهم الخيرة) مستأنفة لغرض تأكيد القصر على الله تعالى هو الخالق وحده وهو الذي يختار وحده وليس لأحد من الخلق الخلق والاختيار.

(٣) الخيرة: اسم مصدر الاختيار كالطيرة اسم مصدر التطير ولا نظير لهذه الصيغة في الأسماء (الطيرة والخيرة).

في الدنيا إذ كل مافي الدنيا هو خلقه وفضله وإنعامه، وله الحمد في الآخرة، يحمده أهل الجنة إذ قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن بل الحياة الدنيا كالآخرة. تختم بالحمد لله. قال تعالى ﴿وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ ﴿وله الحكم وإليه تُرجعون﴾ أي وله الحكم أي القضاء في الدنيا والآخرة ﴿وإليه ترجعون﴾ فكما أن الحكم خاص به فكذلك الرجوع إليه، ويوم يرجعون إليه يحكم بينهم بحكمه وهو العزيز العليم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير مبدأ «ليس من حق العبد أن يختار إلا ما اختار الله له».

٢ ـ تعين طلب الاختيار في الأمر كله من الله تعالى بقول العبد «اللهم خر لي واختر لي».

٣ ـ تأكيد سنة الاستخارة وهي إذا هم العبد بالأمر يصلي ركعتين في وقت لاتكره فيه صلاة النافلة، ثم يدعو بدعاء الاستخارة كما ورد في الصحيح وهو «اللهم إني أستَخِيُرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وفي عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وفي عاجل أمري وآجله فاصرفه عنى واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به». ويسمي حاجته التي همَّ بها من سفر أو زواج أو بناء أو تجارة أو غراسة.

٤ ـ تقرير التوحيد وابطال التنديد.

٥ ـ وجوب حمد الله وشكره على كل حال وذلك لتجدد النعمة في كل آن.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ
مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

شرح الكلمات :

أرأيتم : أي أخبروني.

سرمداً : أي دائمًا، ليلاً واحداً متصلاً لايعقبه نهار.

بضياء : أي ضوء كضوء النهار.

بليل تسكنون فيه : أي تنامون فتسكن جوارحكم فتستريح من تعب الحياة.

لتسكنوا فيه : أي في الليل.

ولتبتغوا من فضله : أي تطلبوا الرزق من فضل الله في النهار.

ولعلكم تشكرون : أي كي تشكروا ربكم بطاعته كالصلاة والصيام والصدقة.

ونزعنا من كل أمة شهيداً : أي أحضرنا من كل أمة من يشهد عليها وهو نبيها عليه السلام.

فقلنا هاتوا برهانكم : أي حججكم على صحة الشرك الذي أنذرتكم رسلنا عواقبه فما قبلتم النذارة ولا البشارة.

فعلموا أن الحق لله : أي تبين لهم أن العبادة والدين الحق لله لالسواه.

وضل عنهم ماكانوا يفترون : أي وغاب عنهم ماكانوا يكذبونه من الأقوال الباطلة التي كانوا يردون بها على الرسل عليهم السلام.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد وهو حول أنداد الله تعالى من مخلوقاته فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ، قل لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله أنداداً وهو

خالقهم ورازقهم ومدبر أمر حياتهم ﴿أرأيتم﴾[1] أي أخبروني ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ أي دائماً[2] ليلاً واحداً متصلاً لا يعقبه نهار ﴿إلى يوم القيامة﴾ أخبروني هل هناك ﴿إله غير الله يأتيكم بضياء﴾[3] كضياء النهار، والجواب لا أحد وإذاً فكيف تشركون به أصناماً. ﴿أفلا تسمعون﴾ مايقال لكم. وقل لهم أيضاً ﴿أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ أي دائماً متصلاً لايخلفه ليل أبداً ﴿إلى يوم القيامة﴾ إلى إنقراض هذا الكون وانتهاء هذه الحياة وقيام الناس لربهم من قبورهم يوم القيامة ﴿من إله غير الله﴾ أي أيُّ إله غير الله ﴿يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ فتخلدون إلى الراحة بالنوم والسكون وعدم الحركة فيه، وإذا قلتم لا أحد يأتينا بليل نسكن فيه إذاً فما لكم لاتبصرون هذه الآيات ولا تسمعون ماتحمله من الأدلة والحجج القواطع القاضية بأنه لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه. وقوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾[4] إذ ليس واجباً عليه ذلك وانما هو فضل منه ورحمة فالليل تسكنون فيه والنهار تتحركون فتبتغون رزقكم من فضل الله، وبذلك تهيؤون للشكر إذا أكلتم أو شربتم أو ركبتم أو نزلتم قلتم الحمد لله، والحمد لله رأس الشكر، كما أن الليل والنهار ظرف للعبادة التي هي الشكر، فالعبادات لاتقع إلا في الليل والنهار، فالصيام في النهار والقيام بالليل والصلاة والصدقات فيهما. وقوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم﴾ أي اذكر يارسولنا لهم تنبيهاً وتعليماً يوم يناديهم الرب تبارك وتعالى فيقول لهم: ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم شركاء لي فعبدتموهم، وهل يرجى أن يجيبوا لا، لا، وانما هذا السؤال ونظائره هو سؤال تبكيت وتأنيب وتوبيخ وهو نوع من العذاب النفسي الذي هو أشد من العذاب الجسمي. وقوله تعالى: ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾[5] أي وأذكر لهم هذا الموقف من مواقف القيامة الصعبة ﴿ونزعنا﴾ أي أحضرنا ﴿من كل أمة شهيداً﴾ يشهد عليها وهو

---

(١) حقق الهمزة من (أرأيتم) حفص، وخففها ورش فقلبها ألفاً تخفيفاً (أرايتم).

(٢) (سرمداً) أي: دائماً. قال طرفة بن العبد.

لعمرك ما أمري عليّ بغمّةٍ   نهاري ولا ليلي عليّ بسرمد

(٣) أي: بنهار تبصرون فيه معايشكم ويصلح فيه ثماركم ونباتاتكم.

(٤) فيه تصريح بأنّ الليل بما يحصل فيه من سكون وراحة للأبدان والعقول من الهم والتفكير، والنهار بما يحصل فيه من عمل ونشاط للكسب وتحصيل الرزق نعمة الله على العباد اقتضتها رحمته بهم فله الحمد وله المنّة.

(٥) أعيد هذا الموقف مرة أخرى ليذكر فيه حالاً لم تذكر في الأول وهي: إشهاد الأنبياء على أممهم، وفي هذا تقرير للنبوة المحمدية إذ هذه الآية كآية (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً).

نبيها، ويشهد الرسول أنه بلغ ونصح وأنذر، ويقال لهم: ﴿هاتوا برهانكم﴾[1] على صحة ماكنتم تعبدون وتدعون. قال تعالى: ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أي تبين لهم أن الحق لله أي أن الدين الحق لله فهو المستحق لتأليه المؤلهين وطاعة المطيعين وقربات المتقربين لا إله غيره ولا رب سواه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ اشارة علمية إلى أن السماع يكون مع السكون وقلة الضجيج، وأن الإبصار يكون مع الضوء، ولايتم مع الظلام بحال من الأحوال.

٢ ـ البرهنة القوية على وجوب توحيد الله إذ لارب يدبر الكون سواه.

٣ ـ كون النهار والليل ظرفان للسكون وطلب العيش هما من رحمة الله تعالى أمر يقتضي شكر الله تعالى بحمده والاعتراف بنعمته وطاعته بصرف النعمة فيما يرضيه ولايسخطه.

٤ ـ بيان أهوال القيامة، بذكر بعض المواقف الصعبة فيها.

٥ ـ إذا كان يوم القيامة بطل كل كذب وقول ولم يبق إلا قول الحق والصدق.

۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
(٧٦) وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٧٧)
قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ

(١) (هاتوا) أحضروا، والأمر مستعمل هنا للتعجيز إذ هم عاجزون عن الاتيان بأدنى حجة عن صحة شركهم وكفرهم بلقاء ربهم، فعاب عليهم ما كانوا يكذبونه من الادعاءات الفارغة من أنّ أصنامهم تشفع لهم.

وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

إن قارون كان من قوم موسى : أي ابن عم موسى عليه السلام .

فبغى عليهم : أي ظلمهم واستطال عليهم .

ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة : أي أعطاه الله من المال مايثقل عن الجماعة حمل مفاتح خزائنه .

لاتفرح إن الله لايحب الفرحين : أي لاتفرح فرح البطروالأشر .

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة : أي اطلب فى المال الذى أوتيته الدار الآخرة بفعل الخيرات .

على علم عندي : أي لعلم الله تعالى بأنى أهل لذلك .

وأكثر جمعاً : أي للمال .

ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون : أي لعلم الله تعالى بهم فيدخلون النار بدون حساب .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص[(١)] قارون الباغي ، وهو قارون ابن يصهر بن قاهَثْ بن لاوى بن يعقوب ابن اسحق بن إبراهيم عليه السلام . فهو ابن عم موسى بن عمران وابن خالته أيضاً وكان يلقب المنور لحسن صورته ، ونافق كما نافق السامري المطرود. قال تعالى في ذكر خبره ﴿إن قارون[(٢)] كان من قوم موسى﴾ أي إسرائيلي ابن عم موسى بن عمران الرسول. ﴿فبغى عليهم﴾ أي على بني إسرائيل أي ظلمهم وطغى عليهم ، ولعل فرعون كان قد أسند إليه إمارة على بني إسرائيل فأطغته وملك أموالاً كثيرة ففرته وألهته. وقوله تعالى : ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء[(٣)] بالعصبة[(٤)] أولي القوة﴾ . وهذا الخبر الإلهي دليل على ماكان للطاغية

---

(١) هذا استئناف ابتدائي لذكر قصة لها مغزاها ونتائجها من الموعظة والذكرى.

(٢) ومعزى هذا القصص أولاً : تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا لا يقصه غير من يوحي إليه بحال. ثانيا : تضمن القصص الرد على المعجبين بالمال ومتاع الحياة الدنيا وبيان نهايتهم المؤلمة ، وثالثاً: عرض مشابه لموقف أصحاب الرسول ﷺ مع أغنياء مكة وهم يتطاولون عليهم بالمال والجاه. كما كان قارون مع ضعفة بني اسرائيل وفي ذلك عظة للمؤمنين وذكرى للكافرين.

(٣) (ما إن مفاتحه) الأكثرون على أنّ (ما) موصول، وصلتها جملة : (إنّ مفاتيحه) وأنكر بعض أن تبتدي الصلة بحرف إنّ فقالوا: (ما) موصوفة وما بعدها في محل الصفة، والمفاتيح : جمع مفتح بكسر الميم : اسم آلة الفتح.

(٤) (تنوء): من ناء بالشيء ينوء ثقل عليه، والباء : في (بالعصبة) للمصاحبة، وليست للسببية، إذ هي كما في قول امرىء القيس:

وأردف أعجازاً وناء بكلكل

والعصبة: الجماعة من الخمسة إلى العشرة فأكثر.

قارون من أموال بحيث أن المفاتح تثقل كاهل العصبة أي الجماعة من الرجال لو حملوها كلها وذلك لثقلها. وقوله تعالى: ﴿إذ قال له قومه﴾ أي من بني إسرائيل واعظين له مذكرين ﴿لاتفرح﴾ أي بأموالك فرح الأشر البطر، ﴿إن الله لايحب الفرحين﴾ أي الأشرين البطرين الـذين يختالون ويتفاخرون ويتكبرون. ﴿وابتغ﴾ أي اطلب ﴿فيما آتاك الله﴾ من أموال ﴿الدار الآخرة﴾ بأن تصدّقْ منها وأنفقْ في سبيل الله كبناء مسجد أو مدرسة أو ميتم أو ملجأ إلى غير ذلك من أوجه البر والإحسان. ﴿ولاتنس نصيبك[1] من الدنيا﴾ فكل واشرب والبس واركب واسكن ولكن في غير اسراف ولامخيله، ﴿وأحسن﴾ عبادة الله تعالى وطاعته وأحسن إلى عباده بالقول والعمل ﴿كما أحسن﴾ أي الله تعالى إليك ﴿ولاتبغ الفساد في الأرض﴾[2] بترك الفرائض وارتكاب المحرمات. ﴿إن الله لايحب المفسدين﴾ ومن لم يحبه الله أبغضه ومن أبغضه عذبه في الدنيا والآخرة فبعد هذه الموعظة من قومه الصالحين أهل العلم والبصيرة رَدَّ هذا الـطاغية قارون بما أخبر به تعالى عنه في قوله في الآية (٧٨) ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ أي لاتهددوني ولاتخوفوني بسلب مالي عني إن أنا لم أُحْسن فإن هذا المال ﴿قد أوتيته﴾ أي آتانيه الله على علم[3] منه بأني أهل له ولذا أعطاني وزاد عطائى وأكثره قال تعالى في الرد عليه في زعمه هذا ﴿أو لم يعلم﴾ أي أيقول مايقول من الزعم الكاذب ولم ﴿يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾، كعاد وثمود وقوم إبراهيم فلو كان كثرة المال دليلاً على حب الله ورضاه عن أهله، ما أهلك عاداً وثموداً وقوم نوح من قبل وكانوا أشد قوة وأكثر مالاً ورجالاً وقوله تعالى: ﴿ولايسأل[4] عن ذنوبهم المجرمون﴾ أي إذا أكثر العبد من الإجرام بالشرك والمعاصي حق عليه كلمة العذاب وآن أوان عذابـه لايسأل عن ذنوبه بل يؤخذ فجأة كما أن هؤلاء المجرمين سيدخلون النار بغير حساب فلا يسألون ولايحاسبون. قال تعالى: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم[5] فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ أي ويُرْمَون في جهنم ويقال لهم: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾[6].

---

(١) أشار ابن عمر إلى هذا القول في قوله: احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. ومن تأولها بالعمل للآخرة فقط شاهده قول الشاعر:

مما تجمع الدهر كله ‍ ‍ ‍ رداءان تلوى فيهما وحنوط

(٢) الفساد في الأرض يكون بفعل المعاصي الجامعة لترك الفرائض واتيان الكبائر.

(٣) وقال ابن زيد: لعلم الله تعالى بفضلي ورضاه عني أي: إنّي أوتيتها باستحقاقي.

(٤) أي: لا يسأل سؤال استعتاب ليتوب أما سؤال التقريع والتوبيخ فلا مانع منه، وذلك كقوله تعالى: (ولا يستعتبون) وقوله (وما هم بمعتبين).

(٥) (سيماهم) إنهم سود الوجوه زرق العيون.

(٦) المجرمون: هم الذين أجرموا على أنفسهم أي: خبّثوها بكثرة ما يرتكبون من الجرائم كالكفر والظلم وكبائر الذنوب، كالقتل ظلماً وأكل الربا وتعاطي الخمور والزنى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ المال والمنصب العالي عرضة لإفساد المرء إلا من رحم الله عز وجل وقليل ماهم .

٢ ـ حرمة الفرح بالمال والإمارة إذا كان الفرح فرح بطر وفخر واعتزاز وكبر وخيلاء .

٣ ـ من فضل الله على الأمة أن يوجد فيها عالمون ينصحون ويرشدون ويوجهون .

٤ ـ من الحزم للمرء أن يطلب من المال والجاه والمنصب أعلى الدرجات في الجنة .

٥ ـ حلّية الأكل من الطيب والشرب من الطيب واللبس والركوب والسكن من غير إسراف ولاخيلاء ولا كبر.

٦ ـ العافية والمال وعز السلطان يصاب صاحبها بالاغترار إلا من رحم الله

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟
مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ
وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

في زينته : أي لباس الأعياد والحفلات الرسمية.

ياليت لنا مثل ماأوتي قارون : أي تمنوا أن لو أعطوا من المال والزينة ما أعطي قارون.

إنه لذو وحظ عظيم : أي إنه لذو بخت ونصيب وهبه الله إياه في كتاب المقادير.

وقال الذين أوتوا العلم : أي اعطوا العلم الديني بمعرفة الله والدار الآخرة وموجبات السعادة والشقاء.

ويلكم : أي حضر ويلكم وهلاككم بتمنيكم المال وزخرف الدنيا.

ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً : أي ماعند الله من جزاء للمؤمنين العاملين الصالحات وهو الجنة خير من حطام الدنيا الفاني.

ولا يلقاها إلا الصابرون : أي ولايوفق لقول هذه الكلمة وهي ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً إلا الصابرون على الإيمان والتقوى.

فخسفنا به وبداره الأرض : أي أسخنا الأرض من تحته فساخت به وبداره وكل من كان معه فيها من أهل البغي والإجرام.

تمنوا مكانه بالأمس : أي الذين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون فالمراد من المكان المكانة وما عليه قارون من الامارة والزينة والمال والجاه.

ويكأنَّ الله يبسط : أي أعجبُ عالماً أن الله يبسط الرزق لمن يشاء.

ويقدر : أي يضيّق.

ويكأنه لايفلح الكافرون : أي أعجبُ عالماً أنه لايفلح الكافرون أي أنهم لايفوزون بالنجاة من النار ودخول الجنان كما يفوز المؤمنون.

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص قارون الباغي قال تعالى ﴿فخرج على قومه﴾[(١)] أي قارون في يوم عيد أومناسبة خرج على قومه وهم يشاهدون موكبه ﴿في زينته﴾ الخاصة من الثياب والمراكب . قوله تعالى : ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ أي من قوم موسى وهم المفتونون بالدنيا وزخرفها من أهل الغفلة عن الآخرة وما أكثرهم اليوم وقبل وبعد اليوم قالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم : ﴿ياليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ تمنوا أن يكون لهم مثل الذي أوتي قارون من المال والزينة ﴿إنه لذو حظ[(٢)] عظيم﴾ أي بخت ونصيب ورزق ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ أي الشرعي[(٣)] الديني العالمون بالدنيا والآخرة . وأسباب السعادة والشقاء في كل منهما قالوا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ أي ويحكم هلكتم إن كنتم تؤثرون هذا الفاني على الباقي ﴿ثواب الله﴾ وهو الجنة خير من هذا الزخرف الفاني ﴿لمن آمن وعمل صالحاً﴾ ولازم ذلك أنه ترك الشرك والمعاصي ، وقوله تعالى : ﴿ولا يلقاها﴾ أي[(٤)] هذه الجملة من الكلام : ﴿ثواب الله خير لمن آمن﴾ بربه ﴿وعمل صالحاً﴾ في حياته بأداء الفرائض والنوافل وترك المحرمات والرذائل أي ولا يلقى هذه الكلمة ﴿إلا الصابرون﴾ من أهل الإيمان والتقوى هم الذين يلقنهم الله إياها فيقولونها لصفاء أرواحهم وزكاة أنفسهم وقوله تعالى في الآية (٨١) ﴿فخسفنا به[(٥)] وبداره الأرض﴾ يخبر تعالى أنه خسف بقارون وبداره الأرض انتقاماً منه لكفره ونفاقه وبغيه وكبريائه . وقوله تعالى ﴿فما كان له من فئة﴾ أي جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ لما أراد الله خذلانه بخسف الأرض به وبداره ومن فيها من أعوانه الظلمة والمجرمين . ﴿وما كان من المنتصرين﴾ أي لنفسه فنجاها مما حل بها من الخسف في باطن الأرض التي مازال يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس[(٦)]﴾ يخبر تعالى

---

(١) لم تؤثر فيه موعظة واعظيه ولم ينتفع منها بشيء لظلمة نفسه وقساوة قلبه لما ران عليه من الذنوب فخرج في مظهر الكبرياء والتحدي .

(٢) الحظ : القسم الذي يُعطاه المقسوم له .

(٣) في الآية دليل قوي على أنّ الجهل بالله وشرائعه ووعهد ووعيده هو سبب كل شر وفساد في الأرض، وأنّ العلم بذلك هو سبيل الإصلاح في الأرض .

(٤) (يلقاها) الضمير عائد على ما دلّ عليه قولهم : (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً) وهو هذه الموعظة ، ولا يلهمها وتلقى في روعه وينطق بها إلاّ أهل الصبر على الطاعات وعن المعاصي فتصفو لذلك نفوسهم فيلهمون مثل هذه الموعظة .

(٥) الفاء هنا : للترتيب والتعقيب فقد خسف به يوم خروجه في زينته .

(٦) أي : تمنوا منزلته بين الناس ، وهي منزلة المال والترف والجاه والرفعة ومعنى : مكانه : ما كان عليه من منزلة العلو والرفعة .

عن الذين قالوا يوم خرج عليهم قارون في زينته ياليت لنا مثل ما أوتي قارون يخبر تعالى عنهم أنهم لما شاهدوا الخسف الذي حل بقارون وبداره قالوا ويكأن الله يبسط[1] الرزق لمن يشاء أي نعجب عالمين، أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر[2] أي على من يشاء فالبسط والقبض كله لله وبيد الله فما لنا لا نفزع إلى الله نطلب رضاه ولا نتمنى ماتمنيناه وقد أصبح ذاهباً لا يرى بعين ولا يلمس بيدين، ﴿لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون[3]﴾ أي نعجب أيضاً عالمين بأنه لا يفلح الكافرون كقارون وفرعون وهامان أي لا يفوز الكافرون لا بالنجاة من العذاب ولا بدخول الجنان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان أن الفتنة أسرع إلى قلوب الماديين أبناء الدنيا والعياذ بالله تعالى

٢ ـ بيان موقف أهل العلم الديني وأنهم رُشَّد أي حكماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

٣ ـ بيان أن البغي يؤخذ به البغاة في الدنيا ويعذبون به في الآخرة.

٤ ـ بيان أن وجود الإيمان خير من عدمه وإن قل وأن ذا الإيمان أقرب إلى التوبة ممن لا إيمان له.

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

(١) (ويكأن الله) قيل: ويكأن: مركبة من وي وهو اسم فعل بمعنى أعجب وكاف الخطاب وأنّ الناصبة، ومعنى الكلام: أعجب يا هذا من بسط الرزق لمن شاء، قال عنترة، والشاهد في قوله: ويك، قال:

ولقد شفا نفسي وأبرأ سُقمها   قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

وذهب بعض إلى أنّ أصل ويك: ويلك إعلم أنه كذا فحذفت اللام والفعل، فصارت ويك.

(٢) أي: يضيق الرزق ولا يوسعه.

(٣) أي: لولا أن منّ الله فعافانا مما ابتلى قارون به من المال والظلم والطغيان لحل بنا ما حل به من الخسف والخسران.

شرح الكلمات :

تلك الدار الآخرة : أي الجنة، دار الأبرار.

لايريدون علواً في الأرض : أي بغياً ولا استطالة على الناس.

ولافساداً : أي ولايريدون فساداً بعمل المعاصي.

والعاقبة : أي المحمودة في الدنيا والآخرة.

للمتقين : الذين يتقون مساخط الله فلا يعتقدون ولا يقولون ولايعملون مالا يرضى به الله تعالى.

من جاء بالحسنة : أي يوم القيامة والحسنة: أثر طاعة الله تعالى يجزى به المؤمن.

فله خير منها : أي تضاعف له عشرة أضعاف.

ومن جاء بالسيئة : السيئة أثر معصية الله تعالى يعاقب به العبد إذا لم يعف الله تعالى عنه.

معنى الآيات :

لقد تقدم في السياق أن ثواب الله وهو الجنة خير لمن آمن وعمل صالحاً فأشار إليه تعالى بقوله ﴿تلك الدار الآخرة﴾[1] التي هي الجنة إذ هي آخر دار يسكنها المتقون فلا يخرجون منها. نجعلها، هذا هو الخبر عن قوله تلك الدار الآخرة فأخبر تعالى أنه يجعلها مأوى ومسكناً للذين لايريدون علواً[2] في الأرض ولا فساداً، لايريدون استطالة على الناس وتعالياً وتكبراً عليهم وبغياً، ولافساداً بارتكاب المعاصي كالقتل والزنا والسرقة وشرب الخمر، وقوله تعالى: ﴿والعاقبة للمتقين﴾[3] أي والعاقبة المحمودة في الدارين لأهل الإيمان والتقوى وهم المؤمنون الذين يتقون مساخط الله عز وجل، وذلك بفعل المأمورات واجتناب المنهيات. وقوله تعالى: ﴿من جاء﴾ أي يوم القيامة ﴿بالحسنة﴾ وهي الطاعات لله ورسوله ﴿فله﴾ جزاء مضاعف الحسنة بعشر أمثالها وقد تُضاعف إلى أكثر بشرط أن لاتكون حسنة أعطيت له من حسنات ظالم في الدنيا فهذه لاتتضاعف. إذ تضاعف الحسنة التي باشرها، كما

(١) الجملة ابتدائية وهو بدء مشوق، قرأ الفضل بن عياض هذه الاية ثم قال: ذهبت الأماني ها هنا أي: أماني الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان شيء وأن المؤمنين كلهم ناجون من العقاب.

(٢) روى سفيان بن عيينة أن عليا بن الحسين وهو راكب مرّ على مساكين يأكلون كِسرا لهم فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم فتلا هذه الآية: (تلك الدار الآخرة..) إلى (فساداً) ثم نزل وأكل معهم.

(٣) الجملة تذييلية تقرر حقيقة أخرى وهي الإشارة بالتقوى والعاقبة المحمودة في الدارين لأهل التقوى.

لاتضاعف حسنة من همَّ بحسنة ولم يعملها فإنها تكتب له حسنة ولاتضاعف لعدم مباشرته إياها وقوله ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي يوم القيامة. والسيئة أثر معصية الله تعالى ورسوله في نفسه ﴿فلا يجزى﴾ إلا مثلها أي لاتضاعف عليه وذلك لعدالة الله تعالى ورأفته بعباده، وهو معنى قولـه تعالى ﴿فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ من الشرك والمعاصي ﴿إلا ماكانوا يعملون﴾ أي في الدنيا إذ هي دار العمل والآخرة دار الجزاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ حرمة التكبر والاستطالة على الناس، والعمل بالمعاصي، وأنه الفساد في الأرض.

٢ ـ بيان فضل الله ورحمته وعدله بين عباده بمضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات.

٣ ـ العاقبة الحسنىٰ وهي الجنة لأهل الإيمان والتقوى.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

إن الذي فرض عليك القرآن : أي الله الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك قراءته والعمل بما فيه وتبليغه

لرادك إلى معاد : أي لمرجعك إلى مكة فاتحاً إذ معاد الرجل بلده الذي يعود إليه.

وماكنت ترجو	: أي تأمل أن ينزل عليك القرآن ويوحى به إليك.
إلا رحمة من ربك	: لكن برحمة من الله وفضل أنزله عليك.
فلا تكونن ظهيراً	: أي فمن شكر هذه النعمة أن لاتكون معيناً للكافرين.
ولايصدنك	: أي لايصرفنك عن العمل بآيات الله بعد أن شرفك الله بإنزالها عليك.
وادع إلى ربك	: أي ادع الناس إلى الإيمان بالله وعبادته وترك الشرك به.
ولاتدع مع الله إلهاً آخر	: أي لاتعبد مع الله إلهاً آخر بدعائه والذبح والنذر له.
كل شيء هالك	: أي فانٍ.
إلا وجهه	: أي إلا الله سبحانه وتعالى فلا يهلك كما يهلك ماعداه.

معنى الآيات :

تقدم في السياق الكريم الدعوة إلى أصول الدين الثلاثة : التوحيد، النبوة، البعث والجزاء وهذه خاتمة ذلك في هذه السورة الكريمة فقال تعالى : ﴿إن الذي[1] فرض عليك القرآن﴾ أي أنزله عليك وفرض عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه، ﴿لرادك﴾ أي لمرجعك[2] ﴿إلى معاد[3]﴾ وهو العودة إلى مكة بعد خروجك منها واشتياقك إلى العودة إليها وإلى الجنة بعد وفاتك لأنك دخلتها ليلة عُرج بك إلى السماء وفي هذا تقرير لنبوته ﷺ بالوحي إليه، وقوله تعالى : ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ فإنه تعليم له ﷺ بما يرد به على المشركين الذين اتهموه بأنه ضال في دعوته وخروجه عن دين آبائه وأجداده علّمه أن يقول لهم ربي أعلم بمن جاء بالهدى وهو أنا، رسول الله، ومن هو في ضلال مبين وهو أنتم أيها المشركون. وقوله ﴿وماكنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ أي وما كنت يامحمد تأمل أن ينزل عليك القرآن، وذلك قبل بعثته ﷺ، وقوله ﴿إلا رحمة من[4] ربك﴾ أي لكن رحمة ربك عليك اقتضت إنزاله عليك لتكون رسول الله للعالمين، وهي نعمة كبيرة وإفضال عظيم فاشكره بما يلي :

(١) ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ أي عوناً لهم بحال من الأحوال.

---

(١) ختمت هذه السورة المكية بخاتمة نزلت بالمدينة، وهي بشرى له ﷺ بأن مردهُ إلى مكة فاتحاً قاهراً غالباً وحقق الله تعالى له ذلك فبعد ثمان سنوات من هجرته ظهر مصداق هذه البشرى.

(٢) مرجعك: اسم فاعل من أرجعه الرباعي فهو مرجع له.

(٣) وفسّر المعاد بالجنة لأنه دخلها ليلة المعراج، وأخرج منها وبقيت نفسه ملتصقة بها فبشر بأن الله تعالى سيرده إليها.

(٤) الاستثناء منقطع لذا فسّر بلكن.

(٢) ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ فتترك تلاوتها وإبلاغها والعمل بها. وفي هذا تقرير للنبوة المحمدية.

(٣) ﴿وادع إلى ربك﴾ ادع الناس إلى توحيد ربك والعمل بشرعه.

(٤) ﴿ولاتكونن من المشركين﴾ أي فتبرأ منهم ولاترضى بشركهم وادعهم إلى خلافه وهو التوحيد.

(٥) ﴿ولاتدع مع الله إلهاً آخر﴾ أي لاتعبد مع الله إلهاً آخر لا بالدعاء ولا بالنذر والذبح ولابتقديم أيّ قربان أو طاعة لغير الله سبحانه وتعالى، وفي هذا تقرير للتوحيد وقوله ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير للتوحيد بإبطال أن يكون هناك إله مع الله.

وقوله ﴿كل شيء هالك إلا وجهه[1]﴾ يخبر تعالى أن كل عمل لايراد به وجه الله فهو باطل ذاهب بلا مثوبة عليه. كما أن كل شيء سوى الله عز وجل فانٍ ولم يبق إلا الله سبحانه وتعالى كقوله ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ﴿وله الحكم﴾ أي القضاء العادل بين عباده وقوله ﴿وإليه ترجعون﴾ أي بعد الموت للحساب والجزاء يوم بعثكم وحشركم إليه عز وجل، وفي هذا تقرير للبعث والجزاء. والحمد لله أولاً وآخراً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ معجزة القرآن في وقوع الغيب بعد الإخبار به وذلك حيث عاد الرسول ﷺ إلى مكة بعد الخروج منها.

٢ ـ مشروعية الملاينة في الجدال والمناظرة أثناء الدعوة باستعمال اسلوب التشكيك.

٣ ـ حرمة معاونة الكفار ومناصرتهم لاسيما ضد المؤمنين.

٤ ـ وجوب الثبات والصبر على الدعوة حتى نجاحها ببلوغها الناس واستجابتهم لها.

٥ ـ تقرير التوحيد والبعث والنبوة المحمدية.

٦ ـ فناء كل شيء إلا الله تعالى إلا ماورد الدليل بعدم فنائه وعُدَّ منهُ ثمانية نظمها بعضهم بقوله:

هي العرش والكرسي نار وجنة
وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

---

(١) قال مجاهد: معناه إلاّ هو، وقال سفيان، وأبو العالية: إلاّ ما أريد به وجهه أي: ما يفعل من الطاعات لأجله، كما قال الشاعر:

استغفر الله ذنباً لست مُحصيه   ربّ العباد إليه الوجه والعمل

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

مكيـــة[1]

وآياتها تسع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

الٓم : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب الٓم وتقرأ ألف لام ميم .

وهم لايفتنون : أي لايختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم من التكاليف ومنها الصبر على الأذى .

ولقد فتنا الذين من قبلهم : أي اختبرنا من قبلهم إذ هي سنة جارية في الناس .

فليعلمن الله الذين صدقوا : أي في إيمانهم ، وليعلمن الذين كذبوا فيه بما يظهر من أعمالهم .

أن يسبقونا : أي يفوتونا فلا ننتقم منهم .

(١) روي أن الآيات الأولى منها نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة ، وقال علي بن أبي طالب : نزلت بين مكة والمدينة .

ساء مايحكمون	: أي بئس الحكم هذا الذي يحكمون به، وهو حسبانهم أنهم يفوتون الله تعالى ولم يقدر على الانتقام منهم.
من كان يرجو لقاء الله	: أي من كان يؤمن بلقاء الله وينتظر وقوعه فليعلم أن أجله لآت فليستعد له بالإيمان وصالح الأعمال.
ومن جاهد	: أي بذل الجهد في حرب الكفار أو النفس.
فإنما يجاهد لنفسه	: أي منفعة الجهاد من الأجر عائدة على نفسه.
ولنجزينهم أحسن	: أي ولنجزينهم على أعمالهم بأحسن عمل كانوا عملوه.

معنى الآيات :

آلم : الله أعلم بمراده به وهذا هو مذهب السلف في هذه الحروف وهو تفويض علمها إلى منزّلها عز وجل وقوله ﴿أحسب[1] الناس﴾ أي أظن الناس ﴿أن يقولوا آمنا﴾ فيكتفى منهم بذلك و﴿وهم لايفتنون﴾ أي ولايختبرون بل لابد من اختبار بالتكاليف الشاقة كالهجرة والجهاد والصلاة والصيام والزكاة وترك الشهوات والصبر على الأذى. والآية وإن نزلت في مثل عمار بن ياسر وبلال وعياش فإنها عامة إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، واللفظ عام هنا، لأن اسم الجنس إذا دخلت عليه «ال» أفادت استغراق جميع أفراده. وقوله تعالى: ﴿ولقد فتنا الذين[2] من قبلهم﴾ من الأمم السابقة فهي إذاً سنة ماضية في الناس لا تتخلف. وقوله تعالى ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في إيمانهم أي يظهر ذلك[3] ويعلمه مشاهدة بعد أن عَلِمَه قبل إخراجه إلى الوجود حيث قدر ذلك وكتبه في كتاب المقادير وذلك بتكليفهم وقيامهم بما كلفوا به من

---

(١) قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية مسلية للمعذبين بمكة المتخلفين عن الهجرة وهم: سلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر، وياسر أبوه وسميّة أمّه إذ كانت صدورهم تضيق بالعذاب وربما استنكر أن يمكن الله الكفّار من المؤمنين.

(٢) روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاّ الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون) وروى ابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشدّ بلاء؟ قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة!!).

(٣) وفي الحديث: (من أسرّ سريرة ألبسه الله رداءها) أي: أظهرها عليه.

شاق الأفعال وشاق التروك، إذ الهجرة والجهاد والزكاة أفعال، وترك الربا والزنا والخمر تروك ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ حيث ادَّعوا الإيمان ولما ابتلوا بالتكاليف لم يقوموا بها، فبان بذلك عدم صدقهم وإنهم كاذبون في دعواهم أنهم مؤمنون. وقوله تعالى: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا﴾[1] أي أظن ﴿الذين يعملون السيئات﴾ من الشرك والمعاصي ﴿أن يسبقونا﴾ أي يفوتونا فلم نأخذهم بالعذاب. ﴿ساء مايحكمون﴾ به لأنفسهم أي قبح حكمهم هذا من حكم لفساده، إذ أقاموه على ظن منهم أن الله تعالى لايقدر عليهم وهو على كل شيء قدير وأنه لايعلمهم وهو بكل شيء عليم. وقوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء[2] الله فإن أجل الله لآت﴾ أي ﴿من كان﴾ يؤمن ويؤمل لقاء الله وذلك يوم القيامة فليعلم أن أجل الله المضروب لذلك لآت قطعاً وعليه فليستعد للقائه بما يناسبه وهو الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والعمل الفاسد، ومن هنا دعوى المرء أنه يرجو لقاء ربه ولم يعمل صالحاً يثاب عليه، دعوى لاتصح قال تعالى في سورة الكهف ﴿.. فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً﴾ (١١٠) وقوله ﴿وهو السميع العليم﴾ أي هو تعالى السميع لأقوال عباده العليم بنياتهم وأعمالهم، فدعوى الإيمان ظاهرة من العبد أو باطنة لاقيمة لها مالم يقم صاحبها الدليل عليها وذلك بالإيمان والجهاد للعدو[3] الظاهر والباطن. وقوله تعالى: ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ أي منفعة هذه العبادة عائدة على العبد نفسه أما الله عز وجل فهو في غنى عن عمل عباده غِنىً مطلقاً وهذا مادل عليه قوله: ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات إذ كل ماسوى الله تعالى عالم ويجمع على عوالم وعالمين.[4] وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ هذا وعد من الله تعالى لمن آمن من عباده وذلك على إيمانه وصالح عمله فعلاً وتركا بأنه يكفر عنه سيئاته التي عملها قبل الإسلام وبعده. ومعنى يكفرِّها عنهم يغطيها ويسترها ولم يطالبهم بها كأنهم لم يفعلوها. وقوله ﴿ولنجزينهم﴾ أي على أعمالهم الصالحة ﴿أحسن﴾ أي بأحسن عمل عملوه فتكون أعظم ماتكون مضاعفة. وهذا من تكرمه على عباده الصالحين ليجزي بالحسنة أضعافها مئات المرات.

(١) قال ابن عباس: المراد بهم: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل والأسود بن العاص بن هشام وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وحنظلة بن أبي سفيان والعاص بن وائل.

(٢) قال القرطبي: أجمع أهل التفسير على أنّ المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملاً صالحاً فإنه لابد أن يأتيه.

(٣) المراد بجهاد العدو الظاهر الكفار والباطن النفسي.

(٤) جمع ملحق بمذكر سالم نحو: الحمد لله رب العالمين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان سنة أن الإيمان يصدق بالأعمال أو يكذب.

٢ ـ بيان ضرورة التكليف لما يشق على النفس فعله أو تركه ولكن ليس بما لا يطاق.

٣ ـ تحذير المغترين من العقوبة وإن تأخرت زمناً ما فإنها واقعة لا محالة.

٤ ـ ثمرة الجهاد عائدة على المجاهد نفسه. فلذا لا ينبغي أن يمنها على الله تعالى بأن يقول فعلت وفعلت.

٥ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الوعد للذين آمنوا وعملوا الصلحات بتكفير السيئات والجزاء الأحسن أي هذا يتم يوم البعث.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا(١) وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا

---

(١) يصح إعراب (حسنا) على أنه منصوب على نزع الخافض أي: بالحسن، نحو: وصيته خيراً، أي: بالخير، ويصح أيضاً أن يكون العامل محذوفاً تقديره ووصينا الإنسان بوالديه أن يفعل بهما حسناً، كما قال الشاعر:

عجبت من دهماء إذ تشكونا ومن أبي دهماء إذ يوصينا
خيراً بها كأنما خافونا

أي يوصينا أن نفعل بها خيراً

وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

ووصينا الانسان : أي عهدنا إليه بطريق الوحي المنزل على رسولنا.

بوالديه حسناً : أي إيصاءً ذا حسن، وذلك ببرهما وعدم عقوقهما.

وإن جاهداك : أي بذلا الجهد في حملك على أن تشرك.

لندخلنهم في الصالحين : أي لندخلنهم مدخلهم في الجنة.

فتنة الناس : أي أذاهم له.

كعذاب الله : أي في الخوف منه فيطيعهم فينافق.

إنا كنا معكم : أي في الإيمان وإنما أكرهنا على ماقلنا بألسنتنا.

إتبعوا سبيلنا : أي ديننا ومانحن عليه.

ولنحمل خطاياكم : أي ليكن منكم اتباع لسبيلنا وليكن منا حمل لخطاياكم، فالكلام خبر وليس إنشاء.

وليحملن أثقالهم : أي أوزارهم، والأوزار الذنوب.

وأثقالاً مع أثقالهم : أي من أجل قولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا.

عما كانوا يفترون : أي يكذبون.

معنى الآيات :

هذه الآيات نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص[(١)] لما أسلم قالت له أمه حمنة بنت أبي سفيان ماهذا الدين الذي أحدثت والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ماكنت عليه أو أموت فتصير بذلك أبد الدهر يقال ياقاتل أمه، ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم

---

(١) روى مسلم وغيره عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: نزلت في أربع آيات فذكر قصته قال: قالت أم سعد: أليس الله قد أمرك بالبر؟ والله لاأطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها فنزلت هذه الآية.

تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد إليها وقال : يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ماتركت ديني فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي، فلما أيست منه أسلمت وأكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أي عهدنا إليه بواسطة الرسل إيصاءً ذا حسن وهو برهما بطاعتهما في المعروف وترك أذاهما ولو قل، وإيصال الخير بهما من كل ماهو خير قولاً كان أو فعلاً . وقوله تعالى : ﴿وإن جاهداك﴾ أي بذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي شيئا من الشرك أو الشركاء فلا تطعهما كما فعل سعد بن أبي وقاص مع والدته في عدم إطاعتها. وقوله ﴿إليّ مرجعكم﴾ أولاداً ووالدين ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ وأجزيكم به فلذا قدموا طاعتي على طاعة الوالدين، فإني أنا الذي أحاسبكم وأجزيكم بعملكم أنتم وإياهم على حد سواء . وقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا﴾ أي بالله ورسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ التي هي العبادات التي تَعَبَّد الله تعالى بها عباده المؤمنين، فشرعها لهم وبينها رسوله ﷺ كالذكر وقراءة القرآن والصلاة والصيام والصدقات والجهاد والحج وما إلى ذلك. هؤلاء الذين جمعوا بين الإيمان الحق والعمل الصالح الخالي من الشرك والرياء. يقسم الله تعالى أنه يدخلهم في مدخل الصالحين وهم الأنبياء والأولياء في الجنة دار السلام . وقوله تعالى : ﴿ومن الناس[1] من يقول آمنا بالله﴾ الآية هذه نزلت في أناس كانوا بمكة وآمنوا وأعلنوا عن إيمانهم فاضطهدهم المشركون فكانوا ينافقون فأخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله﴾ أي آذاه المشركون نافق وارتد ﴿جعل فتنة الناس﴾ أي أذاهم له وتعذيبهم إياه ﴿كعذاب الله﴾ يوم القيامة فوافق المشركين على الكفر. وقوله تعالى : ﴿ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم﴾ أي على الإيمان وإنما كنا مكرهين وهذه نزلت فيمن خرجوا من مكة إلى بدر مع المشركين لما انهزم المشركون وانتصر المسلمون وأسروا قالوا ﴿إنا كنا معكم﴾ أي على الإيمان فرد تعالى دعواهم بقوله ﴿أو ليس[2] الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي الناس. وقوله تعالى : ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ تقرير لما سبق في الآية قبل وليترتب عليه الجزاء على الإيمان وعلى النفاق. فعلمه تعالى يستلزم الجزاء العادل فأهل الإيمان يجزيهم بالنعيم المقيم وأهل النفاق بالعذاب المهين. أولئك في دار السلام وهؤلاء في دار البوار. وقوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ أي ديننا

(١) قال الضحاك هذه الآية نزلت في ناس من المنافقين في مكة كانوا يؤمنون فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك.
(٢) الاستفهام للتقرير فلذا يجاب ببلى.

وما نحن عليه ﴿ولنحمل خطاياكم﴾[1] أي قال رؤساء قريش لبعض المؤمنين اتركو سبيل محمد ودينه واتبعوا سبيلنا وديننا، وإن كان هناك بعث وجزاء كما يقول محمد ﷺ ـ نحن مستعدون أن نتحمل خطاياكم ونجازى بها دونكم فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ و ﴿إنهم لكاذبون﴾ في قولهم ولنحمل خطاياكم. وقال تعالى مقسمًا بعزته وجلاله: ﴿وليحملن أثقالهم﴾ أي أوزارهم ﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾ أي وأوزاراً أي ذنوباً مع أوزارهم التي هي ذنوبهم وذلك من أجل ما قالوا لهم. ﴿وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ أي يكذبون من أنهم يحملون خطايا المؤمنين يوم القيامة﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب بر الوالدين في المعروف وعدم طاعتهما فيما هو منكر كالشرك والمعاصي.

٢ ـ بشرى المؤمنين العاملين للصالحات بإدخالهم الجنة مع النبيين والصديقين.

٣ ـ ذم النفاق وكفر المنافقين وإن ادعوا الإيمان فما هم بمؤمنين.

٤ ـ بيان ماكان عليه غلاة الكفر في مكة من العتو والطغيان.

٥ ـ تقرير مبدإ من سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها كما في الحديث الصحيح[2].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

---

(١) جزم الفعل (ولنحمل) على الأمر، قال الفرّاء والزجّاج: هو في تأويل الشرط والجزاء أي: أن تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم، كما قال: مدثار بن شيبان الضمري.

تقول خليلتي لما اشتكينا سيدركنا بنو القرم الهجان

فقلت ادعي وأدع فإن أندى لصوت أن ينادىَ داعيان

أي: إن دعوت دعوت.

(٢) نص الحديث كما هو في الصحيح: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن دعى إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئا)وفي الصحيح أيضاً (ما قتلت نفس ظلماً إلاّ كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أوّل من سنّ القتل).

شرح الكلمات :

ولقد أرسلنا نوحاً : أي نوحاً بن لَمْكْبن مُتَوَشْلخْ بن ادريس من ولد شيث بن آدم، بينه وبين آدم ألف سنة.

فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً : أي فمكث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى تسعمائة وخمسين سنة.

فأخذهم الطوفان : أي الماء الكثير الذي طاف بهم وعلاهم فأغرقهم.

وهم ظالمون : أي مشركون.

وجعلناها آية للعالمين : أي عبرة للناس يعتبرون بها فلا يشركون ولايعصون.

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى ما كان يلاقيه رسوله والمؤمنون من مشركي قريش ذكر تعالى نوحاً وإبراهيم وكلاهما قد عانى ولاقى مالم يلاقه محمد ﷺ وأصحابه ليكون ذلك تسلية لهم وتخفيفاً عنهم فقال تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه[1]﴾ وقوم نوح يومئذ هم البشرية جمعاء. إذ لم يكن غيرهم ﴿فلبث فيهم﴾ أي مكث يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها وترك الأصنام الخمسة التي كانت لهم وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكان هؤلاء الخمسة رجالاً صالحين فلما ماتوا بنوا على قبورهم ووضعوا لهم تماثيل بحجة أنها تذكرهم بالله فيرغبوا في الطاعة والعمل الصالح ثم زين لهم الشيطان عبادتهم فعبدوهم فبعث الله تعالى إليهم نوحاً رسولاً فدعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة هؤلاء ﴿فلبث فيهم ألف[2] سنة إلا خمسين عاماً﴾ يدعـوهم فلم يستجيبوا له ﴿فـدعـا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ فاستجاب الله له فأنجاه وأصحاب السفينة وهم المؤمنون وهلك في الطوفان زوجته وولده كنعان وسائر البشر إلا نوحاً

---

(١) روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (أوّل نبي أرسل واختلف في سني عمره: فروى عن أنس أن النبي ﷺ قال: لمّا بعث الله نوحاً إلى قومه وبعثه وهو ابن لخمسين ومائتي سنة فلبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، وبقي بعد الطوفان خمسين ومائتي سنة فلما أتاه ملك الموت قال: يا نوح يا أكبر الأنبياء وياطويل العمر ويا مجاب الدعوة كيف رأيت الدنيا؟ قال مثل رجل بنى له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر).

(٢) العدول عن السنة إلى العام حتى لا يحصل تكرار في لفظ السنة وهو من بلاغة الكلام.

ومن معه في السفينة، وكانوا قرابة الثمانين نسمة، وخلف نوحاً ثلاثة أولاد هم سام وهو أبو العرب وفارس والروم وهم الجنس السامي وحام وهو أبو القبط والسودان والبربر ويافث وهو أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، هذا معنى قوله تعالى: ﴿فأخذهم الطوفان[1] وهم ظالمون﴾ أي لأنفسهم بالشرك. ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة[2]﴾ ومن بين مافيها أبناؤه الثلاثة سام وحام ويافث ومنهم عمر الكون بالبشر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وقوله ﴿وجعلناها[3] آية للعالمين﴾ أي حادثة الطوفان ومنها السفينة ومكث تلك المدة الطويلة مع قلة المستجيبين ﴿آية﴾ أي عبرة ﴿للعالمين﴾ أي للناس ليعتبروا بها فلا يعصوا رسلهم ولا يشركون بربهم هذا إذا اعتبروا وقليل من يعتبر.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ ـ بيان سنة الله تعالى في ارسال الرسل لهداية الخلق.

٢ ـ بيان قلة من استجاب لنوح مع المدة الطويلة فيكون هذا تسلية لرسول الله ﷺ والدعاة من بعده.

٣ ـ بيان اهلاك الله تعالى الظالمين وإنجائه المؤمنين وهي عبرة للمعتبرين.

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟

---

(١) الطوفان: مأخوذ من أطاف بالشيء يطيف وهو كطاف يطوف طوفاً وطوفاناً قال النحاس يقال: لكل كثير مطيف بالجميع. من مطر أو قتل أو موت طوفان.

(٢) في البخاري أن قتادة قال: بقيت السفينة على الجودي حتى نظرتها أوائل هذه الأمة. وقيل: إنها دامت إلى أوائل الدولة العباسية ثم غمرتها الثلوج، وكان الجودي الذي رست فوقه قرب (باقِردَى) وهي قرية من جزيرة بن عمر بالموصل شرقي دجلة.

(٣) الضمير في: (وجعلناها) عائد إلى السفينة، وما في التفسير أعم وأشمل.

﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

شرح الكلمات :

وإبراهيم : أي واذكـر إبراهيم على قراءة النصب لإبراهيم، وعلى قراءة الرفع: ومن المرسلين إبراهيم.

اعبدوا الله واتقوه : أي آمنوا به ووحدوه في عبادته واتقوا أن تشركوا به وتعصوه.

أوثاناً : أصناماً وأحجاراً وصُوَراً وتماثيل.

وتخلقون إفكاً : أي تختلقون الكذب فتقولون في الأصنام والأوثان آلهة وتعبدونها.

فابتغوا عند الله الرزق : أي اطلبوا الرزق من الله الخلاق العليم لا من الأصنام والتماثيل المصنوعة المنحوتة بأيدي الرجال بالمعاول والفؤوس.

واعبدوه : أي بالإيمان به وتوحيده واشكروه بطاعته.

وإن تكذبوا : أي ياأهل مكة بعد هذا الذي عرضنا عليكم من الآيات والعبر فقد كذب أمم من قبلكم.

وما على الرسول : أي محمد ﷺ.

إلا البلاغ المبين : وقد بلغ وبين فبرئت ذمته وأنتم المكذبون ستحل بكم نقمة الله.

معنى الآيات :

هذا القصص معطوف على قصص نوح لتسلية الرسول ﷺ والمؤمنين ولتذكير قريش بأنها في إصرارها على الشرك والتكذيب للرسول ﷺ صائرة إلى ماصار إليه المكذبون من قبل إن لم تتب إلى الله وترجع إليه بالإيمان والطاعة وترك الشرك والمعاصي قال تعالى: ﴿وإبراهيم﴾ أي[1] واذكر يارسولنا إبراهيم خليلنا ﴿إذ قال لقومه﴾ البابليين ومن بينهم والده آزرْ ياقوم ﴿اعبدوا الله﴾ أي بتوحيده في عبادته ﴿واتقوه﴾ بترك الشرك والعصيان وإلا حلَّت بكم عقوبته ونزل بكم عذابـه وقـوله ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي الإيمان والتوحيد والطاعة خير لكم من الكفر والشرك والعصيان. إذ الأول يجلب الخير والثاني يجلب الشر ﴿إن كنتم تعلمون﴾ الخير

(١) ويجوز أن يكون منصوبا بـ (أنجينا) معطوفا على الهاء.

والشر وتفرقون بينهما وقوله عليه السلام «إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً» يخبرهم معرفاً لهم بخطئهم فيقول ﴿إنما تعبدون[1] من دون الله أوثاناً[2]﴾ أي أصناماً وتماثيل وعبادة الأصنام والأوثان عبادة باطلة لاتجلب لكم نفعاً ولاتدفع عنكم ضراً. إن الذي يجب أن يعبد الله الخالق الرازق الضار النافع المحيي المميت السميع البصير. أما الأوثان فلا شيء في عبادتها إلا الضلال واتباع الهوى. وقوله لهم ﴿وتخلقون إفكاً﴾ أي وتصنعون كذباً تختلقونه اختلاقاً عندما تقولون في التماثيل والاصنام إنها آلهة. وقوله عليه السلام لقومه ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً﴾ يخبرهم عليه السلام معرفاً لهم بحقيقة هم عنها غافلون وهي أن الذين يعبدونهم من دون الله لايملكون لهم رزقاً لأنهم لايقدرون على ذلك فما الفائدة إذاً من عبادتهم وما الحاجة الداعية إليها لولا الغفلة والجهل، ولما أبطل لهم عبادة الأصنام أرشدهم إلى عبادة الله الواحد القهار فقال ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ إن كنتم عبدتم الأصنام لذلك فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فاطلبوا عنده الرزق فإنه مالكه والقادر على إعطائه ﴿واعبدوه﴾ بالإيمان به وبرسوله وبتوحيده ﴿واشكروا له[3]﴾ يرزقكم ويحفظ عليكم الرزق وقوله ﴿إليه ترجعون﴾ ذكّرهم بعلة غفلتهم ومَصْدَر جهلهم وهي كفرهم بالبعث فأعلمهم أنهم إليه تعالى لا إلى غيره يرجعون. إذاً فليتعرفوا إليه ويعبدوه طلباً لرضاه واكرامهم يوم يلقونه. وقوله تعالى ﴿وإن تكذبوا﴾ أي يا أهل مكة رسولنا وتنكروا وحينا وتكفروا بلقائنا فلستم وحدكم في ذلك. ﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ قوم نوح وعاد وفرعون وقوم إبراهيم وأصحاب مدين وغيرهم ﴿وماعلى الرسول[4]﴾ أي رسولنا محمد ﷺ إلا البلاغ المبين وقد بلغكم وأنتم الآن بين خيارين لا ثالث لهما: الأول أن تتعظوا بما أسمعناكم وأريناكم من آياتنا فتؤمنوا وتوحدوا وتطيعوا فتكملوا وتسعدوا وإما أن تبقوا[5] على إصراركم على الشرك والكفر والعصيان فسوف يحل بكم ماحل بأمثالكم، إذ كفاركم ليسوا بخير من كفار أولئكم الذين انتقم الله منهم وأذاقهم سوء العذاب. هذا مادلت عليه الآية (١٨) وهي معترضة بين الآيات التي اشتملت على قصص

---

(١) إنما: ما: كافة أوثاناً منصوب بـ (تعبدون).

(٢) قال أبو عبيدة: الصنم ما يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس والوثن ما اتخذ من حصى أو حجارة.

(٣) سلك ابراهيم في دعوة قومه هذه سبيل الاستدلال بالنعم الحسية لأنّ إثباتها أقرب إلى أذهان العوام، وعدى الشكر باللام لما تفيده اللام من الاختصاص أي: الاستحقاق.

(٤) القصد من هذه الجملة: (وما على الرسول إلّا البلاغ المبين) إعلام المخاطبين بأن تكذيبهم لا يلحقه منه ما فيه نكاية به أو تشفٍّ منه، فإن كان من خطاب الله تعالى لقريش فالمراد من الرسول محمد ﷺ، وإن كان من كلام إبراهيم، فالمراد به إبراهيم نفسه سلك فيه مسلك الإظهار في مقام الإضمار تنويعاً للأسلوب.

(٥) أي: والثاني: أن تبقوا على إصراركم أعني الخيار الثاني بعد الأول.

إبراهيم عليه السلام . وسر الاعتراض هو وجود فرصة في سياق الكلام قد تلفت أنظار القوم وتأخذ بقلوبهم إذ الآيات كلها مسوقة لهدايتهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب عبادة الله وتقواه طلباً للنجاة من الخسران في الدارين .

٢ ـ بطلان عبادة غير الله ووجوب عبادة الله عن طريق الأدلة العقلية .

٣ ـ ماعبد الناس الأوثان إلا من جهلهم وفقرهم فلذا يجب أن يعلموا أن الله هو ربهم المستحق لعبادتهم وأن الله تعالى هو الذي يسد فقرهم ويرزقهم ومن عداه لايملك ذلك لهم

٤ ـ وجوب شكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وبطاعته وصرف النعم فيما من أجله أنعم بها على عبده .

٥ ـ تسلية الرسول ﷺ وتأنيب المشركين من أهل مكة .

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

أو لم يروا : أي ينظروا بأبصارهم فيعلموا بقلوبهم .

يبدىء الله الخلق : أي كيف يخلق المخلوق ابتداء.

ثم يعيده : أي ثم هو تعالى يعيده بعد بدئه وإفنائه يعيده لأن الإعادة أهون من البدء وقد بدأ وأفنى فهو بالضرورة قادر على الإعادة.

إن ذلك : أي أن الخلق الأول والثانى هو الاعادة.

على الله يسير : أي سهل لاصعوبة فيه، فكيف إذاً ينكر المشركون البعث.

قل سيروا في الأرض : أي قل يارسولنا لقومك المكذبين بالبعث سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق وأنشأه، تستدلون بذلك على قدرته عل البعث الآخر.

ثم الله ينشيء النشأة الآخرة : أي يحيي الناس بعد موتهم وهو البعث الآخر الذي أنكره الجاهلون.

وإليه تقلبون : أي ترجعون إليه لا إلى غيره أحياء كما كنتم فيحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم، الحسنة بخير منها والسيئة بمثلها جزاء عادلاً.

وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء : أي بغالبين ولا فائتين بالهروب فإن الله غالبكم.

ومالكم من دون الله من ولي ولانصير : ليس لكم من ولي يتولاكم ولانصير ينصركم من الله تعالى.

يئسوا من رحمتي : أي من دخول الجنة لأنهم كافرون أعظم كفر وهو التكذيب بالقرآن والبعث الآخر.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير أصول الدين التوحيد والنبوة والبعث وقد قررت الآيات السابقة أصلي التوحيد والنبوة المحمدية وفي هذه الآيات تقرير الأصل الثالث وهو البعث والجزاء في

الدار الآخرة. قال: ﴿أو لم يروا﴾[1] أي أولئك المنكرون للبعث، أيكذبون؟، ولم ينظروا كيف يبدىء الله الخلق أي خلق الإنسان، فإن ذلك دال على إعادته متىٰ أراد الله الخالق ذلك، ثم هو تعالى يعيده متىٰ شاء، ﴿إن ذلك﴾ أي الخلق والإعادة بعد الفناء والبلىٰ ﴿على الله يسير﴾ سهل لايتعذر عليه أبداً.

وقوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض﴾[2] أي قل يارسولنا للمكذبين بالبعث الآخر ﴿سيروا في الأرض﴾ شرقاً وغرباً ﴿فانظروا كيف بدأ﴾ تعالى خلق تلك المخلوقات التي تشاهدونها من أرض، وسماء، وانهار، وأشجار، وحيوان، وإنسان، إنها كلها كانت عدماً فأنشأها الله تعالى ثم هو سيفنيها ﴿ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾[3] وذلك بأن يعيد حياة الانسان ليحاسبه على كسبه في الدنيا ويجزيه به خيراً أو شراً، ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾[4] إذاً فلا يستنكر عليه إعادة الناس أحياء بعد نهاية هذه الحياة الدنيا ليحاسبهم ويجزيهم بما كانوا يعملون. وقوله تعالى: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ هذه فائدة وحكمة البعث الآخرة وهي المجازاة على العمل في هذه الحياة فيعذب أهل الكفر به وبرسوله والذين لم يزكوا أنفسهم بالإيمان وصالح الأعمال فيدخلهم جهنم دار الشقاء والعذاب ويرحم أهل الإيمان والتقوى الذين زكوا أنفسهم بالإيمان والصالحات. وقوله: ﴿وإليه تقلبون﴾ أي إلى الله ربكم ترجعون بعد الموت والفناء وإنشاء النشأة الآخرة وقوله ﴿وما أنتم بمعجزين﴾[5] أي الله تعالى ﴿في الأرض ولافي السماء﴾ بل أنتم مقهورون له خاضعون لسلطانه لايمكنكم الهرب منه ولا الخلاص بحال من الأحوال. وليس لكم من دونه تعالى ولي يتولاكم فيدفع عنكم العذاب ولانصير ينصركم فلا تُغلَبون ولاتُعذبون وقوله تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ التي جاءت بها

---

(١) الاستفهام للإنكار والتوبيخ لهم على عدم استعمال عقولهم إذ ينكرون البعث وأمامهم صوّر منه دالة عليه فهو يبدىء الثمار فتحيا ثم تفنى ثم يعيدها أبداً ويخلق المرء ثم يميته بعد أن يخلق منه ولداً ويخلق من الولد ولداً، وهكذا تتكرر عملية البعث أمامهم فما لهم لا يرونها؟!

(٢) هذا الأمر للارشاد والتوجيه والنصح لو كانوا يعقلون.

(٣) أظهر اسم الجلالة بعد تقديم ذكر ضميره في قوله: (كيف بدأ الخلق) ليحرك ضمائرهم باسم الجلالة ويدفع بنفوسهم إلى التسليم بالنشأة الآخرة بعد التسليم بالنشأة الأولى وهي بدء الخلق.

(٤) الجملة تذييلية أعلن فيها عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء أراده: البدء كالإعادة سواء.

(٥) المعجز: هو الذي يجعل غيره عاجزاً عن فعل ما وهو هنا كناية عن الغلبة والانقلاب، قرّر بهذه الجملة عجزهم التام في الأرض التي هم يسكنونها، وحتى في السماء لو فرض أنهم يرقونها وما هم بأهل لذلك كما قال الأعشى.

فلو كنت في جبّ ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلّم

رسله ﴿ولقائه﴾ وهو البعث الآخر الموجب للوقوف بين يدي الله للسؤال والحساب والجزاء هذا إن كان للعبد مايحاسب عليه من الخير، أما إن لم يكن له حسنات فإنه يُلقى في جهنم بلا حساب ولاوزن إذ ليس له من الصالحات مايوزن له ويحاسب به، ولذا قال تعالى: ﴿أولئك﴾ أي المكذبون بآيات[1] الله ولقائه ﴿يئسوا من رحمتي[2]﴾ إذ تكذيبهم بالقرآن مانع من الإيمان والعمل الصالح وتكذيبهم بيوم القيامة مانع لهم أن يتخلوا عن الشرك والمعاصي، أو يعملوا صالحاً من الصالحات لتكذيبهم بالجزاء، فهم يائسون من الجنة. ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ أي موجع وهو عذاب النار في جهنم والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب استعمال العقل للاستدلال على الغائب بالحاضر وعلى المعدوم بالموجود.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء وذكر أدلتها التفصيلية.

٣ ـ تقرير عجز الانسان التام وأنه لامهرب له من الله تعالى ربه ومالكه وهي حال تستدعي الفرار إلى الله اليوم بالإيمان والتقوى.

٤ ـ إنذار المكذبين بأنهم إن ماتوا على التكذيب بالبعث لايدخلون الجنة بحال، وسيعذبون في نار جهنم أشد العذاب.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

---

(١) المراد بآيات الله: القرآن الكريم: المشتمل على الأدلة والبراهين والحجج الدالة على قدرة الله وعلمه وحكمته والمفصلة لأنواع عباداته.

(٢) أخبر عن يأسهم بالفعل الماضي تنبيها على تحقيق وقوعه وإن كان المعنى أنهم سييأسون من رحمة الله التي هي الجنة لا محالة.

شرح الكلمات :

فما كان جواب قومه : أي قوم إبراهيم عليه السلام .

إلا أن قالوا اقتلوه : أي إلا قولهم اقتلوه أوحرقوه

إن في ذلك لآيات : أي في كون النار لم تحرق الخليل ويخرج منها سالماً .

لقوم يؤمنون : لأن المؤمنين هم الذين ينتفعون بالآيات لحياة قلوبهم .

أوثاناً مودة بينكم : أي اتخذتم أوثانكم آلهة تتوادون من أجل عبادتها وتتحابون لذلك .

في الحياة الدنيا : أي هذا التوادد والتحاب على الآلهة في الحياة الدنيا فقط أما الآخرة فلا .

يكفر بعضكم ببعض : أي يكفر المتبوعون بأبتاعهم ويتبرأون منهم .

ويلعن بعضكم بعضاً : يلعن الأتباع القادة الذين اتبعوهم في الباطل .

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص[1] إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه لمَّا أفحمهم بالحجة وبين لهم باطلهم وكشف لهم عن جهلهم وضلالهم لجأوا كعادة الطغاة من أهل الكفر والباطل إلى التهديد بالقوة فقالوا ما أخبر به تعالى عنهم: أى ﴿فما كان جواب قومه﴾ فما كان جوابهم أي عما سمعوا من الحجج والبراهين على بطلان الشرك وصحة التوحيد ﴿إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه[2]﴾ أي إلا قولهم اقتلوا إبراهيم بالسيف ونحوه أو حرقوه بالنار، ونفذوا جريمتهم بالفعل وأوقدوا النار وألقوه فيها، وقال الله جل جلاله للنار ﴿يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت كما أُمرت وخرج إبراهيم سالماً لم تحرق النار سوى كتافه الذي شد به يداه ورجلاه. وهو مادل عليه قوله تعالى ﴿فأنجاه الله من النار﴾ وقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي في كون النار لم تحرق إبراهيم فيتخلف طبعها وتصبح برداً وسلاماً على إبراهيم فلم تحرقه، (آيات) أي دلائل قدرة الله تعالى ورحمته وحكمته ولكن تلك الآيات لاينتفع بها غير المؤمنين، لأنهم أموات لايسمعون ولايبصرون ولايعقلون. أما المؤمنون فهم أحياء فينتفعون بما يسمعون ويبصرون لأن الإيمان بمثابة

---

(١) عاد السياق الكريم إلى الحديث عن قصة إبراهيم بعد تلك الجمل الاعتراضية التي تخللت القصة بقصد إثارة شعور قريش وتحريك ضمائرها رجاء أن تطلب الهداية فتحصل عليها إذ هي المقصودة من سوق القصة .

(٢) ثمّ اتفقوا على تحريقه ونفذوا ما اتفقوا عليه فألقوه في النار ونجّاه الله فله الحمد وله المنة .

الروح في البدن فإن وجد في القلب حيي الجسم وان فارقه فالجسم ميت فلا العين تبصر الأحداث ولا الأذن تسمع الآيات. وقوله : ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً[1] مودة بينكم في الحياة الدنيا[2]﴾ هذا من جملة قول إبراهيم لقومه وهو يعظهم ويرشدهم فأخبرهم بحقيقة يتجاهلونها وهي أنهم مااتخذوا تلك الأوثان آلهة يعبدونها إلا لأجل التعارف عليها والتوادد والتحاب من أجلها، فيقيمون الأعياد لها ويجتمعون حولها فيأكلون ويشربون لا أنهم حقيقة يعتقدون أنها آلهة وهي أحجار نحتوها بأيديهم ونصبوها تماثيل في سوح دورهم وأمام منازلهم (ويوم القيامة) أي في الآخرة فالعكس هو الذي سيحدث لهم حيث (يكفر بعضكم ببعض ويلعن[3] بعضكم بعضاً﴾ أي يكفر المتبوعون وهم الرؤساء بمن اتبعوهم وهم الأتباع من الدهماء وعوام الناس،﴿ويلعن بعضكم بعضاً﴾ كل من الأتباع والمتبوعين يطلب بعد الآخر عنه، وعدم الاعتراف به وذلك عند معاينة العذاب ولم تبق تلك الروابط والصلات التي كانت لهم في هذه الحياة !! وقوله : ﴿ومأواكم[4] النار﴾ أي ومقركم الذي يؤويكم جميعاً فتستقرون فيه هو النار ﴿ومالكم من ناصرين﴾ بعد أن أذلكم الله الذي أشركتم به أوثاناً، فجعلتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير أن الظَّلَمَة سنتهم أنهم إذا أعيتهم الحجج يلجأون إلى استعمال القوة.

٢ - في عدم إحراق النار دليل على أن الله تعالى قادر على إبطال السنن إذا شاء ذلك، ومن هنا تكون الكرامات والمعجزات إذْ هى خوارق للعادات.

٣ - بيان أن الخرافيين في اجتماعهم على البدع لم يكن ذلك عن علم بنفع البدعة وإنما لعنصر التوادد والتعارف والتلاقي على الأكل والشرب كما قال إبراهيم لقومه ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾.

---

(١) قرأ نافع (مودّةً) بالتنوين منصوبا، وقرأ حفص بدون تنوين منصوبا مضافاً إلى الظرف، وقرأ ابن كثير وغيره (مودّةُ) بالرفع مضاف إلى (بينكم) على أنه خبر إنّ وما : اسمها.

(٢) قال القرطبي : معنى الآية : جعلتم الأوثان تتحابون عليها في الحياة الدنيا.

(٣) قال القرطبي : تتبرأ الأوثان من عُبادها، والرؤساء من السفلة كما قال الله عز وجل : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين).

(٤) قيل : يحشرون في النار الرؤساء والأتباع والأوثان كقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقوله : (وقودها الناس والحجارة) وهي الأوثان التي كانت تُعبد من دون الله عزّ وجل.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢٧)﴾

شرح الكلمات :

فآمن له لوط : أي آمن بإبراهيم لوط وهو ابن أخيه هاران ولم يؤمن من قومه سواه.

مهاجر إلى ربي : أي إلى حيث أعبد ربي فلا أفتن في ديني.

ووهبنا له إسحق ويعقوب : أي هاجر لأجلنا فأكرمناه في دار هجرته فوهبنا له ذرية هم اسحق الابن ويعقوب الحفيد.

في ذريته النبوة والكتاب : فكل الأنبياء بعده من ذريته وكل الكتب التي أنزلت بعده فهي في ذريته.

وآتيناه أجره في الدنيا : وذلك بالرزق الحسن والثناء الحسن على ألسنة كافة الناس من أهل الأديان الإلهية.

وإنه في الآخرة لمن الصالحين : أي هو أحدهم، فيكرم كما يكرمون بالدرجات العلا، والصالحون هم أنبياء الله ورسله وأولياؤه وصالحو عباده.

معنى الآيات :

هذا آخر قصص إبراهيم الخليل في هذا السياق الكريم فأخبر تعالى أن إبراهيم بعد الجهاد الطويل في الدعوة إلى عبادة الرحمن الرحيم لم يؤمن له ولم يتابعه على الحق الذي دعا إليه إلا لوط بن هاران أخيه فقال تعالى : ﴿فآمن له لوط وقال﴾ أي إبراهيم ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾[١] فترك بلاد قومه من[٢] سواد العراق وارتحل إلى أرض الشام فأكرمه الله تعالى جزاء

(١) المهاجرة : مفاعلة من الهجر الذي هو الترك لما كان ملازماً له وحرف إلى الأصل فيه الانتهاء، وهي هنا أفادت التعليل : أي لأجل ربي إذ هو الذي أمره بها من أجل أن يعبده في دار هجرته هو وأهله.

(٢) من قرية كوثا من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام، ومعه ابن أخيه لوط بن تارخ، وامرأته سارة، وهو أوّل من هاجر في سبيل الله وأوّل من هاجر من أمة محمد ﷺ في سبيل الله تعالى : عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة.

هجرته إلى ربه عز وجل بما أخبر به في هذا السياق حيث قال[1] : ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ وهبه أي أعطاه ولده إسحق بن سارة وولد اسحق وهو يعقوب، وجعل كافة الأنبياء من ذريته وجعل الكتاب فيهم أيضاً فالتوراة أنزلت على موسى، والزبور على داود، والانجيل على عيسى وهم من ذرية إبراهيم، والقرآن الكريم أنزل على محمد ﷺ وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم وقول إبراهيم هوكما قال : ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ وصف ربه بالعزة والحكمة. فقال : ﴿إنه هو العزيز[2] الحكيم﴾ أي الغالب القاهر ﴿الحكيم﴾ الذي وضع كل شيء في موضعه، ودلائل العزة ان أنجى إبراهيم من أيدي الظلمة الطغاة ومن مظاهر الحكمة أن نقله من أرض لاخير فيها إلى أرض كلها خير وأكرمه فيها بما ذكر في قوله ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ وقوله تعالى : ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ حيث رزقه أطيب الأرزاق في دار هجرته ورزقه الثناء الحسن من كل أهل الأديان الإلهية كاليهودية والنصرانية، والإسلام وهو خاتم الأديان هذا في الدنيا أما في الآخرة فإنه من الصالحين ذوي الدرجات العلا والمنازل العالية في مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان حصيلة دعوة إبراهيم كذا سنة وأنها كانت إيمان واحد بها وهو لوط عليه السلام وفي هذا تسلية للرسول الكريم ﷺ.

٢ ـ بيان إكرام الله تعالى لمن يهاجر إليه ويترك أهله وداره.

٣ ـ بيان ما أكرم الله تعالى به إبراهيم من خير الدنيا والآخرة جزاء صبره على دعوة الله تعالى.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ

(١) هذه الهبة كان قبلها هبة اسماعيل إذ وُلد قبل اسحق عليهم السلام.
(٢) هذه الجملة واقعة موقع التعليل لمضمون جملة (إني مهاجر إلى ربي) لأنّ من كان عزيزا يعتزّ به جاره، ومن كان حكيما لا يأمر بغير ما هو خير للمأمور الممتثل لأمره.

﴿فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
(٢٩) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ (٣٠)﴾

شرح الكلمات :

ولوطاً إذا قال لقومه : أي واذكر إذ قال لوط بن هاران لقومه أهل سَدُوم .

أئنكم لتأتون الفاحشة : أي الخصلة القبيحة وهي إتيان الذكران في أدبارهم .

ماسبقكم بها من أحدٍ : أي لم تعرف البشرية قبل قوم لوط إتيان الذكران في أدبارهم .

وتقطعون السبيل : أي باعتدائكم على المارة في السبيل فامتنع الناس من المرور خوفاً منكم .

وتأتون في ناديكم المنكر : أي مجالس أحاديثكم تأتون المنكر كالضراط وحل الإزار والفاحشة أي اللواط .

فما كان جواب قومه : أي إلا قولهم ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص لوط عليه السلام مع قومه أهل سَدُوم وعموريّة والغرض من سياقه تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذه القصص لا يتم لأحد إلّا من طريق الوحي ، وتسلية الرسول من أجل مايلاقي من عناد المشركين ومطالبتهم بالآيات والعذاب قال تعالى : واذكر يارسولنا لقومك لوطاً[١] ﴿إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ وهي الفعلة القبيحة ويزيدها قبحاً أن الناس قبل قوم لوط لم تحدث فيهم هذه الخصلة ولم يعرفها أحد من العالمين ، ثم يواصل لوط إنكاره وتشنيعه عليهم فيقول : ﴿ائنكم[٢] لتأتون الرجال﴾ أي في أدبارهم ﴿وتقطعون السبيل﴾ وذلك أنهم كانوا يعتدون على المارة بعمل الفاحشة معهم قسراً وبسلب أموالهم وبذلك امتنع الناس من المرور فانقطعت السبيل ، كما أنهم بإتيانهم الذكران عطلوا النسل

---

(١) (لوطاً) منصوب إمّا على تقدير اذكر كما في التفسير أو على تقدير وأرسلنا أو أنجينا كما تقدم في قوله تعالى: (وابراهيم . .)

(٢) الاستفهام للإنكار والتوبيخ والتقرير على جريمتهم التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين.

بقطع سبيل الولادة، وزاد لوط في تأنيبهم والإنكار عليهم والتوبيخ لهم فقال ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ والنادي محل اجتماعهم وتحدثهم وإتيان المنكر فيه كان بارتكاب الفاحشة مع بعضهم بعضاً، وبالتضارط فيه، وحل الإزار، والقذف بالحصىٰ وما إلى ذلك[1] مما يؤثر عنهم من سوء وقبح. قال تعالى: ﴿فما كان جواب قومه﴾ بعد أن أنبهم ووبخهم ناهيا لهم عن مثل هذه الفواحش ﴿إلا أن قالوا إئتنا بعذاب[2] الله إن كنت من الصادقين﴾ أي ماكان جوابهم إلا المطالبة بعذاب الله، وهذه طريقة الغلاة المفسدين والظلمة المتكبرين، إذا أعيتهم الحجج لجأوا إلى القوة يستعملونها أو يطالبون بها. وقوله تعالى: ﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين[3]﴾ أي لما طالبوه بالعذاب، وقد أعياه أمرهم لجأ إلى ربه يطلب نصره على قومه الذين كانوا شر قوم وجدوا على وجه الأرض واستجاب الله تعالى له ونصره وسيأتي بيان ذلك في الآيات بعد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير النبوة المحمدية بذكر قصص لايتم إلا عن طريق الوحي.

٢ ـ تسلية الرسول ﷺ من أجل مايعاني من المشركين من كفر وعناد ومطالبة بالعذاب.

٣ ـ قبح الفاحشة وحرمتها وأسوأها فاحشة اللواط.

٤ ـ وجوب إقامة الحد على اللوطيّ الفاعل والمفعول لأن الله تعالى سماها فاحشة وسمى الزنا فاحشة ووضع حداً للزنى فاللوطية تقاس عليه، وقد صرحت السنة بذلك فلا حاجة إلى القياس.

٥ ـ التحذير من العبث والباطل قولاً أو عملاً وخاصة في الأندية والمجتمعات.

---

(١) من ذلك: أنهم كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك، والصفير وتطريفُ الأصابع بالحناء وفرقتها، ويحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم، روى هذا الترمذي وحسّنه.

(٢) هذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم قطعاً.

(٣) الإفساد في الأرض: هو العمل بمعاصي الله ورسوله ﷺ فكل عامل بالمعاصي فهو مفسد في الأرض، إذ فعل المعاصي يورث الفقر والخوف وهما شرّ ما يُتقى.

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ
أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا
وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ
كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ
هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

بالبشرى : أي إسحٰق ويعقوب بعده.

هذه القرية : أي قرية لوط وهي سدوم.

قالوا نحن أعلم بمن فيها : أي قالت الرسل نحن أعلم بمن فيها.

كانت من الغابرين : أي كانت في علم الله وحكمه من الباقين في العذاب.

سيء بهم : أي حصلت لهم مساءة وغم بسبب مخافة أن يقصدهم قومه بسوء.

وضاق بهم ذرعاً : أي عجز عن احتمال الأمر لخوفه من قومه أن ينالوا ضيفه بسوء.

رجزاً : أي عذاباً من السماء.

بما كانوا يفسقون : أي بسبب فسقهم وهو إتيان الفاحشة.

ولقد تركنا منها آية : أي تركنا من قرية سدوم التي دمرناها آية بينة وهي خرابها ودمارها وتحولها إلى بحر ميت لاحياة فيه .

لقوم يعقلون : أي يعلمون الأسباب والنتائج إذا تدبروا .

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص لوط عليه السلام ، إنه بعد أن ذكرهم وخوفهم عذاب الله قالوا كعادة المكذبين الهالكين فائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين وأنه عليه السلام استنصر ربه تعالى عليهم ، واستجاب الله تعالى له وفي هذه الآية بيان ذلك بكيفيته ، قال تعالى : ﴿ولما[1] جاءت رسلنا إبراهيم﴾ الخليل عم لوط ﴿بالبشرى[2]﴾ التي هي ولادة ولدٍ له هو إسحق ومن بعده يعقوب ولد إسحٰق عليه السلام كما قال تعالى : ﴿وبشرناه باسحٰق ومن وراء اسحٰق يعقوب﴾ . ﴿قالوا﴾ أي قالت الملائكة لإبراهيم ﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ يريدون قرية قوم لوط وهي سدوم وعللوا لذلك بقولهم ﴿إن أهلها كانوا ظالمين[3]﴾ أي لأنفسهم بغشيان الذنوب وإتيان الفواحش ، ولغيرهم إذ كانوا يقطعون السبيل وهنا قال لهم إبراهيم : ﴿إن فيها لوطاً﴾ ليس من الظالمين بل هو من عباد الله الصالحين فأجابته الملائكة فقالوا : ﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ منك ياإبراهيم . ﴿لننجينه[4] وأهله﴾ من الهلاك ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ وذلك لطول عمرها فسوف تهلك معهم لكفرها ومُمَالأتها للظالمين . وقوله تعالى : ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً﴾ أي ولما وصلت الملائكة لوطاً قادمين من عند إبراهيم من فلسطين ﴿سيء بهم وضاق بهم ذرعاً﴾ أي استاء بهم وأصابه غم وهم خوفاً من قومه أن يسيئوا إليهم ، وهم ضيوفه نازلون عليه ولما رأت ذلك الملائكة منه طمأنوه بما أخبر به تعالى في قوله : ﴿وقالوا لاتخف﴾ أي علينا ﴿ولاتحزن﴾ على من سيهلك من أهلك مع قومك الظالمين . ﴿إنا منجوك﴾ من العذاب أنت وأهلك أى زوجتك المؤمنة وبنتيك ، ﴿إلا امرأتك﴾ أي العجوز الظالمة فإنها ﴿من الغابرين﴾ الذين طالت أعمارهم وستهلك مع الهالكين . وقوله تعالى فى الآية (٣٤) : ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء

---

(١) (لما) حرف وجود لوجود نحو: لما جاء الحق ذهب الباطل . وهي أداة تدل على التوقيت كما هي ظرف ملازم للاضافة إلى جملة بعدها .

(٢) البُشرى: اسم للبشارة التي هي : الإخبار بما يسرّ المخبر .

(٣) الجملة تعليلية لما تقدمها من الإهلاك .

(٤) قرأ الجمهور نافع وحفص : (لمنجّوك) بتشديد الجيم ، وقرأ ابن كثير (منجوك) بتخفيفها من : أنجاه ينجيه ، ونجي وأنجى بمعنى .

بما كانوا يفسقون﴾ أي أخبرت الملائكة لوطاً بماهم فاعلون لقومه وهو قولهم ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية﴾ أي مدينة سدوم ﴿رجزاً﴾ أي عذاباً من السماء وهي الحجارة بسبب فسقهم بإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين. قال تعالى: ﴿ولقد تركنا منها﴾ أي من تلك القرية ﴿آية بيّنة﴾[1] أي عظة وعبرة، وعلامة واضحة على قدرتنا على إهلاك الظالمين والفاسقين. وقوله تعالى: ﴿لقوم يعقلون﴾ إذ هم الذين يتدبرون في الأمور ويستخلصون أسبابها وعواملها ونتائجها وآثارها أما غير العقلاء فلا حظ لهم في ذلك ولانصيب فهم كالبهائم التي تنساق إلى المجزرة وهي لاتدري وفي هذا تعريض بمشركي مكة وماهم عليه من الحماقة والغفلة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ حلم إبراهيم ورحمته تجليا في دفاعه عن لوط وأهله.

٢ ـ تقرير مبدإ: من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه، حيث العلاقة الزوجية بين لوط وامرأته العجوز لم تنفعها وهلكت لأنها كانت مع الظالمين بقلبها وسلوكها.

٣ ـ مشروعية الضيافة وتأكدها في الإسلام لحديث الصحيح «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

٤ ـ التنديد بالفسق عن طاعة الله وهو سبب هلاك الأمم والشعوب.

٥ ـ فضيلة العقل إذا استعمله صاحبه في التعرف إلى الحق والباطل والخير والشر.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى
دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾

---

(١) المعنى: ولقد تركنا من القرية آثارا دالة عليها، وهي بقايا القرية المغمورة بماء بحيرة لوط تلوح من تحت المياه، مع بقايا لون الكبريت والمعادن التي رجمت بها قريتهم.

شرح الكلمات :

وإلى مدين : أي وأرسلنا إلى قبيلة مَدْين، ومدين أبو القبيلة فسميت باسمه.

أخاهم شعيباً : أي أخاهم في النسب.

اعبدوا الله : أي اعبدوه وحده ولاتشركوا به شيئاً.

وارجوا اليوم الآخر : أي آمنوا به وتوقعوا مجيئه ومايحدث فيه.

ولاتعثوا في الأرض مفسدين : أي ولاتعيثوا في الأرض فساداً بأن تنشروا فيها الفساد وهو العمل بالمعاصي فيها.

فأخذتهم الرجفة : الهزة العنيفة والزلزلة الشديدة.

في دارهم جاثمين : لاصقين بالأرض أمواتاً لايتحركون.

معنى الآيتين :

هذا موجز لقصة[(١)] شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين، والعبرة منه إهلاك تلك الأمة لما كذبت رسولها واستمرت على الشرك والمعاصي لعل قريشاً تعتبر بها أصاب هذه الأمة من هلاك ودمار من أجل تكذيبها لرسولها وعصيانها لربها قال تعالى ﴿وإلى مدين[(٢)]﴾ أي وأرسلنا إلى مدين ﴿أخاهم شعيباً﴾ وهو نبيّ عربي فلما انتهى إليهم برسالته قال ﴿ياقوم اعبدوا الله﴾ أي وحدوه في عبادته وأطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه من التطفيف في الكيل والوزن، ﴿وارجوا[(٣)] اليوم الآخر﴾، أي آمنوا بيوم القيامة وتوقعوا دائماً مجيئه وخافوا مافيه من أهوال وأحوال فإن ذلك يساعدكم على التقوى وقوله : ﴿ولاتعثوا[(٤)] في الأرض مفسدين﴾ وذلك أنهم ينقصون الكيل والوزن ويبخسون الناس أشياءهم ويفسدون في الأرض بالمعاصي. وقوله تعالى : ﴿فكذبوه﴾ أي كذب أصحاب مدين نبيهم شعيباً فيما أخبرهم به ودعاهم إليه ﴿فأخذتهم[(٥)] الرجفة﴾ أي رجفة الهلاك من تحتهم فأصبحوا في دارهم جاثمين على الركب

---

(١) هذه القصة معطوفة على سابقاتها: قصة نوح وإبراهيم ولوط عليهم السلام

(٢) إن طلبت المناسبة بين قصة لوط وقصة أصحاب مدين فإنها في كون مدين من أبناء ابراهيم وكون لوط من الأسرة الإبراهيمية وأوضح من هذا السبب قرب الديار من بعضها، فمدين غير بعيدة من قرى لوط.

(٣) أمره إيّاهم برجاء اليوم الآخر دال على أنهم ما كانوا يؤمنون باليوم الآخر أو ذكرهم به لغفلتهم عنه بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب.

(٤) العثو: بالواو كالدنو والعثي بالياء كالعصي : أشد الفساد، وفعله : عثا يعثو، وعثي كرضي يعثى كيرضى بمعنى واحد.

(٥) الفاء للسببية، (والرجفة) الزلزال الشديد الذي ترجف منه الأرض والقلوب وكانت هذه الزلازل مصحوبة بصيحة شديدة انخلعت منها القلوب.

هلكى وماظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ ـ تقرير التوحيد والنبوة والبعث الآخر.

٢ ـ حرمة الفساد في الأرض وذلك بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب.

٣ ـ بيان نقمة الله تعالى على المكذبين والظالمين والفاسقين.

وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾
وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

وعاداً وثمودا : أي وأهلكنا عاداً القبيلة وثمود القبيلة كذلك.

وقد تبين لكم من مساكنهم : أي تبين لكم إهلاكهم من مساكنهم الخالية منهم بالحجر شمال الحجاز والشحر جنوب اليمن.

عن السبيل : أي سبيل الهدى والحق التي بينتها لهم رسلهم.

كانوا مستبصرين : أي ذوي بصائر لما علمتهم رسلهم.

وقارون وفرعون وهامان : أي وأهلكنا قارون بالخسف وفرعون وهامان بالغرق.

فاستكبروا : أي عن عبادة الله تعالى وطاعته وطاعة رسله.
وما كانوا سابقين : أي فائتين عذاب الله أي فارين منه، بل أدركهم.
فكلاً أخذنا بذنبه : أي فكل واحد من المذكورين أخذناه بذنبه ولم يفلت منا.
ومنهم من أرسلنا عليه حاصباً : أي ريحاً شديدة، كعاد
ومنهم من أخذته الصيحة : أي ثمود.
ومنهم من خسفنا به الأرض : أي كقارون.
ومنهم من أغرقنا : كقوم نوح وفرعون.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في الآيات قبل ذي[1] إهلاكه لقوم لوط وقوم شعيب وقوم نوح من قبل لما ردوا دعوته وكذبوا رسله ذكر بقية الأقوام الذين كذبوا بآيات الله ورسله فأهلكهم، فقال عز وجل: ﴿وعاداً وثمودا[2]﴾ أي وأهلكنا كذلك عاداً قوم هود، وثمود قوم صالح! وقوله تعالى: ﴿وقد تبين[3] لكم من مساكنهم﴾ أي وقد تبين لكم يامعشر كفار مكة ومشركي قريش من مساكنهم بالحجر[4] والشجر[5] من حضرموت مايؤكد لكم إهلاكنا لهم، إذ مساكنهم الخاوية دالة على ذلك دلالة عين. وقوله تعالى: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي وقد زين لهم الشيطان أعمالهم من الشرك والشر والظلم والفساد وصدهم بذلك التزيين عن السبيل، سبيل الإيمان والتقوى المورثة للسعادة في الدنيا والآخرة. وقوله: ﴿وكانوا مستبصرين[6]﴾ أي ذوي بصائر أي معرفة بالحق والباطل والخير والشر لما علمتهم الرسل ولكن آثروا أهواءهم على عقولهم فهلكوا. وماظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين. وقوله تعالى: ﴿وقارون وفرعون وهامان﴾ أي أهلكنا قارون الإسرائيلي ابن عم موسى عليه السلام، أهلكناه ببغيه وكفره، فخسفنا به الأرض وبداره أيضاً، وفرعون وهامان اغرقناهما في اليم بكفرهما وطغيانهما

(١) وجه المناسبة ظاهر بين هذه الآيات وسابقتها وهي إتمام ذكر كل من قص تعالى في كتابه قصصهم مفصلة في الأعراف وهود والشعراء والنمل والقصص، فذكر بإيجاز من لم يذكرهم في هذا العرض من هذه السورة، فذكر عاداً وثموداً وقارون وفرعون وهامان.
(٢) وعاداً جائز أن يكون منصوباً بفعل مقدر، وأهلكنا عاداً أو اذكر عاداً.
(٣) الجملة حالية.
(٤) مدائن صالح.
(٥) منازل عاد.
(٦) الاستبصار: البصارة بالأمور، والسين والتاء للتأكيد كالاستجباب بمعنى الحب، والمراد أنهم أهل بصائر ومعرفة بالأمور لما لهم من عقول صالحة للنظر والإدراك، وما في التفسير وجه أحسن من هذا.

وظلمها واستعلائها وذلك بعدما جاءهم موسى بالبينات من الآيات والحجج الواضحات التي لم تُبق لهم عذراً في التخلف عن الإيمان والتقوى ولكن ﴿فاستكبروا[١] في الأرض﴾، أرض مصر وديارها فرفضوا الإيمان والتقوى ﴿وماكانوا سابقين﴾ ولافائتين فأحلَّ الله تعالى بهم. نقمته وأنزل بهم بأسه الذي لايرد عن القوم الظالمين. ثم في الآية الأربعين من هذا السياق بين تعالى أنواع العذاب الذي أهلك به هؤلاء الأقوام، فقال: ﴿فكلاً[٢]﴾ أي فكل واحد من هؤلاء المكذبين ﴿أخذنا بذنبه فمنهم[٣] من أرسلنا عليه حاصباً﴾ أي ريحاً شديدة كعاد. ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ كقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كفرعون، وقوله تعالى. ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ أي لم يكن من شأن الله تعالى الظلم فيظلمهم، ﴿ولكن كانوا﴾ أي أولئك الأقوام ﴿أنفسهم يظلمون﴾ بالشرك والكفر والتكذيب والمعاصي فأهلكوها بذلك، فكانوا هم الظالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان أن الشيطان هو سبب هلاك الأقوام وذلك بتزيينه لهم الشر والقبيح كالشرك والباطل والشر والفساد.

٢ - بيان أن الاستكبار كالظلم عاقبتها الهلاك والخسران.

٣ - بيان أن الله تعالى ماأهلك أمة حتى يبين لها مايجب أن تتقيه[٤] من أسباب الهلاك والدمار فإذا أبت إلا ذاك أوردها الله موارده.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ

ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ

---

(١) إن فرعون وهامان وقارون شأنهم شأن أبي جهل والعاص بن وائل والنضر بن الحارث ما حملهم على الكفر والعناد إلاّ الاستكبار في البلاد.

(٢) (فكلًّا): الفاء للتفريع على ما سبق: قوله تعالى: (وعاداً) إذ التنوين عوضٌ عن كلمة أي: فكل واحد ممّن ذُكروا من عاد إلى قارون أخذ الله أي: أهلك بذنبه، ولم يظلمهم الله تعالى بإهلاكه إيَّاهم.

(٣) الفاء للتفريع إذ هذا التفصيل بعد الفاء متفرع عن ذلك الإجمال المذكور في قوله: (فكلاً أخذنا بذنبه).

(٤) شاهده في قول الله تعالى من سورة التوبة: (وما كان الله ليضلّ قوماً حتى يبيّن لهم ما يتقون) والإضلال سبيل الهلاك وطريقه.

ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ
لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ
وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء : أي صفة وحال الذين اتخذوا أصناماً يرجون نفعها.

كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً : أي لنفسها تأوي إليه.

أوهن البيوت : أضعف البيوت وأقلها جدوى.

يعلم مايدعون من دونه من شيء : أي من الأوثان والأصنام وغيرها.

وهو العزيز الحكيم : أي الغالب على أمره الحكيم في تدبير أمور خلقه.

ومايعقلها إلا العالمون : أي العالمون بالله وآياته وأحكام شرعه وأسراره.

خلق الله السموات والأرض بالحق : أي من أجل أن يعبد لا للهو ولا لباطل.

أتل ما أوحي إليك من الكتاب : اقرأ يارسولنا ما أنزل إليك من القرآن.

وأقم الصلاة : بأدائها مقامة مراعى فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها.

تنهى عن الفحشاء والمنكر : أي الصلاة بما توجده من نور في قلب العبد يصبح به لايقدر على فعل فاحشة ولا إتيان منكر.

ولذكر الله أكبر : أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه كما ان ذكر

الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة وغيرهما.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى نقمته على أعدائه الذين كفروا به وأشركوا غيره في عبادته وكذبوا رسله وكان ذلك تنبيهاً وتعليمًا للمشركين والكافرين المعاصرين لنزول القرآن لعلهم يستجيبون للدعوة المحمدية فيؤمنوا ويوحدوا ويسلموا فيسلموا من العذاب والخسران. ذكر هنا في هذه الآيات مثلاً لعبادة الأوثان في عدم نفعها لعابديها والقصد هو تقرير التوحيد، وإبطال الشرك العائق عن كمال الإنسان وسعادته وقال تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله﴾ أي شركاء وهي الأصنام والأوثان يعبدونها راجين نفعها وشفاعتها لهم عند الله تعالى ﴿كمثل العنكبوت[1] اتخذت بيتاً﴾ لتأوي إليه قصد وقايتها مما تخاف من جراء برد أو اعتداء حشرة عليها، ﴿وإن أوهن[2] البيوت لبيت العنكبوت﴾ والحال أن أوهن البيوت أي أضعفها وأحقرها شأناً وأقلها مناعة هو بيت العنكبوت فهذه حال المشركين الذين اتخذوا من دون الله ﴿أولياء﴾ أي اصناماً يرجون النفع، ودفع الضر بها فهم واهمون في ذلك غالطون، مخطئون، إنه لاينفع ولايضر إلا الله فليعبدوه وحده وليتركوا ماسواه. وقوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كان المشركون يعلمون أن حالهم في عبادتهم غير الله في عدم الانتفاع بها كحال العنكبوت في عدم الانتفاع ببيتها الواهي لما رضوا بعبادة غير الله وتركوا عبادة الله الذي بيده كل شيء وإليه مصير كل شيء. وقوله تعالى: ﴿إن الله يعلم مايدعون من دونه من شيء﴾ فيه تهديد للمشركين المصرين على الشرك بأنه لايخفى عليه ماهم عليه من دعاء غيره، ولو شاء لأهلكهم كما أهلك من قبلهم ﴿وهو العزيز﴾ أي الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ في تدبير خلقه ولذا يعجل العقوبة لمن يعجل لحكمة ويؤخرها لمن يؤخرها عنه لحكمة فلا يغتر المشركون بتأخير العذاب، ولايستدلون به على رضا الله تعالى بعبادتهم، وكيف يرضاها وقد أهلك أمماً بها وأنزل كتابه وبعث رسوله لإبطالها والقضاء عليها وقوله

---

(١) العنكبوت: صنف من الحشرات ذات بطون وأرجل وهي ثلاثة أصناف: منها صنف يسمى ليث العنكبوت، وهو الذي يفترس الذباب وكلها تتخذ لنفسها نسيجاً تنسجه من لعابها يكون خيوطاً مشدودة بين طرفين من الشجر أو الجدران، وتتخذ في وسط تلك الخيوط جانباً أغلظ وأكثر خيوطاً فتحتجب فيه ويسمى بيتاً لشبهه بالخيمة لأنه منسوج ومشدود من أطرافه فهو كبيت الشعر، وجملة: (اتخذت بيتاً) حال من العنكبوت ويصغّر على العنيكبوت ويجمع على: عناكب.

(٢) (وإن أوهن البيوت..) هذه الجملة معترضة مبيّنة لوجه الشبه وتجري هذه الجملة مجرى المثل يضرب للشيء إذا قلّت فائدته وجدواه.

تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾[1] أي وهذه الأمثال نضربها للناس لأجل إيقاظهم وتبصيرهم وهدايتهم، وما ﴿يعقلها إلا العالمون﴾ أي ومايدرك مغزاها وماتهدف إليه من التنفير من الشرك العائق عن كل كمال وإسعاد في الدارين ﴿إلا العالمون﴾[2] أي بالله وشرائعه وأسرار كلامه وماتهدي إليه آياته. وقوله تعالى : ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ إخبار بأنه تعالى هو الذي خلق السموات والأرض وهي مظاهر قدرته وعلمه وحكمته موجبة لعبادته بتعظيمه وطاعته ومحبته والإنابة إليه والخوف منه. وخلقهما بالحق لا بالباطل وذلك من أجل أن يذكر فيهما ويشكر فمن كفر به فترك ذكره وشكره كان كمن عبث بالسموات والأرض وأفسدها، لذا يعذب نظراً إلى عظم جرمه عذاباً دائماً أبداً. وقوله : ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي إن في خلق السموات[3] والأرض بالحق ﴿لآية﴾ أي علامة بارزة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته، وهذه موجبات ألوهيته على سائر عباده فهو الإله الحق الذي لارب غيره. ولا إله سواه وبعد هذا البيان والبرهان لم يبق عذر لمعتذر، وعليه فـ ﴿اتل﴾[4] أيها الرسول ﴿ما أوحي إليك من الكتاب﴾ تعليمًا وتذكيراً وتعبداً وتقرباً ﴿وأقم الصلاة﴾ طرفي النهار وزلفاً من الليل فإن في ذلك عوناً كبيراً لك على الصبر والثبات وزاداً عظيمًا لرحلتك إلى الملكوت الأعلى. وقوله تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى[5] عن الفحشاء والمنكر﴾ تعليل للأمر بإقام الصلاة فإن الصلاة بما توجده من إشراقات النفس والقلب والعقل حال تحول بين العبد وبين التلوث بقاذورات الفواحش ومفاسد المنكر وذلك يفيد إقامتها لا مجرد أدائها والإتيان بها. وإقامة الصلاة تتمثل في الإخلاص فيها لله تعالى أولاً ثم بطهارة القلب من الالتفات إلى غير الرب تعالى أثناء أدائها ثانياً، ثم بأدائها في أوقاتها المحددة لها وفي المساجد بيوت الله، ومع جماعة المسلمين عباد الله وأوليائه، ثم بمراعاة أركانها من قراءة الفاتحة والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة فيه، والسجود على الجبهة والأنف والطمأنينة فيه، وآخر أركانها الخشوع وهو السكون ولين القلب وذرف الدمع. هذه هي الصلاة التى

---

(١) (وتلك الأمثال) مبتدأ والخبر: جملة (نضربها للناس).

(٢) عنه ﷺ أنه قال: (العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه.)

(٣) لفظ السموات والأرض: يشمل ذاتهما والموجودات المظروفة فيهما.

(٤) المراد من: (اتل): مداومة تلاوة ما أوحي إليه وهو القرآن الكريم.

(٥) قيل لابن عطية: إن حماداً وابن جريج والكلبي يقولون: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ما دام العبد فيها. قال: هذه عجمة أي: نسبهم إلى قلة الفهم وهو كذلك للحديث وهو قوله ﷺ: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له) وقال له أحد الصحابة: إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق. فقال: سينهاه ما تقول. يعني صلاته.

توجد طاقة النور التي تحول دون الانغماس في الشهوات والذنوب وإتيان الفاحشة وارتكاب المنكر. وقوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من إقامة الصلاة لأن الصلاة أثناء أدائها مانعة عاصمة لكن إذا خرج منها، قد يضعف تأثيرها، أما ذكر الله بالقلب واللسان في كل الأحيان فهو عاصم مانع من الوقوع في الفحشاء والمنكر وفي اللفظ معنى آخر وهو أن ذكر الله للعبد في الملكوت الأعلى أكبر من ذكر العبد للرب في ملكوت الأرض ويدل عليه قوله: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منه» كما في الحديث الصحيح. وقطعاً والله لذكر الرب العبد الضعيف أكبر من ذكر العبد الضعيف الرب العظيم. اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين لآلائك. وقوله: ﴿والله يعلم ماتصنعون﴾[1] فيه وعد وعيد، فإن علمه يترتب عليه الجزاء فمن كان يصنع المعروف جزاه به، ومن كان يصنع السوء جزاه به. اللهم ارزقنا صنائع المعروف وأبعد عنا صنائع السوء آمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني للأفهام.

٢ ـ تقرير التوحيد وإبطال التنديد.

٣ ـ فضل العلماء على غيرهم، العلماء بالله، بصفاته وأسمائه وآياته، وشرائعه، وأسرارها.

٤ ـ وجوب تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، وذكر الله، إذ هي غذاء الروح وزاد العروج إلى الملكوت الأعلى.

٥ ـ بيان فائدة إقام الصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى بالقلب واللسان.

(١) في الآية وازع المراقبة، وعليه فتلاوة القرآن وإقام الصلاة وذكر الله تعالى ومراقبته. هذه الأربعة تمثّل سبيل السلام إلى دار السلام من سلكه نجا ومَن تنكّبه هلك، والعياذ بالله العليم الحكيم.

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ
وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ
ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

ولا تجادلوا أهل الكتاب : أي لا تحاجوا ولا تناظروا اليهود ولا النصارى.

إلا بالتي هي أحسن : أي إلا بالمجادلة التي هي أحسن وهي الدعوة إلى الله بآياته والتنبيه على حججه.

إلا الذين ظلموا منهم : أي الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين بدفع الجزية وبقوا حربا على المسلمين.

وكذلك أنزلنا إليك الكتاب : أي وكإنزالنا الكتاب على من قبلك من الرسل أنزلنا إليك الكتاب.

فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به : أي كعبد الله بن سلام وإخوانه الذين آمنوا بالرسول وكتابه.

ومن هؤلاء من يؤمن به : أي ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به وفعلا آمن به كثيرون.

ولا تخطه بيمينك	: أي تكتب بيدك لأنك أميّ لا تقرأ ولا تكتب.
لارتاب المبطلون	: أي لشك اليهود في نبوتك ونزول القرآن إليك.
بل هو آيات بينات	: أي محمد صلى الله عليه وسلم نعوته وصفاته آيات بينات في التوراة والانجيل محفوظة في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب.
وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون	: أي وما يجحد بآيات الله الحاملة لنعوت الرسول الأمي وصفاته إلا الذين ظلموا أنفسهم بكتمان الحق والاستمرار على الباطل.

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل لكتاب﴾[1] هذا تعليم للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يأخذون به مستقبلا عندما يتصلون بأهل الكتاب ويحتكون بهم فقال عز وجل مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من أمته ﴿ولا تجادلوا[2] أهل الكتاب﴾ الذين هم اليهود والنصارى فنهاهم عن مجادلتهم وهي خصامهم ومحاجتهم ومناظرتهم ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ أي إلا بالمجادلة التي هي أحسن[3] وذلك بدعوتهم إلى الله تعالى ليؤمنوا برسوله ويدخلوا في دينه الإسلام والتنبيه على حجج الله وأدلة وحيه وكتابه. وقوله ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ وهم الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين ولم يؤدوا الجزية وناصبوا المسلمين الحرب والعداء فهؤلاء لا يجادلون ولكن يُحَكَّم فيهم السيف فيقاتلون حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقوله تعالى: ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾. هذا تعليم آخر للمؤمنين وهو: إن أخبرهم أهل الكتاب بشيء لا يوجد في الإسلام ما يثبته ولا ما ينفيه وادّعوا هم أنه في كتابهم في هذه الحال فقولوا ما أرشدنا الله تعالى إلى قوله وهو: ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا﴾

(١) ذكر القرطبي الخلاف في هل هذه الآية منسوخة أو محكمة، ورجّح قول مجاهد وهي أنها محكمة، وما في التفسير على هذا وهو الصواب.

(٢) الجدال والمجادلة مصدران لجادل، والمراد بالمجادلة: إقامة الدليل على رأي اختلف فيه صاحبه مع غيره. والجدل: شدّة الخصومة وهو مأخوذ من الجدل الذي هو الفتل للحبل. ونحوه إذا قواه، والمجادل يقوي رأيه بما يراه ويورده من حجج.

(٣) وجه المجادلة بالحسنى لأهل الكتاب لأنهم أهل علم متأهلون للفهم وقبول الحق متى اتضح لهم بخلاف جهّال المشركين فإن تهجين عبادتهم وتفضيع طريقتهم قد يكون أنجع فيهم.

إلى آخر الآية حتى لا نكون قد كذَّبنا بحق ولا آمنَّا بباطل ، وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم[١] ، وقولوا ﴿آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ .

وقوله تعالى ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي وكإنزالنا الكتب السابقة على رسل سبقوا كموسى وداود وعيسى عليهم السلام أنزلنا إليك أنت يا محمد الكتاب أي القرآن وقوله تعالى : ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به . ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ . فهذا إخبار بغيب فكما علّم الله تعالى المؤمنين كيف يكونون مع أهل الكتاب عندما يتصلون بهم ويعيشون معهم في المدينة وغيرها أخبر أن الذين آتاهم الكتاب أي التوراة والانجيل وهم الراسخون في العلم يؤمنون أي بالقرآن وقد آمن عبدالله بن سلام وكثير من أحبار أهل الكتاب ، وآمن من المشركين كثيرون فكان الأمر كما أخبر . وقوله تعالى : ﴿وما يجحد بآيتنا إلا الكافرون﴾ فهو كما أخبر لا يجحد بالآيات القرآنية ويكذّب بها إلا كافر مظلم النفس خبيثها وقوله تعالى : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ هو كما قال عز وجل لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قبل القرآن أيّ كتاب ، ولا كان يخط بيمينه أيّ كتاب لأنه أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب أيْ فلو كان قبل نزول القرآن عليه يقرأ ويكتب لكان للمبطلين[٢] مجال للشك في صحة دعوى النبوة المحمدية ونزول القرآن عليه ، ولكن لم يكن قبل القرآن يقرأ أيّ كتاب ، ولم يكن يخط بيمينه أيّ خط ولا كتاب فلم يبق إذاً للمشركين ما يحتجون به أبداً . وقوله تعالى : ﴿بل هو آيات بينات في صدور[٣] الذين أُوتوا العلم﴾ أي بل الرسول ونعوته وصفاته ومنهاوصف الأمية آيات في التوراة والانجيل محفوظة في صدور الذين أُوتوا العلم من أهل الكتاب . . وقوله تعالى : ﴿ومايجحد بآياتنا﴾ في التوراة والانجيل والقرآن ﴿إلا الظالمون﴾ أنفسهم[٤] من الماديين اليهود والنصارى الذين يأكلون ويَتَرأسُونَ على حساب الحق والعياذ بالله تعالى .

---

(١) تفرّد به البخاري رحمه الله تعالى .

(٢) قال مجاهد : كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أنّ محمداً ﷺ لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية .

(٣) أي : ليس هو كما يقول المبطلون من أنه سحر أو شعر ولكنه علامات ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه وكذلك في صدور الذين أوتوا العلم ، وهم أصحاب محمد ﷺ ، والمؤمنون به ، وهذا لا يتنافى مع ما في التفسير ، إذ الوجهان صحيحان ، وقال كعب في صفة هذه الأمة : إنهم حكماء علماء وهم في الفقه أنبياء .

(٤) والمشركون كاليهود والنصارى في هذا أي : الجحود بالآيات .

هداية الآيات

من هداية الآيات

١) مشروعية مجادلة أهل الكتاب من أهل الذِّمَّة بالتي هي أحسن.

٢) حرمة سؤال أهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء[1] فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل».

٣) منع تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم إذا أخبروا بشيء ووجوب قول: ﴿آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾.

٤) إخبار القرآن بالغيب قبل وقوعه فيقع كما أخبر فيكون ذلك آية على أنّه وحي الله تعالى.

٥) تقرير صفة الأمية في النبي صلى الله عليه وسلم كما هي في الكتب السابقة.

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ
ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًاۖ
يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات:

لولا أُنزل عليه آيات : أي قال كفار قريش هلاّ أُنزل على محمد آيات من ربِّه كناقة صالح، وعصا موسى.

---

(١) رواه ابن جرير عن عبدالله بن مسعود قال: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلّوا إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال.

قل إنما الآيات عند الله : أي قل لهم يارسولنا الآيات عند الله ينزلها متى شاء .
أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب : أي أو لم يكفهم فيما طلبوا من الآيات إنزالنا الكتاب عليك .
إن في ذلك لرحمة وذكرى : أي في القرآن رحمة وموعظة للمؤمنين فهو خير من ناقة صالح .
والذين آمنوا بالباطل : وهو ما يعبد من دون الله .
وكفروا بالله : وهو الإله الحق .
أولئك هم الخاسرون : أي حيث استبدلوا الكفر بالإيمان .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير النبوة المحمدية فقوله تعالى : ﴿وقالوا﴾ أي أهل مكة ﴿لولا أنزل عليه آيات[1] من ربه﴾ أي هلاّ أُنزل على محمد آيات من ربّه كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى إذ هذا الذي يعنون بالآيات أي معجزات خارقة للعادة . قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل يارسولنا لقومك المطالبين بالآيات دليلا على صدق نُبُوَّتك قل لهم : أولا : الآيات التي تطالبون بها هي عند الله وليست عندى فهو تعالى ينزِّلها متى شاء وعلى من شاء . وثانيا ﴿إنما أنا نذير مبين﴾ أي وظيفتي التي أقوم بها هي إنذار أهل الظلم من عاقبة ظلمهم وهي عذاب النار فلذا لا معنى بمطالبتي بالآيات . وثالثا أو لم يكفهم[2] آية أن الله تعالى أنزل عليّ كتابه فأنا أتلوه عليكم صباح مساء فأي آية أعظم من كتاب من أميّ لا يقرأ ولا يكتب تُتلى آياته تحمل الهدى والنور وهو في الوقت نفسه رحمة وذكرى أي موعظة لقوم يؤمنون فهي معجزة ثابتة قائمة باقية يجد فيها المؤمنون الرحمة فيتراحمون بها ويجدون فيها الموعظة فهم يتعظون بها ، فأين هذا من معجزة تبقى ساعة ثم تذهب وتروح كمائدة عيسى أو عصا موسى . ورابعا : شهادة الله برسالتي كافية لا يُطلب[3] معها دليل آخر على نبوتي ورسالتي ، فقد قال لي ربي :﴿قل كفىٰ بالله بيني وبينكم

(١) قرأ ابن كثير وحمزة : (آية) بالافراد، وقرأ الجمهور ونافع وحفص بالجمع (آيات).

(٢) أخرج الدارمي في سننه أنّ النبي ﷺ أتي بكتف فيه كتاب فقال (كفى بقوم ثلاثة : أن يرغبوا عما جاءهم به نبيّهم إلى ما جاء به نبي غير نبيّهم أو كتاب غير كتابهم فأنزل الله تعالى هذه الآية : (أو لم يكفهم).

شهيداً﴾[1] . ربي الذي يعلم ما في السموات والأرض من كل غيب ومن ذلك علمه بأني رسوله فشهد لي بذلك بإنزاله عليَّ هذا الكتاب وأخيراً وبعد هذا البيان يقول تعالى ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾[2] وهو تأليه المخلوقات من دون الله ﴿وكفروا﴾ بأولوهية الله الحق ﴿أولئك﴾ البعداء في الفساد العقلي وسوء الفهم ﴿هم الخاسرون﴾ في صفتهم حين اشتروا الكفر بالإيمان واستبدلوا الضلالة بالهدى .

هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث فلتعد تلاوتها بالتأنّي والتدبر .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١) تقرير النبوة المحمدية بالأدلة القاطعة التي لا تُرد ، وهي أربعٌ كما ذُكر آنفاً .

٢) بيان أكبر معجزة لإثبات النبوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي نزول القرآن الكريم عليه وفي ذلك قال عليه الصلاة والسلام كما في البخاري[3] : «ما من نبي إلا أُوتي ما على مثله آمن البشر ، وكان الذي أُوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» .

٣) القرآن الكريم رحمة وذكرى أي عبرة وعظة للمؤمنين به وبمن نزل عليه .

٤) تقرير خسران المشركين في الدارين لاستبدالهم الباطل بالحق والعياذ بالله تعالى .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

---

(١) (شهيداً) أي : يشهد لي بالصدق فيما أدّعيه من أني رسول وأنّ هذا كتابه .

(٢) قال يحيى بن سلام : الباطل هنا : إبليس وهو شامل لإبليس ولعبادة الأوثان وما في التفسير أعم ، إذ اللفظ يشمل عبادة غير الله مطلقاً وهو الباطل .

(٣) أخرجه ابن كثير بهذا اللفظ : (وما من الأنبياء من نبي إلاّ قداعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) وقال : أخرجاه من حديث الليث .

شرح الكلمات:

ويستعجلونك بالعذاب : أي يطلبون منك تعجيل العذاب لهم.

ولولا أجل مسمّى : أي وقت محدد للعذاب لا يتقدمه ولا يتأخر عنه لجاءهم.

وليأتينّهم بغتة : فجأة من حيث لا يخطر لهم على بال.

وان جهنم لمحيطة بالكافرين : أي من كل جانب وهم فيهاوذلك يوم يغشاهم.

يوم يغشاهم العذاب : أي من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

ذوقوا ما كنتم تعملون : أي ويقول لهم الجبار ذوقوا ما كنتم تعملون أي من الشرك والمعاصي.

معنى الآيات:

لقد تقدم في الآيات القريبة أن المكذّبين بالرسالة المحمدية طالبوا بالعذاب تحدياً منهم للرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: إئتنا بالعذاب إن كنت من الصادقين في أنك نبي ورسول إلينا وفي هذه الآية يعجِّب تعالى رسوله أي يحملُه على أن يتعجب من حمق المشركين وطيشهم وضلالهم إذ يطالبون بالعذاب فيقول له ﴿ويستعجلونك[1] بالعذاب ولولا أجل مسمّى[2]﴾ للعذاب أي وقت محدد له لا يتقدمه ولا يتأخره ﴿لجاءهم العذاب﴾. ثم أخبر تعالى رسوله مؤكداً خبره فقال ﴿وليأتينّهم﴾ أي العذاب ﴿بغتة﴾ لا محالة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئه، ثم كرر تعالى حمل رسوله على التعجب من سخف المشركين الذين لا يطيقون لسعة عقرب ولا نهشة أفعى يطالبون بالعذاب فقال ﴿يستعجلونك[3] بالعذاب، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ لامحالة كقوله ﴿أتى أمر الله﴾ ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ أي يغطيهم ويغمرهم فيكون ﴿من فوقهم[4] ومن تحت أرجلهم﴾ وجهنم محيطة بهم

---

(١) من بين المطالبين بالعذاب: أبو جهل، والنضر بن الحارث إذ قالا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وفيهم نزل: (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين..).

(٢) المعنى: لولا الأجل المعيّن لحلول العذاب بهم لجاءهم العذاب عاجلاً لأنّ كفرهم يستحق تعجيل عقابهم، ولكن الله أراد تأخيره الحكم يعلمها منها: إمهالهم ليؤمن من يؤمن منهم، ومنها ليعلموا أن الله لا يستفزّه استعجالهم ومنه إظهار رحمته بعباده وحلمه عليهم.

(٣) حكى استعجالهم العذاب بصيغة المضارع لاستحضار حال استعجالهم لإفادة التعجب منها كما في قوله تعالى: (يجادلنا في قوم لوط).

(٤) (من فوقهم) حال مؤكدة، إذ غشيان العذاب لا يكون إلاّ من فوق، وقوله (ومن تحتهم) احتراس عمّا قد يوهمه الغشيان من الفوقية خاصة.

و يقول[1] الجبار تبارك وتعالى موبخاً لهم ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ من الشرك والمعاصي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) مشروعية التعجب إذا وجدت أسبابه الحاملة عليه.

٢) بيان مدى حُمق وجهل وسفه الكافرين والمشركين بخاصة.

٣) بيان أن تأخير العذاب لم يكن عن عجز وإنما هو لنظام[2] دقيق إذ كل شيء له أجل محدد لا يتقدم ولا يتأخر.

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات:

إن أرضي واسعة : أي هاجروا من بلاد لم تتمكنوا من العبادة فيها فإن أرض الله واسعة.

فإياي فاعبدون : فاعبدوني وحدي ولا تعبدوا معي غيري كما يريد منكم المشركون.

كل نفس ذائقة الموت : أي لا يمنعنكم الخوف من الموت أن لا تهاجروا في سبيل الله فإن الموت لابد منه للمهاجر ولمن ترك الهجرة.

---

(١) وحكم عالية تقدم بعضها إزاء رقم أربعة قبل ذا.

(٢) قرأ بعضهم (ونقول) بنون التكلم والتعظيم.

ثم إلينا ترجعون : أي بعد موتكم ترجعون إلى الله فمن مات في سبيل مرضاته أكرمه وأسعده ، ومن مات في معصيته أذاقه عذابه .

لنبوِّئنهم : أي لَنُنزلنَّهم من الجنة غرفاً تجرى من تحتها الأنهار.

الذين صبروا : أي صبروا على الإيمان والهجرة متوكلين على الله تعالى .

وكأيّن من دابة لاتحمل رزقها : أي لا تطيق جمعه ولا حمله لضعفها ، والله يرزقها فلا عذر لمن ترك الهجرة خوفا من الجوع والخصاصة .

وهو السميع العليم : أي السميع لأقوال عباده العليم بنياتهم وأحوالهم وأعمالهم .

معنى الآيات :

لا شك أنه بعد ذلك التأنيب الإلهي للمشركين وتهديدهم بالعذاب وتوعدهم بعذاب جهنم وتوبيخهم فيها على شركهم وباطلهم لا شك أن رد الفعل من المشركين هو الضغط على المؤمنين المستضعفين في مكة فأرشدهم الله تعالى إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ليتمكنوا من عبادة الله تعالى ، فناداهم بقوله عز وجل : ﴿ياعبادي[1] الذين آمنوا﴾ أي بي وبرسولي ولقائي ﴿إن أرضي واسعة﴾ فهاجروا فيها ، ولا ترضوا بالبقاء مع الكفر تهانون وتُلزمون بعبادة غيري من آلهة المشركين ، (فإياي فاعبدون﴾ لا تعبدوا معي غيري . وعليه فهاجروا في سبيل مرضاتي ولا تخشوا موتاً ولا فقراً فإن كل نفس ذائقة الموت هاجر صاحبها أو لم يهاجر ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقوله: ﴿ثم إلينا ترجعون[2]﴾ ، لا محالة فمن رجع إلينا وهو مؤمن مطيع منفذ لأوامرنا مجتنب نواهينا أسعدناه ، ومن رجع إلينا وهو كافر بنا عاصٍ لنا مهمل أوامرنا مرتكب نواهينا أشقيناه . وقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنهم من الجنة غُرفاً[3]﴾ أي لَنُنزلنَّهم من الجنة دار الإسعاد ﴿غرفاً

---

(١) قال القرطبي هذه الآية نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة وهو كذلك إلاّ أنها عامة في كل من منع من عبادة الله تعالى في أرض عليه أن يهاجر إلى أخرى يعبد الله تعالى فيها إذ العبادة هي علّة خلقه ووجوده لقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

(٢) قرأ الجمهور: (ترجعون) وقرأ البعض بالياء (يرجعون).

(٣) روى مسلم: (أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو من المغرب لتفاضل ما بينهم، وقيل له ﷺ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم! قال: بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدّقوا المرسلين).

تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها . هذا بيان لمن مات وهو مؤمن عامل بالصالحات ومنها الهجرة في سبيل الله . وقوله ﴿نعم أجر العاملين﴾ أي ذلك الإنزال في الغرف في الجنان هو الإسعاد المترتب على الإيمان والهجرة والعمل الصالح فالإيمان والهجرة والعمل الصالح عملٌ والجنة وما فيها من النعيم أجرة ذلك العمل . وأثنى الله تعالى على الجنة فقال : ﴿نعم أجر العاملين﴾ ووصفهم بقوله ﴿الذين صبروا﴾ أي على الإيمان والهجرة والطاعة ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ فخرجوا من ديارهم تاركين أموالهم لا يحملون معهم زاداً كل ذلك توكُلا على ربهم وقوله تعالى : ﴿وكأين[1] من دابّة لا تحمل رزقها﴾ لضعفها وعجزها أي وكثير من الدواب من الإنسان والحيوان من يعجز حتى عن حمل طعامه أو شرابه لضعفه والله عز وجل يرزقه بما يسخر له من أسباب وما يهيىء له من فرص فيطعم ويشرب كالأقوياء والقادرين ، وعليه فلا يمنعنكم عن الهجرة مخافة الفاقة والفقر فالله تعالى تكفل برزقكم ورزق سائر مخلوقاته . (وهو السميع) لأقوالكم (العليم[2]) ببواطنكم وظواهركم وأعمالكم وأحوالكم فارهبوه ولا ترهبوا سواه فإن في طاعته السعادة والكمال وفي معصيته الشقاء والخسران .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١) لا عذر لأحد في ترك عبادة الله وتوحيده فيها لأنه إن منع منها في بلد وجب عليه أن يهاجر إلى بلد آخر.

٢) لا معنى للخوف من الموت إذا وجب العمل كالهجرة والجهاد لأن الموت حق ولابد منه .

٣) بيان جزاء أهل الصبر والتوكل من أهل الإيمان والهجرة والتقوى.

٤) لايمنعن المؤمن من الهجرة خوفه من الجوع في دار هجرته إذ تكفل الله برزقه .

---

(١) وكأين : أصلها أي دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم ، والتقدير: أي كشيء كثير من العدد من دابة قال ابن عباس : الدواب هي كل ما دبّ من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر إلّا ابن آدم والنمل والفأر.

(٢) وهو السميع لدعائكم العليم بما في نفوسكم من إخلاص لله تعالى في أعمالكم وتوكلكم ورجائكم من الرزق.

وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾
وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ
لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

ولئن سألتهم : أي المشركين .

وسخر الشمس والقمر : أي ذللهما يسيران الدهر كله لا يملان ولا يفتران .

فأنى يؤفكون : أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته لهم . وهو أن الخالق المدبر هو الإله الحق الذي يجب توحيده في عبادته .

الله يبسط الرزق لمن يشاء : أي يوسّع الرزق على من يشاء من عباده امتحانا للعبد هل يشكر الله أو يكفر نعمه .

ويقدر له : أي ويضيق عليه ابتلاء ليرى هل يصبر أو يسخط .

ولئن سألتهم من نَزّل من السماء ماءاً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله : إذاً كيف يشركون به أصناماً لا تنفع ولا تضر؟ .

قل الحمد لله : أي قل لهم الحمد لله على ثبوت الحجة عليكم .

بل أكثرهم لا يعقلون : أي انهم متناقضون في فهمهم وجوابهم .

وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب : أي بالنظر إلى العمل لها والعيش فيها فهي لهو يتلهى بها الإنسان ولعب يخرج منه بلا طائل ولا فائدة.

وإن الدار الآخرة لهي الحيوان : أي الحياة الكاملة الخالدة ، ولذا العمل لها أفضل من العمل للدنيا.

لو كانوا يعلمون : أي لو علم المشركون هذا لما آثروا الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والتنديد بالشرك وتذكير المشركين لعلّهم يوحدون . يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ولئن سألتهم﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين الذين يؤذون المؤمنين ويضطهدونهم من أجل توحيدهم لله تعالى لو سألتهم ﴿من خلق السموات والأرض﴾ أي من أوجدهما من العدم ، ومن سخر الشمس والقمر في فلكيهما يسيران الحياة كلها ليجيبنَّك قائلين الله. ﴿فأنّى[1] يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته إنّها حالٌ تستدعي التعجب وقوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ هذا مظهر من مظاهر الحكمة الإلهية والتدبير الحكيم وهو موجبٌ له الألوهية نافٍ لها عما سواه . فهذا يبسط الرزق له فيوسع عليه في طعامه وشرابه وكسائه ومركوبه ومسكنه ، وهذا يضيق عليه في ذلك لماذا؟! والجواب إنه يوسع امتحانا للعبد هل يشكر أو يكفر ، ويضيق ابتلاءا للعبد هل يصبر أو يسخط . ولذا فلا حجة للمشركين في[2] غناهم وفقر المؤمنين فالغنى لا يدل على رضا الله على العبد ولا على سخطه . والفقر كذلك لا يدل على سخط ولا على رضا . وقوله تعالى ﴿إن الله بكل[3] شيء عليم﴾ تقرير لحكمته ورحمته وعدله وتدبيره فهو يوسع لحكمة ويضيق لحكمة لعلمه بعباده وما يصلحهم وما يفسدهم إذ من الناس من يصلحه الغنى ، ومنهم من يصلحه الفقر ، والإفساد كذلك وقوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أي ولئن سألت يارسولنا هؤلاء المشركين فقلت من نزل من السماء

---

(١) الاستفهام للإنكار والتعجب.

(٢) نزلت الآية رداً على المشركين الذين عيّروا المؤمنين بالفقر وقالوا لهم : لو كنتم على الحق لم تكونوا فقراء، وهذا تمويه منهم إذ في الكافرين فقراء أيضاً.

(٣) هذه الجملة تذييلية لإفادة أنّ ذلك كلّه جار على حكمة لا يُطّلع عليها.

ماء المطر فأحيا به الأرض بعد موتها بالقحط والجدب لأجابوك قائلين : الله إذاً قل لهم : الحمدُ لله[1] على اعترافكم بالحق لو أنكم تعملون بمقتضاه فما دام الله هو الذي ينزل الماء ويحيي الأرض بعد موتهافالعبادة إذاً لا تنبغي إلاّ له فلِم إذاً تعبدون معه آلهةً أخرى لا تنزل ماء ولا تُحيي أرضا ولاغيرها ، ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ إذ لو عقلوا ما أشركوا بربهم أحجاراً وأصناماً ولا ما تناقضوا هذا التناقض في أقوالهم وأفعالهم يعترفون بالله ربا خالقاً رازقا مدبراً ويعكفون على الأصنام يستغيثون بها ويدعونها ويعادون بل ويحاربون من ينهاهم عن ذلك .

وقوله تعالى : ﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ أي التي أعمت الناس عن الآخرة وصرفتهم عن التزوّد لها ما هي ﴿إلا لهو ولعبٌ﴾[2] إذ يتشاغل بها الكافر ويعمل لها الليل والنهار ثم يموت ويخرج منها صفر اليدين كالأطفال يلعبون طوال النهار ثم يعودون بلاشيء سوى ما نالهم من التعب فالواجب أن تحول إلى عمل صالح مثمر يتزود به العبد إلى آخرته إذ الآخرة هي الحيوان أي الحياة الكاملة الخالدة فلها يعمل العاملون ، وفي عملها يتنافس المتنافسون . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿وإن الآخرة﴾ أي الدار الآخرة ﴿لهي الحيوان﴾[3] أي الحياة التي يجب أن نعمل لها لبقائها وخيريّتها ، وقوله : ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي نعم إذ لو علموا أن الآخرة خير لما أقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن الآخرة ، ولكن جهلهم هو سبب إعراضهم ، فدواؤهم العلم .

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) التعجب من تناقض المشركين الذين يؤمنون بربوبيَّة الله ويجحدون أُلوهيته .

٢) بيان حقيقة وهي أن الغنى والفقر لا يدلان على رضا الرب ولا على سخطه ، وإنما يدلان على علم الله وحكمته وحسن تدبيره .

٣) بيان حقارة الدنيا وتفاهتها وعظمة الآخرة وعلو قيمتها . فلذا أحمق الناس وأشدهم سفاهة من يعمى عن الآخرة ويكفر بها ويبصر الدنيا ويؤمن بها .

---

(١) (الحمد لله) أي: على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته على كل شيء أراده.

(٢) اللهو: ما يلهو به الناس أي: يشتغلون به عن الأمور المكدّرة أو يعمرون به أوقاتهم الخلية عن الأعمال.

(٣) الحيوان: يقع على كل شيء حي، وحيوان: عين في الجنة، وقيل: أصل الحيوان حييان فأبدلت إحداهما واواً لاجتماع المثلين.

فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى
ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

في الفلك : أي في السفينة.

مخلصين له الدين : أي دعوا الله وحده فلم يذكروا معه غيره من الآلهة.

إذا هم يشركون : أي يفاجئونك بالشرك وهو دعاء غير الله تعالى.

ليكفروا بما آيتناهم : أي بنعمة الإنجاء من الغرق وغيرها من النعم.

فسوف يعلمون : أي سوف يعلمون عاقبة كفرهم إذا أُلقوا في جهنم.

ويتخطف الناس من حولهم : أي يُسبون ويُقتلون في ديار جزيرتهم.

أفبالباطل يؤمنون : أي يؤمنون بالأصنام وهي الباطل ، ينكر تعالى عليهم ذلك.

والذين جاهدوا فينا : أي بذلوا جهدهم في تصحيح عقائدهم وتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم ثم بقتال أعداء الله من أهل الكفر المحاربين للاسلام والمسلمين.

لنهدينهم سبلنا : أي لنوفقنَّهم إلى معرفة ما يوصل إلى محبتنا ورضانا ونعينهم على تحصيله .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في التنديد بالمشركين وشركهم فقد تقدم في السياق أنهم يعترفون بربوبية الله تعالى إذ لو سئلوا عمن خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر لقالوا الله ولو سُئلوا عمن نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها لقالوا الله . ومع هذا هم يشركون بالله آلهة أوثانا ، وكما يعترفون بربوبيَّة الله ثم يشركون به الأصنام ، فإنهم إذا رَكِبوا في الفلك أي في سفينة من السفن وجاءهم موج واضطربت بهم وخافوا الغرق دعوا الله تعالى ﴿مخلصين له الدين﴾ أي الدعاء فسألوه وحده دون آلهتهم أن ينجيهم من الغرق . ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ ونزلوا سالمين من الغرق إذا هم يشركون يفاجئونك بالشرك فهذا التناقض منهم كالتناقض في اعترافهم بربوبيَّة الله تعالى ثم بالإشراك به . ومردُّ هذا إلى الجهل والتقليد والعناد والمجاحدة والمكابرة . هذا ما دلت عليه الآية الأولى من هذا السياق وهي قوله ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[١].

وقوله تعالى في الآية (٦٦) : ﴿ليكفروا[٢] بما آتيناهم﴾ أي عودتهم إلى الشرك بعد نجاتهم من الغرق ونزولهم في البر كان كأنه من أجل أن يكفروا بنعمة الله تعالى بإنجائهم من الغرق ،إذ لولم يكفروها لاستمروا على الاخلاص لله بدعائه وعبادته وحده دون الآلهة التي تركوها عند حلول الشدة ومعاينة البلاء . وقوله تعالى : ﴿وليتمتعوا﴾ قرىء بسكون اللام ورجح ابن جرير هذه القراءة فيكون المعنى : وليتمتعوا في دنياهم بما آتاهم الله من متاع الحياة الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة ذلك بعد موتهم وهي عذاب الآخرة ، والأمر حينئذ في قوله وليتمتعوا للتهديد والوعيد .

أما على قراءة جر اللام ولِيتمتعوا فالجملة معطوفة على قوله ليكفروا أي أخلصوا في الشدة وأشركوا في الرخاء ليكفروا وليتمتعوا بما أُوتوا في الحياة ، ولم يكن ذلك بنافعهم ولا بمغن عنهم من الله شيئا فسوف يعلمون ما يحل بهم من عذاب وما ينزل بهم من بلاء وشقاء .

---

(١) قال القرطبي : يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطاناً . وقيل : إشراكهم أن يقول قائلهم لولا الله والرئيس والملاح لغرقنا، وهو كما قال، وإنما هو عند المسلمين من الشرك الأصغر لا الأكبر كقول الرجل : لولا الطبيب لمات فلان، ولولا الكلب لسرقنا.

(٢) (ليكفروا) هذه اللام هي لام كي، والظاهر أنها للعاقبة وما يؤول إليه الأمر، وقيل هي لام الأمر، وإن كانت كذلك فهو للتهديد والوعيد، ويقوّي هذا الوجه قراءة من قرأها من القراء السبعة بسكون اللام (وليتمتعوا).

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٦٧) ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما[1] آمنا ويتخطّف[2] الناس من حولهم﴾ أي ألم ير أولئك المشركون الكافرون بنعمة الله في الإنجاء من الغرق نعمة أخرى، وهي أن جعل الله تعالى لهم حرما آمنايسكنونه آمنين من غارات الأعداء وحروب الظالمين المعتدين ، لايعتدي عليهم في حرمهم ولا يظلمون في حين أنّ الناس من حولهم في أطراف جزيرتهم وأوساطها يتخطفون فتُشنُّ عليهم الغارات ويقتَّلون ويؤسرون في كل وقت وحين ، أليست هذه نعمة من أعظم النعم تستوجب شكرهم لله تعالى بعبادته وترك عبادة ما سواه . ولذا قال تعالى عاتباً عليهم منددا بسلوكهم : ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾[3] أي بالشرك وعبادة الأصنام يصدقون ويعترفون ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ أي يجحدون إنعام ربهم عليهم فلا يشكرونه بعبادته وتوحيده فيها . وقوله تعالى في الأية الرابعة (٦٨) ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه﴾ وصفهم بالظلم الفظيع في حالتين الأولى في كذبهم على الله بتحريم ما أحل وتحليل ما حرم واتخاذ شركاء لله زاعمين أنها تشفع لهم عند الله عز وجل والثانية في تكذيبهم للحق الذي جاءهم به رسول الله وهو الدين الاسلامي بعقائده وشرائعه حيث كذبوا بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم . وبعد هذا التسجيل لأكبر ظلم عليهم قال تعالى : ﴿أليس في جهنم مثوى[4] للكافرين﴾؟ والاستفهام للتقرير أي إن في جهنم مثوى أي مسكنا للكافرين من أمثالهم وهم كافرون ظالمون وذلك جزاؤهم ولبئس الجزاء جهنم

وقوله تعالى في الآية الخامسة (٦٩) ﴿والذين جاهدوا فينا[5] لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع[6] المحسنين﴾ في هذه الآية بشرى سارة ووعد صدق كريم ، وذلك أن من جاهد في سبيل الله أي طلبا لمرضاة الله بالعمل على إعلاء كلمته بأن يعبد ولا يعبد معه سواه فقاتل

---

(١) هو مكة والحرم حولها.

(٢) الخطف: الأخذ بسرعة. قال الضحّاك يتخطف الناس من حولهم: أي يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً فذكرهم الله تعالى بهذه النعمة لعلهم يذعنون له بالطاعة.

(٣) الاستفهام للانكار والتعجب أيضاً.

(٤) المثوى المستقر الدائم، والمثوى كالمأوى وزناً ومعنى والاستفهام هنا للتقرير.

(٥) جاهدوا الكفار والفساق والشيطان والنفس أمّا جهاد الكفار فلم يؤذن فيه في الوقت الذي نزلت فيه هذه الآية إلّا أنه لا مانع أن ينزل الحكم قبل أن يشرع العمل. ولكنه منتظر، وأما جهاد النفس فهو لازم لا يفارق وكذا جهاد الشيطان عليه لعائن الله.

(٦) المعية هنا: معيّة إعانة وتسديد ونصرة على الأعداء المحاربين من الكفار والشياطين والنفس.

المشركين يوم يؤذن له في قتالهم يهديه الله تعالى أي يوفقه إلى سبيل النجاة من المرهوب والفوز بالمحبوب ، وكل من جاهد في ذات الله نفسه وهواه والشيطان وأولياءه فإن هذه البشرى تناله وهذا الوعد ينجز له وذلك أن الله مع المحسنين بعونه ونصره وتأييده على من جاهدهم في سبيل الله ، والمراد من المحسنين الذين يحسنون نياتهم وأعمالهم وأقوالهم فتكون صالحة مثمرة لزكاة نفوسهم وطهارة أرواحهم . اللهم اجعلنا منهم وآتنا ما وعدتهم إنك جواد كريم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١) بيان أن مشركي العرب لم يكونواملاحدة لا يؤمنون بالله تعالى وتقرير أنهم كانوا موحدين توحيد الربوبية مشركين في توحيد الألوهية أي العبادة .

٢) إيقاظ ضمائر المشركين بتنبيههم بنعم الله تعالى عليهم لعلهم يشكرون .

٣) لا ظلم أعظم من ظلم من افترى على الله الكذب ، وكذَّب بالحق لما جاءه وانتهى إليه وعرفه فانصرف عنه مؤثرا دنياه متبعا لهواه .

٤) بشرى الله لمن جاهد المشركين وجاهد نفسه والهوى والشياطين بالهداية إلى سبيل الفوز والنجاة في الحياة الدنيا والآخرة .

٥) فضل الإحسان وهو إخلاص العبادة لله تعالى وأداؤها متقنة مُجوَّدة كما شرعها الله تعالى ، وبيان هذا الفضل للإحسان بكون الله تعالى مع المحسنين بنصرهم وتأييدهم والإنعام عليهم وإكرامهم في جواره الكريم .

سورة الروم
مكيـة
وآياتها ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِيٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)
بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)
وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
(٦) يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ
(٧)

شرح الكلمات:

الٓمٓ : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب الٓمٓ، وتقرأ ألف، لام، ميم

غُلبت : أي غَلبت فارس الروم.

الروم : إسم رجل هو روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم سميّت به قبيلة لأنه جدها.

في أدنى الأرض : أي أقرب أرض الروم إلى فارس وهي أرضٌ يقال لها الجزيرة «بين دجلة والفرات».

وهم من بعد غلبهم سيغلبون: أي وهم أي الروم من بعد غلب فارس لهم سيغلبونها.

في بضع سنين : أي في فترة ما بين الثلاث سنوات إلى تسع سنين.

لله الأمر من قبل ومن بعد : أي الأمر في ذلك أي في غلب فارس أولاً ثم في غلب الروم أخيراً لله وحده إذ ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن.

ويومئذ يفرح المؤمنون : أي ويوم تَغلِب الـروم فارسا يفرح المؤمنون بنصر أهل الكتـاب على المشركين عبدة النار ، وبنصرهم هم على المشركين في بدر.

وعد الله : أي وعدهم الله تعالى وعداً وأنجزه لهم .

لا يخلف الله وعده : أي ليس من شأن الله خلف الوعد وذلك لكمال قدرته وعلمه .

ولكن أكثر الناس لا يعلمون : كمال الله في قدرته وعلمه المستلزم لإنجاز وعده .

يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا : أي لا يعلمـون حقـائق الإيمـان وأسـرار الشـرع وإنما يعلمون ما ظهر من الحياة الدنيا كطلب المعاش من تجارة وزراعة وصناعة .

وهم عن الآخرة هم غافلون : أي عن الحياة الآخـرة ، وما فيها من نعيم وجحيم وما يؤدي إلى ذلك من عقائد وأفعال وتُروك .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الٓمٓ﴾ : أحسن أوجه التفسير لمثل هذه الحروف القول بأن الله أعلم بمراده به ، مع الإشارة إلى أنه أفاد فائدتين الأولى أن هذا القرآن المؤلف من مثل هذه الحروف المقطعة قد أعجز العرب على تأليف مثله فدل ذلك على أنه وحي الله وتنزيله، وأن من نزل عليه نبي الله ورسوله وأن ما يحمل من تشريع هو حاجة البشرية ولا تصلح ولا تكمل ولا تسعد إلا به وعليه ، والثانية أنها لما كان المشركون يمنعون من سماع القرآن مخافة تأثيره على المستمع له جاء تعالى بمثل هذه الفواتح للعديد من سور كتابه فكانت تضطرهم إلى الاستماع إليه لأن هذه الحروف لم تكن معهودة في مخاطباتهم .

وقوله تعالى : ﴿غُلبت الروم﴾[1] : أي غَلَبت فارس الروم في ﴿أدنى الأرض﴾[2] أي أرض الشام الأقرب إلى بلاد فارس وذلك في أرض الجزيرة الواقعة بين نهرى دجلة والفرات

(١) هذا الخبر المقصود منه لازم الفائدة، إذ الله يعلم ذلك، وإنما المراد نحن نعلم ذلك فلا يهنئكم أيها المشركون ذلك ولا تتطاولوا به على رسولنا وأوليائنا فإنا نعلم أنهم سيغلبون من غلبهم في بضع سنين لا يُعد الغلب في مثله غلباً.

(٢) اختلف في أدنى الأرض هل هذا الإدناء إلى أرض الروم أو إلى أرض الفرس كما في التفسير أو أدنى الأرض إلى أرض الروم أو إلى أرض العرب، وهذا الخلاف سببه الخلاف في تحديد موقع المعركة فإن كانت بالجزيرة فأدنى الأرض هو بالنسبة إلى أرض فارس وإن كانت الوقعة بالأردن فهي أقرب إلى أرض الروم وإن كانت الوقعة بأذرعات جنوب الشام فهي أقرب إلى ديار العرب الحجاز وما حوله والراجح الأول كما في التفسير.

وقوله : ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ أي وهم من بعد غلب فارس الروم ستغلب الروم فارساً وقوله : ﴿في بضع سنين﴾ : أي في فترة زمانية ما بين الثلاث سنوات إلى تسع سنوات وقوله ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾[1] أي الأمر في ذلك لله تعالى من قبل الغلب ومن بعده إذ هو المتصرف في خلقه . وقوله ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾[2] أي ويوم يَغلِب الروم فارساً يفرح المؤمنون بانتصار الروم على فارس لأن الروم أهل كتاب وفارساً مشركون يعبدون النار ، كما يفرح المؤمنون أيضاً بانتصارهم على المشركين في بدر إذ كان الوقت الذي انتصرت فيه الروم هو وقت انتصر فيه المؤمنون على المشركين في بدر . وهذا من الغيب الذي أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر فأكد بذلك أن الإسلام وكتابه ورسوله حق . وقوله تعالى : ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ أي ينصر تعالى من يشاء نصره من عباده وقد شاء نصر المؤمنين والروم فنصرهم في وقت واحد منجزاً بذلك وعده الذي واعد به منذ بضع سنين[3] ، وهو العزيز أي الغالب على أمره القادر على إنجاز وعده الرحيم بأوليائه وصالحي عباده . وقوله ولكن ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾[4] كتدبير اللهوقدرته وعزته وفوائد شرعه وأسرار دينه ، ولكن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا كتدبير معايشهم من زراعة وصناعة وتجارة ، وفي نفس الوقت هم عن الحياة الآخرة غافلون عمايجب عليهم فعله وتركه ليسعدوا فيها بالنجاة من النار وسكنان الجنان في جوار الرحمن سبحانه وتعالى .

---

(١) قبل، وبعد: مبنيان على الضم لحذف المضاف إليه ونيّة معناه أي: من قبل الغلب وبعده.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض) قال: كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وذكر أنّ أبا بكر راهن قريشاً في كلام طويل، وقال الترمذي فيه حديث حسن صحيح غريب نقله القرطبي.

(٣) وقيل كان النصر يوم صلح الحديبية لأن صلح الحديبية كان في واقع الأمر نصراً للمؤمنين، وما في التفسير أصح لحديث الترمذي وقد حسّنه وصححه وقال فيه غريب.

(٤) قال الحسن بلغ ـ والله ـ من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد الدرهم فيخبرك بوزنه ولا يحسن أن يصلي وفي هذا قال بعضهم شعراً:

ومن البلية أن ترى لك صاحبا   في صورة الرجل السميع المبصر
فطنٍ بكـــل مصيبة في ماله   وإذا يصاب بدينه لم يشعر

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١) تقرير صحة الاسلام وأنه الدين الحق بِصِدْقِ ما يخبر به كتابه من الغيوب .

٢) بيان أن أهل الكتاب من يهود ونصارى أقرب إلى المسلمين من المشركين والملاحدة من بلاشفة شيوعيين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

٣) بيان أن أكثر الناس لا يعلمون ما يسعدهم في الآخرة ويكملهم من العقائد الصحيحة والشرائع الحكيمة الرحيمة التي لا يكمل الإنسان ولا يسعد إلا عليها ،ويعلمون ظاهراً من الحياة الـدنيا كتدبير المعاش من زراعة وصناعة وتجارة ، اما عن سر الحياة الدنيا ولماذا كانت فهم لا يعلمون شيئا كما هم عن الحياة الآخرة غافلون بالمرة فلا يبحثون عما يسعد فيها ولا عما يشقي . والعياذ بالله تعالى من الغفلة عن دار البقاء في السعادة أو الشقاء .

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ
أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات

في أنفسهم : أي كيف خُلقوا ولم يكونوا شيئا ، ثم كيف أصبحوا رجالا .

إلا بالحق : أي لم يخلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق الذي هو العدل .

وأجل مسمى : وهو نهاية هذه الحياة لتكون الحياة الثانية حياة الجزاء العادل .

بلقاء ربهم لكافرون : أي بالبعث والوقوف بين يدي الله ليسألهم ويحاسبهم ويجزيهم .

وأثاروا الأرض : قلبوها للحرث والغرس والإنشاء والتعمير .

وعمروها : أي عمروا الأرض عمارة أكثر مما عمرها هؤلاء المشركون .

وجاءت رسلهم بالبينات : أي بالدلائل والحجج والبراهين من المعجزات وغيرها .

ولكن كانوا أنفسهم يظلمون : أي بتكذيبهم وشركهم ومعاصيهم فعرضوا أنفسهم للهلاك .

أساءوا السوأىٰ : أي بالتكذيب والشرك والمعاصى والسوءى هي الحالة الأسوأ .

أن كذبوا بآيات الله : أي بتكذيبهم بآيات الله القرآنية واستهزائهم بها .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة المنكرين للبعث الآخر إلى الإيمان به من طريق ذكر الأدلة العقلية التي تحملها الآيات القرآنية فقوله تعالى ﴿أو لم يتفكروا في[1] أنفسهم﴾ أي أينكرون البعث ولم يتفكروا في أنفسهم كيف كانوا عدماً ثم وجدوا أطفالا ثم شبابا ثم رجالا كهولا وشيوخا ثم يموتون أليس القادر على خلقهم وتربيتهم ثم إماتتهم قادر على بعثهم وحسابهم ومجازاتهم على كسبهم في هذه الحياة الدنيا وقوله تعالى ﴿ما خلق الله

(١) (في أنفسهم) ظرف للتفكر، وليس مفعولا لفعل يتفكّروا لأنهم لم يؤمروا أن يتفكروا في خلق أنفسهم بل في خلق السموات والأرض وما بينهما.

السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق[1] وأجل مسمى﴾ أي لم يخلقهما عبثاً بل خلقهما ليُذكر ويُشكر، ثم إذا تم الأجل المحدد لهما افناهما ثم بعث عباده ليحاسبهم هل ذكروا وشكروا أو تركوا و نسوا و كفروا ثم يجزيهم بحسب إيمانهم وطاعتهم أو كفرهم وعصيانهم.

وقوله تعالى ﴿وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ يخبر تعالى أنه مع ظهور الأدلة وقـوة الحجـج على صحة عقيدة البعث والجزاء فإن كثيرا من الناس كافرون بالبعث والجزاء وقوله تعالى في الآية (٩) ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي أيكذِّب أولئك المشركون بالبعث والجزاء ولم يسيروا في الأرض شمالا وجنـوبا[2] فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هلاكاً ودماراً، ﴿كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض﴾ بالإنشاء والتعمير والزراعة والفلاحة ﴿وعمروها﴾ عمارة أكثر مما عَمَرَها هؤلاء، ﴿وجاءتهم رسلهم بالبيّنات[3]﴾، ولما أهلكهم لم يكن ظالماً لهم بل كانوا هم الظالمين لأنفسهم. أليس في هذا دليلا على حكمة الله وعلمه وقدرته فكيف ينكر عليه بعثه لعباده يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم؟

وقوله تعالى ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أي الأعمال فلم يصلحوها حيث كذَّبوا برسل الله وشرائعه. وقوله: ﴿السوأى[4]﴾ أي عاقبة الذين أساءوا السُّوأى أي العاقبة السوأى وهو خسرانهم وهلاكهم، وقوله ﴿أن كذبوا بآيات الله﴾ أي من أجل أنهم كذبوا بآيات الله ﴿وكانوا بها يستهزئون﴾ وأصروا على ذلك ولم يتوبوا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة العقلية المثبتة لها.

٢) كفر أكثر الناس[5] بالبعث مع كثرة الأدلة وقوتها.

---

(١) جائز أن يكون (إلا بالحق) معناه: إلا للحق أو لإقامة الحق أو بالحكمة وما في التفسير أولى وكل ما ذكر يشمله ويدل عليه. والأجل المسمّى: المراد به أن كل المخلوقات حدد لها أجل فنائها، وهذا التقرير للفناء مستلزم للحياة الآخرة.

(٢) فينظروا بأبصارهم وبصائرهم فلمّا كذبوا أهلكهم الله وما كان ظالماً لهم بل هم الظالمون لأنفسهم بالشرك والمعاصي.

(٣) أي: بالمعجزات والأحكام الشرعية.

(٤) السوءى: تأنيث الأسوأ، كالحسنى تأنيث الأحسن، والأسوأ. الأقبح من الأفعال والأقوال والمعتقدات، وجائز أن يكون المراد بالسوءى هنا جهنم كما أن المراد بالحسنى الجنة في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى) أي الجنة.

(٥) العلة أنهم لا يفكرون أي: لا يعملون خواطرهم في النظر والتأمل هذا هو سرّ عدم إيمانهم إذ لو نسب المفكرون إلى غيرهم لما كانت النسبة واحداً إلى/ مليون:

ولم أر كالرجال تفاوتاً   لدى الفكر حتى عُد ألف بواحد

٣) مشروعية السير في الأرض للاعتبار مع اشتراط عدم حصول إثم في ذلك بترك واجب أو بفعل محرم.
٤) بيان جزاء الله العادل في أنَّ عاقبة الإساءة السوأى.[1]
٥) كفر الاستهزاء بالشرع وأحكامه والقرآن وآياته.

ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ
شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ
فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات:

ثم إليه ترجعون : أي بعد إعادة الخلق وبعث الناس.

يُبلس المجرمون : أي ييأسوا من النجّاة وتنقطع حجتهم فلا يتكلمون.

وكانوا بشركائهم كافرين : أي يتبرَّءون منهم ولا يعترفون بهم

يتفرَّقون : أي ينقسمون إلى سعداء أصحاب الجنة وأشقياء أصحاب النار.

في روضة يحبرون : أي في روضة من رياض الجنة يُسرُّون ويفرحون.

في العذاب محضرون : أي مُدخلون فيه لا يخرجون منه.

---

(١) أي: عاقبة الشرك والمعاصي وهما السوء والإساءة عاقبتهما السوءى أي: أشدّ العقوبات وأنكاها في الدنيا وفي الآخرة.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة وعرض صور حية صادقة لما يتم بعد البعث من جزاء، فقوله تعالى ﴿الله يبدأ الخلق ثم يُعيده، ثم إليه ترجعون﴾ إعلان واضح صريح قاطع للشك مزيلٌ للَّبس بأن الله ربُّ السموات والأرض وما بينهما هو الذي بدأ الخلق فخلق ما شاء ثم يميته ثم يعيده، وإليه لا إلى غيره ترجع الخليقة كلها راضية أو ساخطة محبّة أو كارهة، هكذا قرر تعالى عقيدة البعث والجزاء مُدلِّلاً عليها بأقوى دليل وهو وجوده تعالى وقدرته التي لا تُحد وعلمه الذي أحاط بكل شيء وحكمته التي لايخلو منها عمل، فقال ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾.

وقوله عز وجل في الآية الثانية عشر (١٢) ﴿ويوم تقوم الساعة يُبلسُ المجْرمون[١]﴾ هذا عرض لما بعد البعث فذكر أنه لمَّا تقوم الساعة ويُبعث الناس يُبلس المجرمون أي ييأسون من الرحمة وينقطعون عن الكلام لعدم وجود حجة يحتجون بها. وقوله ﴿ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء﴾ أي ولم يكن لهم من يشفع لهم من شركائهم الذين عبدوهم بحجة أنهم يشفعون لهم عند الله، فأيسوا من شفاعتهم وكفروا بهم أيضاً أي أنكروا أنهم كانوا يعبدونهم خوفا من زيادة العذاب. هذه حال المجرمين الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي، الحامل عليها تكذيبهم بآيات الله ولقائه. وقوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ هذا عرض آخر يخبر تعالى أنه إذا قامت الساعة تفرق الناس على أنفسهم فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير، وبين ذلك مقرونا بعلله فقال: ﴿فأمّا[٢] الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي صدَّقوا بالله ربّاً وإلهاً وبمحمد رسولاً وبالإسلام دينا لا دين يقبل غيره وبالبعث والجزاء حقاً. ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي عبدوا الله تعالى بما شرع لهم من العبادات إذ الصالحات هي المشروع من الطاعات القولية والفعلية فهؤلاء المؤمنون

(١) يقال: أبلس يبلس إبلاساً: إذا سكت متحيرا وانقطعت حجّته وأيس أن تكون له حجّة، قال الشاعر:
يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً   قال نعم أعرفه وأبلسا
والمكرس: الذي بعرت فيه الإبل وبولت فركب بعضه بعضاً

(٢) قيل في: (فأمّا) أن معناها: دع ما كنا فيه وخذ في غيره، وقيل معناها: مهما كنا في شيء فخذ في غير ما كنا فيه، والمعنى متقارب، والحقيقة أنها أداة شرط وتفصيل، تفصيل لما أجمل في الكلام السابق عليها وشرط ولذا قرن جوابها بالفاء.

العاملون للصالحات ﴿فهم في روضة﴾[1] من رياض الجنة ﴿يحبرون﴾[2] أي يُسرُّون ويفرحون بما لاقُوه من الرضوان والنعيم المقيم، وذلك بفضل الله تعالى عليهم وبما هداهم إليه من الإيمان، وما وفقهم إليه من عمل الصالحات. وقوله: ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾ فقد أخبر عن جزائهم مقروناً بعلة ذلك الجزاء وهو الكفر بتوحيد الله تعالى، والتكذيب بالآيات القرآنية وما تحمله من حجج وشرائع وأحكام، وبلقاء الآخرة وهو لقاء الله تعالى بعد البعث للحساب والجزاء، فجزاؤهم أن يحضروا في العذاب دائما وأبداً لا يغيبون عنه، ولا يفتر عنهم، وهم فيه خالدون

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة وعرض مشاهد القيامة.

٢) تقرير عقيدة أن لا شفاعة لمشرك ولا كافر يوم القيامة، وبطلان ما يعتقده المبطلون من وجود من يشفع لأهل الشرك والكفر.

٣) تقرير مبدإ السعادة والشقاء يوم القيامة فأهل الإيمان والتقوى في روضة يحبرون، وأهل الشرك والمعاصي في العذاب محضرون.

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ

---

(١) الروضة: كل أرض ذات أشجار وماء وأزهار قال الأعشى:

وما روضة من رياض الحزن معشبة … خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق … مؤزر بعميم النبت مكتهل

(٢) (يحبرون): ينعمون ويكرمون ويسرون بالحبور والسرور وأثر النعيم يقال: فلان حسن السبر والحبر، وفي الحديث: (يخرج رجل من النار ذهب حبره وسبره).

تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات:

فسبحان الله : أي سبحوا الله أي صلوا.

حين تمسون : أي تدخلون في المساء وفي هذا الوقت صلاة المغرب وصلاة العشاء.

وحين تصبحون : وتدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح.

وله الحمد في السموات والأرض : أي وهو المحمود دون سواه في السموات والأرض.

وعشيا : أي حين تدخلون في العشي وفيه صلاة العصر.

وحين تظهرون : أي تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر.

يخرج الحي من الميت : أي يخرج الإنسان الحي من النطفة وهي ميتة.

ويخرج الميت من الحي : أي يخرج النطفة من الإنسان الحي والبيضة الميتة من الدجاجة الحيّة.

ويحي الأرض بعد موتها : أي يحييها بالمطر فتحيا بالنبات بعدما كانت يابسة ميتة.

وكذلك تخرجون : أي من قبوركم أحياء بعدما كنتم ميتين.

ومن آياته : أي ومن أدلة قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لبعثكم بعد موتكم.

أن خلقكم من تراب : أي خلقه إياكم من تراب، وذلك بخلق آدم الأب الأول.

تنتشرون : أي في الأرض بشراً تعمرونها.

لتسكنوا إليها : أي لتسكن نفوسكم إلى بعضكم بعضاً بحكم التجانس في البشرية.

وجعل بينكم مودة : أي محبة ورحمة أي شفقة إذ كل من الزوجين يحب الآخر ويرحمه.

معنى الآيات:

قوله سبحانه وتعالى في هذه السياق: ﴿فسبحان الله[1] . . . .﴾ الآية لما بين تعالى بدء الخلق ونهايته باستقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وهذا عمل يستوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بجلاله وكماله كما يستلزم حمده، ولما كانت الصلوات الخمس تشتمل على ذلك أمر بإقامتها في المساء والصباح والظهيرة والعشيّ فقال تعالى: ﴿فسبحان الله[2]﴾ أي سبحوا الله ﴿حين تمسون﴾ أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ أي تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح. وقوله تعالى ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾ يخبر تعالى أن له الحمد مستحقا له دون سائر خلقه في السموات والأرض. وقوله ﴿وعشيًّا[3]﴾ معطوف على قوله ﴿حين تصبحون﴾ أي وسبحوه في العشي. وهي صلاة العصر ﴿وحين تظهرون﴾ أي وسبحوه حين تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر.

وقوله تعالى ﴿يخرج الحي من الميت[4]﴾ أي ومن مظاهر الجلال والكمال الموجبة لحمده وطاعته والمقتضية لقدرته على بعث عباده ومحاسبتهم ومجازاتهم أنه يخرج الحيَّ كالإنسان من النطفة والطير من البيضة والمؤمن من الكافر ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ كالنطفة من الإنسان والبيضة من الدجاجة وسائر الطيور التي تبيض. وقوله ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ أي ومن مظاهر وجوده وقدرته وعلمه ورحمته أيضاً أنه يُحيي الأرض أي بالمطر بعد موتها بالجدب والقحط فإذا هي رابية تهتز بأنواع النباتات والزروع وقوله: ﴿وكذلك تخرجون[5]﴾ أي وكإخراجه الحيّ من الميت والميّت من الحي وكإحيائه الأرض

---

(١) في هذه الآية الكريمة: (فسبحان الله) يأمر تعالى عباده المؤمنين بعبادته في الأوقات المذكورة في الآية، وأعظم العبادات الصلاة لأنها مشتملة على ذكره وشكره.

(٢) هذه الفاء للتفريع إذ هذا الأمر متفرع عما قبله إذ بيّن تعالى أن الإيمان والعمل الصالح منج لصاحبه فبناء على ذلك فأقيموا الصلاة.

(٣) العشي والعشية من صلاة العصر إلى غروب الشمس حسب دلالة الآية لتدخل صلاة العصر والإمساء: تدخل فيه صلاة المغرب والعشاء والصبح في الإصباح والظهر في الظهيرة.

(٤) كون النطفة تحمل حيوانات منوية لا يتنافى مع اطلاق الموت عليها إذ المراد من الموت الذي يوصف به الشيء كما وصفت الأرض بالموت إذا يبست ولم يكن بها نبات، وحبة البر والشعير بالموت إذ الحياة تحدث للأرض بعد نزول المطر عليها والحبة بعد تفاعلها مع التربة الثرية وكذا النطفة تحمل مادة الحياة كالأرض والحبة ولا تظهر فيها إلا بعد تفاعلها الخاص في الرحم.

(٥) في هذه الآية دليل على مشروعية القياس وصحته، وجه القياس في الآية هو قياس المعاد على الخلق الأول والإيجاد.

بعد موتها: يُحييكُم ويخرجكم من قبوركم للحساب والجزاء إذ القادر على الأول قادر على الثاني. ولا فرق.

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أي ومن آياته الـدالة علي وجوده وعلمه وقدرته المستوجبة لعبادته وحده والمقرّرة لقدرته على البعث والجزاء خَلْقُه للبشرية من تراب[1] إذ خلق أباها الأول آدم عليه السّلام من تراب، وخلق حواء زوجه من ضلعه ثم خلق باقي البشرية بطريقة التناسل. فإذا هي كما قال سبحانه وتعـالى: بشـر ينتشـرون[2] في الأرض متفرقين في أقطارها يعمرونها بإذنه تعالى. وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنُوا[3] إليها﴾ أي ومن آياته أي حججه وأدلته الدالة على وجوده وعلمه ورحمته المستوجبة لعبادته وتوحيده فيها والدالة أيضاً على قدرته على البعث والجزاء خلقه لكم أيها الناس من أنفسكم أي من جنسكم الآدمي أزواجاً أي زوجات لتسكنوا إليها بعامل التجانس، إذ كل جنس من المخلوقات يطمئن إلى جنسه ويسكن إليه، وقوله ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ أي جعل بين الزوجين مودة أي محبة ورحمة أي شفقة إلا إذا ظلم أحدهما الآخر فإن تلك المودة وتلك الرحمة قد ترتفع حتى يرتفع الظلم ويسود العدل والحق. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي دلائل وحجج واضحة ﴿لقوم يتفكرون﴾ باستعمال عقولهم في النظر والفكر فإنهم يجدون تلك الأدلة على قدرة الله وعلمه ورحمته وكلها مقتضية لتوحيد الله ومحبته وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه، مع تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المجرمون المكذبون.

---

(١) ووجه آخر للخلق من تراب وهو أن النطف التي هي أصل خلق الإنسان بعد الأبوين آدم وحواء قد تكونت من الغذاء، وأن الغذاء قد تكون من نبات الأرض، وأن نبات الأرض مشتمل على الأجزاء الترابية التي أنبتته فبهذا كان تكوين الإنسان من تراب فكان آية وأمر آخر هو أن التراب بارد يابس، وهو طبع الموت وطبع الحياة الحرارة والرطوبة، فمن ذلك البارد اليابس ينشأ المخلوق الحي الرطب فسبحان الخلاق العليم.

(٢) الانتشار الظهور والتفرق هنا وهناك في البلاد والاقطار تعملون سامعين مبصرين منكم الصالح ومنكم خلافه وهو الفاسد.

(٣) ضمن لتسكنوا لتميلوا لذا عُدي باللام وفي الآية دليل على عدم تزوج الآدمي بغير الآدمية كالجنية إذ لا يحصل الأنس إلا بالجنس والآية تومِئ إلى أن أول ارتفاق الرجل بالمرأة سكونه إليها مما فيه من غليان القوة وذلك أن الختانين إذا التقيا هيجا ماء الصلب فإذا نزل حصل السكون ووقف الهيجان كما هو معروف.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١) وجوب تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله .

٢) وجوب حمد الله على آلائه وإنعامه .

٣) وجوب إقام الصلاة .

٤) بيان أوقات الصلوات الخمس[١]

٥) بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه ورحمته المقتضية لتوحيده والمقررة لعقيدة البعث والجزاء .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

---

(١) روى عن ابن عباس أنه سئل هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال نعم: وقرأ هذه الآية ومنها أخذ الإمام الشافعي أوقات الصلوات الخمس وأخذها مالك من آية الإسراء (أقم الصلاة لدلوك الشمس) الآية .

شرح الكلمات :

ومن آياته : أي حججه وبراهينه الدالة على قدرته على البعث والجزاء.

واختلاف ألسنتكم : أي لغاتكم من عربية وعجمية والعجمية بينها اختلاف كثير.

وألوانكم : أي من أبيض وأصفر وأحمر وأسود والكل أبناء رجل واحد وامرأة واحدة.

للعالمين : أي للعقلاء على قراءة للعالَمين[1] بفتح اللام، ولأولي العلم على قراءة كسر اللام.

وابتغاؤكم من فضله : أي طلبكم الرزق باحضار أسبابه من زراعة وتجارة وصناعة وعمل.

لقوم يسمعون : أي سماع تدبر وفهم وإدراك لا مجرد سماع الأصوات.

يريكم البرق خوفاً وطمعاً : أي إراءته إياكم البرق خوفاً من الصواعق والطوفان وطمعاً في المطر.

أن تقوم السماء والأرض بأمره : أي قيام السماء والأرض على ما هما عليه منذ نشأتهما بقدرته وتدبيره.

دعوة من الأرض : أي دعوة واحدة لا تتكرر وهي نفخة اسرافيل.

إذا أنتم تخرجون : أي من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

معنى الآيات

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء بذكر الأدلة والبراهين العقلية فقوله تعالى: ﴿ومن آياته﴾ أي حججه الدالة على قدرته على البعث والجزاء وعلى وجوب توحيده ﴿خلق السموات والأرض﴾ فَخلْقُ بمعنى إيجادِ السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من أكبر الأدلة وأقواها على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته وكلها موجبة لتوحيده ومثبتة لقدرته على البعث والجزاء، مقررة له، وقوله: ﴿واختلافُ[2] ألسنتكم﴾ أي

(١) بالفتح قرأ نافع وبالكسر قرأ حفص ولكل منهما متابع على ما قرأ والمعنى واحد إذ لا يكون العالم عالماً بدون عقل فكل عالم عاقل والعاقل يهديه عقله إلى أن يعلم فيعلم أيضاً.

(٢) قال القرطبي اللسان في الفم وفيه اختلاف اللغات من العربية والعجمية والتركية والرومية واختلاف الألوان في الصورة من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد ترى أحداً إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين، فلابد من فاعل فعلم أن الفاعل هو الله تعالى فهذا من أدل الدليل على البارىء سبحانه وتعالى.

لغاتكم من عربية وعجمية ولهجاتكم بحيث لكل ناطق لهجة تخصه يتميز بها إذا سمع صوته عرف بها من بين بلايين البشر، ﴿وألوانكم﴾ واختلاف ألوانكم أيها البشر من أبيض إلى أسود ومن أحمر إلى أصفر مع اختلاف الملامح والسمات بحيث لا يوجد اثنان من ملايين البشر لايختلف بعضهما عن بعض حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر إن في هذا وذاك ﴿لآيات للعالمين﴾ أي لحججا ظاهرة وبراهين قاطعة بعضها للعالمين(١) وذلك البياض والسواد وبعضها للعلماء كاختلاف اللهجات وملامح الوجوه والسمات المميزة الدقيقة والكل أدلة على قدرة الله وعلمه ووجوب عبادته وتوحيده في ذلك مع تقرير عقيدة البعث والجزاء

وقوله ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ أي ومن آياته الدالة على قدرته على البعث والجزاء منامكم بالليل فالنوم(٢) كالموت والانتشار في النهار لطلب الرزق كالبعث بعد الموت فهذه عملية للبعث بعد الموت تتكرر كل يوم وليلة في هذه الحياة الدنيا، وقوله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ أي في ذلك المذكور من النوم والانتشار لطلب الرزق لدلائل وحجج على قدرة الله على البعث لقوم يسمعون(٣) نداء الحق والعقل يدعوهم إلى الإيمان بالبعث والجزاء فيؤمنون فيصبحون يعملون للقاء ربهم ويستجيبون لكل من يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه ويتقربوا إليه.

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٢٤) ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً(٤)﴾ أي ومن حججه تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي مقتضيات توحيده والإيمان بلقائه إراءته(٥) إيّاكم أيها الناس البرق خوفاً للمسافرين من الأمطار الغزيرة ومن الصواعق

---

(١) ذكر العالمين والعلماء في التفسير إشارة إلى القراءتين إذ قرأ نافع والجمهور للعالمين بفتح اللام وقرأ حفص بكسر العين للعالمين وهم العلماء.

(٢) المنام مصدر ميمي وهو من الأعراض لا من الذوات وامره عجيب إذ لو قيل لانسان نم ولك مكافأة أعظم مكافأة لا يقدر على أن ينام إلا على سنة النوم وهو الاسترخاء والاضطجاع وإغماض العينين فترة حتى ينام، ولو شاء الله ما نام كما لو شاء ما هب من نومه.

(٣) اختيار لفظ السماع مع آية النوم فيه اشارة إلى أن النائم يفقد السماع حال نومه بدون إرادته ولا اختياره.

(٤) جائز أن يكون الخوف للمسافر والطمع للمقيم.

(٥) التعبير بالمصدر «إراءته» اشارة إلى أن من أهل التفسير من يقول إنّ «أنْ» المصدرية محذوفة نحو قول الشاعر:

ألا ايها اللائمي احضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

إذ التقدير أن احضر فحذف أن، ويصح أن يكون المعنى ومن آياته أنه يريكم فحذف أن واسمها وبقى الخبر وهو جملة يريكم والكل واسع وجائز.

الشديدة أن تصيبهم ، وطمعاً في المطر الذي تحيا به مزارعكم وتنبت به أرضكم فيتوفر لكم أسباب رزقكم، وقوله: ﴿وينزل من المساء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها﴾ أي ومن آياته تنزيله تعالى من السماء ماءً وهو ماء المطر فيحيي به الأرض بالنباتات والزروع بعد أن كانت ميتة لا حياة فيها لا زرع ولا نبت إن في ذلك المذكور من إنزال الماء وإحياء الأرض بعد إراءته عباده البرق خوفاً وطمعاً لآيات دلائل وحجج على قدرته على البعث والجزاء ولكن يرى تلك الدلائل ويعقل ويفهم تلك الحجج قوم يعقلون أي لهم عقول سليمة يستعملونها في النظر والاستدلال فيفهمون ويؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ أي ومن آياته تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته والموجبة لتوحيده والمقررة لنبوة نبيه ولقائه للحساب والجزاء قيام السماء والأرض منذ خلقهما فلا السماء تسقط، ولا أرض تغور فهما قائمتان منذ خلقهما بأمره تعالى أليس في ذلك أكبر دليل على قدرة الله تعالى على بعث الناس بعد موتهم أحياء لحسابهم على كسبهم ومجازاتهم.

وقوله تعالى: ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم[1] تخرجون﴾ أي أقام السماء والأرض للحياة الدنيا يحيي فيهما ويميت حتى تنتهي المدة المحددة للحياة فيهلك الكل ويفنيه ﴿ثم إذا دعاكم دعوة﴾ بِنَفْخِ اسرافيل في الصور ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ من الأرض استجابة لتلك الدعوة، وذلك للحساب والجزاء العادل على العمل في هذه الحياة الدنيا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لعبادته وحده وترك عبادة من سواه.

٢) مشروعية طلب الرزق بالمشي في الأرض واستعمال الوسائل المشروعة لذلك.

٣) تقرير أن الذين ينتفعون بأسماعهم وعقولهم هم أهل حياة الإيمان إذ الإيمان روح متى دخلت جسما حَيِيَ وأصبح صاحبه يسمع ويبصر ويفكر ويعقل.

٤) تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الإصلاح البشري بعد عقيدة الإيمان بالله ربّاً وإلهاً.

---

(١) إذا الأولى شرطية والثانية فجائية سادة مسد فاء الجواب وصيغة الدعاء كما ذكرها القرطبي: يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كقوله تعالى: ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾.

وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ
أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي
مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ
أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي
مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

وله من في السموات والأرض: أي خلقا وملكا وتصرفا وعبيداً .

كل له قانتون[1] : أي كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن منقادون له تجري عليهم أحكامه كما أرادها فلا يتعطل منها حكم .

وهو أهون عليه : أي أيسر وأسهل نظراً إلى أن الاعادة أسهل من البداية .

وله المثل الأعلى : أي الوصف الأعلى في كل كمال فصفاته كلها عليا ومنها الوحدانية .

وهو العزيز الحكيم : أي الغالب على أمره الحكيم في قضائه وتصرفه .

ضرب لكم مثلا : أي جعل لكم مثلا .

من أنفسكم : أي منتزعا من أموالكم وما تعرفونه من أنفسكم .

---

(١) القنوت الطاعة وهي الانقياد والخلائق كلها منقادة مطيعة لما أراد الله منها فلا يتخلف قضاؤه تعالى وحكمه فيها بحال من الأحوال .

كخيفتكم : أي تخوفكم من بعضكم بعضاً أيها الأحرار.
نفصل الآيات : أي نبينها بتنويع الأسلوب وإيراد الحجج وضرب الأمثال.
بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم : أي ليس الأمر قصوراً في البيان حتى لم يؤمن المشركون وانما العلة اتباع المشركين لأهوائهم وتجاهل عقولهم.
فمن يهدي من أضل الله؟ : أي لا أحد فالاستفهام للنفي.

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير قدرة الله تعالى على البعث الذي أنكره المشركون بذكر الأدلة العقلية وتصريف الآيات فقال تعالى ﴿وله﴾ أي لله المحى المميت الوارث الباعث سبحانه وتعالى ﴿من في السموات والأرض﴾ أي من ملائكة وجان وإنسان فهو خلقهم وهو يملكهم ويتصرف فيهم. وقوله: ﴿كل له قانتون[١]﴾ أي مطيعون منقادون فالملائكة لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والجن والإنس منقادون لما أراده منهم من حياة وموت ونشور وأمّا عصيانهم في العبادات فهو غير مقصود لأنه التكليف الذي هو علة الحياة كلها ومع هذا فهم منفذون باختيارهم وإراداتهم الحرة ما كتبه عليهم أزلا والله أكبر ولله الحمد وقوله تعالى: ﴿وهو الذي[٢] يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أي هو الله الذي يبدأ خلق ما أراد خلقه في كل يوم وساعة من غير شيء ويهبه الحياة ثم يسلبها منه في آجال سماها ثم يعيده يوم القيامة أحب الناس أم كرهوا. وقوله ﴿وهو أهون[٣] عليه﴾ أي الإعادة أيسر وأسهل عليه فليس على الله شيء صعب ولا شاق ولا عزيز ممتنع، وإنما خرج الخطاب على أسلوب المتعجبين من إعادة الخلق بعد فنائه فأعلمهم أن المتعارف عليه عندهم أن الإعادة أسهل من البداءة ليفهموا ويقتنعوا، وإلا فلا شيء صعب على الله تعالى ولا شاق ولا عسير، إذ هو يقول للشيء متى أراده كن فيكون. وقوله تعالى ﴿وله المثل[٤] الأعلى في

---

(١) ذكر القرطبي لتفسير كلمة (قانتون) تفاسير عدة عن السلف منها مطيعون طاعة انقياد، مقرون بالعبودية إما قالة وإما دلالة مصلون قائمون يوم القيامة مخلصون.

(٢) قال القرطبي: أما بدء خلقه فبعلوقه في الرحم قبل ولادته وأما اعادته فاحياؤه بعد الموت في النفخة الثانية للبعث فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلاً على ما يخفى من إعادته استدلالا بالشاهد على الغائب.

(٣) أهون بمعنى هين، لقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا، والعرب تطلق أفعل على فاعل قال الشاعر:

إن الذي شمل السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

(٤) أي ثبت له واستحق الشأن الأتمّ الذي لا يقاس بشؤون الناس المتعارفة وانما بقصد التقريب لأفهامكم والأعلى الأعظم البالغ نهاية العظمة والقوة.

السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ وله أي لله سبحانه وتعالى الوصف الأكمل في السموات والأرض وهو الألوهية والوحدانية فهو الرب الذي لا إله إلا هو المعبود في السماء والأرض لا إله إلا هو فيهما ولا ربّ غيره لهما وهو العزيز الغالب المنتقم ممن كفر به وعصاه الحكيم في تدبيره وتصريفه لشؤون خلقه. وقوله تعالى ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ أي جعل[1] لكم مثلا مأخوذاً منتزعا من أنفسكم وهو: ﴿هل لكم[2] من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾ أي انه ليس لكم من مماليككم وعبيدكم شريك منهم يشارككم في أموالكم إذ لا ترضون بذلك ولا تقرونه ابداً، إذاً فكذلك الله تعالى لا يرضى أن يكون من عبيده من هو شريك له في عبادته التي خلق كل شيء من أجلها.. وقوله ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ أي تخافون عبيدكم كما تخافون بعضكم بعضا أيها الأحرار، أي لا يكون هذا منكم ولا ترضون به إذاً فالله ـ وله المثل الأعلى ـ كذلك لا يرضى أبداً أن يكون مخلوق من مخلوقاته ملكاً كان أو نبياً أو وثنا أو صنما شريكا له في عباداته. ، وقوله: ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ أي نبيّنها بتنويع الأساليب وضرب الأمثال ﴿لقوم يعقلون﴾ إذ هم الذين يفهمون معاني الكلام وما يراد من أخباره وقصصه وأمثاله وأوامره ونواهيه. ، وقوله تعالى ﴿بل اتبع الذين[3] ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ أي ليس الأمر قصوراً في الأدلة ولا عدم وضوح في الحجج وإنما الظالمون اتبعوا أهواءهم أي ما يهوونه ويشتهونه بغير علم من نفعه وجدواه لهم فضلوا لذلك. فمن يهديهم، وقد أضلهم الله حسب سنته في الإضلال. وهو معنى قوله تعالى: ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾؟ أي لا أحد وقوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي يهدونهم بعد أن أضلّهم الله، والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير عقيدة البعث والتوحيد بذكر الأدلة وضرب الأمثال وتفصيل الآيات.

---

(١) ضرب المثل ايقاعه ووضعه، واللام في لكم للتعليل أي لأجلكم.

(٢) من في قوله مثلاً من انفسكم للابتداء وفي قوله من أنفسكم للتبعيض وفي قوله من شركاء زائدة. قال قتادة هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين والمعنى هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله فإن لم ترضوا بهذا لأنفسكم فكيف جعلتم لله شركاء.

(٣) المراد به القرطبي إذ قال عند تفسير هذه الآية: وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه لأن جميع العبادات البدنية لاتصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك.

٢) تَفرُّدُ الربّ تعالى بالمثل الأعلى في كل جلال وكمال.
٣) استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام.
٤) عظم فائدة هذا المثل «ضرب لكم مثلا من أنفسكم الآية» حتى قال بعضهم:[١] فَهْمُ هذا المثل أفضل من حفظ كذا مسألة فقهيّة.
٥) علّة ضلال الناس اتباعهم لأهوائهم بغير علم وبانصرافهم عن الهدى بالاسترسال في اتباع الهوى.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات

فأقم وجهك للدين حنيفا: أي سدد وجهك يارسولنا للدين الإسلامي بحيث لا تنظر إلا إليه.

حنيفا : أي مائلا عن سائر الأديان إليه، وهو بمعنى مقبلاً عليه.

فطرة الله : أي صنعة الله التي صنع عليها الإنسان وهي قابليته للإيمان بالله تعالى.

لا تبديل لخلق الله : أي لا تعملوا على تغيير تلك القابلية للإيمان والتوحيد فالجملة خبرية لفظاً انشائية معنى.

الدين القيم : أي المستقيم الذي لا يضل الآخذ به.

منيبين إليه : أي راجعين إليه تعالى بفعل محابه وترك مكارهه.

---

(١) لما أقام عليهم الحجة ذكر تعالى أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم وتقليد آبائهم وأسلافهم.

وكانوا شيعا : أي طوائف وأحزاباً كل فرقة فرحة بما هي عليه من حق وباطل.

معنى الآيات

لما قرر تعالى عقيدة التوحيد والبعث والجزاء بالأدلة وضمن ذلك عقيدة النبوة وإثباتها للنبيّ صلى الله عليه وسلم أمر رسوله والمؤمنون تبع له فقال ﴿فأقم[1] وجهك للدين حنيفاً[2]﴾ أي أنصبوا وجوهكم أيها الرسول والمؤمنون للدين الحق دين الإسلام القائم على مبدأ التوحيد والعمل الصالح، فلا تلتفتوا إلى غيره من الأديان المنحرفة الباطلة. وقوله ﴿فطرة[3] الله التي فطر الناس عليها﴾ أي أقيموا وجوهكم للدّين الحق الذي فطر الله الإنسان عليه تلك الفطرة التي هي خلق الإنسان قابلا للإيمان والتوحيد. وقوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ أي لا تبدلوا تلك الخلقة ولا تغيروها بل نموها وابرزوها بالتربية حتى ينشأ الطفل على الإيمان والتوحيد. فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى نحو فهل أنتم منتهون فهي بمعنى انتهوا وهي أبلغ من انتهوا فكذا: لا تبديل أبلغ من لا تبدلوا. وقوله: ﴿ذلك الدين القيم[4]﴾ أي لزوم ما فطر عليه المرء من الإيمان بالله وتوحيده.. وابراز ذلك في الواقع بالإيمان بالله وبما أمر بالإيمان به من أركان الإيمان وبعبادة الله تعالى وهي طاعته بفعل ما يأمر به وينهى عنه مخلصا له ذلك لا يشاركه فيه غيره من سائر مخلوقاته هو الدين القيم الذي يجب أن يكون عليه الإنسان وقوله: ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون[5]﴾ يخبر تعالى بأن ما قرره من الدين القيم كما بيّنه في الآيات أكثر الناس لا يعلمونه ولا يعرفونه وهو كما أخبر سبحانه

---

(١) فأقم وجهك : هذه الفاء هي الفاء الفصيحة إذ هي مفصحة عن جواب سؤال مقدر تقديره هنا إذا علمت أحوال المعرضين عن الحق بعد ظهور دلائله فأقم وجهك والمراد من الأمر دوام إقامة الوجه والاستمرار عليه.

(٢) حنيفاً منصوب على الحال أي حال كونك معتدلاً مائلاً عن جميع الأديان المحرفة الباطلة إلى دين الله الحق الذي لم يبدل ولم يُغَيّر وهو الاسلام.

(٣) فطرة: جائز أن يكون منصوبا على المفعولية المطلقة أي فطر الله تعالى الإنسان على ذلك فطرة، وجائز أن يكون منصوباً على أنه مفعول به أي واتبع فطرة الله والتقدير: فأقم وجهك للدين حنيفاً واتبع فطرة الله.

(٤) قيّم كهين ولين مفيد قوة الاتصاف بمصدره أي الدين البالغ قوة القيام أي الاستقامة والبعد عن الاعوجاج. يقال عود مستقيم وقيم من تشبيه المعقول بالمحسوس.

(٥) في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول الرسول ﷺ مقرراً حقيقة أن الإسلام هو دين الفطرة: يقول ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم.. الجمعاء أي جامعة لاعضائها لا نقص فيها والجدعاء التي يجدع أي يقطع منها عضو كالذيل أو الأذن.

وتعالى. وقوله ﴿منيبين[1] إليه﴾ أي أقيموا وجوهكم للدين القيم حال كونكم راجعين إليه تعالى تائبين إليه من كل دين غير هذا الدين، ومن كل طاعة غير طاعته تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي. وقوله: ﴿واتقوه﴾ أي خافوه تعالى إذ عذابه شديد فلا تتركوا دينه لأي دين ولا طاعته لأي مطاع غير الله تعالى ورسوله وقوله: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ أي حافظوا عليها في أوقاتها وأدوها كما شرعها كمّية وكيفيّة فإنها سقيا الإيمان ومُنمية الخشية والمحبة لله تعالى. وقوله تعالى: ﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم[2] وكانوا شيعاً﴾ ينهى تعالى المؤمنين أهل الدين القيم الذي هو الإسلام أن يكونوا من المشركين في شيء من ضروب الشرك عقيدة أو قولا أو عملا. فكل ملة غير ملة الإسلام أهلها مشركون كافرون سواء كانوا مجوساً أو يهوداً أو نصارى أو بوذة أو هندوكاً أو بلاشفة شيوعيين إذ جميعهم فرقوا دينهم الذي يجب أن يكونوا عليه وهو دين الفطرة وهو الإسلام وكانوا شيعاً أي فرقاً وأحزاباً كل فرقة تنتصر لما هي عليه وتتحزب له. فأصبح كل حزب منهم بما لديهم من دين فرحين به ظناً منهم أنه الدين الحق وهو الباطل قطعاً، لأنه ليس دين الفطرة التي فطر الله عليها الإنسان وهو الإسلام القائم على توحيد الله تعالى وعبادته بما شرع لعباده أن يعبدوه به ليَكْمُلوا على ذلك ويسعدوا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) وجوب الإقبال على الله تعالى بعبادته والاخلاص له فيها.

٢) الإسلام دين الله الذي خلق الإنسان متأهلا له ولا يقبل منه دين غيره.

٣) وجوب الإنابة إلى الله تعالى والرجوع إليه فى كل حال.

٤) وجوب تقوى الله عز وجل وإقام الصلاة.

٥) البراءة من الشرك والمشركين.

٦) حرمة الافتراق في الدين الإسلامي ووجوب الاتحاد فيه عقيدة وعبادة وقضاء.

---

(١) شاهد الانابة بمعنى التوبة في قول الشاعر:

فإن تابوا فإن بني سليم وقومهم هوازن قد انابوا

ومنيبي حال من أقم وجهك وجمع لأن الأمة مخاطبة معه ﷺ.

(٢) قرأ الجمهور فرقوا وقرأ حمزة والكسائي فارقوا، والشيع جمع شيعة وهي الجماعة التي تتشايع أي توافق رأياً وتجمع عليه والحزب الجماعة الذين رأيهم ونزعتهم واحدة.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات

وإذا مس الناس ضر : أي إذا مس المشركين ضرٌ أي شدة من مرض أو فقر أو قحط.

منيبين إليه : أي راجعين بالضراعة والدعاء إليه تعالى دون غيره.

رحمة : بكشفِ ضر أو إنزال غيث وإصابة رخاء وسعة رزق.

يشركون : أي بربهم فيعبدون معه غيره بالذبح للآلهة والنذر وغيره.

ليكفروا بما آتيناهم : أي ليكون شكرهم لله كفرا بنعمه والعياذ بالله.

أم أنزلنا عليهم سلطانا : أي حجة من كتاب وغيره ينطق بشركهم ويقرره لهم ويأمرهم به.

بما قدمت أيديهم : أي بذنوبهم وخروجهم عن سنن الله تعالى في نظام الحياة.

إذا هم يقنطون : أي ييأسون من الفرج بزوال الشدة.

يبسط الرزق لمن يشاء : أي يوسعه امتحانا له.

ويقدر : أي يضيّق الرزق على من يشاء ابتلاء.

معنى الآيات :

لما أمر تعالى رسوله والمؤمنين بإقامة الدين ونهاهم أن يكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا أخبر تعالى عن المشركين أنهم إذا مسهم الضرّ وهو المرض والشدة كالقحط والغلاء ونحوها دعوا ربهم تعالى منيبين إليه أي راجعين إليه بالدعاء والضراعة لايدعون غيره. وهو قوله تعالى ﴿وإذا مس الناس ضرٌ[1] دعوا ربهم منيبين إليه﴾ وقوله : ﴿ثُم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ أصابهم برحمة من عنده وهي الصحة والرخاء والخصب ونحوه ﴿إذا فريق منهم﴾ أي كثيرٌ ﴿بربهم يشركون﴾ فيعبدون الأصنام والأوثان بأنواع العبادات، وقوله ﴿ليكفروا[2] بما آتيناهم﴾ أي أشركوا بالله بعد إنعامه عليهم ليكفروا بما آتاهم من نعمة كشف الضر عنهم إذاً ﴿فتمتعوا[3]﴾ أيها الكافرون بما خولكم الله من نعمة فسوف تعلمون عاقبة كفركم لنعم الله وشرككم به يوم تردون عليه حفاة عراة لا وليٌ لكم من دونه تعالى ولا نصير

وقوله تعالى : ﴿أم أنزلنا[4] عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾ أي ما الذي شجعهم على الشرك وجعلهم يصرون عليه حتى إذا تركوه ساعة الشدة عادوا إليه ساعة الرخاء أأنزلنا عليهم سلطاناً أي حجة من كتاب ونحوه فهو ينطق بشركهم ويقرره لهم ويأمرهم به اللهم لا ، لا ، وإنما هو الجهل والتقليد والعناد وقوله ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها﴾ هذه حال أهل الشرك والكفر والجهل من الناس إذا أذاقهم الله رحمة من خصب ورخاء وصحة فرحوا بها فرح البطر والأشر ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ من جدب وقحط ومرض وفقر، ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الذنوب والمعاصي ومنها مخالفة سنن الله في الكون ﴿إذا هم يقنطون[5]﴾ أي ييأسون من الفرج وذلك لكفرهم بالله وجهلهم بأسمائه

---

(١) الضُر بضم الضاد سوء الحال في البدن أو العيش أو المال وهذه الجملة الخبرية تحمل السامع على التعجب من حال المشركين كيف يخلصون لله تعالى الدعاء في الشدة ويشركون به في الرخاء يا للعجب!!

(٢) هذه لام التعليل في ظاهرها ولكنها آلت لمعنى العاقبة في واقعها.

(٣) الأمر للتهديد والتوعد على كفران النعم واستبدال شكرها بالكفر بالمنعم عز وجل والشرك به.

(٤) أم أنزلنا: أم للاضراب الانتقالي فهي بمعنى بل، وحرف الاستفهام مقدر أي أنزلنا عليهم الخ. وهو انكاري أن الله تعالى لم ينزل عليهم حجة تبيح لهم الشرك وتقرره.

(٥) هذه الصفة وإن كان المراد بها المشركون فإنها قد يتصف بها بعض المؤمنين فتجد أحدهم يصاب بالبطر عند حلول النعم ويترك الشكر ويقنط عند حلول النقم والشدة وينسى الدعاء والتضرع إلى الله تعالى فهو كما قال الشاعر:

كحمار السوء إن اعلفته   رمح الناس وان جاع نهق

وصفاته.

وقوله تعالى ﴿أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي ألم يروا باعينهم أن الله يبسط الرزق أي يوسعه لمن يشاء امتحانا له أيشكر أم يكفر، ﴿ويقدر﴾ أي يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء أيصبر أم يضجر ويسخط. إذ لو كانت لهم عيون يبصرون بها وقلوب يفقهون بها لما أيسوا من رحمة الله وفرَجِهِ ولا ما قنطوا. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من تدبير الله في خلقه بالإعطاء والمنع ﴿لآيات﴾ أي حججا ودلائل تدل المؤمنين على قدرة الله ولطفه ورحمته وحكمته في تدبير ملكه وملكوته فسبحانه من إله عظيم ورب غفور رحيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) بيان جهل المشركين وضلال عقولهم بما ذكر تعالى من صفاتهم وأحوالهم.

٢) بيان تهديد الله تعالى للمصرين على الشرك والكفر بعذاب يوم القيامة.

٣) بيان حال أهل الشرك والكفر والجهل في فرحهم بالنعمة فرح البطر والأشر ويأسهم وقنوطهم عند نزول البلاء بهم والشدة.

٤) مظهر حكمة الله وتدبيره في الرزق توسعة وتقديرا وإدراك ذلك خاص بالمؤمنين لأنهم أحياء يبصرون ويفهمون بخلاف الكافرين فهم أموات لا إبصار ولا إدراك لهم.

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن

شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

فآت ذا القربى حقه : أي أعط ذا القرابة حقه من البر والصلة .

والمسكين : أي المعدم الذي لامال له أعطه حقه في الطعام والشراب والكساء .

وابن السبيل : أي اعط ابن السبيل أي المسافر حقه في الإيواء والطعام .

ذلك خير : أي ذلك الإنفاق خير من عدمه للذين يريدون وجه الله تعالى إذ يثيبهم ربهم أحسن ثواب .

وما آتيتم من رباً : أي من هدية أو هبة وسميت رباً لأنهم يقصدون بها زيادة أموالهم .

ليربوا في أموال الناس : أي ليكثر بسبب مايرده عليكم من أهديتموه القليل ليرد عليكم الكثير.

فلا يربوا عند الله : أي لا يباركه الله ولا يضاعف أجره .

فأولئك هم المضعفون : أي الذين يؤتون أموالهم صدقة يريدون بها وجه الله فهؤلاء الذين يضاعف لهم الأجر أضعافاً مضاعفة .

هل من شركائكم : أي من أصنامكم التي تعبدونها .

من يفعل من ذلكم من شيء : والجواب لا أحد ، إذاً بطلت ألوهيتها وحرمت عبادتها .

سبحانه وتعالى عما يشركون : أي تنزه الرب عن الشرك وتعالى عن المشركين .

معنى الآيات

لما بيّن تعالى في الآية السابقة لهذه انه يبسط الرزق لمن يشاء امتحانا ويقدر على من يشاء ابتلاء أمر رسوله وامته التابعة له بإيتاء ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، إذ منع

الحقوق الواجبة لا يزيد في سعة الرزق ولا في تضييقه، إذ توسعة الرزق وتضييقه مرده إلى تدبير الله تعالى الحكيم العليم هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿فآت ذا القربى حقه﴾[1] أي من البر والصلة ﴿والمسكين﴾وهومن لايملك قوته ﴿وابن السبيل﴾ وهو المسافر ينزل البلد لا يعرف فيها أحداً، وحقهما : إيواءهما وإطعامهما وكسوتهما وقوله تعالى ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ أي ذلك الإيتاء من الحقوق خير حالا ومآلا للذين يريدون وجه الله تعالى وما عنده من ثواب. وقوله: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي الفائزون بالنجاة من العذاب في الدنيا والآخرة، وبدخول الجنة يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله﴾ أي وما أعطيتم من هبات وهدايا تريدون بها أن يُردَّ عليكم بأكثر مما أعطيتم فهذا العطاء لا يربو عند الله ولا يضاعف أجره بل ولا يؤجر عليه وقوله: ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ أي صدقات تريدون بها وجه الله ليرضى عنكم ويغفر لكم ويرحمكم، ﴿فأولئك﴾ أي هؤلاء الذين ينفقون ابتغاء وجه الله ﴿هم المضعفون﴾ أي الذين يضاعف لهم الأجر والثواب.

وقوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم[2] ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يخبر تعالى المشركين من عباده موبخا لهم على شركهم مقرعاً: الله لا غيره هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم رزقكم بما تنموا به أجسادكم وتحفظ به حياتكم من أنواع الأغذية ثم يميتكم عند نهاية آجالكم، ثم يحييكم يوم القيامة للحساب والجزاء على الكسب في هذه الدنيا ثم يقول لهم ﴿هل[3] من شركائكم من يفعل من ذلكم﴾ المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء﴿من شيء﴾ ؟ والجواب لا وإذاً فلم تعبدونهم من دون الله، فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون. ثم نزه تعالى نفسه عن الشرك، وتعالى عن المشركين فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون[4]﴾

---

(١) الخطاب وإن كان موجهاً للنبي ﷺ فأمته تابعة له في هذا كله وابن السبيل إن استضاف مؤمنا وجب عليه ضيافته لقوله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه في الصحيح.

(٢) استئناف لتقرير عقيدة التوحيد وابطال التنديد والتوبيخ والتقريع على الشرك الذي هو أعظم أنواع الظلم وصاحبه أحط الناس قدراً وأفسدهم ذوقاً وعقلاً.

(٣) الاستفهام انكاري مشبوب بالنفي لقرينة من المؤكدة لنفي الجنس والاشارة في قوله من ذلكم إلى ما ذلك من الخلق والرزق والاماتة والاحياء.

(٤) قرأ الجمهور بالياء وقرأ غيرهم بتاء الخطاب بدون التفات من الغيبة إلى الخطاب.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١) وجوب اعطاء ذوى القربى حقوقهم من البر والصلة .

٢) وجوب كفاية الفقراء وابناء السبيل في المجتمع الإسلامي .

٣) جواز هدية الثواب[1] الدنيوي كأن يهدي رجل شيئاً يريد أن يُردّ عليه أكثر منه ولكن لا ثواب فيه في الآخرة ، وتسمى هذه الهدية : هدية الثواب وهي للرسول محرمة لقوله تعالى له : ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ .

٤) بيان مضاعفة الصدقات التي يراد بها وجه الله تعالى .

٥) ابطال الشرك والتنديد بالمشركين وبيان جهلهم وضلال عقولهم .

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

(١) الهبة ثلاث أنواع الأول هبة يريد بها صاحبها وجه الله تعالى كأن يهب عبداً صالحاً هبة إكراماً له واسعاداً فهذه جائزة ويثيب عليها الله تعالى والثانية هبة يريد بها صاحبها رد أكثر منها كأن يهدي فقير لغني أو مأمور لأمير فهذه ثوابها ما يعطيه له من أهداه ولا اجر له عند الله . وله أن يطالب من أهداه للثواب ولم يثبه والثالثة الصدقات تعطى للفقراء فهي هبة لله والله يثيب عليها إن خلت من الربا فإذا شابها رياء فلا ثواب فيها .

شرح الكلمات:

ظهر الفساد في البر والبحر : أي ظهرت المعاصي في البر والبحر وتبعها الشر والفساد.

بما كسبت أيدي الناس : أي بسبب ما كسبته أيدي الناس من ظلم واعتداء.

ليذيقهم بعض الذي عملوا : أي تم ذلك وحصل ليذيقهم الله العذاب ببعض ذنوبهم.

لعلهم يرجعون : كي يرجعوا عن المعاصي إلى الطاعة والاستقامة.

قل سيروا في الأرض : أي قل يا رسولنا لأهل مكة المكذبين بك والمشركين بالله سيروا.

عاقبة الذين من قبل : أي كيف كانت نهاية تكذيبهم لرسلهم وشركهم بربهم إنّها هلاكهم.

فأقم وجهك للدين القيم : أي استقم على طاعة ربك عابداً له مبلغاً عنه منفذاً لأحكامه.

لا مرد له من الله : أي لا يرده الله تعالى لأنه قضى بإتيانه وهو يوم القيامة.

يصدعون : أي يتفرقون فرقتين.

يمهدون : أي يوطئون ويفرشون لأنفسهم في منازل الجنة بإيمانهم وصالح أعمالهم.

معنى الآيات:

تقدم في السياق الكريم إبطال الشرك بالدليل العقلي إلا أن المشركين مصرون على الشرك وبذلك سيحصل فساد في الأرض لا محالة فأخبر تعالى عنه بقوله في هذه الآية الكريمة (٤١) فقال ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ أي انتشرت المعاصي في البر[١] والبحر وفي الجو اليوم فعُبد غير الله واستبيحت محارمه وأوذي الناس في أموالهم وأبدانهم وأعراضهم وذلك نتيجة الإعراض عن دين الله وإهمال شرائعه وعدم تنفيذ أحكامه. وقوله ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي بظلمهم وكفرهم وفسقهم وفجورهم. وقوله: ليذيقهم بعض الذي عملوا أي فما يصيبهم من جدب وقحط وغلاء وحروب وفتن إنما أصابهم الله به ﴿ليذيقهم[٢] بعض الذي عملوا﴾ من الشرك والمعاصي لا بكل ما فعلوا إذ لو أصابهم

(١) ذكر للفساد في البر والبحر تأويلات وما في التفسير أصحها وأولاها بفهم الآية الكريمة وانفعها لأهل القرآن المتدبرين به العاملين بما فيه.

(٢) قرأ الجمهور ليذيقهم بالياء وقرأ البعض بالنون.

بكل ذنوبهم لأنهى حياتهم وقضى على وجودهم[1]، ولكنه الرحمن الرحيم بعباده اللطيف بهم. وقوله تعالى ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ قل يارسولنا لكفار قريش المكذبين لك المشركين بربهم: سيروا في الأرض شمالاً أو جنوباً أو غرباً فانظروا بأعينكم كيف كان عاقبة الذين كذبوا رسلهم وكفروا بربهم من قبلكم إنها كانت دماراً وهلاكاً فهل ترضون أن تكونوا مثلهم. وقوله ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ أي كان أكثر أولئك الأقوام الهالكين مشركين فالشرك والتكذيب الذي انتم عليه هو سبب هلاكهم وخسرانهم وقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين القيّم﴾ أي استقم يارسولنا أنت والمؤمنون معك على الدين الإسلامي إذ لا دين يقبل سواه فاعتقدوا عقائده وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه وتأدبوا بآدابه وتخلقوا بأخلاقه وأقيموا حدوده وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وادعوا إليه وعلّموه الناس أجمعين، واصبروا على ذلك فإن العاقبة للمتقين وقوله: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مردَّ له من الله﴾ أي افعلوا ذاك الذي أمرتكم به قبل مجيىء يوم القيامة حيث لم يكن عمل وإنما جزاء، وقوله ﴿لا مرد له من الله﴾ أي إنه لا يرده الله إذا جاء ميعاده لأنه قضى بإتيانه لا محالة من أجل الجزاء على العمل في الدنيا. وقوله ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي يوم يأتي اليوم الذي لا مرد له يصدعون أي يتفرقون فرقتين[2] كمايتصدع الجدار فرقتين فريق في الجنة وفريق في النار. وقوله: ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ أي من كفر اليوم فعائد كفره عليه يوم القيامة، ﴿ومن عمل صالحاً﴾ أي اليوم ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾ أي يوطئون فرشهم في الجنة إذ[3] عائدة عملهم الصالح تعود عليهم لا على غيرهم، وقوله ﴿ليجزي[4] الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي يصدعون فرقتين من أجل أن يجزي الله تعالى أولياءه المؤمنين العاملين للصالحات من فضله إذ أعمالهم حسبها انها زكّت نفوسهم فتأهلوا لدخول الجنة أما النعيم المقيم فيها فهو من فضل الله فقط، وقوله ﴿إنه[5] لا يحب الكافرين﴾ هذه الجملة علة لجملة محذوفة إذ التقدير، ويجزي الكافرين بعدله وهو سوء العذاب لأنه لا يحب الكافرين.

---

(١) شاهده قوله تعالى: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا (فاطر).

(٢) شاهده قول الشاعر:

وكنا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

جذيمة الأبرشي كان ملكاً ونديماه هما مالك وعقيل نادماه اربعين سنة ثم ماتوا وندماني في البيت تثنية ندمان

(٣) شاهده قوله تعالى من سورة الشورى (وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير).

(٤) اللام لام التعليل وهو واضح في التفسير.

(٥) علة الحذف طلب الإيجاز مع ظهور المعنى بدلالة السياق عليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) ظهور الفساد بالجدب والغَلاء أو بالحرب والأمراض يسبقه حسب سنة الله تعالى ظهور فساد في العقائد بالشرك، وفي الأعمال بالفسق والمعاصي.

٢) وجوب الاستقامة على الدين الإسلامي عقيدة وعبادة وقضاء وحكماً.

٣) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثه ووقائعه

٤) بيان أن الله تعالى يحب المتقين ويكره الكافرين

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات:

ومن أيَّاته أن يرسل الرياح : أي ومن حججه الدالة على قدرته على البعث والجزاء والموجبة لعبادته وحده.

مبشرات : أي تبشر العباد بالمطر وقربه.

وليذيقكم من رحمته : أي بالغيث والخصب والرخاء وسعة الرزق.

ولتبتغوا من فضله : أي لتطلبوا الرزق من فضله الواسع بواسطة التجارة في البحر.

ولعلكم تشكرون : أي كي تشكروا هذه النعم فتؤمنوا وتوحِّدوا ربكم.

رسلا إلى قومهم : أي كنوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام.

فجاءوهم بالبينات : أي بالحجج والمعجزات.

الذين أجرموا : أي أفسدوا نفوسهم فخبثوها بآثار الشرك والمعاصي.

حقا علينا نصر المؤمنين : أي ونصر المؤمنين أحققناه حقاً وأوجبناه علينا فهو كائن لامحالة.

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير ألوهية الله تعالى وعدله ورحمته، فقال تعالى ﴿ومن آياته﴾ أي ومن آياتنا الدالة على ألوهيتنا وعدلنا في خلقنا ورحمتنا بعبادنا إرسالنا الرياح مبشرات[1] عبادنا بقرب المطر الذي به حياة البلاد والعباد فإرسال الرياح أمر لا يقدر عليه إلا الله، وتدبير يقصر دونه كل تدبير ورحمة تعلو كل رحمة. وقوله: ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ أي بإنزال المطر المترتب عليه الخصب والرخاء، وقوله: ﴿ولتجري الفلك﴾ أي السفن في البحر إذ الرياح كانت قبل اكتشاف البخار هي المسيرة للسفن في البحر صغيرها وكبيرها. وقوله ﴿بـأمـره﴾[2] أي بإذنه وإرادته وتدبيره الحكيم، وقوله: ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي لتطلبوا الـرزق بالتجـارة في البحر من إقليم إلى آخر تحملون البضائع لبيعها وشرائها وقوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي فعل الله تعالى بكم ذلك فسخره لكم وأقدركم عليه رجاء أن تشكروا ربكم بالإيمان به وبطاعته وتوحيده في عبادته. فهل أنتم ياعباد الله شاكرون؟، وقوله: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ يارسولنا ﴿رسلاً إلى قومهم﴾ كنوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام فجاءوا أقوامهم بالبيّنات والحجج النيرات كما جئت أنت قومك فكذبت تلك الأقوام رسلهم ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ فأهلكناهم، ونجينا الذين آمنوا ﴿وكان حقا[3] علينا نصر المؤمنين﴾ ألا فلتعتبر قريش بهذا وإلا فستحلّ بها نقمة الله فيهلك الله المجرمين وينجي رسوله والمؤمنين كما هي سنته في الأولين والحمد لله رب العالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير الربوبية لله المستلزمة لألوهيته بذكر مظاهر القدرة والعلم والرحمة والعدل.

---

(١) قيل في الرياح مبشرات لأنها تتقدم المطر فهي كالمبشرة بمجيئه.

(٢) قال بأمره لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فيتعين إرساء السفن والاحتيال على حبسها إذ ربما عصفت بها الرياح فاغرقتها فمن هنا قال بأمره والا فالرياح وحدها لن تغرق السفن وتعوقها عند السير.

(٣) حقاً هذه الكلمة من صيغ الالتزام يقال فلان محفوف بكذا أي لازم له شاهده في قول الأعشى:

لمحفوفة أن تستجيبي لصوته

حقاً خبر كان مقدم على اسمها وهو نصر المؤمنين ولا التفات إلى من رأى الوقف على (حقاً).

٢) بيان أن الله تعالى ينعم على عباده من أجل أن يشكروه بعبادته وتوحيده فيها فإذا كفروا تلك النعم ولم يشكروا الله تعالى عليها عذبهم بما يشاء وكيف يشاء ومتى يشاء.
٣) بيان أن الله منتقم من المجرمين وإن طال الزمن، وناصر المؤمنين كذلك.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات:

فتثير سحاباً : أي تحركه وتهيجه فيسير وينتشر.

ويجعله كسفا : أي قطعا متفرقة في السماء هنا وهناك.

فترى الودق : أي المطر يخرج من خلال السحاب.

إذا هم يستبشرون : أي فرحون بالمطر النازل لسقياهم.

لمبلسين : أي قنطين آيسين من إنزاله عليهم.

إن ذلك لمحيي الموتى : أي القادر على إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وهو الله تعالى.

فرأوه مصفرا : أي رأوا النبات والزرع مصفراً للجائحة التي أصابته وهي ريح الدبور المحرقة.

لظلوا من بعده يكفرون : أي أقاموا بعد هلاك زروعهم ونباتهم يكفرون نعم الله عليهم السابقة

ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا: أي ما تسمع إلا المؤمنين بآيات الله.

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر قدرة الله تعالى في الكون قال تعالى: ﴿الله الذي يرسل الرياح[1]﴾ أي ينشئها ويبعث بها من أماكن وجودها فتثير تلك الرياح سحاباً أي تزعجه وتحركه فيبسطه تعالى في السماء كيف يشاء من كثافة وخفَّة وكثرة وقلة، ﴿ويجعله كسفاً[2]﴾ أي قطعاً فترى أيها الرائي الودق أي المطر يخرج من خلاله أي من بين أجزاء السحاب. وقوله ﴿فإذا أصاب به﴾ أي بالمطر ﴿من يشاء من عباده إذا هم﴾ أي المصابون بالمطر في أرضهم. ﴿يستبشرون﴾ أي يفرحون. ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ أي المطر ﴿من قبله لمبلسين[3]﴾ أي مكتئبين حزينين قانطين وقوله تعالى ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ أي فانظر يارسولنا إلى آثار رحمة الله أي إلى آثار المطر كيف ترى الأرض قد اخضرت بعد يبس وحييت بعد موت. فإذا رأيت ذلك علمت أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى من قبورهم وذلك يوم القيامة وقوله ﴿إن الله وهو على كل شيء قدير﴾ تعليل لعظم قدرته وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى فعل كل شيء أراده. وقوله ﴿ولئن أرسلنا ريحا﴾ أي وعزتنا وجلالنا لئن أرسلنا ريحا فيه إعصار فيه نار فأحرقت تلك النباتات وأيبستها فرآها أولئك الذين هم بالأمس فرحون فرح بطر بالغيث ﴿يكفرون﴾ بربهم أي يقولون: ما هو كفر من الفاظ السخط وعدم الرضا وذلك لجهلهم

---

(١) استئناف مبدوء باسم الله الأعظم الدال على قدرته وواسع علمه فهو الذي يرسل الرياح وينزل من السماء ماء ويحيي به الأرض هو الله الرب القادر على إحياء الناس بعد موتهم والمستحق لعبادتهم دون سواه والرياح قرأ بها الجمهور وقرأ بعض الريح بالإفراد ومما عرف بالعادة أن الرياح للإمطار والريح للدمار.

(٢) الكِسَف جمع كسفه أي قطعة والمراد أن الله تعالى يرسل الرياح فتثير السحاب ويكون عاما مجللا للسماء كافة ويكون منه قطعاً قطعاً لحكمة تتطلب ذلك والكسف بكسر الكاف وسكون السين كالكِسف بكسر الكاف وفتح السين كلاهما جمع كسفه كسدره وسدر وقرىء من خَلله وجائز أن يكون جمع خلال أيضاً.

(٣) وفسر بآيسين أي قانطين ازلين كما في الحديث أي في ضيق وشده وفُسر بيئسين والكل صحيح.

وكفرهم. وقوله تعالى: ﴿ إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾[1] أي انك يارسولنا لا تقدر على هداية هؤلاء الكافرين لأنهم صم لا يسمعون وعمي لا يبصرون لما ران على قلوبهم من الذنوب فعطل حواسهم وأنت بحكم بشريتك وقدرتك المحدودة لا تستطيع اسماع الموتى كلامك فيفهموه ويعملوا به كما لا تستطيع إسماع الصم نداءك إذا هم ولَّوا مدبرين إذ لو كانوا مقبلين عليك قد تفهمهم ولو بالإشارة أما إذا ولَّوا مدبرين عنك فلا يمكن إسماعهم. إذاً فهون على نفسك ولا تحزن عليهم. وقوله: ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ أي إنك ما تسمع سماع قبول وانقياد وإدراك إلاّ من يؤمن بآياتنا أي إلا المؤمنين الذين آمنوا بآيات الله وعرفوا حججه فآمنوا به ووحدوه فهم مسلمون أي منقادون خاضعون مطيعون فهؤلاء في امكانك إسماعهم وهدايتهم بإذن الله إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة والحجج العقلية.

٢) بيان كيفية إنشاء السحاب ونزول المطر وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم الإلهي.

٣) بيان حال الكافر في أيام الرخاء وأيام الشدة فهو في الشدة يقنط وفي الرخاء يكفر، وذلك لفساد قلبه بالجهل بالله تعالى وآياته.

٤) الاستدلال بالمحسوس الحاضر على المحسوس الغيبي.

٥) بيان ان الكفار أموات، ولذا هم لا يسمعون ولا يبصرون وأن المؤمنين أحياء لأنهم يسمعون ويبصرون، إذ الحياة لها آثارها في الجسم الحي والموت كذلك.

۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

---

(١) قال القرطبي. أي وضحت الحجج يا محمد لكنهم لإلفهم تقليد الأسلاف في الكفر ماتت قلوبهم وعميت بصائرهم فلا يتهيأ لك إسماعيل وهدايتهم وقرأ الجمهور تسمع بالتاء وقرأ ابن كثير يسمع ورفع الصم على انه فاعل وقرأ الجمهور هادي وقرأ ابن كثير تهدي.

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ
وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات

الله الذي خلقكم من ضعف : أي من نطفة وهي ماء مهين.

ثم جعل من بعد ضعف قوة : أي من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب.

ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة : أي من بعد قوة الشباب والكهولة ضعف الكبر والشيب أي الهرم

كذلك كانوا يؤفكون : أي كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث كانوا يصرفون في الدنيا عن الإيمان بالبعث والجزاء في الآخرة فانصرافهم عن الحق في الدنيا سبب لهم عدم معرفتهم لمدة لبثهم في قبورهم.

لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم: أي في انكارهم للبعث والجزاء.

ولا هم يستعتبون : أي لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضي الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح.

معنى الآيات

مازال السياق الكريم[1] في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿الله الذي خلقكم﴾ وحده ﴿من ضعف﴾[2] أي من ماء مهين وهي النطفة ثم جعل من بعد ضعف أي ضعف الطفولة

(١) هذا الاستئناف كسابقه الاستدلال به على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وعظيم تدبيره في خلقه وهي موجبة التوحيد له والنبوة لرسوله والبعث لعباده ليحاسبهم ويجزيهم برحمته وعدله.

(٢) قرأ نافع والجمهور من ضعف بضم الضاد في الألفاظ الثلاثة في هذه الآية وهي لغة الحجاز، وقرأ حفص بالفتح وهي لغة تميم ومن ابتدائية أي ابتدأ خلقكم من ضعف وهي النطفة ولا أضعف منها.

﴿قوة﴾ وهي قوة الشباب ﴿ثم جعل من بعد قوة﴾ أي قوة الشباب والكهولة ﴿ضعفاً﴾ أي ضعف الكبر ﴿وشيبة﴾[1] أي الهرم وقوله تعالى ﴿يخلق ما يشاء وهو العليم﴾ بخلقه ﴿القدير﴾ على مايشاء ويريده فهو تعالى قادر على احياء الأموات وبعثهم، إذ القادر على إيجادهم من العدم قادر على بعثهم من الرِّمَم .وقوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أي القيامة ﴿يقسم المجرمون﴾ أي يحلف المجرمون من أهل الشرك والمعاصي ﴿مالبثوا غير ساعة﴾[2] أي لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من زمن. وقوله تعالى ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾[3] أي كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث في القبر كانوا يصرفون في الدنيا عن الإيمان بالله تعالى ولقائه، والصارف لهم ظلمة نفوسهم بسبب الشرك والمعاصى. وقوله تعالى :﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمـان لقـد لبثتم في كتاب الله﴾ أي في كتاب المقادير ﴿إلي يوم البعث﴾ وهو يوم القيامة ﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ لعدم إيمانكم بالله وبآياته والكتاب الذي أنزله .

وقوله فيومئذ أي يوم إذ يأتي يوم البعث ﴿لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ أي عن شركهم وكفرهم بلقاء ربهم، ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضى الله تعالى من الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصى .

هداية الآيات

من هداية الآيات

١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة العقلية التي لا ترد بحال.

٢) بيان اطوار خلق الإنسان من نطفة إلى شيخوخة وهرم .

٣) فضل العلم والإيمان وأهلهما.

٤) بيان ان معذرة الظالمين لا تقبل منهم ، ولا يستعتبون فيرضون الله تعالى فيرضى عنهم .

---

(١) الشيبة اسم مصدر الشيب وعطف الشيبة على الضعف إشارة إلى عدم وجود قوة بعدها وإنما يأتي الفناء كما قيل الشيب نذير الموت وهو كذلك .

(٢) روى أن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي ﷺ لقد سألت الله تعالى لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة ولكن سليه أن يعيذك من عذاب جهنم وعذاب القبر في الصحيح .

(٣) يقال أفك الرجل إذا صرف عن الصدق والخير. وأرض مأفوكة ممنوعة من المطر.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ
لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات

ولقد ضربنا للناس : أي جعلنا للناس.

من كل مثل : أي من كل صفة مستغربة تلفت الانتباه وتحرك الضمير كالأمثال لعلهم يذكرون فيؤمنوا ويوحدوا.

ولئن جئتهم بآية : أي ولئن أتيت هؤلاء المشركين بكل حجة خارقة.

إن أنتم إلا مبطلون : أي ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون إلا مبطلون فيماتقولون وتدعون إليه من الإيمان بآيات الله ولقائه.

الذين لا يعلمون : أي ماأنزل الله على رسوله وما أوحاه إليه من الآيات البينات.

فاصبر إن وعد الله حق : أي اصبر يارسولنا على أذاهم فإن العاقبة لك إذ وعدك ربك بها ووعد الله حق.

ولا يستخفنك الذين لا يوقنون : أي لا يحملنك هؤلاء المشركون المكذبون بلقاء الله على الخفة والطيش فتترك دعوتك إلى ربك.

معنى الآيات

بعد إيراد العديد من الأدلة وسوق الكثير من الحجج وعرض مشاهد القيامة في الآيات السابقة تقريرا لعقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون من قريش قال تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل[1]﴾ أي جعلنا للناس في هذا القرآن من أساليب

(١) قال القرطبي: أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه وينبههم على التوحيد وصدق الرسل.

الكـلام وضروب التشبيه، وعرض الأحداث بصور مثيرة للدهشة موقظة للحس، ومنبهة للضمير، كل ذلك لعلهم يذكرون فيؤمنوا فيهتدوا للحق فينجوا ويسعدوا، ولكن أكثرهم لم ينتفعـوا بذلـك، ﴿ولئن جئتهم بآية[1]﴾ أي بحجة من معجزة وغيرها تدل على صدقك وصحة دعوتك وما جئت به ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ أي منهم.[2] ﴿إن انتم﴾ أي ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون ﴿إلا مبطلون﴾ أي من أهل الباطل فيما تقولون وتدعون إليه من الدين الحق والبعث الآخر. وقوله ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ أي كذلك الطبع على قلوب الكافرين الذين لوجئتهم بكل آية لم يؤمنوا عليها لما ران على قلوبهم وما ختم به عليها، يطبع على قلوب الذين لا يعلمون،[3] إذ ظلمة الجهل كظلمة الشرك والكفر تحجب القلوب عن الفهم والإدراك فلا يحصل إيمان ولا استجابة لدعوة الحق وقوله ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ يأمر تعالى رسوله أن يلتزم بالصبر على دعوته والثبات عليها في وجه هذا الكفر العنيد، حتى ينصره الله تعالى إذ واعده بالنصر في غير ما آية ووعد الله حق فهو ناجز لايتخلف. وقوله: ﴿ولا يستخفنك[4] الذين لا يوقنون[5]﴾ أي اصبر ولا يحملنك عناد المشركين وإصرارهم على الكفر والتكذيب على الخفة والطيش والاستجهال بترك الحلم والصبر. والمراد بالذين لا يوقنون كل من لا يؤمن بالله ولقائه إيمانا يقينيا إذ هذا الصنف من الناس هو الذي يستفز الإنسان ويحمله على أن يخرج عن اللياقة والأدب والعياذ بالله:

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) اعذار الله تعالى إلى الناس بما ساقه تعالى في كتابه من أدلة الإيمان وحجج الهدى.

---

(١) أي كآيات موسى من فلق البحر والعصا أو آيات عيسى كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

(٢) أي من الناس لقوله ولقد ضربنا للناس وهو لفظ عام يشمل الكافر والمؤمن.

(٣) في هذه الآية إنذار خطير للجهال وتنديد بالجهل، إذ أهله لا يفهمون عن الله ولا يهتدون إلى سبل الخير وطريق السعادة والكمـال ولـذا أوجب الرسول ﷺ طلب العلم على كل مسلم في قوله (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وما أصاب المسلمين ما أصابهم من خوف وهون ودون إلا نتيجة لجهلهم بربهم ومحابه ومكارهه وضروب عباداته وكيفيات أدائها لتزكوا بها نفوسهم وتطهر أرواحهم وقلوبهم.

(٤) وفسر بيستفزنك الذين في محل رفع فاعل وبعض العرب يعربونه إعراب جمع المذكر السالم فيقولون اللذون رفعاً والذين نصبا وجراً قال الشاعر:

نحن اللذون صبحوا الصباح   يوم النخيل غارة ملحاحاً

(٥) الاستخفاف: طلب خفة الشيء بفقد ثقله ورصانته فيغضب ويترك العمل. والذين لا يؤمنون هم المشركون كالنضر بن الحارث وابي جهل والمراد بنفي اليقين عنهم. اليقين بالأمور البديهيات اليقينية للناس لكون الله تعالى خلق كل شيء ورب كل شيء وقدرته على كل شيء إذ هذه يقينيات لدى عامة الناس.

٢) أسوأ أحوال الإنسان عندما يطبع على قلبه لكثرة ذنوبه فيصبح لا يفهم ولا يعقل شيئاً وفي الخبر حبك الشيء يعمي ويصم.
٣) وجوب الصبر والتزام الحلم والأناة مهما جهل الجاهلون.

سُورَةُ لُقْمَانَ
مكيـة (١)
وآياتها أربع وثلاثون آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

الٓمٓ هذا أحد الحروف المقطعة التي تكتب آلم، وتقرأ: ألف لام ميم.

تلك : أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب الحكيم.

الحكيم : أي المحكم الذي لا نسخ يطرأ عليه بعد تمام نزوله، ولا خلل فيه، وهو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا خلط ولا خبط فيما يحمل من هدى وتشريع.

هدى ورحمة : أي هو هدى يهتدي به ورحمة يرحم بها.

للمحسنين : أي الذين يراقبون الله تعالى في كل شؤونهم إذ هم الذين يجدون الهدى والرحمة في القرآن الكريم أما غيرهم من أهل الشرك والمعاصي فلا يجدون ذلك.

---

(١) قال قتادة: غير آيتين أولهما ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وقال بن عباس غير ثلاث آيات أولهن: ولو أن ما في الأرض من الخ..

أولئك : أي المحسنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة.
على هدى من ربهم : أي هم على هداية من الله تعالى فلا يضلون ولا يجهلون معها أبداً.
المفلحون : أي الفائزون بالنجاة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب محبوب.

معنى الآيات

قوله تعالى: ﴿آلم﴾ أحسن ما يفسر به مثل هذه الحروف المقطعة قول: الله أعلم بمراده به وقد أفادت هذه الحروف فائدة عظيمة، وذلك من جهتين الأولى أنه لما كان المشركون يمنعون سماع القرآن خشية التأثر به فيهتدي إلى الحق من يحصل له ذلك، وقالوا: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ كانت هذه الحروف بنغمها الخاص ومُدودهاالعجيبة تضطر المشرك إلى الإصغاء والاستماع فحصل ضد مقصودهم وكفى بهذه فائدة. والثانية أنهم لما ادعوا أن القرآن سحر وكهانة وشعر وأساطير الأولين كأنما قيل لهم هذا القرآن الذي ادعيتم فيه كذا وكذا قد تألف من هذه الحروف صٓ، نٓ، ق، يسٓ، طسٓ، آلٓم فألفوا سورة مثله وأتوا بها للناس فيصبح لكم ما تدعون فإن عجزتم فسلموا أنه كلام الله أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فآمنوا ووحدوا واستقيموا على ذلك تعزوا وتكرموا وتكملوا وتسعدوا.

وقوله: ﴿تلك آيات[1] الكتاب الحكيم﴾ أي هذه الآيات هي آيات القرآن الكريم الموصوف بالحكمة إذ هو لا يخلط ولا يغلط ولا يخبط بل يضع كل شيء في موضعه اللائق به في كل ما قال فيه وحكم به، وأخبر عنه أو به من سائر المعارف والعلوم التي حواها كما هو حكيم بمعنى محكم لا نسخ يطرأ عليه بعد تمامه كما طرأ على الكتب السابقة، ومحكم أيضا بمعنى لا خلل فيه، ولا تناقض بين أخباره وأحكامه على كثرتها وتنوع أسبابها ومقتضيات نزولها، وقوله: ﴿هدى[2] ورحمة للمحسنين[3]﴾ أي هو بيان هداية ورحمة تنال المحسنين وهم الذين أحسنوا عبادتهم لربهم فخلصوها من الشرك والرياء وأتوا بها على

(١) تلك في محل رفع مبتدأ وآيات الكتاب الخبر.
(٢) هدى ورحمة نصباً على الحال على حد هذه ناقة الله لكم آية وقرىء هدىً ورحمة بالرفع على أن هدى خبر ثان ورحمة معطوف عليه وهي قراءة حمزة.
(٣) وجائز أن يكون المحسنين الفاعلين للحسنات والمحسنين إلى غيرهم كالوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين ومن ذكروا في آية الحقوق العشرة من سورة النساء «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً الخ...

الوجه المرضي لله تعالى وهو ما بينه رسوله صلى الله عليه وسلم من كيفيات العبادات وبيان فعلها وأدائها عليه. وقوله ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي المحسنين الذين يقيمون الصلاة أي يؤدون الصلوات الخمس مُراعى فيها شروطها مستوفاة أركانها وسننها الواجبة منهاوالمستحبة، ويؤتون الزكاة أي يخرجون زكاة أمـوالهم الصامتة كالذهب والفضة أو الْعُمَلِ القائمة مقامهماوالحرث من تمر وزيتون، وحبوب مقتاة مدخرة والناطقة من إبل وبقر وغنم وذلك إن حال الحول في الذهب والفضة والعمل وفي بهيمة الأنعام أما الحرث والغرس فيوم حصاده وجداده. وقوله: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي والحال هم موقنون بما أعده الله من ثواب وجزاء على الإحسان والإيمان والإسلام الذي دلت عليه صفاتهم في هذا السياق الكريم وقوله: ﴿أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ يخبر تعالى عن المحسنين أصحاب الصفات الكريمة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان باليوم الآخر والإيقان بثواب الله تعالى فيه انهم على هدى أي طريق مستقيم وهو الإسلام هداهم الله تعالى إليه ومكنهم من السير عليه وبذلك أصبحوا من المفلحين الذين يفوزون بالنجاة من النار، وبدخول الجنة دار الأبرار. اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم انك برّ كريم تواب رحيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) بيان إعجاز القرآن حيث ألّف من مثل آلّم، وصّ، وطسّ، ولم يستطع خصومه تحديه.

٢) بيان معنى الحكيم وفضل الحكمة.

٣) بيان أن القرآن بيان للهدى المنجي المسعد ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه.

٤) فضل الصلاة والزكاة واليقين.

٥) بيان مبنى الدين: وهو الإيمان والإسلام والإحسان.(١)

---

(١) شاهد هذا حديث جبريل في مسلم: إذ سأل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان فدل ذلك على أن مبنى الدين الإسلامي هذه الثلاثة (الإيمان والإسلام والإحسان).

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ (١) ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

شرح الكلمات

ومن الناس : أي ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث بن كلدة حليف قريش.

لهو الحديث : أي الحديث الملهي عن الخير والمعروف وهو الغناء.

ليضل عن سبيل الله : أي ليصرف الناس عن الإسلام ويبعدهم عنه فيضلوا.

ويتخذها هزواً: أي ويتخذ الإسلام وشرائعه وكتابه هزوا أي مهزوءاً به مسخوراً منه.

ولَّى مستكبرا : أي رجع في كبرياء ولم يستمع إليها كفراًوعناداً وكبراً كأن لم يسمعها.

في أذنيه وقراً : أي ثقل يمنع من السماع كالصمم.

بغير عمد ترونها : أي بدون عمد مرئية لكم ترفعها حتى لا تقع على الأرض.

رواسي: أي جبال راسية في الأرض بهاترسو الأرض أي تثبت حتى لا تميل.

---

(١) هذا عطف على جملة (تلك آيات الكتاب الحكيم) كأنما قال كانت تلك حال الكتاب الحكيم وهي حال تدعو إلى كل كمـــال وإن من الناس معرضين عنه يؤثرون لهو الحديث ففي الاخبار تعجب من حال هذا الإنسان الذي يعرض عن الهدى إلى الضلال وعن الخير إلى الشر.

وبث فيهامن كل دابة: أي وخلق ونشر فيها من صنوف الدواب وهي كل ما يدب في الأرض.

من كل زوج كريم : أي من كل صنف من النباتات جميل نافع لا ضرر فيه.

هذا خلق الله : أي المذكور مخلوقه تعالى إذ هو الخالق لكل شيء.

من دونه : أي من الآلهة المزعومة التي يعبدها الجاهلون.

بل الظالمون : أي المشركون.

معنى الآيات

لما ذكر تعالى عباده المحسنين وأثنى عليهم بخير وبشرهم بالفلاح والفوز المبين ذكر صنفا آخر على النقيض من الصنف الأول الكريم فقال: ﴿ومن الناس[١] من يشتري لهو الحديث[٢] ليضل عن[٣] سبيل الله بغير علم﴾ أي ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث الكلدي حليف قريش يشتري لهو الحديث أي الغناء إذ كان يشترى الجواري المغنيات ويفتح ناديا للهو والمجون ويدعو الناس إلى ذلك ليصرفهم عن الإسلام حتى لا يجلسوا إلى نبيّه ولا يقرأوا كتابه بغير علم منه بعاقبة صنيعه وما يكسبه من خزي وعار وعذاب النار. وقوله ﴿ويتخذها هزوا[٤]﴾ أي يتخذ سبيل الله التي هي الإسلام هزواً أي شيئا مهزوءاً به مسخوراً منه بما في ذلك الرسول والمؤمنون والآيات الكلّ يهزأ به ويسخر منه لجهله وظلمة نفسه. قال تعالى ﴿أولئك﴾ لهم عذاب مهين أي أولئك البعداء وهم كل من يشترى الغناء يغني به نساء ورجال أو آلات ممن اتخذوا الإسلام وشرائعه هزواً وسخرية ليصدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله الموصلة إلى رضاه ومحبته وجنتّه. أولئك: مَنْ تِلك صفتهم لهم عذاب مهين بكسر أنوفهم وبذلهم يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه

---

(١) معنى الكلام من الناس ـ يا للعجب ـ من يشغله لهو الحديث والولوع به عن الاهتداء بآيات الكتاب الحكيم، هذه الآية إحدى ثلاث آيات في القرآن الكريم تحرم الغناء والأولى آية بني اسرائيل وهي قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك والثالثة آية النجم: وأنتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء بالحميرية يقال اسمد لنا أي غنّي لنا.

(٢) لهو الحديث هو الغناء، صح أن ابن مسعود رضي الله عنه سئل عن لهو الحديث فقال بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات إنه الغناء وقال ابن جرير الطبري قد اجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة ابراهيم بن سعد وعبيد الله العنبري وقد قال الرسول ﷺ وسلم عليكم بالسواد الأعظم، ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.

(٣) قرأ الجمهور ليضل بضم الياء أي ليضل غيره فهو إذاً ضال مضل وقرأ ابن كثير ليضل بفتح الياء أي ليزداد ضلالا على ضلال.

(٤) قرأ نافع بالرفع عطفاً على يشترى وقرأ حفص بالفتح عطفاً على ليضل.

آياتنا ولى[١] مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً﴾

أي وإذا قُرئت على هذا الصنف من الناس آيات الله لتذكيره وهدايته رجع مستكبراً كأن لم يسمعها تتلى عليه وهي حالة من أقبح الحالات لدلالتها على خبث هذا الصنف من الناس وكبرهم. وقوله ﴿كأن في أذنيه وقرا﴾[٢] كأن به صمم لا يسمع القول وهنا عَجَّلَ الله له بمـا يحزنه ويخزيه فقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ والتبشير بما يضر ولا يسر يحمل معه التهكم وهذا النوع من الناس مستحق لذلك وقوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها﴾ هذا صنف آخر مقابل لما قبله وهم أهل الإيمان والعمل الصالح بشرهم ربهم بجنات النعيم والخلود فيها وقوله ﴿وعد الله حقاً﴾ أي[٣] وعدهم بذلك وعداً صادقاً لا يخلف وأحقه لهم حقاً لا يسقط. ﴿وهو العزيز﴾ أي الغالب الذي لا يُحال بينه وبين مُراده الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه.

وقـولـه ﴿خلق السمـوات بغير عمد ترونها﴾[٤] أي من مظاهر قدرته وعزته وحكمته خلقه السموات ورفعها بغير عمد مرئية لكم وفي هذا التعبير إشارة إلى أن هناك أعمدة غير مرئية وهي سنّة نظام الجاذبية التي خلقها بقدرته وجعل الأجرام السماوية متماسكة بها. وقوله: ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ أي من مظاهر قدرته وحكمته إلقاء الجبال الرواسي على الأرض لتحفظ توازنها حتى لا تميل بأهلها فيفسد ويسقط ما عليها وتنعدم الحياة عليها وهو معنى ﴿أن تميد بكم﴾[٥] أي تميل، وإذا مالت تصدع كل ما عليها وخرب وقوله: ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ وهذا مظهر آخر من مظاهر القدرة والعلم والحكمة الموجبة للإيمان بالله ولقائه والمستلزمة لتوحيده تعالى في عبادته، فسائر أنواع الدواب على كثرتها واختلافها الله الذي خلقها وفرقها في الأرض تعمرها وتزيّنها. وقوله ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ وهو ماء المطر ﴿فأنبت به من كل زوج﴾ أي صنف من أصناف الزروع والنباتات مما

---

(١) (ولى) هذا تمثل للإعراض عن آيات الله التي تتلى عليه ومستكبراً حال مُبينة وأن إعراضه كان لاعن إهمال أو تفريط وإنما كان عن كبر كأن لم يسمعها تكرار التشبيه لفائدة الإخبار بأنه مرة لم يسمعها مع وجود حاسة السمع وأخرى مع عدم وجودها.

(٢) قرأ نافع أذنيه بإسكان الذال تخفيفاً وقرأ الجمهور أذنيه بتحريك الذال مضمومة.

(٣) انتصاب وعد الله على المفعول المطلق وانتصاب حقاً على الحال.

(٤) ترونها في محل جر نعت لعمدٍ ومعنى هذا أن هناك عمداً غير مرئية ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من السموات.

(٥) أي كراهية أن تميد بكم أي تميل أو لئلا تميد والكل جائز.

هو نافع وصالح للإنسان هذا المذكور أيضاً مظهر من مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة الربّانية الموجبة للإيمان بالله وآياته ولقائه وتوحيده في عباداته ومن هنا قال تعالى : ﴿هذا خلق[1] الله﴾ أي كل ما ذكر من المخلوقات في هذه الآيات هو مخلوق لله والله وحده خالقه فأروني أيها المشركون المكذبون ماذا خلق الذين تعبدونهم من دونه من سائر المخلوقات يتحداهم بذلك. فعجزوا. وقوله تعالى ﴿بل[2] الظالمون في ضلال مبين﴾ أي إنهم عبدوا غير الله وكذبوا بلقاء الله لا عن علم لديهم أو شبهة كانت لهم بل الظالمون وهم المشركون في ضلال مبين فهم تائهون في أودية الضلال حيارى بجهلهم في حياتهم فدواؤهم العلم والإيمان فمتى آمنوا وعلموا لم يبق مجال لكفرهم وشركهم وعنادهم فلهذا فصَّل تعالى الآيات وعرض الأدلة والحجج عرضاً عجيباً لعلهم يذكزون فيؤمنوا ويوحدوا فيكملوا ويسعدوا فضلاً منه ورحمة. وهو العزيز الرحيم

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١) حرمة غناء النساء للرجال الأجانب.

٢) حرمة شراء الأغاني في الأشرطة والاسطوانات التي بها غناء العواهر والخليعين من الرجال.

٣) حرمة حفلات الرقص والغناء الشائعة اليوم في العالم كافره ومسلمه.

٤) دعوة الله تقوم على دعامتي الترهيب والترغيب والبشارة والنذارة.

٥) بيان شتَّى مظاهر القدرة والعلم والعز والحكمة الموجب للإيمان والتوحيد.

٦) لا قصور في الأدلة والحجج الإلهية وإنما ضلال العقول بالشرك والمعاصى هو المانع من الاهتداء. والعياذ بالله تعالى.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا

---

(١) خلق الله بمعنى مخلوقه.

(٢) بل للاضراب الانتقالي من المجادلة إلى تسجيل ضلالهم وهو اعتقادهم إلهية الأصنام كما يقول المناظر دع عنك هذا وانتقل إلى كذا.

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ (١) عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات

ولقد آتينا لقمان الحكمة : أي أعطينا لقمان (٢) السوداني القاضي : أي الفقه في الدين والعقل والإصابة في الأمور.

أن اشكر لله : أي اشكر لله ما أنعم به عليك بطاعته وذكره.

لابنه وهو يعظه : أي ابنه ثاران وهو يعظه أي يأمره وينهاه مرغّباً له مرهباً.

ووصينا الإنسان : أي عهدنا إليه ببرهما وهو كف الأذى عنهما والإحسان إليهما وطاعتهما.

وهناً على وهن : أي ضعفاً على ضعف وشدة على شدة وهي الحمل والولادة والإرضاع.

وفصاله في عامين : أي مدة رضاعه تنتهي في عامين ، وبذلك يفصل عن

(١) هذه الآية : وإن جاهداك والتي قبلها ووصينا الإنسان نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص لما أسلم وان أمة حَمْنَه بنت أبي سفيان بن أمية حلفت ألا تأكل حتى يكفر سعدٌ أو تموت جوعاً وعطشاً حتى يعير بها مدى الحياة (ياقاتل أمه) إلا أنها لما أيأسها سعد أسلمت، وأكلت وشربت.

(٢) هو لقمان بن باعوراء بن ناصور بن تارح وهو ازر أبو ابراهيم كذا نسبه ابن اسحق وقال السهيلي هو لقمان بن عتفاد بن سرون وكان نوبياً من أهل آيلة، قال وهب كان ابن اخت أيوب أو ابن خالته عاش ألف سنة وأدركه داود عليه السلام وكان رجلاً حكيماً ولم يكن نبياً ومن حكمه قوله إن القلب واللسان إذا طابا فليس شيء أطيب منهما وإذا خبثا فليس شي أخبث منهما وقوله وقد قيل له أي الناس شر؟ قال الذي لا يبالي أن رآه الناس مسيئاً وقوله الصمت حكمة وقليل فاعله.

الرضاع .

وإن جاهداك : أي بذلا جهدهما في حملك على الشرك .

وصاحبهما في الدنيا معروفا : أي واصحبهما في حياتهما بالمعروف وهو البر والإحسان وكف الأذى والطاعة في غير معصية الله .

من أناب إليَّ : أي رجع إليَّ بتوحيدي وطاعتي وطاعة رسولي محمد صلى الله عليه وسلم .

معنى الآيات

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين وهذه القصة اللقمانية اللطيفة مشوقة لذلك قال تعالى : ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أي أعطينا عبدنا لقمان الحكمة وهي الفقه في الدين والإصابة في الأمور ورأسها مخافة الله تعالى بذكره وشكره الذي هو طاعته في عبادته وتوحيده فيها. وقوله: ﴿أن اشكر[1] لله﴾ أي وقلنا له اشكر الله خالقك ما أنعم به عليك بصرف تلك النعم فيما يرضيه عنك ولا يسخطه عليك. وقوله تعالى ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ أي ومن شكر الله بطاعته فإن ثمرة الشكر وعائدته للشاكر نفسه بحفظ النعمة والزيادة فيها أما الله فإنه غني بذاته محمود بفعاله فلا يفتقر إلى خلقه في شيء إذ هم الفقراء إليه سبحانه وتعالى. وقوله تعالى: ﴿وإذ قال لقمان﴾ أي واذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين قول لقمان لابنه وأخص الناس به وهو ينهاه عن الشرك الذي نهيتكم أنا عنه فغضبتم وأصررتم عليه عناداً ومكابرة فقال له: بما اخبر به تعالى عنه في قوله : ﴿وإذ قال لقمان لابنه[2] وهو يعظه﴾ أي يأمره وينهاه مرغباً له في الخير مرهباً له من الشر: ﴿يابنيَّ لا تشرك بالله﴾ أي في عبادته أحداً. وعلل لنهيه ليكون أوقع في نفسه فقال: ﴿إن الشرك لظلم[3] عظيم﴾ والظلم وضع الشيء في غير موضعه ويترتب عليه الفساد والخسران الكبير، وعبادة غير الله وضع لها في غير موضعها إذ العبادة حق الله على عباده

---

(١) وجائز أن تكون أن التفسيرية أي مفسرة للفظ الحكمة بأنها الشكر لله تعالى وهي أقوال ألقيت إليه بإلهام ففي الحكمة معنى القول دون حروفه. كما فسرت (حاجة) في قول الشاعر لأنها بمعنى القول.

إن تحملا حاجة لي خف محملها   تستوجبا منة عندي بها ويدا
أن تقرآن على أسماء ويحكما   مني السلام وان لا تخبرا أحدا

(٢) قيل كان اسم ابنه ثاران وقيل مشكم وقيل أنعم والله أعلم.

(٣) روي مسلم انه لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم.

مقابل خلقهم ورزقهم وكلاءتهم في حياتهم وحفظهم[1] وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ أي عهدنا إلى الإنسان آمرين أياه ببرِّ والديه أي أمه وأبيه، وبرُّهما بذل المعروف لهما وكف الأذى عنهما وطاعتهما[2] في المعروف، وقوله تعالى: ﴿حملته﴾ أي الإنسان أمـه أي والدته ﴿وهنا على وهن[3]﴾ أي ضعفا على ضعف وشدة على أخرى وهي آلام وأتعاب الحمل والطلق والولادة والإرضاع فلهذا تأكدً برُّها فوق برِّ الوالد مرتين لحديث الصحيح: [من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال: أمـك، قال: ثم من؟ قال: أبـوك] وقـولـه ﴿وفـصـالـه في عامـين﴾ أي فطام الـولد من الرضاع في عامين فأول الرضاع ساعة الولادة وآخره تمام الحولين ويجوز فصله عن الرضاع خلال العامين، وقوله: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾ هذا الموصى به وهو أن يشكر لله تعالى وذلك بطاعته تعالى فيمايأمره به وينهاه عنه، وذكره بقلبه ولسانه وقوله ﴿ولوالديك﴾ إذ هما قدما معروفا وجميلا فوجب شكرهما، وذلك ببرِّهما وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله ورسوله، لأن طاعة الله كشكره قبل طاعة الوالدين وشكرهما وقوله ﴿إلى المصير﴾ أي الرجوع بعد الموت وهذه الجملة مؤكدة لواجب شكر الله تعالى وبر الوالدين لما تحمله من الترغيب والترهيب فالمطيع إذا رجع إلى الله أكرمه والعاصي أهانه. وما دام الرجوع إليه تعالى حتميًا فطاعته بشكره وشكر الوالدين متأكدة متعيّنة. وقوله تعالى ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ أي وإن جاهداك أيها الإنسان والداك وبذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم وهو عامة الشركاءإذ ما هناك من يصح إشراكه في عبادة الله قط. فلا تطعهما في ذلك أبداً، ﴿وصاحبهما في الدنيا[4]﴾ أي في الحياة بالمعـروف وهـو برهـمـا وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله تعالى ورسوله، وقوله: ﴿واتبع سبيل من أناب إليَّ﴾ أي اتبع طريق من أناب إليَّ بتوحيدي وعبادتي والدعوة إليّ

---

(١) الراجح أن هاتين الآيتين وقعتا اعتراضاً بين كلام لقمان الأول والثاني وأنهما نزلتا في شأن والدة سعد بن أبي وقاص وللاعتراض فائدة وهي التنويع في الأسلوب لإذهاب السآمة وتجديد نشاط الذهن للحفظ والفهم وجائز أن يكون لاعتراض والأيتان من كلام لقمان.

(٢) روى أن الحسن قال لو منعت والدة ولدها من شهود صلاة العشاء شفقة عليه فلا يطعها.

(٣) الوهن بإسكان الهاء مصدر وهن يهن من باب ضرب ووهن بفتح الواو والهاء من باب وجل يوجل وجلا. والمعنى أي وهناً واقعاً على وهن كقولهم (عوداً على بدء) أي رجع عوداً على بدء.

(٤) معروفاً نعت لمصدر محذوف تقديره مصاحبا معروفاً. وفي الآية دليل على جواز بر الأم الكافرة أو الأب لحديث أسماء إذ قالت يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال نعم، ووالدة أسماء هي قتيلة بنت عبدالعزى ووالدة عائشة هي أم رومان قديمة الإسلام.

وهو رسول[1] الله صلى الله عليه وسلم والآية نزلت في سعد ابن أبي وقاص حيث أمرته أمه أن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه وذلك قبل إسلامها وبذلت جهداً كبيراً في مراودة ابنها سعد رضي الله عنهما وقوله ﴿إليَّ مرجعكم﴾ أي جميعا فأنبكم بما كنتم تعملون وأجزيكم بعملكم الخير بالخير والشر بالشر فاتقوني بطاعتي وتوحيدي والإنابة إليّ في كل أموركم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير التوحيد والتنديد بالشرك.

٢) بيان الحكمة وهي شكر[2] الله تعالى بطاعته وذكره إذ لا يشكر إلا عاقل فقيه.

٣) مشروعية الوعظ والإرشاد للكبير والصغير والقريب والبعيد.

٤) التهويل في شأن الشرك وإنه لظلم عظيم.

٥) بيان مدة الرضاع وهي في خلال العامين لا تزيد.

٦) وجوب بر الوالدين وصلتهما.

٧) تقرير مبدإ لا طاعة لمخلوق[3] في معصية الخالق بعدم طاعة الوالدين في غير المعروف.

٨) وجوب اتباع سبيل المؤمنين من أهل السنة والجماعة وحرمة اتباع سبيل أهل البدع والضلالة.

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ
خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ

---

(١) الآية عامة في سائر المؤمنين فعلى كل مؤمن اتباع الصالحين في كل زمان ومكان والاقتداء بهم وعليه مجانبة أهل الضلال والفسق والعصيان وعدم اتباعهم في باطلهم وضلالهم وفسقهم وعصيانهم.

(٢) روى أن سفيان بن عيينة قال من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات فقد شكرهما.

(٣) صح الحديث بلفظ إنما الطاعة في المعروف وبلفظ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ
وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

إنها إن تك مثقال حبة : أي توجد زنة حبة من خردل.

فتكن في صخرة : أي في داخل صخرة من الصخور لا يعلمها أحد.

لطيف خبير : أي لطيف باستخراج الحبة خبير بموضعها حيث كانت.

وأمر بالمعروف وانه عن المنكر: أي مُر الناس بطاعة الله تعالى، وانههم عن معصيته.

من عزم الأمور : أي مما أمر الله به عزماً لا رخصة فيه.

ولا تصعّر خدك للناس : أي ولا تُعرض بوجهك عمن تكلمه تكبراً.

مرحا : أي مختالا تمشي خيلاء.

مختال فخور : أي متبختر فخور كثير الفخر مما أعطاه الله ولا يشكر.

واقصد في مشيك : أي إتّئد ولا تعجل في مشيتك ولا تستكبر.

واغضض من صوتك : أي اخفض من صوتك وهو الاقتصاد في الصوت.

إن أنكر الأصوات : أي أقبح الأصوات وأشدها نكارة عند الناس لأن أوله زفير وآخره شهيق.

معنى الآيات

مازال السياق الكريم في قصص لقمان عليه السلام فقال تعالى مخبراً عن لقمان بقوله لابنه ثاران ﴿يا بنيّ[1] إنها إن تك مثقال حبّة من[2] خردل﴾ أي إن تك زنة حبة من خردل من

---

(١) تكرير النداء حكمته تجديد نشاط السماع وقرأ نافع مثقال بالرفع على انه فاعل تك وكان التي مضارعها تك تامة وقرأ حفص مثقال بالفتح على أن كان ناقصة ومثقال خبرها وقوله انها أي القصة أو الحالة المسؤول عنها.

(٢) روي أن ناران بن لقمان قال لأبيه يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يقابلها الله؟ فقال لقمان يابني إنها إن تك مثقال حبة الخ . . فما زال ابنه يضطرب حتى مات قاله مقاتل رحمه الله.

خير أو شر من حسنة أو سيئة ﴿فتكن في صخرة[1] أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله﴾ ويحاسب عليها ويجزي بها، ﴿إن الله لطيف﴾ أي باستخراجها ﴿خبير﴾ بموضعها وعليه فاعمل الصالحات واجتنب السِّيئات وثق في جزاء الله العادل الرحيم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٦) أما الآية الثانية (١٧) فقد تضّمنت أمر ولدِه باقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في ذلك فقال له ما أخبر تعالى به عنه في قولـه : ﴿يابني أقم الصلاة﴾ أي أدها بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، ﴿وأمر بالمعروف﴾ أي بطاعة الله تعالى فيما أوجب على عباده ﴿وانه عن المنكر﴾ أي عما حرم الله تعالى على عباده من اعتقاد أو قول أو عمل. ﴿واصبر على ما أصابك﴾ من أذى ممن تأمرهم وتنهاهم، وقوله ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ أي إن اقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في ذات الله من الأمور الواجبة التي هي عزائم وليست برخص. وقوله تعالى ﴿ولا تصعِّر خدك للناس[2]﴾ هذا مما قاله لقمان لابنه نهاه فيه عن خصال ذميمة محرمة وهى التكبر على الناس بأن يخاطبهم وهو معرض عنهم بوجهه لاوِ عنقه،[3] وهي مشية المرح والاختيال والتبختر، والفخربالنعم مع عدم شكرها وقوله تعالى ﴿إن الله لا يحب كل مختـال فخـور[4]﴾ هذا ممـا قالـه لقمان لابنه لما نهاه عن التكبر والاختيال والفخر أخبره أن الله تعالى لا يحب من هذه حاله حتى يتجنبها ولده الذي يعظه بها وبغيرها وقوله في الآية (١٩) ﴿واقصد في[5] مشيك﴾ أي إمش متئداً في غير عجلة ولا إسراع إذ الاقتصاد ضد الإسراف. وقوله: ﴿واغضض من صوتك﴾ أمره أن يقتصد في صوته أيضاً فلا يرفع صوته إلا بقدر الحاجة. كالمقتصد لا يُخرج درهمه إلا عند الحاجة ويقدرها وقوله ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ ذكر هذه الجملة لينفره من رفع صوته بغير حاجة فذكر له أنَّ أقبح الأصوات صوت الحمير[6] لأنه عال مرتفع وأوله زفير وآخره

(١) قيل أن الصخرة تكون تحت الأرض السابعة لأنها ليست في السماء ولا في الأرض.

(٢) الصعر الميل ومنه قول الشاعر:

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوم

والصعر كالصَّيد داء يصيب الإبل فتلوى منه أعناقها.

(٣) شاهده في الحديث الصحيح لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فقوله ولا تدابروا يشمل تصعير الوجه أي ميله.

(٤) المختال ذو الخيلاء قال ﷺ من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة والفخور هو الذي يعدد ما أعطى ولا يشكر الله تعالى (قاله مجاهد).

(٥) ما روى أن النبي ﷺ كان إذا مشى أسرع فإنما أريد به السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت المظهر للمسكنة والذلة.

(٦) بالحمار يضرب المثل في البلادة وينهى عن رفع الصوت لغير حاجة حتى لا يكون صوت المتكلم كصوت الحمار الممقوت والحمار إذا نهق فإنه رأى شيطاناً كما في الحديث، وركبه النبي ﷺ تواضعاً، وقيل نهيق الحمار دعاء عن الظلمة.

شهيق. هذا آخر ما قص تعالى من نبأ لقمان العبد الصالح عليه السلام.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) وجوب مراقبة الله تعالى وعدم الاستخفاف بالحسنة والسيئة مهما قلت وصغرت.

٢) وجوب إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يلحق الآمر والناهي من أذى.

٣) حرمة التكبر والاختيال في المشي ووجوب القصد في المشي والصوت فلا يسرع ولا يرفع صوته إلا على قدر الحاجة.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات

ألم تروا : أي ألم تعلموا أيُّها الناس.

سخر لكم ما في السموات: أي من شمس وقمر وكواكب ورياح وأمطار لمنافعكم.

وما في الأرض : أي من أشجار وأنهار وجبال وبحار وغيرها.

وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة : أي أوسع وأتّم عليكم نعمه ظاهرة وهي الصحة وكمال الخلق وتسوية الأعضاء.

وباطنة : أي المعرفة والعقل.

من يجادل في الله : أي يخاصم في توحيد الله مُنكراً له مكذباً به.

بغير علم : أي بدون علم عنده من وحي ولا هو مستفاد من دليل عقلي.

ولا هدى ولا كتاب منير : أي سنة من سنن الرسل، ولا كتاب إلهي منير واضح بيّن.

أو لو كان الشيطان : أي ايتبعـونهم ولـو كان الشيطان يدعو آباءهم إلى موجب عذاب السعير من الشرك والمعاصي .

معنى الآيات

عاد السياق بعد نهاية قصة لقمان إلى خطاب المشركين لهدايتهم فقال تعالى ﴿ألم تروا﴾[1] أيها الناس الكافرون بالله وقدرته ورحمته أي ألم تعلموا بمشاهدتكم ﴿أن الله سخّر لكم﴾ أي من أجلكم ﴿ما في السموات﴾ من شمس وقمر وكواكب ومطر، وسخر لكم ما في الأرض من أشجار وأنهار وجبال ووهاد وبحار وشتّى الحيوانات ومختلف المعادن كل ذلك لمنـافعكم في مطاعمكم ومشاربكم وكل شؤون حياتكم، ﴿وأسبغ عليكم نعمه[2]﴾ أي أوسعها وأتمها نعم الإيجاد ونعم الإمداد حال كونها ظاهرة[3]كحسن الصورة وتناسب الأعضاء وكمال الخلق، ، وباطنة كالعقل والإدراك والعلم والمعرفة وغير ذلك مما لا يحصى ولا يعد، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، ومع هذا البيان والإنعام والاستدلال على الخالق بالخلق وعلى المنعم بالنعم فإن ناساً يجادلون[4] في توحيد الله وأسمائه وصفاته ووجوب طاعته وطاعة رسوله بغير علم من وحي ولا استدلال من عقل، ولا كتاب منير واضح بين يحتجون به ويجادلون بأدلته .

وقوله تعالى ﴿وإذا قيل﴾[5] أي لأولئك المجادلين في الله بالجهل والباطل ﴿اتبعوا ما أنزل الله﴾ أي على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من هدىً ، قالوا لا ، بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا من عقائد وثنيّة وتقاليد جاهلية ، قال تعالى : ﴿أو لو كان الشيطان يدعوهم﴾ أي أيتّبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم ﴿إلى عذاب السعير﴾ أي النار المستعرة الملتهبة والجواب لا ، ولكن اتبعوهم فسوف يردون معهم النار وبئس الورد المورود .

---

(١) ذكر نعم الله الموجبة لشكره بعبادته وحده وترك عبادة من سواه .

(٢) قرأ نافع وحفص نعمه بالجمع وقرأ آخرون بالإفراد نعمته وهي داله على الجمع لأنها اسم جنس دال على متعدد بدليل قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.

(٣) عن ابن عباس أن النعم الظاهرة الإسلام وما حسن من الخلق والباطنة ما ستر على العبد من سيء العمل وقيل النعم الظاهرة الصحة وكمال الخلق والباطنة المعرفة والعقل .

(٤) قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم أي بغير حجة نزلت في يهودي جاء إلى النبي ﷺ فقال يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو فجاءت صاعقة فأخذته قاله مجاهد .

(٥) هذا عام في اليهودي السائل وفي المشركين الذين طالما سألوا وجادلوا النبي ﷺ بجهلهم وتقليد آبائهم وهم من أجهل الناس .

هداية الآيات

من هداية الآيات

١) تعيين الاستدلال بالخلق على الخالق وبالنعمة على المنعم.
٢) وجوب ذكر النعم وشكرها لله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.
٣) حرمة الجدال بالجهل ودون علم.
٤) حرمة التقليد في الباطل والشر والفساد كتقليد بعض المسلمين اليوم للكفار في عاداتهم وأخلاقهم ومظاهر حياتهم.

۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

ومن يسلم وجهه إلى الله : أي أقبل على طاعته مخلصاً له العبادة لا يلتفت إلى غيره من سائر خلقه.

وهو محسن : أي والحال انه محسن في طاعته اخلاصاً واتباعاً.

فقد استمسك بالعروة الوثقى : أي تعلّق بأوثق ما يتعلق به فلا يخاف انقطاعه بحال.

وإلى الله عاقبة الأمور : أي مرجع كل الأمور إلى الله سبحانه وتعالى.

نمتعهم قليلاً : أي متاعاً في هذه الدنيا قليلا إي إلى نهاية آجالهم.

ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ: أي ثم نُلجئهم في الآخرة إلى عذاب النار والغليظ:

الثقيل.

قل الحمد لله : أي إحمد الله على ظهور الحجة بأن تقول الحمد لله.

لا يعلمون : أي من يستحق الحمد والشكر ومن لا يستحق لجهلهم.

معنى الآيات

بعد إقامة الحجة على المشركين في عبادتهم غير الله وتقليدهم لآبائهم في الشرك والشر والفساد قال تعالى مرغباً في النجاة داعياً إلى الإصلاح: ﴿ومن يُسلم وجهه إلى الله﴾[1] أي يقبل بوجهه وقلبه على ربه يعبده مُتذللاً له خاضعا لأمره ونهيه. ﴿وهو محسن﴾ أي والحال أنه محسن في عبادته اخلاصا فيها لله، واتباعا في أدائها لرسول الله ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي قد أخذ بالطرف الأوثق فلا يخاف انقطاعاً أبدا وقوله تعالى: ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ يخبر تعالى أن مَردَّ الأمور كلها لله تعالى يقضي فيهابما يشاء فليفوِّض العبد اموره كلها لله إذ هي عائدة إليه فيتخذ بذلك له يداً عند ربه، وقوله لرسوله: ﴿ومن كفر فلا يحزنك[2] كفره﴾ أي أسلم وجهك لربك وفوض أمرك إليه متوكلا عليه ومن كفر من الناس فلا يحزنك كفره أي فلا تكترث به ولا تحزن عليه ﴿إلينا مرجعهم﴾ أي فإن مردهم إلينا بعد موتهم ونشورهم ﴿فننبئهم بما عملوا﴾ في هذا الدار من سوء وشر ونجزيهم به. ﴿إن الله[3] عليم بذات الصدور﴾ أي بما تكنه وتخفيه من اعتقادات ونيّات وبذلك يكون الحساب دقيقاً والجزاء عادلاً. وقوله تعالى: ﴿نمتعهم[4] قليلاً﴾ أي نمهل هؤلاء المشركين فلا نعاجلهم بالعقوبة فيتمتعون مدة آجالهم وهو متاع قليل ﴿ثم نضطرهم﴾ بعد موتهم ونشرهم ﴿إلى عذاب غليظ﴾ أي نلجئهم إلجاءً إلى عذاب غليظ ثقيل لا يحتمل ولا يطاق وهو عذاب النار. نعوذ بالله منها ومن كل عمل يؤدي إليها وقوله تعالى في الآية (٢٥) ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ أي ولئن سألت يارسولنا هؤلاء المشركين قائلا لهم: من خلق السموات والأرض لبادروك

---

(١) أسلم وسلّم بمعنى، إلا أن التضعيف للتكثير وعدي باللام نحو قول أسلمت وجهي لله، وعدي مرة بإلى قال القرطبي معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهوذاته ونفسه سالماً لله أي خالصاً له ومعناه مع إلى راجع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه والتفويض إليه.

(٢) قرأ نافع يُحزنك بضم الياء وكسر الزاي يُحزنك وقرأ حفص يحزنك بفتح الباء وضم الزاي يحزنك فالأولى مضارع احزنه يحزنه كأعلم يعلمه والثاني مضارع حزنه كنصره ينصره.

(٣) الجملة تعليلية لما سبقها من أحكام.

(٤) جملة نمتعهم قليلاً مستأنفة استئنافاً بيانياً كأن سائلا يقول ما الذي يترتب على علمه تعالى بذات الصدور فالجواب انه يمتعهم قليلا ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ.

بالجواب قائلين الله إذاً قل الحمد لله على إقامة الحجة عليكم باعترافكم، وما دام الله هو الخالق الرازق كيف يعبد غيره أو يعبد معه سواه أين عقول القوم؟ وقوله ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي لا يعلمون موجب الحمد ولا مقتضاه، ولا من يستحق الحمد ومن لا يستحقه لأنهم جهلة لا يعلمون شيئاً. وقوله تعالى: ﴿لله ما في السموات والأرض﴾ أي خلقا وملكا وعبيدا ولذا فهو غني عن المشركين وعبادتهم فلا تحزن عليهم ولا تبال بهم عبدوا أو لم يعبدوا ﴿إن الله هو الغني﴾ عن كل ماسواه ﴿الحميد﴾ أي المحمود بعظيم فعله وجميل صنعه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات

١) بيان نجاة أهل لاإله إلا الله وهم الذين عبدوا الله وحده بما شرع لهم على لسان رسوله محمد ﷺ

٢) تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣) بيان أن المشركين من العرب موحدون في الربوبيّة مشركون في العبادة كما هي حال الناس اليوم يعتقدون أن الله ربّ كل شيء ولا ربَّ سواه ويذبحون وينذرون ويحلفون بغيره، ويخافون غيره ويرهبون سواه. والعياذ بالله.

وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات:

ولو أن ما في الأرض : أي من شجرة.

أقلام : أي يكتب بها.

والبحر : أي المحيط.

يمده سبعة أبحر : أي تمده

ما نفدت كلمات الله : أي ما انتهت ولا نقصت.

إن الله عزيز حكيم : أي عزيز في انتقامه غالب على ما أراده حكيم في تدبير خلقه.
ما خلقكم ولا بعثكم: أي ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم من قبوركم إعادة لكم إلا كخلق وبعث نفس واحدة.

معنى الآيتين

قوله تعالى ﴿ولو أن[1] ما في الأرض من[2] شجرة أقلام﴾ أي لو أن شجر الأرض كله قطعت أغصانه شجرة شجرة حتى لم تبق شجرة وبُريت أقلاماً، والبحر المحيط صار مداداً ومن ورائه سبعة أبحر أخرى تحولت إلى مداد وتمُد البحر الأول وكُتب بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله لنفد البحر والأقلام ولم تنفد كلمات الله، وذلك لأن الأقلام والبحر متناهية، وكلمات الله غير متناهية فعلم الله وكلامه كذاته وصفاته لا تتناهى بحال، نزلت هذه الآية رداً على اليهود لما قيل لهم ﴿وما أُوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ قالوا وكيف هذا وقد أُوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء. كما نزل رداً على أُبي بن خلف قوله تعالى: ﴿ما خلقكم[3] ولا بعثكم إلا كنفس[4] واحدة﴾ إذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم كيف يخلقنا الله خلقا جديدا في يوم واحد ليحاسبنا ويجزينا، ونحن خلقنا اطواراً وفي قرون عديدة فأنزل تعالى قوله ﴿ماخلقكم ولابعثكم﴾ إلا كخلق وبعث نفس واحدة ﴿إن الله سميع بصير[5]﴾ فكما يسمع المخلوقات ولا يشغله صوت عن صوت، ويُبصرهم ولا تحجبه ذات عن ذات كذلك هو يبعثهم في وقت واحد ولو أراد خلقهم جملة واحدة لخلقهم لأنه يقول للشيء كن فيكون.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١) بيان سعة علم الله تعالى وأنه تعالى متكلم وكلماته لا تنفد بحال من الأحوال.
٢) بيان أن ما أوتيه الإنسان من علوم ومعارف ما هو بشيء إلى علم الله تعالى.

---

(١) قيل في سبب هذه الآية المدنية على رأي ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود قالوا: يا محمد كيف عنينا بهذا القول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ونحن قد أوتينا التوراة فيها كلام الله وأحكامه وعندك انها تبيان كل شيء. فقال الرسول ﷺ التوراة قليل من كثير ونزلت هذه الآية.

(٢) من شجرة من بيانية وفي التعبير بـ لو: دلالة على أن مضمون الكلام افتراضي، ولكن لو كان المفترض لما يخرج عما أخبر تعالى به وهو نفاد الأقلام والمداد وبقاء كلام الله تعالى لأن المراد من الكلمات كلام الله تعالى.

(٣) في الآية إيجاز بالحذف إذ التقدير ما خلقكم إلا كخلق نفس واحدة ولا بعثكم إلا كبعث نفس واحدة.

(٤) ما خلقكم فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب.

(٥) جملة إن الله سميع بصير صالحة لأن تكون تعليلية أو استئنافية بيانية.

٣) بيان قدرة الله تعالى وانها لا تحد ولا يعجزها شيء.
٤) إثبات صفات الله كالعزة والحكمة والسمع والبصر.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾

شرح الكلمات:

ألم تر : أي ألم تعلم أيها المخاطب.

ان الله يولج الليل في النهار : أي يدخل جزءاً منه في النهار، ويدخل جزءاً من النهار في الليل بحسب الفصول.

وسخر الشمس والقمر : يسبحان في فلكيهما الدهر كله لا تكلان إلى يوم القيامة وهو الأجل المسمى لهما.

ذلك بأن الله هو الحق : أي ذلك المذكور من الإيلاج والتسخير بسبب أن الله هو الإله الحق.

وأن ما يدعون من دونه الباطل: أي وأن ما يدعون من دونه من آلهة هي الباطل.

بنعمت الله : أي بإفضاله على العباد وإحسانه إليهم حيث هيأ أسباب جريها.

لكل صبارٍ شكور : أي صبار عن المعاصى شكور للنّعم .
وإذا غشيهم موج : أي علاهم وغطاهم من فوقهم .
كالظلل : أي كالجبال التي تظلل من تحتها .
فمنهم مقتصد : أي بين الكفر والإيمان بمعنى معتدل في ذلك ما آمن ولا كفر.
كل ختار كفور : أي غدار كفور لنعم الله تعالى .

معنى الآيات

مازال السياق في تقرير التوحيد وإبطال الشرك والكفر قال تعالى ﴿ألم تر﴾[1] أي ألم تعلم أيها النبي أن الله ذا الألوهية على غيره ﴿يولج الليل في النهار﴾ بإدخال جزء منه في النهار ﴿ويولج النهار في الليل﴾ بإدخال جزء منه في الليل وذلك بحسب الفصول السّنوية ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ يسبحان في فلكيهما[2]لمنافع الناس إلى أجل مسمى أي إلى وقت محدد معين عنده سبحانه وتعالى وهو يوم القيامة ، وأن الله تعالى بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم صالحها وفاسدها وسيجزيكم بها وقوله ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي ذلك الإيلاج لليل في النهار والنهار في الليل وتسخير الشمس والقمر، وعلم الله تعالى بأعمال العباد ومجازاتهم عليها قاطع لكل شك بأن الله هو إله الحق، وأن ما يدعون من دونه من أوثان هو الباطل[3]، وقاطع بأن الله تعالى ذا الألوهية الحقة هو العلي الكبير أي ذو العلو المطلق الكبير الذي ليس شيء أكبر منه إذ هو ربّ كل شيء ومالكه والقاهر له والمتحكم فيه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله تعالى﴿ألم تر﴾ يامحمد﴿أن الفلك﴾ أي السفن﴿تجري في البحر بنعمت الله﴾ تعالى على خلقه حيث يسّر لها أسباب سيرها وجريها في البحر وهي تحمل السلع والبضائع

---

(١) ألم تر: الاستفهام تقريري بالنسبة إلى الرسول ﷺ وهو إنكاري بالنسبة إلى غيره ينكر على أهل الغفلة غفلتهم وأهل الإعراض عن النظر إعراضهم إذ لو نظروا وفكروا لاهتدوا إلى توحيد الله وبعثه عباده للحساب والجزاء يوم القيامة.
(٢) قال القرطبي : ذللهما بالطلوع والأفول تقديراً للآجال، وإتماماً للمنافع والآية في تقرير التوحيد بذكر مظاهر علم الله وقدرته وحكمته.
(٣) جائز أن يكون المراد بالباطل الشيطان إذ هو الذي زين عبادة الأصنام والأوثان وأمرهم بها فلذا أطلق لفظ الباطل عليه.

والأقوات من إقليم إلى إقليم وهي نعم كثيرة. سخر ذلك لكم ليريكم[1] من آياته الدالة على ربوبيته وألوهيته وهي كثيرة تتجلى في كل جزء من هذاالكون. وقوله ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي علامات ودلائل على قدرة الله ورحمته وحكمته وهي موجبات عبادته وتوحيده فيها، وقوله ﴿لكل صبار[2] شكور﴾ أي فيها عِبَرٌ لكل عبد صبور على الطاعات صبور عن المعاصي صبور عما تجرى به الأقدار شكور لنعم الله تعالى جليلها وصغيرها أما غير الصبور الشكور فإنه لا يجد فيها عبرة ولا عظة.

وقوله تعالى: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل[3]﴾ أي إذا غشي المشركين موج وهم على ظهر السفينة فخافوا ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي دعوا الله وحده ولم يذكروا آلهتهم. فلما نجاهم بفضله ﴿إلى البر﴾ فلم يغرقوا ﴿فمنهم مقتصد[4]﴾ أي في إيمانه وكفره لا يُغالي في كفره ولا يعلن عن إيمانه. وقوله ﴿ومايجحد[5] بآياتنا﴾ القرآنية والكونية وهي مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لألوهيته ﴿إلا كل ختار[6]﴾ أي غدار بالعهود ﴿كفور﴾ للنعم لا خير فيه البتَّة والعياذ بالله تعالى من أهل الغدر والكفر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير التوحيد وإبطال الشرك بذكر الأدلة المستفادة من مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته.

٢) فضيلة الصبر والشكر والجمع بينهما خير من افتراقهما.

٣) بيان أن المشركين أيام نزول القرآن كانوا يوحدون في الشدة ويشركون في الرخاء.

---

(١) من آياته من للتبعيض من بعض آياته ما يشاهدون به مظاهر قدرة الله ولطفه ورحمته. قال الحسن مفتاح البحار السفن ومفتاح الأرض الطرق ومفتاح السماء الدعاء.

(٢) صبار صيغة مبالغة كثر الصبر وشكور كذلك كثير الشكر قال بعضهم صبار لقضائه، شكور على نعمائه وما في التفسير أعم وأشمل روى أن الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر.

(٣) الظلل جمع ظلة وهو ما أظل من سحاب.

(٤) فُسر هذا اللفظ بعدة تفسيرات منها مُوفٍ بما عاهد الله عليه في البحر قال الحسن مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة، وقال مجاهد مقتصد في القول مضمر للكفر وقيل في الكلام حذف والمعنى فمنهم مقتصد ومنهم كافر ودل على المحذوف قوله: وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور. وما في التفسير أشمل وأسلم

(٥) قال القرطبي جحد الآيات إنكار أعيانها والجحد بالآيات إنكار دلائلها.

(٦) الختر الغدر وجحود الفضل وفعله ختر كضرب يختر قال عمرو بن مَعْدِ يكرب:

فإنك لو رأيت أبا عميْرٍ ملأت يديك من غدر وختر

وقال الأعشى

بالأبلق الفردي من تيماء منزله حصن حصين وجار غير ختار

٤) شر الناس الختار أي الغدار الكفور.
٥) ذم الختر وهو أسوأ الغدر وذم الكفر بالنعم الإلهية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ
وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات

اتقوا ربكم : أي خافوا فآمنوا به واعبدوه وحده تنجوا من عذابه.

واخشوا يوما : أي خافوا يوم الحساب وما يجري فيه.

لا يجزي والد عن ولده : أي لا يغني والد فيه عن ولده شيئا.

إن وعد الله حق : أي وعد الله بالحساب والجزاء حق ثابت لا محالة هو كائن.

لا تغرنكم الحياة الدنيا : أي فلا تغتروا بالحياة الدنيا فإنها زائلة فأسلموا تسلموا.

ولا يغرنكم بالله الغرور : أي الشيطان يغتنم حلم الله عليكم وإمهاله لكم فيجسركم على المعاصي ويسوفكم في التوبة.

وينزل الغيث : أي المطر.

ويعلم ما في الأرحام : أي من ذكر أو أنثى ولا يعلم ذلك سواه.

ماذا تكسب غدا : أي من خير أو شر والله يعلمه.

معنى الآيتين الكريمتين

هذا نداء عام لكل البشر يدعوهم فيه ربهم تعالى ناصحاً لهم بأن يتقوه بالإيمان به وبعبادته وحده لا شريك له وأن يخشوا يوماً عظيما فيه من الأهوال والعظائم مالا يقادر قدره بحيث لا يجزي فيه والد[1] عن ولده ولا مولود[2] هو جاز عن والده شيئا إذ كل واحد لا يريد إلا نجاة نفسه فيقول نفسي نفسي وهذا لشدة الهول يوم لا يغني أحد عن أحد شيئا ولو كان أقرب قريب، وهو يوم آت لا محالة حيث وعد الله به الناس ووعد الله حق والله لا يخلف الميعاد، ويقول لهم بناءً على ذلك ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ بملاذها وزخارفها وطول العمر فيها، ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ ذي الحلم والكرم ﴿الغرور[3]﴾ أي الشيطان من الإنس أو الجن يحملكم على تأخير التوبة ومزاولة أنواع المعاصي بتزيينها لكم وترغيبكم فيها فانتبهوا فإن الموت لا بُد منه وقد يأتي فجأة فالتوبة التوبة ياعبادالله هذه نصيحة الرّب تبارك وتعالى لعباده فهل من مستجيب؟ هذا ما دلت عليه الآية الأولى(٣٣) .

أما الآية الثانية (٣٤) فالله جل جلاله يخبر عباده بأنه استقل بعلم الساعة متى[4] تأتي والقيامة متى تقوم وليس لأحد أن يعلم ذلك كائنا من كان وهذه حال تتطلب من العبد أن يعجل التوبة ولايؤخرها، كما استقل تعالى بعلم وقت نزول المطر في يوم أو ليلة أو ساعة من ليل أو نهار، ويعلم ما في الأرحام أرحام الإناث من ذكر أو أنثى أو أبيض أو أحمر أو أسود ومن طول وقصر ومن إيمان أو كفر ولا يعلم ذلك سواه ويعلم ما يكسب كل إنسان في غده من خير أو شر أو غنى أو فقر، ويعلم أين تموت كل نفس من بقاع الأرض وديارها ولا

---

(١) فإن قيل لقد ثبت بالسنة ما ظاهره خلاف هذا فقد قال ﷺ من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم، وقال من ابتلى بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له حجاباً من النار فالجواب أن المراد بالآية أن الولد لا يحمل ذنب والده وأن الوالد لا يحمل ذنب ولده، وأما موت الأولاد فأجر المصيبة مع الصبر والاحتساب هو الذي منع الوالد من دخول النار كما أن تربية البنات والإحسان إليهن جعل الله تعالى جزاءه النجاة من النار فليس في الحديث أن الولد يجزي عن والده ولا الوالد يجزي عن ولده.

(٢) ولا مولود: مبتدأ وهو ضمير فصل والخبر جازٍ مرفوع بضمة مقدرة على حرف العلة المحذوف للتخفيف، وذكر الولد والوالد لأنهما أشد شفقة على بعضهما ورحمة وحميّة من غيرهما.

(٣) الغرور بالفتح (الفعول) من أمثلة المبالغة أي كثير التغرير بالإنسان وهو الشيطان عليه لعائن الرحمن والغرور الخداع بما ظاهره حسن وباطنه ضرر.

(٤) قال مقاتل هذه الآية نزلت في رجل من أهل البادية اسمه الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي ﷺ فقال إن امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ ولقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت؟ وقد علمت ما عملت اليوم فأخبرني ماذا أعمل غدا؟ وأخبرني متى تقوم الساعة؟ فأنزل الله تعالى الآية.

(٥) روى أن النبي ﷺ قال: إذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ الرسول ﷺ إن الله عنده علم الساعة الخ الآية.

يعلم ذلك إلا الله ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [مفاتح[1] الغيب خمسة وقرأ: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ «في الصحيح»
وقوله إن الله عليم أي بكل شيء وليس بهؤلاء الخمسة فقط خبير بكل شيء من دقيق أو جليل من ذوات وصفات وأحوال وببواطن الأمور كظواهرها وبهذا وجب أن يُعبد وحده بما شرع من أنواع العبادات التي هي سُلم النجاح ومرقى الكمال والإسعاد في الدارين

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١) وجوب تقوى الله عز وجل بالإيمان به وتوحيده في عبادته.
٢) تقرير عقيدة البعث والجزاء.
٣) التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا، والتحذير من الشيطان أي من اتباعه والاغترار بما يُزينه ويحسنه من المعاصي.
٤) بيان مفاتح[2] الغيب الخمسة واختصاص الربّ تعالى بمعرفتها.
٥) كل مدع لمعرفة الغيب من الجن والإنس فهو طاغوت يجب لعنه ومعاداته.
٦) ما ادّعى اليوم من أنه بواسطة الآلات الحديثة قد عرف ما في رحم المرأة فهذه المعرفة ليست داخلة في قوله تعالى ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ لأنها بمثابة من فتح البطن ونظر ما فيه فقال هو كذا وذلك لوجود أشعة عاكسة أمّا المنفيّ عن كل حد إلا الله أن يقول المرء: إن في بطن امرأة فلان ذكراً أو أنثى ولا يقربُ منها ولا يجرّبها في ولادتها السابقة، ولا يحاول أن يعرف ما في بطنها بأيّة محاولة.

---

(١) في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ مفاتح الغيب خمس ثم قرأ (إن الله عنده علم الساعة) الآية وفي رواية أبي هريرة (وخمس لا يعلمهن إلا الله وعلة تسميتها مفاتح الغيب أنها من أمور الناس المغيبة عنهم فإذا وقعت كان وقوعها كفتح مغلق بمفتاح فالإنسان قد يعرف متى يصلي متى يسافر متى يتزوج أما هذه الخمسة فلا علم له بها ابداً حتى يفتح الله بابها ويظهرها.
(٢) المفاتح جمع مفتح آلة الفتح والمعنى أن هذه الأمور الخمسة وهي متعلقة بالإنسان لا يظهرها إلى الوجود ولايفتح مغلقها الغيبي إلا الله جل جلاله إذ بيده مفاتحها.

سورة السجدة

مكية[1]

وآياتها ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات

آلمّ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب آلمّ، ويقرأ ألف لام ميم

لا ريب فيه : أي لا شك في أنه نزل من ربّ العالمين.

أم يقولون افتراه : أي بل أيقولون أي المشركون اختلقه وكذبه.

قوما ما أتاهم من نذير : أي من زمن بعيد وهم قريش والعرب.

لعلهم يهتدون : أي بعد ضلالهم إلى الحق الذي هو دين الإسلام.

في ستة أيام : هي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

ثم استوى على العرش : أي استوى على عرشه يدير أمر خليقته.

(١) وتسمى سورة ألم السجدة، وتنزيل السجدة وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان يصلي بها الصبح يوم الجمعة يقرأ في الركعه الأولى بالفاتحة والسجدة والثانية بالفاتحة وسورة الإنسان كما ورد أنه كان يقرأها مع سورة الملك عند النوم وفي كل منهما ثلاثون آية.

من ولي ولا شفيع : أي ليس لكم أيها المشركون من دون الله وليّ يتولاكم ولا شفيع يشفع لكم.

أفلا تتذكرون : أي أفلا تتعظون بما تسمعون فتؤمنوا وتوحدوا.

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿آلمّ﴾ هذه الحروف المقطعة في فواتح عدة سور الأسلم أن لا تؤول ويكتفى فيهـابقول الله أعلم بمراده بها. وقد اخترنا من أقاويل المفسرين أنها أفادت فائدتين: الأولى أنه لما كان المشركون من قريش في مكة يمنعون سماع القرآن مخافة أن يتأثر السامـع به فيؤمن ويوحـد فكانت هذه الحروف تستهويهم بنغمها الخاص فيستمعون فينجذبون ويؤمن من شاء الله إيمانه وهدايته والثانية بقرينة ذكر الكتاب بعدها غالباً: أن هذا القـرآن الكـريم قد تألف من مثل هذه الحروف آلمّ، طسّ، حمّ، قّ فألفوا أيها المكذبون سورة من مثله وإلاّ فاعلموا أنه تنزيل من الله ربّ العالمين فلما عجزوا قامت عليهم الحجة ولم يبق شك في أنه تنزيل الله وكتابه أنزله على نبيه محمد ﷺ وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب[1]﴾ أي القرآن الكريم ﴿لاريب فيه﴾ أي لاشك في[2] أنه نزل من رب العالمين على محمد ﷺ. وليس بشعر ولابسجع كهان، ولاأساطير الأولـين وقـولـه تعـالـى: ﴿أم[3] يقـولـون افـتـراه﴾ أي بل أيقـولـون افـتـراه محـمـد واخـتـلقـه وأتى به من تلقاء نفسه اللهم لا إنـه لم يفتره ﴿بل هو الحق من ربّك﴾ أي جاءك من ربك وحياً أوحاه إليك، ﴿لتنذر قوما ماأتاهم[4] من نذير من قبلك﴾ وهم مشركوا العرب لتنذرهم بأس الله وعذابه إن بقوا على شركهم وكفرهم، وقوله ﴿لعلهم يهتدون﴾ أي رجاء أن يؤمنوا ويوحدوا فيهتدوا إلى الحق بعد ضلالهم فينجوا ويكملوا ويسعدوا وقوله: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما﴾ أي من مخلوقات ﴿في ستة أيام﴾ من مثل أيام الدنيا أولها الأحـد واخـرهـا الجمعـة ولـذا كانت الجمعـة من أفضـل الأيام ﴿ثم استـوى على العـرش﴾ عرشـه[5] سبحـانـه

(١) تنزيل مرفوع بالابتداء والخبر لا ريب فيه، أو خبر على تقدير مبتدأ أي هذا تنزيل أو المتلو عليك تنزيل الكتاب، ويكون لا ريب فيه محل نصب على الحال.

(٢) لا ريب فيه أي لما اشتمل من الإعجاز العلمي حيث عجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله وعجز فصحاء العرب على الإتيان بسورة مثل سوره. ولما عرف به صاحبه الذي نزل عليه وجاء به وهو محمد ﷺ من الصدق الكامل حيث لم يكذب قط وقد أخبر أنه تنزيل الله رب العالمين.

(٣) أم هذه هي المنقطعة ولذا قدرت ببل والاستفهام في التفسير، وصيغة المضارع (يقولون) لاستحضار الحالة الماضية اثارة للتعجب في نفس السامع.

(٤) النذير المعلم المخوف بعواقب الشرك والمعاصي والفساد والشر، والقوم الجماعة العظيمة الذين يجمعهم أمر يكون كالقوام لهم من نسب أو وطن أو غرض تجمعوا من أجله والمراد بهم عامة العرب في كل ديارهم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً إذ فقدوا العلم الإلهي منذ قرون عدة.

(٥) سئل مالك رحمه الله تعالى عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

وتعالى استوى استواء يليق به يدبر أمر مخلوقاته . الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما هو الذي أنزل الكتاب وأرسل الرسول وهو الإله الحق الذي لا إله غيره ولا ربّ سواه ما للعرب ولا للبشرية كلها من إله غيره، وليس لها من غيره من وليّ يتولاها بالنصر والإنجاء إن أراد الله خذلانها وإهلاكها، وليس لها شفيع[1] يشفع لها عنده إذا أراد الانتقام منها لشركها وشرها وفسادها وقوله: ﴿أفلا تتذكرون﴾ فتعلموا أيها العرب المشركون أنه لا إله لكم إلا الله فتعبدوه وتوحدوه فتنجوا من عذابه وتكملوا وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير النبوة المحمدية بتقرير أن القرآن تنزيل الله ووحيه أوحاه إلى رسوله.

٢) ابطال ما كان المشركون يقولون في القرآن بأنه شعر وسجع كهان وأساطير الأولين.

٣) بيان الحكمة من إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو الإنذار.

٤) بيان الزمان الذي خلق الله فيه السموات والأرض وما بينهما.

٥) إثبات صفة الاستواء على العرش لله تعالى.

٦) تقرير انه ما للبشرية من إله إلا الله وأنه ليس لها من دونه من وليّ ولا شفيع فما عليها إلا أن تؤمن بالله وتعبده فتكمل وتسعد على عبادته.

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ

(١) في نفي الشفيع رد على قول بعضهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله على تقدير انهم يبعثون يوم القيامة إذ قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله أو في قضاء حوائجهم في الدنيا.

مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

شرح الكلمات:

يدبر الأمر من السماء إلى الأرض: أي أمر المخلوقات طوال الحياة.

ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره : أي يوم القيامة حيث تنتهي هذه الحياة وسائر شؤونها.

ألف سنة مما تعدون : أي من أيام الدنيا.

عالم الغيب والشهادة : أي ما غاب عن الناس ولم يروه وما شاهدوه ورأوه.

بدأ خلق الإنسان من طين : أي بدأ خلق آدم عليه السلام من طين.

من سلالة من ماء مهين : أي خلق ذريّة آدم من علقة من ماء النطفة.

ثم سواه ونفخ فيه من روحه : أي سوى الجنين في بطن أمه ونفخ فيه الروح فكان حياً كما سوى آدم ايضا ونفخ فيه من روحه فكان حياً.

والأفئدة : أي القلوب.

قليلا ما تشكرون : أي ما تشكرون الله على نعمة الايجاد والامداد إلا شكراً قليلا لا يوازي قدر النعمة.

معنى الآيات

مازال السياق في تقرير التوحيد والنبّوة والبعث والجزاء بذكر مظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة الإلهية ، فقوله تعالى ﴿يدبر الأمر﴾ أي أمر المخلوقات ﴿من السماء﴾ حيث العرش وكتاب المقادير ﴿إلى الأرض﴾ حيث تتم الحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع ، والغنى والفقر والحرب والسلم ، والعز والذل فالله تعالى من فوق عرشه يدبر أمر الخلائق كلها في عوالمها المختلفة ، وقوله ثم يعرج أي الأمر إليه في يوم كان مقدارهُ ألفَ[1] سنة مما يعد الناس اليوم من أيام هذه الدنيا. ومعنى ﴿يعرج إليه﴾ في يوم

(١) ورد في سورة الحج قوله تعالى ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ وفي هذه الآية ﴿ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ وفي سورة المعارج ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾، وقد كثرت أقوال أهل التفسير في تحديد هذه الأيام حتى قال ابن عباس أيام سماها الله سبحانه وما أدري ما هي؟ فأكره أن أقول فيها مالا أعلم وأحسن ما يقال فيها أن اليوم الذي ذكر في سورة الحج هو عبارة عن الزمان وتقديره عند الله وأن يوم سورة المعارج هو يوم القيامة يوم الحساب وأن هذا اليوم هو آخر أيام الدنيا حيث ينتهي التدبير والتصرف لانقضاء الحياة الدنيا وهو كما ذكر تعالى.

القيامة أي يرد إليه حيث عم الكون الفناء ولم يبق ما يدبر في هذه الأرض لفنائها وفناء كل ما كان عليها. وقوله ﴿ذلك[1] عالم الغيب والشهادة﴾ أي ما غاب عن الناس وما حضر فشاهدوه أي العالم بكل شيء وقوله العزيز الرحيم: أي الغالب على مراده من خلقه الرحيم بالمؤمنين من عباده، وقوله ﴿الذي أحسن كل شي خلقه[2]﴾ أي أحسن خلق كل مخلوق خلقه أي جوّد خلقه وأتقنه وحسنه. وقوله ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ أي وبدأ خلق آدم من طين وهو الإنسان الأول، ﴿ثم جعل نسله﴾ أي نسل الإنسان من ﴿سلالة﴾ وهي العلقة ﴿من ماء مهين[3]﴾ وهو النطفة، وقوله ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ أي سوّى آدم ونفخ فيه من روحه، كما سوّى الإنسان في رحم أمه أي سوى خلقه ثم نفخ فيه من روحه فكان إنساناً حياً، وقوله: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أي القلوب أي لتسمعوا وتبصروا وتفقهوا لحاجتكم إلى ذلك لأن حياتكم تتطلب منكم مثل ذلك ومع هذه النعم الجليلة ﴿قليلاً ماتشكرون[4]﴾ أي لا تشكرون إلاّ شكراً قليلا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) بيان جلال الله وعظمته في تدبيره أمر الخلائق.
٢) بيان صفات الله تعالى من العلم والعزة والرحمة.
٣) بيان كيفية خلق الإنسان ومادة خلقه.
٤) شكر العباد ـ إن شكروا ـ لا يوازي نعم الله تعالى عليهم.
٥) وجوب شكر النعم بالاعتراف بها وذكرها وحمد الله تعالى عليها وصرفها في مرضاته.

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

---

(١) ذلك اسم الإشارة عائد إلى اسم الجلالة أي ذلك الرب العظيم والإله الحكيم الذي خلق السموات والأرض وما بينهما المدبر للملكوت المتصرف في الموجودات هو عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم المستحق للعبادة والمحبة والخوف دون غيره من سائر المخلوقات.

(٢) قرأ نافع وحفص خلقه بصيغة الماضي وقرأ بعض خلقه بإسكان اللام على أنه مصدر خلق يخلق خلقاً وهو بدل اشتمال من كل شيء ومعنى أحسن أتقن وأحكم قال عكرمة: ليست أست القرد بحسنة ولكنها متقنة محكمة.

(٣) المهين الممتهن الذي لا يعبأ به.

(٤) وجائز أن يكون المراد عدم شكرهم مطلقاً فهو كناية عن العدم توبيخاً لهم وتأنيباً.

شرح الكلمات

أئذا ضللنا في الأرض : أي غبنا فيها حيث فنينا وصرنا ترابا.

أئنا لفي خلق جديد : أي أنعود خلقا جديداً بعد فنائنا واختلاطنا بالتراب.

بل هم بلقاء ربهم كافرون: أي لم يقف الأمر عند استبعادهم للبعث بل تعداه إلى كفرهم بلقاء ربهم، وهو الذي جعلهم ينكرون البعث.

قل يتوفاكم ملك الموت : أي يقبض أرواحكم ملك الموت المكلف بقبض الأرواح.

ثم إلى ربكم ترجعون : أي بعد الموت، وما دمتم لا تمنعون أنفسكم من الموت سوف لا تمنعونها من الحياة فرجوعكم حتمي لا محالة.

معنى الآيتين

مازال السياق في تقرير أصول العقيدة فأخبر تعالى عن منكري البعث فقال ﴿وقالوا﴾[1] أي منكروا البعث الآخر ﴿أئذا ضللنا في[2] الأرض﴾ أي غبنا فيها بحيث صرنا ترابا فيها ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ أي لعائدون في خلق جديد. وهذا منهم انكار للبعث واستبعاد له، فقال تعالى مخبراً عن علة انكارهم للبعث وهي أنهم بلقاء ربهم[3] كافرون إذ لو كانوا يؤمنون بلقاء الله الذي وعدهم به لما أنكروا البعث والحياة لذلك، وقوله تعالى ﴿قل يتوفاكم﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المنكرين للبعث ولقاء الرب تعالى: يتوفاكم عند نهاية آجالكم ﴿ملك الموت[4]﴾ الذي وكله ربّه بقبض أرواحكم، ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ بعد ذلك وما دمتم لا تدفعون الموت عن أنفسكم فكيف تدفعون الحياة عندما يريدها الله منكم؟ وهل دفعتموها عندما كنتم عدماً فأوجدكم الله وأحياكم.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١) تقرير عقيدة البعث والجزاء.

(١) الجملة استئناف لحكاية عقيدتهم في إنكار البعث والجزاء ليعلل لها بالعلة المناسبة ثم يقرر عقيدة البعث التي أنكروها وتعجبوا من حقيقتها بما هو لازم لها.

(٢) الاستفهام للتعجب والاستبعاد، والضلال الدخول في الأرض والغياب فيها إذ كل ما غاب في شيء ولم يظهر له وجود يقال ضل فيه كما يضل الماء في اللبن والميت في القبر قال الحارث الغساني شعراً:

فآب مضلوه بعين جلية   وغودر بالجولان حزم ونائل

(مضلوه أي مغيبوه)

(٣) بل هم بلقاء ربهم كافرون، بل للإضراب عن كلامهم أي ليس إنكارهم البعث لاستبعاده واستحالته لوجود الأدلة الواضحة على إمكانه بل وجوبه وإنما الباعث لهم على التكذيب به هو كفرهم التقليدي.

(٤) لم يرد اسم ملك الموت في القرآن غير أن أهل السنة على أن اسمه عزرائيل بمعنى عبد الله.

٢) الذنب الذي هو سبب كل ذنب هو الكفر بلقاء الله تعالى
٣) بيان أن لقبض الأرواح ملكاً وله أعوان من الملائكة وأن الأرض جعلت لملك الموت كالطست بين يديه يتناول منها ما يشاء.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

إذ المجرمون : أي المشركون المكذبون بلقاء ربهم.
ناكسوا رؤوسهم : أي مطأطئوها من الحياء والذل والخزي.
ربنا أبصرنا : أي ما كنا ننكر من البعث.
وسمعنا : أي تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا.
فارجعنا : أي إلى دار الدنيا.
لآتينا كل نفس هداها : أي لو أردنا هداية الناس قسراً بدون اختيار منهم لفعلنا.
ولكن حق القول مني : أي وجب وهو لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.
إنا نسيناكم : أي تركناكم في العذاب.
عذاب الخلد : أي العذاب الخالد الدائم.
بما كنتم تعملون : من سيئات الكفر والتكذيب والشر والشرك.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها وما يجري للمكذبين

بها في الدار الآخرة قال تعالى: ﴿ولو ترى﴾ يارسولنا[1] ﴿إذ المجرمون﴾ وهم الذين أجرموا على أنفسهم فدنسوها بالشرك والمعاصي الحامل عليها التكذيب بلقاء الله، ﴿ناكسوا رؤوسهم﴾ أي مطئطئوها خافضوها عند ربهم من الحياء والخزي الذي أصابهم عند البعث. لرأيت أمرا فظيعاً لا نظير له. وقوله تعالى ﴿ربنا أبصرنا[2] وسمعنا﴾ هذا قول المجرمين وهم عند ربهم أي ياربنا لقد أبصرنا ما كنا نكذب به من البعث والجزاء وسمعنا منك أي تصديق ماكانت رسلك تأمرنا به في الدنيا. ﴿فارجعنا﴾ أي إلى دار الدنيا ﴿نعمل[3] صالحاً﴾ أي عملا صالحا ﴿إنا موقنون﴾ أي الآن ولم يبق في نفوسنا شك بأنك الإله الحق، وبأن لقاءك حق، وقوله تعالى: ﴿ولو شئنا[4] لآتينا كل نفس هداها﴾ وذلك لما طالب المجرمون بالعودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً فأخبر تعالى انه ما هناك حاجة إلى ردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويعملوا الصالحات، إذ لو شاء هدايتهم لهداهم قسراً منهم بدون اختيارهم، ولكن سبق أن قضى بدخولهم جهنم فلابد هم داخلوها وهو معنى قوله: ﴿ولكن حق القول مني﴾ أي وجب العذاب لهم وهو معنى قوله ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ أي الجن ﴿والناس أجمعين﴾ أي من كفار ومجرمي الجن والإنس معاً.

وقوله ﴿فذوقوا﴾ أي العذاب والخزي ﴿بما نسيتم[5]﴾ أي بسبب نسيانكم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحاً إنا نسيناكم أي تركناكم في العذاب. ﴿وذوقوا عذاب[6] الخلد بما كنتم تعملون﴾ من الشرك والمعاصي هذا يقال لهم وهم في جهنم تبكيتاً لهم وتقريعاً زيادة في عذابهم، والعياذ بالله من عذاب النار.

---

(١) الخطاب للرسول ﷺ لشرفه وأمته تابعة له والمعنى ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب العجاب من ذلتهم وخزيهم/وندامتهم.

(٢) هذا مقول قول محذوف بعد ناكسو رؤوسهم يقولون أو قائلين ربنا الخ.

(٣) هذا كقولهم في آية: ﴿أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾.

(٤) هذه الجمل اعتراضية بين قوله أبصرنا وقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا وقوله ولو شئنا لآتينا الخ. رد عليهم حيث طلبوا العودة إلى الدنيا ليؤمنوا ويوحدوا

(٥) النسيان يكون بمعناه الأصلي وهو عدم ورود الشيء بالخاطر النفسي ويكون بترك الشيء وعدم الالتفات إليه مع ذكره في النفس والآخر أولى بالآية.

(٦) قد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس وإن لم يكن مطعوماً لاحساسها به كإحساسها بذوق المطعوم قال الشاعر:

فذق هجرها إن كنت تزعم أنها   فساد ألا يا ربَّما كَذبَ الزعمُ

فاطلق الذوق على الهجر وهو غير مطعوم ولكنه محسوس بالنفس.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١) التنديد بالإجرام والمجرمين وبيان حالهم يوم القيامة .
٢) بيان عدم نفع الإيمان عند معاينة العذاب .
٣) بيان حكم الله في امتلاء جهنم من كلٍ من مجرمي الإنس والجن .
٤) تقرير حكم السببيّة فالأعمال سبب للجزاء خيراً كان أو شراً .

إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

إذا ذكروا بها : أي وعظوا بما فيها من أمر ونهي ووعد ووعيد .

خروا سجدا : أي وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباههم وأنوفهم على الأرض .

وسبحوا بحمد ربهم : أي نزهوه وقدسوه وهم ساجدون يقولون سبحان ربي الأعلى .

وهم لا يستكبرون : أي عن عبادة ربهم في كل آحايينهم بل يأتونها خاشعين متذللين .

تتجافى جنوبهم : أي تتباعد عن الفرش من أجل قيامهم للصلاة في جوف الليل .

خوفا وطمعا : أي يسألونه النجاة من النار، ودخول الجنة .

ما أخفي لهم من قرة أعين : أي لا تعلم نفس ما أخفى الله تعالى لهم وادخر لهم عنده من النعيم الذي تقر به أعينهم أي تسر به وتفرح.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى جزاء المجرمين وهم المكذبون بآيات الله ولقائه ذكر جزاء المؤمنين وهم الذين آمنوا بآيات الله ولقائه ذكرهم بأجمل صفاتهم فقال: ﴿إنما يؤمن[1] بآياتنا﴾ حق الإيمان ﴿الذين إذا ذُكّروا بها﴾ أي قرئت عليهم وكانت من الآيات التي فيها السجدات ﴿خروا سجداً[2]﴾ أي وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباههم وأنوفهم على التراب، ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ أي نزهوه وقدسوه اثناء سجودهم بقولهم سبحان ربي الأعلى، والحال أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله مطلقا بل يأتونها متذللين خاشعين.

وقوله ﴿تتجافى[3] جنوبهم عن المضاجع﴾ هذه بعض صفاتهم أيضاً وهي أنهم يباعدون جنوبهم عن فرشهم في الليل لصلاة التهجد. وقوله ﴿يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً﴾ أي في حال صلاتهم وفي غيرها وهو دعاء تميّز بخوفهم من عذاب ربهم وطمعهم في رحمته فهم يسألون ربهم النجاة من النار ودخول الجنة. وقوله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ هذا وصفٌ آخر لهم وهو أنهم يتصدقون بفضول أموالهم زيادة على أداء الزكاة كتهجدهم بالليل زيادة على الصلوات الخمس.

وقوله تعالى ﴿فلا تعلم[4] نفس ماأُخفي[5] لهم من قُرة أعين﴾ يخبر تعالى عن جزائهم عنده فيقول: فلا تعلم نفس ما خبّأ الله تعالى لهم من النعيم المقيم الذي تقر به أعينهم أي

---

(١) في الآيات تسلية للرسول ﷺ عما يجده من إعراض المشركين المكذبين بالبعث والجزاء في الدار الآخرة والقائلين. أم يقولون افتراه فأعلمه إنما يؤمن من ذكرهم بصفاتهم، والقصر اضافي والمراد من الآيات آيات القرآن الكريم.

(٢) الخرور الهوي من علو إلى أسفل والسجود وضع الجبهة على الأرض إرادة التعظيم والخضوع.

(٣) الجملة حال من الموصول والتجافي التباعد والمتاركة، والمضاجع جمع مضجع الفراش والجنب جمع جَنب، والمراد تباعدهم عن فرشهم لقيام الليل، ومن صلى العشاء في جماعة والصبح في جماعة تناوله الوصف، وشاهد التجافي قول عبدالله بن رواحة رضي الله عنه بمدح النبي ﷺ فيقول:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الصبح ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

(٤) هذا كقول الرجل: هذا لا يعلمه إلا الله، وقرة الأعين كناية عن السرور وعظيم الفرح.

(٥) قرأ الجمهور ما أُخفي بصيغة الماضي المجهول، وقرأ غيرهم أخفي بالمضارع المعلوم

تُسر وتفرح وقوله ﴿جزاءاً بما كانوا يعملون﴾ أي جزاهم بذلك النعيم بعملهم الخيري الإسلامي الذي كانوا في الدنيا يعملونه وقد ذكر بعضه في الآيات قبل كالصلاة والصدقات.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) فضيلة التسبيح في الصلاة وهو سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود.

٢) ذم الاستكبار وأهله ومدح التواضع لله وأهله.

٣) فضيلة قيام الليل وهو المعروف بالتهجد(١) والدعاء خوفاً وطمعاً.

٤) بشرى المؤمنين الصادقين من ذوي الصفات المذكورة في الآيات وهو انه تعالى [أعد لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما جاء في الحديث أعددت لعبادي الصالحين مالا عين(٢) رأت] الخ.

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا
لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ

(١) روى الترمذي بسند صحيح عن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسر على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطايا كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ الآية.

(٢) في الصحيح قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى. اعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات:

أفمن كان مؤمنا : أي مصدقا بالله ورسوله ولقاء ربّه

كمن كان فاسقا : أي كافراً لا يستوون.

جنات المأوى نزلا : النزل ما يعد للضيف من قرىً.

من العذاب الأدنى : أي عذاب الدنيا من مصاب القحط والجدب والقتل والأسر.

العذاب الأكبر : هو عذاب الآخرة في نار جهنم.

لعلهم يرجعون : أي يصيبهم بالمصائب في الدنيا رجاء أن يؤمنوا ويوحدوا.

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها : لا أحد أظلم منه أبداً.

إنا من المجرمين منتقمون : أي من المشركين أي بتعذيبهم أشد أنواع العذاب.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿أفمن[1] كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ أي كافراً ينفي تعالى إستواء الكافر مع المؤمن فلذا بعد الاستفهام الإنكاري أجاب بقوله تعالى: ﴿لا يستوون﴾ ثم بيّن تعالى جزاء الفريقين وبذلك تأكد بُعد ما بينهما فقال ﴿أما الذين آمنوا﴾ بالله ربّاً وإلها وبمحمد نبيّاً ورسولا وبالإسلام شرعاً وديناً ﴿وعملواالصالحات﴾ بأداء الفرائض والنوافل في الغالب بعد اجتنابهم الشرك والمحارم ﴿فلهم جنات المأوى نزلاً[2]﴾ أي ضيافة لهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ وأما الذين فسقوا عن أمر الله فلم يوحدوا ولم يطيعوا فعاشوا على الشرك والمعاصي حتى ماتوا ﴿فمأواهم[3] النار﴾ أي مقرهم ومحل مثواهم وإقامتهم لا يخرجون ﴿كلما أرادوا﴾ أي هموا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها من قبل الزبانية تدفعهم عن أبوابها، ﴿وقيل لهم﴾ إذلالا لهم وإهانة ﴿ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ إذ كانوا مكذبين بالبعث والجزاء وقالوا ﴿أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد﴾.

---

(١) الاستفهام انكاري وفيه معنى التعجب والمراد بالفاسق هنا الكافر لمقابلة المؤمن وفسقه بترك عبادة ربه وعبادة الأوثان والأصنام.

(٢) النزل بضمتين مشتق من النزول وهو ما يعد للضيف النازل بك من قرى وهو الطعام والشراب والفراش.

(٣) المأوى مكان الإيواء أي الرجوع إليه والاستقرار فيه.

وقوله تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ وهو عذاب الدنيا بالقحط والغلاء والقتل والأسر ﴿دون العذاب الأكبر﴾ وهو عذاب يوم القيامة ﴿لعلهم يرجعون[1]﴾ يخبر تعالى أنه فاعل ذلك بكفار قريش لعلهم يتوبون إلى الإيمان والتوحيد فينجوا من العذاب وينعموا في الجنة وفعلاً قد تاب منهم كثيرون وقوله ﴿ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربّه ثم أعرض[2] عنها﴾ أي وُعظ بها وخُوِّف كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ عليهم القرآن وكان بعضهم يعرض عنها فلا يسمعها ويرجع وهو مستكبر والعياذ بالله فمثل هؤلاء لا أحد أشدّ منهم ظلما وقوله تعالى ﴿إنّا من[3] المجرمين منتقمون﴾ يخبر تعالى أنه لا محالة منتقم من أهل الاجرام وهم أهل الشرك والمعاصي، وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ثلاثة أصناف من أهل الإجرام الخاص وهم:

١) من اعتقد «عقد» لواء في غير حق أي حمل راية الحرب على المسلمين وهو مبطل غير محق.

٢) من عق والديه أي آذاهما بالضرب ونحوه ومنعهما برهما ولم يطعهما في معروف.

٣) من مشى مع ظالم ينصره رواه ابن جرير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) بيان خطأ من يسوي بين المؤمن والكافر والبار والفاجر والمطيع والفاسق.

٢) بيان جزاء كل من المؤمنين والفاسقين.

٣) بيان أن الله تعالى كان يأخذ قريشاً بألوان من[4] المصائب لعلهم يتوبون.

٤) بيان أنه لا أظلم ممن ذكر بآيات الله فيعرض عنها مستكبرا جاحداً معانداً.

---

(١) الجملة استئنافها بياني جواباً لمن قال لم يذيقهم العذاب الأدنى وهو عذاب الدنيا! دون العذاب الأكبر؟ فكان الجواب: لعلهم يرجعون وهو تعليل للحكم السابق.

(٢) عطف الإعراض على التذكير بالآيات بثُم للدلالة على التراخي بين زمن التذكير والإعراض كقول الشاعر:

لا يكشف الغماد إلا ابن حره   يرى غمرات الموت ثم يزورها

(٣) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً فهو جواب لمن تساءل عن جزاء صاحبه الإعراض بعد التذكير بالآيات وهو قوله تعالى إنا من المجرمين منتقمون.

(٤) من ذلك سنوات الجدب التي أكلوا فيها العهن وأصبح أحدهم يرى السماء وكأنها دخان من شدة الجوع.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾

شرح الكلمات

ولقد آتينا موسى الكتاب : أي أنزلنا عليه التوراة .

فلا تكن في مرية من لقائه : أي فلا تشك في لقائك بموسى عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج .

وجعلناه هدى لبني اسرائيل : أي وجعلنا الكتاب «التوراة» هدىً أي هادياً لبني اسرائيل .

وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا : أي وجعلنا من بني اسرائيل أئمة أي قادة هداة يهدون الناس بأمرنا لهم بذلك وإذننا به .

وكانوا بآياتنا يوقنون : أي وكان أولئك الهداة يوقنون بآيات ربهم وحججه على عباده وما تحمله الآيات من وعد ووعيد .

إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة : أي بين الأنبياء وأممهم وبين المؤمنين والكافرين والمشركين والموحدين .

فيما كانوا فيه يختلفون : من أمور الدين .

أو لم يهد لهم : أي أغفلوا ولم يتبيّن .

كم أهلكنا من قبلهم من القرون : أي إهلاكنا لكثير من أهل القرون من قبلهم بكفرهم وشركهم وتكذيبهم لرسلهم .

يمشون في مساكنهم	: أي يمرون ماشين بديارهم وهي في طريقهم إلى الشام كمدائن صالح وبحيرة لوط ونحوهما.
إن في ذلك لآيات	: أي دلائل وعلامات على قدرة الله تعالى وأليم عقابه.
أفلا يسمعون	: أي أصمّوا فلا يسمعوا هذه المواعظ والحجج.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى[1] الكتاب﴾ أي أعطينا موسى بن عمران أحد أنبياء بني اسرائيل الكتاب الكبير وهو التوراة. إذاً فلم ينكر عليك المشركون أن يؤتيك ربك القرآن كما آتى موسى التوراة، وفي هذا تقرير لأصل من أصول العقيدة وهي الوحي والنبوة المحمدية. وقوله ﴿فلا تكن في مرية من لقائه[2]﴾ أي فلا تكن يامحمد في شك[3] من لقائك موسى ليلة الإسراء والمعراج فقد لقيه وطلب إليه أن يراجع ربّه في شأن الصلاة فراجع حتى أصبحت خمساً بعد أن كانت خمسين وقوله ﴿وجعلناه هدى لبني اسرائيل﴾ أي الكتاب أو موسى كلاهما كان هادياً لبني اسرائيل إلى سبيل السلام والصراط المستقيم. وقوله ﴿وجعلنا منهم أئمة﴾ أي قادة هداة يهدون الناس إلى ربهم فيؤمنون به ويعبدونه وحده فيكملون على ذلك ويسعدون وذلك بأمره تعالى لهم بذلك. وقوله ﴿لما صبروا﴾ أي عن أذى أقوامهم[4] ﴿وكانوا بآياتنا﴾ الحاملة لأمرنا ونهينا، ووعدنا ووعيدنا ﴿يوقنون﴾ أي تأهلوا لحمل رسالة الدعوة بشيئين: الصبر على الأذى واليقين التام بصحة ما يدعون إليه ونفعه ونجاعته وقوله تعالى ﴿إن ربّك هو[5] يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يخبر تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه سبحانه وتعالى الذي يفصل بين المختلفين من الأنبياء وأممهم، وبين الموحدين والمشركين والسّنيين والبدعيين فيحكم بإسعاد أهل الحق وإشقاء أهل الباطل وفي الآية تسلية للرسول وتخفيف عليه مما يجد في نفسه من خلاف قومه له.

---

(١) هذا الإخبار استطراد المراد به تسلية النبي ﷺ والفاء في قوله فلا تكن للتفريع.

(٢) وجائز أن يكون المعنى فلا تكن في شك من أنك لقيته ليلة الاسراء والمعراج وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول وقيل فلا تكن في شك من أنه سيلقاك من الأذى والتكذيب ما لقيه موسى، وما في التفسير هو الحق.

(٣) المرية: الشك والتردد والمقصود من النهي التثبيت كقوله ﴿فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء﴾، وليس النهي لطلب ترك الشك إذ لم يكن شك قط.

(٤) لما صبروا لما بمعنى حين صبروا عن أذى أقوامهم، وقرأ خلاف الجمهور لما صبروا أي لأجل صبرهم جعلناهم أئمة، فما مصدرية واللام قبلها لام التعليل.

(٥) هو ضمير فصل ومعنى يفصل يقضي ويحكم.

وقوله ﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ أي أعموا فلم[1] يُبيّن لهم إهلاكنا لأمم كثيرة ﴿يمشون في[2] مساكنهم﴾ مارّين بهم في أسفارهم إلى الشام كمدائن صالح، وبلاد مدين، وبحيرة لوط أنّا قادرون على إهلاكهم إن أصروا على الشرك والتكذيب كما أهلكنا القرون من قبلهم. وقوله ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي في إهلاكنا أهل القرون الأولى لما أشركوا وكذبوا دلالات وحججاوبراهين على قدرة الله وشدة انتقامه ممن كفر به وكذب رسوله وقوله ﴿أفلا يسمعون[3]﴾ أي أصموا فلايسمعون هذه المواعظ التي تتلى عليهم فيتوبوا من الشرك والتكذيب فينجوا ويسعدوا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير النبوة المحمدية وتأكيد قصة الإسراء والمعراج.
٢) الكتاب والسنة كلاهما هادٍ للعباد إن طلبوا الهداية فيهما.
٣) بيان ما تُنال به الإمامة في الدين. وهو الصبر وصحة اليقين.
٤) كل خلاف كان في هذه الحياة سينتهي بحكم الله تعالى فيه يوم القيامة.
٥) في إهلاك الله تعالى للقرون السابقة أكبر واعظ لمن له قلب وسمع وبصيرة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

---

(١) هذا بناء على أن همزة الاستفهام داخلة على محذوف والاستفهام للإنكار عليهم عدم رؤيتهم مصارع الهالكين من قبلهم وهي واضحة بينه فضمن يهد معنى يبين فلذا عُدي باللام ومثله (أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) آية الأعراف.
(٢) جملة يمشون في محل نصب على الحال.
(٣) الاستفهام تقريري مشوب بالتوبيخ واختير لفظ يسمعون لأن أخبار الأمم الهالكة كانت شائعة مستفيضة بينهم فلم لايسمعونها سماع اتعاظ واعتبار.

شرح الكلمات

أو لم يروا أنا نسوق الماء : أي أغفلوا ولم يروا سوقنا للماء للإنبات والإخصاب فيدلهم ذلك على قدرتنا.

إلى الأرض الجرز : أي اليابسة التي لا نبات فيها.

تأكل منه أنعامهم : أي مواشيهم من إبل وبقر وغنم.

أفلا يبصرون : أي أعموا فلا يبصرون أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على البعث.

متى هذا الفتح : أي الفصل والحكم بيننا وبينكم يستعجلون العذاب.

ولا هم ينظرون : أي ولا هم يمهلون للتوبة أو الاعتذار.

وانتظر إنهم منتظرون : أي وانتظر يارسولنا ما سيحل بهم من عذاب إن لم يتوبوا فإنهم منتظرون بك موتاً أو قتلا ليستريحوا منك.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الإصلاح الاجتماعي فيقول تعالى ﴿أو لم يروا﴾ أي أغفل أولئك المكذبون بالبعث والحياة الثانية ولم يروا ﴿أنا نسوق الماء﴾[1] ماء الأمطار أو الأنهار ﴿إلى الأرض الجرز[2]﴾ اليابسة التي مابها من نبات فنخرج بذلك الماء الذي سقناه إليها بتدابيرنا الخاصة ﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم﴾ وهي إبلهم وأبقارهم وأغنامهم ﴿وأنفسهم﴾ فالأنعام تأكل الشعير والذرة وهم يأكلون البر والفول ونحوه ﴿أفلا يبصرون﴾ أي أعموا فلا يبصرون آثار قدرة الله على إحياء الموتى بعد الفناء والبلى كإحياء الأرض الجرز فيؤمنوا بالبعث الآخر وعليه يستقيموا في عقائدهم وكل سلوكهم. وقوله ﴿ويقولون متى هذا الفتح[3] إن كنتم صادقين﴾ حكى تعالى عنهم ما يقولونه للمؤمنين لما يُخوفونهم بعذاب الله يقولون لهم متى هذا الفتح أي الحكم والفصل يستعجلونه لخفة أحلامهم وعدم إيمانهم.

---

(١) الرؤية هنا بصرية واختير المضارع نسوق لاستحضار الصورة العجيبة الدالة على قدرة الله تعالى ولطفه بعباده ورحمته بهم، وسوق الماء هو بسوق السحاب، والسوق هو إزجاء الماشي من ورائه.

(٢) الجرز وصف للأرض التي انقطع نبتها، وهو مشتق من الجزر وهو انقطاع النبت والحشيش إما بسبب يبس الأرض أو بالرعي، والجرز القطع ولذا سمي السيف القاطع جُرازاً قال الشاعر يصف أسنان ناقته :

تنحى على الشوك جُرازاً مقضبا ... والهَرم تدريه إذراء عجباً

(٣) الفتح : النصر والقضاء كانوا إذا قال لهم المؤمنون سيحكم الله بيننا وبينكم يوم القيامة فيثيب المؤمن ويعاقب الكافر يقولون لهم مستهزئين ساخرين متى هذا الفتح أو الحكم.

وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم. فقال ﴿قل يوم الفتح[1] لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ أي إذا جاء يوم الفتح بيننا وبينكم لا ينفع نفساً كافرة إيمانها عند رؤية العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي يؤخرون ويمهلون ليتوبوا ويستغفروا فيتاب عليهم ويغفر لهم إذ سُنّة الله أنّ من عاين العذاب لا تقبل توبته. وقوله تعالى ﴿فأعرض عنهم﴾ أي فأعرض يارسولنا عن هؤلاء المكذبين ﴿وانتظر﴾[2] ما سينزل بهم من عذاب ﴿إنهم[3] منتظرون﴾ ما قد يصيبك من مرض أو موت أو قتـل ليستريحوا منك في نظرهم. كما هم منتظرون أيضاً عذاب الله عاجلا أو آجلا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة المقررة لها.

٢) استعجال الكافرين العذاب دال على جهلهم وطيشهم.

٣) بيان أن التوبة لا تقبل عند معاينة العذاب أو مشاهدة ملك الموت ساعة الاحتضار.

سُورَةُ الأَحْزَابِ

مدنية

وآياتها ثلاث وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾

(١) هذا إجابة لهم ورد عليهم والفتح جائز أن يكون فتح مكة أو يوم بدر أو يوم القيامة إذ هو اليوم الذي يحكم الله تعالى فيه بين عباده.

(٢) الانتظار الترقب مشتق من النظر كأنه مضارع أنظره فانتظر وحذف مفعول «انتظر» للتهويل أي انتظر أياماً يكون لك النصر فيها، ويكون الخسران لأعدائك فيها، وفي الأمر بالانتظار إيماء بالبشرى للمؤمنين والوعيد للكافرين.

(٣) جملة انهم منتظرون تعليل للأمر بالانتظار.

شرح الكلمات:

اتق الله : أي دم على تقواه بامتثالك أوامره واجتنابك نواهيه.

ولا تطع الكافرين : أي المشركين فيما يقترحون عليك.

والمنافقين : أي الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر بما يخوفونك به.

إن الله كان عليما حكيما : أي عليما بخلقه ظاهراً وباطناً حكيماً في تدبيره وصنعه

واتبع ما يوحى إليك من ربك: أي تقيد بما يشرع لك من ربك ولا تلتفت إلى ما يقوله خصومك لك من اقتراحات أو تهديدات.

وتوكل على الله : أي فوض أمرك إليه وامض في ما أمرك به غير مبالٍ بشيء.

معنى الآيات:

لقد واصل المشركون اقتراحاتهم التي بدأوها بمكة حتى المدينة وهي عروض المصالحة بينه وبينهم بالتخلي عن بعض[1] دينه أو بطرد بعض أصحابه، والمنافقون قاموا بدورهم في المدينة بتهديده صلى الله عليه وسلم بالقتل غيلة إن لم يكف عن ذكر آلهة المشركين في هذا الظرف بالذات نزل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي[2]﴾ ناداه ربّه تعالى بعنوان النبوة تقريرا لها وتشريفا له ولم يناده باسمه العلم كما نادى موسى وعيسى وغيرهما بأسمائهم فقال ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع[3] الكافرين[4] والمنافقين إن الله كان عليما حكيما﴾ أي اتق الله فخفه فلا تقبل اقتراح المشركين، ولا ترهب تهديد المنافقين بقتلك إن الله كان وما يزال عليما بكل خلقه وما يحدثون من تصرفات ظاهرة أو باطنة حكيما في تدبيره وتصريفه أمور

(١) هذا من قوله تعالى في سورة الاسراء ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره، وإذاً لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا﴾.

(٢) نداؤه تعالى نبيه ﷺ بعنوان النبوة تشريف له وتقرير لنبوته وناداه بعنوان الرسالة في موضعين من كتابه وذلك في سورة المائدة. وأمره أن يخبر البشرية كلها بأنه رسول الله اليهم وحدث عنه فوصفه بالرسالة «محمد رسول الله» ولم يناده باسمه العلم لشهرته وعدم الحاجة إليه وحتى لا يدعي أحد انه هو المعني بهذا الاسم وله ﷺ خمسة أسماء كما جاء ذلك في حديث الموطأ: لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب.

(٣) الطاعة: العمل بما يأمر به الغير أو يشير به لأجل تحقيق غرض له صالحاً كان أو فاسداً.

(٤) سبب نزول هذه الآية أن وفدا جاء من مكة بعد غزوة أحد برئاسة أبي سفيان واجتمعوا بعد أن أمّن رسول الله ﷺ دخولهم المدينة بعدد من النافقين على رأسهم أبن أبي ومعتب بن قشير وطعمة بن أبيرق فسألوا رسول الله ﷺ أن يترك ذكر آلهة قريش كخطوة فى المصالحة فغضب المسلمون وهمّ عمر بقتلهم فنزلت هذه الآية: ولا تطع الكافرين والمنافقين.

خلقه وعباده فهو تعالى لعلمه وحكمته لا يخذلك ولا يتركك، ولا يُمكن اعداءك وأعداءه منك بحال وقوله ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك﴾ من تشريعات خاصة وعامة ولا تترك منها صغيرة ولا كبيرة إذ هي طريق فوزك وسُلم نجاحك أنت وامتك تابعة لك في كل ذلك، وقوله ﴿إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ هذه الجملة تعليلية تحمل الوعد والوعيد إذ علم الله بأعمال العباد صالحها وفاسدها يستلزم الجزاء عليها فمتى كانت صالحة كان الجزاء حسناً وفي هذا وعده ومتى كانت فاسدة كان الجزاء سوءًا وفي هذا الوعيد. وقوله ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ أمر تعالى رسوله وأُمته تابعة له أن يتوكل على الله في أمره ويمضي في طريقه منفذاً أحكام ربه غير مبال بالكافرين ولا بالمنافقين، وأعلمه ضمناً أنه كافيه متى توكل عليه وكفى بالله كافيا ووكيلا حافظاً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) وجوب تقوى الله تعالى بفعل المأمور به وترك المنهي عنه.

٢) حرمة طاعة الكافرين والمنافقين فيما يقترحون أو يهددون من أجله.

٣) وجوب اتباع الكتاب والسنة والتوكل على الله والمضي في ذلك بلا خوف ولا وجل.

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى
جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ
يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم
بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٥﴾

شرح الكلمات :

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه : أي لم يخلق الله رجلاً بقلبين كما ادعى بعض المشركين.

تظاهرون منهن أمهاتكم : يقول الرجل لامرأته : أنت عليّ كظهر أمي.

وما جعل ادعياءكم أبناءكم : أي ولم يجعل الدعيَّ إبناً لمن ادّعاه.

ذلكم قولكم بأفواهكم : أي مجرد قول باللسان لا حقيقة له في الخارج فلم تكن المرأة أماً ولا الدعي ابنا.

هو أقسط عند الله : أي أعدل.

فإخوانكم في الدين ومواليكم: أي أُخوة الإسلام وبنو عمكم فمن لم يعرف أبوه فقولوا له: ياأخي أو ابن عمي.

ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به: أي لا حرج ولا اثم في الخطأ، فمن قال للدعي خطأ ياابن فلان فلا إثم عليه.

ولكن ما تعمدت قلوبكم : أي الاثم والحرج في التعمد بأن ينسب الدعي لمن ادعاه.

وكان الله غفورا رحيما : ولذا لم يؤاخذكم بالخطأ ولكن بالتعمد.

معنى الآيات :

لما كان القلب محط العقل والإدراك كان وجود قلبين في جوف رجل واحد يحدث تعارضاًيؤدي إلى الفساد في حياة الإنسان ذي القلبين لم يجعل الله تعالى لرجل قلبين في جوفه كما ادعى بعض أهل مكة أن أبا معمر جميل بن معمر الفهري كان له قلبان لما شاهدوا من ذكائه ولباقته وحذقه وغره ذلك فقال إن لي قلبين أعقل بهما أفضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم فكانت الآية رداً عليه قال تعالى ﴿ما جعل الله لرجل[1] من قلبين[2] في جوفه﴾ وفيه إشارة إلى أنه لا يجمع بين حب الله تعالى وحب أعدائه وطاعة الله وطاعة

---

(١) يروى أنه لما انهزمت قريش يوم بدر رأى أبو سفيان جميل بن معمر المدعى ان له قلبين رآه منهزماً واحدى نعليه في رجله والأخرى في يده، فسأله أبو سفيان ما حال الناس؟ قال انهزموا فقال له ما بال أحد نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرت فانفضح في دعواه.

(٢) القلب بضعة لحم صغيرة على هيئة (صنوبرة) خلقها الله تعالى في الآدمي وجعلها محلاً للعلم، وهو بين لمتين لمة من الملك ولمة من الشيطان، وهو محل العلم ومحل الخطرات والوساوس ومحل الصدق واليقين ومحل الشك والكذب، ومحل الانزعاج والطمأنينة فسبحان الله الخلاق العليم.

أعدائه، وقوله، ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ أي لم يجعل الله تعالى المرأة المظاهر منها أماً لمن ظاهر منها كأن يقول لها أنت عليّ كظهر أمي وكان أهل الجاهلية يعدون الظهار محرِّماً للزوجة كالأم فأبطل الله تعالى ذلك وبيّن حكمه في سورة المجادلة، وأن من ظاهر من امرأته يجب عليه كفارة: عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا.

وقوله تعالى ﴿وما جعل ادعياءكم[1] ابناءكم﴾ أي لم يجعل الله الدعيّ إبناً إذ كانوا في الجاهلية وفي صدر الإسلام يطلقون على المتبنّي إبناً فيترتب على ذلك كامل حقوق البنوة من حرمة التزوج بامرأته إن طلقها أو مات عنها، وقوله ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أي ما هو إلا نطق بالفم ولا حقيقة في الخارج له إذ قول الرجل للدعيّ أنت ولدي لم يُصيِّره ولده وقول الزوج لزوجته انت كأمي لم تكن أماً له. وقوله تعالى ﴿والله يقول الحق﴾ فلا يطلق على المظاهر منها لفظ أم، ولا على الدعي لفظ ابن، ﴿وهو يهدي السبيل﴾ أي الأقوم والأرشد سبحانه لا إله إلا هو.

وقوله تعالى في الآية (٥) من هذا السياق ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ أي ادعوا الأدعياء لآبائهم أي انسبوهم لهم يافلان بن فلان. فإن دعوتهم إلى آبائهم أقسط وأعدل في حكم الله وشرعه. ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين﴾ فادعوهم باسم الإخوة الإسلامية فقولوا هذا أخي في الإسلام. ﴿ومواليكم﴾ أي بنو عمكم فادعوهم بذلك فقولوا يابن عمي وإن كان الدعي ممن حررتموه فقولوا له مولاي ﴿وليس عليكم جناح﴾ أي إثم أو حرج ﴿فيما أخطأتم به﴾[2] من قول أحدكم للدعي يابن فلان لمن ادعاه خطأ لسان بدون قصد، أو ظناً منكم أنه إبنه وهو في الواقع ليس ابنه ولكن الاثم في التعمد والقصد المتعمد، وقوله ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ أي غفوراً لمن تاب رحيما لم يعاجل بالعقوبة من عصى لعله يتوب ويرجع.

---

(١) هذه الآية نزلت في شأن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ إذ تبناه رسول الله ﷺ قبل البعثة النبوية، إذ كان عبداً رقيقاً لخديجة فأهدته لرسول الله ﷺ ولما جاء أبوه وعرفه طلبه فخيره رسول الله بين الذهاب مع والده والبقاء معه فاختار العبودية على الحرية فتبناه رسول الله ﷺ وأصبح من يومئذ يعرف بزيد بن محمد حتى نزلت هذه الآية فابطلت التبني ففي هذا نسخ للسنة بالكتاب.

(٢) أخذ عطاء وكثير من العلماء من السلف أخذوا من هذه الآية انه لا مؤاخذه مع الخطأ من ذلك إذا حلف المرء ألا يسلم على فلان فسلم عليه وهو لا يظن أنه هو فإنه لا يحنث، أو حلف أن لا يفارق غريمه حتى يقضيه دينه فأعطاه دراهم فوجدها زيوفاً لا يحنث، وروى البخاري من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام، كما روى «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر».

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) إبطال التحريم بالظهار الذي كان في الجاهلية.

٢) ابطال عادة التبنّي، وما يترتب عليها من حرمة نكاح امرأة المتبنّى.

٣) وجوب دعاء الدعي المتبنّى بأبيه إن عُرف ولو كان حماراً.

٤) إن لم يعرف للمدعي أب دُعي بعنوان الإخوة الإسلامية، أو العمومة أو المولوية

٥) رفع الحرج والإثم في الخطأ عموما وفيما نزلت فيه الآية الكريمة خصوصا وهو دعاء الدعي باسم مُدعيه سبق لسان بدون قصد، أو بقصد لأنه يرى انه ابنه وهو ليس ابنه.

ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٨﴾

شرح الكلمات:

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم : أي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ويطلب منهم هو أحق به من أنفسهم.

وأزواجه أمهاتهم : في الحرمة وسواء من طلقت أو مات عنها منهن رضى الله عنهن.

وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض : أي في التوارث من المهاجرين والمتعاقدين المتحالفين.

إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا : بأن توصوا لهم وصيَّة جائزة وهي الثلث فأقل.

كان ذلك في الكتاب مسطورا: أي عدم التوارث بالإيمان والهجرة والحلف مكتوب في اللوح المحفوظ.

وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم : أي أذكر لقومك أخذنا من النبيين ميثاقهم على أن يعبدوا الله وحده ويدعوا إلى عبادته.

ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم: أي وأخذنا بخاصة منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم، وقدم محمد صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا وتعظيما له.

وأخذنا منهم ميثاقا غليظا : أي شديداً والميثاق: العهد المؤكد باليمين.

ليسأل الصادقين عن صدقهم : أي أخذ الميثاق من أجل أن يسأل الصادقين وهم الأنبياء عن صدقهم في تبليغ الرسالة تبكيتاً للكافرين بهم.

وأعدّ للكافرين عذابا أليما : أي فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليماً أي موجعا.

معنى الآيات:

لما أبطل الله تعالى عادة التبنّي وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة الكلبي فكان يعرف بزيد بن محمد صلى الله عليه وسلم وأصبح بذلك يدعى بزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم تعالى كافة المؤمنين أن نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وان أزواجه أمهاتهم[(1)] في الحرمة فلا تحل امرأة النبي لأحد بعده صلى الله عليه وسلم، ومعنى أن ﴿النبي أولى بالمؤمنين[(2)] من أنفسهم﴾

---

(١) هذه الأمومة إنما هي في حرمة النكاح والبر والتعظيم والإجلال أما في الإرث فلا كما انه لا تبيح النظر إليهن والخلوة بهن كالأمهات فلذا ضرب الله الحجاب عليهن وقال: وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب.

(٢) صح انه ﷺ لا يصلي على ميت ترك ديناً ولم يترك سداداً فلما فتح الله عليه، قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعليّ قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته وقال أيكم ترك ديناً أو ضياعاً فأنا مولاه، فأكد ﷺ بالفعل والقول هذه الحقيقة.

أي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ويطلبه منهم هو أحق به من أنفسهم، وبذلك أعطى الله تعالى رسوله من الرفعة وعلوّ الشأن ما لم يُعط أحداً غيره جزاء له على صبره على ما أُخذ منه من بنوّة زيد رضي الله عنه الذي كان يُدعَى بزيد بن محمد فأصبح يعرف بزيد بن حارثة.

وقوله تعالى ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾[1] يريد في الإرث فأبطل تعالى بهذه الآية التوارث بالإيمان والهجرة والحلف الذي كان في صدر الإسلام وأصبح التوارث بالنسب والمصاهرة والولاء لا غير. وقوله ﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ التوارث بالأرحام أي بالقرابات مكتوب في اللوح المحفوظ وقوله ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا﴾ أي إلا أن توصوا بوصيّة جائزة وهي الثلث لأحد من المؤمنين والمهاجرين ومن حالفتم فلا بأس فهي جائزة ولا حرمة فيها[2]، وقوله ﴿كان ذلك﴾ أي المذكور من التوارث بالقرابات لا غير وجواز الوصيّة بالثلث لمن أبطل ارثهم بالإيمان والهجرة والمؤاخاة، في اللوح المحفوظ وهو كتاب المقادير مسطوراً أي مكتوباً مسطراً فلا يحل تبديله ولا تغييره. وقوله تعالى ﴿وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم﴾[3] أي اذكر يارسولنا لقومك أخذنا الميثاق وهو العهد المؤكد باليمين من النبيين عامة بأن يعبدوا الله وحده ويدعوا أممهم إلى ذلك، ومن أُولى العزم من الرسل خاصة وهم أنت يا محمد و نوح[4] وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وقوله ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ أُعيد اللفظ تكراراً لتقريره، وليرتب عليه قوله ﴿ليسأل﴾ تعالى يوم القيامة ﴿الصادقين﴾[5] وهم الأنبياء ﴿عن صدقهم﴾ في تبليغ رسالتهم تقريعاً لأممهم الذين كفروا وكذبوا. فأثاب المؤمنين ﴿وأعد للكافرين عذاباً أليما﴾ أي موجعاً وهو عذاب النار

---

(١) أولى ببعض متعلق بالمؤمنين أي أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين وذلك في كتاب الله المتضمن لشرعه وهو القرآن والمتضمن لقضائه وقدره وهو اللوح المحفوظ فبطل التوارث بالإسلام والهجرة والمعاقدة والتحالف وثبت بالولاء والنسب والمصاهرة لاغير.

(٢) اختلف في الوصية للكافر من يهودي أو نصراني والراجح أنها إن كانت مودة له ومحبة فإنها لاتجوز إذ مودتهم محرمة وإن كانت لمعنى آخر كإحسان قدمه الكتابي للمسلم فرأى أن يكافئه عليه فأوصى له بشيء إذا مات فلا حرج.

(٣) قال القرطبي: أي عهدهم على الوفاء بما حملوا وأن يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضاً وما في التفسير شامل لهذا ولغيره مما ذكر فيه.

(٤) خص هؤلاء بالذكر تعظيماً لهم وتشريفاً ولأنهم أصحاب شرائع وكتب وأولو العزم من الرسل.

(٥) جائز أن يراد بالصادقين الأنبياء عن تبليغهم ووفائهم بما عهد إليهم وهذا هو الأرجح وجائز أن يسأل الأنبياء عما أجابهم به أقوامهم من طاعة وإيمان أو كفر وعصيان، والحقيقة أن كلا من الرسل والمرسل إليهم يسألهم تعالى، فقد جاء في الأعراف قوله تعالى (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين).

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) وجوب تقديم ما يريده الرسول من المؤمن على ما يريده المؤمن لنفسه.

٢) حرمة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأنهن أُمهات المؤمنين وهو صلى الله عليه وسلم كالأب لهم.

٣) بطلان التوارث بالمؤاخاة والهجرة والتحالف الذي كان في صدر الإسلام.

٤) جواز الوصيّة لغير الوارث بالثلث فأقل.

٥) وجوب توحيد الله تعالى في عبادته ودعوة الناس إلى ذلك.

٦) تقرير التوحيد بأخذ الميثاق به على كافة الأنبياء والمرسلين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ
جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ
مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ
زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ
مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ
مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ
لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

اذكروا نعمة الله عليكم : أي اذكروا نعمة الله أي دفاعنا عنكم لتشكروا ذلك .

جنود : أي جنود المشركين المتحزبين .

ريحا وجنودا لم تروها : هي جنود الملائكة والريح ريح الصبا وهي التي تهب من شرق .

بما تعملون بصيرا : أي بصيراً بأعمالكم من حفر الخندق والاستعدادات للمعركة .

إذ جاءوكم من فوقكم : أي بنو أسد وغطفان أتوا من قبل نجد من شرق المدينة .

ومن أسفل منكم : أي من غرب وهم قريش وكنانة .

وإذ زاغت الأبصار : أي مالت عن كل شيء إلا عن العدو تنظر إليه من شدة الفزع .

وبلغت القلوب الحناجر : أي منتهى الحلقوم من شدة الخوف .

وتظنون بالله الظنونا(١) : أي المختلفة من نصر وهزيمة ، ونجاة وهلاك .

هنالك ابتلى المؤمنون : أي ثم في الخندق وساحة المعركة أُختبر المؤمنون .

وزلزلوا زلزالا شديدا : أي حركوا حراكا قويا من شدة الفزع .

والذين في قلوبهم مرض. : أي شيء من النفاق لضعف عقيدتهم .

ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا :أي ما وعدنا من النصر ما هو إلا غرورا وباطلاً .

يا أهل يثرب لا مقام لكم. : أي يا أهل المدينة لا مقام لكم حول الخندق فارجعوا إلى دياركم .

إن بيوتنا عورة. : أي غير حصينة .

إن يريدون إلا فرارا : أي من القتال إذ بيوتهم حصينة .

ولو دخلت عليهم : أي المدينة أي دخلها العدو الغازي .

ثم سئلوا الفتنة : أي ثم طلب إليهم الردة إلى الشرك لآتوها أي اعطوها وفعلوها .

وما تلبثوا بها إلا يسيرا : أي ما تريثوا ولا تمهلوا بل أسرعوا الإجابة وارتدوا .

---

(١) قرأ الجمهور الظنونا جمع ظن بألف بعد النون زيدت هذه النون لرعاية الفواصل في الوقف لأن الفواصل مثل الاسجاع . ومن القراء من أثبتها وقفاً وحذفها وصلا والكل جائز ومثلها في هذه السورة واطعنا الرسولا ، وأضلونا السبيلا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم[1] جنود﴾ الآيات هذه قصة غزوة[2] الخندق أو الأحزاب قصها تبارك وتعالى على المؤمنين في معرض التذكير بنعمه تعالى عليهم ليشكروا بالإنقياد والطاعة لله ورسوله وقبول كل ما يشرع لهم لإكمالهم وإسعادهم في الحياتين فقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من آمنتم بالله ربا وإلها وبمحمد نبيا ورسولا وبالإسلام دينا وشرعاً ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ المتمثلة في دفع أكبر خطر قد حاق بكم وهو اجتماع جيوش عدَّة على غزوكم في عقر داركم وهم جيوش قريش وأسد وغطفان وبنو قريظة من اليهود ألّبهم عليهم وحزّب أحزابهم حُيي بن أخطب النضري يريد الانتقام من الرسول والمؤمنين إذ أجلوهم عن المدينة وأخرجوهم منها فالتحقوا بيهود خيبر وتيما، ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم أمر[3] بحفرالخندق تحت سفح جبل سلع غربي المدينة، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه إذ كانت له خبرة حربيّة علمها من ديار قومه فارس.

وتم حفر الخندق في خلال شهر من الزمن وكان صلى الله عليه وسلم يعطي لكل عشرة أنفار أربعين ذراعاً أي عشرين متراً، وما إن فرغوا من حفره حتى نزلت جيوش المشركين وكانوا قرابة اثنى عشر ألفاً ولما رأوا الرسول والمسلمين وراء الخندق تحت جبل سلع قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها فتناوشوا بالنبال ورمى عمرو بن عبد ود القرشي بفرسه في الخندق فقتله علي رضي الله عنه ودام الحصار والمناوشة وكانت الأيام والليالي باردة والمجاعة ضاربة أطنابها قرابة الشهر. وتفصيل الأحداث للقصة فيما ذكره تعالى فيما يلي :

فقوله تعالى ﴿إذ جاءتكم جنودٌ﴾ هي جنود المشركين من قريش ومن بني أسد وغطفان ﴿فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها﴾ لما[4] جاءتكم جنود المشركين وحاصروكم في

---

(١) إذ ظرف للزمان الماضي متعلق (بنعمة) لما فيها من معنى الإنعام أي اذكروا ما أنعم الله به عليكم وقت مجيئ جنود العدو إليكم لقتالكم فهزمهم الله جل جلاله بما شاء من وسائط.

(٢) اختلف في السنة التي كانت فيها غزوة الأحزاب فقال قوم كانت سنة خمس وقال آخرون كانت سنة أربع وكانت في شوال، وسميت بغزوة الأحزاب لتحزب المشركين على قتال الرسول والمؤمنين فصاروا حزباواحداً.

(٣) روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلده بطنه وكان كثير الشعر فرأيته يرتجز بكلمات ابن رواحه ويقول: اللهم لولا أنت ما اهدتينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

(٤) هي جنود الملائكة الذين كانوا يلقون الرعب في قلوب المشركين حتى تخاذلوا وقرروا العودة إلى بلادهم.

سفح سلع أرسلنا عليهم ريحاً وهي ريح الصبا المباركة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا[1] وأهلكت عاد بالدبور وهي الريح الغربيّة. وفعلت بهم الصبا الأفاعيل حيث لم تبق لهم ناراً إلا أطفأتها ولا قدراً على الأثافي إلا أراقته، ولا خيمة ولا فسطاطاً إلا أسقطته وأزالته حتى اضطروا إلى الرحيل وقوله ﴿وجنوداً لم تروها﴾ وهم الملائكة فأصابتهم بالفزع والرعب الأمر الذي أفقدهم كل رشدهم وصوابهم ورجعوا يجرون أذيال الخيبة والحمد لله وقوله تعالى ﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ أي بكل أعمالكم من حفر الخندق والمشادات والمناورات وما قاله وعمله المنافقون لم يغب عليه تعالى شيء وسيجزيكم به المحسن بالإحسان والمُسيء بالإساءة.

وقوله تعالى: ﴿إذ جاءوكم﴾ أي المشركون ﴿من فوقكم﴾ أي من الشرق وهم غطفان بقيادة عيينة بن حصن وأسد، ﴿ومن أسفل منكم﴾ وهم قريش وكنانة أي من الجنوب الغربي وهذا تحديد لساحة المعركة، وقوله ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ أي مالت عن كل شيء فلم تبق تنظر إلا إلى القوات الغازية من شدة الخوف، ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ أي ارتفعت بارتفاع الرئتين فبلغت منتهى الحلقوم[2]. وقوله ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ المختلفة من نصر وهزيمة وسلامة وعطب، وهذا تصوير للحال أبدع تصوير وهو كما ذكر تعالى حرفيًا.

وقوله تعالى ﴿هنالك﴾ أي في ذلك المكان والزمان الذي حدّق العدو بكم ﴿أُبتلي المؤمنون﴾ أي اختبرهم ربهم ليرى الثابت على إيمانه الذي لا تزعزعه الشدائد والفتن من السريع الانهزام والتحول لضعف عقيدته وقلة عزمه وصبره. وقوله تعالى ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ أي أُزعجوا وحرّكوا حراكا شديداً لعوامل قوة العدو وكثرة جنوده، وضعف المؤمنين وقلة عددهم، وعامل المجاعة والحصار، والبرد الشديد وماأظهره المنافقون من تخاذل وما كشفت عنه الحال من نقض بني قريظة عهدهم وانضمامهم إلى الأحزاب وقوله تعالى: ﴿وإذ يقول المنافقون[3] والذين في قلوبهم مرض﴾ أي النفاق لضعف إيمانهم

(١) قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقي لنصرة النبي ﷺ وقالت الشمال ان مَحْوَة لا تسري بالليل فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا وهي الريح الشرقية، (محوة) من أسماء ريح الشمال لأنها تمحو السحاب.

(٢) وقيل هذا من باب المبالغة على إضمار كادت أي ارتفعت من أماكنها لشدة الخوف حتى كادت تبلغ الحناجر جمع حنجرة، قال الشاعر:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

أي كادت تقطر، والحنجرة والحنجور حرف الحلق أي طرفه.

(٣) من بين القائلين طعمة بن ابيرق ومعتب بن قشير وجماعة قالوا يوم الخندق كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحد منا أن يتبرز.

﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ أي من النصر ﴿إلا غروراً﴾ أي باطلا: وذلك أنهم لما كانوا يحفرون في الخندق استعصت عليهم صخرة فأبت أن تنكسر فدعي لها الرسول صلى الله عليه وسلم فضربها بالمعول ضربة[1] تصدعت لها وبرق منها بريقٌ أضاء الساحة كلها فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون، ثم ضربها ثانية فصدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير الفتح وكبر المسلمون وضرب ثالثة فكسرها وبرقت لها برقة كسابقتيها وكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد سلمان فرقى من الخندق فقال سلمان بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيته قط فالتفت رسول الله إلى القوم فقال هل رأيتم ما رأى سلمان؟ قالوا نعم يارسول الله فأعلمهم أنه على ضوء ذلك البريق رأى قصور مدائن كسرى كأنياب الكلاب وإن جبريل أخبرني أن أُمتي ظاهرة عليها كما رأيت في الضربة الثانية قصور الحمر من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أُمتي ظاهرة عليها، ورأيت في الثالثة قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا أبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صدق. فلما طال الحصار واشتدت الأزمة واستبد الخوف بالرجال قال المنافقون وضعفاء الإيمان ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ إذ قال معتبٌ[2] بن قشير يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرّز فرقاً وخوفاً ما هذا إلا وعد غرورا!!

وقوله ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾[3] أي من المنافقين. وهو أُويس بن قيظى أحد رؤساء المنافقين ﴿يا أهل يثربَ﴾[4] أي المدينة قبل أن يبطل الرسول هذا الإسم لها ويسميها بالمدينة ﴿لا مقامَ لكم﴾[5] أي في سفح سلع عند الخندق ﴿فارجعوا﴾ إلى منازلكم داخل المدينة بحجة أنه لافائدة في البقاء هُنا دون قتال، وما قال ذلك إلا فراراً من القتال وهروباً من المواجهة، وقوله تعالى ﴿ويستأذن فريقٌ منهم النبي﴾ أي يطلبون الإذن لهم بالعودة إلى منازلهم بالمدينة بدعوى أن بيوتهم عورة أي مكشوفة أمام العدو وهم لا يأمنون عليها

(١) تقدم انه من رواية النسائي «النهر».

(٢) لفظ الطائفة يطلق على الواحد فأكثر والمعني أوس بن قيظي والد عرابة بن أوس الذي يقول فيه لشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

(٣) يثرب هي المدينة وسماها النبي ﷺ طيبة وطابه قال السهيلي سمى العرب في الجاهلية المدينة يثرب، لأن الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عميل بن قهلائيل بن عوض بن عملاق بن لاوذ بن ارم.

(٤) قرأ نافع والجمهور لا مقام بفتح الميم وهو اسم لمكان القيام، وقرأ حفص بضم الميم المقام وهو اسم لمحل الإقامة.

وأكذبهم الله تعالى في قولهم فقال ﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً﴾ أي ما يريدون بهذا الاعتذار إلا الفرار من وجه العدو، وقال تعالى فيهم ومن أصدق من الله قيلا. ﴿ولو دخلت عليهم﴾ المدينة ﴿من أقطارها﴾ أي من جميع نواحيها من شرق وغرب وشمال وجنوب ثم[1] ﴿سئلوا الفتنة﴾ أي ثم طلب منهم العدو الغازي الذي دخل عليهم المدينة الردة أي العودة إلى الشرك ﴿لآتوها﴾ أعطوها فوراً ﴿وماتلبثوا بها إلا يسيرا﴾ حتى يرتدوا عن الإسلام ويصبحوا كما كانوا مشركين والعياذ بالله من النفاق والمنافقين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) مشروعية التذكير بالنعم ليشكرها المذكَّرون بها فتزداد طاعتهم لله ورسوله.

٢) عرض غزوة الأحزاب أو الخندق عرضا صادقاً لا أمثل منه في عرض الأحداث للعبرة.

٣) بيان أن غزوة الخندق كانت من أشد الغزوات وأكثرها ألماً وتعباً على المسلمين.

٤) بيان أن حُسْنَ الظن بالله ممدوح، وأن سوء الظن به تعالى كفر ونفاق.

٥) بيان مواقف المنافقين الداعية إلى الهزيمة ليكون ذلك درساً للمؤمنين.

٦) تقرير النبوة المحمدية بإخبار الغيب التي أخبر بها رسول الله فكانت كما أخبر من فتح فارس والروم واليمن.

وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾
قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ

(١) ثُمّ العطف بها هنا للترتيب الرُّتبي، إذ كان مقتضى الظاهر أن يكون العطف بالواو، لأن المذكور بعد حرف العطف داخل في فعل الشرط ووارد عليه جوابها فعدل عن الواو إلى ثم لأجل التنبيه على أن ما بعد ثم أهم من الذي قبلها أي انهم مع ذلك يأتون الفتنة.

لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل: أي من قبل غزوة الخندق وذلك يوم أحد قالوا: والله لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ولا نولي الأدبار.

وكان عهد الله مسؤلا : أي صاحب العهد عن الوفاء به.

وإذاً لا تمتعون إلا قليلا : أي وإذا فررتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلا وتموتون.

من ذا الذي يعصمكم من الله: أي من يجيركم ويحفظكم من الله.

إن أراد بكم سوءاً : أي عذابا تستاءون له وتكربون.

قد يعلم الله المعوقين منكم : أي المثبطين عن القتال المفشلين إخوانهم عنه حتى لايقاتلوا مع رسول الله والمؤمنين.

هلم إلينا : أي تعالوا إلينا ولا تخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولايأتون البأس إلا قليلا : أي ولا يشهدون القتال إلا قليلا دفعاً عن أنفسهم تهمة النفاق.

أشحة عليكم : أي بخلاء لا ينفقون على مشاريعكم الخيرية كنفقة الجهاد وعلى الفقراء.

تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت : أي تدور أعينهم من شدة الخوف لجبنهم كالمحتضر الذي يغشى عليه أي يغمى عليه من آلام سكرات الموت.

سلقوكم بألسنة حداد : أي آذوكم بألسنة ذربة حادة كأنها الحديد وذلك بكثرة

كلامهم وتبجحهم بالأقوال دون الأفعال.

أشحة على الخير : أي بخلاء بالخير لا يعطونه ولا يفعلونه بل ولا يقولونه حتى القول.

أولئك لم يؤمنوا : أي إنهم لم يؤمنوا الإيمان الصحيح فلذا هم جبناء عند اللقاء بخلاء عند العطاء.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في عرض أحداث غزوة الأحزاب فقوله تعالى: ﴿ولقد كانوا عاهدوا(١) الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ أي ولقد عاهد أولئك المنافقون الله من قبل غزوة الأحزاب وذلك يوم فروا من غزوة أحد إذ كانت قبل غزوة الأحزاب بقرابة السّنتين فقالوا والله لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ولانوليّ(٢) الأدبار، فذكرهم الله بعهدهم الذي قطعوه على أنفسهم ثم نكثوه، ﴿وكان عهد الله مسئولا(٣)﴾ أي يُسأل عنه صاحبه ويؤاخذ به. وقوله تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ أي قل لهم يارسولنا إنه لن ينفعكم الفرار أي الهروب من الموت أو القتل لأن الآجال محددة ومن لم يمت بالسيف مات بغيره فلا معنى للفرار من القتال إذا وجب وقوله ﴿وإذاً لا تمتعون إلا قليلا﴾ أي وإذا فررتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلا من الزمن ثم تموتون عند نهاية أعماركم وهي فترة قليلة، فالفرار لا يطيل أعماركم والقتال لا ينقصها، وقوله تعالى ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم(٤) رحمة﴾ أي قل لهم يارسولنا تبكيتا لهم وتأنيبا وتعليما أيضا: من(٥) ذا الذي يعصمكم أي يجيركم ويحفظكم من الله ﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ أي ما يسوءكم من بلاء وقتل ونحوه ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ أي سلامة وخيراً فليس هناك من يحول دون وصول ذلك إليكم لأن الله تعالى يجير ولا يُجار عليه وقوله تعالى ﴿ولا يجدون لهم من

---

(١) ذكر بعضهم أن هؤلاء هم بنو حارثة وبنو سلمة إذ هموا بالرجوع يوم أحد، وقيل هم من فاتتهم وقعة بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وما في التفسير أرجح لدلالة السياق عليه.

(٢) المراد بعهد الله كل عهد يعاهد عليه العبد ربه فإنه يجب عليه الوفاء به وان تركه سئل عنه وحوسب به يوم القيامة.

(٣) الأدبار جمع دبر والمراد به الظهر فالادبار الظهور وتولية الادبار كناية عن الفرار.

(٤) في الكلام محذوف تقديره أو يجرمكم أن اراد بكم رحمة وهذا يعرف بدلالة الاقتضاء إيجازاً للكلام كقول الراعي:

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيوناً

أي وكحلن العيون.

(٥) الاستفهام للنفي أي لا أحد يعصمهم مما أراد الله تعالى بهم.

دون الله ولياً ولا نصيراً﴾[1] أي ولا يجد المخالفون لأمر الله العصاة له ولرسوله من دون الله ولياً يتولاهم فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء، ولا نصيراً ينصرهم إذا أراد الله إذلالهم وخُذلانهم لسوء أفعالهم، وقوله تعالى في الآية (١٨) في هذا السياق ﴿قد يعلم الله[2] المعوقين منكم﴾ أخبرهم تعالى بأنه قد علم المعوقين أي المثبطين عن القتال والمخذلين بما يقولونه سرّاً في صفوف المؤمنين كالطابور الخامس في الحروب وهم أناس يذكرون في الخفاء عظمة العدو وقوته يرهبون منه ويخذلون عن قتاله. وقوله ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ أي تعالوا إلينا إلى المدينة واتركوا محمداً وأصحابه يموتون وحدهم فإنهم لا يزيدون عن أكلة جزور. وقوله ﴿ولا يأتون البأس إلا قليلا﴾ أي ولا يشهد القتال ويحضره أولئك المنافقون المثبطون والذين قالوا إن بيوتنا عورة إلا قليلا إذ يتخلفون في أكثر الغزوات وإن حضروا مرة قتالا فإنما هم يدفعون به معرة التخلف ودفعاً لتهمة النفاق التي لصقت بهم.

وقوله تعالى ﴿أشحة عليكم﴾[3] وصفهم بالبخل بعد وصفهم بالجبن وهما شر صفات المرء أي الجبن والبخل أشحة عليكم أي بخلاء لا ينفقون معكم لا على الجهاد ولا على الفقراء والمحتاجين وقوله تعالى ﴿فإذا جاء الخوف﴾[4] أي بسبب هجوم العدو ﴿رأيتهم﴾ أيها الرسول ﴿ينظرون إليك﴾ لائذين بك ﴿تدور أعينهم﴾ من الخوف ﴿كالذي يغشى عليه من الموت﴾ وهو المحتضر يُغمى عليه لما يعاني من سكرات الموت وهذا تصوير هائل لمدى ما عليه المنافقون من الجبن والخوف وعلة هذا هو الكفر وعدم الإيمان بالقدر والبعث والجزاء

وقوله ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ أي راحت أسبابه بانتهاء الحرب ﴿سلقوكم بألسنة﴾ أي سلقكم أولئك الجبناء عند اللقاء أي ضربوكم بألسنة ذربة حادة كالحديد بالمطالبة بالغنيمة أو بالتبجح الكاذب بأنهم فعلوا وفعلوا. وهذا حالهم إلى اليوم

---

(١) المراد بالولي من يتولى نفعهم والنصير من يتولى نصرهم في الحرب.

(٢) قد تفيد التحقيق فهي مؤكدة لمضمون الجملة لتطلب المقام ذلك لوجود شك لدى المخاطبين، والمعوقين جمع معوق وهو من يكثر منه العوق وهو المنع من العمل والحيلولة دونه والصيغة صيغة مبالغة نحو طوّف وغلّف وسمّع.

(٣) أشحة جمع شحيح والقياس أشحاء لكنهم عدلوا عنه فقالوا أشحة والضمير في عليكم يعود إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين، والشح البخل بما في الوسع اعطاؤه.

(٤) الخوف هنا توقع القتال من الجيشين.

وقـولـه ﴿أشحة على الخير﴾ أي بخلاء على مشاريع الخير ومابنفق في سبيل الله فلا ينفقون لأنهم لا يؤمنون بالخلف ولا بالثواب والأجر وذلك لكفرهم بالله ولقائه. ولذا قال تعالى ﴿ أولئك لم يؤمنوا[1]﴾ فسجل عليهم وصف الكفر ورتب عليه نتائجه فقال ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ أي أبطلها فلا يثابون عليها لأنها أعمال مشرك وأعمال المشرك باطلة، وقوله ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ أي إبطال أعمالهم وتخييبهم فيها وحرمانهم من جزائها يسير على الله ليس بالعسير. ولذا هو واقع كما أخبر تعالى

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) وجوب الوفاء بالعهد إذ نقض العهد من علامات النفاق.

٢) ترك الجهاد خوفا من القتل عمل غير صالح إذ القتال لا ينقص العمر وتركه لا يزيد فيه.

٣) الشح والجبن من صفات المنافقين وهما شر الصفات في الإنسان.

٤) الثرثرة وكثرة الكلام والتبجح بالأقوال من صفات أهل الجبن والنفاق.

٥) الكفر محبط للأعمال.

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ
لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ
فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾
مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن

(١) أولئك أصحاب تلك الصفات الذميمة الصادرة عن قلوب لم يخالطها بشاشة الإيمان فلذا أحبط الله أعمالهم لأنها لم تكن ثمرة إيمان صحيح فلذا هي فاسدة لا تزكي النفس ولا يستحق صاحبها أجراً.

قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات:

يحسبون الأحزاب : أي يحسب أولئك المنافقون الجبناء الأحزاب وهم قريش وغطفان.

لم يذهبوا : أي لم يعودوا إلى بلادهم خائبين.

وإن يأت الأحزاب: أي مرة أخرى فرضاً

يودوا لو أنهم بادون في الاعراب : أي من جبنهم وخوفهم يتمنّون أن لو كانوا في البادية مع سكانها.

يسألون عن أنبائكم : أي إذًا كانوا في البداية لو عاد الأحزاب يسألون عن أنبائكم أي أخباركم هل انهزمتم أو انتصرتم.

ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا: أي ولو كانوا بينكم في الحاضرة ماقاتلوا معكم إلا قليلا.

أسوة حسنة : أي قدوة صالحة تقتدون به صلى الله عليه وسلم في القتال والثبات في مواطنه.

هذا ماوعدنا الله ورسوله : من الابتلاء والنصر.

وصدق الله ورسوله : في الوعد الذي وعد به.

وما زادهم إلا إيمانا وتسليما : أي تصديقا بوعد الله وتسليما لأمر الله.

صدقوا ما عاهدوا الله عليه : أي وفوا بوعدهم.

فمنهم من قضى نحبه : أي وفى بنذره فقاتل حتى استشهد.

ومنهم من ينتظر : أي ما زال يخوض المعارك مع رسول الله وهو ينتظر

القتل في سبيل الله .

وما بدلوا تبديلا :أي في عهدهم بخلاف المنافقين فقد نكثوا عهدهم .

ورد الله الذين كفروا بغيظهم : أي ورد الله الأحزاب خائبين لم يظفروا بالمؤمنين .

وكفى الله المؤمنين القتال : أي بالريح والملائكة

معنى الآيات :

مازال السياق في سرد أحداث غزوة الأحزاب فقوله تعالى ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ أي يحسب أولئك المنافقون الجبناء الذين قالوا إن بيوتنا عورة وقالوا لإخوانهم هلم إلينا أي اتركوا محمداً في الواجهة وحده إنهم لجبنهم ظنوا أن الأحزاب لم يعودوا إلى بلادهم مع أنهم قد رحلوا وهذا منتهى الجبن والخوف وقوله تعالى ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ أي مرة أخرى على فرض وتقدير ﴿يودوا﴾ يومئذ ﴿لو أنهم بادون(1) في الأعراب﴾ أي خارج المدينة مع الأعراب في البادية لشدة خوفهم من الأحزاب الغزاة، وقوله تعالى ﴿يسألون عن أنبائكم(2)﴾ أي أخباركم هل ظَفِرَ بكم الأحزاب أو لا ، ﴿ولو كانوا فيكم﴾ أي بينكم ولم يكونوا في البادية ﴿ما قاتلوا إلا قليلا﴾ وذلك لجبنهم وعدم إيمانهم بفائدة القتال لكفرهم بلقاء الله تعالى وما عنده من ثواب وعقاب هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٠)

وقوله تعالى في الآية الثانية (٢١) ﴿لقد كان لكم في(3) رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو(4) الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ أي: لقد كان لكم أيها المسلمون أي : من مؤمنين صادقين ومنافقين كاذبين في رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة أي قدوة صالحة فاقتدوا به في جهاده وصبره وثباته ، فقد جاع حتى شد بطنه بعصابة وقاتل حتى شُجَّ وجهه وكسرت رباعيته ومات عمه وحفر الخندق بيديه وثبت في سفح سلع أمام العدو قرابة شهر فأتسوا به في الصبر والجهاد والثبات إن كنتم ترجون الله أي تنظرون ما عنده من خير في مستقبل أيامكم في الدنيا والآخرة وترجون اليوم الآخر أي ترتقبونه وما فيه من سعادة

---

(١) قرىء لو أنهم بُدّىً جمع بادٍ كغازٍ وغزّى، يقال بدا فلان يبدو إذا خرج إلى البادية وهي البداوة والبداوة بالكسر والفتح .

(٢) أي هل هلك محمد وأصحابه، أم غلب أبو سفيان وأحزابه؟ أي يودون لو أنهم بادون سائلون عن أنبائكم من غير مشاهدة قتال لفرط جبنهم .

(٣) هذه الآية تحمل عتاباً شديداً للمتخلفين عن القتال والأسوة بضم الهمزة قراءة عاصم وبالكسر قراءة الجمهور وهي اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به : ويعمل مثل عمله وجمع الأسوة أُسىً وإسىً .

(٤) اختلف في الاتساء برسول الله ﷺ هل هو على الايجاب أو الندب أو هو على الايجاب . حتى يقوم دليل الاستجاب أو هو على العكس، والصواب أنه فيما هو واجب واجب وفيما هو مستحب مستحب.

وشقاء، ونعيم مقيم أو جحيم وعذاب أليم. وتذكرون الله تعالى كثيرا في كل حالاتكم وأوقاتكم، فاقتدوا بنبيكم فإن الاقتداء به واجب لا يسقط إلاّ عن عجز والله المستعان.

وقوله تعالى في الآية الثالثة في هذا السياق (٢٢) ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ أي لما رأى المؤمنون الصادقون جيوش الأحزاب وقد أحاطت بهم ﴿قالوا هذا ماوعدنا الله[١] ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ بخلاف ماقاله المنافقون حيث قالوا ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ وقوله ﴿وما زادهم﴾ أي رؤيتهم للأحزاب على كثرتهم ﴿إلاّ إيمانا﴾ بصادق وعد الله ﴿وتسليما﴾ لقضائه وحكمه، وهذا ثناء عطر على المؤمنين الصادقين من ربهم عز وجل.

وقوله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ هذا ثناء آخر على بعض المؤمنين الذين لما تخلفوا عن بدر فتأسفوا ولما حصل انهزام لهم في أُحد عاهدوا الله لئن أشهدهم الله قتالاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقاتلن حتى الاستشهاد فأخبر تعالى عنهم بقوله فمنهم من قضى نحبه أي وفى بنذره فقاتل حتى استشهد ومنهم من ينتظر القتل في سبيل الله، وقوله تعالى ﴿وما بدَّلوا تبديلاً[٢]﴾ أدنى تبديل في موقفهم فثبتوا على عهدهم بخلاف المعوقين من المنافقين فإنهم بدلوا وغيروا ما عاهدوا الله عليه وقوله تعالى ﴿ليجزي[٣] الله الصادقين بصدقهم﴾ أي أجرى تعالى تلك الأحداث فكانت كما قدرها في كتاب المقادير، ليجزي الصادقين بصدقهم فيكرمهم وينعمهم في جواره ويعذب المنافقين بناره إن شاء ذلك فيميتهم قبل توبتهم، أو يتوب عليهم فيؤمنوا ويوحدوا ويدخلوا الجنة مع المؤمنين الصادقين وهو معنى قوله: ﴿ويعذب المنافقين إن شاء﴾ ذلك لهم قضاء وقدراً أو يتوب عليهم فيتوبوا فلا يعذبوا، وقوله ﴿إن الله كان غفوراً رحيما﴾ إخبار منه تعالى عن نفسه بأنه كان ذا ستر على ذنوب التائبين من عباده رحيما بهم فلا يعاقبهم بعد توبتهم.

(١) المراد من الوعد الذي ذكروه هو ما تضمنته آية البقرة ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ الآية أي قوله إلا إن نصر الله قريب كما أن الرسول ﷺ قد أخبرهم بقدوم الأحزاب عليهم وأن الله ناصرهم عليهم.

(٢) في هذه الجملة تعريض بالمنافقين الذين عاهدوا الله لايولون الأدبار ثم ولوا راجعين وعادوا إلى بيوتهم تاركين الرسول والمؤمنين في المواجهة.

(٣) الجملة تعليلية أي ثم الذي تم من الوفاء والغدر والصبر والجزع والهزيمة والنصر لعله أن يجزي الله الصادقين بما يناسب صدقهم وهو المغفرة ويجزي المنافقين بما يناسب نفاقهم.

وقوله تعالى في آخر هذا السياق (٢٥) ﴿ورد الله الذين كفروا﴾[1] وهم قريش وكنانة وأسد وغطفان ردهم بغيظهم أي بكربهم وغمهم حيث لم يظفروا بالرسول والمؤمنين ولم يحققوا شيئا مما أمّلوا تحقيقه، وكفى الله المؤمنين القتال حيث سلط على الأحزاب الريح والملائكة فانهزموا وفروا عائدين إلى ديارهم لم ينالوا خيراً. وكان الله قوياً على إيجاد ما يريد إيجاده عزيزاً أي غالباً على أمره لا يمتنع منه شيء أراده.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) تقرير أن الكفر والنفاق صاحبهما لا يفارقه الجبن والخور والشح والبخل.

٢) وجوب الائتساء برسول الله في كل ما يطيقه العبد المسلم ويقدر عليه.

٣) ثناء الله تعالى على المؤمنين الصادقين لمواقفهم المشرفة ووفائهم بعهودهم.

٤) ذم الانهزاميين الناكثين لعهودهم الجبناء من المنافقين وضعاف الإيمان.

٥) بيان الحكمة في غزوة الأحزاب، ليجزي الصادقين ..... الخ.

وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات:

ظاهروهم : أي ناصروهم ووقفوا وراءهم يشدون أزرهم.

من صياصيهم : أي من حصونهم والصياصي جمع صيصيّة وهي كل ما يمتنع به

وقذف في قلوبهم الرعب : أي ألقى الخوف في نفوسهم فخافوا

وأرضاً لم تطأوها : أي لم تطأوها بعد وهي خيبر إذ فتحت بعد غزوة الخندق.

---

(١) روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في قوله تعالى ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم﴾ قالت: أبو سفيان بن حرب وعيينه بن بدر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وأنزل الذين ظاهروهم[1] من أهل الكتاب﴾ هذا شروع في ذكر غزوة بني قريظة إذ كانت بُعيد غزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة في آخر شهر القعدة وخلاصة الحديث عن هذه الغزوة أنه لما ذهب الأحزاب وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون إلى المدينة وكان بنو قريظة قد نقضوا عهدهم وانضموا إلى الأحزاب من المشركين عوناً لهم على رسول الله والمؤمنين فلما ذهب الأحزاب وانصرف الرسول والمؤمنون من الخندق إلى المدينة فما راع الناس إلا ومنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي إلى بني قريظة فلا يصلين أحدكم العصر إلا ببني قريظة وهي على أميال من المدينة وذلك أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم فقال يارسول الله وضعت السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فقام رسول الله وأمر منادياً ينادي بالذهاب إلى بني قريظة وذهب رسول الله والمسلمون فحاصروهم قرابة خمس وعشرين ليلة وجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فقال لهم رسول الله أتنزلون على حكمي فأبوا فقال أتنزلون على حكم سعد بن معاذ[2]؟ فقالوا نعم فحكمه فيهم فحكم بأن يُقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء وتقسم الأموال، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم مقرراً للحكم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات. فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث من نساء بني النجار وخرج إلى سوق المدينة فحفر فيها خندقاً ثم جيء بهم وفيهم حيي بن أخطب الذي حزّب الأحزاب وكعب بن أسد رئيس بني قريظة، وأمر علياً والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق.

وبذلك انتهى الوجود اليهودي المعادي بالمدينة النبويّة. والحمد لله.

فقوله تعالى ﴿وأنزل﴾ أي الله تعالى بقدرته ﴿الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾ أي ظاهروا الأحزاب وكانوا عوناً لهم على الرسول والمؤمنين وهم يهود بني قريظة ﴿من صياصيهم[3]﴾ أي أنزلهم من حصونهم الممتنعين بها، ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ ولذا

---

(١) المظاهرون بفتح الهاء هم قريش وكنانة وغطفان والمظاهرون لهم هم بنو قريظة من أهل الكتاب.

(٢) كان سعد رضي الله عنه قد اصابه سهم في غزوة الخندق فوضعه رسول الله ﷺ في خيمة بالمسجد ليتمكن من زيارته وكان رضي الله عنه لما أصابه السهم دعا الله تعالى: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقني لها وإن كنت أنهيت الحرب بيننا وبينهم فافجرها، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة فاستجاب الله تعالى له وحكمه رسول الله ﷺ فيهم فحكم عليهم بأن تقتل مقاتليهم وتسبى نساؤهم وذراريهم.

(٣) الصياصي واحدها صيصة، والمراد حصونهم التي يتمنعون بها. قال الشاعر:

فجئت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد

والصيصة: شوكة الحائك وصياصي البقر قرونها لأنها تتمنع بها.

قبلوا التحكيم فحكّم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكم فيهم بقتل المقاتلة من الرجال وسبي النساء والذراري وهو معنى قوله تعالى ﴿فريقا تقتلون﴾ وهم الرجال ﴿وتأسرون فريقا﴾ وهم النساء والأطفال، وقوله ﴿وأورثكم أرضهم﴾ الزراعية ﴿وديارهم﴾ السكنيّة ﴿وأموالهم﴾ الصامتة والناطقة وقوله ﴿وأرضاً لم تطئوها﴾ أي أورثكم أرضاً لم تطئوها بعد وهي أرض خيبر[1] حيث غزاهم رسول الله في السنة السادسة بعد صلح الحديبية وفتحها الله عليهم وقوله ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ تذييل المراد به تقرير ما أخبر تعالى به[2] من نصر أوليائه وهزيمة أعدائه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) بيان عاقبة الغدر فإن قريظة لما غدرت برسول الله انتقم منها فسلط عليها رسوله والمؤمنين فأبادوهم عن آخرهم ولم يبق إلاّ الذين لاذنب لهم وهم النساء والأطفال.
٢) بيان صادق وعد الله إذ أورث المسلمين أرضاً لم يكونوا قد وطئوها وهي خيبر والشام والعراق وفارس وبلاد أخرى كبيرة وكثيرة.
٣) تقرير أن قدرة الله لا تحد أبداً فهو تعالى على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

---

(١) وقال مقاتل هي خيبر إذ لم يكونوا قد نالوها بعد فوعدهم الله إياها وقال الحسن فارس والروم، وقال عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة والكل صالح ومقبول، وما في التفسير أقرب لأنها أرض اليهود فالسياق ساعد على انها أرض خيبر، وقال صاحب التحرير انها أرض بني النضير لأنهم ما فتحوها عنوة فلم تطاها حوافر الخيل ولا أقدام الأبطال.
(٢) وفيه الايحاء ببشرى فتوحات تعقب هذا الفتح.

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

قل لأزواجك : أي اللائي هن تحته يومئذ وهن تسع طلبن منه التوسعة في النفقة عليهن ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوسع به عليهن.

فتعالين : أي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يومئذ قد اعتزلهن شهرا.

امتعكن : أي متعة الطلاق المشروعة على قدر حال المطلق سعة وضيقاً.

أسرحكن سراحاً جميلا: أي اطلقكن طلاقاً من غير إضرار بكن.

تردن الله ورسوله والدار الآخرة : أي تردن رضا الله ورسوله والجنة.

فإن الله أعدّ للمحسنات: أي عشرة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على الإحسان العام.

بفاحشة مبيّنة : أي بنشوز وسوء خلق يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يُضاعف لها العذاب ضعفين :أي مرَّتين على عذاب غيرهن ممن آذين أزواجهن.

وكان ذلك على الله يسيرا :أي مضاعفة العذاب يسيرة هيّنة على الله تعالى.

معنى الآيات:

شاء الله تعالى أن يجتمع نساء الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأين نساء الأنصار والمهاجرين قد وُسّع عليهن في النفقة لوجود يسر وسعة رزق بين أهل المدينة، أن يطالبن بالتوسعة في النفقة عليهن أسوة بغيرهن وكن يومئذ تسعا وهن عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أميّة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفيّة بنت حيي بن أخطب النضريّة فأبلغت عائشة ذلك رسول الله صلى

الله عليه وسلم فتأثر لذلك، لعدم القدرة على ما طُلب منه وقعد في مشربة له واعتزلهن شهراً كاملا حتى أنزل الله تعالى آية التخيير وهي هذه ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردنّ الحياة الدنيا وزينتها﴾[1] من لذيذ الطعام والشراب وجميل الثياب وحلي الزينة ووافر ذلك كله فتعالين إلى مقام الرسول الرفيع ﴿أمتعكن﴾ المتعة المشروعة في الطلاق ﴿وأسرحكن﴾ أي أُطلقكنّ[2] ﴿سراحاً جميلا﴾ أي لا إضرار معه، ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله﴾ أي رضاهما ﴿والدار الآخرة﴾ أي الجنة ﴿فإن الله أعدّ﴾ أي هيأ وأحضر ﴿للمحسنات﴾ طاعة الله ورسوله ﴿منكن أجراً عظيما﴾ وهو المقامات العالية في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم في دار السلام.

وخيّرهن[3] صلى الله عليه وسلم امتثالا لأمر الله في قوله ﴿قل لأزواجك﴾ وبدأ بعائشة فقال لها: إني أريد أن أذكر لك أمراً فلا تقضي فيه شيئاً حتى تستأمري أبويك أي تطلبين أمرهما في ذلك وقرأ عليها الآية فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، وتتابعن على ذلك فما اختارت منهنّ امرأة غير الله ورسوله والدار الآخرة فأكرمهن الله لذلك وأنزل على رسوله: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً﴾

وقوله تعالى ﴿يا نساء[4] النبي من يأت منكن بفاحشة مبيّنة﴾ أي بخصلة قبيحة ظاهرة كسوء عشرة النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى ﴿يضاعف لها العذاب﴾ يوم القيامة لأنّ أذيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبواب الكفر والعياذ بالله تعالى. ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ أي وكان تضعيف العذاب على من أتت بفاحشة[5] مبيّنة شيئا يسيراً على الله لا يعجزه حتى لا يفعله وهذا لأمرين الأول لأن أذيّة الرسول من أبواب الكفر والثاني لعلو مقامهن وشرفهن فإن ذا الشرف والمنزلة العالية يُستقبحُ منه القبيح أكثر مما يستقبح من غيره.

---

(١) عامة أهل السنة والجماعة على أن الرجل إذا خير زوجته فاختارت الطلاق كان طلاقاً أما إذا خيرها فاختارت عدم الطلاق فليس عليها شيء ولا يقع طلاق ما دامت لم تختره واختارت عدمه وهو البقاء.

(٢) معنى ارادة الحياة الدنيا ايثارك ما في الحياة الدنيا من متع وترف على الاشتغال بالطاعات والزهد في زينة الحياة الدنيا ومظاهرها الساحرة الخلابة.

(٣) نص الحديث: يا عائشة اني أريد أن اعرض عليك امراً أحبُّ ألا تتعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يارسول الله؟ فتلى عليها الآية. قالت أفيك يا رسول الله استشير ابويّ! بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة.

(٤) ناداهن الله تعالى بعنوان نساء النبي اعلان عن شرفهن وكمالهن بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

(٥) إذا اطلق لفظ الفاحشة معرفاً بأل فهو الزنى، وإذا ورد نكره فهو المعصية كما في هذه الآية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١) مشروعية تخيير الزوجات فإن اخترن الطلاق تَطَلَّقن وإن لم يخترنه فلا يقع الطلاق.

٢) كمال أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عن الدنيا وزينتها.

٣) مشروعية المتعة بعد الطلاق وهي أن تعطى المرأة شيئا من المال بحسب غنى المطلّق وفقره لقوله تعالى ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾

٤) وجوب الإحسان العام والخاص، الخاص بالزوج والزوجة والعام في طاعة الله ورسوله.

٥) بيان أن سيئة العالم الشريف أسوأ من سيئة الجاهل الوضيع. ولذا قالوا حسنات الأبرار سيّئات المقربين كمثل من الأمثال السائرة للعظة والاعتبار.

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

ومن يقنت منكن لله ورسوله : أي ومن يطع منكن الله ورسوله .

نؤتها أجرها مرتين : أي نضاعف لها أجر عملها الصالح حتى يكون ضعف عمل امرأة أخرى من غير نساء النبي .

واعتدنا لها رزقا كريما : أي في الجنـة .

يا نساء النبي لستن كأحد من النساء : أي لستن في الفضل كجماعات النساء .

إن اتقيتن : بل أنتن أشرف وأفضل بشرط تقواكنّ لله .

فلا تخضـعن بالقول : أي نظراً لشرفكن فلا ترققن العبارة .

فيطمع الذي في قلبه مرض أي مرض النفاق أو مرض الشهوة .

وقلن قولا معروفا : أي جرت العادة أن يقال بصوت خشن لا رقة فيه .

وقرن في بيوتكن : أي أقررن في بيوتكن ولا تخرجن منها إلا لحاجة .

ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى : أي ولا تتزين وتخرجن متبخترات متغنجات كفعل نساء الجاهلية الأولى قبل الاسلام.

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس : أي إنما أمركُنَّ بما امركن به من العفة والحجاب ولزوم البيوت ليطهركن من الأدناس والرذائل.

واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة: أي الكتاب والسنة لتشكرن الله على ذلك بطاعته وطاعة رسوله.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم مع أزواج النبي أمهات المؤمنين فبعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخـرة عن الحياة الـدنيا وزينتهـا أصبحن ذوات رفعـة وشـأن عنـد الله تعالى، وعند رسوله والمؤمنين. فأخبرهن الرب تبارك وتعالى بقوله: ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ أي تطع الله بفعل الأوامر وترك النواهي وتطع رسوله محمداً ﷺ فلا تعص له أمراً ولا تسيء إليه في عشرة، وتعمل صالحاً من النوافل والخيرات نؤتها أجرها مرتين أي نضاعف لها أجر عملها فيكون ضعف أجر عاملة أخرى من النساء غير أزواج الرسول ﷺ. وقوله: ﴿واعتدنا[1] لها رزقا كريما﴾ أي في الجنة فهذه بشارة بالجنة لنساء النبي أمهات المؤمنين التسع اللاتى نزلت هذه الآيات في شأنهن.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣١) وقوله تعالى: ﴿يا نساء النبي[2] لستن كأحد من النساء إن اتقيتن[3]﴾ أي يا زوجات النبي أمهات المؤمنين إنكن لستن كجماعات النساء إن شرفكن أعظم ومقامكن أسمى وكيف وانتن أمهات المؤمنين وزوجات خاتم النبيين فاعرفن قدركن بزيادة الطاعة لله ولرسوله، وقوله إن اتقيتن أي إن هذا الشرف حصل لكن بتقواكن لله فلازمن التقوى إنكن بدون تقوى لا شيء يذكر شأنكن شأن سائر النساء. وبناء عليه ﴿فلا تخضعن[4] بالقول﴾ أي لا تلين الكلمات وترقق الصوت إذا تكلمتن مع الأجانب من الرجال. وقوله تعالى: ﴿فيطمع الذي في

---

(١) التاء في اعتدنا بدل عن أحد الدالين من اعد لقرب مخرجيها وقصد التخفيف.

(٢) أعيد خطابهن من قبل الله تعالى كما أعيد نداؤهن تشريفاً لهن وإظهاراً للاهتمام بالخبر. وأحد بمعنى واحد قلبت همزته واواً.

(٣) هذا الشرط معتبر في التقوى، إذ بين لهن أن هذا الشرف وهذه البشرى بالجنة إنما كانت بشرط التقوى والتقوى اجتناب وامتثال.

(٤) قال ابن عباس: المرأة تندب إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في القول من غير رفع صوت فإن المرأة مأمورة بخفض الكلام.

قلبه مرض﴾ نفاق أو ضعف إيمان مع شهوة عارمة تجعله يتلذذ بالخطاب وقوله: ﴿وقلن قولا معروفا﴾وهو مايؤدي المعنى المطلوب بدون زيادة ألفاظ وكلمات لا حاجة إليها. وقوله: ﴿وقرن[1] في بيوتكن﴾ أي اقررن فيها بمعنى اثبتن فيها ولا تخرجن الا لحاجة لا بد منها وقوله: ﴿ولا تبرجن﴾ أي إذا خرجتن لحاجة ﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي قبل الإسلام إذ كانت المرأة تتجمل وتخرج متبخترة متكسرة متغنجة في مشيتها وصوتها تفتن الرجال.

وقوله تعالى: ﴿وأقمن الصلاة﴾ بآدائها مستوفاة الشروط والأركان والواجبات فى أوقاتها مع الخشوع فيها ﴿وآتين الزكاة، وأطعن الله ورسوله﴾ بفعل الأمر واجتناب النهى. أمرهن بقواعد الإسلام وأهم دعائمه. وقوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ أي إنما أمرناكن ونهيناكن[2] إرادة إذهابِ الدنس والإثم ابقاءً على طهركن يا أهل البيت النبوى.

وقوله تعالى: ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ أي كاملاً تاماً من كل ما يؤثم ويدسى النفس ويدنسها.

وقوله تعالىٰ ﴿واذكرن ما يتلىٰ في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ من الكتاب والسنة وهذا أمر لهنَّ علىٰ جهة الموعظة وتعدد النعمة.

وقوله تعالى: ﴿ان الله كان لطيفاً﴾ أي بكم يا أهل البيت خبيراً بأحوالكم فثقوا فيه وفوضوا الأمر إليه. والمراد من أهل البيت هنا أزواج النبي ﷺ[3] وفاطمة وابْنَاهَا الحسن والحسين وعليٌّ الصهر الكريم رضي الله عن آل بيت رسول الله أجمعين وعن صحابته أكتعين(١) أبْتعين أبصعين..

هداية الأيات

من هداية الآيـات :

١- لا شرف الا بالتقوى. ان اكرمكم عند الله أتقاكم.

٢- بيان فضل نساء النبي وشرفهن.

---

(١) قرأ نافع وحفص وقرن بفتح القاف من قـرر كعلم يقرر والأمر اقررن فحذفت الراء الأولى تخفيفاً وألغيت حركتها على القاف، فسقطت همزة الوصل لعدم الحاجة إليها عندما تحركت القاف الساكنة فصارت وقرن، وقرأ الجمهور بكسر القاف.

(٢) المعنى العام للآية: مـا يريد الله لكن مما أمركن به ونهاكن عنه إلا عصمتكن من النقائص وتحليتكن بالكمالات ودوام ذلك لكن فلم يرد بكن مقتاً ولا نكاية.

(٣) من جهل الرافضة وما وضع لهم من قواعد في دينهم لاخراجهم من الإسلام وإبعادهم عن جماعة المسلمين قصرهم هذه الآية على علي وفاطمة والحسنين دون ازواج النبي ﷺ مع أن الخطاب في الآية لأزواج النبي ﷺ وحديث الكساء لا ينافي ادخال سائر نساء النبي في أهل بيته إذ ليس فيه صيغة من صيغ القصر المعروفة في لغة القرآن ونصه في صحيح مسلم عن عائشة قالت خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.

٣ـ حرمة ترقيق المرأة صوتها وتليين عباراتها اذا تكلمت مع أجنبى .
٤ـ وجوب بقاء النساء في منازلهن ولا يخرجن إلا من حاجة لابد منها .
٥ـ حرمة التبرج وهى أن تتزين المرأة وتخرج بادية المحاسن متبخترة فى مشيتها .
٦ـ على المسلم أن يذكر ما شرفه الله به من الإيمان والإسلام ليترفع عن الدنايا والرذائل .
٧ـ بيان أن الحكمة هى السنة النبوية الصحيحة .
٨ـ الإشارة الى وجود جاهلية ثانية وقد ظهرت منذ نصف قرن وهى تبرج النساء بالكشف عن الرأس والصدور والسيقان وحتى الأفخاذ .

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

إن المسلمين والمسلمات : إن الذين أسلموا لله وجوههم فانقادوا لله ظاهراً وباطناً والمسلمات أيضاً .

والمؤمنين والمؤمنات : أي المصدقين بالله رباً وإلهاً والنبي محمد نبياً ورسولاً والإسلام دينا وشرعاً والمصدقات .

والقانتين والقانتات : أي المطيعين لله ورسوله من الرجال والمطيعات من النساء .

والصادقين والصادقات : أي الصادقين في أقوالهم وأفعالهم والصادقات .

والصابرين والصابرات : أي الحابسين نفوسهم على الطاعات فلا يتركوها وعن المعاصى فلا يقربوها وعلى البلاء فلا يسخطوه ولا يشتكوا الله إلى عباده والحابسات .

الخاشعين والخاشعات : أي المتذللين لله المخبتين له والخاشعات من النساء كذلك.

والمتصدقين والمتصدقات : أي المؤدين الزكاة والفضل من أموالهم عند الحاجة إليه والمؤديات كذلك.

والحافظين فروجهم : أي عن الحرام والحافظات كذلك الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم بالنسبة للرجال أما النساء فالحافظات فروجهن الا على ازواجهن فقط.

والذاكرين الله كثيراً والذاكرات : أي بالألسن والقلوب فعلى أقل تقدير يذكرن الله ثلثمائة مرة في اليوم والليلة زيادة على ذكر الله فى الصلوات الخمس.

أعد الله لهم مغفرة : أي لذنوبهم وذنوبهن.

وأجراً عظيماً : أي الجنة دار الأبرار.

معنى الآيات :

هذه الآية وإن نزلت جواباً عن تساؤل بعض أزواج النبي ﷺ إذ قلن للنبي ﷺ : مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال فأنزل الله[1] تعالى هذه الآية المباركة إن المسلمين والمسلمات، فإن مناسبتها لما قبلها ظاهرة وهى أنه لما أثنى على آل البيت بخير فإن نفوس المسلمين والمسلمات تتشوق لخير لهم كالذى حصل لآل البيت الطاهرين فذكر تعالى أن المسلمين[2] والمسلمات الذين انقادوا لأمر الله ورسوله وأسلموا وجوههم لله فلا يلتفتون إلى غيره، كالمؤمنين والمؤمنات بالله رباً وإلهاً ومحمداً نبياً ورسولاً والإسلام ديناً وشرعا، كالقانتين أي المطيعين لله ورسوله والمطيعات فى السراء والضراء والمنشط والمكره في حدود الطاقة البشرية، كالصادقين في أقوالهم وأفعالهم والصادقات كالصابرين أي الحابسين نفوسهم على الطاعات فعلا، وعن المحرمات تركا، وعلى البلاء رضاً وتسليماً والصابرات كالخاشعين في صلاتهم وسائر طاعاتهم والخاشعات لله تعالى كالمتصدقين بأداء زكاة أموالهم وبفضولها عند الحاجة إليها والمتصدقات كالصائمين رمضان والنوافل كعاشوراء والصائمات، كالحافظين فروجهم عما حرم الله تعالى عليهم من المناكح وعن

---

(١) روى الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء؟ فنزلت الآية، وروى أحمد والنسائي وابن جرير عن أم سلمة أنها قالت قلت ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال فنزلت.

(٢) بدىء بذكر الإسلام لأنه علم على الملة المحمدية وهو يعم الإيمان وعمل الجوارح ثم ذكر الإيمان لأنه كالطاقة المحركة والدافعة إلى القول الحق والطاعة لله ورسوله.

كشفها لغير الأزواج والحافظات،[1] كالذاكرين الله كثيراً بالليل والنهار[2] ذكر القلب واللسان والذاكرات[3] الكل الجميع أعد الله تعالى لهم مغفرة لذنوبهم إذ كانت لهم ذنوب، وأجراً عظيماً أي جزاء عظيماً على طاعاتهم بعد إيمانهم وهو الجنة دار السلام جعلنا الله منهم ومن أهل الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بشرى المسلمين والمسلمات بمغفرة ذنوبهم ودخول الجنة إن اتصفوا بتلك الصفات المذكورة في هذه الآية وهي عشر صفات أولها الإسلام وآخرها ذكر الله تعالى.

٢- فضل الصفات المذكورة إذ كانت سبباً في دخول الجنة بعد مغفرة الذنوب.

٣- تقرير مبدأ التساوي بين الرجال والنساء في العمل والجزاء فى العمل الذي كلف الله تعالى به النساء والرجال معاً وأماماخص به الرجال أو النساء فهو على خصوصيته للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن والله يقول الحق ويهدي السبيل.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ

---

(١) حذف من الآخر لدلالة الأول والمحذوف فروجهن، ولأن ذكر فروج النساء غير لائق ذكره وسماعه لما عرف به أهل هذه الملة من عدم الرضا بذكر النساء لصيانتهن عن الابتذال والمهانة.

(٢) وحذف المقابل في الذاكرات طلباً للإيجاز غير المخل لأن الذكر الآخر مع ذكر الأول مع العلم به إطناب لا داعي له قال الشاعر:

وكَمْتاً مدمّاة كان متونها   جرى فوقها واستشعرت لون مُذْهب

(٣) قال مجاهد: لا يكون العبد ذاكراً لله تعالى كثيراً حتى يذكره قائماً وجالساً ومضطجعاً، وقال أبو سعيد الخدري «من أيقظ أهله بالليل وصليا أربع ركعات كانا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

ما كان لمؤمن ولا مؤمنة : أي لا ينبغي ولا يصلح لمؤمن ولا مؤمنة .

أن يكون لهم الخيرة من أمرهم : أي حق الاختيار فيما حكم الله ورسوله فيه بالجواز أو المنع .

فقد ضل ضلالاً مبيناً : أي أخطأ طريق النجاة والفلاح خطأً واضحاً .

أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق وهو زيد بن حارثة .

واتق الله : أي في أمر زوجتك فلا تحاول طلاقها .

وتخفى في نفسك : أي وتخفى فى نفسك وهو علمك بأنك إذا طلق زيد زينب زوجكها الله إبطالاً لما عليه الناس من حرمة الزواج من امرأة المتبنّى .

ما الله مبديه : أي مظهرهُ حتماً وهو زواج الرسول من زينب بعد طلاقها .

وتخشى الناس : أي يقولوا تزوج محمد مطلقة مولاه زيد .

والله أحق أن تخشاه : وهو الذي أراد لك ذلك الزواج .

فلما قضى زيدٌ منها وطراً : أي حاجته منها ولم يبق له رغبة فيها لتعاليها عليه بشرف نسبها ومحتد آبائها .

زوجناكها : إذ تولى الله عقد نكاحها فدخل النبي ﷺ عليها بدون إذن من أحدٍ وذلك سنة خمس وأُشبع الناس لحماً وخبزاً في وليمة عرسها.

كيلا يكون على المؤمنين حرج : أي إثم في تزوجهم من مطلقات أدعيائهم.

وكان أمر الله مفعولا : أي وما قدره الله في اللوح المحفوظ لابد كائن.

ولا يخشون احداً إلا الله : أي يفعلون ما أذن لهم فيه ربهم ولا يبالون بقول الناس.

وكفى بالله حسيباً : أي حافظاً لأعمال عباده ومحاسبا لهم عليها يوم الحساب.

ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم : أي لم يكن أباً لزيد ولا لغيره من الرجال إذ مات أطفاله الذكور وهم صغار.

وخاتم النبيين : أي لم يجىء نبي بعده إذ لوجاء نبي بعده لكان ولده أهلا للنبوة كما كان أولاد ابراهيم ويعقوب، وداود مثلا.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾(1) الآيات هذا شروع في قصة زواج زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش بنت عمة النبي اميمة بنت عبدالمطلب إنه لما أبطل الله التبني وحرمه بقوله: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ وقوله: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ تبع ذلك أن لا يرث الدعى ممن ادعاه، وان لا تحرم مطلقته على من تبنّاه وادعاه وهكذا بطلت الأحكام التى كانت لازمة للتّبنِّي، وكون هذا نزل به القرآن ليس من السهل على النفوس التى اعتادت هذه الأحكام في الجاهلية وصدر الإسلام أن تتقبلها وتذعن لها بسهولة فأراد الله تعالى أن يخرج ذلك لحيز الوجود فألهم رسوله أن يخطب زينب لمولاه زيد، واستجابت زينب للخطبة فهماً منها أنها مخطوبة لرسول الله لتكون أماً للمؤمنين ولكن تبين لها بعد ليال أنها مخطوبة لزيد بن حارثة مولى رسول الله وليست كما فهمت وهنا أخذتها الحمية وقالت لن يكون هذا لن تتزوّج شريفة مولى من موالى الناس ونصرها أخوها على ذلك وهو عبدالله بن جحش. فنزلت هذه الآية وما

---

(1) روى قتادة وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ خطب زينب بنت جحش وكانت بنت عمته خطبها لمولاه زيد بن حارثة فظنت أن الخطبة له ﷺ فلما تبين انها لمولاه زيد كرهت وأبت وامتنعت فنزلت الآية فاذعنت وقبلت.

كان لمؤمن[1] ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة[2] من أمرهم الآية فما كان منها الا أن قبلت عن رضى الزواج من زيد وتزوجها زيد وبحكم الطباع البشرية فان زينب لم تخف شرفها على زيد وأصبحت تترفع عليه الأمر الذي شعر معه زيد بعدم الفائدة من هذا الزواج فأخذ يستشير رسول الله مولاه ويستأذنه في طلاقها والرسول يأبى عليه ذلك علماً منه أنه إذا طلقها سيزوجه الله بها إنهاءً لقضية جعل أحكام الدُّعى كأحكام الولد من الصُّلب فكان يقول له: اتق الله يا زيد لا تطلق بغير ضرورة ولا حاجة الى الطلاق واصبر على ما تجده من أمرأتك، وهنا عاتب رسول الله ﷺ ربُّه عز وجل إذ قال له: ﴿وإذ تقول﴾[3] أي اذكر إذ تقول ﴿للذي أنعم الله عليه﴾ أي بنعمة الإسلام، ﴿وأنعمت عليه﴾ بأن عتقته ﴿أمسك[4] عليك زوجك واتق الله، وتخفي[5] في نفسك﴾ وهو أمر زواجك منها، ﴿ماالله مُبديه﴾ أي مظهره لا محالة من ذلك ﴿وتخشى[6] الناس﴾ أن يقولوا محمد تزوج امرأة ابنه زيد، ﴿والله أحق أن تخشاه﴾. وقد أراد منك الزواج من زينب بعد طلاقها وانقضاء عدتها هدماً وقضاء على الأحكام التى جعلت الدُّعى كابن الصُّلب.

وقوله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ أي حاجته منها بالزواج بها وطلقها ﴿زوجناكها﴾[7] إذ تولينا عقد نكاحها منك دون حاجة الي وليّ ولا إلى شهود ولا إلى مهر أو صداق وذلك من أجل أن لا يكون على المؤمنين حرج أي إثم في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً، وقوله تعالى: ﴿وكان أمر الله مفعولا﴾ أي وما قضى به الله واقعٌ لا محالة وقوله تعالى: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ أي من إثم أو تضييق فى قول أو فعل شيء افترضه الله تعالى عليه وألزمه به سنة الله في الذين خلوا من قبل من الأنبياء، وكان أمر الله أي مقضيه قدراً مقدوراً أي واقعاً نافذاً لا محالة. وقوله: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ أي

---

(١) هذه الصيغة هي لنفي الحال والشأن فهي أبلغ من صيغ النهي أي أن مثل هذا القول والعمل مما لايكون ولا ينبغي أن يكون نحو قوله تعالى: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) وفي الآية دليل على أن الكفاءة تعتبر في الأديان لافي الأنساب بل هي نص في هذا.

(٢) الخيرة اسم مصدر من تخيّر ومثلها الطيرة من تطير ولم يسمع على هذا الوزن غيرهما، ووقع لفظ مؤمن ومؤمنة نكرة في سياق النفي فأفادتا العموم.

(٣) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت: لو كان رسول الله كاتماً شيئا من الوحي لكتم هذه الآية (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه) الآية وكذا قالت في آية عبس وتولى وهو كما قالت رضي الله عنها وأرضاها.

(٤) جاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال: إن زينب تؤذيني بلسانها وتفعل وتفعل! واني أريد أن أطلقها فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله الآية.

(٥) إن قيل كيف يأمر زيداً بعدم طلاق زينب وهو يعلم أنه سيطلقها ويزوجه الله تعالى بها؟ الجواب لا حرج في هذا ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان والإسلام وهو يعلم انه لايؤمن، لأن الأمر لاقامة الحجة ومعرفة العاقبة.

(٦) ما كان يخشاه هو إرجاف المنافقين واليهود قولهم: اينهى عن نكاح زوجة الابن ويتزوج زوجة ابنه زيد.

(٧) روى أن زينب كانت تقول لرسول الله ﷺ اني لأدل عليك بثلاث! ما من نسائك امرأة تدل بهن: أن جدى وجدك واحد، وأن الله انكحك اياي من السماء، وأن السفر في ذلك جبريل.

هؤلاء الأنبياء السابقون طريقتهم التي سنها الله لهم هي أنهم ينفذون أمر الله ولا يتلفتون الى الناس يقولون ما يقولون، ويخشون ربهم فيما فرض عليهم ولا يخشون غيره، وكفى بالله حسيباً أي حافظاً لأعمال عباده ومحاسباً عليها ومُجازِبها، وقوله تعالى في ختام السياق ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ لا زيد ولا غيره إذ لم يكن له ولد ذكر قد بلغ الحلم إذ مات الجميع صغاراً وهم أربعة ثلاثة من خديجة وهم القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وهو من مارية القبطية، فلذا لا يحرم عليه أن يتزوج مطلقة زيد لأنه ليس بابنه وان كان يدعى زيد بن محمد قبل إنهاء التبني وأحكامه ولكن رسول الله وخاتم النبيين فلا نبى بعده فلو كان له ولد ذكر رجلاً لكان يكون نبياً ورسولاً كما كان أولاد ابراهيم واسحق ويعقوب وداود، ولما أراد الله أن يختم الرسالات برسالته لم يأذن ببقاء أحد من أولاد نبيِّه بل توفاهم صغاراً، أما البنات فكبرن وتزوجن وأنجبن ومتن حال حياته الا فاطمة فقد ماتت بعده بستة أشهر وقوله تعالى: ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ فما أخبر به هو الحق وما حكم به هو العدل وما شرعه هو الخير فسلموا لله فى قضائه وحكمه فإن ذلك خير وأنفع.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١- بيان أن المؤمن الحق لا خِيرة عنده في أمر قضى فيه الله ورسوله بالجواز أو المنع.

٢- بيان أن من يعص الله ورسوله يخرج عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة.

٣- جواز عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ.

٤- بيان شدة حياء الرسول ﷺ.

٥- بيان إكرام الله لزيد بأن جعل اسمه يقرأ على ألْسِنَة المؤمنين الى يوم الدين.

٦- بيان إفضال الله على زينب لما سلمت أمرها لله وتركت ما اختارته لما اختاره الله ورسوله فجعلها زوجة لرسول الله وتولى عقدنكاحها في السماء فكانت تفاخر نساءها بذلك.

٧- تقرير حديث ما تركِ عبد شيئاً لله الا عوضه الله خيراً منه.

٨- إبطال أحكام التَّبني التى كانت في الجاهلية.

٩- تقرير نبوة الرسول ﷺ وكونه خاتم الأنبياء فلا نبيّ بعده.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم

﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا : أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً.

اذكروا الله ذكراً كثيراً : أي بقلبوكم وألسنتكم.

وسبحوه بكرة وأصيلاً : أي نزهوه بقول سبحان الله وبحمده صباحاً ومساء.

هو الذي يصلي عليكم : أي يرحكمكم.

وملائكته : أي يستغفرون لكم.

ليخرجكم من الظلمات : أي يرحكمكم ليديم اخراجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

تحيتهم يوم يلقونه سلام : أي سلام عليكم فالملائكة تسلم عليهم.

وأعد لهم أجراً كريما : أي وهيأ لهم أجراً كريماً وهو الجنة.

معنى الآيات :

هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين ليعلمهم ما يزيد به إيمانهم ونورهم، ويحفظون به من عدوهم وهو ذكر الله فقال تعالى لهم ﴿يا أيها الذين آمنوا[1] اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ لا حد له ولا حصر إذ هو الطاقة التى تساعد على الحياة الروحية، وسبحوه[2] بكرة وأصيلاً بصلاة الصبح وصلاة العصر. وبقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر دبر كل صلاة من الصلوات الخمس. وقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلى[3] عليكم وملائكته﴾ وصلاته تعالى عليهم

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذر واحد في ترك ذكر الله إلا من غلب عليه عقله وورد في فضل الذكر قوله ﷺ الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل ـ وقوله وقد جاءه اعرابيان فقال احدهما يارسول الله أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله وقال الآخر إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فمرني بأمر أتشبث به. فقال ﷺ لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى.

(٢) يجوز أن يراد بالتسبيح صلوات النوافل، وجائز أن يكون التسبيح نحو سبحان الله وبحمده إذ ورد عنه ﷺ وصح من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفر له ما تقدم من ذنبه.

(٣) الصلاة الدعاء والذكر بخير وهي من الله تعالى ثناؤه على العبد بين الملائكة قاله البخاري وقيل صلاة الله تعالى على العبد الرحمة ويكون على النبي الثناء عليه وعلى غير النبي الرحمة وهذا أولى، ولا منافاة بين القولين لقوله تعالى: فاذكروني أذكركم. وهي من الملائكة دعاء واستغفار لقوله تعالى الذي يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا الآية من سورة المؤمن.

رحمته لهم، وصلاة ملائكته الاستغفار لهم وقوله ليخرجكم من الظلمات أي من ظلمات الكفر والمعاصي الى نور الإيمان والطاعات. فصلاته تعالى وصلاة ملائكته هي سبب الإخراج من الظلمات إلى النور. وقوله تعالى ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ وهذه علاوة أخرى زيادة على الإكرام الأول وهو الصلاة عليهم وإنه بالمؤمنين عامة رحيم فلا يعذبهم ولا يشقيهم. وقوله ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام[1]﴾ أي وتحيتهم يوم القيامة في دار السلام السلام إذْ الملائكة يدخلون عليهم من كل باب قائلين سلام عليكم أي أمان وأمنةٌ لكم فلا خوف ولا حزن. وقوله ﴿وأعد لهم أجراً كريماً﴾ أي هيأ لهم وأحضر أجراً كريماً وهي الجنة. فسبحان الله ما أكرمه وسبحان الله ما أسعد المؤمنين. فيا لفضيلة الإيمان وطاعة الرحمن طلب منهم أن يذكروه كثيراً وأن يسبحوه بكرة وأصيلاً وأعطاهم ما لا يقادر قدره فسبحان الله ما أكرم الله. والحمد لله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب ذكر الله تعالى كثيراً ليل نهار ووجوب تسبيحه صباح مساء.

٢- بيان فضل الله على المؤمنين بصلاته عليهم وصلاة ملائكته ورحمته لهم.

٣- تقرير عقيدة البعث بذكر بعض ما يتم فيها من سلام الملائكة على أهل الجنة.

٤- بشرى المؤمنين الصادقين بالجنة.

يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

---

(١) ورد أن ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه وروي عن البراء بن عازب في قوله تعالى: تحيتهم يوم يلقونه سلام قال فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه، ولا يقبض روحه حتى يسلم عليه.

شـرح الكلمات :

شـاهدا	: أي على من أرسلناك إليهم.
ومبشـــراً	: أي من آمن وعمل صالحـاً بالجنـة.
ونـــذيراً	: أي لمن كفروأشرك بالنار.
وداعيا الى الله بإذنه	: أي وداعياً إلى الإيمان بالله وتوحيده وطاعته بأمره تعالى.
وسراجـا منيرا	: أي وجعلك كالسراج المنير يهتدي به من أراد الهداية إلى سبيل الفلاح.
ولا تطع الكافرين والمنافقين	: أي فيما يخالف أمر ربك وما شرعه لك ولأمتك.
ودع اذاهـم	: أي أترك أذاهم فلا تُقابلهُ بأذىً آخر حتى تُؤمر فيهم بأمر.
وتوكل على الله	: أي فوض أمرك إليه فإنه يكفيك.

معنى الآيات :

هذا نداء خاص بعد ذلك النداء العام فالأول كان للمؤمنين والرسول إمامهم على رأسهم. وهـذا نداء خاص لمزيد تكريم الرسول وتشريفه وتكليفه أيضاً فقال تعالى: ﴿يا أيها النبي﴾ محمد ﷺ ﴿إنا أرسلناك﴾[1] حال كونك شاهداً على[2] من أرسلناك إليهم يوم القيامة تشهد على من أجاب دعوتك ومن لم يجبها، ومبشراً لمن استجاب لك فآمن وعمل صالحاً بالجنة، ونذيراً لمن أعرض فلم يؤمن ولم يعمل خيراً بعذاب النار، وداعياً إلى الله تعالى عباده إليه ليؤمنوا به ويوحدوه ويطيعوه بأمره تعالى لك بذلك، وسراجاً[3] منيراً يهتدى بك من أراد الاستهداء إلى سبيل السعادة والكمال.

وقوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي أنظر بعد دعوتك إياهم، وبشر المؤمنين منهم أي الذين استجابوا لك وآمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم من الله فضلا كبيراً الا وهو مغفرة ذنوبهم وإدخالهم الجنـة دار النعيم المقيم والسلام التام. وقوله تعالى: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ فيما

(١) قال القرطبي: هذه الآية فيها تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين وتكريم لجميعهم.
(٢) قال قتادة شاهداً على أمته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم.
(٣) ورد في الصحيح والموطأ ومسلم أن للرسول ﷺ خمسة اسماء وهي محمد واحمد والماحي والحاشر والعاقب وهل شاهد ومبشر ونذير ورؤوف ورحيم أسماء؟ الظاهر أنها صفات ومن عدها أسماء فقد ذكر ابن العربي في أحكامه أن له ﷺ سبعة وستين اسماً.
(٤) عن عكرمة وابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت «يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً» وقد كان أمر علياً ومعاذاً رضي الله عنهما ان يسيراً إلى اليمن فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا إنه قد أنزل عليّ (ياأيها النبي) الآية.

يقترحون عليك من أمور تتنافى مع دعوتك ورسالتك، ودع أذاهم أي اترك أذيتهم واصبر عليهم حتى يأمرك ربك بما تقوم به نحوهم، وتوكل على الله في أمرك كله، فإنه يكفيك وكفى بالله وكيلاً أي حافظاً وعاصماً يعصمك من الناس.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١- بيان الكمال المحمدي الذي وهبه إياه ربّه تبارك وتعالى.

٢- مشروعية الدعوة الى الله إذا كان الداعى متأهلاً بالعلم والحلم وهما الإذن.

٣- حرمة طاعة الكافرين والمنافقين والفجرة والظالمين فيما يتنافى مع مرضاة الله تعالى.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

شـرح الكلـمات :

يا أيها الذين آمنوا : أي يا من صدقوا بالله ورسوله وكتابه وشرعه.

إذا نكحتم المؤمنـات[١] : أي إذا عقدتم عليهن ولم تبنوا بهن .

من قبل أن تمسـوهن : أي من قبل الخلوة بهن ووطئهن.

فما لكم عليهن من عدة : أي ليس لكم مطالبتهن بالعدة إذ العدة على المدخول بها.

فمتعوهـــن : أي أعطوهن شيئاً من المال يتمتعن به جَبْراً لخاطرهن.

وسرِّحوهن سراحا جميلا : أي اتركوهن يذهبن إلى أهليهن من غير إضرارٍ بهن.

معنى الآيـة الكريمة :

ينـادى الله تعـالى عبـاده المؤمنين المسلمين فيقول لهم معلماً مشرعاً لهم: ﴿إذا نكحتم[٢]

---

(١) بمناسبة طلاق زيد لزينب أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقد خطبها رسول ﷺ وزوجه ربه بها وله الحمد ناسب ذكر حكم المطلقة قبل البناء وأنها لا عدة عليها، وأنه لا مهر لها ولكن لها المتعة إن لم يكن قد سمى لها مهراً.

(٢) النكاح حقيقة في الوطء ويطلق ويراد به العقد كما في هذه الآية الكريمة ولم يرد في القرآن الكريم النكاح إلا والمراد منه العقد، لأنه في معنى الوطء، وهذا من أدب القرآن حيث يكنى عن الوطء بمثل المباشرة والملامسة والقربان و التغشي والإتيان.

المؤمنات﴾ أي عقدتم عليهن، ﴿ثم طلقتموهن[1] من قبل أن تمسوهن﴾ أي من قبل الدخول عليهن الذي يتم بالخلوة في الفراش، ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾ تعتدونها عليهن لا بالاقراء ولا بالشهور إذْ العدة لمعرفة ما في الرحم وغير المدخول بها معلومة أن رحمها خالية، فإن سميتم لهنّ مهراً فلهن نصف المُسمّى والمتعة على سبيل الاستحباب، وإن لم تسموا لهن مهراً فليس لهن غير المتعة وهى هنا واجبة لهن بحسب يسار المُطلّق وإعْساره وقوله: ﴿وسرحوهن سراحا جميلاً﴾ أي خلوا سبيلهن يذهبن إلى ذويهن من غير إضرار بهن ولا أذى تلحقونه بهن.

هداية الآيـة الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١ـ جـواز الطلاق قبل البناء.

٢ـ ليس على المطلقة قبل الدخول بها عدة بل لها أن تتزوج ساعة ما تطلق.

٣ـ المطلقة قبل البناء إن سمى[2] لها صداق فلها نصفه، وإن لم يسم لها صداق فلها المتعة واجبة يقدرها القاضي بحسب سعة المطلق وضيقه.

٤ـ حرمة أذية المطلقة بأي أذى، ووجوب تخلية سبيلها تذهب حيث شاءت.

٥ـ مشروعية المتعة لكل مطلقة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ

---

(١) استدل بعض العلماء بقوله تعالى ثم طلقتموهن لما في ثم من المهلة على أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح أي العقد، وأن من طلق امرأة قبل العقد عليها طلاقه لاغ لا عبرة به، وأن عينها فانه لا يلزمه هذا مذهب نحو من ثلاثين صحابياً وتابعيا واماما سمى البخاري منهم اثنين وسبعين وفي الحديث لاطلاق قبل النكاح وقال الجمهور ان عينها تطلق وان لم يعينها فلا طلاق عليه.

(٢) استدل الظاهرية بهذه الآية على أن من طلق طلاقاً رجعياً ثم راجع قبل أن تنقضي العدة ثم طلقها قبل أن يمسها انه ليس عليها أن تتم عدتها وليس عليها عدة أخرى قياساً على المطلقة قبل البناء والجمهور على انها تستقبل عدة أخرى وعليه مالك وجمهور فقهاء مكة والكوفة والمدينة.

وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

آتيت أجورهن : أي أعطيت مهورهن.

مما أفاء الله عليك : أي مما يسبى كصفية وجويرية.

اللاتى هاجرن معك : أي بخلاف من لم تهاجر وبقيت في دار الكفر.

وهبت نفسها للنبي : أي وأراد النبي ان يتزوجها. بغير صداق.

خالصة لك من دون المؤمنين: أي بدون صداق.

قد علمنا ما فرضنا عليهم : أي على المؤمنين.

في أزواجهم : أي من الأحكام كأن لايزيدوا على أربع، وأن لا يتزوجوا الا بولي ومهر وشهود.

وما ملكت أيمانهم : أي بشراء ونحوه وان تكون المملوكة كتابية، وأن تستبرأ قبل الوطء.

لكيلا يكون عليك حرج : أي ضيق في النكاح.

معنى الآية الكريمة :

هذا النداء الكريم لرسول ربّ العالمين يحمل لرسول الله ﷺ إجازة ربانية تخفف عنه أتعابه التي يعانيها ﷺ لقد علم الله ما يعاني رسوله وما يعالج من أمور الدين والدنيا فمنَّ عليه بالتخفيف

ورفع الحرج فقال ممتناً عليه ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾[1] أي مهورهن وأحللنا لك ﴿ما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ من سبايا الجهاد كصفية بنت حيي وجويرية بنت الحارث، ﴿وبنات عمك[2] وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾[3] من مكة إلى المدينة.

أما اللاتي لم تهاجر فلا تَحِلّ لك، وامرأة مؤمنة أي وأحللنا لك امرأة مؤمنة لا كافرة إن وهبت نفسها للنبي بدون مهر وأراد النبي أن يستنكحها حال كون هذه الواهبة خالصة لك دون المؤمنين فالمؤمن لو وهبت له امرأة نفسها بدون مهر لم تحل له بل لا بد من المهر والولي والشهود.

وقوله تعالى ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي على المؤمنين في أزواجهم من أحكام كأن لا يزيد الرجل على أربع، وأن لا يتزوج إلا بولي ومهر وشهود، والمملوكة لا بد أن تكون كتابية أو مسلمة، وأن لا يطأها قبل الاستبراء بحيضة قد علمنا كل هذا وأحللنا لك ما أحللنا خصوصية لك دون المؤمنين وذلك تخفيفاً عليك لكيلا يكون عليك حرج أي ضيق ومشقة وكان الله غفوراً لك ولمن تاب من المؤمنين رحيماً بك وبالمؤمنين.

هداية الآية

من هداية الآية :

١- بيان إكرام الله تعالى لنبيه[4] في التخفيف عليه رحمة به فأباح له أكثر من أربع، وقصر المؤمنين على أربع أباح له الواهبة نفسها أن يتزوجها بغير مهر ولا ولي ولم يبح ذلك للمؤمنين فلا بد من مهر وولي وشهود.

٢- تقرير أحكام النكاح للمؤمنين وأنه لم يطرأ عليها نسخ بتخفيف ولا بتشديد.

٣- بيان سعة رحمة الله ومغفرته لعباده المؤمنين.

---

(١) هذه الآية من المتقدم في التلاوة المتأخر في النزول ونظيرها آيتي الوفاة في البقرة على رأى الجمهور. إذ مضمون هذه الآية التوسعة على الرسول ﷺ اكراماً له لما تحمله من نكاح زينب ثم قصره في الآيات بعد على من تحته من النساء إكراماً لهن ايضاً وذلك في قوله لا يحل لك النساء من بعد. ثم لم يقبض حتى رفع الله تعالى عنه الحظر اكراماً واعلاء من شأنه إذ قالت عائشة. ما مات رسول الله ﷺ وسلم حتى أحل له النساء.

(٢) وحد العم والخال وجمع العمات والخالات لان العم والخال استعمل استعمال أسماء الأجناس الدالة على متعدد واللفظ موحد كالإنسان واللفظ واحد وهو دال على كل انسان من بني آدم.

(٣) المعية هنا «معك» هي الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة إذ أحل له من هاجرت سواء كانت في رفقته أو في رفقة أخرى، ولم يهاجر في رفقته امرأة قط.

(٤) من جملة خصائصه ﷺ أن فرض عليه أموراً لم تفرض على الأمة كقيام الليل مثلا وأباح له أموراً لم تُبَحْ للأمة كنكاح الواهبة بدون مهر، وحرم عليه أموراً لم تحرم على الأمة كحرمة الصدقة ذكر هذه الخصائص القرطبي في تفسيره عند تفسير هذه الآية.

﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ
ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا
﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

ترجي من تشاء منهن : أي تؤخر من نسائك .

وتؤوي إليك من تشاء : أي وتضم إليك من نسائك من تشاء فتأتيها .

ومن ابتغيت : أي طلبت.

ممن عزلت : أي من القسمة .

فلا جناح عليك : أي لا حرج عليك في طلبها وضمها إليك خيره ربه في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه .

ذلك أدنى أن تقر أعينهن : أي ذلك التخيير لك في إيواء من تشاء وترك من تشاء أقرب إلى أن تقر أعينهن ولا يحزن .

ويرضين بما آتيتهن : أي مما أنت مخير فيه من القسم وتركه ، والعزل والايواء .

والله يعلم ما في قلوبكم : أي من حب النساء ـ أيها الفحول ـ والميل الى بعض دون بعض وإنما خير الله تعالى رسوله تيسيراً عليه لعظم مهامه .

وكان الله عليما حليما : أي عليما بضعف خلقه حليماً عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل التوبة .

لا يحل لك النساء من بعد: أي لا يجوز لك أن تتزوج بعد هؤلاء التسعة اللاتي اخترنك إكراماً لهن وتخفيفاً عنك .

ولا أن تبدل بهن من ازواج: أي بأن تطلق منهن وتتزوج أخرى بدل المطلقة لا. لا.
ولو أُعجبك حسنهن : ما ينبغي أن تطلق من هؤلاء التسع وتتزوج من أعجبك حسنها.
الا ما ملكت يمينك : أي فالأمر في ذلك واسع فلا حرج عليك في التسرى بالمملوكة، وقد تسرى ﷺ بمارية المهداة إليه من قبل ملك مصر وولدت له إبراهيم ومات في سن رضاعه عليه السلام.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في شأن التيسير على رسول الله ﷺ والتخفيف فقد تقدم أنه أُحل له النساء يتزوج من شاء مما ذكر له وخصه بالواهبة نفسها يتزوجها بدون مهر ولا ولي وفي هذه الآية الكريمة (٥١) ﴿ترجى من[1] تشاء منهن﴾ الآية وسع الله تعالى عليه بأن أذن له في أن يعتزل وطء من يشاء، وأن يرجىء من يشاء، وأن يؤوي إليه ويضم من يشاء وأن يطلب من اعتزلها إن شاء فلا حرج عليه في كل ذلك، ومع هذا فكان يقسم بَيْنَ نسائه، ويقول اللهم هذاقسمي فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك اللهم إلا ما كان من سودة رضى الله عنها فإنها وهبت ليلتها لعائشة رضى الله عنها. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشـاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك[2]﴾ وقوله ذلك أدنى أي ذلك التخيير لك في شأن نسائك أقرب أن تقر أعينهن أي يفرحن بك، ولا يحزن عليك، ويرضين بما تتفضل به عليهن من إيواء ومباشرة.

وقوله تعالى ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ أي أيها الناس من الرغبة في المخالطة، وميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، وإنما خيَّر الله رسوله هذا التخيير تيسيراً عليه وتخفيفاً لما له من مهام لا يطمع فيها عظماء الرجال ولو كان في القوة والتحمل كالجبال أو الجمال.

وقوله تعالى ﴿وكان الله عليما﴾ أي بخلقه وحاجاتهم. حليماً عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل ممن تاب التوبة.

---

(١) ترجي بدون همزة وترجىء مهموز لغتان فصيحتان من ارجى وأرجأ الأمر إذا أخره والآية تحمل التوسعة والتخفيف عنه ﷺ فاسقط عنه واحب القسم بين أزواجه ومع هذا فكان يقسم. لأن الآية تفيد التخيير والاذن لا غير.

(٢) الجناح الميل يقال جنحت السفينة إذا مالت إلى الأرض أي لا ميل عليك بلوم أو توبيخ أو عتاب. في الآية وجوب القسمة بين الزوجات والعدل بينهن فيعطي لكل زوجة يوماً وليلة فيقيم عندها في يومها ولو كانت مريضة أو نفساء أو حائضاً وإن مرض هو فكذلك إلا أن يأذن له بالتمريض عند إحداهن كما استأذن رسول الله ﷺ بأن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فاذن له في ذلك.

وقوله تعالى في الآية (٥٢) [(١)] ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ أي لا يحل لك يا رسولنا النساء بعد هؤلاء التسع اللائى خيرتهن فاخترن الله واخترنك وأنت رسوله واخترن الدار الآخرة فاعترافا بمقامهن قصرك الله عليهن بعد الآن فلا تطلب امرأة أخرى ببدل أو بغير بدل، ومعنى ببدل: أن يطلق منهن واحدة أو أكثر ويتزوج بدلها. وهو معنى قوله تعالى: ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن﴾ وقوله ﴿الا ما ملكت يمينك﴾ أي فلا بأس بأن تتسرى بالجارية تملكها وقد تسرى بمارية القبطية التى أهداها له المقوقس ملك مصر مع بغلة بيضاء تسمى الدُّلْدُلْ وهي أول بغلة تدخل الحجاز، وقد أنجبت مارية إبراهيم ولد رسول الله ﷺ وتوفى في أيام رضاعه عليه وعلى والده ألف ألف سلام.

وقوله تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ أي حفيظاً عليما فخافوه وراقبوه ولا تطلبوا رضا غيره برضاه فإنه إلهكم الذي لا إله لكم سواه به حياتكم وإليه مرجعكم بعد مماتكم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله بالتيسير والتسهيل عليه لكثرة مهامه.

٢- ما خير الله فيه رسوله لا يصح لأحد من المسلمين اللهم إلا أن يقول الرجل للمرأة كبيرة السن أو المـريضـة أي فلانة إنى أريد أن أتزوج أُحصن نفسي وأنت كما تعلمين عاجزه فإن شئت طلقتك، وإن شئت تنازلت عن ليلتك فإن اختارت البقاء مع التنازل عن حقها في الفراش فلا بأس بذلك.

٣- في تدبير الله لرسوله وزوجاته من الفوائد والمصالح مالا يقادر قدره.

٤- تقرير مبدأ (ما ترك أحد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه) تجلّى هذا في اختيار نساء رسول الله ﷺ لله ورسوله والدار الآخرة.

٥- وجوب مراقبة الله تعالى وعدم التفكير في الخروج عن طاعته بحال من الأحوال.

[تنبيـه هـــام]

إذنُ الله تعالى لرسوله ﷺ بالزواج بأكثر من أربع كان لحكم عالية، وكيف والمشرع هو الله العليم الحكيم من تلك الحكم العالية ما يلي:

---

(١) اختلف في أحكام هذه الآية ونسخها وهل نسخها بالكتاب أو السنة والراجح أنها منسوخة بآية ترجى من تشاء وتؤوي إليك من تشاء ورجح بعضهم نسخها بالسنة إذ قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء.

(١) اقتضاء التشريع الخاص بالنساء ومنه مالا يطلع عليه إلا الزوجان تَعَدُّدَ الزوجات ليروين الأحكام الخاصة بالنساء، ولصحة الرواية وقبولها فى الأمة تعدد الطرق وكثرة الرواة والروايات.

(٢) تطلُّب الدعوة الإسلامية في أيامها الأولى مناصرين لها أقوياء ولا أفضل من أصهار الرجل الداعي فإنهم بحكم العرف يقفون إلى جنب صهرهم محقاً أو مبطلاً كان.

(٣) أن المؤمنين لا أحب إليهم من مصاهرة نبي الله ليظفروا بالدخول عليه في بيته والخلوة به وما أعزها. فأي المؤمنين من لا يرغب أن تكون أمه أو أخته أو بنته أما لكل المؤمنين إني والله لا أحب إليّ من أن أكون أنا وزوجتي وسائر أولادي خدماً في بيت رسول الله ﷺ. فلذا وسع الله على رسوله لِيَتَّسع على الأقل للأرامل وربات الشرف حتى لا يدنس شرفهن.

(٤) قد يحتاج رسول الله ﷺ الى مكافأة بعض من أحسن إليه ولم يجد ما يكافئه به ويراه راغباً في مصاهرته فيجيبه لذلك ومن هذا زواجه بكل من عائشة بنت الصديق وحفصة بنت الفاروق رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) قد زوجه ربّه بزينب وهو كاره لذلك يتهرب منه خشية قالة الناس وما كانوا يعدونه منكراً وهو التزوج بامرأة الدعى المتبنى بعد طلاقها أو موت زوجها هذه بعض الحكم التي اقتضت الإذن لرسول الله ﷺ في التزوج أكثر من أربع مع عامل آخر مهم وهو قدرة رسول الله ﷺ على العدل والكفاية الأمر الذي لن يكون لغيره أبداً.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن
يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا
يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن
وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن

تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾
لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ
إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا: أي يا من صدقوا بالله ووعده ووعيده وبالرسول وما جاء به.

إلا أن يؤذن لكم : أي في الدخول بأن يدعوكم إلى طعام.

غير ناظرين إناه : أي غير منتظرين وقت نضجه أي فلا تدخلوا قبل وقت إحضار الطعام وتقدم المدعوين إليه بأن يستغل أحدكم الاذن بالدعوة للطعام فيأتي قبل الوقت ويجلس في البيت فيضايق رسول الله ﷺ وأهله.

فاذا طعمتم فانتشروا : أي إذا أكلتم الطعام وفرغتم فانتشروا عائدين الي بيوتكم أو أعمالكم ولا يبق منكم أحد.

ولا مستأنسين لحديث : أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً.

إن ذلكم كان يؤذي النبي : أي ذلكم المكث في بيوت النبي كان يؤذي النبي ﷺ

فيستحي منكم : أي أن يخرجكم.

والله لا يستحي من الحق : أن يقوله ويأمر به ولذا أمركم أن تخرجوا.

من وراء حجاب : أي ستر كباب ورداء ونحوه.

أطهر لقلوبكم وقلوبهن : أي من الخواطر الفاسدة.

إن ذلكم كان عند الله عظيما : أي إن أذاكم لرسول الله كان عند الله ذنباً عظيما.

إن تبدوا شيئاً أو تخفوه : أي إن تظهروا رغبة في نكاح أزواج الرسول بعد وفاته أو تخفوه في نفوسكم فسيجزيكم الله به شر الجزاء.

لا جناح عليهن في آبائهن.الخ: أي لا حرج على نساء الرسول في أن يظهرن لمحارمهن المذكورين في الآية.

ولا نسـائهـن : أي المـؤمنات أما الكافرات فلا.

ولا ما ملكت أيمانهن : أي من الإمــاء والعبيد في أن يرونهن ويكملونهن من دون حجاب.

واتقين الله : أي يا نساء النبي فيما أُمرتن به من الحجاب وغيره.

معنى الآيـات :

لما بين تعالى لرسوله ما ينبغي له مراعاته من شأن أزواجه أمهات المؤمنين بين تعالى بهذه الآية (٥٤) ما يجب على المؤمنين مراعاته أيضا نحو أزواج النبي أمهاتهم فقال ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ حقا وصدقا ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ بالدخول إلى طعام تطعمونه غير[١] ناظرين إناه أي وقته، وذلك أن هذه الآية والمعروفة بآية الحجاب نزلت في شأن نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لما أكلوا طعام الوليمة التى أقامها رسول الله لما زوجّه الله بزينب بنت جحش رضى الله عنها، وكان الحجاب ما فرض بعد على النساء مكثوا بعد انصراف الناس يتحدثون فقام رسول الله ﷺ وخرج أمامهم لعلهم يخرجون فما خرجوا وتردد رسول الله على البيت فيدخل ويخرج رجاء أن يخرجوا معه فلم يخرجوا واستحى ﷺ أن يقول لهم هيا فاخرجوا. فأنزل الله تعالى هذه الآية فقوله تعالى، غير ناظرين إناه[٢] يعني ذلك النفر ومن يريد أن يفعل فعلهم فإذا وجه إليه أخوه استدعاء لحضور وليمة بعد الظهر مثلاً أتى إلى المنزل من قبل الظهر يضايق اهل المنزل فهذا معنى غير ناظرين إناه أي وقته لأن الإنى هو الوقت.

وقوله ولكن إذا دعيتم فادخلوا أي فلا تدخلوا بدون دعوة أو إذن فاذا طعمتم أي فرغتم من الأكل فانصرفوا منتشرين في الأرض فهـذا الى بيته وهذا الى بيت ربه وهذا إلى عمله. وقوله: ﴿ولا مستـأنسين لحـديث﴾ أي ولا تمكثـوا بعـد الـطعـام يحـدث بعضكم بعضاً مستأنسين بالحـديث. حرم تعالى هذا عليكم أيها المؤمنون لأنه يؤذى رسوله. وان كان الرسول لكمال أخلاقه لا يأمركم بالخروج حياءً منكم فالله لا يستحي من الحق فلذا أمركم بالخروج بعد الطعام

---

(١) غير ناظرين إناه غير منصوب على الحال والآية تضمنت الأدب في حال الجلوس والطعام كما تضمنت مشروعية الحجاب.

(٢) أي غير منتظرين وقت نضجه، واناه مقصور، وفيه لغات إني بكسر الهمزة وأني بفتح الهمزة والنون وأنا بفتح الهمزة والمد قال الحطيئة:

وأخرت العشاء إلى سهيل ... أو الشعرى فطال بي الاناء

والفعل أنى يأنى أنى إذا حان وأدرك وفرغ.

مراعاة لمقام رسوله محمد ﷺ وقوله تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً﴾[1] أي طلبتم شيئاً من الأمتعة التى توجد في البيت كإناء ونحوه فاسألوهن من وراء حجاب أي باب وستر ونحوهما لا مواجهة لحرمة النظر إليهن. وقوله ذلكم أطهر لقلوبكم أنتم أيها الرجال وقلوبهن أيتها الأمهات أطهر أي من خواطر السوء الفاسدة التي لا يخلو منها قلب الإنسان إذا خاطب فحل أنثى أو خاطبت امرأة فحلا من الرجال.

وقوله تعالى: ﴿وما كان لكم﴾ أي ما ينبغي ولا يصح أن تؤذوا رسول الله أي أذىً ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أي ولا أن تتزوجوا بعد وفاته نساءه فإنهن محرمات على الرجال تحريم الأمهات تحريماً مؤبداً لا يحل بحال، وقوله تعالي: ﴿إن ذلكم﴾[2] أي المذكور من أذى رسول الله والزواج من بعده بنسائه كان عند الله أي في حكمه وقضائه وشرعه ذنباً عظيماً لا يقادر قدره ولا يعرف مدى جزائه وعقوبته إلا الله.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٣) وقوله تعالى إن تبدواشيئاً أي تظهروه أو تخفوه أي تستروه يريد من الرغبة في الزواج من نساء الرسول بعد موته ﷺ فإن الله كان بكل شيء عليماً وسيجزيكم بتلك الرغبة التي أظهرتموها أو أخفيتموها في نفوسكم شرَّ الجزاء وأسوأه. فاتقوا الله وعظموا ما عظم من حرمات رسوله ﷺ. هذا ما دلت عليه الآية (٥٤).

وقوله تعالى في الآية (٥٥) لا جناح عليهن[3] أي لا تضييق ولا حرج ولا إثم على النساء المؤمنات من أزواج النبي ﷺ وغيرهن من نساء المؤمنين في أن يظهرن وجوههن ويكلمن بدون حجاب أي وجها لوجه آباءهن الأب والجد وان علا، وابناءهن الابن وابن الابن وان نزل وابن البنت كذلك وان نزل. واخوانهن وابناء اخوانهن وان نزلوا وأبناء اخواتهن وان نزلوا، ومما ليكهن من إماء وعبيد.

وقوله تعالى ﴿واتقين الله إن الله كان بكل شيء عليما﴾[4] أمر من الله لنساء النبي ونساء المؤمنين بتقوى الله فيما نهاهن عنه وحرمه عليهن من ابداء الوجه للأجانب غير المحارم المذكورين في

---

(١) روى ابو داود عن أنس بن مالك قال عمر: وافقت ربي في أربع الحديث وفيه قلت يا رسول الله لو ضربت الحجاب على نسائك يدخل عليهن البر والفاجر فانزل الله عز وجل وإذا سألتموهن الآية.

(٢) روى ان رجلاً من المنافقين لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة قال: فما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو قد مات لأجلنا السهام على نسائه فانزل الله تعالى هذه الآية، فحرم الله نكاح أزاجه من بعده وجعل لهن حكم الأمهات وقال ﷺ زوجاتي في الدنيا هن زوجاتي في الآخرة وهذه علة من علل التحريم أيضا.

(٣) روى انه لما نزلت آية الحجاب تساءل الآباء والأقارب: هل نحن أيضاً لا نكلمهن إلا من وراء حجاب؟ فنزلت هذه الآية لاجناح عليهن في آبائهن الخ.

(٤) لما ذكر تعالى الرخصة للمحارم أمر النساء بتقـواه تعالـى فامرهـن بـذلك حتى لا يتجاوز من أذن لهن بالنظر إليهم في المحارم إلى غيرهم وذلك لقلة تحفظ النساء وكثرة استرسالهن.

الآية وتذكيرهم بشهود الله تعالى لكل شيء واطلاعه على كل شيء ليكون ذلك مساعداً على التقوى.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان ما ينبغي للمؤمنين ان يلتزموه من الآداب في الاستئذان والدخول على البيوت لحاجة الطعام ونحوه.

٢ـ بيّان كمال الرسول ﷺ في خلقه فى أنه ليستحي أن يقول لضيفه أُخرج من البيت فقد انتهى الطعام.

٣ـ وصف الله تعالى نفسه بأنه لا يستحي من الحق أن يقوله ويأمر به عباده.

٤ـ مشروعية مخاطبة الأجنبية من وراء حجاب ستر ونحوه.

٥ـ حرمة أذية رسول الله ﷺ وانها جريمة كبرى لا تعادل بأخرى.

٦ـ بيان أن الإنسان لا يخلو من خواطر السوء إذا كلم المرأة ونظر إليها.

٧ـ حرمة نكاح ازواج الرسول بعد موته وحرمة الخاطر بخطر بذلك.

٨ـ بيان المحارم الذين للمسلمة أن تكشف وجهها أمامهم وتخاطبهم بدون حجاب.

٩ـ الأمر بالتقوى ووعيد الله لمن لا يتقه في محارمه.

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ
عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾

شـرح الكلمات :

يصلون على النبي : صلاة الله على النبي هي ثناؤه ورضـوانـه عليه، وصـلاة الملائكة دعاء واستغفار له، وصلاة العباد عليه تشريف وتعظيم لشأنه.

صلوا عليه وسلموا تسليما : أي قولوا: اللهم صل على محمد وسلم تسليما.

يؤذون الله ورسوله : أي بسب أو شتم أو طعن أو نقد.

يؤذون المؤمنين والمؤمنات

بغير ما اكتسبوا : أي يرمونهم بأمور يوجهونها إليهم تهماً باطلة لم يكتسبوا منها شيئا.

فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا : أي تحملوا كذباً وذنباً بيناً ظاهراً.

يدنين عليهن من جلابيبهن : أي يرخين على وجههن الجلباب حتى لا يبدو من المرأة إلا عين واحدة تنظر بها الطريق إذا خرجت لحاجة.

ذلك أدنى أن يعرفن : أي ذلك الإدناء من طرف الجلباب على الوجه أقرب.

فلا يـؤذيـن أي يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون بالأذى.

وكان الله غفوراً رحيماً : أي غفوراً لمن تاب من ذنبه رحيما بهبقبول توبته وعدم تعذيبه بذنب تاب منه.

معنى الآيـات :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة ما يجب على المؤمنين من تعظيم نبيّهم واحترامه حياً وميتاً أعلن في هذه الآية (٥٦) عن شرف نبيّه الذي لا يُدانيه شرف وعن رفعته التي لا تدانيها رفعة فأخبر أنه هو سبحانه وتعالى يصلي عليه وأن ملائكته كذلك يصلون[1] عليه وأمر المؤمنين كافة أن يصلوا عليه فقال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ فكان واجباً على كل مؤمن ومؤمنة أن يصلي على النبي ﷺ ولو مرة في العمر يقول:

---

(١) اختلف في الضمير في يصلون على من يعود والصحيح انه عائد على الله تعالى والملائكة معاً ولا حرج لأنه قول الله تعالى ولله أن يرفع من يشاء من عباده لجمع ضمير الملائكة مع ضميره، وليس هذا من باب ومن يعصهما الذي أنكره رسول الله ﷺ إذ ذاك من قول خطيب وهذا قول الله تعالى وليس من حقنا أن نعترض على الله تعالى وروى أن ابن عباس قرأ وملائكته بالرفع أي يصلون وعليه فانفصل الضمير وأصبح خاصاً بالله تعالى وهو وجه وما تقدم أولى لقراءة الكافة بالنصب.

اللهم صل على محمد وسلم وتسليماً. وقد بينت السنة أنواعاً من صيغ الصلاة والسلام على الرسول أعظمها أجراً الصلاة الإبراهيمية[1] وهي[2] واجبة في التشهد الأخير من كل صلاة فريضة أو نافلة، وتستحب استحبابا مؤكداً عند ذكره ﷺ[3] وفي مواطن أُخرى. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٦) أما الآية الثانية (٥٧) فقد أخبر تعالى عباده أن الذين يؤذون الله بالكذب[4] عليه أو انتقاصه بوصفه بالعجز أو نسبة الولد إليه أو الشريك وما إلى ذلك من تصوير الحيوان إذ الخلق اختص به الله فلا خالق الا هو فلا تجوز محاكاته في الخلق، ويؤذون[5] رسول الله ﷺ بسب أو شتم أو انتقاص أو تعرض له أو لآل بيته أو أُمته أو سنته أو دينه هؤلاء لعنهم الله في الدنيا والآخرة أي طردهم من رحمته، وأعد لهم أي هيأ واحضر لهم عذاباً مهينا لهم يذوقونه بعد موتهم ويوم بعثهم يوم القيامة. هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (٥٨) أما الآية الرابعة (٥٩) فإنه لما كان المؤمنات يخرجن بالليل لقضاء الحاجة البشرية إذ لم يكن لهم مراحيض في البيوت وكان بعض سفهاء المنافقين يتعرضون لهن بالغمز والكلمة السفيهة وهم يقصدون على عادتهم الإماء لا الحرائر فتأذى بذلك المؤمنات وشكون إلى أزواجهن ما يلقين من تعرض بعض المنافقين لهن فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك[6] ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ والجلباب هو الملاءة أو العباءة تكون فوق الدرع السابغ الطويل، أي مُرْهُنَّ بأن يدنين من طرف الملاءة على الوجه حتى لا يبقى إلا عين واحدة ترى بها الطريق، وبذلك يعرفن انهن حرائر عفيفات فلا يؤذيهنّ بالتعرض لهن أولئك المنافقون السفهاء عليهم لعائن الله. وقوله تعالى ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أخبر عباده أنه تعالى كان وما زال غفوراً لمن تاب من عباده رحيماً به فلا يعذبه بعد توبته.

(١) صيغة الصلاة الإبراهيمية هي: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد.

(٢) غير ضار أن يقول المالكية الصلاة سنة مؤكدة في التشهد الأخير إذ السنة المؤكدة عند المالكية هي الواجب عند الشافعي وأحمد وإذاً فلا فرق.

(٣) من هذه المواطن بدء الدعاء وختمه، وافتتاح الخطبة بعد حمد الله والثناء عليه ويوم الجمعة وليلتها وورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ أحاديث منها، حديث مسلم من صلى عليّ مرة صلى الله بها عشراً وروى النسائى أن النبي ﷺ خرج عليهم يوماً والبشر يُرى في وجهه فقالوا انا لنرى البشر في وجهك فقال: أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما برضيك انه لا يصلي عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً.

(٤) روى البخاري في صحيحه قال قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة يقول الله تبارك وتعالى يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإن شئت قبضتهما.

(٥) من أفظع أنواع الأذى الذي تعرض له رسول الله ﷺ انه كان يوماً يصلي حول الكعبة فجاء عقبة بن أبي معيط بسلي جزور ووضعه على ظهره بين كتفيه الشريفتين فجاءت فاطمة وهي جويرية صغيرة فألقته بعيدا عن ظهر أبيها ونالت من المشركين وانصرفت فرضى الله عنها وارضاها.

(٦) تقدم ذكر أزواجه ﷺ وأما بناته ففاطمة الزهراء وزينب ورقية وأم كلثوم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان شرف الرسول محمد ﷺ ووجوب الصلاة والسلام عليه في التشهد الأخير في الصلاة.

٢ـ بيان ما يتعرض له من يؤذى الله ورسوله من غضب وعذاب.

٣ـ بيان مقدار ما يتحمله من يؤذي المؤمنين والمؤمنات بالقول فينسب إليهم ما لم يقولوا أو لَمْ يفعلوا أو يؤذيهم بالفعل بضرب جسم أو أخذ مال أو انتهاك عرض.

٤ـ وجوب تغطية المؤمنة وجهها إذا خرجت لحاجتها الا ما كان من عين ترى بها الطريق، واليوم بوجود الأقمشة الرقيقة لا حاجة الى ابداء العين اذ تسبل قماشا على وجهها فيستر وجهها وترى معه الطريق واضحاً والحمد لله.

لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

شـرح الكلـمات :

لئن لم ينته المنافقون : أي عن نفاقهم وهو إظهار الإيمان واخفاء الكفر.

والذين في قلوبهم مرض : أي مرض حب الفجور وشهوة الزنا.

والمرجفون في المدينة : أي الذين يأتون بالأخبار الكاذبة لتحريك النفوس وزعزعتها كقولهم العدو على مقربة من المدينة أو السرية الفلانية قتل أفرادها وما إلى ذلك.

لنغرينك بهم : أي لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم.

ثم لا يجاورنك فيها الا قليلا : أي في المدينة الا قليلا من الأيام ثم يخرجوا منها أو يهلكوا.

ملعونيـــن : أي مبعدين عن الرحمـة .
أينما ثقفوا أخذوا : أينما وجدوا أخذوا أسرى وقتلوا تقتيلاً .
سنة الله في الذين من قبل : أي سن الله هذا سنة في الأمم الماضية اينما ثقف المنافقون والمرجفون أخذوا وقتلوا تقتيلاً .
ولن تجد لسنة الله تبديلا : أي منه تعالى إذ هي ليست أحكاماً يطرأ عليها التبديل والتغيير بل هي سر التشريع وحكمته .

معنى الآيـات :

لقد تقدم أن بعض النسوة اشتكين ما يلقينه من تعرض المنافقين لهن عند خروجهن ليلاً لقضاء الحاجة، وأن الله تعالى أمر نساء المؤمنين أن يدنين من جلابيبهن وعلة ذلك أن يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون وكان ذلك إجراءً وقائيا لابد منه، ثم أقسم الجبار بقوله ﴿لئن لم ينته المنافقون[1]﴾ أي وعزتي وجلالي لئن لم ينته هؤلاء المنافقون من نفاقهم وأعمالهم الاستفزازية والذين في قلوبهم مرض الشهوة وحب الفجور والمرجفون الذين يكذبون الأكاذيب المرجفة أي المحركة للنفوس كقولهم: العدو زاحف على المدينة والسرية الفلانية انهزمت أو قتـل أكثر افرادها لئن لم ينته هؤلاء لنغرينك[2] بهم أي لنحرشنَّك بهم ثم لنسلِّطنَّك عليهم. ثم لا يجـاورونـك فيهـا أي في المدينة الا قليلا، ثم يُخرجوا منها أو يُهلكوا ملعونين أي يخرجون ملعونين أي مطرودين من الرحمة الإلهية التي تصيب سكان المدينة النبوية، وحينئذٍ أينما ثقفوا أي وجدوا وتُمكن منهم أخذوا أي أسرى وقتلوا تقتيلاً حتى لا يبقى منهم أحد.

هذا ما دلـت عليه الآية الأولـى (٦٠) ﴿لئن لم ينتـه المنـافقـون . . ﴾ والثـانية (٦١) ﴿ملعونين. . . ﴾ الخ . أما الآية الثالثة (٦٢) سنة الله[3] في الذين خلوا من قبل، أي لقد سن الله تعالى هذا سنة في المنافقين من أنهم إذا لم ينتهوا يلعنون ثم يُسلط عليهم من يأخذهم ويقتلهم تقتيلاً، وقوله: ولن[4] تجد لسنة الله تبديلاً يُخبر تعالى أن ما كان من قبل السنن كالطعام

---

(١) يرى الكثيرون أن الصفات الثلاث لجنس واحد وهم المنافقون فقد اجتمعت فيهم هذه الصفات الثلاث والواو مفحمة وليست للعطف وشاهده قو الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

فهو رجل واحد بثلاث صفات.

(٢) لنغرينك اللام للقسم أي وعزتنا وجلالنا لنغرينك .

(٣) سنه منصوب على المصدر أي سنّ الله تعالى ذلك سنة ثم أضيف المصدر إلى فاعله.

(٤) الجملة تذييلية المراد بها تأكيد العذاب الحائق بالمنافقين وأتباعهم إن لم ينتهو أو يتوبوا والمعنى لن تجد لسنن الله مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلاً.

يشبع والماء يروى والنار تحرق والحديد يقطع لا يبدله تعالى بل يبقى كذلك لأنه مبْني على أساس الحِكم التشريعية.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ التنديد بالمنافقين وتهديدهم بامضاء سنة الله تعالى فيهم إذا لم يتوبوا.

٢ـ مشروعية إبعاد أهل الفساد من المدن الإسلامية أو يتوبوا بترك الفساد والإفساد، وخاصة المدينة النبوية الشريفة.

٣ـ بيان ان ما كان من الأشياء من قبل السنن لا يتبدل بتبدل الأحوال والظروف بل يبقى كما هو لا يبدله الله تعالى ولا يغيره.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

شـرح الكلمات :

يسألك الناس عن الساعة : أي يهود المدينة كما سأله أهل مكة فاليهود سألوه امتحاناً والمشركون تكذيبا بها واستعجالا لها.

قل إنما علمها عند الله : أي أجب السـائلين قائلاً انما علمها عند ربي خاصة فلم يعلمها غيره.

وما يدريـك : أي لا أحد يدريك أيها الرسول أي يخبرك بهاإذ علمها لله وحده.

لعل الساعة تكون قريبا : أي وما يشعرك أن الساعة قد تكون قريبة القيام.
واعد لهم سعيرا : أي ناراً متسعرة.
خالدين فيها : أي مقدراً خلودهم فيها إذ الخلود يكون بعد دخولهم فيها.
تقلب وجوههم في النار : أي تصرف من جهة إلى جهة كاللحم عند شيّه يقلب في النار.
يا ليتنا اطعنا الله : أي يتمنون بأقوالهم لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول.
وقالوا ربَّنا إنا اطعنا سادتنا : هذا قول الأتباع يشكون الى الله سادتهم ورؤساءهم.
فأضلونا السبيلا : أي طريق الهدى الموصل إلى رضا الله عز وجل بطاعته.
آتهم ضعفين من العذاب : أي اجعل عذابهم ضعفي عذابنا لأنهم أضلونا.
والعنهم لعناً كبيراً : أي أخزهم خزياً متعدد المرات في عذاب جهنم.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾[1] أي ميقات مجيئها والسائلون مشركون وأهل الكتاب فالمشركون يسألون عنها استبعاداً لها فسؤالهم سؤال استهزاء واليهود يسألون امتحانا للرسول صلى الله عليه وسلم، فأمره تعالى أن يجيب السائلين بجواب واحد وهو إنما علمها عند الله، أي انحصر علمها في الله تعالى إذ أخفى الله تعالى أمرها عن الملائكة والمقربين منهم والأنبياء والمرسلين منهم كذلك فضلاً عن غيرهم فلا يعلم وقت مجيئها الا هو سبحانه وتعالى. وقوله تعالى: ﴿وما يدريك﴾ أي لا أحد يعلمك بها أيها الرسول، وقوله ﴿لعل الساعة تكون قريبا﴾ أي وما يشعرك يا رسولنا لعل الساعة تكون قريبة القيام وهي كذلك قال تعالى: ﴿اقترب الناس حسابهم﴾ وقال ﴿اقتربت الساعة﴾ فأعلَمَ بالقرب ولم يعلم بالوقت لحكم عالية منها استمرار الحياة كما هي[2] حتى آخر ساعة.

وقوله تعالى: ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً﴾ المكذبين بالساعة المنكرين لرسالتك الجاحدين بنبوتك لعنهم فطردهم من رحمته أعد لهم ناراً مستعرة في جهنم خالدين فيها إذا دخلوها لم

(١) شاهد قرب الساعة في السنة قوله ﷺ في الصحيح بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى السبابة والوسطى. وحذفت التاء من قريبا ذهاباً بالساعة إلى اليوم كما حذفت من قريب في قوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) ذهابا بالرحمة إلى العفو.

(٢) من الحكم العالية لإخفاء الساعة أن يكون العبد مستعداً لها بالإيمان وصالح الأعمال في كل وقت وكذلك ساعة الفرد وهي الموت.

يخرجوا منها أبداً ﴿ لا يجدون ولياً ﴾ أي يتولاهم فيدفع العذاب عنهم ﴿ولا نصيراً﴾ أي ينصرهم ويخلصهم من محنتهم في جهنم. وقوله: ﴿يوم تقلب وجوههم في النار﴾[1] تصرف من جهة إلى جهة كما يقلب اللحم عند شيّه يقولون عند ذلك يا ليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول يتحسرون متمنين لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا ولم يكونوا عصوا الله والرسول. وقوله تعالى: ﴿وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾[2] هذه شكوى منهم واعتذاراً وانى لهم أن تقبل شكواهم وينفعهم اعتذارهم. اطعناهم فيما كانوا يأمروننا به من الكفر والشرك وفعل الشر فاضلونا السبيلا أي طريق الهدى فعشنا ضالين ومتنا كافرين وحشرنا مع المجرمين. ﴿ربنا﴾ أي يا ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي ضاعف يا ربنا لسادتنا وكبراءنا الذين أضلونا ضاعف لهم العذاب فعذبهم ضِعْفى عذابنا، والعنهم أي واخزهم في العذاب خزياً كبيراً يتوالى[3] عليهم دائماً وأبداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن علم الساعة استأثر الله به فلا يعلم وقت مجيئها غيره.

٢ـ بيان أن الساعة قريبة القيام، ولا منافاة بين قربها وعدم علم قيامها.

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر احوال الكافرين فيها.

٤ـ بيان أن طاعة السادة والكبراء في معاصي الله ورسوله يعود بالوبال على فاعليه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) وجائز أن تقلب الوجوه أيضا من لفح النار من الاسوداد إلى الاخضرار.
(٢) قرىء ساداتنا بكسر التاء جمع سيد.
(٣) الضعف بكسر الضاد العدد المماثل للمعدود فالأربعة ضعف الاثنين وقرى كثيرا وكبيراً وكثيراً يناسب قولهم ضعفين.

وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

شـرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا : أي يا من صدقوا بالله ورسوله ولقاء الله وما جاء به رسول الله .

لا تكونوا كالذين آذوا موسى : أي لا تكونوا مع نبيكم كما كان بنو اسرائيل مع موسى إذ آذوه بقولهم إنه ما يمنعه من الاغتسال معنا إلا أنه آدر.

فبرأه الله مما قالوا : أي أراهم أنه لم يكن به أُدرة وهي انتفاخ احدى الخصيتين .

وكان عند الله وجيهاً : أي ذا جاهٍ عظيم عند الله فلا يُخيِّبُ له مسعىً ولا يرد له مطلباً .

وقولوا قولا سديداً : أي صدقـاً صائـباً .

يصلح لكم أعمالكم : أي الـدينيَّة والدنيوية إذْ على الصدق والموافقة للشرع نجاح الأعمال والفوز بثمارها .

فقد فاز فوزاً عظيماً : أي نال غاية مطلوبة وهو النجاة من النار ودخول الجنة .

إنا عرضنا الأمانـة : أي ما ائتمن عليه الإنسان من سائر التكاليف الشرعية وما ائتمنه عليه أخوه من حفظ مال أو قول أو عرض أو عمل .

فأبين ان يحملنها وأشفقن منها : أي رفضن الالتزام بها وخفن عاقبة تضييعها .

وحملها الإنسـان : أي آدم وذريَّته .

إنه كان ظلوما جهولاً : أي لأنه كان ظلوماً أي كثير الظلم لنفسه جهولاً بالعواقب .

ليعذب الله المنافقين : أي وتحملها الإنسان قضاء وقدراً ليرتب الله تعالى على ذلك عذاب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب على المؤمنين والمؤمنات فيغفر لهم ويرحمهم وكان الله غفوراً رحيماً.

معنى الآيـات :

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ينادى الله تعالى مؤمني هذه الأُمة ناهياً لهم عن أذى نبيّهم بأدنى أذى، وأن لا يكونوا كبنى اسرائيل الذين آذوا موسى في غير موطن ومن ذلك ما ذكره ﷺ عنه في قوله من رواية مسلم[(1)] أن بنى اسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى بعض، وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: ما منعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبه[(2)] على حجر وأخذ يغتسل وإذا بالحجر يهرب بالثوب فيجرى موسى وراءه حتى وقف به على جمع من بنى اسرائيل فرأوا أنه ليس به أُدره ولا برص كما قالوا فهذا معنى فبرَّأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيها أي ذا جاه عظيم.

ومما حصل لرسول الله ﷺ من أذى أذاه في إتهام زوجه بالفاحشة من قبل أصحاب الإفك وقول بعضهم له وقد قسم مالاً هذه قسمة ما أُريد به وجه الله.

وقول بعضهم اعدل فينا يا رسول الله فقال له ويحك إذا لم أعدل أنا فمن يعدل؟

وكان يقول يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر!! هذا ما دلت عليه الآية الاولى (٦٩) أما الآية الثانية (٧٠) فقد نادى تعالى عباده المؤمنين الذين نهاهم عن أذيَّة نبيهم وأن لا يكونوا في ذلك كقوم موسى بن عمران ناداهم ليأمرهم بأمرين الأول بتقواه عز وجل إذ قال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا الله ورسوله. ﴿اتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه. فأدوا فرائضه واجتنبوا محارمه. والثاني بالتزام القول الحق الصائب[(3)] السديد، ورتَّب على الأمرين صلاح أعمالهم ومغفرة ذنوبهم إذ قول الحق والتزام الصدق مما يجعل الأقوال والأعمال مثمرة نافعة، فتثمر زكاة النفس وطهارة الروح. ثم أخبرهم مبشراً إياهم بقوله: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في الأمر والنهي فقد فاز فوزاً عظيماً وهي سعادة الدارين: النجاة من كل مخوف والظفر بكل محبوب مرغوب ومن

---

(١) ورواه البخاري بمعناه أيضاً.

(٢) قال أهل العلم في وضع موسى ثوبه على حجر ودخوله الماء عرياناً دليل على جواز مثل هذا الصنيع وهو كذلك، وهذا الجواز لا يتنافى الاستحباب إذ التستر مستحب بلا خلاف.

(٣) القول السديد هو لا إله إلا الله وهو القصد الحق وهو الذي يوافق ظاهره باطنه، وهو ما أريد به وجه الله دون سواه فالقول السديد الصائب يشمل كل هذا الذي ذكر.

ذلك النجاة من النار ودخول الجنة. هذا ما تضمنه قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾ وقوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ يخبر تعالى منبهاً محذراً فيقول: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾[1] وهي شاملة للتكاليف الشرعية كلها ولكل ما أئتمن عليه الإنسان من شيء يحفظه لمن ائتمنه عليه حتى يرده إليه عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال بعد أن خلق لها عقلاً ونطقاً ففهمت الخطاب وردت الجواب فأبت تحملها بثوابها واشفقت وخافت من تبعتها، وعرضت على الإنسان آدم فحملها بتبعتها من ثواب وعقاب لأنه كان ظلوماً لنفسه يوردها موارد السوء جهولاً بعواقب الأمور. هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (٧٢) وهي قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً[2] جهولاً. وقوله تعالى: ﴿ليعذب[3] الله المنافقين والمنافقات[4] والمشركين والمشركات﴾ أي بتبعة النفاق والشرك، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات أي تَمَّ عرضُ الأمانة وقبولُ آدم لها ليؤول الأمر إلى أن يكفر بعض أفراد الإنسان فيعذبوا بكفرهم الذي نجم عن تضييع الأمانة، ويؤمن بعض آخر فيفرط بعض التفريط ويتوب فيتوب الله عليه فيغفر له ويدخله الجنة وكان الله غفوراً رحيماً ومن آثار ذلك أن تاب الله على المؤمنين والمؤمنات وغفر لهم ورحمهم بإدخالهم الجنة فسبحان الله المدبر الحكيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ وجوب تقوى الله عز وجل بفعل الأوامر واجتناب المناهى.

٢ـ صلاح الأعمال لتثمر للعاملين الزكاة للنفس، وطيب الحياة متوقف على التزام الصدق في

---

(١) روى معمر عن الحسن أن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال قالت وما فيها؟ قيل لها إن احسنت جوزيت وإن اسات عوقبت فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال وما هي؟ قال إن احسنت اجرتك وإن أسأت عذبتك قال فقد تحملتها يارب. قال مجاهد فما كان بين أن تحملها إلى أن أخرج من الجنة الا قدر ما بين الظهر والعصر.

(٢) فكان الإنسان فريقين فريق ظلوم وفريق راشد عالم.

(٣) ليعذب اللام متعلقة بحمل أي حملها ليعذب العاصي ويثاب المطيع فهي لام التعليل وتعذيبهم نتيجة إضاعتهم الأمانة، ورحمة المؤمنين والمؤمنات نتيجة محافظتهم على الأمانة برعايتهم لها وسر ذلك أن التكاليف عملها يزكى النفس ويطهرها فتتأهل للجنة، وعدم عملها بتركها بسبب خبث النفس وهو يؤهل للنار وعذابها.

(٤) ذكر المنافقات والمشركات لأن المقام كمقام الإشهاد يتطلب ذكر الشاهد إقامة للحجة وإظهاراً للعدالة ولأن الجزاء العادي يتطلب التنصيص على من يقضي له أو عليه.

القول والعمل وهو القول السديد المنافى للكذب والانحراف في القول والعمل.

٣ـ طاعة الله ورسوله سبيل الفوز والفلاح في الدارين.

٤ـ وجوب رعاية الأمانة وأدائها، ولم يخل أحد من أمانة.

٥ـ وصف الإنسان بالظلم والجهل وبالكفر والمهانة والضعف في آيات أخرى يستلزم طلب علاج لهذه الصفات. وعلاجها جاء مبيناً في سورة المعارج في قوله ﴿الا المصلين﴾ الى قوله ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾.

سُورَةُ سَبَإٍ (١)

مكيـة

وآياتها أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

شـرح الكلمـات:

الحمد للـه : أي الوصف بالجميل واجب لله مستحق له.

الذي له مافي السموات وما في الأرض : أي خلقاً وملكاً وتصريفاً وتدبيراً.

وله الحمد في الآخرة : أي يحمده فيها أولياؤه وهم في رياض الجنان، كما له الحمد في الدنيا.

وهو الحكيم الخبير : أي الحكيم في أفعاله الخبير بأحوال عباده.

يعلم ما يلج في الأرض : أي ما يدخل فيها من مطر وأموات وكنوز.

وما يخرج منها : أي من نبات وعيون ومعادن.

وما ينزل من السماء : أي من ملائكة وأمطار وأرزاق ونحوها.

---

(١) هذه السورة «الحمد لله» هي إحدى خمس سور مفتتحة بالحمد لله وهن كلهن مكيات أولهن الفاتحة وآخرهن فاطر.

وما يعرج فيها : أي وما يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد وأرواحهم بعد الموت.

وهو الرحيم الغفور : أي الرحيم بالمؤمنين الغفور للتائبين.

معنى الآيتين :

يخبر تعالى عباده بأن له الحمد[1] والشكر الكاملين التامين، دون سائر خلقه، فلا يحمد على الحقيقة إلا هو أما مخلوقاته فكل ما يُحمد له هو من عطاء الله تعالى لها وإفاضته عليها فلا يستحق الحمد على الحقيقة الا الله، كما أخبر تعالى بموجب حمده وشكره وهو أن له ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً وتصريفاً وليس لأحد سواه من ذلك شيء هذا في الدنيا،[2] ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ إذ يكرم أولياءه فينزلهم دار السلام فيحمدونه على ذلك ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ وقوله تعالى ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ في تصريف أمور عباده وسائر مخلوقاته وتدبيرها الخبير بأحوالها العليم بصفاتها الظاهرة والباطنة.

وقوله ﴿يعلم ما يلج﴾ أي ما يدخل[3] في الأرض من مطر وكنوز وأموات، ﴿وما يخرج منها﴾ أي من الأرض من نبات ومعادن ومياه، وما ينزل من السماء من أمطار وملائكة وأرزاق،[4] ﴿وما يعرج فيها﴾ أي يصعد من ملائكة وأعمال العباد. وهو مع هذه القدرة والجلال والكمال هو وحده الرحيم بعباده المؤمنين الغفور للتائبين. بهذه الصفات الثابتة للذات الإلهية وهي صفات جلال وجمال وكمال استحق الرب تعالى العبادة دون سواه فكل تأليه لغيره هو باطل ومنكر وزور يجب تركه والتخلي عنه، والتنديد بفاعله حتي يتركه ويتخلى عنه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- وجوب حمد الله تعالى[5] وشكره بالقلب واللسان والجوارح والأركان.

---

(١) الحمد الكامل والثناء الشامل كله لله، إذ النعم كلها منه وله الحمد في الأولى لأنه المالك وله الحمد في الآخرة كذلك.

(٢) الجملة عطف على الصلة أي والذي له الحمد في الآخرة، وفيها إشارة إلى أنه مالك الأمر في الآخرة.

(٣) الذي يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها يعلم من باب أولى ما يدب على سطحها وما يزحف فوقها والذي يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها يعلم من باب أولى ما يجول في أرجائها ويعلم سير كواكبها.

(٤) وكذا من الثلوج والبرد والصواعق.

(٥) حمده تعالى نفسه دليل على أنه محب الحمد. ولذا كان الحمد رأس الشكر وشاهده قول الرسول ﷺ ما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى حتى أنه حمد نفسه .

٢ـ بيان أن الحمد لا يصح إلا مع مقتضيه من الجلال والجمال.

٣ـ لا يحمد في الآخرة إلا الله سبحانه وتعالى.

٤ـ بيان علم الله تعالى بالظواهر والبواطن في كل خلقه.

٥ـ تقرير توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

لا تأتينا الساعة : أي القيامة.

لا يعزب عنه : أي لا يغيب عنه.

مثقال ذرة : أي وزن ذرة: أصغر نملة.

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر : أصغر من الذرة ولا أكبر منها.
إلا في كتاب مبين : أي موجود في اللوح المحفوظ مكتوب فيه.
ليجزي الذين آمنوا : أي اثبته في اللوح المحفوظ ليحاسب به ويجزى صاحبه.
والذين سعوا في آياتنا : أي عملوا على إبطالها وسعوا في ذلك جهدهم.
معاجـزين : أي مغالبين لنا ظانين عجزنا عنهم، وأنهم يفوتوننا فلا نبعثهم ولا نحاسبهم ولا نجزيهم.
عذاب من رجز أليم : أي عذاب من أقبح العذاب وأسوأه.
ويرى الذين اوتوا العلم : أي ويعلم الذين اوتوا العلم وهم علماء أهل الكتاب كعبدالله ابن سلام وأصحابه.
الذي أنزل إليك من ربك هو الحق : أي القرآن هو الحق الموحى به من الله تعالى.
ويهدي إلى صراط العزيز الحميد : أي القرآن يهدي إلى صراط الله الموصل الى رضاه وجواره الكريم وهو الإسلام. والعزيز ذو العزة والحميد المحمود.

معنى الآيـات :

بعد ما قررت الآيات السابقة توحيد الله في ربوبيته وألوهيته ذكر تعالى في هذه الآيات تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى مخبراً بما قاله منكروا البعث والجزاء: ﴿وقال الذين[(١)] كفروا لا تأتينا الساعة﴾[(٢)] وهو انكار منهم للبعث إذ السـاعة هي ساعة الفناء والبعث بعدها، وأمر رسوله أن يقول لهم: ﴿بلى وربّي لتأتينكم﴾ أي أقسم لهم بالله تعالى ربه ورب كل شيء لتأتينهم أحبوا أم كرهوا ثم أثنى الرب تبارك وتعالى على نفسه بصفة العلم إذ البعث يتوقف على العلم كما يتوقف على القدرة والقدرة حاصلة،إذ خلقهم ورزقهم ويميتهم. فذكر تعالى أنه عالم[(٣)] الغيب وهو كل ما غاب في السموات وفي الأرض. وأخبر أنه لا يعزب أي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة[(٤)] أي وزن ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر أيضاً إلا في كتاب مبين أي

---

(١) روى أن أبا سفيان هو الذي قال هذه المقالة حيث قال لإخوانه من أهل الكفر بمكة واللات والعزى لاتأتينا الساعة ابداً ولا نبعث فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليه دعواه بقوله (قل بلى وربي لتبعثن) الآية.
(٢) الساعة علم بالغلبة في القرآن على يوم القيامة وساعة النشر والحشر.
(٣) قرأ نافع وعنه ورش عالم بالرفع على الابتداء وقرأ حفص بالخفض نعت لاسم الجلالة.
(٤) قال القرطبي مثقال ذرة أي قدر نملة صغيرة.

بيِّن وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل أحداث العالم فلا حركة ولا سكون وقع أو يقع في الكون الا وله صورته ووقته في اللوح المحفوظ.

هذا ما تضمنته الآية الثالثة وقوله تعالى في الآية (٤) ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي إذ الحكمة من كتابة الأحداث صغيرها وكبيرها ومن البعث الآخر هي ليجزي تعالى الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات وهي أداء الفرائض والسنن بما ذكر من جزائهم في قوله: ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة وقوله في الآية (٥) ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ بيَّن فيه جزاء الكافرين بعد أن بين جزاء المؤمنين ذلك الجزاء الذي هو حكمة وعلَّة البعث وكتابة الأعمال في اللوح المحفوظ فقال: ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين[1]﴾ أي والذين عملوا جهدهم في إبطال آيات الله إذ قالوا فيها أنها من كلام الكهان وانها شعر وأساطير الأولين حتى لا يؤمنوا ولا يوحدوا أولئك البعداء في الخسِّة والانحطاط لهم جزاء، عذاب من رجزٍ أليم[2] والرجز سيء العذاب وأشده ومعنى أليم أي ذي ألم وإيجاع شديد.

وقوله تعالى: في الآية (٦) ويرى الذين أوتوا العلم، أي ويعلم علماء أهل الكتاب كعبدالله[3] بن سلام وأصحابه من مؤمني أهل الكتاب. الذي أنزل إليك من ربك وهو القرآن الكريم هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد، وعلم أهل الكتاب بأن القرآن حقٌّ ناتج عن موافقته لما في كتاب الله التوراة من عقيدة القدر وكتابة الأعمال دقيقها وجليلها في اللوح المحفوظ ليجزى بها الله تعالى المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

هذا ما دلت عليه الآية (٦) والأخيرة وهي قوله تعالى: ﴿ويعلم﴾ أي وليعلم ﴿الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ وهو الإسلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد تقرير توحيد الألوهية.

٢ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر وكتابة الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ.

٣ـ طلب شهادة أهل الكتاب على صحة الإسلام والحصول عليها لموافقة التوراة للقرآن.

٤ـ تقرير النبوة إذ القرآن فرع نبوة الرسول ﷺ ودليلها المقرر لها.

---

(١) قال القرطبي أي في إبطال أدلتنا والتكذيب بآياتنا وما في التفسير أشمل وأوضح.

(٢) قرأ نافع بجر أليم نعت لرجز وقرأ حفص برفع أليم نعت لعذاب المرفوع.

(٣) على هذا التفسير أن الآية مدنية كما قال بعضهم حيث استثناها من آيات السورة وجائز أن يراد بالذين أوتو العلم أبو بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب والأصحاب رضوان الله عليهم إذ هم من أولى العلم.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾
أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ
ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وقال الذين كفروا : أي قال بعضهم لبعض على جهة التعجيب.

هل ندلكم على رجل : أي محمد صلى الله عليه وسلم.

إذا مُزقتم كل ممزق : أي قطعتم كل التقطيع.

إنكم لفي خلق جديد : أي تبعثون خلقاً جديداً لم ينقص منكم شيء.

أم به جنة : أي جنون تخيّل له بذلك.

بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والضلال البعيد : أي ليس الأمر كما يقول المشركون من افتراء الرسول أو جنونه. بل الأمر الثابت والواقع أن الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب في الآخرة، وفي الضلال البعيد في الدنيا.

أفلم يروا : أي ينظروا.

إلى ما بين أيديهم وما خلفهم: أي من أمامهم وورائهم وفوقهم وتحتهم إذ هم محاطون من كل جهة من السماء والأرض.

أو نسقط عليهم كسفاً : أي قطعاً جمع كِسفة أي قطعة.

إن في ذلك لآية : أي علامة واضحة ودليلاً قاطعاً على قدرة الله عليهم.

لكل عبد منيب : أي لكل مؤمن منيب إلى ربّه رجّاع إليه في أمره كله.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء إنه لما قررها تعالى في الآيات قبل أورد هنا ما يتقاوله المشركون بينهم في تهكم واستهزاء واستبعاد للحياة الآخرة. فقال تعالى حاكيا قولهم: ﴿وقال الذين كفروا﴾ وهم مشركو مكة أي بعضهم لبعض متعجبين ﴿هل ندلكم[1] على رجل﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ينبئكم﴾ أي يخبركم بأنكم إذا متم وتمزقت لحومكم وتكسرت عظامكم وذهبتم في الأرض تراباً تبعثون في خلق جديد بعد أن مزقتم كل ممزق[2] أي كل التمزيق فلم يبق شيء متصل ببعضه بعضاً. ﴿أفترى على الله كذباً﴾ أي[3] محمد فكذب على الله هذا القول وزوره عنه وادعى أنه أخبره بوجود بعث جديد للناس بعد موتهم لحسابهم وجزائهم؟! أم به جنة أي به مس من جنون فهي تخيل له صور البعث وما يجرى فيه وهو يخبر به ويدعو إلى الإيمان به؟ وهنا رد الله تعـالى عليهم كذبهم وباطلهم فقال﴿بل الذين لا يؤمنون[4] بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ أي ليس الأمر كما يقولون من أن النبي افترى على الله كذباً، أو به جنون فتخيل له البعث وانما الأمر الثابت والواقع المقطوع به ان الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب يوم القيامة. وفي الضلال البعيد اليوم في الدنيا وشؤمهم أتاهم من تكذيبهم بالآخرة.

ثم قال تعالى مهدداً لهم لعلهم يرتدعون عن التهجم والتهكم بالنبي ﷺ ﴿أفلم يروا﴾ أي أعموا فلم يروا الي ما بين أيديهم[5] وما خلفهم من السماء والأرض أفلم ينظروا كيف هم محاطون من فوقهم ومن تحتهم ومن أمامهم ومن ورائهم أي الأرض تحتهم والسماء فوقهم ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض﴾ فيعودون فيها ﴿أو نسقط عليهم[6] كسفاً﴾ أي قطعاً من السماء فتهلكهم عن آخرهم فلا يجدون مهرباً والجواب لا، لأنهم مهما جروْا هاربين لا تزال السماء فوقهم والأرض تحتهم والله قاهر لهم متى شاء خسف بهم أو أسقط السماء عليهم. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك

---

(١) الاستفهام مستعمل في العرض مثل: (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي يعرض عليه ما هو صالح له. والاستفهام في الآية وإن كان للعرض فهو مكنى به عن التعجب أي هـل ندلكم على اعجوبة وهي رجل ينبئكم بهذا النبأ.

(٢) التمزق والتفرق والتشتت.

(٣) هذه الجملة (افترى) صفة ثانية لرجل والصفة الأولى هي قوله ينبئكم.

(٤) في الجملة إدماج يصف به حالهم في الآخرة مع وصف حالهم في الدنيا إذ أخبر أنهم في الآخرة في العذاب وفي الدنيا في الضلال البعيد.

(٥) المراد بما بين أيديهم هو ما يستقبله الإنسان من الكائنات السماوية والأرضية، وبما خلفهم وهو ما وراء الإنسان من الكائنات الأرضية والسماوية.

(٦) قرأ نافع كِسفاً بسكون السين وقرأ حفص بفتحها.

لآية لكل عبد منيب﴾ أي إن في ذلك المذكور من إحاطة السماء والأرض وقدرة الله على خسف من شاء خسف الأرض بهم وإسقاط كِسَفٍ من السماء على من شاء ذلك لهم آية. وعلامة بارزة على قدرة الله على إهلاك من شاء ممن كفروا بالله وبرسوله وكذبوا بلقائه. وكون المذكور آية لكل عبد منيب دون غيره لأن المنيب هو الرجاع إلى ربه كلما أذنب آب لخشيته من ربه فالخائف الخاشي هو الذي يجد الآية واضحة أمامه في إحاطة الأرض والسماء بالإنسان وقدرة الله على خسف الأرض به أو إسقاط السماء كسفاً عليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان ما كان المشركون عليه من استهزاء وتكذيب وسخرية بالنبي ﷺ.

٢- تقرير البعث وأن المكذبين به محكوم عليهم بالعذاب فيه.

٣- لفت الأنظار الى قدرة الله تعالى المحيطة بالإنسان ليخشى الله تعالى ويرهبه فيؤمن به ويعبده ويوحده.

٤- فضل الإنابة إلى الله وشرف المنيب. والإنابة الرجوع الى التوبة بعد الذنب والمعصية، والمنيب الذي رجع في كل شيء إلى ربه تعالى.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ
سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ
وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ

ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ
أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

ولقد آتينا داود منا فضلاً : أي نبوة وملكاً.

يا جبال أوِّبي معه : أي وقلنا يا جبال أوِّبي معه أي رجعي معه بالتسبيح .

والطير : أي والطير تسبح أيضاً معه .

وألنَّا له الحديد : أي جعلناه له في اللين كالعجينة يعجنها كما يشاء .

أن اعمل سابغات : أي دروعاً طويلة تستر المقاتل وتقيه ضرب السيف .

وقدر في السرد : أي اجعل المسمار مناسبا للحلقة ، فلا يكن غليظاً ولا دقيقاً ، أي اجعل المسامير مقدرة على قدر الحلق لما يترتب على عدم المناسبة من فساد الدرع وعدم الانتفاع بها .

ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر : أي وسخرنا لسليمان الريح غدوها أي سيرها من الغداة الى منتصف النهار مسيرة شهر ورواحها من منتصف النهار الى الليل شهر كذلك أي مسافة شهر.

وأسلنا له عين القطر : أي وأسلنا له عين النحاس.

ومن يزغ منهم : أي ومن يعدل عن طاعة سليمان فلم يطعه نذقه من عذاب السعير.

من محاريب : جمع محراب المقصورة تكون الى جوار المسجد للتعبد فيها.

وجفان كالجواب : أي وقصاع في الكبر كالحياض التى حول الآبار يجبى إليها الماء .

وقدور راسيات : أي وقدور كبار ثابتات على الأثافى لكبرها لا تحول .

إلا دابة الأرض	: أي الأرضـة.
تأكل منسأته	: أي عصـاه بلغة الحبشة.
فلما خـر	: أي سقط على الأرض ميتـاً.
تبينت الجـن	: أي انكشـف لها فعرفت.
في العذاب المهين	: وهو خدمة سليمان في الأعمال الشاقة.

معنى الآيـات :

يذكر تعالى في هذا السياق الكريم مظاهر قدرته وإنعامه على عباده المؤمنين ترغيباً في طاعته وترهيباً من معصيته فيقول: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾[1] وهو النبوة والزبور «كتاب» والملك. وقلنا للجبال ﴿أوِّبي مع سليمان﴾ أي ارجعي صوت تسبيحه[2] والطير أمرناها كذلك فكان إذا سبح ردد تسبيحه الجبال والطير. وهذا تسخيرٌ لا يقدر عليه الا الله. وقوله: ﴿وألنّا له الحديد﴾[3] وهذا امتنان آخر وهو تسخير الحديد له وتليينه حتى لكأنه عجينة يتصرف فيها كما شاء، وقلنا له اعمل دروعا طويلة سابغاتٍ تستتر بها في الحرب، (وقدر في السرد)[4] وقوله ﴿واعملوا صالحاً﴾[5] أي اعملوا بطاعتي وترك معصيتي فأدوا الفرائض والواجبات واتركوا الاثم والمحرمات. وقوله: ﴿إني بما تعملون بصير﴾ فيه وعدٌ ووعيد إذ العلم بالأعمال يستلزم الثواب عليها إن كانت صالحة والعقاب عليها إن كانت فاسدة.

وقوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح﴾ أي سخرنا لسليمان بن داود الريح ﴿غُدُوها شهر ورواحها شهر﴾ أي تقطع مسافة شهر في الصباح، وأخرى في المساء أي من منتصف النهار إلى الليل فتقطع مسيرة شهرين في يوم واحد، وذلك أنه كان لسليمان مركب من الخشب يحمل فيه الرجال والعتاد وترفعه الجان من الأرض فإذا ارتفع جاءت عاصفة فتحملها ثم تتحول الى رخاء فيوجه سليمان السفينة حيث شاء بكل ما تحمله وينزل بها كسفينة فضاء تماماً. وقوله تعالى ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ وهو النحاس فكما ألان لداود الحديد للصناعة أجرى لسليمان عين النحاس لصناعته فيصنع ما شاء من آلات وأدوات النحاس.

---

(١) بين تعالى بهذه الآية أن إرسال نبيه محمد ﷺ لم يكن أمراً خارقاً للعادة ولا منافياً لمقتضيات العقول إذا أرسل من قبله رُسلاً وآتى داود من الإنعام ما قرر به رسالته وأثبت به نبوته وكذا ولده سليمان عليهما السلام.

(٢) والطير منصوب بالعطف على المنادى «ياجبال». لأن المعطوف المعرف على المنادي يجوز نصبه ورفعه والنصب أولى.

(٣) الحديد تراب معدني إذا صهر بالنار امتزج بعضه ببعض ولان وأمكن تطريقه وتشكيله فإذا برد تصلب.

(٤) قدر الشيء جعله على قدر معيّن والسرد هو تركيب حلقها ومساميرها بصورة متناسبة بحيث لايعظم المسمار فيغلق الحلقة، ولا يرق فلا تمسكه.

(٥) لمّا عدد عليه نعمه أمره بشكره وهوالعمل الصالح الشامل للحمد والشكر والطاعة والصبر.

وقوله تعالى ﴿ومن الجن﴾ أي وسخرنا من الجن من يعمل بين يديه أي أمامه وتحت رقابته يعمل له ما يريد عمله من أمور الدنيا. وذلك بإذن ربّه تعالى القادر على تسخير ما يشاء لمن يشاء. وقوله ﴿ومن يزغ منهم﴾ أي ومن يعدل من الجن ﴿عن أمرنا﴾ أي عما أمرناهم بعمله وكلفناهم به ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ وذلك يوم القيامة.[1] وقوله ﴿يعملون له ما يشاء﴾ بيان لما في قوله ﴿من يعمل بين يديه﴾ من محاريب قصور أو بيوت تكون ملاصقة للمسجد للتعبد فيها، وتماثيل أي صور من نحاس أو خشب إذ لم تكن محرمة في شريعتهم وجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة تتسع لعشرة من الأكلة، كالجواب أي في الكبر والجابية[2] حوض يفرغ فيه ماء البئر ثم يسقى به الزرع أو قدور راسيات أي ويعملون له قدوراً ضخمة لا تتحول بل تبقى دائماً موضوعة على الأثافي ويطبخ فيها وهي في مكانها وذلك لكبرها ومعنى راسيات ثابتات على الأثافي.

وقوله تعالى ﴿اعملوا﴾ أي قلنا لهم اعملوا آل داود شكراً أي اعملوا الصالحات شكراً لله تعالى على هذا الإفضال والإنعام أي أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا ربكم في أمره ونهيه يكن ذلك منكم شكراً لله على نعمه. روى أنه لما أمروا بهذا الأمر قال داود عليه السلام لِآلِهِ أيكم يكفيني النهار فإني أكفيكم الليل فصلوا لله شكراً فما شئت أن ترى في مسجدهم راكعاً أو ساجداً في أية ساعة من ليل أو نهار إلا رأيت. ويكفى شاهداً أن سليمان مات وهو قائم يصلى في المحراب. وقوله تعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ هذا إخبار بواقع وصدق الله العظيم الشاكرون لله على نعمه قليل وفي كل زمان ومكان وذلك لإستيلاء الغفلة على القلوب من جهة ولجهل الناس بربهم وإنعامه من جهة أخرى.

وقوله تعالى في الآية (١٤) ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ أي توفيناه: ما دلهم على موته الا دابة في الأرض أي الأرضة المعروفة تأكل منسأته فلما أكلتها خر على الأرض، وذلك أنه سأل ربّه أن يعمى خبر موته عن الجن، حتي يعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب كما هم يدعون، فمات وهو متكىء على عصاه يصلى في محرابه، والجن يعملون لا يدرون بموته فلما مضت مدة من الزمن وأكلت الأرضة المنسأة وخر سليمان على الأرض علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان ولما أقاموا مدة طويلة في الخدمة والعمل الشاق وهم لا يدرون. هذا معنى

---

(١) وجائز أن يكون هناك ملك بيده سوط من نار أو شهاب يضرب به الشيطان إن عصىٰ سليمان كما روى عن السلف.

(٢) قال الشاعر:

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

أي لامتلائها.

قوله تعالى ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت[1] الجن ان لو كانـوا يعلمـون الغيب﴾ - كما كان يدعى بعضهم - ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ أي الذي كان سليمان يصبه عليهم لعصيانهم وتمردهم على الطاعة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- بيان إكرام الله تعالى لآل داود وما وهب داود وسليمان من الآيات.

٢- فضيلة صنع السلاح وآلات الحرب لغرض الجهاد في سبيل الله.

٣- مركبة سليمان سبقت صنع الطائرات الحالية بآلاف السنين.

٤- شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما خطأه الدليل كتحريم الصور[2] والتماثيل علينا ولم تحرم عندهم.

٥- وجوب الشكر على النعم، وأهم ما يكون به الشكر الصلاة والإكثار منها.

٦- تقرير أن علم الغيب لله وحده.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾

---

(١) الآية صريحة في أن من الجن من كان يدعي علم الغيب يضلل اخوانه من الجن والإنس به، وإذ تبين للجن إن دعوى علم الغيب ممن ادعاها باطلة علم كذلك الإنس ان الجن ما كانوا يعلمون الغيب إذ لو كانوا يعلمونه لعلموا بموت سليمان حين مات وتركوا العمل وفروا بعيدين.

(٢) لعن رسول الله ﷺ المصورين ولم يستثن فقال إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم. وفي البخاري أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون. وحديث الموطأ. إلا ما كان رقماً في ثوب فهو وإن خص جميع الصور فإن حديث عائشة رضي الله عنها دل على كراهيته إذ قال لها أخرجيه عني فهتكته والرخصة في لعب البنات لما في الصحيح على شرط أن لا تكون كأشباه التماثيل.

فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

لقد كان لسبأ في مسكنهم : أي لقد كان لقبيلة سبأ اليمانية في مسكنهم.

آيـــة : أي علامة على قدرة الله وهى جنتان عن يمين وشمال.

بلدة طيبة ورب غفور : أي طيبة المناخ بعيدة عن الأوباء وأسبابها، والله رب غفور.

فأعرضـــوا : أي عن شكر الله وعبادته.

سيل العـرم : أي سـد السيل العرم.

ذواتى أُكل خمط وأثلٍ : أي صاحبتي أُكل مُرّ بشعٍ وشجر الأثل.

ذلـــك : أي التبديل جزيناهم بكفرهم.

القرى التي باركنا فيها : هي قرى الشام مبارك فيها.

قرىً ظـاهرة : أي متواصلة من اليمن إلى الشام.

وقدرنا فيها السير : أي المسافات بينها مقدرة بحيث يقيلون في قرية ويبيتون في أخرى.

فجعلناهم أحاديث : أي لمن جاء بعـدهم أي أهلكناهم ولم يبق منهم إلا ذكرهم متداولا بين الناس.

ومزقناهم كل ممزق : أي فرقناهم في البلاد كل التفرق.

إن في ذلك لآيات : أي إن في ذلك المذكور من النعم وسلبها لعبراً.

لكل صبار شكور : أي صبار على الطاعات وعن المعاصى شكور على النعم.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى إنعامه على آل داود وشكرهم له وأخبر أنه قليل من عباده من يشكر إنعامه عليه ذكر أولاد سبأ وأنه أنعم عليهم بنعم عظيمة وأنهم ما شكروها فأنزل بهم نقمته وسلبهم نعمته

وذلك جزاء لكل كفور. فقال تعالى ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم[1] آية جنتان عن يمين وشمال﴾ أي لقد كان لأولاد سبأ وهم الأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار، ومن أنمار جنعم وبجيلة ومن أولاد سبأ اربعة سكنوا في الشام وهم لخم وجدام وغسان، وعاملة وأبوهم سبأ هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقوله تعالى ﴿في مسكنهم﴾ أي في مساكنهم ﴿آية﴾ أي علامة على قدرة الله وإفضاله على[2] عباده وهي جنتان عن يمين وشمال الوادى أي جنتان عن يمين الوادي وأخرى عن شماله كلها فواكه وخضر، تسقى بماء سد مأرب. كلوا من رزق ربكم أي قلنا لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له أي هذا الإنعام بالإيمان به وبرسله وطاعته وطاعة رسله. وقوله ﴿بلدة طيبة﴾ أي هذه بلدة طيبة وهي صنعاء اليمن مناخها طيب وتربتها طيبة لا يوجد بها وباء ولا هوام ولا حشرات كالعقارب ونحوها، ﴿ورب غفور[3]﴾ يغفر ذنوبكم متى أذنبتم وتبتم واستغفرتم. ولكن أبطرتهم هذه النعم فكفروها ولم يشكروا كما قال تعالى ﴿فأعرضوا﴾ بأن كذبوا رسل الله إليهم وعصوا الله ورسله فانتقم الله منهم لإعراضهم وعدم شكرهم كما هى سنته في عباده. قال تعالى ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وذلك بأن خرب السد، وذهبت المياه وماتت الأشجار وأمْحَلَتْ الأرض، وتبدلت قال تعالى: ﴿وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتى أُكل خمط﴾ أي مُرٍ بشع وهو شجر الأراك وأثل وهو الطرفاء، وشيء من سدر قليل. هذا جزاء من أعرض عن ذكر الله وفسق عن أمره وخرج عن طاعته. قال تعالى ﴿ذلك﴾ أي الجزاء ﴿جزيناهم بما كفروا﴾ بسبب كفرهم وقوله: ﴿وهل نجازى[4] الا الكفور﴾ أي وهل نجازى بمثل هذا الجزاء وهو تحويل النعمة الي نقمة غير الكفور.

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم[5] وبين القرى التي باركنا فيها﴾ وهي مدن الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ أي مدناً ظاهرة على المرتفعات من الأرض، وذلك من صنعاء عاصمتهم إلى الشام قرابة أربعة آلاف وسبعمائة قرية أي مدينة، وقوله ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أي يجعل المسافات بين كل مدينة ومدينة متقاربة بجيث يخرج المسافر بلا زاد من ماء أو طعام فلا يقيل الا في مدينة ويخرج بعد

(١) قرأ نافع مساكنهم بالجمع وقرأ حفص بالإفراد مسكنهم وجمعه مساكن.

(٢) إذ لو اجتمعت البشرية كلها على اخراج شجرة من خشبة يابسة لما استطاعت فكيف بأنواع النوار وألوانه واختلاف طعومه وروائحه وأزهاره.

(٣) في الآية اشارة إلى أن الذنب ملازم للإنسان لا يعصم منه إلا من أراد الله عصمته كأنبيائه، ولذا أعلمهم أن المنعم بهذه النعم رب غفور يغفر ذنب عباده إذا تابوا إليه فدعاهم بهذا الى التوبة وأن الذنب مع التوبة لا يسبب الهلاك العام أو سلب النعم ما دام هناك توبة تعقب الذنب.

(٤) قرأ حفص وهل نُجازي بنون العظمة والبناء للفاعل والكفور مفعول به منصوب وقرأ نافع والجمهور وهل يجازى بياء الغيبة مضمومة والفعل مبني للمفعول والكفور نائب فاعل والمعنى ما يجازى ذلك الجزاء إلا الكفور أي الشديد الكفر عظيمه.

(٥) هذه الآية والتي بعدها ذكرتا تتميماً للقصة.

القيلولة فلا ينام الا في مدينة أخرى حتى يصل الى الشام أو إلى المدينة التي يريد. وهذا كان لهم قبل هدم السد وتفرقهم وقوله تعالى: ﴿سيروا فيها ليالي وأياما آمنين﴾ أي وقلنا لهم سيروا بين تلك المدن الليالي والأيام ذوات العدد آمنين من كل ما يخاف. وما كان منهم الا أنهم بطروا النعمة وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم. أي حملهم بطر النعمة على أن سألوا ربهم بلسان حالهم أو قالهم أن يباعد بين[1] مسافات أسفارهم بإزالة تلك المدن حتى يحملوا الزاد ويركبوا الخيول ويذوقوا طعم التعب وهذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء الذين لا طاقة لهم على السفر في المسافات البعيدة بدون زاد ولا رواحل.[2] قال تعالى ﴿وظلموا أنفسهم﴾ إذ بإعراضهم وحسدهم وبطرهم النعمة كانوا قد ظلموا أنفسهم فعُرِّضوا لِعذاب الحرمان في الدنيا وعذاب النار في الآخرة، وقوله تعالى ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ أي لمن بعدهم يروون أخبارهم ويقصون قصصهم بعد أن هلكوا وبادوا. وقوله تعالى ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي فرقناهم في البلاد كل تفريق بحيث لا يرجى لهم عودُ اتصال أبداً فذهب الأوس والخزرج الى يثرب «المدينة النبوية» وهم الأنصار، وذهب غسان الى[3] الشام، والازد الى عُمان، وخزاعة الى تهامة واصبحوا مضرب المثل يقال: ذهبوا شذر مذر. وتفرقوا أيادي سبأ، أي مذاهب سبأ وطرقها. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي إن في إنعام الله على ابناء سبأ ثم في نقمته عليهم لما بطروا النعمة وكفروا الطاعة لعبراً يعتبر بها كل صبور على الطاعات فِعلاً وعن المعاصي تركاً، ﴿شكور﴾ أي كثير الشكر على النعم. اللهم اجعلنا لك من الشاكرين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ التحذير من الإعراض عن دين الله فإنه متى حصل لأمة نزلت بها النقم وسلبها الله النعم. وكم هذه الحال مشاهدة هنا وهناك لا بين الأمم والشعوب فحسب بل حتى بين الأفراد.

٢ـ التحذير من كفر النعم بالاسراف فيها وصرفها في غير مرضاة الله واهبها عز وجل.

٣ـ خطر الحسد وانه داء لا دواء له، والعياذ بالله يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

٤ـ فضيلة الصبر والشكر وعلو شأن الصبور الشكور.

---

(١) قوله تعالى وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قرأ الجمهور باعد فعل أمر من باعد يباعد وقرأ بعض بعّد فعل امرٍ من بعد يبعد على وزن جدّد، وقرأ بعض آخر باعد فعلاً ماضياً.

(٢) قيل ان المسافة التي يقطعونها بين تلك المدن آمنين من الجوع والخوف مسيرة أربعة أشهر ذهاباً وإياباً وحالهم كحال بني اسرائيل كما قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض حيث ملوا أكل اللحم والعسل.

(٣) قال الشعبي فلحقت الأوس والخزرج (الأنصار) بيثرب (المدينة) وغسان وجذام ولخم بالشام والأزد بعمان وخزاعة بتهامة. فكانت العرب تضرب بهم المثل فتقول. تفرقوا ايدي سبأ، وايادي سبأ أي مذاهب سبأ وطرقها.

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

شـرح الكلمات :

ولقد صدق عليهم إبليس ظنه: أي صدَقَ ظن إبليس فيهم أنه يستطيع إغواءهم.

فاتبعــوه : في الكفر والضلال والإضلال.

الا فريقا منهم : أي من بني آدم وهم المؤمنـون المسلمـون فإنهم لم يتبعوه وخاب ظنه فيهم زاده الله خيبة إلى يوم القيامة.

وما كان له عليهم من سلطان : أي ولم يكن لإبليس من تسليط منا عليهم لا بعصا ولا سيف وإنما هو التزيين والإغراء بالشهوات.

إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك : أي لكن أذنًا له في إغوائهم ـ إن استطاع ـ بالتزيين والإغراء لنعلم علم ظهور من يؤمن ويعمل صالحاً ممن يكفر ويعمل سوءاً.

وربك على كل شيء حفيظ : أي وربك يا محمد على كل شيء حفيظ وسيجزى الناس بما كسبوا.

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله : أي أنهم شركاء لله في ألوهيته.

لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض: أي ملكاً استقلالياً لا يشاركهم الله فيه.

وما لهم فيها من شرك : أي وليس لهم من شركة في السموات ولا في الأرض.

وماله منهم من ظهير : أي وليس لله تعالى من شركائكم الذين تدعونهم من معين على شيء.

ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له: أي ولا تنفع الشفاعة أحداً عنده حتى يأذن هو له بها.

حتى إذا فزع عن قلوبهم : أي ذهب الفزع والخوف عنها بسماع كلام الرب تعالى.

قالوا: ماذا قال ربكم؟ : أي قال بعضهم لبعض استبشاراً ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق أي في الشفاعة.

وهو العليُّ الكبير : العلي فوق كل شيء علوُّ ذات وقهر وهو الكبير الذي كل شيء دونه.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى ما حدث لسبأ من تقلبات وكان عامل ذلك هو تزيين الشيطان وإغواؤه أخبر تعالى عن حال الناس كل الناس فقال﴿لقد صدق عليهم[1] إبليس ظنّه﴾ أي فيهم لما علم ضعفهم أمام الشهوات فاستعمل تزيينها كسلاح لحربهم ﴿فاتبعوه﴾ فيما دعاهم إليه من الشرك والإسراف والمعاصي ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ وهم المؤمنون الصادقون في إيمانهم الذين أسلموا لله وجوههم وهم عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سبيل لإغوائهم فإنهم لم يتبعوه. هذا ما دلت عليه الآية (٢٠) وقوله تعالى: ﴿وما كان له﴾ أي للشيطان ﴿عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ أي قوة مادية ولا معنوية من حجج وبراهين، وإنما أذن له في التحريش والوسواس والتزيين وهذا الإذن لعلة وهي ظهور حال الناس ليعلم[2] من يؤمن بالآخرة وما فيها من جنات ونيران، وقد حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات فالمؤمنون بالآخرة يتحملون مشاق التكاليف فينهضون بها ويتجنبون الشهوات فينجون من النار ويدخلون الجنة، والذين لا يؤمنون بالآخرة لا ينهضون بواجب ولا يتجنبون حراماً فيخسرون أنفسهم

---

(١) قرأ نافع والجمهور صدق بتخفيف الدال وقرأ حفص صدّق بالتضعيف والجملة يبدو أنها معطوفة على قوله تعالى: وقال الذين كفروا هل ندلكم وهو قول كفار مكة وما بين هذه الآيات وتلك اعتراض للعظة والاعتبار والمقصود من هذه الآية تنبيه المؤمنين إلى مكايد الشيطان وسوء عاقبة من يتبعه حتى يلعنوه ولا يتبعوه. قال الحسن لما اهبط آدم وحواء عليهما السلام من الجنة إلى الأرض وهبط إبليس قال ابليس اما إذا اصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف فكان ذلك ظناً من ابليس فأنزل الله تعالى لقد صدق عليهم إبليس ظنه.

(٢) أي علم الشهادة والظهور الذي يتم به الثواب والعقاب فأما علم الغيب فقد علمه تبارك وتعالى فقوله تعالى، (إلا لنعلم) الخ... جواب لقوله وما كان له عليهم من سلطان.

وأهليهم يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين. وقوله تعالى ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ فهو يحصى أعمال عباده من خير وشر ويحاسبهم عليها ويجزيهم بها.

وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا[1] الذين زعمتم من دون الله﴾ أي قل يا رسولنا بعد هذا العرض والبيان الشافي الذي تقدم في هذا السياق للمشركين من قومك ما دمتم مصرين على الشرك بحجة أن شركاءكم ينفعُون ويضرون وأنهم يشفعون لكم يوم تبعثون ادعوهم غير أن الحقيقة التي يجب أن تسمعوها وتعلموها ـ وأنتم بعد ذلك وما ترون وتهوون ـ هي أن الذين تدعونهم من دون الله وجعلتموهم لله شركاء لا يملكون مثقال ذرة أي وزن ذرة في السموات ولا في الأرض لا يملكونها استقلالا ولا يملكونها شركة مع الله المالك الحق، وهو معنى قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ ﴿وما لهم فيهما﴾ أي في السموات والأرض من شرك بمعنى شركة ولو بأدنى نسبة. وشيء آخر وهو أن شركاءكم الذين تدعونهم ليس لله تعالى منهم من ظهير أي معين حتى لا يقال بحكم حاجة الرب إليه ندعوه فيشفع لنا عنده، وشيء آخر وهو أن الشفاعة عند الله لا تتم لأحد ولا تحصل له إلا إذا رضى الله تعالى بالشفاعة لمن أريد الشفاعة له، وبعد أن يأذن ايضا لمن أراد أن يشفع. فلم يبق إذاً أي طمع في شفاعة آلهتكم لكم لا في الدنيا ولا في الآخرة إذاً فكيف تصح عبادتهم وهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا يشفعون لأحد في الدنيا ولا الآخرة. وقوله تعالى ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ إلى آخره بيان لكيفية الشفاعة يوم القيامة وهي أن الشافع المأذون له في الشفاعة عندما يسأل الله تعالى فيجيبه الرب تعالى فيصاب بخوف وفزع شديد ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ أي زال ذلك الفزع والخوف قالوا لبعضهم[2] البعض ماذا قال ربكم؟ فيقولون مستبشرين قالوا: الحق أي أذن لنا في الشفاعة وهو العليّ الكبير أي العلى فوق خلقه بذاته وقهره وسلطانه الكبير الذي ليس مثله سبحانه لا إله إلا هو ولا ربّ سواه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان أن إبليس صدق ظنه في بني آدم وأنهم سيتبعونه ويغويهم.

---

(١) هذا الأمر للتحدي والتوبيخ وهو خطاب للمشركين المؤلهين الأصنام بعد ما ساق من دلائل التوحيد فيما عرفوا من حياة داود وسليمان وأهل سبأ أمر رسوله أن يتحداهم ويوبخهم على شركهم وباطلهم.

(٢) الظاهر أن من طلبوا الشفاعة لما أذن الله تعالى لهم وأصابهم الفزع والخوف فلما ذهب ذلك من قلوبهم سألوا الملائكة عما قال الله تعالى فتجيبهم الملائكة قال الحق أي قبل شفاعتكم.

٢ـ تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله ولا يستحق العبادة سواه.
٣ـ بيان بطلان دعاء غير الله إذ المدعو كائنا من كان لا يملك مثقال ذرة في الكون لا بالاستقلال ولا بالشركة، وليس لله تعالى من ظهير أي ولا معينين يمكن التوسل بهم، وأخيراً والشفاعة لا تتم إلا بإذنه ولمن رضى له بها. ولذلك بطل دعاء غير الله ومن دعا غير الله من ملك أو نبي أو وليٍّ أو غيرهم فقد ضل الطريق وأشرك بالله في أعظم عبادة وهى الدعاء، والعياذ بالله تعالى.

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

قل من يرزقكم من السموات والأرض: من السموات بإنزال المطر ومن الأرض بإنبات الزروع.

قل الله: أي إن لم يجيبوا فأجب انت فقل الله، إذ لا جواب عندهم سواه.

وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين: وأخبرهم بأنكم أنتم أيها المشركون أو إيانا لعلى هدى أو في ضلال مبين، وقطعا فالموحدون هم الذين على هدى

والمشركون هم في الضلال المبين، وإنما شككهم تلطفاً بهم لعلهم يفكرون فيهتدون.

قل لا تسألون عما أجرمنا : أي أنكم لا تسألون عن ذنوبنا.

ولا نُسأل عما تعملون : أي ولا نُسأل نحن عما تعملون. وهذاتلطفاًبهم أيضاً ليراجعوا أمرهم، ولا يحملهم الكلام على العناد.

قل يجمع بيننا ربُّنا ثم يفتح بيننا بالحق : أي قل لهم سيجمع بيننا ربُّنا يوم القيامة ويفصل بيننا بالحق وهذا أيضا تلطف بهم وهو الحق.

قل أروني الذين ألحقتم به شركاء : أي قل لهؤلاء المشركين أروني شركاءكم الذين عبدتموهم مع الله فإن أروه إياهم أصنامـاً لا تسمـع ولا تبصر قامت الحجة عليهم. وقال لهم اتعبدون ما تنحتون وتتركون الله الذي خلقكم وما تعملون؟!

كلا بل هو الله العزيز الحكيم: كلا: لن تكون الأصنام أهلا للعبادة بل المعبود الحق الواجب العبادة هو الله العزيز الحكيم.

كافة للناس : أي لجميع الناس أي عربهم وعجمهم.

بشيراً ونذيراً : بشيراً للمؤمنين بالجنة، ونذيراً للكافرين بعذاب النار

قل لكم ميعاد يوم : هو يوم القيامـة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تبكيت المشركين وإقامة الحجج عليهم بتقرير التوحيد وإبطال التنديد فقال تعـالى للرسـول ﷺ سل قومك مبكتا لهم: ﴿قل من[1] يرزقكم من السموات والأرض﴾ بإنزال الأمـطار وإرسـال الـرياح لواقح وإنبات النباتات والزروع والثمار وتوفير الحيوان للحم واللبن ومشتقاته؟ وإن تلعثموا في الجواب أو ترددوا خوف الهزيمة العقلية فأجب أنت قائلاً الله. إذ ليس من جواب عندهم سواه.

وقوله ﴿وإنا أو إياكم لعلى[2] هدىً أو في ضلال مبين﴾ هذا أسلوب التشكيك وحكمته التلطف

---

(١) لما أبطل بتلك الحجج آلهة المشركين حيث دعاؤها لا يجدي نفعاً للداعين لأنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا شفاعتها تنفع عابديها قَرَّرَ بهذه الآيات استحقاق الله تعالى للعبادة دون غيره، واستعمل اسلوب الجدل لإقامة الحجة على الخصم فقال: قل من يرزقكم.

(٢) وإياكم معطوف على محل اسم إن المنصوب والجملة معطوفة على الاستفهام «قل من يرزقكم الخ»، وهذا يقال له اسلوب المنصف وهو أن لا يذكر المجادل لمن يجادله ما يغيظه أو يثير حفيظته رجاء هدايته إلى الحق.

بالخصم المعـاند حتى لا يلج في العناد ولا يفكر فى الأمر الذي يجادل فيه، وإلَّا فالرسول والمؤمنون هم الذين على هدىً، والمشركون هم الذين في ضلال مبين وهو أمر مسلم لدى طرفي النزاع. وقوله تعالى ﴿قل لا تُسألون عمّا[1] أجرمنا ولا نُسأل عما تعملون﴾ وهذا أيضاً من باب التلطف مع الخصم المعاند لتهدأ عاصفة عناده ويراجع نفسه علّه يثوب إلى رشده ويعود إلى صوابـه. فقـوله: ﴿لا تُسألون عما أجرمنا﴾ هو حق فإنهم لا يسألون عن ذنوب الرسول والمؤمنين، ولكن الرسول والمؤمنين لا ذنب لهم وإنما هو من باب التلطف في الخطاب، وأما المشركون فإن لهم أعمالاً من الشرك والباطل سيجزون بها والرسول والمؤمنون قطعاً لا يُسألون عنها ولا يؤاخذون بها ما داموا قد بلغوا ونصحوا. وقوله: ﴿قل يجمع بيننا ربُّنا﴾ أي يوم القيامة ﴿ثم يفتح بيننا﴾ أي يحكم ويفصل بيننا ﴿بالحق وهو الفتاح﴾ أي الحاكم العليم بأحوال خلقه فأحكامه ستكون عادلة لعلمه بما يحكم فيه ظاهراً وباطناً. وفي هذا جذب لهم بلطف ودون عنف ليقروا بالبعث الآخر الذي ينكرونه بشدة. وقوله ﴿قل أروني[2] الذين ألحقتم به شركاء﴾ أي قل يا رسـولنـا لهؤلاء المشـركين اروني آلهتكم التي اشركتموها بالله والحقتموها به وقلتم في تلبيتكم: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك. الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وهكذا يتحداهم رسول الله بإذن الله أن يروه شركاء لله حقيقة يسمعون ويبصرون ينفعون ويضرون ولما كان من غير الممكن الإتيان بهم غير أصنام وتماثيل زجرهم بعنف لعلهم يستفيقون من غفلتهم فقال: ﴿كلا، بل هو الله العزيز الحكيم﴾ أي ليست تلك الأصنام بآلهة تعبد مع الله بل المعبود الحق الواجب العبادة هو الله رب العالمين وإله الأولين والآخرين ﴿العزيز﴾ أي الغالب على أمره ومراده الحكيم في تدبير خلقه وشؤون عباده.

وقوله: ﴿وما أرسلناك[3] الا كافة للناس[4] بشيراً ونذيراً﴾ أي لم نرسلك يا رسولنا لمهمة غير البشارة والنذارة فلذا لا يحزنك إعراضهم وعدم استجابتهم فبشر من آمن بك واتبعك فيما جئت به، وأنذر من كفر بك ولم يتابعك على الهدى الذي تدعو اليه.

---

(١) وهذا أيضاً من الباب الأول وهو حمل الخصم على عدم اللجاج في الخصومة ليبقى قادراً على الفهم وقبول الحق متى ظهر له ولاح.

(٢) الأمر هنا للتعجيز لإقامة الحجة عند ثبوت عجز المخاصم، ولما ثبت عجزهم زجرهم بكلمة كلا وردعهم بها، وحملهم على الاعتراف ببطلان آلهتهم.

(٣) ولما تقرر مبدأ التوحيد عطف عليه تقرير النبوة المحمدية فقال وما أرسلناك. وبذلك ثبتت رسالته.

(٤) في الكلام تقديم وتأخير إذ الأصل وما أرسلناك إلا للناس كافة أي عامة.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[1] فيه تعزية للرسول أيضاً إذِ الواقع أن أكثر الناس لا يعلمون إذ لو علموا لما ترددوا في عبادة الله وتوحيده والتقرب إليه طمعا فيما عنده وخوفاً مما لديه. وقوله: ﴿ويقولون﴾ أي أهل مكة من منكري البعث والجزاء ﴿متى هذا الوعد﴾[2] أي العذاب الذي تهددنا به وتخوفنا بنزوله بنا إن كنتم أيها المؤمنون صادقين فيما تقولون لنا وتعدونا به. وهنا أمر الله تعالى رسوله أن يرد على استهزائهم وتكذيبهم بقوله: ﴿قل لكم ميعاد﴾[3] يوم معين عندنا محدد لا تستأخرون عنه ساعة لو طلبتم ذلك لتتوبوا وتستغفروا ولا تستقدمون أخرى لو طلبتم تعجيلة إذ الأمر مبرم مُحكمٌ لا يقبل النقص ولا الزيادة ولا التبديل ولا التغيير.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ مشروعية التلطف مع الخصم فسحاً له في مجال التفكير لعله يثوب الى رشده.

٢ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء وتنويع الأسلوب الدعوى في ذلك.

٣ـ تقرير عقيدة النبوة المحمدية، وعموم رسالة النبي ﷺ إلى الناس كافة.

٤ـ يوم القيامة مقرر الساعة واليوم فلا يصح تقديمه ولا تأخيره بحال.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ
عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

---

(١) إذ كانوا يوم نزول هذه الآية أكثرية والمؤمنون أقلية وحتى اليوم أكثر الناس لا يعلمون جلال الله وجماله وأسماءه وصفاته وما عنده وما لديه، ولامحابة ولا مكارهه.

(٢) الاستفهام للاستبعاد مشوباً بالتعجب من كثرة سؤالهم عن هذا الوعد.

(٣) الميعاد مصدر ميمي وهو الوقت المعين لحدوث الشيء وهو هنا إما يوم القيامة أو حضور الموت وجائز أن يكون يوم هلاكهم وهو يوم بدر وإضافته بيانية.

ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ
تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ
هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾

شـرح الكلمات :

ولا بالذي بين يديه : أي من الكتب السابقة وهي التوراة والإنجيل.

يرجع بعضهم إلى بعض القول: أي يقول الاتباع كذا ويرد عليهم المتبوعون بكذا وهو المبيّن في الآيات.

أنحن صددناكم عن الهدى : أي ينكر المتسكبرون وهم المتبوعون أن يكونوا صدوا التابعين لهم عن الهدى بعد إذْ جاءهم بواسطة رسوله.

بل كنتم مجرمين : أي ظلمة فاسدين مفسدين.

بل مكر الليل والنهار : أي ليس الأمر كما ادعيتم بل مكركم بنا بالليل والنهار هو الذي جعلنا نكفر بالله

ونجعل له أنداداً : أي شركاء نعبدهم معه فننادُه بهم.

وأسروا الندامة : أي اخفوها إذ لا فائدة منها أو أظهروها أي أظهروا الندم إذ أسر الندامة له معنيان أخفى وأظهر.

وجعلنا الاغلال في أعناق : أي وجعلنا الأغلال جمع غل حديدة تجعل في عنق المجرم.

هل يجزون الا ما كانوا يعملون : أي ما يجزون الا ما كانوا يعملون.

معنى الآيـات .

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والبعث والجزاء فيخبر تعالى فيقول: ﴿وقال الذين كفـروا﴾ أي من مشـركي مكـة قالوا للرسول والمؤمنين لن نؤمن[1] بهذا القرآن الذي أنزل على محمد، ولا بالذي أنزل على من تقدمه من الأنبياء كالتوراة والإنجيل، وذلك لما احُتّج عليهم

(١) القائل هذا هو أبو جهل بن هشام وذلك أن المشركين سألوا أهل الكتاب من اليهود فلما أعلموهم بما يوافق ما يقول الرسول ويدعو إليه من التوحيد والبعث والجزاء والرسالة قالوا: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه أي من التوراة والانجيل.

بتقرير التوراة والإنجيل للتوحيد والنُبوات والبعث والجزاء قالوا لن نُؤمن بالجميع عناداً ومكابرة. وجحوداً وظلما. ولازم هذا أنهم ظلمة معاندون ومن باب دعوتهم إلى الهدى ستعرض الآيات لهم حالهم يوم القيامة فيقول تعالى لرسوله وهم يسمعون ولو ترى[1] يا رسولنا إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ أي يتحاورون متلاومين. يقول الذين استُضعفوا وهم الفقراء المرءوسون الذين كانوا أتباعاً لكبرائهم وأغنيائهم، يقولون للذين استكبروا عليهم في الدنيا: لولا أنتم أي صرفتمونا عن الإيمان واتباع الرسول لكنا مؤمنين فيرد عليهم الكبراء بما أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا: أنحن[2] صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾ أي ماصددناكم أبداً بل كنتم مجرمين أي أصحاب إجرام وفساد ويرد عليهم المستضعفون قائلين بما أخبر تعالى به عنهم ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر[3] الليل[4] والنهار﴾ أي بل مكركم[5] بنا في الليل والنهار إذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له أنداداً. قال تعالى ﴿وأسروا الندامة[6]﴾ أي أخفوها لما رأوا العذاب. قال تعالى: ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ أي شدت أيديهم إلى أعناقهم بالاغلال وهي جمع غل حديدة يشد بها المجرم، ثم أدخلوا الجحيم إذ كانوا في موقف خارج جهنم، وقوله تعالى: ﴿هل يجزون[7] الا ما كانوا يعملون﴾ أي ما يُجْـزَونَ إلا ما كانوا يعملون فالجزاء بحسب العمل إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، وكانت أعمالهم كلها شر وظلم وباطل.

هذا وجواب لولا في أول السياق محذوف يُقدر بمثل: لرأيت أمراً فظيعاً واكتُفي بالعرض لموقفهم عن ذكره فإنه أتم وأشمل.

---

(١) جواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيعاً هائلاً مدهشاً ومحيراً.

(٢) الاستفهام إنكاري. أنكروا عليهم قولهم أنهم صدوا عن الإيمان.

(٣) المكر في اللغة الاحتيال والخديعة يقال مكر به يمكر فهو ماكر ومكار.

(٤) مكر الليل والنهار الاضافة بمعنى في.

(٥) مكركم مبتدأ والخبر محذوف تقديره صدّنا وهو جملة فعلية.

(٦) الضمير في أسروا عائد على الجميع المستضعفين والمستكبرين والمعنى انهم لما انكشف لهم العذاب المعد والمهيء لهم وذلك عقب المحاورة التي دارت بينهم، فعلموا أن حوارهم لبعضهم غير نافع لهم أسروا الندامة أي أخفوها لعدم جدواها.

(٧) الاستفهام إنكاري بقرينة الاستثناء بعده أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون أي من الشرك والظلم والشر والفساد إذ الجزاء من جنس العمل هو العدل المطلوب.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ تشابه حال الظلمة والمجرمين فالعرب المشركون كانوا يركنون إلى أهل الكتاب يحتجون بما عندهم على الرسول والمؤمنين. ولما وجدوا التوراة والإنجيل يقرّران عقيدة البعث والجزاء والنبوة تبرأوا منهما وقالوا لن نؤمن بالقرآن ولا بالتوراة والإنجيل.

واليهود كانوا يحتجون بالتوراة على المسلمين ولما وجدوا التوراة تقرر ما يقرره القرآن تركوا الاحتجاج بالتوراة وأخذوا يحتجون بالسحر كما تقدم في البقرة في قول الله تعالى ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان﴾.

٢ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض كامل لموقف من مواقف يوم القيامة، ومشهد من مشاهده.

٣ـ بطلان احتجاج الناس بعمل العلماء أو الحكماء وأشراف الناس اذا كان غير موافق لشرع الله تعالى وما جاء به رسله من الحق والدين الصحيح.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ
أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

الا قال مترفوها	: أي رؤساؤها المنعمون فيها من اهل المال والجاه.
نحن أكثر أموالاً وأولاداً	: أي من المؤمنين.
يبسط الرزق لمن يشاء	: امتحاناً أيشكر العبد أم يكفر.
ويقدر	: أي يضيق ابتلاء أيصبر المرء أم يسخط.
ولكن أكثر الناس لا يعلمون	: أي الحكمة في التوسعة على البعض والتضييق على البعض.
تقربكم عندنا زلفي	: أي قربى بمعنى تقريباً.
إلا من آمن وعمل صالحا	: أي لكن من آمن وعمل صالحاً هو الذي تقربه تقريباً.
وهم في الغرفات آمنون	: أي من المرض والموت وكل مكروه.
والذين سعوا في آياتنا	: أي عملوا على إبطال القرآن والإيمان به وتحكيمه.
معاجزين	: أي مقدرين عجزنا وأنهم يفوقوننا فلم نعاقبهم.
وما أنفقتم من شيء	: أي من مال في الخير.
وهو خير الرازقين	: أي المعطين الرزق. أما خلق الرزق فهو لله تعالى وحده.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير﴾ هذا شروع في تسلية الرسول ﷺ ببيان حال من سبق من الأمم وما واجهت به رسلها فقال تعالى ﴿وما أرسلنا في قرية﴾ أي مدينة من المدن ﴿من نذير إلا قال مترفوها﴾[1] أي أهل المال والثروة المتنعمون بألوان المطاعم والمشارب والملابس والمراكب. قالوا لرسل الله ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ فردوا بذلك دعوتهم. ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ فاعتزوا بقوتهم، ﴿وما نحن بمعذبين﴾ كذبوا بالبعث والجزاء كما أن كلامهم مُشعر بأنهم مغترون بأن ما أعطاهم الله من مال وولد كان لرضاه عنهم وعدم سخطه عليهم. وقوله تعالى ﴿قل ان ربي يبسط[2] الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي قل يا نبينا لأولئك المغترين بأن ما لديهم من مال وولد ناجم عن رضا الله عنهم قل لهم إن ربي جل جلاله يبسط الرزق لمن يشاء امتحاناً له لا لرضى عنه ولا لبغض له، كما أنه يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء له لا لبغضه ولا لمحبته، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون[3]﴾ ومن بينهم مشركو قريش لا يعلمون أن بسط الرزق

---

(١) المترفون الذين أعطاهم الله الترف وهو النعيم وسعة العيش في الدنيا وفي بناء المترفون للمجهول تعريض وتذكير لهم بالمنعم تعالى علهم يذكرون فيشكرون.

(٢) بسط الرزق تيسيره وتكثيره مأخوذ من بسط الثوب وهو نشره ليتسع لصاحبه وتقدير الرزق معناه إعطاؤه مقدّراً، ويقابله ما يعطى بغير حساب.

(٣) مفعول لا يعلمون محذوف وقد ذكر في التفسير وهو أنهم لا يعلمون الحكمة فى بسط الرزق وتضييقه.

كتضييقه عائد إلى تربية الناس بالسراء والضراء امتحاناً وابتلاء. وقوله تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ يخبر تعالى المشركين المغترين بالمال والولد يقول لهم وما أموالكم ولا أولادكم بالحال التى تقربكم منا وتجعلنا نرضى عنكم وندنيكم منا زلفى أي قربى. ﴿إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ أي لكن من فعلوا الواجبات والمندوبات ﴿فأولئك﴾ أي المذكورون لهم جزاء الضعف[1]، أي جزاء تضاعف لهم حسناتهم فيه، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، وذلك بسبب عملهم الصالحات ﴿وهم في الغرفات﴾ أي غرفات الجنة آمنون من الموت ومن كل مكروه ومنغص لسعادتهم.

وقوله تعالى: ﴿والذين يسعون في آياتنا معاجزين﴾ يخبر تعالى أن الذين يعملون بجد وحرص في إبطال آياتنا وإطفاء نور هدايتنا في كتابنا وقلوب عبادنا المؤمنين ويظنون أنهم معجزون لنا أي فائتوننا لا ندركهم ولا نعاقبهم هؤلاء المغرورون في العذاب محضرون أي كأنك بهم وهم محضرون في جهنم يعذبون فيها أبداً.

فقوله تعالى: ﴿قل إن ربي﴾ أي قل يا رسولنا مرة أخرى تقريراً لهذه الحقيقة العلمية التي خفيت على الناس وجهلها قومك وهي أن الله يبسط الرزق لمن يشاء امتحاناً لا حباً فيه ولا بغضاً له. وإنما امتحاناً له هل يشكر أو يكفر فإن شكر زدناه وأكرمناه وان كفر سلبناه ما أعطيناه وعذبناه، ﴿ويقدر له﴾ أي لمن شاء من عباده ابتلاء له لا بغضا له ولا حبا فيه. وإنما لننظر هل يصبر على الابتلاء أو يسخط ويضجر فنزيد في بلائه وشقائه.. وقوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من[2] شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ في هذا دعوة إلى الإنفاق في سبيل الله وتشجيع عليه بإعلام الناس أن الإنفاق لا ينقص المال والبخل به لا يزيده فان التوسعة كالتضييق لحكمة فلا البخل يزيد في المال ولا الإنفاق في سبيل الله ينقص منه. وختم هذا بوعده الصادق وهو أن من انفق في سبيل الله شيئاً أخلفه الله عليه وهو تعالى خير من قيل إنه يرزق ووصف به.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان سنة الله في الأمم والشعوب وأنهم ما أتاهم من رسول إلا كفر به الأغنياء والكبراء.

٢- بيان اغترار المترفين بما آتاهم الله من مال وولد ظانين ان ذلك من رضا الله تعالى عليهم.

---

(١) الضعف بمعنى المضاعف المكرر مرة وأكثر حتى يبلغ أضعافاً مضاعفة إلى سبعمائة ضعف وهي سنة الانفاق في الجهاد.

(٢) من في قوله «من شيء» بيانية وجملة فهو يخلفه جواب الشرط وجملة وهو خير الرازقين تذييل للكلام يحمل معنى الترغيب في الإنفاق في سبيل الله وفي الحديث الصحيح يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك، وما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفا «في الصحيح».

٣ـ بيان الحكمة في التوسعة على بعض والتضييق على بعض، وانها الامتحان والابتلاء فلا تدل على حبِّ الله ولا على بغضه للعبد.

٤ـ بيان ما يقرب الى الله ويدنى منه وهو الإيمان والعمل الصالح ومن ذلك الإنفاق في سبيل الله لا كثرة المال والولد كما يظن المغرورون المفتنون بالمال والولد.

٥ـ بيان حكم الله فيمن يحارب الإسلام ويريد إبطاله وأنهمحضرفي جهنم لا محالة.

٦ـ بيان وعد الله تعالى بالخلف لكل من أنفق في سبيله مالاً.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

شـرح الكلمـات :

ويوم نحشرهم جميعا : أي واذكر يوم نحشرهم جميعاً أي جميع المشركين.

أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ : أي يقول تعالى هذا للملائكة تقريعاً للمشركين وتوبيخاً لهم.

قالوا سبحانك : أي قالت الملائكة سبحانك أي تقديساً لك عن الشرك وتنزيهاً.

أنت ولينا من دونهم : أي لا موالاة بيننا وبينهم أي يتبرأوا منهم.

بل كانوا يعبدون الجن : أي الشياطين التى كانت تتمثـل لهم فيحسبـونهـا ملائكـة فيطيعونها فتلك عبادتهم لها.

فاليوم لا يملك بعضكم لبعض : أي لا يملك المعبودون للعابدين.

نفعاً ولا ضراً : أي لا يملكون نفعهم فينفعونهم ولا ضرهم فيضرونهم.

ونقول للذين ظلموا : أي أشركوا غير الله في عبادته من الملائكة والأنبياء أو الأولياء والصالحين.

عذاب النار التي كنتم بها تكذبون : أي كنتم في الدنيا تكذبون بالبعث والجزاء وهو الجنة أو النار.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء والتوحيد. قال تعالى لرسوله ﷺ واذكر ﴿يوم نحشرهم﴾[1] أي المشركين ﴿جميعاً﴾ فلم نبق منهم أحداً، ثم نقول للملائكة وهم أمامهم تقريراً للمشركين وتأنيباً: ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾[2] فتتبرأ الملائكة من ذلك وينزهون الله تعالى عنه الشرك فيقولون: ﴿سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك عن الشرك وتقديساً ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أما هم فلا ولاية بيننا وبينهم ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾[3] أي الشياطين ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ أي مصدقون فأطاعوهم في عبادة الأصنام وعصوك وعصوا رسلك فلم يعبدوك ولم يطيعوا رسلك.

وقوله تعالى ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعضكم نفعاً ولا ضراً﴾ أي يقال لهم هذا القول تيئيساً وإبلاساً أي قطعاً لرجائهم في أن يشفعوا لهم. وقوله تعالى ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ وهم المشركون ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ أي كنتم تكذبون بها في الدنيا فذوقوا اليوم عذابها. والعياذ بالله من عذاب النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير لعقيدة البعث والجزاء بذكر بعض أحوالها.

٢- أن من كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين إنما كانوا يعبدون الشياطين إذ هى التى زينت لهم الشرك. أما الملائكة والأنبياء والأولياء فلم يرضوا بذلك منهم فضلا عن أن يأمروهم به.

٣- بيان توبيخ أهل النار بتكذيبهم في الدنيا بالآخرة وكفرهم بوجود نار يعذبون بها يوم القيامة.

---

(١) هذا الكلام متصل بما قبله وهو قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون موقوفون إذ السياق كله في تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض أحوال أهل النار وما يجري لهم من أمور.

(٢) هذا كقوله تعالى ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله؟﴾ وهو سؤال تقريع وتوبيخ لا للمسئول ولكن لعابديه من الإنس والجن.

(٣) روى أن بني مُليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم الملائكة وأنهم بنات الله، وهو قوله تعالى في سورة الصافات «وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً».

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن
تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم
مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

آياتنا بيّنات : أي آيات القرآن الكريم واضحات ظاهرة المعنى بيّنة الدلالة.

قالوا ما هذا الا رجل : أي ما محمد الا رجل من الرجال.

يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم : أي يريد أن يصرفكم عن عبادتكم لآلهتكم التي كان يعبدها آباؤكم من قبل.

إلا إفك مفترى : أي إلا كذب مختلق مزور.

وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : أي قالوا للقرآن لما جاءهم به محمد ﷺ.

إن هذا الا سحر مبين : أي ما هذا أي القرآن الا سحر مبين أي محمد ساحر والقرآن سحر.

من كتب يدرسونها : أي يقرأونها فأباحت لهم الشرك وأذنت لهم فيه.

وما ارسلنا إليهم قبلك من نذير : أي ولم نرسل إليهم قبلك من رسول فدعاهم الى الشرك.

وما بلغوا معشار ما آتيناهم : أي ولم يبلغ أولئك الأمم الذين أهلكناهم معشار ما آتينا هؤلاء من الحجج والبينات(١).

فكيف كان نكير : أي فكيف كان إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك والجواب كان واقعاً موقعه لم يخطئه بحال.

معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض مواقف المشركين المخزية والتنديد بهم والوعيد الشديد لهم. قال تعالى ﴿وإذا تتلىٰ عليهم﴾ أي مشركي قريش وكفارها ﴿آياتنا بينات﴾ أي يتلوها رسولنا واضحات الدلالة بينات المعاني فيما تدعو اليه من الحق وتندد به من الباطل. كان جوابهم أن قالوا: ما هذا إلاَّ رجلٌ يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم. أي ما محمد الا رجل أي ليس بملكٍ يريد أن يصدكم أي يصرفكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان والأحجار. فسبحان الله أين يذهب بعقول المشركين أما يخجلون لما يقولو ن عما كان يعبد آباؤكم من الأصنام والأوثان، إنه يصدهم حقاً عن عبادة الأوثان ولكن إلى عبادة الرحمن. وقالوا أيضا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿وقالوا: ما هذا[1] إلا إفك﴾ أو كذب ﴿أفتراه﴾ أي اختلقه وتخرصه من نفسه أي قالوا في القرآن وما يحمل من تشريع وهدى ونور قالوا فيه إنه كذبه محمد ﷺ سبحان الله ما أشد سخف هؤلاء المشركين. وقالوا أيضا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي قالـوا في الرسول وما جاءهم به من الدعوة إلى التوحيد والإصلاح ﴿إن هذا﴾ أي ما هذا إلا سحر مبين، وذلك لما رأوا من تأثير الرسول والقرآن في نفوسهم إذ كان يحرك نفوسهم ويهزها هزاً.

بعد هذا العرض لمواقف المشركين قال تعالى: ﴿وما آتيناهم[2]﴾ أي مشركي قريش ﴿من كتب يدرسونها﴾ أي اصروا على الشرك وما أعطيناهم من كتب يقرأونها فوجدوا فيها الإذن بالشرك أو مشروعيته فتمسكوا به، ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ أي رسول فأجاز لهم الشرك أو سنه لهم فهم على سنته، اللهم لا ذا ولا ذاك. فكيف إذاً هذا الإصرار على الشرك وهو باطل لم ينزل به كتاب ولم يبعث به رسول.[3]

وقوله تعالى: ﴿وكذب الذين من قبلهم[4]﴾ أي من الأمم البائدة ﴿ولم يبلغوا﴾ أي ولم يبلغ

---

(١) ما هذا يعنون القرآن الكريم وكذا قولهم إن هذا إلا سحر فإنهم يعنون القرآن الكريم أيضاً وإن بمعنى ما النافية والاسناد بعدها دال عليها.

(٢) الجملة حاليّة من ضمير قالوا ما هذا.

(٣) أي أنه ليس لهم ما يتثبتون به من أقل دليل وأدنى شبهه كما هي الحال عند أهل الكتاب إذ قالوا عندنا كتابنا وجاءتنا رسلنا أما المشركون فليس لهم من ذلك شيء.

(٤) في الآية تسلية للرسول ﷺ في تكذيبهم له ﷺ وتهديد لهم. التسلية في قوله «وكذب الذين من قبلهم» والتهديد في «فكذبوا رسلي فكيف كان نكير» والفاء للتفريع أي في قوله فكذبوا رسلي.

هؤلاء من القوة معشار(1) ما كان لأولئك الأقوام الهالكين، ومع ذلك أهلكناهم، فكيف كان نكيرى أي كيف كان إنكارى عليهم الشرك وتكذيب رسلى كان بإبادتهم واستئصالهم. أما يخاف هؤلاء الضعفاء أن تحل بهم عقوبتنا فنهلكهم عن آخرهم كما أهلكنا من قبلهم ولما لم يرد الله إبادتهم بعد أن استوجبوها بالتكذيب لرسوله والإصرار على الشرك والكفر قال لرسوله قل لهم(2) ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ أي بخصلة واحدة وهي أن تقوموا لله أي متجردين من الهوى والتعصب ﴿مثنى﴾، أي أثنين أثنين، ﴿وفرادي﴾ أي واحداً واحداً، ثم تتفكروا في حياة محمد ﷺ وموافقة الخيرة معكم وبعده عن كل أذى وشر وفساد فإنكم تعلمون يقيناً أنه ما بصاحبكم محمد من جنّة ولا جنون إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد، أي ما هو ﷺ إلا نذير لكم أمام عذاب شديد قد ينزل بكم وهو مشفق عليكم في ذلك خائف لا يريده لكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان عناد المشركين وسخف عقولهم وهبوطهم الفكرى.

٢ـ ضعف كفار قريش وتشددهم وعتوهم إذا قيسوا بالأمم السابقة فإنهم لا يملكون من القوة نسبة واحد إلى ألف إذ المعشار هو عشر عشر العشر.(3)

٣ـ تقرير النبوة المحمدية واثباتها وذلك ينفى الجنّة عنه ﷺ وإثبات أنه نذير.

قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ

---

(١) المعشار العشر إذ هو الجزء العاشر كالمرباع الذي يعطي لقائد الكتيبة من الغنائم وهو ربعها.

(٢) هذا انتقال من حكاية أقوال المشركين والرد عليهم إلى دعوتهم للانصاف في النظر والتأمل في الحقائق ليتضح لهم خطأهم وهذا من باب الإعذار لهم في المجادلة ليهلك من يهلك عن بينة ويحيى من حيء عن بينة.

(٣) قال القرطبي: وقيل المعشار هو عشر العشير، والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف جزء قال الماوردي وهو أظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل وما فسرت به الآية في التفسير أرجح وأوضح، وإن أريد به ما اتى الله هذه الأمة من العلم والبيان فهذا المعنى صحيح غير انه لا يتلاءم مع سياق الآيات.

سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

شـرح الكلمـات :

قل إن ربي يقذف بالحق : أي يلقى بالـوحي الحق إلى أنبيائه. ويقذف الباطل بالحق أيضا فيدمغه.

وما يبدىء الباطل وما يعيد : أي وما يبدى الباطل الذي هو الكفر، وما يعيد أي إنه لا أثر له.

فإنما أضل على نفسى : أي إثم ضلالي على نفسي لا يحاسب ولا يعاقب به غيري.

إنه سميع قريب : أي سميع لما أقول لكم قريب غير بعيد فلايتعذرعليه مجازاة أحد من خلقه.

إذ فزعوا فلافوت : أي إذ فزعوا للبعث أي خافوا ونفروا فلا فوت لهم منا بل هم في قبضتنا.

وأنى لهم التناوش من مكان بعيد : أي لما شاهدوا العذاب قالوا آمنا بالقرآن وكيف لهم ذلك وهم بعيدون إنهم في الآخرة والإيمان في الدنيا.

(التناوش) التناول من مكان بعيد.

كما فعل بأشياعهم من قبل : أي فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم من أمم الكفر والباطل.

في شك مريب : أي في شك بالـغ من نفـوسهم فأصبحـوا به مضـطربين لا يطمئنون الى شيء أبداً.

معنى الآيـات :

لمـا لج المشـركـون في الخصومة والعناد ودعاهم الله تعالى الى أمثل حل وهو أن يقوموا متجردين لله تعالى من الهوى والتعصب يقوموا اثنين اثنين أو واحداً واحداً لأن الجماعة من شأنها أن تختلف مع الآراء ثم يتفكروا في حياة الرسول وما دعاهم إليه من الهدى والحق فإنكم تعلمون انه ليس كما اتهمتموه بالجنون وإنما هو نذير لكم بين يدي عذاب شديد يخاف وقوعه بكم ونزوله عليكم هنا أمره تعالى أن يقول لهم وكوني نذيراً لكم مما أخاف عليكم لا أسألكم على إنذاري لكم أجراً [1] ﴿إن أجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ أي مطلع عليّ عالم بصدقي ويجزيني على إنذاري لكم إذ كلفني به فقمت به طاعة له. وقوله تعالى ﴿قل ان ربي يقذف بالحق﴾ [2] أي قل لهم يارسولنا إن ربي يقذف بالحق أي يلقى بالوحي على من يشاء من عباده ﴿علام الغيوب﴾ [3] أي وهو علام الغيوب يعلم من هو أهل للوحي إليه والإرسال فيوحى إليه ويرسله كما أوحى إليّ وارسلني إليكم نذيراً وبشيراً. وقوله تعالى: ﴿قل جاء الحق ومايبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي قل لهم يارسولنا جاء الحق وهو الإسلام الدين الحق، فلم يبق للباطل الذي هو الشرك والكفر مكان ولا مجال، ومايبدىء الباطل وما يعيد؟ أي أنه كما لا يبدىء لا يعيد فهو ذاهب لا أثر له أبداً وقوله: ﴿قل [4] إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ أي أعلمهم بأنك إن ضللت فيما أنت قائم عليه تدعو إليه فإنما عائد ضلالك عليك لا عليهم، وإن اهتديت فهدايتك بفضل ما يوحى إليك ربك من الهدى والنور ﴿إنه سميع قريب﴾ سميع لأقوالك وأقوال غيرك غير بعيد فيتعـذر عليه مجازاة عباده صاحب الإحسان بالإحسان وصاحب السوء بالسوء. وقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ أي لرأيت أمراً قطعياً يقول تعالى لرسوله ولو ترى [5] إذ فزع المشركون في ساحات فصل القضاء يوم القيامة فزعوا من شدة الهول والخوف وقد أُخذوا من مكان قريب والقوا في جهنم لرأيت أمراً فظيعاً في غاية الفظاعة. وقوله ﴿فلا فوت

(١) أي جُعلا على تبليغ الرسالة فإن سألتكموه فهو لكم.

(٢) جائز أن يكون المعنى يقذف الباطل بالحق فيدمغه فإذا هو زهق كذا روي عن ابن عباس وقال قتادة بالحق أي بالوحي وعنه أن الحق القرآن والكل صحيح وما في التفسير أقرب وأوضح.

(٣) علام مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف أي هو علام الغيوب والغيوب جمع غيب وقرأ الجمهور بضم الغين وكسرها بعضهم كبيوت إذ يجوز لها الضم والكسر والآية فيها معنى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفيها رد على المعترضين على الوحي إلى محمد ﷺ.

(٤) لما أفحمهم في الآيات السابقة وقطع طريق الاستدلال عليهم وتركهم في غيهم حيارى أمر رسوله أن يقول لهم تاركاً جدالهم لعدم الفائدة منه بعد وضوح الحق ﴿إن ضللت﴾ الآية فعل هذا إنهاء لجدل عقيم.

(٥) الخطاب للرسول ﷺ ولكل ذي أهلية وجواب لو محذوف كأن اللفظ لا يقدر على تصويره على حقيقته لفظاعته وهو كذلك.

لهم﴾ لا يفوتون الله تعالى ولا يهربون من قبضته. وقوله تعالى: ﴿وقالوا آمنا به[1]﴾ أي قالوا بعد ما بُعثوا وفزعوا من هول القيامة قالوا آمنا به أي بالله وكتابه ولقائه ورسوله، قال تعالى ﴿وانى لهم[2] التناوش﴾ أي التناول للإيمان من مكان بعيد إذ هم في الآخرة والإيمان كان في الدنيا فكيف يتناولونه بهذه السهولة ويقبل منهم وينجون من العذاب هذا بعيد جداً ولن يكون أبداً وقد كفروا به من قبل أي لا سيما وأنهم قد عُرض عليهم الإيمان وهم قادرون عليه فرفضوه فكيف يمكنون منه الآن. وقوله ﴿ويقذفون بالغيب[3] من مكان بعيد﴾ أي وها هم اليوم في الدنيا يقذفون بالغيب محمداً ﷺ بقواصم الظهر مرة يقولون كاذب ومرة ساحر ومرة شاعر وأخرى مجنون وكل هذا رجما بالغيب لا شبهة لهم فيه ولا أدنى ريبة تدعوهم إليه وأخيرا قال تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ وهو الإيمان الموجب للنجاة كما فعل بأشياعهم[4] أي أشباههم وأنصارهم من أهل الكفر والتكذيب لما جاءهم العذاب قالوا آمنا ولم ينفعهم إيمانهم وأهلكوا فألقوا في الجحيم، وقوله ﴿إنهم كانوا في شك مريب﴾ أي مشركو قريش وكفارها أخبر تعالى أنهم كانوا في الدنيا في شك من توحيدنا ونبينا ولقائنا مريب أي موقع لهم في الريب والاضطراب فلم يؤمنوا فماتوا على الكفر والشرك وهذا جزاء من يموت على الشرك والكفر.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ دعوة الله تعالى ينبغى أن لا يأخذ الداعى عليها أجراً، ويحتسب أجره على الله عز وجل.

٢ـ بيان صدق الله تعالى في قوله جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد إذ ما هو إلاّ سُنيَّات والإسلام ضارب بجرانه في الجزيرة فلا دين فيها إلا الإسلام.

٣ـ الإيمان الاضطرارى لا ينفع صاحبه كإيمان من رأى العذاب.

٤ـ الشك كفر ولا إيمان مع رؤية العذاب.

(١) صالح أن يكون الضمير للوعيد أو ليوم البعث أو النبي ﷺ أو القرآن إذ الكل واجب الإيمان وقد كفروا بالكل وكذبوا.

(٢) أنى استفهام عن المكان وهو مستعمل هنا للإنكار والتناوش التناول السهل وأكثر وروده في شرب الإبل شرباً خفيفاً من الحوض ونحوه قال الشاعر:

باتت تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع أجواز الفلا

أي تتناول الماء من أعلاه ولا تغوص مشافرها فيه.

(٣) القذف الرمي باليد من بعد ويستعار للقول بدون تروّ ولا دليل وهو كقولهم في الأصنام هم شفعاؤنا عند الله وكتكذيبهم بالبعث والتوحيد والنبوة.

(٤) الأشياع: المتشابهون في النحلة وإن كانوا سالفين وأصل المشايعة المتابعة في العمل.

(٥) هذه الجملة تعليلية لكل ما سبق في تكذيبهم وعنادهم وجهلهم وضلالهم إذ الشك وعدم اليقين هو الذي يوقع صاحبه في أودية الضلال والباطل.

سُورَةُ فَاطِرٍ

مكيـــة

وآياتها خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي
أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا
النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣)

شـرح الكلمات :

الحمـــد للــه : أي قولوا الحمد لله فإنه واجب الحمد ومقتضى الحمد ما ذكر بعد.

فاطر السموات والأرض : أي خالقهما على غير مثال سابق.

جاعل الملائكة رسـلا : أي جعل منهم رسلا إلى الأنبياء كجبريل عليه السلام.

أولي أجنحـة : أي ذوى أجنحة جمع جناح كجناح الطائر.

يزيد في الخلق ما يشاء : أي يزيد على الثلاثة ما يشاء فإن لجبريل ستمائة جناح.

وما يمســك : أي الله من الرحمة فلا أحد يرسلها غيره سبحانه وتعالى.

وهو العزيز الحكيـم : أي الغالب على أمره الحكيم في تدبيره وصنعه.

اذكروا نعمة الله عليكم : أي اذكروا نعمه تعالى عليكم في خلقكم ورزقكم وتأمينكم في حرمكم.

هل من خالق غير الله يرزقكم: أي لا خالق لكم غير الله ولا رازق لكم يرزقكـم.

من السماء والأرض؟ : أي بإنزال المطر من السماء وإنبات الزروع في الأرض.

لا إله إلا هـو	: أي لا معبود بحق إلا هو إذاً فاعبدوه ووحدوه .
فأنى تؤفكـــون	: أي كيف تصرفون عن توحيده مع اعترافكم بأنه وحده الخالق الرازق.

معنى الآيـات :

قولـه تعـالى ﴿الحمـد لله فاطـر[١] السمـوات والأرض﴾ أي الشكـر الكـامـل والحمـد التـام لله استحقـاقـاً ، والكـلام خَرَج مَخْـرج الخبـر ومعنـاه الإنشـاء أي قولـوا الحمـد لله . واشكـروه كمـا هو أيضـاً إخبـار منـه تعـالى بأن الحمـد له ولا مستحقـه غيره ومقتضى حمـده . فطره السمـوات والأرض أي خلقـه لهمـا على غير مثـال سابق ولا نموذج حاكاه في خلقهما . وجعله الملائكة رُسُلاً[٢] إلى الأنبياء وإلى من يشاء من عباده بالإلهام والـرؤيا الصالحة . وقوله ﴿أولي أجنحة﴾ صفة للملائكة أي أصحاب أجنحة مثنى أي اثنين اثنين ، وثلاث أي ثلاثة ثلاثة ورباع أي أربعة أربعة . وقوله ﴿يزيد في الخلق﴾ أي خلق الأجنحة ما يشاء فقد خلق لجبريل عليه السلام ستمائة جناح كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الصحاح ويزيد في خلق[٣] ما يشاء من مخلوقاته وهو على كل شيء قدير.

وقوله تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة[٤] فلا ممسك لها﴾ يخبر تعالى أن مفاتيح كل شيء بيده فما يفتحُ للناس من أرزاق وخيرات وبركات لا يمكن لأحد من خلقه أن يمسكها دونه وما يمسك من ذلك فلا يستطيع أحد من خلقه أن يرسله ، وهو وحده العزيز الغالب على أمره ومراده فلا مانع لما أعطى ولا راد لما قضى الحكيم في صنعه وتدبير خلقه . وقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم﴾ هذا نداؤه تعالى لأهل مكة من قريش يأمرهم[٥] بعده بأن يذكروا نعمـه تعـالى عليهم حيث خلقهم ووسع أرزاقهم وجعل لهم حرماً آمناً والناس يتخطفون من

---

(١) يصح في فاطر الجر على النعت والرفع على القطع أي هو فاطر والنصب على المدح أي أمدح فاطر، والفطر: الشق يقال فطرته فانفطر وتفطر، وفطر ناب البعير إذا شق اللحم وطلع ، والفاطر: الخالق، قال ابن عباس كنت لا أدري ما «فاطر السموات والأرض» حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما انا فطرتها أي أنا ابتدأتها والمراد بالسموات والأرض العالم كله.

(٢) المراد بالملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل «ملك الموت» وما شاء الله .

(٣) جائز أن يكون في ملاحة العين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم ، وفي الصوت الحسن والشعر الحسن والحظ الحسن كل هذا مذكور وداخل في العبارة فإنها عامة .

(٤) لفظ الرحمة نكرة دال على الكثرة والشيوع فهو يتناول كل ما هو رحمة من النبوة والعلم إلى المطر والرزق إلى النصر والفوز.

(٥) أي بعد أن ناداهم أمرهم بأن يذكروا نعمه عليهم إذ نداء المأمور يلفت نظره ويحضر حواسه لاستقبال ما يلقى إليه ويؤمر به أو يحذر منه .

حولهم خائفون يأمرهم بذكر نعمه لأنهم إذا ذكروها شكروها بالإيمان به وتوحيده. وقوله ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض؟﴾ والجواب لا أحد إذ لا خالق إلا هو ولا رازق سواه فهو الذي خلقهم ومن السماء والأرض رزقهم. السماء تُمطر والأرض تنبت بأمره. إذاً فلا إله إلا هو أي لا معبود بحق إلا هو فكيف إذاً تصرفون عن الحق بعد معرفته إن حالكم لعجب.

هذا ما دل علي قوله تعالى ﴿هل من خالق غير[1] الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ وجوب حمد الله تعالى وشكره على إنعامه.

٢ـ تقرير الرسالة والنبوة لمحمد ﷺ بإخباره أنه جاعل الملائكة رسلاً.

٣ـ وجوب اللجوء الى الله تعالى في طلب الخير ودفع الضر فإنه بيده خزائن كل شيء.

٤ـ وجوب ذكر النعم ليكون ذلك حافزاً على شكرها بطاعة الله ورسوله.

٥ـ تقرير التوحيد بالأدلة العقلية التي لا ترد.

٦ـ العجب من حال المشركين يقرون بانفراد الله تعالى بخلقهم ورزقهم ويعبدون معه غيره.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

(١) قرىء غير الله بالجر وقرأ الجمهور غير بالرفع على محل خالق المرفوع محلاً في الآية دليل أن الخير والشر كلاهما من خلق الله تعالى.

شـرح الكلمـات :

وإن يكذبوك : أي يا رسولنا فيما جئت به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء ولم يؤمنوا بك.

فقد كذبت رسل من قبلك : أي فلست وحدك كذبت إذاً فلا تأس ولا تحزن واصبر كما صبر من قبلك.

وإلى الله ترجع الأمور : وسوف يجزى المكذبين بتكذيبهم والصابرين بصبرهم.

ولا يغرنكم بالله الغرور : أي ولا يغرنكم بالله أي في حلمه وإمهاله الغرور أي الشيطان.

فاتخذوه عدواً : أي فلا تطيعوه ولا تقبلوا ما يغركم به واطيعوا ربكم عز وجل.

انما يدعو حزبه : أي أتباعه في الباطل والكفر والشر والفساد.

ليكونوا من أصحاب السعير : أي ليؤول أمرهم إلى أن يكونوا من أصحاب النار المستعرة.

لهم مغفرة وأجر كبير : أي لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير في الجنة وذلك لإيمانهم وعملهم الصالحات.

معنى الآيـات :

لما أقام تعالى الحجة على المشركين في الآيات السابقة قال لرسوله ﷺ ﴿وإن يكذبوك﴾[1] بعدما أقمت عليهم الحجة فلست وحدك المكذَّب فقد كذبت قبلك رسل كثيرون جاءوا أقوامهم بالبينات والزبر وصبروا إذاً فاصبر كما صبروا ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾[2] وسوف يقضي بينك وبينهم بالحق فينصرك في الدنيا ويخذلهم، ويرحمك في الآخرة ويعذبهم.

وقوله ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق﴾ أي يا أهل مكة وكل مغرور من الناس بالحياة الدنيا إعلموا أن وعد الله بالبعث والجزاء حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا بطول أعماركم وصحة أبدانكم وسعة أرزاقكم، فإن ذلك زائل عنكم لا محالة ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ أي حلمه وإمهاله ﴿الغرور﴾[3] وهو الشيطان حيث يتخذ من حلم الله تعالى عليكم وامهاله لكم طريقاً إلى إغوائكم وإفسادكم بما يحملكم عليه من تأخير التوبة والإصرار على المعاصي، والاستمرار عليها ﴿إن الشيطان

---

(١) في هذه الآية تعزية الله تعالى رسوله ﷺ وتسليته له بالتأسي بمن قبله من الرسل وتكذيب أممهم لهم.

(٢) قرأ الجمهور ترجع بضم التاء وقرأ بعض بفتحها والكل صحيح ومآل المعنى واحد.

(٣) الغرور بالضم مصدر غره يغره غروراً، وبالفتح الشيطان وهو المراد هنا وصيغته من صيغ المبالغة «فعول» إذ هو كثير الغرور يأتيهم من حيث حلم الله وإمهاله فيصرفهم عن الحق مغرراً إياهم بأنهم لو كانوا على باطل لأهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم ويُسَوِّف آخذين بحلم الله فيصرفهم عن التوبة.

لكم عدو﴾ (١) بالغ العداوة ظاهرها فاتخذوه أنتم عدواً كذلك فلا تطيعوه ولا تستجيبوا لندائه، ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أي أتباعه ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ أي النار المستعرة، إنه يريد أن تكونوا معه في الجحيم. إذ هو محكوم عليه بها أزلاً وقوله تعالى: ﴿الذين كفروا (٢) لهم عذاب شديد﴾ أي في الآخرة، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ هو الجنة وما فيها من النعيم المقيم. هذا حكم الله في عباده وقراره فيهم: وهم فريقان مؤمن صالح وكافر فاسد ولكل جزاء عادل.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تسلية الرسول ﷺ ويدخل فيها كل دعاة الحق إذا كُذّبوا وأُوذوا فعليهم أن يصبروا.

٢- تقرير البعث والجزاء المتضمن له وعد الله الحق.

٣- التحذير من الاغترار بالدنيا أي من طول العمر وسعة الرزق وسلامة البدن.

٤- التحذير من الشيطان ووجوب الاعتراف بعداوته ومعاملته معاملة العدو فلا يقبل كلامه ولا يستجاب لندائه ولا يخدع بتزيينه للقبيح والشر.

٥- بيان جزاء أولياء الرحمن أعداء الشيطان، وجزاء أعداء الرحمن أولياء الشيطان.

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ

---

(١) يكفي في إثبات عداوته انه أخرج أبوينا من الجنة، وأنه تعهد بإضلالهم وإغوائهم كقوله لأغوينهم أجمعين وقوله ولأضلنهم ولأمنينهم.

(٢) الذين كفروا: الجملة مستأنفة بيانياً لأنه بعد التحذير من طاعة الشيطان يلوح في الأذهان سؤال: ما جزاء من أطاع الشيطان وما جزاء من عصاه؟ فالجواب الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ويرى بعضهم انها ابتدائية ذكرت فذلكة لما تقدم من الكلام.

إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

شـرح الكلمات :

أفمن زين له سوء عمله : أي قبيح عمله من الشرك والمعاصى.

فرآه حسناً : أي رآه حسناً زيناً لا قبح فيه.

فلا تذهب نفسك عليهم : أي على أولئك الذين زين لهم الشيطان قبيح أعمالهم.

حسرات : أي لا تُهلك نفسك بالتحسر عليهم لكفرهم.

إن الله عليم بما يصنعون : وسيجزيهم بصنيعهم الباطل.

فتثير سحاباً : أي تزعجه وتحركه بشدة فيجتمع ويسير.

فسقناه الى بلد ميت : أي لا نبات به.

فأحيينا به الأرض : أي بالنبات والعشب والكلأ والزرع.

كذلك النشور : أي البعث والحياة الثانية.

فلله العزة جميعاً : أي فليطلب العزة بطاعة الله فإنها لا تنال إلا بذلك.

إليه يصعد الكلم الطيب : أي الى الله تعالى يصعد الكلم الطيب وهو سبحان الله والحمد لله والله أكبر.

والعمل الصالح يرفعه : أي أداء الفرائض وفعل النوافل يرفع الى الله الكلم الطيب.

يمكرون السيئات : أي يعملونها ويكسبونها.

ومكر أولئك هو يبور : أي عملهم هو الذي يفسد ويبطل.

خلقكم من تراب : أي أصلكم وهو آدم.

ثم من نطفة : أي من ماء الرجل وماء المرأة وذلك كل ذُريَّة آدم.

ثم جعلكم أزواجاً	: أي ذكراً وأنثى .
وما تحمل من أنثى	: أي ما تحمل من جنين ولا تضعه إلا بإذنه .
وما يعمر من معمر	: أي وما يطول من عُمر ذي عُمر طويل إلا في كتاب.
ولا ينقص من عمره	: أي بأن يجعل أقل وأقصر من العمر الطويل الا في كتاب.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقوية روح الرسول ﷺ والشد من عزمه أمام تقلبات المشركين وعنادهم ومكرهم فقال تعالى: ﴿أفمن[1] زيِّن له سوءُ عمله فرآه حسناً[2]﴾ أي أفمن زين له الشيطان ونفسه وهواه قبيح عمله وهو الشرك والمعاصي فرآه حسناً كمن هداه الله فهو على نور من ربّه يرى الحسنة حسنة والسيئة سيئة والجواب: لا ، لا . وقوله تعالى : ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء﴾ يضل بعدله وحسب سننه في الإضلال من يشاء من عباده، ويهدى بفضله من يشاء هدايته إذاً فلا تذهبْ[3] نفسك أيها الرسول على عدم هدايتهم حسرات فتهلك نفسك تحسُّراً على عدم هدايتهم. وقوله ﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾ فلذا لا داعى إلى الحزن والغـمّ مادام الله تعالى وهو ربهم قد أحصى أعمالهم وسيجزيهم بها وقوله تعالى ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ أي تزعجه وتحركه . ﴿فسقناه إلى بلد ميّت[4]﴾ أي لا نبات ولا زرع به ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ أي كما أن الله تعالى ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها كذلك يحيي الموتى إذ بعد فناء العالم ينزل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت الإنسان من عظم يقال له عَجْبُ الذَّنَب فيتم خلقه، ثم يرسل الله تعالى الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فلا تخطىء روح جسدها. وهكذا كما تتم عملية إحياء الأرض بالنبات تتم عملية إحياء الأموات ويساقون إلى المحشر ويجزى كل نفس بما كسبت والله سريع الحساب.

---

(١) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء للتفريع فالجملة متفرعة عما سبقها من قوله تعالى ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ والمزين الشيطان والمزين له سوء عمله (من) الموصولية وهي من ألفاظ العموم تتناول من قيل ان الآية نزلت فيه وهو أبو جهل ثم هي صادقه على كل من زين له الشيطان الشرك والشر والفساد فرآها حسنة، (ومن) مبتدأ والخبر محذوف قد يقدر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقد يقدر كمن هداه الله كما في التفسير وقد يقدر بغير ما ذكر.

(٢) ذكر القرطبي لأهل العلم أقوالاً فيمن زين له سوء عمله وفي عمله الذي زين له قيل إنهم اليهود والنصارى والمجوس وسوء عمله معاداة الرسول ﷺ، وقيل إنهم الخوارج وسوء عمله تحريف التأويل وقيل الشيطان وعمله الإغراء وقيل كفار قريش وهو الظاهر.

(٣) قرأ الجمهور فلا تذهب نفسك بفتح التاء ورفع السين من نفسك وقرىء بضم التاء ونصب نفسك على أنها مفعول به.

(٤) الراجح من الأقوال لغة أن ميت مشددة وميت مخفف لا فرق بينهما وشاهده قول الشاعر:

ليس من مات واستراح بميْت إنما الميْت ميّت الأحياء

وقوله تعالى ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ فلْيَطلُبْها من الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله فإن العزة لله جميعاً فالعزيز من أعزه الله والذليل من أذله، إنهم كانوا يطلبون العزة بالأصنام فاعلموا أن من يريد العزةفليطلبهامن مالكها أما الذي لا يملك العزة فكيف يعطيها لغيره إن فاقد الشيء لا يعطيه. وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ أي إلى الله يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه الى الله تعالى فإذا كان قول بدون عمل فإنه لا يرفع الى الله تعالى ولا يثيب عليه، وقد ندد الله تعالى بالذين يقولون ولا يعملون فقال ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾. وقوله ﴿والذين يمكرون السئيات﴾ أي يعملونها وهي الشرك والمعاصى ﴿لهم عذاب شديد﴾ هذا جزاؤهم، ﴿ومكر أولئك هو[1] يبور﴾ أي ومكر الذين يعملون السيئيات ﴿هو يبور﴾ أي يفسد ويبطل.

وقوله تعالى ﴿والله خلقكم من تراب﴾ أي خلق أصلنا من تراب وهو آدم، ثم خلقنا نحن ذريته من نطفة وهي ماء الرجل وماء المرأة، ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ أي ذكراً وأنثى. هذه مظاهر القدرة الإلهية الموجبة لعبادته وتوحيده والمقتضية للبعث والجزاء، وقوله ﴿وما تحمل من[2] أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر﴾ أي يزاد في عمره، ولا ينقص من عمره فلا يزاد فيه إلا في كتاب وهو كتاب المقادير. هذا مظهر من مظاهر العلم، وبالعلم والقدرة هو قادر على إحياء الموتى ويبعث الناس للحساب والجزاء. ولذا قال تعالى ﴿إن ذلك﴾ أي المذكور من الخلق والتدبير ووجوده في كتاب المقادير على الله يسير أي سهل لا صعوبة فيه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ التحذير من اتباع الهوى والاستجابة للشيطان فان ذلك يؤدى بالعبد الى أن يصبح يرى الأعمال القبيحة حسنة ويومها يحرم هداية الله فلا يهتدى أبداً وهذا ينتج عن الإدمان على المعاصي والذنوب.

٢ـ عملية إحياء الأرض بعد موتها دليل واضح على بعث الناس أحياءً بعد موتهم.

---

(١) المكر: تدبير الحاق الضرر بالغير في خفية. والمراد هنا آن الذين يمكرون بالرسول ﷺ والمؤمنين مكرهم يذهب سدى ولا يفلحون فيه كما أن الآية تشير إلى أن كل من يمكر مكر السوء فإن عاقبة مكره تعود عليه وبالا وخسراناً كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

(٢) فما يكون حمل ولا وضع أي ولادة إلا بعلمه، فلا يخرج شيء عن تدبيره وحكمته وما يعمر سماه معمراً باعتبار ما هو صائر إليه وفي الحديث الصحيح: من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثرِه أي أجله فليصل رحمه.

٣ـ مطلب العزة مطلب غال، وهو طاعة الله ورسوله ولا يعز أحد عزاً حقيقياً بدون طاعة الله ورسوله.

٤ـ عِلم الله المتجلى في الخلق والتدبير يُضافُ إليه قدرته تعالى التى لا يعجزها شيء بهما يتم الخلق والبعث والجزاء.

٥ـ تقرير البعث والجزاء وتقرير كتاب المقادير وهو اللوح المحفوظ.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

عذب فرات : أي شديد العذوبة.

وهذا ملح أجاج : أي شديد الملوحة.

ومن كل تأكلون : أي ومن كل منهما.

لحماً طريا : أي السمك.

حلية تلبسونها : أي اللؤلؤ والمرجان.

مواخـر	: أي تمخر الماء وتشقه عند جريانها في البحر.
لتبتغوا من فضله	: أي لتطلبوا الرزق بالتجارة من فضل الله تعالى.
ولعلكم تشكرون	: أي رجاء أن تشكروا الله تعالى على ما رزقكم.
يولج الليل في النهار	: أي يدخل الليل في النهار فيزيد.
ويولج النهار في الليل	: أي يدخل النهار في الليل فيزيد.
وسخر الشمس والقمر	: أي ذللهمـا.
كل يجرى لأجل مسمى	: أي في فلكـه إلى يوم القيامة.
والذين تدعـون	: أي تعبدون بالدعاء وغيره من العبادات وهم الأصنام.
ما يملكون من قطمير	: أي من لفافة النواة التي تكون عليه وهى بيضاء رقيقة.
ولو سـمعوا	: أي فرضاً ما استجابوا لكم.
يكفرون بشـرككم	: أي يتبراون منكم ومن عبادتكم إياهم.
ولا يُنبئك مثل خبير	: أي لا ينبـئك أي بأحوال الدارين مثلى فإني خبير بذلك عليم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمة تدبيره لخلقه وهي مظاهر موجبة لله العبـادة وحـده دون غيره، ومقتضية للبعث الذي أنكره المشركون قال تعالى ﴿وما يستوى البحران﴾ أي لا يتعادلان. ﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه﴾ (١) أي ماؤه عذب شديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ (٢) أي ماؤه شديد الملوحـة لمرارتـه مع ملوحتـه، فهـل يستـوي الحق والبـاطـل هل تستوي عبادة الأصنام مع عبـادة الـرحمن؟ والجواب لا. وقوله: ﴿ومن كل تأكلون﴾ أي ومن كل من البحرين العذب والملح تأكلون لحماً طرياً وهو السمك ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ أي اللؤلؤ والمرجان. وهي حلية يتحلى بها النساء للرجال، وقوله ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ أي وترى أيها السامع لهذا الخطاب ﴿الفلك﴾ أي السفن مواخر في البحر تمخر عباب البحر وتشق ماءه غادية رائحة تحمل الـرجـال والأموال، سخرها وسخر البحر ﴿لتبتغوا من فضله﴾ أي الرزق بالتجارة، ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي سخر لكم البحر لتبتغوا من فضله ورجاء أن تشكروا. لم يقل لتشكروا كما قال

---

(١) معنى سائغ شرابه ان شربه لا يكلف النفس كراهة وهو مشتق من الإساغة وهو استطاعة ابتلاع المشروب دون غصة قال الشاعر:

فساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات

(٢) المالح من الطعام والشراب: هو الذي يجعل فيه الملح والملح بكسر الميم وسكون اللام الشيء الموصوف بالملوحة بذاته لا بإلقاء الملح فيه والأجاج الشديد الملوحة.

لتبتغوا لأن الابتغاء حاصل من كل راكب، وأما الشكر فليس كذلك بل من الناس من يشكر ومنهم من لا يشكر، ولذا جاء بأداة الرجاء وهي لعل وقوله ﴿يولج الليل[1] في النهار﴾ أي يدخل جزءاً من الليل في النهار فيطول، ويقصر الليل ﴿ويدخل النهار في الليل﴾ أي يدخل جزءاً منه في الليل فيطول كما أنه يدخل النهار في الليل، والليل في النهار بالكلية فإنه إذا جاء أحدهما ذهب الآخر ويشهد له قوله تعالى ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ ولازمه والنهار نسلخ منه الليل، فإذا الليل ليل والنهار نهار.

وقوله ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي ذللهما فما يسيران الدهر كله بلا كلل ولا ملل لصالح العباد إذ بهما كان الليل والنهار، وبهما تعرف السنون والحساب وقوله ﴿كل يجرى﴾ أي كل منهما يجرى ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي إلى وقت محدد وهو يوم القيامة. ولما عرف تعالى نفسه بمظاهر القدرة قدرته وعلمه وحكمته ولطفه ورحمته قال للناس ﴿ذلكم[2] الله ربكم له الملك﴾ أي بعد أن أقام الحجة وأظهر الدليل لم يبق الا الإعلان عن الحقيقة التي يتنكر لها الكافرون فأعلنها بقوله ﴿ذلكم﴾ ذو الصفات العظام والجلال والإكرام هو الله ربكم الذي لا رب لكم سواه له الملك، وليس لغيره فلا يصح طلب شيء من غيره، إذ الملك كله لله وحده، وأما الذين تدعون من دونه أي تعبدونهم من دونه وهي الأصنام والأوثان وغيرها من الملائكة والأنبياء والأولياء فإنهم لا يملكون من قطمير فضلا عن غيره تمرة فما فوقها لأن الذي لا يملك قطميراً ـ وهو القشرة الرقيقة على النواة[3] ـ لايملك بعيراً.

وقوله ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾ نعم لا يسمعون لأنهم جمادات وأصنام من حجارة فكيف يسمعون وعلى فرض لو أنهم سمعوا ما استجابوا لداعيهم لعدم قدرتهم على الاستجابة. وقوله تعالى ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ فهم إذاً محنة لكم في الدنيا تنحتونهم وتحمونهم وتعبدونهم ويوم القيامة يكونون أعداء لكم وخصوصا فيتبرءون من شرككم إياهم في عبادة الله، فتقوم عليكم الحجة بسببهم فما الحاجة إذاً إلى الإصرار على عبادتهم وحمايتهم والدفاع عنهم. وقوله تعالى ﴿ولا ينبئك﴾ أيها السامع ﴿مثل خبير﴾[4] وهو الله تعالى فالخبير أصدق من ينبىء

---

(١) هذا استدلال بمظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة بما في العالم العلوي بعد الاستدلال بما في العالم السفلي من ذلك.

(٢) هذا استئناف موقعه موقع النتيجة من الأدلة السابقة وهي أدلة مفصلة في غاية القوة والوضوح.

(٣) جاء في القرآن ذكر النقير والقطمير والفتيل واضطربت أقوال أهل اللغة في تحديدها والصحيح: ان النقير النقرة في وسط النواة، وأن الفتيل الخيط الأبيض في وسط النواة، وأن القطمير اللفافة البيضاء على النواة.

(٤) خبير صفة مشبهة مشتقة من خبر بضم الباء فلان الأمر إذا علمه علما لا شك فيه وأجريت هذه الجملة مجرى المثل يقال (ولا ينبئك مثل خبير).

وأصح من يقول فالله هو العليم الخبير وما أخبر به عن الآلهة في الدنيا والآخرة في الدنيا عن عجزها وعدم غناها وفي الآخرة عن براءتها وكفرها بعبادة عابديها. فهو الحق الذي لا مرية فيه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير ربوبية الله المستلزمة لألوهيته.

٢ـ بيان مظاهر القدرة والعلم والحكمة وبها تقرر ربوبيته تعالى وألوهيته لعباده.

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر يوم القيامة وبراءة الآلهة من عابديها.

٤ـ بيان عجز الآلهة عن نفع عابديها في الدنيا وفي الآخرة.

٥ـ تقرير صفات الكمال لله تعالى من الملك والقدرة والعلم، والخبرة التامة الكاملة وبكل شيء.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

أنتم الفقراء إلى الله : أي المحتاجون إليه في كل حال.

والله هو الغني الحميد : أي الغني عنكم أيها الناس وعن سائر خلقه، المحمود بأفعاله وأقواله وحسن تدبيره فكل الخلائق تحمده لحاجتها إليه وغناه عنها.

ويأت بخلق جديد : أي بدلا عنكم.

وما ذلك على الله بعزيز : أي بشديد ممتنع بل هو سهل جائز الوقوع.

ولا تزر وازرة وزر أخرى: أي في حكم الله وقضائه بين عباده أنّ النفس المذنبة الحاملة لذنبها لا تحمل وزر أي ذنب نفس أخرى بل كل وازرة تحمل وزرها وحدها.

وان تدع مثقلة : أي بأوزارها حتى لم تقدر على المشي أو الحركة.

لا يحمل منه شيء : أي لا تجد من يستجيب لها ويحمل عنها بعض ذنبها حتى لو دعت ابنها أو أباها أو أمها فضلا عن غيرهم، بهذا حكم الله سبحانه وتعالى.

يخشون ربهم بالغيب : أي لأنهم ما رأوه بأعينهم.

ومـن تزكـى : أي طهّر نفسه من الشرك والمعاصي.

فإنما يتزكّى لنفسه : أي صلاحه واستقامته على دين الله ثمرتهما عائدة عليه.

معنى الآيـات :

بعـد تلك الأدلـة والحجج التي سيقت في الآيات السابقة وكلها مقررة ربوبية الله تعالى وألوهيته وموجبة توحيده وعبادته نادى تعالى الناس بقوله ﴿يا أيها الناس﴾ ليعلمهم بأنه وان خلقهم لعبادته وأمرهم بها وتوعد بأليم العذاب لمن تركها ولم يكن ذلك لفقر منه إليها ولا لحاجة به إليهم فقال ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد﴾[1] إن عبادة الناس لربّهم تعود عليهم فيكملون عليها في أخلاقهم وأرواحهم ويسعدون عليها في دنياهم وآخرتهم أما الله جل جلاله فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. وهو الغنى عن كل ما سواه ﴿الحميد﴾ أي المحمود بنعمه فكل نعمة بالعباد موجبة له الحمد والشكر. وقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾[2] وهذا دليل غناه؛ وافتقارهم كما هو دليل قدرته وعلمه، وقوله: ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي إذهابهم والإتيان بخلق جديد غيرهم ليس بالأمر العزيز الممتنع ولا بالصعب المتعذر بل هو اليسير السهل عليه تعالى.

---

(١) في قوله تعالى أنتم الفقراء قصر صفة على موصوف أي قصر صفة الفقر على الناس وهو قصر إضافي بالنسبة إلى الله تعالى أي انتم المفتقرون إلى الله وليس هو بمفتقر إليكم ووصفه تعالى نفسه بالحميد إشعار بأن غناه مقترن بجوده فهو يحمد لما يسديه من المعروف إلى عباده.

(٢) الجملة بيانية فهي مبنية لغناه وموجب حمده والثناء عليه ببيان قدرته على إعلام الموجود من عباده والإتيان بخلق جديد غيرهم ومن كان هكذا هو الغني الحق والمحمود الحق فلله الحمد وله المنة.

وقوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[1] هذا مظهر عدالته تعالى فهو مع قدرته وقهره لعباده ذو عدل فيهم فلا يؤاخذ بغيرجرم، ولا يحمل وزر نفس نفساً أخرى لم تذنب ولم تزر بل كل نفس تؤخذ بذنبها إن كانت مذنبة هذه عدالته تتجلى لعباده يوم يعرضون عليه في يوم كله هول وفزع يدل عليه قوله ﴿وان تدع مثقلة﴾[2] أي بذنوبها ﴿إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان﴾[3] من تدعوه ﴿ذا قربى﴾ كالولد[4] والبنت. وقوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين[5] يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾ أي انما تنذر يارسولنا ويقبل إنذارك وينتفع به من يخشون ربهم ويخافون عذابه بالغيب وأقاموا الصلاة، أما غيرهم من أهل الكفر والعناد والجحود فإنهم لا يقبلون إنذارك ولا ينتفعون به لظلمة جهلهم وكفرهم وقساوة قلوبهم، ومع هذا فأنذر ولا عليك في ذلك شيء فإن من تزكّى بالإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي فإنما يتزكّى لنفسه لا لك ولا لنا، ومن أبى فعليه إباؤه، وإلينا مصير الكل وسنجزى كلاً بما كسب من خير وشر. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم وأقاموا الصلاة، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾[6]

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان فقر العباد الى ربهم وحاجتهم إليه وإزالة فقرهم وسد حاجتهم يكون باللجوء إليه والاطراح بين يديه يعبدونه ويسألونه.

٢ـ بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة.

٣ـ بيان صعوبة الموقف في عرصات القيامة لا سيما عند وضع الميزان ووزن الأعمال.

---

(١) وازرة صفة لمحذوف أي نفس وازرة وكذا وإن تدع مثقلة أي نفس مثقلة وتزر اصلها توزر فحذفت الواو تخفيفاً إذ الفعل وزر يوزر فحذفت الواو كما حذفت في وعد يعد ووزن يزن.

(٢) وإن تدع مثقلة أي أحداً إلى حملها.

(٣) أي المدعو ذا قربى.

(٤) قال الفضيل بن عياض هي المرأة تلقى ولدها فتقول يا ولدي ألم يكن بطني لك وعاء، ألم يكن ثدي لك سقاء ألم يكن حجري لك وطاء؟ فيقول بلى يا أماه فتقول يا بني قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنباً واحداً، فيقول إليك عني يا أماه فإني بذنبي عنك مشغول.

(٥) الجملة مستأنفة بيانياً لأن الحال تستدعي سؤالا وهو لِمَ لَمْ يتأثر المشركون بالإنذار فالجواب إنما يقبل النذارة ويستجيب للمنذر أهل الإيمان والخشية لله تعالى لأنهم أحياء وأما الكافرون فهم أموات وهل يستجيب غير الحي؟ وفي الآية دليل على قوة تأثير الصلاة في تزكية النفوس وتطهير الأرواح.

(٦) هذه الجملة تذييل للجملة المذيل بها قبلهاوهي قوله تعالى: ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وهي تفيد تقرير البعث والجزاء وهما مما ينكر المشركون كما تفيد التسلية للرسول ﷺ والتهديد للكافرين أيضاً فإن من صار إلى الله أخذه بذنبه.

٤ـ بيان أن الإنذار والتخويف من عذاب الله لا ينتفع به غير المؤمنين الصالحين.
٥ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة.
٦ـ تقرير حقيقة وهي أن من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ
أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ
الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات:

وما يستوى الأعمىٰ والبصير : أي لا يستويان فكذلك الكافر والمؤمن لا يستويان.
ولا الظلمات ولا النور : أي لا يستويان فكذلك الكفر والإيمان لا يستويان.
ولا الظل ولا الحرور : أي لا يستويان فكذلك الجنة والنار لا يستويان.
وما يستوى الاحياء ولا الأموات: فكذلك لا يستوى المؤمنون والكافرون.
وما أنت بمسمع من في القبور : أي فكذلك لا تسمع الكفار فإنهم كالأموات.

إن أنت الا نذير : ما أنت إلا منذر فلا تملك أكثر من الإنذار.
إنا أرسلناك بالحق : أي بالدين الحق والهدى والكتاب.
وإن من أمة إلا خلا فيها نذير : أي سلف فيها نبيٌّ ينذرها.
جاءتهم رسلهم بالبينات : أي بالحجج والأدلة الواضحة.
وبالزبر وبالكتاب المنير : أي وبالصحف كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة والإنجيل.
فكيف كان نكير : أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك والجواب هو واقع موقعه والحمد لله.

معنى الآيات :

لمّا تقدم في السياق الكريم أن إنذار الرسول ﷺ لا ينتفع به إلا المؤمن المقيم للصلاة وإن الكافر المكذب الجاحد لا ينتفع به ذكر تعالى هنا مثلا للكافر والمؤمن وانهما لا يستويان فقال ﴿وما يستوى الأعمي والبصير﴾[1] فالأعمى الكافر والبصير المؤمن وهما لا يستويان في عقل ولا شرع ﴿ولا الظلمات[2] ولا النور﴾ أي ولا تستوى الظلمات ولا النور كما لا يستوى الكفر والإيمان ولا الظل ولا الحرور،[3] فبرودة الجو، لا تستوى مع حرارته فكذلك الجنّة لا تستوى مع النار، وقوله ﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾ أي ولا المؤمنون مع الكافرين كذلك وقوله تعالى ﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾[4] هذا شروع في تسلية الرسول ﷺ من أجل ما يجد في نفسه من إعراض قومه وعدم استجابتهم لدعوته، فأخبره ربه بأنه تعالى قادر على أن يسمع من يشاء إسماعه وذلك لقدرته على خلقه أما أنت أيها الرسول فإنك لا تسمع الأموات وانما تسمع الأحياء، والكفار شأنهم شأن الأموات في القبور فلا تقدر على اسماعهم. ولا يحزنك ذلك فإنك ما أنت إلا نذير، والنذير ينذر ولا يُسأل عمن أجابه ومن لم يجبه.

وقوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ بهذا الخبر يقرر تعالى رسالة رسوله محمد ﷺ وأنه أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً لمن آمن به واتبع هداه بالجنة، ونذيراً لمن كفر به وعصاه

---

(١) قال القرطبي الكافر والمؤمن والعالم والجاهل.

(٢) قيل لا زائدة في كل من قوله تعالى ولا الظل ولا الحرور ولا الأموات واختلف في أيهما يكون بالليل وأيهما يكون بالنهار الحرور أو السموم وفي حديث الرسول ﷺ بيان ذلك وأن كلاهما يقع في النهار كما يقع في الليل إذ قال ﷺ: فما تجدون من الحر فمن سمومها وشدة ما تجدون من البرد فمن زمهريرها.

(٣) قال قطرب أحد أعلام اللغة: الحرور: الحر والظل البرد.

(٤) قرأ الجمهور بتنوين بمسمع وقرىء بمسمع بكسرة واحدة والمراد بمن في القبور الكفار حيث أمات الكفر قلوبهم أي كما لا تسمع من مات فإنك لا تسمع من مات قلبه بالجهل وظلمة الكفر.

بالنار. وقوله ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[1]، يخبر تعالى أن رسوله محمداً ليس الرسول الوحيد الذي أرسل في أمة بل إنه ما من أمة من الأمم الا مضى فيها نذير، فلا يكون إرساله عجباً لكفار قريش إذ هذه سنة الله تعالى في عباده يرسل إليهم من يهديهم إلى نجاتهم وسعادتهم ثم قال لرسوله ﷺ معزياً له مسلياً ﴿وإن يكذبوك﴾ فلم[2] يكونوا أول من كذب فقد كذب الذين من قبلهم ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾ أي جاءتهم رسلهم بالحجج القواطع والبراهين السواطع، والمعجزات الخوارق، وبالصحف والكتب المنيرة لسبيل الهداية وطريق النجاة والفلاح. ومنهم من آمن ومنهم من كذب وكفر وبعد إمهال وإنظار دَلَّ عليه العطف بثم أخذ الذين كفروا بعذاب ملائم لكفر الكافرين. ﴿فكيف كان نكير[3]﴾ أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة الشديدة والإهلاك التام إنه كان واقعاً موقعه، موافيا لطالبه بكفره وعناده.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال للكشف عن الحال وزيادة البيان.

٢ـ الكفار عمى لا بصيرة لهم، وأموات لا حياة فيهم، والدليل عدم انتفاعهم بحياتهم ولا بأسماعهم ولا أبصارهم.

٣ـ تقرير نُبوَّة الرسول محمد ﷺ وتأكيد رسالته.

٤ـ تسلية الدعاة ليتذرَّعوا بالصبر ويلتزموا الثبات.

٥ـ بيان سنة الله في المكذبين الكافرين وهي أخذهم عند حلول أجلهم.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟

(١) أي سلف فيها نبي قال ابن جريج إلا العرب إذ أراد أنه لم يخل فيهم نذير مطلقاً فهذا غير صحيح إذ بعث فيهم إسماعيل وتبع وغيرهما وإن أراد في الزمن القريب فهذا صحيح.

(٢) في الآيات تسلية للنبي ﷺ ظاهرة تطلبها المقام حيث أصر المشركون على تكذيبه وعدم الإيمان بما جاءهم به من الهدى والدين الحق.

(٣) استفهام مستعمل في التعجب من حالهم مفرع بالفاء على قوله أخذت الذين كفروا والنكير اسم لشدة الإنكار وهو هنا كناية عن شدة العقاب لأن الإنكار يستلزم الجزاء على الفعل المنكر بالعقاب وحذفت ياء المتكلم في نكيري تخفيفاً ولرعاية الفواصل في الوقف.

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

ثمرات مختلفا ألوانها : أي كأحمر وأخضر وأصفر وأزرق وغيره.

ومن الجبال جدد : أي طرق في الجبال إذ الجدة الطريق ومنه جادة الطريق.

بيض وحمر مختلف ألوانه : أي طرق وخطط في الجبال ذات ألوان كالجبال أيضا.

وغرابيب سود(١) : منها الأبيض والأصفر والأسود الغربيب.

ومن الناس والدواب والأنعام : فمنها أبيض وهذا أحمر وهذا أسود.

مختلف ألوانه كذلك : أي كاختلاف الثمار والجبال والطرق فيها.

انما يخشى الله من عباده العلماء : أي العالمين بجلاله وكماله، إذ الخشية متوقفة على معرفة المخشيّ.

يتلون كتاب الله : أي يقرأونه تعبداً به.

تجارة لن تبور : أي لن تهلك ولن تضيع بدون ثواب عليها.

غفور شكور : أي غفور لذنوب عباده التائبين شكور لأعمالهم الصالحة.

معنى الآيات :

هذا السياق الكريم ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾(٢) في بيان تفاوت المخلوقات واختلافاتها فمن مؤمن إلى كافر، ومن صالح إلى فاسد ومن أبيض إلى أحمر أو أسود وابتداه تعالى بخطاب رسوله مقرراً له بقوله ﴿ألم تر﴾ أي ألم تبصر بعينك أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ما بين تمر أصفر وآخر أحمر، وآخر أسود وهذا واضح في التمر

---

(١) الغربيب: الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتأخير إذ المعنى ومن الجبال سود غرابيب إذ العرب تقول للأسود شديد السواد كلون الغراب أسود غربيب.

(٢) من هداية هذه الآية الإشارة الواضحة إلى وجود اختلاف بشرى جبليّ فطري كما هو في سائر الكائنات الأرضية، وفي النباتات والحيوانات وحتى الجبال والمعادن ومن عرف هذا هان عليه اختلاف الناس ولم يحزن له ولم يهتم ويكرب.

والعنب والفواكه والخضر، ومن الجبال كذلك. فإن فيها جدد[١] أي خطط حمراء وصفراء وبيضاء وسـوداء والجبـال نفسهـا كذلك، ومن الناس والدواب والأنعام ففي جميعها الأبيض والأسود والأحمـر والأصفـر كمـا في جدد الجبـال نفسها وكما في الثمار. ولما كان هذا لا يدركه إلا المفكرون ولايجنى منه العبرة إلا العالمون قال تعالى ﴿إنما يخشى[٢] الله من عباده العلماء﴾ وأهل مكة جهال لا يفكرون ولا يهتدون فلا غرابة إذا لم يخشوا الله تعالى ولم يوحدوه وذلك لجهلهم وعدم تفكيرهم.

وقوله تعالى في ختام السياق: ﴿إن الله عزيز غفور﴾[٣] كشف عن حقيقة ينبغى أن يعرفها أهل مكة المصرون على الكفر والتكذيب وهي أن الله قادر على أخذهم والبطش بهم فإنه عزيز لا يمانع فيما يريده وغفور لذنوب التائبين من عباده ومهما كانت ذنوبهم الا فليتب أهل مكة فإن توبتهم خير لهم من إصرارهم على الشرك والكفر والتكذيب إذ في التوبة نجاة، وفى الإصرار هلاك.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾[٤] وهم المؤمنون ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أدوها أداء وافيا لا نقص فيه ﴿وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ الزكاة والصدقات بحسب الأحوال والظروف سراً أحياناً وعلانية أحياناً أخرى. يُخبر تعالى عنهم بعدما وصفهم بما شرفهم به من صفات أنهم يرجون تجارة لن تبور أي لن تهلك ولن تخسر وذلك يوم القيامة وقوله ﴿ليوفيهم أجورهم[٥] ويزيدهم من فصله إنه غفور شكور﴾ أو هداهم لذلك ووفقهم إليه تعالى ليوفيهم أُجورهم ويزيدهم من فضله. وعلة ذلك أنه غفور لعباده المؤمنين التائبين فيغفر ذنوبهم ويدخلهم جنته شكور لطاعاتهم وصالح أعمالهم فلذا يضاعف لهم أجورهم ويزيدهم من فضله وله الحمد والمنة.

---

(١) الجـدد جمع جدّة وهي الطريقة والخطة في الشيء تكون واضحة فيه.

(٢) في الجملة قصر صفة على موصوف أي قصر صفة الخشية على العلماء دون الجهلة وبهذا عَلاَ شأن العلماء وعظم قدرهم قال رسول الله ﷺ: إن فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم تلا إنما يخشى الله من عباده العلماء والمراد بالعلمـاء العالمون بالله أي بأسمائه وصفاته ومحابه ومكارهه وما عنده من نعيم لأوليائه وما لديه من عذاب لأعدائه، وآية العالم الخشية لله والمحبه له تعالى فمن لم يَخشَ الله تعالى فليس بعالم.

(٣) الجملة تذييلية مشعرة بغنى الله تعالى عن عباده قدير على أخذهم متى أراد بهم ذلك، ذو مغفرة لهم متى تابوا إليه وطلبوا مرضاته ولو عرف المشركون هذا ما أصروا على الشرك ولكنهم لا يعلمون.

(٤) لما أثنى على العلماء بما وصفهم به من الخشية وكان في الكلام ايجاز أوضحه بهذه الجملة فقال إن الذين يتلون كتاب الله، وما تلا كتاب الله غير مؤمن عالم ولا أقام الصلاة وأنفق سرا وعلانية إلا ذو خشية ومحبة بعدما وصفهم وحددهم بشرهم بقوله يرجون تجارة لن تبور.

(٥) التوفية جعل الشيء وافياً أي تاماً لانقيصة فيه ولا غبن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان مظاهر القدرة والعلم الإلهي في اختلاف الألوان والطباع والذوات.

٢ـ العلم سبيل الخشية فمن لا علم له بالله فلا خشية له إنما يخشى الله من عباده العلماء.

٣ـ فضل تلاوة القرآن الكريم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات.

٤ـ في وصف الله تعالى بالغفور والشكور ترغيب للمذنبين أن يتوبوا، وللعاملين أن يزيدوا.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

من الكتاب : أي القرآن الكريم.

مصدقا لما بين يديه : أي من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل.

ثم أورثنا الكتاب : أي الكتب التى سبقت القرآن إذ محصلها في القرآن الكريم.

الذين اصطفينا : أي اخترنا المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

فمنهم ظالم لنفسه	: بارتكاب الذنـوب.
ومنهم مقتصـد	: مؤدٍ للفرائض مجتنب للكبائر.
ومنهم سابق بالخيرات	: مؤدٍ للفرائض والنوافل مجتنب للكبائر والصغائر.
بإذن الله	: أي بتوفيقه وهدايته.
ذلـك	: أي إيراثهم الكتاب هو الفضل الكبير.
ولـؤلـؤاً	: إي أساور من لؤلؤ مرصع بالذهب.
أحلنا دار المقامة	: أي الإقامة وهي جنات عدن.
لا يمسنا فيها نصب	: أي تعـب.
ولا يمسنا فيها لغوب	: أي إعياء من التعب، وذلك لعدم التكليف فيها.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾[1] أي القرآن الكريم هو ﴿الحق﴾ أي الواجب عليك وعلى أمتك العمل به لاما سبقه من الكتب كالتوراة والإنجيل، ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ أي أمامه من الكتب السابقة، وقوله ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾[2] فهو تعالى يعلم أن الكتب السابقة لم تصبح تحمل هداية الله لعباده لما داخلها من التحريف والتغيير فلذا مع علمه بحاجة البشرية إلى وحي سليم يقدم إليها فتكمل وتسعد عليه متى آمنت به وأخذته نوراً تمشى به في حياتها المادية هذه ارسـلك وأوحى إليك هذا الكتاب الكريم وأوجب عليك وعلى أمتك العمل به.

وقـولـه تعـالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب[3] الذين اصطفينا من عبادنا﴾ يخبر تعالى أنه أورث أمة الإسلام الكتاب السابق إذ كل ما في التوراة والإنجيل من حق وهدى قد حواه القرآن الكريم فأُمة القرآن قد ورثّها الله تعالى كل الكتاب الأول. وقوله تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه[4]﴾ بالتقصير في العمـل وارتكـاب بعض الكبائر، ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو المؤدى للفرائض المجتنب للكبائر،

---

(١) في الآية الإشادة بالكتاب الذي يتلوه المؤمنون فيثابون ويزادون لأنه الكتاب الحق الخالي من الزيادة والنقص المصدق لما تقدمه من الكتب الإلهية السابقة وضمن هذا يقرر النبوة المحمدية واثباتها والإشادة بصاحبها.

(٢) الخبير: العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظاهرة والخفية وصاحب هذه الصفة هو الذي يجب أن يعبد ويتقى.

(٣) حاول كثير من المفسرين البعد عن الحقيقة التي تضمنتها هذه الآية وهي أن الآية في أمة محمد ﷺ إن هي التي قال الله تعالى فيها هو اجتباكم والاجتباء كالاصطفاء والظالم لنفسه لا يكون الكافر ولا المنافق وانما هو المؤمن يغشى بعض الكبائر وما في التفسير هو الحق فتأمله.

(٤) فمنهم: هذه الفاء التفريعيّة التفصيلية حيث فصل بها مجمل الذين أوتوا الكتاب والبداية بالظالمين لأنفسهم إيماء إلى أنهم غير محرومين من جنات عدن دفعاً لمن يتوهم أنهم لما كانوا ظالمين لا يدخلون الجنة.

﴿ومنهم سابق للخيرات بإذن الله﴾ وهو المؤدى للفرائض والنوافل المجتنب للكبائر والصغائر. وقوله: ﴿ذلك﴾ أي الإيراث للكتاب هو الفضل الإلهي الكبير وهو ﴿جنات عدن[1] يدخلونها يوم القيامة يحلون فيها من أساور﴾ جمع سوار مايجعل في اليد ﴿من ذهب ولؤلؤا﴾ أي أساور من لؤلؤ، ولباسهم فيها حرير.

وقوله: ﴿وقالوا الحمد لله[2] الذي أذهب عنا الحزن﴾ أي كل الحزن فلا حزن يصيبهم إذ لا موت في الجنة ولا فراق ولا خوف ولا هَمَّ ولا كرب فمِنْ أين يأتي الحزن. وقولهم ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ قالوا هذا لأنه تعالى غفر للظالم وشكر للمقتصد عمله فأدخل الجميع الجنة فهو الغفور الشكور حقاً حقاً.

وقولهم: ﴿الذي أحلَّنا دار المقامة﴾ أي الإقامة من فضله هذا ثناء منهم على الله تعالى بإفضاله عليهم، وقولهم ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ أي تعب ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ أي إعياء من التعب وصف لدار السلام وهي الجنة الخالية من النصب واللغوب جعلنا الله من أهلها.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١- وجوب العمل بالقرآن الكريم عقائد وعبادات وآداباً وأخلاقاً وقضاء وحكماً.

٢- بيان شرف هذه الأمة، وأنها الأمة المرحومة فكل من دخل الإسلام بصدق وأدى الفرائض واجتنب المحارم فهو ناج فائز ومن قصر وظلم نفسه بارتكاب الكبائر ومات ولم يشرك بالله شيئاً فهو آئيل الى دخول الجنة راجع إليها بإذن الله.

٣- بيان نعيم أهل الجنة وحلية أهلها وهي الأساور[3] من الذهب واللؤلؤ.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ

(١) جنات عدن بدل اشتمال من قوله ذلك الفضل الكبير.

(٢) لما دخلوا جنات عدن حمدوا الله تعالى وأثنوا عليه وإن قيل كيف دخل الظالم لنفسه الجنة وهو ظالم قلنا هذا الظلم هو ليس ظلماً لربه بأن عبد غير الله ولا هو ظلم لغيره وإنما هو ظلم لنفسه بارتكاب بعض الذنوب وهذا غير مانع من دخول الجنة إذ هو وارث بوصفه مؤمناً والجنة تورث والورثة يستوي فيهم البار مع العاق فلا يمنع من الإرث العاق بل يرث كالبار سواء بسواء.

(٣) ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.

عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ
فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ
غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾
هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

لا يقضى عليهم : أي بالموت فيموتوا ويستريحوا.

كذلك نجزى كل كفور : أي كذلك الجزاء نجزى كل كفور بنا وبآياتنا ولقائنا.

وهم يصطرخون فيها : أي يصيحون بأعلى أصواتهم يطلبون الخروج منها.

يقولون : أي في عويلهم وصراخهم ربنا أخرجنا أي منها نعمل صالحاً.

أو لم نعمركم ما يتذكر فيه : أي وقتا يتذكر فيه من تذكر.

وجاءكم النذير : أي الرسول فلم تجيبوا وأصررتم على الشرك والمعاصى.

إنه عليم بذات الصدور: أي بما في القلوب من إصرار على الكفر ولو عاش الكافر طوال الحياة.

خلائف في الأرض : يخلف بعضكم بعضاً. والخلائف جمع خليفة وهو من يخلف غيره.

فعليه كفره : أي وبال كفره.

إلا مقتاً : أي الا غضباً شديداً عليهم من الله عز وجل.

إلا خساراً : أي في الآخرة إذ يخسرون انفسهم وأهليهم يوم القيامة.

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح ذكر جزاء أهل الكفر والمعاصى فقال:

﴿والذين كفروا﴾[1] أي بالله وآياته ولقائه ﴿لهم نار جهنم﴾ أي جزاء لهم ﴿لا يقضى عليهم﴾[2] أي بالموت فيموتوا حتى يستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها ولا طرفة عين. وقوله تعالى ﴿كذلك﴾ أي الجزاء ﴿نجزى كل كفور﴾ أي مبالغ في الكفر مكثر منه. وقوله: ﴿وهم يصطرخون فيها﴾[3] أي في جهنم أي يصرخون بأعلى أصواتهم في بكاء وعويل يقولون: ﴿ربنا أخرجنا﴾ أي من النار ورُدنا إلى الحياة الدنيا ﴿نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ أي من الشرك والمعاصى. فيقال لهم: ﴿أولم نعمركم﴾[4] أي أتطلبون الخروج من النار لتعملوا صالحاً ولم نعمركم أي نطل أعماركم بحيث يتذكر فيها من يريد أن يتذكر وجاءكم النذير[5] فلم تجيبوه وأصررتم على الشرك والمعاصى، إذاً فذوقوا عذاب النار ﴿فما للظالمين﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصى من نصير ينصرهم فيخرجهم من النار. وقوله تعالى: ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض﴾ أي كل ما غاب في السموات والأرض ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ ومن ذلك أنه عليم بما في قلوبكم وما كنتم مصرين عليه من الشرك والشر والفساد ولو عشتم الدهر كله.

وقوله تعالى: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾[6] أي يخلف بعضكم بعضاً وفي ذلك ما يمكّن من العظة والاعتبار إذ العاقل من اعتبر بغيره فقد هلكت قبلكم أمم بذنوبهم فلم لا تتعظون بهم وقد خلفتموهم وجئتم بعدهم إذاً فلا عذر لكم أبداً.

وبعد هذا البيان فمن كفر فعليه كفره هو الذي يتحمل جزاءه، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم ﴿الا مقتاً﴾ أي بعداً عن الرحمة وبغضاً شديداً، ﴿ولا يزيد الكافرين﴾ أي المصرين على الكفر كفرهم ﴿إلا خساراً﴾ أي هلاكاً في الآخرة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان مُرّ العذاب وأليمه الذي هو جزاء الكافرين.

٢ـ الإعذار لمن بلّغه الله من العمر أربعين سنة.

---

(١) قال القرطبي لما ذكر أهل الجنة وأحوالهم ومقالتهم ذكر أهل النار وأحوالهم ومقالتهم.

(٢) هذا كقوله تعالى: ثم لا يموت فيها ولا يحيا من سورة الأعلى.

(٣) يصطرخون مبالغة في يصرخون افتعال من الصراخ وهو الصياح بشدة وجهد أي يصيحون من شدة ما أصابهم.

(٤) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والواو عاطفة قولا محذوفا تقديره يقولون ربنا اخرجنا ونقول ألم نعمركم والتعمير تطويل العمر.

(٥) هل النذير القرآن أو الرسول ﷺ أو الشيب قال الشاعر:

رأيت الشيب من نُذرُ المنايا   لصاحبه وحسبك من نذير . وما في التفسير أصح.

(٦) أي خلفاً بعد خلف وقرناً بعد قرن، والخلف هو التالى للتقدم.

٣ـ الكافر يعذب أبداً لعلم الله تعالى به وأنه لو عاش آلاف السنين ما أقلع عن كفره ولا حاول أن يتوب منه فلذا يعذب أبداً.

٤ـ في كون البشرية أجيالاً جيلا يذهب وآخر يأتي مجال للعظة والعبرة والعاقل من اعتبر بغيره.

٥ـ الاستمرار على الكفر لا يزيد صاحبه إلا بعداً عن الرحمة ومقتاً عند الله تعالى والمقت أشد الغضب.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن
جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ
وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا
﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

قل أرأيتم : أي أخبروني.

تدعون من دون الله : أي تعبدون من غير الله وهى الأصنام.

أرونى ماذا خلقوا : أي أخبروني ماذا خلقوا من الأرض أي أيّ جزء منها خلقوه.

أم لهم شرك : أي أم لهم شركة في خلق السموات.

إلا غروراً : أي باطلاً إذْ قالوا إنها آلهتنا تشفع لنا عند الله يوم القيامة وتقربنا

إلى الله زلفى.

يمسك السموات والأرض أن تزولا : أي يمنعها من الزوال.

إن أسكهما من أحد من بعده : أي ولو زالتا ما أمسكهما أحد من بعده لعجزه عن ذلك.

إنه كان حليما غفوراً : أي حليماً لا يعجل بالعقوبة غفوراً لمن ندم واستغفر.

لئن جاءهم نذير : أي رسول.

من احدى الأمم : أي اليهود والنصارى.

فلما جاءهم نذير : أي محمد صلى الله عليه وسلم.

ما زادهم الا نفوراً : أي مجيئه إلا تباعداً عن الهدى ونفرة منه.

ومكر السيىء : أي الشرك والمعاصي.

ولا يحيق المكر السيىء : أي ولا يحيط إلا بأهله العاملين له.

سنة الأولين : أي سنة الله فيهم وهي تعذيبهم بكفرهم وإصرارهم عليه.

ولن تجد لسنة الله تبديلا : أي فلا يبدل العذاب بغيره.

ولن تجد لسنة الله تحويلا : أي تحويل العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد فقال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل للمشركين من قومك: ﴿أرأيتم شركاءكم[1] الذين تدعون﴾ أي تعبدون من دون الله أخبروني: ماذا خلقوا من الأرض حتي استحقوا العبادة مع الله فعبدتموهم معه؟ أم لهم شرك[2] في السموات بأن خلقوا جزءاً وملكوه بالشركة. والجواب قطعاً لم يخلقوا شيئاً من الأرض وليس لهم في خلق السموات شركة أيضاً إذاً فكيف عبدتموهم مع الله؟ وقوله تعالى: ﴿أم آتيناهم﴾ اي أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً يبيح لهم الشرك ويأذن لهم فيه فهم لذلك على بينة بصحة الشرك. والجواب ومن أين لهم هذا الكتاب الذي يبيح الشرك؟ بل إن[3] يعد الظالمون بعضهم بعضاً ﴿إلا غروراً﴾ أي باطلاً إذ الحقيقة أن المشركين لم يكن لهم كتاب يحتجون به على صحة الشرك،

---

(١) هذا شروع في بطلان الشرك وتحقيق التوحيد بالأسلوب الجدلي العقلي والاستفهام تقريري في قوله أرأيتم شركاءكم أروني أي أروني شيئاً خلقوه من الأرض.

(٢) الشرك اسم للنصيب المشترك به في ملك الشيء، والمعنى ألهم شرك مع الله في ملك السموات وتصريف أحوالها كسير الكواكب وتعاقب الليل والنهار وتسخير الرياح وانزال المطر.

(٣) إن نافية بمعنى «ما» بقرينة الاستثناء والغرور الأباطيل تغرو وهي قول السادة للسفلة إن هذه الآلهة تنفعكم وتقربكم وتشفع لكم كما أن الشياطين توحي لهم بذلك من طريق الوسوسة.

وإنما هو أن الظالمين وهم المشركون ما يعد بعضهم بعضا وهو أن الآلهة ستشفع لنا وتقربنا إلى الله زلفى إلا غروراً وباطلاً فالرؤساء غرَّروا بالمرء وسين وكذبوا عليهم بأن الآلهة تشفع لهم عند الله وتقربهم منه زلفى فلهذا عبدوها من دون الله وقوله تعالى: ﴿إن الله يمسك[1] السموات والأرض أن تزولا﴾ يخبر تعالى عن عظيم قدرته ولطفه بعباده، ورحمته بهم وهي أنه تعالى يمسك السموات السبع والأرض أن تزولا أي تتحول عن أماكنهما، إذْ لو زالتا لخرب العالم في لحظات، وقوله: ﴿ولئن زالتا﴾ أي ولو زالتا ﴿إن أمسكهما من[2] أحد من بعده﴾ أي لا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه وتعالى، وقوله إنه كان حليماً غفوراً إذ حلمه هو الذي غرَّ الناس فعصوه، ولم يطيعوه، واشركوا به ولم يوحدوه ومغفرته هي التي دعت الناس إلى التوبة إليه، والإنابة إلى توحيده وعبادته.

وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق (٤٢) ﴿وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من إحدى الأمم﴾ يخبر تعالى عن المشركين العرب بأنهم في يوم من الأيام كانوا يحلفون بالله جهد أيمانهم أي غاية اجتهادهم فيها لئن جاءهم رسول يرشدهم ويعلمهم لكانوا أهدى[3] أي أعظم هداية من إحدى الطائفتين اليهود والنصارى. هكذا كانوا يحلفون ولما جاءهم نذير أي الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيئه ﴿إلا نفوراً﴾ أي بعداً عن الدين ونفرة منه، واستكباراً في الأرض، ومكر السيىء الذي هو عمل الشرك والظلم والمعاصي.

وقوله تعالى ﴿ولا يحيق[4] المكر السيىء الا بأهله﴾ إخبار منه تعالى بحقيقة يجهلها الناس وهي أن عاقبة المكر السيىء تعود على الماكرين بأسْوأ العقاب وأشد العذاب وقوله تعالى: ﴿فهل ينظرون﴾ أي ينتظرون وهم مصرون على المكر السيىء وهو الشرك ومحاربة الرسول وأذية المؤمنين. إلا سنة[5] الأولين وهي إهلاك الماكرين الظالمين ﴿ولن تجد لسنة الله﴾ أيها

---

(١) لما بين لهم عجز آلهتهم وعدم قدرتها على خلق شيء في السموات والأرض بين لهم أن خالقها وممسكها هو الله فلا يوجد شيء إلا بإيجاده ولا يبقى شيء إلا بإبقائه.

(٢) إن نافية بمعنى ما أي ما أمسكهما أحد سواه.

(٣) هذا كان منهم قبل البعثة النبوية فقد بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله جل أسمه لئن جاءهم نذير أي نبي ليكونن أهدى من إحدى الأمم يعني ممن كذب الرُسُل من أهل الكتاب وكانوا يتمنون أن يكون منهم رسول فلما جاءهم ما تمنوه نفروا عنه ولم يؤمنوا به.

(٤) حاق به: أحاط والحوق الإحاطة روى أن كعباً قال لابن عباس إني أجد في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها. فقال ابن عباس فإني وجدت في القرآن ذلك قال وأين؟ قال اقرأ «ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله» ومن أمثال العرب: من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكباً، وجملة لا يحيق المكر السيء إلا بأهله تذييل لما سبق وتحمل موعظة.

(٥) السنة الطريقة والجمع سنن.

الرسـول ﴿تبديلا﴾ بأن يتبدل العذاب بغيره بالرحمة مثلا ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ بأن يتحـول العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه إذاً فليعاجل قومك الوقت بالتوبة وإلا فهُم عرضة لأن تمضى فيهم سنة الله بعذابهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.

٢ـ بيان أن المشركين لا دليل لهم على صحة الشرك لا من عقل ولا من كتاب.

٣ـ بيان قدرة الله ولطفه بعباده ورحمته بهم في إمساك السموات والأرض عن الزوال.

٤ـ بيان كذب المشركين، ورجوعهم عما كانوا يتقاولونه بينهم من أنه لو أُرسل إليهم رسولاً لكانوا أهدى من اليهود أو النصارى.

٥ـ تقرير حقيقة وهي أن المكر السيىء[1] عائد على أهله لا على غيرهم وفي هذا يُرى أن ثلاثة على أهلهـا رواجـع، وهي المكر السيىء، والبغْي، والنُكث لقوله تعالى ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾. وقوله ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ وقوله ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾.

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

(١) المكر إخفاء الأذى وهو سيء لأنه غدر وخديعة.

شرح الكلمات :

وكانوا أشد منهم قوة : أي وأهلكهم الله تعالى بتكذيبهم رسلهم.

وما كان الله ليعجزه من شيء: أي ليسبقه ويفوته فلم يتمكن منه.

إنه كان عليماً قديرا : أي عليماً بالأشياء كلها قديراً عليها كلها.

بما كسبوا : أي من الذنوب والمعاصي.

ما ترك على ظهرها : أي ظهر الأرض من دابة أي نسمة تدب على الأرض وهي كل ذي روح.

إلى أجل مسمى : أي يوم القيامة.

فإن الله كان بعباده بصيراً : فيحاسبهم ويجزيهم بحسب كسبهم خيراً كان أو شراً.

معنى الآيات :

لما هدد الله تعالى المشركين بإمضاء سنته فيهم وهي تعذيب وإهلاك المكذبين إذا أصروا على التكذيب ولم يتوبوا. قال ﴿أو لم يسيروا﴾ أي المشركون المكذبون لرسولنا ﴿في الأرض﴾ شمالاً أو جنوباً ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ كقوم صالح وقوم هود، إنها كانت دماراً وخساراً ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ [١] أي من هؤلاء المشركين اليوم قوة وقوله تعالى ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض﴾ [٢] أي لم يكن ليعجز الله شيء فيفوت الله ويهرب منه ولا يقدر عليه بل إنه غالب لكل شيء وقاهر له وقوله: ﴿إنه كان عليماً قديراً﴾ تقرير لقدرته وعجز كل شيء أمامه، فإن العليم القدير لا يعجزه شيء بالاختفاء والتستر، ولا بالمقاومة والهرب.

وقوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ [٣] وهي الآية الأخيرة من هذا السياق (٤٥) أي ولو كان الله يؤاخذ الناس بذنوبهم فكلُّ من أذنب ذنباً انتقم منه فأهلكه ما ترك على ظهر الأرض من نسمة ذات روح تدب على وجه الأرض، ولكنه تعالى يؤخر الظالمين ﴿إلى أجل مسمى﴾ [٤] أي معين الوقت محدده إن كان في الدنيا ففي الدنيا، وإن كان يوم القيامة ففي القيامة. وقوله

---

(١) الجملة في محل نصب حالية أي كان عاقبتهم الاضمحلال وكانوا أشد قوة من هؤلاء فيكون استئصال هؤلاء أقرب.

(٢) أي هبكم انكم أقوى ممن كان قبلكم وأشد حيلة وتصرفاً في الحياة فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وذلك لعلمه وقدرته، إذا فلا مهرب لكم منه إذا أراد إهلاككم.

(٣) قال ابن مسعود، يريد جميع الحيوان مما دبّ ودرج قال قتادة وقد فعل ذلك زمن نوح عليه السلام: قال ابن جرير هنا الناس وحدهم وهو كذلك.

(٤) قال مقاتل الأجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقيل هو يوم القيامة ولا منافاة بين القولين إذ يوم القيامة مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿فإذا جاء أجلهم[1] فإن الله كان بعباده بصيرا﴾ يخبر بأنه إذا جاء أجل الظالمين فإنه تعالى بصير بهم لا يخفى عليه منهم أحد فيهلكم ولا يبقى منهم أحداً لكامل علمه وعظيم قدرته، ألا فليتق الله الظالمون.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ مشروعية السير في الأرض للعبرة لا للتنزه واللهو واللعب.

٢ـ بيان أن الله لا يعجزه شيء وذلك لعلمه وقدرته وهي حال توجب الترهيب منه تعالى والإنابة إليه.

٣ـ حرمة استعجال العذاب فإن لكل شيء أجلا ووقتاً معيناً لا يتم قبله فلا معنى للاستعجال بحال.

سُورَةُ يسٓ[2]

مكية وآياتها ثلاث وثمانون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ
فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى

(١) قوله فإن الله كان بعباده بصيراً هو كالجواب لمن قال وكيف يهلك كل من في الأرض وفيهم الصالحون والمؤمنون فقال إنه كان بعباده بصيراً فقد ينجي من لا يستحق الهلاك ويهلك من يستحقه.

(٢) ورد في فضل هذه السورة حديث أبي داود عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ انه قال اقرأوا يس على موتاكم وورد عن أبي الدرداء أو أم الدرداء عنه ﷺ قال ما من ميت يقرأ عليه سورة يس إلا هون الله عليه، وأخرج الدارمي عن أبي هريرة عنه ﷺ من قرأ سورة يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة وخرجه الحافظ أبو نعيم أيضاً.

ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

يس : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا يس، ويقرأ هكذا ياسِينْ والله أعلم بمراده به.

والقرآن الحكيم : أي ذي الحكمة إذ وضع القرآن كل شيء في موضعه فهو لذلك حكيم ومحكم أيضاً بعجيب النظم وبديع المعاني.

إنك لمن المرسلين : أي يا محمد من جملة الرسل الذين أرسلناهم إلى أقوامهم.

على صراط مستقيم : أي طريق مستقيم الذي هو الإسلام.

تنزيل العزيز الرحيم : أي القرآن[1] تنزيل العزيز في انتقامه ممن كفر به الرحيم بمن تاب إليه.

ما أنذر آباؤهم : أي لم ينذر آباؤهم إذ لم يأتهم رسول من فترة طويلة.

فهم غافلون : أي لا يدرون عاقبة ما هم فيه من الكفر والضلال، ولا يعرفون ما ينجيهم من ذلك وهو الإيمان وصالح الأعمال.

لقد حق القول على أكثرهم : أي وجب عليهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون.

إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً : أي جعلنا أيديهم مشدودة إلى أعناقهم بالأغلال.

فهي إلى الأذقان : أي أيديهم مجموعة إلى أذقناهم، والأذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحيين.

فهم مقمحون : أي رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، فلذا هم لا يكسبون بأيديهم خيراً، ولا يذعنون برؤوسهم إلى حق.

(١) هذا على قراءة أهل المدينة وهي رفع تنزيل. أما على قراءة النصب فالتقدير أقرأ تنزيل العزيز الرحيم أو أمدح تنزيل.

فأغشيناهم فهم لا يبصرون : أي جعلنا على أبصارهم غشاوة فهم لذلك لا يبصرون.

وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون : أي استوى إنذارك لهم وعدمه في عدم إيمانهم.

من اتبع الذكر : أي القرآن.

وأجر كريم : أي بالجنة دار النعيم والسلام.

إنا نحن نحي الموتى : أي نحن ربّ العزة نحيي الموتى للبعث والجزاء.

ونكتب ما قدموا وآثارهم[١] : أي ما عملوه من خير وشر لنحاسبهم، وآثارهم أي خطاهم إلى المساجد وما استنّ به أحد من بعدهم.

في إمام مبين : أي في اللوح المحفوظ.

معنى الآيات :

﴿يسٓ﴾ الله أعلم بمراده به[٢] ﴿والقرآن الحكيم﴾[٣] أي المحكم نظماً ومعنىً وذي الحكمة الذي يضع كل شيء في موضعه أقسم تعالى بالقرآن الحكيم على أن محمد ﷺ نبياً رسولاً فقال ﴿والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ الذي هو الإسلام. وقوله ﴿تنزيل[٤] العزيز الرحيم﴾ أي هذا القرآن هو تنزيل الله ﴿العزيز﴾ في الانتقام ممن كفر به وكذب رسوله ﴿الرحيم﴾ بأوليائه وصالحي عباده. وقوله ﴿لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم﴾ أي أرسلناك وأنزلنا إليك الكتاب لأجل أن تنذر قوماً ما أنذر آباؤهم من فترة طويلة وهم مشركو العرب إذ لم يأتهم رسول من بعد إسماعيل عليه السلام ﴿فهم غافلون﴾ أي لا يدرون عاقبة ما هم عليه من الشرك والشر والفساد، ومعنى تنذرهم تخوفهم عذاب الله تعالى المترتب على الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾ أي أكثر خصوم النبي ﷺ من كفار قريش كأبي جهل حق عليهم القول الذي هو قوله تعالى ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ فوجب لهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون إذ لو آمنوا لما عذبوا، وعدم إيمانهم لم يكن مفروضاً عليهم

---

(١) وهم بعض فقال هذه الآية نزلت بالمدينة في بني سلمة والصحيح أن السورة كلها مكي وليس فيها مدني وانما قرأ ﷺ هذه الآية محتجاً بها على بني سلمه لما أرادوا النزول قرب المسجد فقال لهم بني سلمة دياركم تكتب آثاركم. وقرأ هذه الآية، ونكتب ما قدموا وآثارهم.

(٢) كره مالك رحمه الله تعالى التسمية بيسّ وهو كذلك لعدم علمنا بالمراد منه وليس هو باسم للنبي ﷺ إذ ذكر أسماءه الخمسة ولم يذكر بينها يس ولا حجة في قول الرافضي :

يا نفس لا تمحضي بالود جاهدة   على المودة إلا آل ياسين

(٣) والقرآن الواو للقسم والقرآن مقسم به وجواب القسم : إنك لمن المرسلين وعلى صراط مستقيم خبر ثان لإن.

(٤) قرأ نافع والجمهور تنزيل بالرفع على انه خبر محذوف المبتدأ أي هو تنزيلِ والضمير عائد على القرآن المقسم به وقرأ حفص تنزيل بالنصب على المصدرية أو على تقدير أعنى أو أخص فيكون مدحاً وإشادة بشأنه وهو اليق.

وإنما هو باختيارهم وحرية إرادتهم إذ لو كان جبراً لما استحقوا العذاب عليه. وقوله تعالى ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي﴾ أي أيديهم ﴿إلى الأذقان﴾ مشدودة بالأغلال ﴿فهم مقمحون﴾ أي رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل لحالهم في عدم مدّ أيديهم للإنفاق في الخير، وعدم إذعان رؤوسهم لقبول الحق[(١)] وقوله ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ وهـذا تمثيل آخر لحالهم وهي أنهم زيّنت لهم الحياة الدنيا فأصبحوا لا يرون غيرها فهو سد أمـامهم ومـانـع لهم من الإيمان وترك الشرك والمعاصى، وصورت لهم الآخرة بصورة باطلة مستحيلة الوقوع فكان ذلك سداً من خلفهم فهم لذلك لا يتوبون ولا يذكرون لعدم خوفهم من عذاب الآخرة وقوله تعالى ﴿وأغشيناهم﴾ هذا مبالغة في إضلالهم فجعل على أعينهم غشاوة من كره الرسول ﷺ وبغض ما جاء به فهم لذلك عمى لا يبصرون. وقوله تعالى ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم[(٢)] أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ هذا إخبار منه تعالى بأن هذه المجموعة من خصوم الرسول ﷺ من أكابر مجرمى مكة استوى فيهم الإنذارالنّبويّ وعدمه فهم لا يؤمنون فكأن الله تعالى يقول لرسوله إن هؤلاء العتاة من خصومك إنذارك لهم لا ينفعهم فأنذر الذين ينفعهم إنذارك ودع من سواهم وهو قوله تعالى ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ أي القرآن ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ أي خافه فلم يعصه وهو لا يراه، كما لم يعصه عندما يخلو بنفسه ولا يراه غيره فمثل هذا بشره بمغفرة منا لذنوبه وأجر كريم على صالح عمله وهو الجنة دار المتقين وقوله تعالى: ﴿إنا نحن نحى الموتى﴾ أي للبعث والجزاء ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أي أولئك الأموات أيام حياتهم من خير وشر، ﴿وآثارهم﴾ أي ونكتب آثارهم وهو ما اسْتُنَّ به من[(٣)] سننهم الحسنة أو السيئة. ﴿وكل شيء﴾ أي من أعمال العبادة وغيرها ﴿في إمام مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ، وسنجزى كلاً بما عمل. وفي هذا الخطاب تسلية لرسول الله ﷺ.

---

(١) وجائز أن يكون هذا بيان لحالهم في النار يوم القيامة ولكن ما في التفسير أولى وأحق والسياق يؤكده.

(٢) أنذرتهم أصل الهمزة الاستفهام ولكنها هنا للتسوية متمحضة لها.

(٣) شـاهده حـديث مسـلم عن النبي ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنه كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وكذا حديثه الأخر: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- تقرير النبوة المحمدية وتأكيد رسالته ﷺ.

٢- بيان الحكمة من إرسال الرسول وإنزال الكتاب الكريم.

٣- بيان أن الرسول محمداً ﷺ بعث على فترة من الرسل.

٤- بيان أن حب الدنيا والإقبال عليها والإعراض عن الآخرة وعدم الالتفات اليها يضعان الإنسان بين حاجزين لا يستطيع تجاوزهما والتخلص منهما.

٥- بيان أن الذنوب تقيد صاحبها وتحول بينه وبين فعل الخير أو قبول الحق.

٦- بيان أن من سن سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده يجزى بها كما يجزى على عمله الذي باشره بيده.

٧- تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن كل شيء في كتاب المقادير المعبر عنه بالإمام. ومعنى المبين أي ان ما كتب فيه بيّن واضح لا يجهل منه شيء.

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ
إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ
إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾

شـرح الكلمـات :

واضرب لهم مثلا : أي واجعل لهم مثلا.

أصحـاب القريـة : أي انطاكيه عاصمة بلاد يقال لها العواصم بأرض الروم.

إذ جاءها المرسلون : أي رسل عيسى عليه السلام.

فعززنا بثالث : أي قوينا أمر الرسولين ودعوتهما برسول ثالث وهو حبيب بن النجار.

وما علينا إلا البلاغ المبين : أي التبليغ الظاهر البين بالأدلة الواضحة وهي إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الموتى.

إنَّا تطيرنا بكم : أي تشاءمنا بكم وذلك لانقطاع المطر عنا بسببكم.

قالوا طائركم معكم : أي شؤمكم معكم وهو كفركم بربكم.

أئن ذكرتم : أي وعظتم وخوفتم تطيرتم وهذا توبيخ لهم.

بل أنتم قوم مسرفون : أي متجاوزون للحد في الشرك والكفر.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا﴾[1] أي واضرب أيها الرسول لقومك المصرين على الشرك والتكذيب لك ولما جئتهم به من الهدى ودين الحق ﴿مثلا أصحاب القرية﴾ فإن حالهم في التكذيب والغُلوِّ في الكفر والعناد كحال هؤلاء. إذ جاءها المرسلون وهم رسل عيسى[2] عليه السلام إذ بعث برسولين ثم لما آذوهما بالضرب والسجن بعث بشمعون الصَّفي رأس الحواريين تعزيزاً لموقفهما كما قال تعالى ﴿فكذبوهما فعززنا بثالث﴾[3]، فقالوا لأهل انطاكيه[4] ﴿إنا إليكم مرسلون﴾ من قبل عيسى عليه السلام ندعوكم إلى عبادة الرحمن وترك عبادة الأوثان ﴿فقالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ أي ما أنتم إلا تكذبون علينا في دعواكم أنكم رسل إلينا فقال الرسل ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ فواجهوا شك القوم فيهم بما يدفع الشك من القسم وتأكيد الخبر بالجملة الاسمية ولام التوكيد فقالوا: ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ أي البيِّن الواضح فإن قبلتم ما دعوناكم إليه فذلك حظكم من الخير والنجاة وإن أبيتم فذلك حظكم من الهلاك والخسار. ورد أهل انطاكيه على الرسل قائلين: ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ أي تشاءمنا[5] بكم حيث انقطع عنا المطر بسببكم* فرد عليهم المرسلون بقولهم ﴿طائركم معكم﴾ أي شؤمكم في كفركم وتكذيبكم، ولذا حبس الله المطر

---

(١) اضرب أي اجعل والمثل للتشبيه والمعنى اجعل اصحاب القرية والمرسلين إليهم شبهاً لأهل مكة وارسالك إليهم.

(٢) كان هذا بعد رفع عيسى إلا انه كان بإذن الله تعالى فلذا قال تعالى أرسلنا إليهم.

(٣) قرىء عززنا بالتخفيف والمعنى واحد.

(٤) كان أهل انطاكيا من اليهود ومن اليونان.

(٥) وجائز أن يكون قد حدث بينهم تشاجر وتشاحن نتيجة قبول الدعوة من أفراد منهم فحصل بينهم شجار وخلاف لم يألفوه فقالوا ما قالوا متشائمين، وفي الحديث: لا عدوى ولا طيرة وإنما الطيرة على من تطير.

* لئن لم تنتهوا من دعواكم بأنكم رسلٌ إلينا بترك آلهتنا لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم.

عليكم. ثم قالوا لهم موبخين لهم: ﴿أئن ذكرتم﴾[1] أي وعظتم وخُوِّفتمُ بالله لعلكم تتقون تطيّرتُم. بل أنتم أيها القوم ﴿مسرفون﴾ أي متجاوزون الحد في الكفر والشرك والعدوان.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- استحسان ضرب المثل وهوتصويرحالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما هنا في قصة حبيب بن النجار.

٢- تشابه حال الكفار في التكذيب والإصرار في كل زمان ومكان.

٣- لجوء أهل الكفر بعد إقامة الحجة عليهم الى التهديد والوعيد.

٤- حرمة التطير والتشاؤم في الإسلام.

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن
لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى
فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات:

وجاء رجلٌ : أي جاء حبيب بن النجار صاحب يس.

من أقصى المدينة : أي من أقصا دور المدينة وهي انطاكيا العاصمة.

---

(١) الاستفهام إنكاري وبل للإضراب الانتقالي أضرب عن دعواهم لبطلانها وانتقل بهم إلى الحقيقة وهي اسرافهم في الشرك والشر والفساد.

يســعى : أي يشتد مسرعاً لما بلغه أن أهل البلد عزموا على قتل رسل عيسى الثلاثة.

قال يا قوم اتبعوا المرسلين : أي رسل عيسى عليه السلام.

اتبعوا من لا يسألكم أجراً : اتبعوا من لا يطلبكم أجراً على إبلاغ دعوة الحق.

وهم مهتدون : أي الرسل إنهم علي هداية من ربهم ما هم بكذابين.

فطرني : أي خلقني.

إن يردن الرحمن بضر : أي بمرض ونحوه.

ولا ينقذون : أي مما أراد الله لي من ضر في جسمي وغيره.

إني إذاً لفي ضلال مبين : أي إني إذا اتخذت من دون الله آلهة أعبدها لفى ضلال مبين.

إني آمنت بربكم فاسمعون : أي صارح قومه بهذا القول وقتلوه.

قيل ادخل الجنة : قالت له الملائكة عند الموت ادخل الجنة.

يا ليت قومي يعلمون : قال هذا لما شاهد مقعده في الجنة.

بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين : وهو الإيمان والتوحيد والصبر على ذلك.

معنى الآيات :

ما زال السياق في مَثَلِ أصحاب القرية إنه بعد أن تعزز موقف الرسل الثلاثة وأعطاهم الله من الكرامات ما أبرأوا به المرضى بل وأحيوا الموتى بإذن الله وأصبح لهم أتباع مؤمنون غضب رؤساء البلاد وأرادوا أن يبطشوا بالرسل، وبلغ ذلك حبيب بن النجار وكان شيخا مؤمناً موحداً يسكن في طرف المدينة الأقصى فجاء يشتد سعيا على قدميه فأمر ونهى وصارح القوم بإيمانه وتوحيده فقتلوه رفساً بأرجلهم قال تعالى ﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ - انطاكيه - ﴿رجل يسعى﴾(١) أي يمشى بسرعة لما بلغه أن أهل البلاد قد عزموا على قتل الرسل الثلاثة وما إن وصل إلى الجماهير الهائجة حتى قال بأعلى صوته: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾(٢) وسأل الرسل هل طلبتم على إبلاغكم

---

(١) هذا الرجل هو حبيب بن النجار صاحب ياسين كما في الحديث والرجل كان مصاباً بالجذام سنين وشفاه الله تعالى على يد رسل عيسى وبذلك آمن وأسلم وبقي في أرض أنطاكيا يعبد الله تعالى حتى بلغه هم أهل المدينة انطاكيا بالبطش بالرسل جاء مسرعاً لينقذ دعوتهم ويدعو إلى الله تعالى بما أخبر به تعالى في هذه الآيات.

(٢) المراد بالمرسلين رسل عيسى الذين أرسلهم بالوصية إليهم إلى أنطاكيا من بينهم شمعون الذي عزز به الرسولين قبله.

دعوة عيسى أجراً قالوا لا. فقال: ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾ فاتبعوهم تهتدوا بهدايتهم. وقال له القوم وأنت تعبد الله مثلهم ولا تعبد آلهتنا؟ فقال: ﴿ومالى لا أعبد الذي فطرني﴾ أي وأي شيء يجعلني لا أعبده وهو خلقني ﴿وإليه ترجعون﴾ أي بعد موتكم فيحاسبكم ويجزيكم بعملكم. ثم اغتنم الفرصة ليدعو إلى ربّه فقال مستفهماً ﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾ أي أصناماً وأوثاناً لا تسمع ولا تبصر ﴿إن يُرِدن الرحمن بضرٍّ لا تغن عني شفاعتهم شيئاً﴾[1] وإن قل ولا ينقذون مما أراده بي من ضر ونحوه ﴿إني إذاً لفي ضلال مبين﴾[2] أي إني إذا أنا عبدت هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر لفي ضلال مبين واضح لا يحتاج الى دليل عليه. ورفع صوته مبلغاً ﴿إني آمنت بربكم﴾ أي بخالقكم ورازقكم ومالك أمركم دون هذه الأصنام والأوثان ﴿فاسمعون﴾ وهنا وثبوا عليه فقتلوه. ولما قيل له ادخل الجنة ورأى نعيمها ذكر قومه ناصحاً لهم فقال: ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي[3] ربي وجعلني من المكرمين[4]﴾ أي يعلمون بما غفر له وجعله من المكرمين وهو الإيمان والتوحيد حتي يؤمنوا ويوحدوا فنصح قومه حيّاً وميتاً وهذا شأن المسلم الحسن الإسلام والمؤمن الصادق الإيمان ينصح ولايغش ويرشد ولا يضل ومهما قالوا له وفيه ومهما عاملوه به من شدة وقسوة حتى الموت قتلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان كرامة حبيب بن النجار الذي نصح قومه حياً وميتاً.

٢ـ بيان ما يلاقي دعاة التوحيد والدين الحق في كل زمان ومكان من شدائد وأهوال.

٣ـ وجوب إبلاغ دعوة الحق والتنديد بالشرك ومهما كان العذاب قاسياً.

٤ـ بشرى المؤمن عند الموت لا سيما الشهيد فإنه يرى الجنة رأي العين.

---

(١) إن يردن ولا تغن ولا ينقذون، فاسمعون حذفت منها كلها ياء المتكلم مراعاة للتخفيف ولظهورها وعدم اللبس مع حذفها، وجملة إن يردن في محل نصب نعت.

(٢) إني إذاً لفي ضلال مبين الجملة جواب للاستفهام الانكاري في قوله أتخذ من دونه آلهة أي إن اتخذت من دون الله آلهة إني في ضلال مبين.

(٣) بما غفر: ما مصدرية تسبك بمصدر نحو بمغفرة ربي لي.

(٤) من المكرمين الملائكة والأنبياء والشهاداء والصالحين.

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ
﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ
﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

وما أنزلنا على قومه : أي على قوم حبيب بن النجار وهم أهل أنطاكية .

من بعده : أي من بعد موته .

من جند من السماء : أي من الملائكة لإهلاكهم .

وما كنا منزلين : أي الملائكة لإهلاك الأمم التي استوجبت الهلاك .

إن كانت إلا صيحة واحدة: أي ما هي إلا صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام .

فإذا هم خامدون : أي ساكتون لا حراك لهم ميتون .

يا حسرة على العباد : أي يا حسرة العباد هذا أوان حضورك فاحضرى وهذا غاية التألم . والعباد هم المكذبون للرسل الكافرون بتوحيد الله .

ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون : هذا سبب التحسُّر عليهم .

ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون : أي ألم ير أهل مكة المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم .

وإن كل لما جميع لدينا محضرون : أي وإن كل الخلائق إلا لدينا محضرون يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ أي قوم حبيب بن النجار[1] ﴿من بعده﴾ أي بعد موته﴿من جند من السماء﴾ للانتقام من قومه الذين قتلوه لأنه أنكر عليهم الشرك ودعاهم إلى التوحيدوما كُنامنزلين إذ لا حاجة تدعو إلى ذلك. إن كانت إلا صيحة واحدة من[2] جبريل عليه السلام فإذا هم خامدون أي هلكى ساكنون ميتون لا حراك لهم ولا حياة فيهم وقوله تعالى ﴿يا حسرة على العباد﴾ أي يا حسرة العباد[3] على أنفسهم احضري أيتها الحسرة[4] هذا أوان حضورك ﴿مايأتيهم من رسول إلا كانوا به[5] يستهزئون﴾ هذا موجب الحسرة ومقتضيها وهو استهزاؤهم بالرسل. وقوله تعالى ﴿ألم يروا﴾ أي أهل مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي ألم يعلموا القرون الكثيرة التي أهلكناها قبلهم كقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين، ﴿أنهم إليهم لايرجعون﴾ فيكون هذا هادياً لهم واعظاً فيؤمنوا ويوحدوا فينجوا من العذاب ويسعدوا. وقوله تعالى ﴿وإن كلٌ﴾ أي[6] من الأمم الهالكة وغيرها من سائر العباد ﴿لما جميع لدينا محضرون﴾ أي إلا لدينا محضرون لفصل القضاء يوم القيامة فينجو المؤمنون ويهلك الكافرون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك أهل انطاكية بصيحة واحدة.

٢ـ إبداء التحسر على العباد من أنفسهم إذ هم الظالمون المكذبون فالحسرة منهم وعليهم.

٣ـ حرمة الاستهزاء بما هو من حرمات الله تعالى التي يجب تعظيمها.

٤ـ طلب العبرة من أخبار الماضين وأحوالهم، والعاقل من اعتبر بغيره.

٥ـ تقرير المعاد والحساب والجزاء.

---

(١) هذا تابع لقصة حبيب بن النجار صاحب ياسين والجملة معطوفة على جملة قيل ادخل الجنة.

(٢) كون جبريل هو الذي صاح فيهم وارد عند أهل التفسير فإن ثبت عن النبي ﷺ وجب الإيمان به وإلا فلا يجب ولا يلزم الإيمان به إذ جائز أن يكون ملكاً آخر غير جبريل.

(٣) العباد جمع عبد من عباد الله تعالى والعبيد جمع عبد مملوك للناس.

(٤) الحسرة شدة النَدم مشوباً بتلهف على نفع فائت.

(٥) الاستثناء مفرغ من أحوال عامة من الضمير في «يأتيهم» أي لا يأتيهم رسول في حال من أحوالهم إلا استهزأوا به.

(٦) قرأ نافع وإن كل لما بتخفيف الميم وشددها حفص فعلى تخفيفها تكون إن مخففة من الثقيلة واللام هي اللام الفارقة وما مزيدة للتوكيد. وإن قدرت ما نافية وجب تشديد لما إذ تكون بمثابة الاستثناء أي وما كلهم إلا محضرون لدينا.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات:

وآية لهم الأرض الميتة : أي على صحة البعث ووجوده لا محالة.

أحييناها : بإنزال المطر عليها فأصبحت حيّة بالنبات والزروع.

وجعلنا فيها جنات : أي بساتين.

وما عملته أيديهم : أي لم تصنعه أيديهم وإنما هو صنع الله وخلقه.

أفلا يشكرون : أي أفيرون هذه النعم ولا يشكرونها إنه موقف مخز منهم.

سبحان الذي خلق الأزواج كلها أي تنزيها وتقديسا لله الذي خلق الأصناف كلها.

ومن أنفسهم : أي الذكور والإناث.

ومما لا يعلمون : من المخلوقات كالتي في السموات وتحت الأرضين.

معنى الآيات:

لما تقدم في الآيات قبل هذه تقرير عقيدة البعث والجزاء في قوله وإن كلٌ لما جميع لدينا محضرون ذكر هنا الدليل العقلي على صحة إمكان البعث فقال ﴿وآية لهم[1]﴾ أي على صحة البعث الأرض الميتة التي أصابها المحل فلا نبات فيها ولا زرع أحييناها بالمطر فأنبتت من كل زوج بهيج فهذه آية أي علامة كبرى وحجة واضحة على إمكان البعث إذ الخليقة تموت ولم يبق إلا الله تعالى ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ثم ينزل الله تعالى ماء

(١) وآية لهم مبتدأ والخبر الأرض الميتة. قرأ نافع الميتة بتشديد الياء وسكنها حفص.

من تحت العرش فتحيا البشرية على طريقة الأرض الميتة ينزل عليها المطر فتحيا بالنبات. وهذه المرة تحيا بالبشر إذ يُركب خلقهم من عظم يقال له عجب الذنب هو في بطن الأرض لا يتحلل ومنه يركب الخلق كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الصحيح. هذا معنى قوله تعالى في الاستدلال على البعث ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًا﴾ أي حبّ البُر فمنه أي من ذلك يأكلون الخبز. وقوله ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض الميتة جنات أي بساتين من نخيل وأعناب، وفجرنا فيها من العيون أي عيون الماء، هذه مظاهر القدرة والعلم الإلهي وكلها تشهد بصحة البعث وإمكانه وأن الله تعالى قادر عليه وعلى مثله. وقوله تعالى ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ أي من ثمر المذكور[1] من النخل والعنب وغيره. وقوله ﴿وما عملته[2] أيديهم﴾ أي لم تخلقه ولم تكونه أيديهم بل يد الله هي التي خلقته أفلا يشكرون يوبخهم على عدم شكره تعالى على ما أنعم به عليهم من نعمة الغذاء. وقوله تعالى ﴿سبحان الذي خلق الأزواج[3] كلها﴾ أي تنزيها وتقديسا لله الذي خلق الأزواج كلها ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ يقدس تعالى نفسه وينزهها عن العجز عن إعادة الخلق ويُذكر بآيات القدرة والعلم وهي نظام الزوجية إذ كل المخلوقات أزواج أي أصناف من ذكر وأنثى فالنباتات على سائر اختلافها ذكر وأنثى والناس كذلك وما هو غائب عنا في السموات وفي بطن الأرض أزواج كذلك ولا وِتْرَ أي لا فرد إلا الله تعالى فقد تنزه عن صفات الخلائق، ومنها كان للحياة الدنيا نوع آخر هو لها كالزوج وهي الحياة الآخرة فهذا دليل عقلي من أقوى الأدلة على الحياة الثانية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء التي هي القوة الدافعة للإنسان على فعل الخيرات وترك الشرور والمنكرات.

٢- دليل نظام الزوجيّة وهو آية على أن القرآن وحي الله وكلامه إذ قرر القرآن نظام الزوجية قبل معرفة الناس لهذا النظام في الذرة وغيرها في القرن العشرين.

---

(١) الثمر بمنزلة الحب للسنبل وهو ما يغله النخل والعنب، وقرأه الجمهور بفتحتين. وقرأه خلافهم بضمتين.

(٢) جائز أن يكون ما نافية أي ولم تعمله أيديهم وإنما الله جل جلاله هو الذي انبته وسخره لهم وجائز أن تكون ما موصولة أي والذي عملته أيديهم من أصناف الحلاوات والأطعمة وما يتخذونه كالخبز والجبن وما إلى ذلك وما في التفسير أرجح وأدل على نعم الله وقدرته وقرأ الجمهور ومما عملته بهاء الضمير وقرأ بعض عملت بدونه.

(٣) الأزواج جمع زوج ويطلق على كل من الذكر والأنثى، وعلى الأصناف المختلفة فإن أريد بالأزواج الذكر والأنثى فمن ابتدائية في المواقع الثلاثة وإن أريد بها الأصناف فمن بيانية في المواطن الثلاثة: ولقوله: ومما لا يعلمون مقابل محذوف تقديره وما يعلمون وهذا من دلالة الإشارة.

٣- وجوب شكر الله تعالى بالإيمان وبطاعته وطاعة رسوله على نعمه ومنها نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد أي بالغذاء والماء والهواء.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

وآية لهم الليل نسلخ منه النهار: وآية لهم على إمكان البعث الليل نسلخ منه النهار أي نزيل النهار عن الليل فإذا هم مظلمون بالليل.

لمستقر لها: أي مكان لها لا تتجاوزه.

ذلك تقدير العزيز العليم: أي جريها في فلكها تقدير أي تقنين العزيز في ملكه العليم بكل خلقه.

والقمر قدرناه منازل: وآية أخرى هي تقدير منازل القمر التي هي ثمان وعشرون منزلة.

حتى عاد كالعرجون القديم: أي حتى رجع كعود العذق الذي أصله في النخلة وآخره في الشماريخ وهو أصفر دقيق مقوس كالقمر لما يكون في آخر الشهر.

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر: أي لا يصح للشمس ولا يسهل عليها أن تدرك القمر فيجتمعان في الليل.

ولا الليل سابق النهار: أي بأن يأتي قبل انقضائه.

وكل في فلك يسبحون: أي كل من الشمس والقمر والنجوم السيارة في فلك يسبحون أي يسيرون والفلك دائرة مستديرة كفلكة المغزل وهو مجرى النيرين والكواكب السيارة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في البرهنة على إمكان البعث ووقوعه لا محالة فقال تعالى ﴿وآية﴾ أي علامة لهم أخرى على قدرة الله على البعث ﴿الليل نسلخ[1] منه النهار﴾ أي نفصل عنه النهار بمعنى نزيله عنه فإذا هم في الليل مظلمون أي داخلون في الظلام فهذه آية على قدرة الله على البعث وقوله ﴿والشمس تجري لمستقر لها[2]﴾ أي تجري في فلكها منه تبتدىء سيرها وإليه ينتهي سيرها وذلك مستقرها، ولها مستقر آخر وهو نهاية الحياة الدنيا، وإنها لتسجد كل يوم تحت[3] العرش وتستأذن باستئناف دورانها فيأذن لها كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر محمد ﷺ وكونها تحت العرش فلا غرابة فيه فالكون كله تحت العرش وكونها تستأذن فيؤذن لها لا غرابة فيه إذا كانت النملة تدبر أمر حياتها بإذن ربها وتقول وتفكر وتعمل فالشمس أحرى بذلك وأنها تنطق بنطقها الخاص وتستأذن ويؤذن لها وقوله تعالى ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ أي الغالب على مراده العليم بكل خلقه، وتقدير سير الشمس في فلكها بالثانية وتقطع فيه ملايين الأميال أمر عجب ونظام سيرها طوال الحياة فلا يختل بدقيقة ولا يرتفع مستواها شبرا ولا ينخفض شبرا إذ يترتب على ذلك خراب العالم الأرضي كل ذلك لا يقدر عليه إلا الله، أليس المبدع هذا الإبداع في الخلق والتدبير قادر على إحياء من خلق وأمات؟ بلى، بلى إن الله على كل شيء قدير. وقوله تعالى ﴿والقمر قدرناه منازل[4] حتى عاد كالعرجون القديم﴾ هذه آية أخرى على إمكان البعث وحتميته والقمر كوكب منير يدور حول الأرض يتنقل في منازله الثمانية والعشرين منزلة بدقة فائقة وحساب دقيق ليعرف بذلك سكان الأرض عدد السنين والحساب إذ لولاه لما عرف يوم ولا اسبوع ولا شهر ولا سنة ولا قرن. فالقمر يبدأ هلالا صغيرا ويأخذ في الظهور فيكبر بظهوره شيئا فشيئا حتى يصبح

---

(١) السلخ الكشط والنزع كسلخ الشاة من جلدها فيبقى اللحم أبيض كذلك يسلخ تعالى النهار من الليل فيبقى الناس في ظلام حالك.

(٢) جائز أن يكون في الكلام حذف أي وآية لهم الشمس تجري وجائز أن يكون الشمس مبتدأ وتجري الجملة خبر أي آية اخرى.

(٣) لمستقر لها جائز أن يكون اللام بمعنى إلى وجائز أن يكون لام الصيرورة والمآل أي يصير أمرها فتؤول إلى مستقرها، والمستقر مكان الاستقرار روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ سأل أبا ذر حين غربت الشمس «أتدري أين تذهب» قال قلت الله ورسوله أعلم، قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع في مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم.

(٤) جائز أن يكون قدرنا له منازل أو قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة بها بمنزل وهي: السرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الخراتان، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانيان، الاكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الاخبية، الفرع المقدم، الفرغ المؤخر، بطين الحوت. فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها.

في نصف الشهر بدرا كاملا ، ثم يأخذ في الأفول والاضمحلال بنظام عجب حتى يصبح في آخر الشهر كالعرجون القديم أي كعود العرجون أصفر دقيق مقوس كل ذلك لفائدة الإنسان الذي يعيش على سطح هذه الأرض أليس هذا آية كبرى على قدرة الله العزيز العليم على إعادة الحياة لحكمة الحساب والجزاء؟ بلى إنها لآية كبرى فقوله ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾[1] أي لا يسهل على الشمس ولا يصح منهاأن تدرك القمر فيذهب نوره بل لكل سيره فلا يلتقيان إلا نادرا في جزء معين من الأفق فيحصل خسوف القمر وكسوف الشمس . وقوله ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ بل كل من الليل والنهار يسير في خط مرسوم لا يتعداه فلذا لا يسبق الليل النهار ولا النهار الليل فلا يختلطان إلا بدخول جزء من هذا في هذا وجزء من ذاك في ذا[2] وهو معنى ﴿يولج الليل في النهـار ويولج النهار في الليل﴾ وقوله ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ أي كل واحد من الشمس والقمر والكواكب السيارة في فلك يسبحون فلذا لا يقع فيها خلط ولا ارتطام[3] بعضها ببعض إلى نهاية الحياة فيقع ذلك ويخرب الكون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ إقامة الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على إمكان البعث ووقوعه حتما .

٢ـ ذكر القرآن لأمور الفلك التي لم يعرف عنها الناس اليوم إلا جزء يسير آية عظمى على أنه وحي الله وأن من أوحي إليه هو رسول الله قطعا .

٣ـ ما ذكره القرآن عن الكون العلوي من الوضوح بحيث يعرفه الفلاح والراعي كالعالم المتبحر والأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب وذلك لتقوم الحجة على الناس إن هم لم يؤمنوا بالله ولم يوحدوه في عبادته ويخلصوا له في طاعته وطاعة رسوله .

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ

(١) هذا لأن سير القمر سريع وسير الشمس دونه فلا تدركه .

(٢) لم يقل تسبح لأنه وصفها بوصف العقلاء يسبحون ، أي يجرون وجيء بضمير الجمع وهما اثنان الشمس والقمر لا غير لإفادة تعميم هذا الحكم فيشمل الكواكب ايضاً .

(٣) هذا لما بين بَينها من أبعاد لا يقادر قدرها ولا يعرف مداها إلا الله خالقها فلذا لا يدرك بعضها بعضاً لشدة الأبعاد بين مداريها .

وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

وآية لهم : أي وعلامة لهم على قدرتنا على البعث.

أنا حملنا ذريتهم : أي ذريّات قوم نوح الذين أهلكناهم بالطوفان. نجينا ذريّتهم لأنهم مؤمنون موحدون وأغرقنا آباءهم لأنهم مشركون.

في الفلك المشحون: أي في سفينة نوح المملوءة بالأزواج من كل صنف.

وخلقنا لهم من مثله : أي من مثل فلك نوح مايركبون.

فلا صريخ لهم : أي مغيث ينجيهم فيكف صراخهم.

ومتاعا إلى حين : أي وتمتيعاً لهم بالطعام والشراب إلى نهاية آجالهم.

اتقوا ما بين أيديكم : أي من عذاب الدنيا أي بالإيمان والاستقامة.

وما خلفكم : أي من عذاب الآخرة إذا أصررتم على الكفر والتكذيب.

وما تأتيهم من آية : أي وما تأتيهم من آية أو من حجة من حجج القرآن وبيّنة من بيناته الدالة على توحيد الله وصدق الرسول إلا كانوا عنهامعرضين غير ملتفتين إليها ولا مبالين بها.

معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض الآيات الكونيّة للدلالة على البعث والتوحيد والنبوّة فقال تعالى ﴿وآية لهم﴾ أي أخرى غير ما سبق ﴿أنا حملنا ذريّتهم في الفلك المشحون[1]﴾ أي حملنا ذريّة قوم نوح

(١) قرأ نافع ذراياتهم جمع ذرية وقرأ حفص بالإفراد ذريتهم اسم جمع فهو بمعنى ذرياتهم. لفظ الذرية وإن كان أساساً يطلق على الأولاد فإنه أطلق هنا على الآباء والأجداد إذ الكل هم ذرية لآدم عليه السلام والمشحون الموقر بما حمل فيه من سائر المخلوقات.

المؤمنين فأنجيناهم بإيمانهم وتوحيدهم وأغرقنا المشركين فهي آية واضحة عن رضا الله تعالى عن المؤمنين الموحدين وسخطه على الكافرين المشركين المكذبين إن في هذا الإنجاء للموحدين والإغراق للمشركين آية وعبرة لو كان مشركو قريش في مكة يفقهون. وقوله تعالى ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ وهذه آية أخرى أيضا وهي أن الله أنجى الموحدين في فلك لم يسبق له مثيل ثم خلق لهم مثله ما يركبون إلى يوم القيامة ولو شاء عدم ذلك لما كان لهم فلك إلى يوم القيامة وآية أخرى ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ وهي قدرته تعالى على إغراق ركاب السفن الكافرين وإن فعلنا لم يجدوا صارخا[1] ولا مغيثا يغيثهم وينجيهم من الغرق ﴿إلا رحمة منا﴾[2] اللهم إلا رحمتنا فإنها تنالهم فتنجيهم ليتمتعوا في حياتهم بما كانوا يتمتعون به إلى حين حضور آجالهم المحدودة لهم. وقوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون﴾[3] أي وإذا قيل لهؤلاء المكذبين بآيات الله المعرضين عن دينه المشركين به اتقوا ما بين أيديكم من العذاب حيث موجبه قائم وهو كفركم وعنادكم، وما خلفكم من عذاب الآخرة إذ مقتضيه موجود وهو الشرك والتكذيب رجاء أن ترحموا فلا تعذبوا أعرضوا كأنهم لم يسمعوا. وقوله ﴿وما تأتيهم من آية من آيات﴾ كلام ربهم القرآن الكريم تحمل الحجج والبراهين على صحة ما يدعون إليه من الإيمان والتوحيد إلا كانواعنها معرضين تمام الإعراض كأن قلوبهم قُدت من حجر والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان فضل الله على البشرية في إنجاء ذريّة قوم نوح الكافرين ومنهم كان البشر وإلا لو أغرق الله الجميع المؤمنين الذريّة والكافرين الآباء لم يبق في الأرض أحد.

٢ـ حماية الله تعالى للعباد ورعايته لهم وإلّا لهلكوا أجمعين ولكن أين شكرهم؟

٣ـ بيان إصرار كفار قريش وعنادهم الأمر الذي لم يسبق له مثيل.

٤ـ الإشارة بالمثلية في قوله ﴿من مثله﴾ إلى تنوع السفن من البوارج والغواصات والطربيدات الحربية.

---

(١) الصريخ هو الصارخ وهو المستغيث المستنجد تقول العرب جاءهم الصريخ أي المنكوب المستنجد لينقذوه وهو فعيل بمعنى فاعل.

(٢) الاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن لأن الرحمة ليست من جنس المستثنى منه وهو الصريخ.

(٣) جواب إذا محذوف تقديره أعرضوا وقد ذكر في التفسير.

(٤) الجملة واقعة موقع التذيل وتحمل معنى التأكيد لما سبق من معنى وهو أنهم إذا دعوا إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء أعرضوا ولم يستجيبوا.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

وإذا قيل لهم انفقوا : أي وإذا قال فقراء المؤمنين في مكة للأغنياء الكافرين انفقوا علينا.

مما رزقكم الله : أي من المال.

أنطعم من لو يشاء الله أطعمه : أي قالوا للمؤمنين استهزاء بهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه.

إن أنتم إلا في ضلال مبين : أي ما أنتم أيها الفقراء إلا في ضلال مبين في اعتقادكم الذي أنتم عليه.

متى هذا الوعد : أي البعث الآخر إن كنتم صادقين فيه.

ما ينظرون إلا صيحة واحدة : أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي نفخة إسرافيل.

تأخذهم وهم يخصمون : أي تأخذهم الصيحة وهم يتخاصمون في البيع والشراء والأكل

والشرب إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

فلا يستطيعون توصية : أي فلا يقدر أحدهم أن يوصي وصيّة.

ولا إلى أهلهم يرجعون بل يهلكون في أماكنهم من الأسواق والمزارع والمصانع أو المقاهي والملاهي.

فإذا هم من الأجداث : أي القبور إلى ربهم ينسلون أي يخرجون بسرعة.

قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا : أي قال الكفار: من بعثنا من قبورنا؟

هذا ما وعد الرحمن : أي هذا ما وعد به الرحمن وصدق المرسلون أي فيما أخبروا به.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم﴾[1] أي وإذا قيل لأولئك المشركين المكذبين الملاحدة والقائل هم المؤمنون فقد روي أن أبا بكر الصديق كان يطعم مساكين المسلمين فلقيه أبو جهل فقال يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال: نعم. قال: فما باله لا يطعمهم؟ قال ابتلى قوماً بالفقر وقوماً بالغنى وأمر الفقراء بالصبر، وأمر الأغنياء بالإعطاء، فقال أبو جهل، والله يا أبا بكر إن أنت إلا في ضلال مبين. أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء، وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت فنزلت هذه الآية وبهذه الرواية اتضح معنى الآية الكريمة ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي للكفار ﴿انفقوا مما رزقكم الله﴾ على المساكين ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ الآمرين لهم بالإنفاق ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ قالوا هذا استهزاء وكفرا ﴿إن أنتم﴾ أي ما أنتم أيها المسلمون ﴿إلا في ضلال مبين﴾ أي إلا في ذهاب عن الحق وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبّر فيه. وقوله ﴿ويقولون متى[2] هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أي ويقول أولئك الملاحدة المكذبون بالبعث استهزاء واستعجالا: متى هذا الوعد الذي تعدوننا به أيها المسلمون إن كنتم صادقين في دعواكم.

---

(١) اختلف في من هذه قولته؟ وما في التفسير وانها قولة أبي جهل لأبي بكر أرجحها وأقربها إلى واقع الحال والصق بالسياق ولا مانع أن يقولها الزنادقة والملاحدة والمستهزئين في كل زمان ومكان.

(٢) الاستفهام للاستبعاد وهو مشوب بالسخرية والاستخفاف لأنه ناجم عن قلوب مظلمة من جراء الكفر والإلحاد قال الشاعر:

متى يأتِ هذا الموت لا يُلْفِ حاجةً لنفس إلا قد قضيت قضاءها

والشاهد في الاستخفاف.

قال تعـالى ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ وهي نفخة اسرافيل في الصور وهي نفخة الفناء ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾[١] أي يختصمون في أسواقهم يبيعون ويشترون، وفي مجالسهم العامة والخاصة إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون قال تعالى ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ يوصي بها أحدهم لابنه أو أخيه، ولا إلى أهلهم أي منازلهم وأزواجهم وأولادهم يرجعون بل يصعقون في أماكنهم. وقوله تعالى ﴿ونفخ في الصور﴾ أي صور إسرافيل وهو قرن ويقال له البوق أيضا نفخة البعث من القبور أحياء فإذا هم من الأجداث جمع جدث وهو القبر ينسلون[٢] أي ماشين مسرعين إلى ربهم لفصـل القضـاء والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في هذه الدنيا من إيمان وكفر وإحسان وإساءة وعدل وظلم. قالوا ياويلنا أي نادوا ويلهم وهلاكهم لما شاهدوا من أهوال الموقف ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾[٣] وأجابهم المؤمنون بقولهم ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ إذ واعدنا الله بلقائه وأخبرتنا الرسل به وبتفاصيله وقوله تعالى ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدنيا محضرون﴾ أي ما هي إلا صيحة واحدة لإسرافيل فإذا الكل واقف بين يدي الله تعالى ليحاسب ويجزي قال تعالى ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئا﴾ أي في هذا اليوم الذي وقفت الخليقة فيه بين يدي ربها لا تظلم نفس شيئا لا بنقص حسنة من حسناتها ولا بزيادة سيئة على سيئاتها. ولا تجزون أيها العباد إلا ما كنتم تعملون من خير وشر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان علو الكافرين وطغيانهم وسخريتهم واستهزائهم، وذلك لظلمة الكفر على قلوبهم.

٢ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مبادئها ونهاياتها.

٣ـ الساعة لا تأتي إلا بغتة.

٤ـ الانقـلاب الكوني الذي يحدث لعظمه اختلفت آراء أهل العلم في تحديد النفخات فيه

---

(١) يخصمون بمعنى يختصمون في أمور دنياهم فيموتون في أماكنهم وقد ادغمت التاء في الصاد فنتج عن ذلك قراءات أشهرها قراءة نافع يخصّمون بفتح الخاء وكسر الصاد مشددة وقرأ حفص يخصّمون بكسر الخاء والصاد المشددة وقرأ قالون يخصمون بسكون الخاء مع الاختلاس.

(٢) قال ابن عباس وقتادة ينسلون يخرجون ومنه قول امرء القيس: فسـلي ثيابي من ثيابك تنسلي ومنه قيل للولد نسل لأنه يخرج من بطن امه وقيل يسرعون، والنسلان والقسلان الإسراع في السير ومنه مشية الذئب قال:

عسلان الذئب امسى قارباً   برد الليل عليه فنسل

(٣) جائز أن يكون هذا ما وعد الرحمن الخ من كلامهم لما يجدون أنفسهم واقفين أحياء قد خرجوا من قبورهم صَرْحُوا بالحقيقة التي كانوا يكذبون بها فاعترفوا قائلين: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، وجائز أن يقال لهم كما في التفسير، فإن قلنا بالقول الأول لايصح الوقف على من مرقندا، وإن قلنا بالقول المثبت في التفسير صح الوقف ويصبح هذا ما وعد الرحمن كلاماً مستأنفاً.

والظاهر أنها أربع الأولى نفخة الفناء والثانية نفخة البعث والثالثة نفخة الفزع[1] والصعق والرابعة نفخة القيام بين يدي رب العالمين.

٥- تقرير العدل الإلهي يوم الحساب والجزاء ليطمئن كل عامل على أنه يجزى بعمله لا غير.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات:

في شغل فاكهون : أي أهل الجنة في شغل عما فيه أهل النار من عذاب وشقاء. وشغلهم الشاغل لهم هو النعيم المقيم في دار السلام.

فاكهون : أي ناعمون بالتلذذ بالنعم وذلك لطيب العيش.

على الأرائك : أي الأسِرَّة ذات الحجلة.

ولهم ما يدعون : أي ما يتمنون ويطلبون.

سلام قولا من رب رحيم : أي سلام بالقول من ربّ رحيم أي يسلم عليهم ربهم سبحانه وتعالى.

معنى الآيات:

ما إن حضروا بين يدي الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء حتى أعلن عما يلي: إن أصحاب الجنة اليوم[2] في شغل فاكهون أي إنهم في شغل عما فيه أصحاب النار إنهم في شغل بالنعيم المقيم فاكهون[3] أي ناعمون بالتلذذ بألوان المطاعم والمشارب والحور العين إنهم وأزواجهم في ظلال الجنة على الأرائك[4] أي الأسرة ذات الحجلة متكئون. لهم فيها أي في دار السلام فاكهة

---

(١) هذه النفخة مختلف فيها ودليلها حديث البخاري إذ فيه يقول الرسول ﷺ «فأكون أول من يفيق فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ولا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله تعالى».

(٢) قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد: شغلهم افتضاض العذارى وقيل شغلهم زيارة بعضهم بعضاً، والشغل بضم الشين وسكون الغين ويجوز ضم الغين مع الشين.

(٣) فاكهون بالألف وفكهون بدونه كفرحين لغتان وفسر بفرحين ومعجبين وبمسرورين والكل صحيح إذ هو من جملة النعيم الذي هم فيه.

(٤) الأرائك جمع أريكة كسفينة وسفائن قال الشاعر:

كأن احمرار الورد فوق غصونه ... بوقت الضحى في روضه المتضاحك
خدود عذارى قد خجلن من الحياء ... تهادين بالريحان فوق الأرائك

من كل زوج ولون ونوع ولهم ما يدعون أي ما يتمنون ويطلبون، وأعظم من ذاك سلام الربّ تعالى عليهم[1] سلام قولا من ربّ رحيم أي سلام من الله بالقول لا بغيره من أنواع السلامة والسلام. فقد روى البغوي أن رسول الله ﷺ قال بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ يسطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذ الربّ عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قوله تعالى سلام قولا من ربّ رحيم فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير المعاد.

٢ـ بيان نعيم الجنة.

٣ـ سلام الله تعالى على أهل الجنة ونظرهم إلى وجهه الكريم.

وَامْتَازُوا الْيَوْمَ
أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا
الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ

---

(١) استئناف قطع من أن يعطف على ما قبله للاهتمام بمضمونه وسلام مرفوع بالابتداء وهو نكره وتنكيره للتعظيم ولذا صح الابتداء به وحذف الخبر لدلالة المصدر وهو قولاً عليه، والتقدير سلام يقال لهم قولاً من الله تعالى، ومن ابتدائية، وتنوين ربٍّ للتعظيم.

عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات:

وامتازوا اليوم أيها المجرمون	: أي انفردوا عن المؤمنين وانحازوا على جهة وسيروا أيها الصالحون إلى الجنة.
ألم أعهد إليكم	: أي ألم أوصِكُم بترك عبادة الشيطان وهي طاعته.
وأن اعبدوني	: أي وبأن تعبدوني وحدي وذلك في كتبي وعلى ألسنة رسلي.
هذا صراط مستقيم	: أي بترك عبادة الشيطان والقيام بطاعة الرحمن. هو الإسلام الموصل إلى دار السلام.
ولقد أضل منكم جبلا كثيرا	: أي ولقد أضل الشيطان منكم يا بني آدم خلقا كثيرا.
أفلم تكونوا تعقلون	: أي اطعتموه فلم تكونوا تعقلون عداوته لكم.
هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون	: أي تقول لهم الملائكة هذه جهنم . . . الخ.
اليوم نختم على أفواههم[1]	: أي عندما يقولون: والله ربنا ما كنا مشركين.
ولو نشاء لطمسنا على أعينهم	: أي ولو أردنا طمس أعين هؤلاء المشركين المجرمين لفعلنا، ولكنا لم نشأ ذلك رحمة منّا.
فاستبقوا الصراط	: اي فابتدروا الطريق كعادتهم فكيف يبصرون.
ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم	: أي بدلنا خلقهم حجارة أو قردة أو خنازير في امكنتهم التي هم فيها فلا يستطيعون مضيًا ولا يرجعون.
ومن نعمره ننكسه في الخلق	: أي ومن نطل عمره ننكسه في الخلق فيكون بعد قوته ضعيفا عاجزا.
أفلا يعقلون	: أي أن القادر على ما ذكرنا لكم قادر على بعثكم بعد موتكم.
	: فتؤمنون وتوحدون فتنجون من العذاب وتسعدون.

(١) روى مسلم عن أنس بن مالك قال كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ﷺ أتدرون مما أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال ﷺ من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول بلى فيقول لا أجير عليَّ إلا شاهدا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي بعمله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكنّ كنت أناضل.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾[1] أي يأمر تعالى المجرمين وهم الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك وارتكاب المعاصي فأفسدوها يأمرهم بأن يتميّزوا عن المؤمنين فينفردوا وحدهم ويسار بأهل الجنة إلى الجنة، ثم يوبخ تعالى المجرمين أهل النار بقوله ﴿ألم أعهد إليكم﴾[2] موصياً إياكم على ألسنة رسلي وفي كتبي بأن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وبأن تعبدوني وحدي، ولا تعبدوا الشيطان معي فتشركوه في عبادتي هذا صراط مستقيم أي ترك عبادة الشيطان والقيام بعبادة الرحمن هذا هو الإسلام الصراط المستقيم الذي لا ينتهي بالسالكين إلا إلى باب دار السلام. وقوله ﴿ولقد أضل منكم جبلا﴾ أي خلقا كثيرا هذا من كلام الله الموبخ به للمجرمين. وقوله ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾[3] وهذا تقريع وتوبيخ أيضا أي اطعتموه وهو عدوكم وعصيتموني وأنا ربكم فلم تكونوا تعقلون عداوة الشيطان لكم، وواجب عبادتي عليكم لأني خلقتكم ورزقتكم وكلأتكم الليل والنهار إذاً فهذه جهنم[4] التي كنتم بها تكذبون اصلوها أي احترقوا بها بما كنتم تكفرون بالله وآياته ولقائه وتكذبون رسله. وقوله تعالى ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ هذا يحدث لما يعرضون على ربهم فيعرض عليهم أعمالهم فينكرون فعندئذ يختم الله على أفواههم فلا يستطيعون الكلام وتنطق باقي جوارحهم وتشهد أرجلهم بماكانوا يكسبون قوله تعالى ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ فأعميناهم ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي ابتدروا الطريق كعادتهم فأنى يبصرون الطريق وقد طمس على أعينهم فلا مقلة فيهاولا حاجب، ولكن الله لم يشأ ذلك لرحمته وحلمه على عباده، وقوله ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾[5] أي ولو نشاء مسخ هؤلاء المجرمين من المشركين لمسخناهم في أماكنهم من منازلهم فلا يستطيعون مضيا في الطريق ولا رجوع إلى خلف أي لا ذهاباًولا إياباً، وقوله تعالى ﴿ومن نعمّره ننكسه[6] في الخلق أفلا يعقلون﴾ فنرده رأسا على عقب

---

(١) يقال مازه فانماز وامتاز، وميزه فتميز وامتازوا أمر من امتاز ويمتاز إذ انفرد عما كان مختلطاً به، والمراد بذلك سوقهم إلى النار بعد أن دخل المؤمنون الجنة.

(٢) الاستفهام للتقرير والتوبيخ على إهمالهم وصيته تعالى إليهم بأن لا يعبدوا الشيطان.

(٣) قوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون الاستفهام للتقريع والتأنيب.

(٤) قوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون أي على ألسنة رسلي فكذبتم بها وواصلتم شرككم وكفركم. اصلوها اليوم أي احترقوا بها بما كنتم تكفرون أي بسبب كفركم الذي دسّى نفوسكم وخبثها فحرمتم بذلك دار السلام.

(٥) المكانة تأنيث المكان على تأويله بالبقعة.

(٦) قرأ الجمهور ننكسه بفتح النون الأولى وسكون الثانية مضارع نكس رأسه وقرأها عاصم نُنكّسه بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة.

فكما كان طفلا ينمو شيئا فشيئا في قواه العقلية والبدنية حتى شب واكتهل فكذلك ننكسه في خلقه فيأخذ يضعف[1] في قواه العقلية والبدنيّة يوما فيوما حتى يصبح أضعف عقلا وبدنا منه وهو طفل. وقوله أفلا تعقلون أيها المكذبون المجرمون أن القادر على هذا وغيره وعلى كل شيء يريده قادر على أن يحييكم بعد موتكم ويبعثكم من قبوركم ويحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير المعاد وبيان مواقف منه.

٢ـ تأكيد عداوة الشيطان للإنسان.

٣ـ عجز الإنسان يوم القيامة عن كتمان شيء من سيء أعماله وفاسدها.

٤ـ التحذير من عقوبة الله في الدنيا بالمسخ ونحوه.

٥ـ مظاهر قدرة الله تعالى في رد الإنسان بعد القوة إلى حالة الضعف الأولى.

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

---

(١) قال سفيان إذا بلغ المرء ثمانين سنة تغير جسمه وضعفت قوته قال الشاعر:

من عاش أخلقت الأيام جدته   وخانه ثقتاه السمع والبصر

شرح الكلمات:

وما علمناه الشعر : أي وما علمنا رسولنا محمد ﷺ الشعر فما هو بشاعر.

وما ينبغي له : أي وما يصلح له ولا يصح منه.

إن هو إلا ذكر وقرآن مبين : أي ليس كما يقول المشركون من أن القرآن شعر ما هو أي القرآن الذي يقرأ محمد ﷺ إلاَّ ذكر أي عظة وقرآن مبين لا يشك من يسمعه أنه ليس بشعر لما يظهر من الحقائق العلميّة.

لينذر من كان حياً : أي يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون.

ويحق القول على الكفارين : أي ويحق القول بالعذاب على الكافرين لأنهم ميتون لا يقبلون النذارة.

أنعاما فهم لها مالكون : الأنعام هي الإبل والبقر والغنم.

وذللناها لهم : أي سخرناها لهم وجعلناهم قاهرين لها يتصرفون فيها.

فمنهاركوبهم ومنها يأكلون : أي من بعضها يركبون وهي الإبل ومنها يأكلون أي ومن جميعها يأكلون.

ولهم فيها منافع ومشارب : المنافع كالصوف والوبر والشعر، والمشارب الألبان

أفلا يشكرون : أي يوبخهم على عدم شكرهم الله تعالى على هذه النعم بالإيمان والطاعة.

واتخذوا من دون الله آلهة : أي أصناماً يعبدونها زعما منهم أنهاتنصرهم بشفاعتها لهم عند الله.

لا يستطيعون نصرهم : أي لاتقدر تلك الأصنام على نصرهم بدفع العذاب عنهم.

وهم لهم جند محضرون : أي لا يقدرون على نصرتهم والحال أنهم أي المشركين جند محضرون. لتلك الآلهة ينصرونها من أن يمسها أحد بسوء فبدل أن تنصرهم هم ينصرونها كجند معبئون لنصرتها.

فلا يحزنك قولهم أي إنك لست مرسلاً وإنك شاعر وكاهن ومفتر.

إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون : أي انهم ما يقولون ذلك إلا حسداً وهم يعلمون أنك رسول الله وما جئت به هو الحق وسوف نجزيهم بتكذيبهم لك وكفرهم بنا وبلقائنا وديننا الحق.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وما علمناه الشعر﴾ ردّ[1] على المشركين الذين قالوا في القرآن شعر وفي الرسول شاعر فقال تعالى﴿وما علمناه﴾ أي نبيّنا محمد ﷺ ﴿الشعر[2]، وما ينبغي له﴾أي لايصح منه ولايصلح له. ﴿إن هو إلا ذكر﴾ أي ما هو الذي يتلوه إلا ذكر يذكر به الله وعظة يتعظ به المؤمنون ﴿وقرآن مبين﴾ مبين للحق مظهر لمعالم الهدى أنزلناه على عبدنا ورسولنا لينذر به من كان حياً أي القلب والضمير لإيمانه وتقواه لله ويحق أي به القول وهو العذاب على الكافرين لأنهم لا يهتدون به فيعيشون على الضلال ويموتون عليه فيجب لهم العذاب في الدار الآخرة. وقوله ﴿أو لم يروا﴾ أي أعمي أولئك المشركون ولم يروا مظاهر قدرتنا وإحساننا الموجبة لعبادتنا وهي﴿أنا خلقنا لهم مما عملت[3] أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه، والمراد بالأنعام الماشية من إبل وبقر وغنم وقوله ﴿وذللناها لهم﴾ أي سخرناها لهم بحيث يركبون ويحلبون ويحملون وينحرون ويذبحون ويأكلون، ولولا هذا التسخير لما قدروا عليها أبداً. وقوله ﴿ولهم فيها منافع ومشارب﴾ المنافع كالصوف والوبر والشعر ﴿والمشارب﴾ جمع مشرب وهي الألبان في ضروعها يحلبون منها ويشربون. وقوله ﴿أفلا يشكرون﴾ يوبخهم على أكل النعم وعدم الشكر عليها، وشكر الله عليها هو الإيمان به وتوحيده في عبادته. وقوله ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ أي اتخذ أولئك المشركون آلهة هي أصنامهم التي يعبدونها لعلهم ينصرون أي رجاء نصرتها لهم وذلك بشفاعتها لهم عند الله تعالى كما يزعمون. قال تعالى في إبطال هذا الرجاء وقطعه عليهم ﴿لايستطيعون نصرهم﴾ لأنهم أصنام لاتسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وقوله﴿وهم لهم جند محضرون﴾ أي والحال أن المشركين هم جند تلك الأصنام محضرون عندها يدافعون عنهاويحمونها ويغضبون لها فكيف ينصرك من هو مفتقر إلى نصرتك. وقوله تعالى ﴿فلا يحزنك قولهم[4]﴾ أي لا تحزن لما يقول قومك من أنك لست مرسلا، وأنك شاعر

---

(١) انه ﷺ مع اصالته في الأدب الرفيع وكيف وهو قرشي مضري لا يحسن إنشاد بيت من الشعر حتى إنه أنشد يوماً بيت طرفة فقال:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك من لم تزوده بالأخبار

فقال أبو بكر والله إنك لرسول الله إذ عجز البيت هكذا ويأتيك بالأنباء من لم تزود.

(٢) وما علمناه الشعر أي وما أوحينا إليه شعراً وما علمناه إياه.

(٣) مما عملت (ما) موصولة بمعنى الذي وحذف العائد وهو الضمير لطول الاسم أي عملته. وإن قلناه «ما» مصدرية فلا حاجة إلى مراعاة العائد ولا تقديره.

(٤) قرىء يحزنك بضم الياء من أحزنه يحزنه وقرىء يحزنك بفتح الياء وضم الزاي، والنهي عن الحزن نهي عن أسبابه الموجبة له، إذ الحزن لا يملك الإنسان دفعه ولكن يستطيع تجنب مثيراته والمراد من هذا النهي تسلية الرسول ﷺ عما يواجهه به المشركون من انه ساحراً أو شاعروما إلى ذلك.

وساحر وكاهن إلى غير ذلك من أقاويلهم، ﴿إنا نعلم مايسرون ومايعلنون﴾[1] وسنجزيهم عن قولهم الباطل ونأخذهم بكذبهم وافترائهم عليك كمانحن نعلم أنهم ماقالوا الذي قالوا إلا حسداً لك، وإلا فهم يعلمون أنك رسول الله وما أنت بالساحر ولا الشاعر ولا المجنون، ولكن حملهم على ما يقولون الحسد والعناد والكبر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن ذكر وليس شعر كما يقول المبطلون.

٢ـ الحكمة من نزول القرآن هي أن ينذر به الرسول الأحياء من أهل الإيمان.

٣ـ بيان خطأ الذين يقرأون القرآن على الأموات ويتركون الأحياء لايقرأونه عليهم وعظاً لهم وإرشاداً وتعليما وتذكيرا.

٤ـ وجوب ذكر النعم وشكرها بالاعتراف بها، وصرفها في مرضاة واهبها وحمده عليها.

٥ـ بيان سخف المشركين في عبادتهم أصناماً يرجون نصرها وهم جند معبأ لنصرتها من أن يمسها أحد بسوء.

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

---

(١) جملة إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون جملة تذييلية المراد منها أمران تطمين الرسول ﷺ على كفاية الله تعالى له وان كيدهم لا يضره وتهديد للمشركين بإعلامهم ان الله مطلع على ما يمكرون وسيجزيهم به.

إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

أو لم ير الإنسان : أي المنكر للبعث كالعاصي بن وائل السهمي، وأبيّ بن خلف.

أنا خلقناه من نطفة : أي من منيّ إلى أن صيرناه رجلا قويا.

فإذا هو خصيم مبين : أي شديد الخصومة بيِّنها في نفي البعث.

وضرب لنا مثلا : أي في ذلك، إذ أخذ عظما وفته أمام رسول الله وقال أيحيي ربك هذا؟

ونسى خلقه : أي وأنه مخلوق من ماء مهين وأصبح رجلا يخاصم فالقادر على الخلق الأول قادر على الثاني.

من يحيى العظام وهي رميم : أي وقد رمّت وبليت.

من الشجر الأخضر نارا : أي من شجر المرخ والعفار يحك أحدهما على الآخر فتشتعل النار.

بقادر على أن يخلق مثلهم : أي مثل الأناسي.

بلى : أي قادر على ذلك إذ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.

إذا أراد شيئا : أي خلق شيء وإيجاده.

بيده ملكوت : أي ملك كل شيء، زيدت التاء للمبالغة في كبر الملك واتساعه.

وإليه ترجعون : أي تردون بعد الموت وذلك في الآخرة.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء تلك العقيدة التي يتوقف عليها غالباً هداية الإنسان وإصلاحه فقال تعالى ردًا على العاصي بن وائل السهميّ و أبي بن خلف حيث جاء إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم ففته وذراه وقال أتزعم يا محمد أن الله يبعث هذا؟ فقال رسول الله

ﷺ نعم يَميتك ثم يحييك ثم يحشرك إلى جهنم ونزلت هذه الآيات[1] ﴿أو لم ير الإنسان﴾ أي أينكر البعث وهو يعلم أنا خلقناه من نطفة أي من ماء مهين وسويناه رجلا فإذا هو خصيم لنا أي مخاصم يرد علينا ويشرك بنا وينكر إحياءنا للأموات وبعثهم يوم القيامة فكيف يعمى هذا العمى ويجهل هذا الجهل القبيح، إذ القادر على البدء قادر عقلا على الإعادة وهي أهون عليه. وقوله ﴿وضرب لنا﴾ أي هذا المنكر للبعث مثلا أي جعل لنا مثلا وهو انكاره علينا قدرتنا على البعث حيث جعل إعادتنا للخلق أمرا عجبا وغريبا إذ قال ﴿من يحيى العظام وهي رميم[2]﴾ أي قد رمّت وبليت. ونسى خلقه من ماء حقير وكيف جعله الله بشرا سويا يجادل ويخاصم فلو ذكر أصل نشأته لخجل أن ينكر إحياء العظام وهي بالية رميم؟ ولما قال من يحيى العظام وهي رميم؟. وقـوله تعالى ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ وهذا هو القياس العقلي الجلي الواضح إذ بالبداهة أن من أوجد شيئا من العدم قادر على إيجاد مثله. وقوله ﴿وهو بكل خلق﴾ أي مخلوق عليم فالعلم والقدرة إذا اجتمعا كان من السهل إيجاد ما أُعدم بعد أن كان موجودا فأُعدم لاسيما أن الموجد من العدم هو المخبر بالإعادة وبقدرته عليها.

هذا برهان قطعي وثاني برهان في قوله ﴿الذي جعل لكم من[3] الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾ أي النار وتشعلونها، ووجه الاستدلال أن البعث لو كان مستحيلا عقلا وما هو بمستحيل بل هو واجب الوقوع لكان على الله غير مستحيل لأن الله تعالى قد أوجد من المستحيل ممكنا وهو النار من الماء، إذ الشجر الأخضر[4] ماء سار في أغصان الشجرة. ومع هذا يوجد منها النار، فكان هذا برهانا عقليا يسلم به العقلاء ولا ينازعون فيه أبدا، وبرهان ثالث وهو في قوله ﴿أو ليس الـذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم؛؟ ووجه البرهنة فيه أننا ننظر إلى السموات السبع وما فيها من خلق عجيب وإلى الأرض وما فيها كذلك وننظر إلى الإنسان فنجده

---

(١) روي أيضـاً أن العاص بن وائل أتى النبي ﷺ بعظم حـائل فقال يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعد ما رمّ؟ فقال النبي ﷺ نعم ويبعثك الله ويدخلك النار فنزلت هذه الآية.

(٢) يقال رمّ العظم يرم فهو رميم ورمام وقال رميم ولم يقل رميمة لأنها معدولة عن فاعله نحو بغياً لم يقل بغية لأنه معدول عن باغية

(٣) هذا الكلام مستأنف ابتدائيا الغرض إقامة الحجة العقلية على صحة البعث وإمكانه وهو ما أنكره المشركون واستبعدوه فذكر لهم أن الذي يخرج من الماء الرطب البارد النار وهما لا يجتمعان، قادر على إخراج الضد من الضد وهو على كل شيء قدير.

(٤) قال القرطبي يعني بالآية مع في المرخ والعفار وهي زنادة العرب التي يشعلون بها النار، ومـن ذلك قولهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار.

لا شيء إذا قوبل بالسموات والأرض فنحكم بأن من خلق السموات والأرض على عظمها قادر من باب أولى على خلق الإنسان مرة أخرى بعد موته وبلاه وفنائه. ولذا أجاب تعالى عن سؤاله بنفسه فقال ﴿بلى وهو[1] الخلاق العليم﴾ أي الخلاق لكل ما أراد خلقه العليم بكل مخلوقاته لا يخفى عليه شيء منها، وبرهان رابع في قوله ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ ووجه الاستدلال أن من كان شأنه في إيجاد ما أراد إيجاده أن يقول له كن فهو يكون. لا يستنكر عليه عقلا أن يحيي الأموات بكلمة كونوا أحياء فيكونون كما طلب منهم.

وأخيرا ختم هذا الرد المقنع بتنزيه نفسه عن العجز فقال ﴿فسبحان[2] الذي بيده ملكوت كل شيء﴾[3] أي ملك كل شيء ﴿وإليه ترجعون﴾ أحببتم أم كرهتم أيها الآدميون منكرين كنتم للبعث أم مقرين به مؤمنين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بإيراد أربعة براهين قاطعة.

٢- مشروعية استعمال العقليات في الحجج والمجادلة.

٣- تنزيه الله تعالى عن العجز والنقص وعن الشريك والولد وسائر النقائص.

٤- تقرير أن الله تعالى بيده وفي تصرفه وتحت قهره كل الملكوت فلذا لا يصح طلب شيء من غيره إذ هو المالك الحق وغيره لا ملك له.

---

(١) بلى لنقض النفي أي بل هو قادر علـى أن يخلق مثلهم كقوله أليس الله بأحكم الحاكمين؟ فالجواب بلى أي هو أحكم الحاكمين إبطال لما نفته ليس إذ هي حرف نفي.

(٢) فسبحان: نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشرك والعجز.والملكوت، والملكوتى: بمعنى نحو جبروتى ورحموتى من الجبروت والرحموت والعرب تقول جبروتى خير من رحموتى.

(٣) الملكوت مبالغة في الملك بكسر الميم من ذلك قولهم رهبوت خير من رحموت أي ليرهبك الناس خير من أن يرحموك لأن مع الرهبة العزة ومع الرحمة الضعف والعجز.

سُورَةُ الصَّافَّات

مكية

وآياتها مائة واثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

والصافات صفا : أي الملائكة تصف أنفسها في الصلاة وأجنحتها في الهواء.

فالزاجرات زجرا : أي الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه حيث يأذن الله.

فالتاليات ذكرا : أي فالجماعات التاليات[1] للقرآن ذكرا.

إن إلٰهكم لواحد : أي إن إلٰهكم المعبود الحق لكم أيها الناس لواحد.

رب السموات والأرض وما بينهما: أي هو ربُّ السموات والأرض وما بينهما أي خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما.

ورب المشارق : أي والمغارب وهي مشارق الشمس ومغاربها إذ للشمس كل يوم مشرق ومغرب.

---

(١) جائز أن تكون الجماعات التالية لكلام الله تعالى من الملائكة ومن البشر روى مسلم انه ﷺ قال فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء.

وحفظا من كل شيطان مارد : أي وحفظناها حفظا من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة.
لا يسمعون إلى الملأ الأعلى : أي لا يستمعون إلى الملائكة في السموات العلا.
ويقذفون من كان جانب دحوراً: يُرمون بالشهب من كل جوانب السماء دحورا أي إبعادا لهم.
عذاب واصب : أي دائم لا يفارقهم.
إلا من خطف الخطفة : أي اختطف الكلمة من الملائكة بسرعة وهرب.
فاتبعه شهاب ثاقب : أي كوكب مضيء ثاقب يثقبه أو يحرقه أو يخلبه أي يفسده.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والصافات صفا﴾[1] هذا قسم إلهي يؤكد به تعالى إلهيته على عباده فقد أقسم بالصافات والزاجرات والتاليات ذكرا أي قرآنا، وسواء قلنا أقسم بهذه المخلوقات إذ الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وإنما الممنوع أن يقسم العبد بغير ربّه تعالى. أو قلنا أقسم تعالى بنفسه أي وربّ الصافات الخ فالقسم حاصل من أجل تقرير التوحيد، وهذا الإقسام جار على عرف البشر في أنهم إذا أخبروا بشيء يشكون في صحته فيؤكد لهم المُخبر الخبر باليمين ليزيل الشك من نفوسهم. وقوله ﴿إنَّ إلٓهكم لواحد﴾[2] هو المقسم عليه وهو أن إله البشرية كلهاواحد وهو الله خالقها ورازقها وليس لها من إله غيره، وما عندها من آلهة فهي آلهة باطلة ويكفي في بطلانها أنها أصنام وصور وتماثيل وصلبان لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر. وقوله ﴿ربّ السموات[3] والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ تدليل على وحدانية الله تعالى إذ هو خالق السموات والأرض وما بينهماومالكهما ومدبر الأمر فيهما، وربّ المشارق أيضا والمغارب أي مشارق الشمس ومغاربها إذ كل يوم تشرق وتغرب في درجة معينة فإلاله الحق هو الخالق للعوالم والمدبر لها لا الذي ينحته الرجل بيده ويقول هو إلهي زوراوباطلا. ألا فليتحرر المشركون من أسر الشيطان ويعبدوا الرحمن. وقوله تعالى ﴿إناّ زينا السماء[4] الدنيا بزينة الكواكب[5]﴾ هذه مظاهر القدرة والعالم

---

(١) روى مسلم وغيره عنه ﷺ قال «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف.

(٢) هذا جواب القَسم وهو المقسم عليه والصافات الملائكة تصف أجنحتها في السماء أو تصف للصلاة كما يصف المؤمنون للصلاة في الدنيا، وجائز أن يراد بالصافات صفوف المؤمنين في الصلاة وفي الجهاد.

(٣) رب السموات والأرض خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو رب السموات الخ.

(٤) هذه الجملة بمثابة الدليل على ربوبية الله تعالى الموجبة للألهية له سبحانه وتعالى دون سواه.

(٥) قرأ الجمهور بزينة الكواكب بإضافة زينة إلى الكواكب وقرأ حفص بتنوين زينة وجر الكواكب على البدلية ومنهم من نصب الكواكب على الاختصاص والكواكب جمع كوكب وهي تلك الأجرام الكريّة السماوية ومنها الثوابت ومنها السيارة وهي كل ما يرى في السماء ما عدا الشمس والقمر وتسمى النجوم وهي تختلف في أحجامها.

والحكمة إنه وحده تعالى زين السماء الدنيا أي القريبة من الأرض بزينة هي الكواكب المشرقة المنيرة. وقوله ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾[1] أي وحفظنا السماء حفظا تاما من كل شيطان عادٍ متمرد عن الطاعة. وقوله ﴿لايسمعون[2] إلى الملأ الأعلى﴾ أي لا يتسمعون إلى الملائكة في السماء حتى لا ينقلوا أخبار الغيب إلى أوليائهم من الكهان في الأرض. وقوله ﴿ويقذفون من كل جانب﴾ أي ويرمى أولئك المردة من الشياطين من قبل الملائكة من كل جهة من جهات السماء دحورا أي لِدَحرهم وإبعادهم. وقوله تعالى ﴿ولهم عذاب واصب[3]﴾ لأولئك المردة من الشياطين عذاب واصب موجع دائم وقوله ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ أي اختطف الكلمة بسرعة ﴿فأتبعه شهاب[4] ثاقب﴾ أي كوكب مضيء فثقبه فقتله أو أحرقه أو خبله أي أفسده، وبهذا حُمِيت السماء بالملائكة من دخول الشياطين إليها واستراق السمع. والحمد لله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن الله تعالى يقسم ببعض مخلوقاته إما تنويها بعظمتها المقرر ضمنا لعظمة خالقها وإما بيانا لفضلها وإما لفتا لنظر العباد إلى ما فيها من الفوائد.

٢ـ تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله.

٣ـ بيان الحكمة من وجود النجوم في السماء الدنيا.

٤ـ بيان أن الشياطين حرموا من استراق السمع، ولم يبق مجال لكذب الشياطين على الناس بعد أن منعوا من استراق السمع.

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ

---

(١) قال أهل العلم النجوم لثلاثة للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر وكزينة للسماء بما فيها من أنوار وللحفظ من الشياطين أن يسترقوا السمع من الملائكة فمن طلبها لغيرها فقد أساء واعتدى.

(٢) قرأ الجمهور لا يسمعون بسكون السين وتخفيف الميم وقرأ حفص عن عاصم لا يسّمعون بتشديد السين والميم مفتوحتين الأصل لايتسمعون من التسمع فقلبت التاء سيناً وأدغمت في السين.

(٣) الواصب: الدائم يقال وصب يصب وصوبا إذا دام وهو عذاب الآخرة.

(٤) يقال له في علم الهيئة النيزك وعن ابن عباس الشهاب لا يقتل ولكن يخترق ويخبل.

وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

فاستفتهم : أي استخبر كفار مكة تقريرا وتوبيخا.

أهم أشد خلقا أم من خلقنا: أي خلقهم في ذواتهم وإعادتهم بعد موتهم، أم من خلق تعالى من الملائكة والسموات والأرض وما فيها من سائر المخلوقات.

من طين لازب : أي يلصق باليد.

بل عجبت ويسخرون : أي عجبت يا نبي الله من إنكارهم للبعث، وهم يسخرون من دعوتك إلى الإيمان به.

وإذا ذكروا لا يذكرون : أي وإذاوعظوا لا يتعظون.

وإذا رأوا آية يستسخرون : أي إذا رأوا حجة من الحجج التي تحمل الآيات القرآنية تقرر البعث والتوحيد والنبوة يسخرون أي يستهزئون.

قل نعم وأنتم داخرون : أي قل لهم يارسولنا نعم تبعثون وأنتم صاغرون أذلاء.

فإنما هي زجرة واحدة : أي صيحة تزجرهم وهي نفخة إسرافيل في الصور النفخة الثانية.

هذا يوم الدين : أي يوم الحساب والجزاء.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والبعث والجزاء وقوله تعالى فاستفتهم[1] أي استخبرهم واطلب جوابهم أي بقولك آنتم أشد خلقا أي في ذواتكم وفي إحيائكم بعد مماتكم أم من خلقه الله من الملائكة والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما؟ والجواب معلوم وهو أن خلق غيرهم

(١) مأخوذ من استفتاء المفتي والفتيا هي اخبار عن أمر يخفى عن غير الخواص في غرض ما والاستفهام هنا تقريري.

من العوالم أشد خلقا إذاً فكيف ينكرون البعث بدعوى استحالة وجوده لصعوبته قال تعالى ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ أي خلقنا أباهم آدم من طين لازب أي لاصق يلصق باليد ثم خلقناهم بطريق التناسل أفيعجزنا إعادة خلقهم مرة أخرى والجواب لا. لا وقوله تعالى ﴿بل عجبت﴾[1] أي من تكذيبهم بالبعث لوضوح الأدلة على إمكانه ووجوب وجوده ﴿ويسخرون﴾ أي وهم يسخرون من ذلك أي يستهزئون من قولك بالبعث وإمكانه. وقوله تعالى ﴿وإذا ذكروا﴾ أي بالآيات لعلهم يذكرون فيؤمنون ويوحدون لا يذكرون لقساوة قلوبهم وظلمة ذنوبهم بالشرك والمعاصي. وقوله ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾[2] أي يسخرون ويستهزئون ﴿وقالوا إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي ما هذا الذي جاء به محمد ﷺ من القول والعمل إلا سحر مبين أي بَيِّنٌ ظاهر وهم في ذلك كاذبون قطعا للفرق بين السحر الذي هو تخيل باطل وبين الحق الثابت عقلا ووحيا من دقائق الشرع وأصول الدين من الإيمان بالله واليوم الآخر وقوله ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾[3] هذا قول المكذبين من المشركين يقولونه متعجبين مستبعدين للبعث قال تعالى ردًا عليهم قل يارسولنا لهم ﴿نعم﴾ تبعثون أحياء ﴿وأنتم داخرون﴾ أي صاغرون ذليليون وأمر إعادتكم لا يتطلب أكثر من أن ينفخ اسرافيل في الصور فإذا أنتم أحياء تخرجون من قبوركم ﴿فإنما هي زجرة﴾ أي صيحة ﴿واحدة فإذا هم﴾ قيام ﴿ينظرون﴾ ويقولوا أي عند قيامهم من قبورهم ﴿ياويلنا﴾ أي ياهلاكنا احضر هذا أوان حضورك أي يدعون على أنفسهم بالهلاك لشدة ما شاهدوا من هول القيامة كقول أحدهم ياليتها كانت القاضية. وقولهم هذا يوم الدين اعتراف منهم بالبعث والجزاء ولكن في وقت ما هو بنافع لهم الاعتراف فيه أي هذا يوم الحساب والجزاء فيقال لهم ﴿هذا يوم الفصل﴾[4] الذي يفصل الله تعالى فيه بين عباده فيما كانوا فيما يختلفون فيحكم بنيهم بالعدل، وقوله تعالى ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ فيه توبيخ لهم أي هذا يوم البعث الذي كنتم تكذبون به وتقولون مستبعدين له أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو أباؤنا الأولون أي وآباؤنا الأولون أيضا.

---

(١) بل للاضراب الانتقالي من التقرير التوبيخي إلى حالهم العجب قرأ الجمهور عجبت بفتح التاء والخطاب للنبي ﷺ وقرأ ابن مسعود بضم التاء ونسبة العجب إلى الله تعالى ليست كنسبته إلى خلقه كسائر صفاته تعالى.

(٢) سخريتهم هذه من محاجة النبي ﷺ إذ أتاهم بالآيات القرآنية الحاملة للأدلة العقلية وهم لجهلهم وعجزهم يدفعونها بالاستسخار والإنكار وهذا غاية الجهل والضلال.

(٣) الاستفهام إنكاري وجملة وأنتم داخرون في محل نصب على الحال.

(٤) جائز أن يكون «هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون» من قول الله تعالى والملائكة لهم وجائز أن يكون من قول بعضهم لبعض.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين اللازب أي اللاصق باليد.

٢ـ بيان موقفين متضادين الرسول يعجب من كفر المشركين وتكذيبهم والمشركون يسخرون من دعوته إياهم إلى الإيمان وعدم التكذيب بالله ولقائه.

٣ـ تقرير البعث وبيان طريقةوقوعه.

٤ـ عدم الانتفاع بالإيمان عند معاينة العذاب.

﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾
مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ
عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ
بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

احشروا الذين ظلموا : أي أنفسهم بالشرك والمعاصي.

وأزواجهم : أي قُرناءهم من الشياطين.

من دون الله : أي من غير الله من الأوثان والأصنام.

فاهدوهم : أي دلوهم وسوقوهم.

إلى صراط الجحيم : أي إلى طريق النار.

وقفوهم إنهم مسؤولون : أي احبسوهم عند الصراط إنهم مسؤولون عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

ما لكم لا تناصرون : أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا توبيخا لهم.

إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين : أي عن يمين أحدنا تزينون له الباطل وتحسِّنون له الشر فتأمرونه بالشرك وتنهونه عن التوحيد.

قالوا بل لم تكونوا مؤمنين : أي قال قرناؤهم من الجن ردًا عليهم بل لم تكونوا أساسا مؤمنين.

وما كان لنا عليكم من سلطان : أي من حجة ولا قوة على حملكم على الشرك والشر والباطل.

بل كنتم قوما طاغين : أي بل كنتم طغاة ظلمة تعبدون غير الله تعالى وتجبرون الناس على ذلك.

معنى الآيات :

ما زال السياق في موقف عرصات القيامة إنهم بعد اعترافهم بأن هذا يوم الدين وردّ الله تعالى عليهم بقوله ﴿هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ يقول الجبار عز وجل ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أي احشروا الذين ظلموا بالشرك والمعاصي[1]، وقوله ﴿وأزواجهم﴾ أي قُرناءهم[2] من الجن ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ من الأصنام والأوثان. وقوله تعالى ﴿فاهدوهم[3] إلى صراط الجحيم﴾ يقول الله عز وجل فاهدوهم أي دلوهم إلى طريق النار. ويقول ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ ثم يسألون ﴿ما لكم لا تناصرون[4]﴾ أي لاينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا. كيف ينصر بعضهم بعضا في مثل هذا الموقف الرهيب بل هم اليوم مستسلمون أي منقادون ذليلون وقوله تعالى ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أي أقبل الأتباع على المتبوعين يتساءلون أي يتلاومون كلّ يلقي بالمسؤولية على الآخر. فقال الأتباع من الإنس لقرنائهم من الجن ما أخبر تعالى به عنهم ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين[5]﴾ أي والشمال أي توسوسون لنا فَتُحَسِّنُون لنا الشرك والشر بل تأمروننا به وتحضوننا عليه. فرد عليهم قرناؤهم بما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾ أي ما كنتم مؤمنين فكفرناكم ولا

---

(١) ظلموا بمعنى اشركوا لأن الشرك اقبح أنواع الظلم شاهده قوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والأمر في قوله (احشروا) الله عز وجل والمأمور الملائكة والمأمور بحشرهم المشركون.

(٢) وفسر أزواجهم أيضاً بأشياعهم وقرناؤهم وهم من الجن وما في التفسير أولى.

(٣) أي سوقوهم إلى النار والمأمور الملائكة كما تقدم.

(٤) ما لكم لا تناصرون أي ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

(٥) اضطرب أهل التفسير في تفسير تأتوننا عن اليمين وأقوالهم متضاربة فمنهم من قال تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها قاله قتادة، ومنهم من قال اليمين بمعنى القوة أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر وهذا ينسجم مع السياق وما في التفسير شامل لهذه الأقوال إذ معناه انكم تأتوننا من كل جهة تحاولون اغواءنا واضلالنا.

صالحين فأفسدناكم، ولا موحدين فحملناكم على الشرك. هذا أولا وثانيا ما كان لنا عليكم من سلطان أي من حجج قوية أقنعناكم بها، ولا قدرة لنا أرهقناكم بها فاتبعتمونا، بل كنتم أنتم قوما طاغين أي ظلمة متجاوزين الحد في الإسراف والظلم والشر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان صورة لموقف من مواقف عرصات القيامة.

٢ـ بيان أن الأشباه في الكفر أو في الفجور أو في الفسق تحشر مع بعضها بعضا.

٣ـ عدم جدوى براءة العابدين من المعبودين واحتجاج التابعين على المتبوعين.

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات:

فحق علينا قول ربنا : أي وجب علينا العذاب.

إنا لذائقون : أي العذاب نحن وأنتم.

فأغويناكم إنا كنا غاوين : أي أضللناكم إنا كنّا ضالين

فإنهم يومئذ : أي يوم القيامة.

في العذاب مشتركون : لأنهم كانوا في الغواية مشتركين.

إنا كذلك نفعل بالمجرمين : كما عذبنا هؤلاء التابعين والمتبوعين نعذب التابعين والمتبوعين في كل ضلال وكفر وفسّاد.

إنهم كانوا إذا قيل لهم : أي إن أولئك المشركين من عبدة الأوثان إذا قال لهم الرسول.

لا إله إلا الله يستكبرون : أي قولوا لا إله إلا الله ولا تعبدوا إلا الله يستكبرون ولا يقولون ولا يوحدون.

لشاعر مجنون : يعنون محمد ﷺ.

بل جاء بالحق وصدق المرسلين: أي بل جاء بلا إلـه إلا الله وهو الحق الذي جاءت به الرسل وقد صدّقهم فيما جاءوا به من قبله وهو التوحيد.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم فيما ذكر تعالى من تساؤلات الظالمين وما قاله الأتباع للمتبوعين وما قاله المتبوعون للاتباع فقوله تعالى ﴿فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون﴾[1] هذا قول المتبوعين لأتباعهم قالوا لهم فبسبب غوايتنا وضلالنا وجب علينا العذاب إنا وأنتم لذائقوه لا محالة. وقالوا لهم أيضا معترفين بإغوائهم لهم فأغويناكم إنا كنا غاوين هذا قول الجن للإنس قال تعالى ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ وذلك لاشتراكهم في الشرك والشر والفساد. وقوله تعالى ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ من سائر الأصناف كالزناة وأكلة الربا وسافكي الدماء فنعذب الصنف مع صنفه وهذا عائد إلى قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي أشياعهم وأضرابهم وقوله تعالى ﴿إنهم[2] كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ يخبر تعالى عن مشركي قريش أنهم كانوا في الدنيا إذاقال لهم رسول الله أو أحد المؤمنين قولوا لا إله إلا الله يستكبرون[3] ويشمئزون ولا يقولونها بل ويقـولـون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر[4] مجنون يعنون النبي محمداً ﷺ يصفون القرآن بالشعر ومحمداً ﷺ تاليه وقارئه بالشعر ولما يدعوهم إليه من الإيمان بالبعث والجزاء بالجنون والرسول في نظرهم مجنون. فرد تعالى عليهم بقوله ﴿بل[5] جاء بالحق﴾ أي لم يمكن رسولنا بشاعر ولامجنون بل جاء بالحق فأنكرتموه وكذبتم به تقليدا وعنادا فقلتم ما قلتم. وإنما هو قد جاء بالحق الذي هو لا إله إلا الله ﴿وصدق المرسلين﴾ الذين جاءوا قبله بكلمة لا إله إلا الله والدعوة إليها والحياة والموت عليها.

---

(١) أي وجب علينا قول ربنا فكلنا ذائقوا العذاب شاهده قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقول الرسول ﷺ إن الله عز وجل كتب للنار أهلا وللجنة أهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم.

(٢) إنهم كانوا: هذه الجملة تعليلية للحكم السابق وهو بيان العلة منه وفي الكلام حذف تقديره أنهم كانوا إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله فحذف القول للعلم به.

(٣) شاهده حديث ابن أبي حاتم قوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه إلى الله» وهو في الصحيح بأوسع منه.

(٤) أي لقول شاعر فحذف القول لظهوره.

(٥) بل للاضراب الانتقالي أي اضرب عن قولهم: شاعر مجنون الباطل وقد سبق الحق المبين وهو شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان هلاك الضال ومن أضله والغاوي ومن أغواه .

٢ـ بيان ما كان يوجهه المشركون لرسول الله من التُّهم الباطلة وردّ الله تعالى عليها .

٣ـ التعظيم من شأن لا إله إلا الله وانها دعوة كل الرسل التي سبقت النبي محمداً ﷺ .

٤ـ تقرير التوحيد والبعث والجزاء والنبوة المحمدية .

إِنَّكُمْ
لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

وما تجزون إلا ما كنتم تعملون : أي إلاّ جزاء ما كنتم تعملونه من الشرك والمعاصي .

إلا عباد الله المخلصين : أي لكن عباد الله المخلصين أي العبادة لله وحده فإنهم يجزون بأكثر أعمالهم إذ الحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

لهم رزق معلوم : أي في الجنة بكرة وعشيا .

فواكه : أي طعامهم وشرابهم فيها للتلذذ به كما يتلذذ بالفواكه فليس هو لحفظ أجسامهم حية كما في الدنيا .

وهم فيها مكرمون : أي لا تلحقهم فيها إهانة بل يقال لهم هنيئا بخلاف أهل النار يقال لهم ذوقوا عذاب النار بما كنتم تعملون .

من معين	: أي يجري على وجه الأرض كعيون الماء الجارية على الأرض.
لذةٍ للشاربين	: أي الخمرة موصوفة بأنها لذة للشاربين.
لا فيها غول	: أي ما يغتال عقولهم وأجسامهم فيهلكهم.
ولا هم عنها ينزفون	: أي لا يسكرون عنها أي بسببها كما هي خمر الدنيا.
قاصرات الطرف	: أي لا ينظرن إلى غير أزواجهن لحسنهم وجمالهم عندهن.
عين	: أي واسعات الأعين الواحدة عيناء.
بيض مكنون	. أي كأنهن بيض مكنون أي مستور لا يصله غُبار ولا غيره.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إنكم لذائقوا[1] العذاب الأليم، وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ هذا يقال لأهل النار وهم موقوفون يتساءلون ومن جملة ما يقال لهم عندئذ هذا القول فيخبرون بأنهم ذائقوا العذاب الأليم الموجع، وأنهم ما يجزون إلا بما كانوا يعملون فلا يظلمون بالجزاء بل هو جزاء عادل السيئة بمثلها. وهنا استثنى تعالى جزاء عباده المؤمنين الذي استخلصهم لعبادته فعبدوه ووحدوه فإنهم يجزون بأكثر من أعمالهم فضلا منه عليهم وإحسانا إليهم فالحسنة بعشر أمثالها ويأكثر إلى سبعمائة وأكثر، فقال ﴿إلاَّ عباد الله المخلصين﴾ وبيّن تعالى بعض جزائهم فقال ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ أي يأكلونه بكرة وعشياً[2]، وقوله فواكه[3] فيه إشارة إلى أنهم لا يأكلون ولا يشربون لحفظ أجسادهم من الموت والفناء، وإنما يأكلون ما يأكلون ويشربون ما يشربون تلذذا بذلك لا لدفع غائلة الجوع كما في الدنيا. ﴿وهم مكرمون﴾ أي في الجنة حيث لا تلحقهم إهانة أبدا، وقوله في جنات النعيم أضاف الجنة إلى النعيم مبالغة في وصفها بالنعيم حتى جعل الجنة جنّة النعيم فجعل للنعيم وهو النعيم جنـة، وأخبر أنهم متكئون فيها على سرر متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض وهم في جلسات تنعم، وأخبر عنهم أنهم في حال جلوسهم متقابلين يسقون بواسطة خدم من الملائكة خاص فقال ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ أي من خمر تجرى بها الأنهار كأنها عيون الماء، ووصف

(١) الأصل لذائقون العذاب فحذفت النون تخفيفاً وأضيف لذائقوا إلى العذاب فخفض ولو نصب لجاز كقول الشاعر:

فألفيته غير مستعتب ... ولا ذاكر الله إلا قليلا

(٢) إلا عباد الله المخلصين: الاستثناء منقطع في معنى الاستدراك وهو تعقيب الكلام بما يضاده أو يرفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه وهو الغالب في الاستدراك قرأ الجمهور المخلصين باسم المفعول وقرأها غيرهم باسم الفاعل بكسر اللام والمراد بهم أمة محمد ﷺ كما روي عن الشافعي قوله:

ومما زادني شرفا وفخرا ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك ياعبادي ... وأن أرسلت أحمد لي نبيا

(٣) عطف بيان من رزق معلوم والمعنى أن طعامهم كله من الأطعمة التي يتفكه بها لا مما يؤكل للشبع.

الخمر بأنها بيضاء وأنها لذة عظيمة للشاربين لها، وأنها لا فيها غول وهو ما يغتال أبدانهم كالصداع ووجع البطن فقال ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾(١) أي لا يسكرون بها فتذهب بعقولهم. وقوله ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ يعني أن لهم نساء هنّ أزواج لهم ومعنى قاصرات الطرف أي على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم وذلك لحسنهم وجمالهم فلا تنظر الواحدة منهن إلا إلى زوجها. وقوله ﴿عين﴾ أي واسعات الأعين ﴿كأنهن بيض مكنون﴾(٢) هذا وصف لنساء الجنة وأنهن بيض الأجسام بياضاً كبياض بيض النعام إذ هو أبيض مشرب بصفرة وهو من أحسن أنواع الجمال في النساء ومعنى ﴿مكنون﴾ مستور لا ينالهُ غبار ولا أي أذىً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان عدالة الحق تبارك وتعالى في أنه يجزي السيئة بمثلها ولا يؤاخذ أحداً بغير كسبه في الحياة الدنيا.

٢- بيان فضل الله تعالى إذ يجزي المؤمنين الحسنة بعشر أمثالها إلى أكثر من سبعمائة.

٣- تقرير البعث وبيان بعض ما يجري فيه من قول وعمل.

٤- وصف نعيم أهل الجنة طعاما وشرابا وجلوسا واستمتاعا.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾
يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى

---

(١) ينزفون بالبناء للمجهول قراءة الجمهور من نزف الشارب فهو منزوف ونزيف شبهوا عقل الشارب بالدم يقال نزف دم الجريح أي أفرغ وأصله من نزف الرجل ماء البئر إذا نزحه ولم يبعد منه شيئاً. وقرأ البعض ينزفون من أنزف الرباعي الشارب إذا ذهب عقله بالسكر أي صار ذا نزف فالهمزة للصيرورة لا للتعدية.

(٢) العرب تشبه النساء بالبيض لصفائهن وبياضهن قال امرؤ القيس الشاعر الجاهلي:

وبيضة خدر لا يُرام خباؤها ... تمتعت من لهو بها غير معجل

أطلق لفظ البيضة على المرأة.

لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

فأقبل بعضهم على بعض : أي أقبل أهل الجنة.

يتساءلون : أي عما مرّ بهم في الدنيا وما جرى لهم فيها.

إني كان لي قرين : أي كان لي صاحب ينكر البعث الآخر.

يقول لي أئنك لمن المصدقين : أي يقول تبكيتاً لي وتوبيخاً أي بالبعث والجزاء.

أءنا لمدينون : أي محاسبون ومجزيون بأعمالنا في الدنيا إنكاراً وتكذيبا.

هل أنتم مطلعون : أي معي إلى النار لننظر حاله وما هو فيه من العذاب.

فاطلع فرآه في سواء الجحيم : أي في وسط النار.

تالله إن كدت لتردين : أي قال هذا تشميتاً به، ومعنى تردين تهلكني.

لكنت من المحضرين : أي المسوقين إلى جهنم المحضرين فيها.

أفما نحن بميتين : أمخلدون فما نحن بميتين، والاستفهام للتقرير أي نعم.

إلا موتتنا الأولى : التي ماتوها في الدنيا.

لمثل هذا فليعمل العاملون : أي لمثل هذا النعيم من الخلود في الجنة والنعم فيها فليعمل العاملون وذلك بكثرة الصالحات واجتناب السيئآت.

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان نعيم أهل الجنة فقد قال بعضهم لبعض بعد أن جلسوا على السرر متقابلين يتجاذبون أطراف الحديث متذكرين ما مرّ بهم من أحداث في الحياة الدنيا فقال أحدهم إنّي كان لي في الدنيا قرين أي صاحب يقول لي استهزاء وانكارا للبعث الآخر ﴿أئنك لمن المصدقين﴾ أي بالبعث والجزاء على الأعمال في الدنيا. ويقول أيضا مستبعدا منكراً ﴿أئذامتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴾ أي محاسبون ومجزيون. ثم قال ذلك القائل لبعض

أهل مجلسه ﴿هل أنتم مطلعون﴾[١] أي معي على أهل النار لنرى صاحبي فيها ونسأله عن حاله فكأنهم أبوا عليه ذلك وأبوا أن يطلعوا أما هو فقد اطّلع فرآه في سواء الجحيم أي في وسطها[٢]، وقال له ما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال تالله﴾ أي والله ﴿إن كدت[٣] لتردين﴾ أي تهلكني لما كنت تنكر عليّ الإيمان بالبعث وتسخر مني وتشمت بي لإيماني وعملي الصالح الذي كنت ارجو ثوابه وهو حاصل الآن وقال أيضا ﴿ولولا نعمة ربّي﴾ عليّ بالعصمة والحفظ لكنت من المحضرين الآن في جهنم معك. ثم قال له ﴿أفما نحن بميتين إلاّ موتتنا الأولى﴾ والاستفهام تقريري فهو يقرره ليقول نعم[٤] مخلدون نحن في الجنة وأنتم في النار. ثم قال إن هذا أي الخلود في دار النعيم ﴿لهو الفوز العظيم﴾ إذ كان نجاة من النار وهي أعظم مرهوب مخوف، ودخولا للجنة دار السلام والنعيم المقيم. قال تعالى ﴿لمثل هذا﴾ أي هذا الفوز العظيم بالنجاة من النار والخلود في دار الأبرار ﴿فليعمل العاملون﴾ أي فليواصلوا عملهم وليخلصوا فيه لله ربّ العالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان عظمة الله تعالى في إقدار المؤمن على أن يتكلم مع من هو في وسط الجحيم ويرى صورته ويتخاطب معه ويفهم بعضهم بعضا، والعرض التلفازي اليوم قد سهل إدراك هذه الحقيقة.

٢- التحذير من قرناء السوء كالشباب الملحد وغيره.

٣- بيان كيف كان المكذبون يسخرون من المؤمنين ويعدونهم متخلفين عقلياً.

٤- لا موت في الآخرة[٥] وإنما حياة أبدية في النعيم أو في الجحيم.

٤- الحث على كثرة الأعمال الصالحة، والبعد عن الأعمال الفاسدة.

---

(١) أورد البخاري ايرادات لا حاجة إليها منها قيل القرين هو من الشياطين وقرىء من المصدقين بتشديد الصاد والدال من التصدق بالمال، وجعل أنتم مطلعون انه من قول الله تعالى أو قول ملك. وما في التفسير هو الصواب ولا داعي لإيراد ما بخلافه إذ لا فائدة منه إلا تذبذب الرأي واضطراب الفكر.

(٢) قال ابن مسعود رضي الله عنه يقال تعبت حتى انقطع سوائي أي وسطي وقال بعض العلماء، لولا أن الله عرفه اياه لما عرفه إذ تغير حبره وسبره أي اللون والهيئة.

(٣) إن كدت إن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير ثان محذوف واللام في لتردين هي الدالة على أن إن ليست نافية ولذا تُسمّى باللام الفارقة.

(٤) وجائز أن يكون هذا القول موجهاً إلى أصحاب الأرائك أهل النعيم بعد أن فرغ المؤمن من الحديث مع قرينه في سواء الجحيم قال لرفاقه في النعيم مقرراً أفما نحن بميتين . . الآية.
والسياق يساعد على جواز هذا.

(٥) قيل لأحد الحكماء: ما شر من الموت؟ قال الذي يتمنى فيه الموت وقال الشعر:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكون لاموت في الآخرة صح فيه الحديث إذ يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ويذبح بين الجنة والنار وينادي منادٍ يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت.

أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ
تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ
عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

أذلك خير نزلا : أي ذلك المذكور لأهل الجنة خير نُزلاً وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره.

أم شجرة الزقوم : المعدة لأهل النار وهي من أخبث الشجر طعما ومرارة.

إنا جعلناها فتنة للظالمين : أي امتحانا واختبارا لهم في الدنيا وعذابا لهم في الآخرة.

تخرج في أصل الجحيم : أي في قعر الجحيم وأغصانها في دركاتها.

طلعها كأنه رؤوس الشياطين : أي ما يطلع من ثمرها أولاً كالحيات القبيحة المنظر.

إن لهم عليها لشوباً من حميم : أي بعد أكلها يسقون ماء حميما فذلك الشوب أي الخلط.

إنهم الفوا آباءهم : أي وجدوا آباءهم.

فهم على اثارهم يهرعون : أي يسرعون مندفعين إلى اتباعهم بدون فكر ولا رويّة.

ولقد أرسلنا فيهم منذرين : أي رسلا منذرين لهم من العذاب.

فانظر كيف كان عاقبة المنذرين : إنها كانت عذاباً أليما لإصرارهم على الكفر.

إلا عباد الله المخلصين : فإنهم نجوا من العذاب ولم يهلكوا.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى ما أعده لأهل الإيمان به وطاعته وطاعة رسوله من النعيم المقيم في الجنة دار الأبرار قال أذلك[1] المذكور من النعيم في الجنة خير نزلا والنزل ما يُعد[2] من قرى للضيف النازل وغيره أم شجرة الزقوم، أي ثمرها وهو ثمر سمج مرّ قبيح المنظر. ثم أخبر تعالى أنه جعلها فتنة للظالمين من كفار قريش إذ قالوا لما سمعوا بها كيف تنبت الشجرة في النار والنار تحرق الشجر، فكذبوا بها فكان ذلك فتنة لهم. ثم وصفها تعالى بقوله ﴿إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم﴾ أي في قعرها وتمتد فروعها في دركات النار. وقوله طلعها أي ما يطلع من ثمرها في قبح منظره ﴿كأنه رؤوس[3] الشياطين﴾ لأنّ العرب تضرب المثل بالشيطان في القبح كما أن هناك حيات يسمونها بالشيطان قبيحة المنظر وقوله فإنهم أي الظلمة المشركين لآكلون منها أي من شجرة[4] الزقوم لشدة جوعهم فمالئون منها البطون أي بطونهم ﴿ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم﴾ وذلك أنهم لما يأكلون يعطشون فيسقون من حميم فذلك الشوب من الحميم إذ الشوب الخلط والمزج يُقال شاب اللبن بالماء أي خلطه به وقوله ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ أي مردهم إلى الجحيم بعدما يأكلون ويشربون في مجالس خاصة بالأكل والشرب يردون إلى نار الجحيم.

وقوله تعالى ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ أي وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهدى والرشاد ﴿فهم على آثارهم يهرعون[5]﴾ أي يهرولون مسرعين وراءهم يتبعونهم في الشرك والكفر والضلال وقوله تعالى ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ أي فليس هؤلاء أول من ضل ﴿ولقد أرسلنا﴾ أي في أولئك الضالين من الأقوام السالفين منذرين أي رسلا ينذرونهم فلم يؤمنوا فأهلكناهم فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إنها كانت هلاكاً ودماراً للكافرين. وقوله تعالى ﴿إلا عباد الله المخلصين[6]﴾ استثناء منه تعالى لعباده المؤمنين الصالحين وهم الذين استخلصهم لعبادته بذكره وشكره فآمنوا وأطاعوا فإنه تعالى نجاهم وأهلك أعداءهم الكافرين المكذبين وفي الآية تهديد ووعيد لكفار قريش بما لا مزيد عليه.

---

(١) أذلك خير: مبتدأ وخبر ونزلا تمييز، والمعنى أنعيم الجنة خير نـزلاً أم شجرة الزقوم خير نزلاً؟

(٢) قرى الضيف هو ما يُعدّ له من طعام وشراب وفراش ويسمى النزل بضم النون والزاي ويجوز تسكين الزاي.

(٣) مما تعارف عليه العرب أنهم يصورون كل قبيح (بصورة الشياطين) قال امرؤ القيس:

أيقتلونني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوالِ

انظر كيف صور سهامه المحددة بصورة أنياب الأغوال ولا يوجد أغوال في الواقع وإنما مجرد تصور وتقدير لا غير.

(٤) هذا الطعام والشراب مقابل ما لأهل الجنة من رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم.

(٥) الإهراع الإسراع من شخص يستحثه بشيء على الإسراع والهرولة.

(٦) الاستثناء متصل لأن المخلصين كانوا من جملة المنذرين فصدقوا المنذرين واتبعوهم وذلك باستخلاص الله تعالى لهم لعبادته والدعوة إليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان أحسن الأساليب في الدعوة وهو الترهيب والترغيب.

٢ـ تقرير البعث والجزاء بأسلوب العرض للأحداث التي تتم في القيامة.

٣ـ التنديد بالاتباع في الضلال للآباء والأجداد وأهل البلاد.

٤ـ إهلاك الله تعالى للظالمين وانجاؤه للمؤمنين عند الأخذ بالذنوب في الدنيا والآخرة.

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات:

ولقد نادانا نوح : أي قال إني مغلوب فانتصر «من سورة القمر».

فلنعم المجيبون : أي له إذ نجيناه وأهلكنا الكافرين من قومه.

من الكرب العظيم : أي عذاب الغرق بالطوفان.

وجعلنا ذريّته هم الباقين : إذ عامة الناس كانوا من ذريّته سام، وحام ويافث.

وتركنا عليه في الآخرين : أي أبقينا عليه ثناء حسنا عند سائر الأمم والشعوب.

سلام على نوح في العالمين : أي سلام منّا على نوح في العالمين أي في الناس أجمعين.

إنا كذلك نجزي المحسنين : أي كما جزينا نوحاً بالذكر الحسن والسلام في العالمين نجزي المحسنين.

ثم أغرقنا الآخرين : أي كفار قومه المشركين بعد إنجاء المؤمنين في السفينة.

معنى الآيات:

على إثر ذكره تعالى إهلاك المنذرين وإنجائه المؤمنين من عباده المخلصين ذكر قصة تاريخية لذلك وهي نوح وقومه حيث أنذر نوح قومه ولما جاء العذاب أنجى الله عباده المخلصين وأهلك المكذبين المنذرين فقال تعالى في ذكر هذه القصة الموجزة ﴿ولقد نادانا نوح﴾ أي دعانا لنصرته من قومه ﴿ فقال رب انصرني بما كذبون ﴾ ﴿وقال إني مغلوب فانتصر﴾ ﴿فلنعم المجيبون﴾ نحن له ﴿ونجيناه وأهله﴾ باستثناء امرأته وولده كنعان ﴿من الكرب العظيم﴾ وهو عذاب الغرق. وقوله ﴿وجعلنا ذريّته هم الباقين﴾ إلى يوم القيامة وهذا جزاء له على صبره في دعوته وإخلاصه وصدقه فيها إذ كل الناس اليوم من أولاده الثلاثة وهم[1] سام وهو أبو العرب والروم وفارس، وحام وهو أبو السودان ويافث وهو أبو الترك والخزر وهم التتار ضيقوا العيون ولهذا سموا الخزر من خزر العين وهو ضيقها وصغرها، ويأجوج ومأجوج، وقوله ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾[2] أي في أجيال البشرية التي أتت بعده وهو الذكر الحسن والثناء العطر المعبر عنه بقوله تعالى ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ وقوله تعالى ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ أي كما جزينا نوحا لإيمانه وصبره وتقواه وصدقه ونصحه وإخلاصه نجزي المحسنين في إيمانهم وتقواهم وهذه بشرى للمؤمنين وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ ثناء عليه وبيان لعلة الإكرام والإنعام عليه. ودعوة إلى الإيمان بالترغيب فيه، وقوله ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ أي أغرقناهم بالطوفان بكفرهم وشركهم وتكذيبهم بعد أن أنجينا المؤمنين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان إكرام الله لأوليائه، وإهانته لإعدائه.

٢ـ إجابة دعاء الصالحين لاسيما عندما يظلمون.

٣ـ فضل الإحسان وحسن عاقبة أهله.

٤ـ فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله في الدنيا والآخرة.

٥ـ قول سلام على نوح في العالمين إذا قاله المؤمن حين يمسي[3] أو يصبح يحفظه الله تعالى من

---

(١) عن سعيد بن المسيب قال ولد نوح عليه السلام ثلاثة: سام ويافث وحام وولد كل واحد من هؤلاء الثلاث ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم: وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وولد حام القبط والسودان والبربر.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما يُذكر بخير، قال مجاهد لسان صدق في الأنباء.

(٣) وقال سعيد بن المسيب وبلغني انه من قال حين يمسي «سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب» ذكره أبو عمرو ابن عبدالبر في التمهيد ونقله عنه القرطبي.

لسعة العقرب. وأصح منه قول:أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لصحة الحديث في ذلك.[1]

﴿ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

شرح الكلمات :

وإن من شيعته لإبراهيم : وإن من أشياع نوح على ملته ومنهاجه إبراهيم الخليل عليهما السلام.

إذ جاء ربه بقلب سليم : أي أتى ربّه بقلب سليم من الشرك والشك والالتفات إلى غير الرب سبحانه وتعالى.

إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون؟ : أي حين قال لأبيه وقومه المشركين أي شيء تعبدون؟

أئفكا آلهة دون الله تريدون؟ : أي كذبا هو أسوأ الكذب تريدون آلهة غير الله؟

فما ظنكم برب العالمين : أي شيء هو؟ أترون أنه لايسخط عليكم ولا يعاقبكم فتعبدون

---

(١) روى مالك في الموطأ عن خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ قال: من نزل منزلاً فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لن يضره شيء حتى يرتحل.

	غيره وهو ربكم ورب العالمين .
فنظر نظرة في النجوم	: أي إيهاماً لهم إذ كانوا يؤلهون النجوم .
فقال إني سقيم	: أي عليل أي ذو سقم وهو المرض والعلة .
فتولوا عنه مدبرين	: أي رجعوا إلى ماهم فيه وتركوه قابلين عذره .
فراغ إلى آلهتهم	: أي مال إليها خفية .
فراغ عليهم ضربا باليمين	: أي بقوة يمينه فكسرها بفأس وحطمها .
فأقبلوا إليه يزفُّون	: أي يمشون بقوة وسرعة .
ما تنحتون	: من الحجارة والأخشاب والمعادن كالذهب والفضة .
وما تعملون	: أي وخلق ما تعبدون من أصنام وكواكب .
فقالوا ابنوا له بنيانا	: واملأوه حطبا وأضرموا فيه النار فإذا التهب ألقوه فيه .
فجعلناهم الأسفلين	: أي المقهورين الخائبين في كيدهم إذ نجّى الله ابراهيم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى قصة نوح مقرراً بها نصرة أوليائه وخذلان أعدائه ذكر قصة أخرى هي قصة ابراهيم وهي أكبر موعظة لكفار قريش لأنهم ينتمون إلى إبراهيم ويدّعون أنهم على ملته وملة ولده اسماعيل فلذا أطال الحديث فيها فقال سبحانه وتعالى ﴿وإن من شيعته[١] لإبراهيم﴾ أي وإن من أشياع نوح الذين هم على ملته ومنهجه ابراهيم خليل الرحمن ﴿إذ جاء ربّه بقلب سليم﴾ أي إذ أتى[٢] ربّه بقلب سليم من الشرك والشك والالتفات إلى غير الربّ تعالى في الوقت الذي قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون، منكراً عليهم عبادة الأصنام فلو كان في قلبه أدنى التفاتة إلى غيره طمعا أو خوفا ما أمكنه أن يقول الذي قال بل كان في تلك الساعة سليم القلب ليس فيه نظر لغير الله تعالى وقوله ﴿أئفكا[٣] آلهة دون الله تريدون﴾ أي أكذباً هو أسوأ الكذب تريدون آلهة غير الله حيث جعلتموها بكذبكم بألسنتكم آلهة وهي أحجار وأصنام. وقوله ﴿فما ظنكم بربّ العالمين﴾ وقد عبدتم الكذب دونه إذ آلهتكم ما هي إلا كذب بحت. أترون أن الله لا يسخط عليكم ولا

---

(١) وقيل هاء الضمير عائدة إلى محمد ﷺ ليكون المعنى وإن من شيعة محمد إبراهيم وهو حقاً من شيعته ولكن السياق يأباه بل المراد نوح عليه السلام.

(٢) قيل في مجيئه ربه بقلب سليم إما أن يكون عند دعائه إلى توحيده، أو عند إلقائه في النار.

(٣) الاستفهام إنكاري إذ هو أنكر على قومه عبادة وتأليه غير الله تعالى، وقوله فما ظنكم برب العالمين استفهام متفرغ عما قبله وهما للإنكار الأول والثاني. فالأول انكر عليهم اتخاذهم آلهة دونه تعالى والثاني انكر عليهم سوء ظنهم بالله حتى عبدوا آلهة غيره.

يعاقبكم؟ وقوله ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾ هنا كلام محذوف دل عليه المقام وهو أن أهل البلد قد عزموا على الخروج إلى عيد لهم يقضونه خارج البلد، فعرضوا عليه الخروج معهم فاعتذر بقوله إني سقيم أي ذو سقم بعد أن نظر في النجوم موهماً لهم أنه رأى ما دله على أنه سيصاب بسقم وهو مرض الطاعون وكان القوم منجمين ينظرون إلى النجوم فيدعون أنهم يعرفون بذلك الخير والشرك الذي ينزل إلى الأرض بواسطة الكواكب فأوهمهم بذلك فتركوه خوفا من عدوى الطاعون، أو تركوه قبولا لعذره[1] هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾ ﴿فتولوا عنه﴾ أي لذلك ورجعوا إلى أمورهم وما هم عازمون عليه من الخروج إلى العيد خارج البلد وهـو معنى فتولوا عنه مدبرين وهنا وقد خلا له المكان الذي فيه الآلهة من الحراس والعباد والزوار للآلهة في بهوها الخاص فنفذ ما حلف على تنفيذه في مناظرة كانت بينه وبين بعضهم إذ قال ﴿تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ وبدأ المهمة فقال للآلهة وأنواع الأطعمة أمامها تلك الأطعمة من الحلويات وغيرها التي يتركها المشركون لتباركها الآلهة ثم يأكلونها رجاء بركتها ﴿ألا تأكلون﴾ عارضا عليها الأكل سخريّة بها فلم تجبه ولم تأكل فقال لها ﴿مالكم لا تنطقون﴾ ثم انهال عليها ضرباً بفأس بيده اليمني فكسرها وجعلها جذاذاً أي قطعاً متناثرة. فلما رجعوا من عيدهم مساء وجاءوا بَهْو الآلهة ليأخذوا الأطعمة وجدوا الآلهة مكسرة. ﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ أي مسرعين بأن طلبوا من رجالهم إحضاره على الفور فأحضروه وأخذوا يحاكمونه فقال في دفاعه ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ أي بأيديكم من أصنام بعضها من حجر وبعض من خشب ومن فضة ومن ذهب أيضا، ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ من كل عمل من أعمالكم فلم لا تعبدونه، وتعبدون أصناما لا تنفع ولا تضر، ولما غلبهم في الحجة وانهزموا أمامه أصدروا أمرهم بإحراقه بالنار فقالوا ﴿ابنوا له بنيانا﴾ أي فرنا عظيما واملأوه حطبا وأضرموا فيه النار حتى إذا التهب فألقوه في جحيمه وهو معنى قوله تعالى ﴿فقالوا ابنوه له بنيانا فألقوه في الجحيم﴾ وقوله تعالى ﴿فأرادوا﴾ أي بإبراهيم ﴿كيداً﴾ أي شرا وذلك بعزمهم على إحراقه وتنفيذهم ما عزموا عليه ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ أي المتهورين المغلوبين إذ قال تعالى للنار ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت فخرج منهـا إبـراهيم ولم يُحـرق سوى كتافيه الذي في يديه ورجليه وخيب الله سعي المشركين وأذلهم أمام إبراهيم وأخزاهم

(١) شاهد هذا حديث الصحيح: لم يكذب ابراهيم إلا ثلاثاً اثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله: إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا. وبينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فسأله عن سارة فقال هي أختي الحديث.

وهو معنى قوله تعالى ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾(1) وقد جمع الله تعالى لهم بين الخسران في كل ما أملوه من عملهم والذل الذي ما فارقهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ أصل الدين واحد فالإسلام هو دين الله الذي تعبد به آدم فمن بعده إلى محمد ﷺ.

٢ـ كمال ابراهيم في سلامة قلبه من الالتفات إلى غير الله تعالى حتى إن جبريل قد عرض له وهو في طريقه إلى الجحيم الذي أعده له قومه فقال [هل لك حاجة يا إبراهيم فقال أما إليك فلا].

٣ـ من أقبح الكذب ادعاء أن غير الله يعبد مع الله تبركا به أو طلبا لشفاعته.

٤ـ وجوب تغيير المنكر عند القدرة عليه.

٥ـ بيان ابتلاء ابراهيم وأنه أُلقي في النار فصبر، ولذا أكرمه ربّه بما سيأتي في السياق بيانه.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ
يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ

---

(١) هذه الجملة من سورة الأنبياء ذكرت هنا شاهداً مبيناً لغاية كيدهم وهو خسرانهم فيما دبروا وفعلوا.

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ .

شرح الكلمات:

إني ذاهب إلى ربي سيهدين : أي إني مهاجر إلى ربي سيهدين إلى مكان أعبده فيه فلا أمنع فيه من عبادته.

ربّ هب لي من الصالحين : أي ولداً من الصالحين.

بغلام حليم : أي ذي حلم وصبر كثير يولد له .

فلما بلغ معه السعي : أي بلغ من العمر ما أصبح يقدر فيه على العمل كسبع سنين فأكثر.

فانظر ماذا ترى : أي من الرأي الرشد.

من الصابرين : أي على الذبح الذي أُمرت به.

فلما أسلما : أي خضعا لأمر الله الولد والوالد وانقادا له.

وتله للجبين : أي صرعه على جبينه بأن وضع جبينه على الأرض ولكل انسان جبينان أيمن وأيسر والجبهة بينهما.

قد صدقت الرؤيا : أي بما عزمت عليه وفعلته من الخروج بالولد إلى منى وصرعه على الأرض وإمرار السكين على حلقه.

إن هذا لهو البلاء المبين : أي الأمر بالذبح اختبار عظيم.

وفديناه بذبح عظيم : أي كبش كبير.

وتركنا عليه في الآخرين أي أبقينا عليه ثناءً وذكراً حسنا فيمن جاء بعده من الناس.

وباركنا عليه وعلى اسحق : أي وباركنا عليه بتكثير ذريته وذرية اسحق حتى إن عامة الأنبياء من ذريتهما.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في قصة ابراهيم الخليل إنه بعد أن أُلقي به في النار وخرج بحمد الله سالماً

قرر الهجرة وترك البلاد، وقال ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ أي إني ذاهب إلى حيث أذن لي ربي بالهجرة إليه حيث أتمكن من عبادته فذهب إلى بلاد الشام ونزل أولا بحران من الشام، وقوله سيهدين أي يثبتني بدوام هدايته لي. ودعا ربّه قائلا ﴿ربِّ هب لي من الصالحين﴾ أي ارزقني أولاداً صالحين. فاستجاب الله تعالى له وذلك انه سافر في أرض القدس مع زوجته سارة وانتهى إلى مصر، وحدث أن وهب طاغية مصر جارية لسارة تسمى هاجر فوهبتها سارة لزوجها ابراهيم فتسراها فولدت له غلاما هو اسماعيل وهو استجابة الله تعالى لابراهيم في دعائه عند هجرته ﴿ربِّ هب لي من الصالحين﴾ وهو قوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾. وقد أخذ سارة ما يأخذ النساء من الغيرة لما رأت جارية ابراهيم أنجبت له اسماعيل فأمر الله ابراهيم بأن يأخذها وطفلها إلى مكة إبعادا لها عن سارة ليقل تألمها. وهناك بمكة رأى ابراهيم رؤيته ورؤيا الأنبياء وحي وقـال لاسمـاعيل ما أخبر تعالى به في قوله، ﴿فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي﴾ كابن سبع سنين[1] فأكثر بمعنى أصبح قادرا على العمل معه ﴿قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى﴾ أي استشاره ليرى رأيه في القبول أو الرفض فأجاب اسماعيل قائلا ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ أي ما يأمرك به ربك ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ وفعلا خرج به ابراهيم من حول البيت إلى منى[2] وانتهى إلى مكان تجاوز به مكان الجمرات الثلاث وتله للجبين أي صرعه على جبينه بأن وضع جبينه على الأرض وأخذ المدية ووضعها على رقبته والتفت لأمر ما وإذا بكبش أملح والهاتف يقول اترك ذاك وخذ هذا فترك الولد وذبح الكبش وكانت آية. وهو قوله تعالى ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾، وقوله تعالى ﴿وناديناه أن يا إبارهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين﴾ أي الاختبار البيّن وبذلك تأهل للخلة وأصبح خليل الرحمن، وقوله تعالى ﴿وفديناه﴾ أي اسماعيل ﴿بذبح عظيم﴾[3] أي بكبش عظيم. وهو الذي

---

(١) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه بلغ الثالثة عشرة من عمره وفي هذا آقوال ولهذا في التفسير قلنا سبع سنين فأكثر إذ بداية السعي من السابعة والبلوغ ينتهي إلى الخامسة عشر.

(٢) قيل إن إبراهيم لما رأى الرؤيا كانت ليلة يوم التروية وهو ثامن الحجة فسمى اليوم يوم التروية إذ تروّى فيه ويوم التاسع عرف أن الرؤيا حق لذا سمّي يوم عرفة ويوم العاشر خرج بإسماعيل ليذبحه فسمي يوم النحر لذلك والله أعلم.

(٣) اختلف في أيهما الذبيح أهو اسماعيل أم إسحق والراجح انه اسماعيل لأن الذبح كان في مكة ولم يكن في الشام لأن إسماعيل عاش بمكة ولم يعش بالشام ولأن هاجر كانت في مكة وسارة كانت بالشام وبلغ الخلاف حتى قال بعضهم نفوض فكان التفويض مذهباً ثالثاً والذي أثار هذا الخلاف هم أهل الكتاب يريدون سلب هذا الفضل عن النبي محمد ﷺ وفي الأبيات الآتية إشارة إلى ذلك:

إن الذبيح هُديتَ إسماعيل ... نطق الكتابُ بذاك والتنزيل
شرف به خص الإله نبينا ... وأتى به التفسير والتأويل
إن كنت أُمّته فلا تنكر له ... شرفا به قد خصه التفضيل

ذبحه ابراهيم وترك اسماعيل[1] وقوله ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي أبقينا عليه ثناء عاطرا وذكرا حسنا فيمن جاء بعده من الأمم والشعوب. ﴿سلام على إبراهيم﴾ أي سلام من الله على ابراهيم كذلك أي كذلك الجزاء الذي جزى به الله تعالى ابراهيم على إيمانه وهجرته وصبره وطاعته يجزي المحسنين وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ وفي هذا ثناء عاطر على المؤمنين، وقوله ﴿وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين﴾ وهذا يوم جاءه الضيف من الملائكة وهم في طريقهم إلى المؤتفكات قرى قوم لوط، وذلك بعد أن بلغ من العمر عتيا وامرأته سارة كذلك إذ قالت ساعة البشرى ﴿أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً﴾ وعجبا لمن يقول إن الذبيح اسحق وليس اسماعيل، وقوله تعالى ﴿وباركنا عليه وعلى اسحق﴾ أي وباركنا عليه بتكثير ذريّته وذريّة اسحاق حتى إن عامة الأنبياء من بعدهما من ذريّتهما. وقوله تعالى ﴿ومن ذريّتهما﴾ أي ابراهيم واسحق ﴿محسن﴾ أي مؤمن صالح ﴿وظالم لنفسه﴾ بالشرك والمعاصي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فضل الهجرة في سبيل الله وأن أول هجرة كانت في الأرض هي هجرة ابراهيم من العراق إلى الشام.

٢ـ بيان أن الذبيح هو اسماعيل وليس هو اسحق كما يقول البعض وكما يدعي اليهود.

٣ـ وجوب بر الوالدين وطاعتهما في المعروف.

٤ـ فضل ابراهيم وعلو مقامه وكرامته عند ربّه.

٥ـ فضل الإحسان وجزاء المحسنين.

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ
ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا

(١) ضعّف القرطبي رواية الرجل الذي نادى رسول الله ﷺ قائلا يا ابن الذبيحيْن فضحك ﷺ فلا أرى وجهاً صحيحاً لتضعيفها إذ صح أن الذبيح الأول هو اسماعيل والثاني عبدالله الوالد إذ كل منهما أريد ذبحه والله فداه ولله الحمد والمنة.

عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات:

ولقد مننا على موسى وهرون	: أي بالنبوة والرسالة.
ونجيناهما وقومهما	: أي بني اسرائيل.
من الكرب العظيم	: أي استعباد فرعون إياهم واضطهاده لهم
ونصرناهم	: على فرعون وجنوده.
الكتاب المستبين	: أي التوراة الموضحة الأحكام والشرائع.
وهديناهما الصراط المستقيم	: أي الإسلام لله ربِّ العالمين.
وتركنا عليهما في الآخرين	: أي أبقينا عليهما في الآخرين ثناء حسنا.
سلام على موسى وهرون	: أي سلام منا على موسى وهرون.
إنا كذلك	: أي كما جزيناهما نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين.
إنهما من عبادنا المؤمنين	: أي جزيناهما بما جزيناهما به لإيمانهما.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر إفضال الله وإنعامه على من يشاء من عباده فبعد ذكر إنعامه على ابراهيم وولده إسحق ذكر من ذريتهما المحسنين موسى وهرون فقال تعالى ﴿ولقد مننا على موسى وهرون﴾ أي بالنبوة والرسالة،[1] ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ أي بني اسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ الذي هو استعباد فرعون والأقباط لهم واضطهادهم زمنا طويلا ﴿ونصرناهم﴾ أي على فرعون وملائه[2] ﴿فكانوا هم الغالبين﴾ ﴿وآتيناهما﴾[3] أي اعطيناهما ﴿الكتاب المستبين﴾ وهو التوراة الواضحة

---

(١) كانت النبوة والرسالة منة لأن موسى لم يكتسبها بعمل وهارون اعطيها بدعوة أخيه موسى فلم يكتسبها بأي جهد فهي إذاً منة محضة.

(٢) إذ خرج فرعون في جيش عرمرم قوامه مائة ألف من الفرسان فقط ثم نجى الله تعالى بني اسرائيل وأغرق فرعون وجنده أجمعين فكان نصراً عظيماً لموسى على فرعون وملائه أجمعين.

(٣) موسى أوتي الكتاب اصالة وهارون بالتبعية لأخيه موسى.

الأحكام البيّن الشرائع لا خفاء فيها ولا غموض. ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ وهو الدين الصحيح الذي هو الإسلام دين الله الذي بعث به كافة رسله ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ أي وأبقينا عليهما الذكر الحسن والثناء العطر فيمن بعدهما ﴿سلام علىٰ موسىٰ وهٰرون﴾ ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾[1] أي كما جزيناهما لإحسانهما نجزي المحسنين ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ فيه بيان لعلة ما وهبهما من الإنعام والإفضال وهو الإيمان المقتضي للإسلام والإحسان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان إكرام الله تعالى لرسوليه موسى وهرون عليهما السلام.

٢ـ بيان إنعام الله تعالى على بني اسرائيل بإنجائهم من آل فرعون ونصرته لهم عليهم.

٣ـ بيان أن الإسلام دين سائر الأنبياء وليس خاصاً بأمة الإسلام.

٤ـ بيان فضل الإحسان والإيمان.

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

(١) انا كذلك نجزي المحسنين جملة تذييلة وإن تحمل معنى التعليل والتوكيل والمحسنون من أحسنوا طاعة الله تعالى فأطاعوه بما يحب من أفعال وتروك على نحو ما شرعه لهم وجملة أنهما من عبادنا المؤمنين تعليلية للإنعام السابق.

شرح الكلمات:

وإن إلياس لمن المرسلين : إلياس هو أحد أنبياء بني اسرائيل من سبط هرون أرسله الله تعالى إلى أهل مدينة بعلبك بالشام.

أتدعون بعلا : أي صنما يسمى بعلا.

وتذرون أحسن الخالقين : أي وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين.

فإنهم لمحضرون : أي في النار.

إلا عباد الله المخلصين : أي فإنهم نجوا من النار.

وتركنا عليه في الآخرين : أي أبقينا عليه في الآخرين ذكرا حسنا.

سلام على إل ياسين : أي سلام منا على إلياس.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر إنعام الله تعالى على بعض أنبيائه ورسله فقال تعالى ﴿وإنّ إلياس لمن المرسلين﴾[1] وهو من سبط هرون عليه السلام أحد أنبياء بني اسرائيل أخبر تعالى أنه من المرسلين[2] أي اذكر إذ قال لقومه وهم أهل مدينة بعلبك وما حولها ﴿ألا تتقون﴾[3] أي الله تعالى بعبادته وترك عبادة غيره، وهذا دليل على أنه رسول. وقوله عليه السلام ﴿أتدعون بعلا﴾[4] هذا إنكار منه لهم على عبادة صنم كبير لهم يسمونه بعلا، أي كيف تعبدون صنما بدعائه والعكوف عليه والذبح والنذر له، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين، الله ربكم[5] ورب آبائكم الأولين. قال تعالى ﴿فكذبوه﴾ أي في أنه لا إله إلا الله ﴿فماتوا وهم كافرون﴾ فاحضروا في جهنم فهم من المحضرين فيها، وقوله تعالى ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي الموحدين فإنهم ليسوا في النار بل هم في الجنة. وقوله تعالى ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي وأبقينا له ذكرا حسنا في الذين جاءوا من بعده من الناس. وقوله تعالى ﴿سلام﴾ أي منّا ﴿على إل ياسين﴾ ﴿إنا كذلك﴾ أي كما جزينا إلياس لإحسانه في طاعتنا ﴿نجزي المحسنين﴾ وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ أي

---

(١) قدم تعالى ذكر نوح وابراهيم وموسى وكلهم رسل أصحاب شرائع وعقب عليهم بذكر ثلاثة آخرين ليست لهم شرائع مستقلة وهم الياس ولوط ويونس ويوسف واسم الياس في كتب بني اسرائيل «ايليا».

(٢) عد في جملة المرسلين لأن الله تعالى أمره بتبليغ ملوك بني اسرائيل ان الله غضب عليهم من أجل عبادة الأصنام. فإطلاق اسم الرسول عليه كإطلاقه على اسم رُسُل عيسى عليه السلام في سورة يس.

(٣) الا تتقون الهمزة للاستفهام الانكاري ينكر عليهم عدم تقواهم لله، ولا نافية وحذف مفعول يتقون للعلم به. أي الا تتقون الله تعالى أو عذابه ونقمه.

(٤) قـرأ نافع آل ياسين كآل محمد، وقرأ حفص إل بكسر الهمزة وسكون اللام. واختلف هل إل ياسين معناه إلياس، أو معناه ذوو ياسين كآل بني فلان، والراجح أن المراد بآل ياسين أنصاره. نحو قول النبي ﷺ آل محمد كل تقي.

(٥) قرأ نافع والأكثرون الله بالرفع على الابتداء، وقرأ حفص الله بالنصب على عطف البيان على أحسن الخالقين.

استحق تكريمنا والجزاء الحسن لأنه من عبادنا المؤمنين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد، والتنديد بالشرك.
٢ـ هلاك المشركين ونجاة الموحدين يوم القيامة.[1]
٣ـ فضل الإحسان ومجازاة أهله بحسن الجزاء.
٤ـ فضل الإيمان وأنه سبب كل خير وكمال.

وَإِنَّ لُوطًا
لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

شرح الكلمات:

وإن لوطا لمن المرسلين . أي وإن لوطا وهو ابن هاران أخي ابراهيم الخليل لمن جملة الرسل أيضا.

إذ نجيناه وأهله أجمعين : أي اذكر يا رسولنا ممن أنعمنا عليهم بالنبوة والرسالة لوطا إذ نجيناه وأهله اجمعين من عذاب مطر السوء.

إلا عجوزا في الغابرين : أي إلا امرأته الكافرة هلكت في الغابرين أي الباقين في العذاب.

ثم دمرنا الآخرين : أي أهلكنا الآخرين ممن عدا لوطاً والمؤمنين معه.

وإنكم لتمرون عليهم : أي في أسفاركم إلى فلسطين وغزة ومصر بالليل والنهار.

أفلا تعقلون : أي يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون وتتعظون فتؤمنوا وتوحدوا.

---

(١) سياق قصة الياس فيها تذكير للرسول ﷺ ولقريش أيضاً إذ على الرسول أن يبلغ وليس عليه أن يأتي قومه بالعذاب ولو طالب به المدعوون فإن الياس لم يعذب الله قومه في الدنيا وترك عذابهم إلى الآخرة.

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر إنعام الله على من اصطفى من عباده فقال تعالى ﴿وإن لوطاً﴾ وهو ابن هاران أخي إبراهيم عليهما السلام[1] ﴿لمن المرسلين﴾ أي لمن جُملة رسلنا ﴿إذ نجيناه﴾ أي اذكر إنعامنا عليه إذ نجيناه من العذاب وأهله اجمعين ﴿إلا عجوزا في الغابرين﴾ وهي امرأته إذ كانت مع الكافرين فبقيت معهم فهلكت بهلاكهم. وقوله تعالى ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أي ممن عدا لوطاً ومن آمن به من قومه. وقوله ﴿وإنكم لتمرون[2] عليهم[3] مصبحين وبالليل﴾ هذا خطاب لأهل مكة المشركين إذ كانوا يسافرون للتجارة إلى الشام وفلسطين ويمرون بالبحر الميت وهو مكان الهالكين من قوم لوط أصبح بعد الخسف بحراً ميتاً لا حياة فيه البتة. وقوله ﴿أفلا تعقلون[4]﴾ توبيخ لهم وتقريع على عدم التفكر والتدبر إذ لو فكروا لعلموا أن الله تعالى أهلكهم لتكذيبهم برسولهم وكفرهم بما جاءهم به من الهدى والدين الحق، وقد كذب هؤلاء فأي مانع يمنع من وقوع عذاب بهم كما وقع بقوم لوط من قبلهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير نبوة لوط ورسالته.

٢- بيان العبرة في إنجاء لوط والمؤمنين معه وإهلاك الكافرين المكذبين به.

٣- بيان أن لا شفاعة تنفع[5] ولو كان الشافع أقرب قريب إلا بعد أن يأذن الله للشافع وبعد رضائه عن المشفوع له.

٤- وجوب التفكر والتعقل في الأحداث الكونية للاهتداء بذلك إلى معرفة سنن الله تعالى في الكون والحياة.

---

(١) يقال مرّ به ومر عليه بمعنى إلا أن التمكن والمباشرة بالممرور به بعلى أكثر منه بالباء ومصبحين حال منصوب على الحالية بالياء والنون لأنه جمع سلامة للمذكر.

(٢) جيء بالمضارع في لتمرون للايقاظ والاعتبار لا في حقيقة الإخبار.

(٣) خرج لوط مع عمه ابراهيم عليه السلام بعد حادثة القاء ابراهيم في النار ونجاته منها فآمن له لوط وخرج معه مهاجراً فأرسله الله تعالى إلى أصحاب المؤتفكات وهي قرى سدوم وعمورة.

(٤) الاستفهام للإنكار والتقريع على جهالتهم وغفلتهم وعدم استعمال عقولهم للاهتداء.

(٥) اخذ هذا الحكم من كون لوط عليه السلام لم يشفع لزوجه في النجاة من الهلاك الذي أصاب المفسدين وذلك لكفرها وفسادها.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

شرح الكلمات :

وإن يونس لمن المرسلين : أي وإن يونس بن متى الملقب بذي النون لمن جُملة المرسلين.

إذ أبق إلى الفلك المشحون : أي إذ هرب إلى السفينة المملوءة بالركاب.

فساهم فكان من المدحضين : أي اقترع مع ركاب السفينة فكان من المغلوبين.

فالتقمه الحوت وهو مليم : أي ابتلعه الحوت وهو آتٍ بما يلام عليه.

للبث في بطنه إلى يوم يبعثون : أي لكان بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة.

فنبذناه بالعراء : أي فألقيناه من بطن الحوت بالعراء أي بوجه الأرض بالساحل.

وهو سقيم : أي عليل كالفرخ المنتوف الريش.

شجرة من يقطين : أي الدباء: القرع.

إلى مائة ألف أو يزيدون : أي أرسلناه إلى مائة ألف نسمة بل يزيدون بكذا ألف.

فآمنوا فمتعناهم إلى حين : أي فآمن قومه عند معاينة أمارات العذاب فأبقاهم الله إلى آجالهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر من أنعم الله تعالى عليهم بما شاء من وجوه الإنعام. فقال عز وجل عطفا عما سبق ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ أي وإن عبدنا يونس بن متى ذا النون لمن جُملة من مننّا عليهم بالنبوّة والرسالة. ﴿إذ أبق﴾ أي في الوقت الذي هرب من قومه لما لم يؤمنوا به وواعدهم العذاب وتأخر عنهم فاستعجل فهرب من المدينة وهي نينوي[1] من أرض الموصل بالعراق، فوصل الميناء فوجد سفينة مبحرة فركب وكانت حمولتها أكبر من طاقتها فوقفت في عرض البحر لا تتقدم ولا تتأخر فرأى رُبّان السفينة أنه لابد من تقليل الشحنة وإلاّ غرق الجميع، وشح كل راكب بنفسه فاقترعوا[2] فكان يونس من المدحضين أي المغلوبين في القرعة فرموه في البحر فالتقمه حوته، وهو مليم أي فاعل ما يلام عليه من فراره من دعوة قومه إلى الله لما ضاق صدره ولم يطق البقاء معهم. وهذا معنى قوله تعالى ﴿إذ أبق[3] إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين[4] فالتقمه الحوت وهو مليم﴾[5]. وقوله تعالى ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه﴾ أي بطن الحوت ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي يوم القيامة بأن يصير بطن الحوت قبراً له أي فلولا أن يونس كان من المسبحين أي المكثرين من الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح قبل البلاء لما كان يُلهم قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ولما كان يستجاب له ولذا قال رسول الله ﷺ «تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة»، فإن صوت يونس سمع تحت العرش فعرفه بعض الملائكة فذكروا ذلك لربهم تعالى فأخبرهم أنه عبده يونس، وأنه كان من المكثرين الصلاة والذكر والدعاء قبل البلاء فلذا استجاب الله تعالى ونجاه من الغم، وهو معنى قوله تعالى ﴿فنبذناه بالعراء﴾ أي بوجه الأرض العارية من الشجر وكل ظل وهو كالفرخ المنتوف الريش نضج لحمه من حرارة جوف الحوت وأنبت تعالى عليه شجرة من يقطين أي فرع تظلله بأوراقها

---

(١) نينوى كانت مدينة عظيمة من مدن الآشوريين وكان بها مائة ألف أسير من بني اسرائيل أسرهم الآشوريون فأرسل الله تعالى إليهم يونس من فلسطين.

(٢) اقترعوا هو معنى قوله تعالى فساهم والمساهمة مشتقة من السهام التي واحدها سهم لأنهم كانوا يقترعون بالسهام وهي أعواد النبال وتسمى الأزلام أيضاً والفاء في فساهم للتفريع.

(٣) أبق يأبق إباقاً العبد إذا فرّ من مالكه.

(٤) الاقتراع مشروع فقد فعله رسول الله ﷺ في ثلاثة مواطن منها القرعة بين نسائه إذا أراد السفر بواحدة منهن وشرع الاقتراع فيما إذا تساوت الحقوق والمصالح لأجل دفع الضغائن كالاستهام على من يلي أمر كذا من خلافة أو اذان اوالصف الأول وما إلى ذلك من قسمة دار أو أرض.

(٥) المليم اسم فاعل من الآم يليم إذا فعل ما يلومه عليه الناس فهو جعلهم لائمين له بفعله فهو ألأم على نفسه.

الحريرية الناعمة والتي لا ينزل بساحتها الذباب، وسخر له أُروية «غزالة» فكانت تأتيه صباح مساء فتفشح عليه أي تفتح رجليها وتدني ضرعها منه فيرضع حتى يشبع إلى أن تماثل للشفاء وعاد إلى قومه فوجدهم مؤمنين لتوبة أحدثوها عند ظهور امارات العذاب فتاب الله عليهم. وقوله تعالى ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾[1] أي أرسلناه إلى قومه وهم أهل نينوي وكان تعدادهم مائة ألف وزيادة كذا ألفا فآمنوا أي بالله ربّا وبالإسلام دينا وبيونس نبيا ورسولا وتابوا بترك الشرك والكفر فجزيناهم على إيمانهم وتوبتهم بأن كشفنا عنهم العذاب الذي أظلهم، ومتعناهم أي أبقينا عليهم يتمتعون بالحياة إلى نهاية آجالهم المحدودة لهم في كتاب المقادير

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير نبوة يونس ورسالته وضمن ذلك تقرير رسالة محمد ﷺ.

٢ـ مشروعية الركوب في السفن البحرية.

٣ـ مشروعية الاقتراع لفض النزاع في قسمة الأشياء ونحوها.

٤ـ فضل الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح[2] وعظيم نفعها عند الوقوع في البلاء.

٥ـ تقرير مبدأ «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة»[3].

٦ـ بركة أكل اليقطين أي الدباء القرع إذ كان النبي ﷺ يأكلها ويلتقطها من حافة القصعة.

٧ـ فضل قوم يونس إذ آمنوا كلهم ولم تؤمن أمة بكاملها إلّا هم.

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ
وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

---

(١) أو بمعنى بل على قول الكوفيين واستشهدوا بقول جرير:

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لم أحص عدتهم إلا بعدّاد

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

(٢) روى أبو داود عنه ﷺ *أنه قال دعاء ذي النون في بطن الحوت «لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين» لم يدع به رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له.*

(٣) بعض حديث صحيح رواه مسلم وغيره.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

شرح الكلمات :

فاستفتهم : أي استخبر كفار مكة توبيخا لهم وتقريعاً .

ولهم البنون : أي فيختصون بالأفضل الأشرف.

ليقولون ولد الله : أي لقولهم الملائكة بنات الله .

أصطفى البنات : أي اختار البنات على البنين.

أفلا تذكرون : أي إن الله تعالى منزه عن الصاحبة والولد .

أم لكم سلطان مبين : أي ألكم حجة واضحة على صحة ما تدعون .

فأتوا بكتابكم : أي الذي تحتجون بما فيه ، ومن أين لكم ذلك،.

وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا : إذ قالوا الملائكة بنات الله .

ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون : أي في العذاب.

سبحان الله عما يصفون : أي تنزيها لله تعالى عما يصفونه به من كون الملائكة بنات له .

إلا عباد الله المخلصين : أي فإنهم ينزهون ربهم ولا يصفونه بالنقائص كهؤلاء المشركين.

معنى الآيات :

بعد تقرير البعث والتوحيد والنبوة في السياق السابق بالأدلة والحجج والبراهين القاطعة أراد تعالى إبطال فرية من أسوأ الفرى التي عرفتها ديار الجزيرة وهي قول[1] بعضهم إن الله تعالى قد أصهر إلى الجن فأنجب الملائكة وهم بنات الله ، وهذا لا شك انه من إيحاء الشيطان لإغواء الإنسان

(١) قال القرطبي في بيان من قال هذه القولة القذرة الفاسدة الباطلة قال: ذلك جهينة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبدالدار زعموا أن الملائكة بنات الله .

وإضلاله فقال تعالى لرسوله استفتهم أي استخبرهم موبخا لهم مقرّعا قائلا لهم ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾، أي أما تخجلون عندما تنسبون لكم الأسنى والأشرف وهو البنون، وتجعلون لله الأخس والأدنى وهو البنات وقوله تعالى ﴿أم[1] خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون﴾ أي حضروا يوم خلقنا الملائكة فعرفوا بذلك أنهم إناث، والجواب لا إنهم لم يشهدوا خلقهم إذاً فلم يكذبون وقوله تعالى ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون﴾ أي ألا إن هؤلاء المشركين الضالين من كذبهم الذي عاشوا عليه واعتادوه يقولون ولد الله وذلك بقولهم الملائكة بنات الله، وإنهم وربّ العزة لكاذبون في قيلهم هذا الذي هو صورة لإفكهم الذي يعيشون عليه. وقوله تعالى ﴿أصطفى[2] البنات على البنين﴾ هذا توبيخ لهم وتقريع أصطفى أي هل الله اختار البنات على البنين فلذا جعلهم إناثا كما تزعمون. مالكم كيف[3] تحكمون هذا الحكم الباطل الفاسد. أفلا تذكرون[4] فتذكروا أن الله تعالى منزه عن الصاحبة والولد أم لكم سلطان مبين أي ألكم حجة قوية تثبت دعواكم والحجة القوية تكون بوحي من الله في كتاب أنزله يخبر فيه بما تقولون إذاً ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه ما تدعون ﴿إن كنتم صادقين﴾ في زعمكم.

ومن أين لكم الكتاب، وقد كفرتم بكتابكم الذي نزل لهدايتكم وهو القرآن الكريم. وهكذا أبطل الله هذه الفرية بأقوى الحجج. وقوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه﴾ أي بين الله تعالى ﴿وبين الجنة نسباً[5]﴾[6] بقولهم أصهر الله تعالى إلى الجن فتزوج سروات الجن إذ سألهم أبو بكر: من أمهات الملائكة فقالوا سروات الجن وقوله تعالى ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي في العذاب، فكيف يكون لهم نسب ويعذبهم الله بالنار. فالنسيب يكرم نسيبه لا يعذبه بالنار، وبذلك بطلت هذه الفرية الممقوتة، فنزه الله تعالى نفسه عن مثل هذه الترهات والأباطيل فقال ﴿سبحان الله عما يصفون﴾. ﴿إلا[7] عباد الله المخلصين﴾ أي فإنهم لا يصفون ربهم بمثل هذه النقائص التي هي من صفات العباد العجزة المفتقرين إلى الزوجة والولد أما ربّ كل شيء ومالكه وخالقه فلا يقبل

---

(١) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والتأنيب.

(٢) أصطفى. الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتقريع واصطفى بمعنى اختار البنات على البنين وقرأ الجمهور بهمزة القطع للاستفهام وقرأ بعض بهمزة الوصل دون همزة القطع إلا انها منوية.

(٣) مالكم ماسم استفهام عن ذات وهي مبتدأ ولكم خبر، والمعنى: أي شيء حصل لكم؟.

(٤) أفلا تذكرون قرأ نافع تذكرون بتشديد الدال والكاف معاً إذ الأصل تتذكرون فأدغمت إحدى التاثين في الذال. وقرأ حفص تذكرون بتخفيف الذال لحذف التاء الثانية والاستفهام إنكاري.

(٥) النسب القرابة العمودية بالآباء والأمهات والأفقية كالإخوان والأعمام والمعنى ذوي النسب لله تعالى وهو نسب البنوة لزعمهم أن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

(٦) المحضرون المجلوبون للحضور، والمراد المحضرون للعقاب والعذاب.

(٧) الاستثناء منقطع وجائز أن يكون من الحضور للعقاب فإن عباد الله لا يحضرون للعقاب ولا يعاقبون وجائز أن يكون منقطع من سبحان الله عما يصفون فإن عباد الله لا يصفون الله بالنقائص كما في التفسير وهو أولى من الأول.

العقل أن ينسب إليه الصاحبة والولد. فلذا عباد الله الذين استخلصهم لمعرفته والإيمان به وعبادته لا يصفون ربهم جل جلاله بصفات المحدثين من خلق الله. ولا يكونون من المحضرين في النار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ إبطال فرية بَني ملحان من العرب الذين زيّن لهم الشيطان فكرة الملائكة بنات الله، ووجود نسب بين الله تعالى وبين الجن.

٢ـ مشروعية دحض الباطل بأقوى الحجج وأصحّ البراهين.

٣ـ الحجة الأقوى ما كانت من وحي الله في كتاب من كتبه التي أوحى بها إلى رسله.

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا
لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

شرح الكلمات:

وما تعبدون : أي من الأصنام.

إلاّ من هو صال الجحيم : أي مقدر له عذاب النار.

إلا له مقام معلوم : أي مكان في السماء يعبد الله تعالى فيه لا يتعداه.

وإنا لنحن الصافون : أي أقدامنا في الصلاة.

وإنا لنحن المسبحون : أي المنزهون الله تعالى عما لا يليق به.

وإن كانوا ليقولون : أي كفار مكة.

لو أن عندنا ذكرا : أي كتابا من كتب الأمم السابقة.

فكفروا به : أي بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن.

فسوف يعلمون : أي عاقبة كفرهم إن لم يتوبوا فيؤمنوا ويوحدوا.

معنى الآيات:

ما زال السياق في إبطال باطل المشركين فقد قال لهم تعالى ﴿فإنكم وما تعبدون﴾[1] من أصنام أيها المشركون. ما أنتم بمضلين أحدا إلا أحدا هو صال[2] الجحيم حيث كتبنا عليه ذلك في كتاب المقادير فهو لابد عامل بما يوجب له النار فهذا قد يفتتن بكم وبعبادتكم فيضل بضلالكم.

وقوله تعالى ﴿وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن[3] الصافون[4] وإنا لنحن المسبحون﴾ هذا قول جبريل للنبي ﷺ أخبره بأن الملائكة تصف في السماء للصلاة كما يصف المؤمنون من الناس في الصلاة، وانهم من المسبحين لله الليل والنهار وقد أخبر النبي ﷺ بأنه ما من موضع شبر في السماء إلا عليه ملك ساجدأو قائم وقوله تعالى ﴿وإن[5] كانوا ليقولون﴾أي مشركو العرب﴿لو أن عندنا ذكرا من الأولين﴾أي كتابا من كتب الأولين كالتوراة والإنجيل، لكنا عباد الله المخلصين أي لكنا عباداً لله تعالى نعبده ونوحده ولا نشرك به أحداً. فرد تعالى على قولهم هذا إذ هو مجرد تمنٍ كاذب بقوله فكفروا به أي فكفروا بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن الكريم. إذاً فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم إن لم يتوبوا وهو هلاكهم وخسرانهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ من كتب الله عليه النار فسوف يصلاها.

٢ـ تقرير عبودية الملائكة وطاعتهم لله وأنهم لا يتجاوزون ما حد الله تعالى لهم.

٣ـ فضل الصفوف في الصلاة وفضل تسويتها.

٤ـ بيان كذب المشركين إذ كانوا يدعون أنهم لو أنزل عليهم كتابٌ كما أنزل على من قبلهم لكانوا عباد الله المخلصين أي الذين يعبدونه ويخلصون له العبادة.

---

(١) جائز أن تكون ما موصولة بمعنى الذي وجائز أن تكون مصدرية أي فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام ما تفتنون على الله عبداً من عباده بإضلاله وإفساده إلا عبداً قضى الله بعذابه فهو صال الجحيم، وفي الآية رد على نفاة القدر، ومن احسن ما قيل شعراً قول لبيد بن ربيعة:

إن تقوى رَبّنا خير نفل ... وبإذن الله رَيْثى والعجل
أحمد الله فلا ندّ له ... بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

(٢) الأصل صالي الجحيم وحذفت الياء لعدم النطق بها لوجود همزة الوصل.

(٣) هذا من قول الملائكة. قال مقاتل هذه الآيات الثلاث نزلت ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل فقال النبي ﷺ أهنا تفارقني؟ فقال مااستطيع أن أتقدم عن مكاني وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم.

(٤) روى مسلم أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم في المسجد فقال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقالوا يارسول الله كيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال يتمون الصف الأول ويتراصون في الصف.

(٥) وإن كانوا ليقولون: إن مخففة من الثقيلة واللام للابتداء وهي الفارقة بين المخففة والنافية.

٥- تهديد الله تعالى للمشركين على كذبهم بقوله فسوف يعلمون.

وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ
صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

شرح الكلمات:

سبقت كلمتنا : هي قوله تعالى لأغلبن أنا ورسلي.

وإن جندنا لهم الغالبون: أي للكافرين بالحجة والنصرة.

فتولَّ عنهم حتى حين : أي أعرض عنهم حتى تؤمر فيهم بالقتال.

وأبصرهم : أي أنظرهم.

فإذا نزل بساحتهم : أي العذاب.

وتولَّ عنهم : أي أعرض عنهم.

سبحان ربك : أي تنزيها لربِّك يا محمد.

عما يصفون : أي تنزيها له عما يصفه به هؤلاء المشركون من الصاحبة والولد والشريك.

وسلام على المرسلين : أي أَمَنَةٌ من الله لهم في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين : أي الثناء بالجميل خالص لله رب الثقلين الإنس والجن على نصر أوليائه وإهلاك أعدائه.

معنى الآيات:

لما ختم السياق الأول بتهديد الكافرين بقوله تعالى ﴿فكفروا به فسوف يعلمون﴾ أخبر تعالى

رسوله بما يطمئنه على نصر الله تعالى له فقال ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾[1] وهي قوله ﴿إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

أي بالحجة والبرهان، وبالرمح[2] والسنان. وقوله ﴿وتول عنهم حتى حين﴾ يأمر رسوله أن يعرض عن المشركين من قومه حتى حين يأمره فيهم بأمر[3]، أو ينزل بهم بلاء أو بأساً وقوله ﴿وأبصرهم﴾ أي أنظرهم فسوف يبصرون لا محالة ما ينزل بهم من عذاب الله في الدنيا وفي الآخرة. وقوله تعالى ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾، ينكر تعالى عليهم استعجالهم العذاب الدال على سفههم وخفة أحلامهم إذما يستعجل العذاب إلا أحمق جاهل وعذاب من استعجلوا إنه عذاب الله!! قال تعالى ﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ أي بفناء دارهم ﴿فساء صباح المنذرين﴾ أي بئس صباحهم من صباح إنه صباح هلاكهم ودمارهم ثم أمر تعالى مرة أخرى رسوله أن يتول عنهم وينتظر ما يحل بهم فقال ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر[4] فسوف يبصرون﴾ وفي الآية من التهديد والوعيد لهؤلاء المشركين مالا يقادر قدره. وأخيرا نزه تعالى نفسه عما يصفه به المشركون من الولد والشريك وسلّم على المرسلين، وحمد نفسه مشيرا إلى مقتضى الحمد وموجبه وهو كونه رب العالمين فقال ﴿سبحان[5] ربك﴾ يا محمد ﴿رب العزة﴾ ومالكها يعز بها من يشاء ويذل من يشاء ﴿عما يصفون[6]﴾ من الصاحبة والولد والشريك، ﴿وسلام﴾ منا ﴿على المرسلين﴾ وأنت منهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على نصره أولياءه وإهلاكه أعداءه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير النبوة المحمدية.

٢ـ وعد الله تعالى لرسوله بالنصر وقد أنجزه ما وعده والحمد لله.

٣ـ استحباب ختم الدعاء أو الكلام بقراءة جملة ﴿سبحان ربك ربّ العزة[7] عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ لورود ذلك في السنة.

---

(١) جائز أن يكون المراد قوله تعالى ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ الآية.

(٢) قال الحسن: لم يقتل من أصحاب الشرائع أحد قط.

(٣) كاذن له ﷺ بجهادهم، وجائز أن يكون حتى يجيء أجلهم أو يأتي يوم بدر أو الفتح

(٤) كرر للتأكيد، وكذا وتول عنهم مكرر للتأكيد.

(٥) سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (سبحان الله) فقال هو تنزيه الله عن كل سوء.

(٦) يصفون الله عز وجل بأن له صاحبة وله ولداً وشريكاً.

(٧) ذكر القرطبي أن النبي ﷺ كان يختم صلاته غير مرة بقول: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ صٓ
مكية
وآياتها ثمان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ
عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ
﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

صٓ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب صٓ ويقرأ صاد الله أعلم بمراده به.

والقرآن ذي الذكر : أي أقسم بالقرآن ذي الذكر إذ به يذكر الله تعالى ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون من أن النبي ساحر وشاعر وكاذب.

بل الذين كفروا في عزة وشقاق : أي أهل مكة في عزة نفس وشقاق مع النبي والمؤمنين وعداوة

فلذا قالوا في الرسول ما قالوا، وإلا فهم يعلمون براءته مما قالوا فيه.

وكم أهلكنا قبلهم من قرن: أي كثيرا من الأمم الماضية أهلكناهم.

فنادوا ولات حين مناص: أي صرخوا واستغاثوا وليس الوقت وقت مهرب ولا نجاة.

وعجبوا: أي وما اعتبر بهم أهل مكة وعجبوا أن جاءهم منذر منهم محمد ﷺ.

قالوا ساحر كذاب: أي لما يظهره من الخوارق ولما يسنده إلى الله تعالى من الإرسال والإنزال.

أجعل الآلهة إلهاً واحدا: أي لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله، فقالوا كيف يسع الخلائق إله واحد؟

إن هذا لشيء عجاب: أي جعل الآلهة إلها واحدا أمر عجيب.

وانطلق الملأ منهم أن امشوا: أي خرجوا من بيت أبي طالب حيث كانوا مجتمعين بالنبي ﷺ وسمعوا منه قوله لهم قولوا لا إله إلا الله.

إن هذا لشيء يراد: أي إن هذا المذكور من التوحيد لأمر يراد منّا تنفيذه.

في الملة الآخرة: أي ملة عيسى عليه السلام.

إن هذا إلا اختلاق: أي ما هذا إلا كذب مختلق.

أأنزل عليه الذكر من بيننا: أي كيف يكون ذلك وليس هو بأكبر منا ولا أشرف.

بل هم في شك من ذكري: أي بل هم في شك من القرآن والوحي ولذا قالوا في الرسول ما قالوا.

بل لما يذوقوا عذاب: أي بل لم يذوقوا عذابي إذ لو ذاقوه لما كذبوا بل آمنوا ولا ينفعهم إيمان.

أم عندهم خزائن رحمة ربك: أي من النبوة وغيرها فيعطوا منها من شاءوا ويحرموا من شاءوا.

أم لهم ملك السموات والأرض: أي ليس لهم ذلك.

فليرتقوا في الأسباب: أي الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاءوا أو يمنعوا الوحي النازل على نبينا محمد ﷺ وأنىّ لهم ذلك.

جند ما هنالك مهزوم: أي هم جند حقير في تكذيبهم لك مهزوم أمامك وفي بدر.

من الأحزاب: أي من الأمم الماضية التي تحزبت على رسلها وأهلكها الله تعالى.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿صٓ[1] والقرآن ذي الذكر﴾ أمّا صٓ فإنه أحد حروف الهجاء ومذهب السلف فيه أن

---

(١) قرأ الجمهور صٓ بالسكون وقرأ الحسن وأبي بن كعب صاد بكسر الدال وبدون تنوين، وتوجيهها أنها من صادَى يصادي إذا عارض نحو ﴿فأنت له تصدى﴾ أي تتعرض والمصادات المعارضة، والمعنى عارض القرآن بعملك وقابله به، فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه أو اتله وتعرض لقراءته.

يقال الله أعلم بمراده به إذ هو من المتشابه الذي يجب الإيمان به ويوكل أمر معناه إلى من أنزله، وقد ذكرنا غير ما مرة أن هذه الحروف قد أفادت فائدتين فليطلبهما من شاء من القراء الكرام من السور المفتتحة بمثل هذه الحروف نحو طسّ، الّمّ. وأما قوله ﴿والقرآن﴾ هو كتاب الله هذا المنزل على محمد ﷺ ﴿وذي الذكر﴾[1] معناه التذكير إذ به يذكر الله تعالى والجملة قسم أقسم الله به فقال ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ وجواب القسم محذوف تقديره[2] ما الأمر كما يقول هؤلاء المشركون من أن النبي محمدا ﷺ ساحر وشاعر وكاذب ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾ أي بل هم في عزة نفس وكبرياء وخلاف وعداوة مع النبي ﷺ والمؤمنين فحملهمذلك على أن يقولوا في الرسول ما قالوا، وإلّا فهم يعلمون يقينا أن النبي محمدا ﷺ أبعد الناس عن السحر والشعر والكذب والجنون. وقوله تعالى ﴿كم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي كثيرا من الأمم الماضية أهلكناها بتكذيبها لرسلها فلما جاءهم العذاب نادوا[3] صارخين مستغيثين ﴿ولات[4] حين مناص﴾ أي وليست الساعة ساعة نجاة ولا هرب، فلم لا يعتبر مشركو مكة بمثل هؤلاء. لم يعتبروا ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ ينذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة وهو محمد ﷺ. ﴿وقال الكافرون﴾ أي لم يعتبروا وعجبوا وقالوا فيه ﷺ ﴿ساحر كذاب﴾. ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب[5]﴾ أي عجيب أي كيف يسع العباد إله واحد إن هذا لأمر يتعجب منه غاية العجب، لأنهم قاسوا الغائب وهو الله تعالى على الشاهد وهو الإنسان الضعيف فوقعوا في أفحش خطأ وأقبحه.

وقوله تعالى ﴿وانطلق الملأ منهم﴾ وهم يقولون لبعضهم بعضا امشوا واصبروا على آلهتكم ﴿إنّ هذا لشيء يراد﴾ أي منا إمضاؤه وتنفيذه. قالوا هذا وما بعده من القول لما اجتمعوا بالرسول ﷺ في منزل عمه أبي طالب لمفاوضة الرسول في شأن دعوته فلما قال لهم الرسول ﷺ قولوا لا إله إلا الله قاموا من المجلس وانطلقوا يمشون ويقولون ما أخبر تعالى به عنهم ﴿أنّ امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ أي على عبادتها فلا تتخلوا عنها ﴿إن هذا﴾ أي الدعوة إلى لا إله إلا الله لشيء

---

(١) في شرح هذه الكلمة عدة أوجه منها ذي الشرف أي من آمن به وعمل بما فيه كان شرفا له. في الدارين كما أنه شريف في نفسه لإعجازه، وقيل ذي الذكر أي فيه ذكر ما يحتاج إليه وقيل الموعظة وقيل فيه أسماء الله وتمجيده.

(٢) وذُكر لجواب القسم أمور منها ما في التفسير وهو أمثلها وقيل الجواب بل الذين كفروا وقيل الجواب إنه لمن عند الله تعالى أي القرآن المؤلف من حروف ص وغيره.

(٣) النداء رفع الصوت ومنه الحديث «ألقه على بلال فإنه أندى منك صوتاً» القرن الأمة.

(٤) ولات هي لا النافية زيدت فيها التاء كما زيدت في رُبت وثمت وهي مشبهة بليس وهي مختصة بنفي أسماء الزمان والمناص النجاء والغوث وهو مصدر ميمي من نَاصَهُ إذ فاته والمعنى فنادوا مبتهلين في حال ليس فيها وقت نجاة وغوث.

(٥) العجاب وصف الشيء الذي يتعجب منه كثيرا لأن وزن فعال بضم أوله يدل على تمكن الوصف مثل طوال أو كرام.

كبير يراد منا إمضاؤه وتنفيذه لصالح غيرنا. ما سمعنا بهذا أي بالتوحيد في الملة الآخرة أي الدين الأخير وهو ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام. ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ أي ما هذا الذي يدعو إليه محمد إلا كذب اختلقه لم ينزل عليه ولم يُوحَ به إليه. وواصلوا كلامهم قائلين ﴿أأنزل عليه الذكر﴾ أي القرآن ﴿من بيننا﴾ وليس هو بأكبرناسنا ولا بأشرفنا نسباً. فكيف يكون هذا؟ وقوله تعالى ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ أي لم يكن بالقوم جهل بصدق محمد في قوله وسلامة عقله، وإنما حملهم على ذلك هو شكهم في القرآن وما ينزل به من الحق ويدعو إليه من الهدى، وهذا أولاً وثانيا إنهم لما يذوقوا عذابي إذ لو ذاقوا عذاب الله على تكذيبهم ما كذبوا، وسوف يذوقونه ولكن لا ينفعهم يومئذ تصديق ولا إيمان. وقوله تعالى ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ أي بل أعندهم خزائن رحمة ربك يا رسولنا العزيز أي الغالب الوهاب أي الكثير العطاء من النبوة وغيرهاوعندئذلهمأن يعطوامن شاءواويمنعوامن شاءوا ولكن فهل لهم من خزائن رحمة ربك شيء والجواب لا إذاً فلم ينكرون هبة الله لمحمد بالنبوة والوحي والرسالة.. وقوله تعالى ﴿أم لهم ملك السموات والأرض﴾ أي بل ألهم ملك السموات والأرض وما بينهما؟ إذا كان هذا لهم ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ سببا بعد سبب حتى ينتهوا إلى السماء السابعة ويمنعوا الوحي النازل على محمد ﷺ من ربّه سبحانه وتعالى. ومن أين لهم ذلك وهم الضعفاء الحقيرون إنهم كما قال تعالى فيهم ﴿جند ما هنالك مهزوم[1] من الأحزاب﴾ أي جند حقير من جملة أحزاب الباطل والشر مهزوم هنالك ببدر ويوم الفتح بإذن الله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ لله تعالى أن يقسم بما يشاء بخلاف العبد لا يقسم إلا بربّه تعالى.

٢ـ بيان ما كان عليه المشركون من كبرياء وعداء للنبي ﷺ.

٣ـ بيان جهل المشركين في استنكارهم للا إله إلا الله محمد رسول الله.

٤ـ تحدي الرب تعالى للمشركين إظهاراً لعجزهم ودعوة لهم إلى النزول إلى الحق وقبوله.

٥ـ إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك.

٦ـ ذم كلمة الأحزاب ومدلولها إذ لا تأتي الأحزاب بخير.

---

(١) جند ما هنالك (ما) مزيدة للتأكيد أي تأكيد حقارة جند إن قيل التنكير للتحقير وإن كان للتعظيم فهي لتوكيده وهنالك إشارة إلى مكان بعيد، ومهزوم مقموع ذليل قد انقطعت حجتهم وذهبت قوتهم وفي الخطاب تسلية للنبي ﷺ بمعنى لا تحفل بهم ولا تغتم لشأنهم.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
لْـَٔيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا
مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾
اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

كذبت قبلهم : أي قبل هؤلاء المشركين من قريش.

وفرعون ذو الأوتاد : أي صاحب أوتاد أربعة يشد إليها من أراد تعذيبه.

وأصحاب الأيكة : أي الغيضة وهم قوم شعيب.

إن كل إلا كذب الرسل : أي ما كل واحد منهم إلا كذب الرسل ولم يصدقهم فيما دعوا إليه.

فحق عقاب : أي وجبت عقوبتي عليهم.

صيحة واحدة : هي نفخة اسرافيل في الصور نفخة.

مالها من فواق : أي ليس لها من فتور ولا انقطاع حتى تهلك كل شيء.

عجل لنا قطنا : أي صك أعمالنا لنرى ما اعددت لنا إذ القط الكتاب.

ذا الأيد : أي القوة والشدة في طاعة الله تعالى.

إنه أواب : أي رجاع إلى الله في كل أموره.

بالعشي والإشراق : أي بالمساء بعد العصر إلى الغروب والاشراق من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى.

والطير محشورة له : أي والطيور مجموعة.

وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب : أي وأُعطينا داود الحكمة. وهي الإصابة في الامور والسداد فيها وفصل الخطاب. الفقه[١] في القضاء ومن ذلك البيِّنة على المُدَّعي واليمين على من أنكر.

معنى الآيات:

السياق الكريم في تسلية النبي ﷺ وتهديد المشركين علهم يتوبون إلى الله ويرجعون قال تعالى ﴿كذبت[٢] قبلهم﴾ أي قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ أي[٣] صاحب الأوتاد التي كان يشد إليها من أراد تعذيبه ويعذبه عليها كأعواد المشانق، ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ أي الغيضة وهي الشجر الملتف وهم قوم شعيب، ﴿أولئك الأحزاب﴾ أي الطوائف الكافرة الهالكة ﴿إن كُلٌ إلاَّكذب الرسل﴾ أي ما كل واحدة منها إلا كذبت الرسل ﴿فحقّ عقاب﴾ أي وجب عقابي لهم فعاقبتهم، وما ينظر هؤلاء من قومك ﴿إلا صيحة واحدة مالها من فواق﴾[٤] أي من فتور ولا انقطاع حتى يهلك كل شيء ولا يبقى إلا وجه الله ذو الجلال والإكرام. وقوله تعالى ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا[٥] قبل يوم الحساب﴾ قالوا هذا لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الآيات من سورة الحاقة. قال غلاة الكافرين كأبي جهل وغيره استهزاء، ربنا عجل لنا قطنا أي كتابنا لنرى ما فيه من حسنات وسيئات قبل يوم القيامة والحساب والجزاء وهم لا يؤمنون ببعث ولا جزاء، وإنما قالوا هذا استهزاء وعنادا أو مكابرة فلذا قال تعالى لرسوله ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد[٦]﴾ أي القوة في دين الله ﴿إنه أواب[٧]﴾ أي رجاع إلى الله تعالى

---

(١) صورة من فصل الخطاب الذي هو الفقه والبصيرة في القضاء روي أن ابن أبي ليلى جلد امرأة مجنونة قذفت رجلاً فقالت له يابن الزانين جلدها وهي قائمة في المسجد فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال أخطأ ابن أبي ليلي من ستة وجوه وهي: ١ـ المجنون لا حد عليه لأنه غير مكلَّف. ٢ـ إن كان القذف حقاً لله تعالى فلا يقام على القاذف إلا حداً واحداً كما هو مذهب أبي حنيفة. ٣ـ أقام الحد بدون مطالبة المقذوف به. ٤ـ إنه والى بين الحدين والواجب أن يفرق بينهما. ٥ـ أنه حدها قائمة والمرأة تحد جالسة مستورة. ٦ـ انه أقام الحد في المسجد والإجماع أن الحدود لا تقام في المساجد.

(٢) مفعول كذبت محذوف سيدل عليه ما يأتي من قوله: ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ فالمفعول المحذوف هو الرسل والجملة بيان لسابقتها تحمل التسلية والعزاء للرسول ﷺ.

(٣)جائز أن يكون المراد بالأوتاد القوة والبطش أو الأهرام لأنها بناء راسخ في الأرض كالأوتاد جمع وتِد بكسر التاء وهو عود غليظ له رأس مفلطح يدق في الأرض ليشد به ظنب الخيمة أو حبالها قال الشاعر:

والبيت لا يبنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم تُرْسَ أوتاد

(٤) الفواق اسم للزمن الذي بين الحلبتين والرضعتين إذ الحالب محلب الناقة ثم يترك ولدها يرضعها حتى تدر اللبن ثم يبعده ويحلبها مرة ثانية. فالفواق هو مابين الحلبتين والرضعتين.

(٥) القط: هو القسط من الشيء ويطلق كما هنا على قطعة الورق أو ما يكتب عليه العطاء لأحد ويسمى بالصك.

(٦) الأيد ليست جمع يد وإنما المراد بها القوة والشدة، وهو مصدر آدَ يئيد أيداً. إذا قوى واشتد ومنه التأييد الذي هو التقوية. قال تعالى ﴿فآواكم وأيدكم بنصره﴾.

(٧) شاهده قوله ﷺ أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وإنه كانَ أواباً «في الصحيحين».

اذكره لتتأسى به في صبره وقوته في الحق وقوله تعالى ﴿إنا سخرنا﴾ الآيات بيان لإنعام الله تعالى على داود لتعظم الرغبة في الاقتداء به، والرغبة إلى الله تعالى فيما لديه من إفضالات ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق﴾[1] أي إذا سبح داود في المساء من بعد العصر إلى الغروب وفي الاشراق وهو وقت الضحى سبحت الجبال معه أي رددت تسبيحه كرامة له والطير محشورة أي وسخرنا الطير محشورة أي مجموعة تردد التسبيح معه، وقوله ﴿كل له أواب﴾ أي كل من الجبال والطير أواب أي رجاع يسبح الله تعالى. وقوله ﴿وشددنا ملكه﴾ أي قوينا ملك داود بمنحنا إياه كل أسباب القوة المادية والروحية. ﴿وآتيناه الحكمة﴾ وهي النبوة والإصابة في الأمور والسداد فيها قولا كانت أو فعلا. ﴿وفصل الخطاب﴾ أي حسن القضاء والبصيرة فيه، والبيان الشافي في كلامه. فبه اقتده يارسولنا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر على أذى قريش وتكذيبها وعنادها.

٢ـ تهديد قريش إذا أصرت على التكذيب بأشد أنواع العقوبات.

٣ـ بيان استهزاء المشركين واستخفافهم بأخبار الله تعالى وشرائعه.

٤ـ مشروعية الأسوة والاقتداء بالصالحين.

٥ـ بيان آية تسخير الله تعالى الجبال والطير لداود تسبح الله تعالى معه.

٦ـ حسن[2] صوت داود في قراءته وتسبيحه.

٧ـ مشروعية صلاة الإشراق والضحى.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أمر بهذه الآية بالعشي والإشراق ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانيء أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة (الضحى) وقال يا أم هانيء هذه صلاة الإشراق. وروى البخاري عن أبي هريرة قال أوصاني خليلي بثلاث خصال لا أدعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر.

(٢) شاهده قوله ﷺ لأبي موسى الأشعرى وقد سمعه يقرأ القرآن ويرتل بحسن صوت لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود. والمزمار والمزمور الصوت الحسن وبه سميت آلة الزمر مزماراً.

وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ

شرح الكلمات:

هل أتاك : الاستفهام هنا للتعجب أي حمل المخاطب على التعجب.

نبأ الخصم : أي خبر الخصم الغريب في بابه العجيب في واقعه.

إذ تسوروا المحراب : أي محراب مسجده إذ منعوا من الدخول من الباب فقصدوا سوره ونزلوا من أعلى السور.

بغى بعضنا على بعض : أي تعدّى بعضنا على بعض.

فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط : أي احكم بالعدل ولا تجر في حكمك.

واهدنا إلى سواء الصراط : أي أرشدنا إلى العدل في قضيتنا هذه ولا تمل بنا إلى غير الحق.

إن هذا أخي : أي عَلَى ديني في الإسلام.

فقال اكفلنيها : أي اجعلني كافلها بمعنى تنازل لي عنها وملكنيها.

وعزني في الخطاب : أي غلبني في الكلام الجدلي فأخذها مني.

لقد ظلمك بسؤال نعجتك : أي بطلبه نعجتك وضمها إلى نعاجه.

من الخلطاء ليبغي بعضهم : أي الشركاء يظلم بعضهم بعضا.

وظن داود أنما فتناه : أي أيقن داود أنما فتنه ربه أي اختبره.

فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب : أي طلب المغفرة من ربه بقوله استغفر الله وسقط ساجدا على الأرض وأناب أي رجع تائبا إلى ربه.

وإن له عندنا لزلفى

وحسن مآب : أي وحسن مرجع عندنا وهي الجنة والدرجات العلا فيها.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تسلية الرسول وحمله على الصبر على ما يعاني من كفار قريش من تطاول وأذى فقال له ربّه تعالى ﴿هل أتاك﴾ إلى آخر الآيات. وذلك أن داود[(١)] عليه السلام ذكر مرة في نفسه ما اكرم الله تعالى به ابراهيم واسحق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس، فتمنى مثله فقيل له إنهم امتحنوا فصبروا فسأل أن يبتلى كالذي ابتلوا به ويعطى كالذي أُعطوا إن هو صبر فاختبره الله تعالى بناء على رغبته فأرسل إليه ملكين[(٢)] في صورة رجلين فتسوروا عليه المحراب كما يأتي تفصيله في الآيات وهو قوله تعالى ﴿وهل أتاك﴾ يا رسولنا نبأ الخصم[(٣)] وهما ملكان في صورة رجلين، ولفظ الخصم يطلق على الواحد والأكثر كالعدو فيقال هذا خصمي وهؤلاء خصمي، وهذا عدوي، وهؤلاء عدوٌ لي. وقوله ﴿إذ[(٤)] تسوّروا المحراب﴾ أي طلعوا على سور المنزل الذي هو المحراب في عرف بني اسرائيل ولم يدخلوا من الباب لأن الحرس منعهم من ذلك، لأن لداود وقتا ينقطع فيه للعبادة فلا يسمح بمقابلة أحد وقوله ﴿إذ دخلوا على داود وهو في محرابه ففزع منهم﴾ أي ارتاع واضطرب نفسا ﴿فقالوا لا تخف خصمان﴾ أي نحن خصمان ﴿بغى بعضنا على بعض﴾ أي اعتدى بعضنا على بعض جئنا نتحاكم إليك ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أي لا تجر في الحكم ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ أي إلى وسْط[(٥)] الطريق فلا تمل بنا عن الحق. ثم عرضا عليه القضية فقال أحدهما وهو المظلوم عارضاً مظلمته ﴿إن هذا أخي﴾ أي في الإسلام ﴿له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال لي أكفلنيها﴾ أي ملكنيها أضمها إلى نعاجي، ﴿وعزني في الخطاب﴾ أي وغلبني في الكلام والجدال وأخذها مني. فقال داود على الفور وبدون أن يسمع من الخصم الثاني ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ وعلل لذلك بقوله ﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ أي الشركاء في زرع أو ماشية أو تجارة ﴿ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم أهل الإيمان والتقوى فإنهم يسلمون من

---

(١) ذكر المفسرون هنا نقلا عن كتب بني اسرائيل عجائب وغرائب في قصة داود هذه من أبشعها أنه نظر من كوة المحراب فرأى امرأة تغتسل فأحبها وطلبها بأن أرسل زوجها إلى الجهاد ليموت قتيلا حتى يتزوج داود امرأته بعد موته أعرضنا عن هذه الأباطيل منزهين نبـي الله عن هذه الأكاذيب الممجوجة التي لا يرتكبها أقل الناس إيمانا وشأنا كما نسبوا إلى يوسف ما نسبوا، رواية عن اليهود وهم أكذب خلق الله تعالى بعد أن لعنوا بظلمهم.

(٢) لا خلاف بين المفسرين ان الخصمين كانا ملكين. انتهى.

(٣) شاهده قول الشاعر:

وخصم غضاب ينفضون لحاهم كنفض البراذين العراب المخاليا

(٤) إذ طرف للزمان الماضي متعلق بمحذوف تقديره: تحاكم الخصم إذ تسوروا الخ.

(٥) سواء الصراط أي وسط الطريق وهذا كناية عن الحكم بالعدل وعدم الجور عن الحق أي الميل كمن يميل إلى جانب الطريق.

مثل هذه الاعتداءات، ﴿وقليل ما هم﴾ أي وهم قليل جداً، وهنا طار الملكان من بين يدي داود وعرجا إلى السماء فعلم عندئذ أنما فتنه ربّه كما رغب إليه وأنه لم يصبر حيث قضى بدون أن يسمع من الخصم الثاني فكانت زلة صغيرة أرته أن ما ناله إبراهيم واسحق ويعقوب من الكمال كان نتيجة ابتلاء عظيم، وهنا استغفر داود ربّه ﴿وخر راكعا﴾(1) يبكي ويطلب العفو وأناب إلى ربّه في أمره كله، وذكر تعالى أنه قبل توبته وعفا عنه فقال تعالى ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى﴾ أي لقُربة عندنا ﴿وحسن مآب﴾ أي مرجع وهو الدرجات العلا في دار الأبرار، جعلنا الله تعالى من أهلها بفضله ورحمته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- فائدة عرض مثل هذا القصص تقوية قلب الرسول ﷺ وتثبيت فؤاده وحمله على الصبر.

٢- تقرير نبوة النبي ﷺ إذ مثل هذا القصص لا يتأتّى له قصه إلا بوحي إلهي.

٣- تقرير جواز تشكل الملائكة في صورة بني(2) آدم.

٤- حرمة إصدار القاضي أو الحاكم الحكم قبل أن يسمع الدعوى من الخصمين معاً إذ هذا محل الفتنة التي كانت لداود عليه السلام.

٥- وجوب التوبة عند الوقوع في الذنب

٦- مشروعية السجود عند(3) قراءة هذه الآية ﴿وخرّ راكعاً وأناب﴾.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ﴾ (٢٥)

---

(1) أطلق الركوع وأريد به السجود وهو شائع كما في قول الشاعر:

فخر على وجهه راكعاً وتاب إلى الله من كل ذنب

(2) وكثيرا ما كان جبريل يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي.

(3) في البخاري قال ابن عباس قال ﷺ ليست من عزائم القرآن وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها قال ابن العربي: والذي عندي أنها ليست موضع سجود ولكن النبي ﷺ سجد فيها فسجدنا بالاقتداء به وقد صح عن النبي ﷺ سجود الشكر. ولما بشر بقتل أبي جهل قام فصلى ركعتين شكراً لله تعالى.

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾
وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

إنا جعلناك خليفة : أي خلفت من سبقك تدبر أمر الناس بإذننا.

ولا تتبع الهوى : أي هوى النفس وهو ما تميل إليه مما تشتهيه.

فيضلك عن سبيل الله : أي عن الطريق الموصل إلى رضوانه.

إن الذين يضلون عن سبيل الله : أي يخطئون الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإيمان والتقوى.

بمانسوا يوم الحساب : أي بنسيانهم يوم القيامة فلم يتقوا الله تعالى.

باطلا : أي عبثا لغير حكمة مقصودة من ذلك الخلق.

ذلك ظن الذين كفروا : أي ظنُّ أن السموات والأرض وما بينهما خلقت عبثا لا لحكمة مقصودة منها ظن الذين كفروا.

فويل للذين كفروا من النار : أي من واد في النار بعيد غوره كريه ريحه لا يطاق.

مبارك : أي لا تفارقه البركة يجدها قارئه والعامل به والحاكم بما فيه.

وليتذكر أولوا الألباب : أي ليتعظ به أصحاب العقول الراجحة.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر قصة داود للعظة والاعتبار وتثبيت فؤاد النبي ﷺ فقال تعالى ﴿يا داود﴾(١) أي

(١) افتتاح الخطاب بالنداء لاسترعاء وعي المخاطب ليهتم بما سيقال له.

وقلنا له أي بعد توبته وقبولها يا داود ﴿إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾[1] خلفت من قبلك من الأنبياء تدبر أمر الناس ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ أي بالعدل الموافق لشرع الله ورضاه، ﴿ولا تتبع الهوى﴾ وهو ما تهواه نفسك دون ما هو شرع الله ، ﴿فيضلك﴾[2] أي اتباع الهوى يضلك عن سبيل الله المفضي بالعباد إلى الإسعاد والكمال وذلك أنّ الأحكام إذا كانت مطابقة للشريعة الإلهية انتظمت بها مصالح العباد ونفعت العامة والخاصة أما إذا كانت على وفق الهوى وتحصيل مقاصد النفس للحاكم لاغير أفضت إلى تخريب العالم بوقوع الهرج والمرج بين الناس وفي ذلك هلاك الحاكم والمحكومين، وقوله تعالى ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله﴾ القائم على الإيمان والتقوى وإقامة الشرع والعدل هؤلاء ﴿لهم عذاب شديد في الدنيا والآخرة بما نسوا يوم الحساب﴾[3] أي بسبب نسيانهم ليوم القيامة فتركوا العمل له وهو الإيمان والتقوى التقوى التي هي فعل الأوامر الإلهية واجتناب النواهي في العقيدة والقول والعمل. ، وقوله تعالى في الآية (٢٧) ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ ينفي تعالى ما يظنه المشركون وهو أن خلق الكون لم يكن لحكمة اقتضت خلقه وإيجاده وهي أن يعبد الله تعالى بذكره وشكره المتمثل في الإيمان والتقوى. وقوله ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ أي ظن أن الله خلق السماء والأرض وما بينهما لا لحكمة مقصودة وهي عبادة الله تعالى بما يشرع لعباده من العبادات القلبية والقولية والفعلية ظن الذين كفروا من كفار مكة وغيرهم. ثم توعدهم تعالى على كفرهم وظنهم الخاطىء الذي نتج عنه كفرهم وعصيانهم فقال ﴿فويل للذين كفروا من النار﴾ أي ويل للذين كفروا من واد في جهنم بعيد الغور كريه الريح . وقوله تعالى في الآية (٢٨) ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ هذا أولاً ردٌّ لما زعمه المشركون من أنهم يعطون في الآخرة من النعيم مثل ما يعطى المؤمنون، وثانيا ينفي تعالى أن يسوى بين من آمن به واتبع هداه فأطاعه في الأمر والنهي، وبين من أفسد في الأرض بالشرك والمعاصي كما نفى أن يجعل المتقين الذين آمنوا واتقوا فتركوا الشرك والمعاصي كالفجار الذين فجروا أي خرجوا عن طاعة الله ورسوله فلم يؤمنوا ولم يوحدوا فعاشوا كفاراً فجاراً وماتوا على ذلك. أي

---

(١) لا يقال يا خليفة الله إلا لرسوله أما من عدا الرسل فإن الخليفة منهم هو خليفة لمن قبله وليس خليفة لله تعالى والصحابة قالوا لأبي بكر خليفة رسول الله ﷺ.

(٢) الفاء هي السببية والمضارع بعدها منصوب وفي الآية تحريم اتباع هوى النفس المسبب الخروج عن دائرة العدل والحق.

وفي الآية دليل على أنه لا يجوز الحكم بعلم الحاكم بل بالبينة والشهود وقد روي أن النبي ﷺ اشترى فرساً فجحده البائع فلم يحكم عليه بعلمه وقال من يشهد لي؟ فقام خزيمة فشهد فحكم عليه.

(٣) سمي يوم القيامة يوم الحساب لما يجري فيه من حساب الناس بما كسبوا من خير وشر وسمي يوم الدين للمجازاة التي تتم بعد الحساب، وسمي يوم الفصل للفصل بين الناس والحكم لهم فيما بينهم.

فحاشا لله ربّ العالمين وأعدل العادلين وأحكم الحاكمين أن يسوي بين أهل الإيمان والتقوى وبين أهل الشرك والمعاصي بل ينعم الأولين في دار النعيم، ويعذب الآخرين في سواء الجحيم وقوله تعالى في الآية (٢٩) ﴿كتاب أنزلناه﴾ أي هذا كتاب مبارك أنزلناه على رسولنا ليدبروا[1] آياته بمعنى يتأملوها ويترووها بعقولهم فيحصلوا على هداية القلوب والعقول فيؤمنوا بالله ويعملوا بطاعته فينجوا ويسعدوا. وليذكّر أولوا[2] الألباب أي وليتعظ بمواعظه وينزجر بزواجره أولو الألباب أي العقول السليمة ووصف الكتاب وهو القرآن بالبركة هو كما أخبر الله لا تفارق القرآن البركة وهي الخير الدائم فكل من قرأه متدبراً عرف الهدى ومن قرأه تقرباً حصل على القرب وفاز به ومن قرأه حاكماً عدل في حكمه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجوب الحكم بالعدل على كل من حكم ولا عدل في غير الشرع الإلهي.

٢ـ حرمة اتباع الهوى لما يفضي بالعبد إلى الهلاك والخسار.

٣ـ تقرير البعث والجزاء.

٤ـ إبطال ظن من يظن أن الحياة الدنيا خلقت عبثا وباطلا.

٥ـ تنزيه الربّ تعالى عن العبث والظلم.

٦ـ فضيلة العقول لمن استعملها في التدبر والتذكر.

٧ـ بركة[3] القرآن لا تفارقه ابداً وما طلبها أحد إلا وجدها.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

(١) ليدبروا أصلها ليتدبروا فادغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما.

(٢) الألباب العقول والواحد لب ويجمع على ألبّ كما جُمع بؤس على أبؤس قال أبو طالب قلبي إليه مشرف الألب، والتذكر هو استحضار الذهن ما كان يعلمه كاستحضار ما هو منسي أيضا.

(٣) بركة القرآن تتجلى في صرفها النفس عن السوء ودفعها إلى الخير وذلك لمن يقرأ القرآن موقناً به متدبراً له فإن له في كل حرف عشر حسنات مع ما يفيضه على روحه من نور المعرفة وحب الآخرة.

شرح الكلمات :

وهبنا لداود سليمان : أي ومن جملة هباتنا لداود الأواب أن وهبنا له سليمان ابنه.

نعم العبد إنه أواب : أي سليمان أي رجاع إلى ربّه بالتوبة والإنابة.

الصافنات الجياد : أي الخيل الصافنات أي القائمة على ثلاث الجياد أي السوابق.

حب الخير : أي حب الخيل عن ذكر ربي وهي صلاة العصر لإنشغاله باستعراض الخيل للجهاد.

حتى توارت بالحجاب : أي استترت الشمس في الأفق وتغطت عن أعين الناظرين.

ردوها علي : أي ردوا الخيل التي استعرضتها آنفا فشغلتني عن ذكر ربّي.

فطفق مسحاً بالسوق : أي فأخذ يمسح بسوق تلك الخيل واعناقها.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إفضال الله على داود[1] حيث قال ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد﴾ فذكر تعالى أنه وهبه سليمان وأثنى على سليمان بأنه نعم العبد لله، وعلل لتلك الأفضليّة بقوله ﴿إنه أواب[2]﴾ أي كثير الأوبة إلى الله تعالى، وهي الرجوع إلى الله بذكره واستغفاره عند الغفلة والنسيان العارض للعبد، وأشار تعالى إلى ذلك بقوله ﴿إذ عرض[3] عليه بالعشي الصافنات الجياد[4]﴾ أي الخيل القوية على السير التي إذا وقفت تأبى أن تقف على أربع كالحمير بل تقف على ثلاثٍ وترفع الرابعة، والجياد هي السريعة العدو، وهذا العرض كان استعراضا منه لها إعداداً لغزو أراده فاستعرض خيله فانشغل بذلك عن صلاة العصر فلم يشعر إلا وقد غربت الشمس وهو معنى قوله تعالى

﴿حتى توارت﴾ أي استترت الشمس ﴿بالحجاب﴾ أي بالأفق الذي حجبها عن أعين الناظرين. فندم لذلك وقال ﴿إني أحببت حب الخير﴾ أي الخيل ﴿عن ذكر ربّي﴾ وصلى العصر، ثم عاد إلى إكمال الاستعراض فردها رجاله عليه فجعل يمسح بيده[5] سوقها وأعناقها حتى أكمل استعراضها هذا وجه الأوبة التي وصف بها سليمان عليه السلام في قوله تعالى ﴿إنه أواب﴾.

---

(١) جملة نعم العبد في محل نصب على الحال والمخصوص بالمدح محذوف أي سليمان.

(٢) الجملة تعليلية لما سبقها.

(٣) العارض هم سواس خيله. والعرض هو الإمراء والإحضار أمام الرائي والجياد جمع جواد وهو الفرس الشديد الحفر، كما يقال للإنسان جواد إذا كان كثير العطية غزيرها. والجواد يجمع على أجواد وأجاود.

(٤) الصافنات صفة لموصوف محذوف وهو الخيل أو الأفراس وهو الذي يقف على ثلاث قوائم والواحدة صافنة.

(٥) ذكر كثير من المفسرين أن قوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق انه ذبحها وأطعمها الفقراء لأنها ألهته عن الصلاة وما في التفسير هو اختيار ابن جرير وهو الحق والصواب.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ الولد الصالح هبة إلهيّة لوالده فليشكر الله تعالى من وهب ذلك .

٢ـ الثناء على العبد بالتوبة الفوريّة التي تعقب الذنب مباشرة .

٣ـ جواز استعراض الحاكم القائد قواته تفقداً لها لما قد يحدثه فيها .

٤ـ اطلاق لفظ الخير على الخيل فيه تقرير أن الخيل إذا ربطت في سبيل الله كان طعامها وشرابها حسنات لمن ربطها في سبيل الله كما في الحديث الصحيح «الخيل لثلاث . . . . . .» .

٥ـ ربط الطائرات النفاثة في الحظائر اليوم والمدرعات وإعدادها للقتال في سبيل الله حل محل ربط الجياد من الخيل في سبيل الله .

وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ
لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ
كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

ولقد فتنا سليمان : أي ابتليناه .

وألقينا على كرسيّه جسداً : أي شق ولد ميت لا روح فيه .

ثم أناب : أي رجع إلى ربه وتاب إليه من عدم استثنائه في يمينه .

وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي : أي أعطني ملكاً لا يكون لسواي من الناس .

فسخرنا له الريح : أي استجبنا له فسخرنا له الريح تجري بأمره .

رخاء حيث أصاب	: أي لينة حيث أراد.
والشياطين كل بناء وغواص	: أي وسخرنا له الشياطين من الجن منهم البناء ومنهم الغواص في البحر.
مقرنين في الأصفاد	: أي مشدودين في الأصفاد أيديهم إلى أعناقهم في السجون المظلمة وذلك إذا تمردوا وعصوا أمراً من أوامره.
هذا عطاؤنا	: أي وقلنا له هذا عطاؤنا.
فامنن أو امسك	: أي أعط من شئت وما شئت وامنع كذلك.
بغير حساب	: أي مِنَّا لك.
وإن له عندنا لزلفى	: أي وإن لسليمان عندنا لقربة يوم القيامة.
وحسن مآب	: أي مرجع في الجنة في الدرجات العلا.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر إنعام الله على آل داود فقد أخبر تعالى هنا عما منّ به على سليمان فأخبر تعالى انه ابتلاه كما ابتلى أباه داود وتاب سليمان كما تاب داود ولم يسقط ذلك من علو منزلتهما وشرف مقامهما قال تعالى في الآية (٣٤) ﴿ولقد فتنا سليمان(١)﴾ أي ابتليناه، وذلك انه كما اخبر رسول ﷺ في الصحيح أنه قال لأطأن الليلة مائة(٢) جارية تلد كل جارية ولداً يصبح فارساً يقاتل في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله أي لم يستثن ووطىء نساءه في تلك الليلة فعوقب لعدم استثنائه فلم يلدن إلا واحدة جاءت بولد مشلول بالشلل النصفي فلما وضعته أمه أتوا به إلى سليمان ووضعوه على كرسيه. وهو قوله تعالى ﴿وألقينا على كرسيّه جسداً ثم أناب(٣)﴾ سليمان إلى ربـه فاستغفر وتاب فتاب الله عليه وقال ﴿ربّ اغفرلي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ أي لا يكون مثله لسواي من الناس وتوسل إلى الله في قبول دعائه بقوله ﴿إنك أنت

---

(١) ذكر المفسرون لهذه الفتنة عدة أمور وهي قصص أشبه بالخرافات الاسرائيلية أمثلها مارواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: اختصم إلى سليمان فريقان أحدهما من أهل جرادة امرأة سليمان وكان يحبها فهوى أن يقع القضاء لهم ثم قضى بينهما بالحق فأصابه الذي أصابه عقوبة لذلك الهوى وما في التفسير أصح وأقرب إلى تفسير الآيات.

(٢) نص الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهم إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون.

(٣) روى البخاري أن النبي ﷺ قال إن عفريت من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع على صلاتي فحمّاني الله تبارك وتعالى منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه السلام ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ فرددته خاسئا.

الوهاب﴾ فاستجاب الله تعالى له فسخر له الريح تجري بأمره حيث يريد لأنها تحمل بساطه أو سفينتـه الهوائية التي غدوها شهر ورواحها رخاء أي ليّنة حيث أصاب أي أراد، كما سخر له شياطين الجن منهم البناء الذي يقوم بالبناء للدور والمصانع ومنهم الغواص في أعماق البحر لاستخراج اللآلي، ومنهم من إذا عصاه وتمرد عليه جمع يديه إلى عنقه بصفدٍ ووضعه تحت الأرض. هذا ما جاء في قول الله تعـالى ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾(١) وقوله تعالى ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ أي اعطيناه ما طلب منا وقلنا له هذا اعطاؤنا لكَ فامنن أي أعط ما شئت لمن شئت وامنع ما شئت عمن شئت بغير حساب منا عليك. وفوق هذا وإن لك عندنا يوم القيامة للقربة وحسن المرجع وهو قوله تعالى ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير قول بعضهم حسنات الأبرار سيئات المقربين إذ عدم الاستثناء في قوله لأطأن الليلة مائة جارية الحديث عوقب به فلم تلد امرأة من المائة إلا واحدة وولدت طفلا مشلولا، وعوقب به نبيُّنا فانقطع عنه الوحي نصف شهر وأكْرَبه ذلك لأنه لم يستثن عندما سئل عن ثلاث مسائل وقال غدا أجيبكم.

٢ـ مشروعية التوبة من كل ذنب صغيرا كان أو كبيرا.

٣ـ مشروعية التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى.

٤ـ بيان إنعام الله تعالى على عبده سليمان.

٥ـ بيان تسخير الله تعالى لسليمان الريح والجن وهذا لم يكن لأحد غيره من الناس.

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

(١) الأصفاد جمع صفد بفتح الصاد والفاء القيد من حديد.

شرح الكلمات:

واذكر عبدنا أيوب : أي اذكر يا نبينا محمد ﷺ عبدنا أيوب بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم.

بنصب وعذاب : أي بضرّ وألم شديد نسب هذا للشيطان لكونه سببا وتأدُّبا مع الله تعالى.

اركض برجلك : أي اضرب برجلك الأرض تنبع عين ماء.

هذا مغتسل بارد وشراب : أي وقلنا له هذا ماء بارد تغتسل منه، وتشرب فتشفى.

ضغثا : أي حزمة من حشيش يابس.

ولا تحنث : بترك ضربها.

نعم العبد : أي أيوب عليه السلام.

إنه أواب : أي رجاع إلى الله تعالى.

معنى الآيات:

مازال السياق في ذكر قصص الأنبياء ليثبت به فؤاد نبيّه محمد ﷺ فقال تعالى له ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾[1] وهو أيوب بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام ﴿إذ نادى ربّه﴾ أي دعاه قائلا ﴿ربِّ إني قد مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾[2] أي ألم شديد، وذلك بعد مرض شديد دام مدة تزيد على كذا سنة، وقال في ضراعة أخرى ذكرت في سورة الأنبياء ﴿ربِّ اني مسّني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ قال تعالى ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ وقوله ﴿اركض[3] برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ أي لما أراد الله كشف الضر عنه قال له اركض برجلك أي اضرب برجلك الأرض ينبع منها ماءٌ فاشربْ[4] منه واغتسل تشف ففعل فشفي كأن لم

---

(١) قال القرطبي أمر النبي ﷺ بالاقتداء بهم في الصبر على المكاره.

(٢) قرأ الجمهور بنصب بضم النون وتسكين الصاد وقرىء بنصب بفتحها كحزن وحزن فالنصب الشر والبلاء الشديد والنصب بالتحريك التعب والإعياء.

(٣) الباء في بنصب سببية أي مسني نصب وعذاب بسبب وسوسة الشيطان لي فنسب النصب والعذاب إلى الشيطان لأنهما كانا بسبب وسواسه.

(٤) الركض التحريك يقال ركب الدابة إذا حركها برجليه فركضت أي تحركت بسرعة وجملة اركض مقولة لقول محذوف أي قلنا له أركض برجلك.

(٥) أي ماء فيه شفاء ومغتسل اسم مفعول أي مغتسل به هو من باب الحذف والايصال مثل تمرون الديار ولا تعرجوا: فكلامكم إذا عليَّ حرام. أي تمرون بالديار فحذف الباء.

يكن به ضرُّ البتة. وقوله تعالى ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾[1] أي عوضه الله تعالى عما فقد من أهل وولد، وقوله ﴿رحمة منا﴾ أي كان ذلك التعويض لأيوب رحمة منّا وذكرى لأولي الألباب﴾ أي عبرة لأولي القلوب الحيّة الواعية يعلمون بها أن الله قد يبتلي أحب عباده إليه ليرفعه بذلك درجـات عالية ما كان ليصل إليها دون الابتلاء في ذات الله والصبر عليه. وقوله ﴿وخذ بيدك[2] ضغثاً﴾ أي قلنا له خذ بيدك ضغثا أي حزمة من حشيش يابس واضرب به امرأتك ضربة واحدة إذ في الحزمة مائة عود وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة جلدة لما حصل منها من تقصير في يوم من أيام حياتهما، فأفتاه ربُّه تعالى بما ذكر في هذه الآية. وقوله تعالى ﴿إنا وجدناه صابراً﴾[3] أي قد اختبرناه بالمرض وفقد الأهل والمال والولد فوجدناه صابرا، وبذلك أثنى عليه بقوله ﴿نعم العبد﴾ أي أيوب ﴿إنه أواب﴾ رجاع إلى ربّه في كل امره لا يعرف إلا الله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير نبوة محمد ﷺ من طريق هذا القصص الذي لا يتأتى إلا بالوحي الإلهي.

٢ـ قد يبتلي الله تعالى من يحبه من عباده ليزيد في علوّ مقامه ورفعة شأنه.

٣ـ فضل الصبر وعاقبته الحميدة في الدنيا والآخرة.

٤ـ مشروعية الفتيا وهي خاصة بأهل الفقه والعلم.

٥ـ وجوب الكفارة على من حنث في يمينه.

وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ

(١) لم تشر الآيات إلى أن أيوب رزىء بموت أهله ولا بفقد ماله وسياق الآيات لايدل على أن أيوب مات أهله من بنين وأحفاد وما يذكر هنا من كونه فقد أهله بموتهم ثم أحياهم الله تعالى له هو من أحاديث بني اسرائيل، والظاهر أن الله تعالى حفظ لأيوب أهله ووهبه مثلهم أي أعطاه أهله وزاده ضعفهم ولو أراد ما تقوله الناس لقال وأحيينا له أهله ووهبنا له مثلهم والله أعلم.

(٢) هذه الفتيا مما خص الله تعالى بها عبده أيوب فلا تتعداه إلى غيره والنبي ﷺ قال إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفّرت عن يمني وفعلت الذي هو خير وما روى أبو داود من أن رجلا مريضا وجب عليه حد فأفتاهم الرسول ﷺ بضربه بعثكول نخل به مائة عود فضربوه به ضربة واحدة فإن الخبر إن صح فالعلة هي مرضه الشديد وعلته القائمة به.

(٣) الجملة تعليلية لما تقدم من إنعام الله تعالى على أيوب أي وهبه الله ذلك الانعام لصبره على ما ابتلاه به وكذا جملة إنه أواب.

إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَـٰذَا ذِكْرٌ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات:

واذكر عبادنا : أي اذكر صبرهم على ما أصابهم فإن لك فيهم أسوة.

أولي الأيدي : أي أصحاب القوى في العبادة.

والأبصار : أي البصائر في الدين بمعرفة الأسرار والحكم.

بخالصة : أي هي ذكر الدار الآخرة والعمل لها.

لمن المصطفين الأخيار : أي من المختارين الأخيار جمع خيّر.

هذا ذكر : أي لهم بالثناء الحسن الجميل هنا في الدنيا.

وان للمتقين : أي هم وغيرهم من سائر المؤمنين والمؤمنات.

لحسن مآب : أي مرجع أي عندما يرجعون إلى ربهم بالوفاة.

متكئين فيها : أي على الأرائك.

يدعون فيها بفاكهة : أي يطالبون فيهابفاكهة وذكر الفاكهة دون الطعام والشراب إيذاناً بأن طعامهم وشرابهم لمجرد التلذذ لا للتغذية كما في الدنيا.

قاصرات الطرف : أي حابسات العيون على الأزواج فلا ينظرن إلى غيرهم.

أتراب : أي أسنانهن متساوية وهي ثلاث وثلاثون سنة.

ماله من نفاد : أي ليس له انقطاع أبدا.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر الأنبياء وما أُكرموا به على صبرهم ليكون ذلك مثبتاً للنبي ﷺ على دعوته والصبر عليها والتحمل في سبيل الوصول بها إلى غاياتها فقال تعالى له ﴿واذكر﴾ أي يا نبيّنا

﴿عبادنا﴾ لتتأسى بهم وهم ﴿ابراهيم واسحق﴾[١] وولده ﴿يعقوب﴾ حفيده ﴿أولي﴾ أي أصحاب ﴿الأيدي﴾[٢] أي القوى في العبادة والطاعة ﴿والأبصار﴾ أي أبصار القلوب وذلك بالفقه في الدين ومعرفة أسرار التشريع، وقوله تعالى ﴿إنّا أخلصناهم﴾ أي خصصناهم ﴿بخالصة﴾[٣] أي بخاصة امتازوا بها هي ذكر الدار أي ذكر الدار الآخرة بالعمل لهاوالدعوة إليها بالإيمان والتقوى، وقوله ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ أي المختارين ﴿الأخيار﴾ جمع خيّر[٤] وهو المطبوع على الخير وقوله ﴿واذكر﴾ أي يا نبيّنا للائتساء ﴿اسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ وقوله ﴿وكل﴾ أي من داود ومن ذكر بعده من الأنبياء كانوا من الأخيار، وقوله ﴿هذا ذكر﴾ أي لهم بالثناء الحسن لهم في الدنيا، ﴿وان للمتقين﴾[٥] هم وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات ﴿لحسن مآب﴾ أي مرجع وهو الجنة حيث يرجعون إلى الله تعالى بعد الموت، وفسر ذلك المرجع بقوله تعالى ﴿جنات عدن﴾ أي إقامة ﴿مفتّحة لهم الأبواب﴾[٦] ﴿متكئين فيها﴾ أي على الأرائك الأسرة بالحجلة، ﴿يدعون فيها﴾ أي يُطالبون فيها ﴿بفاكهة كثيرة وشراب﴾ ولم يذكر الطعام إشارة إلى أن مآكلهم ومشاربهم لمجرد التلذذ لا للتغذي بها كما في الدنيا، وقوله ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ يخبر تعالى أن لأولئك المتقين في الجنة قاصرات الطرف أي نساء قاصرات الطرف أي حابسات له على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم من الأزواج وقوله ﴿أتراب﴾ أي في سن واحدة وهي ثلاث وثلاثون سنة. وقوله تعالى ﴿هذا ما توعدون﴾ أي يقال لهم هذا ما توعدون ﴿ليوم الحساب﴾ أي هذا المذكور من النعيم هو ما يعدكم به ربكم يوم القيامة. وقوله ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾ أي ليس له انقطاع ولا فناء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ فضيلة القوة في العبادة والبصيرة في الدين وفي الحديث[٧] «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير».

٢ـ فضل ذكر الدار الآخرة وتذكرها دائما لأنها تساعد[٨] على الطاعة.

---

(١) أما إبراهيم فقد ذكر الله تعالى ما ابتلاه به من إلقائه في النار وكذا يعقوب من فقده ليوسف عليهم السلام وأما اسحاق فلم يذكر له في القرآن ابتلاء ولعله ذكر بين مبتلين وهما أصله وفرعه فكان ذلك ابتلاء له أيضاً.

(٢) جمع يد والمراد بها القوة لا الجارحة نحو والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون.

(٣) قرأ نافع بخالصة ذكر الدار بإضافة خالصة إلى الدار وقرأ حفص بتنوين خالصة فتكون ذكر الدار عطف بيان على خالصة.

(٤) جائز أن يكون الأخيار جمع خير بإسكان الياء وجمع خير بتشديدها مكسورة نحو أموات جمع ميت وميت.

(٥) اللام للاختصاص ليست للملك ولا للتعليل بل للاختصاص إذ هي مختصة بالمتقين دون غيرهم.

(٦) مفتحة منصوب على الحال والأبواب مرفوع بمفتحة لأنه نائب فاعل.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٨) شاهده حديث كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة «حديث صحيح».

٣ـ فضل التقوى وأهلها وبيان ما أعد لهم يوم الحساب.

٤ـ نعيم الآخرة لا ينفد كأهلها لا يموتون ولا يهرمون.

٥ـ فضيلة الائتساء بالصالحين والاقتداء في الخير بهم وهم اولوا القوة في العبادة والبصيرة في الدين.

هَٰذَا ۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾
وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات:

هذا : أي المذكور للمتقين.

وإن للطاغين : أي الذين طغوا في الكفر والشر والفساد.

لشر مآب : أي جهنم يصلونها.

فبئس المهاد : أي الفراش الذي مهدوه لأنفسهم في الدنيا بالشرك والمعاصي.

هذا فليذوقوه : أي العذاب المفهوم مما بعده فليذوقوه.

حميم : أي ماء حار محرق.

وغساق : أي قيح وصديد يسيل من لحوم وفروج الزناة في النار.

وآخر من شكله أزواج : أي وعذاب آخر كالحميم والغساق أصناف.

هذا فوج مقتحم معكم : أي يقال لهم عند دخولهم النار هذا فوج مقتحم معكم.

لا مرحبا بهم : أي لاسعة عليهم ولا راحة لهم إنهم صالو النار.

قالوا أي الاتباع للطاغين : بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا.

قالوا ربنا من قدم لنا هذا : أي الأتباع أي من كان سببا في عذابنا هذا في جهنم فزده عذابا.

وقالوا ما لنا لا نرى رجالا : أي قال الطاغون وهم في النار مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار في الدنيا يعنون فقراء المسلمين كبلال وعماروصهيب.

اتخذناهم سخريا : أي كنا نسخر منهم في الدنيا.

أم زاغت عنهم الأبصار : أي امفقودون هم أم زاغت عنهم الأبصار؟ فلم نرهم.

إن ذلك لحق تخاصم أهل النار : أي إن ذلك المذكور لأهل النار لحق ثابت وهو تخاصم أهل النار.

معنى الآيات:

بعد ذكر نعيم أهل الإيمان والتقوى ناسب ذكر شقاء أهل الكفر والفجور وهو اسلوب الترهيب والترغيب الذي امتاز به القرآن الكريم في هداية العباد. فقال تعالى ﴿هذا﴾[1] أي ما تقدم ذكره من نعيم أهـل السعـادة ﴿وإن للطاغين﴾ وهم المشركون الظلمة كأبي جهل وعتبة بن معيط والعاص بن وائل ﴿لشر مآب﴾ أي لأسوأ مرجع وأقبحه وهو ﴿جهنم يصلونها وبئس المهاد﴾[2] هي يمهدها الـظالمون لأنفسهم. وقوله تعالى ﴿هـذا فليذوقـوه حميـم وغسـاق﴾[3] أي هذا حميم وغساق فليذوقوه والحميم الماء الحار المحرق والغساق ما سال من جلود ولحوم وفروج الزناة من أهل النار كالقيح والصديد وقوله ﴿وآخر من شكله﴾[4] أي وعذاب آخر من شكل الأول ﴿أزواج﴾ أي أصناف عديدة وقوله تعالى ﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾ أي يقال[5] عند دخولهم النار هذا فوج أي فريق مقتحم معكم النار، فيقول الطاغون ﴿لا مرحباً بهم﴾[6] أي لا سعة ولا راحة لهم ﴿إنهم صالو

---

(١) هذا مستعمل في الانتقال من غرض إلى غرض تثنية للغرض الذي قبله شبيهة بكلمة وبعد.

(٢) الفاء في فبئس المهاد للترتيب والسبب.

(٣) الغساق سائل في جهنم يقال غسق الجرح إذا سال منه ماء أصفر. قرأ الجمهور «غساق بالتخفيف وقرأه حفص وبعض بالتشديد فهما لغتان فيه والتشديد للمبالغة فى غاسق وهو أقرب.

(٤) وآخر صفة لموصوف محذوف أي وعذاب آخر من شكله أي من مثله أزواج أي أصناف متعددة.

(٥) يبدو أن القائل هم الزبانية يخاطبون الطغاة وهم يعذبونهم هذا فوج.

(٦) لا مرحباً نفي للكلمة التي يقولها المزور لمن زاره وهي انشاء دعاء للوافد. وهي مصدر بوزن مفعل، والعامل فيه محذوف تقديره أتيت رحبا أي مكاناً ذا رحب، فإذا أرادوا نفيه قالوا لا مرحباً بكم. قال الشاعر:

لا مرحباً بِغَدٍ ولا أهلا به   إذا كان تفريق الأحبة في غد

النار﴾ أي داخلوها محترقون بحرها ولهبها، فيرد الأتباع عليهم قائلين ﴿بل أنتم لا مرحبا بكم﴾[1] أي لا سعة ولا راحة ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ إذ كنتم تأمروننا بالشرك والكفر والفجور قال تعالى ﴿فبئس القرار﴾ أي الذي انتهى إليه الطاغون وأتباعهم في النار، وقالوا أيضا ما اخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا﴾ أي العذاب ﴿فزده عذابا ضعفا في النار﴾ أي ياربنا ضاعف لهم العذاب مرتين لأنهم هم الذين قدموه لنا يوم كانوا يدعوننا إلى الشرك والباطل ويحضوننا عليه. وقوله تعالى ﴿وقالوا﴾ أي الطغاة ﴿ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار﴾[2] بيننا ﴿اتخذناهم﴾[3] في الدنيا ﴿سخريا﴾[4] نسخر منهم يعنون فقراء المسلمين كبلال وعمّار وصهيب وخبيب، أمفقودون هم ﴿أم زاغت عنهم﴾ أبصارنا فلم نرهم، قال تعالى ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ أي إن ذلك الكلام الذي دار بين أهل النار حق وصدق هو تخاصم أهل النار فاسمعوه أيها المشركون اليوم آيات تتلى وغداً يوم الحساب حقائق تشاهدوه وغصص تتجرع وحسرات تمزق الأكباد والقلوب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- ذم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الظلم والكفر وبيان جزاء أهله يوم القيامة.

٢- بيان ما يجري من خصام بين أهل النار للعظة والاعتبار.

٣- شكوى الأتباع ممن اتبعوهم في الضلال ومطالبتهم بمضاعفة العذاب لهم.

٤- تذكر أهل لنار فقراء المسلمين الذين كانوا يعدونهم متخلفين ورجعيين لأنهم كانوا لا يأتون الفجور والشرور مثلهم.

---

(١) بل للاضراب الإبطالي لرد الشتم عليهم، وانهم هم أولى به منه، والباء في بهم للبيان فهي بمعنى اللام أي لا مرحبا لهم يستحقونه عندنا.

(٢) جمع شر بمعنى أشر كالأخيار جمع خير بمعنى أخير.

(٣) قرأ نافع وحفص والجمهور أتخذناهم بهمزة الاستفهام وحذفت همزة الوصل والجملة بدل من جملة «ما لنا لا نرى رجالا.. أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار، وأم بمعنى بل أي بل زاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم وزاغت بمعنى مالت.

(٤) قرأ نافع سخرياً بضم السين وقرأ حفص بكسرها كما في سورة المؤمنون والسخرة الاستهزاء.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

قل : أي يارسولنا لمشركي قومك أي مخوفاً من عذاب الله .

وما من إله إلا الله الواحد القهار : أي وليس هناك من إله قط إلا الله الواحد القهار.

العزيز الغفار : أي الغالب الذي لا يمانع في مراده الغفار للتائبين من عباده .

قل هو نبأ عظيم : أي قل يارسولنا لكفار مكة القرآن نبأ عظيم وخبر جسيم .

أنتم عنه معرضون : لا ترغبون في سماعه ولا في تدبر معانيه .

بالملأ الأعلى : أي بالملائكة عندما شوورُوا في خلق آدم .

إذ قال ربك للملائكة : أي اذكر لهم تدليلا على انه يوحى إليك القرآن إذ قال ربك للملائكة .

خالق بشرا من طين : أي خالق آدم من مادة الطين وقيل فيه بشر لبدُوّ بشرته .

من روحي : الروح جسم لطيف يسري في الجسم سريان النار في الفحم أو الماء في الشجر أو الكهرباء في الأسلاك .

إلا إبليس : أي لم يسجد .

استكبر : عن السجود لآدم كبراً وحسداً له .

معنى الآيات :

بعد كل ذلك العرض للقصص ولما في الجنة والنار وما تقرر به من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء أمر تعالى رسوله أن يقول لمشركي قريش ﴿إنما أنا منذر﴾[1] أي مخوف من عذاب الله الواجب لكل من كفر به وكذب بآياته ولقاه وترك عبادته وعبد الشيطان عدوه، كما أخبركم مقررا انه ليس هناك من إله قط إلا الله الواحد في ذلته وصفاته وربوبيته وعبادته القهار لكل قاهر والجبار لكل جبار رب السموات والأرض ومابينهما أي مالك لها متصرف فيها دون شريك له في ذلك. العزيز الإنتقام ممّن كفر به وعصاه الغفار لمن أناب إليه واتبع هداه. وقوله تعالى ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ أي يأمر تعالى رسوله أن يقول للمشركين من أهل مكة هو أي[2] القرآن وما حواه من تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وعرض القصص والأحداث ووصف الجنة والنار نبأ عظيم أي خبر ذو شأن عظيم أنتم عنه معرضون تأبون سماعه والإيمان به والاهتداء بهديه. بدعوى أني اختلقته وافتريته وهي حجة داحضة وأدلتكم في ذلك واهية. كيف يكون ما اتلوه عليكم من القرآن افتراء مِنّي عليكم وعلى الله ربي وربكم. وانه ما كان لي من[3] علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون[4] عندما قال الله للملائكة ﴿إني خالق بشراً من طين﴾ وقال ﴿أني جاعل في الأرض خليفة﴾ فقال الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ كيف عرفت أنا هذا وحدثت به لو لم يكن وحياً من الله أوحاه إليَّ. يا قوم إنه ما يوحى إليَّ إلا انما أنا نذير مبين أي

---

(١) في هذه الآيات الثلاث الترهيب والترغيب ببيان قدرة الله وجبروته وبيان ربوبيته الموجبة للألوهية المستلزمة لمغفرته ورحمته لمن تاب إليه بتوحيده وطاعته بعد الإيمان به وبرسوله ولقائه.

(٢) كون النبأ هو القرآن هذا ما ذهب إليه ابن جرير رحمه الله تعالى، ومن فسره بما سبق ذكره من الانذار وما عرض من أحوال أهل الجنة وأهل النار فإن ما في التفسير شامل لكل ذلك وهادٍ إليه ودال عليه والحمد لله.

(٣) قوله تعالى: ما كان لي من علم الخ استئناف لأجل الاستدلال على صدق القرآن بأنه وحي من الله تعالى ولولا أنه وحي لما كان للرسول علم به لا إجمالاً ولا تفصيلا ولهذا الاستدلال نظائر نحو وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم، وما كنت لديهم إذ يختصمون، وما كنت لديهم إذ جمعوا أمرهم وهم يمكرون، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا.

(٤) قال بعض المفسرين تخاصم الملأ الأعلى هو اشراف قريش فيما بينهم سرا وقال آخرون هو تخاصم أهل النار وقيل والصواب ما في التفسير وهو أن الملأ الأعلى الملائكة وما جرى بينهم في شأن السجود لآدم وامتناع ابليس عن ذلك والآية بعد تفسير هذا الاختصام وأما حديث السنن فلم يرد به ما في هذه الآيات ونصه «إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد اتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا أدري يا رب ـ أعادها ثلاثاً ـ فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت في الكفارات. قال وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات قال وما الدرجات؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال سل قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك هذا «حديث المنام».

بيّن النذارة. فلم يوح إليَّ الأمر بالتسلط عليكم وأخذكم بالشدة لأستعبدكم وتكونوا خولا لي وخدماً لا، لا. إنما يوحى إليَّ لتقرير حقيقة واحدة وهي أني نذير لكم ولغيركم من عذاب الله المعدّ لمن كفر به وأشرك في عبادته، وفسق عن طاعته. وقوله تعالى في الآية (٧١) ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين﴾ هو آدم عليه السلام ﴿فإذا سويته﴾ أي أتممت خلقه ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فحيي وصار بشراً سوياً ﴿فقعوا له ساجدين﴾ أي خروا على الأرض ساجدين له طاعة لأمرنا وتحيّة لعبدنا، ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ سواء من كان منهم في السموات أو في الأرض ﴿إلا إبليس﴾ استكبر عن السجود لآدم لزعمه الكاذب أنه خير منه لكونه من النار وآدم من طين، ولحسده أيضا حيث فضله وفُضِّل عليه، وكان بذلك الكبر والحسد من الكافرين إذ جحد معلوما من طاعة الله بالضرورة وكيف وهو يتلقى الخطاب من الله تعالى بلا واسطة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد بأدلته.

٢ـ تقرير النبوة والوحي بشواهده من نبأ الملأ الأعلى.

٣ـ عداوة إبليس لآدم وأن الحامل عليها الحسد والكبر وهما من شر صفات العبد.

٤ـ تقرير أن من القياس ما هو شر وباطل كقياس إبليس إذ قاس النار على التراب فرأى أن النار أفضل فهلك بذلك، إذ التراب أفضل النار تحرق والتراب يحيي، وشتان ما بين الموت والحياة.

قَالَ
يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ
مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾
قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

لما خلقت بيديّ : أي للذي خلقته بيديَّ وهو آدم فدل ذلك على شرفه.

استكبرت أم كنت من العالين : استكبرت الآن أم كنت من قبل من العالين المتكبرين والاستفهام للتوبيخ. والتقريع لإبليس.

فاخرج منها : أي من الجنة.

فإنك رجيم : أي مرجوم مطرود.

وأن عليك لعنتي إلى يوم الدين : أي طرده من الجنة وألحقه لعنة وهي الطرد من الرحمة إلى يوم الدين أي الجزاء وهو يوم القيامة.

قال رب فانظرني : أي أخر موتي وأبق عليَّ حيًا إلى يوم يبعثون أي الناس.

إلى يوم الوقت المعلوم : أي إلى النفخة الأولى وهي نفخة الموت والفناء.

إلا عبادك منهم المخلصين : أي الذين استخلصتهم للإيمان بك وعبادتك ومجاورتك في الجنة.

قل ما أسألكم عليه من أجر : لا أسألكم على البلاغ أجراً تعطونه لي.

وما أنا من المتكلفين : أي المتقولين القرآن وما أنذركم به من تلقاء نفسي.

إن هو إلا ذكر للعالمين : أي ما أتلوه من القرآن وما أقوله من الهدى إلا ذكر للعالمين.

ولتعلمن نبأه بعد حين : أي ولتعلمن أيها المكذبون نبأ القرآن الذي أنبأ به من الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين بعد حين.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في ذكر ما دار بين الربّ تعالى وعدوه إبليس من حديث في الملأ الأعلى إذ قال تعالى بعد أن امتنع إبليس من السجود لآدم ﴿ياإبليس مامنعك أن[1] تسجد لما خلقتُ بيديَّ[2]﴾ أي أيُّ شيء جعلك تمتنع من السجود لآدم وقد أمرتك بذلك ﴿أستكبرت﴾ أي الآن ﴿أم كنت﴾ من قبل ﴿منَ[3] العالين﴾ أي المستكبرين, وهذا الاستفهام من الله تعالى توبيخ لإبليس وتقريع له. وأجابه إبليس بما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ فاستعمل اللعين القياس الفاسد المردود عند أرباب العقول، إذ النار لم تكن أبداً خيرا من الطين ، النار تحرق ونهايتها رماد، والطين لا يحرق ومنه سائر أنواع المغذيات التي بها الحياة الحبوب والثمار والفواكه والخضر واللحوم وحسبه أنه أصل الإنسان ومادة خلقته فأي شرف للطين أعظم لو كاناللعين يعقل. وهنا قال تعالى له ﴿فاخرج منها﴾ أي من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ أي مطرود مبعد لا ينبغي أن تبقى في رحمة الله، ﴿وأن عليك لعنتي﴾ لا تفارقك على مدى الحياة وهي بُعد من رحمتي طوال الحياة.

وهنا قال اللعين لما آيس من الرحمة ﴿ربّ فانظرني﴾ أي ابق عليَّ حيًّا لا تمتني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ حتى يتمكن من إغواء بني آدم، ولا يموت إذا ماتوا في النفخة الأولى فلا يذوق هو الموت وعلم الله ما أضمره في نفسه فرد عليه بقوله ﴿فإنك من المنظرين﴾ أي الممهلين المبقى على حياتهم ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وهو النفخة الأولى حتى يموت مع سائر الخلائق ولما علم اللعين أنه أنظر قال في صفاقة وجه ووقاحة قول مقسماً بعزة الله ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ فاستثنى اللعين عباد الله المؤمنين المتقين الذين استخلصهم الله لطاعته وجواره في دار كرامته. وهنا قال تعالى ردا على اللعين ﴿قال فالحق[4]﴾ أي أنا الحق ﴿والحق أقول﴾ ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم﴾ أي من الإنس والجن أجمعين. وإلى هنا انتهى ما دار من خصومة في الملأ الأعلى، وكيف عرف محمد ﷺ هذا وأخبر به لولا انه

---

(١) ذكر صاحب تفسير التحرير أن خطاب الله تعالى لإبليس بعد إبلاسه كان بواسطة ملك من الملائكة معللاً ذلك بعدم أهلية إبليس بعد إبلاسه لذلك لما فيه من الشرف والكمال ولم أقف على من رأى هذا الرأي غيره والله أعلم بصحته أو خطأه.

(٢) في قوله بيدي إثبات صفة اليدين لله تعالى وقد وردت أحاديث صحيحة تقرر ذلك وتثبته فوجب الإيمان بهذه الصفة الذاتية لله تعالى مع تنزيهه تعالى ان يكون يداه تشبه يدي من له يدان من خلقه لأن الله تعالى ليس كمثله شيء.

(٣) العلو الشرف فمعنى قوله تعالى من العالين أي من أهل علو المراتب وشرف المنازل فلذا امتنعت من السجود لآدم عليه السلام.

(٤) قرأ الجمهور قال فالحق بنصب الحق على أنه مفعول مطلق تقديره احق الحق، وقرأ حفص بالرفع على تقدير فالحق قولي، أو انا الحق أي على الابتداء، وأما الحق الثاني فهو منصوب إجماعاً لفعل أقول.

وحيٌ يوحى إليه. وهنا قال تعالى لرسوله قل لقومك المكذبين برسالتك ﴿ما أسألكم عليه﴾ أي على البلاغ ﴿من أجر وما أنا من المتكلفين[1]﴾ الذين يتقولون على الله ويقولون ما لم يقل ﴿إن هو﴾ أي القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ من الإنس والجن يذكرون به فيؤمنون ويهتدون ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ أي ولتعرفن صدق ما أخبر به من وعد ووعيد وصلاحية ما تضمنه من تشريع بعد حين، وقد عرف بعضهم ذلك يوم بدر، ويوم الفتح، ويوم موته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ ذم الكبر والحسد وحرمتهما وبيان جزائهما.

٢ـ مشروعية القياس إن كان قياسا صحيحا، وبيان اخطار القياس الفاسد.

٣ـ مشروعية القسم بالله وبصفاته وأسمائه.

٤ـ بيان أن من كتب الله سعادتهم لا يقوى الشيطان على اغوائهم وإضلالهم.

٥ـ لا يجوز أخذ الأجرة على بيان الحق والدين.

٦ـ ذم التكلُّف[1] المفضي إلى الكذب والتقول على الله وعلى الرسول والمؤمنين.

٧ـ ظهر مصداق ما أخبر به القرآن بعد حين قصير وطويل.

---

(١) التكلف: معالجة الكلفة وهو ما يشق على المرء عمله أو علمه أو قوله لعدم قدرته على ذلك روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال من سئل عما لا يعلم فليقل لا أعلم، ولا يتكلف، فإن قوله لا أعلم علم وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾. روى أن للمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويتعاطى مالا ينال، ويقول مالا يعلم. وروى الدارقطني أن النبي ﷺ مر في بعض أسفاره على رجل جالس على مقراة له. وقال له عمر ياصاحب المقراة أولَغَتْ السباع الليلة في مقراتك؟ فقال له النبي ﷺ يا صاحب المقراة لا تخبره، هذا متكلف، لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور، كما روى مالك في الموطأ أن عمر خرج في ركب معهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوضاً فقال عمرو بن العاص يا صاحب الحوض هل ترد السباع حوضك؟ فقال عمر يا صاحب الحوض لا تخبرنا فإنا نرد على السباع وترد علينا.

سُورَةُ الزُّمَرِ [1]

مكيـة

وآياتها خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾

شرح الكلمات:

تنزيل الكتاب : أي القرآن من الله.

العزيز الحكيم : أي العزيز في مُلكه وانتقامه الحكيم في صنعه وتدبير خلقه.

مخلصا له الدين : أي مفرداً إياه بالعبادة فلا تشرك بعبادته أحداً.

لله الدين الخالص : أي له وحده خالص العبادة لا يشاركه في ذلك أحد سواه.

أولياء : أي شركاء وهي الأصنام.

ليقربونا إلى الله زلفى : أي تقريباً وتشفع لنا عند الله.

من هو كاذب كفار : أي كاذب أي على الله كفار بعبادته غير الله تعالى.

سبحانه : أي تنزيها له عن الولد والشريك.

---

(١) سميت بالزمر لذكر لفظ الزمر فيها ولم يذكر في غيرها قط والزمر جمع زمرة وهي الفوج المتبوع بفوج آخر.

هو الله الواحد القهار : أي المعبود الحق الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه القهار لخلقه.

معنى الآيات :

تنزيل الكتاب[1] من الله العزيز الحكيم يخبر تعالى ان تنزيل القرآن كان منه سبحانه وتعالى وهو العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبير خلقه. ولم يكن عن غيره بحال من الأحوال[3] وقوله تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾[2] يخبر تعالى رسوله بقوله ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي القرآن العظيم ﴿بالحق﴾ في كل ما جاء فيه ودعا إليه من العقائد والعبادات والأحكام وعليه ﴿فاعبد[4] الله مخلصاً له الدين﴾ أي العبادة فلا تعبد معه غيره فإن العبادة لا تصلح لغيره أبداً ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾[5] أي شركاء يعبدونهم ويقولون ﴿ما نعبدهم إلاَّ ليقربونا إلى الله زلفى﴾ أي تقريبا ويشفعوا لنا عند الله في قضاء حوائجنا هؤلاء يحكم الله بينهم في ما هم فيه مختلفون مع المؤمنين الموحدين وذلك يوم القيامة وسيجزي بعدله كلا بما يستحقه من إنعام وتكريم أو شقاء وتعذيب. وقوله تعالى ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ يخبر تعالى بحرمان أناس من هدايته وهم الذين توغلوا في الفساد فكذبوا على الله تعالى وعلى عباده وأصبح الكذب وصفاً لازما لهم، وكفروا وبالغوا في الكفر بالله وآياته ورسوله ولقائه فأصبح الكفر وصفاً ثابتاً لهم، إذ هذه سنته في حرمان العبد من الهداية ليمضي فيه حكم الله باشقائه وتعذيبه يوم القيامة. وقوله تعالى ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ كما يزعم المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله، وكما قال النصارى المسيح ابن الله، وكما قال اليهود عزير بن الله، ولو أراد الله أن يكون له ولدٌ لاصطفى واختار مما يخلق ما يشاء، ولا يتركهم ينسبون إليه الولد افتراء عليه وكذبا، ولكنه تعالى منزه عن صفات المحدثين وافتقار المخلوقين إذ هو الله ذو الألوهية على سائر خلقه الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه وحكمه القهار لسائر خلقه فسبحانه لا إله غيره ولا رب سواه.

---

(١) تنزيل الكتاب، أي القرآن ـ جائز أن يكون تنزيل الكتاب مبتدأ والخبر من الله وجائز أن يكون تنزيل خبر والمبتدأ محذوف أي هذا تنزيل.

(٢) بالحق الباء للملابسة أي ملابساً للحق فلا باطل معه.

(٣) فيه تقرير نبوته ﷺ والإعلان عن شرفه بإنزال الكتاب عليه.

(٤) الفاء للتفريع، أي فبناء على إنزالنا عليك الكتاب فاعبد الله، ومخلصاً حال، والدين العبادة، وإخلاص العبادة تجريدها من الالتفات إلى غير الله تعالى لطلب مدح أو نفع أو دفع مكروه أو اتقاء ذم.

(٥) ألا لله الدين الخالص افتتاح الجملة بألا للتنبيه على شرف ما دخلت عليه والتنويه به اللام في لله للملك والاستحقاق وفي الآية دليل على وجوب الإخلاص في العبادة ووجوب النية فيها ولا عبادة بدون نية صحيحة ولا يضر النية الخاطر يخطر بالقلب لا يملك المرء دفعه.

هداية الآيت :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير النبوة المحمدية .

٢ـ تقرير التوحيد .

٣ـ بطلان الشرك والتنديد بالمشركين .

٤ـ تقرير البعث والجزاء يوم القيامة .

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾
خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ
خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ
لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

خلق السموات والأرض بالحق : أي من أجل أن يذكر ويشكر لا من أجل اللهو العبث .

يكور الليل على النهار : أي يدخل أحدهما في الآخر فإذا جاء الليل ذهب النهار والعكس كذلك .

وسخر الشمس والقمر : أي ذللهما فلا يزالان يدوران في فلكيهما إلى نهاية الحياة وبدورتهما تتم مصالح سكان الأرض.

خلقكم من نفس واحدة : هي آدم عليه السلام.

ثم جعل منها زوجها : هي حواء خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر.

وأنزل لكم من الأنعام : أي أنزل المطر فأنبت العشب فخلق الأنعام فهذا وجه لإنزالها.

ثمانية أزواج : أي من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين.

يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق: أي أطواراً طوراً بعد طور نطفة فعلقة فمضغة.

في ظلمات ثلاث : أي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة.

ولا تزر وازرة وزر أخرى : أي لا تحمل نفس ذات وزر وزر نفس أخرى.

إنه عليم بذات الصدور : أي ما يخفيه المرء في صدره وما يسره في ضميره.

معنى الآيات:

هذه الآيات الكريمة في تقرير التوحيد بذكر الأدلة والبراهين التي لا تدع للشك مجالاً في نفوس العقلاء فقال تعالى في الآية (٥) ﴿خلق السموات والأرض﴾[١] أي أوجدهما خلقا على غير مثال سابق وخلقهما بالحق لغايات سامية شريفة وليس للباطل والعبث ومن تلك الغايات أن يعبد فيها فيذكر ويشكر. وقوله ﴿يكور[٢] الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ أي يغشى هذا هذا فيغطيه به ويستره كأنما لفّه عليه وغشاه به وهذا برهان ثان فالأول برهان الخلق للسموات والأرض وبرهان ثالث في قوله ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل[٣] مسمى﴾ يدوران في فلكيهما إلى قيام الساعة وفي ذلك من الفوائد والمصالح للعباد مالا يقادر قدره من ذلك معرفة عدد السنين والحساب. وقوله ﴿ألا هو العزيز الغفار[٤]﴾ إعلان وتنبيه بأنه تعالى عزيز في بطشه وانتقامه من أعدائه غفّار لعباده التائبين إليه. وقوله تعالى في الآية (٦) ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ هي آدم عليه السلام فقد صح أنه

---

(١) هذه الجملة بيان لجملة هو الله الواحد القهار.

(٢) وهذه الجملة بيان ثانٍ أيضاً وحقيقة التكوير انه اللف واللي يقال كور العمامة على رأسه إذا لفها ولوّاها وهذا تمثيل بديع لتعاقب الليل والنهار.

(٣) كل التنوين للعوض أي كل واحد منهما يجري لأجل مسمى هو أجل فنائهما.

(٤) استئناف ابتدائي وجملة فإنكم الخ استدلال على صفة العزة والمغفرة في العزيز الغفار.

لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ذرّيته وأشهدهم على أنفسهم، ولهذا جاء العطف بثم ﴿إذ قال خلقكم من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها﴾ أي بعد أن مسح على ظهر آدم وأخرج ذرّيته من ظهره وأشهدهم على أنفسهم خلق حواء من ضلعه الأيسر، وهذا برهان وآخر في قوله ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ضأن وماعز وهي ذكر وأنثى فالذكر زوج والأنثى زوج فهي ثمانية أزواج وجائز أن يكون أصل هذه الأنعام قد أنزله من السماء كما أنزل آدم وحواء من السماء، وجائز أن يكون أنزل الماء فنبت العشب وتكونت هذه الأنعام من ذلك فالأصل الإنزال (١) من السماء وتدرج الخلق كان في الأرض. وبرهان رابع في قوله ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق﴾ (٢) أي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم نكسو العظام لحماً فإذا هو إنسان كامل وقوله ﴿في ظلمات ثلاث﴾ هي ظلمة بطن الأم، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة، وهي غشاء يكون للولد وفي الحيوان يقال له السَّلي وقوله بعدذ كر هذه البراهين قال ﴿ذلكم الله (٣) ربكم﴾ أي خالقكم ومعبودكم ﴿الحق له الملك لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود إلا هو إذ لا تصلح العبادة إلّا له ﴿فأنّى (٤) تصرفون﴾ أي كيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، وعن الهدى إلى الضلال إن أمركم عجبٌ. وقوله في الآية (٧) ﴿إن تكفروا فإن الله غنيٌ عنكم﴾ أي بعد أن بيّن بالأدلة القاطعة وجوب الإيمان به ووجوب عبادته، وأنه الرب الحق وإله الحق أعلم عباده أن كفرهم به لا يضره أبدا لأنه غنيٌ عنهم وعن سائر خلقه إلا أنه لرحمته بعباده لا يرضى لهم الكفر لما يسببه لهم من شقاء وخسران، كما انهم إن آمنوا وشكروا يرضه لهم فيثيبهم أحسن ثواب ويجزيهم أحسن جزاء. وقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ هذا مظهر من مظاهر عدله بين عباده وهو أن نفسا ذات وزر أي ذنب لا تحمل وزر أي ذنب نفس أخرى بل كل نفس تحمل وزرها وتتحمل تبعته ونتائجه وحدها. وقوله تعالى ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ أي بعد الموت ﴿فينبئكم

---

(١) ووجه ثالث وهو جائز أن يكون الانزال بمعنى التسخير نحو وأنزلنا الحديد أي ذللناه لكم تصنعون منه السيوف والرماح وهذا كقولك نزل فلان على رأي فلان قال الشاعر:

أنزلني الدهر على حكمه   من شاهق عالٍ إلى خفض

(٢) أي طوراً بعد طور لقوله ﷺ «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويأمر يكتب أربع كلمات رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد» الحديث «مسلم».

(٣) هذه الجملة كالفذلكة والنتيجة لما سبق من ذكر آيات العلم والقدرة والرحمة الموجبة للألوهية الحقة للرب الحق سبحانه وتعالى.

(٤) فأنى تصرفون الاستفهام للانكار مشوباً بالتعجب من حال انصرافهم عن الحق بعد ظهور أدلته وسطوع براهينه، عجبا لكم كيف صرفتم وبنـاء الفعل للمجهول إشارة واضحة إلى أنهم يصرفون بقوى غير قواهم وهي قوى الشياطين التي تزين لهم الباطل وتبغض لهم الحق.

بمـا كنتم تعملون﴾ أي فيخبـركم بأعمالكم خفيها وجليها صغيرها وكبيرها ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ فضلا عما كان عملا ظاهراً غير باطن ويجزيكم بذلك الخير بمثله والشر بمثله . فهذا ربكم الحق وإلهكم الصدق فآمنوا به ووحدوه ولا تشركوا به وأطيعوه ولا تعصوه تنجوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة. ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيانآيات الله في الكون وإيرادها أدلة على التوحيد.

٢ـ بيان إفضال الله تعالى على العباد في خلقهم ورزقهم.

٣ـ بيان أن الكفر أعجب من الإيمان إذ أدلة الإيمان لا تعد كثرة وأما الكفر فلا دليل عليه البتة ومع هذا أكثر الناس كافرون.

٤ـ بيان غنى الله تعالى عن خلقه وافتقار الخلق إليه.

٥ـ بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة وتقريرها.

٦ـ بيان إحاطة علم الله بالخلق وعلمه بأفعالهم وأحوالهم ظاهراً وباطناً.

۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

شرح الكلمات:

وإذا مس الإنسان : الإنسان أي المشرك.

ضرٌ : أي مرض أو خوف غرق ونحوه من كل مكروه لا يقدر على دفعه.

دعا ربه منيبا إليه : أي سأل ربّه كشف ما أصابه من ضر راجعا إليه معرضا عمن سواه.

إذا خوله نعمة منه : أي أعطاه نعمة منه بأن كشف ما به من ضر.

نسى ما كان يدعو إليه من قبل : أي ترك ما كان يتضرع إليه من قبل وهو الله سبحانه وتعالى.

وجعل لله أنداداً : أي شركاء.

ليضل عن سبيله : أي ليضل نفسه وغيره عن الإسلام.

قل تمتع بكفرك قليلا : أي قل يا نبيّنا لهذا الكافر الضال المضل تهديداً تمتع بكفرك بقية أجلك.

إنك من أصحاب النار : أي أهلها المتأهلين لها بخبث نفوسهم وظلمة أرواحهم.

قانت آناء[1] الليل : أي مطيع لله آناء الليل أي ساعات الليل ساجدا وقائما في الصلاة.

إنما يتذكر أولوا الألباب : أي يتعظ بما يسمع من الآيات أصحاب العقول النيِّرة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال التنديد، فقال تعالى مخبراً عن حال المشرك بربه المتخذ له أنداداً يعبدها معه ﴿وإذا مسّ الإنسان[2] ضرّ دعا ربّه منيبا إليه﴾ أي سأل ربّه راجعا إليه رافعا إليه يديه يا رباه يا رباه سائلا تفريج مابه وكشف مانزل به ﴿ثم إذا خوله[3] نعمة منه نسي ماكان يدعو إليه من قبل﴾ حتى إذا فرّج الله كربه ونجاه، ترك دعاء الله، وأقبل على عبادة غير الله، ﴿وجعل لله أندادا﴾ أي شركاء ﴿ليضل[4]﴾ نفسه وغيره. وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول له نيابة عن الله تعالى قل يارسولنا لهذا المشرك الكافر تمتع بكفرك قليلا أي مدة بقية عمرك إنك من أصحاب النار، هكذا هدده ربّه وخوفه بعاقبة أمر الشرك والتنديد لعله ينتهي فيتوب توبة صادقة ويرجع إلى الله رجوعاً حسناً

---

(١) الآناء جمع أَنىً مثل أمعاء ومَعىً وأقفاء وقفىً والأنى الساعة.

(٢) الإنسان هنا اسم جنس دال على غير معين بل هو عام في كل مشرك بالله تعالى كافر به.

(٣) قوله اعطاه إذ التخويل الإعطاء والتمليك دون قصد عوض مأخوذ من الخول وهو اسم للعبد والخدم وفي الحديث إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم «الحديث».

(٤) اللام لام العاقبة، أي هو لم يقصد إضلال نفسه.

جميلا. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨) أما الآية الثانية (٩) فيقول تعالى ﴿أمنَّ[1] هو قانت﴾ أي مطيع لله ورسلوه في أمرهما ونهيهما ﴿آناء الليل﴾ أي ساعات الليل تراه ساجداً في صلاته أو قائماً يتلو آيات الله في صلاته، وفي نفس الوقت هو يحذر عذاب الآخرة ويسأل الله تعالى أن يقيه منه، ويرجو رحمة ربّه وهي الجنة أن يجعله الله من أهلها أهذا خير أم ذلك الكافر الذي قيل له تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، والجواب معلوم للعقلاء[2] وقوله تعالى ﴿هل يستوى الذين يعلمون﴾ محاب الله ومكارهه وهم يعملون على الإتيان بمحابّ الله تقرباً إليه، وعلى ترك مكارهه تحبُباً إليه، هل يستوى هؤلاء العاملون مع الذين لا يعلمون ما يحب وما يكره فهم يتخبطون في الضلال تخبط الجاهلين؟ والجواب لا يستوون وإنما يتذكر بمثل هذا التوجيه الإلهي والإرشاد الرباني أصحاب الألباب أي العقول السليمة الراجحة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.

٢- الكشف عن داخلية الإنسان قبل أن يؤمن ويُسلم وهو أنه إنسان متناقض لا خير فيه ولا رشد له، فلا يرشد ولا يكمل إلا بالإيمان والتوحيد.

٣- بشرى الضالين عن سبيل الله المضلين عنه بالنار.

٤- مقارنة بين القانت المطيع، والعاصي المضل المبين، وبين العالم والجاهل، وتقرير أفضلية المؤمن المطيع على الكافر العاصي. وأفضلية العالم بالله وبمحابه ومكارهه والجاهل بذلك.

٥- فضل العالم على الجاهل لعمله بعلمه ولولا العمل بالعلم لاستويا في الخسّة والانحطاط.

قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

---

(١) قرأ نافع أمن هو قانت بتخفيف الميم ـ وقرأ حفص أمن بتشديدها وجائز أن تكون الهمزة همزة استفهام ومن مبتدأ والخبر مقدر نحو أمن هو قانت أفضل أم من هو كافر وعلى قراءة التشديد فالهمزة للاستفهام وآمن كلمتان أم المعادلة أدغمت في من المبتدأ وجائز أن تكون أم منقطعة لمجرد الإضراب الانتقالي.

(٢) وهو أنهما لا يستويان بحال من الأحوال.

قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ
قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات:

اتقوا ربكم : أي اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالإيمان والتقوى.

للذين أحسنوا : أي أحسنوا العبادة.

حسنة : أي الجنة.

أرض الله واسعة : أي فهاجروا فيها لتتمكنوا من عبادة الله إن منعتم منها في دياركم.

أمرت : أي أمرني ربّي عز وجل.

مخلصا له الدين : أي مفرداً إياه بالعباده.

أول المسلمين : أي أول من يسلم في هذه الأمة فينقاد لله بعبادته والإخلاص له فيها

عذاب يوم عظيم : أي عذاب يوم القيامة.

قل : أي يارسولنا للمشركين.

الله أعبد : أي لا أعبد معه سواه.

مخلصا له ديني : أي مفرداً إياه بطاعتي وانقيادي.

فاعبدوا ما شئتم : أي إن أبيتم أيها المشركون عبادة الله وحده فاعبدوا ما شئتم من الأوثان فإنكم خاسرون.

خسروا أنفسهم : أي فحرموها الجنة وخلدوها في النار.

وأهليهم : أي الحور العين اللائي كن لهم في الجنة لو آمنوا واتقوا بفعل الطاعات وترك المنهيات

ظلل من النار : أي دخان ولهب وحر من فوقهم ومن تحتهم.

ذلك : أي المذكور من عذاب النار.

يا عباد فاتقون : أي يا من أنا خالقهم ورازقهم ومالكهم وما يملكون فلذلك اتقون بالإيمان والتقوى.

معنى الآيات :

لقد تضمنت هذه الآيات الخمس توجيهات وإرشادات ربَّانيَّة للمؤمنين والرسول ﷺ ففي الآية الأولى (١٠) يأمر تعالى رسوله أن يقول للمؤمنين اتقوا ربكم أي اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية وذلك بطاعته وطاعة رسوله، ويُعلمهم معللا أمره إياهم بالتقوى بأن للذين أحسنوا الطاعة المطلوبة منهم الجنة، كما يعلمهم أنهم إذا لم يقدروا على الطاعة بين المشركين فليهاجروا إلى أرض يتمكنون فيها من طاعة الله ورسوله فيقول ﴿وأرض الله واسعة﴾ أي فهاجروا فيها ويشجعهم على الهجرة لأجل الطاعة فيقول ﴿إنما يوفَّى الصابرون[1]﴾ أي على الاغتراب والهجرة لأجل طاعة الله والرسول ﴿أجرهم بغير حساب﴾ أي بلا كيل ولا وزن ولا عد وذلك لأنه فوق ذلك. وفي الآية الثانية (١١) والثالثة (١٢) يأمر تعالى رسوله موجها له بأن يقول للناس ﴿أني أُمرت﴾ أي أمرني ربي أن أعبد الله باعتقاد وقول وفعل ما يأمرني به وترك ما ينهاني عنه من ذلك مخلصا له الدين، فلا اشرك في دين الله أحداً أي في عبادته أُحداً، كما أمرني أن أكون أول المسلمين في هذه الأمة أي أوّل من يسلم قلبه وجوارحه الظاهرة والباطنة لله تعالى وفي الآيات الرابعة (١٣) والخامسة (١٤) يأمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين إني أخاف إن عصيت ربي، فرضيت بعبادةغيره وأقررتها عذاب[2] يوم عظيم كما يأمره أن يقول اللهَ أُعبدُ أي الله وحده لا شريك له أعبد حال كوني مخلصا له ديني. وأما انتم أيها المشركون إن أبيتم التوحيد فاعبدوا ما شئتم[3] من آلهة دونه تعالى ويأمره أن يقول لهم إن الخاسرين بحق ليسوا أولئك الذين يخسرون دنياهم فيفقدون الدار والبعير أو المال والأهل والولد بل هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم[4] القيامة، وذلك

---

(١) وفسر بعضهم الصبر بالصوم وحقاً الصوم من الصبر وحسب الصوم اجراً أن يقول الله تعالى «الصوم لي وأنا أجزي به». الا أن الآية عامة في الصبر في مواطنه الثلاث وهي صبر على الطاعات وصبر دون المعاصي وصبر على البلاء. ومن ذلك الهجرة إلى دار الإسلام.

(٢) ذهب بعضهم إلى أن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ولا معنى لهذا النسخ إذ النسخ لا يكون في الأخبار. وانما الآية من باب الفرض والتقدير إذ الرسول معصوم ولا يعصي وإذاً لا خوف عليه وإنما من باب طلب الهداية للآخرين قال له قل هذا.

(٣) الأمر هنا للتهديد والوعيد والتوبيخ وليس للإذن بعبادة غير الله إذ القرآن كله نزل ليعبد الله تعالى وحده ولا يعبد معه سواه فكيف يأذن بعبادة ما شاءوا من آلهة.

(٤) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ما من أحد إلا وخلق الله له زوجة في الجنة فإذا دخل النار خسر نفسه وأهله. وهو كذلك لقوله تعالى أولئك هم الوارثون أي يرث المسلم الكافر يرثه في أهله ومكانه في الجنة وسبب الإرث الإيمان والتقوى بإذن الله تعالى.

بتخليدهم في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور العين المعدة لهم في الجنة لو أنهم آمنوا واتقوا. ألا ذلك أي هذا هو الخسران المبين ثم يوضح ذلك الخسران بالحال التالية وهي أن لهم وهم في النار من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل أي طبقات من فوقهم طبقة ومن تحتهم أخرى وكلها دخان ولهب وحر وأخيراً قوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي المذكور من الخسران وعذاب الظلل يخوف الله تعالى به عباده المؤمنين ليواصلوا طاعتهم وصبرهم عليها فينجوا من النار ويظفروا بالجنان وقوله يا عباد فاتقون أي يا عبادي المؤمنين فاتقون ولا تعصون يحذرهم تعالى نفسه، والله رءوف بالعباد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان عناية الله تعالى برسوله والمؤمنين إذ أرشدهم إلى ما يكملهم ويسعدهم.

٢ـ وجوب التقوى والصبر على الأذى في ذلك.

٣ـ تقرير التوحيد بأن يعبد الله وحده.

٤ـ فضل الإسلام وشرف المسلمين.

٥ـ تقرير البعث والجزاء بيان شيء من أهوال الآخرة وعذاب النار فيها.

٦ـ كل خسران في الدنيا إذا قيس بخسران الآخرة لا يعد خسراناً أبداً.

وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

والذين اجتنبوا الطاغوت[1] أن يعبدوها : أي تركوا عبادة الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله .

وأنابوا إلى الله : أي بالايمان به وعبادته وتوحيده فيها .

لهم البشرى : أي بالجنة عند الموت وفي القبر وعند القيام من القبور.

فيتبعون أحسنه : أي أوفاه وأكمله وأقربه إلى مرضاة الله تعالى .

أولوا الألباب : أي العقول السليمة .

أفمن حق عليه كلمة العذاب : أي وجب عليه العذاب بقول الله تعالى لأملأن جهنم .

أفأنت تنقذ من في النار : أي تخلصه منها وتخرجه من عذابها .

لكن الذين اتقوا ربهم : أي خافوه فآمنوا به وأطاعوه موحدين له في ذلك .

تجري من تحتها الأنهار : أي من خلال قصورها وأشجارها .

وعد الله : أي وعدهم الله تعالى وعداً فهو منجزه لهم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال أهل النار من عبدة الأوثان وأن لهم من فوقهم ظللا من النار ومن تحتهم ظللا ذكر تعال حال الذين اجتنبوا تلك الطواغيت فلم يعبدوها ، وما أعد لهم من النعيم المقيم فجمع بذلك بين الترهيب والترغيب المطلوب لهداية البشر وإصلاحهم فقال عز وجل ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ أي أن يعبدوها وهي الأوثان وكل مازين الشيطان عبادته ودعا الناس إلى عبادته وأضافوا إلى اجتناب الطاغوت الإنابة إلى الله تعالى بعبادته وتوحيده فيها هؤلاء لهم البشرى وهي في كتاب الله[2] وعلى لسان رسول الله ويرونها عند نزول الموت وفي القبر وفي الحشر وكل هذا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقوله تعالى ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ يأمر تعالى رسوله أن يبشر صنفاً من عباده بما بشر به الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا

---

(١) الطاغوت مصدر أو اسم مصدر فعله طغا وهل هو واوي أو يائي خلاف والأشهر أنه واوي نحو طغا طغواً كعلا يعلو علواً وقولهم الطغيان دال على أنه يائيٌ وتاؤه زائدة كما زيدت في رحموت وملكوت وقيل هو اسم أعجمي كجالوت وطالوت .

(٢) شاهده قوله تعالى : ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ (البقرة) ومن السنة قوله ﷺ الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له في بيان قوله تعالى ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ من سورة يونس ومن القرآن ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ فهذه عند الموت .

إلى الله وهم الذين يستمعون القول من قائله فيتبعون أحسن ما يسمعون[(١)]، ويتركون حسنه وسيئه معاً فهؤلاء لهم همم عالية ونفوس توّاقة للخير والكمال شريفة فاستوجبوا بذلك البشرى على لسان رسول الله ﷺ والثناء الجميل من ربّ العالمين إذ قال تعالى فيهم ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ فحسبهم كمالاً أن اثنى تعالى عليهم. اللهم اجعلني منهم ومن سأل لي وله ذلك. وقوله ﴿أفمن[(٢)] حق عليه كلمة العذاب﴾ أي وجب له العذاب قضاءً وقدراً فأسرف في الكفر والظلم والإجرام والعدوان كأبي جهل والعاص بن وائل فأحاطت به خطيئاته فكان من أصحاب النار فهل تستطيع أيها الرسول انقاذه من النار وتخليصه منها؟ والجواب لا. إذاً فهون على نفسك واتركهم لشأنهم وما خلقوا له وحكم به عليهم. وقوله تعالى ﴿لكن الذين اتقوا﴾ فآمنوا وعملوا الصالحات لهم غرف في الجنة من فوقها غرف وهي العلية تكون فوق الغرفة تجرى من تحتها الأنهار من تحت القصور والأشجار انهار الماء واللبن والعسل والخمر. وقوله ﴿وعد الله﴾ أي وعدهم الله تعالى بها وعداً حقاً فهو منجزه لهم إذ هو تعالى لا يخلف الميعاد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ كرامة زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي إذ هذه الآية تعنيهم فقد رفضوا عبادة الطاغوت في الجاهلية قبل الإسلام ثم أنابوا إلى ربهم فصدقت الآية عليهم.

٢ـ فضيلة أهل التمييز والوعي والإدراك الذين يميزون بين ما يسمعون فيتبعون الأحسن ويتركون ما دونه من الحسن والسيء.

٣ـ إعلام من الله تعالى أن من وجبت له النار أزلاً لا تمكن هدايته مهما بذل الداعي في هدايته وإصلاحه ما بذل.

٤ـ بيان ما أعد الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى من نعيم الجنة وكرامة الله لأهلها.

---

(١) جائز أن يراد بكلمة أحسن حسنه فهم يستمعون القول من قائله ويفهمونه فإن كان حقاً وهدى أخذوا به وإن كان باطلا وضلالا تركوه وابتعدوا عنه. فقد روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص جاءوا إلى أبي بكر حين أسلم فأخبرهم بإيمانه فآمنوا.

(٢) الاستفهام الأول والثاني كلاهما إنكاري ينكر الله تعالى على رسوله حزنه وألمه على عدم إيمان عمه أبي لهب وولده ومن لم يؤمن من قرابته ممن وجبت لهم النار في سابق علم الله فهم لا يؤمنون، ولذا فرع عنه قوله أفأنت تنقذ من في النار؟ إنك لا تقدر على ذلك فهون على نفسك.

أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾
أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

فسلكه ينابيع في الأرض : أي أدخله في الأرض فصار جاريا تحتها ينبع منها فكان بذلك ينابيع .

مختلفا ألوانه : أي ما بين أخضر وأبيض وأحمر وأصفر وأنواعه من بر وشعير وذرة .

ثم يهيج فتراه مصفرا : أي ييبس فتراه أيها الرائي بعد الخضرة مصفرا .

ثم يجعله حطاما : أي فتاتا متكسرا .

إن في ذلك لذكرى أي إن في ذلك المذكور من إنزال الماء إلى أن يكون حطاما تذكيرا .

أفمن شرح الله صدره للإسلام : أي فاهتدى به كمن لم يشرح الله صدره فلم يهتد؟ .

فهو على نور من ربّه : أي فهو يعيش في حياته على نور من ربّه وهو معرفة الله وشرائعه .

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله : ويل كلمة عذاب للقاسية قلوبهم عن قبول القرآن فلم تؤمن به ولم تعمل بما فيه.
أحسن الحديث كتابا : هو القرآن الكريم.
متشابها : أي يشبه بعضه بعضا في النظم والحسن وصحة المعاني.
مثاني : أي ثنّى فيه الوعد والوعيد كالقصص والأحكام.
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم : أي ترتعد منه جلود الذين يخشون ربهم وذلك عند ذكر وعيده.
ثم تلين جلودهم وقلوبهم : أي تطمئن وتلين.
إلى ذكر الله : أي عند ذكر وعده لأهل الإيمان والتقوى بالجنة وما فيها من نعيم مقيم.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ألم تر﴾ هذه الآية الكريمة تقرر التوحيد والبعث والجزاء بذكر مظاهر القدرة والعلم الإلهيين، وهما مقتضيان لوجود الله أولا ثم وجوب الإيمان به وبلقائه فقال تعالى مخاطبا رسوله ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾[1] وهو المطر ﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ أي أدخله فيها وأخرجه منها ينابيع بواسطة حفر وبدونه، ثم يخرج به زرعاً من قمح وشعير وذرة وغيرها مختلفا ألوانه من أحمر وأبيض وأصفر ﴿ثم يهيج﴾ حسب سنة الله تعالى في ذلك فيجف ﴿فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً﴾ أي فتاتا متكسراً كالتبن كل هذا يتم بقدرة الله وعلمه وتدبيره ففيه موعظة وذكرى لأولى القلوب الحيّة تهديهم إلى الإيمان بالله وبآياته ولقائه، ومايستتبع ذلك من الطاعة والتوحيد وقوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾[2] أي وسع صدره وفسحه فقبل الإسلام دينا فاعتقد عقائده وعمل بشرائعه فامتثل أوامره واجتنب نواهيه فهو يعيش على نور من ربه ومقابل هذا محذوف اكتفى بالأول عنه وتقديره كمن طبع الله على قلبه وجعل صدره حرجا ضيقا فلم يقبل الإسلام ولم يدخل فيه، وعاش على الكفر والشرك والمعاصي فهو يعيش على ظلمة الكفر ودخن الذنوب

---

(١) تضمنت هذه الآية الكريمة مثالين زيادة على ما دلت عليه بظاهر كلماتها المثال الأول هو أن القرآن الكريم ينزل من عند الله فيحيى الله تعالى به القلوب الميتة فتحيى وتشرق وتبلغ الكمال في الطهر والإشراق. والثاني هو أن حياة الإنسان تبتدىء بنطفة المني فتستقر في الرحم ثم تخرج طفلا ثم يكبر فيصبح شاباً فكهلا ثم يهرم ويهلك. والخطاب صالح لكل من له أهلية النظر.

(٢) شرح الصدر عبارة عن قبول الهدى والاستنارة به، والاستفهام إنكاري ومن مبتدأ والخبر محذوف تقديره كمن ضاق صدره بالكفر وغشيته ظلمته فهو لا يعي ولا يفهم ما يقال له وما يدعى إليه من الهدي والخير أي هل حالهما واحدة والجواب لا.

وعفن الفساد والشر. وقوله تعالى ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر﴾[1] يتوعد الله تعالى بالعذاب أصحاب القلوب القاسية من سماع القرآن وهذه أسوأ حال العبد إذا كان يهلك بالدواء ويضل بالهدى فسماع القرآن الأصل فيه أن يلين القلوب الصالحة للحياة فإذا كانت القلوب ميتة غير قابلة للحياة سمـاع القرآن زادها موتاً وقسوة، ويدل على هذا قوله ﴿أولئك في ضلال مبين﴾[2] فهدايتهم متعذرة إذا كان الدواء يزيد في علتهم وآيات الهداية تزيد في ضلالتهم. وقوله تعالى ﴿الله نزّل أحسن الحديث﴾ هذه الآية نزلت لما قال أصحاب الرسول يوماً لرسول الله ﷺ حدثنا يا رسول الله فأنزل الله تعالى قوله ﴿الله نزّل أحسن الحديث﴾[3] وهو القرآن ﴿كتابا متشابها﴾ أي يشبه بعضه بعضاً في حسن اللفظ وصحة المعاني ﴿مثاني﴾ أي يثني فيه الوعد والوعيد والأمر والنهي والقصص، ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ أي عند سماع آيات الوعيد فيه ﴿ثم تلين جلودهم﴾ إذا سمعوا آيات الوعد ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ إذا سمعوا حججه وأدلته وقوله ﴿إلى ذكر الله﴾ أي القرآن وذكر الله بوعده ووعيده وأسمائه وصفاته ويشهد له قوله تعالى من سورة الرعد ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[4] وقوله تعالى ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾ أي ذلك المذكور وهو القرآن الكريم هدى الله إذ هو الذي انزله وجعله هادياً يهدي به من يشاء هدايته بمعنى يوفقه للإيمان والعمل به وترك الشرك والمعاصي. وقوله ﴿ومن يضلل الله فما له من هادٍ﴾ لما سبق في علم الله ولوجود مانع منع من هدايته كالإصرار والعناد والتقليد. فهذا ليس له من هاد يهديه بعد الله أبداً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مظاهر العلم والقدرة الإلهية الموجبة للإيمان به وبرسوله ولقائه.

---

(١) من بمعنى عن لتضمين القساوة في الإعراض والنفور إذ يقال أعرض عن كذا ونفر عنه وذِكْرُ الله هنا القرآن كما في التفسير.

(٢) ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا إذ هو جواب لمن سأل عن قساوة قلوب المتوعدين بالويل فقيل له إنه ضلالهم الواضح المبين.

(٣) روي أن سعد بن أبي وقاص قال قال اصحاب رسول الله ﷺ يوماً لو حدثتنا فأنزل الله: ﴿الله نزل احسن الحديث﴾ وهذا كما قالوا يوماً لو قصصت علينا فنزل: ﴿نحن نقص عليك احسن القصص﴾، وقولهم لو ذكرتنا فنزل: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾، وفي هذا دليل على انه لا يليق بأمة القرآن أن تلهو بالتمثيليات والروايات وأندية اللهو اللعب.

(٤) تقشعر أي تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد وتلين قلوبهم عند سماع آيات الرحمة وتطمئن إلى ذكر الله تعالى يروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت أنا أعلم متى يستجاب لي، وذلك إذا اقشعر جلدي، ووجل قلبي وفاضت عيناي وهو مروي عن ثابت البناني وأم الدرداء أن الوجل في القلب كاحتراق السعفة.

٢ـ بيان أن القلوب قلبان قلب قابل للهداية وآخر غير قابل لها.

٣ـ بيان أن القرآن أحسن ما يحدث به المؤمن إذ أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل.

٤ـ فضيلة أهل الخشية من الله إذ هم الذين ينفعلون لسماع القرآن فترتعد فرائصهم عند سماع وعيده، وتلين قلوبهم وجلودهم عند سماع وعده.

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب	: أي يتلقى العذاب بوجهه لا شيء يقيه منه كمن أمن.
سوء العذاب	: أقساه وأشده.
وقيل للظالمين	: أي المشركين في جهنم.
ذوقوا ما كنتم تكسبون	: أي جزاء كسبكم الشر والفساد.
كذب الذين من قبلهم	: أي من قبل أهل مكة.
فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون	: أي من حيث لا يدرون أنه آتيهم منه. أو من حيث لا يخطر ببالهم
فأذاقهم الله عذاب الخزي	: أي المسخ والذل والإهانة.
ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون	: أي لو كانوا يعلمون ذلك ما كذبوا ولا كفروا.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير البعث والجزاء فقوله تعالى ﴿أفمن يتقي[1] بوجهه سوء العذاب﴾ يوم القيامة إذ ليس له ما يتقي[2] به العذاب لأن يديه مغلولتان إلى عنقه فهو يتلقى العذاب بوجهه وهو أشرف أعضائه أفهذا الذي يتلقى العذاب بل سوء العذاب كمن أمن العذاب ودخل الجنة؟ والجواب لا يستويان. وقوله تعالى ﴿وقيل للظالمين[3]﴾ أي المشركين وهم في النار يقول لهم زبانية جهنم توبيخاً لهم وتقريعاً ذوقوا ما كنتم تكسبون من أعمال الشرك والمعاصي هذا جزاؤه فذوقوه عذاباً أليما. وقوله تعالى ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ أي كذب قبل أهل مكة أُمم وشعوب كذبوا رسلهم فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا وذلك كالذل والمسخ والقتل والأسر والسبي ولعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا وهم صائرون إليه لا محالة وقوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كانوا يعلمون عنه علما يقينيا ما كذبوا رسلهم ولا كفروا بربهم. فهلكوا بجهلهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير البعث والجزاء بذكر شيء من أحوال يوم القيامة.

٢ـ تهديد قريش على إصرارها على التكذيب للرسول وما جاءها به من الإسلام.

٣ـ العذاب على التكذيب والمعاصي منه الدنيوي، ومنه الأخروي.

٤ـ لو علم الناس عذاب الآخرة علما يقينيا ما كذبوا ولا كفروا ولا ظلموا فالجهل هو سبب الهلاك والشقاء دائما.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

---

(١) قال عطاء وابن زيد يرمي مكتوفاً في النار فأول شيء تمس منه النار وجهه وقال مجاهد يجر في النار على وجهه كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم والاستفهام إنكاري وفي الكلام حذف تقديره كمن هو آمن في جنات النعيم.

(٢) الاتقاء مصدر ومعناه تكلُّف الوقاية وهي الصون والدفع وفعل اتقى يتعدى إلى مفعولين ويتعدى بالياء كما في قول الشاعر:

سقط النصيف ولم تردْ إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

(٣) للظالمين إظهار في محل إخبار إذ المفروض أن يقال وقيل لهم والنكتة التنديد بالشرك إذ هو الظلم وبيان العلة الموجبة لإلقائهم في جهنم على وجوههم وهي الظلم الذي هو الشرك.

غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات:

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل: أي جعلنا للعرب في هذا القرآن من كل مثل من الأمم السابقة.

لعلهم يتذكرون: أي يتعظون فينزجرون عما هم فيه من الشرك والتكذيب إلى الإيمان والتوحيد.

قرآنا عربيا غير ذي عوج: أي حال كون المثل المجعول قرآنا عربيا لا لبس فيه ولا اختلاف فلا عذر لهم في عدم فهمه وإدراك معناه وفهم مغزاه.

متشاكسون: أي متنازعون لسوء أخلاقهم.

ورجلا سلما: أي خالصا سالما لرجل لا شركة فيه لأحد.

هل يستويان مثلا: الجواب لا الأول في تعب وحيرة والثاني في راحة وهدوء بال.

الحمد لله: أي على ظهور الحق وبطلان الباطل.

إنك ميت: أي مقضي عليك بالموت في وقته.

وانهم ميتون: أي كذلك محكوم عليهم به عند انقضاء آجالهم.

عند ربكم تختصمون: أي تحتكمون إلى الله في ساحة فصل القضاء فيحكم الله بينكم.

فيما كنتم فيه تختلفون: أي من الشرك والتوحيد والإيمان والتكذيب.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ولقد ضربنا[1] للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ يخبر تعالى بما

---

(١) ضرب المثل ذكره والمثل الصفة الحسنة وللناس جنس الناس ويدخل فيه العرب أولا لأنه بلغتهم والناس تابعون لهم في ذلك.

من به على العرب لهدايتهم حيث جعل لهم في القرآن الكريم من أمثال الأمم السابقة في إيمانها وتكذيبها، وصلاحها وفسادها ونجاتهاوخسرانها وكل ذلك بقرآن عربي لا عوج[١] فيه أي لا لبس ولا خفاء ولا اختلاف، فعل ذلك لهم لعلهم يتذكرون أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون فينجون من العذاب ويسعدون. وقوله تعالى ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون[٢] ورجلاً سلماً[٣] لرجلٍ هل يستويان[٤]﴾ إلى آخر الآية، هذا مثل من جملة الأمثال التي ضرب الله للناس لعلهم يتذكرون وهو مثل للمشرك الذي يعبد عدة آلهة. والموحد الذي لا يعبد إلا الله فالمشرك مثله رجل يملكه عدد من الرجال من ذوي الأخلاق الشرسة والطباع الجافة فهم يتنازعونه هذا يقول له تعال والآخر يقول له اجلس والثالث يقول له قم فهو في حيرة من أمره لا راحة بدن ولا راحة ضمير ونفس. والموحد مثله رجل سلم أي خالص وسالم لرجل واحد آمره وناهيه واحد هل يستويان أي الرجلان والجواب لا إذ بينهما كما بين الحرية والعبودية وأعظم وقوله تعالى ﴿الحمدُ[٥] لله﴾ أي الثناء بالجميل لله والشكر العظيم له سبحانه وتعالى على انه رب واحد وإله واحد لا إله غيره ولا رب سواه. وقوله ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي بل أكثر المشركين لا يعلمون عدم تساوي الرجلين، وذلك لجهلهم وفساد عقولهم.

وقوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون[٦]﴾ نزلت لما استبطأ المشركوت موت الرسول ﷺ أي لا شماتة في الموت إنك ستموت يارسولنا ويموتون. وقوله تعالى ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ أي مؤمنكم وكافركم قويكم وضعيفكم تقفون بين يدي الله ويحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمور الدين والدنيا معا.

---

(١) غير ذي عوج أي لا اختلاف فيه ولا تضاد ولا لحن فيه ولا شك قال الشاعر:

وقد أتاك يقين غير ذي عوج   من الإله وقول غير مكذوب

(٢) متشاكسون أي مختلفون أو متعاسرون يقال رجل شكس وشرس وضرس ويقال شاكسني فلان أي ماكنسي وشاحّني في حقي.

(٣) قرأ الجمهور سلما وقرأ غيرهم سالماً بمعنى خالصاً فمعنى القراءتين واحد وهو الخلوص لمالك واحد.

(٤) الاستفهام إنكاري أي لا يستويان، مثلا منصوب على التمييز لنسبة يستويان أي في أي شيء ميز لي.

(٥) لما سلم الخصم بانه لا يستوي الموحد والمشرك تعين حمد الله تعالى إذ لا يعقل أن يقول المرء باستواء الرجل الذي يشترك فيه عدة رجال والآخر الذي هو خالص لرجل واحد، فكذلك الذي يعبد إلهاً واحداً لا يستوي مع من يعبد آلهة متعددة.

(٦) قرأ بعضهم إنك مائت وإنهم مائتون. والميت بالتشديد من هو صائر إلى الموت والميت بسكون الياء من فارقته الحياة، في هذه الآية نعي لكل إنسان بالموت إذ أن رجلا نعي لرجل أخاه ووجده يأكل فقال له كل فقد نعي إلي أخي من قبلك فقال وكيف وأنا أول من نعاه فقال له قد نعاه الله إليَّ في قوله إنك ميت وإنهم ميتون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية ضرب الأمثال للمبالغة في الإفهام والهداية لمن يراد هدايته.

٢ـ بيان مثل المشرك والموحد، فالمشرك في حيرة وتعب، والموحد في راحة وهدوء بال.

٣ـ تقرير أن كل نفس ذائقة الموت.

٤ـ بيان أن خصومة ستكون يوم القيامة ويقضي الله تعالى فيها بالحق لأنه هو الحق.

﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق
إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴿٣٢﴾ والذي
جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴿٣٣﴾
لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ﴿٣٤﴾
ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم
بأحسن الذي كانوا يعملون ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

ومن أظلم ممن كذب على الله؟ : أي بأن نسب إليه ما هو بريء منه كالزوج والولد والشريك.

وكذب بالصدق إذ جاءه؟ : أي بالقرآن والنبي والتوحيد والبعث والجزاء.

مثوى للكافرين : أي مأوى، ومكان إقامة ونزول

والذي جاء بالصدق وصدَّق به : محمد ﷺ، والذي صدق به أبو بكر وكل أصحاب رسول الله.

أولئك هم المتقون : أي لعذاب الله بإيمانهم وتقواهم بترك الشرك والمعاصي.

ذلك جزاء المحسنين : أي المذكور من نعيم الجنة جزاء المحسنين في أعمالهم.

ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا: أي ييسر الله لهم ذلك ويوفقهم إليه ليكفر عنهم ذنوبهم.

معنى الآيات :

يخبر تعالى عباده منذراً محذراً بأنه لا أظلم من أحد كذب على الله. فقال عنه ما لم يقل أو حرّم ولم يحرم أو أذن ولم يأذن، أو شرع ولم يشرع، أو كذب بالصدق وهو القرآن والنبي وماجاء به من الهدى ودين الحق أي فلا أحد أظلم ممن كان هذا حاله كذب على الله وكذب بالصدق.

وقوله تعالى: ﴿أليس[1] في جهنم مثوى للكافرين﴾؟ هذا بيان لجزاء الكاذبين والمكذبين وهم الكافرون بسبب كذبهم على الله وتكذيبهم له فيخبر تعالى مقرراً أن جزاءهم الإقامة

(١) الاستفهام تقريري والمثوى مكان الإقامة وهو مصدر ثوى بالمكان يثوى ثواء وثوياً مثل مضى يمضي مضاءً ومُضياً.

الدائمة في جهنم. وقوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾[1] هذا إخبار بفريق الفائزين من عباد الله وهم الصادقون في كل ما يخبرون به، والمصدقون بما أوجب الله تعالى التصديق به ويدخل في هذا الفريق دخولا أولياً رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ثم سائر الصحابة والمؤمنين إلى يوم الدين.

وقوله تعالى: ﴿أولئك هم المتقون﴾[2] يشير إليهم بأنهم اتقوا كل ما يغضب الله من الشرك والمعاصي، وبذلك استوجبوا النجاة من النار ودخول الجنة المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿لهم مايشاءون عند ربهم﴾ من نعيم بعضه لم يخطر على بال أحد، ولم تره عين أحد ولا تسمع به أذنه.

وقوله: ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾[3] أي ذلك المذكور في قوله لهم مايشاءون عند ربهم ذلك هو جزاؤهم وجزاء المحسنين كلهم والمحسنون هم الذين أحسنوا الاعتقاد والقول والعمل وقوله تعالى: ﴿ليكفر عنهم[4] أسوأ الذي عملوا﴾ أي من الذنوب والآثام والخطايا والسيئآت أي وفقهم للإحسان ويسره لهم، ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا وسيئه ويجزيهم أجرهم على إيمانهم وتقواهم وإحسانهم في ذلك بأحسن ما كانوا يعملون وحسنه أيضا وإنما يضاعف لهم الأجر فتكون الحسنات الصغيرة كالكبيرة فأصبح الجزاء كله على الأحسن والذي كانوا يعملون هو كل ما شرعه الله تعالى لعباده وتعبدهم به من الإيمان وسائر الطاعات والقربات.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ التنديد بالكذب على الله تعالى والتكذيب به، وبما جاء به رسوله ﷺ من الدين.

٢ ـ بيان جزاء الكاذبين على الله ورسوله والمكذبين بما جاء به رسول الله عن الله من الشرع والدين.

---

(١) والذي جاء بالصدق مبتدأ والخبر أولئك هم المتقون. وعليه فالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ ومن صدق به هم أبو بكر وسائر المؤمنين وفي الآية حذف الموصول وهو «من» لدلالة السياق عليه.

(٢) أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والمتقون خبر، والجملة خبر عن المبتدأ الذي هو والذي جاء بالصدق والمعطوف عليه والموصول محذوف وهو من أو إذ لايكون من جاء بالصدق هو المصدق به.

(٣) الثناء في الدنيا والثواب في الآخرة.

(٤) في الآية الإشادة بأصحاب رسول الله ﷺ إذ أثبت لهم التصديق بما جاء به رسوله كما أثبت لهم التقوى والإحسان وواعدهم بالنعيم المقيم الذي ادخره لهم. وفي الحديث الصحيح «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبّي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ربي ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».

٣ - الترغيب في الصِّدق في الاعتقادات والأقوال والأعمال.
٤ - فضل التقوى والإحسان وبيان جزائهما عند الله تعالى يوم القيامة.

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

شـــرح الكلمـات :

أليس الله بكاف عبده؟ : بلى هو كاف عبده ورسوله محمداً ﷺ كل ما يهمه.

ويخوفونك بالذين من دونه: أي بالأصنام والأوثان أن تصيبك بما يسوءك ويضرك.

أليس الله بعزيز ذي انتقام : بلى بل هو عزيز غالب على أمره صاحب انتقام شديد على من عَاداه.

ليقولن الله : أي لوضوح البرهان وقوة الدليل وانقطاع الحجة.

قل أفرأيتم : أي أخبروني.

هل هن ممسكات رحمته : والجواب لا لا إذاً فقل حسبي الله، ولا حاجة لي بغيره.
اعملوا على مكانتكم : أي على حالتكم التي أنتم من الكفر والعناد.
إني عامل : أي على حالتي التي أنا عليها من الإيمان والانقياد.
من يأتيه عذاب يخزيه : أي في الدنيا بالقتل والأسر والجوع والقحط.
ويحل عليه عذاب مقيم : أي وينزل عليه عذاب مقيم لا يبرح وهو عذاب النار بعد الموت.

معنى الآيات :

مازال السياق في الدفاع عن الرسول والرد على مناوئيه وخصومه الذين استبطأوا موته فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ فلا شماتة إذاً في الموت وقوله: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾(١) دال على أن القوم حاولوا قتله ﷺ لما لم يمت بأجله وفعلا قد قرروا قتله وأعطوا الجوائز لمن يقتله، ففي هذه الآية طمأن الله رسوله على أنهم لا يصلون إليه وأنه كافيه مؤامراتهم وتهديداتهم فقال عز وجل أليس الله بكاف عبده؟ والجواب بلى إذ الاستفهام تقريري كافيه كُلَّ ما يهمه ويسوءه وقوله: ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾(٢) أي ويخوفك يارسولنا المشركون بما يعبدون من دوننا من اصنام وأوثان بأن تصيبك بقتل أو خبل فلا يهمك ذلك فإن أوثانهم لا تضر ولا تنفع ولا تجلب ولا تدفع، وقوله: ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾، وقد هداك ربك فليس لك من يضلك أبداً، كما أن من أضله الله كقومك فليس له من هادٍ يهديه أبداً. وقوله تعالى: ﴿أليس الله بعزيز ذي انتقام﴾(٣) بلى فهو إذاً سينتقم من أعدائه لأوليائه ان استمروا في أذاهم وكفرهم وعنادهم، وقد فعل سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض﴾ أي أوجدهما من غير مثال سابق ﴿ليقولن الله﴾ فما دام اعترافهم لازماً بأن الله تعالى هو الخالق فلم عبادة غيره والإصرار عليها مما أفضى بهم إلى أذية المؤمنين وشن الحرب عليهم. وقوله: ﴿قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله﴾ أي من الأصنام والأوثان أخبروني ﴿إن أرادني الله بضرٍ﴾ ما ﴿هل هنَّ كاشفات ضره أو أرادني برحمة﴾ صحة وعافية وغنى ونصر ﴿هل هنَّ ممسكات رحمته﴾(٤) والجواب لا فإنها جماد لا تقدر

---

(١) الاستفهام للتقرير، وحذفت ياء كاف لانه اسم منقوص وترد في الوقف جوازا وقرأ الجمهور عبده وقرأ غيرهم عباده ليدخل المؤمنون معه ﷺ.

(٢) هذا شاهده قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام وكيف أخاف ماأشركتم فإنهم خوفوه بآلهتهم فأنكر عليهم ذلك وعابهم بعدم الخوف من الله تعالى.

(٣) الاستفهام تقريري والجملة تحمل الوعيد الشديد للمشركين الكائدين الماكرين بالرسول ﷺ والمؤمنين والانتقام المكافأة بالشر على الشر وهو مشتق من النقم الذي هو الغضب.

(٤) قال مقاتل فسألهم رسول الله ﷺ فسكتوا وقال بعضهم لا تدفع شيئا ولكنها تشفع!!

على إعـطاء ولا على إمساك إذاً فقل حسبي الله أعبده وأتوكل عليه إذ هو الذي يضر وينفع ويجلب الخير ويدفع السوء والشر. وقوله ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ أي على الله وحده يتوكل المتوكلون فيثقون في كفايته لهم فيفوضون أمورهم إليه ويتعلقون به. وينفضون أيديهم من غيره.

وقوله تعالى: ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي لما أبيتم إلا العناد مصرين على الشرك بعد ما قامت الحجج والأدلة القاطعة على بطلانه فاعملوا على مكانتكم أي حالتكم التي عليها من الشرك والعناد ﴿إني عامل﴾ أنا على حالتي من الإيمان والتوحيد والانقياد. والنتيجة ستظهر فيما بعد لا محالة ويعلم المحق من المبطل، والمُهتدي من الضال وهي قوله تعالى: ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾[1] أي يذله ويكسر أنفه بالقتل والأسر والجوع والقحط وقد أصاب المشركين هذا في مكة وبدر. وقوله: ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ وهو عذاب النّار في الآخرة نعوذ بالله من العذابين عذاب الخزي في الحياة الدنيا وعذاب النار في الدار الآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير كفاية الله وولايته لعباده المؤمنين وخاصة ساداتهم من الأنبياء والأولياء.

٢ ـ تقرير مقتضى الولاية وهو النقمة من أعدائه تعالى لأوليائه وإن طال الزمن.

٣ ـ تقرير التوحيد وإبطال التنديد.

٤ ـ مظاهر ربوبية الله الموجبة لألوهيته.

٥ ـ وجوب التوكل على الله واعتقاد كفايته لأوليائه.

٦ ـ تقرير إنجاز الله وعده لرسوله والمؤمنين.

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي

(١) (من) استفهامية علقت فعل تعلمون عن العمل في مفعوليه.

لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ
وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ
قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ
إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾

شــرح الكلمات :

إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق : أي أنزلنا عليك يارسولنا القرآن بالحق أي ملتبساً به.

وما أنت عليهم بوكيل : أي ليس عليك أمر هدايتهم فتجبرهم على الإيمان

الله يتوفى الأنفس حين موتها : أي ينهى حياة العباد بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

والتي لم تمت في منامها : أي يتوفاها وقت النوم يحبسها عن التصرف كأنها شيء مقبوض.

فيمسك التي قضى عليهاالموت: أي يقبضها لحكمة بالموت عليها حال النوم.

ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى : أي التي لم يحكم بموتها يرسلها فيعيش صاحبها إلى نهاية أجله المعدود له.

إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون : أي في قبض الأرواح وإرسالها، والقدرة على ذلك دلائل وبراهين على قدرة الله تعالى على البعث الذي أنكره المشركون.

أم اتخذوا من دون الله شفعاء : أي أن كفـار مكة لايتفكرون ولو كانوا يتفكرون لما انكروا البعث، ولا ما اتخذوا من دون الله شفعاء لوضوح بطلان ذلك.

قل أولو كانوا لايملكون شيئاً : أي قل لهم أيشفع لكم شركاؤكم ولو كانوا لايملكون شيئاً ينكر عليهم دعواهم الشفاعة لهم وهي أصنام لا تملك ولا تعقل.

قل لله الشفاعة جميعا : أي أخبـرهم أن جميع الشفـاعـات لله وحـده فشفـاعة الأنبياء والشهداء والعلماء والأطفال مملوكة لله فلا يشفع أحد إلا بإذنه.

وإذا ذكر الله وحده اشمأزت : أي وإذا ذكر الله وحده كقول الرسول ﷺ لا إلا إلا الله نفرت نفوس المشركين وانقبضت وظهر الغضب والسخط في وجوههم.

وإذا ذكر الذين من دونه : أي الأصنام والأوثان التي يعبدونها من دون الله تعالى.

إذا هم يستبشرون : أي فرحون جذلون وذلـك لافتتـانهم بها ونسيانهم لحق الله تعالى وهو عبادته وحده مقابل خلقه ورزقه لهم.

معنى الآيات :

إن السياق الكريم كان في عرض الصراع الدائر بين الرسول ﷺ وقومه المشركين فدافع الله تعالى عن رسوله ودفع عنه كل أذى ومكروه وتوعد خصومه بالعذاب في الدنيا والآخرة وهنا يسليه ويصبره فيقول له ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾[1] أي القرآن ﴿للناس﴾ أي لهداية الناس واصلاحهم ﴿بالحق﴾ أي ملتبساً بالحق، فمن اهتدى بالقرآن فآمن وعمل صالحاً فعائد ذلك له حيث ينجو من النار ويدخل الجنة، ومن ضل لعدم قبوله هداية القرآن فأصر على الشرك والمعاصي فإنما يضل على نفسه أي عائد ضلاله على نفسه إذ هو الذي يحرم الجنة ورضا الله تعالى ويُلقى في النار خالداً فيها وعليه غضب من الله لايفارقه أبداً.

وقوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي لم يوكل إليك أمر هدايتهم فتجد نفسك في هم من ذلـك إن عليك إلا البلاغ المبين إنك لم تكلف حفظ أعمالهم ومحاسبتهم عليها، ولا أمر هدايتهم فتجبرهم على ذلك.

---

(١) في الآية مزيد بيان شرفه ﷺ بإنزال الكتاب عليه وتقرير رسالته، واللام في للناس للتعليل والباء في بالحق للملابسة. وفي الكلام محذوف تقديره لنفع الناس وهدايتهم بقرينة قوله بعد «فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه».

وقوله تعالى: في الآية الثانية من هذا السياق (٤٢) ﴿الله يتوفى الأنفس﴾[1] أي يقبض أرواحها ﴿حين موتها﴾ أي عند نهاية أجلها فيأمر تعالى ملك الموت فيخرج الروح بإذن الله ويقبضها، ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي يقبضها بمعنى يحبسها عن التصرف، حال النوم، فإن أراد موتها قبضها ولم يردها إلى جسدها، وإن لم يرد وفاتها أرسلها فتعود إلى الجسد ويعيش صاحبها إلى الأجل المسمى له وهي[2] نهاية عمره إن في ذلك القبض للروح والإرسال، والوفاة والإحياء لآيات اي دلائل وحجج كلها قاضية بأن القادر على هذا قادر على البعث والنشور الذي كذب به المشركون كما أن صاحب هذه القدرة العظيمة هو صاحب الحق المطلق في الطاعة والعبادة ولا تنبغي العبادة إلا له. وقوله ﴿لقوم يتفكرون﴾ وهم الأحياء بالإيمان أما الأموات وهم الكافرون فلا يجدون في ذلك آية ولا دليلاً وذلك لموتهم بالشرك والكفر.

وقوله تعالى: في الآية الثالثة (٤٣) ﴿أم[3] اتخذوا من دون الله شفعاء﴾أي بل اتخذ المشركون الذين كان المفروض فيهم أن يهتدوا على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة لو كانوا يتفكرون بدل أن يهتدوا إلى توحيد الله اتخذوا من دونه أوثانا سموها شفعاء يرجون شفاعتها لدى الله في قضاء حوائجهم. وذلك لجهلهم وسخف عقولهم. قال تعالى لرسوله: ﴿ قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾ أي قل لهم ايشفعون لكم ولو كانوا لايملكون شيئاً من أسباب الشفاعة ومقتضياتها ولو كانوا لايعقلون معنى الشفاعة ولا يفهمونه لأنهم أصنام وأحجار والاستفهام للتبكيت والتقريع. لو كان القوم يشعرون. ثم أمر تعالى رسوله أن يعلن عن الحقيقة وإن كانت عند المشركين مُرة ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ أي جميع أنواع الشفاعة هي ملك لله مختصة به فلا يشفع أحد إلا بإذنه، إذاً فاطلبوا الشفاعة من مالكها الذي له ملك السموات والأرض، لا ممن هو مملوك له، ولا يعقل حتى معنى الشفاعة ولا يفهمها وقوله ثم

---

(١) المراد بالأنفس الناس الذين يموتون إذ لفظ النفس يطلق على الذات ويطلق على الروح قال ابن عباس وغيره من المفسرين إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها، قال علي رضي الله عنه فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة ، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها فلقيها الشياطين وتخيل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة.

(٢) شاهد هذا من السنة حديث الصحيحين وفيه قوله ﷺ إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض بداخلة إزاره فإنه لا يدري من خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها ،وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. والشاهد في إمساك الروح في المنام وإرسالها.

(٣) أم هذه هي المنقطعة وهي للإضراب الانتقالي وهو انتقال من تشنيع شركهم إلى إبطال معاذيرهم في شركهم.

إليه ترجعون أي بعد الموت أحببتم أم كرهتم؟ فاتخذوا لكم يداً عنده بالإيمان به وتوحيده في عبادته.

وقوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ هذا كشف عن حال المشركين، وما هم عليه من الجهل والسفه إنهم إذا سمعوا لا إله إلا الله ينفرون وينقبضون ويظهر ذلك غضباً في وجوههم، يكادون يسطون على من قال لا إله إلا الله، وإذا ذكر الذين من دونه أي وإذا ذكر الأصنام التي يعبدونها من دون الله إذا هم يستبشرون فرحون مسرورون، وهذا عائد إلى افتتانهم بأصنامهم، ونسيانهم لحقوق ربهم عليهم وهي الإيمان به وعبادته وحده مقابل ما خلقهم ورزقهم ودبر حياتهم، ولكن أنى لأهل ظلمة النفس وانتكاس القلب أن يعواويفهموا؟

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر والثبات في أصعب الظروف.

٢ ـ مظاهر قدرة الله في الموت والحياة مما يقتضي الإيمان به وبلقائه وتوحيده.

٣ ـ إبطال حجة المشركين في عبادة الأوثان من أجل الشفاعة لهم إذ الشفاعة كلها لله.

٤ ـ بيان خطأ من يطلب الشفاعة من غير الله، إذْ لا يملك الشفاعة إلا هو.(١)

٥ ـ بيان سفه المشركين وضلالهم في غضبهم عند سماع التوحيد، وفرحهم عند سماع الشرك.

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ
فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

(١) الشفاعة أمر معنوي فملكها معناه تحصيل إجابتها إذ الأمور المعنوية لا تملك.

شـــرح الكلمـات :

قل اللهم فاطر السموات والأرض: قل يانبينا: يا الله ياخالق السماوات والأرض.

عالم الغيب والشهادة : أي ياعـالم الغيب وهو كل ما غاب عن الأبصار والحواس والشهادة خلاف الغيب.

فيما كانوا فيه يختلفـــون : أي من أمور الدين عقائد وعبادات.

ولو أن للذين ظلمـوا : أي ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي.

وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون: أي وظهر لهم من عذاب الله ما لم يكونوا يظنونه.

وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون: وأحاط بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿قل اللهم﴾[(١)] هذا إرشاد من الله تعالى لرسوله أن يفزع إليه بالدعاء والضراعة إذ استحكم الخلاف بينه وبين خصومه وضاق الصدر أي قل يارسولنا يا الله ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي خالقهـا، ﴿عـالم الغيب والشهـادة﴾ أي ما غاب عن الأبصار والحواس فلم يُدركْ، والشهـادة وهـو مارؤي بالأبصـار وأدرك بالحواس ﴿أنت تحكم بين عبادك﴾ مؤمنهم وكـافـرهـم ﴿فيمـا كانـوا فيه يختلفون﴾ من الإيمان بك وبلقائك وصفاتك وعبادتك ووعدك ووعيدك اهدني لما اختلفوا فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

وقوله تعالى: ولو أن للذين ظلموا أي أنفسهم بالشرك وهو الظلم العظيم وبغشيان المعاصي والذنوب لو أن لهم عند معاينة العذاب يوم القيامة ما في الأرض جميعا من أموال ونفائسها ومثله معه وقبل منهم الفداء لافتدوا به من سوء العذاب، ولما ترددوا أبداً وهذا دال على شدة العذاب وأنه لا يطاق ولا يحتمل مع حرمانهم من الجنة ونعيمها.

وقوله تعالى: ﴿وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون﴾[(٢)] أي وظهر لهم أي لأولئك الذين إذا ذكر الله وحـده اشمـأزت قلوبهم وإذا ذكرت الأصنام فرحوا بذلك واستبشروا وبدا لهم من ألوان العذاب ما لم يكونوا يظنون ولا يحتسبون. وقوله تعالى: ﴿وبدا لهم سيئات[(٣)] ماكسبوا﴾ أي من

---

(١) رواه مسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان يستفتح به صلاته من الليل وروي عن سعيد بن جبير انه قال إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط فسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه قوله ﴿قل اللهم فاطر السموات﴾ .. الخ».

(٢) روي ان محمد ابن المنذر جزع عند موته جزعاً شديداً وقيل له ما هذا الجزع؟ قال: أخاف آية من كتاب الله ﴿وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون﴾.

(٣) السيئات جمع سيئة وهو وصف أضيف إلى موصوفه وهو الموصول ﴿ماكسبوا﴾ أي مكسوباتهم السيئات وتأنيثها باعتبار شهرة إطلاق السيئة على الفعلة القبيحة.

الشرك والكفر والفسق والعصيان أي ظهر لهم وتجلى أمامهم فاشتد كربهم وعظم الأمر عندهم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون أي أحاط بهم وحدق عليهم العذاب الذي كانوا إذا ذكر لهم وعيداً وتخويفاً استهزأوا به وسخروا منه وممن يذكرهم به ويخوفهم منه كالرسول ﷺ والمؤمنين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - مشروعية اللجوء إلى الله تعالى عند اشتداد الكرب وعظم الخلاف والدعاء بهذا الدعاء وهو «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» إذ ثبتت السنة به.

والآية ذكرت أصله.

٢ - بيان عظم العذاب وشدته يوم القيامة وأن المرء لو يقبل منه فداء لا فتدى منه بما في الأرض من أموال ومثله معه.

٣ - التحذير من الاستهزاء بأخبار الله تعالى ووعده ووعيده.

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟
وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

شــرح الكلمـات :

فإذا مس الإنسان ضر دعانا : أي أصـاب الإنسان الكافر ضُر أي مرض وغيره مما يضره دعانا أي سأل كشف ضره.

ثم إذا خولناه نعمة منا : ثم إذا خولناه أي أعطيناه نعمة منا من صحة أو مال وغيرهما.

قال إنما أوتيته على علم : قال أي ذلك الكافر إنما أوتيت ذلك العطاء على علم من الله بأني استحقه

بل هي فتنة : أي تلك النعمـة لم يعطها لأهليته لها، وإنما أعطيها فتنةً واختباراً له.

ولكن أكثرهم لا يعلمون : أي أن ما أعـطوه من مال وصحة وعافية هو فتنة لهم وليس لرضا الله تعالى عنهم.

قد قالها الذين من قبلهم : أي قال قولتهم من كان قبلهم كقارون فلم يلبثوا أن أخذوا فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون.

والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم: أي والذين ظلموا بالشرك من هؤلاء أي من كفار قريش.

سيئات ما كسبوا.[1] : أي كما أصاب من قبلهم وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا في بدر.

وما هم بمعجزين : أي فائتين الله تعالى ولا غالبين له.

أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق: أي أقالوا تلك المقالة ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق.

لمن يشاء ويقدر : أي يوسعه لمن يشاء امتحاناً، ويضيقه ابتلاء.

إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون : أي إن في ذلك المذكور من التوسعة امتحانا والتضييق ابتلاء لآيات أي علامات على قدرة الله وكمال تدبيره لأمور خلقه.

معنى الآيات :

مازال السياق في بيان حيرة المشركين وفساد قلوبهم نتيجة كفرهم وجهلهم فقوله تعالى:

---

(١) أي أصابهم سوء كسبهم وقبحه وهو ما عملوه من سيئات الشرك والمعاصي.

﴿فإذا مسَّ الإنسان ضرٌّ دعانا﴾[1] يعني ذاك الكافر الذي إذا ذكر الله وحده اشمأزّت نفسه وإذا ذكرت الأوثان سُر وفرح واستبشر هذا الإنسان إذا مسَّه ضرٌّ من مرض أو غيره مما يضر ولا يسر دعا ربَّه منيباً إليه ولم يشرك معه في هذه الحال أحداً لعلمه أن الأوثان لا تكشف ضراً ولا تعطي خيراً، وإذا خوله الله تعالى نعمة من فضله ابتلاء له قال إنَّما أوتيت الذي أوتيت على علم من الله بأني أهل لذلك[2]، فأكذبه الله تعالى فقال بل هي فتنة، ولكن أكثرهم أي أكثر المشركين لايعلمون أن الله تعالى إذا أعطاهم إنما أعطاهم ليفتنهم لا لحبه لهم ولا لرضاً عنهم. والدليل على أن ذلك العطاء للمشركين فتنة لا غير أن قولتهم هذه قد قالها الذين من قبلهم كقارون وغيره فلم يلبثوا حتى أخذهم الله بذنوبهم فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون من أموال طائلة، قال تعالى: فأصابهم سيئات ما كسبوا فلم يؤخذوا بدون ذنب بل أخذوا بذنوبهم وهو قوله تعالى فأصابهم[3] سيئات ما كسبوا وقوله تعالى والذين ظلموا من هؤلاء أي من كفار قريش سيصيبهم أيضاً سيئات ما كسبوا من الشرك والعناد والظلم، وماهم بمعجزين لله فائتينه أبداً وكيف وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا وأسروا في بدر والفتح.

وقوله تعالى أو لم[4] يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي أقالوا مقالتهم تلك ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء امتحاناً له أيشكر أم يكفر ويقدر أي يضيق على من يشاء ابتلاء له أيصبر أم يضجر ويسخط فلم يكن بسطه الرزق حباً في المبسوط له، ولا التضييق كرهاً للمضيق عليه، وإنما البسط كالتضييق لحكمة التربية والتدبير، ولكن الكافرين لايعلمون هذا فجهلهم بالحكم جعلهم يقولون الباطل ويعتقدونه أما المؤمنون فلا يقولون مقالتهم لعلمهم ونور قلوبهم فلذا هم يجدون الآيات في مثل هذا التدبير واضحة دالة على علم الله وحكمته وقدرته فيزدادون إيمانا ونوراً وبصيرة.

هداية الآيات:

١ ـ بيان تناقض أهل الكفر والجهل والضلال في كل حياتهم لأنهم يعيشون على ظلمة الجهل

---

(١) في هذه الآية بيان حقيقة وهي أن كفار قريش كانوا يؤمنون بالله ربا فهم أفضل من كفار البلاشفة الشيوعيين الذين لا يؤمنون بالله تعالى كما أن كفار قريش أحسن حالاً من بعض جهال المسلمين اليوم إذ يخلصون الدعاء لله في الشدة وجهال المسلمين يشركون في الرخاء والشدة معاً وذلك بدعائهم الأولياء والأموات والاستغاثة بهم في كل حال.

(٢) قال بعضهم على علم أي بوجوه الكسب وطرق تنمية المال وتكثيره حتى لا يحمد الله ولا يشكره ولا منافاة بين هذا وما في التفسير إذ بعضهم يقول هذا وبعض يقول ذاك.

(٣) أي جزاء سيئات كسبهم من الشرك والشر والفساد.

(٤) الاستفهام إنكاري ينكر تعالى عليهم انتفاء علمهم بذلك لأنهم تسببوا في انتفاء العلم فلذا تضمن الاستفهام توبيخاً لهم.

والكفر.

٢ ـ تقرير ما من مصيبة إلا بذنب جلي أو خفي كبير أو صغير.[١]

٣ ـ بيان أن بسط الرزق وتضييقه على الأفراد أو الجماعات لا يعود إلى حُب الله للعبد أو كرهه له، وإنما يعود لسنن التربية الإلهية وحكم التدبير لشؤون الخلق.

٤ ـ أهل الإيمان هم الذين ينتفعون بالآيات والدلائل لأنهم أحياء يبصرون ويعقلون أما أهل الكفر فهم أموات لايرون الآيات ولايعقلونها.

٥ ـ تهديد الله تعالى للظالمين ووعيده الشديد بأنه سيصيبهم كما أصاب غيرهم جزاء ظلمهم وكسبهم الفاسد.

۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن
رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

(١) شاهده قوله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ الآية من الشورى وقوله ﷺ «والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو عنه أكثر» رواه ابن أبي حاتم. قال لما نزلت هذه الآية قاله رسول الله ﷺ.

شــرح الكلمـات:

ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم: أي أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي.

لا تقنطوا من رحمة الله : أي لا تيأسوا من المغفرة لكم ودخول الجنة.

إن الله يغفر الذنوب جميعا : أي ذنوب من أشرك وفسق إن هو تاب توبة نصوحا

وأنيبوا إلى ربكم : أي ارجعوا إليه بالإيمان والطاعة.

وأسلموا له : أي أخلصوا له أعمالكم.

واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم : أي القرآن الكريم فأحلوا حلاله وحرموا حرامه.

أن تقول نفس ياحسرتى : أي نفس الكافر و المجرم ياحسرتى أي ياندامتي.

على ما فرطت في جنب الله : أي في جانب حق الله فلم أطعه كما أطاعه غيري.

وإن كنت لمن الساخرين : أي المستهزئين بدين الله تعالى وعباده المؤمنين.

لو أن لي كرة فأكون من المحسنين : أي لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأكون إذاً من المؤمنين الذين أحسنوا القصد والعمل.

بلى قد جاءتك آياتي : أي ليس الأمـر كما تزعم أنك تتمنّى الهداية بل قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت.

معنى الآيـات:

لقد صح أن أناسا كانوا[(١)] قد أشركوا وقتلوا وزنوا فكبر عليهم ذلك وقالوا نبعث إلى رسول الله ﷺ من يسأله لنا هل لنا من توبة فإن قال: نعم، وإلا بقينا على ما نحن عليه وقبل أن يصل رسـولهم نزلت هذه الآية ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أي أفرطوا في ارتكاب الجرائم فكانوا بذلك مسرفين على أنفسهم ﴿لاتقنطوا﴾ أي لاتيأسوا﴿من رحمة الله﴾في أن يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة،إن أنتم تبتم إليه وأنبتم ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً[(٢)]﴾ لمن تاب منها فإنه تعالى لا يستعصي عليه ذنب فلا يقدر على مغفرته وعدم المؤاخذة عليه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) لقد ذكر لسبب نزول هذه الآية عدة مناسبات وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا حاجة إلى ذكرها وما في التفسير كافٍ وهو ما تضمنته رواية البخاري.

(٢) قوله تعالى ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ تعليل للنهي عن اليأس والقنوط من رحمة الله.

وقوله تعالى: ﴿وأنيبوا[1] إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون[2]﴾ أي أيهـا المذنبون المسرفون أنيبوا إلى ربكم أي ارجعوا إلى طاعته بفعل المأمور وترك المنهي وأسلموا له أي أخلصوا أعمالكم ظاهراً وباطناً له مبادرين بذلك حلول العذاب قبل أن يحل بكم ثم لا تنصرون أي لا تقدرون على منعه منكم ولا دفعه عنكم.

﴿واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم﴾ في هذا القرآن العظيم فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهي وخذوا بالعزائم واتركوا الرخص مبادرين بذلك أيضا حلول العذاب قبل أن يحل بكم بغتة أي فجـأة وأنتم لا تشعرون به، بادروا بالتوبة والإنابة والإسلام الصادق ظرفاً تقول فيه النفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله أي ياحسرتى[3] ياندامتى الحاملة لي الغم والحزن احضري هذا وقت حضورك على تفريطي في جانب[4] حق الله تعالى حيث ما عبدته حق عبادته فلا ذكرته ولاشكرت له ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي المستهزئين بدينه وعباده المؤمنين ياله من اعتراف يودي بصاحبه في سواء الجحيم، بادروا ياعباد الله هذاوذاك ﴿أو تقول لو أن الله هداني[5] لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة[6]﴾ أي رجعة إلى الحياة الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ أي المؤمنين الذين أحسنوا النية والقصد والعمل. قال تعالى: راداً على تمنياتهم الكاذبة ﴿بلى﴾ أي ليس الأمر كمازعمت أيها المتمني بقولك ﴿لو أن الله هداني لكنت من المتقين﴾ للشـرك والمعاصي التي وقعت بها في جهنم بل جاءتك آياتي هادية لك مرشدة فكذبت بها واستكبرت عن العمل بما جاء فيها وكنت من الكافرين بذلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان فضل الله ورحمته على عباده بقبول توبة العبد إن تاب مهما كانت ذنوبه.

٢ ـ دعوة الله الرحيم إلى عباده المذنبين ـ بالانابة إليه والإسلام الخالص له.

٣ ـ تقرير البعث والجزاء بذكر مايحدث فيه وما يجرى في ساحته من أهوال.

---

(١) الإنابة التوبة ولما في التوبة من معنى الرجوع عدي الفعل بإلى.
(٢) النصر: الإعانة على الغلبة بحيث يتخلص المغلوب من يد غالبه ولا نصير لأحد على الله تعالى.
(٣) الحسرة: الندامة الشديدة والألف في (يا حسرتا) عوض عن ياء المتكلم.
(٤) قال الحسن في طاعة الله وقال الضحاك في ذكر الله يعني القرآن والعمل به، وقال أبو عبيدة أي في ثواب الله وما في التفسير جامع شامل والجنب والجانب بمعنى واحد.
(٥) هذه كلمة حق أريد بها باطل كما قال علي للخوارج لما قالوا لا حكم إلا لله.
(٦) الكرة: الرجعة ولو للتمني فهي وليت سواء.

٤ - وجوب تعجيل التوبة والمبادرة بها قبل حلول العذاب في الدنيا أو الموت والموت أدهى وأمر حيث لا تقبل توبة بعد الموت أبداً.
٥ - الترغيب في الأخذ بالعزائم وترك الرخص لغير ضرورة.
٦ - إبطال مذهب الجبرية الذين يرون أنهم مجبورون على فعل المعاصي وغشيان الذنوب، كقول أحدهم لو أن الله هداني لفعلت كذا أو تركت كذا.
٧ - فضل التقوى والإحسان وفضل المتقين والمحسنين.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ
خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا
ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ
فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات:

ويوم القيامة : أي بأن يبعث الناس من قبورهم.

ترى الذين كذبوا على الله : أي باتخاذ أولياء من دونه وبالقول الكاذب عليه سبحانه وتعالى.

وجوههم مسودة : أي سوداء من الكرب والحزن وعلامة على أنهم من أهل النار وأنهم ممن كذبوا على ربهم.

أليس في جهنم مثوى للمتكبرين : أي أليس في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين؟ بلى إن لهم فيها لمثوى بئس هو من مثوى للمتكبرين عن عبادة الله تعالى.

وينجي الله الذين اتقوا : أي ينجيهم من النار بسبب تقواهم للشرك والمعاصي.

بمفازتهم لايمسهم السوء ولا هم يحزنون : أي بفوزهم بالجنة ونزولهم فيها لا يمسهم السوء أي العذاب ولا هم يحزنون لما نالهم من النعيم.

له مقاليد السموات والأرض : أي مفاتيح خزائن السموات والأرض.

أولئك هم الخاسرون : أي الخاسرون لأنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

قل أفغير الله تأمروني أعبد : قل يارسولنا للذين طلبوا منك أن تعبد معهم آلهتهم أتأمروني بعبادة غير الله، فهل تصلح العبادة لغيره وهو رب كل شيء وإلهه فما أسوأ فهمكم أيها الجاهلون.

لئن أشركت : أي من باب الفرض لو أشركت بالله غيره في عبادته لحبط عملك ولكنت من الخاسرين.

بل الله فاعبد وكن من الشاكرين : أي بل أعبد الله وحده، إذ لا يستحق العبادة إلاّ هو وكن من الشاكرين له على إنعامه عليك بالنبوة والرسالة والعصمة والهداية.

معنى الآيات :

لقد تقدم في السياق الأمر بتعجيل التوبة قبل الموت فيحصل الفوت، وذلك لأن يوم القيامة يوم أهوال وتغير أحوال وفي الآيتين الآتيتين بيان ذلك قال تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾[1] بأن نسبوا إليه الولد والشريك والتحليل والتحريم وهو من ذلك براء هؤلاء ﴿وجوههم مسودة﴾[2] علامة أنهم كفروا وكذبوا وأنهم من أهل النار.

---

(١) هم الذين نسبوا إليه ما هو منزه عنه كالشريك والصاحبة والولد، ويدخل في هذا كل من نسب إلى الله تعالى صفة لا دليل له فيها، وكذا من شرع شيئا ونسبه إلى الله تعالى ليقبل منه ويروج، ولا يدخل أهل الاجتهاد إذا اخطأوا في الأدلة والحكم المقيس الذي لا نص فيه ولا يجوز أن يقال فيه قال الله أو أمر أو شرع تحاشياً من النسبة إلى الله تعالى بغير نص من كتاب أو سنة.

(٢) جملة وجوههم مسودة مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال، لأن الرؤيا بصرية وليست قلبية.

وقـولـه تعـالى: ﴿أليس في جهنم مثـوى للمتكبـرين﴾ (١) (٢) أي بلى في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين الذين تكبروا عن الإيمان والعبادة. وقوله تعالى: ﴿وينجي الله أي تلك حال وهذه أخـرى وهي أن الله تعـالى ينجي يوم القيامة الذين اتقوا الشرك والمعاصي بالإيمان والطاعة هؤلاء بفـوزهم بالجنـة لا يمسهُم السوء في عرصات القيامة، ولاهم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم في الدنيا لأن ما نالهم من نعيم الجنة أنساهم ماتركوا وراءهم وقوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ أي ما من كائن سوى الله تعالى إلا وهو مخلوق والله خالقه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي قيم حافظ، فسبحانه ما أعظم قدرته وما أوسع علمه فلذا وجبت له العبادة ولم تجز فضلا عن أن تجب لسواه.

وقـوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ (٣) أي له ملكا حقاً مفاتيح خزائن الرحمات والخيرات والبركات فهو يفتح ما يشاء ويمسك ما يشاء فلايصح الطلب إلا منه ولا تجوز الرغبة إلا فيه وما عبد الناس الأوثان والأصنام إلا رغبة ورهبة فلو علموا أن رهبتهم لا تكون إلا من الـذي يقـدر على كل شيء وأن رغبتهم لا تكون إلا في الذي بيده كل شيء لو علموا هذا ماعبدوا غير الله تعالى بحال.

وقوله تعالى ﴿والذين كفروا بآيات الله الحاوية لإيمانه وصفاته وبيان محابه ومكارهه وحدوده وشرائعه ولذا من كفر بآيات الله فلم يؤمن بها ولم يعمل بما فيها خسر خسراناً مبيناً بحيث يخسر يوم القيامة نفسه وأهله، وذلك هو الخسران المبين.

وقـوله تعالى: ﴿قل أفغير الله﴾ الآية هذا ردٌّ على المشركين الذين طلبوا من الرسول أن يعترف بآلهتهم ويرضى بها مقابل أن يعترفوا له بما جاء به ويدعو إليه فأمر تعالى أن يفاصلهم بقوله: ﴿أفغير الله (٤) تأمروني (٥) أعبد أيها الجاهلون﴾ لن يكون هذا مني أبداً كيف أعبد غير الله وهو

---

(١) الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا والاستفهام للتقرير.

(٢) التكبر شدة الكبر وهو إظهار المرء التعاظم علي غيره لأنه يعد نفسه عظيما وفي التنديد به من حديث مسلم «إن الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر».

(٣) المقاليد جمع إقليد وجمع على غير قياس والمراد مفاتيح خزائن السماء والأرض حيث أرزاق العباد وما به تقوم حياتهم، من أمطار وزروع وضروع ومعادن وغيرها.

(٤) غير منصوب بأعبد، وأعبد مرفوع لحذف ان مع حرف الجر إذ الأصل بأن أعبد فلما حذف الناصب ارتفع الفعل. هذا على رأي كثير من النحاة والجمهور يقولون لا حذف وأعبـد هو المستفهم عنه، وتأمروني اعتراض أو حال وتقدير الكلام أأعبد غير الله لكونكم تأمروني بذلك.

(٥) قرأ نافع تأمرون بنون واحـدة مخففة بحذف إحدى النونين، وقرأ حفص والجمهور تأمروني بتشديد النون إدغاماً لإحدى النونين في الأخرى وفي جملة أيها الجاهلون تقريع لهم ووصف لهم بالجهل وهو وصف مذموم.

ربي ومالك أمري وهو الذي كرمني بالعلم به وأوحى إليَّ شرائعه. فلتيأسوا فإن مثل هذا لن يكـون أبـداً، ووصفهم بالجهـل لأن جهلهم[1] بالله وعـظمتـه هو الـذي سول لهم عبادة غيره والتعصب لها.

وقوله تعالى: ﴿ولقد أوحى إليك أي أوحى الله إليك كما أوحى إلى الأنبياء من قبلك بالتالي وهو وعزة الله وجلاله لئِن أشركت بنا غيرنا في عبادتنا ليحبطن[2] عملك أي يبطل كله ولا تثاب على شيء منـه وإن قل، ولتكـونن بعـد ذلك من جملة الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين. ثم أمر تعالى رسوله مقرراً التوحيد مبطلاً الشرك بقوله: ﴿بل الله فاعبد[3] وكن من الشاكرين﴾ أي الله وحده فاعبده وكن من الشاكرين له على إنعامه وأفضاله عليك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ إسوداد الوجه يوم القيامة علامة الكفر والخلود في جهنم.

٢ ـ ابيضاض الوجوه يوم القيامة علامة الإيمان[4] والخلود في الجنة.

٣ ـ تقرير البعث والجزاء بوصف أحواله ومايدور فيه.

٤ ـ بيد الله كل شيء فلا يصح أن يطلب شيء من غيره أبداً، ومن طلب شيئاً من غير الله فهو من أجهل الخلق.

٥ ـ التنديد بالشرك وبيان خطورته إذْ هو محبط للأعمال بالكلية.

٦ ـ وجوب عبادة الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه ووجوب حمده وشكره إذ كل إنعام منه وكل إفضال له. فلله الحمد والمنة.

---

(١) العرب مع انهم أميون يعترفون بفضل العالم على الجاهل قال شاعرهم:

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم   فليس سواء عالم وجهول

(٢) حبوط العمل بطلانه حيث لا يثاب عليه والخسران مقيد بأن يموت على الردة أما إن راجع الإسلام فلا يخسر لآية ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾ فالآية مقيدة لإطلاق آية الزمر.

(٣) بل للإبطال أي إبطال عبادة ما دعاه إليه المشركون وقصره على عبادة الله وحده وأمره أن يكون في جملة الشاكرين لله إنعامه عليهم بنعمة الإسلام.

(٤) شاهده آية آل عمران ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ الآية.

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ
وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ
بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

شـرح الكلمات:

وما قدروا الله حق قدره : أي ما عظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته حين أشركوا في عبادته غيره من أوثانهم.

والأرض جميعا قبضته : أي والأرض بجميع أجزائها قبضته.

والسموات مطويات : أي والسموات السبع مطويات بيمينه.

سبحانه وتعالى عما يشركون: أي تقدس وتنزه عما يشرك به المشركون من أوثان.

ونفخ في الصور : أي نفخ اسرافيل نفخة الصعق.

ثم نفخ فيه أخرى : أي مرة أخرى وهي نفخة القيام لرب العالمين.

وأشرقت الأرض بنور ربها : أي أضاءت الأرض بنور الله تعالى حين يتجلى لفصل القضاء.

ووضع الكتاب : أي كتاب الأعمال للحساب.

وجيىء بالنبين والشهداء : أي بالنبيين ليشهدوا على أممهم، والشهداء محمد وأمته.

وقضي بينهم بالحق : أي بالعدل وهم لا يظلمون لا بنقص حسناتهم ولا بزيادة سيئاتهم.

وهو أعلم بما يفعلون : أي أعلم حتى من العاملين أنفسهم.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾[1] إنه بعد أن قرر تعالى التوحيد وندد بالشرك والمشركين أخبر تعالى ناعياً على المشركين شركهم ودعوتهم نبيه للشرك بأنهم بفعلهم ذلك ماقدروا الله حق قدره أي ماعظموه حق عظمته وذلك لجهلهم به تعالى حين عبدوا معه غيره ودعوا نبيه إلى ذلك، وقوله: ﴿والأرض جميعا[2] قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾[3] فالذي يجعل الأرض بكل طبقاتها وأجزائها في قبضته والسموات يطويها بيمينه فالسموات والأرض جميعا في يده، ويقول أنا الملك أين الملوك. فصاحب هذه القدرة العظمى كيف يعبد معه آلهة أخرى هي أصنام وتماثيل أوثان. ولذا نزه تعالى نفسه بقوله﴿سبحانه﴾أي تنزه وتقدس عن الشريك والنظير والصاحبة والولد وعن صفات المحدثين، وتعالى عما يشركون أي ترفع عن أن يكون له شريك وهو رب كل شيء ومليكه.

وقوله تعالى: ونفخ في الصور[4] الآية هذا عرض لمظاهر القدرة التي يتنافى معها عقلاً وجود من يستحق العبادة معه سبحانه وتعالى، والنافخ في الصور أي البوق اسرافيل قطعا إذْ هو الموكل بالنفخ في الصور فإذا نفخ هذه النفخة صعق من[5] في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فهذا استثناء دال على أن بعضا من المخلوقات لم يصعق في هذه النفخة، ﴿ثم نفخ فيه﴾ أي في الصور نفخة ﴿أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ هذه النفخة تسمى نفخة القيام لله رب العالمين لأجل الحساب وقوله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب[6]﴾ أي كتاب الأعمال للحساب ﴿وجيء بالنبيّين﴾ ليشهدوا على أممهم وجيء بالشهداء وهم أمة

(١) حق قدره فيه إضافة الصفة إلى الموصوف فحق صفة، والقدر موصوف إذ الأصل (ما قدروا الله قدره الحق) فالحق منصوب على النيابة عن المفعول المطلق.

(٢) جرد جميع من التاء إذ لم يقل والأرض جميعة جريا على الغالب وقد اثبتت في قول الشاعر:

فلو انها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفساً

ونصب جميعاً على الحال.

(٣) شاهده في البخاري قوله ﷺ «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض»؟ وفي الترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ قالت قلت فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: على جسر جهنم، وفي رواية على الصراط يا عائشة».

(٤) الصور البوق ينادى به البعيد المتفرق مثل الجيش، والمراد هنا نداء الخلق لحضور الحشر أحياء للحساب والجزاء.

(٥) بالتتبع للآيات القرآنية المتضمنة لأحوال الدار الآخرة نجد أن النفخات للصور أربع نفخات: وهي نفخة الفناء، ونفخة البعث، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين. وفي هذه الآيات ذكر نفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين سميت هذه نفخة صعق لأن الخلائق يصعقون ولا يموتون بدليل حديث البخاري «فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله تعالى» لفظ مسلم. قال القرطبي والإفاقة إنما تكون من غشية وزوال عقل لا عن موت برد الحياة والله أعلم.

(٦) الكتاب اسم جنس والمراد صحائف أعمال العباد الحاوي للحسنات والسيئات.

محمد يشهدون على الأمم السابقة بأن رسلها قد بلغتهم دعوة الله، وشهادة أمة محمد قائمة على ما أخبرهم تعالى في كتابه القرآن الكريم أن الرسل قد بلغت رسالات ربها لأممها، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ أي خياراً عدولا ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً.﴾ وقوله: ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي وحكم الله تعالى بين العباد بالعدل، ووفي كل نفس ما عملت من خير أو شر، وهو تعالى أعلم بما يفعلون حتى من العاملين أنفسهم ولذا سيكون الحساب عادلاً لا حيف فيه لخلوه من الخطأ والغلط والجهل والنسيان لتنزه الباريء عز وجل عن ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان مظاهر عظمة الرب تعالى التي يتنافى معها الشرك به عز وجل في عباداته.

٢ - تقرير البعث والجزاء بيان أحواله وما يجرى فيه.

٣ - بيان عدالة الله في قضائه بين عباده في عرصات القيامة.

٤ - فضيلة هذه الأمة بقبولها شاهدة على الأمم التي سبقتها.

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ
يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى
ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى
ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ

نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾
وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

شـــرح الكلمـات :

وسيق الذين كفروا : أي وساق الملائكة بعنف الذين كفروا.

إلى جهنم زمراً : أي جماعات، جماعة المشركين، وجماعة المجرمين وجماعة الظالمين.

وقال لهم خزنتها : أي الموكلون بالنار من الملائكة الواحد خازن.

ألم يأتكم رسل : هذا الاستفهام للتقرير والتوبيخ.

حقت كلمة العذاب : أي وجب العذاب للكافرين.

وسيق الذين اتقوا : أي وساقت الملائكة بلطف على النجائب الذين اتقوا ربهم أي أطاعوه ولم يشركوا به.

وفتحت أبوابها : أي والحال أن أبواب الجنة قد فتحت لاستقبالهم.

والحمد لله الذي صدقنا وعده : أي أنجز لنا وعده بالجنة.

وأورثنا الأرض : أي أرض الجنة وصورة الإرث نظراً إلى قوله تعالى في وعده لهم تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً [1]

نتبوأ من الجنة حيث نشاء : أي ننزل من حيث نشاء.

فنعم أجر العاملين : أي الجنة.

حافين من حول العرش : أي مُحدقين بالعرش من كل جانب.

يسبحون بحمد ربهم : أي يقولون سبحان الله وبحمده.

وقضي بينهم بالحق : أي وقضي الله بمعنى حكم بين جميع الخلائق بالعدل.

وقيل الحمد لله رب العالمين: أي وقالت الملائكة والمؤمنون الحمد لله رب العالمين على استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

---

(١) وجه الورث ان الله تعالى خلق لكل انسان منزلا في النار وآخر في الجنة ثم هم يتوارثون فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار في الجنة وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة في النار.

معنى الآيات :

بعد الفراغ من الحكم على أهل الموقف وذلك بأن حكم تعالى فيهم بحسب عملهم فوفّى كل عامل بعمله من كفر ومعاصٍ ، أو إيمان وطاعة قال تعالى مخبراً عن مصير الفريقين ﴿وسيق[1] الذين كفروا﴾ أي ساقتهم الملائكة بشدة وعنف لأنهم لايريدون الذهاب ﴿إلى جهنم زمراً﴾ أي جماعات ولفظ الزمرة مشتق من الزمر الذي هو الصوت إذ الغالب في الجماعة أن يكون لها صوت. وقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ إذ كانت مغلقة كأبواب السجون لا تفتح إلا عند المجيء بالسجناء، ﴿وقال لهم خزنتها[2]﴾ قبل الوصول إليها موبخين لهم ﴿ألم يأتكم[3] رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم﴾ أي المبينة لكم الهدى من الضلال والحق من الباطل، وما يحب ربكم من العقائد والأقوال والأعمال والصفات والذوات وما يكره من ذلك، ويدعوكم إلى فعل المحاب لتنجوا وترك المكاره لتنجوا وتسعدوا. فأجابوا قائلين بلى أي جاءتْنا بالذي قلتم ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ونحن منهم فوجب لنا العذاب، وعندئذ تقول لهم الملائكة ادخلوا[4] أبواب جهنم خالدين فيها، فبئس أي جهنم مثوى المتكبرين أي قبح مأوى المتكبرين في جهنم من مأوى.

وقوله تعالى: ﴿وسيق الذين[5] اتقوا ربهم إلى الجنة﴾ وسوقهم هو سوق النجائب التي يركبونها فهو سوق لطف وتكريم إلى الجنة دار السلام زمراً زمرة الجهاد وزمرة الصدقات وزمرة العلماء وزمرة الصلوات. . . . ﴿حتى إذا جاؤها﴾ وقد فتحت[6] أبوابها من قبل لاستقبالهم مُعَزَزين مكرمين، فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم أي طابت أرواحكم بأعمالكم الطيبة فطاب مقامكم في دار السلام فنعم التحية حيوا بها مقابل تأنيب وتوبيخ الزبانية لأهل النار. وقوله لهم فادخلوها أي الجنة حال كون خلودكم مقدراً لكم فيها. فقالوا بعد دخولهم الجنة ونزولها في

---

(١) هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الذين كفروا إلى النار والذين آمنوا إلى الجنان والزمر جمع زمرة كظلمة وظلم وغرفة وغرف، وهي جماعة بعد جماعة قال الشاعر:

وترى الناس إلى منزله زمراً تنتابه بعد زمرة

(٢) الخزنة جمع خازن كسدنة وسادن.

(٣) الاستفهام للتقرير مع التوبيخ والتقريع.

(٤) قال وهب: تستقبلهم الزبانية بمقامع من حديد فيدفعونهم بمقامعهم فإنه ليقع في الدفعة الأولى بعدد ربيعة ومضر. قال تعالى ﴿ولهم مقامع من حديد﴾.

(٥) سوق أهل النار طردهم إلى النار بالخزي والهوان كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان وسوق أهل الجنة سوق مراكبهم إلى دار السلام إنهم لا يذهب بهم إلا راكبين وشتان ما بين السوقين.

(٦) قرأ نافع والجمهور فتحت بتشديد التاء في الأولى والثانية وقرأ حفص بالتخفيف، والواو في قوله وفتحت واو الحال والجملة حالية في محل نصب.

قصورها الحمدلله الذي صدقنا وعده يعنون قوله تعالى: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾، وقولهم ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي أرض الجنة نتبوأ منها حيث نشاء أي ننزل منها حيث نريد النزول، وفي قولهم أورثنا الأرض إشارة إلى أنهم ورثوها من أبويهم آدم وحواء إذ كانت لهم قبل نزولهما منها. وقولهم فنعم أجر العاملين أي الجنة والمراد من العمل الإيمان والتقوى في الدنيا، بأداء الفرائض واجتناب النواهي وقوله تعالى: ﴿وترى الملائكة﴾ أيها الرائي ﴿حافين من(١) حول العرش﴾ أي محدقين بعرش الرحمن أي سريره ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ أي قائلين: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. قال تعالى مخبراً عن نهاية الموقف: ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي وقضى الله بين الخلائق بالعدل، ولما استقر أهل النار وأهل الجنة حُمدَ الله على الاستقرار التام والحكم العادل الرحيم وقيل الحمد لله ربِّ(٢) العالمين أي حمدت الملائكة ربها وحمده معهم المؤمنون وهم في دار النعيم المقيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان إهانة أهل النار بسوقهم على أرجلهم بعنف وتأنيبهم وتوبيخهم.

٢ ـ التنديد بالاستكبار عن عبادة الله وعباده تعالى.

٣ ـ بيان اكرام الله تعالى لأوليائه إذ يُحملون على نجائب رحالها من ذهب إلى الجنة، ويلقون فيها تحية وسلاما. تحية احترام وإكرام، وسلام أمان من كل مكروه.

٤ ـ بيان نهاية الموقف باستقرار أهل النار من الكفار والفجار في النار، واستقرار أهل الجنة من المؤمنين الاتقياء الأبرار في الجنة دار الأبرار.

٥ ـ ختم كل عمل بالحمد فقد ابتدأ الله الخالق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد، وقيل الحمد لله رب العالمين.

---

(١) من زائدة لتقوية الكلام نحو ماجاءني من أحد.

(٢) قال قتادة في هذه الآية افتتح الله أول الخلق بالحمد فقال: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) وختم بالحمد فقال «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» فحسن الاقتداء به فيبدأ العبد قوله بالحمد ويختمه بالحمد.

سُورَةُ غَافِر (١)

مكية

وآياتها خمس وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾

(١) وتسمى أيضا سورة المؤمن وسورة الطول وهي أول آل حم التي يقال لها ديباج القرآن وعرائس القرآن ويقال ذوات حٓمٓ وذكر القرطبي أن رجلاً من أهل الشام كان ذا بأس شديد فقيل لعمر وقد سأل عنه أنه تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حٓمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ثم ختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله يغفر لي وعذرني عقابه ، فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحدكم زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه .

شـــرح الكلمـات :

حـمٓ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا: حمٓ ويقرأ هكذا: حا مِيْم.

تنزيل الكتاب من الله : أي تنزيل القرآن كائن من الله.

العزيز العليم : أي الغالب على مراده، العليم بعباده ظاهراً وباطنا حالاً ومآلا.

غافر الذنب : أي ذنب من تاب إلى الله فرجع إلى طاعته بعد معصيته

شديد العقاب ذي الطول : أي مشدد العقوبة على من كفر به، ذي الطول أي الإنعام الواسع على من آمن به وأطاعه.

لا إله إلا هو إليه المصير : أي لا معبود بحق إلا هو إليه مرجع الخلائق كلهم.

ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا : أي في القرآن لإبطالها إلا الكافرون.

فلا يغررك تقلبهم في البلاد : أي فلا تغتر بمعاشهم سالمين فإن عاقبتهم النار.

والأحزاب من بعدهم : أي وكذبت الأحزاب من بعد قوم نوح، وهم عاد وثمود وقوم لوط.

وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه : أي ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل.

وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق : أي ليزيلوا به الحق و يبطلوه.

فكيف كان عقاب : أي كان واقعاً موقعه حيث أهلكم ولم يبق منهم أحداً.

كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا : أي وجبت كلمة العذاب على الذين كفروا.

معنى الآيات:

قوله تعالى: حمٓ : الله أعلم بمراده به

وقد ذكرنا غير ما مرة أن هذه الحروف أفادت فائدتين الأولى أن العرب المشركين في مكة كانوا قد منعوا المواطنين من سماع القرآن حتى لا يتأثروا به فيكفروا بآلهتهم فقد أخبر تعالى عنهم في قوله من سورة فصلت فقال: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبـون﴾ فكـانت هذه الحروف المقطعة بنغمها الخاص تستهويهم فيسمعوا فكانت فائدة عظيمة. والثانية أن المشركين لما أصروا على أن القرآن لم يكن وحياً وإنما هو من جنس ما يقـوله الشعراء والكهان. وأصحاب الأساطير تحداهم الله تعالى بالإتيان بمثله وهو مركب ومؤلف من هذه الحروف آلٓم طسٓ حَم والذي قوى هذه النظرية أنه غالبا ما يذكر القرآن بعد

ذكر هذه الحروف مثل آلم تلك آيات الكتاب، حم تنزيل الكتاب، حمّ والكتاب المبين فهاتان الفائدتان من أحسن ما استنبطه ذو الشأن في تفسير القرآن، وما عدا ذلك فلا يحسن روايته لخلوه من فائدة معقولة، ولا رواية عن الرسول وأصحابه منقولة.

وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ يخبر تعالى أنه عز وجل هو مصدر هذا القرآن إذ هو الذي نزله تنزيلاً على عبده ورسوله، ووصف نفسه بالعزة والعلم فقال العزيز أي في انتقامه من أعدائه الغالب على أمره ومراده فلا يحال بينه وبين ما يريده العليم بخلقه وحاجاتهم ومتطلباتهم، فأنزل الكتاب لهدايتهم وإصلاحهم. وقوله: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول[1]﴾ أعلم أنه تعالى يغفر ذنب المستغفرين ويقبل توبة التائبين وأنه شدد العقوبة على من كفر به وعصاه. وقوله ذي الطول أي الإنعام الواسع والفضل العظيم ﴿لاإله إلا هو[2]﴾ أي لامعبود بحق إلا هو العزيز الحكيم العزيز الغالب على أمره الحكيم في تدبير خلقه.

لما أثنى تبارك وتعالى على نفسه بما هو أهله أخبر رسوله بأنه ﴿مايجادل[3] في آيات الله﴾ القرآنية الحاوية للحجج القواطع والبراهين السواطع على توحيد الله ولقائه وعلى نبوة رسول الله مايجادل فيها ﴿إلا الذين كفروا﴾ وذلك لظلمة نفوسهم وفساد قلوبهم، وعليه فاصبر ولا تغتر بظاهر ما هم عليه من سعة الرزق وسلامة البدن، وهو معنى قوله: ﴿فلا يغررك[4] تقلبهم في البلاد﴾ أي آمنين معافين فى أبدانهم وأرزاقهم فإنهم ممهلون لا مهملون، والدليل فقد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب[5] من بعد قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون، وقد همت كل أمة من تلك الأمم برسولها لتأخذه فتقتله أو تنكل به. وقد جادلوا بالباطل كما جادل قومك من قريش ليدحضوا به الحق أي ليزيلوه ويبعدوه بباطلهم. فأخذتهم فكيف كان عقاب أي كان واقعاً موقعه والحمدلله إذ قطع الله دابرهم وأنهى وجودهم وخصومتهم.

---

(١) يطلق الطول على سعة الفضل وسعة المال كما يطلق مطلق القدرة وهو مأخوذ من الطول ضد القصر.

(٢) لا إله إلا هو في موضع الصفة لله عز وجل فتكون الصفة السابقة في هذه الآية الكريمة.

(٣) مستأنفة استئنافا بيانياً ناشئاً عن سؤال من قال ما دام هذا القرآن تنزيلاً من العزيز الحكيم وهو أمر لاريب فيه فلم يجادل فيه هؤلاء المشركون فأجابهم بقوله «ما يجادل في كتاب الله إلا الذين كفروا» الآية.

(٤) الغرور ظن المرء شيئا حسناً وهو بضده يقال غرك إذا جعلك تظن الشيء حسناً ويكون التغرير بالقول أو بتحسين صورة القبيح.

(٥) الأحزاب هم الأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب والعناد كعاد وثمود ومن بعدهم.

وقـولـه ﴿وكذلك حقت[1] كلمة ربك[2] على الذين كفروا أنهم أصحاب النار[3]﴾ أي كما وجب حكمه بإهلاك تلك الأمم المكذبة لرسلها الهامة بقتلها وقد أهلكهم الله فعلاً حقت كلمة ربك على الذين كفروا لأنهم أصحاب النار والمراد من كلمة ربك قوله لأملأن جهنم الآية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير أن القرآن الكريم مصدر تنزيله هو الله تعالى إذ هو الذي أوحاه ونزله على رسوله محمد ﷺ وبذلك تقررت نبوة الرسول محمد ﷺ.

٢ ـ بيان عظمة الرب تعالى المتجلية في أسمائه العزيز العليم الحكيم ذي الطول غافر الذنب قابل التوب لا إله إلا هو.

٣ ـ تقرير التوحيد والبعث والجزاء.

٤ ـ تقرير مبدأ أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وأن بطشه شديد.

ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ
وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا
فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧
رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ
مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩

---

(١) حقت أي وجبت ولزمت مأخوذ من الحق لأنه لازم.

(٢) قرأ نافع كلمات بالجمع وقرأ حفص بالإفراد وهي اسم جنس بمعنى الجمع.

(٣) الإجماع على وجوب الوقف على قوله تعالى ﴿أنهم أصحاب النار﴾ ثم يستأنف القراءة قائلا الذين يحملون العرش.. الخ إذ يقبح أن يتبادر إلى ذهن السامع أن أصحاب النار هم الذين يحملون العرش.

شـــرح الكلمـات :

الذين يحملون العرش	: أي الملائكة حملة العرش.
ومن حوله	: أي والملائكة الذين يحفون بالعرش من جميع جوانبه.
يسبحون بحمد ربهم	: أي يقولون سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذه صلاتهم وتسبيحهم.
ويؤمنون به	: كيف لا وهم عنده، ولكن هذا من باب الوصف بالكمال لهم.
ويستغفرون للذين آمنوا	: أي يطلبون المغفرة للمؤمنين لرابطة الإيمان بالله التي تربطهم بهم.
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما	: أي يقولون ياربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما.
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك	: أي فبما أن رحمتك وعلمك وسعا كل مخلوقاتك فاغفر للذين تابوا إليك فعبدوك ووحدوك واتبعوا سبيلك الذي هو الإسلام.
وقهم عذاب الجحيم	: أي احفظهم من النار فلا تُعذّبهم بها.
جنات عدن	: أي بساتين فيها قصور وأنهار للإقامة الدائمة.
التي وعدتهم	: أي بقوله تعالى: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتهم الأنهار.
ومن صلح من آبائهم	: أي ومن صلح بالإيمان ولم يفسد بالشرك والكفر.
وقهم السيئات	: أي احفظهم من جزاء السيئات التي عملوها فلا تؤاخذهم بها.
ومن تق السيئات يومئذ	: أي ومن تقه جزاء سيئاته يوم القيامة فلم تؤاخذه.
فقد رحمته	: أي حيث سترته ولم تفضحه وعفوت عنه ولم تعذبه.
وذلك	: أي الوقاية من العذاب وإدخال الجنة هو الفوز العظيم.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الذين يحملون[1] العرش[2]﴾ يخبر تعالى عن عظمته وموجبات الإيمان به وبآياته وتوحيده ولقائه فيقول الذين يحملون العرش أي عرشه من الملائكة كالملائكة الذين يحفون بعرشه الجميع ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ تسبيحاً مقروناً بالحمد بأن يقولوا سبحان الله وبحمده ويؤمنـون به أي يؤمنـون بوحدانيته وعدم الإشراك في عبادته﴿ويستغفرون[3] للذين آمنوا﴾ لرابطة الإيمان التي ربطتهم بهم ولعل هذا السرَّ في ذكر إيمانهم لأن المؤمنين إخوة واستغفارهم هو طلب المغفرة من الله للمؤمنين من عباده. وهو معنى قوله: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما أي يقولـون متوسـلين إليـه سـبحانه وتعـالى بصـفاته ﴿ ربنـا وسـعت[4] كل شـيء رحمـة وعلماً﴾ أي يـا ربنـا وسـعت رحمتـك وعلمـك سـائر المخلوقـات فاغفـر للذين تابـوا أي إليك فتركـوا الشرك واتبعوا سبيلك الذي هو الإسلام فانقادوا لأمرك ونهيك، وقهم عذاب الجحيم أي احفـظهم ياربنا من عذاب النار وأُدخلهم جنات عَدْنٍ أي إقامة من دخلها لايخرج منها ولا يبغي عنها حولا لكمال نعيمها ووفرة السعادة فيها. ومن صلح من آبـائهم وأزواجهم وذريَّتهم أي وادخـل كذلـك من صلح بالإيمـان والتـوحيد من آبـائهم وأزواجهم وذريَّاتهم فألحقهم بدرجاتهم ليكونوا معهم وإن قصرت بهم أعمالهم. وقولهم إنك أنت العـزيز الحكيم توسـل أيضـاً إليه تعـالى بصفتي العـزة والغلبة والقهر لكل المخلوقات والحكمـة المتجلية في سائر الكائنات. وقولهم: ﴿وقهم السيئات[5]﴾ أي واحفظهم من جزاء سيئاتهم بأن تغفرها لهم وتسترها عليهم حتى يتأهّلوا للحاق بأبنائهم الذين نسألك أن تلحقهم بِهِمْ، ﴿ومن تق السيئات يومئذ﴾ أي يوم القيامة ﴿فقد رحمته[6]﴾، ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم لقوله تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾. ومعنى ومن تق السيئآت أي تقيه عذابها وذلك بأن يغفرها لهم ويعفو عنهم

(١) حملة العرش أفضل الملائكة وهم أربعة ويوم القيامة يضاف إليهم أربعة فيصبحون ثمانية لقوله تعالى من سورة الحاقة «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية».

(٢) قال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة.

(٣) قبل هذا معطوف على محذوف تقديره وينزهونه عما يقول الكافرون ويستغفرون الخ.

(٤) رحمة منصوب على التمييز وعلماً معطوف عليه، والتمييز محول عن فاعل إذ التقدير وسعت رحمتك وعلمك كل شيء.

(٥) قد لايحتاج الأمر إلى تقدير محذوف فيقال وقهم جزاء السيئات إذ السيئات جمع سيئة «فَيْعَلَة» من السوء وهو ما يضر ولا يسر فالسيئة كل ما يسوء من عذاب وخوف، وهلع فدعاء الملائكة دعاء بالنجاة مما يسوء المؤمنين يوم القيامة ولذا قالوا ومن تق السيئات أي ما يسوءه من العذاب فقد رحمته بدخول الجنة وما في التفسير هو رأي الجمهور من المفسرين.

(٦) قال مطرف بن عبدالله : وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغشّ عباد الله لعباد الله الشياطين وتلا هذه الآية الذين يحملون العرش إلى قوله فقد رحمته.

فلا يؤاخذهم بها، فينجوا من النار ويدخلوا الجنة وذلك أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ بيان عظم الرب تعالى.
٢ ـ بيان فضل الإيمان وأهله.[1]
٣ ـ فضل التسبيح بقول: سبحان الله وبحمده فقد صح أن من قالها مائة مرة[2] حين يصبح أو حين يمسي غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر أي في الكثرة.
٤ ـ بشرى المؤمنين بأن الله تعالى يجمعهم بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم في الجنة، وقد استجاب الله للملائكة وقد أخبر تعالى عن ذلك بقوله: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم.﴾.

إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ
اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ
الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

---

(١) في الصحيحين.
(٢) يكفي كرامة للمؤمن أنه نائم على فراشه والملائكة تستغفر الله له، وتدعو له بالنجاة من النار وبدخول الجنة كما في قوله الذين يحملون العرش الآية.

فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾
ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات:

ينادون لمقت الله : أي تناديهم الملائكة لتقول لهم لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنتم لأنفسكم، والمقت أشد البغض.

إذتدعون إلى الإيمان فتكفرون: أي مقت الله تعالى لكم عندما كنتم في الدنيا تدعوْن إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم لما رأيتم العذاب.

أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين : أي أمتنا مرتين الأولى عندما كنا عدماً فخلقتنا، والثانية عندما أمتنا في الدنيا بقبض أرواحنا، وأحييتنا مرتين الأولى لما أخرجتنا من بطون أمهاتنا أحياء فهذه مرة والثانية بعد أن بعثتنا من قبورنا أحياء.

فاعترفنا بذنوبنا : أي بذنوبنا التي هي التكذيب بآياتك ولقائك والشرك بك.

فهل إلى خروج من سبيل : أي فهل من طريق إلى العودة إلى الحياة الدنيا مرة ثانية لنؤمن بك ونوحدك ونطيعك ولا نعصيك.

ذلكم : أي العذاب الذي أنتم فيه.

بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم : أي بسبب أنه إذا دعي الله وحده كفرتم بالتوحيد.

يريكم آياته : أي دلائل توحيده وقدرته على بعثكم ومجازاتكم.

وما يتذكر إلا من ينيب : أي وما يتعظ إلا من ينيب إلى الله ويرجع إليه بتوحيده.

يلقي الروح من أمره : أي يلقي بالوحي من أمره على من يشاء من عباده.

لينذر يوم التلاق : أي لينذر من يوحي إليه من البشر وهو الرسول يوم تلاقي أهل السماء وأهل الأرض وذلك يوم القيامة.

يوم هم بارزون : أي لا يسترهم شيء لا جبل ولا شجر ولا حجر.

لمن الملك اليوم : أي لمن السلطان اليوم.

معنى الآيات:

بعد أن بين تعالى حال المؤمنين وأنهم هم وأزواجهم وذرياتهم في دار النعيم يبين في هذه الآيات الثلاث حال الكافرين في النار جريا على أسلوب القرآن في الترغيب والترهيب فقال تعالى مخبراً عن أهل النار: ﴿إن الذين كفروا﴾ أي بربهم ولقائه وتوحيده ينادون أي تناديهم الملائكة فتقول لهم ـ بعد أن يأخذوا في مقت أنفسهم ولعن بعضهم بعضا ـ ﴿لمقت الله أكبر[1] من مقتكم أنفسكم﴾ وذلك لأنكم كنتم تدعون إلى الإيمان بالله وتوحيده وطاعته فتكفرون وتجحدون متكبرين.

وهنا في الآية الثانية (١٠) يقولون وهم في جهنم ﴿ربنا﴾ أي ياربنا ﴿أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ يعنون بالموتتين الأولى وهم نطف[2] ميتة والثانية بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم، ويعنون بالحياتين الأولى التي كانت لهم في الدنيا قبل موتهم والثانية التي بعد البعث، وقولهم: ﴿ فاعترفنا[3] بذنوبنا﴾ أي التي قارفناها في الحياة الدنيا وهي الكفر والشرك والمعاصي. وقولهم بعد هذا الاعتذار ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ أي فهل من طريق إلى الخروج من النار والعودة إلى الحياة الدنيا لنُصلح ما أفسدنا، ونطيع من عصينا؟ والجواب قطعاً لا سبيل إلى ذلك أبداً، وبقاؤكم في العذاب ليس ظلماً لكم وإنما هو جزاء وفاق لكم ثم ذكر تعالى علة عذابهم بقوله ﴿ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم ﴾ بالله وتوحيده ﴿ وإن يشرك به تؤمنوا ﴾ أي وإن يشرك بالله تؤمنوا كقولهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملك وما ملك وقوله فالحكم

---

(١) اللام في جواب قسم أي والله لمقت الله الخ والخاطب هم الملائكة وجائز إن لم يكن راجحاً أن يكون المعنى لَمَقْتُ الله إياكم لمّا كنتم تدعون إلى الإيمان في الدنيا على أيدي رسلكم فتكفرون مقت الله ذلك أشد من مقتكم أنفسكم اليوم.

(٢) جائز أن تكون الموتة الأولى لما كانوا في الرحم قبل نفخ الروح، وجائز أن يكون العدم السابق للوجود في الرحم شاهده آية البقرة ﴿وكنتم أمواتا فأحياكم﴾.

(٣) سر اعتراضهم هذا أنهم يرجون من ورائه الخروج من النار ظنا منهم انه نافع لهم شاهده قولهم مستعطفين: «فهل إلى خروج من سبيل».

لله العلي الكبير، وقد حكم بعذابكم فلا سبيل إلى نجاتكم. فامقتوا أنفسكم ونوحوا على أرواحكم فما ذلكم بمجديكم ولا بمخفف العذاب عنكم. وقوله تعالى: ﴿هو الذي[1] يريكم آياته﴾ هذا خطاب للناس في هذه الحياة الدنيا خطاب لمشركي قريش بعد أن عرض عليهم صورة صادقة حية لحالهم في جهنم يوم القيامة عاد يخاطبهم داعيا لهم إلى الإيمان فقال هو أي المعبود بحق الله الذي يريكم آياته أي حججه ودلائل وحدانيته وقدرته على بعثكم ومجازاتكم ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ من المطر وغيره. ومع ذاك البيان وهذا الإفضال، ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ أي فلا يتعظ إلا من شأنه الإنابة إلى ربه تعالى في كل شأنه.

وقوله تعالى: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ هذا خطاب للموحدين يأمرهم تعالى بالاستمرار على توحيد الله في عباداته والاخلاص لله تعالى في كل أعمالهم، ولو كره الكافرون ذلك منهم فإنه غير ضائرهم.

وقوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش[2]﴾ أي هو الله ذو الدرجات الرفيعة والعرش العظيم ﴿يلقي الروح[3] من أمره على من يشاء من عباده﴾ أي يلقي بالوحي من أمره الذي يريد إنفاذه إلى خلقه على من يشاء من عباده ممن يصطفيهم وينبئهم من أجل أن ينذروا عباده يوم التلاقي وهو يوم القيامة إذ يلتقي أهل الأرض بأهل السماء والمخلوقون بخالقهم وهو قوله ﴿لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون﴾[4] من قبورهم لا شيء يسترهم، ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾، وفي هذا الموقف العظيم يقول الجبار سبحانه وتعالى: ﴿لمن الملك اليوم﴾؟ فلا يجيبه أحد رهبة منه وخوفاً فيُجيب نفسه بنفسه قائلا: ﴿لله الواحد القهار. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ من خير وشر لتمام العدالة الإلهية، ويؤكد ذلك قوله: ﴿لاظلم اليوم. إن الله سريع الحساب﴾ ويأخذ في محاسبتهم فلا ينتصف النهار إلا وأهل الجنة في الجنة قائلون في أحسن مقيل اللهم اجعلني منهم ومن قال آمين.

---

(١) جائز أن يكون الخطاب هنا موجها إلى الرسول ﷺ والمؤمنين وكونه عاماً يشمل الموحدين والمشركين أو ليزداد المؤمنون ايمانا وليتوب المشركون أما قوله تعالى فادعو الله مخلصين له الدين فظاهر في أنه خطاب للمؤمنين.

(٢) رفيع الدرجات خبر والمبتدأ محذوف تقديره هو عائد على الله ورفيع الدرجات خبر وهو يحتمل أمرين كلاهما حق الأول أن الله تعالى هو ذو الشأن العظيم والصفات العلا والأسماء الحسنى والقدر الأعلى والثاني أنه تعالى رافع درجات أوليائه في دار كرامته إذ رفيع إما أن يكون صفة مشبهة عائدة إلى الذات الإلهية العلية، أو فعيل بمعنى فاعل أي رافع درجات أوليائه.

(٣) فيه تقرير النبوة المحمدية بإثبات الوحي الإلهي لمن يشاء من عباده فبعد تقرير البعث والتوحيد قرر النبوة المحمدية وهذه أصول الدين التي عليها مدار الحياة الإيمانية.

(٤) هذا عرض أيضا لأحوال يوم القيامة المقصود منه التذكير به والدعوة إلى تقوية الإيمان به إذ هو عامل إصلاح النفوس مع بيان عظمة الله وعدله وهي موجبات توحيده وطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ عدم جدوى الاعتذار يوم القيامة هذا فيما لو أذن للعبد أن يعتذر فلا ينفعه اعتذار.

٢ ـ تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.

٣ ـ بيان أفضال الله على العباد إذ يريهم آياته لهدايتهم ويرزقهم وهم يكفرون به.

٤ ـ وجوب إخلاص الدعاء وسائر العبادات لله وحده ولو كره ذلك المشركون.

٥ ـ تقرير النبوة، وبيان الحكمة فيها وهي انذار الناس من عذاب يوم القيامة حيث الناس بارزون لله لايخفى على الله منهم شيء فيحاسبهم بعلمه وعدله فلا ينقضي نهار إلا وقد استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار اللهم أعذنا من نار جهنم.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ
بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

شـــرح الكلمـات :

يوم الآزفة : أي يوم القيامة.

إذ القلوب لدى الحناجر : أي من شدة الخوف تكون القلوب قد ارتفعت حتى وصلت عند الحناجر.

كاظمين : أي لقلوبهم يريدون ردها فلم يقدروا.

ماللظالمين من حميم : أي ليس للمشركين من محب قريباً كان أو بعيداً.

يعلم خائنة الأعين : أي الله تعالى يعلم العين إذا سرقت النظر إلى محرم.

والله يقضى بالحق : أي لكمال قدرته وعلمه يحكم بالحق.

والذين يدعون من دونه : أي والذين يدعوهم مشركو قريش من أصنام لا يقضون بشيء عدلاً كان أو جوراً لأنهم أصنام لا تسمع ولا تبصر.

معنى الآيات :

بعد بيان الموقف الصعب في عرصات القيامة في الآيات السابقة قال تعالى لرسوله ﴿وأنذرهم﴾ يارسولنا أي خوف قومك ﴿يوم الآزفة﴾[1] وهي القيامة القريبة والتي قد قربت فعلاً وكل ما هو - اتٍ قريب أنذرهم قربها حتى لا يوافوها بالشرك والمعاصي فيخسروا خسراناً مبيناً، أنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب[2] من شدة الخوف ترتفع إلى الحناجر[3] وهم يكظمونها فلا هي تخرج فيموتوا ولا هي تعود إلى أماكنها فيستريحوا.

﴿ما للظالمين﴾ وهم أهل الشرك والمعاصي ﴿من حميم﴾ قريب أو حبيب يدفع عنهم العذاب ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم وتقبل شفاعته ويطاع فيها لا ذا ولا ذاك يالفظاعة الحال وقوله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾[4] يخبر تعالى عن سعة علمه وواسع اطلاعه أنه يعلم خائنة الأعين وهي العين تسترق النظر إلى المحارم، ويعلم ﴿ما تخفي الصدور﴾[5] أي وما تكتمه صدور العباد وما تضمره من خير وشر، ولذا فسوف يكون الحساب دقيقا ومن نوقش الحساب عُذب. ﴿والله يقضي بالحق﴾ أي يحكم بالعدل، ﴿والذين يدعون من دونه﴾[6] أي والذين يعبدهم المشركون من أصنام وأوثان ﴿لا يقضون بشيء﴾[7] لأنهم لايسمعون ولا يُبْصرون.

وقوله ﴿إنَّ الله هو السميع البصير﴾ السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم فلذا إذا حكم يحكم بالحق ويقدر على إنفاذ الحكم فيجزى السيئة بالسيئة والحسنة بعشر أمثالها.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان هول يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه.

---

(١) يقال أزف فلان يأزف أزفا قال النابغة:

ازف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

(٢) القلوب: جمع قلب وهو البضعة الصنوبرية الشكل التي تتحرك دائماً ما دام الجسم حياً تدفع الدم إلى الشرايين التي بها حياة الجسم.

(٣) الحناجر جمع حنجرة بفتح الحاء والجيم وهي الحلقوم.

(٤) أي الله جل جلاله يعلم الأعين الخائنة قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يكون جالساً مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها.

(٥) قال ابن عباس وما تخفي الصدور أي هل يزني بها من سرق النظر إليها لو خلا بها أو لا.

(٦) قرأ نافع تدعون بالتاء وقرأ حفص بالياء يدعون.

(٧) من جملتي والله يقضي بالحق وجملة والذين يدعون من دونه قبلها تألف قصر القضاء على الله تعالى قصر قلب أي دون الأصنام. كما افيد القصر من ضم الجملتين في قول الشاعر:

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

٢ - إنعدام الحميم والشفيع للظالمين يوم القيامة.

٣ - بيان سعة علم الله تعالى حتى إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٤ - قضاء الله عدل وحكمه نافذ وذلك لكمال علمه وقدرته.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)﴾

شـــرح الكلمـات :

أو لم يسيروا في الأرض : أي أغفل كفار قريش ولم يسيروا في الأرض.

فينظروا : أي بأعينهم.

كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم : إنها كانت دماراً وخساراً ووبالاً عليهم.

كانوا هم أشدَّ منهم قوة وآثاراً في الأرض : ولم يغن ذلك عنهم من الله شيئاً.

فأخذهم الله بذنوبهم : أي عاقبهم بذنوبهم فدمرهم وأهلكهم.

وما كان لهم من الله من واق : أي ولم يوجد لهم من عقاب الله من واق يقيهم منه.

ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات : أي بالحجج والبراهين والأدلة والمعجزات.

فكفروا : أي بتلك الحجج والآيات.

فأخذهم الله : أي لما كفروا أخذهم بكفرهم.

إنه قوي شديد العقاب : هذا تعليل لأخذه إيّاهم.

معنى الآيات :

تقـدم في السياق تخويف الله تعالى لمشركي قريش بعذاب الآخرة، ومبالغة في نصحهم وطلب هدايتهم خوفهم بعد عذاب الآخرة بعذاب الدنيا لعلهم يتوبون فقال: أو لم يسيروا في[1] الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض أي أغفـل هؤلاء المجـاحدون المعاندون ولم يسيروا في البلاد شمالاً وجنوبا حيث ديار عاد في الجنوب وديار ثمود في الشمال فينظروا بأعينهم كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كعاد وثمود كان أولئك أشد من هؤلاء قوة وأثاراً في الأرض من حيث البناء والعمران والقدرة على الحرب والقتال، فأخذهم الله بذنوبهم[2] أي بذنوب الشرك والتكذيب والمعاصي، ولما أخذهم لم يوجد لهم من عقاب الله وعذابه من واق يقيهم ما أنزل الله بهم وما أحله بساحتهم. فما لهؤلاء المشركين لا يتعظون ولا يعتبرون والعاقل من اعتبر بغيره.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله بذنوبهم﴾ هذا تعليل لأخذ الله لأولئك الأقوام من عاد وثمود وغيرهم إذ ما أخذهم إلا بعد أن أنذرهم وأعذر إليهم فلما أصروا على الكفر والتكذيب أخذهم بذنوبهم. وقوله ﴿ إنه قوي شديد العقاب﴾[3] تعليل أيضاً للأخذ الكامل الذي أخذهم به لعظم قوته وشدّة عقابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير الحكمة القائلة: العاقل من اعتبر بغيره.

٢ ـ الأخذ بالذنوب سنة من سنن الله في الأرض لا تتبدل[4] ولا تتحول.

٣ ـ من أراد الله عقابه لا يوجد له واق يقيه، ولا حَامٍ يحميه، ومن تاب تاب الله عليه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ
فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ

---

(١) الاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم سيرهم في ديار الهالكين ليروا بأعينهم آثار الهالكين ويفكروا في سبب هلاكهم ليحصل لهم بذلك العبرة المطلوبة لهم.

(٢) الباء في بذنوبهم سببية إذ هلاكهم متسبب عن ذنوبهم وهي الشرك والمعاصي.

(٣) الجملة تعليلية لما قبلها من أخذ الله تعالى المشركين بذنوبهم في التكذيب والشرك والمعاصي.

(٤) إلاّ أن يشاء الله إيقافها أو تبديلها فهو على ما يشاء قدير.

عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ
نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ
لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات:

بآياتنا وسلطان مبين : أي بحججنا، وبرهان بين ظاهر

هامان وقارون : هامان وزير فرعون، وقارون رجل الملايين.

فقالوا ساحر كذاب : أي لما رأوا آية العصا واليد البيضاء قالوا: ساحر كذاب دفعاً لقومهم حتى لا يؤمنوا به.

فلما جاءهم بالحق من عندنا : أي جاءهم موسى بالصدق فيما أخبرهم به من أنه رسول الله وطالبهم بإرسال بني إسرائيل معه.

قالوا اقتلوا أبناء الذين امنوا معه : أي اقتلوا الأولاد الذكران.

واستحيوا نساءهم : أي بناتهم بمعنى أتركوهن حيات.

وما كيد الكافرين إلا في ضلال : أي وما مكرهم إلا في خسران وضياع.

ذروني أقتل موسى وليدع ربه : أي دعوني واتركوني وليدع ربَّه ليمنعه مني.

إني أخاف أن يبدل دينكم : أي يغير عبادتكم لآلهتكم لعبادة إلهه.

أو أن يظهر في الأرض الفساد : بالقتل والتخريب ونحوه.

إني عذت بربي وربكم : أي استجرت بخالقي وخالقكم.

من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب : أي من كل إنسان متكبر لا يؤمن بيوم الحساب والجزاء على الأعمال.

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة الربانيّة لقريش إلى الإيمان والتوحيد والتصديق بالبعث والجزاء، ومافيها من مظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته وعدله، وبعد ذلك العرض لأحوال القيامة، وبيان الجزاء لكل من الكافرين والمؤمنين فيها كأنه يُرى رأي العين، وبعد ذلك الترغيب والترهيب مما في الدنيا والآخرة والمشركون لايزدادون إلا عُتواً وطغياناً بعد كل ذلك قص الله تعالى على رسوله قصة موسى مع فرعون ليُسلّيه بها ويصبره وليعلمه أن البلاء مهما اشتد يعقبه الفرج، وأن الله ناصره على قومه كما نصر موسى على فرعون وقومه فقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا﴾ أي قبلك يارسولنا ـ موسى بن عمران بآياتنا[1] أي بأدلتنا وحججنا على صدق دعوته وصحة رسالته، وسلطان مبين أي وبرهان ظاهر بيّن أرسلناه إلى فرعون وهامان وقارون[2] فهامان وزير فرعون وقارون من أرباب الملايين وهو وإن لم يكن من آل فرعون لأنه من بني إسرائيل إلا أنه مالأ فرعون ووقف في صفه، فلما بلغهم موسى دعوة ربه وأراهم الحجج والبراهين قالوا ساحر[3] كذاب فرموه بقاصمتين السحر والكذب حماية لمصالحهم وخوفا من تغيير الوضع عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾ أي فلما جاءهم موسى بالصدق من عند الله كان رَدُّ الفعل منهم أن أمروا بقتل الذكور من أولاد الذين آمنوا معه، واستحياء بناتهم للخدمة والإمتهان وهو ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾ وقوله تعالى وما كيد فرعون إلا في ضلال﴾ عام في كل كيد كافر يبطله الله تعالى ولا يضر به أولياءه وقوله تعالى: ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ لا شك أن هذا القول الدال على طغيان فرعون كان بعد أن انهزم في ميادين عدة أراد أن يسترد بعض ما فقد فقال ذروني أقتل موسى أي اتركوني أقتل موسى ﴿وليدع ربه[4]﴾ أي ليمنعه مني، وعلل لقوله هذا بقوله إني أخاف أن يبدّل دينكم، أي بعد أن يغلب عليكم فتدينون بدينه أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والفتن.

ورد موسى عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿وقال موسى إني عذت بربي

---

(١) هي الآيات التسع.
(٢) خص بالذكر هامان وقارون لقوة تأثيرهما في البلاد وإدارة الدولة وعز السلطان.
(٣) لما بهرتهم الآيات وعجزوا عن مقاومتها رموا موسى بالسحر واتهموه بالكذب كرد فعل وهروباً من المواجهة.
(٤) من الجائز أن يكون قد قال له بعض رجاله أما تخاف أن يدعو عليك ربه فتهلك فأجابه قائلا وليدع ربه.

وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب﴾ قال موسى هذا لما سمع مقالة فرعون التي يهدده فيها بالقتل فأعلمهم أنه قد استجار بالله وتحصن به فلا يقدر أحد على قتله، وقوله من كل متكبر[1] لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من يؤمن بيوم الحساب لا يقدم على جريمة القتل وإنما يقدم عليها من لا يؤمن بحساب ولا جزاء في الدار الآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تسلية الرسول وحمله على الصبر والتحمل وهو في أشد الظروف صعوبة.

٢ ـ عدم تورع الظلمة في كل زمان عن الكذب وتلفيق التهم للأبرياء.

٣ ـ التهديد بالقتل شنشنة الجبارين والطغاة في العالم.

٤ ـ أحسن ملاذ للمؤمن من كل خوف هو الله تعالى رب المستضعفين.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى
يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

شـرح الكلمـات :

وقال رجل من آل فرعون هو شمعان بن عم فرعون.

أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟: أي لأن يقول ربي الله؟ والرجل هو موسى عليه السلام.

---

(١) متكبر: متعظم عن الإيمان بالله.وصفته أنه لا يؤمن بيوم الحساب.

بالبينات من ربكم : أي بالمعجزات الظاهرات.
فعليه كذبه : أي ضرر كذبه عليه لا عليكم.
يصبكم بعض الذي يعدكم : أي بعض العذاب الذي يعدكم به في الدنيا عاجلاً غير آجل.
من هو مسرف كذاب : أي مسرف في الكفر والظلم كذاب لا يقول الصدق ولا يفوه به.
ظاهرين في الأرض : أي غالبين في بلاد مصر وأراضيها.
فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا : أي من عذاب الله إن جاءنا وقد قتلنا أولياءه.
ما أريكم إلا ما أرى: أي ما أشير به عليكم إلا ما أشير به على نفسي وهو قتل موسى
وما أهديكم إلا سبيل الرشاد :.أي إلا طريق الرشد والصواب.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عما دار في قصر فرعون فقد أبدى فرعون رغبته في إعدام موسى معللاً ذلك بأمرين أن يبدل دين الدولة والشعب، والثاني أن يظهر الشغب في البلاد والتعب للدولة والمواطنين معاً. وهاهو ذا رجل مؤمن من رجالات القصر يكتم إيمانه بموسى وبما جاء به من التوحيد خوفا من فرعون وملئه. ولنستمع إلى ما أخبر تعالى به عنه: ﴿وقال رجل مؤمن﴾[1] أي بموسى ﴿من آل فرعون﴾ إذ هو ابن عم فرعون واسمه شمعان كسلمان قال: ﴿أتقتلون﴾[2] ينكر عليهم قرار القتل ﴿رجلاً أن يقول ربي الله﴾ أي لأن قال ربي الله ﴿وقد جاءكم من البينات﴾ وهي الحجج والبراهين كالعصا واليد ﴿من ربكم﴾ الحق الذي لا رب لكم سواه. ﴿وإن يك كاذباً﴾[3] أي وإن فرضنا أنه كاذب فإن ضرر كذبه عائد عليه لا عليكم ﴿وإن يك صادقاً﴾ وهو صادق ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾[4] من العذاب العاجل. إن الله تعالى لا يهدي أي لا يوفق إلى النصر والفوز في أموره ﴿من هو مسرف﴾[5] متجاوز الحد في الاعتداء والظلم ﴿كذاب﴾ مفتر يعيش على الكذب فلا يعرف الصدق. وبعد أن بين لهم هذه الحقيقة العلمية

(١) في نص هذا الخبر تسلية للنبي ﷺ.
(٢) الاستفهام للإنكار ينكر على فرعون وملئه عزمهم على قتل موسى عليه السلام.
(٣) لم يكن قوله وإن يك كاذباً شكاً في صدق موسى وإنما هو من باب التلطف والتنزل مع الخصم حتى لا يلج في الجدال والخصومة وحذفت النون من وإن يك لكثرة الاستعمال.
(٤) أي إن لم يصبكم إلا بعض الذي يعدكم به هلكتم، وجائز ان يطلق البعض وهو يريد الكل وهو سائغ وشائع قال الشاعر:
قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
(٥) إن كان هذا الموصوف الرجل المؤمن فهو إشارة إلى موسى وإن كان من قول الله تعالى فهو إشارة إلى فرعون.

الثابتة أقبل عليهم يعظهم فقال: ﴿ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ أي غالبين في الأرض أي أرض مصر بكامل ترابها وحدودها. لكن إن نحن أسرفنا في الظلم والافتراء فقتلنا أولياء الله فجاءنا بأس الله عقوبة لنا فمن ينصرنا؟ إنه لا ناصر لنا أبداً من الله فتفهموا ما قلت لكم جيداً، ولا يهلك على الله إلا هالك، وهنا قام فرعون يرد على كلمة الرجل المؤمن فقال ما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي ما اشير عليكم بشيء إلا وقد رأيته صائبا وسديداً، يعني قتل موسى عليه السلام، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أي إلا إلى طريق الحق والصواب، وكذب والله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ فضل الإيمان وفضل صاحبه فقد ورد الثناء على هذا الرجل في ثلاثة رجال هم مؤمن آل فرعون هذا، وحبيبٌ النجار مؤمنُ آل ياسين وأبوبكر[1] الصديق رضي الله عنه.

٢ ـ فصاحة مؤمن آل فرعون هي ثمرة إيمانه وبركته العاجلة فإن لكلماته وقع كبير في النفوس.

٣ ـ التنديد بالإسراف في كل شيء والكذب والافتراء في كل شيء وعلى أي شيء.

٤ ـ من عجيب أمر فرعون ادعاؤه أنه يهدي إلى الرشد والسداد والصواب في القول والعمل، حتى ضرب به المثل فقيل: فرعون يهدي إلى الرشد.

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ
وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾

---

(١) روى البخاري وغيره أن المشركين تعرضوا للرسول ﷺ حول الكعبة بسوء فجاء أبو بكر يصرخ فيهم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله. فضربوه ضرباً شديداً حتى أغمي عليه فلما أفاق قال كيف رسول الله ﷺ؟ قال عليّ أبو بكر أفضل من مؤمن آل فرعون لأن أبا بكر ما أخفى إيمانه بل أظهره وأوذي ومؤمن آل فرعون كتم إيمانه ولم يؤذ.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

شـــرح الكلمـات :

وقال الذي آمن : أي مؤمن آل فرعون.

مثل يوم الأحزاب : أي عذابا مثل عذاب الأحزاب وهم قوم نوح وعاد وثمود.

مثل دأب قوم نوح : أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم وهي استمرارهم على الكفر حتى الهلاك فهذا الذي أخافه عليكم.

يوم التناد : أي يوم القيامة وقيل فيه يوم التنادي لكثرة النداءات فيه إذْ ينادي أصحب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة.

يوم تولُّون مدبرين : أي هاربين من النار إلى الموقف.

ولقد جاءكم يوسف من قبل : أي يوسف بن يعقوب الصديق بن الصديق عليهما السلام من قبل مجيء موسى إليكم اليوم.

قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا: أي قلتم هذا من دون دليل فبقيتم كافرين إلى اليوم.

كذلك يضل الله من هو مسرف : أي مثل إضلالكم هذا يضل الله من هو مسرف في الشرك والظلم.

مرتاب : أي شاك فيما قامت الحجج والبينات على صحته.

يجادلون في آيات الله بغير سلطان : أي يخاصمون في آيات الله لإبطالها بدون سلطان أي حجة وبرهان.

كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا: أي كبر جدالهم بالباطل مقتا عند الله وعند الذين آمنوا.

كذلك : أي مثل إضلالهم يطبع الله أي يختم بالضلال على كل قلب متكبر.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فيما دار من كلام في مجلس الحكومة، وهاهوذا مؤمن آل فرعون يتناول الكلمة بعد فرعون الذي أعاد تقرير ما عزم عليه من قتل موسى عليه السلام فقال ما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿وقال الذي آمن﴾ وهنا أعلن عن إيمانه الذي كان يكتمه ياقوم إني أخاف عليكم أي إن أنتم أصررتم على قتل موسى وقتلتموه ﴿أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ وهو اليوم الذي أخذ الله فيه قوم نوح، وعاد وثمود أي أخاف عليكم جزاء عادتهم وهي استمرارهم على الكفر والشك والتكذيب حتى حلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه وواصل وعظه قائلاً، ﴿وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد[1] يوم تولون مدبرين﴾ أي فارين من النار هاربين إلى الموقف وهو يوم القيامة الذي تكثر فيه النداءات والصرخات ﴿مالكم[2] من الله من عاصم﴾ يعصمكم من العذاب وينجيكم منه. وبعد هذا الوعظ البليغ قال﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ إشارة إلى أن القوم لم يتأثروا بكلامه فقال متعزياً بعلمه بتدبير الله في خلقه فقال: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ فإن من كتب الله عليه الضلالة ليصل إلى الشقاوة بكسبه فلا هادي له أبداً، إذ الله لا يهدي من يُضل ثم قال لهم مواصلا كلامه ﴿ولقد جاءكم[3] يوسف من قبل﴾ أي من قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام بالبينات والحجج الدالة على توحيد الله ووجوب طاعته، غير أنكم مع الأسف ﴿مازلتم في شك مما جاءكم به﴾ فلم تؤمنوا ولم توقنوا ﴿حتى إذا[4] هلك﴾ أي مات عليه السلام فرحتم بموته ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ متخرصين متقولين على الله بدون علم فأضلكم الله بكذبكم عليه ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف[5]﴾ في الكذب مثلكم ﴿مرتاب﴾ في كل شيء لا يعرف اليقين في شيء، والعياذ بالله، ثم

---

(١) قراءة العامة التناد بتخفيف الدال من النداء وهو الدعاء والطلب للحضور أو الإغاثة وقرىء التناد بتشديد الدال من نَدَّ البعير إذا هرب إذ هم فعلاً يهربون وشاهده في الآية يوم تولون مدبرين. والجمهور على حذف الياء وقفاً ووصلاً. وبعضهم أثبتها وصلا ووقفا وكلا القراءتين صحيحة.

(٢) هذه الجملة في موقع الحال والعاصم المانع والحافظ.

(٣) لما تَفَرَّسَ فيهم عدم نفع النصح لهم آثر عتابهم ولومهم بقوله ولقد جاءكم يوسف الخ واللام في ولقد جاءكم لام القسم لأنهم كالمنكرين فلذا أكد الخبر بالقسم.

(٤) إذا اسم للزمان الماضي مجرورة بحتى قبلها وليست بظرف أي حتى زمن هلاك يوسف قلتم. . والقائل أسلافهم الغابرون يوم مات يوسف عليه السلام.

(٥) المسرف: المفرط في فعل أو قول مالا خير فيه، والمرتاب الشديد الريب أي الشك.

أعلمهم أن الذين يجادلون في آيات الله يريدون إبطال الحق وإطفاء نوره بكلامهم بغير حجة لديهم ولا برهان أتاهم جدالهم ذلك أكبر مقتا أي أشد شيء يمقته الله ويبغضه من صاحبه، وكذلك عند الذين آمنوا. وختم كلامه بقوله ﴿كذلك[1] يطبع الله﴾ أي كإضلال من هو مسرف مرتاب يطبع الله ﴿على كل قلب متكبر[2]﴾ أي قلب كل إنسان متكبر على الإيمان والطاعة متجبر متعاظم يريد إجبار الناس على مراده ومايهواه. وإلى هنا انتهى كلام الرجل المؤمن والكلمة الآن إلى فرعون الطاغية وسنقرأها في الآيات التالية بعد رؤية ما في الآيات من هداية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ قوة الإيمان تفجر قلب المؤمن بأنواع من المعرفة والحكمة في قوله إذاقال.

٢ ـ التذكير بالأمم الهالكة إذْ العاقل من اعتبر بغيره.

٣ ـ التخويف من عذاب الآخرة وأهوال القيامة.

٤ ـ التنديد بالإسراف والارتياب وعدم اليقين.

٥ ـ حرمة الجدال بغير علم، وأن صاحبه عرضة لمقت المؤمنين بعد مقت الله تعالى.

٦ ـ عرضة المتكبر الجبار للطبع على قلبه ويومها يحرم الهداية فلا يُهدى أبداً.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ

(١) جائز أن يكون هذا من كلام مؤمن آل فرعون ختم به كلامه معهم. وجائز أن يكون من كلام الله تعالى معترض بين كلام المؤمن وكلام فرعون.

(٢) المتكبر هو ذو الكبر والجبار الذي يكره الناس على ما لا يحبون عمله لظلمه وعتوه وقرأ الجمهور على كل قلب متكبر. باضافة قلب الى متكبر وقرأ بعضهم بتنوين قلبٍ بدون إضافة فيكون متكبر نعتاً لقلب.

دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

شـرح الكلمـات :

ياهامان ابن لي صرحا	: هامان وزير فرعون والصرح البناء العالي.
أسباب السموات	: أي طرقها الموصلة إليها.
وإني لأظنه كاذباً	: أي وإني لأظن موسى كاذباً في زعمه أن له إلهاً غيري.
سوء علمه	: أي قبيح عمله.
وصد عن السبيل	: أي عن طريق الهدى.
إلا في تباب	: أي خسار وضياع بلا فائدة تذكر.
إنما هذه الحياة الدنيا متاع	: أي ما هذه الدنيا إلا متاع يتمتع به وقتاً ثم يزول.
دار القرار	: أي الاستقرار والبقاء الأبدي.
يرزقون فيها بغير حساب	: أي رزقا واسعاً بلا تبعة ولا تعقيب.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فيما يدور من كلام بين مؤمن آل فرعون وفرعون نفسه إذ تقدم قول المؤمن وماحواه من نصح وإرشاد وهاهو ذا فرعون يرد بطريق غير مباشر على[1] ما قاله المؤمن فقال: لوزيره هامان ﴿ياهامان ابـن لي صرحـاً﴾ أي بنـاءً عاليـاً ﴿لـعـلي أبـلغ الأسبـاب أسبـاب السمـوات فأطلع إلى إلـه موسى وإني[2] لأظنه كاذباً﴾ أي في دعواه أن له إلهاً غيري وهذا من فرعون مجرد مناورة كاذبة يريد أن يموه بها على غيره إبقاء على مركزه وقوله تعالى: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ أي ومثل هذا التزيين في قول فرعون زين له سوء عمله وهو أقبح ما يكون، ﴿وصُدَّ عن السبيل[3]﴾ أي وصُرف عن

(١) خاف فرعون أن يؤثر كلام مؤمن آل فرعون في الذين سمعوه فأوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد فإن بان له صوابه لم يخفه عنهم، وإن لم يظهر صوابه ثبتهم على دينهم فقال لوزيره ابن لي صرحاً الخ.

(٢) أسباب السموات بدل من أسباب الأول. والأسباب جمع سبب وهو ما يوصل إلى مكان بعيد فيطلق على الحبل ويطلق على الطريق والمراد هنا طُـرُق السموات كما في قول زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه   وان يرق أسباب السماء بسلم

(٣) قرأ نافع وصد بفتح الصاد من صد اللازم. يصُدُّ أو المتعدي أي صد نفسه وصد غيره وقرأ حفص وصد بالبناء للمجهول أي بصَدُّ الصاد أي صده الله وصرفه عقوبة له لشدة كفره وظلمه.

طريق الحق والهدى، وقوله تعالى: ﴿وما كيد فرعون﴾ أي مكره وتدبيره لقتل موسى عليه السلام وقتل أبناء المؤمنين ﴿إلا في تباب﴾ أي خسار وضياع لم يتحقق منه شيء، لأن الله تعالى ولي موسى والمؤمنين فلم يمكن فرعون منهم بحال. وبعد أن أخبر تعالى عن فرعون في محاولته الفاشلة أخبر تعالى عن الرجل المؤمن[1] وما قاله للقوم من نصح وإرشاد فقال: ﴿وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾ أي طريق الرشد والصواب في حياتكم لتنجوا من العذاب وتفوزوا بالنعيم المقيم في الجنة. فقال: ﴿ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ أي لا تَعْدو كَوْنها متاعا قليلا يُتمتع به ثم يذهب سريعاً، ﴿وإن الآخرة﴾ أي الحياة الآخرة بعد انتهاء هذه الحياة ﴿لهي دار[2] القرار﴾ أي الاستقرار والإقامة الأبدية، فاعملوا لدار البقاء وتجافوا عن دار الفناء واعلموا أن الحساب سريع وأن ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ وذلك لعدالة الرب تبارك وتعالى، ومن عمل صالحاً من الأعمال الصالحة التي شرعها الله لعباده وتعبدهم بها والحال أنه[3] مؤمن أي مصدق بالله وبوعده ووعيده يوم لقائه فأولئك أي المؤمنون العاملون للصالحات من[4] الذكور والإناث يدخلون الجنة دار السلام يرزقون فيها بغير حساب أي رزقاً واسعاً لا يلحق صاحبه تبعة ولا تعب ولا نصب.

هداية الايات :

من هداية الآيات :

١ - التحذير من تزيين الأعمال القبيحة نتيجة الإدمان عليها والاستمرار على فعلها فإن من زُينت له أعماله السيئة فأصبح يراها حسنة هلك والعياذ بالله.

٢ - التحذير من الاغترار بالدنيا والغفلة من الآخرة إذ الأولى زائلة والآخرة باقية واختبار الباقي على الفاني من شأن العقلاء.

٣ - مشروعية التذكير بالحساب والجزاء ومايتم في الدار الآخرة من سعادة وشقاء.

---

(١) هو مؤمن آل فرعون الذي أظهر ايمانه بعد كتمانه.

(٢) يريد بالدار دار السلام الجنة ودار البوار النار.

(٣) لأن جملة قوله تعالى «وهو مؤمن» حالية وإن كانت شرطاً في صحة الأعمال الصالحة وفي قبولها ولذا لمّا لم يذكر الإيمان قبل العمل الصالح ذكره في الجملة الحالية ليدلل على تقدمه وشرطيته.

(٤) قرأ الجمهور يدخلون بالبناء للفاعل وقرأ بعض يدخلون بضم الياء وفتح الخاء بالبناء للمجهول والمعنى واحد إذْ من دخل دخل بإذن الله ومن أدخل أدخل بإذن الله وفضله.

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى
ٱلنَّارِ (٤١) تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ
لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ (٤٢) لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ
(٤٣) فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ (٤٤) فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ (٤٥) ٱلنَّارُ
يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ
ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ (٤٦)

شرح الكلمات:

أدعوكم إلى النجاة : أي من الخسران في الدنيا والآخرة، وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

وتدعونني إلى النار : أي إلى عذاب النار وذلك بالكفر والشرك بالله تعالى.

ما ليس لي به علم : أي لا علم لي بصحة إشراكه في عبادة الله تعالى.

وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار : أي وأنا أدعوكم إلى الإيمان وعبادة الله العزيز أي الغالب على أمره الغفار لذنوب التائبين من عبادة المؤمنين به.

لا جرم أن ما تدعونني إليه : أي حقا أن ما تدعونني إلى الإيمان به وبعبادته.

لي له دعوة في الدنيا والآخرة : أي ليس له دعوة حق إلى عبادته، ولا دعوة استجابة بأن يستجيب لمن دعاه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وأن المسرفين هم أصحاب النار: أي وأن المسرفين في الكفر والشرك والمعاصي هم أهل النار

الواجبة لهم.

فوقاه الله سيئات ما مكروا : أي فحفظه الله من مكرهم به ليقتلوه.

وحاق بآل فرعون سوء العذاب : أي عذاب الغرق إذ غرق فرعون وجنده أجمعون.

النار يعرضون عليها غدوا وعشيا : أي أن سوء العذاب هو النار يعرضون عليها صباحا ومساء وذلك أن أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار كل يوم مرتين.

ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون : أي ويوم القيامة يقال أدخلوا آل فرعون أشد العذاب.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر نصائح وارشاد مؤمن آل فرعون فقد قال ما أخبر به تعالى عنه في قوله : ﴿ وياقوم (١) مالي أدعوكم إلى النجاة أي من النار وذلك بالإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي وتدعونني إلى النار ، وذلك بدعوتكم لي إلى الشرك والكفر تدعونني (٢) لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أي ما لا علم لي بصحة إشراكه في عبادة الله تعالى. وأنا أدعوكم إلى العزيز (٣) الغفار أي لتؤمنوا به وتعبدوه وحده ولا تشركوا معه غيره أدعوكم إلى العزيز أي الغالب الذي لا يُغلب الغفار لذنوب التائبين من عباده مهما كانت، وأنتم تدعونني إلى أذل شيء وأحقره لا ينفع ولا يضر لأنه لايسمع ولا يبصر. لا جرم أي حقا أن ما تدعونني إليه لأومن به وأعبده ليس له دعوة (٤) حق يدعى بها إليه، و لادعوة استجابة فإنه لايستجيب لي دعاء أبداً لا في الدنيا ولا في (٥) الآخرة. وشيء آخر ياقوم وهو أن مردنا إلى الله أي لا محالة نرجع إليه فالواجب أن نؤمن به ونعبده ونوحده ما دام رجوعنا إليه، وآخر وهو أن المسرفين (٦) هم أصحاب النار، المسرفين الذين أسرفوا في الكفر والشرك والمعاصي فتجاوزوا الحد في ذلك هم أصحاب النار أي أهلها الذين لايفارقونها ولا تفارقهم.

---

(١) الاستفهام هنا تعجبي باعتبار تقييده بجملة الحال وهي وتدعونني إلى النار إذ هي في موضع الحال تقدير مبتدأ أي وأنتم تدعونني إلى النار.

(٢) هذه جملة بيان لجملة وتدعونني إلى النار.

(٣) العدول عن اسم الجلالة إذ لم يقل أدعوكم إلى الله إلى الصفتين العزيز والغفار لإيضاح الاستدلال على استحقاقه الإقرار بالألوهية والعبادة.

(٤) ليس له دعوة توجب له الألوهية وليس له استجابة دعوة تنفع لا هذه ولا تلك فبأي حق إذاً يدعى ويعبد؟

(٥) أي ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة.

(٦) الإسراف هنا الإفراط في الكفر والظلم بسفك دماء بني اسرائيل بذبح أبنائهم وليصرف فرعون عن عزمه عن قتل موسى عليه السلام وفي الكلام تعريض بالذين يخاطبهم إذ هم مسرفون إلى أبعد حد في الظلم والكفر.

وقوله: ﴿فستذكرون[1] ما أقول لكم﴾ يبدو أنه قال هذا القول لما رفضوا دعوته وهموا بقتله ويدل عليه قوله: وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

وقوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا[2]﴾ أي حفظه الله تعالى من مكرهم به ليقتلوه فنجاه الله تعالى إذ هرب منهم فبعث فرعون رجالاً في طلبه فلم يقدروا عليه ونجا مع موسى وبني إسرائيل وقوله ﴿وحاق[3] بآل فرعون سوء العذاب﴾ وذلك بأن أغرقهم الله في البحر أجمعين.

وقوله ﴿النار يعرضون[4] عليها﴾ إخبار بأن أرواح آل فرعون تعرض في البرزخ على النار غدواً وعشياً وذلك بأن تكون في أجواف طير سود على خلاف أرواح المؤمنين فإنها تكون في أجواف طير خضر ترعى في الجنة. إلى يوم القيامة.

ويوم تقوم الساعة يقال أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وهو عذاب جهنم والعياذ بالله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان الفرق الكبير بين من يدعو إلى النجاة وبين من يدعو إلى النار، بين من يدعو إلى العزيز الغفار ليؤمن به ويُعبد وبين من يدعو إلى اوثان لاتسمع ولا تبصر وهي أحقر شيء وأذله في الحياة، وبين من يدعو من لايستجيب له في الدنيا والآخرة وبين من يدعو من يستجيب له في الدنيا والآخرة.

٢ ـ التنديد بالإسراف وفي كل شيء.

٣ ـ نعم ما ختم به مؤمن آل فرعون وعظه ونصحه لقومه وهي فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

٤ ـ إثبات عذاب القبر ونعيمه إذ آل فرعون تعرض أرواحهم على النار صباح مساء.

---

(١) هذا الكلام مشاركة لهم وإنهاء لخطابهم كأنه استشعر منهم ما جعله ينهي الكلام معهم إما لاحظ في ذلك من ملامحهم أو من كلام سمعه منهم.

(٢) ما مكروا: ما مصدرية أي سيئات مكرهم.

(٣) حاق: أحاط والعذاب الغرق.

(٤) في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة.

وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا
لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾
قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ
بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾

شـرح الكلمات :

وإذ يتحاجون في النار : أي وانذرهم يوم الآزفة وإذ يتحاجون في النار أي يتخاصمون.

فيقول الضعفاء : أي الاتباع الضعفاء الذين اتبعوا الأغنياء والأقوياء في الشرك.

إنا كنا لكم تبعا : أي تابعين لكم فيما كنتم تعتقدونه وتفعلونه.

فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار؟ : أي فهل تدفعون عنا شيئاً من النار.

إن الله قد حكم بين العباد : فلا مراجعة أبداً فقد حكم لأهل الإيمان والتقوى بالجنة فهم في الجنة ولأهل الشرك والمعاصي بالنار فهم في النار.

لخزنة جهنم : أي جمع خازن وهو الموكل بالنار وأهلها.

يخفف عنا يوما من العذاب : أي قدر يوم من أيام الدنيا إذ الآخرة يوم واحد لا ليل له.

إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا : أي بأن نظهر دينهم، أو نهلك قومهم وننجيهم من الهلاك.

ويوم يقوم الأشهاد : أي وتنصرهم يوم يقوم الأشهاد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ.

ولهم اللعنة ولهم سوء الدار : أي ولهم اللعنة أي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار أي الآخرة أي شدة عذابها.

معنى الآيات:

هذا عرض آخر للنار وما يجرى فيها بعد العرض الذي كان لآل فرعون في النار يعرض على كفار قريش ليشاهدوا مصيرهم من خلاله إذا لم يتوبوا إلى الله من الكفر والتكذيب والشرك تضمّنته ست آيات قال تعالى: ﴿وإذ يتحاجُّون[1] في النار﴾ أي وأنذرهم واذكر لهم إذْ يتحاجون في النار أي يتخاصمون فيها فيقول الضعفاء الأتباع الذين كانوا يتبعون أغنياء وأقوياء البلاد طمعا فيهم وخوفا منهم. قالوا للذين استكبروا بقوتهم عن الإيمان ومتابعة الرسل، إنا كنا لكم تبعاً[2] أي تابعين، فهل أنتم[3] مغنون عنا نصيبا من النار؟ أي فهل في إمكانكم أن تخففوا عنا حظا من عذاب النار؟ فأجابوهم قائلين بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قال الذين استكبروا إنا كل فيها أي نحن وأنتم إن الله قد حكم بين العباد فقضى بالجنة لأهل الإيمان والتقوى، وبالنار لأهل الشرك والمعاصي هذه كانت خصومة الأتباع مع المتبوعين ولم تنته إلى طائل إلا زيادة الحسرة والغم والهم. وقوله تعالى: ﴿وقال الذين في[4] النار لخزنة جهنم﴾ وهم الملائكة المكلفون بالنار وعذابها قالوا لهم ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب﴾ أي مقدار يوم من أيام الدنيا إذْ الآخرة لا ليل فيها وإنما هي يوم واحد. فردت عليهم الملائكة قائلة بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ أي أتقولون ادعوا لنا ربكم ليخفف عنكم العذاب أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات أي بالحجج الظاهرة الدالة على وجوب الإيمان والتقوى بترك الشرك والمعاصي. قالوا بلى أي اعترفوا فقالت لهم الملائكة إذاً

---

(١) التحاج: الاحتجاج من جانبين فأكثر أي إقامة كل فريق حجته للفريق المضاد المخاصم.

(٢) تبعاً: اسم لمن يتبع غيره يستوي فيه الواحد وأكثر نحو خدم وحشم.

(٣) فهل أنتم مغنون الاستفهام هنا معناه الحث على طلب خلاصهم من النار واللوم على تركهم وعدم الاهتمام بما هم فيه من العذاب.

(٤) الذين في النار هذا شامل للضعفاء والمستكبرين والخزنة جمع خازن وهم الملائكة الموكلون بالنار وعذاب أهلها.

فادعوا[1] أنتم ربكم ولكن لايستجاب لكم إذ ما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلا يستجاب له أبداً

وقوله تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا﴾[2] تقرير لحقيقة عظمى، وهي أن من سنة الله في رسله أنه ينصرهم بانتصار دينهم وما يهدون ويدعون إليه، وإن طال الزمن واشتدت الفتن والمحن، أو بإهلاك أممهم المكذبة لهم وإنجائهم والمؤمنين معهم قال تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ وقوله : ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ أي[3] وينصرهم في الآخرة يوم يقوم الأشهاد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكافرين بالتكذيب,

وقوله : ﴿يوم لا ينفع الظالمين[4] معذرتهم﴾ إذاأذن لهم في الاعتذار لا تقبل معذرتهم ﴿ولهم اللعنة﴾[5] أي البعد من الرحمة والجنة ﴿ولهم سوء الدار﴾ الآخرة وهو أشد عذابها.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان تخاصم أهل النار وهو ما يتم من خصومة بين الأتباع والمتبوعين.

٢ ـ التنديد بالكبر والاستكبار إذ الكبر عائق عن الطاعة والاستقامة.

٣ ـ عدم استجابة دعاء الكافر في الدنيا والآخرة إلا ما شاء الله.

٤ ـ عدم قبول المعذرة يوم القيامة.

٥ ـ عدم استجابة الدعاء في النار.

٦ ـ بيان وعد الله لرسله والمؤمنين وهو أنه ينصرهم بأحد أمرين الأول أن ينصر دينهم ويظهره ويقرره وإن طال الزمن، والثاني أن يهلك عدوهم وينجيهم.

---

(١) أي تولوا أنتم أمر أنفسكم وادعوا والأمر هنا للتسوية أي سواء دعوتم أو تركتم لا يستجاب لكم.

(٢) هذه الآية والتي بعدها جاءتا كالنتيجة لكل ما سبق في السورة من قوله تعالى ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾ فكل ذلك لتلك المواقف والمشاهد في الدنيا والآخرة عبرتها المستخلصة منها هي هذه ﴿إنا لننصر رسلنا﴾ الآية وهي تسلية للرسول ﷺ وبشرى له ولأتباعه المؤمنين.

(٣) الأشهاد: الملائكة والرسل ومؤمنو هذه الأمة.

(٤) هذه الجملة بدل من جملة ويوم يقوم الأشهاد والظالمون هم المشركون.

(٥) تقديم الجار والمجرور «لهم» في الجملتين: لهم اللعنة ولهم سوء الدار للاهتمام بالانتقام منهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ
وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

ولقد آتينا موسى الهدى : أي أعطينا موسى بني إسرائيل المعجزات والتوراة.

وأورثنا بني إسرائيل : أي أبقينا فيهم التوراة كتاب الهداية الإلهية يهتدون به في ظلمات الحياة ويذكرون به الله في تراكم النسيان.

واصبر إن وعد الله حق : أي واصبر يامحمد على ما تلاقي من قومك إن وعد الله بنصرك حق.

واستغفر لذنبك : ليقتدي بك في ذلك ولزيادة طهارة لروحك وتزكية لنفسك.

وسبح بحمد ربك : أي نزه ربك وقدسهُ بالصلاة والذكر والتسبيح فيها وخارجها.

بالعشي والإبكار : بالمساء وأول النهار أي في أوقات الصلوات الخمس كلها.

إن في صدورهم إلا كبر : أي ما في صدورهم إلا كبر حملهم على الجدال في الحق، لا أن لهم علماً يجادلون به، وإنما حبهم العلو والغلبة حملهم على ذلك.

فاستعذ بالله : أي استعذ من شرهم بالله السميع لأقوالهم العليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم.

لخلق السموات والأرض: أي لخلق السموات والأرض ابتداء ولأول مرة.
أكبر من خلق الناس : أي أعظم من خلق الناس مرة أخرى بعد الأولى.

معنى الآيات :

قوله تعالى ولقد آتينا موسى[1] الهدى الآية شروع في تسلية الرسول ﷺ عما يلاقي من قومه فأعلمه تعالى أنه قد سبق أن أرسل موسى وآتاه الكتاب الذي هو التوراة وأورثه في بني إسرائيل هدى أي هاديا لهم في ظلمات الحياة إلى الحق والدين الصحيح الذي هو الإسلام وذكرى لأولى الألباب أي يذكر به أولوا العقول، ولا قى موسى من قومه أشد مما لاقيت إذاً فاصبر على ما تعانيه من قريش وأن العاقبة لك فإن وعد الله حق وقد قال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد أي يوم القيامة.

وقوله: ﴿واستغفر لذنبك[2] وسبح بحمد ربك بالعشي[3] والإبكار﴾ أرشده إلى مقومات الصبر والموفرات له وهي ذكر الله تعالى بالاستغفار والدعاء والصلاة والتسبيح فيها وخارجها. فأعظم عون على الصبر الصلاة فلذا كان ﷺ إذا حز به أمر فَزِعَ إلى الصلاة وقوله ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان﴾ أي حجة من علم إلهي أتاهم بطريق الوحي إن في صدورهم أي ما في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه أي لا يصلون إليه بحال وهو الرئاسة عليك والتحكم فيك وفي أصحابك. وعليه فاستعذ بالله من[4] شرهم ومن مكرهم إنه تعالى هو السميع لأقوالهم البصير بأحوالهم وأعمالهم، وسوف لا يمكن لهم منك أبداً لقدرته وعلمه وعجزهم وجهلهم.

وقوله تعالى: ﴿لخلق السموات[5] والأرض﴾ هذا رد على منكري البعث والجزاء الآخر فلما قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاماً أئِنا لمبعوثون. . قال تعالى : وعزتنا وجلالنا لخلق السموات والأرض ابتداء من غير مثال سابق ولا مادة قائمة موجودة أكبر من خلق الناس مرة أخرى بعد خلقهم

---

(١) الهدى الذي أوتيه موسى هو ما أوحي إليه من الأمر بالدعوة إلى الدين الحق، وما أنزل عليه من الشريعة والكتاب الذي هو التوراة.

(٢) ذكر القرطبي عدة أقوال للسلف في الذنب المطلوب من الرسول ﷺ الاستغفار منه قيل ذنبه ﷺ الذي كان قبل البعثة والعصمة، وقيل ذنب أمته، وقيل الصغائر ومخالفة الأول وقيل المراد هو تعبد الله رسوله بالدعاء إذ الاستغفار دعاء بطلب المغفرة وهو وجه وأوجه منه إرشاد الآية إلى الاستغفار.

(٣) هما صلاة الصبح وصلاة العصر ومعنى بحمد ربك أي بالشكر له والثناء عليه.

(٤) جملة إنه هو السميع العليم تعليلية، ومفعول المستعاذ منه في قوله فاستعذ بالله محذوف لعرض التعميم في كل ما يخاف منه.

(٥) اللام في جواب قسم محذوف كما في التفسير، وخلق السموات والأرض شامل لكل ما فيهما من مخلوقات وعقيدة البعث الآخر من جملة ما يجادل فيه الذين كفروا.

المرة الأولى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون[1] هذه الحقائق العلمية لجهلهم وبعدهم عن العقليات لما عليهم من طابع البداوة وإلا فإعادة الشيء أهون من بدئه عقلا فليس الاختراع كالاصلاح للمخترع إذا فسد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان منة الله تعالى على موسى وبني إسرائيل تتكرر لمحمد ﷺ وأمته بإنزال الكتاب وتوريثه فيهم هدى وذكرى لأولى الألباب.

٢ ـ وجوب الصبر والتحمل في ذات الله، والاستعانة على ذلك بالاستغفار والذكر والصلاة.

٣ ـ أكثر من يجادل بالباطل ليزيل به الحق إنما يجادل من كبر يريد الوصول إليه وهو التعالي والغلبة والقهر للآخرين.

٤ ـ تقرير عقيدة البعث بالبرهان العقلي، وهو أن البدء أصعب من الإعادة ومن أبدأ أعاد، ولا نصب ولا تعب!!

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ

---

(١) لا يعلمون لانشغالهم بالباطل عن الحق فتركوا التفكر والتأمل لذا هم لا يعلمون أن الذي خلق السموات والأرض قادر عقلاً على خلق الناس بعد إماتته إياهم وبعثهم أحياء كما خلقهم أول مرة.

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

شــرح الكلمـات:

وما يستوي الأعمى والبصير : لا يستويان فكذلك الكافر والمؤمن لايستويان.

والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء : لايستويان أيضا فكذلك لايستوى الموقن والشاك

قليلًا ما تتذكرون : أي ما يتذكرون إلا تذكرا قليلاً والتذكر الاتعاظ.

إن الساعة لآتية : أي إن ساعة نهاية هذه الحياة وإقبال الأخرى جائية لا شك فيها.

إن الذين يستكبرون عن عبادتي : أي عن دعائي.

سيدخلون جهنم داخرين : أي صاغرين ذليلين.

لتسكنوا فيه : أي لتنقطعوا عن الحركة فتستريحوا.

والنهار مبصراً : أي مضيئا لتتمكنوا فيه من الحركة والعمل.

ولكن أكثر الناس لا يشكرون : أي الله تعالى بحمده والثناء عليه وطاعته.

ذلكم الله ربكم : أي ذلكم الـذي أمـركم بدعـائه ووعدكم بالاستجابة الذي جعل لكم الليل والنها روأنعم عليكم بجلائل النعم الله ربكم الذي لا إله لكم غيره ولا رب لكم سواه.

فأنى تؤفكون : أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم وإلهكم الحق إلى أوثان وأصنام لا تسمع ولا تبصر.

كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون : أي كمـا صرف أولئـك عن الإيمان والتوحيد يصرف الذين يجحدون بآيات الله يصرفون عن الحق.

معنى الآيات:

مازال السياق في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد، فقوله تعالى ﴿وما يستوي﴾[1] أي في حكم

(١) وما يستوى الأعمى والبصير أي الكافر والمؤمن والضال والمهتدي.

العقلاء ﴿الأعمى﴾ الذي لايبصر شيئاً والبصير الذي يبصر كل شيء يقع عليه بصره فكذلك لا يستوي المؤمن السميع المبصر، والكافر الأعمى عن الدلائل والبراهين فلا يرى منها شيئاً الأصم الذي لا يسمع نداء الحق والخير، ولا كلمات الهدى والرشاد. كما لا يستوي في حكم العقلاء المحسن المؤمن العامل للصالحات، والمسيء الكافر والعامل للسيئات، وإذا كان الأمر كما قررنا فلم لا يتعظ القوم به ولا يتوبون إنهم لظلمة نفوسهم ﴿قليلاً ما يتذكرون﴾[1] أي لا يتعظون إلا نادراً.

وقوله تعالى: ﴿إن الساعة لآتية﴾[2] يخبر تعالى أن الساعة التي كذب بها المكذبون ليستمروا على الباطل والشر فعلا واعتقاداً لآتية حتماً، ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بها لوجود صارف قوي وهو عدم تذكرهم، وانكبابهم على قضاء شهواتهم.

وقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني[3] استجب لكم﴾. إنه لما قرر ربوبيته تعالى وأصبح لا محالة من الاعتراف بها قال لهم: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ أي سلوني أعطكم وأطيعوني أثبكم فأنتم عبادي وأنا ربكم. ثم قال لهم: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ ودعائي فلا يعبدونني ولا يدعونني سوف أذلهم وأهينهم وأعذبهم جزاء استكبارهم وكفرهم وهو معنى قوله: ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ أو صاغرين ذليلين يعذبون بها أبداً.

وفي الآية (٦١) عرَّفهم تعالى بنفسه ليعرفوه فيؤمنوا به ويعبدوه ويوحدوه، ويكفروا بما سواه من مخلوقاته فقال: ﴿الله الذي جعل[4] لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ أي جعله مظلما لتنقطعوا فيه عن الحركة والعمل فتستريحوا ﴿والنهار مبصراً﴾ أي وجعل لكم النهار مبصراً أي مضيئاً يمكنكم التحرك فيه والعمل والتصرف في قضاء حاجاتكم، وليس هذا من إفضال الله عليكم بل إفضاله وإنعامه أكثر من أن يذكر وقرر ذلك بقوله: ﴿وإن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ الله على إفضاله وإنعامه عليهم فلا يعترفون بإنعامه ولايحمدونه

---

(١) قرأ نافع قليلا ما يتذكرون بالياء وقرأ حفص تتذكرون بالتاء ولكل وجه بلا غي وكأن تذكرهم قليلا لعدم علمهم فهم كالأموات لجهلهم فهم لا يتذكرون وإن تذكروا قليلا ينقطعون فلا يحصل المراد من التذكر.

(٢) المراد بالساعة ساعة البعث والقيام من القبور. إنه بعد ذكر الأدلة المقررة للبعث كان هذا إعلانا عن تحقق مجيئها وتأكيد الخبر بإن ولام الابتداء لزيادة التحقيق والمراد تحقق وقوعها لا الإخبار عن وقوعها.

(٣) روى الترمذي عن النعمان بن بشير وصححه أن النبي ﷺ قال الدعاء هو العبادة. ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ وروي أن النبي ﷺ قال: يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله.

(٤) (جعل) إن كانت بمعنى خلق تعدت إلى مفعول واحد كما هي هنا وإن كانت بمعنى صير تنصب مفعولين نحو جعلت الثوب سروالاً.

بألسنتهم ولا يطيعـونه بجوارحهم، وذلك لاستيلاء الشيطان والغفلة عليهم ثم واصل تعريف نفسه لهم ليؤمنوا به بعد معرفته ويكفروا بالآلهة العمياء الصماء التي هم عاكفون عليها صباح مساء فقال جل من قائل: ﴿ذلكم الله ربكم﴾ الذي[1] عرفكم بنفسه ﴿خالق كل شيء لا إله إلا هو﴾ أي لا معبـود بحق إلا هو. وقـوله: ﴿فأنى[2] تؤفكون﴾ أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم والمنعم عليكم، إلى أوثان وأصنام لا تنفعكم ولا تضركم. فسبحان الله كيف تؤفكون كذلك يؤفك أي كانصرافكم أنتم عن الإيمان والتوحيد مع وفرة الأدلة وقوة الحجج يصرف أيضاً الذين كانوا بآيات الله يجحدون في كل زمان ومكان لأن الآيات الإلهية حجج وبراهين فالمكذب بها سيكذب بكل شيء حتى بنفسه والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان حقيقـة وهي أن الضِّدين لايجتمعان فالكفر والإيمان، والاحسان والإساءة والعمى والبصروالصمموالسمع هذه كلها لا تستوي بعضها ببعض فمحاولة الجمع بينها محاولة باطلة ولا تنبغي.

٢ ـ قرب الساعة مع تحتم مجيئها والأدلة على ذلك العقلية والنقلية كثيرة جداً.

٣ ـ فضل الدعاء وقد ورد أن النبي ﷺ قال ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع[3] نعله. وللدعاء المستجاب شروط منها: أن يكون القلب متعلقا بالله معرضا عما سواه وأن لايسأل ما فيه إثم، ولا يعتدي في الدعاء فيسأل ما لم تجر سنة الله به كأن يسأل أن يري الجنة يقظة أو أن يعود شاباً وهو شيخ كبيرا أو أن يرزق الولد وهو لا يتزوج.

٤ ـ الدعاء[4] هو العبادة ولذا من دعا غير الله فقد أشرك بالله.

٥ ـ بيان إنعام الله وإفضاله والمطالبة بشكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وبطاعته بفعل محابه وترك مكارهه.

---

(١) الإشارة إلى اسم الجلالة في قوله ﴿الله الذي جعل لكم﴾ الخ.

(٢) أنى اسم استفهام عن الكيفية وأصله استفهام عن المكان ثم نقل إلى الحالة.

(٣) تقدم تخريجه وأنه من سنن الترمذي وأنه صحيح الإسناد وشسع النعل: زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها يضرب به المثل في الفاقة يقال لا يملك شسع نعل.

(٤) روي بإسناد لا بأس به من لم يسأل الله يغضب عليه ومن لَم يدع الله غضب عليه أيضاً حسنهما ابن كثير في تفسيره.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ
إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾
هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات:

قراراً : أي قارة بكم لا تتحرك فيفسد ما عليها من إنشاء وتعمير.

بنـــاء : أي محكمة إحكام البناء فلا تسقط عليكم ولا يسقط منها شيء يؤذيكم.

وصوركم : أي في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم.

من الطيبات : أي الحلال المستلذ غير المستقذر وهي كثيرة.

فتبارك الله : أي تعاظم وكثرت بركاته.

فادعوه مخلصين له الدين : أي أعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا في عباداته دعاء كان أو غيره.

قل إني نهيت : أي نهاني ربي أن أعبد الأوثان التي تعبدون.
وأمرت أن أسلم لرب العالمين : أي وأمرني ربي أن أسلم له وجهي وأخلص له عملي.
هو الذي خلقكم من تراب : أي خلق أبانا آدم من تراب وخلقنا نحن ذريته مما ذكر من نطفة ثم من علقة.
ثم لتبلغوا أشدكم : أي كمال أجسامكم وعقولكم في سن ما فوق الثلاثين.
ومنكم من يتوفى من قبل : أي ومنكم من يتوفاه ربه قبل سن الشيخوخة والهرم.
ولتبلغوا أجلاً مسمى : أي فعل ذلك بكم لتعيشوا ولتبلغوا أجلامسمى وهو نهاية العمر المحددة لكل إنسان.
ولعلكم تعقلون : أي طوركم هذه الأطوار من نطفة إلى علقة إلى طفل إلى شاب إلى كهل إلى شيخ رجاء أن تعقلوا دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته فتؤمنوا به وتعبدوه موحدين له فتكملوا وتسعدوا.
يحيي ويميت[١] : أي يخلق الإنسان وقد كان عدماً، ويميته عند نهاية أجله.
فإذا قضى أمراً : أي حكم بوجوده.
فإنما يقول له كن فيكون : أي فهو لا يحتاج إلى وسائط وإنما هي الإرادة فقط فإذا أراد شيئاً قال له كن فهو يكون.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تعريف العباد بربهم سبحانه وتعالى حتى يؤمنوا به ويعبدوه ويوحدوه إذ كمالهم وسعادتهم في الدارين متوقفان على ذلك قال تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً أي[٢] قارة في مكانها ثابتة في مركز دائرتها لا تتحرك بكم ولا تتحول عليكم فتضطرب حياتكم فتهلكوا، وجعل السماء بناء مُحْكماً وسقفا محفوظا من التصدع والانفطار والسقوط كلاً أو بعضاً، وصوركم في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم[٣] ورزقكم من الطيبات التي خلقها لكم وهي كل ما لذ وطاب من حلال الطعام والشراب واللباس والمراكب ذلكم الفاعل

(١) في قوله يحيي ويميت المحسن البديعي المسمى بالطباق.

(٢) القرار مصدر قر إذا سكن وهو هنا من صفات الأرض لأنه خبر عن الأرض والمعنى أنه جعلها قارة «ساكنة» غير مائدة ولا مضطربة إذ لو لم تكن قارة لكان الناس في عناء شديد من اضطرابها وتزلزلها، وقد يفضي ذلك بأكثر الناس إلى الهلاك وهذا في معنى قوله: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ ومن مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته أن تدور الأرض في فلكها دورة منتظمة بدقة فائقة فلا تخرج عن مدارها مقدار شبر بل إصبع فسكنت وقرت وهي متحركة فسبحان الله العلي العظيم.

(٣) فأحسن صوركم الفاء للعطف والتعقيب ورزقكم فهاتان نعمتان عظيمتان نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد.

لكل ذلك الله ربكم الذي لا رب لكم سواه ولا معبود بحق لكم غيره. فتبارك الله رب العالمين أي خالق الانس والجن ومالكهما والمدبر لأمرهما، هو الحي الذي لا يموت والانس والجن يموتون لا إله أي لا معبود للعالمين إلا هو فادعوه مخلصين له الدين أي اعبدوه وحده ولا تشركوا بعبادته أحداً قائلين الحمد لله رب العالمين[1] أي حامدين له بذلك، هذا ما تضمنته الآيتان (٦٤, ٦٥) وقوله تعالى: ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ أي قل يانبينا لقومك إني نهاني ربي أن أعبد الذين تدعون من دون الله من أصنام وأوثان لا تنفع ولا تضر وذلك لما[2] جاءني البينات من ربي وهي الحجج والبراهين على بطلان عبادة غير الله ووجوب عبادته سبحانه وتعالى، وأمرت أن أسلم لرب العالمين أي وأمرني ربي أن أسلم له فأنقاد وأخضع لأمره ونهيه وأطرح بين يديه وأفوض أمري إليه وقوله: ﴿هو الذي خلقكم من تراب نظراً إلى أصلهم وهو آدم، ثم من نطفة مني ثم من علقة دم متجمد، ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً، ثم لتبلغوا أشدكم أي اكتمال أبدانكم وعقولكم بتخطيكم الثلاثين من أعماركم، ثم لتكونوا شيوخاً بتجاوزكم[3] الستين. ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله قبل بلوغه سن الشيخوخة والهرم وما أكثرهم، وفعل بكم ذلك لتعيشوا ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون إذا تفكرتم في خلق الله لكم على هذه الأطوار فتعرفوا أن ربكم واحد وأنه إلهكم الحق الذي لا إله لكم سواه.

وقوله هو الذي يحيي ويميت يحيي النطف الميتة فإذا هي بعد أطوارها بشراً أحياء ويميت الأحياء عند نهاية آجالهم وهو حي لا يموت والإنس والجن يموتون ومن أعظم مظاهر قدرته أنه يقول للشيء إذا أراده كن فيكون ولا يتخلف أبداً هذا هو الله رب العالمين وإله الأولين والآخرين وَجَبَتْ محبته وطاعته ولزمت معرفته إذ بها يُحَبُّ ويعبد ويطاع.

---

(١) إنشاء الثناء على الله تعالى بعد ذكر موجبات ذلك من نعمة الإيجاد والإمداد والهداية إلى الدين الحق بعبادة الله وحده كما هي السنة في تعقيب الحمد والثناء على الله تعالى بعد كل نعمة ينعم بها على عباده.

(٢) لما هذه يقال فيها التوقيتية أي حصل نهيٌ عن عبادة غير ربي في الوقت الذي جاءتني البينات وفي الآية تعريض بالمشركين إذ لم ينتهوا عن عبادة غير الله وقد جاءتهم البينات من ربهم.

(٣) سن الشيخوخة هو ما بين الخمسين إلى الثمانين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق والإيجاد والإرزاق والإحياء والإماتة وكلها معرفة به تعالى وموجبة له العبادة والمحبة والإنابة والرغبة والرهبة ونافية لها عما سواه من سائر خلقه.

٢ ـ تقرير التوحيد ووجوب عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

٣ ـ بيان خلق الإنسان وأطوار حياته وهي من الآيات الكونية الموجبة للإيمان بالله وتوحيده في عبادته إذ هو الخالق الرازق المحيي المميت لا إله غيره ولا رب سواه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ
نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

شـــرح الكلمـات :

يجادلون في آيات الله : أي في القرآن وما حواه من حجج وبراهين دالة على الحق هادية إليه.

أنى يصرفون : أي كيف يصرفون عن الحق مع وضوح الأدلة وقوة البراهين.

الذين كذبوا بالكتاب : أي بالقرآن

و بما أرسلنا به رسلنا : من وجوب الاسلام لله بعبادته وحده وطاعته في أمره ونهيه والإيمان بلقائه.

فسوف يعلمون : أي عقوبة تكذيبهم.

إذ الأغلال في أعناقهم : أي وقت وجود الأغلال في أعناقهم يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم.

ثم في النار يسجرون : أي يوقدون

ثم يقال لهم أين ما كنتم : أي يسألون هذا السؤال تبكيتاً لهم وخزياً.

تشركون من دون الله : أي تعبدونهم مع الله.

قالوا ضلوا عنا : أي غابوا عنا فلم نرهم.

بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً : أي انكروا عبادة الأصنام، أوْ لَمْ يعتبروا عبادتها شيئاً وهو كذلك.

كذلك يضل الله الكافرين : أي مثل اضلال هؤلاء المكذبين يضل الله الكافرين.

بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق: أي بالشرك والمعاصي.

وبما كنتم تمرحون : أي بالتوسع في الفرح، لأن المرح شدة الفرح.

فبئس مثوى المتكبرين : أي دخول جهنم والخلود فيها بئس ذلك مأوى للمتكبرين.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد وإلى الإيمان بالبعث والجزاء، وتقرير نبوة محمد ﷺ فقوله تعالى ﴿الم تر﴾ أي يا محمد ﴿إلى الذين يجادلون في[1] آيات الله﴾ القرآنية لإبطالها وصرف الناس عن قبولها أوحملهم على إنكارها وتكذيبها والتكذيب بها وهذا تعجيب من حالهم. وقوله تعالى: ﴿أنى يصرفون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته . وقوله ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ الذي هو القرآن ﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾ من التوحيد والإيمان ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة تكذيبهم وقت ما تكون الأغلال[2] في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم يسحبون أي تسحبهم الزبانية في الحميم

(١) وقيل هذه الآية نزلت في القدرية نفاة القدر وقيل في المشركين والعبرة بعموم اللفظ فهي عامة في المشركين والمكذبين المجادلين في آيات الله وأحاديث رسوله ﷺ لصرفها عن مراد الله إحقاقاً لباطلهم وإثباتاً لمذهبهم الفاسد.

(٢) الأغلال جمع غل بضم الغين: حلقة من قد «جلد» أو حديد محيط بالعنق. سئل ابن عرفة هل يجوز أن يقاد اليوم الأسير والجاني بالغل في عنقه؟ قال لا يجوز وإنما يقاد الجاني من يده لنهي رسول الله ﷺ عن الإحراق بالنار وقال إنما يعذب بالنار رب النار.

هو ماء حار تناهى في الحرارة ثم في النار يسجرون[1] أي توقد بهم النار كما توقد بالحطب، هذا عذاب جسماني ووراءه عذاب روحاني إذ تقول لهم الملائكة توبيخا وتبكيتاً وتأنيبا وتقريعاً: ﴿أين ما[2] كنتم تشركون﴾ أي أين أوثانكم التي كنتم تعبدونها مع الله؟ فيقولون: ضلوا عنا أي غابوا فلم نرهم، بل ما كنا ندعو من قبل شيئاً هذا إنكار منهم حملهم عليه الخوف أو هو بحسب الواقع أنهم ما كانوا يعبدون شيئا إذ عبادة الأصنام ليست شيئاً لبطلانها.

وقوله ﴿ذلك بما كنتم تفرحون[3] في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ أي حل بكم هذا العذاب بسبب فرحكم بالباطل من شرك وتكذيب وفسق وفجور، في الدنيا، وبسبب مرحكم أيضا وهو أشد الفرح وأخيراً يقال لهم ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ باباً بعد باب وهي أبواب الدركات ﴿خالدين[4] فيها﴾ لا تموتون ولا تخرجون ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ أي ساء وقبح مثواكم في جهنم من مثوى أي مأوى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ التعجيب من حال المكذبين بآيات الله المجادلين فيها كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح أدلته وقوة براهينه.

٢ ـ إبراز صورة واضحة للمكذبين بالآيات المجادلين لإبطال الحق وهم في جهنم يقاسون العذاب بعد أن وضعت الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون.

٣ ـ ذم الفرح بغير فضل الله ورحمته، وذم المرح وهو أشد الفرح.

٤ ـ ذم التكبر وسوء عاقبة المتكبرين الذين يمنعهم الكبر من الاعتراف بالحق ويحملهم على احتقار الناس وازدراء الضعفاء منهم.

---

(١) قال مجاهد يطرحون في النار فيكونون وقوداً لها: يقال سجرت التنور أي أوقدته وسجرته ملأته ايضا ومنه والبحر المسجور أي المملوء. وشاهد آخر في قوله تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾.

(٢) الاستفهام بأين يكون عن المكان وأريد به هنا التنبيه على الغلط والفضيحة في الموقف.

(٣) ما مصدرية في الموضعين والتقدير أي ذلكم العذاب الذي وقعتم فيه مسبب على فرحكم ومرحكم الذين كانا لكم في الدينا إذ الأرض المراد بها الدنيا.

(٤) خالدين حال مقدرة أي مقدر خلودكم فيها و﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ متفرع على الخلود والمخصوص بالذم محذوف تقديره جهنم.

فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ
لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

شـرح الكلمـات :

فاصبر إن وعد الله حق : أي فاصبر يارسولنا على دعوتهم متحملا أذاهم فإن وعد ربك بنصرك حق.

فإما نرينَّك بعض الذي نعدهم : أي من العذاب في حياتك.

منهم من قصصنا عليك : أي ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم وهم خمسة وعشرون.

أن يأتي بآية إلا بإذن الله : أي لأنهم عبيد مربوبون لايفعلون إلا ما يأذن لهم به سيدهم.

وخسر هنالك المبطلون : أي هلك أهل الباطل بعذاب الله فخسروا كل شيء.

جعل لكم الأنعام : أي الإبل وإن كان لفظ الأنعام يشمل البقر والغنم أيضاً.

ولكم فيها منافع : أي من اللبن والنسل والوبر.

ولتبلغوا عليها حاجة في : أي حمل الأثقال وحمل أنفسكم من بلد إلى بلد، لأنها كسفن

صدوركم البحر.

فأي آيات الله تنكرون : أي فأي آية من تلك الآيات تنكرون فإنها لظهورها لا تقبل الانكار.

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة الإلهية للمشركين إلى الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء والتي تلوَّن فيها الأسلوب وتنوعت فيها العبارات والمعاني، والمشركون يزدادون عتواً قال تعالى لرسوله آمراً إياه بالصبر[1] على الاستمرار على دعوته متحملاً الأذى في سبيلها ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ فيخبره بأن ما وعده به ربُّه حق وهو نصره عليهم وإظهار دعوة الحق ولو كره المشركون. وقوله ﴿فإما نرينك[2] بعض الذي نعدهم﴾ أي من العذاب الدنيوي ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك ﴿فإلينا يرجعون﴾ فنعذبهم بأشد أنواع العذاب في جهنم، وننعم عليك بجوارنا في دار الإنعام والتكريم أنت والمؤمنون معك. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧٧) وقوله تعالى في الآية الثانية (٧٨) ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك﴾ يخبر تعالى رسوله مؤكداً له الخبر مسلياً له حاملا له على الصبر بأنه أرسل من قبله رسلا كثيرين منهم من قص خبرهم عليه ومنهم من لم يقصص[3] وهم كثير وذلك بحسب الفائدة من القصص وعدمها وأنه لم يكن لأحدهم أن يأتي بآية كما طالب بذلك قومه، والمراد من الآية المعجزة الخارقة للعادة، إلا بإذن الله، إذ هو الوهاب لما يشاء لمن يشاء، فإذا جاء أمر الله بإهلاك المطالبين بالآيات تحدياً وعناداً ومكابرة قضى بالحق أي حكم الله تعالى بين الرسول وقومه المكذبين له المطالبين بالعذاب تحدياً، فَنَجىَّ رسوله والمؤمنين وخسر هنالك المبطلون من أهل الشرك والتكذيب.

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧٩) الله الذي جعل لكم الأنعام يعرفهم تعالى بنفسه مقرراً ربوبيته الموجبة لألوهيته فيقول الله أي المعبود بحق هو الذي جعل لكم الأنعام على وضعها الحالي الذي ترون لتركبوا منها[4] وهي الإبل، ومنها تأكلون ومن بعضها تأكلون كالبقر والغنم ولا تركبون، ولكن فيها منافع وهي الدَّرُّ والوبر والصوف والشعر والجلود ولتبلغوا عليها حاجة في

(١) أمره تعالى رسوله بالصبر في الآية هو تسلية له ﷺ إذ أخبره أنه ينتقم له من أعدائه في حياته أو في الآخرة وهذا كان لاستبطاء النبي ﷺ والمؤمنين النصر.

(٢) فأما أصلها فإن حرف شرط قرنت بما الزائدة للتأكيد ولذا ألحقت نون التوكيد بفعل الشرط وعطف عليه أو نتوفينك وهو فعل شرط ثانٍ.

(٣) قال ابن كثير وهم اكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف وهو كذلك إذ لم يذكر في القرآن إلا خمسة وعشرون نبياً ورسولاً.

(٤) اللام متعلقة بجعل لكم الأنعام ومن في الموضعين للتبعيض أي تركبون من بعضها وتأكلون من بعضها.

صدوركم وهي حمل أثقالكم والوصول بها إلى أماكن بعيدة لا يتأتى لكم الوصول إليها بدون الإبل سفائن البر، وقوله وعليها أي على الإبل وعلى الفلك «السفن» تحملون أي يحملكم الله تعالى حسب تسخيرها لكم.

وأخيراً يقول تعالى بعد عرض هذه الآيات القرآنية والكونية يقول لكم ﴿ويريكم آياته﴾ في أنفسكم وفي الآفاق حولكم ﴿فأي آيات[1] الله تنكرون﴾ وكلها واضحة في غاية الظهور والبيان والاستفهام للإنكار عليهم علّهُم يرعوون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب الصبر على دعوة الحق والعمل في ذلك إلى أن يحكم الله تعالى.

٢ ـ الآيات لا تعطي لأحد إلا بإذن الله تعالى إذ هو المعطي لها فهي تابعة لمشيئته.

٣ ـ من الرسل من لم يقصص الله تعالى أخبارهم، ومنهم من قص وهم خمسة[2] وعشرون نبياً ورسولاً. وعدم القص لأخبارهم لا ينافي بيان عددهم إجمالاً لحديث أبي ذر في مسند أحمد أن أبا ذر رضي الله عنه قال قلت يارسول الله كم عِدّة الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشرة جماً غفيراً.

٤ ـ ذكر مِنّة الله على الناس في جعل الأنعام صالحة للانتفاع بها أكلاً وركوباً لبعضها لعلهم يشكرون بالإيمان والطاعة والتوحيد.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ

---

(١) اسم استفهام يطلب به تمييز شيء عن مشاركة في ما يضاف إليه أي وهو مستعمل هنا في إنكار أن يكون شيء من آيات الله يمكن أن يذكر دون غيره من الآيات فأفاد أنّ جميع الآيات صالحة للدلالة على وجود الله ووحدانيته في ألوهيته.

(٢) جمع بعضهم من ذكروا في القرآن من الآيات الآتية فقال

حتم على كل ذي التكليف معرفة ... بأنبياء على التفصيل قد علموا
في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

الرسل المجمع على أنهم رسل خمسة عشر وهم: نوح ، ابراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، هود، صالح ، شعيب، موسى، هارون، عيسى يونس، محمد ﷺ والمختلف في رسالتهم بعد الإجماع على نبوتهم باقي الخمسة والعشرين واختلف في نبوة لقمان وذي القرنين والخضر ومريم عليهم السلام.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم
مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا
رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾

شرح الكلمات:

أفلم يسيروا في الأرض : أي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض شمالاً وجنوبا وغربا.

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم : أي عاقبة المكذبين من قبلهم قوم عاد وثمود وأصحاب مدين.

وآثاراً في الأرض : أي وأكثر تأثيراً في الأرض من حيث الإنشاء والتعمير.

فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون: أي لم يمنع العذاب عنهم كسبهم الطائل وقوتهم المادية

فرحوا بما عندهم من العلم : أي فرح الكافرون بما عندهم من العلم الذي هو الجهل بعينه.

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا : أي عذابنا الشديد النازل بهم.

معنى الآيات:

مازال السياق في طلب هداية قريش بما يذكرهم به وما يعرض عليهم من صور حية لمن كذب ولمن آمن لعلهم يهتدون قال تعالى ﴿أفلم[1] يسيروا في الأرض﴾ أي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض أرض الجزيرة شمالاً ليروا آثار ثمود في مدائنها وجنوبا ليروا آثار عاد، وغربا ليرو آثار أصحاب الأيكة قوم شعيب والمؤتفكات قرى قوم لوط: فينظروا نظر تفكر واعتبار كيف كان عاقبة الذين من قبلهم. كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض من مصانع وقصور وحدائق وجنات فما أغنى عنهم لما جاءهم العذاب ما كانوا يكسبونه من مال ورجال وقوة مادية.

---

(١) الفاء للتفريع وهمزة الاستفهام داخلة على محذوف أي أعجزوا فلم يسيروا والاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم النظر في آثار الهالكين ليحصلوا على العبرة المطلوبة لهم ليؤمنوا ويوحدوا فينجوا من العذاب.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨٢) أما الآية الثانية (٨٣) فهي قوله تعالى ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ يخبر تعالى عن المكذبين الهالكين أنهم لما جاءتهم رسلهم بالحجج والأدلة الظاهرة على توحيد الله والبعث والجزاء وصدقهم في النبوة والرسالة ﴿فرحوا بما عندهم[1] من العلم﴾ المادي وسخروا من العلم الروحي واستهزأوا بأهله فرحاً ومرحاً، ﴿وحاق بهم﴾ أي أحاط بهم العذاب الذي كان نتيجة كفرهم وتكذيبهم واستهزائهم، فلما رأوا عذاب الله الشديد وقد حاق بهم أعلنوا عن توبتهم ﴿فقالوا آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كُنّا به مشركين﴾ أي قالوا لا إله إلا الله. قال تعالى ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ أي شديد عذابنا ﴿سنّة[2] الله التي قد خلت في عباده﴾ وأخبر تعالى أن هذه سنة من سننه في خلقه وهي أن الايمان لا ينفع عند معاينة العذاب إذ لو كان يقبل الإيمان عند رؤية العذاب وحلوله لما كفر كَافر ولما دخل النا رأحد. وقول ﴿وخسر[3] هنالك﴾ أي عند رؤية العذاب وحلوله ﴿الكافرون﴾ أي المكذبون المستهزئون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات

١ - مشروعية السير في البلاد للعظة والاعتبار تقوية للإيمان.

٢ - القوى المادية لا تغني عن أصحابها شيئاً إذا أرادهم الله بسوء.

٣ - بيان سنة بشرية وهي أن الماديين يغترون بمعارفهم المادية ليستغنوا بها عن العلوم الروحية في نظرهم إلا أنها لا تغني عنهم شيئاً عند حلول العذاب بهم في الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) قال القرطبي فرحوا بما عندهم من العلم في معناه ثلاثة أقوال قال مجاهد إن الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا نحن أعلم منهم ولن نعذب ولن نبعث، وقيل فرحوا بما عندهم من علم الدنيا نحو يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وقيل الذين فرحوا الرسل بما عندهم من العلم بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.

(٢) سنة مصدر سنّ يسن سنا وسنه أي سن الله عز وجل في الكفار أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب وجائز أن يكون سنة منصوب والإغراء والتحذير أي احذروا أيها المشركون سنة الله.

(٣) خسر هنالك هذه الجملة كالفذلكة لقوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وهنالك اسم إشارة إلى مكان استعير للإشارة إلى الزمان أي خسروا وقت رؤيتهم بأسنا.

سُورَةُ فُصِّلَتْ[1]

مكيـــة
وآياتها أربع وخمســـون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

شــرح الكلمـات :

حـمٓ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا حمٓ، ويقرأ هكذا حَا مِيم.

تنزيل من الرحمن الرحيم: أي من الله إذ هو الرحمن الرحيم.

فصـلت آياته : أي بينت آياته غاية البيان بلسان عربي لقوم يعلمون إذ هم الذين ينتفعون.

بشيراً ونذيراً : أي مبشراً أهل الإيمان والعمل الصالح بالفوز، ومنذراً المكذبين الكافرين بالخسران.

فأعرض أكثرهم : أي أعرض عن سماع القرآن أكثر مشركي مكة وكفار قريش.

فهم لا يسمعون : أي سماع تعقل وتدبر لينتفعوا بما يسمعون.

في أكنـة : أي أغطية جمع كنان: ما فيه يكن الشيء ويستر.

---

(١) وتسمى سورة حـمٓ السجدة وتسمى سورة المصابيح وسورة الأموات لذكر المصابيح والأموات والسجدة وفصلت فيها.

وفي آذاننا وقر : أي ثقل فلم نطق السمع .

ومن بيننا وبينك حجاب : أي مانع وفاصل بيننا فلا نسمع ما تقول ولا نرى ماتفعل .

معنى الآيات :

قولـه تعـالى ﴿حـم﴾ هذا أحـد الحـروف المقطعة وتفسيره أن يقال فيه وفي أمثاله من الحروف المقطعة الله أعلم بمراده به. وقد ذكرنا ما أثرنا عن أهل العلم فائدتين هامتين لمثل هذه الحروف المقطعة في أول سورة غافر، وفي العديد من السور المفتتحة بهذه الحروف فليرجع إليها ولتعرف وتحفظ وقوله ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾[1] أي هو منزله على عبده ورسوله محمد ﷺ وليس كما يقول المبطلون. وقوله ﴿كتاب فصلت آياته﴾ أي هو كتاب فخم جليل القدر فصلت آيتـه أي بينت حال كون ذلـك التفصيل ﴿قـرآنـاً عربياً لقـوم يعلمـون﴾[2] لسـان العـرب ويفهمـون معـاني الكـلام وأسـراره. وقوله ﴿بشيراً ونذيراً﴾ وحال كونه أيضاً بشيراً لأهل الإيمان وصالح الأعمال بالفوز بالجنة والنجاة من النار؟ ونذيراً للمشركين المكذبين من عذاب النار، وقوله تعالى: ﴿فأعرض أكثرهم[3] فهم لا يسمعون﴾ يخبر تعالى أنه مع بيان الكتاب ووضوح ما جاء به ودعا إليه من التوحيد والخير أعرض أكثر كفار قريش عنه ولم يلتفتوا إليه فهم لا يسمعونه ولا يريدون سماعه بحال، وقالوا معتذرين بأقبح الأعذار: قلوبنا في أكنة أي أغطية تسترها من أجل أن لا نفهم ما تدعـونا إليه من التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء المقتضي لمتابعتك والسير وراءك، وفي آذاننا وقر أي ثقل فلا تقوى على سماع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب[4] ساتر وحائل لنا عنك فلا نسمع ما تقول ولا نرى ما تعمل فاتركنا كما تركناك، واعمل[5] على نصرة دينك فإننا عاملون كذلك على نصرة ديننا والحفاظ على معتقداتنا وهذه نهاية المفاصلة التي أبدتها قريش للرسول ﷺ.

---

(١) تنزيل مبتدأ وسوغ الابتداء به ما في التنكير من معنى التعظيم كأن قيل تنزيل عظيم ومن الرحمن الرحيم الخبر وكتاب بدل من تنزيل وفصلت صفة لكتاب.

(٢) في إعراب قرآناً عدة وجوه أظهرها أن النصب على الحال وجائز أن يكون على الاختصاص بالمدح.

(٣) فأعرض أكثر هؤلاء عما في القرآن من الهدى فلم يهتدوا ومن البشارة فلم يعنوا بها ومن النذارة فلم يحذروها فكانوا في أشد الحماقة إذ لم يُعنوا بالخير ولم يحذروا الشر فلم يأخذوا بالحيطة لأنفسهم.

(٤) روي أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوباً فقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه.

(٥) وقيل اعمل على هلاكنا فإنا عاملون على هلاكك وقيل غير هذا وما في التفسير أولى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تعيّن تعلم اللغة العربية على كل مسلم يريد أن يفهم[١] كلام الله القرآن العظيم.
٢ - اشتمال القرآن على أسلوب الترغيب والترهيب وهي البشارة والنِّذارة.
٣ - بيان شدة عداوة المشركين للتوحيد والداعين إليه في كل زمان ومكان.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

شـرح الكلمـات :

قل إنما أنا بشر مثلكم : أي لست ملكاً وإنما أنا بشر مثلكم من بني آدم.

يوحي إلي أنما الهكم إله واحد: أي يوحي الله إلي بأن الهكم أي معبـودكم أيها الناس إله واحد لا ثاني له ولا أكثر.

فاستقيموا إليه : بإخلاص العبادة له دون سواه.

واستغفروه : أي اطلبوا منه أن يغفر لكم ذنوبكم[٢] قبل الاستقامة من الشرك والمعاصي.

وويل للمشركين : أي عذاب شديد سيحل بهم لإغضابهم الرب بمضادته بآلهة باطلة.

---

(١) شاهده قول الأصوليين ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب وما دام لا يفهم الشرع إلا بلغة القرآن وجب تعلم هذه اللغة.
(٢) ذنوبكم التي قارفتموها من الشرك والمعاصي قبل التوبة التي هي الاستقامة على طاعة الله ورسوله ﷺ.

لا يؤتون الزكاة : أي زكاة أموالهم وزكاة أنفسهم بما يُطهرها من أوضار الشرك والمعاصي.
لهم أجر غير ممنون : أي ثواب الآخرة وهو الجنة ونعيمها لاينقطع بحال هو أجر غير ممنون.

معنى الآيات :

إنه بعد تلك المفاصلة التي قام بها المشركون حفاظا على الوثنية وجهل الجاهلية أمر تعالى رسوله أن يقول لهم إنما أنا بشر مثلكم في آدميتي لم أدَّع يوما غيرها فلم أقل إني ملك، إلا أني أفضلكم بشيء وهو أنه يوحى إليَّ من قبل ربي، والموحي به إلي هو أنما الهكم الحق إله واحد لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته، وعليه فاخلعوا تلك الأوثان واستقيموا[1] إليه تعالى بإخلاص العبادة والوجوه إليه، واستغفروه من آثار الذنب السابق قبل الاستقامة على الإيمان والتوحيد وقوله تعالى: ﴿وويل للمشركين﴾ يخبر تعالى أن الويل وهو مُرُّ العذاب إذ من معاني الويل أنه صديد وقيح أهل النار وما يسيل من أبدانهم وفروجهم للمشركين بربهم الذين لا يؤتون[2] زكاة أموالهم، وهم بالآخرة هم كافرون أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء فلذاهم لا يتركون شراً ولا يفعلون خيراً إلاما قل وندر والنادر لا حكم له.

وقوله تعالى: إن الذين[3] آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنوا بالله وعده ووعيده وشرعه وعملوا الصالحات بأداء الفرائض والكثير من النوافل بعد تجنبهم الشرك والكبائر من الذنوب والمعاصي هؤلاء لهم أجر غير ممنون[4] مقابل إيمانهم وصالح أعمالهم، والأجر هو الثواب والمراد به الجنة إذ نعيمها لا ينقطع على من ناله وفاز به بحال من الأحوال.

هداية الآيات :

١ ـ تقرير النبوة والتوحيد.
٢ ـ وجوب الاستقامة على شرع الله.
٣ ـ وجوب الاستغفار من كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً.
٤ ـ وجوب الزكاة في الأموال، ووجوب تزكية النفوس بالإيمان وصالح الأعمال.

---

(١) استقيموا إليه أي وجهوا وجوهكم بالدعاء له والمسألة إليه كما يقال للرجل استقم إلى منزلك أي لا تعرج إلى شيء غير القصد إليه.

(٢) قال ابن عباس لا تؤتون الزكاة أي لا يشهدون أن لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس لأن السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة وقال بعضهم إن قريشاً كانوا ينفقون النفقات ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك من آمن بمحمد ﷺ فنزلت هذه الآية.

(٣) الجملة مستأنفة استئنافا بيانياً نشأ عن الوعيد المتقدم فكأن سائلا يقول فإن اتعظ هؤلاء المشركون وتابوا من الشرك وترك المعاصي فما جزاؤهم؟ فالجواب أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون.

(٤) المن القطع ومن منّ صدقته فقد قطعها قال الشاعر:

لعمرك ما بابي بذي غلقٍ على الصديق ولا خيري بممنون

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

شــرح الكلمـات:

بالذي خلق الأرض في يومين : أي الأحد والاثنين.

وتجعلون له أنداداً : أي شركاء وهذا داخل في حيز الإنكار الشديد عليهم.

ذلك رب العالمين : أي الله مالك العالمين وهم كل ما سواه عز وجل من سائر الخلائق.

وجعل فيها رواسي : أي جبالاً ثوابت

وبارك فيها : أي في الأرض بكثرة المياه والزروع والضروع.

وقدر فيها أقواتها : أي أقوات الناس والبهائم.

في أربعة أيام : أي في تمام أربعة أيام وهي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء.

سواء للسائلين : أي في أربعة أيام هي سواء لمن يسأل فإنها لا زيادة فيها ولا نقصان.

ثم استوى إلى السماء : أي قصد بإرادته الربانية إلى السماء وهي دخان قبل أن تكون سماء.

فقضاهن سبع سموات في يومين:أي الخميس والجمعة ولذا سميت الجمعة جمعة لاجتماع الخلق فيها.

وأوحى في كل سماء أمرها[1] : أي ما أراد أن يكون فيها من الخلق والأعمال.

وزينا السماء الدنيا بمصابيح : أي بنجوم.

وحفظاً : أي وحفظناها من إستراق الشياطين السمع بالشهب الموجودة فيها.

ذلك تقدير العزيز العليم : أي خلق العزيز في ملكه العليم بخلقه.

معنى الآيات :

إنه بعد الإصرار على التكذيب والإنكار من المشركين أمر تعالى رسوله أن يقول لهم[2] ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ إن كفرهم عجب منكم هل تعلمون بمن تكفرون إنكم لتكفرون بالذي خلق الأكوان كلها علويها وسفليها في ستة أيام، أين يذهب بعقولكم ياقوم أتستطيعون جحود الله تعالى وجحود آياته وهذه الأكوان كلها آيات شاهدات على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته وموجبة له الربوبية عليها والألوهية له فيها دون غيره من سائر خلقه وأعجب من ذلك أنكم تجعلون له أنداداً أي شركاء تسوونهم به وهم أصنام لا تسمع ولا تبصر فكيف تُسوّىٰ بالذي خلق الأرض في يومين أي الأحد والاثنين، وهو رب العالمين أجمعين أي رب كل شيء ومليكه ومالكه.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٩) ﴿وجعل فيها﴾ أي في الأرض رواسي أي جبالا ثوابت ترسو في الأرض حتى لا تميد بأهلها ولا تميل فيخرب كل شيء عليها، ﴿وبارك فيها﴾ بكثرة المياه والرزق والضروع والخيرات ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ تقديراً[3] يعجز البيان عن وصفه، والقلم عن رقمه والآلات الحاسبة عن عِدّه. وذلك كله من الخلق والتقدير ﴿في أربعة أيام سواء﴾[4] لمن يسأل عنها إنها الأحد والأثنين والثلاثاء والأربعاء أي مقدرة بأيامنا هذه التي تكونت نتيجة الشمس والقمر والليل والنهار فلا تزيد يوماً ولا تنقص آخر.

---

(١) الوحي: الكلام الخفي، ويطلق الوحي على حصول المعرفة في نفس من يراد حصولها عنده دون قول، ومنه فأوحى اليهم أي أومأ اليهم بما يدل على معنى سبحوا بكرة وعشياً قال الشاعر:

يرمون بالخطب الطوال وتارة   وحي الملاحظ خيفة الرقباء

(٢) الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم أي لم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً؟ ومعنى الكفر به تعالى الكفر بانفراده بالألوهية. فلما أنكروا ألوهيته كان كإنكارهم صفات ذاته فصح أنهم كفروا به.

(٣) قال قتادة ومجاهد: خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها في يومي الثلاثاء والأربعاء.

(٤) أي في تتمة أربعة أيام.

وقـوله ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ في الآية الثالثة (١٠) يخُبر تعالى أنه بعد خلق الأرض استوى إلى السماء أي قصد بإرادته التي تعلو فوق كل إرادة ﴿إلى السماء وهي دخان﴾ أي بخار وسديم ارتفع من الماء الذي كان عرشه تعالى عليه فقال لها كما قال ﴿للأرضْ[١] إئتيا طوعاً أو كرهاً﴾ أي طائعتين أو مكـرهتين لابد من مجيئكما حسب ما أردت وقصدت فأجابتا بما أخبر تعالى عنهمـا في قولـه: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ أي لم يكن لنا أن نخالف أمر ربنا، ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ وهما الخميس والجمعة، ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ أي ما أراد أن يخلقه فيها ويعمرها به من المخلوقات والطاعات. وقوله: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي النجوم وحفظاً أي وجعلناها أي النجوم حفظاً من الشياطين أن تسترق السمع فإن الملائكة يرجمونهم بالشهب من النجـوم فيحتـرقـون أويخبلون . وقوله: ﴿ذلك تقدير العزيزْ[٢] العليم﴾ أي ذلك المذكور من الخلق والتقدير تقدير العزيز في ملكه أي الغالب على أمره العليم بتدبير ملكه وأعمال وأحوال خلقه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ الكفر بالله لا ذنب فوقه فما بعد الكفر ذنب، وهو عجيب وأعجب منه اتخاذ أصنام وأحجار أوثاناً تعبد مع الله الحي القيوم مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

٢ ـ بيان الأيام التي خلق الله فيها العوالم العلوية والسفلية وهي ستة أيام أي على قدر ستة أيام من أيام الدنيا هذه مبدوءة بالأحد منتهية بالجمعة، وقدرة الله صالحة لخلق السموات والأرض وبكل ما فيهما بكلمة التكوين «كن» ولكن لحكم عالية أرادها الله تعالى منها تعليم عباده الأناة والتدرج في إيجاد الأشياء شيئاً فشيئاً.

٤ ـ لا تعارض بين قوله تعالى في هذه الآية ثم استوى إلى السماء المشْعِر بأن خلق السموات كان بعد خلق الأرض، وبين قوله، والأرض بعد ذلك دحاها من سورة والنازعات المفهم أن دَحْـوَ الأرض كان بعـد خلق السمـاء، إذ فسـر تعالى دَحْوَ الأرض بإخراج مائها ومرعاها وهو ما ترعاه الحيوانات التي سيخلقها عليها، ثم قوله خلق الأرض في يومين على صورة يعلمها هو ولا نعلمها نحن،

---

(١) قال ابن عباس قال الله تعالى للسماء اطلعي شمسك وقمرك وكواكبك وأجري سحابك ورياحك وقال للأرض شقي أنهارك وأخرجي شجرك وثمارك طائعتين أو كارهتين ﴿قالتا أتينا طائعين﴾.

(٢) في الأحاديث الصحيحة ان الله خلق آدم يوم الجمعة وأنه آخر أيام الأسبوع وانه خيرها وأفضلها وأن اليهود والنصارى قد اختلفوا فيه فهدى الله الذين آمنوا اليه.

وتقدير الأقوات في قوله وقدر فيها أقواتها لا يستلزم أن يكون فعلا أظهر ماقدره إلى حيز الوجود، وحينئذ لا تعارض بين مايدل من الآيات على خلق الأرض أولا ثم خلق السموات وهو الذي صرحت به الأحاديث إذ خلق الأرض في يومين وقدر الأقوات في يومين وبعد أن خلق السموات دحا الأرض فأخرج منها ما قدره فيها من أقوات وأرزاق الحيوانات حسب سنته في ذلك.

٤ ـ بيان فائدتين عظيمتين[1] للنجوم الأولى أنها زينة السماء بها تضاء وتشرق وتذهب الوحشة منها والثانية أن ترمي الشياطين بالشهب من النجوم ذات التأجج الناري.

فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ
عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ
خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ
فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ
عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى
ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

(١) والثالثة الاهتداء بها في معرفة البلاد والقبلة قال تعالى «والنجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر».

شــرح الكلمـات :

فإن أعرضوا : أي كفار قريش عن الإيمان والتوحيد بعد ذلك البيان المفصل.

فقل أنذرتكم صاعقة : أي خوّفتكم صاعقة تنزل بكم فتهلككم إن أصررتم على هذا الكفر.

من بين أيديهم ومن خلفهم: أي أتتهم رسلهم تعرض عليهم دعوة الحق من أمامهم ومن ورائهم.

لو شاء ربنا لأنزل ملائكة : أي بدلاً عنكم أيها الرسل من البشر.

بغير الحق : أي بغير أن يأذن الله لهم بذلك العلو والاستكبار والتَّجبُّر.

ريحاً صرصراً : أي ذات صوت يسمع له صرصرة مع البرودة الشديدة.

في أيام نحسات : أي مشئومات عليهم لم يفلحوا بعدها.

ولعذاب الآخرة أخزى : أي أشد خزياً من عذاب الدنيا.

فاستحبوا العمى على الهدى : أي استحبوا الكفر على الإيمان إذ الكفر ظلام والإيمان نور.

الذين آمنوا وكانوا يتقون : أي الشرك والمعاصي.

معنى الآيات :

مازال السياق في طلب هداية قريش فقال تعالى : ﴿فإن أعرضوا﴾[1] بعد ذلك البيان الذي تقدم لهم في الآيات السابقة المبين لقدرة الله وعلمه وحكمته والموجب للإيمان بالله ولقائه وتوحيده فقل لهم أنذرتكم أي خوفتكم صاعقة[2] تنزل بكم إن أصررتم على إعراضكم مثل صاعقة عادٍ وثمود أي عذاباً مهلكاً كالذي أهلك الله به عاداً وثموداً.

وقوله : ﴿إذ جاءتهم الرسل﴾ وهم هود وصالح من بين أيديهم ومن خلفهم كناية أن الرسول بلغهم دعـوة الله لهم إلى الإيمـان والتوحيد بعناية فائقة فكان يأتيهم من أمامهم ومن خلفهم يدعوهم، قائلاً لهم : لا تعبدوا[3] إلا الله فإنه الإله الحق وما عداه فباطل فكان جوابهم لهم لا نؤمن لكم ولا نقبل منكم لو شاء[4] الله ما تقولون لنا لأنزل به ملائكة يدعوننا إليه لا أن يرسل مثلكم من البشر وأخيراً قالوا لهم فإننا بما أرسلتم به كافرون فأياسوا الرسل من إجابتهم. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٢) والثانية (١٣) وفي الآية الثالثة (١٤) بين تعالى حال القوم كلاً على حدة فقـال فأما عاد أي قوم[5] هود فاستكبروا في الأرض بغير الحق فحملهم الكبر الناجم عن القوة

(١) أي استمروا على إعراضهم بعد دعوتك إياهم وإلحاحك فيها.

(٢) الصاعقة حقيقتها أنها نار تخرج مع البرق تحرق ما تصيبه، وتطلق على الحادثة المبيدة السريعة الإهلاك.

(٣) جملة الا تعبدوا إلا الله تفسير لجملة وجاءتهم الرسل.

(٤) هذا قول عاد وثمود لرسوليهم هود وصالح فحكى بهذا اللفظ.

(٥) لما حكى الله تعالى قولتي عاد وثمود لرسوليهم وهو قولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة فصّل في هذه الآيات حال كل من القبيلتين إتماماً للتذكير بحالهما والموعظة بالعذاب الذي أصابهما فقال فأما عاد.. الخ.

المادية على رفض دعوة هود عليه السلام وقالوا فيه وفي دعوته الكثير وقد مر في سورة هود ويأتي في سورة الأحقاف مفصلا ما أجمل هنا، وقوله بغير الحق أي أن استكبارهم لاحق لهم فيه أولا لضعفهم أمام قوة الله عز وجل، وثانيا لم يأذن الله تعالى لهم بالاستكبار فهو بغير حق إذاً. وقوله: ﴿وقالوا من أشد[1] منا قوة﴾ وهذا منهم تحد صريح وعلو وعتو واضحان، ولذا تحداهم الله تعالى بالقوة فقال عز وجل أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة أي أعَموا ولم يروا أن الله الذي خلقهم قطعا هو اشد منهم قوة. إذ كل قوة لهم مصدرها الله هو خالقهم وواهب القوة لهم، فقوتهم ليست ذاتية ولكنها موهوبة إذ يُخلق أحدهم وهو لايقدر على دفع أدنى شيء عن نفسه وقوله: وكانوا بآياتنا يجحدون هذا تسجيل عليهم أكبر ذنب وهو جحودهم بآيات الله التي جاء بها رسول الله هود عليه السلام كما جحدت قريش آيات الله، وقوله تعالى فأرسلنا أي بمجرد أن تأكد كفرهم بجحودهم بآيات الله أرسل الله تعالى عليهم ريحا صرصراً[2] أي باردة ذات صوت مزعج دامت سبع ليال وثمانية أيام فلم تبق منهم أحداً وهي أيام نحسات[3] عليهم مشؤمات قال تعالى لنذيقهم أي أرسلناها عليهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا. ولعذاب الآخرة أخزى أي أشد خزيا وإهانة لهم وذلة، وهم لاينصرون أي لا ناصر لهم من الله عز وجل. هذا بيان حال عاد. وأما ثمود[4] فقد قال تعالى وأما ثمود قوم صالح فاستحبوا الضلال على الهدى والكفر على الإيمان وقتلوا الناقة وهَمُّوا بقتل صالح فأخذتهم صاعقة العذاب الهون وذلك صباح السبت فأخذتهم صيحة انخلعت لها قلوبهم فرجفت الأرض من تحتهم فهلكوا عن آخرهم، وذلك بما كانوا يكسبون من الشرك والظلم والكفر والعناد. ونجىَّ الله تعالى صالحاً ومن معه من المؤمنين الذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والمعاصي وكانوا أربعة آلاف مؤمن ومؤمنة وهو معنى قوله تعالى في ختام الحديث: ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون.

---

(١) وهذا اغترار بقوة أجسامهم حين تهددهم هود بالعذاب.

(٢) أصلها من صرر من الصر وهو البرد فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل نحو كبكبوا أصلها كببوا وتجفجف الثوب أصلها تجفف والصرصر هي الشديدة البرودة قال الحطيئة:

المطعمون إذا هبت بصرصرة الحاملون إذا استودوا على الناس

ومعنى استودوا إذا سئلوا الدية.

(٣) قرأ نافع بسكون الحاء ويجوز كسرها وبه قرأ حفص على أنه صفة مشبهة من نحس إذا أصابه النحس إصابة سوء أو ضر والنحسات بسكون الحاء جمع نحس.

(٤) شروع في تفصيل حال ثمود بعد عاد والهداية التي كانت لهم هداية إرشاد وتكليف بواسطة رسولهم صالح وما آتاهم الله من معجزة الناقة العظيمة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ التحذير من الإعراض عن إجابة دعوة الحق، والاستمرار في التمرد والعصيان.

٢ ـ تقرير التوحيد وهو أن لا إله إلا الله .

٣ ـ دعوة الرسل واحدة وهي الأمر بالكفر بالطاغوت، والإيمان بالله وعبادته وحده بما شرع للناس من عبادات.

٤ ـ التنديد بالاستكبار وأنه سبب الكفر والعصيان.

٥ ـ لا مصيبة إلا بذنب «بماكانوا يكسبون»[1] أي من الذنوب.

٦ ـ الإيمان والتقوى هما سبيل النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة وهما ركنا الولاية ولاية الله تعالى لقوله ألا إن أولياء الله[2] لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾
وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

---

(١) أي لقوله تعالى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون أي بسبب كسبهم السيئات.

(٢) الآية من سورة يوسف عليه السلام.

شـرح الكلمـات:

فهم يوزعون : أي يحبس أولهم ليلحق آخرهم ليساقوا إلى النار مجتمعين.

حتى إذا ما جاءوها : أي حتى إذا جاءوها أي النار.

بما كانوا يعملون : أي من الذنوب والمعاصي.

وهو خلقكم أول مرة : أي بدأ خلقكم في الدنيا فخلقكم ثم أماتكم ثم أحياكم.

وما كنتم تستترون : أي عند ارتكابكم الفواحش والذنوب أي تستخفون من أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم فتتركوا الفواحش والذنوب.

ولكن ظننتم أن الله لا يعلم : أي ولكن عند ارتكابكم الفواحش ظننتم أن الله لا يعلم ذلك منكم.

أرداكم : أي أهلككم.

فإن يصبروا فالنار مثوى لهم : أي فإن صبروا على العذاب فالنار مثوى أي مأوى لهم.

وإن يستعتبوا : أي يطلبوا العتبى وهي الرضـا فلا يعتبون أي لا يرضى عنهم هذه حالهم أبداً.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في دعوة قريش إلى أصول الدين التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وفي هذا السياق عرض لمشهد من مشاهد القيامة وهو مشهد حَيْ رائع يعرض أمامهم.

إذ يقول تعالى: ويوم يُحشر[1] أعداء الله إلى النار أي اذكر لهم يوم يحشر أعداء الله أي الذين كفروا به فلم يؤمنوا ولم يتقوا؛ إلى النار فهم يوزعون يحبس أولهم ليلحق آخرهم فيساقون مع بعضهم بعضا. حتّى[2] إذا ما جاءوها أي انتهوا إليها، وادعوا أنهم مظلومون وأخذوا يتنصّلون من ذنـوبهم، وقـالوا إنهم لا يقبلون شاهداً من غير أنفسهم فيأمر الله تعالى أسماعهم وأبصارهم وجلودهم فتشهـد عليهم بمـا كانوا يعملون، وهو قوله تعالى: ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ وهنا رجعوا إلى جلودهم يلومون عليهم ويعتبون وهو ما أخبر تعالى به في قوله: وقالوا لجلودهم ﴿لِمَ شهدتم[3] علينا﴾ فأجابتهم جلودهم بما أخبر تعالى عنهم في هذا السياق ﴿قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول

---

(١) يحشرون إلى النار أي يجمعون ويساقون إليها.

(٢) حرف ابتداء في اللفظ أي ان ما بعدها جملة مستأنفة إلا أنها تفيد معنى الغاية «وما» في ما جاءوها مزيدة للتوكيد.

(٣) شهادة جلودهم وجوارحهم عليهم هي شهادة تكذيب وافتضاح وإلا إدانتهم متحققة بصحائف أعمالهم وإجراء ضمائر السمع والبصر والجلود بصيغة جمع العقلاء لأن التحاور معهم أنزلهم منزلة العقلاء.

مرة﴾ أي النشأة الأولى في الدنيا ثم أماتكم ثم أحياكم ﴿وإليه ترجعون﴾ وهاأنتم قد رجعتم فالقادر على هذا كله قادر على أن ينطقنا وعلى كل شيء أراد إنطاقه، وقوله ﴿وما كنتم تستترون[1] أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ أي وما كنتم تستخفون فتتركوا محارم الله بل كنتم تجاهرون بذلك لعدم إيمانكم بالبعث والجزاء ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم﴾ وهو ظن سيء ﴿أرداكم﴾ أي أهلككم ﴿فأصبحتم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وهذا هو الخسران المبين وقوله تعالى في الآية الآخيرة من هذا السياق (٢٣) فإن يصبروا أي أعداء الله الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فالنار مثوى أي مأوى لهم لا يخرجون منها أبداً، وإن يستعتبوا أي يطلبوا العتبى أي الرضا فيرضى عنهم فيدخلوا الجنة ﴿فما هم بمستعتبين﴾ أي فما هو بحاصل لهم أبداً فهم إذاً بشرٍّ التقديرين والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض مفصل بحال أهل النار فيها.

٢ ـ التحذير من فعل الفواحش وكبائر الذنوب فإن جوارح المرء تشهد عليه.

٣ ـ التحذير من سوء الظن بالله تعالى ومن ذلك أن يظن المرء أن الله لا يطلع عليه. أولا يعلم ما يرتكبه، أو أنه لا يحاسبه أو لا يجزيه.

٤ ـ وجوب حسن الظن بالله تعالى وهو أن يرجو أن يغفر الله له إذا تاب من زلة زلها، وأن يرجو رحمته وعفوه إذا كان في حال العجز عن الطاعات ولا سيما عند العجز عن العمل للمرض والضعف كالكبر ونحوه فيغلب جانب الرجاء على جانب الخوف.

۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ

---

(١) في الصحيحين جادثة ذكرت أنها سبب نزول هذه الآية وهي ان عبدالله بن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشيان وآخر قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا. قال عبدالله فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وما كنتم تستترون﴾ الخ..

كَانُواْ خَٰسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ
وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا
شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
(٢٨) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ
وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ (٢٩)

شـــرح الكلمـات :

وقيضنا لهم قرناء : أي وبعثنا لكفار مكة المعرضين قرناء من الشياطين.

فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم : أي حسنوا لهم الكفر والشرك، وإنكار البعث والجزاء.

وحق عليهم القول في أمم قد خلت : أي وجب لهم العذاب في أمم مضت قبلهم من الجن والإنس.

والغوا فيه لعلكم تغلبون : أي الغطوا فيه بالباطل إذا سمعتم من يقرأه.

ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون : أي بأقبح جزاء أعمالهم التي كانوا يعملون.

أعداء الله : أي من كفروا به ولم يتقوه.

أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس : أي إبليس من الجن، وقابيل بن آدم.

نجعلهما تحت أقدامنا : أي في أسفل النار ليكونا من الأسفلين.

معنى الآيات :

مازال السياق الكـريم في دعوة المعرضين من كفار قريش، فقال تعالى: ﴿وقيضنا[1] لهم﴾ أي بعثنا لهم قرناء من الشياطين، وذلك بعد أن أصروا على الباطل والشر فخبثوا خبثا سَهَّلَ لأخباث الجن الاقتران بهم فزينوا لهم الكفر والمعاصي القبيحة في الدنيا فها

(١) قيضنا: أتحنا وهيأنا لهم قرناء أي شياطين يلازمونهم قد يكونون من الجن ومن الإنس إذ الشياطين من الجنسين.

هم منغمسـون فيها، كما زينوا لهم الكفر بالبعث والجزاء وإنكار الجنة والنار حتى لا يقصـروا في الشـر ولا يفعلوا الخير أبـداً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم، وما خلفهم.

وقوله تعالى: ﴿فحق عليهم القول﴾ أي بالعذاب ﴿في أمم[1] قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ في حكم الله وقضائه بمقتضى سنة الله في الخسران. هذا ما دلت عليه الأولى (٢٥) وهي قوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين.﴾

وقوله تعالى في الآية الثانية (٢٦) ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا[2] لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ يخبر تعالى عن أولئك المعرضين عن كفار قريش وأنهم قالوا لبعضهم بعضا لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرأه محمد ﷺ حتى لا تتأثروا به، والغوا فيه أي الغطوا وصيحوا بكلام لهو وصفقوا وصفروا حتى لا يتأثر به من يسمعه من الناس لعلكم تغلبون أي رجاء أن تغلبوا محمداً على دينه فتبطلوه ويبقى دينكم. وهذا منتهى الكيد والمكر من أولئك المعرضين عن دعوة الإسلام.

وكان رد الله تعالى على هذا المكر في الآية التالية (٢٧) فلنذيقنَّ الذين كفروا عذابا شديداً يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأنه سيذيق الذين كفروا عذابا شديداً وذلك يوم القيامة وليجزينَّهم أسوأ أي أقبـح الذي كانوا يعملون أي يجزيهم بحسب أقبح سيئاتهم التي كانوا يعملون. ثم قال تعالى: ذلك الجزاء المتوعَّد به الذين كفروا هو جزاء أعداء الله الذين حاربوا رسوله ودعوته وحتى كتابه أيضاً. وذلك الجزاء هو النار لهم[3] فيها دار الخلد أي الإقامة الدائمة جزاء بما كانوا بأياتنا يجحدون فلم يؤمنوا بها ولم يعملوا بما فيها وقوله تعالى في الآية (٢٩) وقال الذين كفروا الآية

---

(١) في أمم حال من الضمير في عليهم أي حق عليهم حالة كونهم في امم أمثالهم قد سبقوهم والظرفية هنا مجازية بمعنى التبعيض أي هم من جملة أمم فدخلت من قبلهم قال الشاعر:

إن تك عن أحسن الصنيعة مأفو   كافقي آخرين قد أفكوا

(٢) قال ابن عباس كان النبي ﷺ وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته فكان أبو جهل وغيره يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا له والغوا فيه فكانوا يأتون بالمكاء والصفير والصياح وفي الصحيح أنهم أخرجوا أبا بكر من مكة خوفا أن يفتن أبناءهم ونساءهم بقراءته القرآن لرقة صوته وبكائه.

(٣) دار الخلد هي النار نزلت النار منزل الظرف فكانت بذلك دار الخلد والخلد البقاء المؤبد فى عالم الشقاء.

يخبـر تعالى عن الكافرين وهم في النار إذ يقولون ربَّنا أي ياربنا أرنا اللَّذين[1] أضلانا من الجن والإنس أي اللذين كانا سببا في إضلالنا بتزيينهم لنا الباطل وتقبيحهم لنا الحق أرناهم نجعلهما تحت أقدامنا في النار ليكونا من الأسفلين[2] أي في الدرك الأسفل من النار إذا النار دركات واحدة تحت الأخرى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان سنة الله تعالى في العبد إذا أعرض عن الحق الذي هو الاسلام فخبث من جراء كسبه. الشر والباطل وتوغله في الظلم والفساد يبعث الله تعالى عليه شيطاناً يكون قريناً له فيزين له كل قبيح، ويقبح له كل حسن.

٢ ـ بيان ما كان المشركون يكيدون به الإسلام ويحاربونه به حتى باللغو عند قراءة القرآن حتى لا يسمع ولا يهتدي به.

٣ ـ تقرير البعث والجزاء.

٤ ـ بيان نقمة أهل النار على من كان سببا في إضلالهم وإغوائهم، ومن سن لهم سنة شريعملون بها كإبليس، وقابيل بن آدم عليه السلام. إذ الأول سن كل شر والثاني سن سنة القتل ظلما وعدوانا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

(١) أرنا أي عين لنا الذين أضلانا من الجن والإنس كناية عن إرادة الانتقام منهم بأن يطؤهم بأقدامهم انتقاماً منهم وتعذيباً لهم لأنهم كانوا السبب في شقوتهم قرأ الجمهور أرنا بكسر الراء وقرأ غيرهم بسكون الراء أرنا كما خففوا فخذ إلى فخذ بسكون الخاء.

(٢) هذا التعليل أرادوا به التوطئة لاستجابة الله تعالى لما علموا من غضب الله تعالى فأرادوا أن يتوسلوا إليه تعالى بذلك.

شـــرح الكلـمات :

قالوا ربنا الله : قالوا ذلك معلنين عن إيمانهم بأن الله هو ربهم الذي لا رب لهم غيره وإلههم الذي لا إله لهم سواه.

ثم استقاموا : أي ثبتوا على ذلك فلم يبدلوا ولم يغيروا ولم يتركوا عبادة الله بفعل الأوامر وترك النواهي.

تتنزل عليهم الملائكة : أي عند الموت وعند الخروج من القبر بحيث تتلقاهم هناك.

أن لا تخافوا ولا تحزنوا : أي بأن لا تخافوا مماأنتم مقبلون عليه فإنه رضوان الله ورحمته ولا تحزنوا عما خلفتم وراءكم.

نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة : أي فبحكم ولايتنا لكم في الدنيا والآخرة فلا تخافوا ولا تحزنوا.

ولكم فيها ما تدعون : أي ولكم فيها ما تطلبون من سائر المشتهيات لكم.

نزلا من غفور رحيم : أي رزقا مهيأ لكم من فضل رب غفور رحيم.

معنى الآيات :

لما بين تعالى حال الكافرين في الدار الآخرة وهي أسوأ حال بين حال المؤمنين في الآخرة وهي أحسن حال وأطيب مآل فقال إن الذين قالوا ربنا[1] الله أي لا ربَّ لنا غيره ولا إله لنا سواه، ثم استقاموا[2] فلم يشركوا به في عبادته أحداً فأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي وماتوا على ذلك هؤلاء تتنزل عليهم الملائكة أي تهبط عليهم وذلك عند الموت بأن تقول لهم لا تخافوا على ما أنتم مقدمون عليه من البرزخ والدار الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم وأبشروا[3] بالجنة دار السلام التي كنتم توعدونها في الكتاب وعلى لسان الرسول. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا إذا

---

(١) في صحيح مسلم عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك وفي رواية غيرك. قال: قل آمنت بالله ثم استقم وزاد الترمذي قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ؟ قال فأخذ بلسان نفسه وقال هذا.

(٢) ذكر القرطبي في تفسير الاستقامة أكثر من عشرة أقوال للصحابة والسلف، ثم قال وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها «اعتدلوا على طاعة الله عقداً وقولاً وفعلا وداوموا على ذلك».

(٣) قال وكيع وابن أبي زيد البشري في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث وشاهد هذا قوله ﷺ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قلنا يا رسول الله كلنا نكره الموت: قال ﷺ ليس ذلك كراهة الموت ولكن المؤمن إذا حُضِر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه قال وإن الفاجر والكافر إذا حُضِر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه قال ابن كثير وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه.

كنا نسددكم ونحفظكم من الوقوع في المعاصي، وفي الآخرة نستقبلكم عند الخروج من قبوركم حتى تدخلوا جنة ربكم. ولكم فيها أي في الجنة ما تشتهي أنفسكم من الملاذ ولكم فيها ما تدعون أي تطلبون مما ترغبون فيه وتشتهون. نزلا أي قرىً وضيافة من لدن رب غفور لكم رحيم بكم لا إله إلا هو ولا رب سواه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ فضل الإيمان والاستقامة عليه بأداء الفرائض واجتناب النواهي.

٢ ـ بشرى أهل الإيمان والاستقامة عند الموت بالجنة وهؤلاء هم أولياء الله المؤمنون المتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وهي هذه وفي الآخرة عند خروجهم من قبورهم.

٣ ـ في الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين، ولأحدهم كل ما يطلبه ويدعيه وفوق ذلك النظر إلى وجه الله الكريم وتلقي التحية منه والتسليم.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

شـرح الكلمـات :

ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله : أي لا أحد أحسن قولا منه أي ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته.

وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين : وعمل صالحاً وهي شرط أيضا وقال إنني من المسلمين شرط ثالث.

ولا تستوي الحسنة ولا السيئة	: أي لا تكون الحسنة كالسيئة ولا السيئة كالحسنة.
ادفع بالتي هي أحسن	: أي ادفع أيها المؤمن السيئة بالخصلة التي هي أحسن كالغضب بالرضى، والقطيعة بالصلة.
كأنه ولي حميم	: أي كأنه صديق قريب في محبته لك إذا فعلت ذلك.
وما يلقاها إلا الذين صبروا	: أي وما يعطي هذه الخصلة التي هي أحسن.
إلا ذو حظ عظيم	: أي ثواب عظيم وأجر جزيل هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالخلق الحسن والكمال.
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ	: أي وإن يوسوس لك الشيطان بترك خير أو فعل شر.
فاستعذ بالله	: أي فاستجر بالله قائلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
إنه هو السميع العليم	: أي هو تعالى السميع لأقوال عباده العليم بما يصيبهم وينزل بهم.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى بشرى أهل الإيمان وصالح الأعمال ذكر هنا بشرى ثانية لهم أيضا فقال: ﴿ومن[1] أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ هذه ثلاثة شروط الأول دعوته إلى الله تعالى بأن يعبد فيطاع ولايعص ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر والثاني وعمل صالحاً فأدى الفرائض واجتنب المحارم، والثالث وفاخر بالإسلام معتزاً به وقال إنني من المسلمين، فلا أحد أحسن قولا من هذا الذي ذكرت شروط كما له، ويدخل في هذا أولا الرسل، وثانيا العلماء، وثالثا المجاهدون ورابعاً المؤذنون وخامسا الدعاة الهداة المهديون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٣). وقوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ هذا تقرير إلهي يجب أن يعلم وهو أن الحسنة لا تستوي[2] مع السيئة وأن السيئة لا تستوي مع الحسنة فالإيمان لا يساوى بالكفر، والتقوى لا تساوي بالفجور، والعدل لايساوىٰ بالظلم.

كما أن أن جنس الحسنات لا يتساوى، وجنس السيآت لا يتساوى بل يتفاضل فصيام رمضان لايساوي بصيام رجب أو محرم تطوعاً، وسيئة قتل المؤمن لا تستوي مع شتمه أو ضربه وقوله

---

(١) يدخل في هذه الآية دخولاً أوليا رسول الله ﷺ إذ هو أحق وأجدر وهي نازلة فيه رداً على الذين يلغون في القرآن عند سماعه وهي تتناول كل مؤمن متصف بهذه الصفات المعبر عنها في التفسير بالشروط.

(٢) لا في قوله ولا السيئة صلة زيدت للتأكيد إذ الأصل ولا تستوى الحسنة والسيئة وشاهدها قول الشاعر:

ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر

تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾[1] أي بعد أن عرفت يارسولنا عدم تساوي الحسنة مع السيئة إذاً فادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن من غيرها فإذا الذي بينك[2] وبينه عداوة قد انقلب في بره بك واحترامه لك واحتفائه بك كأنه ابن عم لك يحبك ويحترمك ولما كانت هذه الخصلة وهي الدفع بالتي هي أحسن لا تتأتى إلا لذوي الأخلاق الفاضلة والنفوس الكاملة الشريفة قال تعالى: ﴿ومايلقاها﴾ أي وما يعطي هذه الخصلة ﴿إلا الذين صبروا﴾ فكان الصبر خلقاً من أخلاقهم ﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ في الأخلاق والكمال النفسي، في الدنيا، والأجر العظيم وهو الجنة في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله[3] إنه هو السميع العليم﴾ يرشد الرب تعالى عبده ورسوله وكل فرد من أفراد أمته إن نزغه من الشيطان نزغ بأن وسوس له بفعل شر أو ترك خير، أو خطر له خاطر سوء أن يفزع إلى الله تعالى يستجير به فإن الله تعالى هو السميع العليم فالاستجارة به من الشيطان تَحْمِي العبد وتقيه من وسواس الشيطان وما يلقيه في النفس من خواطر سيئة، ولله الحمد والمنة على هذه الارشاد الرباني الذي لا يستغنى عنه أحد من عباده.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف الدعاة العاملين.

٢ ـ فضل الإسلام والاعتزاز به والتفاخر الصادق به.

٣ ـ تقرير أن الحسنة لا تتساوى مع السيئة. كما أن الحسنات تتفاوت والسيئآت تتفاوت.

٤ ـ وجوب دفع السيئة من الأخ المسلم بالحسنة من القول والفعل.

٥ ـ فضل العبد الذي يكمل في نفسه وخلقه فيصبح يدفع السيئة بالحسنة.

---

(١) قال ابن عباس ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك. وقيل أيضا هو الرجل يسب الرجل فيقول المسبوب إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك وقال مجاهد هي أن يسلم المرء على من يعاديه إذا لقيه فهو معنى (بالتي هي أحسن).

(٢) قال ابن عباس في هذه الآية ادفع بالتي هي أحسن إلى قوله ولي حميم امره الله تعالى بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وهو كما قال رضي الله عنه.

(٣) فائدة الاستعاذة بالنسبة إلى الرسول ﷺ تجديد داعية العصمة المركوزة في نفس النبي ﷺ لأن الاستعاذة بالله من الشيطان استمداد للنعمة وصقل للنفس مما يغان على القلب كما قال الرسول ﷺ «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة».

٦ ـ وجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم إذا وسوس أو ألقى بخاطر سوء إذ لا يقي منه ولا يحفظ إلا الله السميع العليم.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾
وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

ومن آياته : أي ومن جملة آياته الدالة على ألوهية الرب تعالى وحده.

الليل والنهار : أي وجود الليل والنهار والشمس والقمر.

لا تسجدوا للشمس ولا للقمر : أي لا تعبدوا الشمس ولا القمر فإنهما من جملة مخلوقاته الدالة عليه.

إن كنتم إياه تعبدون : أي إن كنتم حقا تريدون عبادته فاعبدوه وحده فإن العبادة لا تصلح لغيره.

فالذين عند ربك : أي الملائكة.

وهم لا يسأمون : أي لا يملون من عبادته ولا يكلون.

ترى الأرض خاشعة : أي يابسة جامدة لا نبات فيها ولا حياة.

اهتزت وربت : أي تحركت، وانتفخت وظهر النبات فيها.

إن الذي أحياها لمحيي الموتى : أي إن الذي أحيا الأرض قادر على إحياء الموتى يوم القيامة.

معنى الآيات :

قوله تعالى ومن آياته أي ومن جملة آياته العديدة الدالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته والموجبة للإيمان به وعبادته وتوحيده، الليل والنهار وتعاقبهما وانتظام ذلك بينهما فليس الليل سابق النهار، وكذا الشمس والقمر خلقهما وسيرهما في فلكيهما بانتظام ودقة فائقة وحساب دقيق وعليه فلا تسجدوا[1] للشمس ولا للقمر أيهاالناس فانهما مخلوقان من جملة المخلوقات، ولكن اسجدوا لخالقهما إن كنتم إياه تعبدون[2] كما تزعمون. ثم قال تعالى: لرسوله فإن أبوا أن يستجيبوا لك ويسمعوا ما قلت لهم مستكبرين فاعلم أن الذين عند ربك وهم الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون من ذلك ولا يملون.

وقوله: ومن آياته أي علامات قدرته على إحياء الموتى[3] للبعث والجزاء إنك أيها الإنسان ترى الأرض أيام المحل والجدب هامدة جامدة لا حركة لها فإذا أنزل الله تعالى عليها ماء المطر اهتزت وربت أي تحركت تربتها وانتفخت وعلاها النبات وظهرت فيها الحياة كذلك إذا أراد الله إحياء الموتى أنزل عليهم ماء من السماء وذلك بين النفختين نفخة الفناء ونفخة البعث فينبتون كما ينبت البقل وقوله: إن الذي أحياها بعد موتها لمحيي الموتى إنه تعالى على فعل كل شيء أراده قدير لا يمتنع عنه ولا يعجزه، وكيف لا، وهو إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير التوحيد بالأدلة القطعية الموجبة لله العبادة دون غيره من خلقه.

٢ ـ بيان أن هناك من الناس من يعبدون الشمس ويسجدون لها من العرب والعجم وأن ذلك شرك باطل فالعبادة لا تكون للمخلوقات الخاضعة في حياتها للخالق وإنما تكون لخالقها ومسخرها لمنافع خلقه.

٤ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر دليل من أظهر الأدلة وهو موت الأرض بالجدب ثم حياتها

---

(١) لا شك أن هناك من كان يسجد للشمس في بلاد العرب ففي اليمن كانوا يعبدون الشمس على عهد ملكة سبأ لقوله تعالى على لسان الهدهد ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ ووجد في أصنام قريش صنم يقال له شمس ولذا سموا عبد شمس.

(٢) لا شك أن هنا سجدة من عزائم السجدات إلا أنهم اختلفوا في موضع السجود فمالك يرى أنه يسجد عند قوله ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم يرى السجود عند ﴿وهم لا يسأمون﴾ والأمر واسع ففي أي الموضعين سجد أجزأ والحمد لله.

(٣) في الآية تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد تقرير عقيدة الألوهية وسيأتي في الآيات بعد تقرير النبوة المحمدية وهذه أعظم أركان العقيدة الإسلامية. التوحيد البعث والجزاء والنبوة وباقي أركان العقيدة تابعة لهذه الأركان العظيمة.

بالغيث، إذ لا فرق بين حياة النبات والأشجار في الأرض بالماء وبين حياة الإنسان بالماء كذلك في الأرض بعد تهيئة الفرصة لذلك بعد نفخة الفناء ومضي أربعين عاماً عليها ينزل من السماء ماء فيحيا الناس وينبتون من عجب الذنب كما ينبت النبات، بالبذرة الكامنة في التربة.

٥ ـ تقرير قدرة الله على كل شيء أراده، وهذه الصفة خاصة به تعالى موجبة لعبادته وطاعته. بعد الإيمان به وتأليهه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

شـــرح الكلمـات:

يلحدون في آياتنا : أي يجادلون فيها ويميلون بها فيؤلونها على غير تأويلها لابطال حق أو إحقاق باطل.

لا يخفون علينا : أي إنهم مكشوفون أمامنا وسوف نبطش بهم جزاء إلحادهم.

أم من يأتي آمنا يوم القيامة : أي نعم الذي يأتي آمناً يوم القيامة خير ممن يلقى في النار.

اعملوا ما شئتم : هذا تهديد لهم على إلحادهم وليس إذناً لهم في العمل كما شاءوا.

إن الذين كفروا بالذكر : أي جحدوا بالقرآن أو الحدوا فيه فكفروا بذلك.

وإنه لكتاب عزيز : أي القرآن لكتاب عزيز أي منيع لا يقْدَر على الزيادة فيه ولا النقص منه.

لا يأتيه الباطل من بين يديه : أي لا يقدر شيطان من الجن والإنس أن يزيد فيه شيئاً وهذا معنى من بين يديه.

ولا من خلفه. : أي ولا يقدر شيطان من الجن ولا من الإنس أن ينقص منه شيئاً

وهـذا معنى من خلفه، كما أنه ليس قبله كتاب ينتقصه، ولا بعده كتاب ينسخه، فهو كله حق وصدق ليس فيه ما لايطابق الواقع.

معنى الآيات :

يتـوعـد الجبـار عز وجل الذين يلحدون في آيات كتابه بالتحريف والتبديل والتغيير بأنهم لايخفون عليه، وأنه سينزل بهم نقمته إن لم يكفوا عن إلحادهم.

وقوله: أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة إذا كان لايوجد عاقل يقول الذي يلقى في النار خير ممن يأتي آمناً يوم القيامة فالإلقاء في النار سببه الكفر والإلْحاد والباطل فليترك هذه من أراد النجاة من النار، والأمن يوم القيامة من كل خوف من النار وغيرها سببه الإيمان والتوحيد فليؤمن ويوحد الله تعالى في عبادته ولا يلحد في آياته من أراد الأمن يوم القيامة بعلمه انه خير من الإلقاء في النار. هذا أسلوب في الدعوة عجيب انفرد به القرآن الكريم.

وقوله تعالى : ﴿اعملوا ما شئتم[1] إنه بماتعملون[2] بصير﴾ هذا الكلام يقال للمستهترين بالأحكام الشرعية المستخفين بها فهو تهديد لهم وليس إذناً وإباحة لهم أن يفعلوا ما شاءوا من الباطل والشرك والشر، ويدل على التهديد قوله بعد إنه بما تعملون بصير.

ومثله قوله إن الذين[3] كفروا بالذكر أي القرآن، وإنه لكتاب عزيز[4] أي منيع بعيد المنال لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه بالزيادة والنقصان أو التبديل والتغيير.

ولما كان المراد من هذا الكلام التهديد سكت عن الخبر إذ هو أظهر من أن يذكر والعبارة قد تقصر عن أدائه بالصورة الواقعة له. وقد يقدر لنفعلن بهم كذا وكذا . . .

وقوله تنزيل من حكيم حميد أي القرآن المنيع كما له وشرفه ومناعته أتته أنه تنزيل من حكيم في أفعاله وسائر تصرفاته حميد بذلك وبغيره من فواضله وآلائه ونعمه.

---

(١) الأمر هنا ليس للإباحة وإنما هو للتهديد كما في التفسير.

(٢) قوله ﴿ إنه بما تعملون بصير﴾ الجملة تعليلية متضمنة الوعيد والتهديد فهي مؤكدة لما تضمنه قوله تعالى ﴿اعملوا ما شئتم﴾ من التهديد.

(٣) الخبر مقدر تقديره: هالكون أو معذبون وما ذكر في التفسير في تقدير الخبر حسن.

(٤) معنى عزيز ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ حرمة الإلحاد في آيات الله بالميل بها عن القصد والخروج بها إلى الباطل.

٢ ـ التهديد الشديد لكل من يحرف آيات الله أو يؤولها على غير مراد الله منها.

٣ ـ تقرير مناعة القرآن وحفظ الله تعالى له، وأنه لا يدخله النقص(١) ولا الزيادة إلى أن يرفعه الله إليه إذ منه بدأ وإليه يعود.

مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَا۬عْجَمِيٌّ
وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(١) تضمنت الآية ست صفات للقرآن العظيم هي كالتالي: انه ذكر يذكر الناس بما يغفلون عنه. أنه ذكر للعرب أي شرف لهم كقوله ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ أنه كتاب عزيز والعزيز النفيس والمنيع أيضاً إذ أعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله أنه لا يتطرق إليه الباطل ولا يخالطه بحال انه مشتمل على الحكمة وهو حكيم وذو حكمة وحاكم أيضا وأنه تنزيل من حميد والحميد المحمود حمداً كثيراً.

شــرح الكلمـات :

ما يقال لك : أي من التكذيب أيها الرسول محمد ﷺ.

إلا ما قد قيل للرسل من قبلك : أي من التكذيب لهم والكذب عليهم.

ان ربك لذو مغفرة : أي ذو مغفرة واسعة تشمل كل تائب إليه صادق في توبته.

وذو عقاب أليم : أي معاقبة شديدة ذات ألم موجع للمصرين على الكفر والباطل.

ولو جعلناه قرءاناً أعجمياً : أي القرآن كما اقترحوا إذ قالوا: هلا أنزل القرآن بلغة العجم.

لقالوا: لولا فصلت آياته : أي بينت حتى نفهمها.

ءأعجمي وعربي : أي أقرآن اعجمي والمنزل عليه وهو النبي عربي يستنكرون ذلك تعنتاً منهم وعناداً ومجاحدة.

هدى وشــفاء : أي هدى من الضلالة، وشفاء من داء الجهل وما يسببه من أمراض.

والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر: أي ثقل فهم لايسمعونه وهو عليهم عمى فلا يفهمونه.

أولئك ينادون من مكان بعيد : والمنادي من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادي له.

ولقد آتينا موسى الكتاب : أي التوراة.

فاختلف فيه : أي بالتصديق والتكذيب وفي العمل ببعض ما فيه وترك البعض الآخر كما هي الحال في القرآن الكريم.

ولولا كلمة سبقت من ربك : أي ولولا الوعد بجمع الناس ليوم القيامة وحسابهم ومجازاتهم هناك.

لقضي بينهم : أي لحكم بين المختلفين اليوم وأُكرم الصادقون وأُهين الكاذبون.

وما ربك بظلام للعبيد : أي وليس ربك يارسولنا بذي ظلم للعبيد.

معنى الآيات :

بعد توالي الآيات الهادية من الضلالة الموجبة للإيمان كفار قريش لايزيدهم ذلك إلا عناداً واصراراً على تكذيب الرسول والكفر به وبما جاء به من عند ربه، ولما كان الرسول بشراً يحتاج إلى عون حتى يصبر أنزل تعالى هذه الآيات في تسليته ﷺ وحمله على الثبات والصبر فقال

تعالى: ﴿ما يقال لك﴾[1] يارسولنا من الكذب عليك والتكذيب لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك. وقوله تعالى: إن ربك لذو مغفرة أي لمن تاب فلذا لا يتعجل بإهلاك المكذبين رجاء أن يتوبوا ويؤمنوا ويوحدوا، وذو عقاب أليم أي موجع شديد لمن مات على كفره.

وقوله تعالى: ولو جعلناه قرآناً أعجمياً أي كما اقترح بعض المشركين، لقالوا: لولا فصلت آياتــه أي هلاَّ بُينت لنـا حتى نفهمهـا، ثم قالـوا: أأعجمي[2] وعـربي أي أقـرآنـاً[3] عجمي ونبي عربي مُسْتَنكِرِينَ ذلك متعجبين منه وكل هذا من أجل الإصرار على عدم الإيمان بالقرآن الكريم والنبي الكريم وتوحيد الرب الكريم.

ولما علم تعالى ذلك منهم أمر رسوله أن يقول لهم قل هو أي القرآن الكريم هدى وشفاء[4] هدى يهتدي به إلى سبل السعادة والكمال والنجاح، وشفاء من أمراض الشك والشرك والنفاق والعجب والرياء والحسد والكبر، والذين لا يؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً هو أي القرآن في آذانهم وقر أي حمل ثقيل أولئك ينادون من مكان بعيد ولذا فهم لايسمعون ولا يفهمون.

هذه تسلية وأخرى في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة فاختلفوا فيه فمنهم المصـدق ومنهم المكـذب، ومنهم العـامل بما فيه المطبق ومنهم المعرض عنه المتبع لهواه وشيطانه الذي أغواه وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت[5] من ربك لقضي بينهم فيما اختلفوا فيه لحكم لأهل الصدق بالنجاة وأهل الكذب بالهلاك والخسران وقوله: وإنهم لفي شك منه أي من القرآن مريب أي موقع في الريبة وذلك من جراء محادته والمعاندة والمجاحدة، وقوله: من عمل صالحاً فلنفسه وهذه تسلية أعظم فإن من عمل صالحاً في حياته بعد الإيمان فإن جزاءه قاصر عليه ينتفع به دون سواه، ومن أساء أي عمل السوء وهو ما يسوء النفس من الذنوب والآثام فعلى نفسه عائد. سوءه الذي عمله ولا يعود على غيره، وأُخرىَ في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد[6] أي ليس هو تعالى بذي ظلم لعباده. فقوله تعالى من عمل صالحاً فلنفسه عائد ذلك ومن أساء فعليها أي عائد الإساءة إن فيه لتسلية لكل من أراد أن يتسلى ويصبر.

(١) الجملة مستأنفة استئنافا بيانياً فهي جواب لسؤال يثيره قوله تعالى ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾ الخ.

٢) في الآية إشارة واضحة إلى عموم رسالته ﷺ.

(٣) معنى قرآنا كتابا مقروءا إذ ورد في الحديث الصحيح تسمية الزبور قرآناً بمعنى يقرأ ويكتب إذ قال ﷺ «إن داود يسر له القرآن فكان يقرأ القرآن كله «الزبور» في حين يسرج له فرسه.

(٤) حقيقة الشفاء زوال المرض وهو هنا مستعار للبصارة بالحقائق وانكشاف الالتباس من النفس كما يزول المرض عند حصول الشفاء.

(٥) فيه تسلية للرسول ﷺ على تكذيب المشركين وكفرهم بالقرآن بأنه ليس بأوحد في ذلك فقد أوتي موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب والعمل والترك.

(٦) المراد بنفي الظلم من الله للعبيد انه لا يعاقب من ليس منهم بمجرم، لانه تعالى لما وضع الشرائع وأرسل الرسل صار ذلك قانوناً فمن تعداه مهملاً له معرضاً عنه فقد استوجب العذاب وتعذيبه عدل وليس بظلم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تسلية الرسول أي حمله على الصبر والسلوان ليواصل دعوته إلى نهايتها.

٢ ـ بيان مدى ما كان عليه المشركون من التكذيب للرسول والمعاندة والمجاحدة.

٣ ـ القرآن دواء وشفاء لأهل الإيمان، وأهل الكفر فهم على العكس من أهل الإيمان.

٤ ـ بيان سنة الله في الأمم السابقة في اختلافها على أنبيائها وما جاءتها به من الهدى والنور.

٥ ـ قوله تعالى ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ أجرى مجرى المثل عند العالمين.

٦ ـ نفي الظلم عن الله مطلقاً.[1]

(١) فقد روى مسلم ان النبي ﷺ قال يقول الله تعالى يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. وأيضاً فالله هو الملك وهل ما يفعله الملك العليم الرحيم العادل في ملكه وعبيده يقال له ظلم؟ والجواب لا.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٤٨)﴾

شرح الكلمات :

إليه يرد علم الساعة[١] : أي إلى الله يرد علم الساعة أى متى تقوم إذ لايعلمها إلا هو.

وماتخرج من ثمرات من أكمامها: أى من أوعيتها واحد الإكمام كِمّ وكم الثوب مخرج اليد.

وماتحمل من أنثى : أي من أي جنسٍ كان إنساناً أو حيواناً.

ولاتضع إلا بعلمه : أي ولاتضع حملها إلا ملابساً بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء.

قالوا آذنّاك : أى أعلمناك الآن.

مامنا من شهيد : أي ليس منا من يشهد بان لك شريكاً أبداً.

وظنوا مالهم من محيص : أي أيقنوا انه مالهم من مهرب من العذاب.

معنى الآيتين :

يخبر تعالى ان علم الغيب قد انحصر فيه فليس لأحد من خلقه علم الغيب وخاصة علم الساعة أى علم قيامها متى تقوم؟ كما أخبر عن واسع علمه وانه محيط بكل الكائنات فما تخرج من ثمرة من كمّها[٢] وعائها وتظهر منه إلا يعلمها على كثرة الثمار والأشجار ذات الأكمام، وماتحمل[٣] من انثى بجَنِين ولاتضعه يوم ولادته أو إسقاطه إلا يعلمه أي يتم ذلك بحسب علمه تعالى وإذنه، وهذه مظاهر الربوبية المستلزمة للألوهية فلا إله غيره ولا رب سواه، ومع هذا فالجاهلون يتخذون له شركاء أنداداً من أحجار وأوثان يعبدونها معه ظلماً وسفهاً. ويوم[٤] يناديهم وذلك فى يوم القيامة أين شركائي؟ أي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لى، فيتبرءون منهم ويقولون: آذناك

---

(١) روي أن المشركين قالوا يامحمد إن كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ والرد الإرجاع.

(٢) الأكمام جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم والكُمة بضم الكاف والتأنيث مثله وهو الجف وكفرى الطلع يقال له كفه.

(٣) فهذه ثلاثة أمور وجب رد علمها إلى الله تعالى الاول علم ماتخرجه أكمام النخل من الثمر بقدره وجودته وثباته وسقوطه والثاني حمل الأنثى من الناس والحيوان والتي تلقح والتي لا تلقح، والثالث وقت وضع الأجنة فهذه وجب رد علمها إلى الله تعالى إذ لا يعلمها إلا هو كسائر الغيوب.

(٤) ويوم يناديهم: متعلق بمحذوف تقديره ما ذكر يوم يناديهم، لما سألوا عن الساعة أعلمهم أن أمر علم وقتها مرده إلى الله وحده فناسب ذكر بعض أحداثها فذكر لهم ذلك.

أعلمناك الآن أنه مامنا من شهيد يشهد بأن لك شريكا إنه لاشريك لك وضل عنهم أي غاب عنهم ماكانوا يدعون من قبل فى الدنيا ، وظنوا أيقنوا مالهم من محيص أي مهرب من عذاب الله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ استئثار الله تعالى بِعِلْم الغيب وخاصة علم متى تقوم الساعة .

٢ ـ إحاطة علم الله تعالى بكل شىء فما تخرج من ثمرة من أوعيتها ولاتحمل من أُنثى ولاتضع حملها إلا بعلم الله تعالى وإذنه .

٣ ـ براءة المشركين يوم القيامة من شركهم ، وغياب شركائهم عنهم .

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ
أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

لايسأم الإنسان من دعاء الخير : أى لايمل ولايكل من سؤال طلب المال والصحة والعافية .

وإن مسه الشر فيئوس قنوط : أى المرض والفقر وغيرهما فيئوس من رحمة الله قنوط ظاهر عليه اليأس .

من بعد ضراء مسته : أي من بعد شدة أصابته وبلاء نزل به .

ليقولن هذا لى : أي استحققته بعملى ومما لى من مكانة .

وما أظن الساعة قائمة : أي ينكر البعث ويقول : ما أظن الساعة قائمة .

إن لى عنده للحسنى : أي وعلى فرض صحة ما قالت الرسل من البعث ان لى عند الله الجنة .

أعرض ونأى بجانبه : أي أعرض عن الشكر ونأى بجانبه متبختراً مختالا فى مشيته.
فذو دعاء عريض : أى فهو ذو دعاء لربه طويل عريض ياربباه ياربباه.

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن الإنسان[1] الكافر الذى لم تزك نفسه ولم تطهر روحه بالإيمان وصالح الأعمال انه لايسأم ولايمل من دعاء الخير[2] أى المال والولد والصحة والعافية فلا يشبع من ذلك بحال. ولئن مسه الشر من ضر وفقر ونحوهما فهو يئوس[3] قنوط يؤوس من الفرج وتبدل الحال من عسر إلى يسر قنوط ظاهر عليه آثار اليأس فى منطقة وفى حاله كله هذا ماتضمنته الآية الأولى (٤٩) ﴿لايسأم[4] الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾ وأما الآية (٥٠) فإن الله تعالى يخبر ايضا عن الإنسان الكافر إذا أذاقه الله رحمة منه من مال وصحة واجتماع شمل مثلا، وذلك من بعد ضراء مسته من مرض وفقر ونحوهم ليقولون لجهله وسفهه: هذا لى أى استحققته بمالى من جهد ومكانه وعلم وإذا ذكر بالساعة من أجل أن يرفق أو يتصدق يقول ما أظن الساعة قائمة كما تقولون وإن قامت على فرض صحة قولكم إن لى عنده أى عند الله للحسنى أى للحالة الحسنى من غنى وغيره[5] وجنة إن كانت كما تقولون.

وقوله تعالى ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ أي يوم القيامة عند عرضهم علينا، ولنذيقهم من عذاب غليظ يخلدون فيه لايخرجون منه أبداً.

وقوله تعالى فى الآية الأخيرة (٥١) وإذا انعمنا على الإنسان بنعمة المال والولد والصحة أعرض عن ذكرنا وشكرنا وتخلى عن طاعتنا ونأى[6] بجانبه متباعداً متبختراً مختالا يكاد يضاهى الطاووس فى مشيته. وإذا سلبناه ذلك ومسه الشر من مرض وفقر وجهد وبلاء فهو ذو دعاء عريض لنا يارب يارب. هذا ليس الرجل الأول الذى ييأس ويقنط، ذاك كافر، وهذا مؤمن ضعيف الإيمان جاهل لا أدب عنده ولاخلق. وما أكثر هذا النوع من الرجال فى المسلمين اليوم والعياذ

---

(١) قيل المراد بالإنسان الكافر هنا الوليد بن المغيرة، وقيل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف. والآية تحمل وصفاً للإنسان الكافر أيا كان والمراد من الدعاء الطلب والرغبة الملحة.

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيح «لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى الثالث ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

(٣) اليأس كالقنوط من رحمة الله كفر بالمؤمن لقوله تعالى ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.

(٤) اشتملت الآية على خلقين عجيبين الأول خلق البطر بالنعمة والغفلة عن الشكر لله تعالى والثاني اليأس والقنوط من رجوع النعمة بعد فقدها.

(٥) يروى عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم للكافر أمنيتان أما في الدنيا فيقول لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى، وأما في الآخرة فيقول ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين.

(٦) النأي البعد وهو كناية عن عدم التفكر في المنعم عليه ليشكره فعبر عن هذا بالبعد.

بالله تعالى فالأول عائد إلى ظلمة نفسه بالكفر، وهذا عائد الى سوء تربيته وسوء خلقه وظلمة جهله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان حال الإنسان قبل الإيمان والاستقامة فإنه يكون أحط المخلوقات قدراً وأضعفها شأنا.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض الأحداث فيها.

٣ ـ ذم اليأس والقنوط والكبر والاختيال، والكفر للنعم ونسيان المنعم وعدم شكره.

قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم
بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمۡ
ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ
أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ
فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

قل أرأيتم إن كان من عند الله : أي أخبروني إن كان القرآن من عند الله كما قال النبي ﷺ.

ثم كفرتم به : أي ثم كفرتم به بعد العلم أنه من عند الله.

من أضل ممن هو في شقاق بعيد : أي من يكون اضل منكم وأنتم في شقاق بعيد؟ لا أحد.

في الآفاق وفي أنفسهم : أي في أقطار السموات والأرض من المخلوقات وأسرار خلقها وفي أنفسهم من لطائف الصنعة وعجائب وبدائع الحكمة.

حتى يتبين لهم أنه الحق : أي أن القرآن كلام الله ووحيه إلى رسوله حقا، وأن الإسلام حق.

ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم : أي في شك من البعث الآخر حيث يعرضون على الله تعالى.

الا إنه بكل شيء محيط : أى علماً وقدرة وعزة وسلطاناً.

معنى الآيات :

يأمر تعالى رسوله أن يقول للمكذبين بالوحي الإلهي الذي يمثله القرآن الكريم حيث قالوا فيه شعر وسحر وأساطير الأولين يأمره أن يقول لهم مستفهما لهم أرأيتم أي أخبروني إن كان أي القرآن الذي كذبتم به من عند الله وكفرتم به أي كذبتم؟ من يكون أضل منكم وأنتم تعيشون في

شقاق بعيد[1] اللهم لا أحد يكون أضل منكم عن طريق الهدى إذا فلم لاتثوبون إلى رشدكم وتؤمنون بآيات ربكم فتكملوا عليها وتسعدوا.

ثم قال تعالى : سنريهم[2] آياتنا الدالة على صدقنا وصدق رسولنا فيما أُخبرناهم به ودعوناهم إليه من الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء وذلك في[3] الآفاق أي من أقطار السموات والأرض مما ستكشف عنه الأيام من عجائب تدبير الله ولطائف صنعه، وفى انفسهم[4] أيضا أي فى ذواتهم حتى يتبين لهم أنه الحق، من ذلك فتح القرى والأمصار وانتصار الإسلام كما أُخبر به القرآن، ووقعة بدر وفتح مكة من ذلك وما ظهر لِحَدّ الآن من كشوفات فى الآفاق وفى الأنفس مما أشار إليه القرآن ما هو أعجب من ذلك قوله تعالى :﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ فنظام الزوجية السارى فى كل جزئيات الكون شاهد قوى على صِدْقِ القرآن وأنه الحق من عند الله، وان الله حق وأن الساعة حق وقوله تعالى : ﴿أولم يكف[5] بربك أنه على كل شيء شهيد؟﴾ هذا توبيخ لهؤلاء المكذبين بإعلامهم أن شهادة الله كافية فى صدق محمد وماجاء به إن الله هو المخبر بذلك والأمر بالإيمان به فكيف يطالبون بالآيات على صدق القرآن ومن نزل عليه والله المرسل للرسول والمنزل للكتاب وقوله تعالى : ﴿ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم﴾ إعلام منه تعالى بما عليه القوم من الشك فى البعث والجزاء وهو الذى سبب لهم كثيراً من أنواع الشر والفساد. وقوله : ﴿ألا إنه[6] بكل شيء محيط﴾ علماً وقدرة وعزة وسلطاناً فما أخبر به عنهم من علمه وماسيجزيهم به من عذاب إن أصروا على كفرهم من قدرته وعزته. ألا فليتق الله امرؤ مصاب بالشك فى البعث وكل الظواهر دالة على حتميته ووقوعه فى وقته المحدد له.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ التنديد بالكفر بالقرآن والتكذيب بما جاء فيه من الهدى والنور.

٢ ـ لا أضل ممن يكذب بالقرآن لأنه يعيش فى خلاف وشقاق لا أبعد منه.

٣ ـ صدق وعد الله تعالى حيث أُرى المشركين وغيرهم آياتيه الدالة على وحدانيته وصحة دينه وصدق أخباره ما آمن عليه البشر الذين لايعدون كثرة.

(١) الشقاق العداء والمراد به العداء لله والرسول والمؤمنين الناجم عن ردهم القرآن وتكذيبهم بالوحي المثبت للنبوة المحمدية.

(٢) الآيات تشمل آيات القرآن والآيات الخارجة عن القرآن.

(٣) الآفاق جمع أفق الناحية من الأرض المتميزة عن غيرها والناحية من قبة السماء.

(٤) قال القرطبي «وفي أنفسهم» من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول فإن الرجل يشرب ويأكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين، وبديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما ، وفي أذنيه وكيف يفرق بين الأصوات المختلفة إلى غير ذلك.

(٥) المعنى : تكفيك شهادة ربك بصدقك فلا تلتفت إلى تكذيبهم.

(٦) وصف الله بالمحيط هو كذلك محيط بعلمه وقدرته وقهره لكل خلقه.

٤ ـ مامن اكتشاف ظهر ويظهر إلا والقرآن أدخله فى هذه الآية سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم .
٥ ـ الإشارة إلى أن الإسلام سيعلم صحته وسيدين به البشر أجمعون فى يوم ما من الأيام .
٦ ـ تقرير البعث والجزاء . ومظاهر قدرة الله تعالى المقررة له .

سُورَةُ الشُّورَىٰ

مكيـــة وآياتها ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ
ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى
ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

حم عسق[١] : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا: حم عسق وتقرأ هكذا. حَامِيمْ عَيْنْ سِينْ قَافْ.

كذلك يوحى[٢] **إليك وإلى الذين من قبلك** : أي مثل ذلك الإيحاء يوحى إليك وإلى الذين من قبلك. الذى يوحى إليك.

له مافى السموات ومافى الأرض : أي خلقا وملكا وتصرفا.

وهو العزيز الحكيم : أي العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره لأوليائه.

يتفطرن من فوقهن : أي يتشققن من عظمة الرحمن وجلاله.

والذين اتخذوا من دونه أولياء : أي آلهة يعبدونها.

---

(١) ان قيل لم ما وصلت حم عسق ببعضهما كما وصلت في آلمص، المر فالجواب ان عسق ثلاثة أحرف فلم توصل بـ حم بخلاف آلمص المر فإن الموصول حرف واحد وهو الصاد والراء.

(٢) العدول عن صيغة الماضي إلى المضارع إيذان بان إيحاء الرسول متجدد لا ينقطع مدة حياة النبي ﷺ.

الله حفيظ عليهم : أي يحصي لهُم اعمالهم ويجزيهم بها.
وما أنت عليهم بوكيل : أي ولست موكلا بحفظ أعمالهم وإنما عليك البلاغ.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿حم عسق﴾ الله أعلم بمراده به وقد تقدم التنبيه إلى أن هذا من المتشابه الذى يجب الإيمان به وتفويض أمر فهم معناه إلى منزله وهو الله سبحانه وتعالى وقد ذكرنا ان له فائدتين جليلتين تقدمتا فى كثير من فواتح السور المبدوءة بمثل هذه الحروف المقطعة فليرجع إليها.

وقوله ﴿كذلك يوحى[1] إليك﴾ أي مثل ذلك الإيحاء بأصول الدين الثلاثة وهى التوحيد والنبوة والبعث يوحى إليك بمعنى أوحى إليك وإلى الذين من قبلك من الرسل الله العزيز[2] فى انتقامه من اعدائه الحكيم في تدبيره لأوليائه وقوله ﴿له مافى السموات[3] ومافى الأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وهو العلى أى ذو العلو المطلق على خلقه العظيم فى ذاته وشأنه وحكمه وتدبيره سبحانه لا إله إلا هو ولارب سواه.

وقوله تعالى ﴿تكاد[4] السموات يتفطرن﴾ أي يتصدعن ويتشققن من فوقهن من عظمة الرب تبارك وتعالى والملائكة يسبحون بحمد[5] ربهم أى يصلون له ويستغفرون لمن فى الأرض أي يطلبون المغفرة للمؤمنين فهذا من العام الخاص بما فى صورة المؤمن إذ فيها ويستغفرون للذين آمنوا وقوله تعالى ﴿ألا إنّ الله هو الغفور الرحيم﴾ إخبار بعظيم صفاته عز وجل وهما المغفرة والرحمة يغفر لمن تاب من عباده ويرحم بالرحمة العامة سائر مخلوقاته فى هذه الحياة ويرحم بالرحمة الخاصة عباده الرحماء وسائر عباده المؤمنين فى دار السلام وقوله تعالى : ﴿والذين[6] اتخذوا من دونه أولياء﴾ أى شركاء آلهة يعبدونهم هؤلاء الله حفيظ عليهم فيحصي عليهم أعمالهم ويجزيهم بها يوم القيامة، وليس على الرسول من ذلك شىء إن عليه إلاّ البلاغ وقد بلغ وهو معنى قوله : ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتجزيهم بها وفى الآية تسلية للرسول وتخفيف عليه لأنه كان يشق عليه إعراض المشركين واصرارهم على الشرك بالله تعالى.

---

(١) المعنى الإجمالي لهذه الجملة هو كما في قوله ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ فهو تشبيه إيحاء بإيحاء.

(٢) العزيز الحكيم : وصفان لاسم الجلالة هما مقتضى الوحي الإلهي إذ الوحي يكون من عزيز لا يحال بين إرادته وحكيم يضع الأمور في مواضعها فلا يعاب عليه اختياره للوحي إليك.

(٣) هذه الجملة مقررة لما تقدم من جلال الله وكماله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده ولقائه وبعثه رسوله.

(٤) قرأ نافع وحده يكاد بالياء وقرأ باقي القراء حفص وغيره بالتاء وسبب تفطرهـن هو الخوف من عظمة الرب قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما «فرقاء» أي خوفا.

(٥) أي ينزهونه عما لا يجوز وصفه به وعمّا لا يليق بجلاله، وقيل يتعجبون من جراءة المشركين فيسبحون.

(٦) لما أقام تعالى الحجج والبراهين على توحيده ونبوة رسوله فسبحت له الملائكة واستغفرت للمؤمنين الموحدين وبقي المشركين على اتخاذهم أولياء كأنما قال لرسوله لا يهمك أمرهم فإن الله يحصي أعمالهم ويحفظها لهم ويجزيهم بها.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وحدة الوحى بين سائر الأنبياء إذ هى تدور على التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والترغيب فى العمل الصالح ، والترهيب من العمل الفاسد.

٢ ـ بيان عظمة الله تعالى وجلاله وكماله حتى إن السموات تكاد يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمده تعالى ويستغفرون للمؤمنين.[1]

٣ ـ تسلية الرسول ﷺ والتخفيف عنه بانه غير موكل بحفظ أعمال المشركين ومجازاتهم عليها انما هو الله تعالى ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ
مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وكذلك أوحينا إليك	: أي ومثل ذلك الإيحاء إليك وإلى من قبلك أوحينا إليك.
قرآنا عربياً	: أي بلسان عربى.
لتنذر أم القرى ومن حولها	: أي علة الإيحاء هى إنذارك أهل أم القرى مكة ومن حولها من القرى أي تخوفهم عذاب الله إنْ بقوا على الشرك.
وتنذر يوم الجمع	: أي وتنذر الناس من يوم القيامة إذ هو يوم يجمع الله فيه الخلائق.
لاريب فيه	: أي لاشك فى مجيئه وجمع الناس فيه.

(١) جائز أن يكون المستغفرين للمؤمنين حملة العرش وقد ورد هذا في السنة وأن يكن غيرهم يستغفرون لمن في الأرض عندما يرون كفرهم وباطلهم وجرأتهم على ربهم يطلبون لهم عدم المؤاخذة إذ لو آخذهم بذنوبهم لأهلكهم.

فريق في الجنة : أي المؤمنون المتقون.
وفريق في السعير : أي الكافرون.
ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة : أي على دين الإسلام وبذلك يكون الجميع في الجنة.
ولكن يدخل من يشاء في رحمته : أي فى الإسلام أولا ثم في الجنة ثانياً.
والظالمون مالهم من ولي ولانصير : أي المشركون ليس لهم من ولي يتولاهم ولانصير ينصرهم فهم في النار.
أم اتخذوا من دون الله أولياء : أي بل اتخذوا من دونه تعالى شركاء آلهة من دون الله.
فالله هو الولى : أي الولي الحق ومن عداه فلا تنفع ولايته ولاتضر.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا﴾[1] أي ومثل ذلك الإيحاء الذى أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك أوحينا إليك قرآنا عربياً أي بلسان عربى يفهمه قومك لأنه بلسانهم لتنذر به أي تخوف أم القرى[2] ومن حولها من الناس عاقبة الشرك والكفر والظلم والفساد وتنذر أيضا الناس يوم الجمع وهو يوم القيامة فإنه يوم هول عظيم وشر مستطير ليتوقوه بالإيمان والتقوى. إنه يوم يكون فيه الناس والجن فريقين لاثالث لهما : فريق[3] فى الجنة بإيمانه وتقواه لله بفعل أوامره وترك نواهيه، وفريق في السعير بشركه وكفره بالله وعدم تقواه فلا امتثل أمراً ولا اجتنب نهياً.

وقوله تعالى : ﴿ولو شاء الله لجعلهم[4] أمة واحدة﴾ أي في الدنيا على دين الإسلام الذى هو دين آدم فنوح فإبراهيم فسائر الأنبياء موسى وعيسى ومحمد ﷺ. إذ هو عبارة عن الإيمان بالله وبما أمر الله بالإيمان به، والانقياد لله ظاهراً وباطنا بفعل محابّه تعالى وترك مكارهه ولو كانوا في الدنيا على ملة الإسلام لكانوا في الآخرة فريقا واحداً وهو فريق الجنة ولكن لم يشأ ذلك لحكم عالية فهـو تعالى يدخل من يشاء فى رحمته فى الدنيا وهي الإسلام وفى الآخرة هي الجنة، والظالمون أي المشركون الذين رفضوا التوحيد والإسلام لله مالهم من ولي ولانصير فهم إذا فى عذاب السعير. وقوله تعالى : ﴿أم اتخذوا[5]﴾ أى الظالمون من دون الله أولياء من دون الله ليشفعوا

---

(١) القرآن مصدر نحو غفران وأطلق على المقروء مبالغة في الاتصاف بالمقروئية لكثرة ما يقرأه القارئون لحسنه وفوائده وعظيم مثوبته.

(٢) كنيت مكة بأم القرى لأنها أقدم المدن العربية وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها.

(٣) جملة فريق الخ ابتدائية لأنها جواب لمن سأل عن حال الناس وهم مجتمعون في عرصات القيامة فأجيب بأنهم فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير.

(٤) سبق هذا الكلام مستأنفاً استئنافاً ابتدائيا لغرض تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين لما ينالهم من هم وكرب من عدم إيمان من يدعونهم إلى الإيمان ولم يؤمنوا.

(٥) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام إنكاري ينكر على المشركين اتخاذهم أولياء من دون الله لا تنفعهم أي نفع ويتركون الله الولي الحميد فهو أحق بأن يتخذ وليا في الدنيا والآخرة.

لهم جهلا منهم بأنه لايشفع أحد إلا بإذن الله ورضاه فعلوا ذلك وماكان لهم ذلك لأن الولي الحق هو الله فلم لايتخذونه وليا، وهو الولي الحميد وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير فمن أحق بأن يُتولىَّ من يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير أم من لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، والجواب معلوم، ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير النبوة المحمدية بإثبات الوحى الإلهى.

٢ ـ شرف مكة بتسميتها أم القرى أى أم المدن والحواضر.

٣ ـ مشروعية التعليل للأفعال والأحكام.

٤ ـ إنقسام الناس يوم القيامة إلى سعيد وشقي لاغير.

٥ ـ لم يشأ الله ان يجعل الناس أمة واحدة لحكم عالية علمها إليه سبحانه وتعالى.

٦ ـ من طلب ولاية غير الله هلك؟ ومن والى الله دون من سواه كفاه الله ما أهمه في دنياه وأخراه.

وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾
فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

وما اختلفتم فيه من شيء : أي من أمور الدين والدنيا مع الكفار أو مع المؤمنين.

فحكمه إلى الله : هو الذي يقضي فيه في الدنيا بما ينزل من وحى على رسوله وفى الآخرة إذْ الحكم له دون غيره.

ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه : أي قل لهم يارسولنا ذلكم الحاكم العدل العظيم الله ربي عليه

أنيب : توكلت أي فوضت أمرى إليه، وإليه لا إلى غيره أرجع فى أمورى كلها.

فاطر السموات والأرض : أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق.

جعل لكم من أنفسكم ازواجا : اي بأن جعلكم ذكراً وأنثى، ومن الأنعام كذلك.

يذرؤكم فيه : أي يخلقكم فى هذا التدبير وهو من الذكر والانثى يخرجكم.

ليس كمثله شيء : أي ليس مثل الله شيء إذ هو الخالق لكل شيء فلايكون مخلوق مثله بحال من الأحوال.

وهو السميع البصير : أي السميع لأقوال عباده العليم بأعمالهم وأحوالهم.

معنى الآيات :

يقول تعالى وما اختلفتم[(١)] فيه من شيء من أمور الدين والدنيا أيها الناس فحكمه إلى الله تعالى هو الذي يحكم فيه بالعدل فردوه إليه سبحانه وتعالى فإنه يقضى بينكم بالحق. وهنا أمر رسوله أن يقول للمشركين ذلكم المذكور بصفات الجلال والكمال الحكم العدل الذى يقضى ولايقضى عليه الله ربي الذى ليس لى رب سواه عليه توكلت ففوضت أمرى إليه واثقاً فى كفايته وإليه وحده أنيب أى أرجع فى أمورى كلها، ثم واصل ذكر صفاته الفعلية فقال فاطر السموات والأرض أى خالق السموات السبع والأرض مبدعهما من غير مثال سابق ﴿جعل لكم من أنفسكم[(٢)] أزواجاً﴾ إذْ خلق حواء من ضلع آدم ثم جعلكم تتناسلون من ذكر وانثى ومن الأنعام ازواجاً أيضا وهما الذكر والأنثى وقوله ﴿يذروكم فيه﴾ أي[(٣)] يخلقكم فيه أي في هذا النظام نظام الذكر والأنثى كأن الذكورة والأنوثة معمل من المعامل يتم فيه خلق الإنسان والحيوان فسبحان الخلاق العليم.

وقوله : ﴿ليس[(٤)] كمثله شيء وهو السميع البصير[(٥)]﴾ هذا تعريف عرف تعالى به نفسه ليعرف بين عباده وهو أنه عز وجل ليس مثله شيء أي فلا شيء مثله فعرف بالتفرد بالوحدانية فالذى ليس له

---

(١) قول القرطبي هذا حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين ماهُوَ بظاهر، بل هو إرشاد الله لرسوله والمؤمنين أن يقولوا لمن خالفهم من المشركين وأهل الكتاب إنّ الله قد حكم بصحة الإسلام فهو الدين الذي يجب أن يدين به الإنسان لربه عز وجل لا غيره من الأديان الباطلة.

(٢) الجملة في موضع نصب على الحال من ضمير فاطر.

(٣) الذرء: بث الخلق وتكثيره والمضارع يذرؤكم لإفادة الحدوث والتجدد المستمرين.

(٤) ومعنى ليس كمثله شيء: ليس مثله شيء فالكاف مقحمة لا غير، ولما كانت للتشبيه ومثله كذلك فهي إذاً لتأكيد نفي الشبيه لله تعالى.

(٥) لما كانت جملة ليس كمثله شيء صفة سلبية أعقب عليها بصفات ايجابية وهي كونه تعالى سميعاً بصيراً، وهكذا الحكم في صفات الله تعالى فيثبت له ما أثبته هو لنفسه واثبته له رسوله من الصفات العلى وينفى عنه من صفات النقص كالمثلية والتشبيه ما نفاه تعالى هو عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ.

مثل ولا مثله شيء هو الله ذو الأسماء الحسنى والصفات العليا وهو السميع لكل الأصوات العليم بكل الكائنات.

وقوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾[1] أي له مفاتيح خزائن السموات والأرض، وله مغاليقها فهو تعالى يبسط الرزق لمن يشاء امتحاناً ويضيق ابتلاء، لأنه بكل شيء عليم فلا يطلب الرزق إلاّ منه، ولايلجأ فيه إلا إليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب ردّ مااختلف فيه إلى الله تعالى ليحكم[2] فيه وهو الرد إلي الكتاب والسنة.

٢ ـ وجوب التوكل عليه والإنابة إليه فى كل الأمور.

٣ ـ تنزيه الله تعالى عن مشابهته لخلقه مع وجوب الإيمان باسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٤ ـ وجوب الإيمان بأن الله هو الرزاق بيده مفاتح خزائن الأرزاق فمن شاء وسع عليه، ومن شاء ضيق، وأنه يوسع لحكمه ويضيق لأخرى.

۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

---

(١) المقاليد جمع إقليد أو مقلاد على غير قياس وهو المفتاح، والمقاليد للخزائن وهي ما أودع الله تعالى من أرزاق السموات والأرض لعباده، فلذا هو يبسط الرزق ويقدر حسب علمه وحكمته.

(٢) شاهده قوله تعالى: ﴿وان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ «الآية من سورة النساء».

شرح الكلمات :

ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك : أي شرع لكم من الدين الذى وصى به نوحا والذى أوحينا به إليك.

وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أي والذى وصينا باقى أولى العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وهو أن يعبدوا الله وحده بما شرع من العبادات.

أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه : أي بأن اقيموا الدين الذى شرع لكم ولاتضيعوه ولا تختلفوا فيه.

كبر على المشركين ماتدعوهم إليه : أي عظم على كفار قريش ماتدعوهم إليه وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الله يجتبي إليه من يشاء : أي يختار الى الإيمان به والعمل بطاعته من يريده لذلك.

ويهدى إليه من ينيب : أي ويوفق لطاعته من ينيب اليه في أموره ويرجع إليه في جميع شأنه، بخلاف المعرضين المستكبرين.

بغيا بينهم : أي حملهم البغي على التفرق في دين الله.

ولولا كلمة سبقت من ربك : أي ولولا ماقضى الله به من تأخير العذاب على هذه الأمة إلى يوم القيامة.

لقضى بينهم : أي لحكم الله بينهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين.

وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم : أي وان الـذين أورثـوا الكتـاب من بعد الأولين وهم اليهود والنصارى ومشركو العرب.

لفى شك منه مريب : أي لفى شك مما جئتهم به من الدين الحق وهو الإسلام.

معنى الآيات :

يخاطب تعالى رسوله والمؤمنين فيقول وقوله الحق: ﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا﴾[1] إذ هو أول حامـل شريعة من الرسل والذى أوحينا إليك يامحمد وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ من أولى العـزم من الرسـل ﴿أن أقيمـوا الـدين﴾[2] وهـو دين واحـد قائـم على الإيمـان والتـوحيد والـطاعـة لله في أمـره ونهيه وإقامة ذلك بعدم التفريط فيه أو في شيء منه، وعدم التفرق فيه، لأن التفرق فيه بسبب تضيعه كلا أو بعضاً.

---

(١) المراد مما شرع لنا هو الإيمان به تعالى رباً وإلهاً وعبادته وحده وترك عبادة ما سواه، أما الأحكام فتختلف بحسب الأمم والأزمان فهذه الآية هي كقوله تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

(٢) ان أقيموا الدين في محل رفع خبر. أي هو إقامة الدين وعدم التفرق فيه أي الموصى به هو إقامة الدين، وإقامته جعله قائما تعتقد عقائده وتؤدى عبادته وتقام أحكامه لا يسقط منه شيء.

وقوله تعالى : ﴿كبر على المشركين[1] من كفار قريش ماتدعوهم إليه﴾ أي عظم عليهم ولم يطيقوا حمله ماتدعوهم إليه من عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام، إذاً فادعهم واصبر على اذاهم والله يجتبى اليه أي يختار للإيمان به وعبادته من يشاء ممن لايصرون على الباطل، ولايستكبرون عن الحق إذا عرفوه، ويهدى إليه أي ويوفق لطاعته مَنْ مِنْ شأنه الإنابة والرجوع إلى ربّه فى أموره كلها.

وقوله تعالى : ﴿وماتفرقوا[2]﴾ أى وماتفرق العرب واليهود والنصارى في دين الله فآمن بعض وكفر بعض الأمن بعد ما جاءهم العلم الصحيح يحمله القرآن الكريم ونبيّه محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. والحامل لهم على ذلك هو البغي والحسد. وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك وهو عدم معالجة هذه الأمة المحمدية بعذاب الإبادة والاستئصال، وترك عذابهم إلى يوم القيامة لولا هذا لعجل لهم العذاب من أجل اختلافهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين. وهو معنى قوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت[3] من ربك إلى أجل مسمي لقضي بينهم﴾ أي فرغ منهم بالفصل بينهم بإهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين.

وقوله تعالى : ﴿وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم[4]﴾ أي من بعد اليهود والنصارى وهم العرب إذْ أنزل الله فيهم كتابه القرآن الكريم لفى شك منه أي من القرآن والنبى والدين الإسلامي مريب أي بالغ الغاية في الريبة والاضطراب النفسى، كما ان اللفظ يشمل اليهود والنصارى إذ هم أيضا ورثوا الكتابين عمن سبقهم وأنهم فعلا في شك من القرآن ونبيّه والإسلام وشرائعه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ دين الله واحد وهو الإيمان والاستقامة على طاعة الله وطاعة رسوله.

٢ ـ حرمة الاختلاف فى دين الله المسبب تضييع الدين كلا أو بعضا.

٣ ـ مرد التفرق فى الدين إلى الحسد والبغى بين الناس، فلو لم يحسد بعضهم بعضا ولم يبغ بعضهم على بعض لما تفرقوا فى دين الله ولأقاموه متجمعين فيه.

(١) قال قتادة كبر على المشركين فاشتد عليهم شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وضاق بها إبليس وجنوده فأبى الله عز وجل إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها على من ناوأها.

(٢) قال ابن عباس يعني قريشاً وهو صحيح إذ كانوا يقولون : لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين. وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم إلا أن دخول أهل الكتاب في هذا الخطاب وارد وله شواهد. إذ الآية مبينة لسنة من سنن الله تعالى وهي لكون الأمة متحدة على الباطل فإذا جاءها الحق قبله أناس ورفضه آخرون فيكون التفرق.

(٣) أي في تأخير العذاب على مستحقيه إلى الموعد الذي حدده لهم في الدنيا أو في الآخرة لكان عز وجل حكم بينهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين.

(٤) ال في الكتاب للجنس ليشمل التوراة والإنجيل معاً.

فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾
وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

فلذلك فادع : أي فالى ذلك الدين الذى شرع الله لكم ووصى به نوحاً وأوحاه إليك يامحمد فادع عباد الله .

واستقم كما أمرت : أي استقم على العمل به ولاتزغ عنه واثبت عليه كما أمرك الله .

ولاتتبع اهواءهم : أي ولاتتبع أهواء المشركين وأهل الكتاب فتترك الحنيفية التى بعثت بها فإنها الحق .

وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب : أي ولست كالذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض .

وأمرت لأعدل بينكم : أي أمرنى ربي أن أحكم بينكم بالعدل الذى هو خلاف الجور .

الله ربنا وربكم : أي خالقنا وخالقكم ورازقنا ورازقكم وإلهنا وإلهكم .

لنا أعمالنا ولكم أعمالكم : وسيجزى كل منا بعمله خيراً كان أو شراً .

لاحجة بيننا وبينكم : أي ماهناك حاجة إلى المحاجة الآن بعد ظهور الحق .

الله يجمع بيننا : أي يوم القيامة .

والذين يحاجون فى الله : أي يجادلون فى دين الله نبيه محمداً ﷺ .

من بعد ماأستجيب له : أي بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود .

حجتهم داحضه : أي باطله عند ربهم.

وعليهم غضب : أي من الله ولهم عذاب شديد يوم القيامة.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فلذلك فادع﴾[1] أى فإلى ذلك الدين الحق الذى هو الإسلام الذى شرعه الله لكم ووصى به نوحا وأوحاه اليك فادع جميع الناس عربهم وعجمهم فإنه دين الله الذى لايقبل دينا سواه، ولايكمل الإنسان في أخلاقه ومعارفه وآدابـه ولا يسعد فى الدارين إلا عليه واستقم[2] عليه كما[3] أمرك ربك، فلا تزغ عنه ولاتعدل به غيره فإنه الصراط المستقيم الذى لايزيغ عنه الا هالك ولاتتبع أهواء المشركين ولا أهواء أهل الكتاب. وقل فى صراحة ووضوح آمنت بما أنزل الله من كتاب فلا أومن ببعض وأكفر ببعض كما أنتم عليه معشر اليهود والنصارى، وقل لهم أمرنى ربى أن أعدل بينكم[4] فى الحكم إذا تحاكمتم إليّ، كما أنى لاأفرق بينكم إذ أعتبركم على الكفر سواء فكل من لم يكن على الإسلام الذى كان عليه نوح وإبراهيم وموسى وعيسى والذى عليه انا واصحابى اليوم فهو كافر من أهل النار.

وقوله تعالى ﴿الله ربنا وربكم﴾ أى أمرنى أن أقول لكم هذا الله ربنا وربكم إذْ لا رب سواه فهـو رب كل شيء ومليكـه، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم[5] وسَيُجْزى كل منا بعمله السيئة بمثلها والحسنة بعشر أمثالها، إلا أن الكافر لاتكون له حسنة مادام قد كفر بأصل الدين فلم يؤمن بالله ولقائه، ولا بوحيه ولا برسوله وقوله ﴿لاحجة بيننا وبينكم﴾ أي اليوم إذ ظهر الحق ولاح الصبح لذي عينين فلا داعى إلى الجدال والخصومة معكم يا أهل الكتابين من يهود ونصارى الله يجمع بيننا يوم القيامة إذ المصير فى النهاية إليه لا إلى غيره وسوف يحكم بيننا فيما اختلفنا فيه فيقضى لأهل الحق بالنجاة من النار ودخول الجنة ويقضى لأهل الباطل بالنار والخلود فيها.

وقوله تعالى : ﴿والذين يحاجون فى الله﴾[6] أي في دين الله النبى والمؤمنين يريدون أن يردوهم

(١) قال القرطبي اللام هنا بمعنى إلى وله نظائر مثل بأن ربك أوحى لها أي إليها وأولى أن تكون اللام للتعليل أي لأجل ما ذكر من الأمر بإقامة الدين وعدم التفرق فيه فادع.

(٢) الاستقامة الاعتدال والسين والتاء فيها للمبالغة مثل أجاب استجاب والمراد هنا الاستقامة المعنوية وهي ملازمة الآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة والتمسك بأهداب الشريعة.

(٣) كما أمرت هذه الكاف كالتي في قوله تعالى واذكروه كما هداكم أعطيت معنى التقليل مثل كما صليت على ابراهيم وما في التفسير أولى من هذا فإن المراد على نحو ما أمرك لا تخالفه.

(٤) هذا من الغيب الذي أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر فقد نصر الله رسوله وحكم اليهود وعدل بينهم وذلك في المدينة وخيبر تيماء والآية نزلت بمكة.

(٥) هذه صور من صور الإنصاف والعدل.

(٦) قال مجاهد في قوله تعالى والذين يحاجون في الله الآية قال هؤلاء رجال طمعوا أن تعود الجاهلية بعد ما دخل الناس في الإسلام. وقيل إنهم اليهود والنصارى والكل جائز ويقع وواقع وما في التفسير أوضح وأصح.

إلى باطلهم من بعد ما استجيب للرسول ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، هؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم أي باطلة ، وعليهم غضب اي من ربهم ولهم عذاب شديد فى الدنيا والآخرة هذه الآية نزلت فى يهود بالمدينة نصبوا انفسهم خصوما لأصحاب رسول الله يجادلونهم يريدون تشكيكهم فى الإسلام والعودة بهم إلى وثنية الجاهلية وكان هذا قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة فرد تعالى عليهم وأسكتهم بهذه الآية متوعداً إياهم بالغضب والعذاب الشديد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب الدعوة إلى الإسلام بين أمم العالم إذ لانجاة للبشرية إلا بالإسلام.

٢ ـ حرمة اتباع أهواء أهل الأهواء[1] والسير معهم وموافقتهم فى باطلهم.

٣ ـ وجوب الاستقامة على الإسلام عقائد وعبادات وأحكام قضائية وآداب وأخلاق.

٤ ـ تعين ترك الحجاج والمخاصمة مع أهل الكتاب وكذا اهل الأهواء والبدع لأنا على الحق وهم على الباطل، فكيف نحاجهم إذ الواجب أن يسلموا وكفى.

ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن
نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ

(١) الأهواء جمع هوى وهو الحب وغلب على حب مالا نفع فيه إذ هو نابع عن ميل نفساني مناف للخير والعدل ويغلب اطلاق لفظ العشق عليه.

مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

الله الذى أنزل الكتاب الحق : أي أنزل القرآن متلبساً بالحق والصدق لايفارقه أبداً.

والميزان : أي وأنزل الميزان وهو العدل ليحق الحق.

ومايدريك لعل الساعة قريب : أي أيُّ شيء يجعلك تدرى قرب الساعة إلا أن يكون الوحى الإلهى.

يستعجل بها الذين لايؤمنون: أي يطالب المكذبون بها لأنهم لايخافون مافيها لعدم إيمانهم به.

والذين آمنوا مشفقون منها : أي خائفون وذلك لإيمانهم فهم لايدرون مايكون لهم فيها من سعادة أو شقاء ولذا هم مشفقون.

ويعلمون أنها الحق : أي ان الساعة حق واجبة الإتيان لا محالة.

إن الذين يمارون فى الساعة : أي إن الذين يجادلون فى الساعة شاكين فى وقوعها.

الله لطيف بعباده : أي برهم وفاجرهم بدليل أنهم يعصونه وهو يرزقهم ولا يعاقبهم.

من كان يريد حرث الآخرة : أي من كان يريد بعمله ثواب الآخرة.

نزد له فى حرثه : أي نضاعف له ثوابه الحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

ومن كان يريد حرث الدنيا : أي من كان يريد بعمله متاع الحياة الدنيا من طيباتها.

تؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب: أي نعطه منها ماقدر له وليس له فى الآخرة من حظ ولا نصيب.

أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين: أي بل لهم شركاء من الشياطين شرعوا لهم من الدين.

مالم يأذن به الله : أي مالم يشرعه الله تعالى وهو الشرك.

ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم: أي ولولا كلمة الفصل التى حكم الله بها بتأخير العذاب إلى يوم القيامة لأهلكهم اليوم على شركهم وأنجى المؤمنين.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾(1) يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بأنه هو

---

(١) جائز أن يكون الكتاب اسم جنس يشمل الكتب الإلهية إذ الله تعالى هو منزلها وجائز ان يكون المراد به القرآن. وال فيه للتفخيم من شأنه كأنه الكتاب الفذ في بابه.

الذى أنزل الكتاب أى القرآن بالحق والصدق وأنزل الميزان[1] وذلك من أجل احقاق الحق فى الأرض وإبطال الباطل فيها، فلا يعبد إلا الله ولايحكم إلا شرع الله وفى ذلك كمال الإنسانية وسعادتها، وقوله تعالى: ﴿ومايدريك[2] لعل الساعة قريب﴾ أي أي شيء جعلك تدري قرب الساعة إنَّه الوحى الإلهى لاغير﴿وقوله يستعجل بها الذين لايؤمنون بها﴾ أي الذين لايؤمنون بالبعث الآخر والجزاء فيه هم الذين يطالبون بإتيانها في غير وقتها ويستعجلون الرسول بها بقولهم متى الساعة؟ أما المؤمنون بالبعث والجزاء فإنهم مشفقون أى خائفون من وقوعها لأنهم لايدرون مصيرهم فيها ولا يعلمون ماهم صائرون اليه من سعادة أو شقاء وقوله ﴿ ويعلمون أنها الحق ﴾ أى والمؤمنون يعلمون أن الساعة حق واجبة الوقوع ليحكم الله فيها بين عباده ويجزى كل واحد بعمله، ويقتصُّ فيها من المظلوم للظالم فلذا هي واقعة حتما لاتتخلف ابداً.

وقوله تعالى: ﴿ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد﴾ يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأن الذين يشككون فى الساعة ويجادلون فى صحة وقوعها فى ضلال عن الهدى والصواب والرشد، بعيد لايرجى لهم معه العودة إلى الصواب والهدى فى هذه المسألة من مسائل العقيدة.

وقوله تعالى﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز﴾يخبر تعالى بأنه ذو لطف بعباده مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم يكفر به الكافرون ويعصيه العاصون وهو يطعمهم ويسقيهم ويعفو عنهم ولا يهلكهم بذنوبهم فهذا من دلائل لطفه بهم. يرزق من يشاء أي يوسع الرزق على من يشاء ويقدر على من يشاء حسب ماتقضيه تربيتهم فلا يدل الغنى على الرضاء ولا الفقر على السخط. وهو تعالى القوى القادر الذى لايعجزه شيء العزيز فى انتقامه ممن أراد الانتقام منه وقوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث[3] الآخرة نزد له فى حرثه﴾، وهذا من مظاهر لطفه بعباده وهو أن من أراد منهم بعمله ثواب الآخرة وما أُعد الله فيها للمؤمنين المتقين نزدله فى حرثه أي يضاعف له أجر عمله الحسنة بعشر الى سبعمائة ويضاعف لمن يشاء ومن كان يريد بعمله حرث الدنيا أى متاع الحياة الدنيا يؤته على قدر عمله للدنيا وهو ماقدره له أزلاً وجعله مقدوراً له لابد نائله، وماله فى الآخرة من نصيب لأنه لم يعمل لها فلاحظ ولا نصيب له فيها إلا النار وبئس القرار.

وقوله تعالى فى الآية (٢١) ﴿أم لهم[4] شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله﴾ يقول

---

(١) هل المراد من الميزان العدل أو هو الآلة التي يوزن بها والظاهر انه الآلة التي يوزن بها إذ بها يتم العدل ولقوله تعالى.. ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ وإنزاله إلهام وضعه والعمل به.

(٢) ما استفهامية أي من جعلك تدري قرب الساعة. قال ابن عباس ما قال تعالى فيه وما أدراك فقد أدراه، وما قال فيه وما يدريك فإنه لم يدره به.

(٣) المراد بالحرث العمل والكسب قال الشاعر:

كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ... ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل

بهذه الآية رد على من زعم أن المرء لو دخل ماء للتبرد فيه أن له أن يصلي به لأن الآية نص في إرادة العمل والثواب بحسب الإرادة التي هي النية.

(٤) ام للإضراب الانتقالي والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

أللمشركين من كفار قريش شركاء من الشياطين شرعوا لهم دينا وهو الشرك لم يأذن به الله،وهذا إنكار عليهم، واعلان غضب شديد من أجل شركهم الذى زينته لهم الشياطين فصرفتهم عن الدين الحق إلى الدين الباطل، ولذا قال: ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم أى ولولا أنه تعالى قضى بأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة لعذبهم فى الدنيا وأهلكهم فيها قبل الآخرة، وذلك لاتخاذهم ديناً لم يشرعه لهم. وقوله تعالى وإن الظالمين أي المشركين لهم عذاب أليم أي موجع وذلك يوم القيامة وهذا وعيد للمشركين الذين اتخذوا الجاهلية والشرك وعبادة الأوثان دينا وأعرضوا عن دين الله الذى أوصى به نوحا وأوحاه الى محمد خاتم رسله، كما أوصي به ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان بعض الحكمة فى إنزال الكتاب أى القرآن والميزان وهو أن يحكم الناس بالقسط.

٢ ـ بيان قرب الساعة وأن معرفة قربها كان بالوحى الإلهى مثل اقترب للناس حسابهم.

٣ ـ المستعجلون بالساعة هم الكافرون الجاحدون لها.

٤ ـ بيان لطف الله بعباده فله الحمد وله المنة والشكر.

٥ ـ بيان وجوب إصلاح النيات فإن مدار العمل قبولاً ورفضا بحسبها.

٦ ـ حظر التشريع بجميع أنواعه عن غير الله ورسوله.

تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾
ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ
أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ
لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ
عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ
وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا : أي ترى أيها المرء الظالمين يوم القيامة خائفين من جزاء ماعملوا.

وهو واقع بهم : أي وهو أي جزاء ما كسبوا من الباطل والشرك نازل بهم معذبون به لامحالة.

والذين آمنوا وعملوا الصلحات : آمنوا بالله ولقائه وآياته ورسوله وأدوا الفرائض واجتنبوا المحارم.

فى روضات الجنات : أي هم في روضات الجنات، والروضة فى الجنة أنزه مكان فيها.

لهم مايشاءون عند ربهم : أي لهم فيها ماتشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم فى جوار ربهم.

قل لاأسألكم عليه أجراً : أي قل يارسولنا لقومك لا أسألكم على التبليغ أجراً أي ثواباً.

إلا المودة فى القربى : أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي فتمنعوني حتى أبلغ رسالتى.

ومن يقترف حسنة : أي ومن يكتسب حسنة بقول أو عمل صالح.

نزد له فيها حسنا : أي نضاعفها له أضعافا.

أم يقولون افترى على الله كذبا : أي أيقول هؤلاء المشركون إن محمداً افترى على الله كذباً فنسب إليه القرآن وهو ليس بكلامه ولابوحيه.

فان يشاء الله يختم على قلبك : أي إن يشإ الله تعالى يطبع على قلبك وينسيك القرآن أي ان الله قادر على أن يمنعك من الافتراء عليه كما زعم المشركون.

ويمحو الله الباطل ويحق الحق : أي إن من شأن الله تعالى أنه يمحو الباطل.

بكلماته : أي بالآيات القرآنية وقد محا الباطل وأحق الحق بالقرآن.

وهو الذى يقبل التوبة عن عباده : أي هو تعالى الذي يقبل توبة التائبين من عباده.

ويعفو عن السيئات : أي لايؤاخذ بها من تاب منها فهذا هو الإله الحق لا الأصنام التى ليس لها شيء مما هو لله ألبتة.

ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات : أي ويجيب تعالى عباده الذين آمنوا به وعملوا الصالحات إلى ما دعوه فيه فيعطيهم سؤلهم.

ويزيدهم من فضله : أي يعطيهم ما سألوا ويعطهم مالم يسألوه من الخير.

والكافرون لهم عذاب شديد : أي والكافرون بالله ورسوله ولقاء الله وآياته لهم عذاب شديد.

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ترى الظالمين[1] يوم القيامة مشفقين أى خائفين مما كسبوا أي من جزاء ما كسبوا من الشرك والمعاصى ،وهو أى العذاب واقع بهم نازل عليهم لامحالة وقوله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾ أى فى الوقت الذي يكون فيه الظالمون مشفقين مما كسبوا يكون الذين آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا وعملوا الصالحات من الفرائض والنوافل بعد اجتناب الشرك والكبائر فى روضات الجنات وهى أنزهها وأحسنها لهم مايشاءون من النعيم مما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين كل ذلك فى جوار رب كريم وقوله تعالى ﴿ ذلك هو الفضل الكبير[2] ﴾ أى ذاك الذى أخبر تعالى به أنهم فيه من روضات الجنات وغيره هو الفضل الكبير الذى تفضل الله تعالى عليهم به.

وقوله فى الآية الثانية (٢٣) ﴿ذلك الذى يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي ذلك المذكور من روضات الجنات وغيره هو الذي يبشر الله تعالى به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى كتابه وعلى لسان رسوله.

وقوله تعالى : ﴿قل لاأسألكم[3] عليه أجراً إلا المودة فى القربى﴾ يأمر تعالى رسوله أن يقول لقومه من المشركين لا أسألكم على إبلاغى إياكم دعوة ربى الى الإيمان به وتوحيده لتكملوا وتسعدوا أجراً أى مالاً لكن أسألكم أن تودوا قرابتى منكم فلا تؤذوني وتمنعوني من الناس حتى

---

(١) هذا عرض لما يجري من أحوال في عرصات القيامة وما ينتهي إليه الموقف من إسعاد أهل الإيمان والعمل الصالح وإشقاء أهل الشرك والمعاصي.

(٢) لا يوصف ولا تهتدي العقول إلى معرفة كنه صفته لأن الله تعالى إذا قال كبير كان مما لا يقادر قدره.

(٣) هذا الخطاب خاص بقريش قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن ومعنى الآية قل لا أسألكم عليه أي على البلاغ اجراً أي ثواباً وجزاء إلا ان تَـوَدُّونـي من قرابتي منكم أي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني وتنصروني حتى ابلغ رسالتي وذلك انه ما من بطن من بطون قريش إلا وفيه للرسول ﷺ قرابة رحم وأما توجيه الآية على آل رسول الله ﷺ فهو تمحل واضح إلا أن حب آل البيت وتعظيمهم واجب اكيد ووردت فيه أحاديث كثيرة صالحة للاحتجاج بها.

ابلغ دعوة ربي .

وقوله تعالى : ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أي من يعمل حسنة نزد له فيها حسنا بأن نضاعفها له اذ الله غفور للتائبين من عباده شكور للعاملين منهم فلا يضيع أجر من أحسن عملا .

وقـوله : ﴿أم يقولون أفترى[1] على الله كذباً﴾ أي بل يقولون أفترى على الله كذباً أي يقول المشركون إن محمداً افترى على الله كذباً فادعى أن القرآن من كلام الله ووحيه وماهو إلا افتراء افتراه على الله . فأبطل الله تعالى هذه الدعوة وقال: ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ أي يطبع على قلبك فتنسى القرآن ولاتقدر على قوله والنطق به، فكيف إذاً يقال إنه يفترى على الله كذباً والله قادر على منعه والإحالة بينه وبين مايقوله . وقوله: ﴿ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنـه عليم بذات الصدور﴾ هذا شأنه تعالى يمحو الباطل ويحق الحق بالقرآن وقد فعل فَمَحَا الباطل وأحق الحق فمامات رسول الله ﷺ وفي الجزيرة من يعبد غير الله تعالى . وقوله ﴿إنه عليم بذات الصـدور﴾ فلواسع علمه وعظيم قدرته محا الباطل وأحق الحق بالقرآن ولو كان القرآن مفتـرى مامحـا باطلاً ولا أحق حقاً وقوله تعالى : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ أي إن تابوا إليه وأنابوا ، ويعفوا عن سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها ، ويعلم مايفعلون في السر والعلن ويجزى كلّا بما عمل وهوعلى كل شيء قدير.

وقوله تعالى : ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[2] أي يجيب دعاءهم فيما طلبوه ويزيدهم من فضله فيعطيهم مالم يطلبوه فما أعظم كرمه وما أوسع رحمته !! هذا للذين آمنوا وعملوا الصالحات . وأما الكافرون فلهم عذاب شديد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير حق القرابة ووجوب المودة فيها . واحترام قرابة الرسول ﷺ وتقديرها.

٢ ـ تبرئة رسول الله ﷺ من الافتراء على الله عز وجل .

٣ ـ مضاعفة الحسنات ، وشكر الله للصالحات من أعمال عباده المؤمنين .

٤ ـ وجوب التوبة وقبول الله تعالى لها، وقد كان رسول ﷺ يتوب الى الله فى اليوم مائة مرة. وللتـوبـة ثلاثـة شروط : الاقلاع الفورى عن المعصية ، والاستغفار، والندم على مافعل من

(١) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام إنكاري ينكر تعالى على المشركين الذين قالوا إن محمدا يفتري على الله الكذب فيقول أرسلني الله وما أرسله ويقول القرآن من وحي الله ، والله ما أوحى اليه فأنكر تعالى هذا على قائليه ووضح لهم أن دعواهم لا تمت إلى الواقع بصلة.

(٢) فاعل يستجيب هو الله عز وجل والذين مفعول به في محل نصب والسين والتاء للتأكيد إذ استجاب هو بمعنى أجاب.

المعصية بترك الواجب أو بفعل المحرم. وإن كان الذنب يتعلق بحق آدمي زاد شرط رابع وهو التحلل من الآدمي بأداء الحق أو بطلب العفو منه.

٥ ـ وعد الله تعالى باستجابة دعاء المؤمنين العاملين للصالحات وهم أولياء الله تعالى الذين أن سألوا أعطاهم وإن استعاذوه أعاذهم وإن استنصروه نصرهم. اللهم اجعلنا منهم وأحشرنا فى زمرتهم.

۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ
لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟
وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

ولوبسط الله الرزق لعباده : أي لو وسع الرزق لجميع عباده.

لبغوا فى الأرض : أي لطغوا فى الأرض جميعا.

ولكن ينزل بقدر مايشاء : أي ينزل من الأرزاق بقدر مايشاء فيبسط ويضيق.

إنه بعباده خبير بصير : أي إنه بأحوال عباده خبير إذ منهم من يفسده الغنى ومنهم من يصلحه ومنهم من يصلحة الفقر ومنهم من يفسده.

وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا : أي المطر من بعد يأسهم من نزوله.

وينشر رحمته : أي بركات المطر ومنافعه فى كل سهل وجبل ونبات وحيوان.

وهو الولي الحميد : أي المتولى لعباده المؤمنين المحسن إليهم المحمود عندهم.

ومابث فيهما من دابة : أي فرق ونشر من كل مايدب على الأرض من الناس وغيرهم.
وهو على جمعهم إذا يشاء قدير : أي للحشر والحساب والجزاء يوم القيامة قدير.
وما أصابكم من مصيبة : أي بليه وشدة من الشدائد كالمرض والفقر.
فيما كسبت أيديكم : أي من الذنوب والآثام.
ويعفو عن كثير : أي منها فلا يؤاخذ به، وما عفا عنه فى الدنيا لايؤاخذ به فى الآخرة.
وما أنتم بمعجزين فى الأرض : أي وَلَسْتم بفائتي الله ولا سابقيه هرباً منه إذا أراد مؤاخذتكم بذنبكم.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولو بسط[1] الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض﴾ هذا شروع فى عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الموجبة لربوبية الله تعالى المستلزمة لألوهيته على عبادته فقال تعالى : ﴿ولو بسط الله﴾ أي رب العباد الرزق فوسعه عليهم لبغوا فى الأرض فطغا بعضهم على بعض وظلم بعضهم بعضا ولزم ذلك فساد كبير[2] فى الأرض قد تتعطل معه الحياة بكاملها.

ولكن ينزل بقدر مايشاء أي ينزل من الأرزاق بمقادير محددة حسب تدبيره لحياة عباده ويدل على هذا قوله إنه بعباده خبير بصير[3] أي إنه بما تتطلبه حياة عباده ذات الآجال المحدودة، والأعمال المقدرة الموزونة، والنتائج المعلومة أزلاً. هذا مظهر من مظاهر العلم والقدرة والحكمة ومظهر آخر فى قوله، ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته﴾، فإِنْزَالُ المطر بكميات ومقادير محدودة وفى أماكن محددة، وفى ظروف محددة هذا التصرف ماقام إلا على مبدأ القدرة القاهرة والخبرة التامة، انه يمنع عن عباده المطر فيمحلوا ويجدبوا حتى ييأسوا ويظهر عجزهم وعجزا آلهتهم التى يعبدونها ظلما فاضحاً إذ لاتستحق العبادة بحال من الأحوال ثم ينزل الغيث[4] وينشر الرحمة فتعم الأرزاق والخيرات والبركات، وهو الولي الذى لاتصلح الولاية لغيره الحميد أي المحمود بصنائع بره وعوائد خيره ومظاهر رحمته. هو الولي بحق والمحمود

(١) روى أن خباب بن الأرت قال هذه الآية نزلت فينا نظرنا إلى أموال بني النضير وقريظة وقينقاع فتمنيناها فنزلت ﴿ولو بسط الله﴾ الآية والآية تضمنت رداً على من يقول ما دام الله يستجيب للذين آمنوا الخ لم لا يسألونه سعة الرزق فيغنهم ويثريهم بالأموال فكان الجواب ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض.

(٢) وشاهده من السنة هو قوله ﷺ فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم.

(٣) القدر بفتحتين: المقدار والتعيين والجمع بين صفتي «خبير» و«بصير» لأن وصف خبير، دال على العلم بمصالح العباد وأحوالهم قبل تقديرها وتقدير أسبابها أي العلم بما سيكون ووصف بصير دال على العلم المتعلق بأحوالهم التي حصلت.

(٤) الغيث المطر وسمي غيثاً لأن به غيث الناس المضطرين.

بحق، ومظهر آخر فى قوله تعالى ومن آياته الدالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لربـوبيتـه لسـائـر خلقـه والمستلزمـة لألوهيته على سائر عباده : ﴿خلق السموات والأرض﴾ ايجـادهمـا بمـا هما عليه من عجائب الصفة، ومابث أى فرق ونشرفيهما من دابة تدب على الأرض، أو ملك يسبح في السماء. فهذا الخلق والإبداع ناطق بربوبيته تعالى صارخ بألوهيته لعباده فلم إذاً يعبد غيره من مخلوقاته وتترك عبادته وفوق هذا المظهر للخلق والرزق والتدبير مظهـر آخـر وهـو قدرته تعالى على جمع سائر خلقه في صعيد واحد ومتى؟ وإنه بعدإفنائهم وتصييرهم عظاما ورفاتا، وهو معنى قوله: وهو على جمعهم إذا يشاء قدير.[1]

وقوله تعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت[2] أيديكم ويعفو عن كثير﴾،[3] وهذا مظهر آخر للقدرة والعلم يتجلى فيما يصيب الإنسان من مصيبة فى نفسه وولده وماله إن كل مصاب ينـزل بالإنسـان فى هذه الحياة ناتـج «عن مخالفة الله تعالى فيما وضع من القوانين والشرائع والسنن. وأعظم دلالة أن يُعطل القانون الماضى ويوقف مفعوله فيكسب العبد الذنبَ ولايؤاخذ به عفواً من الله تعالى عليه، وهو معنى قوله تعالى ﴿ويعفو عن كثير﴾. فله الحمد وله المنة. ومظهر آخر من مظاهره قدرة الله وعلمه وحكمته هو ان الناس مهما أوتوا من قوة وتدبير وعلم ومعرفة لم ولـن يعـجـزوا الله تعـالـى ﴿ومـا أنـتـم بمـعـجـزين في الأرض﴾ فالـسـمـاء فوقـهم والأرض تحتهـم إن يشـأ يخسف الأرض من تحتهم أو يسقط السماء كسفا من فوقهم. فإلى أين المهرب والجواب الى الله فقط بالاستسلام له والانقياد بالطاعة وفى ذلك نجاتهم وعزهم وكرامتهم زيادة على سعادتهم وكمالهم في الحياتين وقوله : ﴿ومالكم من دون الله من ولي ولانصير﴾ أي وليس لكم أيها الناس مع عجزكم من ولي يتولاكم ولاناصر ينصركم. إذاً ففروا إلى الله بالإيمان به والإسلام له تنجوا وتسعدوا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان الحكمة فى تقدير الأرزاق وإعطائها بمقادير محددة.

٢ ـ من مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته على عباده إنزال الغيث بعد اليأس والقنوط وخلق السموات والأرض ومابث فيها من دابة.

٣ ـ بيان حقيقة علمية ثابتة وهى أن المخالفة للقوانين يترتب عليه ضرر يصيب المخالف.

٤ ـ بيان أنه مامن مصيبة تصيب المرء فى نفسه أو ولده أو ماله إلا بذنب ارتكبه.

---

(١) تقرير لعقيدة البعث والجزاء أثناء تقرير عقيدة التوحيد والنبوة المحمدية.

(٢) قرأ نافع بما كسبت وقرأ حفص فبما كسبت بزيادة الفاء.

(٣) قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب، ولما يعفوا الله عنه أكثر. وشاهد آخر من كتاب الله تعالى قوله تعالى ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾.

٥ ـ بيان أن من الذنوب مايعفو الله تعالى عنه ولايؤاخذ به تكرما واحساناً.[1]

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات:

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام : أي ومن علامات ربوبيته للخلق ايجاد السفن كالجبال في البحار وتسخير البحار للسير فيها لمنافع العباد.

إن يشأ يسكن الريح : أي يوقف هبوب الريح فلا نسيم ولا عواصف.

فيظللن رواكد على ظهره : أي تقف السفن وتظل راكدة حابسة على ظهر البحر.

ان في ذلك لآيات : أي في هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن وركودها عند سكون الرياح لدلالات واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته.

لكل صبار شكور : أي إن هذه الآيات لايراها ولاينتفع بها إلا من كان صباراً عند الشدايد والمحن شكوراً عند الآلاء والنعم.

أو يوبقهن بما كسبوا : أي وان يشأ يجعل الرياح عواصف فيهلك تلك السفن ويغرقها بمن فيها بسبب ذنوب أصحابها، وهو على ذلك قدير.

ويعفو عن كثير : أي وإنه تعالى ليعفو عن كثير من الذنوب والخطايا فلا يؤاخذ بها إذ لو آخذ بكل ذنب مابقي أحد على وجه الأرض لقلة من لايذنب فيها.

ويعلم الذين يجادلون في آياتنا : أي ويعلم المكذبون بآيات الله من المشركين عندما تعصف العواصف وتضطرب السفن ويخاف الغرق.

مالهم من محيص : أي ليس لهم من مهرب إلا إلى الله فيجأرون بدعائه وحده ناسين آلهتهم الباطلة.

---

(١) ولذا قال عليّ رضي الله عنه أرجى آية في كتاب الله تعالى هي هذه الآية وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ؟.

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر مظاهر الربوبية المستلزمة لألوهية الله تعالى ووجوب عبادته وحده دون سواه فقال تعالى : ﴿ومن[1] آياته الجوار في البحر كالأعلام﴾ أي ومن حججه عليكم ياعباد الله الدالة على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته أيضا هذه السفن الجوار في البحر كأنها جبال عالية تسير من إقليم إلى إقليم بتسخير الله تعالى البحار وإرسال الرياح وهي تجرى بمنافعكم حيث تنقل الركاب والبضائع من إقليم إلى آخر. فهذا مظهر قدرة الله ورحمته، وان يشأ تعالى إسكان الريح فإنها تسكن فلا تهب ولاتنسم بنسيم ألبتّة فتقف السفن وتركد على[2] سطح الماء فلا تتحرك، وإن يشأ أيضا يرسل عليها عواصف من الريح فتضطرب وتغرق بما فيها ومن فيها وذلك بذنوب أصحابها إن القاعدة الثابتة المقررة أنه مامن مصيبة إلا بذنب. وهذا معنى قوله ﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾.

وقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ أي إن في هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن عليها وركودها عند سكون الريح لحجج واضحة قوية على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته ولكن لايراها ولا ينتفع بها أمثال البهائم، ولكن هي من نصيب كل عبد صبار على طاعة الله وبلائه شكور لآلائه ونعمه عليه..

وقوله ﴿أويو بقهن بما كسبوا[3]﴾. وقوله ﴿ويعف عن كثير[4]﴾ أي ولايؤاخذ بكل ذنب فقد يعفو عن كثير من الذنوب. إذ لو عاقب على كل ذنب وآخذ بكل خطيئة لما بقي على الأرض أحد إذ ما من أحد إلا ويذنب اللهم إلا ما كان من المعصومين من الأنبياء والمرسلين فإنهم لايذنبون، ولكن قد يذنب أصولهم وفروعهم فيهلكون ومن أين يوجدون!!

---

(١) الجوار جمع جارية والأعلام جمع علم والعلم الجبل والآيات جمع آية وهي العلامة الدالة على الشيء الهادية إليه المعرفة به. وسميت السفينة جارية لأنها تجري في البحر وسميت الشابة من النساء جارية لأنها يجري فيها ماء الشباب. قال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم واستشهد بقول الخنساء وهي ترثي أخاها صخراً.

وإن صخراً لتأتم الهداة به   كأنه علم في رأسه نار

(٢) يقال ركد الماء ركوداً سكن وكذلك الريح والسفن والشمس إذا قام قائم الظهيرة وكل ثابت في مكان فهو راكد والرواكد جمع راكدة مؤنث راكد.

(٣) أي وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن أي يغرقهن بذنوب أهلها إذ الباء سببية.

(٤) ويعفو عن كثير أي من أهلها فلا يغرقهم معها، كما يتجاوز عن كثير من الذنوب فلا يؤاخذ بها. ويعف مجزوم بحذف آخره لأنه معطوف على إن يشأ يسكن الريح أي وإن يشأ يعف.

وقوله تعالى : ﴿ويعلم[1] الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص[2]﴾ أي وعندما تكون الريح عاصفة وتضطرب السفن وتشرف على الغرق هنا يعلم المشركون الذين يخاصمون رسول الله ويجادلونه فى الوحى الإلهى ويكذبون به يعلمون انهم فى هذه الحال مالهم من محيص أى من ملجأ ولامهرب من الله إلا إليه فيجأرون بدعاء الله وحده كما قال تعالى فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ مظاهر ربوبية الله وألوهيته على خلقه.

٢ ـ فضل الصبر والشكر وفضيلة الصابرين الشاكرين.

٣ ـ تقرير قاعدة مامن مصيبة إلا بذنب مع عفو الله عن كثير.

٤ ـ عند معاينة العذاب يعرف الإنسان ربه ولا يعرف غيره.

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾

---

(١) قرأ نافع ويعلم بالرفع على أنه كلام مستأنف وقرأ حفص ويعلم بالنصب عطفاً على فعل مدخول للام التعليل وتضمن (أن) بعده، والتقدير لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون الخ.

(٢) المحيص مصدر ميمي من حاص يحيص حيصاً إذا أخذ في الفرار والهرب مائلا في سيره وفي حديث أبي سفيان: فحاصوا حيصة حمر الوحش. والمعنى ما لهم من فرار ومهرب من لقاء الله تعالى.

شرح الكلمات :

فما أوتيتم من شيء : أي فما أعـطيتم من شيء من متاع الدنيا كالمال والولدوالمطعم والمشرب والملبس والمسكن والمنكح والمركب.

فمتاع الحياة الدنيا : أي يتمتع به زمناً ثم يزول ولايبقى.

وماعند الله خير وأبقى : أي وماعند الله من ثواب الآخرة فهو خير فى نوعه وأبقى فى مدته.

للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون : أي ماعند الله خير وأبقى لأصحاب الصفات التالية : الإيمان، والتوكل على الله، واجتناب كبائر الأثم والفواحش، والتجاوز عمن أساء إليهم، والاستجابة لربهم فى كل مادعاهم إليه فعـلا أو تركاً، وإقام الصلاة والمشورة[1] بينهم والإنفاق مما رزقهم الله، والانتصـار عنـد البغي عليهم هذه عشـر صفات أصحابها ما أعده الله تعالى لهم يوم يلقونه خير من متاع الدنيا بكامله.

وجزاء سيئة سيئة مثلها : أي جزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه.

فمن عفا وأصلح فأجره على الله : أي فمن عفا عمن أساء إليه وأصلح مابينه وبينه فأجره على الله ثابت له.

إنه لايحب الظالمين : أي لايحب البادئين بالظلم، ومن لم يحبه الله أذن فى عقوبته.

ولمن انتصر بعد ظلمه : أي ومن ظلمه ظالم فأخذ منه بحقه.

فأولئك ماعليهم من سبيل : أي لمؤاخذتهم، لأنهم مابدأوابالظلم.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فما أوتيتم من شيء[2] فمتاع الحياة الدنيا﴾ هذا شروع فى بيان صفات الكمال فى المسلم التى يستوجب بها نعيم الآخرة ضمن التعريض بزينة الحياة الدنيا الفانية فقال تعالى ﴿فما أوتيتم﴾ أيها الناس من مؤمن وكافر من شيء فى هذه الحياة الدنيا من لذيذ الطعام والشراب وجميل اللباس، وفاخر المساكن وأجمل المناكح وأفره المراكب كل ذلك متاع الحياة الدنيا يزول ويفنى. أما ماعند الله أي ما اعده الله لأوليائه فى الدار الآخرة فهو خير وأبقى ولكن لمن أعده؟

---

(١) ومما قيل في المشورة نظماً قول بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن   برأي لبيب أو مشورة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة   فإن الخوافي قوة للقوادم

الخوافي ريشات إذا ضم الطير جناحيه خفيت، والقوادم عشر ريشات في مقدم الجناح وهي كبار الريش.

(٢) قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا.﴾ يريد من الغنى والسعة في الدنيا.

والجواب للذين آمنوا أي بالله وآياته ولقائه ورسوله وبكل ماجاء به والذين على ربهم لاعلى سواه يتوكلون ثقة فى كفايته واعتماداً عليه، والذين يجتنبون أى يتركون كبائر الإثم[1] كالشرك والقتل والظلم وشرب الخمر وأكل الحرام والفواحش كالزنى واللواط. والذين إذا غضبوا يتجاوزون[2] عمن أغضبهم ويغفرون له زلته أو إساءته إليهم والذين استجابوا لربهم[3] عندما ناداهم ودعاهم لكل ماطلبه منهم، والذين أقاموا الصلاة فأدوها على وجهها المطلوب لها من خشوع مراعين شرائطها واركانها وواجباتها وسننها وآدابها، والذين أمرهم شورى بينهم أى أمرهم الذى يهمهم في حياتهم أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً يجتمعون عليه ويتشاورون[4] فيه ويأخذون بما يلهمهم ربهم بوجه الصواب فيه. والذين مما رزقهم الله من مال وعلم وجاه وصحة بدن ينفقون شكراً لله على ما رزقهم واستزاده للثواب يوم الحساب. والذين إذا اصابهم البغي أى إذا بغي عليهم البغاه الظلمة من الكافرين ينتصرون لأنفسهم إعذاراً لها وإكراماً لأنها انفس الله وليها فالعزة واجبة لها. هذه عشر صفات متى اتصف بها العبد لا يضره شيء لو عاش الدهر كله فقيراً نقيًّا محروماً من لذيذ الطعام والشراب ومن جميل اللباس، والسكن والمركب إذ ماعند الله تعالى. له خير وأبقى مع العلم أن أهل تلك الصفات سوف لايحرمون من طيبات الحياة الدنيا بل هم أولى بها من غيرهم إلا أنها ليست شيئا يذكر إلى جانب ماعند الله يوم يلقونه ويعيشون فى جواره.

وقوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ هذا هو الحكم الشرعى جزاء المسيء العقوبة بما أوجب الله تعالى له فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. وقوله تعالى فمن عفا عمن أساء إليه، واصلح مابينه وبينه فعادت المودة وعاد الإخاء فأجره على الله وهو خير له وابقى من شفاء صدره بعقوبة اخيه الذى أساء إليه. وقوله تعالى ﴿إنه لايحب الظالمين﴾ تعليل لعظم الأجر لمن عفا أي كونه تعالى لايحب الظالمين ضاعف الأجر وأجزل المثوبة للمظلوم إذا عفا وأصلح. وقوله: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل[5]﴾ أي وللذى ظلم فانتصر لنفسه وردَّ الظلم عنها فهؤلاء لاسبيل لكم إلى أذيتهم وعقوبتهم. هذا حكم الله وشرعه.

---

(١) رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفواحش الزنا وان كبير الاثم الشرك وهو كذلك.

(٢) وإذا ما غضبوا هم يغفرون أي يتجاوزون ويحلمون عمن ظلمهم، قيل نزلت في عمر حين شتم بمكة وقيل في أبي بكر حين لامه الناس على إنفاقه ماله كله وحين شتم فحلم.

(٣) قال ابن زيد: هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول ﷺ حين انفذ اليهم اثنى عشر نقيباً منهم قبل الهجرة.

(٤) قال ابن العربي: الشورى الفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم قط إلا هدوا وفي الحديث ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وما عال من اقتصد. والشورى والمشورة بمعنى واحد.

(٥) لقد مدح الله تعالى المنتصر من الظلم ومدح العفو عن الجرم، فالانتصار يكون من الظالم المعلن الفجور الوقح في الجمهور المؤذي للصغير والكبير فهذا الانتقام منه أفضل،والعفو يكون فى الفلتة، وفيمن يعترف بالزلة ويطلب العفو.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ متاع الحياة الدنيا إذا قوبل بما أعد الله للمؤمنين المتقين لايعد شيئاً يذكر ابداً.

٢ ـ بيان أكمل الشخصيات الإسلامية وهى الشخصية التى تتصف بالصفات العشر التى تضمنتها الآيات الأربع ذات الرقم (٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩).

٣ ـ مشروعية القصاص وعقوبة الظالم.

٤ ـ عدم مؤاخذة من ظلم فأخذ بحقه بلا زيادة عنه مالم يكن حداً فإن الحدود يقيمها الإمام.

٥ ـ فضيلة العفو على الإخوة المسلمين والإصلاح بينهم.

إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾
وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

إنما السبيل : أي بالعقوبة والأذية.

على الذين يظلمون الناس : أي يعتدون عليهم فى أعراضهم أو أبدانهم وأموالهم.

ويبغون فى الأرض بغير الحق : أي ويطلبون فى الأرض الفساد فيها بالشرك والظلم والإجرام.
ولمن صبر وغفر : أي ولمن صبر فلم ينتصر لنفسه وغفر وتجاوز عمن أساء إليه.
إن ذلك : أي إن ذلك الصبر والتجاوز عن المسيء.
لمن عزم الأمور : أي لمن معزومات الأمور المطلوبة شرعا.
ومن يضلل الله : أي حسب سنته فى الإضلال.
فماله من ولي من بعده : أي فليس له من أحد يتولى هدايته ويقدر عليها.
هل إلى مرد من سبيل : أي هل إلى مرد إلى الحياة الدنيا من سبيل نسلكها لنعود الى الدنيا.
وتراهم يعرضون عليها : أي على النار خاشعين خائفين متواضعين.
ينظرون من طرف خفى : أي من عين ضعيفة النظر كما ينظر المقتول الى السيف لايملأ عينه منه.
يوم القيامة : أي لخلودهم فى النار، وعدم وصولهم إلى الحور العين فى دار السلام.
الا إن الظالمين : أي المشركين.
فى عذاب مقيم : أي دائم لايخرجون منه وهو عذاب الجحيم.
ومن يضلل الله فما له من سبيل : أي طريق إلى الهداية فى الدنيا، وإلى الجنة يوم القيامة.

معنى الآيات :

لقد تقدم قوله تعالى فى الآية قبل هذه : ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل﴾ فلما نفى عن المنتصرين السبيل إلى عقوبتهم أثبت هنا أن السبيل الى العقوبة والمؤاخذة هو على الذين[1] يظلمون الناس بالاعتداء عليهم فى أبدانهم أو أعراضهم أو أموالهم ويبغون فى الأرض بغير الحق أى ويطلبون الفساد فيها بالشرك والظلم والمعاصى، وليس فى الشرك والظلم والمعاصى من حق يبيحها، وقوله ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ أي للذين يبغون فى الأرض بغير الحق لهم عذاب أليم أي موجع وهو عذاب الدنيا بعقوبتهم الصارمة ويوم القيامة ان لم يتوبوا من الظلم والفساد فى الأرض.

وقوله تعالى : ﴿ولمن صبر وغفر إنَّ ذلك لمن عزم الأمور[2]﴾ يخبر تعالى مؤكداً الخبر بلام الابتداء ان من صبر فلم ينتصر لنفسه من أخيه المسلم وغفر لأخيه زلته فتجاوز له عنها فان ذلك المذكور من الصبر والتجاوز من معزومات الأمور المطلوبة شرعاً.

---

(١) هذه الآية تقابل آية التوبة ﴿ ما على المحسنين من سبيل﴾ حيث نفت السبيل على المحسنين وهو لومهم وعتابهم وهذه أثبتته على المسيئين الظالمين.

(٢) قال العلماء هذا فيمن ظلمه مسلم فإنه مندوب إلى الصبر وعدم المؤاخذة وهو العفو روى أن رجلاً سب آخر في مجلس الحسن البصري فكان المسبوب يكظم ويعرق ويمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون، والعزم عقد النية على العمل والثبات عليه.

وقوله تعالى : ﴿ومن يضلل الله فماله من ولي من بعده﴾[1] أي ومن يضلله الله تعالى حسب سنته فى الإضلال فليس له من أحد من بعد الله يهديه . وقوله تعالى : ﴿وترى الظالمين﴾ أى المشركين لما رأوا العذاب أى عذاب النار يقولون : متمنيين الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا ويُوَحّدُوا حتى ينجوا من عذاب النار ويدخلوا الجنة مع الابرار : هل إلى مرد من سبيل؟ أى هل إلى مرد الى الـدنيا من طريق؟قال تعالى﴿ وتراهم يعرضون عليها﴾ أي على النار خاشعين خاضعين متواضعين من الذّل ينظرون من طرف خفى[2] يسترقون النظر لايملأون أعينهم من النظر الى النار لشـدة خوفهم منها . وهنا يقول الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وإهليهم يوم القيامة وذلك لخلودهم فى النار وحرمانهم من الوصول إلى الحور العين فى الجنة دار الابرار، ويعلن معلن فيقـول : ألا إن الـظالمين لأنفسهم بالشـرك والمعاصى فى عذاب مقيم لايبرح ولايزول وقوله تعالى﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾يخبر تعالى بأنه لم يكن لأولئك الظالمين من أهل النار من أولياء من دون الله ينصرونهم بتخليصهم من العذاب . وقوله : ﴿ومن يضلل الله فماله من سبيل﴾ أي فما له طريق إلى هدايته فى الدنيا وإلى الجنة يوم القيامة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ لاسبيل إلى معاقبة من انتصر لنفسه بعد ظلمه .

٢ ـ وجوب معاقبه الظالم والضرب على يديه .

٣ ـ فضيلة الصبر والتجاوز عن المسلم إذا أساء بقول أو عمل .

٤ ـ لا أعظم خسرانا ممن يخلد فى النار ويحرم الجنة ومافيها من نعيم مقيم .

ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ

(١) من ولي (من) زائدة للتوكيد إذِ الكلام فما لـه ولـي من بعده وكذلك في قوله الآتي ﴿وما كان لهم من أولياء﴾ فمن زائدة للتوكيد .

(٢) الطرف مصدر طرف يطرف طرفاً إذا حرك جفنه ولذا هو لا يثنى ولا يجمع قال تعالى ﴿ لا يرتد إليهم طرفهم﴾ ويطلق الطرف على العين كما في هذه الآية قال الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞

شرح الكلمات :

استجيبوا لربكم : أي أجيبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والعبادة.

من قبل أن يأتي يوم : أي يوم القيامة.

لأمردّ له من الله : أي إذا أتى لايرد بحال.

مالكم من ملجأ يومئذ : أي تلجأون إليه وتتحصنون فيه.

ومالكم من نكير : أي وليس لكم ماتنكرون به ذنوبكم لأنها فى كتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها.

فإن أعرضوا : أي لم يجيبوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة.

إن عليك إلا البلاغ : وقد بلغت فلا مسئولية تخشاها بعد البلاغ.

وإنا إذا اذقنا الإنسان منارحمة : أي نعمة كالغنى والصحة والعافية.

وإن تصبهم سيئة : أي بلاء كالمرض والفقر وغير ذلك.

بما قدمت أيديهم : أي من الذنوب والخطايا.

فإن الانسان كفور : أي للنعمة والمنعم والإنسان هو غير المؤمن التقى.

لله ملك السموات والأرض : أي خلقا وملكاً وتصرفا.

يهب لمن يشاء إناثا : أي يرزق من يشاء من الناس بنات.

ويهب لمن يشاء الذكور : أي ويعطى من يشاء الأولاد الذكور.

أو يزوجهم ذكرانا وإناثا : أي يجعلهم ذكوراً وإناثاً.

ويجعل من يشاء عقيما : أي لايلد ولايولد له.

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الهائل لأهوال وأحوال الظالمين فى عرصات القيامة طلب الرب تعالى من عباده أن يجيبوه لما طلبه منهم إنقاذاً لانفسهم من النار فقال : ﴿استجيبوا لربكم[1]﴾ بمعنى أجيبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والطاعات قبل فوات الفرصة وذلك قبل الموت وقبل يوم القيامة اليوم الذى إذا جاء لامردّله من الله، إذ لايقدر على رده إلا الله والله أخبر أنه لايرده فمن يرده إذاً؟ فبادروا بالتوبة الى ربكم قبل مجيئه حيث لايكون لكم يومئذ ملجأ تلجأون إليه هاربين من العذاب ولايكون لكم نكير يمكنكم أن تنكروا به ذنوبكم إذ قد جمعت لكم فى كتاب واحد لم يترك صغيرة من الذنوب ولاكبيرة الا أحصاها عداً. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٤٧) وهى قوله تعالى : ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير[2]﴾. وقوله تعالى فى الآية الثانية (٤٨) ﴿فإن أعرضوا﴾ أي لم يجيبوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد والطاعة فما أرسلناك عليهم حفيظاً رقيبا تحصي أعمالهم وتحفظها لهم وتجازيهم بها. إن عليك إلا البلاغ أى ماعليك إلا البلاغ وقد بلغت وبرئت ذمتك فلا يهمك أمرهم ولاتحزن على اعراضهم. . وقوله تعالى : ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان[3] منا رحمة﴾ أي نعمة كسعة رزق وصحة بدن وكثرة مال وولد فرح بها فرح البطر والأشر، وهذا الإنسان هو الكافر أو الجاهل الضعيف الإيمان. وإن تصبهم سيئة أى ضيق عيش ومرض وفقر بما قدمت ايديهم من الذنوب فإن الإنسان كفور سرعان ماينسى النعمة والمنعم ويقع فى اليأس والقنوط هذا الإنسان قبل أن يؤمن ويسلم ويحس فإذا آمن وأسلم وأحسن تغير طبعه وطهر نبعه وأصبح يشكر عند النعمة ويصبر عند النقمة. وقوله تعالى : ﴿لله ملك[4] السموات والأرض يخلق مايشاء﴾ إنه بِحُكم سلطانه على الأرض والسماء فانه يتصرف كيف يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم له ذكوراً وإناثاً، ويجعل من يشاء من الناس عقيما لايلد ولايولد له، وهذا ناتج عن علم أحاط بكل شيء، وقدرة أخضعت لها كل شيء وهذا معنى قوله ﴿إنه عليم قدير[5]﴾. فالواجب أن يُسلم العبد لربه فيما وهبه وأعطاه إذ الله يعطى لحكمة ويمنع لحكمة، ومن السفه الاعتراض على حكم الله.

---

(١) السين والتاء للتوكيد واللام لربكم لتأكيد تعدية الفعل إلى المفعول نحو شكرت له وحمدت له وتسمى هذه اللام لام التبليغ ولام التبيين إذ الأصل أجابه واستجابه.

(٢) النكير: اسم مصدر أنكر ينكر إنكاراً والنكير اسم المصدر إذ نقصت حروفه والمعنى مالكم إنكار لما جوزيتم به إذ لا يسعكم إلا الاعتراف.

(٣) الإذاقة كناية عن الإصابة والمراد بالرحمة أثرها وهي النعمة والتقدير وإنا إذا رحمنا الانسان فأصبناه بنعمة.

(٤) الجملة مستأنفة بيانياً إذ لسائل أن يقول لم لا يفطر الله الإنسان على خلق الشكر فكان الجواب لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء.

(٥) الجملة تعليلية فصفتا العلم والقدرة بهما يكون الولد ولا يكون فليسلم الأمر لله في العقم والولادة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب الاستجابة لله تعالى فى كل مادعا العبد إليه ، وذلك قبل أن يطلب الاستجابة ولايمكن منها.

٢ ـ على الدعاة إلى الله تعالى إبلاغ مطلوب الله تعالى من عباده، ولايضرهم بعد ذلك شيء.

٣ ـ بيان طبع الانسان وحاله قبل أن يهذب بالإيمان واليقين والطاعات.

٤ ـ لله مطلق التصرف فى الملكوت كله فلا يصح الاعتراض عليه فى شيء فهو يهب ويمنع لحكم عالية لاتدركها عقول العباد.

٥ ـ وجود عقم فى الرجال وعقم فى النساء، ولابأس بالعلاج الجائز المشروع عند الشعور بالعقم أو العقر. اماما ظهر الآن من بنوك المني ، والإنجاب بطريق صبّ ماء فحل فى فرج امرأة عاقر وما إلى ذلك فهذه من أعمال الملاحدة الذين لايدينون لله بالطاعة له والتسليم لقضائه ، وإن صاموا وصلوا وادعوا أنهم مؤمنون إذ لاحياء لهم ولا إيمان لمن لاحياء له، وحسبهم قبحا فى سلوكهم هذا الكشف عن السوءات بدون انقاذ حياة ولاطلب رضا الله رب الأرض والسموات.

وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

إلا وحياً أو من وراء حجاب : أي إعلاما خفيا سريعا فى يقظة أو منام، أو يكلمه من وراء حجاب فيسمع الكلام ولايرى الذات.

أو يرسلوا رسولا : أي أو يرسل ملكاً فى صورة إنسان فيكلمه مبلغا عن الله تعالى.

إنه علي حكيم : أي الله تعالى ذو علو على سائر خلقه حكيم فى تدبير خلقه.

وكذلك أوحينا إليك : أي كما كنا نوحى إلى سائر رسلنا أوحينا اليك يامحمد هذا القرآن.

روحاً من أمرنا : أي وحيا ورحمة من أمرنا الذى نوحيه إليك.

ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان : أي لم تكن قبل تدرى أي شىء هو الكتاب، ولا الإيمان الذى هو قول وعمل واعتقاد.

ولكن جعلناه نوراً نهدى به : أي جعلنا القرآن نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا الى صراطنا.

وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم : أي الإسلام.

ألا إلى الله تصير الأمور : أي ترجع أمور جميع العباد في يوم القيامة إلى الله تعالى

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾[1] يخبر تعالى أنه ليس من شأن البشر كائنا من كان أن يكلمه الله تعالى إلا وحيا بأن يعلمه بطريق سريع خفي إلهاماً أو مناماً فيفهم عن الله تعالى ماألقاه فى روعه[2] جازما أنه كلام الله ألقاه اليه،هذه طريقة وثانية أن يكلمه الله تعالى فيسمعه كلامـه بدون أن يرى ذاتـه كمـا كلم موسى عليه السلام غير مرة. وثالثة أن يرسل إليه رسولاً كجبريل عليه السلام فيبلغه كلام ربه تعالى هذا معنى قوله تعالى ﴿ ماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل[3] رسولا فيوحى بإذنه مايشاء إنه عليّ ﴾ أي ذوعلوعلى خلقه ﴿حكيم﴾ فى تدبيره لخلقه.

وقوله : وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا أى كما كنا نوحى إلى سائر رسلنا أوحينا إليك يامحمد روحاً وهو القرآن وسمى روحاً لأن القلوب تحيا به كما تحيا الأجسام بالأرواح، وقوله

---

(١) روى غير واحد أن الآية نزلت رداً على قوله من قال للنبي ﷺ الا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك وجائز أن يكون اليهود الذين أشاروا بهذا على كفار قريش وجائز أن يكون اليهود هم القائلون له.

(٢) الروع بضم الراء القلب أو العقل، وبالفتح الفزع. وفي الحديث إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب والحديث صحيح. وأدرج بعضهم خذوا ما حل ودعوا ما حرم.

(٣) اختلف الفقهاء فيمن حلف الا يكلم فلانا فكتب إليه أو أرسل إليه رسولا فهل يحنث؟ أوجه الأقوال أنه إذا اشترط المشافهة في حلفه أنه لا يحنث وإن لم يشترطها يحنث ولا يحنث إن سلم عليه في الصلاة أما في خارجها فإنه يحنث.

﴿من أمرنا﴾[1] أي الذى نوحيه إليك الشامل للأمر والنهى والوعد والوعيد وقوله تعالى : ﴿وماكنت تدرى ما الكتاب﴾ أى القرآن ﴿ولا الإيمان﴾[2] الذى هو عقيدة وقول وعمل. وقوله : ﴿ولكن جعلناه نوراً﴾ أي جعلنا القرآن نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا إلى الإيمان بنا وتوحيدنا وطلب مرضاتنا بفعل محابّنا وترك مساخطنا.

وقوله : وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم أى وانك يارسولنا لتهدي إلى صراط مستقيم الذى هو الدين الإسلامى وقوله ﴿ صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض ﴾ أى خلقا وملكا وعبيداً ﴿ وإلى الله تصير الأمور ﴾ أى وإليه تعالى مصير كل شيء، ومرد كل شيء إذ هو المالك الحق والمدبر لأمر المخلوقات كلها، ولذا وجب تفويض الأمر إليه والرضا بحكمه وقضائه ثقة فيه وفى كفايته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان طرق الوحى وهى ثلاثة الأولى الإلقاء فى الروع يقظة أو مناماً والثانية أن يكلم الله النبي بدون أن يرى ذاته عز وجل كما كلم موسى فى الطور وكلم محمداً ﷺ فى الملكوت الأعلى والثالث أن يرسل إليه الملك إما فى صورته الملائكية أو فى صورة رجل من بنى آدم فيوحى إليه ماشاء الله أن يوحيه من أمره.

٢ ـ القرآن الكريم روح تحيا به القلوب الميتة كما تحيا الأجسام بالأرواح.

٣ ـ القرآن نور يستضاء به فى الحياة فتعرف به طرق السعادة وسبل النجاة.

---

(١) أي من شاننا العظيم المقتضي الإيحاء إليك بالقرآن الحاوي للشرائع والأحكام وأنواع الهدايات المكملة للإنسان الآخذ بها المسعدة له في الحياتين.

(٢) المنفي من الإيمان هو التفصيلي أما الإجمالي فقد ولد ﷺ مؤمناً موحداً، ولذا لم يقل وماكنت مؤمناً فالمنفي شرائع الإيمان وتفاصيله.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

مكيّـــــــة وآياتها تسع وثمانـــون آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ

شرح الكلمات :

حم : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب حم ويقرأ: حَامِيمْ

والكتاب المبين : أي والقرآن الموضح لطريق الهدى وسبيل السلام.

إنا جعلناه قرآنا عربيا : أي جعلناه قرآنا بلسان العرب يقرأ بلسانهم ويفهم به.

لعلكم تعقلون : أي رجاء أن تعقلوا أيها العرب، ماتؤمرون به وماتنهون عنه.

وإنه فى أم الكتاب لدينا : أي فى اللوح المحفوظ كتاب المقادير كلِّها عندنا.

لعلي حكيم : أي لذو علو وشأن على الكتب قبله لايوصل إلى مستواه فى علوه ورفعته حكيم أى ذو حكمة بالغة عاليه لايرام مثلها.

افنضرب عنكم الذكر صفحا : أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحا أي لاننزل القرآن بأمركم ونهيكم ووعدكم ووعيدكم.

أنْ كنتم قوماً مسرفين : لأن كنتم قوماً مسرفين متجاوزين الحد في الشرك والكفر كلا لانفعل.

وكم أرسلنا من نبى فى الأولين : أي وكثيراً من الأنبياء أرسلناهم فى القرون الأولىٰ من الأمم الماضية.

فأهلكنا أشد منهم بطشا : أي فأنزلنا عذابنا بأشدهم قوة وبطشا من قومك فأهلكناهم.

ومضى مثل الأولين : أي ومضى فى الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين.

معنى الآيات :

حـم الله أعلم بمراده به، والكتاب المبين[١] أى والقرآن الموضح لكل ماينجى من عذاب الله ويكسب جنته ورضاه وهذا قسم أقسم الله به، والمقسم عليه قوله : ﴿إنا جعلناه قرآنا عربياً﴾ أى جعلنا الكتاب المبين الذى هو القرآن عربياً أى بلسان العرب ولغتهم.

وقوله ﴿لعلكم تعقلون﴾ بيان للحكمة في جعل القرآن عربياً أي كي تعقلوا معانيه وتفهموا مراد الله منزله منه فيما يدعوكم إليه فيسهل عليكم العمل به فتكملوا وتسعدوا وقوله ﴿وإنه﴾ أى القرآن ﴿فى أم الكتاب﴾ أى اللوح المحفوظ لدينا عندنا ﴿لعلي﴾ أي ذو علو وشأن على سائر الكتب قبله حكيم ذو حكمة بالغة عالية لايرام مثلها.

وقوله تعالى : ﴿أفنضرب[٢] عنكم الذكر صفحا أن كنتم[٣] قوما مسرفين﴾ أي أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحا فلا ننزل القرآن حتى لاتؤمروا ولاتنهوا من أجل أنكم قوم مسرفون فى الشرك والكفـر والتكـذيب كلا لانفعـل إذا الاستفهام للانكار عليهم وقوله ﴿وكم أرسلنا من[٤] نبى فى الأولين﴾ أي وكثيرا من الأنبياء أرسلنا فى الأمم السابقة وما يأتيهم من نبيّ إلا كانوا به يستهزئون أي ما أتى أمة من تلك الأمم رسول منا إلا سخروا منه واستهزأوا به، وبما جاءهم به من الإيمان والتوحيد ودعاهم إليه من فعل الصالحات وترك المحرمات إذاً فاصبر على قومك فإنهم سالكون سبيل من سبقهم فى الكفر والتكذيب والسخرية والاستهزاء. وقوله تعالى : ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا﴾ أي أهلكنا من هم أشد بطشا فى تلك الأمم الماضية لما كذبوا رسلنا واستهزأوا بهم فكيف بهؤلاء الذين هم أضعف منهم وأقل قوة وقدرة فأحرى بهم أن لايمتنعوا من عذابنا متى أردنا إنزاله بهم. وقوله ﴿ومضى مثل الأولين﴾ أي مضى فى الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين كقوم عاد وثمود واصحاب مدين والمؤتفكات ألم يكن لقومك فى ذلك عبرة لو كانوا يعتبرون؟.

---

(١) الكتاب هو القرآن أقسم به تعالى للإعلان عن مكانته وعلو شأنه وجعلهُ قرآناً يقرأ بلسان العرب مكتوباً في سطورهم، ومحفوظاً في صدورهم للعلة الحكيمة التي تضمنها قوله ﴿لعلكم تعقلون﴾.

(٢) الفاء للتفريع والاستفهام إنكاري أي أتحسبون ان إعراضكم عما نزل من هذا الكتاب يبعثنا على أن نقطع عنكم تجدد التذكير بإنزال شيء آخر من القرآن؟ كما لا يجوز أن نضرب عنكم صفحاً فلا ننزل القرآن من أجل إسرافكم في الشرك والتكذيب، والصفح :الإعراض بصفح الوجه أي جانبه وهو أشد الإعراض.

(٣) قرأ نافع ﴿إن كنتم﴾ بكسر الهمزة وقرأ حفص ﴿أن كنتم﴾ بأن المصدرية. وإقحام «قوماً» إشارة إلى ان الإسراف صار طبعاً لهم لا يفارقهم.

(٤) كم أرسلنا إلى قوله إلى الأولين تضمن الكلام الإلهي أمرين الأول تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين والثاني تهديد المشركين المسرفين بأنهم يتعرضون للهلاك الذي تعرضت له أمم قبلهم أشد منهم بطشاً وأكثر منهم قوة فأهلكوا وبقوا أثراً بعد عين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية الإقسام بالله تعالى .

٢ ـ بيان شرف القرآن الكريم وعلو مكانته على سائر الكتب السابقة .

٣ ـ كون الناس مسرفين فى الشرك والفساد لايمنع وعظهم ونصحهم وارشادهم .

٤ ـ بيان سنة بشرية وهى أنهم مايأتيهم من رسول إلا استهزأوا به .

٥ ـ فى إهلاك الأقوى دليل على أن إهلاك من هو دونه أُحرى وأوْلى لاسيما مع شدة كفره .

﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾
وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

ولئن سألتهم : أي ولئن سالت هؤلاء المشركين من قومك يارسولنا .

من خلق السموات والأرض : أي من بدأ خلقهنّ وأوجدهن ليقولن خلقهن الله ذو العزة والعلم .

الذى جعل لكم الأرض مهاداً[1] : أي الله الذى جعل لكم الأرض فراشا كالمهد للصبى .

(١) قرأ نافع مهاداً وقرأ عاصم مهداً . والمهاد اسم للشيء يمهد أي يوطأ ويسهل لما يحل فيه . والمهد مَراد به هنا المهاد .

وجعل لكم فيها سبلا : أي طرقا.
لعلكم تهتدون : أي إلى مقاصدكم فى أسفاركم.
ماء بقدر : أي على قدر الحاجة ولم يجعله طوفاناً مغرقاً ومهلكاً.
فأنشرنا به بلدة ميتا : أي فَأَحْيَيْنَا به بلدة ميتا أى لانبات فيها ولازرع
كذلك تخرجون : أي مثل هذا الإحياء للأرض الميتة بالماء تحيون أنتم وتخرجون من قبوركم.
والذى خلق الأزواج كلها : أي خلق كل شىء إذا الأشياء كلها زوج ولم يعرف فرد إلا الله.
وجعل لكم من الفلك والأنعام : أي السفن، والإبل.
لتستووا على ظهوره : أي تستقروا على ظهور ماتركبون.
وما كنا له مقرنين : أي مطيقين ولاضابطين.
وإنا إلى ربنا لمنقلبون : أي لصائرون إليه راجعون.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى دعوة المشركين إلى التوحيد بقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم﴾ أي ولئن سألت يارسولنا هؤلاء المشركين من قومك قائلًا من خلق السموات والأرض أى من أنشأهن وأوجدهن بعد عدم لبادروك بالجواب قائلين الله ثم هم مع اعترافهم بربوبيته تعالى لكل شيء يشركون فى عبادته أصناماً وأوثاناً. فى آيات أخرى صرحوا باسم الجلالة الله وفى هذه الآية قالوا: العزيز العليم[1] أى الله ذو العزة التي لاترام والعلم الذى لايحاط به. وقوله تعالى : ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً﴾ أى فراشاً وبساطاً[2] كمهد الطفل وهذا من كلام الله تعالى لامن كلام المشركين إذْ انتهى كلامهم عند العزيز العليم فلما وصفوه تعالى بصفتي العزة والعلم ناسب ذلك ذكر صفات جليلة أخرى تعريفاً لهم بالله سبحانه وتعالى فقال تعالى : ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً﴾ أي بساطا وفراشاً، وجعل لكم فيها سبلًا أى طرقاً لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم لنيل حاجاتكم فى البلاد هنا وهناك، والذى نزل من السماء ماء بقدر وهو المطر بقدر أي بكميات موزونة على قدر الحاجة منها فلم تكن ضحلة قليلة لاتنفع ولا طوفانا مغرقا مهلكا، وقوله

---

(١) من الجائز أن يكون العزيز العليم من قول المشركين إذ هم لا ينكرون عزة الله وعلمه وقدرته كما درجنا عليه في التفسير إذ هو الظاهر من اللفظ والسياق وجائز أن يكون من قول الله تعالى وهما صفتان لاسم الجلالة (الله) الذي أجابوا به في غير آية من القرآن ثم ذكر من صفاته الموجبة لعبادته وحده دون من سواه فذكر ست صفات من صفات الجلال والكمال وهي متضمنة إنعامه وإفضاله على عباده بخلقهم ورزقهم.
(٢) كون الأرض مهداً لا ينافي كون جسمها كروياً.

﴿فأنشرنا﴾[1] أي أحيينا بذلك المطر بلدة ميتا أي أرضا يابسة لانبات فيها ولازرع. وقوله ﴿كذلك تخرجون﴾[2] أى مثل ذلك الأحياء للأرض الميتة يحييكم تعالى ويخرجكم من قبوركم أحياء. وقوله ﴿والذى خلق الأزواج كلها﴾ هذا وصف آخر له تعالى بأنه خلق الأزواج كلها من الذكر والأنثى، والخير والشر والصحة والمرض، والعدل والجور، إذْ لافرد إلا هو سبحانه وتعالى وفى الحديث الصحيح الله وتر يحب الوتر قل هو الله أحد وقوله ﴿جعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون﴾ هذا وصف آخر بصفاته الفعلية الدالة على وجوده وقدرته وعلمه والموجبة لألوهيته إذ جعل للناس من الفلك أى السفن مايركبون ومن الأنعام كالإبل ومن البهائم كالخيل والبغال والحمير كذلك وقوله ﴿لتستوا على ظهوره﴾ أى تستقروا على ظهوره أى ظهور ماتركبون، ثم تذكروا نعمة ربكم بقلوبكم إذا استويتم عليه وتقولوا بألسنتكم سبحان الذى سخر لنا هذا أى الله لنا واقدرنا على التحكم فيه، وما كنا له أى لذلك الحيوان المركوب بمقرنين أى بمطيقين ولاضابطين لعجزنا وقوته، ﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ أى لصائرون إليه بعد موتنا راجعون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير التوحيد بذكر صفات الربوبية المقتضية للألوهية.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣ ـ معجزة القرآن فى الأخبار بالزوجية وقد قرر العلم الحديث نظام الزوجية وحتى فى الذرة فهى زوج موجب وسالب.

٤ ـ مشروعية التسمية والذكر عند ركوب مايركب فإن كان سفينة أو سيارة قال العبد بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم، وإن كان حيوانا قال عند الشروع باسم الله وإذا استوى قاعداً: سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون.[3]

---

(١) أصل النشر البسط لما كان مطوياً وأريدَ به هنا إحياء الأرض بالنبات بعد محلها ويبسها وحسن إطلاق لفظ النشر لانتشار الحياة فيها بالنباتات.

(٢) ﴿وكذلك تخرجون﴾ أي إن إحياءكم بعد موتكم وخروجكم من الأرض منتشرين فيها كإحياء الأرض بالمطر وانتشار النباتات والزروع فيها فبأي حق تنكرون البعث وتكذبون به؟.

(٣) روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي أن علياً رضي الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ثم حمد الله ثلاثاً وكبر الله ثلاثاً ثم قال سبحانك لا إله إلا الله ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقيل له مما ضحكت؟ فقال رأيت رسول الله فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مما ضحكت يا رسول الله فقال ﷺ يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال ربي اغفرلي ويقول علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري.

وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾
وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

وجعلوا له من عباده جزءاً : أى وجعل أولئك المشركون المقرون بأن الله هو الذى خلق السموات والأرض من عباده جزءاً إذ قالوا الملائكة بنات الله .

إن الإنسان لكفور مبين : أي إن الإنسان المعترف بان الله خلق السموات وجعل من عباده جزءاً هذا الإنسان لكفور مبين أي لكثير الكفر بينه .

وأصفاكم بالبنين : أي خصكم بالبنين وأخلصهم لكم .

بما ضرب للرحمن مثلا(١) : أي بما جعل للرحمن شبها وهو الولد.

(١) المراد من المثل : الأنثى بدليل قوله تعالى في سورة النحل ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ .

ظل وجهه مسودا وهو كظيم : أي أقام طوال نهاره مسود الوجه من الحزن وهو ممتلىء غيظاً.
أو من يُنْشَأ فى الحلية : أي أيجترئون على الله ويجعلون له جزءاً هو البنت التى تربى فى الزينة.
وهو فى الخصام غير مبين : أي غير مظهر للحجة لضعفه بالأنوثة.
عباد الرحمن إناثا : أي لأنهم قالوا بنات الله.
أشهدوا خلقهم : أي أحضروا خلقهم عندما كان الرحمن يخلقهم.
ستكتب شهادتهم : أي سيكتب قولهم إن الملائكة إناثاً.
ويسألون : أي يوم القيامة عن شهادتهم الباطلة ويعاقبون عليها.
مالهم بذلك من علم : أي دعواهم أن الله راض عنهم بعبادة الملائكة لا دليل لهم عليه ولا علم.
إن هم إلا يخرصون : أي ماهم إلا يكذبون يتوارثون الجهل عن بعضهم بعضا.
أم آتيناهم كتابا من قبله : أي أم انزلنا عليهم كتابا قبل القرآن.
فهم به مستمسكون : أي متمسكون بما جاء فيه، والجواب لم يقع ذلك أبداً.
بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة : أي إنهم لا حجة لهم إلا التقليد الأعمى لآبائهم.
وإنا على آثارهم مهتدون : أي علي طريقتهم وملتهم ماشـون وهى عبادة غير الله من الملائكة وغيرهم من الأصنام والأوثان.
إلا قال مترفوها : أي متنعموها.
إنا وجدنا آباءنا على أمة : أي ملّة ودين.
وإنا على آثارهم مقتدرون : أي على طريقهم متبعون لهم فيها.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة المشركين إلىٰ التوحيد، والمكذبين إلىٰ التصديق فقال تعالىٰ مُنكراً عليهم باطلهم موبخاً لهم علىٰ اعتقاده والقول به، فقال ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾ أي وجعل أولئك المشركون الجاهلون لله جزءاً أي نصيباً من خلقه حيث قالوا الملائكة بنات الله، وهذا من أكذب الكذب وأكفر الكفر إذ كيف عرفوا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله، وأنهم يستحقون العبادة مع الله فعبدوهم؟ حقاً إن الإنسان لكفور مبين[1] أي كثير الكفر وكبيره وبينه لايحتاج فيه إلى دليل وقوله تعالى : ﴿أم[2] اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم[3] بالبنين﴾ أي أتقولون أيها المشركون المفترون اتخذ الله مما يخلق من

---

(١) قال الحسن يعد المصائب وينسى النعم ومبين معناه مظهر للكفر.
(٢) أم اتخذ الميم صلة أي زائدة لتقوية الكلام والاستفهام للتوبيخ والتأنيب.
(٣) ﴿أصفاكم﴾ قال القرطبي : اختصكم وأخلصكم بالبنين يقال اصفيته بكذا أي آثرته به وأصفيته الود أخلصته له.

المخلوقات بناتٍ، وخصكم بالبنين، بمعنى أنه فضلكم على نفسه بالذكور الذين تحبون ورضي لنفسه بالإناث اللاتى تبغضون. عجباً منكم هذا الفهم السقيم. وقوله تعالى وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا أي بما جعل لله شبها وهو الولد ظَلَّ وجهه مسودا وهو كظيم، أي إن هؤلاء الذين يجعلون لله البنات كذبا وافتراء، إذا ولد لأحدهم بنت فبشر بها أى أخبر بأن امرأته جاءت ببنت ظل وجهه طوال النهار مسوداً من الكآبة والغم وهو كظيم أى ممتلىء غماً وحزناً. وقوله تعالى : ﴿أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين﴾[1] ينكر تعالى عليهم ويوبخهم على كذبهم وسوء فهمهم فيقول : أيجترئون ويبلغون الغاية فى سوء الأدب ويجعلون لله من يربى فى الزينة لنقصانه وهو البنات، وهو فى الخصام غير مبين لخفة عقله حتى قيل ما أدلت امرأة بحجة الا كانت عليها لالها. فقوله ﴿غير مبين﴾ أي غير مظهر للحجة لضعفه بالخِلقة وهى الأنثى والضمير عائد على من فى قوله ﴿أو من ينشأ[2] فى الحلية﴾ أى الزينة.

وقوله تعالى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد[3] الرحمن إناثاً﴾ أي حيث قالوا الملائكة بنات الله وعبدوهم لذلك طلبا لشفاعتهم والانتفاع بعبادتهم. قال تعالى : موبخالهم مقيما الحجة على كذبهم أشهدوا خلقهم أى أحضروا خلقهم عندما كان الله يخلقهم، والجواب لا، ومن أين لهم ذلك وهم مازالوا لم يخلقوا بعد ولا آباؤهم بل ولا آدم أصلهم عليه السلام وقوله تعالى ﴿أى ستكتب شهادتهم﴾ هذه وهى قولهم إن الملائكة بنات الله ويسألون عنها ويحاسبون ويعاقبون عليها بأشد أنواع العقاب، لأنها الكذب والافتراء، وعلى ؟ إنه على الله، والعياذ بالله وقوله تعالى : ﴿وقالوا لو شاء الرحمن[4] ماعبدناهم﴾. أي قال أولئك المشركون المفترون لمن أنكر عليهم عبادة الملائكة وغيرها من الأصنام قالوا: لو شاء الرحمن منا عدم عبادتهم ماعبدناهم. قال تعالى فى الرد عليهم ﴿ مالهم بذلك من علم﴾ أي ليس لهم أي علم برضا الله تعالى بعبادتهم لهم، ماهم فى قولهم ذلك إلا يخرصون أى يقولون بالخرص والكذب إذ العلم يأتى من طريق الكتاب أو النبى ولاكتاب عندهم ولانبى فيهم قال بقولتهم، ولذا قال تعالى منكراً

(١) أي في المجادلة والإدلاء بالحجة قال قتادة ما تكلمت امرأة ولها حجة إلا جعلتها على نفسها.

(٢) في الآية دليل على جواز لبس الذهب والحرير للنساء وهو إجماع إلا أن بعض السلف كان ينزه بناته عنه لقول أبي هريرة إياكِ يابنية والتحلي بالذهب فإني أخاف عليك اللهب، وقرأ نافع ﴿ينشأ﴾ وقرأ حفص ﴿ينشّأ﴾ فالأول بتخفيف الشين والثاني بتشديدها الأول من: أنشأ والثاني من نشأ.

(٣) قرأ نافع عند الرحمن وقرأ حفص عباد الرحمن ولا منافاة والملائكة عند الرحمن في الملكوت الأعلى في حضرة القدس يتلقون خطاب الله مباشرة بلا واسطة وهم في واقع الأمر عباد الرحمن وجملة (الذين هم عند الرحمن إناثاً) صفة للملائكة فهي في محل نصب.

(٤) قولهم منظور فيه إلى ان مشيئة الله وهي إرادته قسمان إرادة : كونيّة وإرادة تكليفية شرعية فالإرادة الكونية القدرية هذه لا تتخلف أبداً فما شاء الله كان والإرادة الشرعية التكليفية هي التي قد تتخلّف لأن الله تعالى وهب عبده إرادة واختياراً وبحسب ما يختاره يكون جزاؤه والمشركون لا علم لهم بهذا فلذا نفى عنهم العلم راداً باطلهم بجهلهم.

عليهم قولتهم الفاجرة ﴿أم آتيناهم كتابا فهم به مستمسكون﴾؟ لالا، ما آتاهم الله من كتاب ولا جاءهم قبل محمد من نذير إذا فلا حجة لهم إلا التقليد الأعمى للآباء والأجداد الجهال الضلال وهو ماحكاه تعالى عنهم فى قوله: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ أى ملة[1] ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ أى ماشون مقتفون آثارهم وقوله تعالى: ﴿وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير﴾ أي رسول إلا قال مترفوها أى متنعموها بنضارة العيش وغضارته ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ أي ملة ودين ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾ أي متبعون لهم فيها. فهذه سنة الأمم قبل أمتك يارسولنا فلا تحزن عليهم ولاتك في ضيق بما يقولون ويعتقدون ويفعلون أيضا. وهو معنى قوله تعالى ﴿وكذلك ما ارسلنا من قبلك﴾ إلى آخر الآية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير صفة من صفات الإنسان قبل شفائه بالإيمان والعبادة وهى الكفر الواضح المبين.

٢ - وجوب إنكار المنكر ومحاولة تغييره فى حدود مايسمح به الشرع وتتسع له طاقة الإنسان.

٣ - بيان حال المشركين العرب فى الجاهلية من كراهيتهم البنات خوف العار وذلك لشدة غيرتهم.

٤ - بيان ضعف المرأة ونقصانها ولذا تكمل بالزينة، وان النقص فيها فطرى في البدن والعقل معاً.

٥ - بيان ان من قال قولاً وشهد شهادة باطلة سوف يسأل عنها يوم القيامة ويعاقب عليها.

٦ - حرمة القول على الله بدون علم فلا يحل أن يُنسب إلى الله تعالى شىء لم ينسبه هو تعالى لنفسه.

٧ - حرمة التقليد للآباء وأهل البلاد والمشايخ فلا يقبل قول إلا بدليل من الشرع.

۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ
إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ
إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ

---

(١) لفظ الأمة هنا يراد به الدين والملة والطريقة أيضاً ومن شواهد ذلك:

كنّا على أمة آبائنا ويقتدي الآخر بالأول

وهل يستوي ذو أمة وكفور؟

مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم : قال لهم رسولهم : أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بأهدى أي بخير مما وجدتم عليه آباءكم هداية إلى الحق والسعادة والكمال.

قالوا إنابما أرسلتم به كافرون : أي قال المشركون لرسلهم ردّاً عليهم إنا بما ارسلتم به كافرون أي جاحدون منكرون غير معترفين به.

فانظر كيف كان عاقبة المكذبين : أي كانت دماراً وهلاكاً إذاً فلا تكترث بتكذيب قومك يارسولنا.

وإذ قال إبراهيم : أى وأذكر إذ قال إبراهيم أبو الأنبياء خليل الرحمن

إننى براء مما تعبدون : أى برىء مما تعبدون من أصنام لاأعبدها ولا اعترف بها.

إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين : أي لكن الذى خلقنى فإني أعبده وأعترف به فإنه سيهدني أي يرشدنى إلى مايكملنى ويسعدنى في الحياة الدنيا وفى الآخرة.

وجعلها كلمة باقية فى عقبه(١) : أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» باقية دائمة فى ذريته إذ وصاهم بها كما قال تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه.

لعلهم يرجعون : أي رجاء أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى توحيده كلما ذكروها وهى لا إله إلا الله.

---

(١) لفظ العقب الوارد في الآية وفي الحديث الصحيح من أعمر عُمرى فهي له ولعقبه فإنها للذي أعطيها لا ترجع إلى الذي اعطاها لأنه اعطى عطاء وقعت فيه المواريث قال ابن العربي ترد هذه اللفظة على أحد عشر لفظاً وهي الولد والبنون والذرية والعقب والنسل والآل والقرابة والعشيرة والقوم والموالي.

بل متعت هؤلاء وآباءكم : أي هؤلاء المشركين وآباءهم بالحياة فلم أعاجلهم بالعقوبة.

حتى جاءهم الحق ورسول مبين : أي إلى أن جاء القرآن يحمل الدين الحق، ورسول مبين لاشك فى رسالته وهو محمد ﷺ يبين لهم طريق الهدى والأحكام الشرعية.

وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم : أي وقال هؤلاء المشركون الذين متعناهم بالحياة فلم نُعاقبهم، هَلَّا نزل هذا القرآن على أحد رجلين من قريتي مكة أو الطائف أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي فى الطائف.

أهم يقسمون رحمة ربك؟ : أي ينكر تعالى عليهم هذا التحكم والاقتراح الفاسد فقال أهم يقسمون رحمة ربك إذ النبوة رحمة من أعظم الرحمات. وليس لهم حق فى تنبئة أى أحد إذ هذا من حق الله وحده.

نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا : أي إذا كنا نحن نقسم بينهم معيشتهم فنغني هذا ونفقر هذا ونملك هذا ونعزل هذا، فكيف بالنبوة وهى أجل وأغلى من الطعام والشراب فنحن أحق بها منهم فننبىء من نشاء.

ليتخذ بعضهم بعضا سخريا : أي جعلنا هذا غنياً وذاك فقيراً ليتخذ الغنى الفقير خادما يسخره فى خدمته بأجرة مقابل عمله.

ورحمة ربك خير مما يجمعون : أي والجنة التى أعدها الله لك ولأتباعك خير من المال الذى يجمع هؤلاء المشركون الكافرون.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى قول المشركين لرسلهم: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ «ملة» ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾، قال مخبراً عن قول الرسول لأمته المكذبة المقلدة للآباء الظالمين ﴿قال[1]: أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ أى اتتبعون آباءكم ولاتتبعوني ولو جئتكم بأهدى إلى الخير والسعادة مما وجدتم عليه آباءكم، وهذا إنكار من الرسول عليهم فى صورة استفهام[2] وهو توبيخ أيضا إذ العاقل يتبع الهدى جاء به من جاء قريباً كان أو بعيداً. وقوله تعالى ﴿قالوا إنا بما أرسلتم[3] به كافرون﴾ هذا قول الأمم المكذبة المشركة لرسلهم أى كل أمة قالت هذا لرسولها: إنما بما أرسلتم به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء والشرع وأحكامه كافرون أي منكرون

---

(١) قرأ نافع والجمهور قل بصيغة الأمر وقرأ حفص قال بصيغة الماضي فيعود الضمير إلى نذير الذين قالوا ﴿إنا وجدنا آباءنا﴾.. الخ. وأما على قراءة نافع فهو أمر للرسول ﷺ ليقول للمشركين ما أمره ان يقوله لهم.

(٢) هذا الاستفهام تقريري إلا أنه مشوب بالإنكار والتوبيخ.

(٣) في قولهم هذا معنى التهكم برسلهم إذ أثبتوا لهم الرسالة وهم مكذبون بها كقول قريش مالِ هذا الرسول يأكل الطعام.

مكذبون غير مصدقين، قال تعالى: ﴿فانتقمنا منهم﴾[1] أي لتكذيبهم فأهلكناهم فانظر يارسولنا كيف كان عاقبتهم وهم المكذبون إنها دمار شامل وهلاك تام. وليذكر هذا قومك لعلهم يذكرون.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه[2] وقومه إننى براء مما تعبدون﴾ أي واذكر يارسولنا لقومك قول إبراهيم الذى ينتسبون إليه باطلا لأبيه وقومه: إنني براء مما تعبدون أي إنى برىء من آلهتكم التى تعبدونها فلا أعبدها ولا اعترف بعبادتها. وقوله ﴿إلا الذى فطرنى﴾ أي لكن اعبد الله الذى خلقنى فهو أحق بعبادتى مما لم يخلقني ولم يخلق شيئا وهو مخلوق أيضا. وقوله فإنه سيهدين أي يرشدنى دائما إلى مافيه سعادتى وكما لى. وقوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون﴾ أي وجعل براءته من الشرك والمشركين، وعبادته خاصة بالله رب العالمين جعلها كلمة باقية فى ذريته حيث وصاهم بها كما جاء ذلك فى سورة البقرة إذ قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾ أي بأن لايعبدوا إلا الله وهى إذاً كلمة لا إله إلا الله ورثها إبراهيم فى بنيه لعلهم يرجعون إليها كلما غفلوا ونسوا وتركوا عبادة الله تعالى والإنابة إليه بعوامل الشر والفساد من شياطين الإنس والجن فيذكرون ويتوبون إلى الله تعالى فيوحدونه ويعبدونه فجزى الله إبراهيم عن المؤمنين خيراً. وقوله تعالى: ﴿بل متعت[3] هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ أي بل لم يتحقق ماترجاه إبراهيم كاملا إذا أشرك من بنيه من أشرك ومنهم هؤلاء المشركون المعاصرون لك أيها الرسول وآباءهم، ومتعهم بالحياة حتى جاءهم الحق الذى هو هذا القرآن يتلوه هذا الرسول المبين أى الموضح لكل الأحكام والمبين لكل الشرائع. ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون هكذا قالت قريش لما جاءها الحق الذى هو القرآن الحامل للشرائع والأحكام والرسول المبين لذلك والموضح له قالوا هذا سحر يسحرنا به، وإنا به أى بالقرآن والرسول كافرون أى جاحدون منكرون مكذبون وقالوا أبعد من ذلك فى الشطط والغلط وهوماحكاه تعالى عنهم فى قوله: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ أي هلاّ نزل هذا القرآن على رجل شريف ذى مكانه مثل الوليد بن المغيرة[4] فى مكة أو عروة بن مسعود فى الطائف

---

(١) الفاء للتفريع وفي الآية تهديد ووعيد لكفار قريش بأن يحل بهم ما حل بالمكذبين قبلهم.

(٢) لما ادعى المشركون أنهم مقلدون آبائهم في الدين ذكر لهم ما ينبغي أن يقلدوه من آبائهم هو إبراهيم وإسماعيل وإلا فليس الأمر كما يدعون وإنما هم متبعون أهواءهم.

(٣) بل للإضراب الإبطالي أي لم يحصل ما رجاه إبراهيم كاملا بل هناك من لم يرجع إلى التوحيد من ذرية ابراهيم إذ جاء عمرو بن لحيّ بالأصنام وعبدها آباء هؤلاء وهم لها عابدون حتى مجيء الحق ورسوله محمد ﷺ.

(٤) هذا المشهور من الأقوال في الرجلين ومنهم من قال هما عمير بن عبدياليل الثقفي من الطائف وعتبة بن ربيعة من مكة وهو قول مجاهد، وقيل عظيم الطائف هو حبيب بن عمرو أما القريتان فلا خلاف في أنهما مكة والطائف لكونهما أكبر مدن تهامة.

وهـذه نظرة مادية بحتـة إذ رأوا أن الشرف بالمال، ولما كان محمد ﷺ لامال له ولاثراء رأوا أنه ليس أهلا للرسالة ولا للمتابعة عليها، فرد تعالى عليهم نظريتهم المادية الهابطة هذه بقوله : ﴿أهم[1] يقسمون رحمة ربك﴾؟ أما يخجلون عنـدمـا قـالـوا أهم يقسمون رحمة ربك فيعطون منها من شاءوا ويمنعون من شاءوا أم نحن القاسمون؟ إنا قسمنا بينهم معيشتهم : طعامهم وشرابهم وكساهم وسكنهم ومركوبهم فى الحياة الدنيا فالعاجز حتى عن إطعام نفسه وسقيها وكسوتها كيف لايستحي أن يعترض على الله فى اختياره من هو أهل لنبوته ورسالته؟ وقوله تعالى : ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ أي فى الرزق فهذا غنى وذاك فقير من أجل أن يخدم الفقير الغنى وهو معنى قوله تعالى : ﴿ليتخذ بعضهم[2] بعضا سخريا﴾، إذ لو كانوا كلهم اغنياء لما خدم أحد أحداً وتعطلت الحياة وقوله تعالى : ﴿ورحمة ربك﴾ أى الجنة دار السلام خير مما يجمعون من المال الذى فضلوا اهله وإن كانوا من أحط الناس قدرا وأدناهم شرفا. ورأوا أنهم أولى بالنبوة منك لمرض نفوسهم بحب المال والشهوات.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ من الكمال العقلى ان يتبع المرء الهدى ولو خالفه قومه وأهل بلاده.

٢ ـ وجوب البراءة من الشرك والمشركين وهذا معنى لا إله إلا الله.

٣ ـ فضيلة من يورث أولاده هدى وصلاحاً.

٤ ـ لايعترض على الله أحد فى شرعه وتدبيره إلا كفر والعياذ بالله تعالى.

٥ ـ بيان الحكمة فى الغنى والفقر، والصحة والمرض والذكاء والغباء.

وَلَوْلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾
وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن

(١) الاستفهام انكاري متضمن التوبيخ لهؤلاء الزاعمين اختيار من شاءوا للاصطفاء والرسالة فعلموا انه لا حق لهم في هذا الاختيار إذ هم لا خيار لهم حتى في طعامهم وشرابهم فضلا عن اختيار من يرسل ومن لا يرسل.

(٢) الجملة تعليلية للتفاضل في الرزق أي فاضل بينهم في الغنى والفقر ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً أي يستخدم الغني الفقير في قضاء حاجته وليأخذ الفقير منه ما يسد به حاجته والسخرى هنا بمعنى التسخير للعمل وليس بمعنى السخرية والاستهزاء إذ أجمع السبعة على قراءة ضم السين وعدم كسرها.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

شرح الكلمات :

أمة واحدة : أي على الكفر.

ومعارج : أي كالسلم والمصعد الحديث والمعارج جمع معرج وهو المصعد.

عليها يظهرون : أي يعلون عليها إلى السطوح.

وزخرفا : أي ذهباً أي لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة وذهب وكذلك الأبواب والمصاعد والسرر بعضها من فضه وبعضها من ذهب.

وان كل ذلك : أي وما كل ذلك المذكور.

لما متاع الحياة الدنيا : أي وماكل ذلك الا متاع الحياة الدنيا يتمتع به فيها ثم يزول.

والآخرة : أي الجنة ونعيمها خير لأهل الايمان والتقوى من متاع الدنيا.

معنى الآيات :

لما فضل تعالى الجنة على المال والمتاع الدنيوى فى الآيات السابقة قال هنا: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ أي على الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن (يعنى نفسه عز وجل) لبيوتهم سقفاً من فضة، ومعارج[1] عليها يظهرون[2] أى مراقى ومصاعد عليها يعلون الى الغرف والسطوح من فضه ولجعلنا كذلك لبيوتهم أبوابا وسرراً عليها يتكئون من فضة أيضا، وزخرفاً أى وذهبا أى بعض المذكور من فضة وبعضه من ذهب ليكون أجمل وأبهى من الفضة وحدها، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا أى وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا يتمتع به الناس ثم يزول ويذهب بزوالهم وذهابهم. والآخرة عند ربك أى الجنة ومافيها من نعيم مقيم للمتقين الذين آمنوا واتقوا الشرك والمعاصى وماعند الله خير مما عند الناس، ومايبقى خير مما يفنى، ولذا قال الحكماء لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف «طين» لاختار العاقل الآخرة على الدنيا، وهو اختيار مايبقى على مايفنى.

---

(١) المعارج السلم وجمع السلم سلاليم وواحد المعارج معرج ومعرج بكسر الميم وفتحها وهي المرقاة والجمع مراقي.

(٢) روي ان نابغة بن جعدة أنشد رسول الله ﷺ قائلا:

علونا السماء عزة ومهابة وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

فغضب الرسول ﷺ وقال: إلى أين؟ قال إلى الجنة قال «أجل ان شاء الله» وهنا قال الحسن : والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعل؟!

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ الميل إلى الدنيا وطلب متاعها فطرى فى الإنسان فلذا لو أعطيها الكافر بكفره لمال إليها كل الناس وطلبوها بالكفر.

٢ ـ هوان الدنيا على الله وعدم الاكتراث بها إذ قال رسول الله ﷺ لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ماسقى كافراً منها شربة ماء رواه الترمذى وصححه وفى صحيح مسلم: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.(١)

٣ ـ بيان أن الآخرة خير للمتقين.

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

ومن يعش عن ذكر الرحمن : أي يعرض متعاميا متغافلا عن ذكر الرحمن الذى هو القرآن متجاهلا له.

نقيض له شيطاناً : أي نجعل له شيطاناً يلازمه لإضلاله وإغوائه.

فهو له قرين : أي فهو أي من عشا عن ذكر الرحمن قرين للشيطان.

وإنهم ليصدُّونهم عن السبيل : أي وإن الشياطين المقارنين لهم ليصدونهم عن طريق الهدى.

ويحسبون أنهم مهتدون : أي ويحسب العاشون عن القرآن وحججه وعن ذكر الرحمن

---

(١) أنشد بعضهم في ذم الدنيا فقال:

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن   إذاً لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة   وقد شبعت فيها بطون البهائم

	وطاعته أنهم مهتدون أى انهم على الحق والصواب وذلك بتزيين القرين لهم .
بعد المشرقين	: أي كما بين المشرق والمغرب من البعد قال هذا تبرؤاً منه .
ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم	: أي ولن ينفعكم اليوم أيها العاشون إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصى .
انكم فى العذاب مشتركون	: اشتراككم فى العذاب غير نافع لكم .
أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى	: أي إنك يارسولنا لاتسمع الصم ، ولاتهدى العمى والقوم قد أصمهم الله وأعمى أبصارهم لأنهم عشوا عن ذكره .
ومن كان فى ضلال مبين	: أي كما انك لاتقدر على هداية من كان فى ضلال مبين عن الحق والهدى .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى عرض الهداية على الضالّين بالكشف عن أحوالهم واضاءة الطريق لهم قال تعالى : ﴿ومن يعش[١] عن ذكر الرحمن﴾ أي يعرض متعاميا متغافلا عن ذكر الرحمن الذى هو القرآن وعبادة الرحمن متجاهلا ذلك نقيض[٢] له شيطاناً أى نسبب له نتيجة إعراضه شيطاناً ونجعله له قرينا لايفارقه فى الدنيا ولافى الآخرة. فهو له قرين دائما. وقوله تعالى : ﴿وإنهم لَيَصُدُّونَهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون﴾ أي وان القرناء الذين جعلهم تعالى حسب سنته فى الأسباب والمسببات للعاشين عن ذكره يصدونهم بالتزيين والتحسين لكل المعاصى حتى انغمسوا فى كل إثم وولغوا فى كل باطل وشر، وضلوا عن سبيل الهدى والرشد ومع هذا يحسبون أنهم مهتدون وغيرهم هم الظالمون.

وقوله تعالى : ﴿حتى إذا جاءنا[٣]﴾ أي يوم القيامة قال العاشى عن ذكر الرحمن ياليت متمنيا بينى وبينك بعد المشرقين أي يتمنى لو أن بينه وبين قرينه من الشياطين من البعد كما بين المشرق والمغرب. قال تعالى لأولئك العاشين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصى فى الدنيا أنكم فى العذاب مشتركون أي إن اشتراككم فى العذاب غير نافع لكم ولا مجد ابداً. وقوله تعالى لرسوله : ﴿أفأنت[٤] تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال

---

(١) هذا مضارع عشا يعشوا عَشْواً كغزا (يغزوا) غزواً إذا نظر إلى الشيء نظراً غير ثابت يشبه نظر الأعشى والعشا بفتح العين والشين اسم ضعف العين عن رؤية الأشياء. وعشى كرضى إذا كان في بصره آفة العشا.

(٢) قيض يقيض تقييضاً فالتقييض: الإتاحة وتهيئة شيء لملازمة شيء لعمل حتى يتمه وهو مشتق من اسم جامد وهو قيض البيضة أي القشر المحيط بالمح ، وهو لا يفارقه حتى يخرج منها الفرخ فيتم ما اتيح له القيض.

(٣) قرأ نافع جاءانا أي من يعش عن ذكر الرحمن والشيطان المقيض له وقرأ حفص بالإفراد جاءنا أي العاشي عن ذكر الرحمن.

(٤) الاستفهام إنكاري وفي الآية تسلية لرسول الله ﷺ وتسجيل ان الكافر أصم أعمى ومقابله المؤمن يسمع ويبصر.

مبين﴾ ينكر تعالى على رسوله ظنه أنه يقدر على هدايتهم وحده بدون إرادة الله تعالى ذلك لهم إذ كان ﷺ يجتهد فى دعائهم، وهم لايزدادون إلا تعامياً وتجاهلا وكفراً فقال تعالى يخاطب رسوله ﴿أفأنت﴾ والاستفهام للانكار تسمع الصم الذين ذهب الله بأسماعهم، أو تهدى العمى الذين ذهب الله بأبصارهم، ومن كان فى ضلال مبين عن الحق وسبيل الرشد والهدى إنك لاتقدر على ذلك فهون على نفسك وترفق فى دعوتك فإنك لاتكلف غير البلاغ وقد بلغت.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان سنة الله تعالى فيمن يعرض عن ذكر الله فإنه يسبب له شيطانا يضله ويحرمه الهداية أبداً فيقيم على الذنوب والآثام ضالا الطريق المنجى المسعد وهو يحسب انه مهتدٍ، وهذا يتعرض له المعرضون عن الكتاب والسنة كالمبتدعة واصحاب الأهواء والشهوات والعياذ بالله تعالى.

٢ ـ الاشتراك في العذاب يوم القيامة لايخففه.

٣ ـ بيان أن من اعماه الله وأصمه حسب سنته فى ذلك لا هادى له ولا مسمع له ولامبصر.

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

فإما نذهبن بك : أي فإن نذهبن بك أي نميتك[1] قبل تعذيبهم، وما زائد ادغمت فيها إن الشرطية فصارت إمَّا.

فإنا منهم منتقمون : أي معذبوهم فى الدنيا وفى الآخرة.

وإما نرينك الذى وعدناهم : أي وإن نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب.

---

(١) أو بالخروج من مكة مكرهاً عليه من قبل أعدائك، وهجرة الرسول ﷺ ما كانت إلا بإرادته الحرة ولم يكن فيها مكرهاً ولا مُلجأً ولذا لم ينتقم الله من أهل مكة كما هو في التفسير.

فإنا عليهم مقتدرون : أي لايعوقنا عائق لأنا عليهم قادرون.
فاستمسك بالذى أوحي إليك : أي دم على استمساكك بالقرآن سواء عجلنا لك بالموعود به أو أخرناه.
إنك على صراط مستقيم : أي إنك على طريق الحق والهدى فواصل سيرك.
وإنه لذكر لك ولقومك : أي وإن القرآن لشرف لك وشرف لقومك.
وسوف تسألون : أي عن القرآن أى عن العمل به بتطبيق شرائعه وابلاغه لغيركم
وأسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا : أي اسأل مؤمنى أهل الكتابين التوراة والانجيل.
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون : أي هل جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون والجواب لم نجعل أبداً فليفهم هذا مشركو مكة.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى دعوة كفار قريش إلى الإيمان والتوحيد فقوله تعالى ﴿فإما نذهبن[١] بك﴾ أي إن نذهب بك أى نخرجك من بين أظهرهم فإنا منهم منتقمون أى فنعذبهم كما عذبنا الأمم من قبلهم عندما يخرجون رسولهم أو نرينك الذى وعدناهم من نصرك عليهم وغلبتك لهم فإنا عليهم مقتدرون أى قادرون على أن نفعل بهم ذلك.

وقوله تعالى : ﴿فاستمسك[٢] بالذى أوحي اليك إنك على صراط مستقيم﴾ أي فتمسك يارسولنا بما يأمرك به هذا القرآن الذى أوحاه إليك ربك إنك على صراط مستقيم وهو الإسلام الذى لايشقى من تمسك به فعاش عليه ومات عليه. وقوله تعالى : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ أي وان القرآن الذى أوحى إليك وأمرت بالتمسك به هو ذكر لك أي شرف وأى شرف ولقومك[٣] من قريش كذلك إذا آمنوا به وعملوا بما جاء فيه وسوف تسألون[٤] عن العمل به وتطبيق أحكامه والالتزام بشرائعه.

---

(١) الفاء تفريعية فالجملة متفرعة عما تقدم من قوله أفأنت تسمع الصم الخ والذهاب هنا قابل للموت والإخراج كرهاً بقرينة الوعيد المترتب عليه.

(٢) فاستمسك الفاء تفريعية عما قبلها والآية تحض على التمسك بالإسلام تشريعاً وعملاً.

(٣) هذه الآية كآية الأنبياء وهي : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ ومنشأ هذا الشرف هو أن قريشاً نزل القرآن بلغتها فكل الناس محتاجون إلى معرفة لغتهم ليعرفوا ما طلب منهم من عقائد وعبادات وآداب فبهذا شرفت قريش.

(٤) من فسر السؤال بالعمل هو حق وكذا من فسره بالشكر فهو حق لأن شكر العلم العمل به وتعليمه.

وقوله ﴿واسأل من[1] ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾؟ أي وأسأل يارسولنا مؤمني أهل الكتابين التوراه والانجيل إذْ سؤالهما سؤال رسلهم الذين ماتوا من قبلك هل جعل الله تعالى من دونه آلهة يعبدون؟ وسوف يجيبونك بقولهم حاشا لله أن يأذن بعباده غيره من خلقه وهو الله لا إله إلا هو، وهذا من أجل تنبيه أذهان قريش إلى خطأها الفاحش فى اصرارها على عبادة الأصنام إن القرآن نزل لهدايتهم وهداية غيرهم من بنى آدم على الإطلاق إلا أنهم هم أولاً وغيرهم ثانيا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ من سنة الله فى الأمم إذا أخرج الرسولَ قومُه مكرها انتقم الله تعالى له منهم فأهلكهم.

٢ ـ صدق وعد الله تعالى لرسوله فإنه ماتوفاه حتى أقر عينه بنصره على أعدائه.

٣ ـ وجوب التمسك بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً.

٤ ـ شرف هذه الأمة بالقرآن فإنْ أضاعَتْه اضاعها الله وأذلّها وقد فَعَلَ..

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾
وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَاهُم
بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ
الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾

---

(١) جائز أن يكون الكلام على ظاهره وأن النبي ﷺ قد جمع الله تعالى له العديد من الرسل والأنبياء في بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج وسألهم فأجابوا بالحق وهو أن الله تعالى لم يأذن أبداً في عبادة غيره وجائز أن يكون في الكلام حذف دل عليه واقع الحياة إذ لا يسأل الأموات وإنما يسأل الأحياء وتقدير المحذوف واسأل أتباع من أرسلنا من قبلك وهم مؤمنو أهل الكتابين من أتباع موسى وعيسى كما هو في التفسير.

شرح الكلمات :

ولقد ارسلنا موسى بآياتنا : أي أرسلناه بالمعجزات الدالة على صدق رسالته.
إلى فرعون وملإه : أي وقومه من القبط.
إذ هم منها يضحكون : أي سخرية واستهزاء.
ومانريهم من آية : أي من آيات العذاب كالطوفان.
إلا هى أكبر من أختها : أي من قرينتها التى قبلها من الآيات.
وقالوا يا أيها الساحر : أي أيها العالم بالسحر المتبحر فيه.
بما عهد عندك : أي من كشف العذاب عنا إن آمنا.
إنا لمهتدون : أي إن كشفت عنا العذاب إنا مؤمنون.
إذا هم ينكثون : أي ينقضون عهدهم فلم يؤمنوا.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا﴾ إيراد هذا القصص هنا كان لمشابهة حال قريش بحال فرعون من جهة إذْ قال رجال قريش لم لايكون الرسول من ذوى المال والجاه كالوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود وقال فرعون: أم أنا خير من هذا الذى هو مهين أي حقيريعنى موسى عليه السلام. ومن جهة أخرى كان لتسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر كما صبر موسى وهو أحد أولى العزم الخمسة فقال تعالى : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بحججنا الدالة على صدق موسى فى رسالته إلى فرعون وقومه بأن يعبدوا الله ويتركوا عبادة غيره، وان يرسلوا مع موسى بنى إسرائيل ليذهب بهم إلى أرض المعاد «فلسطين» فلما جاءهم قال إنى رسول رب العالمين جئتكم لآمركم بعبادة الله وحده وترك عبادة من سواه، إذ لايستحق العبادة إلا الله. فطالبوه بالآيات على صدق دعواه فلما جاءهم بالآيات العظام فاجأوه بالضحك منها والسخرية والاستهزاء بها وهو معنى قوله تعالى : ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾.[1]

وقوله تعالى : ﴿وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها﴾[2] أي ومانرى فرعون وملأه من آية إلا هى أكبر دلالة على صدق موسى من الآية التى سبقتها. قال تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم

---

(١) أي استهزاء وسخرية يوهمون أتباعهم ان تلك الآيات سحر وتخييل وأنهم قادرون على الإتيان بمثلها.
(٢) الأخوة هنا بمعنى المشاكلة والمجانسة النوعية كما يقال هذه صاحبة تلك أي قريبة منها في المعنى والكبر المراد به الكبر في الدلالة على صدق موسى وصحة دعوته إذ المعجزات تتفاوت في العظمة كما قال الشاعر:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسرى بها الساري

يرجعون الى الحق فيؤمنون ويوحدون. وقالوا لموسى ياأيها[1] الساحر أى العليم بالسحر المتبحر فيه ظنا منهم أن المعجزات كانت عمل سَاحِرٍ . أدع لنا ربك[2] بما عهد عندك إنا لمهتدون أى سل ربك يرفع عنّا هذا العذاب كالطوفان والجراد والقمل والضفادع إنا مؤمنون وكانوا كلما نزل بهم العذاب سألوا موسى ووعدوه بالإيمان به إن رفع الله عنهم العذاب وفى كل مرة ينكثون عهدهم وهو قوله تعالى ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ أي ينقضون العهد ولايؤمنون كما واعدوا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ الآيات دليل على صدق من جاء بها، ولكن لاتستلزم الإيمان ممن شاهدها.
٢ ـ قد يؤاخذ الله الأفراد أو الجماعات بالذنب المرة بعد المرة لعلهم يتوبون إليه.
٣ ـ حرمه خلف الوعد ونكث العهد، وأنهما من آيات النفاق وعلاماته.

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن
تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ
فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

---

(١) هذا النداء في هذا الموقف كان نداء تكريم وتعظيم كعادتهم في توقير وتعظيم علمائهم السحرة لأنهم لما أصابهم من البلاء اعترفوا بمكانة موسى وسيادته وأيُّهَ تكتب بدون ألف اتباعاً للمصحف وحذفت الألف نظراً إلى سقوطها في النطق للوصل والهاء حرف تنبيه أتي بها للفصل بين أي وبين نعتها في النداء.
(٢) هذا جرياً على اعتقاد الأقباط وهو أن لكل أمة أو قبيلة رباً خاصاً بها لذا قالوا لموسى أدع لنا ربك.

شرح الكلمات :

ونادى فرعون فى قومه : أي نادى فيهم افتخاراً وتبجحاً بما عنده.
وهذه الأنهار تجرى من تحتى : أي من النيل تجرى من تحت قصورى.
أفلا تبصرون : أي عظمتى وما أنا عليه من الجلال والكمال.
أم أنا خير : أي من موسى الذى هو مهين ولايكاد يبين أي يفصح لِلثُّغة التى في لسانه.
فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب : أي هَلاَّ ألقي عليه أسورة من ذهب من قِبَلِ الذى أرسله.
أو جاء معه الملائكة مقترنين : أي أو جاءت الملائكة يتبع بعضها بعضا تشهد له بالرسالة.
فاستخف فرعون قومه : أي استفز فرعون قومه أى قال لهم ماحركهم به فخفوا لطاعته.
إنهم كانوا قوماً فاسقين : أي أطاعوه لكونهم قوما فاسقين ففسقهم هو علة طاعتهم.
فلما آسفونا انتقمنا منهم : أي فلما أغضبونا انتقمنا منهم.
فجعلناهم سلفا : أي فرعون وقومه سلفاً أي سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم.
ومثلا للآخرين : أي يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل فعلهم.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى قصة موسى مع فرعون قال تعالى : ﴿ونادى فرعون[1] فى قومه﴾ لأجل الافتخار والتطاول إرهابا للناس قال ياقوم أليس لى ملك مصر، وهذه الأنهار أى أنهار النيل[2] تجرى من تحتى[3] أى من تحت قصوره، أفلا تبصرون فإذا ابصرتم فقولوا أنا خير[4] من هذا الذى هو مهين أى حقير يتولى الخدمة بنفسه، ولايكاد يبين أى يفصح بلسانه لعلة به وهى اللثغة أم هو؟. فلولا ألقى عليه أساورة[5] من ذهب أى هلاّ ألقى عليه من أرسله أساورة من ذهب أوبعث معه الملائكة مقترنين يشهدون له بالرسالة. قال تعالى : ﴿فاستخف قومه﴾ أى استفزهم بقوله هذا وحركهم فاطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين، والفاسق جبان خواف يستجيب بسرعة للباطل ان كان ممن يخاف عادة كالحاكم الظالم.

(١) قيل لما كشف الله عنهم العذاب بدعوة موسى أضمر فرعون وملؤه نكث العهد الذي أعطاه لموسى وهو أنهم يهتدون فخاف فرعون أن يتبع قومه موسى فقام بهذه المناورة الرخيصة فنادى في قومه فجمعهم وقال فيهم ما ذكر تعالى.
(٢) هذه الأنهار هي فروع النيل وهي أربعة هي نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنّيس.
(٣) جائز أن تكون الأنهار له تسلط على مصابها فلذا هدد قومه بذلك.
(٤) أم أنا خير (أم) المنقطعة بمعنى بل للإضراب الانتقالي والتقدير بل انا خير والاستفهام تقريري أراد تفضيل نفسه على موسى عليه السلام والمهين: الذليل الذي لم يكن من بيوت الشرف والجاه.
(٥) قرأ نافع والجمهور أساورة جمع أسوار لغة في سوار، وقرأ حفص أسورة جمع سوار والمراد من قوله ألقى عليه أساوره يريد إن كان ملكاً أو رسولا كما يزعم لم لا يلقى إليه من السماء أساورة كالتي يلبسها ملوك فارس ومصر، أو تأتي معه الملائكة يشهدون له بالرسالة بما يدعى وكل هذا من باب دفع معرة الهزيمة التي لحقته.

وقوله تعالى : ﴿فلما آسفونا﴾ أى أغضبونا بنكثهم وكفرهم وكبريائهم وظلمهم أغرقناهم أجمعين أى فلم نبق منهم أحداً والمراد فرعون وجنوده. وقوله تعالى فجعلناهم سلفا[1] ومثلا للآخرين أي جعلنا فرعون، ومن أغرقنا معه من ملائه وجيوشيه سلفا أي سابقين ليكنوا عبرة لمن بعدهم، ومثلا يتمثل به من بعدهم فلا يقدمون على ما أقدموا عليه من الكفر والظلم والعلو والفساد، وأولى من يعتبر بهذا قريش التى نزل لينبّهها ويحرك كامن نفسها لتنبته من غفلتها فتؤمن وتوحد فتنجو وتكمل وتسعد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ ذم الفخر والمباهاة إذ هما من صفات المتكبرين والظالمين. ٢ ـ الاحتقار للفقراء والازدراء بهم من صفات الجبارين الظلمة المتكبرين. ٣ ـ الفسق يجعل صاحبه مطية لكل ظالم أداة يسخره كما يشاء. ٤ ـ التحذير من غضب الرب تبارك وتعالى فإنه متى غضب انتقم فبطش.

۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا
خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾
إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾
وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

ولما ضرب ابن مريم مثلا	: أي ولما جعل عيسى بن مريم مثلا، والضارب ابن الزبعرى.
إذا قومك منه يصدون	: أي إذِ المشركون من قومك يصدون أي يضحكون فرحاً بما سمعوا.

(١) السلف: جمع سالف كخدم جمع خادم وحرس جمع لحارس والسالف: من يسبق غيره في الوجود.

وقالوا ألهتنا خير أم هو؟	: أي ألهتنا التى نعبدها خير أم هو أي عيسى بن مريم فنرضى أن تكون آلهتنا معه.
ماضربوه لك إلا جدلاً	: أي ماجعلوه أي المثـل لك إلا خصومة بالباطل لِعلمهم أن مالغير العاقل فلا يتناول اللفظ عيسى عليه السلام.
بل هم قوم خصمون	: أي شديدو الخصومة.
إن هو إلا عبد أنعمنا عليه	: أي ماهو أي عيسى إلا عبد انعمنا عليه بالنبوة.
وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل	: أي لوجوده من غير أب كان مثلا لبنى إسرائيل لغرابته يستدل به على قدرة الله على مايشاء.
ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة	: أي ولو شاء لأهلكناكم وجعلنا بدلكم ملائكة.
فى الأرض يخلفون	: أي يعمرون الأرض ويعبدون الله فيها يخلفونكم فيها بعد إهلاككم.
وإنه لعلم للساعة	: أي وإن عيسى عليه السلام لعلم للساعة تُعلم بنزوله إذا نزل.
فلا تمترن بها	: أي لاتشكن فيها أى فى إثباتها ولا فى قربها.
واتبعون هذا صراط مستقيم	: أي وقل لهم اتبعون على التوحيد هذا صراط مستقيم وهو الإسلام.
ولايصدنكم الشيطان	: أي ولايصرفنكم الشيطان عن الإسلام.
إنه لكم عدو مبين	: أي إن الشيطان لكم عدو بيّن العداوة فلا تتبعوه.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون﴾ روى أن ابنَ الزبعرى قال لرسول الله ﷺ : لما نزلت آية الأنبياء إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال: أهذا لنا ولألهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال رسول الله ﷺ هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة،اليست النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون العزير وبنو مليح يعبدون الملائكة فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرح بها المشركون وضحكوا وضجوا بالضحك مرتفعة أصواتهم بذلك ونزلت فى هذه الحادثة الآية : ﴿ولما ضرب بن مريم مثلا[1]﴾ أى ولما جعل ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا إذْ جعله مشابها للأصنام من حيث أن النصارى اتخذوه إلهاً وعبدوه من دون الله، وقال ،فإذا كان عيسى والعزير

(١) المراد بالمثل هنا الممثل به والمشبه به لأن ابن الزبعري شبه آلهتهم بعيسى في أنها عبدت من دون الله مثله فإذا كانوا في النار فعيسى كذلك.

والملائكة فى النار فقد رضينا أن نكون وآلهتنا معهم ففرح بها المشركون وصدوا[1] وضجوا بالضحك. وقالوا آلهتنا خير ام هو أي المسيح؟ قال تعالى لرسوله: ماضربوه لك إلاَّ جدلا أى ماضرب لك ابن الزبعرى هذا المثل طلبا للحق وبحثا عنه وانما ضربه لك لأجل الجدل والخصومة بل هم قوم خصمون مجبولون على الجدل والخصام.

وقوله إن هو أي عيسى إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل يستدلون به على قدرة الله وانه عز وجل على كل مايشاء قدير إذ خلقه من غير أب كما خلق آدم من تراب ثم قال له كن فكان.

وقوله تعالى: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ أي ولونشاء لأهلكناكم يابنى آدم ولم نبق منكم أحداً. وجعلنا بَدَلَكُمْ فى الأرض ملائكة يخلفونكم فيها فيعمرونها ويعبدون الله تعالى فيها ويوحدونه ولايشركون به سواه.

وقوله ﴿وإنه[2] لعلم للساعة﴾ أي وإن عيسى عليه السلام لعلامة للساعة أي إن نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان علامة على قرب الساعة. فلا تمترن بها أى فلا تشكّن فى إتيانها فانها آتية وقريبة. وقوله واتبعون أى وقل لهم يارسولنا واتبعون على التوحيد وماجئتكم به من الهدى هذا صراط مستقيم أى الإسلام القائم على التوحيد الذى نزل به القرآن وجاء به رسول الله ﷺ. ولايصدنكم الشيطان عن الإسلام بوساوسه وإغوائه فيصرفكم عن التوحيد والإسلام إنه لكم عدو مبين وليس أدل على عداوته من أنه اخرج آدم بإغوائه من الجنة حسداً له وبغيا عليه. فمثل هذا العدو لايصح أبداً الاستماع إليه والمشي وراءه واتباع خطواته. ومن يتبع خطواته يهلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان أن قريشا أوتيت الجدل والقوة فى الخصومة.

٢ ـ ذم الجدل لغير إحقاق حق أو إبطال باطل وفى الحديث ماضل قوم بعد هُدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل.

٣ ـ شرف عيسى وعلو مكانته وأن نزوله إلى الأرض علامة كبرى من علامات قرب الساعة.

٤ ـ تقرير البعث والجزاء.

٥ ـ حرمة اتباع الشيطان لأنه يضل ولايهدى.

---

(١) قرأ نافع يصدون من صد يصد عن كذا إذا أعرض فيصدون بمعنى يعرضون عن القرآن ويقولون إن فيه تناقضاً من أجل فرية ابن الزبعرى، وقرأ حفص يصدون بكسر الصاد من الصد بمعنى الصخب والضجيج.

(٢) وجائز أن يكون الضمير في (وإنه) عائد إلى القرآن أو إلى المنزّل عليه محمد ﷺ إذ قال ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين السبابة والوسطى مشيراً إليهما. وما في التفسير مروي عن كبار التابعين مجاهد وقتادة وابن عباس الصاحب الجليل رضي الله عنهما ولذا قدمته في التفسير.

وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
(٦٣) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
(٦٤) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦)

شرح الكلمات :

ولما جاء عيسى بالبينات : أي ولما جاء عيسى بن مريم إلى بنى إسرائيل بالمعجزات والشرائع.

قال قد جئتكم بالحكمة : أي قال لبنى إسرائيل قد جئتكم بالنبوة وشرائع الإنجيل.

ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه : أي وجئتكم لأبين لكم ما اختلفتم فيه من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره.

فاتقوا الله وأطيعون : أي خافوا الله وأطيعون فيما أبلغكموه عن الله من الأمر والنهى.

إن الله ربى وربكم فاعبدوه : أي إن الله إلهي والهكم فاعبدوه بحبه وتعظيمه والذلة له.

هذا صراط مستقيم : أي تقوى الله وطاعة الرسول وعبادة الله بما شرع هو الإسلام المعبر عنه بالصراط المستقيم.

فاختلف الأحزاب من بينهم : أي فى شأن عيسى أهو الله : أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة.

فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم : أي فويل للذين كفروا بما قالوا فى عيسى من الكذب والباطل.

هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغته وهم لايشعرون : أي ماينتظر هؤلاء الأحزاب مع إصرارهم على ماقالوه فى عيسى إلا الساعة أن تأتيهم بغته فجأة وهم لايشعرون.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى جدل المشركين فى مكة وفرحهم بالباطل الذى قاله ابن الزبعرى فى شأن

الملائكة والعزير وعيسى عليهم السلام من أنهم فى النار مع من عبدوهم، وبرأ تعالى الملائكة والعزيز وعيسى لأنهم ما أمروا الناس بعبادتهم حتى يؤاخذوا بها، وانما امر بعبادتهم الشيطان فالشيطان ومن عبدوهم هم الذين فى النار. وذكر تعالى شرف عيسى ومكانته وانه عبد أنعم عليه بالنبوة وجعله مثلا لبنى إسرائيل يستدلون به على قدرة الله تعالى إذ خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وإنما خلقه من تراب ذكر رسالة عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل ليكون ذلك موعظة لكفار مكة فقال تعالى ولما جاء عيسى بالبينات[1] أي جاء بنى إسرائيل مصحوبا بالبينات هى الإنجيل والمعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وما إلى ذلك، قال لهم قد جئتكم بالحكمة أى النبوة من عند الله، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه من أحكام التوراة وأمور الدين إذاً فاتقوا الله[2] يابنى إسرائيل أي خافواعقابه المترتب على معاصيه وأطيعون فيما أبلغكموه من أمر ونهى عن الله تعالى، إن الله ربى وربكم أى إلهى وآلهكم لا إله إلا هو فاعبدوه بفعل محابه وترك مساخطه حبا فيه وتعظيماً له ورهبة ورغبة. وقوله ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أى هذا الذى دعوتكم إليه من اتقاء الله، وطاعة رسوله وعبادته وحده هو الطريق المستقيم الذى يفضى بسالكه إلى سعادة الدارين. قال تعالى: فاختلف[3] الأحزاب من بينهم أي من بين بنى إسرائيل من يهود ونصارى فقالت طائفةمن اليهود إفتراء أن عيسى ابن مريم ابن زنا وأمه بغي وقالوا ساحر. وقال النصارى: هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

قال تعالى ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب أليم﴾ أي مؤلم فتوعدهم الرب تعالى بالويل الذى هو وادٍ يسيل فى جهنم بما يتجمع من صديد فروج أهل النار وأبدانهم من دماء وقروح وأوساخ وهو عذاب يوم القيامة الأليم توعد هؤلاء الظالمين بما قالوا فى عيسى عبد الله ورسوله عليه السلام وقال تعالى: ﴿هل[4] ينظرون إلا الساعة﴾ أي ماينظرون إلا الساعة لأنهم ماتابوا إلى الله ولا راجعوا الحق فيما قالوه فى عيسى بل أصروا: اليهود يصفونه بأخس الصفات والنصارى يصفونه بالألوهية التى هى حق الله رب عيسى ورب العالمين أن تأتيهم بغتة أي فجأة وهم لايشعرون لأنهم مشغولون بالذرة والهدرجين والاستعمار والتجارة والانغماس فى الشهوات كما هو واقع ومشاهد اليوم. وصدق الله العظيم.

---

(١) قال بن عباس يريد إحياء الموتى وإبراء الأسقام وخلق الطير والمائدة وغيرها والإخبار بكثير من الغيوب.

(٢) أي اتقوا الشرك ولا تعبدوا إلا الله وحده ومن قال هذا فكيف يكون إلهاً يعبد وهو عبد يعبد ويوحد؟.

(٣) ومن اختلافاتهم التي نعيت عليهم اختلاف فرق النصارى من النسطورية والملكية واليعقوبية اختلفوا في عيسى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله وقالت الملكية ثالث ثلاثة أحدهم الله قاله الكلبي وغيره.

(٤) الجملة مستأنفة بيانياً لما تقدم مما يثير في النفس تساؤلا فكان الجواب أن العذاب آت وأهله ما ينظرون إلا الساعة وأهل العذاب هم المختلفون من أهل الكتاب والمشركين إذ الجميع ظلموا بالشرك والكفر والتكذيب والآية تدعوهم إلى التوبة لينجوا من العذاب الأليم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان رسالة عيسى إلى بنى إسرائيل.

٢ ـ وجوب التقوى لله وطاعة الرسول، وتوحيد الله فى عبادته.

٣ ـ بيان شؤم الخلاف، ومايجره من التوغل فى الكفر والفساد.

٤ ـ وعيد الله لليهود والنصارى الذين لم يدخلوا فى الإسلام بالويل وهو عذاب يوم أليم.

ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو : أي الأحباء يوم إذ تأتيهم الساعة بغته.

إلا المتقين : فإن محبتهم تدوم لهم لأنها كانت في الله وطاعته.

ياعباد لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون : أي ينادون فيقال لهم لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون بل تحبرون أى تسرون وتكرمون.

يطاف عليهم بصحاف من ذهب : أي يطوف عليهم الملائكة بقصاع من ذهب وفيها الطعام وأكواب من ذهب فيها الشراب اللذيذ.

وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين : أي فى الجنة ماتشتهيه الأنفس تلذذاً به وتلذه الأعين نظراً إليه.

وتلك الجنة التى أورثتموها بما : أي يقال لهم وهذه هى الجنة التى أورثكموها الله بأعمالكم

كنتم تعملون	الصالحة التى هى ثمرة إيمانكم الصادق وإخلاصكم الكامل.

معنى الآيات :

مازال السياق فى ذكر أحداث الساعة قال تعالى : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾[1] أي إذا جاءت الساعة الأخلاء أى الأحباء فى الدنيا يوم إذْ تأتى الساعة بعضهم لبعض عدو فتنقطع تلك الخلة والمودة وتصبح عداء لأنها كانت على معصية الله تعالى وقوله إلا المتقين أي الله عز وجل بفعل أوامره وترك نواهيه فإن مودتهم وخلتهم لاتنقطع لأنها كانت محبة فى الله وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل يناديهم ربهم بقوله ياعبادى[2] لاخوف عليكم اليوم[3] ولا أنتم تحزنون، ويصفهم بقوله ﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾ أي بالقرآن وكانوا مسلمين أى منقادين لله ظاهراً وباطناً، ويقول لهم ﴿ادخلوا الجنة أنتم وازواجكم تحبرون﴾ أي أنتم وزوجاتكم المؤمنات تفرحون وتسرون وقوله تعالى :﴿يطاف عليهم﴾ بيان لنعيم الجنة الذى ينعمون به وهو انه يطاف عليهم بصحاف من ذهب[4] وهى قصاع، فيها الذ الطعام وأشهاه، وأكواب من ذهب أيضا فيها الذ الشراب والأكواب جمع كوب وهو إناء لاعروة له ولاخرطوم ـ حتى يمكن الشرب منه من أى جهة من جهاته وفيها أي فى الجنّة ماتشتهيه الأنفس من سائر المستلذات، وتلذ الأعين من سائر المرئيات ويقال لهم لكم ماتشتهون وانتم فيها خالدون لاتخرجون منها ولاتموتون فيها.

وقوله تعالى : ﴿وتلك الجنة﴾[5] أي وهذه هى الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون من الصالحات والخيرات، ووجه الوراثة أن الله تعالى خلق لكل إنسان منزلين أحدهما فى الجنة والثانى فى النار فكل من دخل الجنة ورث منزل أحد دخل النار فهذا أوجه التوارث والباء فى بما

---

(١) ذكر القرطبي رواية عن النقاش ان هذه الآية نزلت في أمية بن خلف الجمحي وعقبة بن أبي معيط كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي ﷺ فقالت قريش قد صبأ عقبة فقال أمية له وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً ولم تتفل في وجهه ففعل عقبة عليهما لعائن الله ذلك فنذر النبي ﷺ قتله فقتله يوم بدر صبراً وقتل أمية في المعركة ففيهم نزلت هذه الآية والآية عامة في كل كافر وظالم.

(٢) قرأ نافع والجمهور ياعبادي بالياء بعد الدال وهي ياء المتكلم وقرأ حفص بحذفها تخفيفا لدلالة اللفظ والسياق عليها.

(٣) روي ان المنادي لما يقول ياعبادي لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون يرفع أهل العرصة رؤوسهم فيقول المنادي الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الأديان رؤسهم إلا المسلمين.

(٤) في الصحيحين عن حذيفة انه سمع رسول الله ﷺ يقول «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة». وفي صحيح مسلم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون. قالوا فما بال الطعام؟ قال جشأ ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير.

(٥) أشار إليها بلام البعد لعلوها وعظيم منازلها وسمو درجاتها.

كنتم تعملون سببة أى بسبب اعمالكم الصالحة التى زكت نفوسكم وطهرت أرواحكم فاستوجبتم دخول الجنة وارث منازلها.

وقوله تعالى : ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾[1] أي يقال لهم هذا إكراما لهم وإسعاداً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ كل خلة يوم القيامة تنقطع إلا خلة كانت فى الله ولله سبحانه وتعالى، ولذا ينبغى أن تكون المودة فى الدنيا لله لا لغيره تعالى.

٢ ـ بيان فضل التقوى وشرف المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصى.

٣ ـ بيان أن الرجل يجمع الله بينه وبين زوجته المسلمة فى الجنة.

٤ ـ بيان نعيم أهل الجنة من طعام وشراب وسائر المستلذات.

٥ ـ الإيمان والعمل الصالح سبب فى دخول الجنة كما أن الشرك والمعاصى سبب فى دخول النار.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات :

إنَّ المجرمين فى عذاب جهنم خالدون : أي أن الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصى فى جهنم خالدون لايخرجون ولايموتون.

لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون : أي لايخفف عنهم العذاب وهم فيه ساكتون سكوت يأس.

---

(١) الفاكهة قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الثمار كلها رطبها ويابسها، وبائعها يقال له الفاكهاني.

ونادوا يامالك ليقض علينا ربك : أي ونادوا مالكاً خازن النار قائلين له ليمتنا ربك.

قال إنكم ماكثون : أي أجابهم بعد ألف سنة مضت على دعوتهم بقوله إنكم ماكثون أي مقيمون فى عذاب جهنم دائما.

لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون : أي علة بقائكم أنا جئناكم بالحق على لسان رسولنا والحق التوحيد وعبادة الله بما شرع فكره أكثركم الحق.

أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون : أي أحكموا فى الكيد للنبى محمد ﷺ فإنا محكمون كيدنا فى إهلاكهم.

ورسلنا لديهم يكتبون : أي وملائكتنا من الحفظة يكتبون مايسرون ومايعلنون.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى الجنة ونعيمها ذكر فى هذه الآيات النار وعذابها وهذا هو الترغيب والترهيب الذى امتاز به اسلوب القران فى الدعوة إلى الله تعالى وهداية الخلق إلى الإصلاح قال تعالى ﴿إن المجرمين[1]﴾ أى الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك والمعاصى هؤلاء في عذاب جهنم خالدون، لايفترعنهم العذاب أى لايخفف وهم فيه أى فى العذاب مبلسون أى ساكتون آيسون قانطون. وقال تعالى وماظلمناهم فى تعذيبنا لهم بهذا العذاب ولكن كانوا هم الظالمين، حيث دسوا أنفسهم بالشرك والمعاصى.

وقوله تعالى : ﴿ونادوا يامالك ليقضى[2] علينا ربك﴾ يخبر تعالى ان أصحاب ذلك العذاب الدائم الذى لايفتر فيخفف نادوا مالكاً خازن النار وقالوا له ليمتنا ربك فنستريح من العذاب. فأجابهم مالك بعد ألف[3] سنة قائلا قال أي ربى إنكم ماكثون أى فى عذاب جهنم، وعلل لهذا الحكم بالمكث أبداً فقال: لقد جئناكم بالحق أى أرسلنا إليكم رسولنا بالحق يدعوكم إليه وهو الإيمان والعمل الصالح المزكى للنفوس فكره أكثركم[4] ذلك فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحاً مؤثرين شهوات الدنيا على الآخرة فمتم على الشرك والكفر فهذا جزاء الكافرين.

---

(١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن سائلا بعد أن علم بحال أهل الإيمان والتقوى يسأل عن حال أهل الإجرام فأجيب بأن المجرمين الخ.

(٢) قال ابن مسعود وأبو الدرداء قرأ النبي ﷺ : ونادوا يا مال أي رخم الاسم المنادى بحذف الحرف الأخير منه وهو شائع في كلام العرب فيقال في مالك يا مال وفي حارث يا حار وفي فاطمة يافاطم قال الشاعر:

ياحار لا أرْمَيَنْ منكم بداهية ... لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وقال آخر:

أ فاطم مهلا بعض هذا التدلل ... وان كنت قد أزمعت صَرْمي فأجملي

(٣) روى هذا الترمذي وهناك رواية أخرى في ذكر المدة التي يجابون بعدها.

(٤) الذين كرهوا الحق هم الرؤساء حفاظاً على مراكزهم وأما الاتباع فلم يكرهوا الحق ولكن اتبعوا الرؤساء فماتوا على الشرك والكفر فدخلوا النار معهم.

وقوله تعالى : ﴿أم أبرموا[1] أمراً فإنا مبرمون﴾ أي بل أبرم هؤلاء المشركون أمراً يكيدون فيه للرسول ودعوته فإن فعلوا ذلك فإنا مبرمون أي محكمون أمراً مضاف لهم بتعذيبهم وإبطال ما أحكموه من الكيد للرسول ودعوته. وقوله :﴿أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى﴾نسمع ذلك ورسلنا وهم الحفظة لديهم يكتبون مايقولون سراً وجهراً. روى أن ثلاثة نفر قالوا وهم تحت استار الكعبة فقال أحدهم أترون أن الله يسمع كلامنا؟ فقال أحدهم إذا جهرتم سمع، وإذا اسررتم لم يسمع وقال الثانى ان كان يسمع إذا أعلنتم فإنه يسمع إذا أسررتم فنزلت ﴿أم يحسبون أنا لانسمع سرهم[2] ونجواهم بلى﴾أي نسمع سرهم ونجواهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان عقوبة الإجرام على النفس بالشرك والمعاصى.

٢ ـ عذاب الآخرة لايطاق ولايقادر قدره يدل عليه طلبهم الموت ليستريحوا منه وماهم بميتين.

٣ ـ أكبر عامل من عوامل كراهية الحق حب الدنيا والشهوات البهيمية فى الأكل والشرب والنكاح هذه التى تُكَرِّه إلى صاحبها الدين وشرائعه التى قد تقيد من الإسراف فى ذلك.

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾

---

(١) أم المنقطعة تفسر ببل للاضراب الانتقالي والاستفهام محذوف الأداة تخفيفاً أي أأبرموا امراً والاستفهام تقريري والمراد بالأمر ما يبيتونه من مكر بالرسول ﷺ وأجمعوا عليه وهو قتله ﷺ وذلك في دار الندوة فأبرم الله أمراً فأهلكهم فى بدر.

(٢) السر: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر بالنبي ﷺ وبالنجوى ما يتناجون به بينهم في ذلك بحديث خفي.

شرح الكلمات :

قل ان كان للرحمن ولد : أي قل يارسولنا لهؤلاء المشركين الزاعمين أن الملائكة بنات الله إن كان للرحمن ولد فرضاً.

فأنا أول العابدين : أي فأنا أول من يعبده تعظيما لله واجلالا ولكن لا ولد له فلا عبادة إذاً لغيره.

سبحان رب السموات : أي تنزَّه وتقدس

عما يصفون : أي عما يصفون به الله تعالى من ان له ولداً وشركاء.

فذرهم يخوضوا ويلعبوا : أي اتركهم يارسولنا يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم.

وهو الذى فى السماء إله : أي معبود فى السماء.

وفى الأرض إله : أي ومعبود فى الأرض.

وتبارك الذى له ملك السموات : أي تعاظم وجل جلال الذى له ملك السموات.

وعنده علم الساعة : أي عنده علم وقت مجيئها.

معنى الآيات :

سبق أن بكّت تعالى المشركين فى دعواهم أن الملائكة بنات الله وتوعدهم بالعذاب على قولهم الباطل وهنا قال لرسوله محمد ﷺ قل لهم إن كان للرحمن[1] ولد كما تفترون فرضا وتقديراً فأنا أول العابدين له،[2] ولكن لم يكن للرحمن ولد. فلم أكن لأعبد غير الله تعالى، هذا مادل عليه قوله تعالى : ﴿قل إنْ كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾. وقوله : ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ نزه تعالى نفسه وقدسها وهو رب السموات والأرض ورب العرش أي مالك ذلك كله وسلطانه عليه جميعه عما يصفه المشركون به من أن له ولداً وشركاء. وهنا قال تعالى لرسوله إذا أصروا على باطلهم من الشرك والعذاب على الله والافتراء عليه فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو يوم عذابهم المعد لهم وذلك يوم القيامة.

وقوله تعالى : ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾ أي معبود فى السماء ومعبود فى الأرض أي معظم غاية التعظيم، ومحبوب غاية الحب ومتذلل له غاية الذل فى الأرض والسماء وهو الحكيم فى صنعه وتدبيره العليم بأحوال خلقه فهل مثله تعالى يفتقر الى زوجة وولد تعالى

---

(١) يروى عن ابن عباس والحسن والسدي أن. إن ليست شرطية وهي نافية بمعنى ما وتقدير الكلام ما كان للرحمن ولد. وهنا تم الكلام ثم قال فأنا أول العابدين وهذا الرأي ضعيف ويتنافي مع السياق وما في التفسير هو الصواب.

(٢) له أي لذلك الولد لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد إلا أنه لا ولد له ولا ينبغي له لِغنَاهُ المطلق.

الله عن ذلك علواً كبيراً. وقوله ﴿وتبارك الذى[1] له ملك السموات والأرض ومابينهما، وعنده علم الساعة وإليه ترجعون﴾ أي تعاظم وجل جلاله وعظم سلطانه الذي له ﴿ملك السموات والأرض ومابينهما﴾ والدنيا والآخرة، وعنده علم الساعة وإليه ترجعون أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية التلطف فى الخطاب والتنزل مع المخاطب لإقامة الحجة عليه كقوله تعالى : ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو فى ضلال مبين﴾ وكما هنا قل إنْ كان للرحمن ولد من باب الفرض والتقدير فأنا أول العابدين له ولكن لا ولد له فلا أعبد غيره سبحانه وتعالى.

٢ ـ تهديد المشركين بعذاب يوم القيامة.

٣ ـ إقامة البراهين على بطلان نسبه الولد إلى الله تعالى.

وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

ولايملك الذين يدعون : أي يعبدونهم.

من دونه : أي من دون الله.

الشفاعة : أي لأحدٍ.

إلا من شهد بالحق : أي لكن الـذى شهد بالحق فوحد الله تعالى على علم هذا الذى تناله شفاعة الملائكة والأنبياء.

فأنى يؤفكون : أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته.

وقيله : أي قول النبى يارب إن هؤلاء.

---

(١) تعاظم وتسامى عما يصفه به المشركون من الشريك والصاحبة والولد وتبارك هو خبر لفظا وإنشاء معنىً إذ هو لفظ أريد به المدح العظيم لذي الخير العظيم.

فاصفح عنهم : أي أعرض عنهم.
وقل سلام فسوف : أي امرى سلام منكم، فسوف تعلمون عاقبة كفركم.

معنى الآيات :

لما أعلم تعالى فى الآية السابقة أن رجوع الناس إليه يوم القيامة، وكان المشركون يزعمون ان آلهتهم من الملائكة وغيرها تشفع لهم يوم القيامة واتخذوا هذا ذريعة لعبادتهم فأعلمهم تعالى فى هذه الآية (٨٦) أن من يدعونهم بمعنى يعبدونهم من الأصنام والملائكة وغيرهم[١] من دون الله لايملكون الشفاعة لأحد، فالله وحده هو الذى يملك الشفاعة ويُعطيها لمن يشاء هذا معنى قوله تعالى : ﴿ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ وقوله تعالى ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ أي استثنى الله تعالى أن من شهد بالحق أي بأنه لا إله إلا الله، وهو يعلم ذلك علما يقينا فهذا قد يشفع له الملائكة أو الأنبياء فقال عز وجل ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾[٢] بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم فالموحدون تنالهم الشفاعة بإذن الله تعالى. وقوله تعالى ﴿ولئن سألتهم﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلفهم لأجابوك قائلين الله. فسبحان الله كيف يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد العبادة فلذا قال تعالى : ﴿فأنى[٣] يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته يعرفون أن الله هو الخالق لهم ويعبدون غيره ويتركون عبادته.

وقوله ﴿وقيله[٤] يارب إن هؤلاء قوم لايؤمنون﴾ أي ويعلم تعالى قيل رسوله وشكواه وهي يارب إن هؤلاء قوم لايؤمنون لما شاهد من عنادهم وتصلبهم شكاهم الى ربه تعالى فأمره ربه عز وجل أن يصفح[٥] عنهم أي يتجاوز عما يلقاه منهم من شدة وعنت وأن يقول لهم سلام وهو سلام متاركة لاسلام تحية وتعظيم أى قل لهم أمري سلام. فسوف تعلمون[٦] عاقبة : هذا الإصرار على الكفر والتكذيب فكان هذا منه تهديداً لهم بِذِكْر ماينتظرهم من أليم العذاب إن ماتوا على كفرهم.

---

(١) مثل عيسى والعزيز.

(٢) وهم يعلمون الجملة حالية وفي هذا دليل على ان من لم يفهم معنى لا إله إلا الله ويقولها لا تنفعه ولا ينال بها الشفاعة يوم القيامة إذ لابد من فهمه ماذا نفى وماذا أثبت ولذا إيمان المقلد اختلف في صحته أهل العلم.

(٣) أنى اسم استفهام عن المكان فمحله نصب على الظرفية أي إلى أي مكان يصرفون؟ وماضي يؤفكون افك يأفك أفكاً على وزن ضرب يضرب ضربا وأفكه كضربه.

(٤) هذا على قراءة نافع وهي نصب قيله أما على قراءة حفص فقيله مجرور عطفاً على قوله وعنده علم الساعة وعلم قيل رسوله كذا. وهو (قيل) مصدر قال كالقول، وأصله قول فعل بمعنى مفعول كذبح بمعنى مذبوح والضمير في قيله يعود إلى النبي ﷺ إذ هو القائل يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون لطول ما دعاهم وهو معرضون عن الحق مصرون على الكفر.

(٥) مثل هذا (فاصفح وقل سلام) منسوخ بآيات القتال التي نزلت بالمدينة النبوية بعد الهجرة.

(٦) قرأ نافع تعلمون بالتاء وقرأ حفص والجمهور يعلمون بالياء فالأول مما أمر الله تعالى رسوله ان يقوله للمشركين، والثاني على أنه وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بانه ينتقم من المكذبين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ لايملك الشفاعة يوم القيامة إلا الله تعالى فمن أذن له شفع ومن لم يأذن له لايشفع ، ولايُشَفَّعُ إلا لأهل التوحيد خاصة أما أهل الشرك والكفر فلا شفاعة لهم .

٢ ـ مشركو العرب على عهد النبوة موحدون فى الربوبية مشركون فى العبادة .

٣ ـ مشروعية الصفح والتجاوز عند العجز عن إقامة الحدود وإعلاء كلمة الله تعالى .

فهرس المجلد الرابع

أيسر التفاسير

لكلام العليّ الكبير

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الخامس

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

طبعة مزيدة ومنقحة ومصححة وبهامشها

نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثالثة
مصححة ومنقحـة
وبهامشها
نهر الخير على أيسر التفاسير

راسم
للدعاية والإعلان
RACEM
ADVERTISING
ت : ٦٧١٣٩٧٦ ص. ب : ٨٣٢٣ - جدة ٢١٤٨٢
Tel: 6713976 P.O. Box: 8323 Jeddah 214482

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الدُّخَانِ

مكيـة وآياتهـا تسـع وخمسـون آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ
مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

حم : هذا أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا حم وتقرأ هكذا حَاميمْ.

والكتاب المبين : أي القرآن المظهر للحلال والحرام فى الأقوال والأعمال والاعتقادات.

إنّا أنزلناه فى ليلة مباركة : أي فى ليلة القدر من رمضان.

فيها يفرق كل أمر حكيم	: أي يفصل كل أمر محكم من الآجال والأرزاق وسائر الأحداث.
أمراً من عندنا	: أي فيها فى ليلة القدر يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا أى أمرنا بذلك أمراً من عندنا.
إنّا كنا مرسلين رحمة من ربك	: أي إنّا كنا مرسلين الرسل محمداً ومن قبله رحمة من ربك بالمرسل إليهم من الأمم والشعوب.
إنه هو السميع العليم	: أي السميع لأصوات مخلوقاته العليم بحاجاتهم.
إنْ كنتم موقنين	: أي بأنه رب السموات والأرض فآمنوا برسوله واعبدوه وحده.
بل هم فى شك يلعبون	: أي فليسوا بموقنين بل هم فى شك من ربوبية الله تعالى لخلقه وإلا لعبدوه وأطاعوه بل هم فى شك يلعبون بالأقوال والأفعال لايقين لهم فى ربوبية الله تعالى وإنما هم مقلدون لآبائهم فى ذلك.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿حم﴾[1] هذا أحد الحروف المقطعة وهو من المتشابه الذى يفوض فهم معناه الى منزلـه فيقول: المؤمن: الله أعلم بمراده به، وقد ذكرنا له فائدتين جليلتين تقدمتا غير مامرة الأولى: أنه لما كان المشركون يمنعون سماع القرآن خشية التأثر به جاءت هذه الفواتح بصيغة لم تعهدها العرب فى لغتها فكان إذا قرأ القارىء رافعا صوته مادّاً به هذه الحروف يستوقف السامع ويضطره إلى أن يسمع فإذا سمع تأثر واهتدى غالباً وأعظم بهذه الفائدة من فائدة والثانية: أنه لما ادعى العرب أن القرآن ليس وحيا إلهيا وإنما هو شعر أو سحر أو قول الكهان أو اساطير تحداهم الله تعالى بالإتيان بمثله فعجزوا فتحداهم بعشر سور فعجزوا فتحداهم بسورة فعجزوا فأعلمهم ان هذا المعجز انما هو مؤلف من مثل هذه الحروف حمٓ طسٓمٓ آلم فألفوا نظيره فعجزوا فقامت عليهم الحجة لعجزهم وتقرر أن القرآن الكريم كلام الله ووحيه أوحاه إلى رسوله ويؤكد هذه الفائدة أنه غالبا إذا ذكرت هذه الحروف فى فواتح السور يذكر القرآن بعدها نحو طس تلك آيات القرآن، حم والكتاب المبين، آلم تلك آيات الكتاب الحكيم.

قوله تعالى ﴿والكتاب المبين﴾ هذا قسم أقسم الله تعالى بالقرآن تنويها بشأنه ولله أن يقسم بما يشاء فلا حجر عليه وإنما الحجر على الإنسان أن يحلف بغير ربه عز وجل، والمراد من الكتاب المبين المقسم

---

(١) ورد في فضل هذه السورة عدة أحاديث ضعيفة ولكثرتها قد ترتفع إلى درجة الحسن منها: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة.

به القرآن العظيم ، وقوله : ﴿إنا أنزلناه﴾ أى القرآن ﴿فى ليلة مباركة﴾ أي كثيرة البركة والخير وهى ليلة القدر[1] والتى هى خير من الف شهر. وقوله ﴿إنا كنا منذرين﴾ ، ولذلك أرسلنا الرسول وأنزلنا القرآن لننذر الناس عذاب يوم القيامة حيث لاينجى منه إلا الإيمان والعمل الصالح ، ولايعرفان إلا بالوحى فكان لابد من الرسول الذى يوحى إليه ولابد من الوحى الحامل لبيان الإيمان وأنواع العمل الصالح . وقوله فيها يفرق كل أمر حكيم أى فى تلك الليلة المباركة يفصل كل أمر محكم مما قضى الله أن يتم فى تلك السنة من أحداث فى الكون يؤخذ ذلك من كتاب المقادير فيفصل عنه وينفذ خلال السنة من الموت والحياة والغنى والفقر والصحة والمرض والتولية والعزل فكل أحداث تلك السنة تفصل من اللوح المحفوظ ليتم احداثها فى تلك السنة حتى إن الرجل ليتزوج ويولد له وهو فى عداد من يموت فلا تنتهى السنة إلا وقد مات وقوله : ﴿أمراً من[2] عندنا إن كنا مرسلين﴾ أي كان ذلك أمراً من عندنا أمرنا به .

وقوله : إنا كنا مرسلين أى الرسل محمداً فمن قبله من الرسل رحمة من ربك بالناس المرسل إليهم إنه هو السميع لأقوالهم وأصواتهم العليم بحاجاتهم ، فكان ارسال الرسل رحمة من ربك أيها الرسول فاحمده واشكره فإنه أهل الحمد والثناء وقوله : ﴿رب السموات والأرض ومابينهما﴾ أي خالق ومالك السموات والأرض ومابينهما إن كنتم موقنين ، أي بأنه رب السموات والأرض ومابينهما فاعبدوه وحده فانه لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين . وقوله تعالى : ﴿بل هم فى شك يلعبون﴾ دال على أن إقرارهم بأن الله رب السموات ورب الخلق عندما يسألون لم يكن عن يقين إذ لو كان على يقين لما أنكروا توحيد الله وكفروا به إذاً فهم فى شك يلعبون بالأقوال فقط كما يلعبون بالأفعال، لايقين لهم فى ربوبيته تعالى وانما هم مقلدون لآبائهم فى ذلك .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان فضل ليلة القدر[3] وأنها فى رمضان .

---

(١) شاهده قوله تعالى : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن حيث ابتدأ نزوله في غار حراء في شهر رمضان وجائز أن يكون نزل كله في ليلة القدر من أم الكتاب إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل منجماً فتم نزوله خلال ثلاث وعشرين سنة .

(٢) نصب أمراً من عندنا على الحال، والأمر الحكيم المشتمل على الحكمة ورحمة مفعول لأجله من إنا كنا مرسلين .

(٣) رويت آثار وأحاديث يزعم أصحابها أن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان وردها أهل العلم قال ابن العربي : ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان هو باطل لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فنص على أن ميقات نزوله في رمضان ثم عين زمانه من الليل ها هنا بقوله في ليلة مباركة فمن زعم انه في غيره فقد أعظم الفرية على الله . وليس في ليلة النصف من شعبان حديث واحد يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليها .

٢ ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر وإثبات اللوح المحفوظ.
٣ ـ ارسال الرسل رحمة من الله بعباده، فلم يكن زمن الفترة وأهلها أفضل من زمن الوحي.
٤ ـ لم يكن إفراد المشركين بربوبية الله تعالى لخلقه عن علم يقيني بل هم مقلدون فيه فلذا لم يحملهم على توحيد الله في عبادته، وهذا شأن كل علم أو معتقد ضعيف.

فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى
ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ
إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ
إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

فارتقب : أي انتظر.

بدخان مبين : أي هو ماكان يراه الرجل من قريش لشدة الجوع بين السماء والأرض من دخان.

يغشى الناس : أي يغشى أبصارهم من شدة الجهد الناتج عن الجوع الشديد.

ربنا اكشف عنا العذاب : أي ياربنا إن كشفت عنا العذاب آمنا بك وبرسولك.

أنى لهم الذكرى : أي من أى وجه يكون لهم التذكر والحال أنه قد جاءهم رسول مبين فتولوا عنه وقالوا معلم مجنون.

معلم مجنون : أي أنه يعلمه القرآن بشر مجنون أي مختلط عليه أمره غير مدرك لما يقول.

إنكم عائدون : أي إلى الكفر والجحود.

البطشة الكبرى : أي الأخذة القوية التى أخذناهم بها يوم بدر حيث قتلوا وأسروا.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فارتقب﴾[1] الآية نزلت بعد أن دعا رسول الله ﷺ على قريش يوم كثر استهزاؤهم به وسخريتهم منه وبما جاء به من الدين الحق فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف اي

(١) ارتقب معناه انتظر يا رسولنا يوم تأتي السماء الخ. وقيل ارتقب معناه احفظ لأن الرقيب يطلق على الحافظ.

سبع سنين من القحط والجدب فأمره ربه أن ينتظر ذلك فقال له فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب آليم، واستجاب تعالى لرسوله وأصاب قريشاً بقحط وجدب ماتت فيه مواشيهم وأصابهم جوع أكلوا فيه العهن[1] وشربوا فيه الدم، وكان الرجل يرفع رأسه إلى السماء فلا يرى إلا دخانا[2] يغشى بصره من شدة الجوع، حتى ضرعوا إلى الله ويعثوا الى الرسول يطلبون منه أن يدعو الله تعالى أن يرفع عنهم هذا العذاب وهو معنى قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ أي برسولك وبما جاء به من الهدى والدين الحق.

وقوله تعالى: ﴿أنى لهم[3] الذكرى وقد جاءكم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ أي ومن أين يأتيهم التذكر فينيبوا إلى ربهم ويسلموا له، والحال أنه قد جاء رسول مبين للحق مظهر له فعرفوه أنه رسول حق وصدق ثم تولوا عنه أى أعرضوا عنه وعما جاء به وقالوا معلم أي[4] هو رجل يعلمه غيره الذى يقوله ولم يكن رسولا وقالوا مجنون فلذا تذكرهم وتوبتهم مستبعدة جداً. وقوله تعالى: إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون وفعلاً كشف الله عنهم عذاب المخمصة ونزل الغيث بديارهم وسعدت بلادهم بعد شقاء دام سبع سنوات، وعادوا إلى الشرك وحرب الإسلام والمسلمين.

وقوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون[5]﴾ أى وارتقب يارسولنا يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾، وكان ذلك ببدر حيث انتقم الله منهم فقتل رجالهم بل صناديدهم وأسر من أسر منهم، وكانت بطشة لم تعرفها قريش قط.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ صدق وعد الله لرسوله واستجابة دعائه ﷺ.

٢ ـ الإيمان عند معاينة العذاب لايجدي ولاينفع.

(١) العهن الصوف يصبغ بالدم ويشوى ويؤكل لشدة الجوع الذي أصابهم.

(٢) لا منافاة بين هذا الدخان الثابت بالقرآن والسنة، وبين الدخان الذي هو من أشراط الساعة والثابت بالسنة الصحيحة في حديث مسلم وهو أنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر ـ الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

(٣) أنى اسم استفهام الأصل أنه يستفهم به عن المكان ويتوسع فيه فيستفهم به عن الحال كما هي هنا والاستفهام هنا إنكاري أي كيف يتذكرون وهم في شك يلعبون وجملة وقد جاءهم رسول حالية فهي في محل نصب.

(٤) أي لم يكتفوا بالإعراض بل زادوا عليه الافتراء والسب إذ قالوا معلم مجنون.

(٥) يقال انتقم منه أي عاقبه والنقمة بالكسر والفتح والجمع نقم كعنب ونقمات ككلمات والظرف (يوم) متعلق بجملة (إنا منتقمون) أي منتقمون يوم البطش.

٣ ـ بيان ماقابلت به قريش دعوة الإسلام من جحود وكفران.
٤ ـ إخبار القرآن بالغيب وصدقه فى ذلك آية أنه وحى الله وكلامه تعالى.

۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ
كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾
وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون : أي ولقد اختبرنا قبلهم أي قبل كفار قريش قوم فرعون من الأقباط.

وجاءهم رسول كريم : أي موسى بن عمران صلوات الله عليه وسلامه.

أن أدوا إلي عباد الله : أي ادفعوا إلي عباد الله بنى إسرائيل وارسلوهم معى.

إنى لكم رسول أمين : أي انى رسول الله اليكم أمين على وحيه ورسالته.

وأن لاتعلوا علي الله : أي وبأن لاتطغوا على الله فتكفروا به وتعصوه.

إنى آتيكم بسلطان مبين : أي بحجة واضحة تدل على صدقى فى رسالتى وما اطالبكم به.

وإنى عذت بربى وربكم أن ترجمون أى وانى قد اعتصمت بربى وربكم واستجرت به ان ترجمونى

وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون : أي إن لم تصدقونى فيما جئتكم به فخلوا سبيلي واتركوني.

فدعا ربه : أي فلما كذبه فرعون وقومه وهموا بقتله نادى ربه يارب.

إن هؤلاء قوم مجرمون : أي إن هؤلاء قوم مجرمون بالكفر والظلم.

فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون : أي فأجابه ربه بأن قال له فأسر بعبادى أي بنى إسرائيل ليلاً إن

فرعون وجنده متبعوكم ليردوكم.

وأترك البحر رهواً : أي وإذا اجتزت أنت وقومك البحر فاتركه رهواً ساكناً كما هو حين دخلته مع بنى إسرائيل.

إنهم جند مغرقون : أي وإن فرعون وقومَه جندٌ الله مُغرقُهم فى البحر.

معنى الآيات :

قولـه تعـالى : ﴿ولقد فتنا[(١)]﴾ هذا شروع فى قصة موسى مع فرعون لوجود تشابه بين أكابر مجرمى قريش وبين فرعون فى ظلمه وعلّوه، والقصد تسلية الرسول ﷺ، وتخفيف ألمه النفسى من جَرَّاءِ مايلاقى من أكابر مجرمى قريش فى مكة فقال تعالى : ﴿ولقد فتنا قبلهم﴾ أي قبل كفار قريش قوم فرعون من القبط وجاءهم رسول كريم أى على ربه وعلى قومه من بنى إسرائيل هو موسى بن عمران عليه السلام، أن أدوا أي بأن أدوا أى ادفعوا إلى عباد الله بنى إسرائيل وأرسلوهم معى إنى لكم رسول أمين على رسالتى صادق فى قولي، وبأن لاتعلوا على الله أي بأن لاتطغوا على الله فتكفروا به وتعصوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه. إنى آتيكم بسلطان مبين أي بحجة بينة واضحة على صحة ما أطالبكم به. وإنى عذت[(٢)] بربى وربكم أى استجرت وتحصنت أن ترجمون بأقوالكم[(٣)] أو أعمالكم، وإن لم تؤمنوا أى لم تصدقوا بما جئتكم به فاعتزلون ولما أبوا إلا أذاه وأرادوا قتله دعا ربه قائلا رب إن هؤلاء قوم مجرمون كفرة ظلمة يعنى فرعون وملأه فأوحى إليه ربه تعالى فأسر[(٤)] بعبادى أي بنى إسرائيل إذ هم المؤمنون وغيرهم من القبط كافرون ليلا في آخر الليل وأعلمه أن فرعون وجنوده متبعون لهم ليردوهم وينكلوا بهم. وقوله تعالى : ﴿واترك البحر[(٥)] رهواً إنهم[(٦)] جند مغرقون﴾. إنه لما ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فلقتين ودخل بنو إسرائيل البحر فاجتازوه أراد موسى أن يضرب البحر ليلتئم كما كان حتى لايدخله فرعون وجنده فيدركوهم فقال له ربه تعالى أترك البحر رهواً أى ساكنا كما كان حين دخلتموه حتى إذا دخل فرعون وجنوده اطبقناه عليهم إنهم جند مغرقون وهذا الذى حصل فنجى[(٧)] الله موسى وبنى إسرائيل وأغرق فرعون وجنوده أجمعين.

---

(١) فتنا بمعنى أبتلينا وهو الأمر بالإيمان والطاعة أي عاملتهم معاملة المختبر لهم وذلك ببعث موسى وأخيه هارون عليهما السلام.

(٢) كأنهم هددوه بالقتل فلذا استجار بالله تعالى.

(٣) الرجم بالقول الكذب على الشخص والافتراء عليه كذباً والرجم بالأعمال معناه القتل بالحجارة.

(٤) قرأ نافع وغيره بهمزة وصل وقرأ حفص وغيره بهمزة قطع لأن الفعل ثلاثيا نحو سرى يسري سرياً وأسرى يسري إسراء.

(٥) المراد بالبحر هنا بحر القلزم المعروف اليوم بالبحر الأحمر ورهوا منصوب على الحال والرهوة الفجوة الواسعة مأخوذ من (رها) إذا فتح بين رجليه ،ومعناه: أترك البحر مفتوحاً ساكناً حتى يدخل فرعون وجنده فيهلكون.

(٦) جملة إنهم جند مغرقون تعليلية ومغرقون مقضياً ومحكوم بإغراقهم.

(٧) وكانت هذه النجاة يوم عاشوراء وهو عاشر شهر المحرم لحديث صيام اليهود فيه لأن الله أنجا فيه موسى وبني إسرائيل فصامه الرسول ﷺ وأمر بصيامه وقال نحن أولى بموسى منهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجود تشابه كبير بين فرعون وكفار قريش فى العلو والصلف والكفر والظلم.

٢ ـ مشروعية الاعتبار بما سلف من أحداث فى الكون وَالائتساء بالصالحين.

٣ ـ وجوب الاستعاذة بالله تعالى والاستجارة به إذ لامجير على الحقيقة إلا هو ولا واقي سواه.

٤ ـ مشروعية دعاء الله تعالى على الظالمين وسؤاله النصر عليهم والنجاة منهم.

كَمْ
تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨)
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ
(٣٣)

شرح الكلمات :

كم تركوا من جنات : أي بساتين وحدائق غناء.

ومقام كريم : أي مجلس حسن ومحافل مزينة ومنازل حسنة.

ونعمة كانوا فيها فاكهين : أي نضرة عيش ولذاذته كانوا فيها ناعمين.

وأورثناها قوما آخرين : أي بنى إسرائيل.

فما بكت عليهم السماء والأرض : أي لهوانهم على الله بسبب كفرهم وظلمهم.

وماكانوا منظرين : أي ممهلين حتى يتوبوا.

من العذاب المهين : أي قتل ابنائهم واستخدام نسائهم.

ولقد اخترناهم على علم على العالمين : أي اخترناهم على علم منا على عالمى زمانهم من الإنس والجن. وذلك لكثرة الأنبياء منهم وفيهم.

وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء : أعطيناهم من النعم مافيه بلاء مبين أى واضح كانفلاق البحر والمنِّ والسلوى.
مبين

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى قصة موسى عليه السلام مع عدو الله فرعون عليه لعائن الرحمن قال تعالى : ﴿كم تركوا من[1] جنات﴾ أي كم ترك فرعون وجنوده الذين هلكوا معه في البحر أي تركوا كثيراً من الجنات اى البساتين والعيون الجارية فيها سقي الزروع، ومقام كريم أي منازل حسنة ومحافل مزينة بأنواع الزينة والمحفل مكان الاحتفال، ونعمه[2] أي متعة عظيمة كانوا فيها فاكهين أي ناعمين مترفين وقوله تعالى : كذلك[3] هكذا كانت نعمتهم فسلبناهما منهم لكفرهم بنا وتعاليهم على شرائعنا وأوليائنا، ﴿وأورثناها قوما آخرين[4]﴾ هم بنو إسرائيل إذ رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون. وقوله تعالى : ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾، لأنهم كانوا كافرين لم يعملوا على الأرض خيراً ولم يعرج إلى السماء من عملهم خيرٌ فلمَ يُبكون إنما يبكى المسلم تبكيه الأرض التى كان يسجد عليها ويعبد الله تعالى فوقها وتبكيه السماء التى كان كل يوم وليلة يصعد إليها عمله الصالح، وقوله وماكانوا منظرين أي ممهلين بل عاجلهم الرب بالعقوبة، ولم يمهلهم علهم يتوبون لعلم الله تعالى بطبع قلوبهم وكم واعدوا موسى إن رُفع عنهم العذاب يؤمنون، وما آمنوا. وقوله تعالى ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين هذه بعض أياديه على بنى إسرائيل وهى أنه نجاهم من العذاب المهين الذى كان فرعون وقومه يصبونه عليهم إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم للخدمة والامتهان وأى عذاب مهين أكبر من هذا؟ من فرعون أي من عذاب فرعون الذى كان ينزله بهم إنه كان عالياً من المسرفين أي كان فرعون جباراً طاغياً من المسرفين فى الكفر والظلم. وقوله تعالى ﴿ولقد اخترناهم﴾ أي بنى إسرائيل على علم أي منا على العالمين أى عالمى زمانهم من الثقلين الإنس والجن، وقوله تعالى : ﴿وآتيناهم﴾ أي اعطيناهم من الآيات ﴿مافيه بلاء مبين[5]﴾ أي اختبار عظيم ومن تلك الآيات انفلاق البحر،

---

(١) كم للتكثير كرب للتقليل غالبا.

(٢) النعمة بفتح النون التنعيم يقال نعمه فتنعم. والنعمة بالكسر اليد والصنيعة والمنّة وما أنعم به على المرء ومثلها النعماء والنعمى.

(٣) كذلك قيل الأمر كذلك فيوقف على كذلك وقيل كذلك أفعل بمن عصاني أو كذلك كان أمرهم.

(٤) يرى بعضهم أن المراد بقوم آخرين أنهم غير بني اسرائيل وإنما هم من الأقباط أهل مصر أنفسهم لأن بني إسرائيل لم يعودوا إلى مصر بعد أن خرجوا منها مستدلاً بأن الله تعالى قال ﴿ولقد نجينا بني اسرائيل﴾ ولم يقل (ولقد نجيناهم) فيعود الضمير على بني اسرائيل لكن في آية الشعراء قال تعالى ﴿كذلك وأورثناها بني اسرائيل﴾ فهذا نص صريح وطريق الجمع أن يقال ان بني إسرائيل بعد موت موسى وانتصارهم على الكنعانيين والعمالقة وإقامة دولة في فلسطين دخلوا مصر وحكموها أما على عهد سليمان فإنهم حكموا غالب المعمورة وهذا وجه الجمع والله أعلم.

(٥) في هذا البلاء المبين أربعة أوجه ذكرها القرطبي وهي نعمة ظاهرة ـ عذابه شديد ـ اختبار يتميز به الكافر من المؤمن ـ ابتلاء بالشدة والرخاء.

وتظليل الغمام لهم والمن والسلوى فى التيه الى غير ذلك مما هو اختبار عظيم لهم أيشكرون أم يكفرون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان سنة الله فى سلب النعم وإنزال النقم بمن كفر نعم الله ولم يشكرها فعصى ربه واطاعه هواه ونفسه فترك الصلاة واتبع الشهوات وترك القرآن واشتغل بالأغانى، وأعرض عن ذكر الله واقبل على ذكر الدنيا ومفاتنها.

٢ ـ بيان هَوَان أهل الكفر والفسق على الله وعلى الكون كله، وكرامة أهل الإيمان والتقوى على الله وعلى الكون كله حتى ان السماء والأرض تبكيهم إذا ماتوا.

٣ ـ ذم العلو فى الأرض وهو التكبّر والإسراف فى كل شيء.

٤ ـ بيان أن الله يبتلى أي يختبر عباده بالخير والشر.

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

إنّ هؤلاء : أي المشركين من قريش.

إن هى إلا موتتنا الأولى : أي لاحياة بعدها ولاموت وهذا تكذيب بالبعث الآخر.

ومانحن بمنشرين	: أي بمبعوثين أحياء من قبورنا بعد موتنا.
فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين	: أي فأت يامحمد بآبائنا الذين ماتوا إن كنت صادقاً فى أننا بعد موتنا وبلانا نبعث أحياء من قبورنا.
أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم	: أي هؤلاء المشركون خير فى القوة والمناعة أم قوم تبع والذين من قبلهم كعاد.
أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين	: أي انزلنا بهم عقوبتنا فأهلكناهم إنهم كانوا قوما مجرمين.
لاعبين	: أي عابثين بخلقهما لا لغرض صالح.
ماخلقناهما إلا بالحق	: أي إلا لأمر اقتضى خلقهما وهو أن أذكر فيهما وأشكر.
إنَّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين	: أي إن يوم القيامة الذى يفصل فيه بين الخلائق ويحكم ميعادهم أجمعين حيث يجمعهم الله فيه.
يوم لايغنى مولى عن مولى شيئاً	: أي يوم لايكفى قريب قريبه بدفع شيء من العذاب عنه.
ولاهم ينصرون	: أي لاينصر بعضهم بعضا.
إلا من رحم الله	: أي لكن من رَحِمَهُ الله فإنه يدفع عنه العذاب وينصر.
إنه هو العزيز الرحيم	: أي الغالب المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى طلب هداية قوم النبى محمد ﷺ فما ذكر قصص موسى وفرعون إلا تنبيها وتذكيراً لعلهم يتذكرون فقال تعالى : ﴿إن هؤلاء﴾ الأذنون الهابطين بعقولهم الى أسوا المستويات مايستحون ولايخجلون فيقولون إن هى[١] إلا موتتنا الأولى منكرين للبعث والجزاء ليواصلوا كفرهم وفسقهم، فلذا قالوا ومانحن بمنشرين أي بمبعوثين أحياء من قبورنا كما تعدنا يامحمد، وان أصررتم على قولكم بالحياة الثانية فأتوابآبائنا الذين ماتوا[٢] ﴿إن كنتم صادقين﴾ فى ذلك وقولهم فأتوا وإن كنتم ليس من باب تعظيم الرسول ﷺ وانما شعور منهم أنه ليس وحده فى هذه الدعوة بل وراءه من هو دافع له على ذلك.[٣]

(١) ان هي إلا موتتنا الأولى مبتدأ وخبر نحو إن هي إلا حياتنا الدنيا فإن نافية بمعنى ما والضمير مبتدأ وما بعد إلا الخبر.

(٢) قيل في هذا القائل انه أبو جهل قال للرسول ﷺ يا محمد إن كنت صادقاً في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا أحدهما قصي بن كلاب فإنه كان رجلاً صادقاً لنسأله عما كان بعد الموت.

(٣) جائز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ وجائز أن يكون مع المؤمنين وهذا هو الظاهر لأن النبي ﷺ كان معه أصحابه يدعون بدعوته وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ومن آمن معه من أعيان مكة وأشرافها كعثمان وعلي وعمر رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله تعالى : ﴿أهم[1] خير أم قوم تبع[2] والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا قوما مجرمين﴾؟ انهم ليسوا بخير منهم بأي حال لافى المال ولا فى الرجال فكما أهلكناهم نهلك هؤلاء، وأهلكنا الأولين لأنهم كانوا مجرمين أي على أنفسهم بالشرك والمعاصى، وهؤلاء مجرمون أيضا فهم مستوجبون للهلاك وسوف يهلكون إن لم يتوبوا فيؤمنوا ويوحدوا ويطيعوا الله ورسوله.

وقوله تعالى : ﴿وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ ماخلقناهما إلا بالحق ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ هذا دليل على البعث والجزاء إذ ليس من الحكمة ان يخلق الله الكون لا لشيء ثم يعدمه ولا شيء وراء ذلك هذا من اللعب والعبث الذى ينتزه عنه العقلاء فكيف بواهب العقول جل وعز إنه ماخلق الكون إلا ليذكر فيه ويشكر فمن ذكره فيه وشكره أكرمه وجزاه بأحسن الجزاء، ومن تركه وكفره أهانه وجزاه بأسوء الجزاء وذلك يتم بعد نهاية هذه الحياة ووجود الحياة الثانية وهو يوم القيامة.

ولذا قال تعالى : ﴿إنَّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين﴾ أي إنَّ يوم القيامة لفصل القضاء والحكم بين الناس فيما اختلفوا من التوحيد والشرك، والبرور والفجور هو ميعادهم الذى يحضرون فيه اجمعين يوم لايغنى مولى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون أي يوم لايكفى أحد قريب كابن العم عن أحد بِدَفْع شيء من العذاب عنه، وَلاَ بِنَصْرِ بعضهم بعضاً كما كانوا فى الدنيا، وقوله تعالى إلا من رحم الله أي لكن من رحم الله فى الدنيا بالإيمان والتوحيد فإنه يرحمه فى الآخرة فيشفع فيه وليأمن أوليائه انه تعالى هو العزيز أي الانتقام من أعدائه الرحيم بأوليائه. والناس بين ولي لله وعدو فأولياؤه هم المؤمنون المتقون وأعداؤه هم الكافرون الفاجرون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ - الإجرام هو سبب الهلاك والدمار كيفما كان فاعله.

٣ - تبع الحميرى كان عبدا[3] صالحا ملكاً حاكماً وكان قومه كافرين فأهلكهم الله وأنجاه ومن معه

---

(١) الاستفهام إنكاري أي ليسوا خيرا من قوم تبع والذين من قبلهم كعاد وثمود وقد أهلكهم الله والمراد من قوم تبع أقوام ملوك التبابعة إذ تبع لقب لمن يملك بلاد اليمن كلها ككسرى للفرس وقيصر للروم.

(٢) في مسند أحمد رحمه الله أن النبي ﷺ قال «لاتسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم» ولذا ذكر تعالى هلاك قومه ولم يذكره معهم ويقال له أسعد ويكنى أبا كرب وكان قبل البعثة المحمدية بألف سنة أو ما يقارب ذلك وقصة حياته مشهورة في كتب السيرة وفي كتابنا هذا الحبيب بيان ذلك.

(٣) إنه غزا المدينة بعد عودته من غزو العراق وأراد خرابها ثم ترك لما علم من قبل اليهود أنها مهاجر نبي اسمه أحمد فقال شعراً تركه عند أهلها فتوارثوه كابراً عن كابر إلى أن هاجر النبي ﷺ فأدوه إليه ومر بالكعبة فكساها وهذا شعره:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النَّسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

من المؤمنين الصالحين ففى هذا الملك الصالح عبرة لمن يعتبر.
٤ ـ تنزه الرب تعالى عن اللعب والعبث فيما يخلق ويهب، ويأخذ ويعطى ويمنع.
٥ ـ يوم القيامة وهو يوم الفصل ميعاد الخليقة كلها حيث تجمع لفصل القضاء.
٦ ـ لاتنفع قرابة ولاخلة ولاصداقة يوم القيامة، ولكن الإيمان والعمل الصالح.

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

إن شجرة الزقوم : أي الشجرة التى تثمر الزقوم وهى من اخبث الشجر ثمراً مرارة وقبحاً.

طعام الأثيم : أي ثمرها طعام الأثيم أبى جهل وأصحابه من ذوى الأثام الكبيرة.

كالمهل : أي كدِرْدِىّ الزيت الأسود.

يغلى فى البطون كغلي الحميم : أي الماء الشديد الحرارة.

خذوه فاعتلوه : أي يقال للزبانية خذوه فاعتلوه أي جروه بغلظة وشدة.

إلى سواء الجحيم : أي إلى وسطها.

ذق انك أنت العزيز الحكيم : أي ذق العذاب إنك كنت تقول مابين جبلي مكة أعز وأكرم منى.

ما كنتم به تمترون : أي إنَّ هذا العذاب الذى كنتم تمترون به أى تشكون فيه.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر النار وما فيها من ضروب العذاب فقال تعالى : ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ كأبي جهل وأضرابه من ذوى الآثام، وشجرة الزقوم تنبت فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فى القبح وثمرها الذى هو الزقوم مر أشد المرارة جعلها الله تعالى

طعام الأثيم أبى جهل وذوى الآثام الكبيرة. وقوله تعالى فى الاخبار عنها ﴿كالمهل يغلى فى[1] البـطون كغلى الحميم﴾ أي كدردي الزيت يغلى فى بطون الآثمين كغلي الحميم أي الماء الحار الشديد الحرارة. وقوله تعالى : ﴿خذوه فاعتلوه الى[2] سواء الجحيم﴾، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم أي يقال للزبانية وهم الملائكة الموكلون بالنار وعذابها خذوه فاعتلوه أي ادفعوه واجذبوه بعنف إلى وسط الجحيم، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم أي صبوا فوق رأسه الماء الحار الشديد الحرارة ويقال له: تهكما به ذق إنك أنت[3] العزيز الكريم أي كما كنت تقول في الدنيا إذ كان أبو جهل يقول: مابين جبلى مكة أعز وأكرم منى، وكان يجمع أولاده ويضع بين أيديهم الزبدة وتمر العجوة ويقول لهم تزقموا هذا هو الزقوم الذى يهددنا به محمد اللهم صلى وسلم على نبينا محمد وقوله تعالى : ﴿إن هذا ما كنتم به تمترون﴾ أي يقال لهم إن هذا أي العذاب الذى كنتم تشكون فى أنه كائن يوم القيامة، وذلك لتكذيبهم بالبعث والجزاء يوم القيامة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ ـ عظم عذاب النار وفظاعة مايلاقيه ذوو الآثام الكبيرة فيها.

٣ ـ يوجد شجرة بأريحا من الغور لها ثمر كالتمر حلو عفيص ، لنواه دهن عظيم المنافع عجيب الفعل فى تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل والنقرس وعرق النسا والريح اللاحجة فى حق الورك، يشرب منه زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام، وربما أقام الـزمنى، والمقعدين. ذكر هذا صاحب حاشية الجمل على الجلاليين عند تفسير هذه الآية. ولو أمكن أخذ هذا الثمر واستخراج زيته والتداوى به لكان خيرا.

٤ ـ من أشد أنواع العذاب فى النار العذاب النفسى بالتهكم والسخرية من المعذبين وهو العذاب المهين الذى يُهين المعذبين ويدوس كرامتهم.

---

(١) قرأ نافع تغلي بالتاء وقرأ حفص بالياء على رجوع الضمير إلى الطعام لا إلى المهل.

(٢) العتل القود بعنف وشدة. وقرأ نافع فاعتلوه بضم التاء وقرأ حفص فاعتلوه بجر التاء.

(٣) هذا مقول قـول محذوف تقديره: قولوا له ذق. . والذوق مستعار للإحساس وصيغة الأمر هنا مستعملة في الإهانة وجملة. إنك أنت العزيز الكريم جملة تعليلية للأمر قبله ذق انك. والمراد بها التهكم والازدراء إذ المراد أنك أنت الذليل المهان.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

ان المتقين فى مقام آمين	: أي إن الذين اتقوا ربهم فى الدنيا فآمنوا وعملوا الصالحات بعد اجتناب الشرك والمعاصى فى مجلس آمين لايلجقهم فيه خوف بحال.
فى جنات وعيون	: هذا هو المقام الأمين.
من سندس واستبرق	: أي مارق من الديباج، وماغلظ منه.
متقابلين	: أي لاينظر بعضهم إلى قفا بعض لأن الأسرة تدور بهم.
كذلك، وزوجناهم	: أي الأمر كذلك وزوجناهم.
بحور عين	: أي بنساء بيض واسعات الأعين.
يدعون فيها	: أي يطلبون الخدم فيها أن يأتوهم بكل فاكهة.
آمنين	: أي من انقطاعها ومن مضراتها ومن كل مخوفٍ.
لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى	: أي لكن الموتة الأولى فقد ذاقوها.
فإنما يسرناه بلسانك	: أي سهلنا القرآن بلغتك.
لعلهم يتذكرون	: أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون لكنهم لايؤمنون.
فارتقب إنهم مرتقبون	: أي فانتظر هلاكهم فإنهم منتظرون هلاكك.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال أهل النار عقب عليه بذكر حال أهل الجنة وهذا هو أسلوب الترغيب والترهيب الذى تميز به القرآن الكريم لأنه كتاب دعوة وهداية زيادة على أنه كتاب تشريع وأحكام فقال عز من قائل : ﴿إن المتقين فى مقام[1] أمين فى جنات وعيون﴾ فأخبر تعالى أن الذين اتقوه فى الدنيا فآمنوا به وأطاعوه فى أمره ونهيه ولم يشركوا به هؤلاء فى مقام آمين أي فى مجلس آمن لايلحقهم فيه خوف، وبين ذلك المقام الأمن بقوله ﴿فى جنات﴾ أي بساتين وعيون. يلبسون أي ثيابهم من[2] سندس واستبرق، والسندس مارق من الحرير والاستبرق ماغلظ منه، وقوله متقابلين أي لاينظر بعضهم إلى قفا بعض لأن الأسرة التى هم عليها تدور. وقوله تعالى : ﴿كذلك﴾ أي الأمر كذلك أي كما وصفنا وزوجناهم بحور[3] عين، الحوراء من النساء البيضاء ومن فى عينيها حورٌ وهو كِبَر بياض العين على سوادها والعِينُ جمع عيناء وهى واسعة العينين. وقوله ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ أي يطلبون الخدمة أن يوافوهم بكل فاكهة حال كونهم آمنين من انقطاعها ومن ضررها ومن كل مخوف يلحق بسببها أو بسبب غيرها.

وقوله تعالى : ﴿لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى[4]﴾ أي لايذوقون فى الجنة الموت بعد الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا فإن أهلها لايمرضون ولايهرمون ولايموتون وقوله تعالى : ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾، وهذا دال على أن غير المتقين من الموحدين قد يذوقون عذاب الجحيم قبل دخولهم الجنة بخلاف المتقين فإنهم لايدخلون النار البتة وقوله تعالى : ﴿فضلا من ربك﴾ أى كان ذلك الإنعام والتكريم فضلا من ربك إذ لم يستوجبوه لمجرد تقواهم وقد قال الرسول ﷺ فى حديث مسلم «سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله» قالوا ولا أنت يارسول الله قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل». وقوله ذلك هو الفوز العظيم. أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم وهو كما فى قوله من سورة آل عمران : ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾.

وقوله تعالى : ﴿فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون[5]﴾ أي فإنما سهلنا القرآن بلغتك العربية

---

(١) المقام بضم الميم مكان الإقامة، والمقام بالفتح مكان القيام ويتناول السكن وما يتبعه. وقرأه نافع بضم الميم وقرأه حفص بفتح الميم.

(٢) من سندس من لبيان الجنس والمبين محذوف دل عليه يلبسون أي ثياباً.

(٣) عن ابن مسعود أن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم. وقال مجاهد إنما سميت الحور حوراً لأنهن يحار الطرف في حسنهن وبياضهن وصفاء لونهن ولا منافاة بين هذه الصفات. وروى أن إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين في أثرين أحدهما عن أنس ونصه كنس المساجد مهور الحور العين.

(٤) الاستثناء منقطع أي لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

(٥) الباء سببية أي يسرناه للحفظ والفهم بسبب لغتك العربية إذ المراد باللسان اللغة لا الجارحة المعروفة.

لعلهم يتذكرون فيتعظون فيؤمنون ويتقون. لكن أكثرهم لم يتعظ فارتقب مايحل بهم فإنهم منتظرون مايكون لك من نجاح أو إخفاق.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ فضل التقوى وكرامة أهلها والتقوى هى خشية من الله تحمل على طاعة الله بفعل محابه وترك مكارهه.

٢ ـ بيان شيء من نعيم أهل الجنة ترغيباً في العمل لها.

٣ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤ ـ بيان الحكمة من تسهيل فهم القرآن الكريم وهو الاتعاظ المقتضى للتقوى.

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

مكيـــــة وآياتها سبع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

حم : هذا أحد الحروف الهجائية يكتب هكذا: حـم ويقرأ هكذا: حَامِيمْ.

تنزيل الكتاب : أي القرآن.

من الله العزيز الحكيم : أي من عند الله العزيز الانتقام من أعدائه الحكيم فى تدبيره.

إن فى السموات والأرض	: أي إن فى خلق السموات والأرض.
لآيات	: أي لدلالات واضحـات على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته وهي موجبات الربوبية والألوهية له وحده دون سواه.
للمؤمنين	: أي لأنهم بالإيمان أحياء يبصرون ويسمعون فيرون الآيات.
وفى خلقكم	: أي وفى خلقكم أيها الناس وتركيب أعضائكم وسلامة بنيانكم.
ومابث من دابة	: أي وماخلق ونشر من أنواع الدواب من بهائم وغيرها.
آيات لقوم يوقنون	: أي علامات على قدرة الله تعالى على البعث الآخر إذ الخالق لهـذه العوالم قادر على إعادتها بعد موتها، ولكن هذه الآيات لايراهـا إلا القـوم المـوقنـون فى ايمانهم بربوبية الله والوهيته وصفات الجلال والكمال له.
واختلاف الليل والنهار	: أي بمجىء هذا وذهاب ذاك وطول هذا وقصر ذاك على مدى الحياة.
وما أنزل الله من السماء من رزق	: أي من مطر، وسمي المطر رزقا لأنه يسببه.
فأحيا به الأرض بعد موتها	: أحيا بالمطر الأرض بعد موت نباتها بالجدب.
وتصريف الرياح	: أي من صبا إلى دبور، ومن شمال إلى جنوب، ومن سموم إلى باردة ومن نسيم إلى عاصفة.
آيات لقوم يعقلون	: أي فى اختـلاف الليل والنهـار وانزال المطر واحياء الأرض وتصريف الرياح دلالات واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمتـه واقتضـاء ذلك ربوبية الله والوهيته، لقوم يعقلون أي يستعملون عقولهم فى إدراك الأشياء واستنتاج النتائج من مقدماتها.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿حم﴾ : الله أعلم بمراده به إذ هو من المتشابه الذى أمرنا أن نؤمن به ونفوض أمر معناه إلى من انزله سبحانه وتعالى. وقد ذكرنا مرات فائدتين لهذه الحروف المقطعة فلتراجع فى أكثر السور المفتتحة بالحروف المقطعة كحمٓ الدخان السورة التى قبل هذه السورة. وقوله

تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم[1] أي تنزيل القرآن كان من عند الله العزيز أي الانتقام من أعدائه الحكيم فى تدبير أمور خلقه وقوله تعالى : ﴿إن فى السموات والأرض﴾ أي في خلقهما وإيجادهما ومافيها من عجائب الصنعة لآيات للمؤمنين[2] تدلهم على استحقاق ربهم للعبادة دون سواه من سائر خلقه، وخُصَّ المؤمنون بهذه الآيات لأنهم أحياء يسمعون ويبصرون ويعقلون فهم إذا نظروا فى السموات والأرض تجلت لهم حقائق آن الخالق لهذه العوالم لن يكون إلا قادراً عليماً حكيماً عزيزاً ومن ثم وجب أن لايعبد إلا هو، وكل عبادة لغيره باطلة.

وقوله: وفى خلقكم أيها الناس أي فى أطوار خلقكم من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى بشر سوى الخلقة معتدل المزاج والتركيب له سمع وبصر ونطق وفكر.

ومايبث من دابة أي ومايخلق ومايفرق وينشر فى الأرض من أنواع الدواب والبهائم والحيوانات على اختلافها من برية وبحرية آيات لقوم يوقنون[3] أي يوقنون فى إيمانهم بالله تعالى وآياته، كما يوقنون بحقائق الأشياء، الثابتة لها فالواحد مع الواحد اثنان والموجود ضد المعدوم، والأبيض خلاف الأسود، والابن لابد له من أب، والعذب خلاف المر فأصحاب هذا اليقين يرون فى خلق الانسان والحيوان آيات دالة على وجود الله وعلمه وعزته وحكمته وقدرته على البعث والجزاء الذى أنكره عادمو العقول من المشركين والكافرين. وقوله: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي بتعاقبهما بمجيء الليل وذهاب النهار، والعكس كذلك وبطول أحدهما وقصر الآخر تارة والعكس كذلك وما أنزل الله من السماء من رزق أى من مطر هو سبب الرزق فأحيا به الأرض بعد موتها بيُبْسِ النبات وموته عليها، وتصريف الرياح من صبا الى دبور، ومن شمال الى جنوب ومن رخاء لينة إلى عاصفة ذات برد أو سموم إن فى المذكورات آيات حججاً ودلائل دالة على وجود عبادة الله وتوحيده فى ذلك، ولكن لقوم يعْقلون[4] أي لذوى العقول النيرة السليمة. أما الذين لاعقول لهم فلا يرون ولا فى غيرها آية فضلا عن آياتٍ.

---

(١) تنزيل الكتاب مبتدأ خبره من الله وإيثار وصفي العزيز الحكيم من بين أسماء الله وصفاته الإيماء إلى أن هذا الكتاب ذو نبأ عظيم فهو عزيز بعزة منزله لا يقدر على مثله وذو حكم لا يخلو منها.

(٢) كون الآيات للمؤمنين دون الكافرين باعتبار أنهم هم المنتفعون بها لأنهم يسمعون ويبصرون ويعقلون والكافرون فاقدون لذلك فلم تكن الآيات لهم لعدم انتفاعهم بها.

(٣) اليقين لا يكون إلا بعد الإيمان فالإيمان يثمر اليقين فالمؤمن يرى في خلق السموات والأرض أي في إيجادهما على ما هما عليه آيات على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته فيرتفع إيمانهم إلى مرتبة اليقين فيرون في أدق الأشياء كالأجنة في الأرحام وما هو أخفى يرون فيه آيات تزيد في يقينهم وتحملهم على حبهم لله وطاعتهم له والتقرب إليه.

(٤) والعقل مرتبة ثالثة بعد الإيمان واليقين في باب الاهتداء فالذي يرى اختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وما ينجم عنها من نباتات وزروع ولم يهتد إلى الإيمان فيؤمن فهو غير عاقل ولا يصح نسبته إلى العقلاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ عظم شأن القرآن الكريم لأنه تنزيل الله العزيز الحكيم .

٢ ـ الإيمان أعم من اليقين ومقدم عليه فى الترتيب واليقين أعلى فى الرتبة .

٣ ـ فضل العقل(١) السليم إن استخدم فى الخير وماينفع .

٤ ـ تقرير ألوهية الله تعالى بتقرير ربوبيته فى الخلق والتدبير والعلم والحكمة .

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ
ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا
وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا
هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

تلك آيات الله : أي تلك الآيات المذكورة آيات الله أى حججه الدالة على وحدانيته .

نتلوها عليك بالحق : أي نخبرك عنها بالحق لابالباطل كما يخبر المشركون عن آلهتهم أنها تقربهم إلى الله زلفى كذبا وباطلا .

فبأى حديث بعد الله وآياته : أي فبأي حديث أيها المشركون بعد حديث الله هذا الذى يتلوه عليكم وبعد حججه هذه .

تؤمنون : أي تصدقون والجواب أنكم لاتؤمنون .

ويل لكل أفاك أثيم : أي عذاب الويل لكل كذاب ذى آثام كبيرة وكثيرة .

---

(١) من شروط التكليف العقل بلا خلاف بين أئمة الإسلام والكافر غير مكلف بفروع الشريعة أيضاً لأنه لو عقل لآمن ولو آمن لكلف فالكافر لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل فكيف يكلف؟

يسمع آيات الله تتلى عليه : أي يسمع آيات القرآن كتاب الله تقرأ عليه.
ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها : أي ثم يصر على الكفر حال كونه مستكبرا عن الإيمان والتوحيد كأن لم يسمعها.
وإذا علم من آياتنا شيئاً : أي إذا بلغه شيء من القرآن وعلم أنه من القرآن.
اتخذها هزوا : أي اتخذ تلك الآية أو الآيات مهزواً بها متهكما ساخراً منها.
لهم عذاب مهين : أي ذو اهانة لهم يهانون به وتكسر أنوفهم.
من ورائهم جهنم : أي أمامهم جهنم وذلك يوم القيامة، والوراء يطلق على الأمام كذلك.
ولايغنى عنهم ماكسبوا شيئاً : أي لايكفى عنهم ماكسبوه من المال والأفعال التى كانوا يعتزون بها شيئاً من الإغناء.
ولاما اتخذوا من دون الله من أولياء : أي ولايغنى عنهم كذلك ما اتخذوه من أصنام آلهة عبدوها دون الله تعالى
هذا هدىً : أي هذا القرآن الذى أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ هُدىً أى كله حجج وبراهين ودلالات هادية.
والذين كفروا بآيات ربهم : أي والذين كفروا بالقرآن فلم يهتدوا به وبقوا على ضلالهم من الشرك والمعاصى.
لهم عذاب من رجز أليم : أي لهم عذاب موجع من نوع الرجز وهو أشد أنواع العذاب.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى طلب هداية قريش فبعد أن بيّن تعالى آياته فى الآفاق وفى الأنفس قال لرسوله ﷺ تلك[1] آيات الله أى تلك الآيات المذكورة أي آيات الله أي حججه الدالة على وجوده وعلمه وقدرته وموجبة لربوبيته على خلقه وألوهيته فهو الإله الحق الذى لا إله إلا هو حق سواه. وقوله فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون أي إن لم يؤمن هؤلاء المشركون بالله رباً وإلهاً لارب غيره ولا إله سواه، وبآياته القرآنية الحاملة للهدى والخير والنور فبأى شيء يؤمنون أي يصدقون لاشيء يؤمنون لأن الاستفهام إنكارى والإنكار كالنفى فى معناه.

وقوله ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾[2] يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها هذا

(١) أشار إليها بلام البعد للدلالة على علو شأنها وعزة مرامها ولولا هذا لقال هذه آيات الله لقرب ذكرها.
(٢) صاحب هاتين الصفتين كثرة الإفك وكثرة الإثم هو في خبث نفسه كالشياطين سواء بسواء إذ مثله هو الذي تتنزل عليه الشياطين ويتحد معها على الخبث والكفر والشر والإفساد.

وعيد من الله تعالى شديد لكل كذاب يقلب الكذب فيصف الطاهر بالخبيث والخبيث بالطيب والكاذب بالصادق، والصادق بالكاذب أثيم منغمس فى كبائر الإثم والفواحش. يسمع هذا الأفاك الاثيم آيات الله تتلى عليه وهى القرآن الكريم، ثم يصر على الكفر مستكبرا عن الإيمان به وبما يدعو إليه من التوحيد، كأن لم يسمع تلك الآيات. قال تعالى لرسوله فبشره[1] بعذاب أليم وقوله تعالى وإذا علم أي ذلك الأفاك الأثيم من آياتنا شيئاً كأن تبلغه الآية أو الآيات من القرآن اتخذها هزواً أي أخذ يهزأ بها ويسخر منها، ويواصل ذلك فيجعلها هزواً بها، قال تعالى: أولئك أي الأفاكون الأثمون وما أكثرهم لهم عذاب مهين أي فيه إهانة زائده تنكسر منها أنوفهم التى كانت تأنف الحق وتستكبر عنه. وقوله تعالى: ﴿من ورائهم جهنم﴾ هذا وعيد لهم تابع للأول إذ أخبر تعالى أن من ورائهم جهنم وذلك يوم القيامة ولفظ الوراء يطلق ويراد به الأمام فهو من الألفاظ المشتركة فى معنيين فأكثر وقوله ﴿ولايغنى عنهم ماكسبوا شيئا﴾[2] أي ولايكفى عنهم أموالهم ولا أولادهم ولاجاههم ولا كل ماكسبوا فى هذه الدنيا أي لايدفع ذلك عنهم شيئا من العذاب، وكذلك لاتغنى عنهم آلهتهم التى عبدوها من دون الله شيئا من دفع العذاب. ولهم عذاب عظيم لايقادر قدره، وكيف والعظيم جل جلاله وصفه بأنه عظيم.

وقوله تعالى: ﴿هذا هدى﴾[3] أي هذا القرآن هدى أي يخرج من الضلالة الى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد لما فيه من الهدى والنور، ولما يدعو إليه من الحق والعدل والخير والذين كفروا به وأعرضوا عنه وهو آيات الله وحججه على خلقه هؤلاء لهم عذاب من رجز أليم أي عذاب هو من أشد أنواع العذاب لأنهم بالكفر بالآيات لم يزكوا أنفسهم ولم يطهروها فماتوا على أخبث النفوس وشرها فلا جزاء لهم إلا رجز العذاب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ القرآن نور وأعظم نور فمن لم يهتد عليه لايرجى له الهداية أبداً.

٢ ـ الوعيد الشديد لأهل الإفك والآثام، والإفك الكذب المقلوب.

٣ ـ شر الناس من إذا سمع آيات الله استهزأ وسخر منها أو ممن يتلوها.

---

(١) البشارة تكون بالخبر السار الذي تَتَهلَّلُ به البشرةُ بالبشر والطلاق والتبشير بالعذاب يورث اسوداد الوجه وكلوحه فالبشارة هنا من باب التهكم به أو لكون البشرة تتغير للخبر فصح إطلاق البشارة عليه.

(٢) في الآية إشارة إلى أن اصحاب هذه الصفات يكونون من أرباب الأموال لأنهم يكتسبونها بكل وسيلة ولو ببيع عقولهم وضمائرهم وأموالهم والمحافظة عليها من عوامل ردهم لدعوة الإسلام ومحاربتها كما هو مشاهد.

(٣) هذا هدى أي هذا القرآن هدى في ذاته وما يدعو إليه ومن كفر به فحرم الهداية فلم يهتد فلا جزاء له إلا جزاء العذاب الأليم.

٤ ـ لم يغن عمن مات على الكفر شيء من كسب في هذه الحياة الدنيا من مال وولد وجاه وسلطان.

٥ ـ لم يغن عن المشرك ما كان يعبد من دون الله أو مع الله من أصنام وأوثان وملائكة أو أنبياء أو أولياء.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن
فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾
قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ
قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

الله الذى سخر لكم البحر : أي الله المعبود بحق لا الآلهة الباطلة سخر لكم أي لأجلكم البحر بأن جعله أملس تطفو فوقه الأخشاب ونحوها.

لتجرى الفلك فيه بأمره : أي جعله كذلك لتجرى السفن فيه بإذن الله تعالى.

ولتبتغوا من فضله : أي لتسافروا إلى طلب الرزق من إقليم إلى إقليم.

ولعلكم تشكرون : أي رجاء أن تشكروا نعم الله عليكم.

وسخر لكم مافى السموات : أي من شمس وقمر ونجوم ورياح وماء أمطار.

وما فى الأرض جميعا : أي ومافى الأرض من جبال وأنهار وأشجار ومعادن منه تعالى.

إن فى ذلك لآيات : أي علامات ودلائل وحجج على وجود الله والوهيته

لقوم يتفكرون : أي لقوم يستخدمون عقولهم فيتفكرون فى وجود هذه المخلوقات ومن أوجدها ولماذا أوجدها فتتجلى لهم حقائق وجود الله وعلمه وقدرته ورحمته فيؤمنوا ويوحدوا.

قل للذين آمنوا يغفروا : أي قل يارسولنا للمؤمنين من عبادنا يغفروا أي يتجاوزوا

ولايؤخذوا.

الذين لايرجون أيام الله : أي لايتوقعون أيام الله أي بالإدالة منهم للمؤمنين فيذلهم الله وينصر المؤمنين عليهم وهم الرسول وأصحابه وهذا قبل الأمر بجهادهم.

ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون : أي ليجزى تعالى يوم القيامة قوماً منهم وهم الذين علم تعالى أنهم لايؤمنون بما كسبوه من أذى الرسول والمؤمنين.

من عمل صالحا فلنفسه : أي فهو الذى يرحم ويسعد به.

ومن أساء فعليها : أي ومن عمل سوءاً فالعقوبة تحل به لابغيره.

ثم إلى ربكم ترجعون : أي يعد الموت ويحكم بينكم فيما كان بينكم من خلاف وأذى.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى هداية قوم النبى ﷺ فقوله تعالى : ﴿الله الذى سخر لكم﴾[(١)] تذكير لأولئك المعرضين بالحجج والآيات الدالة على وجوب الإيمان بالله وتوحيده وطاعته فهو تعالى يعرفهم أن مابهم من نعم هى من الله لامن غيره من تلك الآلهة الباطلة.الله لاغيره هو الذى سخر لكم أي ذلل ويسر وسهل مافى السموات من شمس وقمر ونجوم وسحب وأمطار ورياح لمنافعكم، وسخر لكم مافى الأرض من جبال وأشجار وأنهار وبحار ومعادن وحيوانات على اختلافها كل ذلك منه[(٢)] وهو وهبه لكم، إن فى ذلك المذكور من إنعام الله عليكم بكل ماسخر لكم لأيات لقوم[(٣)] يتفكرون فيهديهم تفكيرهم إلى وجوب حمد الله تعالى وشكره بعد أن آمنوا به ووحدوه فى ربوبيته وألوهيته. وقوله تعالى : ﴿قل للذين آمنوا يغفروا[(٤)] للذين لايرجون أيام الله[(٥)] ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾. يأمر تعالى رسوله أن يقول لصحابته أيام الخوف فى مكة قبل الهجرة إصفحوا وتجاوزوا عمن يؤذيكم من كفار قريش، ولاتردوا الأذى بأذى مثله بل اغفروا لهم ذلك وتجاوزوا عنه، وقد نسخ هذا بالأمر بالجهاد.

وقوله تعالى ﴿ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾ تعليل للأمر بالصفح والتجاوز أي ليؤخر لهم

---

(١) ذكر تعالى في هذه الآيات كمال قدرته وتمام نعمته على عباده وبين انه خلق ما خلق لمنافعهم.

(٢) منه من ابتدائيه أي جميع ذلك المذكور المسخر من عند الله تعالى ليسر لغيره فيه أدنى شركة وموقع (منه) موقع الحال أي سخر لكم ما سخر حال كونه منه.

(٣) التفكر هو منبع الإيمان واليقين والعقل إذ من فكر عقل ومن عقل آمن ومن آمن ايقن ومن أيقن طلب النجاة من النار والفوز بالجنان بالإيمان وصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي.

(٤) يغفروا مجزوم لانه في جواب الأمر «قل» وجائز أن يكون مجزوما بتقدير لام الأمر محذوفة أي ليغفروا.

(٥) جائز أن يراد بأيام الله ثـوابه وعقابه أو نصره لأوليائه وإيقاعه باعدائه. أو البعث الآخر ولقائه.

ذلـك الى يوم القيامـة ويجـزيهم به أسوأ الجزاء لأنه كسب من شر المكاسب إنه أذية النبى والمؤمنين أولياء الله، وفى تنكير قوما يدل على أن بعضهم سيؤمن ولا يعذب يوم القيامة فلا يعذب إلا من مات على الكفر والشرك منهم.

وقوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً فانفسه﴾[1] أي من عمل صالحاً فى هذه الحياة الدنيا من إيمان وطاعة لله ورسوله فى أوامرهما ونواهيهما فزكت بذلك نفسه وتأهل لدخول الجنة فإن الله يدخله الجنة ويكون عمله الصالح قد عاد عليه ولم يعد على غيره إن الله غني عن عمل عباده، وغير العامل لاتطهرنفسه ولاتزكو بعمل لم يباشره بنفسه،وقوله ومن أساء أي في حياته فلم يؤمن ولم يعمل صالحاً يزكي به نفسه، فجزاء كسبه السيء من الشرك والمعاصى عائد على نفسه عذاباً فى النار وخلوداً فيها.[2]

وقوله تعالى: ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أي إنكم أيها الناس بعد هذه الحياة وماعملتم فيها من صالح وسيء ترجعون إلى الله يوم القيامة ويجزيكم كلًّا بحسب عمله الخير بالخير والشر بمثله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير التوحيد والبعث[3] والجزاء والنبوة.

٢ ـ بيان علة الإنعام الإلهى على العبد وهى أن يشكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وصرف تلك النعم فى مرضاته تعالى لافى معاصيه الموجبة لسخطه.

٣ ـ مشروعية التسامح مع الكفار والتجاوز عن أذاهم فى حال ضعف المسلمين.

٤ ـ تقرير قاعدة أن المرء لايؤخذ بجريرة غيره.

٥ ـ تقرير أن الكسب يؤثر فى النفس ويكون صفة لها وبه يتم الجزاء فى الدار الآخرة من خير وغيره قال تعالى سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم (الأنعام).

---

(١) العمل الصالح شرطه الإيمان ولذا ما ذكر العمل الصالح في القرآن إلا والإيمان مقروناً به إلا ما ندر كهذه الآية.

(٢) الخلود في النار خاص بالمشركين والكافرين أما أهل الإيمان والتوحيد فلا يخلدون في النار لحسنة الإيمان والتوحيد.

(٣) هذه الأصول الثلاثة عليها مدار استقامة العبد وجل السور المكية تعالجها فلا تكاد توجد سورة تخلو من تحقيقها والدعوة إليها.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

الكتاب : أي التوراة لأنها الحاوية للأحكام الشرعية بخلاف الزبور والإنجيل.

والحكم : أي الفصل في القضايا بين المتنازعين على الوجه الذي يحقق العدل.

والنبوة ورزقناهم من الطيبات : أي جعلنا فيهم النبوة كنبوة موسى وهارون وداود وسليمان، ورزقهم من الطيبات كالمنّ والسلوى وغيرهما.

وفضلناهم على العالمين : أي على عالمى زمانهم من الأمم المعاصرة لهم.

إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم : أي لم يختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم ببعثة النبى محمد ﷺ بغياً بينهم أي حسداً للعرب أولاد إسماعيل أن تكون النبوة فيهم.

ثم جعلناك على شريعة[1] من الأمر : أي ثم جعلناك يارسولنا على شريعة من أمر الدين الحق الذى ارتضاه الله لعباده.

---

(١) الشريعة لغة المذهب والملة ويقال لمشرعة الماء أي مورد الشاربة شريعة ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين والجمع شرائع.

فاتبعها : أي الزم الأخذ بها والسير على طريقها فأنها تفضي بك إلى سعادة الدارين.

ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون : من مشركى العرب ومن ضلال أهل الكتاب.

إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا : أي إنْ أنت تركت ماشرع لك واتبعت مايقترحون عليك أن تفعله مما يوافق أهواءهم إنك إن اتبعتهم لن يدفعوا عنك من العذاب الدنيوي والآخروى شيئا.

وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض : أي ينصر بعضهم بعضا فى الدنيا أما فى الآخرة فإنهم لاينصرون.

والله ولي المتقين : أي متوليهم فى أمورهم كلها وناصرهم على أعدائهم.

هذا بصـائـر للناس وهـدى ورحمة لقوم يوقنون : أي هذا القرآن أي أنـوار هداية يهتـدون به إلى مايكملهم ويسعدهم، وهدى ورحمة، ولكن لأهل اليقين فى إيمانهم فهم الذين يهتدون به ويرحمون عليه أما غير الموقنين فلا يرون هداه ولايجـدون رحمتـه لأن شكهم وعدم إيقانهم يتعذر معهما أن يعملوا به فى جد وصدق وإخلاص.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى طلب هداية قوم النبى ﷺ فعرض عليهم حالاً شبيهة بحالهم لعلهم يجدون فيها مايذكرهم ويعظهم فيؤمنوا ويوحدوا قال تعالى: ﴿ولقد آتينا بنى إسرائيل﴾[1] أي اعطينا بنى إسـرائيل وهم أولاد يعقـوب الملقب بإسرائيل وهو ابن اسحق بن إبراهيم خليل الرحمن آتيناهم ﴿الكتاب﴾ التوراة ﴿والحكم﴾ وهوالفقـه بأحكـام الشـرع والإصابة في العمل والحق فيها ثمـرة إيمـانهم وتقـواهم ﴿والنبوة﴾ فجعلنا منهم أنبياء ورسلاً كموسى وهارون ويوسف وداود وسليمان وعيسى، وفضلناهم[2] على العالمين أي على فرعون وقومه من الأقباط، وعلى من جاور بلادهم من الناس، وذلك أيام إيمانهم واستقامتهم، وآتيناهم بينات[3] من الأمر أمر الدين تحملها التوراة والانجيل ﴿فما اختلفوا إلاَّ من بعد ما جاءهم العـلم﴾ الإلهى يحمله القرآن ونبيه فاختلفوا فيما كان عندهم من الأنباء عن نبيّ آخر الزمان ونعوته وماسيورثه الله وأمته من الكمال الدنيوى والآخروى فحملهم بغى حدث

---

(١) ذكر تعالى لنبيه ﷺ ما أعطي بنى اسرائيل من إفضالات ثم ذكر ما أعطاه هو ﷺ ليكون ذلك جارياً على سنته في إكرام من يشاء من عباده فلا يكون ذلك داعياً إلى إنكار المشركين ولا أهل الكتاب نبوة نبيه محمد ﷺ لو كانوا يعقلون.

(٢) بأن جمع الله لهم بين استقامة الدين والخلق وبين حكم أنفسهم بأنفسهم وبين أصول العدل فيهم مع حسن العيش وشمول الأمن والرخاء لهم.

(٣) أي علمناهم حججا وعلوما في أمر دينهم ونظام حياتهم بحيث يكونون على بصيرة في تدبير مجتمعهم وعلى سلامته من الشرور والمفاسد.

بينهم وهـو الحسد على الكفر فكفروا به وكذبوه فهذه الآية نظيرها آية البقرة: ﴿فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنه الله على الكافرين﴾. وكقوله فى سورة البينة ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾ وهو محمد ﷺ.

وقوله تعالى ﴿إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ هذه تسلية لرسول الله ﷺ من جهة، ومن جهة أخرى إعلام منه تعالى بأنه سيحكم بينهم ويفصل ويؤدى كل واحد ثمرة كسبهمن خير وشرفى هذه الحياة وذلك يوم القيامة.

وقوله: ﴿ثم جعلناك على شريعة[1] من الأمر﴾ أي من أمر ديننا الإسلام الذي هو دين الأنبياء من قبلك فلم تختلف شريعتك فى أصولها على شرائعهم، وعليه فاتبعها ولاتَحِدْ عنها متبعا أهواء الذين لايعلمون من زعماء قريش الذين يقدمون لك اقتراحاتهم من الوقت إلى الوقت ولا أهواء ضلال أهل الكتابين من اليهود والنصارى إنهم جهال لايعلمون هدى الله، ولا ماهو سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة فى الآخرة، ولا هو سبيل العزة والكرامة والدولة والقوة فى الدنيا.

وقوله : ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ أي إنَّك إنْ اتبعت أهواءهم واستوجبت العذاب لن يدفعوا عنك ولن يكفوك شيئا منه، وقوله : ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ أي فى الدنيا فيتعاونون على الباطل والشر أما فى الآخرة فلا ينصر بعضهم بعضا ولا هم ينصرون من قبل أحد والله ولي المتقين، أما المتقون فالله وليهم في الدنيا والآخرة، فعليك بولاية الله، ودع ولاية أعدائه، فإنها لن تغني عنك شيئاً.

وقوله تعالى : ﴿هذا بصائر[2] للناس﴾ يريد القرآن الكريم إنه عيون القلوب بها تبصر النافع من الضار والحق من الباطل فمن آمن به وعمل بما فيه اهتدى إلى سعادته وكماله ومن لم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ضل وشقى. وقوله ﴿وهدى ورحمة[3] لقوم يوقنون﴾ أي أن القرآن الكريم كتاب هداية ورحمة عليه يهتدى المهتدون، ويرحم المرحومون وهم الذين ايقنوا بهدايته ورحمته فعملوا به عقائد وعبادات وأحكاماً وآدابا وأخلاقاً فحصل لهم ذلك كما حصل للسلف الصالح من هذه الأمة، ومازال القرآن كتاب هداية ورحمة لكل من آمن به وأيقن فعمل وطبق بجد وصدق أحكامه وشرائعه وآدابه واخلاقه التى جاء بها وقد كان خلق النبى ﷺ القرآن لقول عائشة رضى الله عنها فى الصحيح كان خلقه القرآن.

(١) على للاستعلاء أي التمكّن والثبات والشريعة الدين والملة المتبعة والأمر الشأن العظيم والأمر هو أمر الله تعالى الذي أراده لك ولأمتك من الدين المنجي المسعد في الدارين.

(٢) البصائر جمع بصيرة وهي إدراك العقل الأمور على حقيقتها شبهت ببصر العين.

(٣) القرآن هدى ورحمة لكل من يهتدي بهداه ويتعرض لرحمته العمل به وخص به لذلك أهل اليقين لأنهم القادرون على الأخذ بهدايته والتعرض لرحمته والعمل به.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان أن كفر أهل الكتاب كان حسداً للنبى ﷺ وقومه من العرب.

٢ ـ بيان إفضال الله تعالى على بنى إسرائيل حيث أعطاهم الكتاب والحكم والنبوة.

ومع هذا اختلفوا فى الحق حسداً وطمعاً فى الرئاسة وإقامة مملكة بنى إسرائيل من النيل الى الفرات.

٣ ـ تقرير البعث والجزاء والنبوة والتوحيد.

٤ ـ وجوب لزوم تطبيق الشريعة الإسلامية وعدم التنازل عن شىء منها.

٥ ـ تقرير ولاية الله تعالى لأهل الإيمان به وتقواه بفعل محابه وترك مساخطه.

٦ ـ بيان أن القرآن كتاب هداية وإصلاح، ولايتم شىء من هداية الناس وإصلاحهم إلا عليه.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾
أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ
وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

أجترحوا السيئات : أي اكتسبوا بجوارحهم الشرك والمعاصى.

سواء محياهم ومماتهم : أي محياهم ومماتهم سواء، لا لا المؤمنون فى الجنة والمشركون فى النار.

ساء مايحكمون : أي ساء حكماً حكمهم بالتساوى مع المؤمنين.

ولتجزى كل نفس بما كسبت : أي وليجزى الله كل نفس ما كسبت من خير وشر.

أفرأيت من اتخذ إلهه هواه : أي أخبرنى عمن اتخذ اي جعل إلهه أي معبوده هواه.

واضله الله على علم	: أي على علم من الله تعالى بأنه أهل للإضلال وعدم الهداية.
وجعل على بصره غشاوة	: أي ظلمة على عينيه فلا يبصر الآيات والدلائل.
أفلا تذكرون	: أي أفلا تتذكرون أيها الناس فتتعظون.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى فى الآيات قبل هذه الظالمين والمتقين وجزاء كل منهم وأنه كان مختلفا باختلاف نفوس الظالمين والمتقين خبثا وطهراً ذكر هنا ما يقرر ذلك الحكم وهو اختلاف جزاء الظالمين والمتقين فقال: أم حسب[1] الذين اجترحوا السيئات أي اكتسبوها بجوارحهم، والمراد بها الشرك والمعاصي أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله ربا وإلهاً وبكل ما أمر تعالى بالإيمان به، وعملوا الصالحات من إقام الصلاة وآيتاه الزكاة وصيام رمضان والجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وما إلى ذلك من الصالحات.سواء محياهم ومما تهم ساء مايحكمون[2] أي ساء حكما حكمهم هذا ومعنى هذا أن الله تعالى أنكر على من يحسب هذا الحسبان ويظن هذا الظن الفاسد وهو أن يعيش الكافر والمؤمن فى هذه الحياة الكافر يعيش على المعاصى والذنوب والمؤمن على الطاعة والحسنات ثم يموتون ولايجزى الكافر على كفره والمؤمن على إيمانه، وأسوأ من هذا الظن ظن آخر كان ليعضهم وهو أنهم إذا ماتوا يكرمون وينعم عليهم بخير مايكرم به المؤمنون وينعم به عليهم. وهذا غرور عجيب، فأنكر تعالى عليهم هذا الظن الباطل وحكم انه لايسوى بين بر وفاجر، ولابين مؤمن وكافر لأن ذلك مناف للعدل والحق والله خلق السموات والأرض بالحق، وأنزل الشرائع وأرسل الرسل ليعمل الناس فى هذه الحياة الدنيا فمن آمن وعمل صالحا كانت الحسنى له جزاء، ومن كفر وعمل سوءاً كانت جهنم جزاءه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق، ولتجزى كل نفس بما كسبت[3]﴾ أي من خير وشر، وهم لايظلمون لأن العدالة الإلهية هى التى تسود يوم القيامة وتحكم.

وقوله تعالى: ﴿أفرأيت من[4] اتخذ إلهه هواه﴾ أي جعل معبوده ماتهواه نفسه فما هويت قولا إلا قاله، ولا عملا إلا عمله ولا اعتقاداً إلا اعتقده ضارباً بالعقل والشرع عرض الحائط فلا يلتفت

---

(١) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام المقدر بعد أم استفهام إنكاري أي لا يحسب الذين اجترحوا السيئات أنهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات. والآية نزلت كما قال البغوي في نفر من المشركين في مكة قالوا للمؤمنين إن كان ما تقولون حقاً لنفضلنّ عليكم في الأخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا.

(٢) ساء ما يحكمون هذه الجملة تذييل لما قبلها من إنكار حسبانهم وما اتصل به من المعاني، والحياة والممات مصدران ميميان من الحياة والموت.

(٣) الباء للتعويض لأن ما كسبته النفس لا تجزى به وإنما تجزى بمثله وما يناسبه من خير أو شر.

(٤) الاستفهام للتعجب من حال هذا الذي اتخذ إلهه هواه والمخاطب الرسول ﷺ وكل ذي أهلية لأن يفهم عن الله تعالى من المؤمنين.

إليهما ولايستمع الى ندائهما. وقوله تعالى ﴿وأضله الله على علم﴾[1] أي منه تعالى حيث سبق في علمه أن هذا الإنسان لايهتدي ولو جاءته كل آية فكتب ذلك عليه فهو كائن لا محالة، وقوله ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ أي وختم تعالى على سمعه حسب سنته فى ذلك فاصبح لايسمع الهدى ولا الحق كأنه أصم لايسمع، وأصبح لايعقل معانى مايسمع ومايقال له كأنه لاقلب له، وأصبح لما على بصره من ظلمة لايرى الادلة ولا العلامات الهادية الى الحق والى الطريق المستقيم المفضي بسالكه إلى النجاة من النار ودخول الجنة. وقوله تعالى: ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ وقد أضله الله والجواب لا أحد. كقوله تعالى من سورة النحل ﴿إن الله لايهدى من يضل﴾ أي من أضله الله تعالى حسب سنته فى الإضلال وهي أن يدعى العبد الى الحق والمعروف والخير فيتكبر ويسخر ويحارب فترة يصبح بعدها غير قابل لهداية فهذا لايهديه أحد بعد أن أضله الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿أفلا تذكرون﴾[2] أي أفلا تذكرون فتتعظون أيها الناس فتؤمنوا وتوحدوا وتعملوا الصالحات فتكملوا وتسعدوا فى الدنيا وتنجو من النار وتدخلوا الجنة فى الآخرة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بطلان اعتقاد الكافرين فى أن الناس يحيون ويموتون بلا جزاء على الكسب صالحه وفاسده.

٢ ـ تقرير البعث والجزاء.

٣ ـ موعظة كبيرة فى هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات إلى آخرها حتى إن أحد رجال السلف الصالح قام يتهجد من الليل فقرأ حتى انتهى الى هذه الآية فأخذ يرددها ويبكى حتى طلع الفجر.

٤ ـ التنديد بالهوى والتحذير[3] من اتباعه فقد يفضي بالعبد الى ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فيصبح معبوده هواه لا الرب تعالى مولاه.

٥ ـ التحذير من ارتكاب سنن الضلال المفضي بالعبد إلى الضلال الذى لا هداية معه.

---

(١) على علم أي أضله الله مع ما عنده من العلم الذي لو خلع عن نفسه الكبر والعناد والميل إلى الهوى لاهتدى ونجا وسعد ولكن أو على علم من الله تعالى بأنه ليس أهلا للهداية كما في التفسير.

(٢) قرأ نافع تذكرون بتشديد الذال وقراه حفص بتخفيفها الأولى على إدغام إحدى التائين في الذال فشددت والثانية على حذف إحدى التائين فخففت.

(٣) من الكلمات المأثورة في هذا قولهم ثلاث من المهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه.

وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ
إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا: أي قال منكرو البعث ما الحياة إلا هذه الحياة،وليس وراءها حياة اخرى.

نموت ونحيا : أي يموت بعضنا ويحيا بعضنا بأن يولدوا فيحيوا ويموتوا.

ومايهلكنا إلا الدهر : أي وما يميتنا إلّا مرور الزمان علينا.

ومالهم بذلك من علم : أي وليس لهم أدنى علم على قولهم لامن وحى وكتاب إلهى ولا من عقل صحيح.

إن هم إلا يظنون : أي ماهم إلا يظنون فقط والظن لاقيمة له ولايبنى عليه حكم

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات: أي وإذا قرئت عليهم الآيات الدالة على البعث رالجزاء الأخرى بوضوح.

ماكان حجتهم : أي لم تكن لهم من حجة إلا قولهم.

إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا : إلا قولهم احيوا لنا آباءنا الذين ماتوا وأتوا بهم إلينا.

إن كنتم صادقين : إن كنتم صادقين فيما تخبروننا به من البعث والجزاء.

قل الله يحييكم ثم يميتكم : أي قل لهم يارسولنا الله الذى يحييكم حين كنتم نطفاً ميته، ثم يميتكم.

ثم يجمعكم الى يوم القيامة: أي ثم بعد الموت يجمعكم الى يوم القيامة للحساب والجزاء.

لاريب فيه : أي يوم القيامة الذى لاريب ولاشك فى مجيئه فى وقته المحدد له.

ولكن أكثر الناس لايعلمون: أي لايعلمون لعدم تلقيهم العلم عن الوحى الإلهي لكفرهم بالرسل والكتب.

معنى الآيات :

تقدم فى الآيات بيان اعتقاد بعض المشركين فى استواء حال المؤمنين والكافرين يوم القيامة وأن الله تعالى أبطل ذلك الاعتقاد منكراً له عليهم، وهنا حكى قول منكرى البعث بالكلية ليرد عليهم وفى ذلك دعوة لعامة الناس إلى الإيمان والعمل الصالح للإسعاد والكمال فى الحياتين ولله الحمـد والمنة فقال عز وجل : ﴿وقالوا ماهى إلا[1] حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر[2]﴾ أي وقال منكرو البعث والجزاء يوم القيامة ما هناك إلا حياتنا هذه التى نحياها وليس وراءها حياة أخرى، إننا نموت ونحيا أي نموت نحن الأحياء ويحيا أبناؤنا من بعدنا وهكذا تستمر الحياة أبداً يموت الكبار ويحيا الصغار، وما يهلكنا إلا الدهر أي وما يميتنا ويفنينا إلا مرور الزمان وطول الأعمار وهو إلحاد كامل وإنكار للخالق عز وجل وهو تناقض منهم لأنهم إذا سئلوا من خلقهم يقولون الله فينسبون إليه الخلق وهو أصعب ولاينسبوا إليه الإماته وهى أهون من الخلق فرد تعالى عليهم مذهبهم «الدهرى» بقوله: ﴿ومالهم بذلك من علم إن هم الا يظنون﴾ أي ليس[3] لهم على معتقدهم هذا أدنى علم نقلياً كان ولا عقليا أي لم يتلقوه عن وحى أوحاه الله الى من شاء من عباده ولا عن عقل سليم راجح لاينقض حكمه كالواحد مع الواحد اثنان والأبيض خلاف الأسود وما إلى ذلك من القضايا العقلية التى لاترد فهؤلاء الدهريون ليس لهم شيء من ذلك مالهم إلا الظن والخرص وقضايا العقيدة لاتكون بالظن.والظن أكذب الحديث.

وقوله تعالىٰ ﴿وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات﴾ أي وإذا قرأ عليهم رسول الله ﷺ آيات القرآن الدالة علىٰ البعث والجـزاء تدعـوهم إلىٰ الإيمـان به واعتقاده ﴿ما كان حجتهم[4]﴾ أي لم تكن لهم من حجة يردُّون بها مادعوا إليه إلا قولهم[5]: ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أي أحيوا لنا آباءنا الذين ماتوا وأحضروهم عندنا ان كنتم صادقين فيما تخبروننا من البعث والجزاء. فقال تعالى فى رد هذه الشبهة وبيان للحق فى المسألة قل الله يحييكم ثم يميتكم، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب[6] فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون أي قل يارسولنا لهؤلاء الدهريين المنكرين للبعث الله يحييكم إذ كنتم نطفاً ميته

---

(١) هي ضمير القصة والشأن وجملة نموت ونحيا مبينة لجملة ما هي إلا حياتنا الدنيا أي ليس بعد هذا العالم عالم آخر فالحياة هي هذه لا غير.

(٢) روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (كان أهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر). قال الله تعالى (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار).

(٣) قال القرطبي كان المشركون أصنافاً منهم هؤلاء ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث ومنهم من يشك في البعث ولا يقطع بإنكاره.

(٤) فإن قيل لم سمى قولهم حجة وليس هو بحجة؟ قيل لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم.

(٥) أي أحيوا لنا الموتى نسألهم عن صدق ما تقولون.

(٦) جملة لا ريب فيه حال من يوم القيامة أي لا ريب في وجوده وكونه لا ريب فيه لأنه علة الحياة كلها فلولاه ما كانت هذه الحياة فمن هنا لا معنى للشك فيه بالكلية.

فأحياكم، ثم يميتكم بدون اختياركم فالقادر على الإحياء والإماتة وفعلا هو يحيى ويميت لايحيل العقل أن يحيى من أحياهم ثم أماتهم وإنما لم يحيهم اليوم كما طلبتم لأنه لافائدة من إحيائهم بعد أن أحياهم ثم أماتهم هذا أولاً وثانيا إحياؤهم لكم اليوم يتنافى مع الحكمة العالية فى خلق هذه الحياة الدنيا والآخرة إذ خلقوا ليعملوا، ثم يجازوا بأعمالهم خيرها وشرها. ولهذا قال ثم يجمعكم أي أحياء فى يوم القيامة للحساب والجزاء وقوله لاريب فيه أي لاشك فى وقوعه ومجيئه إذ مجيئه حتمى لقيام الحياة الدنيا كلها عليه. ولكن أكثر الناس لايعلمون هذا لأمرين الأول أنهم لايفكرون ولايتعقلون والثانى أنهم لتكذيبهم بالوحى الإلهى سدوا فى وجوههم طريق العلم الصحيح فهم لايعلمون، ولايعلمون حتى يؤمنوا بالوحى ويسمعوه ويتفهموه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير البعث والجزاء.

٢ ـ الرد على الدهريين وهم الذين ينسبون الحياة والموت للدهر وينفون وجود الخالق عز وجل.

٣ ـ بيان أن الكفار لا دليل لهم عقلى ولا نقليّ على صحة الكفر عقيدة كان أو عملا.

٤ ـ عدم إحياء الله تعالى للمطالبين بحياة من مات حتى يؤمنوا لم يكن عن عجز بل لأنه يتنافى مع الحكمة التى دار عليها الكون كله.

٥ ـ بيان أن أكثر الناس لايعلمون وذلك لأنهم كذبوا بالوحى الإلهى فى الكتاب والسنة.

٦ ـ بيان انه لاعلم صحيح إلاَّ مِنْ طريق الوحى الإلهى.

وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ
﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا

مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم
مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

ولله ملك السموات والأرض : أي خلقا وملكاً وتصرفا يفعل مايشاء ويحكم مايريد.

يخسر المبطلون : أي ويوم تقوم الساعة التى أنكرها الكافرون يخسر أصحاب الباطل بصيرورتهم إلى النار.

وترى كل أمة جاثية : أي كل أمة ذات دين جاثية على ركبها تنتظر حكم الله فيها.

تدعى إلى كتابها : أي إلى كتاب أعمالها فهو الحكم فيها إن كان خيرا فخير وان كان شرا فشر.

اليوم تجزون ماكنتم تعملون: أي يقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون فى الدنيا من خيروشر.

هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق : أي ديوان الحفظة الذى دونوه من أعمال العقلاء من الناس شاهد عليكم بالحق.

إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون : أي نأمر بنسخ ما كنتم تعملون.

فيدخلهم ربهم فى رحمته : أي فيدخلهم فى جنته.

ذلك هو الفوز المبين : أي الفوز البيِّن الظاهر وهو النجاة من النار ودخول الجنة.

أفلم تكن آياتى تتلى عليكم : أي يقال لهم ألم تأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم.

فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين : أي عن آيات الله فلم تؤمنوا بها وكنتم بذلك قوما كافرين.

إن وعد الله حق : أي بالبعث والجزاء العادل يوم القيامة حق ثابت.

إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين: أي ماكنا مستيقنين بالبعث وإنما كنا نظنه لاغير ولا نجزم به.

معنى الآيات :

مازال السياق الكـريم فى تقـرير عقيدة البعث والجـزاء فقال تعالى ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ خلقا وايجاداً وملكاً وتصرفا ومن كان هذا وصفه من القدرة والعلم والحكمة لاينكر عليه بعث العباد بعد موتهم وجمعهم للحساب والجزاء. وقوله ويوم[1] تقوم الساعة التى ينكرها المنكرون يومئذ يخسر المبطلون يخسرون كل شيء حتى أنفسهم يخسرون منازلهم في الجنة يرثها عنهم المؤمنون ويرثون هم المؤمنين منازلهم فى النار ذلك هوالخسران المبين وقوله تعالى :

(١) ويوم تقوم الساعة: هو ظرف متعلق بيخسر قدم عليه للاهتمام به ويومئذ توكيد ليوم تقوم الساعة.

﴿وترى كل أمة جاثية﴾[١] أي وترى أيها الرسول يوم القيامة كل أهل دين وملة وقد جثوا على ركبهم خوفاً وذلاً مستوفزين للعمل بما يؤمرون به. وقوله ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ أي الذي أنزل على نبيها لتعمل بما جاء فيه من عقائد وشرائع ويقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون أي في الدنيا من خير وشر. فإذا حاولوا الإنكار قيل لهم: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق، وهو كتاب الأعمال الذى دونته الحفظة وقوله ﴿إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون﴾ أي نأمر ملائكتنا بنسخ أعمالهم أي باثباتها وحفظها وهاهى ذى بين أيديكم ناطقة صارخة بما كنتم تعملون.

قال تعالى مفصلا للحكم الناتج عن شهادة الكتاب ﴿فأما الذين[٢] آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي وتركوا الشرك والمعاصى فيدخلهم ربهم جزاء لهم فى رحمته وهي الجنة دار المتقين ذلك هو الفوز المبين أي إدخالها الجنة بعد إنجائهم من النار هو الفوز المبين إذا الفوز معناه، النجاة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب. هذا جزاء أهل الإيمان والتقوى وأما الذين كفروا وهم أهل الشرك والمعاصى فيقال لهم: ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أي ألم تأتكم رسلي فلم تكن آياتى تتلى عليكم؟ بل كانت تتلى عليكم فاستكبرتم عنها فلم تتعرفوا إلى مافيها والى ماتدعوا إليه، وكنتم باستكباركم عنها قوما مجرمين[٣] على أنفسكم إذا أفسدتموها بالشرك والمعاصى.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم إن وعد الله حق﴾ أي وعده تعالى بالبعث والجزاء حق لابد واقع والساعة آتية لاريب فيها أي جائية لا محالة ولا ريب فى وقوعها بحال من الأحوال قلتم ماندرى ما الساعة متجاهلين لها متعجبين من وقوعها. وقلتم إن نظن إلا مجرد ظن فقط وما نحن بمستيقنين[٤] بمجيئها، وهذا بالنسبة إلى بعض الناس، وإلا فقد تقدم أن بعضهم كان ينكر البعث بالكلية وهذا ظاهر فى كثير من الناس الذين يؤمنون بالله وبلقائه وهم لايفترون من المعاصى ولايقصرون عن فعل الشر والفساد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض مايقع يوم القيامة.

٢ - تقرير عقيدة كتابة أعمال العباد وتقديمها لهم يوم القيامة فى كتاب خاص.

---

(١) الأمة الجماعة العظيمة أمرها واحد يجمعهم دين والجثو البروك على الركب في استنفار وهي هيئة الخضوع.

(٢) فأما.. الخ هذه الفاء عاطفة لمُفصَّل من الكلام على مُجمل منه وهو قوله تعالى وترى كل أمة جاثية والبدأ بتفصيل حال المؤمنين تعجيلاً للمسرة لهم وتنويها بشأن الإيمان والعمل الصالح.

(٣) إقحام لفظ (قوما) للدلالة على أن الإجرام صار خلقاً لهم مخالطاً لنفوسهم حتى صار مما يمقتون به ولولا هذا لقال بل كنتم مجرمين، دون ذكر (قوم) والاستفهام في قوله أفلم تكن آياتي للتقرير والتوبيخ.

(٤) هذه الجملة تأكيد لجملة إن نظن إلا ظناً، والسين والتاء في بمستيقنين للمبالغة في عدم حصول الفعل.

٣ ـ تقرير أن الإيمان والعمل الصالح سبب الفوز، وأن الشرك والمعاصى سبب الخسران المبين.
٤ ـ الظن فى العقائد كالكفر بها، والعياذ بالله تعالى.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

وبدالهم سيئات ماعملوا : أي ظهر لهم فى يوم القيامة جزاء سيئات ماعملوه في الدنيا من الشرك والمعاصى.

وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون : أي نزل وأحاط بهم العذاب الذى كانوا يستهزئون به إذا ذكروا به وخوفوا منه في الدنيا.

وقيل اليوم ننساكم : أي وقال الله تعالى لهم اليوم ننساكم أي نترككم فى النار.

كما نسيتم لقاء يومكم هذا : أي مثل مانسيتم يومكم هذا فلم تعملوا له بما ينجى فيه وهو الإيمان والعمل الصالح، وترك الشرك والمعاصى.

ومأواكم النار : أي ومحل إقامتكم النار.

ومالكم من ناصرين : أي من ناصرين ينصرونكم بإخراجكم من النار.

ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله : أي ذلكم العذاب كان لكم بسبب كفركم واتخاذكم آيات الله هزواً

هزواً :أي شيئا مهزوا به.

وغرتكم الحياة الدنيا : أي طول العمر والتمتع بالشهوات والمستلذات.

ولاهم يستعتبون : أي لايؤذن لهم فى الاستعتاب ليعتبوا فيتوبوا.

فلله الحمد رب السموات ورب الأرض : أي فلله وحده الوصف بالجميل لإنجاز وعيده لأعدائه.

وله الكبرياء فى السموات والأرض : أي العظمة والحكم النافذ الناجز على من شاء.

وهو العزيز الحكيم : أي وهو العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبير خلقه.

معنى الآيات :

مازال السياق فى عرض مشاهد القيامة وبعض مايتم فيها من عظائم الأمور لعل السامعين لها يتعظون بها فقال تعالى : ﴿وبدالهم سيئات ماعملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾[١] أي وظهر للمشركين المكذبين بالبعث والجزاء ظهر لهم وشاهدوا العذاب الذى كانوا إذا ذكروا به أو خوفوا منه استهزأوا به وسخروا منه. وقد حل بهم ونزل بساحتهم وأحاط بهم وقال لهم الرب تعالى اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا أي نترككم فى عذاب النار كما تركتم العمل المنجى من هذا العذاب وهو الإيمان والعمل الصالح بعد التخلى عن الشرك والمعاصى. ومأواكم[٢] النار أي هى مأواكم ودار إقامتكم ﴿ومالكم من ناصرين﴾ أي وليس لكم من ينصركم فيخلصكم من النار، وعلة هذا الحكم عليهم بيَّنها تعالىٰ بقوله ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً[٣] وغرتكم الحياة الدنيا﴾ أي حكم عليكم بالعذاب والخذلان بسبب اتخاذكم آيات الله الحاملة للحجج والبراهين الدالة علىٰ وجود الله ووجوب توحيده وطاعته هزواً أي شيئا مهزواً به، ﴿وغرَّتكم الحياة الدنيا﴾ بزخرفها وزينتها، وطول اعماركم فيها فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحا ينجيكم من هذا العذاب الذى حاق بكم اليوم. قال تعالى ﴿فاليوم لايخرجون منها﴾ وترك مخاطبتهم إشعاراً لهم بأنهم لا كرامة لله لهم اليوم فلم يقل فاليوم لا تخرجون منها، بل عدل عنها إلىٰ قوله ﴿ فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾ أي لم يطلب منهم أن يعتبوا ربهم بالتوبة إليه، إذ لاتوبة بعد الموت والرجوع إلىٰ الدنيا غير ممكن في حكم الله وقضائه. وهنا تعظم حسرتهم ويشتد العذاب عليهم ويعظم كربهم.

وقوله تعالى : ﴿فلله الحمد رب[٤] السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ أي رب كل شىء ومليكه حمد نفسه ،وقصر الحمد عليه بعد أن أنجز ما أوعد به[٥] الكافرين ،وذكر موجب الحمد وهو سلطانه القاهر فى السموات وفى الأرض، وقوله ﴿وله الكبرياء﴾ أي العظمة والسلطان ﴿فى

(١) من أنواع الاستهزاء ما روي أن العاص بن وائل قال لخباب بن الأرت وقد طالبه بدين له عليه لئن بعثت كما تقول لأوتين مالا وولدا في الآخرة فاقض منه دينك.

(٢) التعبير بالمأوى إشارة إلى تأييد الخلود فيها إذ المأوى مكان الإيواء والاستقرار ولا مكان غيره.

(٣) الهزء مصدر كالخلق أطلق أريد به اسم المفعول أي مهزوءاً به.

(٤) الفاء للتفريع فهذه الجملة (الحمد لله) والثناء عليه متفرع عما ورد في هذه السورة من مظاهر ربوبيته تعالى وألطافه وإحسانه بإحقاق الحق وإبطال الباطل وعدله في قضائه بين عباده.

(٥) تقديم الجار والمجرور في قوله فلله الحمد، وقوله وله الكبرياء مؤذن بالحصر والاختصاص والكبرياء هي الكبر الحق العظيم وهما الكمال في الذات والكمال ،في الصفات والوجود.

السموات والأرض وهو العزيز﴾ الذى لايمانع ولايغالب، الشديد الانتقام، الحكيم الذى يضع كل شىء فى موضعه الحكيم فى تدبير خلقه ويتجلى ذلك فى إكرام أوليائه برحمتهم، وإهانة أعدائهم بتعذيبهم فى دار العذاب النار وبئس المصير.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان أن الاستهزاء بآيات الله وشرائعه كفر موجب للعذاب.

٢ ـ تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل، وكما يدين الفتى يدان.

٣ ـ مشروعية الحمد عند الفراغ من أي عمل صالح أو مباح.

سورة الأحقاف[1]

مكية
وآياتها خمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ
ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾
وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

حم : هذا أحدالحروف المقطعة يكتب هكذا: حمٓ ويقرأ هكذا: حَامِيم.

تنزيل الكتاب : أي تنزيل القرآن.

من الله العزيز الحكيم : أي من لدن الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه.

إلا بالحق وأجل مسمًّى : أي ما خلقنا السموات والأرض إلا خلقا متلبسا بالحق وبأجل مسمى لفنائهما.

---

(١) وجه تسميتها بالأحقاف لذكر لفظ الأحقاف فيها ولم يكن لها اسم غيره والأحقاف جمع حقف بكسر الحاء وسكون القاف الرمل المستطيل الكبير.

عما أنذروا معرضون : أي عن ما خوفوا به من العذاب معرضون عنه غير ملتفتين إليه.

ما تدعون من دون الله : أي من الأصنام والأوثان.

أروني ماذا خلقوا من الأرض : أي أشيروا إلى شيء خلقوه من الأرض.

أم لهم شرك في السموات : أي أم لهم شركة.

أئتوني بكتاب من قبل هذا : أي منزل من قبل القرآن.

أو اثارة من علم : أي بقيةٍ من علم يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام.

إن كنتم صادقين : أي في دعواكم أن عبادة الأصنام والأوثان تقربكم من الله تعالى.

من لا يستجيب له إلى يوم القيامة : أي لا أحد أضل ممن يدعو من لا يستجيب له في شيء يطلبه منه أبداً.

وهم عن دعائهم غافلون : أي وهم الأصنام أي عن دعاء المشركين إياهم غافلون لا يعرفون عنهم شيئاً.

وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء : أي في يوم القيامة كانت الأصنام أعداء لعابديها.

وكانوا بعبادتهم كافرين : أي وكانت الأصنام بعبادة المشركين لها جاحدة غير معترفة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به إذ هذه من المتشابه الذي يجب الإيمان به وتفويض أمر معناه إلى الله منزله. وقوله ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ أي تنزيل القرآن الكريم من لدن الله العزيز الحكيم العزيز في ملكه الحكيم في صنعه وتدبيره. وقوله تعالى ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما﴾ من العوالم والمخلوقات ﴿إلّا بالحق﴾ أي إلّا لِحِكَمٍ عالية وليس من باب العبث واللعب، وإلّا بأجل مسمى عنده وهو وقت إفنائهما وانهاء وجودهما لاستكمال الحكمة من وجودهما. وقوله تعالى ﴿والذين[1] كفروا عما انذروا معرضون﴾[2] يخبر تعالى بأن الذين كفروا بتوحيد الله ولقائه وآياته ورسوله عما خوفوا به من عذاب الله المترتب على كفرهم وشركهم معرضون غير مبالين به، وذلك لظلمة نفوسهم، وقساوة قلوبهم. وقوله تعالى ﴿قل أرأيتم[3] ما

---

(١) هذه الجملة حالية فهي في موضع نصب حال من الضمير المقدر في متعلق الجار والمجرور في قوله: (بالحق) والمقصود من الإخبار هو التعجيب من إعراض الكافرين عن دعوة الحق التي يُدعون إليها وهي: الإيمان والعمل الصالح بعد ترك الشرك، والمعاصي لنجاتهم وسعادتهم.

(٢) (عمّا أنذروا) جائز أن تكون (ما) موصولة، والعائد محذوف أي: أنذروه وجائز أن تكون مصدرية أي: عن إنذارهم معرضون.

(٣) (قل أرأيتم): الاستفهام تقريري هو بمعنى: أخبروني، وفعل أروني للتعجيز لإبطال دعوى الشرك بالله تعالى، والعاجز عن خلق شيء كيف يستحق العبادة، والتأليه، و(ماذا خلقوا) هو بمعنى ماذا الذي خلقوا أي: أي شيء خلقوه.

تدعون من دون الله﴾ أي من الأصنام والأوثان ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ أي من شيء ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ ولو أدنى شرك وأقله، وقوله ﴿ائتوني بكتابٍ من قبل هذا أو أثارة من علم﴾ أي بقية من علم تشهد[1] بصحة عبادة ودعاء آلهة لم تخلق شيئا من الأرض وليس لها أدنى شرك في السموات ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم أنها آلهة تستحق أن تُعبد. وقوله تعالى ﴿ومن[2] أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ ينفي تعالى على علم تام أنه لا أضل من أحد يدعو من غير الله تعالى معبوداً لايستجيب له في قضاء حاجة أو قضاء وطر مهما كان صغيراً أبداً وحقا لا أحد أضل ممن يقف أمام جماد لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق يدعوه ويسأله حاجته وقوله ﴿وهم عن دعائهم[3] غافلون﴾ أي وأولئك الأصنام المدعوون غافلون تمـامـا عن داعيهم لا يعلمـون عنه شيئا لعدم الحياة فيهم، ولو كانوا يوم القيامة يُنطقهم الله ويتبرءون ممن عبدوهم ويخبرون أنهم ما عبدوهم ولكن عبدوا الشيطان الذي زين لهم عبادتهم، وهو ما دل عليه قوله تعالى ﴿وإذا حشر الناس﴾ أي ليوم القيامة كانوا لهم[4] أعداء وخصوماً وكانوا بعبادتهم من دعاء وذبح ونذر وغيره كافرين أي جاحدين غير معترفين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ إثبات النبوة المحمدية بتقرير أن القرآن تنزيل الله على رسوله المنزل عليه وهو محمد ﷺ

٢ـ انتفاء العبث عن الله تعالى في خلقه السموات والأرض وما بينهما وفي كل أفعاله وأقواله.

٣ـ تقرير حقيقة علمية وهي من لا يخلق لا يُعبد.

٤ـ بيان أنه لا أضل في الحياة من أحد يدعو من لا يستجيب له أبداً كمن يدعون الأصنام والقبور والأشجار بعنوان التوسل والاستشفاع والتبرك.

---

(١) (من علم) أي: من أهل العلم السابقين غير مكتوبة في الكتب، وهذا التوسيع عليهم في أنواع الحج ليكون عجزهم بعد ذلك أقطع لحجتهم وإبطال دعواهم في الشرك. ذكر القرطبي عند تفسير: (أو أثارة من علم) أن بعضهم فسر الأثارة: بالخط، وإن نبيا كان يخط، والمراد التعرف إلى علم الغيب، وختم القول بكلمة لابن العربي أنهى بها الموضوع، إذ قال: إن الله تعالى لم يبق في الأسباب الدالة على الغيب إلا الرؤيا إذ هي جزء من النبوة، والفأل الحسن لا غير وأنشد لبعضهم:

الفال والزجر والكهان كلهم   مضللون ودون الغيب أقفال

(٢) الاستفهام للإنكار والتعجب معاً، والمعنى: لا أحد أشد ضلالاً وأعجب حالاً ممن يدعون.. الخ.

(٣) الجملة حالية، وجملة: (وإذا حشر الناس) معطوفة عليها.

(٤) فالعابدون كالمعبودين سواء في التبرؤ من بعضهم بعضا يوم القيامة وإعلان العداء لبعضهم بعضاً.

وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات : أي أهل مكة من كفار قريش، والآيات آيات القرآن والبينات الواضحات.

قال الذين كفروا للحق لما جاءهم : أي من كفار قريش للحق أي القرآن لما قرأه عليهم رسول الله ﷺ.

هذا سحر مبين : أي قالوا في القرآن سحر مبين أي ظاهر لما رأوا من تأثيره على النفوس.

أم يقولون افتراه : أي بل أيقولون افتراه أي اختلقه من نفسه.

قل إن افتريته : أي قل لهم يانبينا إن اختلقته من نفسي.

فلا تملكون لي من الله شيئا : أي فأنتم لا تملكون لي من الله شيئا إن أراد أن يعذبني.

هو أعلم بما تفيضون فيه : أي هو تعالى أعلم بما تخوضون فيه من القدح والطعن فيَّ وفي القرآن.

كفى به شهيداً بيني وبينكم : أي كفى به تعالى شهيدا بيني وبينكم.

ما كنت بدْعاً من الرسل : أي لم أكن أول رسول فأكون بدعا من الرسل بل سبقني رسل كثيرون.

وما أدري ما يفعل بي ولا بكم : أي في هذه الحياة هل أخرج من بلدي، أو أُقتل، وهل

تُرجمون بالحجارة أو يُخسف بكم.

إن أتبع إلا ما يوحى إليّ : أي ما أتبع إلا ما يوحيه إليّ ربي فأقول وأفعل ما يأمرني به.

وما أنا إلا نذير مبين : أي وما أنا إلا نذير لكم بين الانذار.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في دعوة العرب عامة وقريش خاصة إلى الإيمان والتوحيد فإذا قرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن دعوة لهم إلى الإيمان والتوحيد قالوا ردّاً عليه ما أخبر به تعالى في قوله ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي على كفار قريش ﴿آياتنا بيّناتٍ﴾ أي ظاهرات الدلالة واضحات المعاني ﴿قال الذين كفروا﴾ بالله وبرسوله ولقائه وتوحيده قالوا ﴿للحق[1]﴾ وهو القرآن ﴿لما جاءهم هذا سحر مبين﴾ بل قالوا ما هو أشنع في الكذب وأبشع في النظر إذ قالوا ما أخبر به تعالى عنهم في قوله ﴿أم يقولون[2] افتراه﴾ أي بل أيقولون افتراه أي اختلقه وتخرصه من نفسه وليس هو بكلام الله ووحيه إليه. وقوله تعالىٰ ﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً﴾ أي علىٰ فرض أنني افتريته علىٰ الله وقلت أوحيَ إليَّ ولم يُوحَ إليَّ وأراد الانتقام مني بتعذيبي، فهل أنتم أو غيركم يستطيع دفع العذاب عني، وعليه فكيف أعرِّض نفسي للعذاب بالافتراء علىٰ الله تعالىٰ، فهذا لن يكون مني أبداً. وقوله تعالىٰ ﴿هو أعلم بما تفيضون[3] فيه﴾ أي الله جل جلاله هو أعلم من كل أحد بما تخوضون فيه مندفعين في الكلام تطعنون فيَّ وفي القرآن فتقولون فيَّ ساحر وفي القرآن سحر مبين وتقولون فيَّ مفترٍ وفي القرآن افتراء إلى غير ذلك من المطاعن والنقائص. ﴿كفي به شهيدا بيني وبينكم[4]﴾ أي كفى بالله شهيدا عليَّ وعليكم فيما أقول وفيما تقولون وسيجزي كلا بما عمل. ﴿وهو الغفور الرحيم[5]﴾ لمن تاب فتوبوا إليه يغفر كفركم وخوضكم في الباطل ويرحمكم فإنه تعالى غفور لمن تاب رحيما بمن آمن وأناب. وقوله تعالى في الآية (٩) ﴿قل ما كنت بدعاً[6] من الرسل﴾ يأمر تعالى رسوله أن

---

(١) (للحق) اللام تعليلية. وليست للتعدية، أي: قال الكافرون بعضهم لبعض لأجل رد الحق وإبطاله، هذا سحر مبين، والحق: القرآن، يصفونه بالسحر حتى لا يؤمنوا به.

(٢) (أم) هي المنقطعة المقدرة ببل، والاستفهام أي: أيقولون افتراه والاستفهام وبل للإضراب الانتقالي من نوع إلى آخر من أنواع ضلالهم، والاستفهام للنفي والإنكار معاً.

(٣) (تفيضون فيه) أي: من قول الباطل والخوض في تكذيب الحق، إذ الإفاضة في الشيء: الخوض فيه والاندفاع، ومنه: أفاضوا في الحديث: إذا اندفعوا يقولون، وأفاض الناس من عرفات إلى مزدلفة، أي: اندفعوا.

(٤) إذ هو يعلم صدقي ويعلم أنكم مبطلون.

(٥) الغفور لمن تاب من عباده الرحيم بالمؤمنين.

(٦) البدع: الأول: والبديع كالبدع بكسر الباء مثل: نصف ونصيف، وأبدع في كذا أتى بالبدع فيه أي بما لم يأت به غيره، والبديع: صفة مشبّهة، وهو من أسماء الله تعالى، ومعناه: خالق الأشياء ومخترعها.

يقـول لأولئـك المشـركين المفيضين في الطعن في القرآن والرسول في أغلب أوقاتهم وأكثر مجالسهم ﴿ما كنت بدعاً من الرسل﴾ أي ما أنا بأول عبد نُبئَ وأُرسل فأكون بدعاً في هذا الشأن فينكر عليَّ أو يستغرب مني بل سبقتني رسل كثيرة. وقوله ﴿وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم﴾(١) أي وقل لهم أيضا أني لا أدري وأنا رسول الله مايفعل بي مستقبلا فهل أخرج من هذه البلاد أو أُقتل أو تقبل دعوتي وأنصر ولا ما يُفعل بكم من تعذيبكم بحجر أو مسخ أو هدايتكم ونجاتكم. وقوله ﴿إن أتبع إلا ما يوحي إليَّ وما أنا إلاّ نذير مبين﴾ أي ما اتبع إلاّ الذي أوحى إليَّ ربيّ باعتقاده أو قوله أو عمله، فلا أُحدث ولا أبتدع شيئا لم يوح الله به ابداً ﴿إن أنا إلاّ نذير مبين﴾ أي ما أنا بالذي يملك شيئا لنفسه أو لغيره من خير أو ضير وإنما أنا نذير من عواقب الكفر والتكذيب والشرك والمعاصي فمن قبل إنذاري فكف عما يسبب العذاب نجا، ومن رفض إنذاري فأمره إلى ربيّ إن شاء عذبه وإن شاء تاب عليه وهداه ورحمه.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

---

(١) هذا ردّ على المتعنتين من المشركين الذين يطالبون الرسول ﷺ بما لم يكن في وسعه من أمور الغيب، وليس معناه كما قيل: إنه لا يدري هل يكون بعد موته في الجنة أو في النار، ولا يدري هل يكون المشركون في النار أو الجنة، إذ هذا قول باطل. وأما حديث عثمان بن مظعون في البخاري (فإنه لما قالت المرأة رحمة الله عليك يا أبا السائب إن الله أكرمك فقال لهـا: وما يدريك أن الله أكرمه فإني وأنا رسول الله لا أدري ما يفعل بي) فإن المراد منه عدم الجزم بمصير من مات من المسلمين ووجوب تفويض الأمر إلى الله تعالى.

شرح الكلمات:

قل أرأيتم : أي أخبروني ماذا تكون حالكم.

إن كان من عند الله : أي إن كان القرآن من عند الله.

وكفرتم به : أي وكذبتم به أي بالقرآن.

وشهد شاهد من بني اسرائيل : أي وشهد عبدُالله بن سلام.

على مثله فآمن : أي عليه إنه من عند الله فآمن.

واستكبرتم : أي واستكبرتم أنتم فلم تؤمنوا ألستم ظالمين.

لو كان خيرا ما سبقونا إليه : أي لو كان ما جاء به محمد من القرآن والدين خيرا ما سبقنا إليه المؤمنون.

وإذ لم يهتدوا به : أي بالقرآن العظيم.

فسيقولون هذا إفك قديم : أي هذا القرآن إفك قديم أي هو من كذب الأولين.

وهذا كتاب مصدق : أي القرآن مصدق للكتب التي سبقته.

لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا : أي حال كونه بلسان عربي لينذر به الظالمين المشركين.

وبشرى للمحسنين : وهو أي القرآن بُشرى لأهل الإحسان في عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم.

ثم استقاموا : أي فلم يرتدوا واستمروا على فعل الواجبات وترك المحرمات.

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون: أي في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة.

بما كانوا يعملون : أي جزاهم الله بما جزاهم به بنفي الخوف والحزن عليهم بأعمالهم الصالحة وتركهم الأعمال الفاسدة.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في طلب هداية قوم النبي ﷺ من قريش الذين ردوا الدعوة وقالوا في كتابها سحر مبين وفي صاحبها مفترٍ فقال تعالى لرسوله قل يا محمد لأولئك المشركين الذين قالوا في القرآن سحر مبين ﴿أرأيتم﴾[1] أي أخبروني ماذا تكون حالكم إن كان القرآن من عند الله. وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل وهو عبدالله بن سلام على[2] مثله أي على التوراة أنها نزلت من

---

(١) الاستفهام تقريري للتوبيخ، ومفعولا (رأيتم) محذوفان تقديرهما: أنفسكم ظالمين.

(٢) المثل: المماثل أي: المشابه في فعل أو صفة، وضمير مثله: عائد على القرآن، وجائز أن يكون المراد بالمثل: التوراة، والشاهد هو موسى عليه السلام أو عبدالله بن سلام كما في التفسير، وجائز أن يكون لفظ (مثل) مقحماً زائداً نحو: (ليس كمثله شيء) أي: ليس مثله شيء، ويكون المعنى. وشهد شاهد ـ وهو عبدالله بن سلام ـ على صدق القرآن وكونه وحي الله أوحاه إلى رسوله ﷺ.

عند الله وهي مثل القرآن فلا يستنكر أن يكون القرآن نزل من عند الله لا سِيَّمَا والكتابان التوراة والقرآن يصدق بعضهما بعضاً، بدلالتهما معاً علىٰ أصول الدين كالتوحيد والبعث والجزاء بالثواب والعقاب ومكارم الأخلاق والعدل والوفاء بالعهد. ﴿فآمن﴾ هذا الشاهد[١] ﴿واستكبرتم﴾ أي وكفرتم أنتم مستكبرين عن الإيمان بالحق ألم تكونوا شر الناس وأظلمهم وتحرمون الهداية إن الله لا يهدي القوم[٢] الظالمين أي الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي فحرموها الهداية الإلهية وقوله تعالى في الآية (١١) ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾ هذا القول جائز أن يقوله يهود المدينة للمؤمنين بها، وجائز أن يقوله المشركون في مكة وفي غيرها من العرب إذ المقصود هو الاعتذار عن عدم قبول الإسلام بحجة انه لا فائدة منه تعود عليهم في دنياهم ولا خير يرجونه منه إن دخلوا فيه إذ لو كان فيه ما يرجون من الفوائد المادية لاعتنقوه ودخلوا فيه ولم يسبقهم إليه الفقراء والمساكين. وهو معنى ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وقال الذين كفروا للذين[٣] آمنوا﴾ أي في شأن الذين قالوا لو كان الإسلام خيراً ما سبقونا[٤] إليه فآمنوا وكفرنا. وقوله تعالى ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ أي وإن ظهر عنادهم وعظم عتوهم واستكبارهم فعموا فلم يهتدوا بالقرآن فسيقولون[٥] ﴿هذا إفك قديم﴾ وقد قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ومعنى إفك قديم كذب أفكه غير محمد وعثر عليه فهو يقول به ما أفسد هذاالقول وما أقبحه وأقبح قائله.

وقوله تعالى ﴿ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة﴾ أي ومن قبل القرآن الذي أنكر المشركون نزوله كتاب موسى التوراة وقد أنزلناه عليه إماما يؤتم به فيقود المؤتمين به العاملين بهدايته إلى السعادة والكمال وأنزلنا اليوم القرآن هدى ورحمة وبشرى للمحسنين. وهو ما دل عليه قوله وهذا كتاب مصدق لما قبله من الكتب لسانا عربيا أي أنزلناه لسانا عربيا[٦] لينذر به رسولنا المنزل عليه

---

(١) لاحاجة إلى أن نقول الشاهد هو موسى عليه السلام بحجة أن السورة مكية، وعبدالله بن سلام أسلم بعد الهجرة، إذ من الجائز أن تكون السورة مكية والآيات مدنية، وهو الحق في هذه والله أعلم.

(٢) الجملة تعليلية لما هو محذوف في الكلام وهو: ضللتم ضلالا لا يُرجى لكم هداية بعده، لأن الله لا يهدي القوم الظالمين.

(٣) اللام تعليلية أي: قالوا ما قالوه لأجل الذين آمنوا حتى يردوا دعوتهم ولا يقبلوا الإسلام.

(٤) ضمير (سبقونا) عائد إلى غير مذكور وأرادوا به المستضعفين مثل بلال وعمار ووالده وسميّة وزنيرة على وزن شرِّير، وسكيرة: أَمَةٌ رومية كانت من السابقات إلى الإسلام.

(٥) المضارع هنا مراد به سيديمون قولهم هذا كلما أرادوا رد القرآن: قالوا هذا إفك قديم.

(٦) كلمة (لساناً) فيها إيماء إلى أنه عربي اللغة لا الأخلاق والعادات العربية والأحكام القبلية لأنها فسدت بالشرك وانقطاع الوحي وموت العلماء قروناً عديدة.

وهو محمد ﷺ لينذر[1] به الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي عذاب الله المترتب على تدسية النفوس بأوضار الشرك والمعاصي وهو بُشرى للمحسنين من المؤمنين الذين احسنوا النية والعمل بالفوز العظيم يوم القيامة وهو النجاة من النار ودخول الجنة وقوله تعالى ﴿إن الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا[2]﴾ بعد أن ذكر تعالى المبطلين وباطلهم عقّب على ذلك بذكر المحسنين وأعمالهم على نهج الترهيب والترغيب فأخبر تعالى أن الذين قالوا ربناالله أي آمنوا وصرحوا بإيمانهم وجاهروا به ثم استقاموا على منهج لا إله إلا الله فعبدوا الله بما شرع وتركوا عبادة غيره حتى ماتوا على ذلك هؤلاءَ يخبر تعالى عنهم أنهم لاخوف عليهم ولاهم يحزنون في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة فهم آمنون في الحيوات الثلاث، وبشرهم بالجنة فأخبر أنهم أصحابها الخالدون فيها، وأشار إلى أن ذلك الفوز والبشرى كانا نتيجة أعمالهم في الدنيا من الإيمان والعمل الصالح الذين دل عليها قوله ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- اعتبار الشهادة وانها أداة يتوصل بها إلى احقاق الحق وابطال الباطل فلذا يشترط عدالة صاحبها والعدالة هي اجتناب الكبائر واتقاء الصغائر غالبا.

٢- تقرير قاعدة من جهل شيئا عاداه، إذ المشركون لما لم يهتدوا بالقرآن قالوا هذا إفك قديم.

٣- بيان تآخي وتلاقي الكتابين التوراة والقرآن فشهادة أحدهما للآخر أثبتت صحته.

٤- وجوب تعلم العربية لمن أراد أن يحمل رسالة الدعوة المحمدية فينذر ويبشر.

٥- فضل الاستقامة حتى[3] قيل انها خير من ألف كرامة، والاستقامة هي التمسك بالإيمان والعبادة كما جاء بذلكالقرآن وبينت السنة.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ

---

(١) قرأ نافع (لتنذر) بالتاء الفوقية خطاب للرسول ﷺ وقرأ حفص (لينذر) بالياء أي: القرآن.

(٢) ثم للتراخي الرتبي، إذ الإيمان يحصل بالنظر والتأمل دفعة واحدة وأما الاستقامة فتحتاج إلى مراقبة النفس وذكر الوعد والوعيد في كل طاعة من فعل أو ترك.

(٣) روى مسلم والترمذي وغيرهما عن عبدالله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ (قل آمنت بالله ثم استقم).

أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات:

ووصينا الانسان بوالديه : أي أمرناه أمراً مؤكداً بالإيصاء.

إحسانا[1] :أي أن يُحسن بهما إحسانا وهو المعاملة بالحسنى.

حملته أمه كُرها ووضعته كرها : أي حملته أثناء حمله في بطنها على مشقة وولدته كذلك على مشقة.

وحمله وفصاله ثلاثون شهرا : أي مدة حمله في بطنها وفطامه من الرضاع ثلاثون شهرا.

حتى إذا بلغ أشده : أي اكتمال قوته البدنيّة والعقلية وهي من الثلاث والثلاثين فما فوق.

رب أوزعني أن أشكر نعمتك : أي ألهمني ووفقني أن أشكر نعمتك بصرفها فيما تحب.

وأن أعمل صالحا ترضاه : أي وبأن أعمل صالحا ترضاه مني أي تتقبله عني.

ونتجاوز عن سيئاتهم : أي فلا نؤاخذهم بها بل نغفرها.

في أصحاب الجنة : أي في جملة أصحاب الجنة وعدادهم.

وعد الصدق الذي كانوا يوعدون : أي في مثل قوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار الآية.

معنى الآيات:

إن الفرد كالجماعة فقد أوصى تعالى الإنسان بالإحسان بوالديه وبرهما في جميع كتبه وعلى ألسنة كافة رسله، والإنسان بعد ذلك قد يحسن ويبرُّ وقد يسيء ويعُقُّ، فكذلك الجماعة والأمة من الناس يرسل إليهم الرسول فمنهم من يؤمن ومنهم من يكذب، ومنهم من يتابع ومنهم من يخالف فلما ذكر تعالى اختلاف قوم النبي ﷺ في الإيمان بما جاء به، والكفر به ذكر أن هذه حال

(١) قرأ نافع (حسناً) و (كرهاً) بفتح الكاف، وقرأ حفص (إحساناً) و(كرها) بضم الكاف.

الإنسان فقال تعالى ﴿ووصينا الإنسان﴾[١] أي جنس الإنسان أي أمرناه بما هو آكد من الأمر وهو الوصيّة بوالديه أي أمه وأبيه إحسانا بهما وذلك بكف الأذى عنهما وإيصال الخير بهما وطاعتهما في المعروف وبرهما أيضا بعد موتهما. فمن الناس من ينفذ هذه الوصية ومنهم من يهملها ولا ينفذها وقوله، حملته أمه كرها ووضعته كرها بيان لوجوب الإحسان بهما وبرهما إذ معاناة الأم وتحملها مشقة الحمل تسعة أشهر ومشقة الوضع وهي مشقة لايعرفها إلا من قاسى آلامها كالأمهات. وقوله ﴿وحمله[٢] وفصاله ثلاثون شهرا﴾ بيان لمدة تحمل المشقة إنها ثلاثون شهرا بعضها للحمل وبعضها للإرضاع والتربية وقوله تعالى حتى إذا بلغ أي عاش حتى إذا بلغ أشده أي اكتمال قواه البدنية والعقلية وذلك من ثلاث وثلاثين سنة إلى الأربعين وبلغ أربعين[٣] سنة قال أي الإنسان البار بوالديه المنفذ للوصية الإلهية كأبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ بلغ الأربعين من عمره بعد البعثة المحمدية بسنتين. ﴿قال ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ﴾[٤] وهي نعمة الإيمان والتوحيد والإسلام عليّ وعلى والديَّ إذ آمن وآمن أبواه أبو قحافة عثمان بن عامر التيمي وآمنت أمه أم الخير سلمى، وأولاده عامة من بنين وبنات ولم يحصل لأحد من الصحابه أن سأل ربه أن يدفعه دفعا إلهاميا وتوفيقا ربانيا لأن يشكر نعمة الله عليه وعلي والديه بالإسلام، وأن يدفعه كذلك إلى العمل الصالح الذي يرضاه الله ويتقبله عن صاحبه، وقد استجاب له ربه فأعتق تسعة أعبد مؤمنين من استرقاق الكافرين لهم منهم بلال رضي الله عنه، وقوله ﴿واصلح لي في ذريتي﴾ أي اجعل الصلاح ساريا في ذريتي حتى يشملهم جميعا وقد استجاب الله تعالى له فآمن أولاده أجمعون ذكورا وإناثا، وقوله ﴿إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ هذا توسل منه رضي الله عنه لقبول دعائه فقد توسل إلى ربّه بالتوبة من الشرك والكفر إلى الإيمان والتوحيد، وبالإسلام إلى الله وهو الخضوع لله والانقياد لأمره ونهيه. وقوله تعالى ﴿أولئك الذين يتقبل عنهم أحسنَ[٥] ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم﴾ فلا يؤاخذهم بها بعد توبتهم منها في جملة أصحاب الجنة إذ لا يدخل الجنة أحد إلا بعد مغفرة ذنبه، وقوله ﴿وعد الصدق﴾[٦]

(١) روي من عدة طرق أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) وحمله وفصاله ثلاثون شهراً هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى من سورة البقرة: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) دلّتا على أن أقل مدة الحمل: ستة أشهر، فلا يثبت الحمل بأقل من ستة أشهر ويثبت بالستة والسبعة والثمانية والتسعة، فمن بنى بامرأة وولدت قبل ستة أشهر من البناء بها فالولد لا يلحق الزوج.

(٣) لِمَ خص الدعاء للوالدين في هذا الوقت بالذات؟ لأنه وقت يصبح فيه الولد مشغولا بزوجة وأولاد وتكاليف فهو في هذه الحال أحوج ما يكون إلى عون الله تعالى على بر والديه.

(٤) من بركة صلاح الذرية أن يدعو الولد لوالده بعد موته ففي صحيح الحديث: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له).

(٥) قرأ نافع: (يُتقبل) و(يتجاوز) بالبناء للمفعول، و(أحسن) مرفوع نائب فاعل، وقرأ حفص بنون المتكلم فيهما ونصب (أحسن) على أنه مفعول به.

(٦) الوعد: مصدر بمعنى المفعول كالرد بمعنى المردود.

أي أنجز لهم هذا لأنه وعد صدق وعدهم فأنجزه لهم، وقوله ﴿الذين كانوا يوعدون في الكتاب﴾ مثل قوله تعالى ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ الآية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجوب البر بالوالدين بطاعتهما في المعروف والإحسان بهما بعد كف الأذى عنهما.
٢ـ الإشارة إلى أن مدة الحمل قد تكون ستة أشهر فأكثر، وأن الرضاع قد يكون حولين فأقل.
٣ـ جواز التوسل بالتوبة إلى الله والانقياد له بالطاعة.
٤ـ فضيلة آل أبي بكر الصديق على غيرهم من سائر الصحابة ما عدا آل بيت رسول الله ﷺ.
٥ـ بشارة الصديق وأسرته بالجنة، إذ آمنوا كلهم وأسلموا أجمعين وماتوا على ذلك.

وَالَّذِي قَالَ
لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن
قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ
فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

والذي قال لوالديه : الذي اسم موصول استعمل استعمال الجنس فدل على متعدد بدليل الخبر عنه وهو أولئك الذين حق عليهم القول.

أفٍ لكما : أي نتناً وقبحاً لكما.

أن أخرج : أي من القبر حيا بعد موتي.

وقد خلت القرون : أي مضت الأمم قبلي ولم يخرج منها أحد من قبره.

وهما يستغيثان الله : أي يطلبان الغوث برجوع ولدهما إلى الإيمان بعد الإلحاد والكفر.

ويلك آمن : أي يقولان له إن لم ترجع ويلك أي هلاكك أي هلكت آمن بالبعث.

إن وعد الله حق : وقد وعد العباد بالرجوع إليه ومحاسبتهم على أعمالهم ومجازاتهم بها.

فيقول ماهذا إلا أساطير الأولين : أي ما القول بوجود بعث للناس أحياء بعدالموت إلا أكاذيب الأولين.

أولئك الذين حق عليهم القول : أي وجب عليهم القول بالعذاب يوم القيامة.

في أمم قد خلت من قبلهم : أي في جملة أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس.

ولكل درجات مما عملوا : أي ولكل من المؤمنين البارين، والكافرين الفاجرين درجات مما عملوا درجات المؤمنين في الجنة ودرجات الكفار في النار.

أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا : أي يقال لهم أذهبتم طيباتكم باشتغالكم بملذاتكم في الدنيا.

واستمتعتم بها : أي تمتعتم بها في الحياة الدنيا.

فاليوم تجزون عذاب الهون : أي جزاؤكم عذاب الهوان.

بما كنتم تستكبرون في الأرض : أي تتكبرون في الأرض.

بغير الحق : أي إذ لا حق لكم في الكبر والكبرياء لله، ولم يأذن لكم فيه.

وبما كنتم تفسقون : أي تخرجون عن طاعة الله ورسوله.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى الرجل المؤمن وأعماله الصالحة ومواقفه المشرفة ذكر هنا الرجل الكافر وأعماله الباطلة ومواقفه السيئة وذلك من باب الدعوة إليه تعالى بالترغيب والترهيب فقال تعالى ﴿والذي[1]

(١) قيل: إن هذه الآية نزلت في أحد ابني أبي بكر الصديق عبدالرحمن أو عبدالله وأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك، ومن قال به رد اسم الإشارة (أولائك الذين حق عليهم القول..) إلى من طالب الولد بإحيائهم ممن ماتوا على الشرك لأن كلا من عبدالله وعبدالرحمن قد أسلم وحسن إسلامه استجابة الله دعوة أبي بكر.

قال لوالديه أفٍ لكما أتعدانني[1] أن اخرج[2] وقد خلت القرون من قبلي﴾ يخبر تعالى عن أخبث إنسان هو ذاك الملحد العاق لوالديه المنكر للبعث والجزاء إذ قال لوالديه أُمه وأبيه أُف لكما أي نتناً وقبحا لكما أتعدانني بأن أخرج من قبري حياً بعد ما مت، وقد مضت أُمم وشعوب قبلي، وما خرج منها أحد من قبره فكيف تعدانني أنتما ذلك إن هذا لتخلف عقلي وتأخر حضاري وقوله تعالى ﴿وهما يستغيثان الله[3]﴾ أي ووالداه يستغيثان الله ويستصرخانه طلبا إغاثتهما بهداية ولدهما الملحد الشيوعي، ويقولان للولد ويلك أي هلاكك حضر يا ولد هلكت آمن بالبعث والجزاء وصلِّ وصُم واترك الزنا والخمر ويلك إن وعد الله حق أي إن ما وعد الله به عباده من إحيائهم للحشر والحساب والجزاء حق فلا يتخلف أبدا فيرد عليهما الولد الملحد الدّهريُّ بما أخبر تعالى به عنه في قوله فيقول ﴿ما هذا إلا أساطير الأولين[4]﴾ أي أكاذيبهم التي كانوا يعيشون عليها ويقصونها في مجالسهم، وبما أن الذي قال لوالديه لفظه مفرد ولكنه دال على جنس كان الخبر جمعا فقال تعالى في الإخبار عنهم ﴿أولئك الذين[5] حق عليهم القول﴾ أي القول بالعذاب الدال عليه قوله تعالى ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾، وفي قوله ﴿في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾ أي في جملة أمم سبقتهم في الإلحاد والكفر من العالمين عالم الجن وعالم الإنس وقوله ﴿إنهم كانوا خاسرين[6]﴾ وأي خسران أعظم من عبد يخسر نفسه وأهله ويعش في جهنم خالدا فيها أبدا. وقوله تعالى ﴿ولكل درجات[7] مما عملوا﴾ أي ولكل من المؤمنين البارين والكافرين العاقين درجات مما عملوا من خير أو شر إلا أن درجات المؤمنين في الجنة تذهب في عُلو متزايد ودرجات الكافرين في النار تذهب في سفل متزايد إلى أسفل سافلين. وقوله تعالى ﴿وليوفيهم[8] أعمالهم﴾ كاملة غير منقوصة الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها وهم لا يظلمون بنقص حسنة ولا بزيادة سيئة. وقوله تعالى ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ أي اذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين يوم يعرضون على النار ويقال لهم في توبيخ وتقريع ﴿أذهبتم

---

(١) (أتعدانني) الاستفهام للإنكار والتعجب.

(٢) (أن أخرج) أي: من قبري حياً بعد موتي وفنائي، إنكاراً منه للبعث الآخر.

(٣) وقد أجاب الله دعاء أبي بكر وزوجه أم رمان حيث أسلم ابنهما رضي الله عنهم أجمعين.

(٤) (أساطير الأولين) أي: أحاديثهم وما سطروه مما لا أصل له.

(٥) الإشارة هنا إلى أولئك الذين ذكرهم ابن أبي بكر كعبدالله بن جدعان وعثمان بن عمرو ومشايخ قريش فقال أين فلان وأين فلان إنكاراً منه للحياة بعد الموت.

(٦) خسروا أعمالهم حيث ضاع سعيهم في الحياة الدنيا وخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

(٧) (ولكل) التنوين عوض أي: لكل من الفريقين المؤمنين والكافرين الأبرار والفجار درجات مما عملوا، وهي مراتبهم التي لهم في الجنة أو في النار.

(٨) قرأ الجمهور (ولنوفيهم) بالنون وقرأ حفص (وليوفيهم) بالياء.

طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ أي باقبالكم على الشهوات والملآذ ناسين الدار الآخرة فاستمتعتم بكل الطيبات ولم تبقوا للآخرة شيئا ﴿فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ أي الهوان ﴿بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق﴾ إذ لا حق لكم في الكبر لضعفكم وعجزكم إنما الكبرياء لله الملك الحق أما أنتم فقد ظلمتم باستكباركم عن الإيمان بربكم ولقائه وعن طاعته ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ أي وبفسقكم عن طاعة ربكم وطاعة رسوله. إذاً فادخلوا جهنم داخرين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- حرمة عقوق الوالدين وأنها من الكبائر.

٢- بيان حنان الوالدين وحبهما لولدهما وبذل كل ما يقدران عليه من أجل إسعاده وهدايته.

٣- التحذير من الانغماس في الملاذ والشهوات والاستمتاع.

٤- التحذير من الكبر والفسق وأن الكبر من أعمال القلوب والفسق من أعمال الجوارح.

٥- مدى فهم السلف الصالح لهذه الآية ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها.

١) قرأ يزيد حتى بلغ ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ ثم قال تعلمون والله إن أقواما يسترطون حسناتهم استبقى رجل طيباته إن استطاع ولا قوة إلا بالله.

٢) روي أن عمر بن الخطاب كان يقول لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وألينكم لباسا، ولكن استبقي طيباتي.

وذُكِر أنه لمّا قدم الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله، قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال له خالد بن الوليد لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر رضي الله عنه وقال لئن كان حظنا الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا.

۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ
مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ
عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا
بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي
ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

واذكر أخا عاد : أي نبي الله هودا عليه السلام .

إذ أنذر قومه بالأحقاف : أي خوف قومه عذاب الله بوادي الأحقاف .

وقد خلت النذر : أي مضت الرسل .

من بين يديه ومن خلفه : أي من قبله ومن بعده إلى أممهم .

ألا تعبدوا إلا الله : أي أنذروهم بأن لا يعبدوا إلا الله .

إني أخاف عليكم : أي إن عبدتم غير الله .

عذاب يوم عظيم : أي هائل بسبب شرككم بالله وكفركم برسالتي .

أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا : أي لتصرفنا عن عبادتها .

فأتنا بما تعدنا : أي من العذاب على عبادتها .

إن كنت من الصادقين : أي في انه يأتينا قطعا كما تقول .

قال إنما العلم عند الله : أي علم مجيء العذاب ليس لي وإنما هو لله وحده .

وأبلغكم ما أرسلت به إليكم : أي وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلني به ربي إليكم .

ولكني أراكم قوما تجهلون : أي حظوظ أنفسكم وما ينبغي لها من الإسعاد والكمال وإلاّ كيف تستعجلون العذاب مطالبين به .

فلما رأوه عارضا : أي رأواالعذاب سحابا يعرض في الأفق .

مستقبل أوديتهم : أي متجها نحو أوديتهم التي فيها مزارعهم .

قالوا هذا عارض ممطرنا : أي قالوا مشيرين إلى السّحاب هذا عارض ممطرنا .

بل هو ما استعجلتم به : أي ليس هو بالعارض الممطر بل العذاب الذي استعجلتموه .

ريح تدمر كل شيء : أي ريح عاتية تهلك كل شيء تمر به .

بأمر ربها : أي بإذن ربها تعالى .

فأصبحوا لا يرى إلاّ مساكنهم : أي أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق إلا مساكنهم.
كذلك نجزي القوم المجرمين : أي كذلك الجزاء الذي جازينا به عاداً قوم هود وهو الهلاك الشامل نجزي المجرمين من سائر الأمم.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في مطلب هداية قوم النبي محمد ﷺ فقال تعالى ﴿واذكر﴾ أي لقومك للعبرة والاتعاظ ﴿أخا عاد﴾ وهو هود عليه السلام والأخوة هنا أخوة نسب لا دين. اذكره ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف[1]﴾ إذ خوفهم عذاب الله إن لم يتوبوا إلى الله ويوحدوه، والأحقاف وادي القوم الذي به مزارعهم ومنازلهم وهو ما بين حضرموت ومهرة وعُمان جنوب الجزيرة العربية. وقوله ﴿وقد خلت النذر[2] من بين يديه ومن خلفه﴾ أي وقد مضت الرسل من قبله ومن بعده في أممهم. أي لم يكن هود أول نذير، ولا أمته أول أمة انذرت العذاب وقوله ﴿ألاَّ تعبدواإلا الله﴾ أي كل رسول أنذر أمته عاقبة الشرك فأمرهم أن لا يعبدوا إلا الله، وهو معنى لا إله إلا الله التي دعا إليها محمدﷺ أمته فهي أمر بعبادة الله وترك الشرك فيها، وقوله﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ يوم هائل عظيم وهو يوم القيامة، فكان رد القوم ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا[3]﴾ أي تصرفنا عن عبادة آلهتنا. ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ أي من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين[4]﴾ فيما توعدنا به وتهددنا، فأجابهم هود عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه بقوله ﴿قال﴾ أي هود ﴿إنما العلم[5] عند الله﴾ أي علم مجيء العذاب وتحديد وقته هذا ليس لي وإنما هو لله منزله، فمهمتي أن أنذركم العذاب قبل حلوله بكم وابلغكم ما أرسلت به إليكم من الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك والمعاصي، ﴿ولكني أراكم قوما تجهلون[6]﴾ أي بمايضركم وما ينفعكم في الدنيا والآخرة وإلا كيف تستعجلون العذاب وتطالبون به إذ المفروض أن تطلبوا الرحمة والسعادة لا العذاب والشقاء قوله تعالى[7] ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم﴾ أي فلما رأى قوم هود العذاب متجها

---

(١) الأحقاف: جمع حقف بكسر وسكون: الرمل العظيم المستطيل.
(٢) وجائز أن تكون (النذر) جمع نذارة، وكونها الرسل هو الذي عليه المفسرون.
(٣) الاستفهام إنكاري والإفك، بفتح الهمزة الصرف، وبالكسر الكذب أو أسوأه.
(٤) جواب الشرط محذوف دل عليه ما تقدمه وهو: (فأتنا بما تعدنا) ولفظ الصادقين، أبلغ في الوصف مما لو قالوا، إن كنت صادقاً.
(٥) (ال) في (العلم) للاستغراق العرفي أي: علم كل شيء، ومنه علم وقت مجيء العذاب.
(٦) أي: تجهلون صفات الله تعالى وحكمة إرسال الرسل، وتجهلون حتى ما ينفعكم وما يضركم وإلا فكيف تطالبون بالعذاب، كما في التفسير.
(٧) الفاء هنا: للتفريع فما ذُكر بعدها متفرع عما تقدمها من قصة هود مع قومه.

نحو أوديتهم التي بها مزارعهم ومنازلهم ﴿قالوا هذا عارض[1] ممطرنا﴾ أي هذا سحاب يعرض في السماء ذاهباً صوب وادينا ليسقينا، وهو معنى قوله ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ أي ممطر أراضينا المصابة بالجفاف الشديد. قال تعالى ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ أي ليس بالسحاب الممطر بل هو العذاب الذي طالبتم به لجهلكم وخفة أحلامكم، وبيّنه بقوله ﴿ريح فيها عذاب أليم﴾ أي تحمل في ثناياها العذاب الموجع، تدمر كل شيء تمر به فتهلكه ﴿بأمر ربها﴾ أي بإذنه وقد أتت عليهم عن آخرهم ولم ينج إلا هود والذين آمنوامعه برحمة من الله خاصة، ﴿فأصبحوا لا يرى[2] إلا مساكنهم﴾ أي لا يرى الرائي إذا نظر إليهم إلاّ مساكنهم خالية ما بها أحد. قال تعالى ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين[3]﴾ أي كهذا الجزاء بالدمار والهلاك نجزي المجرمين أي المفسدين أنفسهم بالشرك والمعاصي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان سنة الله في الأمم في إرسال الرسل إليهم

٢ـ وبيان مهمة الرسل وهي النذارة والبلاغ.

٣ـ بيان سفه وجهل الأمم التي تطالب بالعذاب وتستعجل به.

٤ـ بيان أن عاداً أهلكت بالريح الدَّبور، وأن نبينا محمد ﷺ نُصر بريح الصبا كما في الحديث الصحيح.

٥ـ بيان سنة الله تعالى في إهلاك المجرمين وهم الذين يصرون على الشرك والمعاصي.

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ

(١) العارض: السحاب الذي يعترض جو السماء، والاستقبال التوجه نحو الشيء ليكون قبالته.

(٢) قرأ الجمهور ومنهم نافع: (لا ترى) بالتاء المفتوحة، وقرأ حفص وغيره (لا يُرى) بالياء والبناء للمجهول، والمراد بالمساكن: آثارها وبعض الجدران الشاخصة منها.

(٣) في الآية دليل على إفساد الإجرام وأنه سبب كل هلاك، وحقيقته: أنه إفساد الروح بالشرك والمعاصي فعلا وتركاً.

أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
(٢٧) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨)

شرح الكلمات:

ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه : أي ولقد مكنا قوم عاد من القوة التي لم نمكنكم أنتم من مثلها.

وجعلنا لهم سمعا وأبصاراً : وجعلنا لهم أسماعاً وأبصاراً.

فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم من شيء : أي من الإغناء.

إذ كانوا يجحدون بآيات الله : أي لعلة هي أنهم كانوا يجحدون بآيات الله وهي حججه البيّنة.

وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به.

ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى : أي من أهل القرى كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.

وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون : أي كررنا الحجج وضربنا الأمثال ونوعنا الأساليب لعلهم يرجعون إلى الحق فيؤمنون ويوحدون.

فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة : أي فهلا نصرهم بدفع العذاب عنهم الذين اتخذوهم من دون الله آلهة يتقربون بهم إلى الله في زعمهم.

بل ضلوا عنهم : أي غابوا عنهم عند نزول العذاب.

وذلك إفكهم وما كانوا يفترون : أي خذلان آلهتهم لهم وعدم نصرتهم لهم بل غيابهم عنهم هو إفكهم وافتراؤهم الذي كانوا يفترونه.

معنى الآيات:

ما زال السياق في مطلب هداية قريش انه لما قص تعالى عليهم قصة عاد وتجلت فيها عظات كثيرة وعبرة كبيرة قال لهم ﴿ولقد مكناهم(1)﴾ أي قوم عاد مكناهم في الأرض فأعطيناهم من مظاهر

(١) الجملة في محل نصب على الحال من واو الجماعة في قوله: (قالوا أجئتنا) والكلام مستعمل في التعجيب من عدم انتفاعهم بمواهب عقولهم.

القوة المادية ﴿فيما إن مكناكم فيه﴾[1] أنتم يا معشر كفار قريش[2] وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة أي قلوباً فما أغنى عنهم سمعهم أي أسماعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء من الإغناء إذ كانوا يجحدون بآيات الله أي بحججه وبيّناته الدالة على وجوب توحيده وحاق أي نزل بهم العذاب الذي كانوا إذا خوفوا به وأنذروا استهزأوا وسخروا وقوله تعالى ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وقوله ﴿وصرفنا الآيات﴾ أي وكررنا الحجج وضربنا الأمثال ونوعنا العظات والعبر لعلهم يرجعون إلى الحق الذي انصرفوا عنه وهو التوحيد والاستقامة فأبوا إلّا الإصرار على الشرك والباطل فأهلكناهم.[3] فلولا أي فهلا نصرهم الذين[4] اتخذوهم من دون الله قرباناً آلهة يتقربون بها إلى الله في زعمهم والجواب مانصروهم بل ضلوا عنهم أي غابوا فلم يعثروا عليهم بالكلية. قال تعالى ﴿وذلك إفكهم[5] وما كانوا يفترون﴾ أي ذلك الذي تم لهم من الخذلان والعذاب هو إفكهم أي كذبهم وافتراؤهم الذي كانوا يعيشون عليه قبل هلاكهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن الإعراض عن دين الله والإصرار على الفسق عن أمر الله، والاستمرار على الخروج على طاعته إذا استوجب صاحبه العذاب ونزل به لم يغن عنه ذكاؤه ولا دهاؤه ولا علمه وحضارته ولا علوه وتطاوله.

٢ـ بيان أن الآيات والحجج وضرب الأمثال وسوق العبر والعظات لا تنفع في هداية العبد، إذا لم يرد الله هدايته ﴿إن الله لا يهدي من يضل﴾ ويحيق به العذاب ويهلكه جزاء تكذيبه وكفره وإعراضه وفسقه.

---

(١) ﴿فيما إن مكناكم فيه﴾ (ما) موصولة و(إن) نافية عدولا عن النفي بما حتى تجتمع ميمان، الموصولة والنافية ارتقاء في الأسلوب.

(٢) التمكين: إعطاء المكنة: بفتح الميم وكسر الكاف وهي: القدرة والقوة، يقال: مكن من كذا وتمكن إذا قدر عليه، ومكنه أقدره عليه.

(٣) أصل لولا إذا دخلت على الجملة الفعلية كانت للتحضيض على تحصيل ذلك الفعل فإذا كان الفاعل غير المخاطب بالكلام كانت للتوبيخ، إذ لا طائل في تحضيض المخاطب على فعل غيره، والإتيان بالموصول لما في الصلة من التنبيه على الخطأ والغلط في عبادة الأصنام التي لم تغن عنهم شيئاً كقول الشاعر:

إن الذين ترونهم إخوانكم   يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا

(٤) الكلام تضمن التوبيخ للأمم الهالكة على شركهم وعنادهم لرسلهم تعريضاً بقريش المصرة على الخطأ نفسه الذي هلكت به الأمم المجاورة لها لعلهم يتذكرون فيتوبون.

(٥) (وذلك إفكهم) هذه فذلكة قوله تعالى: (فلولا نصرهم الذين اتخذوا) الخ والإشارة إلى ما تضمنه قوله: اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة والافتراء نوع من الكذب كابتكار الأخبار الكاذبة، ويرادف الاختلاق.

٣ـ بيان غياب الشركاء من الأنداد التي كانت تعبد عن عابديها فضلا عن نصرتها لهم وذلك الخذلان هو جزاء كذبهم وافترائهم في الحياة الدنيا.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات:

وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن : أي واذكر إذ أملنا إليك نفراً من الجن جن نصيبين أو نينوي.

فلما حضروه قالوا انصتوا : أي حضروا سماع القرآن قالوا أي بعضهم لبعض أصغوا لاستماع القرآن.

فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين : أي فرغ من قراءته رجعوا إلى قومهم مخوفين لهم من العذاب.

مصدقا لما بين يديه : أي من الكتب السابقة كالتوراة والانجيل والزبور وغيرها.

يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم : أي من العقائد في الشرائع والاسلام.

ويجركم من عذاب أليم : أي ويحفظكم هو عذاب يوم القيامة.

فليس بمعجز في الأرض : أي فليس بمعجز الله هرباً منه فيفوته.

أولئك في ضلال مبين : أي الذين لم يجيبوا داعي الله وهو محمد ﷺ إلى الإيمان.

: أي في ضلال عن طريق الإسعاد والكمال ظاهر بيّن.

معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية قوم النبي ﷺ إنه بعد أن ذكّرهم بعاد وما أصابها من دمار وهلاك نتيجة شركها وكفرها وإصرارها على ذلك فقال تعالى ﴿واذكر أخا عاد﴾ إلى آخر الآيات ذكرهم هنا بما هو تقريع لهم وتوبيخ إذ أراهم أن الجن خير منهم لسرعة استجابتهم للدعوة والقيام بتبليغها فقال تعالى ﴿وإذ صرفنا[1] إليك نفراً من الجن[2]﴾ أي اذكر لقومك من كفار مكة وغيرها إذ صرفنا إليك نفراً من الجن وهم عدد ما بين السبعة إلى التسعة من جن نصيبين وكانوا من أشراف الجن وسادتهم صرفناهم إليك أي أملناهم إليك وأنت تقرأ في صلاة الصبح ببطن نخلة بين مكة والطائف صرفناهم إليك يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا[3] أي أصغوا واستمعوا ولا تشوشوا، قاله بعضهم لبعض، فلما قضي أي القرآن فرغ منه، ولّوا إلى قومهم أي رجعوا إلى قومهم من الجن بنصيبين ونينوي منذرين إياهم أي مخوفينهم من عذاب الله إذا استمروا على الشرك والمعاصي فماذا قالوا لهم قالوا ما أخبر تعالى به عنهم قالوا يا قومنا[4] إنا سمعنا كتابا أُنزل من بعد موسى[5] وهو القرآن مصدقا لما بين يديه أي من الكتب الإلهية التي سبق نزولها كصحف ابراهيم والتوراة والزبور والإنجيل، ووصفوا القرآن بما يلي يهدي إلى الحق والصواب في كل شيء اختلف فيه الناس من العقائد والديانات والأحكام، ويهدي إلى صراط مستقيم أي طريق قاصد غير جور ألا وهو الإسلام دين الأنبياء عامة[6]

وقالوا مبلغين منذرين ﴿ياقومنا أجيبوا داعي الله﴾ وهو محمد رسول الله ﷺ ﴿وآمنوا به﴾ أجيبوه إلى ما يدعو إليه من توحيد الله وطاعته وآمنوا بعموم رسالته وبكل ما جاء به من الهدى ودين الحق ويكون جزاؤكم على ذلك أن ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ أي يغفر لكم الذنوب التي بينكم وبين الله تعالى بسترها عليكم ولا يؤاخذكم بها، وأما الذنوب التي بينكم وبين بعضكم بعضاً فإنها لا تغفر إلا من قِبل المظلوم نفسه باستسماحه أو ردِّ الحق إليه، وقوله

---

(١) الجملة معطوفة على قوله (واذكر أخا عاد) وإن طلبت المناسبة بين هذه الآيات وما تقدمها في السورة فهي قوله تعالى (أولائك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين).

(٢) النفر: العدد دون العشرين.

(٣) (أنصتوا) أمر بتوجيه الأسماع إلى الكلام اهتماماً به لئلا يفوت منه شيء وفي الحديث: (أن النبي ﷺ أمر جابرا في حجة الوداع فقال له: استنصت الناس) قبل أن يبدأ خطبته ﷺ.

(٤) جملة: (قالوا يا قومنا) الخ مبينة لقوله تعالى: (منذرين).

(٥) ظاهر الآية أنهم كانوا يهودا مؤمنين بموسى ولم يكونوا على دين عيسى عليه السلام.

(٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما: استجاب لهم سبعون رجلاً من قومهم فأتوا النبي ﷺ فوافقوه بالبطحاء «مكة» فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم.

ويجركم من عذاب أليم أي ويحفظكم منقذاً لكم من عذاب أليم أي ذي ألم موجع وهو عذاب النار، ثم قالوا: ﴿ومن لا يجب داعي الله﴾ أي لم يستجب لنداء محمد فيؤمن به ويوحد الله تعالى فليس بمعجز في الأرض أي لله بل الله غالب على أمره ومهما حاول الهرب فإن الله مدركه لا محالة﴿وليس له من دون الله أولياء﴾يتولون أمره ولا أنصار ينصرونه. قال تعالى ﴿أولئك﴾ أي المذكورون في هذا السياق ممن لم يجيبوا داعي الله محمد ﷺ ﴿في ضلال مبين﴾ أي في عمى وغواية بين أمرهم واضح لا يستره شيء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- إثبات عالم الجن وتقريره في هذا السياق ولذا كان إنكار الجن كإنكار الملائكة كفراً.

٢- وجوب التأدب عند تلاوة القرآن بالإصغاء التام.

٣- وجوب البلاغ عن رسول الله ﷺ وفي الحديث بلغوا عني ولو آية.

٤- الإعراض عن دين الله يوجب الخذلان والحرمان.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

---

(١) اختلف في: هل مؤمنوا الجن يدخلون الجنة أو لا؟ فذهب أبو حنيفة والحسن البصري قبله إلى أن ثوابهم أن ينجوا من النار فقط ثم يكونون ترابا كسائر الحيوان، وذهب مالك والشافعي وغيرهما إلى أنهم يدخلون الجنة، وحجة المانعين من دخولهم الجنة هذه الآية ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ ودليل من قال بدخولهم الجنة قوله تعالى في هذه السورة ﴿لكل درجات مما عملوا﴾.

شرح الكلمات:

ولم يعيى بخلقهن : أي لم يتعب ولم ينصب لخلق السموات والأرض.

بقادر على أن يحييى الموتى بلى: أي انه قادر على إحياء الموتى وإخراجهم أحياء من قبورهم للحشر.

ويوم يعرض الذين كفروا على النار : أي ليعذبوا فيها.

أليس هذا بالحق : أي يقال لهم تقريعاً: أليس هذا أي العذاب بحق؟.

قالوا بلى وربنا : أي انه لحق وربنا حلفوا بالله تأكيداً لخبرهم.

فاصبر : أي يارسولنا محمد على أذى قومك.

أولوا العزم : أي أصحاب الحزم والصبر والعزم وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين وسلم وهم أصحاب الشرائع.

ولا تستعجل لهم : أي ولا تستعجل نزول العذاب لأجلهم.

كأنهم يوم يرون العذاب : أي في الآخرة.

لم يلبثوا إلا ساعة : أي لم يقيموا في الدنيا إلا ساعة من نهار وذلك لطول العذاب.

بلاغ : أي هذا القرآن بلاغ للناس أي تبليغ لهم.

هل يهلك إلا القوم الفاسقون : أي ما يهلك إلا القوم التاركون لأمر الله المعرضون عنه الخارجون عن طاعته.

معنى الآيات:

ما زال السياق في مطلب هداية قريش الكافرة بالتوحيد المكذبة بالبعث والنبوة فقال تعالى ﴿أو لم يروا﴾ أي أعمُوا ﴿أولم[1] يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض﴾ إنشاءًا وإبداعا من غير مثال سابق ﴿ولم يعْيَ[2]﴾ أي ينصب ويتعب ﴿بخلقهن﴾ أي السموات والأرض بقادر على أن يحييى الموتى لحشرهم إليه ومحاسبتهم ومجازاتهم بحسب أعمالهم في الدنيا الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾ وقوله تعالى ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار[3]﴾ لما أثبت البعث وقرره ذكر بعض ما يكون فيه فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار أي تعرضهم الزبانية على النار فيقولون لهم

---

(١) الاستفهام إنكاري، وجوابه قوله تعالى: ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾.

(٢) عيي كرضي ويعي كيرضى وهو: العجز في الحيلة والرأي وأما الإعياء بمعنى التعب ففعله: أعيا يعيى إعياء إذا تعب، وجائز أن يكون عيي بمعنى نصب وتعب.

(٣) أظهر في موضع الإضمار للإشارة إلى علة الحكم وهي: الكفر تحذيراً منه.

تقريعاً وتوبيخاً ﴿أليس هذا بالحق؟﴾[١] أي أليس هذا التعذيب بحق؟ فيقولون مقسمين على ثبوته بما أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿قالوا بلى وربنا﴾ فلما اعترفوا قيل لهم ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أي بسبب كفركم أي جحودكم لتوحيد الله ولقائه. ثم أمر تعالى رسوله أن يتدرَّع بالصبر وأن يتمثل صبر أولي العزم[٢] ليكون أقوى منهم صبراً كما هو أعلى منهم درجة فقال له فاصبر يارسولنا على ما تلاقي من أذى قومك من تكذيب وأذى فاثبت لذلك كما ثبت أولوا العزم من قبلك، والظاهر انهم المذكورون في قوله تعالى من سورة الأحزاب ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم﴾، ومن الجائز أن يكون عدد أولي العزم أكثر مما ذُكر وقوله تعالى ﴿ولا تستعجل لهم﴾ لما أمره بالصبر نهاه عن استعجال العذاب لقومه فقال فاصبر ولا تستعجل العذاب لهم. ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾[٣] تعليل لعدم استعجال العذاب لأنه قريب جداً حتى إنهم يوم ينزل بهم ويرونه كأنهم لم يلبثوا في الدنيا على طول الحياة فيها إلا ساعة من نهار وقوله تعالى ﴿بلاغ﴾ أي هذا القرآن وما حواه من تعليم وبيان للهدى تبليغ للناس وقوله ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾[٤] ينفي تعالى هلاك غير الفاسقين عن أوامره الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله ﷺ.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ الكفر هو الموجب للنار والكفر هو تكذيب بوجود الله تعالى وهو الإلحاد أو تكذيب بلقائه تعالى أو بآياته أو رسله، أو شرائعه بعضا أو كُلاً.

٣ـ وجوب الصبر على الطاعات فعلا، وعن المعاصي تركا، وعلى البلاء بعدم التّضجُّروالسّخط.

٤ـ اطلاق الفسق على الكفر باعتباره خروجا عن طاعة الله فيما يأمر به من العقائد والعبادات وينهى عنه من الشرك والمعاصي.

---

(١) الاستفهام تقريري وتنديم على ما كانوا يزعمونه من الباطل، وإقسامهم بقولهم: (وربنا) من باب التحنن والتخضع تلمساً العفو وعدم المؤاخذة.

(٢) العزم: نية محققة على عمل أو قول دون تردد، والمحمود منه ما كان في امتثال أوامر الله ورسوله واجتناب نواهيهما، ودونه ما كان فيما يجلب خيراً ويدفع شراً.

(٣) (من نهار) وصف لساعة، وكونها من نهار إشارة إلى قلتها وعدم طولها بخلاف ساعة الليل فإنها تُرى طويلة. و(بلاغ) خبر، والمبتدأ محذوف تقديره: هذا بلاغ.

(٤) (فهل يهلك) الاستفهام للنفي ولذا صح الاستثناء منه، و(ال) في (القوم) للجنس ليشمل كل من فسق، والفسق: الخروج عن طاعة الله والرسول ﷺ بالإصرار على الشرك والكفر.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ[1]
أو القتال
مدنية
وآياتها ثمان وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣)

شرح الكلمات :

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله : أي كفروا بتوحيد الله ولقائه وبآياته ورسوله وصدوا غيرهم عن الدخول في الإسلام.

أضل أعمالهم : أي أحبط أعمالهم الخيرية كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرى لها أثرٌ يوم القيامة.

والذين آمنوا وعملوا الصالحات : أي آمنوا بالله وآياته ورسوله ولقائه وأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي.

وآمنوا بما نزل على محمد : أي بالقرآن الكريم.

كفر عن سيئاتهم : أي محا عنهم ذنوبهم وغفرهالهم.

وأصلح بالهم : أي شأنهم وحالهم فهم لا يعصون الله تعالى.

ذلك : أي اضلال أعمال الكافرين وتكفير سيئات المؤمنين.

---

(١) تسميتها بسورة محمد أكثر وأشهر في كتب التفسير والحديث معاً.

بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل : أي الشيطان في كل ما يمليهعليهمويزينه لهم من الكفر. والشرك والمعاصي.

وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم : أي التوحيد والعمل الصالح.

كذلك يضرب الله للناس أمثالهم : أي كما بيّن تعالى حال الكافرين، وحال المؤمنين في هذه الآية يبين للناس أمثالهم ليعتبروا.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿الذين[1] كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم[2]﴾ هذه جملة خبريّة أخبر تعالى فيها عن حال من كفر بالله ورسوله وصد عن سبيل الله أي الإسلام غيره من الناس أضل الله عمله[3] فأحبطه فلم يحصل له ثواب في الآخرة، ولازمه انه هالك في النار، وتكون هذه الجملة كأنها جواب لسؤال نشأ عن قوله تعالى في خاتمة سورة الأحقاف قبل هذه السورة وهي فهل يُهلك إلّا القوم الفاسقون أي ما يهلك إلّا القوم الفاسقون فقال قائل من هم القوم الفاسقون؟ فكان الجواب الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وهو وجه ارتباط بين السورتين حسن. هذا وقوله تعالى ﴿والذين آمنوا﴾ أي[4] بالله ورسوله وآياته ولقائه وعملوا الصالحات أي أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت الحرام ووصلوا الأرحام وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولو بالاستعداد للقيام بذلك إذ بعض هذه الصالحات لم يشرع بعد وآمنوا بما نزل على محمد ﷺ وهو القرآن الكريم والسنة الصحيحة لأنها وحي إلهي يتلقاه رسول الله ﷺ وفي صحيح الحديث [ألا وإني أُوتيت القرآن ومثله معه] وقوله تعالى ﴿وهو الحق من ربهم﴾ أي القرآن لأنه ناسخ للكتب قبله ولا ينسخ بكتاب بعده. فهو الحق الثابت الباقي إلى نهاية الحياة. وقوله ﴿كفّر عنهم سيئاتهم﴾ أي محا عنهم ذنوبهم وأصلح بالهم[5] أي شأنهم وحالهم فلم يفسدوا بعد بشرك ولا كفر

---

(١) الكفر الإشراك بالله والصد عن سبيل الله، هو صرف الناس عن اتباع النبي ﷺ، والدخول في الإسلام، ويدخل فيه الصد عن المسجد الحرام للاعتمار والحج.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في المطعمين ببدر وهم اثنا عشر رجلا: أبو جهل والحارث بن هشام وذكرهم، وهم الذين أطعموا الناس يوم بدر ليثبتوا على القتال ولا يفروا، أبطل أعمالهم لعلة شركهم وكفرهم والآية عامة في كل كافر وما بعدها في كل مؤمن.

(٣) أصل الإضلال: الخطأ عن الطريق، ولما كان المطعمون عملوا عملا ظنوا أنه خير لهم ونافع فلما أبطله الله تعالى عليهم فلم ينتفعوا به كانوا كمن ضل طريقه فشقى وهلك.

(٤) هذه فئة المؤمنين المقابلة لفئة الكافرين ذكر لها ثلاث صفات كما لتلك ثلاث صفات وهي: الإيمان المقابل للكفر، والإيمان بما نزل على محمد المقابلة للصد عن سبيل الله، وعمل الصالحات المقابلة لما فعله المطعمون من الطعام.

(٥) البال: يطلق على القلب وعلى العقل، وعلى ما يخطر للمرء من التفكير وهو أكثر إطلاقه ولعله حقيقة فيه، ومجاز في غيره، ويطلق أيضاً على الحال والشأن، والقدر لحديث (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر).

هذا جزاؤهم على إيمانهم وصالح أعمالهم. وقوله تعالى ﴿ذلك بأن[1] الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ وهـو الشيطان ومـا يزينه من أعمال الشرك والشر والفساد، ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ وهو القرآن وما جاء به ودعا إليه من العقائد الصحيحة والعبادات المزكية للنفس المهذبة للأرواح. أي ذلك الجزاء للذين كفروا والذين آمنوا بسبب أن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم. وقوله تعالى ﴿كذلك يضرب[2] الله للناس أمثالهم﴾ أي مثل هذا التبيين لحـال الكـافرين وحال المؤمنين في هذه الآيات يبيّن الله للناس أمثالهم أي أحوالهم بالخسران والنجاح ليعتبروا فيسلكوا سبيل النجاح، ويتجنبوا سبيل الخسران، فضلا منه تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان طريقي الفلاح والخسران فطريق الفلاح الإيمان والعمل الصالح وطريق الخسران الشرك والمعاصي.

٢ـ بيان أن أعمال البر مع الكفر والشرك لا تنفع صاحبها يوم القيامة ولا تشفع له وقد يثاب عليها في الدنيا فيبارك له في ماله وولده.

٣ـ بيان الحكمـة في ضرب الأمثـال وهي هداية الناس إلى ما يُفلحون به، فينجون من النار ويدخلون الجنة.

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم
بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) هذا تبيين للسبب الأصلي في إضلال أعمال الكافرين وإصلاح بال المؤمنين والباء: بأن: سببية، واسم الإشارة مبتدأ والخبر: قوله (بأن الذين..) الخ والإشارة إلى ما تقدم من الخبرين (أضل أعمالهم) و(كفّر عنهم سيئاتهم).

(٢) هذه الجملة تذييل لما سبق من بيان حال كل من الكافرين والمؤمنين و(يضرب) بمعنى يلقي مبيّناً، والأمثال: جمع مثل وهو: الحال التي تمثل صاحبها أي: تشهره للناس وتعرفهم به فلا يلتبس بنظائره.

فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾

شرح الكلمات:

فإذا لقيتم الذين كفروا : أي إذا كان الأمر كما ذُكر فإذا لقيتم الذين كفروا في ساحة المعركة فاضربوا رقابهم ضرباً شديداً تفصلون فيه الرقاب عن الأبدان.

حتى إذا أثخنتموهم : أي أكثرتم فيهم القتل ولم يصبح لهم أمل في الانتصار عليكم.

فشدوا الوثاق : أي فأسروهم بدل قتلهم وشدوا الوثاق أي ما يوثق به الأسير من إسار قِدّاً كان أو حبلا حتى لايتفلتوا ويهربوا.

فإما مناً بعد وإما فداء[1] : أي بعد أسركم لهم وشد وثاقهم فإما أن تمنوا منّا أي تفكوهم من الأسر مجاناً، وإما تفادونهم بمال أو أسير مسلم، وهذا بعد نهاية المعركة.

حتى تضع الحرب أوزارها : أي واصلوا القتال والأخذ والأسر إلى أن تضع الحرب أوزارها وهي آلاتها وذلك عند إسلام الكفار أو دخولهم في عهدكم فهذه غاية انتهاء الحرب حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

ذلك : أي الأمر ذلك الذي علمتم من استمرار القتال إلى غاية إسلام الكفار أو دخولهم في عهدكم وذمتكم.

ولو يشاء الله لانتصر منهم : أي بغير قتال منكم كأن يخسف بهم الأرض أو يصيبهم بوباء ونحوه.

ولكن ليبلو بعضكم ببعض : ولكن أمركم بالقتال وشرعه لكم لحكمة هي أن يبلو بعضكم ببعض أي يختبركم من يقاتل منكم ومن لا يقاتل، والمؤمن يُقتل فيدخل الجنة والكافر يُقتل فيدخل النار.

والذين قتلوا في سبيل الله[2] : أي قتلهم العدو، وقرىء قاتلوا في سبيل الله.

---

(١) (منّا) و(فداءً) : منصوبان على المفعولية المطلقة أي: تمنون مناً وإما تفدون فداء.

(٢) قرأ نافع (قاتلوا) بالبناء للفاعل، وقرأ حفص: (قوتلوا) بالبناء للمفعول.

فلن يضل أعمالهم	: أي لا يحبطها ولا يبطلها.
سيهديهم ويصلح بالهم	: أي سيوفقهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ويصلح شأنهم.
ويدخلهم الجنة عرفها لهم	: أي ويدخلهم يوم القيامة الجنة بينها لهم فعرفوها بماوصفها لهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.
ان تنصروا الله	: أي في دينه ورسوله وعباده المؤمنين.
ينصركم ويثبت أقدامكم	: أي على عدوكم ويثبت أقدامكم في المعارك.
والذين كفروا فتعساً لهم	: أي تعسوا تعسا أي هلاكا وخيبة لهم.
وأضل أعمالهم	: أي احبطها وأبطلها فلم يحصلوا بها على طائل.
ذلك	: أي الضلال والتعس.
بأنهم كرهوا ما أنزل الله	: أي من القرآن المشتمل على أنواع الهدايات والاصلاحات.
فأحبط أعمالهم	: أي أبطلها وأضلها فلا ينتفعون بها لا في الدنيا ولا في الآخرة.

معنى الآيات:

لقد تقدم أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد أضل أعمالهم وذلك لكفرهم وصدهم عن سبيل الله إذا كان الأمر كذلك فليقاتلوا لانهاء كل من المفسدتين كفرهم وصدهم غيرهم عن الإسلام وهذا ما دل عليه قوله تعالى فإذا لقيتم[1] الذين كفروا فضرب الرقاب أي[2] فاضربوا رقابهم ضربـا يفصل الرأس عن الجسد وواصلواقتالهم حتى إذا أثخنتموهم أي أكثرتم فيهم القتل، فشدوا الوثاق أي[3] احكموا ربط الأسرى بوضع الوثاق وهو الحبل في أيديهم وأرجلهم حتى لا يتمكنوا من قتلكم ولا الهرب منكم وبعد ذلك أنتم وما يراه إمامكم من المصلحة العليا فإن رأى المن فمنوا عليهم مجانا بلا مقابل، وإما تفادونهم فداء بمال، أو برجال، وستظل تلك حالكم قتل وأخذ وأسر ثم من وعفو مجاني، أو فداء بعوض ومقابل إلى أن تضع الحرب أوزارها أي اثقالها من عُدد وعتاد حربي، وذلك لوصولكم إلى الغاية من الحرب وهي أن يسلم الكافر، أو يدخل في ذمة المسلمين، وهو معنى قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة

---

(١) الفـاء للتفـريع أي: تفريع هذا الكلام على ما قبله، والمقصود تهوين شأن الكافرين في قلوب المسلمين، واغراء المسلمين بقطع دابر الكافرين و(إذا): ظرفية شرطية، وجوابها: (فضرب الرقاب) واللقاء معناه المقابلة في ساحة الحرب.

(٢) (فضرب): نصب ضرب على المفعولية المطلقة أي: فاضربوا الرقاب ضرباً، والجملة كناية عن قتل المشركين في ساحة المعركة سواء كان الضرب بالسيف أو الرمح أو السهام، فصارت هذه الجملة لما تحمله من معاني الأخذ بالشدة كأنها مثل سائر.

(٣) (الوثاق) بفتح الواو، ويجوز كسرها الشيء الذي يوثق به وهو كناية عن الأسر إذ الأسر يستلزم وضع الإسار في يد الأسير ليقاد به.

ويكون الدين لله﴾. وقوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي الأمر الذي علمتم من استمرار القتل والأسر إلى أن تضع الحرب أوزارها[1] بالدخول في[2] الإسلام أو في ذمة المسلمين وقوله ولو شاء الله لانتصر منهم أي بدون قتالٍ منكم ولكن بخسف أو وباء أو صواعق من السماء ولكن لم يفعل ذلك من أجل أن يَبْلُوَ بعضكم ببعض أي ليختبركم بهم. فيعلم المجاهدين منكم والصابرين، ويبلوهم بكم فيعاقب من شاء منهم بأيديكم، ويتوب على من يشاء منهم كذلك، إذ انتصاركم عليهم ووقوعهم تحت سلطانكم يساعدهم على التوبة إلى الله والرجوع إلى الحق فيسلموا فيفلحوا بالنجاة من النار ودخول الجنة، وقوله تعالى ﴿والذين قاتلوا في سبيل الله﴾ وفي قراءة[3] والذين قُتلوا في سبيل الله وهذه عامة في شهداء أُحد وغيرهم وإن نزلت الآية فيهم فإن الله تعالى يخبر عن إنعامه عليهم بقوله فلن يضل أعمالهم سيهديهم في الدنيا ويوفقهم إلى كل خير ويصلح شأنهم، ويدخلهم في الآخرة الجنة عرفها لهم أي بينها لهم في كتابه ولسان رسوله وطيّبها لهم أيضا،[4] وفي الآخرة يهديهم إلى منازلهم في الجنة كما قال الرسول ﷺ [فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا] «البخاري»، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ أي يامن آمنتم بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا إن تنصروا الله بنصر دينه ونبيّه وأوليائه بقتال أعدائه ينصركم الله ويجعل الغلبة لكم، ويثبت أقدامكم في كل معترك لقيتم فيه المشركين والكافرين. وهذا وعد من الله تعالى كم أنجزه لعباده المؤمنين في تاريخ الجهاد في سبيل الله، وقوله تعالى والذين كفروا فتعساً[5] لهم أي تعسوا تعسا[6] وهلكوا هلاكا وخابوا وخسروا، وأضل أعمالهم فلم يعثروا عليهاولم يروا لها أدنى فائدة ذلك الجزاء وتلك العقوبة بأنهم أي بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله أي من القرآن من آيات التوحيد والشرائع والأحكام فأحبط أي لذلك أعمالهم فخسروا في الحياتين.

---

(١) الأوزار: جمع وزر كحمل وأحمال، والمراد بها الأثقال من العتاد الحربي وهي كناية عن انتهاء الحرب بنصر الإسلام والمسلمين.

(٢) اختلف في: هل هذه الآية منسوخة أو محكمة والصحيح انها محكمة وأن الإمام مخير بين القتل والأسر والفداء والمن ولكن لابد من النظر في مصلحة الإسلام والمسلمين فنظر الحاكم يكون محققاً للمصلحة العامة.

(٣) (قاتلوا) قراءة نافع و(قتلوا) قراءة حفص كما تقدم في النهر قريباً.

(٤) قال ابن عباس (عرفها لهم) أي طيّبها لهم بأنواع الملاذ مأخوذ من العرف بفتح العين: الرائحة الطيبة.

(٥) التعس: الشقاء، ويطلق على الهلاك والخيبة والسقوط والانحطاط.

(٦) (تعسا): منصوب على المفعولية المطلقة كما في التفسير ويجوز أن يكون مستعملا في الدعاء عليهم لقصد التحقير والتفضيع لشأنهم وهو مثل سَقْياً ورعياً له وتباً له وويحاً له، وإن كان هذا فإنه يتعين تقدير قول محذوف أي: فقال الله: تعساً لهم. كقول أم مسطح: تعس مسطح دعاء عليه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- وجوب الجهاد على أمة الإسلام ومواصلته كما بيّن تعالى في هذه الآيات إلى أن لايبقى كافر يحارب بأن يدخلوا في الإسلام أو يعاهدوا ويدخلوا في ذمة المسلمين ويقبلوا على إصلاح أنفسهم وإعدادها للخير والفلاح.

٢- إمام المسلمين مخير في الأسرى بين المنّ والفداء، والقتل أيضا لأدلة من السنة.

٣- بشرى المجاهدين في سبيل الله بإكرام الله لهم وإنعامه عليهم في الدنيا والآخرة.

٤- يظفر بالنصر الحقيقي من نصر الله تعالى في دينه وأوليائه.

٥- إنذار الكافرين بالتعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة.

۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ
ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

أفلم يسيروا في الأرض : أي أغفل هؤلاء المشركون فلم يسيروا في البلاد.

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم : أي كيف كانت نهاية الذين من قبلهم كعاد وثمود.

دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها: أي دمر عليهم مساكنهم فأهلكهم وأولادهم وأموالهم وللكافرين أمثال تلك العاقبة السيئة.

وأن الكافرين لا مولى لهم : أي لا ناصر لهم.
والذين كفروا يتمتعون ويأكلون : أي بمُتع الدنيا من مطاعم ومشارب وملابس ويأكلون.
كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم : أي كأكل الأنعام بنهم وازدراد والنار مأواهم.
وكأين من قرية هي أشد قوة : أي وكثير من أهل قرية هي أشد قوة.
من قريتك التي أخرجتك : أي مكة إذ أخرج أهلها النبي ﷺ.
أفمن كان علي بينة من ربه : أي على حجة وبرهان من أمر دينه فهو يعبد الله على علم.
كمن زين له سوء عمله : أي كمن زين الشيطان له سوء عمله.
واتبعوا أهواءهم : أي واتبعوا أهواءهم في عبادة الأصنام والجواب ليسوا سواء ولا مماثلة بينهما أبدا.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾[1] يوبخ تعالى المشركين المصرين على الشرك والكفر على إصرارهم على الشرك والعناد فيقول أغفلوا ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم﴾ كعاد وثمود وقوم لوط إذ دمر تعالى عليهم بلادهم فأهلكهم وأولادهم وأموالهم فيعتبروا بذلك، وقوله تعالى ﴿وللكافرين﴾ أمثال تلك العاقبة المدمّرة، وعيد لكفار مكة بأن ينزل عليهم عقوبة كعقوبة الأولين إن لم يتوبوا من شركهم وإصرارهم عليه، وعنادهم فيه. وقوله ﴿ذلك﴾[2] أي نصر المؤمنين وقهر الكافرين بسبب أن الله مولى الذين آمنوا أي وليهم ومتولي أمرهم وناصرهم. وأن الكافرين لا مولى لهم لأن الله تعالى خاذلهم ومن يخذله الله فلا ناصر له. وقوله تعالى ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[3] هذا وعد من الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح بأن يدخلهم يوم القيامة جنات أي بساتين تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار وقوله ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ في الدنيا بملاذها وشهواتها، ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ إذ ليس لهم هَمٌّ إلا بطونهم وفروجهم، ولذا هم لا

---

(١) الفاء للتفريع، تفريع هذه الجملة الكلامية على الجملة السابقة وهي: (والذين كفروا فتعساً لهم) والاستفهام للتقرير التوبيخي.

(٢) جائز أن يكون اسم الإشارة منصرفا إلى مضمون قوله تعالى (وللكافرين أمثالها) فيفيد أن ما أصاب المشركين من الدمار والخزي والعار بسبب أن الله ناصر الذين آمنوا وما في التفسير في غاية الوضوح.

(٣) كلام مستأنف استئنافاً بيانياً، إذ هو بمثابة جواب لمن سأل عن حال المؤمنين في الآخرة وحال الكافرين في الدنيا، أما في الآخرة فالأمر معلوم وهو أنهم أصحاب النار هم فيها خالدون إذ بيّن تعالى حال المؤمنين في الآخرة، وحال الكافرين في الدنيا.

يلتفتون إلى الآخرة. ﴿والنار مثوى لهم[1]﴾ أي مقام ومنزل ومصير، وهذا وعيد شديد للكافرين. وهذا هو الترغيب والترهيب الذي هو سمة بارزة في أسلوب القرآن في الهداية البشرية وقوله تعالى ﴿وكأين[2] من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك[3] أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ هذه الآية نزلت ساعة خروج الرسول ﷺ من بيته إلى غار ثور مهاجراً فقد التفت إلى مكة وقال أنت أحب البلاد إلى الله وأحب بلاد الله إليَّ ولو أن المشركين لم يُخرجوني لم أخرج منك. ومعنى الآية الكريمة وكثير من القرى أهلها أشد قوة من أهل قريتك «مكة» التي أخرجك أهلها حيث حكموا بإعدامه ﷺ أهلكناهم أي أهل تلك القرى فلا ناصر وجد لهم عند إهلاكنا لهم. فكانت هذه الآية تحمل تسلية لرسول الله ﷺ وأي تسلية!! وقوله تعالى ﴿أفمن كان على بيّنة من ربه﴾ أي على علم وبرهان من صحة معتقده وعبادته لله تعالى راجياً ثوابه خائفا من عقابه وهؤلاء هم المؤمنون، كمن زين له سوء أي قبيح عمله من الشرك والكفر فهو يعبد الأصنام، واتبعوا أهواءهم هم في ذلك فلم يتبعوا وحياً إلهياً ولا عقلا إنسانيا فهل حالهم كحال من ذُكروا قبلهم والجواب لا يتماثلان إذ بينهما من الفوارق كما بين الحياة والموت، والجنة والنار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير قاعدة: العاقل من اعتبر بغيره.

٢ـ تقرير ولاية الله لأهل الإيمان والتقوى.

٣ـ بيان الفرق بين الماديين وأهل الإيمان والاستقامة على منهج الإسلام.

٤ـ تسلية الرسول ﷺ تخفيفا من آلامه التي يعانيها من إعراض المشركين وصدوفهم عن الإسلام.

مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ

---

(١) المثوى: مكان الثواء، الذي هو الاستقرار، وشاهده قول الشاعر:

آذنتنا ببينها أسماء   رب ثاوٍ يُملّ منه الثواء

(٢) (كأين) تدل بوضعها على كثرة العدد مثل كم والمراد بالقرية أهلها بدليل أهلكناهم إذ لم يقل: أهلكناها، والمراد بالقرية هنا: مكة أمّ القرى وأضيفت إلى النبي ﷺ تشريفاً لها زيادة على شرفها إذ هي بلد الله الأمين.

(٣) أطلق الإخراج على ما عامل به المشركون الرسول ﷺ من الجفاء والأذى ومحاربة نشر الدعوة فكان ذلك سبب خروجه منها، فأطلق الإخراج على مسبباته، وإلا فالرسول ﷺ خرج باختياره ولم يكرهه المشركون على الخروج بل كانوا يحاولون منعه من الخروج.

يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ (١٥)

شرح الكلمات :

مثل الجنة التي وعد المتقون : أي صفة الجنة دار السلام التي وعد الله بها عباده المتقين له .

من ماء غير آسن : أي غير متغيّر الريح والطعم لطول مكثه .

وأنهار من عسل مصفى : أي من الشمع وفضلات النحل .

وسقوا ماء حميما : أي حاراً شديد الحرارة .

فقطع أمعاءهم : أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿مثل الجنة التي[1] وعد المتقون﴾ هذه الآية الكريم تضمنت شرحا وافيا لأنهار الجنة، وشراب أهل النار، كما اشتملت على مقارنة بين حال أهل الإيمان والتقوى وما وعدوا به من مغفرة ذنوبهم وإدخالهم الجنة، وبين حال أهل النار وهم خالدون فيها وما وعدوا فيها من ألوان العذاب الشديد فقوله تعالى ﴿مثل الجنة﴾ أي صفتها الممثلة لها الشارحة لحالها التي وُعد المتقون أي التي وعد الله تعالى بها عباده المتقين له وهم أولياؤه الذين عبدوه ووحدوه فأطاعوه في الأمر والنهي فاتقوا بذلك الشرك والمعاصي .فيها أنهار من ماء غير آسن[2] أي غير متغير الطعم ولا الريح بطول المكث وأنهار من لبن لم يتغير طعمه أي بحموضة ولم يصر قارصا ولذلك لم يتغير ريحه أيضا وأنهار من خمرة لذة للشاربين[3] أي وفيها أنهار من خمر هي لذة لمن يشربها وسبب لذاذتها أنها غير كدرة ولا مسكرة ولا ريح غير طيبة لها، وأنهار من عسل مصفى أي وفيها أنهار من عسل مصفى أي من الشمع وفضلات النحل وقوله ولهم فيها من كل الثمرات أي من سائر أنواع

---

(١) هذه الآية مستأنفة استئنافاً بيانياً إذ فيها بيان لما قد يسأل عنه السائل. (ومثل الجنة) مبتدأ والخبر محذوف يقدّر بمثل مما سيوصف لكم أو ما سيتلى عليكم أو مما يتلى عليكم مثل الجنة وجملة: (فيها أنهار) بدل مفصل من مجمل.

(٢) أسن الماء: كضرب يأسن، وكنصر وفرح أيضاً فهو آسن: إذا تغير لونه.

(٣) اللذة: وصف وليست اسماً وهي تأنيث اللذ أي اللذيذ قال الشاعر:

ذكرت شبابي اللذ غير قريب ومجلس لهو طاب بين شروب

واللذاذة انفعال نفساني.

الثمار من فواكه وغيرها. ومع ذلك مغفرة من ربهم لسائر ذنوبهم فهل يستوى من هذه حالهم بحال من هو خالد في النار لا يخرج منها وسقوا ماء حميما حارا شديد الحرارة فلما سقوه وشربوه قطع أمعاءهم[1] أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم والعياذ بالله من النار وحال أهل النار اللهم أجرنا من النار اللهم اجرنا من النار اللهم أجرنا من النار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ التقوى هي السبب المورث للجنة هكذا جعلها الله عز وجل، والتقوى هي بعد الإيمان فعل المأمورات وترك المنهيات من سائر أنواع الشرك والمعاصي.

٢ـ بيان بعض نعيم الجنة من الشراب والفواكه.

٣ـ بيان بعض عذاب النار وهو الخلود فيها وشرب الحميم.

٤ـ تقرير البعث والجزاء، وأن لا مماثلة بين أهل السعادة وأهل الشقاء.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا
ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ
ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات:

ومنهم من يستمع إليك : أي ومن الكفار المنافقين من يستمع إليك في خطبة الجمعة.

ماذا قال آنفا : أي الساعة أي استهزاء منهم وسخرية يعنون انه شيء لا يُرجع إليه ولا يعتد به لعدم فائدته.

(١) الأمعاء: جمع مِعى بكسر الميم وقد تفتح وهو ما ينتقل إليه الطعام بعد نزوله من المعدة، ويسمى عفج بوزن كتف.

طبع الله على قلوبهم	: أي بالكفر فلذا هم لا يعون.
واتبعوا أهواءهم	: أي في الكفر والنفاق.
والذين اهتدوا	: أي المؤمنون.
زادهم هدى	: أي زادهم الله هدى.
وآتاهم تقواهم	: أي ألهمهم ما يتقون به عذاب الله تعالى.
فهل ينظرون إلا الساعة	: أي ما ينتظر أهل مكة إلاّ الساعة.
أن تأتيهم بغتة	: أي فجأة.
فقد جاء أشراطها	: أي علاماتها كبعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان.
فأنى لهم إذ جاءتهم ذكراهم	: أي أنى لهم إذا جاءتهم التذكر الذي ينفعهم إذ قد أُغلق باب التوبة.
فاعلم انه لا إله إلا الله	: أي فبناء على ما تقدم لك يا نبيّنا فاعلم أنه لا يستحق العبودية إلا الله فاعبده وتوكل عليه.
واستغفر لذنبك	: أي قل استغفر الله أو اللهم اغفر لي.
وللمؤمنين والمؤمنات	: أي واستغفر للمؤمنين والمؤمنات.
والله يعلم متقلبكم	: أي متصرفكم في النهار وأنتم تتصرفون في أمور دنياكم.
ومثواكم	: أي مكان ثواكم وإقامتكم ونومكم بالليل.

معنى الآيات:

قوله تعالى ومنهم من يستمع إلي هذه الآية (١٦) والآية التي بعدها مدنيَّتان لا شك لأنهما نزلت في شأن المنافقين قال تعالى مخبراً رسوله عن بعض المنافقين ﴿ومنهم﴾ أي ومن بعض المنافقين ﴿من يستمع[1] إليك﴾ أي إلى حديثك يوم الجمعة وأنت تخطب الناس على المنبر ﴿حتى إذا خرجوا من عندك﴾ أي من المسجد ﴿قالوا للذين أوتوا العلم﴾[2] من أصحابك كعبد الله بن مسعود ﴿ماذا قال آنفا﴾[3]، وقولهم هذا ظاهر عليه الخبث إذا لو كانوا مؤمنين محبين لقالوا

(١) روي عن مقاتل أن هذه الآية نزلت في عبدالله بن أبيّ بن سلول ورفاعة بن التابوت والحارث بن عمرو وزيد بن الصلت، ومالك بن الدخشم من المنافقين بالمدينة إلا أن مالك بن الدخشم قد أسلم وحسن إسلامه والاستماع السماع ولكن بعناية واهتمام يتظاهرون بذلك نفاقاً لا غير.

(٢) هم نفر من أصحاب الرسول ﷺ منهم عبدالله بن مسعود، وأبو الدرداء وابن عباس وإن كان يومها صغيراً فإنه لا مانع أن يسأل ويجيب لما هو مؤهل له من طلب العلم والكمال فيه.

(٣) (آنفاً): أي الآن وهو أقرب الأوقات، وسؤالهم هذا سؤال استهزاء، وآنفاً لم يُسمع إلا ظرفاً هكذا، وقيل هو مشتق من الأنف لأنه أول ما يظهر من البعير فأطلق على أقرب الوقت. ومنه أمر أنف، ورقة أنف لم تُرع بعد قال الشاعر:

ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع

ماذا قال رسول الله آنفا، ولكن قالوا ماذا قال آنفا ، وهم يعنون أن ما قاله الرسول ﷺ ليس بشيء مفيد يرجع إليه . قال تعالى ﴿أولئك﴾ أي البعداء في الشر والنفاق الذين طبع الله على قلوبهم أي بالكفر والنفاق وذلك لكثرة تلوثهم بأوضار الكفر والنفاق حتى ران على قلوبهم ذلك فكان ختما وطابعا على قلوبهم ،واتبعوا أهواءهم فهما علتان الأولى الطبع المانع من طلب الهداية والثانية اتباع الهوى وهو يعمي ويصم ، فلذا هم لا يهتدون ، وقوله تعالى ﴿والذين اهتدوا﴾ إلى الإيمان الصحيح والعمل الصالح زادهم الله هدى حسب سنته في نماء الأشياء وزكاتها وزيادتها، وآتاهم تقواهم[1] أي ألهمهم ما يتقون وأعانهم على ذلك فهم يتقون مساخط الله تعالى ومن أعظمها الشرك والمعاصي . وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق (١٨) فهل ينظرون أي كفار قريش[2] من زعماء الكفر في مكة إلا الساعة أي ما ينتظرون إلا الساعة أي القيامة أن تأتيهم بغتة أي فجأة إن كانوا ما ينظرون بإيمانهم إلا الساعة فالساعة قد جاء أشراطها وأول أشراطها بعثة محمد ﷺ وثانيها الدخان، وثالثها انشقاق القمر. وقوله تعالى ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم[3]﴾ أي أنى لهم التذكر الذي ينفعهم إذا جاءت الساعة بل شروطها أي بظهور علاماتها الكبرى[4] لا تقبل التوبة من أحدلم يكن مؤمنالقوله تعالى من سورة الأنعام ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ . على كل حال فالآية تستبطىء إيمان كفار مكة وتنكر عليهم تأخر إيمانهم الذي لا داعي له مع ظهور أدلة العقل والنقل ووضوح الحجج والبراهين الدالة على توحيد الله ووجوب عبادته وحده دون من سواه ولذا قال تعالى فاعلم انه لا إله إلا الله[5] واستغفر لذنبك[6] وللمؤمنين والمؤمنات أي فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي له العبادة وتصلح له إلا الله الذي هو خالق كل شيء ومالكه واستغفر أي اطلب من ربك المغفرة لك وللمؤمنين والمؤمنات ، وهذا الكلام وإن وجه للرسول ﷺ فالمراد منه على الحقيقة أو بالأصالة غيره ﷺ فكأنما قال تعالى يا عباد الله أيها الناس والرسول على

---

(١) مما ذكر في هذه الزيادة أنه آتاهم ثواب تقواهم في الآخرة وأنه بيّن لهم ما يتقون وأنه وفقهم للأخذ بالعزائم وترك الرخص وما في التفسير أشمل وأوضح .

(٢) يبدو أنه ما هناك حاجة إلى تخصيص كفار قريش بهذا الخطاب وإن كانوا داخلين فيه لأنّ السورة مدنية .

(٣) أي : من أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة .

(٤) في صحيح مسلم عن حذيفة والبراء قالا : كنا نتذاكر الساعة إذا أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال : (بما تتذاكرون؟ قلنا نتذاكر الساعة . قال : إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، : الدخان ودابة الأرض وخسفاً بالمشرق وخسفاً بالمغرب وخسفاً بجزيرة العرب ، والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى وناراً تخرج من عدن) .

(٥) هذه الآية من أدلة وجوب العلم قبل القول والعمل، وهو ما بوّب به البخاري رحمه الله تعالى .

(٦) لا ذنب للرسول ﷺ لعصمته، وإنما هو من باب قوله ﷺ (إنه ليغان على قلبي وإني استغفر الله في اليوم مائة مرة) . ومعنى يغان : يغام ويغشى ، وقيل إنه غين أنوار لاغين أغيار.

رأسكم اعلمـوا انه لا إله إلا الله واستغفروا لذنوبكم مؤمنين ومؤمنات والله يعلم متقلبكم أي تصرفكم في النهار في مصالح معاشكم ومعادكم ويعلم مثواكم[1] في فرشكم نائمين فهو يعلمكم على ما أنتم عليه في كل ساعة من ليل أو نهار فاخشوه واتقوه حتى تفوزوا برضاه في جنات النعيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ من الجائز أن تكون السورة مكية وبها آية أو أكثر مدنيّة.

٢ـ التحذير من اتباع الهوى فإنه يعمي ويصم والعياذ بالله.

٣ـ بيان أن لقيام الساعة أشراطاً أي[2] علامات تظهر قبلها فتدل على قربها.

٤ـ وجوب العلم بأنه لا إله إلا الله، وذلك يتم على الطريقة التالية:

الاعتراف بأن الإنسان مخلوق كسائر المخلوقات حوله، وكل مخلوق لابد له من خالق فمن خالق الإنسان والكون إذاً؟ والجواب قطعا: الله. فما دام الله هو الخالق فمن عداه مخلوق مفتقر إلى الله خالقه في حفظ حياته، ومن يُؤله ويُعبد إذاً الخالق أم المخلوق؟ والجواب: الخالق. إذاً تعيّن انه لا معبود إلا الله وهو معنى لا إله إلا الله ولما كانت العبادة لا تعرف إلا بالوحي وجب الإيمان برسول الله فكان لابُد من زيادة محمد رسول الله فنقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾

(١) المثوى: المآل والمرجع.

(٢) روى مسلم وغيره عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى).

شرح الكلمات :

لولا نزلت سورة : أي هلاّ نزلت سورة يقول هذا المؤمنون طلباً للجهاد.
سورة محكمة : أي لم ينسخ منها شيء من أوامرها ونواهيها.
وذكر فيها القتال : أي طلب القتال بالدعوة إليه والترغيب فيه.
في قلوبهم مرض : أي شك وهم المنافقون.
نظر المغشي عليه من الموت : أي خوفا من القتال وكراهية له فتراهم ينظرون إلى الرسول مثل نظر المغشي عليه من سكرات الموت.
فأولى لهم طاعة وقول معروف : أي فأجدر بهم طاعة لرسول الله وقول معروف حسن له.
فإذا عزم الأمر : أي فرض القتال وجد أمر الخروج إليه.
فلو صدقوا الله : أي وفواله ما تعهدوا به من أنهم يقاتلون.
لكان خيرا لهم : أي الوفاء بما تعهدوا به خيراً في دنياهم وآخرتهم.
فهل عسيتم ان توليتم : أي أعرضتم عن الإيمان الصوري الذي أنتم عليه وأعلنتم عن كفركم.
أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم : أي تفسدوا في الأرض بالشرك والمعاصي ولا تصلوا أرحامكم.
فأصمهم وأعمى أبصارهم : أي فعل تعالى ذلك بهم فلذا هم لا يسمعون الحق ولا يُبصرون الخير والمعروف.

معنى الآيات :

قوله تعالى ويقول الذين آمنوا إلى آخر السورة ظاهرهُ انه مدني وليس بمكي وهو كذلك فأغلب آي السورة مدني إذاً، ولا حرج: لأن القتال لم يفرض إلا بعد الهجرة النبوية والنفاق لم يظهر إلا بعد الهجرة كذلك والسياق الآن في علاج النفاق وأمور الجهاد قال تعالى ويقول الذين آمنوا من أصحاب رسول الله ﷺ متمنين الجهاد لولا نزلت[1] سورة أي هلا أنزل الله سورة قرآنية تأمر بالجهاد قال تعالى فإذا انزلت سورة محكمة ليس فيهانسخ وذكر فيها القتال أي الأمر به والترغيب فيه. رأيت يا محمد الذين في قلوبهم مرض أي مرض الشك والنفاق ينظرون إليك يا رسولنا[2] نظر أي مثل نظر المغشي أي المغمي عليه من الموت أي من سياقات الموت وسكراته. قال تعالى

---

(١) شوقاً إلى الجهاد وما أعد الله من ثواب لأهله، كما هو اشتياق للوحي ونزوله.
(٢) نظر مغمومين مغتاظين بتحديد وتحديق كمن يشخص بصره عند الموت.

﴿فأولى لهم﴾ هذا اللفظ صالح لأن يكون دعاء عليهم بالهلاك[1] أي هلاك لهم لجبنهم ونفاقهم وصالح أن يكون بمعنى الأجدر بمثلهم طاعة لله ورسوله وقول معروف أي حسن لرسول الله ﷺ. وقوله تعالى فإذا عزم أي جد الأمر للجهاد فلو صدقوا الله ما عاهدوا عليه من أنهم يقاتلون مع رسوله لكان خيراً لهم في الدنيا والآخرة. ثم قال لهم مخاطباً إياهم توبيخا وتقريعا فهل عسيتم بكسر السين[2] وفتحها قراءتان إن توليتم أي عن الإيمان الصوري إلى الكفر الظاهر فأعلنتم عن ردتكم أن تفسدوا في الأرض بفعل الشرك وارتكاب المعاصي وتقطعوا أرحامكم بإعلان الحرب على أقربائكم المؤمنين الصادقين. هذا إذ كان التولى بمعنى الرجوع إلى الكفر العلني وإن كان بمعنى الحكم فالأمر كذلك إذا حكموا يفعلون ما هو أعظم من الشرك والفساد في الأرض وتقطيع الأرحام، وأخيراً سجلت الآية (٢٢) لعنة الله فقال تعالى أولئك أي البعداء في الخسة والحطة الذين لعنهم الله فأبعدهم من رحمته فأصمهم عن سماع الحق وأعمى أبصارهم عن رؤية الهدى والطريق المستقيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ جواز تمنى الخير والأولى أن يسأل الله تعالى ولا يتمنى بلفظ ليت كذا.

٢ـ في القرآن محكم ومنسوخ من الآيات وكله كلام الله يُتلى ويتقرب به إلى الله تعالى ويعمل بالمحكم دون المنسوخ وهو قليل جدا.

٣ـ ذم الجبن والخور والهزيمة الروحية.

٤ـ شر الخلق من إذا تولى أفسد في الأرض بالشرك والمعاصي.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ
ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ

(١) أولى: قال الأصمعي معناه قاربه ما يهلكه.
(٢) قرأ نافع وحده بكسر السين وفتحها ما عداه حفص وغيره.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ اللَّهَ
وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

أفلا يتدبرون القرآن : أي يتفكرون فيه فيعرفون الحق من الباطل.

أم على قلوب أقفالها : أي بل على قلوب لهم أقفالها فهم لا يفهمون إن تدبروا.

إن الذين ارتدوا على أدبارهم : أي رجعوا كافرين بنفاقهم.

من بعد ما تبين لهم الهدى : أو من بعدما تبين لهم صدق الرسول وصحة دينه بالحجج والبراهين.

الشيطان سول لهم وأملى لهم : أي زيّن لهم الشيطان نفاقهم وأملى لهم أي واعدهم بطول العمر وَمنّاهم.

ذلك بأنهم قالوا الذين كرهوا ما أنزل الله : أي ذلك الإضلال بسبب قولهم للذين كرهوا ما أنزل الله وهم المشركون.

سنطيعكم في بعض الأمر : أي بأن نتعاون معكم على عداوة الرسول وبتثبيط المؤمنين عن الجهاد وكان ذلك سرا منهم لا جهرة فأظهره الله لرسوله.

يضربون وجوههم وأدبارهم : أي بمقامع من حديد يضربون وجوههم وظهورهم.

ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله : أي التَوفّي على الحالة المذكورة من الضرب على الوجوه والظهور بسبب اتباعهم ما أسخط الله من الشرك والمعاصي.

وكرهوا رضوانه : أي ما يرضيه تعالى من التوحيد والعمل الصالح.

فأحبط أعمالهم : أي ابطلها فلم يحصلوا منها على ثواب حسن.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تأديب المنافقين بعيبهم والإنكار عليهم وتهديدهم لعلهم يرجعون إذ حالهم كحال المشركين في مكة فقال تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾[1] أي مالهم؟ أغفلوا فلم يتدبروا

---

(١) الاستفهام للتعجيب من سوء عملهم بالقرآن وإعراضهم عن سماعه و(بل) للإضراب الانتقالي أي: بل على قلوبهم أقفال، والتدبر: التفهم مشتق من دبر الشيء أي: خلفه.

القرآن أي يتفكروا فيه فيعرفوا الحق من الباطل والهدى من[1] الضلال لأن القرآن نزل لبيان ذلك. أم على قلوب اقفالها أي بل على قلوب[2] لهم أقفالها أي اقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر والحجج والأدلة والبراهين حتى يكون الله هو الذي يفتح تلك الأقفال، والله تعالى يقفل ويفتح حسب سنن له في ذلك وقد ذكرنا هذا المعنى مرات في بيان الهداية والإضلال، وقوله تعالى ﴿إن الذين[3] ارتدوا على أدبارهم﴾ أي رجعوا إلى الكفر بقلوبهم دون ألسنتهم وهم المنـافقون من بعد ما تبين لهم الهدى أي صدق الرسول ﷺ وصحة دينه الإسلام هؤلاء المرتدون الشيطان سوَّل لهم أي زين لهم ذلك الارتداد وأملى لهم أي واعدهم ممنيًا لهم بطول العمر والبقاء الطويل في الحياة والعيش الطيب الواسع فيهاوقوله تعالى ذلك أي الإضلال الذي حصل لهم بسبب أنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله من القرآن والشرائع وإبطال الشـرك والشر والفساد وهم المشركون قالوا لهم سرا وخفية سنطيعكم في بعض الأمر، وذلك كعدم قتالكم وتثبيط الناس عن القتال إلى غير ذلك مما أسروه لإخوانهم المشركين. وقوله تعالى والله يعلم إسرارهُم[4] يخبر تعالى انهم لما كانوا يسرُّون كلمات الكفر للمشركين كان تعالى مطلعا عليهم فهو يعلم إسرارهم وأسرارهم وها هو ذا قد أطلع عليهم رسوله والمؤمنين. وقوله تعالى فكيف أي حالهم إذا توفتهم الملائكة ملك الموت وأعوانه من ملائكة العذاب وهم يضربون بمقامع من حديد وجوههم وأدبارهم أي ظهورهم. وقوله تعالى ذلك أي العذاب النازل بهم بسبب أنهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر به وبرسوله. وكرهوا رضوانه أي ما يرضيه عنهم وهو الجهاد في سبيله فأحبط الله أعمالهم أي أبطلها فلم يثبهم عليها لأنهم مشركون كافرون وعمل المشرك والكافر باطل وهو خاسر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب تدبر القرآن الكريم عند تلاوته أو سماعه وهو تفهم معانيه في حدود قدرة المسلم على الفهم.

---

(١) ويعرفوا كذلك ما أعد الله للذين لم يتولوا عن الإسلام من عزة ونصر في الدنيا، ومن نعيم مقيم في الآخرة.

(٢) لم يقل على قلوبهم فنكر القلوب وقال: (على قلوب) لتدخل قلوب غيرهم فلا يكون خاصاً بهم، والقفل: حديدة يغلق بها الباب.

(٣) اختلف في هؤلاء المرتدين فقال قتادة هم كفار أهل الكتاب وقال ابن عباس وغيره: هم المنافقون، وكونهم المنافقين أعم إذ من اليهود منافقون.

(٤) قرأ نافع والجمهور (أسرارهم) بفتح الهمزة، وقرأ حفص (إسراراهم) بكسرها فالإسرار بالكسر: مصدر أسرّ إسرارا وبالفتح جمع سرّ.

٢ـ الارتداد عن الإسلام كالرجوع عن الطاعة إلى المعصية سببهما تزيين الشيطان للعبد ذلك وإملاؤه له بالتمنّي والوعد الكاذب.

٣ـ من الردة التعاون مع الكافرين على المؤمنين بأي شكل من أشكال التعاون ضد الإسلام والمسلمين.

٤ـ تقرير عقيدة عذاب القبر وأنه حق ثابت أعاذنا الله منه آمين.

أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى
لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات:

في قلوبهم مرض : أي مرض النفاق.

أن لن يخرج الله أضغانهم : أي أن لن يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين.

ولو نشاء لأريناكهم : أي لعرَّفناك بهم فلعرفتهم.

سيماهم : أي بعلاماتهم.

ولتعرفنهم في لحن القول : أي إذا تكلموا عندك في لحن القول أي معناه وذلك بأن يُعرِّضوا فيه بتهجين أمر المسلمين أي تقبيح أمرهم.

والله يعلم أعمالكم : أي أيها المؤمنون إن الله يعلم أعمالكم وسيجزيكم بها خيراً.

ولنبلونكم : ولنختبرنّكم بالجهاد وغيره من التكاليف.

حتى نعلم : أي نعلم علم ظهور لكم ولغيركم إذ الله يعلم ذلك قبل ظهوره لما حواه كتاب المقادير.

المجاهدين منكم والصابرين : أي الذين جاهدوا وصبروا من غيرهم.

ونبلوا أخباركم : أي ونُظهر أخباركم للناس من طاعة وعصيان في الجهاد وفي غيره.

إن الذين كفروا : أي بالله ولقائه ورسوله وما جاء به من الدين الحق.

وصدوا عن سبيل الله : أي عن الإسلام.

وشاقوا الرسول : أي خالفوه وعادوه وحاربوه.

من بعد ما تبيّن لهم الهدى : أي عرفوا أن الرسول حق والإسلام حق كاليهود وغيرهم.

لن يضروا الله شيئا : أي من الضرر لأنه متعال أن يناله خلقه بضرر.

وسيحبط أعمالهم : أي يبطلها فلا تثمر لهم ما يرجونه منها في الدنيا والآخرة.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية المنافقين بكشف عُوارهم وإزاحة الستار عما في قلوبهم من الشك والنفاق فقال تعالى ﴿أم﴾[1] أي أحسب الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والمرض هو مرض النفاق الناجم عن الشك في الإسلام وشرائعه أن لن يخرج الله أضغانهم[2] أي أحقادهم فيظهرها لرسوله والمؤمنين فحسبانهم هذا باطل وقوله تعالى لرسوله ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم﴾ أي بعلامات النفاق فيهم وقوله ﴿ولتعرفنّهم في لحن القول﴾[3] أي وعزتي وجلالي لتعرفنهم في لحن القول أي في معاني كلامهم إذا تكلموا عندك وبين يديك فإن كلامهم لا يخلو من التعريض بالمؤمنين بانتقاصهم والقدح في أعمالهم، كما قيل «من أضمر سريرة ألبسه الله رداءها» وقوله تعالى في خطابه المؤمنين ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ ولازمه أنه سيجزيكم بها فاصبروا على الإيمان والتقوى. ﴿ولنبلونكم﴾[4] أي ولنختبرنكم بالجهاد والإنفاق والتكاليف ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ أي حتى نظهر ذلك لكم فتعرفوا المجاهد من القاعد والصابر من الضاجر منكم وبينكم، ﴿ونبلو أخباركم﴾ أي ما تخبرون به عن أنفسكم وتتحدثون به فنظهر الصدق من خلافه فيه، ولذا كان الفُضيل بن عياض رحمه الله تعالى إذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فإنك إذا بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا، وقوله جل ذكره ﴿إن

---

(١) (أم) هي المنقطعة المقدرة ببل وهمزة الاستفهام: فبل: للاضراب الانتقالي، والاستفهام إنكاري.

(٢) الأضغان: جمع ضغن كحمل وأحمال، وهو الحقد والعداوة ومحلها القلب: قال الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مِخْذم   والطاعنين مجامع الأضغان

(٣) (لحن القول) هو ما يفهم من الكلام بالتعريض والإشارة لا بصريح القول.

(٤) بَلا يبلوا بلواً المرء اختبره، فالبلو: الاختبار والتعرف على حال الشيء، ويكون في الشرع بالأمر والنهي.

الذين كفروا[1]﴾ أي كذبوا الله ورسوله ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ أي الإسلام فصرفوا الناس عنه بأي سبب من الأسباب، ﴿وشاقوا الرسول﴾ أي خالفوه وعادوه وحاربوه ﴿من بعد ما تبيّن لهم الهدى﴾ أي ظهر لهم الحق وأن الرسول حق والإسلام حق بالحجج والبراهين هؤلاء الكفرة لن يضروا الله شيئا من الضرر لتنزهه عن صفات المحدثين من خلقه ولامتناعه تعالى وعزته، ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ أي يبطلها عليهم فلا ينالون بها ما يؤملون في الدنيا بذهاب كيدهم وخيبة أملهم إذ ينصر الله رسوله ويعلي كلمته، وفي الآخرة لأن أعمال المشرك والكافر باطلة حابطة لا ثواب عليها سوى ثواب الجزاء المهين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان حقيقة وهى من أسرّ سريرة ألبسه الله رداءها فكشفه للناس.

٢ـ ومن أحب شيئا ظهر على وجهه وفلتات لسانه.

٣ـ تقرير قاعدة وهي أنه لابد من الابتلاء لمن دخل في الإسلام ليكون الإيمان على حقيقته لا إيمانا صوريا أدنى فتنة تصيب صاحبه يرتد بها عن الإسلام.

٤ـ أعمال المشرك والكافر باطلة لا ثواب خير عليها لأن الشرك محبط للأعمال الصالحة.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ
أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ
وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ
وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ
تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ

(١) يدخل في هذا اللفظ كفّار قريش وكفار اليهود والمنافقون.

لِّتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات:

ولا تبطلوا أعمالكم : أي بالرياء والشرك والمعاصي

وصدوا عن سبيل الله : أي عن الإسلام.

فلن يغفر الله لهم : أي لأنهم ماتوا على الكفر والكفر محبط للعمل.

فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم : أي فلا تضعفوا وتدعوا إلى الصلح مع الكفار.

وأنتم الأعلون : أي الغالبون القاهرون.

ولن يتركم أعمالكم : أي ولن ينقصكم أجر أعمالكم وثوابها.

إنما الحياة الدنيا لعب ولهو : أي الاشتغال بالدنيا والتفرغ لها ما هو إلا لهو ولعب لعدم الفائدة منه.

ولا يسألكم أموالكم : أي ولا يكلفكم بإنفاق أموالكم كلها بل بالزكاة فقط.

فيحفكم تبخلوا : أي بالمبالغة في طلبكم المال تبخلوا.

ويخرج أضغانكم : أي أحقادكم وبغضكم لدين الإسلام.

فإنما يبخل عن نفسه : أي عائد ذلك على نفسه لا على غيره فهو الذي يحرم الثواب.

وان تتولوا يستبدل قوما غيركم : أي عن طاعة الله وطاعة رسوله يأت بآخرين غيركم.

ثم لا يكونوا أمثالكم : أي في الطاعة أي يكونوا أطوع منكم لله ورسوله.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى الكفار ومشاقتهم لرسوله ﷺ نادى المؤمنين[1] وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله فقال يا أيها الذين آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول أي فيما يأمرانكم به وينهيانكم عنه من المعتقدات والأقوال والأعمال ولا تبطلوا[2] أعمالكم أي وينهاهم أن

(١) بقوله: (يا أيها الذين آمنوا) وجملة النداء معترضة بين جملة (إن الذين كفروا وصدوا) الخ وبين (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار).

(٢) إبطال العمل: جعله باطلاً أي: لا فائدة منه ولا ثواب، فالإبطال تتصف به الأشياء الموجودة، وكان الحسن البصري يقول: لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي، وما يبطل العمل على الحقيقة هو أمور ثلاثة: الشرك والرياء، وأداء العمل على غير الوجه المشروع عليه.

يبطلوا أعمالهم بالشرك والرياء والمعاصي والمراد من إبطال الأعمال أي حرمانهم من ثوابها. ثم أعلمهم مذكرا واعظا لهم فقال إن الذين كفروا أي بالله ورسوله وصدوا عن سبيل الله أي عن الإسلام بأي سبب من الأسباب ثم ماتوا وهم كفار قبل أن يتوبوا. فهؤلاء لن يغفر الله لهم ويعذبهم العذاب المعد لأمثالهم وقوله تعالى فلا تهنوا وتدعوا[1] إلى السلم وأنتم[2] الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ينهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يضعفوا عن قتال أعدائهم من الكافرين ويدعوا الكافرين إلى الصلح والمهادنة وهم أقوياء قادرون وهو معنى قوله وأنتم الأعلون أي الغالبون القاهرون. ولن يتركم[3] أعمالكم أي لا ينقصكم أجر أعمالكم بل يجزيكم بها ويزيدكم من فضله وقوله ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ هذه حقيقة وهي أن الحياة الدنيا إن أقبل عليها العبد ناسيا الدار الآخرة مقبلا على الدنيا لن تكون في حقه إلا لهواً ولعبا باعتبار أنه لم يظفر منها على طائل ولم تعد عليه بعائد خير وإسعاد كاللاعب اللاهي بشيء يلعب ويلهو فترة ثم لا يعود عليه ذلك اللعب بشيء كلعب الصبيان ولهوهم فإنهم يلهون ويلعبون بجد ثم يعودون إلى والديهم يطلبون الطعام والشراب. وقوله وإن تؤمنوا أي الإيمان الصحيح وتتقوا ما يغضب ربكم ويسخطه عليكم من الشرك والمعاصي يؤتكم أجوركم المترتبة على الإيمان والتقوى. وقوله ولا يسألكم أموالكم أي ولا يطلب منكم أموالكم كلها أي كراهة إحفائكم بذلك إن يسألكموها فيحفكم[4] أي بكثرة الإلحاح عليكم تبخلوا إذ هذا معروف من طباع البشر أن الإنسان إذا ألح وألحف عليه في الطلب يبخل بالمال ولم يعطه وقد يترك الإسلام لذلك، وقوله ويخرج أضغانكم أي أحقادكم وبغضكم للدين وكراهيتكم له ولذا لم يسألكم أموالكم وقوله تعالى[5]: ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون[6] لتنفقوا في سبيل الله﴾ أي جزءاً من أموالكم في الزكاة أو الجهاد لا كُل أموالكم لما يعلم تعالى من شح النفس بالمال وقوله ﴿فمنكم من يبخل﴾ أي يمنع ومن يبخل فإنما يبخل عن[7] نفسه إذ هي التي حرمها أجر النفقة في سبيل الله ذات الأجر العظيم وقوله ﴿والله الغني وأنتم

---

(١) الفاء للتفريع.

(٢) و(الأعلون) معناه الغالبون المنتصرون.

(٣) أي: لا ينقصكم، ومنه الموتور: الذي قُتل له قتيل، وفي الحديث الصحيح: (من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله).

(٤) يقال: أحفى في المسألة وألح بمعنى واحد.

(٥) (ها): حرف تنبيه، وفي إعراب الجملة وجهان الأول: وهو أن يكون (أنتم) مبتدأ، و(هؤلاء) منادي معترض، و(تدعون) الخبر، والثاني: أن يكون (أنتم) مبتدأ و(هؤلاء) خبره، وجملة: (تدعون) مستأنفة مؤكدة ومقررة لما سبق.

(٦) أي: في الحال وجائز أن يدعو في المستقبل، إذ الجهاد مستمر والحاجة إلى الإنفاق لا تنقطع، سبيل الله: المراد بها الجهاد وهي كل ما يوصل إلى مرضاة الله تعالى.

(٧) يجوز في (يبخل) أن يعدى بعن وبعلى يقال: بخل عليه بكذا أو بخل عنه بكذا أو يُضمّن معنى أمسك، وحينئذ فتعديته بعلى نحو: أمسك عليك لسانك.

الفقراء﴾إلى الله تعالى فهو غني عنكم لا يحضكم على النفقة لحاجته إليها ولكن لحاجتكم أنتم إليها إذ بها تزكوا نفوسكم وتقوم أموركم وتنتصروا على عدوكم وقوله وإن تتولوا أي ترجعوا عن الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله يستبدل الله بكم قوما غيركم أي يذهبكم ويأت بآخرين ثم لا يكونوا أمثالكم بل يكونون أطوع لله تعالى منكم وأسرع امتثالا لما يطلب منهم. وحاشاهم أن يتولوا وما تولوا ولا استبدل الله تعالى بهم غيرهم. وإنما هذا من باب حثهم على معالي الأمور والأخذ بعزائمها نظرا لمكانتهم من هذه الأمة فهم أشرفها وأكملها وأطوعها لله وأحبها له ولرسوله ﷺ.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجوب طاعة الله وطاعة رسوله.

٢ـ وجوب اتمام العمل الصالح من صلاة وغيرها بالشروع فيه.

٣ـ بطلان العمل الصالح بالرياء أو بإفساده عند أدائه أو بالردة عن الإسلام.

٤ـ حرمة الركون إلى مصالحة الأعداء مع القدرة على قتالهم والتمكن من دفع شرهم.

٥ـ التنفير من الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة.

٦ـ حرمة البخل مع الجدة والسعة.

سورة الفتح[1]

مدنية
وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾

(١) نزلت ليلاً بعد صلح الحديبية بين مكة والمدينة قال فيها رسول الله ﷺ: (لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس)• البخاري.

وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ
سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ
بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ
وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

إنا فتحنا لك فتحا مبينا : أي قضينا لك بفتح مكة وغيرها عُنوة بجهادك فتحا ظاهرا بيّنا.

ليغفر لك الله : أي بسبب شكرك له وجهادك في سبيله.

ما تقدم من ذنبك وماتأخر : أي ما تقدم الفتح وما تأخر عنه.

ويتم نعمته عليك : أي بنصرك على أعدائك وإظهار دينك ورفع ذكرك.

ويهديك صراطا مستقيما : ويرشدك طريقا من الدين لا اعوجاج فيه يُفضي بك إلى رضوان ربك.

وينصرك الله نصرا عزيزا : أي وينصرك الله على أعدائك ومن ناوأك نصرا عزيزا لايغلبه غالب، ولا يدفعه دافع.

أنزل السكينة في قلوب المؤمنين : أي الطمأنينة بعد ما أصابهم من الاضطراب والقلق من جراء الصلح.

وكان الله عليما حكيما : أي عليما بخلقه حكيما في تدبيره لأوليائه.

ليدخل المؤمنين والمؤمنات : أي قَضَى بالفتح ليشكروه ويجاهدوا في سبيله ليدخلهم جنات.

وكان ذلك عند الله فوزا عظيما : أي وكان ذلك الإدخال والتكفير للسيئات فوزا عظيما.

ويعذب المنافقين والمنافقات : والمشركين والمشركات أي يعذبهم بالهم والحزن لما يرون من نصرة الإسلام وعزة أهله.

الظانين بالله ظن السوء : أي أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه.

عليهم دائرة السوء : أي بالذل والعذاب والهوان.

وكان الله عزيزا حكيما : أي كان وما زال تعالى غالبا لا يُغلب حكيما في الانتقام من أعدائه.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾[1] الآيات هذه فاتحة سورة الفتح التي قال فيها رسول الله ﷺ [لقد أنزلت عليَّ سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾] وذلك بعد صلح الحديبية سنة ست من الهجرة وفي منصرفه منه وهو في طريقه عائد مع أصحابه إلى المدينة النبويّة. وقد خالط أصحابه حزن وكآبة حيث صدوا عن المسجد الحرام فعادوا ولم يؤدوا مناسك العمرة التي خرجوا لها، وتمت أحداث جسام تحمل فيها رسول الله ﷺ مالا يقـدر عليه من أولى العـزم غيره فجزاه الله وأصحابه وكافأهم على صبرهم وجهادهم بما تضمنته هذه الآيات إلى قوله ﴿وكان ذلك عند الله فوزاً عظيما﴾ فقوله تعالى ﴿إنا فتحنا لك﴾ يارسولنا ﴿فتحاً مبيناً﴾ أي قضينا لك بفتح مكة وخيبر وغيرهما ثمرة من ثمرات جهادك وصبرك وهو أمر واقع لا محالة وهذا الصلح بداية الفتح فاحمد ربك واشكره ليغفر لك بذلك وبجهادك وصبرك ما تقدم من[2] ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك بنصرك على أعدائك وعلى كل من ناوأك، ويهديك صراطاً مستقيما أي ويرشدك إلى طريق لا اعوجاج فيه يفضي بك وبكل من يسلكه إلى الفوز في الدنيا والآخرة وهو الإسلام دين الله الذي لا يقبل دينا سواه. وينصرك الله نصراً عزيزا أي وينصرك ربك على أعدائك وخصوم دعوتك نصرا عزيزا إي ذا عزّ لا ذُل معه هذه أربع عطايا

---

(١) الماضي هنا بمعنى المستقبل إذ فتح مكة المومى إليه كان سنة ثمانٍ وأطلق الماضي مع إرادة المضارع لتحقق الوقوع وتأكده نحو: (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) واللام في (لك): لام الأجل أي: فتحنا لأجلك.

(٢) اضطرب المفسرون في تعليق لام (ليغفر لك) فالسيوطي علّقه بكلمة (بجهادك) زادها بعد جملة ليغفر لك أي: بجهادك يوم فتحك مكة، وفي التفسير قدرنا جملتي: فاحمده على الفتح واشكره عليه ليغفر لك. وأما الذنب مع إجماعهم أنه لا ذنب كبير لعصمته ﷺ فإن أحسن ما قيل فيه هو ما يلي: أما الذنب المتقدم فهو قوله ﷺ في بدر: (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض أبداً فأوحى إليه: من أين تعلم هذا؟ فكان هذا الذنب المتقدم، والثاني: أنه لما انهزم المسلمون: يوم حنين قال لعمّه ناولني كفاً من حصباء فناوله فرمى به المشركين فانهزموا فقال لأصحابه: (لولا أني رميتهم ما انهزموا) فهذا الذنب المتأخر. والحقيقة أن هذا لو عُدّ ذنباً لكان من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

كانت لرسول الله ﷺ ففرح بها وهي مغفرة الذنب السابق واللاحق ، الفتح للبلاد، الهداية إلى أقوم طريق يفضي إلى سعادة الدارين ، والنصر المؤزر العزيز، فلذا قال أُنزلت علء آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعا . وقوله تعالى ﴿هو الذي أنزل السكينة في[1] قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ أي هو الله المنعم عليك بما ذكر لك الذي أنزل السكينة أي الطمأنينة على قلوب المؤمنين من أصحابك وكان عددهم ألفا وأربعمائة صاحب أنزل السكنية عليهم بعد اضطراب شديد أصاب نفوسهم دل عليه قول عمر رضي الله عنه للرسول ﷺ ألست نبيَّ الله حقا؟ قال : بلى ، قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : بلى ، قلت فَلَمَ نُعطى الدنيّة في ديننا إذاً؟ قال إني رسول الله ولستُ أعصيه وهو ناصري . قلت أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبيُّ الله حقا؟ قال بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال بلى ، قلت : فَلِمَ نُعطى الدنيّة في ديننا؟ قال أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بِغَرْزِهِ أي سر على نهجه ولا تخالفه . فوالله إنه لعلى الحق، قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتي البيت ويطوف به؟ قال بلى . قال فهل أخبرك انه العام؟ قلت : لا قال فإنك تأتيه وتطوف به . وقوله ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ أي بشرائع الإسلام كلما نزل حكم آمنوا به وعملوا به ومن ذلك الجهاد وبذلك يكون إيمانهم في ازدياد. وقوله تعالى ولله جنود[2] السموات والأرض أي ملائكة السماء وملائكة الأرض وكل ذي شوكة وقوة من الكائنات هو لله كغيره ويسخره كما شاء ومتى شاء فقد يسلط جيشاً كافراً على جيش كافر نصرة لجيش مؤمن والمراد من هذا انه تعالى قادر على نصرة نبيّه ودينه بغيركم أيها المؤمنون وكان الله وما زال أزلا وأبدا عليما بخلقه حكيما في تدبير أمور خلقه . وقوله تعالى ﴿ليدخل[3] المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك﴾ أي الإدخال للجنة وتكفير السيئات فوزاً عظيما أي فتح على رسوله والمؤمنين ليشكروا بالطاعة والجهاد والصبر أي تم كل ذلك لِيُدخل المؤمنين والمؤمنات الآية . . وقوله ﴿ويعذب[4] المنافقين والمنافقات

---

(١) (السكينة) السكون والطمأنينة، قال ابن عباس : كل سكينة في القرآن فهي بمعنى الطمأنينة إلا في البقرة . يريد قوله تعالى : (فيه سكينة من ربكم).

(٢) هذه الجملة تذييلية مذيل بها الكلام السابق، والجنود : جمع جند، والجند : اسم للجماعة المقاتلين لا واحد له من لفظه وجمع باعتبار الجماعات التي يتكون منها وهي المقدمة والميمنة والميسرة والقلب والساقة .

(٣) اللام : لام التعليل متعلقة بفعل• (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) وذكر المؤمنات مع المؤمنين هنا لدفع ما يتوهم أن هذا الوعد خاص بالمؤمنين دون المؤمنات في حين أن موقف أم المؤمنين أم سلمة كان عظيماً إذ استشارها رسول الله ﷺ حين أبى أصحابه أن يتحللوا فأشارت عليه بما جعلهم يتحللون .

(٤) هذا معطوف على قوله تعالى : (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) وهذا التعذيب المذكور في الآية تعذيب خاص زائداً على عذاب الكفر والنفاق وفي قوله : (عليهم دائرة السوء) إشارة إلى ذلك.

والمشركين والمشركات﴾ أي فَتَحَ على رسوله والمؤمنين ونصرهم ووهبهم ما وهبهم من الكمال ليكون ذلك غما وهما وحزنا يعذب الله به المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات في الدنيا والآخرة وقوله ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾[1] هذا وصف للمنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات حيث إنهم كانوا ظانّين أن الله[2] لا ينصر رسوله والمؤمنين ولا يعلي كلمته ولا يظهر دينه وقوله تعالى ﴿عليهم دائرة السوء﴾ اخبارا منه عز وجل بأن دائرة السوء تكون على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركنات كما أخبر عنهم بأنه غضب عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ومعنى أعدَّ هيأ وأحضر لهم ، وساءت جهنم مصيرا يصير إليه الإنسان والجان . بعد نهاية الحياة الدنيا ، وقوله تعالى ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ ينصر بها من يشاء ويهزم بها من يشاء ﴿وكان الله عزيزا﴾ أي غالبا لا يمانع في مراده ﴿حكيما﴾ في تدبيره وصنعه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- الذنب الذي غفر لرسول الله ﷺ من المعلوم بالضرورة انه ليس من الكبائر في شيء وهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

٢- إنعام الله على العبد يوجب الشكر والشكر يوجب المغفرة وزيادة الإنعام .

٣- بيان مكافأة الله لرسوله والمؤمنين على صبرهم وجهادهم .

٤- بيان أن الكافرين يحزنون ويُغمُّون لنصر المؤمنين وعزهم فيكون ذلك عذابا لهم في الدنيا .

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ

(١) (ظنِ السوء) بفتح السين : قراءة العشرة في قوله : (ظن السوء) وفي (عليهم دائرة السوء) الجمهور على الفتح ، وقرأ بعضُ بضم السين . وهما لغتان كالكره والكُره ، والضَعف والضُعف بالفتح والضم .

(٢) ومعنى ظنهم بالله ظن السوء : أن الله ما وعد الرسول بالفتح ولا أمره بالخروج إلى العمرة ولم ينصر رسوله ﷺ .

فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

شاهدا ومبشرا ونذيرا : أي شاهدا على أمتك أمة الدعوة يوم القيامة ومبشراً من آمن منهم وعمل صالحا بالجنة ونذيراً من كفر أو عصى وفسق بالنار.

ليمؤمنوا بالله ورسوله : أي هذا علة للإرسال.

وتعزروه وتوقروه : أي ينصروه ويعظموه وهذا لله وللرسول.

وتسبحوه بكرة وأصيلا : أي الله تعالى بالصلاة والذكر والتسبيح .

إن الذين يبايعونك : أي بيعة الرضوان بالحديبية.

إنما يبايعون الله : لأن طاعة الرسول طاعة لله تعالى.

يد الله فوق أيديهم : أي لأنهم كانوا يبايعون الله إذ هو الذي يجاهدون من أجله ويتلقون الجزاء من عنده.

فمن نكث : أي نقض عهده فلم يقاتل مع الرسول والمؤمنين.

فإنما ينكث على نفسه : أي وبال نقضه عهده عائد عليه إذ هو الذي يجزي به.

فسيؤتيه أجرا عظيما : أي الجنة إذ هي الأجر العظيم الذي لا أعظم منه إلا رضوان الله عز وجل.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان ما أنعم الله تعالى به على رسوله فقال تعالى ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾[1] لله تعالى بالوحدانية والكمال المطلق له عز وجل وشاهداً على هذه الأمة التي أرسلت فيها وإليها عربها وعجمها ومبشراً لأهل الإيمان والتقوى بالجنة ونذيراً لأهل الكفر والمعاصي أي مخوفاً لهم من عذاب الله يوم القيامة. وقوله تعالى ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي أرسلناه كذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ﴿وتعزروه﴾ بمعنى تنصروه ﴿وتوقروه﴾ بمعنى تجلوه وتعظموه وهذه واجبة لله ولرسوله الإيمان والتعزير والتوقير، وأما التسبيح والتقديس فهو لله تعالى وحده ويكون بكلمة سبحان الله وبالصلاة وبالذكر لا إله إلا الله ، وبدعاء الله وحده

(١) بيان لحكمة الإرسال وما يترتب عليه و(شاهداً) إنه بالنظر إلى شهادته يوم القيامة فهي حال مقدرة، وبالنظر إلى شهادته في الدنيا مع تبشيره ونذارته فهي حال مقارنة. و(إنا أرسلناك) الخ . . كلا مستأنف ابتدائي.

وقوله ﴿بكرة وأصيلا﴾[1] أي تسبحون الله بكرة أي صباحاً وأصيلا أي عشية وقوله تعالى ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾[2] يخبر تعالى رسوله بأن الذين يبايعونه على قتال أهل مكة وأن لا يفروا عند اللقاء، إنّما يبايعون الله إذ هو تعالى الذي أمرهم بالجهاد وواعدهم الأجر فالعقد وإن كانت صورته مع رسول الله فإنه في الحقيقة مع الله عز وجل، ولذا قال ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ وقوله تعالى ﴿فمن نكث﴾ أي نقض عهده فلم يقاتل ﴿فإنما ينكث على نفسه﴾ ﴿ومن أوفى﴾ بمعنى وفىّ ﴿بما عاهد عليه الله﴾ من نصرة الرسول والقتال تحت رايته حتى النصر ﴿فسيؤتيه﴾[3] الله ﴿أجراً عظيما﴾ الذي هو الجنة دار السلام.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير نبوة محمد ﷺ والإعلان عن شرفه وعلو مقامه.

٢- وجوب الإيمان بالله ورسوله ووجوب نصرة الرسول وتعظيمه ﷺ.

٣- وجوب تسبيح الله وهو تنزيهه عن كل مالا يليق بجلاله وكماله مع الصلاة ليلا ونهارا.

٤- وجوب الوفاء بالعهد، وحرمة نقض العهد ونكثه.

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ
بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ

(١) البُكرة: أوّل النهار، والأصيل: آخره أي: غدوة وعشياً. قال الشاعر:

لعمري لأنت البيت أُكرم أهله وأجلس في أفيائه بالأصائل

جمع أصيل: العشي.

(٢) هذه هي البيعة التي بايعها المسلمون النبي ﷺ يوم الحديبية تحت الشجرة (السَّمرة) وكانوا ألفاً وأربعمائة، وأول من بايع النبي ﷺ تحت الشجرة: أبو سنان الأسدى، وتُسمى بيعة الرضوان لقوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة).

(٣) قرأ نافع (فسنؤتيه) بالنون، وقرأ حفص (فسيؤتيه) بالياء التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة.

أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ
وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ
أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

المخلفون من الأعراب : أي الذين حول المدينة وقد خلّفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع .

شغلتنا أموالنا وأهلونا : أي عن الخروج معك .

فاستغفر لنا : أي الله من ترك الخروج معك .

يقولون بألسنتهم أي كل ما قالوه هو من ألسنتهم وليس في قلوبهم منه شيء .

قل فمن يملك لكم من الله شيئا : أي لا أحد لأن الاستفهام هنا للنفي .

إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً :وبّخهم على تركهم صحبة رسول الله ﷺ خوفا من قريش .

بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون : أي حسبتم أن قريشا تقتل الرسول والمؤمنين فلم يرجع منهم أحد إلى المدينة .

وظننتم ظن السوء : هو هذا الظن الذي زينه الشيطان في قلوبهم .

وكنتم قوما بورا : أي هالكين عند الله بهذا الظن السيء، وواحد بور بائر. هالك .

فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا : أي ناراً شديدة الاستعار والالتهاب .

يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء : يغفر لمن يشاء وهو عبد تاب وطلب المغفرة بنفسه، ويعذب من يشاء وهو عبد ظن السوء وقال غير ما يعتقد وأصر على ذلك الكفر والنفاق .

وكان الله غفورا رحيما : كان وما زال متصفا بالمغفرة والرحمة فمن تاب غفر الله له ورحمه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية المنافقين في الحضر والبادية وذلك بتأنيبهم وتوبيخهم وذكر معايبهم إرادة إصلاحهم فقال تعالى لرسوله ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع[1] وكانوا أهل بادية وأعرابا حول المدينة استنفرهم رسول الله ﷺ ليخرجوا معه إلى مكة للعمرة تحسبا لما قد تُقدم عليه قريش من قتاله ﷺ إلّا أن هؤلاء المخلفين من الأعراب أصابهم خوف وجبن من ملاقاة قريش وزين لهم الشيطان فكرة أن الرسول والمؤمنين لن يعودوا إلى المدينة فإن قريشا ستقضي عليهم وتنهي وجودهم فَلِذَٰلِكَ خلفهم الله وحرمهم صحبة نبيّه والمؤمنين فحرموا من مكرمة بيعة الرضوان وأخبر رسوله عنهم وهو عائد من الحديبية بما يلي ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ معتذرين لك عن تخلفهم ﴿شغلتنا أموالنا﴾ فتخلفنا لأجل إصلاحها، ﴿وأهلونا﴾ كذلك ﴿فاستغفر لنا﴾ أي اطلب لنا من الله المغفرة. ولم يكن هذا منهم حقا وصدقا بل كان باطلا وكذبا فقال تعالى فاضحاً لهم ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ فهم إذاً كاذبون. وهنا أمر رسوله أن يقول لهم أخبروني إن أنتم عصيتم الله ورسوله وتركتم الخروج مع المؤمنين جبنا وخوفا من القتل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضراً أي شراً لكم أو أراد بكم نفعاً أي خيراً لكم؟ والجواب قطعا لا أحد إذاً فإنكم كنتم مخطئين في تخلفكم وظنكم معاً، وقوله ﴿بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ اضرب تعالى عن كذبهم واعتذارهم ليهددهم على ذلك بقوله ﴿بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ وسيجزيكم به وما كان عملهم إلا الباطل والسوء، ثم أضرب عن هذا أيضا إلى آخر فقال ﴿بل ظننتم[2] أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا﴾ إذ تقتلهم قريش فتستأصلهم بالكلية. وزين ذلك الشيطان في قلوبكم فرأيتموه واقعاً، وظننتم ظن السوء وهو أن الرسول والمؤمنين لن ينجوا من قتال قريش لهم، وكنتم أي بذلك الظن قوما بورا لا خير فيكم هلكى لا وجود لكم. وقوله تعالى ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا﴾ وهو إخبار أُريد به تخويفهم لعلهم يرجعون من باطلهم في اعتقادهم وأعمالهم إلى الحق قولا وعملا، ومعنى أعتدنا أي هيأنا وأحضرنا وسعيراً بمعنى نار مستعرة شديدة الالتهاب وقوله في الآية الأخيرة من هذا السياق (١٥) ﴿ولله ملك[3]

(١) والديل كذلك، وخرج من أسلم مائة رجل من بينهم مرداس بن مالك الأسلمي والدعباس الشاعر، وعبد الله بن أبي أوفي وزاهر بن الأسود، وأهبان بن أوس وسلمة بن الأكوع الأسلمي، ومن غفار: خُفاف بن أيماء ومن مزينة: عائذ بن عمرو، وتخلف عن الخروج أكثرهم.

(٢) هذه الجملة بدل اشتمال من جملة: (بل كان الله بما تعملون خبيراً) و(إن) مخففة من الثقيلة، واسمها: ضمير الشأن و(لن) لإفادة استمرار النفي، وأكد أيضاً بـ(أبداً) لأن ظنهم كان قوياً.

(٣) هذا الكلام معطوف على قوله تعالى: (فمن يملك لكم من الله شيئا) وهو انتقال من التخويف الشديد إلى الإطماع في المغفرة والرحمة ليكون سبباً في هدايتهم، وتقديم الرحمة على العذاب مشعر بذلك.

السموات والأرض﴾ أي بيده كل شيء ﴿يغفر لمن يشاء﴾ من عباده ويعذب من يشاء فاللائق بهم التوبة والإنابة إليه لا الإصرار على الكفر والنفاق فإنه غير مجد لهم ولا نافع بحال وقد تاب بهذا اكثرهم وصاروا من خيرة الناس، وكان الله غفورا رحيما فغفر لكل من تاب منهم ورحمه. ولله الحمد والمنة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك دال على أنه كلام الله أوحاه إلى رسوله ﷺ.

٢ـ لا يملك النفع ولا الضر على الحقيقة إلا الله و لذا وجب أن لا يطمع إلا فيه، ولا يرهب إلا منه.

٣ـ حرمة ظن السوء في الله عز وجل، ووجوب حسن الظن به تعالى.

٤ـ الكفر موجب لعذاب النار، ومن تاب تاب الله عليه، ومن طلب المغفرة في صدق غفر له.

٥ـ ذم التخلف عن المسابقة في الخيرات والمنافسة في الصالحات.

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات:

المخلفون من الأعراب : أي المذكورون في الآيات قبل هذه وهم غفار وجهينة ومزينة وأشجع.

إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها : أي مغانم خيبر إذ وعدهم الله بها عند رجوعهم من الحديبية.

ذرونا نتبعكم : أي دعونا نخرج معكم لنصيب من الغنائم.

يريدون أن يبدلوا كلام الله : أي أنهم بطلبهم الخروج إلى خيبر لأخذ الغنائم يريدون أن يغيروا وعد الله لأهل الحديبية خاصة بغنائم خيبر.

كذلك قال الله من قبل : أي قاله تعالى لنا قبل عودتنا إلى المدينة فلن تتبعونا ولن تخرجوا معنا.

فسيقولون بل تحسدوننا : أي فسيقولون بل تحسدوننا وفعلا فقد قالوا ذلك وزعموا انه ليس امراً من الله هذا المنع، وإنما هو من الرسول والمؤمنين حسداً لهم، وهذا دال على نفاقهم وكفرهم والعياذ بالله.

بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا : أي لا يفهمون فهم الحاذق الماهر إلا قليلا وفي أمور الدنيا لا غير.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية المنافقين من الحضر والبادية وذلك بالحديث عنهم وكشف عوارهم ودعوتهم إلى التوبة والرجوع إلى الحق عند ظهور انحرافهم وسوء أحوالهم فقال تعالى لرسوله. سيقول المخلفون الذين تقدم الحديث عنهم وأنهم تخلفوا عن الحديبية من الأعراب الذين هم مزينة وجهينة وغفار وأشجع. أي سيقولون لكم إذا انطلقتم إلى مغانم[1] لتأخذوها ذرونا نتبعكم، وذلك أن الله تعالى بعد صلح الحديبية وما نال أهلها من آلام نفسيّة أكرمهم بنعم كثيرة منها انه واعدهم بغنائم خيبر بأن يتم لهم فتحها ويغنمهم أموالها وكانت أموالاً عظيمة، فلما عادوا إلى المدينة وأعلن الرسول ﷺ عن الخروج إلى خيبر جاء هؤلاء المخلفون يطالبون بالسير[2] معهم لأجل الغنيمة لاغير، قال تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله[3]﴾ وهو وعده لأهل الحديبية بأن يُغنمهم غنائم خيبر، ولذا أمر رسوله أن يقول لهم لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل أي فقد أخبرنا تعالى بحالكم ومقالكم هذا قبل أن تقولوه وتكونوا عليه. وقوله ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ هذا من جملة ما أخبر تعالى به رسوله والمؤمنين قبل قولهم له وقد قالوه أي ما منعتمونا من الخروج إلى خيبر إلا حسداً لنا أن ننال من الغنائم أي لم يكن الله أمركم بمنعنا ولكن الحسد هو الذي أمركم وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا أي وصمهم بوصمة الجهل وجعلها هي علة تخبطهم وحيرتهم وضلالهم، انهم قليلو الفهم والإدراك فليسوا على مستوى الرجل الحاذق الماهر البصير الذي يحسن القول والعمل.

---

(١) هي مغانم خيبر لأنّ الله تعالى وعد أهل الحديبية فتح خيبر وأنها لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر سواء، ولم يغب منهم عنها إلا جابر بن عبدالله فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضر.

(٢) روي أنّ النبي ﷺ قال لهم: (إن خرجتم لم أمنعكم إلا أنه لا سهم لكم) وقالوا هذا حسد.

(٣) (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أي: يريدون أن يغيّروه يعني يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد به أهل الحديبية، وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضا عن فتح مكة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ وعد الله رسوله والمؤمنين بغنائم خيبر وهم في طريقهم من الحديبية إلى المدينة وانجازه لهم دال على وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته وكلها موجبة للإيمان والتوحيد وحب الله والرغبة إليه والرهبة منه .

٢ـ بيان حيرة الكافر واضطراب نفسه وتخبط قوله وعمله .

٣ـ ذم الجهل وتقبيحه إنه بئس الوصف يوصف به المرء ، ولذا لا يرضاه حتى الجاهل لنفسه فلو قلت لجاهل يا جاهل لا تفعل كذا أو لا تقل كذا لغضب عليك .

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ
وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ
عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

قل للمخلفين من الأعراب : أي الذين تخلفوا عن الحديبية وطالبوا بالخروج إلى خيبر لأجل الغنائم اختباراً لهم .

ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد : أي ستدعون في يوم ما من الأيام إلى قتال قوم أولى بأس وشدة في الحرب .

تقاتلونهم أو يسلمون : أي تقاتلونهم . أو هُم يسلمون فلا حاجة إلى قتالهم .

فإن تطيعوا : أي أمر الداعي لكم إلى قتال القوم أصحاب البأس الشديد .

يؤتكم الله أجرا حسنا : أي عودة اعتباركم مؤمنين صالحين في الدنيا والجنة في الآخرة .

وإن تتولوا : أي تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من قبل حيث لم تخرجوا للحديبية.

يعذبكم عذابا أليما : في الدنيا بالقتل والاذلال وفي الآخرة بعذاب النار.

حرج : أي إثم.

ومن يتول : أي يعرض عن طاعة الله ورسوله.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية المنافقين من الأعراب إذ قال تعالى للرسول ﷺ قل للمخلفين الذين أصبح وصف التخلف شعاراً لهم يعرفون به وفي ذلك من الذم واللوم والعتاب ما فيه قل لهم مختبراً إياهم ستدعون[1] في يوم من الأيام إلى قتال قوم أولي بأس شديد في الحروب تقاتلونهم، أو يسلمون فلا تقاتلوهم وذلك بأن يرضوا بدفع الجزية وهؤلاء لا يكونون إلّا نصارى أو مجوساً فهم إما فارس وإما الروم وقد اختلف في تحديدهم[2] فإن تطيعوا الأمر لكم بالخروج الداعي للجهاد فتخرجوا وتجاهدوا يؤتكم الله أجراً حسناً غنائم في الدنيا وحسن الصيت والأحدوثة والجنة فوق ذلك، وإن تتولوا أي تعرضوا عن طاعة من يدعوكم ولا تخرجوا معه كما توليتم من قبل حيث لم تخرجوا مع رسول الله إلى مكة للعمرة خوفاً من قريش ورجاء أن يُهلك الرسول والمؤمنون ويخلو لكم الجوّ يعذبكم عذاباً أليماً أي في الدنيا بأن يسلط عليكم من يعذبكم وفي الآخرة بعذاب النار وقوله تعالى ليس[3] على الأعمى حرج الآية إنه لما نزلت آية المنافقين قل للمخلفين من الأعراب وكان ختامها وإن تولوا عن الجهاد يعذبكم عذابا أليما خاف أصحاب الاعذار من مرض وغيره وبكوا فأنزل الله تعالى قوله ليس على الأعمى حرج أي إثم إذا لم يخرج للجهاد ولا على الأعرج[4] حرج وهو الذي به عرج في رجليه لا يقدر على المشي والجري والكر والفر ولا على المريض حرج وهو المريض بالطحال أو الكبد أو السعال من الأمراض

---

(١) في هذه الآية دليل على خلافة أبي بكر إذ هو الذي دعا إلى قتال أصحاب مسليمة الكذاب، إذ هم الذين لا تقبل منهم الجزية وإنما الإسلام أو القتل، لقوله تعالى: (تقاتلونهم أو يسلمون) أما فارس أو الروم فهم مجوس ونصارى قد تؤخذ منهم الجزية.

(٢) وقيل: إنهم أصحاب مسيلمة الكذاب، وقال رافع بن خديج. والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى (ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد) فلا نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة فقلنا: إنهم هم.

(٣) قال ابن عباس لما نزلت: (وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذّبكم عذابا أليما) قال أهل الزمانة: كيف بنا يارسول الله ﷺ فنزلت (ليس على الأعمى حرج ولا على المريض حرج) أي: لا إثم عليهم في التخلف عن الجهاد.

(٤) العرج: آفة تعرض لرجل واحدة، قال مقاتل: هم أهل الزمانة الذين تخلفوا عن الحديبية، وقد عذرهم. وفي هذه الآية بيان من يجوز لهم التخلف عن الجهاد، ولا إثم عليهم وهم العميان والمرضى والعرج.

المزمنة التي لا يقدر صاحبها على القتال وكان يعتمد على الفر والكر ولابُد كذلك من سلامة البدن وقدرته على القتال.

وقوله ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ أي في أوامرهما ونواهيهما ﴿يدخله[1] جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾ وهذا وعد صادق من رب كريم رحيم، ومن يتول عن طاعة الله ورسوله يُعذبه عذاباً أليما وهذا وعيد شديد قوي عزيز ألا فليتق الله امرؤ فإن الله شديد العقاب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الاختبار والامتحان لمعرفة القدرات والمؤهلات.

٢ـ بيان أن غزو الإسلام ينتهي إلى أحد أمرين إسلام الأمة المغزوَّة أو دخولها في الذمة بإعطائها الجزية بالحكم الإسلامي وسياسته.

٣ـ دفع الإثم والحرج في التخلف عن الجهاد لعذر العمى أو العرج أو المرض.

٤ـ بيان وعد الله ووعيده لمن أطاعه ولمن عصاه، الوعد بالجنة. والوعيد بالنار.

۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ
فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾

شرح الكلمات:

لقد رضي الله عن المؤمنين : أي الراسخين في الإيمان الأقوياء فيه وهم أهل بيعة الرضوان من أصحاب رسول الله ﷺ.

إذ يبايعونك : أي بالحديبية أيها الرسول محمد ﷺ.

تحت الشجرة : أي سمرة وهم ألف وأربعمائة بايعوا على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا.

(١) قرأ نافع (ندخله) و(نعذبه) بالنون، وقرأ حفص: (يدخله) (يعذبه) بالياء.

فعلم ما في قلوبهم فأنزل: أي علم الله ما في قلوبهم من الصدق والوفاء فأنزل الطمأنينة
السكينة عليهم والثبات على ما هم عليه.
وأثابهم فتحاً قريبا : أي هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية في ذي الحجة. وفي آخر المحرم من سنة سبع غزوا خيبر ففتحها الله تعالى عليهم.
ومغانم كثيرة يأخذونها : أي من خيبر.
وكان الله عزيزا حكيما : أي كان وما زال تعالى عزيزا غالبا حكيما في تصريفه شؤون عباده.

معنى الآيتين:

قوله تعالى لقد رضي[1] الله عن المؤمنين[2] هذا إخبار منه تعالى برضاه عن المؤمنين الكاملين في إيمانهم وهم ألف وأربعمائة الذين بايعوا الرسول ﷺ تحت شجرة سمرة إلّا الجد بن قيس الأنصاري فإنه لم يبايع حيث كان لاصقا بإبط ناقته مختبئا عن أعين الأصحاب وكان منافقا ومات على ذلك لا قرت له عين. وسبب هذه البيعة كما ذكره غير واحد أن النبي ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له «وهو الاعتمار» وذلك حين نزل الحديبية. فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش «فرَقٌ من شتى القبائل يُقال لهم الأحابيش واحدهم أحبوش يقال لهم اليوم: اللفيف الأجنبي عبارة عن جيش أفراده من شتى البلاد والدول. فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ. وهنا دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليهم، ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظّما لحرمته فراح عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته فحمله بين يديه ثم ردفه وأجاره

(١) هذا رجوع إلى تفصيل ما جزى به الله تعالى أهل بيعة الرضوان الذي تقدم إجماله في قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) الآية.

(٢) في قوله تعالى عن المؤمنين (إذ يبايعونك) إعلام بأن من لم يبايع ممن خرج مع الرسول ﷺ كالجد بن قيس لم يفُز برضى الله تعالى وأنه غير مؤمن.

حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قتل. فقال الرسول ﷺ عندئذ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، هذا معنى قوله تعالى ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك[1] تحت الشجرة[2] فعلم ما في قلوبهم﴾ أي من الصدق والوفاء فأنزل السكينة أي الطمأنينة والثبات عليهم وأثابهم أي جزاهم على صدقهم ووفائهم فتحا قريبا هو صلح الحديبية وفتح خيبر، ومغانم[3] كثيرة يأخذونها وهي غنائم خيبر، وكان الله[4] عزيزا أي غالبا على أمره، حكيما في تدبيره لأوليائه.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ـ بيان فضل أهل بيعة الرضوان وكرامة الله لهم برضاه عنهم.

٢ـ ذكاء عمر وقوة فراسته إذ أمر بقطع الشجرة خشية أن تعبد، وكم عبدت من أشجار في أمة الإسلام في غيبة العلماء وأهل القرآن.

٣ـ مكافأة الله تعالى للصادقين الصابرين المجاهدين من عباده المؤمنين بخير الدنيا والآخرة.

وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا

---

(١) (إذ يبايعونك) ظرف متعلق بـ(رضي) والمضارع بمعنى الماضي وإنما جيء بالمضارع لاستحضار حالة المبايعة الجليلة وصورتها العظيمة. وكون الرضى حصل قبل انتهاء البيعة إيذان بفضلها وفضل أهلها.

(٢) (تحت الشجرة) التعريف للشجرة للعهد الذي عرفه أهلها حين كان النبي ﷺ جالساً في ظلها فبايع أصحابه كلهم إلا الجد بن قيس وكان منافقاً غير مؤمن فلم يبايع كما في التفسير، حيث كان لاصقاً بإبط ناقته.

(٣) المغانم الكثيرة: هي مغانم بلاد خيبر من أرض وأنعام ومتاع وحوايط وبساتين، ووصف الغنائم بجملة يأخذونها دال على تحقيق حصول فائدة هذا الوعد لجميع أهل البيعة وبشارة لهم بأنه لم يهلك منهم أحداً قبل حصولهم على هذه الغنائم وكذلك كان والحمد لله.

(٤) هذه الجملة معترضة ذيل بها قوله تعالى: (وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها) لأن ما حصل لهم من نصر وخير كان من مظاهر عزة الله وعظيم حكمته.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾
وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها: أي من الفتوحات الإسلامية التي وصلت الأندلس غربا.

فعجل لكم هذه : أي غنيمة خيبر.

وكف أيدي الناس عنكم : أي أيدي اليهود حيث هموا بالغارة على بيوت الصحابة وفيها أزواجهم وأولادهم وأموالهم فصرفهم الله عنهم.

ولتكون آية للمؤمنين : أي تلك الصرفة التي صرف اليهود المتآمرين عن الاعتداء على عيال الصحابة وهم غُيّب في الحديبية أو خيبر آية يستدلون بها على كلاءة الله وحمايته لهم في حضورهم ومغيبهم.

ويهديكم صراطا مستقيما : أي طريقا في التوكل على الله والتفويض إليه في الحضور والغيبة لا اعوجاج فيه.

وأخرى لم تقدروا عليها : أي ومغانم أخرى لم تقدروا عليها وهي غنائم فارس والروم.

قد أحاط بها : أي فهي محروسة لكم إلى حين تغزون فارس والروم فتأخذونها.

ولو قاتلكم الذين كفروا : أي المشركون في الحديبية.

لولوا الأدبار : أي لانهزموا أمامكم واعطوكم أدبارهم تضربونها.

سنة الله التي قد خلت من قبل : أي هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين الصابرين سنة ماضية في كل زمان ومكان.

وهو الذي كف أيديهم عنكم :حيث جاء ثمانون من المشركين يريدون رسول الله والمؤمنين ليصيبوهم بسوء.

وأيديكم عنهم ببطن مكة : فأخذهم أصحاب رسول الله أسرى وأتوا بهم إلى رسول الله فعفا عنهم.

من بعد أن أظفركم عليهم : وذلك بالحديبية التي هي بطن مكة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر إفضال الله تعالى وإنعامه على المؤمنين المبايعين الله ورسوله على مناجزة المشركين وقتالهم وأن لا يفروا فقد ذكر أنه أنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم خيبر الكثيرة فعطف على السابق خبراً عظيماً آخر فقال ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه﴾[1] أي غنيمة خيبر، ﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾[2] وذلك أن يهود المدينة تمالأوا مع يهود خيبر وبعض العرب على أن يغيروا على دور الأنصار والمهاجرين بالمدينة ليقتلوا من بها وينهبوا ما فيها فكف تعالى أيديهم وصرفهم عما هموا به كرامة للمؤمنين، وقوله ﴿ولتكون آية للمؤمنين﴾[3] أي تلك الصرفة التي صرف فيها قلوب من هموا بالغارة على عائلات وأسر الصحابة بالمدينة وهم غُيَّب بالحديبية آية تهديهم إلى زيادة التوكل على الله والتفويض إليه والاعتماد عليه. وقوله ﴿ويهديكم صراطا مستقيما﴾ أي ويسددكم طريقا واضحا لا اعوجاج فيه وهو أن تثقوا في أموركم كلها بربكم فتتوكلوا عليه في جميعها فيكفيكم كل ما يهمكم، ويدفع عنكم مايضركم في مغيبكم وحضوركم. وقوله تعالى ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ أي وغنائم أخرى لم تقدروا وهي غنائم الروم وفارس. وقد أحاط الله بها فلم يفلت منها شيء حتى تغزوا تلك البلاد وتأخذوها كاملة، ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ ومن مظاهر قدرته أن يغنمكم وأنتم أقل عُددا وعددا غنائم أكبر دولتين في عالم ذلك الوقت فارس والروم. وقوله ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ أي ومن جملة انعامه عليكم أنه لو قاتلكم أهل مكة وأنتم ببطنها لنصركم الله عليهم ولانهزموا أمامكم موليكم ظهورهم ولا يجدون وليّاً يتولاهم بالدفاع عنهم ولا ناصراً ينصرهم لأنا سلطناكم عليهم. وقوله تعالى ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ أي في الأمم السابقة وهي أن الله ينصر أولياءه على أعدائه لابد فكان هذا كالسنن الكونية التي

---

(١) هذه الجملة مستأنفة بيانياً إذ قوله تعالى: (وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها) يثير في نفس أحدهم سؤالاً وهو: هل بعد هذا الفتح والغنائم من غنائم أخرى فكان الجواب: (وعدكم الله مغانم..) الخ فقولي في التفسير فعطف ليس هو من باب العطف النحوي وإنما هو من باب الإرداف والإلحاق.

(٢) هذه منة أخرى عظيمة حيث صرف عنهم قتال قريش لهم وإلا لكانوا يتعرضون لأتعاب قد تحول بينهم وبين ما أوتوه من فتح خيبر والفوز بغنائمها.

(٣) (وليكون) هذه الجملة علة لأخرى مقدرة وهي ولتشكروه (ولتكون آية) الخ أي: كف أيدي الناس عنكم لتشكروه ولتكون آية.

لا تتبدل، وهو معنى قوله ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾، وقوله تعالى في الآية الأخيرة من هذا السياق (٢٤) ﴿وهو الذي كف أيديهم[1] عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ هذه منّة أخرى وكرامة عظيمة وهي أن قريشا بعثت بثمانين شابا إلى معسكر رسول الله في الحديبية لعلهم يصيبون غرة من الرسول وأصحابه فينالونهم بسوء فأوقعهم تعالى أسرى في أيدي المسلمين فمّن الرسول ﷺ عليهم بالعفو فكان ذلك سبب صلح الحديبية. وقوله ﴿وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ أي مطلعا عالما بكل ما يجري بينكم فهو معكم لولايته لكم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ صدق وعد الله لأصحاب رسوله فى الغنائم التي وعدهموها فتحققت كلماته بعد وفاة رسول الله ﷺ وهي غنائم فارس والروم.

٢ـ كرامة الله للمؤمنين إذ حمى ظهورهم من خلفهم مرتين الأولى ما همَّ به اليهود من غارة على عائلات وأسر الصحابة بالمدينة النبويّة، والثانية ما همَّ به رجال من المشركين للفتك بالمؤمنين ليلا بالحديبية إذ مكّن الله منهم رسوله والمؤمنين، ثم عفا عنهم رسول الله واطلق سراحهم فكان ذلك مساعدا قويا على تحقيق صلح الحديبية.

٣ـ بيان سنة الله في أنه ما تقاتل أولياء الله مع أعدائه في معركة إلا نصر الله أولياءه على أعدائه.

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

(١) روي عن أنس انه قال: إن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبي ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غِرة النبي ﷺ وأصحابه فأخذناهم سِلماً فاستحييناهم فأنزل الله تعالى: (وهو الذي كف أيديهم) الآية.

﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

شرح الكلمات:

هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام: أي بالله ورسوله ومنعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام.

والهدي معكوفا ان يبلغ محله[(١)] [(٢)]: أي ومنعوا الهدي محبوسا حال بُلوغ محله من الحرم.

ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات: أي موجودون في مكة.

لم تعلموهم: أي لم تعرفوهم مؤمنين ومؤمنات.

أن تطأوهم: أي قتلا لهم عند قتالكم المشركين بمكة.

فتصيبكم منهم معرة بغير علم: أي إثم وديات قتل الخطأ وعتق أو صيام لَأَذِنَ لكم الله تعالى في دخول مكة.

ليدخل الله في رحمته من يشاء: أي لم يؤذن لكم في دخول مكة فاتحين ليدخل الله في الإسلام من يشاء.

لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما: أي لو تميزوا فكان المؤمنون على حدة والكافرون على حدة لأذنا لكم في الفتح وعذبنا الذين كفروا بأيديكم عذابا أليما وذلك بضربهم وقتلهم.

إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية: أي لعذبناهم إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية وهي الأنفة المانعة من قبول الحق ولذا منعوا الرسول وأصحابه من دخول مكة وقالوا كيف يقتلون أبناءنا ويدخلون بلادنا واللات والعزى ما دخلوها.

---

(١) جائز أن يكون: (أن يبلغ محله) بدل اشتمال من الهدي، وجائز أن يكون معمولاً لحرف جر محذوف وهو (عن) أي أن يبلغ محله.

(٢) المحل: بكسر الحاء: مَحَلُّ الحِلّ مشتق من فعل حَلَّ ضد حرُم أي المكان الذي يحل فيه نحر الهدي، وذلك بمكة عند المروة بالنسبة للعمرة، ومنى بالنسبة للحج.

فأنزل الله سكينته على رسوله: أي فهمَّ الصحابة أن يخالفوا أمر رسول الله بالصلح فأنزل الله
وعلى المؤمنين سكينته عليهم فرضوا ووافقوا فتم الصلح.
وألزمهم كلمة التقوى : أي ألزمهم كلمة لا إله إلا الله إذ هي الواقية من الشرك.
وكانوا أحق بها وأهلها : أي أجدر بكلمة التوحيد وأهلا للتقوى.
وكان الله بكل شيء عليما : أي من أمور عباده وغيرها ومن ذلك علمه بأهلية المؤمنين وأحقيتهم بكلمة التقوى «لا إله إلا الله».

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في الحديث عن صلح الحديبية فقال تعالى في المشركين ذاماً لهم عائبا عليهم صنيعهم ﴿هم الذين كفروا﴾ أي بالله ورسوله وصدوكم عن المسجد الحرام أن تدخلوه وأنتم محرمون والهدى معكوفاً أي وصدوا الهدى[1] والحال أنه محبوس يُنْتَظَرُ به دخول مكة لينحر وقوله تعالى ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات[2]﴾ بمكة لم تعلموهم لأنهم كانوا يخفون إسلامهم غالباً، كراهة أن تطأوهم أثناء قتالكم المشركين فتصيبكم منهم معرّة بغير علم[3] منكم بهم والمعرة العيب والمراد به هنا التبعة وما يلزم من قتل المسلم خطأ من الكفارة والدية لولا هذا لأذن لكم في دخول مكة غازين فاتحين لها وقوله تعالى ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ أي لم يأذن لكم في القتال ورضي لكم بالصلح ليدخل في رحمته من يشاء فالمؤمنون نالتهم رحمة الله إذ لم يؤذوا بدخولكم مكة فاتحين والمشركون قد يكون تأخر الفتح سببا في إسلام من شاء الله تعالى له الإسلام لاسيما عندما رأوا رحمة الإسلام تتجلى في ترك القتال رحمة بالمؤمنين والمؤمنات حتى لا يتعرضوا للأذى فدين يراعي هذه الأخوة دين لا يحرم منه عاقل. وقوله تعالى ﴿لو تزيلوا﴾[4] أي لو تميّز المؤمنون والمؤمنات عن المشركين بوجودهم في مكان خاص بهم لأذنّا لكم في دخول مكة وقتال المشركين وعذّبناهم بأيديكم عذاباً أليما وقوله ﴿إذ جعل[5] الذين كفروا في قلوبهم

---

(١) الهدي، والهديّ بكسر الدال وتشديد الياء، لغتان، والواحدة هدية.

(٢) كسلمة بن هشام وعباس بن أبي ربيعة وأبي جندل بن سهيل. وأشباههم، وجواب لولا محذوف تقديره: لأذن الله لكم في دخول مكة ولسلطانكم عليهم.

(٣) (بغير علم) فيه تفضيل للصحابة وإخبار عن كمالهم في الخلق والدين، وهذا كقول النملة في سليمان وجنوده: (لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون).

(٤) (لو تزيلوا) اي: تميزوا وتفرقوا. و(لو) حرف امتناع لامتناع امتنع الشرط وهو التفرق، فامتنع التسلط، والقتل بالإذن للمسلمين بقتالهم وقتلهم. وفي هذا دليل على أنه لايجوز إغراق باخرة للكافرين فيها مسلمون، ولا ضرب حصن بالقذائف داخله مسلمون وهو ما رآه مالك.

(٥) يجوز أن يكون الظرف، (إذ) متعلقاً بقوله تعالى: (لعذبنا) وجائز أن يعلق بمحذوف تقديره: واذكروا إذ جعل الخ.

الحمية حمية الجاهلية﴾[1] هذا تعليل للإذن بقتال المشركين في مكة وتعذيبهم العذاب الأليم لولا وجود مؤمنين ومؤمنات بها يؤذيهم ذلك والمراد من الحمية الأنفة والتعاظم وما يمنع من قبول الحق والتسليم به وهذه من صفات أهل الجاهلية فقد قالوا، كيف نسمح لهم بدخول بلادنا وقد قتلوا أبناءنا واللات والعزى ما دخلوا علينا أبداً، وقوله تعالى ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ وذلك لما همَّ المؤمنون بعدم قبول الصلح لما فيه من التنازل الكبير للمشركين وهم على الباطل والمؤمنون على الحق فلما حصل هذا في نفوس المؤمنين أنزل الله سكينته عليهم وهي الطمأنينة والوقار والحلم فرضوا بالمصالحة وتمت وكان فيها خير كثير حتى قيل فيها إنها فتح أوّلي أو فاتحة فتوحات لا حدَّ لها. وقوله تعالى ﴿وألزمهم كلمة التقوى[2] وكانوا أحق بها وأهلها﴾ أي وشرف الله وأكرم المؤمنين بإلزامهم التشريعي بكلمة لا إله إلاّ الله. إذ هي كلمة التقوى أي الواقية من الشرك والعذاب في الدارين وجعلهم أحق بها وأهلها. أي أجدر من غيرهم بكلمة التوحيد وأكثر أهلية للتقوى وكان الله بكل شيء عليما ومن ذلك علمه بأهلية أصحاب رسول الله بما جعلهم أهلا له من الإيمان والتقوى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان حكم المحصر وهو من منع من دخول المسجد الحرام وهو محرم بحج أو بعمرة فإنه يتحلل بذبح هدي ويعود إلى بلاده، ويذبح الهدى حيث أُحصِر، وليس واجبا إدخاله إلى الحرم.

٢ـ الأخذ بالحيطة في معاملة المسلمين حتى لايؤذى مؤمن أو مؤمنة بغير علم.

٣ـ بيان أن كلمة التقوى هي لا إله إلاّ الله.

٤ـ الإشارة إلى ما أصاب المسلمين من ألم نفسي من جراء الشروط القاسية التي اشترطها ممثل قريش ووثيقة الصلح. وهذا نص الوثيقة وما تحمله من شروط لم يقدر عليها إلاّ رسول الله بما آتاه الله من العلم والحكمة والحلم والصبر والوقار، ولمّا أنزل الله ذلك علىٰ المؤمنين من السكينة فحملوها وارتاحت نفوسهم لها نص الوثيقة: «ورد أن قريشا لما نزل النبي ﷺ الحديبية بعثت إليه ثلاثة

---

(١) قال الزهري، حميتهم أنفتهم من الإقرار للنبي ﷺ بالرسالة والاستفتاح بسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم من دخول مكة.

(٢) ورد في (كلمة التقوى) آثار منها: أنها لا إله إلا الله، ومنها أنها لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومنها أنها: لا إله إلا الله والله أكبر ومنها أنها لا إله إلا اولله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، والكل حق لا باطل فيه.

رجال هم سهيل بن عمرو القرشي، وحويطب بن عبدالعزى ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبي ﷺ أن يرجع من عامه ذلك على أن يخلي له قريش مكة من العام المقبل ثلاثة أيام فقبل ذلك وكتبوا بينهم كتاباً فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا: ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم، فكتب ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله أهل مكة فقال النبي ﷺ اكتب ما يريدون فهمَّ المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقّروا وحلموا وتم الصلح على ثلاثة أشياء هي:

١ـ أنَّ من أتاهم من المشركين مسلماً ردوه إليهم.

٢ـ أنَّ من أتاهم من المسلمين لم يردوه إليهم.

٣ـ أنْ يدخل الرسول والمؤمنون مكة من عام قابل ويقيمون بها ثلاثة أيام لا غير ولا يدخلها بسلاح.

فلما فرع من الكتاب قال ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا.

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات:

لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق: أي جعل الله رؤيا رسوله التي رآها في النوم عام الحديبية حقاً.

لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين: هذا مضمون الرؤيا أي لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين.

محلقين رؤوسكم ومقصرين: أي حالقين جميع شعوركم أو مقصرينها.

لا تخافون : أي أبداً حال الإحرام وبعده.

فعلم ما لم تعلموا : أي في الصلح الذي تم ما لم تعلموا من ذلك المعرة التي كانت تلحق المسلمين بقتالهم إخوانهم المؤمنين وهم لا يشعرون.

فجعل من دون ذلك فتحاً قريبا : هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل.

هو الذي أرسل رسوله بالهدى : فلذا لا يخلفه رؤياه بل يصدقه فيها.

ودين الحق

ليظهره على الدين كله : أي ليُعليه على سائر الأديان بنسخ الحق فيها، وإبطال الباطل فيها، أو بتسليط المسلمين على أهلها فيحكمونهم.

وكفى بالله شهيدا : أي انك مرسل بما ذكر أي بالهدى ودين الحق.

معنى الآيات:

ما زال السياق في صلح الحديبية وما تم فيه من أحداث فقال تعالى ﴿لقد صدق الله رسوله﴾ أي محمداً ﷺ ﴿الرؤيا بالحق﴾[1] أي[2] الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ وأخبر بها أصحابه عند خروجهم من المدينة إلى مكة فقد أخبر بها أصحابه فسروا بذلك وفرحوا ولما تم الصلح بعد جهاد سياسي وعسكري مرير، وأمرهم الرسول أن ينحروا ويحلقوا اندهشوا لذلك وقال بعضهم أين الرؤيا التي رأيت؟ ونزلت سورة الفتح عند منصرفهم من الحديبية وفيها قوله تعالى ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله[3] آمنين محلقين رؤوسكم[4] ومقصرين لا تخافون﴾، وقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق فلما جاء العام القابل وفي نفس الأيام من شهر القعدة خرج رسول الله والمسلمون محرمين يُلبون وأخلت لهم قريش المسجد الحرام فطافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة وتحللوا من عمرتهم فمنهم المحلق ومنهم المقصر.

---

(١) روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال: إن المنام لم يكن موقتا بوقت أي: فقد تتأخر الرؤيا سنوات أو شهوراً أو أياماً فكان ما بين رؤيا رسول الله ﷺ وظهور مصداقها في الواقع سنة كاملة.

(٢) (بالحق) الباء للملابسة، وهو ظرف مستقر وقع صفة لمصدر محذوف تقديره أي: صدقاً ملابساً للحق.

(٣) (إن شاء الله) هل هذا الاستثناء من جملة ما رآه النبي ﷺ في منامه فأعاده كما سمعه في الرؤيا ويكون هذا تعليماً من الله عز وجل للمؤمنين أن يقولوا مثله في كل ما هو مستقبل من الأقوال والأعمال أو قاله رسول الله ﷺ عملا بقول الله تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله).

(٤) (آمنين) و(محلقين) و(مقصرين): منصوبة على الحال، وجملة (لاتخافون) في موضع الحال أيضا مؤكدة لـ (آمنين) الحال.

وقوله تعالى فعلم ما لم تعلموا فأثبت الصلح وقرره لأنه لو كان قتال ولم يكن صلح لهلك المؤمنون بمكة والمؤمنات بالحرب وتحصل بذلك معرة كبرى للمسلمين الذين قتلوا اخوانهم في الإسلام هذا من بعض الأمور التي اقتضت الصلح وترك القتال وقوله وجعل من دون ذلك فتحا قريبا الصلح[1] فتح،وفتح خيبر فتح،وفتح مكة فتح،وكلها من الفتح القريب. وقوله هو الذي أرسل رسوله أي محمد بالهدى ودين الحق أي الإسلام فكيف إذاً لا يصدقه رؤياه كما ظن البعض وكفى بالله شهيداً على أنك يا محمد مرسل بما ذكر تعالى من الهدى والدين الحق وإظهاره على الدين كله بنسخ الحق الذي فيه وابطال الباطل الذي ألصق به. أو بتسليط المسلمين على قهر وحكم أهل تلك الأديان الباطلة وقد حصل من هذا شيء كبير.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ـ تقرير أن رؤيا الأنبياء حق.

٢ـ تعبير الرؤيا قد يتأخر سنة أو أكثر.

٣ـ مشروعية الحلق والتقصير للتحلل من الحج أو العمرة وإن الحلق أفضل لتقدمه.

٤ـ مشروعية قول إن شاء الله في كل قول أو عمل يراد به المستقبل.

٥ـ الإسلام هو الدين الحق وما عداه فباطل.

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

(١) ومن أنواع الفتح القريب ما تم بالهدنة من دخول الناس في الإسلام إذ أصبح الناس آمنين فيتصلون بالمؤمنين ويتعرفون إلى الإسلام ويدخلون فيه، فدخل في الإسلام أعداد هائلة في هذه الهدنة.

شرح الكلمات :

محمد رسول الله والذين معه	: أي أصحابه رضوان الله عليهم .
أشداء على الكفار	: أي غلاظ لا يرحمونهم .
رحماء بينهم	: أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد .
تراهم ركعا سجدا	: أي تبصرهم ركعاً سجداً أي راكعين ساجدين .
يبتغون فضلا من الله ورضوانا	: أي يطلبون بالركوع والسجود ثوابا من ربهم هو الجنة ورضوانا هو رضاه عز وجل .
سيماهم في وجوههم	: أي نور وبياض يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا في الدنيا .
ذلك	: أي الوصف المذكور.
مثلهم في التوراة	: أي صفتهم في التوراة كتاب موسى عليه السلام .
أخرج شطأه	: أي فراخه .
فآزره	: أي قواه وأعانه .
فاستغلظ فاستوى	: أي غلظ واستوى أي قَوِيَ .
على سوقه	: جمع ساق أي على أصوله .
يعجب الزراع	: أي زارعيه لحسنه .
ليغيظ بهم الكفار	: هذا تعليل أي قواهم وكثرهم ليغيظ بهم الكفار.

معنى الآيات :

لما أخبر تعالى انه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله شهادة منه بذلك أخبر أيضا عنه بما يؤكد تلك الشهادة فقال تعالى ﴿محمد[1] رسول الله والذين معه﴾ من أصحابه ﴿أشداء على الكفار﴾ أي غلاظ قساة عليهم، وذلك لأمرين الأول انهم كفروا بالله وعادوه ولم يؤمنوا به ولم يجيبوه، والله يبغضهم لذلك فهم إذاً غلاظ عليهم لذلك والثاني أن الغلظة والشدة قد تكون سببا في هدايتهم لأنهم يتألمون بها، ويرون خلافها مع المسلمين فيسلمون فيرحمون ويفوزون. وقوله تعالى ﴿رحماء بينهم﴾ أي فيما بينهم يتعاطفون يتراحمون فَتَرَىٰ أحدهم يكره أن يمس جسمه أو ثوبه جسم الكافر أو ثوبه، وتراه مع المسلم إذا رآه صافحه وعانقه ولاطفه

(١) جائز الوقف على (رسول الله) مبتدأ وخبر، ويبدأ الكلام: (والذين معه أشداء..) الخ وهو الأشبه، وجائز أن يكون: (والذين معه) عطف على (محمد رسول الله) والخبر: (أشداء..) الخ .

وأعانه وأظهر له الحب والود. وقوله تعالى ﴿تراهم﴾ أي تبصرهم أيها المخاطب ﴿ركعاً سجداً﴾[1] أي راكعين ساجـدين في صلواتهم ﴿يبتغـون﴾ أي يطلبـون بصلاتهم بعد إيمانهم وتعاونهم وتحابهم وتعاطفهم مع بعضهم، يطلبون بذلك ﴿فضلا من ربهم ورضوانا﴾ أي الجنة ورضا الله. وهذا أسمى ما يطلب المؤمن أن يدخله الله الجنة بعد أن ينقذه من النار ويرضى عنه. وقوله ﴿سيماهم[2] في وجوههم من أثر السجود﴾ أي علامات إيمانهم وصفائهم في وجوههم من أثر السجـود إذ يبعثـون يوم القيامـة غُراً محجلين من آثـار الـوضـوء ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبـأيمانهم﴾ وفي الدنيا عليهم سيما التقوى والصلاح والتواضع واللين والرحمة. وقوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي المذكور ﴿مثلهم في[3] التوراة﴾ ﴿ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه[4]﴾ أي فراخه ﴿فآزره﴾ أي قواه وأعانه ﴿فاستغلظ﴾ أي غلظ ﴿فاستوى﴾ أي قوي ﴿على سوقه﴾ جمع ساق ما يحمل السنبلة من أصل لها ﴿يعجب الزراع﴾ أي الزارعين له وذلك لحسنه وسلامة ثمرته وقوله تعالى ﴿ليغيظ بهم[5] الكفار﴾ أي قواهم وكثرهم من أجل أن يغيظ بهم الكفار ولذا ورد عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى أن من يغيظه أصحاب رسول الله فهو كافر وقوله ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصـالحـات منهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿وأجراً عظيما﴾ هو الجنة. هذا وعد خاص بأصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم وهناك وعد عام لسائر المؤمنين والمؤمنات وذلك في آيات أخرى مثل آية المائدة ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾.

هداية الآية الكريمة:

من هداية الآية الكريمة:

١ـ تقرير نبوة رسول الله وتأكيد رسالته.

٢ـ بيان ما كان عليه رسول الله وأصحابه من الشدة والغلظة على الكفار والعطف والرحمة على أهل الإيمان وهذا مما يجب الأتساء بهم فيه والاقتداء.

٣ـ بيان فضل الصلاة ذات الركوع والسجود والطمأنينة والخشوع.

---

(١) إخبار بكثرة ركوعهم وسجودهم وهو كذلك، إذ لـم تر الدنيا أكثر من المسلمين ركوعاً وسجودا من سائر الأمم التي دانت لله بالإسلام.

(٢) السيما: (العلامة ولها ثلاثة مظاهر، الأول: هو يبوسة في الجبهة ولايتعمدونها ولكنها تحدث من كثرة السجود على الأرض، والثاني: الأثر النفسي من التواضع والخشوع ونور الصلاح. والثالث: نور يوم القيامة يعلو وجوههم ويشهد له قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم) الآية.

(٣) موجود في التوراة قبل تحريفها إذ فيها نعوت هذه الأمة ونعوت نبيها محمد ﷺ وهي إلى الآن واليهود يتأولونها هروباً من الحق حتى لا يُلزموا به.

(٤) فراخ الزرع فروع الحبة منه.

(٥) الجملة تعليلية لما سبقها من صفات أصحاب النبي ﷺ أي: وهبهم ذلك الكمال ليغيظ بهم الكفار.

٤ـ صفة أصحاب رسول الله في كل من التوراة والإنجيل ترفع من درجتهم وتعلي من شأنهم.

٥ـ بيان أن أصحاب رسول الله ﷺ بدأوا قليلين ثم أخذوا يكثرون حتى كثروا كثرة أغاظت الكفار.

٦ـ بُغض أصحاب رسول الله ﷺ يتنافى مع الإيمان منافاة كاملة لاسيما خيارهم وكبارهم كالخلفاء الراشدين الأربعة والمبشرين بالجنة العشرة وأصحاب بيعة الرضوان، وأهل بدر قبلهم. ولذا روي عن مالك رحمه الله تعالى: أن من (١) يغيظه أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر.

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

وآياتها ثماني عشرة آية

وهي بداية المفصل (٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

(١) الرواية كما رواها القرطبي هي: روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير قال كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسوله الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: (محمد رسول الله والذين معه..) حتى بلغ: (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) فقال مالك من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية. يريد ألزمته بالكفر.

(٢) أشهر الأقوال أن أوّل المفصل (الحجرات) وأول وسط المفصل (عبس) وأول قصار المفصل: (والضحى) هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل وفي الظهر والعشاء بمتوسطه وفي المغرب بقصاره.

شرح الكلمات:

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا : أي لا تتقدّموا بقول ولا فعل إذ هو من قدم بمعنى تقدم.

بين يدي الله ورسوله : كمن ذبح يوم العيد قبل أن يذبح رسول الله ﷺ، وكإرادة أحد الشيخين تأمير رجل على قوم قبل استشارة الرسول ﷺ.

واتقوا الله إن الله سميع عليم : أي خافوا الله انه سميع لأقوالكم عليم بأعمالكم.

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي : أي إذا نطقتم فوق صوت النبيّ إذا نطق.

ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض : أي إذا ناجيتموه فلا تجهروا في محادثتكم معه كما تجهرون فيما بينكم إجلالا له ﷺ وتوقيراً وتقديراً.

أن تحبط أعمالكم : أي كراهة أن تبطل أعمالكم فلا تُثابون عليها.

وأنتم لا تشعرون : بحبوطها وبطلانها. إذ قد يصحب ذلك استخفاف بالنبيّ ﷺ لا سيما إذا صاحب ذلك إهانة وعدم مبالاة فهو الكفر والعياذ بالله.

يغضون أصواتهم عند رسول الله : أي يخفضونها حتى لكأنهم يسارونه ومنهم أبو بكر رضي الله عنه.

امتحن الله قلوبهم للتقوى : أي شرحها ووسعها لتتحمل تقوى الله. مأخوذ من محن الأديم إذا وسعه.

لهم مغفرة وأجر عظيم : أي مغفرة لذنوبهم وأجر عظيم وهو الجنة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾[1] لو بحثنا عن المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها لتجلت لنا واضحة إذا رجعنا بالذاكرة إلى موقف عمر رضي الله عنه وهو يريد أن لا يتم صلح بين المؤمنين والمشركين، وإلى موقف الصحابة كافة من عدم التحلل من إحرامهم ونحر هداياهم والرسول يأمر وهُم لا يستجيبون حتى تقدمهم ﷺ فنحر هديه ثم نحروا بعده وتحللوا، إذ تلك المواقف التي أشرنا إليها فيها معنى تقديم الرأي والقول بين يدي الله ورسوله وفي ذلك مضرة لايعلم مداها إلاّ الله، ولما انتهت تلك الحال وذلك الظرف الصعب أنزل الله تعالى قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾

---

(١) ذكر لسبب نزول هذه السورة عدة روايات منها ما ذكره الواحدي ورواه البخاري وهو أن ركباً من بني تميم قدم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر أمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك (يا أيها الذين آمنوا . .) الخ.

أي بالله رباً وإلها وبالإسلام شرعة ودينا وبمحمد نبيّا ورسولا ناداهم بعنوان الإيمان ليقول لهم ناهيا ﴿لاتقدموا بين[1] يدي الله ورسوله﴾ أي قولا ولا عملا ولا رأيا ولا فكرا أي لا تقولوا ولا تعملوا إلا تبعا لما قال الله ورسوله، وشرع الله ورسوله ﴿واتقوا الله﴾ في ذلك فإن التقدم بالشيء قبل أن يشرع الله ورسوله فيه معنى أنكم أعلم وأحكم من الله ورسوله وهذه زلّة كبرى وعاقبتها سوأى. ولذا قال واتقوا الله إن الله سميع﴾ أي لأقوالكم ﴿عليم﴾ بأعمالكم وأحوالكم. ومن هنا فواجب المسلم أن لا يقول ولا يعمل[2] ولا يقضي ولا يُفتّي برأيه إلا إذا علم قول الله ورسوله وحكمهما[3] وبعد أن يكون قد علم أكثر أقوال الله والرسول وأحكامهما، فإذا لم يجد من ذلك شيئا اجتهد فقال أو عمل بما يراه أقرب إلى رضا الله تعالى فإذا لاح له بعد ذلك نص من كتاب أو سنة عدل عن رأيه وقال بالكتاب والسنة. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١) أما الآية الثانية (٢) وهي قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أنْ تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ فإنها تطالب المسلم بالتأدب مع رسول الله ﷺ فأولا نهاهم رضي الله عنهم عن رفع أصواتهم فوق صوت رسول الله ﷺ إذا هم تحدثوا معه وأوجب عليهم إجلال النبي وتعظيمه وتوقيره بحيث يكون صوت أحدهم إذا تكلم مع رسول الله أخفض من صوت الرسول ﷺ ولقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا كلّم رسول الله يساره الكلام مسارة وثانيا نهاهم إذا هم ناجوا رسول الله ﷺ أنلايجهروالله بالقول كجهر بعضهم لبعض بل يجب عليهم توقيره وتعظيمه. وأعلمهم أنه يخشى عليهم إذا هم لم يوقروا رسول الله ولم يجلوه أن تحبط أعمالهم كما تحبط بالشرك والكفر وهم لا يشعرون. إذْ رَفْعُ الصوت للرسول ونداؤه بأعلى الصوت يا محمد يا محمد أو يا نبيّ الله ويارسول الله وبأعلى الأصوات إذا صاحبه استخفاف أو إهانة وعدم مبالاة صار كفراً محبطاً للعمل قطعا. وفي الآية الثالثة (٣) يثني الله تعالى على أقوام يغضون أصواتهم أي يخفضونها عند رسول الله أي في حضرته وبين يديه كأبي بكـر وعمـر رضي الله عنهما هؤلاء يخبر تعالى أنه امتحن قلوبهم للتقوى أي وسعها وشرحها

---

(١) هذه السورة نزلت في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب زيادة على ما تضمنت من الأحكام الشرعية والهدايات القرآنية.

(٢) ومن هنا قال العلماء: لا يحل لامرىء مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه.

(٣) شاهده حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن (بِم تحكم؟ قال بكتاب الله تعالى قال ﷺ فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله ﷺ، قال ﷺ فإن لم تجد؟ قال رضي الله عنه: أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ).

(٤) روى البخاري (أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه فقال له: ما شأنك؟ فقال شر، كان: يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره انه قال كذا وكذا، فقال: إذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة.

لتحمل تقوى الله والرسول ﷺ يقول التقوى[(١)] ها هنا ويشير إلى صدره ثلاثا، ويذكر لهم بشرى نعم البشـرى وهي أن لهم منه تعالى مغفرة لذنوبهم، واجراً عظيما يوم يلقونه وهو الجنة دار المتقين جعلنا الله منهم بفضله ورحمته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ لا يجوز للمسلم أن يقدم رأيه أو اجتهاده على الكتاب والسنة فلا رأي ولا اجتهاد إلّا عند عدم وجود نص من كتاب أو سنة وعليه إذا اجتهد أن يكون ما اجتهد فيه أقرب إلى مراد الله ورسوله، أي الصق بالشرع، وإن ظهر له بعد الاجتهاد نص من كتاب أو سنة عاد إلى الكتاب والسنة وترك رأيه أو اجتهاده فوراً وبلا تردد.

٢ـ بما أن الله تعالى قد قبض إليه نبيّه ولم يبق بيننا رسول الله نتكلم معه أو نناجيه فنخفض أصواتنا عند ذلك فإن علينا إذا ذكر رسول الله بيننا أو ذكر حديثه أن نتأدب عند ذلك فلا نضحك ولا نرفع الصوت، ولا نظهر أي استخفاف أو عدم مبالاة وإلا يخشى علينا أن تحبط أعمالنا ونحن لا نشعر.

٣ـ على الذين يغشون مسجد رسول الله ﷺ أن لا يرفعوا أصواتهم فيه إلا لضرورة درس أو خطبة أو أذان أو إقامة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾
وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟
أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ

---

(١) هذا بعض حديث صحيح أخرجه غير واحد من أصحاب السنن.

ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

شرح الكلمات:

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات	: أي حجرات نسائه والذين نادوه وفد من أعراب بني تميم منهم الزِّبرقان بن بدر والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن.
أكثرهم لا يعقلون	: أي فيما فعلوه بمحلك الرفيع ومقامك السامي الشريف.
ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم	: أي ولو أنهم انتظروك حتى تخرج بعد قيامك من قيلولتك.
لكان خيراً لهم	: أي من ذلك النداء بأعلى أصواتهم من كل أبواب الحجرات.
والله غفور رحيم	: أي غفور لمن تاب منهم رحيم بهم إذ أساءوا مرتين الأولى برفع أصواتهم والثانية كانوا ينادونه ويقولون أن اخرج إلينا فإن مدحنا زين وذمنا شين.
فاسق بنبأ	: أي ذو فسق وهو المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب والنبأ الخبر ذو الشأن.
فتبيّنوا	: أي تثبتوا قبل أن تقولوا أو تفعلوا أو تحكموا.
أن تصيبواقوما بجهالة	: أي خشية إصابة قوم بجهالة منكم.
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين	: أي فتصيروا على فعلكم الخاطىء نادمين.
واعلموا أن فيكم رسول الله	: أي فاحذروا أن تكذبوا أو تقولوا الباطل فإن الوحي ينزل وتفضحون بكذبكم وباطلكم.
لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم	: أي لوقعتم في المشقة الشديدة والإثم أحيانا.
وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان	: أي بغّض إلى قلوبكم الكفر والفسوق كالكذب والعصيان بترك واجب أو فعل محرم.
أولئك هم الراشدون	: أي الذين فعل بهم ما فعل من تحبيب الإيمان وتكريه الكفر وما ذكر معه هم الراشدون أي السالكون سبيل الرشاد.

فضلا من الله ونعمة : أي أفضل بذلك عليهم فضلا وأنعم إنعاما ونعمة.

والله عليم حكيم : أي عليم بخلقه وما يعملون حكيم في تدبيره لعباده هذا بعامة وبخاصة عليم بأولئك الراشدين حكيم في إنعامه عليهم.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تأديب المؤمنين إزاء نبيهم ﷺ فقدعاب تعالى أقواما معهم جفاء وغلظة قيل انهم وفد من أعراب بني تميم منهم الزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن جاءوا والرسول قائل وقت القيلولة ووقفوا على أبواب الحجرات[1] ينادون بأعلى أصواتهم يا محمد يا محمد ﷺ أن اخرج إلينا فإن مدحنا زين وإن ذمنا شين فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية الكريمة تأديبا لهم ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ حجرات نساء الرسول ﷺ وكانت أبواب الحجرات إلى المسجد. ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾[2] أي فيما فعلوه بمقام الرسول الشريف ومكانته الرفيعة. ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم﴾ بعد هبوبك من قيلولتك ﴿لكان خيراً﴾[3] أي من ذلك النداء بتعالي الأصوات من وراء الحجرات وقوله تعالى ﴿والله غفور رحيم﴾ أي غفور لمن تاب منهم رحيم بهم إذ لم يعجل لهم العقوبة وفتح لهم باب التوبة وأدبهم ولم يعنف ولم يغلظ، وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق (٦) ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق[4] بنبإ فتبينوا أن تصيبوا[5] قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ هذه الآية وإن كان لها سبب في نزولها وهو أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأتي بزكاة أموالهم، وكان بينهم وبين أسرة الوليد عداء في الجاهلية فذكره الوليد وهاب أن يدخل عليهم دارهم وهذا من وسواس الشيطان فرجع وستر على نفسه الخوف الذي أصابه فذكر انهم منعوه الزكاة وهموا بقتله فهرب منهم فغضب رسول الله ﷺ وَهَمَّ بغزوهم. وما زال كذلك حتى أتى وفد منهم يسترضي رسول الله ويستعتب عنده خوفا من أن يكون قد بلغه عنهم سوء فأخبروه بأنهم على العهد وأن الوليد رجع من الطريق ولم يصل إليهم وبعث الرسول خالد بن الوليد من جهة فوصل

---

(١) الحجرات: جمع حجرة وهي تسع تدخل ضمن البيت النبوي.

(٢) هذا الاحتراس دال على أن من الوفد من كان متأدباً مع رسول الله ﷺ فلم يناد نداءهم بصوت عال وألفاظ نابية لا تليق بمقام الرسول ﷺ.

(٣) أي: لو انتظروا خروجك لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم وكان النبي ﷺ لايحتجب عن الناس إلا في أوقات يشتغل فيها بمهمات نفسه فكان إزعاجه في تلك الحالة من سوء الأدب.

(٤) فسر الفاسق. بالكاذب وبالمعلن بالذنب، وبالذي لا يستحي من الله وهو قابل لكل ما ذكر.

(٥) أن تصيبوا: أي: لئلا تصيبوا.

إليهم قبل المغرب فإذا بهم يؤذنون ويصلون المغرب والعشاء فعلم أنهم لم يرتدوا وأنهم على خير والحمد لله . وجاء بالزكوات وأنزل الله تعالى هذه الآية قلت إن هذه الآية وإن نزلت في سبب معيـن فإنهـا عامة وقاعدة أساسية هامة فعلى الفرد والجماعة والدولة أن لا يقبلوا من الأخبار التي تنقل إليهم ولا يعملوا بمقتضاها إلا بعد التثبت والتبين الصحيح كراهية أن يصيبوا فردا أو جماعة بسوء بدون موجب لذلك ولا مقتضٍ الاقالة سوء وفرية قد يريد بها صاحبها منفعة لنفسه بجلب مصلحة أو دفع مضرة عنه . فالأخذ بمبدأ التثبت والتبين عند سماع خبر من شخص لم يعرف بالتقوى والاستقامة الكاملة والعدالة التامة واجب صونا لكرامة الأفراد وحماية لأرواحهم وأموالهم . والحمد لله على شرع عادل رحيم كهذا . فقوله ﴿إن جاءكم فاسق﴾ المراد بالفاسق من يرتكب كبيرة من كبائر الذنوب كالكذب مثلا ، والنبأ الخبر ذو الشأن والتبيّن التثبت وقوله ﴿أن تصيبـوا قوما بجهالة﴾ أن تصيبوهم في أبدانهم وأموالهم بعدم علم منكم وهي الجهالة وقوله ﴿فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ أي من جرّاء ما اتخذتم من إجراء خاطىء ، وقوله تعالى في الآية (٧) ﴿واعلموا﴾ يلفت الربّ تعالى نظر المسلمين إلى حقيقة هم غافلون عنها وهو وجود الرسول ﷺ حيّاً بينهم ينزل عليه الوحي فإن هذه حال تتطلب منهم التزام الصدق في القول والعمل وإلّا يفضحهم الوحي فوراً إن هم كذبوا في قول أو عمل كما فضح الوليد لما أخبر بغير الحق . هذا أولا وثانيا لو كان الرسول ﷺ يطيعهم في كل ما يرونه ويقترحونه لوقعوا في مشاكل تُعرّضهم لمشاق لا تطاق، بل وفي آثام عظام . هذا معنى قوله تعالى ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم[١] في كثير من الأمر لعنتم﴾ وقوله ﴿ولكن الله حبب[٢] إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ فوقاكم كثيرا من أن تكذبوا على رسولكم أو تقترحوا عليه أو تفرضوا آراءكم . وقوله ﴿أولئك هم الراشدون[٣]﴾ أي أولئك أصحاب رسول الله هم السالكون سبيل الرشاد فلا يتهوكون ولا يضلون وقوله﴿فضلا[٤] من الله ونعمة﴾ أي هدايتهم كانت فضلا من الله ونعمة ، والله عليم بهم وبنياتهم وبواعث نفوسهم حكيم[٥] في تدبيره فأهّل أصحاب رسول الله

---

(١) لو: حرف امتناع لامتناع ، امتنعت طاعته ﷺ لهم فامتنع عنتهم الذي هو: الوقوع في المشقة والشدة.

(٢) (لكن) هذه الاستدراكية العاطفة، وهذا الاستدراك ناشيء عن كون بعضهم يحب أن يطيعه رسول الله ﷺ فأعلموا أن الله حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم من الراشدين، فكفاهم خواطر السوء، ورغبات الباطل، فلم يبق مجال للاقتراحات التي تسيء إليهم وإلى جناب نبيهم ﷺ.

(٣) الرشاد، والرشد: ما كان خلاف الغيّ، والباطل والسيء.

(٤) نصب: (فضلا ونعمة) على المفعولية المطلقة.

(٥) جملة: (والله عليم حكيم) تذييلية لما تقدم من قوله: (واعلموا أن فيكم رسول الله) إلى قوله: (ونعمة).

للخير وأضفاه عليهم فهم أفضل هذه الأمة على الاطلاق ولا مطمع لأحد أتى بعدهم أن يفوقهم في الفضل والكمال في الدنيا ولا في الآخرة فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين وعنا معهم آمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان سمو المقام المحمدي وشرف منزلته ﷺ.

٢ـ وجوب التثبت في الأخبار ذات الشأن التي قد يترتب عليها أذى أو ضرر بمن قيلت فيه، وحرمة التسرع المفضي بالأخذ بالظنة فيندم الفاعل بعد ذلك في الدنياوالآخرة.

٣ـ من أكبر النعم على المؤمن تحبيب الله تعالى الإيمان إليه وتزيينه في قلبه، وتكريه الكفر إليه والفسوق والعصيان وبذلك أصبح المؤمن أرشد الخلق بعد أصحاب رسول ﷺ.

وَإِن طَآئِفَتَانِ
مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ
فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ
(٩) إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ (١٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا
مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ
ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (١١)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ

وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات:

وإن طائفتان من المؤمنين : أي جماعاتان قلَّ أفرادهما أو كثروا من المسلمين.

اقتتلوا فأصلحوا بينهما : أي هموا بالاقتتال أو باشروه فعلا فأصلحوا ما فسد بينهما.

فإن بغت إحداهما على الأخرى : أي تعدت بعد المصالحة بأن رفضت ذلك ولم ترض بحكم الله.

فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله : أي قاتلوا أيها المؤمنون مجتمعين الطائفة التي بغت حتى ترجع إلى الحق.

فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل : أي رجعت إلى الحق بعد مقاتلتها فأصلحوا بينهما بالعدل أي بالحق.

وأقسطوا إن الله يحب المقسطين : أي وأعدلوا في حكمكم إن الله يحب أهل العدل.

إنما المؤمنون إخوة : أي في الدين الإسلامي.

فأصلحوا بين أخويكم : أي إذا تنازعوا شيئا وتخاصما فيه.

واتقوا الله لعلكم ترحمون : أي خافوا عقابه رجاء أن ترحموا إن أنتم اتقيتموه.

لايسخر قوم من قوم : أي لا يزدر قوم منكم قوما آخرين ويحتقرونهم.

عسى أن يكونوا خيرا منهم : أي عند الله تعالى والعبرة بما عند الله لا ما عند الناس.

ولا تلمزوا أنفسكم : أي لا تعيبوا بعضكم بعضا فإنكم كفرد واحد.

ولا تنابزوا بالألقاب : أي لا يدعو بعضكم بعضا بلقب يكرهه نحو يا فاسق ياجاهل.

بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان : أي قبح اسم الفسوق يكون للمرء بعد إيمانه وإسلامه.

ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون : أي من لمز ونبز المؤمنين فأولئك البُعداء هم الظالمون.

اجتنبوا كثيرا من الظن : أي التهم التي ليس لها ما يوجبها من الأسباب والقرائن.

إن بعض الظن إثم : أي كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين.

ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا : أي لا تتبعوا عورات المسلمين وما بهم بالبحث عنها.

أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا : أي لا يحسن به حب أكل لحم أخيه ميتا ولا حيا معا.

فكرهتموه : أي وقد عرض عليكم الأول فكرهتموه فاكرهوا أي كما كرهتم أكل لحمه ميتا فاكرهوه حيا وهو الغيبة.

وجعلناكم شعوبا وقبائل : أي جمع شعب والقبيلة دون الشعب.

لتعارفوا : أي ليعرف بعضكم بعضا فتعارفوا لا للتفاخر بعلو الأنساب.

إن أكرمكم عند الله أتقاكم : أي أشدكم تقوى لله بفعل أوامره وترك نواهيه هو أكرم عند الله.

إن الله عليم خبير : أي عليم بكم وبأحوالكم خبير بما تكونون عليه من كمال ونقص لا يخفى عليه شيء من أشياء العباد.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾[1] الآيات ما زال السياق الكريم في طلب تأديب المسلمين وتربيتهم واعدادهم للكمال الدنيوي والأخروي ففي الآيتين (٩) و (١٠) من هذا السياق يرشد الله تعالى المسلمين إلى كيفية علاج مشكلة النزاع المسلح بين المسلمين الذي قد يحدث في المجتمع الإسلامي بحكم الضعف الإنساني من الوقت إلى الوقت وهو مما يكاد يكون من ضروريات الحياة البشرية وعوامله كثيرة لا حاجة إلى ذكرها فقال تعالى ﴿وإن طائفتان﴾ أي جماعتان ﴿من المؤمنين اقتتلوا﴾ ولو كان ذلك بين اثنين فقط ﴿فأصلحوا﴾ أيها المسلمون ﴿بينهما﴾[2] بالقضاء على أسباب الخلاف وترضية الطرفين بما هو حق وخير وليس هذا

(١) قال مجاهد: نزلت هذه الآية في الأوس والخزرج حيث تقاتل حيّان من الأنصار بالعصي والنعال.

(٢) قال القرطبي: بالدعاء إلى كتاب الله لهما أو عليهما وقضاء رسول الله ﷺ كذلك كما قال معاذ: أحكم بكتاب الله فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ. ضعيف.

بصعب مع وجود قلوب مؤمنة وهداية ربانية وقوله ﴿فإن بغت احداهما﴾ أي اعتدت إحدى الطائفتين بعدالصلح ﴿على الأخرى﴾ بأن رفضت حكم الله الذي قامت المصالحة بموجبه ﴿فقاتلوا﴾[1] مجتمعين ﴿التي تبغي﴾ أي تعتدي ﴿حتى تفيىء إلى أمر الله﴾ أي إلى الحق ﴿فإن فاءت﴾ أي أذعنت للحق ورضيت به ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا﴾ في حكمكم دائما وأبدا ﴿إن الله يحب المقسطين﴾.[2] وقوله تعالى في الآية (١٠) ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم[3] واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ يقرر تعالى الأخوة الإسلامية ويقصر المؤمنين عليها قصرا فليس المؤمنون إلا إخوة لبعضهم بعضا ولذا وجب رَأْبُ كلّ صدع وإصلاح كل فساد يظهر بين أفرادهم وعدم التساهل في ذلك ﴿واتقوا الله﴾ في ذلك فلا تتوانوا أو تتساهلوا حتى تسفك الدماء المؤمنة ويتصدع بنيان الإيمان والإسلام في دياره وقوله ﴿لعلكم ترحمون﴾ فلا يتصدع بنيانكم ولا تتشتت أمتكم وتصبح جماعات وطوائف متعادية يقتل بعضها بعضا. ولما لم يتق المؤمنون الله في الإصلاح الفوري بين الطوائف الإسلامية المتنازعة حصل من الفساد والشر ما الله به عليم في الغرب الإسلامي والشرق. وقوله في الآية (١١) يا أيهاالذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾ إذ من عوامل النزاع والتقاتل وأسبابهما سخرية المؤمن بأخيه واحتقاره لضعف حاله ورثاثة ثيابه وقلة ذات يده فحرم تعالى بهذه الآية على المسلم أن يحتقر أخاه المسلم ويزدريه منبهاً إلى أن من احتقر وازدرى به وسخر منه قد يكون غالبا خيرا عند الله من المحتقر له والعبرة بما عند الله لا بما عند الناس والرجال في هذا والنساء سواء فلا يحل لمؤمنة أن تزدري وتحتقر أختها المؤمنة عسى أن تكون عند الله خيرا منها منزلة والعبرة بالمنزلة عند الله لا عند الناس وكما حرم السخرية بالمؤمنين والمؤمنات لإفضائها إلى العداوة والشحناء ثم التقاتل حرم كذلك اللمز والتنابز بالألقاب فقال تعالى ﴿ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ ومعنى لا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب[4] بعضكم بعضا بأي عيب من العيوب فإنكم كشخص واحد فمن عاب

---

(١) هذه الآية نص صريح في وجوب قتال أهل البغي، وهم الذين يخرجون عن إمام المسلمين ظلماً وعدواناً بعد دعوتهم إلى الطاعة لله ورسوله وإمام المسلمين، ولا التفات إلى مَن يرى غير هذا، ومن أحكام قتال أهل البغي أنه لا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم أي لا يجهز عليه قتلا ولا تسبى ذراريهم ولا نساؤهم ولا أموالهم.

(٢) روى مسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال (المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور عن يمين العرش: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلوا).

(٣) الآية دليل على أن اسم الإيمان لا يزول بالبغي فإن الله تعالى قال (بين أخويكم) فأثبت أخوة الإيمان ولم يسقطها بالبغي. روى أن علياً سئل عن قتال أهل البغي من أهل الجمل، وصفين، أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فرّوا فقيل: أمنافقون؟ قال لا لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، فقيل له فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

(٤) قال عبدالله بن مسعود: البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحوّل كلباً.

أخاه المسلم كأنما عاب نفسه كما أن المعاب قد يرد العيب بعيب من عابه وهذا معنى ولا تلمزوا أنفسكم وقوله ولا تنابزوا بالألقاب أي لا يلقب المسلم أخاه بلقب يكرهه فإن ذلك يفضي إلى العداوة والمقاتلة وقوله ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي قبح أشدَّ القبح أن يلقب المسلم بلقب الفسق بعد أن اصبح مؤمنا عدلا كاملا في أخلاقه وآدابه فلا يحل لمؤمن أن يقول لأخيه يا فاسق أو ياكافر أو يا عاهر أو يا فاسد، إذ بئس الاسم اسم الفسوق كما أن الملقب للمسلم بألقاب السوء يعد فاسقا وبئس الاسم له أن يكون فاسقا بعد إيمانه بالله ولقائه والرسول وما جاء به، وقوله تعالى ﴿ومن لم يتب﴾ أي من احتقار المسلمين وازدرائهم وتلقيبهم بألقاب يكرهونها ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ المتعرضون لغضب الله وعقابه. وقوله في الآية (١٢) ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ ينادي الله تعالى المسلمين بعنوان الإيمان إذ به أصبحوا أحياء يسمعون ويبصرون ويقدرون على الفعل والترك إذ الإيمان بمثابة الروح إذا احلت الجسم تحرك فأبصرت العين وسمعت الأذن ونطق اللسان وفهم القلب.

فيقول ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾(١) وهو كل ظن ليس له ما يوجبه من القرائن والأحوال والملابسات المقتضية له، ويعلل هذاالنهي المقتضى للتحريم فيقول ﴿إن بعض الظن إثم﴾ وذلك كظن السوء بأهل الخير والصلاح في الأمة فإن ظن السوء فيهم قد يترتب عليه قول باطل أو فعل سوء أو تعطيل معروف، فيكون إثما كبيرا، وقوله ﴿ولا تجسسوا﴾ أي لاتتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها والاطلاع عليها لما في ذلك من الضرر الكبير، وقوله ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾(٢) أي لا يذكر أحدكم أخاه في غيبته بما يكره وهنا يروى في الصحيح من الأحاديث ما معناه أن رجلا سأل الرسول ﷺ عن الغيبة فقال له ذكرك أخاك بما يكره فقال الرجل فإن كان فيه ما يكره قال فإن كان فيه ما يكره فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما يكره فقد بهته والبهتان أسوأ الغيبة. وقوله أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ والجواب لا قطعاً إذاً فكما عرض عليكم لَحْمُ أخيكم ميتا فكرهتموه فاكرهوا إذاً أكل لحمه حيّاً وهو(٣) عرضه والعرض أعز

(١) قالت العلماء: الظن هنا هو التهمة بدون قرينة حال تدل عليها أو تدعو إليها وقد صح الحديث بتحريم الظن السيء بقوله ﷺ في رواية الصحيح (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا).

(٢) الغيبة عامة في الدين والخلق والحسب والنسب ولا وجه لتخصيصها بواحد مما ذكر، وكيف وقد فسرها النبي ﷺ بقوله (ذكرك أخاك بما يكره).

(٣) قال قتادة كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حياً، واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة لأن عادة العرب جارية بذلك قال الشاعر:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم   وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وأغلى من الجسم وقوله ﴿واتقوا الله﴾ في غيبة بعضكم بعضا فإن الغيبة من عوامل الدمار والفساد بين المسلمين، وقوله ﴿إن الله تواب رحيم﴾ جملة تعليلية للأمر بالتوبة فأخبر تعالى انه يقبل توبة التائبين وأنه رحيم بالمؤمنين ومن مظاهر ذلك انه حرم الغيبة للمؤمن لما يحصل له بها من ضرر وأذى. وقوله تعالى في الآية (١٣) ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ هذا نداء هو آخر نداءات الله تعالى عباده في هذه السورة وهو أعم من النداء بعنوان الإيمان فقال ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ من آدم وحواء باعتبار الأصل كما أن كل آدمي مخلوق من أبوين أحدهما ذكر والآخر أنثى ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل﴾ وبطوناً وأفخاذاً وفصائل كل هذا لحكمة التعارف فلم يجعلكم كجنس الحيوان لا يعرف الحيوان الآخر ولكن جعلكم شعوباً وقبائل وعائلات وأسر لحكمة التعارف المقتضي للتعاون إذ التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح سعيد فتعارفوا وتعاونوا ولا تتفرقوا لأجل التفاخر بالأنساب فإنه لا قيمة للحسب ولا للنسب إذا كان المرء هابطا في نفسه وخلقه وفاسدا في سلوكه إن أكرمكم عند الله أتقاكم[1]. إن الشرف والكمال فيما عليه الإنسان من زكاة روحه وسلامة خلقه وإصابة رأيه وكثرة معارفه وقوله تعالى ﴿إن الله عليم خبير﴾ جملة تعليلية يبين فيها تعالى أنه عليم بالناس عليم بظواهرهم وبواطنهم وبما يكملهم ويسعدهم خبير بكل شيء في حياتهم فليسلم له التشريع بالتحليل والتحريم والأمر والنهي فإنه على علم بالحال والمآل وبما يسعد الإنسان وبما يشقيه فآمنوا به وأطيعوه تكملوا وتسعدوا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجوب مبادرة المسلمين إلى إصلاح ذات البين بينهم كلما حصل فساد أو خلل فيها.

٢ـ وجوب تعاون المسلمين على تأديب أية جماعة تبغي وتعتدي حتى تفيىء إلى الحق.

٣ـ وجوب الحكم بالعدل في أية قضية من قضايا المسلمين وغيرهم.

٤ـ تقرير الأخوة الإسلامية ووجوب تحقيقها بالقول والعمل.

٥ـ حرمة السخرية واللمز والتنابز بين المسلمين.

٦ـ وجوب اجتناب كل ظن لا قرينة ولا حال قوية تدعو إلى ذلك.

٧ـ حرمة التجسس أي تتبع عورات المسلمين وكشفها وإطلاع الناس عليها.

---

(١) روى الترمذي أن النبي ﷺ (خطب بمكة فقال: يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عَبِّيَةَ الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان: برّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله).

٨ـ حرمة الغيبة والنميمة. والنميمة هي نقل الحديث على وجه الإفساد ولذا يجوز ذكر الشخص وهو غائب في مواطن هي التظلم بأن يذكر المسلم من ظلمه لازالة ظلمه، الاستعانة على تغيير المنكر بذكر صاحب المنكر. الاستفتاء نحو قول المستفتي ظلمني فلان بكذا فهل يجوز له ذلك، تحذير المسلمين من الشر بذكر فاعله قصد أن يحذروه، المجاهر بالفسق لا غيبة له، التعريف بلقب لا يعرف الرجل إلا به.

٩ـ حرمة التفاخر بالأنساب ووجوب التعارف للتعاون.

١٠ـ لا شرف ولا كرم إلا بشرف التقوى وكرامتها ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وفي الحديث [لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى] رواه الطبراني.

۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن
قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟
وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات:

قالت الأعراب آمنا : هم نفر من بني أسد قدموا على الرسول وقالوا له آمنا وهم غير مؤمنين.

قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا : أي قل لهم إنكم ما آمنتم بعد ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا وانقدنا.

ولما يدخل الإيمان في قلوبكم : أي ولما يدخل الإيمان بعد في قلوبكم ولكنه يتوقع له الدخول.

وإن تطيعوا الله ورسوله : أي في الإيمان والقيام بالفرائض واجتناب المحارم.

لا يلتكم من أعمالكم شيئا : أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئا.

إن الله غفور رحيم : أي غفور للمؤمنين رحيم بهم إن هم صدقوا في إيمانهم.

إنما المؤمنون : أي حقا وصدقا لا ادعاء ونطقا هم.

الذين آمنوا بالله ورسوله : أي بالله ربا وإلها وبالرسول محمد نبياورسولا.

ثم لم يرتابوا : أي لم يشكوا فيما آمنوا به.

وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله : أي جاهدوا مع رسول الله أعداء الله وهم الكافرون بأموالهم وأنفسهم.

أولئك هم الصادقون : أي في إيمانهم لا الذين قالوا آمنا بألسنتهم واستسلموا ظاهراً ولم يسلموا باطناً.

قل أتعلمون الله بدينكم : أي قل لهم يا رسولنا أي لهؤلاء الأعراب أتشعرون الله بدينكم.

يمنون عليك أن أسلموا : أي كونهم أسلموا بدون قتال وغيرهم أسلم بعدَ قتالٍ.

قل لا تمنوا عليَّ إسلامكم : أي لا حق لكم في ذلك بل الحق لله الذي هداكم للإيمان إن كنتم صادقين في دعواكم أنكم مؤمنون.

إن الله يعلم غيب السموات والأرض : أي ان الله يعلم ما غاب في السموات وما غاب في الأرض فلا يخفى عليه أمرُ مَن صدقَ في إيمانه وأمرُ مَن كذب، ومن أسلم رغبة ومن أسلم رهبة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قالت الأعراب آمنا﴾[1] هؤلاء جماعة من أعراب بني أسد وفدوا على رسول الله ﷺ

(١) هذه الآية نزلت في أعراب بني أسد، وليست عامة في كل الأعراب لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر كبعض أعراب أسلم وغفار وجهينة ومزينة.

بالمدينة بأولادهم ونسائهم في سنة مجدبة فأظهروا له الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في نفوسهم، فكانوا يغدون على الرسول ﷺ ويروحون ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، ونحن قد جئناك بالأطفال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على رسول الله وهم يريدون الصدقة ويقولون أعطنا فأنزل الله تعالى هذه الآية تربية لهم وتعليما إتماما لما اشتملت عليه سورة الحجرات من أنواع الهداية والتربية الإسلامية فقال تعالى ﴿قالت الأعراب﴾ أعراب بني أسد آمنا أي صدَّقنا بتوحيد الله وبنبوتك. قل لهم ردا عليهم لم تؤمنوا بعد، ولكن الصواب أن تقولوا أسلمنا أي أذعنا للإسلام وانقدنا لقبوله وهو الإسلام الظاهري، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بعد وسيدخل إن شاء الله. وإن تطيعوا الله ورسوله أيها الأعراب في الإيمان الحق وفي غيره من سائر التكاليف لا يلتكم[1] أي لا ينقصكم الله تعالى من أجور أعمالكم الصالحة التي تعملونها طاعة لله ورسوله شيئا وإن قل. وقوله إن الله غفور رحيم في هذه الجملة ترغيب لهم في الإيمان الصادق والإسلام الصحيح فأعلمهم أن الله تعالى غفور للتائبين رحيم بهم وبالمؤمنين فتوبوا إليه واصدقوه يغفر لكم ويرحمكم وقوله تعالى في الآية (١٥) إنما المؤمنون الآية يعرفهم تعالى بالإيمان الصحيح دعوة منه لهم لعلهم يؤمنون فقال ﴿إنما المؤمنون[2]﴾ أي حقا وصدقا الذين آمنوا بالله رباً وإلها ورسوله نبيا مطاعا، ثم لم يرتابوا، أي لم يشكوا ابدا في صحة ما آمنوا به، وجاهدوا أي أنفسهم فألزموها الاستعداد للنهوض بالتكاليف الشرعية في المنشط والمكره، كما جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أعداء الإسلام من المشركين والكافرين وذلك الجهاد بالنفس والمال لا هدف له إلا طلب رضا الله سبحانه وتعالى أي لم يكن لأي غرض مادي دنيوي وإنما لرضا الله ولإعلاء كلمة الله هؤلاء هم الصادقون في دعوى الإيمان وقوله تعالى في الآية (١٦) ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ أي قل يارسولنا لأولئك الأعراب الذين قالوا آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم أتعلِّمون الله بدينكم أي بإيمانكم وطاعتكم وتشعرونه بهما والحال أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، والله بكل شيء عليم إنه لا معنى لتعليمكم الله بدينكم وهو يعلم ما في السموات وما في الأرض وهو بكل شيء عليم إنه مظهر من مظاهر جهلكم بالله تعالى، إذ لو علمتم انه يعلم ما في السموات وما في الأرض من دقيق

(١) (لايلتكم) أي لا ينقصكم يقال: لاته يليته، ويلوته إذا نقصه وقرأ أبو عمرو (لا يألتكم) مهموزا من ألت يألت ألتاً نحو قوله تعالى: (وما ألتناهم من عملهم من شيء) وشاهد الأول:

وليلة ذات ندى سريتُ ولم يلتني عن سراها ليتُ

(٢) لما نزلت هذه الآية: (إنما المؤمنون) حلف الأعراب انهم مؤمنون في السر والعلانية فأكذبهم الله تعالى في دعواهم الكاذبة فأنزل عز وجل (قل أتعلمون الله بدينكم) أي: الذي أنتم عليه؟

وجليل لما فهتم بما فهتم به من إشعاركم الله بإيمانكم وطاعتكم له. وقوله تعالى في الآية (١٧) ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾[1] أي يمّن أولئك الأعراب عليك يا رسولنا إيمانهم إذ قالوا آمنا بك ولم[2] نقاتلك كما فعل غيرنا قل لهم لا تمنوا عليَّ إسلامكم واضرب عن هذا وقل لهم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان، فالمنة لله عليكم لا أن تمنوا أنتم على رسوله. وقوله تعالى ﴿إن الله يعلم غيب[3] السموات والأرض﴾ أي كل ما غاب في السموات وما غاب في الأرض من سانح في السماء وسابح في الماء وسارح في الغبراء فليس في حاجة أن تعلموه بدينكم وتمنونه على رسوله ﷺ والله بصير بما تعملون من عمل قلَّ أو كثر خفيَّ أو ظهر فاعلموا هذا وتأدبوا مع الله وأحسنوا الظن فيه تنجو من هلاك لازم لمن أساء الظن بالله وأساء الأدب مع رسول الله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان طبيعة أهل البادية وهي الغلظة والجفاء والبعد عن الكياسة والأدب.

٢ـ بيان الفرق بين الإيمان والإسلام إذا اجتمعا فالإيمان من أعمال القلوب والإسلام من أعمال الجوارح. وإذا افترقا فالإيمان هو الإسلام، والإسلام هو الإيمان والحقيقة هي أنه لايوجد إيمان صحيح بدون إسلام صحيح، ولا إسلام صحيح بدون إيمان صحيح، ولكن يوجد اسلام صوري بدون إيمان، وتوجد دعوى إيمان كاذبة غير صادقة.

٣ـ بيان المؤمنين حقا وهم الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم.

٤ـ بيان حكم المنّ وأنه مذموم من الإنسان ومحمود من الرحمن عز وجل وحقيقة المن هي عد النعمة وذكرها للمنعم عليه وتعدادها المرة بعد المرة.

٥ـ بيان إحاطة علم الله بسائر المخلوقات، وأنه لا يخفى عليه من أعمال العباد شيء.

---

(١) (يمنون) إشارة إلى قولهم جئناك بالأثقال والعيال كما تقدم في التفسير.

(٢) (أن أسلموا) حرف الجر محذوف الأصل، بأن أسلموا أي: إسلامهم.

(٣) ذيل الكلام بهذه الجملة (إن الله يعلم) الخ ليعلموا أن الله لا يكتم وأنه لا يكذب عليه لعلمه بالغيوب كلها، وفي هذا تقويم لأخلاقهم وتربية وتأديب لهم.

سورة ق (١)

مكية

وآياتها خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ
فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ
رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ
﴿٥﴾

شرح الكلمات:

ق : هذا أحد الحروف المقطعة التي تكتب هكذا قٓ وتقرأ هكذا قاف.

والقرآن المجيد : أي والقرآن المجيد أي الكريم قَسَمِي لقد أرسلنا محمدا مبلغا عنا.

بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم : أي بل عجب أهل مكة من مجيء منذر أي رسول منهم ينذرهم عذاب الله يوم القيامة.

فقال الكافرون هذا شيء عجيب : أي فقال المكذبون بالبعث هذا أي البعث بعد الموت والبلى شيء عجيب.

أئذا متنا وكنا ترابا : أئذا متنا وصرنا ترابا أي رفاة وعظاما نخرة نرجع أحياء.

ذلك رجع بعيد : أي بعيد الإمكان في غاية البعد.

قد علمنا ما تنقص الأرض منهم : أي قد أحاط علمنا بكل شيء فعلمنا ما تنقص الأرض من

---

(١) صح في الموطأ وفي مسلم أن النبي ﷺ قرأ بهذه السورة في صلاة الصبح وفي عيدي الأضحى والفطر أيضاً مع سورة القمر.

	أجساد الموتى وما تأكل من لحومهم وعظامهم فكيف يستبعد منا إحياؤهم بعد موتهم.
وعندنا كتاب حفيظ	: أي كتاب المقادير الذي قد كتب فيه كل شيء ومن بين ذلك أعداد الموتى وأسماؤهم وصورهم وأجسامهم ويوم إعادتهم.
بل كذبوا بالحق لما جاءهم	: بل كذب المشركون بما هو أقبح من تكذيبهم بالبعث وهو تكذيبهم بالنبوة المحمدية وبالقرآن ومن نزل عليه.
فهم في أمر مريج	: أي مختلط عليهم فهم فيه مضطربون لا يثبتون على شيء إذ قالوا مرة سحر ومرة قالوا شعر ومرة كهانة وأخرى أساطير.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قٓ﴾ الله أعلم بمراده به إذ هو من الحروف المقطعة الآحادية نحو صٓ. ونٓ وقوله تعالى ﴿والقرآن المجيد﴾[1] أي الكريم فالقرآن مجيد كريم لما فيه من الخير والبركة إذ قراءة الحرف الواحد منه بعشر حسنات. وقوله والقرآن المجيد قسم والجواب محذوف تقديره إن محمداً لرسول أمين. وقوله تعالى ﴿بل عجبوا[2] أن جاءهم منذر منهم﴾ أي إنهم لم يستنكروا أصل الإرسال إليهم وإنما أنكروا كون المرسل بشراً مثلهم ينذرهم عذاب يوم القيامة وهم لا يؤمنون بالبعث الآخر فلذا قالوا ما أخبر تعالى به عنهم وقوله ﴿فقال الكافرون﴾ أي بالبعث ﴿هذا شيء عجيب﴾

أي أمر يدعو إلى التعجب إذ من مات وصار ترابا لا يعقل أن يبعث مرة أخرى فيُسأل ويحاسب ويجزي وقد أفصحوا عن معتقدهم بقولهم ﴿أئذا[3] متنا وكنا تراباً﴾ ذلك الرجوع إلى الحياة رجوع بعيد التحقيق. قال تعالى ﴿قد علمنا ما تنقص[4] الأرض منهم وعندنا كتاب[5] حفيظ﴾ هذه برهنة واضحة على إبطال دعواهم وتحقيق عقيدة البعث أي قد علمنا ما تنقص الأرض منهم بعد الموت من لحم وعظم، وعندنا كتاب حفيظ قد حوى كل شيء وحفظه مادة وكميَّة وكيفية بمقتضاه يعود

---

(١) المجيد: المتصف بقوة المجد، والمجد والمجادة: الشرف الكامل، وكرم النوع ولذا فالقرآن يفوق في مجده كُلّ كلام على الاطلاق حتى الكلام الموحى به إلى رسل الله عليهم السلام.

(٢) (بل) للاضراب الانتقالي، وهو انتقال من تقرير النبوة المحمدية التي أثبتها بالقسم إلى تقرير عقيدة البعث والجزاء إذ أورد قول الكافرين المنكرين لها ثم أثبتها بالأدلة القاطعة من عدة آيات كأنما قال: دع ذا واسمع ما أقول. و(أن جاءهم) مجرور بمن محذوفة أي من أن جاء ويعد السبك من مجيئهم.

(٣) الاستفهام للإبطال والتعجيب والمتعجب منه محذوف تقديره أنرجع إلى الحياة بعد انعدامنا بالموت وصيرورتنا ترابا؟

(٤) قوله (ما تنقص الأرض) إشارة إلى أن هناك أجساداً لا تبيد كلها بل يبقى أبعاضها، وإلى أن عجب الذنب لا يفنى ولا يبيد بل يبقى كما هو ليعاد الخلق به يوم القيامة.

(٥) التنكير في (كتاب) للتعظيم ويدل عليه قوله (حفيظ).

الخلق كما بدأ لا ينقص منه شيء وقوله، ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم﴾ أي إن هناك ما هو أشنع من إنكارهم وأقبح عقلا وهو تكذيبهم بالقرآن ومن أنزل عليه وهو الحق من الله فلذا هم فيه في أمر مريج أي مختلط فمرة قالوا في الرسول إنه ساحر وقالوا شاعر وقالوا مفتر كذاب وقالوا في القرآن أساطير الأولين فهم حقا في أمر مريج مختلط عليهم لا يدرون ما يقولون ويثبتون عليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان شرف القرآن ومجده وكرمه.

٢ـ تقرير البعث والوحي الإلهي.

٣ـ البرهنة الصحيحة الواضحة على صحة البعث والجزاء وإمكانهما.

٤ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر بتقرير كتاب المقادير.

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ
مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ
وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾
رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

شرح الكلمات:

أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم : أي أعموا فلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم إلى السماء كائنة فوقهم فيعلموا أن استبعادهم للبعث غير صحيح.

كيف بنيناها وزيناها : أي كيف بنيناها بلا عمد. وزيناها بالكواكب.

وما لها من فروج : أي وليس لها من شقوق تعيبها.

والأرض مددناها [1] : أي بسطناها

---

(١) (الأرض) منصوب على الاشتغال أي: مددنا الأرض مددناها.

وألقينا فيها رواسي : أي جبالا رواسي ثوابت لا تسير ولا تتحرك مثبتة للأرض كي لا تميد بأهلها.

وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج[1] : أي وأنبتنا في الأرض من كل صنف من أنواع النباتات حسن.

تبصرة وذكرى لكل عبد منيب : أي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى منا لكل عبد منيب إلى طاعتنا رجاع إلينا.

ونزلنا من السماء ماء مباركا : أي ماء المطر كثير البركة.

فأنبتنا به جنات وحب الحصيد : أي أنبتنا بماء السماء بساتين وحب الحصيد أي المحصود من البر والشعير.

والنخل باسقات[2] : أي وأنبتنا بالماء النخيل الطوال العاليات.

لها طلع نضيد : أي لها طلع منضد متراكب بعضه فوق بعض.

رزقا للعباد : أي أنبتنا ما أنبتنا من الجنات والحب الحصيد والنخل الباسقات قوتا للعباد ورزقا لهم مؤمنهم وكافرهم.

وأحيينا به بلدة ميتا : وأحيينا بذلك الماء الذي أنزلناه بلدة ميتا لا نبات فيها من الجدب الذي أصابها والقحط.

كذلك الخروج : أي كما أخرجنا النبات من الأرض الميتة بالماء نخرجكم أحياء من قبوركم يوم القيامة بماء ننزله من السماء على الأرض فتنبتون كما ينبت البقل.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث وهي العقيدة التي بُنيَ عليها كل إصلاح يراد للإنسان بعد عقيدة الإيمان بالله تعالى ربًا وإلهاً قال تعالى ﴿أفلم ينظروا[3] إلى السماء فوقهم كيف[4] بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ أي أعمي أولئك المنكرون للبعث المكذبون بلقاء ربهم يوم القيامة فلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم إلى حجم السماء الواسع العالي الرفيع الكائن فوقهم وقد رفع بلا عمد ولا سند. وقد زيّنه خالقه بكواكب نيّرة وأقمار منيرة وشموس مضيئة ولم يُر في السماء

(١) (من) ليست للتبعيض بل هي للتأكيد إلا أن زيادتها مع الإثبات نادرة كما هي هنا.

(٢) لا يقال للطويل: باسق إلا إذا كان طوله في علو وارتفاع أما ما يكون طوله في امتداد وانبساط فلا يقال له باسق.

(٣)الاستفهام للإنكار عليهم عدم النظر لتقرر به عقيدة البعث والجزاء، والفاء تفريعية على إنكارهم السابق للبعث الآخر.

(٤)(فوقهم) ظرف في محلّ الحال، وأطلق البناء على خلق العلويات بجامع الارتفاع والاستمساك وعدم السقوط والانهيار.

من تصدع ولا شقوق ولا تفطر الحياة كلها[1] أليس القادر على خلق السماء قادر على إحياء موتى خلقهم وأماتهم بقدرته أليس القادر على الخلق ابتداء وعلى الإماتة ثانية بقادر على إحياء من خلق وأمات؟[2] وقوله ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي﴾ أي مالهم لا ينظرون إلى الأرض أي بسطها وألقى فيها الجبال لتثبيتها حتى لا تميد بهم، وقوله ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج﴾ أي صنف من النباتات والزروع بهيج المنظر حسنه، وقوله ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾ وقوله ﴿وأنزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا فيه جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد﴾[3] أي أليس الذي أنزل من السماء ماء مباركا لما يكثر به من الخيرات والبركات من النبات والحيوان فأنبت به جنّات أي بساتين من أشجار ونخيل وأعناب، وأنبت به حب الحصيد وهو كل حب يحصد عند طيبه من قمح وشعير وذرة وغيرها وأنبت به النخل الباسقات العاليات المرتفعات في السماء لها طلعها النضيد المتراكب بعضه فوق بعض ليتحول إلى رطبٍ شهيٍ يأكله الإنسان وقوله رزقا للعباد أي قوتا لهم يقتاتون به مؤمنين وكافرين إلاّ أن المؤمن إذا أكل شكر والكافر إذا أكل كفر، وقوله ﴿وأحيينا به﴾ أي بالماء الذي أنزلناه من السماء مباركاً بلدة ميتا لا نبات بها ولا عشبٍ ولا كلأ فأصبحت تهتز رابية كذلك الخروج أي هكذا يكون خروجكم من قبوركم أيها المنكرون للبعث ينزل الله من السماء ماء فتنبتون وتخرجون من قبوركم كما يخرج الشجر والزرع من الأرض بواسطة الماء المبارك فبأي عقل تنكرون البعث أيها المنكرون. إنها كما قال تعالى ﴿لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث بمظاهر القدرة الإلهية في الكون.

٢ـ مشروعية النظر والاعتبار فيما يحيط بالإنسان من مظاهر الكون والحياة للعبرة طلبا لزيادة الإيمان والوصول به إلى مستوى اليقين.

٣ـ فضل العبد المنيب وفضيلة الإنابة إلى الله تعالى والمنيب هو الذي يرجع إلى ربه في كل ما يهمه والإنابة التوبة إلى الله والرجوع إلى طاعته بعد معصيته.

كَذَّبَتْ

قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ

(١) من آيات القدرة والعلم الإلهيين: كون السماء على شكل قبة مرفوعة في قالب لا تشقق فيها ولا تصدع مزينة بأنواع النجوم والكواكب.

(٢) بلى إنه لقادر بلا مرية ولا شك.

(٣) (رزقاً) منصوب على انه مفعول لأجله.

لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

كذبت قبلهم قوم نوح : أي قبل قومك يا رسولنا بالبعث والتوحيد والنبوة قوم نوح .

وأصحاب الرس وثمود : أي وكذب أصحاب الرس وهي بئر كانوا مقيمين حولها يعبدون الأصنام وثمود وهم أصحاب الحجر قوم صالح .

وعاد وفرعون : وكذبت عاد قوم هود، وكذب فرعون موسى عليه السلام .

وإخوان لوط وأصحاب الأيكة : أي وكذب قوم لوط أخاهم لوطا، وكذب أصحاب الأيكة شعيبا .

وقوم تبع : أي وكذب قوم تبع الحميري اليمني .

كل قد كذب الرسل : أي كل من ذكر قد كذب الرسل فلست وحدك المكذَّب يا محمد ﷺ .

فحق وعيد : أي فوجب وعيدي لهم بنزول العذاب عليهم فنزل فهلكوا .

أفعيينا بالخلق الأول(١) : أي أفعيينا بخلق الناس أولا والجواب لا إذاً فكيف نعيى بخلقهم ثانية وإعادتهم كما كانوا؟ .

بل هم في لبس من خلق جديد : أي هم غير منكرين لقدرة الله عن الخلق الأول بل هم في خلط وشك من خلق جديد لما فيه من مخالفة العادة وهي أن كل من مات منهم يرونه يفنى ولا يعود حيّاً .

معنى الآيات :(٢)

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثبات النبوة للرسول ﷺ فقال تعالى ﴿كذبت قبلهم﴾ أي قبل قريش المكذبين بالبعث والجزاء وبالنبوة المحمدية كذبت قبلهم قوم نوح وهي أول أمة كذبت وعاش نوح نبيها ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوها إلى الله فلم يؤمن منهم أكثر من نيف وثمانين نسمة ، وأصحاب الرس أيضا قد أخذوا نبيهم ورسوه في بئر فقتلوه فأهلكهم الله

---

(١) أي : (أفعيينا) به فنعي بالبعث وهو توبيخ لمنكري البعث وجواب على قولهم ذلك رجع بعيد يقال : عييت بالأمر: إذا لم تعرف وجهه هذا في المعاني أما في الذوات فعيي بمعنى عجز ولم يقدر عليه .

(٢) هذا استئناف ابتدائي الغرض منه تسلية الرسول ﷺ بإعلامه أن أمما كثيرة قد كذبت رسلها قبل تكذيب قومه له ﷺ .

تعالى في بئر كانوا يقيمون على أصنام حولها يعبدونها فأهلكهم في تلك البئر وأهلك ثموداً وهم قوم صالح ،وعاداً وهم قود هود وفرعون موسى وقوم لوط،[1] وأصحاب الأيكة أي الشجر الملتف إذ كانوا يعبدون أشجار تلك الأيكة، وقوم تبع وهو تبع الحميري اليمني. وقوله تعالى ﴿كل كذب الرسل﴾ أي كل تلك الأمم التي ذكرنا كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم ولا بما جاءوهم به من التوحيد والشرع، فحق وعيد[2] أي فوجب لذلك عذابهم الذي واعدتهم به على ألسنة رسلي إن لم يؤمنوا فأهلكناهم أجمعين وقومك يا محمد هي موعودة أيضا بالعذاب إن لم يبادروا بالإيمان والطاعة. وقوله تعالى ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾[3] والجواب لا إذ الاستفهام للنفي أي لم يَعْيَ الله تعالى بخلق كل ما خلق من الملائكة والإنس والجن فكيف إذاً يعيى بالإعادة وهي أهون من البدء والبداية، وقوله تعالى ﴿بل هم[4] في لبس من خلق جديد﴾ أي انهم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم في لبس أي خلط وشك من خلق جديد لما فيه من مخالفة العادة حيث هم يرون الناس يموتون ولا يحيون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تعزية الرسول ﷺ وتسليته بإعلامه بأن قومه ليسوا أول من كذب الرسل.

٢- تهديد المصرين على التكذيب من كفار قريش بالعذاب إذ ليسوا بأفضل من غيرهم وقد أهلكوا لما كذبوا.

٣- تقرير البعث والجزاء وإثبات عقيدتهما بالأدلة العقلية كبدء الخلق.

٤- ضعف إدراك المنكرين للبعث لظلمة نفوسهم بالشرك والمعاصي.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ

---

(١) قوله تعالى: (وإخوان لوط) عبر بالإخوان دون القوم تنويع للأسلوب والمراد بهم قوم لوط، والأخوة هنا أخوة تلازم ومواطنة وما هي بأخوة دين ولا نسب وأصحاب الأيكة: هم قوم شعيب عليه السلام.

(٢) أي: صدق وعده فيهم ووجب وقوعه عليهم.

(٣) الاستفهام للإنكار والتغليظ إذ لا يسعهم إلا الاعتراف بأن الله تعالى الذي خلق كل شيء في الأرض والسماء ومن جملة ذلك خلقهم هم المنكرون للبعث فكيف يعجز عن إعادة خلقهم مرة أخرى للجزاء والحساب.

(٤) (بل) للإضراب الإبطالي أي: ما عيينا بالخلق الأول.

﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ
الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ
يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾

شرح الكلمات:

ولقد خلقنا الإنسان : أي خلقناه بقدرتنا وعلمنا لحكمة[(١)] اقتضت خلقه فلم نخلقه عبثا.

ونعلم ما توسوس به نفسه : أي ونعلم ما تحدث به نفسه أي نعلم ما في نفسه من خواطر وإرادات.

ونحن أقرب إليه من حبل الوريد : أي نحن بقدرتنا على الأخذ منه والعطاء والعلم بما يُسر ويُظهر أقرب إليه من حبل الوريد الذي هو في حلقه.

إذ يتلقى المتلقيان : أي نحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عمله فيكتبانه.

عن اليمين وعن الشمال قعيد[(٢)] : أي أحدهما عن يمينه قعيد والثاني عن شماله قعيد أيضا.

ما يلفظ من قول : أي ما يقول من قول.

إلا لديه رقيب عتيد : أي إلا عنده ملك رقيب حافظ عتيد حاضر معد للكتابة.

وجاءت سكرة الموت بالحق : أي غمرة الموت وشدته بالحق من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانا.

ذلك ما كنت منه تحيد : أي ذلك الموت الذي كنت تهرب منه وتفزع.

ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد : أي ونفخ إسرافيل في الصور الذي هو القرن ذلك يوم الوعيد للكفار بالعذاب.

معها سائق وشهيد : أي معها سائق يسوقها إلى المحشر وشهيد يشهد عليها.

(١) هذه الحكمة هي ذكره تعالى وشكره بأنواع العبادات لقوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وسائر المخلوقات هي لأجل الناس فعاد الأمر إلى أن المخلوقات كلها مخلوقة لعلة العبادة.

(٢) القعيد بمعنى المقاعد كالجليس بمعنى المجالس.

لقد كنت في غفلة من هذا : أي من هذا العذاب النازل بك الآن.

فكشفنا عنك غطاءك : أي أزلنا عنك غفلتك بما تشاهده اليوم.

فبصرك اليوم حديد : أي حاد تدرك به ما كنت تنكره في الدنيا من البعث والجزاء.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ حسب سنتنا في الخلق خلقناه بقدرتنا وعلمنا لحكمة[1] اقتضت خلقه منا ولم نخلقه عبثا ونحن نعلم ما توسوس به نفسه أي ما تتحدث به نفسه من إرادات أو خواطر، ونحن أي ربّ العزة والجلال أقرب إليه من حبل الوريد[2] فلو أردنا أن نأخذ منه أو نعطيه أو نسمع منه أو نعلم به لكنا على ذلك قادرين وقربنا في ذلك منه أقرب من حبل عنقه إلى نفسه وذلك في الوقت الذي يتلقى فيه الملكان المتلقيان سائر أقواله وأعماله يثبتانها ويحفظانها وقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد أي أحد الملكين وهما المتلقيان عن يمينه قاعد والثاني عن شماله قاعد هذا يكتب الحسنات وذاك يكتب السيئات.

ولفظ قعيد معناه قاعد كجليس بمعنى مجالس أو جالس، وقوله تعالى ﴿ما يلفظ من قول﴾ أي ما يقول الإنسان إلا لديه رقيب عتيد أي إلا عنده ملك رقيب حافظ، وعتيد حاضر لا يفارقانه مدى الحياة إلا أنهما يتناوبان ملكان بالنهار و ملكان بالليل ويجتمعون في صلاتي الصبح والعصر وقوله تعالى ﴿وجاءت سكرة الموت[3] بالحق﴾ أي وإن طال العمر فلابد من الموت وها هي ذي قد جاءت سكرة الموت أي غمرته وشدته بالحق من أمر الآخرة حتى يراه المنكر للبعث والدار الآخرة المكذب به يراه عياناً. ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾ أي يقال له هذا الموت الذي كنت منه تحيد أي تهرب وتفزع. وقوله تعالى ﴿ونفخ في الصور﴾ أي نفخ اسرافيل في الصور أي القرن الذي قد التقمه وجعله في فيه من يوم بعث النبي الخاتم نبيّ آخر الزمان محمد ﷺ وهو ينتظر متى يؤمر فينفخ نفخة الفناء ذلك أي يوم ينفخ في الصور هو يوم الوعيد[4] بالعذاب للكافرين، وفعلا نفخ في الصور نفخة البعث بعد نفخة الفناء ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ أي ملك يسوقها إلى

---

(١) تقدم بيان الحكمة للخلق تحت رقم واحد من هذا السياق في شرح الكلمات.

(٢) الوريد: واحد الشرايين، وهو ثاني شريانين يخرجان من التجويف الأيسر من القلب وهما عرقان يكتنفان صفحتي العنق في مقدميهما متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه، والحبل: العرق والجمع عروق ويختلف أسمه باختلاف موضعه من الجسم.

(٣) السكرة: اسم لما يعتري الإنسان من ألم واختلال في المزاج يحد من إدراك العقل فيختل الإدراك ويعتري العقل غيبوبة وهو مشتق من السكر وهو الغلق لأنه يغلق العقل، ومنه جاء وصف السكران.

(٤) يوم وعيد للكافرين ويوم وعد صادق للمؤمنين، ولما كان السياق في دعوة الكافرين إلى الإيمان ذكر الوعيد دون الوعد.

المحشر وملك شاهد يشهد عليها. ويقال لذلك الذي جاء به سائق يسوقه وشاهد يشهد عليه لقد كنت في غفلة من هذا أي كنت في الدنيا في غفلة عن الآخرة وما فيها وغفلتك من شهواتك ولذّاتك وغرورك بالحياة الدنيا من هذا العذاب النازل بك الآن فكشفنا عنك غطاءك أي أزلنا عنك غفلتك بما تشاهده اليوم عيانا بيانا من ألوان العذاب فبصرك اليوم حديد أي حاد تدرك به وتبصر ما كنت تكفر به في الدنيا وتُنكرهُ.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان قدرة الله وعلمه وأنه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده ألا فليتق الله امرؤ.

٢- تقرير عقيدة أن لكل إنسان مكلف ملكين يكتبان حسناته وسيئاته.

٣- بيان أن للموت سكرات قطعا اللهم هون علينا سكرات الموت.

٤- ساعة الاحتضار يؤمن كل إنسان بالدار الآخرة إذ يرى ما كان ينكره يراه بعينه.

٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض بعض أحوال وأهوال الآخرة.

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ[(١)] نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

وقال قرينه : أي الملك الموكل به.

هذا ما لديّ عتيد : أي هذا عمله حاضر لديّ.

---

(١) قرأ نافع: (يوم يقول) بالياء، وقرأ حفص (نقول) بالنون.

كل كفار عنيد : أي كثير الكفر والجحود لتوحيد الله وللقائه ولرسوله معاند كثير العناد.

مناع للخير معتد مريب : أي مناع للحقوق والواجبات من المال وغيره.

الذي جعل مع الله إلهاً آخر : أي أشرك بالله فجعل معه آلهة أخرى يعبدها.

ربنا ما أطغيته : أي يقول قرينه من الشياطين ياربنا ما أطغيته أي ما حملته على الطغيان.

ولكن كان في ضلال بعيد : أي ولكن الرجل كان في ضلال بعيد عن كل هدى متوغلا في الشرك والشر.

وقد قدمت إليكم بالوعيد : أي قدمت إليكم وعيدي بالعذاب في كتبي وعلى لسان رسلي.

ما يبدل القول لديّ : أي ما يغير القول عندي وهو قوله لأملأن جهنم منكم أجمعين.

يوم نقول لجهنم هل امتلأت : أي وما الله بظلام للعبيد يوم يقول لجهنم هل امتلأت.

وتقول هل من مزيد : أي لم أمتليء هل من زيادة فيضع الجبار عليها قدمه فتقول قط قط.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مشاهد القيامة وأحوال الناس فيها فقال تعالى ﴿وقال قرينه﴾[(١)] أي قال قرين[(٢)] ذلك الكافر الذي جيء به إلى ساحة فصل القضاء ومعه سائق يسوقه وشهيد يشهد عليه. قال قرينه وهو الملك الموكل به هذا ما لديّ أي من أعمال هذا الرجل الذي وكلت بحفظ أعماله وكتابتها عتيد أي حاضر. وهنا يقال لمن استحق النار ﴿ألقيا في جهنم﴾ وهو خطاب لمن جاءا[(٣)] به وهما السائق والشهيد ﴿كل كفّار عنيد مناع للخير معتد مريب﴾ فهذه خمس صفات قد اجتمعت في شخص واحد فأوبقتاه الأولى كفار أي كثير الكفر الذي هو الجحود لما يجب الإيمان به والتصديق من سائر أركان الإيمان الستة، والثانية عنيد والعنيد التارك لكل ما وجب عليه المعاند في الحق المعاكس في المعروف وهي شر صفة، الثالثة مناع للخير أي كثير المنع للخير مالاً كان أو غيره لا يبذل معروفاً قط، الرابعة معتدٍ أي على حدود

(١) الواو واو الحال، والجملة حالية، وصاحب الحال تاء الخطاب في قوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) والقرين، بمعنى مقرون وهو مأخوذ من القرن بفتح القاف والراء وهو الحبل إذ كانوا يقرنون البعير بمثله بحبل سموه القرن.

(٢) اختلف في تحديد القرين على ثلاثة أقوال وما ذكر في التفسير هو أرجحها.

(٣) وجائز أن يكون خطاباً لواحد بصيغة التثنية على حد قول الشاعر: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل.

الشرع معتد على الناس ظالم لهم بأكل حقوقهم وأذيتهم في أعراضهم وأموالهم وأبدانهم الخامسة مريب أي شاك لا يعرف التصديق بشيء من أمور الدين فهو جامع لكل أنواع الكفر وقوله ﴿الذي جعل مع الله إلهاً﴾ وهذا وصف سادس وهو أسوأ تلك الصفات وهو اتخاذه إلهاً آخر يعبده دون الله تعالى وقوله تعالى ﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾ هذا أمر آخر أكد به الأمر الأول وهو ألقيا في جهنم كل كفار عنيد. وقوله تعالى ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾ قال هذا القول القرين لما قال المشرك معتذراً ربّ إن قريني من الشياطين أطغاني فرد عليه القرين بما أخبر تعالى به عنه في قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد فقال الرب تعالى ﴿لا تختصموا[1] لديّ وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ فرد الله حجة كل من الكافر والقرين من الشياطين وأعلمهما أنه قد قدم إليهما بالوعيد في كتبه وعلى ألسن رسله من كفر بالله وأشرك به وعصى رسله فإن له نار جهنم خالداً فيها أبدا. وقوله تعالى ﴿ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد﴾ أخبر[2] تعالى أن حكمه نافذ فيمن كفر به وعصى رسله إذ سبق قوله لإبليس عندما أخرج آدم من الجنة بوسواسه وهو لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. فهذا القول الإلهي لا يبدل ولا يقدر أحد على تبديله وتغييره وقوله ﴿وما أنا بظلام للعبيد نفى تعالى الظلم عن نفسه والظلم هو أن يعذب مطيعا، أو يدخل الجنة كافراً عاصياً. وقوله تعالى ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ أي اذكر يا نبينا لقومك المنهمكين في الشرك والمعاصي ما ينتظر أمثالهم من عذاب جهنم اذكر لهم يوم نقول لجهنم هل امتلأت فتقول هل من مزيد بعدما يدخل فيها كل كافر وكافرة من الإنس والجن وتقول طالبة الزيادة هل من مزيد؟ ولما لم يبق أحد يستحق عذاب النار يضع الجبار فيها قدمه فينزوي بعضها في بعض وتقول قط قط والحديث معناه في الصحيحين وغيرهما.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ التحذير من الصفات الست التي جاءت في الآية وهي الكفر والعناد ومنع الخير والاعتداء

---

(١) النهي عن المخاصمة دال على أن النفوس الكافرة ادعت أن قرناءها أطغوها، وأن القرناء تنصلوا من ذلك، وأن النفوس أعادت القول فكانت بذلك خصومة فأسكتهم الحق عز وجل بقوله: (لا تختصموا لدي).

(٢) المبالغة في وصف (ظلام) راجعة إلى تأكيد النفي المطلق إذ المراد لا أظلم شيئا من الظلم، وليس المعنى ما أنا بكثير الظلم أو شديده إذ الأمر في أمثلة المبالغة أن يقصد بها المبالغة في النفي. قال طرفة:

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد

إذ لم يرد نفي كثرة حلوله التلاع وإنما أراد كثرة النفي إذ هو لم يحل في تلعة بالمرة جبناً وخوفاً.

والشك والشرك.

٣ـ بيان خصومة أهل النار من إنسان وشيطان.

٤ـ نفي الظلم عن الله تعالى وهو كذلك فلا يظلم الله أحدا من خلقه.

٥ـ إثبات[١] صفة القدم للربّ تعالى كما يليق هذا الوصف بذاته التي لا تشبه الذوات سبحانه وتعالى عن صفات المحدثين من خلقه.

وَأُزْلِفَتِ

ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ

﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا

بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات:

وأزلفت الجنة للمتقين : أي قرّبت الجنة للمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي.

غير بعيد[٢] : أي مكانا غير بعيد منهم بحيث يرونها.

لكل أواب حفيظ : أي رجاع إلى طاعة الله كلما ترك طاعة عاد إليها حافظ لحدود الله.

من خشي الرحمن بالغيب : أي خاف الله تعالى فلم يعصه وإن عصاه تاب إليه وهو لم يره.

وجاء بقلب منيب : أي مقبل على طاعته تعالى.

أدخلوها بسلام : أي ويقال لهم وهم المتقون أدخلوها أي الجنة بسلام أي مع سلام وحال كونكم سالمين من كل مخوف.

ولدينا مزيد : أي مزيد من الانعام والتكريم في الجنة وهو النظر إلى وجه الله الكريم.

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة) نزع هنا بعض أهل العلم كالقرطبي إلى تأويل القدم ففسرها بما يقدم للنار من أقوام وأولوا كذلك لفظ الرجل في حديث (حتى يضع الله عليها رجله) وقالوا الرجل بمعنى العدد الكثير من الناس كالرجل من الجراد، ولا داعي لهذا التأويل الذي لم يؤوله رسول الله ﷺ وهو يحدث به أصحابه فالأسلم للمؤمن أن يؤمن بصفات الله ويمرها كما جاءت فالقدم، والرجل كاليد والعين صفات ذات لله يؤمن العبد بها وهو يعتقد أنها لا تشبه صفات العباد وهي كذلك والحمد لله.

(٢) (غير بعيد) نعت لمحذوف تقديره مكاناً غير بعيد من المتقين والإزلاف التقريب.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير البعث والجزاء بذكر بعض مظاهره قال تعالى بعد ما ذكر ما لأهل النار من عذاب ﴿وأزلفت الجنة﴾[1] أي أدنيت وقربت ﴿للمتقين غير بعيد﴾ وهم الذين اتقوا الله تعالى بترك الشرك والمعاصي فلا تركوا فريضة ولا غشوا كبيرة.[2] وقوله تعالى هذا ما توعدون أي يقال لهم هذا ما توعدون أي من النعيم المقيم، لكل أواب حفيظ أي رجاع إلى طاعة الله تعالى حفيظ أي حافظ لحدود الله. حفيظ أيضا لذنوبه لا ينساها كلما ذكرها استغفر الله تعالى منها. وقوله من خشي الرحمن بالغيب هذا بيان للأواب الحفيظ وهو من خاف الرحمن تعالى بالغيب أي وهو غائب عنه لا يراه ولم يعصه بترك واجب ولا بفعل حرام، وقوله وجاء بقلب منيب[3] أي إلى ربه أي مقبل على طاعته بذكر الله فلا ينساه ويطيعه فلا يعصيه، وقوله تعالى ادخلوها أي يقال لهم أي للمتقين ادخلوها أي الجنة بسلام[4] أي مسلما عليكم وسالمين من كل مخوف كالموت والمرض والألم والحزن وذلك يوم الخلود أي في الجنة وفي النار فأهل الجنة خالدون فيها وأهل النار خالدون[5] فيها وقوله لهم ما يشاءون فيها أي لأهل الجنة ما يشاءون أي ما تشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم وقوله ولدينا مزيد أي وعندنا لكم مزيد من النعيم وهو النظر إلى وجهه الكريم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- فضل التقوى وكرامة المتقين على ربّ العالمين.

٢- فضل الأواب الحفيظ وهو الذي كلما ذكر ذنبه استغفر ربّه.

٣- بيان أكبر نعيم في الجنة وهو رضا الله والنظر إلى وجهه الكريم.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ

(١) عطف على (يوم نقول لجهنم هل امتلأت).

(٢) أو تركوا وغشوا ولكن تابوا وصحت توبتهم فقبلت منهم فهم كمن لم يترك فريضة ولم يغش كبيرة إذ التوبة تجب ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(٣) أي: حضر يوم القيامة مصاحباً قلبه المنيب إلى الله، وفي الحديث: (من مات على شيء بعث عليه) فهذا العبد عاش ومات على قلب منيب فبعثه به شاهد عليه بالإنابة إلى ربه.

(٤) هذا كقوله تعالى: (ادخلوها بسلام آمنين).

(٥) هذا المطلق من الأخبار مقيد قطعاً بمن مات على الشرك والكفر أما من مات على الإيمان والتوحيد فإنه لا يخلد في النار بل يخرج منها إلى الجنة ومن ينكر هذا كالخوارج فقد كذب الله ورسوله ومن كذب الله ورسوله عامداً فقد كفر.

لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات:

وكم أهلكنا قبلهم من قرن : أي كثيرا من أهل القرون قبل كفار قريش أهلكناهم.

هم أشد منهم بطشا : أي أهل القرون الذين أهلكناهم قبل كفار قريش هم أشد قوة وأعظم أخذا من كفار قريش ومع هذا أهلكناهم.

فنقبوا في البلاد هل من محيص: أي بحثوا وفتشوا في البلاد علّهم يجدون مهرباً من الهلاك فلم يجدوا.

إن في ذلك لذكرى : أي إن في المذكور من إهلاك الأمم القوية موعظة.

لمن كان له قلب أو ألقى السمع : أي الموعظة تحصل للذي له قلب حيٌ وألقى سمعه يستمع.

وهو شهيد : وهو شهيد أي حاضر أثناء استماعه حاضر القلب والحواس.

وما مسنا من لغوب : أي من نصب ولا تعب.

فاصبر على ما يقولون : أي فاصبر يارسولنا على ما يقوله اليهود وغيرهم من التشبيه لله والتكذيب بصفاته.

وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس : أي صل حامداً لربك قبل طلوع الشمس وهي صلاة الصبح .

وقبل الغروب : أي صل صلاة الظهر والعصر.

ومن الليل فسبحه : أي صل صلاتي المغرب والعشاء.

وأدبار السجود : أي بعد أداء الفرائض فسبح بألفاظ الذكر والتسبيح .

واستمع : أي أيها المخاطب إلى ما أقول لك.

يوم يناد المناد من مكان قريب : أي يوم ينادي إسرافيل من مكان قريب من السماء وهو صخرة بيت المقدس فيقول أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

يوم يسمعون الصيحة بالحق : أي نفخة إسرافيل الثانية وهي نفخة البعث يعلمون عاقبة تكذيبهم.

ذلك يوم الخروج : أي من القبور.

يوم تشقق الأرض عنهم سراعا : أي يخرجون من قبورهم مسرعين بعد تشقق القبور عنهم.

ذلك حشر علينا يسير : أي ذلك حشر للناس وجمع لهم في موقف الحساب يسير سهل علينا.

نحن أعلم بما يقولون : أي من الكفر والباطل فلا تيأس لذلك سننتقم منهم.

وما أنت عليهم بجبار : أي بحيث تجبرهم على الإيمان والتقوى.

فذكر بالقرآن : أي عظ مرغبا مرهبا بالقرآن فاقرأه على المؤمنين فهم الذين يخافون وعيد الله تعالى ويطمعون في وعده.

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض العظيم لأحوال القيامة وأهوالها على كفار قريش المكذبين بالتوحيد والنبوة والبعث ولم يؤمنوا فكانوا بذلك متعرضين للعذاب فأخبر تعالى رسوله أن هلاكهم يسير فكم[1] أهلك تعالى ﴿قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً﴾ أي قوة وأخذاً ولما جاءهم العذاب فروا يبحثون

(١) قوله تعالى : (وكم أهلكنا قبلهم) هذا تعريض بالتهديد للمشركين وتسلية للنبي ﷺ. و(كم) خبرية.

عن مكان يحيصون إليه أي يلجأون فلم يجدوا وهو معنى قوله تعالى ﴿فنقبوا في[1] البلاد هل من محيص[2]﴾؟ وقوله تعالى ﴿إن ذلك[3]﴾ أي الذي ذكرنا من قوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن لذكرى أي موعظة يتعظ بها عبد كان له قلب حيٌّ وألقى سمعه يستمع وهو شهيد أي حاضر بكل مشاعره وأحاسيسه. وقوله تعالى ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وما مسنا من لغوب﴾ أي نصب أو تعب، هذا الخبر ردٌّ الله تعالى به على اليهود الذين قالوا أتم الله خلق السموات والأرض في يوم الجمعة واستراح يوم السبت فلذا هم يسبتون أي يستريحون يوم السبت فرد تعالى عليهم بقوله ﴿وما مسنا من لغوب﴾ أي تعب، إذ التعب يلحق العامل من الممارسة والمباشرة لما يقوم بعمله والله تعالى يخلق بكلمة التكوين فلذا لا معنى لأن يصيبه تعب أو نصب أو لغوب وقوله تعالى ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح﴾ أي فاصبر يارسولنا على ما يقوله يهود وغيرهم من الكفر والباطل واستعن على ذلك أي على الصبر وهو صعب بالصلاة والتسبيح قبل طلوع الشمس[4] وقبل الغروب، ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم فشمل هذا الإرشادوالتعليم الإلهي الصلوات الخمس[5]، إذ قبل طلوع الشمس فيه صلاة الصبح وقبل الغروب فيه صلاة الظهر والعصر ومن الليل فيه صلاة المغرب والعشاء، ولنعم العون على الصبر الصلاة، ولذا كان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وقوله وأدبار السجود[6] أي بعد الصلوات الخمس سبح ربك متلبسا بحمده. نحو سبحان الله والحمدلله والله أكبر. وقوله ﴿واستمع[7] يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ أي واستمع أيها الخاطب يوم ينادي اسرافيل من مكان

---

(١) (النقب) الثقب فالتنقيب مأخوذ منه، ومعنى الآية أي: ذللوا وأخضعوا وتصرفوا في الأرض بالحفر والغرس والبناء ونحت الجبال وإقامة السدود والحصون وما إلى ذلك من مظاهر القوة في الأرض ولم يُغن ذلك عنهم من الله شيئا وجاءهم الموت من حيث لا مهرب منه ولا محيص.

(٢) المحيص: مصدر ميمي من: حاص: إذا عدل عن الطريق وهرب فالمحيص: المهرب، والاستفهام إنكاري وهو بمعنى النفي.

(٣) الإشارة إلى كل ما ذكر من الاستدلال والتهديد في الآيات السابقة والذكرى: التذكرة العقلية لمن توفر له ثلاثة شروط: القلب الحيّ وإلقاء السمع للإصغاء وحضور البال.

(٤) في الصحيح عن جرير بن عبدالله البجلي قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ (إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ثم قرأ جرير (وسبح بحمد ربك. .)

(٥) وجائز أن يراد بها نوافل الصلاة فيكون الذي قبل طلوع الشمس ركعتا الفجر ولكن ما في التفسير أولى وأصح وأنها الصلوات الخمس إذ السورة مكية ونزلت بعد فرض الصلوات الخمس.

(٦) قرأ نافع: (وإدبار) بكسر الهمزة، وقرأ حفص (وأدبار) بفتحها.

(٧) التعبير بالاستماع فيه معنى التشويق لما يسمع، والمعنى، أقم الصلاة وهي زادك إلى الدار الآخرة وانتظر موعد الجزاء فإنه كائن يوم ينادي المنادي للقيام للجزاء على الصبر والصلاة كما هو على الشرك والعصيان، والآية تحمل التسلية وتدعو إلى الصبر والصلاة.

قريب وهو صخرة بيت المقدس وهو مكان قريب من السماء فيقول المنادي وهو اسرافيل أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقوله ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ وهي نفخة إسرافيل الثانية نفخة البعث ﴿ذلك يوم الخروج﴾ من القبور ويوم يرى المكذبون عاقبة تكذيبهم. وقوله يوم تشقق الأرض[1] عنهم سراعاً أي يخرجون مسرعين ذلك المذكور من تشقق الأرض وخروجهم مسرعين حشر علينا لهم يسير أي سهل لا صعوبة فيه ، وقوله نحن أعلم بما يقولون فيه تسلية للرسول ﷺ وفيه تهديد لكفار قريش. وقوله وما أنت عليهم بجبار أي بذي قوة وقدرة فائقة تجبرهم بها على الإيمان والاستقامة وعليه فمهمتك ليست الإجبار وأنت عاجز عنه وإنما هي التذكير ﴿فذكر بالقرآن﴾ إذاً ﴿من يخاف وعيد﴾ وهم المؤمنون الصادقون والمسلمون الصالحون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية تخويف العصاة والمكذبين بالعذاب الإلهي وقربه وعدم بعده.

٢ـ للانتفاع بالمواعظ شروط أن يكون السامع ذا قلب حي واعٍ وأن يلقى بسمعه كاملا وأن يكون حاضر الحواس شهيدها.

٣ـ وجوب الصبر والاستعانة على تحقيقه بالصلاة.

٤ـ مشروعية الذكر والدعاء بعد الصلاة فرادى لا جماعات.

٥ـ تقرير البعث وتفصيل مبادئه.

٦ـ المواعظ ينتفع بها أهل القلوب الحية.

---

(١) قرأ نافع (تشقق) بفتح التاء وتشديد الشين وأصلها تتشقق بتائين فأدغمت التاء الثانية في الشين بعد قلبها شيناً، وقرأ حفص بتخفيف الشين على حذف إحدى التائين.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ
مكية
وآياتها ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا
فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

والذاريات ذروا : أي الرياح تذروا التراب وغيره ذروا.

فالحاملات وقرا : أي السحب تحمل الماء.

فالجاريات يُسراً : أي السفن تجري على سطح الماء بسهولة.

فالمقسمات أمرا : أي الملائكة تقسم بأمر ربها الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد.

إن ما توعدون لصادق : أي إن ما وعدكم به ربكم لصادق سواء كان خيراً أو شراً.

وإن الدين لواقع : أي وأن الجزاء بعد الحساب لواقع لا محالة.

والسماء ذات الحبك : أي ذات الطرق كالطرق التي تكون على الرمل والحبك جمعُ حبيكة.

إنكم لفي قول مختلف : أي يا أهل مكة لفي قول مختلف أي في شأن القرآن والنبي ﷺ فمنهم من يقول القرآن سحر وشعر وكهانة ومنهم من يقول النبي كاذب أو ساحر أو شاعر.

يؤفك عنه من أفك	: أي يصرف عن النبي والقرآن من صُرف.
قتل الخراصون	: أي لعن الكذابون الذين يقولون بالخرص والكذب.
الذين هم في غمرة ساهون	: أي في غمرة جهل تغمرهم ساهون أي غافلون عن أمر الآخرة.
يسألون أيان يوم الدين	: أي يسألون النبي ﷺ سؤال استهزاء متى يوم القيامة؟ وجوابهم يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون فيها.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والذاريات﴾[1] هذا شروع في قسم ضخم أقسم الله تعالى به وهو الذاريات ذروا أي الرياح تذروا التراب وغيره من الأشياء الخفيفة ﴿فالحاملات وقراً﴾[2] أي السحب تحمل الماء ﴿فالجاريات[3] يسراً﴾ أي السفن تجري على سطح الماء فالمقسمات أمرا أي الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بأمر ربها كل هذا قسم أقسم الله به وجوابه إنما توعدون أيهاالناس من البعث والجزاء بالنعيم المقيم أو بعذاب الجحيم لصادق وإن الدين أي الجزاء العادل لواقع أي كائن لا محالة. وقوله والسماء ذات الحبك[4] هذا قسم آخر أي ذات الطرق كالتي على الرمل جمع حبيكة بمعنى طريقة إنكم لفي قول مختلف هذا جواب القسم فمنكم من يقول محمد ساحر ومنكم من يقول كاذب أو كاهن. ومنكم من يقول في القرآن سحر وشعر كهانة وقوله تعالى يؤفك عنه من أفك أي يصرف عن القرآن ومن نزل عليه من أفك أي صرف بقضاء الله وقدره. وقوله تعالى قتل الخراصون أي لعن الكذابون الذين يقولون بالخرص والكذب والظن الذين هم في غمرة جهل تغمرهم ساهون أي غافلون عن أمر الآخرة وما لهم فيه من عذاب لو شاهدوه ما ذاقوا طعاما ولا شرابا لذيذا.

(١) هنا ذكر القرطبي موعظة عجباً وهي أن رجلاً يقال له: صبيغ بلغ عمر عنه أنه يسأل عن تفسير مشكل القرآن فقال: اللهم أمكني منه فدخل الرجل على عمر يوماً وهو لابس ثياباً وعمامة وعمر يقرأ القرآن فلما فرغ قام إليه الرجل وقال: يا أمير المؤمنين ما الذاريات ذروا؟ فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال: ألبسوه ثيابه واجعلوه على قتب وأبلغوا به أهله ثم ليقم خطيباً فليقل: إن صبيغاً طلب العلم فأخطأ فلم يزل وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً فيهم. وأخرى وهو أن ابن الكواء سأل علياً رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين ما (الذاريات) قال: ويلك سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً.

(٢) (فالحاملات وقرا) السحب تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الوقر: أي الحمل الثقيل.

(٣) جائز أن يراد بـ(الجاريات) السفن، وأن يراد بها الرياح تجري بالسحب بعد تراكمها، واليسر: اللين والهون، أي الجاريات جرياناً ليناً هيناً شأن السير بالشيء الثقيل كما قال الأعشى.

كأن مشيتها من بيت جارتها　　مشي السحابة لا ريث ولا عجل

(٤) (الحبك) بفتح فسكون: إجادة النسج وإتقان الصنع، وجائز أن يكون المراد بالحبك حبك السماء أي: نجومها لأنها تشبه الطرائق الموشاة في الثوب. وعن الحسن أنها طرائق المجرة أو طرائق السحاب، والكل جائز.

وقوله تعالى يسألون أيّان يوم الدين أي متى قيام الساعة ومجيئها وهم في هذا مستهزئون ساخرون وجوابهم في قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون ويقال لهم ذوقوا فتنكم أي عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون أي تطالبون به رسولنا بتعجيله لكم استخفافا وتكذيبا منكم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء حيث أقسم تعالى على ذلك.

٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر في قوله يؤفك عنه من أفك.

٣- لعن الله الخراصين الذين يقولون بالخرص والكذب ويسألون استهزاء وسخرية لا طلبا للعلم والمعرفة للعمل.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات:

إن المتقين في جنات وعيون : أي إن الذين[(١)] اتقوا ربهم في بساتين وعيون تجري خلال تلك البساتين والقصور التي فيها كقوله تجري من تحتها الأنهار.

آخذين ما آتاهم ربهم : أي آخذين ما أعطاهم ربهم من الثواب.

---

(١) لما ذكر تعالى مآل الكافرين وهو أنهم على النار يفتنون أي: يعذبون كما قال الشاعر:
كل امرىء من عباد الله مضطهد   ببطن مكة مقهور ومفتون
ذكر مآل المؤمنين المتقين فقال: (إن المتقين) فذكر ما هم فيه من النعيم المقيم.

إنهم كانوا قبل ذلك محسنين : أي كانوا قبل دخولهم الجنة محسنين في الدنيا أي في عبادة ربهم وإلى عباده.

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون : أي كانوا في الدنيا يحيون الليل ولا ينامون فيه إلا قليلا.

وبالأسحار هم يستغفرون : أي وفي وقت السحور وهو السدس الأخير من الليل يستغفرون يقولون ربنا اغفر لنا.

وفي أموالهم حق للسائل والمحروم: أي للذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل لتعففه وهذا الحق أوجبوه على أنفسهم زيادة على الزكاة الواجبة.

وفي الأرض آيات للموقنين : أي من الجبال والأنهار والأشجار والبحار والإنسان والحيوان دلالات على قدرة الله مقتضية للبعث والموجبة للتوحيد للموقنين أما غير المؤمنين فلا يرون شيئا.

وفي أنفسكم أفلا تبصرون : أي آيات من الخلق والتركيب والاسماع والابصار والتعقل والتحرك أفلا تبصرون ذلك فتستدلون به على وجود الله وعلمه وقدرته.

وفي السماء رزقكم وما توعدون : أي من الأمطار التي بها الزرع والنبات وسائر الأقوات وما توعدون من ثواب وعقاب إن كل ذلك عند الله في السماء مكتوب في اللوح المحفوظ.

فورب السماء والأرض إنه لحق : إنه لحق أي ما توعدون لحق ثابت.

مثل ما أنكم تنطقون : أي إن البعث لحق مثل نطقكم فهل يشك أحد في نطقه إذا نطق والجواب لا يشك فكذلك ما توعدون من ثواب وعقاب.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي كذب بها المشركون في مكة فقال تعالى إن المتقين في جنات وعيون أي إن الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك الواجبات ولا بفعل المحرمات هؤلاء يوم القيامة في بساتين وعيون تجري في تلك البساتين وقوله آخذين ما آتاهم ربهم أي ما أعطاهم ربهم من ثواب هو نعيم مقيم في دار السلام. ثم ذكر تعالى مقتضيات هذا العطاء العظيم والثواب الجزيل فقال إنهم كانوا قبل دخولهم الجنة محسنين في الدنيا فأحسنوا نياتهم وأعمالهم اخلصوها لله ربهم وأتوا بها وفق ما ارتضاه وشرعه لعباده بلا زيادة ولا نقصان كما أحسنوا إلى عباده ولم يسيئوا إليهم بقول ولا عمل هذا موجب وآخر انهم كانوا

قليلا من الليل ما يهجعون[1] أي لا ينامون من الليل إلا قليلا إذ أكثر الليل يقضونه في الصلاة وهو التهجد وقيام الليل وبالأسحار أي وفي السدس الأخير من الليل هم يستغفرون أي يقولون ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وثالث وفي أموالهم حق للسائل والمحروم أي وزيادة على الزكاة المفروضة في كل مال بلغ النصاب فإنهم أوجبوا على أنفسهم في أموالهم حقا يبذلونه للسائل الذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل لحيائه وعفته. هذه موجبات العطاء الكريم الذي أعطاهم ربهم من النعيم المقيم في جنات وعيون. وقوله تعالى وفي الأرض[2] آيات للموقنين أي وفي ما خلق في الأرض من مخلوقات من جبال وأنهار وزروع وضروع وأنواع الثمار، وإنسان وحيوان آيات أي دلائل وعلامات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وكلها موجبة له التوحيد ومقررة لقدرته على البعث الآخر والجزاء وكون هذه الآيات للموقنين مبني على أن الموقنين ذووا بصائر وإدراك لما يشاهدون في الكون فكلما نظروا إلى آية في الكون ازداد إيمانهم وقوى فبلغوا اليقين فيه فأصبحوا أكثر من غيرهم في الاهتداء والانتفاع بكل ما يسمعون ويشاهدون. وقوله تعالى ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ أي وفي أنفسكم[3] أيها الناس من الدلائل والبراهين المتمثلة في خلق الإنسان واطواره التي يمر بها من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى طفل إلى شاب فكهل وفي إدراكه وسمعه وبصره ونطقه إنها آيات أخرى دالة على وجود الله وتوحيده وقدرته على البعث والجزاء وقوله ﴿أفلا تبصرون﴾ توبيخ لأهل الغفلة والاعراض عن التفكر والنظر إذ لو نظروا بأبصارهم متفكرين ببصائرهم لاهتدوا إلى الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء. وقوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون أي[4] يخبر تعالى عباده أن رزقهم في السماء يريد تدبير الأمر في السماء والأمطار التي هي سبب كل الثمار والحبوب وسائر الخضر والفواكه التي هي غذاء الإنسان في السماء وقوله وما توعدون من خير وشر من رحمة وعذاب الكل في السماء إذ الأمر لله وهو يحكم بالرحمة والعذاب على من يشاء وكتاب المقادير الذي كتب فيه كل شيء هو في السماء. وقوله تعالى فورب السماء والأرض

---

(١) الهجوع: النوم ليلا، والتهجاع: النومة الخفيفة قال الشاعر:

قد حصت البيضة رأسي فما   أطعم نوماً غير تهجاع

والفعل هجع يهجع هجوعاً، و(ما) زائدة لتقوية الكلام أي: كانوا ينامون قليلا من الليل، والجملة: (وكانوا قليلًا) الخ بدل من جملة: (كانوا قبل ذلك محسنين) بدل بعض من كل.

(٢) هذا متصل بالقسم في قوله: (والذاريات) إنه بعد أن حقق عقيدة البعث بالإقسام عليها عطف شواهد من الأدلة على ذلك.

(٣) مما هو آية في النفس أن المرء يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين ولو شرب لبناً محضاً لخرج منه الماء ومنه الغائط فتلك الآية في النفس.

(٤) يروى أن الحسن رحمه الله تعالى كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم.

إنه لحق[١] مثل ما أنكم تنطقون[٢] هذا قسم منه تعالى أقسم فيه بنفسه على أن البعث والجزاء يوم القيامة حق ثابت واجب الوقوع كائن لا محالة إذا كنا لا نشك في نطقنا إذا نطقنا أن ما نقوله ونسمعه لا يمكن أن يكون غير ما نطقنا به وسمعناه فكذلك البعث الآخر واقع لا محالة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان ما للمتقين من نعيم مقيم في الدار الآخرة.

٢ـ بيان صفات المتقين من التهجد بالليل والاستغفار في آخره والانفاق في سبيل الله.

٣ـ بيان أن في الأرض كما في الأنفس آيات أي دلائل وعلامات على قدرة الله على البعث والجزاء.

٤ـ بيان أن في السماء رزق العباد[٣] فلا يطلب إلا من الله تعالى وأن ما نُوعَدُه من خير وشر أمره في السماء ومنها ينزل بأمره تعالى فليكن طلبنا الخير من الله دائما وتعوذنا من الشر بالله وحده.

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ
﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ
﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

---

(١) (ما) في ﴿مثل ما أنتم تنطقون﴾ مزيدة للتوكيد، والمضارع ﴿تنطقون﴾ جيء به بدلاً عن المصدر نطقكم لإفادته التشبيه بنطقهم المتجدد المحسوس لهم وتقدير الكلام أن ما توعدونه من البعث والجزاء لحق مثل نطقكم الذي لاتنكرونه إذ لا يوجد من ينكر نطقه أبداً.

(١) (ما) في (مثل ما أنكم تنطقون) مزيدة للتوكيد، والمضارع (تنطقون) جيء به بدلا عن المصدر نطقكم الذي لا تنكرونه إذ لا يوجد من ينكر نطقه أبداً.

(٢) قيل: خص النطق من بين سائر الحواس: لأن ما سواه من الحواس يدخله التشبيه، والنطق سليم من ذلك.

(٣) ذكر القرطبي عند تفسير هذه الآية قصة مأثورة عن الأصمعي خلاصتها: أن أعرابيا قال له: اقرأ عليَّ من كلام الرحمن شيئا فقرأ عليه: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) ففهمها الأعرابي على حقيقتها فكسر قوسه ونحر بعيره فتصدق به وتاب إلى ربه ولقيه بعد سنة فطلب منه أن يسمعه من كلام الرحمن فقرأ عليه فورب السماء والأرض إنه لحق..) الآية فأخذ الأعرابي رداءه وهو يقول: من يغضب الرحمن. وما زال يرددها حتى مات.

شرح الكلمات :

هل أتاك حديث : أي قد أتاك يا نبيّنا حديث أي كلام .

ضيف ابراهيم المكرمين : أي جبريل وميكائيل وإسرافيل أكرمهم إبراهيم الخليل .

وقالوا سلاما : أي نسلم عليك سلاما .

قال سلام قوم منكرون : أي عليكم سلام أنتم قوم منكرون أي غير معروفين .

فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين : أي عدل ومال إلى أهله فجاء بعجل سمين حنيذ .

فقال ألا تأكلون : أي فأمسكوا عن الأكل فقال لهم ألا تأكلون .

فأوجس منهم خيفة : أي فأضمر في نفسه خوفا منهم .

بغلام عليم : أي بولد يكون ذا علم كبير غزير .

فاقبلت امرأته في صرّة : أي في رنّة وصيحة .

فصكت وجهها : أي لطمت وجهها أي ضربت بأصابعها جبينها متعجبة .

وقالت عجوز عقيم : أي كبيرة السن وعقيم لم يولد لها قط .

قالوا كذلك قال ربك : أي قالت الملائكة لها كالذي قلنا لك قال ربك .

إنه هو الحكيم العليم : أي انه هو الحكيم في تدبيره وتصريف شؤون عباده . العليم بما يصلح للعبد ومالا يصلح فليفوض الأمر إليه .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث[1] ضيف إبراهيم المكرمين[2]﴾ هذا الحديث يشتمل على موجز قصة قد ذكرت في سورة هود والحجر والمقصود منه تقرير نبوة محمد ﷺ إن مثل هذا القصص لا يتم لأميٍّ لا يقرأ ولا يكتب إلا من طريق الوحي كما أنه يحمل في نهايته التهديد بالوعيد لمشركي قريش المصرين على الكفر والتكذيب والإجرام الكبير إذ في نهاية القصة يسأل ابراهيم الملائكة قائلا فما خطبكم أيها المرسلون فيجيبون قائلين إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين أي لتدميرهم وإهلاكهم من أجل إجرامهم ،وقريش في هذا الوقت مجرمة مستحقة للعذاب كما استحقه إخوان لوط . فقوله تعالى في خطاب رسوله هل أتاك حديث ضيف إبراهيم

---

(١) هذا الكلام مستأنف ابتدائي سيق لتسلية الرسول ﷺ وتقرير نبوته وإنذار قومه المكذبين المصرين على الشرك والظلم ، ولفظ الضيف ، يطلق على الواحد وأكثر وافتتاح الكلام بهل للتفخيم للحدث الذي يخبر عنه والتهويل من شأنه .

(٢) قال فيهم المكرمين : لخدمة إبراهيم إياهم وإكرامه لهم بتقديم العجل الحنيذ ، وقيل هم مكرمون من قبل الله تعالى .

الخليل وهم ملائكة في صورة رجال من بينهم جبريل[١] وميكائيل وإسرافيل إذ دخلوا عليه أي على ابراهيم وهو في منزله فسلموا عليه فرد[٢] السلام ثم قال أنتم قوم منكرون أي لا نعرفكم بمعنى أنكم غرباء لستم من أهل هذا البلد فلذا سارع في إكرامهم فراغ إلى أهله أي عدل ومال إلى أهله فعمد إلى عجل سمين من أبقاره وكان ماله يومئذ البقر فشواه بعد ذبحه وسلخه وتنظيفه. فقربه إليهم وكأنهم أمسكوا عن تناوله فعرض عليهم الأكل عرضا بقوله ألا تأكلون فقالوا إنا لا نأكل طعاما إلا بحقه. فقال إذاً كلوه بحقه، فقالوا وما حقه؟ قال أن تذكروا اسم الله في أوله وتحمدوا الله في آخره أي تقولون بسم الله في البدء والحمد لله في الختم فالتفت جبريل إلى ميكائيل وقال له حقّ للرجل أن يتخذه ربه خليلا ولما لم يأكلوا أوجس منهم خيفة أي خوفا أي شعر بالخوف في نفسه منهم لعدم أكلهم لأن العادة البشرية وهي مستمرة إلى اليوم إذا أراد المرء بأخيه سوءاً لا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام، ولا يأكل طعامه هذا حكم غالبي وليس عاما. قالوا لا تخف وبشروه بغلام وأعلموه أنهم مرسلون من ربه إلى قوم لوط لإهلاكهم من أجل اجرامهم وبشروه بغلام يولد له ويكبر ويولد له فالأول اسحق والثاني يعقوب كما جاء في سورة هود فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب وقوله ﴿فأقبلت امراته في صرة[٣]﴾ أخذت في رنّة لما سمعت البشرى فصكت أي لطمت وجهها بأصابع يدها متعجبة وهي تقول أألد وأنا عجوز وهذا[٤] بعلي شيخا إنّ هذا لشيء عجيب إذ كان عمرها تجاوز التسعين وعمر ابراهيم تجاوز المئة وكانت عقيما لا تلد قط فلذا قالت عجوز عقيم[٥] كيف ألد يا للعجب؟ فأجابها الملائكة قائلين كذلك أي هكذا قال ربك فاقبلي البشرى واحمديه واشكريه. إنه تعالى هو الحكيم في تصرفاته في شؤون عباده العليم بما يصلح لهم وما لا يصلح فليفوض الأمر إليه ولا يعترض عليه.

---

(١) قيل إنهم كانوا تسعة وسمى منهم غير الثلاثة رفائيل عليه السلام.

(٢) في الآية مشروعية السلام إلقاء ورداً إلا أن الإلقاء سنة والرد واجب لآية النساء: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها).

(٣) الصرة: الصيحة والضجة، والصرة، الجماعة، والصرة: الشدة من كرب وغيره قال الشاعر:

فألحقه بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل

الهاديات: أوائل بقر الوحش وجواحرها: متخلفاتها ولم تزيل لم تنفرق والشاهد في الصرة هنا فإنها بمعنى الضجة والجماعة والشدة. وهو يمدح فرسه الذي ألحقه بأوائل بقر الوحش الذي يصيد.

(٤) نص آية هود: (قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب).

٥) أي: كيف ألد وأنا عجوز عقيم فـ(عجوز) خبر، و(عقيم) بدل منه والمبتدأ محذوف أي: أنا والعجوز يشترك فيه المذكر والمؤنث يقال رجل عجوز وامرأة عجوز فهو فعول بمعنى فاعل مشتق من العجز والعقيم كذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وهو فعيل بمعنى مفعول مأخوذ من عقمها الله: إذا خلقها لم تحمل بجنين، وكانت سارة لم تحمل قط.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير النبوة المحمدية.

٢ـ فضيلة ابراهيم أبي الأنبياء وإمام الموحدين.

٣ـ وجوب إكرام الضيف.

٤ـ الخوف الفطري عند وجود أسبابه لا يقدح في العقيدة ولا يعد شركا.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

قال فما خطبكم أيها المرسلون : أي ما شأنكم أيها المرسلون.

إلى قوم مجرمين : أي إلى قوم كافرين فاعلين لأكبر الجرائم وهي إتيان الفاحشة.

حجارة من طين : أي مطبوخ بالنار.

مُسَوَّمَةً : أي معلمة على كل حجر اسم من يرمى به.

للمسرفين : أي المبالغين في الكفر والعصيان كإتيان الذكران.

غير بيت من المسلمين : وهو بيت لوط وَابْنَتَيْهِ ومن معهم من المؤمنين.

وتركنا فيها آية : أي بعد إهلاكهم تركنا فيها علامة على إهلاكهم وهى ماء أسود مُنتنٌ.

للذين يخافون العذاب الأليم : أي عذاب الآخرة فلا يفعلون فعلهم الشنيع.

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة إبراهيم مع ضيفه من الملائكة إنه لاحظ بعد أن عرف أنهم سادات الملائكة أن مهمتهم لم تكن مقصورة على بشارته فقط بل هي أعظم فلذا سألهم قائلا: فما[1] خطبكم أيها المرسلون؟ فأجابوه قائلين: إنا أرسلنا أي أرسلنا ربُّنا عز وجل إلى قوم مجرمين[2] أي

(١) الفاء: هي الفاء الفصيحة إذ أفصحت أي: دلت على كلام محذوف تقديره: لما كنتم مرسلين من قِبل الله تعالى فما خطبكم أي ما شأنكم وما مهمتكم العظيمة التي جئتم لها؟.

(٢) هم أهل سدوم وعمورية.

على أنفسهم بالكفر وفعل الفاحشة، والعلة من إرسالنا إليهم هي لنرسل عليهم حجارة من طين[1] مطبوخ بالنار، وتلك الحجارة مسومة أي معلمة عند ربك للمسرفين أي قد كتب على كل حجر اسم من يرمى به، وذلك في السماء قبل أن تنزل إلى الأرض. وقوله تعالى: ﴿فأخرجنا﴾ أي من تلك القرية وهي سدوم من كان فيها من المؤمنين[2] فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهو بيت لوط عليه السلام وما به سوى لوط وابنتيه ومن الجائز أن يكون معهم بعض المؤمنين إذ قيل كانوا ثلاثة عشر نسمة وقوله تعالى: ﴿وتركنا فيها آية﴾[3] أي علامة على إهلاكهم وهي ماء أسود منتن كالبحرية وتعرف الآن بالبحر الميت. وقوله للذين يخافون العذاب الأليم وهم المؤمنون الذين يخافون عذاب الآخرة حتى لا يفعلوا فعل قوم لوط من الكفر وإيتان الفاحشة.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ جواز تشكل الملائكة بصورة رجال من البشر.

٢ـ التنديد بالإجـرام وفاعليه.

٣ـ جواز الإهلاك بالعذاب الخاص الذى لم يعرف له نظير.

٤ـ تقرير حقيقة علمية وهي أن كل مؤمن صادق الإيمان مُسلم، وليس كل مسلم مؤمنا حتى يحسن اسلامه بانبنائه على أركان الإيمان الستة.[4]

وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ

(١) (من طين) فيه احتراس من أن تكون من البرد الذي ينزل مع المطر من السماء، وجائز أن تكون من بركان قذفته الأرض فارتفع بقوة الضغط فسقط عليهم فدمرهم بأمر الله تعالى وتدبيره فيهم.

(٢) قوله: (من المؤمنين): إشارة إلى أنّ سبب نجاتهم هو إيمانهم وفي قوله: (من المسـلمين) كذلك أي: سبب النجاة الإسلام كما هو التنويه بشأن كل من الإيمان والإسلام إذ الدعوة النبوية تدور عليهما.

(٣) الضمير: (فيها) عائد إلى القرية التي أصبحت خربة تدل على قدرة الله تعالى ونقمته من أعدائه.

(٤) هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. كما في آية البقرة، (ليس البر) وفي حديث جبريل عند مسلم.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَـٰعُوا مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَـٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

شـرح الكلمـات :

وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون : أي فكذبه وكفر، فأغرقناه ومن معه آية كآية سدوم.

بسـلطان مبين : أي بحجة ظاهرة قوية وهي اليد والعصـا.

فتولى بركنه : أي أعرض عن الإيمان مع رجال قومه.

وقال ساحر أو مجنون : أي وقال فرعون فى شأن موسى ساحر أو مجنون.

فنبذناهم فى اليم : أي طرحناهم في البحر فغرقوا أجمعين.

وهو مليـم : أي آتٍ بمـا يُلام عليه إذ هو الـذى عرض جيشاً كاملاً للهلاك زيادة على ادعائه الربوبية وتكذيبه لموسى وهرون وهما رسولان.

وفي عـاد : أي وفي إهلاك عاد آية أي علامة على قدرتنا وتدبيرنا.

الريح العقيـم : أي التى لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهى الدبور، لقول الرسول ﷺ نصرت بالصبا وهى الريح الشرقية وأهلكت عاد بالدبور وهى الريح الغربية في الحجاز.

ما تذر من شيء أتت عليه : من نفـس أو مال.

إلا جعلته كالرميم : أي البالى المتفتـت.

وفي ثـمود : أي وفي إهلاك ثمود آية دالة على قدرة الله وكرهه تعالى للكفر والإجرام.

إذ قيل لهم : أي بعد عقر الناقة تمتعوا إلى انقضاء آجالكم بعد ثلاثة أيام.

فأخذتهم الصاعقة : أي بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة.

فما استطاعوا من قيام : أي ما قدروا على النهوض عند نزول العذب بهم.

وقوم نوح من قبل : أي وفي إهلاك قوم نوح بالطوفان آية وأعظم آية.

معنى الآيـات :

قوله تعالى : ﴿وفي موسى﴾[1] الآية إنه تعالى لما ذكر إهلاك قوم لوط وجعل في ذلك آية دالةً على قدرته وعلامةً تدل العاقل على نقمه تعالى ممن كفر به وعصاه ذكر هنا في هذه الآيات التسع من هذا السياق أربع آيات أخرى، يهتدى بها أهل الإيمان الذين يخافون يوم الحساب فقال عز من قائـل: وفي موسى بن عمـران نبى بنى إسرائيل إذ أرسلناه إلى فرعون ملك القبط بمصر ﴿بسلطان مبين﴾ أي بحجة قوية ظاهرة قوة السلطان وظهوره وهى العصا[2] فلم يستجب لدعوة الحق فتولى بركنه أي بجنده[3] الذي يركن إليه ويعتمد عليه، وقال في موسى رسول الله إليه: هو ساحر أو مجنون[4] فانتقمنا منه بعد الإصرار على الكفر والظلم فنبذناهم أي طرحناهم في اليم البحر فهلكوا بالغرق. في هذا الصنيع الذي صنعناه بفرعون لما كذب آيةٌ من أظهر الآيات.

وقوله تعالى : ﴿وفي عاد﴾[5] حيث أرسلنا إليهم أخاهم هوداً فدعاهم الى عبادة الله وحده وترك عبادة ماسواه فكذبوه ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ التي لا تحمل مطراً ولا تلقح شجراً[6] ماتذر من شيء أتت عليه أي مرت به من أنفس أو أموال الا جعلته كالرميم[7] البالى المتفتت في هذه الإهلاك آية من أعظم الآيات الدالة على قدرة الله الموجبة لربوبيته وعبادته والمستلزمة لقدرته تعالى على البعث والجزاء يوم القيامة.

وقـوله تعالى ﴿وفي ثمود﴾[8] إذ أرسلنا إليهم أخاهم صالحاً فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك الشرك فكذبوه وطالبوه بآية تدل على صدقه فأعطاهم الله الناقة آية فعقروها استخفافاً منهم وتكذيباً ﴿إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ أي إلى إنقضاء الأجل الذي حدد لهلاكهم. فبدل أن يؤمنوا ويسلموا

---

(١) (وفي موسى) أي: وتركنا أيضاً في قصة موسى آية، والعطف على قوله: (وفي الأرض آيات للموقنين).

(٢)/ وجائز أن يكون غير العصا من الآيات التسع.

(٣) وجائز أن يكون بقوته كما قال عنترة:

فما أوهى مراس الحرب ركني ولكن ما تقادم من زماني

أراد بركنه: قوته، وركن الشيء: جانبه الأقوى.

(٤) (أو) بمعنى الواو أي: قال مرّة في موسى ساحر وقال مرة أخرى مجنون وشاهده قول الشاعر:

أثعلبة الفوارس أو رياحاً عدلت بهم طهيَّةَ والخشابا

أي: ورياحاً فأو بمعنى الواو العاطفة لا غير وطهية كسميّة: حي من تميم والخشاب: بطون من تميم أيضاً.

(٥) (وفي عاد) أي: وتركنا في عاد آية كالتي في موسى.

(٦) ولا خير فيها ولا بركة ولا منفعـة البتة مأخوذة من: امرأة عقيم لا تحمل ولا تلد، وهي الدبور لقول الرسول ﷺ في الصحيح (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور).

(٧) (الرميم) الشيء الهالك البالي. قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر:

تركتني حين كف الدهر من بصري وإذ بقيت كعظم الرِّمة البالي

مأخوذ من رمّ العظم: إذا بلى يقال: رم العظم يرم بالكسر رمة فهو رميم.

(٨) (وفي ثمود) أي: وتركنا في ثمود آية للموقنين دالة على قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات ألوهيته.

فيعبدوا الله ويوحدوه عتوا عن أمر ربهم وترفعوا متكبرين ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ صاعقة العذاب وهم ينظرون بأعينهم الموت يتخطفهم ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ من مجالسهم وهم جاثمون على الركب ﴿وما كانوا منتصرين﴾ في إهلاك ثمود أصحاب الحجر آية للذين يخافون العذاب الأليم فلا يفعلوا فعلهم حتى لا يهلكوا هلاكهم.

وقوله تعالى: ﴿وقوم نوح[1] من قبل إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ أي وفي إرسالنا نوحاً إلى قومه وتكذيبهم إياه وإصرارهم على الشرك والكفر والتكذيب ثم إهلاكنا لهم بالطوفان وانجائنا المؤمنين آية من أعظم الآيات الدالة على وجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته للعالمين، والمستلزمة لقدرته على البعث والجزاء الذي يصر الملاحدة على إنكاره ليواصلوا فسقهم وفجورهم بلا تأنيب ضمير ولا حياء ولا خوف أو وجل.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير كل من التوحيد والنبوة والبعث لما في الآيات من دلائل على ذلك.

٢- قوة الله تعالى فوق كل قوة إذ كل قوة في الأرض هو الذي خلقها ووهبها.

٣- اتهام المبطلين لأهل الحق دفعاً للحق وعدم قبول له يكاد يكون سنة بشرية في كل زمان ومكان.

٤- من عوامل الهلاك العتو عن أمر الله أي عدم الإذعان لقبوله، والفسق عن طاعته وطاعة رسله.

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ
فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ
لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾

(١) قرأ حمزة والكسائي (وقوم) بالكسر أي: وفي قوم نوح آية، وقرأ الجمهور بالنصب أي: وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود ومدين.

شرح الكلمات :

والسماء بنيناها بأيدٍ : أي وبنينا السماء بقوة ظاهرة في رفع السماء وإحكام البناء.

وإنا لموسعون : أي لقادرون على البناء والتوسعة.

والأرض فرشناها : أي مهّدناها فجعلناها كالمهاد أي الفراش الذي يوضع على المهد.

فنعم الماهدون : أي نحن أثنى الله تعالى على نفسه بفعله الخيريّ الحسن الكبير.

ومن كل شيء خلقنا زوجين : أي وخلقنا من كل شيء صنفين أي ذكراً وأنثى، خيراً وشراً، علوّاً وسفلاً.

لعلكم تذكرون : أي تذكرون أن خالق الأزواج كلها هو إله فرد فلا يعبد معه غيره.

ففروا إلى الله : أي إلى التوبة بطاعته وعدم معصيته.

إني لكم منه نذير مبين : أي إني وأنا رسول الله إليكم منه تعالى نذير مبين بين النذارة أي أخوفكم عذابه.

ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبدوا مع الله إلهاً أي معبوداً آخر إذ لا معبود بحق إلا هو.

إني لكم منه نذير مبين : إني لكم منه تعالى نذير بين النذارة أُخوفكم عذابه إن عبدتم معه غيره.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض مظاهر القدرة الإلهية الموجبة له تعالى الربوبية لكل شيء والألوهية على كل عباده. فقال تعالى : ﴿والسماء[1] بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ فهذا أكبر مظهر من مظاهر القدرة الإلهية إنه بناء السماء وإحكام ذلك البناء وارتفاعه وما تعلق به من كواكب ونجوم وشمس وقمر تمّ هذا الخلق بقوة الله التى لا توازيها قوة. وقوله ﴿وإنا لموسعون﴾ أي لقادرون على توسعته أكثر مما هو عليه، وذلك لسعة قدرتنا.

---

(١) هذا عرض آخر لمظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته الدالة على قدرته على البعث الآخر (والسماء) : منصوب على الاشتغال، والأيد جمع يدٍ وكثر إطلاقه على القوة نحو: (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) أي : القوة، والموسع : القادر على توسعة ما يريد توسعته من رزق وغيره.

ومظهر ثانٍ هو في قوله: ﴿والأرض فرشناها[1] فنعم الماهدون﴾ والأرض فرشها بساطاً ومهدها مهاداً فنعم الماهدون نحن نعم الماهد الله تعالى لها إذ غيره لا يقدر على ذلك ولا يتأتى له، وثالث مظاهر القدرة في قوله: ﴿ومن كل شيء[2] خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ فهذا لفظ عام يعم سائر المخلوقات وأنها كلها أزواج وليس فيها فرد قط. والذوات كالصفات فالسماء يقابلها الأرض، والحر يقابله البرد، والذكر يقابله الأنثى، والبر يقابله البحر، والخير يقابله الشر، والمعروف يقابله المنكر، فهي أزواج بمعنى أصناف كما أن سائر الحيوانات هي أزواج من ذكر وأنثى. وقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي خلقنا من كل شيء زوجين رجاء أن تذكروا فتعلموا أن خالق هذه الأزواج هو الله الفرد الصمد الواحد الأحد لا إله غيره ولا رب سواه فتعبدوه وحده ولاتشركوا به سواه من سائر خلقه.

وقوله تعالى ﴿ففروا إلى[3] الله إني لكم منه نذير مبين﴾ أي بعد أن تبين لكم أيها الناس أنه لا إله غير الله ففروا إليه تعالى أي بالإيمان به وبطاعته وبفعل فرائضه وترك نواهيه اهربوا إلى الله يا عباد الله بالإسلام إليه والانقياد لطاعته إني لكم منه تعالى نذير من عقابٍ شديد، ونذارتي بينة لا شك فيها وأنصح لكم أن لا تجعلوا مع الله إلهاً آخر أي معبوداً غيره تعالى تعبدونه إن الشرك به يحبط أعمالكم ويحرم عليكم الجنة فلا تدخلوها أبداً واعلموا أني لكم منه عز وجل نذير مبين.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير التوحيد والبعث بمظاهر القدرة الإلهية التى لا يعجزها شيء ومظاهر العلم والحكمة المتجلية في كل شيء.

٢ـ ظاهرة الزوجية في الكون في الذرة انبهر لها العقل الإنساني وهي مما سبق إليه القرآن الكريم وقرره في غير موضع منه: سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن

---

(١) نصب الأرض على الاشتغال، والفرش: البسط يقال: فرش البساط: إذا نشره وقوله: (فنعم الماهدون) أثنى تعالى على نفسه بهذه المنة على خلقه وهي: بسط الأرض وتمهيدها للحياة عليها وفي هذا تعليم للعباد أن يحمدوا الله ويشكروه: فله الحمد تعالى وله المنة.

(٢) في خلق الله تعالى للذكر والأنثى والتناسل منهما دليل ظاهر على البعث الذي ينكره الكافرون فمن فكر في إيجاد الحياة من جماد كالنطفة سهل عليه الإيمان بالحياة الثانية بعد انتهاء هذه ولذا عقّب على ذلك بجملة (لعلكم تذكرون) وهي جملة تعليلية.

(٣) الفاء للتفريع إنه بعد ان بيّن للمشركين ضلالهم وخطأهم في الشرك والكفر وإنكار البعث بما ساق من الأدلة وأبرز عن البراهين القطعية قال لرسوله: قل لهم أيها الناس ففروا إلى الله أي: اهربوا إليه لينجيكم من الخسران فإنه ليس لكم إلا هو فآمنوا به واعبدوه ووحدوه وعلل ذلك بقوله لهم (إني لكم منه نذير مبين).

أنفسهم ومما لا يعلمون. فدل هذا قطعاً أن القرآن وحي الله وأن من أوحى به إليه وهو محمد بن عبدالله لن يكون إلا رسول الله ﷺ.

٣ـ التحذير من الشرك فإنه ذنب عظيم لا يغفر إلا بالتوبة الصحيحة النصوح.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ
﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ
بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا
خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٍ
وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ
﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ
﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات:

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول : أي الأمر كذلك ما أتى الذين من قبل قومك يا محمد من رسول.

إلا قالوا ساحر أو مجنون : أي هو ساحر أو مجنون.

أتوا صوابه بل هم قوم طاغون : أي اتواصت الأمم كل أمة توصى التي بعدها بقولهم للرسول هو ساحر أو مجنون، والجواب، لا أي لم يتواصوا بل هم قوم طاغون يجمعهم على قولهم هذا الطغيان.

فتول عنهم فما أنت بملوم : أي اعرض عنهم يا رسولنا فما أنت بملوم لأنك بلغتهم فأبرأت ذمتك.

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين : أي عظ بالقرآن يا رسولنا فإن الذكرى بمعنى التذكير ينفع المؤمنين أي من علم الله أنه يؤمن.

وما خلقت الجن الإنس : أي خلقتهم لأجل أن يعبدوني فمن عبدني أكرمته ومن ترك عبادتي أهنته.

ما أريد منهم من رزق : أي لا لي ولا لأنفسهم ولا لغيرهم.
وما أريد أن يطعمون : أي لا أريد منهم ما يريد أربابُ العبيد من عبيدهم هذا يجمع المال وهذا يعد الطعام، فالله هو الذي يرزقهم.
ذو القوة المتين : أي صاحب القوة المتين الشديد الذي لا يعجزه شيء.
ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم : أي نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين ماتوا على الكفر.
فلا يستعجلون : أي فلا يطالبوني بالعذاب فإن له موعداً لا يُخْلَفونه.
من يومهم الذي يوعدون : أي يوم القيامة.

معنى الآيات :

بعد عرض تلك الأدلة المقررة للتوحيد والبعث والمستلزمة للرسالة المحمدية والمشركون ما زالوا في إصرارهم على الكفر والتكذيب قال تعالى مسلياً رسوله مخففاً عنه ما يجده من إعراضٍ وتكذيب: ﴿كذلك﴾ أي الأمر والشأن كذلك وهو أنه ما أتى الذين من قبلهم أي من قبل قومك من رسول الا قالوا فيه هو ساحر[1] أو مجنون كما قال قومك لك اليوم. ثم قال تعالى: ﴿اتواصوا[2] به﴾ أي بهذا القول كل أمة توصي التي بعدها بأن تقول لرسولها: ساحر أو مجنون. بل هم قوم طاغون أي لم يتواصوا به وإنما جمعهم على هذا القول الطغيان الذي هو وصف عام لهم فإن الطاغي من شأنه ان ينكر ويكذب ويتهم بأبعد أنواع التهم والحامل له على ذلك طغيانه. وما دام الأمر هكذا فتول عنهم يا رسولنا أي أعرض عنهم ولا تلتفت إلى أقوالهم وأعمالهم فما أنت بملوم في هذا القول لأنك قد بلغت رسالتك وأديت أمانتك ولا يمنعك هذا التولى عنهم أن تذكر أي عِظْ بالقرآن بل عظ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين الذين علم الله تعالى أنهم يؤمنون ممن هم غير مؤمنين الآن كما تنفع المؤمنين حالياً بزيادة إيمانهم وصبرهم على طاعة الله ربهم.

وقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون[3]﴾ أي لم يخلقهما للهو ولا للعب ولا

---

(١) أو: بمعنى الواو إذ هم مرّة يقولون ساحر ومرّة يقولون مجنون وليس معنى ساحر أو مجنون أن يكون إما ساحراً أو مجنوناً فتكون أو لأحد الشيئين.

(٢) الاستفهام للتعجب، و(بل) للاضراب الإبطالي، أي لم يتواصوا بهذا القول الفاسد، وإنما جمعهم الطغيان فقالوا ما قالوا ولم يتخلف قوم منهم في ذلك.

(٣) قوله: (وما خلقت...) الخ فيه تعريض بالمشركين والكافرين التاركين لعبادته تعالى، والإنس، واحده إنسي، والاستثناء مفرّغ من علل لم تذكر، والإرادة هنا؛ هي الإرادة الشرعية التكليفية ليست الإرادة الكونية التي لا تتخلف، ولذا فلا معنى لمن قال: المراد بالناس هنا المؤمنون فقط، أو هو على تقدير لآمرهم وأنهاهم أو أنّ المراد من العبادة: ظهور قدرة الله تعالى فيهم من الخلق والإحياء والإماتة.

لشيء وإنهما خلقهما ليعبدوه بالإذعان له والتسليم لأمره ونهيه. وقوله تعالى ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ أي إن شأني معهم ليس كشأن السادة مالكي العبيد الذين يتعبدونهم بالقيام بحاجاتهم. هذا يجمع المال وهذا يُعِدّ الطعام بل خلقتهم ليعبدوني أي يوحدوني في عبادتي، إذ عبادتهم لي مع عبادة غيري لا أقبلها منهم ولا أثيبهم عليها بل أعذبهم على الطاعة حيث عبدوا من لا يستحق أن يعبد من سائر المخلوقات.

وقوله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾[1] قرر به غناه عن خلقه، وأعلم أنه ليس فى حاجة الى أحدٍ وذلك لغناه المطلق، وقدرته التى لا يعجزها فى الأرض ولا فى السماء شيء.

وقوله فإن للذين ظلموا ذنوباً[2] مثل ذنوب أصحابهم أي إذا عرفت حال من تقدم من قوم عاد وثمود وغيرهم فإن لهؤلاء المشركين ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم أي نصيباً من العذاب وعبر بالذنوب التي هي الدلو الملأى بالماء عن العذاب لأن العذاب يصب عليهم كما يصب الماء من الدلو ولأن الدلاء تأتى واحداً بعد واحد فكذلك. الهلاك يتم لأمة بعد أمة حتى يسقوا كلهم مرّ العذاب، وقوله ﴿ولا يستعجلون﴾ أي ما هناك حاجة بهم الى استعجال العذاب فإنه آت في إبّانه ووقته المحدد له لا محالة. وقوله تعالى ﴿فويل للذين كفروا﴾ أي بالله ولقائه والنبي وما جاء به ويل لهم من يومهم الذي يوعدون أي العذاب الشديد لهم من يومهم الذي أوعدهم الله تعالى به وهو يوم القيامة والويل وادٍ في جهنم يسيل بصديد أهل النار والعياذ بالله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان سنة بشرية وهي التكذيب والاتهام بالباطل وقلب الحقائق لكل من جاءهم يدعوهم إلى خلاف مألوفيهم وما اعتادوه من باطلٍ وشرٍ فيدفعون بالقول فإذا أعياهم ذلك دفعوا بالفعل وهى الحرب والقتال.

٢- بيان أن طغيان النفس يتولد عنه كل شر والعياذ بالله.

٣- مشروعية التذكير، وانه ينتفع به مَنْ أراد الله إيمانه ممن لم يؤمن، ويزداد به إيمان المؤمنين الحاليين.

٤- بيان علة خلق الإنس والجن وهي عبادة الله وحده.

---

(١) الجملة تعليلية لما سبقها من قوله: (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) و(الرزاق): كثير الإرزاق و(ذو القوة): صاحبها ومن خصائص (ذو) أنها لا تضاف إلا إلى أمر مهم، (والمتين): الكامل في قوته الذي لا يُعارض ولا يُدانى.

(٢) في قوله تعالى (ذنوباً) إشارة إلى ما حصل لصناديد قريش إذ بعد قتلهم ألقوا في قليب ببدر فكان ذلك مصداق قوله (فإن للذين كفروا ذنوبا) وهي الدلو الملأى فعجباً لهذا القرآن العظيم.

٥- بيان غنى الله تعالى عن خلقه، وعدم احتياجه اليهم بحال من الأحوال.

٦- توعد الرب تبارك وتعالى الكافرين وأن نصيبهم من العذاب نازل بهم لا محالة.

سُورَةُ الطُّورِ

مكيـــة

وآياتها تسع واربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾
أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

والطـور : أي والجبل الذي كلم الله عز وجل عليه موسى عليه السلام.

وكتاب مسطور : أي وقرآن مكتوب.

في رق منشور : أي في جلد رقيق أو ورق منشور.

والبيت المعمور : أي بالملائكة يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون ابداً

والسقف المرفوع : أي السماء التي هي كالسقف المرفوع للأرض.

والبحر المسجور : أي المملوء المجموع ماؤه بعضه فى بعض.

يوم تمور السماء موراً	: أي تتحـرك وتدور.
في خوض يلعبون	: أي في باطل يلعبون اي يتشاغلون بكفرهم.
يدعون الى نار جهنم دعا	: أي يدفعون بعنف دفعاً
افسحـر هذا	: أي العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في القرآن.
أم أنتم لا تبصرون	: أي أم عدمتم الأبصار فأنتم لا تبصرون.
اصلوهـــا	: أي اصطلوا بحرها.
فاصبروا أو لا تصبروا	: أي صبركم وعدمه عليكم سواء.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والطور[١] وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور﴾ هذه خمسة أشياء عظام أقسم الله تعالى بها، وبالتتبع لما يقسم الله تعالى به يُرى أنه إذا أقسم بشيء إنما يقسم به إما لكونه مظهراً من مظاهر القدرة الإلهية، كالسماء مثلا، وإما لكونه معظما نحو لعمرك إذْ هو إقسام بحياة النبي صلى الله عليه وسلم. وإما لكونه ذا فائدة للإنسان ونفع خاص به كالتين والزيتون وقوله تعالى ﴿والطور﴾ وهو جبل الطور الذي كلم تعالى عليه موسى وهو مكان مقدس، وقوله ﴿وكتاب مسطور في رق منشور[٢]﴾ أي منشور في ورق أو جلد رقيق وهو التوراة أو القرآن والإقسام به لما فيه من حرمة وقدسية عند الله تعالى، والبيت المعمور[٣] وهو بيت في السماء تغشاه الملائكة كل يوم وتعمره بالعبادة وهو بحيال الكعبة بحيث لو وقع لوقع فوقها والسقف المرفوع وهو السماء وهي كالسقف للأرض وهي مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه ومثلها البحر المسجور[٤] أي المملوء بكميات المياه الهائلة فإنه مظهر من مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية هذا القسم الضخم جوابه أو المقسم عليه هو قوله إن عذاب ربك يا رسولنا لواقع ماله من[٥] دافع ليس له من دافع يدفعه ابداً، وإن له وقتاً محدداً يقع فيه، وعلامات تدل عليه وهي

---

(١) (الطور): الجبل باللغة السريانية ونقل إلى العربية بهذا اللفظ بمعنى الجبل وأصبح علماً بالغلبة على جبل طور سيناء الذي ناجى الله تعالى فيه نبيّه موسى عليه السلام.

(٢) الرَّق: بفتح الراء، ما رق من الجلد ليكتب فيه، والمنشور: المبسوط وجائز أن يكون المراد به التوراة أو القرآن، إذ القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف وتقرأه الملائكة من اللوح المحفوظ والرِّق بكسر الراء المِلك.

(٣) جائز أن يكون المراد بالبيت المعمور الكعبة المشرفة بمكة المكرمة،
وجـائز أن يكون بيتاً في السماء كما في التفسير، ويقال له: الضُّراح بضم الضاد وفي الطبري: أن علياً سُئل عن البيت المعمور فقال: بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً.

(٤) جائز أن يكون المراد بالبحر: البحر الأحمر، (القلزم) الذي أغرق الله تعالى فيه فرعون وملأه. لمناسبة ذكر الطور، وجائز أن يكون المحيط ووصف بالمسجور وهو المملوء: حتى لا يدخل فيه الأنهار التي تملأ بالأمطار والأودية والسيول.

(٥) زيدت (من) في قوله تعالى (ما له من دافع) لتأكيد النفي.

قوله تعالى ﴿يوم تمور السماء موراً﴾[1] أي تتحرك بشدة وتدور وتسير الجبال سيراً فتكون كالهباء المنبث هنا وهناك فويل يومئذ للمكذبين والويل واد في جهنم مملوء بقيح وصديد أهل النار، والمكذبون هم الكافرون بالله وبما جاءت به رسله عنه من أركان الإيمان وقواعد الإسلام وقوله: ﴿الذين هم في خوض يلعبون﴾ أي في باطلهم وكفرهم يتشاغلون به عن الإيمان الحق والعمل الصالح المزكي للنفس المطهر لها. وقوله ﴿يوم يدعون[2] إلى نار جهنم دعاً﴾ أي يوم يدفعون بشدة وعنف الى جهنم ويقال لهم توبيخاً وتقريعاً لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون. أخبرونا: أفسحر[3] هذا أي العذاب الذي أنتم فيه الآن تعذبون أم أنتم لا تبصرون فلا تعاينونه. ويُقال لهم ايضا تبكيتاً وتقريعاً فاصبروا على عذاب النار أولاتصبروا سواء عليكم اي صبركم وعدمه عليكم سواء. إنما تجزون[4] ما كنتم تعلمون أي في الدنيا من الشرك والمعاصي.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير البعث والجزاء.

٢ـ لله تعالى ان يقسم بما يشاء من خلقه وليس للعبد أن يقسم بغير الله تعالى.

٣ـ عرض سريع لأهوال القيامة وأحوال المكذبين فيها.

٤ـ تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

إن المتقين : أي الذين اتقوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم فأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي.

(١) المور: التحرك باضطراب، ومور السماء: اضطراب أجسامها من الكواكب، واختلال نظامها عند نهاية الحياة.

(٢) (يوم يدعون) بدل اشتمال من(يوم تمور السماء موراً).

(٣) (أم) هي المنقطعة التي تقدّر ببل والاستفهام، والاستفهام هنا للتهكم والتوبيخ والتقدير: بل أنتم لا تبصرون أي المرئيات.

(٤) (إنما تجزون): جملة تعليلية وإن حرف توكيد وما الموصولة بها هي الكافة وإنما المركبة من إن المشددة وما: الكافة لها عن العمل أفادت التعليل.

فاكهين : أي متلذذين بأكل الفواكه الكثيرة التى آتاهم ربهم.
ووقاهم عذاب الجحيم : أي وحفظهم من عذاب الجحيم عذاب النار.
على سرر مصفوفة : أي بعضها الى جنب بعض.
وزوجناهم بحور عين : أي قرناهم بنساء عظام الأعين حِسانها.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال أهل النار ذَكر حال أهل الجنة وهذا أسلوب الترغيب والترهيب الذي أمتاز به القرآن الكريم فقال تعالى مخبراً عن حال أهل الجنة: ﴿إن المتقين﴾ أي الذين اتقوا في الدنيا الشرك والمعاصي ﴿في جناتٍ﴾ أي بساتين ونعيم مقيم يحوى كل ما لذّ وطاب مما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين. فاكهين[1] بما آتاهم ربُهم أي متلذذين بأكل الفواكه الكثيرة الموصوفة بقول الله تعالى: لا مقطوعة ولا ممنوعة. ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ أي حفظهم من عذاب النار. ويقال لهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً[2] بما كنتم تعملون﴾ أي بسبب ما كُنتم تعملونه من أعمال البر والإصلاح بعد الفرائض واجتناب الشرك والمعاصي. وقوله ﴿متكئين﴾ أي خال كونهم وهم في نعيمهم متكئين على سُرر[3] مصفوفة قد صُف بعضها الى جنب بعض. وقوله تعالى ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ أي قرناهم بزوجات من الحور العين والحور جمع حوراء وهي التي يغلب بياض عينها على سوادها والعِين جمع عَيْناء وهى الواسعة العينين. جعلنا الله ممن يُزوجّون بهن إنه كريم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- فضل التقوى وكرامة أهلها.
٢- بيان منة الله وفضله على أهل الإيمان والتقوى وهم أولياء الله تعالى.
٣- مشروعية الدعاء بكلمة هنيئا لمن أكل أو شرب ائتساء بأهل الجنة.
٤- الإيمان والأعمال الصالحة سبب في دخول الجنة وليست ثمنا لها لأن الجنة أغلى من عمل

---

(١) (فاكهين): أي: ذوي فاكهة كثيرة، يقال: رجل فاكه: أي ذو فاكهة كما يقال: لابن وتامر أي: ذو لبن وتمر، قال الشاعر:
وغَرَرْتني وزعمتَ أنـــك لابن بالصيف تامر
وفعله فكه كفرح فهو فاكه وفكه، وقرأ الجمهور بالأول وقرأ أبو جعفر بالثاني، والفاكه: من طابت نفسه وسُرت بما به من النعيم.
(٢) الهنيىء: مالا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر يقال لهم: ليهناكم ما صرتم إليه (هنيئاً).
(٣) (سرر): جمع سرير، وفي الكلام حذف تقديره: متكئين على نمارق سرر. قال ابنَ عباس رضي الله عنهما: سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير كما بين مكة وأيلة.

الانسان، وانما العمل الصالح يزكى النفس فيؤهل صاحبها لدخول الجنة فالباء في قوله ﴿بما كنتم تعملون﴾ سببية وليست للعوض كما في قولك بعتك الدار بألف مثلا.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا
بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ
فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ
لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ
نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

والذين آمنوا : أي حق الإيمان المستلزم للإسلام والإحسان.

واتبعتهم ذريتهم بإيمان : أي كامل مستوفٍ لشرائطه ومنها الإسلام.

ألحقنا بهم ذريَّتَهُم : أي وإن لم يعملوا عملهم بل قصروا في ذلك.

وما ألتناهم من عملهم من شيء : أي وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئاً.

كل امرىء بما كسب رهين : أي كل إنسان مرهون أي محبوس بكسبه الباطل.

يتنازعون فيها كاساً : أي يتعاطون بينهم فيها أي في الجنة كأساً من خمر.

لا لغو فيها ولا تأثيم : أي لا يقع لهم بسبب شربها لغو وهو كل كلام لا خير فيه ولا إثم.

ويطوف عليهم غلمان : أي ويدور بهم خدم لهم.

كأنهم لُؤلُـؤ مكنون : أي مَـصُـونْ.

وأقبل بعضهم على بعض : أي يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه في الدنيا وما وصلوا إليه في الآخرة.

قالوا إنا كنا قبل : أي قالوا مشيرين الى علة سعادتهم إنا كنا قبل أي في الدنيا.

فى أهلنا مشفقين : أي بين أهلنا وأولادنا مشفقين أي خائفين من عذاب الله تعالى.

فمن الله علينا : أي بالمغفـرة.

ووقانا عذاب السموم : أي وحفظنا من عذاب النار التي يدخل حرها في مسام الجسم.

إنا كنا ندعـوه : أي في الدنيا نعبده موحدين له.

إنه هو البر الرحيم : أي المحسن الصادق في وعده الرحيم العظيم الرحمة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر افضال الله تعالى وإنعامه على أوليائه في الجنة إذ قال تعالى: ﴿والذين آمنوا﴾ أي حق الإيمان الذي هو عقد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان واتبعتهم[1] ذريتهم بإيمان كامل صحيح إلا أنهم لم يبلغوا من الأعمال الصالحة ما بلغه آباؤهم ألحقنا بهم ذريتهم لتقر بذلـك أعينهم وتعـظم مسرتهم وتكمل سعادتهم باجتماعهم مع ذريتهم. وقوله تعـالى: ﴿ومـا ألتنـاهم[2] من عملهم من شيء﴾ أي ومـا نقصنـا الآبـاء من عملهم الصـالـح من شيء بل وفيناهموه كاملاً غير منقوص ورفعنا إليهم ابناءهم بفضلٍ منا ورحمة. وقوله تعالى: ﴿كـل امرىء بما كسبَ[3] رهين﴾ إخبار منه تعالى أن كل نفس عنده يوم القيامة مرتهنة بعملها تجزى به إلا أنه تعالى تفضل على أولئك الآباء فرفع الى درجاتهم أبناءهم تفضلا واحسانا. وقوله عز وجـل: ﴿وأمـددنـاهم﴾ أي الآباء والأبناء من سكان الجنة بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان. هذا طعامهم أما الشراب فإنهم يتنازعون[4] أي يتعاطون في الجنة كأساً من خمر لا لغو فيها. أي لا تسبب هذياناً من الكلام إذ اللغو الكلام الذي لا فائدة منه. وقوله: ﴿ولا تأثيم﴾[5] أي وليس في شربها إثم وقوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم غلمان﴾ أي خدم لهم كأنهم في جمالهم وحسن منظرهم لؤلؤ مكنون في أصدافه.

---

(١) قرأ الجمهـور (وأتْبَعَتْهُمْ) وقـرأ أبو عمرو وحده (وأتبعناهم) وقرأ الجمهور (ذريتهم) بالإفراد، وقرأ ابن عامر بالجمع: (ذرياتهم) مفعول لأتبعناهم، وقرأ نافع (ذرياتهم) الأخيرة بالجمع وقرأها حفص بالإفراد (ذريتهم) كالأولى.

(٢) (وما ألتناهم) قرأ الجمهور بفتح اللام، وقـرأه ابن كثير بكسر اللام، والواو للحال، فالجملة حالية، والمعنى: أنّ الله تعالى ألحق بهم ذرياتهم في الدرجة من دون أن ينقص من حسناتهم شيئاً.

(٣) الجملة معترضة بين جملة: (وما ألتناهم) وجملة (وأمددناهم) والجملة تقرير لعدالة الرّب تعالى في الحكم بين عباده فيجزي كل نفس بما كسبت، وله أن يتفضل ويرفع من يشاء درجات.

(٤) أطلق التنازع على التداول والتعاطي والمعنى: أن بعضهم يصب للبعض ويناوله إيثاراً له وكرامة.

(٥) اللغو: سقط الكلام وهذيانه الصادر عن خلل في العقل. والتأثيم: ما يؤثم به فاعله من ضرب أو شتم أو تمزيق ثوب.

وقوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أي عما كان لهم في الدنيا، وما انتهوا إليه في الآخرة من هذا النعيم المقيم. وقالوا مشيرين الى سبب نعيمهم في الآخرة إنا كنا أي في الدنيا في أهلنا مشفقين أي خائفين من عذاب ربنا فترتب على ذلك أن منَّ الله علينا بدخول الجنة ووقانا عذاب السموم الذي هو عذاب النار الذي ينفذ الى المسام والعياذ بالله تعالى. إنا[1] كنا من قبل أي في الدنيا قبل الآخرة ندعوه ونتضرع إليه أن يجيرنا من النار ويدخلنا الجنة إنه هو تعالى البر بأوليائه الرحيم بعباده المؤمنين

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ وصف كامل لأهل الجنة وهو تقرير في نفس الوقت للبعث والجزاء بذكر ما يكون فيه.

٢ـ فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله بإلحاق الابناء قليل العمل الصالح بآبائهم الكثيري العمل الصالح.

٣ـ تقرير قاعدة أن المرء يوم القيامة يكون رهين كسبه لا يفكه الا الله عز وجل فمن استطاع أن يفك رقبته فليفعل وذلك بالإيمان والإسلام والإحسان.

٤ـ فضيلة الإشـفاق في الدنيا من عذاب الآخرة.

٥ـ فضـل الدعاء والتضرع الى الله تعالى.

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾
أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ
﴿٣٤﴾

(١) قرأ نافع بفتح همزة أنه على تقدير حرف جرّ لأنه للتعليل، وقرأ حفص بالكسر. والجملة تعليلية.

شـرح الكلـمات :

فذكر فما أنت بنعمة ربك : أي فذكر بالقرآن وعظ من أرسلت إليهم من قومك وغيرهم فلست بنعمة ربك عليك بالعقل وكمال الخلق والوحى إليك .

بكاهـن ولا مجـنون : أي بمتعاطٍ للكهانة فتخبر عن الغيب بواسطة رئي من الجن ولا أنت بمجنون .

نتربص به ريب المنون : أي تنظر به حوادث الدهر من موت وغيره .

أم تأمرهم أحلامهم بهذا : أي أتـأمرهم احلامهم أي عقولهم بهذا و هو قولهم إنك كاهن ومجنون لم تأمرهم عقولهم به .

أم هم قوم طاغـون : أي بل هم قوم طاغون متجاوزون لكل حد تقف عنده العقول .

أم يقولون تقوله؟ : أي اختلق القرآن وكذبه من تلقاء نفسه .

فليأتوا بحديث مثله : أي فليأتوا بقرآن مثله يختلقونه بأنفسهم .

إن كانوا صادقين : أي في أن محمداً صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن .

معنى الآيـات :

بعد ذلك العرض لأحوال أهل النار وأهل الجنة فلم يبق الا التذكير يا رسولنا فذكر أي قومك ومن تصل اليهم كلمتك من سائر الناس بالقرآن وما يحمل من وعد ووعيد؛ وما يدعو إليه من هدىً وطريق مستقيم، فما أنت بنعمة ربك أي بما أولاك ربك من رجاحة العقل وكمال الخلق وكرم الفعـال وشرف النبوة بكاهن تقول الغيب بواسطة رئيٍّ من الجن، ولا مجنون تخلط القول وتقول بما لا يفهم عنك ولا يعقل.

وقوله تعالى: ﴿أم[1] يقولون شاعر نتربَّصُ[2] به ريب المنون﴾ أي بل يقولون هو شاعر كالنابغة وزهير نتربص به حوادث الدهر حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء ولا ندخل معه في خصومة وجدل قد يغلبنا. وقوله تعالى قل تربَّصُوا[3] أي ما دمتم قد رأيتم التربص بي فتربصوا فإني معكم من المتربصين، وقوله تعالى: ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا﴾ والاستفهام للنفي والتوبيخ والجواب لم تأمرهم عقولهم بهذا بل هم قوم طاغون أي إن طغيانهم هو الذي يأمرهم بما يقولون

(١) أم: هي المنقطعة المفسرة ببل والاستفهام قيل للإضراب الانتقالي من قول إلى آخر والاستفهام إنكاري.

(٢) روى الطبراني عن قتادة: أنهم كانوا يقولون: تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان، (والمنون) من أسماء الموت، والريب: الحدثان، والمعنى: ينتظرون به احداث الدهر المفضية به إلى الموت.

(٣) أمر الله رسوله أن يقول لهم (تربصوا) بي ريب المنون فإني متربص بكم ما سيحدث لكم من أحداث تهلكون فيها وفي هذا: معنى المفاصلة وإنهاء الجدال والمخاصمة.

ويفعلون من الباطل والشر والفساد وقوله أم يقولون تقوّله والجواب وإن قالوا تقوله فإن قولهم لم ينبع من عقولهم ولم يصدر من أحلامهم بل عن كفرهم وتكذيبهم بل لا يؤمنون، والدليل على صحة ذلك تحدى الله تعالى لهم بالإتيان بحديث مثله وعجزهم عن ذلك فلذا هم لا يعتقدون ولا يرون أن الرسول تقول القرآن من عنده، وإنما لما لم يؤمنوا به لا بد أن يقولوا كلمة يدفعون بها عن أنفسهم فقالوا تقوله فقال تعالى ﴿ بل لا يؤمنون[1] فليأتوا بحديث مثله﴾ أي مثل القرآن ﴿إن كانوا صادقين﴾ في قولهم إن الرسول تقوله.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ وجوب التذكير والوعظ والارشاد على أهل العلم بالكتاب والسنة لأنهم خلفاء الرسول ﷺ في أمته.

٢ـ ذم الكهانة بل حرمتها لأنها من أعمال الشياطين، والكاهن من يقول بالغيب.

٣ـ ذم الطغيان فانه منبع كل شر ومصدر كل فتنة وضلال.

٤ـ حرمة الكذب مطلقا وعلى الله ورسوله بخاصة لما ينشأ عنه من فساد الدين والدنيا.

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

---

(١) (بل لا يؤمنون) أي: علة لقولهم (تقوّله) إذ هم يعرفون تمام المعرفة أنه ليس من قول الرسول ﷺ وإنما مما يوحى إليه من الله تعالى وإنما قالوا: تقوّله لعدم إيمانهم، ثم تحداهم الحق تعالى بقوله (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) في دعواهم أنه تقوّله أي: فليتقوّلوا مثله!!

شـرح الكلـمات :

أم خلقوا من غير شيء؟ : أي من غير خالقٍ خلقهم وهذا باطل.

أم هم الخالقون؟ : أي لأنفسهم وهذا محال إذ الشيء لا يسبق وجوده.

أم خلقوا السموات والأرض؟ : أي لم يخلقوهما لأن العجز عن خلق أنفسهم دال على عجزهم عن خلق غيرهم.

بل لا يوقنون: : أي أن الله خلقهم وخلق السموات والأرض كما يقولون إذ لو كانوا موقنين لما عبدوا غير الله ولآمنوا برسوله ﷺ.

أم عندهم خزائن ربك : أي من الرزق والنبوة وغيرهما فيخصوا من شاءوا بذلك من الناس.

أم هم المسيطرون : أي المتسلطون الغالبون فيتصرفون كيف شاءوا.

أم لهم سلم يستمعون فيه : أي ألهم مرقىً الى السمـاء يرقـون فيه فيسمعون كلام الملائكة فيأتون به ويعارضون الرسول في كلامه.

فليأتوا بسلطان مبين : أي بحجة بينة تدل على صدقه(1) وليس لهم في ذلك كله شيء.

أم له البنات ولكم البنون؟ : أي ألهُ تعالى البنات ولكم البنون إن أقوالكم كلها من هذا النوع لا واقع لها أبداً إنها افتراءات.

أم تسألهم أيها الرسول أجراً : أي على إبلاغ دعوتـك.

فهم من مغرم مثقلون : أي فهم من فداحة الغرم مغتمون ومتعبون فكرهوا ما تقول لذلك.

أم عندهم الغيب فهم يكتبون : أي علم الغيب فهم يكتبون منه لينازعوك ويجادلوك به.

أم يريدون كيـداً : أي مكراً وخديعة بك وبالدين.

فالذين كفروا هم المكيدون : أي فالكافرون هم المكيدون المغلوبون.

أم لهم إله غير الله : أي ألهم معبود غير الله والجواب: لا.

سبحان الله عما يشركون : أي تنزه الله عما يشركون به من أصنام وأوثان.

معنى الآيات :

بعد أن أمر تعالى رسوله بالتذكير وأنه أهل لذلك لما أفاض عليه من الكمالات وما وهبه من المؤهلات. أخذ تعالى يلقن رسوله الحجج فيذكر له باطلهم موبخاً إياهم به ثم يدمغه بالحق في أسلوب قرآني عجيب لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى. ومنه قوله: ﴿أم خلقوا من[1] غير شيء﴾ أي أخلقوا من غير خالق ﴿أم هم[2] الخالقون﴾ والجواب لم يُخلقوا من غير خالق، ولا هم خلقوا أنفسهم إذ الأول باطل فما هناك شيء موجود وجد بغير مُوجد؟! والثاني محال؛ إن المخلوق لا يوجد قبل أن يخلق فكيف يخلقون أنفسهم وهم لم يخلقوا بعد؟! ويدل على جهلهم وعمي قلوبهم ما رواه البخاري عن جبير بن مطعم أنه ذكر أنه لما قدم على رسول الله ﷺ بعد وقعة بدر في شأن فداء الأسرى سمع النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطور قال فلما بلغ في القراءة عند هذه الآية ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ كاد قلبي يطير. سمعها وهو مشرك فكانت سبباً في إسلامه فلو فتح القوم قلوبهم للقرآن لأنارها واسلموا في أقصر مدة.

وقوله تعالى: ﴿أم خلقوا السموات[3] والأرض﴾ والجواب: لا، إذ العاجز عن خلق ذبابة فما دون عن خلق السموات والأرض وما فيهما أعجز. وقوله تعالى ﴿بل لا يوقنون﴾ أن الله هو الذي خلقهم وخلق السموات والأرض فقولهم عند سؤال من خلقهم: الله، وعن خلق السموات والأرض: الله لم يكن عن يقين إذ لوكان عن يقين منهم لما عبدوا الأصنام ولما أنكروا البعث ولما كذبوا بنبوة محمد ﷺ. وقوله تعالى: ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ أي من الأرزاق والخيرات والفواضل والفضائل فيخصوا من شاءوا منها ويحرموا من شاءوا والجواب ليس لهم ذلك فلم إذاً ينكرون على الله ما أتى رسوله من الكمال والإفضال؟ أم هم المسيطرون أي الغالبون القاهرون المتسلطون فيتصرفون كيف شاءوا في الملك؟ والجواب: لا، إذاً فلم هذا التحكم الفاسد.

وقوله تعالى: ﴿أم لهم سلم يستمعون[4] فيه فليأت مستمعهم بسلطانٍ مبين﴾ أي ألهم مرقى

---

(١) هذا إضراب انتقالي إلى ابطال نوع آخر من شبهتهم في إنكار البعث إذ السورة مكية، والغالب على هذه السورة معالجة عقيدة البعث الآخر والاستفهام المقدر بعد (أم) تقريري.

(٢) الاستفهام المقدر هنا إنكاري.

(٣) الاستفهام تقريري، وبل المقدرة قبل الاستفهام للانتقال وهكذا يورد. قولهم مقررا لهم ثم يكر عليه فيبطله في جميع هذه الجمل المبدوءة بـ أم المنقطعة.

(٤) السلم: المصعد، وجمعه سلالم قال الشاعر:

ومن هاب أسباب المنية يلقها ... ولو رام أسباب السماء بسلّم

وقال آخر:

لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولا ... يبنى له في السموات السلاليم

أحجاء البلاد: أرجاؤها ونواحيها.

يرقون فيه إلى السماء فيستمعون الى الملائكة فيسمعون منهم ما يمكنهم ان ينازعوا فيه رسولنا محمـداً ﷺ فليأت مستمعهم بحجة واضحة ظاهرة على دعواه ومن أين له ذلك وقد حجبت الشياطين والجن عن ذلك فكيف بغير الجن والشياطين.

وقوله: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ أي لله تعالى البنات ولكم البنون إن جميع ما تقولونه من هذا النوع هـو كذب ساقط بارد، وافتراء ممقوت ممجوج إن نسبتهم البنات لله كافية في رد كل ما يقولون ومبطلة لكل ما يدعون فإنهم كذبة مفترون لا يتورعون عن قول ما تحيله العقول، وتتنزه عنه الفُهُوم. وقوله: ﴿أم تسألهم أجرا من مغرم مثقلون﴾ أي أتسألهم يا رسولنا عما تبلغهم عنا أجراً فهم لذلك مغتمون ومتعبون فلا يستطيعون الإيمان بك ولا يقدرون على الأخذ عنك.

وقوله: ﴿أم عندهم الغيب فهم[1] يكتبون﴾ أي أعندهم علم الغيب فهم منهمكون في كتابته لينازعوك فيما عندك ويحاجوك بما عندهم، والجواب من أين لهم ذلك، وقوله: ﴿أم يريدون كيداً﴾ أي أيريدون بك وبدينك كيداً؛ ليقتلوك ويبطلوا دينك فالذين كفروا[2] هم المكيدون ولست أنت ولا دينك. ولم يمض عن نزول هذه الآيات طويلُ زمن حتى هلك أولئك الكائدون ونصر الله رسوله وأعز دينه والحمد لله رب العالمين.[3]

وقوله تعالى: ﴿أم لهم إله غير الله﴾ أي ألهم إلهٌ أي معبود غير الله يعبدونه والحال أنه لا إله إلا الله ﴿فسبحان[4] الله عما يشركون﴾ أي تنزه الله وتقدس عما يشركونه به من أصنام وأوثان لا تسمع ولا تبصر فضلا عن أن تضر أو تنفع.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد بذكر دلائله.

٢ـ تقرير النبوة المحمديّة.

٣ـ تسفيه أحلام المشركين.

٤ـ عدم مشروعية أخذ أجرٍ على إبلاغ الدعوة.

٥ـ لا يعلم الغيب إلا الله.

---

(١) حاصل معنى هذا: أنهم لا قبل لهم بإنكار ما جحدوه من البعث والوعيد والنبوة ولا بإثبات ما أثبتوه من الشرك وما وصفوا به الرسول ﷺ من صفات مستحيلة الوقوع.

(٢) لم يمض يسير زمن حتى هلك رؤساء الشرك في بدر مصداق قوله تعالى: (هم المكيدون) كقوله: (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله).

(٣) الاستفهام إنكاري.

(٤) نزّه تعالى نفسه أن يكون له شريك كما زعم المشركون وادعوا باطلا فأبطل بذلك كل دعاويهم في تأليه غيره تعالى من الأصنام والشياطين.

٦- صدق القرآن في أخباره آية أنه وحي الله وكلامه صدقاً وحقاً إنه لم يمض إلا قليل من الوقت أي خمسة عشر عاماً حتى ظهر مصداق قول الله تعالى فالذين كفروا هم المكيدون.

وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

وإن يروا كسفا من السماء ساقطا : أي وإن يَرَ هؤلاء المشركون قطعة من السماء تسقط عليهم.

يقولوا سحاب مركوم : أي يقولوا في القطعة سحاب متراكم يمطرنا ولا يؤمنوا.

فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون : أي فاتركهم إذاً يجاحدون ويعاندون حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو يوم موتهم.

يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولاهم ينصرون : أي اتركهم الى ما ينتظرهم من العذاب ما داموا مصرين على الكفر وذلك يوم لا يغنى عنهم مكرهم بك شيئاً من الإغناء.

وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك : أي وإن لهؤلاء المشركين الظلمة عذاباً في الدنيا دون

	عذاب يوم القيامـة وهو عذاب القحط سبع سنين وعذاب القتل في بدر.
ولكن أكثرهم لا يعلمون	: أي أن العذاب نازل بهم في الدنيا قبل يوم القيامة.
واصبر لحكم ربك	: أي بإمهـالهم ولا يضق صدرك بكفرهم وعنادهم وعدم تعجيل العذاب لهم.
فإنك بأعيننا	: أي بمرأىً منا نراك ونحفظك من كيدهم لك ومكرهم بك.
وسبح بحمد ربك حين تقوم	: أي واستعن على الصبـر بالتسبيح الـذي هو الصلوات الخمس والذكر بعدها والضراعة والدعاء صباح مساء.

معنى الآيـات :

يذكر تعالى من عناد المشركين أنهم لو رأوا العذاب نازلاً من السماء فى صورة قطعة كبيرة من السماء ككوكب مثلا لما أذعنوا ولا آمنوا بل قالوا في ذلك العذاب سحاب مركوم الآن يسقى ديارنا فنرتوي وترتوي أراضينا وبهائمنا. إذاً فلما كان الأمر هكذا فذرهم[1] يا رسولنا في عنادهم وكفرهم حتى يلاقوا وجهاً لوجه يومهم الذي فيه يصعقون أي يموتون يوم لا يغني عنهم كيدهم[2] شيئا ولاهم ينصرون، فيذهب كيدهم ولا يجدون له أي أثر بحيث لا يغنى عنهم أدنى إغناء من العذاب النازل بهم ولا يجدون من ينصرهم، وذلك يوم القيامة.

وقـوله تعالى: ﴿وإن للذين ظلموا﴾ أي أنفسهم أي بالكفر والتكذيب والشرك والمعاصى عذاباً دون[3] ذلك المذكور من عذاب يوم القيامة وهو ما أصابهم به من سِنِي القحط والمجاعة وما أنزله بهم من هزيمة في بدر حيث قتل صناديدهم وذلوا وأهينوا ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك، ولو علموا لما أصروا على العناد والكفر.

وقوله تعالى: واصبر لحكم ربك وقضائه بتأخير العذاب عن هؤلاء المشركين، ولا تخف ولا تحـزن فإنك بأعيننا أي بمرأىً منا نراك ونحفظك، وجمع لفظ العين على أعين مراعاة لنون العظمة وهو المضاف إليه «بأعيننا».

وقوله ﴿وسبح بحمد ربك﴾[4] أي قل سبحان الله وبحمده حين تقوم من نومك ومن مجلسك

---

(١) يقال في مثل هذا: هو منسوخ بآية السيف.

(٢) هو ما كانوا يكيدون للرسول ﷺ وما يمكرون به.

(٣) جائز أن يكون عذاب القبر.

(٤) شاهده ما رواه الترمذي بإسناد حسن قوله ﷺ (من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذاك).

ومن الليل ايضاً فسبحه بصلاة المغرب والعشاء والتهجد وكذا إدبار النجوم أي بعد طلوع الفجر فسبح بصلاة الصبح وغيرها.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان عناد كفار قريش ومكابرتهم فى الحق ومجاحدتهم فيه.

٢ـ تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وهى للدعاة بعده أيضا.

٣ـ تقرير وخامة عاقبة الظلم في الدنيا قبل الآخرة.

٤ـ وجوب الصبر على قضاء الرب وعدم الجزع.

٥ـ مشروعية التسبيح عند القيام من النوم (١) بنحو: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويُميت وهو على كل شيء قدير والحمد لله الذى أحيانى بعدما أماتنى وإليه النشور.

سُورَةُ النَّجْمِ

مكيـة

وآياتها ثنتان وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ

(١) يرى ابن مسعود رضي الله عنه أن قوله: (حين تقوم) شامل لكل قيام يقومه من أي مكان.

نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ
مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾

شـرح الكلمـات :

والنجم إذا هوى : أي والثريا إذا غابت بعد طلوعها.

ما ضل صاحبكم : أي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الهدى.

وما غــوى : أي وما لابس الغى وهو جهل من اعتقاد فاسد.

وما ينطق عن الهوى : أي عن هوى نفسه أي ما يقوله عن الله تعالى لم يصدر فيه عن هوى نفسه.

إن هو الا وحي يوحى : أي ما هو إلا وحى إلهى يوحى إليه.

علّمه شديد القوى : أي علمه ملك شديد القوى وهو جبريل عليه السلام.

ذو مِــرَّةٍ : أي لسلامة فى جسمه وعقله فكان بذلك ذا قوة شديدة.

فاستوى وهو بالافق الاعلى : أي استقـر وهو بأفق الشمس عند مطلعها على صورته التى خلقه الله عليها فرآه النبي ﷺ وكان بجياد قدسد الأفق الى المغرب وكان النبي ﷺ هو الذي طلب من جبريل أن يريه نفسه فى صورته التي خلقه الله عليها.

ثم دنا فتدلى : أي وقرب منه فتدلى أى زاد فى القرب.

فكان قاب قوسين أو أدنى : أي فكان فى القرب قاب قوسين أي مقدار قوسين.

فأوحى الى عبده ما أوحى : أي فأوحى الله تعالى إلى عبده جبريل ما أوحاه جبريل الى النبي ﷺ.

ما كذب الفؤاد ما رأى : أي ما كذب فؤاد النبي ما رأى ببصره من صورة جبريل عليه السلام.

أفتمارونه على ما يرى : أي أفاتجادلونه أيها المشركون على ما يرى من صورة جبريل.

ولقد رآه نزلة أخرى : أي على صورته مرة أخرى وذلك في السماء ليلة أسرى به.

عند سدرة المنتهى : وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة.

عندها جنة المأوى : أي تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين أولياء الله.

إذ يغشى السدرة ما يغشى : أي من نور الله تعالى ما يغشى.

ما زاغ البصر وما طغى : أي ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً، ولا ارتفع عن الحد الذي حدد له.

لقد رأى من آيات ربه الكبرى: أي رأى جبريل في صورته ورأى رفرفاً أخضر سد أفق السماء.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿والنجم﴾[1] إلى قوله ﴿من آيات ربه الكبرى﴾ يقرر به تعالى نبوة محمد عبده ورسوله ﷺ وقد أقسم بالنجم إذا هوى وهو نجم الثريا إذا غاب في الأفق على أنه ما ضل محمد صاحب قريش الذي صاحبته منذ ولادته ولم يغب عنها ولم تغب عنه مدة تزيد على الأربعين سنة فهي صحبة كاملة ما ضل عن طريق الهدى وهم يعرفون هذا، وما غوى[2] أيضا أية غواية وما لابسه جهل في قول ولا عمل فغوى به. وما ينطق بالقرآن وغيره مما يقوله ويدعو إليه عن هوى[3] نفسه كما قد يقع من غيره من البشر إن هو إلا وحي يوحى أي ما هو أي الذي ينطق به ويدعو إليه ويعمله إلا وحي يُوحى إليه. علمه إياه ملك شديد القوى[4] ذو مرة أي سلامة عقل وبدن فكان بذلك قوياً روحياً وعقلياً وذاتياً وهو جبريل عليه السلام وقوله: ﴿فاستوى﴾ أي جبريل ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ ومعنى استوى استقر ﴿ثم دنى فتدلى﴾ أي تدلى فدنا أي قرب شيئاً فشيئاً حتى كان من الرسول ﷺ قاب قوسين أي قدر قوسين والقوس معروف آلة للرمي ﴿أو أدنى﴾ أي من قاب قوسين.[5]

---

(١) أصل النجم: الطلوع والظهور يقال: نجم السِّن: إذا طلع، ونجم السر إذا ظهر وأطلق النجم بالغلبة على الثريا. الهوي: السقوط يقال: هوى يهوي هوياً كمضى يمضي مضياً. وهوى يهوي هوياً: إذا خسر للسجود، ومن الحب يقال: هوى يهوى هوى كرضي يرضى رضاً: إذا أحبَّ.

(٢) الغيّ: ضد الرشد، والغواية مثله: وهو فساد الرأي وتعاطي الإنسان الباطل من الأقوال والأفعال مما لا خير فيه البتة.

(٣) الهوى: ميل النفس إلى ما تحبّه أو تحبّ أن تفعله دون اقتضاء العقل السليم الحكيم له وفعله: هوى يهوى كرضي يرضى هوىً.

(٤) (شديد القوى) صفة لموصوف محذوف أي: علّمه ملك شديد القوى هو جبريل اجماعاً، والمرة: تطلق على قوة الذات وعلى متانة العقل معاً، وعليهما كان جبريل عليه السلام.

(٥) أي: مقدار قوسين.

وقوله تعالى ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[1] أي فَأَوْحى الله تعالى إلى جبريل ما أوحى إلى نبيه محمد ﷺ وقوله ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ أي ما كذب فؤادُ محمد ﷺ ما رآه محمد ببصره وهـو جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى عليها ذات الستمائة جناح طول الجناح ما بين المشرق والمغرب. وقوله تعالى: ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ هذا خطاب للمشركين المنكرين لرؤية النبي ﷺ ينكر تعالى ذلك عليهم بقوله ﴿أفتمارونه﴾ أي تجادلونه وتغالبونه أيها المشركون على ما يرى ببصره. ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾[2] أي مرة أخرى ﴿عند سدرة المنتهى﴾[3] وذلك ليلة أسرى به ﷺ، ووصفت هذه السدرة[4] وهي شجرة النبق بأن أوراقها كآذان الفيلة وأن ثمرها كغلال هجر قال فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيَّرت فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسنها، وسميت سدرة المنتهى لانتهاء علم كل عالم من الخلق إليها أو لكونها عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة. وقوله ﴿عندها جنة المأوى﴾ أي الجنة التى تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء، والمتقين أولياء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾[5] أي من نور الله تعالى، والملائكة من حب الله مثل الغربان حين تقفز على الشجر كذا روى ابن جرير الطبرى. وقوله ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾[6] أي ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً ولا ارتفع فوق الحد الذي حدد له. ﴿ولقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ أي رأى جبريل في خلقه الذي يكون فيه في السماء ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق ورأى من عجائب خلق الله ومظاهر قدرته وعلمه مالا سبيل إلى إدراكه والحديث عنه.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير النبوة لمحمد وإثباتها بمالا مجال للشك والجدال فيه.

٢ـ تنزيه الرسول ﷺ عن القول بالهوى أو صدور شيء من أفعاله أو أقواله من اتباع الهوى.

٣ـ وصف جبريل عليه السلام.

٤ـ إثبات رؤية النبي ﷺ لجبريل وعلى صورته التي يكون في السماء عليها مرتين.

٥ـ تقرير حادثة الإسراء والمعراج وإثباتها للنبي ﷺ.

٦ـ بيان حقيقة سدرة المنتهى.

(١) (ما أوحى) إبهام من أجل التفخيم أي: أوحى إليه شيئاً عظيماً.

(٢) (نزلة) على وزن فعلة من النزول دال على المرة أي: رآه إذ نزل إليه مرة أخرى.

(٣) السدر شجر معروف صحراوي فيه ثلاث ميزات: ظل ظليل وثمر لذيذ ورائحة ذكية.

(٤) هذا الوصف رواه مسلم في صحيحه.

(٥) في قوله (ما يغشى) من التفخيم ما فيه.

(٦) جملة: (لقد رأى من آيات ربه) تذييل أي: رأى آيات أخرى غير سدرة المنتهى وجنة المأوى وما غشي السدرة من البهجة والجلال والآيات: دلائل عظمةِ الله تعالى.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ
وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى
شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

أفرأيتم اللات والعزى : أي أخبروني عن أصنامكم التى اشتققتم لها أسماء من أسماء الله وأنثموها.

ومناة الثالثة الأخرى[1] : وجعلتموها بناتٍ لله، افتراء على الله وكذباً عليه.

ألكم الذكر وله الأنثى : أي أتزعمون أن لكم الذكر الذى ترضونه لأنفسكم ولله الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم.

تلك إذاً قسمة ضيزى : أي قسمتكم هذه إذاً قسمة ضيزى أي جائرة غير عادلة ناقصة غير تامة.

إن هي إلا أسماء سميتموها : أي ما اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى إلا أسماء لا حقيقة لها.

أنتم وآباؤكم : أي سميتموها بها أنتم وآباؤكم.

ما أنزل الله بها من سلطان : أي لم ينزل الله تعالى وحياً يأذن في عبادتها.

إن يتبعون إلا الظن : أي ما يتبع المشركون في عبادة أصنامهم إلا الظن والخرص والكذب.

---

(١) هدمها خالد بن الوليد بأمر رسول الله ﷺ ولما شرع في هدمها قال لها:
يا عُزّ كفرانك لا سبحانك   إني رأيت الله قد أهانك

وما تهوى الأنفس : أي وما يتبعون الا ما تهواه نفوسهم وما تميل إليه شهواتهم.
أم للإنسان ما تمنى : أي بل ألإنسان ما تمنّى والجواب لا ليس له كل ما يتمنى.
فلله الآخرة والأولى : أي إن الآخرة والأولى كلاهما لله يهب منهما مايشاء لمن يشاء.
وكم من ملك في السموات : أي وكثير من الملائكة في السموات.
لا تغني شفاعتهم شيئاً : أي لو أرادوا أن يشفعوا لأحد حتى يكون الله قد أذن لهم ورضى للمسموح له بالشفاعة.

معنى الآيـات :

بعد أن ذكر تعالى مظاهر قدرته وعظمته وعلمه وحكمته في الملكوت الأعلى جبريل وسدرة المنتهى ومـا غشـاها من نور الله وما أرى رسوله من الآيات الكبرى، خاطب المشركين بقوله ﴿أفرأيتم اللات[1] والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ أي أعميتم فرأيتم هذه الأصنام أهلاً لأن تسوَّى بمن له ملكوت السموات والأرض وعبدتموها معه على حقارتها ودناءتها، وأزددتم عمىً فاشتققتم لها من أسماء الله تعالى أسماء فمن العزيز اشتققتم العُزى ومن الله اشتققتم اللات، وجعلتموها بنات لله افتراء على الله بزعمكم أنها تشفع لكم عند الله. أخبرونى ألكم الذكر[2] لأنكم تحبون الذكران وترضون بهم لأنفسكم، وله الأنثى لأنكم تكرهونها ولا ترضون بها لأنفسكم، إذا كان الأمر على ما رأيتم فإنها قسمة ضيزى[3] أي جائرة غير عادلة وناقصة غير تامة فكيف ترضونها لمن عبدتم الأصنام من أجل التوسل بها إليه ليقضى حوائجكم؟ إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم. إن أصنامكم أيها المشركون لا تعدو كونها أسماء لآلهة لا وجود لها ولا حقيقة في عالم الواقع إذ لا إله إلا الله، أما اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فلم تكن آلهة تحيي وتميت وتعطى وتمنـع وتضر وتنفع. إن هي أي ما هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من

---

(١) انتقل الكلام من تقرير النبوة المحمدية إلى تقرير الإلهية الربانية، واللات أصله: لات فأدخلوا عليه ال فصار اللات، وهي صنم لثقيف كانت قريش والعرب يعبدونه، وقيل: هو وصف لرجل كان يلت السوق للحجاج ثم صُنع له صنم تمثالاً وألهته ثقيف وقريش وجمهور العرب والعزى اسم مشتق من العز وهي فعلى ككبرى: صنم عليه بناء كان بوادي نخلة فوق (ذات عِرق) ميقات أهل العراق قريباً من الطائف ومناة: صنم كان لخزاعة كان بالمشلل حذو قديد بين مكة والمدينة وكان الأوس والخزرج يهلون منه ويطوفون به كالسعي بين الصفا والمروة.

(٢) تقديم الجار والمجرور في (ألكم الذكر) للاهتمام بالاختصاص.

(٣) (ضيزى) اسم كدفلي وشعرى، وهو مشتق من ضاز يضيز ضيزاً: إذا ظلم وتعدى وبخس وانتقص. قال الشاعر:
ضازت بنو أسد بحكمهم   إذ يجعلون الرأس كالذنب

سلطان أي لم ينزل بها وحياً يأذن بعبادتها. وهنا التفت الجبار جل جلاله في الخطاب عنهم وقال ﴿إنْ يتَّبعون إلَّا الظن﴾ أي إن هؤلاء المشركين ما يتبعون في عبادة هذه الأصنام إلَّا الظن، فلا يقين لهم في صحة عبادتها. كما يتبعون في عبادتها ﴿وما تهوىٰ الأنفس﴾ أي هوىٰ أنفسهم ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدىٰ﴾ فبيَّن لهم الصراط السوى فأعرضوا عنه وهو الحق من ربهم. وتعلقوا بالأمانى الكاذبة وأن أصنامهم تشفع لهم، أم للانسان ما تمنى[1] والجواب ليس له ما تمنى، إذ لله الآخرة والأولى يعطى منها ما يشاء ويمنع ما يشاء وكم من[2] ملك فى السموات لا يعدون كثرة لا تغنى شفاعتهم شيئاً من الإغناء ولو قلّ إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفع من الملائكة وغيرهم، ويرضى عن المشفوع له، وإلَّا فلا شافع ولا شفاعة تنفع عند الله الملك الحق المبين.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ التنديد بالشرك والمشركين وتسفيه أحلامهم لعبادتهم اسماء لا مسميات لها فى الخارج إذ تسمية حجراً إلهاً لن تجعله إلهاً.

٢ـ بيان أن المشركين في كل زمان ومكان ما يتبعون في عبادة غير الله إلا أهواءهم.

٣ـ بيان أن الانسان لا يعطى بأمانيه، ولكن بعمله وصدقه وجده فيه.

٤ـ بيان أن الدنيا كالآخرة لله فلا ينبغي أن يُطلب شيء منها إلا من الله مالكها.

٥ـ كل شفاعة تُرجى فهى لا تحقق شيئاً الا بتوفر شرطين الأول أن يأذن الله للشافع فى الشفاعة والثانى أن يكون الله قد رضي للمشفوع له بالشفاعة والخلاصة هى: الإذن للشافع والرضا عن المشفوع.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ
ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

---

(١) الاستفهام المقدر بعد أم إنكاري المقصود منه إبطال حصول الإنسان على ما يتمناه.

(٢) هذه الجملة تأكيد لإبطال حصول الإنسان على ما يتمناه وإبطال لاعتقاد المشركين في أن آلهتهم تشفع لهم عند الله عز وجل.

شـرح الكلـمات

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة : أي إن الذين لا يؤمنون بالبعث والحياة الآخرة.

ليسمون الملائكة تسمية الأنثى : أي ليطلقون على الملائكة أسماء الإناث إذ قالوا بنات الله.

وما لهم به من علم : أي وليس لهم بذلك علم من كتاب ولا هدى من نبي ولا عقل سوى

إن يتبعون إلا الظن[1] : أي في تسميتهم الملائكة إناثاً إلا مجرد الظن، والظن لا تقوم به حجة ولا يعطى به حق.

فأعرض عمن تولى عن ذكرنا : أي القرآن وعبادتنا.

ولم يرد إلا الحياة الدنيا: ولم يرد من قوله ولا عمله إلا ما يحقق رغائبه من الدنيا.

ذلك مبلغهم من العلم : أي ذلك الطلب للدنيا نهاية علمهم إذ آثروا الدنيا على الآخرة.

معنى الآيـات :

لمـا ندد تعـالى بالمشركين الذين جعلوا من الأصنام والأوهام والأماني آلهة وجادلوا دونها وجالدوا ذكر ما هو علة ذلك التخبط والضلال فقال: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ دار السعادة الحقة أو الشقاء ﴿ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ فلو آمنوا بالآخرة لما سموا الملائكة بنات الله لأن المؤمن بالآخرة يحاسب نفسه على كل قول وعمل له تبعة يخشى أن يؤخذ بها بخلاف الذي لا يؤمن بالآخرة فإنه يقول ويفعل ما يشاء لعدم شعوره بالمسئولية والتبعة التى قد يؤخذ بها فيهلك ويخشى كل شيء وهو تعليل سليم حكيم.

وقوله تعالى: ﴿وما لهم به من علم[2]﴾ أي ليس لهم في ادعائهم أن الملائكة بنات الله أي علم يعتد به إن يتبعون فيه إلا الظن والظن أكذب الحديث، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً وبناء على هذا أمر الله تعالى رسوله أن يعرض عمن تولى منهم عن الحق بعد معرفته وعن الهدى بعد مشاهدته فقال تعالى ﴿فأعرض[3] عمن تولى عن ذكرنا﴾ أي القرآن والإيمان والتوحيد والطاعة، ولم يرد بقوله وعمله واعتقاده إلا الحياة الدنيا إذ هو لا يؤمن بالآخرة فلذا هو قد كيَّف حياته بحسب

---

(١) حذّر النبي ﷺ من القول بالظن وكذا العمل به ففي الصحيح قال (إيّاكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)!!

(٢) نفي العلم عنهم حجة قاطعة على ادعائهم لأنّ مالا يثبت بالعلم النقلي أو العقلي لا تقوم به حجة ولا يثبت به شيء وقد وبّخهم تعالى في قوله: (أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون)؟

(٣) قيل نزلت هذه الآية فى النضر بن الحارث، والوليد بن المغيرة، والآية نزلت قبل الأمر بالجهاد.

الدنيا فكل تفكيره في الدنيا، وكل عمله لها فيصبح بذلك أشبه بالآلة منه بالحيوان. وتصبح الحياة معه عقيمة الفائدة فلذا يجب الإعراض عنه وتركه إلى أن يأذن الله فيه بشيء.

وقوله تعالى ﴿ذلك مبلغهم[1] من العلم﴾ أي هذا الطلب للدنيا هو ما انتهى إليه علمهم فلذا هم آثروها عن الآخرة التي لم يعلموا عنها شيئاً.

وقوله تعالى في خطاب رسوله ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل[2] عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ أي إن ربك أيها الرسول هو أعلم منك ومن غيرك بمن ضل عن سبيله قدراً وأزلاً فضل في الحياة الدنيا أيضاً، وهو أعلم بمن اهتدى، قضاء وقدراً وواقعاً في الحياة الدنيا وسيجزى كلاً بما عمل من خير أو شر فلا تأس يا رسولنا ولا تحزن وفوّض الأمر إلينا فإنا عالمون ومجازون كل عامل بما عمل في دار الجزاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ أكثر الأمراض مردها إلى قلب لا يؤمن بالآخرة.

٢ـ أكثر الفساد في الأرض هو نتيجة الجهل وعدم العلم اليقيني.

٣ـ التحذير من الماديين فإنهم شر وخطر وواجب الإعراض عنهم لأنهم شر الخليقة.

وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

---

(١) قال الفراء: صغّرهم وازدرى بهم أي: ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.

(٢) هذه الجملة تعليل لجملة: (فأعرض عمن تولى) والجملة متضمنة زيادة على التسلية للرسول ﷺ الوعد والوعيد فالوعد للمهتدين من الرسول والمؤمنين والوعيد للمشركين الضالين عن سبيل الهدى فإن جزاءهم الشقاء في دار الشقاء.

شـرح الكـلمات :

ولله ما في السموات وما في الأرض : أي خلقاً وملكاً وتصرفاً.

ليجزى الذين أساءوا بما عملوا : ليعاقب الذين أساءوا بما عملوا من الشرك والمعاصي.

ويجزى الذين احسنوا بالحسنى : ويثيب الذين أحسنوا في إيمانهم وعملهم الصالح بالجنة.

الذين يجتنبون كبائر الإثم : أي يتجنبون كبائر الذنوب وهو كل ذنب وُضع له حد أو لعن فاعله أو تُوعد عليه بالعذاب في الآخرة.

والفواحش الا اللمم : أي الـذنـوب القبيحة كالزنا واللواط وقذف المحصنات والبخل واللمم صغائر الذنوب التى تكفر باجتناب كبائرها.

هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض : أي خلق أباكم آدم من تراب الأرض.

وإذا أنتم أجنة في بطون أمهاتكم : أي وأنتم في أرحام أمهاتكم لم تولدوا بعد.

فلا تزكـوا أنفسـكم : أي فلا تمدحوها على سبيل الفخر والإعجاب.

هو أعلم بمن اتقـى : أي منكم بمن اتقى منكم وبمن فجر فلا حاجة الى ذكر ذلك منكم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في تقرير ربوبيته تعالى المطلقة لكل شيء إذ تقدم في السياق قوله تعالى: ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ وهنا قال عز من قائل ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً وتدبيراً فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء هداية تابعة لحكمة وإضلال كذلـك يدل عليه قولـه تعـالى ﴿ليجـزي[1] الـذين أساءوا﴾ أي إلى أنفسهم بماعملوا من الشرك والمعـاصى يجـزيهم بالسوء وهي جهنم ﴿ويجزى الذين أحسنوا﴾ إلى أنفسهم فزكوها وطهروها بالإيمان والعمل الصالح يجزيهم بالحسنى[2] التى هي الجنة وقوله ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم[3] والفواحش﴾ بيّن فيه وجه إحسان المحسنين إلى أنفسهم حين طهروها بالإيمان وصالح الأعمال ولم يلوثوها بأوضار كبائر الإثم من كل ما تُوعد فاعله بالنار أوبلَعْنٍ أو إقامة حدٍ، أو غضب الرب.

---

(١) هذه اللام هي لام التعليل إذ أوجد الله تعالى العوالم العلوية والسفلية من أجل الإنسان، وأوجد الإنسان للذكر والشكر فمن ذكر وشكر وهو المحسن فله الجنة ومن نسي وكفر فله السوأى وهي النار.

(٢) أي: بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، والحسنى صفة لموصوف محذوف وهي المثوبة.

(٣) (الذين يجتنبون) الخ صفة للذين أحسنوا أي: أحسنوا بفعل الواجبات واجتنبوا كبائر الذنوب والسيئات حتى لا تتلوث أرواحهم بعد تطهرها بالأعمال الصالحة.

والفواحش من زنا ولواط وبخل وقوله ﴿إلا اللمم[١] إن ربك واسع المغفرة﴾ أي لكن اللمم يتجاوز عنه وهو ما ألم به المرء وتاب منه أو فعله في الجاهلية ثم أسلم، وما كان من صغائر الذنوب كالنظرة والكلمة والتمرة. وقد فسر بقول الرسول ﷺ إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدركـه ذلـك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه. فمغفرة الله واسعة تشمل كل ذنب تاب منه فاعله كما تشمل كل ذنب من الصغائر.

وقوله تعالى ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾ أعلم بضعفناوغرائزناوحاجاتناوعجزنامِنّانحن بأنفسنا ولذا تجاوز لنا عن اللمم الذى نُلِمُّ به بحكم العجز والضعف، فله الحمد والمنة. وقوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم[٢]﴾ ينهى الرب تعالى عباده المؤمنين عن تزكية المرء نفسه بإدعاء الكمال والطهر الأمر الذي يكون فخراً وإعجاباً والإعجاب بالنفس محبط للعمل كالرياء والشرك فقوله ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ أي لا تشهدوا عليها بأنها زكية برئية من الذنوب والمعاصى وقوله ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ أي ان الله أعلم بمن اتقى منكم ربه فخاف عقابه فأدى الفرائض واجتنب المحرمات منا ومن المتقى نفسه فلذا لا تمدحوا أنفسكم له فإنه أعلم بكم من أنفسـكم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير ربوبية الله تعالى لكل شيء وهي مستلزمة لإلوهيته.

٢ـ تقرير حرية إرادة الله يهدى من يشاء ويضل ويعذب من شاء ويرحم إلا أن ذلك تابع لحكم عالية.

٣ـ تقرير قاعدة الجـزاء من جنس العمل.

٤ـ تقرير قاعدة أن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر.

٥ـ حرمة تزكية النفس وهى مدحها والشهادة عليها بالخير والفضل والكمال والتفوق.

---

(١) عن ابن عباس: هو الرجل يلمّ بالذنب ثم ينزع عنه، واستشهد قائلا:

إن تغفر اللهم تغفر جماً   وأي عبد لك ما ألما

(٢) في الآية دليل على كراهة تزكية العبد نفسه أو تزكية غيره ففي الحديث الصحيح: (أنه لم يرض لهم تسمية برّة وقرأ: (فلا تزكوا أنفسكم) الآية: وقال سمّوها زينب) وفي الصحيح (أنه سمع رجلا يمدح آخر فقال له: ويلك قطعت عنق صاحبك ـ مرارا ـ إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك) روى مسلم (أن رجلا أتى عثمان فأثنى عليه في وجهه، فجعل المقداد بن الأسود يحثو التراب في وجهه ويقول: أمرنا رسول الله أن نحثو التراب في وجوه المداحين).

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ
﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ
﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾
وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾

شـرح الكـلمات :

أفرأيت الذي تولى : أي عن الإسلام بعد ما قارب أن يدخل فيه.

أعطى قليلاً وأكدى : أي أعطى من زعم أنه يتحمل عنه عذاب الآخرة أعطاه ما وعده من المال ثم منع.

أعنده علم الغيب فهو يرى : أي يعلم أن غيره يتحمل عنه العذاب والجواب لا.

أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى : أي أم بل لم يخبر بما ورد في الصحف المذكورة وهي التوراة وعشر صحف كانت لابراهيم عليه السلام.

ألا تزر وازرة وزر أخرى : أي أنه لا تحمل نفس مذنبة ذنب غيرها.

وأنَّ ليس للانسان الا ما سعى : أي من خير وشر، وليس له ولا عليه من سَعي غيره شيء.

وأن سعيه سوف يرى : أي يُبصَر يوم القيامة ويراه بنفسِه.

ثم يجـزاه الجزاء الأوفى	: أي الأكمل التام الذي لا نقص فيه.
إن الى ربك المنتهى	: أي المرجع والمصير إليه ينتهى أمر عباده بعد الموت ويجازيهم.
وأنه أضحك وأبكـى	: أي أفرح من شاء فأضحكه، وأحزن من شاء فأبكاه.
وإنه أمات وأحيا	: أمات في الدنيا وأحيا في الآخرة.
وإنه خلق الزوجـين	: أي الصنفين الذكر والأنثى.
من نطفة إذا تمنى	: أي من منى إذا تمنى تُصبُّ فى الرحم.
وأن عليه النشأة الأخرى	: أي الخلقة الثانية للبعث والجزاء.
وأنه هو أغنى واقنى	: أي وأنـه هو وحده أغنى بعض الناس بالكفاية، واقنى بعض الناس بالمال المقتنىٰ المدخر للقنية.
وأنه هو رب الشعرى	: أي خالقها ومالكها وهى كوكب خلف الجوزاء عبده المشركون.
وأهلك عادا الأولى	: أي قوم هود عليه السلام.
وثمودا فما أبقى	: أي أهلكها أيضا فلم يبق منهم أحداً وهم قوم صالح.
وقوم نوح من قبل	: أي وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود وقوم لوط.
والمؤتفكة أهوى	: أي وقرى قوم لوط اسقطها بعد رفعها الى السماء مقلوبة إلى الأرض إذ الائتفاك الانقلاب.
فغشاها ما غشى	: أي بالعذاب ما غشى حيث جعل عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجيل.

معنى الآيـات :

إن هذه الآيات ترسم صورة لقرشي جاهل هو الوليد بن المغيرة إذ قدر له أن استمع الى قراءة رسول الله ﷺ فهش لها ودعاه الرسول فأسلم أو أوشك أن يسلم فعلم به أحد المشركين من شياطينهم فجاءه فعيره بإسلامه وترك دين آبائه فاعتذر له الوليد بأنه يخاف عذاب الله فقال له الشيطان القرشي وكان فقيراً والوليد غنياً أعطنى كذا من المال شهرياً أو اسبوعياً أو سنوياً وأنا اتحمل عنك العذاب الذي تخافه وعد إلى دينك واثبت عليه فوافق الوليد على العرض وأخذ

يعطيه المال. ثم أكدى[1] أي قطع عنه ما كان يعطيه ومنعه. فأنزل الله تعالى فيه هذه الآيات تسلية لرسول الله ﷺ وتعليماً وتحذيراً لكل من تبلغه ويقرأها أو تقرأ عليه فقال تعالى في أسلوب حمل فيه السامع على التعجب: ﴿أفرأيت الذي تولي﴾ أي عن الإسلام بعد أن قارب الوصول إليه والدخول فيه، ﴿وأعطى قليلاً﴾ أي من المال للشيطان المشرك الذي اتفق معه على أن يتحمل عليه العذاب مقابل مال يعطيه إياه أقساطاً، ﴿وأكدى﴾ أي قطع ومنع لأن الذي يحفر بئراً في أرض أحياناً تصادفه كدية من الأرض الصلبة يعجز عن الحفر فينقطع عن الحفر ويمتنع كذلك الوليد اعطى ثم امتنع وهومعنىاكدى أي انتهى الى كدية من الأرض الصلبة.

وقوله تعالى: ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى[2]﴾ أي أن المرء في امكانه أن يتحمل عذاب غيره يوم القيامة والجواب لا علم غيب عنده لا من كتاب ولا من سنة، أم لم ينبأ بما في صحف موسى وهي التوراة وابراهيم الذي وفي لربه في كل ما عهد به إليه من ذبح ولده حيث تله للجبين ليذبحه، ومن بناء البيت والهجرة والختان بالقدوم إلى غير ذلك من التكاليف الشاقة. أي ألم ينبأ أي يخبر هذا الرجل الجاهل بما في صحف موسى بن عمران نبي بنى إسرائيل وإبراهيم أبو الأنبياء ثم بين تعالى ما تضمنته تلك الصحف من علم فقال:

● ألا تزر[3] وازرة وزر أخرى أن لا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى.

● وأن ليس[4] للإنسان من ثواب يوم القيامة إلا ما سعى في تحصيله بنفسه وهذا لا يتعارض مع قول الرسول ﷺ في الصحيح إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية أو علم ينتفع به إذ هذه الثلاثة أمور من عمل الإنسان وسعيه الولد انجبه ورباه والصدقة الجارية أوقفها بنفسه والعلم تعلمه وبثّه فى الناس وعلمه فالجميع من سعيه وكسبه.

● وأن سعيه أى عمله في الدنيا من خير وشر سوف يرى علانية ويجزى به خيراً كان أو شراً والجزاء الأوفى أي الأكمل الأتم.

---

(١) يقال: أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ في حفره كدية أو جبلا فلا يمكنه أن يحفر، ثم استعمل فيمن أعطى ولم يتمم، ولمن طلب شيئا ولم يبلغ آخره. قال الحطيئة:

أعطى قليلا ثم أكدى عطاءه ومن يبذل المعروف في الناس يحمد

(٢) الاستفهام إنكاري أي: ينكر عليه ما ادعاه من تحمل العذاب عن غيره، وفيه معنى التعجب فيما ادعاه كأنه يعلم الغيب ويشاهده، وليس له ذلك.

(٣) (أن لا تزر وازرة) أن: هي المخففة من الثقيلة، وموضعها جائز أن يكون حرفا بدلا من (ما) في قوله (بما في صحف) وجائز أن يكون في موضع رفع على إضمار: هو، وهو ما يفهم من التفسير.

(٤) يظهر أن هذا العام خصصته السنة فقد أجاز النبي ﷺ الحج والعمرة عن الغير كما أجاز الصدقة كذلك وقد يقال إن الذي يحج أو يتصدق عن غيره) هو بمثابة متوسل إلى الله تعالى طالب منه المغفرة والرحمة فإذا استجاب الله تعالى له غفر للميت ورحمه وهذا جزاء كل عمل صالح.

● وأن إلى ربك المنتهى أي إليه تصير أمور عباده بعد الموت ويحكم فيها ويجزيهم بها.

● وأنه هو أضحك[1] وأبكى أي أفرح من شاء وأحزن فضحك الفرح وبكى الحزن. أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار. زيادة على من أفرح في الدنيا ومن أحزن.

● وأنه أمات وأحيا أمات عند نهاية أجل العبد وأحياه في قبره ويوم نشره وحشره وأحْيا بالإيمان وأمات بالكفر وأمات بالقحط وأحيا بالمطر.

● وأنه خلق الزوجين أي الصنفين الذكر والأنثى من سائر الحيوانات من نطفة أي قطرة المنى إذا تمنى[2] أى تصب في الأرحام.

● وأن عليه تعالى النشأة الأخرى أي هو الذي يقوم بها فيحيي الخلائق بعد موتهم يوم القيامة.

● وأنه هو أغنى وأقنى أي أغنى بعض الناس فسد حاجتهم وكفاهم مؤونتهم، وأقنى آخرين أعطاهم مالاً كثيراً فاقتنوه قنيةً.

● وأنه هو رب الشعرى[3] ذلك الكوكب الذي يطلع خلف الجوزاء فالله خالقه ومالكه ومسخره وقد عبده الجاهلون واتخذوه رباً وإلهاً وهو مربوب مألوه.

● ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾[4] قوم هودأرسل عليهم ريحاً صرصراً ما أتت على شيء إلا جعلته كالرميم، عاد تلك الأمة القائلة من أشد منا قوة دمر الله عليهم فأهلكهم أجمعين.

● وثمودا فما[5] أبقى أي وأهلك ثمود قوم صالح بالحجر فما أبقى منهم أحداً.

● وقوم نوح من قبل عاد وثمود أهلكهم إنهم كانوا هم أظلم من غيرهم وأطغى.

● والمؤتفكة أي[6] قرى قوم لوط سدوم وعموره أهلكهم فرفع تلك القرى الى عنان السماء ثم أهوى بها الى الأرض وأرسل عليهم حجارة من طين من سجيل فغشى تلك المدن من العذاب الأليم ما غشى[7] عذاب يعجز الوصف عنه هذا هو الله رب العالمين الذي اتخذ الجهال له أنداداً فعبدوها معه.

---

(١) قيل: لا يوجد في المخلوقات من يضحك ويبكي إلا الإنسان وقيل إن القرد يضحك ولا يبكي، وإن البعير يبكي ولا يضحك. والله أعلم.

(٢) قيل: سميت منى: منى لأنها تمنى فيها الدماء أيام التشريق وهو كذلك.

(٣) قال القرطبي: اختلف فيمن كان يعبد كوكب الشعرى فقيل: كانت تعبده حمير وخزاعة وقيل: إن أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته، ولذا كان المشركون يسمون النبي ﷺ ابن أبي كبشة لما خالفهم ودعا إلى التوحيد.

(٤) قرأ الجمهور (عاداً) بإظهار تنوين عاد، وقرأ ورش (عاداً الأولى) بحذف همزة الأولى بعد نقل حركتها إلى اللام المعرفة وادغام نون التنوين من عادٍ في لام (لولى).

(٥) قرأ الجمهور (وثموداً) بالتنوين وقرأ حفص (وثمود) وقرأ حفص وحمزة بدون تنوين على إرادة اسم القبيلة.

(٦) نصب المؤتفكة، على الاشتغال وأهوى. أي جعلها هاوية والإهواء: الإسقاط وجيء بصلتها من مادة وصيغة الفعل الذي أسند إليها لأجل التهويل، والذي غشاها: هو مطر من الحجارة المحماة.

(٧) (ما) موصول فاعل (غشاها).

هذا هو الله الإله الحق الذي اتخذ الناس من دونه آلهة لا تعلم ولا تحكم ولا تقدر.

هذا هو الله العزيز المنتقم لأوليائه من أعدائه يشقي عبداً عاداه ويسعد آخر والاه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير ربوبية الله تعالى وإثبات ألوهيته بالبراهين والحجج التى لا ترد بحال.

٢ـ تقرير عدالة الله تعالى في حكمه وقضائه.

٣ـ مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته.

٤ـ تقرير حقيقة علمية وهي أن العمل الذي يزكى النفس أو يُدنسها هو ذاك الذي يباشره المرء بنفسه وباختياره وقصده ونيته.

٥ـ تحذير الظلمة والطغاة من أهل الكفر والشرك من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من الدّمار والخسران.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

شـرح الكلـمات :

فبأي آلاى ربك	: أي فبأي أنعم ربك عليك وعلى غيرك أيها الإنسان.
تتمـارى	: أي تتشكك أو تكـذب.
هذا نذير من النذر الأولى	: أي هذا النبي محمد ﷺ من النذر الأولى أي رسول مثل الرسل الأولى الذين ارسلوا الى أقوامهم.
أزفت الآزفة	: أي قربت القيامة ووصفت بالقرب لقربها فعلاً.
ليس لها من دون كاشفة (1)	: أي ليس لهـا أي للقيامـة من دون الله نفس كاشفة لها مظهرة لوقتها، إذ لا يجليها لوقتها الا الله سبحانه وتعالى.
أفمن هذا الحديث	: أي القــرآن.

تعجبون وتضحكون : أي تعجبون تكذيباً به، وتضحكون سخرية منه كذلك.

وأنتم سامدون : أي لاهون مشتغلون بالباطل من القول كالغناء والعمل كعبادة الأصنام والأوثان.

فاسجدوا لله : أي الذي خلقكم ورزقكم وكلأكم ولا تسجدوا للأصنام.

واعبدوا : أي وذلوا لله واخضعوا له تعظيماً ومحبة ورهبة فإنه إلهكم الحق الذي لا إله لكم غيره.

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض العظيم لمظاهر القدرة والعلم والحكمة وكلها مقتضية للربوبية والألوهية لله سبحانه وتعالى خاطب الله تعالى الإنسان فقال ﴿فبأي آلاء ربك[1]﴾ أي بعد الذي عرضنا عليك في هذه السورة من مظاهر النعم والنقم وكلها في الباطن نعم فبأي آلاء ربك تتمارى[2] أي تتشكك أو تكذب، وكلها ثابتة أمامك لا تقدر على إنكارها واخفائها بحال من الأحوال.

ثم قال تعالى: ﴿هذا نذير[3] من النذر الأولى﴾ يشير الى أحد أمرين إمّا إلى ما في هذه السورة والقرآن كله من نذر أو إلى النبي محمد ﷺ وكلا الأمرين حق القرآن نذير ومحمد نذير من النذر الأولى التى سبقته وهم الرسل، أو ما خوَّفت به الرسل أقوامها من عذاب الله تعالى العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة. ألا فاحذروا أيها الناس عاقبة إعراضكم.

وقوله تعالى: ﴿ازفت الآزفة﴾ يخبر تعالى أن القيامة قد آن أوانها وحضرت ساعتها إنها لقريبة جداً. ليس لها من دون الله نفس كاشفة تكشف الستار عنها وتظهرها بل تبقى مستورة لحكمة إلهية حتى تفاجأ بها البشرية وويل يومئذ للمكذبين.

وقوله تعالى توبيخاً للمشركين والمكذبين: ﴿أفمن هذا الحديث﴾ أي غفلتم كل هذه الغفلة فتعجبون من هذا الحديث الإلهي والكلام الرباني وهو القرآن. ﴿وتضحكون﴾ كأن قلوبكم أصابها الموات، ولا تبكون على أنفسكم وقد بعتموها للشيطان ليقدمها إلى نار جهنم حطباً،

---

(١) فبأي نعم ربك تشك أيها الإنسان المكذّب، والآلاء: النعم، واحدها إلىً وألىً وإلْي وألو كدلو.

(٢) التماري: التشكك، وهو تفاعل من المرية، ولا يصح أن يكون المراد بالمخاطب النبي ﷺ لأن الرسول ﷺ لا يشك أبداً، وإن قاله بعضهم، ورده إمام المفسرين ابن جرير الطبري.

(٣) حقيقة النذير: أنه المخبر عن حدثٍ مضر بالمخبَر، وجمعه: نُذُر ويطلق النذير على الإنذار فهو إذاً اسم مصدر، ومنه: (فستعلمون كيف نذير) أي: إنذاري لكم.

وأنتم سامدون[١] ساهون لاهون تُغنون وتلعبون. ويلكم أنقذوا أنفسكم فاسجدوا لله واعبدوا[٢]، فإنه لا نجاة لكم من العذاب الأليم إلا بالاطراح بين يديه اسلاماً له وخضوعاً. تعبدونه بتوحيده في عبادته، وتسلمون له قلوبكم ووجوهكم فلا يكون لكم غير الله مألوها ومعبوداً تعظمونه وتحبونه وتتقربون إليه بفعل محابه وترك مكاره.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان قرب الساعة وخفاء ساعتها عن كل خلق الله حتى تأتي بغتة.

٢- ذمّ الضحك مع الانغماس في الشهوات.

٣- الترغيب في البكاء من خشية الله.

٤- كراهية الغناء واللهو واللعب.

٥- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية لمن يتلوها ولمن يستمع لها، وهي من عزائم السجدات في القرآن الكريم، ومن خصائص هذه السجدة أن المشركين سجدوها مع رسول الله ﷺ حول الكعبة كما في الصحيح.

سُورَةُ القَمَر
مكيــة
وآياتها خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ

---

(١) السمود: الغناء بلغة حمير والمعنى: فرحون بأنفسكم تتغنون بالأغاني لقلة اكتراثكم بما تسمعون من القرآن، وفعله: سمد يسمد والأمر: اسْمُدْلنا أي غن لنا.

(٢) جائز أن يراد بالسجود: الصلاة والعبادة والتوحيد إذ كانت الصلاة يومئذ قد فرضت، وجائز أن يكون المراد بالسجود الخضوع لله والإذعان له بالإيمان والتوحيد بعد ترك الشرك والكفر، وصح أن النبي ﷺ لما قرأ هذه السورة سجد فسجد المشركون بسجوده متأثرين بما أسمعهم الشيطان من مدح آلهتهم بقوله: تلك الغرانيق العلا.. وإن شفاعتهن لترتجى.

﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾
خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

اقتربت الساعة وانشق القمر : أي قربت القيامة، وانفلق القمر فلقتين على جبل أبي قبيس.

وإن يروا آية يُعرضوا أي وإن ير كفار قريش آية أي معجزة يعرضوا عنها ولا يلتفتوا إليها.

ويقولوا سحر مستمر : أي هذا سحر مستمر أي قوى من المرّة أو دائم غير منقطع.

وكل أمر مستقر : أي وكل من الخير أو الشر مستقر باهله في الجنة أو في النار.

ولقد جاءهم من الأنباء : أي من أنباء الأمم السالفة مما قصه القرآن.

ما فيه مزدجر : أي جاءهم من الأخبار ما فيه ما يزجرهم عن التكذيب والكفر.

حكمة بالغة : أي الذي جاءهم من الأنباء هو حكمة بالغة أي تامة.

فما تغن النذر : أي عن قوم كذبوا واتبعوا أهواءهم لا تغن شيئاً.

فتولَّ عنهم : أي لذلك فأعرض عنهم.

يوم يدعو الداع إلى شيء نكر : أي يدع الداع إلى موقف القيامة.

يخرجون من الاجداث : أي من القبور.

مهطعين الى الداع : أي مسرعين إلى نداء الداع.

هذا يوم عسر : أي صعب شديد.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿اقتربت الساعة[1] وانشق القمر﴾ يخبر تعالى أن ساعة نهاية الدنيا وفنائها وقيام القيامة قد اقتربت، وأن القمر قد انشق معجزة للنبى ﷺ وبعثة النبي ﷺ علامة من علامات الساعة، وانشقاق القمر كان بمكة حيث طالبت قريش النبي ﷺ بمعجزة تدل على نبوته فسأل الله تعالى انشقاق القمر فانشق فلقتين على جبل أبى قبيس فلقة فوق الجبل وفلقة وراءه فشاهدته قريش ولم تؤمن وهو معنى قوله تعالى: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر[2]﴾ أي هذا سحر قوى شديد. قال تعالى ﴿وكذبوا﴾ أي رسولنا وما جاءهم به من التوحيد والوحى واتبعوا في هذا التكذيب أهواءهم لا عقولهم ولا ما جاء به رسولهم. وقوله تعالى ﴿وكل أمر مستقر[3]﴾ أي وكل أمر من خير أو شر مستقر بصاحبه إما في الجنة أو النار. وقوله تعالى ﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ أي من أخبار الأمم السابقة وكيف أهلكها الله بتكذيبها رسلها وإصرارها على الشرك والكفر، وذلك في القرآن الكريم ما فيه مزدجر[4] أي جاء من الأخبار الواعظة المذكرة من قصص الأنبياء مع أممهم ما فيه زاجر عن التكذيب والمعاصى هو[5] حكمة بالغة تامة، والحكمة القول الذي يمنع صاحبه من التردى والهلاك بصرفه عن أسباب ذلك.

وقوله تعالى ﴿فما تغن[6] النذر﴾ أي عن قوم كذبوا بالحق لما جاءهم واتبعوا أهواءهم ولم يتبعوا هدى ربهم ولا عقولهم. إذاً فتول عنهم يا رسولنا واتركهم إلى حكم الله فيهم. وقوله: ﴿يوم يدعو الداع الى شيء نكر[7]﴾ أي اذكر يا رسولنا يوم يدعو الداع إلى شيء نكر وهو موقف القيامة خشعاً أبصارهم وكل أجسامهم وانما ذكرت الأبصار لأنها أدل على الخشوع من سائر الاعضاء ﴿يخرجون من الأجداث﴾ أي القبور جمع جدث وهو القبر كأنهم جراد منتشر في كثرتهم وتفرقهم وانتشارهم مهطعين الى الداع أي مسرعين الى داع الله الى ساحة الموقف وفصل

---

(١) إنها بالنسبة لما مضى من أيام الدنيا لقريبة جداً إذ أكثر عمر الدنيا قد انقضى، خطب يوماً رسول الله ﷺ فقال (ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى) وما نرى من الشمس إلا يسيرا.

(٢) (مستمر): يكون بمعنى ذاهب من قولهم مرّ الشيء واستمر: إذا ذهب ويكون بمعنى محكم قوي شديد مأخوذ من المرة وهي القوة، وكونه مستمراً نافذاً أولى بالمعنى.

(٣) وجائز أن يكون (مستقر) في أم الكتاب: كائن لا محالة أو أن أمر النبي ﷺ إلى استقرار بانتصاره على الباطل وأهله فيكون في الخبر بشرى للنبي ﷺ.

(٤) أصل: (مزدجر) مزتجر من زجرته فانزجر فقلبت التاء دالاً لتقارب مخرجي التاء والدال، أي: جاءهم من الأخبار الواعظة ما يزجرهم عن الكفر، لو قبلوه واتعظوا به.

(٥) أي: جاءهم من مواعظ القرآن وزواجره ما هو حكمة بالغة إلى المقصود مفيدة لصاحبها.

(٦) جائز أن تكون (ما) نافية أي: لا تغني النذر شيئاً عمن تلك حاله، وجائز أن تكون استفهامية أي: أي شيء تغني النذر مع الإصرار على الكفر والتوغل في الباطل، والاستفهام للنفي أيضاً.

(٧) (نكر) ما تنكره النفوس وتكرهه، ونُكر: وزنه نادر نحو أُنُف: بمعنى جديد.

القضاء. يومئذ يقول الكافرون هذا يوم عَسِر وهو كذلك عسير شديد العسر ولكن على المؤمنين يسير غير عسير. كما قال تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير مفهومه أنه على المؤمنين يسير.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ ذكر بعض علامات السـاعة. كبعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر معجزة له ﷺ.

٣ـ التنديد باتباع الهوى، والتحذير منه فإنه مهلك.

٤ـ عدم جدوى النذر لمن يتنكر لعقلة ويتبع هواه.

كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ

شـرح الكلـمات :

فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون : أي كذبوا نوحا عبد الله ورسوله وقالوا هو مجنون.

وازدجـــر : أي انتهروه وزجروه بالسب والشتم.

فدعا ربه اني مغلوب فانتصر : أي فسأل ربه قائلاً رب إني مغلوب فانتصر أي لي.

بماء منهمر : أي منصب انصبابا شديدا.

وفجرنا الأرض عيوناً : أي تنبـع نبـعاً.

فالتقى الماء : أي ماء السماء وماء الأرض.
على أمر قد قدر : أي في الأزل ليغرقوا به فيهلكوا.
وحملناه على ذات ألواح ودسر : أي حملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح ودسر وهو ما يدسر به الألواح من مسامير وغيرها. واحد الدسر دسار ككتاب.
تجرى بأعيننا : أي بِمرأىً منا أي محفوظة بحفظنا لها.
جزاء لمن كان كفر : أي أغرقناهم انتصاراً لمن كان كفر وهو نوح كفروا نبوته وكماله.
ولقد تركناها : أي إغراقنا لهم على الصورة التى تمت عليها.
آيـــة : أي لمن يعتبر بها حيث شاع خبرها واستمر الى اليوم.
فهل مـن مدّكر : أي معتبر ومتعظ بها.
فكيف كان عذابى ونذر : أي ألم يكن واقعاً موقعه.
ولقد يسرنا القرآن للذكر : أي سهلناه للحفظ، وهيأناه للتذكير.
فهل من مدّكر : أي فهل من متعظ به حافظ له متذكر.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ يخبر تعالى مسليا رسوله مخوفاً قومه فيقول ﴿كذبت قبلهم﴾ أي قبل قريش قوم نوح وهو أول رسول أرسل الى قوم مشركين فكذبوا عبدنا[1] رسولنا نوحاً كذبوه في دعوة التوحيد كذبوه في دعوة الرسالة، ولم يكتفوا بتكذيبه فقالوا مجنون[2] أي هو مجنون ﴿وازدجر﴾ أي انتهروه وزجروه ببذيء القول وسيّىء الفعل فدعا أي نوح ربه قائلا ﴿أني مغلوب فانتصر﴾ لي ياربي، فاستجاب الله تعالى له ففتح أبواب السماء بماء منهمر[3] أي منصب انصباباً شديداً، وفجرنا الأرض عيوناً نابعة من الأرض فالتقى[4] الماء النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿على أمـر قد قدر أي قدره الله في الأزل وقضى بأن يهلكهم بمـاء الـطوفـان وقـولـه تعـالى ﴿وحملنـاه على ذات ألواح ودسر﴾ والدسر جمع واحده دسار ككتاب وكتب وهو ما تُدْسَرُ به الألواح من مسامير وغيرها وقوله تعالى ﴿تجرى﴾ وهي حاملة لعوالم شتى ﴿بأعيننا﴾ أي بمرأىً منّا محفوظة بحفظنا لها وقوله ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ أي أغرقناهم انتصاراً لعبدنا نوح وجزاء له على صبره مع

---

(١) أخبر تعالى أن قوم نوح كذبوا الرسل. وكان في الكلام اجمال ففصّله بقوله: (فكذبوا عبدنا) أي: نوحاً، وقالوا مجنون، وفيه إشارة إلى أن المكذب برسول يعتبر مكذباً بكل الرسل.

(٢) (مجنون) خبر لمبتدأ محذوف أي: هو مجنون. والجملة مقولة القول.

(٣) (منهمر) أي: كثير والهمر: الصب، وكان انهمار الماء بدون سحاب وقيل استمر أربعين يوماً.

(٤) التقى الماءان النازل من السماء والنابع من الأرض (على أمر قد قدر) أي: على مقدار معيّن لم يزد أحدهما على الآخر.

طول الزمن لقد أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً. وقوله ﴿ولقد تركناها آية﴾ أي تلك الفعلة التي فعلنا بهم وهي إغراقنا لهم تركناها آية للاعتبار لمن يعتبر بها حيث شاع خبرها واستمر إلى اليوم.

وقوله تعالى ﴿فهل من مدّكر﴾[1] أي معتبر ومتعظ بها. وقوله ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾[2] ألم يكن واقعاً موقعه ؟ بلى. وقوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر. فهل من مدّكر؛ أي فهل من متعظ به حافظ له والاستفهام للأمر أي فاتعظوا به واحفظوه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تسلية الرسول ﷺ.

٢ـ تحذير قريش من الاستمرار في الكفر والمعاندة.

٣ـ تقرير حادثة الطوفان والتي لا ينكرها الا سفيه لم يحترم عقله.

٤ـ فضل الله على هذه الأمة بتسهيل القرآن للحفظ والتذكر.

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾

شـرح الكلمـات :

كذبت عاد : أي نبيها هوداً عليه السلام فلم تؤمن به ولا بما جاء به.

فكيف كان عذابي ونذر[3] : أي فكيف كان عذابي الذي أنزلته بهم وإنذارى لهم كان أشد ما يكون.

إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً : أي ريحا عاتية ذات صوت شـديد.

---

(١) أصل مدّكر مُتذكر أبدلت التاء ذالاً كما أبدلت الذال دالاً وأدغمت الدالان الأولى في الثانية فصارت مدكر أي معتبر متعظ.

(٢) ونذر: تقدم أنه اسم مصدر كالإنذار.

(٣) قال القرطبي : وقعت نذر في هذه السورة في ستة أماكن محذوفة الياء في جميع المصاحف، وقرأها يعقوب مثبتة في الحالين أي : في الوصل والوقف، وقرأها ورش في الوصل لا غير. وحذفها الباقون ولا خلاف في حذف النون في قوله : (فما تغن النذر) والواو في قوله : (يدع) وأما الياء من (الداع) أثبتها ورش وأبوعمرو في الوصل وحذفها الباقون.

في يوم نحس مستمر : أي في يوم نحسٍ أي شؤم مستمر دائم الشؤم قويَّة حتى هلكوا.

تنزع الناس كأنهم أعجاز[1] : أي تقتلعهم من الحفر التى اندسوا فيها وتصرعهم فتدق رقابهم.

نخـل منقـعر : منفصلة أجسامهم كأنهم والحال كذلك أعجاز أي أصول نخل منقلع.

ولقد يسرنا القرآن للذكر : أي سهلنا القرآن للحفظ والتذكير والتذكر به.

فهل من مدّكر : أي تذكروا يا عباد الله بالقرآن فإن منزله سهَّله للتذكير.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿كذبت عادٌ﴾ هذا القصص الثاني في هذه السورة يذكر بإيجاز تسلية لرسول الله ﷺ وتهديداً لقومه المكذبين وذكرى للمؤمنين فقال تعالى كذبت عاد أي قوم هود كذبوا رسول الله هودا عليه السلام وكفروا بما جاءهم به من التوحيد والشرع وقالوا ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فأرسل تعالى عليهم ريحاً صرصراً ذات صوت شديد في يوم نحس[2] وكان مساء الاربعاء لثمان خلون من شهر شوال مستمر بشدة وقوة وشؤم عليهم مدة سبع ليال وثمانية أيام تنزع تلك الريح الناس وقد دخلوا حفراً تحصنوا بها فتنزعهم منها نزعاً وتخرجهم فتصرعهم فتدق رقابهم فتنفصـل عن أجسادهم فيصيرون والحال هذه لطول أجسامهم كأنهم أعجاز نخل منقعر[3] أي منقلع ساقط على الأرض. وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابي ونذر؟﴾ هذا الاستفهام للتهويل أي إنه كان كأشد ما يكون العذاب والإنذار. وقوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي سهلناه وهيأناه بفضل منا ورحمة للحفظ ولولا هذا التسهيل ما حفظه أحد، وهيئناه للتذكر به. فهل من مدّكر أي من متذكر والاستفهام للأمر كأنما قال: فاحفظوه وتذكروا به.

---

(١) جملة: (كأنهم أعجاز نخل منقعر) في موضع نصب على الحال من الناس.

(٢) النحس: سوء الحال، وقد انجرَّ إلى المسلمين بواسطة عقائد المجوس التشاؤم بيوم الأربعاء من آخر الشهر، ولا تشاؤم في الإسلام والنحس كان على الكافرين الذين أهلكهم الله تعالى فلا ينسحب النحس على الناس طوال الحياة.

(٣) (منقعر) قال القرطبي: سئل المبرّد عن ألف مسألة من جملتها قيل له: ما الفرق بين قوله تعالى: (ولسليمان الريح عاصفة) و(جاءتها ريح عاصف) وقوله: (أعجاز نخلٍ خاوية) و(أعجاز نخل منقعر)؟ فقال: كل ما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيراً أو إلى المعنى تأنيثاً. ا.هـ.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان عقوبة المكذبين لرسل الله وما نزل بهم من العذاب في الدنيا قبل الآخرة.

٢ـ بيان أن قوة الانسان مهما كانت أمام قوة الله تعالى هي لا شيء ولا ترد عذاب الله بحال.

٣ـ بيان تسهيل الله تعالى كتابه للناس ليحفظوه ويذكروا به، ويعملوا بما جاء فيه ليكملوا ويسعدوا في الحياتين.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

شـرح الكلمـات :

كذبت ثمود بالنذر : أي كذبت قبيلة ثمود وهم قوم صالح بالحجر من الحجاز بالرسل لأن النذر جمع نذير وهو الرسول كما هو هنا.

فقالوا أبشر منا واحداً نتبعه : أي كيف نتبع بشراً واحداً منا إنكاراً منهم للايمان بصالح عليه السلام.

إنا إذاً لفى ضلال وسعر : أي إنا إذا اتبعناه فيما جاء به لفي ذهاب عن الصواب وجنون.

أألقى عليه الذكر من بيننا : أي لم يوح إليه من بيننا أبداً وإنما هو كذاب أشر.

بـل هو كذاب أشر	: أي فيما ادّعى أنه ألقى إليه من الوحي أشرٌ بمعنى متكبر.
ستعلمون غـدا	: أي في الآخـرة.
من الكذاب الأشـر	: وهو هم المعذبون يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم.
إنا مرسلو الناقة فتنة لهم	: أي إنا مخرجو الناقة من الصخر ومرسلوها لهم محنة.
فارتقبهم واصطبر	: أي انتـظر وراقب ماذا يصنعون وما يصنع بهم، واصبر على أذاهم.
ونبئهم أن الماء قسمة بينهم	: أي ماء بئرهم مقسوم بينهم وبين الناقة فيوم لها ويوم لهُم.
كل شرب محتضر	: أي كل نصيب من الماء يحضره قومه المختصون به الناقة أو ثمود.
فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر	: أي فملوا ذلك الشرب وسئموا منه فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف ليقتلها فتعاطى السيف وتناوله فعقر الناقة أي قتلها.
إناأرسلناعليهم صيحةواحدة	: هي صيحة جبريل صباح السبت فهلكوا.
فكانوا كهشيم المحتظر	: أي صاروا بعـد هلاكهم وتمـزق أجسـادهم كهشيم المحتظر وهو الرجل يجعل في حظيرة غنمه العشب اليابس والعيدان الرقيقة يحظر بها لغنمه يحفظها من البرد والذئاب.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ هذا القصص الموجز الثالث وهو قصص ثمود قوم صالح فقال تعالى في بيانه ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أي التى أنذرها نبيها صالح وهي ألوان العذاب كما كذبته فيما جاء به من الرسالة فقالوا في تكذيبهم له عليه السلام: ﴿أبشراً منا واحدا نتبعه﴾[(١)] أي كيف يتم ذلـك منـا ويقـع؟ عجبٌ هذا إنـا إذاً لفي ضلال وسعـر إنـا إذا اتبعنـاه وهـو واحـد لا غير ومنـا أيضـا فهو كغيره من أفراد القبيلة لفى بعد عن الصواب وذهاب عن كل رشد،وسُعر[(٢)] أي وجنون أيضا،

(١) أي: أنتبع فردا ونترك جماعة؟ قرأ الجمهور: (بشراً) منصوباً على الاشتغال، ورفعه بعضهم على الابتداء، وواحد: نعت يتبع المنعوت في النصب والرفع.

(٢) السعر: الجنون، والمسعور: المجنون قال الشاعر:

تخال بها سُعراً إذا السُّفر هزها ... ذَمِيلٌ وايقاع من السير متعب

يصف ناقته بالسعر لشدة نشاطها.

وقالوا مستنكرين متعجبين ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذّاب أشر﴾ أي متكبر.

قال تعالى رداً عليهم سيعلمون غدا يوم ينزل بهم العذاب ويوم القيامة أيضا من الكذاب الأشر أصالح أم هم، لن يكونوا إلا هم فهم الذين أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وقوله تعالى: ﴿إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم﴾ أي كما طلبوا إذ قالوا لصالح إن كنت رسول الله حقا فسله يخرج لنا من هذه الصخرة في هذا الجبل ناقة فقام يصلى ويدعو ومازال يصلى ويدعو حتى تمخض[1] الجبل وخرجت منه ناقة عشراء آية في القوة والجمال، وقال لهم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم أليم. ومعنى فتنة لهم أي امتحاناً واختباراً لهم هل يؤمنون أو يكفرون، ولذا قال تعالى لصالح فارتقبهم واصطبر[2] أي انظر إليهم وراقبهم من بُعد واصطبر على أذاهم. ونبئهم أي أخبرهم بأمرنا أن الماء ماء بئرهم الذي يشربون منه قسمة بينهم[3] أي مقسوم بينهم للناقة يوم وللقبيلة يوم، وقوله كل شرب[4] محتضر أي كل نصيب خاص بصاحبه يحضره دون غيره. وما تشربه الناقة من الماء نحيله إلى لبن خالص وتقف عند كل باب من أبواب المدينة ليحلبوا من لبنها وطالت المدة وملوا اللبن والسعادة فنادوا صاحبهم غدار بن سالف عاقر الناقة فتعاطى[5] السيف وتناوله وعقرها بضرب رجليها بالسيف ثم ذبحها. وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابي﴾ الذي أنزلته بهم بعد عقر الناقة كيف كان إنذارى لهم أما العذاب فقد كان أليماً وأما الإنذار فقد كان صادقاً، والويل للمكذبين. وهذا بيانه قال تعالى ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ هي صيحة جبريل عليه السلام فانخلعت لها قلوبهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين كهشيم المحتظر[6] أي ممزقين محطمين مبعثرين هنا وهنا كحطب وخشب وعشب الحظائر التي تجعل للأغنام.

---

(١) قال القرطبي: روي أن صالحاً صلى ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التي عيّنوها عن سنامها، فخرجت ناقة عشراء وبراء.

(٢) (واصطبر) أصل الكلمة واصتبر قلبت التاء طاءً موافقة للصاد في الإطباق.

(٣) روي عن جابر قال: لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله ﷺ تبوك قال: (أيها الناس لا تسألوا في هذه الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيّهم أن يبعث الله لهم ناقة فبعث الله عز وجل إليهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون يوم غِبها).

(٤) الشرب بكسر الشين: الحظ من الماء، ومعنى محتضر: أي يحضره من هو له دون غيره إذ هو من الحضور خِلاف الغياب.

(٥) (فتعاطى) مضارع عاطاه معاطاة وهو مشتق من عطا يعطو: إذا تناول ما يطلبه من شيء كأنهم كانوا مترددين في عقرها كل واحد يريد إعطاء غيره آلة العقر حتى أخذها غدار وعقرها.

(٦) المحتضر: اسم فاعل: الرجل الذي يتخذ الحظائر لغنمه من الحطب والعيدان وأغصان الشجر.

وقوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾ يدعو الله تعالى هذه الأمة الى كتابه قراءة وحفظاً وتذكراً فإنه مصدر كمالهم وسعادتهم لا سيما وقد سهله وهيأه لذلك. ولا يهلك على الله الا هالك.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان سنة الله في إهلاك المكذبين.

٢ـ بيان أن الآيات لا تستلزم الإيمان والا فآية صالح من أعظم الآيات ولم تؤمن بها قوم ثمود.

٣ـ أشقى أمة الإسلام عقبة بن أبي مُعيط الذي وضع سلى الجزور على ظهر الرسول ﷺ وهو يصلي حول الكعبة، وعاقر ناقة صالح غدار بن سالف كما جاء في الحديث.

٤ـ دعوة الله الى حفظ القرآن والتذكير به فإنه مصدر الإلهام والكمال والإسعاد.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟
بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

شـرح الكلمـات :

كذبت قوم لوط بالنذر : كذبت قوم لوط بالنذر التى أنذرهم بها وخوفهم منها لوط عليه السلام.

إنا أرسلنا عليهم حاصبا : أي ريحاً ترميهم بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة فهلكوا.

إلا آل لوط نجيناهم بسحر : أي بِنتاهُ وهو معهم نجاهم الله تعالى من العذاب حيث غادروا البلاد قبل نزول العذاب بها.

نعمة من عندنا : أي إنعاماً منا عليهم ورحمة منا بهم.

كذلك نجزى من شكر : أي مثل هذا الجزاء بالنجاة من الهلاك نجزى من شكرنا بالإيمان والطاعة.

ولقد أنذرهم بطشتنا : أنذرهم لوط أي خوفهم أخذتنا إياهم بالعذاب.

فَتَمَارَوْا بالنذر : أي فتجادلوا وكذبوا بالنذر التي أنذرهم بها وخوفهم منها.

ولقد راودوه عن ضيفه[1] : أي أن يخلى بينهم وبين ضيفه وهم ملائكة ليخبثوا بهم.

فطمسنا أعينهم : أي ضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فكانت كباقى وجوههم.

ولقد صبحهم بكرة عذابٌ مستقر: أي نزل بهم بكرة صباحاً عذاب مستقر لا يفارقهم أبداً هلكوا به في الدنيا ويصحبهم في البرزخ ويلازمهم في الآخرة.

ولقد يسرنا القرآن للذكر : أي سهلناه للحفظ والتذكر به والعمل بما فيه.

فهل من مدّكـر؟ : أي من متذكر فيعمل بما فيه فينجو من النار ويسعد في الجنة.

ولقد جاء آل فرعون النذر : أي قوم فرعـون الإنـذارات على لسـان موسى وهـرون عليهما السلام.

كذبوا بآياتنا كلها : أي فلم يؤمنوا بل كذبوا بآياتنا التسع التى آتيناها موسى.

فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر : أي فأخذناهم بالعذاب وهو الغرق أخذ قوى مقتدر على كل شيء لا يعجزه شيء.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر موجز لقصص عدد من الأمم السابقة تسلية لرسول الله ﷺ

---

(١) ليخبثوا بهم، أي: بإتيانهم الفاحشة، في القاموس: الخبث: الزنا، وخبث ككرم: إذا زنى وخبثت المرأة: إذا زنت فهي خبيثة، والزاني: خبيث.

وتهـديداً للمشـركين المصـرين على الشرك بالله والتكذيب لرسول الله ﷺ، وانذاراً لأهل الشرك والمعاصى في كل زمان ومكان فقال تعالى ﴿كذبت قوم لوط﴾[1] وهم أهل قرى سدوم[2] وعمورة كذبوا رسولهم لوطاً بن أخى إبراهيم عليه السلام هاران. كذبوا بالنذر وهى الآيات التى أنذرهم لوط بها وخوفهم من عواقبها.

وقـوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبا﴾[3] أي لما كذبوا بالنذر وأصروا على الكفر وإتيان الفاحشة ارسلنا عليهم حاصباً ريحاً تحمل الحصباء الحجارة الصغيرة فأهلكناهم بعد قلب البلاد بجعل عاليها سافلها. وقوله تعالى ﴿إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾[4] والمراد من آل لوط لوط ومن آمن معه من ابنتيه وغيرهما نجاهم الله تعالى بسحر وهو آخر الليل. وقوله ﴿نعمة من عندنا﴾ أي كان انجاؤهم إنعاماً منا عليهم ورحمة منا بهم. وقوله تعالى ﴿كذلك نجزى من شكر﴾ أي كهذا الإنجاء أي من العذاب الدنيوي نجزى من شكرنا فآمن بنا وعمل صالحاً طاعة لنا وتقربا إلينا وقوله تعالى: ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا﴾[5] أي إننا لم نأخذهم بظلم منا ولا بدون سابق إنذار منا لا، لا بل أخذنـاهم بظلمهم، وبعـد تكـرر إنـذارهم، فكانوا إذا أنذروا تماروا بما أنذروا فجادلوا فيه مستهزئين مكذبين، ومن أعظم ظلمهم أنهم راودوا لوطاً عن ضيفه من الملائكة وهم في صورة بشر، فلما راودوه عنهم ليفعلوا الفاحشة ضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فأصبحت كسائر وجوههم لا حاجب ولا مقلة ولا مكان للعين بالكلية وقولنا لهم فذوقوا عذابي ونذري أي لأولئك الـذين راودوا لوطاً عن ضيفه، أما باقى الأمة فهلاكهم كان كما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿ولقد صحبهم بكـرة﴾ أي صبـاحاً ﴿عذابٌ مستقر﴾ أي دائم لهم ملازم لا يفارقهم ذاقوه في الدنيا موتاً وصاحبهم بزرخاً ويلازمهم في جهنم لا يفارقهم.

وقلنـا لهم فذوقوا عـذابي ونذر[6] حيث كنتم تمارون وتستهزئون وقوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي القرآن للحفظ وسهلناه للفهم والاتعاظ به والتذكر فهل من مدّكر أي فهل من متذكر متعظ معتبر فيقبل على طاعة الله متجنباً معاصيه فينجو ويسعد وقوله تعالى: ﴿ولقد جاء

(١) عرّف قوم لوط بالاضافة إليه عليه السلام لأنه لم يكن لتلك الأمة اسم عند العرب يعرفون به.

(٢) بعضهم يرويها بالذال المعجمة وبعضهم بالدال المهملة، وعمورة بعضهم يرويها بلفظ عمورية.

(٣) (إنا أرسلنا) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن من سمع بتكذيبهم تساءل عما فعل الله بهم.

(٤) لوط داخل في آله بفحوى الخطاب فلا يقال: لم لم يذكر لوط وذكر آله دونه.

(٥) البطشة المرة: أي الأخذة بشدة وعنف وقوة.

(٦) هذه المرة الثالثة ينوه فيها القرآن الكريم ولم يذكر هنا ما ذكر في المرتين قبل من قوله: (فكيف كان عذابي ونذر) اكتفاء بما سبق ذكره بُعداً عن التكرار غير المجدي.

آل فرعون النذر﴾[1] أي قوم فرعون من القبط وجنده منهم كذلك جاءتهم النذر على لسان موسى وأخيه هارون فكذبوا وأصروا على الكفر والظلم، وكذبوا بآيات الله كلها وهي[2] تسع آيات آتاها الله تعالى موسى أولها العصا وآخرها انفلاق البحر فبسبب ذلك أخذناهم أخذ عزيز غالب لا يمانع في مراده مقتدر لا يعجزه شيء فأغرقناهم أجمعين.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١- تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته بالالتزام وتقرير التوحيد وإثبات النبوة لمحمد ﷺ. إذ أفعال الله العظيمة من إرسال الرسل والأخذ للظلمة الكافرين بأشد أنواع العقوبات من أجل أن الناس لم يعبدوا ولم يطيعوا دال على ربوبيته وألوهيته، وقص هذا القصص من أميّ لم يقرأ ولم يكتب دال على نبوة محمد ﷺ.

٢- بيان جزاء الشاكرين لله تعالى بالإيمان به وطاعته وطاعة رسله.

٣- مشروعية الضيافة وإكرام الضيف، وفي الحديث: من كان يؤمن[3] بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.

٤- تيسير القرآن وتسهيله للحفظ والاتعاظ والاعتبار.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

شـرح الكلمـات :

أكفاركم خير من أولئكم : أي أكفاركم يا قريش خير من أولئكم الكفار المذكورين من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وملائه؟ فلذا هم

(١) هذا آخر قصة تضمنتها سورة القمر تذكيراً وإنذاراً لكفار قريش لعلهم يؤمنون ويوحدون، والمراد من آل فرعون: أتباعه من رجال دولته وجنوده وقومه الأقباط، والشاهد من القصة أنهم كذبوا فأخذوا، فليعلم هذا المصرون على التكذيب من كفار قريش.

(٢) خمس منها في آية الأعراف: (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد، والقمل والضفادع والدم). والأربع الأخرى هي انقلاب العصا حية، وخروج يده من جيبه بيضاء كفلقة القمر وسنو القحط والطمس على الأموال وانفلاق البحر، فهذه التسع آيات التي كذبوا بها كلها.

(٣) في الصحيح.

لا يعذبون.

أم لكم براءة في الزبر : أم لكم يا كفار قريش براءة من العذاب في الزبر أي الكتب الإلهية.

أم يقولون نحن جميع منتصر : أم يقولون أي كفار قريش نحن جميع[1] أي جمع منتصر على محمد وأصحابه.

سيهزم الجمع ويولون الدبر : أي سيهزم جمعهم ويولون الدبر هاربين منهزمين وكذلك كان في بدر.

بل الساعة موعدهم : أي الساعة موعدهم بالعذاب والمراد من الساعة يوم القيامة.

والساعة أدهى وأمر : أي وعذاب الساعة وأهوالها أي هي أي أعظم بلية وأمر أي أشد مرارة من عذاب الدنيا قطعاً.

معنى الآيات :

يقول تعالى مبكتا مشركي قريش مؤنباً إياهم وهم الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم يقول الله تعالى لهم: ﴿أكفاركم﴾[2] يا قريش خير من كفار الأمم السابقة كعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون فلذا هم آمنون من العذاب الذي نزل بكفار الآخرين، أم لكم[3] براءة من العذاب جاءت في الكتب مسطورة اللّهم لا ذا ولا ذاك ما كفاركم بخير من أولئكم، وليس لكم براءة في الزبر، وإنما أنتم ممهلون فإما أن تتوبوا وأما أن تؤخذوا.

وقوله تعالى عنهم ﴿أم يقولون نحن جميع﴾[4] أي جمع منتصر على كل من يحاربنا ويريد أن يفرق جمعنا نعم قالوا هذا، ولكن سيهزم الجمع ويولون الدبر، وقد تم هذا في[5] بدر بعد سنيات ثلاث أو أربع وهزم جمعهم في بدر وولوا الأدبار هاربين الى مكة.

وقوله تعالى ﴿بل الساعة موعدهم﴾[6] أي الساعة التى ينكرونها ويكذبون بها هي موعد عذابهم

---

(١) جميع: اسم للجماعة كأنهم قالوا: نحن جماعة منتصرة على من يريد حربنا وذكرت الصفة (منتصر) مراعاة للفظ الجميع لا لدلالته على متعدد.

(٢) جائز أن يكون الاستفهام على بابه حيث يطلب منهم أن يفصحوا عن الحقيقة فإن قالوا كفارنا خير قيل لهم ما وجه الخيرية، وإن قالوا: الكل سواء قيل إذاً فسوف تؤخذون بالعذاب كما أخذ الأولون.

(٣) أم: للإضراب الانتقالي وما يقدر بعدها من استفهام هو للإنكار أي: بل ما لكم براءة في الزبر من العذاب حتى تكونوا آمنين مع تكذيبكم وكفركم.

(٤) (أم) هي المنقطعة المفسرة ببل للإضراب الانتقالي والاستفهام المقدر بعدها للتوبيخ.

(٥) فكانت هذه آية على أن القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله لتحقق الغيب الذي أخبر به.

(٦) الساعة في القرآن: علم بالغلبة على يوم القيامة والحساب والجزاء.

الحق أما عذاب الدنيا فهو ليس شيء إذا قيس بعذاب الآخرة. ﴿والساعة أدهى﴾ أي أعظم بلية وأكبر داهية تصيب الإنسان وعذابها، ﴿وأمر﴾ أي وعذابها أمر من عذاب الدنيا كله.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان حقيقة يغفل عنها الناس وهي أن الكفر كله واحد ومورد للهلاك.

٢ـ لا قيمة أبداً لقوة الإنسان إزاء قوة الله تعالى.

٣ـ صدق القرآن في إخباره بغيب لما يقع ووقع كما أخبر وهو آية انه وحي الله وكلامه.

٤ـ القيامة موعد لقاء البشرية كافة بحيث لا يتخلف عنه أحد.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾
وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ
فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

شـرح الكلـمات :

إن المجرمين في ضلال وسعر : أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي في ضلال في الدنيا ونار مستعرة في الآخرة.

ذوقوا مسَّ سقر : أي يوم يسحبون في النار على وجوههم يقال لهم ذوقوا مس سقر جهنم.

إنا كل شيء خلقناه بقدرٍ : أي إنـا خلقنـا كل شيء بتقـدير سابق لخلقنا له وذلك بكتابته في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض فهو يقع كما كتب كمية وصورة وزمانا ومكاناً لا يتخلف في شيء من ذلك.

وما أمرنا الا واحدة : أي وما أمرنا إذا أردنا خلق شيء إلا أمرةً واحدة فيتم وجوده.

كـلمح بالبصـر : الشيء بسرعة كلمح البصر وهو النظر بعجلة.

ولقد أهلكنا اشياعكم : أي ولقد أهلكنا أمثالكم أيها المشركون من الأمم السابقة.

فهل من مدّكر؟ : أي فاذكروا واتعظوا بهذا خيراً لكم من هذا الإعراض.

وكل شيء فعلوه في الزبر : أي وكل ما فعله العباد هو مسجل في كتب الحفظة من الملائكة.

وكل صغير وكبير مستطر : أي وكـل صغير وكبير من سائر الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ مستطر مكتوب.

إن المتقين في جنات ونهر : ان الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يفسقوا عن أمره في جنات يشربون من أنهار الماء واللبن والخمر والعسل المصفى.

في مقعد صدق : أي في مجلس حق لا لغو به ولا تأثيم.

عند مليك مقتدر : عند مليك أي ذي ملك وسلطان مقتدر علىٰ ما يشاء وهو الله جل جلاله.

معنى الآيـات:

قوله تعالى ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ يخبر تعالى عن حال المجرمين وهم الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك وغشيان الذنوب يخبر تحذيراً وإنذاراً بأن المجرمين في ضلال في حياتهم الـدنيا، وسعر ونار مستعرة متأججة يوم القيامة يوم يسحبون في النار على وجـوههم يقـال لهم ذوقـوا تهكماً بهم مسّ سقر (١) تذوقـوا العـذاب، وسقـر طبق من أطبـاق جهنم وباب من أبوابها

وقوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (٢) إعلام منه تعالى عن نظام الكون الذ ي خلقه

---

(١) (سقر) قال عطاء: سقر: الطبق السادس من جهنم، ومسها: هو ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها، وسقر: اسم من أسماء جهنم لا ينصرف لأنه اسم مؤنث معرفة وكذلك جهنم ولظى.

(٢) روى الترمذي وحسنه وصححه عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر). وروى مسلم عن طاووس قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر: قال: وسمعت عبدالله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ: (كل شيء بقدر حتىٰ العجز والكيس).

تعالى وهو أن كل حادث يحدث في هذا العالم قد سبق به علم الله وتقديره له فحَدَّد ذاته وصفاته وأعماله ومآله إلى جنة أو إلى نارٍ، إن كان انسانا أو جانا وليس هناك شيء يحدث بدون تقدير سابق له وعلم تام به قبل حدوثه.

وقوله تعالى: ﴿وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر﴾[1] يخبر تعالى عن قدرته كما أخبر عن علمه بأنه تعالى إذا أراد إيجاد شيء في الوجود لم يزد على أمرٍ واحد وهو كن فإذا بالمطلوب يكون كما أراد تعالى أزلاً أن يكون، وبسرعة كسرعة لمح البصر الذي هو نظرة سريعة.

وقـوله تعالى وهو يخاطب مشركي قريش ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أي أمثالكم في الكفر والعصيان أي من الأمم السـابقـة ﴿فهل من مدكر﴾ أي متذكر متعظ معتبر قبل فوات الوقت وحصول المكروه من العذاب في الدنيا وفي الآخرة.

وقوله تعالى ﴿وكل شيء فعلوه﴾ أي أولئك المشركون ﴿هو في الزبر﴾ أي في كتب الحفظة من الملائكة الكرام الكاتبين، وكل صغير وكبير من أعمالهم وأعمال غيرهم بل كل حادثةٍ في الأكوان هي مسطرة في اللوح المحفوظ كتاب المقادير.

وقوله تعالى ﴿إن المتقين في جنات ونهر[2]﴾ هذا الإخبار يقابل الإخبار الأول أن المجرمين في ضلال وسعر فالأول إعلام وتحذير وترهيب وهذا إخبار وبشرى وترغيب حيث أخبر أن المتقين الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يفسقوا عن أمره إنهم في جنات بساتين ذات قصور وحور، وأنهار وأشجار هم جالسون في مقعد صدق[3] في مجلس حق لا لغو يسمع فيه ولا تأثيم يلحق جالسه عند مليك[4] أي ذي ملك وسلطان مقتدر على فعل كل ما يريده سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه.

---

(١) (إلا واحدة) أي: مرة واحدة (كلمح البصر) أي: قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر، واللمح، النظر بعجلة، يقال لمحه وألمحه: إذا أبصره بنظرٍ خفيف.

(٢) قرىء في غير السبع ونُهر بضم النون والهاء جمع نهار أي لا ليل لهم كسحاب وسُحب قال الفراء: أنشدني بعض العرب:

إن تك ليلياً فإني نَهِـرٌ   متى أرى الصبح فلا أنتظر

وقال آخر:

لولا الثريدان هلكنا بالضحى   ثريد ليل وثريد بالنهر

(٣) (مقعـد صدق) قال القرطبي: أي: مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة، والعندية هنا عندية القربى والزلفى والمكانة والرتبة العالية والمنزلة الشريفة في جوار أرحم الراحمين ورب العالمين.

(٤) (مليك) أبلغ من ملك وهو بمعنى: مالك، و(مقتدر) أبلغ من قادر، والتنكير في مليك، ومقتدر: للتعظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١- بيان مصير المجرمين وضمنه تخويف وتحذير من الإجرام الموبق للإنسان.

٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٣- تقرير أن اعمال العباد مدونة في كتب الكرام الكاتبين لا يترك منها شيء.

٤- تقرير أن كل صغيرة وكبيرة من أحداث الكون هي في كتاب المقادير اللوح المحفوظ.

٥- بيان مصير المتقين مع الترغيب في التقوى إذ هي ملاك الأمر وجماع الخير.

٦- ذكر الجوار الكريم وهو مجاورة الله رب العالمين في الملكوت الأعلى في دار السلام.

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ (١)

مكيـــة

وآياتها ثمان وسبعون آيـة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ (١) عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ (٢) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ (٣)
عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ (٤) ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ (٥) وَٱلنَّجۡمُ
وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ (٦) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ
(٧) أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ
وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ (٩) وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ (١٠)
فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ (١١) وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ
وَٱلرَّيۡحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)

---

(١) روى البيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن) وذكره صاحب الإتقان كذلك.

شـرح الكلـمات :

الرحمـن	: اسم من أسماء الله تعالى .
علم القـرآن	: أي علم من شاء من عِباده القرآن .
خلق الإنسـان	: آدم كما خلق ذريته أيضاً .
علمـه البيـان	: أي علم آدم البيان الـذي هو النطق والإعراب عما في النفس بلغة من اللغات كل هذا تعليم الله عز وجل ولولا الله ما نطق إنسان .
الشمس والقمر بحسبان	: أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما .
والنجم والشجر يسجدان	: النجم ما لا ساق له من النبـات، والشجـر ما له ساق يسجدان يخضعان لله تعالى بما يريد منهما في طواعية كالسجودمن المكلفين .
والسـماء رفعـها	: أي فوق الأرض وأعلاها .
ووضـع الميـزان	: أي أثبت العدل بين العباد أمر به وألهم صنع آلته .
الا تطغوا في الميزان	: أي لأجل أن لا تجوروا في الميزان وهو ما يوزن به من آلات .
وأقيموا الوزن بالقسط	: أي بالعدل .
ولا تخسروا الميزان	: أي لا تنقصوا الموزون الذي تزنونه بل وفوه .
والأرض وضعها للانام	: أي أثبتها وخفضها كما رفع السماء وأعلاها للأنام لحياة الأنام عليها وهم الإنس والجن والحيوان وكل ذي روح .
فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام	: أي في الأرض فاكهة وهي كل ما يتفكه به الإنسان من أنواع الفواكه الكثيرة، والنخل ذات الأكمام وهي أوعية طلعها .
والحب ذو العصـف	: أي وفي الأرض الحب من بُرٍّ وشعير وعصفه تبنه .
والريــحان	: نبت معروف، والمراد به أنواع الرياحين المشمومة ذات الريح الطيّب .
فبأي آلاء ربكما تكذبان	: أي فبأي نعم ربكما يا معشر الجن والإنس تكذبان وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى . والجواب لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد .

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿الرحمن[1] علم القرآن[2]﴾ يُخبر تعالى أنه هو الرحمن الذي علم نبيه محمد ﷺ القرآن لا كما يقول المبطلون إنما يعلمه بشر. الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وهي متجلية ظاهرة فيما يعدد من آلاء ونعم. منها خلقه الإنسان آدم وذريته، وتعليمهم البيان وهو النطق والإبانة عما في نفوسهم. ﴿الشمس والقمر بحسبان[3]﴾ يجريان لإفادة الناس في معرفة أوقات عباداتهم، وآجال ديونهم وهي مظاهر الرحمة، ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ والنجم غذاء بهائمكم والشجر فيه فاكهتكم وبعض غذائكم ﴿يسجدان﴾ خضوعاً لله بما أراد منهما لا يعصيان كما يعصي الثقلان. والسماء رفعها عن الأرض ولم يلصقها بالأرض إنعاماً منه على الثقلين في رفعها وتزيينها بكواكبها وشمسها وقمرها، ﴿ووضع الميزان[4]﴾ أي العدل حيث أمر به وألهم وضع آلته وغرز في النفوس حبه والرغبة فيه، من أجل ألا تجوروا في الميزان، ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ بالعدل، ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي لا تنقصوه إذا وزنتم بل وفوه كل هذا إنعام وألوان من رحمات الرحمن. والأرض وضعها للأنام أي أثبتها وخفضها ودحاها لحياة الأنام. وهم الإنس والجان والحيوان، ﴿فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾ أي أوعية الطلع، والحب البر والشعير ذو العصف[5] أي التبن والريحان هذه أنواع الطعام للإنسان والحيوان طعام وفاكهة وريحان كل هذه مظاهر الرحمة التي أفاضها الرحمن. ﴿فبأي[6] آلاء ربكما﴾ يا معشر الجن والإنس ﴿تكذبان﴾. لا بشيء من نِعمك ربّنا نكذب فلك الحمد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ الرحمن مثل اسم الله لا يصح أن يطلق على غير الرب تبارك وتعالى، فيقال فلان عزيز أو رحيم أو عليم أو حكيم، ولكن لا يقال رحمان، كما لا يقال إله أو الإله أو الله.

---

(١) اختير اسم الرحمن دون سائر الأسماء الإلهية لأمور منها: أنه الاسم الذي كان المشركون ينكرونه، ومنها الرد على الزاعمين أن الرسول ﷺ يعلمه بشر فأخبر تعالى أن الرحمن هو الذي علّم القرآن، ومنها: أن يكون في هذا الخبر براعة استهلال إذ السورة تعدد عشرات النعم، ومصدرها الرحمن عز وجل.

(٢) (علم القرآن) هذا الخبر عن الرحمن، و(خلق الإنسان) خبر ثان و(علمه البيان) خبر ثالث، و(الشمس والقمر بحسبان) خبر رابع، والرابط تقديره بحسبانه، فالضمير عائد على الرحمن سبحانه وتعالى.

(٣) الحسبان: مصدر حسب بمعنى: عد كالغفران: مصدر غفر والباء للملابسة.

(٤) أصل الميزان: اسم آلة الوزن، والوزن: تقدير تعادل الأشياء، وضبط مقادير ثقلها، و(وضع) بمعنى: جعل ومنه الحديث: (فضعها حيث أراك الله) أي: اجعلها.

(٥) سمي التبن عصفاً: لأن الريح تعصف به لخفته.

(٦) الفاء للتفريع على ما تقدم من ضروب النعم العظيمة.

٢ـ ورد في الصحيح في فضل تعلم القرآن قوله ﷺ خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

٣ـ وجوب إقامة العدل والتواصي به ، ومراقبة الموازين لدى التجار وإصلاح فاسدها .

٤ـ وجوب شكر الله على آلائه .

٥ـ استحباب قول لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد عند سماع قراءة فبأي آلاء ربكما تكذبان .

٦ـ مشروعية تعلم علم الفلك لمعرفة القبلة ومواقيت الصلاة والصيام والحج .

خَلَقَ
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ
مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾
رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ[1] ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ
﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

خلق الإنسان من صلصال كالفخار : أي خلق آدم من طين يابس يسمع له صلصلة كالفخار وهو ما طبخ من الطين .

وخلق الجان من مارج من نار : أي أبا الجن من لهب النار الخالص من الدخان وهو مختلط احمر وازرق واصفر.

رب المشرقين ورب المغربين : أي مشرق الشتاء ، مشرق الصيف أي مطلع طلوع الشمس فيهما . وكذا المغربين في الصيف والشتاء

---

(١) اختلف في تحديد كل من اللؤلؤ والمرجان ، فمن قائل : اللؤلؤ كباره والمرجان صغاره ، وقيل : المرجان : الخرز الأحمر، وقيل : المرجان : عظام اللؤلؤ وكباره .

مرج البحرين يلتقيان : أي أرسل البحرين العذب والملح يلتقيان في رأي العين.

بينهما برزخ لا يبغيان : أي بينهما حاجز لا يبغى أحدهما على الآخر فيختلط به.

يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان : أي يخـرج من مجمـوعها الصادق بأحدهما وهو الملح اللؤلؤ والمرجان وهو خرز أحمر، وهو صغار اللؤلؤ.

ولـه الجوار المنشـآت في البحر كالأعلام : أي السفن المحدثات في البحر كالأعلام أي كالجبال عظماً وارتفاعاً.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر ما أفاض الرحمن جل جلاله من رحمته التي وسعت كل شيء من آلاء ونعم لا تحصى ولا تعد ولا تحصر فقال تعالى ﴿خلق الإنسان﴾ أي الرحمن الذي تجاهله المبطلون وقالوا: وما الرحمن؟ الرحمن الذي خلق الإنسان آدم أول إنسان خلقه ومن أي شيء خلقه ﴿في صلصال﴾[1] أي من طين ذي صلصلة وصوت ﴿كالفخار﴾ خلق الإنسان، وخلق الجان وهو عالم كعالم الإنسان خلق أصله من مارج وهو ما مرج واختلط من لهب النار. فبأي يا معشر الجن والإنس ﴿آلاء ربكما تكذبان﴾ إنها نعم تفوق عد الإنسان مَنْ رب المشرقين ورب المغربين من خلقهما من ملكهما من سخرهما لفائدة الإنسان؟ إنه الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان؟[2] لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد. الرحمن مرج البحرين[3] الملح والعذب أرسلهما على بعضهما فمرجا كأنهما اختلطا إذ جعل بينهما برزخاً حاجزاً فهما لا يبغيان فلا يختلط أحدهما بالثاني، فبـأي آلاء ربكما تكذبان؟ يُخرج منهما[4] اللؤلؤ والمرجان من خلق في مجموع البحرين اللؤلؤ والمرجان وهما خرز أبيض وأحمر وأخضر ولفائدة من خلقهما الرحمن؟ انها لفائدة الإنسان إذاً هما نعمة ورحمة من رحمات الرحمن ﴿فبـأي آلاء ربكـما تكذبـان﴾ ﴿ولـه الجـوار﴾[5] أي للرحمن الجوار المنشآت المصنوعات في البحر في أحواض السفن كالأعلام علواً وارتفاعا تظهر في البحر كما تظهر الجبال في البر لمصلحة من خلقها الرحمن لمصلحة الإنسان فهي إذاً رحمة

---

(١) الصلصال: الطين اليابس، والفخار: الطين المطبوخ، ويسمى الخزف وجائز أن يكون كالفخار في محل نصب حال من الإنسان أي: خلقه من صلصال فصار الإنسان كالفخار في لونه وصلابته.

(٢) الاستفهام هنا: للتوبيخ على ترك الشكر.

(٣) المرج: الإرسال كقولهم: مرج الدابة: أرسلها ترعى في المرج. والمعنى: أرسل البحرين بحيث لا يحبس ماؤهما عن الجري ولا عن الالتقاء ببعضهما البعض، ومع هذا فقد جعل بينهما برزخاً، وهو الفاصل الذي يفصل الماء الملح الأجاج عن العذب الفرات. هذه مظاهر القدرة والعلم الموجبة للتوحيد والشكر بالطاعة.

(٤) جائز أن تكون من في منهما: للسببية نحو: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وجائز أن تكون للابتداء وهو الأظهر.

(٥) الجوار: صفة لموصوف محذوف وهو السفن أي: وله السفن الجوار في البحر، وجمع الجوار جارية.

الرحمن ونعمته على الإنسان فبأي آلاء ربكما يا معشر الإنس والجن تكذبان؟ اقروا واعترفوا واشكروا الرحمن.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان أصل خلق الإنسان والجان فالأول من طين لازب ذي صلصال كالفخار والثاني من مارج من نار وأخبر الرسول ﷺ أن خلق الملائكة كان من نور.[1]

٢ـ معرفة مطالع الشمس ومغاربها في الشتاء والصيف وهما مطلعان ومغربان.

٣ـ معرفة صناعة اللؤلؤ والمرجان، والسفن التى هى في البحر كالجبال علواً وظهوراً.

٤ـ وجوب شكر الرحمن على إنعامه على الإنس والجان.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ
وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ
أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

شـرح الكـلمات :

كل من عليها فان : أي كل من على الأرض من إنسان وحيوان وجان فانٍ أي هالك.

---

(١) الحديث في صحيح مسلم.

ويبقى وجه ربك	: أي ذاته ووجه سبحانه وتعالى.
ذو الجلال والإكرام	: أي العظمة والإنعام على عباده عامة والمؤمنين بخاصة.
يسأله من في السموات والأرض	: أي يسألونه حاجاتهم التى تتوقف عليها حياتهم من الرزق والقوة على العبادة. والمغفرة للذنب، والعزة من الرب.
كل يوم هو في شأن	: أي كل وقت هو في شأن: شؤون يبديها وفق تقديره لها يرفع أقواماً ويضع آخرين
سنفرغ لكم أيها الثقلان[1]	: أي لحسابكم ومجازاتكم بعد انتهاء هذه الحياة الدنيا ونجزى كلاً بما عمل.
إن استطعتم أن تنفـذوا	: أي إن قدرتم على أن تخرجوا.
من أقطار السموات والأرض	: أي من نواحى السموات والأرض.
فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان	: أي فاخرجوا. لا تنفذون إلا بقوة ولا قوة لكم وهذاتعجيز لهم.
يرسل عليكما شواظ من نار	: أي من لهب النار الخالص الذى لا دخان فيه.
ونحـاس	: أي دخان لا لهب فيه، ولا يبعد أن يكون نحاساً مذاباً.
فلا تنتصران	: أي لا تمتنعان من السوق الى المحشر.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أيادى الرحمن الرحيم قال عز من قائل ﴿كل من عليها[1] فان﴾ كل من على الأرض من إنسان وجانٍ وذي روح وحيوان فانٍ: هالك، لا تبقى له روح ولا ذات، ﴿ويبقى[2] وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ حيٌّ لا يموت والإنس والجن يموتون فبأي آلاء ربكما[3] تكـذبان أبنعمة إيجادكما وإمدادكما بالأرزاق والخيرات طوال الحياة أم بنعمة انهاء[4] أتعابكما وتكاليفكما أم بإهلاك أعدائكما، وإدنائكما من النعيم المقيم في جنات النعيم، قولوا خيراً لكم لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد. وقوله الرحمن ﴿يسأله من فى السموات والأرض﴾[5]

---

(١) قيل في الإنس والجن: الثقلان لأنهما أثقلا وأتعبا بالتكاليف.

(٢) الضمير عائد إلى الأرض وإن لم يجر لها ذكر نحو (توارت بالحجاب). لأن المقام دال عليها.

(٣) أطلق لفظ الوجه وأريد به ذات الرب تعالى جرياً على عرف العرب في كلامهم إذ يطلقون الوجه على الذات والوجه معاً، ومعنى (فان) أي: صائر إلى الفناء.

(٤) جائز أن يكون في الفناء نعمة لا تدرك فلذا صح إيراد جملة: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وأي نعمة أعظم من انتهاء هذه الحياة بكل ما فيها للانتقال إلى الحياة الدائمة حيث الخلد والبقاء فهي لأهل السعادة نعمة توجب أعظم الشكر.

(٥) السؤال: الدعاء فالملائكة يسألونه تعالى أن يغفر للذين آمنوا وهو قولهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم).

أي يطلبونه بلسان القال أو الحال ما هم في حاجة إليه مما يحفظ وجودهم ويغفر ذنوبهم وقوله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾ أي لا يفرغ الدهر كلّه يدبر أمر السماء والأرض يرفع أقواماً ويضع آخرين.

وقول الرحمن ﴿سنفرغ[1] لكم أيها الثقلان﴾ من الإنس والجن فنحاسبكما ونجزيكما محسنكما بالإحسان وسيئكما بالسوء والخسران، وهذا يوم تقومان للرحمن، حفاة عراة وتقفان بين يديه للحكم فيكما والقضاء بينكما فبأي آلاء ربكما تكذبان أبالعدل في الحكم بينكما أم بإسعاد صالحيكما واشقاء مجرميكما.

وقول الرحمن ﴿يا معشر[2] الجن والإنس إن استطعتم أنْ تنفذوا﴾ أي تخرجوا ﴿من أقطار السموات والأرض﴾ أي من جوانبهما وأطرافهما ﴿فانفذوا﴾ أي اخرجوا هاربين من قضائى وحكمى لكما وعليكما لا تنفذون إلا بقوة قاهرة غالبة ولا قوة لكم ولا سلطان هكذا يتحداهما الرحمن وهم يساقون الى ساحة فصل القضاء فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أبنعمة احيائكما بعد موتكما أم بنعمة إكرام صلحائكما وإهانة فاسديكما وهي العدالة التي لا رحمة ولا نعمة في الحياة الدنيا تساويهما. وقوله تعالى ﴿يرسل عليكما شواظ﴾ أي لهب النار الخالص من الدخان، ونحاس وهو دخان خالص فلا تنتصران هذا إن أردتما الفرار من عدالتي وعدم الإذعان لقضائي وحكمي فيكما. فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أبعظمة ربكم وقوة سلطانه أم برحمة مولاكم ولطفه بكم اللهم لا شيء من آلائك نكذب ربنا ولك الحمد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ بيان جلال الله وعظمته وقوة سلطانه.

٣ـ بيان عجز الخلائق امام خالقها عز وجل.

٤ـ وجوب حمد الله تعالى وشكره على السراء والضراء.

---

(١) التفرغ للأمر: كناية عن الاشتغال به والعناية به دون غيره و(الثقلان) تثنية ثقل، وهل سمي الإنسان ثقلا لأنه محمول على الأرض والصحيح أن الإنسان والجن سميا بالثقلين لإثقالهما بالتكاليف من باب تسمية الشيء بعمله كتسمية العصفور طائر لأنه يطير.

(٢) المعشر: اسم للجمع الكثير الذي يُعدُّ عشرة عشرة دون آحاد.

فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ
﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ
إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾
يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

فاذا انشقت السماء : أي انفتحت أبوابا لنزول الملائكة الى الأرض لتسوق الخلائق الى المحشر.

فكانت وردة كالدهان : أي السماء محمرة احمرار الأديم أو الفرس الأحمر وذابت فكانت كالدهان في صفائها وذوبانها.

فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان : أي يوم يخرجون من قبورهم لا يسألون عن ذنوبهم لما لهم من علامات كاسوداد الوجوه وبياضها، ويسألون عند الحساب.

يعرف المجرمون بسيماهم : أي سواد الوجوه وزرقة العيون.

فيؤخذ بالنواصي والأقدام : أي تضم ناصية المجرم الى قدميه ويؤخذ فيلقى في جهنم.

هذه جهنم التي يكذب بها : أي يقال لهم توبيخاً وتبكيتاً هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون في الدنيا.

المجرمـــون : أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي.

يطوفون بينها وبين حميم آن : أي يسعون مترددين بينها وبين ماء حار قد انتهت حرارته إلى حد لا مزيد عليه وهو الحميم الآن يُسقونه إذا عطشوا واستغاثوا يطلبون الماء لإرواء غلتهم العطشة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكـريم في عرض أحـوال القيامـة وأهوال الموقف فقال جل جلاله وعظم سلطانـه: ﴿فـإذا انشقت السماء﴾ أي تفتحت لنزول الملائكة فكانت أبواباً بعد أن احمرت وتغيرت زرقتها لحمرة كحمرة الأديم الاحمر أو الفرس الأحمر أو الوردة الحمراء كل ذلك صالح لتشبيه لونهـا به وذابت فكـانت كالدهان كما جاء وصفها في سورة المعارج يوم تكون السماء كالمهل .وهو دِرْديّ الزيت وعكره. فيومئذ أي يوم[1] إذ يقع هذا يعظم الكرب ويشتد البلاء ويخرج الناس من قبورهم لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان أي انسيّ ولا جنى فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ وقوله تعالى ﴿يعرف المجرمون[2] بسيماهم﴾ أي باسوداد وجوههم وزرقة أعينهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام أي فيجمع الملك المكلف الإنس أو الجن المجرم بين ناصيته وقدميه ويأخذه فيرمي به في نار جهنم فبأي آلاء ربكما تكذبان أبنعمة العدالة أم بنعمة إكرام المتقين الصالحين. قولوا لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

وقوله تعالى ﴿هذه جهنم﴾ أي يقال لهم توبيخاً وتبكيتاً هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على أنفسهم بالشرك والمعاصى في الحياة الدنيا قال تعالى ﴿يطوفون﴾ أي[3] يسعون مترددين ﴿بينها وبين حميم[4] آن﴾ أي ماء حار اشتدت حرارته فبلغت حداً لا مزيد عليه يسقونه إذا استغاثوا من العطش. فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ إن خزي المجرمين وتعذيبهم نعمة تُقربها الفطرة البشرية ولا يقدرها الا من ذاق طعم الخوف والعذاب الذي ينزله المجرمون بالمتقين فلذا كان تعذيبهم يوم القيامة نعمة، كما أن هذا العرض لأحوال يوم القيامة وأهوالها نعمة إذ عليه آمن المؤمنون واتقى المتقون، فلذا قال تعالى بعد وصفِ حال أهل النار فبأي آلاء ربكما تكذبان؟[5]

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان الانقلاب الكوني وخراب العالم للقيامة.

٢ـ يبعث الناس من قبورهم ولهم علامات تميزهم فيعرف السعيد والشقي.

٣ـ التنديد بالإجرام وهو الشرك والظلم والمعاصي.

---

(١) جملة: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) جواب الشرط (فإذا انشقت السماء..) الخ وجملة: فبأي آلاء ربكما تكذبان) معترضة بين الشرط والجواب.

(٢) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عن قوله: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) والسيما: العلامة.

(٣) المعنى: أنهم يتنقلون بين مكان النار وبين الماء الحار فإذا أصابهم حر النار طلبوا التبرد فلاح لهم الماء فأتوه فأصابهم حره فانصرفوا إلى النار وهكذا حالهم تطواف بين النار والحميم.

(٤) (آن) اسم فاعل من أنى يأني فهو آنٍ: إذا اشتدت حرارته وبلغت منتهاها في الحر.

(٥) وجائز أن يكون تكريراً للتقرير والتوبيخ كنظائره.

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ
زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ
بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ
وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ
ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

ولمن خاف مقام ربه جنتان : أي ولمن خاف الوقوف بين يدي الله في عرصات القيامة فآمن واتقى جنتان

ذواتا أفنان : أي أغصان من شأنها أن تُورق وتُثمر وتمد الظل.

فيهما من كل فاكهة زوجان : أي من كل ما يتفكه به من أنواع الفواكه صنفان.

بطائنها من استبرق : أي بطائن الفرش من استبرق وهو ما غلظ من الديباج والظهائر من السندس وهو مارقّ من الديباج الذي هو الحرير

وجنى الجنتين دان : أي وما يُجنى من ثمار الجنة دان قريب التناول يناله القائم والقاعد.

فيهن قاصرات الطرف : أي قاصرات النظر بأعينهن على أزواجهن فقط.

لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان: أي لم يفتضهن قبل أزواجهن إنس ولا جان.

كأنهن الياقوت والمرجان : أي كأنهن في جمالهن الياقوت في صفائه والمرجان اللؤلؤ الأبيض.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان : أي ما جزاء الإحسان بالطاعة إلا الإحسان بالنعيم.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تعداد النعم وذكر أنواعها فقال تعالى ﴿ولمن[1] خاف مقام ربه﴾ أي الوقوف بين يديه في ساحة فصل القضاء يوم القيامة فأطاعه بأداء الفرائض واجتناب المحرمات ﴿جنتان[2]﴾ أي بستانان فبأي آلاء ربكما تكذبان أبإثابة أحدكم الذي إذا هم بالمعصية ذكر قيامه بين يدي ربه فتركها فأثابه الله بجنتين. وقوله ذواتا أفنان هذا وصف للجنتين وصفهما بأنهما ذواتا أفنان جمع فنن لون أفنان ألوان[3] ولأشجارها أغصان من شأنها تورق وتثمر وتمد الظلال فبأي آلاء ربكما تكذبان أبهذا النعيم والإثابة للمتقين تكذبان.

وقوله ﴿فيهما عينان تجريان﴾ أي في الجنتين ذواتي الأفنان عينان تجريان بالماء العذب الزلال الصافي خلال تلك القصور والأشجار فبأي آلاء ربكما[4] تكذبان يا معشر الجن والإنسان أبمثل هذا العطاء والإفضال تكذبان؟ وقول الرحمن فيهما من كل فاكهة زوجان أي في تينك الجنتين من كل فاكهة من الفواكه صنفان فلا يكتفى بصنف واحد إتماماً للنعيم والتنعُّم فبأي آلاء ربكما تكذبان أبمثل هذا الإنعام والإكرام لأهل التقوى تكذبان؟ وقوله ما أوسع رحمته وهو الرحمن ﴿متكئين[5]﴾ أي حال تنعمهم على فرش على الأرائك بطائن[6] تلك الفرش من استبرق وهو الغليظ من الديباج أما الظواهر فهي السندس وهو مارق من الديباج. وقوله ﴿وجنى الجنتين دان﴾ أي وثمارها التي تجنى من أشجارها دانية أي قريبة التناول يتناولها المتقى وهو مضطجع أو قاعد أو قائم، لا شوك فيها ولا بعد لها فبأي آلاء ربكما تكذبان أبمثل هذا الإنعام والإكرام

---

(١) (مَن) مِن ألفاظ العموم كالجنس.

(٢) جنتان تحفان بقصره أو واحدة عن يمين القصر وأخرى عن شماله ولا يعرف مدى سعتهما إلا الله تعالى، وذلك لما ثبت أن أحدهم يعطى مثل الدنيا عشر مرات واللام في (لمن خاف) لام الملك.

(٣) يطلق الفنن على اللون وعلى الغصن فأفنان الفاكهة: ألوانها المختلفة، وأفنان الشجر أغصانه، قال النابغة:

بُكاءَ حَمَامَة تدعو هديلا مفجعة على فنن تغني

(٤) الاستفهام في قوله: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) تكرر بتكرار النعم، وهو للتقرير والتوبيخ والحث على الشكر بالعبادة والتوحيد فيها.

(٥) (متكئين) حال من (ولمن خاف مقام ربه).

(٦) البطائن: جمع بطانة بكسر الباء مشتقة من البطن خلاف الظهر وضد البطانة الظهارة، فالبطانة: أسفل الثوب والظهارة: ظهره.

تكذبان. قول الرحمن: ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾[1] أي وفي تينك الجنتين نساء من الحور العين ﴿قاصرات الطرف﴾ أي العين على أزواجهن فلا ترى إلا زوجها أي فلا تنظر إلا إلى زوجها وتقول له وعزة ربي وجلاله وجماله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك.

وقوله ﴿لم يطمثهن﴾ أي لم يجامعهن فيفتضهن قبل أزواجهن ﴿إنس ولا جان﴾ أي لم يجامع الإنسية قبل زوجها الإنسي إنسي ولم يجامع الجنية قبل زوجها الجني جان فبأي آلاء ربكما تكذبان أبمثل هذا الإنعام تكذبان؟

وقوله ﴿كأنهن الياقوت﴾ أي في صفائهن ﴿والمرجان﴾ في بياضهن إذ الحوراء منهن يُرى مخُّ ساقها تحت ثيابها كما يرى الخيط أو السلك في داخل الياقوته لصفائها فبأي آلاء ربكما تكذبان أبمثل هذا العطاء والإنعام تكذبان.

وقوله عظم فضله وجل عطاؤه وهو الرحمن ﴿هل جزاء الإحسان﴾ أي في الإيمان والطاعات من العبادات ﴿إلا الإحسان﴾[2] إليه بمثل هذا النعيم العظيم الذي ذكر في هذه الآيات. فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الإنس والجان فقولا: لا بشيء من آلاء ربنا نكذب فلك الحمد.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ فضل الخوف من الله تعالى وذلك كأن تعرض للعبد المعصية فيتركها خوفا من الله تعالى.

٢ـ فضل نساء أهل الجنة في حبهن لأزواجهن بحيث لا ينظرن إلا إليهم.

٣ـ بيان أن أفضل النساء في الدينا تلك التي تقصر نظرها على زوجها فتحبه ولا تحب غيره من الرجال.

٤ـ بيان أن الجن المتقين يدخلون الجنة ولهم أزواج كما للإنس سواء بسواء.

٥ـ الإشادة بالإحسان وبيان جزائه والإحسان هو إخلاص العبادة لله والإتيان بها على الوجه الذي شرع أداؤها عليه، مع الإحسان إلى الخلق بكف الأذى عنهم وبذل الفضل لمن احتاجه منهم.

---

(١) هؤلاء نسوة الجنة لا أزواج المؤمنين اللائي كن لهم في الدنيا إذ مَسُّهن أزواجهن والزوجة المؤمنة تكون لآخر من تزوجها في الدنيا.

(٢) جملة: (هـل جزاء الإحسـان إلا الإحسـان) تذييل لما قبلها من الجمل المتضمنة إيمان المؤمنين وعملهم الصالح وإحسانهم فيه، والاستفهام للنفي.

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٣﴾ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾
فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ
مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

ومن دونهما جنتان : أي ومن دون تينيك الجنتين جنتان أخريان لمن خاف مقام ربه .

مدّهامتان : أي مسودتان من شدة خصرتهما .

فيهما عينان نضاختان : أي فوارتان دائماً وأبداً تفوران بالماء العذب الزلال .

فيهن خيرات حسان : أي في الجنات الأربع نساءٌ خيرات الأخلاق حسان الوجوه

حور : أي أولئك الخيرات حور أى بيض والواحدة حوراء أي بيضاء .

مقصورات في الخيام : أي مستورات محبوسات على أزواجهن في الخيام والخيمة من در مجوف مضافة الى القصور، وطول الخيمة الواحدة ستون ميلا .

لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان : أي لم يجامعهن فيفتض بكارتهن قبل أزواجهن في الجنة أحد .

على رفرف خضـر	: أي على وسائد أو بسط الواحدة رفرفة خضر جمع أخضر.
وعبقري حسـان	: أي طنافس جمع طنفسة بساط له خمل رقيق اي بسط حسان.
تبارك اسم ربك	: أي تقدس وكثرت بركة اسم ربك الرحمن.
ذي الجلال والإكـرام	: أي ذي العظمة والإكرام لأوليائه والإحسان إلى عباده.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إنعام الله تعالى وإفضاله على عباده فقال ﴿ومن دونهما جنتان﴾ أي ومن دون تينيك الجنتين جنتـان أخـريان لمن خاف مقـام ربـه من السـابقين وهاتان لمن خاف مقام ربه من أصحاب اليمين وقد يكون العكس كذلك والله أعلم بأي الجنتين أفضل، اللهم ارزقنا ما شئت منهما فإنا بعطائك راضون ولك حامدون شاكرون فبأي آلاء ربكما تكذبان أي بأي إنعام وإفضـال تكـذبان؟ وقوله تعالى: ﴿مدّهامتان﴾[1] مخضرتان الى حد الاسوداد فإن الأخضر من الأشياء إذا اشتدتْ خضرته ضربت إلى السواد ويقال فيها مدهامة فبأي[2] آلاء ربكما تكذبان أي بأي إنعام تكذبان يا معشر الجن والإنس ﴿فيهما﴾ في الجنتين ﴿عينان نضاختان﴾ أي فوّارتان بالماء دائما وأبداً، فبأي آلاء ربكما تكذبان بأي إفضال وإحسان تكذبان وقول الرحمن فيهما أي في الجنتين فاكهة ونخل ورمان[3] لفظ الفاكهة قد يعم النخل والرمان ويصبح ذكر النخل والرمان لمزيد فضيلة كذكر الصلاة الوسطى بعد ذكر الصلوات الخمس في قوله حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى فبأي آلاء ربكما تكذبان. لابشيء بآلاء ربنا نكذب ربنا فلك الحمد. وقوله تعالى: ﴿فيهن خيرات حسان﴾[4] أي في الجنتين نساءهن خيرات جمع خيرة خيرات الأخلاق حسـان الـوجـوه. فبـأي آلاء ربكما تكذبان؟ أبمثل هذا الإنعام والإكرام على أولياء الرحمن تكذبان؟ ﴿حور مقصورات في[5] الخيام﴾ إن أولئك الخيرات حور جمع حوراء وهي البيضاء، والحوراء كذلك من يغلب بياض عينيها سوادهما وهو من جمال النساء محبوسات في الخيام لا ينظرن الى غير أزواجهن، والخيمة من درة مجوفة طولها ستون ميلا مضافة الى قصورهم.

(١) (مدهامتان) وصف مشتق من الدهمة، بضم الدال وهو لون السواد الناتج عن شدة الخضرة.

(٢) الاستفهام كسابقه للتقرير والتوبيخ.

(٣) عطف النخل والرمان على (فاكهة) من باب عطف الجزء على الكل أو الخاص على العام كقوله تعالى: (وملائكته ورسله وجبريل وميكال).

(٤) (خيرات) بسكون الياء جمع خيرة وهو وصف لموصوف محذوف أي: نساء خيرات، والأصل: خيّرات بتشديد الياء المكسورة جمع خيرة مؤنث خير وهو المختص بوصف الخير ضد الشر وخفف في الآية طلبا للخفة مع السلامة من اللبس.

(٥) المقصورات: صفة لمرصوف أي: نساء مقصورات والقصور على الخيمة بعدم الخروج منها: وصف للترف والنعيم بحيث لا تخرج من الخيمة والقصر لغناها بخلاف من تخرج للعمل لحاجتها إلى العمل في البستان أو غيره.

وقوله تعالى: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ أي لم يجامعهن فيفتض بكارتهن إنس ولا جان من قبل أزواجهن في الجنة فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ والجواب: لا بشيء من آلاء ربنا نكذب ربنا فلك الحمد.

وقوله تعالى: ﴿متكئين على رفرف[1] خضر وعبقري حسان﴾ أي متكئين على رفرف خضر والرفرف جمع رفرفة أي على وسائد أو بُسُطٍ خُضْرٍ، وعبقريٍّ[2] حِسانٍ أي على طنافس[3] ذات خمل دقيق. فبأي آلاء ربكما تكذبان بنعم الدنيا أم بنعم البرزخ أم بنعم الآخرة لا بشيء من آلاء ربنا نكذب.

وقوله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ أي تبارك اسم ربك أي تقدس وكثرت بركات اسم ربك الرحمن ذي الجلال أي العظمة والإكرام لأوليائه وصالحى عباده.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان أن نعيم الآخرة أعظم وأجل من نِعم الدنيا.

٢- فضيلة التمر والرمان فلنبحث منافعهما فإن الحقيقة بنت البحث.

٣- فضل المرأة المقصورة في بيتها وذم الولاجة الخراجة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما.

٤- بيان أن الجن يدخلون الجنة ويسعدون فيها.

٥- البركة تنال ببسم الله الرحمن الرحيم.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

مكيـــة

وآياتها ست وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ

(١) الرفرف: اسم جمع رفرفة، وهي ما يبسط على الفراش للنوم عليه، ويغلب عليها اللون الأخضر، ولذلك شبه ذو الرمة الرياض بالبسط العبقرية في قوله:

حتى كأن رياض القف ألبسها من وشي عَبْقَر تجليل وتنجيد

وكانت الثياب الخضر. عزيزة إذ هي لباس الملوك والكبراء. قال النابغة:

يصون أجساداً قديما نعيمها بخالصة الأردان خضر المناكب

(٢) العبقري: وصف لكل ما كان فائقا في صفته عزيز الوجود وهو نسبة إلى عبقر اسم بلاد الجن في معتقد العرب فنسبوا إليه كل ما تجاوز العادة في الإتقان والحسن، ومنه قول الرسول ﷺ في رؤياه لعمر: (فلم أر عبقرياً يفري فريه).

(٣) جمع طنفسة وهي البساط ذو الخمل، و(حسان) جمع حسناء، وهو وصف لعبقري لأنه اسم جمع.

﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

إذا وقعت الواقعة : أي قامت القيامة وقيل فيها الواقعة لأنها واقعة لا محالة.

ليس لوقعتها كاذبة : أي نفس تكذب بها بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا.

خافضة رافعة : أي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.

إذا رجت الأرض رجا: أي حركت حركة شديدة.

وبُسَّت الجبال بسا : أي فتتت تفتيتاً

فكانت هباء منبثا : أي غباراً منتشراً.

وكنتم أزواجاً ثلاثة : أي في القيامة أصنافاً ثلاثة.

فأصحاب الميمنة : أي الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم.

ما أصحاب الميمنة : أي تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة.

وأصحاب المشأمة : أي الشمال الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم.

ما أصحاب المشأمة : أي تحقير لشأنهم بدخولهم النار.

والسابقون : أي إلى الخير وهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة في أول الدعوة.

السابقون : تعظيم لشأنهم.

أولئك المقربون : أي هم المقربون الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة.

في جنات النعيم : في بساتين النعيم الدائم.

معنى الآيات :

قوله تعالى في تقرير البعث والجزاء الذي كذب به المشركون وأنكروه في إصرار وعناد ﴿إذا وقعت الواقعة﴾[1] أي إذا قامت القيامة ﴿ ليس لوقعتها كاذبة﴾ أي نفس تكذب بها إذ يؤمن بها الجميع، خافضة لأقوام أي مظهرة لحالهم بأنهم أهل النار، رافعة لآخرين مظهرة لحالهم بأنهم من أهل الجنة. وقوله: ﴿إذا رجت[2] الأرض رجاً﴾ أي حرّكت حركة شديدة، ﴿وبست الجبال[3] بساً﴾ أي إذا بست الجبال أي فتتت تفتيتاً ﴿فكانت هباء[4] منبثاً﴾ أي غباراً منتشراً.

وقوله تعالى ﴿وكنتم﴾ أي أيها الناس ﴿أزواجاً﴾ أي أنواعاً ثلاثة: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والمقربون فأصحاب الميمنة أو الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ما أصحاب[5] الميمنة أي أن شأنهم عظيم وذلك بدخولهم الجنة دار النعيم. وأصحاب المشأمة وهم أصحاب الشمال أي اليساريون الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم أي بمياسرهم ما أصحاب المشأمة[6] أي شأنهم حقير وذلك بدخولهم النار. والسابقون إلى الإيمان والطاعة في أول ظهور الدعوة السابقون هذا تعظيم لشأنهم واعلان عن فوزهم وكرامتهم في جنات النعيم وهي بساتين ذات نعيم دائم جعلنا الله منهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير البعث والجزاء في الآخرة.

٢ـ الإيمان والتقوى يرفعان والشرك والمعاصي يضعان ويخفضان.

٣ـ السابقون الى الطاعات لهم فضل الاسبقية في كل زمان ومكان.

٤ـ اليساريون هم اشقياء الدنيا والآخرة. لأنهم عندما أخذ غيرهم ذات اليمين طالبين الإيمان والاستقامة أخذوا هم ذات الشمال طالبين الكفر والفسوق.

(١) (الواقعة) علم بالغلبة على القيامة، وأصل الواقعة: الحادثة، ومن ذلك قولهم واقعة أحد أو بدر مثلاً، وإذا ظرف ضمن معنى الشرط متعلق بالكون المقدر في قوله: (في جنات النعيم) و(ليس لوقعتها) مستأنفة بيانية.

(٢) (إذا رجّت الأرض) بدل من (إذا) الأولى، وجواب الشرط (إذا) الأولى والمبدلة منها هو قوله: (فأصحاب الميمنة).. الخ.

(٣) البسُّ: بمعنى التفتت للأجزاء المجموعة، ومنه: البسيسة: للسويق ويطلق البسّ على السوق للماشية، وفي الحديث: (فيأتي قوم فيبسون بأموالهم وأهليهم ـ أي: يسوقونهم ـ والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون).

(٤) الهباء: ما يلوح في خيوط شعاع الشمس من دقيق الغبار.

(٥) (أصحاب الميمنة) : (ما) مبتدأ والخبر: أصحاب الميمنة، والجملة خبر فأصحاب الميمنة وكذا (ما أصحاب المشأمة).

(٦) يجوز أن يكون (السابقون): خبر عن الأول، وجملة: (أولائك المقربون) مستأنفة، ويجوز أن يكون (السابقون) الثاني: ويجوز أن تكون تأكيداً للأول، والخبر: جملة (أولائك).

ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ
الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

ثلة من الأولين : أي جماعة من الأمم الماضية .

وقليل من الآخرين : أي من أمة محمد ﷺ . هؤلاء هم السابقون

على سرر موضونة : أي منسوجة مشبكة بالذهب والجواهر.

ولدان مخلدون : أي على شكل الأولاد لا يهرمون فيخدمونهم أبداً .

بأكواب وأباريق : يطوف عليهم الولدان الخدم بأكواب وهي أقداح لا عرا لها، وأباريق لها عرا وخراطيم .

وكأس من معين : أي وإناء لشرب الخمر ومعين بمعنى جارية من نهر لا ينقطع أبداً .

لا يصدعون : أي لا يحصل لهم من شربها صداع .

ولا ينزفون : أي ولا تذهب عقولهم يقال نزف الشارب وأنزف إذا ذهب عقله بالسكر.

وفاكهه مما يتخيرون : أي يختارون منها ما يروق لهم ويعجبهم وإن كانت كلها معجبة .

وحور عين : أي ولهم نساء بيض عين أي واسعة الأعين وشديدات سواد العيون وبياضها .

كامثال اللؤلؤ المكنون : أي أولئك الحور العين هن في جمالهن وصفائهن كأمثال اللؤلؤ المصون .

لغـواً ولا تأثيـما : أي لا يسمعون في الجنة لغواً أي فاحش الكلام ومالاخير فيه ولا ما يوقع في الإثم.

إلا قيلا سلاما سلاما : إلا قولا سلاما سلاما أي لايسمعون الا السلام من الملائكة ومن بعضهم بعضاً.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في بيان أحـوال النـاس إذا قامت القيامـة فذكر أنهم يصيرون أصنافاً ثلاثة أصحـاب يمين وأصحـاب شمال وسابقين. وهنا يقول في السابقين إنهم ثلة أي جماعة من الأولين أي[1] من الأمم الماضية الذين أسلموا وسبقوا إلى الإسلام مع أنبيائهم، وقليل من الآخرين[2] أي من هذه الأمة أمة محمد ﷺ وهم الذين سبقوا الى الإيمان والهجرة والجهاد يذكر نعيمهم فيقـول وقوله الحق: ﴿على سرر موضونة﴾ أي إنهم على سرر موضونة أي منسوجة ومشبكة بالذهب والجواهر، حال كونهم متكئين عليها متقابلين لا ينظر أحدهم إلى قفا الآخر بل إلى وجهه، ﴿يطوف عليهم﴾ أي للخدمة ﴿ولدان﴾ غلمان ﴿مخلدون[3]﴾ لا يكبرون فيهرمون ولا يتغيرون بل يبقون كذلك أبداً يطوفون عليهم بأكواب جمع كوب وهو قدح لا عروة له، وأباريق جمـع ابـريق وهـو إناء له عروة وخرطوم، ﴿وكأس من معين﴾ والكأس هنا إناء شرب الخمر والمعين ما كان جاريا لا ينضب والمراد بكأس من نهر الخمر.

وقوله تعالى ﴿ لا يصدعون[4] عنها﴾ أي لا يصيبهم صداع من شربها، ولا ينزفون[5] أي لا تذهب عقولهم بشربها بخلاف خمر الدنيا فإنها تصيب شاربها بالصداع وذهاب العقل غالباً وقوله تعالى ﴿وفاكهة﴾ ويطوف عليهم الغلمان بفاكهة وهو ما يتفكه به وليس بغذاء رئيسي ومن سائر الفواكه، مما يتخيرون أي يختارون. ولحم طير مما يشتهون أي مما تشتهيه أنفسهم.

وقوله ﴿وحور عين﴾ أي ولهم في الجنة حور عين يستمتعون بهن، واحدة الحور حوراء. وهي البيضاء وواحدة العين العيناء وهو واسعة العينين والْحَوَر في العين أن يكون بياضها أكثر من

---

(١) قوله: ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) اعتراض بين جملة (في جنات النعيم) وجملة: (على سرر مَوْضُونة) وثلة: خبر لمبتدأ محذوف أي هم: ثلة الخ.

(٢) من الأولى والثانية تبعيضية.

(٣) قيل: إنهم على سن واحدة، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: الولدان هم أولاد المسلمين الذين يموتون صغاراً. وقال سلمان: هم أولاد المشركين الذين يموتون صغاراً. والله أعلم.

(٤) التصديع: الإصابة بالصداع، وهو وجع الرأس من الخُمار الناشيء عن السكر أي لا تصيبهم الخمر بصداع، وعنها بمعنى: لا يصيبهم صداع ناشيء عنها.

(٥) قرأ نافع (يُنزفون) بفتح الزاي من: أنزفه وقرأها حفص (ينزفون) بكسر الزاي من أنزف القاصر، إذا سكر وذهل عقله.

سوادها وهو ضرب من الجمال، وقوله ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أي المصون في كِنّه أو صدفه. يريد أنهن جميلات مصونات غير مبتذلات وقد تقدم في الرحمن أنهن مقصورات في الخيام. وقوله تعالى ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي جزاهم ربهم جزاء بما كانوا يعملونه من الصالحات بعد الإيمان والتوحيد وترك المعاصي.

وقوله تعالى وهو من إتمام النعيم أنهم لا يسمعون في جنات النعيم ما يكدر صفو نعيمهم أو ينغص لذة حياتهم من قول بذيء سيّىء فلا يسمعون فيها أي في الجنة لغواً أي[1] كلاماً فاحشاً ولا تأثيما وهو ما يؤثم قائله وسامعه. إلا قيلا أي قولاسلاماًسلاماً أي إلا ماكان من سلام الرب تعالى عليهم وهو أكبر نعيمهم وسلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض اللهم اجعلنا منهم قل آمين أيها القاريءواطمع فإن ربنا غفور رحيم سميع الدعاء قريب مجيب.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير البعث والجزاء بذكر أحوال الدار الآخرة.

٢ـ بيان شيء من نعيم أهل الجنة وخاصة السابقين منهم.

٣ـ بيان ان السابقين يكونون من سائر الأمم المسلمة.

٤ـ بيان فضل خمر الجنة على خمر الدنيا المحرمة.

٥ـ تقرير قاعدة أن الجزاء من جنس العمـل.

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾

(١) اللغو من الكلام في الدنيا هو: مالا يحصل حسنة للمعاد ولا درهما للمعاش وفي الآخرة هو ما لا يسر من كل قول إذ الحياة: حياة سعادة وسرور وحبور.

شــرح الكلمات :

وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين : هذا شروع في ذكر الزوج الثاني من الأزواج الثلاثة فذكر السابقين وما أعد لهم وهذا ذِكرٌ لأصحاب اليمين وما أعد لهم من نعيم مقيم.

في سدر مخضود : في شجر السدر وثمرهُ النبق ومخضود لا شوك فيه.

وطلـح منضـود : أي شجر موز منضود الحمل من أعلاه إلى أسفله فليس له ساق بارزة.

وظـل ممـدود : أي دائم إذ لا شمس تنسخه وإن ظل شجرة في الجنة يسير الراكب فيه مائة سنة لا يقطعه.

وماء مسـكوب : أي مصبوب لا يحتاج المتنعم بأن يصبه بيده بل هو سائل في غير أخدود أو أنبوب.

لا مقطوعة ولا ممنوعة : أي غير مقطوعة في زمن، ولا ممنوعة بثمن.

وفرش مرفـوعة : أي على السرر العالية الرفيعة.

إنا أنشأناهن انشاء : أي الحور العين اللائي تقدم ذكرهن في قوله وحور عين. إذْ كانت الـواحدة منهن في الدنيا عجوزاً شمطاء عمشاء رمصاء فأنشأها ربها إنشاء جديداً بِكْراً تتغنج وتتعشق عرباء تتودد لزوجها وتتحبب.

فجعلناهن أبكاراً : الواحدة بكر وهي التي لم تفتض بكارتها بعد وتسمى العذراء.

عُـربـاً : الواحدة عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل.

أتـراباً : أي مستويات في السن الواحدة يقال لها تِربٌ والجمع أتراب.

لأصحاب اليمين : وهم الذين يؤخذ بهم في عرصات القيامة ذات اليمين وهم أهل الإيمان في الدنيا والعمل الصالح فيها.

ثلة من الأولين : أي من الأمم السابقة.

وثلة من الآخرين : أي من أمة محمد ﷺ.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في عرض أحوال الآخرة وذكر ما لكل صنف من أصناف الناس الثلاثة من سابقين وأصحاب يمين وأصحاب شمال فقال تعالى ﴿وأصحاب اليمين﴾[1] وهم الذين إذا وقفوا في عرصات القيامة أُخذ بهم ذات اليمين وهم أهل الإيمان والتقوى في الدنيا وقوله تعالى: ﴿مـا أصحـاب اليمين﴾[2] تفخيم لشأنهم وإعلان عن كرامتهم ثم بيّن ذلك بقوله: ﴿في سدر[3] مخضـود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة[4] ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة﴾ إنهم في هذا النعيم الدائم المقيم إنهم يتفكهون بالنبق الذي هو أحلى من العسل وأنعم من الزبد شجره مخضود الشوك لا شوك به، ويتفكهون بالطلح أي ثمره وهو الموز، والماء المصبوب الجارى، والفاكهة الكثيرة التي لا تقطع بالفصول الزمانية كما هي الحال في فاكهة الدنيا يوجد منها في الصيف مالا يوجد في الشتاء مثلا ولا ممنوعة بثمن غال ولا رخيص وفي فرش مرفوعة عالية علو الدرجات التي هي فيها وقوله: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾[5] يعني الحور العين اللائي سبق في الآيات ذكرهن منهن من أنشأهن الله إنشاء لم يسبق لهن خلق ووجود، ومنهن نساء الدنيا فقد كانت فيهن السوداء والعمشاء والرمصاء والعجوز فيعيد تعالى إنشاءهن فيجعلهن من بين الحور العين كأنهن اللؤلؤ المكنون، وقوله ﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ عذارى لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان عُربا أترابا العروب[6] هي المتحببة الى زوجها العاشقة له المتغنجة والأتراب المتساويات في السن، وتربُ[7] الإنسان من وُلد معه في وقت واحد فمس جلده التراب مع مس التـراب جلدك وقـولـه لأصحـاب اليمين أي أنشأ هؤلاء الحور العين لأجل أصحاب اليمين ليستمتعوا بهن. وقوله ﴿ثلة من الأولين﴾ أي من الأمم الماضية ﴿وثلة من الآخرين﴾ أي من هذه الأمة المسلمة اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم وادخلنا الجنة معهم.

---

(١) هذا شروع في تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة على إثر تفصيل شؤون السابقين.

(٢) الإخبار بـ (ما أصحاب اليمين): فيه من التفخيم ما فيه!!

(٣) خبر محذوف المبتدأ تقديره: هم في سدر.

(٤) لا مقطوعة ولا ممنوعة: هذا وصف للفاكهة، والنفي هنا أثبت من الإثبات لأنه بمنزلة وصف وتوكيد.

(٥) لما ذكر الفرش قد يخطر بالبال هل هناك نساء يكن بصحبة أهلها؟ فأجيب بقوله: (إنا أنشأناهن) أي: الحور العين (إنشاءً) فكانت الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، وضمير المؤنث (أنشأناهن) عائد إلى غير مذكور في الكلام لكنه ملحوظ في الأفهام.

(٦) العرب: جمع عروب، ويقال: عَرِبَة ويجمع على عربات، وهذا اسم خاص بالمرأة المتحببة إلى زوجها كما في التفسير.

(٧) الأتراب: جمع ترب وهي المرأة التي تساوى سنها سن من تضاف إليه من النساء، وقيل: إن الترب خاص بالمرأة، وأما المساواة في السن من الرجال فيقال له قِرن، ولِدَة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان إكرام الله وإنعامه على المؤمنين المتقين.

٢ـ بيان أن العجوز في الدنيا إذا دخلت الجنة تصير شابة حسناء حوراء عروباً.

٣ـ تقرير أن ثمن الجنة الإيمان والتقوى فلا دخل للحسب ولا للنسب والأول كالآخر على حد سواء فيها.

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ
عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

وأصحاب الشمال : أي هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال في الموقف يوم القيامة وهم أهل الشرك والمعاصي في الدنيا.

في سموم : أي ريح حارة تنفذ في مسام الجسد.

وحميم : أي ماء حار شديد الحرارة.

وظل من يحموم : أي دخان شديد السواد.

لا بـارد ولا كريم : أي لا بارد كغيره من الظلال ولا كريم حسن المنظر.
كانوا قبل ذلك : أي في الدنيـــا.
مترفيـــن : أي منعمين لا ينهضون بالتكاليف الشرعية ولا يتعبون في طاعة الله ورسوله.
يصرون على الحنث العظيم : أي الذنـب العظيم وهو الشرك.
وكانوا يقولون أئذا متنا الآن : أي وكانوا ينكرون البعث الآخر.
لمجموعون الى ميقات يوم معلوم : أي لوقت يوم معلوم وهو يوم القيامة.
أيها الضالون المكذبون : أي الضالون عن طريق الهدى المكذبون بالبعث والجزاء.
من شجر من زقـوم : أي من أخبث الشجـر المـرّ في غاية الكراهة والبشاعة طعماً ولوناً.
فشاربون شرب الهيم : أي شاربون شرب الإبل العطاش، إذ الهيمان العطشان والهيمى العطشى.
هذا نزلهم يوم الدين : أي هذا ما أعد لهم من قرىً يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكـريم في بيان أحوال الأصناف الثلاثة التي انقسمت البشرية إليها عند خروجها من قبورها فذكر حال السابقين وحال أصحاب اليمين وذكر هنا حال أصحاب المشأمة وهم أصحاب الشمال فقال تعالى: ﴿وأصحابُ[١] الشمال ما أصحاب الشمال﴾ تنديد بحالهم وإعلان عن سوء عاقبتهم وما هم فيه من عذاب إنهم ﴿في سَموم[٢]﴾ أي ريح حارة تنفذ في مسام الجسم ﴿وحميم﴾ وهـو ماء حار شديد الحـرارة هذا شرابهم، ﴿وظل من يحموم[٣] لا بارد ولا كريم﴾ إنه دخان أسود شديد السواد ﴿لا بارد﴾ كغيره من الظلال ﴿ولا كريم﴾ أي وليس بذي حسن في منظره. وقوله تعالى ﴿إنهم[٤] كانوا قبل ذلك مترفين[٥]﴾ هذه علة جزائهم بالعذاب الأليم

(١) هذا شروع في تفصيل أحوالهم التي أشير عند التوزيع إلى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال أصحاب اليمين.
(٢) (السموم) : الريح الشديدة الحرارة التي لا بلل معها كأنها مأخوذة من السم.
(٣) اليحموم: الدخان الأسود مشتق من الحمم على وزن صُرد اسم للفحم والحممة: الفحمة. وفي قوله تعالى: (وظـلٍّ من يحموم) تهكم ظاهر.
(٤) الجملة تعليلية إذ هي علة لما أصاب أصحاب الشمال من الهون والدون والعذاب الأليم.
(٥) ظاهر اللفظ أنّ الترف هو سبب كفرهم وإصرارهم على ذلك وجائز أن يكون الترف بعض السبب لا كله، والعبرة بالواقع والإشارة في قوله: (قبل ذلك) عائدة إلى السموم واليحموم والظل من اليحموم.

إنهم كانوا في الدنيا منعمين لا يصلون ولا يصومون ولا يجاهدون ولا يرابطون، ﴿وكانوا يصرون[1] على الحنث العظيم﴾ أي على الإثم العظيم أي الشرك وكبائر الإثم والفواحش.

﴿وكانوا يقولون﴾ منكرين للبعث والجزاء جاحدين باليوم الآخر - ﴿أئذا متنا[2] وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ أي أحياء كما كنا في الدنيا ﴿أو آباؤنا﴾ أيضا مبعوثون كذلك والاستفهام في الموضعين للاستبعاد والإنكار. وهنا أمر تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يرد عليهم بقوله ﴿قل﴾ أي قل لهم: ﴿إن الأولين والآخرين﴾ أي أنتم وآباؤكم من عهد آدم والآخرين منكم ومن ذريتكم الى نهاية حياة الإنسان ﴿لمجموعون[3] الى ميقات يوم معلوم﴾ أي لوقت يوم معلوم عند الله محدد باليوم والساعة والدقيقة ﴿ثم[4] إنكم أيها الضالون﴾ عن سبيل الهدى المعرضون عن الحق المكذبون بالبعث لداخلون جهنم ماكثون فيها أبداً وإنكم ﴿لآكلون من شجر من زقوم﴾ وهو شر ثمر وأخبث ما يؤكل مرارة ﴿فمالئون منه﴾ بطونكم لما يصيبكم من الجوع الشديد، ﴿فشاربون عليه من الحميم، فشاربون شرب[6] الهيم﴾ أي الماء الحار الشديد الحرارة مكثرين منه كما تكثر الإبل الهيم[5] التى أصابها العطش واشتد بها داء الهيام الذي أصابها. قوله تعالى ﴿هذا نزلهم[7] يوم الدين﴾ أي هذا الذي ذكرنا من طعام الضالين المكذبين وشرابهم هو نزلهم الذي ننزلهم يوم الدين وأصل النزل ما يعد للضيف النازل من قرى: طعام وشراب وفراش.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- أصحاب الشمال يدخل فيهم كل كافر وجد على وجه الأرض فإنهم في التقسيم ثلث الناس وفي الواقع هم أضعاف اضعاف السابقين واصحاب اليمين لأن أكثر الناس لا يؤمنون.

٢- التنديد بالترف والتنعم في هذه الحياة الدنيا فإنه يقود الى ترك التكاليف الشرعية فيهلك

---

(١) صيغة المضارع (يصرون) دالة على تجدد الإصرار منهم.

(٢) قرأ الجمهور ومنهم حفص بإثبات الاستفهام الأول والثاني، وقرأ نافع بالاستفهام في (أإذا متنا) والإخبار في (إنا لمبعوثون).

(٣) (مجموعون): أي: مبعوثون دفعة واحدة جميعاً دفعاً لما قد يتوهم أنهم يبعثون على فترات كما كان وجودهم وموتهم في الدنيا على فترات مختلفة.

(٤) هذا من جملة أمر الرسول ﷺ أن يقوله لهم.

(٥) الهيم: جمع أهيم وهو البعير الذي أصابه الهُيام بضم الهاء وهو داء يصيب الإبل يورثها حمى في الأمعاء فلا تزال تشرب ولا تروى والمؤنث هيمى إذ المذكر أهيم.

(٦) قرأ نافع وحفص: (شُرب) بضم الشين، وقرأ بعض شرب بفتح الشين مصدر شرب يشرب شرباً.

(٧) النزل: بضم النون والزاي: ما يُعد للضيف ويقدم له من طعام وشراب وهو هنا تشبيه تهكمي كالاستعارة كما في قول الشاعر:

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

صاحبه لذلك لا لكون طعامه وافراً وشرابه لذيذاً.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بما لا مزيد عليه من العرض والوصف لحال الناس.

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

نحن خلقناكم : أي أوجدناكم من العدم.

فلولا تصدقون : أي فهلا تصدقون بالبعث إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة بعد الفناء والبلى.

أفرأيتم ما تمنون : أي الذي تصبونه من المنى بالجماع في أرحام نسائكم.

أأنتم تخلقونه : أي بشراً أم نحن الخالقون له بشراً.

نحن قدرنا بينكم الموت : أي قضينا به عليكم وكتبناه عليكم وجعلنا لكل واحد أجلاً معيناً لا يتعداه ولا يتأخر منه بحال من الأحوال.

وما نحن بمسبوقين : أي بعاجـزين.

على أن نبدل أمثالكم : أي ما أنتم عليه من الخلق والصور.

وننشئكم فيما لا تعلمون : أي ونـوجـدكم في صور لا تعلمـونها وهذا تهديد لهم بمسخهم وتحويلهم إلى أبشع حيوان وأقبحه.

ولقد علمتم النشأة الأولى : أي ولقد علمتم خلقنا لكم كيف تم وكيف كان.

أفلا تـذكرون : فتعلمــون أن الـذي خلقكم أول مرة قادر على إعـادة خلقكم مرة أخرى بعد موتكم وفنائكم.

أفرأيتم ما تحرثون : أي من إثارة الأرض بالمحراث وإلقاء البذر فيها.

أأنتم تزرعونه : أي تنبتونه.

أم نحن الزارعون : أي نحن المنبتون له يقال زَرَعَه الله أي أنبته.

لو نشاء لجعلناه حطاما : أي لو نشـاء لجعلنـا الزرع حطاماً يابساً بعد أن أصبح سنبلاً وقارب أن يفرك فتحرمون منه.

فظلتم تفكهـون : أي تتعجبون في مجالسكم من الجائحة التي أصابت زرعكم.

إنا لمغرمون : أي قائلين إنا لمغرمون أي ما أنفقناه على حرثه ورعايته معذبون به.

بل نحن محرومون : أي لسنا بمعذبين به وانما نحن محرومون من زرعنا وما بذلناه فيه ليس لنا من حظ ولا جد أي غير محظوظين ولا مجدودين.

أفرأيتم الماء الذي تشربون : أي أخبرونا عن الماء الذي تشربونه وحياتكم متوقفة عليه.

أأنتم انزلتموه من المزن : أي من السحاب في السماء الى الأرض.

أم نحن المنزلون : أي له إلى الأرض.

لونشاء لجعلناه أجاجا : أي ملحاً مراً لايمكن شربه.

فلولا تشكرون	: أي فهلا تشكرون أي الله بالإيمان والطاعة.
أفرأيتم النار التي تورون	: أي أخبرونا عن النار التي تخرجون من الشجر.
أأنتم انشأتم شجرتها	: أي خلقتم شجرتها كالمرخ والعفار والكلخ.
أم نحن المنشئون	: أي نحن المنشئون لتلك الأشجار.
نحن جعلناها تذكرة	: أي جعلنا تلك النار تذكرة اي تذكر بنار جهنم.
ومتاعاً للمقوين[1]	: أي بُلغةً للمسافرين يتبلغون بها في سفرهم.
فسبح باسم ربك العظيم	: أي نزه اسم ربك عما لا يليق به كذكره بغير احترام ولا تعظيم او الاسم صلة والتقدير نزه ربك عن الشريك ومن ذلك قولك سبحان ربي العظيم.

معنى الآيات :

السياق هنا في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون وذلك بذكر الأدلة العقلية الموجبة للعلم واليقين في المعلوم المطلوب تحصيله قال تعالى ﴿نحن[2] خلقناكم﴾ وأنتم معترفون بذلك إذ لمّا نسألكم من خلقكم تقولون الله. إذاً ﴿فلولا تصدقون[3]﴾ أي فهلا تصدقون بالبعث والحياة الثانية إذ القادر على الخلق الأول قادر على الإعادة. وهذه أدلة قدرتنا تأملوها أولاً ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ أي أخبرونا عما تمنون أي تصبونه في أرحام نسائكم بالجماع ﴿أأنتم[4] تخلقونه﴾ ولداً ﴿أم نحن الخالقون﴾ والجواب نحن الخالقون إذاً القادر على خلقكم بواسطة هذا الإمناء والتكوين في الأرحام قادر على خلقكم بطريق آخر وثانيا ﴿نحن قدّرنا بينكم الموت﴾ وقضينا به عليكم فلا يستطيع أحد منكم أن يمنعنا من إماتته وفي الوقت المحدد له. بحيث لو طلب التقديم أو التأخير لما قدر على ذلك أليس القادر على خلقكم وإماتتكم قادر على بعثكم

---

(١) المقوى: من نزل القوى والقواء والقي أيضاً: أي الأرض القفر التي لا شيء فيها ولا أنيس بها يقال: أقوت الدار وقويت أيضاً أي: خلت من سكانها، قال النابغة:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقال عنترة:

حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

(٢) موقع هذه الجملة: الاستدلال والتعليل لما تضمنته جملة (إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) من عقيدة البعث والجزاء وتقريرها.

(٣) الفاء للتفريع فالجملة متفرعة عن قوله تعالى (نحن خلقناكم) وهي متضمنة للتحضيض على التصديق بالبعث الآخر إذ لولا هنا للتحضيض على ذلك.

(٤) الاستفهام للتقرير بتعيين خَالِق الجنين من النطفة إذ لا يسعهم إلا الإقرار بأن خالق الجنين من النطفة هو الله.

بلى وثالثاً ﴿وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشأكم فيما لا تعلمون﴾[1] بحيث نخلقكم في صور وأشكال غير ما أنتم عليه فنخلقكم خلقاً ذميما وقبيحاً كالقردة والخنازير، وما نحن بعاجزين عن ذلك فهل نعجز إذاً عن بعثكم بعد موتكم أحياء لنحاسبكم ونجزيكم ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ كيف تمت لكم بما لا تنكرونه.

إذاً ﴿أفلا تذكرون﴾ فتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على خلقكم ثانية مع العلم أن الإعادة ليست بأصعب من الإنشاء من عدم لا من وجود. ورابعاً ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾[2] من إثارة الأرض وإلقاء البذر فيها أخبرونا أأنتم تنبتون الزرع ﴿أم نحن الزارعون﴾ له أي المنبتون والجواب معروف وهو أننا نحن الزارعون لا أنتم. إذاً فالقادر على إنبات الزرع قادر على إنباتكم في قبوركم على نحو إنبات الزرع وعجب الذنب هو النواة التي تنبتون منها وخامسا هو أن ذلك الزرع الذي أنبتناه لو نشاء لجعلناه بعد نضرته وقرب حصاده حطاما يابساً لا تنتفعون منه بشيء فظلتم[3] تفكهون متعجبين من حرمانكم من زرعكم تقولون ﴿إنا لمغرمون﴾ أي ما أنفقناه على حرثه و رعايته معذبون[4] به ثم تضربون عن قولكم ذلك إلى قول آخر وهو قولكم ﴿بل نحن محرومون﴾ ما لنا من حظ ولا جد فيه أي لسنا محظوظين ولا مجدودين. إن إنبات الزرع ثم حرمانكم منه بعد طمعكم في الانتفاع به مظهر من مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وتدبيره وكلها دالة على قدرته على بعثكم لمحاسبتكم ومجازاتكم على عملكم في هذه الحياة الدنيا. وسادسا الماء الذي تشربون وحياتكم متوقفة عليه أخبروني ﴿أأنتم أنزلتموه﴾ من السحاب ﴿أم نحن المنزلون﴾ والجواب نحن المنزلون لا أنتم هذا أولاً وثانياً لو نشأ لجعلنا الماء ملحاً مرّاً لا تنتفعون منه بشيء وإنا لقادرون فهلا تشكرون هذا الإحسان منا إليكم بالإيمان بنا والطاعة لنا. وسابعا النار التي تورون وتشعلونها أخبروني ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ والجواب نحن لا أنتم فالذي يوجد النار في الشجر قادر على أن يبعثكم أحياء من قبوركم ليحاسبكم على

---

(١) السبق: كناية عن الغلبة والتعجيز، لأن السبق يستلزم أن السابق غالب للمسبوق فمعنى: وما نحن (بمسبوقين) أي. غير مغلوبين. قال الشاعر:

كأنك لم تسبق من الدهر مرة إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب

(٢) الشبه قوي بين تحويل النطفة إلى جنين، والحبة إلى نبات فهي مناسبة عجيبة بين الدليلين.

(٣) أصل (فظلتم) فظللتم فحذفت إحدى اللامين تخفيفاً كما حذفت إحدى التاءين من (تفكهون) إذ الأصل (تتفكهون).

(٤) هذا بناء على أنّ الغرام: هو العذاب كقوله تعالى: (إن عذابها كان غراما) أو هو من الغرامة التي هي ذهاب مال المرء وأخذه منه بغير عوض.

سلوككم ويجزيكم به. وقوله تعالى ﴿نحن جعلناها﴾ أي النار ﴿تذكرة﴾ لكم تذكركم بنار الآخرة فالذي أوجد هذه النار قادر على إيجاد نار أخرى لو كنتم تذكرون وجعلناها أيضاً متاعاً أي بلغة للمقوين[1] المسافرين يتبلغون بها في سفرهم حتى يعودوا إلى ديارهم. فالقادر على الخلق والإيجاد والتدبير لمصالح عباده قادر على إيجاد حياة أخرى يجزي فيها المحسنين اليوم والمسيئين إذ الحكمة تقتضي هذا وتأمر به.

وقوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك[2] العظيم﴾ بعد إقامة الحجة على منكرى البعث بالادلة العقلية امر تعالى رسوله أن يسبح ربه أي ينزهه عن اللعب والعبث اللازم لخلق الحياة الدنيا على هذا النظام الدقيق ثم إفنائها ولا شيء وراء ذلك. إذ البعث والحياة الآخرة هي الغاية من هذه الحياة الدنيا فالناس يعملون ليحاسبوا ويجزوا فلا بد من حياة أكمل وأتم من هذه الحياة يتم فيها الجزاء وقد بينها تعالى وفصلها في كتبه وعلى ألسنة رسله، وضرب لها الأمثال فلا ينكرها الا سفيه هالك.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجـزاء.

٢ـ إقامة الأدلة والبراهين العديدة على صحة البعث وإمكانه عقلا.

٣ـ بيان منن الله تعالى على عباده فى طعامهم وشرابهم.

٤ـ وجوب شكر الله تعالى على إفضاله وإنعامه.

٥ـ في النار التى توقدها عبرة، وعظة للمتقين.

٦ـ وجوب تسبيح[3] الله وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وكماله من العبث والشريك.

۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

---

(١) المقوى: الداخل في القواء وهو القفر، فالمقوون، الداخلون في القواء الذي هو القفر والقفار وهذه حال المسافر، والمقوى أيضاً: الجائع القفر البطن الخاوي من الطعام، فالنار يتمتع بها المسافرون للاستضاءة والاستدفاء وطبخ الطعام.

(٢) الباء في باسم: زائدة لتوكيد اللصوق أي: اتصال الفعل بمفعوله وذلك لوقوع الأمر بالتسبيح عقب ذكر عدة أمور تقتضيه حسبما دلت عليه فاء الترتيب والتعقيب، واسم الرب هو الله الدال على ذاته سبحانه وتعالى، والتسبيح. التنزيه عما لا يليق ولفظه سبحان الله أي: ننزه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد والعجز عن البعث.

(٣) في الصحيح: (لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم) قال الرسول ﷺ: (اجعلوها في ركوعكم) فكان المصلي إذا ركع قال: سبحان ربي العظيم ثلاثاً أو أكثر امتثالا لأمر الله ورسوله).

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ
أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

فلا أقسم : أي فأقسِمُ ولا صلة لتقوية الكلام وتأكيد القسم.

بمواقع النجوم : أي بمساقطها لغروبها وبمنازلها أيضا ومطالعها كذلك.

وإنه : أي القسم بها.

لو تعلمون عظيم : أي لو كنتم من أهل العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

إنه : أي المتلو عليكم لقرآن كريم وهو الذي كذب به المشركون.

في كتاب مكنون : أي مصون وهو المصحف.

لا يسمه الا المطهرون: أي من الملائكة والأنبياء وكل طاهر غير محدث حدثا أكبر وأصغر

تنزيل من رب العالمين : أي منزل من رب العالمين وهو الله جل جلاله.

أفبهذا الحديث : أي القرآن.

أنتم مدهنون : أي تلينون القول للمكذبين به ممالأة منكم لهم على التكذيب به والكفر.

وتجعلون رزقكم : أي شكر الله على رزقكم.

أنكم تكذبون : أي تكذيبكم بسقيا الله وتقولون مطرنا بنوء كذا وكذا.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾[1] أي أقسم بمواقع النجوم وهي مطالعها ومغاربها وإنه أي قسمي هذا لقسم لو تعلمون أي لو كنتم من أهل العلم عظيم. لأن النجوم ومنازلها ومطالعها ومساقطها ومغاربها التي تغرب فيها أمور عظيمة في خلقها وتدبير الله فيها انه لقسم بشيء عظيم.

(١) (لا) صلة في قول أكثر المفسرين أي: فاقسم بمواقع النجوم وقيل: هي نفي أي ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف فقال: فاقسم كقول الرجل: لا والله ما كان كذا وكذا، ولا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام سابق وقيل: لا بمعنى ألا أداة تنبيه وشاهده قول الشاعر:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي   وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

والمقسم عليه هو قوله إنه أي المكذب به لقرآن كريم[1]، لا كما قال المبطلون شعر وسحر وكذب واختلاق ﴿في كتاب مكنون﴾ أي مصون ﴿لا يمسه إلّا المطهرون﴾ سواء ما كان في اللوح المحفوظ أو في مصاحفنا فلا ينبغي أن يمسه إلّا المطهرون من الأحداث الصغرى والكبرى[2] ﴿تنزيل من ربّ العالمين﴾[3] أي منزل منه سبحانه وتعالى ولذا وجب تقديسه وتعظيمه فلا يمسه إلّا طاهر من الشرك والكفر وسائر الأحداث.

وقوله تعالى ﴿أفبهذا الحديث﴾ أي القرآن أنتم مدهنون تُلينون القول للمكذبين به ممالأة منكم لهم على التكذيب بهوالكفروتجعلون رزقكم[4] أي وتجعلون شكر الله تعالى على رزقه لكم أنكم تكذبون أي تكذيبكم بسقيا الله لكم بالأمطار وتقولون مطرنا بنوء كذا ونوء كذا.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- بيان أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته، وان العبد لا يقسم إلا بربه تعالى.

٢- تقرير الوحي الإلهي وإثبات النبوة المحمدية، وأن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى.

٣- وجوب صيانة القرآن الكريم، وحرمة مسه على غير طهارة.

٤- حرمة المداهنة في دين الله تعالى وهي أن يتنازل عن شيء من الدين ليحفظ شيئا من دنياه والمداراة جائزة وهي أن يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه

فَلَوْلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ

(١) (كريم) لما فيه من كريم الأخلاق، ومعالي الأمور ولأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه ويسعد وينجو العامل به.

(٢) قال القرطبي: اختلف في مس المصحف على غير وضوء، فالجمهور على المنع لحديث عمرو بن حزم، وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي وأحمد.

(٣) (تنزيل) بمعنى: منزّل من إطلاق المصدر وإرادة المفعول كالرد بمعنى المردود

(٤) صلح وضع لفظ الرزق موضع الشكر لأن شكر الرزق يسبب الزيادة في الرزق فأطلق السبب وأريد المسبب.

ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

شرح الكلمات :

فلولا : أي فهلّا وهي للحض على العمل والحث عليه.

إذا بلغت الحلقوم : أي مجرى الطعام وذلك وقت النزع.

وأنتم تنظرون : أي وأنتم أيها الممرضون والعواد تنظرون إليه.

ونحن أقرب إليه منكم : أي ورسلنا ملك الموت وأعوانه أقرب إلى المحتضر منكم.

ولكن لا تبصرون : أي الملائكة.

فلولا إن كنتم غير مدينين : أي فهلا إن كنتم غير مدينين أي محاسبين بعد الموت.

ترجعونها ان كنتم صادقين : أي ترجعون الروح الى الجسم بعد وشوك مفارقتها له إن كنتم صادقين في انكم لا تبعثون ولا تحاسبون.

فأما إن كان : أي الميت.

من المقربين : أي من السابقين وهو الصنف الأول من الأصناف الثلاثة التي تقدمت في أول السورة.

فروح وريحان : أي استراحة وريحان أي رزق حسن وجنّة نعيم.

وأما إن كان من أصحاب اليمين : أي من الصنف الثاني فسلام لك يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين. أي من اخوانك يسلمون عليك فإنهم في جنات النعيم.

فنزل من حميم : أي فله نزل من ماء حار شديد الحرارة.

وتصلية جحيم : أي احتراق بها.

إن هذا لهو حق اليقين : أي إن هذا الذي قصصناه عليك في هذه السورة لهو حق اليقين.

فسبح باسم ربك العظيم : أي نزه وقدس اسم ربك العظيم.

معنى الآيـات :

بعد تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن كلام الله وتنزيله عاد السياق الكريم الى تقرير البعث والجزاء فقال تعالى ﴿فلولا[1] إذا بلغت﴾ أي الروح[2] ﴿الحلقوم﴾ وهو مجرى الطعام ﴿وأنتم﴾[3] في ذلك الوقت ﴿تنظرون﴾ مريضكم وهو يعانى من سكرات الموت، ونحن أقرب إليه منكم أي رسلنا أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون إذ لا قدرة لكم على رؤية الملائكة ما لم يتشكلوا في صورة إنسـان. وقـولـه ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾ أي محـاسبين بعد الموت ومجزيين بأعمـالكم ترجعونها الـروح بعد ما بلغت الحلقوم إن كنتم صادقين فى أنكم غير مدينين لله بأعمالكم، أى فلا يحاسبكم عليها ولا يجزيكم بها.

وقوله تعالى ﴿فأما[4] إن كان﴾ أي المحتضر من المقربين وهم السابقون ﴿فروح[5] وريحان﴾ أي فإن له الاستراحة التامة من عناء تعب الدنيا وتكاليفها وريحان وهو الرزق الحسن وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم في عرصات القيامة ذات اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين الذين سبقوك الى دار السلام.

وأما إن كان المحتضر من المكذبين لله ورسوله المنكرين للبعث الآخر الضالين عن الهدى ودين الحق ﴿فنــزل من حميم﴾ أي ضيافـة على الماء الحار هذه ضيافته وتصلية جحيم[6] أي واحتراق بالجحيم.[7]

وقوله تعالى ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾[8] أي هذا الذي حدثناك به عن المحتضرين الثلاثة وما لهم وما نالهم لحق اليقين. وقوله ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ يأمر تعالى رسوله بالتسبيح باسم

---

(١) لم يجر للروح ذكر إلا أن المقام دال عليها كما قال حاتم.

أما وي ما يغني الثراء عن الفتى   إذا حشجرت يوماً وضاق بها الصدر

(٢) (لولا) حرف تحضيض مستعمل هنا في التعجيز، لأن المحضوض إذا لم يفعل ما حُض عليه كان عاجزا (وإذا بلغت) ظرف متعلق بـ (ترجعونها) مقدم عليه لتهويله والتشويق إلى الفعل المحضوض عليه.

(٣) (وأنتم) الجملة حالية وكذا جملة (ونحن أقرب إليه منكم) حالية أيضاً.

(٤) الفاء للتفريع إذ ما بعدها من بيان حال من مات من سعادة أو شقاء متفرع عن الموت وانتهاء الحياة.

(٥) الروح: الراحة أي: هو في راحة ونعيم، وعلى قراءة رُوح بضم الراء فالمعنى: أن روح المؤمن معها الريحان وهو الطيب والريحان شجر لورقه وقضبانه رائحة ذكية طيبة.

(٦) التصلية: مصدر صلاّهُ المشدد: إذا أحرقه وشواه يقال: صلى اللحم تصلية: إذا شواه والجحيم: النار المؤججة، وهو علم على جهنم دار العذاب.

(٧) هذه الجملة تذييل لجميع ما تقدم في هذه السورة من وعد ووعيد واستدلال على تقرير النبوة والبعث والتوحيد ويدخل فيه دخولا أولياً الأقرب ذكراً وهو ما ذكر في التفسير.

(٨) اشتملت جملة: (إن هذا لهو حق اليقين) على أربع مؤكدات وهي: إن، ولام الابتداء، وضمير الفصل، وإضافة شبه المترادفين وهما: الحق واليقين، وخامس وهو الجملة الاسمية لإفادتها الدوام والثبوت.

ربه العظيم صح أنه لما نزلت هذه الآية قال ﷺ لأصحابه اجعلوها في ركوعكم، والتسبيح التقديس والتنزيه لله تعالى عما لا يليق بجلاله وكماله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- بيان عجز كل الناس أمام قدرة الله تعالى.

٣- ان في عجز الإنسان على رد روح المحتضر ليعيش بعد ذلك ولو ساعة دليلا على أنه لا إله إلا الله

٤- بيان فضل السابقين عن أصحاب اليمين.

٥- القرآن الكريم أحكامه كلها عدل وأخباره كلها صدق.

٦- مشروعية قول العبد سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهما من الكلم الطيب وكذا سبحان ربي العظيم حال الركوع.

سُورَةُ الحَدِيدِ

مدنيـة
وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١) لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)
هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)
هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ
عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

شـرح الكلـمات :

سبح لله ما في السموات والأرض[(١)] : أي نزه الله تعالى جميع ما في السموات والأرض بلسان الحال والقال[(٢)].

وهو العزيز الحكيـم : أي في ملكه، الحكيم في صنعه وتدبيره.

له ملك السموات والأرض : أي يملك جميع ما في السموات والأرض يتصرف كيف يشاء.

يحيـي ويميت : يحيي بعد العدم ويميت بعد الإيجاد والإحياء.

وهو على كل شيء قدير : وهو على فعل كل ما يشاء قدير لا يعجزه شيء.

هو الأول والآخر : أي ليس قبله شيء وهو الآخر الذي ليس بعده شيء[(٣)].

والظاهر والباطن : أي الظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء.

وهو بكل شيء عليم : أي لا يغيب عن علمـه شيء ولـو كان مثقـال ذرة في السموات والأرض.

في ستة أيام : أي من أيام الدنيا مقدرة بها أولها الأحد وآخرها الجمعة.

ثم استوى على العرش[(٤)] : أي ارتفع عليه وعـلا.

---

(١) (الله) الإله المنفرد بالإلهية ومعنى: سبح نزه وورد لفظ التسبيح بالمصدر في (سبحان الذي أسرى بعبده) وبالماضي في الحشر والحديد والصف، والمضارع في الجمعة والتغابن، والأمر في الأعلى فسبح تعالى بكل ألفاظ التسبيح.

(٢) ردّ أهل العلم القول بأن تسبيح غير العالمين هو تسبيح دلالة لا تسبيح قالة، إذ لو كان تسبيح دلالة وظهور لما قال: (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) إذ تسبيح الدلالة مفهوم معلوم.

(٣) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء أقض عنا الدين وأغننا من الفقر).

(٤) قال القرطبي: قد جمع تعالى بين الاستواء على العرش وبين (وهو معكم) والأخذ بالظاهر تناقض فدل على أنه لابد من التأويل والإعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض. وأقول: إن كان يعني بالتأويل قول السلف: معنا بعلمه وقدرته فهذا صحيح ومع هذا فإنه لاتناقض أبداً إذ هو تعالى على عرشه بائن من خلقه، والخلق كله بين يديه كحبة خردل يتصرف فيه كما يشاء لا يغيب عن علمه ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يعجزه شيء فيهما ولذا قال بعضهم: إن محمداً ﷺ ليلة الإسراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت.

يعلم ما يلج في الأرض	: أي ما يدخل في الأرض من كل ما يدخل فيها من مطر وأموات.
وما يخرج منها	: أي من نبات ومعادن.
وما ينزل من السـماء	: أي من رحمة وعذاب.
وما يعرج فيـها	: أي يصعد فيها من الأعمال الصالحة والسيئة.
وهو معكم أينما كنتم	: أي بعلمه بكم وقدرته عليكم أينما كنتم.
والله بما تعملون بصير	: أي لا يخفي عليه من أعمال عباده الظاهرة والباطنة شيء.
والى الله ترجع الأمور(١)	: أي مرد كل شيء الى الله خالقه ومدبره يحكم فيه بما يشاء.
يولج الليل في النهار	: أي يدخل جزءاً من الليل في النهار وذلك في الصيف.
ويولج النهار في الليل	: ويدخل جزءاً من النهار في الليل وذلك في الشتاء كما يدخل كامل أحدهما في الآخر فلا يبقى الا ليل أو نهار إذْ احدهما دخل في ثانيهما.
وهو عليم بذات الصدور	: أي ما في الصدور من المعتقدات والأسرار والنيات.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى في هذه الآيات الخمس عن وجوده وعظمته من قدرة وعلم وحكمة ورحمة وتدبيره وملكه ومرد الأمور إليه وكلها مظاهر الربوبية الموجبة للألوهية فأولا تسبيح كل شيء في السموات والأرض أي تنزيهه عن كل نقص كالزوجة والولد والشريك والوزير المعين والعجز والجهل، ثانيا إنه تعالى العزيز ذو العزة التي لا ترام العظيم الانتقام الحكيم في تدبير ملكه فلا شيء في خلقه هو عبثٌ أو لهوٌ أوباطل .ثالثا له ملك السموات والأرض ملكاً حقيقياً يتصرف كيف يشاء يهب من شاء ويمنع من شاء. رابعاً يحيى من العدم ويميت الحيّ الموجود، خامساً هو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء ولا يعجز عن شيء متى أراد الشيء وقال له كن فهو يكون ولا يتخلف.

---

(١) قرأ الجمهور ونافع وحفص وغيرهما (تُرجع) بالبناء للمفعول وقرأ بعض (ترجع) بالبناء للفاعل، رجوع الأمر معناه: مرد كل شيء إلى الله تعالى إذ هو خالقه ومدبره والحاكم فيه إذ هو رب العالمين وإله الأولين والآخرين.

سادساً: هو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء إذ له ميراث السموات والأرض. سابعاً: علمه محيط بكل شيء. ثامناً: خلقه السموات والأرض في ستة أيام الدنيا ابتداء من الأحد وانتهاء بالجمعة وما مسه من لغوب ولا تعب ولا نصب ثم استوى على العرش يدبر ملكوت خلقه بالحكمة ومظاهر العدل والرحمة. تاسعاً: مع علوه وبعده من خلقه فالخلق كله بين يديه يعلم ما يلج في الأرض أي يدخل فيها من أمطار وأموات وما ينزل من السماء من مطر ورحمة وعذاب وملك وغيره، وما يعرج أي يصعد فيها من ملك ومن عمل صالح ودعاء وخاصة دعوة المظلوم فإنها لا تحجب عن الله أبداً. وعاشراً: معية الله تعالى الخاصة والعامة فالخاصة مَعِيّتُهُ بنصره لأوليائه، والعامة عِلْمُهُ بكل عباده وسائر خلقه، وقدرته عليهم وعلمه بهم. الحادي عشر: بصره تعالى بكل أعمال عباده فلا يخفى عليه شيء منها ليحاسبهم بها ويجزيهم عليها. الثاني عشر: له ملك السموات والأرض أي كل ما في السموات وما في الأرض من سائر الخلق هو ملك لله تعالى وحده لاشريك له فيه ولا في غيره. الثالث عشر: رد كل الأمور إليه فلا يقضى فيها غيره ولا يحكم فيها سواه والظاهر منها كالباطن. الرابع عشر: إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل لمصلحة عباده وفائدتهم إذ لولا هذا التدبير الحكيم لما صلح أمر الحياة ولا استقام هذا الوجود.

وأخيراً علمه[1] الذي أحاط بكل شيء وتغلغل في كل خفي حتى ذات الصدور من خاطر ووسواس وهمّ وعزم ونية وإرادة فسبحانه من إله لا إله غيره ولا ربّ سواه، بهذه المظاهر من الكمالات استحق العبادات فلا تصح العبادة لغيره، ولا تنبغى الطاعة لسواه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ فضل التسبيح وأفضله سبحان الله وبحمده[2] سبحان الله العظيم.

٢ـ مظاهر القدرة والعلم والحكمة في هذه الآيات الخمس هي موجبات ربوبية الله تعالى وألوهيته وهي مقتضية للبعث الآخر والجزاء فيه.

٣ـ في خلقه تعالى السموات والأرض في ستة أيام وهو القادر على خلقهما بكلمة التكوين تعليم لعباده التأني في الأمور وعدم العجلة فيها لتخرج متقنة صالحة نافعة.

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن اسم الله الأعظم هو في ست آيات: من أول سورة الحديد كأنه يعني مجموع هذه الأسماء والصفات الخمسة عشر.

(٢) في الصحيح: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).

٤ـ بطلان دعاء غير الله تعالى ورجاء غيره إذ له ملك السموات والأرض وليس لغيره شيء من ذلك.

٥ـ وجوب مراقبة الله تعالى والحياء منه وتقواه وذلك لعلمه بظواهرنا وبواطننا وقدرته على مجازاتنا عاجلاً وآجلاً.

ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ
وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ
وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا
ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

آمنوا بالله ورسوله : أي صدقوا بالله ورسوله يا من لم تؤمنوا بعد واثبتوا على إيمانكم يا من آمنتم قبل.

وأنفقوا : أي وتصدقوا في سبيل الله.

مما جعلكم مستخلفين فيه : أي من المال الذي استخلفكم الله فيه إذ هو مال من قبلكم وسيكون لمن بعدكم.

فالذين آمنوا منكم وأنفقوا : أى صدقوا بالله ورسوله وتصدقوا بأموالهم المستخلفين فيها.
لهم أجر كبير : أي ثواب عظيم عند الله وهو الجنة.
ومالكم لا تؤمنون بالله؟ : أي أي شيء يمنعكم من الإيمان.
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم : أي والحال أن الرسول بنفسِه يدعوكم لتؤمنوا بربكم.
وقد أخذ ميثاقكم : أي على الإيمان به وأنتم في عالم الذر حيث أشهدكم فشهدتم.
إن كنتم مؤمنين : أي مريدين الإيمان فلا تترددوا وآمنوا وأسلموا تنجوا وتسعدوا.
هو الذي ينزل على عبده : أي هو الله ربكم الذي يدعوكم رسوله لتؤمنوا به ينزل على عبده محمد ﷺ.
آيات بينات : هي آيات القرآن الكريم الواضحات المعاني البينات الدلالة.
ليخرجكم من الظلمات إلى النور : أي ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم.
وإن الله بكم لرءوف رحيم : ويدلكم على ذلك إرسال رسوله إليكم وإنزال كتابه ليخرجكم من الظلمات إلى النور.
ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله : أي أي شيء لكم في عدم الإنفاق في سبيل الله.
ولله ميراث السموات والأرض : أي ومن ذلك المال الذي بين أيديكم فهو عائد إلى الله فأنفقوه في سبيله يؤجركم عليه. وإلا فسيعود إليه بدون أجر لكم.
من قبل الفتح وقاتل : أي لا يستوى مع من أنفق وقاتل بعد صلح الحديبية حيث عز الإسلام وكثر مال المسلمين.
وكلاً وعد الله الحسنى : أي الجنة، والجنة درجات.
من ذا الذي يقرض الله : أي بإنفاقه ماله في سبيل الله الذي هو الجهاد.
قرضا حسنا : أي قرضا لا يريد به غير وجه الله تعالى.
فيضاعفه له : أي الدرهم بسبعمائة درهم.
وله أجر كريم : أي يوم القيامة وهو الجنة دار النعيم المقيم.

معنى الآيـات

بعد ذكر الأدلة والبراهين على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ووجوب عبادته وتوحيده فيها وتقرير البعث والجزاء يوم لقائه رحمة منه ورأفة بعباده أمرهم جميعا مؤمنيهم وكافريهم بالإيمان به وبـرسـوله محمد ﷺ فالمؤمنون مأمورون بزيادة الإيمان والثبات عليه والكافرون مأمورون بالإيمان والمبادرة إليه. وبما أن الآيات نزلت بالمدينة بعد الهجرة وبعد صلح الحديبية فإن هذه الأوامـر والتوجيهات الإلهية تشمل المؤمنين الصادقين والمنافقين الكاذبين في إيمانهم تشمل الراغبين في الإيمان في مكة وغيرها وهم يترددون في ذلك فوجه الخطاب إلى الجميع لهدايتهم ودخولهم في رحمة الله الإسلام بسرعة ودون تباطىء فقال تعالى ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ أي صدقوا بوحـدانية الله ورسـالـة رسـول الله وأنفقـوا ممـا جعلكم مستخلفين[1] فيه من الأمـوال، ووجـه الاستخلاف أن العبد يرث المال عمن سبقه ويموت ويتركه لمن بعده فلا يدفن معه في قبره. وقـولـه تعالى ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾ أي ثواب عظيم عند الله وهو الجنة والرضوان فيها. وهذا الإخبار يفيد تنشيط الهمم الفاترة والعزائم المترددة. وقوله: ﴿ومالكم لا[2] تؤمنون بالله والرسول[3] يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين[4]﴾ أي أي شيء يجعلكم لا تؤمنون وفرص الإيمان كلها متاحة لكم فإيمانكم الفطرى صارخ في نفوسكم إذ كل من سألكم: من خلقكم؟ من خلق العالم حولكم؟ سماء وأرضا تقولون الله. وأنتم في حَرَمِهِ وحِمى بيته والرسول الكريم بين أيديكم يدعوكم صباح مساء إلى الإيمان بربكم وقد أخذ الله ميثاقكم عليكم بأن تؤمنـوا به وذلك يوم أخرجكم في صورة الذر من صلب آدم أبيكم وأشهدكم على أنفسكم فشهدتم. إذاً ما هذا التردد إن كنتم تريدون الإيمان فآمنوا قبل فوات الأوان.

وقوله تعالى: ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات﴾ أي إنكم تدعون إلى الإيمان بالله الـذي ينـزل على عبده ورسوله محمد ﷺ آيات واضحات المعاني بينات الدلائل كل ذلك ليخرجكم من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، فما لكم لا تؤمنون إذاً ما هذا التردد والتلكؤ يا عباد الله في الإيمان بالله وبرسول الله، وإن الله بكم لرءوف رحيم فاعـرفوا هذا وآمنوا به ويدلكم على ذلك إنزاله الكتاب وإرساله الرسول وتوضيح الأدلة

---

(١) قوله: (مستخلفين) دال على أن أصل الملك لله تعالى وما العبد إلا مستخلف فيه فتعين أن يتصرف فيه بإذن المالك الحق فلا ينفق إلا حيث يأذن ويرضى سبحانه وتعالى.

(٢) (وما لكم لا تؤمنون) الاستفهام للتوبيخ أي: أيّ عذر لكم في ألا تؤمنوا وكل دواعي الإيمان وأسبابه متوفرة لكم.

(٣) جملة: (والرسول): حالية.

(٤) (إن كنتم مؤمنين) أي: إن كنتم مريدي الإيمان فهذه دواعيه قد كملت وأسبابه قد حضرت أخذ عليكم الميثاق فيه والرسول يدعوكم إليه. فبادروا ولا تباطأوا.

وإقامة الحجج والبراهين.

وقوله: ﴿وما لكم ألا تنفقوا[1] في سبيل الله﴾ التي هي سبيل إسعادكم وإكمالكم بعد نجاتكم من العذاب في الحياتين مع العلم أن لله ميراث السموات والأرض إذ ما بأيديكم هو لله هو واهبه لكم ومسترده منكم فلم لا تنفقون منه.

وقوله تعالى ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح[2] وقاتل[3]﴾ أي صلح الحديبية لقول الله تعالى ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ والمراد به صلح الحديبية. أي لا يستوون في[4] الأجر والمثوبة مع من قاتل وأنفق بعد الفتح. قال تعالى ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلًّا﴾ من الفريقين ﴿وعد الله الحسنى﴾ أي الجنة ﴿والله بما تعملون خبير﴾ لا يخفى عليه إنفاقكم وقتالكم وعدمهما كما لا يخفى عليه نياتكم وما تخفون في نفوسكم فاحذروه وراقبوه خيراً لكم.

وقوله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ أي مخلصا فيه لله طيبة به نفسه ﴿فيضاعفه له﴾ ربه في الدرهم سبعمائة درهم، ﴿وله أجر كريم﴾ ألا وهو الجنة دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب الإيمان بالله ورسوله وتقويته.

٢ـ وجوب الإنفاق في سبيل الله من زكاة ونفقة جهاد وصدقة على الفقراء والمساكين.

٣ـ بيان لطف الله ورأفته ورحمته بعباده مما يستلزم محبته وطاعته وشكره.

٤ـ الإنفاق في المجاعات والشدائد والحروب أفضل منه في اليسر والعافية.

٥ـ الترغيب في الإنفاق في سبيل الله بمضاعفة الأجر حتى يكون الدينار بألف دينار عند الله تعالى وما عند الله خير وأبقى، وللآخرة خير من الأولى.

---

(١) الاستفهام للتوبيخ واللوم والعتاب وهذا مخاطب به المؤمنون.

(٢) جائز أن يكون المراد بالفتح: فتح مكة، وكونه صلح الحديبية أولى وأرجح.

(٣) في الكلام حذف دل عليه المذكور وهو: (مَنْ أنفق بعد الفتح وقاتل) وقد ذكرته في التفسير بدون الإشارة إلى الحذف.

(٤) روى أشهب عن مالك أنه قال: ينبغي أن يقدم أهل الفضل والعزم وقد قال تعالى: (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل). ولهذا قدّم أبو بكر على سائر الصحابة لأنه أوّل من آمن وأوّل من أنفق وأوّل من قاتل قدمه رسول الله ﷺ في الصلاة، وقدمه المؤمنون في الخلافة، وقال فيه علي رضي الله عنه: سبق النبي ﷺ وثنى أبو بكر وثلث عمر فلا أوتى برجل فضلني على أبي بكر إلا جلدته حد المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة) ومما يشهد لقول مالك قوله ﷺ (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) وفي بعض الروايات: (ويعرف لعالمنا حقه).

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم
بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ
آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ
الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ
أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ
اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم[١]: أي يتقدمهم نورهم الذي اكتسبوه بالإيمان والعمل الصالح بمسافات بعيدة يضيء لهم الصراط الذي يجتازونه إلى الجنة.

بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار: أي تقول لهم الملائكة الذين أُعدوا لاستقبالهم بشراكم..

ذلك هو الفوز العظيم : أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم الذي لا أعظم منه.

المنافقون والمنافقات : أي الذين كانوا يخفون الكفر فى نفوسهم ويظهرون

---

(١) (يسعى نورهم) عندما يسعون هم إذ هو منهم يتقدمهم فلا ينفصل عنهم بحيث إذا وقفوا وقف وإذا مشوا تقدمهم بين أيديهم.

الإيمان والإسلام بألسنتهم.

نقتبس من نوركم : أي أنظروا إلينا بوجوهكم نأخذ من نوركم ما يضيء لنا الطريق.

قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً: أي يقال لهم استهزاءً بهم ارجعوا وراءكم إلى الدنيا حيث يطلب النور هناك بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي فيرجعون وراءهم فلم يجدوا شيئاً.

فضـرب بينهم بسور له باب باطنه الرحمة: أي فضرب بينهم وبين المؤمنين بسور عال له باب باطنه الذي هو من جهة المؤمنين الرحمة.

وظاهره من قبله العذاب : أي الذي من جهة المنافقين في عرصات القيامة العذاب.

ينادونهم ألم نكن معكم : أي ينادي المنافقون المؤمنين قائلين ألم نكن معكم في الدنيا على الطاعات أي فنصلى كما تصلون ونجاهد كما تجاهدون وننفق كما تنفقون.

قالوا بلـى : أي كنتم معنا على الطاعات.

ولكنكم فتنتم أنفسـكم : أي بالنفاق وهو كفر الباطن وبغض الإسلام والمسلمين.

وتـربصـتم : أي الدوائر بالمسلمين أي كنتم تنتظرون متي يهزم المؤمنون فتعلنون عن كفركم وتعودون إلى شرككم.

وغركـم بالله الغـرور : أي وغركم بالإيمان بالله ورسوله حيث زين لكم الكفر وكره إليكم الإيمان الشيطان.

فاليوم لا يؤخذ منكم فدية : أي مال تفدون به أنفسكم إذ لا مال يومئذ ينفع ولا ولد.

ولا من الذين كفروا : أي ولا فدية تقبل من الذين كفروا.

مأواكم النار هي مولاكم : أي مستقركم ومكان إيوائكم النار وهي أولى بكم لخبث نفوسكم.

وبئـس المصير : أي مصيركم الذي صرتم إليه وهو النار.

معنى الآيـات

قولـه تعـالى ﴿يوم ترى[(١)] المؤمنين والمؤمنـات﴾ هذا الظرف متعلق بقـولـه ﴿ولهم أجر كريم﴾ في آخر الآية السابقة

---

(١) الخطاب في قوله: ؛ (ترى) لغير معين إذ هو صالح لكل ذي أهلية للخطاب والرؤية.

أي لهم أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنـات في[1] عرصـات القيامـة نورهم الذي اكتسبوه بإيمانهم وصالح أعمالهم في دار الدنيا ذلك النور يمشى أمامهم يهديهم إلى طريق الجنة، وقد أعطوا كتبهم بأيمانهم. وتقول لهم الملائكة الذين أعدوا لتلقيهم واستقبالهم بشراكم[2] اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار أي تجري الأنهار أنهار الماء واللبن والخمر والعسل من خلال الأشجار والقصـور خالـدين[3] فيهـا ماكثين أبـدا لا يموتـون ولا يخـرجـون. قال تعـالى ﴿ذلـك هو الفـوز العـظيم﴾ إذ هو نجاة من النـار ودخـول الجنـان في جوار الـرحمن. وقـولـه تعـالى ﴿يوم[4] يقـول المنـافقـون والمنافقات﴾ بدل من من قولـه يوم ترى المؤمنين والمؤمنـات،والمنافقون والمنافقات وهم الذين كانوا في الحياة الدنيا يخفون الكفر في أنفسهم ويظهرون الإيمان بألسنتهم والإسلام بجوارحهم يقولون للذين آمنوا انظرونا أي اقبلوا علينا بوجوهكم ذات الأنوار نقتبس[5] من نوركم أي نأخذ من نوركم ما يضيء لنا الـطريق مثلكم قيل فيقـال لهم استهـزاء بهم ﴿ارجعـوا وراءكم فالتمسـوا نوراً﴾ إشـارة إلى أن هذا النـور يطلب في الدنيا بالإيمان وصالح الأعمال فيرجعون إلى الوراء وفوراً يضرب بينهم وبين المؤمنين بسور عال ﴿لـه باب باطنـه﴾ وهـو يلي المؤمنين فيه الـرحمـة ﴿وظـاهره﴾ وهو يلي المنافقين ﴿من قبله العذاب﴾ فيأخذون في ندائهم الم نكن معكم على الطاعات أيها المؤمنون فقد كنا نصلى معكم ونجاهد معكم وننفق كما تنفقون فيقول لهم المؤمنون بلى أي كنتم معنا في الدنيا على الطاعات في الـظاهـر ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفـاق وتـربصتم بنـا الدوائر لتعلنوا عن كفركم وتعودوا إلى شرككم، وارْتَبْتُمْ أي شككتم في صحة الإسلام وفي عقائده ومن ذلك البعث الآخر وغرتكم الأماني الكاذبة والأطماع في أن محمداً لن ينتصر وأن دينه لن يظهر، حتَّى جاء أمر الله بنصر رسوله وإظهار دينه وغركم بالله الغرور أي بالإيمان بالله أي بعد معاجلته لكم بالعذاب والستر عليكم وعدم كشف الستار عنكم وإظهاركم على ما أنتم عليه من الكفر الغرور أي الشيطان إذ هو الذي زين لكم الكفر وذكركم بعفو الله وعدم مؤاخذته لكم.

قال تعالى: ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ أي فداء مهما كان ولا من الذين كفروا كذلك

---

(١) وجه عطف المؤمنات على المؤمنين هنا وفي نظائره من القرآن إشارة بل التنبيه إلى أنّ حظوظ النساء في الإسلام مساوية لحظوظ الرجال إلا فيما خصصن فيه من أحكام قليلة مبينة في الكتاب والسنة.

(٢) التقدير: فقال لهم بُشراكم.

(٣) (خالدين) حال مقدرة أي: حالة كونهم مقدرين الخلود فيها إذ لم يدخلوها بعد.

(٤) هذا بدل من اليوم الأول.

(٥) قال الكلبي: يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون نوراً خاصاً بهم فبينما هم يمشون إذ بعث الله فيهم ريحاً وظلمة فأطفأ بذلك نور المنافقين فذلك قوله تعالى: (ربنا أتمم لنا نورنا) يقوله المؤمنون خشية أن يسلبوه كما سلبه المنافقون، فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع أقدامهم قالوا للمؤمنين: (انظرونا نقتبس من نوركم) هذا أحسن توجيه للآية الكريمة.

مأواكم النار أي محل إيوائكم وإقامتكم الدائمة النار هي مولاكم[1] أي من يتولاكم ويضمكم في أحضانه وهي أولى بكم لخبث نفوسكم وعفن أرواحكم من جراء النفاق والكفر، وبئس المصير الذي صرتم إليه إنه النار.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- تقرير البعث بذكر أحداثه وما يجرى فيه.

٢- تقرير أن الفوز ليس ربح الشاة والبعير ولا الدار ولا البستان في الدنيا وإنما هو الزحزحة عن النار ودخول الجنان يوم القيامة هذا هو الفوز العظيم.

٣- من بشائر السعادة لأهل الإيمان قبل دخول الجنة تلقى الملائكة لهم إعطاؤهم كتبهم بأيمانهم ووجود نور عال يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يتقدمهم على الصراط إلى الجنة.

٤- نور يوم القيامة في وجوه المؤمنين أخذوه من الدنيا وفي الحديث[2]: بشر المشائين في الظلمة إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة.

٥- بيان صفات المنافقين في الدنيا وهي إبطان الكفر في نفوسهم والتربص بالمؤمنين للانقضاض عليهم متى ضعفوا أو هزموا وأمانيهم في عدم نصرة الإسلام. وشكهم الملازم لهم حتى انهم لم يخرجوا منه إلى أن ماتوا شاكين في صحة الإسلام وما جاء به وأخبر عنه من وعد ووعيد.

۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾
ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟

(١) المولى: من يتولى غيره، وما دامت النار هي التي تولتهم لتذيقهم ألوان عذابها صح إطلاق المولى عليها مع أن النار تتكلم وتتغيظ فلذا كانت تتولى أهلها فتسقيهم مر العذاب.

(٢) الحديث رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ونصه: (بَشر المشائين في الظُلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة).

ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١٨﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

ألم يأن للذين آمنوا : أي ألم يحن الوقت للذين أكثروا من المزاح.

أن تخشع قلوبهم لذكر الله : أي تلين وتسكن وتخضع وتطمئن لذكر الله ووعده ووعيده.

وما نزل من الحق : أي القرآن وما يحويه من وعد ووعيد.

ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل : أي ولا يكونوا كاليهود والنصارى في الإعراض والغفلة.

فطال عليهم الأمد : أي الزمن بينهم وبين أنبيائهم.

فقست قلوبهم : أي لعدم وجود من يذكرهم ويرشدهم فقست لذلك قلوبهم فلم تلن لذكر الله.

وكثير منهم فاسقون : أي نتيجة لقساوة القلوب المترتبة على ترك التذكير والإرشاد ففسق أكثرهم فخرج عن دين الله ورفض تعاليمه.

اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها : أي بالغيث ينزل بها وكذلك يحيى القلوب بالذكر والتذكير فتلين وتخشع لذكر الله ووعده ووعيده.

قد بينا لكم الآيات لعلكم تعلقون : أي بينا لكم الآيات الدالة على قدرتنا وعلمنا ولطفنا ورحمتنا رجاء أن تعقلوا فتحفظوا أنفسكم مما يرديها ويوبقها.

إن المصدقين والمصدقات : أي المتصدقين بفضول أموالهم والمتصدقات كذلك.

واقرضوا الله قرضاً حسنا : أي وكانت صدقاتهم كالقرض الحسن الذي لا منة معه والنفس طيبة به وراجية من ربها جزاءه.

يضاعف لهم : أي القرض الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة الى ألف ألف.

والذين آمنوا بالله ورسله : أي صدقوا بالله رباً وإلهاً وبرسله هداة ودعاة صادقين.

أولئك هم الصديقون : أي الذين كتبوا عند الله صديقين وهي مرتبة شرف عالية.
والشهـداء عنـد ربهم لهم : أي وشهداء المعارك في سبيل الله عند ربهم أي في الجنة لهم
أجرهم ونورهم أجرهم العظيم ونورهم التام يوم القيامة.
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا : أي كفروا بالله وتوحيده وكذبوا بالقرآن وبما حواه من الشرائع والأحكام.
أولئك أصحاب الجحيم : أي أولئك البعداء هم أهل النار الذين لا يفارقونها أبداً.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿ألم يأن للذين آمنوا﴾[1] أي بالله رباً وإلهاً وبمحمدﷺ نبياً ورسولاً وبوعد الله ووعيده صدقا وحقا ألم يحن[2] الوقت لهم أن تخشع قلوبهم فتلين وتطمئن إلى ذكر الله وتخشع كذلك ﴿وما نزل من الحق﴾ في الكتاب الكريم فيعرفون المعروف ويأمرون به ويعرفون المنكر وينهون عنه إنها لموعظة إلهية عظيمة وزادها عظمة أن تنزل في أصحاب رسول الله تستبطىء قلوبهم. فكيف بمن بعدهم.

وقوله: ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ أي من قبل البعثة المحمدية وهم اليهود والنصـارى فطال عليهم الأمد وهو الزمان الطويل بينهم وبين أنبيائهم فلم يذكروا ولم يرشدوا فقست قلوبهم من أجل ذلك وأصبح أكثرهم فاسقين عن[3] دين الله خارجين عن شرائعه لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً.

وقوله تعالى ﴿اعلموا﴾ أي أيها المؤمنون المصابون ببعض الغفلة فكثر مزاحهم وضحكهم ﴿أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ يحييها بالغيث فتنبت وتزدهر فكذلك القلوب[4] تموت بترك التذكير والتوجيه والإرشاد وتحيا على التذكير والإرشاد.

وقـوله تعالى: ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ أي وضحناها لكم في هذا الكتاب الكريم لعلكم

---

(١) روى مسلم عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله تعالى بهذه الآية: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله..) إلا أربع سنين قال الخليل: العتاب خطاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة.

(٢) هنا فعلان: أنى يأني مشتق من الإنى وهو اسم جامد بمعنى الوقت وآن يئين مشتق من الأين الذي هو الحين قال الشاعر:

ألما يئن لي أن تَجلّى عمـايتي   وأقصر عن ليلي بلى قد أنى ليا

فجمع بين اللغتين أي: بين أنى يأني وبين آن يئين.

(٣) عن مالك قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال لقومه: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتقسوا قلوبكم، فإن القلب القاسي يبعد من الله ولكنكم لا تعلمون، ولاتنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد فإنما الناس رجلان: معافىً ومبتلىً، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية.

(٤) وكذلك القلوب تقسوا فتليينها بعد قساوتها يكون بذكر الله واالدار الآخرة والتذكير بهما.

تعقلون أي لنعدّكم بذلـك لتعقلواعنّـا ما نُخاطبكم به وننصح لكم فيه فاذكروا هذا ولا تنسوه. وراجعوا قلوبكم وتعهدوها بذكر الله والـدار الآخرة. وقوله تعالى: ﴿إن المصدقين﴾ أي المتصـدقين بفضـول أموالهم في سبيل الله والمصدقات أي والمتصدقات كذلك وأقرضوا الله قرضاً حسناً بما أنفقوه في الجهاد طيبة به نفوسهم لا منة فيه ولا رياء ولا سمعة هؤلاء يضاعف لهم أي ثواب صدقاتهم وإقراضهم ربهم إلى عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف ولهم أجر كريم وهو الجنة والذين آمنوا بالله ورسله فصدقوا بالله رباً وإلهاً وبرسل الله المصطفين هداة إلى الله ودعاة إليه هؤلاء هم الصديقون[1] ففازوا بمرتبة الصديقية والشهداء الذين[2] استشهدوا في معارك الجهاد هم الآن عند ربهم لهم أجرهم ونورهم أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة. هؤلاء الأصناف الثلاثة مثلهم مثل السابقين وأصحاب اليمين. والذين كفروا أي بالله ورسله وكذبوا بآياتنا أي بآيات ربهم الحـاوية لشـرائعـه وعبـادتـه فلم يعبـدوه بهـا هؤلاء الأدنـون هم أصحـاب الجحيم الـذين يلازمونها وتلازمهم أبداً نعوذ بالله من حالهم.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ التحذير من الغفلة ونسيان ذكر الله وما عنده من نعيم وما لديه من نكال وعذاب.

٢ـ وجوب التذكير للمؤمنين والوعظ والإرشاد والتعليم خشية أن تقسو قلوبهم فيفسقوا كما فسق أهل الكتاب ويكفروا كما كفروا.

٣ـ تقرير حقيقة وهي أن الأرض تحيا بالغيث والقلوب تحيا بالعلم والمواعظ والتذكير بالله.

٤ـ بيان أصناف المؤمنين ورتبهم وهم المتصدقون والمقرضون في سبيل الله أموالهم والمؤمنون بالله ورسله حق الإيمان والصديقون وشهداء الجهاد في سبيل الله جعلنا الله منهم.

اَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ

(١) الصديق: هو من آمن بالله ورسله ولم يكذب طرفة عين، وممن ذكروا بالفوز بها، أبو بكر الصديق ومؤمن آل فرعون وصاحب يس، وفي الحديث: (ولا يزال المرء يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) فهذا مطلب سهل اللهم حققه لنا.

(٢) اختلف في هل (الشهَداء) موصول بما قبله أو مقطوع فإن كان موصولاً فالصدّيقون والشهداء: هم المؤمنون بالله ورسله، وللجميع أجرهم ونورهم ويكون المدح والثناء وعظم الجزاء للجميع وهي بشرى لأمة محمد ﷺ وإن كان مقطوعاً فقد فاز الشهداء بمزية لم تكن لغيرهم، وهذا ما ذهبت إليه في التفسير، وهو ما اختاره ابن جرير.

وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ
ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

شـرح الكلمـات :

إنما الحياة الدنيا لعب ولهو : أي ان الحياة الـدنيا أشبـه بالأمور الخيالية قليلة النفع سريعة الزوال.

وزيـنة : أي ما يتزين به المرء من أنواع الزينة والزينة سريعة التغير والزوال.

وتفـاخـر بينكم وتكـاثـر في الأموال والأولاد : أي أنها لا تخرج عن كونها لهواً ولعباً وزينة وتفاخراً وتكاثراً في الأموال والأولاد.

كمثل غيث اعجب الكفار نباته : أي مثلها في سرعة زوالها وحرمان صاحبها من الدار الآخرة ونعيمها كمثل مطر أعجب الكفار أي الزراع أعجبهم نباته أي ما نبت به من الزرع.

ثم يهيج فتاره مصفراً : أي ييبس فتراه مصفراً آن أوان حصاده.

ثم يـكون حـطامـا : ثم يتحول بسرعة إلى حطام يابس يتفتت.

الا متـاع الغرور : أي وما الحياة الدنيا في التمتع بها إذ الحياة نفسها غرور لا حقيقة لها.

سابقوا إلى مغفرة من ربكم : أي سارعوا بالتوبة مسابقين غيركم لتغفر لكم ذنوبكم وتدخلوا جنة ربكم

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : أي الموعود به من المغفرة والجنة.

والله ذو الفضل العظيم : أي فلا يبعد تفضله بذلك الموعود به وإن كان عظيماً.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يزيد في كمالهم وسعادتهم في الحياتين فخاطبهم قائلا: اعلموا أيها[1] المؤمنون الذين استبطانا قلوبهم أي خشوعها إذ الإقبال على الدنيا هو سبب الغفلة عن الآخرة ومتطلباتها من الذكر والعمل الصالح ﴿أنما الحياة الدنيا لعب[2] ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ هذه حقيقتها وهي أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال. فلا تغتروا بها ولا تقبلوا بكلكم عليها أنصح لكم بذلك. فاللهو كاللعب لا يُخلِفان منفعة تعود على اللاهي اللاعب، والزينة سرعان ما تتحول وتتغير وتزول والتفاخر بين المتفـاخـرين مجرد كلام ما وراءه طائل أبداً والتكاثر لا ينتهي الى حد ولا يجمع الا بالشقاء والنصب والتعب ثم يذهب أو يُذهب عنه فلا بقاء له ولا دوام وله تبعات لا ينجو منها صاحبها إلا برحمة من الله وإليكم مثل الحياة الدنيا إنها ﴿كمثل غيث[3]﴾ أي مطر ﴿أعجب الكفار﴾ أي الفلاحين الذين كفروا بذرة بالتربة ﴿نباته﴾ الذي نبت به أي المطر ﴿ثم يهيج فتراه﴾ بعد أيام ﴿مصفراً[4]﴾ ثم يهيج أي ييبس ﴿ثم يكون حطاماً﴾ يتفتت هذه هي الدنيا من بدايتها الى نهايتها المؤلمة أما الآخرة ففيها عذاب شديد لأهل الشرك والمعاصي لا بد لهم منه يفارقونه، ومغفرة من الله ورضوان لأهل التوحيد وصالح الأعمال وما الحياة الدنيا وقد عرَضنا عليكم مثالها فما هي إلا متاع الغرور أي إنها لا حقيقة لها وكل ما فيها من المتع التي يتمتع بها إلا غرور باطل. وعليه فأنصح لكم[5] سابقوا إلى مغفرة من ربكم أي سارعوا بالتوبة مسابقين بعضكم بعضا لتغفر ذنوبكم وتدخلوا جنة ربكم التي عرضها كعرض السماء والأرض أعدّت للذين آمنوا بالله ورسله أي هُيئت وأحضرت.فهى مُعدة مهيأة. ذلك فضل الله أي المغفرة ودخول الجنة يؤتيه من يشاء ومن سارع الى التوبة فآمن وعمل صالحاً وتخلى عن الشـرك والآثام فهو ممن شاء له فضله ولذلك وفقه للإيمان وصالح الأعمال. والله ذو الفضل

---

(١) في هذه الآية الكريمة تنبيه عظيم إلى علة كل معوّق عن الكمال والإسعاد من أمراض الشح والحرص والغفلة وإيثار الملاذ والجري وراءها ألا وإنها حب الدنيا العاجلة، وفي الأثر: حب العاجلة رأس كل خطيئة.

(٢) اللهو واللعب: كل ما شغل عن ذكر الله تعالى، والإكثار منهما دليل على خسة العقل وضعفه، وصورتهما تُرى من لعب الأطفال وتلهيهم بما يلعبون به من أنواع اللعب، والزينة: مايُتزيّن به من لباس وأثاث ونحوهما والتفاخر والتكاثر تحمل عليهما النفس الضعيفة ويولدهما الغرور وهما من صفات المفتونين بحب الحياة الدنيا.

(٣) جائز أن يكون (كمثل) في موضع خبر، والمبتدأ محذوف تقديره: هي أي الحياة الدنيا (كمثل غيث).

(٤) الإصفرار بعد الهيجان واليبوسة بعد الإصفرار أما الهيجان فهو عبارة عن سرعة بلوغ النبات مستواه كبلوغ الإنسان أشده ثم يأخذ في الإصفرار فيصفر فلذا عبر بـ ثم الدالة على التراخي، وبعد الإصفرار اليبوسة وهي الإفناء والتلاشي.

(٥) بعد أن كشف لهم عن حال الدنيا وأنها سريعة الزوال حثهم على المسابقة بتصحيح الإيمان وتقويته بالعمل الصالح للفوز بالجنة فلله الحمد وله المنة.

العظيم فلا يستبعد منه ذلك المطلوب المرغوب من النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا.

٢- الدعوة إلى المسابقة في طلب مغفرة الذنب ودخول الجنة.

٣- بيان الجنة وبيان ما يُكسبها وهو الإيمان بالله ورسله ومستلزماته من التوحيد والعمل الصالح.

مَا أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

ما أصاب من مصيبة في الأرض : أي بالجدب وذهاب المال.

ولا في أنفسكم : أي بالمرض وفقد الولد.

إلا في كتاب من قبل أن نبرأها : أي في اللوح المحفوظ قبل أن نخلقها.

إن ذلك على الله يسير	: أي سهل ليس بالصعب.
لكيلا تأسوا على ما فاتكم	: أي لكيلا تحزنوا على ما فاتكم أي مما تحبون من الخير.
ولا تفرحوا بما آتاكم	: أي بما أعطاكم فرح البطر أما فرح الشكر فهو مشروع.
والله لا يحب كل مختال فخور	: أي مختال بتكبره بما أعطى، فخور أي به على الناس.
الذين يبخلون	: أي بما وجب عليهم أن يبذلوه.
ويأمرون الناس بالبخل	: أي بمنع ما وجب عليهم عطاؤه.
ومن يتول	: أي عن الإيمان والطاعة وقبول مواعظ ربهم.
فإن الله غني	: أي غني عن سائر خلقه لأن غناه ذاتي له لا يستمده من غيره.
حميد	: أي محمود بجلاله وجماله وآلائه ونعمه على عباده.
بالبينات	: أي بالحجج والبراهين القاطعة على صدق دعوتهم.
وأنزلنا معهم الكتاب	: أي وأنزل عليهم الكتب الحاوية للشرائع والأحكام.
والميزان	: أي العدل الذي نزلت الكتب بالأمر به وتقريره.
ليقوم الناس بالقسط	: أي لتقوم حياتهم فيما بينهم على أساس العدل.
فيه بأس شديد	: أي في الحديد بأس شديد والمراد آلات القتال من سيف وغيره.
ومنافع للناس	: أي ينتفع به الناس إذ ما من صنعة الا والحديد آلتها.
وليعلم الله من ينصره ورسله	: أي وأنزلنا الحديد وجعلنا فيه بأساً شديداً ليعلم الله من ينصره في دينه وأوليائه وينصر رسله المبلغين عنه.
بالغيب	: أي وهم لا يشاهدونه بأبصارهم في الدنيا.
إن الله قوى عزيز	: أي لا حاجة إلى نصرة أحد وإنما طَلَبَهَا يَتَعَبَّدُ بها عباده.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في إرشاد المؤمنين وتوجيههم إلى ما يكملهم ويسعدهم فقال تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة﴾ أي ما أصابكم أيها المؤمنون من مصيبة في الأرض بالجدب والقحط أو الطوفان أو الجوائح تصيب الزرع ﴿ولا في أنفسكم﴾ بالمرض وفقد الولد إلّا وهي في كتاب أي في كتاب المقادير، اللوح المحفوظ مكتوبة بكميتها وكيفيتها وزمانها ومكانها ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أي وذلك قبل خلق الله تعالىٰ لها

وإيجادها. وقوله: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي علمه بها وكتابته لها قبل خلقها وإيجادها في وقتها سهل على الله يسير.

وقوله ﴿لكيلا تأسوا﴾ أي أعلمناكم بذلك بعد قضائنا وحكمنا به أزلاً من أجل ألا تحزنوا على ما فاتكم مما تحبون في دنياكم من الخير، ولا تفرحوا بما آتاكم[1] فرح الأشر والبطر فإنه مضر أما فرح الشكر فلا بأس به فقد ينعم الله على العبد ليشكره.

وقـولـه: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾[2] يحذر أولياءه من خصلتين ذميمتين لا تنبغيان للمؤمن وهمـا الاختيال أي التكبر والفخر على الناس بما أعطاه الله وَحَرَمَهُم. وقوله ﴿الذين يبخلون ويأمـرون الناس بالبخل﴾ هذا بيان لمن لا يحبهم الله وهم أهل الكبر والفخر بذكر صفتين قبيحتين لهم وهما البخل الذي هو منع الواجب والأمر بالبخل والدعوة إليه فهم لـم يكتفوا ببخلهم فأمـروا غيرهم بالبخل الذي هو منع الواجب وعدم بذله والعياذ بالله من هذه القبائح الأربع. وقوله: ﴿ومن يتول﴾ أي[3] عن الإيمان والطاعة وعدم قبول وعظ الله وإرشاده ﴿فإن الله هو الغني﴾ عن سائر خلقه لأن غناه ذاتي له لا يستمده من غيره ﴿الحميد﴾ أي محمود بجلاله وجماله وإنعامه على سائر عباده.

وقـولـه تعـالى: ﴿لقـد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾[4] أي بالحجج القواطع وأنزلنا معهم الكتاب الحاوي للشرائع والأحكام التي يكمل عليها الناس ويسعدون وأنزلنا الميزان وذلك ليقوم الناس بالعدل أي لتقوم حياتهم على أساس العدالة والحق.

وقوله تعالى ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ أي وكما أنزلنا الكتاب للدين والعدل للدنيا أنزلنا الحديد لهما معاً للدين والدنيا فيما فيه من البأس الشديد في الحروب فهو لإقامة الدين بالجهاد ﴿ومنافع للناس﴾ إذْ سائر الصناعات متوقفة عليه فهو للدنيا.

---

(١) إنه لما يبين تعالى لأوليائه المؤمنين علّة الإفساد والشر وهي حب العاجلة أعلمهم تشجيعاً لهم على الزهد فيها والإعراض عنها أنّ ما يصيب أحدهم من فقر، أو مرض أو خوف قد يفضي إلى الموت هو مما كتبه الله تعالى عليهم أزلا وأنه واقع بهم لا محالة فلذا لا داعي إلى الحزن كما أنّ ما يحصل للعبد مما هو خلاف ذلك من المال والولد لاينبغي أن يفرح به وبذلك يتغلب على الدنيا ويفوز بالآخرة.

(٢) وفي إعلام الله تعالى أولياءه بعدم حبّ المختال الفخور دفع لهم إلى الأمام حيث التنزه عن حب العاجلة التي هي المعوق لهم عن الكمال والإسعاد الأخروي.

(٣) في الآية تحذير من الجزع وقلة الصبر في السير إلى الله تعالى بالتخلي عن حب العاجلة.

فقد ذكرهم بأن التولي أي الرجوع بعد الضرب في طريق الآخرة حيث الجوار الكريم مما يسبب تخلي الرب عن العبد، فإنه تعالى غني حميد لا حاجة به إلى طاعة العباد ولا إلى حمدهم.

(٤) كلام مستأنف المراد به أنّ ما كلف به عباده من طاعته بذكره وشكره إنما هو لمجرد الابتلاء وليس لحاجة إليه لأنه الغني الحميد فإنه أرسل الرسل وأنزل الكتب وأوجد أسباب القوة المادية لمجرد الابتلاء، ذلك الابتلاء المترتب عليه الإسعاد والإشقاء فإنه تعالى يسعد بطاعته ويشقى بمعصيته وهذا هو العدل الكريم البر بعباده المؤمنين الرحيم.

وقوله تعالى : ﴿وليعلم الله[1] من ينصره ورسله بالغيب﴾ أي من الحكمة في إنزال الحديد أن يعلم الله من ينصره أي ينصر دينه ورسله بالجهاد معهم والوقوف إلى جانبهم وهم يبلغون دعوة ربهم بالغيب أي وهم لا يشاهدون الله تعالى بأعينهم وإن عرفوه بقلوبهم.

وقوله تعالى : ﴿إن الله قوي عزيز﴾ إعلام بأنه لا حاجة به إلى نصرة أحد من خلقه وذلك لقوته الذاتية وعزته التى لا ترام، وإنما كلف عباده بنصرة دينه ورسله وأوليائه تشريفاً لهم وتكريماً وليرفعهم بذلك الى مقام الشهداء.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٢ـ بيان الحكمة في معرفة القضاء والقدر والإيمان بهما.

٣ـ حرمة الاختيال والفخر والبخل والأمر بالبخل.

٤ـ بيان إفضال الله وإنعامه على الناس بإرسال الرسل وإنزال الكتب والميزان وإنزال الحديد بما فيه من منافع للناس وبأس شديد.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ
وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

(١) هذا العلم : علم ظهور وكشف عما هو معلوم لله تعالى مستور عن عباده لا أنه علم يستجد لله تعالى فإنه قد كتب ذلك في كتاب المقادير وعلمه قبل وجوده، وإنما يظهره في وقته كما كتبه فيعلمه بعد كشفه وإظهاره لتقوم الحجة به على عباده.

شـرح الكلـمات :

ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم : أي وتالله لقد أرسلنا نوحاً هو الأب الثاني للبشر وإبراهيم هو أبو الأنبياء.

والكتــاب : أي التوراة والزبور والإنجيل والفرقان.

فمنهم مهـتد : أي من أولئك الذرية أي سالك سبيل الحق والرشاد.

وكثير منهم فاسقـون : أي عن طاعة الله ورسله ضال في طريقه.

ثم قفينا على آثارهم برسلنا : أي أرسلنا رسولاً بعد رسول حتى انتهينا الى عيسى.

وقفينا بعيسى بن مريم : أي أتبعناهم بعيسى بن مريم لتأخره عنهم في الزمان.

وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه : أي على دينه وهم الحواريون وأتباعهم.

رأفة ورحمـة : أي ليناً وشفقـة.

ورهبانيـة ابتدعوها : أي وابتدعوا رهبانية لم يكتبها الله عليهم. وهي اعتزال النساء والانقطاع في الأديرة والصوامع للتعبد.

إلا ابتغاء رضوان الله : أي إلا طلبا لرضوان الله عز وجل.

فما رعوها حق رعايتها : أي لم يلتزموا بما نذروه على أنفسهم من الطاعات.

فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم : أي فأعطينا الذين ثبتوا على إيمانهم وتقواهم أجرهم.

وكثير منهم فاسـقون لا أجر لهم ولا ثواب إلا العقاب.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى أنه كما أرسل رسله وأنزل معهم الكتاب والميزان ارسل كذلك نوحاً وإبراهيم فنوح هو أبوالبشر الثاني[1] وإبراهيم هو أبوالأنبياء من بعده ذكرهما لمزيد شرفهما، ولما لهما من آثار طيبـة فقـال ﴿ولقـد أرسلنـا نوحـاً وإبـراهيم وجعلنـا في ذريتهـمـا النـبـوة﴾ أي في أولادهمـا النبـوة والكتـاب فهـود وصـالـح وشعيب وإبـراهيم ولـوط من ذرية نوح وإسمـاعيل وإسحـاق وبـاقي الأنبياء من ذرية ابـراهيم وقـولـه ﴿فمنهم مهتـد وكثير منهم فاسقون﴾[2] أي فمن أولئك الذرية المهدى وأكثرهم فاسقون وقوله ﴿ثم قفينا على آثارهم[3] برسلنا﴾ أي رسولا بعد رسول إلى عيسى بن مريم، وقفينا بعيسى بن مريم أي أتبعاتهم بعيسى

---

(١) هذا كلام معطوف على سابقه المراد منه تفصيل ما أجمل في قوله تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات..) الخ وهو من باب عطف الخاص على العام.

(٢) كأكثر قوم هود وقوم صالح وقوم شعيب، وقوم تبّع وغيرهم والمراد بالفسق هنا: الخروج عن جادة الإيمان والتوحيد، والوقوع في مضلات الشرك والكفر.

(٣) التقفيه: اتباع الرسول على أثر الآخر مشتق لفظها من القفا.

بن مريم كل ذلك لهداية العباد إلى ما يكملهم ويسعدهم وقوله ﴿وآتيناه الإنجيل﴾ أي آتينا عيسى بن مريم الإنجيل وجعلنا في[1] قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة والرأفة اللين وأشد الرحمة. وقوله ﴿ورهبانية[2] ابتدعوها﴾ أي ابتدعها الذين اتبعوا عيسى ﴿ما كتبناها عليهم[3]﴾ أي لم يكتبها الله تعالى عليهم لما فيها من التشديد ولكن ما ابتدعوها الا طلباً لرضوان الله ومرضاته فما رعوها حق رعايتها حيث لم يوفوا بما التزموا به من ترك الدنيا والإقبال على الآخرة حيث تركوا النساء ولبسوا الخشن من الثياب وأكلوا الخشن من الطعام ونزلوا الصوامع والأديرة.

ولهذه الرهبانية سبب مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما نذكره باختصار للفظه ومعناه قال كان بعد عيسى ملوك بدلوا التوراة وحرفوا الإنجيل وألزموا العامة بذلك، وكان بينهم جماعة رفضُوا ذلك التحريف للدين ولم يقبلوه ففروا بدينهم، والتحقوا بالجبال وانقطعوا عن الناس مخافة قتلهم أو تعذيبهم لمخالفتهم دين ملوكهم المحدث الجديد فهذا الانقطاع بداية الرهبانية، وعاش أولئك المؤمنون وماتوا وجاء جيل من أبناء الدين المحرف فذكروا سيرة الصالحين الأولين فأرادوا أن يفعلوا فعلهم فانقطعوا الى الصوامع والأديرة، ولكنهم جهال وعلى دين محرف مبدّل فاسد فما انتفعوا بالرهبانية المبتدعة وفسق أكثرهم عن طاعة الله ورسوله. وهو مادل عليه قول الله تعالى: ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ وهم الأولون المؤمنون الذين فروا من الكفر والتعذيب وعبدوا الله تعالى بما شرع، وقوله ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين أتوا من بعدهم إلى يومنا هذا إذ هم يعبدون الله بدين محرف باطل ولم يلتزموا بالرهبنة الصادقة بالزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- بيان منة الله على عباده بإرسال الرسل.

٢- بيان سنة الله في الناس وهي أنه إذا أرسل الرسل لهداية الناس يهتدى بعض ويضل بعض فيفسق.

---

(١) وذلك لأنّ عيسى عليه السلام بعث لتهذيب نفوس بني اسرائيل واقتلاع جذور القسوة من قلوبهم تلك القسوة التى أثمرها حب الدنيا والإقبال على الشهوات والملاذ الفانية.

(٢) الرهبانية: نسبة إلى الراهب وهو الخائف من الله تعالى، والأصل أن يقال الراهبية، فزيدت فيها النون كما زيدت في شعراني ولحياني ورباني وكذا نصراني على غير قياس.

(٣) جملة: (ما كتبناها عليهم) مبينة لجملة (ابتدعوها).

٣ـ ثناء الله على عيسى بن مريم واتباعه بحق من الحواريين وغيرهم إلى أن غيرت الملوك دين المسيح وضل الناس وأصبحوا فاسقين عن دين الله تعالى.

٤ـ تحريم البدع والابتداع ولا رهبانية في الإسلام ولكن يعبد الله بما شرع.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

شـرح الكلمـات :

يا أيها الذين آمنوا : أي بعيسى بن مريم وموسى من قبله.

اتقوا الله وآمنوا برسوله : أي خافوا عقاب الله وآمنوا بمحمد ﷺ واتبعوه.

يؤتكـم كفلـين : يعـطكم الله نصيبين من الأجـر مقـابل إيمانكم بنبيكم وبمحمد ﷺ.

ويجعل لكم نوراً تمشون فيه : أي في الـدنيا إذ تعيشـون على هداية الله وفي الآخرة تمشون به على الصراط.

لئلا يعلم أهل الكتاب : أي لكى يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله . واللام في لئلا مزيدة لتقوية الكلام.

معنى الآيـتين :

هذا نداء الله لأهل الكتاب بعد أن ذكر نبذة عن رسلهم وأتباعهم نادى الموجودين منهم بعنوان[(١)] الإيمان أي يا من آمنتم بالرسل السابقين حسب ادعائكم اتقوا الله فلا تفرقوا بين رسل الله وآمنوا

(١) استعمل الإيمان هنا استعمالاً لقبياً إذ المراد بالذين آمنوا: اليهود والنصارى إذ هم يؤمنون بالله ولقائه وكتبه ورسله في الجملة.

برسـولـه محمـد ﷺ يؤتكم أي يعطكم كفلين أي حظين ونصيبين من رحمتـه ومثـوبتـه ويجعـل لكم نوراً تمشون به في الدنيا وهو الهداية الإسلامية إذ الإسلام صراط مستقيم صاحبه لا يضل ولا يشقى وتمشـون به فى الآخـرة على الصـراط إلى دار السـلام الجنة، ويغفر لكم ذنوبكم الماضية والحاضرة والله غفور رحيم.[1] وذلك ليعلم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين رفضوا الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في الإسلام أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله أي لا يقدرون على الحصول على شيء من[2] فضل الله، وأن الفضـل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هداية الآيتيـن

من هداية الآيتين :

١ـ أعظم نصيحة تقدم لأهل الكتاب لو أخذوا بها تضمنها نداء الله لهم وما وعدهم به في هذه الآية الكريمة.

٢ـ فضل الإيمان والتقوى إذ هما سبيل الولاية والكرامة في الدنيا والآخرة.

٣ـ إبطال مزاعم أهل الكتاب في احتكار الجنة لهم، وإعلامهم بأنهم محرمون منها ما لم يؤمنوا برسول الله ويتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيـه.

---

(١) هذا بناء على أن (لا) زائدة في قوله: (لئلا يعلم أهل الكتاب) إذ الأصل لأن يعلم فزيدت اللام لتوكيد الكلام فصارت (لئلا يعلم) أي: لأن يعلم.

(٢) أي: إلا باذن الله إذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. والظاهر أن المراد من الفضل هنا خصوص النبوة والرسالة وأن أهل الكتاب من اليهود يريدون حصر النبوة والرسالة في شعب اسرائيل فلذا جحدوا نبوة ورسالة محمد ﷺ وكفروا بهما فناداهم تعالى بعنوان الإيمان الذي يدعونه وأمرهم بتقواه بترك الكذب والاحتيال وأمرهم بالإيمان برسوله وواعدهم مضاعفة الأجر إن هم آمنوا، وكان هذا إعلاماً منه تعالى أن أهل الكتاب لا يقدرون على حصر الفضل فيهم ومنعه عن غيرهم فقد نبأ وأرسل من بني عمهم محمداً ﷺ وهم كارهون منكرون مكذبون، وهم بين خيار بين إما الإيمان بمحمد ﷺ والفوز بالجنة والنجاة من النار وإما الإصرار على إنكار رسالته والكفر به مع الخسران في الحياتين ولا يهلك على الله إلا هالك.

سورة المجادلة

مدنيـــة وآياتها ثنتان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى
وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها : أي تراجعك أيها النبي في شأن زوجها أوس بن الصامت.

وتشتكي إلى الله : أي وحدتها وفاقتها وصبية صغاراً إن ضمتهم إليه ضاعوا وإن ضمهم إليها جاعوا.

والله يسمع تحاوركما : أي تراجعكما أنت أيها الرسول والمحاورة لك وهي خولة بنت ثعلبة.

إن الله سميع بصير : أي لأقوالكما بصير بأحوالكما.

الذين يظاهرون منكم من نسائهم : أي يحرمون نساءهم بقول أنت عليَّ كظهر أمي .

ما هن أمهاتهم : أي ليس هن بأمهاتهم .

إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم : ما أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم، أو أرضعنهم .

وإنهم ليقـولـون منكـراً من القول وزوراً : أي وإنهم بالظهار ليقولون منكراً من القول وزوراً أي كذباً .

وإن الله لعفو غفور : أي على عباده أي ذو صفح عليهم غفورٌ لذنوبهم إن تابوا منها .

والذين يظاهرون من نسائهم[1] : أي بأن يقول لها أنت عليّ كظهر أمي أو أختي ونحوها من المحارم .

ثم يعودون لما قالوا : أي يعزمون على العودة للتيظاهروا منها، إذ كان الظهار في الجاهلية طلاقاً .

فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا : أي فالواجب عليه تحرير رقبة مؤمنة قبل أن يجامعها .

ذلكم توعظون به : أي تؤمرون به فافعلوه على سبيل الوجوب .

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين : أي فمن لم يجد الرقبة لانعدامها أو غلاء ثمنها فالواجب صيام شهرين متتابعين .

من قبل أن يتماسا : أي من قبل الوطء لها .

فمن لم يستطع : أي الصيام لمرض أو كبر سن .

فإطعام ستين مسكيناً : أي فعليه قبل الوطء، أن يطعم ستين مسكيناً يعطى لكل مسكين مداً من[2] بر أو مدين من غير البر كالتمر والشعير ونحوهما من غالب قوت أهل البلد .

ذلك : أي ما تقدم من بيان حكم الظهار الذي شرع لكم

لتؤمنوا بالله ورسوله : أي لأن الطاعة إيمان والمعصية من الكفران .

---

(١) قرأ نافع (يظَّهّرون) أصلها (يتظهرون) فأدغمت التاء في الظاء فصارت يظّهرون بتشديد الظاء والهاء وقرأ حفص (يظاهرون) .

(٢) وردت روايات متعددة في كمية الإطعام الإجماع على أنها إطعام ستين مسكيناً، وإنما الخلاف في المقدار، فأظهرها وأصحها حديث البخاري وفيه : (فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا. فتصدق بها على ستين مسكيناً فهذا ظاهر في أنها ستون مدّاً لكل مسكين مدّ لأن الخمسة عشر صاعاً بستين مدّاً إذ الصاع أربعة أمداد بمد النبي ﷺ .

وتلك حدود الله : أي أحكـام شرعـه.

وللكافرين عذاب أليم : أي وللكافرين بها الجاحدين لها عذاب أليم أي ذو ألم.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿قد سمع الله﴾ هذه الآية الكريمة نزلت في خولة بنت ثعلبة الأنصارية وفي زوجها أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت رضي الله عنهم أجمعين كان قد ظاهر منها زوجها أوس، فقال لها في غضب غير مغلق أنت عليّ كظهر أمي، وكان الظهار يومئذٍ طلاقاً، وكانت المرأة ذات أطفال صغار وتقدم بها وبزوجها السن فجاءت لرسول الله ﷺ تشكو إليه ما قال زوجها فذكرت للرسول ﷺ ضعفها(١) وضعف زوجها وضعف أطفالها الصغار، وما زالت تراجع الرسول ﷺ وتحاوره في شأنها وشأن زوجها حتى نزلت هذه الآيات الأربع من فاتحة سورة المجادلة التي سميت بها السورة فقيل سورة المجادِلة بكسر الدال، ويصح فتحها فقال تعالى مُخاطباً رسوله ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ أي قد سمع الله قول المرأة التي تجادلك أي تراجعك في شأن زوجها الذي ظاهر منها، وتشتكى إلى الله بعد أن قلت لها: والله ما أمرت في شأنك بشيء، تشكو إلى الله ضعف حالها. ﴿والله يسمع(٢) تحاوركما﴾ أي مراجعتكما لبعضكما بعضاً الحديث وأجابكما﴿إن الله سميع بصير﴾ أي سميع لأقوال عباده عليم بأحـوالهم وهـذا حكم الظهار فافهموه واعملوا به.

أولاً: أن الظهار الذي هو قول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي لا يجعل المظاهر منها أمّاً له إذ أمه هي التي ولدته وخرج من بطنها، والزوجة لا تكون أمّاً بحال من الأحوال.

ثانياً: هذا القول كذب وزور ومنكر من القول وقائله آثم فليتب إلى الله ويستغفره.

ثالثاً: لولا عفو الله وصفحه على عباده المؤمنين ومغفرته للتائبين لعاقبهم على هذا القول الكذب الباطل.

رابعاً: على الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا أي يعزمون على وطئها بعد الظهار منها فالواجب عليهم قبل الوطء لها تحرير رقبة ذكراً كانت أو أنثى صغيرة أو كبيرة لكن مؤمنة لا كافرة، فمن لم يجد الرقبة لانعدامها، أو غلاء ثمنها فيجزئه صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع لعلة قامت به فالواجب إطعام ستين مسكيناً يعطى كل مسكين مدّاً من برّ أو نصف صاع من

---

(١) من جملة ما روي أنها قالت: يارسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أوحى إليّ في هذا شيء فقالت: يا رسول الله أوحي إليك في كل شيء وطوي عنك هذا؟ فقال: هو ماقلت لك فقالت: إلى الله أشكو لا إلى رسوله فأنزل الله (قد سمع الله . .) الخ.

(٢) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عزّ وجل: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها).

غير البر كالشعير والتمر ونحوهما كل ذلك من قبل أن يتماسّا من باب حمل المطلق على المقيد إذ قيد الأول بقبل المسيس[1] فيحمل هذا الأخير عليه.

وقوله ﴿ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي ذلك الذي تقدم من بيان حكم الظهار[2] شرعه لكم لتؤمنوا بالله ورسوله إذ الإيمان اعتقاد وقول وعمل، فطاعة الله ورسوله إيمان ومعصيتهما من الكفران. وقوله تعالى ﴿وتلك حدود الله﴾ أي لا تعتدوها بل قفوا عندها وللكافرين بها المتعدين لها عذاب أليم أي ذو ألم موجع جزاء تعديهم حدود الله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إجابة الله لأوليائه بتفريج كروبهم وقضاء حوائجهم فله الحمد وله الشكر.

٢ـ حرمة الظهار باعتباره منكراً وكذباً وزوراً فيجب التوبة منه.

٣ـ بيان حكم المظاهر وهو أن عليه عتق رقبة قبل أن يجامع امرأته المظاهر منها. فإن لم يجد الرقبة المؤمنة صام شهرين متتابعين من الهلال إلى الهلال وإذا انقطع التتابع لمرض بنى على ما صامه. فإن لم يستطع لمرض ونحوه أطعم ستين مسكيناً فأعطى لكل مسكين على حدة مدّاً من بر أو مدين من غير البر كالشعير والتمر.

٤ـ لو جامع المظاهر قبل إخراج الكفارة أثم فليستغفر ربّه وليخرج كفارته. ولا شيء عليه لحديث الترميذي الصحيح.

٥ـ طاعة الله ورسوله إيمان، ومعصية الله ورسوله من الكفران.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟
كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ

---

(١) من مس امرأته قبل الكفارة فليكف عنها مرة أخرى حتى يكفر لحديث النسائي: (أن رجلا ظاهر من امرأته ولم يكفر حتى وطئها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأمره ألا يقربها حتى يكفّر).

(٢) هل على المرأة إذا ظاهرت من زوجها شيء؟ الجمهور: أنه لا شيء عليها وإن كفرت كفارة يمين فذلك اللائق بها.

مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

إن الذين يحادون الله ورسوله : أي يخالفون الله ورسوله ويعادونهما.

كُبتوا كما كبت الذين من قبلهم : أي ذُلُّوا وأهينوا كما ذل وأهين من قبلهم لمخالفتهم رسولهم.

وقد أنزلنا آيات بينات : أي والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات دالة على صدق الرسول.

عذاب مهين : أي يوقعهم في الذل والهوان.

يوم يبعثهم الله جميعاً : أي يوم القيامة.

أحصاه الله ونسوه : أي جمعه وعدّه ونسوه هم.

والله على كل شيء شهيد : أي لا يغيب عنه شيء من الأشياء.

ما يكون من نجوى : أي من متناجين.

ثلاثة إلا هو رابعهم : إلا هو تعالى رابعهم بعلمه بهم، وقدرته عليهم.

ولا أدنى من ذلك : أي أقل من الثلاثة وهما الاثنان.

إلا هو معهم أينما كانوا : أي في أيّ مكان من الأرض أو السماء.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ هذه الآية تحمل بشرى لرسول الله ﷺ بإعلامه بهزيمة قريش وهي تحزب الأحزاب لحربه في غزوة الخندق فقال تعالى ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ [1] أي يخالفون الله ورسوله ويعادونهما كُبتوا [2] أي ذُلوا وأهينوا كما كبت الذين من قبلهم الذين كذبوا رسلهم فأكبتهم الله أي أذلهم وأهانهم.

وقوله تعالى: ﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ كلها دالة على صدق رسولنا فيما جاءهم به ودعاهم

(١) المحادة والمشاقة والمعاداة متقاربة المعنى فالمحاد الواقف في حد وخصمه في آخر، وكذا المشاق: هو في شق والآخر في شق مقابل، وكذا المعادي هو في عدوة والآخر في أخرى مقابلة له، والعدوة: هي عدوة الوادي أحد جانبيه.

(٢) الكبت: الخزي والإذلال، وعبر في الآية بالماضي (كبتوا) لتحقق وقوعه كقوله تعالى: (أتى أمر الله).

إليه، ومع هذا عادوه وحاربوه فلهذا يكبتهم الله ويذلهم في الدنيا وللكافرين[1] أمثالهم عذاب مهين يوم القيامة يوم[2] يبعثهم الله جميعاً لا يتخلف منهم أحد فينبئهم بما عملوا من الشر والفساد. أحصاه الله إذ كتبته ملائكته وكتب قبل فعلهم له في كتاب المقادير اللوح المحفوظ ونسوه لِعَمَى قلوبهم وكفرهم بربهم ولقائه فلا يذكرون لهم ذنباً حتى يتوبوا منه ويستغفروا. وقوله تعالى ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ أي زيادة على أن أعمالهم كتبها في اللوح المحفوظ وأن الملائكة من الكرام الكاتبين قد كتبوها فإن الله تعالى شهيد على كل شيء فلا يقع شيء إلا تحت بصره وعلمه.

وقوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات﴾ تقرير لما سبق من إحاطة علم الله بكل شيء وأن أعمال أولئك المخالفين المحادين محصية معلومة وسيجزيهم بها. أي ألم تعلم يا رسولنا أن الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض من دقيق الأشياء وجليلها ورد أن جماعة من المنافقين تخلفوا يتناجون بينهم إغاظة للمؤمنين فنزلت هذه الآية تعرض بهم وتكشف الستار عن نياتهم. ﴿ما يكون من نجوى[3]﴾ أي من ذوي نجوى أو من متناجين ثلاثة إلا وهو رابعهم، أي إلا والله تعالى رابعهم بعلمه بهم وقدرته عليهم وهذه فائدة المعية العلم والقدرة على الأخذ والعطاء، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك كالأثنين، ولا أكثر إلا هو معهم بعلمه وقدرته وإحاطته أينما كانوا تحت الأرض أو فوقها في السماء أو دونها، ثم ينبئهم أي يخبرهم ويعلمهم بما عملوا يوم القيامة ليجزيهم به ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ تقرير لما سبق من علمه بالمحادين له وبالمنافقين المناوئين للمؤمنين وسيجزى الكل بعدله وهو العزيز الحكيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وعيد الله الشديد بالإكبات والذل والهوان لكل من يحاد الله ورسوله.

٢- إحاطة علم الله بكل شيء وشهوده لكل شيء وإحصاه لكل أعمال العباد حال توجب مراقبة الله تعالى والخشية منه والحياء منه أشد الحياء.

٣- الإرشاد إلى أن التناجي للمشاورة في الخير ينبغي أن يكون عدد المتناجين ثلاثة أو خمسة

---

(١) الجملة معطوفة على جملة (كبتوا) و(الـ) في الكافرين: للجنس ليعم الوعيد كل كافر.

(٢) يجوز أن يكون (يوم) متعلقاً بالكون المقدر الذي تعلق به (للكافرين عذاب مهين) أي للكافرين عذاب مهين (يوم يبعثهم الله) وجائز أن يكون منصوباً على تقدير فعل اذكر كما هو شائع في أمثاله.

(٣) النجوى اسم مصدر فعله: ناجاه يناجيه مناجاة واسم المصدر نجوى فهو بمعنى التناجي أي: ما يكون تناجي ثلاثة من الناس إلا الله مطلع عليهم كرابع لهم وكل سرار نجوى.

أو سبعة ليكون الواحد عدلا مرجحا للخلاف قاضيا فيه إذ اختلف اثنان لابد من واحد يرجح جانب الخلاف وإذا اختلف اربعة لابد من خامس يرجح جانب الخلاف.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا
بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ
مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى : أي المسارة الكلامية والمنهيون هم اليهود والمنافقون.

ثم يعودون لما نهوا : أي من التناجى تعمداً لأذية المؤمنين بالمدينة.

ويتناجون بالإثم والعدوان : أي بما هو إثم في نفسه، وعداوة الرسول والمؤمنين.

ومعصية الرسول : أي يتناجون فيوصى بعضهم بعضاً بمعصية الرسول وعدم طاعته.

وإذا جاءوك حيوك : أي جاءوك أيها النبي حيوك بقولهم السام عليك.

بما لم يحيك به الله : أي حيوك بلفظ السام عليك، وهذا لم يحيى الله به رسوله بل حياه بلفظ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

ويقولون في أنفسهم	: أي سراً فيما بينهم.
لولا يعذبنا الله بما نقول	: أي هلا يعذبنا الله بما نقول له، فلو كان نبياً لعاجلنا الله بالعقوبة.
حسبهم جهنم يصلونها	: أي يكفيهم عذاب جهنم يصلونها فبئس المصير لهم.
فلا تتناجوا بالإثم والعدوان	: أي فلا يناج بعضكم بما هو إثم ولا بما هو عدوان وظلم ولا بما هو معصية للرسول.
وتناجوا بالبر والتقوى	: أي وتناجوا إن أردتم ذلك بالبر أي الخير والتقوى وهي طاعة الله والرسول.
إنما النجوى من الشيطان	: أي إنما النجوى بالإثم والعدوان من الشيطان أي بتغريره.
ليحزن الذين آمنوا	: أي ليوهمهم انها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم.
وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله	: ألا وليس التناجي بضار المؤمنين شيئاً إلا بإرادة الله تعالى.
وعلى الله فليتوكل المؤمنون	: أي وعلى الله لا على غيره يجب أن يتوكل المؤمنون.

معنى الآيات:

قوله تعالى ألم تر الآية.. هذه نزلت في يهود المدينة والمنافقين فيها. إذ كانوا يتناجون أي يتحدثون سرّاً على مرأىً من المؤمنين، والوقت وقت حرب فيوهمون المؤمنين إن عدواً قد عزم على غزوهم، أو أن سرية هزمت أو أن مؤامرة تحاك ضدهم فنهاهم رسول الله ﷺ عن التناجي، وقال لا يتناج اثنان دون ثالث[1] وأبوا إلا أن يتناجوا فأنزل الله تعالى هذه الآية يعجب رسوله منهم ويوعدهم بعد فضحهم وكشف الستار عن كيدهم للمؤمنين ومكرهم بهم فقال تعالى لرسوله ألم تر إلى الذين[2] نهوا عن النجوى وهي التناجي المحادثة السرية أمام الناس، ثم يعودون لما نهوا عنه عصياناً وتمرداً عن الرسول ﷺ، ويتناجون لا بالبر والتقوى، ولكن بالإثم والعدوان ومعصيت[3] الرسول أي بما هو إثم في نفسه كالغيبة والبذاء في القول، وبالعدوان وهو الاعتداء على المؤمنين وظلمهم، وبمعصية الرسول فيوصى بعضهم بعضاً بعصيان الرسول وعدم طاعته في أمره ونهيه. هذا وشرٌّ منه أنهم إذا جاءوا رسول الله ﷺ حيَّوه بما لم يحيه به الله فلم يقولوا السلام عليكم ولكن

---

(١) الحديث ثابت في الصحيح وفي الموطأ قوله ﷺ: (إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون واحد) وفي الحديث دليل على التحريم ونظيره: أن يتكلم اثنان بلغة غير لغة الثالث فإنه كنجوى اثنين دون ثالث.

(٢) الاستفهام للتعجيب والمراد به توبيخ اليهود الذين نزلت الآية فيهم مع إخوانهم المنافقين.

(٣) كتبت (معصيت) بالتاء المفتوحة دون المربوطة التي يوقف عليها بالهاء في موضعين من هذه السورة، ويوقف عليها بالهاء ويجوز بالتاء وأما في الوصل فلا بد من التاء.

يقولون السام عليكم والسام الموت يلوون بها ألسنتهم، ويأتون الرسول واحداً واحداً ليحيوه بهذه التحية الخبيثة ليدعوا عليه بالموت لعنة الله عليهم ما أكثر أذاهم وما أشد مكرهم وما أنتن خبثهم ويقولون في أنفسهم أي فيما بينهم لو كان محمد نبياً لأخذنا الله بما نقول له من الدعاء عليه بالموت وهذا معنى قوله تعالى عنهم: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ أي هلاّ عذبنا الله بما نقول لمحمد ﷺ لو كان نبياً.[1] قال تعالى حسبهم[2] عذاباً جهنم يصلونها يحترقون بحرها ولظاها يوم القيامة فبئس المصير الذي يصيرون إليه في الدار الآخرة جهنم وزقومها وحميمها وضريعها وغسلينها ويحمومها وفوق ذلك غضب الله ولعنته عليهم.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم﴾ هذه الآية والتي بعدها نزلت في تربية المؤمنين روحياً وتهذيبهم أخلاقياً فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله إذا تناجيتم لأمر استدعى ذلك منكم فلا تتناجوا[3] بالإثم والعدوان ومعصية الرسول فتكون حالكم كحال اليهود والمنافقين ولكن ﴿تناجوا بالبر والتقوى﴾ أي بما هو خير في نفسه لا إثم فيه وبطاعة الله ورسوله إذ هما التقوى، واتقوا الله الذي إليه تحشرون يوم القيامة لمحاسبتكم ومجازاتكم فاتقوه بطاعته وطاعة رسوله.

وقوله تعالى: ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ أي هو الدافع إليها والحامل عليها وذلك لعلة وهي أن يوقع المؤمنين في غم وحزن، وليس التناجي ولا الشيطان بضار المؤمنين شيئاً إلا بإرادة الله تعالى لحكم عالية يعلمها الله، ولذا فلا تحزنوا ولا تغتموا لما ترون من تناجي أعدائكم من اليهود والمنافقين، وتوكلوا على الله في أموركم كلها. وعلى الله تعالى لا على غيره فليتوكل المؤمنون في كل زمان ومكان. فإن الله تعالى كافٍ من يتوكل عليه كافيه كل ما يهمه والله على ذلك قدير.

---

(١) قال ابن العربي: جهل هؤلاء اليهود أن الله تعالى حليم لا يعاجل بالعقوبة من سبه فقد قال ﷺ (لا أحد أصبر على الأذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم).

(٢) روى الترمذي وصححه عن أنس (أن يهودياً أتى على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه فقال: السام عليكم. فردّ عليه النبي ﷺ وقال أتدرون ما قال هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال كذا ردوه عليّ فردوه فقال: قلت السام عليكم؟ قال: نعم فقال النبي عند ذلك إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: عليك ما قلت، فأنزل الله تعالى (وإذا جاؤوك) الآية.

(٣) الجمهور أن حرمة تناجي الاثنين دون الثالث والثلاثة دون الرابع وهكذا هو باقٍ على تحريمه وليس مخصوصاً بحالة الحرب كما في عهد رسول الله ﷺ لأن الفاظ الحديث عامة. منها حديث الصحيح عن ابن عمر: (إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد). وقوله ﷺ (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان مكر اليهود والمنافقين وكيدهم للمؤمنين في كل زمان ومكان.

٢ـ إذا حيا الكافرُ المؤمنَ ورد عليه المؤمنُ رد عليه بقوله وعليكم لما صح أن النبي ﷺ دخل عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أباالقاسم فقال ﷺ وعليكم. فقالت عائشة رضي الله عنها عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم. فقال لها عليه الصلاة والسلام يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش فقالت ألا تسمعهم يقولون السام؟ فقال لها أو ما سمعت ما أقول: وعليكم. فأنزل الله هذه الآية رواه الشيخان.[1]

٣ـ إذا سلم الذميّ وكان سلامه بلفظ السلام عليكم لا بأس أن يرد عليه بلفظه.

٤ـ حرمة التناجي بغير البر والتقوى لقوله تعالى إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس الآية من سورة النساء.[2]

٥ـ لا يجوز أن يتناجى اثنان دون الثالث لما يوقع ذلك في نفس الثالث من حزن لا سيما إن كان ذلك في سفر أو في حرب وما إلى ذلك.

٦ـ وجوب التوكل على الله وترك الأوهام والوساوس فإنها من الشيطان.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

---

(١) اختلف في جواز ومنع السلام على أهل الكتاب والذي عليه الجمهور جوازه للسنة الصحيحة في ذلك ويرى بعضهم وجوب الرد لعموم الآية: (فحيّوا بأحسن منها أو رُدوها).

(٢) هي قوله تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً).

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

تفسحوا في المجالس : أي توسعوا في المجالس التي هي مجالس علم وذكر.

فافسحوا يفسح الله لكم : أي في الجنة وفي الرزق والقبر.

انشزوا فانشزوا : أي قوموا للصلاة أو لغيرها من أعمال البر.

يرفع الله الذين آمنوا منكم : أي بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وفي غرفات الجنان في الآخرة.

والذين اوتوا العلم درجات : أي ويرفع الذين اوتوا العلم درجات عالية لجمعهم بين العلم والعمل.

إذا ناجيتم الرسول : أي أردتم مناجاته.

فقدموا بين يدي نجواكم صدقة : أي قبل المناجاة تصدقوا بصدقة ثم ناجوه ﷺ.

ذلك خير لكم وأطهر : أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لما فيه من نفع الفقراء وأطهر لذنوبكم.

فإن لم تجدوا : أي فإن لم تجدوا ما تتصدقون به.

فإن الله غفور رحيم : أي غفور لمناجاتكم رحيم بكم فليس عليكم في المناجاة بدون صدقة إثم.

ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات؟ : أي أخِفتُم الفقر ان قدمتم بين يدي نجواكم صدقات.

فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم : أي تقديم الصدقات، وتاب الله عليكم بأن رخص لكم في تركها.

فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة : أي على الوجه المطلوب من إقامتها وأخرجوا الزكاة.

وأطيعوا الله ورسوله : أي وداوموا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

والله خبير بما تعملون : أي من أعمال البر والإحسان وسيثيبكم على ذلك بالجنة.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في تربية المؤمنين وتهذيبهم ليكملوا ويسعدوا فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس﴾ أي إذا قال لكم الرسول ﷺ أو غيره توسعوا[١] في المجلس ليجد غيركم مكاناً بينكم فتوسعوا ولا تضنوا بالقرب من الرسول أو من العالم الذي يعلمكم أو المذكر الذي يذكركم وإن أنتم تفسحتم أي فإن الله تعالى يكافئكم فيوسع عليكم في الدنيا بسعة الرزق وفي البرزخ في القبر وفي الآخرة في غرفات الجنان.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل انشزوا[٢]﴾ أي قوموا من المجلس لعلة أو للصلاة أو للقتال أو لفعل بر وخير فانشزوا أي خفوا وقوموا يثبكم الله فيرفع الله الذين آمنوا منكم درجات[٣] بالنصر والذكر الحسن في الدنيا وفي غرف الجنة في الآخرة والذين أوتوا العلم درجات أي ويرفع الذين أوتوا العلم منكم أيها المؤمنون درجاتٍ عالية لجمعهم بين الإيمان والعلم والعمل.

وقـولـه: ﴿والله بمـا تعملون خبير﴾ يذكرهم تعالى بعلمه بهم في جميع أحوالهم ليراقبوه ويكثروا من طاعته ويحافظوا علي تقواه.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ أمرهم تعـالى إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ ويكلمه وحده أن يقدم صدقة أولاً ثم يطلب المناجاة وكان هذا لمصلحة الفقراء أولا ثم للتخفيف[٤] عن رسول الله ﷺ إذ كل مؤمن يود أن يخلو برسـول الله ﷺ ويقـرب منه ويكلمه والرسول بشرٌ لا يتسع لكل أحد فشرع الله هذه الصدقة فأعلمهم أنه يريد التخفيف عن رسوله. فلما علموا ذلك وتحرجوا من بذل صدقة وأكثرهم فقراء

---

(١) قال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض، وروي عن ابن عباس أن هذا في صفوف القتال إذ كانوا يتشاحون على الصف الأول فأمروا بالفسح لبعضهم حتى يتمكنوا من الوقوف في الصف الأول مع رسول الله ﷺ واللفظ عام يشمل هذا وذاك. قال القرطبي: والصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس حرب أو علم أو ذكر أو مجلس صلاة كيوم الجمعة وفي الحديث الصحيح: (نهى رسول الله ﷺ أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا).

(٢) قال قتادة: المعنى: اجيبوا إذا دعيتم إلى أمر بمعروف، والنشز: الارتفاع مأخوذ من نشز الأرض وهو ارتفاعها، ومنه قيل للمرأة التي تترفّع على زوجها ناشز.

(٣) في الآية مدح لأهل العلم: قاله ابن مسعود وفي الحديث: (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب). وقيل لعمر رضي الله عنه في مولى استخلفه فقال: إنه قارىء لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض أما إن نبيكم ﷺ قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين) وعن ابن عباس: خيّر سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه.

(٤) قال ابن عباس: نزلت بسبب أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن رسوله فأنزل هذه الآية فلما نزلت كفّ الناس.

لا يجدها نسخ تعالى ذلك ولم تدم مدة الوجوب أكثر من ليالى ونسخها الله تعالى بقوله الآتي أأشفقتم. الآية.

وقوله تعالى ﴿ذلك خير لكم وأطهر﴾[1] أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لكم حيث تعود الصدقة على الفقراء إخوانكم وأطهر أي لنفوسكم لأن النفس تطهر بالعمل الصالح وقوله تعالى ﴿فإن لم تجدوا﴾ أي ما تقدمونه صدقة قبل المناجاة فناجوه ﷺ ولا حرج عليكم لعدم وجدكم فإن الله غفور لكم رحيم بكم. وقوله تعالى ﴿ءأشفقتم﴾[2] أي أخفتم الفاقة والفقر إن أنتم ألزمتم بالصدقة بين يدي كل مناجاة وعليه فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم برفع هذا الواجب ونسخه فرجع بكم إلى عهد ما قبل وجوب الصدقة فأقيموا الصلاة بأدائها في أوقاتها في جماعة المؤمنين مراعين شرائطها وأركانها وسننها وآدابها وآتوا الزكاة الواجبة في أموالكم. وأطيعوا الله ورسوله في أمرهما ونهيهما يكفكم ذلك عوضاً عن الصدقة التي نسخت تخفيفاً عليكم ورحمة بكم.

وقوله ﴿والله بما تعملون خبير﴾[3] أي فراقبوه في طاعته وطاعة رسوله تفلحوا فتنجوا من النار وتدخلوا الجنة دار الأبرار.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ الندب إلى فضيلة التوسع في مجالس العلم والتذكير.

٢ـ الندب والترغيب في القيام بالمعروف وأداء الواجبات إذا دعى المؤمن إلى ذلك.

٣ـ فضيلة الإيمان وفضل العلم والعمل به.

٤ـ مشروعية النسخ في الشريعة قبل العمل بالمنسوخ وبعده إذ هذه الصدقة نسخت قبل أن يعمل بها اللهم إلا ما كان من عليّ[4] رضي الله عنه فإنه أخبر أنه تصدق بدينار وناجى رسول الله ﷺ ثم نسخت هذه الصدقة فكان يقول في القرآن آية لم يعمل بها أحد غيري وهى فضيلة له رضى الله عنه.

---

(١) قال ابن العربي: في الآية دليل على أن الأحكام لا تترتب بحسب المصالح فإن الله تعالى قال (ذلك خير لكم وأطهر) ثم نسخ ذلك مع كونه خيراً وأطهر. ولكن قد يقال إنّ ما نسخ من أجله قد يكون أكثر منفعة للمسلمين في دينهم ودنياهم، وإن كان خافياً عن المسلمين لا يعلمونه.

(٢) الاستفهام المراد به لوم الأصحاب على تأخرهم عن المناجاة لما فرضت عليها الصدقة. قيل كان ما بين الآيتين الناسخة والمنسوخة عشرة أيّام.

(٣) الجملة تذييل لجملة: (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وهي كناية عن التحذير من التفريط في طاعة الله ورسوله ﷺ.

(٤) روي أن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لقد كانت لعليّ رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحبّ إليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى.

٥- في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في الواجبات والمحرمات عوض عما يفوت المؤمن من النوافل.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ
إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ
ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ
﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

ألم تر إلى الذين تولوا : أي ألم تنظر إلى المنافقين الذين تولوا.

قوما غضب الله عليهم : أي اليهود.

ما هم منكم ولا منهم : أي ما هم منكم أيها المؤمنون ولا منهم أي من اليهود بل هم مذبذبون.

ويحلفون على الكذب وهم يعلمون : أي يحلفون لكم أنهم مؤمنون وهم يعلمون أنهم غير مؤمنين.

إنهم ساء ما كانوا يعملون : أي قبح أشد القبح عملهم وهو النفاق والمعاصي.

اتخذوا أيمانهم جنة : أي ستراً على أنفسهم وأموالهم فادعوا الإيمان كذباً وحلفوا أنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين.

فصدوا عن سبيل الله : أي فصدوا بتلك الأيمان المؤمنين عن سبيل الله التي هي جهادهم وقتالهم.
فيحلفون له كما يحلفون لكم : أي يوم يبعثهم من قبورهم يوم القيامة يحلفون لله أنهم كانوا مؤمنين كما يحلفون اليوم لكم أنهم مؤمنون.
ويحسبون أنهم على شيء : أي يظنون في أيمانهم الكاذبة أنهم على شيء من الحق.
استحوذ عليهم الشيطان : أي غلب عليهم الشيطان.
فأنساهم ذكر الله : فلم يذكروه بألسنتهم إلا تقية ولا يذكرون وعده ولا وعيده.
أولئك حزب الشيطان : أي أولئك البعداء أتباع الشيطان وجنده.
ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون : أي إن أتباع الشيطان وجنده هم المغبونون الخاسرون في صفقة حياتهم.

معنى الآيات :

في هذه الأيام التي نزلت فيها هذه السورة كان النفاق بالمدينة بالغاً أشده، وكان اليهود كذلك كثيرين ومتحزبين ضد الإسلام والمسلمين وذلك قبل اجلائهم من المدينة ففي هذه الآية يحذر الله تعالى رسوله والمؤمنين من العدوين معاً ويكشف الستار عنهم ليظهرهم على حقيقتهم ليحذرهم المؤمنون فيقول تعالى ﴿ألم تر﴾[1] أي تنظر يا رسولنا إلى الذين تولوا قوماً غضب[2] الله عليهم وهم اليهود تولاهم المنافقون ولاية نصرة وتحزب ضد الرسول والمؤمنين. يقول تعالى هؤلاء المنافقون ما هم منكم أيها المؤمنون ولا منهم من اليهود بل هم مذبذبون حيارى يترددون بينكم وبين اليهود معكم في الظاهر ومع اليهود في الباطن.

وقوله تعالى: ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾[3] أي أنهم كاذبون إذ كانوا يأتون رسول الله ويحلفون له أنهم مؤمنون به وبما جاء به وهم يعلمون أنهم كاذبون إذ هم غير مؤمنين به ولا مصدقين. فتوعدهم الله عز وجل بقوله: ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً﴾ أي هيأ لهم وأحضره وذلك يوم القيامة، وندد بصنيعهم وقبح سلوكهم بقوله إنهم ساء ما كانوا يعملون ولذا أعد لهم العذاب

(١) الاستفهام تعجيبي ووجه التعجب من حالهم أنهم تولوا قوما من غير جنسهم وليسوا على دينهم وإنما حملهم الاشتراك في عداوة النبي ﷺ والمؤمنين.

(٢) عُرف اليهود في القرآن بأنهم المغضوب عليهم وتكرر ذلك في القرآن الكريم.

(٣) روي عن عكرمة وابن عباس في سبب نزول هذه الآية: أن النبي ﷺ كان جالساً في ظل شجرة قد كاد الظل يتقلص عنه إذ قال يجيئكم الساعة رجل أزرق ينظر إليكم نظر شيطان فنحن على ذلك إذ أقبل رجل أزرق قد عاينه النبي ﷺ فقال. علام تشتمني أنت وأصحابك؟ قال دعني أجيئك بهم فمر فجاء بهم فحلفوا جميعاً أنه ما كان من ذلك شيء فأنزل الله تعالى: (يوم يبعثهم الله جميعاً).

الشديد لسوء سلوكهم وقبح أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم[1] جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين﴾ أي اتخذ هؤلاء المنافقون أيمانهم التي يحلفونها لكم بأنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين اتخذوها ستارة ووقاية يقون بها أنفسهم من القتل وأموالهم من الأخذ فصدوا بتلك الأيمان الكاذبة المؤمنين عن سبيل الله التي هي قتالهم لأنهم كفار مشركون يجب قتالهم حتى يدخلوا في دين الله أو يهلكوا لأنهم ليسوا أهل كتاب فتقبل منهم الجزية.

وقوله تعالى ﴿فلهم عذاب مهين﴾ أي يوم القيامة يهانون ويذلون به.

وقوله تعالى ﴿لن تغني عنهم[2]﴾ أي يوم القيامة أموالهم التي يجمعونها ويتمتعون بها اليوم كما لا تغنى عنهم أولادهم الذين يعتزون بهم من الله شيئاً من الإغناء فلا تقبل منهم فدية فيفتدون بأموالهم ولا يطلبون من أولادهم نصرة فينصرونهم. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ولا يحيون.

وقوله تعالى ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾ إي اذكر يا رسولنا يوم يبعثهم الله جميعا في عرصات القيامة فيحلفون[3] له أنهم كانوا مؤمنين كما يحلفون لكم اليوم أنهم مؤمنون. ويحسبون اليوم أي يظنون أنهم على شيء من الصواب والحق. الا إنهم هم الكاذبون استحوذ[4] عليهم الشيطان أي غلب عليهم فانساهم ذكر الله فلا يذكرونه إلا قليلاً كما أنساهم ذكر وعده ووعيده فلذا هم لا يرغبون فيما عنده ولا يرهبون مما لديه. أولئك حزب الشيطان أي أتباعه وجنده. ألا إنَّ[5] حزب الشيطان أي أتباعه وجنده هم الخاسرون أي المغبونون في صفقتهم في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) (اتخذوا أيمانهم جنة) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن سائلا قد يسأل: ما الذي حملهم على الحلف الكاذب؟ فالجواب اتخاذهم أيمانهم جُنة والجنة الوقاية من جن إذا استتر أي: وقاية من شعور المسلمين ليتمكنوا من الصد عن الإسلام تحت شعاره.

(٢) في الآية إشارة إلى أن كبار المنافقين كانوا ذوي ثروة ومال وهذا من الأسباب الحاملة لهم على البقاء على الكفر حفاظاً على أموالهم ومراكزهم في المجتمع في نظرهم، فأخبر تعالى أنّ مالهم الذي يحافظون عليه أولادهم الذين يعتزون بهم إذا نزل بهم عذاب الله لن يغني ذلك عنهم من الله شيئاً.

(٣) صح الحديث بأن من مات على شيء يبعث عليه، ولما مات المنافقون على النفاق بُعثوا عليه، فلذا يحلفون لله تعالى انهم كانوا مؤمنين كما هم يحلفون في الدنيا بانهم مؤمنون وهم كاذبون، وهذا كقوله تعالى: (وما كان فتنتهم إلا أن قالوا والله ما كنا مشركين). وهذا في عرصات القيامة.

(٤) مجرد استحوذ: حاذ الشيء: إذا أحاطه وصرفه كيف يريد، يقال: حاذ العير: إذا جمعها وساقها غالباً لها فاشتقّوا منه استفعل: للاستيلاء، والتدبير والمعالجة ولا يقال استحوذ إلا لمن كان عاقلا يحسن التدبير والتصريف.

(٥) جيء بحرف التنبيه والاستفتاح (ألا) تنبيهاً على أهمية ما دخلت عليه وأنه مما يحق أن ينتبه له. وضمير الفصل (هو) لإفادة القصر، وهو قصر إدعائي للمبالغة في مقدار خسرانهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- حرمة موالاة اليهود.

٢- حرمة الحلف على الكذب وهي اليمين الغموس.

٣- من علامات استحواذ الشيطان على الإنسان تركه لذكر الله بقلبه ولسانه ولوعده ووعيده بأعماله وأقواله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠
كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١
لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ
حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ
أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ
عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾

شرح الكلمات :

إن الذين يحادون الله ورسوله : أي يخالفون الله ورسوله فيما يأمران به وينهيان عنه.

أولئك في الأذلين : أي المغلوبين المقهورين.

كتب الله لأغلبن أنا ورسلى : أي كتب في اللوح المحفوظ أو قضى وحكم بأن يغلب بالحجة أو السيف.

يوادون من حاد الله ورسوله : أي يصادقون من يخالف الله ورسوله بمحبتهم ونصرتهم.

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم : أي يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان كما وقع للصحابة.

أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان : أي أثبت الإيمان في قلوبهم.
وأيدهم بروح منه : أي برهان ونور وهدىً.
رضى الله عنهم ورضوا عنه : أي رضى الله عنهم بطاعتهم إياه في الدنيا ورضوا عنه في الآخرة بإدخاله إياهم في الجنة.
ألا أن حزب الله هم المفلحون : أي ألا إن جند الله وأولياءه هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.

معنى الآيات :

يخبر تعالى موجها المؤمنين مرشداً لهم إلى أقوم طريق وأكمل الأحوال فيقول: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ أي يخالفونهما في أمرهما ونهيهما وما يدعوان إليه من الدين الحق ﴿أولئك﴾ أي المخالفون في زمرة الأذلين[1] في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى ﴿كتب[2] الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ أي كتب في اللوح المحفوظ وقضى بأن يغلب رسوله أعداءه بالحجة والسيف[3]. ﴿إن الله قوى عزيز﴾ أي ذو قوة لا تقهر وعزة لا ترام فلذا قضى بنصرة رسوله على أعدائه مهما كانت قوتهم.

وقوله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون[4] بالله وباليوم الآخر﴾ يقول تعالى لرسوله لا تجد أناساً يؤمنون بالله إيماناً صادقاً بالله رباً وإلهاً وباليوم الآخر يوادون بالمحبة والنصرة من حاد الله ورسوله بمخالفتهما في أمرهما ونهيهما وما يدعوان إليه من توحيد الله وطاعته وطاعة رسوله ولو كانوا أقرب قريب إليهم من أب أو إبن أو أخ أو عشيرة. وقوله تعالى ﴿أولئك كتب﴾ أي الله تعالى في قلوبهم الإيمان أي أثبته وقرره فيها فهو لا يبرح ينير لهم طريق الهدى حتى ينتهوا إلى جوار ربهم.

---

(١) (الأذلين) جمع الأذل وهو: الأكثر ذلا من كل ذليل والذل المهانة والصغار والاحتقار.
(٢) روي أن مقاتلا قال: قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبدالله بن أبي بن سلول أتظنون أن الروم وفارس مثل القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عدداً وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك فأنزل الله تعالى: (كتب الله لأغلبن) أي: قضى الله ذلك.
(٣) من بعث منهم بالحجة فإنه غالب بالحجة ومن بعثه بالسيف فهو غالب بالسيف بإذنه تعالى.
(٤) ذكر لنزول هذه الآية عدة أسباب وهي وإن لم تنزل في كلها فإنها منطبقة عليها فقيل: إنها نزلت في عبدالله بن عبدالله ابن أبي بن سلول فقد جاء لوالده بفضلة ماء من شراب رسول الله ﷺ لعل الله يطهر قلبه من النفاق فسأله ما هذا فأخبره فقال عليه لعائن الله: فهلا جئتني ببول أمّك فإنه أطهر منها فغضب وجاء يستأذن رسول الله ﷺ في قتله فلم يأذن له، وقيل نزلت في أبي بكر الصديق لما ضرب والده بشدّة لما سبّ له رسول الله ﷺ وقيل: نزلت في الذين بارزوا أقرباءهم يوم بدر.

﴿وأيدهم بروح منه﴾[1] أي ببرهان ونور منه سبحانه وتعالى هذا في الدنيا وأما في الآخرة فيدخلهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار أي بساتين غناء تجرى الأنهار المختلفة من خلال الأشجار والقصور خالدين فيها لا يخرجون منها أبدا، وفوق ذلك رضي الله عنهم بطاعتهم إياه ورضوا عنه في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة دار المتقين.

وقوله تعالى: ﴿أولئك حزب الله﴾ أي أولئك العالون في كمالاتهم الروحية حزب الله أي جنده وأولياؤه، ثم أعلن تعالى عن فوزهم ونجاحهم فقال: ﴿ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون﴾[2] أي الفائزون يوم القيامة بالنجاة من النار ودخول الجنة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- كتب الله الذل والصغار على من حاده وحاد رسوله بمخالفتهما فيما يحبان ويكرهان.

٢- قضى الله تعالى بنصرة رسوله فنصره إنه قوي عزيز.

٣-[3] حرمة موالاة الكافر بالنصرة والمحبة ولوكان أقرب قريب، وقد قاتل أصحاب رسول الله آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم في بدر. وفيهم نزلت هذه الآية تبشرهم برضوان الله تعالى لهم، وإنعامه عليهم اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم.

سُورَةُ الحَشْرِ[4]

مدنيـــة وآياتها أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ

---

(١) قيل: هو جبريل، وقيل: بنصر منه، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه.

(٢) استدل مالك بهذه الآية (لا تجد قوماً..) الخ على معاداة القدرية وترك مجالستهم. إذا كان هذا في القدرية فكيف بالرافضة؟!

(٣) روي أن داود عليه السلام قال: إلهي: امن حزبك وحول عرشك؟ فأوحى الله إليه: يا داود: الغاضة أبصارهم النقية قلوبهم السليمة أكفهم. أولئك حزبي وحول عرشي.

(٤) وسمّاها ابن عباس سورة بني النضير لذكر قصة بني النضير فيها وسمّاها الرسول ﷺ (سورة الحشر) في حديث الترمذي عن معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال: (من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر (هو الله) الخ وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في يومه مات شهيداً، ومن قرأها حين يمسي كذلك). وقال فيه: حسن غريب.

لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ
فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ
ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً
عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

سبح[1] لله ما في السموات وما في الأرض : أي نزّه الله تعالى وقدّسهُ بلسان الحال والقال ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات.

وهو العزيز الحكيم : أي العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره لأوليائه.

هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم : أي أخرج يهود بنى النضير من ديارهم بالمدينة.

لأول الحشر : أي لأول حشر كان وثانى حشر كان من خيبر إلى الشام.

ما ظننتم أن يخرجوا : أي ما ظننتم أيها المؤمنون أن بنى النضير يخرجون من ديارهم.

وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله : أي وظن يهود بنى النضير أن حصونهم تمنعهم مما قضى الله به عليهم من إجلائهم من المدينة.

(١) في قوله تعالى : (سبّح لله) الخ تذكير للمؤمنين بتسبيح الله تعالى وأنه من الذكر الذي هو علة الوجود، وتركه مهلكة كالتي حلّت ببني النضير لتركهم ذلك.

فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا : أي فجاءهم الله من حيث لم يظنوا أنهم يؤتون منه.

وقذف في قلوبهم الرعب : أي وقذف الله تعالى الخوف الشديد من محمد وأصحابه.

يخربون بيوتهم بأيديهم : أي يخربون بيوتهم حتى لا ينتفع بها المؤمنون وليأخذوا بعض أبوابها وأخشابها المستحسنة معهم.

وأيدى المؤمنين : إذ كانوا يهدمون عليهم الحصون ليتمكنوا من قتالهم.

فاعتبروا يا أولى الأبصار : أي فاتعظوا بحالهم يا أصحاب العقول ولا تغتروا ولا تعتمدوا إلا على الله سبحانه وتعالى.

ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء : أي ولو لا أن كتب الله عليهم الخروج من المدينة.

لعذبهم في الدنيا : أي بالقتل والسبيّ كما عذب بنى قريظة إخوانهم بذلك.

ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله : جزاهم بما جزاهم به من عذاب الدنيا والآخرة بسبب مخالفتهم لله ورسوله ومعاداتهم لهما.

ما قطعتم من لينة أو تركتموها : أي ما قطعتم أيها المؤمنون من نخْلة لينة أو تركتموها بلا قطع.

فبإذن الله وليخزى الفاسقين : أي فقطع ما قطعتم وترك ما تركتم كان بإرادة الله وكان ليجزى الله الفاسقين يهود بنى النضير.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى عن جلاله وعظمته بأنه سبحه أي نزهه عن كل النقائص من الشريك والصاحبة والولد والعجز والنقص مطلقاً بلسان القال ولسان الحال جميع ما في السموات وما في الأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والشجر والحجر والمدر، وأنه هو العزيز الانتقام الحكيم في تدبير حياة الأنـام. هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم يهود بنى النضير[1] أجلاهم من ديارهم بالمدينة لأول الحشر[2] إلى أذرعات بالشام ومنهم من نزل بخيبر وسيكون لهم حشر آخر حيث حشرهم عمر وأجلاهم من خيبر إلى الشام.

وقوله تعالى فى خطاب المؤمنين: ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ أي من ديارهم وظنوا هم أنهم مانعتهم حصونهم من الله. فخاب ظنهم إذ أتاهم أمر الله من حيث لم يظنوا وذلك بأن قذف في

(١) بنو النضير: رهط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظاراً لمحمد ﷺ وكان من أمرهم ما قص تعالى في هذه السورة.

(٢) الحشر: الجمع أي: جمع الناس في مكان واحد، والمراد هنا: حشر يهود جزيرة العرب إلى أرض غيرها أي: جمعهم للخروج، ولذا هو يرادف الجلاء إذا كان الجلاء لجماعة عظيمة تجمع من الديار المتفرقة، واللام في قوله: (لأوّل الحشر) هي لام التوقيت التي تدخل على أوّل الوقت نحو (فطلقوهن لعدتهن) أي: لأول عدتهن وهو الطهر الذي لم تمس فيه.

قلوبهم الرعب والخوف الشديد من الرسول وأصحابه حتى أصبحوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين. المؤمنون يخربونها من الظاهر لفتح البلاد وهم يخربونها من الباطن وذلك أن الصلح الذي تم بينهم وبين الرسول والمؤمنين أنهم يحملون أموالهم إلا الحلقة أي السلاح ويجلون عن البلاد إلى الشام وهو أول حشر لهم فكانوا إذا أعجبهم الباب أو الخشبة نزعوها من محلها فيخرب البيت لذلك. وقوله تعالى ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾ أي البصائر والنهي أي اتعظوا بحال بنى النضير الأقوياء كيف قذف الله الرعب في قلوبهم وأجلوا عن ديارهم فاعتبروا يا أولى البصائر فلا تغتروا بقواكم ولكن اعتمدوا على الله وتوكلوا عليه.

وقوله تعالى: ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء[1]﴾ أزلا في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالسبي والقتل كما عذب بنى قريظة بعدهم. ولهم في الآخرة عذاب النار، ثم علل تعالى لهذا العذاب الذي أنزله وينزله بهم بقوله: ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ أي خالفوهما وعادوهما، ومن يشاق الله يعاقبه بأشد العقوبات فإن الله شديد العقاب.

وقوله تعالى ﴿ما قطعتم من لينة[2]﴾ أي من نخلة لينة أو تركتموها بلا قطع قائمة على أصولها فقد كان ذلك بإذن الله فلا إثم عليكم فيه فقد أسرّ به المؤمنين وأخزى به الفاسقين اليهود.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان جلال الله وعظمته مع عزه وحكمته في تسبيحه من كل المخلوقات العلوية والسفلية وفي إجلاء بنى النضير من ديارهم وهو أول حشر وإجلاء تم لهم وسيعقبه حشرٌ ثانٍ وثالثٌ.[3]

٢ـ بيان أكبر عبرة في خروج بنى النضير، وذلك لما كان لهم من قوة ولما عليه المؤمنون من ضعف ومع هذا فقد انهزموا شر هزيمة وتركوا البلاد والاموال ورحلوا إلى غير رجعة. فعلى مثل هذا يتعظ المتعظون فإنه لا قوة تنفع مع قوة الله، فلا يغتر العقلاء بقواهم المادية بل عليهم أن يعتمدوا على الله أولاً وآخراً.

٣ـ علة هزيمة بنى النضير ليست إلا محادتهم لله والرسول ومخالفتهم لهما وهذه سنته تعالى في

(١) الفرق بين الجلاء والإخراج أن الجلاء يكون بالأهل والأولاد وأمّا الإخراج قد يكون بدون ذلك وكلاهما مفارقة المرء وطنه ويقال: جلا المرء بنفسه وأجلاه غيره.

(٢) كان هذا من باب إلجاء العدو إلى ترك المقاومة والاستسلام. واللينة: بمعنى: النخلة، واختير لفظ اللينة دون النخلة: لخفته وهو اللون دون العجوة والبرني.

(٣) الحشر: أي الجمع الأول هو إجلاؤهم من المدينة، والثاني: هو إجلاؤهم عن الديار الحجازية على يد عمر رضي الله عنه لوصية الرسول ﷺ بذلك في قوله (لايجتمع دينان في الجزيرة) والثالث: هو إجلاؤهم من فلسطين بعد تجمعهم فيها وإقام دولتهم. جاء بهذا حديث مسلم: (لتقاتلن اليهود...) الحديث فسوف يتم إجلاؤهم حتى لا يجتمعوا مرة أخرى إلى قيام الساعة.

كل من يحاده ويحاد رسوله فإنه ينزل به أشد أنواع العقوبات.

٤ـ عفو الله تعالى على المجتهد إذا أخطأ وعدم مؤاخذته، فقد اجتهد المؤمنون في قطع نخل بني النضير من أجل إغاظتهم حتى ينزلوا من حصونهم. وأخطأوا في ذلك إذ قطع النخل المثمر فساد، ولكن الله تعالى لم يؤاخذهم لأنهم مجتهدون.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾

شرح الكلمات:

وما أفاء الله على رسوله منهم : أي وما رد الله ليد رسول الله ﷺ من مال بنى النضير.

فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب[1] : أي أسرعتم في طلبه والحصول عليه خيلاً ولا إبلاً أي لم تعانوا فيه مشقة.

ولكن الله يسلط رسله على من يشاء : أي وقد سلط رسول الله محمداً ﷺ على بنى النضير ففتح بلادهم صلحاً.

وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى : أي وما رد الله على رسوله من أموال أهل القرى التى لم يوجف عليها بخيلٍ ولا رِكابٍ.

فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن : أي لله جزء وللرسول جزء ولقرابة الرسول جزء ولليتامى جزء وللمساكين جزء ولابن السبيل جزء تقسم على المذكورين

(١) (فما أوجفتم) هذه الفاء واقعة في جواب الذي، إذ الموصول فيه معنى الشرط فقوله: (وما أفاء) أي: والذي أفاءه الله على رسوله منهم فما أوجفتم...) الخ.

السبيل بالسوية.
كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم: أي كيلا يكـون المال متداولاً بين الأغنياء الأقوياء ولا يناله الضعفاء والفقراء.
ومـا آتـاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا: أي وما أعطاكم الرسول وأذن لكم فيه أو أمركم به فخذوه وما نهاكم عنه وحظره عليكم ولم يأذن لكم فيه فانتهوا عنه.
واتقوا الله إن الله شديد العقاب: أي واتقوا الله فلا تعصوه ولا تعصوا رسوله وأحذروا عقوبة الله على معصيته ومعصية رسوله فإن الله شديد العقاب.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في غزوة بنى النضير إنه بعد الصلح الذي تم بينهم وبين رسول الله ﷺ وقد تركوا حوائطهم أي بساتينهم فيئاً لرسول الله ﷺ ورغب المسلمون في تلك البساتين ورأى بعضهم أنها ستقسم عليهم كما تقسم الغنائم فأبى الله تعالى ذلك عليهم وقال: ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ أي وما رد الله تعالى على رسوله من مال بنى النضير. وكلمة ردّ تفسير لكلمة أفاء لأن الفيء الظل يتقلص ثم يرجع أي يُردّ وأموال بنى النضير الأصل فيها لرسول الله ﷺ لأن بنى النضير عاهـدوا رسـول الله وبمقتضى المعـاهـدة أبقى عليهم أمـوالهم فإذا نقضـوا العهـد وخـانـوا لم يستحقوا من المال شيئاً لا سيما وأنهم تآمروا على قتله وكادوا ينفذون جريمتهم التى تحملوا تبعتها ولو لم ينفذوها.وبداية القضية كالتالي:

أن المعاهدة التى تمت بين الرسول ﷺ وبين بنى النضير من جملة بنودها أن يؤدوا مع الرسول ما يتحمل من ديات. وبعد وقعة أحد بنصف سنة حدث أن عمرو بن أمية الضمري قتل خطأ رجلين من بنى كلب أو بنى كلاب فجاء ذووهم يطالبون بديتهم من رسول الله ﷺ إذ هو المسئول عن المسلمين فخـرج ﷺ إلى بنى النضير في قريتهم(١) التي تبعـد عن المدينة بميلين يطالب بالإسهام في دية الرجلين الكلابيين بحكم المعاهدة فلما انتهى إليهم أنزلوه هو وأصحابه بأحسن مجلس وقالوا ما تطلبه هو لك يا أبا القاسم ثم خلوا بأنفسهم وقالوا ان الفرصة سانحة للتخلص من الرجل فجاءوا برحىً «مطحنة» من صخرة وطلعوا بها إلى سطح المنزل وهموا أن يسقطوها على رأس رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الجدار مع أصحابه، وقبل أن يسقطوا الرحى أوحى الله إلى رسوله أن قم من مكانك فإن اليهود أرادوا إسقاط حجر عليك ليقتلوك فقام ﷺ على الفور

(١) وكانت تسمى الزهرة وكان لهـا خمسة حصون.

وتبعه أصحابه وسقط في أيدي اليهود. وما إن رجع الرسول ﷺ حتى أعلن الخروج إلى بني النضير فإنهم نقضوا عهدهم ووجب قتالهم فنزل بساحتهم وحاصرهم وجرت سفارة وانتهت بصلح يقضي بأن يجلو بنو النضير عن المدينة يحملون أموالهم على إبلهم دون السلاح ويلتحقوا بأذرعات بالشام فكان هذا أول حشر لهم إلى أرض المعاد والمحشر إلا أسرتين نزلتا بخيبر أسرة بني الحقيق الذين منهم حيي ابن اخطب والد صفية زوج رسول الله ﷺ. ولهذه الغزوة بقية ستأتي عند قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ الآيات.

من هنا علمنا أن مال بني النضير هو لرسول الله ﷺ أفاءه الله عليه فقال وما أفاء الله على رسوله منهم أي من بني النضير. ولما طمع المؤمنون فيه قال تعالى رداً عليهم فما أوجفتم[1] عليه أي على أموال بني النضير أي ما ركبتم إليه خيلاً ولا إبلاً ولا أسرعتم عدواً إليهم لأنهم في طرف المدينة فلم تتحملوا سفراً ولا تعباً ولا قتالاً موتاً وجراحات فلذا لاحق لكم فيها فإنها فيء وليست بغنائم. ولكن الله يسلط[2] رسله على من يشاء بدون حروب ولا قتال فيفيء عليهم بمال الكفرة الذي هو مال الله فيرده على رسله، وقد سلط الله حسب سنته في رسله محمدا ﷺ على أعدائه بني النضير فحاز المال بدون قتال ولا سفر فهو له دون غيره ينفقه كما يشاء ومع هذا فقد أنفقه ﷺ ولم يبق منه إلا قوت سنة لأزواجه رضي الله عنهن وأرضاهن. وقوله تعالى ﴿والله على كل شيء قدير﴾ لا يمتنع منه قوى، ولا يتعزز عليه شريف سري.

وقوله تعالى: ﴿وما أفاء الله على[3] رسوله من أهل القرى﴾ أي من أموال أهل القرى التي ما فتحت عنوة ولكن صلحاً فتلك الأموال تقسم فيئاً على ما بيّن تعالى فلله وللرسول ولذي القربى أي قرابة رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب. واليتامى الذين لا عائل لهم، والمساكين الذين مسكنتهم الحاجة وابن السبيل وهو المسافر المنقطع عن بلاده وداره وماله. وعلة ذلك بينها تعالى بقوله: ﴿كيلا يكون﴾ أي المال ﴿دولة[4]﴾ أي متداولاً بين الأغنياء منكم، ولا يناله الضعفاء والفقراء فمن الرحمة والعدل أن يقسم الفيء على هؤلاء الأصناف المذكورين وما لله فهو ينفق في المصالح العامة وكذلك ما للرسول بعد وفاته ﷺ والباقي للمذكورين، وكذا خمس الغنائم فإنه يوزع على المذكورين في هذه الآية أما الأربعة أخماس فعلى المجاهدين.

(١) الإيجاف: ضرب من سير الخيل وهو سير سريع والمراد: الركض للإغارة و(الركاب) اسم جمع للإبل التي تركب.
(٢) في الكلام حذف اقتضاه الإيجاز إذ التقدير: ولكن الله سلط عليهم رسوله، والله يسلط رسله على من يشاء.
(٣) هذه الآية بداية كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً فالأولى كانت بخاصة قسمة أموال بني النضير، وأما هذه فهي في بيان حكم الفيء في الإسلام.
(٤) (دُولة): ما يتداوله المتداولون، والتداول: التعاقب في التصرف في شيء وأصبحت خاصة بتداول الأموال.

وقوله تعالى :﴿وما آتاكم الرسول﴾ من مال وغيره ﴿فخذوه ومانهاكم عنه﴾أي من مال وغيره فانتهوا عنه واتقوا الله فلا تعصوه ولا تعصوا رسوله وأحذورا عقابه فإن الله شديد العقاب أي معاقبته قاسية شديدة لا تطاق فيا ويل من تعرض لها بالكفر والفجور والظلم .

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان أن مال بنى النضير كان فيئاً خاصاً برسول الله ﷺ .

٢ـ أن الفيء وهو ما حصل عليه المسلون بدون قتال[١] وإنما بفرار العدو وتركه أو بصلح يتم بينه وبين المسلمين هذا الفيء يقسم على ما ذكر تعالى في هذه الآية إذ قال وما أفاء الله على رسوله من أهـل القـرى فلله، وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل. وأما الغنائم وهى ما أخذت عنوة بالقوة وسافر إليها المسلمون فإنها تُخَمَّس خمس لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل يوزع بينهم بالسوية، والاربعة الأخماس الباقية تقسم على المجاهدين الذين شاركوا في المعارك وخاضوها للراجل قسم وللفارس قسمان.

٣ـ وجوب طاعة رسول الله ﷺ وتطبيق أحكامه والاستننان بسننه المؤكدة وحرمة مخالفته فيما نهى عنه أمته روى الشيخان ان ابن مسعود رضي الله عنه قال لعن الله الواشمات[٢] والمتنمصات والمتفلجـات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلـك امـرأة من بني أسـد يقـال لهـا أم يعقوب كانت تقرأ القرآن فقالت بلغنى انك لعنت كيت وكيت. فقال: مالى لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله عز وجل؟ فقالت لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، قال إن كنت قرأته فقد وجدته. أما قرأت قوله تعالى ﴿وما آتاكم[٣] الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ قالت: بلى. قال: فإنه ﷺ قد نهى عنه. أي الوشم الخ . .

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ

---

(١) هذه المسألة خلافية بين الفقهاء وما في التفسير هو الذي عليه الأكثرون منهم وهو الراجح والله أعلم.

(٢) الوشم معروف، ملعونة فاعلته والمفعول لها، والتنمص نتف الشعر من الوجه والتفلج توسعة ما بين الأسنان بمنشار وغيره للتجمل بذلك.

(٣) الإيتاء: مستعار لتبليغ الأمر إليهم إذ جعل تشريعه وتبليغه كإيتاء شيء بأيديهم كقوله تعالى: (خذوا ما آتيناكم بقوة) إذ يريد التشريع الذي شرعه لهم في التوراة.

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾
وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

يبتغون فضلا من الله ورضوانا : أي هاجروا حال كونهم طالبين من الله رزقاً يكفيهم ورضا منه تعالى.

أولئك هم الصادقون : أي في إيمانهم حيث تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا ينصرون الله ورسوله.

والذين تبوءوا الدار والإيمان : أي والأنصار الذين نزلوا المدينة وألِفُوا الإيمان بعدما اختاروه على الكفر.

من قبلهم : أي من قبل المهاجرين.

ولا يجدون في صدورهم حاجة : أي حسداً ولا غيظاً.

مما أوتوا : أي مما أوتى إخوانهم المهاجرون من فيء بنى النضير.

ويؤثرون على أنفسهم : أي في كل شيء حتى إن الرجل منهم تكون تحته المرأتان فيطلق أحداهما ليزوجها مهاجراً.

ولو كان بهم خصاصة : أي حاجة شديدة وخلّة كبيرة لا يجدون ما يسدونها به.

ومن يوق شح نفسه : أي ومن يقه الله تعالى حرص نفسه على المال والبخل به.

والذين جاءوا من بعدهم : أي من بعد المهاجرين والأنصار من التابعين الى يومنا هذا فما بعد.

ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين : أي حقداً أي انطواء على العداوة والبغضاء.

آمنوا

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن فيء بنى النضير وتوزيع الرسول ﷺ له فقال تعالى ﴿للفقراء﴾[1] أي أعجبوا أن يعطى فيء بنى النضير للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا[2] من ديارهم وأموالهم يبتغون أي حال كونهم في خروجهم يطلبون فضلا من الله أي رزقاً يكف وجوههم عن المسألة ورضواناً من ربهم أي رضاً عنهم لا يعقبه سخط. إذ كان الرسول ﷺ أعطى فيء بنى النضير للمهاجرين ولم يعط للأنصار إلا ما كان من أبى دجانة وسهل بن حنيف فقد ذكرا لرسول الله ﷺ حاجة فأعطاهما. فتكلم المنافقون للفتنة وعابوا صنيع رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية يعجب منهم الرسول والمؤمنين في إنكارهم على عطاء رسول الله ﷺ المهاجرين دون الأنصار، وهو قوله تعالى ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ أي في إيمانهم إذ صدقوا القول بالعمل، وما كان معتقداً باطناً أصبح عملاً ظاهراً بهذه الأوصاف التى ذكر تعالى للمهاجرين أعطاهم الرسول من فيء بنى النضير. وأما الأنصار الذين لم يعطهم المال الزائل وهم في غير حاجة إليه فقد أعطاهم ما هو خير من المال. واسمع ثناءه تعالى عليهم: ﴿والذين تبوءوا الدار﴾[3] أي المدينة النبوية والإيمان أي بوأوه قلوبهم وأحبوه وألفوه. من قبلهم أي من قبل نزول المهاجرين[4] إلى المدينة يحبون من هاجر إليهم من سائر المؤمنين الذين يأتون فراراً بدينهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة أي حسداً ولا غيظاً مما أوتوا أي مما أعطى الرسول ﷺ المهـاجـرين. ويؤثرون على أنفسهم[5] غيرهم من المهاجرين ولو كان بهم خصاصة أي حاجة شديدة وخلة كبيرة لا يجدون ما يسدونها به، وفي السيرة من عجيب إيثارهم العجب العجاب في أن الرجل يكون تحته امرأتان فيطلق إحداهما فإذا انتهت عدتها زوجها أخاه المهاجر فهل بعد هذا الإيثار من إيثار؟.

---

(١) وقيل: إنّ (للفقراء) بيان لقوله: (ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ويكون: (للفقراء): قيداً لذي القربى بحيث لا يعطى منهم إلا الفقراء، وهذا مردود ردّه الشافعي على أبي حنيفة رداً عنيفاً.

(٢) (أخرجوا): أي: أحوجهم المشركون إلى الخروج وكانوا مائة رجل كذا قال القرطبي.

(٣) تبوّءوا الدار والإيمان) لما كان التبوء يكون في الأماكن كان لابد من تقدير لكملة الإيمان نحو: تبوءوا الدار والتزموا الإيمان أو الفوا الإيمان على حد قولهم: علفتها تبناً وماءً بارداً. أي: وسقيتها ماءً.

(٤) في العبارة تجوز أي: من قبل نزول أكثر المهاجرين أو من قبل نزول الرسول ﷺ بالمدينة وهو سيد المهاجرين وسيد جميع العالمين.

(٥) أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة (أن رجلا بات به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته: نومي الصبيان وأطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك) فنزلت هذه الآية: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).

وقوله تعالى ﴿ومن يوق شح نفسه﴾[1] أي من يقيه الله تعالى مرض الشح وهو البخل بالمال والحرص على جمعه ومنعه فهو في عداد المفلحين وقد وقى الأنصار هذا الخطر فهم مفلحون فهذا أيضاً ثناءٌ عليهم وبشرى لهم.

وقوله تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ أي من بعد المهاجرين الأولين والأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان يقولون في دعائهم الدائم لهم ﴿ربنا﴾ أي يا ربنا ﴿اغفر لنا﴾ أي ذنوبنا واغفر ﴿ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ وهم المهاجرون والأنصار، ﴿ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا﴾ بك وبرسولك ﴿ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ أي ذو رأفة بعبادك ورحمة بالمؤمنين بك فاستجب دعاءنا فاغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ لهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان فضل المهاجرين والأنصار، وأن حبهم إيمان وبغضهم كفران.

٢ـ فضيلـة الإيثار على النفس.

٣ـ فضيلة إيواء المهاجرين ومساعدتهم على العيش في دار الهجرة المهاجرين الذين هاجروا في سبيل الله تعالى فراراً بدينهم ونصرة لإخوانهم المجاهدين والمرابطين.

٤ـ خطر الشح وهو البخل بما وجب إخراجه من المال والحرص على جمعه من الحلال والحرام.

٥ـ بيان طبقات المسلمين ودرجاتهم وهي ثلاثة بالإجمال:

١ـ المهاجرون الأولون.

٢ـ الأنصار الذين تبوءوا الدار «المدينة» وألفوا الإيمان.

٣ـ من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين إلى قيام الساعة من أهل الإيمان والتقوى.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ

---

(١) ومما ورد في ذم الشح قوله ﷺ (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم).

أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى
مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

ألم تر : أي ألم تنظر.

نافقوا : أي أظهروا الإيمان وأخفوا في نفوسهم الكفر.

لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب : أي يهود بني النضير.

لئن أخرجتم : أي من دياركم بالمدينة .

لنخرجن معكم : أي نخرج معكم ولا نبقى بعدكم في المدينة .

وإن قوتلتم : أي قاتلكم محمد ﷺ وأصحابه .

لننصرنكم : أي بالرجال والسلاح .

والله يشهد إنهم لكاذبون : أي فيما وعدوا به إخوانهم من بني النضير.

ولئن نصروهم : أي وعلى فرض أنهم نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون المنافقون كاليهود سواء .

لأنتم أشد رهبة في صدورهم : أي تالله لأنتم أشد خوفاً في صدورهم .

من الله : لأن الله تعالى يؤخر عذابهم وأنتم تعجلونه لهم .

ذلك بأنهم : أي المنافقين .

قوم لا يفقهون : لظلمة كفرهم وعدم استعدادهم للفهم عن الله ورسوله .

لا يقاتلونكم جميعا	: أي لا يقاتلكم يهود بني النضير مجتمعين.
الا فى قرىً محصنة	: أي بالأسوار العالية.
أو من وراء جُدُر	: أي من وراء المباني والجدران أما المواجهة فلا يقدرون عليها.
بأسهم بينهم شديد	: أي العداوة بينهم شديدة والبغضاء أشد.
تحسبهم جميعاً	: أي مجتمعين.
وقلوبهم شتى	: أي متفرقة خلاف ما تحسبهم عليه.
بأنهم قوم لا يعقلون	: إذ لو كانوا يعقلون لاجتمعوا على الحق ولاما كفروا به وتفرقوا فيه فهذا دليل عدم عقلهم.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن غزوة بني. النضير فيقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿ألم تر﴾[1] أي تنظر يارسولنا إلى الذين نافقوا وهم عبدالله بن أبي بن سلول ووديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس إذ بعثوا إلى بني النضير حين نزل بساحتهم رسول الله ﷺ لحربهم بعثوا إليهم أن اثبتوا وتمنعوا وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم غير أنهم لم يفوا لهم ولم يأتهم منهم أحد وقذف الله الرعب في قلوبهم فسألوا رسول الله ﷺ أن يُجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلْقة «السلاح» هذا معنى قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين[2] نافقوا يقولون لإخوانهم في الكفر﴾ من أهل الكتاب «يهود بني النضير» لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم، ولا نطيع فيكم أي في نصرتكم والوقوف إلى جنبكم أحداً كائنا من كان وإن قوتلم أي قاتلكم محمد ﷺ ورجاله لننصرنكم. والله يشهد إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم وفعلا لم يقاتلوا معهم ولم يخرجوا معهم كما خرجوا من ديارهم. وهو قوله تعالى ﴿لئن أخرجوا لا[3] يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ وعلى فرض أنهم نصروهم ليولن الأدبار هاربين من المعركة، ثم لا ينصرون اليهود كالمنافقين سواء. وقوله تعالى: ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بأنهم أشد رهبة أي خوفاً في صدور المنافقين من الله

---

(١) بعد ذكر ما حل ببني النضير من خزي وعذاب حيث أجلوا عن ديارهم تاركينها وراءهم وذكر ما أفاء الله على رسوله من أموالهم شرع تعالى في تعجيب رسوله والمؤمنين من حال المنافقين وما لحقهم من عار وشنار فقال لرسوله ﷺ (ألم تر إلى الذين...) الخ.

(٢) الاستفهام للتعجب والأخوة هي أخوة التلاقي في الكفر وفي بُغض الإسلام ورسوله وأهله. فما هي بأخوة نسب ولا دين.

(٣) جملة (لئن أخرجوا..) الخ بيان لجمة: (والله يشهد إنهم لكاذبون).

تعالى لأنهم يرون أن الله تعالى يؤجل عذابهم، وأما المؤمنون فإنهم يأخذونهم بسرعة للقاعدة (من بدل دينه فاقتلوه) فإذا أعلنوا عن كفرهم وجب قتلهم وقتالهم.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾[1] هذا بيان لجبنهم وخوفهم الشديد من الرسول ﷺ والمؤمنين. إذ لو كانوا يفقهون لما خافوا العبد ولم يخافوا المعبود.

وقوله تعالى: ﴿لا يقاتلونكم جميعا﴾[2] أي اليهود والمنافقون ﴿إلا في قرى محصنة﴾ بأسوار وحصون أو من وراء جدر أي في المباني ووراء الجدران. وقوله تعالى بأسهم بينهم شديد أي العداوة بينهم قوية والبغضاء شديدة تحسبهم جميعاً في الظاهر وأنهم مجتمعون ولكن ﴿وقلوبهم شتى﴾ أي[3] متفرقة لا تجتمع على غير عداوة الإسلام وأهله، وذلك لكثرة أطماعهم وأغراضهم وأنانيتهم وأمراضهم النفسية والقلبية.

وقوله تعالى ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾[4] إذ لو كانوا يعقلون لما حاربوا الحق وكفروا به وهم يعملون فعرضوا أنفسهم لغضب الله ولعنته وعذابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير حقيقة وهي أن الكفر ملة واحدة وأن الكافرين إخوان. ٢- خلف الوعد آية النفاق وعلاماته البارزة. ٣- الجبن والخوف صفة من صفات اليهود اللازمة لهم ولاتنفك عنهم.

٤- عامة الكفار يبدون متحدين ضد الإسلام وهم كذلك ولكنهم فيما بينهم تمزقهم العداوات وتقطعهم الأطماع وسوء الأغراض والنيات.

كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

---

(١) الفقه: إدراك المعاني الدقيقة والأسرار الخفية في كلام أهل الحكمة وذوي البصيرة.

(٢) الجملة بدل اشتمال من جملة: (لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله) أي: لا يقاتلكم اليهود مع المنافقين مجتمعين في جيش واحد وفي الآية تهديد ليهود بني قريظة أمّا بنو النضير فقد انتهى أمرهم.

(٣) (شتى): جمع شتيت: بمعنى مفارق كقتيل وقتلى.

(٤) (ذلك) الإشارة إلى ما ذكر من عدم اتفاقهم وتفرّق قلوبهم، والباء سببية ونفي العقل عنهم نفي للازمِهِ وهو ما يقود إليه من النجاة والسعادة.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ
نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

كمثل الذين من قبلهم قريباً : أي مثل يهود بني النضير في ترك الإيمان ومحاربة الرسول ﷺ كمثل إخوانهم بني قينقاع والمشركين في بدر.

ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم : أي ذاقوا عاقبة كفرهم وحربهم لرسول الله ولهم عذابٌ أليم في الآخرة.

كمثل الشيطان إذ قالا للإنسان : أي ومثلهم أيضا في سماعهم من المنافقين وخذلانهم لهم كمثل الشيطان إذ قال للإنسان.

أكفر فلما كفر قال إني بريء منك : أي قال له الشيطان بعد أن كفره إني بريء منك.

وذلك جزاء الظالمين : أي خلودهما في النار أي الغاوي والمغوى ذلك جزاءهما وجزاء الظالمين.

ولتنظر نفس ما قدمت لغد : أي لينظر كل أحد ما قدم ليوم القيامة من خير وشر.

ولا تكونوا كالذين نسوا الله : أي ولا تكونوا أيها المؤمنون كالذين نسوا الله فتركوا طاعته.

فأنساهم أنفسهم : أي فعاقبهم بأن أنساهم أنفسهم فلم يعملوا خيراً قط.

لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون : أي لأن أصحاب الجنة فائزون بالسلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب. وأصحاب النار خاسرون في جهنم خالدون، فكيف يستويان؟

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾[1] هذه الآية (١٥) واللتان بعدها (١٦) و (١٧) في بقية الحديث عن بني النضير إذ قال تعالى مثل بني النضير في هزيمتهم بعد نقضهم العهد كمثل الذين من قبلهم في الزمان والمكان وهم بنو قينقاع إذ نقضوا عهدهم فأخرجهم رسول الله ﷺ وذاقوا وبال أمرهم أي عاقبة نقضهم وكفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم أي موجع شديد وقوله تعالى ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾[2] بوسائله الخاصة فلما كفر الإنسان تبرأ منه الشيطان وقال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين كذلك حال بني النضير مع المنافقين حيث حرضوهم على الحرب والقتال وواعدوهم أن يكونوا معهم ثم خذلوهم وتركوهم وحدهم .

وقوله تعالى : ﴿فكان عاقبتهما﴾ أي عاقبة أمرهما أنهما أي الإنسان والشيطان أنهما في النار خالدين فيها ، وذلك أي خلودهما في النار جزاء الظالمين أي المشركين والفاسقين عن طاعة الله عز وجل .

وبعد نهاية قصة بني النضير نادى تعالى المؤمنين ليوجههم وينصح لهم فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً اتقوا الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ، ولتنظر نفس ما قدمت[3] لغد أي ولينظر أحدكم في خاصة نفسه ماذا قدم لغدٍ أي يوم القيامة . واتقوا الله ، أعاد الأمر بالتقوى لأن التقوى هي ملاك الأمر ومفتاح دارالسلام والسعادة، وقوله تعالى : ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ يشجعهم على مراقبة الله تعالى والصبر عليها . وقوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ أي لا تكونوا كأناسٍ تركوا العمل بطاعة الله وطاعة رسوله فعاقبهم ربهم بأن أنساهم أنفسهم فلم يعملوا لها خيراً وأصبحوا بذلك فاسقين عن أمر الله تعالى خارجين عن طاعته . وقوله تعالى ﴿لا يستوى[4] أصحاب النار

---

(١) هذا ضرب مثل للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم ، وحذف حرف العطف لأن الكلام معطوف على سابقه وهو (كمثل الذين من قبلهم) الخ لأن حذف حرف العطف شائع تقول : أنت عاقل أنت كريم أنت كذا بلا حرف عطف .

(٢) هنا روى غير واحد من السلف حديثاً يتضمن قصة تشرح هذه الآية الكريمة كمثل الشيطان إذ قال للإنسان . . الخ وهي أن راهباً تركت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفاً أن يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده أنه إن سجد له أنجاه منهم فسجد له فتبرأ منه فأسلمه لقاتليه وتركه ، واسم هذا الراهب ، برصيصا .

(٣) أطلق لفظ الغد وأريد به يوم القيامة جرياً على عادة العرب فإنهم يطلقون لفظ الغد كناية عن المستقبل ، وقيل إطلاق لفظ الغد هنا إشارة إلى قرب الساعة كما قال الشاعر: فإن يكُ صدر هذا اليوم ولى فإن غداً لناظره قريب

(٤) هذه الجملة : (لا يستوي . .) الخ تذييل لما سبقها وهي كالفذلكة لما تقدم من الأمر بتقوى الله عز وجل وبيان حال المتقين الذاكرين والناسين الفاسقين .

وأصحاب الجنة﴾، أصحاب النار في الدركات السفلى، وأصحاب الجنة في الفراديس العلا فكيف يستويان، إذ أصحاب الجنة فائزون، وأصحاب النار خاسرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- ضرب مثل لحال الكافرين في عدم الاتعاظ بحال غيرهم.

٢- التحذير من سبل الشيطان وهي الإغراء بالمعاصي وتزيينها فاذا وقع العبد في الهلكة تبرأ الشيطان منه وتركه في محنته وعذابه.

٣- وجوب التقوى بفعل الأوامر وترك النواهي.

٤- وجوب مراقبة الله تعالى والنظر يومياً فيما قدم الإنسان للآخرة وما أخر.

٥- التحذير من نسيان الله تعالى المقتضى لعصيانه فإن عقوبته خطيرة وهي أن يُنسى الله العبد نفسه فلا يقدم لها خيراً قط فيهلك ويخسر خسراناً مبيناً.

٦- عدم التساوي بين أهل النار وأهل الجنة، إذ أصحاب النار لم ينجو من المرهوب وهو النار، ولم يظفروا بمرغوب وهو الجنة، وأصحاب الجنة على العكس سلموا من المرهوب، وظفروا بالمرغوب نجوا من النار ودخلوا الجنان.

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
(٢١) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ
هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
(٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ
يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٤)

شـرح الكلمات :

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل : أي وجعلنا فيه تميزاً وعقلاً وإدراكاً.
لرأيته خاشعاً متصدعاً : أي لرأيت ذلك الجبل متشققاً متطامناً ذليلاً.
مـن خشـية الله : أي من خوف الله خشية أن يكون ما أدى حقه من التعظيم.
وتلك الأمثال نضربها للناس[1] : أي مثل هذا المثل نضرب الأمثال للناس.
لعلهم يتفكـرون : أي يتذكرون فيؤمنون ويوحدون ويطيعون.
هو الله الذي لا إله الا هو : أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق الا هو عز وجل.
عالم الغيب والشهادة : أي عالم السر والعلانية.
هو الرحمن الرحيم : أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.
هو الله الذي لا إله إلا هو : أي لا معبود بحق الا هو لأنه الخالق الرازق المدبر وليس لغيره ذلك.
الملك القدوس : أي الذي يملك كل شيء ويحكم كل شيء القدوس الطاهر المنزه عما لا يليق به.
السلام المؤمن المهيمن : أي ذو السلامـة من كل نقص الـذي لا يطرأ عليه النقص المصـدق رسله بالمعجزات. المهيمن: الرقيب الشهيد على عباده بأعمالهم.
العزيز الجبار المتكبر : العزيز في انتقامه الجبار لغيره على مراده،المتكبرعلى خلقه.
سبحان الله عما يشركون : أي تنزيها لله تعالى عما يشركون من الآلهة الباطلة
هو الله الخالق البارىء : أي هو الإله الحق لا غيره الخالق لكل المخلوقات المنشىء لها من العدم.
المصـــور : أي مصـور المخلوقات ومركبها على هيئات مختلفة.
له الأسماء الحسنى : أي تسعة وتسعون اسماً كلها حسنى في غاية الحسن.
يسبح له ما في السموات والأرض : أي ينزهه ويسبحه بلسان القال والحال جميع ما في السموات والأرض.
وهو العزيز الحكيم : أي العزيز الغالب على أمره الحكيم في جميع تدبيره.

---

(١) هذه الجملة في الآيات تذييل لأنّ ما قبلها سيق مساق المثل فذيل بأن الأمثال التي يضربها الله تعالى في كلامه المراد منها أن يتفكر فيها الناس ليهتدوا إلى ما ينجيهم ويسعدهم.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن..﴾[1] لما أمر تعالى في الآيات السابقة ونهى ووعظ وذكر بما لا مزيد عليه أخبر أنه لو أنزل هذا القرآن العظيم على جبل بعد أن خلق فيه إدراكاً وتمييزاً كما خلق ذلك في الإنسان لَرُؤِيَ ذلك الجبل خاشعاً ذليلاً متصدعاً متشققاً من خشية الله أي من الخوف من الله لعله قصّر في حق الله وحق كتابه ما أداهما على الوجه المطلوب، وفي هذا موعظة للمؤمنين ليتدبروا القرآن ويخشعوا عند تلاوته وسماعه. ثم أخبر تعالى أنّ ما ضرب من أمثال في القرآن ومنها هذا المثل المضروب بالجبل. يقول نجعلها للناس رجاء أن يتفكروا فيؤمنوا ويهتدوا إلى طريق كمالهم وسعادتهم ثم أخبر تعالى عن جلاله وكماله بذكر أسمائه وصفاته فقال ﴿هو الله الـذي لا إلـه إلا هو﴾ أي لا معبـود بحق إلا هو، عالم الغيب والشهادة أي السر والعلن والموجود والمعدوم والظاهر والباطن. هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء الرحيم بعباده المؤمنين، الملك الـذي له ملك السموات والأرض والمـدبـر للأمـر في الأرض والسمـاء، القـدوس[2] الطاهر المنزه عن كل نقص وعيب عن الشريك والصاحبة والولد. السلام[3] ذو السلامة من كل نقص مفيض السلام على من شاء من عباده. المؤمن المصدق رسله بما آتاهم من المعجزات المصدق عباده المؤمنين فيما يشكون إليه مما أصابهم، ويطلبونه ماهم في حاجة إليه من رغائبهم وحـاجـاتهم، المهيمن على خلقه الرقيب عليهم المتحكم فيهم لا يخرج شيء من أعمالهم وتصرفاتهم عن إرادته وإذنه، العزيز الغالب على أمره الذي لا يمانع فيما يريده. الجبار[4] للكل على مُرادِه ومـا يريده، المتكبـر على كل خلقـه وله الكبرياء في السموات والأرض والجلال والكمال والعظمة.

وقوله تعالى ﴿سبحان الله عما يشركوه﴾ نزه تعالى نفسه عما يشرك به المشركون من عبدة الأصنام والأوثان وغيرها من كل ما عُبِد من دونه سبحانه وتعالى هو الله الخالق الباريء المصور:

---

(١) (لو) هذه حرف امتناع لامتناع أي: امتنع إنزال القرآن على جبل فامتنعت رؤيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، ولو حصل الأول لحصل الثاني.

(٢) لفظ القدوس: مشتق من القدس بلغة الحجاز وهو: السطل لأنه يتطهر به، ومنه القادوس لواحد الأواني التي يستخرج بها الماء للتطهر وغيره قال ثعلب اللغوي: كل اسم على وزن فعول فهو مفتوح الأول نحو سعود، وكلوب، وتنور إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيها أكثر من الفتح.

(٣) لاسم السلام ثلاث معانٍ صادقة: منها ذو السلامة كما في التفسير ومنها ذو السلام: أي المسلم على عباده في الجنة: ومنها الذي سلم من كل عيب وبريء من كل نقص.

(٤) الجبار: قال ابن عباس: هو العظيم وجبروت الله: عظمته وهو على هذا القول صفة ذات من قولهم: نخلة جبارة. قال الشاعر:

سوامق جبّار أثيث فروعه وعالين قنواناً من البسر أحمرا

السوامق: مرتفعات، وأثيث: الملتف: والقنوان: العذق.

المقدر للخلق الباريء له المصور له في الصورة التى أراد أن يوجده عليها. له الأسماء الحسنى وهي مائة اسم الا اسماً واحداً كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في صحيح البخارى وأسماؤه متضمنة صفاته وكُل أسمائه حسنى وكل صفاته عليا منزه عن صفات المحدثين يسبح له ما في السموات والأرض من مخلوقات وكائنات أي ينزهه ويقدسه عما لا يليق به ويدعوه ويرغب إليه في بقائه وكمال حياته. وهو العزيز الحكيم الغالب على أمره الحكيم في تدبير ملكه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان ما حواه القرآن من العظات والعبر، والأمر والنهى والوعد والوعيد الأمر الذي لو أن جبلاً ركب فيه الإدراك والتمييز كالإنسان ونزل عليه القرآن لخشع وتصدع من خشية الله.

٢ـ استحسان ضرب الأمثال للتنبيه والتعليم والإرشاد. ٣ـ تقرير التوحيد، وأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ٤ـ إثبات أسماء الله تعالى، وأنها كلها حسنى، وأنها متضمنة صفات عليا.

٥ـ ذكر أسمائه تعالى تعليم لعباده بها ليدعوه بها ويتوسلوا بها إليه.

سُورَةُ المُمْتَحَنَة (١)

مدنيــة وآياتها ثلاث عشرة آيــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى
وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ
وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن

---

(١) قال القرطبي: المشهور في اسم هذه السورة أنه الممتحنة بكسر الحاء اسم فاعل، وهو الذي جزم به السهلي، والمراد من الممتحنة الآية التي في هذه السورة إذ بها تمتحن المرأة التي تجيء مهاجرة من بلادها وتترك زوجها. والآية هي قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الخ ورجح الحافظ ابن حجر فتح الحاء باسم المفعول أي: المرأة الممتحنة.

يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم
بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

لا تتخذوا عدوى وعدوكم : أي الكفار والمشركين.

أولياء تلقون إليهم بالمودة : أي لا تتخذوهم أنصاراً توادونهم.

وقد كفروا بما جاءكم من الحق : أي الإسلام عقيدة وشريعة.

يخرجون الرسول وإياكم : أي بالتضييق عليكم حتى خرجتم فارين بدينكم.

أن تؤمنوا بربكم : أي لأجل أن آمنتم بربكم.

إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي : فلا تتخذوهم أولياء ولا تبادلوهم المودة.

تسرون إليهم بالمودة : أي توصلون إليهم خبر خروج الرسول لغزوهم بطريقة سرية.

ومن يفعله منكم : أي ومن يوادهم فينقل إليهم أسرار النبي في حروبه وغيرها.

فقد ضل سواء السبيل : أي أخطأ طريق الحق الجادة الموصلة إلى الإسعاد.

إن يثقفوكم : أي أن يظفروا بكم متمكنين منكم في مكانٍ ما.

يكونوا لكم أعداء : أي لا يعترفون لكم بمودة.

ويبسطوا إليكم أيديهم : أي بالضرب والقتل.

وألسنتهم بالسوء : أي بالسب والشتم.

وودوا لو تكفرون : أي وأحبوا لو تكفرون بدينكم ونبيكم وتعودون إلى الشرك معهم.

لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم : أي إن توادوهم وتسروا إليهم بالأخبار الحربية تقرباً إليهم من أجل أن يراعوا لكم أقرباءكم وأولادكم المشركين بينهم فاعلموا أنكم لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة.

يوم القيامة يفصل بينكم : أي فتكونون في الجنة ويكون المشركون من أولاد وأقرباء وغيرهم في النار.

معنى الآيـات :

فاتحة هذه السورة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى[1] وعدوكم أولياء . . . ﴾ الآيات. نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة وكان من المهاجرين الذين شهدوا بدراً روى مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ «موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلا» فإن بها ظعينة «امرأة مسافرة»[2] معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا نهادى خيلنا أي نسرعها فإذا نحن بامرأة فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت ما معي كتاب. فقلنا لتخرجن الكتاب، أو لَتُلْقِنَّ الثياب[3] «أي من عليك» فأخرجته من عقاصها أي من ظفائر شعر رأسها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا به من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا؟ فقال لا تعجل عليّ يا رسول الله إنى كنت امرءاًملصقاً في قريش «أي كان حليفاً لقريش ولم يكن قرشياً» وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وإن كتابي لا يغنى عنهم من الله شيئاً، وأن الله ناصرك عليهم. فقال النبي ﷺ صدق. فقال عمر رضي الله عنه دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم﴾ من الكفار والمشركين ﴿أولياء﴾ أي أنصاراً ﴿تلقون إليهم[4] بالمودة﴾ أي أسرار النبي ﷺ الحربية ذات الخطر والشأن. والحال أنهم قد كفروا بما جاءكم من الحق الذي هو دين الإسلام بعقائده وشرائعه وكتابه ورسوله. يخرجون الرسول وإياكم من[5] دياركم بالمضـايقة لكم حتى هاجرتم فارين بدينكم، أن تؤمنوا[6] بربكم أي من أجل أن آمنتم بربكم. ، أمثل هؤلاء الكفرة الظلمة تتخذونهم أولياء تدلون إليهم بالمودة. . إنه لخطأ جسيم

---

(١) العدو: ذو العداوة وهو فعول بمعنى فاعل من عدا يعدو وأصله مصدر على وزن فعول مثل قبول، ولما كان على وزن المصادر عومل معاملة المصدر فاستوى في الوصف به المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث.

(٢) تسمى سارة مولاة لأبي عمرو بن صيغر بن هاشم بن عبدمناف وهي يومئذ مشركة.

(٣) في رواية، أو لتلقين الثياب أي: لنجردنك من ثيابك.

(٤) جائز أن تكون جملة: (تلقون) في محل نصب على الحال من ضمير (لا تتخذوا) والإلقاء حقيقته: رمي ما في اليد على الأرض، واستعير لإلقاء الشيء بدون تدبر في موقعه أي: تصرفون إليهم مودتكم بدون تأمل في آثارها الضارة.

(٥) الجملة: حال من الضمير في كفروا وحكيت بالمضارع لاستحضار الصورة البشعة في الذهن.

(٦) أي: لأن تؤمنوا بالله ربكم علة وسبب إخراجهم إياكم من دياركم أي: هو اعتداء حملهم عليه أنكم آمنتم بالله ربكم.

ممن فعل هذا.

وقوله تعالى: ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾[1] أي إن كنتم خرجتم من دياركم مجاهدين في سبيلي أي لنصرة ديني ورسولي وأوليائي المؤمنين وطلبا لرضاي فلا تتخذوا الكافرين أولياء من دوني تلقون إليهم بالمودة.

وقوله تعالى تسرون[2] إليهم بالمودة أي تخفون المودة إليهم بنقل أخبار الرسول السرية والحال أني ﴿أعلم﴾ منكم ومن غيركم ﴿بما أخفيتم وما أعلنتم﴾. وها قد أطلعت رسولي على رسالتكم المرفوعة إلى مشركي مكة والتى تتضمن فضح سر رسولي في عزمه على غزوهم مفاجأة لهم حتى يتمكن من فتح مكة بدون كثير إراقة دم وإزهاق أنفس.

وقوله تعالى: ﴿ومن يفعله منكم﴾ أي الولاء والمودة للمشركين فقد ضل سواء السبيل أي اخطأ وسط الطريق المأمون من الانحراف يريد جانب الإسلام الصحيح.

وقوله تعالى: ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾ أي أنهم أعداؤكم حقاً إن يثقفوكم أي يظفروا بكم متمكنين منكم يكونوا لكم أعداء ولا يبالون بمودتكم إياهم، ويبسطوا إليكم أيدهم بالضرب والقتل وألسنتهم بالسب والشتم وتمنوا كفركم لتعودوا إلى الشرك مثلهم.

وقوله تعالى: ﴿لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم﴾[3] الذين واددتم الكفار من أجلهم من عذاب الله في الآخرة إذ حاطب كتب الكتاب من أجل قرابته وأولاده فبين تعالى خطأ حاطب في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾ بأن تكونوا في الجنة أيها المؤمنون ويكون أقرباؤكم وأولادكم المشركون في النار. فما الفائدة إذاً من المعصية من أجلهم؟! والله بما تعملون بصير فراقبوه واحذروه فلا تخرجوا عن طاعته وطاعة رسوله.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة موالا ة الكافرين بالنصرة والتأييد والمودة دون المسلمين.

---

(١) هذه الجملة شرطية ذيّل بها النهي: (لا تتخذوا عدوي) والغرض هو تأكيد الكلام السابق.

(٢) الجملة بيانية لسابقتها، وجملة: (وأنا أعلم) حالية فيها معنى التعجب بضميمة التي قبلها.

(٣) (لن تنفعكم. .) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً إذ الذي يسمع جملة: (ودوا لو تكفرون) بتطلع إلى ما يترتب على الكفر فيجاب بجملة: لن تنفعهم أرحامهم ولا أولادهم ولو في قوله: (ودوا لو تكفرون) مصدرية أي: ودوا كفركم.

٢ـ الذي ينقل أسرار المسلمين الحربية الى الكافرين على خطر عظيم وإن صام وصلى.
٣ـ بيان أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين متى تمكنوا منهم لأن قلوبهم عمياء لا يعرفون معروفاً ولا منكراً بظلمة الكفر في نفوسهم وعدم مراقبة الله عز وجل لأنهم لا يعرفونه ولا يؤمنون بما عنده من نعيم وجحيم يوم القيامة.
٤ـ فضل أهل بدر وكرامتهم على الله عز وجل.
٥ـ قبول عذر الصادقين الصالحين ذوى السبق في الإسلام إذا عثر أحدهم اجتهاداً منه.
٦ـ عدم انتفاع المرء بقرابته يوم القيامة إذا كان مسلماً وهم كافرون.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

قد كان لكم : أي أيها المؤمنون.
أسوة حسنة : أي قدوة صالحة.
في إبراهيم والذين معه : من المؤمنين فأتسوا بهم.
إذ قالوا لقومهم : أي المشركين.
إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله : أي نحن متبرئون منكم، ومن أوثانكم التي تعبدونها.

كفرنا بكم : أي جحدنا بكم فلم نعترف لكم بقرابة ولا ولاء.

وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء : أي ظهر ذلك واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا خفاء.

حتى تؤمنوا بالله وحده : أي ستستمر عداوتنا لكم وبغضنا إلى غاية إيمانكم بالله وحده.

وإليك أنبنا : أي رجعنا في أمورنا كلها.

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا : أي بأن تظهرهم علينا فيفتنونا في ديننا ويفتتنون بنا يرون أنهم على حق لما يغلبوننا.

لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة : أي لقد كان لكم أيها المؤمنون في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة.

لمن كان يرجو الله واليوم الآخر : أي هي أسوة حسنة لمن كان يؤمن بالله ويرجو ما عنده يوم القيامة.

ومن يتول : أي لم يقبل ما أرشدناه إليه من الإيمان والصبر فيعود إلى الكفر.

فإن الله غني حميد : أي فإن الله ليس في حاجة إلى إيمانه وصبره فإنه غنيٌ بذاته لا يفتقر إلى غيره، حميد أي محمود بآلائه وإنعامه على عباده.

معنى الآيات :

لما حرم تعالى على المؤمنين موالاة الكافرين مع وجود حاجة قد تدعو إلى موالاتهم كما جاء ذلك في اعتذار حاطب بن أبي بلتعة أراد تعالى أن يشجعهم على معاداة الكافرين وعدم موالاتهم بحال من الأحوال لما في ذلك من الضرر والخطر على العقيدة والصلة بالله وهي أعز ما يملك المؤمنون أعلمهم بأنه يُوجد لهم أسوة[1] أي قدوة حسنة في إبراهيم خليله والمؤمنين معه[2] فإنهم على قلتهم وكثرة عدوهم وعلى ضعفهم وقوة خصومهم تبرأوا من أعداء الله وتنكروا لأية صلة تربطهم بهم فقالوا ما قص الله تعالى عنهم في قوله ﴿إنَّا بُرءاءُ منكم ومما تعبدون من دون الله﴾ «من أصنام وأوثان» كفرنا بكم فلم نعترف لكم بوجود يقتضي مودتنا ونصرتنا لكم، وبدا أي ظهر بيننا وبينكم العداوة[3] والبغضاء بصورة مكشوفة لا ستار عليها لأننا موحدون وأنتم مشركون،

(١) قرأ نافع (إسوة) بكسر الهمزة، وقرأها حفص بالرفع وهي القدوة الصالحة.

(٢) هم: سارة زوجه ولوط ابن أخيه فهم المعنيون بقوله تعالى: (والذين معه).

(٣) العداوة: هي المعاملة بالسوء والاعتداء والبغضاء نفرة النفس والكراهية للمبغض.

لأننا مؤمنون وأنتم كافرون، وسوف تستمر هذه المعاداة وهذه البغضاء بيننا وبينكم حتى تؤمنوا بالله وحده رباً وإلهاً لا رَبَّ غيره ولا إله سواه إذاً فأتسوا أيها المسلمون بإمام الموحدين إبراهيم اللهم إلا ما كان من استغفار ابراهيم لأبيه فلا تأتسوا به ولا تستغفروا لموتاكم المشركين فإن ابـراهيم قد ترك ذلـك لمـا علم أن أبـاه لا يؤمن وأنـه يمـوت كافـراً وأنـه في النـار فقـال تعـالى إلا قول إبـراهيم[1] لأبيه «آزر» لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء أي غير الاستغفار. وكان هذا عن وعد قطعه له ساعة المفارقة له إذ قال في سورة مريم: ﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيّاً﴾ وجاء في سورة التوبة قوله تعالى ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياهُ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾.

وقوله تعالى ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا﴾ أي رجعنا من الكفر إلى الإيمان بك وتوحيدك في عبادتك، وإليك المصير. أي مصير كل شيء يعود إليك وينتهي عندك فتقضي وتحكم بما تشاء. ربنا لا تجعلنا فتنة[2] للذين كفروا أي لا تظهرهم علينا فيفتنونا في ديننا ويردونا إلى الكفر، ويفتنـون بنا فيرون أنهم لما غلبونا أنهم على حق ونحن على باطل فيزدادون كفراً ولا يؤمنون.

واغفر لنا ربنا أي ذنوبنا السالفة واللاحقة فلا تؤاخذنا بها إنك أنت العزيز الغالب المنتقم ممن عصاك الحكيم في تدبيرك لأوليائك فدبر لنا ما ينفعنا ويرضيك عنا. هذا الابتهال والضراعة من قوله تعالى ربنا عليك توكلنا إلى الحكيم من الجائز أن يكون هذا مما قاله إبراهيم والمؤمنون معه وأن يكون إرشاداً من الله للمؤمنين أن يقولوه تقوية لإيمانهم وتثبيتاً لهم عليه كما فعل ذلك إبراهيم ومن معه. وقوله تعالى لقد كان لكم فيهم[3] أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر تأكيد لما سبق وتقرير له وتحريك للهمم لتأخذ به. وقوله لمن[4] كان يرجو بالله واليوم الآخر إذ هم الذين ينتفعون بالعبر ويأخذون بالنصائح لحياة قلوبهم بالإيمان.

وقوله تعالى: ومن يتول أي عن الأخذ بهذه الأسوة فيوالى الكافرين فإن الله غني عن إيمانه وولايته له التي استبدلها بولاية أعدائه حميد أي محمود بآلائه وإنعامه على خلقه.

---

(١) الاستثناء منقطع إذ هذا القول ليس من جنس قولهم: (إنا براء منكم) إذ قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك هو رفق بأبيه وهو مغاير للتبرؤ.

(٢) الفتنة: اضطراب الحال وفساده، ومعنى الآية: سؤال الله تعالى أن لا يجعلهم فتنة للذين كفروا أي: أن لا يسلط عليهم الذين كفروا حتى لا يفتنوهم في دينهم ويجوز أن يكون فتنة: اسم فاعل أي: لا تجعلنا بضعفنا فاتنين لهم صارفين لهم عن الإسلام كما هو في التفسير وهو واضح غاية الوضوح.

(٣) (فيهم): أي في ابراهيم والمؤمنين معه، والأسوة الحسنة: القدوة الصالحة أي: اقتدوا بهم في البراءة من الشرك والمشركين.

(٤) هذه الجملة بدل من جملة: (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة..).

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ وجوب الاقتداء بالصالحين في الإيتساء بهم في الصالحات.

٢ـ حرمة موالاة الكافرين ووجوب معاداتهم ولو كانوا أقرب قريب.

٣ـ كل عداوة وبغضاء تنتهي برجوع العبد إلى الإيمان والتوحيد بعد الكفر والشرك.

٤ـ لا يجوز الاقتداء في غير الحق والمعروف فإذا أخطأ العبد الصالح فلا يتابع على الخطأ.

٥ـ وجوب تقوية المؤمنين بكل أسباب القوة لأمرين الأول خشية أن يغلبهم الكافرون فيفتنوهم في دينهم ويردوهم إلى الكفر والثاني حتى لا يظن الكافرون الغالبون أنهم على حق بسبب ظهورهم على المسلمين فيزدادوا كفراً فيكون المسلمون سبباً في ذلك فيأثمون للسببية في ذلك.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾

شـرح الكلمـات :

عاديتـم منهم : أي من كفار قريش بمكة طاعة لله واستجابة لأمره.

مـودة : أي محبة وولاء وذلك بأن يوفقهم للإيمان والإسلام فيؤمنوا ويسلموا ويصبحوا أولياءكم.

والله قديـر : أي على ذلك وقد فعل فأسلم بعد الفتح أهل مكة إلا قليلاً منهم.

لم يقاتلوكم في الدين : أي من أجل الدين.

أن تبروهـم : أي تحسنوا إليهم.

وتقسطوا إليهم : أي تعدلوا فيهم فتنصفوهم

إن الله يحب المقسطين : أي المنصفين العادلين في أحكامهم ومن ولوا .

وظاهروا على إخراجكم : أي عاونوا وناصروا العدو على إخراجكم من دياركم .

أن تولوهـم : أي تتولهم بالنصرة والمحبة .

فأولئك هم الظالمون : لأنهم وضعوا الولاية في غير موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكـريم في بيان حكم المـوالاة للكافرين فإنه لما حرم تعالى ذلك، وكان للمؤمنين قرابات كافرة وبحكم إيمانهم واستجابتهم لنداء ربهم قاطعوهم فَبَشَّرَهُم تعالى في هذه الآية الكـريمـة بأنه عز وجل قادر على أن يجعل بينهـم وبين أقربائهم مودة فقال عز من قائل ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ أي من المشركين ﴿مودة﴾[1]. وذلك بأن يوفقهم للإسلام، وهو على ذلك قدير وقد فعل وله الحمد والمنة فقد فتح على رسوله مكة وبذلك آمن أهلها إلا قليلاً فكانت المودة وكان الولاء والإيخاء مصداقاً لقوله عز وجل عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم فقد تاب عليهم بعد أن هداهم وغفر لهم ما كان منهم من ذنوب ورحمهم .

وقـولـه تعالى :﴿لاينهاكم الله عن[2] الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ بمضايقتكم أن تبروهم أي بالإحسان إليهم بطعام[3] أو كسوة أو إركاب وتقسطوا أي تعدلوا فيهم بأن تنصفوهم وهذا عام في كل الظروف الزمانية والمكانية وفي كل الكفار. ولكن بالشروط التى ذكر تعالى . وهي :

أولا : أنهم لم يقاتلونا من أجل ديننا .

---

(١) هذا بعد أن يسلم الكافرون ويوحد المشركون وفعلاً فقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة ووالاهم المسلمون كأبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام ومن مظاهر هذه المودة تزوج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان وبذلك لانت عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العدواة حتى إنه لما بلغه تزوج النبي ﷺ بها قال: ذلك الفحل لا يقدح أنفه أي : لا يضرب أنفه، وهي كلمة مدح .

(٢) اختلف في هل هذه الآية محكمة أو منسوخة بقتال المشركين؟ والذي عليه أكثر أهل العلم سلفاً وخلفاً أنها محكمة بما ذكر فيها من شروط وأن العمل بها باق ببقاء الإسلام كما هو في التفسير.

(٣) روى البخاري ومسلم وأبو داود أن قتيلة أم أسماء بنت أبي بكر الصديق قدمت عليها أمها في فترة الهدنة بين الرسول ﷺ والمشركين وأهدتها قرطاً وأشياء فكرهت أن تقبل ذلك فأتت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فأذن لها في قبول هدية أمها واستأذنته في صلتها؟ فقال لها صلي أمك.

وثانيا: لم يخرجونا من ديارنا بمضايقتنا وإلجائنا إلى الهجرة.

وثالثا: أن لا يعاونوا عدواً من أعدائنا بأي معونة ولو بالمشورة والرأي فضلاً عن الكراع والسلاح.

وقوله تعالى: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ ترغيب لهم في العدل والانصاف حتى مع الكافر وقوله تعالى ﴿إنما ينهاكم الله﴾ عن موالاة الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا أي أعانوا ﴿على إخراجكم أن تولوهم﴾ أي ينهاكم عن موالاتهم. ﴿ومن يتولهم منكم﴾ معرضاً عن هذا الإرشاد الإلهي والأمر الرباني ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ أي لأنفسهم المتعرضون لعذاب الله ونقمته لوضعهم الموالاة في غير موضعها بعدما عرفوا ذلك وفهموه.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان حكم الموالاة الممنوعة والمباحة في الإسلام.

٢ـ الترغيب في العدل والإنصاف بعد وجوبهما للمساعدة على القيام بهما.

٣ـ تقرير ما قال أهل العلم: أن عسى من الله تفيد وقوع ما يرجى بها ووجوده لا محالة. بخلافها من غير الله فهي للترجى والتوقع وقد يقع ما يُترجى بها وقد لا يقع.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ
مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات : أي المؤمنات بألسنتهن مهاجرات من الكفار.

فامتحنوهن : أي اختبروهن بالحلف أنهن ما خرجن الا رغبة في الإسلام لا بغضاً لأزواجهن، ولا عشقا لرجال من المسلمين.

فإن علمتموهن مؤمنات : أي صادقات في إيمانهن بحسب حلفهن.

فلا ترجعوهن إلى الكفار : أي لا تردوهن إلى الكفار بمكة.

لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن : لا المؤمنات يحللن لأزواجهن الكافرين، ولا الكافرون يحلون لأزواجهم المؤمنات.

وآتوهم ما أنفقوا : أي وأعطوا الكفار أزواج المؤمنات المهاجرات المهور التى أعطوها لأزواجهم.

ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن: أي مهورهن، وإن لم يتم طلاق من أزواجهن لانفساخ العقد بالإسلام. وبعد انقضاء العدة في المدخول بها وباقى شروط النكاح.

ولا تمسكوا بعصم الكوافر : أي زوجاتكم، لقطع إسلامكم للعصمة الزوجية. و كذا من ارتدت ولحقت بدار الكفر. إلا أن ترجع إلى الإسلام قبل انقضاء عدتها فلا يفسخ نكاحها وتبقى العصمة إن كان مدخولا بها.

واسألوا ما أنفقتم : أي أطلبوا ما أنفقتم عليهن من مهور في حال الارتداد.

وليسألوا ما أنفقوا : أي على المهاجرات من مهور في حال إسلامهن.

وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار: أي بأن فرت امرأة أحدكم إلى الكفار ولحقت بهم ولم يعطوكم مهرها فعاقبتم أي الكفار فغنمتم منهم غنائم.

فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما انفقوا: أي فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهن من مهور.

واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون : أي وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون فأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه.

معنى الآيـتين :

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ الآيتين (١٠) و (١١) نزلتا بعد صلح الحديبية إذ تضمنت وثيقة الصلح أن من جاء الرسول ﷺ من مكة من الرجال رده إلى مكة ولو كان مسلماً، ومن جاء المشركين من المدينة لم يردوه إليه ولم ينص عن النساء، وأثناء ذلك جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[١] مهاجرة من مكة إلى المدينة فلحق بها أخواها عمار[٢] والوليد ليرادها إلى قريش فنزلت هذه الآية الكريمة فلم يردها عليهما ﷺ قال تعالى ﴿يا أيها الـذين آمنـوا﴾[٣] أي يا من آمنتم بالله ربـاً وإلهاً وبمحمد نبيّاً ورسولاً والإسلام ديناً إذا جاءكم المؤمنـات مهـاجـرات من دار الكفـر إلى دار الإسلام فامتحنوهن[٤] ـ الله أعلم بإيمانهن ـ فإن علمتموهن أي غلب على ظنكم أنهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار وصورة الامتحان أن يقال لها احلفي بالله أي قولي بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت إلا رغبة في الإسلام لا بغضاً لزوجي، ولا عشقا لرجل مسلم.

وقوله تعالى: ﴿لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ لأن الإسلام فصم تلك العصمة التي كانت بين الزوج وزوجته، إذ حرم الله نكاح المشركات، وإنكاح المشركين، ولذا لم يأذن الله تعالى في ردهن إلى أزواجهن الكافرين.

وقوله تعالى ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ إذا جاء زوجها المشرك يطالب بها أعطوه ما أنفق عليها من مهر والذي يعطيه هو جماعة المسلمين وإمامهم.

وقـوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ أي تتزوجهن إذا آتيتموهن أجورهن أي مهورهن مع باقي شروط النكاح من ولي وشاهدين وانقضاء العدة في المدخول بها.

وقـولـه تعـالى: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ أي إذا أسلم الرجل وبقيت امرأته مشركة انقطعت عصمة الزوجية وأصبحت لا تحل لزوجها الذي أسلم، وكذا إذا ارتدت امرأة مسلمة

---

(١) وكـذلك جاءت سبيعة الأسلمية مهاجرة هاربة من زوجها صيفي، وجاءت أميمة بنت بشر هاربة من زوجها ثابت بن الشمراخ، فجاء أزواجهن مطالبين بهن فقال زوج سبيعة للنبي ﷺ إن طينة الكتاب الذي بيننا وبينك لم تجف بعد فنزلت هذه الآية.

(٢) ذكر القرطبي أن أخوي أم كلثوم أتيا النبي ﷺ مع أختهما مهاجرين وأن النبي ﷺ ردهما على المشركين ولم يرد أختهما أم كلثوم وكانت تحت عمرو بن العاص وهو مشرك يومئذ، وذكر ابن كثير: أن أخوي أم كلثوم وفدا يطالبان بأختهما لا مهاجرين وهذا الظاهر.

(٣) لما كانت المعاهدة لم تنص على النساء بلفظ صريح وهو لفظ أحد وهو صالح للرجال والنساء نزلت هذه الآية مخرجة للنساء من عموم لفظ (أحد) فالآية مبينة أو ناسخة والكل صالح.

(٤) اختلف في صيغة الامتحان فقال ابن عباس: كانت المحنة أن تستحلف بالله أنها ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا التماس دنيا ولا عشقاً لرجل منا بل حباً لله ورسوله فإن حلفت على ذلك، أعطى النبي ﷺ زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردها.

ولحقت بدار الكفر فإن العصمة قد انقطعت، ولا يحل الإمساك بها وفائدة ذلك لو كان تحت الرجل نسوة له أن يزيد رابعة لأن التي ارتدت أو التي كانت مشركة واسلم وهي في عصمته لا تمنعه من أن يتزوج رابعة لأن الإسلام قطع العصمة لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصم جمع عصمة.

وقوله تعالى: ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ اطلبوا من المرتدة ما أنفقتم عليها من مهر يؤدى لكم وليسألوا هم ما أنفقوا وأعطوهم ايضا مهور نسائهم اللائي أسلمن وهاجرن إليكم وقوله تعالى ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم بخلقه وحاجاتهم حكيم في قضائه وتدبيره فليسلم له الحكم وليرض به فإنه قائم على أساس المصلحة للجميع.

وقوله تعالىٰ ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلىٰ الكفار فعاقبتم[1] فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ أي وإن ذهب بعض نسائكم إلىٰ الكفار مرتدات، وطالبتم بالمهور فلم يعطوكم، ثم غزوتم وغنمتم فأعطوا من الغنيمة قبل قسمتها الذي ذهبت زوجته إلىٰ دار الكفر ولم يحصل علىٰ تعويض أعطوه مثل ما أنفق.

وقوله: ﴿واتقوا[2] الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ أي خافوا عقابه فأطيعوه في أمره ونهيه ولا تعصوه.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ـ وجوب امتحان المهاجرة فإن علم اسلامها لا يحل إرجاعها الى زوجها الكافر لأنها لاتحل له، واعطاؤه ما أنفق عليها من مهر. ويجوز بعد ذلك نكاحها بمهر وولي وشاهدين إن كانت مدخولا بها فبعد انقضاء عدتها وإلا فلا حرج في الزواج بها فوراً.

٢ـ حرمة نكاح المشركة.

٣ـ لا يجوز الإبقاء[3] على عصمة الزوجة المشركة، وللزوج المسلم الذي بقيت زوجته على الكفر، أو ارتدت بعد إسلامها أن يطالب بما أنفق عليها من مهر وللزوج الكافر الذي أسلمت زوجته وهاجرت ان يسأل كذلك ما أنفق عليها.

٤ـ ومن ذهبت زوجته ولم يُردّ عليه شيء مما أنفق عليها، ثم غزا المسلمون تلك البلاد وغنموا

(١) (عاقبتم) أي: غزوتم فغنمتم فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم من المسلمين. حكى الثعلبي: عن ابن عباس أن ستا من النسوة رجعن عن الإسلام ولحقن بالمشركين وسماهن واحدة واحدة وأكرمهن: أم الحكم بنت أبي سفيان وفي هذه نزلت الآية.

(٢) الجملة تذييلية المراد منها تحريض المؤمنين على الوفاء بما أمروا به ونهوا عنه واتبع اسم الجلالة بجملة (الذي أنتم به مؤمنون) إشارة إلى أن الإيمان يبعث على التقوى التي هي: امتثال واجتناب.

(٣) اختلف في الرجل يسلم وتحته كافرة أو كافرة تسلم وهي تحت زوج كافر. والذي عليه الشافعي وأحمد أن العصمة تبقى مدة العدة فإذا انقضت العدة ولم يسلم الكافر منهما يفرق بينهما ولا يحلان لبعضهما. وقال مالك: يفرق بينهما من يوم إسلام أحدهما.

فإن من ذهبت زوجته ولم يعوض عنها يعطى ما أنفقه من الغنيمة قبل قسمتها. وإن لم تكن غنيمة فجماعة المسلمين وإمامهم يساعدونه ببعض ما أنفق من باب التكافل والتعاون.

٥- وجوب تقوى الله تعالى بتطبيق شرعه وانفاذ أحكامه والرضا بها.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

إذا جاءك المؤمنات يبايعنك : أي يوم الفتح والرسول ﷺ على الصفا وعمر أسفل منه.

فبايعهن : أي على أن لا يشركن بالله شيئاً إلى ولا يعصينك في معروف.

أن لا يشركن بالله : أي أي شيء من الشرك أو الشركاء.

ولا يقتلن أولادهن : أي كما كان أهل الجاهلية يقتلون البنات وأداً لهن.

ولا يأتين ببهتان يفترينه : أي بكذب يكذبنه فيأتين بولد ملقوط وينسبنه الى الزوج وهو ليس بولده.

ولا يعصينك في معروف : أي ما عرفه الشرع صالحاً حسناً فأمر به وانتدب إليه. أو ما عرفه الشرع منكراً محرماً.

فبايعهن : أي اقبل بيعتهن.

واستغفر لهن الله : أي أطلب الله تعالى لهن المغفرة لما سلف من ذنوبهن وما قد يأتي.

قوماً غضب الله عليهم : أي اليهود.

قد يئسـوا من الآخرة : أي من ثوابها مع إيقانهم بها، وذلك لعنادهم النبي مع علمهم بصِدْقِهِ.

كما يئس الكفار من أصحاب القبور : أي كيأس من سبقهم من اليهود الذين كفروا بعيسى وماتوا على ذلك فهم أيضاً قد يئسوا من ثواب الآخرة.

معنى الآيـات :

قوله تعالىٰ[1] ﴿يا أيها النبي﴾ إلىٰ قوله ﴿إن الله غفور رحيم﴾ هذه آية بيعة النساء، فقد بايع عليها رسول الله ﷺ نسـاء قريش يوم الفتح وهو جالس علىٰ الصفاء وعمر دونه أسفل منه، وهو يبايع، وطلب إليه أن يمد يده فقال إنِّي لا أصافح النساء فبايعهن على أن لا يشركن[2] بالله شيئاً أي من الشرك أو الشركاء ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن كما كان نساء الجاهلية يئدن بناتهن ولا يأتين ببهتان أي كذب يفترينه أي يكذبنه بين أيديهن وأرجلهن أي لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن، ولا يعصينك في معروف[3] بصورة عامة وفي النياحة بصورة خاصة إذ كان النساء في الجاهلية يَنُحن على الأموات ويشققن الثياب ويخدشن الوجوه قال تعالى يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن، ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف، فبايعهن واستغفر لهن الله فيما مضى من ذنوبهن وما قد يأتي إن الله غفور رحيم.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله لا تتولَّوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود لا تتولوهم بالنصرة والمحبة وقد يئسوا من الآخرة أي من ثواب الله فيها بدخول الجنة وذلك لعنادهم رسول الله ﷺ وكفرهم به مع علمهم أنه رسول الله ومن كفر به وكذبه أو عانده وحاربه لا يدخل الجنة فلذا هم آيسون من دخول الجنة. وقوله تعالى ﴿كما يئس الكفار من[4]

---

(١) في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله تعالى: (يا أيها النبي إذا جاءك . .) الخ الآية وكان ﷺ إذا أقررن بذلك بقـولهن قال لهن ﷺ انطلقن فقد بايعتكن ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام).

(٢) روي أنّ النبي ﷺ لما قال: (على أن لا يشركن بالله شيئاً قالت هند بنت عتبة وهي متنقبة والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيتك أخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط ولما قال: ولا يسرقن قالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصيب من ماله قوتاً فقال أبو سفيان هو لك حلال فضحك النبي ﷺ وعرفها لأنها كانت متنكرة لما نالت من حمزة رضي الله عنه وقال: أنت هند؟ فقالت: عفا الله عما سلف. ثم قال: ولا يزنين فقالت هند: أو تزني الحرة؟

(٣) قال قتادة: لا ينحن ولا تخلو امرأة منهن إلا بذي محرم وفي صحيح مسلم عن أم عطية: لما نزلت هذه الآية قالت يارسول الله إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلابد أن أسعدهم فقال ﷺ إلا آل فلان فأذن لها أن تفي بوعدها.

(٤) (كما يئس الكفار) صالح لأن يكون معنى الكلام كما يئس الكفار من عودة أصحاب القبور إليهم. وكما يئس أصحاب القبور من العودة إلى الحياة الأولى، وما في التفسير اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى.

أصحاب القبور﴾ أي كما يئس إخوانهم الذين ماتوا قبلهم من دخول الجنة إذ كفروا بعيسى عليه السلام وحاربوه ووالدته واتهمو ا عيسى بالسحر ووالدته بالعهر، والعياذ بالله فيئس هؤلاء من دخول الجنة كما يئس من مات منهم ممن هم أصحاب قبور .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ مشروعية أخذ البيعة لإمام المسلمين ووجوب الوفاء بها .

٢ـ حرمة الشرك وما ذكر معه من السرقة والزنا وقتل الأولاد والكذب والبهتان وإلحاق الولد بغير أبيه .

٣ـ حرمة النياحة وما ذكر معها من شق الثياب وخمش الوجوه والتحدث مع الرجال الأجانب .

٤ـ بعد الحرة كل البعد من الزنا إذ قالت هند وهي تبايع أو تزني الحرة؟ قال لا تزني الحرة .

٥ـ حرمة مصافحة النساء لقوله ﷺ في البيعة إني لا أصافح النساء .

٦ـ حرمة موالاة اليهود بالنصرة والمحبة .

سُورَةُ الصَّفِّ

مدنيـــة وآياتها أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ
بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ
تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا

زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾
وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

شـرح الكلـمات :

سبح لله ما في السموات وما في الأرض أي نزه وقـدس بلسان القال والحال جميع ما في السموات وما في الأرض من كائنات.

وهو العزيز الحكيم : أي العزيز الغالب على أمره الحكيم في تدبيره وصنعه.

لم تقولون مالا تفعلون : أي لأي شيء تقـولـون قد فعلنا كذا وكذا وأنتم لم تفعلوا؟ والاستفهام هنا للتوبيخ والتأنيب.

كبر مقتاً عند الله : أي عظم مقتاً والمقت: أشد البغض والمقيت والممقوت المبغوض.

أن تقولوا مالا تفعلون : أي قولكم ما لا تفعلون يبغضه الله أشد البغض.

صفاً كأنهم بنيان مرصوص : أي صافين: ومرصوص ملزق بعضه ببعض لا فرجة فيه.

لم تؤذونني : أي إذ قالوا أنه آدر كذباً فوبخهم على كذبهم وأذيتهم له.

وقد تعلمون أني رسول الله إليكم : أي أتؤذونني والحال أنكم تعلمون أني رسول الله إليكم.

فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم : أي فلما عدلوا عن الحق بإيذائهم موسى أزاغ الله قلوبهم أي أمالها عن الهدى.

والله لا يهدى القوم الفاسقين : أي الذين فسقوا وتوغلوا في الفسق فما أصبحوا أهلاً للهداية.

يا بني إسرائيـل : أي أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل، ولم يقل يا قوم كما قال موسى لأنه لم يكن منهم لأنه ولد بلا أب، وأمه صديقة.

مصدقاً لما بين يدي : أي قبلي من التـوراة.

يأتي من بعدي اسمه أحمد : هو محمد رسول الله ﷺ وأحمد أحد أسمائه الخمسة المذكوران والماحى، والعاقب والحاشر.

فلما جاءهم بالبينات : أي على صدق رسالته بالمعجزات الباهرات.

قالوا: هذا سحر مبين : أي قالوا في المعجزات إنها سحر.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿سبح لله[1] ما في السموات وما في الأرض﴾ يُخبر تعالى أنه قد سبحه جميع ما في السموات وما في الأرض بلسان القال والحال، وأنه العزيز الحكيم العزيز الغالب على أمره لا يمانع في مراده الحكيم في صنعه وتدبيره لملكه. بعدما أثنى تعالى على نفسه بهذا خاطب المؤمنين بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم[2] تقولون مالا تفعلون[3]﴾ لفظ النداء عام والمراد به جماعة من المؤمنين قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لفعلناه فلما علموه ضعفوا عنه ولم يعملوا فعاتبهم الله تعالى في هذه الآية ولتبقى تشريعا عاماً إلى يوم القيامة فكل من يقول فعلت ولم يفعل فقد كذب وبئس الوصف الكذب ومن قال سأفعل ولم يفعل فهو مخلف للوعد وبئس الوصف خلف الوعد وهكذا يربى الله عباده على الصدق والوفاء. وقوله تعالى ﴿كبر مقتاً[4] عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ أي قولكم نفعل ولم تفعلوا مما يمقت عليه صاحبه أشد المقت أي يُبغض أشد البغض.

وقوله تعالى ﴿إن الله يحب[5] الذين يقاتلون في سبيله صفا﴾ أي صافين متلاصقين لا فرجة بينهم كأنهم بنيان مرصوص بعضه فوق بعض لا خلل فيه ولا فرجة كأنه ملحم بالرصاص.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه[6]﴾ أي اذكر إذ قال موسى لقومه من بني اسرائيل يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم والحال أنكم تعلمون أني رسول الله إليكم حقاً وصدقاً، وقد آذوه بشتى أنواع الأذى بألسنتهم السليطة وآرائهم الشاذة من ذلك قولهم إن موسى آدُر ولذا هو لا يغتسل معنا، ومعنى آدر به أدرة وهي انتفاخ الخصية.

---

(١) في جامع الترمذي عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحبّ إلى الله لعملناه فأنزل الله تعالى: ﴿سبح لله مافي السموات ومافي الأرض..﴾ الخ السورة. ورواه الحاكم وأحمد وغيره.

(٢) اللام حرف جر والميم حرف استفهام وهو هنا إنكاري توبيخي.

(٣) النداء بوصف الإيمان فيه التعريض بأن الإيمان من شأن صاحبه أن لا يخلف إذا وعد وأن يفي إذا نذر لأنه روح وصاحبه حيٌّ قادر على الفعل والترك بخلاف الكفر وأهله.

(٤) (مقتاً): منصوب على التمييز وهو تمييز نسبة والتقدير: كبر ممقوتاً قولكم مالا تفعلون.

(٥) هذا جواب لقولهم: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه فبيّن لهم أحب الأعمال إليه وهو أحب العاملين عنده فله الحمد وله المنة.

(٦) لعلّ وجه المناسبة بين قصة موسى هنا وعتاب المؤمنين على فرار من فر يوم أحد هو: أن قوم موسى أيضاً جبنوا عن قتال عدوهم وقالوا لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون.

وقوله تعالى: ﴿فلما زاغوا﴾ أي مالوا عن الحق بعد علمه غاية العلم فآثروا الباطل على الحق والشر على الخير والكفر على الإيمان عاقبهم الله فصرف قلوبهم عن الهدى نقمة منه تعالى عليهم، وذلك لأنّه سنته تعالى فيمن عرض عليه الخبر فأباه بعد علمه به، ثم دعي إليه فلم يستجب ثم رغب فيه فلم يرغب وواصل الشر مختاراً له عندئذ يصبح ما اختار من الفسق أو الكفر أو الظلم أو الإجرام طبعاً له وخلقاً ثابتاً لا يتبدل ولا يتغير. وعلى هذا يؤول مثل قوله تعالى والله لا يهدى القوم الفاسقين، والله لا يهدي القوم الظالمين، والله لا يهدي القوم المجرمين، والله لا يهدي القوم الكافرين لأنه تعالى أضلهم حسب سنته في الإضلال فلا يستطيع أحد غيره تعالى أن يهدي عبداً أضله الله على علم وهذا معنى قوله تعالى من سورة النحل ﴿إن الله لا يهدى من يضل﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى بن مريم[1] يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم﴾ أي اذكر يا رسولنا للاتعاظ والعبرة قول عيسى بن مريم لليهود: يا بني اسرائيل نسبهم إلى جدهم يعقوب الملقب باسرائيل بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام. إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة وهذا برهان على صدقي في دعوتي إذ لم أخالف فيما أدعو إليه من عبادة الله وحده ما في التوراة كتاب الله عز وجل وهو بين أيديكم فوفاقنا دال على أن مصدر تشريعنا واحد هو الله عز وجل فكما آمنتم بموسى وهرون وداود وسليمان آمنوا بي فإني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه[2] احمد، فلهذا قال رسول الله ﷺ أنا دعوة[3] أبي إبراهيم وبشارة عيسى، إذ ابراهيم لما كان يبنى البيت مع اسماعيل كانا يتقـاولان ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك..﴾ الآية. وقـولـه تعـالى ﴿فلـمـاجاءهم﴾ أي محمـد[4] ﷺ بالبينـات أي بالحجـج الـدالـة على صدق رسـالتـه ووجوب اتباعه في العقيدة والشريعة كفروا به وقالوا في القرآن هذا سحر مبين كما قالها فرعون مع موسى. وكما قالتها اليهود مع عيسى عليه السلام.

---

(١) وجه مناسبة قصة عيسى لما قبلها أن بني اسرائيل كما فسقوا عن أمر الله وعصوا رسوله موسى فسقوا كذلك عن أمر الله وعصوا عيسى وكفروا فكان هذا تعزية لرسول الله ﷺ لما لقيه ويلقاه من اليهود.

(٢) هل الاسم هو عين المسمى؟ خلاف كبير والصحيح: أن الاسم هو اللفظ الدال على ذات به تتميز عن سائر الذوات.

(٣) رواه ابن اسحق بسند جيد ورواه أحمد بألفاظ مختلفة.

(٤) جائز أن يكون الضمير في جاءهم عائد إلى عيسى عليه السلام وعلى محمد ﷺ إذ كلاهما قيل فيه سحر أو ساحر قرأ الجمهور (سحراً) في الآيات وقرأ بعضهم: ساحر أي: محمد أو عيسى عليهما السلام.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان غنى الله تعالى عن خلقه وأنه سبح لله ما في السموات ومافي الأرض وأن ما شرعه لعباده من العبادات والشرائع إنما هو لفائدتهم وصالح أنفسهم يكملوا عليه أرواحاً واخلاقاً ويسعدوا به في الحياتين.

٢ـ حرمة الكذب وخلف الوعد إذ قول القائل أفعل كذا ولم يفعل كذِب وخلف وعدٍ. ولذا كان قوله من المقت الذي هو أشد البغض، ومن مقته الله فقد أبغضه أشدَّ البغض وكيف يفلح من مقته الله.

٣ـ فضيلة الجهاد والوحدة والاتفاق وحرمة الخلاف والقتال والصفوف ممزقة حسياً أو معنوياً.

٤ـ التحذير من مواصلة الذنب بعد الذنب فإنه يؤدى إلى الطبع وحرمان الهداية.

٥ـ بيان كفر اليهود بعيسى عليه السلام وازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ.

٦ـ بيان كفر النصارى إذ رفضوا بشارة عيسى وردوها عليه ولم يؤمنوا بالمبشر به محمد ﷺ.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

شـرح الكلـمات :

ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب :أي لا أحد أعظم ظلماً ممن يكذب على الله فينسب إليه الولد والشريك، والقول والحكم وهو تعالى بريء من ذلك.

وهو يدعى إلى الإسلام : أي والحال أن هذا الذي يفترى الكذب على الله يدعى إلى الإسلام الذى هو الاستسلام والانقياد لحكم الله وشرعه.

والله لا يهدى القوم الظالمين : أي من ظَلم ثم ظلم وواصل الظلم يصبح الظلم طبعاً له فلا يصبح قابلًا للهداية فيحرمها حسب سنة الله تعالى في ذلك.

ليطفئوا نور الله بأفواههم : أي يريد المشـركـون بكـذبهم على الله وتشـويه الـدعـوة الإسـلامية، ومحاربتهم لاهلهايريدون إطفاء نور الله القرآن وما يحـويه من نور وهـداية بأفـواههم وهـذا محال فإنّ إطفاء نور الشمس أو القمر أيسر من إطفاء نور لا يريد الله إطفاءه.

هو الذي أرسل رسوله بالهدى : أي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى أي بالهداية البشرية.

ودين الحـق : أي الإسلام إذ هو الدين الحق الثابت بالوحى الصادق.

ليظهره على الدين كله : أي لينصره على سائر الأديان حتى لا يبقى إلا الإسلام ديناً.

ولو كـره المشركون : أي ولو كره نصره وظهوره على الأديان المشركون الكافرون.

معنى الآيـات :

يقول تعالى ﴿ومن أظلم[1] ممن افترى على الله الكذب﴾ والحال أنه يدعى إلى الإسلام الدين الحق إنه لا أظلم من هذا الإنسان أبداً، إن ظلمه لا يقارن بظلم هذا معنى قوله تعالى في الآية الأولى (٧) ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾. أي اختلق الكذب على الله عز وجل وقال له كذا وكذا أ وقال أو شرع كذا وهو لم يقل ولم يشرع. كما هى حال مشركى قريش نسبوا إليه الولد والشريك وحرموا السوائب والبحائر والحامات وقالوا في عبادة أصنامهم لو شاء الله ما عبدناهم إلى غير ذلك من الكذب والاختلاق على الله عز وجل. وقوله وهو يدعى إلى الإسلام إذ لو كان أيام الجاهلية حيث لا رسول ولا قرآن لهان الأمر أما أن يكذب على الله والنور غامر والوحي ينزل والرسول يدعو ويبين فالأمر أعظم والظلم أظلم.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٨) ﴿يريدون[2] ليطفئوا نور الله بأفواههم[3]﴾ أي يريد أولئك الكاذبون على الله القائلون في الرسول: ساحر وفي القرآن إنه سحر مبين إطفاء نور الله الذي هو القرآن وما حواه من عقائد الحق وشرائع الهدى وبأى شيء يريدون إطفاءه إنه بأفواههم وهل نور الله يطفأ بالأفواه كنور شمعة أو مصباح. إن نور الله متى أراد الله إتمامه إطفاء نور القمر أو الشمس أيسر من إطفائه فليعرفوا هذا وليكفوا عن محاولاتهم الفاشلة فإن الله يريد أن يتم[4] نوره ولو كره

(١) الاستفهام وإن كان للنفي فهو متضمن الإنكار الشديد على كل من المشركين وأهل الكتابين إذ الجميع افتروا على الله الكذب، فالمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: عيسى ابن الله.

(٢) استئناف بياني ناشيء عن الاخبار عنهم بأنهم افتروا على الله الكذب في الوقت الذي هم يدعون إلى الإسلام فلما فضحهم القرآن راموا اطفاء نور الله الذي هو كتابه ورسوله ودينه بأفواههم بالكذب والدعاوى الباطلة بل والحروب الشرسة القاسية.

(٣) اللام في (ليطفئوا) زائدة لتأكيد الكلام وتقويته إذ الأصل يريدون إطفاء نور الله.

(٤) (والله متم نوره) قرأ نافع بتنوين الميم من متمم ونصب نوره على المفعولية، وقرأ حفص بدون تنوين على أن متم مضاف إلى نور ونور مضاف إلى الضمير.

المشركون إنه تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق دين الله الحق الذي هو الإسلام ليظهره على الدين كله وذلك حين نزول عيسى إذ يبطل يومها كل دين ولم يبق الا الإسلام ولو كره ذلك المشركون فإن الله مظهره لا محالة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- عِظم جرم الكذب على الله وأنه من أفظع أنواع الظلم.

٢- حرمان الظلمة المتوغلين في الظلم من الهداية.

٣- إيئاس المحاولين إبطال الإسلام وانهاء وجوده بأنهم لا يقدرون إذ الله تعالى أراد إظهاره فهو ظاهر منصور لا محالة.

٤- تقرير نـبّوة محمد ﷺ.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ
طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

شـرح الكلـمات :

هل أدلكم على تجارة : أي أرشدكم إلى تجارة رابحة.

تنجيكم من عذاب أليم : أي الربح فيها هو نجاتكم من عذاب مؤلم يتوقع لكم.

تؤمنون بالله ورسوله : أي تصدقون بالله ربّاً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً لله تعالى.

وتجاهدون في سبيل الله	: أي وتبذلون أموالكم وأرواحكم جهاداً في سبيل الله تعالى.
ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون	: أي الدخول في هذه الصفقة التجارية الرابحة خير لكم من تركها حرصاً على بقائكم وبقاء أموالكم مع أنه لا بقاء لشيء في هذه الدار.
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن	أي هذا هو الربح الصافي مقابل ذلك الثمن الذاهب الزائل الذي هو المال والنفس مع أن الكل لله تعالى واهبكم أنفسكم وأموالكم.
ذلك الفوز العظيم	: أي النجاة من عذاب النار الأليم ثم دخول الجنة والظفر بما فيها من النعيم المقيم هو حقاً الفوز العظيم.
وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب	: أي وعلاوة أخرى تحبونها قطعاً إنها نصر من الله لكم ولدينكم وفتح قريب للأمصار والمدن، وما يتبع ذلك من رفعة وسعادة وهناء.
وبشر المؤمنين	: أي وبشر يا رسولنا المؤمنين الصادقين بذاك الفوز وهذه العلاوة.
كونوا أنصار الله	: أي لتنصروا دينه ونبيه وأولياءه.
كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله	: أي فكونوا أنتم أيها المؤمنون مثل الحواريين، والحواريون أصحاب عيسى وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً.
قال الحواريون نحن أنصار الله	
فآمنت طائفة من بنى اسرائيل	: أي بعيسى عليه السلام، وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء.
وكفرت طائفة	: أي من بني إسرائيل فقالوا إنه ابن الله رفعه إليه.
فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم	: فاقتتلت الطائفتان: فنصرنا وقوينا الذين آمنوا.
فأصبحوا ظاهرين	: أي غالبين عالين.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين[1] آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله هل لنا أن ندلكم على تجارة عظيمة الربح ثمرتها النجاة من عذاب أليم في

(١) هذا جواب ما سألوا عنه وطلبوا معرفته وهو: أحب الأعمال الى الله تعالى، والاستفهام مستعمل في العرض كما يقال: هل لك في كذا؟ أو هل لك إلى كذا؟ على سبيل العرض والترغيب والتشويق إلى ما يذكر له.

الدنيا والآخرة. وقوله ﴿تؤمنون[1] بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ هذا هو رأس المـال الذي تقدمونه. إيمان بالله ورسوله حق الإيمان، جهاد في سبيل الله بالنفس والمال وأنبه إلى أن هذه الصفقة التجارية خير لكم من عدمها إن كنتم تعلمون ربحها وفائدتها.
﴿يغفـر[2] لكم ذنـوبكم ويدخلكم جنـات تجري من تحتها الأنهار﴾ إنها النجاة من العذاب الدنيوي والأخروي أولاً، ثم مغفرة ذنوبكم وإدخالكم جنات تجري من تحتها الأنهار، أي من تحت قصورها وأشجارها، ومساكن طيبة في جنات عدن أي إقامة دائمة. ثانياً ثم زاد الحق في ترغيبهم فقـال ﴿ ذلـك الفـوز العـظيم﴾ إنـه النجـاة من النـار، ودخـول الجنـة، فلا فوز أعظم منه قط هذا ولكم علاوة على ذلك الربح العظيم وهي ما أخبر تعالى عنها بقوله:
﴿وأخـرى[3] تحبـونهـا﴾ أي وفـائـدة أخرى تحبونهـا: نصـر من الله أي لكم على أعـدائكم ولـدينكم على سائر الأديان وفتـح قريب لمكة ولباقى المدن والقرى فى الجزيرة وما وراءها. وقوله تعالى ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي وبشر[4] يا رسولنا الذين آمنوا بنا وبرسولنا وبوعدنا ووعيدنا بحصول ما ذكرناه كاملا، وقد تم لهم كاملاً ولله الحمد والمنة | وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ هذا نداء ثانٍ في هذا السياق الكريم ناداهم بعنوان الإيمان أيضاً إذ الإيمان هو الطاقة المحركة الدافعة فقال ﴿يا أيها الـذين آمنـوا كونـوا أنصـار[5] الله﴾ أي التزموا بنصرة ربكم وإلهكم الحق في دينه ونبيه وأوليائه المؤمنين. قولوا كما قال الحواريون[6] لما دعاهم عيسى نبيهم لنصرته قائلاً من أنصارى إلى الله أي من ينصرني في حال كوني متوجهاً إلى الله انصر دينه وأولياءه، فأجابوه قائلين نحن أنصار الله. فكونوا أنتم أيها المسلمون مثلهم، وقد كانوا رضي الله عنهم كما طلب منهم.

---

(١) جملة: (تؤمنون) بيانية لأهل العرض السابق يثير سؤالاً وهو: ما الذي ريد أن يدلنا عليه؟ فالجواب: الايمان والجهاد. (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله . .) الخ.

(٢) (يغفر لكم) بالجزم لأن الفعل واقع موقع جواب الطلب إذ: تؤمنون وتجاهدون لفظهما لفظ الخبر ومعناهما الإنشاء أي: آمنوا وجاهدوا يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم، وجزم (ويدخلكم) أيضاً على العطف على يغفر.

(٣) (وأخرى) الجملة معطوفة على (يغفر لكم)٠ وما بعدها وجيء بالجملة اسمية للدلالة على الثبوت والتحقق، فأخرى: مبتدأ خبره محذوف أي: وأخرى لكم أي ثابتة لكم وتحبون: صفة لأخرى.

(٤) لقد شوق الله أصحاب رسوله إلى تحقيق الإيمان بالجهاد فأيقنوا وعزموا على الجهاد فأصبح أسمى أمانيهم فأنجز الله لهم ما وعدهم فأمر رسوله أن يبشرهم بما وعدهم تعجيلاً للمسرة.

(٥) الأنصار: جمع نصير وهو الناصر: القوي النصرة، وقرأ نافع (كونوا أنصاراً لله) بتنوين (أنصاراً) وقرأ حفص بدون تنوين مضاف إلى اسم الجلالة.

(٦) الحواريون: جمع حواري بفتح الحاء وتخفيف الواو وهي معربة عن الحبشية (حوارياً) وهو الصاحب الصفي وأطلق هذا الاسم على أصحاب عيسى الاثنى عشر رجلا، وقد سمى النبي ﷺ الزبير بن العوام حواريه على التشبيه بأحد الحواريين فقال: (لكل نبي حواري وحواري الزبير).

وقوله تعالى ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا﴾ أي فاقتتلوا فأيدنا أي قوينا ونصرنا الذين آمنوا وهم الذين قالوا عيسى عبدالله ورسوله رفعه ربه تعالى إلى السماء، على عدوهم وهم الطائفة الكافرة التى قالت عيسى ابن الله رفعه إليه تعالى الله أن يكون له ولد.

وقوله تعالى ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾[1] أي غالبين عالين إلى أن احتال اليهود على إفساد الدين الذي جاء به عيسى وهو الإسلام أي عبادة الله وحده بما شرع أن يعبد به فحينئذ لم يبق من المؤيدين إلا أنصار قليلون هنا وهناك وعلا الكفر والتثليث واستمر الوضع كذلك إلى أن بعث الله رسوله محمداً ﷺ فانضم الى الإسلام من انضم من النصارى فأصبحوا بالإسلام ظاهرين على عدوهم من المشـركين المؤلهين لعيسى والحيارى في تقـويمه مرة يقولون هو الله، ومرة يقولون: هو ابن الله، ومرة يقولون: ثالث ثلاثة هو الله. وضللهم وتركهم في هذه المتاهات الانتفـاعيون من الرؤساء والجاهلون المقلدون من المرءوسين كما فعل نظراؤهم في الإسلام فحولوه الى طوائف وشيع إلا أن الإسلام تعهد الله بحفظه الى يوم القيامة فمن أراده وجده صافياً كما نزل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن لم يرده وأراد الضلالة وجدها في كل عصر ومصر.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ فضل الجهاد بالمال والنفس وأنه أعظم تجارة رابحة.

٢ـ تحقيق بشرى المؤمنين التى أمر الله رسوله أن يبشرهم بها فكان هذا برهاناً على صحة الإسلام وسلامة دعوته.

٣ـ بيان استجابة المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ لما طلب منهم من نصرة رسول الله ﷺ ودينه والمؤمنين معه. وهى نصرة الله تعالى المطلوبة.

---

(١)(ظاهرين) أي: غالبين يقال: ظهر عليه أي غلبه وهو مشتق من الظهر الذي هو العمود الوسط من جسد الإنسان والدواب، ومثل الظهور: التأييد مشتق من اليد وكذا عضده: إذا نصره وقواه مأخوذ من العضد.

سورة الجمعة (١)

مدنيــة وآياتها احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ
ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾

شــرح الكـلمات :

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض : أي ينـزه الله تعـالى عما لا يليق به ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات بلسان القال والحال، ولم يقل (من) بدل (ما) تغليباً لغير العاقل لكثرته علي العاقل.

في الأمـيين : أي العرب لندرة من كان يقرأ منهم ويكتب.

رسولاً منهـم : أي محمداً ﷺ إذ هو عربي قرشي هاشمي.

ويزكيـهم : أي يطهرهم أرواحاً واخلاقاً.

ويعلمهم الكتاب والحكمة : أي هدى الكتاب وأسرار هدايته.

وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين : أي وإن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال الشرك والجاهلية.

وآخرين منهم لما يلحقوا بهم : أي وآخـرين مؤمنين صالحين لمـا يلحقوا أي لم يحضروا حياة رسول الله ﷺ وهو يُعلّم الكتابَ والحكمة، وسيلحقون بهم وهم

---

(١) سورة الجمعة أي: السورة التي يذكر فيها لفظ الجمعة وهل المراد بالجمعة يوم الجمعة أو صلاة الجمعة الظاهر أن المراد بلفظ الجمعة: صلاة الجمعة، وجائز أن يكون المراد يوم الجمعة وقد نزلت الجمعة جملة واحدة سنة ست من الهجرة.

كل من لم يحضر حياة رسول الله ﷺ من العرب والعجم.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : أي كون الصحابة حازوا فضل السبق هذا فضل يؤتيه من يشاء فلا اعتراض ولكن الرضا وسؤال الله من فضله فإنه ذو فضل عظيم.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ يخبر تعالى عن نفسه أنه يسبحه بمعنى ينزهه عن كل ما لايليق بجلاله وكماله من سائر مظاهر العجز والنقص ويقدسه كذلك وذلك بلسان الحال والقال وهذا كقوله من سورة الإسراء وان من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم. ومع هذا شرع لنا ذكره وتسبيحه وتعبدنا به، وجعله عونا لنا على تحمل المشاق واجتياز الصعاب فكم أرشد رسوله له في مثل قوله: سبح اسم ربك، وسبحه بكرة وأصيلا، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً. وواعد على لسانه رسوله بالجزاء العظيم على التسبيح في مثل قوله ﷺ «من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» ورغب فيه في مثل قوله: «كلمتان ثقيلتان في الميزان خفيفتان على اللسان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وقوله ﴿الملك القدوس﴾ أي المالك الحاكم المتصرف في سائر خلقه لا حكم إلا له. ومرد الأمور كلها إليه المنزه عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله من سائر النقائص والحوادث.

وقوله تعالى ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي كل خلقه ينزهه ويقدسه وهو العزيز الغالب على أمره الذي لا يُحال بينه وبين مراده الحكيم في صنعه وتدبيره لأوليائه وفي ملكه وملكوته. وقوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الاميين[1] رسولا منهم[2]﴾ أي بعث في الأمة العربية الأمية رسولا منهم هو محمد ﷺ إذ هو عربي قرشي هاشمي معروف النسب الي جده الأعلى عدنان من ولد اسماعيل بن إبراهيم الخليل.

وقوله : ﴿يتلو عليهم آياته﴾ أي آيات الله التى تضمنها كتابه القرآن الكريم وذلك لهدايتهم وإصلاحهم، وقوله ويزكيهم أي ويطهرهم أرواحاً وأخلاقاً وأجساماً من كل ما يدنس الجسم

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لأنهم لم يكونوا أهل كتاب وكونه ﷺ أمياً ومن أمة أمية هو دليل معجزته وصدق نبوته.

(٢) (رسولاً منهم) قال ابن اسحق: ما من حي من أحياء العرب إلا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة وقد ولدوه إلا حي تغلب فإن الله تعالى طهّر نبيه ﷺ منهم لنصرانيتهم، فلم يجعل لهم عليه ولادة.

ويدنس النفس ويفسد الخلق. وقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة. أي يعلمهم الكتاب الكريم يعلمهم معانيه وما حواه من شرائع وأحكام، ويعلمهم[1] الحكمة في كل أمورهم والإصابة والسداد في كل شؤونهم، يفقههم في أسرار الشرع وحكمه في أحكامه. وقوله ﴿وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ أي والحال والشأن أنهم كانوا من قبل بعثته فيهم لفى ضلال مبين ضلال في العقائد ضلال في الآداب والاخلاق ضلال في الحكم والقضاء في السياسة، وادارة الأمور العامة والخاصة.

وقوله تعالى: وآخرين منهم[2] لما يلحقوا بهم أي وآخرين من العرب والعجم جاءوا من بعدهم وهم التابعون وتابعوا التابعين[3] الى يوم القيامة آمنوا وتعلموا الكتاب والحكمة التى ورثها رسول الله فيهم لما يلحقوا بهم في الفضل لأنهم فازوا بالسبق إلى الإيمان وبصحبة رسول الله ﷺ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيـد.

٢ـ تقرير النبوة المحمدية.

٣ـ بيان فضل الصحابة على غيرهم.

٤ـ شرف الإيمان والمتابعة للرسول وأصحابه رضي الله عنهم.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن

(١) قال مالك بن أنس: الحكمة الفقه في الدين.

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فانزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً قال: وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء نعم فقد دخلت فارس في الإسلام بعد الفتح العمري وآمن رجال فوفوا وكانوا من أفاضل الرجال وصدق رسول الله ﷺ إلا أن الحزب الوطني الذي تكون في الظلام للانتقام من الإسلام فعل العجب في إفساد أمة الإسلام ومن ذلك ضرب الأمة بالمذهب الرافضي الذي فرق المسلمين ودمرهم أيما تدمير.

(٣) من العرب وغيرهم من سائر العجم كبعض الفرس والروم والبربر والسودان والترك والمغول والأكراد والصين والهنود وغيرهم وفي هذا معجزة قرآنية إذ صدق قوله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) وقد لحقوا فآمنوا وتعلموا وزكوا.

دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ
أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

حملوا التوراة : أي كلفوا بالعمل بها عقائد وعبادات وقضاء وآداباً وأخلاقاً

ثم لم يحملوها : أي لم يعملوا بما فيها، ومن ذلك نعته ﷺ والأمر بالإيمان فجحدوا نعته وحرفوه ولم يؤمنوا به وحاربوه.

بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله : أي المصدقة للنبي محمد ﷺ هذا المثل الذي ضربه الله لليهود هو كمثل الحمار يحمل أسفاراً أي كتباً من العلم وهو لا يدرى ما فيها.

قل يا أيها الذين هادوا : أي اليهود المتدينون باليهودية.

إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس : أي وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأن الجنة خاصة بكم.

فتمنوا الموت إن كنتم صادقين : أي ان كنتم صادقين في أنكم أولياء الله فتمنوا الموت مؤثرين الآخرة على الدنيا ومبدأ الآخرة الموت فتمنوه إذاً.

بما قدمت أيديهم : أي بسبب ما قدموه من الكفر والتكذيب بالنبي ﷺ لا يتمنون.

والله عليم بالظالمين : أي المشركين ولازم علمه بهم أنه يجزيهم بظلمهم العذاب الأليم.

تفرون منه : أي لأنكم لا تتمنونه أبداً وذلك عين الفرار منه.

فإنه ملاقيكم : أي حيثما اتجهتم فإنه ملاقيكم وجهاً لوجه.

ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة : أي الى الله تعالى يوم القيامة.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ أي كلفوا بالعمل بها من اليهود والنصارى ثم لم يحملوها أي ثم لم يعملوا بما فيها من أحكام وشرائع ومن ذلك جحدهم لنعوت النبي محمد ﷺ والأمر بالإيمان به واتباعه عند ظهوره. وقوله تعالى : ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[1] أي كمثل حمار يحمل على ظهره أسفاراً من كتب العلم النافع وهو لا يعقل ما يحمل ولا يدرى ماذا على ظهره من الخير، وذلك لأنه لا يقرأ ولا يفهم[2]. وقوله تعالى ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ أي المصدقة للنبي محمد ﷺ هذا المثل الذي ضربه تعالى لأهل الكتاب من يهود ونصارى. وقوله والله لا يهدى القوم الظالمين، ولهذا ما هداهم إلى الإسلام. لتوغلهم في الظلم والكفر والشر والفساد لم يكونوا أهلاً لهداية الله تعالى.

وقوله تعالى : ﴿قل ياأيها الذين هادوا﴾ أي قل يارسولنا يا أيها الذين هادوا أي يا من هم يدَّعون أنهم على الملة اليهودية، إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس حيث ادعيتم انكم أبناء الله وأحباؤه، وأن الجنة لكم دون غيركم الى غير ذلك من دعاويكم فتمنوا الموت[3] إن كنتم صادقين في دعاويكم إذ الموت طريق الدار الآخرة فتمنوه لتموتوا فتستريحوامن كروب الدنيا وأتعابها.

وقوله تعالى : ﴿ولا يتمنونه أبداً﴾ أخبر تعالى وهو العليم أنهم لا يتمنونه في يوم من الأيام أبداً، وبيّن تعالى علة ذلك بقوله : بما قدمت أيديهم من الذنوب والآثام الموجبة للعذاب. وقوله ﴿والله عليم بالظالمين﴾ أي من أمثال هؤلاء اليهود وسيجزيهم بظلمهم عذاب الجحيم. وقوله تعالى : ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه﴾[4] أي قل لهم يارسولنا إن الموت الذي تفرون منه ولا تتمنونه فراراً وخوفاً

---

(١) قال بعض أهل العلم : أبطل الله ادعاء اليهود في ثلاث آيات من هذه السورة افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم بقوله : (فتمنوا الموت) وبأنهم أهل كتاب فشبههم بالحمار يحمل أسفاراً، وبالسبت فشرع الله للمسلمين الجمعة فلم يبق لهم ما يفخرون به على المسلمين.

(٢) أنشد بعضهم عائباً بعض من يحمل رواية الحديث وهو لا يفهم المراد منها:

إن الرواة على جهل بما حملوا ... مثل الجمال عليها يحمل الودع

لا الودع ينفعه حمل الجمال له ... ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

الودع والواحدة ودعة مناقيف صغار تخرج من قاع البحر.

(٣) الأمر فى قوله تعالى : (فتمنوا الموت) للتعجيز فلذا لم يفعلوا ولو فعلوا لما بقيت فيهم عين تطرف؛ لأنهم كاذبون.

(٤) جملة ﴿الذي تفرون منه﴾ صفة للموت، وفيه إشارة إلى خطإهم في الهلع والخوف من الموت ولا تعارض بين هذه الآية وهي تدعو إلى تمني الموت، وبين النهي عنه في الحديث الصحيح : (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به) لأن طلب التمني من اليهود كان لتحديهم، والنهي عن تمني الموت كان بسبب الجزع من الضر حيث يجب الصبر لما في المرض من تكفير الذنوب، وفي الحديث: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) وهذا الحديث يفسِّر ما تقدم فإن العبد الصالح إذا كان في سياقات الموت يحب الموت للقاء الله تعالى، والعبد غير الصالح يكره لقاء الله كراهية اليهود لما يعلم من ذنوبه وعظيم آثامه فهو يخاف الموت لذلك.

منه فإنه ملاقيكم[1] لا محالة حيثما كنتم سوف يواجهكم وجهاً لوجه ثم تُردون إلى عالم الغيب والشهادة وهو الله تعالى الذي يعلم ما غاب في السماء والأرض، ويعلم ما يسر عباده، وما يعلنون وما يظهرون وما يخفون فينبئكم بما كنتم تعملون ويجزيكم الجزاء العادل إنه عليم حكيم.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ ذم من يحفظ كتاب الله ولم يعمل بما فيه.

٢ـ التنديد بالظلم والظالمين.

٣ـ بيان كذِب اليهود وتدجيلهم في أنهم أولياء الله وأن الجنة خالصة لهم.

٤ـ بيان أن ذوى الجرائم أكثر الناس خوفاً من الموت وفراراً منه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ
فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ
﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ
مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

شـرح الكـلمات :

إذا نودى للصلاة : أي إذا أذن المؤذن لها عند جلوس الإمام على المنبر.

من يوم الجمعة : أي في يوم الجمعة وذلك بعد الزوال.

فاسعوا الى ذكر الله : أي امضوا الى الصـلاة.

وذروا البيع : أي اتركوه، وإذا لم يكن بيع لم يكن شراء.

---

(١) من أحسن ما قيل في الوعظ بالموت قول طرفة:

وكفى بالموت فاعلم واعظاً ... لمن الموت عليه قد قدر
فاذكر الموت وحاذر تركه ... إن في الموت لذي اللب عبر
كل شيء سوف يلقى حتفه ... في مقام أو على ظهر سفر
والمنايا حوله ترصده ... ليس ينجيه من الموت حذر

وقال زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلّم

وابتغوا من فضل الله : أي اطلبوا الرزق من الله تعالى بالسعى والعمل.

تفلحـون : أي تنجون من النار وتدخلون الجنة.

انفضـوا إليها : أي إلى التجارة.

وتركوك قائماً : أي على المنبر تخطب يوم الجمعة.

ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة : أي ما عند الله من الثواب في الدار الآخرة خير من اللهو ومن التجارة.

والله خير الرازقين : أي فاطلبوا الرزق منه بطاعة واتباع هداه.

معنى الآيـات

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله ﴿إذا نودى للصلاة[1] من يوم الجمعـة[2]﴾ أي إذا أذن المؤذن بعـد زوال يوم الجمعة وجلس الإمام على المنبر ﴿فاسعوا[3] إلى ذكر الله[4]﴾ أي امضوا إلى ذكر الله الذي هو الصلاة والخطبة إذ بهما يُذكر الله تعالى. وقوله ﴿وذروا البيع[5]﴾ إذ هو الغالب من أعمال الناس، والا فسائر الأعمال يجب إيقافها والمضيّ إلى الصلاة.

وقوله ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي ترك الأعمال من بيع وشراء وغيرها والمضيّ إلى أداء صلاة الجمعة وسماع الخطبة خير ثوابا وعاقبة.

وقوله تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي أديت وفرغ منها فانتشروا في الأرض أي لكم بعد انقضاء الصلاة أن تتفرقوا حيث شئتم في أعمال الدين والدنيا. تبتغون من فضل الله، ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ أي أثناء تفرقكم وانتشاركم في أعمالكم اذكروا الله ولا تنسوه واذكروه ذكراً كثيراً لعلكم تفلحون أي رجاء فلاحكم وفوزكم في دنياكم وآخرتكم.

---

(١) المراد من النداء: الأذان الذي يكون فيه الإمام على المنبر إذ كان الأذان واحداً حتى زاد عثمان رضي الله عنه ثانياً حين كثر الناس بالمدينة.

(٢) لفظ الجمعة: بضم كل من الجيم والميم، وبتسكين الميم، والجمع: جمع كغرفة وغرف وجمعات كغرفات وكان يومها يسمى العروبة بفتح العين وقيل أول من سماها الجمعة كعب بن لؤي وقيل: الأنصار، وأول جمعة صليت في الإسلام هي الجمعة التي جمع فيها أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير أهل المدينة وصلوها وكانوا اثنى عشر رجلا: وأول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة هي جمعته في بني سالم بن عوف وهو في طريقه من قباء إلى المدينة، وأول جمعة بعدها كانت بجواثي: قرية من قرى البحرين.

(٣) ليس المراد بالسعي الجري واشتداد العدو وإنما هو المشي والمضي لحديث الصحيح: (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن أئتوها وعليكم السكينة) ومن إطلاق السعي والمراد المضي والعمل لا غير قول الشاعر:

أسعي على جل بني مالك   كل امرىء في شأنه ساعي

وفي القرآن: (من أراد الآخرة وسعى لها سعيها).

(٤) ذكر الله: الصلاة والخطبة قبلها.

(٥) لا خلاف في حرمة البيع والشراء عند الأذان الثاني.

وقوله تعالى : ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾ هذه الآية نزلت في شأن قافلة زيت كان صاحبها دحية بن خليفة الكلبي الأنصاري رضى الله عنه قدمت من الشام ، وكان عادة أهل المدينة إذا جاءت قافلة تجارية تحمل الميرة يستقبلونها بشيء من اللهو كضرب الطبول والمزامير. وصادف قدوم القافلة يوم الجمعة والناس في المسجد، فلما انقضت الصلاة وطلع رسول الله ﷺ على المنبر يخطب، وكانت الخطبة بعد الصلاة لا قبلها كما هي بعد ذلك فخرج الناس يتسللون حتى لم يبق مع الرسول ﷺ الا اثنا عشر رجلاً وامرأة فنزلت هذه الآية تعيب عليهم خروجهم وتركهم نبيهم يخطب. فقال تعالى في صورة عتاب شديد ﴿وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا اليها﴾ أي خرجوا إليها ﴿وتركوك﴾ يا رسولنا قائما على المنبر تخطب. وقوله تعالى : ﴿قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة﴾ أي أعلمهم يا نبينا أن ما عند الله من ثواب الآخرة خير من اللهو والتجارة التي خرجتم إليها، ﴿والله خير الرازقين﴾ فاطلبوا الرزق منه بطاعته وطاعة رسوله ولا يتكرر منكم مثل هذا الصنيع الشين. وإلا فقد تتعرضون لعذاب عاجل غير آجل.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب صلاة الجمعة ووجوب[1] المضى اليها عند النداء الثاني الذي يكون والامام على المنبر.

٢ـ حرمة البيع والشراء وسائر العقود إذا شرع المؤذن يؤذن الاذان الثاني.

٣ـ الترغيب في ذكر الله والإكثار منه والمرء يبيع ويشترى ويعمل ويصنع ولسانه ذاكر.

٤ـ ينبغي أن لا يقل المصلون الذين تصح صلاة الجمعة بهم عن اثنى عشر رجلاً أخذاً من حادثة انفضاض الناس عن الرسول ﷺ وهو يخطب الى القافلة حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً.

(١) ورد في فضل الجمعة والغسل لها قوله ﷺ (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه) وقوله: (الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما ما لم تغش الكبائر) (مسلم) وقوله : (غسل الجمعة واجب على كل محتلم) (في الصحيح).

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

مدنيـة وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾
ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ
وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

إذا جاءك المنافقون : أي حضر مجلسك المنافقون كعبدالله بن أبي وأصحابه.

قالوا نشهد إنك لرسول الله : أي قالوا بألسنتهم ذلك وقلوبهم على خلافه.

والله يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون : أي والله يعلم أن المنافقين لكاذبون أي بما أضمروه من أنك غير رسول الله.

اتخذوا ايمانهم جنة : أي سترة ستروا بها أموالهم وحقنوا بها دماءهم.

فصدوا عن سبيل الله : أي فصدوا بها عن سبيل الله أي الجهاد فيهم.

إنهم ساء ما كانوا يعملون : أي قبح ما كانوا يعملونه من النفاق.

ذلـك : أي سوء عملهم.

بأنهم آمنوا ثم كفروا : أي آمنوا بألسنتهم، ثم كفروا بقلوبهم أي استمروا على ذلك.

فطبع على قلوبهم : أي ختم عليها بالكفر.

فهم لا يفقهون	: أي الإيمان أي لا يعرفون معناه ولا صحته.
تعجبك أجسامهم	: أي لجمالها إذ كان ابن أبي جسيما صحيحاً وصبيحاً ذلق اللسان.
وإن يقولوا تسمع لقولهم	: أي لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم.
كأنهم خشب مسندة	: أي كأنهم من عظم أجسامهم وترك التفهم وعدم الفهم خشب مسندة أي أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام.
يحسبون كل صيحة عليهم	: أي يظنون كل صوت عال يسمعونه كنداء في عسكر أو إنشاد ضالة عليهم وذلك لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم.
هم العدو فاحذرهم	: أي العدو التام العداوة فاحذرهم أن يفشوا سرك أو يريدوك بسوء.
قاتلهم الله أنى يؤفكون	: أي لعنهم الله كيف يصرفون عن الإيمان وهم يشاهدون أنواره وبراهينه.

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ لنزول هذه السورة سبب هو أن زيد[(١)] بن أرقم رضي الله عنه قال كنت مع عمي فسمعت عبدالله بن أبيٌّ بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأرسل رسولاً إلى ابن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني فأصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل إذا جاءك المنافقون الى قوله الأعز منها الأذل فأرسل الى رسول الله ﷺ ثم قال إن الله قد صدقك.

قوله إذا جاءك المنافقون أي إذا حضر مجلسك المنافقون عبدالله بن أبي ورفاقه قالوا نشهد إنك لرسول الله وذلك بألسنتهم دون قلوبهم. قال تعالى: ﴿والله يعلم[(٢)] إنك لرسوله﴾ سواء شهد بذلك المنافقون أو لم يشهدوا. والله يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون في شهادتهم لعدم مطابقة قولهم لاعتقادهم. اتخذوا أيمانهم جنة أي جعلوا من أيمانهم الكاذبة جنة كجنة المقاتل يسترون

(١) رواه البخاري في صحيحه والترمذي وغيرهما كانت هذه الحادثة في غزوة بني المصطلق سنة خمس من الهجرة.

(٢) جملة معترضة بين الجملتين المتعاطفتين وفائدة هذا الاعتراض دفع ما قد يتوهمه من يسمع جملة: (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) أنه تكذيب لجملة (إنك لرسول الله).

بها كما يستتر المحارب بجنته فوق رأسه، فهم بأيمانهم الكاذبة أنهم مؤمنون وقوا بها أنفسهم وأزواجهم وذرياتهم من القتل والسبي، وبذلك صدوا عن سبيل الله[(١)] أنفسهم وصدوا غيرهم ممن يقتدون بهم وصدوا المؤمنين عن جهادهم بما أظهروه من إيمان صورى كاذب. قال تعالى: ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾[(٢)] يذم تعالى حالهم ويقبح سلوكهم ذلك وهو اتخاذ أيمانهم جنة وصدهم عن سبيل الله وقوله تعالى الآية رقم ٣ ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم﴾[(٣)] أي سوء عملهم وقبح سلوكهم ناتج عن كونهم آمنوا ثم شكوا أو ارتابوا فنافقوا وترتب على ذلك أيضاً الطبع على قلوبهم فهم لذلك لا يفقهون معنى الايمان ولا صحته من بطلانه وهذا شأن من توغل في الكفر أن يختم على قلبه فلا يجد الإيمان طريقاً الى قلب قد أقفل عليه بطابع الكفر وخاتم النفاق والشك والشرك.

وقوله تعالى في الآية (٤) ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾[(٤)] أي وإذا رأيت يا رسولنا هؤلاء المنافقين ونظرت إليهم تعجبك أجسامهم لجمالها إذ كان ابن أبي جسيما صبيحاً وإن يقولوا تسمع لقولهم وذلك لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم. وقوله تعالى: ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ وهو تشبيه رائع: انهم لطول أجسامهم وجمالها وعدم فهمهم وقلة الخير فيهم كأنهم خشب مسندة على جدار لا تشفع ولا تنفع كما يقال.

وقوله تعالى: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ وذلك لخوفهم والرعب المتمكن من نفوسهم نتيجة ما يضمرون من كفر وعداء وبغض للإسلام وأهله فهم إذا سمعوا صيحة في معسكر أو صوت منشد ضاله يتوقعون أنهم معنيون بذلك شأن الخائن وأكثر ما يخافون أن ينزل القرآن بفضيحتهم وهتك أستارهم. قال تعالى هم[(٥)] العدو فاحذرهم يارسولنا إن قلوبهم مع أعدائك فهم يتربصون بك الدوائر.

قال تعالى: ﴿قاتلهم الله أني يؤفكون﴾ فسجل عليهم لعنة لا تفارقهم إلى يوم القيامة كيف يصرفون عن الحق وأنواره تغمرهم القرآن ينزل والرسول يعلم ويزكى وآثار ذلك في المؤمنين

(١) الفاء للتفريع فجملة (فصدوا عن سبيل الله) متفرعة عن جملة (اتخذوا أيمانهم جنة).
(٢) الجملة تذييلية من أجل تفظيع حالهم، والتنديد بسوء سلوكهم.
(٣) الإشارة إلى قوله: (إنهم ساء ما كانوا يعملون).
(٤) هذه الجملة معطوفة على سابقتها وهي (فهم لا يفقهون) وهي واقعة موقع الاحتراس والتتميم لدفع إيهام من يغره ظاهر صورهم وأشكالهم كما في قول حسان رضي الله عنه.:

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ   جسم البغال وأحلام العصافير

(٥) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً إذ قوله تعالى: (يحسبون كل صيحة عليهم) يثير تساؤلات فأجيب السائل المتطلع بقوله تعالى: (هم العدو فاحذرهم) ونفسيتهم المريضة هي التي جعلتهم يحسبون كل صيحة عليهم كما قال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدّق ما يعتاده من توهم

ظاهرة في آرائهم وأخلاقهم. ولم يشاهدوا شيئاً من ذلك والعياذ بالله من عمى القلوب وانطماس البصائر.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان أن الكذب ما خالف الاعتقاد وإن طابق الواقع.

٢ـ التحذير من الاستمرار على المعصية فإنه يوجب الطبع على القلب ويُحرم صاحبه الهداية.

٣ـ التحذير من الاغترار بالمظاهر كحسن الهندام وفصاحة اللسان.

٤ـ الكشف عن نفسية الخائن والظالم والمجرم وهو الخوف والتخوف من كل صوت أو كلمة خشية أن يكون ذلك بيانا لحالهم وكشفاً لجرائمهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ
خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ
مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

شـرح الكلمـات :

وإذا قيل لهم تعالوا	: أي معتذرين.
لووا رؤوسهم	: أي رفضوا الاعتذار الى رسول الله ﷺ.
ورأيتهم يصدون	: أي يعرضون عما دعوا إليه وهم مستكبرون.

سواء عليهم استغفرت لهم : أي يارسولنا.

أم لم تستغفر لهم :

لن يغفر الله لهم : أي إيأس من مغفرة الله لهم.

إن الله لا يهدى القوم الفاسقين : أي لأن من سنة الله انه لا يهدى القوم الفاسقين المتوغلين في الفسق عن طاعة الرب تعالى وهم كذلك.

يقولـون : أي لأهـل المدينة.

لا تنفقوا على من عند رسول الله : أي من المهاجـرين.

حتى ينفضوا : أي يتفرقـوا عنه.

لئن رجعنا إلى المدينة : أي من غزوة كانوا فيها هى غزوة بنى المصطلق.

ليخرجن الاعز منهـا الأذل : يعنون بالأعز أنفسهم، وبالأذل المؤمنين.

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين : أي الغلبة والعلو والظهور.

معنى الآيـات

ما زال السياق الكريم في الحديث عن المنافقين فقوله تعالى في الآية (٥) ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ وذلك عندما قال ابن أُبى ما قال من كلمات خبيثة منها قوله فى المهاجرين: سمن كلبك يأكلك. وقوله لصاحبه: لا تنفقوا على المهاجرين حتى يتفرقوا عن محمد ﷺ، وقوله مهدداً لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز يعنى نفسه ورفاقه المنافقين الأذل يعنى الأنصار والمهاجرين. فلما قال هذا كله وأكثره في غزوة بنى[1] المصطلق وأخبر به رسول الله ﷺ فجاء فحلف بالله ما قال شيئاً من ذلك أبداً وذهب فنزلت هذه السورة الكريمة تكذبه. ولما نزلت هذه السورة بفضيحته جاءه من قال له: يا أبا الحباب «كنية ابن أبي» إنه قد نزل فيك آى شِداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه أي عطفه إلى جهة غير جهة من يخاطبه وقال: أمرتموني أن أؤمن فآمنت وأمرتمونى أن أعطى زكاة مالى فأعطيت فما بقى إلا أن أسجد لمحمد ﷺ فنزلت هذه الآيات الثلاث وإذا قيل لهم تعالوا أي معتذرين يستغفر لكم رسول الله. لووا رؤوسهم أي رفضوا العرض ورأيتهم يصدون عنك وهم مستكبرون والمراد بهم ابن أبي عليه لعائن الله قال تعالى لرسوله: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فأيأس رسوله من المغفرة لهم، وعلل تعالى ذلك بقوله: إن الله لا يهدى القوم الفاسقين[2]

---

(١) سبب نزول هذه السورة والآيات منها أن النبي ﷺ (غزا بني المصطلق على ماء يقال له (المريسيع) من ناحية قديد إلى الساحل فازدحم أجير لعمر يقال له: جهجاه مع حليف لابن أبي يقال له: سنان على ماء بالمشلل فصرخ جهجاه بالمهاجرين وصرخ سنان بالأنصار فجاء ابن أبي وقال كلماته الخبيثة التي هي في التفسير. ونزلت السورة.

(٢) وهم كل من سبق في علم الله أنه لا يتوب لما أحاط به من الذنوب.

وابن أبي من أكثر الفاسقين فسقاً! إذ جمع بين الكذب والحلف الكاذب والنفاق والشقاق والعداء والكبر والكفر الباطني وذكر تعالى قولات هذا المنافق واحدة بعد واحدة فقال هم الذين يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله أي قال لإخوانه لا تنفقوا على المهاجرين حتى يتفرقوا عن رسول الله ﷺ فقرعه رب العزة وأدبه ببيان فساد ذوقه ورأيه فقال تعالى: ﴿ولله خزائن[1] السموات والأرض﴾ فجميع الأرزاق بيده وهو الذي يرزق من يشاء والمنافق نفسه رزقه على الله فكيف يدعى انه إذا لم ينفق على من عند رسول الله يجوعون فيتفرقون يطلبون الرزق بعيداً عن محمد ﷺ. ولكن المنافقين لعماهم وظلمة نفوسهم ومرض قلوبهم لا يفقهون هذا ولا يفهمونه، ولذا قال رئيسهم كلمته الخبيثة. تلك كانت القولة الأولى. والثانية هي قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قالها في غزوة بني المصطلق وهي غزوة سببها أن رسول الله ﷺ أُعلم أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار وهو أبوجويريه زوج رسول الله ﷺ إحدى أمهات المؤمنين. فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فوقع القتال فهزم الله بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وأفاءها على المؤمنين، واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه جويرية بوصفها بنت سيد القوم إكراماً لها ثم عتقها وتزوجها فرأى المؤمنون أن ما بأيديهم من السبي لا ينبغى لهم وقد أصبحوا أصهار نبيهم فعتقوا كل ما بأيديهم فقالت عائشة رضى الله عنها ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جوبرية بنت الحارث فقد أعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بنى المصطلق.

في هذه الغزاة قال ابن أبي قولته الخبيثة وذلك أن رجلين[2] انصارياً ومهاجراً تلاحيا على الماء[3] فكسع[4] المهاجر الانصارى برجله فصاح ابن أبي قائلا عليكم صاحبكم، ثم قال: والله ما مثلنا ومحمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وغاب عن ذهن هذا المنافق أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين أي الغلبة والظهور والعلو لا للمنافقين والمشركين الكافرين ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك ولا غيره لعمى بصائرهم ولما

---

(١) (الخزائن) جمع خزانة وهي البيت الذي يخزن فيه الطعام. روى الترمذي أن عمر رضي الله عنه قال للرسول ﷺ إشفاقاً عليه ورحمة به: ما كلّفك الله يا رسول الله مالا تقدر عليه، عندما قال لرجل سأله عطاء ابتع علي فإذا جاء شيء قضيته فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا فتبسم رسول الله ﷺ وعرف في وجهه البشر وقال: بهذا أمرت).

(٢) تقدم ذكر اسميهما وهما: جهجاه، وسنان.

(٣) تقدم أن هذا الماء كان بالمشلَل.

(٤) كسعه: ضربه في دبره.

بلغ الغزاة المدينة وقف عبدالله بن عبدالله بن أبي في عرض الطريق واستل سيفه فلما جاء أبوه يمر قال له والله لا تمر حتى تقول: محمد الأعز وأنا الأذل، فلم يبرح حتى قالها: وكان ولده مؤمناً صادقاً من خيرة الأنصار.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ لا ينفع الاستغفار للكافر ولا الصلاة عليه بحال.

٢ـ ذمّ الإعراض والاستكبار عن التوبة والاستغفار. فمن قيل له استغفر الله فليستغفر ولا يتكبر بل عليه أن يقول: استغفر الله أو اللهم اغفر لي.

٣ـ مصادر الرزق كلها بيد الله تعالى فليطلب الرزق بطاعة الله ورسوله لا بمعصيتهما.

٤ـ العزة الحقة لله ولرسوله وللمؤمنين، فلذا يجب على المؤمن أن لا يذل ولا يهون لكافر.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن
يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

شـرح الكلمات :

لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم : أي لا تشغلكم.

عن ذكر الله : كالصلاة والحج وقراءة القرآن وذكر الله بالقلب واللسان.

ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون: أي ومن ألهته أمواله وأولاده عن أداء الفرائض فترك الصلاة أو الحج وغيرهما من الفرائض فقد خسر ثواب الآخرة.

وأنفقوا مما رزقكم الله : أي النفقة الواجبة كالزكاة وفي الجهاد والمستحبة.

لولا أخرتني : أي هلا أخرتني يطلب التأخير ولا يقبل منه.
فأصّـدق وأكن من الصالحين : أي حتى أزكى وأحج وأكثر من النوافل والأعمال الصالحة.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾[1] نادى تعالى المؤمنين لينصح لهم أن لا تكون حالهم كحال المنافقين الذين تقدم في السياق تأديبهم فقال لهم يا من آمنتم بالله ورسوله : لا تلهكم[2] أموالكم ولا أولادكم أي لا تشغلكم عن[3] ذكر الله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه والإكثار من طاعته والتقرب إليه بأنواع القرب. ثم خوفهم نصحاً لهم بقوله: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي بأن ألهته أمواله وأولاده عن عبادة الله فأولئك البعداء هم الخاسرون يوم القيامة بحرمانهم من الجنة ونعيمها ووجودهم في دار العـذاب لا أهل لهم فيها ولا ولد. وبالغ عز وجل في إرشادهم فقال: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾[4] مبادرين الأجل فإنكم لا تدرون متى تموتون. من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول متمنياً طالباً حاثاً في طلبه: ربّ أي يارب لولا أخرتني إلى أجل قريب أي إلى وقت قريب من هذا فأصدق[5] بمالي، وأكن من الصالحين فأحج وأتقرب إليك يارب بما تحب من أنواع القربات والطاعات ولكن لا ينفعه التمني ولا الطلب والدعاء، لأن حكم الله الأزلي أنه تعالى لن يؤخر نفساً[6] أي نفس إذا جاء أجلها أي إذا حضر وقت وفاتها وقوله تعالى: ﴿والله خبير بما تعملون﴾ يحض المؤمنين على إصلاح أعمالهم والتزود لآخرتهم بإعلامهم بأنه مطلع على أعمالهم خبير بها.

---

(١) قد تكون المناسبة بين هذه الآية وما سبقها هي قول المنافقين: (لا تنفقوا على من عند رسول الله) فحذر تعالى المؤمنين من التأثر بالنظرية المادية التي يحملها ابن أبيّ وصرخ بها، ودعاهم إلى الإنفاق في سبيل الله قبل فوات الأوان بالموت أو الفقر وقلة ما ينفقون.

(٢) (لا) هي النافية اشربت معنى النهي فجزمت المضارع وفي الآية دليل على أن ما لا يشغل عن ذكر الله من مال وولد لا إثم فيه.

(٣) ذكر الله هنا مستعمل في الحقيقة والكناية فيشمل الذكر باللسان وهو فعل سائر الطاعات، والذكر بالقلب: وهو التذكر الموجب للطاعة.

(٤) قال القرطبي: في الآية دليل على وجوب تعجيل أداء الزكاة ولا يجوز تأخيرها أصلا وكذلك سائر العبادات إذا تعيّن وقتها. وهو كما قال رحمه الله تعالى.

(٥) المضارع منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية الواقعة في جواب الطلب، وجزم (أكن) لأنه في جواب الطلب مباشرة فلم تسبقه الفاء حتى يتعين نصبه بأن المضمرة.

(٦) (نفساً) نكرة في سياق النفي وهو (ولن يؤخر) تعم كل نفس، والمراد من النفس الروح وقيل فيها: نفس أخذاً من النفس وهو الهواء الذي يخرج من الأنف والفم من كل حيوان ذي رئة وسميت روحاً أخذاً من الروح بفتح الراء لأن الروح به، والروح: الراحة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- حرمة التشاغل بالمال والولد مع تضييع بعض الفرائض والواجبات.

٢- حرمة تأخير الحج مع القدرة على أدائه تسويفاً وتماطلاً مع الإيمان بفرضيته.

٣- وجوب الزكاة والترغيب في الصدقات الخاصة كصدقة الجهاد والعامة على الفقراء والمساكين.

٤- تقرير عقيدة البعث والجـزاء.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مكية الا آخرها فمدني وآياتها ثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ
وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

شـرح الكلمات :

يسبح لله : أي ينزه الله ويقدسه عن كل مالا يليق بجلاله وكماله.

ما في السموات وما في الأرض : أي من سائر المخلوقات بلسان الحال والقال.

له الملك وله الحمد : أي له دون غيره الملك الدائم الحق وله الحمد العام.

وهو على كل شيء قدير : أي هو ذو قدرة كاملة على فعل ما أراد ويريد.

فمنكم كافر ومنكم مؤمن : أي فبعضكم مؤمن موقن بربه ولقائه وبعضكم كافر جاحد دُهري، والواقع شاهد.

وصوركم فأحسن صوركم : أي صوركم في الأرحام فأحسن صوركم.

وإليه المصير : أي المرجع يوم القيامة.

والله عليم بذات الصدور : أي بما في الصدور من الضمائر والسرائر.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يسبح لله ما في[1] السماوات وما في الأرض﴾ يخبر تعالى معلماً عباده بربوبيته الموجبة لعبادته وطاعته وطاعة رسوله بأنه يسبحه جميع خلائقه في الملكوت الأعلى والأسفل وقوله ﴿له[2] الملك وله الحمد﴾ أي أنه له الملك وهو الملك الحق وأنه له الحمد وهو الثناء الجميل ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ أي وأنه على فعل كل شيء قدير لا يعجزه شيء ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ أي وأنه خالق الكل فمن عباده المؤمن به ومنهم الكافر كما هو الواقع. وأنه بما يعمل عباده من خير أو شر من حسنات أو سيئات خبير أي مطلع وسيجزى الكل بأعمالهم حسنها وسيئها، وأنه خلق السموات والأرض[3] بالحق لا للهو ولا اللعب ولا للعبث بل بالحق وهو أن يذكر ويشكر من عباده وأنه صور العباد في الأرحام فأحسن صورهم وجملها، فهى أجمل المخلوقات الأرضية على الإطلاق، وانه إليه لا إلى غيره المرجع يوم القيامة فيحاسب ويجزى وهو الحكم العدل العزيز الحكيم. وانه تعالى يعلم ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات والحوادث والأحداث، وانه يعلم ما يُسر عباده من أعمال وأقوال ونيات، وما يعلنون من ذلك. وأنه عليم بذات الصدور أي ما فيها من أسرار وخواطر ونيات وارادات.

أخبر[4] عباده بهذا ليؤمنوا به ويعبدوه دون غيره فيكملون ويسعدون بعبادته فله الحمد وله المنة وهو الرحمن الرحيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تعليم الله تعالى عباده وتعريفهم بجلاله وكماله ليؤمنوا به ويعبدوه ليكملوا ويسعدوا في

---

(١) اللام في قوله: (له) مزيدة لتقوية الكلام إذ فعل سبّح يتعدى بنفسه يقال: سبحه: إذا نزهه وقال: (ما في السموات) ولم يقل: من تغليباً لغير العاقل لكثرته.

(٢) (له الملك): تقديم الخبر على المبتدأ هنا للدلالة على الاختصاص فهو تعالى مختص بكل من الملك والحمد.

(٣) الباء في (بالحق) للملابسة أي خلقاً ملتبساً بالحق بعيدا عن اللهو، واللعب والباطل.

(٤) في الآيات تقرير البعث وإمكانه بحجج عقلية لا تردها العقول الراجحة والفطر السليمة.

الحياتين بالإيمان به وبطاعته وطاعة رسوله.

٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ المؤمن مؤمن، والكافر كافر مكتوب ذلك في كتاب المقادير، ثم يظهره تعالى فى عالم الشهادة قائما على سننه في خلقه.

٣- وجوب مراقبة الله تعالى والحياء منه لأنه عليم بذات الصدور.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾

شرح الكلمات:

ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل : أي ألم يأتكم يا كفار قريش خبر الذين كفروا من قبلكم.

فذاقوا وبال أمرهم : أي عقوبة كفرهم في الدنيا.

ولهم عذاب أليم : أي في الآخرة.

ذلك : أي العذاب في الدنيا والآخرة.

بأنه كانت تأتيهم رسلهم : أي بسبب أنها كانت تأتيهم رسلهم.

بالبينات : أي بالحجج القواطع الدالة على صحة رسالاتهم.

فقالوا: أبشر يهدوننا : أي ردوا عليهم ساخرين مكذبين: أبشر يهدوننا ؟

فكفروا وتولوا : أي فكفروا برسلهم وتولوا عنهم أي أعرضوا.

واستغنى الله : أي عن إيمانهم.

والله غني حميد : أي غنى عن خلقه محمود بأفعاله وآلائه على خلقه.

معنى الآيتين:

بعد أن بيَّن تعالى للناس مظاهر ربوبيته المقتضية لعلمه وقدرته وحكمته وعدله ورحمته في الآيات السابقة والموجبة لألوهيته قرر في هاتين الآيتين نبوة ورسالة نبيه محمد ﷺ فقال لكفار

مكة ﴿ألم يأتكم نبأ﴾[1] أي خبر ﴿الذين كفروا من قبل﴾[2] كقوم عادٍ وثمود وأصحاب مدين، ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾[3] أي عقوبة كفرهم التى كانت عقوبة ثقيلة شديدة فأهلكوا فى الدنيا بعذاب إبادى استئصالى، وفي الآخرة لهم عذاب أليم[4] وبين لهم سبب ذلك الهلاك والعذاب فقال: ﴿ذلك[5] بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالحجج والبراهين على أنهم رسل إليهم، وأنه لا إله إلا الله فلا تصح العبادة لغير الله، فيقابلونهم بالسخرية والإعراض والاستنكار وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿فقالوا أبشر[6] يهدوننا﴾ أي كيف يكون بشر مثلكم يهدوننا، وبذلك كفروا وتولوا عن الإيمان والإسلام. واستغنى الله عن إيمانهم فأهلكهم لما كفروا به وبرسله. ولم يأسفْ أو يَأْسَ عليهم لعدم حاجته إليهم والله غنى عنهم وعن سائر خلقه حميد أي محمود بأفعاله الشاهدة بكماله وجلاله وجماله.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ توبيخ من يستحق التوبيخ وتأنيب من يستحق التأنيب.

٢ـ التكذيب للرسل والكفر بتوحيد الله موجب للعقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

٣ـ تقرير نبوة رسول الله ﷺ وإثباتها لأن شأنه شأن الرسل من قبله.

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

---

(١) الاستفهام تقريري
(٢) حذف المضاف إليه مع (قبل) ونوي معناه دون لفظه فلذا بنيت قبل على الضم والتقدير: نبأ الذين كفروا من قبلكم.
(٣) الوبال: السوء، وما يكره، والأمر: الشأن والحال.
(٤) أي: في الآخرة لأنّ العطف يقتضي المغايرة.
(٥) الإشارة عائدة إلى المذكور قبلها وهو الوبال والعذاب الأليم.
(٦) الاستفهام في (أبشر) استفهام إنكاري إبطالي.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا : أي قالوا كاذبين إنهم لن يبعثوا أحياء من قبورهم.

قل بلى وربى لتبعثن : قل لهم يا رسولنا بلى لتبعثن ثم تنبئون بما عملتم.

وذلك على الله يسير : أي وبعثكم وحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم شيء يسير على الله.

والنور الذى أنزلنا : أي وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه.

ليوم الجمع : أي يوم القيامة إذ هو يوم الجمع.

ذلك يوم التغابن : أي يغبن المؤمنون الكافرين يأخذ منازل الكفار في الجنة واخذ الكفار منازل المؤمنين في النار.

ذلك الفوز العظيم : أي تكفيره تعالى عنهم سيئاتهم وإدخالهم جنات تجرى من تحتها الأنهار هو الفوز العظيم.

بئس المصير : أي قبح المصير الذي صاروا إليه وهو كونهم أهلاً للجحيم.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية قريش إنه بعد أن ذكرهم بمصير الكافرين من قبلهم وفي ذلك دعوة واضحة لهم إلى الإيمان بتوحيد الله وتصديق رسوله. دعاهم هنا إلى الإيمان بأعظم أصل من أصول الهداية البشرية وهو الإيمان بالبعث والجزاء وهم ينكرون ويجاحدون ويعاندون فيه فقال في أسلوب غير المواجهة بالخطاب زعم[1] الذين كفروا والزعم ادعاء باطل وقول إلى الكذب أقرب منه إلى الصدق. أن لن يبعثوا أي أنهم إذا ماتوا لن يبعثوا أحياء يوم القيامة. قل لهم يارسولنا: ﴿بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤنَّ بما عملتم﴾ ولازم ذلك الجزاء العادل على كل أعمالكم وهي أعمال فاسدة غير صالحة مقتضية للعذاب والخزي في جهنم ﴿وذلك على الله[2] يسير﴾ أي وأعلمهم أن بعثهم وتنبئهم بأعمالهم وإثابتهم عليها أمر سهل هين لا صعوبة فيه وبعد هذه

(١) هنا كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً المخاطب فيه رسول الله ﷺ يذكر فيه كفر المشركين بالبعث ويرد عليهم بتقرير مانفوه وزعموا أنه غير واقع، والزعم: القول الموسوم بمخالفة الواقع، ويطلق على الخبر المشكوك في وقوعه.

(٢) (وذلك على الله يسير): تذييل، واسم الإشارة عائد إلى البعث المفهوم من قوله: (لتبعثن).

اللفتة اللطيفة دعاهم دعوة كريمة إلى طريق سعادتهم ونجاتهم فقال عز وجل: ﴿فآمنوا بالله[1] ورسوله﴾ أي صدقوا بتوحيد الله وبنبوة رسوله وبالنور الذي أنزلنا وهو القرآن الكريم، واعملوا الصالحات وتباعدوا عن السيئات ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أي وسيجزيكم بأعمالكم. وذلك ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ وهو يوم القيامة ويجازيكم بأعمالكم خيرها وشرها ذلك يوم التغابن[2] الحقيقي حيث يرث أهل الجنة منازل أهل النار في الجنة ويرث أهل النار منازل أهل الجنة في النار، وهذا قائم على أساس أن الله تعالى أوجد لكل انسان منزلاً في الجنة وآخر في النار، فمن آمن وعمل صالحا دخل الجنة وحاز منزله ومنزل إنسان آخر هو في النار فحصل بذلك الغبن بينه وبين من هو في النار قد ورث منزله فيها وبعد هذا الدعاء الخاص الموجه إلى كفار قريش قال تعالى واعداً عامة الناس عربهم وعجمهم من وجد منهم ومن لم يوجد بعد: ومن يؤمن بالله[3] ويعمل صالحاً يكفر[4] عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم لأنه نجاة من النار ودخول الجنة هذا وعده الصادق لمن آمن وعمل صالحاً. وقال: ﴿والذين[5] كفروا﴾ أي بالله ورسوله ولقائه وكذبوا بآياتنا أي القرآن وما فيه من شرائع وأحكام والتكذيب مانع من العمل الصالح قطعاً إذاً ﴿أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ النار والخلود فيها هذا وعيده تعالى المقابل لوعده السابق اللهم اجعلنا من أهل وعدك ولا تجعلنا من أهل وعيدك ياواسع الفضل يا رحمن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير البعث والجزاء.

٢ـ تقرير التوحيد والنبوة.

٣ـ بيان كون القرآن نوراً فلا هداية في هذه الحياة إلا به فمن طلبها في غيره ما اهتدى.

---

(١) (فآمنوا): الفاء هي الفصيحة إذ أفصحت عن شرط مقدّر، والتقدير: فإذا علمتم هذه الحجج وتذكرتم ما حل بأسلافكم من العقاب فآمنوا بالله ورسوله لتنجوا مما حل بالكافرين من أمثالكم.

(٢) الإتيان باسم الإشارة بدل الضمير كان لقصد الاهتمام بهذا اليوم بتمييزه مع ما يفيده اسم الإشارة من البعد والعلو نحو: (ذلك الكتاب) والتغابن: تفاعل صادر بين اثنين هذا مغبون وذاك غابن، والغبن: أن يُعطى البائع ثمناً دون ثمن بضاعته.

(٣) هذه الآية متضمنة تفصيلاً لما أجمل في الجمل قبلها وتحمل عفواً عاماً لمن آمن من الكافرين ووحد من المشركين بأن الله تعالى سيعفو عنهم ويغفر لهم ويدخلهم الجنة.

(٤) قرأ نافع: (نكفر) و(ندخل) بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى المتكلم. وقرأ حفص (يكفر) و(يدخل) بياء الغيبة على مقتضى الظاهر.

(٥) أي: والذين استمروا على الكفر والتكذيب ولم يتوبوا بالإيمان وترك الشرك والمعاصي فجزاؤهم الملائم لخبث نفوسهم من جرّاء الشرك والمعاصي هو ما ذكر تعالى من الخلود في النار.

٤- الترغيب في الإيمان والعمل الصالح وبيان أنهما مفتاح دار السلام.
٥- التحذير من الكفر والتكذيب بالقرآن وشرائعه وأحكامه فان ذلك يقود الى النار.

مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله : أي ما أصابت احداً من الناس مصيبةٌ الا بقضاء الله تعالى وتقديره ذلك عليه.

ومن يؤمن بالله يهد قلبه : أي ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة الا بإذنه تعالى يهد قلبه للتسليم والرضاء بقضائه فيسترجع ويصبر.

فإن توليتم : أي عن طاعة الله ورسوله فلا ضرر ولا بأس على رسولنا في توليكم إذ عليه إبلاغكم لا هدايتكم.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ما أصاب(١) من مصيبة إلا بإذن الله(٢)﴾ في هذه الآية رد على الكافرين الذين يقولون لو كان المسلمون على حق، وما هم عليه حقاً لصانهم الله من المصائب في الدنيا، ولما سلط عليهم كذا وكذا... فأخبر تعالى أنه ما من أحد من الناس تصيبه مصيبة في نفس أو ولدٍ أو مالٍ إلا وهى بقضاء الله وتقديره ذلك عليه، ومن يؤمن بالله ربّاً وإلهاً عليماً حكيماً وأن ما أصابه لم

(١) قال القرطبي: قيل سبب نزول هذه الآية أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حق لصانهم الله من المصائب في الدنيا ورد تعالى عليهم بأن المصائب التي تصيب العبد هي بإذن الله ولها أسبابها مرتبطة معها وهي سنن لله تعالى لا تتخلّف.
(٢) أنثت المصيبة لأنها بمعنى الحادثة والإذن: أصله إجازة الفعل لمن يفعله والمراد هنا أن ما يصيب العبد من خير وشر هو بتدبير الله تعالى في ربطه الأسباب بالمسببات فعاد الأمر إلى إذنه تعالى بوقوع ما أراده من خير أو غيره.

يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه يهد قلبه[1] فيصبر ويسترجع فيُؤجر وتخف عنده المصيبة بخلاف الكافر بالله وقضائه وقدره.

وقوله تعالى ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فلا يخفى عليه شيء فلا يحدث حدث في الكون الا بعلمه وإذنه وهذه حال تقتضى الرضا بالقضاء والقدر والتسليم لله تعالى فيما يقضى به على عبده وفي ذلك خير كثير لا يعرفه إلا أصحاب الرضا بالقضاء والتسليم للعليم الحكيم.

وقوله تعالى ﴿وأطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾ يأمر تعالى عباده عامة بطاعة الله وطاعة رسوله لأن كمال الإنسان وسعادته مرتبطة بهذه الطاعة التى هي عبارة عن تطبيق نظام دقيق ينتج صفاء روح وزكاة نفس يتأهل بها العبد إلى النزول بالملكوت الأعلى «الجنة دار الأبرار».

وقوله ﴿فإن توليتم﴾ أي أعرضتم عن هذه الدعوة فرفضتم طاعة الله ورسوله فلا ضرر على رسولنا ولا ضير إذ عليه البلاغ المبين وقد بلغ مبيناً غاية التبيين، وأما هدايتكم فلم يكلف بها إذ لا يقدر عليها ولا يكلف الله نفساً إلا طاقتها.

وقوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ أي أن الذي أمركم بطاعته وطاعة رسوله هو الله الذي لا إله إلا هو أي المعبود الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح الا له لأنه الخالق لكم الرازق المدبر لحياتكم، ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون[2]﴾ فإنه يكفي المؤمن الذي يتوكل عليه يكفيه كل ما يهمه من أمر دنياه وآخرته. ولا كافى إلا هو سبحانه وتعالى.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٢ـ وجوب الصبر عند نزول المصيبة والرضا والتسليم لله تعالى في قضائه وحكمه، ومن تكن هذه حالهُ يهد الله قلبه[3] ويرزقه الصبر وعظيم الأجر ويلطف به في مصيبته وإن هو استرجع قائلاً إنا لله وإنا اليه راجعون أُخلفه الله عما فقده وآجره.

٣ـ وجوب طاعة الله وطاعة رسوله في الأمر والنهي.

٤ـ تقرير التوحيـد.

---

(١) (يهـد قلبه) عندما تصيبه المصيبة فيسترجع أي: يقول إنا لله وإنا إليه راجعون ويصبر، فالإيمان هو السبب في حصول هداية القلب فإذا هدى القلب حصل الاسترجاع وحصل الصبر وخف وقع المصيبة.

(٢) الجملة معطوفة على قوله: (وأطيعوا الله) فهي في معنى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وتوكلوا على الله وحده لأنّ الطاعة تتطلب عملا وجهداً وهما يتطلبان اعتماداً على الله إذ هو المعين للعبد على الطاعة دون غيره فليكن التوكل عليه وحده.

(٣) (يهد قلبه) فيسترجع ويصبر، والإيمان الصحيح هو الذي ينتج هداية القلب فإذا اهتدى القلب إلى معرفة حكم الله وقضائه صبر وظفر.

٥- وجوب التوكل على الله تعالى وهو فعل المأمور وترك المنهى وتفويض الامر لله بعد ذلك. ولن يكون الا خيراً بإذن الله تعالى.

يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ
فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ
وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

إن من أزواجكم واولادكم عدوا لكم : أيّ من بعض أزواجكم وبعض أولادكم عدوّاً أي يشغلونكم عن طاعة الله أو ينازعونكم في أمر الدين أو الدنيا.

فاحذروهم : أي أن تطيعوهم في التخلف عن فعل الخير كترك الهجرة أو الجهاد أو صلاة الجماعة أو التصدق على ذوي الحاجة.

وان تعفوا : أي عمن ثبطكم عن الخير من زوجة وولد.

وتصفحوا وتغفروا : أي وتعرضوا عنهم وتغفروا لهم ما عملوه معكم من تأخيركم عن الهجرة أو الجهاد أو الإنفاق في سبيل الله.

فان الله غفور رحيم : أي يغفر لمن يغفر ويرحم من يرحم.

إنما أموالكم وأولادكم فتنة : أي بلاء واختبار لكم فاحذروا أن يصرفوكم عن طاعة الله أو يوقعوكم في معصيته.

والله عنده أجر عظيم : أي فآثروا ما عنده تعالى على ما عندكم من مال وولد.

فاتقوا الله ما استطعتم : أي افعلوا ما تقدرون عليه من أوامره، واجتنبوا نواهيه كلها.

ومن يوق شح نفسه : أي ومن يقه الله شح نفسه فيعافيه من البخل والحرص على المال.

يضاعفه لكم : أي الدرهم بسبعمائة.

والله شكور حليم : أي يُجازى على الطاعة ولا يعاجل بالعقوبة.

معنى الآيات :

هذه الآيات الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الى قوله ﴿العزيز الحكيم﴾ نزلت في[1] أناس كان لهم أزواج وأولاد عاقوهم عن الهجرة والجهاد فترة من الوقت فلما تغلبوا عليهم وهاجروا ووجدوا الذين سبقوهم إلى الهجرة قد تعلموا وتفقهوا في الدين فتأسفوا عن تخلفهم فهموا بأزواجهم وأولادهم الذين عاقوهم عن الهجرة فترة طويلة أن يعاقبوهم بنوع من العقاب من تجويع أو ضرب أو تثريب وعتاب فأنزل الله تعالى هذه الآيات يا أيها الذين آمنوا أي يا أيها المؤمنون إن من[2] أزواجكم[3] وأولادكم أي من بعضهم لا كلهم إذ منهم من يساعد على طاعة الله ويكون عوناً عليها عدواً لكم يصرفكم عن طاعة الله والتزود للدار الآخرة، وقد ينازعونكم في دينكم ودنياكم إذاً فاحذروهم أي كونوا منهم على حذر أن تُطيعوهم في التخلف عن فعل الخير من هجرة وجهاد وغيرهما وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا أي عمن شغلوكم عن طاعة الله فعاقوكم عن الهجرة والجهاد فلم تضربوهم ولم تجوعوهم ولم تثربوا عليهم ولم تعاتبوهم بل تطلبون العذر لما قاموا به نحوكم يكافئكم الله تعالى بمثله فيعفو عنكم ويصفح ويغفر لكم كما عفوتم وصفحتم وغفرتم لأزواجكم وأولادكم الذين أخروا هجرتكم وعطلوكم عن الجهاد في سبيل الله.

---

(١) قال القرطبي: قال ابن عباس: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي بالمدينة النبوية شكا إلى النبي ﷺ جفاء أهله وولده، وعن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها جملة إلا هؤلاء الآيات (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم..) الخ.

(٢) الآية عامة في الرجال والنساء فكما يكون للرجل من امرأته وولده عدوٌ يكون كذلك للمرأة من زوجها وولدها عدو، ووجب الحذر على المؤمنين، ويكون الحذر بوجهين: إمّا لضرر في البدن وإما لضرر في الدين، وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالآخرة فحذر الله تعالى العبد من ذلك وأنذره به.

(٣) (من) للتبعيض إذ ما كل من له زوجة وولد كانوا له عدواً.

وقوله تعالى ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة[١] والله عنده أجر عظيم﴾ أي إنما أموالكم وأولادكم أي كل أموالكم وأولادكم فتنة واختبار من الله لكم هل تحسنون التصرف فيهم فلا تعصوا الله لأجلهم لا بترك واجب ولا بفعل ممنوع، أو تسيئون التصرف فيحملكم حبهم على التفريط في طاعة الله أو التقصير في بعضها بترك واجب أو فعل حرام والله عنده أجر عظيم فآثروا ما عند الله على ما عندكم من مال وولد، إن ما عند الله باق، وما عندكم فانٍ، فآثروا الباقى على الفانى.

وقوله تعالى ﴿فاتقوا الله ما استطعتم[٢]﴾ هذا من إحسان الله تعالى الى عباده المؤمنين إنه لما علمهم أن أموالهم وأولادهم فتنة وحذرهم أن يؤثروهم على طاعة الله ورسوله علم أن بعض المؤمنين سوف يزهدون فى المال والولد، وأن بعضاً سوف يعانون أتعاباً ومشقة شديدة في التوفيق بين خدمة المصلحتين فأمرهم أن يتقوه في حدود ما يطيقون فقط وخير الأمور الوسط فلا يفرط في ولده وماله، ولا يفرط في علة وجوده وسبب نجاته وسعادته وهي عبادة الله تعالى التي خلق لأجلها وعليها مدار نجاته من النار ودخوله الجنة.

وقوله تعالى واسمعوا[٣] ما يدعوكم الله ورسوله إليه ﴿وأطيعوا وأنفقوا﴾ في طاعة الله من أموالكم[٤] خيراً لأنفسكم من عدم الإنفاق فإنه شر لكم وليس بخير.

وقوله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ أعلمهم أن عدم الإنفاق ناتج عن شح النفس، وشح النفس لا يقى منه إلا الله، فعليكم باللجوء إلى الله تعالى ليحفظكم من شح نفوسكم فادعوه وتوسلوا إليه بالإنفاق قليلاً قليلاً حتى يحصل الشفاء من مرض الشح الذي هو البخل مع الحرص الشديد على جمع المال والحفاظ عليه ومن شفي من مرض الشح أفلح وأصبح في عداد المفلحين الفائزين بالجنة بعد النجاة من النار. وقوله ﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه[٥] لكم ويغفر لكم﴾ هذا الترغيب عظيم من الله تعالى للمؤمنين في النفقة في سبيله

---

(١) (فتنة) أي: بلاء واختبار يحملكم على كسب المحرم ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله تعالى، روي عن ابن مسعود انه كان يقول: لا تقولوا: اللهم اعصمني من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن.

(٢) هل هذه الآية مخصصة لآية آل عمران: (فاتقوا الله حق تقاته) هذا هو الظاهر إذ من غير الممكن أن يتقي الله حق تقاته أي: تقواه الحقة فلو أن العبد ذاب ذوباناً من خشية الله تعالى ما اتقى الله حق تقاته.

(٣) قال القرطبي: اسمعوا ما توعظون به وأطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه، والآية أصل في السمع والطاعة في بيعة الرسول ﷺ على السمع والطاعة ولأولى الأمر.

(٤) يصح في نصبه ثلاثة أوجه الأول أن يكون الخير بمعنى المال ويكون خيراً مفعولاً به، والثاني: أن يكون (خيراً) نعتاً لمصدر محذوف أي أنفقوا إنفاقاً خيراً، والثالث أن يكون منصوباً بفعل مضمر دل عليه أنفقوا أي ايتوا في الإنفاق خيراً لأنفسكم.

(٥) المضاعفة: هي إعطاء الضعف، والشكور: فعول بمعنى فاعل أي: مبالغة في الشكر.

إذ سماها قرضاً والقرض مردود وواعد بمضاعفتها وزيادة أخرى أن يغفر لهم بذلك ذنوبهم، واشتراط الحسن للقرض اشتراط معقول وهو أن يكون المال الذي أقرض الله حلالاً لا حراماً، وأن تكون النفس طيبة به لا كارهة له، وهذا من باب النصح للمؤمنين ليحصلوا على الأجر مضاعفاً. وقوله تعالى ﴿والله شكور حليم﴾ ترغيب ايضا لهم في الإنفاق لأن الشكور معناه يُعطي القليل فيكافيء بالكثير، والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة. ومثله يقرض القرض الحسن. وقوله ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ترغيب ايضاً في الإنفاق إذا أعلمهم أنه لا يغيب عنه من أمورهم شيء يعلم الخفي منها والعلنى، وما غاب عنهم فلم يروه وما ظهر لهم فشهدوه فذو العلم بهذه المثابة معاملته مضمونة لا يخاف ضياعها ولا نسيانها. وقوله ﴿العزيز الحكيم﴾ أي العزيز الانتقام من أعدائه الحكيم في إجراء أحكامه وتدبير شؤون عباده.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان أن من بعض الزوجات والأولاد عدواً فعلى المؤمن أن يحذر ذلك ليسلم من شرهم.
٢- الترغيب في العفو والصفح والمغفرة على من أساء أو ظلم.
٣- التحذير من فتنة المال والولد ووجوب التيقظ حتى لا يهلك المرء بولده وماله.
٤- وجوب تقوى الله بفعل الواجبات وترك المنهيات في حدود الطاقة البشرية.
٥- الترغيب في الإنفاق في سبيل الله تعالى والتحذير من الشح فإنه داء خطير.

سُورَةُ الطَّلَاقِ

مدنيـة وآياتها ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ
ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ

﴿ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

شرح الكلمات :

يا أيها النبي	: أراد الله بالنداء النبي ﷺ وأمته بدليل ما بعده.
إذا طلقتم النساء	: أي إذا أردتم طلاقهن.
فطلقوهن لعدتهن	: أي لِقُبُلِ عدتهن أي في طهر لم يجامعها فيه.
وأحصوا العدة	: أي احفظوا مدتها حتى يمكنكم المراجعة فيها.
واتقوا ربكم	: أي أطيعوه في أمره ونهيه.
لا تخرجوهن من بيوتهن	: أي لا تخرجوا المطلقة من بيت زوجها الذي طلقها حتى تنقضي عدتها.
إلا أن يأتين بفاحشة مبينة	: أي إلا أن يؤذين بالبذاء في القول وسوء الخلق، أويرتكبن فاحشة من زناً بينة ظاهر لا شك فيها.
وتلك حدود الله	: أي المذكورات من الطلاق في أول الطهر وإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من بيتها حتى تنقضي عدتها.
لا تدرى لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً	: أي يجعل في قلب الزوج الرغبة في مراجعتها فيراجعها إذا لم تكن الثالثة من الطلقات.

معنى الآية

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾[1] يخاطب الله تبارك وتعالى رجال أمة الإسلام في شخصية نبيها محمد ﷺ فيقول: إذا طلقتم[2] أي إذا أردتم طلاقهن لأمر اقتضى ذلك فطلقوهن لعدتهن أي لأول عدتهن وذلك في طهر لم تجامعِ فيه لتعدَّ ذلك الطهر أول عدتها. وقوله تعالى:

(١) في سنن ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طلّق حفصة رضي الله عنها ثم راجعها بأمر الله تعالى وقيل له: راجعها فإنها قوّامة صوّامة رضي الله عنها وأرضاها، وضعّف الحديث، وعلى كل حال فالآية تشريع عامّ لأمة الإسلام بغض الطرف عن سبب النزول.

(٢) وردت أحاديث كثيرة ضعيفة السند ومجموعها يدل على كراهية الطلاق وأنه عمل غير صالح إن كان بدون ضرورة وهي رفع الضرر عن أحد الزوجين. الجمهور أن من طلق واستثنى فله ما استثناه فلو قال: أنت طالق إن شاء الله فله استثناؤه ولا طلاق عليه.

﴿وأحصوا العدة﴾ أي احفظوها فاعرفوا بدايتها ونهايتها لما يترتب على ذلك من أحكام من صحة المراجعة وعدمها، ومن النفقة، والإسكان وعدمهما. وقوله: ﴿واتقوا الله ربكم﴾ فامتثلوا أوامره وقفوا عند حدوده فلا تتعدوها، لا تخرجوهن أي المطلقات من بيوتهن اللاتي طلقن فيهن، ولا يخرجن أي ويجب أن لا يخرجن من بيوتهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة كزناً ظاهرٍ أو تكون سيئة بذيئة اللسان فتؤذى أهل البيت أذىً لا يتحملونه فعندئذ يباح إخراجها.

وقوله تعالى: ﴿وتلك حدود الله﴾ أي المذكورات من الطلاق لأول الطهر، وإحصاء العدة، وعدم إخراجهن من بيوتهن، وقوله ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ فيتجاوزها ولم يقف عندها فقد ظلم نفسه وتعرض لعقوبة الله تعالى عاجلاً أو آجلاً.

وقوله تعالى: ﴿لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ أي بأن يجعل الله تعالى في قلب الرجل رغبة في مراجعة مطلقته فيراجعها، وفي ذلك خير كثير.

هداية الآية:

من هداية الآية:

١ـ بيان السنة في الطلاق وهي أن يطلقها في طهرٍ لم يمسها فيه بجماع.[١]

٢ـ أن يكون الطلاق واحدة لا اثنتين ولا ثلاثاً.

٣ـ وجوب إحصاء العدة ليعرف الزوج متى تنقضي عدة مطلقته لما يترتب على ذلك من أحكام الرجعة والنفقة والإسكان.

٤ـ حرمة إخراج المطلقة من بيتها الذي طلقت فيه إلى أن تنقضي عدتها إلَّا أن ترتكب فاحشة ظاهرة كزناً أو بذاءة أو سوء خلق وقبيح معاملة فعندئذ يجوز إخراجها.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ

(١) وأن يكون واحدة لا اثنتين أو ثلاثاً، وطلاق البدعة خلافه وهو: أن يطلقها وهي حائض أو في طهر جامعها فيه أو بلفظ اثنين أو ثلاث ومن أهل العلم من لا يعد الطلاق البدعي طلاقاً، ومنهم من يمضيه واحتج المانعون والمجيزون بحديث ابن عمر في الصحيح: (إذ طلق ابن عمر زوجته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال له: ليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل) فمن قال: إن الرسول ﷺ قد حسبها له طلقة قال الطلاق في الحيض يمضي وهو بدعة، ومن قال: إن الرسول ﷺ لم يعدها بل قال له: (إذا طهرت ليطلق أو ليمسك) قال: الطلاق في الحيض بدعة ولا يمضي.

وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

فإذا بلغن أجلهن : أي قاربن انقضاء عدتهن.

فأمسكوهن بمعروف : أي بأن تراجعوهن بمعروف من غير ضرر.

أو فارقوهن بمعروف : أي أتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة.

وأشهدوا ذوي عدل منكم : أي اشهدوا على الطلاق وعلى الرجعة رجلين عدلين منكم أي من المسلمين فلا يشهد كافر.

وأقيموا الشهادة لله : أي لا للمشهود عليه أوله بل لله تعالى وحده .

ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : إي ذلكم المذكور من أول السورة من أحكام يؤمر به وينفذه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

ومن يتق الله : أي في أمره ونهيه فلا يعصه فيهما.

يجعل له مخرجاً : أي من كرب الدنيا والآخرة.

ويرزقه من حيث لا يحتسب : أي من حيث لا يرجو ولا يؤمل.

فهو حسبه : أي كافيه ما يهمه من أمر دينه ودنياه.

قد جعل الله لكل شيء قدراً : أي من الطلاق والعدة وغير ذلك حداً وأجلاً وقدراً ينتهي إليه.

معنى الآيتين :[1]

ما زال السياق الكريم في بيان العِدَدِ وأحكام الطلاق والرجعة. قال تعالى: ﴿فإذا بلغن﴾ أي المطلقات أجلهن أي قاربن انقضاء العدة فأمسكوهن بمعروف أي راجعوهن على أساس حسن العشرة والمصاحبة الكريمة لا للإضرار بهن كأن يراجعها ثم يطلقها يطول عليها العدة فهذا لا

(١) هذا لقوله تعالى: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن) أي: قاربن من انقضاء الأجل.

يجوز لحرمة الإضرار بالناس وفي الحديث: لا ضرر ولا ضرار.[1] وقوله ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ وذلك بأن يعطيها ما بقى لها من مهرها ويُمتّعها[2] بحسب حاله غنىً وفقراً. وقوله تعالى ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ أي أشهدوا على النكاح والطلاق والرجعة أما الإشهاد على النكاح فركن ولا يصح النكاح بدونه، وأما في الطلاق والرجعة فهو مندوب، وقد يصح الطلاق والرجعة بدونه، ويشترط في الشهود أن يكونوا عدولاً، وأن يكونوا مسلمين لا كافرين.[3] وقوله: ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ أي أدوها على وجهها ولا تراعوا فيها الا وجه الله عز وجل. وقوله: ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ أي ذلكم المأمور به من أول السورة كالطلاق في طهر لم يجامعها فيه وكإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من بيتها والإمساك بالمعروف والفراق بالمعروف والإشهاد في النكاح والطلاق والرجعة والإقساط في الشهادة كل ذلك يوعظ به أي يؤمر به وينفذه المؤمن بالله واليوم الآخر إذ هو الذي يخاف عقوبة الله وعذابه فلا يقدم علي معصيته.

وقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أتى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمُّهُ فبم تأمرني؟ قال آمرك وإياها أن تكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالت المرأة نعم ما أمرك به فجعلا يكثران منها فغفل العدو عن ابنهما فاستاق غنمهم وجاء بها الى أبويه فنزلت هذه الآية، وهي عامة في كل من يتق الله تعالى فإنه يجعل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل كرب فرجا، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يؤمل، ولا يخطر له على بال، ومن يتوكل على الله تعالى في أمره فلا يفرط في أمر الله، ولا يضيع حقوقه فإن الله تعالى يكفيه ما يهمه من أمر دينه ودنياه. وقوله تعالى ﴿إن الله بالغ أمره﴾[4] أي منفذ أمره في عباده لا يعجزونه أبداً، وقد[5] جعل لكل شيء قدراً أي مقداراً وزماناً ومكاناً فلا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط، ولا يقع في ملك الله الا ما يريد الله.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) المتعة واجبة للمطلقة التي لم يفرض لها صداق ولغيرها من المطلقات سنة مستحبة.

(٣) وأن يكونوا ذكرين فالنساء شهادتهن خاصة في الأموال لا غير.

(٤) قرأ نافع (إن الله بالغٌ أمرَه) بتنوين بالغ ونصب أمره على أنه معمول لاسم الفاعل المنون، وقرأ حفص بإضافة بالغ إلى أمره فبالغ مرفوع بدون تنوين وأمر: مجرور بالإضافة إليه.

(٥) أي: لكل شيء من الشدة والرخاء أجل ينتهي إليه. قاله القرطبي: وما في التفسير أوضح وأشمل.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ـ لا تصح الرجعة إلا في العدة فإن انقضت العدة فلا رجعة وللمطلقة ان تتزوج من شاءت هو أو غيره من ساعة انقضاء عدتها.

٢ـ لا تحل المراجعة للإضرار، ولكن للفضل والإحسان وطيب العشرة.

٣ـ مشروعية الإشهاد على الطلاق والرجعة معاً.

٤ـ يشترط في الشهود العدالة، فإذا خفت العدالة في الناس استُكثِرَ من الشهود.

٥ـ وعد الله الصادق بالفرج القريب لكل من يتقه سبحانه وتعالى، والرزق من حيث لا يرجو.

٦ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٧ـ كفاية الله لمن توكل عليه.(1)

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ
مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ
وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ
إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

واللائي يئسن من المحيض	: والنسوة اللائي يئسن من الحيض.
إن ارتبتم	: أي شككتم في عدتهن.
واللائي لم يحضن	: أي لكبر سن أو صغر سن.
وأولات الأحمال	: أي ذوات الأحمال: النساء الحوامل.
أجلهن	: أي في انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن.

(1) روى القرطبي عن الربيع بن خيثم قوله: إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه أجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه). (إن تقرضوا الله قرضاً حسنا يضاعفه لكم) (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان).

ذلك أمر الله : أي ذلك المذكور في العدة وتفاصيلها.
أنزله إليكم : أي لتأتمروا به وتعملوا بمقتضاه.

معنى الآيـين :

ما زال السياق الكريم في بيان أحكام الطلاق والرجعة والعدة فقال تعالى[1] : ﴿واللائي يئسن[2] من المحيض﴾ أي لكبر سنهن كمن تجاوزت الخمسين من عمرها إذا طلقت بعد الدخول بها. إن ارتبتم[3] أيها المؤمنون في مدّة عدتهن، فعدتهن ثلاثة أشهر. واللائي لم يحضن أي لصغرهن كذلـك، عدتهن ثلاثة أشهر وقوله ﴿وأولات الأحمال﴾ أي الحوامل إن طُلقن أو مات عنهن أزواجهن أجلهن في انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن أي وضع حملهن فمتى ولدت ما في بطنها من جنين فقد انقضت عدتها ولو وضعته قبل استكمال التسعة أشهر، إن لم تتعمد إسقاطه بالإجهاض المعروف اليوم عند الكوافر والكافرين.

وقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله﴾ أي منكم أيها المؤمنون في هذه الأحكام المتعلقة بالطلاق والرجعة والعدة فلا يخالف أمره في ذلك يكافئه الله تعالى من فضله فيجعل له من أمره يُسرا فيسهل عليه أمره ويرزقه ما تقر به عينه ويصلح به شأنه.

وقوله تعالى: ﴿ذلك أمر الله أنزله إليكم﴾ أي ذلك المذكور من الأحكام في هذه السورة من الـطلاق والرجعة والعدة وتفاصليها حكم الله أنزله إليكم لتأمـــروا وتعمـــلوا به فاعملوا به ولا تهملوه طاعـة لله وخـوفـاً من عذابـه ومن يتق الله في أوامره ونواهيه فيؤدى الواجبات ويتجنب المحرمات يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً أي يغفر له ذنوبه ويدخله الجنة.

هداية الآيتين

من هداية الآيـتين :

١ـ بيان العدة وهى كالتالي :

١ـ متوفى عنها زوجها وهي غير حامل عدتها: أربعة أشهر وعشر ليال.

---

(١) روي أن عددا من الصحابة وهم: أبي بن كعب وخلاد بن النعمان ومعاذ بن جبل كل واحد سأل رسول الله ﷺ عن عدة الصغيرة والكبيرة ممن لا يحضن وعدة الحامل كذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية: (واللائي يئسن). والآية مخصصة لعموم آية البقرة ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ فقد نزلت سورة الطلاق بعد سورة البقرة.

(٢) اليأس: عدم الأمل والميؤوس منه في الآية هو: الحيض وسواء كان قد وجد وانعدم أم لم يوجد بعد.

(٣) أطلق الفقهاء على التي تحيض وانقطع حيضها وهي لم تبلغ سن اليأس أطلقوا عليها: (المرتابة) وألزموها بأن تتربّص تسعة أشهر وهي مدة الحمل فإن لم تحض ولم يظهر لها حمل اعتدت بثلاثة أشهر فتتم لها سنة ثم لها أن تتزوج لانقضاء عدتها.

٢ـ متوفى عنها زوجها وهي حامل: عدتها وضع حملها.[١]

٣ـ مطلقة لا تحيض لكبر سنها أو لصغر سنها وقد دخل بها: عدتها ثلاثة أشهر.

٤ـ مطلقة تحيض عدتها ثلاثة قروء أي حيض تبتدىء بالحيضة التي بعد الطهر الذي طلقت فيه. أو ثلاثة اطهار[٢] كذلك الكل واسع ولفظ القرء مشترك دال على الحيض وعلى الطهر.

٥ـ بيان أن أحكام الطلاق والرجعة والعدد مما أوحى الله به وأنزله في كتابه فوجب العمل به ولا يحل تبديله أو تغييره باجتهاد أبداً.

٦ـ فضل التقوى وأنها باب كل يسر وخير في الحياة الدنيا والآخرة.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

شرح الكلمات:

من وجدكم : أي من وسعكم بحيث يسكن الرجل مطلقته في بعض سكنه.

ولا تضاروهُن : أي لا تطلبوا ضررهن بأي حال من الأحوال سواء في السكن أو النفقة.

---

(١) اختلف في الحامل تسقط هل تنقضي عدتها بالإسقاط أو لا فالإجماع إن كان ما سقط منها ولد تام الخلقة فإن عدتها انتهت بذلك، واختلف فيما إذا كان السقط مجرد علقة أو مضغة والراجع أنها تحل لأن العبرة بخلو الرحم يقيناً وقد خلا بالإسقاط.

(٢) الاعتداد بالأطهار أولى لما فيه من التخفيف على المعتدة ولظاهر الآية (فطلقوهن لعدتهن) أي: لأول عدتهن وهو الطهر الذي طلقها فيه ولم يمسها.

لتضيقوا عليهن : أي لأجل أن تضيقوا عليهن السكن فيتركنه لكم ويخرجن منه.
وإن كنّ أولات حمل : أي حوامل يحملن الأجنة في بطونهن.
فان ارضعن لكم : أي أولادكـــم.
فآتوهن أجورهن : فاعطوهن أجورهن على الإرضاع هذا في المطلقات.
وأتمروا بينكم بمعروف: أي وتشاوروا أو ليأمر كل منكم صاحبه بأمر ينتهي باتفاق على أجرة معقولة لا إفراط فيها ولا تفريط.
وان تعاسـرتم : فإن امتنعت الأم من الإرضاع أو امتنع الأب من الأجرة.
لينفق ذو سعة : أي لينفق على المطلقات المرضعات ذو الغنى من غناه.
ومن قدر عليه رزقه : ومن ضيق عليه عيشه فلينفق بحسب حاله.

معنى الآيتين :

بعد بيان الطلاق بقسميه الرجعي والبائن وبيان العدد على اختلافها بيّن تعالى في هاتين الآيتين أحكام النفقات والإرضاع فقال تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم[1] من وجدكم﴾ أي من وسعكم ولا تضاروهن[2] بأي مضارة لا في السكن ولا في الإنفاق ولا في غيره من أجل أن تضيقوا عليهن فيتركن لكم السكن ويخرجن. وهؤلاء المطلقات طلاقا رجعياً وهن حوامل أو غير حوامل. وقوله تعالى ﴿وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتي يضعن حملهن﴾ أي وان كانت المطلقة طلاق البتة أي طلقها ثلاث مرات فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن أي أسكنوهن وأنفقوا عليهن إلى أن يلدن فإن وضعت حملها فهما بالخيار إن شاءت أرضعت له ولده بأحرة يتفقان عليها وان شاء هو أرضع ولده مرضعاً غير أمه وهو معنى قوله تعالى فإن أرضعن[3] لكم فآتوهن أجـورهن وائتمروا بينكم بمعروف وذلك يتم بتبادل الرأي الى الاتفاق على أجرة معينة، وان تعاسرا بأن طلب كل واحد عسر الثاني أي تشاحّا في الأجرة فلم يتفقا فلترضع له أي للزوج امرأة أخرى من نساء القرية.

---

(١) قال أشهب عن مالك: يخرج عنها إذا طلقها ويتركها في المنزل للآية (أسكنوهن) والصحيح أنّ المنزل إذا كان يتسع لهما معاً هي في حجرة وهو في أخرى فلا داعي لإخلائه لها وإن كان لا يتسع إلا لواحد فنعم يجب أن يتركه لها، وقوله تعالى: (من حيث سكنتم) يقرر أن السكنى تكون في بيت الزوج المطلق.

(٢) المضارة : الإضرار، والمراد بالتضييق المحرم: إحراجهن أو أذاهن بأي أذىً. فقوله تعالى: (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) شامل للمضايقة في السكنى والنفقة وفي العدة بأن يطلقها حتى إذا كادت تنقضي عدتها راجعها ثم يُطلقها.

(٣) هل على المرأة أن ترضع ولدها؟ إن كانت عصمة الزوجية قائمة فالصحيح أنها ترضع ولدها وجوباً وإن انفصلت عروة الزوجية فلا يجب على الوالدة إرضاع إلا إذا لم يقبل غيرها وخيف عليه الموت فيتعين عليها إرضاعه بأجرة إن شاءت. وأبو حنيفة لا يرى وجوب الإرضاع على الأم مطلقاً ويرى بعض العكس. والوسط ما قدمناه وهو الحق.

وقوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾[1] أمر تعالى المؤمن إذا طلق أن ينفق على مطلقته التى ترضع له ولده أو التي هى في عدتها في بيته بحسب يساره وإعساره أو غناه وافتقاره، إذ لا يكلف الله نفساً إلا ما أعطاها من قدرة أو غنىً وطَوْل والقاضى هو الذي يقدر النفقة عند المشاحة وتكون بحسب دخل الرجل وما يملك من مال.

وقوله تعالى: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ هذا وعد صدق أتمه لأصحاب رسوله حيث كانوا في عسر ففتح عليهم ملك كسرى والروم فأبدل عسرهم يسراً. وأما غيرهم فمشروط بالتقوى كما تقدم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ وجوب السكن والنفقة للمطلقة طلاقاً رجعياً.

٢ـ وجوب السكنى والنفقة للمطلقة الحامل حتى تضع حملها.

٣ـ وجوب السكنى والنفقة للمتوفى عنها زوجها وهى حامل.

٤ـ المطلقة البائن والمبتوتة لم يقض لهما رسول الله ﷺ بنفقة ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أخت الضحاك[2]، ومن الفضل الذي ينبغي أن لا ينسى ان كانت محتاجة الى سكن أو نفقة ان يسكنها مطلقها وينفق عليها مدة عدتها. وأجره عظيم لأنه أحسن والله يحب المحسنين.

٥ـ النفقة الواجبة تكون بحسب حال المطلق غنىً وفقراً والقاضى يقدرها ان تشاحا.

٦ـ المطلقة طلاقاً بائنا إن أرضعت ولدها لها أجرة إرضاعها حسب اتفاق الطرفين الأم والأب.

٧ـ بيان القاعدة العامة وهى أن لا تكلف نفس إلا وسعها.

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا
عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾

(١) في الآية دليل على وجوب نفقة الولد على والده وأما الأم فلا إلا لضرورة كأن يموت الوالد أو يعجز، وكانت الأم قادرة فلتنفق وجوباً على طفلها.

(٢) وصف المالكية حديث فاطمة بالغرابة، وأن عمر رضي الله عنه لم يقل به، وقال: لا نترك كتاب الله لقول امرأة يعني أن الآية عامة في كل مطلقة لا فرق بين البائن وغيرها، فالسكنى والنفقة للجميع وهو أرحم وأعظم أجراً والله أعلم.

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ
لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ
وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

وكأين من قرية : أي وكثير من قرية أي مدينة.

عتت عن أمر ربها : أي عصت يعني أهلها عصوا ربهم ورسله.

عذاباً نكراً : أي فظيعاً

ذكراً رسولاً : أي القرآن وأرسل إليكم رسولاً هو محمد ﷺ.

من الظلمات إلى النور : أي من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد.

قد أحسن الله له رزقا : أي رزق الجنة التى لا ينقطع نعيمها أبداً.

ومن الأرض مثلهن : أي سبع أرضين أرضاً فوق أرض كالسموات سماء فوق سماء.

يتنزل الأمر بينهن : أي الوحي بين السموات والأرض.

لتعلموا ان الله على كل شيء قدير : أي أعلمكم بذلك الخلق العظيم والتنزيل العجيب لتعلموا..

معنى الآيات :

لما قرر تعالى أحكام الطلاق والرجعة والعدة والنفقات وقال ذلك أمر الله أنزله إليكم، وأوجب

العمل به حذر في هذه الآية من إهمال تلك الأحكام وتجاهلها وعدم القيام بها فقال: ﴿وكأين من[1] قرية﴾ أي كثير من المدن عتا أهلها أي ترفعوا متكبرين عن أوامر الله ورسله فلم يمتثلوها وعن الحقوق فلم يؤدوها حاسبها[2] الله تعالى في الدنيا حساباً شديداً وعذبها عذاباً نكراً أي[3] فظيعاً. فذاقت بذلك وبال أمرها أي عقوبته وكان عاقبة أمرها خسراً أي خساراً وهلاكاً وأعد الله لهم عذاباً شديداً هو عذاب يوم القيامة وفي تكرار الوعيد تحذير من الوقوع فيه بالشرك والظلم.

وقوله تعالى ﴿فاتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه فلا تهملوا أحكامه ولا تعطلوها فيحل بكم ما حل بغيركم ممن عتوا عن أمر ربهم ورسله يا أولى الألباب أي العقول الذين آمنوا قد أنزل إليكم ذكراً هو القرآن ﴿رسولاً﴾[4] هو محمد ﷺ ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات[5]﴾ واضحات في نفسها لا خفاء فيها ولا غموض، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات أي ظلمات الكفر والشرك الى النور نور الإيمان والتوحيد والعمل الصالح.

وقوله تعالى ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً ندخله[6] جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن[7] الله له رزقا﴾ هذا وعد كريم من رب رحيم يعد كل من آمن به وعمل صالحاً أن يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن له فيها رزقاً وهو نعيم الجنة الذى لا ينفد ولا ينقطع أبداً.

وقوله ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن[8]﴾ أي سبع أرضين واحدة فوق الأخرى كالسموات سماء فوق سماء هذا هو الله المعبود بحق الذي لا إله غيره ولا رب سواه.

وقوله تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ أي[9]

---

(١) (وكأين): اسم لعدد كثير مبهم يفسره ما يميزه بعده من اسم مجرور بمن وهو بمعنى: كم الخبرية، والمراد بالقرية: أهلها والقرية: المدينة الكبيرة.

(٢) (حاسبناها) بمعنى: جازيناها مجازاة دقيقة دقة الحساب.

(٣) قرأ نافع (نُكُراً) بضم النون والكاف، وقرأ حفص (نُكْراً) بضم النون وإسكان الكاف. والعذاب النكر: ما ينكره المرء من فظاعة كيفيته إنكاراً شديداً.

(٤) جائز أن يكون (رسولاً) بدل اشتمال من (ذكر) لتوقف الذكر على الرسول، وجائز أن يكون (رسولاً) معمولا لفعل محذوف تقديره وأرسل إليكم رسولاً، وهذا واضح.

(٥) قرأ نافع (مبينات) بفتح الياء، وقرأ حفص (مبينات) بكسرها والمعنى واحد.

(٦) قرأ نافع ندخله بالنون وقرأ حفص يدخله بالياء.

(٧) أحسن الله له رزقاً قوله أحسن أبلغ من أعد لأن الإحسان لا يكون إلاّ بعد الإعداد.

(٨) كون الأرضين سبعاً يشهد له قوله تعالى ومن الأرض مثلهن أي مثل السموات السبع ويشهد له السنة الصحيحة فقد روى عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين. ومثله أبي هريرة وفيه قال رسول الله ﷺ لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حق إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة.

(٩) المراد بالأمر هنا أمر الله تعالى وهو ما يدبر به شؤون مخلوقاته في الأرض والسماء. من موت وحياة وغيرهما وأمر ونهي وعطاء ومنع وغيرهما، والله أعلم بمراده من كلامه وهو العليم الحكيم.

أعلمكم بخلقه العظيم من السموات والأرضين وبتنزل الأمر بينهن في كل وقت وحين لتعلموا أنه تعالى على كل شيء قدير لترغبوا فيما عنده وأنه أحاط بكل علما لترهبوه وتراقبوه، وبذلك تتهيؤن لإنعامه ورضاه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- التحذير من ترك الأحكام الشرعية وإهمالها والعبث بها.

٢- بيان منة الله على هذه الأمة بإنزال القرآن عليها وإرسال الرسول إليها.

٣- بيان أن الكفر ظلمة وان الإيمان نور.

٤- بيان عظمة الله تعالى وسعة علمه.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ (١)

مدنيـة وآياتهااثنتا عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ
وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا
فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ
﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ
فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا

---

(١) وتسمى سورة النبي أيضاً.

خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ
ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴿٥﴾

شـرح الكـلمات :

لم تحرم ما أحل الله لك : أي لم تحرم جاريتك مارية التي أحلها الله لك.

تبتغي مرضات أزواجـك : أي بتحريمها.

قد فرض لكم تحلة أيمانكم : أي شرع لكم تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة.

وإذْ أسرَّ النبي الى بعض أزواجه : هي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

حديثـا : هو تحريم مارية وقوله لها لا تفشيه.

فلما نبأت به : أي نبأت حفصة عائشة أي أختبرها به ظناً منها أنه لا حرج في ذلك باجتهادٍ.

وأظهره الله عليه : أي اطلعه عليه أي على المنبأ به.

عـرف بعضـه : أي لحفصـة.

وأعرض عن بعض : أي تكرما منه ﷺ.

إن تتوبا الى الله : أي حفصة وعائشة رضي الله عنهما تقبل توبتكما.

فقد صـغت قلوبكما : أي مالت الى تحريم مارية أي سرَّكما ذلك.

وإن تظاهرا عليه : أي تتعاونا أي على النبي ﷺ فيما يكرهه.

فإن الله هو مولاه : أي ناصره.

وصالح المؤمنين : أي أبوبكر وعمر رضي الله عنهما.

والملائكة بعد ذلك ظهير : أي ظُهراء وأعـوان له.

قانتـات : أي عابدات.

سائـحات : أي صائمات أو مهاجـرات.

معنى الآيـات :

قولـه تعـالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل[1] الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور

---

(١) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا، قالت فتواطأت أنا وحفصة إن أيتنا دخل عليها رسول الله ﷺ فلتقل إني أجد منك ريح مغافير: أكلت مغافير: فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له. فنزل لم تحرم ما أحل الله لك إلي أن تتوبا، المغافير جمع مغفور بقلة من البقول.

رحيم﴾ في هذا عتاب من الله تعالى لرسوله ﷺ إذ حرم جاريته مارية ترضية[1] وذلك أنه ﷺ خلا بها في بيت إحدى نسائه فاطلعت عليه فقالت يا رسول الله في بيتي وعلى فراشي فجعلها أي مارية عليه حراماً ترضية لصاحبة الحجرة والفراش. فأنزل الله تعالى هذه الآيات مشتملة على هذه القصة فقال تعالى: ﴿يا ايها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ يعني جاريته مارية القبطية أم إبراهيم. ﴿تبتغي مرضات أزواجك﴾ أي تطلب رضاهن ﴿والله غفور رحيم﴾ بك فلا لوم عليك بعد هذا ولا عتاب فجاريتك لا تحرم عليك وكفر عن يمينك. إذ قال لها هى عليّ[2] حرام ووالله لا أطؤها.

وقوله تعالى ﴿قد فرض لكم تحلة[3] أيمانكم﴾ أي ما تتحللون به من أيمانكم إذا حلفتم وهي ما جاء في سورة المائدة من قوله تعالى ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم وقوله تعالى والله مولاكم أي متولى أمركم وناصركم. وهو العليم بأحوال عباده الحكيم في قضائه وتدبيره لخلقه.

وقوله تعالى ﴿وإذْ أسر النبي﴾ أي أُذكر إذ أسر النبي لبعض أزواجه حديثا وهي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما إذ قال لها لقد حرمت فلانة ووالله لا أطأها وطلب منها أن لا تفشى هذا السر. فحدثت به عائشة وكانت متصافية معها توادها.

فأطلع الله تعالى رسوله على ذلك. فلما نبات به وأظهره الله عليه عرف بعضه لحفصة وأعرض عن بعض تكرماً منه ﷺ. قالت أي حفصة من أنبأك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير. وقوله: إن تتوبا إلى الله أي حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما أي مالت إلى تحريم مارية أي سركما ذلك. وجواب الشرط تقديره تقبل توبتكما. وقوله تعالى: ﴿وان تظاهرا عليه﴾ أي تتعاونا عليه ﷺ فيما يكرهه، فإن تعاونكما يا حفصة وعائشة رضي الله عنكما لن يضره شيئاً فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين أبوبكر وعمر، والملائكة بعد ذلك ظهير له أي ظهراء وأعوان له عن كل من يؤذيه أو يريده بسوء.

---

(١) ترضية أي لبعض أزواجه أي طلباً لرضاها وهي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

(٢) اختلف أهل العلم فيمن حرم شيئاً فإن كان غير الزوجه فالجمهور على أنه لا يحرم ولا كفارة عليه، وبعض يقول عليه كفارة يمين: أما الزوجة فقد بلغت الأقوال فيها ثمانية عشر قولاً أعدلها أن من حرم زوجته بلفظ أنت حرام أو بالحرام إن نوى طلاقها فعليه طلقة، وإن لم ينو طلاقها فإن عليه كفارة يمين كما في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: إذا حرم الرجل عليه امرأته فهي يمين يكفرها، وقال: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.

(٣) تحلة اليمين كفارتها أي من حلف على شيء وأراد أن يعود إليه فليكفر عن يمينه وليأت ما حلف عليه.

وقوله تعالى ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾، وفي هذا تخويف شديد لأمهات المؤمنين وتأديب رباني كبير لهن إذ وعد رسوله أنه لو طلقهن لأبدله خيراً منهن ﴿مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات﴾ أي[1] صائمات أو مهاجرات، ﴿ثيبات وأبكاراً﴾ أي بعضهن ثيبات وبعضهن أبكاراً إلا أن الرسول ﷺ لم يطلقهن والله تعالى لم يبدله فهن زوجاته في الدنيا زوجاته في الآخرة هذا وأنبه إلى أن خلافاً كبيراً بين أهل التفسير في الذي حرمه رسول الله ﷺ على نفسه وعاتبه ربه عليه. وأحله الله له هل هو شراب كان يحبه، أو هو جاريته مارية ومن[2] الجائز أن يكون غير ما ذكر؛ لأن الله تعالى لم يذكر نوع ما حرم رسوله على نفسه، وإنما قال لم تحرم ما أحل الله لك. والجمهور على أن المحرم مارية، وفي البخاري أنه العسل والله أعلم فلذا أستغفر الله تعالى أن أكون قد قلت عليه أو على رسوله مالا يرضيهما أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله إن ربي غفور رحيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير نبوته ﷺ وبشريته الكاملة.

٢ـ أخذ الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى من هذه الآية أن من قال لزوجته أنت حرام أو حرمتك وهو لم ينوِ طلاقها أن عليه كفارة يمين لا غير، وذكر القرطبي في هذه المسألة ثمانية عشر قولاً للفقهاء أشدها البتة وأرفقها أن فيها كفارة يمين كما هو مذهب الامامين الشافعي واحمد رحمهما الله تعالى.

٣ـ كرامة الرسول ﷺ على ربه.

٤ـ فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا

(١) قيل سمي الصائم سائحاً لأن السائح لا زاد معه فكذلك الصائم لا زاد معه.

(٢) نعم من الجائز أن يكون غير ماذكـر ولكن بتتبّع لروايات وأقوال العلماء سلفاً وخلفاً ثبت ان الأمر يدور بين أن ماحرمه ﷺ على نفسه ترضية هو جاريته مارية، أو العسل لا غيرهما.

الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

قوا أنفسكم وأهليكم : أي اجعلوا لها وقاية بطاعة الله والرسول ﷺ.

ناراً وقودها الناس والحجارة : أي توقد بالكفار والأصنام التي تعبد من دون الله ، لا بالحطب ونحوه.

لا تعتذروا اليوم : أي لأنه لا ينفعكم اعتذار، يقال لهم هذا عند دخولهم النار.

توبة نصوحا : أي توبة صادقة بأن لا يعاد الى الذنب ولا يراد العود إليه.

يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا : أي بإدخالهم النار.

يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم : أي أمامهم ومن كل جهاتهم على قدر أعمالهم.

ربنا أتمم لنا نورنا : أي إلى الجنة، لأن المنافقين ينطفيء نورهم.

معنى الآيات :

قوله تعالىٰ ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم[1] وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ هذا نداء الله إلىٰ عباده المؤمنين يعظهم وينصح لهم فيه أن يقوا أنفسهم وأهليهم[2] من زوجة وولد، ناراً عظيمة ، وقودها

(١) قال علي رضي الله عنه ومجاهد وقتادة: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم. قال ابن العربي هذا هو الصحيح لما يعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل كقول الشاعر :
علفتها تبناً وماء بارداً ، أي وسقيتها ماءً بارداً.

(٢) إن الوقاية لا تتم إلا بالإيمان وصالح الأعمال بعد اجتناب الشرك والمعاصي ، وهذا يتطلب العلم بذلك وتوطين النفس على العمل بما يعلم من ذلك فعلا لما يفعل وتركاً لما يترك فليأخذ العبد نفسه وأهله بهذا نصحاً له ولهم حتى يقي نفسه ويقي أهله.

أي ما توقد به الناس من المشركين والحجارة التي هي أصنامهم التي كانوا يعبدونها يقون أنفسهم بطاعـة الله ورسوله تلك الطاعة التي تزكي أنفسهم وتؤهلهم لدخول الجنة بعد النجاة من النار.

وقوله تعالى ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي على النار قائمون عليها وهم الخزنة التسعة عشرة غلاظ القلوب[1] والطباع شداد البطش إذا بطشوا ولا يعصون الله أي لا يخالفون أمره، وينتهون إلى ما يأمرهم به وهو معنى ويفعلون ما يؤمرون.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم[2]﴾ هذا يقال لأهل النار ينادون ليقال لهم: لا تعتذروا اليوم حيث لا ينفع الاعتذار. وإنما تجزون ما كنتم تعملون الحسنة بالحسنة والسيئة بالسيئة.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا﴾ هذا هو النداء الثاني الذي ينادى فيه الله تعالى عباده المؤمنين يأمرهم فيه بالتوبة العاجلة النصوح التى لا يعود صاحبها الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع[3]، ويعدهم ويبشرهم يعدهم بتكفير سيئآتهم، يبشرهم بالجنة دار النعيم المقيم فيقول﴿عسى[4] ربكم أن يكفر عنكم سيئآتكم ويدخلكم﴾ أي بعد ذلك ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه أي بإدخالهم الجنة .وقوله تعالى ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبـأيمـانهم﴾ أي وهم مجتـازون الصـراط يسـألـون ربهم أن يبقي[5] لهم نورهم لا يقـطعـه عنهم حتى يجتازوا الصراط وينجوا من السقوط في جهنم كما يسألونه أن يغفر لهم ذنوبهم التى قد يُردُّون بها الى النار بعد اجتياز الصراط.

وقولهم: إنك على كل شيء قدير هذا توسل منهم لقبول دعائهم حيث توسلوا بصفة القوة والقدرة لله تعالى فقالوا إنك على كل شيء قدير فأتمم لنا نورنا واغفر لنا.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- وجوب العناية بالزوجة والأولاد وتربيتهم وأمرهم بطاعة الله ورسوله ونهيهم عن ترك ذلك.

٢- وجوب التوبة الفورية على كل من أذنب من المؤمنين والمؤمنات وهى الإقلاع من الذنب فوراً

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وروى مرفوعاً ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب.

(٢) لأن عذرهم لا ينفعهم. والقصد من هذا النهي هو تحقيق اليأس لهم.

(٣) قال القرطبي اختلف في تحديد التوبة النصوح على ثلاث وعشرين قولاً وقدم ما في التفسير على تلك الأقوال.

(٤) عسى من الله تعالى واجبة، ويشهد لهذا قوله ﷺ التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(٥) قال ابن عباس ومجاهد: هذا دعاء المؤمنين حين أطفأ الله نور المنافقين.

أي تركه والتخلى عنه، ثم العزم على أن لا يعود اليه في صدق، ثم ملازمة الندم والاستغفار كلما ذكر ذنبه استغفر ربه وندم على فعله وان كان الذنب متعلقاً بحق آدمي كأخذ ماله أو ضرب جسمه أو انتهاك عرضه وجب التحلل منه حتى يعفو ويسامح.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ
عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

جاهد الكفار : أي بالسيف.

والمنافقين : أي باللسان.

واغلظ عليهم : أي أشدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم باللين.

فخانتاهما : أي في الدِّين إذ كانتا كافرتين.

فلم يغنيا عنهما : أي نوح ولوط عن امرأتيهما.

من الله شيئاً : أي من عذاب الله شيئاً وإن قلَّ.

امرأة فرعون : أي آسيا بنت مزاحم آمنت بموسى.

أحصنت فرجها : أي حفظته فلم يصل اليه الرجال لا بنكاح ولا زنا.
فنفخنا فيه من روحنا : أي نفخنا في كُمِّ درعها بواسطة جبريل الملقب بروح القدس.
وصدقت بكلمات ربها : أي بولدها عيسى أنه كلمة الله وعبده ورسوله.

معنى الآيـات :

في الآية الأولى (٩) يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ بعدما ناداه بعنوان النبوة تشريفاً وتكريماً يأمره بجهاد الكفاروالمنافقين فالكفار بالسيف، وشن الغارات[١] عليهم حتى يسلموا، والمنافقون بالقول الغليظ والعبارة البليغة المخيفة الحاملة للوعيد والتهديد. وقوله تعالى: ﴿واغلظ عليهم﴾ أي أشـدد وطأتك على الفريقين على المنافقين باللسان، وعلى الكافرين بالسنان. ومأواهم[٢] جهنم وبئس المصير إذا ماتوا على نفاقهم وكفرهم، أو من علم الله موتهم على ذلك. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٠) ضرب الله مثلاً في عدم انتفاع الكافر بقرابة المؤمن مهما كانت درجة القرابة عنده. وهو امرأة نوح[٣] وامرأة لوط إذ كانت كل واحدة منهما تحت نبي رسول فخانتاهما في[٤] دينهما فكانتا كافرتين فامرأة نوح تفشى سر من يؤمن بزوجها وتُخبر به الجبابرة من قوم نوح حتى يبطشوا به وكانت تقول لهم إن زوجها مجنون، وامرأة لوط كانت كافرة وتدل المجرمين على ضيوف لوط إذا نزلـوا عليه في بيتـه وذلك في الليل بواسطة النار، وفي النهار بواسطة الدخان. فلما كانتا كافرتين لم تُغن عنهما قرابتهما بالزوجية شيئاً. ويوم القيامة يقال لهما: ادخلا النار مع الداخلين من قوم نوح وقـوم لوط. هذا مثل وآخر في عدم تضرر المؤمن بقرابة الكافر ولو كانت القرابة الزوجية وما أقواها، وهو ـ المثل ـ إمرأة فرعون الكافر الظالم آسيا بنت مزاحم كانت قد آمنت بموسى مع من آمن فلما عرف فرعون إيمانها أمر بقتلها فلما علمت بعزم الطاغية على قتلها قالت في مناجاتها لربها: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله الذي هو الكفر والظلم حتى لا أكون كافرة بك ولا ظالمة لأحد من خلقك، ونجني من القوم الظالمين أي من عذابهم فُشدت أيديها وأرجلها لتلقى عليها صخرة عظيمة إن هى أصرت على الإيمان فرفعت بصرها إلى السماء فرأت بيتها في الجنة ففاضت روحها شوقاً الى الله والى بيتها فى الجنة وقد

---

(١) من المعلوم أن الكفار يُدعون إلى الإسلام أولاً مبيناً لهم ما فيه من الهدي والخير ومايجلبه لأهله من الكمال والإسعاد، فإن أبوا فليقاتلوا.

(٢) ومأواهم جهنم هذا عائد على الفريقين الكافرين والمنافقين معاً.

(٣) قال مقاتل اسم امرأة نوح وَالِهَةُ واسم امرأة لوط والعة وروي مرفوعاً بضعف ان اسم امرأة نوح واغلة وامرأة لوط والهة والله أعلم.

(٤) الإجماع أن خيانة المرأتين كانت في الدين ولم تكن في العرض وإنما هي في الكفر والنفاق.

رأته فوصلت الصخرة اليها بعد أن فاضت روحها فنجاها الله من عذاب القتل الذي أراده لها[1] فرعون وعصابته الظلمة الكافرون.

وقوله تعالى ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها. عطف تعالى مريم على آسيا ليكون المثل مُكوناً من امرأتين مؤمنتين، كالمثل الأول كان مُكوناً من امرأتين كافرتين فقال عز وجل ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها عن الرجال في الوقت الذي عم البغاء والزنا ديار بني اسرائيل كما هي الحال اليوم في ديار اليهود وأمثالهم قد لا تسلم امرأة من الزنا بها فلم يضر ذلك مريم لما كانت عفيفة طاهرة بل أكرمها الله لما أحصنت فرجها بأن أرسل إليها روحه جبريل عليه السلام وأمره أن ينفخ في كم درعها فسرت النفخة بقدرة الله تعالى في جسمها فحملت بعيسى الذي كان بكلمة الله كن فكان في ساعة وصول هواء النفخة وولدته للفور كرامة الله للتى أحصنت فرجها خوفاً من الله وتقربا اليه، وما ضرها أن العهر والزنا قد انتشر حولها ما دامت هى طاهرة كما لم يضر كفر فرعون آسيا الطاهرة. وكما لم ينفع إيمان وصلاح نوح ولوط امرأتيهما الكافرتين الخائنتين.

قال ابن عباس رضي عنهما ما بغت امرأة نبي قط، وهو كما قال فوالله ما زنت امرأة نبي قط لولاية الله تعالى لأنبيائه فكيف يخزيهم ويذلهم حاشاه تعالى أن يخزي أولياءه أو يذلهم فالمراد من الخيانة المذكورة في قوله تعالى فخانتاهما الخيانة في الدين وإفشاء الأسرار.

وقوله تعالى: وصدقت بكلمات ربها أي بشرائعه وبكتبه[2] التي أنزلها على رسله، وكانت من القانتين[3] أي المطيعين لله تعالى الضارعين له المخبتين.

(١) قال يحيى بن سلام: ما ضربه الله مثلا للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة رضي الله عنهما من مخالفتهما حين تظاهرتها على رسول الله ﷺ وما ضربه تعالى مثلا لامرأة فرعون ومريم بنت عمران ضربه ترغيباً لعائشة وحفصة في التمسك بالطاعة والثبات عليها والصحيح انه حث لكل المؤمنين على الصبر في الشدة مهما كانت.

(٢) قرأ نافع وكتابه وجائز أن يكون الإنجيل وهو كتاب ابنها عيسى عليه السلام وجائز أن يكون المراد به ما كتبه الله وقدره وقرأ حفص وكتبه بالجمع أي آمنت بسائر كتب الله تعالى المنزلة وعليه فالكتاب في قراءة نافع اسم جنس صادق على جميع كتب الله تعالى المنزلة.

(٣) لم قال من القانتات؟ لانه أراد من القوم القانتين وهم المكثرون من العبادة وفي هذا ثناء عليها وعلى قومها الصالحين وأنها نبتت طيبة في نبات طيب كقول القائل: وهل ينبت الخطي إلا وشيجه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ وجـوب الجهاد في الكفار بالسيف وفي المنافقين باللسان، وعلى حكام المسلمين القيام بذلك لأنهم خلفاء النبي ﷺ في أمته.

٢ـ تقرير مبدأ: لا تزر وازرةٌ وزر أخرى. فالكافر لا ينتفع بالمؤمن يوم القيامة.

٣ـ والمؤمن لا يتضرر بالكافر ولو كانت القرابة روحية نبوة أو انسانية أو ابوة أو بنوة فإبراهيم لم يضره كفر آزر، ونوح لم يضره كفر كنعان ابنه، كما أن آزر وكنعان لم ينفعهما إيمان وصلاح الأب والإبن.

هذا وقرابة المؤمن الصالح تنفع المؤمن دون الصالح لقوله تعالى والذين[1] آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّياتهم.

---

(١) الآية في سورة الطور.

مكيـة وآياتها ثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾
ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ
يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

تبارك الذي بيده الملك : أي تعاظم وكثُر خير الذي بيده الملك أجمع ملكاً وتصرفا وتدبيراً.

وهو على كل شيء قدير : أي وهو على إيجاد كل ممكن وإعدامه قدير.

الذي خلق الموت والحياة : أي أوجد الموت والحياة فكل حيّ هو بالحياة التي خلق الله وكل ميّت هو بالموت الذي خلق الله.

ليبلوكم أيكم أحسن عملا : أي أحياكم ليختبركم أيكم يكون أحسن عملا ثم يميتكم ويحييكم ليجزيكم.

وهو العزيز الغفور : أي وهو العزيز الغالب على ما يريده الغفور العظيم المغفرة للتائبين.

---

(١) وتسمى الواقية والمنجية وورد في فضلها أحاديث أصحها حديث السنن وهو قوله ﷺ ان سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له : تبارك الذي بيده الملك.

طباقا : أي طبقة فوق طبقة وهي السبع الطباق ولا تماسَّ بينها.
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت : أي من تباين وعدم تناسب.
هل ترى من فطور : أي من شقوق أو تصدع.
كرتين : أي مرتين مرة بعد مرة.
خاسئا وهو حسير : أي ذليلا مبعداً كالاًّ تعباً منقطعاً عن الرؤية إذ لا يرى خللا.
بمصابيح : أي بنجوم مضيئة كالمصابيح.
رجوما للشياطين : أي مراجم جمع مرجم وهو ما يرجم به أي يرمى.
وأعتدنا لهم عذاب السعير : أي وهيأنا لهم عذاب النار المسعّرة الشديدة الاتّقاد.

معنى الآيات:

قوله ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ مجّد الربّ تعالى نفسه وعظمها وأثنى عليها بما هو أهله من الملك والسلطان والقدرة والعلم والحكمة فقال عز وجل تبارك(١) أي تعاظم وكثر خير الذي بيده الملك الحقيقي يحكم ويتصرف ويدير بعلمه وحكمته لا شريك له في هذا الملك والتدبير والسلطان. ﴿وهو على كل شيى قدير﴾ فما أراد(٢) ممكنا إلا كان، ولا أراد انعدام ممكنٍ إلا انعدم. الذي خلق الموت(٣) والحياة لحكمة عالية لا باطلا ولا عبثا كما يتصور الكافرون والملاحدة الدهريون بل ﴿ليبلوكم أيكم(٤) أحسن عملاً﴾ أي خلق الحياة بكل ما فيها، ليذكر ويشكر من عباده فمن ذكر وشكر وأحسن ذلك، أعدّ له جناتٍ ينقله إليها بعد نهاية الحياة والعمل فيها، ومن لم يذكر ولم يشكر أو ذكر وشكر ولم يحسن ذلك بأن لم يخلص فيه لله، ولم يؤده كما شرع الله أعدّ له ناراً ينقله إليها بعد نهاية الحياة الدنيا حياة العمل، إذ هذه الحياة للعمل، وحياة الآخرة للجزاء على العمل. وقوله تعالى ﴿وهو العزيز الغفور﴾ ثناء آخر أثنى به تعالى على نفسه فأعلم أنه العزيز الغالب الذي لا يُحال بينه وبين ما يريد الغفور العظيم المغفرة إذ يغفر الذنوب للتائب ولو كانت مثل الجبال وزبد البحر. وقوله ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً﴾ هذا ثناء آخر بعظيم القدرة وسعة

(١) القرطبي: تبارك قال الحسن تقدس، وقيل دام فهو الدائم الذي لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه.
(٢) التعبير بالممكن وغير الممكن فيه جواب لمن قال من المبطلين إن كان الله على كل شيء قديراً فهل يقدر أن يخلق إلهاً مثله: والجواب أن خلق إله مثل الله غير ممكن فلذا لا يخلقه سبحانه وتعالى.
(٣) قدم ذكر الموت على الحياة لأن الموت أكبر واعظ للإنسان. قال العلماء الموت ليس عدماً محضاً ولا فناءً صرفاً، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما وتبديل حال وانتقال من دار إلى دار. والحياة عكس ذلك.
(٤) ليبلوكم أي ليعاملكم معاملة المختبر لكم فيرى أحسنكم عملاً من أسوأه وقد رتب الجزاء على ذلك، وأحسن العمل أخلصه وأصوبه أي أخلصه لله تعالى وأصوبه أي اداؤه كما شرعه بلا زيادة ولا نقصان.

العلم والحكمة خلق سبع سموات طباقا سماء فوق سماء مطابقة لها ولكن من غير مماسة إذ ما بين كل سماء وأخرى هواء وفراغ مسيرة خمسمائة عام فالمطابقة المعادلة والمساواة في الجرم لا بوضع سماء على الأخرى كغطاء القدر مثلا . وقوله ﴿ماترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ أي من اختلاف أو تضاد وتباين والسماء فوقك فإنك لا تجد إلاّ الاتّساق والانتظام لا تصدع ولا انفطار وإن شئت فارجع البصر وانظر هل ترى من فطور أي إنك لا ترى ذلك ثم ارجع البصر كرتين[1] فإنك لا تجد تفاوتا ولا تبايناً أبداً ولو نظرت الدهر كله كل ما في الأمر أن بصرك أيها الناظر إلى السماء يرجع إليك خاسئا أي ذليلا مبعداً[2] مما أراد، وهو حسير أي كليل تعب وقوله تعالى ﴿ولقد زيّنا السماء الدنيا﴾ أي هذه الدانية من الأرض القريبة منها بمصابيح[3] هي النجوم والكواكب. وجعلناها أي النجوم رجُوماً[4] للشياطين ترجم بها الملائكة شياطين الجن الذين يريدون استراق السمع من كلام الملائكة حتى لا يفتنوا الناس في الأرض عن دين الله عز وجل. وقوله تعالى ﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير[5]﴾ أي وهيأنا للشياطين عذاب السعير يعذبون به يوم القيامة كسائر الكافرين من الإنس والجن.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير ربوبية الله تعالى بعرض دلائل القدرة والعلم والحكمة والخير والبركة وهي موجبة لألوهيته أي عبادته دون من سواه عز وجل.

٢ـ بيان الحكمة من خلق الموت والحياة.

٣ـ بيان الحكمة من خلق النجوم وهي في قول قتادة رحمه الله: أن الله جل ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: زينة لسماء الدنيا، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها.[6]

---

(١) كرتين منصوب على المصدر لأن الكرة الرجعة فكرتين بمعنى رجعتين أي مرة بعد أخرى والعامل فارجع.

(٢) يقال خسئت الكلب أي أبعدته وطردته.

(٣) سميت الكواكب مصابيح لإضائتها.

(٤) الرجوم جمع رجم وهو اسم لما يرجم به أي ما يرمى به الرامي من حجر وغيره من باب تسمية المفعول بالمصدر مثل الخلق للمخلوق والرد للمردود، والمراد من النجوم التي يرمى بها هي الشهب التي تنفصل عن النجوم والكواكب، وجائز أن تكون كواكب صغيرة تُرمىٰ بها الشياطين شأنها شأن الشهب لحديث: الكوكب الذي انقض البارحة..

(٥) لا يقولن قائل: الشياطين خلقوا من نار فكيف يعذبون بها؟ والجواب: السعير أقوى من مادة النار التي خلقوا منها كما أن الشياطين تحولوا عن أصل المادة التي خلقوا منها. تحول الإنسان من طين إلى لحم وعظم وعصب ودم.

(٦) تمام قوله: فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به، وتعدى وظلم.

وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾

شرح الكلمات:

كفروا بربهم : أي لم يؤمنوا به فلم يعبدوه.

إذا ألقوا فيها : أي في جهنم ألقتهم الملائكة فيها وذلك يوم القيامة.

سمعوا لها شهيقا : أي سمعوا لجهنم صوتاً منكراً مزعجا كصوت الحمار.

وهي تفور تكاد تميز من الغيظ : أي تغلي تكاد تتقطّع من الغيظ غضباً على الكفار.

سألهم خزنتها : سؤال توبيخ وتقريع وتأنيب.

ألم يأتكم نذير : أي رسول ينذركم عذاب الله يوم القيامة؟.

وقلنا ما نزل الله من شيء : أي كذبنا الرسل وقلنا لهم ما نزل الله مما تقولون لنا من شيء.

إن أنتم إلا في ضلال كبير : أي ما أنتم أيها الرسل إلاّ في ضلال كبير أي خطأ عقلي وتصور نفسي باطل.

لو كنا نسمع أو نعقل : أي وبخوا أنفسهم بأنفسهم وقالوا لو كنا في الدنيا نسمع أو نعقل لآمنا وعبدنا الله وما كنا اليوم في أصحاب السعير.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة أنه أعد للشياطين مسترقي السمع من الملائكة في السماء عذاب السعير عطف عليه قوله ﴿وللذين كفروا بربهم﴾(1) أي جحدوا ألوهيته ولقاءه فما عبدوه ولا

---

(١) هذا تتميم للكلام السابق-أي كما كان للشياطين عذاب السعير فللذين كفروا عذاب جهنم وبئس المصير.

آمنوا به من الإنس والجن عذاب جهنم وبئس المصير هي أي جهنم يصيرون إليها وينتهون إلى عذابها شرابها الحميم وطعامها الضريع والزقوم، وقوله تعالى في وصف ما يجري في النار ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً﴾[1] إذا ألقي الكافرون في النار سمعوا لها شهيقا أي صوتا منكراً مزعجاً كصوت الحمار إذا شهق أو نهق. ﴿وهي تفور﴾ تغلي[2] ﴿تكاد تميّز﴾[3] أي تقرب أن تتقطع من الغيظ الذي هو شدة الغضب وغضبها من غضب الرب مالكها لما غضب الجبار غضبت لغضبه، وكل مؤمن بالله عارف به يغضب لما يغضب له ربّه ويرضى لما يرضى به ربّه. وقوله تعالى ﴿كلما ألقي فيها فوج﴾ أي جماعة ﴿سألهم خزنتها﴾ أي الملائكة الموكلون بالنار وعذابها وهم الزبانية وعددهم تسعة عشر ملكاً سألوهم سؤال توبيخ وتقريع لأنهم يعلمون ما يسألونهم عنه ﴿ألم يأتكم[4] نذير﴾ أي رسول في الدنيا يدعوكم إلى الإيمان والطاعة؟ فيجيبون قائلين ﴿بلى﴾ قد جاءنا نذير ولكن كذبنا الرسل وقلنا لهم ردًا على دعوتهم ﴿ما نزّل الله من شيء﴾ أي مما تقولون وتدعوننا إليه ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾[5] أي وقلنا لهم ما أنتم أيها الرسل إلاّ في ضلال عقلي وخطأ تصوري كبير. ثم رجعوا إلى أنفسهم يوبخونها بما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ قال تعالى ﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقاً﴾ أي بعداً بعداً من رحمة الله ﴿لأصحاب السعير﴾ أي سعير جهنم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان ما يجري فيها من عذاب وعقاب.

٢ـ بيان أن تكذيب الرسل كفر موجب للعذاب، وتكذيب العلماء كتكذيب الرسل بعدهم أي في وجوب العذاب المترتب على ترك طاعة الله ورسوله.

٣ـ بيان أن ما يقوله أهل النار في اعترافهم هو ما يقوله الملاحدة اليوم في ردهم على العلماء بأن التديّن تأخر عقلي ونظر رجعي.

٤ـ تقرير أن الكافر اليوم لا يسمع ولا يعقل أي سماعاً ينفعه وعقلاً يحجزه عن المهالك باعتراف أهل النار إذ قالوا ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾.

(١) قال عطاء الشهيق في الصدور والزفير في الحلق.

(٢) قال حسان:

تركتم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تفور

أي تغلي.

(٣) أصل تميز تتميز أي تنقطع وينفصل بعضها عن بعض قيل هذا التغيظ هو من شدّة الغيظ على أعداء الله، وقيل هو من الغليان.

(٤) الاستفهام للتقريع والتوبيخ.

(٥) إن أنتم إن نافية بدليل الاستثناء بعدها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾
وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾

شرح الكلمات:

يخشون ربهم بالغيب : أي يخافونه وهم غائبون عن أعين الناس فلا يعصونه.

لهم مغفرة وأجر كبير : أي لذنوبهم وأجر كبير هو الجنة.

ألا يعلم من خلق : أي كيف لا يعلم سركم كما يعلم جهركم وهو الخالق لكم فالخالق يعرف مخلوقه.

وهو اللطيف الخبير : أي بعباده الخبير بهم وبأعمالهم.

ذلولا : أي سهلة للمشي والسير عليها.

فامشوا في مناكبها : أي في جوانبها ونواحيها.

وإليه النشور : أي إليه وحده مهمة نشركم أي إحياءكم من قبوركم للحساب والجزاء.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى جزاء الكافرين وأنه عذاب السعير رغب في الإيمان والطاعة للنجاة من السعير فقال ﴿إنّ الذين يخشون ربهم بالغيب﴾[1] أي يخافونه وهم لا يرونه، وكذا وهم في غيبة عن الناس فيطيعونه ولا يعصونه هؤلاء لهم مغفرة لما فرط من ذنوبهم وأجر كبير عند ربهم أي الجنة. ولما قال بعض المشركين في مكة لاتجهروا بالقول فيسمعكم إله محمد فيطلعه على قولكم قال تعالى ردًا عليهم وتعليما ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ فإنه يعلم السر وما هو أخفى منه كحديث

(١) بعد ذكر جزاء أهل الكفر والشرك والشر والفساد ذكر تعالى جزاء أهل الإيمان والتوحيد والخير والصلاح فكان الأسلوب اسلوب الترهيب والترغيب الذي عرف به القرآن الكريم كتاب الهداية الإلهية.

النفس وخواطرها ﴿إنه[1] عليم بذات الصدور﴾ أي بما هو مكنون مستور في صدور الناس ﴿ألا يعلم من[2] خلق﴾ أي كيف لا يعلم من خلقهم وهو اللطيف بهم الخبير بأحوالهم وأعمالهم. وقوله تعالى ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا﴾ أي[3] سهلة فامشوا في مناكبها جوانبها ونواحيها شرقاً وغرباً وكلوا من رزقه الذي خلق لكم، وإليه وحده نشوركم أي إحيائكم واخراجكم من قبوركم ليحاسبكم ويجزيكم على إيمانكم وطاعتكم بخير الجزاء وهو الجنة ونعيمها، وعلى كفر من كفر منكم وعصى بشر الجزاء وهو النار وعذابها.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فضيلة الإيمان بالغيب ومراقبة الله تعالى في السّرّ والعلن.

٢ـ مشروعية السير في الأرض لطلب الرزق من التجارة والفلاحة وغيرهما.

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات:

أن يخسف بكم الأرض : أي يجعلها بحيث تغورون فيها وتصبحون في جوفها.

فإذا هي تمور : أي تتحرك وتضطرب حتى يتم الخسف بكم.

أن يرسل عليكم حاصباً : أي ريحاً عاصفاً نرميكم بالحصباء فتهلكون.

كيف نذير : أي كان عاقبة انذاري لكم بالعذاب على ألسنة رسلي.

---

(١) إنه عليم بذات الصدور الجملة تعليل للتسوية بين السر والجهر من أقوال المشركين نحو قوله أصبروا أو لا تصبروا أي استوى عنده السر والجهر كما استوى عند أهل النار الصبر والجزع.

(٢) ألا يعلم السر من خلق السر أي أنا خلقت السر في القلب أفلا أكون عالماً بما في قلوب العباد. إذ لا بد وأن يكون الخالق عالماً بما خلق والاستفهام إنكاري وجملة وهو اللطيف الخبير في محل نصب حال.

(٣) ذلولاً فعول بمعنى مفعول أي مذللة مسخرة منقادة لما تريدون منها من مشي عليها وزرع وغرس وبناء وإنشاء وتعمير.

فكيف كان نكير : أي إنكاري عليهم الكفر والتكذيب والجواب كان إنكاراً حقاً واقعاً موقعه.

صآفات : أي باسطات أجنحتها.

ويقبضن : أي ويمسكن أجنحتهن.

ما يمسكهن إلّا الرحمن : أي حتى لا يسقطن على الأرض حال البسط للأجنحة والقبض لها.

معنى الآيات:

يقول تعالى واعظاً عباده ليؤمنوا به ويعبدوه وحده فيكملوا ويسعدوا أأمنتم[1] من في السماء الذي هو العلو المطلق وهو الله عز وجل في عليائه فوق عرشه بائن من خلقه أن يخسف بكم الأرض لتهلكوا كلكم في جوفها فإذا هي حال الخسف تمور أي تتحرك وتضطرب حتى تغورو في بطنها والجواب لم يأمنوا ذلك فكيف إذاً يصرون على الشرك والتكذيب للرسول وقوله ﴿أم أمنتم من[2] في السماء﴾ وهو الله عز وجل أن يرسل عليكم حاصباً أي ريحاً تحمل الحصباء والحجارة فتهلكهم ﴿فستعلمون كيف نذير﴾أي إنذاري لكم الكفر والتكذيب أي انه حق وواقع مقتضاه وقوله تعالى ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ كعاد وثمود وغيرهما أي كذبوا رسلي بعدما أنكروا عليهم الشرك والكفر فأهلكناهم ﴿فكيف كان نكير﴾ أي إنكاري لهم كان حقاً وواقع المقتضى وقوله تعالى ﴿أو لم يروا[3] إلى الطير فوقهم صآفات﴾ أي باسطات أجنحتهن ويقبضنها ما يمسكهن في حالة البسط أو القبض إلا الرحمن الذي أنكره المشركون وقالوا وما الرحمن وهم يعيشون في رحمته التي وسعت كل شيء وهي متجلية حتى في الطير تحفظه من السقوط والتحطيم أي أينكرون ألوهية الله ورحمته ولم يروا إلى الطير وهي صافات وقابضات أجنحتها ولا يمسكها أحد من الناس فمن يمسكها إذاً؟ إنه الرحمن جل جلاله وعظم سلطانه بما شاء من السنن والنواميس التي يحكم بها خلقه ويدبر بها ملكوته إن أمر المشركين في كفرهم بالله لعجب وقوله ﴿إنه بكل شيء

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما أأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه يريد أن يصيبكم به إن أصررتم على تكذيبه وتكذيب رسوله. هكذا عقيدة السلف في إثبات صفة العلو لله تعالى، وأما الخلف فيقولون: أأمنتم من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه وملائكته هروباً إلى التأويل حتى لا يصفوا الله تعالى بما وصف به نفسه من العلو الذاتي فما أضل القوم والاستفهام إنكاري أي ينكر عليهم أمنهم من الخسوف بهم وهم قائمون على معاصي توجب لهم ذلك.

(٢) أم: هي المنقطعة التي تؤول ببل والاستفهام وهو إنكاري تعجبي ينكر عليهم أمنهم من عذاب الله بإرسال حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط فتهلكهم كما أهلكتهم إذ هم متعرضون لذلك بتكذيبهم وشركهم وكفرهم وحذفت الياء من نذيري ونكيري وهي ضمير المتكلم حذفت تخفيفاً.

(٣) الهمزة داخلة على محذوف أي أغفلوا ولم يروا إلى الطير فوقهم حال كونها صافات أجنحتها وتقبضها أحياناً ولم تسقط فتتجلى لهم قدرة الله ورحمته ليؤمنوا ويطيعوا فينجوا ويسعدوا.

بصير﴾ سواء عنده السابح في الماء والسارح في الغبراء والطائر في السماء والمستكن في الأحشاء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تحذير المعرضين عن الله وإنذارهم بسوء العواقب إن استمروا على إعراضهم فإن الله قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصباً من السماء وليس هناك من يؤمّنهم ويجيرهم بحال من الأحوال. إلا إيمانهم وإسلامهم لله عز وجل.

٢ـ في الهالكين الأولين عبر وعظات لمن له قلب حيٌّ وعقل يعقل به.

٣ـ من آيات الله في الآفاق الدالة على قدرة الله وعلمه ورحمته الموجبة لعبادته وحده طيران الطير في السماء وهو يبسط جناحيه ويقبضهما ولا يسقط إذ المفروض أن يبقى دائما يخفق بجناحيه يدفع نفسه فيطير بمساعدة الهواء أما إذا قبض أو بسط المفروض أنه يسقط ولكن الرحمن عز وجل يمسكه فلا يسقط.

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات:

جند لكم : أي أعوان لكم.
من دون الرحمن : أي غيره تعالى يدفع عنكم عذابه.
إن الكافرون : أي ما الكافرون.
إلا في غرور : غرهم الشيطان بأن لا عذاب ينزل بهم.
إن أمسك رزقه : أي إن أمسك الرحمن رزقه؟ لا أحد غير الله يرسله.
بل لجوا في عتو ونفور : أي إنهم لم يتأثروا بذلك التبكيت بل تمادوا في التكبر والتباعد عن الحق.
أفمن يمشي مكبا : أي واقعا على وجهه.
أمن يمشي سويّا : أي مستقيما.
والأفئدة : أي القلوب.
قليلا ما تشكرون : أي شكركم قليل.
ذرأكم في الأرض : أي خلقكم في الأرض وإليه تحشرون لا إلى سواه.
متى هذاالوعد : أي الذي تعدوننا به وهو يوم القيامة.
قل إنما العلم عند الله : أي علم مجيئه عند الله لا غير.
فلما رأوه زلفة : أي لما رأوا العذاب قريباً منهم في عرصات القيامة.
سيئت وجوه الذين كفروا : أي تغيّرت مسودة.
هذا الذي كنتم به تدعون : أي هذا العذاب الذي كنتم بإنذاره تكذبون وتطالبون به تحديًا منكم.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية كفار قريش فقال تعالى مخاطباً لهم ﴿أمّن هذا الذي[1] هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن؟﴾ أي من هذاالذي هو جند لكم أيها المشركون بالله تعالى ينصركم من دون الرحمن إن أراد الرحمن بكم سوءاً فيدفعه عنكم. وقوله تعالى ﴿إن الكافرون[2] إلا في غرور﴾ أي ما الكافرون إلا في غرور أوقعهم الشيطان فيه زيّن لهم الشرك ووعدهم ومناهم

(١) أمن هي (أم) المنقطعة المقدرة ببل ومن الاستفهامية ادغمت في ميم أم فصارت أمّن والاستفهام للتبكيت والتأنيب والاضراب الانتقالي إذ تنقل من توبيخهم على عدم التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن آثار قدرة الله ورحمته إلى التبكيت بضعفهم وقلة الناصر لهم سوى الرحمن الذي يكفرون به.

(٢) الجملة معترضة مقررة لما قبلها والالتفات فيها من الخطاب إلى الغيبة لاقتضاء حالهم الإعراض عنهم والإظهار في موضع الإضمار إذ قال إن الكافرون، ولم يقل إن هم إلا في غرور لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به.

أنه لاحساب ولا عقاب، وان آلهتهم تشفع لهم وقوله تعالى ﴿أمن[1] هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور﴾ اي أي من هذاالذي يطعمكم ويسقيكم ويأتي بأقواتكم إن أمسك الله ربكم رزقه عنكم فلو قطع عليكم المطر ما أتاكم به أحد غير الله . وقوله تعالى ﴿بل لجوا في عتو ونفور﴾ أي انهم لم يتأثروا بهذا التبكيت والتأنيب بل تمادوا في الكبر والتباعد عن الحق. وقوله تعالى ﴿أفمن يمشي مكباً[2] على وجهه أهدى أم من[3] يمشي سوياً على صراط مستقيم؟﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحد تبياناً لحالهما وتحقيقا لواقع مذهبهما فقال أفمن يمشي مكباً أي واقعاً على وجهه هذا هو المشرك الذي سيكبّ على وجهه في جهنم أهدى أمّن يمشي سويا أي مستقيما على صراط مستقيم أي طريق مستقيم هذا هو الموحّد فأيهما أهدى؟ والجواب قطعاً الذي يمشي سويا على صراط مستقيم إذاً النتيجة أن الموحد[4] مهتد والمشرك ضال. وقوله تعالى ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ أي خلقكم ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أي القلوب أي وأنتم لا تنكرون ذلك فمالكم إذاً لا تشكرون المنعم عليكم بهذه النعم وذلك بالإيمان به وبرسوله وطاعته وطاعة رسوله إنكم ما تشكرون إلا قليلا وهو اعترافكم بأن الله هو المنعم لا غير. وقوله تعالى ﴿قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون﴾ أي قل لهم يارسولنا الله هو الذي ذرأكم في الأرض أي خلقكم لا أصنامكم التي لا تخلق ذبابا وإليه تعالى وحده تحشرون يوم القيامة إذاً فكيف لا تؤمنون به وبرسوله ولا تشكرونه ولا تخافونه وإليه تحشرون فيحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم.

وقوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أي ويقول الكافرون لرسول الله والمؤمنين: متى هذا الوعد الذي تعدوننا به وهو يوم القيامة أي متى يجيء؟ وهنا قال تعالى لرسوله إجابة لهم على سؤالهم: قل ﴿إنما العلم[5] عند الله﴾ أي علم مجيء يوم القيامة عند الله، وليس هو من شأني وإنما أنا نذير منه مبين لا غير. وقوله تعالى ﴿فلما رأوه﴾ أي عذاب يوم القيامة ﴿زلفة﴾ أي[6] قريبا منهم ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ أي أساءها الله فتغيرت بالاسوداد والكآبة

---

(١) أمّن هذا الذي: القول فيها كالقول في سابقها سواء.

(٢) مكبا اسم فاعل من اكب اللازم أما المتعدي فهو كبه يكبه وجواب الاستفهام الأول هو جملة أهدى وحذف جواب الاستفهام الثاني لدلالة الأول عليه.

(٣) أهدى أي أكثر هداية واستقامة والسوي هو الشديد الاستواء وهو الاعتدال والاستقامة.

(٤) جائز أن يراد بالمكب على وجهه أبو جهل، والسوي على صراط مستقيم أبو بكر رضي الله عنه والمثل عام فى كل مشرك وموحد أو كافر ومؤمن.

(٥) كقوله تعالى: قل إنما علمها عند ربي الآية من سورة الأعراف.

(٦) زلفة: اسم مصدر من أزلف إزلافاً إذا أقرب، والزلفى القربة والمنزلة. والفاء في فلما رأوه زلفة هي الفصيحة إذ أعربت من جملتين وترتيب الشرطية عليها كانه قيل وقد أتاهم الموعود به فرأوه، فلما رأوه زلفة سيئت أي اسودت وجوه الذين كفروا لِمَا فيها من الخوف والحزن.

والحزن. وقيل لهم أو قالت لهم الملائكة هذا العذاب الذي كنتم به تطالبون متحدّين رسولنا والمؤمنين وتقولون: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير حقيقة ثابتة وهي أن الكافر يعيش في غرور كامل ولذا يرفض دعوة الحق.

٢- تقرير حقيقة ثابتة وهي انحراف الكافر وضلاله واستقامة المؤمن وهدايته.

٣- وجوب الشكر لله تعالى على نعمة السمع والبصر والقلب وذلك بالإيمان والطاعة.

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ
أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ قُلۡ هُوَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ
﴿٢٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

قل أرأيتم : أي أخبروني.

ومن معي : أي من المؤمنين.

أو رحمنا : أي لم يهلكنا.

فمن يجير الكافرين : أي فمن يحفظ ويقي الكافرين العذاب.

قل هو الرحمن : أي قل هو الرحمن الذي أدعوكم إلى عبادته.

إن أصبح ماؤكم غوراً : أي غائراً لا تناله الدلاء ولا تراه العيون.

بماء معين : أي تراه العيون لجريانه على الأرض.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية كفار قريش فقال تعالى لرسوله قل لهؤلاء المشركين الذين

تمنّوا موتك وقالوا نتربص به ريب[1] المنون قل لهم﴿ أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن أهلكني الله ومن معي[2]﴾ من المؤمنين ، ﴿أو رحمنا﴾ فلم يهلكنا بعذاب ﴿فمن يجير[3] الكافرين من عذاب أليم؟﴾ والجواب : لا أحد إذاً فماذا تنتفعون بهلاكنا . وقوله تعالى ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المشركين قل هو الرحمن الذي يدعوكم إلى عبادته وحده وترك عبادة غيره آمنا به وعليه توكلنا أي اعتمدنا عليه وفوضنا أمرنا إليه فستعلمون في يوم ما من هو في ضلال ممن هو على صراط مستقيم . وقوله ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ أي غائرا ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ أي قل لهؤلاء المشركين يارسولنا تذكيرا لهم أخبروني إن أصبح ماؤكم الذي تشربون منه «بئر زمزم» وغيرها[4] غائرا لا تناله الدلاء ولا تراه العيون . فمن يأتيكم بماء معين غير الله تعالى؟ والجواب لا أحد[5] إذاً فلم لا تؤمنون به وتوحدونه في عبادته وتتقربون إليه بالعبادات التي شرع لعباده أن يعبدوه بها؟ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان ما كان عليه المشركون من عداوة لرسول الله ﷺ حتى تمنّوا موته .

٢ـ وجوب التوكل على الله عز وجل بعد الإيمان .

٣ـ مشروعية الحجاج لإحقاق الحق وإبطال الباطل .

سُورَةُ القَلَمِ

مكيـة وآياتها اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

---

(١) جاء هذا في سورة الطور. إذ قال تعالى عنهم أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون .

(٢) فتح كُلًّا من ياءي أهلكني ومن معي . نافع وحفص سواء .

(٣) الاستفهام للنفي .

(٤) وهي بئر ميمون كانوا يشربون منها كبئر زمزم .

(٥) معين أصلها معيون كمبيع أصلها مبيوع فنقلت ضمة الياء إلى العين قبلها فالتقى ساكنان الياء والواو فحذفت الواو. ثم كسرت العين لتصبح الياء .

(٦) روى استحباب قول القارىء : الله رب العالمين إذا قرأ فمن يأتيكم بماء معين وروي أن جاهلًا ملحداً لما سمعها قال : تأتي بها الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمي . والعياذ بالله تعالى من الجهل والكفر والجرأة على الله .

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾

شرح الكلمات:

نٓ : هو أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا نٓ ويُقرأ هكذا نُون.

والقلم وما يسطرون : أي والقلم الذي كتب به الذكر «القدر» والذي يخطون ويكتبون.

ما أنت بنعمة ربك : أي لست بما أنعم الله عليك من النبوة وما وهبك من الكمال.

بمجنون : أي بذي جنون كمايزعم المشركون.

غير ممنون : أي غير مقطوع بل هو دائم أبدا.

بأيكم المفتون : أي بأيكم الجنون.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿نٓ﴾ هذا أحد الحروف[1] المقطعة نحو قٓ، وصٓ، وحمٓ الله أعلم بمراده به وقوله تعالى ﴿والقلم وما يسطرون﴾ أي[2] والقلم الذي كتب أول ما خلق وقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى بذلك وما يسطرون أي وما تسطره وتكتبه الملائكة نقلا من اللوح المحفوظ، وما يكتبه الكرام الكاتبون من أعمال العباد قسمي أي أقسم تعالى بشيئين الأول القلم، والثاني ما سطر به وكتب مما خلق من كل شيء. والمقسَم[3] عليه قوله ﴿ما أنت بنعمة[4] ربك بمجنون﴾ تكذيب للمشركين الذين قالوا إن محمداً مجنون بسبب ما رأوا من الوحي والتأثير به على من هداه الله للإيمان، وقوله تعالى ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ هذا داخل تحت القسم أي مقسم عليه وهو أن للنبي ﷺ اجراً غير مقطوع أبداً بسبب ما قدمه من أعمال صالحة أعظمها ما بيّنه من الهدى وما سنّه من طرق الخير إذ من سنّ سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين كما أن الجنة أجر كل عمل صالح وللرسول فيها أجر غير مقطوع بل له أعلاها وأفضلها

---

(١) روى عن بعض السلف أن: نون هي الدواة، وكونه أحد الحروف المقطعة أولى لنظائره من صٓ. ، وقٓ ويٓس، وطٓس. وفي إدغام النون في واو والقلم قراءتان سبعيتان الفك والإدغام.

(٢) جائز أن يكون ما موصولة. أي والذي يسطرونه وجائز أن تكون مصدرية أي ومسطورهم.

(٣) جواب القسم وهو ثلاثة أشياء الأول نفي الجنون عنه ﷺ والثاني ثبوت الأجر له ﷺ والثالث كونه على أعظم خلق حيث تحلى بكل أدب في القرآن حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن.

(٤) الباء بنعمة ربكِ سببية أي ما أنت بسبب ما أنعم الله عليك من الوحي مجنوناً والباء في مجنون زائدة لتقوية النفي وتأكيده.

وقوله ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1] هذا أيضا داخل في حيز المقسم عليه وهو أن النبي محمداً ﷺ لعلى خلق أي أدب عظيم حيث أدبه ربّه فكيف لا يكون أكمل الخلق أدباً وسيرته وما خوطب به في القرآن من مثل خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين. ومثل وشاورهم في الأمر ومثل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك إلى غير ذلك من الآداب الرفيعة التي أدب الله بها رسوله مما جعله أكمل الناس أدبا وخلقا وقد سُئلت عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت كان خلقه القرآن وقال هو عن نفسه أدبني ربي فأحسن تأديبي وقال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

وقوله تعالى ﴿فستُبصر[2] ويبصرون بأيكم المفتون﴾ أي دم على ما أنت عليه من الكمال يارسولنا واصبر على دعوتنا فستبصر بعد قليل من الزمن ويبصر قومك المتهمون لك بالجنون بأيكم[3] المفتون أي المجنون أنت ـ وحاشاك ـ أو هم. وقوله تعالى ﴿إن[4] ربك هو أعلم بما ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ في هذا الخبر تعزية لرسول الله ﷺ وتسلية له ليصبر على دعوة الله وفيه تهديد ووعيد للمشركين المكذبين فكون الله أعلم من كُل أحد بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين معناه أنه سيعذب حسب سنته الضال وسيرحم المهتدي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير مسألة أن لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه.

٢ـ بيان فضل القلم الذي يكتب به الهدى والخير.

٣ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ كان ذلك بالقلم الذي أول ما خلق الله.

٤ـ بيان كمال الرسول ﷺ في أدبه وأخلاقه وجعله قدوة في ذلك.

---

(١) ورد في فضل الخلق أحاديث. اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحُها وخالق الناس بخلق حسن، وحديث ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء. (صحيح).

(٢) قال ابن عباس فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل وما في التفسير وارد وحق ولعله المراد وما قاله ابن عباس حق ووارد.

(٣) بأيكم المفتون، أي اسم مبهم يتعرف بما يضاف هو إليه، وله مواقع كثيرة في الكلام فقد يشرب معنى الموصول ومعنى الشرط ومعنى الاستفهام، ومعنى التنويه بكامل. فقوله بأيكم المفتون معناه أي رجل أو أي فريق منكم المفتون فأي هنا في محل نصب معمول فسينتصر وينتصرون أيكم المفتون إذ الباء زائدة كالباء في وامسحوا برؤوسكم.

(٤) الجملة تعليلية لما ينبيء عنه ما قبله من اهتدائه ﷺ وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة ومع أنها تعليلية فإنها متضمنة التسلية للرسول ﷺ كما في التفسير.

فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾
سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات:

ودّوا لو تدهن : أي تمنوا وأحبوا لو تلين لهم بأن لا تذكر آلهتهم بسوء.

فيُدهنون : فيلينون لك ولا يغلظون لك في القول.

كل حلاف مهين : أي كثير الحلف بالباطل حقير.

هماز مشاء بنميم : أي عيّاب مغتاب.

معتد أثيم : أي على الناس بأذيتهم في أنفسهم و أموالهم أثيم يرتكب الجرائم والآثام.

عتل بعد ذلك زنيم : أي غليظ جاف. زنيم دعي في قريش وليس منهم وهو الوليد بن المغيرة.

قال أساطير الأولين : أي ما روته الأولون من قصص وحكايات وليس بوحي قرآني.

سنسمه على الخرطوم : أي سنجعل على أنفه علامة يعيّر بها ما عاش فخطم أنفه بالسيف يوم بدر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿فلا تطع المكذبين﴾[1] أي بناء على أنك أيها الرسول مهتد وقومك ضالون فلا تطع

(١) التاء للتفريع فالجملة متفرعة عما سبقها من قوله تعالى إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله. وعليه فلا تطع المكذبين الخ.. نهى ﷺ عن طاعة المشركين في أي شيء يريدونه منه مما هو رضاء بالشرك وسكوت عنه ممالأة لهم وسكوتاً عن باطلهم مقابل ترك أذاهم له.

هؤلاء الضالين المكذبين بالله ولقائه وبك وبما جئت به من الدين الحق وقوله ﴿ودوا لو تدهن[1] فيدهنون﴾ أي ومما يؤكد لك عدم مشروعية طاعتهم فيما يطالبون ويقترحونه عليك أنهم ودوا أي تمنوا وأحبوا لو تلين لهم فتمالئهم بسكوتك عن آلهتهم فيدهنون بالكف عن أذيتك بترك السبّ والشتم. وقوله تعالى ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ بعدما نهاه عن إطاعة الكافرين عامة نهاه عن طاعة أفراد شرّيرين لا خير فيهم البتة كالوليد بن المغيرة فقال: ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مهين[2]﴾ أي حقير. ﴿هماز﴾ عيّاب ﴿مشاء بنميم﴾ أي مغتاب نمام ينقل الحديث على وجه الإفساد ﴿مناع للخير﴾ أي يبخل بالمال أشد البخل ﴿معتد أثيم﴾ أي ظالم للناس معتدٍ على أموالهم وأنفسهم ﴿أثيم﴾ كثير الإثم لغشيانه المحرمات وقوله ﴿عتلّ بعد ذلك[3] زنيم﴾ أي غليظ الطبع جاف لا أدب معه. ﴿زنيم﴾ أي دعيّ في قريش وليس منهم. وقوله تعالى ﴿أن كان ذال مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ أي لأجل أن كان ذا مال وبنين حمله الشعور بالغنى على التكذيب بآيات الله فإذا تُليت عليه وسمعها قال أساطير الأولين ردّاً لها ووصفها بأنها أسطورة أي أكذوبة مسطرة ومكتوبة من أساطير الأولين من الأمم الماضية. قال تعالى ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أي نجعل له سمة شر وقبح يُعرف بها مدى حياته تكون بمثابة من جدع أنفه أو وسم على أنفه فكل من رآه استقبح منظره.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ التنديد بأصحاب الصفات التالية كثرة الحلف بالكذب، المهانة، الهمزة النميمة، الغيبة، البخل، الاعتداء، غشيان الذنوب، الغلظة والجفاء، الشهرة بالشر.

٢ـ التحذير من كثرة المال والولد فإنها سبب الطغيان ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾.

٣ـ التنديد بالمكذبين بآيات الله تعالى جملة أو تفصيلا. والعياذ بالله تعالى.

---

(١) ودوا لو تدهن هذا بيان لما نهى عنه من طاعتهم، وفعل تدهن مشتق من الإدهان وهو الملاينة والمصانعة وهو مأخوذ من دهن الشيء بالدهان ليلينه ويرق، والمداهنة محرمة والمداراة جائزة والفرق بينهما أن المداهن يتنازل من شيء من دينه ليحفظ شيئاً من دنياه، والمداري عكسه يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه.

(٢) المهين: الوضيع لإكثاره من القبيح، وتفسيره بالحقير صالح وكذا الفاجر العاجز.

(٣) العتل: الجافي الشديد، ومنه أخذ العتّال الذي يجر الناس ويدفعهم بعنف ليدخلهم في السجن ونحوه. ومنه قوله تعالى خذوه فاعتلوه.

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات:

إنا بلوناهم: أي امتحنا كفار مكة بالمال والولد والجاه والسيادة فلم يشكروا نعم الله عليهم بل كفروا بها بتكذيبهم رسولنا وإنكارهم توحيدنا فأصبناهم بالقحط والقتل لعلهم يتوبون كما امتحنا أصحاب الجنة المذكورين في هذا السياق.

ليصرمنها[1]: أي ليجدُنّها أي يقطعون ثمارها صباحاً.

فطاف عليها طائف من ربك

وهم نائمون: أي نار فأحرقتها.

فأصبحت كالصريم: أي كالليل الأسود الشديد الظلمة والسواد.

على حرثكم: أي غلة جنتكم وقيل فيها حرث لأنهم عملوا فيها.

وهم يتخافتون: أي يتشاورون بأصوات مخفوضة غير رفيعة حتى لا يسمع بهم.

(١) الصرم: الجد والقطع، والجز أيضاً بالزاي كلها بمعنى القطع والكسر.

وغدوا على حرد قادرين	: أي وغدوا صباحا على قصد قادرين على صرمها قبل أن يطلع عليهم المساكين.
إنا لضالون	: أي مخطئوا الطريق أي ما هذا طريق جنتنا ولا هي هذه.
بل نحن محرومون	: أي لما علموا أنها هي وقد احترقت قالوا بل نحن محرومون منها لعزمنا على حرمان المساكين منها.
قال أوسطهم	: خيرهم تقوى وأرجحهم عقلا.
لولا تسبحون	: أي تسبحون الله وتستثنون عندما قلتم لنصرمنها مصبحين.
يتلاومون	: أي يلوم بعضهم بعضا تندماً وتحسراً.
إنا إلى ربنا راغبون	: أي طامعون.
كذلك العذاب	: أي مثل هذا العذاب بالحرمان العذاب لمن خالف أمرنا وعصانا.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية قريش قوم محمد ﷺ فقال تعالى ﴿إنا بلوناهم﴾ يعني كفار قريش أي امتحناهم واختبرناهم بالآلاء والنعم لعلهم يشكرون فلم يشكروا ثم بالبلاء والنقم أي بالقحط والجدب والقتل لعلهم يتوبون كما بلونا أصحاب الجنة فتابوا ثم ذكر تعالى قصة أصحاب الجنة الذين ابتلاهم فتابوا إليه ورجعوا إلى طاعته فقال ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة[1] إذ أقسموا﴾ - حلفوا - ﴿ليصرمنها مصبحين[2]﴾ أي ليقطعن ثمارها ويجدونه في الصباح الباكر قبل أن يعلم المساكين حتى لا يعطوهم شيئا. ولا يستثنون أي لم يستثنوا في حلفهم لم يقولوا إلا أن يشاء الله. ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ يارسولنا وهو نار أحرقتها ﴿فأصبحت كالصـريم﴾ أي الليل المظلم الأسود الشديد السواد. ﴿فتنادوا مصبحين﴾ أي نادى بعضهم بعضا وهم إخوة كثير في أول الصباح قائلين ﴿اغدوا على حرثكم﴾ إن كنتم فعلا جادين في الصرام هذا الصباح. ﴿فانطلقوا مسرعين وهم يتخافتون﴾ يتشاورون في صوت خافت حتى لا

(١) قيل إن هذه الجنة «البستان» كانت على فراسخ من صنعاء اليمن وكانت بعد رفع عيسى عليه السلام، كانت لرجل مؤمن يؤدي حق الله تعالى فلما مات صارت لأولاده فعزموا على منع الناس ما كان والدهم يعطيه لمن يحضر الجداد من فقراء ومساكين فعاقبهم الله فاحترقت وفي الآيات بيان ذلك.

(٢) في الآية أدب سام وهو أن من كان له من الزرع أو التمر ما يُجد،ينبغي أن لا يجده ليلا حتى لا يحرم الفقراء من الأكل منه وأن عليه أن يمنح من يحضر الجداد والقطع شيئاً يسيراً من زرعه أو ثمره، وآية سورة النساء ظاهرة في هذا وهي قوله تعالى (وإذا حضر القسمة أولوا القربى) إلى قوله (فارزقوهم منه) الآية.

يفطن لهم فقراء البلد ومساكينها وأجمعوا على ﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾[1] كما كانوا يدخلونها ويأخذون منها أيام حياة والدهم رحمة الله عليه قال تعالى ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ أي وانطلقوا صباحا على حرد أي[2] قصد تام قادرين على أن لا يدخلنها اليوم عليهم مسكين بل يجدونها ويحملونها إلى مخازنهم ولا يشعر بهم أحد من الفقراء والمساكين. قال تعالى ﴿فلما رأوهـا﴾ محتـرقة سوداء مظلمة ﴿قالوا﴾ ما هذه جنتنا ﴿إنا لضالون﴾[3] عنها بأن أخطئنا الطريق إليها، ولما علموا أنها هي ولكن احترقت ليلا اضربوا عن قولهم الأول وقالوا ﴿بل نحن محرومون﴾ أي منها لعزمنا على منع المساكين منها وقد كان والدنا يمنحهم منها ويعطيهم شكرا لله وأداء لحقه. وهنا تكلم أوسطهم أي خيرهم تقوى وأرجحهم عقلا بما أخبر تعالى عنه في قوله ﴿قال أوسطهم ألم[4] أقل لكم لولا تسبحون﴾ أي ألم يسبق لي أن قلت لكم لما قلتم لنصرمنها مصبحين ولم تستثنوا فقلت لكم هلا تستثنون واطلق لفظ التسبيح على الاستثناء لأن التسبيح تنزيه لله عن الشرك وسائر النقائص ومنها العجز والاستثناء تنزيه لله عن ذلك لأن الذي يقول أفعل ولم يستثن اعطى لنفسه قدرة كقدرة الله الذي إذا قال أفعل فعل ولا يعجز فهو هنا اشرك نفسه في صفة من صفات الله تعالى فلذا كان الاستثناء تسبيحا لله وتنزيها له عن المشارك في صفاته وأفعاله. فلما ذكرهم أخوهم العاقل الرشيد قالوا ﴿سبحان ربّنا إنا كنا ظالمين﴾ فنابوا بهذا الاعتراف قال تعالى ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتـلاومون﴾ أي يلوم بعضهم بعضا على خطأهم في عزمهم على حرمان المساكين وعلى عدم الاستثناء في اليمين قالوا من جملة ما قالوا ﴿يا ويلنا﴾ أي ياهلاكنا احضر ﴿إنا كنا طاغين﴾ أي متجاوزين حدود الله التي حد لنا غفلة منا وجهلا بأنفسنا وبما يعاقب به امثالنا. وهنا بعد أن رجعوا على أنفسهم باللوم وإلى الله بالتوبة رجوا ربهم ولم ييأسوا من رحمته فقالوا ﴿عسى[5] أن يبدلنا ربنا[6] خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ هكذا ابتلوا بالنعمة ثم بسلبها فتابوا

---

(١) في الآية دليل على أن العزم الأكيد يؤاخذ عليه العبد لأن أصحاب الجنة عزموا على أن يحرموا الفقراء فعاقبهم الله على عزمهم.

(٢) الحرد: يطلق على المنع وعلى القصد القوي وعلى السرعة والغضب أيضاً وجملة وغدوا... إلخ حالية.

(٣) لا داعي إلى تفسير لضالون بالضلال الذي هو الخروج عن طاعة الله بل المراد من الضلال هو عدم اهتدائهم إلى جنتهم بأن ضلوا طريقها.

(٤) الاستفهام تقريري، ولولا للتحضيض.

(٥) قيل إنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعن كما يصنع أبونا فدعوا الله وتضرعوا فأبدلهم الله ماهو خير منها، سئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال للسائل لقد كلفتني تعباً!

(٦) قرأ نافع أن يبدّلنا بتشديد الدال، وقرأ حفص بالتخفيف من أبدَلَ يبدل الرباعي

فهل كفار قريش وقد ابتلوا بالنعمة ثم سلبوها فهل يتوبون كما تاب أصحاب الجنة؟ إنما سيقت هذه القصة تذكيراً وتعليما فهلا يتذكرون فيتوبوا؟ قال تعالى ﴿كذلك[1] العذاب﴾ أي مثل هذا العذاب بالحرمان العذاب لمن خالف أمر الله وعصاه ﴿ولعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون﴾ فإن عذاب الدنيا وقته محدود وأجله معدود أما عذاب الآخرة فإنه أبديٌ لا يحول ولا يزول.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الابتلاء يكون بالسراء والضراء أي بالخير والشر وأسعد الناس الشاكرون عند السراء الصابرون على طاعة الله ورسوله عند الضراء.

٢ـ مشروعية التذكير بأحوال المبتلين والمعافين ليتخذ من ذلك طريق إلى الشكر والصبر.

٣ـ صلاح الآباء ينفع أبناء المؤمنين فقد انتفع أصحاب الجنة بصلاح أبيهم الذي كان يتصدق على المساكين من غلة بستانه وعلامة انتفاعهم توبتهم.

٤ـ مشروعية الاستثناء في اليمين وأنه تسبيح لله تعالى، وأن تركه يوقع في الإثم ولذا إذا حنث الحالف الذي لم يستثن تلوثت نفسه بإثم كبير لا يُمحى إلا بالكفارة الشرعية التي حددها الشارع وهي إطعام أو كسوة عشرة مساكين أو عتق رقبة فإن لم يقدر على واحدة من هذه الأنواع صام ثلاثة أيام ليمحي ذلك الذنب من نفسه.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ
عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

---

(١) قيل إن هذا وعظ لأهل مكة بالرجوع إلى الله تعالى لما ابتلاهم بالجدب لدعاء النبي ﷺ عليهم أي كفعلنا نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾

شرح الكلمات:

إن للمتقين[1] : أي الذين اتقوا ربهم فآمنوا به ووحدوه فاتقوا بذلك الشرك والمعاصي.

عند ربهم جنات النعيم : أي لهم جنات النعيم يوم القيامة عند ربهم عز وجل.

أفنجعل المسلمين كالمجرمين : أي أنحيف في الحكم ونجور فنجعل المسلمين والمجرمين متساوين في العطاء والفضل والجواب لا، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة.

أم لكم كتاب فيه تدرسون : أي تقرأون فعلمتم بواسطته ما تدعون.

إن لكم فيه لما تخيّرون : أي فوجدتم في الكتاب الذي تقرأون أن لكم فيه ما تختارونه.

أم لكم أيمان علينا بالغة : أي ألكم عهود منا موثقة بالأيمان لا نخرج منها ولا نتحلل إلى يوم القيامة.

إن لكم لما تحكمون : أي أعطيناكم عهودنا الواثقة أن لكم ما تحكمون به لأنفسكم كما تشاءون.

سلهم أيهم بذلك زعيم : أي سلهم يارسولنا عن زعيمهم الذي يكفل لهم مضمون الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل مما يُعطى المؤمنون.

أم لهم شركاء : أي أعندهم شركاء موافقون لهم في هذا الذي قالوا يكفلون لهم به ما ادعوه وحكموا به لأنفسهم وهو أنهم يعطون أفضل مما يعطى المؤمنون يوم القيامة.

يوم يكشف عن ساق : أي يوم يعظم الهول ويشتد الكرب ويكشف الرب عن ساقه الكريم التي لا يشبهها شيء عندما يأتي لفصل القضاء.

ترهقهم ذلة : أي تغشاهم ذلة يالها من ذلة.

وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون: أي وقد كانوا يدعون في الدنيا إلى الصلاة وهم سالمون من أيّة علة ولا يصلون حتى لا يسجدوا تكبراً وتعظماً.

---

(١) المتقون هم الذين اتقوا ربهم فآمنوا به وعبدوه وحده فأطاعوه وأطاعوا رسوله فلم يشركوا ولم يفسقوا.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إن للمتقين﴾[1] [2] الآيات نزلت رداً على المشركين الذين ادعوا متبجحين أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يعطون أفضل مما يعطى المؤمنون قياساً منهم على حالهم في الدنيا حيث كانوا أغنياء والمؤمنون فقراء فقال تعالى ﴿إن للمتقين عند ربهم يوم القيامة جنّات النعيم﴾ أي جنات كلها نعيم لا شيء فيها غيره. ثم قال في الرد منكرا على المشركين دعواهم مقرعا مؤنبا إياهم في سبعة استفهامات إنكارية تقريعية أولها قوله تعالى ﴿أفنجعل[3] المسلمين الذين أسلموا لله وجوههم وأطاعوه بكل جوارحهم كالمجرمين الذين أجرموا على أنفسهم بارتكاب أكبر الكبائر كالشرك وسائر الموبقات أي نحيف ونجور في حكمنا فنجعل المسلمين كالمجرمين في الفضل والعطاء يوم القيامة، فنسوي بينهما وثانيها قوله: ما لكم؟ أي أي شيء حصل لكم حتى ادّعيتم هذه الدعوى وثالثها كيف تحكمون أي كيف أصدرتم هذا الحكم ما حجتكم فيه ودليلكم عليه؟ ورابعها قوله ﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾ أي أعندكم كتاب جاءكم به رسول من عند الله تقرأون فيه هذا الحكم الذي حكمتم به لأنفسكم بأنكم تعطون يوم القيامة أفضل مما يعطى المؤمنون إن لكم فيه لما تخيرون أي ألكم في هذا الكتاب ما تختارون والجواب. لا. لا وخامسها قوله ﴿أم لكم[4] أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون﴾ أي أي الكم عهودنا موثقة بأيمان لا نتحلل منها إلى يوم القيامة بأن لكم ما حكمتم به لأنفسكم من أنكم تعطون أفضل مما يعطى المؤمنون وسادسها ﴿سلهم أيهم[5] بذلك زعيم﴾ أي سلهم يارسولنا عن زعيمهم الذي يكفل لهم مضمون الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل مما يعطى المؤمنون سابعها قوله ﴿أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ أي ألهم شركاء موافقون لهم في هذا الذي قالوه يكفلونه لهم فليأتوا بهم إن كانوا صادقين في ذلك. بهذه الاستفهامات الإنكارية التقريعية السبعة نفى تعالى عنهم كل ما يمكنهم أن يتشبثوا به في

---

(١) إن للمتقين استئناف بياني ناشيء عن سؤال إذا كان جزاء المجرمين ما ذكر فما جزاء المتقين؟ فأجيب: إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم: واللام لام الاستحقاق، واضافة الجنات إلى النعيم إشارة إلى أنها خالصة النعيم ما فيها ليس في جنات الدنيا من البعوض والحشرات أو ما يؤذي من شوك ونحوه.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت كفار مكة إنا نعطى في الآخرة خيراً مما تعطون فنزلت: أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟

(٣) الهمزة للاستفهام الإنكاري أي إنكار التسوية بين المسلمين والمجرمين في الجزاء مع التقريع والتوبيخ.. وكذا سائر الاستفهامات في هذه الآيات.

(٤) أم لكم للإضراب الانتقالي من دليل إلى آخر والاستفهام إنكاري كغيره مع ما يفيد من التأنيب والتقريع.

(٥) الاستفهام هنا مستعمل للتهكم.

تصحيح دعـواهم البـاطلة عقلا وشرعا . وقوله تعالى ﴿يوم[1] يكشف عن ساق﴾[2] أي اذكر لهم يارسولنا مبينا واقع الأمر يوم القيامة، ليخجلوا من تشدقهم بدعواهم الساقطة الباردة اذكر لهم يوم يعظم الهول ويشتد الكرب، ويأتي الرب لفصل القضاء ويكشف عن ساق فيخر كل مؤمن ومؤمنة ساجداً ويحاول المنافقون والمنافقات السجود فلا يستطيعون إذ يكون ظهر أحدهم طبقاًواحداً أي عظمـاً واحـداً فلا يقدر على السجود وذلك علامة شقائه المترتب على نفاقه في الدنيا. ويدعون إلى السجود أي امتحانا لهم ليعرف من كان يسجد إيمانا واحتسابا ممن كان يسجد نفاقاً ورياء فلا يستطيعون لأن ظهر أحدهم يصبح عظماً واحداً خاشعة أبصارهم لا تطرف من شدة الخوف ترهقهم ذلة أي تغشاهم ذلة عظيمة وقوله وقد كانوا يدعون إلى السجود أي في الدنياوهم سالمون معافون في أبدانهم ولا يسجدون تكبرا وكفرا بالله ربهم وبشرعه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير أن المجرمين لا يساوون المؤمنين يوم القيامة إذ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة فمن زعم أنه يعطى ما يُعطاه المؤمنون من جنات النعيم فهو مخطىء في تصوره كاذب في قوله.

٢ـ بيان عظم هول يوم القيامة وأن الرب تبارك وتعالى يأتي لفصل القضاء ويكشف عن ساق فلا يبقى أحد إلا سجـد وأن الكافر والمنافق لا يستطيع السجود عقوبة له وفضيحة إذ كان في الدنيا يدعى إلى السجود لله فلا يسجد أي إلى الصلاة فلا يصلي تكبراً وكفراً.

فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ

(١) جائز أن يكون يوم يكشف متعلق بقوله فليأتوا بشركائهم ويكون من باب حسن التخلص من الرد على المشركين إلى ذكر أهوال يوم القيامة.

(٢) لولا ما صح عن النبي ﷺ في الصحيح: إذ يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً. لقلنا في الآية أنها كناية عن أهوال يوم القيامة ولكن مع صحة الحديث فالآية دالة على أهوال يوم القيامة ومثبتة صفة ذات الرب تبارك وتعالى عن صفات المحدثين.

أَن تَدَارَكَهُۥ نِعۡمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ
لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

ذرني ومن يكذب	: أي دعني ومن يكذب أي لا يصدق .
بهذا الحديث	: أي بالقرآن الكريم .
سنستدرجهم	: أي نستنزلهم درجة درجة حتى نصل بهم إلى العذاب .
وأُملي لهم	: أي وامهلهم .
إن كيدي متين	: أي شديد قويّ لا يطاق .
فهم مِن مغرم مثقلون	: أي فهم مما يعطونكه مكلفون حملا ثقيلا .
أم عندهم الغيب	: أي اللوح المحفوظ .
فهم يكتبون	: أي ينقلون منه ما يدعونه ويقولونه .
ولا تكن كصاحب الحوت	: أي يونس في الضجر والعجلة .
وهو مكظوم	: أي مملوء غماً .
بالعراء	: أي الأرض الفضاء .
وهو مذموم	: لكن لما تاب نُبِذَ وهو غير مذموم .
فاجتباه ربه	: أي اصطفاه .
ليزلقونك بأبصارهم	أي ينظرون إليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك .
وما هو إلا ذكر	: أي محمد ﷺ .
للعالمين	: أي الإنس والجن فليس بمجنون كما يقول المبطلون .

معنى الآيات :

بعد ذلك التقريع الشديد للمشركين المكذبين الذي لم يؤثر في نفوسهم أدنى تأثير قال تعالى لرسوله ﴿فذرني﴾[1] أي بناء على ذلك فذرني ومن يكذب بهذا الحديث أي دعني وإياهم ، والمراد من

---

(١) الفاء للتفريع والترتيب فما بعدها متفرع عما قبلها مترتب عليه .

الحديث القرآن الكريم[١] ﴿سنستدرجهم﴾ أي نستنزلهم درجة درجة ﴿من حيث لايعلمون﴾ حتى ننتهي بهم إلى عذابهم المترتب على تكذيبهم وشركهم. وقوله تعالى ﴿وأملي لهم إن كيدي متين[٢]﴾ أي وأمهلهم فلا أعاجلهم بالعذاب فأوسع لهم في الرزق وأصحح لهم الجسم حتى يروا أن هذا لكرامتهم عندنا وأنهم خيرٌ من المؤمنين ثم نأخذهم. وهذا من كيدي الشديد الذي لا يطاق، وقوله تعالى ﴿أم[٣] تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون﴾ أي بل أتسألهم على تبيلغ الدعوة أجراً مقابل التبليغ فهم من مغرم مثقلون أي فهم يشعرون بحمل ثقيل من أجل ما يعطونك من الأجر فلذا هم لا يؤمنون بك ولا يتابعونك على دعوتك. أم عندهم[٤] الغيب أي اللوح المحفوظ فهم[٥] يكتبون منه ما هم يقولون به ويُقرُّونه والجواب لا إذاً فاصبر يارسولنا لحكم[٦] ربك فيك وفيهم وامض في دعوتك ولا يثني عزمك تكذيبهم ولا عنادهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس بن متّى أي في الضجر وعدم الصبر. إذ نـــادى وهـو[٧] مكظوم أي مملوء غمّاً فقال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقوله لولا أن تداركه نعمة من ربّه لنبذ بالعراء وهو مذموم أي لولا أن أدركته رحمة الله تعالى حيث ألهمه الله التوبة ووفقه لها لنبذ أي لطرح بالفضاء وهو مذموم لكن لما تاب الله عليه طُرح على ساحل البحر وهو غير مذموم بل محمود فاجتباه ربّه أي اصطفاه مرة ثانية بعد الأولى فجعله من الصـالحين أي الكاملي الصلاح من الأنبياء والمرسلين، ومعنى اجتباه مرة ثانية لأن الاجتباء الأول إذ كان رسولا في أهل نينوي وغاضبوه فتركهم ضجراً منهم فعوقب وبعد العقاب والعتاب اجتباه مرة أخرى وأرسله إلى أهل بلاده بعد ذلك الانقطاع قال تعالى من سورة اليقطين فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين. وقوله تعالى ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾ أي وان يكاد الذين كفروا ليصرعونك من شدة النظر إليك وكلهم غيظ وحنق عليك بأبصارهم ﴿لما

---

(١) وجائز أن يكون المراد من الحديث الإخبار عن البعث والجزاء مما تضمنه قوله يوم يكشف عن ساق الخ وجائز أن يكون القرآن كما في التفسير وقيل فيه حديث لما فيه من الأخبار عن الله وعن الأمم والجنة والنار.

(٢) وأملي مضارع أملىٰ إذا أمهل وأنظر وأخّر مشتق من الملا مقصوراً وهو الحين والوقت ومنه الملوان الليل والنهار فأملىٰ بمعنى طول في الزمان.

(٣) أم بمعنى بل للإضراب الانتقالي من حجة إلى أخرى ومن دليل إلى آخر.

(٤) إضراب آخر كالأول وفي الكلام حذف تقديره أم عندهم علم الغيب كقوله تعالىٰ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ من سورة النجم.

(٥) الفاء للتفريع.

(٦) المراد بحكم الرب تعالى عنا أمره وهو ما حمله رسوله من حمل الرسالة وتبليغها والاضطلاع بأعباء الرسالة.

(٧) المكظوم المحبوس المسدود عليه يقال كظم الباب إذا أغلقه وكظم النهر إذا سده ومنه كظم الغيظ وهو حبسه في النفس وعدم إظهاره بقول أو فعل.

سمعوا الذكر﴾[1] أي القرآن نقرأه عليهم .ويقولون إنه لمجنون حسداً لك ، وصرفاً للناس عنك ، وما هو أي محمد ﷺ إلا ذكر للعالمين أي يذكر به الله تعالى الإنس والجن فليس هو بمجنون كما يقول المكذبون المفتونون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ ردّ الأمور إلى الله إذا استعصى حلّها فالله كفيل بذلك .

٢ـ لا يصح أخذ أجرة على تبليغ الدعوة .

٣ـ وجوب الصبر على الدعوة مهما كانت الصعاب فلا تترك لأذىً يصيب الداعي .

٤ـ بيان حال المشركين مع الرسول ﷺ وما كانوا يضمرونه له من البغض والحسد وما يرمونه به من الاتهامات الباطلة كالجنون والسحر والكذب .

سُورَةُ الحَاقَّةِ

مكيـة وآياتها ثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾
وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

---

(١) جائز أن يكون الضمير وما هو عائد إلى القرآن وما القرآن إلا ذكر للعالمين الإنس والجن أي ليس هو بكلام مجنون، وجائز أن يكون الضمير عائد إلى الرسول ﷺ الذي قالوا فيه إنه مجنون ويكون الذكر بمعنى التذكير بالله والجزاء إذ هذا من فعله ﷺ .

شرح الكلمات:

الحاقة[1] : أي الساعة الواجبة الوقوع وهي القيامة.

بالقارعة : أم بالقيامة لأنها تقرع القلوب بالخوف والهول.

فأهلكوا بالطاغية : أي بطغيانهم وعتوهم عن أمر ربهم فأخذتهم صيحة طاغية أيضاً.

بريح صرصر عاتية : أي ذات صوت لشدة عصوفها عاتية على خزانها في الهبوب.

حسوماً : أي متتابعات الهبوب بلا فاصل كتتابع الكيّ القاطع للداء.

كأنهم أعجاز نخل خاوية: أي أصول نخل ساقطة فارغة ليس في جوفها شيء.

والمؤتفكات بالخاطئة : أي أهلها وهي قرى لوط بالفعلات ذات الخطأ.

أخذة رابية : أي زائدة في الشدة على غيرها.

لما طغا الماء : أي علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها.

حملناكم في الجارية : أي السفينة التي صنعها نوح ونجا بها هو ومن معه من المؤمنين.

وتعيها أذن واعية : أي وتحفظها أذن واعية أي حافظة لما تسمعُ.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿الحاقة ما الحاقة﴾[2] أي أي شيء هي[3]؟ وما أدراك[4] ما الحاقة أي أي شيء أعلمك بها، والمراد بها القيامة لأنها حاقة المجيى واجبته لا محالة. وقوله تعالى ﴿كذّبت ثمود وعاد[5] بالقارعة﴾ أي كذبت ثمود قوم صالح وعاد قوم هود بالقارعة أي بالقيامة. فهم ككفار قريش مكذبون بالبعث والجزاء. فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية أي بطغيانهم وعتوهم عن أمر ربهم

---

(١) هو اسم للسورة. روى أحمد أن عمر رضي الله عنه قال خرجت يوماً بمكة أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد الحرام فوقفت خَلْفَهُ فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن فقلت هذا والله شاعر (أي في خاطري) فقرأ (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون) قلت: في خاطري كاهن. فقرأ (ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين،) إلى آخر السورة فوقع في قلبي كل موقع. وسماها بعضهم (السلسلة) وبعضهم (الداعية).

(٢) الحاقة اسم فاعل من حق الشيء فهو حاق إذا ثبت وقوعه، والظاهر أنها وصف لموصوف محذوف أي الساعة الحاقة أو الواقعة الحاقة، ومافي التفسير واضح وأولى.

(٣) ما اسم استفهام مستعمل في التهويل والتعظيم والمعنى الحاقة أمر عظيم لا يدرك كنهه والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة خبر المبتدأ الثاني والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول وجملة وما أدراك ما الحاقة معترضة بين جملة الحاقة وكذبت ثمود.

(٤) روي عن ابن عباس وسفيان بن عيينة. كل ما ورد في القرآن بلفظ وما أدراك بصيغة الماضي فقد أدراه أي أعلمه به، وكل ما ورد بصيغة المضارع وما يدريك فقد طوى عنه ولم يعلمه به فالأول (وما أدراك ما هية نار حامية) (وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) والثاني (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا)..

(٥) كذبت ثمود كلام مستأنف بين فيه من كذبوا بالحاقة وهي الفارقة وسميت بالقارعة من قولهم (قوارع الدهر) أي أهواله وشدائده فهي تقرع القلوب.

فأخذتهم صيحة طاغية،[1] وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي ذات صوت شديد عاتية أي عتت على خزانها في الهبوب. سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً[2] أي متتابعات بلا انقطاع حسما لوجودهم كما يحسم الدواء بالكي الحاسم للداء المتتابع. وقوله تعالى فترى أيها الرسول القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية أي فترى القوم في تلك الليالي والأيام صرعى ساقطين على الأرض كأنهم أصول نخل ساقطة فارغة ليس في أجوافها شيء فهل ترى لهم من باقية أي من نسلهم لا شيء إذ هلكوا كلهم أجمعون، وقوله تعالى ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات[3] بالخاطئة أي بالأفعال الخاطئة وهي الشرك والمعاصي وبينهاتعالى بقوله ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ أي زائدة في الشدة على غيرها وقوله تعالى ﴿إنا لما طغا الماء﴾ أي ماء الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح حملناكم في الجارية أي حملنا آباءكم في الجارية التي هي سفينة نوح عليه السلام وقوله لنجعلها لكم[4] تذكرة أي لنجعل السفينة تذكرة لكم عظة وعبرة وتعيها أي وتحفظ هذه العظة أذن حافظة لا تنسى ما هو حق وخير من المعاني.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ بيان أن كلا من عاد وثمود كانوا يكذبون بالبعث وبيان ما أهلكهم الله به.

٣ـ بيان أن معصية الرسول موجبة للعذاب الدنيوي والأخروي.

٤ـ التذكير بحادثة الطوفان وما فيها من عظة وعبرة.

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾
فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ

---

(١) هي أشبه بصيحة النفخ في الصور وثمود هم قوم صالح ومنازلهم بالحجر بين الشام والحجاز وتعرف اليوم بمدائن صالح على أميال من مدينة العلا اليوم. وأما عاد فمنازلهم كانت بالأحقاف وهي رمال بين عمان وحضرموت باليمن وأهلكوا بريح صرصر.

(٢) قيل بدأ من صباح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في آخر الشتاء.

(٣) أي المتقلبات من ائتفك الشيء إذ قلب قراهم الخمسة منع وصعر وعمر ودوما وسدوم وهي القرية العظمى قلبها الملك فجعل عاليها سافلها.

(٤) وجائز أن يكون الضمير في ليجعلها عائد إلى العملية عملية إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين تذكرة وموعظة.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

شرح الكلمات:

نفخة واحدة : أي النفخة الأولى.

حملت الأرض والجبال : أي رُفعت من أماكنها.

فدكتا دكة واحدة : أي ضرب بعضها ببعض فاندكت وصارت كثيبا مهيلا.

وقعت الواقعة : أي قامت القيامة.

فهي يومئذ واهية : أي مسترخية ضعيفة القوة.

على أرجائها : أي على أطرافها وحافاتها.

ثمانية : أي من الملائكة وهم حملة العرش الأربعة وزيد عليهم أربعة.

لاتخفى منكم خافية : أي لا تخفى منكم سريرة من السرائر التي تخفونها.

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحديث عن القيامة تقريرا لعقيدة البعث والجزاء التي هي الدافع إلى فعل الخير وترك الشر في الدنيا فقال تعالى ﴿فإذا[1] نفخ في الصور﴾ أي نفخ اسرافيل في الصور الذي هو البوق أو القرن النفخة الأولى وهو المراد بقوله ﴿نفخة واحدة﴾، وقوله تعالى ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ أي ضرب بعضها ببعض فاندكت فصارت هباء منبثا، ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ أي قامت القيامة ﴿وانشقت السماء﴾ أي انفطرت وتمزقت ﴿فهي يومئذ واهية﴾ ضعيفة مسترخية. ﴿والملك[2] على أرجائها﴾ أي على أطرافها وحافاتها، ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ أي ثمانية من[3] الملائك أربعة هم حملة العرش دائما وزيد عليهم أربعة فصاروا ثمانية قال تعالى ﴿يومئذ تعرضون[4] على الله لا تخفى منكم خافية﴾ أي سريرة مما كنتم تسرون.

---

(١) الفاء تفريعية لتفريع ما بعدها من تفصيل أحوال الدار الآخرة على ما تقدم من ذكر الحاقة أي القيامة والمكذبين بها وما نالهم من عذاب في الدنيا.

(٢) الملك اسم جنس المراد به أعداد هائلة من الملائكة.

(٣) قيل هم ثمانية صفوف، وقيل ثمانية أعشار أي نحو ثمانين من عدد الملائكة. وما في التفسير هو الراجح الصحيح.

(٤) أصل العرض إمرار الشيء على من يريد التأمل فيه كعرض السلعة على المشتري وكاستعراض الجيوش اليوم والمراد بالعرض الحساب والجزاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢ـ بيان كيفية الانقلاب الكوني لنهاية الحياة الأولى وبداية الحياة الثانية .

٣ـ تقرير العرض على الله عز وجل للحساب ثم الجزاء .

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ
حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

هاؤم : أي خذوا

إني ظننت : أي علمت .

راضية : أي يرضى بها صاحبها .

قطوفها دانية : أي ما يقتطف ويجنى من الثمار .

بما أسلفتم : أي بما قدمتم .

في الأيام الخالية : أي الماضية .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان ما يجري في يوم القيامة فقال تعالى [1]﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول [2]هاؤم أقرؤا كتابيه [3]﴾ أي إنه بعد مجيء الربّ تبارك وتعالى لفصل

(١) الفاء لتفصيل ما أجمل فيما تقدمها من الكلام ، وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره فيؤتى كل آخذ كتاب أعماله فأما من أوتي كتابه . . الخ والباء للمصاحبة في يمينه وفي إعطاء الكتاب باليمين كرامة وتبشير لصاحبه كقول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

(٢) هاؤم هذا اللفظ مركب من ها ممدود أو مقصور مبني على الفتح ومعناه تعالوا أو خذوا كما في الرباء ها وهاء أي خذ. يقال ها يارجل اقرأ وللإثنين هاؤما يارجلان وهاؤم يارجال، وللمرأة هاء بكسر الهمزة وهاؤما للاثنتين وهاؤمن لجمع الإناث والأصل هاكم فابدلت الهمزة من الكاف.

(٣) قيل نزلت هذه الآية فأما من أوتي كتابه بيمينه الخ . . في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزمي والآية التالية لها وأما من أوتي كتابه بشماله نزلت في أخيه الأسود بن عبدالأسد المخزومي ، والمعنى عام في كل سعيد وشقي .

القضاء تعطى الكتب فمن آخذ كتابه بيمينه، ومن آخذ كتابه بشماله فأما من أوتي كتابه الذي ضم حسنـاته بيمينه فيقول في فرح عظيم هاؤم أي خذوا كتابي فاقرأوه إنه مشرق كله ما فيه سواد السيئـات، ويُعلل لسـلامة كتابه[1] من السيئات فيقول إني ظننت أي علمت أني ملاقٍ حسابيه لامحالة فلذا لم أقارف السيئات وإن قدر عليّ شيء فقارفته جهلا فإني تبت منه فورا فانمحى أثره من نفسي فلم يكتب عليّ قال تعالى مخبراً عن آثار نجاحه في سلامة كتابه من السيئات فهو في عيشة راضية. أي يرضاها لهناءتها وسعة خيراتها في جنّة عالية قطوفها[2] أي جناها وما يقتطف منها دانية أي قريبة التناول ينالها بيده وهو متكيء على أريكته ويقال لهم كلوا واشربوا من طعام الجنة وشرابها هنيئاً ويذكر لهم سبب فوزهم فيقول ﴿بما أسلفتم﴾ أي قدمتم لأنفسكم ﴿في الأيام الخـالية﴾ أي أيام الدنيا الماضية إذ كانوا مؤمنين صوامين قوامين بالمعروف آمرن وعن المنكر ناهين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء أي الإيمان باليوم الآخر.

٢- آثار الإيمان بالبعث والجزاء ظاهرة في سلامة كتاب المؤمن من السيئات. وقد علل لذلك بقوله إني ظننت أني ملاق حسابي فلذا لم أعص ربي.

٣- إثبات حقيقة هي قول العامة الدنيا مزرعة الآخرة أي من عمل في الدنيا نال ثمار عمله في الآخرة خيراً أو شراً.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

(١) كتابيه الهاء فيه وفي الآتي بعده هي هاء السكت عند الوقف إلا أنها أبقيت في الوصل والوقف مراعاة للسجع ولعلها تحكي صوت صاحبها يوم القيامة زيادة في التقرير والتوكيد حتى لهجة أحدهم محفوظة لم تتغير.

(٢) القطوف جمع قطف بكسر القاف وسكون الكاف.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

شرح الكلمات:

يا ليتني لم أُوت كتابية : أي يتمنى أنه لم يعط كتابه لما رأى فيه من السيئات.

كانت القاضية : أي الموتة في الدنياكانت القاطعة لحياتي حتى لا أبعث.

هلك عني سلطانية : أي قوتي وحجتي.

خذوه : أي أيها الزبانية خذوا هذا الكافر.

فغلوه : أي اجعلوا يديه إلى عنقه في الغل.

ثم الجحيم صلوه : أي ثم في النار المحرقة أُدخلوه وبالغوا في تصليته كالشاة المصلية.

حميم : أي من قريب ينفعه أو صديق.

إلا من غسلين : أي صديد أهل النار الخارج من بطونهم لأكلهم شجر الغسلين.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما يجرى من أحداث وقد تقدم ذكر الذي أُوتي كتابه[1] بيمينه وما له من كرامة عند ربّه وفي هذه الآيات ذكر الذي أُوتي كتابه بشماله[2] وماله من مهانة وعذاب جزاء كفره فقال تعالى ﴿وأما من أُوتي كتابه﴾ أي في عرصات القيامة فيقول بعد النظر فيه وما يلوح له فيه من السيئات ﴿ياليتني لم أُوت كتابيه﴾ يتمنى لو أنه لم يعط كتابه ولم يدر[3] ما حسابه وأن الموتة التي ماتها في الدنيا يتمنى لو كانت القاطعة لحياته حتى لا يبعث، ثم يواصل تحسره وتحزنه قائلا ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ أي مالي والهاء في ماليه وفي كتابيه وحسابيه وفي ماليه وسلطانيه يقال لها هاء السكت يوقف عليها بالسكون قراءة كافة القراء وقوله ﴿هلك عني سلطانيه﴾ أي ذهبت عني حججي[4] فلم أجد ما احتج به لنفسي قال تعالى للزبانية

---

(١) تقدم أنه أبو سلمة بن عبدالأسد المخزومي وزوجته هي أم المؤمنين تزوجها رسول الله ﷺ بعد موت زوجها أبي سلمة وإن الشقي هو الأسود بن عبدالأسد أخو أبي سلمة.

(٢) أي بشماله ووراء ظهره وهو كتاب سيئاته من الشرك والمعاصي كبيرها وصغيرها.

(٣) هذا من عظم ما يشاهد من شدة الحساب وشناعته هذا داخل في حيّز متمنياته، كما هو إشارة إلى انه كان في الدنيا لا يؤمن بالحساب ولم يدر ما يجري فيه ولذا اصابته الحيرة هنا وألمَّ به الكرب.

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿خذوه فغلوه﴾[1] أي شدوا يديه في عنقه بالغل ﴿ثم الجحيم صلوه﴾[2] أي أدخلوه فيها وصلوه بحرها المرة بعد المرة كما يصلى الكبش المشوى المصلي، ﴿ثم في سلسلة﴾ طويلة ﴿ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾ ولم يعرف مدى طول هذه الذراع إلا انه إذا كان الكافر ما بين كتفيه كما بين مكة وقديد قرابة مائة وخمسين ميلا فإن السلسلة في ذرعها السبعين ذراعا لابد وأن تكون مناسبة لهذا الجسم ﴿فاسلكوه﴾ أي ادخلوه فيها فتدخل من فمه وتخرج من دبره كسلك الخرزة في الخيط وذكر تعالى علّة هذا الحكم عليه فقال ﴿إنه كان أي في الدنيا لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام[3] المسكين﴾ فانحصرت جريمته في شيئين الكفر بالله ومنع الحقوق الواجب في المال ثم أخبر تعالى عن حال هذا الكافر الشقي في جهنم فقال ﴿فليس له اليوم ها هنا﴾ أي في جهنم ﴿حميم﴾[4] أي صديق أو قريب ينتفع به فيدفع عنه العذاب أو يخففه ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾[5] أي وليس له طعام يأكله إلا من طعام الغسلين الذي هو صديد أهل النار فإنهم عندما يأكلون شجر الغسلين يكون كالمسهل في بطونهم فيخرج كل ما في بطونهم وذلك هو الغسلين الذي يأكلونه ذلك الغسلين الذي لا يأكله إلا الخاطئون أي الذين ارتكبوا خطيئة الكفر والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها.

٢- المال الذي باع المفلسون فيه الأمة والملة لا يغني يوم القيامة عن صاحبه شيئا.

٣- التنديد بالكفر بالله وأهله.

٤- عظم جريمة منع الحقوق المالية من الزكاة وغيرها.

---

(١) خذوه مقول قول ذكر في التفسير وغلوه أمر من غله يغله إذا وضع الغل وهو القيد الذي يجعل في عنق الجاني.

(٢) صلى النار يصلاها إذا أصابه حرها أو استدفأ بها، ويعدى بالتضعييف فيقال صلّاه النار وبالهمز أيضاً أصلاه يصليه ناراً.

(٣) الطعام بمعنى الإطعام وضع موضعه كوضع العطاء موضع الإعطاء كما في قول الشاعر:

أكفراً بعد ردٍّ الموت عنى   وبعد عطائك المائه الرّتاعا

الرتاع الإبل ترتع.

(٤) الحميم هنا الغريب الذي يرق له ويدفع عنه المكروه، وهو مأخوذ من الماء الجار كأنه الصديق الذي يرق ويحترق قلبه له.

(٥) الغسلين فعلين مأخوذ من الغسل كأنه ينغسل في أبدانهم وهو صديد أهل النار السائل من جروحهم وخروجهم قال الضحاك: الغسلين شجر وهو شر الطعام وأبشعه وهو من أطعمة أهل النار مثل الضريع والزقوم وبناء على ما ذكر ان الغسلين مجموع شجر اسمه الغسلين وما تجمع من صديد أهل النار من دم وعرق ونحوه فصدق عليه لفظ الغسلين وهذا من اعجاز القرآن البلاغي.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ
تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا
مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ
لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات:

بما تبصرون ومالا تبصرون : أي بكل مخلوق في الأرض وفي السماء.

انه لقول رسول كريم : أي القرآن قاله تبليغا رسولٌ كريم هو محمد ﷺ.

وما هو بقول كاهن : أي ليس القرآن بقول كاهن إذ ليس فيه من سجع الكهان شيء.

لأخذنا منه باليمين : أي بالقوة أو لأخذنا بيمينه لنقتله.

ثم لقطعنا منه الوتين : أي نياط القلب الذي إذا انقطع مات الإنسان.

حاجزين : أي مانعين وهو خبر ما النافية العاملة عمل ليس وجمع لأن احد يدل على الجمع نحو لا نفرق بين أحد من رسله وبين لا تقع إلا بين اثنين فأكثر.

وإنه لحسرة على الكافرين : أي التكذيب بالقرآن حسرة يوم القيامة على المكذبين به.

وإنه لحق اليقين : أي الثابت يقينا أو اليقين الحق.

فسبح باسم ربك العظيم[1] : أي نزه ربك العظيم الذي كل شيء أمام عظمته صغير حقير أي قل سبحان ربي العظيم.

---

(١) الباء للمصاحبة والزيادة لتقوية الكلام والتقدير سبح اسم ربك والتقدير نزه اسم ربك في أن يسمى به غيره إذ سمى المشركون العزى بدل العزيز واللات بدل الله وجائز أن يكون اسم مقحماً والتقدير فسبح ربك أي نزهه عن الشريك والشبيه وعن كل نقص وهو العظيم الذي ليس شيء أعظم منه.

معنى الآيات :

قوله تعالى فلا أقسم[1] بماتبصرون ومالا تبصرون أي فلا[2] الأمر كما ترون وتقولون أيها المكذبون أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون من المخلوقات في الأرض وفي السموات إنه أي القرآن لقول رسول كريم على ربّه تعالى وهو محمد ﷺ أي إنه تبليغه وقوله إليكم وما هو بقول شاعر. كما تقولون كذباً قليلا[3] ما تؤمنون أي إن إيمانكم قليل ضيق الدائرة فلو كان واسعاً لاتسع للإيمان بالقرآن إنه كلام الله ووحيه وليس هو من جنس الشعر لمخالفته له نظماً ومعنىً. وما هو بقول كاهن قليلا ما تذكرون أي وليس القرآن بقول كاهن قليلا ما تذكرون أي تذكركم قليل جدا فلو تذكرتم كثيرا لعلمتم أن القرآن ليس بكلام الكهان لملازمته للصدق والحق والهدى ولبعد قائله عن الإثم والكذب بخلاف قول الكهان فإن سداه ولحمته الكذب وقائله هو الإثم كله فأين القرآن من قول الكهان؟ وأين محمد الرسول من الكهان اخوان الشيطان إنه تنزيل من ربّ العالمين أيها المكذبون الضالون. وأمر آخر وهو أن الرسول محمد ﷺ ولو تقول[4] علينابعض الأقاويل ونسبها إلينا لأخـذنا منه باليمين أي لبطشنا به وأخذنا بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين فيهلك إذ الوتين هو عرق القلب إذا قطع مات الإنسان وإذا فعلنا به هذا فمن منكم يحجزنا عنه؟ وهو معنى قوله تعالى ﴿فما منكم[5] من أحد عنه حاجزين﴾ وقوله تعالى ﴿وإنه﴾ أي القرآن ﴿لتذكرة[6]﴾ أي موعظة عظيمة للمتقين[7] الذين يخافون عقاب الله ويخشون نقمه وعذابه وإنا لنعلم أن منكم[8] أيها الناس مكذبين ليس بخاف عنا أمرهم وسنجزيهم وصفهم وانه لحسرة[9] على الكافرين أي يوم القيامة عندما يرون المؤمنين به يؤخذ بهم ذات اليمين إلى دار السلام والمكذبين به يؤخذ بهم ذات الشمال إلى دار

---

(١) الفاء للتفريع لإثبات أن القرآن منزل من عند الله تعالى ونفي ما ادعاه المشركون.

(٢) هذا بناء على أن لا رد لكلام سابق وليست زائدة وكونها زائدة لتأكيد الكلام أولى من كونها نافية، إذ وجدت في فاتحة سورتي القيامة والبلد وليس قبلهما ما ينفى كأنه يقول لا أقسم لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم كالمتحرج من الإقسام.

(٣) جائز أن يكون لفظ قليلا في الموضعين مراداً به انتفاء ذلك كلية لأنه وقع بقلة، وقليلاً صفة لموصوف محذوف أي إيماناً قليلاً، وتذكراً قليلاً، وما مزيدة لتوكيد الكلام كما في قول الشاعر:

قليلاً به ما يحمدنك وارث إذا نال مما كنت تجمع مغنماً

(٤) التقول نسبة قول إلى من لم يقله، والأقاويل جمع أقوال الذي هو جمع قول.

(٥) من مزيدة لتأكيد النفي وللتنصيص على العموم وفي الآية دليل أن من يدعي انه يوحى إليه لا يلبث طويلاً حتى يأخذه الله تعالى.

(٦) التذكرة اسم مصدر بمعنى التذكير وهو التنبيه إلى مغفول عنه.

(٧) خص المتقون لأنهم هم المنتفعون به لاستعدادهم بقوة ايمانهم وصحة علمهم وكمال رغبتهم في الطاعة.

(٨) في الكلام إيجاز والتقدير إنا بعثنا إليكم الرسول بهذا القرآن ونحن نعلم أنه سيكون منكم مكذبون.

(٩) جائز أن يكون الضمير عائداً على التكذيب إذ به كانت حسرة الكافرين يوم القيامة وجائز أن يكون عائداً على القرآن لأنهم لم يؤمنوا به ويعملوا بما دعا إليه من الإيمان وصالح الأعمال.

البوار. وإنه لحق اليقين[1] أي اليقين الحق. بعد هذا التقرير في إثبات الوحي والنبوة أمر تعالى رسوله الذي كذب برسالته المكذبون أمره أن يستعين على الصبر بذكر الله تعالى فقال له ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي قل سبحان ربي العظيم منزها اسمه عن تحريفه وتسمية المحدثات به معظما ربك غاية التعظيم إذ هو العليّ العظيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- لله تعالى أن يحلف بماشاء من مخلوقاته لحكم عالية وليس للعبد أن يحلف بغير الربّ تعالى.

٢- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٣- وصف الرسول بالكرم وبكرامته على ربّه تعالى.

٤- عجز الرسول ﷺ عن الكذب على الله تعالى وعدم قدرته على ذلك لو أراده ولكن الذي لا يكذب على الناس لا يكذب على الله كما قال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله ردّاً على أبي سفيان لما قال له لم نجرب عليه كذباً قط. .

٥- مشروعية التسبيح بقول سبحان ربي العظيم إن صح أنه لما نزلت قال النبي ﷺ لأصحابه اجعلوها في ركوعكم فكانت سنة مؤكدة سبحان ربي العظيم ثلاثا في الركوع أو اكثر.

سُورَةُ المَعَارِج

مكيـة وآياتها أربع واربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ
ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ

(١) أي القرآن الكريم بلا خلاف.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات:

سأل سائل : أي دعا داع بعذاب واقع.

ليس له دافع من الله : أي فهو واقع لا محالة.

ذي المعارج : أي ذي العلو والدرجات ومصاعد الملائكة وهي السموات.

تعرج الملائكة والروح إليه : أي تصعد الملائكة وجبريل إلى الله تعالى.

في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة : أي تصعد الملائكة وجبريل من منتهى امره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى امره من فوق السموات السبع في يوم مقداره خمسون ألف سنة بالنسبة لصعود غير الملائكة من الخلق.

إنهم يرونه بعيداً : أي العذاب الذي يطالبون به لتكذيبهم وكفرهم بالبعث.

يوم تكون السماء كالمهل : أي كذائب النحاس.

وتكون الجبال كالعهن : أي كالصوف المصبوغ الوانا في الخفة والطيران بالريح.

ولا يسأل حميم حميما : أي قريب قريبه لانشغال كل بحاله.

يبصرونهم : أي يبصر الأَحْمَاء بعضهم بعضا ويتعارفون ولا يتكلمون.

وصاحبته : أي زوجته.

وفصيلته التي تؤويه : أي عشيرته التي تضمه إليها نسباً وتحميه من الأذى عند الشدة.

إنها لظى نزاعة للشوى(١) : أي ان جهنم هي لظى نزاعة للشوى جمع شواة جلدة الرأس.

أدبر وتولى : أي عن طاعة الله ورسوله وتولى عن الإيمان فأنكره وتجاهله.

---

(١) قرأ نافع والجمهور برفع نزاعة وقرأ حفص بنصبها.

وجمع فأوعى : أي جمع المال وجعله في وعاء ومنع حق الله تعالى فيه فلم ينفق منه في سبيل الله.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿سأل[1] سائل بعذاب واقع﴾ هذه الآيات نزلت رداً على دعاء النضر بن الحارث ومن وافقه اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم فأخبر تعالى عنه بقوله ﴿سأل سائل بعذاب[2] واقع للكافرين ليس له من دافع من الله﴾ أي انه واقع لا محالة إذ ليس له دافع من الله ﴿ذي المعارج﴾ أي صاحب العلو والدرجات ومصاعد الملائكة وهي السموات وقوله تعالى ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ أي[3] تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ أي يصعدون من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السموات السبع في يوم مقداره خمسون ألف سنة بالنسبة لصعود غير الملائكة من الخلق ﴿فاصبر[4] صبراً جميلاً﴾ وقوله[5] تعالى ﴿إنهم يرونه بعيداً ونراه قريبا﴾ يعني أن المشركين المكذبين يرون العذاب بعيدا لتكذيبهم بالبعث الآخر. ونحن نراه قريبا ويبين تعالى وقت مجيئه فقال ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ أي تذوب فتصير كذائب النحاس ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أي الصوف المصبوغ خفة وطيرانا بالريح وهذا هو الانقلاب الكوني حيث فني كل شيء ثم يعيد الله الخلق فإذا الناس في عرصات القيامة واقفون حفاة عراة ﴿لا يسأل حميم حميما﴾ لانشغال كل بنفسه كما قال تعالى ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ عن السؤال عن غيره أو عن سؤال غيره وقوله تعالى ﴿يبصرونهم﴾ أي عدم سؤال بعضهم بعضا ليس ناتجا عن عدم معرفتهم لبعضهم بعضاً[6] لا بل يبصرهم ربهم بهم فيعرف كل قريب قريبه ولكن اشتغاله بنفسه يحول دون سؤال غيره، ويشرح هذا المعنى قوله تعالى يودّ المجرم أي ذو الاجرام على نفسه بالشرك والمعاصي لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه أي أولاده الذكور ففضلا عن الإناث وصاحبته أي زوجته وأخيه وفصيلته التي تؤويه بأن تضمه إلى نسبها والفصيلة العشيرة انفصلت

---

(١) قرأ نافع سال بدون همزة تخفيفا وقرأ حفص سأل بالهمزة على الأصل.

(٢) وإن كانت الباء في بعذاب بمعنى عن فيكون السائل سأل عن العذاب لمن يقع أو متى يقع كقوله تعالى فاسأل به خبيراً أي عنه خبيراً وكقول الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصير بأدواء النساء طبيب

ومن بلاغة القرآن تعدية سأل بالباء ليكون صالحاً للاستفهام والدعاء والاستعجال.

(٣) هذا العروج كائن يوم القيامة وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة.

(٤) الفاء للتفريع إذ سبق أنّ السائل بالعذاب كان مستهزئاً مستخفاً فلذا أمر الله رسوله بالصبر الجميل على ما يقوله المشركون.

(٥) الجملة تعليلية لكل من جملة سأل سائل بعذاب وللأمر بالصبر.

(٦)قرأ نافع يومئذ بفتح يومئذ وقرأ الجمهور بكسرها بإضافة عذاب إليها.

من القبيلة ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه لنتصور عذابا يود المجرم من خوفه منه أن يفتدي بكل شيء في الأرض كيف يكون؟ ومن هنا يرى القريب قريبه ولا يسأله عن حاله لانشغال نفسه عن نفس غيره. وقوله تعالى ﴿كلا﴾[1] أي لا قرابة يومئذ تنفع ولا فداء يقبل ﴿إنها﴾ أي جهنم ﴿لظى نزاعة للشوى﴾ أي لجلدة الرأس ولكل عضو غير قاتل للإنسان إذا نزع منه. تدعو أي جهنم المسماة لظى تدعو تنادي إليّ إليّ يا من أدبر عن طاعة الله ورسوله وتركها ظهره فلم يلتفت إليها وتولى عن الإيمان فلم يطلبه تكميلا له ليصبح إيمانا يحمله على الطاعات وجمع الأموال فأوعاها في أوعية[2] ولم يؤد منها الحقوق الواجبة فيها من زكاة وغيرها إذ في المال حق غير الزكاة. ومن دعته جهنم دفع إليها دفعاً كما قال تعالى ﴿يوم يُدعّون إلى نار جهنم دعا﴾ نعوذ بالله من جهنم وموجباتها من الشرك والمعاصي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- حرمة سؤال العذاب فإن عذاب الله لا يطاق ولكن تسأل الرحمة والعافية.

٢- وجوب الصبر على الطاعة وعلى البلاء فلا تسخّط ولا تجزع.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤- عظم هول الموقف يوم القيامة وصعوبة الحال.

٥- التنديد بالمعرضين عن طاعة الله ورسوله الجامعين للأموال المشتغلين بها حتى سلبتهم الإيمان والعياذ بالله فأصبحوا يشكّون في الله وآياته ولقائه.

۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ

(١) كلا حرف ردع وإبطال لكلام سابق.

(٢) ومنه الحديث لا توعي فيوعى عليك أي لا تمسكي عن الإنفاق فيمسك عليك.

رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات:

إن الإنسان خلق هلوعا : أي إذا مسه الشر جزوعاً وإذامسه الخير منوعا أي كثير الجزع سريعه وكثير المنع حريصا عليه.

على صلاتهم دائمون : أي لا يقطعونها أبداً ما داموا أحياء يعقلون.

حق معلوم : أي نصيب معيّن عينه الشارع وهو الزكاة.

للسائل والمحروم : أي الطالب الصدقة والذي لا يطلبها حياء وتعففا.

يصدقون بيوم الدين : أي يؤمنون بيوم القيامة للبعث والجزاء.

مشفقون : أي خائفون متوقعون العذاب عند المعصية.

لفروجهم حافظون : أي صائنون لها عن النظر إليهاوعن الفاحشة.

أو ما ملكت أيمانهم : أي من السُّريات من الجواري التي يملكونها.

فأولئك هم العادون : أي المعتدون الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

لأماناتهم : أي ما ائتمنوا عليه من أمور الدين والدنيا.

راعون : أي حافظون غير مفرطين.

قائمون : أي يقيمون شهاداتهم لا يكتمونها ولا يحرفونها.

يحافظون : أي يؤدونها في أوقاتها في جماعات مع كامل الشروط والأركان والواجبات والسنن.

معنى الآيات:

قوله تعالى إن الإنسان أي هذا الآدمي المنتصب القامة الضاحك الذي سمي بالإنسان لأنسه

بنفسه ورؤية محاسنها ولنسيانه واجب شكر ربّه هذا الإنسان خلق هلوعاً قابلا لوصف الهلع فيه عند بلوغه سن التمييز والهلع مرض نفسي عرضه الذي يُعرَف به جزعه الشديد متىٰ مسه الشر، ومنعه القوي للخير متىٰ مسه وظفر به. فقد فسر تعالى الهلع بقوله، ﴿إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً﴾. ثم ذكر تعالى ما يعالج به هذا المرض باستثنائه من جنس الإنسان من يتصفون بالصفات الآتية وهي عبارة عن عبادات شرعية بعضها فعل وبعضها ترك من شأنها القضاء على هذا المرض الخطير المسمى بالهلع والذي لا يعالج إلا بما وصف تعالى في قوله:

١) إدامة الصلاة بالمواظبة عليها ليل نهار إذ قال تعالى ﴿إلا المصلين[(١)] الذين هم على صلاتهم دائمون[(٢)]﴾ وبشرط أن تؤدى إيماناواحتسابا وأداءً صحيحا بمراعاة شروطها وأركانها وسننها.

٢) الاعتراف بما اوجب الله في المال من حق واعطاء ذلك الحق بطيب نفس لمن سأل ولمن لم يسأل ممن هم أهل للزكاة والصدقات لقوله ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.

٣) التصديق الكامل بيوم القيامة وهو البعث والجزاء لقوله تعالى ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾.

٤) الاشفاق والخوف من عذاب الله عند عروض خاطر المعصية بترك واجب أو فعل محرم لقوله تعالى ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي دائما وأبداً لأن عذاب ربهم غير مأمون الوقوع.

٥) حفظ الفرج بستره عن أعين الناس ما عدا الزوج وصيانته من فاحشة الزنا واللواط وجلد عميرة أي الاستمناء باليد والمعروف اليوم بالعادة السرية لقوله تعالى ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ من السراري ﴿فإنهم غير ملومين﴾ في إتيانهم أزواجهم وجواريهم اللائي ملكوهنّ بالجهاد أو الشراء الشرعي وقوله تعالى ﴿فمن ابتغى﴾ أي طلب ما وراء الزوجة والسريّة ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي الظالمون الذين تجاوزوا الحلال إلى الحرام فكانوا بذلك معتدين ظالمين.

٦) حفظ الأمانات والعهود ومن أبرز الأمانات وأقوى العهود ما التزم به العبد من عبادة الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله والوفاء بذلك حتى الموت زيادة على أمانات الناس والعهود لهم الكل واجب الحفظ والرعاية لقوله ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي حافظون.

---

(١) الاستثناء منقطع أي لكن المصلين الذين وصفهم كيت وكيت وهي ثمان صفات وهي صفات المؤمنين الصادقين.
(٢) الدوام على الشيء عدم تركه وذلك في كل عمل بحسب ما يعتبر دواماً فيه.

٧) إقامة الشهادة بالاعتدال فيها بحيث يؤديها ولا يكتمها ويؤديها قائمة لا اعوجاج فيها لقوله تعالى ﴿والذين هم بشهاداتهم[1] قائمون﴾[2].

٨) المحافظة على الصلوات الخمس مستوفاة الشروط والأركان من الخشوع إلى الطمأنينة في الركوع والسجود والاعتدال في القيام لقوله تعالى ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ بعد أدائها وعدم قطعها بحال من الأحوال.

فهذه الوصفة الربانية متى استعملها الإنسان المؤمن تحت إشراف عالم ربّاني إن وجده وإلاّ فتطبيقها بدون إشراف ينفع بإذن الله متى اجتهد المؤمن في حسن تطبيقها برىء من ذلك المرض الخطير وأصبح أهلا لإكرام الله تعالى في الدار الآخرة قال تعالى في ختام هذه الوصفة ﴿أولئك في جنّات مكرمون﴾[3] أي أولئك المطبقون لهذه الوصفة الناجحون فيها ﴿في جنّات مكرمون﴾ في جوار ربهم اللهم اجعلنا منهم يا غفور يا رحيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بين شر صفات الإنسان وانها الهلع.

٢ـ بيان الدواء لهذا الداء داء الهلع الذي لا فلاح معه ولا نجاح.

٣ـ انحصار العلاج في ثماني صفات أو ثماني مركبات دوائية.

٤ـ وجوب العمل بما اشتملت عليه الوصفة من واجبات.

٥ـ حرمة مااشتملت عليه الوصفة من محرمات.

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ

(١) قرأ نافع شهادتهم بالإفراد وقرأ حفص شهاداتهم بالجمع وقراءة الإفراد بمعنى الجمع لأن شهادة اسم جنس تدل على متعدد.

(٢) القيام بالشهادة: الاهتمام بها وحفظها إلى أن تؤدى.

(٣) والإكرام: التعظيم وحسن اللقاء أي هم مع جزائهم بالجنات يكرمون بحسن اللقاء والثناء. في جنات خبر أولئك ومكرمون خبر ثانٍ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)﴾

شرح الكلمات:

قبلك مهطعين؟ : أي نحوك مديمي النظر إليك.

عزين : أي جماعات حلقا حلقا يقولون في استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم.

إنا خلقناهم مما يعلمون : أي من منيّ قذر وإنما يستوجب دخول الجنة بالطاعات المزكية للنفوس.

على أن نبدل خيرا منهم : أي إنا لقادرون على أن نهلكهم ونأتي بأناسٍ خير منهم.

وما نحن بمسبوقين : أي بعاجزين عن إيجاد ما ذكرنا من اهلاك القوم والإتيان بخير منهم.

يوم يخرجون من الأجداث : أي من القبور مسرعين إلى المحشر.

سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون: أي كأنهم في إسراعهم إلى المحشر إلى نصب أي شيء منصوب كراية أو علم يسرعون.

ترهقهم ذلة : أي تغشاهم ذلة.

ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون: أي يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة.

معنى الآيات:

قوله تعالى فما للذين[1] كفروا قبلك مهطعين يخبر تعالى مقبحا سلوك المشركين إزاء رسوله ﷺ فيقول ما للذين كفروا من كفار مكة قبلك أي جهتك حيث كنت في المسجد الحرام مهطعين أو مسرعين مديمي النظر إليك عن اليمين وعن الشمال عزين أي عن يمينك وعن شمالك عزين جمع عزة أي جماعة فهم حلق حلق يستمعون إلى قراءتك بحثا عن كلمة يمكنهم أن يشنعوا بها عليك ويجعلونها مطعنا في دعوتك أي سخرية يسخرون بها وبك ويقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم فرد تعالى عليهم منكرا طمعهم الفارغ بقوله ﴿أيطمع كل امرىء[2]

(١) الاستفهام إنكاري تعجبي من تجمع المشركين إلى النبي ﷺ مستهزئين بما يسمعون من وعد المؤمنين بالجنة ووعيد المشركين بالنار، ومعنى الآية أي شيء ثبت للذين كفروا في حال إهطاعهم إليك.

(٢) هذه الجملة بدل اشتمال من جملة فما للذين كفروا.

منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ أي بستان إكرام وتنعم كلا لن يتم هذا لهم ولن يكون وهم أنجاس الأرواح بالشرك والمعاصي، ولفت النظر إلى أصل الخلقة وهي المنيّ القذر والقذر لا يدخل دار السلام فمن أراد الجنة فليزك نفسه وليطهرها بالإيمان والعمل الصالح مبعداً لها عما يُدَسِّيها من الشرك والمعاصي وهو ما تضمنه قوله تعالى ﴿إنا خلقناهم[1] مما يعلمون﴾ وقوله عز وجل ﴿فلا أقسم بربّ المشارق والمغارب﴾ أي فلا الأمر كما يتصورون من أنهم لا يبعثون بعد موتهم أقسم برب المشارق الثلاثمائة والستين مشرقا ومغربا حيث الشمس تطلع كل يوم في مطلع وتغرب في آخر لا تعود إليه إلّا بعد سنة في مثل ذلك اليوم فأقسم تعالىٰ بنفسه، والمقسم عليه قوله ﴿إنَّا لقادرون﴾ أي علىٰ أن نهلكهم ونأتي بخير منهم ﴿ وما نحن بمسبوقين﴾ أي عاجزين عن ذلك فكيف إذاً لا نعيدهم أحياء بعد موتهم يوم القيامة ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتىٰ يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ أي أمر تعالىٰ رسوله أن يتركهم وما يخوضون فيه من اللهو واللعب والباطل في القول والعمل، وهو تهديد خفي لهم ﴿حتىٰ يلاقوا﴾ علىٰ ما هم عليه من أدران الشرك وأوضار المعاصي يومهم الذي يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة وشرح حال اليوم فقال يوم يخرجون من الأجداث أي القبور جمع جدث سراعاً أي مسرعين كأنهم إلى نُصُب[2] أي شيء منصوب من راية أو علم أو تذكار يوفضون أي يحشرون مسرعين حال كون أبصارهم خاشعة أي ذليلة من الفزع والخوف ترهقهم ذلة أي تغشاهم ذلة عجيبة عظيمة. وقوله تعالى ﴿ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ أي هذا هو اليوم الذي كانوا يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة الذي أنكروه وكذبوا به ها هو ذا قد حصل فليتجرعوا غصص الندم وألوان العذاب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان الحال التي كان عليها الرسول ﷺ في مكة بين ظهراني قريش وما كان يلاقي من أذاهم.

٢ـ بيان أن الجنة تدخل بالطهارة الروحية من قذر الشرك والمعاصي وإلّا فأصل الناس واحد المنيّ القذر باستثناء آدم وحواء وعيسى فآدم أصله الطين وحواء خلقت من ضلع آدم، وعيسى كان بنفخ روح القدس في كم درع مريم فكان بكلمة الله تعالى ومن عدا الثلاثة فمن ماء مهين ونطفة قذرة.

---

(١) في قوله تعالى إنا خلقناهم مما يعلمون ازدراء بهم وتهكم من حالهم إذ يجادلون ويعاندون وهم مخلوقون من نطفة مذرة.

(٢) النصب بفتح النون وسكون الصاد: الصنم قرأ نافع نصب بفتح وسكون وقرأ حفص نصب بضم كل من النون والصاد والمعنى واحد وهو الصنم قال الشاعر:

وذا النّصبَ المنصوبَ لا تنسكنّه ... لعافية والله ربَّك فاعبدا

٣ـ الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان الثانية.

٤ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٥ـ بيان أن حياة أهل الكفر مهما تراءى لهم ولغيرهم أنها حياة مدنية سعيدة لم تَعد كونها باطلا ولهوا ولعباً.

سُورَةُ نُوحٍ

مكيـــة وآياتها ثمان وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٤﴾

شرح الكلمات:

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه : أي أهل الأرض كافة والدليل إغراقهم أجمعين.

أن أنذر قومك : أي بإنذار قومك.

إني لكم نذير مبين : أي بين النذارة ظاهرها.

أن اعبدوا الله : أي وحده بفعل محابه وترك مكارهه ولا تشركوا به شيئا.

واتقوه : فلا تعصوه بترك عبادته ولا بالشرك به.

وأطيعون : فيما آمركم به وأنهاكم عنه لأني مبلغ عن الله ربي وربكم.

يغفر لكم من ذنوبكم : أي ذنوبكم التي هي الشرك والمعاصي فمن زائدة لتقوية الكلام أو هي تبعيضية لأن ما كان حقا لآدمي كمال وعرض لا يغفر إلا بالتوبة.

ويؤخركم إلى أجل مسمى : أي إلى نهاية آجالكم المسماة لكم في كتاب المقادير فلا يعجل لكم بالعذاب.

إن أجل الله : أي بعذابكم.

لا يؤخر : إن لم تؤمنوا.

لو كنتم تعلمون : أي لآمنتم.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه﴾[1] يخبر تعالى لافتاً نظر منكري رسالة نبيّه محمد ﷺ من مشركي قريش وكفار مكة أن محمداً رسول الله ليس بأول رسول حتى تنكر رسالته، كما أن السورة بجملتها فيها تسلية لرسول الله ﷺ مما يلاقي من مشركي قومه إذ نوح عليه السلام قد لاقى ما هو أشد وأطول مدة والآيات ناطقة بذلك وقوله تعالى ﴿أن انذر قومك﴾ أي أرسلناه بإنذار قومه من قبل أن يأتيهم عذاب أليم[2] هو عذاب الدنيا بالاستئصال وعذاب الآخرة بالاستمرار والدوام. وقوله تعالى ﴿قال ياقوم إني لكم نذير مبين﴾ أي امتثل نوح أمر ربه وقال لقومه يا قوم أني لكم نذير مبين أي مخوف من عواقب كفركم بالله وشركم به. ﴿أن[3] اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا واتقوه فلا تعصوه بترك عبادته ولا بالشرك به، وأطيعون فيما آمركم به وأنهاكم عنه لأني مبلغ عن الله ربي وربكم ولا آمركم إلا بما يكملكم ويسعدكم ولا أنهاكم إلا عما يضركم ولا يسركم فإن تجيبوا لما دعوتكم إليه يغفر لكم من[4] ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى نهاية آجالكم فلا يعاجلكم بالعقوبة ﴿إن أجل الله﴾ أي بعذابكم إذا جاء لا يؤخر ﴿لو كنتم تعلمون[5]﴾ أي لو علمتم ذلك لأنبتم إلى ربكم فتبتم إليه واستغفرتموه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير النبوة المحمدية إذ الذي أرسل نوحاً يرسل محمداً ﷺ ومن شاء إلى من شاء.

٢- تقرير التوحيد إذ نوح أرسل إلى قوم مشركين لإبطال الشرك وتحقيق التوحيد.

٣- تقرير معتقد القضاء والقدر لقوله﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أي في كتاب المقادير.

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ

(١) نوح هو ابن لامك بن متوشلخ بن أختون وهو إدريس بن برد بن مَهْلَايِيل بن أنوش ابن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام.

(٢) جائز أن يكون العذاب في الدنيا وأن يكون عذاب النار يوم القيامة.

(٣) إن مفسرة كالتي في قوله أن أنذر قومك.

(٤) جائز أن يكون من زائدة لتقوية الكلام وأن تكون تبعيضية إذ بعض الذنوب لا تغفر إلا بالتحلل من أصحابها وهي حقوق الآدميين.

(٥) روي أنهم كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فيقول: ربِّ اغفر لقومي فإنهم لايعلمون.

فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ
لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾
يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل
لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾
وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ
إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا
سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

ليلا ونهارا : أي دائما باستمرار.

إلا فرارا : أي مني ومن الحق الذي ادعوهم إليه وهو عبادة الله وحده.

جعلوا أصابعهم في آذانهم : أي حتى لا يسمعوا ما أقول لهم.

واستغشوا ثيابهم : أي تغطوا بها حتى لا ينظروا إليّ ولا يروني.

وأصروا : على باطلهم وما هم عليه من الشرك.

يرسل السماء عليكم مدرارا : أي ينزل عليكم المطر متتابعا كلما دعت الحاجة إليه.

ويجعل لكم جنات : أي بساتين.

مالكم لا ترجون لله وقارا : أي لا تخافون لله عظمته وكبرياءه وهو القاهر فوق عباده.

وقد خلقكم أطوارا : أي حالا بعد حال فطورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة.

وجعل الشمس سراجا : أي مضيئة.

أنبتكم من الأرض نباتا : أي أنشأكم من تراب الأرض.

ثم يعيدكم فيها : أي تقبرون فيها.

ويخركم منها إخراجا : أي يوم القيامة.

سبلا فجاجا : أي طرقا واسعة.

معنى الآيات:

هذه الآيات تضمنت لوحة مشرقة يهتدي بضوئها الهداة الدعاة إلى الله عز وجل إذ هي تمثل عرض حال قدمه نوح لربه عز وجل هو خلاصة دعوة دامت قرابة تسعمائة وخمسين سنة ولنصغ إلى نوح عليه السلام وهو يشكوا إلى ربّه ويعرض عليه ما قام به من دعوة إليه فقال ﴿رب إني دعوت قومي﴾ وهم أهل الأرض كلهم يومئذ ﴿ليلا ونهارا﴾ أي بالليل وبالنهار إذ بعض الناس لا يمكنه الاتصال بهم إلا ليلا ﴿فلم يزدهم دعائي﴾ (١) إياهم إلى الإيمان بك وعبادتك وحدك ﴿إلا فرارا﴾ مني (٢) ومما أدعوهم إليه وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم بأن يستغفروك ويتوبوا إليك لتغفر لهم ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ حتى لا يسمعوا ما أقول لهم، ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أي تغطوا بها حتى لا يروني ولا ينظروا إلى وجهي كراهة لي وبغضا فيّ ﴿وأصروا﴾ على الشرك والكفر إصراراً متزايدا عنادا ﴿واستكبروا استكبارا﴾ عجيباً (٣).

﴿ثم اني دعوتهم﴾ إلى توحيدك في عبادتك وإلى ترك الشرك فيها ﴿جهارا﴾ أي مجاهرا بذلك ﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا﴾ بحسب الجماعات والظروف أطرق كل باب بحثا عن استجابتهم للدعوة وقبولهم للهدى فقلت ﴿استغفروا ربكم إنه (٤) كان غفارا يرسل السماء (٥) عليكم مدرارا﴾ أي ينزل عليكم المطر متتابعا فلا يكون قحط ولا محل ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ كما هي رغبتكم ﴿ويجعل لكم جنات﴾ بساتين ذات نخيل وأعناب ﴿ويجعل لكم أنهارا﴾ تجري في تلك البساتين تسقيها. ثم التفت إليهم وقال لهم منكرا عليهم استهتارهم وعدم خوفهم ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ أي ما دهاكم أي شيء جعلكم لا ترجون لله وقارا لا تخافون عظمته وقدرته وكبرياءه ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ ولفت نظرهم إلى مظاهر قدرة الله تعالى فقال لهم ﴿ألم تروا كيف

---

(١) قرأ نافع دعائي بفتح العين واسكنها حفص.

(٢) أي إلا تباعدا عن الإيمان وإعراضاً عنه.

(٣) إذ قالوا له: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون والحامل لهم على هذا القول الكبر الذي تجاوزوا الحد فيه.

(٤) إنه كان غفاراً هذا منه عليه السلام ترغيب لهم في التوبة قال الفضيل بن عياض قول العبد أستغفر الله معناه أقلني.

(٥) يرسل السماء المراد المطر لا السماء هذا كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم   دعيناه وإن كانوا غضابا

(٦) يروى عن الحسن البصري أن رجلاً شكا إليه الجدوبة فقال له استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر فقال له استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال له استغفر الله وقال له آخر ادع الله أن يرزقني ولداً فقال له استغفر الله، فقيل له في ذلك، فقال: ما قلت من عندي شيئاً إن الله يقول في سورة نوح ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾.

خلق الله سبع سموات طباقا﴾ سماء فوق سماء مطابقة لها ﴿وجعل القمر فيهن[1] نورا﴾ ينير ما فوقه من السموات وما تحته من الأرض ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ وهاجا مضيئا يضيء بوجهه السموات وبقفاه الأرض كالقمر ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾ إذ أصلكم من تراب والنطف أيضا من الغذاء المكون من التراب ثم خلقتكم تشبه النبات وهي على نظامه في الحياة والنماء. ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ أي في الأرض بعد الموت فتدفنون فيها ﴿ويخرجكم منها﴾ أيضا ﴿إخراجا﴾ يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿والله جعل لكم الأرض بساطا﴾ أي مفروشة مبسوطة صالحة للعيش فيها والحياة عليها، ﴿لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ أي طرقا واسعة وهكذا تجول بهم نوح عليه السلام في معارض آيات الله الكونية وكلها دالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبة للعبادة له عقلا ونفيها عما سواه كانت هذه مشكلة نوح وعرض حاله على ربّه وهو أعلم به وفي هذا درس عظيم للدعاة الهداة المهديين جعلنا الله منهم آمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- رسم الطريق الصحيح للدعوة القائم على الصبر وتلوين الأسلوب.

٢- بيان كره المشركين للتوحيد والموحدين انهم لبغضهم لنوح ودعوة التوحيد سدوا آذانهم حتى لا يسمعوا وغطوا وجوههم حتى لا يروه واستكبروا حتى لا يروا له فضلا.

٣- استعمال الحكمة في الدعوة فإن نوحاً لما رأى أن قومه يحبون الدنيا أرشدهم إلى الاستغفار ليحصل لهم المال والولد.

٤- استنبط بعض الصالحين[2] من هذه الآية أن من كانت له رغبة في مال أو ولد فليكثر من الاستغفار الليل والنهار ولا يمل يعطه الله تعالى مراده من المال والولد.

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

---

(١) أي في السماء الدنيا، إذ يقال أتاني بنو تميم وأتيت بني تميم والمراد بعضهم.

(٢) تقدم أنه الحسن البصري رحمه الله تعالى.

شرح الكلمات :

عصوني : أي لم يطيعـوني فيما دعوتهم إليه وأمرتهم به من عبادتك وحدك وترك الشرك بك .

واتبعوا : أي السفلة منهم والفقراء .

من لم يزده ماله وولده : أي الرؤساء المنعم عليهم .

إلا خسارا : أي طغيانا وكفرا .

مكرا كبارا : أي عظيما جدا بأن كذبوا نوحا وآذوه أذى شديدا .

وقالوا : أي الرؤساء قالوا للسفلة منهم .

لاتذرن آلهتكم : أي لا تتركن آلهتكم .

ولا تذرن : أي ولا تتركن كذلك ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق ونسرا .

وقد اضلوا : أي بالأصنام كثيرا من الناس حيث أمروا بعبادتها .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الكريم الذي تقدم به رسول الله نوح عليه السلام إلى ربه ليعذره ويكرمه تقدم بشكوى مشفوعة بالدعاء بالهلاك على الظالمين ﴿فقال ربّ انهم عصوني واتبعوا من[1] لم يزده ماله وولـده إلا خسـارا﴾ أي طغيانـا وكفـرا. ﴿ومكـروا مكـرا كبـارا[2]﴾ أي عظيمـا جدا حيث كانـوا يعـرضـون بنـوح وقد يضربونه وهو صابر محتسب وقالوا لبعضهم البعض متواصين بالباطل ﴿لا تذرن الهتكم﴾ وسموا منها رؤساءها وهم خمسة ود وسواع[3] ويغوث ويعوق ونسرٌ وقد أضلوا كثيرا أي من عباد الله حيث ورثـوا هذه الأصنام فيهم فتبعهم الناس على ذلك فضلوا ثم دعا عليهم قائلا ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالا﴾ قال هذا بعد أن أيس من إيمانهم وعدم هدايتهم لطول ما مكث[4] بينهم يدعوهم وهم لا يزدادون إلا كفرا وضلالا[5] .

---

(١) يعني كبراءهم وأغنياءهم وأهل الترف فيهم الذين لم يزدهم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالا .

(٢) كباراً: نحو قرّاء وعجاب وطوال وعمال.

(٣) روى البخاري عن ابن عباس: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت .

(٤) قال ابن عباس: رجـا نوح الأبناء بعد الآباء فيأتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثر الناس وفشوا.

(٥) من عجيب ما يدعو إليه الشيطان أن يعوق ونسرا عبدا في القرن الرابع عشر في قرية ليوه حيث كانوا يستسقون بهما، وان يغوث ويعوق وود وسواع ونسر كانت موزعة بين القبائل العربية وفي يعوق يقول الشاعر:

يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الشكوى إلى الله تعالى ولكن بدون صخب ولا نصب.

٢ـ بيان أن السفلة والفقراء يتبعون الرؤساء والأغنياء وأصحاب الحظ.

٣ـ بيان أن المكر من شأن الكافرين والظالمين.

٤ـ بيان أن المشركين لضلالهم يطلقون لفظ الآلهة على من يعبدونهم من الأصنام والأوثان.

٥ـ مشروعية الدعاء على الظالمين عند اليأس من هدايتهم.

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات:

مما خطيئاتهم أغرقوا : أي بسبب خطيئاتهم أغرقوا بالطوفان.

فأدخلوا نارا : أي بعد موتهم أدخلت أرواحهم النار.

ديارا : أي من يدور يذهب ويجيء أي لم يبق أحد.

إن تذرهم : أي أحياء لم تهلكهم.

إلا تبارا : أي هلاكا وخسارا.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾[1] يخبر تعالى عن نهاية قوم نوح بعد أن دعا عليهم نوح لما علم بالوحي الإلهي انهم لا يؤمنون فقال تعالى مما خطيئاتهم أي ومن خطيئاتهم أي بسبب خطيئاتهم التي هي الشرك والظلم والتكذيب والأذى لنوح عليه السلام أغرقوا بالطوفان فلم يبق منهم أحد ﴿فأدخلوا نارا﴾ أي بمجرد ما يغرق الشخص وتخرج روحه يُدخل النار في البرزخ. وقوله تعالى ﴿فلم[2]

(١) مما خطيئتهم (ما) زائدة والأصل من خطيئتهم ومن تعليلية وما الزائدة لتوكيد معنى التعليل.
(٢) الفاء تفريعيَّة.

يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾ وهو كذلك فمن ينصر من يريد هلاكه وخزيه وعذابه. ثم ذكر تعالى دعوة نوح التي كان الطوفان بها والهلاك وهي قوله ﴿ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ أي لا تترك ولا تبق على الأرض اليابسة كلها يومئذ من الكافرين بخلاف المؤمنين ﴿ دياراً ﴾ (١) أي إنساناً يدور أي يذهب ويجيء أي لا تبق من الكافرين أحداً ثم علل لطالبه الهلاك للكافرين فقال ﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك﴾ (٢) عن صراطك الموصل إلى رضاك وذلك هو عبادتك وحدك وطاعتك وطاعة رسولك ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ (٣) أي إلا من يفجر عن دينك ويكفر بك وبرسولك قال نوح هذا لطول التجارب التي عاشها مع قومه إذ عاشرهم قرابة عشرة قرون ثم دعا الله تعالى له ولوالديه ولمن دخل مسجده ومصلاه من المؤمنين والمؤمنات، وأن لا يزيد الظالمين إلا خسارا وهلاكاً فقال ﴿ربّ اغفر لي ولوالدي (٤) ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ (٥).

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ هلاك قوم نوح كان بخطاياهم فالخطايا إذاً موجبة للهلاك.

٢ـ تقرير عذاب القبر فقوم نوح ما إن اغرقوا حتى ادخلوا نارا.

٣ـ مشروعية الدعاء على الظلمة والكافرين والمجرمين.

٤ـ مشروعية الدعاء للمؤمنين والمؤمنات.

٥ـ يستحب البدء في الدعاء بنفس الداعي ثم يعطف من يدعو لهم.

سُورَةُ الجِنّ

مكيـة وآياتها ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ (٦) نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا

---

(١) ديار: اسم مخصوص بالوقوع في النفي يعم كل إنسان وهو مشتق من اسم الدار.

(٢) إنك إن تذرهم: الجملة تعليلية.

(٣) يريد عند بلوغ الولد سن التكليف لا أنه يفجر ويكفر بمجرد ما يولد وصيغة فعال للمبالغة في الموصوف بالكفر.

(٤) اسم أبيه لمك واسم أمه شمخى بنت أنوس.

(٥) التبار: الهلاك والخسران.

(٦) قرأ نافع بكسر إن في كل ما ورد في سورة الجن ما عدا أنه استمع نفر من الجن وأن المساجد لله ففتح أن وفتحها حفص إلا بعد القول وفإن له نار جهنم.

عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ
وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

أنه استمع : أي إلى قراءتي .

نفر من الجن : أي عدد من الجن ما بين الثلاثة والعشرة .

قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا: أي لبعضهم بعضاً قرآنا عجبا أي يتعجب منه لفصاحته وغزارة معانيه .

يهدي إلى الرشد : أي الصواب في المعتقد والقول والعمل .

وأنه تعالى جد ربنا : أي تنزه جلال ربنا وعظمته عما نسب إليه .

ما اتخذ صاحبة ولا ولدا : أي لم يتخذ صاحبة ولم يكن له ولد .

سفيهنا : أي جاهلنا .

شططا : أي غلوا في الكذب بوصفه الله تعالى بالصاحبة والولد .

على الله كذبا : حتى تبين لنا انهم يكذبون على الله بنسبة الزوجة والولد إليه .

يعوذون : أي يستعيذون .

فزادوهم رهقا : أي إثما وطغيانا .

أن لن يبعث الله احدا : أي لن يبعث رسولا إلى خلقه .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿قل أوحي إليّ[1] أنه استمع نفر من الجن[2]﴾ يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقول معلنا

(١) أصل أوحي ووحي فقلبت الواو همزة كما قلبت في وإذا الرسل أقتت والأصل وقتت، وهو جائز في كل واو مضمومة نحو ورخ وأرخ .

(٢) يرى ابن إسحق أن هذا اللقاء بالجن كان عند عودة النبي ﷺ من الطائف، ولا مانع من حصول الخبرين مرة عند عودته من الطائف وتكون هذه الأولى، والثانية هي المذكورة في التفسير.

للناس مؤمنهم وكافرهم أنه قد أوحى الله تعالى إليه نبأ مفاده أن نفرا من الجن ما بين الثلاثة إلى العشرة قد استمعوا إلى قراءته القرآن وذلك ببطن نخلة والرسول يصلي بأصحابه صلاة الفجر وكان الرسول ﷺ عامدا مع أصحابه إلى سوق عكاظ. وكان يومئذ قد حيل بين الشياطين وخبر السماء حيث أرسلت عليهم الشهب فراجع الشياطين بعضهم بعضا فانتهوا إلى أن شيئا حدث لامحالة فانطلقوا يضربون في مشارق الأرض ومغاربها يتعرفون إلى هذا الحدث الجلل الذي مُنِعت الشياطين بسببه من السماء فتوجه نفر منهم إلى تهامة فوجدوا الرسول ﷺ يصلي الصبح بأصحابه فاستمعوا إلى قراءته في صلاته[1] فرجعوا إلى قومهم من الجن فقالوا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ فأنزل الله تعالى هذه السورة «سورة الجن» مفتتحة بقوله ﴿قل أوحي إلى أنه استمع[2] نفر من الجن﴾ أي أعلن للناس يارسولنا أن الله قد أوحى إليك خبرا مفاده أن نفرا من الجن قد استمعوا إلى قراءتك فرجعوا إلى قومهم وقالوا لهم ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ أي يتعجب من فصاحته وغزارة معانيه. يهدي إلى الرشد[3] والصواب في العقيدة والقول والعمل ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ وفي هذا تعريض بسخف البشر الذين عاش الرسول بينهم احدى عشرة سنة يقرأ عليهم القرآن بمكة وهم مكذبون به كارهون له مصرون على الشرك والجن بمجرد أن سمعوه آمنوا به وحملوا رسالته إلى قومهم وها هم يدعون بدعاية الاسلام ويقولون ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد[4] ربنا﴾ أي وآمنا بأنه تعالى أمر ربنا وسلطانه ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وحاشاه وإنما نسب إليه ذلك المفترون. ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا﴾ هذا من قول الجن واصلوا حديثهم قائلين وأنه كان يقول جاهلونا على الله شططا أي غلوا في الكـذب بوصفهم الله تعالى بالصاحبة والولد تقليدا للمشركين واليهود والنصارى ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا﴾ أي وقالوا لقومهم وإنا كنا نظن أن الإنس والجن لايكذبون على الله ولا يقولون عليه إلا الصدق وقد علمنا الآن انهم يكذبون على الله ويقولون عليه ما لم يقله وينسبون إليه ماهو منه براء. وقالوا ﴿وأنه كان[5] رجال من الإنس

---

(١) ما ذكر في التفسير من شأن استماع الجن قراءة الرسول وما أوحى الله تعالى به إلى رسوله في شأن هذه الحادثة هو في مسلم والترمذي.

(٢) جملة استمع خبر إن والاسم هو ضمير الشأن والجملة في محل نائب فاعل لأوحي.

(٣) الرشد بضم الراء وإسكان الشين والرشد بفتح الراء والشين معاً هما الخير والصواب والهدى.

(٤) الجد بفتح الجيم: العظمة والجلال ومنه قول أنس كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جدّ في عيوننا: أي عظم وجل وأنه تعالى: قرأ نافع بكسر الهمزة عطفاً على قولهم إنا سمعنا قرآنا وقرأ حفص بفتح الهمزة على تقدير آمنا بأنه تعالى جد ربنا.

(٥) يجوز فتح أنه وكسرها فمن فتحها جعلها من كلام الجن راداً لها إلى قوله انه استمع ومن كسرها جعلها مبتدأ في قول الله تعالى.

يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا[1]﴾ يخبرون بخبر عجيب وهو أنه كان رجال من الناس من العرب وغيرهم إذا نزلوا منزلا مخوفا في واد أو شعب يستعيذون برجال من الجن كأن يقول الرجل أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فزاد الإنس الجن بهذا اللجأ إليهم والاحتماء بهم رهقا[2] أي إثما وطغيانا. إذ ما كانوا يطمعون أن الإنس تعظمهم هذا التعظيم حتى تستجير بهم. وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا أي وقالوا مخبرين قومهم وأنهم أي الإنس ظنوا كما ظننتم أنتم أيها الجن أن لن يبعث الله أحـدا رسـولا ينـذر الناس عذاب الله ويعلمهم ما يكملهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير النبوة المحمدية وأن محمدا رسول للثقلين الإنس والجن معاً.

٢ـ بيان علو شأن القرآن وكماله حيث شهدت الجن له بأنه عجب فوق مستوى كلام الخلق.

٣ـ تقرير التوحيد والتنديد بالشرك.

٤ـ تقرير أن الإنس كالجن قد يكذبون على الله وما كان لهم ذلك.

٥ـ حرمة الاستعانة بالجن والاستعاذة بهم لأن ذلك كالعبادة لهم.

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ
ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

---

(١) قال مقاتل أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بني حنيفة ثم فشا في العرب فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم.

(٢) الرهق الخطيئة والإثم وغشيان المحارم، وباستعاذة الإنس بالجن يحصل الإثم والخطيئة.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

وأنا لمسنا السماء : أي طلبنا خبرها كما جرت بذلك عادتنا.

حرساً شديداً : أي حراسا وحفظة من الملائكة يحفظونها بشدة وقوة.

وشهبا : أي نجوما يرمى بها الشياطين أو يؤخذ منها شهاب فيرمى به.

مقاعد للسمع : أي من أجل أن نسمع ما يحدث وما يكون في الكون.

شهابا رصداً : أي أرصد وأعد لرمي الشياطين وإبعادهم عن السمع.

رشدا : أي خيراً وصلاحاً.

كنا طرائق قددا : أي مذاهب مختلفة إذا الطرائق جمع طريقة، والقدد جمع قدة وهي الضروب والأجناس المختلفة.

ولن نعجزه هربا : أي لانفوته هاربين في الأرض أو في السماء

لما سمعنا الهدى : أي القرآن الداعي إلى الهدى المخالف للضلال.

بخسا ولا رهقا : أي نقصا من حسناته ولا إثما يحال عليه ويحاسب به.

ومنا القاسطون : أي الجائرون عن قصد السبيل وهو الإسلام.

تحروا رشدا : أي تعمدوا الرشد فطلبوه بعناية فحصلوا عليه.

فكانوا لجهنم حطبا : أي وقوداً تتقد بهم يوم القيامة.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ما قالته الجن بعد سماعها القرآن الكريم. وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وأنّا لمسنا السماء﴾ أي طلبناها كعادتنا ﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا[1]﴾ أي ملائكة أقوياء يحرسونها وشهبا نارية يرمى بها كل مسترق للسمع منا. وقالوا: ﴿ وأنا كنا نقعد منها﴾ أي من السماء ﴿مقاعد﴾ أي أماكن معينة لهم ﴿للسمع[2]﴾ أي لأجل الاستماع من ملائكة

(١) الشهب جمع شهاب ككتاب وكتب وهو ما يؤخذ من الكواكب النارية فيرمي به الجن. والحرس جمع حارس ولم يقل شديدين نحو قولنا السلف الصالح بدل الصالحين. وجمع الحرس أحراس كسلف وأسلاف.

(٢) الذين كانوا يسترقون السمع هم مردة الجن وشياطينهم. ومما ينبغي أن يعلم هنا أن الجن هم أولاد الجان المخلوق من مارج من نار وأن الشياطين هم أولاد إبليس وأن من فسق عن أمر الله تعالى وتمرد على شرعه فخبث واشتد خبثه يصبح شيطانا ويلحق بالشياطين الذين لا خير فيهم البتة.

السمـاء. ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا﴾ أي أرصد له خاصة فيرمى به فيحرقه أو يخبله، وقالوا ﴿وانا لاندري أشرٌ أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ أقول عجبا لهؤلاء المؤمنين من الجن كيف تأدّبوا مع الله فلم ينسبوا إليه الشر ونسبوا إليه الخير فقالوا ﴿أشر أريد بمن في الأرض﴾ ولو أساءوا الأدب مثلنا لقالوا أشر أراده الله بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا أي خيرا وصلاحا قالوا هذا لما وجدوا السماء قد ملئت حرسا شديدا وشهبا وهو تفكير سديد ناتج عن وعي وإدراك سليم. وهذا التغير في السماء الذي وجدوه سببه أن الله تعالى لما نبأ رسوله محمداً ﷺ وأخذ يوحي إليه حمى السماء حتى لا يسترق الشياطين السمع ويشوشوا على الناس فيصرفوهم عن الإيمان والدخول في الإسلام وهو الرشد الذي أراد الله لعباده وقالوا ﴿وإنا منا الصالحون﴾ أي المؤمنون المستقيمون على الإيمان والطاعة ﴿ومنّا دون ذلك﴾ ضعف إيمان وقلة طاعة، ﴿كنّا طرائق قددا﴾ أي مذاهب[1] واهواء مختلفة. ﴿وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض﴾ أي إن أراد بنـا سوءا ومكروها ولن نعجزه هربا إن طلبنا في الأرض أو في السماء. ﴿ وإنا لما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ أي بالقرآن الذي هو هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴿ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ﴾ أي نقصا من حسناته يوم القيامة ﴿ولا رهقا﴾ أي إثما يضاف إلى سيئآته ويعاقب به وهو لم يرتكبه في الدنيا. وقالوا﴿ وإنا منّا المسلمون ومنّا القاسطون﴾ أي الجائرون عن قصد السبيل وهو الإسلام. فمن أسلم أي انقاد لله تعالى بطاعته وخلص من الشرك به فهؤلاء تحروا الرشد[2] وفازوا به، ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ توقد بهم وتستعر عليهم وعلى الكافرين الجائرين أمثالهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجود تجانس بين الجن والملائكة لقرب مادّتي الخلق من بعضها إذ الملائكة خلقوا من مادة النور، والجن من مادة النار، ولذا يرونهم ويسمعون كلامهم ويفهمونه.

٢ـ من الجن أدباء صالحون مؤمنون مسلمون أصحاب لرسول الله ﷺ.

٣ـ ذم الطرق والأهواء والاختلافات.

٤ـ الاشادة بالعدل وتحري الحق والخير.

---

(١) كان منهم اليهودي والنصراني والمجوسي، ولما جاء الإسلام أصبح منهم المسلم وأصبح من المسلمين قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة لأنهم تابعون للناس في معتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم.

(٢) تحروا رشدا أي قصدوا طريق الحق وتوخوه، ومنه تحري القبله للصلاة. أي طلبها بعناية وقصد للحصول عليها.

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

على الطريقة : أي الإسلام.

ماء غدقا : أي مالا كثيرا وخيرات كبيرة.

لنفتنهم فيه : أي نختبرهم أيشكرون أم يكفرون.

عن ذكر ربه : أي القرآن وشرائعه وأحكامه.

عذابا صعدا : أي شاقا.

فلا تدعوا : أي فيها مع الله أحدا.

عبدالله يدعوه : أي محمد ﷺ يدعو الله ببطن نخلة.

عليه لبدا : أي في ركوب بعضهم بعضا تزاحما لأجل أن يسمعوا قراءته.

ضرا ولا رشدا : أي غيا ولا خيرا.

ملتحدا : أي ملتجأ ألجأ إليه فاحفظ نفسي.

أي بلاغا : أي لا أملك إلا البلاغ إليكم.

وأقل عددا : أي أعوانا المسلمون أم الكافرون.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ أي وأوحى إليّ أن لو استقام هؤلاء المشركون من كفـار قريش استقـامـوا على الإيمـان والتـوحيد والـطاعة لله ولرسوله ـ وهم يشكون القحط ـ ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ (١) فتكثر أموالهم وتتسع أرزاقهم، ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنختبرهم في ذلك الخير الكثير أيشكرون أم يكفرون؟ ثم إن شكروا زادهم، وإن كفروا سلبهم وعذبهم. وقوله تعالى ﴿ومن يعرض عن ذكر ربّه﴾ أي القرآن وما يدعو إليه من الإيمان وصالح الأعمال ولم يتخلّ عن الشرك وسوء الأفعال ﴿نسلكه عذابا صعدا﴾ (٢) أي نُدخله في عذاب شاق في الدنيا بالذل والمهـانـة والفقـر والرذالة والنذالة. وفي الآخرة في جهنم حيث السموم والحميم، والضريع والزقوم. وقوله ﴿وأن المساجد (٣) لله فلا تدعو مع الله أحدا﴾ أي ومما أوحي إليّ أن المساجد لله فإذا دخلتموها للعبادة فلا تدعو فيها مع الله أحدا إذ كيف البيت له وأنت فيه وتدعو معه غيره زيادة على أن الشرك محرم وصاحبه في النار فإنه من غير الأدب أن يكون المرء في بيت كريم ويدعو معه غيره من فقراء الخلق أو أغنيائهم وقوله ﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾ أي وأوحي إليّ أنه لما قام عبدالله ورسوله محمد ﷺ يدعو ربّه في الصلاة ببطن نخلة كاد الجن أن يكونوا عليه لبدا أي (٤) كالشيء المتلبد بعضه فوق بعض. وقوله ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا﴾ هذا إجابة لقريش عندما قالوا له ﷺ لقد جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك أي نحفظك فأُمر أن يقول لهم إنما أدعو ربي أي أعبده إلهاً واحداً ولا أشرك به أحدا. وأن يقول أيضا إني لا أملك لكم يا معشر قريش الكافرين ضرا ولا رشدا أي ضلالا ولا هداية انما ذلك لله وحده يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأمر أن يقول لهم أيضا إني لن يجيرني من الله أحدٌ إن أنا عصيته وأطعتكم، ولن أجد من دونه أي من غيره ملتحدا (٥) أي ملتجأ التجأ إليه. وقوله إلا بلاغاً من الله ورسالاته أي لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغا من الله

---

(١) غدقاً أي واسعاً كبيراً، يقال غدقت العين تغدق فهي غدقة إذا كثر ماؤها. وهذا الوعد الإلهي المشروط هو عام في الناس أجمعين وفي كل زمان ومكان وهو كقوله. ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولما استقام السلف الصالح حصل لهم هذا الموعود كاملا.

(٢) روى عن ابن عباس أن العذاب الصعد جبل في جهنم يكلفون صعوده وكلما وضعوا أيديهم عليه ذابت. وهو ضرب من أنواع العذاب في دار الشقاء.

(٣) جائز أن يكون المراد بالمساجد أعضاء السجود السبعة لحديث إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب أي أعضاء ويقوى هذا الجواز قول عطاء: مساجدك أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها فلا تذللها لغير خالقها. وما في التفسير أولى بالآية.

(٤) اللبد جمع لبدة بكسر اللام وسكون الباء كقربة وقرب وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنه لبدة الأسد وهي الشعر المتراكم في رقبته.

(٥) شاهده قول الشاعر:

يا لهف نفسي ولهفي غير مجدية ... عني وما من قضاء الله ملتحد

ورسالته فإني أبلغكم عنه ما أمرني به وأرشدكم إلى ما أرسلني به من الهدى والخير والفوز وقوله ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ أي يخبر تعالى موعداً أن من يعصي الله بالشرك به وبرسوله بتكذيبه وعدم اتباعه فيما جاء به فإن له جزاء شركه وعصيانه نار جهنم خالدين فيها أبدا. وقوله ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ أي فإن استمروا على شركهم وتكذيبهم حتى إذا رأوا ما يوعدون من عذاب يوم القيامة فسيعلمون عندئذ من أضعف ناصراً أي من ناصره ضعيف أو قوي، ومن أقل عدداً من أعوانه المؤمنون محمد وأصحابه أم هم المشركون المكذبون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الاستقامة على منهج الله تعالى القائم على الإيمان والطاعة لله ورسوله يفضي بسالكه إلى الخير الكثير والسعادة الكاملة في الدنيا والآخرة.

٢ـ المال فتنة وقل من ينجح فيها قال عمر رضي الله عنه أينما يكون الماء يكون المال وأينما يكون المال تكون الفتنة.

٣ـ حرمة دعاء غير الله في المساجد وفي غيرها إلا انها في المساجد أشد قبحا.

٤ـ الخير والغير والهدى والضلال لا يملكها إلا الله فليطلب ذلك منه لا من غيره.

٥ـ معصية الله والرسول موجبة لعذاب الدنيا والآخرة.

قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

قل إن أدري : أي قل ما أدري .

ماتوعدون : أي من العذاب .

أمدا : أي غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو.

فلا يظهر : أي لا يطلع .

من ارتضى من رسول : أي فإنه يطلعه .

رصدا : أي ملائكة يحفظونه حتى يبلغه مع الوحي الذي يبلغه لكافة الناس .

ليعلم : أي الله عِلمَ ظهور أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم .

أحصى كل شيء عددا : أي أحصى عدد كل شيء .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿قل إن أدري﴾ أمر تعالى رسوله أن يقول للمشركين المطالبين بالعذاب استخفافا وعناداً وتكذيباً أمره أن يقول لهم ما أدري أقريب ما وعدكم ربكم به من العذاب بحيث يحل بكم عاجلا أم يجعل له ربي[1] أمدا أي غاية وأجلا بعيدا يعلمه هو ولايعلمه غيره. عالم الغيب[2] إذ هو عالم الغيب[3] وحده فلا يظهر علي غيبه أي لا يطلع على غيبه احدا من عباده إلا من ارتضى من رسول أي رضيه أن يبلغ عنه فإنه يطلعه مع الاحتياط الكافي حتى لا يتسرب الخبر الغيب إلى النـاس ﴿فإنه يسلك[4] من بين يديه﴾ الرسول المرتضىٰ ومن خلفه رصداً من الملائكة ثم يطلعه ضمن الوحي الذي يوحي إليه. وذلك ليعلم الرسول[5] ﷺ أن الرسل قبله قد بلغت رسالات ربها لما أحاطها تعالى به من العناية حتى انه إذا جاءه الوحي كان معه أربعة ملائكة يحمونه من الشياطين حتى لا يسمعوا خبر السماء فيبلغوه أولياءهم من الإنس، فتكون فتنة في الناس وقوله ﴿وأحاط﴾

---

(١) قرأ نافع ربي بفتح الياء، وقرأ حفص ربي بإسكان الياء ممدودة.

(٢) عَالِمُ نعت لربي. والغيب: ما غاب عن العبـادة، ومعنى عالم الغيب أي العليم بكل ما هو غائب عن أعين الناس كالملائكة والجن وما سيحدث من أحداث في الكون.

(٣) قالت العلماء لما تمدح الله تعالى بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لايعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ماشاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول يطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه لحدسه وتخمينه وكذبه.

(٤) فإنه يسلك الخ يعني ملائكة يحفظونه من أن يقرب منه شيطان في صورة الملك فيحفظ الوحي من استراق الشيطان والإلقاء إلى الكهنة.

(٥) معنى الآية: ليعلم أي محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما أبلغ هو الرسالة. وفي الكلام حذف تقديره أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ.

أي الله جل جلاله ﴿بما لديهم﴾ أي بما لدى الملائكة والرسل علما ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾[1]
أي وأحصى عدد كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

هداية الآات:

من هداية الآيات:

١ـ استئثار الله تعالى بعلم الغيب فلا يعلم الغيب إلا الله.

٢ـ قد يطلع الله تعالى من ارتضى أن يطلعه من الرسل على غيب خاص ويتم ذلك بعد حماية كاملة من الشياطين كيلا ينقلوه إلى أوليائهم فيفتنوا به الناس.

٣ـ بيان إحاطة علم الله بكل شيء واحصائه تعالى لكل شيء عدًا.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

أولها مكيّ وآخرها مدني[2] وآياتها عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى
ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

شرح الكلمات:

يا أيها المزمل : أي المتلفف بثيابه أي النبي ﷺ.

قم الليل : أي صل.

إلا قليلا : أي نصف الليل.

نصفه أو انقص منه قليلا : أي انقص من النصف إلى الثلث.

أو زد عليه : أي إلى الثلثين فأنت مخير في أيها تفعل تقبل.

---

(١) عدداً منصوب على الحال أو على المصدر أي أحصى وعد كل شيء عددا.

(٢) آخرها هو قوله إن ربك يعلم أنك تقوم إلى آخر آية منه.

ورتل القرآن ترتيلا	: أي ترسل في قراءته وبيّنه تبييناً.
إنا سنلقي عليك قولا	: أي قرآنا.
ثقيلا	: أي محمله ثقيلا العمل به لما يحوى من التكاليف.
إن ناشئة الليل	: أي ساعة الليل من صلاة العشاء فما فوق كل ساعة تُسمى ناشئة.
هي أشد وطئا	: أي هي أقوى موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن فيها.
وأقوم قيلا	: أي أبين قولا وأصوب قراءة من قراءة النهار لسكون الأصوات.
واذكر اسم ربك	: أي دم على ذكره ليلا ونهارا على أي وجه من تسبيح وتهليل وتحميد.
وتبتل إليه تبتيلا	: أي انقطع إليه في العبادة وفي طلب الحاجة وفي كل ما يهمك.
لا إله إلا هو	: أي لا معبود بحق سواه ولا تنبغي العبادة لغيره.
فاتخذه وكيلا	: أي فوض جميع أمورك إليه فإنه يكفيك.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يا أيها المزمل﴾[1] نادى الربّ تبارك وتعالى نبيّه محمداً ﷺ مذكّرا إياه بتلك الساعة السعيدة التي فاجأه فيها الوحي لأول مرة فرجع بها ترجف بوادره فانتهى إلى خديجة وهو يقول زملوني دثروني فالمزمل[2] هو المتزمل أي المتلفف في ثيابه ليقول له قم الليل[3] إلا قليلا أي صل في الليل ﴿نصفه أو انقص منه قليلاً﴾ إلى الثلث ﴿أو زد عليه﴾ أي على النصف إلى الثلثين وامتثل الرسول أمر ربّه فقام مع أصحابه حتى تورمت أقدامهم. ثم خفف الله تعالى عنهم ونزل آخر هذه السورة بالرخصة في ترك القيام الواجب وبقى الندب والاستحباب وقوله تعالى ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾[5] يرشده ربّه إلى أحسن التلاوة وهي الترسل وعدم السرعة حتى يبيّن الكلمات تبييناً ويترقى القلب في معانيها. وقوله ﴿إنا سنلقي[6] عليك قولا ثقيلا﴾ يخبره ربّه تعالى بأنه سيلقي عليه قولا ثقيلا هو

(١) في هذا النداء بهذه الصفة معنى التلطف والتحبب كقوله ﷺ لعلي قم أبا تراب ولعبد الرحمن بن صخر أبا هريرة، ولحذيفة بن اليمان يوم الخندق قم يا نومان.

(٢) المزمل اسم فاعل والمدثر كذلك من تزمل وتدثر والأصل المتزمل والمتدثر.

(٣) كان هذا القيام قبل فرض الصلوات الخمس واستمر بعد فرضها واجباً على النبي ﷺ دون أمته.

(٤) الجمهور يقرأ أو انقص بضم الواو للتخلص من التقاء الساكنين، وبعضهم بكسرها أو انقص.

(٥) جائز أن يكون الترتيل المأمور به في الصلاة وقيام الليل وفي غيره ذلك من تلاوة القرآن الكريم والترتيل مأخوذ من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج الأسنان أي المفرق بينهما فالترتيل هو تفرقة الحروف وعدم جمعها بحيث يخرج كل حرف من مخرجه يفسره قول عائشة رضي الله عنها. في وصف الترتيل لو أراد السامع أن يعد الحروف لعدها لا كسردكم هذا.

(٦) هذه الجملة مستأنفة معترضة بين قوله قم الليل وبين قوله إن ناشئة الليل لمّا كلفه بقيام الليل وكان شاقاً أعلمه بأنه هيأه لما هو أشق من قيام الليل وهو حمل الرسالة وإبلاغها.

القرآن فإنه ثقيل مهيب ذو تكاليف العمل بها ثقيل إنها فرائض وواجبات أعلمه ليوطن نفسه على العمل ويهيئها لحمل الشريعة علما وعملا ودعوة. وقوله ﴿إن ناشئة[1] الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا﴾ يخبر تعالى مُعلما أن ساعات الليل من بعد صلاة العشاء إلى آخر الليل القيام فيها يجعل السمع يواطيء القلب على فهم معاني القرآن الذي يقرأه المصلي، وقوله وأقوم قيلا أي أبين قولا وأصوب قراءة من قراءة الصلاة في النهار. وقوله ﴿إن لك في[2] النهار سبحا طويلا﴾ يخبر تعالى رسوله بأن له في النهار أعمالاً تشغله عن قراءة القرآن فلذا أرشده إلى قيام الليل وترتيل القرآن لتفرغه من عمل النهار وقوله ﴿واذكر اسم ربك﴾ أي داوم على ذكره ليلا ونهارا على أي وجه كان الذكر من تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل. وقوله ﴿وتبتل إليه﴾ أي إلى الله ﴿تبتيلا﴾ أي انقطع إليه في العبادة إخلاصا له وفي طلب حوائجك، وفي كل ما يهمك من أمر دينك ودنياك وقوله ﴿ربّ المشرق والمغرب﴾ أي هو تعالى ربّ المشرق والمغرب أي مالك المشرقين والمغربين ﴿لا إله إلا هو﴾ فلا تنبغي العبادة إلا له ولا تصح الألوهية إلاّ له أيضاً وقوله ﴿فاتخذه وكيلا﴾ أي من كل ما يهمك فإنه يكفيك وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الندب إلى قيام الليل وأنه دأب الصالحين وطريق المتقربين.

٢ـ الندب إلى ترتيل القرآن وترك العجلة في تلاوته.

٣ـ صلاة الليل أفضل من صلاة النهار لتواطىء السمع والقلب فيها على فهم القرآن.

٤ـ الندب إلى ذكر الله تعالى بأي وجه من صلاة وتسبيح وطلب علم ودعاء وغير ذلك.

وَٱصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ
أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ

(١) الجملة تعليلية للأمر بقيام الليل وترتيل القرآن كأنه قال له قم الليل لأن ناشئته التي تنشئها بعد النوم هي أشد مواطأة أي موافقة بين السمع والقلب لتفهم القرآن وأبين للقرآن عند النطق به.

(٢) إن لك في النهار الجملة تعليلية لاختيار الليل للقيام دون النهار لأن في النهار أعمالاً أخرى يقوم بها المرء وجائز أن يراد أن في النهار متسع للصلاة وتلاوة القرآن.

وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

واصبر على ما يقولون : أي على ما يقوله لك كفار مكة من أذى كقولهم شاعر وساحر وكاذب.

واهجرهم هجرا جميلا : أي اتركهم تركا جميلا أي لا عتاب معه.

وذرني : أي اتركني.

والمكذبين : أي صناديد قريش فإني أكفكهم.

أولي النعمة : أي أهل التنعم والترف.

ومهلهم قليلا : أي انتظرهم قليلا من الزمن حتى يهلكوا ببدر.

إن لدينا انكالا : أي قيودا وهي جمع نِكل وهو القيد من حديد.

وطعاما ذا غصة : أي يغص في الحلق هو الزقوم والضريع.

يوم ترجف الأرض : أي تتزلزل.

كثيباً مهيلا : أي رملا مجتمعا مهيلا أي سائلا بعد اجتماعه.

فأخذناه أخذا وبيلا : أي ثقيلا شديدا غليظا.

فكيف تتقون يوما : أي عذاب يوم يجعل الولدان لشدة هوله شيبا.

السماء منفطر به : أي ذات انفطار وانشقاق أي بسبب هول ذلك اليوم.

كان وعده مفعولا : أي وعده تعالى بمجيء ذلك اليوم كان مفعولا أي كائنا لا محالة.

إن هذه تذكرة : أي ان هذه الآيات المخوفة تذكرة أي عظة للناس.

اتخذ إلى ربّه سبيلا : أي طريقا بالإيمان والطاعة إلى النجاة من النار ودخول الجنة.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تربية الرسول ﷺ وامته بأنواع التربية الربانية الخاصة فقال تعالى لرسوله ﴿واصبر[1] على ما يقولون﴾ أي كفار قريش من كلام يؤذونك به كقولهم هو ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وما إلى ذلك، وقوله ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ يرشد تعالى رسوله إلى هجران كفار قريش وعدم التعرض لهم والهجر الجميل[2] هو الذي لاعتاب معه وقوله ﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة﴾ أي اتركني والمكذبين من صناديد[3] قريش أولي النعمة أي النعم والترف ﴿ومهلهم قليلا﴾ أي انظرهم ولا تستعجل فإني كافيكهم، ولم يمض إلا زمن يسير حتى هلكوا في بدر على أيدي المؤمنين. وقوله تعالى ﴿إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما﴾ أي عندنا للمكذبين بك في الآخرة أنكالا قيودا من حديد وجحيما أي نارا مستعرة محرقة وعذابا أليما أي موجعا وطعاما هو الزقوم والضريع ذا غصة أي يغصّ في حلق آكله، وعذابا أليما أي موجعاً وذلك يحصل لأهله وينالهم يوم ترجف الأرض والجبال، أي تتحرك وتضطرب وكانت الجبال كثيبا أي من الرمل مهيلا سائلا بعد اجتماعه. وقوله تعالى ﴿إنا أرسلنا إليكم﴾ أي يا أهل مكة وكل من ورائها من سائر الناس والجن ﴿رسولا شاهدا عليكم﴾ بما تعملون في الدنيا لتجزوا بها في الآخرة وقوله ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾[4] أي موسى بن عمران عليه السلام ﴿فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا﴾ أي غليظا شديدا. وقوله تعالى مخاطبا الكفارين المكذبين ﴿فكيف تتقون يوما﴾ أي عذاب يوم ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ وذلك لهوله وللكرب الذي يقع وحسبه أن السماء منفطر[5] به أي منشقة بسبب أهواله. وذلك يوم يقول الرب تعالى لآدم يا آدم ابعث بعث النار أي خذ من كل ألف من أهل الموقف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار ولم ينج من كل ألف إلا واحد هنا يشتد البلاء ويعظم الكرب. وقوله ﴿كان وعده مفعولا﴾ أي وعده تعالى بمجيء هذا اليوم كان مفعولا أي كائنا لا محالة وقوله ﴿إن هذه تذكرة﴾ أي إن هذه الآيات المشتملة على ذكر القيامة وأهوالها تذكرة وعظة وعبرة ﴿لمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ فليتخذها وهي الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.

(١) لما أمره بالانقطاع إليه بالعبادة آمره بالصبر على ما يقوله خصومه من كفار قريش من طعن فيه وفي أتباعه وفيما جاء به أيضاً من الهدى والنور.

(٢) الهجر الجميل هو الذي يكتفى فيه بحقيقة الهجران وهي المقاطعة لا غير فليس هناك أذى معها والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه والجهر الجميل الذي لا عتاب معه والصفح الجميل هو الذي لا مؤاخذة معه.

(٣) قال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة. قالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية لم يكن (يسير) حتى وقعت وقعة بدر.

(٤) الكلام مستأنف ابتدائي والمناسبة هي التخلص من الأمر بالصبر إلى ذكر وعيد القوم وذكر فرعون بالذات لأنه أهلكه غروره وتكبره كما هي حالة أكابر مجرمي مكة، فسوف يحل بهم ما حل بفرعون من الهلاك.

(٥) لم يقل منفطرة بالهاء لأن السماء يذكر ويؤنث أو هو كقولهم امرأة مرضع أي ذات: إرضاع، والسماء ذات انفطار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- وجوب الصبر على الطاعة وعن المعصيّة.

٢- الهجر الجميل هو الذي لا عتاب فيه.

٣- تقرير النبوة المحمدية.

٤- تقرير البعث والجزاء

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ
عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

أنك تقوم : أي للتهجد.

أدنى : أي أقل.

وطائفة : أي وطائفة معك من أصحابك تقوم كذلك.

والله يقدر الليل والنهار : أي يحصيها ويعلم ما يمضي من ساعات كل منهما وما يبقى.

علم أن لن تحصوه : أي الليل فلا تطيقون قيامه كله لأنه يشقّ عليكم.

فتاب عليكم : أي رجع بكم إلى التخفيف في قيام الليل إذ هو الأصل.

فاقرأوا ما تيسر : أي صلوا من الليل ما سهل عليكم ولو ركعتين.

وأقيموا الصلاة : أي المفروضة.

وآتوا الزكاة : أي المفروضة.

وأقرضوا الله قرضاً حسنا : أي تصدقوا بفضول أموالكم طيبة بها نفوسكم فذلك القرض الحسن.
وما تقدموا لأنفسكم من خير : أي من نوافل العبادة من صلاة وصدقة وصيام وحج وغيرها.

معنى الآيات :

يخبر تعالى رسوله بأنه يعلم ما يقومه من الليل هو وطائفة من أصحابه وأنهم يقومون أحياناً أدنى من ثلثي الليل أي أقل ويقومون أحيانا النصف والثلث، كما في أول السورة هذا معنى قوله تعالى ﴿إن[1] ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾، وقوله ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ أي يحصي ساعاتهما فيعلم ما مضى من الليل وما بقى من ساعاته، وقوله ﴿علم أن لن تحصوه[2]﴾ أي لن تطيقوا ضبط ساعاته فيشق عليكم قيام أكثره تحريا منكم لما هو المطلوب. ﴿فتاب عليكم﴾ لذلك وبهذا نسخ قيام الليل الواجب وبقى المستحب يُؤدى ولو بركعتين في أي جزء من الليل وكونهما بعد صلاة العشاء أفضل وقوله تعالى فاقرأوا[3] ما تيسر من القرآن أي صلوا من الليل ما تيسر اطلق لفظ القرآن وهو يريد الصلاة لأن القرآن هـو الجزء المقصــود من صلاة الليل، ، وقـولـه ﴿علم أن سيكـون منكم مرضى وآخرون يضـربـون في الأرض يبتغـون من فضـل الله وآخرون يقـاتلون في سبيل الله﴾ فذكر فيه تعالى ثلاثة أعذار لهم وهي المرض، والضـرب في الأرض للتجارة[4] والجهاد في سبيل الله وكلها يشق معها قيام الليل فرحمة بالمؤمنين نسخ الله تعالى هذا الحكم الشاق بقوله ﴿فاقرأوا ماتيسر منه[5]﴾، كررهُ تأكيدا لنسخ قيام الليل الذي كان واجبا وأصبح بهذه الآية مندوبا. وقوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي المفروضتين. وقوله وأقرضوا الله قرضا حسنا أي انفقوا في سبيل الله الذي هو الجهاد فإن الحسنة فيه بسبعمائة وما تقدموا لأنفسكم من نوافل الصلاة والصدقات والحج وسائر العبادات تجدوه عند الله يوم القيامة هو خيراً وأعظم أجرا. وقوله واستغفروا الله من كل ما يفرط منكم من تقصير في جنب الله تعالى إن الله غفور رحيم يغفر لمن تاب ويرحمه فلا يؤاخذه بذنب قد تاب منه.

---

(١) هذا هو النصف الأخير من سورة المزمل االذي نزل بالمدينة أما النصف الأول فقد نزل بمكة. . افتتاح الكلام بهذه الجملة إن ربك يعلم. . الخ مشعر بالثناء عليه لوفائه بحق القيام الذي أمر به في أول السورة.

(٢) هذه الجملة هي المقصودة من الكلام السابق لها إذ كان تمهيداً لها.

(٣) أطلق القرآن وأراد الصلاة كقوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فأطلق الصلاة وأراد القراءة وهنا أطلق القراءة وأراد الصلاة تجوزاً.

(٤) قال طاووس: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله.

(٥) من هذه الآية أخذ مالك وأحمد والشافعي أن أقل ما يجزء في الصلاة قراءة الفاتحة كاملة، ولا تصح صلاة بدونها للأحاديث الواردة في ذلك وهذا بالنسبة للأمام والمنفرد. وهذا عند القدرة على قراءتها وحفظها فإن عجز سبح وركع أي قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان ما كان الرسول ﷺ وأصحابه يقومونه من الليل تهجدا.

٢- نسخ واجب قيام الليل وبقاء استحبابه وندبه.(١)

٣- وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

٤- الترغيب في التطوع من سائر العبادات.

٥- وجوب الاستغفار عند الذنب وندبه واستحبابه في سائر الأوقات لما يحصل من التقصير.

سورة المدثر

مكية وآياتها ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾

فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ

غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات:

يا أيها المدثر : أي يا أيها المدثر أي المُتلفف في ثيابه وهو النبي ﷺ.

قم فأنذر : أي خَوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا ويوحدوا.

وربك فكبر : أي عظم ربك من إشراك المشركين.

وثيابك فطهر : أي طهر ثيابك من النجاسات.

والرجز فاهجر : أي أدم هجرانك للأوثان.

---

(١) ورد في فضل قيام الليل أحاديث صحاح كثيرة منها قول عبدالله بن عمرو قال لي رسول الله ﷺ يا عبدالله لا تكن كفلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل وحديث عبدالله بن عمر وفيه قال رسول الله ﷺ نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل.

(٢) في هذا النداء ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ولم يقل يا محمد أو يا فلان ليستشعر اللين والعطف من ربه.

ولا تمنن تستكثر : أي لا تمنن على ربك ما تقوم به من أعمال لأجله طاعة له.
فإذا نقر في الناقور : أي نفخ في الصور النفخة الثانية.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يا أيها المدثر﴾[1] أي المتلفف في ثيابه والمراد به النبي ﷺ روى الزهري[2] قال فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة فحزن حزناً فجعل يعدو شواهق رؤوس الجبال ليتردّى منها فكلما أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل عليه السلام فيقول إنك نبيّ الله فيسكن جأشه وتسكن نفسه، فكان النبي ﷺ يحدث عن ذلك فقال بينما أنا أمشي يوما إذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء على كرسيّ بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا فرجعت إلى خديجة فقلت زملوني فزملناه أي فدثرناه فأنزل الله يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر قال الزهري فأول شيء أنزل عليه أقرأ باسم ربّك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم. وعليه فهذا النداء الإلهي كان بعد فترة الوحي الأولى ناداه ملقبا له بهذا اللقب الجميل تكريما وتلطفا معه ليقوم بأعباء الدعوة وما أشد ثقلها، ومن يقدر عليها إنها أعباء ثقيلة اللهم لقد أعنت عليها رسولك فأعني على قدر ما أقوم به منها، وإن كان ما أقوم به منها لا يساوي جمرة من لظى ولا قطرة من ماء السماء. يا أيها المدثر في ثيابه يا محمد رسولنا قم فأنذر لم يبق لك مجال للنوم والراحة فأنذر قومك في مكة وكل الثقلين من وراء مكة أنذرهم عذاب النار المترتب على الكفر والشرك بالواحد القهار وربك فكبر أي وربّك فعظمه تعظيماًيليق بجلاله وكماله فإنه الأكبر الذي لا أكبر منه والعظيم الذي لا أعظم منه فأعلن عن ذلك بلسانك قائلا الله أكبر وبحالك فلا تذل إلا له ولا ترغب إلا فيه وكبره بأعمالك فلا تأت منها إلاّ ما أذن لك فيه أو أمرك به ﴿وثيابك فطهر﴾ أي طهر ثيابك من النجاسات مخالفاً بذلك ما عليه قومك؛ إذ يجرون ثيابهم ولا يتنـزهون من أبوالهم ﴿والرجز فاهجر﴾ أي والأصنام التي يعبدها قومك فاهجرها فلا تقربها ودُم على هجرانها على دعوتك أُجرا، ولا تمنن عطاء أُعطيته لغيرك تستكثر به ما عندك إن ذاك مناف لأجمل الأخلاق وكريم السجايا وسامي الآداب. ولربك وحده دون سواه فاصبر على كل ما تلقاه في سبيل إبلاغ رسالتك ونشر دعوتك دعوة الخير والكمال هذا الذي أدب به الله رسول الله في فاتحة دعوته. ثم نزل بعد فإذا نقر في الناقوروالناقور البوق الذي ينفخ فيه اسرافيل والنقر يُحدث صوتا

---

(١) هذا يسمى بهدية الثواب وهي جائزة للأمة محرمة عليه ﷺ بهذه الآية. ولا تمنن تستكثر.
(٢) روى أحمد عن ابن عباس في قوله تعالى (فإذا نقر في الناقور) قال قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ، فقال: أصحاب رسول الله ﷺ فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا.

والصوت هو صوت البوق والمراد به النفخة الثانية نفخة البعث والجزاء فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير صعب شديد لا يحتمل ولا يطاق على الكافرين غير يسير[1] فذكر به من تدعوهم فإن التذكير به نافع إن شاء الله، ولذا كان من أعظم أركان العقيدة التي إن تمكنت من النفس تهيأ صاحبها لحمل كل ثقيل ولإنفاق كل غال ورخيص ولفراق الأهل والدار الإيمان بالله واليوم الآخر إذ هما محور العقيدة وعليهما مدار الإصلاح والهداية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- الجد طابع المسلم، فلا كسل ولا خمول ولا لهو ولا لعب ومن فارق هذه فليتهم نفسه في إسلامه.

٢- وجوب تعظيم أسمائه وصفاته وتعظيم كلامه وكتابه، وتعظيم شعائره تعظيم ما عظم.

٣- وجوب الطهارة للمؤمن بدناً وثوبا ومسجداً. أكلاً وشرباً وفراشاً ونفساً وروحا.

٤- حرمة العجب فلا يعجب المؤمن بعمله ولا يزكي به نفسه ولو صام الدهر، وأنفق الصخرة وجاهد الدهر.

٥- وجوب الصبر على الطاعات فعلا وعلى المعاصي تركاً وعلى البلاء تسليما ورضا.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾
إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

---

(١) في الآية دليل على أن حال المؤمنين في عرصات القيامة غير حال الكافرين في الشدة والبلاء.

شرح الكلمات:

ذرني ومن خلقت وحيدا: أي اتركني ومن خلقته وحيداً منفرداً بلا مال ولا ولد فأنا أكفيكه.

وبنين شهودا : أي يشهدون المحافل وتُسمع شهادتهم وأغلب الوقت حاضرون ولا يغيبون.

ومهدت له تمهيدا : أي بسطت له في العيش والعمر والولد والجاه حتى كان يلقب بريحانة قريش.

عنيدا : أي معانداً وهو الوليد بن المغيرة المخزومي.

سأرهقه صعودا : أي سأكلفه يوم القيامة صعود جبل من نار كلما صعد فيه هوى في النار أبداً.

إنه فكر وقدّر : أي فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ وقدر في نفسه ذلك.

ثم نظر ثم عبس وبسر : أي تروَّى في ذلك ثم عبس أي قبض ما بين عينيه ثم بسر أي كلح وجهه.

ثم أدبر واستكبر : أي عن الإيمان واستكبر عن اتباع الرسول ﷺ.

سحر يؤثر : أي ينقل من السحرة كمسيلمة وغيره.

سأصليه سقر : سأدخله جهنم وسقر اسم لها يدخله فيها لإحراقه بنارها.

لا تبقي ولا تذر : أي لا تترك شيئا من اللحم ولا العصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان لإدامة العذاب.

لواحة للبشر : أي محرقة مسودة لظاهر جلد الإنسان وهو بشرته والجمع بشر.

عليها تسعة عشر : أي ملكاً وهم خزنتها.

معنى الآيات:

لقد تحمل رسول الله ﷺ عبء الدعوة وأمر بالصبر وشرع ﷺ في إنذار قومه وبدأت المعركة كأحرّ وأشد ما تكون إذ أعلم قومه وهم من هم أنه لا إله إلا الله وأنه هو رسول الله فتصدى له طاغية من أعظم الطغاة ساد الوادي مالاً وولداً وجاهاً عريضا حتى لقب بريحانة قريش هذا هو الوليد بن المغيرة صاحب عشرة رجال من صلبه وآلاف الدنانير من الذهب فلما أرهب رسول الله وأخافه قال له ربّه تبارك وتعالى ﴿ذرني﴾ أي دعني والذي خلقته ﴿وحيدا﴾[1] فريداً بلا مال ولا ولد،

(١) عن ابن عباس: كان الوليد يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لأبي المغيرة نظير.

﴿وجعلت له مالاً ممـدوداً﴾ واسعا تمده به الزراعة والتجارة فصلا بعد فصل ويوما بعد يوم، ﴿وبنين شهـودا﴾ لا يغيبون كما يغيب الذين يطلبون العيش كما أنهم لمكانتهم يستشهدون فيشهـدون فهم شهـود على غيرهم. ويشهدون المحافل وغيرها. ﴿ومهدت له تمهيدا﴾[1] أي بسطت له في العيش والعمر والولد والجاه العريض في ديار قومه، ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ أي أن أزيده من المذكور في الآيات ﴿كلا﴾ أي لن أزيده بعد اليوم، وعلل تعالى لمنعه الزيادة بقوله: ﴿إنـه كان لآياتنـا﴾ «القرآنية» ﴿عنيداً﴾ أي[2] معانداً يحاول ابطالها بعد رفضه لها. ﴿سأرهقه صعودا﴾ أي سأكلفه عذابا شاقا لا قبل له به وذلك جبل[3] من نار في جهنم يكلف صعوده كلما صعد سقط وذلك أبداً. وعلل أيضا لهذاالعذاب الذي أعده له وأوعده به فقال تعالى ﴿إنه فكر﴾ أي فيما يقول في القرآن لما طلبت منه قريش أن يقول فيه ما يراه من صلاح أو فساد. ﴿وقدر﴾ في نفسه ﴿فقتل كيف قدر﴾ أي لعن كيف قدر ذلك التقدير الذي هو قوله ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر﴾. ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ فلعنه الله لعنتين تلازمانه واحدة في الدنيا والأخرى في الآخرة وقوله تعالى عنه ﴿ثم نظر﴾ أي تروى ﴿ثم عبس﴾ أي قطب فقبض ما بين عينيه ﴿وبسر﴾ أي كلح وجهه فاسودّ. فقال اللعين نتيجة تفكير وتقدير ونظر ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ أي ما هذا القرآن إلا سحر ينقل عن السحرة في اليمن ونجد والحجاز ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ أي ما هذا الذي يتلوه محمد ﷺ إلا قول البشر[4] قال تعالى موعداً إياه على قولته الكافرة الفاجرة[5] ﴿سأصليه سقر﴾ أي سأدخله نار سقر يصطلي بنارها، ثم عظّم تعالى من شأن سقر فقال ﴿وما أدراك ما سقر﴾ أي أي شيء يدريك ما هي وما شأنها فإنها عظيمة ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ أي لا تبقي لحما ولا تذر عصبا بل تأتي على الكل لواحة[6] للبشر أي تحرق الجلود وتسوّدها. والبشر جمع بشرة الجلدة ومن ذلك سمي الآدميون بشرا لأن بشرتهم مكشوفة ليست مستورة بوبر ولا صوف ولا شعر ولا ريش. وقوله تعالى ﴿عليها تسعة عشر﴾ أي على سقر ملائكة يقال لهم الخزنة عدتهم تسعة عشر ملكاً لقد كان لنزول هذه الآية سبب معروف وهو أن قريشا اتهمت الوليد بأنه صبا أي مال إلى دين محمد فسمع ذلك منهم فأنكر وحلف لهم فطلبوا إليه إن كان صادقا أن

(١) قال القرطبي: التمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة: ومنه مهد الصبي.
(٢) يقال عند يعند كضرب يضرب أي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند.
(٣) رواه الترمذي. وقال فيه غريب.
(٤) قال السدي يعنون أنه من قول سيار عبد لبني الحضرمي كان يجالس النبي ﷺ فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك.
(٥) ما استفهامية أي أي شيء يدريك وما سقر ما استفهامية مبتدأ وسقر خبره.
(٦) البشر جمع بشرة ومعنى لواحة مغيرة للون البشر بالسواد يقال لاحه الحر أوالبرد أو المرض إذا غيره قال الشاعر:
تقول ما لاحك يا مسافر يابنة عمي لاحنى الهواجر

يقول في القرآن كلمة يصرف بها العرب عن محمد وما يقوله ويدعو إليه فذهب إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي ويقرأ في صلاته فاستمع إليه ففكر وقدر كما أخبر تعالى عنه في هذه الآيات وقال قولته الفاجرة الكافرة. إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر بعد أن وصف القرآن وصفا دقيقا بقوله ووالله إن لقوله لحلاوة وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يُعلى أي عليه فقالوا والله لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه فقال دعوني حتى افكر ففكر وقال ما تقدم فنزلت هذه الآيات ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾ إلى قوله ﴿تسعة عشر﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- المال والبنون والجاه من عوامل الطغيان إلاّ أن يُسلّم الله عبده من فتنتها.

٢- من أكفر الناس من يعاند في آيات الله يريد صرف الناس عنها وإبطال هدايتها.

٣- بيان ما ظفر به طاغية قريش الوليد بن المغيرة من لعنة وعذاب شديد.

٤- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٥- تقرير البعث والجزاء.

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات:

أصحاب النار : أي خزنتها مالك وثمانية عشر معه.

إلا ملائكة : أي لم نجعلهم بشراً ولا جناً حتى لا يرحموهم بحكم

الجنس.

وما جعلنا عدتهم : أي كونهم تسعة عشر.

إلا فتنة للذين كفروا : أي ليستخفوا بهم كما قال أبو الأشُدين الجُمحي فيزدادوا ضلالا.

ليستيقن الذين أوتوا الكتاب : أي ليحصل اليقين لأهل التوراة والإنجيل بموافقة القرآن لكتابيهما التوراة والإنجيل.

ولا يرتاب : أي ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في حقيقة ذلك.

وليقول الذين في قلوبهم مرض : أي مرض النفاق.

ماذا أراد الله بهذا مثلا : أي أي شيء أراد الله بهذا العدد الغريب استنكاراً منهم.

كذلك : أي مثل اضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء.

وما هي إلا ذكرى للبشر : أي وما النار إلا ذكرى للبشر يتذكرون بها.

إذ أدبر : أي ولى ومضى.

إذا اسفر : أي أضاء وظهر.

إنها لاحدى الكبر : أي جهنم لإحدى البلايا العظام.

نذيرا للبشر : أي عذاب جهنم نذير لبني آدم.

لمن شاء منكم : أي أيها الناس.

أن يتقدم : أي بالطاعة.

أو يتأخر : أي بالمعصية.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ هذه الآية نزلت ردّاً على أبي الأشُدين كلدة الجمحي الذي قال لما سمع قول الله تعالى ﴿وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر﴾ قال لقريش ساخراً مستهزئاً أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين، ومرة قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة. فأنزل الله تعالى قوله ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أي لم نجعلهم بشراً ولا جنًّا حتى لا يرحموا أهل النار بخلاف لو

كانوا بشرا قد يرحمون بني جنسهم ولو كانوا جنا فكذلك، ولذا جعلهم من الملائكة فلا تناسب بينهم وبين الإنس والجن والمراد بأصحاب النار خزنتها وهم مالك وثمانية عشر هؤلاء رؤساء في جهنم أما من عداهم فلا تتسع لهم العبارة ولا حتى الرقم الحسابي وكيف وقد قال تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾، وقوله ﴿وما جعلنا عدتهم﴾[1] أي كونهم تسعة عشر ﴿إلا فتنة للذين كفروا﴾[2] ليزدادوا ضلالا وكفرا وقد تم هذا فإن أبا جهل كأبي الأشدين قد فتنا بهذا العدد وازدادا ضلالا وكفرا بما قالا، وقوله تعالى ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ أي أخبرنا عن عددهم وأنه تسعة عشر ليستيقن[3] الذين أوتوا الكتاب[4] لموافقة القرآن لما عندهم في كتابهم. ويزداد الذين آمنوا إيمانا فوق إيمانهم عندما يرون أن التوراة موافقة للقرآن الكريم كشاهد له، وقوله ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أي حتى لا يقعوا في ريب وشك في يوم من الأيام لما اكتسبوا من المناعة بتضافر الكتابين على حقيقة واحدة. وقوله ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أي وما جعلنا عدتهم تسعة عشر إلا ليقول الذين في قلوبهم مرض وهو النفاق والشك والكافرون الكفر الظاهر من قريش وغيرهم ماذا أراد الله بهذا مثلا أي أي شيء أراده الله بهذا الخبر الغريب غرابة الأمثال قالوا هذا استنكارا وتكذيبا. فهذه جملة علل ذكرها تعالى لإخباره عن زبانية جهنم ثم قال وقوله الحق ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ أي مثل اضلال منكر هذا العدد وهُدَى مصدقه يضل الله من يشاء إضلاله ويهدي من يشاء هدايته. وقوله تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[5] هذا جواب أبي جهل القائل أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر استخفافا وتكذيبا فأخبر تعالى أن له جنوداً لا يعلم عددها ولا قوتها إلا هو وقد ورد أن لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي الجبل عليهم، ولا عجب وأربعة ملائكة يحملون العرش الذي هو أكبر من السموات والأرضين فسبحان الخلاق العليم سبحان الله العزيز الرحيم سبحان الله ذي الجبروت والملكوت. وقوله تعالى وما هي[6] أي جهنم إلا ذكرى للبشر أي تذكرة يذكرون بها عظمة الله

---

(١) تقدير الكلام: ما جعلنا ذكر عدتهم لِعِلَّةٍ وغرض إلا لغرض فتنة الذين كفروا.

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فتنة بمعنى ضلالة للذين كفروا يريد أباجهل وذويه، وقيل إلا عذاباً كقوله تعالى ﴿يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم﴾.

(٣) قوله ليستيقن الذين أوتوا الكتاب. علة ثانية لفعل وما جعلنا والاستيقان قوة اليقين والمراد من الاستيقان قوة اليقين.

(٤) أوتوا الكتاب هم اليهود. فقد روى الترمذي بسنده إلى جابر بن عبدالله قال قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب رسول الله صلىﷺ هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل.

(٥) هذه الجملة كلمة جامعة لإبطال التخرصات التي يتخرصها المبطلون الضالون وإضافة الرب إلى ضمير النبي ﷺ إضافة تشريف وفيها الإيماء بنصره ﷺ بتلك الجنود التي هم جنود ربه عز وجل.

(٦)جائز أن يكون الضمير (وما هي) عائد إلى عدة الملائكة التسعة عشرة وجائز أن يكون عائداً إلى الآيات القرآنية أو إلى سقر أو إلى جنود ربك وهذا من الاعجاز القرآني وأن الكلمة الواحدة تدل على ما لا يدل عليه عشرات الكلمات.

ويخافون بها عقابه. وقوله ﴿كلا[1] والقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر﴾ أي كلا أي ليس القول كما يقول من زعم من المشركين أنه يكفي أصحابه المشركين خزنة جهنم حتى يجهضهم عنها. والقمر والليل إذا أدبر ولى ذاهبا والصبح إذا أسفر أي أضاء وأقبل ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أي أقسم تعالى بالقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر على أن جهنم[2] لإحدى الكبر أي البلايا العظام ﴿نـذيرا للبشر﴾ أي بني آدم، وقال نذيرا ولم يقل نذيرة وهي جهنم لأنها بمعنى العذاب أي عذابها نذير للبشر. وقوله ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم﴾ في طاعة الله ورسوله حتى يبلغ الدرجات العلا، ﴿ومن شاء أن يتأخر﴾ في معصية الله ورسوله حتى ينزل الدركات السفلى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان الحكمة من جعل عدد الزبانية تسعة عشر والإخبار عنهم بذلك.

٢- موافقة التوراة والإنجيل للقرآن من شأنها أن تزيد إيمان المؤمنين من الفريقين.

٣- في النار من الزبانية مالا يعلم عددهم إلا الله تعالى خالقهم.

٤- جهنم نذير للبشر أي عذابها نذير للبشر لمن شاء أن يتقدم بالطاعة أو يتأخر بالمعصية.

كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾
فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ

---

(١) حرف ردع وإبطال والغالب أنها تقع بعد كلام من متكلم واحد ومتكلم وسامع فتفيد الردع عما تضمنه الكلام السابق ذهب ابن جرير إلى أنها هنا للردع وإبطال ما زعمه المشركون من القدرة على الزبانية كما في التفسير. وعليه فالوقف عليه مستحسن ومنهم من جعلها افتتاح كلام نحو ألا وعليه فالوقف لا يحسن عليها بل على القمر.

(٢) القول بأنها سقر أقرب من جهنم لتقدم ذكر سقر بلفظها والأمر واسع.

كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

كل نفس : أي مأمورة منهية .

رهينة : أي مرهونه مأخوذة بعملها في جهنم .

إلا أصحاب اليمين : أي المؤمنين فهم ناجون من النار وهم في جنات النعيم يتساءلون عن المجرمين .

ولم نك نطعم المسكين: أي بخلا بما آتاهم الله .

وكنا نخوض : أي في الباطل وفيما يكره الله تعالى مع الخائضين .

نكذب بيوم الدين : بيوم المجازاة والثواب ولا نصدق بثواب ولا عقاب .

حتى أتانا اليقين : أي الموت .

عن التذكرة معرضين : أي الموعظة منصرفين لا يسمعونها ولا يقبلون عليها .

حُمر مستنفرة : أي كأنهم حمر وحشية مستنفرة .

فرت من قسورة : أي هربت من أسدٍ أَشَدَّ الهرب .

بل يريد كل امرىء منهم: أي ليس هناك قصور في الأدلة والحجج التي قدمت لهم بل يريد كل واحد منهم .

أن يؤتى صحفا منشرة : أي يصبح وعند رأسه كتاب من الله رب العالمين إلى فلان آمن بنبينا محمد واتبعه .

إنه تذكرة : أي عظة وعبرة .

فمن شاء ذكره : أي قرأه واتعظ به .

هو أهل التقوى : أي هو أهل لأن يتقي لعظمة سلطانه وأليم عقابه .

وأهل المغفرة : أي وأهل لأن يغفر للتائبين من عباده والموحدين .

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿كل نفس﴾ أي يوم القيامة ﴿رهينة﴾ بمعنى مرهونة محبوسة أي كل نفس مأمورة منهية بمعنى مكلفة بخلاف نفوس غيرالمكلفين من أطفال ومجانين وقوله ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فإنهم قد فك رهنهم وهم في جنات النعيم يتساءلون فيما بينهم عن أصحاب الجحيم وكيف حالهم ثم يتصلون بهم وهم في جنات النعيم والمجرمون في سواء الجحيم، ويتم الاتصال برؤية الشخص وسماع كلامه وفي الصناعات الحديثة اليوم ما جعل هذا امراً معقولا فيقولون لهم ﴿ما سلككم في سقر﴾ أي أدخلكم في سقر فأجابوهم قائلين ﴿لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾. فذكروا لهم أعظم الجرائم وهي ترك الصلاة ومنع الزكاة والتخوض مع أهل الباطل في كل شر وفساد والتكذيب بيوم القيامة وانه لا حساب ولا جزاء أي لا ثواب ولا عقاب وأنهم مع هذه الجرائم الموجبة للسلوك في سقر لم يتوبوا منها حتى أتاهم اليقين الذي هو الموت فإن من مات دخل الدار الأخرة من عتبتها وهي القبر فلذا قالوا حتى أتانا اليقين أي الموت. وقد يقال ألم يكن هناك شفعاء من الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء يشفعون؟ والجواب هو في قوله تعالى ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ أي لم تكن لهم شفاعة لأنهم ملاحدة مجرمون. وقوله تعالى ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ أي فما لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث والجزاء عن التذكرة التي يذكرون بها في آيات هذه السورة وغيرها معرضين إنه أمر عجيب أي شيء يجعلهم يعرضون عنها هاربين منها فارين ﴿كأنهم حمر﴾ وحشية ﴿مستنفرة فرت من قسورة﴾ أي فرت هاربة أشد الهرب من أسد من أسود الصحراء الطاغية إن فرارهم من هذه الدعوة وإعراضهم عنها ليس عن قصور في أدلتها وضعف في حجتها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى كتاباً من الله يأمره فيه بالإيمان واتباع محمد ﷺ وهذا هو العناد والمكابرة وصاحبهما غير مستعد للإيمان بحال من الأحوال. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ حتى[1] تنزل علينا كتابا نقرأه﴾ هذا معنى قوله تعالى ﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾. وقوله تعالى ﴿كلا بل لا يخافون الآخرة﴾ أي ليس الأمر كما يقولون ويدعون بل إن علة إعراضهم الحقيقية هي عدم خوفهم من عذاب الله يوم القيامة. وقوله تعالى ﴿كلا إنه تذكرة﴾ أي ألا إن هذاالقرآن تذكرة فمن شاء ذكره أي قرأه فاتعظ به فآمن بالله

---

(١) الآية من سورة الإسراء وهي (أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) إذ روي أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك.

واتقاه فإنه ينجو ويسعد في جوار مولاه ومن لم يشأ ذلك فحسبه سقر وما أدراك ما سقر. وقوله تعالى ﴿وما يذكرون[1] إلا أن يشاء الله﴾ أي ما يذكر من يذكر إلا بمشيئة الله فلابد من الافتقار إلى الله وطلب توفيقه في ذلك إذ لا استقلال لأحد عن الله ولا غنى بأحد عن الله بل الكل مفتقر إليه ومشيئته تابعة لمشيئته وقوله ﴿هو[2] أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ لقد[3] صح أن النبي ﷺ فسر هذه الآية فقال قال ربكم أنا أهل أن أُتقىٰ فلا يُجعل معي إله فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فكاك كل نفس مرهونة بكسبها هو الإيمان والتقوى.

٢ـ بيان أكبر الجرائم وهي ترك الصلاة ومنع الزكاة والخوض في الباطل وعدم التصديق بالحساب والجزاء.

٣ـ لا شفاعة يوم القيامة لمن مات وهو يشرك بالله شيئا.

٤ـ مرد الانحراف في الإنسان إلى ضعف إيمانه بالبعث والجزاء.

٥ـ الله جل جلاله هو ذو الأهلية الحقة لأمرين عظيمين التقوى فلا يتقى على الحقيقة إلا هو والمغفرة فلا يغفر الذنوب إلا هو اللهم اغفر ذنوبنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

سُورَةُ القِيَامَةِ

مكيـة وآياتها أربعـون آيـة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ

---

(١) قرأ نافع وما تذكرون بالتاء على الالتفات، وقرأ حفص وما يذكرون بالياء على الغيبة.

(٢) تعريف جزيء الجملة مفيد للقصر أي الله وحده المتأهل للتقوى والمغفرة لا سواه.

(٣) الحديث رواه الترمذي وقال فيه حسن غريب ونصه: قال الله تعالى (أنا أهل أن أُتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلها. فأنا أهل أن أغفر له).

يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ
يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

لا : أي ليس الأمر كما يدعي المشركون من أنه لا بعث ولا جزاء.

أقسم بيوم القيامة : أي الذي كذب به المكذبون.

ولا أقسم بالنفس اللّوامة : أي لتُبعثن ولتحاسبن ولتعاقبن أيها المكذبون الضالون.

اللوامة : أي التي إن أحسنت لامت عن عدم الزيادة وإن أساءت لامت عن عدم التقصير.

أيحسب الإنسان : أي الكافر الملحد.

أن لن نجمع عظامه : أي ألّا نجمع عظامه لنحييه للبعث والجزاء.

بلى قادرين : أي بلى نجمعها حال كوننا قادرين مع جمعها على تسوية بنانه.

على أن نسوي بنانه : أي نجعل أصابعه كخف البعيرأو حافر الفرس فلا يقدر على العمل الذي يقدر عليه الآن مع تفرقة أصابعه. كما نحن قادرون على جمع تلك العظام الدقيقة عظام البنان وردّها كما كانت كما نحن قادرون على تسوية تلك الخطوط الدقيقة في الأصابع والتي تختلف بين إنسان وإنسان اختلاف الوجوه والأصوات واللهجات.

بل يريد الإنسان : أي بإنكاره البعث والجزاء.

ليفجر أمامه : أي ليواصل فجوره زمانه كله ولذلك أنكر البعث.

يسأل أيان يوم القيامة : أي يسأل سؤال استنكار واستهزاء واستخفاف.

فإذا برق البصر : أي دهش وتحير لمّا رأى ما كان به يكذب.

وخسف القمر : أي أظلم بذهاب ضوئه.

وجمع الشمس والقمر : أي ذهب ضوءهما وذلك في بداية الانقلاب الكوني الذي تنتهي فيه هذه الحياة.

أين المفر : أي إلى أين الفرار.

كلا : ردع له عن طلب الفرار.

لا وزر : أي لا ملجأ يتحصن به.

بل الإنسان على نفسه بصرة : أي هو شاهد على نفسه حيث تنطق جوارحه بعمله.

ولو ألقى معاذيره : أي فلابد من جزائه ولو ألقى معاذيره.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾[(١)] أي ما الأمر كما تقولون أيها المنكرون للبعث والجزاء أقسم بيوم القيامة الذي تنكرون وبالنفس اللوامة التي ستحاسب وتجزى لا محالة لتبعثن[(٢)] ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير. وقوله تعالى ﴿أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه﴾ أي بعد موته وفنائه وتفرق أجزائه في الأرض، والمراد من الإنسان هنا الكافر الملحد قطعاً ﴿بلى قادرين على[(٣)] أن نسوي بنانه﴾ أي بلى نجمعها حال كوننا قادرين على ذلك وعلى ما هو أعظم وهو تسوية بنانه أي أصابعه بأن نجعلها كخف البعير أو حوافر الحمير، فيصبح يتناول الطعام بفمه كالكلب والبغل والحمار. وقوله ﴿بل[(٤)] يريد الإنسان ليفجر[(٥)] أمامه﴾ أي ما يجهل الإنسان قدرة خالقه على إعادة خلقه ولكنه يريد أن يواصل فجوره مستقبله كله فلا يتوب من ذنوبه ولا يؤوب من معاصيه لأن شهواته مستحكمة فيه، وقوله تعالى ﴿يسأل أيّان يوم القيامة؟﴾ يخبر تعالى عن المنكر للبعث من أجل مواصلة الفجور من زنا وشرب خمور بأنه يقول أيّان يوم القيامة استبعادا واستنكارا

---

(١) في (لا) هنا توجيهان الأول ما آثره ابن جرير وهو ما اخترناه في التفسير، وأنها نافية لدعوى سابقة ابطالا لها والكلام بعدها مستأنف. والثاني أنها أي (لا) أنها حرف نفي أدخل على (أقسم) لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به بحيث يوهم السامع أن المتكلم يهم أن يقسم ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول لا أقسم به ولا أقسم بأعز منه عندي، والمراد تأكيد القسم ووجه ثالث وهي أنها مزيدة لتقوية الكلام.

(٢) لتبعثن هو جواب القسم.

(٣) بلى حرف إبطال للنفي أي بل نجمعها أي العظام المتفرقة حال كوننا قادرين على ذلك وعلى ما هو أعظم وهو تسوية بنانه.

(٤) بل هنا للإضراب الانتقالي من تقريره حقيقة إلى أخرى أعجب وأغرب وهي الكشف عن سر إنكار الملاحدة للبعث وهو مواصلتهم الفجور عن كل خلق ودين ومروءة وأدب لانهزامهم لشهواتهم البهيمية.

(٥) اللام في ليفجر هي اللام التي يكثر وقوعها بعد مادتي الأمر والإرادة نحو وأمرت لأعدل بينكم ويريد الله ليبين لكم، وقول كثير:

أريد لأنسى حبها فكأنما تمثل لي ليلي بكل مكان.

وينصب الفعل بعدها بأن مضمرة وهل هي للتعليل أو زائدة خلاف.

وتسويفا للتوبة فبيّن تعالى له وقت مجيئه بقوله ﴿فإذا برق البصر﴾[1] أي عند الموت بأن تحير واندهش ﴿وخسف القمر﴾ أي أظلم وذهب ضوءه، ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ أي ذهب ضوءهما وذلك في بداية الانقلاب الكوني الذي تنتهي فيه هذه الحياة ﴿يقول الإنسان﴾ الكافر ﴿يومئذ أين المفر؟﴾ أي إلى أين الفرار يا ترى؟ قال تعالى ﴿كلّا﴾ أي لا فرار اليوم من قبضة الجبار أيها الإنسان الكافر ﴿لا وزر﴾ أي لا حصن ولا ملتجأ وإنما ﴿إلى ربك﴾ اليوم ﴿المستقر﴾ أي الانتهاء والاستقرار إما إلى جنة وإما إلى نار وقوله تعالى ﴿يُنبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ أي يوم تقوم الساعة يخبَّر الإنسان من قبل ربّه تعالى بما قدم من أعماله في حياته الخير والشر سواء وبما أخر بعد موته من سنة حسنة سنّها أو سيئة كذلك وقوله تعالى ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾ أي عندما يتقدم الإنسان للاستنطاق فيخبر بما قدم وأخر هناك يحاول أن يتنصل من بعض ذنوبه فتنطق جوارحه ويختم على لسانه فيتخذ من جوارحه شهود عليه فتلك البصيرة[2] ولو ألقى معاذيره[3] واعتذر ولا يقبل منه ذلك لكونه شاهدا على نفسه بجوارحه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ بيان إفضال الله على العبد في خلقه وتركيب أعضائه.

٣ـ معجزة قرآنية اثبتهاالعلم الصناعي الحديث وهي عدم تسوية خطوط الأصابع.

٤ـ فكما خالف تعالى بين الإنسان والإنسان وبين صوت وصوت فَرَّق بين خطوط الأصابع فلذا استعملت في الإمضاءات وقبلت في الشهادات.

٥ـ تقرير مبدأ أن المؤمن يثاب على ما أخر من سنة حسنة يُعمل بها بعده كما يأثم بترك السنة السيئة يُعمل بها كذلك بعده.

---

(١) قرأ نافع برق البصر بفتح الراء ومعناه لمع من شدة شخوصه فهو لا يطرف وقرأ برق بكسر الراء ومعناه دهش وتحير. وهذا عند موت الإنسان.

(٢) البصيرة جائز أن يراد بها الملكان بقرينة. ولو ألقى معاذيره أي لو أرخى ستوره إذ الستر بلغة اليمن المعذار وجائز أن يكون المراد بها الإنسان نفسه أي حجة على نفسه وما في التفسير أولى بمعناها.

(٣) المعاذير اسم جمع معذرة وليس جمعاً، لأن معذرة حقه أن يجمع على معاذر كمقبرة ومقابر، والمراد من معاذر الإنسان: ما يعتذر به كقولهم: ما جاءنا من بشير ولا نذير وقولهم (رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً) وقولهم (هؤلاء أضلونا) وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين.

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات:

لا تحرك به لسانك : أي لا تحرك بالقرآن لسانك قبل فراغ جبريل منه.

لتعجل به : أي مخافة أن يتفلت منك.

إن علينا جمعه : أي في صدرك

وقرآنه : أي قراءتك له بحيث نُجريه على لسانك.

فإذا قرأناه : أي قرأه جبريل عليك.

فاتبع قرآنه : أي استمع قراءته.

ثم إن علينا بيانه : أي لك بتفهيمك ما يشكل عليك من معانيه.

كلا : أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ولا جزاء.

يحبون العاجلة : أي الدنيا فيعملون لها.

ويذرون الآخرة : أم ويتركون الآخرة فلا يعملون لها.

ناضرة : أي حسنة مضيئة.

إلى ربها ناظرة : أي إلى الله تعالى ربها ناظرة بحيث لا تحجب عنه تعالى.

باسرة : أي كالحة مسودة عابسة.

تظن : أي توقن.

أن يفعل بها فاقرة : أي داهية عظيمة تكسر فقار الظهر.

معنى الآيات:

لما ندد تعالى بالمعرضين عن القرآن المكذبين به وبالبعث والجزاء ذكر في هذه الآيات المقبلين على القرآن المسارعين إلى تلقيه فكانت المناسبة بين هذه الآيات وسابقاتها المقابلة بالتضادّ.

فقال تعالى مؤدباً رسوله محمدا ﷺ ﴿لاتحرك به﴾[1] أي بالقرآن ﴿لسانك﴾ قبل فِراغ جبريل من قراءته عليك. إذ كان ﷺ حريصا على القرآن يخاف أن يتفلّت منه شيء فأكرمه ربّه بالتخفيف عليه وطمأنه أن لا يفقد منه شيئا فقال له ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ مخافة أن يتفلت منك ﴿إن علينا جمعه﴾ أي في صدرك ﴿وقُرآنه﴾ على لسانك حيث نسهل ذلك ونجريه على لسانك، ﴿فإذا قرأناه﴾ أي قرأه جبريل عليك ﴿فاستمع﴾ له ثم اقرأه كما قرأه واعمل بشرائعه وأحكامه. وقوله تعالى ﴿ثم إن علينا بيانه﴾[2] أي إنا نبيّن لك ما يشكل عليك من معانيه حتى تعمل بكل ما طلب منك أن تعمل به. وقوله تعالى ﴿كلّا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ عاد السياق الكريم إلى تقرير عقيدة البعث والجزاء والتي عليها وعلى الإيمان بالله مدار الإصلاح والتهذيب فقال ﴿كلا﴾[3] أي ليس كما تدعون من عدم إمكان البعث والجزاء لأنكم تعلمون أن القادر على إيجادكم اليوم وإعدامكم غداً قادر على إيجادكم مرة أخرى، ولكن الذي جعلكم تكذبون بالبعث والجزاء هو حبكم للحياة للعاجلة أي للدنيا وما فيها من لذات وشهوات، وترككم للآخرة أي للحياة الآخرة لأنها تكلفكم الصلاة والصيام والجهاد، والتخلي عن كثير من اللذات والشهوات. بعد أن كشف عن نفسيات المكذبين توبيخا لهم وتقريعاً عرض على أنظارهم منظراً حيا وصورة ناطقة لما يتجاهلونه من شأن الآخرة فقال ﴿وجوه يومئذ﴾ أي يوم إذ تقوم القيامة ﴿ناضرة﴾ أي حسنة[4] مضيئة مشرقة لأن أرواح أصحابها كانت في الدنيا مشرقة بنور الإيمان وصالح الأعمال ﴿إلى ربها ناظرة﴾[5] سعيدة بلقاء ربها مكرمة بالنظر إليه وهي في جواره ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ أي كالحة مسودة عابسة وذلك لأن أرواح أصحابها كانت في الدنيا تعيش على ظلمة الكفر وعفن الذنوب ودخان المعاصي فانطبعت النفس على الوجه فهي باسرة حالكة عابسة ﴿تظن﴾ أي توقن أي الوجوه والمراد أصحابها ﴿أن يفعل بها فاقرة﴾[6] أي داهية عظيمة تكسر فقار

(١) روى الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه يريد ان يحفظه فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) فكان يحرك شفتيه، وحرك سفيان شفتيه. قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام وكيفيات العبادات وجائز أن يبين له الوعد والوعيد بتحقيقهما.

(٣) كلا حرف ردع إبطال وفي التفسير بيان ما أبطل بها.

(٤) وشاهد هذ الحديث : نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها.

(٥) نفى المعتزلة والخوارج وعامة الفرق الضالة نفوا رؤية الله تعالى في الدار الآخرة وردوا بذلك الكتاب والسنة فهذه الآية صريحة في جواز النظر إلى وجه الله تعالى وآية المطففين. (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فغيرهم من أهل الإيمان وصالح الأعمال غير محجوبين، ومن السنة حديث البخاري وغيره (إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) فافعلوا (متفق عليه) وأحاديث أخرى ويكفي إجماع أهل السنة والجماعة.

(٦) الفقرة بكسر الفاء وتفتح والجمع فقر وفقار وفقر وفقرات وفقرات خرزات الظهر.

الـظهر منها وهي القاؤه ﴿في سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر﴾، فاذكروا هذا يا بشر!!

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ
فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ
ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

إذا بلغت : أي النفس.

التراقي : جمع ترقوة أي عظام الحلق.

وقيل من راق : أي وقال من حوله من عواده أو ممرضيه هل هناك من يرقيه ليشفى؟

وظن أنه الفراق : أي أيقن انه الفراق للدنيا لبلوغ الروح الحلقوم.

والتفت الساق بالساق : أي التفت احدى ساقيه بالأخرى أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة وما فيها من أهوال.

إلى ربك يومئذ المساق : أي إذا بلغت الروح الحلقوم تساق إلى ربها وخالقها لتلقى جزاءها.

فلا صدق ولا صلى : أي الإنسان الذي يحسب أن لن يجمع الله عظامه ما صدق ولا صلى.

ولكن كذب : أي بالقرآن.

وتولى : أي عن الإيمان.

يتمطى : أي يتبختر في مشيته إعجابا بنفسه.

أولى لك : أي وليك المكروه أيها المعجب بنفسه المكذب بلقاء ربه.

فأولى : أي فهو أولى بك.

ثم أولى لك فأولى : أي وليك المكروه مرة ثانية فأولى فهو أولى بك أيضا.

ان يترك سدى : أي مهملا لا يكلف في الدنيا ولا يحاسب ويجزى في الآخرة.

تمنى : أي تصب في الرحم.

فخلق فسوى : أي خلق الله منها الإنسان فسواه بتعديل أعضائه.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقوله تعالى ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما تحسب أيها الإنسان أن الله لا يجمع عظامك ولا يحييك ولا يجزيك انظر إليك وانت على فراش الموت إلى أين يكون مساقك إذا بلغت روحك التراقي[1] من عظام حلقك وقال عوادك وممرضوك هل من راق يرقيك أو طبيب يداويك وأيقنت أنه الفراق لدنياك وأهلك وذويك، والتفت ساقك اليمني باليسرى[2] وشدة فراقك الدنيا بشدة اقبالك على الآخرة هنا انظر إلى أين يذهب بك أما جسمك فإلى مقره في الأرض تواريك، وأما روحك فإلى ربك ليحكم فيك. وقد كذبت بآياته وكفرت بالآئه. فلا صدقت ولا صليت، ولكن كذبت وتوليت كان هذا نصيبك من دينك، وأما دنياك، فقد كنت تتمطى استكبارا وتتبختر اعجابا. إذاً ﴿أولى[3] لك فأولى﴾ أي وليك الهلاك في الدنيا ﴿ثم أولى لك فأولى﴾ أي وليك العذاب في الأخرى وعودة إلى تقريعك وتوبيخك يامن كفرت ربك وتنكرت لأصلك اسمع ما يُقال لك أحسبت أنك تترك سدى، تعيش سبهللا، لا تؤمر ولا تنهى، لا يؤخذ منك ولا تُعطي كلا ألم تك قبل كفرك وجحودك نطفة قطرة ماء من منيّ تمنى قل بلى أو أولى لك فأولى، ثم كنت علقة فخلقك الله جل جلاله منها فسوىّ خلقك بتعديل أعضائك فجعل من نوعك الذكر والأنثى. قل لي بربك هل تنكر ذلك فإن قلت لا. قلنا أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى؟ سبحانك اللهم بلى[4].

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الرقية إذا كانت بالقرآن أو الكلم الطيب.

٢ـ التنويه بشأن الزكاة والصلاة فرائض ونوافل.

---

(١) التراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتفة لنقرة النحر موضع الحشرجة قال دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراقي

(٢) أي التفت شدة فراقك الدنيا بشدة إقبالك على الآخرة هذا أحد وجهين في تفسير الآية وفي التفسير كلا الوجهين إلا أن في هذا خفاء فأوضحته هنا.

(٣) ما هناك حاجة إلى أن يقال هذا في أبي جهل إذ هو خطاب لكل إنسان كافر مشرك ضال وسواء كان قد مضى أهو حاضر اليوم أو يأتي غدا إذ لفظ الإنسان في قوله تعالى أيحسب الإنسان لفظ عام).

(٤) لقد استهواني الأسلوب الأدبي فأخذت أخاطب الإنسان الهالك مقرعاً موبخاً بما تضمنته الآيات نصود فهم مدلولها للاتعاظ والاهتداء بهديها، فإن لم يك هذا مرضياً عندك فاعف عني واغفر لي. آمين.

٣ـ تحريم العجب والكبرياء والتبختر في المشي .

٤ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٥ـ الإنسان لم يخلق عبثا والكون كله كذلك .

٦ـ مشروعية قول سبحانك اللهم بلى لمن قرأ هذه الآية أو سمعها إماماً كان أو مأموماً وهي ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى﴾ .

سُورَةُ الإِنسَانِ

مدنيّة وآياتها إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

هل أتى : أي قد أتى .

على الإنسان : أي آدم عليه السلام.

حين من الدهر : أي أربعون سنة.

لم يكن شيئا مذكورا : أي لانباهة ولا رفعة له لأنه طين لازب وحمأ مسنون وذلك قبل أن ينفخ الله تعالى فيه الروح.

أمشاج : أي أخلاط من ماء المرأة وماء الرجل.

نبتليه : أي نختبره بالتكاليف بالأمر والنهي عند تأهله لذلك بالبلوغ والعقل.

إنا هديناه السبيل : أي بينا له طريق الهدى ببعثة الرسل وإنزال الكتب.

إنا أعتدنا : أي هيأنا.

سلاسل : أي يسحبون بها في نار جهنم.

وأغلالا : أي في أعناقهم.

وسعيرا : أي ناراً مسعرة مهيجة.

إن الأبرار : أي المطيعين لله ورسوله الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأحوالهم.

مزاجها : أي ما تمزج به وتخلط.

يفجرونها : أي يجرونها ويُسيلونها حيث شاءوا.

شره مستطيرا : أي ممتدا طويلا فاشيا منتشرا.

عبوسا : أي تكلح الوجوه من طوله وشدته.

نضرة وسرورا : أي حسنا ووضاءة في وجوههم وفرحاً في قلوبهم.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿هل أتى[(١)] على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ يخبر تعالى عن آدم أبي البشر عليه السلام أنه أتى عليه حين من الدهر قد يكون أربعين سنة وهو صورة من طين لا روح فيها، فلم يكن في ذلك الوقت شيئا له نباهة أو رفعة فيُذكر. هذا الإنسان الأول آدم أخبر تعالى عن بدء أمره. وقوله ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ يخبر تعالى عن الإنسان الذي هو ابن آدم أنه خلقه من نطفة وهي[(٢)] ما ينطف ويقطر من ماء الرجل وماء المرأة، ومعنى أمشاج[(٣)]

(١) الاستفهام تقريري بمعنى قد أتى على الإنسان كذا. وجائز أن يكون المراد من الإنسان غير آدم وكونه آدم هو المراد من الآية أولى.

(٢) يقال مشج الشيء يمشجه أي خلطه فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط وهل أُمشاج جمع مَشَج على وزن سبب وأسباب أو هو مفرد خلاف.

(٣) من نطفة أي من ماء يقطر وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة كقول عبدالله بن رواحة:

مالي أراك تكرهين الجنة   هل أنت إلا نطفة في شنة

أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة فهذا مبدأ خلق الإنسان ابن آدم . وقوله ﴿نبتليه﴾[1] أي نختبره بالتكاليف بالأمر والنهي وذلك عند تأهله لذلك بالبلوغ والعقل ولذلك جعله سميعا بصيرا إذ بوجود السمع والبصر معاً أو بأحدهما يتم التكليف فإن انعدما فلا تكليف لعدم القدرة عليه. وقوله تعالى ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي بيّنا له طريق الهدى ببعثة الرسل وإنزال الكتب واستبان له بذلك أيضا طريق الغيّ والردى إذ هما النجدان إن عرف أحدهما عرف الثاني وهو في ذلك إما[2] أن يسلك سبيل الهدى فيكون شكورا، وإما أن يسلك سبيل الغي والردى فيكون كفورا، والشكور المؤمن الصادق في إيمانه المطيع لربه، والكفور المكذب بآيات الله ولقائه. وقوله تعالى ﴿إنا[3] أعتدنا للكافرين﴾ الآيات شروع في بيان ما أعد لكل من سالكي سبيل الرشد وسالكي سبيل الغي فقال بادئا بما أعد لسالكي سبيل الغي موجزا في بيان ما أعد لهم من عذاب بخلاف ما أعد لسالكي سبيل الرشد فإنه نعيم تفصيله محبوب والإطناب في بيانه مرغوب فقال ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا﴾ يسحبون بها في النار، وأغلالا تغل بها أيديهم في أعناقهم وسعيرا متأججا وجحيما مستعرا. هذا موجز ما أعد لسالكي سبيل الغي أما سالكي سبيل الرشد فقد بينه بقوله ﴿إن الأبرار﴾[4] أي المؤمنين المطيعين في صدق لله والرسول ﴿يشربون من كأس﴾ ملأى شرابا مزاجها كافورا ومزجت بالكافور لبرودته وبياض لونه وطيب رائحته عينا يشرب بها[5] عباد الله لعذوبة مائها وصفائه أصبحت كأنها أداة يشرب بها ولذا قال يشرب بها ولم يقل يشرب منها وقوله يفجرونها تفجيرا أي يجرونها ويسيلونها حيث شاءوا من غرفهم وقصورهم ومجالس سعاداتهم. وقوله ﴿يوفون بالنذر﴾ قطع الحديث عن نعيمهم ليذكر بعض فضائلهم ترغيبا في فعلهم ونعيمهم، ثم يعود إلى عرض النعيم فقال ﴿يوفون بالنذر﴾[6] أي كانوا في دار الدنيا يوفون بالنذر وهو ما يلتزمونه من طاعات لربهم كالصلاة والصيام والحج والصدقات تقرباً

---

(١) الجملة حالية من الإنسان.

(٢) إما حرف تفصيل وهو بسيط عند الجمهور وقال سيبويه هو مركب حرف إن الشرطية وما النافية، ولما تجردت إن من الشرطية وما من النفي أصبحت إما حرف تفصيل بسيط في الواقع وليس مركبا.

(٣) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة موقع جواب للسؤال عن حال كل من الشاكر والكفور فكان الكلام بياناً لحال كل منهما.

(٤) الأبرار جمع بر وبار، وهو المكثر من فعل البر الذي هو الخير ولذا كان البر من أسماء الله تعالى، قال تعالى: إنا كنا ندعوه من قبل إنه هو البر الرحيم ويجمع البر على بررة.

(٥) جائز أن تكون الباء في بها بمعنى من التبعيضية وجائز أن يكون يشرب مضمناً معنى يروى أي يروى بها عباد الله ومن شواهد هذه الباء قول الشاعر:

شربت بماء البحر ثم تدفقت ... متى لجج خضر لهن نئيج

متى بمعنى في والنئيج مَرٌّ سريع مع صوت والشاهد في بماء البحر.

(٦) النذر هو ما يوجبه المكلف على نفسه في الطاعة بحيث لو لم يوجبه لم يلزمه.

إلى ربهم وتزلفا إليه ليحرزوا رضاه عنهم وتلك غاية مناهم . وقوله ويخافون يوما كان شره مستطيرا[1] أي وكانوا في حياتهم يخافون يوم الحساب يوم العقاب يوما كان شره فاشيا منتشرا ومع ذلك يطعمون الطعام على حبه أي مع حبهم وشهوتهم له ورغبتهم فيه، يطعمونه مسكينا فقيرا مسكنه الفقـر وأذلته الحاجة، ويتيما لا عائل له ولا مال عنده، وأسيرا سجينا بعيد الدار نائي المزار لايعرف له أصل ولا فصل يطعمونهم ولسان حالهم أو قالهم يقول إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء تجازوننا به في يوم ما من الأيام ولا شكورا ينالنا منكم. إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا أي كالح الوجه مسوداً ثقيلا طويلا لا يطاق. واستجاب الله لهم وحقق بفضله مناهم فوقاهـم الله شر ذلك اليوم العبوس القمطرير، ولقاهم نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم وجزاهم بما صبروا على فعل الصالحات وعن ترك المحرمات جنّة وحريرا، وما سيذكر بعد في الآيات التاليات.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان نشأة الإنسان الأب والإنسان الأبن وما تدل عليه من إفضال الله وإكرامه لعباده.

٢- حاستا السمع والبصر وجودهما معاً أو وجود إحداهما ضروري للتكليف مع ضميمة العقل.

٣- بيان أن الإنسان أمامه طريقان فليسلك أيهما شاء وكل طريق ينتهي به إلى غاية فطريق الرشد يوصل إلى الجنة دار النعيم، وطريق الغي- يوصل إلى دار الشقاء الجحيم.

٤- وجوب الوفاء بالنذر فمن نذر شيئا لله وجب أن يفي بنذره إلا أن ينذر معصية فلا يجوز له الوفاء[2] بنذره فيها فمن قال لله على أن أصوم يوم أو شهر كذا وجب عليه أن يصوم ومن قال لله علي أن لا أصل رحمي ، أو أن لا أصلي ركعة مثلا فلا يجوز له الوفاء بنذره وليصل رحمه وليصل صلاته ولا كفارة عليه.

٥- الترغيب في إطعام الطعام للمحتاجين إليه من فقير ويتيم وأسير.

---

(١) يقال استطار الحريق إذا انتشر قال حسان

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

قال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض.

(٢) ما يروى عن فاطمة وعلي رضي الله عنهما في مرض الحسنين وما نَذَرَا لله في شأنهما حديث موضوع باطل رده أهل العلم جملة وتفصيلا.

مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

على الأرائك : أي على الأسرة بالحجلة واحد الأرائك أريكة.

ولا زمهريرا : أي ولا بردا شديدا ولا قمرا إذ هي تضاء من نفسها.

ودانية : أي قريبة.منهم ظلال أشجار الجنة.

وذللت قطوفها تذليلا : أي بحيث ينالها المؤمن قائما وقاعدا ومضطجعا.

وأكواب : أي أقداح بلا عُرا.

من فضة : أي يرى باطنها من ظاهرها.

قدروها تقديرا : أي على قدر الشاربين بلا زيادة ولا نقص.

ويسقون فيها كأسا(١) : أي خمرا.

كان مزاجها زنجبيلا : أي ما تمزج وتخلط به زنجبيلا.

مخلدون : أي بصفة الولدان لا يشيبون.

لؤلؤا منثورا : أي من سلكه أو من صدفه لحسنهم وجمالهم وانتشارهم في الخدمة.

---

(١) في عرف الأولين إطلاق الكأس على الخمر فلا يقال كأس ما لم يكن بها خمر فلذا يطلقون لفظ الكأس على الخمر والآية شاهد ذلك.

وإذا رأيت ثم : أي في الجنة رأيت نعيما لا يوصف وملكا واسعا لا يقدر.
ثياب سندس : أي حرير.
واستبرق : أي ما غلظ من الديباج.
وحلّوا : أي تحليهم الملائكة بها.
شرابا طهورا : أي فائقا على النوعين السابقين ولذا أُسند سقيه إلى الله عز وجل.
إن هذا : أي النعيم.
مشكورا : أي مرضيا مقبولا.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في ذكر ما أعد الله تعالى للأبرار من عباده المؤمنين المتقين فقال تعالى ﴿متكئين﴾[1] في الجنة ﴿على الأرائك﴾[2] التي هي الأسرة بالحجال ﴿لا يرون فيها﴾ أي في الجنة ﴿شمسا ولا زمهريرا﴾ إن كان المراد بالشمس الكوكب المعروف فالزمهرير القمر، فلا شمس في الجنة ولا قمر وإن كان المراد بالشمس الحر فالزمهرير البرد وليس في الجنة حر ولا برد وكلا المعنيين مراد وواقع فلاشمس في الجنة ولا قمر لعدم الحاجة إليهما ولا حر ولا برد كذلك. ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ا أي قريبة منهم أشجارها فهي تظللهم ويجدون فيها لذة التظليل وراحته ومتعته وإن لم يكن هناك شمس تستلزم الظل. ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ أي ما يقطف من ثمار أشجارها مذلل لهم بحيث يناله القائم والقاعد والمضطجع فلا شوك به ولا بعد فيه سهل التناول لأن الدار دار نعيم وسعادة وراحة وروح وريحان ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة﴾ أي يطوف عليهم الخدم الوصفاء بآنية من فضة ومن ذهب ﴿وأكواب﴾ أي أقداح لاعرى لها كانت بفضل الله واكرامه ﴿قواريرا قواريرا من فضة﴾ يرى باطنها من ظاهرها لصفائها مادتها فضة وصفاؤها صفاء الزجاج ولذا سميت قارورة وجمعت على قوارير. ﴿قدروها تقديرا﴾ أي قدرها الخدم الطائفون عليهم بحيث لا تزيد فتفيض[3] ولا تنقص فلا يجمل منظرها. وقوله ﴿ويسقون فيها كأسا﴾ أي خمرا ﴿كان مزاجها﴾ أي ما تمزج به ﴿زنجبيلا﴾ من عين في الجنة ﴿تسمى سلسبيلا﴾[4]. وقوله

---

(١) متكئين منصوب على الحال وصاحب الحال الضمير في وجزاهم.
(٢) الأريكة السرير بالحجلة والحجلة كِلّه تنصب على السرير لتقي الحر والشمس ولا يقال في السرير أريكة ما لم يكن بالحجال كما لايقال للسجل سجلاً مالم تكن الدلو ملأى ولا الذنوب ذنوباً ما لم يكن ملأى، ولا يقال للكأس كأس ما لم تكن ملأى بالخمر ولا يقال مهدي للطبق ما لم تكن عليه الهدية.
(٣) التقدير لكل من أحجامها والمشروب الذي بها.
(٤) يقال شراب سلس وسلسال وسلسل وسلسبيل ما كان في غاية السلاسة.

تعالى ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ أي ويطوف على أولئك الأبرار في الجنة ولدان غلمان مخلدون لا يهرمون ولا يموتون حالهم دائما حال الغلمان لا تتغير ﴿إذا رأيتهم﴾ ونظرت إليهم ﴿حسبتهم﴾ في جمالهم وانتشارهم في الخدمة هنا وهناك ﴿لؤلؤا منثورا﴾. ويقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿وإذا رأيت ثم﴾ أي هناك في الجنة ﴿رأيت نعيما﴾ لا يوصف ﴿وملكا كبيرا﴾ لا يقادر قدره ﴿عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق﴾ يخبر تعالى أن عاليهم أي فوقهم ثياب سندس أي حرير خضر واستبرق وهو ما غلظ من الديباج. وثياب من استبرق بعضها بطائن وبعضها ظهائر البطائن ما يكون تحت الظهائر وقوله تعالى ﴿وحُلّوا أساور من فضة﴾[1] أي وحلاهم ربهم وهم في دار كرامته أساور من فضة ومن ذهب أيضا إذ يحذف المقابل لدلالة المذكور عليه نحو سرابيل تقيكم الحر أي وأخرى تقيكم البرد وقوله ﴿وسقاهم شرابا طهورا﴾[2] هذا غير ما ذكر فيما تقدم هذا إكرام خاص وهو أن الله تعالى هو الذي يسقيهم وأن هذا الشراب بالغ مبلغا عظيما في الطهارة لوصفه بالطهور. ويقال لهم تكريما لهم وتشويقا لغيرهم من أهل الدنيا الذين يسمعون هذا الخطاب التكريمي إن هذا النعيم من جنات وعيون وأرائك وغلمان وطعام وشراب ولباس وما إلى ذلك ﴿كان لكم جزاء﴾ على إيمانكم وتقواكم ﴿وكان سعيكم﴾ أي عملكم في الدنيا ﴿مشكورا﴾ أي مرضيا مقبولا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر صور من الجزاء الأخروي.

٢ـ حرمة استعمال أواني الذهب والفضة لقول الرسول ﷺ «هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة».

٣ـ حرمة الخمر لحديث «من شرب الخمر في الدنيا لا يشربها في الآخرة إن مات مستحلا لها».

٤ـ مشروعية اتخاذ خدم صالحين يخدمون المرء ويحسن إليهم.

٥ـ حرمة لبس الحرير على الرجال وإباحته للنساء، وكالحرير الذهب أيضا.

---

(١) ومن سورة فاطر يحلون فيها من أساور من ذهب، وفي سورة الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا. قيل حلي الرجل الفضة وحلي النساء الذهب، وقيل تارة يلبسون الفضة وتارة يلبسون الذهب ومن الجائز أن يجمع لهم بين الفضة والذهب ليكون لأحدهم سواران من فضة وسواران من ذهب.

(٢) قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى وسقاهم ربهم شراباً طهوراً قال: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداهما لتجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث أشعارهم أبدا ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين.

إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

نزلنا عليك القرآن تنزيلا : أي شيئا فشيئا ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة.

فاصبر لحكم ربك : أي عليك بحمل رسالتك وإبلاغها إلى الناس.

ولا تطع منهم آثما أو كفورا : الآثم هنا عتبة بن ربيعة والكفور الوليد بن المغيرة.

واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا : أي صل الصبح والظهر والعصر.

ومن الليل فاسجد له : أي صل صلاة المغرب والعشاء.

وسبحه ليلا طويلا : أي تهجد بالليل نافلة لك.

يحبون العاجلة : أي الدنيا.

ويذرون وراءهم يوما ثقيلا : أي يوم القيامة.

وشددنا أسرهم : أي قوينا أعضاءهم ومفاصلهم.

وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا : أي جعلنا أمثالهم في الخلقة بدلا منهم بعد أن نهلكهم.

إن هذه تذكرة : أي عظة للناس.

اتخذ إلى ربه سبيلا : أي طريقا إلى مرضاته وجواره بالإيمان والعمل الصالح وترك

الشرك والمعاصي .

في رحمته : أي الجنة .

أعد لهم عذابا أليما : أي في النار والأليم ذو الألم الموجع .

معنى الآيات :

لقد عرض المشركون على رسول الله ﷺ عرضا مفاده أن يترك دعوة الله تعالى إلى عبادته وتوحيده ويعبد ربّه وحده ويترك المشركين فيما هم فيه وله مقابل ذلك مال أو أزواج أو رئاسة وما إلى ذلك فأبى الله تعالى له ذلك وأنزل قوله ﴿إنا نحن(١) نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر(٢) لحكم ربك﴾ على تحمل رسالتك وتبليغها إلى الناس ﴿ولا تطع منهم﴾ أي من مشركي قريش ﴿آثما﴾ كأبي جهل وعتبة بن ربيعة ﴿ولا كفورا﴾ كالوليد بن المغيرة أي لا تطعهما فيما طلبا إليك وعرضا عليك، وواصل دعوتك واستعن بالصلاة والتسبيح والذكر والدعاء، وفي قوله تعالى ﴿بكرة وأصيلا(٣)﴾ إشارة إلى صلاة الصبح والظهر والعصر، وفي قوله ﴿ومن(٤) الليل فاسجد له﴾ إشارة إلى صلاة المغرب والعشاء، وقوله ﴿وسبحه ليلا طويلا﴾ صريح في انه التهجد إذ الصلاة نعم العون للعبد ولذا كان ﷺ إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة وقوله تعالى ﴿إن هؤلاء يحبون(٥) العاجلة﴾ أي الدنيا يعني بهم كفار قريش يحبون الدنيا وسميت بالعاجلة لأنها ذاهبة مسرعة، ﴿ويذرون وراءهم(٦) يوما ثقيلا﴾ هو يوم القيامة فلم يؤمنوا ولم يعملوا بما يسعدهم فيه ويذكرهم تعالى بأنه خالقهم وقادر على تبديلهم بغيرهم فيقول ﴿نحن خلقناهم﴾ أي أوجدناهم من العدم ﴿وشددنا أسرهم(٧)﴾ أي قوينا ظهورهم وأعضاءهم ومفاصلهم ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا﴾ أي جعلنا أمثالهم في

---

(١) إنا نحن نزلنا: أي ما افتريته ولا جئت به من عندك ولا من تلقاء نفسك كما يقول المشركون.

(٢) الفاء هي الفصيحة إذ هي واقعة في جواب شرط مقدر أي إذا كان الأمر ما علمت وهي ردهم دعوتك ومطالبتهم بتركها والتخلي عنها مقابل عارض من الدنيا فاصبر لحكم ربك فيهم ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً واستعن بالصبر والصلاة.

(٣) الأصيل جمعه الأصائل والأصل كقولك سفائن وسفن قال الشاعر:

ولا بأس منها إذا دنا الأصُل

وقال آخر في الأصائل وهو جمع الجمع:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل

(٤) من الليل: من للتبعيض أي من بعض الليل لا كله.

(٥) الجملة تحمل التوبيخ والتقريع لأهل مكة لحبهم العاجلة وتركهم الآخرة.

(٦) جائز أن يكون وراءهم بمعنى بين أيديهم ولما لم يعملوا له كانوا كالتاركين لهُ وراءهم غير ملتفتين إليه.

(٧) الأسر: الخلق يقال شديد الأسر أي الخلق والمراد بالخلق الأوصال والمفاصل وفقار الظهر ومن ذلك الشرج فإنه إذا خرج البول أو الغائط تقبض الموضع ولولا هذا التماسك لبقي البول سائلا والعذرة متناثرة.

الخلقة بدلا عنهم وأهلكناهم ولو شاء تعالى ذلك لكان ولكنه لم يشأ مع أنه في كل قرن يبدل جيلا بجيل هذا يميته وهذا يحييه وهو على كل شيء قدير. وفي خاتمة هذه السورة المشتملة على أنواع من الهدايات الكثيرة يقول تعالى ﴿إن هذه تذكرة﴾ أي هذه السورة موعظة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ طريقا إلى رضاه أولا ثم مجاورته في الملكوت الأعلى ثانيا، ولما أعطى تعالى المشيئة قيدها بأن يشاء الله ذلك المطلوب أولا، ومن هنا وجب الافتقار إلى الله تعالى بدعائه والضراعة إليه وهو قوله ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ إن الله كان عليما بخلقه وبما يصلحهم أو يُفسدهم حكيما في تدبيره لأوليائه خاصة ولباقي البشرية عامة فله الحمد وله المنة. وقوله ﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين[1] أعد لهم عذابا أليما﴾ إنه بهذا يدعو كافة البشرية إلى الافتقار إليه ليغنيهم وإلى عبادته ليزكيهم وإلى جواره فيطهرهم ويرفعهم هؤلاء أولياؤه من أهل الإيمان والتقوى ﴿والظالمين﴾ أي المشركين ﴿أعد لهم عذابا أليما﴾ أي أهانهم لكفرهم به وشركهم في عبادته فأعد لهم عذابا مؤلما موجعا نعوذ بالله من عذابه وشديد عقابه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- حرمة طاعة ذوي الإثم وأهل الكفر في حال الاختيار.

٢- على المؤمن أن يستعين بالصلاة والذكر والدعاء فإنها نعم العون.

٣- استحباب نافلة الليل.

٤- مشيئة الله عز وجل قبل فوق كل مشيئة.

٥- القرآن تذكرة للمؤمنين.

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

مكيّة وآياتها خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ

(١) والظالمين مفعول لفعل محذوف تقديره ويعذب الظالمين وجملة أعد لهم عذاباً أليماً تفسير للفعل المحذوف.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

والمرسلات عرفا	: المرسلات الرياح الطيبة والعرف المتتابعة.
فالعاصفات عصفا	: فالرياح الشديدة الهبوب المضرة لشدتها.
والناشرات نشرا	: الرياح تنشر المطر وتفرقه في السماء نشرا.
فالملقيات ذكرا	: أي فالملائكة تلقى بالوحي على الأنبياء للتذكير به.
عذرا أو نذرا	: أي للاعذار بالنسبة إلى أقوام أو إنذار بالنسبة إلى آخرين.
إنما توعدون لواقع	: أي انما توعدون أيها الناس لكائن لا محالة.
فإذا النجوم طمست	: أي محى نورها وذهبت.
وإذا السماء فرجت	: أي انشقت وتصدعت.
وإذا الجبال سيرت	: أي نسفت فإذا هي هباءمنبث مفرق هنا وهناك.
وإذا الرسل أقتت	: أي جمعت لوقت حدد لها لتحضر فيه.
ليوم الفصل	: أي اليوم الذي يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والمرسلات عرفا﴾[1] هذا بداية قسم لله تعالى أقسم فيه بعدة أشياء من مخلوقاته ولله أن يقسم بما شاء، والحكمة من الإقسام أن تسكن النفوس للخبر وتطمئن إلى صدق المخبر فيه وبذلك يحصل الغرض من إلقاء الخبر على السامعين والمقسم به هنا المرسلات وهي الرياح المتابعة الطيبة العذبة والعاصفات منها[2] وهي الشديدة الهبوب التي قد تعصف بالأشجار وتقتلعها وبالمباني وتهدمها والناشرات نشرا وهي الرياح المعتدلة التي تنشر السحاب وتفرقه أو تسوقه

(١) روى البخاري عن ابن عباس قال قرأت سورة والمرسلات عرفاً فسمعتني أم الفضل (امرأة العباس) فبكت وقالت: بُني أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في صلاة المغرب.

(٢) العصف: قوة هبوب الريح، والنشر: ضد الطي واستعمل في الإظهار والايضاح. والعصف حالة المضرة والنشر حالة النفع جائز أن يراد بالمرسلات والعاصفات والناشرات الملائكة وكونها الرياح أظهر في التفسير وهو اختيار ابن جرير.

للإمطار وإنزال المطر والفارقات فرقا وهي آيات القرآن الكريم تفرق بين الحق والباطل والملقيات ذكرا عذرا[1] أو نذرا وهي الملائكة تلقى بالوحي على من اصطفى الله تعالى من عباده للاعذار والانذار أي تعذر أناسا وتنذر آخرين هذا هو القسم والمقسم هو الله والمقسم عليه هو قوله جل ذكره إن ما توعدون أيها الناس من خير أو شر لواقع أي كائن لا محالة وعليه فأصلحوا أعمالكم بعد تصحيح نياتكم فإن الجزاء واقع لا يتخلف أبدا ولا يتغير ولا يتبدل ومتى يقع هذا الموعود الكائن لا محالة والجواب يقع في يوم الفصل إذاً فما هو يوم الفصل والجواب يوم يحضر الله الشهود من الملائكة والرسل ويفصل بين الناس ومتى يكون يوم الفصل والجواب إذا النجوم طمست أي ذهب نورها ومحى وإذا السماء فرجت أي انشقت وتصدعت وإذا الجبال نسفت[2] أي فتت وإذا الرسل أقتت أي حدد لها وقت معين تحضر فيه وهو يوم الفصل وما أدراك[3] ما يوم الفصل تفخيم لشانه وإعلام بهوله وقوله تعالى ﴿ويل يومئذ﴾ أي يوم يقع الفصل العذاب الهائل الكبير ﴿للمكذبين﴾ بالله وبآياته ولقائه ورسوله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وليس للعبد أن يقسم بغير خالقه عز وجل.

٣ـ علامات القيامة وظاهرة الانقلاب الكوني العام وهي انطماس ضوء النجوم وانفراج السماء ونسف الجبال.

٤ـ الوعيد الشديد بالويل الذي هو واد في جهنم[4] تستغيث جهنم من حره للمكذبين بما يجب التصديق به من أركان الإيمان الستة، والوعد والوعيد الإلهيين.

---

(١) قرأ نافع عذراً بإسكان الذال ويضمها في نُذراً وسكن الذال فيهما معاً حفص والنذر اسم مصدر بمعنى الإنذار وكذا عذراً وهما مفعولان لأجله أي لأجل الإعذار والإنذار أي الإعذار للمحقين والإنذار للمبطلين أو البشرى للمؤمنين والنذارة للكافرين.

(٢) نسف الجبال دكها وتصييرها تراباً مفرقاً وتسييرها كالهباء في الهواء.

(٣) ما أدراك: استفهام، وكذا ما يوم الفصل والمراد من الاستفهام الأول الاستبعاد والإنكار ومن الثاني التهويل من شأن يوم الفصل الذي هو يوم القيامة حيث تم الفصل فيه بين الخلائق ويتم بأن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير.

(٤) قيل أن هذا الوادي هو مستنقع صديد أهل الشرك والكفر ليعلم أهل العقول أنه لا شيء أقذر منه قذارة ولا أنتن منه نتناً ولا أشد مرارة ولا أشد سواداً منه وصفه رسول الله ﷺ بأنه أعظم وادٍ في جهنم.

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾
أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

ألم نهلك الأولين : أي كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم إلى البعثة النبوية وذلك بتكذيبهم.

ثم نتبعهم الآخرين : أي إن أصروا على التكذيب ككفار مكة.

كذلك نفعل بالمجرمين : أي مثل ذلك الهلاك نهلك المجرمين.

ويل يومئذ للمكذبين : أي إذا جاء وقت الهلاك ويل فيه للمكذبين.

من ماء مهين : أي المنيّ والمهين الضعيف.

في قرار مكين : أي حريز وهو الرحم.

إلى قدر معلوم : أي إلى وقت الولادة.

فقدرنا : أي خلقه.

فنعم القادرون : أي نحن على الخلق والتقدير.

كفاتا : أي تكفت الناس أي تضمهم أحياء فوق ظهرها وأمواتا في بطنها.

رواسي شامخات : أي جبال عاليات.

فُراتا : أي عذبا.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين﴾ إنه لما أقسم تعالى على وقوع ما أوعد به المكذبين من عذاب يوم القيامة وذكر وقت مجيئه وعلامات ذلك وذكر أن

الـرسـل أقتت ليوم الفصل وهو اليوم الذي يفصل فيه تعالى بين الخلائق فيقتص من الظالم للمظلوم، ويجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وتوعد المكذبين بذلك فقال ويل يومئذ للمكذبين دلل هنا على قدرته على إهلاك المكذبين بما سبق له أن فعله بالمكذبين فقال في استفهام تقريري لا ينكر ﴿ألم نهلك الأولين﴾ من الأمم السابقة كعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط إلى زمن البعثة النبوية ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ فقد أهلك أكابر مجرمي قريش في بدر وقوله ﴿وكـذلـك نفعل بالمجرمين﴾[(١)] وهو وعيد صريح وحقا والله لقد أهلك المجرمين ولم ينج من الهلاك مجرم وويل يومئذ[(٢)] للمكذبين وقوله تعالى﴿ألم نخلقكم[(٣)] من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون﴾. هذا استدلال آخر على قدرة الله وعلمه اللذين لايتم البعث والجزاء إلا عليهما قدرة لايعجزها شيء وعلم لا يخفى معه شيء فقال مستفهما استفهاما تقريريا ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ أي ضعيف هو المني ﴿فجعلناه﴾[(٤)] أي الماء ﴿في قرار مكين﴾ أي حريز حصين وهو الرحم ﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو زمن الولادة ﴿فقدرنا﴾[(٥)] أي خلق الجنين على أحسن صورة أدق تركيب المسافات بين الأعضاء كما بين العينين كما بين اليدين والرجلين كما بين الأذنين كلها مقدرة تقديرا عجيبا لا تزيد ولا تنقص ﴿فنعم القادرون﴾ على الخلق والتقـدير معا والجواب بلى ولم إذاً تكفرون وتكذبون؟ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وقوله ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا؟﴾ هذا استدلال آخر على قدرة الله على البعث والجزاء والاستفهام فيه للتقرير أيضا ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾[(٦)] أي مكان كفاية مأخوذ من كفت الشيء إذا ضمه إلى بعضه بعضا والأرض ضامة للناس كافية لهم كافتة الأحياء[(٧)] على ظهرها يسكنون ويأكلون ويشربون والأموات في بطنها لا تضيق بهم أبدا كما لم تضق بالأحياء ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض ﴿رواسي شامخات﴾ أي جبال عاليات

---

(١) لفظ الإجرام أصبح كالعلم على أهل الشرك والكفر إذ هم الذين أجرموا على أنفسهم بأعظم الذنوب وأشدها إفساداً للروح وهو الشرك والكفر وما بعد الكفر ذنب كما يقال.

(٢) هذا التكرار والتقرير والتأكيد وسيتكرر في عدة آيات في هذه السورة ومعناه قد سبق مع أول ذكره.

(٣) الاستفهام للتقرير وهو لا يخلو من معنى التوبيخ والتقريع للمشركين المكذبين بالبعث والجزاء.

(٤) فجعلنا: الفاء للتفريع والتفصيل لكيفية الخلق.

(٥) قرأ نافع فقدرنا بتشديد الدال وقرأها حفص بالتخفيف فالتخفيف بمعنى قدرنا تقديرا أي فعلناه على تقدير معين، وقدرنا بالتخفيف أي جعلنا على مقدار مناسب ولذا معنى القراءتين واحد وشاهده من الحديث قوله ﷺ في الهلال إذا غم عليكم فاقدروا له أي قدّروا له المسير والمنازل ومن الشائع قولهم قدر على فلان الموت وقدّر عليه الموت بالتشديد والتخفيف.

(٦) قال القرطبي كفاتاً أي ضامة تضم الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه. وهو قوله ﷺ قصوا أظافركم وادفنوا قلاماتكم.

(٧) الكفات اسم للشيء الذي يكفت فيه أي يجمع ويضم فيه فهو اسم من كفت إذا جمع فالكفات اسم لما يكفت الوعاء اسم لما يَعِي والضمام اسم لما يضم.

﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ أي عذبا وهو ماء السماء ناقعا في الأرض وجاريا في الأودية والأنهار والجواب بلى، بلى إذاً مالكم أيها المشركون كيف تكذبون؟ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي ويل لهم إذا حان وقت هلاكهم أي ﴿يوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل؟﴾

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ الاستدلال على البعث والجزاء بالقدرة والعلم إذ هما أساس البعث والجزاء.

٣ـ بيان انعام الله تعالى على عباده في خلقهم ورزقهم وتدبير حياتهم أحياء وأمواتا.

٤ـ بيان أن الناس أكثرهم لا يشكرون.

٥ـ الوعيد الشديد للمكذبين الكافرين.

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ
كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

انطلقوا إلى ماكنتم به تكذبون: أي من العذاب.

ظل ذي ثلاث شعب: أي دخان جهنم إذا ارتفع انقسم إلى ثلاث شعب لعظمته.

لا ظليل: أي كنين ساتر يكن ويستر.

ولا يغني من اللهب: أي ولا يرد شيئا من الحر.

إنها: أي النار.

بشرر كالقصر: أي الشررة الواحدة كالقصر في عظمته وارتفاعه.

كأنه جمالة صفر: أي الشرر المتطاير من النار الشررة كالقصر في عظمها وارتفاعها

	وكالجمل في هيئتها ولونها والجمل الأصفر الأسود الذي يميل إلى صفرة.
هذا يوم لا ينطقون	: أي فيه بشيء.
ولا يؤذن لهم	: أي في العذر.
جمعناكم والأولين	: أي من المكذبين قبلكم.
فإن كان لكم كيد فكيدون	: أي حيلة في دفع العذاب فاحتالوا لدفع العذاب عنكم.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الحياة كلها قوله تعالى ﴿انطلقوا﴾[١] هذا يقال للمكذبين يوم القيامة وهم في عرصاتها يقال لهم تقريعاً وتبكيتاً انطلقوا إلى[٢] ما كنتم به تكذبون وهو عذاب الآخرة ويتهكم بهم ويسخرون منهم فيقولون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب وهو دخان النار إذا ارتفع يتشعب إلى ثلاث شعب وذلك لعظمته لا ظليل أي ليس هو ظلا حقيقيا كظل لشجرة والجدار فيكن ويستر ولا يغني[٣] من اللهب فيدفع الحر وقال تعالى في وصفها ﴿إنها﴾ أي النار ﴿ترمي بشرر كالقصر﴾ الشررة الواحدة كالقصر في كبره وارتفاعه كأنه أي الشرر جمالة صفراء[٤] أي الشررة كالجمل الأصفر وهو الأسود المائل إلى الصفرة. ثم قال تعالى ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ يتوعد المكذبين به وبآياته ولقائه ورسوله ﷺ وقوله تعالى ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ أي هذا يوم القيامة يوم لا ينطقون أي فيه بشيء ﴿ولا يؤذن لهم﴾ أي في الاعتذار فهم يعتذرون لا اعتذار ولا إذن به. ولطول يوم القيامة وتجدد الأحداث فيه يخبر القرآن مرة باعتذارهم وكلامهم في موطن، وينفيه في آخر، إذ هو ذاك الواقع في مواطن يتكلمون بل ويحلفون كاذبين وفي مواطن يغلب عليهم الخوف والحزن فلا يتكلمون بشيء وفي مواطن يطلب منهم أن يتكلموا فيتكلموا وفي أخرى لا، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وعيد لكل المكذبين بهذا وبغيره وقوله تعالى ﴿هذا يوم[٥] الفصل جمعناكم[٦] والأولين﴾ أي يقال لهم يوم القيامة وهم

(١) هذا الخطاب للمكذبين في يوم الفصل وهو مقول قول محذوف دل عليه صيغة الخطاب ولذا قلت في التفسير هذا يقال للمكذبين.

(٢) وأعيد لفظ انطلقوا على طريقة التكرير قصد التوبيخ والإهانة.

(٣) الاغناء جعل الغير غنياً أي غير محتاج في ذلك الغرض وعدي الفعل بمن هنا على معنى البدلية أو لتضمينه معنى يبعد.

(٤) قرأ نافع جمالات جمع جمالة بكسر الجيم وقرأ حفص جمالة بالإفراد والجمالة اسم جمع لطائفة من الجمال أي الشررة الواحدة في عظمها كأنها جمالة صفر، والصفرة لون الشرر والصفر جمع أصفر كحمر جمع أحمر.

(٥) تكرير لتوبيخهم، والإشارة في هذا إلى المشهد الذي يشاهدونه في يوم فصل القضاء الذي كانوا ينكرونه ويكذبون به.

(٦) هذا كقوله تعالى (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) والمخاطبون في قوله جمعناكم المشركون المكذبون بيوم الفصل.

في عرصاتها هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جمعناكم فيه أيها المكذبون من هذه الأمة والمكذبين الأولين من قبلها، فإن كان لكم كيد أي حيلة على خلاصكم مما أنتم فيه فكيدون أي احتالوا عليّ وخلصوا أنفسكم يقال لهم تبكيتا لهم وخزيا وهو عذاب روحي أشد ألماً من العذاب الجسماني ﴿ويل[1] يومئذ للمكذبين﴾ أي ويل يوم إذ يجيىء يوم الفصل للمكذبين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- التهكم والسخرية والتبكيت من ألم أنواع العذاب الروحي يوم القيامة.

٢- عرصات القيامة واسعة والمقام فيها طويل والبلاء فيها شديد.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض ما يتم فيه.

٤- التكذيب هو رأس الكفر، وبموجبه يكون العذاب.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات:

إن المتقين : أي الذين اتقوا ربهم فآمنوا به وأطاعوه بفعل ما يحب وترك ما يكره.

في ظلال : أي في ظلال الأشجار الوارفة.

وعيون : أي من ماء ولبن وخمر وعسل.

مما يشتهون : لا مما يجدون كما هي الحال في الدنيا.

إنا كذلك نجري المحسنين : أي كما جزينا المتقين نجزي المحسنين.

كلوا وتمتعوا : أي في هذه الحياة الدنيا.

---

(١) تكرير للوعيد والتهديد وهو متصل بما قبله اتصال نظائره فيما سبق وفيما يلحق.

وإذا قيل لهم اركعوا : أي صلوا لا يصلون.

بعده يؤمنون : أي بعد القرآن إذ الكتب غيره ليست معجزة والقرآن هو المعجز بألفاظه ومعانيه فمن لم يؤمن بالقرآن ما آمن بغيره بحال من الأحوال.

معنى الآيات:

من باب الترغيب والترهيب وهو أسلوب أمتاز به القرآن الكريم ذكر تعالى ما للمتقين من نعيم مقيم بعد ذكر ما للمكذبين الضالين من عذاب الجحيم فقال تعالى ﴿إن المتقين﴾ وهم الذين اجتنبوا الشركَ والمعاصيَ ﴿في ظلال وعيون﴾ في ظلال أشجار الجنة وعيونها من ماء ولبن وخمر وعسل وفواكه كثيرة منوعة مما يشتهون(١) على خلاف الدنيا إذ الناس يأكلون مما يجدون فلوا اشتهوا شيئا ولم يجدوه ما أكلوه وأما دار النعيم فإن المرء ما اشتهى شيئا إلا وجده وأكله وهذا هو السر في التعبير في غير موضع بكلمة مما يشتهون. ومن إتمام النعيم أن يقال لهم تطييبا لخواطرهم كلوا واشربوا(٢) هنيئا أي متهنئين بما كنتم تعملون من الصالحات وتتركون من السيئات. وقوله تعالى إنا كذلك(٣) نجزي المحسنين أي كهذا الجزاء الذي جزينا به المتقين نجزي به المحسنين. ويل يومئذ للمكذبين أي بهذا الوعد الكريم. قوله تعالى ﴿كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون﴾. هذا قول الله تعالى لمشركي قريش وكفارها يهددهم الرب تبارك وتعالى ناعيا عليهم إجرامهم حتي يحين وقتهم وقد حان حيث أعلمهم أنهم لا يتمتعون إلا قليلا وقد أهلكوا في بدر. وقوله ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ هو توعد بالعذاب الأليم لمن يكذب بوعيد الله هذا ووعده ذاك. وقوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم اركعوا(٤)﴾ أي صلوا ﴿لا يركعون﴾ أي لا يصلون ولا يخشعون ولا يتواضعون فيقبلون الحق ويؤمنون به، ويل يومئذ للمكذبين بشرائع الله وهداه التاركين للصلاة وقوله تعالى ﴿فبأي(٥) حديث بعده يؤمنون﴾ أي فبأي كتاب يؤمن هؤلاء المكذبون إذا لم يؤمنوا بالقرآن وذلك لما فيه من الخير والهدى ولما يدعو إليه من السعادة والكمال كما أنه معجز بألفاظه ومعانيه بخلاف الكتب غيره فمن لم يؤمن به لا يرجى له أن يؤمن بغيره بحال من الأحوال.

---

(١) أي يتمنون إذ أكلهم للذة الأكل لا للحفاظ على الجسم كما هي الحال في الدنيا يأكل الآدمي للبقاء على حياته إذ لو ترك الغذاء هلك.

(٢) هذا مقول قول محذوف أي يقال لهم كلوا واشربوا.

(٣) إن المحسنين هم المتقون، وإنما ذكر صفة الإحسان لأن التقوى التي هي فعل وترك متوقفة على الإحسان الذي هو مراقبة الله تعالى المنتجة إحسان النيات والأعمال الصالحات.

(٤) يذكر أن مالكاً رحمه الله تعالى: دخل المسجد بعد صلاة العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع، فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام فركع فقيل له في ذلك قال خشيت أن أكون من الذين (إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون).

(٥) الفاء هي الفصيحة أي إن لم تؤمنوا بهذا القرآن فبأي حديث بعده تؤمنون والاستفهام إنكاري تعجبي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما أعد الله تعالى لأوليائه المؤمنين المتقين المحسنين.

٢ـ بيان نعيم أهل التقوى والاحسان وفضلهما أي فضل التقوى والإحسان.

٣ـ صدق القرآن في أخباره إذ وعيد الله لأكابر مجرمي مكة نفذ بعد أقل من خمس سنوات.

٤ـ من دخل مسجدا وأهله يصلون فليدخل معهم في صلاتهم وإن كان قد صلى حتى لا يكون غيره راكعا لله وهو غير راكع وقد جاء في الصحيح هذا المعنى.

سُورَةُ النَّبَإِ

مكيـــة وآياتها أربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾
وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا
﴿٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا
فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

عم[1] : أي عن أيّ شيء؟

يتساءلون : أي يسأل بعض قريش بعضا.

عن النبأ العظيم : أي ما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث الآخر.

الذي هم فيه مختلفون : أي ما بين مصدق ومكذب.

سيعلمون : عاقبة تكذيبهم عند نزع أرواحهم وعند خروجهم من قبورهم.

أوتادا : أي تثبت بها الأرض كما تثبت الخيمة بالأوتاد.

سباتا : أي راحة لأبدانكم.

---

(١) عم أصلها عن ما فادغمت النون في الميم فصارت عما وحذفت الألف تخفيفاً فصارت عم فعن حرف جر وما خرف استفهام، وقدم الاستفهام لما له من حق الصدارة وأصل التركيب يتساءلون عن أي شيء؟

لباسا : أي ساتراً بظلامه وسواده.
وجعلنا النهار معاشا : أي وقتا للمعاش كسبا وأكلا.
شدادا : أي قوية محكمة الواحدة شديدة والجمع شداد.
سراجا وهاجا : أي ضوء الشمس وهاجا وقاداً.
المعصرات : أي السحابات التي حان لها أن تمطر كالجارية المعصر التي دنا وقت حيضها.
ثجّاجا : أي صبابا.
وجنات ألفافا : أي بساتين ملتفة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿عم يتساءلون﴾ أي عن أي شيء يتساءل رجال قريش فيسأل بعضهم بعضا إنهم يتساءلون عن[1] النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون إنه ما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث الآخر. قال تعالى ردعا لهم وتخويفا كلا سيعلمون[2] عند نزع أرواحهم عاقبة تكذيبهم لرسولنا وإنكارهم لتوحيدنا ولقائنا، ثم كلا سيعلمون[3] يوم يبعثون من قبورهم ويحشرون إلى نار جهنم حين لا ينفعهم علم ولا يجديهم إيمان. وقوله تعالى ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ الآيات فذكر تعالى من مظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة ما يوجب الإيمان به وبتوحيده ورسوله ولقائه لو كان القوم يعقلون فقال ﴿ألم نجعل الأرض[4] مهادا﴾ أي فراشا ووطاء للحياة عليها؟ وهل يتم هذا بدون علم وقدرة والجبال أوتادا تثبت الأرض بها فيأمنون على حياتهم من الميدان وسقوط كل بناء وخلقناكم أزواجا الخلق مظهر من مظاهر القدرة والعلم وكونهم أزواجا مظهر[5] من مظاهر الحكمة والرحمة وجعلنا نومكم سباتا أي راحة لأبدانكم. وجعلنا الليل لباسا ساترا بظلامه. وجعلنا النهار معاشا للعيش كسبا له وتمتعا به. وبنينا فوقكم سبعا شدادا وهي السموات

---

(١) عن النبأ العظيم متعلق بمحذوف تقديره يتساءلون عن النبأ العظيم وهو الخبر الكبير وهو البعث بعد الموت إذ العرب فيه ما بين مصدق ومكذب، ويدل عليه السياق.
(٢) كلا حرف ردع ومعمول سيعلمون محذوف تقديره «سيعلمون» بما فيه تكذيبهم بالبعث والنبوة والتوحيد.
(٣) كلا هنا بمعنى حقاً سيعلمون صحة ما هم به مكذبوه وله منكرون.
(٤) هذا الاستئناف المبدوء باستفهام تقريري جاء لعرض مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبات إيمان به وبلقائه ونبوة رسوله وعبادته وحده دون سواه.
(٥) الزوج: هو مكرر الواحد وشاع إطلاق الزوج على كل من الذكر والأنثى فالرجل زوج لأنثاه والمرأة زوج لزوجها.

السبع الشديدة القوية البناء لا تفنى ولا تزول إلى أن يأذن هو سبحانه وتعالى بزوالها، وجعلنا سراجا وهاجا هو الشمس المشرقة المضيئة. وأنزلنا من المعصرات أي السحابات التي حان لها أن تمطر تشبيهاً لها بالجارية المعصر التي قاربت الحيض ماء ثجاجا صبابا وابلا، وذلك لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا الحب كالبر والذرة لطعامكم، والنبات كالكلأ والعشب لحيواناتكم، وجنات أي بساتين ملتفة الأشجار غنّاء بالثمار المختلف الألوان، والطعوم كل هذه المذكورات مفتقرة إلى قدرة لايعجزها شيء وعلم أحاط بكل شيء وحكمة لا يخلو منها شيء ورحمة تعم كل شيء والله وحده ذو القدرة والعلم والحكمة والرحمة فكيف ينكر توحيده ويكذب رسوله، ويستبعد بعثه للناس يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم على أعمالهم في هذه الدار وهي مختلفة منها الصالح ومنها الفاسد هل من الحكمة في شيء أن يظلم الظالمون ويفسد المفسدون، ويعدل العادلون ويصلح المصلحون ويموتون سواء ولا يكون هناك حياة أخرى يجزي فيها المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه اللهم لا لا إنه لابد من حياة أخرى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة الإلهية في كل الآيات من قوله ألم نجعل الأرض مهادا إلى قوله وجنات ألفافا.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء والنبوة والتوحيد وهي التي اختلف الناس فيها ما بين مثبت وناف، ومصدق ومكذب.

٣- سيحصل العلم الكامل بهذه المختلف فيها بين الناس عند نزع الروح ساعة الموت، ولكن لا فائدة من العلم ساعتها إذ قضي الأمر وانتهى الخلاف.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟

لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

إن يوم الفصل : أي الفصل بين الخلائق ليجزي كل امرىء بما كسب.

كان ميقاتا : أي ذا وقت محدد معين لدى الله عز وجل فلا يتقدم ولا يتأخر.

يوم ينفخ في الصور : أي يوم ينفخ اسرافيل في الصور.

فتأتون أفواجا : أي تأتون أيها الناس جماعات جماعات إلى ساحة فصل القضاء.

وفتحت السماء : أي لنزول الملائكة.

وسيرت الجبال : أي ذُهب بها من أماكنها.

فكانت سرابا : أي مثل السراب فيتراءى ماء وهو ليس بماء فكذلك الجبال.

إن جهنم كانت مرصادا : أي راصدة لهم مرصدة للظالمين مرجعا يرجعون إليها.

لابثين فيها أحقابا : أي دهورا لا نهاية لها.

لايذوقون فيها بردا : أي نوما ولا شرابا مما يشرب تلذذا به إذ شرابهم الحميم.

وغساقا : أي ما يسيل من صديد أهل النار، جوزوا به عقوبة لهم.

جزاء وفاقا : إذ لا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.

كذابا : أي تكذيبا.

فلن نزيدكم إلا عذابا : أي فوق عذابكم الذي أنتم فيه.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى آيات قدرته على البعث والجزاء الذي أنكره المشركون واختلفوا فيه ذكر في هذه الآيات عرضا وافيا للبعث الآخر وما يجري فيه، وبدأ بذكر الأحداث للانقلاب الكوني، ثم ذكر جزاء الطاغين تفصيلا فقال عز وجل ﴿إن يوم الفصل﴾ أي بين الخلائق كان ميقاتا[1] لما أعد الله للمكذبين بلقائه الكافرين بتوحيده المنكرين لرسالة نبيه فيه، يجزيهم الجزاء الأوفى، ثم ذكر تعالى أحداثا تسبقه فقال ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ أي يوم ينفخ إسرافيل نفخة البعث وهي الثانية فتأتون أيها الناس أفواجا أي جماعات. ﴿وفتحت السماء﴾ أي انشقت ﴿فكانت أبوابا﴾ لنزول الملائكة منها ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابا﴾ هباء منبثا كالسراب في نظر الرائي. وقوله تعالى

(١) قال القرطبي : أي وقتاً مجمعاً للأولين والآخرين لما وعد الله من الجزاء وسمي يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين الخلائق.

﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾[1] أي إنه بعد الحساب يأتي الجزاء وهاهي ذي جهنم قد أرصدت واعدت فهي مرصاد، مرصاد لمن؟ للطاغين المتجاوزين الحد الذي حدد لهم وهو أن يؤمنوا بربهم ويعبدوه وحده ويتقربوا إليه بفعل محابه وترك مكارهه فتجاوزوا ذلك إلى الكفر بربهم والإشراك به وتكذيب رسوله وفعل مكارهه وترك محابه هؤلاء هم الطاغون الذي أرصدت لهم جهنم فكانت لهم مرصادا ومرجعا ومآبا ﴿لابثين فيها أحقابا﴾[2] أي دهورا، ﴿لا يذوقون فيها بردا﴾[3] أي نوما لأن النوم يسمى البرد في لغة بعض العرب، ﴿ولا شرابا﴾ ذا لذة ﴿إلا حميما﴾ وهو الماء الحار ﴿وغساقا﴾ وهو ما يسيل من صديد أهل النار ﴿جزاء وفاقا﴾ أي موافقا لذنوبهم لأنه لا أعظم من الكفر ذنبا ولا من النار عذابا ثم ذكر تعالى مقتضى هذا العذاب فقال ﴿إنهم كانوا لا يرجون حسابا﴾ أي ما كانوا يؤمنون بالحساب ولا بالجزاء ولا يخافون من ذلك ﴿وكذبوا بآياتنا كذّابا﴾ أي بآياته وحججه تكذيبا زائدا. وقوله تعالى ﴿وكل شيء أحصيناه كتابا﴾ إذ كانت الملائكة تكتب أعمالهم وتحصيها عليهم فهم يتلقون جزاءهم العادل ويقال لهم توبيخا وتبكيتا وهم في أشد العذاب وأمرّه ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا﴾[4] فيعظم عندهم الكرب ويستحكم من نفوسهم اليأس. وهذا جزاء من تنكر لعقله فكفر بربه وآمن بالشيطان وعبد الهوى. والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ التنديد بالطغيان وبيان جزاء الظالمين.

٢ـ التنديد بالتكذيب بالبعث والمكذبين به.

٣ـ أعمال العباد مؤمنهم وكافرهم كلها محصاة عليها ويجزون بها.

٤ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر آثارها.

٥ـ أبديّة العذاب في الدار الآخرة وعدم امكان نهايته.

---

(١) قال الحسن: إن على النار رصداً لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجيء بجواز حُبس والمرصاد: المكان للرصد أي الرقابة.

(٢) قال القرطبي: أي ماكثين في النار ما دامت الأحقاب وهي لا تنقطع كلما مضى حقب جاء حقب والحقب بضمتين والأحقاب الدهور والحقبة بالكسرة السنة والجمع حقب قال الشاعر:

كنا كندمانَيْ جذيمة حقباً من الدهر حتى قيل لنا يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة.

(٣) من شواهد البرد بمعنى النوم قول العرب منع البرد البرد. أي منع البرد النوم ومنه قول الشاعر:

ولو شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخاً ولا بردا

(٤) قال أبو برزة سألت النبي ﷺ عن أشد آية في القرآن؟ فقال: قوله تعالى: (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا).

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ۖ فَمَن
شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

إن للمتقين : أي الذين اتقوا الشرك والمعاصي خوفا من ربهم وعذابه.

مفازا : أي مكان فوز ونجاة وهو الجنة.

حدائق وأعنابا : أي بساتين وأعنابا.

وكواعب : أي شابات تكعبت ثديهن الواحدة كاعب والجمع كواعب.

أترابا : أي في سن واحدة وأتراب جمع واحده تِرب.

وكأسا دهاقا : أي خمرا كأسها ملأى بها.

لايسمعون فيها : أي في الجنة لغوا أي باطلا ولا كذبا من القول.

عطاء حسابا : أي عطاء كثيرا كافيا يقال أعطاني فأحسبني.

يوم يقوم الروح : ملك عظيم يقوم وحده صفا والملائكة صفا وحدهم.

مآبا : أي مرجعا سليما وذلك بالإيمان والتقوى إذ بهما تكون النجاة.

ما قدمت يداه : أي ما أسلفه في الدنيا من خير وشر.

ياليتني كنت ترابا : أي حتى لا أعذب وذلك يوم يقولُ الله تعالى للبهائم كوني ترابا وذلك بعد الاقتصاص لها من بعضها بعضا.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء المستلزمة لعقيدة التوحيد والنبوة بعد أن

ذكر تعالى حال الطغاة الفجار وبين مصيرهم غاية البيان ثنّى بذكر المتقين الأبرار وبين مصيرهم وأنه جنات تجري من تحتها الأنهار فقال وقوله الحق وخبره الصدق ﴿إن للمتقين[1] مفازا﴾ أي مكان فوز ونجاح وبيّنه بقوله حدائق[2] أي بساتين وأعنابا وكواعب جمع كاعب الفتاة ينكعب ثديها أي يستدير ويرتفع كالكعب وذلك عند بلوغها وقوله في وصفهن ﴿أترابا﴾ جمع ترب أي في سن واحدة دون الثلاثين سنة ﴿وكأسا دهاقا[3]﴾ أي كأس خمر ملأى ﴿لا يسمعون﴾ أي في الجنة ﴿لغوا ولا كذابا﴾ لا قولا باطلا ولا كذبا. وقوله تعالى ﴿جزاء من ربك عطاء حسابا﴾ أي جزاهم ربهم بذلك فجعله عطاء كافيا[4] ووصف الجبار نفسه تعليما وتذكيرا فأبدل من قوله من ربك: قوله ﴿ربِّ السموات والأرض وما بينهما﴾ أي مالكهما والمتصرف فيهما ﴿الرحمن﴾ رحمان الدنيا والآخرة ورحيمها ﴿لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح﴾ ملك عظيم لا يقادر قدره وحده صفا ﴿والملائكة صفا﴾ هنا لا يملك أحد من الخلق ﴿من الرحمن خطابا﴾ وقوله ﴿لا يتكلمون﴾ بين يديه ﴿إلا من أذن له[5] الرحمن وقال﴾ قولا ﴿صوابا﴾ وفي الصحيح أن النبي محمداً ﷺ هو أول من يكلم الله عز وجل في الموقف حيث يأتي تحت العرش فيخر ساجدا فلا يزال ساجدا يحمد الله تعالى بمحامد يلهمها ساعتئذ فيقول له الرب تعالى ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقوله تعالى ﴿ذلك[6] اليوم الحق﴾ الذي لا مرية فيه ولا شك وهو يوم الفصل وبناء عليه فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا أي مرجعا إليه بالإيمان والطاعة. وقوله تعالى ﴿إنا أنذرناكم عذابا قريبا﴾ أي خوفناكم عذابا قريبا جدا يبتدىء بالموت ولا ينتهي أبدا، وذلك ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ من خير أو شر أي يرى جزاء عمله عيانا إن كان عمله خيراً جزي بمثله وإن كان شرا جزي بمثله. ﴿ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا﴾ إنه لما يرى البهائم بعد القصاص لها صارت ترابا يتمنى الكافر وهو في عذابه أن لو كان ترابا مثل البهائم ولولا العذاب وشدته ودوامه لما تمنى أن يكون ترابا أبدا.

---

(١) المتقون هم الذين اتقوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه فحافظوا بذلك على زكاة نفوسهم فاستوجبوا لذلك الجنات واستحقوها فاللام للمتقين هي لام الاستحقاق.

(٢) حدائق بدل بعض من كل والحدائق جمع ،حديقة، البستان: المحاط بجدار.

(٣) دهاقا بمعنى ملأى وهذا من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول فالدهاق كالدهق مصدر وأريد به المدهوق أي المملوء.

(٤) كافيا: تفسير كلمة حسابا إذ من أُعطِي ما يكفيه يقول حسبي.

(٥) الإذن اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل أو قول للمأذون، وهو مشتق من أذن له إذا استمع إليه. نحو: (وأذنت لربها وحقت).

(٦) هذه الجملة كالفذلكة لما تقدم من وعد ووعيد وإنذار وتبشير سيق مساق التنويه بيوم الفصل الذي هو اليوم الحق الثابت قطعا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان كرامة المتقين وفضل التقوى.

٢ـ وصف جميل لنعيم الجنة.

٣ـ ذم الكذب واللغو وأهلهما.

٤ـ بيان شدة الموقف وصعوبة المقام فيه.

٥ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٦ـ الترغيب في العمل الصالح واجتناب العمل السيء الفاسد.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مكية وآياتها ست وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ
وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

والنازعات غرقا : أي الملائكة تنزع أرواح الفجار والكفار عند الموت بشدة.

والناشطات نشطا : أي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين الصالحين نشطا أي تسلها برفق.

والسابحات سبحا : أي الملائكة تسبح من السماء بأمر الله أي تنزل به إلى الأرض.

فالسابقات سبقا : أي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

فالمدبرات أمرا : أي الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره من لدن الله المدبر الحكيم.

يوم ترجف الراجفة : أي النفخة الأولى نفخة الفناء التي يتزلزل كل شيء معها.

تتبعها الرادفة : أي النفخة الثانية.

واجفة : أي خائفة قلقة.

أئنا لمردودون في الحافرة: أي أنرد بعد الموت إلى الحياة إذ الحافرة[1] اسم لأول الأمر.

تلك إذا كرة خاسرة : أي رجعة إلى الحياة خاسرة.

فإنما هي زجرة واحدة : أي نفخة واحدة.

فإذا هم بالساهرة : أي بوجه الأرض أحياء سميت ساهرة لأن من عليها بها يسهر ولا ينام.

معنى الآيات:

قوله تعالى والنازعات غرقا[2] الآيات هذا قسم عظيم أقسم تعالى به على أنه لابد من البعث والجزاء حيث كان المشركون ينكرون ذلك حتى لايقفوا عند حد في سلوكهم فيواصلوا كفرهم وفسادهم جريا وراء شهواتهم كل أيامهم وطيلة حياتهم كما قال تعالى بل يريد الإنسان ليفجر أمامه فأقسم تعالى بخمسة أشياء وهي النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات، ورجح أنهم أصناف من الملائكة وجائز أن يكون غير[3] ذلك ولا حرج إذ العبرة بكونه تعالى قد أقسم ببعض مخلوقاته على أن البعث حق ثابت وواقع لا محالة، وتقدير جواب القسم بلتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم إذ هو معهود في كثير من الإقسام في القرآن كقوله تعالى من سورة التغابن زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير وسيتم ذلك البعث والجزاء يوم ترجف الراجفة[4] التي هي النفخة الأولى التي ترجف فيها العوالم كلها ويفنى فيها كل شيء، ثم تتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية وهي نفخة البعث من القبور أحياء وأن بين النفختين

---

(١) يقال: رجع فلان إلى حافرته أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها برجليه وهو يمشي قال الشاعر:

أحافرة على صلع وشيب   معاذ الله من سفه وعار

أي أرجع إلى حالة الشباب بعد الصلع والشيب، والشاهد في إنكاره الرجوع إلى حياته الأولى.

(٢) النازعات جمع نازعة وهي الجماعة من الملائكة والنزع هو اخراج الروح من الجسد مشبه بنزع الدلو من البئر. ولذا يقول فلان في حالة النزع للمحتضر وغرقاً اسم مصدر عدل عن المصدر الذي هو إغراقاً لمناسبة سبحا ونشطا وسبقا في الآيات ومعناه الإغراق في نزع الروح من أقصى الجسد.

(٣) إذ يرى بعضهم أنها النجوم ويرى بعضهم أنها جماعات الخيل الغازية، والرماة أو الفرسان إلا أن الراجح أنها الملائكة، فالنازعات الملائكة تنزع أرواح الكافرين والنشاطات تنشط أرواح المؤمنين نشطاً تأخذها بسرعة كما ينشط العقال من يد البعير والسابحات تسبح بأرواح المؤمنين ترفعها إلى الملكوت الأعلى، فالسابقات الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، فالمدبرات، الملائكة تقوم بتدبير ما أسند الله إليها كقبض الأرواح، وإنزال الأمطار وإرسال الرياح، ونفخ الأرواح إلى غير ذلك.

(٤) إطلاق الراجفة والرادفة على الصيحة إطلاق سائغ وهو إطلاق على مسبّبة الراجفة وهي الصيحة والرادفة التي جاءت بعدها وهي الصيحة الثانية.

أربعين سنة كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح وقوله تعالى قلوب يومئذ واجفة أي خائفة قلقة أبصارها خاشعة أي أبصار أصحاب تلك القلوب خاشعة أي ذليلة خائفة. وقوله تعالى يقولون أي منكرو البعث أئنا لمردودون في الحافرة أي أنرد بعد الموت إلى الحياة من جديد كما كنا أول مرة، أئذا كنا عظاما نخرة أي بالية مفتتة وقولهم هذا استبعاد منهم للبعث وانكار له، وقالوا تلك إذاً كرة خاسرة يعنون أنهم إذا عادوا إلى الحياة مرة أخرى فإن هذه العودة تكون خاسرة وهي بالنسبة إليهم كذلك إذ سيخسرون فيها كل شيء حتى أنفسهم كما قال تعالى قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين. وقوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة أي صيحة واحدة وهي نفخة اسرافيل الثانية نفخة البعث ﴿فإذا هم﴾ أولئك المكذبون وغيرهم من سائر الخلق بالساهرة أي وجه الأرض وقيل فيها الساهرة لأن من عليها يومئذ لا ينامون بل يسهرون أبدا. فرد تعالى بهذا على منكري البعث الآخر وقرره عز وجل بما لا مزيد عليه إعذارا وإنذارا ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان أن الله تعالى يقسم بما يشاء من مخلوقاته بخلاف العبد لا يجوز له أن يقسم بغير ربه تعالى.

٢- بيان أن روح المؤمن تنزع عند الموت نزعاً سريعا لايجد من الألم ما يجده الكافر.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بالإقسام عليها وذكر كيفية وقوعها.

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

موسى : أي موسى بن عمران عليه السلام.

بالواد المقدس طوى : أي بالواد الطاهر المبارك المسمى بطوى.

اذهب إلى فرعون : أي بأن اذهب إلى فرعون.

إنه طغى : أي تجاوز حده كعبد إلى ادعاء الربوبية والألوهية.

إلى أن تزكى : أي تسلم فتطهر من رجس الشرك والكفر بالإسلام لله تعالى.

وأهديك إلى ربك : أي أرشدك إلى معرفة ربك الحق فتخشاه وتطيعه فتنجو من عذابه.

فأراه الآية الكبرى : أي العصا واليد إذ هي من أكبر الآيات الدالة على صدق موسى.

ثم أدبر يسعى : أي بعد ما كذب وعصى رجع يجمع جموعه ويحشر جنوده لحرب موسى وقال كلمة الكفر أنا ربكم الأعلى فلا طاعة إلّا لي.

فأخذه الله نكال الآخرة والأولى: أي عذبه تعالى عذاب الآخرة وهو قوله أنا ربكم الأعلى وعذاب الأولى وهي قوله ما علمت لكم من إله غيري.

معنى الآيات:

قوله تعالى هل أتاك حديث موسى الآيات.. المقصود من هذه الآيات تسلية الرسول ﷺ وهو يعاني من تكذيب قومه له ولما جاء به من التوحيد والشرع فقص تعالى عليه طرفا من قصة موسى مع فرعون تخفيفا عليه، وتهديداً لقومه بعقوبة تنزل بهم كعقوبة فرعون الذي كان أشد منهم بطشا وقد أهلكه الله فأغرقه وجنده. فقال تعالى هل أتاك[(١)] يارسولنا حديث موسى بن عمران، إذ[(٢)] ناداه ربّه بالواد المقدس طوى أي بالواد المطهر المبارك المسمى طوى ناده فأعلمه أولا أنه لا إله إلا هو وأمره بعبادته، ثم أمره بأن يذهب إلى فرعون الوليد بن الريان ملك القبط بمصر فقال له اذهب إلى فرعون إنه طغى أي عتا وتكبر وظلم فأفحش في الظلم والفساد. وعلمه ما يقول له إذا انتهى إليه فقل هل لك إلى أن تزكى[(٣)] أي إلى أن تسلم فتزكو روحك وتطهر بالإسلام وأهديك[(٤)] إلى ربك فتخشى أي وأرشدك إلى ربك وأعرفك به فتخشى أي عقابه فتترك الظلم والطغيان قال تعالى فأراه الآية الكبرى والتي هي اليد والعصا، فكذب فرعون موسى في دعوته وعصى ربّه

---

(١) هل الاستفهام هنا صُوريٌ المراد به تشويق السامع إلى الخبر ولذا استعمل فيه هل التي هي بمعنى قد للتحقيق أي قد أتاك حديث موسى العجيب فاستمع.

(٢) إذ اسم زمان بدل اشتمال من حديث موسى.

(٣) قرأ نافع تزكى بتشديد الزاي وقرأ حفص بتخفيفها فمن شددها ادغم فيها إحدى تائي تتزكى ومن خفف حذف احدى التائين لأن أصل الفعل تتزكى بتائين.

(٤) الهداية: الدلالة على الطريق الموصل إلى المطلوب إذا سلكه المرء وصل إلى مرغوبه.

فلم يستجب له ولم يطعه فيما أمره به ودعاه إليه من الإيمان برسالة موسى وإرسال بني اسرائيل معه بعد الإسلام لله ظاهرا وباطنا. ثم أدبر فرعون أي عن دعوة الحق رافضا لها يسعى في الباطل والشر ﴿فحشر﴾ رجاله وجنده ﴿فنادىٰ﴾ أي ناداهم ليعدهم إلى حرب موسى ﴿فقال: أنا ربكم الأعلى﴾ يعني أنه لا ربّ فوقه، فأخذه الله أي عذبه نكال أي[1] عذاب الآخرة أي الكلمة وهي قوله أنا ربكم الأعلى ونكال الأولى وهي قوله ما علمت لكم من إله غيري وبين الكلمتين الخبيثتين أربعون سنة فالأولى قالها في بداية الدعوة حيث ادّعى انه بحث واستقصى في البحث واجتهد وانه بعد كل ذلك الاجتهاد لم يعلم أن للناس من قومه من إله سواه. وقوله تعالى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى[2] أي فيما قص تعالى من خبر موسى وفرعون لعبرة أي عظة لمن يخشى الله وعذاب الدار الآخرة فيؤمن ويتقي أي فيزداد إيمانا وتقوى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تسلية الداعي إلى الله تعالى وحمله على الصبر في دعوته حتى ينتهي بها إلى غاياتها.

٢ـ اثبات مناجاة موسى لربّه تعالى وأنه كلمه ربّه كفاحاً بلا واسطة.

٣ـ تقرير أن لا تزكية للنفس البشرية إلا بالإسلام أي بالعمل بشرائعه.

٤ـ لا تحصل الخشية من الله للعبد إلا بعد معرفة الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء.

٥ـ وجود المعجزات لا يستلزم الإيمان فقد رأى فرعون أعظم الآيات كالعصا واليد وما آمن.

٦ـ التنديد والوعيد الشديد لمن يدعي الربوبية والألوهية فيأمر الناس بعبادته.

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾
وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

---

(١) النكل القيد قال تعالى (إن لدينا أنكالا) جمع نكل ويطلق النكال على العذاب والهروب منه وأخذ منه فعل نكل تنكيلا أي عذبه تعذيباً فنكال الأولى أي عذاب الأولى ونكال الأخرة عذاب الآخرة كما هو مبين في التفسير.

(٢) لمن يخشى: أي يخشى الله تعالى وهو المؤمن التقي إذ مثله النفسي هو الذي يجد العظة والعبرة فيما يعرض عليه من أحداث فاصلة أما الكافر فانى له أن يسمع حتى يبصر؟

شرح الكلمات :

أأنتم أشد خلقا أم السماء؟: أي أشد خلقا.

رفع سمكها : أي غلظها وارتفاعها.

فسواها : أي جعلها مستوية سطحا واحدا ما فيها نتوء ولا انخفاض.

وأغطش ليلها : أي أظلمه جعله مظلما.

وأخرج ضحاها : أي ضوءها ونهارها.

والأرض بعد ذلك دحاها : أي بعد أن خلق الأرض خلق السماء ثم دحا الأرض أي بسطها وأخرج منها ماءها ومرعاها.

والجبال أرساها : أي أثبتها على سطح الأرض لتثبت ولا تميد بأهلها.

متاعا لكم ولأنعامكم : أي اخرج من الأرض ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم وهي المواشي من الحيوان.

معنى الآيات :

قوله تعالى أأنتم أشد[١] خلقا الآيات. . سيقت هذه الآيات الكريمة لتقرير عقيدة البعث والجزاء بايراد أكبر دليل عقلي لا يرده العاقل ابدا وهو أن السماء في خلقها وما خلق الله فيها، وأن الأرض في خلقها وما خلق الله فيها أشد خلقا وأقوى وأعظم من خلق الإنسان بعد موته فالبشرية كلها لا يساوي حجمها حجم كوكب واحد من كواكب السماء ولا سلسلة واحدة من سلاسل الجبال في الأرض فضلا عن السماء والأرض. إذاً فالذي قدر على خلق السماء وما فيها والأرض وما فيها قادر قطعا ومن باب أولى على خلق الإنسان مرة أخرى وقد خلقه أولاً فإعادة خلقه بإحيائه بعد موته أيسر وأسهل وأمكن من خلقه أولاً على غير مثال سبق، ولا صورة تقدمت، ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لا يفكرون وهذا عرض الآيات قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أيها المنكرون للبعث المكذبون به أم السماء[٢] والجواب الذي لا شك فيه هو أن السماء أشد خلقا منهم وبيان ذلك فيما يلي :

١) بناها فهي سقف للأرض مرفوعة فوقها مسوّاة فلا انفطار فيها ولا ارتفاع لبعض وانخفاضاً لبعض آخر بل هي كالزجاجة في سمتها واعتدالها في خلقها.

---

(١) الاستفهام تقريري أي الجاؤهم إلى الإقرار والاعتراف بأن خلق السماء أعظم من خلقهم إذاً كيف ينكرون البعث والحياة الثانية.

(٢) المراد بالسماء السماء الدنيا المشاهدة للناس، وإن كان لفظ السماء يطلق إطلاق أسماء الأجناس الدالة على أكثر من واحد والبناء للسماء وهو خلقها في صورة بناء رفيع.

٢) رفع سمكها[1] فإن غلظها مقدر بمسيرة خمسمائة عام.

٣) أغطش ليلها فجعله مظلما.

٤) وأخرج ضحاها فجعل نهارها مضيئا. هذه هي السماء. والأرض بعد ذلك أي بعد[2] أن خلقها أولا وقبل السماء عاد إليها فدحاها بأن بسطها للأنام وأخرج منها ماءها ففجر فيها عيونها وأخرج منهـا مرعى وهو ما يرعى من سائر الحبوب والثمار والنبات والأشجار منفعة للإنسان ولحيوانه المفتقر إليه في ركوبه[3] وطعامه وشرابه وما ذكر تعالى من مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة في الأرض لا يقل عما ذكر في السماء إن لم يكن أعظم فكيف إذاً ينكر الإنسان على ربّه أن يعيده حيًّا بعد إماتته له ليحاسبه وليجزيه إنه بدل أن ينكر يجب عليه أن يشكر، ولكن الإنسان ظلوم كفار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ بيان إفضال الله تعالى على الإنسان وإنعامه عليه.

٣ـ مشروعية الاستدلال بالكبير على الصغير وبالكثير على القليل وهو مما يعلم بداهة وبالضرورة إلا أن الغفلة أكبر صارف وأقوى حايل فلابد من إزالتها أولا.

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ
الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ

(١) السمك يفتح السين وتسكين الميم الرفع في الفضاء، وهو مصدر سمك إذا رفع والسمك محرك السين والميم الحوت المعروف واحده سمكة كبقرة.

(٢) اختلف في أيها خلق الله تعالى أولاً الأرض أم السماء والراجح أنها الأرض أولا لقوله (قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض... إلى قوله ثم استوى إلى السماء) الآية من سورة فصلت. وطريق الجمع كما في التفسير خلق الأرض أولاً ثم السموات ثم عاد إلى الأرض فدحاها بمعنى أخرج منها ماءها ومرعاها أي أعدها إعداداً خاصاً لحياة الإنسان والحيوان وهو المراد من قوله دحاها إذ الدحو البسط والتسوية والترتيب.

(٣) إذ هو المراد من قوله تعالى في الآية (ولأنعامكم) التي هي الإبل والبقر والغنم فالإبل يُركب ظهرها، ويشرب لبنها ويؤكل لحمها.

﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

الطامة الكبرى : أي النفخة الثانية وأصل الطامة الداهية التي تعلو على كل داهية.

ما سعى : أي ما عمل في الدنيا من خير وشر.

فأما من طغى : أي كفر وظلم.

وآثر الحياة الدنيا : أي باتباع الشهوات.

فإن الجحيم هي المأوى : أي النار مأواه.

مقام ربه : أي قيامه بين يديه ليسأله عما قدم وأخر.

ونهى النفس عن الهوى : أي المردى المهلك باتباع الشهوات.

فإن الجنة هي المأوى : أي مأواه الذي يأوي إليه بعد الحساب.

عن الساعة : أي القيامة للحساب والجزاء.

أيان مرساها : أي متى وقوعها وقيامها.

فيم أنت من ذكراها : أي في أي شيء من ذكراها أي ليس عندك علمها حتى تذكرها.

إلى ربك منتهاها : أي منتهى علمها إلى الله وحده فلا يعلمها سواه.

لم يلبثوا : أي في قبورهم.

إلا عشية أو ضحاها : أي عشية يوم أو ضحى تلك العشية.

معنى الآيات :

بعد أن بين تعالى مظاهر قدرته في حياة الناس وما خلق لهم فيها تدليلا على البعث والجزاء وذكر في هذه الآيات مظاهر قدرته في معادهم تدليلا على قدرته على بعثهم بعد موتهم ومحاسبتهم ومجازاتهم فقال عز من قائل ﴿فإذا[1] جاءت الطامة الكبرى﴾ أي القيامة وسميت بالطامة الكبرى لأنها تطم على[2] كل شيء ولا يعظمها شيء لا ريح عاد ولا صيحة ثمود ولا رجفة يوم الظلة. ﴿يوم

---

(١) فالفاء للتفريع عما تقدم إن تقدم مظاهر قدرته في الكون والحياة تدليلاً على قدرته على البعث والجزاء ففرع عنه بيان أحوال البعث وما يجري فيه تقريراً له ووقوفاً بالمنكرين له على مصيرهم فيه مبالغة في طلب هدايتهم وإقامة الحجة عليهم.

(٢) أصل الطامة الحادثة التي تطم أي تلو وتغلب أمثالها من الأحداث الجسام والمراد بها هنا القيامة، قال سفيان الطامة هي الساعة التي يسلم فيها أهل النار للزبانية قال الشاعر:

إن بعض الحب يعمي ويصم ... وكذاك البغض أدهى وأطم

يتـذكـر الإنسـان ما سعى﴾ من خير أو شر لأنـه أيقن انه محاسب ومجزيّ بعمله. ﴿وبرّزت الجحيم﴾ أي أبرزها فظهرت لمن يراها لا يخفيها شيء. والناس بعد ذلك مؤمن وكافر والطريق طريقـان طريق جنة وطريق نار. ﴿فأما من طغى﴾ أي عتا عن أمر ربّه فعصاه ولم يطعه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه. ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾ على الآخرة فعمل للدنيا وصرف كل جهده وطاقته لهـا، ولم يعمـل للآخـرة فمـا صام ولا صلى ولا تصـدق ولا زكى ﴿فـإن الجحيم هي المأوى﴾ أي مأواه ومستقره ومثواه شرابه الحميم وطعامه الزقوم﴿ وأما من خاف مقام ربّه﴾ وهو الوقوف بين يديه لمساءلته ومجازاته فأدى الفرائض واجتنب النواهي، ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ أي نفسه عن هواها فلم يجبها في هوى يبغضه الله ولم يطعها في شيء حرمه الله فإن الجنة دار السلام والأبرار والمتقين الأخيار هي مأواه ولنعم المـأوى هي حيث العيون الجـارية والسرر المرفوعة والأكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة والكواعب العرب الأتراب ولقاء الأحباب.(١) وقوله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها أي يسألك يارسولنا المنكرون للبعث عن الساعة أي قيامها ومتى رسوها وثبوتها وهي كالسفينة سائرة ليل نهار متى ترسو؟ فيمَ(٢) أي في أي شيى أنت من ذكراها أي ليس عندك علمها فتـذكـرهـا لهم إلى ربك وحده علم وقت مجيئها وساعة رسوها لتنقل الناس من دنياهم إلى آخرتهم، وبذلك تنتهي رحلتهم ويستقر قرارهم. وينتهي ليلهم ونهارهم. وقوله تعالى إنما أنت منذر من يخشاها أي ليس إليك يارسولنا علمها ولا منتهى أمرها إنما أنت مهمتك غير ما يطلب منك إنها انذار من يخشى الساعة ويخاف حلولها لإيمانه بها وبما يكون فيها من نعيم وجحيم أما من لا يؤمن بها فهو لايخافها وسؤاله عنها سؤال استهزاء، فلا تحفل بهم ولا تهتم لهم فإنهم يوم يرونها كأن لم يلبثوا في دنياهم هذه وقبورهم إلا عشية أو ضحاها أي عشية يوم أو ضحى تلك العشية لما يستقبلون من أهوال الموقف وفظائع العذاب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالها وصفاتها.

٢ـ الناس يوم القيامة مؤمن تقيّ في الجنة، وكافر وفاجر في النار.

٣ـ بيان استئثار الله تعالى بعلم الغيب والساعة.

٤ـ بيان أي الشدائد ينسى بعضها بعضا فإن عذاب القبر يهون أمام عذاب النار.

---

(١) كل ما ذكر من قولنا العيون إلى لقاء الأحباب هو من القرآن. يروى أن بلالاً وهو في سياقة الموت يغمى عليه فإذا أفاق ووجد امرأته تبكي: يقول لها لا تبكي: غدا ألقى الأحبه محمداً وصحبه

(٢) اسم استفهام أريد به الإنكار مشوباً بالتعجب من إلحاح المشركين على الرسول ﷺ أن يعين لهم وقتها.

سُورَةُ عَبَسَ

مكيـة وآياتها ثنتان وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾
وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ
عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ
﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾

شـــرح الكلمـات :

عبس : أي النبي ﷺ بمعنى كلح وجهه وتغيّر.

وتولى : أي أعرض.

أن جاءه الأعمى : أي لأجل أن جاء عبدالله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به من دعوة بعض أشراف قريش للإسلام.

لعله يزكى : أم يتطهر من الذنوب.

أو يذكر : أي يتعظ.

فتنفعه الذكرى : أي الموعظة.

وأما من استغنى : عن الإيمان والعلم والدين بالمال والجاه.

فأنت له تصدى : أي تقبل عليه وتتصدى له.

وما عليك ألا يزكى : أي ليس عليك بأس في عدم تزكيته نفسه بالإسلام.

يسعى : أي في طلب الخير من العلم والهدى.

فأنت عنه تلهى : أي تشاغل.

كلا : أي لا تعد لمثل ذلك.

إنها تذكرة : أي الآيات عظة للخلق.

مكرمة	: أي عند الله.
مرفوعة	: أي في السماء.
مطهرة	: أي منزهة عن مس الشياطين.
بأيد سفرة	: كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ.
كرام بررة	: مطيعين لله وهم الملائكة.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾[1] هذا عتاب لطيف يعاتب به الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا ﷺ فالذي عبس بمعنى قطب وجهه وأعرض هو رسول الله ﷺ والأعمى الذي لأجله عبس رسول الله وأعرض عنه هو عبدالله بن أم مكتوم الأعمى أحد المهاجرين ابن خال خديجة بنت خوليد أم المؤمنين. وسبب هذا العتاب الكريم أن رسول ﷺ كان في مكة يوما ومعه صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبدالمطلب، وأميّة بن خلف يدعوهم إلى الإسلام مجتهدا معهم يرغبهم ويرهبهم طمعا في إسلامهم فجاء عبد الله بن أم مكتوم ينادي يارسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك مرارا فانزعج لذلك رسول الله ﷺ فكره رسول الله ﷺ قطعه لحديثه مع القوم فعبس وتولى عنه لايجيبه، وما إن عاد النبي ﷺ إلى منزله حتى نزلت هذه الآيات ﴿عبس وتولى﴾ أي قطب وأعرض ﴿أن[3] جاءه الأعمى وما يدريك﴾ أي وما يعلمك أنه ﴿يزكى﴾[4] بما يطلب من القرآن والسنة أي يريد زكاة نفسه وتطهير روحه بما يتعلمه منك، أو يذكر فتنفعه الذكرى. أي وما يعلمك لعله بندائه لك وطلبه منك أن يتذكر بما يسمع منك فيتعظ به وتنفعه الذكرى منك. وقوله تعالى ﴿أما من استغنى﴾ أي عن الإيمان والإسلام وما عندك من العلم بالله والمعرفة استغنى بماله وشرفه في قومه ﴿فأنت له تصدّى﴾[5] أي تتعرض له مقبلا عليه ﴿وما عليك ألّا يزكى﴾ أي وأي شيء يلحقك من الأذى إن لم يتزكّ ذاك المستغنى عنك بشرفه وماله. وكرر تعالى العتاب بالكلمات العذاب[6] فقال ﴿وأما من جاءك يسعى وهو

---

(١) عبس: أي النبي ﷺ ومعنى عبس قطب ما بين عينيه كراهية لما نابه وحصل له مما أزعجه.

(٢) انظر مضمون هذه الآية في قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي.. الآية وأخرى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية. الأولى من سورة الأنعام والثانية من الكهف.

(٣) أن جاءه الأعمى: مجرور بحرف جر محذوف وهو اللام أي لأن جاءه وهذا الحذف مطرد وأصل التركيب لأجل مجيء الأعمى له.

(٤) يزكى أصلها يتزكى أي يطلب التزكية لنفسه فأدغمت التاء في الزاي فصارت يزكى.

(٥) قرأ نافع تصدى بتشديد الصاد والدال معاً، وقرأ حفص بتخفيف الصاد، فمن شدد أدغم إحدى التائين في الصاد ومن خفف حذفها.

(٦) العذاب: جمع عذبه بمعنى الحلوة الطيبة إذ كل حلو طيب هو عذب.

يخشى﴾ جاءك مسرعا يجري وراءك يناديك بأحبِّ الأسماء إليك يارسول الله والحال انه يخشى الله تعالى ويخاف عقابه فلذا هو يطلب ما يزكي به نفسه ليقيها العقاب والعذاب ﴿فأنت عنه تلهى﴾[1] أي تتشاغل بغيره ﴿كلا﴾ أي لا تفعل مثل هذا مرة أخرى. وقوله تعالى ﴿إنها تذكرة﴾ أي هذه الآيات وما تحمل من عتاب حبيب إلى حبيب موعظة ﴿فمن شاء﴾ من عباد الله ﴿ذكره﴾ أي ذكر هذا الوحي والتنزيل ﴿في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة﴾ مكرمة عند الله تعالى مرفوعة في السماء مطهرة منزهة عن مس الشياطين لها ﴿بأيدي سفرة كرام بررة﴾ أي مطيعين لله صادقين هم الملائكة كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ وما أقرب هذا الوصف من مؤمن كريم النفس طاهر الروح يحفظ كتاب الله ويعمل به بيده مصحف يقرأه ويرتّل كلام الله فيه وقد جاء في الصحيح[2] أن هذا العبد الذي وصفت مع السفرة الكرام البررة. اللهم اجعلني منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان مقام النبي ﷺ وأنه أشرف مقام وأسماه دل على ذلك أسلوب عتاب الله تعالى له حيث خاطبه في أسلوب شخص غائب حتى لا يواجهه بالخطاب فيؤلمه فتلطف معه، ثم أقبل عليه بعد أن أزال الوحشة يخاطبه وما يدريك.

٢- إثبات ما جاء في الخبر أدبني ربي فأحسن تأديبي فقد دلت الآيات عليه.

٣- بلغ رسول الله ﷺ بتأديب ربّه له مستوى لم يبلغه سواه، فقد كان إذا جاءه ابن أم مكتوم يوسع له في المجلس ويجلسه إلى جنبه ويقول له مرحبا بالذي عاتبني ربي[3] من اجله وولاه على المدنية مرات، وكان مؤذناً له في رمضان.

٤- استحالة كتمان الرسول ﷺ لشيء من الوحي فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لو كان للرسول أن يكتم شيئا من وحي الله لكتم عتاب الله تعالى له في عبس وتولى.

---

(١) تلهى: أصلها تتلهى حذفت إحدى التائين تخفيفاً، وتلهى تطلب التلهي أو حصل له وهو الانشغال بشيء وترك الآخر.

(٢) في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأه وهو يتعاهده وهو عليه شاق شديد فله أجران.

(٣) قال الثوري فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول: هل من حاجة؟ واستخلفه بالمدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال أنس فرأيته يوم القادسية راكباً وعليه درع وراية سوداء.

قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ
مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ
ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا
﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾
وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ
وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

قتل الإنسان : لعن الإنسان الكافر.

ما أكفره[1] : أي ما حمله على الكفر؟ .

من أي شيء خلقه : من نطفة خلقه.

فقدّره : أي من نطفة إلى علقة إلى مضغة فبشر سويّ .

ثم السبيل يسره : أي سبيل الخروج من بطن امه .

إذا شاء أنشره : أي إذا شاء إحياءه أحياه .

كلا : حقا أو ليس الأمر كما يدعي الإنسان أنه أدى ما عليه من الحقوق.

لما يقض ما أمره : أي ما كلفه به من الطاعات والواجبات في نفسه وماله.

إلى طعامه : أي كيف قدر ودبر له .

حبا وعنبا : أي الحب الحنطة والشعير والعنب هو المعروف .

وقضبا : أي القت الرطب وسمي قضبا لأنه يقضب أي يقطع مرة بعد مرة.

وحدائق غلبا : أي كثيرة الأشجار والواحدة غلباء كحمراء كثيفة الشجر.

وفاكهة وأبا : أي ما يتفكه به من سائر الفواكه والأب التبن وما ترعاه البهائم.

متاعا لكم ولأنعامكم : أي ما تقدم ذكره منفعة لكم ولأنعامكم التي هي الإبل والبقر والغنم.

---

(١) جائز أن تكون ما تعجبية إذ من عادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا فيه قاتله الله ما أحسنه أو ما أقبحه أو ما أجراه مثلا. أي أعجبوا لخلقه من نطفة مع كفره بربه .

معنى الآيات:

بعدما عاتب الربّ تبارك وتعالى رسوله على انشغاله بأولئك الكفرة المشركين وإعراضه عن ابن أم مكتوم الأعمى فكان أولئك المشركون هم السبب في إعراض الرسول ﷺ عن ابن أم مكتوم وفي عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ فاستوجبوا لذلك لعنة الله تعالى عليهم لكفرهم وكبريائهم جَرَّدَ الله تعالى شخصا منهم غير معلوم والمراد كل كافر متكبر مثلهم فقال ﴿قتل الإنسان﴾ أي الكافر ﴿ما اكفره﴾ أي ما حمله على الكفر والكبر. فلينظر ﴿من أي شيء خلقه﴾ ربّه الذي يكفر به؟ إنه خلقه من نطفة قذرة ﴿خلقه فقدره﴾ أي أطوارا نطفة فعلقة فمضغة. أمن كان هذا حاله يليق به أن يكفر ويتكبر ويستغني عن الله؟ فلينظر إلى مبدئه ومنتهاه وما بينهما مبدأه نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة. وهو بينهما حامل عذرة. كيف يكفر وكيف يتكبر؟ وقوله تعالى ﴿ثم السبيل يسره﴾ فلولا أن الله تعالى يسر له طريق الخروج من بطن أمه والله ما خرج. ﴿ثم أماته﴾ بدون استشارته ولا أخذ رأيه ﴿فأقبره﴾[1] هيأ له من يقبره وإلا لأنتن وتعفن وأكلته الكلاب، ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾[2] ﴿كلا﴾[3]. أما يصحو هذا المغرور أما يفيق هذا المخدوع. ﴿لما يقض ما أمره﴾ فما له لا يقضي ما أمره ربّه من الإيمان به وطاعته ﴿فلينظر (هذا) الإنسان إلى طعامه﴾[4] الذي حياته متوقفة عليه كيف يتم له بتقدير الله تعالى وتدبيره لعله يذكر فيشكر ﴿إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا﴾ كالبر والشعير والذرة وسائر الحبوب المقتاتة وعنبا يأكله رطبا ويابسا ﴿وقضبا﴾ وهو القت الرطب يقضب أي يقطع مرة بعد مرة وهو علف البهائم، ﴿وزيتونا﴾ يأكله حبا ويدهن به زيتا ﴿ونخلا﴾ يأكله ثمرة بسرا ورطبا وتمرا ﴿وحدائق غلبا﴾ أي بساتين ملتفة الأشجار كثيرتها الواحدة غلباء[5] ﴿وفاكهة وأبا﴾ الفاكهة لكم والأب علف لدوابكم ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ أي هذه المذكورات بعضها متاعا لكم أي منافع تتمتعون بها وبعضها لأنعامكم وهو القضب والأب منفعة لها تعيش عليها فبأي وجه تكفر ربك يا أيها الإنسان الكافر؟.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي مقتضية للإيمان به وبآياته ورسوله ولقائه.

---

(١) يقال قبره إذا دفنه وأقبره إذا هيأ له من يقبره.

(٢) أنشره ونشره بمعنى واحد أي أحياه بعد موته وسيشاء ذلك فينشره يوم القيامة للحساب والجزاء.

(٣) لأهل العلم في حقيقة (كلا) هذه كلام طويل واختلاف كبير والراجح أنها كما هي الغالب فيها أنها للردع أي ردع له على كفره واستمرار غفلته وإعراضه وجهله وعدم علمه، وجملة لما يقض بيانية أي بيان علة كفره وعناده وهي انه لم يقض ما أمر به من النظر والتأمل ولو فعل ذلك لعرف واهتدى، ومن هنا أمره أن ينظر إلى طعامه.

(٤) هناك لطيفة تستشف من هذه الآية وهي أن طعام الإنسان كالمثل للدنيا في مبدئها ومنتهاها فإن طعامه وإن ملحه وفلفله فإنه يصير إلى عذرة منتنة.

(٥) يقال للأسد الأغلب لأنه مصمت العنق لا يلتفت إلا جمعاً.

٢ـ الاستدلال بالصنعة على الصانع. وأن أثر الشيء يدل عليه، ولذا يتعجب من كفر الكافر بربه وهو خلقه ورزقه وكلأ حياته وحفظ وجوده إلى أجله.
٣ـ بيان أن الإنسان لا يزال مقصراً في شكر ربّه ولو صام الدهر كله وصلى في كل لحظة من لحظاته.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

شرح الكلمات:

فإذا جاءت الصاخة : أي النفخة الثانية.
وصاحبته : أي زوجته.
شأن يغنيه : أي حال تشغله عن شأن غيره.
مسفرة : أي مضيئة.
عليها غبرة : أي غبار.
ترهقها قترة : أي ظلمة من سواد ومعنى ترهقها تغشاها.
الكفرة الفجرة : أي الجامعون بين الكفر والفجور.

معنى الآيات:

بعدما بين تعالى بداية أمر الإنسان في حياته ومعاشه فيها ذكر تعالى معاده ومآله فيهافقال عز من قائل ﴿فإذا[1] جاءت الصاخة﴾ وهي القيامة ولعل تسميتها بهذا الاسم الصاخة نظرا إلى نفخة الصور التي تصخ الآذان أي تصمها بمعنى تصيبها بالصمم لشدتها. وهي النفخة الثانية وقوله تعالى ﴿يوم يفر المرء من أخيه[2] وأمه وأبيه وصاحبته﴾ أي زوجته ﴿وبنيه﴾ وهؤلاء أقرب الناس إليه

(١) الفاء للتفريع هذا الكلام متفرع على ما قبله كما في التفسير انه بعد أن ذكر الإنسان بمبدأ خلقه ومنتهى حياته في الدنيا فرع على ذلك بيان حياته الآخرة ومصيره فيها.
(٢) قال بعضهم أول من يفر يفر قابيل من أخيه هابيل، وقال الحسن أول من يفر يوم القيامة ابراهيم يفر من أبيه ونوح من ابنه ولوط من امرأته.

ومع هذا يفر عنهم أي يهرب خشية أن يطالبوه بحق لهم عليه فيؤخذ به. وقوله تعالى ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن﴾ أي حال وأمر ﴿يغنيه﴾ عن السؤال عن غيره ولو كان أقرب قريب إليه.[1]

هنا ورد أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ قائلة يا نبيّ الله كيف يحشر الرجال؟ قال حفاة عراة، ثم انتظرت ساعة فقالت يا نبيّ الله كيف يحشر النساء؟ قال كذلك حفاة عراة قالت واسوأتاه من يوم القيامة: قال وعن ذلك تسألين إنه قد نزلت عليّ آية لا يضرك كان عليك ثياب أم لا قالت أي آية هي يا نبيّ الله قال ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾. وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾[2] أي مضيئة مشرقة ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ وهي وجوه المؤمنين والمؤمنات أهل التقوى وجوههم حسنة مشرقة بالأنوار مستبشرون بالقدوم على ربهم والنزول بجواره الكريم. ﴿ووجوه يومئذ﴾ أي تقوم القيامة ويحشر الناس لفصل القضاء ﴿عليها غبرة﴾ أي غبار ﴿ترهقها﴾ أي تغشاها ﴿قترة﴾. أي ظلمة وسواد أولئك أي الذين عليهم الغبرة وتغشاهم القترة هم ﴿الكفرة﴾ في الدنيا ﴿الفجرة﴾ فيها الذين عاشوا على الكفر والفجور وماتوا على ذلك والفجور هو الخروج عن طاعة الله تعالى بترك الواجبات وغشيان المحرمات كالربا والزنا وسفك الدماء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان شدة الهول يوم القيامة يدل عليه فرار المرء من أقربائه.

٢ـ خطر التبعات على العبد يوم القيامة وهي الحقوق التي يطالب بها العبد يوم القيامة.

٣ـ شدة الهول والفزع تنسي المرء يوم القيامة أن ينظر إلى عورة أحد من أهل الموقف.

٤ـ ثمرة الإيمان والتقوى تظهر في الموقف نورا على الوجه وإشراقا له وإضاءة وثمرة الكفر والفجور تظهر ظلمة وسوادا على الوجه وغبارا.

٥ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض صورة من صورها.

---

(١) روى الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أينظر بعضنا بعضا؟ قال يا فلانة لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه. غرلاً: جمع أغرل وهو من لم تؤخذ غلفة ذكره بالختان.

(٢)مسفرة من طول قيام الليل والضرب في سبيل الله يقال أسفر الصبح إذا أضاء وأسفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

مكية وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

إذا : أي ظرف لما ذكر بعد من المواضع الأثنى عشر، وجوابها علمت نفس ما أحضرت.

كورت : أي لفت وذهب بنورها.

انكدرت : أي انقضت وتساقطت على الأرض.

سيرت : ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا.

وإذا العشار : أي النوق الحوامل.

عطلت : أي تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر.

الوحوش حشرت : أي جمعت وماتت.

وإذا البحار سجرت : أي أوقدت فصارت نارا.

وإذا النفوس زوجت : أي قرنت بأجسادها ثم بقرنائها وأمثالها في الخير والشر.

وإذاالموءودة : أي البنت تدفن حية خوف العار أو الحاجة.

سئلت : أي تبكيتا لقاتلها.

بأي ذنب قتلت : أي بلا ذنب.

وإذا الصحف نشرت : أي صحف الأعمال فتحت وبسطت.

وإذا السماء كشطت : أي نزعت من أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة.
وإذا الجحيم سعرت : أي النار أججت.
وإذا الجنة أزلفت : أي قربّت لأهلها ليدخلوها.
علمت نفس ما أحضرت : أي كل نفس وقت هذه المذكورات ما أحضرت من خير وشر.

معنى الآيات:

قوله تعالى إذا الشمس كورت إلى قوله علمت نفس ما أحضرت اشتمل على اثنى عشر حدثا جللا، ستة أحداث منها في الدنيا وستة في الآخرة وكلها معتبرة شرطا لجواب واحد وهو قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت أي من خير وشر لتجزي به والسياق كله في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي انكرها العرب المشركون وبالغوا في إنكارها مبالغة شديدة وكونها عليهامدار إصلاح الفرد والجماعة وأنه بدونها لا يتم إصلاح ولا تهذيب ولا تطهير عُنِيَ القرآن بها عناية فائقة ويدل لذلـك أن فواتح سور والصافات والذاريات والطور والمرسلات والنازعات والتكوير والانفطار والانشقاق والبروج والفجر كل هذه بما فيها من إقسامات عظيمة هي لتقرير عقيدة البعث والجزاء.

وهذه الأحداث الستة التي تقع في الدنيا وهي مبادىء الآخرة:

١) تكوير[1] الشمس بلفها وذهاب ضوئها.
٢) انكدار[2] النجوم بانقضائها وسقوطها على الأرض.
٣) تسيير الجبال بذهابها عن وجه الأرض واستحالتها إلى هباء يتطاير.
٤) تعطيل العشار[3] وهي النوق الحوامل فلا تحلب ولا تركب ولا ترعى لما أصاب أهلها من الهول والفزع وكانت أفضل أموالهم وأحبها إلى نفوسهم.
٥) حشر الوحوش وموتها وهي دواب البر قاطبة.
٦) تسجير[4] البحار باشتعالها نارا.

وهذه الأحداث الستة التي تقع في الآخرة:

---

(١) قال أبو عبيدة: كورت مثل تكوير العمامة فتلف وقال الربيع كورت ورمي بها.
(٢) انكدرت تهافتت وتناثرت، وقال أبو عبيدة انصبت كما ينصب العقاب إذا انكسر قال العجاج يصف صقراً:
أبصر خربان فضاء فانكدر   تقضّي الباز إذا البازي كَسَر
(٣) العشار واحدها عشراء وهي التي مضى على حملها عشرة أشهر ثم لا يزال اسمها كذلك حتى تضع.
(٤) أو جائز أن يكون تسجير البحار فيضانها بتجاوز مياهها معدل سطوحها، وجائز أن تشتعل فيها النار فتحترق، وظاهرة وجود البترول تحت سطحها تدل على أنها تحترق وتُسَجَّرُ كما يُسَجَّرُ التنور.

١) تزويج النفوس وهو قرنها بأجسادها بعد خلق الأجساد لها، وبعد ذلك بأمثالها في الخير والشر.
٢) سؤال الموءودة[١] عن ذنبها الذي قتلت به؟
٣) نَشْرُ صحف الأعمال وفتحها وبسطها.
٤) كشط[٢] السماء أي نزعها من أماكنها نزع الجلد عن الشاة عند سلخها.
٥) تسعير النار أي تأجيجها وتقويتها.
٦) إزلاف الجنة وتقريبها لأهلها أهل الإيمان والتقوى.

وجواب هذه الأحداث التي وقعت شرطا لحرف «إذا» هو قوله تعالى علمت نفس[٣] ما أحضرت من حسنات فتصير بها إلى الجنة، أو سيئات فتصير بها إلى النار. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول و عمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول و عمل.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ بيان مفصل عن مبادىء القيامة، وخواتيمها وفي حديث الترمذي الحسن الذي قال فيه رسول الله ﷺ من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت.

٣ـ الترغيب في الإيمان والعمل الصالح إذ بهما المصير إلى الجنة.

٤ـ الترهيب من الشرك والمعاصي إذ بهما المصير إلى النار.

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ

(١) الوأد: دفن الطفلة وهي حية، وكان العرب في الجاهلية يئدون البنات خشية العار، ويقتلون أولادهم خشية الفقر أو لنذرهم إياهم للآلهة.
(٢) الكشط إزالة الإهاب «الجلد» عن الحيوان الميت.
(٣) روي أن عمر رضي الله عنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أجريت القصة.

﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات:

الخنس : أي التي تخنس بالنهار أي تختفي وتظهر بالليل.

الجواري الكنس : أي التي تجري أحيانا وتكنس في مكانسها أحيانا أخرى والمكانس محل إيوائها كمكانس بقر الوحش وهي الدرارى الخمسة عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل.

إذا عسعس : أي أقبل أو أدبر لأن عسعس من أسماء الأضداد.

تنفس : أي امتد حتى يصير نهاراً بيّناً.

إنه : أي القرآن.

لقول رسول كريم : أي جبريل كريم على الله تعالى وأضيف إليه القرآن لنزوله به.

ذو قوة : أي شديد القوى.

عند ذي العرش مكين : أي عند الله تعالى ذي مكانة.

مطاع ثم أمين : أي مطاع في السماء تطيعه الملائكة أمين على الوحي.

وما صاحبكم بمجنون : أي محمد ﷺ أي ليس به جنون.

ولقد رآه بالأفق المبين : أي ولقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها بالأفق الأعلى البيّن من ناحية المشرق.

وما هو على الغيب : أي وما محمد ﷺ على الغيب وهو ما غاب من الوحي وخبر السماء.

بضنين : أي بمتهم وفي قراءة بالضاد أي ببخيل فينقص منه ولا يعطيه كله.

وما هو بقول شيطان رجيم : أي وليس القرآن بقول شيطان مسترق للسمع مرجوم.

فأين تذهبون : أي فأيّ طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه.

ما هو إلا ذكر للعالمين : أي ما القرآن إلا موعظة للإنس والجن.

أن يستقيم : أي يتحرى الحق ويعتقده ويعمل بمقتضاه.

وما تشاءون إلا أن يشاء الله : أي ومن شاء الاستقامة منكم فإنه لم يشأها إلا بعد أن شاءها الله قبله إذ لو لم يشأها الله ما أشاءها عبده.

معنى الآيات:

لما قرر تعالى عقيدة البعث والجزاء بوصف كامل لأحداثها وكان الوصف من طريق الوحي فافتقر الموضوع إلى صحة الوحي والإيمان به فإذا صح الوحي وآمن به العبد آمن بصحة البعث والجزاء. ومن هنا أقسم تعالى بأعظم قسم على أن القرآن نزل به جبريل على محمد ﷺ وما يقوله محمد ﷺ هو كلام الله ووحيه وليس هو بمجنون يقول مالا يدري ويهذر بما لايعني ولا هو بقول شيطان رجيم ممن يسترقون السمع ويلقونه إلى إخوانهم من الكهان بل هو كلام الله صدقا وحقا وما يخبر به هو كما يخبر صدق وحق فقال تعالى فلا أي ليس(١) الأمر كما تدعون بأن ما يقوله رسولنا هو من جنس ما تقوله الكهنة. ولا مما يقوله الشعراء، ولا هو بكلام مجانين. ولا هو سحر الساحرين أقسم بالخنس الجواري الكنس أي بكل ما يخنس ويجري ويكنس من الظباء وبقر الوحش والكواكب والدراري الخمسة عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل. والمراد من الخنوس الاختفاء والكنوس إيواءها إلى مكانسها مواضع(٢) إيوائها. وقوله والليل إذا عسعس أي أقسم بالليل إذا أقبل أو أدبر إذ لفظ عسعس بمعنى أقبل وأدبر فهو لفظ مشترك بين الإقبال والإدبار والصبح إذا تنفس أي امتد ضوءه فصار نهاراً بينا أقسم بكل هذه المذكرات على أن القرآن الذي يصف لكم البعث والجزاء حق الوصف هو قول رسول كريم أي جبريل الكريم على ربّه ذي قوة لايقادر قدرها فلا يقدر إنس ولا جن على انتزاع ما عنده من الوحي ولا على زيادة فيه أو نقص منه. عند ذي العرش سبحانه وتعالى مكين أي ذي مكانة محترمة مطاع في السموات أمين على الوحي هذا أولا وثانيا والله وما صاحبكم محمد ﷺ بمجنون كما تقولون ولقد رآه أي رأى محمد ﷺ جبريل بالأفق المبين رآه على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح رآه بالأفق ناحية الشرق وقد سد الأفق كله، والأفق بيّن والنهار طالع. وما هو أي محمد ﷺ على الغيب بضنين (٣) أي بمظنون فيه التهمة بأن يزيد فيه أو ينقص منه أو يبدل فيه أو يغير كما هو ليس ببخيل فيظن فيه أنه يكتم منه شيئا أو يخفيه بخلا به أو ينقص منه شحا به وبخلا. وما هو بقول شيطان رجيم ممن يسترقون السمع ويلقونه إلى أوليائهم من الإنس فيخلطون فيه ويكذبون. وقوله تعالى

(١) فلا أقسم الفاء للتفريع أي لتفريع الكلام اللاحق على السابق وجائز أن تكون لا مزيدة لتقوية القسم، وكونها نافية رداً عل باطل المشركين أو لا كما في التفسير.

(٢) الخنس جمع خانسة وهي التي تخنس. أي تختفي، والكنس جمع كانسة: كنس الظبي إذا دخل كناسه بكسر الكاف وهو البيت الذي يتخذه للمبيت، وقيل الكنوس أن تأوي إلى مكانسها وهي المواضع التي تأوي إليها الوحوش والظباء. قال الأعشى:

فلما أتينا الحي أتلع أنَس كما أتلعت تحت المكانس ربرب

(٣)قريء في السبع بظنين بالظاء ومعناه بمتهم من ظننت كذا وقريء بضنين بالضاد بمعنى بخيل ولذا شرحت الآية مراعياً فيها القراءتين وكلا المعنيين صحيح فلا هو ﷺ بمتهم على الوحي ولا ببخيل به ولا بغيره.

فأين تذهبون[1] ينكر عليهم مسلكهم الشائن في تكذيب رسوله محمد ﷺ واتهامه بالسحر، والقرآن بالشعر والكهانة والأساطير. وقوله إن هو إلا ذكر للعالمين أي ما القرآن الكريم إلا ذكر للعالمين من الإنس والجن يذكرون به خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم وما له عليهم من حق العبادة وواجب الشكر ويتعظون به فيخافون ربهم فلا يعصونه بترك فرائضه عليهم ولا بارتكاب ما حرمه عليهم وقوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم على منهاج الحق فيتحرى الحق أولا ويؤمن به ويعمل بمقتضاه ثانيا. ولما سمع أبو جهل هذه الآية ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم. أنزل تعالى قوله ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله ربّ العالمين﴾ فاكبت اللعين فاعلم أن من شاء الاستقامة من العالمين لم يشأها إلا بعد أن شاءها الله تعالى له ولو لم يشأها الله تعالى والله ما شاءها العبد أبدا إذ مشيئة الله سابقة لمشيئة العبد، وفي كل ما يشاؤه الإنسان فإن مشيئة الله سابقة لمشيئته لأن الإنسان عبد والله رب والرب لا مشيئة تسبق مشيئته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- مشروعية الإقسام بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

٢- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٣- بيان صفات جبريل الكمالية الأمانة، القوة، علو المكانة، الطاعة، الكرم.

٤- براءة الرسول مما اتهمه به المشركون.

٥- بيان أن مشيئة الله سابقة لمشيئة العبد. فلا يقع في ملك الله تعالى إلا ما يريد.

سُورَةُ الانفِطَارِ

مكية وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

---

(١) فأين الفاء لتفريع التوبيخ وأين اسم استفهام عن المكان والاستفهام إنكاري.

وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى
خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

شــرح الكلمــات:

إذا السماء انفطرت : أي انشقت.
وإذا الكواكب انتثرت : أي تساقطت.
وإذا البحار فجرت : أي اختلطت ببعضها وأصبحت بحراً واحداً الملح والعذب سواء.
وإذا القبور بعثرت : قلب ترابها وبعث موتاها.
علمت نفس ما قدمت : أي من الأعمال وما أخرت منها فلم تعمله وذلك عند قراءتها كتاب أعمالها.
ما غرك بربك : أي أي شيء خدعك وجرّأك على عصيانه.
الذي خلقك : أي بعد أن لم تكن.
فسواك : أي جعلك مستوى الخلقة سالم الأعضاء.
فعدلك : أي جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أطول أو رجل أطول من الأخرى.
كلا بل تكذبون بالدين : ليس الكرم هو الذي غره وإنما جرّاه على المعاصي تكذيبه بالدين الذي هو الجزاء بعد البعث حياً من قبره.
وإن عليكم لحافظين كراما : أي وإن عليكم لملائكة كراما على الله تعالى حافظين لأعمالكم.
كاتبين : أي لها أي لأعمالكم خيرها وشرها حسنها وقبيحها.

معنى الآيات:

قولـه تعالى إذا[1] السماء انفطرت[2] أي انشقت وإذا الكواكب انتثرت أي انفضّت وتساقطت وإذا

---

(١) إذا ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط. وجوابه علمت نفس ما قدمت وأخرت.
(٢) صيغة الماضي في انفطرت وانتثرت، وفجرت وبعثرت للدلالة على تحقق الوقوع نحو (أتى أمر الله).

البحار فجرت أي اختلط ماؤها بعضه ببعض ملحها بعذبها لانكسار ذلك الحاجز الذي كان يفصلهما عن بعضهما لزلزلة الأرض إيذاناً بخراب العالم، وإذا القبور بعثرت[١] قلبت وأخرج مافيها من الأموات، إذا حصلت هذه الأحداث الأربعة ثلاثة منها في الدنيا وهي انفطار السماء وانتثار الكـواكب وتفجر البحار وهذه تتم بالنفخة الأولى والرابع وهو بعثرة القبور يتم في الآخرة بعد النفخة الثانية، وعندها تعلم نفس ما قدمت وما أخرت وهذا جواب إذا في أول الآيات. ومعنى علمت نفس[٢] أي كل نفس مكلفة ما قدمت من أعمال حسنة أو سيئة، وما أخرت من أعمال لحقتها بعدها وذلك ما سنته من سنن الهدى أو سنن الضلال، لحديث من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها لاينقص من أجـورهم شيء، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عملها لا ينقص من أوزارهم شيء، وهذا العلم يحصل للنفس أولا مجملا وذلك عند ابيضاض الوجوه واسودادها، ويحصل لها مفصلا عندما تقرأ كتاب أعمالها. وقوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك[٣] بربك الكريم يخاطب تعالى الإنسان الكافر والفاجر ليسأله موبخا إياه مقرعا مؤنبا بقوله ما غرك أي أي شيء خدعك وجرأك على الكفر بربك الكريم وعصيانه بالفسق عن امره والخروج عن طاعته. وهو القادر على مؤاخذتك والضرب على يديك ساعة ما كفرت به أو عصيته أليس هو الذي خلقك فسوى خلقك وعدل[٤] أعضاءك وناسب بين أجزائك في أي صورة ما شاء ركبك إن شاء بيضك أو سودك طولك أو قصرك جعلك ذكراً أو انثى انساناً أو حيوانا قرداً أو خنزيراً هل هناك من يصرفه عما أراد لك والجواب لا أحد إذاً كيف يسوغ لك الكفر به وعصيانه والخروج عن طاعته وبعد هذا التوبيخ والتأنيب قال تعالى كلا أي ما غرك كرم[٥] الله ولا حلمه بل تكذيبكم بالدين أي بالبعث والجزاء في الدار الآخرة هو الذي جرأكم على الكفر والظلم والإجرام وما علمتم والله إن عليكم لحـافـظين يحفـظون عليكم أعمالكم ويحصونها لكم ويكتبونها في صحائفكم. يعلمون ما

---

(١) بعثرت: انقلب باطنها ظاهرها إذ البعثرة الانقلاب يقال بعثر المتاع إذا قلب بعضه على بعض.

(٢) ليس بلازم انها بمجرد ما يحصل الذي جعلت إذا شرطاً له يتم العلم للنفس، وانما إذا قامت القيامة بحصول الانقلاب الكوني وحشر الناس لفصل القضاء ثم يحصل للنفس. فتعلم ما قدمت وما أخرت.

(٣) الإنسان هنا للجنس وقيل المراد به أبو الأسد بن كلدة الجمحي والاستفهام للإنكار عليه كفره والتعجب من حاله ونداؤه (يا أيها الإنسان) مشعر بالاهتمام.

(٤) (فعدلك) قرأ نافع فعدّلك بتشديد الدال. وقرأ حفص بتخفيفها.

(٥) روي أن النبي ﷺ قرأ (إذا السماء انفطرت) قال غره جهله قيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال (ما غرك بربك الكريم) ماذا كنت تقول؟ قال: كنت أقول غرني ستورك المرخاة لأن الكريم هو الستار نظمه ابن السماك فقال:

يا كاتم الذنب أما تستحي والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك امهالـه وستره طـول مساويكـا

تفعلون في السر والعلن وسوف تفاجأون يوم تعلم نفس ما قدمت وأخرت بصحائف أعمالكم وقد حوت كل أعمالكم لم تغادر صغيرة منها ولا كبيرة ويتم الجزاء بموجبها.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان أحداث تسبق يوم البعث وذلك في نفخة الفناء وأما النفخة الثانية وهي نفخة البعث حيث تجمع الخلائق ويجرى الحساب فتعطى الصحف وتوزن الأعمال وينصب الصراط، ثم إلى جنة أو إلى نار.

٢- التحذير من السنة السيئة يتركها المرء بعده فإن أوزارها تكتب عليه وهو في قبره.

٣- التحذير من الغرور والانخداع بعامل الشيطان من الإنس أو الجن.

٤- التحذير من التكذيب بالبعث والجزاء فإنه اكبر عامل من عوامل الشر والفساد في الدنيا وأكبر موجب للعذاب يوم القيامة.

٥- تقرير عقيدة كتابة الأعمال حسنها وسيئها والحساب بمقتضاها يوم القيامة بواسطة ملكين كريمين على كل إنسان مكلف لحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث.

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات:

إن الأبرار	: أي المؤمنين المتقين الصادقين.
وإن الفجار	: أي الكافرين والخارجين عن طاعة الله ورسوله.
يصلونها يوم الدين	: أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء وهو يوم القيامة.
وما هم عنها بغائبين	: أي بمخرجين.
وما أدراك ما يوم الدين	: أي أي شيء جعلك تدري لولا أنا علمناك.
لا تملك نفس لنفس شيئا	: أي من المنفعة وإن قلت.

والأمر يومئذ لله : أي لا لغيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه.

معنى الآيات:

تقدم أن العرض على الله حق وان المجازاة تكون بحسب الأعمال التي عملها المرء، وأنها محفوظة محصاة عليه بواسطة ملائكة كرام. وأن الناس يومئذ كما هم اليوم مؤمن بار وكافر فاجر. بين تعالى جزاء الكل مقرونا بعلة الحكم فقال عز وجل إن الأبرار لفي[1] نعيم أي في الجنة دار السلام وذلك لبرورهم وهو طاعتهم لله في صدق كامل وإن الفجار لفي جحيم أي نار ذات جحيم وذلك لفجورهم وهو كفرهم وخروجهم عن طاعة ربهم. وقوله يصلونها[2] أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الدين أي يوم الجزاء الذي كفروا به فأدى بهم إلى الفجور وارتكاب عظائم الذنوب. وقوله وما هم عنها بغائبين[3] أي إذا دخلوها لا يخرجون منها. وقوله وما أدراك ما يوم الدين أي وما يعلمك يارسولنا مايوم الدين إنه يوم عظيم يوم يقوم الناس لربّ العالمين هكذا يخبر تعالى عن عظم شأن هذا اليوم. ويؤكد ذلك فيقول ثم ما أدراك ما يوم الدين ويكشف عن بعض جوانب الخطورة بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا من المنفعة حيث يكون الأمر كله فيه لله وحده ولا تنفع فيه الشفاعة إلا بإذنه وما للظالمين فيه من شفيع ولا حميم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان حكم الله في أهل الموقف إذ هم ما بين بار صادق فهو في نعيم وفاجر كافر فهو في جحيم.

٢- بيان عظم شأن يوم الدين وأنه يوم عظيم.

٣- بيان أن الناس في يوم الدين لا تنفعهم شفاعة ولا خلة إذ لا يشفع أحد إلا بإذن الله والكافرون هم الظالمون، وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.

---

(١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، إذ تقدم من الكلام ما يجعل المرء يتشوق إلى معرفة مصير الناس يوم القيامة والأبرار جمع بر وهو التقي المطيع الصادق والنعيم اسم لما ينعم به.

(٢) يصلونها قال القرطبي يُصيبهم حرها ولهيبها وهذا قطعاً بعد دخولها.

(٣) كونهم لا يغيبون عنها دال على أن الفجار هم المشركون والكافرون إذ المؤمنون لا يخلدون في النار.

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

مدنية الأوائل مكية الأواخر وآياتها ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

ويل : كلمة عذاب، وواد في جهنم.

للمطففين : المنقصين في كيل أو وزن الباخسين فيهما.

إذا اكتالوا على الناس : أي من الناس.

يستوفون : الكيل.

وإذا كالوهم : أي كالوا لهم.

أو وزنوهم : أي وزنوا لهم.

يخسرون : أي ينقصون الكيل أو الوزن.

ألا : استفهام توبيخي انكاري.

يظن : أي يتيقن.

ليوم عظيم : أي يوم القيامة لما فيه من أهوال وعظائم الأمور.

يوم يقوم الناس : أي من قبورهم.

لرب العالمين : أي يقومون خاشعين ذليلين ينتظرون حكم الله فيهم.

معنى الآيات:

قوله تعالى ويل للمطففين[1] هذه الآيات الأولى من سورة المطففين قال أحد الأنصار رضي الله عنه كنا أسوأ الناس كيلا،[2] حتى إنه ليكون لأحدنا مكيالان مكيال يشتري به وآخر يبيع به، وما إن

(١) روى النسائي عن ابن عباس قال لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى: (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك، قال الفرّاء: فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا.

(٢) أيام نزول هذه السوة كان أهل المدينة يكيلون وأهل مكة يزنون ثم شاع الكيل والوزن في كلا البلدين معاً.

نزلت فينا ويل للمطففين حتى أصبحنا أحسن كيلا ووزنا. وصدق هذا الصاحب الجليل فوالله لقد نزلت المدينة مهاجرا عام ثلاثة وسبعين وثلثمائة وألف فوجدتهم على ما كانوا عليه ولقد كنت أشفق عليهم إذا كالوا لي أو وزنوا لي. فقوله تعالى ويل للمطففين يتوعد[1] سبحانه وتعالى بواد في جهنم بسيل صديد أهل النار الذين يبخسون الناس الكيل والميزان أي ينقصونهم ويبينهم تعالى بقوله الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون أي اشتروا منهم يأخذون كيلهم وافيا وكذا إذا وزنوا وإذا كالوهم أي كالوا لهم[2] أو وزنوا لهم يخسرون أي ينقصون. قال تعالى موبخا لهم منكرا ألا يظن أولئك المطففون[3] أنهم مبعوثون من قبورهم ليوم عظيم هو يوم الدين والجزاء والحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين خاشعين ذليلين ينتظرون حكمه فيهم، ويطول بهم الموقف المائة سنة وأكثر وإن أحدهم ليلجمه العرق إلجاما ومنهم من يصل العرق إلى نصف أذنيه والروايات في هذا كثيرة وصحيحة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- حرمة[4] التطفيف في الكيل والوزن وهو أن يأخذ زائداً ولو قل أو ينقص عامداً شيئا ولو قل. وماكان بغير عمد ولا قصد فإنه مما يُعفا عنه.

٢- التذكير بالبعث والجزاء وتقريرهما.

٣- عظم يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ليحكم بينهم ويجزي كلا بعمله خيرا أو شرا.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾

---

(١) يروي بعضهم أن التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة وأسوأ الناس سرقة من يسرق في صلاته وروي عن سالم بن أبي الجعد: قال الصلاة بمكيال فمن أوفى أُوفيَ له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله عز وجل.

(٢) شاهده قول الشاعر:

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ونهيتك عن بنات الأوبر

والشاهد في قوله جنيتك أي جنيت لك.

(٣) المطفف مأخوذ من الطفيف وهو القليل، والمطفف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن والتطفيف هو النقص من حق المقدار في الموزون والمكيال، وهو مصدر طفف إذا بلغ الطفاف، والطفاف ما قصر عن ملء الإناء من شراب أو طعام، ويطلق الطف على ما تجاوز عرض المكيال فهي زيادة طفيفة أو نقصان طفيف وهما محل النهي وفاء أو نقصان.

(٤) روى مالك والبزار عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشى فيهم الفقر، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا ظهر فيهم الطاعون، وما طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

شرح الكلمات :

كلا : أي حقا وأن الأمر ليس كما يظن المطففون .

لفي سجين : سجين علم على كتاب ديوان الشر دوّن فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة وهو أيضاموضع في أسفل الأرض السابعة فيه سجين الذي هو ديوان الكتب وبه أرواح الأشقياء عامة .

كتاب مرقوم : أي مسطور بيّن الكتابة فيه أعمالهم .

يوم الدين : أي يوم القيامة الذي هو يوم الحساب والجزاء .

كل معتد : أي ظالم مضيع حقوق ربه تعالى وحقوق غيره .

أثيم : منغمس في الآثام مكثر منها .

أساطير الأولين : أي ما سطره الأولون من القصص والأخبار التي لا تصح .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في التحذير من الظلم والفسق عن أوامر الرب تبارك وتعالى وقوله تعالى كلا[1] أي ليس الأمر كما يظن المطففون والباخسون للحقوق أنه لادقة في الحساب والجزاء أو أن مثل هذا لا يكتب ولا يحاسب عليه ولا يجزى به حقا إن كتاب الفجار أي الظلمة الفاجرين عن الشرع وحدوده لفي سجين موضع في أسفل الخلق به أرواح الكافرين والظالمين وكتب أعمالهم ، وقوله ﴿وما أدراك ما سجين﴾[2] أي وما أعلمك يارسولنا ما سجين تفخيم لشأنه . وقوله كتاب[3] مرقوم بيان لكتاب الفجار أي انه مكتوب مسطور بيّن الكتابة ، ويل يومئذ للمكذبين أي العذاب الأليم بوادي الويل يوم القيامة للمكذبين بالله وآياته ولقائه المكذبين بيوم الجزاء والحساب وقوله تعالى : ﴿وما يكذب به إلا كل معتد أثيم﴾[4] يريد وما يكذب بيوم الجزاء والحساب إلا كل معتد ظالم متجاوز للحد أثيم مرتكب للذنوب والآثام بفسقه عن أوامر ربّه وخروجه عن طاعة الله بغشيانه

---

(١) كلا كلمة ردع وزجر لأولئك الذين يطففون ألا فلينزجروا ويتركوا التطفيف والبخس في الكيل والوزن.

(٢) الاستفهام للتهويل من شأن سجين.

(٣) كتاب خبر محذوف المبتدأ والتقدير هو أي كتاب الفجار كتاب وقوم .

(٤) الأثيم مبالغة في الإثم أي كثير الإثم والإثم كل اعتقاد أو قول أو عمل ضار قبيح أو فاسد .

المحارم وقوله ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ هذا بيان لذلك المعتدي الأثيم وهو انه إذا قرئت عليه آيات الله تذكيرا له وتعليما ردها بقوله أساطير الأولين أي هذه حكايات وأخبار الأولين مسطرة مكتوبة وأنكر كتاب الله وكذب به.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان كتاب الفجار وأنه في سجين وسجين ديوان تدون فيه سائر كتب الفجار من أهل النار وموضع أسفل الأرض السابعة مستودع لكتب أعمال الفجار من كفار وفساق ولأرواحهم إلى يوم القيامة ولفظ سجين مشتق من السجن الذي هو الحبس.

٢- الوعيد الشديد للمكذبين بالله وبآياته ولقائه.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات:

ران على قلوبهم : أي غطّى قلوبهم وحجبها عن قبول الحق.

ما كانوا يكسبون : أي من الذنوب والآثام.

لمحجوبون : أي يحال بينهم وبين رؤية الربّ إلى يوم القيامة.

لصالو الجحيم : أي لداخلوها ومحرقون معذبون بها.

هذا الذي كنتم به تكذبون: أي يقال لهم توبيخا وخزيا لهم وهم في العذاب هذا الذي كنتم به تكذبون.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في التنديد بالاعتداء والمعتدين والإثم والآثمين فقال تعالى بل ران[1] على قلوبهم ما كانوا يكسبون أي ما الأمر كما يدعون من أن القرآن أساطير الأولين وإنما ران على

(١) الران والرين مصدران لران يرين ريناً ورانا كالعيب والعاب والذيم والذام.

قلوبهم أي غشّاها وغطاها أثر الذنوب والجرائم فحجبها عن معرفة الحق وقبوله[1]، وقوله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون أي ردعا لهم وزجرا عن أقوالهم الباطلة وأعمالهم الفاسدة إنهم عن ربهم لمحجوبون فلا يرونه ولا يرون كرامته ثم إنهم لصالو الجحيم أي لداخلوها ومصطلون بحرها معذبون بأنواع العذاب فيها ثم يقال لهم توبيخا وخزيا وتأنيبا هذا أي العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذبون حتى واصلتم كفركم وإجرامكم فحل بكم هذا الذي أنتم فيه الآن فذوقوا فلن تزدادوا إلا عذابا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ التحذير من مواصلة الذنوب وعدم التوبة منها حيث يؤدي ذلك بالعبد إلى أن يُحرم التوبة ففي حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد عادت حتى تعظم في قلبه فذلك الران الذي قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.

٢ـ تقرير رؤية الله تعالى في الآخرة بدليل قوله إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون أي الأشقياء إذاً فالسعداء غير محجوبين فهم يرون ربهم ويشهد له قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة.

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ
﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي
وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

---

(١) روى الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه. وهو الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).

شرح الكلمات:

كتاب الأبرار : أي كتاب أعمالهم والأبرار هم المطيعون لله ولرسوله الصادقون.

لفي عليين : أي في موضع يسمى عليين في أعلى الجنة.

كتاب مرقوم : أي كتاب مرقوم بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة والفوز بالجنة.

يشهده المقربون : أي يحضره المقربون من أهل كل سماء ويحفظونه لأنه يحمل أماناً لصاحبه من النار وفوزه بالجنة.

إن الأبرار لفي نعيم : أي إن الذين بروا ربهم بطاعته بأداء الفرائض واجتناب النواهي لفي نعيم الجنة.

على الأرائك : أي على الأسرة ذات الحجال.

ينظرون : أي ما آتاهم ربهم من صنوف النعيم.

تعرف في وجوههم نضرة النعيم : أي حُسنه وبريقه وتلألؤه.

من رحيق : أي من خمر صرف خالصة لا غش فيها ولا دنس.

مختوم : أي مختوم على إنائها لا يفك ختمه إلا هم.

ختامه مسك : أي آخر شربها يفوح برائحة المسك.

وفي ذلك : أي لا في غيره.

فليتنافس المتنافسون : أي فليطلب بالطاعة والاستقامة الطالبون للنعيم المقيم.

ومزاجه من تسنيم : أي ومزاج شرابهم من عين تجري من عال تسمى التسنيم.

عينا يشرب بها المقربون: عينا هي التسنيم يشرب منها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين.

معنى الآيات:

بعد أن ذكر تعالى كتاب الفجار وما ختم له به ذكر كتاب الأبرار وما ختم له به فقال كلا أي حقا إن كتاب الأبرار وهم جمع بر أو بار وهو المؤمن الذي بر ربه بطاعته في أداء فرائضه واجتناب نواهيه وكان صادقا في ذلك كتاب أعمال هؤلاء الأبرار في عليين وما أدراك يارسولنا[1] ما عليون إنه موضع في أعلى[2] الجنان. وقوله كتاب مرقوم يريد كتاب الأبرار الموضوع في عليين كتاب مرقوم

(١) الاستفهام للتفخيم والتعظيم بشأن عليين إذ هو في أعلى مرتبة وأسمى منزلة.

(٢) قال البراء بن عازب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ عليون في السماء السابعة تحت العرش.

بأمان من الله لصاحبه من النار والفوز بالجنة يشهده المقربون أي مقربو كل سماء يحضرونه ويحفظون له ويشهدون بما فيه من الأمان لصاحبه من النار والفوز بالجنة. وقوله تعالى إن الأبرار[١] وأصحاب الكتب المودعة في عليين لفي نعيم يريد يوم القيامة والنعيم هو نعيم الجنة وهذا لون منه على الأرائك أي الأسرة ذات الحجال ينظرون إنهم جالسون على الأرائك ينظرون[٢] باستحسان وإعجاب ملكهم الكبير الذي ملكهم الله تعالى وقد يمتد مسافة ألفي سنة وينتهي إليه بصرهم تعرف في وجوههم نضرة النعيم أي حسنه وبريقه وتلألؤه وقوله يسقون من رحيق مختوم أي من خمر هي الرحيق صافية لا دنس فيها ولا غش مختوم على أوانيها لايفكها إلا هم. ختامه مسك آخر هذا الشراب[٣] يفوح برائحة المسك الأذفر فهي طيبة الرائحة للغاية. وقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس[٤] المتنافسون أي وفي مثل هذا النعيم لا في غيره من حطام الدنيا وشرابها وملكها الزائل يجب أن يتنافس المتنافسون أي في طلبه بالإيمان وصالح الأعمال بعد البعد كل البعد عن الشرك وسيئي الأقوال وقبيح الأفعال. وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون. أي إن ذلك الرحيق يمزج لأصحاب اليمين بماء عين تسمى التسنيم ويشربه المقربون صرفا أي خالصا بدون مزج من عين التسنيم وقوله يشرب بها الباء بمعنى من أو ضمن يشرب معنى يلتذ أي يلتذ بها وقد سبق في سورة الإنسان وقلت إنها لطيب شرابها تكاد تكون آلة للشرب فتكون الباء للآلة على بابها نحو شربت بالكأس.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الثناء على الأبرار وبيّان ما أعد الله تعالى لهم وهم المؤمنون المتقون الصادقون في ذلك.

٢ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما يجري فيها.

٣ـ الترغيب في العمل الصالح للحصول على نعيم الجنة لقوله تعالى ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾.

---

(١) الأبرار جمع بر هم أهل الطاعة والصدق فيها.

(٢) وقيل ينظرون إلى أعدائهم في النار وهم على أرائكهم ولا عجب لما ظهر اليوم من آلة التلفاز.

(٣) الرحيق هي الخمر العتيقة البيضاء الصافية من الغش، النيرة قال حسان:

يسقون من ورد البريص عليهم   بردى يصفق بالرحيق السلسل

والبريص نهر بدمشق وبردى نهر آخر بها ويصفه يخرج والرحيق الخمر البيضاء.

(٤) يقال نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة أي ضننت به ولم أحب أن يصير إليه وذلك لحسنه وجودته وتعلق النفس به.

إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾
عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات:

إن الذين أجرموا : أي على أنفسهم بالشرك والمعاصي كأبي جهل وأميّة بن خلف وعتبة بن أبي معيط.

من الذين آمنوا : أي كبلال وياسر وعمار وصهيب وخبيب.

يتغامزون : أي يشيرون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم.

فكهين : أي إذا رجعوا إلى ديارهم وأهليهم يرجعون نشاوى فرحين معجبين بحالهم.

وإذا رأوهم : أي وإذا رأى أولئك الفكهون رأوا المؤمنين.

قالوا إن هؤلاء لضالون : إن هؤلاء يعنون المؤمنين من أصحاب محمد ﷺ لضالون بتركهم دينهم واتخاذهم لدين محمد ﷺ الجديد.

وما أرسلوا عليهم حافظين : أي ولم يكلفهم الله تعالى بحفظ أعمالهم ورعاية أحوالهم. وإنما هم متطفّلون.

فاليوم : أي يوم القيامة.

من الكفار يضحكون : أي من أجل ما هم فيه من العذاب حيث يرونهم وهم على أرائكهم.

هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون : أي هل جوزي الكفار بما كانوا يفعلون من الكفر والشر والفساد؟ والجواب نعم نعم نعم.

معنى الآيات:

بعدما بيّن تعالى حال الأبرار في دار الأبرار وذكر ما شاء الله أن يذكر من نعيمهم ترغيبا وتعليماً بعد أن ذكر في الآيات قبلها حال المجرمين وما أعد لهم من عذاب في دار العذاب. ذكر تعالى هنا في خاتمة السورة ما أوجب للمجرمين وهو النار، وما أوجب للمؤمنين وهو الجنة فذكر طرفا من سلوك المجرمين وآخر من سلوك المؤمنين فقال عز من قائل إن الذين أجرموا[١] أي على أنفسهم أي أفسدوها بالشرك والشر والفساد كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي وغيرهم كانوا من الذين آمنوا كبلال وعمار وصهيب وخبيب وأضرابهم من فقراء المؤمنين يضحكون[٢] استهزاء بهم وسخرية. وإذا مروا بهم في شوارع مكة وحول المسجد الحرام يتغامزون يشيرون إليهم بالجفن والحاجب على عادة المتكبرين وإذا انقلبوا أي رجعوا إلى أهلهم في ديارهم انقلبوا فكهين[٣] ناعمين معجبين بحالهم فرحين بما عندهم وإذا رأوهم أي وإذا رأى أولئك المجرمون المؤمنين أشاروا إليهم وقالوا إن هؤلاء لضالون بتركهم دينهم واعتناق دين محمد الجديد في نظرهم. قال تعالى وما أرسلوا عليهم[٤] حافظين أي على أعمالهم وأحوالهم حتى يقولوا ما قالوا وإنما هم متطفلون يدعون ما ليس لهم لقبح سلوكهم وسوء فهومهم، قال تعالى فاليوم[٥] يوم القيامة الذين آمنوا من الكفار يضحكون أي من الكفار على الأرائك أي الأسرة ذات الحجال ينظرون إلى الكفار وهم في النار ويضحكون منهم وهم يعذبون ولا عجب في كيفية رؤيتهم لهم وهم في النار أسفل سافلين والمؤمنون في أعلى عليين إذ البث التلفزيوني اليوم قطع العجب وأبطله. وقوله تعالى هل ثوّب[٦] الكفار أي هل جوزي الكفار على أفعالهم الإجرامية؟ والجواب معلوم مما تقدم إذ وصفت حالهم وبين عذابهم والعياذ بالله من عذابه وأليم عقابه.

---

(١) الإجرام مصدر أجرم إذا ارتكب الجرم وهو الإثم العظيم وأعظمه الشرك والكفر.

(٢) معنى يضحكون منهم أنهم يضحكون من حالهم وهي حال خاصة كالفقر والضعف أو ترك دينهم إلى دين آخر قال الحارث بن عبد يغوث:

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تر قبلي أسيراً يمانياً

(٣) قرأ نافع والجمهور فاكهين بصيغة اسم الفاعل، وقرأ حفص بدون ألف على أنه جمع فكه صفة مشبهة، والمعنى واحد كفارح وفرح.

(٤) الجملة متضمنة معنى التهكم بأولئك الضاحكين الساخرين من فقراء المؤمنين.

(٥) تقديم الظرف فاليوم للاهتمام به لأنه يوم الجزاء وفيه تشفى صدور المؤمنين من الأعداء.

(٦) الجملة فذلكة ما تقدم من اعتداء المشركين على المؤمنين وما ترتب عليه من الجزاء يوم القيامة والاستفهام بهل تقريري وتعجب من عدم إفلاتهم منه بعد دهور، وثوب بمعنى أعطى الثواب يقال أثابه وثوبه إذا أعطاه ثوابه وهو جزاء عمله وفي التفسير الثواب تهكم واضح بالمشركين نحو بشرهم بعذاب أليم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ التنديد بالإجرام والمجرمين .

٢ـ بيان ما كان عليه المشركون في مكة إبّان الدعوة وما لقيه المؤمنون منهم .

٣ـ بيان أن المؤمنين سيرون المشركين في الجحيم ويضحكون منهم وهم في نعيمهم والمشركون في جحيمهم .

٤ـ بيان إكرام الله لأوليائه، وإهانته تعالى لأعدائه .

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

مكية وآياتها خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا
الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

إذا السماء انشقت : أي بالغمامهو هو سحاب أبيض رقيق وذلك لنزول الملائكة .

وأذنت لربها : أي سمعت وأطاعت .

وحقت : أي وحق لها أن تسمع أمر ربها وتطيعه .

وإذا الأرض مدت : أي زيد في سعتها كما يمد الأديم أي الجلد إذ لم يبق عليها بناء ولا جبل .

وألقت ما فيها وتخلت : أي ألقت ما فيها من الموتى ألقتهم أحياء إلى ظهرها وتخلت عنه أي عما كان في بطنها.

إنك كادح : أي عامل كاسب للخير أو الشر.

إلى ربك كدحا : أي إلى أن تلقى ربك وأنت تعمل وتكسب فليكن عملك مما يرضي عنك ربك.

فملاقيه : أي ملاق ربك بعد موتك وبعملك خيره وشره.

كتابه : أي كتاب عمله وذلك بعد البعث.

وينقلب إلى أهله مسرورا: أي بعد الحساب اليسير يرجع إلى أهله في الجنة من الحور العين فرحا.

وراء ظهره : أي يأخذه بشماله من وراء ظهره إهانة له.

يدعو ثبورا : أي ينادي هلاكه قائلا واثبوراه واثبوراه أي ياهلاكه.

ويصلى سعيرا : أي ويحرق بالنار تحريقا وينضج انضاجة بعد اخرى على قراءة يُصلّى بالتضعيف.

إنه ظن أن لن يحور : أي انه كان في الدنيا يظن انه لا يرجع إلى الحياة بعد الموت فلذا لم يعمل خيرا قط ولم يتورع عن ترك الشر قط لعدم إيمانه بالبعث.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إذا السماء انشقت﴾ يخبر تعالى أنه إذا انشقت السماء أي تصدعت وتفطرت وذابت فصارت كالدهان ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ أي وسمعت[1] لأمر ربها واستجابت ﴿فكانت﴾ كما أمرها الله أن تكون منشقة منفطرة حتى تكون كالمهل، ﴿وإذا[2] الأرض مدت﴾ من الأديم واتسعت رقعتها حيث زال منها الجبال والآكام والمباني والعمارات وأصبحت قاعا صفصفا ﴿وألقت ما فيها﴾ أي ما في بطنها من أموات ﴿وتخلت﴾ عنه أي عما كان في بطنها ﴿وأذنت لربها﴾ في ذلك كله أي سمعت وأجابت ﴿وحقت﴾ أي وحق لها أن تسمع وتجيب وتطيع

---

(١) شاهده قوله ﷺ ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن أي ما استمع لشيء الخ . . وقال الشاعر:

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به   وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

أذنوا بمعنى سمعوا.

(٢) إذا ظرف خافض لشرطه منوصب بجوابه.

وجواب إذا الأولى والثانية واحد وهو ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾[1] أو ما أحضرت كما تقدم نظيره في التكوير والانفطار. وقوله تعالى ﴿يا أيها الإنسان﴾ أي يا بن آدم ﴿إنك كادح إلى ربك كدحا﴾[2] أي إنك عامل تعمل يوميا وليل نهار إلى أن تموت وتلقى ربك إنك لا تبرح تعمل لا محالة وتكسب بجوارحك الخير والشر إلى الموت حيث تنتقل إلى الدار الآخرة وتلقى ربك وتلاقيه هذا يشهد له قول الرسول ﷺ في الصحيح[3] [كلكم يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها]، إذا فمن الخير لك يا أيها الإنسان المكلف أن تعمل خيرا تلاقي به ربك فيرضى عنك به ويكرمك إنك حقا ملاق ربك بعملك فأنصح لك أن يكون عملك صالحا وانظر إلى الصورة التالية ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾[4] لأنه حوى الخير ولا شر فيه ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ ينظر في كتابه ويقرر هل فعلت كذا فيعترف ويتجاوز عنه وينقلب إلى أهله في الجنة وهم الحور العين والنساء المؤمنات والذرية الصالحة يجمعهم الله ببعهضهم كرامة لهم وهو قوله تعالى ﴿والذين[5] آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ ﴿وأما من أوتي كتابه﴾ أي كتاب أعماله

[illegible]

حضورك ﴿ويصلى[6] سعيرا﴾ أي ويدخل نارا مستعرة شديدة الالتهاب ويصلى أيضا فيها تصلية أي ينضح فيها لحمه المرة بعد المرة وأبدا. والعياذ بالله وعلة ذلك وسببه هو ﴿أنه كان في أهله﴾ في الدنيا ﴿مسرورا﴾ لا يخاف الله ولا يرجو الدار الآخرة يعمل ما يشاء ويترك ما يشاء إنه ظن أن لن[7] يحور أي انه لايرجع حيا بعد موته ولا يحاسب ولايجزى هذه علة هلاكه وشقائه فاحذروها

أيها الناس اليوم فآمنوا بربكم ولقائه واعملوا عملا ينجيكم من عذابه. وقوله تعالى ﴿بلى إن ربه كان به بصيرا﴾ أي ليحورن وليبعثن وليحاسبن وليس كما يظن انه لا يبعث ولا يحاسب ولا يجزى بل لابد من ذلك كله إن ربه تعالى كان به وبعمله بصيرا لايخفى عليه من أمره شيء ونتيجة لذلك تَمَّ له هذا الحساب والعقاب بِأَمَرِّ العذاب وأشدِّه دخول النار وتصلية جحيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان مقدماته في انقلاب الكون.

٢ـ بيان حتمية لقاء الإنسان ربّه.

٣ـ كل إنسان مكلف بالعقل والبلوغ فهو عامل وكاسب لا محالة إلى أن يموت ويلقى ربه.

٤ـ أهل الإيمان والتقوى يحاسبون حسابا يسيرا وهو مجرد عرض لا غير ويفوزون أما من نوقش الحساب فقد هلك وعذب لأنه لا يملك حجة ولاعذرا.

٥ـ التنعم في الدنيا والانكباب على شهواتها وملاذها مع ترك الطاعات والصالحات ثمرة عدم الإيمان أو اليقين بالبعث والجزاء.

فَلَآ أُقۡسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات:

بالشفق : أي بالحمرة في الأفق بعد غروب الشمس.

وما وسق : أي دخل عليه من الدواب وغيرها.

إذا اتسق : اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض.

(١) جائز أن يكون (لا) صلة أي فاقسم بالشفق وكونها نافية لكلام سابق كما في التفسير هو اختيار بن جرير.

طبقا عن طبق : أي حالا بعد حال الموت، ثم الحياة، ثم ما بعدها من أحوال القيامة.

فما لهم لا يؤمنون : أي أيُّ مانع لهم من الإيمان بالله ورسوله ولقاء ربهم والحجج كثيرة تتلى عليهم.

وإذا قرىء عليهم القرآن: أي تُلي عليهم وسمعوه.

لا يسجدون : أي لا يخضعون فيؤمنوا ويسلموا.

بما يوعون : أي يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب.

لهم أجر غير ممنون : أي غير مقطوع.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿فلا أقسم﴾ أي فليس الأمر كما تدعون من أنه لا بعث ولا جزاء أقسم بالشفق وهي حمرة الأفق بعد غروب الشمس[1] والليل وما وسق أي وما جمع من كل ذي روح من سابح في الماء وطائر في السماء وسارح في الغبراء والقمر إذا اتسق أي اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض. وجواب القسم قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق أي حالاً[2] بعد حال الموت ثم الحياة، ثم العرض، ثم الحساب، ثم الجزاء فهي أحوال وأهوال فليس الأمر كماتتصورون من أنه موت ولا غير. وقوله تعالى[3] ﴿فما لهم لا يؤمنون وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون﴾ أي ما للناس لا يؤمنون أي شيء منعهم من الإيمان بالله ورسوله والدار الآخرة مع كثرة الآيات وقوة الحجج وسطوع البراهين. وما لهم أيضا إذا تلي عليهم القرآن وسمعوه لا يخضعون ولا يخشعون ولا يخرون ساجدين مع ما يحمل من أنواع الحجج والبراهين وقوله تعالى بل الذين كفروا أي بدل أن يؤمنوا ويسلموا يكذبون[4] والله أعلم بما يوعون في قلوبهم من الكفر والتكذيب وفي نفوسهم من الحسد والكبر والغل والبغض وبناء على ذلك فبشرهم[5] يارسولنا أي اخبرهم بما يسوءهم بعذاب أليم عاجلا وآجلا إلاّ الذين[6] آمنوا أي منهم آمنوا بالله ورسوله وآيات الله ولقائه وعملوا الصالحات فأدوا الفرائض واجتنبوا

---

(١) أكثر أهل العلم على أن الشفق الحمرة بعد غروب الشمس قال الفراء سمعت بعض العرب يقول لثوب عليه مصبوغ كأنه الشفق وكان أحمر. وقال الشاعر: وأحمر اللون كمحمر الشفق.

(٢) من شواهد هذه الحقيقة قول الشاعر:

كذلك المرء إن ينسأ له أجل   يركب على طبق من بعده طبق

(٣) الاستفهام للإنكار عليهم والتعجب من حالهم في ترك الإيمان.

(٤) يكذبون صيغة المضارع تدل على استمرار تكذيبهم والصلة هي الكفر. فلو آمنوا ما كذبوا ولكفرهم يكذبون رسول الله ﷺ فيما جاء به وأخبر عنه.

(٥) فبشرهم الفاء للتفريع والترتيب والبشارة هنا للتهكم بهم.

(٦) الاستثناء منقطع بمعنى لكن الذين آمنوا، الخ.

المحارم فهؤلاء لهم أجر أي ثواب عند الله إلى يوم يلقونه غير ممنون أي غير منقوص ولا مقطوع في الجنة دار السلام. اللهم اجعلنا من أهلها برحمتك ياأرحم الراحمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان أن الإنسان مقبل على أحوال وأهوال حالا بعد حال وهولا بعد هول إلى أن ينتهي إلى جنة أو نار.

٢- بيان أن عدم إيمان الإنسان بربه أمر يستدعي العجب إذ لا مانع للعبد من الإيمان بخالقه وهو يعلم أنه مخلوق وقد تعرف إليه فأنزل كتبه وبعث رسله وأقام الأدلة على ذلك.

٣- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية وهي وإذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون.

٤- علم الله تعالى بما يعي الإنسان في قلبه وما يحمل في نفسه فذكره للعبد بأن يراقب ربه فلا يعي في قلبه إلا الإيمان ولا يحمل في نفسه إلا الخير فلا غل ولا حسد ولا شك ولا عداء ولا بغضاء.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

مكيـة وآياتها ثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾

شرح الكلمات:

ذات البروج : أي منازل الشمس والقمر الاثنى عشر برجا.
واليوم الموعود : أي يوم القيامة إذ وعد تالله تعالى عباده أن يجمعهم فيه لفصل القضاء.
وشاهد : أي يوم الجمعة.
ومشهود : أي يوم عرفة.
قُتل أصحاب الأخدود : أي لُعن أصحاب الأخدود.
الأخدود : أي الحفر تحفر في الأرض وهو مفرد وجمعه أخاديد.
إذ هم عليها قعود : أي على حافتها وشفيرها.
وما نقموا منهم : أي ما عابوا أي شيء سوى إيمانهم بالله تعالى.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والسماء ذات البروج﴾[١] هذا قسم من أعظم الأقسام إذ أقسم تعالى فيه بالسماء ذات البروج وهي منازل الشمس والقمر الأثنا عشر برجا،[٢] وباليوم الموعود وهو يوم القيامة إذ وعد الربّ تعالى عباده أن يجمعهم فيه ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون وبالشاهد[٣] وهو يوم الجمعة وبالمشهود وهو يوم عرفة وجواب القسم أو المقسم عليه محذوف قد يكون تقديره لتبعثن ثم لتنبؤن لأن السورة مكية والسور المكية تعالج العقيدة بأنواعها الثلاثة التوحيد والنبوّة والبعث والجزاء، وجائز أن يكون الجواب قتل بتقدير اللام وقد نحو لقد قتل أي لعن أصحاب الأخدود وهي حفر حفرها الكفار وأججوا فيها ناراً وأتوا بالمؤمنين المخالفين لدينهم وعرضوا عليهم الكفر أو الإلقاء في النار فاختاروا الإلقاء في النار مع بقاء إيمانهم حتى إن امرأة كانت ترضع صبياً فأحجمت عن إلقاء نفسها مع طفلها في النار فأنطق الله الصبي فقال لها: أماه امضي فإنك على الحق فاقتحمت النار. وقوله ﴿إذ هم عليها قعود﴾ بيان للحال التي كانوا يفتنون فيها المؤمنين والمؤمنات إذ كانوا على شفير النار وحافتها قاعدين، وقوله تعالى ﴿وهم على ما يفعلون

---

(١) روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج وروي أيضاً عنه أن النبي ﷺ أمر أن يقرأ في العشاء بالسموات أي السماء ذات البروج والسماء والطارق.

(٢) البروج هي منازل الكواكب والشمس والقمر يسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوماً ثم يستتر ليلتين. وتسير الشمس في كل برج منها شهراً وهي الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، والبروج في لغة العرب القصور.

(٣) روى الترمذي عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وقال فيه حديث حسن غريب، وجائز أن يكون الشهود الكرام الكاتبين والمشهود عليهم بنو آدم، وجائز أن يكون الشاهد هذه الأمة والشهود عليهم سائر الأمم وجائز غير ما ذكر.

بالمؤمنين﴾ من الإلقاء في النار والارتداد عن الإسلام ﴿شهود﴾ أي حضور، ولم يغيروا منكراً ولم يأمروا بمعروف. وقوله تعالى ﴿وما نقموا منهم﴾ أي وما عابوا عنهم شيئا سوى إيمانهم بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض، فحسب العبد من الله هذه الصفات فإنها توجب الإيمان بالله وطاعته ومحبته وخشيته وهي كونه سبحانه وتعالى عزيزاً في انتقامه لأوليائه حميداً يحمده لآلائه ونعمه سائر خلقه مالكاً لكل ما في السموات والأرض ليس لغيره ملك في شيء معه وعلمه الذي أحاط بكل شيء دل عليه قوله وهو على كل شيء شهيد. فكيف ينكر على المؤمن إيمانه بربّه ذي الصفات العلا. والجلال والجمال والكمال. سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك. وقوله تعالى ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين[(١)] والمؤمنات﴾ أي فتنوهم عن دينهم فأحرقوهم بالنار ﴿ثم لم يتوبوا﴾ بعد فتنتهم للمؤمنين والمؤمنات ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ جزاء لهم. ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ عذاب جهنم في الدار الآخرة وعذاب الحريق في الدنيا. فقد روي أنهم لما فرغوا من إلقاء المؤمنين في النار والمؤمنون كانت تفيض أرواحهم قبل وصولهم إلى النار فلم يحسوا بعذاب النار والكافرون خرجت لهم النار من الأخاديد وأحرقتهم فذاقوا عذاب الحريق في الدنيا، وسيذوقون عذاب جهنم في الآخرة هذا بالنسبة إلى أبدانهم أما أرواحهم فإنها بمجرد مفارقة الجسد تلقى في سجين مع أرواح الشياطين والكافرين وقوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا[(٢)]﴾ بالله وعملوا الصالحات أي آمنوا بالله ربّا وإلهاً وعبدوه بأداء فرائضه وترك محارمه ﴿لهم جنات﴾ أي بساتين ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من تحت أشجارها وقصورها. وقوله تعالى ﴿ذلك الفوز الكبير﴾[(٣)] حقا هو فوز كبير، لأنه نجاة من النار أولاً ودخول الجنة ثانياً. كما قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾.

(١) إن الذين فتنوا الخ . . الآية عامة ليست خاصة بأصحاب الأخدود ولا بكفار قريش، وإنما هي عامة في كل من يفتن المؤمنين والمؤمنات في دينهم

فيصرفهم عنه بأنواع من التعذيب وجزاؤهم ما ذكر في الآية وهو عذاب جهنم وعذاب الحريق إلا من تاب قبل موته وقد عد ممن فتنوا المؤمنين والمؤمنات في مكة أبو جهل رأس الفتنة وأمية بين خلف والأسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة وعد من المعذبين المفتونين بلال بن رباح، وأبو فكيهة وخباب بن الأرت وياسر والد عمار وعامر بن فهيرة وعدد من النساء المعذبات حمامة أم بلال، وزنيرة، وسمية والدة عمار.

(٢) هذا الكلام مستأنف يبين فيه تعالى جزاء من آمن وعمل صالحاً وهو دعوة إلى الإيمان والعمل الصالح والتخلي عن الشرك والشر والفساد. إنه لما ذكر جزاء الكفر وهو عذاب جهنم وعذاب الحريق ناسب ذكر جزاء أهل الإيمان وصالح الأعمال.

(٣) اسم الإشارة (ذلك) عائد إلى ما اختصهم الله تعالى به من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار أنهار الماء واللبن والخمر والعسل في دار السلام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- فضل يومي الجمعة وعرفة.

٣- بيان ما يُبتلى به المؤمنون في هذه الحياة ويصبرون فيكون جزاؤهم الجنة.

٤- الترهيب والترغيب في ذكر جزاء الكافرين والمؤمنين الصالحين.

إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن
وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

إن بطش ربك : أي أخذه أذا أخذ الكافر شديد.

يبدىء ويعيد : أي يبدىء الخلق ويعيده بعد فنائه ويبدىء العذاب ويعيده.

الغفور الودود : أي لذنوب عباده المؤمنين المتودد لأوليائه.

ذو العرش المجيد : أي صاحب العرش إذ هو خالقه ومالكه والمجيد المستحق لكمال صفات العلو.

في تكذيب : أي بما ذكر في سياق الآيات السابقة.

من ورائهم محيط : أي هم في قبضته وتحت سلطانه وقهره.

قرآن مجيد : أي كريم عظيم.

في لوح محفوظ : أي من الشياطين والمراد به اللوح المحفوظ.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى ما توعد به الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات من أجل إيمانهم أخبر رسوله معرضا بمشركي قومه وطغاتهم الذين آذوا المؤمنين في مكة من أجل إيمانهم أخبره بقوله ﴿إن بطش ربك لشديد﴾[1] أي إن أخذه إذا بطش أخذه أليم شديد ودلل على ذلك بقوله ﴿إنه هو يبدىء ويعيد﴾[2] فالقادرعلى البدء والإعادة بطشه شديد. وقوله ﴿يبدىء﴾ أي الخلق ثم يعيده. ويبدىء العذاب أيضا ثم يعيده ﴿وهو الغفور الودود﴾ فهو قادر على البطش بأعدائه، وهو الغفور لذنوب أوليائه[3] ﴿ذو العـرش المجيد﴾ أي صاحب العرش خلقا وملكا المجيد العظيم الكريم، ﴿فعال لما يريد﴾ إذ لا يُكره تعالى على شيء ولا يقدر أحد على إكراهه.

وقوله تعالى ﴿هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود﴾ كيف أهلكهم الله لما طغوا وبغوا وكفروا وعصوا نعم قد أتاك وقرأته عن قومك الكافرين ولم ينتفعوا به لأنهم يعيشون في تكذيب لك يحيط بهم لا يخرجون منه لأنه تكذيب ناشىء من الكبر والحسد والجهل فلذا هم لم يؤمنوا بعد. وقوله تعالى ﴿والله من ورائهم محيط﴾[4] أي هم في قبضته وتحت قهره وسلطانه لايخفى عليه منهم شيء ولا يحول بينه وبينهم متى أراد أخذهم شيء. وقوله تعالى ﴿بل هو[5] قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾[6] يرد بهذا على المشركين الذين قالوا في القرآن إنه سحر وشعر وأساطير الأولين فقال ليس هو كما قالوا وادّعوا وإنما هو قرآن مجيد في لوح محفوظ من الشياطين فلا تمسه ولا تقربه ولا من غير الشياطين من سائر الخلق أجمعين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تهديد الظلمة بالعذاب عقوبة في الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) يرى بعضهم أن قوله إن بطش ربك هو جواب القسم والسماء ذات البروج. وأنه وإن كان جائزاً فإن تقديره في أول الكلام أولى من تأخيره. وهذه الآية مستأنفة تحمل الوعيد والتعريض بمجرمي قريش كأبي جهل وأضرابه.

(٢) إنه هو يبدىء ويعيد الجملة تعليلية إذ الذي يبدي ويعيد لا يكون بطشه إلا قوياً شديداً ومن مظاهر الكمال الألهي جمعه بين صفتي البطش، والمغفرة والود، فهنيئا لأوليائه، ويا ويل أعدائه.

(٣) روي أن أناساً دخلوا على أبي بكر في مرضه الذي مات فيه يعودونه فقالوا له ألا نأتيك بطبيب؟ قال قد رآني قالوا فما قال لك؟ قال قال لي: إني فعال لما أريد وفي بعض الروايات قال الطبيب أمرضني.

(٤) فهو قادر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون، وعاد وثمود قبله.

(٥) بل للإضراب الإبطالي أي ليس القرآن كما يصفونه بأنه أساطير الأولين، وإفك مفترى وما إلى ذلك مما قالوه في القرآن من رده وعدم الإيمان به بل هو قرآن مجيد بالغ الغاية في المجد والشرف والسمو والعلو في ألفاظه ومعانيه ، وما يحمل من هدى وتشريع وأنه في مناعته لا تصل إليه أيدي الخلق بالتحريف والتبديل إذ هو في لوح محفوظ.

(٦) قرأ نافع وحده برفع محفوظ صفة القرآن وجره الباقون حفص وغيره على انه نعت للفظ لوح وحفظ اللوح حفظ للقرآن المكتوب عليه.

٢ـ إن الله تعالى لكرمه يتودد لأوليائه من عباده.

٣ـ فائدة القصص هي الموعظة تحصل للعبد فلا يترك واجباً ولا يغشى محرما.

٤ـ بيان إحاطة الله تعالى بعباده وأنهم في قبضته وتحت سلطانه.

٥ـ شرف القرآن الكريم، وإثبات اللوح المحفوظ وتقريره.

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية وآياتها سبع عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ
نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ
دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾
يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾
وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ
يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

شرح الكلمات:

والطارق : أي كل ما يطرق ويأتي ليلا وسمي النجم طارقا لطلوعه ليلا.

النجم الثاقب : أي الثريّا والثاقب المضيء الذي يثقب الظلام بنوره.

لما عليها حافظ : أي إلاّ عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها.

خلق من ماء دافق : أي ماء ذي اندفاق وهو بمعنى مدفوق أي مصبوب في الرحم.

من بين الصلب والترائب : الصلب: عظم الظهر من الرجل، والترائب عظام الصدر والواحدة تريبة.

يوم تُبلى السرائر : أي تختبر ضمائر القلوب في العقائد والنيات. والسرائر جمع سريرة كالسّرّ.

ذات الرجع	: أي ذات المطر لرجوعه كل حين والرجع من أسماء المطر.
ذات الصدع	: أي التصدع والتشقق بالنبات.
لقول فصل	: أي يفصل بين الباطل وفي الخصومات يقطعها بالحكم الجازم.
وما هو بالهزل	: أي باللعب والباطل بل هو الجد كل الجد.
يكيدون كيداً	: أي يعملون المكائد للنبي ﷺ.
وأكيد كيدا	: أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون لأوقعهم في المكروه.
أمهلهم رويدا	: أي زمنا قليلا وقد أخذهم في بدر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والسماء والطارق﴾[1] هذا قسم إلهي حيث أقسم تعالى بالسماء والطارق ولما كان لفظ الطارق يشمل كل طارق آت بليل، وأراد طارقاً معينا فخم من شأنه بالاستفهام عنه الدال على تهويله فقال ﴿وما أدراك ما الطارق﴾[2] ثم بيّنه بقوله ﴿النجم الثاقب﴾ وكل نجم هو ثاقب للظلام بضوئه. والمراد به هنا الثريّا لتعارف العرب على إطلاق النجم على الثريا. هذا هو القسم والمقسم عليه هو قوله تعالى ﴿إن كل نفس[3] لما عليها حافظ﴾[4] وهنا قراءتان سبعيتان الأولى بتخفيف ميم لما وحينئذ تصبح زائدة لتقوية الكلام لا غير واللام للفرق بين إن النافية والمؤكدة الداخلة على الأسم وهو هنا ضمير شأن محذوف والتقدير أنه أي الحال والشأن كل نفس عليها حافظ. والثانية بتشديد لمّا وحينئذ تكون إن نافية بمعنى ما ولما بمعنى إلّا ويصير الكلام هكذا. ما كل نفس إلّا عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويُحصي عليها ما تكسب من خير وشر. وقوله تعالى ﴿فلينظر الإنسان﴾[5] أي الكافر المكذب بالبعث والجزاء ﴿مم خُلق﴾ أي من أي شيء خلق. وبين تعالى مما خلقه بقوله ﴿خُلق من ماء[6] دافق﴾ أي ذي اندفاق وهو المنيّ يصب في الرحم يخرج من بين الصلب والترائب أي يخرج الماء من صلب الرجل وهو عظام ظهره وترائب المرأة وهي محل القلادة من صدرها، وقد اختلف في تقدير فهم هذا الخبر عن الله تعالى وجاء

---

(١) قال العلماء افتتاح السورة بالقسم تحقيق لما يقسم عليه وتشويق اليه.

(٢) وما أدراك استفهام المراد منه تهويل الأمر وتعظيمه.

(٣) الإخبار بأن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها لتحاسب عليها وتجزى بها إثبات للبعث الآخر بطريق الكناية.

(٤) قرأ نافع بتخفيف الميم من لما وشددها حفص.

(٥) الفاء للتفريع إذ الجملة متفرعة عن قوله إن كل نفس لما عليها حافظ إن شك الإنسان في حقيقة البعث فلينظر في أصل نشأته وجائز أن تكون الفاء الفصيحة.

(٦) هذا جواب الاستفهام (مم خلق) إذ من ابتدائية وما استفهامية وحذف ألفها تخفيفا لتقدم حرف الجر عليها نحو عمّ؟ ولم؟ والجار والمجرور متعلق بخلق بعده والإنسان منكر البعث.

العلم الحديث فشرح الموضوع وأثبت أن ماء الرجل يخرج حقا مما ذكر الله تعالى في هذه الآية وأن ماء المرأة كذلك يخرج مما وصف عز وجل وصدق الله العظيم. وقوله تعالى ﴿إنه على رجعه لقادر﴾[1] أي الذي خلقه مما ذكر من ماء دافق فجعله بشراً سوياً ثم أماته بعد أن كان حياً قادر على إرجاعه حياً كما كان وأعظم مما كان. وذلك يوم[2] تبلى السرائر أي تختبر[3] الضمائر وتكشف الأسرار وتعرف العقائد والنيات الصالحة من الفاسدة والسليمة من المعيبة ويومها ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ ليس لهذا الكافر والمكذب بالبعث والحياة الثانية ماله قوة يدفع بها عن نفسه عذاب ربّه ولا ناصر ينصره فيخلصه من العذاب. وقوله تعالى ﴿والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع﴾ أقسم تعالى بالسماء ذات السحب والغيوم والأمطار، والأرض ذات التشقق عن النباتات والزروع المختلفة على أن القرآن الكريم قول فصل وحكم عدل في كل مختلف فيه من الحق والباطل فما أخبر به وحكم فيه من أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها هو الحق الذي لا مرية فيه والصدق الذي لا كذب معه وقوله تعالى وما هو بالهزل أي وليس القرآن باللعب الباطل بل هو الحق من الله الذي لا باطل معه. وقوله تعالى ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾ أي إن كفار قريش يمكرون بالنبي محمد ﷺ وبدعوته مكرا ويكيدون لهماكيدا. وقوله ﴿وأكيد كيدا﴾ أي وأنا أمكر بهم أكيد لهم كيدا فمن يغلب مكره وكيده الخالق المالك أم المخلوق المملوك؟ فمهل الكافرين يارسولنا أمهلهم قليلا، فقد كتبنا في كتاب عندنا ﴿لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ وقد أنجز الله وعده لرسوله والمؤمنين فلم يمض إلّا سنيات قلائل، ولم يبق في مكة من سلطان إلا الله، ولا من معبود يعبد إلا الله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير المعاد والبعث والجزاء. ٢ـ تقرير أن أعمال العباد محصية محفوظة وأن الحساب يجري بحسبها. ٣ـ بيان مادة تكوين الإنسان ومصدر تكوين تلك المادة.

٤ـ التحذير من إسرار الشر وإخفاء الباطل، وإظهار خلاف ما في الضمائر، فإن الله تعالى عليم بذلك، وسيختبر عباده في كل ما يسرون ويخفون.

---

(١) جائز أن يكون على رجعه ماءً في الصلب كما كان قادراً إلا أن ما في التفسير أولى بقرينة يوم تبلى السرائر وذلك يوم القيامة الذي هو يوم البعث.

(٢) تبلى تختبر وتمتحن لإظهار ما كان مستوراً مخبوءاً فيها من كفر وإيمان وخير وشر. ورد عن السلف أن الوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة من السرائر، وأن حيض المرأة وحملها من السرائر إذ في إمكانها إخفاءه وإظهاره.

(٣) السرائر جمع سريرة وهي ما يسر العبد ويخفيه في نفسه. وما يستره من أعماله. قال الأحوص:

سيبقى لها في مضمر القلب والحشاء سريرة ودٍ يوم تبلى السرائر

٥ـ إثبات أن القرآن قول فصل ليس فيه من الباطل شيء وقد تأكد هذا بمرور الزمان فقد صدقت أنباؤه ونجحت في تحقيق الأمن والاستقرار أحكامه.

سُورَةُ الأَعْلَى

مكيـة وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ
﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾
وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات:

سبح اسم ربك : أي نزه اسم ربك أن يُسمى به غيره وأن يذكر بسخرية أو لعب أي لا يذكر إلا باجلال واكبار ونزه ربك عما لا يليق به من الشرك والصاحبة والولد والشبيه والنظير.

الأعلى : أي فوق كل شيء والقاهر لكل شيء.

الذي خلق فسوى : أي الإنسان فسوى أعضاءه بأن جعلها متناسبة غير متفاوتة.

والذي قدر فهدى : أي قدر ما شاء لمن شاء وهداه إلى إتيان ما قدره له وعليه.

والذي أخرج المرعى : أي أنبت العشب والكلأ.

فجعله غثاء أحوى : أي بعد الخضرة والنضرة هشيما يابسا أسود.

سنقرئك فلا تنسى : أي القرآن فلا تنساه بإذننا.

إلا ما شاء الله : أي إلا ما شئنا أن ننسيكه فإنك تنساه وذلك إذا أراد الله تعالى نسخ شيء من القرآن بلفظه فإنه يُنسي فيه رسوله ﷺ.

ونيسرك لليسرى : أي للشريعة السهلة وهي الإسلام.

فذكر إن نفعت الذكرى: أي من تذكر أو لم تنفع ومعنى ذكر عظ بالقرآن.

ويتجنبها : أي الذكرى أي يتركها جانبا فلا يلتفت إليها.

الأشقى : أي الكافر الذي كتبت شقاوته أزلا.

يصلى النار الكبرى : أي نار الدار الآخرة.

لايموت فيها ولا يحيا: أي لا يموت فيستريح، ولا يحيا فيهنأ.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾[1] هذا أمر من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وأمته تابعة له بأن ينزه اسمَ[2] ربّه عن أن يسمى به غيره، أو أن يذكر في مكان قذر، أو أن يذكر بعدم اجلال واحترام، والأعلى صفة للربّ تبارك وتعالى دالة على علوه على خلقه فالخلق كله تحته وهو قاهر له وحاكم فيه. الذي خلق فسوى أي أوجد من العدم المخلوقات وسوى خلقها كل مخلوق بحسب ذاته فعدل أجزاءه وسوى بينها فلا تفاوت فيها ﴿والذي قدر فهدى﴾ أي قدر الأشياء في كتاب المقادير من خير وغيره وهدى كل مخلوق إلى ما قدره له أو عليه فهو طالب له حتى يدركه في زمانه ومكانه وعلى الصورة التى قدر عليها ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أي ما ترعاه البهائم من الحشيش والعشب والكلأ. ﴿فجعله غثاء أحوى﴾[3] أي فجعله بعد الخضرة والنضرة هشيما متفرقا يابسا بين سواد وبياض وهي الحوّة هذه خمس آيات الآية الأولى تضمنت الأمر بتنزيه اسم الله والأربع بعدها في التعريف به سبحانه وتعالى حتى يعظم اسمه وتعظم ذاته وتنزه عن الشريك والصاحبة والولد. وقوله تعالى ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ هذه عِدَةٌ من الله تعالى لرسوله. لعل سببها أنه كان ﷺ إذا جاءه جبريل بالآيات يخاف نسيانها فيستعجل قراءتها قبل فراغ جبريل عليه السلام من إملائها عليه فيحصل له بذلك شدة فطمأنه ربّه أنه لاينسى ما يقرئه جبريل ﴿إلا ما شاء الله﴾[4] أن ينسيه إياه لحكمة اقتضت ذلك فإنه ينساه فقد كان ﷺ ينسى وذلك لما أراد الله أن ينسخه من كلامه.

(١) روي في السنن لما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال رسول الله ﷺ اجعلوها في سجودكم. فكانوا يقولون في سجودهم سبحان ربي الأعلى ثلاثاً فاكثر.

(٢) إنّ تنزيه الاسم مستلزم لتنزيه المسمى، فلذا لا حاجة إلى القول بأن اسم صلة قصد بها تعظيم المسمى. استشهاداً بقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما فتنزيه اسم الله وتقديسه مطلوب

بل من أسمى المطالب، وتنزيه الله تعالى يكون بنفي الشريك عنه والولد ونفي كل نقص عنه قولا واعتقاداً وما يقرر أن تنزيه الاسم مستلزم لتنزيه المسمى قول الرسول ﷺ اجعلوها في سجودكم. لأنها دالة على تنزيه الرب تعالى وتعظيمه.

(٣) الأحوى: الموصوف بالحوة وهي لون من الألوان سمرة تقرب من السواد، وأحوى صفة لغثاء الذي هو اليابس من النبات.

(٤) الاستثناء مفرغ أي إلا الذي شاء الله أن تنساه فإنك تنساه.

وقوله تعالى ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ هذه الجملة تعليلية لقدرة الله تعالى على أن يحفظ على رسوله القرآن فلا ينساه ومعنى يعلم الجهر وما يخفى أي أن الله تعالى يعلم ما يجهر به المرء من قراءة أو حديث وما يخفيه الكل يعلمه الله بخلاف عباده فإنهم لا يعلمون ما يخفى عليهم ويُسرُّ به وقوله تعالى و﴿نيسرك لليسرى﴾ أي للطريقة السهلة الخالية من الحرج وهي الشريعة الإسلامية التي بنيت على أساس أن لا حرج في الدين (وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله تعالى ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾[1] من آيسناك من إيمانهم أو لم تنفع . لأنه ﷺ مأمور بالبلاغ فيبلغ الكافر والمؤمن ويذكر الكافر والمؤمن . والأمر بعد لله. وقوله تعالى ﴿سيذكر من يخشي﴾ أي سيذكر ويتعظ من يخشي عقاب الله لإيمانه به ومعرفته له ﴿ويتجنبها﴾ أي الذكرى ﴿الأشقى﴾ أي أشقى الفريقين فريق من يتذكر وفريق من لا يتذكر ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ أي يدخل النار الكبرى نار يوم القيامة ﴿ثم لايموت فيها﴾ من جراء عذابها فيستريح ﴿ولا يحيا﴾[2] فيهنأ ويسعد إذ الشقاء لازمه . وهذه حال أهل النار ونعوذ بالله من حال أهل النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ وجوب تسبيح اسم الله وتنزيهه عما لا يليق به كوجوب تنزيه ذات الله تعالى عن كل مالا يليق بجلاله وكماله .

٢ـ مشروعية قول سبحان ربّي الأعلى عند قراءة هذه الآية سبح اسم ربك الأعلى .

٣ـ وجوب التسبيح بها في السجود في كل سجدة من الصلاة سبحان ربي الأعلى ثلاثا فأكثر.

٤ـ مشـروعية قراءة هذه السورة في الوتر فيقرأ في الركعة الأولى بالفاتحة والأعلى وفي الثانية بالفاتحة والكافرون ، وفي ركعة الوتر بالفاتحة والصمد أو الصمد والمعوذتين .

٥ـ أحب الرسول ﷺ سورة الأعلى لأنها سورة ربّه وأن ربّه بشره فيها بشارتين عظيمتين الأولى انه يُيسره لليسرى، ومن ثم ما خُير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما والثانية أنه حفظه من النسيان بأن جعله لا ينسى . ولذا كان يُصلي بهذه السورة الجمع والأعياد والوتر في كل ليلة فصلى الله عليه وسلم .

---

(١) في الجملة تعريض بأن بين كفار قريش من لم تنفعهم الذكرى، ومع هذا فالتذكير متعين للجميع إقامة للحجة .

(٢) قوله ولا يحيا في الجملة احتراس مما قد يظن انه ما دام الجهنمي أنه لا يموت فسوف يحيى حياة عادية لا عذاب فيها فرفع هذا التوهم بهذه الجملة (ولا يحيى) أي حياة راحة من العذاب كما قال القائل :

ألا ما لنفس لا تموت فينقضي ... عناها ولا تحيا حياة لها طعم

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

شرح الكلمات:

أفلح : أي فاز بأن نجا من النار، ودخل الجنة.

من تزكى : أي تطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.

وذكر اسم ربه : أي في كل أحايينه عند الأكل وعند الشرب وعند النوم وعند الهبوب منه وفي الصلاة وخارج الصلاة من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير.

فصلى : أي الصلوات الخمس والنوافل من رواتب وغيرها.

تؤثرون : أي تقدمون وتفضلون الدنيا على الآخرة.

إن هذا لفي الصحف الأولى : أي إن هذا وهو قوله قد أفلح إلى قوله وأبقى.

صحف ابراهيم : إذ كانت عشر صحف.

وموسى : أي توراته.

معنى الآيات:

قوله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربّه فصلى يخبر تعالى بفلاح عبد مؤمن زكى نفسه[1] أي طهرها بالإيمان وصالح الأعمال، وذكر اسم ربّه على كل أحايينه عند القيام من النوم عند الوضوء بعد الوضوء في الصلاة وبعد الصلاة وعند الأكل والشرب وعند اللباس فلا يخلو من ذكر الله ساعة فصّلى الصلوات الخمس وصلى النوافل. ومعنى الفلاح الفوز والفوز هو النجاة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب. والمراد منه في الآية النجاة من النار ودخول الجنة لآية آل عمران ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾. وقوله تعالى ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ أيها الناس أي تفضلونها على الآخرة فتعملون لها وتنسون الآخرة فلا تقدمون لها شيئا.

(١) قوله تزكى فيه معنى المعالجة وهي انه عمل على تزكية نفسه بإبعادها عما يخبثها من الشرك والآثام، ثم بتحليتها بالعبادات المزكية لها وهي الإيمان وصالح الأعمال.

هذا هو طبعكم أيها الناس إلا من ذكر الله فصلى بعد أن آمن واهتدى في حين أن الآخرة خير من الدنيا وأبقى خير نوعاً وأبقى مدة حتى قال الحكماء[1] لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف . . طين لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى ، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية وقوله تعالى ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى﴾ أي إن قوله تعالى قد أفلح من تزكى إلى قوله خير وأبقى مذكور في كل من صحف ابراهيم وكانت له عشر صحف ولموسى[2] ، التوراة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ الترغيب في الزكاة والذكر والصلاة ، ويحصل هذا للمسلم كل عيد فطر إذ يخرج زكاة الفطر أولا ثم يأتي المسجد يكبر، ثم يصلي حتى أن بعضهم يرى أن هذه الآية نزلت في ذلك .

٢ـ التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة لفناء الدنيا وبقاء الآخرة .

٣ـ توافق الكتب السماوية دليل أنها وحي الله وكتبه أنزلها على رسله عليهم السلام .

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مكية وآياتها ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢)
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥)
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧)
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠)
لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣)
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)

---

(١) قال مالك بن دينار ونص كلمته كالتالي : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى. قال فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى؟

(٢) لقد كان لموسى صحف كثيرة إذ هي مجموع صحف أسفار التوراة والصحف جمع صحيفة على غير قياس إذ القياس صحائف وصار صحف أشهر وأفصح من صحائف كما قالوا في جمع سفينة سفن فكان أفصح من سفائن.

شرح الكلمات :

هل أتاك : أي قد جاءك .

الغاشية : أي القيامة وسميت الغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها .

وجوه يومئذ : أي يوم إذ تقوم الساعة .

خاشعة : أي ذليلة أطلق الوجوه وأراد أصحابها .

عاملة ناصبة : أي ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال وتكليف شاق الأعمال .

تصلىٰ نارا حامية : ترد هذه الوجوه ناراً حامية قد اشتدت حرارتها .

تسقى من عين آنية : أي بلغت أناها من الحرارة يقال أني الحميم إذا بلغ منتهاه .

إلا من ضريع : أي أخبث طعام وأنتنه ، وضريع الدنيا نبت يقال له الشبرق لا ترعاه الدواب لخبثه .

وجوه يومئذ ناعمة : أي حسنة نضرة .

لسعيها راضية : أي لعملها الصالحات في الدنيا راضية في الآخرة لما رأت من ثوابها .

لاغية : أي كلمة لاغية من اللغو والباطل .

وأكواب : أقداح لا عُرا لها موضوعة على حافة العين للشرب .

ونمارق مصفوفة : أي ومساند جمع نمرقة مصفوفة الواحدة إلى جنب الأخرى للاستناد إليها .

وزرابي مبثوثة : أي بسط وطنافس لها خمل ومالا خمل لها يسمى سجادة ومعنى مبثوثة مفروشة هنا وهناك مبسوطة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿هل أتاك[1] حديث الغاشية[2]﴾ هذا خطاب من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ يقول له فيه هل أتاك نبأ الغاشية وخبرها العظيم وحديثها المهيل المخيف إن لم يكن أتاك فقد أتاك الآن إنه حديث القيامة التي تغشي الناس بأهوالها وصعوبة مواقفها واشتداد أحوالها وإليك عرضاً سريعاً لبعض ما يجري فيها: ﴿وجوه يومئذ[3]﴾ تغشاهم الغاشية ﴿خاشعة﴾ ذليلة ﴿ناصبة﴾ أي

---

(١) افتتح تعالى هذه السورة بالاستفهام بهل المفيد لمعنى قد التي هي للتحقيق من أجل التشويق إلى ما يخبر به لما فيه من العلم والمعرفة وما يحوي من موعظة كبرى .

(٢) الغاشية : القيامة علم لها بالغلبة واشتق لها هذا الاسم من الغشيان الذي هو التغطية إذ هي تغطي الناس بأهوالها وتذهل عقولهم وتغطيها .

(٣) هذه الجملة بيان لجملة حديث الغاشية بينها بذكر أحوالها وأهوالها إذ المقصود العبرة وتقرير البعث الذي أنكره المشركون وذكر الوجوه كناية عن أصحابها إذ يطلق الوجه ويراد به الذات .

ذات نصب وتعب من جرّ السلاسل والأغلال، وتكليف أشق الأعمال ﴿تصلى نارا حامية﴾ أي ترد ناراً ﴿تسقى﴾ أي فيها ﴿من عين آنية﴾ قد بلغت أناها وانتهت إلى غايتها في حرارتها هذا هو الشراب أما الطعام فإنه ليس لهم طعام إلا من ضريع[1] قبيح اللون خبيث الطعم منتن الريح، ﴿لايسمن﴾ آكله ولا يغنيه من جوع. هذه حال من كفر وفجر كفر بالله وبآياته ولقائه ورسوله، أو فجر عن طاعة الله ورسوله فترك الفرائض وغشي المحارم هذه وجوه ووجوه[2] يومئذ ناعمة أي نضرة حسنة فإنها لسعيها راضية أي لسعيها في الدنيا وهو إيمانها وصبرها إيمانها وجهادها إيمانها وتقواها إيمانها وعملها الصالح أصحاب هذه الوجوه راضون بأعمالهم لما رأوا من ثوابها والجزاء عليها.

إنهم أدخلوا في جنة عالية لا يقادر علاها، لا تسمع[3] فيها لاغية أي كلمة باطلة تنغص سعادتهم ولا كلمة نابية تقلق راحتهم. فيها عين جارية من غير أخدود حفر لها، فيها سرر مرفوعة قدراً وحالاً ومكاناً، وأكواب أقداح لا عرا لها من ذهب وفضة موضوعة لشربهم إن شاءوا شربوا بأيديهم أو ناولتهم غلمانهم، ذاك لون من الشراب أما الفراش فإنها سرر مرفوعة، ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة، وسائد قد صفت للراحة والاتكاء الواحدة إلى جنب الأخرى طنافس ذات خمائل مبثوثة مفروشة هنا وهناك مبسوطة. هذه لمحة خاطفة عن الدار الآخرة تعتبر ذكرى للذاكرين وعظة للمتقين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر عرض سريع لها.

٢ـ من أسماء القيامة الغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها.

٣ـ بيان أن في النار نصباً وتعباً . على عكس الجنة فإنها لا نصب فيها ولا تعب.

٤ـ من مؤلمات النفس البشرية لغو الكلام وكذبه باطله وهو ما ينزه عنه المؤمنون أنفسهم.

---

(١) الضريع هو يابس ثمر الشبرق بكسر الشين وإسكان الباء وكسر الراء وهو نبت ذو شوك فإذا يبس يقال له ضريع ويصير مسموماً أي فيه مادة السم القاتلة هذا طعام أهل النار وجائز أن يكون الضريع شجر في النار ينتج عنه عصير الغسلين.

(٢) وجوه يومئذ ناعمة. هذه الجملة غير معطوفة على الوجوه الأولى، لأن المقصود من الكلام هو بيان القيامة وما يكون فيها من عذاب وشقاء للمكذبين بها. فلما تم الحديث عنها قد يتشوق السامع إلى معرفة حال المؤمنين بها فأجيب بقوله وجوه يومئذ ناعمة الخ . . فهو استئناف بياني.

(٣) قرأ نافع لا تسمع بالبناء للمجهول ولاغية نائب فاعل وقرأ حفص لا تسمع بالبناء للفاعل ولاغية مفعول به.

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

أفلا ينظرون : أي أينكرون البعث فلا ينظرون نظر اعتبار.

إلى الإبل كيف خلقت : أي خلقا بديعا معدولا به عن سنن سائر المخلوقات.

وإلى السماء كيف رفعت : أي فوق الأرض بلا عمد ولا مستند.

وإلى الجبال كيف نصبت : أي على وجه الأرض نصباً ثابتا لا يتزلزل.

وإلى الأرض كيف سطحت : أي بسطت.

فذكر : أي ذكرهم بنعم الله ودلائل توحيده.

بمسيطر : أي بمسلط.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿أفلا ينظرون﴾[1] أي أينكرون البعث والجزاء وما أعد الله لأوليائه من النعيم المقيم وما أعد لأعدائه من عذاب الجحيم. أفلا ينظرون نظرة اعتبار إلى الإبل كيف خلقت[2]، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت فهل خلق الإبل على تلك الصورة العجيبة وذاك التسخير لها وما فيها من منافع إذ يشرب لبنها ويركب ظهرها ويؤكل لحمها لا يدل على قدرة الخالق على إحياء الموتى وهل خلق السماء بكواكبها وشمسها وقمرها ثم رفعها بغير عمد يدعمها ولا سند يسندها لا يدل على قدرة الله على بعث الموتى أحياء ليحاسبهم ويجزيهم، وهل نصب الجبال بعد خلق ترابها وإيجاد صخورها لا يدل على قدرة الله خالقها

(١) هذا الكلام متفرع عما سبقه إذ إنكار المشركين للبعث والجزاء وللتوحيد الناتج عن جهلهم وغفلتهم وعدم تفكرهم فلذا استحثهم على النظر والتفكر موبخاً لهم على ترك ذلك.

(٢) كيف خلقت بدل اشتمال من الإبل، وكيف في محل نصب على الحال والعامل فيه ما ذكر بعدها وأما وإلى السماء وما بعدها فإنها معطوفات على جملة إلى الإبل واعراب كيف واحد والإبل اسم جمع للبعران لا مفرد لها من لفظه.

على بعث الرمم وإحياء الأجساد البالية كيف شاء ومتى شاء وهل خلق الأرض بكل ما فيها ثم بسطها وتسطيحها للحياة عليها والسير فوقها وتعميرها بأنواع العمران لا يدل على قدرة الله على البعث والجزاء. فما للقوم لاينظرون ولا يفكرون[1] وقوله تعالى ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ بعد لفت أنظار المشركين إلى ما لو نظروا إليه وتفكروا فيه لاهتدوا إلى الحق وعرفوا أن الخالق لكل شيء لا يعجزه بعث عباده ولاجزاؤهم. أمر رسوله أن يقوم بالمهمة التي أنيطت به وهي التذكير دون الهداية التي هي لله وحده دون سواه فقال له ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ أي ذكر بمظاهر قدرتنا وآياتنا في الآفاق وآلائنا على العباد إنما أنت مذكر ليس غير. وقوله ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ أي بمتسلط تجبرهم على الإيمان والاستقامة وقوله ﴿إلا من[2] تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ أي لكن من تولى عن الإيمان فكفر بآياتنا ورسولنا ولقائنا فيعذبه الله العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة. وقوله تعالى ﴿إن إلينا إيابهم﴾ أي رجوعهم إلينا لا إلى غيرنا. ﴿ثم إن علينا﴾ لا على غيرنا ﴿حسابهم﴾ ومن ثم سوف نجزيهم الجزاء اللائق بهم، ولذا فلا يضرك يارسولنا إعراضهم ولا توليهم. وحسبك تذكيرهم فمن اهتدى نجا ونجاته لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها إذ عاقبة ضلاله وهي الخسران التام عائدة عليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير البعث والجزاء بالدعوة إلى النظر إلى الأدلة الموجبة للإيمان به.

٢ـ بيان أن الداعي إلى الله تعالى مهمته الدعوة دون هداية القلوب فإنها إلى الله تعالى وحده.

٣ـ بيان أن مصير البشرية إلى الله تعالى وهي حال تقتضي الإيمان به تعالى وطاعته طلبا للنجاة من عذابه والفوز برحمته. وهو مطلب كل عاقل لو أن الناس يفكرون.

(١) من مظاهر رحمة الله ولطفه بعباده أن يوجه عباده إلى سبيل هدايتهم توجيها خاليا من العناء والمشقة فالعربي يركب بعيره في طريقه إلى حاجته فينظر إليه وهو راكبه وينظر إلى السماء فوقه وإلى الجبال حواليه وإلى الأرض تحت قدميه فيسأل أليس القادر على خلق هذا قادراً على البعث؟ فيجيب نفسه بلى إنه قادر.

(٢) روي أن علياً أتى بمرتد عن الإسلام فاستتابه ثلاثة أيام فلم يتب وأصر على الردة فضرب عنقه وقرأ (إلا من تولى وكفر).

سُورَةُ الفَجْرِ

مكيـة وآياتها ثلاثون آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

والفجر	: أي فجر كل يوم.
وليال عشر	: أي عشر ذي الحجة.
والشفع والوتر	: أي الزوج والفرد.
والليل إذا يسر	: أي مقبلا أو مدبراً.
لذي حجر	: أي حجى وعقل.
بعاد إرم	هي عاد الأولى.
ذات العماد	: إذ كان طول الرجل منهم اثنى عشر ذراعاً.
جابوا الصخر بالواد	: أي قطعوا الصخر جعلوا من الصخور بيوتا بوادي القرى.
ذي الأوتاد	: أي صاحب الأوتاد وهي أربعة أوتاد يشدُّ إليها يدي ورجلي من يعذبه.
طغوا في البلاد	: أي تجبروا فيها وظلموا العباد وأكثروا فيها الفساد.
فأكثروا فيها الفساد	: أي الشرك والقتل.
سوط عذاب	: أي نوع عذاب.
لبالمرصاد	: أي يرصد أعمال العباد ليجزيهم عليها.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر[1] والليل إذا يسر﴾ هذه أربعة أشياء قد أقسم الله تعالى بها وهي الفجر وفي كل يوم فجر وجائز أن يكون قد أراد تعالى فجر يوم معين وجائز أن يريد فجر كل يوم ، وليال عشر وهي العشر الأول من شهر الحجة وفيها عرفة والأضحى وقد أشاد بها رسول الله ﷺ وقال ما من[2] أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من عشر ذي الحجة والشفع وهو كل زوج والوتر[3] وهو كل فرد فهو إقسام بالخلق كله والليل إذا يسر مقبلا أو مدبرا فهو بمعنى والليل إذا سار والسير يكون صاحبه ذاهبا أو آيبا وقوله تعالى ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ أي لذي حجر ولب وعقل أي نعم فيه قسم عظيم وجواب القسم أو المقسم عليه جائز أن يكون قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ الآتي ، وجائز أن يكون مقدراً مثل لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير، وهذا لأن السورة مكية وهي تعالج العقيدة ومن أكبر ما أنكره المشركون البعث والجزاء فلذا هذا الجواب مراد ومقصود. ويدل عليه ما ذكر تعالى من مظاهر قدرته في الآيات بعد والقدرة هي التي يتأتى بها البعث والجزاء فقال عز وجل ﴿ألم تر كيف[4] فعل ربك﴾ أي ألم تنظر بعيني قلبك كيف فعل ربك بعاد[5] إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وهي عاد الأولى قوم هود الذين قالوا من أشد منا قوة، وقال لهم نبيهم هود وزادكم في الخلق بسطة فقد كان طول الرجل منهم اثنى عشر ذراعا، ولفظ إرم عطف بيان لعاد فإرم هي عاد قوم هود ووصفها بأنها ذات عماد وأنها لم يخلق مثلها في البلاد هو وصف لها بالقوة والشدة وفعلا كانوا أقوى الأمم وأشدها ولازم طول الأجسام أن تكون أعمدة المنازل كأعمدة الخيام من الطول ما يناسب سكانها في طولهم . ومع هذه القوة والشدة فقد أهلكهم الله الذي هو أشد منهم قوة وقـولـه تعالى ﴿وثمود الذين[6] جابوا الصخر بالواد﴾. أي وانظر كيف فعل ربك بثمود وهم أصحاب الحجر (مدائن صالح) شمال المدينة النبوية قوم صالح الذين كانوا أقوياء أشداء حتى

---

(١) لصلوحية الشفع والوتر لأشياء كثيرة ذكر القرطبي منها عدداً كثيراً فروى عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب وأولى ما يقال أن الله تعالى أقسم بكافة خلقه إذ كل ما عداه تعالى ما بين شفع ووتر، إذ الشفع ما يكون ثانياً لغيره، والوتر الشيء المفرد.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) قرأ نافع والجمهور والوتر بفتح الواو وكسرها حفص.

(٤) ألم تر استفهام تقريري والمخاطب به النبي ﷺ وهو متضمن التعريض بالمشركين المعاندين، كما هو متضمن الوعد بنصر رسوله ﷺ والرؤية قلبية أو هي بمعنى ألم ينتهي إلى علمك فعل ربك بعاد الخ . .

(٥) عاد اسم أبي قبيلة وهو عاد بن عُوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

(٦) وكون عاد إرم هم قوم هود عليه السلام يرجحه ذكر ثمود بعدهم في السياق كما هو في سائر قصص القرآن.

إنهم قطعـوا الصخور نحتاً لها فجعلوا منها البيوت والمنازل كما قال تعالى عنهـم ﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ والمراد بالواد واديهم الذي كان بين جبلين من جبالهم التي ينحتون منها البيوت . فمعنى جابوا الصخر بالواد أي قطعوا الصخور بواديهم وجعلوا منها مساكن لهم تقيهم برد الشتاء القارص وحر الصيف اللافح ، ومع هذا فقد أهلكهم الله ذو القوة المتين وقوله ﴿وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في[1] البلاد فأكثروا فيها الفساد﴾ وانظر يارسولنا كيف فعل ربك بفرعون صاحب المشانق والقتل والتعذيب إذ كان له أربعة أوتاد إذا أراد قتل من كفر به وخرج عن طاعته قيد كل يد بوتد وكل رجل بوتد ويقتله كما هي المشانق التي وضعها الطغاة الظلمة فيما بعد . وقوله تعالى ﴿الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد﴾ وهو الشرك والمعاصي فأهلكهم الله أجمعين عاد إرم وثمـود وفرعون وملأه إذ صب عليهم ربك سوط عذاب[2] أي نوع عذاب من أنواع عذابه فأهلك عاد إرم بالريح الصرصر، وثمود بالصيحة العاتية ، وفرعون بالغرق في البحر . وقوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أي لكل جبارعات وطاغية ظالم أي هو تعالى يرصد أعمال العباد ليجزيهم بهـا في الدنيا وفي الآخرة . ولفظ المرصاد يطلق على مكان يرصد فيه تحركات الصيد الذي يصاد، أو تحركات العدووهوكبرج المراقبة . والرب تبارك وتعالى فوق عرشه والخليقة كلها تحته يعلم ظواهرها وبواطنها ويراقب أعمالها ويجزيها بحسبها قال تعالى ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ فضل الليالي العشر من أول ذي الحجة إلى العاشر منه .

٢ـ بيان مظاهر قدرة الله في إهلاك الأمم العاتية والشعوب الظالمة مستلزم لقدرته تعالى على البعث والجزاء والتوحيد والنبوة وهو ما أنكره أهل مكة .

٣ـ التحـذير من عذاب الله ونقمـه فإنـه تعـالى بالمـرصاد فليحذر المنحرفون عن سبيل الله والحاكمون بغير شرعه والعاملون بغير هداه أن يصب عليهم سوط عذاب .

(١) جائز أن يكون الموصول مراداً به عاد إرم وثمود وفرعون ، وكونه عائداً إلى فرعون أولى وإن كان الجميع طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد بالشرك والظلم والفساد .

(٢) السوط آلة ضرب يتخذ من جلد يضفر ظفراً فيصبح كالعصا فتضرب به الخيل لتسرع في جريها ، ويطلق العرب لفظ سوط على كل عذاب يكون فيه السوط ، وسوط عذاب هو من إضافة الصفة إلى الموصوف إذ كلمة سوط صفة للعذاب والعرب يطلقون لفظ سوط العذاب على كل نهاية العذاب حتى قال الشاعر:

ألم تر أن الله أظهر دينه   وصب على الكفار سوط عذاب

فَأَمَّا
ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ
(١٥) وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ (١٦)
كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلۡمِسۡكِينِ (١٨) وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا (١٩)
وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا (٢٠)

شرح الكلمات:

فأما الإنسان : أي الكافر المشرك.

ابتلاه : أي اختبره.

وأكرمه ونعمه : أي بالمال والجاه ونعّمه بالخيرات.

أكرمن : أي فضلني لمالي من مزايا على غيري.

فقدر عليه رزقه : أي ضيقه ولم يوسعه عليه.

أهانن : أي أذلني بالفقر ولم يشكر الله على ما وهبه من سلامة جوارحه والعافية في جسمه.

كلا : أي ليس الأمر كما يرى هذا الكافر ويعتقد ويقول.

التراث : أي الميراث.

اكلا لما : أي أكـلًا كثيرا ولمّـاً شديداً إذ يلمـون نصيب النساء والأطفال لما لهم فلا يورثونهم من التركة.

حبا جما : أي حبا شديداً كثيراً.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿فأما[1] الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي[2] أكرمن﴾ لقد تقدم قول الله

---

(١) الفاء للتفريع وما بعدها متفرع عما قبلها، وفي التفسير بيان ذلك وتوضيحه فليتأمل.

(٢) قرأ نافع ربي في الموضعين بفتح الياء وقرأ حفص بسكون الياء ممدودة.

تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وهو دال على أن الله تعالى يحب من عبده أن يعبده ويشكره ليكرمه في دار كرامته يوم لقائه، وإعلام الله تعالى عباده بأنه بالمرصاد يراقب أعمالهم دلالته على أنه يخوفهم من معاصيه ويرغبهم في طاعته واضحة فتلخص من ذلك أن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر وأنه يحب لهم الشكر فأما الإنسان فماذا يحب وماذا يكره قال تعالى عنه فأما الإنسان وهو المشرك وأكثر الناس مشركون إذا ما ابتلاه ربه اي اختبره فأكرمه بالمال والولد والجاه ونعمه بالأرزاق والخيرات لينظر الله هل يشكر أو يكفر فيقول مفاخراً ربي أكرمن أي فضلني على غيري لما لي من فضائل ومزايا لم تكن لهؤلاء الفقراء وأما إذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن[1] أي وأما إذا ما اختبره وضيق عليه رزقه لينظر تعالى هل يصبر العبد المختبر أو يجزع فيقول ربي اهانن أي أذلني فأفقرني.

وقوله تعالى ﴿كلا[2] بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما[3] وتحبون المال حبا جما[4]﴾ أي ألا فارتدعوا أيها الماديون الذين تقيسون الأمور كلها بمقاييس المـادة فالله جل جلاله يوسع الرزق اختبارا للعبد هل يشكر نعم الله عليه فيذكرها ويشكرها بالإيمان والطاعة ويضيّق الرزق امتحانا هل يصبر العبد لقضاء ربه أو يجزع. وإنما أنتم أيها المـاديون ترون أن في التـوسعة اكراما وفي التضييق إهانة كلا ليس الأمر كذلك، ونظريتكم المادية هذه أتتكم من حبكم الدنيا واغتراركم بها ويشهد بذلك إهانتكم لليتامى وعدم إكرامكم لهم لضعفهم وعجـزهم أمامكم، وعدم الاستفادة المادية منهم. وشاهد آخر أنكم لاتحضون أنفسكم ولا غيركم على إطعام المساكين وهم جياع أمامكم، وآخر أنكم تأكلون التراث أي الميراث أكـلا لمـا شديدا تجمعـون مال الورثة من الأطفال والنساء إلى أموالكم. وتحرمون الضعيفين الأطفـال والنسـاء. وآخر وتحبون المال حبا جما أي قويا شديدا. كلا ألا ارتدعوا واخرجوا من دائرة هذه النظرية المادية قبل حلول العذاب، ونزول ما تكرهون. فآمنوا بالله ورسوله.

---

(١) قرأ نافع أكرمني وأهانني بياء ساكنة في الوصل ويحذفها في الوقف وقرأ حفص بدون ياء في الوصل والوقف معاً. وكتابة الياء مفصولة عن النون إشارة إلى أنها تحذف في الوقف.

(٢) كلا حرف زجر وردع للإنسان القائل أكرمن وأهانن إذ قوله باطل ولم يقم على علم بالإكرام ولا بالإهانة فالإكرام علته الاختبار هل يشكر العبد أو يكفر، وتقدير الرزق تضييقه علته الامتحان هل يصبر العبد أو يسخط هذه هي الحقيقة والعبد الكافر الجاهل يري أن الإكرام لشخص المكرم والإهانة كذلك.

(٣) لما أي جمعاً شديداً يقال لممت الطعام ألمه إذا جمعته وأكلته ومنه قول بعضهم لم الله شملك أو شعثك أي جمع ما تفرق من أمرك.

(٤) جماً أي كثيراً حلاله وحرامه إذ الجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموماً فهو جم وجام. ومنه جم الماء في الحوض أو البئر إذا اجتمع والجموم البئر الكثيرة الماء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ النظرية المادية لم تكن حديثة عهد إذ عرفها الماديون في مكة من مشركي قريش قبل أربعة عشر قرنا.

٢ـ وجوب اكرام اليتامى والحض على إطعام الجياع من فقراء ومساكين.

٣ـ وجوب اعطاء المواريث لمستحقيها ذكورا أو اناثا صغارا أو كبارا.

٤ـ التنديد بحب المال الذي يحمل على منع الحقوق، ويزن الأمور بميزانه قوة وضعفا.

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ
بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾
يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

إذا دكت الأرض دكا : أي حركت حركة شديدة وزلزلت زلزالا قويا فلم يبق عليها شاخص البتة.

والملك صفا صفا : أي والملائكة أي صفا بعد صف.

وجيء يومئذ بجهنم : أي تجر بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك.

يتذكر الإنسان : أي الكافر ما قالت له الرسل من وعد الله ووعيده، يوم لقائه.

وأنّى له الذكرى : أي لا تنفعه في هذا اليوم الذكرى.

قدمت لحياتي : أي هذه الإيمان وصالح الأعمال.

لا يعذب عذابه أحد : أي لا يعذب مثل عذاب الله أحد أي في قوته وشدته.

ولا يوثق وثاقه أحد . : أي ولا يوثق أحد مثل وثاق الله عز وجل.

يا أيتها النفس المطمئنة :أي المؤمنة الآمنة اليوم من العذاب لما لاح لها من بشائر النجاة.
ارجعي إلى ربك : أي إلى جواره في دار كرامته أي الجنة.
فادخلي في عبادي : أي في جملة عبادي المؤمنين المتقين.
وادخلي جنتي : أي دار كرامتي لأوليائي.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إذا دكت الأرض دكا دكا﴾[1] هو كقوله ﴿وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت﴾ ﴿وجاء ربك﴾ أي لفصل القضاء ﴿والملك صفاً صفاً﴾[2] بعد صف، ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ تجر بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك. هنا وفي هذا اليوم وفي هذه الساعة ﴿يتذكر الإنسان﴾ المهمل المفرط المعرض عن دعوة الرسل، الكافر بلقاء الله والجزاء على الأعمال ﴿وأنى له الذكرى﴾[3] هنا يتذكر وماذا يتذكر؟، وكفره كان عريضاً وشره كان مستطيراً، ماذا يتذكر وهل تنفعه الذكرى، اللهم لا، لا وماذا عساه أن يقول في هذا الموقف الرهيب يقول نادما متحسرا ﴿ياليتني قدمت لحياتي﴾ أي هذه الحياة الماثلة بين يديه، وهل ينفعه التمني اللهم لا، لا.

قال تعالى مخبرا عن شدة العذاب وقوة الوثاق ﴿فيومئذ﴾ أذ تقوم القيامة ويجيء الربّ لفصل القضاء ويجاء بجهنم ويتذكر الإنسان ويأسف ويتحسر في هذا اليوم يقضي الله تعالى بعذاب أهل الكفر والشرك والفجور والفسوق فيعذبون ويوثقون بأمر الله وقضائه في السلاسل ويغلون في الأغلال ويذوقون العذاب والنكال الأمر الذي ما عرفه الناس في الدنيا أيام كانوا يعذبون المؤمنين ويوثقونهم في الحبال وهو ما أشار إليه بقوله : ﴿فيومئذ لا يعذب[4] عذابه أحد﴾ أي لا يعذب عذاب احد في الدنيا مهما بالغ في التعذيب عذاب الله في الآخرة ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾[5] أي لا يوثق أحد في الدنيا وثاق الله في الآخرة هذه صورة من عذاب الله لأعدائه من أهل الشرك به والكفر بآياته ورسوله ولقائه وأما أهل الإيمان به وطاعته وهم أولياؤه الذين آمنوا في الدنيا وكانوا يتقون فها هم ينادون فاستمع ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ إلى صادق وعد الله ووعيده في كتابه وعلى لسان رسوله فآمنت واتقت وتخلت عن الشرك والشر فكانت مطمئنة بالإيمان وذكر الله قريرة

(١) الدك الحطم والكسر، ودك الأرض تحطيمها وتفريق أجزائها.
(٢) الملك اسم جنس المراد به الملائكة وصفاً صفاً أي صفاً بعد صف أي خلفه ووراءه.
(٣) أنى اسم استفهام بمعنى أين له الذكرى والاستفهام مستعمل في الإنكار والنفي معاً والتقدير وأين له نفع الذكرى
(٤) جائز أن يعود الكلام على الإنسان الكافر ويكون معناه انه يعذب عذاباً لا يعذبه احد غيره ويوثق وثاقاً لايوثقه غيره من الموثقين، وما في التفسير أولى.
(٥) الوثاق بمعنى الإيثاق يقال أوثقته إيثاقاً.

العين بحب الله ورسوله، وما وعدها الرحمن ﴿ارجعي إلى ربك﴾ أي إلى جواره في دار كرامته حال كونك ﴿راضية﴾ ثواب الله لك مرضيا عنك من قبل مولاك ﴿فادخلي في عبادي﴾ أي في جملة عبادي الصالحين ﴿وادخلي جنتي﴾[1] فيقال لها هذا عندما يرسل الله الأرواح إلى الأجساد يوم المعاد، فإذا دخلت تلقتها الملائكة بالسلام وتساق إلى ساحة العرض وتعطى كتابها بيمينها وثم يقال لها ادخلي في عبادي أي في جملتهم وادخلي جنتي بعد مرورها على الصراط اللهم اجعل نفسي مثل تلك النفس[2] المطمئنة بالإيمان وذكر الله ووعد الرحمن وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير المعاد بعرض شبه تفصيلي ليوم القيامة.

٢- بيان اشتداد حسرة المفرطين اليوم في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله يوم القيامة.

٣- بشرى النفس المطمئنة بالإيمان وذكر الله ووعده ووعيده، عند الموت وعند القيام من القبر وعند تطاير الصحف.

سُورَةُ البَلَدِ

مكية وآياتها عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ

---

(١) إن كان هذا القول وهو بشرى عظيمة للمؤمن يقال عند الموت فمعنى ارجعي إلى ربك هو على ظاهره أي ارجعي إلى جوار ربك وكرامته وحسن ثوابه كما في التفسير. وإن كان هذا يقال يوم القيامة فمعنى إلى ربك إلى صاحبك أي إلى الجسد الذي كانت فيه، وذلك بعد خلق الله تعالى الأجساد وجائز أن يراد المعنيان فيقال هذا عند الموت. ويقال لها ذلك يوم القيامة وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه فاللفظ واحد وهو صالح لموقفين مختلفين وسبحان الله العظيم.

(٢) أورد ابن كثير عند تفسير هذه الآية الدعاء الآتي اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك.

﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات:

لا أقسم بهذا البلد : أي مكة.

وأنت حل بهذا البلد : أي وأنت يا نبيّ الله محمد حلال بمكة.

ووالدوما ولد : أي وآدم وذريته.

في كبد : أي في نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

أيحسب أن لن يقدر : أي أيظن وهو أبو الأشدين بن كلدة وكان قويا شديدا.

أهلكت مالا لبدا : يقول هذا مفاخرا بعداوة الرسول وأنه أنفق فيها مالا كثيرا.

أيحسب أن لم يره أحد: أي أيظن أنه لم يره أحد؟ بل الله رآه وعلم ما أنفقه.

وهديناه النجدين : أي بيّنا له طريق الخير وطريق الشر بما فطرناه عليه من ذلك وبما أرسلنا به رسلنا وأنزلنا به كتبنا.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿لا أقسم[1] بهذا البلد وأنت حل[2] بهذا البلد ووالد وما ولد﴾ هذا قسم لله تعالى أقسم فيه بمكة بلده الأمين والرسول بها وهو حلّ يقاتل ويقتل فيها وذلك يوم الفتح الموعود. وقد قتل ﷺ يومها ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة وأقسم بوالد وما ولد فالوالد آدم وما ولد ذريته منهم الأنبياء والأولياء وجواب القسم أو المقسم عليه قوله ﴿لقد خلقنا[3] الإنسان في كبد[4]﴾ أي في نصب وتعب لايفارقانه منذ تخلقه في بطن أمه إلى وفاته بانقضاء عمره ثم يكابد شدائد الآخرة ثم إما إلى نعيم لا نصب معه ولا تعب، وإما إلى جحيم لا يفارقه ماهو أشد من النصب والتعب عذاب الجحيم هكذا شاء الله وهو العليم الحكيم. وفي هذا الخبر الإلهي المؤكد بأجل قسم على أن الإنسان محاط منذ نشأته إلى نهاية أمره بالنصب والتعب ترويح على نفوس المؤمنين بمكة وهم

---

(١) الابتداء بالقسم للتشويق إلى ما يذكر بعد القسم، ولا مزيدة لتقوية الكلام.

(٢) جملة وأنت حل بهذا البلد معترضة بين المتعاطفين وفائدتها تسلية للرسول ﷺ ووعده بنصره على أعدائه.

(٣) لقد خلقنا: هذا جواب القسم والإنسان للجنس ولا يراد به واحد بعينه وبعضهم يرى أن المراد به أبو الأشدّين أسيد بن كلدة الجمحي.

(٤) من مظاهر أن الإنسان مربوب وأن له رباً يسيره ويدبر حياته كونه لا يفارق النصب والتعب مدة حياته وهو لا يريد ذلك.

يعانون من الحاجة والاضطهاد والتعذيب أحيانا من طغاة قريش لا سيما المستضعفين كياسر وولده عمار وبلال وصهيب وخبيب، وحتى الرسول الكريم ﷺ فهو لم يسلم من أذى المشركين فإذا عرفوا طبيعة الحياة وأن السعادة فيها أن يعلم المرء أن لا سعادة بها هان عليهم الأمر وقل قلقهم وخفت آلامهم. كما هو تنبيه للطغاة وإعلام لهم بما هم عنه غافلون لعلهم يصحون من سكرتهم بحب الدنيا وما فيها وقوله عز وجل ﴿أيحسب﴾[1] الإنسان ﴿أن لم يره أحد﴾ هذا الإنسان الذي قيل أنه أبو الأشدّيْن الذي أنفق ماله في عداوة الرسول ﷺ والإسلام ويتبجّح بذلك ويقول ﴿أهلكت مالا لبدا﴾ كثيرا بعضه فوق بعض بلى إن الله تعالى قد رآه وعلم به وعَلِم القدر الذي أنفقه وسوف يحاسب عليه ويجزيه به، ولن ينجيه اعتقاده الفاسد أنه لا بعث ولا جزاء قال تعالى مقررا له بقدرته ونعيمه عليه ﴿ألم نجعل[2] له عينين ولسانا وشفتين[3] وهديناه النجدين[4]﴾ أي أعطيناه عينين يبصر بهما ولسانا ينطق به ويفصح عن مراده وزيناه بشفتين يستر بهما فمه وأسنانه ثم هديناه النجدين أي بيّنا له طريق الخير والشر والسعادة والشقاء بما أودعنا في فطرته وبما أرسلنا به رسلنا وأنزلنا به كتبنا أنسي هذا كله وتعامى عنه ثم هو ينفق ما اعطيناه في حرب رسولنا وديننا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ شرف مكة وحرمتها وعلو شأن الرسول ﷺ وسمو مقامه وهو فيها وقد أحلها الله تعالى له ولم يحلها لأحد سواه.

٢ـ شرف آدم وذريته الصالحين منهم.

٣ـ اعلان حقيقة وهي أن الإنسان لا يبرح يعاني من أتعاب الحياة حتى الممات ثم يستقبل شدائد الآخرة إلى أن يقر قراره وينتهي تطوافه باستقراره في الجنة حيث يستريح نهائيا، أو في النار فيعذب ويتعب أبدا.

فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ

---

(١) الاستفهام إنكاري مشبع بالتوبيخ والتقريع.
(٢) ألم نجعل الاستفهام تقريري وفيه معنى التوبيخ.
(٣) الشفتين واحدتها شفة وأصلها شفو فقلبت الواو هاء فصارت شفة وتجمع على شفاه.
(٤) النجد الأرض المرتفعة ارتفاعاً دون الجبل، والمراد بالنجدين طريقا الخير والشر كما في التفسير.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

فلا اقتحم : أي فهلا تجاوز.

العقبة : أي الطريق الصعب في الجبل، والمراد به النجاة من النار.

فك رقبة : أي اعتق رقبة في سبيل الله تعالى.

في يوم ذي مسغبة : أي في يوم ذي مجاعة وشدة مؤونة.

يتيما ذا مقربة : أي أطعم يتيما من ذوي قرابته.

مسكينا ذا متربة : أي أطعم فقيراً لاصقا بالتراب ليس له شيء.

وتواصوا بالصبر : أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله.

وتواصوا بالمرحمة : أي أوصى بعضهم بعضا برحمة الفقراء والمساكين.

أصحاب الميمنة : أي أصحاب اليمين وهم المؤمنون المتقون.

أصحاب المشأمة : أي أصحاب الشمال وهم الكفار الفجار.

مؤصدة : أي مطبقة لانافذة لها ولا كوة فلا يدخلها هواء.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿فلا اقتحم العقبة﴾[1] فهلا أنفق أبو الأشدين ما أنفقه في عداوة محمد ﷺ هلا أنفقه في سبيل الله فاقتحم بها العقبة فتجاوزها، وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما العقبة﴾[2] هذا تفخيم لشأنها وتعظيم له وقوله ﴿فك رقبة[3] أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان[4] من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ بهذه الأمور الأربعة تقتحم العقبة وتجتاز فينجو صاحبها من النار والأمور الأربعة هي:

(١) ذهب القرطبي إلى أن فلا هي بمعنى هلا التي هي للتحضيض، وهو ما قررناه في التفسير وجائز أن يكون استفهاماً إنكارياً ينكر عليه إنفاق أمواله فيما يضره وعدم إنفاقها فيما ينفعه.

(٢) الاستفهام للتشويق إلى معرفة حقيقة العقبة.

(٣) فك رقبة وما بعدها بيان للعقبة، إذ التقدير هي فك رقبة. والمراد من فك الرقبة عتقها. وفي الحديث من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار.

(٤) هذه الجملة عطف على الجمل المسوقة للذم والتوبيخ.

● فك رقبة وقد ورد من اعتق رقبة مؤمنة فهي فداؤه من النار.

● إطعام في يوم ذي مسغبة أي مجاعة يتيما[1] ذا مقربة أي قرابة أو مسكينا ذا متربة أي ذا لصوق بالأرض لحاجته وشدة فقره.

● إيمان صادق بالله ورسوله وآيات الله ولقائه يحيا به قلبه.

● تواصى بالصبر أي مع المؤمنين المستضعفين بالثبات على الحق ولزوم طريقه وتواصي بالمرحمة مع أهل المال أن يرحموا الفقراء والمساكين فيسدوا خلتهم ويقضوا حاجتهم.

بهذه الأربعة تجتاز العقبة وينجو المرء من عذاب الله، وفي مثل هذا تنفق الأموال لا أن تنفق في الدسائس والمكر بالصالحين وخداع المؤمنين.

وقوله تعالى ﴿والذين كفروا بآياتنا﴾ لما ذكر الإيمان والعمل الصالح وهما المنجيان من عذاب الله تعالى ذكر ضدهما وهما الكفر والمعاصي وهما المهلكان الشرك والمعاصي لأن الكفر بآيات الله لازمه البقاء على الشرك المنافي للتوحيد، والعصيان المنافي للطاعة وقوله تعالى ﴿أولئك أصحاب المشأمة﴾ أي الشمال ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ مغلقة الأبواب مطبقة هي جزاؤهم لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- التنديد بمن ينفق ماله في معصية الله ورسوله، والنصح له بالإنفاق في الخير فإنه أجدى له، وأنجى من عذاب الله. ٢- بيان أن عقبة عذاب الله يوم القيامة تقتحم وتجتاز بالإنفاق في سبيل الله وبالإيمان والعمل الصالح والتواصي به.

٣- التنديد بالكفر والوعيد الشديد لأهله.

سورة الشمس

مكية وآياها خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا

(١) اليتيم: الولد الذي ليس له أب لموته وهو دون البلوغ.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ
أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾

شرح الكلمات:

وضحاها : أي ونهارها

إذا تلاها : أي تلا الشمس فطلع بعد غروبها مباشرة وذلك ليلة النصف من الشهر.

إذا جلاها : أي إذا أضاءها.

إذا يغشاها : أي غشى الشمس حتى تظلم الآفاق.

وما بناها : أي ومن بناها وهو الله عز وجل حيث جعل السماء كالسقف للأرض.

وما طحاها : أي ومن بسطها وهو الله عز وجل.

وما سواها : أي ومن سوى خلقها وعدله وهو الله عز وجل.

فألهمها فجورها : أي فبيّن لها ما ينبغي لها أن تأتيه أو تتركه من الخير والشر.

أفلح من زكاها : أي فاز بالنجاة من النار ودخول الجنة من طهر نفسه من الذنوب والآثام.

وقد خاب : أي خسر في الآخرة نفسه وأهله يوم القيامة.

من دساها : أي دسّىٰ نفسه إذا أخفاها وأخملها بالكفر والمعاصي واصل دسها دسسها فأُبدلت إحدى السِينَين ياءً.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والشمس[1] وضحاها[2]﴾ إلى قوله ﴿وقد خاب من دساها﴾ تضمنت هذه الآيات العشر قسماً إلهياً من أعظم الأقسام ومقسماً عليه وهو جواب القسم ومقسما لهم وهم سائر الناس فالقسم كان بما يلي بالشمس وضحاها وبالقمر إذا تلاها أي تلا الشمس إذا طلع بعد غروبها وذلك ليلة النصف من الشهر وبالنهار إذا جلاها إذا أضاء فكشف الظلمة أو الدنيا، وبالليل إذا يغشاها أي يغشى الشمس حتى تظلم الآفاق وبالسماء وما بناها[3] على أن ما تكون غالبا لغير العالم وقد تكون للعالم

---

(١) افتتحت بالقسم للتشويق إلى أخبارها ولم يقسم الله تعالى على شيء كما أقسم على جواب هذا القسم وهو حكم تقرير مصير الإنسان في الحياة الآخرة.

(٢) الضحى هو وقت ارتفاع الشمس مقدار رمح عن سطح الأرض فيما يرى الرائي إلى قبيل الزوال بربع ساعة تقريباً. وفيه تقع صلاة الضحى.

(٣) جائز أن تكون (ما) في الجمل الثلاثة (وما بناها) (وما طحاها) (وما سواها) مصدرية فيكون الإقسام بالسماء وبنائها والأرض وطحوها، والنفس وتسويتها إلا أن ما في التفسير وهو اختيار ابن جرير أولى إذ هو إقسام بالرب تعالى.

كما هي هنا فالذي بناها هو الله سبحانه وتعالى بالأرض وما طحاها أي بسطها وهو الله تعالى وبالنفس وما سواها أي خلقها وعدل خلقها وهو الله تعالى وقوله فألهمها فجورها وتقواها أي خلقها وسوى خلقها وألهمها أي بين لها الخير والشر أي ما تعمله من الصالحات وماتتجنبه من المفسدات فأقسم تعالى بأربع من مخلوقاته العظام وبنفسه وهو العلي العظيم على ما دل عليه قوله ﴿قد أفلح[1] من زكاها وقد خاب من دساها﴾ وهو المقسم عليه وهو أن من وفقه الله وأعانه فزكى نفسه أي طهرها بالإيمان والعمل الصالح مبعدا لها عما يدنسها من الشرك والمعاصي فقد أفلح بمعنى فاز يوم القيامة وذلك بالنجاة من النار ودخول الجنة لأن معنى الفوز لغة هو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب وأن من خذله الله تعالى لما له من سوابق في الشر والفساد فلم يزك نفسه بالإيمان والعمل الصالح ودساها أي دسسها[2] اخفاها وأخملها بما أفرغ عليها من الذنوب وما غطاها من آثار الخطايا والآثام فقد خاب بمعنى خسر في آخرته فلم يفلح فخسر نفسه وأهله وهو الخسران المبين.

هداية الايات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان مظاهر القدرة الإلهية في الآيات التي أقسم بها الرب تعالى.

٢ـ بيان بما يكون به الفلاح، وما يكون به الخسران.

٣ـ الترغيب في الإيمان والعمل الصالح والترهيب من الشرك والمعاصي.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ
نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

(١) قد أصلها لقد أفلح لأنها جواب القسم وحذفت اللام لطول جمل القسم إذ بلغت ثمان جمل.

(٢) فعل دسّ كان دسس فابدلوا السين الآخرة ياء لوجود ثلاثة أحرف من نوع واحد طلباً للتخفيف، وأصل دَسَّى دس من دس الشيء إذا أخفاه بين شيئين حتى لا يظهر ومعنى دساها هو كما في التفسير أخفاها بما صب عليها من أوضار الذنوب فتدست وتدنست.

شرح الكلمات:

ثمود : أي أصحاب الحجر كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام.

بطغواها : أي بسبب طغيانها في الشرك والمعاصي.

إذ انبعث : أي انطلق مسرعا.

أشقاها : أي أشقى القبيلة وهو قُدار بن سالف الذي يضرب به المثل فيقال أشأم من قدار.

رسول الله : أي صالح عليه السلام.

ناقة الله وسقياها : أي ذروها وشربها في يومها.

فكذبوه : أي فيما اخبرهم به من شأن الناقة.

فعقروها : أي قتلوها ليخلص لهم ماء شربها في يومها.

فدمدم : أي اطبق عليهم العذاب فأهلكهم.

بذنبهم : أي بسبب ذنوبهم التي هي الشرك والتكذيب وقتل الناقة.

فسواها : أي سوى الدمدم عليهم فلم يفلت منهم أحد.

ولا يخاف عقباها : أي ولا يخاف الربّ تعالى تبعة إهلاكهم كما يخاف الإنسان عاقبة فعله إذا هو قتل أحدا أو عذبه.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿كذبت ثمود﴾ إلى قوله ﴿ولا يخاف عقباها﴾ (١) هذه الآيات سيقت للتدليل على أمور هي أن الذنوب موجبة لعذاب الله في الدنيا والآخرة، وأن تكذيب الرسول الذي عليه كفار مكة منذر بخطر عظيم إذا استمروا عليه فقد يهلكهم الله به كما أهلك أصحاب الحجر قوم صالح، وأن محمداً رسول الله حقا وصدقا وإن انكار قريش له لا قيمة له، وأنه لا إله إلا الله. وأن البعث والجزاء ثابتان بأدلة قدرة الله وعلمه فقوله تعالى ﴿كذبت ثمود﴾ إخبار منه تعالى المراد به إنذار قريش من خطر استمرارها على التكذيب وتسلية الرسول والمؤمنين وقوله ﴿بطغواها﴾ (٢) أي بسبب ذنوبها التي بلغت فيها حد الطغيان الذي هو الإسراف ومجاوزة الحد في الأمر. وبيّن تعالى

---

(١) ثمود هي القبيلة المعروفة قوم صالح عليه السلام ومنازلهم بالحجر وهم أصحاب الحجر والجملة بيانية، لأن من سمع جواب القسم وهو فلاح من زكى نفسه وخيبة من دساها وخسرانه تشوق إلى مثال لذلك فكان تكذيب ثمود وهلاكها.

(٢) الطغو اسم مصدر وهي كالطغيان الذي هو فرط الكبر والباء سببية أي كذبت ثمود رسولها صالحاً عليه السلام بسبب طغواها، لأن الكبر إذا عظم في الإنسان يحمله على الجحود والمعاندة والتكذيب.

ظرف ذلك بقوله ﴿إذ انبعث﴾[1] أشقى تلك القبيلة الذي هو قُدار بن سالف الذي يضرب به المثل في الشقاوة فيقال أشأم من قدار وقال فيه رسول الله أشقى الأولين والآخرين قدار بن سالف وقوله فقال لهم رسول الله أي صالح ناقة الله[2] أي احذروها فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ذروها وسقياها أي وماء شربها إذ كان الماء قسمة بينهم لها يوم ولهم يوم.

﴿فكذبوه﴾ في ذلك وفي غيره من رسالته ودعوته إلى عبادة الله وحده ﴿فعقروها﴾[3] أي فذبحوها ﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ أي أطبق عليهم العذاب وعمهم به فلم ينج منهم أحد وذلك بذنبهم لابظلم منه تعالى، فسواها في النقمة والعذاب ولا يخاف عقباها[4] أي تبعة تلحقه من هلاكها إذ هو رب الكل ومالك الكل وهو القاهر فوق عباده وهو العزيز الحكيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان أن نجاة العبد من النار ودخوله الجنة متوقف على زكاة نفسه وتطهيرها من أوضار الذنوب والمعاصي، وأن شقاء العبد وخسرانه سببه تدنيسه نفسه بالشرك والمعاصي وكل هذا من سنن الله تعالى في الأسباب والمسببات.

٢- التحذير من الطغيان وهو الإسراف في الشر والفساد فإنه مهلك ومدمر وموجب للهلاك والدمار في الدنيا والعذاب في الآخرة.

٣- تسلية الرسول ﷺ والتخفيف عنه إذ كذبت قبل قريش ثمود وغيرها من الأمم كأصحاب مدين وقوم لوط وفرعون.

٤- انذار كفار قريش عاقبة الشرك والتكذيب والمعاصي من الظلم والاعتداء.

---

(١) انبعث مطاوع بعث أي بعثته فانبعث، إذا القوم بعثوا قُداراً أي أرسلوه فالبعث إجابة لهم إذ كان عقره الناقة بموافقتهم ورضاهم. بل بتحريضهم له ودفعهم إليها.

(٢) ناقة الله منصوب على التحذير كما في التفسير والإضافة للتشريف والسقيا اسم مصدر من سقى يسقي سقيا.

(٣) فعقروها: العقر هو جرح البعير في يديه ليبرك على الأرض من الألم فإذا برك ذبح هذا الأصل ثم أصبح يطلق عقر البعير على ذبحه. والفاء في فعقروها للترتيب.

(٤) العقبى اسم لما يحصل عقب فعل من الأفعال من تَبِعَة لصاحبه أو مثوبة فهي كالعاقبة وهي الحال التي تعقب من خير وشر.

سورة الليل (1)

مكيـة وآياتها احدى وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ
﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾

شرح الكلمات:

إذا يغشى : أي بظلمته كل ما بين السماء والأرض في الإقليم الذي يكون به.

إذا تجلى : أي تكشف وظهر في الإقليم الذي هو به وإذا هنا وفي التي قبلها ظرفية وليست شرطية.

وما خلق الذكر والأنثى: أي ومن خلق الذكر والأنثى آدم وحواء وكل ذريتهما وهو الله تعالى.

إن سعيكم لشتى : أي ان عملكم أيها الناس لمختلف منه الحسنة المورثة للجنة ومنه السيئة الموجبة للنار.

من أعطى واتقى : أي حق الله وانفق في سبيل الله واتقى ما يسخط الله تعالى من الشرك والمعاصي.

وصدق بالحسنى : أي بالخلف لحديث اللهم أعط منفقا خلفاً.

فسنيسره لليسرى : أي فسنيسره للخلة أي الخصلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ليوجب له به الجنة في الآخرة.

وأما من بخل واستغنى: أي منع حق الله والإنفاق في سبيل الله واستغنى بماله عن الله فلم يسأله من فضله ولم يعمل عملا صالحا يتقرب به إليه.

وكذب بالحسنى : أي بالخلف وما تثمره الصدقة والإيمان وهو الجنة.

---

(1) قال صلى بنا عمر بن عبدالعزيز المغرب فقرأ (والليل إذا يغشى) فلما بلغ (فأنذرتكم ناراً تلظى) وقع عليه البكاء فلم يقدر يتعداها من البكاء فتركها وقرأ سورة أخرى.

فسنيسره للعسرى : فسنهيئه للخلة العسرى وهي العمل بما يكرهه الله ولا يرضاه ليكون قائده إلى النار.

إذا تردى : أي في جهنم فسقط فيها.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والليل﴾ أقسم تعالى بالليل[1] ﴿إذا يغشى﴾ بظلامه الكون، وبالنهار ﴿إذا تجلى﴾[2] أي تكشف وظهر وهما آيتان من آيات الله الدالتان على ربوبيته تعالى الموجبة لألوهيته، وأقسم بنفسه جل وعز فقال ﴿وما خلق[3] الذكر والأنثى﴾ أي والذي خلق الذكر والأنثى آدم وحواء ثم سائر الذكور وعامة الإناث من كل الحيوانات وهو مظهر لا يقل عظمة على آيتي الليل والنهار والمقسم عليه أو جواب القسم هو قولـه ﴿إن سعيكم لشتى﴾ أي إن عملكم أيها الناس لمختلف منه الحسنات الموجبة للسعادة والكمال في الدارين ومنه السيئات الموجبة للشقاء في الدارين أي دار الدنيا ودار الآخرة. وبناءً على هذا ﴿فأما من اعطى﴾ حق الله في المال فأنفق وتصدق في سبيل الله ﴿واتقى﴾ الله تعالى فآمن به وعبده ولم يشرك به ﴿وصدق بالحسنى﴾[4] التي هي الخلف أي العوض المضاعف الذي واعد به تعالى من ينفق في سبيله في قوله ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ وفي قول الرسول ﷺ في الصحيح[5] [ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا ملكان ينزلان فيقـول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا]، فَسَيُهَيِّئُهُ للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ويثيبه عليه في الآخرة بالجنة ﴿وأما من بخل﴾ بالمال فلم يعط حق الله فيه ولم يتصدق متطوعا[6] في سبيل الله ﴿واستغنى﴾ بماله وولده وجاهه فلم يتقرب إلى الله تعالى بطاعته في ترك معاصيه ولا في أداء فرائضه وكذب بالخلف من الله

---

(١) من لطائف هذا الإقسـام بالليل والنهار وهما ضدان الإشارة إلى تضاد الذكر والأنثى والحسن والسوء والعسر واليسر والتصديق والتكذيب وهذا محتوى هذه السورة.

(٢) تجلى النهار وضوح ضوئه أقسم الله تعالى بكل من الليل وظلمته والنهار وضوءه لما في ذلك من مظاهر قدرة الله وعظمته على خلق الظلمات والنور.

(٣) يرى بعضهم أن المقسم به المصدر بناء على أن (ما) مصدرية والصحيح أنها موصولة وأن الإقسام كان بالرب تبارك وتعالى فإنه أعظم إقسام.

(٤) كلمة الحسنى صالحة لعدة معان وهي مؤنث الأحسن ولذا هي صفة لموصوف محذوف وتنوسي فيها ذلك فصارت اسماً لما هو أحسن كالجنة والمثوبة الحسنة والنصر والعاقبة والخلف على المنفق في سبيل الله وهو الراجح هنا لاختيار ابن جرير له.

(٥) رواه البخاري وغيره.

(٦) في الآية دليل على أن الجود من مكارم الأخلاق والبخل من أرذلها، وليس الجواد الذي يعطى في غير موضع العطاء كما ليس البخيل الذي يمنع في موضع المنع لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطاء والبخيل الذي يمنع في موضع العطاء.

تعالى على من ينفق في سبيله ﴿فسنيسره للعسرى﴾[1] أي فسنهيئه للخلة العسرى[2] وهي العمل بما يكره الله تعالى ولا يرضاه من الذنوب والآثام ليكون ذلك قائده إلى النار. وقوله تعاى ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾[3] يخبر تعالى بأن من بخل واستغنى وكذب بالحسنى حفاظا على ماله وشحا به وبخلا أن ينفقه في سبيل ربه هذا المال لا يغني عنه شيئا يوم القيامة إذا ألقي به في نار جهنم فتردى ساقطا فيها على أم رأسه كما قال تعالى ﴿وأما من خفت موازينه﴾ أي لعدم الحسنات الكافية فيها ﴿فأمه هاوية وما أدراك ما هي نار حامية﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان عظمة الله وقدرته وعلمه الموجبة لربوبيته المقتضية لعبادته وحده دون سواه.

٢- تقرير القضاء والقدر وهو أن كل انسان ميسر لما خلق له من سعادة أو شقاء لحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له، مع تقرير أن من وفق للعمل بما يرضى الله تعالى كان ذلك دليلا على انه مكتوب سعيدا إذا مات على ما وفق له من العمل الصالح. وأن من وفق للعمل المسخط لله تعالى كان دليلا على انه مكتوب شقاوته إن هو مات على ذلك.

٣- تقرير أن التوفيق للعمل بالطاعة يتوقف حسب سنة الله تعالى على رغبة العبد وطلبه ذلك والحرص عليه واختياره على غيره وتسخير النفس والجوارح له. كما أن التوفيق للعمل الفاسد قائم على ما ذكرنا في العمل الصالح وهو اختيار العبد وطلبه وحرصه وتسخير نفسه وجوارحه لذلك هذه سنة من سنن الله تعالى في خلقه.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

---

(١) في قوله فسنيسره للعسرى تهكم به نحو فبشره بعذاب أليم.

(٢) حديث صحيح.

(٣) التردي السقوط من أعلى إلى أسفل المفضي بصاحبه إلى الهلاك.

شرح الكلمات:

إن علينا للهدى : أي إن علينا لبيان الحق من الباطل والطاعة من المعصية.

وإن لنا للآخرة والأولى : أي ملك ما في الدنيا والآخرة نعطي ونحرم من نشاء لا مالك غيرنا.

فأنذرتكم : أي خوفتكم.

نارا تلظى : أي تتوقد.

لا يصلاها : أي لا يدخلها ويحترق بلهبها.

إلا الأشقى : أي إلا الشقى.

الذي كذب وتولى : كذب النبي ﷺ فيما جاء به وتولى أعرض عن الإيمان به وبما جاء به من التوحيد والطاعة لله ورسوله.

وسيجنبها الأتقى : أي يبعد عنها التقي.

يتزكى : أي يتطهر به فلذا يخليه من النظر إلى غير الله فهو لذلك خال من الرياء والسمعة.

وما لأحد عنه من نعمة تجزى : أي ليس لأحد من الناس عليه منَّة فهو يكافئه بذلك.

إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى : لكن يؤتي ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله عز وجل.

ولسوف يرضى : أى يعطيه الله تعالى من الكرامة ما يرضي به في دار السلام.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إن علينا للهدى﴾ الآيات . . بعد أن أعلم تعالى عباده أنه ييسر لليسرى من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، وأنه ييسر للعسرى من بخل واستغنى وكذب بالحسنى أعلم بحقيقة أخرى وهي أن بيان الطريق الموصل بالعبد لليسرى هو على الله تعالى متكفل به وقد بينه بكتابه ورسوله فمن طلب اليسرى فأولا يؤمن بالله ورسوله ويوطن نفسه على طاعتهما ويأخذ في تلك الطاعة يعمل بها وثانيا ينفق في سبيل الله ما يطهر به نفسه من البخل وشح النفس ويظهر فقره وحاجته إلى الله تعالى بالتقرب إليه بالنوافل وصالح الأعمال وبذلك يكون قد يُسر فعلا لليسرى وقوله تعالى ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾[1] أي الدنيا وعليه فمن طلبها من غيرنا فقد أخطأ ولا يحصل عليها بحال فطلب الآخرة يكون بالإيمان والتقوى، وطلب الدنيا يكون بالعمل حسب سنتنا في الكسب وحصول المال وقوله تعالى ﴿فأنذرتكم نارا[2] تلظى لا يصلاها إلا الأشقى[3] الذي كذب

(١) المراد بالآخرة الجنة، وإن كان اللفظ يشمل الآخرة بكل ما فيها من نعيم وجحيم وسعادة وشقاء وفوز وخسران.

(٢) تنكير (ناراً) للتهويل، وجملة تلظى نعت ومعنى تلظى: تتلهب من شدة الاشتعال.

(٣) يذكر بعض المفسرين أن المراد بالأشقى أمية بن خلف ونظراؤه من أكابر مجرمي قريش، واللفظ عام يشمل كل من ينطبق عليه الوصف المذكور.

وتولى﴾ أي فبناء على ما بيّنا لكم فقد أنذرتكم أي خوفتكم نارا تلظى أي تتوقد التهابا لا يصلاها لا يدخلها ويصطلي بحرها خالدا فيها أبدا إلا الأشقى أي الأكثر شقاوة وهو المشرك وقد يدخلها الشقي من أهل التوحيد ويخرج منها بتوحيده، حيث لم يكذب ولم يتول، ولكن فجر وعصى، وما أشرك وما تولى، وقوله تعالى ﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ أي يعطي ماله في سبيل الله يتزكى به من مرض الشح والبخل وآثار الذنوب والإثم، وقوله ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء[1] وجه ربه الأعلى﴾ أي فهو ينفق ما ينفقه في سبيل الله خاصة وليس ما ينفقه من أجل أن عليه لأحد من الناس فضلا أو يداً فهو يكافئه بها لالا، وإنما هو ينفق ابتغاء وجه ربه الأعلى أي يريد رضا ربه تعالى لا غير. قال تعالى ﴿ولسوف يرضى[2]﴾ أي ما دام ينفق ابتغاء وجهنا فقط فسوف نكافئه ونعطيه عطاء يرضى به وذلك في الجنة دار السلام. هذه الآية الكريمة نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد كان في مكة يشتري العبيد من مواليهم الذين يعذبونهم من أجل إسلامهم فكان يشتريهم ويعتقهم لوجه الله تعالى ومنهم بلال رضي الله عنه فقال المشركون إنما فعل ذلك ليد عنده أي نعمه فهو يكافيه بها فأكذبهم الله في ذلك وأنزل قوله وسيجنبها الأتقى الآيات.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن الله تعالى متكفل بطريق الهدى فأرسل الرسل وأنزل الكتاب فأبان الطريق وأوضح السبيل.

٢ـ بيان أن لله تعالى وحده الدنيا والآخرة فمن أرادهما أو إحداهما فليطلب ذلك من الله تعالى فالآخرة تطلب بالإيمان والتقوى والدنيا تطلب باتباع سنن الله تعالى في الحصول عليها.

٣ـ بيان فضل أبي بكر الصديق وأنه مبشر بالجنة في هذه الآية الكريمة.

---

(١) الابتغاء الطلب بجد فهو أبلغ من البغي.

(٢) ولسوف يرضى لتحقيق الوعد في المستقبل، إذا اللام لام الابتداء لتأكيد الخبر هذه السورة تحمل معنى جوامع الكلم إذ تضمنت كل ما يرغب فيه الراغبون من الكمال والفوز والفلاح وهي آخر متوسط المفصل.

سُورَةُ الضُّحَى

مكية وآيتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

والضحى : أي أول النهار ما بين طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى الزوال.

والليل إذا سجى : غطى بظلامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة.

ما ودعك : أي ما تركك ولا تخلى عنك.

وما قلى : أي ما أبغضك

ألم يجدك يتيما : أي فاقد الأب إذ مات والده قبل ولادته.

فآوى : أي فآواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.

ووجدك ضالا : أي لا تعرف دينا ولا هدى.

ووجدك عائلا : أي فقيرا.

فأغنى : أي بالقناعة، وبما يسرَّ لك من مال خديجة وأبي بكر الصديق.

فلا تقهر : أي لا تذله ولا تأخذ ماله.

فلا تنهر : أي لا تنهره بزجر ونحوه.

وأما بنعمة ربك فحدث : أي اذكر ما أنعم الله تعالى به عليك شكرا له على ذلك.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والضحى[1] والليل إذا سجى ما ودعك[2] ربك وما قلى﴾ هذا قسم من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ أقسم له به على أنه ماتركه ولا أبغضه. وذلك أنه أبطأ عنه الوحي أياما فلما رأى ذلك المشركون فرحوا به وعيَّروه فجاءت امرأة وقالت[3] له ما أرى شيطانك إلا قد تركك. فحزن لذلك النبي ﷺ فأنزل الله سورة الضحى يقسم له فيها بالضحى وهو أول النهار من طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى ما قبل الزوال بقليل، وبالليل إذا سجى أي غطى بظلامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة فيه ﴿ما ودعك ربك﴾ يامحمد أي تركك ﴿وما قلى﴾ أي ما أبغضك ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ أي الدنيا وذلك لما أعد الله لك فيها من الملك الكبير والنعيم العظيم المقيم. وسوف يعطيك ربك من فواضل نعمه حتى ترضى في الدنيا من كمال الدين وظهور الأمر في الآخرة الشفاعة وأن لا يبقى أحد من أمته أهل التوحيد في النار والوسيلة والدرجة الرفيعة التي لا تكون لأحد سواه.

وقوله تعالى ﴿ألم يجدك[4] يتيماً فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى﴾ هذه ثلاث منن لله تعالى على رسوله منًّها عليه وذكّره بها ليوقن أن الله معه وله وأنه ما تركه ولن يتركه وحتى تنتهي فرحة المشركين ببطء الوحي وتأخُّره بضعة أيام. فالمنّة الأولى أن والد النبي ﷺ قد مات عقب ولادته وأمه ماتت بعيد فطامه فآواه ربّه بأن ضمّه إلى عمه أبي طالب فكان أبا رحيما وعما كريما له وحصنا منيعا له، ولم يتخل عن نصرته والدفاع عنه حتى وفاته والثانية منّة العلم والهداية فقد كان ﷺ يعيش في مكة كأحد رجالاتها لا يعرف علما ولا شرعا وإن كان معصوما من مقارفة أي ذنب أو ارتكاب أية خطيئة إلا أنه ما كان يعرف إيمانا ولا إسلاما ولا شرعا كما قال تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ والثالثة منّته عليه بالغنى بعد الحاجة فقد مات والده ولم يخلّف أكثر من جارية هي بركة أم أيمن وبضعة جمال، فأغناه الله بغنى القناعة فلم يمد يده لأحد قط وكان يقول

---

(١) هذا القسم لتأكيد الخبر الذي حملته الآيات بعده، وكتبت (الضحى) بالألف المقصورة وأصلها الواو فكان المفروض أن تكتب بالألف الثابتة ولم تُكتب بها مراعـاةً للمناسبة مع أكثر الكلمات: سجى وقلى والأولى

(٢) ما ودعك جواب القسم ولم يقرن باللام، لأن الجملة المنفية لا تتطلب اللام. وما قلى معطوفة على ما ودعك ومعنى ما ودعك ما تركك ومعنى وما قلاك ما أبغضك شديد بغض ولا ضعيفه.

(٣) في البخاري عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة هي أم جميل العوراء امرأة أبي لهب: فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ولم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثة فأنزل الله والضحى. وقيل لما سئل عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فقال سأخبركم غداً ولم يستثنِ فعوتب بانتظار الوحي خمسة عشر يوماً وقال المشركون قلاه. فأنزل الله سورة الضحى.

(٤) الاستفهام للتقرير وكذا الاستفهامات بعده.

[ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس][1] هذه ثلاث منن إلهيّة وما أعظمها والمنة تتطلب شكرا والله يزيد على الشكر ومن هنا أرشد الله تعالى رسوله إلى شكر تلك النعم ليزيده عليها فقال فأما ﴿فأما اليتيم[2] فلا تقهر﴾ لا تقهره بأخذ ماله أو إذلاله أو أذاه ذاكرا رعاية الله تعالى لك أيام يتمك. ﴿وأما السائل﴾ وهو الفقير المسكين وذو الحاجة يسألك ما يسدّ خلّته فاعطه ما وجدت عطاءً أو رده بكلمة طيبة تشرح صدره وتخفف ألم نفسه ولا تنهره بزجر عنيف ولا بقول غير لطيف ذاكرا ما كنت عليه من حاجة وما كنت تشعر به من احتياج ﴿وأما بنعمة ربك[3] فحدث﴾ أي اشكر نعمة الإيمان والإحسان والوحي والعلم والفرقان وذلك بالتحدث بها ابلاغا وتعليما وتربية وهداية فذاك شكرها والله يحب الشاكرين هكذا أدّب الله جل جلاله رسوله وخليله فأكمل تأديبه وأحسه

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الدنيا لا تخلو من كدر وصدق الله العظيم ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾.

٢ـ بيان علو المقام المحمدي وشرف مكانته.

٣ـ مشروعية التذكير بالنعم والنقم حملا للعبد على الصبر والشكر.

٤ـ وجوب شكر النعم بصرفها في مرضاة المنعم عز وجل.[4]

٥ـ تقرير معنى الحديث (إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه)

سورة الشرح

مكية وآياتها ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي
أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

---

(١) مخرج في الصحيحين.

(٢) في الصحيح: أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين.

(٣) روى أبو داود والترمذي وصححه قوله ﷺ لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

(٤) في الصحيحين: عن أنس أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله قال: لا ما دعوتم لهم وأثنيتم عليهم، هذه الأحاديث دالة على وجوب شكر المنعم عز وجل بحمده والثناء عليه، وأن شكر ذي النعمة من الناس كذلك ولو بالدعاء له والثناء عليه.

شرح الكلمات :

ألم : الاستفهام للتقرير أي إن الله تعالى يقرر رسوله بنعمه عليه .

نشرح لك صدرك : أي بالنبوة ، وبشقه وتطهيره وملئه إيماناوحكمة .

ووضعنا عنك وزرك : أي حططنا عنك ما سلف من تبعات أيام الجاهلية قبل نبوتك .

الذي أنقض ظهرك : أي الذي أثقل ظهرك حيث كان يشعر ﷺ بثقل السنين التي عاشها قبل النبوة لم يعبد فيها الله تعالى بفعل محابه وترك مكارهه لعدم علمه بذلك .

ورفعنا لك ذكرك : أي أعليناه فأصبحت تذكر معي في الآذان والإقامة والتشهد .

فإن مع العسر يسرا : أي مع الشدة سهولة .

فاذا فرغت : أي من الصلاة .

فانصب : أي اتعب في الدعاء .

وإلى ربك فارغب : أي فاضرع إليه راغبا فيما عنده من الخيرات والبركات .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك﴾ (١) هذه ثلاث منن أخرى بعد المنن الثلاث التي جاءت في السورة قبلها منّها الله تعالى على رسوله بتقريره بها فالأولى بشرح صدره ليتسع (٢) للوحي ولما سيلقاه من قومه من سيء القول وباطل الكلام الذي يضيق به الإنسان والثانية وضع الوزر عنه فإنه ﷺ وإن لم يكن له وزر حقيقة فإنه كان يشعر بحمل ثقيل من جراء ترك العبادة والتقرب إلى الله تعالى في وقت ما قبل النبوة ونزول الوحي عليه إذ عاش عمرا أربعين سنة لم يعرف فيها عبادة ولا طاعة لله ، أما مقارفة الخطايافقد كان محفوظا بحفظ الله تعالى له فلم يسجد لصنم ولم يشرب خمرا ولم يقل أو يفعل إثما قط . فقد شق صدره وهو طفل في الرابعة من عمره وأخرجت منه العلقة التي هي محطة الشيطان التي ينزل بها من صدر الإنسان ويوسوس بالشر للإنسان والثالثة رفع الذكر أي ذكره ﷺ إذ قرن اسمه باسمه تعالى في التشهد وفي الأذان والإقامة وذلك الدهر كله وما بقيت الحياة . وقوله تعالى ﴿فإن مع العسر

---

(١) ورفعنا لك ذكرك قال مجاهد يعني التأذين ، وفيه يقول حسان بن ثابت :

أغــر عليـه للنبوة خاتم من الله مشهـود يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال المؤذن في الخمس أشهد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

(٢) في الصحيح عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن رجل من قومه أن النبي ﷺ قال فبينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة إذ كان معه حمزة وابن عمه جعفر فأتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا . قال فاستخرج قلبي فغسل قلبي بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيماناً وحكمة .

يسرا إن مع العسر يسرا﴾ فهذه بشرى بقرب الفرج له ولأصحابه بعد ذلك العناء الذي يعانون والشدة التي يقاسون ومن ثم بشر ﷺ[1] أصحابه وهو يقول [لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين] وقوله ﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾ هذه خطة لحياة المسلم وضعت لنبي الإسلام محمد ﷺ ليطبقها أمام المسلمين ويطبقونها معهم حتى الفوز بالجنة والنجاة من النار وهي فإذا فرغت من عمل ديني فانصب لعمل دنيوي وإذا فرغت من عمل دنيوي فانصب لعمل ديني أخروي فمثلافرغت من الصلاة فانصب نفسك للذكر والدعاء بعدها، فرغت من الصلاة والدعاء فانصب نفسك لدنياك، فرغت من الجهاد فانصب نفسك للحج. ومعنى هذا أن المسلم يحيا حياة الجد والتعب فلا يعرف وقتا للهو واللعب أو للكسل والبطالة قط وقوله إلى ربك فارغب ارغب بعد كل عمل تقوم به في مثوبة ربك وعطائه وما عنده من الفضل والخير إذ هو الذي تعمل له وتنصب من أجله فلا ترغب في غيره ولا تطلب سواه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان ما أكرم الله تعالى به رسوله محمداً ﷺ من شرح صدره ومغفرة ذنوبه ورفع ذكره.

٢ـ بيان أن انشراح صدر[2] المؤمن للدين واتساعه لتحمل الأذى في سبيل الله نعمة عظيمة.

٣ـ بيان أن مع العسر يسرا دائما وأبدا، ولن يغلب عسر يسرين فرجاء المؤمن في الفرح دائم.

٤ـ بيان أن حياة المؤمن ليس فيها لهو ولا باطل ولا فراغ لا عمل فيه أبدا ولا ساعة من الدهر قط وبرهان هذه الحقيقة أن المسلمين من يوم تركوا الجهاد والفتح وهم يتراجعون إلى الوراء في حياتهم حتى حكمهم الغرب وسامهم العذاب والخسف حتى المسخ والنسخ وقد نسخ إقليم الأندلس ومسخت أقاليم في بلاد الروس والصين حتى الأسماء غيّرت.

---

(١) رواه ابن جرير والحديث مرسل وقال ابن مسعود. والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ولن يغلب عسرٌ يسرين.

(٢) روى الضحاك عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله أيشرح الصدر؟ قال نعم وينفسح قالوا يا رسول الله وهل لذلك علامة؟ قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت.

سُورَةُ التِّينِ

مكية وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

والتين والزيتون : هما المعروفان التين فاكهة والزيتون ما يستخرج منه الزيت.

وطور سينين : جبل الطور الذي ناجى الربّ تعالى فيه موسى عليه السلام.

وهذا البلد الأمين : مكة المكرمة لأنها بلد حرام لا يقاتل فيها فمن دخلها أمن.

لقد خلقنا الإنسان : جنس الإنسان آدم عليه السلام وذريته.

في أحسن تقويم : أي في أجمل صورة في اعتدال الخلق وحسن التركيب.

أسفل سافلين : أي إلى أرذل العمر حتى يخرف ويصبح لا يعلم بعد أن كان يعلم.

أجر غير ممنون : أي غير منقطع فالشيخ الهرم الخرف المسلم يكتب له ما كان يفعله أيام قدرته على العمل فأجره لا ينقطع إلا بموته.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والتين[1] والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين﴾ هذا قسم جليل من أقسام الرب تعالى حيث أقسم فيه بأربعة أشياء وهي التين وهو التين المعروف وهو أشبه شيء بفاكهة الجنة لخلوه من العَجَم[2]. وما يوجد بداخل الفاكهة كالنواة ونحوها، والزيتون وهو ذو منافع يؤكل ويدهن به ويستصبح به ويتداوى به كذلك، وبطور سينين وهو جبل سينا في فلسطين إذ تم عليه أكبر

---

(١) عامة أهل السلف ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم أن المراد من التين والزيتون هما المعروفان قال غير واحد هو نبتكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت.

(٢) العجم ـ النوى.

حدث في تاريخ الحياة وهو أن الله تعالى كلم موسى بن عمران نبي بني اسرائيل عليه عدة مرات وأسمعه كلامه وتجلى للجبل فصار دكا. وبمكة أم القرى التي دحيت الأرض من تحتها وفيها بيت الله وحولها حرمه هذا قسم عظيم وجوابه قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ ولقد تضمن هذا الجواب لذلك القسم أكبر مظاهر القدرة والعلم والرحمة وهي موجبة للإيمان بالله وتوحيده ولقائه وهو ما كذب به أهل مكة وأنكروه وبيان ذلك أن الإنسان كائن حي مخلوق فخالقه ذو قدرة قطعا وتعديل خلقه بنصب قامته وتسوية أعضائه وحسن سمته وجمال منظره دال على علم وقدرة وهي موجبة للإيمان بالله ولقائه إذ القادر على خلق الإنسان اليوم وقبل اليوم قادر على خلقه غدا كما شاء متى شاء ولا يرد هذا إلا أحمق جاهل، وقوله ثم رددناه أسفل سافلين وذلك بهرم بعض أفراده والنزول بهم إلى ما أسفل من سن الطفولة حيث يصبح الرجل فاقدا لعقله وقواه فيفقد قواه العقلية والبدنية وقوله ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ وهو أن ما كانوا يقومون به من الفرائض والنوافل وسائر الطاعات والقربات لاينقطع أجرهم[1] منها بكبرهم وعدم قيامهم بها في سن الشيخوخة والهرم والخرف بخلاف الكافر والفاجر والفاسق فليس لهم أعمال لاتنقطع إلا من سن منهم سنة سيئة فإن ذنبه لاينقطع ما بقى من يعمل بتلك السنة السيئة. وقوله تعالى ﴿فما يكذبك بعد بالدين[2]﴾ أي فمن يقدر على تكذيبك يارسولنا بعد هذه الآيات والحجج والبراهين الدالة على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته فمن يكذب بالبعث والجزاء على الكسب الإرادي الاختياري في هذه الحياة من خير وشر فإنه وإن كذب بالدين وهو الجزاء الأخروى على عمل المكلفين في هذه الحياة الدنيا فإن هذا التكذيب قائم على أساس العناد والمكابرة إذ الحجج الدالة على يوم الدين والجزاء فيه تجعل المكذب به مكابرا أو جاحدا لاغير. وقوله تعالى ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين[3]﴾؟ بلى فليس هناك أعدل من الله وأحسن حكما فكيف يظن إذا أن الناس يعملون متفاوتين في أعمالهم في هذه الدنيا ثم يموتون سواء ولاجزاء بعد بالثواب ولا بالعقاب هذا ظلم وباطل ومنكر ينزه الرب عنه سبحانه وتعالى فقضية البعث الآخر لا تقبل الجدل والمماحكة بحال من الأحوال.

(١) صح الحديث أن النبي ﷺ قال إذا سافر العبد أو مرض كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً. وعن ابن عمر: طوبى لمن طال عمره وحسن عمله.

(٢) وجائز أن يكون الخطاب للإنسان الكافر توبيخاً له وإلزاماً للحجة أي إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم وأنه يردك إلى أرذل العمر فما يحملك على أن تكذب وعليه فالاستفهام توبيخي.

(٣) روي أن ابن عباس وعلياً رضي الله عنهما كانا إذا قرءا أليس الله بأحكم الحاكمين قالا بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وروى الترمذي عن أبي هريرة من قرأ سورة والتين والزيتون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان منافع التين والزيتون واستحباب غرس هاتين الشجرتين والعناية بهما.

٢- بيان شرف مكة. وحرمها.

٣- بيان فضل الله على الإنسان في خلقه في أحسن صورة وأقوم تعديل.

٤- تقرير فضل الله على الإنسان المسلم وهو أنه يطيل عمره فإذا هرم وخرف كتب له كل ما كان يعمله من الخير ويجانبه من الشر.

٥- مشروعية قول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين بعد قراءة والتين إذ كان النبي ﷺ يقول ذلك.

سُورَةُ العَلَقِ

مكية وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ
ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

اقرأ أي أوجد القراءة وهي جمع الكلمات ذات الحروف باللسان.

باسم ربك : أي بذكر اسم ربك.

الذي خلق : أي خلق آدم من سلالة من طين.

خلق الإنسان : أي الإنسان الذي هو ذرية آدم.

من علق : أي جمع علقة وهي النطفة في الطور الثاني حيث تصير علقة أي قطعة من الدم الغليظ.

وربك الأكرم : أي الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله ولا يساويه.

الذي علم بالقلم : أي علم العباد الكتابة والخط بالقلم.

علم الإنسان : أي جنس الإنسان.

ما لم يعلم : أي ما لم يكن يعلمه من سائر العلوم والمعارف.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسـان ما لم يعلم﴾ هذه الآيات الخمس من أول ما نزل من القـرآن الكـريم لأحاديث الصحاح[1] فيها فإن مما اشتهر في ذلك أن النبي ﷺ كان يأتي حراء يتحنث فيه أي يزيل الحنث فرارا مما عليه قومه من الشرك والباطل حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء فقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله ثم قال اقرأ قلت ما أنا بقارىء قال فأخذني فغطني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق فقرأت الحديث.

وقوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك﴾ يأمر الله تعالى رسوله أن يقرأ بادئا قراءته بذكر اسم ربّه أي باسم الله الرحمن الرحيم وقوله ﴿الذي خلق﴾ أي خلق الخلق كله وخلق آدم من طين وخلق الإنسان من أولاد آدم من علق والعلق اسم جمـع واحـده علقة وهي[2] قطعة من الدم غليظة كانت في الأربعين يومـا الأولى في الرحم نطفة ثم تطورت إلى علقة تعلق بجدار الرحم ثم تتطور في أربعين يوما إلى مضعة لحم، ثم إما أن يؤذن بتخلقها فتخلق وإما لا فيطرحها الرحم قطعة لحم وقوله ﴿أقرأ وربك﴾ تأكيد للأمر الأول لصعوبة الأمر واندهاش الرسول ﷺ للمفاجأة ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾[3] أي وربك الأكرم هو الذي علم بالقلم عباده الكتابة والخط. وقوله ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ أي من كرمه الذي أفاض منه على عباده نعمه التي لا تحصى إنه علم الإنسان بواسطة القلم ما لم يكن يعلم من العلوم والمعارف وهذه إشادة بالقلم وأنه واسطة العلوم والمعارف والواسطة تشرف بشرف الغاية المتوسط لها فلذا كان لا أشرف في الدنيا من عباد الله الصالحين والعلوم الإلهيه في الكتاب والسنة وما دعوا إليه وحضا عليه من العلوم النافعة للإنسان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير الوحي الإلهي وإثبات النبوة المحمدية.

٢ـ مشروعية ابتداء القراءة بذكر اسم الله ولذا افتتحت سور القرآن ما عدا التوبة ببسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) منها حديث عائشة: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة فجاءه الملك فقال أقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم. رواه البخاري.

(٢) العلقة الدم الجامد والجمع علق، والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه.

(٣) قيل سمي القلم قلماً لأنه يقلم أي يقطع، ومنه تقليم الظفر صح أن النبي ﷺ قال. أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون إلى يوم القيامة فهو عنده في الذكر فوق عرشه.

٣- بيان تطور النطفة في الرحم إلى علقة ومنها يتخلق الإنسان.
٤- اعظام شأن الله تعالى وعظم كرمه فلا أحد يعادله في الكرم.
٥- التنويه بشأن الكتابة والخط بالقلم إذ المعارف والعلوم لم تدون إلا بالكتابة والقلم.
٦- بيان فضل الله تعالى على الإنسان في تعليمه ما لم يكن يعلم بواسطة الكتابة والخط.

كَلَّآ إِنَّ
ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ
ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ
بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ
﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات:

كلا[1] : أي لا أداة استفتاح وتنبيه لكسر إن بعدها.

إن الإنسان : أي ابن آدم قبل أن تتهذب مشاعره وأخلاقه بالإيمان والآداب الشرعية.

ليطغى : أي يتجاوز الحد المفروض له في سلوكه ومعاملاته.

أن رآه استغنى : أي عندما يرى نفسه قد استغنى بما له أو ولده أو سلطانه.

إن إلى ربك الرجعى : أي إن إلى ربك أيها الرسول الرجعى أي الرجوع والمصير.

الذي ينهى عبدا إذا صلى: أي أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي لعنه الله.

إن كان على الهدى : أي هو رسول الله محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي

أو أمر بالتقوى العدناني.

---

(١) كلا الأصل فيها أنها أداة ردع وزجر وذلك إذا تقدمها ما يقتضي ذلك وتكون بمعنى حقاً، وتكون بمعنى الا التي هي أداة استفتاح وتنبيه. وهي هنا تتردد من أمرين بين أن تكون بمعنى حقاً أو بمعنى الا، وذلك لعدم تقدم كلام يقتضي الردع والزجر، لأن الآيات الخمس الأولى نزلت في أول ما نزل وما بعد كلا نزل بعد ذلك بفترة طويلة وجائز أن تكون ردعاً لمن قال قولاً أو عَمِلَ عَمَلًا استحق به ذلك.

إن كذب وتولى	: أي هو أبو جهل.
لئن لم ينته	: أي من أذية رسولنا محمد ﷺ ومنعه من الصلاة خلف المقام.
لنسفعا بالناصية	: أي لنأخذن بناصيته ونسحبه إلى نار جهنم.
فليدع ناديه	: أي رجال مجلسه ومنتداه.
سندع الزبانيه	: أي خزان جهنم.
كلا	: أي ارتدع أيها الكاذب الكافر.
واقترب	: أي منه تعالى وذلك بطاعته.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى﴾ يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان قبل أن يهذّبه الإيمان والمعارف الإلهية المشتملة على معرفة محابّ الله تعالى، ومساخطه أنه إذا رأى نفسه قد استغنى بماله أو ولده أو سلطانه أو بالكُلِّ وما أصبح في حاجة إلى غيره يطغى فيتجاوز حدّ الآداب والعدل والحق والعرف فيتكبر ويظلم ويمنع الحقوق ويحتقر الضعفاء ويسخر بغيره. وأبو جهل كان مضرب المثل في هذا الوصف وصف الطغيان حتى قيل إنه فرعون هذه الأمة، وها هو ذا رسول الله ﷺ يصلي في المسجد الحرام خلف المقام فيأتيه هذا الطاغية ويهدده ويقول له لقد نهيتك عن الصلاة هنا فلا تعد، ويقول له إن وجدتك مرة أخرى آخذ بناصيتك وأسحبك على الأرض فينزل الله تعالى هذه الآيات ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ فيقف برسوله على حقيقة ما كان يعلمها وهي أن ما يجده من أبي جهل وأضرابه من طغاة قريش علته كذا وكذا ويسليه فيقول له وإن طغوا وتجبروا إن مرجعهم إلينا وسوف ننتقم لك منهم ﴿إن إلى ربك﴾ يارسولنا ﴿الرجعى﴾ إذاً فاصبر على أذاهم وانتظر ما سيحل بهم إن مصيرهم إلينا لا إلى غيرنا وسوف ننتقم منهم ثم يقول له قولا يحمل العقلاء على التعجب من سلوك أبي جهل الشائن مع رسول الله ﷺ ﴿أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى﴾؟ وهل الذي يصلي ينهى عن الصلاة وهل الصلاة جريمة وهل في الصلاة ضرر على أحد؟ فكيف ينهى عنها؟ ويقول له ﴿أرأيت إن كان﴾ أي المصلي الذي نهي عن الصلاة وهو الرسول نفسه ﷺ

﴿على الهدى﴾ الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة وكرامتهما؟ ﴿أو أمر بالتقوى﴾ أي أمر غيره بما يتقي به عذاب الدنيا والآخرة، هل الآمر بالهدى والتقوى أي بأسباب النجاة والسعادة يعادي ويحارب؟ ويضرب ويهدد؟ إن هذا لعجب العجاب. ويقول أرأيت يارسولنا إن كذب هذا الذي ينهى عبدا إذا صلى أي كذب بالحق والدين وتولى عن الإيمان والشرع، كيف يكون حاله يوم يلقى ربه؟ ﴿ألم يعلم أن الله يرى﴾ أي يرى أفعاله الاستفزازية المقيتة وتطاوله على رسول الله وتهديده له بالضرب إن وجده يصلي خلف المقام. بعد هذه الدعوة للطاغية لعله يرجع إلى الحق إذا سمعه، وإذا به يزدادا طغيانا ويقول في مجلس قريش يقول واللات والعزى لئن رأيت محمدا ﷺ يُصلي لأطأن على رقبته ولأعفرنّ وجهه على التراب، وفعلا أتى إلى النبي ﷺ وهو يصلي ليطأ على ركبته فإذا به ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له مالك فقال إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وأنزل الله تعالى ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة﴾ أي صاحبها وهو أبو جهل أي لئن لم ينته عن أذية رسولنا وتعرضه له في صلاته ليمنعه منها لنأخذن بناصيته ونجره إلى جهنم عيانا.

﴿فليدع﴾ حينئذ رجال ناديه ومجلس قومه فإنا ندعو الزبانية أي خزنة النار من الملائكة كلا فليرتدع هذا الطاغية وليعلم أنه لن يقدر على أن يصل إلى رسولنا بعد اليوم بأذى.

وقال تعالى لرسوله بعد تهديده للطاغية، وردعه له، وارتدع فعلا ولم يجرؤ بعد ذلك اليوم أن يمدّ لسانه، ولا يده بسوء لرسول الله ﷺ قال لرسوله ﷺ ﴿لا تطعه﴾ فيما يطلب منك من ترك الصلاة في المسجد الحرام فقد كفيناك شره ﴿واقترب﴾[1] إلينا بالطاعات ومن أهمها الصلاة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان سبب نزول الآيات كلا إن الإنسان ليطغى إلى آخر السورة.

٢- بيان طبع الإنسان إذا لم يهذب بالإيمان والتقوى.

٣- نصرة الله لرسوله ﷺ بالملائكة عيانا في المسجد الحرام.

٤- تسجيل لعنة الله على فرعون الأمة أبي جهل وأنه كان أظلم قريش لرسول الله وأصحابه.

٥- مشروعية السجود عند تلاوة هذه السورة إذا قرأ فاسجد واقترب شرع له السجود[2] إلا أن يكون يصلي بجماعة في الصلاة السرية فلا يسجد لئلا يفتنهم.

(١) روى أصحاب الصحيح قوله ﷺ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

(٢) ورد في الذكر حال السجود أن الساجد يقول (سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق بحوله وقوته سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. اللهم اكتب لي بها أجراً وامح عني بها وزراً وارفع لي بها ذكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود).

سُورَةُ القَدْرِ

مكية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

إنا أنزلناه : أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا.

في ليلة القدر : أي ليلة الحكم والتقدير التي يقضي فيها قضاء السنة كلها.

وما أدراك ما ليلة القدر : أي إن شأنها عظيم.

ليلة القدر خير من ألف شهر: أي العمل الصالح فيها من صلاة وتلاوة قرآن ودعاء خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر.

والروح فيها : أي جبريل في ليلة القدر.

بإذن ربهم : أي ينزلون بأمره تعالى لهم بالتنزل فيها.

من كل أمر : أي من كل أمر قضاه الله تعالى في تلك السنة من رزق وأجل وغير ذلك.

سلام هي حتى مطلع الفجر : أي هي سلام من الشر كله من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه﴾[1] أي القرآن الكريم الذي كذب به المكذبون وأنكره الكافرون يخبر تعالى أن ما يتلوه عبده ورسوله محمد ﷺ هو حق وحي الله وكتابه أنزله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وذلك في ليلة الحكم والقضاء التي يقضي الله فيها ما يشاء من أحداث العالم

(١) وجائز أن يطلق لفظ أنزلناه في ليلة القدر على الخمس الآيات التي أنزلت بغار حراء في رمضان وهي اقرأ باسم ربك .. إلى ما لم يعلم أي باعتبار بداية نزوله، وما في التفسير عليه أئمته.

من رزق وأجل وغيرهما إلى بداية السنة الآتية وذلك كل سنة وهذا كقوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة[1] مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ إذ ما قضاه الله تعالى وحكم بوجوده قد كتب في اللوح المحفوظ ومنه القرآن الكريم ثم في ليلة القدر تؤخذ نسخة من أحداث السنة فتعطى الملائكة وتنفذ حرفيا في تلك السنة، ولذلك كان لليلة القدر بمعنى التقدير شأن عظيم ففضلها الله على ألف شهر وأخبر عن سبب فضلها أن الملائكة تتنزل فيها وجبريل معهم بإذن ربهم أي ينزلون بإذن الله تعالى لهم وأمره إياهم بالنزول ينزلون مصحوبين بكل أمر قضاه الله وحكم به في تلك السنة من خير وشر من رزق وأجل ولفضل هذه الليلة كانت العبادة فيها تفضل غيرها من نوعها بأضعاف مضاعفة إذ عمل تلك الليلة يحسب لصاحبه عمل ألف ليلة أي ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر. هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما[2] ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر[3] تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ وقوله ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ أي هي سلام من كل شر إذ هي كلها خير من غروب الشمس إلى طلوع فجرها إنها كلها سلام سلام الملائكة على العابدين من المؤمنين والمؤمنات وسلامة من كل شر. والحمد لله الذي جعلنا من أهلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية

٢ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٣ـ فضل ليلة القدر وفضل العبادة فيها[4].

٤ـ بيان أن القرآن نزل في رمضان جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأنه ابتدىء نزوله على رسول الله ﷺ في رمضان أيضا.

٥ـ الندب[5] إلى طلب ليلة القدر للفوز بفضلها وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان وأرجى

---

(١) فاتحة سورة الدخان.

(٢) الاستفهام للتفخيم من شأن ليلة القدر أي أي شيء يعرفك ما هي ليلة القدر ذات الشأن العظيم وإظهار لفظ ليلة القدر بعد وما أدراك ما ليلة القدر دال على الاهتمام بها كقول عدي:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء   نغص الموت ذا الغني والفقير

(٣) لحديث مالك في الموطأ سمعت من أثق فيه يقول: إن رسول الله ﷺ أرى أعمار الأمم قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر.

(٤) حديث الصحيحين: من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

(٥) أرجح الأقوال في ليلة القدر أنها في الوتر من العشر الأواخر من كل عام لحديث الصحيح التمسوها في الوتر من العشر الأواخر وان من صلى العشاء ليلتها في الجماعة ينال فضلها لما قاله مالك في الموطأ وهو قول سعيد بن المسيب (من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها ومثله لايدرك بالرأي.

ليلة في العشر الأواخر هي الوتر كالواحدة والعشرين إلى التاسعة والعشرين لحديث الصحيح التمسوها في العشر الأواخر .

٦ـ استحباب الإكثار من قراءة القرآن وسماعه فيها لمعارضة جبريل الرسول ﷺ القرآن في رمضان مرتين .[1]

سُورَةُ البَيِّنَةِ[2]

مدنية وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

من أهل الكتاب : أي اليهود والنصارى .

والمشركين : أي عبدة الأصنام .

منفكين : أي زائلين عما هم عليه منتهين عنه .

حتى تأتيهم البينة : أي الحجة الواضحة وهي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم .

رسول من الله : أي محمد رسول الله ﷺ .

صحفا مطهرة : أي من الباطل .

---

(١) معارضة القرآن ثابتة في الصحيح وفضل الدعاء فيها ثابت في الصحيح . قالت عائشة يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أقول؟ قال قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني .

(٢) وتسمى سورة القيّمة ولم يكن، وورد في فضلها حديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا) قال وسماني لك؟ قال. نعم . فبكى . وفي هذا الحديث انه لا يأنف الفاضل أن يقرأ القرآن أو يتعلم العلم عن المفضول.

فيها كتب قيمة : أي في تلك الصحف المطهرة كتب من الله مستقيمة.
إلا من بعد ما جاءتهم البينة : أي الرسول محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم.
وما أمروا : أي في كتبهم التوراة والانجيل.
حنفاء : أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الاسلام.
دين القيمة : أي دين الملة القيمة أي المستقيمة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين﴾ وهم اليهود والنصارى[1] والمشركون هم عباد الأصنام لم يكونوا منفصلين عما هم عليه من الديانة تاركين لها إلى غاية مجيء البيّنة لهم فلما جاءتهم البينة. وهي محمد ﷺ وكتابه انفكوا أي انقسموا[2] فمنهم من آمن بمحمد ﷺ وكتابه والدين الإسلامي ومنهم من كفر فلم يؤمن. وقوله تعالى ﴿رسول من الله﴾ هو محمد ﷺ وقوله ﴿يتلو صحفاً﴾ أي يقرأ على ظهر قلب ما تضمنته تلك الصحف المطهرة من الباطل والمشتملة على كتب[3] من عند الله قيمة أي مستقيمة لا انحراف فيها عن الحق ولا بعد عن الهدى والمراد من الصحف المطهرة القرآن الكريم. وقوله تعالى ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ وهي محمد ﷺ وكتابه إذ كانوا قبل البعثة المحمدية متفقين على انتظار نبيّ آخر الزمان وأنه النبي الخاتم للنبوات فلما جاءهم تفرقوا فآمن بعض وكفر بعض. في حين أنهم ما أمروا في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم. وكذا في القرآن وعلى لسان نبيه محمد ﷺ إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ويقيموا الصلاة بأن يؤدوها في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها ويؤتوا الزكاة التي أوجب الله في الأموال لصالح الفقراء والمساكين. وذلك دين القيمة أي وهذا هو دين الملة القيمة المستقيمة الموصلة للعبد إلى رضا الرب وجنات الخلد بعد انجائه من العذاب والغضب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن الديانات السابقة للإسلام والتي عاصرته كانت منحرفة اختلط فيها الحق بالباطل ولم

---

(١) قال ابن عباس أهل الكتاب اليهود الذين كانوا بالمدينة وهم قريظة والنظير وبنو قينقاع ولفظ الآية أعم وأشمل إذ تناول اليهود مطلقاً والنصارى كذلك.

(٢) انفك ينفك انفكاكاً مضارع فكه فانفك ومعناه الإزالة والإقلاع أي لم يكونوا مقلعين عَمَّا هُمْ عليه أو زائلين عنه تاركين له منتهين عنه.

(٣) إن قيل الكتب هي التي تشتمل على صحف فكيف يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة؟ والجواب نعم الصحف تكون كتاباً وإذا كثرت كونت كتباً والقرآن العظيم كثرة صحفه كونت كتاباً باعتبار ما حواه من الشارئع والأحكام والقصص والأخبار.

تصبح صالحة للإسلام والهداية البشرية ولا فرق بين اليهودية والنصرانية والمجوسية.

٢- إن أهل الكتاب بصورة خاصة كانوا منتظرين البعثة المحمدية بفارغ الصبر لعلمهم بما أصاب دينهم من فساد، ولما بعث رسول الله ﷺ وجاءتهم البينة على صدقه وصحة ما جاء به تفرقوا فآمن البعض[1] وكفر البعض.

٣- مما يؤخذ على اليهود والنصارى أنهم في كتبهم مأمورون بعبادة الله تعالى وحده والكفر بالشرك مائلين عن كل دين إلى دين الإسلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فما بالهم لما جاءهم الإسلام بمثل ما أمروا به كفروا به وعادوه. والجواب انهم لما انحرفوا عز عليهم أن يستقيموا لما ألفوا من الشرك والضلالة والباطل.

٤- بيان أن الملّة القيمة والدين المنجي من العذاب المحقق للاسعاد والكمال ما قام على أساس عبادة الله وحده وأقام الصلاة وايتاء الزكاة والميل عن كل دين إلى هذا الدين الإسلامي.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَ‌ٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

شرح الكلمات:

إن الذين كفروا من أهل الكتاب : أي بالإسلام ونبيه وكتابه هم اليهود والنصارى.

أولئك هم شر البرية : أي شر الخليقة.

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات : أي آمنوا بالإسلام ونبيه وكتابه وعملوا الصالحات.

أولئك هم خير البرية : أي هم خير الخليقة.

جنات عدن : أي بساتين اقامة دائمة.

رضي الله عنهم : أي بطاعته.

ورضوا عنه : أي بثوابه.

---

(١) شاهده قوله تعالى: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به أي كفر من كفر منهم الآية من سورة البقرة.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا من[1] أهل الكتاب والمشركين﴾ إنه بعد أن بين الدين الحق المنجي من العذاب والموجب للنعيم وهو الدين الإسلامي اخبر تعالى أن من كفر به من أهل الكتاب ومن المشركين هم في نار جهنم خالدين فيها هذا حكم الله فيهم لكفرهم بالحق واعراضهم عنه بعد ما جاءتهم البيّنة وعرفوا الطريق وتنكبوه رضا بالباطل واقتناعا بالكفر والشرك بدل الإيمان والتوحيد هؤلاء الكفرة الفجرة هم شر الخليقة كلها. وهو معنى قوله ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم[2] شر البرية﴾ كما أخبر تعالى بأن جزاء من آمن بالله ورسوله وعمل بالدين الإسلامي فأدى الفرائض واجتنب النواهي وسابق في الخيرات والصالحات هؤلاء هم[3] خير البرية إذ قال تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ وقوله ﴿جزاؤهم عند ربهم﴾ أي جزاء أولئك الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ وما جاء به من الهدى والدين الحق أولئك هم خير الخليقة وقوله ﴿جزاؤهم عند ربهم﴾ أي يوم يلقونه وذلك بعد الموت ﴿جنات عدن﴾ أي بساتين إقامة دائمة خالدين فيها أبدا أي لايخرجون منها ولا يموتون أبدا وقوله ﴿رضي[4] الله عنهم ورضوا عنه﴾ أي رضى الله عنهم بسبب إيمانهم وطاعتهم ورضوا عنه بسبب ماوهبهم وأعطاهم من النعيم المقيم في دار السلام وقوله تعالى ﴿ذلك لمن خشي[5] ربه﴾ أي ذلك الجزاء المذكور وهو جزاء عظيم إذ جُمع لأهله فيه بين سعادة الروح وسعادة البدن معا هو جزاء عبد خاف ربه فلم يعصه حتى لقيه بعد موته وإن عصاه يوما تاب وإن أخطأ رجع حتى مات وهو على الطاعة لا على المعصية.

---

(١) كفروا أي من بعد ما جاءتهم البينة من الطوائف الثلاثة حكم الله تعالى فيهم بأنهم شر الخليقة فَهُمْ شر من القردة والخنازير وأخبث أنواع الحيوان كالحيات والثعابين لأنهم كفروا بربهم وفسقوا من أمره واستوجبوا لعنته وعذابه فكانوا بذلك شر البرية.

(٢) البرية الخليقة إذ هي من بَرَأَ إذا خلق والباري الخالق وأصل البرية: البريئة قلبت الهمزة ياء وأدغمت في الياء فصارت البرية بياء مشددة وقرأ نافع البرئة مهموزا على الأصل وخففها حفص فقرأ البرية كالخلية وزناً.

(٣) أي في حكم الله وقضائه وحصلت لهم الخيرية بإيمانهم بربهم واستقامتهم على منهج شرعه فكملوا في أرواحهم وأخلاقهم وتهيأ للملكوت الأعلى فكانوا بذلك خير البرية اللهم اجعلنا منهم.

(٤) قول البعض رضي أعمالهم هروبا من عقيدة السلف والا فالآية نَصٌّ في رضاه تعالى عنهم وان كانت الأعمال سببا في رضاه إذ الأعمال طهرت نفوسهم وزكت أرواحهم فاستحقوا رضى الله فرضي عنهم ورضى الله أكبر من نعيم الجنة كقوله تعالى ورضوان من الله أكبر.

(٥) الخشية الموجبة لهذا النعيم المقيم هي ثمرة العلم إذ لا خشية بلا علم قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فلذا وَجَبَ طلبُ العلم وهو العلم بالله ومحابه ومكارهه ووعده ووعيده إذ هذا هو العلم الذي يثمر الخشية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان جزاء من كفر بالإسلام من سائر الناس وأنه بئس الجزاء.

٢ـ بيان جزاء من آمن بالإسلام ودخل فيه وطبق قواعده واستقام على الأمر والنهي فيه وهو نعم الجزاء رضى الله والخلود في دار السلام.

٣ـ فضل الخشية إن حملت صاحبها على طاعة الله ورسوله فأطاعهما بأداء الفرائض وترك المحرمات في الاعتقاد والقول والعمل.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ (١)

مدنية وآياتها ثماني آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

شرح الكلمات:

إذا زلزلت الأرض : أي حركت لقيام الساعة.

وأخرجت الأرض أثقالها : أي كنوزها وموتاها فألقتها وتخلت.

مالها : أي وقال الكافر ما لها أي أي شيء جعلها تتحرك هذه الحركة.

تحدث أخبارها : أي تخبر بما وقع عليها من خير وشر وتشهد به لأهله.

أوحى لها : أي بأن تحدث أخبارها فحدثت.

يصدر الناس أشتاتا : أي من موقف الحساب.

---

(١) وتسمى سورة الزلزال لوجود لفظ الزلزال فيها وهو قوله إذا زلزلت الأرض زلزالها، واشتهرت بسورة الزلزلة وهي تسمية بالمعنى إذ ليس فيها لفظ الزلزلة. ورد أنها تعدل ربع القرآن أو نصفه والحديث ضعيف.

ليروا أعمالهم : إي جزاء أعمالهم إما إلى الجنة وإما إلى النار.
مثقال ذرة : زنة نملة صغيرة.

معنى الآيات:

قولـه تعالى ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾(١) أي تحركت حركتها الشديدة لقيام الساعة وأخرجت الأرض أثقالها من كنوز وذلك في النفخة الأولى، وأموات وذلك في النفخة الثانية ففي الإخبار اجمال إذ المقصود تقرير البعث والجزاء ليعمل الناس بما ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة. وقوله ﴿وقال الإنسان مالها؟﴾(٢) لا شك أن هذا الإنسان السائل كان كافرا بالساعة ولذا تساءل أما المؤمن فهو يعلم ذلك لأنه جزء من عقيدته. وقوله تعالى ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾(٣) أي تخبر بما جرى عليها من خير وشر بلسان القال أو الحال. وهي في هذا الإخبار مأمورة لقوله تعالى ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أي بذلك وقوله ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا﴾(٤) أي يوم تزلزل الأرض وتهتز للنفخة الثانية نفخة يصدرالناس فيها أشتاتاً أي يصدرون من ساحة فصل القضاء فمن آخذ ذات اليمين ومن آخذ ذات الشمال ليروا أعمالهم أي جزاء أعمالهم في الدنيا من حسنة وسيئة فالحسنة تورث الجنة والسيئة تورث النار. وقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا﴾(٥) أي وزن ذرة من خير في الدنيا يثب عليه في الآخرة ومن يعمل مثقال ذرة أي وزن ذرة من شر في الدنيا يجز به في الآخرة إلا أن يعفو الجبار عز وجل وبما أن الكفر مانع من دخول الجنة فإن الكافر إذا عمل حسنة في الدنيا يرى جزاءها في الدنيا، وليس له في الآخرة شيء منها وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها إذ سألت الرسول ﷺ عن عبدالله بن جدعان هل ينفعه في الآخرة ما كان يفعله في الدنيا من إطعام الحجيج وكسوتهم فقال لها. لا إنه لم يقل يوما من الدهر ربِّ اغفرلي خطيئتي يوم الدين. كما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يأكل مع الرسول ﷺ ونزلت هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية فرفع أبو بكر يده من الطعام وقال إني لراء ما عملت من خير وشر؟ فقال

(١) اضافة الزلزال إلى ضمير الأرض لإفادة تمكنه منها وللإشارة إلى هوله وفظاعته لما عرف الناس من أهوال الزلزال إذا وقع والزلزال بكسر الزاء مصدر وبفتحها اسم مصدر. وهو مأخوذ من الزلل وهو زلق الرجلين. فلما قصدوا شدة الزلل ضاعفوا الفعل فقالوا في زل زلزل كما قالوا في كبه كبكبه.

(٢) مالها استفهام ناشيء عن دهشة وحيرة للمفاجأة. أي ما للأرض زلزلت هذا الزلزال.

(٣) روى الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) فقال أتدرون ما أخبارها؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، وتقول عمل يوم كذا وكذا فهذه أخبارها وجملة (يومئذ تحدث) جواب الشرط (إذا زلزلت).

(٤) الأشتات جمع شت بمعنى متفرقين جماعات جماعات أصحاب يمين وأصحاب شمال.

(٥) يحكى أن اعرابياً أخّر (خيراً يره) فقيل له قدمت وأخرت فقال:

خذا بطن هَرْشَى أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

وفات الأعرابي أن تقديم لفظ الخير تنويه به وبأهله ولذا قدم في الآية.

النبي ﷺ إن ما ترى مما تكره فهو من مثاقيل ذرّ شرٍّ كثير، ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ الإعلام بالانقلاب الكوني الذي تتبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات غير السموات.

٣ـ تكلم الجمادات من آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته وهي موجبات ألوهيته بعبادته وحده دون سواه.

٤ـ تقرير حديث الصحيح اتقوا النار ولو بشق تمرة.(١)

٥ـ الكافر عمله الخيري ينفعه في الدنيا دون الآخرة.

٦ـ المؤمن يجزي(٢) بالسيئة في الدنيا ويدخر له صالح عمله للآخرة.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

مكية وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

شرح الكلمات:

والعاديات : أي والخيل تعدو في الغزو.

---

(١) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة. رواه البخاري وفي الموطأ أن مسكيناً استطعم عائشة أم المؤمنين وبين يديها عنب فقالت لإنسان خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟

(٢) شاهده حديث أبي بكر السالف الذكر.

ضبحا : أي تضبح ضبحا والضبح صوت الخيل إذا عدت أي جرت.
فالموريات قدحا : أي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت بالليل.
فالمغيرات صبحا : أي الخيل تغير على العدو صباحا.
فأثرن به نقعا : هيجن به أي بمكان عدوها نقعا أي غبارا.
فوسطن به جمعا : أي بالنقع جمع العدو أي حيث تجمعاته.
لكنود : لكفور بجحد نعمه تعالى عليه.
لشهيد :أي يشهدعلى نفسه بعمله.
وإنه لحب الخير : أي المال.
إذا بعثر : أي أثير وأخرج ما في القبور.
وحصل ما في الصدور : بيّن وأفرز ما في الصدور من الإيمان والكفر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والعاديات ضبحا﴾[١] الآيات إلى قوله ﴿أفلا يعلم﴾ تضمنت قسما إلهيا عظيما على حقيقة كبرى يجهلها كثير من الناس وهي كفر الإنسان لربه ولنعمه عليه يعـد المصائب وينسى النعم والفواضل وهذا بيان ما أقسم تعالى به وهو العاديات ضبحاً وهي الخيل[٢] تضبح أي تخرج صوتا خاصا غير الصهيل المعروف فالموريات قدحا أي الخيل توري النار بحوافرها إذا مشت فوق الحجارة ليلا ويدخل ضمن هذا كل قادحة للنار فالمغيرات صبحا أي جماعات الخيل يركبها فرسانها للإغارة على العدو بها صباحا. وقوله فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا أي فأثارت الخيل النقع وهو الغبار والتراب عند سيرها بفرسانها فتوسطت جمع العدو وكتائبه لقتال أعداء الله الكافرين بالله وآياته ولقائه المفسدين في الأرض بالشرك والمعاصي هذا ما أقسم الله تعالى به وهو الخيل ذات الصفات الثلاث: العدو والإوراء والإغارة والمقسم عليه قوله ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ المراد من الإنسان الكافر والجاهل بربّه تعالى الذي لم تتهذب روحه بمعرفة الله ومحابه ومكارهه ولم يزك نفسه بفعل المحاب وترك المكاره هذا الإنسان أقسم تعالى على أنه كفور لربه تعـالى ولنعمه عليه أي شديد الكفر كثيره بذكر المصائب ويشعر بها ويصرخ لها ويصر عليها وينسى النعم والفواضل عليه فلا يذكرها ولا يشكر الله تعالى عليها. فالكنود الكفور.[٣] وقوله تعالى

(١) الأفراس تعدو (القرطبي). تضبح أي تحمحم إذا عدت وأصل الضبح والضباح للثعالب كالنبح والنباح للكلاب.
(٢) يروى عن النبي ﷺ انه قال في العاديات أنها الإبل تعدو في الحج من عرفة إلى مزدلفة وإلى منى إلا أن الخيل أولى بهذه الصفات.
(٣) فسر السلف الكنود بالهلوع والجحود والجهول والحقود والمنوع، وفعله كند يكند كنوداً من باب دخل يدخل دخلا أي كفر النعمة وجحدها.

وإنه على ذلك لشهيد أي وإن الله تعالى على هذا الوصف في الإنسان لشهيد فأخبر تعالى بما علمه من الإنسان وشهد به عليه كما أن الإنسان شهيد بأعماله وصنائع أقواله وأفعاله شهيد على نفسه بالكفر والجحود. وقوله وإنه لحب الخير لشديد هذا مما أقسم تعالى عليه أيضا وهو وصف للإنسان الكنود وهو انه شديد حب المال وسمّي المال خيرا تسمية[1] عرفية إذ تعارف الناس على ذلك كما أنه خير من حيث أنه يحصل به الخير الكثير إذا أنفق في مرضاة الله تعالى.

وقوله تعالى ﴿أفلا يعلم[2] إذا بعثر ما في القبور وحصل[3] ما في الصدور إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ أي أيكفر الإنسان بربه ويجحد نعمه عليه وإحسانه إليه ويحب المال أشد الحب فيمنع حقوق الله فيه ويكتسبه مما حرم الله عليه وقوله تعالى ﴿أفلا يعلم إذا بعثر[4] ما في القبور﴾ أي بعثرت القبور وأخرج ما فيها من البشر للحساب والجزاء ووقفوا بين يدي الله تعالى وأفرز وبيّن ما كان خفيا في الصدور من الاعتقادات والنيات الصالحة والفاسدة ولا يخفى على الله تعالى منهم شيء حيث[5] ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ كما هو اليوم خبير إلا أنها ساعة الحساب والمجازاة فذكر فيها علم الله تعالى وخبرته بالظواهر والبواطن والضمائر والسرائر فلا يخفى على الله من ذلك شيء وسيتم الجزاء العادل بحسب هذا العلم وتلك الخبرة الإلهية. فلو علم الكفور من الناس المحب للمال هذا وأيقنه لعدّل من سلوكه وأصلح من اعتقاده ومن أقواله وأعماله فالآيات دعوة إلى مراقبة الله تعالى بعد الإيمان والاستقامة على طاعته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الترغيب في الجهاد والإعداد له كالخيل أمس، ونفاث الطائرات اليوم.

٢ـ بيان حقيقة وهي أن الإنسان كفور لربه ونعمه عليه يذكر المصيبة إذا أصابته وينسى النعم التي غطته إلا إذا آمن وعمل صالحا.

---

(١) شاهده قوله تعالى: إن ترك خيراً فللوالدين الآية. وقال عدي:

ماذا تُرجي النفوس من طلب الخيـــــر وحبّ الحياة كا ربها

كا ربها غامّها من الكرب الذي هو الغم.

(٢) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء للتفريع، والمفعول محذوف لتذهب النفس في طلبه مذاهب تقديره أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور العذاب الذي هو جزاء الكفر والجحود والبخل.

(٣) حصل معناه جمع وأحصى أو جمع وعد ليحاسب العبد عليه.

(٤) بعثر أي قلب من أسفل إلى علو، والمراد إحياء ما في القبور من الأموات.

(٥) هذه الجملة مستأنفة علة لتحقيق الجزاء وإثباته ذلك الجزاء الذي يحصل يوم خروج الناس من قبورهم وحسابهم على أعمالهم.

٣- بيان أن الإنسان يحب المال حبا شديدا إلا إذا هذّب بالإيمان وصالح الأعمال.

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

سُورَةُ القَارِعَةِ

مكية وآيتها احدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ
﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾
وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا
مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ
﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

شرح الكلمات:

القارعة : القيامة وسميت القارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

ما القارعة : أي أي شيء هي ؟ فالاستفهام للتهويل من شأنها.

وما أدراك ما القارعة: زيادة في تهويل أمرها وتعظيمه.

كالفراش المبثوث : أي كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض.

كالعهن المنفوش: أي كالصوف المندوف هذه حالها أولا ثم تكون كثيبا مهيلا ثم تكون هباء منبثا.

في عيشة راضية : أي يرضاها صاحبها في الجنة فهي مرضية له.

فأمه هاوية : أي مأواه ومسكنه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه وهي النار.

نار حامية : أي هي نار حامية.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿القارعة﴾[1] إلى آخر السورة الكريمة تضمنت آياتها الإحدى عشرة آية وصفاً لعقيدة البعث والجزاء التي كذب بها المشركون وأنكروها وبالغوا في انكارها فأخبر تعالى أن القيامة التي تقرع الناس بأهوالها وعظائم ما يجري فيها بحيث يكون الناس وهم أشرف الكائنات الأرضية يكونون في خفة أحلامهم وحيرة عقولهم كالفراش المبثوث وهو غوغاء الجارد وتجمعه وتراكمه وانتشاره وهو يموج بعضه فوق بعض. وتكون الجبال على رسوها وعلوها وضخامة ذواتها كالعهن المنفوش أي كالصوف المندوف بالمنداف وهو يتطاير هنا وهناك. هذا في أول الأمر وقد تكون كالرمل المتهيل. ثم كالهباء المنبث فإذا بعثوا ووقفوا بين يدي ربهم لحسابهم ومجازاتهم ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ أي موازين حسناته فقد نجا من النار وهو ﴿في عيشة راضية﴾ أي مرضية له وهو بها راض وكيف لا وهي الجنة دار النعيم المقيم. ﴿ومن خفت موازينه﴾ أي قلت حسناته وكثرت سيئاته أوْ لَمْ يكن له حسنة بالمرة كأهل الكفر والشرك ﴿فأمه هاوية﴾[2] أي فأمه التي تضمه إليها وتؤيه عندها هاوية بحيث يهوى فيها على أم رأسه وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما هي؟﴾ أي هي ﴿نار حامية﴾[3] هذا الاستفهام للتهويل من شأنها وهي كذلك لا أشد هولا منها إنها النار دار البوار والخسران أعاذنا الله تعالى منها وعتق رقابنا منها اللهم آمين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر صورة صادقة لها.

٢ـ التحذير من أهوال يوم القيامة وعذاب الله تعالى فيها.

٣ـ تقرير عقيدة وزن الأعمال صالحها وفاسدها وترتيب الجزاء عليها.

٤ـ تقرير أن الناس يوم القيامة فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير.

---

(١) القارعة مبتدأ (ما) اسم استفهام مبتدأ ثان القارعة خبره والجملة خبر عن المبتدأ الأول والاستفهام للتهويل من شأنها والتفخيم لأمرها. وجملة ما أدراك ما القارعة تضمنت استفهاماً آخر للتهويل من شأنها أيضاً كالتأكيد للأول والظرف يوم يكون مفعول فيه أي تكون أو تحصل يوم يكون الناس كالفراش.

(٢) سميت النار أما لأهلها لأنهم يؤوون إليها كما يأوي الأبن إلى أمه قاله ابن زيد ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

فالأرض مَعْقلنا وكانت أمّنا فيها مقابرنا وفيها نولد

(٣) في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا والله إن كانت لكافية يارسول الله، قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ (١)

مكية وآياتها ثماني آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

ألهاكم : أي شغلكم عن طاعة الله تعالى .

التكاثر : أي التباهي بكثرة المال .

حتى زرتم المقابر : أي تشاغلتم بجمع المال والتباهي بكثرته حتى متم ونقلتم إلى المقابر .

كلا : أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا فارتدعوا عن هذا التكاثر .

سوف تعلمون : أي إذا دخلتم قبوركم علمتم خطأكم في التكاثر في الأموال والأولاد .

كلا : أي حقا .

لو تعلمون علم اليقين : أي علما يقينيا عاقبة التكاثر لما تفاخرتم بكثرة أموالكم .

لترون الجحيم : أي النار .

يومئذ : أي يوم ترون الجحيم عين اليقين .

عن النعيم : أي تنعمتم به وتلذذتم من الصحة والفراغ والأمن والمطاعم والمشارب .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ألهاكم التكاثر﴾ (٢) هذا خطاب الله تعالى للمشتغلين بجمع المال وتكثيره للمباهاة به

---

(١) إلا البخاري فإنه يرى أنها مدنية والصحيح أنها مكية ولعل البخاري تأثر بما رواه من أن النبي ﷺ قال لأبي بكر في بستان ابن تيهان إن هذا من النعيم الذي تسألون عنه .

(٢) ألهاكم شغلكم قال امرؤ القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع   فألهيتها عن ذي تمائم محول

أي شغلتها .

والتفاخر الأمر الذي ألهاهم عن طاعة الله ورسوله فماتوا ولم يقدموا لأنفسهم خيراً فقال تعالى لهم ألهاكم أي شغلكم التكاثر أي في الأموال للتفاخر بها والمباهاة بكثرتها ﴿حتى زرتم المقابر﴾[1] أي بعد موتكم نقلتم إليها لتبقوا فيها إلى أن تخرجوا منها للحساب والجزاء أي يوم القيامة. وقوله لهم ﴿كلا﴾ أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا فارتدعوا عن هذا السلوك المفضي بكم إلى الهلاك والخسران. سوف تعلمون عاقبة تشاغلكم عن طاعة الله وطاعة رسوله والتزود للدار الآخرة ﴿ثم كلا سوف تعلمـون[2]﴾ كرّر الوعيد والتهديد. وقوله ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين[3]﴾ أي[4] حقا لو تعلمون ما تجدونه في قبوركم ويوم بعثكم ونشوركم لما تشاغلتم بالأموال وتكاثرتم فيها. وقوله ﴿لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين﴾ هذا جواب قسم نحو وعزتنا لترون الجحيم أي النار وذلك يوم القيامة المشرك يراها ويصلاها والمؤمن يراها وينجيه الله تعالى منها. ثم لترونها عين اليقين أي الأمر الذي لا شك فيه إذ يؤتى بجهنم فيراها أهل الموقف أجمعون وقوله ﴿ثم لتسألن يومئذ﴾ أي يوم ترون الجحيم عين اليقين ﴿عن النعيم[5]﴾ الذي كان لكم في الدنيا من صحة وفراغ وأمن وطعام وشراب. فمن أدى شكره نجا، ومن لم يؤد شكره أخذ به ولا يعفى إلا عن ثوب يستر العورة وكسرة خبز تسد الجوعة وجحر يكن من الحر والبرد وقد صح أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمرو ابن التيهان [هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة يشير إلى بسر ورطب وماء بارد] وصح أيضا [انه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه؟]

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ التحذير من جمع المال وتكثيره مع عدم شكره وترك طاعة الله ورسوله من أجله.

---

(١) في صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر، قال: يقول ابن آدم: مالي مالي وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس. وروى البخاري قوله ﷺ لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

(٢) هذه الجملة توكيد للأولى وهي سوف تعلمـون، ومفعـول تعلمون محذوف تقديره تعلمون سوء مغبة لهوكم بالتكاثر مشغولين عن طاعة الله ورسوله مشغولين بجمع الأموال والتكاثر بها.

(٣) جواب لو تعلمون علم اليقين محذوف كما حذف الأول تقديره لتبين لكم حال مفظع عظيم والإضافة في علم اليقين إضافة بيانية لأن اليقين علم.

(٤) وجائز أن تكون كلاهما كالأولى للردع والزجر وكونها بمعنى حقاً أولى.

(٥) اختلف في تحديد النعيم المذكور الذي نسأل عنه يوم القيامة فقيل له الأمن والصحة وقيل الصحة والفراغ، وقيل شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن. وفي البخاري عن النبي ﷺ قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ.

٢- إثبات عذاب القبر وتأكيده بقوله حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون أي في القبر.

٣- تقرير عقيدة البعث وحتمية الجزاء بعدالحساب والاستنطاق والاستجواب.

٤- حتمية سؤال العبد عن النعم التي أنعم الله تعالى عليه بها في الدنيا فإن كان شاكرا لها فاز وإن كان كافرا لها أخذ والعياذ بالله.

سُورَةُ العَصْرِ

مكية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

شرح الكلمات:

والعصر : أي الدهر كله.

إن الإنسان : أي جنس الإنسان كله.

لفي خسر : أي في نقصان وخسران إذ حياته هي رأس ماله فإذا مات ولم يؤمن ولم يعمل صالحا خسر كل الخسران.

وتواصوا بالحق : أي أوصى بعضهم بعضا باعتقاد الحق وقوله والعمل به.

وتواصوا بالصبر : أي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على اعتقاد الحق وقوله والعمل به.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والعصر﴾[(١)] الآيات الثلاث تضمنت هذه الآيات حكما ومحكوما عليه ومحكوما به فالحكم هو ما حكم به تعالى على الإنسان[(٢)] كل الإنسان من النقصان والخسران والمحكوم عليه هو الإنسان أبن آدم والمحكوم به هو الخسران لمن لم يؤمن ويعمل صالحا والربح والنجاة من الخسران لمن آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فقوله تعالى ﴿والعصر﴾

---

(١) ذكر أهل التفسير في تحديد كلمة العصر أقوالاً منها أنها صلاة العصر لأنها الصلاة الوسطى، ومنها عصر النبي ﷺ وما في التفسير أعم وأولى.

(٢) الإنسان (أل) فيه لاستغراق الجنس إلا أنه خاص بالموجودين في زمن النزول للآية ومن بلغته الدعوة الإسلامية، أما من كانوا قبل نزول الآية وظهور الإسلام فلا يدخلون في عموم لفظ الإنسان ولو قيل بالعموم لكان حقاً أيضاً.

هو قسم أقسم الله به والعصر هو الدهر كله ليله ونهاره وصبحه ومساؤه وجواب القسم قوله تعالى ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ أي نقصان وهلكة وخسران إذ يعيش في كَبَدٍ ويموت إلى جهنم فيخسر كل شيء حتى نفسه التي بين جنبيه وقوله ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فهؤلاء استثناهم الله تعالى من الخسر فهم رابحون غير خاسرين وذلك بدخولهم الجنة دار السعادة والمراد من الإيمان الإيمان بالله ورسوله وما جاء به رسوله من الهدى ودين الحق والمراد من العمل الصالح الفرائض والسنن والنوافل،وقوله ﴿وتواصوا بالحق﴾ أي باعتقاده وقوله والعمل به وذلك باتباع الكتاب والسنة، وقوله ﴿وتواصوا بالصبر[1]﴾ أي أوصى بعضهم بعضا بالحق اعتقادا وقولا وعملا وبالصبر على ذلك حتى يموت أحدهم وهو يعتقد الحق ويقول به ويعمل بما جاء فيه فالإسلام حق والكتاب حق والرسول حق فهم بذلك يؤمنون ويعملون ويتواصون بالثبات على ذلك حتى الموت.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- فضيلة سورة العصر لاشتمالها على طريق النجاة في ثلاث آيات حتى قال الإمام الشافعي لو ما أنزل الله تعالى على خلقه حجة إلا هذه السورة لكفتهم.

٢- بيان مصير الإنسان الكافر وأنه الخسران التام.

٣- بيان فوز أهل الإيمان والعمل الصالح المجتنبين للشرك والمعاصي.

٤- وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المسلمين.

سُورَةُ الهُمَزَةِ

مكية وآياتها تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩

---

(١) حقيقة الصبر منع المرء نفسه مما هو مناف لطاعة الله ورسوله فعلا أو تركاً.

شرح الكلمات:

ويل لكل همزة لمزة : كلمـة يطلب بها العذاب وواد في جهنم الهمزة كثير الهمز واللمزة كذلك وهم الطعانون المظهرون العيوب للإفساد.

جمع مالا وعدده : أي أحصاه وأعده لحوادث الدهر.

يحسب أن ماله أخلده : أي يجعله خالدا في الحياة لا يموت.

كلا : أي ليس الأمر كما يزعم ويظن.

لينبذن : أي ليطرحن في الحطمة.

في الحطمة : أي النار التي تحطم كل ما يلقى فيها.

تطلع على الأفئدة : أي تشرف على القلوب فتحرقها.

مؤصدة : أي مغلقة مطبقة.

في عمد ممددة : أي يعذبون في النار بأعمدة ممدة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ويل لكل همزةلمزة﴾ [(١)] يتوعد الربّ تبارك وتعالى بواد في جهنم يسيل بصديد أهل النار وقيوحهم كل همزة لمزة [(٢)] أي كل مغتاب عيّاب ممن يمشون بالنميمة ويبغون للبراء العيب وقوله ﴿الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده﴾ هذا وصف آخر لتلك الهمزة اللمزة وهو أنه ﴿جمع مالا﴾ كثيرا من حرام وحلال ﴿وعدده﴾ أي أحصاه وعرف مقداره وأعده لحوادث الدهر كما يزعم. ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أي يظن أنه لا يموت لكثرة أمواله ومتى كان المال ينجي من الموت؟ إنه الغرور في الحياة، لو كان المال يُخلد أحدا لأخلد قارون، وقوله تعالى ﴿كلا﴾ [(٣)] لايخلده ماله بل وعزتنا وجلالنا ﴿لينبذن﴾ [(٤)] أي يطرحن ﴿في الحطمة﴾ النار المستعرة التي تحطم كل ما يلقى فيها وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ [(٥)] هذا الاستفهام لتعظيم أمرها وتهويل شأنها، وبيّنها تعالى بقوله ﴿نار الله الموقدة﴾ أي المستعرة المتأججة، ﴿التي تطلع على

---

(١) قال ابن عباس هم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب.

(٢) قال عطاء بن أبي رياح: الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل، واللمزة الذي يغتابه من خلفه إذا غاب قال حسان:

همزتك فاختضعت بذل نفس بقافية تأجج كالشواظ

(٣) كلا رد لما توهمه الكافر وردع له وزجر على اعتقاده وقوله إذ كلاهما فاسد باطل.

(٤) اللام موطئة للقسم.

(٥) الحطمة دركة من درك النار قيل انها الثانية وقيل الرابعة أو هي اسم من أسماء جهنم.

الأفئدة﴾ أي تشرف على القلوب فتحرقها، وقوله تعالى ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾[1] أي إن النار على أولئك الهمازين اللمازين مطبقة مغلقة الأبواب وقوله تعالى ﴿في عمد ممددة﴾ أي يعذبون في النار بعمد ممددة، والله أعلم كيف يكون تعذيبهم[2] بها إذ لم يطلعنا الله تعالى على كيفيته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ التحذير من الغيبة والنميمة.

٣ـ التنديد بالمغترين بالأموال المعجبين بها.

٤ـ بيان شدة عذاب النار وفظاعته.

سُورَةُ الفِيلِ

مكية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

ألم تر كيف فعل ربك : أي ألم ينته إلى علمك فعل ربك بأصحاب الفيل.

بأصحاب الفيل : أي محمود وهي أكبرها ومعه اثنا عشر فيلا وصاحبها أبرهة.

ألم يجعل كيدهم : أي في هدم الكعبة.

في تضليل : أي في خسار وهلاك.

أبابيل : أي جماعات جماعات.

من سجيل : أي طين مطبوخ.

---

(١) يقال آصدت الباب إذا أغلقته قاله مجاهد ومنه قول الشاعر (الرقيات)

إن في القصر لو دخلنا غزالا مصفقا موصداً عليه الحجاب

فمصفقاً وموصداً بمعنى واحد وهو مغلق.

(٢) في عمد أي موثقين في عمد كما يوثق المسجون المغلظ عليه من رجليه في فلقة ذات ثقب يدخل في رجليه والعمد اسم جمع عمود، والعمود خشبة والممددة المجعولة طويلة جداً.

كعصف مأكول : أي كورق زرع أكلته الدواب وداسته بأرجلها.

معنى الآيات:

قولـه تعالى ﴿ألم تر[1] كيف فعل ربك بأصحاب الفيل[2]﴾ إلى قوله ﴿مأكول﴾ هي خمس آيات تضمنت الحديث عن حادث جلل وقع أمام[3] ولادة النبي ﷺ وخلاصته أن أبرهة الأشرم والي اليمن من قبل ملك الحبشة قد رأى أن يبني بيتا في صنعاء اليمن يدعو العرب إلى حجه بدل حجهم البيت الحرام والقصد من ذلك تحويل التجارة والمكاسب من مكة إلى اليمن وعرض هذا على الملك الحبشي فوافق وسره ذلك ولما بني البيت «الكنيسة» وسماها القُلَّيْس لم يبن مثلها في تاريخها جاء رجل قرشي فتغوط فيها ولطخ جدرانها بالعذرة غَضَباً منه، وذهب فلما رآها أبرهة الأشرم بتلك الحال استشاط غيظا وجهز جيشا لغزو مكة وهدم الكعبة وكان معه ثلاثة عشر فيلا ومن بينها فيل يدعى محمود وهو أكبرها وساروا ما وقف في وجههم حي من أحياء العرب إلا قاتلوه وهزموه حتى انتهوا إلى قرب مكة وجرت سفارة بينهم وبين شيخ مكة عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ وانتهت المفاوضات بأن يرد أبرهة إبل عبدالمطلب ثم هو وشأنه بالكعبة وأمر رجال مكة أن يخلو البلد ويلتحقوا برؤوس الجبال بنسائهم وأطفالهم خشية المعرة تلحقهم من الجيش الغازي والظالم، وما هي إلا أن تحرك جيش أبرهة ووصل إلى وادي محسر وهو في وسط الوادي سائر وإذا بفرق من الطير فرقة بعد أخرى ترسل على ذلك الجيش حجارة الواحدة ما بين الحمصة والعدسة في الحجم وما تسقط الحجرة على رجل إلا ذاب وتناثر لحمه فهلكوا وفر ابرهة ولحمه يتناثر فهلك في الطريق وكانت هذه نصرة من الله لسكان حرمه وحماة بيته ومن ثم ما زالت العرب تحترم الكعبة والحرم وسكانه إلى اليوم. وقوله تعالى ﴿ألم تر كيف﴾ يخاطب تعالى رسوله مذكراً إياه بفعله الجبار في إهلاك الجبابرة فأين قوة ظلمة قريش كالعاص بن وائل وعمرو بن هشام والوليد وعقبة من قوة ابرهة وأبادها الله تعالى في ساعة فاصبر يا محمد ولا تحمل لهؤلاء الأعداء هما فإن لهم ساعة فكانت السورة عبارة عن ذكرى للعظة والاعتبار. وهذا شرح الآيات ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ أي ألم ينته إلى علمك فعل ربك بأصحاب الفيل. ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ أي ألم يجعل ما كادوه لبيتنا وحرمنا في خسارة وضلال فلم يجنوا إلا الخزي والدمار ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ أي جماعات جماعات كانت تشاهد وهي

(١) الاستفهام تقريري والمخاطب هنا رسول الله ﷺ بلا خلاف (وكيف) جائز أن تكون مجردة عن الاستفهام وهي في محل نصب على المفعول به لتر.

(٢) الفيل أنثاه فيلة ويجمع على أفيال وفيول وفيلة، وصاحبه فيال.

(٣) إذ ولد ﷺ عام الفيل أي بعد حادثة الفيل بخمسين يوماً.

تخرج من البحر يشاهدها رجال مكة المعتصمون بقمم الجبال إذ تمر فوقهم وهي تحمل حجارة من سجيل[1] كل طائر يحمل ثلاثة أحجار كالحمصة والعدسة واحدة بمنقاره واثنتين بمخلبيه كل واحدة في مخلب ترميهم بها فتتفتت لحومهم وتتناثر فجعلهم كعصف مأكول أي كزرع دخلته ماشية فأكلت عصفه أي ورقه وكسرت قائمه وهشمته فكانت آية من آيات الله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات

١- تسلية رسول الله ﷺ عما يلاقيه من ظلم كفار قريش.

٢- تذكير قريش بفعل الله عز وجل تخويفا لهم وترهيبا.

٣- مظاهر قدرة الله تعالى في تدبيره لخلقه وبطشه بأعدائه.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مكية وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

شرح الكلمات:

لإيلاف : الإيلاف مصدر آلف الشيء يؤالفه إيلافا إذا اعتاده وزالت الكلفة عنه والنفرة منه.

قريش[2] : هم ولد النضر بن كنانة وهم قبائل شتى.

(١) حجارة من طين طبخت من نار جهنم وسجيل أصلها سجين بالنون فابدلت لاما كما أبدلت في أصيلان بأصيلال قال الشاعر:

ورَجْلَة يضربون البيضَ عن عُرُض ... ضرباً تواصت به الأبطال سجينا

(٢) قريش لقب الجد الذي يجمع بطون قريش كافة وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وأما ما فوق فهر فهم من كنانة ولقب بقريش تصغير قرش بفتح القاف وسكون الراء والنسبة إليه قرشي وهل اشتقاق قرش من التقريش الذي هو الاكتساب أو التجمع أو نسبة إلى القرش وهو سمكة بحرية قوية والنسبة إلى قرش قرشي وقريش تصرف إن أريد الحي وتمنع إن أريد القبيلة ورجح القرطبي أن يكون قريش بن النضر بن كنانة. فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي ورجحه للحديث: (إنا ولد النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا) وبالتأمل لا توجد منافاة إذ قبائل قريش تعود إلى النضر بن كنانة.

رحلة الشتاء : أي إلى اليمن.

والصيف : أي إلى الشام.

فليعبدوا : أي إن لم يعبدوا الله لسائر نعمه فليعبدوه لتحبيب هاتين الرحلتين اليهم.

ربّ هذا البيت : أي مالك البيت الحرام وربّ كل شيء.

الذي أطعمهم من جوع : أي من أجل البيت الحرام.

وآمنهم من خوف : أي من أجل البيت الحرام.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿لإيلاف قريش﴾[1] هذا الجار والمجرور متعلق بكلام قبله وهو فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل لإيلاف قريش رحلتيهم، أو أعجبوا لإيلاف قريش رحلتهم والرحلتان هما رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام وذلك للاتجار وجلب الأرزاق إلى بلادهم التي ليست هي بذات زرع ولا صناعة فإيلافهم هاتين الرحلتين كان بتدبير الله تعالى ليعيش سكان حرمه وبلده في رغد من العيش فهي نعمة من نعم الله تعالى وعليه ﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع﴾[2] بما هيأ لهم من أسباب ﴿وآمنهم من خوف﴾ كذلك ولم يعدلون عن عبادته إلى عبادة الأصنام والأوثان فالله أحق أن يعبدوه إذ هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف بما ألقى في قلوب العرب من احترام الحرم وسكانه وتعظيمه وتعظيمهم فتمكنوا من السفر إلى خارج بلادهم والعودة إليها في أمن وطمأنينة قال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماللناس أي لقريش تقوم مصالحهم عليها لما ألقى في قلوب العرب[3] من تعظيم واحترام أهله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مظاهر تدبير الله تعالى وحكمته ورحمته فسبحانه من إله حكيم رحيم.

(١) الإيلاف مصدر آلف يؤلف إيلافاً قال الشاعر:

المنعمين إذ النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف

وأما ألفه يألفه إلفاً والافا، فقد قرأ به أبو جعفر لإلف قريش، وقد جمع بين المصدرين الشاعر في قوله

أزعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف

ولام الجر في متعلقها ثلاثة احتمالات ذكر في التفسير منها اثنان، والثالث انها متعلقة بـ فليعبدوا: كأنه قال آلف الله قريشاً إيلافاً فليعبدوا رب هذا البيت، ويقدر شرط محذوف أي إذا كان الأمر كذلك فليعبدوا، ويرجح الأول لمصحف أبي بن كعب، إذ لم يفصل فيه بين السورتين. وكذا قراءة عمر إذ صلى المغرب يوماً فقرأ في الأولى بالتين وفي الثانية بالفيل وقريش ولم يفصل بينهما بالبسملة، ولا مانع منه وهو أوضح.

(٢) إنما هي استجابة الله دعوة إبراهيم: رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات.

(٣) مصداق قوله تعالى: أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا.

٢ـ بيان إفضال الله تعالى على قريش وإنعامه عليها الأمر الذي تطلّب شكرها ولم تشكر فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بتركها للشكر.

٣ـ وجوب عبادة الله تعالى وترك عبادة من سواه.

٤ـ وجوب الشكر على النعم وشكرها حمدا لله تعالى عليها والثناء عليه بها وصرفها في مرضاته.

٥ـ الاطعام من الجوع والتأمين من الخوف عليهما مدار كامل أجهزة الدولة فأرقى الدول اليوم وقبل اليوم لم تستطع أن تحقق لشعوبها هاتين النعمتين نعمة العيش الرغد والأمن التام.

سُورَةُ المَاعُونِ

مكية الأوائل مدنية الأواخر

وآياتهاتسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى
يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

شرح الكلمات:

أرأيت الذي يكذب بالدين : أي هل عرفته والدين ثواب الله وعقابه يوم القيامة.

فذلك الذي يدع اليتيم : أي فهو ذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه بعنف.

ولا يحض على طعام المسكين: أي لا يحض نفسه ولا غيره على إطعام المساكين.

فويل للمصلين : أي العذاب الشديد للمصلين الساهين عن صلاتهم.

عن صلاتهم ساهون : أي يؤخرونها عن أوقاتها.

يراءون : أي يراءون بصلاتهم وأعمالهم الناس فلم يخلصوا لله تعالى في ذلك.

ويمنعون الماعون : أي لا يعطون من سألهم ماعوناً كالأبرة والقدر والمنجل ونحوه مما ينتفع به ويرد بعينه كسائر الأدوات المنزلية.

معنى الآيات: [1]

قوله تعالى ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك [2] الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ هذه الآيات الثلاث نزلت بمكة في العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأضرابهم من عتاة قريش وكفارها فهذه الآيات تُعرِّض بهم وتندد بسلوكهم وتوعدهم فقوله تعالى ﴿أرأيت﴾ يارسولنا الذي يكذب بالدين وهو الجزاء في الآخرة على الحسنات والسيئات فهو ذاك الذي يدع اليتيم أي يدفعه بعنف عن حقه ولا يعطيه إياه احتقارا له وتكبرا عليه ولا يحض على طعام المسكين أي ولا يحث ولا يحض نفسه ولا غيره على إطعام الفقراء والمساكين وذلك ناتج عن عدم إيمانه بالدين أي بالحساب والجزاء في الدار الآخرة وهذه صفة كل ظالم مانع للحق لا يرحم ولا يشفق إذ لو آمن بالجزاء في الدار الآخرة لعمل لها بترك الشر وفعل الخير فمن أراد أن يرى مكذبا بالدين فإنه يراه في الظلمة المعتدين القساة القلوب الذين لا يرحمون ولا يعطون ولا يحسنون وقوله تعالى ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾ هذه الآيات الأربع نزلت في بعض منافقي المدينة النبوية فلذا نصف السورة مكي ونصفها مدني﴾ وقوله تعالى ﴿فويل [3] للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ هذا وعيد شديد لهم إذ الويل واد في جهنم يسيل من صديد أهل النار وقيوحهم وهو أشد العذاب إذ كانوا يغمسون فيه أو يطعمون ويشربون منه. ومعنى عن صلاتهم ساهون انهم غافلون عنها لا يذكرونها فكثيرا ما تفوتهم ويخرج وقتها وأغلب حالهم أنهم لا يصلونها إلا عند قرب خروج وقتها هذا وصف وآخر انهم ﴿يراءون﴾ بصلاتهم وبكل أعمالهم أي يصلون وينفقون ليراهم المؤمنون فيقولوا انهم مؤمنون وبالمراءاة يدرءون عن أنفسهم القتل والسبي وثالث أنهم ﴿يمنعون الماعون﴾ فإذا استعارهم مؤمن ماعونا للحاجة به لا يعيرون ويعتذرون بمعاذير باطلة فلا يعيرون فأسا ولا منجلا ولا قدرا ولا آية آنية أو ماعون لأنهم يبغضون المؤمنين ولا يريدون أن ينفعوهم بشيء فيحرمونهم من إعارة شيء ينتفعون به ويردونه عليهم.

---

(١) الاستفهام للتعجب هنا من حال المكذبين بالجزاء وما أورثهم التكذيب من سوء الصنيع قرأ نافع أرأيت بتسهيل الهمزة بعد الراء ألفاً وحقّقها حفص والجمهور.

(٢) في الكلام حذف تقديره أرأيت الذي يكذب بالدين. أمصيب هو أم مخطىء والجواب قطعاً مخطيء وخطأه كفره وشركه وعداوته للإسلام ونبيه وأهله وجزاؤه سيكون جحيماً وعذاباً أليماً وإذا كان هذا العذاب بسبب كفره وأذاه للمؤمنين إذاً فويل للمنافقين المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين يراءون ويمنعون الماعون لظلمة قلوبهم بالكفر والشرك الذي يخفونه.

(٣) الفاء للتفريع والترتيب والتسبب. والسؤال: على أي شيء تفرع ما بعدها على ما قبلها. والآيات نزلت بالمدينة في المنافقين وما قبلها نزل في المشركين في مكة؟ والجواب تقدم في رقم (٢) قبل هذا الرقم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- أيما قلب خلا من عقيدة البعث والجزاء إلا وصاحبه شر الخلق لا خير فيه البتة.

٣- التنديد بالذين يأكلون أموال اليتامى ويدفعونهم عن حقوقهم استصغارا لهم واحتقارا.

٤- التنديد والوعيد للذين يتهاونون بالصلاة ولا يبالون في أي وقت صلوها وهو من علامات النفاق والعياذ بالله.

٥- منع الماعون من صفات المنافقين والمانع لما المسلمون في حاجة إليه ليس منهم لحديث من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم فكيف بالذي يمنعهم ما هو فضل عنده وهم في حاجة إليه؟

سُورَةُ الكَوْثَرِ (١)

مكية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

شرح الكلمات:

إنا أعطيناك الكوثر : أي إنا ربُّ العزة والجلال وهبناك يا نبينا الكوثر أي نهراً في الجنة.

فصل لربك وانحر : أي فاشكر ذلك بصلاتك لربك المنعم عليك وحده وانحر له وحده.

إن شانئك : أي مبغضك.

هو الأبتر : أي الأقل الأذل المنقطع عقبه.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ (٢) هذه الآيات الثلاث

(١) وتسمى سورة النحر.

(٢) روى مسلم عن أنس بن مالك قال بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه وقال أنزلت علي آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر فصلِّ لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر)، ثم قال أتدرون من الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة وظاهر هذه الرواية أن سورة الكوثر مدنية ولا مانع من نزولها مرتين مرة بمكة وأخرى بالمدينة.

مختصة برسول الله ﷺ إذ هو المخاطب بها وأنها تحمل طابع التعزية لرسول الله ﷺ فقد روي أنه لما مات ابن النبي ﷺ القاسم قال العاص بن وائل السهمي بتر محمد أو هو أبتر أي لا عقب له بعده فأنزل الله تعالى هذه السورة تحمل الرد على العاص والتعزية للرسول ﷺ والبشرى له ولأمته بالكوثر الذي هو نهر في الجنة حافتاه من الذهب ومجراه على الدر والياقوت وتربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج ، ومن الكوثر يملأ الحوض الذي في عرصات القيامة ولا يرده إلا الصالحون من أمته ﷺ. فقوله تعالى ﴿إنا أعطيناك﴾ أي خصصناك بالكوثر[1] الذي هو نهر في[2] الجنة من أعظم أنهارها مع الخير الكثير الذي وهبه الله تعالى لك من النبوة والدين الحق ورفع الذكر والمقام المحمود وقوله ﴿فصل لربك وانحر﴾[3] أي فاشكر هذا الإنعام بأن تصلي لربك وحده ولا تشرك به غيره وكذا النحر فلا تذبح لغيره تعالى وفي هذا تعليم لأمته وهل المراد من الصلاة صلاة العيد والنحر الأضحية لا مانع من دخول هذا في سائر الصلوات والنسك وقوله تعالى إن شانئك هو الأبتر[4] أي إن مبغضك في كل زمان ومكان هو الأقل الأذل المنقطع النسل والعقب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان إكرام الله تعالى لرسوله محمد ﷺ.

٢ـ تأكيد أحاديث الكوثر وأنه نهر في الجنة.

٣ـ وجوب الإخلاص في العبادات كلها لاسيما الصلاة والنحر.

٤ـ مشوعية الدعاء على الظالم.

---

(١) لفظ الكوثر يطلق عربيّة على الخير الكثير كما هي صيغة فوعل نحو النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر كوثراً والكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ نهر في الجنة كما في البخاري والنبوة والكتاب والعلم والحكمة.

(٢) في حديث البخاري دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أظفر قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل.

(٣) في الآية دليل على وجوب تقديم صلاة العيد على النحر وهو ما عليه جمهور الفقهاء وجائز أن يكون المراد من صل لربك وانحر أي صل صلاة الصبح بمزدلفة وانحر هديك بمنى.

(٤) الأبتر حقيقته: المقطوع بعضه وغلب على المقطوع ذنبه من الدواب ويستعار لمن نقص منه ما هو من الخير في نظر الناس تشبيه بالدواب المقطوع أذنابها ومنه الخطبة البتراء التي لم يحمد فيها الله ولم يُصلِّ فيها على نبيه محمد ﷺ.

سُورَةُ الكَافِرُونَ

مكية وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

قل	: أي يارسول الله .
يا أيها الكافرون	: أي المشركون وهم الوليد والعاص وابن خلف والأسود بن المطلب .
لا أعبد ما تعبدون	: أي من الآلهة الباطلة الآن .
ولا أنتم عابدون ما أعبد	: أي الآن .
ولا أنا عابد ما عبدتم	: أي في المستقبل أبدا .
ولا أنتم عابدون ما أعبد	: أي في المستقبل أبدا لعلم الله تعالى بذلك .
لكم دينكم	: أي ما أنتم عليه من الوثنية سوف لا تتركونها أبدا حتى تهلكوا .
ولي دين	: أي الإسلام فلا أتركه أبدا .

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قل يا أيها الكافرون﴾[1] الآيات الست الكريمات نزلت ردا على اقتراح تقدم به بعض المشركين وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي ، والأسود بن المطلب وأمية بن خلف مفاده أن يعبد النبي ﷺ معهم آلهتهم سنة ويعبدون معه إلهه سنة مصالحة بينهم وبينه وإنهاء للخصومات في نظرهم، ولم يجبهم الرسول ﷺ بشيء حتى نزلت هذه السورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المقترحين الباطل يا أيها الكافرون بالوحي الإلهي وبالتوحيد

(١) ورد في فضل هذه السورة أنها تعدل ربع القرآن كسورة الزلزلة والنصر وصح عن النبي ﷺ أنه كان يقرؤها في الشفع في الركعة الثانية ويقرأ في الأولى بالأعلى ، وصح أنه كان يقرأ بها وبالصمد في ركعتي الطواف.

المشركون في عبادة الله تعالى أصناما وأوثانا ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾[1] الآن كما اقترحتم ﴿ولا أنتم عابدون﴾ الآن ﴿ما أعبد﴾ لما قضاه الله لكم بذلك، ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ في المستقبل أبدا ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في المستقبل أبدا لأن ربي حكم فيكم بالموت على الكفر والشرك حتى تدخلوا النار لما علمه من قلوبكم وأحوالكم وقبح سلوككم وفساد أعمالكم ﴿لكم دينكم﴾ لا أتابعكم عليه ﴿ولي دين﴾[2] لا تتابعونني عليه. بهذا أيأس الله رسوله من إيمان هذه الجماعة التي كان النبي ﷺ بطمع في إيمانهم وَأيأس المشركين من الطمَع في موافقة الرسول ﷺ على مقترحهم الفاسد، وقد هلك هؤلاء المشركون على الكفر فلم يؤمن منهم أحد فمنهم من هلك في بدر ومنهم من هلك في مكة على الكفر والشرك وصدق الله العظيم فيما أخبر به عنهم أنهم لا يعبدون الله عبادة تنجيهم من عذابه وتدخلهم رحمته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن الكافر من كفر أزلا والمؤمن من آمن أزلا.

٢ـ ولاية الله تعالى لرسوله عصمته من قبول اقتراح المشركين الباطل.

٣ـ تقرير وجود المفاصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر والشرك.

سُورَةُ النَّصْرِ

مدنية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

---

(١) التكرار الموجود في الآية المراد منه التأكيد الذي يحمل المقترحين على اليأس من قبول الرسول ﷺ اقتراحهم بعبادة آلهتهم معهم سنة وهذا التكرار وارد في سورة الرحمن وسورة المرسلات، والتكرار شائع في لغة العرب من ذلك قول الرسول ﷺ فلا آذن ثم لا آذن إنما فاطمة بضعة مني (مسلم) وقال الشاعر:

يالبكر انشروا لي كليباً   يالبكر أين أين الفرار

وقال آخر:

ياعَلْقمة ياعلقمة ياعلقمة   خيرَ تَميم كلها وأكرمهْ

(٢) حذفت ياء الضمير تخفيفاً من ولي دين وبه قرأ جمهور القراء.

شرح الكلمات:

إذا جاء نصر الله : أي نصر الله نبيه محمداً ﷺ على أعدائه المشركين.

والفتح : أي فتح مكة.

في دين الله أفواجا : أي في الإسلام جماعات جماعات.

فسبح بحمد ربك : أي نزهه عن الشريك ملتبسا بحمده.

واستغفره : أي أطلب منه المغفرة توبة منك إليه.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله﴾[1] [2] الآيات الثلاث المباركات نزلت في أخريات أيام الرسول ﷺ وهي تحمل علامة للنبي ﷺ على قرب أجله فقوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله﴾ أي لك يارسولنا فأصبحت تنتصر على أعدائك في كل معركة تخوضها معهم وجاءك الفتح فتح مكة ففتحها الله عليك وأصبحت دار إسلام بعد أن كانت دار كفر[3]، ﴿ورأيت الناس﴾ من سكان اليمن وغيرهم ﴿يدخلون في﴾ دينك الدين الإسلامي ﴿أفواجا﴾ وجماعات جماعة بعد أخرى بعد أن كانوا يدخلون فرادى واحدا واحدا وهم خائفون إذا تم هذا ورأيته ﴿فسبح بحمد[4] ربك﴾ شكرا له على نعمة النصر والفتح ودخول الناس في دينك وانتهاء دين المشركين الباطل. ﴿واستغفره﴾ أي اطلب منه المغفرة لما فرط منك مما هو ذنب في حقك لقربك وكمال علمك وأما غيرك فليس هو بالذنب الذي يُسْتَغْفَرُ منه ويُتَابُ إلى الله تعالى منه وقوله تعالى ﴿إنه كان توابا﴾ أي إن الله تعالى الذي أمرك بالاستغفار توبة إليه كان توابا على عباده يقبل توبتهم فيغفر ذنوبهم ويرحمهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- مشروعية نعي الميت إلى أهله ولكن بدون إعلان وصوت عال.

---

(١) الإجماع على أن آخر سورة نزلت جميعاً هي سورة النصر هذه قاله ابن عباس كما في صحيح مسلم.

(٢) النصر: العون مأخوذ من قولهم نصر الغيث الأرض إذا أعان نباتها ومنع من قحطها قال الشاعر:

إذا انسلخ الشهر الحرام فودعي   بلاد تميم وانصري أرض عامر

(٣) روي أن العرب قالت: أما إذا ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان، فكانوا يسلمون أفواجاً أمة أمة، والأمة أربعون رجلا.

(٤) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه: قالت فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده، استغفر الله وأتوب إليه: قال خبرني ربي اني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها: إذا جاء نصر الله والفتح.. الخ. وصح أنه كان ﷺ يقول في ركوعه، سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي.

٢ـ وجوب الشكر عند تحقق النعمة ومن ذلك سجدة الشكر.

٣ـ مشروعية قول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي في الركوع.

سُورَةُ المَسَدِ

مكية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

تبت يدا أبي لهب: أي خسرت يدا أبي لهب بن عبدالمطلب أي خسر عمله.

وتب : أي خسر هو بذاته إذ هو من أهل النار.

ما أغنى عنه ماله: أي أي شيء أغنى عنه ماله لما سخط الله تعالى عليه وعذبه في الدنيا والآخرة.

وما كسب : أي من المال والولد وغيرها.

سيصلى نارا : أي يدخل نارا يصطلي بحرها ولفحها.

ذات لهب : أي توقد واشتعال.

وامرأته : أي أم جميل العوراء.

حمالة الحطب : أي تحمل شوك السعدان وتلقيه في طريق النبي ﷺ أذية له وكرها.

في جيدها : أي في عنقها.

حبل من مسد : أي من ليف.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ الآيات الخمس المباركات نزلت ردا على أبي لهب عم النبي ﷺ إذ صح أنه لما نزلت آية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ من سورة الشعراء طلع ﷺ إلى جبل الصفا ونادى: واصباحاه واصباحاه فاجتمع الناس حوله فقال لهم إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد: قولوا لا إله إلا الله كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم. فنطق أبو لهب فقال:

ألهذا جمعتنا تبا لك طول اليوم فأنزل الله تعالى رداً عليه[1] ﴿تبت يدا أبي لهب﴾[2] أي خسر أبو لهب وخسر كل شيء له وهذه جملة دعائية ولذا هلك بمرض[3] خطير لم يتمكنوامن غسله فأراقوا عليه الماء، فقط وقوله ﴿وتب﴾ إخبار من الله تعالى بهلاك عبدالعزى أبي لهب وقوله ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾[4] أي لما سخط الله عليه وادخله ناره لم يغن عنه أي لم يدفع عنه العذاب ماله ولا ولده. وقوله تعالى ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ أي تَوَقُّدٍ وتأجُّجٍ . ﴿وامرأته﴾ أم جميل العوراء ﴿حمالة الحطب﴾[5] حيث كانت تأتي بشوك السعدان وتضعه في طريق النبي ﷺ عند ذهابه إلى صلاة الصبح بالمسجد الحرام. وقوله تعالى ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ أي في عنقها[6] حبل من ليف النخل أو مسد شجر الدوم بهذا حكم الله تعالى على أعدائه وأعداء رسوله ﷺ.

هداية

من هداية الآيات:

١ـ بيان حكم الله بهلاك أبي لهب وإبطال كيده الذي كان يكيده لرسول الله ﷺ.

٢ـ لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئا من عذاب الله إذا عمل بمساخطه وترك مراضيه.

٣ـ حرمة أذية المؤمنين مطلقا.

٤ـ عدم إغناء القرابة شيئا مع الشرك والكفر إذ أبو لهب عم النبي ﷺ وهو في النار ذات اللهب.

---

(١) صح انه لما سمعت امرأة أبي لهب ما نزل فيها وزوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغني أنه يهجوني. والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر، والله إني لشاعرة: مذمما عصينا وأمره أبينا، ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك؟ قال: ما رَأَتْني لقد أخذ الله بصرها عني.

(٢) سمي أبو لهب بأبي لهب وكان اسمه عبدالعزى فسمي باللهب لحسنه وإشراق وجهه. وقال العلماء سمي بأبي لهب لمعانٍ أربع والذي أراه أنه سمي بقضاء وقدر أبا لهب ليكون من أهل النار نظيره اختيار الشيوعيين اليوم شعار الحمرة، وكلمة اليسار، لما سبق أنهم أهل النار وأصحاب الشمال وهم أهل النار.

(٣) يسمى المرض الذي أصابه الله به مرض العدسة فمات وأقام ثلاثة أيام لم يدفن حتى انتن ثم إن ولده غسلوه بالماء من بعيد مخافة عدوى العدسة؟ إذ كانت العرب تتقي هذا المرض كما يتقى الطاعون.

(٤) الكسب يكون حلالا ويكون حراماً وخيره ما كان حلالا، وفي الصحيح حديث عائشة رضي الله عنها إذ قالت قال رسول الله ﷺ إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه رواه أبو داود.

(٥) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي كانت تمشي بالنميمة بين الناس، تقول العرب فلان يحطب على فلان إذا ورش عليه أي حرش. قال الشاعر:

إن بني الأدرم حَمَّالوا الحطب   هم الوشاة في الرضا وفي الغضب

ولا منافاة مع ما روي انها كانت تحمل حزمة الشوك إذ هي تفعل هذا أو ذاك.

(٦) الجيد العنق شاهده قول الشاعر:

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش   إذا هي نصته ولا بمعطل

الريم: الظبي الأبيض الخالص البياض. ونصته: رفعته، . والمعطل الذي لا حلي عليه.

سورة الإخلاص

مكية وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

قل هو الله أحد : أي قل لمن سألك يانبينا عن ربك هو الله أحد .

الله الصمد : أي الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له ، الصمد : السيد الذي يصمد إليه . في الحوائج. فهو المقصود في قضاء الحوائج على الدوام .

لم يلد : أي لا يفنى إذ لا شيء يولد إلا وهو فان بائد لامحالة .

ولم يولد : أي ليس بمحدث بأن لم يكن فكان فهو كائن أولا وأبدا .

ولم يكن له كفوا أحد : أي لم يكن أحد شبيه له أومثيل إذ ليس كمثله شيء .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾[1] الآيات الأربع المباركات نزلت جوابا لمن قالوا للرسول ﷺ من المشركين انسب[2] لنا ربك أو صفه لنا فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ قل أي لمن سألوك ذلك هو الله أحد[3] الله الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحدأي ربي هو الله أي الإله الذي لا تنبغي الألوهية إلا له ، ولا تصلح العبادة إلا له أحد في ذاته وصفاته وأفعاله فليس له نظير ولا مثيل في ذلك إذ هو خالق الكل ومالك الجميع فلن تكون المحدثات المخلوقات كخالقهاومحدثها الله أي المعبود الذي لا معبود بحق إلا هو، الصمد أي السيد المقصود في قضاء الحوائج الذي استغنى عن كل خلقه وافتقر الكل إليه لم يلد أي لم يكن له ولد لانتفاء

(١) ورد في فضل السورة أنها تعدل ثلث القرآن رواه البخاري وروى مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختتم بـ (قل هو الله أحد) . فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله عز وجل يحبه .

(٢) روى الترمذي عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ أنسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل قل هو الله أحد الله الصمد.

(٣) أحد أصلها وحد قلبت الواو فيها همزة قال النابغة :

كان رحلي وقد زال النهار بنا   بذي الجليل على مستأنس وحد

وأحد مرفوع على أنه خبر لمبتدأ تقديره هو أحد (وهو) ضمير شأن أي المسؤول عنه هو الله أحد .

من يجانسه إذ الولد يجانس والده، والمجانسة منفية عنه تعالى إذ ليس كمثله شيء ولم يولد لانتفاء الحدوث عنه تعالى.

ولم يكن له كفوا أحد[1] أي ولم يكن أحد كفوا له ولا مثيلا ولا نظيرا ولا شبيها إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فلذا هو يعرف بالأحدية والصمدية فالأحدية هو أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لم يكن له كفو ولا شبيه ولا نظير والصمدية هي أنه المستغني عن كل ما سواه والمفتقر إليه في وجوده وبقائه كل ما عداه كما يعرف بأسمائه وصفاته وآياته.

من هداية الآيات:

١ـ معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته.

٢ـ تقرير التوحيد والنبوة.

٣ـ بطلان نسبة الولد إلى الله تعالى.

٤ـ وجوب عبادته تعالى وحده لاشريك له فيها، إذ هو الله ذو الألوهية على خلقه دون سواه.

سُورَةُ الفَلَقِ

مدنية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

أعوذ : أي استجير واتحصن.

الفلق : أي الصبح.

---

(١) قرأ نافع كفؤاً. مهموزاً وقرأ حفص كفوا بإبدال الهمزة واواً تخفيفاً.

من شر ما خلق : من حيوان وجماد.
غاسق إذا وقب : أي الليل إذا أظلم أو القمر إذا غاب.
النفاثات : أي السواحر اللاتي ينفثن.
في العقد : أي في العقد التي يعقدنها.
حاسد إذاحسد : أي إذا أظهر حسده وأعمله.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾[1] أنه لما سحر لبيد بن معصم[2] اليهودي بالمدينة النبي ﷺ أنزل تعالى المعوذتين فرقاه بهما جبريل فشفاه الله تعالى ولذا فالسورتان مدنيتان وقوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ أي قل يارسولنا أعوذ أي استجير وأتحصن برب الفلق وهو الله عز وجل إذ هو فالق الإصباح وفالق الحب والنوى ولا يقدر على ذلك إلا هو لعظيم قدرته وسعة علمه. ﴿من شر ما خلق﴾ أي من شر ما خلق تعالى من الكائنات من حيوان مكلف كالإنسان وغير مكلف كسائر الحيوانات ومن الجمادات أي من شر كل ذي شر منهاومن سائر المخلوقات. وقوله ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ أي الليل إذا أظلم والقمر[3] إذا غاب إذ الظلام بدخول الليل أو بغياب القمر يكون مظنة خروج الحيات السامة والحيوانات المفترسة والجماعات المتلصصة للسطو والسرقة وابتغاء الشر والفساد. وقوله تعالى ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ أي وتعوذ بالله برب الفلق من شر السواحر وهن النساء اللاتي ينفثن في كل عقدة يرقين عليها ويعقدنها والنفث هي إخراج هواء من الفم بدون ريق ولذا ورد من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر.[4] وقوله تعالى ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾[5] أي وتعوذ برب الفلق من شر حاسد أي من الناس إذا حسد أي أظهر حسده فابتغاك بضر أو أرادك بشر أو طلبك بسوء بحسده لك لأن الحسد طلب زوال النعمة عن المحسود وسواء أرادها له أو لم يردها وهو شر الحسد.

---

(١) هذه أولى المعوذتين والثانية الناس وقبلهما الصمد قال فيهن رسول الله ﷺ لم يتعوذ الناس بمثلهن وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها.

(٢) حديث سحر لبيد بن الأعصم اليهودي للنبي ﷺ ثابت في الصحيح وغيرهما. ومما رقى به جبريل النبي ﷺ قوله بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر حاسد وعين والله يشفيك.

(٣) روى الترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب.

(٤) روى النسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه. لهذا كره بعض السلف النفث في الرقية وقالوا يرقى ولا ينفث، والجمهور على الجواز.

(٥) الحسد حرام وهو أول ذنب عصي به الله تعالى إذ حسد أبليس آدم وحسد قابيل هابيل وحقيقته تمني زوال النعمة على الغير لتحصل له، أو لا تحصل وهو شر الحسد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- وجوب التعوذ بالله والاستعاذة بجنابه تعالى من كل مخوف لا يقدرالمرءعلى دفعه لخفائه أو عدم القدرة عليه .

٢- تحريم النفث في العقد إذ هو من السحر. والسحر كفر وحد الساحر ضربة بالسيف .

٣- تحريم الحسد قطعياً وهو داء خطير حمل ابن آدم على قتل أخيه وحمل إخوة يوسف على الكيد له .

٤- الغبطة ليست من الحسد لحديث الصحيح لا حسد إلا في اثنتين إذ المراد به الغبطة .

سُورَةُ النَّاسِ

مدنية وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى
يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

أعوذ : أي أتحصن وأستجير

برب الناس : أي خالقهم ومالكهم .

ملك الناس : أي سيد الناس ومالكهم وحاكمهم .

إله الناس : أي معبود الناس بحق إذ لا معبود سواه .

من شر الوسواس : أي من شر الشيطان سمى بالمصدر لكثرة ملابسته له .

الخناس : أي الذي يخنس ويتأخر عن القلب عند ذكر الله تعالى .

في صدور الناس : أي في قلوبهم إذاغفلوا عن ذكر الله تعالى .

من الجنة والناس : أي من شيطان الجن ومن شيطان الإنس .

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ هذه السورة هي إحدى المعوذتين الأولى الفلق وهذه الناس والأولى اشتملت على أربع خصال يستعاذ منها وهي من شر كل ذي شيء من سائر الخلق والثانية من شر ما يحدث في الظلام ظلام الليل أو ظلام القمر إذا غاب والثالثة من شر السواحر النفاثات في العقدوالرابعة من شرحاسد إذا حسد وقد اشتملت هذه الأربع على كل ما يخاف لأذاه وضرره أما سورة الناس فإنها قد اشتملت على شر واحد إلا أنه أخطر من تلك الأربع وذلك لتعلقه بالقلب، والقلب إذا فسد فسد كل شيء وإذا صلح صلح كل شيء ولذا كانت سورة الناس خاصة بالتعوذ من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس. فقوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الناس[١] ملك الناس إله الناس﴾ أمر منه تعالى لرسوله وأمته تابعة له أعوذ أي أتحصن برب الناس أي خالقهم ومالكهم وإلههم الذي لا إله لهم سواه من شر الوسواس[٢] الذي هو الشيطان الموسوس في صدور الناس وذلك بصوت خفي لا يسمع فيلقى الشبه في القلب، والمخاوف والظنون السيئة ويزين القبيح ويقبح الحسن وذلك متى غفل المرء عن ذكر الله تعالى، وقوله تعالى ﴿الخناس﴾ هذا وصف للشيطان من الجن فإنه إذا ذكر العبد ربه خنس أي استتر وكانه غاب ولم يغب فإذا غفل العبد عن ذكر الله عاد للوسوسة.

وقوله تعالى ﴿من الجنة والناس﴾ يعني أن الموسوس للإنسان كما يكون من الجن يكون من الناس والإنسان يوسوس[٤] بمعنى يعمل عمل الشيطان في تزيين الشر وتحسين القبيح. والقاء الشبه في النفس، وإثارة الهواجس والخواطر بالكلمات الفاسدة والعبارات المضللة حتى إن ضرر الإنسان على الإنسان أكبر من ضرر الشيطان على الإنسان، إذ الشيطان من الجن يطرد بالاستعاذة وشيطان الإنس لا يطرد بها وإنما يصانع ويُدَارَى للتخلص منه اللهم إنا نعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر الإنس والجن، فأعذنا ربّنا فإنه لا يعيذنا إلا أنت ربنا ولك الحمد والشكر.

---

(١) لما كان في الناس ملوك، وفيهم من يعبد غير الله تعالى ذكر تعالى أنه ملك الناس وإلههم ومعبودهم الحق الذي لا يستحق العبادة سواه فبه يستعاذ وبجنابه يلاذ.

(٢) جائز أن يكون المستعاذ منه لا الوسواس وإنما صاحب الوسواس وهو الشيطان أي من شر ذي الوسواس والوسوسة حديث النفس.

(٣) صح عن النبي ﷺ أن الوسوسة التي هي حديث النفس الخالية من القول والعمل معفو عنها ولا يؤاخذ به العبد لقوله ﷺ: (إن الله عز وجل تجاوز لأمتي عما حدثت أنفسها مالم تعمل أو تتكلم به).

(٤) قال مقاتل إن الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم، مجرى الدم في العروق سلطه الله على ذلك. وفي الصحيح إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجوب الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الإنس والجن.

٢ـ تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته عز وجل.

٣ـ بيان لفظ الاستعاذة وهو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كما بيّنته السنة الصحيحة إذ تلاحى رجلان في الروضة النبوية فقال النبي ﷺ إني أعلم كلمة لو قالها هذا لذهب عنه أي الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

«خاتمة الطبعة الأولىٰ والثانية»

الحمـد لله ملء السموات وملء الأرض ، والشكر لله مِلأَ هُما وملء ما بينهما والصلاة والسلام التامان الأكملان على نبيّ الرحمة وقائد الأمة وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـد ففي ليلة السبت الثالث والعشـرين من محـرم الحـرام لعام ١٤٠٧ وبالـروضـة الشريفة من المسجد النبوي الشريف قد تم ختم هذا التفسير المبارك المسمى بأيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير والحمد لله أولاً وآخراً.

هذا وأقدم اعتذاري لأخي القارىء وهو أني لم أستطع الالتزام بما نوهت عليه في مقـدمة الكتاب وهو أني لا أزيد على الخمس أو الست آيات في الدرس الواحد، حيث واجهتني في المفصل بالذات آيات كثيرة لا تزيد على جملة قصيرة نحو ﴿والنجم إذا هوى﴾ فلذا كنت أنظر إلى عدد الأسطر لا إلى عدد الآيات. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا اعتـذار،وآخر هو أني كتبت هذا التفسير في ظروف مختلفة مرة في الـطائـرة، ومـرة في الحضـر، وأخرى في السفر، ومرة والبالُ مشغول وثانية والجسم معلول، فلذا قد يجد القارىء أحياناً جفافاً في الشرح أو قلقاً في العبارة، يضاف إلى ذلك الخطأ المطبعي الذي أصبح لا ينجو منه كتاب، ولا يسلم منه خطاب.

وكلمـة أخيرة وهي أني ما آلـوت جهـداً في تحري الحق والصواب وفي التيسير والتسهيل في هذا الكتاب، وما توفيقي إلاّ بالله. وعليه فإنه ما كان من كمال فهو من الله، وما كان من نقصان فإنه مني، وأعتذر مستغفراً الله تعالى لي ولـوالديّ وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، ومصلياً ومسلّماً على أشرف المخلوقات وصاحب المعجزات نبينا محمد وآله الطاهرين، وصحابته أجمعين.

أبو بكر جابر الجزائري

«خاتمة الطبعة الثالثة»

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات محمد ذي الكمالات، وآله وصحبه ما أشرقت بنور ربها قلوبُ المؤمنين والمؤمنات.

وبعد: ففي الروضة الشريفة من المسجد النبوي الشريف، وبين العشائين من ليلة السبت الموافق لعيد الفطر المبارك من عام ١٤٠٩ من الهجرة النبوية كتبت هذه الكلمة «الخـاتمـة» (لنهر الخير) على أيسر التفاسير، فكانت إحدى النعم التي والاها الله ذو الفضل والإنعام على أضعف عباده وأقلهم شأناً، وأدناهم فضلاً، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وهو ذو الفضل العظيم.

لقد ابتدأت كتابة هذه الحاشية المباركة إن شاء الله تعالى في أواخر محرم الحرام وأنا بين خوف ورجاء: خوف من موافاة الأجل قبل إتمام العمل، إذ كثيرون ما أتموا ما بدأوا ولا أدركوا ما أملوا أذكر منهم الشيخين الجليلين: محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا، فقد بدءا تفسيرهما فتركه الأول في سورة النساء وتركه الثاني في سورة يوسف عليه السلام وأجابا نداء ربهما وتركا تفسيرهما لم يتماه ولم يكملاه لأمر أراده الله، فأعظم الله أجرهما وأحسن عزاءنا فيهما ونفعنا بتفسيرهما وقد فعل فله الحمد وله المنّة فقد قرأت وطالعت (المنار) أكثر من أربع مرات، وكنت إذا وصلت إلى موضع انتهاء ما كان الشيخ رشيد يتلقاه عن شيخه ويقول إلى هنا انتهى ما كنت أتلقاه من الشيخ، يغلبني البكاء فأبكي وأرى أن رزية ما فوقها رزية في موت الشيخين قبل إتمام تفسيرهما.

واستجاب الله لي ووقاني كل ما يعوقني أو يعوّقني عن إتمام هذه الحاشية التي أراها ضرورية لأيسر التفاسير الذي ما كتبته وجمعته إلاّ لعلمي بحاجة المسلمين اليوم إلى مثله فأتم الله علي نعمة من أجلِّ النعم ومنةً من أعظم المنن فاللهم لك الحمد ولك الشكر حمداً لا ينتهي وشكراً لاينقضي، وكما أنعمت وأفضلت فاغفر وارحم وأنت خير الراحمين واعف وتجاوز وأنت العفو الكريم، وصل وسلم وبارك على خاتم أنبيائك، محمد عبدك ورسولك وآله الطاهرين وصحابته أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أبو بكر جابر الجزائري

فهرس المجلد الخامس